كشف السر الغامض
شرح ديوان ابن الفارض

تأليف الشيخ

عبد الغني النابلسي

الكتاب الأول

قدم له

الدكتور بكري علاء الدين

دراسة وتحقيق خالد الزرعي


كشف السر الغامض
شرح ديوان ابن الفارض

عنوان الكتـــاب: كشف السر الغامض شرح ديوان ابن الفارض (١-٤)
اســم المؤلـــف: الشيخ عبد الغني النابلسي
تحقيـــــق: خالد الزرعي
المـوضـــــوع: شعر صوفي
عدد الصفحات: 2190 ص
القيـــــاس: 17.5 × 25 سم
الطبعـة الأولى: 1000 / 2017 م - 1438 هـ
ISBN: 978-9933-580-60-5



سورية - دمشق . ص ب 4650
تلفاكس: 2314511 11 963+
هاتـــف: 2326985 11 963+

E-mail: info@ninawa.org
ninawa@scs-net.org
www.ninawa.org

 دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع
 Ayman ghazaly

العمليات الفنية:
التنضيد والتدقيق والإخراج والطباعة - القسم الفني: دار نينوى

عُمَرُ بنُ الفَارِض

هو أبو حفص، أو أبو القاسم، شرف الدين عمر بن علي بن المرشد الحمويّ الأصل، المصريّ المولد، والدار، والوفاة. المعروف بابن الفارض.

ولقد برع ابن الفارض في فنون الشعر، وأوتي حسّاً شعريّاً مرهفاً عالياً، وتمكّناً من نواصي اللّغة، وبراعة في اختيار الألفاظ، وروائع التركيب، وحُسن الصورة وإبداعها. وكان يمتلك حسّاً نقدياً متميّزاً تمكن فيه من الحكم بين الشعراء لمّا احتكموا إليه.

يقول خير الدين الزركلي في ترجمة ابن الفارض في كتابه الأعلام معرّفاً به: «أشعر المتصوّفين، يُلقّب بسلطان العاشقين، في شعره فلسفة تتصل بما يسمّى وحدة الوجود».

اعتنى ابن الفارض في ديوانه بعلوم البلاغة؛ بيانها وبديعها، لكنّه ساقها ببراعة الفنّان ومقدرة الشعراء الكبار، حتّى إنّه يبدو للوهلة الأولى كأنّما كان يسوقها عفو الخاطر.

إنّ ابن الفارض في حبه الإلهيّ، يصور أطوار المحبّة الإلهيّة، ويكتشف عجائب الحبّ، وحقائق المعرفة، ويتذوّق عطاءات التجلّيات.

الشيخ عبد الغني النابلسي

الشيخ عبد الغنيّ النابلسيّ، واحد من أولئك الذين لهم تأثيرهم الكبير في الأمّة في عصره وفي العصور اللاحقة؛ ذلك أنّه عالم غزير العلم متنوّعه، فهو مجموعة موسوعات علميّة متعدّدة الجوانب، فإضافة لكونه صوفياً هو أكبر شارح للتصوّف، وباعه في الحديث كبير. كذلك هو فقيه حنفيّ يُعتمد رأيه، ويُقرّ اجتهاده. وهو شاعر مكثر، له أربعة دواوين، أكبرها وأهمّها ديوان الحقائق. وهو ناظم كبير لا يعلم عدد أبيات نظمه إلّا الله. وهو مؤرّخ فذّ لرحلاته التي قام بها إلى بغداد وطرابلس الشام، وبلاد الشام ومصر والحجاز. ويكتسب النابلسيّ رتبة مؤرّخ لوصفه الدقيق كلّ أشكال الحياة الموجودة في عصره بدقّة متناهية، فهو يصف البلدة التي ينزل بها، وأولياءها، وعلماءها، ورجالها، ومساجدها، والدروس، والمجالس، وحياتها العلميّة، والاجتماعيّة؛ فيعطينا صورة واضحة يندر وجودها في المصادر الأخرى لتلك الفترة التاريخيّة التي شحّت أخبار الحياة العلميّة بمثلها.



إلى روح الحبيب المصطفى وآله وصحبه، صلّى الله عليه وسلّم.

إلى روحيَ الشيخين عمر بن الفارض وعبد الغنيّ النابلسيّ

إلى كلّ محبٍ لأولياء الله ولابن الفارض وعبد الغنيّ النابلسيّ

إلى روح أبي محمّد عدنان الزرعي وأمّي ناديه حافظ.

إلى شريكة العمر والمعين على حمل أعباء الحياة سحر ريحاوي

إلى أبنائي وإخوتي.

إلى روحَيّ نصوح عزقول ومحمّد الزرّاق الذي كان دوماً يحثّني على إخراج هذا العمل.

إلى الأستاذ المهندس عبد الرزاق الحمصي وولده سليم.

إلى كلّ من هصر الحبّ الإلهيّ قلبه فملأه نوراً وحكمة وحياة.

إليكم جميعاً هذا الجهد المتواضع.

«لا يَشْكُرُ اللهَ مَنْ لا يَشْكُرُ النَّاس»[1]

لا بدّ لنا من توجيه الشكر إلى كلّ من أسهم في إخراج هذا العمل، وأخصّ بالذكر الدكتور بكري علاء الدين الذي أمدّنا بتوجيهاته وهيّأ لنا بعض المراجع ثمّ قدّم الكتاب.

الشكر للشيخ رياض خطّاب الذي راجع فصل «الحلول والاتّحاد ووحدة الوجود».

كذلك الشكر إلى دار ابن القيّم التي أسهمت في إخراج هذا العمل. والشكر الأكبر للأستاذ أيمن غزالي ودار نينوى الّتي قدّمت هذا العمل، وامتازت بطباعته، واختصّت بكلّ حقوقه، وكلّ ما يتعلّق بشؤونه.

وكذلك الشكر الجزيل إلى الأخ ياسين الشوّا الذي أخرج هذا العمل بهذه الحلّة المتميّزة.

الشكر إلى مركز الفوّال الطباعي لجهده وفضله.

إليهم جميعاً جزاكم الله خيراً.

خالد الزرعي

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، باب: مسند أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، ٧٩٤٠. قال الشيخ شعيب أرناؤوط ١٣/ ٢٢٢: إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير الربيع بن مسلم -وهو الجمحي- فمن رجال مسلم. محمد بن زياد: هو القرشي الجمحيّ مولاهم.

تقديم

علينا أن نميز بين الشعر الديني الشعبي من جهة، وبين الشعر الصوفي المرتبط بنظرة فلسفية إلى الوجود. وهذا النوع الأخير من الشعر مرتبط أساساً بالتصوف الفلسفي الذي اشتهر به كل من الحلاج وابن عربي وابن سبعين. حكى المقريزي في ترجمته لأشهر الشعراء العرب الصوفيين: ابن الفارض، أن الشيخ محيي الدين بن عربي، بعث إلى ابن الفارض برسالة يطلب منه فيها الإذن بشرح قصيدته "التائية" فأجابه ابن الفارض: "كتابك المسمى بـالفتوحات شرح لها". وسواء أصحت هذه القصة أم لم تصح، فإنها تعبر عن العلاقة التي تحدثنا عنها بين الشعر والتصوف الفلسفي. وكذلك فإن الششتري شاعر الصوفية في القرن الثامن الهجري يصدر عن مذهب أستاذه ابن سبعين. لذا فإن دراسة هذا اللون من الشعر الصوفي، ليست منفصلة في الأساس عن التصوف الفلسفي.

ويعدّ شعر ابن الفارض مثالاً واضحاً لهذا الاتجاه، أضف إلى ذلك اعتماده المتميز على فنون البديع والرمز السائدة في عصره، وقد نجح في تمثل الشكل الأدبي القادر على استيعاب تجربته الصوفية على أكمل وجه مما جعل ديوانه يحظى بعدد كبير من الشروح وانتشاره في أوساط العامة والمثقفين على السواء. وأشهر قصائد ديوانه "القصيدة التائية" المسماة نظم السلوك وهي "ملحمة شعرية" في التصوف لا نظير لها على الإطلاق. وفيها عرض مطول للحقائق الدينية الصوفية، وتلخيص لمذهب في "وحدة الشهود" يصف فيها ابن الفارض تجربته الصوفية الفردية الذاتية. ولو أنه أتيح له أن يعبر عن مذهبه نثراً لكان أفصح عن مذهب صوفي متكامل في وحدة الوجود.

ونحن نعلم بأن الفرق بين "وحدة الشهود" و"وحدة الوجود" هو الفرق بين التصوف القائم على الاختبار الروحي المباشر وما يرتسم في الوجدان، دون الدخول في تفاصيل المذهب، بينما يزيد عليه مذهب وحدة الوجود بالنسق المتماسك الذي يعبر به عن هذه التجربة ليصبح نظرية في الوجود، هي أقرب إلى العرض الفلسفي من مجرد وصف المعاناة الفردية الشهودية.

ومن أشهر قصائده، القصيدة الخمرية. وهي مبنية على اصطلاح الصوفية. وفيها يقول:

شربنا على ذكر الحبيب مدامة سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم

لها البدر كأس وهي شمس يديرها هلال، وكم يبدو إذا مزجت نجم

وهو يعبر بالخمرة عن المعرفة الإلهية أو الشوق والمحبة. والحبيب هو الرسول عليه الصلاة والسلام. والمدامة: المعرفة الإلهية والشوق لشهود آثار أسماء الحضرة الإلهية الجمالية...وبنفس الطريقة يتابع الشيخ عبد الغني النابلسي، شرح ديوان ابن الفارض، مستخدماً تعمقه المتميز لفلسفة وحدة الوجود الصوفية، وكأنه كان بذلك يلبي رغبة ابن عربي التي حكاها المقريزيَ.

ولابن الفارض نظرة في الحب جعلته ينال لقب "سلطان العاشقين"

وقد مارس ابن الفارض الرياضيات والمجاهدات الصوفية واتخذ الذات الإلهية موضوعاً لحبه. وخضع هذا الحب لتطور صاعد في الأحوال والمقامات، انتهى منها إلى أرقاها، وهو "حال الفناء" عن نفسه و"البقاء" بمحبوبته... ولم يتعمد ابن الفارض في حبه ابتكار مذهب فلسفي خاصبل مرّ بأطوار كانت عنده حباً لله ووفاء لرسوله الكريم، إلا أنها تشبه من بعيد وحدة الوجود التي يقررها ابن عربي بين الله والعالم. ولسنا نستغرب انخراط أتباع ابن عربي الكبار من مثل صدر الدين القونوي وتلميذه سعيد الدين الفرغاني وعبد الرزاق القاشاني من النصف الثاني للقرن السابع الهجري في شرح "تائية ابن الفارض" دون بقية الديوان. وتبعهم عبد الغني النابلسي شارحاً ديوانه كاملاً.والشرح الذي نشر في مرسيليا في نهاية القرن التاسع عشر مع شرح البوزيني كان قد أهمل شرح التائية التي تعادل نصف الديوان تقريباً. ونجد هنا ولأول مرة الشرح الكامل لديوان ابن الفارض بتحقيق الأستاذ خالد الزرعي مشكوراً.

وابن الفارض يتكلم هنا بلسان " الفناء" والوجد لا بلسان الادعاء، وهذا ما يميز مذهبه، على الرغم من كل نقاط الشبه الممكنة بينه وبين مذهب ابن عربي، مما يضفي عليه هذه اللمسة السحرية التي تجعله قريباً من مشاعر الناس مهما تفاوتت ثقافاتهم واختلفت عقائدهم بالكون وخالقه.

بكري علاءالدين

بسم الله الرحمن الرحيم

لِمَاذَا اخترتَ التَصَوُّفَ يَا بُنَيَّ؟

بينما كان الدكتور مدرِّس مادّة إعجاز القُرآن الشهير يسير بهمّة ونشاط في شارع برنيّة يمارس رياضة المشي اقتربت منه، حيّيته، ذكّرته بنفسي ـ طالبه في البكالوريا وفي دبلوم التربيّة ـ صاحب كتاب سرّ الأسرار. تذكرني، وعلى الفور بعد أن ردّ التحيّة، أطلق في وجهي صاعقة من العيار الثقيل، وكأنّه ينتظر قدومي ليسألني: يا بنيّ، **لِمَ اخترت التصوّف**؟.

أجبته بما أقنعه، وارتاح له، وأحبّه؛ فدعاني لحضور مدارج السالكين عنده، وقصّرت ولم ألبِّ. إلّا أنّ سؤاله هذا لم يبرح فكري منذ عشرين سنة ما ذكرت هذا اللِّقاء، أو أمسكت بقلم، أو قرأت كتب التصوّف ونقدها، موافقة أو مخالفة، أو افتخاراً بمعرفة هذا الرجل العالم المبارك حفظه الله ونفع به.

بعد هذه الفترة الزمنيّة الطويلة من عمر الإنسان القصير لا بدّ أن ترتسم في صفحات النفس، وخلجات الفكر، ودقّات القلب صورة واضحة لرسالةٍ حرصَ التصوّفُ وأهله على إيصالها إلى مجتمعاتنا عبر تاريخ طويل امتدّ أكثر من ألف وأربعمئة سنة.

الرسالة تتحدّث لنا عن نفسها بعيداً عن المصطلحات والتسميات والبدايات والنهايات والأفراد والجماعات والتيّارات والنظريّات والعلوم والفنون والأفكار والمعاني والخلاف والتوافق فتقول لنا:

إن التصوّف، أو الزهد، أو السلوك، أو الطريق إلى الله ـ سمِّ ما شئت ـ يسعى فيه أهله لإقامة التوازن الدقيق بين النفس والجسد، بين الروح والعقل، بين العوالم والرؤى الروحيّة والعوالم والرؤى الماديّة لإقامة خلافة الله على أرضه على النحو

الذي سنّه لخليفته فيها، واستعمره فيها، ورسم الصراط المستقيم لمجتمعه بجناحيّ مادّة بناء أبناء الدنيا، والقيم والمثل للمجتمع الذي يرسي أسس بقائه بعبوديّته للمستخلِف سبحانه وتعالى، واستقامته على صراطه، بصفائه ونقائه لاستمراره وبقائه، وديمومته، سعيداً، عزيزاً، كريماً. فما إنْ ينغمس الناس في الترف، والمجون، والخلاعة، والفسق، والنفاق، والظلم تهبُّ رياح الذلّة والفناء مشرَّعة بأيدي فتنٍ وصراعاتٍ وغزاةٍ وحروبٍ؛ وإذا بينابيع التصوّف الثرّة الإنسانيّة تسير بالإنسان نحو طريق الخالق، تغيّر ما بنفس أبناء الدنيا ومجتمعاتهم ليغيّر الله ما بها؛ فتعيد التوازن، والتحرر من الغازي، والظالم، وتسهم في الانعتاق من أسر الشهوة والمعصية. وهذه دول تاريخ الإسلام شاهدة؛ من حروب الإخوة وصراعاتهم ، أو صراع الغزاة وقراعهم، أو فتن شتّى، أو مصائب كبرى.

إذا غفل المرء عن أيّ شيء في أمر التصوّف الذي لا بدّ من الخوض في غمار أفكاره، أو سلوكه والسير في طريقه، فلا يغفلنّ عن حقيقة ثابتة ثبات الأرض حول مدارها، وراسخة رسوخ جبالها، ظهرت هذه الحقيقة في وعي الإنسان أم اختفت، وهي: إنّ أغلب علماء الدين وأهمّهم عندما يستحسنون صنع عالم، أو راوٍ، أو حافظ قراءات، أو مؤلّف، أو عابد، أو زاهد يقولون: «إنّه صوفيّ»؛ فانظر في شرح صحيح مسلم تجد أنّ الإمام النوويّ إذا أراد أن يمدح أحد شيوخ السنّة يلقّبه بالصوفيّ. وكذلك الإمام ابن الجوزيّ في "صفة الصفوة" عندما يترجم لأئمّة الحديث في القرن الأوّل والثاني والثالث ويريد مدحه يقول: «الصوفيّ».

كذلك الحافظ الذهبيّ في "سير أعلام النبلاء" عندما يعظّم اسم أحد المترجَمين يجعل كلمة «صوفيّ» مدحة له.

والإمام ابن حجر شارح البخاريّ يؤلِّف ترجمة للشيخ الجيلانيّ، ناهيك عن أنّ جميع شرّاح البخاري من أصحاب الصلة بالصوفيّة؛ كذلك جميع أسانيد الأمّات الستّة من رواة الصوفيّين، فهم أعظم من خدم الكتاب والسنّة النبويّة المطهّرة.

لم تكن مواقف الأئمّة السلفيِّين ترفض التصوّف، ولم تكن تدين أعلامه الصالحين، كما ورد في كتاب «مواقف الأئمّة السلفيين من التصوّف» ... حتّى أولئك الذين ينتقدون التصوّف وأهله ممّن يدّعي أنّه هو على مذهب السلف الصالح مراجعهم اليوم أحمد بن تيميّة وابن قيّم الجوزيّة لو قرأ كلامهم عن الصوفيّة لاستحى من أن يتجرّأ على التصوّف وأهله؛ فابن تيميّة ألّف كتاباً سمّاه «الصوفيّة والفقراء»، وأقرّ مجلّدين من الفتاوى في الحديث عن الصوفيّة، وذكر أنّ له سنداً في الرواية عن القطب عبد القادر الجيلانيّ. وإذا ذكره يقول: «قدّس الله سرّه».

أمّا تلميذه، وناقل مذهبه، وأمينه على فكره وعلمه فاقرأ له «مدارج السالكين في شرح منازل السائرين» يكفك ويغنك عن قول آخر.

إنّ مرجع أسانيد علم القراءات هو أئمّة الصوفيّة، وكلّهم يتّحدون عند الشيخ زكريّا الأنصاريّ شارح الرسالة القشيريّة التي تعدّ بالحقّ دستور أئمّة التصوّف.

إذاً نستطيع القول: إنّ أصل التصوّف روح الكتاب والسنّة فهو التخلّص من أدناس القلب، والأخذ بطهارته، وتعريضه لنفحات الربّ، والعمل بمقتضى الكتاب والسنّة.

إنَّ علاقة أبناء التصوّف بالفقه علاقة وثيقة، ووثيقة جدّاً، لا انفصام لها في كلّ التكاليف. فكون المرء صوفيّاً لا يعني انعتاقه من أيّ إطار مفروض من أطر العبادة؛ بل على العكس تماماً، فعندما يتعمّق المرء في عبادته وفق هذه الرؤى يعطي فروضه أفقاً آخر مختبئاً خلف هذه الفروض؛ وهو القربى من فارض هذه الفروض «وما تقرّب إليّ عبد بأحبّ ممّا افترضته عليه» وهذا هو الأهمّ عند الصوفي، يقول الجنيد: «إذا رأيتم الرجل يطير في الهواء، ويمشي على الماء فلا تغترّوا به حتّى تجلسوه على الأمر والنهي؛ فإنْ وجدتموه ممتثلاً للأمر منزجراً عند النهي فهو من أولياء الله الصالحين. وإنْ وجدتموه يخالف الأمر والنهي فاضربوا بكرامته عرض الحائط؛ فإنّه زنديق».

إنّ المتصوِّفة عبر التاريخ كانوا يحاولون أنْ يجلوا للناس المرآة التي في دواخلهم، كانوا يصحِّحون النوايا، يقولون للناس: إنّ الطريق إلى الله متعدّدة السبل، سبلهم متنوّعة لا تحصر؛ فهي بعدد أنفاس البشر. كلّ فرد له طريق يسير من جهته منفرداً متفرِّداً؛ هذا بكثرة عبادة، هذا بالصدقات، هذا بمساعدة الخلق، هذا بكثرة الذكر، هذا بخلوته بقلبه، هذا بفكره بتأمّله وهذا بابتكاره وإنجازه......

لكنّهم كلّهم يجمعون على أنّ التكاليف الإلهيّة لم توضع عن أحد ولو كان الرسول محمّداً صلّى الله عليه وسلّم. وهم مأمورون بها ولو كان المرء في النزع الأخير.

إنّ الفارق بين الفرد من أهل التصوّف وبين العامّي متناهٍ في الدقّة ـ ولا أقصد بالعامّي من لم يتعلّم، لا، أبداً؛ بل يدخل أيضاً من يكون عالماً في اختصاصه أيّاً كان الاختصاص ـ الفرق بينهما دقيق؛ فالمتصوّف يعكف على ذاته، يراقب نفسه، يلتقط من صفحات روحه أسطر الرؤى والمشاهدات المنيرة التي ظهرت على مرآة قلبه للكون وما فيه؛ فيتذوّق التفريق بين الحقّ والباطل دون أن ينظر في كتاب؛ وإنّما شرب من كؤوس التعب والمجاهدة، فذاق التجلّيات عبر الرسائل المتوالية التي لا تنقطع، واغترف من إشراقاته وإلهامه، وتوغل فيها، وعكف على ذاته المدركة، الواعية، العارفة أنّها مرآة الكون؛ فكان الصوفيّ عاشقاً فنّاناً ثائراً تولّه في محبوبه، وصار لا يبصر بعينه؛ وإنّما يراه متجلِّياً على مرآة ذاته العاشقة.

أمّا العامّي فقد تغافل عن إشراقات قلبه، وأصمّ أذنيه عن سماع وقع تجلّيات فطرته السليمة، وثراء باطنه على طبول دقّات قلبه، ومضى في الحياة يجري في خضمّها جري الوحوش؛ فاحتجب عن التجلّيات الإلهيّة على صفحات قلبه، واحتجبت عنه، فعتّمت مرآة قلبه، فما بات يسمع إلّا تخاريف، ووساوس وأوهاماً، مع أنّه لا يوجد أحد محروم من الفيوضات أو التجلّيات، ولكنّ بعض الناس تنبّه لها وطوّرها وتطوّر بها وارتقى في مدارجها، واعتلى معارجها. وأمّا الآخر فقد تغافل في الوقائع وانهمك فيها، وخاض لجج الحجب والغفلات، وغاب في غمارها.

إنّ علوم الدِّين كلّها عانت مِن الكذّابين والوضّاعين عبر التاريخ الإسلاميّ؛ ذلك أنّ الحقائق يمكن أنْ تخفى ببساطة في منسوخ ينسخ منه عدّة نسخ توزّع في الأمصار، ويلفّق فيه ما يلفّق. وإن إدخال أيّ فكرة على أيّ مخطوط لا يكلّف المرء إلّا إعادة نسخه وإدخال ما تريد إرادة شياطين الإنس والجن فيه.

كذلك عانى الأشخاص من هذه الظاهرة أيّاً كان موقعهم من الحياة مفكّرين، علماء، خلفاء، أمراء، ساسة..... أيّاً كان وصفهم؛ ففي علم الحديث ما يزال صدى صوت ذلك الزنديق على النطع ليلقى جزاءه يخاطب الخليفة العبّاسيّ: أين أنتم من ألف حديث افتريتها على لسان نبيّكم؟!. يجيبه الخليفة العبّاسيّ: وأين أنت من عبد الله ابن المبارك و... و... ينخلونه كما ينخل البرّ.

لأجل ذلك وضعت علوم الصحيح، والحسن، والضعيف؟، والموضوع، والجرح، والتعديل، والتراجم، والسير، والطبقات، والتهذيب، والكمال....

في التفسير دخلت الإسرائيليّات، فغرّبت الناس وأغربت.

في التوحيد دخل التجسيم، والتعطيل، والتشبيه، وأفكار مذاهب التوحيد، وكلّ الأمور المخالفة للعقيدة السليمة؛ فتفرّقت الأمّة بضعاً وسبعين شعبة.

فهل نترك كلّ العلوم كما هي الدعوى لترك التصوّف أم ننقّيها وننخلها كما ينخل البرّ، وكما نخل علماء الحديث الصحيح والموضوع.

إن وجود المندسّين بين الصفوف، وبين الكتب، وبين الأفكار لا يعني التوسّع في سدّ الذرائع بإغلاق الباب كلّه، وهذا أمر موجود وثابت ـ أقصد وجود المندسّين في الفكر والدين وغيرهما، واسألوا الشعراني في مقدّمة لواقح الأنوار، وأقصد أيضاً مبدأ سدّ الذرائع كردّ فعلٍ على وجود الخطأ ـ فكلاهما موجود، ووجودهما لا يعني أيضاً نبذ العلم كلّه الذي أشرقت شموس زهد أصحابه، وسماحة أرواحهم، وتزكية نفوسهم، بدءاً من حياة الرسول صلّى الله عليه وسلّم إلى اليوم، وإلى قيام الساعة.

لقد قام أصحاب هذا العلم، أو هذا الطريق، أو هذا السلوك على دعائم الحقّ، وألسنة الصدق. وثبتوا على قدم الاستقامة فنالوا أعظم الكرامة؛ فالاستقامة عين الكرامة.

وإنّ مكر أعداء الإسلام والمسلمين يكمن في خلق الشكّ وإشعال نيرانه في صدور المسلمين بعلوم دينهم؛ وعاء وجودهم، وحاضن آخرتهم؛ وذلك لزرع الاشمئزاز، ثمّ البعد، والقطيعة مع: دينهم، وعلومه، وعمّاله، وعلمائه من السلف الصالح من المحدّثين، والقرّاء، والفقهاء، والتراجمة، واللّغويّين، والأدباء، والمفكّرين، والشعراء، والمؤرّخين، صوفيّين كانوا أم غير صوفيّين؛ وذلك حتّى تأتي الأجيال اللاحقة فتنفي هذه العلوم وتنبذ كلّ العلماء؛ لأنّها وصلت عن أولئك القوم، وتزرع ما تشاء في أرض حرثتها بمكر، وبذرتها بخبث بأشتال ما لا يرضي الله ورسوله.

لم يقتصر دور المتصوّف في القرن الثاني الهجريّ على الزهد في الدنيا وزخارفها طمعاً في الآخرة ونعيمها؛ بل تعدّاه إلى الزهد في الجنّة طمعاً بمحبّة الله تعالى وعرفانه. ومع ذلك فقد انخرطوا في لجج الحياة العامّة؛ خصوصاً إنْ كان الأمر دفاعاً عن أرض إسلام، أو سعياً في نشر لوائه، في ثغور شام، أو تخوم أندلس، أو فارس، وهند وصين وغيرها.... ورأوا أنّ نصر الأمّة لا يكون إلّا بتقوى أبنائها لربّهم، متأسّين برسول الله صلّى الله عليه وسلّم الذي بدأ معركة بدر باللّجوء إلى الله، والدعاء، والتبتّل قبل أن يعمل السيف عمله برقاب الأعداء. وكذلك في أُحد حيث علموا أنّ مخالفة صغيرة لأوامر الله ورسوله قلبت نصراً إلى هزيمة. وانطلق ابن المبارك وأمثاله من: داوود بن نصير (ت ١٦٥هـ) والفضيل بن عياض (ت ١٨٧هـ) ورابعة العدويّة (ت ١٣٥هـ) منذ القرن الثاني للهجرة وعبر التاريخ الطويل للأمّة بعد أن فهموا رسالة التصوّف حقّ فهمها على أنّها اتّباع كامل لكلّ شريعة الله تعالى، وتطبيق لكلّ سنّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. وتخلية القلب عن كلّ ما سوى الله من أغيار شواغل الدنيا. لم يفهموا التصوّف قعوداً مع القاعدين، ولا بقاء مع الخالفين؛ بل كانوا يشكّلون أحياناً تجمّعاً لهم في مرابض الجهاد في ثغور الشام

لـمّا واجهوا البيزنطيّين، أمثال التجمع الذي كان رأسه أبو القاسم القحطبي الصوفيّ، وأبو القاسم الغزيار، وأبو القاسم الملطي الصوفيّ صاحب الجنيد[1].

وإذا جاء الصليبيّون فأئمّة القادة وأئمّة الجيوش المناوئة المجاهدة رُبّوا في مدارس تصوّف الجيلانيّ، كآل زنكيّ، وعلى رأسهم نور الدين الشهيد. وهم بدورهم رَبّوا جندهم في مدارسهم الصوفيّة على كتاب «الإحياء»، على امتداد بلاد الشام ومصر، وكذلك آل أيّوب فعلوا.

صحيح أنّ الغزاليّ لم يصنّف في كتابه الشهير «إحياء علوم الدين» أيّ فصل في الجهاد؛ لكنّه علم أنّ تقصير الناس في هذه الفريضة سببه حبّ الدنيا وكراهية الموت، وهو الوهن الذي أصاب الأمّة كما سمّاه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في الحديث الشريف؛ لذلك الغزاليّ بنى الإحياء على مواجهة المرض، وهيّأ عقائد القادة والجند للثبات في مستنقع الموت لتحرير القدس ومصر والشام.

أمّا الإمام الشاذليّ فكان طليعة جيش الدفاع عن منصورة مصر وقد تجاوز الستّين من عمره، وكفّ بصره، وكان العزّ بن عبد السلام في جيشه.

وفي الأندلس منع المرابطون سقوط الأندلس مئتي سنة. وهم الذين رُبّوا في مدارس الشيخ الجيلانيّ بباب الأزجّ في بغداد[2].

وعلى امتداد القرون لم تنقطع جهود ، فهم طليعة المهاجمين للبيزنطيّين في آسيا وأوروبا، وهم رؤوس المدافعين مع القبائل السلجوقيّة في آسيا، وهم حربة الدولة العثمانيّة التي تشكلت نتيجة منازلة البيزنطيّين وتوسعت على مدى القرون[3].

وإذا ذُكرت جهود في تحرير البلاد والعباد من رجس الغزاة الظالمين الصليبيّين فلا بدّ من ذكر عَلَمٍ كبير في تلك المواجهة؛ وذلك لأنّ أثره امتدّ من العهد

---

(١) انظر عزّة حصريّة «إمام السالكين وشيخ المجاهدين الشيخ أرسلان الدمشقي» ص٢٨.

(٢) انظر ماجد عرسان الكيلاني: «هكذا ظهر صلاح الدين».

(٣) انظر عزّة حصريّة «إمام السالكين وشيخ المجاهدين الشيخ أرسلان الدمشقي» ص٢٨.

الصليبيّ إلى العصر الحديث في عهد الاحتلال الفرنسيّ، ومازال يذكر في تراثنا الشعبي حتى الساعة، وهو الشيخ أرسلان الدمشقيّ. هذا الشيخ الذي بدأ طفولته، وأمضى مراهقته وصدراً من شبابه وهو يدافع عن مسقط رأسه في قلعة جعبر. وبعد سقوطها غادرها في العشرين من عمره إلى دمشق التي اختير فيها للدفاع عنها، وبُني له الرباط[1] بجانب رباط أبي البيان، الصوفيّ الشهير وقت ذاك، فربّى جنده في رباطه تربية الصوفيّة، وأبعد الصليبيّين عن دمشق في الفترة ما بين سقوط القدس بأيدي الصليبيّين (٤٩٢)هـ وحتّى وفاته (٥٤١)هـ. وكان بحقّ مع جنوده من رهبان الليل فرسان النهار. وقد استمرّ الشيخ أرسلان مع أهل دمشق في نضاله طوال وجود الفرنسيّين، فما إن يسمع الشبّان كلمة السرّ «شيخ رسلان يا شيخ رسلان يا حامي البرّ والشام» حتّى يبادروا إلى المظاهرات ضدّ الفرنسي المحتلّ[2].

وإذا نظرنا إلى تكوين الدولة العثمانيّة نجدها قامت على أمثال الذين رابطوا في الثغور، وتآلفوا وتحالفوا مع القبائل السلجوقية في صدّ الهجمات البيزنطيّة إلى أن تشكّلت الدولة العثمانيّة التي مدح النبيّ صلّى الله عليه وسلم جيشاً فيها، وقائداً فيها «لتفتحنّ عليكم القسطنطنيّة فلنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش»[3] واستمرّت على نهج التصوّف إلى آخر خليفة فيها.

وفي العصر الحديث إذا نظرنا في أقطار الوطن العربيّ نجد الذين اشتروا آخرتهم، وبذلوا أنفسهم وأموالهم من على رأس معارك التحرير من المستعمرين الجدد من أجل سلامة الأديان وتقدّم الشعوب وتحرير الأوطان.

من المغرب من يتجاوز عبد الكريم الخطّابيّ المغربيّ وثورته.

---

(١) الرباط منازل الصوفيّة مثل المخافر اليوم والمراصد المتقدّمة على الحدود يقيم فيها عدد قليل من الجنود لرصد العدو، والصدّ المبكر لهجماته المفاجئة.

(٢) المرجع السابق ص١٠٢.

(٣) أخرجه أحمد في المسند، باب: حديث بشر الخثعمي، ١٨٩٥٧.

من الجزائر من ينسى الأمير عبد القادر الجزائريّ الذي قاد ثورات الجزائر، الصوفيّ صاحب كتاب «المواقف»'.

في ليبيا نلمح شيخ الطريقة السنوسيّة عمر المختار يقود معارك إعلاء كلمَتي الحقّ والدين.

في بلاد الشام نرى أبناءها على طول البلاد وعرضها كعزّ الدين القسّام وبدر الدين الحسنيّ وأحمد الحارون وغيرهم يخوضون غمار المعارك قيادة وقتالاً مثبتين أنّ سياج الأوطان هم أبناؤه الذين يبيعون دنياهم طلباً لرضا ربّهم ومحبته، وأنّ انتشار الإسلام، وعزّة أبنائه خضع أوّلاً وأخيراً لحماسة هؤلاء الأفراد، وقوة إيمانهم العميق بصدق رسالتهم، وعظمة دعوتهم، ومثوبة خالقهم، وتلاشي كلّ جزاء أمام نشوة لذّة وصاله ومحبته.

إنّ هذا التاريخ المشرق للمتصوّفة في حياة أمّة الإسلام كافٍ وحده أن يبرز الفارق بين تصوّف المسلمين الذي هو حياة إيجابيّة وحيويّة مهذِّبة لسلوك المسلم، ومسدِّدة لخطاه ممّا يقرّبه من الله تعالى، وبين التصوّف السلبيّ لغيرهم من الأمم، الذي هو هروب من الحياة، ويردّ الادّعاء الذي يحاول فيه أهله من المسلمين وغير المسلمين ربط التصوّف بالأمم السابقة، وبالمذاهب الضّالة، والفرق الأخرى ذات الانحراف البيّن.

أخيراً نقول: إنّ ما يدفع المرء ليضع أقدامه في طريق أولئك الأئمّة الهداة أيضاً هو الحقيقة التي لا يراها إلّا كلّ من فتَح الله له بصيرته، فأوقف نفسه لله، وما رأى للأشياء خالقاً إلّا الله ، ولا دافعاً، ولامحرّكاً، ولا ممدّاً، ولا متصرّفاً، ولا موئلاً إلّا الله. بيده الملك والملكوت، وإليه يرجع الأمر كلّه. وما هذا الوجود كلّه إلّا وهم، سراب، خيال، سرعان ما يتلاشى، يذهب إلى فناء؛ فكلّ ما حولنا مذ كنّا صغاراً قد فني، الأعمار فنيت، الأجساد فنيت وتلاشت، الأحباب غابوا وتلاشوا تحت التراب، الأعداء تلاشوا تحت التراب، الصغير تلاشى، الكبير تلاشى. كلّه إلى زوال: الأحلام، الحقائق، الفنون الأفكار، الفلسفات. النظريات تموت واحدة وتحيا أخرى

لتلهث وراء الموت، أو لينشب الموت أظفاره فيها من جديد. أليس حريّاً بالمرء الذي رصد على صفحات قلبه تقلّبات ذهاب الدنيا، وفناء الأشياء أن يزهد في هذه الدنيا، وأن لا يختارها هدفاً ينشده، والرفاهية والرخاء والظفر بملاذّ الحياة ومتعها ليس هدفاً: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ [٤٢/ الشورى/ ٢٠]. وفي الحديث: «اقتربت الساعة ولا يزداد الناس على الدنيا إلا حرصاً ولا يزدادون من الله إلّا بعداً»[1].

لا يجوز للإنسان المؤمن أن يعيش ضائعاً مهملاً، مشغولاً بالطعام والشراب، والجنس، والشهوة والنساء. ليست الدنيا كما قال أحدهم:

إنّما الدنيا طعام وشراب ومنام   فإن فاتك هذه فعلى الدنيا السلام

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾ [٣٥/ فاطر/ ٥-٦]. «ألا وإنّ الدنيا عرض حاضر يأكل منه البرّ والفاجر ألا وإنّ الآخرة أجل صادق، يقضي فيه ملك قادر، ألَا وإنّ الخير كلّه بحذافيره من الجنّة، ألا وإنّ الشرّ بحذافيره من النار ألا فاعلموا وأنتم من الله على حذر، واعلموا أنّكم معرضون على أعمالكم فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرّة شرّاً يره» وإنّما الدنيا فرصة لنفعل ما أمرنا به بعبارات موجزة شافية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ [٢٢/ الحج/ ٧٨].

﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [٣/ آل عمران/ ٥٣].

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، كتاب الرقائق، ٧٩١٧.

عمر بن الفارض

هو أبو حفص، أو أبو القاسم، شرف الدين عمر بن علي بن المرشد الحمويّ الأصل، المصريّ المولد، والدار، والوفاة. المعروف بابن الفارض.

والفارِض بالفاء والراء المكسورة، وليس بالراء المفتوحة كما ذهب ابن المستوفي[1] المعاصر لابن الفارض وكذلك ابن خلكان أكّد هذا الضبط[2].

اشتهر بنسبه إلى بني سعد قوم حليمة السعديّة، لكنّ ابن الفارض رأى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في نومه وقال له: بل أنت مني، ونسبك متّصل بي[3].

اختلف المترجمون له في مولده؛ ذلك أنّه وأمثاله من الشعراء والعلماء والأجلّاء وسائر الناس لم يكن مشهوراً يوم ولد، فأهمل بعضهم يوم مولده كالذهبيّ في سير أعلام النبلاء ولسان الميزان، وذهب بعضهم إلى أنّ مولده (٥٦٦) هـ كابن العماد، وذهب أخرون إلى (٥٧٦) هـ كابن المستوفي المعاصر له، وتلاه ابن خلّكان.

ولعلّ قول الحافظ المنذريّ الذي التقى به، وسمع شعره، وسأله عن مولده

---

(١) انظر تاريخ أربل للمبارك بن أحمد بن موهوب الأربلي، المعروف بابن المستوفي (ت٦٣٧هـ)، تحقيق سامي بن سيد خمّاس السقار ـ دار الرشيد العراق،٢/ ٦٨١. والفارض اسم فاعل من فرض، بينما اسم المفعول مفروض. والفارض هو الذي يكتب الفروض للنساء على الرجال، والفارض أيضاً المسن من البقر ﴿لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ﴾ [٢/ البقرة/ ٦٨] والفارض القاطع، أيّ: يقطع الأرض لما يعمل من الأعمال الشاقّة، وفرضتُ له أفرض: أثبتّ له فرضاً، ورسمت له رسماً في الديوان، أيّ: جعلت له عطاء، وكذلك في المواريث: إذا بيّنت له ما يصيبه، أو يصيب كلّ واحد من الورثة.

(٢) انظر وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبي العبّاس شمس الدين أحمد بن محمّد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي (ابن خلكان) (ت٦٨١هـ). تحقيق د. إحسان عبّاس، دار صادر بيروت ٢ / ٤٥٤. وانظر مفردات القرآن للراغب الأصفهاني مادّة (فرض).

(٣) انظر الديباجة ص١٨٢.

فقال: «آخر الرابع من ذي القعدة سنة ست وسبعين وخمس مئة» لعلّ قوله هذا هو الأرجح والأقوى والأصح.

لكن أجمع المترجمون له على أنّ وفاته (٦٣٢) هـ.

لقبه سلطان العاشقين:

أوّل من أطلق هذا اللّقب هو على نفسه؛ فالعاشقون كلّهم من رعيته كما قال:

وملك معالي العشق ملكي وجندي الـ ـمعاني وكلّ العاشقين رعيّتي[١]

وهو لقب قديم، أورده صاحب «شذرات الذهب في أخبار من ذهب» ابن عماد الحنبلي فقال: وليس سماع الفسّاق كسماع سلطان العاشقين[٢].

ـ واشتهر في حياته بالأديب الفاضل كما وصفه المنذريّ في التكملة عندما ترجم له بقوله: «في هذه السنة في الثاني من جمادى الأولى توفي الشيخ الأديب الفاضل أبو القاسم عمر بن الشيخ أبي الحسن عليّ بن المرشد بن عليّ الحمويّ الأصل، المصريّ المولد والدار». وكذلك وصفه الذهبيّ بالأديب البليغ»[٣].

أبوه عليّ، أبو الحسن (الفارض): قدم من حماة إلى مصر. لم يذكر المترجمون والمؤرخون سبب قدومه من حماة إلى القاهرة، ولا سببه؛ ولكن يمكن للمرء ألّا ينسى أن الفترة الزمنيّة التي قدم فيها أبوه من حماة إلى مصر هي فترة الحروب الصليبيّة، وبلاد الشام ومصر آنذاك مسرح العمليّات للقائد صلاح الدين وسلفه نور الدين، ولعلّ الشيخ الصوفيّ أبا الحسن (الفارض) كان مواكباً لإحدى هذه

---

(١) انظر الديوان بيت رقم٢٩٣ من قصيدة نظم السلوك.

(٢) انظر شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي، تحقيق محمود أرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت ط١، ١٩٨٦.

(٣) قال الذهبيّ في تاريخ الإسلام ووَفَيَات المشاهير والأعلام ١٤/ ٧٦: «عمر بن مرشد بن علي الأديب البليغ أبو القاسم الحموي الأصل المصري المولد والدار».

الحملات فقدم معها[1]، ثم عُيِّن في نيابة الحكم[2]، وقام بوظيفة اجتماعيّة هامّة، وهي وظيفة كتابة ما يسمّى في مصر القائمة، وهي التي كانت تكتب للنساء من الحقوق عند الزواج وتوثّق في الدواوين.

وقد كان تعيينه ذلك نظراً للمعرفة بعلمه، وصدقه، وصلاحه، وفقهه، ومكانته؛ فاشتُهر لذلك باسم "الفارض". كان عابداً، زاهداً، ورعاً. ثمّ ندبه الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين لشغل منصب قاضي القضاة. فرفض المنصب، وآثر الاعتزال في قاعة الخطابة في الأزهر ما بقي له من أنفاس حتى لقي وجه ربّه. فهيّأ له ذلك العناية بابنه عمر خير عناية. هذا يعني أنّ أباه أوّل شيوخه الذين جمعوا صفات غزارة في العلم، وزهد في الدنيا، وورع وتقوى. ولم يكتفِ بذلك؛ وإنّما كان يدفعه إلى مجالس العلم، ويأذن له في السياحة.

شيوخه:

تغفل أغلب المصادر التي كتبت عنه أسماء شيوخه؛ لكنّها تذكر في أغلبها أنّه أخذ الحديث عن ابن عساكر، وأخذ عنه الحديث الحافظ المنذريّ. وهذا أمر لابدّ له من البحث والتثبّت.

---

(١) في سنة ٥٧١هـ اتفق السلطان صلاح الدين الأيّوبي مع الصالح إسماعيل بن الملك العادل نور الدين إثر محاولة اغتياله في إعزاز على أن يحكم صلاح الدين من حماة إلى مصر، وتبقى البلاد الحلبيّة تحت حكم الصالح إسماعيل. ثمّ خرج صلاح الدين إلى مصر ٥٧٢هـ قبل ولادة عمر ابن الفارض بأربع سنوات إثر خروج مئة ألف من السودان من صعيد مصر إلى القاهرة لاستعادة الدولة الفاطمية فتصدى لها الملك العادل أبو بكر أخو صلاح الدين، ولعل أبو الحسن الفارض قد رافق هذه الحملات أو أمثالها، والله أعلم.

انظر: «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة» لابن تغري بردي، سنة ٥٧١و٥٧٢.

(٢) نيابة الحكم أي: نائب المحتكم، أي: هو من القضاة. وقد يدلّ على منصب في القضاء، أشبه اليوم بما يسمّى مدير التنفيذ في المحاكم، أو رئيس الديوان. يُعيِّنه قاضي القضاة، أو ربّما القاضي. مع الملاحظة أنني لم أعثر على أيّ نصّ صريح في تحديد هذا المنصب فيما اطّلعت عليه.

أمّا ابن عساكر الحافظ المحدّث أعظم المؤرّخين الذين ألّفوا في تاريخ المدن، صاحب كتاب تاريخ دمشق الشهير فهو: أبو القاسم عليّ بن الحسن بن هبة الله (ابن عساكر). ولم يأخذ عنه ابن الفارض قطعاً؛ ذلك أنّ ابن الفارض ولد بعد وفاة أبي القاسم ابن عساكر بخمس سنوات؛ فقد توفي ابن عساكر سنة (٥٧١)هـ وولد ابن الفارض سنة (٥٧٦) هـ كما صرّح بذلك ابن الفارض نفسه للحافظ المنذريّ[١] ولم يأتِ أبو القاسم عليّ بن الحسين إلى القاهرة، لا طالباً للعلم، ولا محدّثاً، ذلك أنّ جدّ ابن عساكر يحيى القرشي حثّه على السفر إلى خراسان (إيران وأفغانستان وجنوب روسيا) لما فيها من كبار المحدّثين، ولخلو مصر منهم في ذلك الوقت.

وأمّا أبو محمّد القاسم بن علي بن الحسن بن هبة الله (بن عساكر) فهو ابن الحافظ المحدّث المؤرخ أبي القاسم صاحب التاريخ المشهور فقد توفي سنة ٦٠٠هـ وزار مصر وحدّث فيها؛ فهو الشيخ المقصود عند كلّ من ترجم لابن الفارض كما ذكر الحافظ المنذريّ.

ومع أنّ الحافظ المنذريّ رحمه الله (٥٨١-٦٥٦هـ) عاصر ابن الفارض كلّ حياته إلاّ بضع سنين، فلم يذكره من شيوخه، وإنّما قال في معجمه: «سمعت منه من شعره»[٢] إذاً من شعره وليس من روايته للحديث. وكما قال ذلك في «التكملة لوفيات النقلة»: «...وقال الشعر الجيّد على طريقة التصوّف وغيرها، وحدّث. سمعت منه من شعره، وسألته عن مولده فقال: آخر الرابع من ذي القعدة سنة ست وسبعين؛ يعني وخمس مئة»[٣].

---

(١) انظر كتاب «التكملة لوَفَيَات النقلة» لزكيّ الدين أبو محمّد عبد العظيم المنذريّ، تحقيق بشّار عوّاد معروف، سنة ٦٣٣هـ، ص٣٨٨، ٣٨٩.

(٢) انظر المصدر السابق الصفحة نفسها.

(٣) انظر: «لسان الميزان» لابن حجر، أبي الفضل أحمد بن على بن محمّد بن أحمد بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) تحقيق عبد الفتّاح أبو غدّة، دار البشائر الإسلاميّة ٦ / ١٢٢.

إذاً يخلص المرء من ذلك كلّه أنّ ابن الفارض لم يأخذ من أبي القاسم ابن عساكر الأب صاحب تاريخ دمشق؛ وإنّما أخذ من أبي محمّد القاسم بن عساكر الذي نسخ تاريخ أبيه، ووضع له مختصراً، وأنّ المنذريّ لم يسمع من ابن الفارض إلّا شعره وإنْ صرّح بأنّه حدّث .

ولكن لا يحطّ هذا من قدر تحصيل ابن الفارض في علوم الدين كلّها، وعلوم اللّغة بأصولها وفروعها؛ بل على العكس، إنّ وجود أب بمستوى قاضي القضاة، وهو متفرّغ للعلم والعبادة، وهو زاهد، ويدفع ابنه في مجالس العلم ومدارسه السائدة في القاهرة على تنوعها، ومجالس الحكم وخباياه آنذاك يوفّر لابن الفارض قاعدة علميّة تؤهله ليكون باباً فريداً في هذا النوع من الشعر يعجز الشعراء عن صعود قمّته نفسها، معتمداً على ما حصّله من علوم العقيدة والحديث والتفسير والفقه والشعر والعربيّة وسائر العلوم على يديه.

ولعلّ من أهمّ شيوخه الذين أثّروا فيه أيّما تأثير شيخه البقّال، بائع البقل في دكّانه على باب المدرسة السيوفيّة، وهو الذي لم يدرِّسه في كتاب، ولم يجزه في مروياته، ولم يعرف عنه ابن الفارض شيئاً إلّا أنّه بقّال[1] لكنّه استخلفه.

سياحته:

السياحة رحلات يقوم بها المتصوِّفة السائحون في القفار، أو الجبال أو الأودية، أو التخوم، أو الثغور، بعيداً عن عيون الخلق الراصدة وتواصلها المبني على الغفلة، والعقوق، وشحيح المادّة، وقطع الحقوق، متفردين بمن أوقد في قلوبهم جذوة الحبّ التي لا تستطيع مغريات الأرض ووسائلها وأهلها أن تخمد حرّ

(١) البقّال علي أبو الحسن شيخ ابن الفارض، صاحب الفتح الإلهيّ، والعلم الوهبي، وكان يبيع البقول بحانوت على باب المدرسة السيوفيّة يتستر حتّى لا يعرفه أحد، ويظهر الجهل لئلّا يعكف عليه الناس. انظر طبقات الأولياء للمناوي واليافعي في كفاية المعتمد والدميري في حياة الحيوان.

لهيبها، فقد حوّل الحبّ، والذكر، والوصال، والأحوال المختلفة الآلامَ إلى ملذات، والشدائد إلى مسرّات، واستسلموا للحبّ الإلهيّ حتّى تلاشوا فيه؛ فالموت فيه حياة، والفناء فيه خلود؛ ذلك لمّا كوشفوا بجمال الملكوت الأعلى وجلاله في سياحة الخلوات، فقطفوا ثمار ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [٥١/ الذاريات/ ٥٠].

والسياح منهم شهيرون: إبراهيم بن أدهم، عبد القادر الجيلانيّ، ذو النون المصريّ، أبو الحسن الشاذليّ، وعمر بن الفارض.... وللسياحة في جبل المقطّم إغراءٌ للصوفيّين، وله أمان للخائفين الهاربين والمستضعفين؛ فهو قبل أن يضمّ رفات الصالحين، ومعارج أرواح المحبّين إلى محبوبهم، فيه غرس الجنّة كما ذكر ابن الفقيه في «البلدان» فقد سأل المقوقس عمرو بن العاص أنْ يبيعه سفح المقطّم كلّه بسبعين ألف دينار. فكتب عمرو إلى عمرَ بن الخطاب فقال له: سله لم أعطانا بها وهي لا تستنبت ولا تزرع؟!. فقال: إنّي أجد في الكتب أنّ فيه غرس الجنّة. فأعلم عمرو عُمَرَ ذلك، فكتب إليه: إنّا لا نعلم غراس الجنّة إلّا للمؤمنين، فاقبر فيه من مات من المسلمين، ولا تبعه بشيء. فكان أوّل قَبْرٍ قُبِرَ فيه رجل يقال له عامر فقيل عَمَرتْ[1]. ولقد عمرت بالمساجد والمدارس والقبور، والصالحين، والعلماء، والعبّاد، والأولياء. وإليه هفت سياحة ابن الفارض فتى، وشابّاً، وعلى أبواب الكهولة. وإليه سمت روحه قبراً، في موضع مرشده الذي لم يكن يعرفه قبل أنْ يُفتح عليه، موضع مراكع موسى عليه السلام.

نترك سبط ابن الفارض عليّ ينقل لنا في ديباجته حديث جدّه عن نفسه: «كنت أوّل تجريدي أستأذن والدي وأطلع إلى وادي المستضعفين بالجبل الثاني من المقطّم، وآوي فيه، وأقيم هذه السياحة ليلاً ونهاراً»[2].

---

(١) انظر كتاب «البلدان» لأبي عبد الله أحمد بن محمّد بن إسحاق الهمداني المعروف بابن الفقيه ت ٢٦٥هـ، تحقيق يوسف الهادي، عالم الكتب ١ / ١١٧.

(٢) انظر ديباجة الديوان ص١٦٦.

كان ابن الفارض يتجرَّد في جبل المقطم ليلاً ونهاراً، يمضي أيّاماً في خلواته، ثمّ يعود إلى والده القاضي، القائم بأعباء نيابة الحكم، فيلتقيه الأب الشفوق، يعانقه، يسعد بقربه، يفرح بسلامته، ويحضّره مجالسه، ويدفعه إلى مجالس العلم. ولمّا تتوق النفس إلى لقاء حبيبها من جديد بعيداً عن أعين الرقباء، يعاود ابن الفارض سياحته طالباً فتحاً ووصالاً، وهكذا يفعل فترة طويلة من عمره، حتى بعد وفاة أبيه.

ينقل لنا عليّ سبط ابن الفارض في الديباجة وغيرها من مواضع الكتاب عن خاله محمّد عن جدّه عمر بن الفارض حديثه عن أهمّ سياحة تجرّد لها، في أهمّ مراحل عمره الذي بلغ فيه ذلك الوقت قرابة الثامنة والثلاثين سنة فيقول: «حضرت من السياحة إلى المدينة، فوجدت رجلاً شيخاً بقّالاً على باب المدرسة يتوضّأ، غسل يديه، ثمّ غسل رجليه، ثمّ رأسه، ثمّ غسل وجهه. فقلت له: يا شيخ، أنت في هذه السنّ، وأنت في دار الإسلام، على باب هذه المدرسة، بين فقهاء المسلمين، وأنت تتوضّأ وضوءاً خارجاً عن الترتيب الشرعيّ؟!.

فنظر إليّ وقال: لم أتوضّأ إلّا مرتّباً، ولكنّك لا تبصر، لو أبصرت لأبصرت هكذا، وقال: يا عمر، أنت ما يفتح عليك في مصر؛ وإنّما يُفتح عليك بالحجاز، في مكّة شرّفها الله تعالى، فقد آن لك وقت الفتح؛ يا عمر أنت ما يفتح عليك بمصر. فعلمت أنّ الرجل من أولياء الله تعالى، وأنّه يتستر بالمعيشة ـ وهي بيع البقل ـ وإظهار الجهل بترتيب الوضوء. فجلست بين يديه، وقلت له: يا سيّدي، وأين أنا وأين مكّة، ولا أجد ركباً، ولا رفقة، وفي غير أشهر الحج. فنظر إليّ، وأشار بيده، وقال لي: هذه مكّة أمامك. فنظرت معه، فرأيت مكّة شرّفها الله تعالى. فتركته وطلبتها امتثالاً. فلم تبرح أمامي إلى أن دخلتها في ذلك الوقت. وجاءني الفتح حين دخلتها، وترادف ولم ينقطع .قال سبط الشيخ: وإلى هذا الفتح أشار رضي الله عنه في القصيدة الداليّة حيث قال:

يا سميري روّح بمكّة روحي شادياً إنْ رغبت في إسعادي
كان فيها أنسي ومعراجي وقدسي ومقامي المقام والفتح بادي

إذاً انقسمت سياحته إلى مرحلتين اثنتين، الأولى في جبل المقطّم، أخذ فيها نفسه بالمجاهدة بأنواع العبادات والرياضات، وكانت تحت أنظار أبيه، ثمّ استمر بها بعد وفاة أبيه. والثانية تبدأ بعد لقاء البقّال الذي ما كان يعلم ابن الفارض من حقيقة أمره شيئاً. وكانت هذه المرحلة بجوار مكّة، بين أوديتها وجبالها، لا أنيس له فيها من الخلق إلا الوحش، والفلاة، والجبال، والفضاء، مع النسك، والعفّة، وصوم النهار، وإحياء الليل، والتورّع، والزهد، والصلاة في الحرم، والطواف حول الكعبة، والتعبّد، والتهجّد، والتفكّر، والرياضات جميعها، ودوام الوصل؛ كلّ ذلك خلّص النفس من مادّيتها، ووجّه سلوكها، وربطها بخالقها، وأسعدها بوصال محبوبها، وسخّر لها كلّ شيء.

يتابع ابن الفارض قوله السابق واصفاً ما جرى معه في سياحة تلك المرحلة: «ثمّ شرعت في السياحة في أوديتها، وجبالها. وكنت أستأنس فيها بالوحش ليلاً ونهاراً. أقمت بواد كان بينه وبين مكّة عشرة أيّام للراكب المجدّ، وكنت آتي إلى مكّة منه كلّ يوم وليلة خمس مرّات، وأصلّي في الحرم الشريف الصلوات الخمس، معي سبع عظيم الخلقة، يصحبني في ذهابي وإيابي، وينخ لي كما ينخّ الجمل، ويقول لي: يا سيّدي اركب. فما ركبته قطّ ويقول يشير إلي - وسمعوا قوله - يا سيّدي اركب. فما ركبته قطّ»[1]. وكما بدأت رحلته السياحيّة بأمر الشيخ الذي لم يأمره إلّا أمر السياحة بدأت رحلة العودة بأمر الشيخ نفسه بعد خمس عشرة سنة.

فعلى صوت الشيخ أبي الحسن البقال: «مكّة أمامك» وجد مكّة أمامه وجهاً لوجه، وأقام فيها خمس عشرة سنة وفُتح عليه بها، وكوشف بها، وألّف معظم

(١) انظر ديباجة الديوان ص١٦٦.

أشعاره وأهمّها بها، وعلى صوته أيضاً بعد خمس عشرة سنة وهو يخاطبه يعود إلى القاهرة مستسلماً اليوم كما امتثل بالأمس. نستمع إلى سبط الشيخ في ديباجته ينقل لنا مدّة خروجه «وأمر العودة: ثمّ بعد خمس عشرة سنة سمعت الشيخ يناديني وأنا بين جبال مكّة وأوديتها: يا عمر، تعالى احضر وفاتي وانتقالي إلى الله، وصلِّ عليّ. فأتيته مسرعاً إلى القاهرة، فوجدته قد احتضر». لبّى مسرعاً، لم يستغرق ذلك من الوقت كثيراً في الدخول وكذلك في الخروج، ولعله قصد بالوقت في قوله وقت الصلاة التي أراد أن يصلّيها ما بين الظهر أو العصر، ما بين العصر أو المغرب وهكذا، والله أعلم.

سار عائداً إلى القاهرة وهي أمامه، كما سار إلى مكّة ذاهباً وهي أمامه، في الوقت كما قال، ليجد رجلاً يُحتضر، وأباً شيخاً حكيماً آمناً مطمئناً يخلِّف ابن روحه لوراثة طريقته، لا يرضى غيره إماماً ولو كان المأموم طيوراً تأخذ أرواح الأولياء والشهداء لترتع حيث يشاء الله تعالى لها أن ترتع.

يستمرّ عليّ السبط في الديباجة ناقلاً عن جدّه في الموضع نفسه: «فوجدته قد احتضر فسلّمت عليه، وسلّم عليّ. وناولني دنانير ذهب، وقال لي: جهّزني، وأعطِ حملة نعشي إلى القرافة كلّ واحد ديناراً، واتركني على الأرض في هذه البقعة، وأشار إليها بيده، فلم تزل بين عيني أنظر إليها وهي بالقرافة تحت المسجد المعروف بالعارض بالقرب من مراكع موسى عليه الصلاة والسلام بسفح المقطّم عند مجرى السيل منه، وانتظر قدوم رجل يهبط من الجبل فصلّ أنت وهو عليّ، وانتظرْ ما يفعل الله في أمري[1]...».

نلخّص نتائج سياحته:

١ ـ الفتح المنشود للشاعر من فور وصوله مكة.

---

(١) انظر الديباجة ص١٧٤.

٢- مجاورته بمكة خمس عشرة سنة وأثر ذلك الروحي.
٣- شهرته بمكّة واحترامه.
٤- كتابته أغلب شعره فيها وانتشاره فيها ومنها إلى شتّى الأمصار.
٥- إظهار كراماته للخلق.
٦- مبايعته لشيخه البقّال، وارتباطه به، مع أنّ الصِّلات لم تكن قبل ذلك بينهما.
٧- مكانته الكبيرة في القاهرة بعد العودة.
٨- إقامته في قاعة الخطابة في الأزهر مثل أبيه.

صفاته:

بعد عودته من مكة واستخلاف الشيخ البقّال له اشتهر ابن الفارض بين الناس بصفاته الحسنة الكثيرة التي نترك للشيخ النابلسيّ شرحها في سياق ديباجة السبط، لكنّه لابدّ من الإشارة إلى بعض منها فقد كان حسن الصحبة والعشرة، رقيق الطبع، يعشق الجمال، مهيباً سخيّاً، معتدل القامة، وجهه جميل، يمتاز بحمرة ظاهرة، وله نور في وجهه.

ثيابه حسنة، رائحته طيّبة، لا يقبل مالاً؛ ردّ ألف دينار من الملك الكامل. ينفق على من كان يرد عليه من الفقراء.

يعشق الجمال، ويطرب لسماع ما يشدّه إلى محبوبه الأوحد لدرجة الغياب عن الوعي أحياناً لفترة طويلة.

إذا حضر مجلساً ظهر على المجلس السكينة والوقار. في مجلسه ترى جماعات من المشايخ والعلماء والفقراء ورجال الدولة وسائر الناس، وكلّهم في غاية الأدب معه والتواضع بين يديه.

إذا مشى في المدينة تزاحم الناس عليه يلتمسون منه البركة والدعاء، ويلتمسون تقبيل يده فلا يُمكّن أحداً من ذلك؛ بل يصافحه.

احترمه أرباب الدولة الأيوبيّة لدرجة كبيرة، فيستأذنه الملك الكامل في تجهيز ضريح لأمّه عند قبة الإمام الشافعيّ، فلم يأذن له. ثمّ طلب منه أنّ يجهّز مكاناً يكون مزاراً له بعد موته فرفض. في الشعر صار محكّماً، كما فعل بين محمّد بن الخيميّ ونجم الدين ابن إسرائيل.

وفاتـه:

يُجمع أغلب من أرّخ لابن الفارض أنّ وفاته كانت في الثاني من جمادى الأوّلى (٦٣٢) هـ ثمّ دفن في اليوم التالي بالقرافة في موضع البقعة التي صلّى فيها على شيخه البقّال حيث مراكع موسى عليه السلام، وذلك بحسب وصيّته في سفح المقطّم تحت المسجد المعروف بالعارض. ولسبطه عليّ صاحب الديباجة أبيات في ذلك، يقول:

جـز بالقرافـة تحـت ذيـل العـارض ... وقل السلام عليك يا بـن الفـارض

أبـرزت في نظـم الـسلوك عجائبـاً ... وكـشفت عـن سرّ مـصون غـامض

وشربـت مـن بحـر المحبّـة والـولا ... فرويـت مـن بحـر محـيط فـائضِ

وقال أبو الحسين الجزّار:

لم يبـق صـيّب مزنـة إلّا وقـد ... وجبـت عليـه زيـارة ابـن الفـارض

لا غـرو أنْ يـسقي ثـراه وقـبره ... بـاق ليـوم العـرض تحـت العـارض

وقد أعقب ابن الفارض ابنه محمد بن عمر بن الفارض، سمع من أبيه عمر بن الفارض ومن رواج، وأجاز له المؤيّد الطوسيّ وأبو روح وجماعة، و كتب عنه المصريّون والبرزاليّ وتوفي سنة (٦٨٩) هـ. لكنّه لم يشتهر بالشعر[1].

---

(١) انظر «تاريخ أربل» لابن المستوفي (ت٦٣٧)هـ تحقيق سامي بن سيّد خمّاس الصفار، الورقة ٢١١/ ب، ٢/ ٢٨١، الناشر دار الرشيد، العراق.

كذلك أعقب ابنه عبد الرحمن، إلّا أننا لا نجد من أخباره شيئاً عند من ترجم لابن الفارض.

شعر ابن الفارض:

لابن الفارض أثر واحد وصل إلينا، لا ثاني له، وهو ديوانه. وهو ليس بكبير الحجم، لكنّه حظي باهتمام شديد؛ حفظاً وشرحاً وتداولاً، ابتداء من حياة الشاعر وحتّى الساعة؛ ففي أثناء وجوده في مكّة كانت قصائده تنشد وبعدها على المآذن، وكذلك في سائر الأمصار إلى اليوم لا تزال قصائده تتلى في المجالس على طول البلدان وعرضها. وكان ديوانه يُحفّظ للطلّاب صغاراً وكباراً في المدارس وكتاتيب المشايخ.

ولقد برع ابن الفارض في فنون الشعر، وأوتي حسّاً شعريّاً مرهفاً عالياً، وتمكّناً من نواصي اللّغة، وبراعة في اختيار الألفاظ، وروائع التركيب، وحُسن الصورة وإبداعها. يضاف إلى ذلك أنه كان يمتلك حسّاً نقدياً متميّزاً تمكن فيه من الحكم بين الشعراء لّما احتكموا إليه، كابن الخيمي وابن إسرائيل؛ فقد ادّعى ابن إسرائيل إحدى قصائد ابن الخيمي واحتكما إلى ابن الفارض فطلب من كلّ منهما أن ينظم على وزن معيّن وقافية محدّدة، وفاضل بين شعر كلا الشاعرين ثمّ أصدر حكمه أن القصيدة لابن الخيمي[1] وإثرها ترك ابن إسرائيل مصر نهائيّاً.

يقول خير الدين الزركلي في ترجمة ابن الفارض في كتابه الأعلام معرّفاً به: «أشعر المتصوّفين، يُلقّب بسلطان العاشقين، في شعره فلسفة تتصل بها يسمّى وحدة الوجود».

---

(١) انظر «فوات الوَفَيَات» محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقب بصلاح الدين (ت٧٦٤)هـ، تحقيق إحسان عبّاس، ٣ / ٤١٣. كذلك وَفَيَات المشاهير والأعلام للذهبي (ت ٧٤٨)هـ، تحقيق بشّار ، د.عوّاد معروف.

بهذا التعريف بعمر بن الفارض لعلّ شاعر الشام المؤرّخ المعاصر خير الدين الزركلي حدّد مكانة ابن الفارض الشاعر الكبير بين شعراء المتصوّفين كلّهم بما لشعره من خصائص فنيّة. ولخّص أهمّ المعاني المنتشرة فيه، وأكثرها إشعاعاً ووروداً. ثمّ أشار إلى فلسفة ابن الفارض في شعره. ولو استعرضنا أكثر من كتب عن شعر ابن الفارض لما وجدنا من الدارسين من يأتي بأكثر من هذه العناصر الثلاثة؛ أولها الخصائص الفنيّة لشعره. وثانيها: المعاني التي تناولها الحبّ الإلهيّ، وثالثها فلسفة ابن الفارض في عشقه. نلاحظ أنّ كلّ دارس من دارسي ابن الفارض يلامس جزءاً من هذه الأركان الثلاثة في شعر سلطان العاشقين. ويتوسّع فيه إلى أبعد الحدود لتفسير شاعريته وعبقريته.

إنّ شعر ابن الفارض يعبّر عن تجربة ذاتيّة ومعاناة ومواجد حرّكت كوامن الشعر عنده فانساب يحمل ما عاناه ولمع في فكره بمنتهى الذكاء والدقة، وذلك في أرفع ثوب فنٍ من أفانين الشعر السائدة في عصر زاخر بالثقافات والأفكار التي يلوّنها أبناء هذا العصر بألوان الزخارف الفنيّة فيه، بيانيّة معنويّة أو بديعيّة. ولكنّ ابن الفارض يؤدّي ذلك بأرقّ عبارة وألطفها، مع إغراق في شحن العبارة بعواصف العواطف الفيّاضة، لتجعل بناء الصورة الشعريّة عنده متصاعداً حتّى ذروة الانفعال والإتقان والجمال، فيبزّ أقرانه من شعراء التصوّف كجلال الدين الروميّ والسهرورديّ والحلّاج، ولا يدركه محمّد بن الخيمي وابن إسرائيل والعفيف التلمسانيّ. ومع ذلك كلّه فقد تجاوز مجانين عشق البشر في معانيه: مجنون ليلى، وجميل بثينة، وكثيّر عزّة، وكلّ بني عذرة، وبني عامر، ومَن لفّ لفهم في فيافيهم وقفارهم، وذاب في محبوباتهم، مِن رمز الجمال عند البشر إلى ذرا لم يدركوها من أسرار العشق لجمال ربّ البشر، عشقاً يليق بجمال وجلال ربّ البشر. وقد أدّى معانيه برقّة وخيال بأعلى مقام الإتقان والحرفيّة، كحرفية المتنبي،

ورمزيّة أبي تمّام، وإيقاع جرس البحتري العذب الأخّاذ؛ كلّ ذلك مسخّر لبيان مدى الإيغال في الحبّ، وجذب الجمال، ودلال المحبّ، وأحوال المحبوب، وآثار الحبّ، وارتقاء المحبوب.

نترك شاعراً ناقداً رساماً مرهف الإحساس يحدّثنا عن عبقريّة ابن الفارض وشاعريته مفسراً لها، متلمساً دقائقها، راسماً أبعادها يقول جبران:

«وكانت روحه الظمآنة تشرب من خمرة الروح فتسكر، ثمّ تهيم سابحة مرفرفة في عالم المحسوسات حيث تطوف أحلام الشعراء وميول العشّاق وأماني المتصوّفين. ثمّ يفاجئها الصحو فتعود إلى عالم المرئيّات لتدوّن ما رأته وسمعته بلغة جميلة مؤثّرة.

إذا نظرنا إلى فنّه المجرّد وما وراء ذلك الفنّ من المظاهر النفسيّة وجدناه كاهناً في هياكل الفكر المطلق، أميراً في دولة الخيال الوسيع، قائداً في جيش المتصوّفين العظيم؛ ذلك الجيش السائر بعزم بطيء نحو مدينة الحقّ.

كان يغمض عينيه عن الدنيا ليرى ما وراءها، ويغلق أذنيه عن ضجّة أهل الأرض ليسمع أغاني اللانهاية.

هذا هو ابن الفارض، روح نقيّة كأشعّة الشمس، وقلب متّقد كالنار، وفكرة صافية كبحيرة بين الجبال. وفي شعره ما لم يحلم به الأوّلون ولم يبلغه المتأخرون»[1].

يرى المقدسي بأنه: «قد نشأ في عصر بلغت فيه الأناقة البديعية نثراً و نظماً أعلى درجاتها، فهو عصر القاضي الفاضل، والعماد الأصبهاني، و بهاء الدين زهير، وابن سناء الملك.... قد عُرفت هذه الطبقة جميعها بولعها الشديد بالصناعة اللفظيّة، وتكلّف أنواع البديع. مع ذلك قد امتاز شعر ابن الفارض برقة اللفظ مع الجزالة

---

(١) يعقوب مسكوني، مجلّة الرسالة، العدد ٥٣٣.

والمتانة، ودقة المعنى، وعمق الفكرة والسلاسة، وبصدق الحسّ، وسلامة الأسلوب، وبعد الخيال، والإغراق فيه، وجمال الصورة. هذا من الناحية الفنيّة»[1].

أما من الناحية الصوفيّة: كان ديوان شاعرنا ثمرة صالحة، ذات نزعة صوفيّة واضحة لما امتازت به نفس الشاعر من رقة الشعور، ودقة الحس، وسموّ العاطفة التي سيطرت على نفسه سيطرة قويّة...

فإذا هو يقضي حياته مقبلاً على محبوبه، كلفاً به مشوقاً إليه، مفنياً نفسه فيه، حتى ظفر من هذا كله بما قرّت به عينه، واطمأن إليه قلبه، من اتّصال ووصال، وكشف للحقيقة المطلقة التي هي عنده كل شيء في هذا الوجود، وإليها يردّ كل موجود. ومن هنا كان ديوان شاعرنا أنشودة جميلة من أناشيد الحبّ، وهتافاً صادقاً رددته نفس الشاعر في رياض القلب.

المحسّنات في شعر ابن الفارض:

اعتنى ابن الفارض في ديوانه بعلوم البلاغة؛ بيانها وبديعها، لكنّه ساقها ببراعة الفنّان ومقدرة الشعراء الكبار، حتّى إنّه يبدو للوهلة الأولى كأنّما كان يسوقها عفو الخاطر، وإنّ الدارس المدقّق لانتشار هذه الفنون في شعر ابن الفارض يرى زيادة في فنون البديع عنده عن غيرها؛ فهي تشكّل نسبة ٦٢٪ من البيان والبديع كما ذهب إليه مصطفى عبد القادر مصطفى من الله في رسالته «البديع في شعر ابن الفارض» بينما يبلغ البيان ٣٨٪ وقد توزعت بحسب الجدول المرفق كما يلي[2]:

(١) انظر «أمراء الشعر العربيّ في العصر العبّاسي» لأنيس المقدسي، منشورات جامعة بيروت، ١٩٦٣، ص٣٨١.

(٢) انظر «البديع في شعر عمر بن الفارض» لـ مصطفى عبد القادر مصطفى من الله بحث مقدّم لنيل الماجستير في اللغة العربيّة من جامعة أم درمان، ص١٢٩.

المحسّنات البيانيّة في شعر ابن الفارض

المحسّن المعنوي	النسبة المئويّة
الطباق	٧.١٨ ٪
المقابلة	٩.٩ ٪
إيهام التناسب أو المناسبة	٧.٥ ٪
اللفّ والنشر	٤.١ ٪
المبالغة	٠.٨ ٪
التورية	٠.٧ ٪
مراعاة النظير	٠.٠٤ ٪
تجاهل العارف	٠.٠٢ ٪
تأكيد المدح بما يشبه الذم	٠.٠١ ٪
الإرصاد	٠.٠١ ٪
المجموع	٣٨ ٪

المحسّنات البديعيّة في شعر ابن الفارض

المحسن البديعي	النسبة المئويّة
جناس التحريف	١١,٨ ٪
جناس شبه الاشتقاق	١١,٦ ٪
جناس تام	٩.١٠ ٪
جناس التصحيف	٩,٧ ٪
جناس الاشتقاق	٢.٨ ٪
الجناس الناقص	٨.٢ ٪

المحسن البديعي	النسبة المئويّة
الجناس المقلوب	٨.١ ٪
ردّ الصدر على العجز	٧.١ ٪
السجع	٥.١ ٪
الجناس المضارع	١.١ ٪
الموازنة	٥.٠ ٪
الجناس المركّب	٤.٠ ٪
الجناس المفروق	٢.٠ ٪
القلب	١.٠ ٪
المجموع	٦٢ ٪

شُرّاح ديوان ابن الفارض:

كثر شرّاح الديوان، منهم مَنْ أحصاه العلماء، ومنهم مَن لم يحصوه؛ وإن الباحث في الفكر والتاريخ العربيّ يرى أنّه ما يكاد يبرز عالم أو قارئ أو مؤرّخ أو باحث أو أديب إلاّ ويشرح مثل هذه الأمّات لذلك نكتفي بذكر ما ذكره بروكلمان من شراح ديوان الشيخ.

فمنها: شرح المدد الفائض عن شرح ديوان الشاعر عمر بن الفارض، لابن أخيه أبي الحسن علي نور الدين بن يونس بن الفارض. وشرح لعلوان الحموي (ت ٩٣٦)هـ. ومنها شرح الأزهار السنية في القُصُد الفارضية، لمحمد بن تقى الدين الزهيري (ت١٠٧٦)هـ. وشرح بدر الدين الحسن بن محمد البوريني (ت١٠٢٤)هـ. وشرح الشيخ عبد الغنيّ النابلسيّ (ت١١٤٣)هـ. ألّفه سنة ١٠٨٦هـ. وشرح رشيد غالب الدحداح، وهو مأخوذ من شرحي البوريني والنابلسيّ، وشرح العليمي: عبد الرحمن بن محمد (ت٩٣٧)هـ. وشرح

مجهول. وهناك شروح كثيرة لقصائد متفرّقة منها التائية الكبرى: شرح لابن عربيّ المتوفى سنة ٦٣٨هـ. شرح منتهى المدارك لسعيد بن عبد الله الفرغاني تلميذ صدر الدين القونوي (ت٧٠٠)هـ، وقد أخذ من القونوي ملاحظاته على أبيات القصيدة كما أشار السبط في الديباجة. كشف الوجوه الغرّ لمعاني نظم الدرّ لعبد الرزّاق بن أبي الغنائم الكاشاني الصوفيّ المشهور (ت٧٣٠)هـ. شرح لداود بن محمود القيصري (ت٧٥١)هـ. شرح للجامي (ت٨٩٨)هـ. وشرح مدد الفائض وكشف العارض، لعلوان بن علي بن عطية الحموي الهيتي (ت٩٣٦)هـ. شرح علي بن المعري بن العباس. شرح محمد بن عمر العلمي (ت١٠٣٨)هـ. شرح العلامة الطيبي. شرح محمد أمين أمير بادشاه ٩٨٧هـ. شرح أبي نصر محمد بن عبد الرحمن الهمذاني. وقد حاكى التائية في وزنها وقافيتها عامر بن عامر البصري بعنوان: ذات الأنوار، التائية الصغرى. و نظم السلوك: بشرح شمس الدين الفرغاني. وشرح الحسن بن محمد البوريني. وشرح محمد بن تقي الدين الزهيريّ، ولها شرح مطبوع سنة ١٣٠٢هـ بعنوان: حبك الدراري المرصعة بها حبائك الدرر تسهيل الفرائد الغر المنتحلة من قلائد الدر. أو حسن النظم والسلوك في تسهيل بدائع السلوك، لخوري أفندي جركيس صلحة السورياني الحلبي، وشرحها بالتركية إسماعيل حقي البروسوي (ت١١٣٧)هـ. الذالية بشرح محمد بن أبي بكر بن محمد الزهيري الدمشقي، (ت١٠٧٦)هـ. وبشرح الحسن بن محمد البوريني (ت١٠٢٤)هـ. الميمية الخمرية: وعليها الشروح: شرح داود بن محمد القيصري (ت٧٥١)هـ. وشرح أحمد بن سليمان بن كمال باشا (ت٩٤٠)هـ. وشرح محمد بن محمد شمس الدين الغمري، أكمله سنة ٩٥٩هـ. وشرح عبد الغنيّ النابلسيّ. وشرح علاء الدين بن صدقة الشامي (ت٩٧٥)هـ. وشرح بالفارسية للجامي (ت ٨٩٨)هـ بعنوان اللوامع. وشرح عبد التواب السكري القوصي الشافعي. وشرح بالتركية لإسماعيل بن أحمد الأنقراوي (ت١٠٤٢)هـ. وشرح المحبة الإلهيّة للحسين بن أبي أحمد الفتي الصوفيّ التبريزي. وشرح بالفارسية لسيّد علي الهمذاني

(ت٧٨٦)هـ. وشرح بالفارسية لإدريس بدليسي(وزير السلطان سليم الأوّل) وترجمة بالتركية بحسب شرح الجامي، من عمل صلاحي عبد الله أفندي (ت١١٧٢)هـ. وعلى الميمية تخميس لعبد القادر بن محمود القادري. اليائية وعليها شروح: شرح البرق الوامض للسيوطي (ت٩١١)هـ. شرح لمحمد بن محمد الغمري سبط المرصفي (ت٩٦٣)هـ. شرح لمحمد بن أبي بكر بن محمد الزهيري الدمشقي (ت١٠٧٦)هـ. شرح لجمال الدين بن حسن لية. شرح الحسن بن محمد البوريني. منظومة الألغاز: شرح لحسين الخبي. شرح للنابلسي. الجيمية: شرح أحمد بن محمد الخفاجي (ت١٠٦٩)هـ. الكافية بتخميس عبدالباقي بن سليمان العمري الفاروقي (ت١٢٧٠)هـ. نظم الدرر شرح محمد بن محمد السعاف: نزهة النظر[1].

شُرّاح ابن الفارض في الغَرب:

يرى جوزيف سكاتولين أنه كما ظفر ديوان ابن الفارض بعناية الشرّاح والباحثين في الشرق، فقد حظي أيضاً بانتشار واسع بين المستشرقين الغربيِّين. فوجد أن بعض أشعار ابن الفارض من بين أوائل النصوص العربيّة التي تُرجمت ونشرت في الغرب على يد العالم الهولنديّ فابريسيوس سنة ١٣٥٢م وبعد ذلك، ثمّ إنّ عدداً من المستشرقين في القرن الماضي قد حاولوا عمل الترجمات الأولى لأشعار ابن الفارض، ذكر منهم المستشرق النمساويّ هامر بورجشتال الذي كان أوَّل مَن قام بترجمة التائيَّة الكبرى كلّها إلى الألمانيَّة سنة ١٤٥٣م. إلَّا أنّ ترجمته كانت غير دقيقة وغير أمينة للنصّ الأصليّ، حتّى علَّق عليها مستشرق آخر وهو العلاّمة الإنجليزيّ رينولد نيكولسون بقوله: «يُنتَظَر ممَّن يقوم بترجمة نصّ أدبيّ أن يكون قد حاول فهم ذلك النصّ». وبالرغم من تلك المحاولات، فإنّه يمكن القول: إنّ ابن الفارض لم يزل شبه مجهول عند الغربيِّين حتّى بداية قرننا هذا.

---

(١) انظر «تاريخ الأدب» لكارل بروكلمان ج٥ / ٦٧ ـ ٧٧.

وكان ممّن جدَّد الاهتمام بالشاعر ابن الفارض الصوفيّ المصريّ المستشرقُ الإيطاليّ «اجنازيو دي ماتيو» الذي قام بترجمة جديدة للتائيَّة الكبرى إلى الإيطاليَّة مع مقدّمة هامّة لفهم مذهب ابن الفارض الصوفيّ. وكانت هذه الترجمة هي التي دفعت مستشرقاً إيطاليّاً آخر، وهو كارلو نالينو إلى مضمار الجدال؛ فانتقد ترجمة دي ماتيو وفهمه لشعر ابن الفارض الصوفيّ وقدَّم الكثير من الملاحظات المهمّة حول ابن الفارض والتصوّف الإسلاميّ. وإثر ذلك الجدال، قام المستشرق الإنجليزيّ نيكلسون بترجمة وشرح جزء كبير من التائيَّة الكبرى وصل إلى ثلاثة أرباعها، وبعض القصائد الصغرى. وأخيراً قام مستشرق إنجليزيّ آخر واسمه آرثر جون أربري بتحقيق مخطوطة لديوان ابن الفارض التي ظلَّت مهملة في مجموعة تشيستر بيتي وأثبت أنّها أقدم نسخة للديوان وأنّها مختلفة شيئاً ما عن النسخ الأخرى المتداولة في المشرق. ولا شكّ أنّ هذه إضافةٌ ذات أهمِّيَّة لِمَا عُرِف عن الشاعر، فقد نشرها أربري مع شرحٍ لُغويٍّ وصوفيّ، ممَّا يجعله العمل الأكمل فيما كُتب عن الشاعر. وإلى جانب تلك الشروح والدراسات، فهناك مجموعة من المقالات تناولت وجوهاً مختلفة من شعر ابن الفارض. نذكر منها ما كتبه المستشرق الفرنسيّ لوي غارده الذي فسَّر ابن الفارض في نور فلسفة وحدة الوجود. وما كتبه الباحث عيسى بُلاطَه عن سيرة حياة ابن الفارض، انتقد فيها الكثير من الأخبار الموروثة عن الشاعر، محاولاً إثبات أصدق صورة معبِّرة له[1].

الحبّ الإلـهيّ عند ابن الفارض:

الغزل الإلهيّ هو أهمّ وأوسع أبواب الشعر الدينيّ الذي يعتمد على ركائز عدّة منها: الحبّ الإلهيّ وأبرز ممثّليه ابن الفارض وجلال الدين الروميّ، ومنها المدائح النبويّة وممثلوه كثر منهم: كعب بن زهير، والبوصيري، وأحمد شوقي.

---

(١) بحث الغرب وابن الفارض من جوزيف اسكاتوليني بتصرّف.

ومنهاالحِكَم والأخلاق والزهد، وأبرز ممثّليه ابن الوردي وأبو العتاهية....

بدأ الغزل الإلهيّ ينتشر في القرن الثاني الهجريّ، وقد تطوّر مع تطوّر الفكر الصوفيّ. وهو شعر لا يختلف عن شعر الغزل العذريّ المعروف ذي المحبوب الفاني في المحبوب الباقي وأوصافه، فأشعار الغزل عادة ما توجّه سهام حبّها نحو المرأة، أمّا الغزل الإلهيّ فهو متّجه بكلّيته إلى الله تعالى؛ فهو المحبوب الأوحد والأسمى، وهو الغاية للشاعر الفاني في محبوبه الدائم.

وعن مذهبي في الحبّ مالي مذهب　　　وإن ملتُ يوماً عنه فارقت ملّتي

يُظهر ابن الفارض في هذا البيت حقيقة مذهبه الصوفيّ، إنّه الحبّ الإلهيّ الذي اتّخذه موضوعاً لقصائده الصوفيّة. وقد استطاع أن يلخّص أطوار هذا الحبّ الإلهيّ عند جميع الذين تذوّقوه في تاريخ التصوّف العربيّ من عهد رابعة العدوية إلى عصره وما بعد عصره.

إنّ ابن الفارض في حبه الإلهيّ، يصور أطوار المحبّة الإلهيّة، ويكتشف عجائب الحبّ، وحقائق المعرفة، ويتذوّق عطاءات التجلّيات. وقد قسّم بعض الباحثين أطوار المحبّة الإلهيّة عند ابن الفارض إلى ثلاثة أطوار: في الطور الأول قد فني المحبّ عن حظوظه وعلائقه. في الطور الثاني فني عن ذاته وعن كل شيء، ويريد ألا يكون شيئاً. في الطور الثالث أصبح فانياً عن نفسه باقياً بمحبوبه.

يرى بعض الباحثين أن شعر ابن الفارض ليس كلّه صوفيّاً أو في الحبّ الإلهيّ. ويعلل ذلك بالمعاني الموجودة في بعض الأبيات، وبأن حياة الشاعر الأولى حياة عادية، شأنه شأن أيّ شابّ في شبابه الأوّل، فقد أحبّ امرأة قاضٍ وتغزّل بها، ويستشهد الباحث بقول ابن الفارض:

أهـواه مهـفهـفاً ثقيـل الـرِدف　　　كالبدر يجلّ حسنه عن الوصف

يعني عنده: أنّ الشاعر يحبّ واحدة بثيابها التي تتطاير مهفهفة وهي ثقيلة الردف، ويعترض الباحث بأنّه لا يعقل أن يكون شعره هذا صوفيّاً، وينتقد إصرار

النابلسيّ على كون هذا الشعر في الحبّ الإلهيّ؛ فتفسير النابلسيّ الرِّدف بالتجلّيات الإلهيّة في الكون غير مقبول عنده، وإنّما الوصف للمرأة الحقيقيّة.

يقول النابلسيّ في شرح الديوان معلّقاً على البيت كلّه: «يكنّي عن صورة التجلّي الإلهيّ من حيث الأسماء الجماليّة في حقيقة الروح الأعظم الذي هو أوّل مخلوق ...».

ثم يقول النابلسيّ: «والإشارة بثقل الرِّدف إلى جميع العوالم المكتوبة بالقلم في اللّوح الذي هو نفس القلم بالنور المحمّديّ المخلوق فيه ومنه كلّ شيء»[1]. والواقع إذا سلّمنا أنْ يعيش المرء حياة الشباب الأولى بلهوها وصخبها ومتعها فهذا أمر طبيعي في مثل هذا الاعتراض للباحث المشار إليه، إلّا أنّ شابّاً نشأ نشأة علميّة دينيّة في طاعة الله عابداً زاهداً ويخرج للسياحة مبكّراً ويحبّ امرأة متزوّجة فهذا أمر شنيع ليس إلّا لمتهتّك، وامرأة قاضٍ فذلك أشنع، سواء بادلته الحبّ بالحبّ أم لم تعلم به، أو علمت بحبّه ولم تلتفت إليه. مع علمنا بصفات قضاة الأمس، والحالة الاجتماعيّة السائدة. والأشدّ من ذلك أن يقول فيها شعراً متغزلاً، فهل عُهد عن شاعرنا أنّه أنشد الشعر متغزّلاً بها مبكّراً؟!. وهل بقيت أشعاره الغزليّة المبكّرة مجهولة ولمْ تعرف عنه؟. علماً أنّ المصادر لم تشر فيها إذا قال الشعر مبكّراً؟. أم أنّه أنشد الأشعار الغزليّة بالمرأة بعدما تمكّن من فنّ الشعر بعد خلواته بمحبوبه، هذا المحبوب الذي لم يبقَ معه في قلب ابن الفارض أحد؛ لا من البشر، ولا من الجماد والحجر. الأمر بعد بحاجة إلى بحث وتدقيق أكثر من جهدي ومن جهد الباحث ومن جهد كثير من الباحثين.

ولا بدّ من ملاحظة أنّ المهفهف[2] الأرداف الثقيلة، والعجيزة الكبيرة، وريّا الروادف، ورُجُحُ الروادف، مع رهافة الخصر حتى يدخل الخصر في خاتم المرأة نفسها، وتزيد سعة الخاتم عن خصر محبوبات الشعراء العرب القدماء (كالهيلا

---

(١) انظر البيت رقم١ من شرح الديوان ص٢٧٤.

(٢) المهفهف: رجل مَشَقَ بَدَنُهُ فصار كأنّه غصن يميد ملاحة. انظر تاج العروس، مادّة هفف.

هوب) هذه الأوصاف كلّها من صميم أوصاف الشعراء العرب الفنيّة، الذي دفع بعض رسامي المستشرقين إلى رسم صورة ساخرة لأولئك المحبوبات؛ فوصف الردف بالثقل والرداح ورُجُحُ الروادف من ثقافة شعريّة وليس من عشق امرأة لقاضٍ أو لغيرها[1]، ولهذه الأوصاف رمز صوفيّ خاص يشير إليه شرّاح التصوّف.

ثمّة قضيّة أخرى لابدّ من الإشارة إليها عندما يغوص المرء في شعر ابن الفارض وأفكاره ومعانيه، ألا وهي أن حبّه الإلهيّ متأثر بقضايا الحبّ الإلهيّ من الثقافات الأخرى غربيّها أو شرقيّها للأمم السابقة شأنه شأن تأثّر التصوّف الإسلاميّ كلّه.

إنّ القرآن الكريم هو المصدر الأساسي في بناء الشخصيّة الإسلاميّة وكذلك في بناء الفكر الإسلاميّ عبر تاريخ الإسلام الطويل؛ وهو الذي يكرّس فكرة الحبّ الإلهيّ أو عدم الحبّ في الكثير من الآيات المباركة، ويرسم أسس المحبّة، ونظامها من خلال كمٍّ كبير من الآيات التي تتحدّث عن المحبّة وعلائقها. ولو استعرضنا لفظة حبّ ومشتقّاتها: (حُبّ حُبّب أحبّ يحبّ لا يحبّ يحبّهم يحبّونه يحبّونكم يحبّونهم يستحبّون حبّاً أحبّاؤه محبّة تحبّونها) في المعجم المفهرس لوجدنا عددها يقارب التسعين مرّة تقريباً.

إذاً لهذا المصطلح في أهم مصادر التشريع الإسلاميّ انتشار واسع، وله في البناء الوجدانيّ للشخصيّة المسلمة أهميّة كبرى، وركائز قصوى، وكلّ المساحة الواسعة، فالآيات الكثيرة فيه تطالب المسلم بالحبّ، وتشرح مفهوم المحبّة بين المحبّ والمحبوب، وتحدد شكل العلاقات بينهما، وموقع كلّ منهما من الآخر.

ولعلّ استعراضنا لعدد قليل من الآيات يبرز منحى الحبّ المعلن المتبادل بين الوجود الحقّ كما يسميه النابلسيّ وبين المحبّ الذي أعلن العشق مذهبه لمّا قال: لا إله إلّا الله محمّد رسول الله وصار موسوماً بالعشق، وصار اسمه العاشق؛ فلا

---

(١) انظر: تطوّر الغزل بين الجاهليّة والإسلام من امرئ القيس إلى عمر ابن أبي ربيعة، للدكتور شكري فيصل رحمه الله تعالى ص١٨٠ وما بعدها، دار العلم للملايين، ط٤. وانظر: الغزل عند العرب، تأليف: ج. ك.فاديه. ترجمة د. إبراهيم الكيلاني رحمه الله، ص٧٢، منشورات ورزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق ١٩٧٩م.

تنكروا العشق أيّها الخلق، وأدّوا حقوقه عليكم وائتمروا بأوامر المحبوب طائعين منقادين مثلما جاء في آيات الحبّ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [٢/ البقرة/ ١٦٥] ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [٣/ آل عمران/ ٣] ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [٣/ آل عمران/ ٧٦] ﴿والله يحبّ المحسنين﴾ [٣/ آل عمران/ ١٧٦] ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [٣/ آل عمران/ ١٤٦] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [٣/ آل عمران/ ١٥٩] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [٥/ المائدة/ ٤٢] ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾ [٩/ التوبة/ ١٠٨] ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [٣/ آل/ عمران/ ١٤٠] ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [٥/ المائدة/ ٦٤] ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ [٦/ الإنعام/ ١٤١] ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [٥/ المائدة/ ٥٤].

نستقرأ أمراً من هذا العرض المصغّر لعدد من آيات الحبّ أنّ القرآن الكريم يستلزم الحبّ والغرام الإلهيّ ناهيك عن أنّ التصوّف يحتاج إليهما؛ فالذين آمنوا أشدّ حبّاً لله، وهل الحبّ الشديد سوى العشق الإلهيّ الذي أفنى ابن الفارض عمره فيه.

أمّا في السنّة النبويّة المطهرة فأحاديث الحبّ كثيرة، وهي مربوطة بالإيمان «لا يؤمن أحدكم حتّىٰ يحبّ... أحبّ...». لن أقدّم مسرداً طويلاً لها لأتتبّعها، ولكن سأتناول ما يضرع به إلى ربّه أكمل بني البشر محمّد صلّى الله عليه وسلّم بطيب المناجاة في أعطر الدعاء، وأجلّ الذكر، وأظهر العبوديّة، وأصرح أفانين العشق الإلهيّ؛ يقول صلّى الله عليه وسلّم مناجياً ربّه: «اللهمّ ارزقني حبّك وحبّ من ينفعني حبّه عندك، اللهمّ ما رزقتني ممّا أحبّ فاجعله قوّة لي فيما تحبّ، اللهمّ وما زويت عنّي ممّا أحبّ فاجعله فراغاً لي فيما تحبّ»[1]. «اللهمّ اجعل حبّك أحبّ الأشياء إليّ، واجعل خشيتك أخوف الأشياء عندي، واقطع عنّي حاجات الدنيا بالشوق إلى لقائك، وإذا أقررت أعين أهل الدنيا من دنياهم

---

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق، باب ما جاء في التوكّل، ٤٣٠. كما أخرجه ابن أبي شيبة في مصنّفه، باب: ما ذكر عن قوم مختلفين ممّا دعوا، ٢٩٥٩٢. كما أخرجه الترمذي في سننه، ٣٤٩١.

فاقرر عيني من عبادتك»[1] مناجاة نبويّة، وضراعة إلى المحبوب الخالق، ورغبة صريحة إلى من جعل القلوب بين أصبعيه أن يمكّن الحبّ الإلهيّ من قلبه، ويثبّت غرسها فيه، فلا يسري في أوصاله إلّا نشوة الحبّ، ولا رغبة عنده من رغائب الدنيا، ولا مثوبة من أطايب الآخرة ولذائذها، اللهم إلّا حبّ الله، وقوت الحبّ المعين على حبّه. لم يقتصر الأمر على ذلك فحسب؛ بل مناشدة للمحبوب أن يرزقه حبّ كلّ مَن له في حبّ مولاه نصيب؛ إنّه استشفاع بحبّ المقرّبين «وحبّ من ينفعني حبّه عندك» فهل هناك من يسامقه صلّى الله عليه وسلم في حبّ مولاه، وهل هناك من يجاريه فيه؟!. وهل في الشرق والغرب قديماً وحديثاً معلّماً للحبّ الإلهيّ يرتقي إلى نصف منزلة حبّه[2]؟!.

لن أتناول مقامات الحديثينِ جزءاً جزءاً، كفانا هذان الجزءان ويكفينا ذكرهما لذي قلب عقول، وبصيرة نافذة ليدرك أن العاشقينَ وعلى رأسهم سلطانهم ورابعتهم قد أعلنوا العشق لـمّا قالوا لا إله إلّا الله ، وذابوا لمّا غاصوا في الحبّ حتّى تلاشوا عندما أدركوا أنّ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [٢/ البقرة/ ١٦٥] وهل الحبّ الشديد إلّا عشقهم، وهل تأسّوا إلّا بنبيّهم فما حاجتهم لتغريب أو تشريق لالتماس موقد يشحذ جذوة نار الحبّ عندهم ويبعث أوارها. اللهم افتح علينا فتوح المحبّين والمحبوبين والعاشقين العارفين، أهل البصائر المصطفين.

أخيراً لابدّ لنا في تفسير شعر ابن الفارض من تأكيد على أنّ تجربة ابن الفارض الشعريّة في رسم أطوار فنائه في محبوبه تذكرنا بجذور شعريّة مشرقة من تجارب الفناء عند الشعراء العذريّين، تلك الظاهرة التي نشأت بالحجاز متأثّرة بالإسلام ودعوته إلى جهاد النفس ومقاومة الهوى؛ فكان الفناء في المحبوب مع عفّة فرضها

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية، باب: عبّاد بن عبّاد الخواص ومنهم الباكي، ٨ / ٢٨٢.

(٢) انظر: فنون الأدب في الحديث النبويّ، تأليف الأستاذ محمّد زكريّا الزعيم، ص٢٢ وما بعدها، ط١، دمشق، ٢٠١١.

الدين أشرقت بها روح الشعراء العذريّين؛ مع أنّ المحبوب امرأة: ليلى أو عزّة أو بثينة، أو سليمى... فكان الشعر العذريّ باباً فريداً في الشعر العربيّ لا نكاد نجد له مثيلاً في آداب الأمم الأخرى. ولكن في شعر ابن الفارض اتسع معنى الحبّ، وتعمّقت تجربته الروحيّة والفكريّة، وتفجّرت عواطفه، ونزعت من حبّ الأنثى وجمالها وجمال روحها، وما ترمز إليه إلى حبّ الوجود الحقّ والجمال المطلق ذلك الحبّ الحقيقيّ الحي الذي لا تنطفئ جذوته، وتتّقد ناره كلّما أدلج من فيض إلى فيض، ومن كشف إلى كشف، ومن تجلّ لآخر.

الحلول والاتّحاد ووحدة الوجود:

قد يكون الجمع بين هذه المعاني غير دقيق، ولكنّها ثلاثتها تصبّ بالنهاية في بوتقة واحدة، وتسبب إشكالية في الفكر الإسلاميّ بما لها من آثار دينيّة وفكريّة واجتماعية وسياسيّة ممتدة حتى عصرنا وإلى العصور التالية. وإن جهة المكانيّة بالمحصّلة النهائيّة تجمعها معجمياً؛ فالحلول لا بدّ فيه من مكان يحلّ الشيء به، والاتّحاد لابدّ له من متّحدينِ في مكان واحد، والوجود لا بدّ له من ذات يوجد بها.

في القاموس **الحلول**: النزول، وهيئة النزول، والحلول بالمكان من جهة التمكّن. والحلول صفة من صفات الأجسام التي هي محل الحوادث، بينما صفات الله أزليّة، لا تصح له صفة الحلول. والحلول هو اتّحاد الجسمين بحيث يكون أحدهما إشارة إلى الآخر، كحلول ماء الورد في الورد، فيسمّى الساري حالّاً، والمسري فيه محلّاً[1].

والحلول: المماسّة؛ فتعالى الله عن الحلول والمماسّة علواً كبيراً.

الاتّحاد: امتزاج الشيئين واختلاطهما حتى يصيرا شيئاً واحداً[2].

---

(1) انظر كتاب «التعريفات» لمؤلّفه علي بن محمّد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت٨١٦)هـ، ١ / ٩٢، دار الكتب العلميّة، بيوت، ط١، ٩٨٣.

(2) درّة الغوّاص المصدر السابق.

الوَحدة، بفتح الواو: الانفراد، والوِحدة بكسر الواو الارتباط والانصهار[1].

والوجود: في اللغة شغل المكان، قال في القاموس: «وجد المطلوب يَجِدُهُ ويَجُدُهُ (بضمّ الجيم) وُجْداً وجِدَةً ووجْداً ووُجوداً ووِجْداناً وإجْداناً: أدركه». وقد استُعمل مثال فُعول في ضدّه، الفُقور والعدم، كأنّه بُنيَ على مثال ضدّه. نلاحظ من معاني الحلول والاتّحاد ووحدة الوجود كما في المصادر السابقة أنّها تتعلّق بشؤون المكان وانصهار الذات بالذات والوجود والعدم؛ لذلك لا نجد التفريق الدقيق عند أغلب الدارسين لهذه المفاهيم في التصوّف عند دراستها أو دراسة شاعر أو مفكر أو مهاجمته أو ردّ على الهجوم. فما أن يتكلّم المرء عن أحد من هذه المفردات حتّى يغوص في الآخر سواء شعر أم لم يشعر.

وقد أجمع علماء الأمّة قديماً وحديثاً على أن الخالق تبارك وتعالى مباين للمخلوقات كلّها ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [٣٨/ الشورى/ ٤١]. كما أجمعوا على أنّه ليس في مخلوقاته شيء من ذاته، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته. وأنّ القديم لا يمكن أن يكون حادثاً، وأنّ الحادث لا يمكن أن يكون قديماً. وإذا ما قلنا خالقاً فلا يمكن أن يتساوى في ذاته وأسمائه وصفاته مع المخلوق. وإذا ما قلنا اتّحاداً فهذا يعني أنّ شيئين ذاب أحدهما في الآخر حتى صارا شيئاً واحداً، وهذا لا يمكن أن يتحقّق بين الخالق والمخلوق بين الحادث والقديم الأوّل الآخر ، بين الموجود والمعدوم؛ بل مستحيل التحقُّق.

هذا يخالف معنى النزول في الأشياء واتّحاد الشيئين وشغل المكان، ومع أنّ ابن الفارض يصرح في شعره بالحلول والاتّحاد، وكذلك النابلسيّ في شرحه للأبيات التي وردت فيها، ولكنهما لم يقصدا منها ما استعرضناه من المعاني المعجميّة السابقة من المصطلحات. ولنترك النابلسيّ يقدّم لنا رؤيته

---

(١) المصدر السابق.

للمصطلحات مما ورد في شرح ديباجة سبط ابن الفارض ثمّ من شرح الديوان، فهو خير معبّر عن ذلك، وأكبر شارح له، يقول: «(الحلول): أيّ حلول الحقّ تعالى في أعيان العالم، وحاشاه رضي الله عنه من خطور ذلك في نفسه، فضلاً عن رضاه به، فضلاً عن اعتقاده ذلك، فضلاً عن دعا أمة محمّد صلّى الله عليه وسلّم؛ بل حاشاه أدنى أدنى مريد سالك في طريق الصوفيّة الصادقين إلى يوم القيامة من خطور ذلك في بالهم، أو من إمكانه عندهم، وكيف وهو أمر مستحيل عند المستمسكين بالعقول من علماء الكلام وغيرهم، فما بالك بالذين هم أعلى منهم من المتمسكين بالإيمان والفتح والكشف والإلهام بعد القيام بحسن المعاملة الشرعيّة في الظاهر والباطن من غير بدعة، مع الإخلاص واليقين والزهد والورع. وإن اشتبهت كلماتهم على غير أهل طريقهم، وفهم منها علماء الأفكار المنكبّون على الدنيا قبائح المفهومات؛ فإن الأعمال بالنيّات ولكل امرئ ما نوى. ولعمري لم يفهم ذلك علماء الظاهر إلّا لعذرهم في أمرهم؛ فإنهم يعتقدون كما تعتقد العوام من أن الله تعالى موجود، وكل مخلوق من مخلوقاته موجود أيضاً معه تعالى، والوجود عندهم جنس عام، مشترك بين القديم وبين الحوادث؛ وإنما يتميّز القديم عن الحوادث بالقِدم في ذاته وصفاته، وتتميز الحوادث بالحدوث من العدم في ذواتها وصفاتها. وفي حال وجودها هي مشاركة للقديم تعالى في الوجود العامّ المطلق، وهم يعلمون ماذا يترتب على اعتقادهم هذا؛ لأنهم أهل عقول وأفكار، فإذا قيل لهم يلزم على قولكم هذا تركب الحقّ تعالى من عام وخاص كبقية الماهيّات الحادثة، انتحلوا بعقولهم جواباً أسكتوا به خصمهم، وبقوا على اعتقادهم ذلك ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِ﴾ [٢/ البقرة/ ٣٢]، فإنّ الحلول على الحق تعالى في الحوادث يتصور عندهم عقلاً فيحتاجون إلى إقامة الدليل على استحالته وامتناعه، ويتكلفون في ذلك، كما بسطوا الكلام عليه في كتب علم الكلام. وأما عند المحققين من أهل الله تعالى أصحاب الأذواق الوجدانيّة فلا

يتصوّر الحلول أصلاً، فلا يحتاجون إلى إبطاله لعدم تصوره عندهم، وعدم خطوره في بالهم؛ فإن وجود الحقّ تعالى عندهم وجود حقيقي ليس بمفهوم لهم أصلاً؛ وإنّما يزيدهم التصديق به على الغيب، ووجود الحوادث أثر من آثار قدرته، وذلك بالنسبة إلى وجوده تعالى عدم صرف، فكيف الوجود يحل في العدم، ولوحلّ فما حلّ، وإنّما هو قائم بذاته تعالى أزلاً وأبداً وموجوداً في ذاته بذاته، وكلّ ما عداه من الحوادث معدوم بعدمه الأصليّ على ما هو عليه بالنسبة إلى الحقّ تعالى، وهو تعالى يكشف لمن يشاء من عباده عن كلّ ما يشاء من مخلوقاته، فيُريه ذلك موجوداً، ويصرفه عن تلك الرؤية، ويفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، قال تعالى: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ ﴾ [٦/ الأنعام/ ١١٠] وقال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ [١٣/ الرعد/ ٣٣] وإذا بطل الحلول بطل الاتّحاد بالأولى، وكلّ الضلالات التي تفهّمها علماء الظاهر من كلام المحققين من أهل الله تعالى، ويشنّعون بها عليهم بين العوام والجهّال لتنقص رتبتهم عندهم، ويحظون هم بالرفعة في الدنيا، والله يؤتي ملكه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم»[1].

وأمّا إبطال الحلول والاتّحاد ووحدة الوجود بمفهوم المنكرين المشنّعين عليه فله عند النابلسيّ في اللغة شأن يدلّ على رفضه للخلط بين الذات الإلهيّة وبين التجلّيات أو الصور الكونيّة؛ فالذات لا تدرك إلّا بالفناء فيها. أمّا التجلّيات فإنّها تخفي وراءها حقيقة الذات يقول النابلسيّ في تفسيره لقول ابن الفارض (فكرتي) في البيت الأربعين من نظم السلوك وهو:

وَمُنْذُ عَفَا رَسْمِي وَهِمْتُ وَهَمْتُ فِي وُجُودِي فَلَمْ تَظْفَر بِكَوْنِي فِكْرَتِي

بقوله (فلم تظفر): ظَفِر به كفَرِح، وجده. وقوله (بكوني): أيّ بتكويني وإيجادي. (فكرتي): فاعل تظفر. والمعنى: إنّي لـمّا انمحت رسوم ذاتي بمعرفة

(١) انظر الدياجة ص٢٠١ وما بعدها.

الوجود الحقّ، وتحقّقي به سرحت فكرتي في وجودي الذي هو كناية عن ايجاد الله تعالى لي؛ فأنا موجود، بصيغة اسم مفعول، أيّ: واقع عليَّ إيجاد الله تعالى، لا أنا وجود؛ فإنّ الوجود حقيقة الحقّ تعالى وحده، وهذا معنى وحدة الوجود، والعوالم كلُّها بإيجاد الله تعالى موجودات. والإيجاد معنى مصدر له أثر ظاهر، يقال له موجودات بصيغة اسم المفعول، ولا يقال للوجود الحقّ تعالى موجود بصيغة اسم المفعول؛ لأنّه تعالى ليس بإيجاد غيره. ومن قال عنه تعالى موجود بنفسه، فكأنه يقول: إنّه أوجد نفسه، فإنّ صيغة موجود تقتضي وقوع الإيجاد عليه، فإذا كان إيجاده من نفسه لزم تقدّمه على نفسه، وهو محال أنْ يتقدّم الشيء على نفسه، ولعدم السماع في ذلك. ولا يقال له تعالى وجود أيضاً لعدم السماع؛ ولكن معناه صحيح، لأنّه بمعنى ينبوع الإيجادات للموجودات كلّها؛ فكلّ موجود له إيجاد منه، أيّ: فعل؛ فمن تحقّق بوجود نفسه علم إيجاد الله تعالى له، وعرف أنّه موجود بإيجادٍ هو فعل الله تعالى. وعرف أنّه لا وجود له، وأنّ الوجود كلَّه للحقّ تعالى، لا لغيره، وأنَّ الوجود واحد قديم أزلي، وليس إيجاد الله تعالى للأشياء الموجودات كما ذكرنا بتقييم وجوده على الأشياء، ولا بتولدها منه؛ وإنّما ذلك بطريق التجلّي والظهور، كما قال سبحانه: ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ [٣٩/ الزمر/ ٦٩] وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [٢٤/ النور/ ٣٥] أيّ: منوِّرهما بنوره، ونوره وجوده؛ لأنّه يجعل المعدومات موجودات، كما أنّ النور يجعل الظلمات منيرات، والذوق يكشف ما لا يكشف العلم"[1]. إنّ معنى الاتّحاد عند ابن الفارض كما يراه النابلسيّ إنّما هو فناء الأشياء المخلوقة كلّها وتلاشيها حتى لا يبقى من صفاتها شيء؛ فالشاعر يفنى عن ذاته وصفاته الفرديّة فناء تامّاً ولا يبقى في الوجود إلّا صفات المحبوب يقول ابن الفارض:

---

(١) انظر ص٥٣٢.

فَفِي الصَّحْـوِ بَعْـدَ الـمَحْـوِ لَـمْ أَكُ غَيْرَهَا وَذَاتِـي بِذَاتِـي إذْ تَـجَلَّتْ تَـحَلَّتِ

يقول النابلسيّ في شرح معنى الاتّحاد:

أَفَـادَ اتِّـخَاذِي حُبَّهَـا لاتّـحـادنا نَـوَادِرَ عَـنْ عَادِ المحبّين شَـذَّتِ

وقوله (لاتّحادنا): بالحاء والدّال المهملتين، وهو اطّلاعي على أنّ ذاتي وذاتها واحدة في الحقيقة. وكذلك صفاتي وصفاتها صفات واحدة في نفس الأمر، على معنى ذاتي وصفاتي تقاديرها العدميّة الفانية التي هي عدم صرف في وجودها الحقّ الحقيقيّ، ولا وجود إلا وجودها ظاهر لي بتقاديرها العدميّة الفانية؛ فأنا من حيث كلّ ما يظهر مِنِّي ويصدر عَنِّي هي لا غيرها. وأمّا من حيث صور ما يظهر منِّي ويصدر عنِّي فتقادير عدميّة، وصور فانية، ما شمّت رائحة الوجود، ولا يمكن أن تشمّ رائحة الوجود أصلاً؛ وإنّما هذا المسمى مخلوقات عند المخلوقات على تناويع أجناسها وأنواعها وأشخاصها فيما مضى. وما هو مستقبل وما هو حاضر من الأزل إلى الأبد هو الواحد الأحد، الفرد الصمد، الوجود الحقّ الحقيقيّ، ظاهر بجميع التصاوير والتقادير العدميّة الفانية، يفعل بها ما يشاء، ويحكم ما يريد، وهو منزَّه مقدّس عنها جميعها، ولا يشغله منها شيء عن شيء، وسِع كلّ شيء رحمة وعلماً، ورحمته وسعت كلّ شيء. وليس هو عين شيء من الأشياء أصلاً، ولا شيء من الأشياء عينه أصلاً؛ لأنّه لا شيء معه، وهو مع كلّ شيء. ولولا معيّتُه للأشياء لما كانت الأشياء بالأشياء غير كائنة إلا بوجوده الذي معها، وهذا معنى الاتّحاد عند المصنّف قُدِّس سرّه كما قدّمناه».

وقد تتلاشى ذات الشاعر حتى تفنى في ذات المحبوبة فتصبح ذات المحبوبة هي ذات الشاعر:

ذَهَلْتُ بِهَا عَنِّي بِحَيْثُ ظَنَنْتُنِي سِـوَايَ وَلَـمْ أَقْصِدْ سِوَايَ مَظِنَّتِي

إنّ ابن الفارض في اتّحاده لم يعد يرى إلّا حقيقته، وهي حقيقة المحبوبة التي هي نفسها حقيقته؛ فلم تعد ترى ذاته إلّا ذاته نفسها بعدما غاص في فناء الفناء

وَأَشْهَدْتُنِي إِيَّايَ إِذْ لا سِوَايَ في شُهُوْدِيَ مَوْجُوْدٌ فَيَقْضِي بِزَحْمَةِ

وقوله (لا سواي في شهودي): أيّ لا غيري في شهود، أيّ: معاينة ذاتي الحقيقيّة لذاتي الحقيقيّة.

يرى الباحث «جوزيف سكاتوليني» أنّ اتّحاد ابن الفارض له ثلاثة مستويات من الصيرورة الذاتيّة كما سمّاها، وهي تظهر بوضوح في عبارات ابن الفارض تكشف عن عمق ذاته في اتّحاده، وهذه المستويات هي كما مرّ في الأبيات الأخيرة المذكورة: ١- أنا إيّاها. ٢- هي إيّاي. ٣- أنا إيّاي. وفي هذه المرحلة يدخل الشاعر في حالة السكر والنشوة؛ إذ لا يرى في الحقيقة إلّا حبيبته وبالأحرى لا يرى في نهاية المطاف إلّا ذاته[1].

وهذا الكلام في حقيقته ما هو إلّا ترجمة عمليّة للاتّحاد المعنويّ في قول الشاعر جلال الدين الروميّ:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا

هذا الاتّحاد المعنويّ فيما يراه ابن تيميّة كاتّحاد أحد المحبّين بالآخر الذي يحبّ أحدهما الآخر، ويبغض ما يبغضه، ويقول مثل ما يقول، ويفعل مثل ما يفعل، وهذا تشابه وتماثل، لا اتّحاد العين بالعين، إذا كان قد استغرق في محبوبه حتّى فني فيه عن رؤية نفسه، كقول أحدهم: «غبت بك عنّي فظننت أنّك أنّي»[2].

نخلص إلى أنّ الاتّحاد هو: شهود الوجود الحق الواحد المطلق، الذي الكلّ موجود بالحق، فيتحد به الكلّ من حيث كون كلّ شيء موجوداً به، معدوماً بنفسه، لا من حيث أن له وجوداً خاصّاً اتّحد به، فإنه محال[3].

---

(١) انظر عمر بن الفارض وحياته الصوفيّة من خلال قصيدته التائيّة لجوزيف اسكاتوليني ص٢٢.

(٢) انظر مجموعة رسائل ابن تيميّة ص٥٢.

(٣) انظر «التعريفات» للجرجاني ١ / ٨.

أخيراً نقول في مفاهيم الحلول والاتّحاد ووحدة الوجود: إنّ ابن الفارض لا يقصد بذلك الجمع بين الله وبين العالَم وتمازجهما في حقيقة واحدة جمعاً حسيّاً. لا، أبداً، إنّه فيها لا يرى العالم والمخلوقات كلّها، وإنّما يرى الله تبارك وتعالى فقط، لا وجود للمخلوقات، ولا مجال للقول بالاتّحاد بين جوهرين: الجوهرالإلهيّ، والجوهر المادّي المحسوس. فأبناء البشر عندما يحبّ المرء امرأة أو عندما تحبّ امرأة رجلاً لا يرى كلّ منهما إلّا صاحبه، ولا يرى معه شيئاً آخر ولو كان العالم كلّه، كما قيل عن يوسف عليه السلام لمّا قال لزليخة: «كيف أنت؟. فقالت: كنتُ أنا ولمّا أحببتُك صرتُ أنتَ». إنّ ابن الفارض قد أمضى حياته كلّها من صباه الأوّل إلى آخر حياته عاشقاً لربّه فكيف لا يراه وحده؟ وكيف يرى حقيقة أخرى غير حقيقته؟. وكيف يكون له همّ آخر غير هَمٍّ رؤية مطلوبه؟. إنّه لا يرى العالم كلّه بما فيه، ولا يقدّم في شعره إلّا عشقه لحبيبه؛ فَهِمَ الناس شعره أم لم يفهموه، أصابوا في تفسير ما يراه أم أخطؤوه، رموه بالعشق أو الكفر أم لم يرموه.

ولينظر المرء إلى قرار براءته يتلوه ابن الفارض متمسكاً بالكتاب والسنّة، نابذا الحلول والاتّحاد بمفهوم الطاعنين، مفسراً لهما بمفهومه رضي الله عنه:

وكيف وباسم الحقِّ ظلّ تخلُّقي ... تكون أراجيفُ الضلال مُخيفتي

وها دِحيةً وافى الأمينَ نبيّنا ... بصورته في بدء وحي النبوءة

أجبريلُ قل لي كان دحية إذْ بدا ... لمُهدي الهدى في صورةٍ بشريةِ

وفي علمه عن حاضرِيه مزيّةٌ ... بماهيَّة المرئيّ من غير مرية

ولي من أتمِّ الرؤيتين إشارة ... تُنزِّه عن رأي الحلول عقيدتي

يرى ملكاً يوحي إليه وغيرُه ... يرى رجلاً يُدعى لديه بصحبة

وفي الذكر ذكرُ اللبس ليس بمنكر ... ولم أعدُ عن حكمَيْ كتاب وسنّة

بسم الله الرحمن الرحيم

في كلِّ أمّة أعلام مؤثرون فيها، سواء في حياتهم أم بعد موتهم، والشيخ عبد الغنيّ النابلسيّ، واحد من أولئك الذين لهم تأثيرهم الكبير في الأمّة في عصره وفي العصور اللاحقة؛ ذلك أنّه عالم غزير العلم متنوّعه، وقد لا أكون مبالغاً إذا قلت إنّه مجموعة موسوعات علميّة متعدّدة الجوانب، فإضافة لكونه صوفيّاً هو أكبر شارح للتصوّف، وخصوصاً لتصوّف ابن عربيّ. وباعه في الحديث كبير. كذلك هو فقيه حنفيّ يُعتمد رأيه، ويُقرّ اجتهاده. وهو شاعر مكثر، له أربعة دواوين، أكبرها وأهمّها ديوان الحقائق. وهو ناظم كبير لا يعلم عدد أبيات نظمه إلّا الله. وهو مؤرِّخ فذّ لرحلاته التي قام بها إلى بغداد وطرابلس الشام، وبلاد الشام ومصر والحجاز. ويكتسب النابلسيّ رتبة مؤرّخ لوصفه الدقيق كلّ أشكال الحياة الموجودة في عصره بدقّة متناهية، فهو يصف البلدة التي ينزل بها، وأولياءها، وعلماءها، ورجالها، ومساجدها، والدروس، والمجالس، وحياتها العلميّة، والاجتماعيّة؛ فيعطينا صورة واضحة يندر وجودها في المصادر الأخرى لتلك الفترة التاريخيّة التي شحّت أخبار الحياة العلميّة بمثلها.

نسب الشيخ عبد الغنيّ النابلسيّ قدس سره:

نتقله كما أورده الدكتور محمّد راتب النابلسيّ في شجرة عائلته، وقد بدأنا من الشيخ عبد الغنيّ المترجم له، وتركنا كلّ ما كان بعد حياته:

«**سيدي الشيخ عبد الغنيّ النابلسيّ**[1] وجعل في أعلى عليّين مقره ابن المرحوم

(١) لقّب بالنابلسيّ لأنّ جدّه الرابع إبراهيم «برهان الدين» خرج من القدس إلى نابلس، وأقام فيها مدّة من الزمن، ثم خرج منها إلى دمشق، واستقرّ فيها؛ فاكتسب لقب النابلسيّ بعد أن كان المقدسي.

ذي السر الخفي * **الشيخ إسماعيل الحنفيّ** ** [**ابن عبد الغنيّ** بن **إسماعيل**][1] ابن المرحوم الأمجد * **الشيخ أحمد** * ابن المرحوم ذي التكريم * **الشيخ إبراهيم** * ابن المرحوم ذي التبجيل * **الشيخ إسماعيل** * ابن المرحوم من الرحيم * **الشيخ إبراهيم** * ابن المرحوم **الشيخ عبد الله** * ابن العلم المفرد * المرحوم **الشيخ محمد** * ابن المرحوم المحسان **الشيخ عبد الرحمن** * ابن الغريق في النعيم * المرحوم **الشيخ إبراهيم** * ابن الممنوح بمنح المنان * **الشيخ عبد الرحمن** * ابن المرحوم ذي التعظيم * **الشيخ إبراهيم** * ابن المرحوم ذي الجاه * **الشيخ سعد الله** * ابن المتلبس لله في الطاعة * المرحوم **الشيخ جماعه** * ابن ذي المكارم * المرحوم **الشيخ حازم** * ابن المرحوم الواصلي * **الشيخ صخر الدين الكناني المقدسي الشهير بالبابلي** * ابن الراسخ العلم ذي التمكين * **الشيخ موفق الدين** * ابن ذي السر الممتد **الشيخ أحمد** * ابن العلم المفرد * **الشيخ محمد** * ابن الواضح الكرامة المقدام **الشيخ** قدامه **الإمام** * ابن المرحوم ذي الأقدام **الشيخ هشام** ابن الجبل المتين * **الشيخ نصر الدين** * ابن ذي الوجه الوضاح * **الشيخ فتاح** * ابن ذي الطلعة الشريفة * **الشيخ حذيفة** * ابن البطل الأمجد * **الشيخ محمد** * ابن ذي الحسب المرغوب * **الشيخ يعقوب** * ابن ذي الثغر الباسم * **الشيخ قاسم** * ابن ذي الرفد العميم * **الشيخ إبراهيم** * ابن ذي المجد الأثيل * **الشيخ إسماعيل** * ابن ذي السر الأوحد * **الشيخ محمد** * ابن الإمام العالم * **الشيخ سالم** * ابن الإمام الجليل المشتهر * سيدي **عبد الله بن عمر** * ابن الإمام الأواب * الناطق بالصواب * الموافق نصه نص الكتاب * **سيدنا عمر بن الخطاب** أمير المؤمنين رضي الله عنه وأرضاه.

---

(١) العبارة من «سلك الدرر» ٣/ ٣٠.

مولده ونشأته وعمله:

ولد بدمشق ـ رضي الله عنه ـ في خامس ذي الحجة سنة خمسين وألف. وكان والده قد سافر إلى الروم وهو حَمْل؛ فبشر والدته به المجذوب الصالح الشيخ محمود، المدفون بتربة الشيخ يوسف القَميني[1] بسفح قاسيون، وأعطاها درهماً فضة، وقال لها سميه عبد الغنيّ؛ فإنه منصور. وتوفي الشيخ محمود المذكور قبل ولادة الشيخ عبد الغنيّ بيوم واحد. وقد أشار إلى ذلك الشيخ النابلسيّ نفسه في كتابه «الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام والحجاز» عندما تحدّث عن زيارة قبر الشيخ يوسف القميني وقبر خادمه محمود الذي بشّر أمّه بولادته، وطلب منها أنْ تحنّكه بتراب تربته قبل أن يُبنى قبره[2]، وللنابلسيّ قصيدة في مدح الشيخين عندما جُدّد بناء مقامهما منها:

---

(١) قال في القاموس: القَمين كأمير، أتّون الحمّام. قال الشيخ النابلسيّ معرّفاً بالشيخ القَميني: «كان رجلاً من المجاذيب المولّهين في الله، يأوي إلى حمّام نور الدين الشهيد في سوق البزورية، سوق القمح سابقاً. وقال ابن شهبة في تاريخ الإسلام كان يأوي إلى القمامين والمزابل وكان يلبس طوالاً تكنس الأرض، ولا يلتفت إلى أحد، والناس يعتقدون الصلاح ويحكون عنه عجائب وغرائب. ودفن في تربة المولّهين بالصالحيّة ، ولم يتخلّف عن جنازته إلّا القليل. توفي سنة سبع وخمسين وستمائة». وأمّا الشيخ محمود ـ واسمه محمود الحلواني ـ فإنّه كان من المولّهين في الله تعالى أيضاً، وكان يخدم مزار الشيخ يوسف المذكور، وكان ساكناً فيه بأهله وعياله. وكان يعتقد فيه الناس الصلاح والخير، وله وقائع كثيرة وكرامات شهيرة. ولنا فيهما رسالة مستقلّة سميناها: «الحوض المورود في زيارة الشيخ يوسف والشيخ محمود». وقد مات الشيخ محمود سنة خمسين وألف للهجرة النبويّة وهي سنة مولدنا. فإن مولدنا كان في اليوم الثاني من وفاته، وقد أوصى والدتنا قبل أن يموت بأنّها تأتي بنا إلى قبره، وأنّ تحنّكنا بتراب قبره قبل أن يُبنى، ففعلت ذلك والحمد لله تعالى. وللوالدة رحمها الله تعالى معه وقائع وكرامات كثيرة ذكرنا بعضها في رسالتنا. «الحوض المورود المذكورة». انظر الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام والحجاز للشيخ عبد الغنيّ النابلسيّ تقديم وإعداد د. أحمد عبد المجيد هريدي ص١٧ـ١٨، طباعة الهيئة المصريّة للكتاب ١٩٨٦م.

(٢) انظر «خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر» للمحبّي ١/١٠٨.

ذاك القميني بحر بالعلا قمن | عنه الندا فاض والإكرام والجود
محقّق عارف ذو أدب | ومن أهل رجال الله معدود
والبدر سيّدنا محمود من بهرت | أوصافه فهو بالحاجات مقصود
له الكرامات في حال الحياة ومن | بعد المات وماذا الأمر مجحود

منذ نعومة أظفار الشيخ عبد الغنيّ النابلسيّ عُني بالقرآن الكريم، فقد دفعه والده إلى حفظه، وشغله بقراءة القرآن، وختمه وهو ابن خمس سنين، وحفظ مقدّمات الفنون كلّها؛ ألفيّة ابن مالك في النحو، والكنز في الفقه، والشاطبيّة في القراءات، والرحبيّة في الفرائض، والجزريّة في التجويد. ولّما بلغ الشيخ عبد الغنيّ الثانية عشر عاماً توفي والده في سنة اثنتين وستين وألف؛ فنشأ يتيماً، موفقاً. وقد اشتهر والده بالعلم والفضل وقوّة الحافظة العجيبة، وله مؤلّفات كثيرة ذكر منها الشيخ عبد الغنيّ في شرحه للديوان «الأحكام شرح الدرر» في الفقه الحنفيّ في اثني عشر مجلّداً، وله حاشية على «شرح المنهاج لابن حجر»، وكان كثير الأسفار إلى بلاد الروم (تركيّة) وله أشعار كثيرة.

وأمّا والدته فهي زينب بنت الشيخ محمّد بن الشيخ برهان الدين بن إبراهيم بن أحمد بن يحيي الدويكي الدمشقيّ. كانت ذات صلاح، وتقوى، وعطف على ابنها اليتيم، وكانت تحنو عليه وتعينه. وكانت ذات شأن كما قال ابنها عليهما رحمة الله؛ فقد أخبر النابلسيّ في «الحقيقة والمجاز»: «وكانت رحمها الله بارّة بنا، مشفق علينا، ماتت قبل رحلتنا هذه بيومين من شوال من سنة أربع ومائة وألف أواخر الطاعون. وقد جاء أحد المولّهين أشعث أغبر من النبك حيث أخبر أنّه قيل له: اذهب إلى الشام واحضر هذه الجنازة العظيمة البركة؛ فإنّ الطاعون الحاصل بالشام يختم بها، ولم يكن يعلم حقيقة الأمر بعد. وقد رفع الطاعون بعد ذلك»[1].

(١) انظر «الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز» للشيخ عبد الغنيّ النابلسيّ ص١٤.

لم يمارس الشيخ عبد الغنيّ النابلسيّ من الأعمال إلّا طلب العلم والتدريس؛ فقد درّس بالجامع الأموي لمّا بلغ العشرين من عمره. في الخامسة والعشرين ارتحل إلى أدرنة حاضرة الخلافة العثمانيّة أنذاك، ثم سافر منها إلى استانبول. وعاد إلى دمشق فعيّن قاضي في حيّ الميدان. وانتخبه أهل دمشق مفتياً ١١١٣هـ، وأقرّه والي دمشق، إلّا أنّ السلطان عين مفتياً غيره بعد ست أشهر.

أولاده:

١ ـ الشيخ إسماعيل بن عبد الغنيّ توفي سنة ١١٦٣هـ ودفن في حجرته في بيت الشيخ عبد الغنيّ بالصالحيّة.

٢- زينب بنت عبد الغنيّ: زوجة الشيخ صادق الخرّاط، ولدت له ثلاث بنات. بعد وفاته تزوجها الشيخ الغزي (جدّ كمال الدين محمّد الغزي) مولّف «الوِرد الأُنسي والقدسيّ حياة النابلسيّ»، فولدت له كمال الدين (محمّد شريف الغزي) توفيت سنة ١١٧٣هـ.

٣ – طاهرة بنت عبد الغنيّ النابلسيّ، تزوّجها أوّلاً الغزي محمّد بن شمس الدين. ولّما توفيت تزوّج أختها زينب سنة ١١٤٣هـ ودفنت بسفح قاسيون.

شيوخه وإجازاته:

ـ لعلّ والده الشيخ إسماعيل بن عبد الغنيّ أوّل مشايخه وأهمّهم، قرأ عليه القرآن، وختمه وعمره خمس سنوات، وحفظ مقدّمات الفنون كلّها. وحضر دروس والده في الفقه في كتابه «الأحكام شرح الدرر» في الجامع الأموي، ودروسه في المدرسة السليميّة، وأجازه فيه، وربّما لا أكون مبالغاً إذا قلت: إنّ من أهمّ ما ورث الشيخ عبد الغنيّ النابلسيّ عن أبيه حافظته القويّة، وروحه العلميّة، وربّما يجوز لي القول أنّه قد حصّل معظم علومه مع حداثة سنّه.

ـ نجم الدين محمّد بن محمّد الغزي العامريّ، قرأ عليه مصطلح الحديث كشرح «النخبة» و«شرح ألفيّة العراقي». وأجازه في عموم إجازاته.

ـ محمّد كمال الدين الحسينيّ الحسنيّ الشهير بابن حمزة، نقيب الأشراف بدمشق، قرأ عليه جملة من الفنون.

ـ عليّ الشبراملسي الشافعيّ أجازه إجازات كثيرة.

ـ عبد الباقي الحنبليّ البعليّ الأثريّ، قرأ عليه مصطلح الحديث، وشرح الألفية للقاضي وللمصنّف، وأجازه إجازة عامّة وإجازة خاصّة.

ـ عبد القادر مصطفى الصفّوريّ، قرأ عليه عدّة فنون، وأجازه.

ـ محمّد بن تاج الدين المحاسني أخذ عنه التفسير والنحو.

ـ أحمد بن محمّد القلعيّ، قرأ عليه الفقه والأصول، ولازمه ملازمة تامّة.

ـ كمال الدين محمّد بن يحيى الحلبي الأصل، الدمشقيّ الشافعيّ، الشهير بالفرضي. قرأ عليه العربيّة والحساب والفرائض.

ـ محمّد بن يحيى (نجم الدين)، قرأ عليه مبادئ العلوم.

ـ إبراهيم بن منصور الفتّال.

ـ محمّد بن أحمد الأسطواني.

ـ محمّد بن الكرديّ نزيل دمشق، قرأ عليه النحو والمعاني والبيان والصرف والمنطق.

ـ محمّد بن محمّد العيثاويّ.

ـ محمّد بن بركات الكوافي.

ـ ملّا حسين بن اسكندر الرومي الحنفيّ، نزيل دمشق.

دروسه:

ابتدأ في قراءة الدروس وإلقائها والتصنيف لما بلغ عشرين عاماً وأدمن المطالعة في كتب الشيخ محيي الدين ابن العربيّ، قدس الله سره، وكتب السادة الصوفيّة كابن سبعين، والعفيف التلمساني؛ فعادت عليه بركة أنفاسهم؛ فأتاه الفتح اللّدنّيّ؛ فنظم بديعيّة في مدح النبيّ صلى الله عليه وسلم؛ واستبعد بعض المنكرين

أن تكون من نظمه؛ فاقتُرح عليه أن يشرحها، فشرحها في مدة شهر شرحاً لطيفاً في مجلد. ثم نظم بديعية أخرى، والتزم فيها تسمية النوع.

وشرع في إلقاء الدروس بالجامع الأمويّ فأقرأ بكرة النهار في عدة فنون، وبعد العصر في الجامع الصغير، ثم الأربعين النووية ثم الاذكار النووية وغيرها. وكان يدرِّس البيضاوي في صالحية دمشق بالسليميّة جوار الشيخ الأكبر قدس سرهما. وابتدأ بالدرس من سنة خمس عشرة ومائة وألف.

بعض أحواله:

بايعه في آخر عمره سنة وفاته جميع العباد بالملأ العام بين الأنام. وقد صدر له في أول أمره أحوال غريبة، وأطوار عجيبة، واستقام في داره الكائنة بقرب الجامع الأمويّ في سوق العنبرانيين مدة سبع سنوات؛ لم يخرج منها. وأسدل شعره، ولم يقلم أظفاره، وبقي في حالة عجيبة. وصارت تعتريه السودا[1] في أوقاته، وصارت الحساد تتكلم فيه بكلام لا يليق به من أنه يترك الصلوات الخمس، وأنه يهجو الناس بشعره؛ وهو ـ رضي الله عنه ـ بريئ من ذلك. وقامت عليه أهالي دمشق لتبنّيه مذهب ابن عربيّ. وصدر منهم في حقه الأفعال غير المرضية؛ حتى إنه هجاهم، وتكلم بما فعلوه معه[2]. ولم يزل حتى أظهره الله للوجود، وأشرقت به الأيام، ورفل في حلل الإقبال

---

(١) السودا: ربّما هو المرض المعروف اليوم بالشدّة العاطفيّة التي تؤدي إلى حدوث اضطرابات نفسيّة خطيرة يمكن أن تؤدّي عند بعض الأشخاص إلى الانتحار، وهو يصيب الدماغ والقلب والكبد، يمتنع فيه المريض عن الطعام والشراب لانشغال الكبد، ويمتنع عن النوم لانشغال العقل بالتفكير والتخيّل.

(٢) نقل الشيخ عبد الغنيّ النابلسيّ في مخطوط «غاية المطلوب في محبّة المحبوب» عن الذهبيّ في «التذهيب مختصر التهذيب»، أنّه قيل لعمرو بن العاص: صف الأمصار. فقال: أهل الشام أطوع الناس للمخلوق وأعصاهم للخالق، وأهل مصر أكسبهم صغاراً وأجمعهم كباراً، وأهل الحجاز أسرع إلى الفتنة وأعجزهم عنها، وأهل العراق أطلب الناس للعلم وأبعدهم منه. ثمّ يعقّب النابلسيّ: هذا حال أهل الشام في الزمان الأوّل فكيف الحال بزماننا هذ والأمر لا يزداد =

والسعود، وبادرت الناس للتملّي باجتلاء بركاته، والترجّي لصالح دعواته، ووردت عليه أفواج الواردين، وصار كهف الحاضرين والوافدين، واستجير من سائر الأقطار والبلاد، وعمّت نفحاته وعلومه الأنام والعباد[1].

مؤلّفاته:

وتآليفه ومصنفاته كثيرة، وكلّها حسنة، متداولة، مفيدة، قد تصل إلى سبعمئة مؤلَّف في شتى العلوم: القراءات والتفسير والحديث والتوحيد والفقه واللغة والطبّ والزراعة والرحلات والتصوّف والشعر وعلومه. وله من الأشعار أربعة دواوين، ومن النظم ما لا يحصى. ولا بدّ لنا من ملاحظة هذا الكمّ الهائل من المؤلّفات ومن أنّ نصنفها في **ثلاثة اتجاهات:**

الأوّل علوم الدين: القراءات والفقه والتفسير والحديث... نأخذ مثلاً على هذا الاتجاه مخطوطة «صرف العَنَان إلى قراء حَفْص بن سليمان». وقد طبعه أسامة عطايا مع «روح البيانات في معاني القراءات». حيث أرسى النابلسيّ في هذا المخطوط دعائم قراءة حفص الوافدة إلى بلاد الشام والأقاليم في عصره بعد أن كانت قراءة أبي عمرو البصري هي السائدة، وقد تعامل النابلسيّ مع الاختلاطات

=

إلّا شدّة. ولعمري فهم معذورون عقلاً لا شرعاً بإضاعتهم الكمال، ورؤيتهم النقص في أشرف الخصال؛ فإنّ غالبهم نشأوا في الفسق، وربّوا منه وعاشوا عليه، فلا يعرفون غيره، وطهارة الطباع لا توجد عندهم إلّا في المعصومين. انظر غاية المطلوب في محبّة المحبوب الورقة ١٦-١٧ (مخطوط). ولعل الشيخ قال هذا الكلام بعد أن تكلّم في حقّه كثير من الناس، وعابوا عليه شاعريته في وصف الحب والجمال، وإجازته في وجه المرأة والغلمان شرط أن تكون الطويّة سليمة من المعصية، فردّ عليهم باعتزاله الناس، وألّف هذا المخطوط الذي حشد فيه كثيراً من الأحاديث والأقوال والأبيات للشعراء في الجمال تؤيّد صحّة ما ذهب إليه في الفقه والحديث والأدب والحكمة من مصادرها وقال قصيدته في هجائهم التي مطلعها:

أتعبتني بقر الشام ... وهي في نقض وإبرام

(١) انظر «سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر» للمرادي ٣/ ٣٠.

الناتجة عن تصارع القراءتين بمنتهى ذكاءِ العالِم الحاذق المجرِّب المحنَّك، فكان ينظم أحكام القراءة الوافدة شعراً بالتدريج وينشره ليسهل تحفيظها شيئاً فشيئاً، إلى أن استوفى نظمه كلَّ أحكام القراءة، ثمّ وضع لها شرحاً بسيطاً سهلاً فراجت بين طلَّاب العلم لديه عبر عشرات السنين التي عاشها، ثم عمَّت العوام وصارت القراءة السائدة التي لا تجد منازعاً[1].

والمنحى الثاني: شرح التصوّف والدفاع عن وإعداد مناهج تدريسه بما يسهّله للطلاب الذين يدوّنون مخطوطاته بإشرافه وتصحيحها ومقابلتها بشكل يجعل منه الشارح الأكبر للتصوف في التاريخ العربيّ، والمرشد للمريدين والسالكين، والمدقّق والمصحِّح لنسخ مؤلّفاته. وقد ترك لنا تراثاً ضخماً لا يدانيه مؤلّف آخر في عصره وفي العصور التالية. هذا التراث الضخم الذي نحن بحاجة ماسّة لإخراجه وشرحه والعناية به ـ فلم يخرج إلى اليوم إلّا ١٠٪ منه على أحسن تقدير ـ بقلم وليّ، عارف، متمكّن من علوم الحقيقة والطريقة فيّاض الأفكار، ثرّ العلوم والعطاء، مخلص، وهو نادر جدّاً.

نشير من هذا التراث إلى شذرات قليلة مثل: «السرّ المختبي في ضريح ابن عربيّ» ويبحث النابلسيّ فيه فيما يراه أهل دمشق في زمنه، وحتى زمننا الحاضر عند الكثير؛ فهم يرون أنّ في الضريح معاني وأسرار يعرفها من يقترب ويتذوّق ويستشعر روحانيّة في المكان.

وإلى منتقدي ابن عربيّ ردّ عند الشيخ النابلسيّ بعنوان: «الردّ المتين على منتقص العارف محييّ الدين».

وإذا لام الناس الشاعر الششتري على تسامحه فيما رآه من هدوء حياة الرهبان والدعة والسكينة واستخدام مصطلحات مسيحيّة عندهم وهي لا تروقهم فإنّ الشيخ النابلسيّ يراه افتراء فكتب: «ردّ المفتري عن الطعن في الششتري».

---

(١) انظر: «صَرْف العَنان إلى قراءة حفص بن سليمان» تأليف الشيخ عبد الغنيّ النابلسيّ، ومعه «روح البيانات في معاني القراءات» تأليف أسامة هيثم عطايا، ص١١.

وإذا حرّكت المواجيد الصوفيّين وانتابهم انفعالات خاصّة فلا بدّ للنابلسي أن يكتب رسالة في «التنبيه من النوم في حكم مواجيد القوم» تقدّم علامات واضحة للسلوك عرفت بالفتوحات الربّانيّة أو الفيض الرحماني، أو التجلّيات، أو الإشراقات، أو الإلهامات التي يمر بها السالك.

وعندما يُذكر السلوك فـ «أنوار السلوك» منارات تحدّد الدخول في طريق التصوّف بمصطلح السلوك.

عندما يسود التكفير بسبب مصطلحات انتشرت على ألسنتهم تضيء ما في أفكارهم ونفوسهم مثل مصطلح وحدة الوجود فلا بدّ للشيخ النابلسيّ من أن يكتب: «إيضاح المعنى المقصود من وحدة الوجود». لعلّنا نتناول المقصود بهذا المصطلح فيما يأتي إن شاء الله تعالى.

المنحى الثالث: الفتاوى وتقديم الآراء والحلول للمشكلات الفقهيّة المعاصرة له سواء في فقه الطبّ أو التجارة أو الصناعة أو أيّ أمر يحتاجه الإنسان من أمور الحياة الاجتماعية بشكل يدفعني لأقول عنه: إنّه فقيه الحياة في عصره الذي عرف ما يتغير من الأحكام بتغيّر الأزمان. ولا أظن أن يكون بعض الباحثين قد غالى في إعلاء شأن آراء الشيخ النابلسيّ التجديديّة حتّى عدّه أوّل من بدأ عندهم نهوض الأمّة من جديد قبل حملة نابليون بسبعين سنة[1]. لكن مهما يكن من أمر فإنّ النابلسيّ فقيه عصره، وابن عصره يتفاعل مع ما يستجدّ، ويصدر أحكامه الفقهية رضي من رضي، وسخط من سخط. وإن نظرة عجلى لبعض كتبه أو مخطوطاته تدلّ على ذلك دلالة واضحة، وانظر إن شئت «الأبحاث المخلصة في كي الحمصة للعلاج بالكي»، و«اتحاف من بادر في حكم النوشادر» هل تدخل في باب السكْر. رسالة صغيرة في مناسك الحج

(١) انظر «وحدة الوجود وإرهاصات النهضة العربيّة» للدكتور بكري علاء الدين. محاضرة ضمن احتفاليّة دمشق عاصمة الثقافة العربيّة.

والضروري للحاجّ «الابتهاج بمناسك الحاجّ». و«إشراق العالَم في أحكام المظالم» كيف يتصرّف الإنسان ويبحث عن الأمل إذا انتشر الظلم. «الكواكب المشرقة في حكم حزام المنطقة». «تحفة القضيّة في الفرق بين الرشوة والهديّة». ورسالة في «مسألة الحشيش وأحكام الدخان». «التنفير من التكفير». «الكشف والبيان فيما يتعلّق بالنسيان». «تعطير الأنام في تفسير الأحلام» وهو مطبوع وشائع شعبياً حتّى عند من لا يهتمّون بالعلم والثقافة. وقد يدهش المرء عندما يعلم حضور الشيخ النابلسيّ لأوّل حفلة عزف كمان بدمشق في عصره[1].

ولقد آثرتُ أن أذكر من أعماله ما ذكره المرادي في سلك الدرر لمعرفة مدى ارتباط الشيخ عبد الغنيّ النابلسيّ بعصره وفقهه، وتاريخ فكره، ووجدان أمّته، ونشراً لذكر هذه الأعمال، وإشادة بها لمن أراد الاطّلاع عليها وعلى عظمة هذا الرجل، ولحقّه على أمّته في معرفة علمائها وعظمائها. وهي تدلّ على ارتباط صاحبها بأعلام عظام مثله كابن الفارض وابن عربيّ وغيره في تاريخ الوعي للوجدان العربيّ الفكري والحضاريّ الإسلاميّ والإنسانيّ، ولتنضم أعماله إلى الكتاب الذي نحن بصدده: "كشف السرّ الغامض في شرح ديوان ابن الفارض"، هذه الموسوعة اللغويّة الصوفيّة الشعريّة الفلسفيّة.

فمن تصانيفه كما ذكرها المرادي في سلك الدرر: التحرير الحاوي بشرح تفسير البيضاوي، وصل فيه من أول سورة البقر إلى قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ﴾ [٢/ البقرة/ ٩٨] في ثلاث مجلدات، وشرع في الرابع. ومنها: بواطن القرآن ومواطن العرفان، كله منظوم على قافية التاء المثناة وصل فيه إلى سورة براءة، فبلغ نحو الخمسة آلاف بيت. ومنها كنز الحق المبين في أحاديث سيد المرسلين. والحديقة النديّة شرح الطريقة المحمدية للبركوي الرومي. وذخائر المواريث في الدلالة على

(١) المرجع السابق.

مواضع الأحاديث. وجواهر النصوص في حل كلمات الفصوص، للشيخ محيي الدين ابن العربيّ، قدس سره. وكشف السر الغامض شرح ديوان ابن الفارض. وزهر الحديقة في ترجمة رجال الطريقة. وخمرة الحان ورنة الألحان، شرح رسالة الشيخ أرسلان. أو تحريك الإقليد في فتح باب التوحيد. ولمعان البرق النجدي شرح تجليات محمود أفندي الرومي. المدفون باسكدار.

والمعارف الغيبية شرح العينية الجيلية. وإطلاق القيود شرح مرآة الوجود. والظل الممدود في معنى وحدة الوجود. ورائحة الجنة شرح اضاءة الدجنّة. وفتح المعين المبدي شرح منظومة سعدي أفندي. ودفع الاختلاف من كلام القاضي والكشاف. وإيضاح المقصود من معنى وحدة الوجود. وكتاب الوجود الحق والخطاب الصدق. ونهاية السول في حلية الرسول صلى الله عليه وسلم. ومفتاح المعية شرح الرسالة النقشبندية. وبقية الله خير بعد الفناء في السير. والمجالس الشامية في مواعظ أهل البلاد الرومية. وتوفيق الرتبة في تحقيق الخطبة. وطلوع الصباح على خطبة المصباح. والجواب التام عن حقيقة الكلام. وتحقيق الانتصار في اتفاق الأشعري والماتريدي على الاختيار. وكتاب الجواب عن الأسئلة المِئَة والإحدى والستين. وبرهان الثبوت في تربة هاروت وماروت. ولَمعان الأنوار في المقطوع لهم بالجنة والمقطوع لهم بالنار. وتحقيق الذوق والرشف في معنى المخالفة بين أهل الكشف. وروض الأنام في بيان الإجازة في المنام. وصفوة الأصفياء في بيان الفضيلة بين الأنبياء. والكوكب الساري في حقيقة الجزء الاختياري. وأنوار السلوك في أسرار الملوك. ورفع الريب عن حضرة الغيب. وتحريك سلسلة الوداد في مسألة خلق أفعال العباد. وزبدة الفائدة في الجواب عن الأبيات الواردة. والنظر المشرفي في معنى قول الشيخ عمر بن الفارض: عرفت أم لم تعرفِ. والسر المختبي في ضريح ابن العربيّ رضي الله عنه. والمقام الأسمى في امتزاج الأسما. وقطرة السماء ونظرة العلماء. والفتوحات المدنيّة في الحضرات المحمديّة والفتح

المكي والمنح الملكي. والجواب المعتمد عن سؤالات أهل صفد. ولمعة النور المضيئة شرح الأبيات السبعة الزائدة من الخمرية الفارضية. والحامل في الملك والمحمول في الفلك في أخلاق النبوة والرسالة والخلافة في الملك. والنفحات المنتشرة في الجواب عن الأسئلة العشرة عن أقسام البدعة. والقول الأبين في شرح عقيدة أبي مدين؛ وهو المسمى بابن عراق. وكشف النور عن أصحاب القبور. وفيه كرامات الأولياء بعد الموت. وبذل الإحسان في تحقيق معنى الإنسان والقول العاصم في قراءة حفص عن عاصم. «نظماً على قافية القاف وشرح هذا النظم». صرف العنان إلى قراءة حفص بن سليمان. والجواب المنثور والمنظوم عن سؤال المفهوم. وكتاب علم الملاحة في علم الفلاحة. وتعطير الأنام في تعبير المنام. والقول السديد في جواز خلف الوعيد والرد على الرجل العنيد. وردّ التعنيف على المعنِّف وإثبات جهل هذا المصنِّف. وهدية الفقير وتحيّة الوزير. والقلائد الفرائد في موائد الفوائد. «في فقه الحنفيّة على ترتيب أبواب الفقه». وكتاب ريع الإفادات في ربع العبادات. وكتاب المطالب الوفيه شرح الفرائد السنية. «منظومة الشيخ أحمد الصفدي». وديوان الإلهيّات الذي سمّاه ديوان الحقائق وميدان الرقائق. وديوان المدائح النبوية المسمّى بنفحة القبول في مدحة الرسول. «وهو مرتب على الحروف». وديوان المدائح المطلقة والمراسلات والألغاز وغير ذلك. وديوان الغزليات المسمّى خمرة بابل وغناء البلابل. وغيث القبول همى في معنى جعلا له شركاء فيما آتاهما. ورفع الكساء عن عبارة البيضاوي في سورة النساء. وجمع الأشكال ومنع الإشكال عن عبارة تفسير البغوي. والجواب عن عبارة في الأربعين النووية في قوله رويناه. ورفع الستور عن متعلق الجار والمجرور في عبارة خسرو. والشمس على جناح طائر في مقام الواقف الساتر. والعقد النظيم في القدر العظيم. ـ في شرح بيت من بردة المديح ـ وعذر الأئمة في نصح الأمة. وجمع الأسرار في منع الأشرار عن الظن في الصوفيّة الأخيار. وجواب سؤال ورد من

طرف بطرك النصارى في التوحيد. وفتح الكبير بفتح راء التكبير. ورسالة في سؤال عن حديث نبوي. وتحقيق النظر في تحقيق النظر في وقف معلوم. وجواب سؤال في شرط واقف من المدينة المنورة. وكشف الستر عن فريضة الوتر. ونخبة المسألة شرح التحفة المرسلة في التوحيد. وبسط الذراعين بالوصيد في بيان الحقيقة والمجاز في التوحيد. ورفع الاشتباه عن علمية اسم الله. وحق اليقين وهداية المتقين. ورسالة في تعبير رؤيا سئل عنها وإرشاد المتملّي في تبليغ غير المصلي. وكفاية المستفيد في علم التجويد. ورسالة في نكاح المتعة على الشريعة. وصدح الحمامة في شروط الإمامة. وتحفة الناسك في بيان المناسك وبغية المكتفي في جواز الحقّ الخفي. والردّ الوفي على جواب الحصكفي في رسالة الخف الخفي. وحلية الذهب الإبريز في رحلة بعلبك والبقاع العزيز. ورنة النسيم وغنة الرخيم. وفتح الانغلاق في مسألة على الطلاق. والخضرة الأنسية في الرحلة القدسية. والردّ المتين على منتقص العارف محيي الدين. والحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز. ووسائل التحقيق في رسائل التدقيق في مكاتبات علمية. وإيضاح الدلالات في سماع الآلات. وتخيير العباد في سكنى البلاد. ورفع الضرورة عن حج الصرورة. ورسالة في الحث على الجهاد واشتباك الأسنه في الجواب عن الفرض والسنة. والابتهاج في مناسك الحاج. والأجوبة الإنسيّة عن الأسئلة القدسية. وتطييب النفوس في حكم المقادم والرؤس. والغيث المنبجس في حكم المصبوغ بالنجس. وإشراق المعالم في أحكام المظالم. ورسالة في احترام الخبز. وإتحاف من بادر إلى حكم النوشادر. والكشف والتبيان عمّا يتعلق بالنسيان. والنعم السوابغ في إحرام المدني من رابغ. وسرعة الانتباه لمسألة الاشتباه. «في فقه الحنفيّة» ورسالة في جواب سؤال من بيت المقدس. وتحفة الراكع الساجد في جواز الاعتكاف في فناء المساجد. وجواب سؤال ورد من مكّة المشرفة عن الاقتداء من جوف الكعبة. وخلاصة التحقيق في حكم التقليد والتلفيق. وإبانة النص في

مسألة القصّ، أي: قصّ اللحية. والأجوبة البته عن الأسئلة السته. ورفع العناد عن حكم التفويض والاسناد في نظم الوقف. وتشحيذ الأذهان في تطهير الأدهان. وتحقيق القضية في الفرق بين الرشوة والهدية. وتفوه الصور شرح عقود الدرر فيما يفتى به على قول زفر. والكشف عن الأغلاط التسعة من بيت الساعة من القاموس. ورسالة في حكم التسعير من الحكام. وتقريب الكلام على الأفهام في معنى وحدة الوجود. والنسيم الربيعي في التجاذب البديعي. وتنبيه من يلهو عن صحة الذكر بالاسم هو. والكواكب المشرقة في حكم استعمال المنطقة من الفضة. ونتيجة العلوم ونصيحة علماء الرسوم في شرح مقالات السر هندي المعلوم. ورسالة في معنى البيتين: «رأت قمر السماء فاذكرتني... إلى آخره». وتكميل النعوت في لزوم البيوت. وسؤال ورد في بيت المقدس ومعه جواب منه. والجواب الشريف للحضرة الشريفة أنّ مذهب أبي يوسف ومحمد هو مذهب أبي حنيفة. وتنبيه الأفهام على عمدة الحكّام. شرح منظومة القاضي محب الدين الحموي وأنوار. الشموس في خطب الدروس. ومجموع خطب التفسير. «وصل فيه إلى ستمائة خطبة واثنتين وثلاثين» والأجوبة المنظومة عن الأسئلة المعلومة من جهة المقدس. والتحفة النابلسيّة في الرحلة الطرابلسيّة. والعبير في التعبير نظماً من بحر الرجز. وتحصيل الأجر في حكم أذان الفجر. وقلائد المرجان في عقائد الإيمان. والأنوارالإلهيّة شرح المقدمة السنوسية. وغاية الوجازة في تكرار الصلاة على الجنازة. وشرح أوراد الشيخ عبد القادر الكيلاني. وكفاية الغلام في أركان الإسلام. ومنظومة مئة وخمسون بيتاً. ورشحات الأقلام شرح كفاية الغلام. والفتح الرباني والفيض الرحماني. وبذل الصلات في بيان الصلاة على مذهب الحنفيّة. ونور الأفئدة شرح المرشدة. وإسباغ المنّة في أنهار الجنة. ونهاية المراد شرح هدية ابن العماد في فقه الحنفيّة، وإزالة الخفا عن حلية المصطفى صلى الله عليه وسلم. ونزهة الواجد في الصلاة على الجنائز في المساجد. وصرف الأعنّة إلى عقائد

أهل السنّة. وسلوى النديم وتذكرة العديم. والنوافح الفائحة بروائح الرؤيا الصالحة. والجوهر الكلّي شرح عمدة المصلّي ـ وهي المقدمة الكيدانية ـ وحلية القاري في صفات الباري. والكوكب الوقّاد في حسن الاعتقاد. وكوكب الصبح في إزالة ليلة القبح. والعقود اللؤلؤية في طريق المولوية. والصراط السوي شرح ديباجة المثنوي. وبداية المريد ونهاية السعيد. ونسمات الأسحار في مدح النبي المختار. «وهي البديعية» وشرحها: نفحات الأزهار على نسمات الأسحار. والقول المعتبر في بيان النظر ورسالة في العقائد. وحلاوة الآلا في التعبير إجمالا. والمقاصد الممحّصة في بيان كي الحمصة. ورسالة أخرى في كي الحمصة. وزيادة البسطة في بيان العلم نقطة. واللؤلؤ المكنون في حكم الأخبار عما سيكون. وردّ الجاهل إلى الصواب في جواز إضافة التأثير إلى الأسباب والقول المختار في الرد على الجاهل المحتار. ودفع الإيهام جواب سؤال. والكوكب المتلالي شرح قصيدة الغزاليّ. وردّ المفتري عن الطعن في الششتري. والتنبيه من النوم في حكم مواجيد القوم. وإتحاف الساري في زيارة الشيخ مدرك الفزاري. وديوان الخطب المسمى بيوانع الرطب في بدائع الخطب. والحوض المورود في زيارة الشيخ يوسف والشيخ محمود. ومخرج الملتقى ومنهج المرتقى. ومنظومة في ملوك بني عثمان. وثواب المدرك لزيارة الست زينب والشيخ مدرك. وعيون الأمثال العديمة المثال. وغاية المطلوب في محبة المحبوب ومناغاة القديم ومناجاة الحكيم. والطلعة البدرية شرح القصيدة المضرية. والكتابة العليّة على الرسالة الجنبلاطية. وركوب التقييد بالإذعان في وجوب التقليد في الإيمان. وردّ الحجج الداحضة. وشرح نظم قبضة النور المسمّى نفخة الصور ونفحة الزهور. ومفتاح الفتوح في مشكاة الجسم. وزجاجة النفس ومصباح الروح. وصفوة الضمير في نصرة الوزير. وشرح نظم السنوسية المسمّى باللطائف الإنسيّة على نظم العقيدة السنوسية. وتحقيق معنى المعبود في صورة كل معبود. ورسالة في قوله عليه السلام: «من صلّى عليَّ واحدة

صلّى الله عليه عشراً». وأنس الخاطر في معنى من قال: أنا مؤمن؛ فهو كافر. وتحرير عين الإثبات في تقرير عين الأثبات. وتشريف التقريب في تنزيه القرآن عن التعريب. والجواب العلي عن حال الولي. وفتح العين عن الفرق بين التسميتين. «يعني تسمية المسلمين وتسمية النصارى» والروض المعطار بروائق الأشعار. والصلح بين الإخوان في حكم إباحة الدخان. وله رضي الله عنه غير ذلك من التصانيف والتحريرات والكتابات والنظم.

وقد ألقى الله محبّته في قلوب أهل العلم فأقبلوا على مؤلّفاته ينسخونها ويتداولونها؛ ولعلّ هذا ما يبرّر كثرة نُسَخ مخطوطاته، وانتشارها في العالم الإسلاميّ كلّه فلا تكاد تخلو مكتبة عامّة من مكتبات المدن الإسلاميّة إلّا وفيها قدراً من مخطوطاته.

رحلاته وحجّه:

وارتحل أولاً إلى دار الخلافة في سنة خمس وسبعين وألف؛ فاستقام بها قليلاً. وفي سنة مئة بعد الألف ذهب إلى زيارة البقاع وجبل لبنان. ثم في سنة إحدى ومئة بعد الألف ذهب إلى زيارة القدس والخليل. ثم في سنة خمس ومئة وألف ذهب إلى مصر، ومن ثمة إلى الحجاز؛ وهي رحلته الكبرى. وفي سنة اثنتي عشرة ومئة وألف ذهب إلى طرابلس الشام نحو أربعين يوماً، وصنف فيها رحلة صغيرة ولم تشتهر. وانتقل من دمشق من دار أسلافه إلى صالحيتها في ابتداء سنة تسع عشرة ومئة وألف إلى دارهم المعروفة بهم الآن، إلى أن مات بها.

كانت أمنية الحج باعث الرحلة الكبيرة التي قام بها الشيخ عبد الغنيّ النابلسيّ سنة (١١٠٥)هـ في الشام ومصر والحجاز؛ وهو يخصّص لهذه الرحلة كما قدمنا كتاباً خاصاً عنوانه: «الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز». وينقسم الكتاب إلى ثلاثة أقسام، يخصص القسم الأول منه لرحلة الشام وفلسطين، والثاني للرّحلة المصرية، والثالث لرحلة الحجاز؛ ويدوّن النابلسيّ

رحلته بطريقة اليوميات، فيذكر تنقلاته وزياراته ومشاهداته، ويستطرد في أحيان كثيرة إلى ذكر النبذ التاريخية والأدبية؛ وقد بدأ رحلته من مدينة دمشق في غرة المحرم سنة (١١٠٥) هـ، وطاف أولاً بمدن الشام وثغوره، ووصل إلى الحدود المصريّة حسبما يذكر في يومياته في اليوم الثالث بعد المئة من بدء الرحلة وذلك في ١٤ ربيع الثاني سنة (١١٠٥) هـ، ولبث فيها ثمانين يوماً، وغادر القاهرة في السادس من رجب (سنة ١١٠٥) هـ في ركب من الشاميّين والمصريّين.

لقد قدم إلينا النابلسيّ ملاحظات لها قيمتها في دراسة المجتمع المصري في خاتمة القرن السابع عشر؛ ولعل أنفس ما فيها أقواله عن معالم القاهرة ومعاهدها، فهذه الأقوال في ذكر أبواب القاهرة وبركة الأزبكية وجزيرة الروضة والمزارات الشهيرة وغيرها ما يفيد في تعرف خطط القاهرة في هذا العصر، وهي تعتبر حلقة في مجموعة الآثار التي لدينا عن الخطط والعمران، ثم إن أحاديثه عن أعيان القاهرة وعن مجالسهم من الصور التي لها قيمتها في معرفة أبناء مجتمع هذا العصر، ولنذكر أن العصر الذي يحدثنا عنه النابلسيّ يسبق بداية العصر الذي يحدثنا عنه الجبرتي بنحو خمسين عاماً فقط، ومن ثم ففي وسعنا أن نصل بين المواد المشتركة في هذين الأثرين في دراسة المجتمع المصريّ في القرن الثامن عشر[1].

مكانته وأخلاقه:

كان عالماً، مالكاً أزمّة البراعة واليراعة، فقيهاً متبحراً، يدري الفقه ويقرره، والتفسير ويحرره. غواصاً على المسائل. خبيراً بكيفية الاستدلال والدلائل. ذا طبع منقاد، وبديهة مطواعه، كما قيل:

إذا أخذ القرطاس خلت يمينه تفتح نوراً أو تنظم جوهراً، مصون اللسان عن

---

(١) انظر: د. يوسف زيدان، حلقة تلفزيونيّة بعنوان: «الأولياء»، ذات الرقم (٢٩) عن الشيخ عبد الغنيّ النابلسي.

اللغو والشتم. لا يخوض فيما لا يعنيه، ولا يحقد على أحد، يحب الصالحين والفقراء وطلبة العلم. ويكرمهم، ويجلّهم، ويبذل جاهه بالشفاعات الحسنة لولاة الأمور؛ فتقبل، ولا تُرَدّ. معرضاً عن النظر إلى الشهوات، لا لذّة له إلا في نشر العلم وكتابته. رحيب الصدر ،كثير السخاء.

وله كرامات لا تُحصى، وكان لا يحب أن تظهر عليه ولا أن تحكي عنه. هذا مع اقبال الناس عليه، ومحبتهم له، واعتقادهم فيه، وتشافههم بعض كراماته حتّى هذه الساعة. ورأى في أواخر عمره من العزّ والجاه ورفعة القدر ما لا يوصف، ومتعه الله بقوته وعقله؛ فكان يصلي النافلة من قيام، ويصلّي التراويح في داره إماماً بالناس إلى أن مات. ويقرأ الخط الدقيق. ويكتب في تصانيفه كشرح البيضاوي وغيره بعد أن جاوز التسعين.

وأمّا إحصاء فضائله فلا تطاق بترجمة؛ فهو الأستاذ الأعظم، والملاذ الأعصم، والعارف الكامل، والعالم الكبير، العامل القطب الربّاني والغوث الصمداني، مَن أظهره الله فأشرقت به شموس الإرشاد والعلوم، وأظهر خفيّات ما رقّ عن الأفهام، وصيّر المجهول معلوم. يقول المرادي في سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر: «وقد حاز تاريخي هذا كمال الفخر حيث احتوى على مثل هذا الإمام الذي أنجبه الدهر، وجاد به العصر، وهو أعظم من ترجمته: علماً، وولاية، وزهداً، وشهرة، ودراية».

مرضه وموته:

مَرِضَ رضي الله عنه في السادس عشر من شعبان سنة ثلاث وأربعين ومئة وألف وانتقل بالوفاة عصر يوم الأحد الرابع والعشرين من الشهر المذكور. وجهّز يوم الإثنين الخامس والعشرين من الشهر، وصُلّي عليه في داره، ودفن بالقبة التي أنشأها في أواخر سنة ست وعشرين ومئة وألف. وغلّقت البلد يوم موته. وانتشرت الناس في جبل الصالحية لكون البيت امتلأ وغصّ بالخلق. وبنى حفيده

الشيخ مصطفى النابلسيّ إلى جانب ضريحه جامعاً حسناً بخطبة، والآن يتبرك به ويزار. لا سيّما في صبيحة يوم السبت رضي الله عنه. وقد صنف ابن سبطه صاحبنا العالم كمال الدين محمد الغزي العامري في ترجمته كتاباً مستقلاً سماه: «الوِرد القدسي والوارد الأنسي في ترجمة العارف عبد الغنيّ النابلسيّ» فمن أراد الزيادة على ما ذكرناه فعليه به فإنه جامع للعجب العجاب من ترجمته قدس الله سره(١).

الخواطر عند النابلسيّ:

قد ترد خواطر على النابلسيّ وهو يكتب في بعض المواضع مثل ٥٨/ب؛ فيتساءل عن بقاء القلب واللسان من غير فناء، كيف يكون العارف الكامل الفاني؟. وكيف لا يطعن ذلك في التوحيد؟. وكيف لا يشفع التوحيد عند المحبوب بإبقاء ذلك، وإبقاؤه ينقص التوحيد الكامل الحقيقيّ!. فسمع عند ذلك هاتفاً يقول: بقاء بالاعتبار. فعلمت أنّ الأمور الاعتباريّة لا تغيّر الحقائق عمّا هي عليه.

كذلك يفتح عليه شعراً وهو يكتب في ص٣٦١، يقول: وقد فتح علينا في أثناء هذه الكتابة بقولنا:

جاءني الساقي بكأس من طلا ... يتجلّى بين ندمان العيان
في رياض وزهور نفحت ... وطيور سجعت سجع القيان
فشربت الكاس والساقي وند ... ماني المزرين بالغيد الحسان
وشربت الدنّ والإبريق في ... سكرتي ثمّ مكاني والزمان
وسقاني بعده الساقي فها ... أنا صاحٍ بعد سكري في أمان
كلّنا في كلِّنا في كلِّنا ... أنا سكران وصاحٍ يا فلان

---

(١) معظم الترجمة من «سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر» بتصرّف كبير زيادة أو نقصان.

كذلك الأبيات التي وردت عليه في ص١٥٥٢، وغيرها.

التربية (السلوك) والمربّون والمناهج في شرح النابلسيّ:

يشبّه ابن الفارض المشايخ المربّين بألوية الجيش كما في قوله:

وَفَوْقَ لِوَاءِ الـجَيْشِ لَوْ رُقِمَ اسْمُهَا لَأَسْكَرَ مَنْ تَحْتَ اللِّوَا ذَلِكَ الرَّقْمُ

فيلتقط النابلسيّ هذا التشبيه ليبيّن تصنيفه للمشايخ، وطرقهم، ومناهجهم، ومريديهم، مستفيداً من قواعد ابن رزّوق في تصنيفه. ويرى أنّ لكلّ شيخ طريقة منشورة تجعل منه من المشايخ الكاملين المحقِّقين التي يمشي تحتها المريدون السالكون في حرب نفوسهم لقطع مسافاتها إلى معرفة ربّهم، **فلواء جيش القادريّة** الذي رفعه شيخنا العارف بالله تعالى عبد القادر الجيلانيّ قدّس الله سرّه للمريدين السالكين على طريقته هو **الذلّ والانكسار**، ولواء جيش المحيوية الذي رفعه شيخنا العارف بالله تعالى، الشيخ الأكبر محييّ الدين بن عربيّ، قدّس الله ، سرّه للمريدين السالكين على طريقته هو **العلم النافع**، والعمل الرافع. ولواء جيش الشاذليّة الذي رفعه العارف الكامل أبو الحسن الشاذليّ، قدّس الله، سرّه للمريدين السالكين، على طريقته هو: **ترك التدبير** حتّى صنّف في طريقه ذلك تلميذ تلميذه الشيخ تاج الدين بن عطاء الله السكندري، قدّس الله سرّه، كتابه الذي سمّاه: «التنوير في إسقاط التدبير». وهكذا كلّ شيخ له طريقة خاصّة هي لواؤه المنشور، وعلمه المشهور. وقد أشار إلى نحو ذلك الشيخ الإمام شهاب الدين أحمد التونسيّ المعروف برزّوق، قدّس الله سرّه. وهو شاذليّ الطريقة في كتابه قواعد الطريقة في الجمع بين الشريعة والحقيقة، قال: قاعدة تعدّدُ وجوه الحُسْن يقضي بتعدّد وجوه الاستحسان، وحصول الحُسْن لكلّ مستحسن، فمن ثمّة كان لكلّ فريق طريق، **فللعامّي تصوّف** حوته كتب المحاسبي ومن نحا نحوه. **وللفقيه تصوّف** رامه ابن الحاج في مدخله. **وللمحدّث تصوّف** حام حوله أبو بكر بن

العربيّ في سراجه. **وللعابد تصوّف** دار عليه الغزاليّ في منهاجه. **وللمتريِّض تصوّف** نبّه عليه القشيري في رسالته. **وللناسك تصوّف** حواه القوت والإحياء. **وللحكيم تصوّف أدخله الحاتمي**. وهو الشيخ الأكبر في كتبه. **وللمنطقيّ تصوّف** نحا إليه ابن سبعين في تآليفه. **وللطبائعي تصوّف** جاء به البوني في أسراره. **وللأصولي تصوّف** قام به الشاذليّ في تحقيقيه؛ فليعتبر كلّ بأصله من محلِّه. وبالله التوفيق. ثمّ قال قاعدة في اختلاف المسالك راحة للسالك، وإعانة له على ما أراد من بلوغ الأرب، والتوصّل للمراد؛ فلذلك اختلفت طرق القوم، ووجوه سلوكهم؛ فمن ناسك يؤثر الفضائل بكلّ حال، ومن عابد يتمسّك بصحيح الأعمال. ومن زاهد يفرّ من الخلائق. ومن عارف يتعلّق بالحقائق. ومن ورع تحقّق المقام بالاحتياط. ومن متمسِّك يتعلّق بالقوم في كلّ مناط، ومن مريد يقوم بمعاملة البساط. **والكلّ في دائرة الحقّ بإقامة الشريعة، والفرار من كلّ ذميمة وشنيعة.** ثمّ قال قاعدة: لا يلزم من اختلاف المسالك اختلاف المقصد؛ بل قد يكون متّحداً مع اختلاف مسالك كالعبادة، والزهادة، والمعرفة، مسالك لقرب الحقّ على سبيل الكرامة، وكلّها متداخلة؛ فلا بدّ للعارف من عبادة، وإلّا فلا عبرة بمعرفته إذا لم يعبد معروفه، ولا بدّ له من زهادة، وإلّا فلا حقيقة عنده إذا لم يعرض عمّا سواه، ولا بدّ للعابد منهما؛ إذْ لا عبادة إلّا بمعرفة، ولا فراغ للعبادة إلّا بزهد كذلك، إذْ لا زهد إلّا بمعرفة، ولا زهد إلّا بعبادة. والادّعاء بطالة. نعم، من غلب عليه العمل فعابد، أو الترك فزاهد، أو النظر لتصريف الحقّ فعارف. والكلّ صوفيّة، والله أعلم. ثمّ قال قاعدة: لا بدّ من معرفة عبادة وزهادة لكلّ عابد وعارف وزاهد؛ ولكن من غلب عليه طلب العمل كان عابداً، ومعرفته وزهده تبع لعبادته. ومن غلب عليه ترك الفضول كان زاهداً. وعبادته ومعرفته تبع لزهده. ومن غلب عليه النظر للحقّ بإسقاط الخلق كان عارفاً. وعبادته وزهده تبع لأصله. فالنسب تابعة للأصول، وإلّا

فالطرق متداخلة. ومن فهم غير ذلك فقد أخطأ. نعم يخفف الأمر، ويقوى بحسب البساط. والله أعلم. قاعدة ضبط النفس بأصل يرجع إليه في العلم، والعمل لازم لمنع التشعّب والتشغّب، فلزم الاقتداء بشيخ قد تحقّق اتّباعه للسنّة، وتمكّنه من المعرفة ليرجع إليه فيما يرد أو يراد، مع التقاط الفوائد الراجعة لأصله من خارج، إذ الحكمة ضالّة المؤمن، وهو كالنحلة ترعى كلّ طيّب ثمّ لا تنبت غير جَبْحَها، و(الجَبْحُ): بالجيم والباء الموحّدة والحاء المهملة، ويثلّث: خليّة العسل. وجمعه أَجْبُح وأَجْبَاح، كذا في القاموس. وإلّا لم يُنتفع بعسلها، وقد تشاجر فقراء الأندلس من المتأخّرين في الاكتفاء بالكتب من المشايخ، ثمّ كتبوا للبلاد فكلّ أجاب بحسب فتحه. وجملة الأجوبة دائرة على ثلاث، ولها النظر للمشايخ، فشيخ التعليم تكفي عنه الكتب للَبيب حاذق، يعرف موارد العلوم. وشيخ التربية تكفي عن الصحبة لديِّنٍ عاقل ناصح. وشيخ الترقية يكفي عنه اللقاء والتبرّك. وأخذ كلٍّ من وجه واحد. ثمّ الثاني النظر لحال الطالب؛ فالبليد لا بدّ له من شيخ يربِّيه. واللبيب تكفيه الكتب في الترقية لكنّه لا يسْلَم من رعونة نفسه وإنْ وصل لابتلاء العبد برؤية سببه. الثالث النظر للمجاهدات؛ فالتقوى لا تحتاج إلى شيخ لبيانها وعمومها. والاستقامة تحتاج إلى شيخ في تمييز الأصلح منها، وقد يكتفي دونه اللبيب بالكتب ومجاهدة الكشف. والترقية لا بدّ فيها من شيخ يُرجع إليه في فتوحها كرجوعه عليه الصلاة والسلام للعرض على ورقة لعلمه بأخبار النبوّة، ومبادئ ظهورها حين فاجأه الحقّ، وهذه الطريقة قريبة من الأولى، والسنّة معها، والله أعلم. قاعدة تشعب الأصل قاض بالتشعب في الفرع، وكلّ طريق للقوم لم يرجعوا بها لأصل واحد؛ بل لأصول غير الشاذليّة؛ فإنّهم بنوها، على أصل واحد، وهو إسقاط التدبير مع الحقّ تعالى فيما دبّره من القهريات والأمريات، ففروعهم راجعة إلى اتّباع الكتاب والسنّة، وشهود المنّة، والتسليم للحكم بملاحظة الحكمة، وهذه نكتة مذاهب القوم وحولها يحومون،

لكنّهم لم يصرِّحوا بوجوهها كهذه الطائفة. قاعدة مطالبة الشخص على قدر حاله، ومخاطبته بما يقتضيه وجود أصله، فلا يطالب عامّي بزائد على التقوى، وفقيه بزائد على الاستقامة، ويطالب المريد بالصدق بعد تحصيل الأولَيِن. والعارف بالورع؛ فعامّي لا تقوى له: فاجر. وفقيه لا استقامة له: مقصِّر. ومريد لا صدق له: متلاعب. وعارف لا ورع له: ناقص. وأصل التصوّف دائر على الأحسن، هذا إنْ تحررت طريقته فواجبه في الأحكام الورع، ولازمه في السنن التحفّظ. وحاله في الآداب دائر مع قلبه؛ ولذلك اختلفت أحواله فيه. فَلْيَعتَبِرْ كلٌّ في محلِّه، ولا يطالب بشيء في غير وجهه. إلى هنا كلام سيدي أحمد رزّوق الشاذليّ قدّ س الله سرّه؛ فإشارة الناظم هنا قدّس الله سرّه بلواء الجيش إلى طريقة من الطرق المذكورة. وفوقيّة اللواء كناية عن ابتداء أمر المريد في أوّل سلوكه في ذلك الطريق المخصوص، وأهم ما يكون فيه، وأعلى، وأتمّ، وأكمل، وألزم، وأوجب ما يتعيّن عليه تقديمه[1].

رأيه في الشعر:

وأما الشعر عند النابلسيّ فهو «الكلام الموزون المرتبط بالكتاب والسنّة، يقول النابلسيّ معرّفاً بالشعر ودوره» وأصله من نَظَمَ الخَرَز، قال في المصباح: «نَظَمْتُ الخَرَزَ نَظْماً، من باب ضرب: جعلتُه في سِلْك وهو النظام بالكسر. ونَظَمْت الشعر نَظْماً». والمعنى: نثر الكلام ونظمه قصائد وأشعار إلهيّة، ولا يسمّى ذلك شعراً، لأنّ الشعر حديث النفس فيما تشعر به من المعاني، قال تعالى في شأن نبيِّنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ [٣٦/يس/٦٩] والذكر والقرآن حقّ، والشعر باطل. ومن هنا إيراد المعاني الإلهيّة

---

(١) انظر ص١٤٩٦ وما بعدها.

التي يُفتح بها على قلوب الأولياء العارفين بربّهم فينظمونها أو ينثرونها، كما قال الجنيد، قدس الله سرّه: «عِلْمُنا هذا مقيَّد بالكتاب والسنّة». وقال الشيخ الأكبر، قدّس الله سرّه: «لا نقبل شيئاً من عِلْمنا هذا إلّا بشاهدي عدل من الكتاب والسنّة؛ فلهذا لم يكن كلامهم شعراً». قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه:

كلامنا ليس بشعر ولا ... من شاعر بل وارث مصطفى

أنطقه الله به مثل ما ... أنطق أهل الدين والاصطفا

في عقيدة النابلسيّ:

يعرض النابلسيّ لمعنى فناء الإنسان في الوجود الحق، مبيّنا عقيدته فيه، بشكل يذكرنا بالشعراني في قلائد الجواهر عندما يذكر عقيدة ابن عربيّ، يقول الشيخ النابلسيّ: «فالفناء في الحقّ تعالى يقتضي ظهور بقائه، وانكشاف دوامه، وثبوته لعبده الفاني فيه دواماً وثبوتاً محقّقاً، ولا يلزم من الفناء الحاصل للعبد السالك أن يكون عدماً صرفاً؛ وإنّما يكون معدوماً مقداراً بتقدير الله تعالى في الأزل، معلوماً بعلمه القديم مخصوصاً بتخصيص إرادته تعالى، ومشيئته القديمة. ولم يذهب عنه إلّا دعوى الوجود مع الحقّ تعالى؛ فإنّ الوجود الظاهر عليه وعلى جميع المخلوقات؛ إنّما هو الوجود الواحد الحقّ القديم الذي هو غير مركّب، ولا متبعّض، ولا متجزّئ، وليس بجسم، ولا عرض، ولا معنى، ولا مقدار له، ولا له كيف، ولا كم متّصل، ولا منفصل. لا يشبه شيئاً، ولا يشبهه شيء، ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير. ولا وجود غيره، ولا خير إلّا خيره. لا حلّ في شيء، ولا اتّحد بشيء. ولا شريك له، تنزّه عن الصاحبة والولد. ولم يكن له كفواً أحد»[1].

(١) انظر ص١٧٠٠.

السلوك (الطريق) عند النابلسيّ:

وأما السلوك إلى المحبوب عنده فهو الطريق الموصل يقول: «طريقكِ الموصل إليكِ، وهو الشريعة المحمَّديّة؛ ظاهراً بأحكام العبادات والمعاملات، وباطناً بالأخلاق المحمودة: كالزهد، والتقوى، والورع، والتوكّل، والصبر، والشكر، وترك الأخلاق المذمومة كحُبِّ الدنيا، وفعل المعاصي وحبِّها، والانهماك في الشهوات ولو مباحة، وتتبُع الرُّخص، والحرص، وطول الأمل، والجزع، والغفلة عن نعم الله تعالى. وهذا هو الطريق الموصل إلى معرفة الحقّ سبحانه، ويتبع ذلك الصدق والإخلاص»[1].

لغة النابلسيّ:

استطاع الشيخ النابلسيّ في كتابه هذا أنّ يكون متميّزاً عن أهل عصره في أدائه اللغويّ؛ فقد عبّر عن معانيه المختارة في شرحه تعبيراً سهلاً دقيقاً، يتناوبه على غير تساوٍ أو ترتيب الخلو من مظاهر الزينة والصنعة اللفظيّة التي كانت تشغل بال كتّاب عصره وما بعده وحتّى نهاية القرن التاسع عشر في تعبيرهم عن حاجات أنفسهم، وعن حقائق عصرهم وجلّ موضوعاتهم.

وإذا تنوّعت الأفكار التي يعالجها المؤلّف تبعاً للمواضيع الواردة في أبيات ابن الفارض موضوع الشرح فلا بدّ من تنوّع وسائل الأداء اللغوي؛ فتارة يكون التعبير جافّاً لا مجال للصورة الفنيّة أو للزينة اللفظيّة، وتارة تكاد تخرج من إطارها الزمني لتحمل الكثير من خصائص الأسلوب العلميّ ببساطته ووضوحه وحمله للفكرة العلميّة والمادّة العلميّة، وكأنّه قد انعتق من عقال عصره وأسر أساليبه، محطِّماً قيود الجمود، مصدِّعاً الجدار السميك الفاصل للكتّاب في عصره عن الحياة،

---

(١) انظر ص٥٣٩.

ليكتب في عصرنا اليوم، وفي مجلّات عصرنا التخصصيّة؛ كمجلّة الفيزياء، أو الفلسفة والدين، أو الفن والمجتمع. وتارة نرى في شرح النابلسيّ ملامح العصر الذي يعيش فيه، ووسائل أداء أبنائه ولكن ليس لدرجة الإغراق؛ فهو لا يرتدي البزّة الرسميّة لكتّاب الدواوين الذين كانوا يكتبون بالإرث من الصنعة والتزيين اللفظي، فمن لا يكتب به عندهم لا يعدّ من الكتّاب؛ وربما لا يجد جعالته في الدواوين.

إنّ الناظر في قول النابلسيّ التالي لا يرى أيّ اختلاف في لغة النابلسيّ عن لغة أيٍّ منّا اليوم، أو عن لغة أيّ واعظ، أو أيّ شيخ من الناحية الدينيّة أو الاجتماعيّة: يقول النابلسيّ: «أما السلوك إلى المحبوب عنده فهو الطريق الموصل، طريقكِ الموصل إليكِ ـ وهو الشريعة المحمَّديّة ـ ظاهراً بأحكام العبادات والمعاملات، وباطناً بالأخلاق المحمودة: كالزهد، والتقوى، والورع، والتوكّل، والصبر، والشكر، وترك الأخلاق المذمومة كحُبِّ الدنيا، وفعل المعاصي وحبِّها، والانهماك في الشهوات ولو مباحة، وتتبُّع الرُّخص، والحرص، وطول الأمل، والجزع، والغفلة عن نعم الله تعالى. وهذا هو الطريق الموصل إلى معرفة الحقّ سبحانه، ويتبع ذلك الصدق والإخلاص»[1].

وأمّا تفسير النابلسيّ للسماع عند المتصوِّف، وعند الإنسان عموماً فالثوب اللغوي يشفّ كاشفاً الوظيفة النفسية التي تحملها اللغة، مقترنة بالوظيفة الاجتماعية لتبيّن تفاوت في التجاوب للدوافع الروحانيّة في نزوعها نحو الجمال المطلق، ببساطة ووضوح ودقّة؛ ولكن مع الجودة اللغويّة، والألفاظ المنتقاة بعناية، والتوازن في العبارات، وذلك في تفسير قول ابن الفارض قضيتي في البيت:

شَهِيْدٌ بَحَالِي في السَّمَاعِ لِجَاذِبِي　　فَضَاءُ مَقَرِّي أَوْ مَمَرُّ قَضِيَّتِي

---

(١) انظر ص٥٣٩.

...والمعنى: ما تمرّ عليه قضيَّتي، أيّ: تعرض، ويتكرر عروضها لديه، وهو حضرات الأسماء الجلاليّة، فإنّ منشأ النفوس بأجمعها من عالم الجلال الرحماني؛ ولهذا تجذبها الأسماء الجلاليّة إليها عند سماع المحرّك المطرب والمبيّن المعرب، فإنّ نغمات الألحان تذكِّر الأرواح عهد الجمال المطلق المنتشية منه، فتضرب الجسد بقواها لتخرج منه، فتردّها العوارض النفسانيّة لانبعاثها عن الأسماء الجلاليّة وانتشائها منها؛ ولهذا يرقص الجسم عند السماع ويتواجد، ويضطرب بحسب حاله؛ فالقاصر الحال تكثر حركاته ارتفاعاً وانخفاضاً، وكلّما كمل حاله قلَّت حركاته في السماع لقرّة عينه بكمال حضوره حتّى ترجع حركاته روحانيّة أمريّة، كما قيل للجنيد قدّس سرّه: ما لنا نراك لا تضطرب في السماع ؟!. فقال: ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [٢٧/ النمل/ ٨٨]. فمعنى البيت الذي يشهد بصدق حالي في وقت حضور السماع، وكوني أضطرب فيه باطناً وظاهراً هو سعة مَقرِّي الروحانيّ لإطلاق عالم الأرواح، أو موضع مرور نفسي من سعة العلم الإلهيّ لقوّة جاذبي الروحانيّ للجمال المطلق[١].

اللغة والتربية:

لقد امتلك النابلسيّ ناصية اللغة، وطوّعها لما يريد أن يحمّلها من وظائف: فلسفية صوفيّة، أو نفسيّة، أو اجتماعية، واستجابت اللغة طائعة، مستسلمة، متفاعلة مع موضوعه المعالج، فقفزت فوق القرون الثلاثة لتعيش بيننا اليوم دون أن نعلم، وكأنّ قائلها يعيش اليوم معنا، وأتعجّب إذ يربط الباحثون نضج النثر الفني بنهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، بينما يرجعون بداية تطوّر النثر الفني إلى الجبرتي الذي ولد بعد وفاة النابلسيّ بأربع وعشرين سنة، في

(١) انظر : ص٩٠٦.

تاريخه «عجائب الآثار في التراجم والأخبار». والأنكى من ذلك أن يحصر بعض الباحثين تطور النثر العربيّ في بلد واحد كما استنتج د. شوقي ضيف في خاتمة تاريخ الأدب، وينعت العصر المملوكي والعثماني بالتقليد والجمود وفيه فشا التأليف المعجمي والموسوعي ودوائر المعارف، هذا النوع من التأليف الذي يكون النثر فيه طليقاً حراً مرسلاً لا قيود فيه كشرح النابلسيّ الذي نحن بصدده. وربما يصح القول إنّ المادّة العلميّة الموسوعيّة فرضت طريقة أدائه خالياً من أسر التقييد بالمحسّنات والزخارف والقيود؛ ولكن القدرة لديه، والعبقريّة عنده تتجلّى في القدرة على القفز فوق العصر وأدوات تعبيره بأعلى أداء لغويّ حرّ مرسل أستطيع أن أنعته: فنيّ.

وإذا كانت التربيّة هي الهدف الأسمى لخلق جيل قادر على حمل الرسالة الإنسانية الحضاريّة فالنابلسيّ من المربّين القلة الذين يعتنون فيمن يربّون، من نواحي التربية كلّها: متعلمها ومعلمها ومناهجها وطرائقها وفلسفتها. وكلّ ذلك لابدّ له من وعاء يحتويه، ولغة تؤدّي معانيه ووظائفه، وقد استطاع النابلسيّ تطويع لغته لأداء كلّ ذلك بتميّز واقتدار تجاوز عصره بكثير، يقول في تكوين القيم والاتّجاهات عند الإنسان منذ طفولته، ثمّ يوضح أثر التهذيب بأداء لغوي سليم معاصر، شفاف عن المعنى، مرسل إرسالاً لا صنعة فيه ولا تزيين، وإن عدم الركاكة فيه إلّا أنّه لا يعدم جودة الصوغ وجمال العبارة، وسلاستها وجمالها، واختيار الألفاظ، المناسبة للمعاني المطروقة، ممّا يؤهله ليكون من كتّاب عصرنا اليوم. يقول: «**(الأشْكَال)**: بفتح الهمزة، جمع شَكْل، بفتح الشين المعجمة وسكون الكاف وباللام»، قال في المصباح: «الشَكْل: المَثَل، يقال: هذا شَكْل هذا». والمراد هنا الصور الحسيّة والمعنويّة/[١٩٦/أ] وهي جميع العوالم الجسمانيّة والروحانيّة

والخياليّة والعقليّة والوهميّة؛ بل كلّ ما خلق الله تعالى، فإنّ ذلك كلّه صور مختلفة. قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ﴾ [٥٩/الحشر/ ٢٤]. فجميع الصور له تعالى تخليقاً وتصويراً، ولا صورة له تعالى من حيث هو بحكم قوله سبحانه: ﴿ وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ﴾ [٢٧/النمل/ ٩٢] وإنّما ضرّ الغافلين المحجوبين في ابتداء إدراكهم للأشياء حين كانوا أطفالاً صغاراً أفاقوا على الدنيا، وعلى أنفسهم وغيرهم، فأدركوا أنّ الصور والأشكال على خلاف ما هي عليه في أنفسها بلا تحقّق ذوقي، ولا كشف عرفانيّ. ثمّ لم يزالوا يكبرون إلى أنْ بلغوا وصاروا رجالاً، وإدراكهم الأوّل الذي أدركوه في أوّل ما فاقوا على الدنيا هو إدراكهم للعوالم كلّها، وقد تمكّنوا فيه بكثرة تكراره على نفوسهم، وتمرّنوا عليه. ومعلوم أنّ الطفل الصغير في أوّل شعوره بنفسه وبغيره لا يشعر إلّا بحسب استعداده وطبعه، فيرسخ في ذلك، ويتمرّن عليه. ثمّ إذا كبر وبلغ الحلم، وتعلّم العلوم المبنيَّة على مثل ذلك يكون بالنسبة إلى العارفين المحقّقين لا يعرف شيئاً من الأشياء التي خلقها الله تعالى أصلاً؛ لا لنفسه، ولا لغيره. فيبني على ذلك عقائده، وأعماله، وجميع أحواله الشرعيّة والعاديّة، وينطبع على ذلك حتى يلهمه الله تعالى الرياضة الشرعيّة بالتقوى، وفهم كلام الله تعالى، وكلام رسول الله صلّى الله عليه وسلم بالفهم المستند عنده إلى الله تعالى على وجه الإخلاص إن فعل الله تعالى به ذلك، وتفضّل عليه، وألهمه رشده؛ فعند ذلك تنفتح بصيرته بنور الهداية والتوفيق، ويدرك الأشياء على ما هي عليه بإذعان منه وتحقيق. فهنالك يعرف ربّه، وينال قربه. وإلّا فهو من: ﴿ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [١٨/ الكهف/ ١٠٤][1].

---

(١) انظر :ص ٨٩٦وما بعدها.

الوظيفة الاجتماعيّة تجعل اللغة شفّافة:

إن أداء النابلسيّ اللغوي أكثر شفافية ودقّة عندما يعبر عن عادات اجتماعيّة وظواهر فنيّة سائدة في المجتمع، ومن الأمر المحبّب الرائع أن يتكلّم عن خيال الظلّ المنتشر في المجتمع العربيّ آنذاك، ويفسّر تشكّل الظلال الناتجة عن جسم بين منبع ضوئي وستارة ينعكس عليها، بمفهوم ما نعرفه اليوم بـ (كركوز وعواظ) يقول: «وقوله (**فطيف**): الفاء للتفريع على ما قبله. والطَيْفُ: من طاف الخيال طَيفاً، من باب باع: أَلَـمَّ وأتى. والطَائِف ما أَطَافَ بالإنسان من الجِن والإنس والخيال، كذا في المصباح. وقوله (**خيال الظلِّ**): أيّ الخيال الذي هو الظلّ. وأصله ظلّ الشجرة الذي يكون بالغداة، وغير الشجرة أيضاً، والفَيء بالعَشِي، ذكره في المصباح عن ثعلب. والمُراد بطيف خيال الظلّ هما خيالات الصور التي يتخذها بعض الناس بوضع ستر من القماش الرقيق في داخله ضوء شمعة أو سراج، ثمّ تعرض تلك الصور بين الضوء والستر بإنسان يجلس خلف الستر يحرِّكها مما يسميه الناس خيال الإزار. وفيه يقول القائل:

رأيت خيال الستر أكبر عبرة ... لـمن هو في علم الـحقيقـة راقي

شخوص وأشباح تمر وتنقضي ... وتفـني جميعاً والمحرِّك باقي»[1]

كذلك من المدهش أن يفسر النابلسيّ الأحوال أو المقامات الصوفيّة المتعلّقة بحواس الإنسان فيدخل المصطلحات العلميّة، وتحسبه يعالج بلغة معاصرة علم الأحياء أو الفيزياء بألفاظه العلميّة الدقيقة يقول في شرح البيت:

وَلِلشَّـمِّ أَحْكَـامُ اطِّرَادِ القِيَاسِ فِي اتْـ ... ـتِحَـادِ صِفَاتِي أَوْ بِعَكْسِ القَضِيَّـةِ

(**وللشمّ**): أيّ للقوّة التي أدرك بها الروائح. وقوله (**أَحكام**): جمع حكم. وقوله

---

(١) انظر: ص ١١٨٩.

(**اطّراد القياس**) أيّ: جريانه كما تقدّم. وقوله (**في اتّحاد صفاتي**): أيّ كونها واحدة، وتعددها بسبب محالها وأماكنها التي تظهر فيها، فقوّة الشمّ هي قوّة السمع، وقوة البصر، وقوّة النطق، وقوّة البطش. قوله (**أو بعكس القضيّة**): بأن تظهر كلّ قوّة من هذه القوى بقوّة الشمّ فتعمل عملها طرداً وعكساً[١].

اللغة والتكفير:

يرى النابلسيّ منع تكفير الإنسان، والتماس الأعذار له إن احتُمل إيجاده، وذلك بلغتنا المعاصرة المنعتقة من أسر التقليد، والخالية من الخيال المحنّط يقول: وقوله (**العَذْلُ**): أيّ اللوم والتعنيف، كما هو عادة المتفقّهة في المذاهب، يفتّشون عند عيوب الناس وذنوبهم، ولا يلتفتون إلى عيوب نفوسهم وذنوبهم، لتحسين ظنونهم بأنفسهم، وتأويلهم كلّ ما يفعلونه من المخالفات، ولا يؤَوِّلون ما يرونه من ذنوب غيرهم. وقد قال الإمام النوويّ ـ من كبار فقهاء الشافعيّة ـ: «يجب على الإنسان أنْ يحمل أخاه على المحامل الحسنة إلى سبعين وجهاً؛ فإنْ عجز يقول: لعلّ له عذراً لا أعلمه». وقد وجدت كتاباً مستقلّاً سمّاه مصنّفه «تحفة الأكياس في تحسين الظنّ بالناس»[٢] وأمّا فيما يوهم الكفر فقد قال في «تنوير الأبصار».

ولا يُفتى بتكفير مسلم أمكن حمل كلامه على محمل حسن، أو كان في كفره خلاف، ولو رواية ضعيفة؛ فمَنْ شأنه وعادته اللوم والتعنيف، لا يغدو إليه الناظم، ولا يسرع إلى قبول قوله، والعمل بمقتضى ظنونه في بعض ما يذهب إليه، ويمكن أنْ يكون قوله (**لمن بيننا سعي**): يعني بالإفساد والفتنة، وهو الشيطان المقارن له، الذي شأنه دائماً الوسوسة، وإيقاع العداوة بين الإنسان وربّه، بتهوين

---

(١) انظر: ص١١٠٧.

(٢) وهو مخطوط للشيخ أحمد المصري الشهير بالفولي، من شيوخ الأزهر الشريف. وسيصدر بتحقيق خالد الزرعي إن شاء الله تعالى.

المعاصي عليه، والمخالفات ليقع فيها، فيغضب عليه ربّه. وكونه يسعى إليه ويعدو لعلمه بالحفظ له، والصيانة منه، من جهة الحقّ تعالى. كما نُقل عن أبي مدين، الغوث، قدّس الله سرّه، أنّه قيل له: كيف أنت مع الشيطان؟. فقال أرأيتم لو بال أحدكم في البحر فهل ينجس ببوله؟. قالوا: لا. فقال: هكذا حالي معه». وعدم غدوه، وعدم ميله إلى اللائمين والمعنِّفين له؛ لأنّهم يؤذون بجهلهم أحواله الصادقة؛ ولهذا قال بعد ذلك على طريقة اللف والنشر المرتّب[1].

تنقيبه في المعاجم واختياره منها:

يستخدم المادّة المعجميّة من القاموس أو من الصحاح أو المنجد أو مفردات القرآن، **أحياناً بتصرّف** بحسب ما يقتضيه المعنى، فيقول حينذاك بعد ذكر المادّة كذا في القاموس، مثل [١٣٦/ ب]، وغيرها كثير لم أحصه. أمّا عندما ينقل بدقّة يقول: قال في القاموس أو الصحاح....

وهو يختار المعنى المطلوب بمنتهى الدقّة مهما كانت المادة كبيرة ومتشعّبة، وقد يخالف هذه القاعدة؛ ولكنّه يتمتّع بذوق لغوي عالي يفاضل بين ما يصلح لما أورده من المعاني المعجميّة وما لا يصلح بذوق لغوي متميّز وإحساس عالي. والأمثلة على ذلك كثيرة جدّاً، على سبيل المثال لا الحصر [١٨٧/ ب] و[١٨٨/ أ]. وأمّا إذا لم يذكر القاموس أو المصباح، أو الصحاح أو المفردات فهو قد أخذ من مصدر آخر نشير إليه إن عثرنا عليه.

تعريبه لأبيات من التركيّة:

أتقن الشيخ النابلسيّ التركيّة والفارسيّة؛ فهو قد عرّب أبياتاً في مدح ابن عربيّ عرضت عليه باللغة التركيّة والفارسيّة في كتاب آخر، يقول: وقد عُرضت عليّ

---

(١) انظر: ص١٤٥٩ وما بعدها.

أبيات باللغة التركيّة في مدح الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه لبعض فضلاء الأروام، فقلت في تعريبها والأحقّ أن تكون عربيّة في مدح ابن العربيّ.

طيب محيي الدين مسك الورى ... فاح لكن كلّ أنف لا يشم

وعلوم خرجت من فمه ... كلّ فهم بهداها لا يلمّ

قوسه من ذا الذي يرمي به ... غرض التحقيق يا قوم هلمّوا[1]

ويلفت انتباهنا قوله والأحقّ أن تكون عربيّة من حيث روحه القوميّة المعتزّة بالعروبة لغة، وأفراداً عظاماً، وأمّة، وتاريخاً، ودولاً.

* * *

(١)انظر [٣٥٢/ أ- ب].

الشيخ إبراهيم الدكدكجي

هو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم، المعروف بالدكدكجي، الحنفيّ، التركمانيّ الأصل، الدمشقي. ولد بدمشق سنة ١١٠٤هـ. وأرّخ ميلاده الاستاذ الشيخ عبد الغنيّ النابلسيّ بقوله: «بإبراهيم الذي وفى». نشأ في كنف والده بطاعة وصيانة. وحضر دروس علماء عصره. قرأ المعاني والبيان والنحو على شيخ الاسلام الشمس محمد الغزي العامريّ؛ مفتي دمشق. وعلى الشيخ محمد أبي المواهب مفتي الحنابلة بين العشاءين بالجامع الأموي. وكذلك على المعمر الشمس محمد بن علي الكاملي في رمضان بعد صلاة الصبح في الجامع الأموي. وكذلك على الشيخ المحدث يونس الأزهريّ. ولازم الأستاذ الشيخ عبد الغنيّ النابلسيّ كوالده في غالب أوقاته. وحضر دروسه. واستجاز له والده من دمشق وغيرها جماً غفيراً من العلماء؛ كعبد الله البصريّ المكّي، وعثمان النحاس، وأبي المواهب الحنبلي، ومحمد الكامل، وسعدي بن عبد الرحمن بن حمزة، المحدّث، ومحمّد بن محمّد البديري الدمياطيّ، ابن الميتة، وعبد الكريم بن عبد الله العباسيّ الحنفيّ، المفتيّ، المدنيّ. وأبو الطاهر محمد بن إبراهيم الكورانيّ، ومهر، وغيرهم. وبرع، وصار له فضل ونباهة لا تنكر، مع طبع رقيق، ولطف. ولما توفّي والده صار يقرأ العشر مكانه في درس الاستاذ النابلسيّ. ومن شعره القصيدة التي لم يعرف له غيرها يمتدح بها الشيخ السيد طه الحلبي، ومطلعها قوله:

انـزع الكأس يا نديـــم وهاتــه ثم نـهنه كـــرى جفون سقاته

وكانت وفاته مطعوناً شهيداً في يوم الخميس تاسع عشر رجب سنة ١١٣٢هـ. ودفن في التربة الكبرى من مرج الدحداح بطرفها القبلي. والدكدكجي نسبة تركية؛

وهو صانع الدكديك؛ وهو باللغة التركية ما يوضع ساتراً على ظهر الحصان. والجيم باللغة التركية كياء النسبة في اللغة العربيّة[1].

ولإتمام الفائدة، ونظراً لصلة أبيه بالشيخ عبد الغنيّ النابلسيّ نرى من الضروري ترجمة الغزي مستفيدين من سلك الدرر بتصرّف.

هو محمد الدكدكجيّ ابن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم، التركمانيّ الأصل الدمشقيّ المولد، المعروف بالدكدكجيّ، الحنفيّ، الصوفيّ. كان فاضلاً، كاملاً، مهيباً، صالحاً، ديناً، صوفيّاً. أخلاقه شريفة. رزقه الله الصوت الحسن في الترتيل. ولد بدمشق، ونشأ بها. وقرأ القرآن العظيم وجوّده على الشيخ محمد الميدانيّ. وطلب العلم فلزم شيخ الإسلام الشيخ محمداً أبا المواهب الحنبليّ؛ فقرأ عليه الشاطبيّة وختمة كاملة جمعاً للسبعة من طريقها. وقرأ عليه «شرح ألفيّة المصطلح» لشيخ الاسلام زكريّا. وسمع عليه صحيح البخاريّ وبعض صحيح مسلم، وسمع عليه كثيراً من كتب الحديث والمصطلح والتجويد والقراءات. وحضر دروس المحقق الشيخ: إبراهيم الفتّال. وقرأ عليه شرح القطر لمصنّفه، وشرح الألفية لابن عقيل. ولازم دروس الأستاذ الشيخ عبد الغنيّ النابلسيّ وكتب كثيراً من مصنفاته بخطه الحسن. وسافر في خدمته في رحلته الكبرى وكان الأستاذ شديد المحبة له، ولابنه إبراهيم. وله من المؤلّفات رسالة سمّاها تهويل الأمر على شارب الخمر، وديوان شعر، منه ما قاله مداعباً رجلاً من أهل الخلاعة يلقب بالعفريت:

إنّ شخصاً شغل المجلس بالـ	ـلهو والمزح وأنواع الغنا
يُضحك العالم في أفعاله	يجلب البشر وينفي الحزنا
وكذا في كل وقت دأبه	ليس يُلفى مثله في عصرنا

---

(١) انظر «سلك الدرر» للمرادي ١/ ١٩.

فسألناه من الأنس ترى أنت أم جن تشكلت لنا
فبدا منه جواب مازحاً قال: عفريت من الجنِّ أنا

وأشعاره كثيرة دوّنها الكمال الغزي في ديوان. وكان للنّاس به محبة عظيمة، واعتقاد وافر. وألّف مؤلّفات نافعة منها: شرحه على دلائل الخيرات، وشرح على حزب البحر للشاذليّ، وشرح على طيبة النشر في القراءات العشر، وتراجم رجال سلسلة طريقة الشاذليّة، وشرح على الجزريّة، وديوان خطب، وجمع بخطه الحسن المضبوط عدة مجاميع علميّة وأدبيّة، وبيّض غالب مؤلفات شيخه الشيخ عبد الغنيّ النابلسيّ بخطّه. كانت ولادته بدمشق في شعبان سنة ١٠٨٠هـ، وتوفي ليلة الجمعة ثامن عشر ذي الحجّة سنة ١١٣١هـ. ووقع في ساعة موته مطر عظيم، واستمر المطر حتى غُسِّل وكُفِّن يوم الجمعة، وصُلّي عليه بالجامع الأموي بعد جمعتها، ودُفن بتربة الغرباء بمرج الدحداح. وتمثّل الشمس محمد الغزي العامري يوم وفاته بقول الشيخ نجم الدين بن إسرائيل:

بكت السماء عليه ساعة موته بمدامع كاللؤلؤ المنثور
وكأنها فرحت بمصعد روحه لما سمت وتعلّقت بالنور
أوَليس دمع الغيث يهمي بارداً وكذا تكون مدامع المسرور[1]

* *

(١) انظر «سلك الدرر» للمرادي ٤/ ٢٥.

عملنا في العناية بالمخطوط

- يعدّ كتاب كشف السرّ الغامض شرح ديوان ابن الفارض للشيخ عبد الغنيّ (ت١١٤٣هـ) من المخطوطات الكبيرة نسبيّاً؛ فهو خمس مئة وثمانية أوراق، معدّل الأسطر في الصفحة الواحدة أربعين سطراً، قد تزيد قليلاً وقد تقلّ أحياناً بحسب نسبة ورود أبيات الشعر فيها. خطّها نسخ معتاد جميل واضح.

- وقد اعتمدنا في عملنا في هذا الكتاب على صورة مخطوط من مكتبة الأسد الوطنيّة برقم عام ٨٢٨٥. وهي من وقف نقيب السادة الأشراف آل حمزة هديّة في ملكية المكتبة الظاهريّة، ثمّ آلت لملكيّة مكتبة الأسد الوطنيّة.

- كذلك تمّ مقابلة هذه النسخة بمطبوع للشيخ عبد الغنيّ النابلسيّ القسم الأوّل، تحقيق محمّد أبي الفضل إبراهيم إصدار البابيّ الحلبيّ ١٩٧٢م. وهو دون نظم السلوك التي قال في مقدّمته إنّها ستصدر في كتاب بقسم خاص، ولم تصدر فيما علمت.

كما اعتمدنا شرح المناقب لجامعه الفاضل رشيد بن غالب من شرحَيّ حسن البوريني، والعلّامة الشيخ عبد الغنيّ النابلسيّ الطبعة الأولى للمطبعة الشرفيّة. أيضاً دون قصيدة نظم السلوك.

- كذلك تمت متابعة الأشعار بمقارنة مع نسخة الديوان طباعة دار صادر، وهي تكاد تتطابق مع نسخة النابلسيّ إلّا في بعض الألفاظ المختلفة، وذلك نادراً، مع تقديم بعض القصائد وتأخير بعضها الآخر. وكذلك تمّت متابعة الأشعار على طبعة الديوان مع معاني الأبيات وإعرابها، منشورات الشريف الرضي، بقلم أمين الخوري، ط٤، بيروت، ١٩٠٤.

- وقد تمّ مقابلة الأشعار أيضاً مع ديوان ابن الفارض، تحقيق جوزيبي سكاتولين، طباعة المعهد العلميّ الفرنسيّ للآثار الشرقيّة بالقاهرة. وقد اعتمد

اسكاتولين مخطوطة يوسف آغا بمكتبة قونية، تاريخها (٦٤٠-٧٧٣)هـ. وقد رآها الأصحّ قراءة للنصوص، والأشدّ تماسكاً في رواية نصّ الديوان. ثمّ سجّل في هوامشه فروقاً لها مع سبع مخطوطات في مكتبات دبلن والسليمانيّة وبرلين وليدن واستانبول، وسجّل تاريخ كلّ مخطوط. كذلك قابل عمله على ثلاثة عشر مطبوعاً، وذكر تاريخها وأماكن طباعتها، وذكر الفروق كذلك في الروايات.

ولا شكّ أن جهده كبير، وعمله شاقّ، ومشكور عليه، ولكن لا بدّ لنا من القول: إنّ قدم مخطوطته لا يعفيها من تبعيّتها للمخطوط الذي اعتمدناه، ذلك أنّ اسكاتولين لم يعتمد نسخة كُتبت في حياة الشيخ النابلسيّ كهذه المخطوطة التي اعتمدناها، فقد صرّح ناسخها إبراهيم الدكدكجيّ في ستّين موضعاً أنّه قابلها على نسخة المؤلّف، مقابلة من نسخته أو سماعاً من فمه. والنابلسيّ الأقرب عهداً من مؤلّف ديوان ابن الفارض قد اعتمد طر قاً أربعة معنعنة لكبار المحدّثين والعلماء والشرّاح والمحقّقين الذين سمعوا الديوان شفاهاً وكتابة من ثلاث طرق:

١ - من ابن الفارض مباشرة. ٢- من ابنه محمّد. ٣- من سبطه عليّ.

لذلك لا يمكننا أن نثق بمخطوطات اسكاتولين الأربعة التي رآها تسحب الثقة من عليّ سبط ابن الفارض كوثوقنا بروايات النابلسيّ للديوان وذلك لأنّ الإسناد المعنعن المشافه والمكتوب عن ابن الفارض وعن ابنه وعن سبطه أثبت في القيمة العلميّة من غيره. أمّا روايات الديوان التي اعتمدها النابلسيّ فهي كما قال[1]:

«وقد صحّت لنا ـ ولله الحمد ـ رواية هذا الديوان المبارك، وجميع ما ثبت للشيخ عمر بن الفارض من القصائد، والمؤلفات، والمرويات:

١- وهو أننا نروي ذلك بعموم الإجازة عن شيخنا الإمام العلّامة، العمدة الفهّامة، والدنا المرحوم الشيخ إسماعيل بن عبد الغنيّ بن إسماعيل الشهير

---

(١) انظر ص ١٤١و١٤٢.

بالنابلسيّ عن الإمام العلّامة أبي العباس أحمد بن محمد المقّري، التلمسانيّ، المالكيّ، وعن عمه قدوة الأئمة ، وسند الأمّة أبي عثمان سعيد بن أحمد المقّريّ، مفتي تلمسان ستّين سنة، عن أبي زيد عبد الرحمن بن عليّ بن أحمد العاصمي المعروف بسُقَين.

٢- ونرويه عالياً عن شيخنا، شيخ الإسلام، مسند دمشق الشام، نجم الدين محمد الغزي العامريّ عن شيخ الإسلام والده بدر الدين محمّد الغزي العامريّ وهو وسُقَين عن شيخ الإسلام القاضي زكريا الأنصاريّ، عن شيخ الإسلام الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلانيّ الكنانيّ، عن الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد الغزيّ، وأبي علي محمد بن أحمد بن محمد الفاضليّ، كلاهما عن أبي النون يونس بن إبراهيم الدبوسيّ عن الحافظ زكيّ الدين عبد العظيم بن عبد القويّ المنذريّ، عن ناظمه سلطان العشاق، شرف الدين أبي حفص عمر المعروف بابن الفارض.

٣- ونرويه أيضاً عن شيخنا علّامة الدنيا أبي الضياء نور الدين علي الشبراملسيّ الأزهريّ فيما كتبه لي من مصر المحروسة، عن العلّامة نور الدين عليّ الأجهوري، عن العلّامة نور الدين عليّ القرافي عن الحافظ جلال الدين السيوطيّ.

٤- ونرويه عن شيخنا النجم الغزي، عن والده البدر الغزيّ، عن الحافظ السيوطيّ رحمه الله تعالى، قال في شرح يائية ابن الفارض [٥/ أ] ما نصه: أخبرني بهذه القصيدة وسائر الديوان محمد بن عقيل، إجازة مكاتبة من حلب، عن أبي طلحة محمّد بن عليّ بن يوسف الحرّاويّ عن الحافظ شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدمياطيّ، عن الحافظ زكيّ الدين عبد العظيم بن عبد القويّ المنذريّ، عن الشيخ شرف الدين عمر بن الفارض، قدّس الله سره.

٥- وأخبرني به شيخنا شيخ الإسلام شرف الدين يحيى بن محمّد بن المناويّ الشافعيّ، إجازة عن قاضي القضاة وليّ الدين أبي زُرعة، عن بن الحافظ

أبي الفضل العراقيّ عن أبي الحرم القلانسيّ، عن أبي حامد محمّد بن الشيخ شرف الدين عمر ابن الفارض، إجازة عن والده صاحب الديوان، قدس الله سره.

- اعتمدت روايات الديوان كما ذكرها النابلسيّ في شرحه وترتيبها نفسه كما أورده، وأهملت التقديم والتأخير عند غيره. مع الملاحظة أن الشيخ عبد الغنيّ النابلسيّ اعتمد لضبط الديوان وترتيبه وكلماته التي تناولها بالشرح على الروايات الخمس التي ذكر سندها في نهاية الصفحة [٤/ ب] وبداية [٥/ أ]، وقد ذكرناها أعلاه وهي في الصفحة١٤١ و١٤٢ من هذا الكتاب.

- وقد ذكر الشيخ عبد الغنيّ النابلسيّ أنّه قابل مادّة شرحه على عدّة نسخ كما أشار في [١٢/ ب] سطر ٨ ، و[٢٦/ ب] سطر ١٥ ، وغيرها كثير.

- ناسخ المخطوط إبراهيم الدكدكجيّ قابل ما نسخه على الشيخ النابلسيّ وعلى نسخة الشيخ كما صرّح في ما يقارب ستّين موضعاً؛ إذ كان كلّ خمسة أوراق غالباً ما يكتب على حاشية المخطوط كلمة بلغ، وذلك بعد المئة ورقة الأولى. وقد كتب في مواضع أخرى بلغ مقابلة أو سماعاً على المؤلّف، أو على شيخنا المؤلّف قدّس الله سرّه، أو على نسخة المؤلّف. وقد أشرنا إلى ذلك في مكانه عند الوصول إليه. ممّا يدلّ على أنّ الناسخ كان يستمع إلى الشيخ النابلسيّ مشافهة، ويتابع سماعه على نسخته، وقارن مخطوطه بمخطوط المؤلف نظراً للعلاقة المتميّزة التي كانت تربط بينهما، ومن قبله أبوه العالم الشاعر المتصوّف محمّد الدكدكجيّ الذي يرتبط بعلاقة وثيقة مع الشيخ تلمذةً وصداقةً وعلماً ومرافقةَ رحلاتٍ. علماً أنّ الشيخ عبد الغنيّ النابلسيّ كان يدرّس كتبه ويشرف على نسخها لطلّابه[1].

- قمت بنسخ المخطوط على الحاسب، وتفصيله، وترقيمه، وتخريج آياته، وأحاديثه، ومقابلته مع الشروح الأخرى، ومع روايات الديوان الأخرى.

---

(١) انظر «الوجود الحقّ والخطاب الصدق» للدكتور بكري علاء الدين مقدمة التحقيق ص١.

- وضعت الآيات ضمن قوسين مزهرين ﴿ ﴾ وأسماء السور وأرقام الآيات بين حاصرتين صغيرتين [] والأحاديث ضمن حاصرتين «». وما لم يرد في النص وضعته في حاصرتين [ ].

- رقمت الورقة الواحدة للمخطوط الأصلي [أ] و[ب] مثلاً: [١/ أ و ١/ ب].

- وضعت الكلمة المشروحة من مقدّمة السبط أو من أبيات ابن الفارض بين قوسين ( ) لتمييزها عن كلمات الشارح النابلسيّ.

- قمت بضبط الأبيات ضبطاً كاملاً بالشكل.

- ضبطت من المعاجم كلّ ما استشهد به الشيخ النابلسيّ من الكلمات ضبطاً كاملاً. وأهملت ضبط الكلمة التي لم يقصدها بالشرح إلّا الضروري.

- خرّجت كثيراً من الأعلام والأمكنة، وأهملت ما تعسّر عليّ الحصول على مصادره دون أن أشير إلى ذلك. كما أهملت تخريج رجال الأسانيد التي ذكرها الشيخ لكثرتها؛ فالكتاب ليس في مسانيد الحديث.

- أهملت الإشارة إلى الفروق في النسخ إذ اعتمدت المخطوط الأصلي، دون الإشارة إلى ذلك، إلّا في نسخة قونية عند اسكاتولين فقد أثبتُّ في الحواشي فروقها مع نسخة النابلسيّ، ورمزت لها بـ (ق). ولا بدّ هنا من تسجيل ملاحظة، وهي: إنّ من يدرس رواية قونية ويقارنها برواية النابلسيّ يدرك بمنتهى السهولة مقدار انطباق رواية النابلسيّ على المعاني المقصودة، وبعد الأخرى قليلاً أو كثيراً عنه، خصوصاً بعد العودة للمعاجم.

- أمّا إذا اعتمدت الشروح الأخرى أشرت إلى ذلك، وهو نادر جدّاً. كذلك لم أسجل الفروق في بعض أحرف العطف كالفاء والواو. وذلك لكثرتها، ولضخامة المادّة، وكثرة مثل هذه المواضع.

- أحياناً يذكر المنقوص في حالتي الرفع والجر بياء نقوم بحذفها دون الإشارة إليها، لكثرة المواضع التي يحدث فيها ذلك. وكذلك وضع نقطتين للألف

المقصورة نقوم بحذفها دون الإشارة أيضاً، للتخفيف من الحواشي التي تثقل ظهر القارئ، وتزيد من حجم الكتاب كثيراً. وكذلك عدم وضع الهمزات في آخر الكلمة أو في أوّلها أو على الألف مع إهمال الإشارة إلى كلّ الأخطاء النحويّة أو الناتجة عن تطوّر الإملاء.

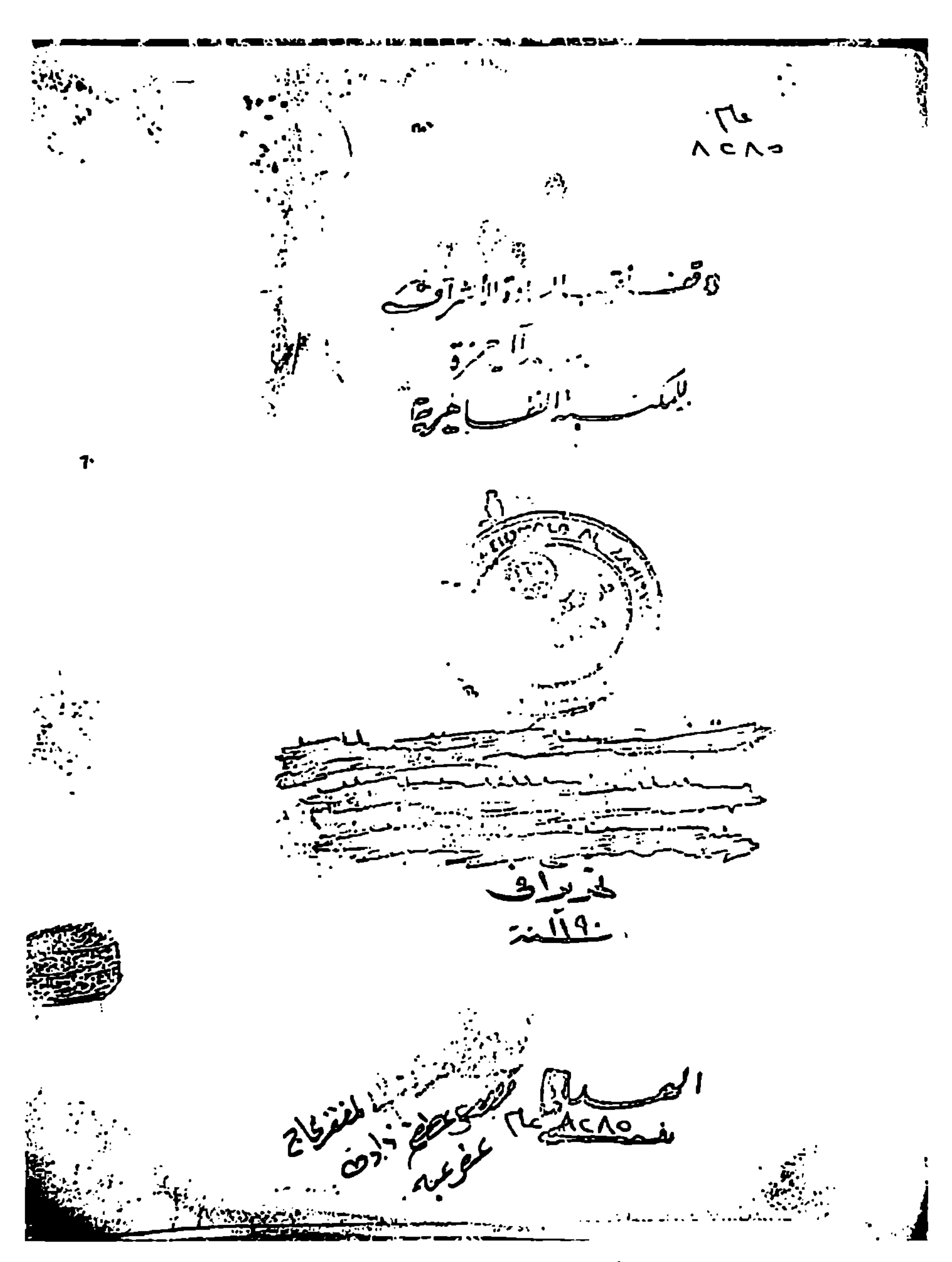
- أحيانا كنت أجد بياضاً في صورة المخطوط أو سواداً لا يتضح بعض الألفاظ فيه، فكنت آخذه من المطبوع، ثم من شرح ابن غالب الذي جمع شرح البوريني وشرح النابلسيّ. ولكنّ ذلك في مواضع قليلة نادرة جداً كما في ص[٢٢/ب] مثلاً. علماً أنّ المطبوع فيه نقص عن المخطوط في كثير من العبارات، فلم نشر إلى النقص. وشرح ابن غالب مختصر جدّاً.

- قمنا بالاستفادة من روايات نسخ ديوان ابن الفارض المخطوطة خصوصاً في مقدّمة السبط الإلكترونيّة لمكتبة الرياض ذوات الأرقام: ٧٤٠٢ و٢٥٧٧ و٤٩٧٤ و٦٨١٦.

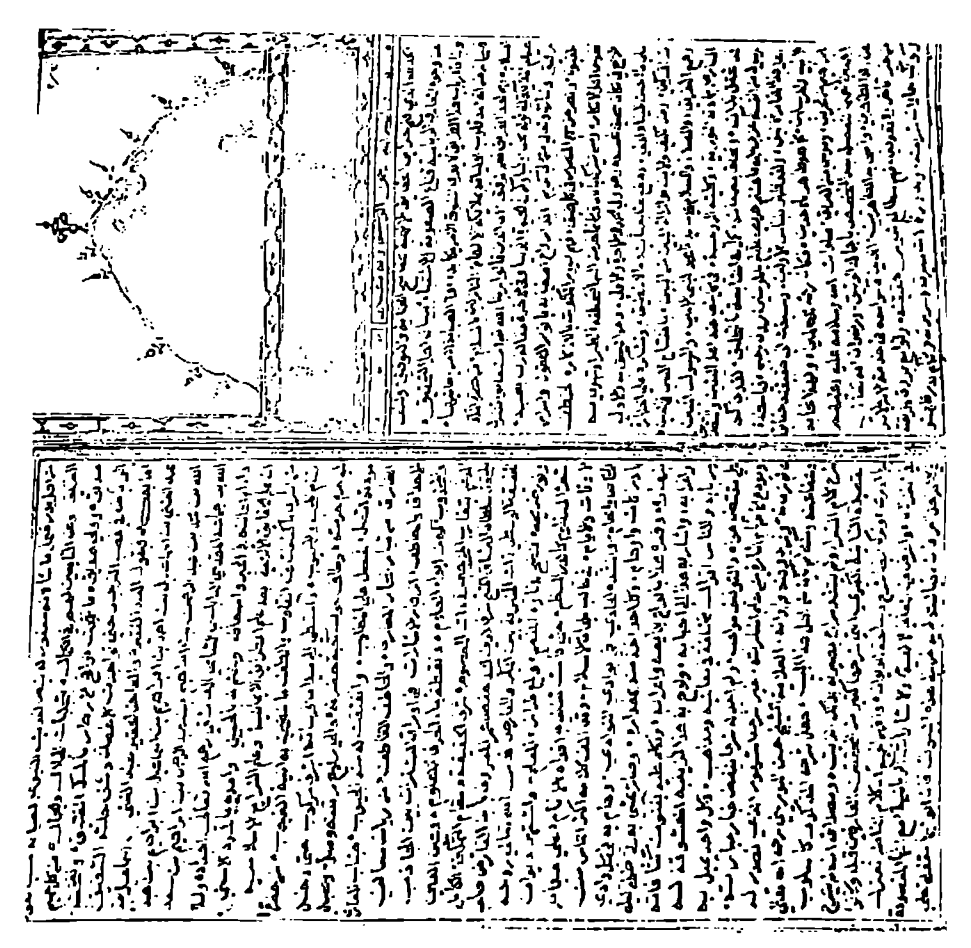
وأخيراً لابد من الإشارة إلى أنه في مكتبة الأسد الوطنية سبع نسخ أخرى بعضها مأخوذ عن هذه النسخة كما صرّح بذلك علي العجلوني بأنه فرغ من نسخته سنة ١١٣٠هـ عن هذه النسخة وهي ذات الرقم ٥٢٣٧، والمخطوطات ذات الأرقام: نسخة ١٦٨٥٦، نسخة ٤٩٠٧ - ٤٩٠٨، نسخة ٥٥٦٨ - ٥٥٦٩، نسخة ٨٦٦٧، نسخة ١٦٧٢٢، نسخة ١٧١٣٧.

- اعتمدت كثيراً على مصادر ومراجع الشاملة الإلكترونيّة في أغلب الأماكن.

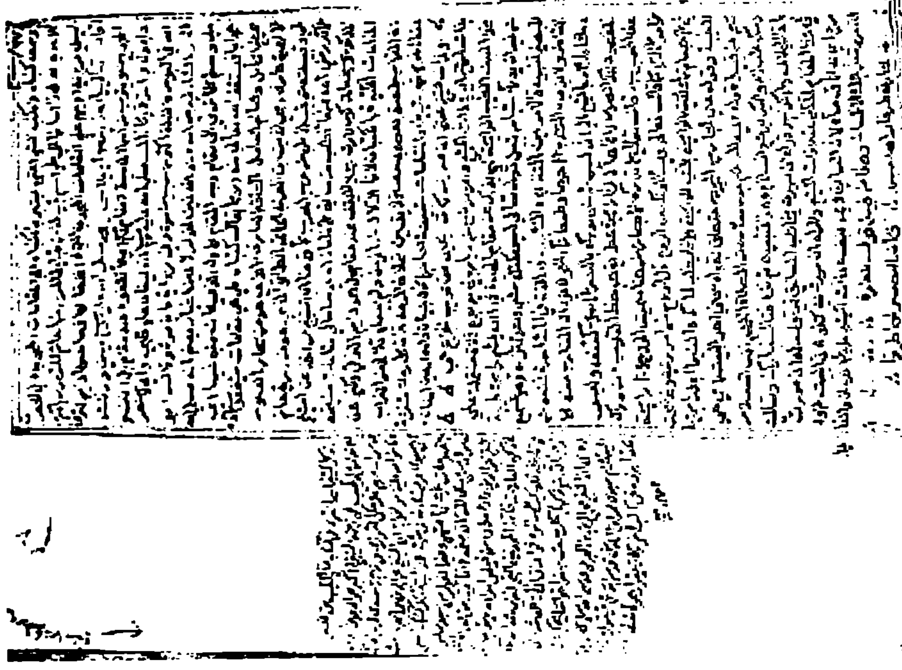
وبعد: فقد بذلنا جهداً في إخراج هذا الكتاب؛ فإن أصبنا فبتوفيق الله تعالى وعونه، وإن أخطأنا فمن تقصيرنا وفقرنا؛ فالعبد ضعيف مهما فعل؛ نسأل الله عفوه ورضاه ووِدّه ورضوانه.



صورة الورقة الأولى من مخطوط شرح ديوان ابن الفارض



صورة الورقة الثانية من مخطوط شرح ديوان ابن الفارض



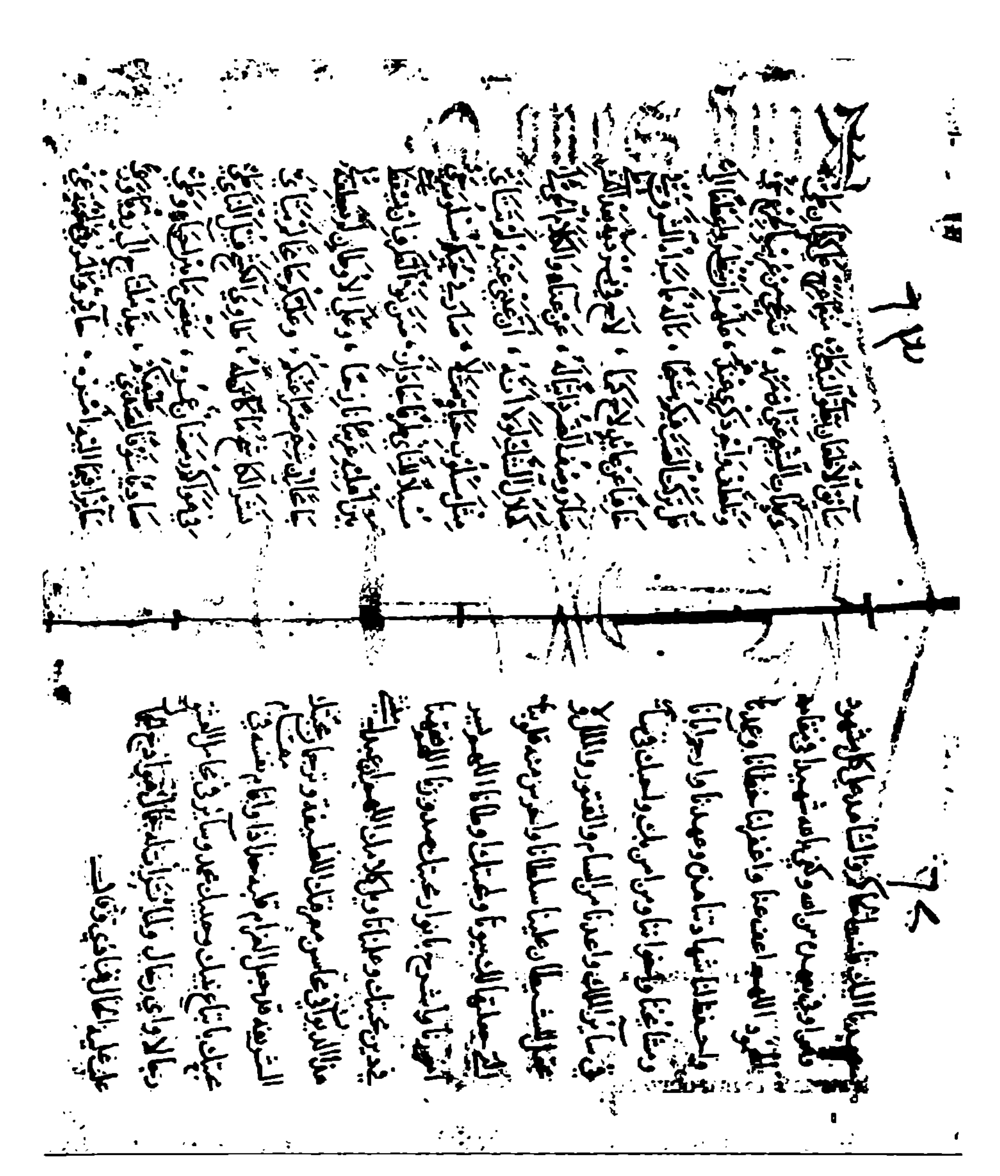
الورقة ٣٧ من صورة مخطوط شرح الديوان

يقال قدم الرجل البلد يقدم من باب تعب قدوما ومقدما بفتح الميم والدال كذا في
المصباح وقوله وما نافية وقوله قدمت بتشديد الدال المهملة يقال قدمت
الشيء خلاف اخرته وقوله لي اي لاجلي وقوله عملا منفعول قدمت اي
عملا صالحا يكون سببا لنجاتي ولنعيم حياتي وقوله الا غرامي اي حبي اللازم
وعشقي الملازم للجناب الالهي وقوله واشواقي جمع شوق وقوله واقدامي
بكسر الهمزة مصدر اقدم على الشيء اقداما اذا اقبل عليه منهمكا به يعني
ليس لي عمل صالح غير محبتي الالهية واشواقي الى لقاء الحضرة الربانية
واقدامي واقبالي عليه بكليته
[illegible]
[illegible]
دار السلام اي السلامة من جميع الآفات وهي الجنة وقوله اليها اي الى دار
السلام والجار والمجرور متعلق بوصلت قدم عليه للحصر اي لا الى غيرها
وهي النار وهذا اشارة الى ما وقع للشيخ عمر ابن الفارض قدس الله سره يقوله المذيل
على ابياته على لسانه وقوله قد وصلت اي تحققا حصل الوصول وقوله
اذا بالتنوين اي في ذلك الحين وقوله من سبل بسكون الباء الموحدة لغة في سبل
بضمها وهما جمع سبيل قال في المصباح السبيل الطريق وجمعه سبل وسبل
وقوله ابواب جمع باب وقوله ايماني اي بالله تعالى وبجميع ما يجب الايمان
به وقوله واسلامي اي تسليمي وانقيادي ظاهرا وباطنا لكل ذلك وقوله
يا ربنا اي يا مالكنا ومالك جميع امورنا وقوله ارني انظر اليك كما قال موسى
عليه السلام رب ارني انظر اليك ولكن قال ذلك موسى عليه السلام في
حياة الدنيا والشيخ قدس الله سره قيل على لسانه في حياة الآخرة كما اشير
اليه بقوله بها اي بدار السلام وهي جنة الآخرة قال تعالى وجوه يومئذ
ناضرة الى ربها ناظرة وقوله عند القدوم اي الاقبال عليك بعد الموت وقوله
وعاملني باكرام جملة دعائية ختم بها قصيدته الميمية تبركا بذكر الرؤية
الربانية عسى صاحب هذا التذييل يلتحق بمقام صاحب الاصل في
حالته المرضية ونسال الله تعالى ان يلحقنا باوليائه في مقامات قربه
ويتحفنا في دنيانا واخرتنا بالكمالات المحمدية ويجعلنا من حزبه وان ييسر لنا
كل عسير كما يسر علينا اتمام هذا الشرح المنير وقد اتفق الفراغ منه عشية
يوم الاثنين التاسع والعشرين من شهر ربيع الاول سنة ١٣٠٣ من الهجرة النبوية
على صاحبها افضل صلاة واكمل تحية [illegible] وقلت مؤرخا اتمام هذا الشرح بمعونة البركة
ولابن الفارض الديوان لما حكى عقدا نظيما جوهريا
عنيت بشرحه هذا الى ان تكامل ارخوه الفارضيا
والحمد لله اولا واخرا وظاهرا وباطنا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله واصحابه اجمعين

وقد وافق الفراغ من نسخ هذا الشرح المبارك على يد العبد الفقير علي الحلواني
مولدا الدمشقي موطنا الشافعي مذهبا غفر الله له ولوالديه ولمشايخه ولاخوانه
من المسلمين والمسلمات الاحياء منهم والاموات وذلك يوم الجمعة المبارك سلخ شهر ذي الحجة الحرام
من سنة ثلاث وثلاثمائة والف

صورة الورقة الاخيرة من المخطوط

صورة الورقة الأولى لمخطوط الديوان رقم ٧٤٠٢ مكتبة الرياض



الورقة ٦٢ من المخطوط رقم ٢٥٧٧

الورقة الأخيرة من الديوان رقم٤٩٧٤

كلّ المصادر التي اطّلعت عليها لا تشير إلى شيء من ترجمته، ولا حتّى اسم أبيه. ولم يُعرف في المصادر إلّا بعليّ سبط ابن الفارض، ولعلّ اسم أبيه يوسف كما ورد في بعض كتب المعاصرين.

وصفه الشيخ عبد الغنيّ النابلسيّ بالشيخ الكامل، وقال: «قدّس الله سرّه». أيّ: عامل النابلسيّ سبط ابن الفارض كما عامل جدّه ابن الفارض وغيره من الأولياء بالاحترام والتقدير والتقديس، كذلك وصفه بالعالم العامل.

وأقدم ما وصل إلى يديّ عنه ما ذكره العسقلاني صاحب الدرر؛ فقد ذكر لقاء يوسف بن الكيّال مع عالم الحديث ابن العجمي[1] فحدّثه عن لقائه بسبط ابن الفارض، وسمع منه قصيدة نظم السلوك ومقدّمة الديوان (الديباجة). وحكم سبط ابن العجمي على يوسف الكيّال بالصدق والتقشّف والعفّة والوقار، ولم يجزم بصدق أو تكذيب في خبره؛ لأنّه ليس من أهل الحديث، يقول في ترجمة يوسف بن الكيّال:

يوسف بن الكيّال الحلبيّ الصوفيّ:

«ذكر الشيخ برهان الدين سبط ابن العجمي أنه حدَّثه بالتائيّة لابن الفارض المسمّاة «نظم السلوك»، وأنه سمعها على سبط ابن الفارض بسماعه من جدّه، وأنّه سمع على

---

(١) إبراهيم بن محمد بن خليل الطَّرَابُلُسي ثم الحلبي، أبو الوفاء، برهان الدين: عالم بالحديث ورجاله، من كبار الشافعيّة. أصله من طرابلس الشام، ومولده ووفاته في حلب. وفي أيّامه هاجمها تيمورلنك. يقال له: البرهان الحلبي، وسبط ابن العجمي. وهو والد المؤرخ أحمد بن إبراهيم (ت٨٨٤هـ). رحل إلى دمشق وفلسطين ومصر والحجاز، وأخذ عن علمائها. انظر الأعلام للزركلي ١/ ٦٥.

السبط أيضا الترجمة التي جمعها لجدّه، وهي في أوّل ديوانه. قَال: وما أظنه متعمّداً للكذب؛ لأنّه مولى متقشّف، متعفّف، كثير السكون؛ ولكنّه ليس من أهل الحديث فيعرف استقامة شيء أم لا، وكان أكثر إقامته بقلعة المسلمين من معاملة حلب»[1].

ـ لهذا النصّ أهميته في إثبات صحّة نسبة الديباجة (المقدّمة) إلى السبط بما فيها كلّ الأخبار الواردة فيها، ودحض كلّ ما تُرمى به هذه المقدّمة من المعادين المغالين المتجرئين على أهل الله. فقد قرأت لمن ينكر هذه المقدمة ويزعم ـ مفترياً ـ أنّها كذب.

– وقد كان الشيخ عليّ سبط ابن الفارض راوية شعر جدّه، تلقّاه عن الشيخ محمّد بن عمر بن الفارض كتابة بأخذه منه نسخة الديوان، وسماعاً بصوته العذب. وأنّه أمانة حملها السبط بتكليف من خاله محمّد بن عمر بن الفارض، لا بل كلّفه بمتابعة القصيدة المفقودة التي عجز عن الوصول إليها طوال ستين سنة. وهذا إضافة للأمانة التي حمّلها له اعترافاً بقدرته على جمع شعر جّده وخدمته، فحمل الأمانة، ووصل إلى القصيدة المطلوبة، ورأى أنّ هذا مكاشفة من خاله ولد الشيخ. ولعلّ معظم ما جاء في مقدّمة الديوان من أحوال الشيخ كان كذلك نقلاً عن خاله محمّد؛ بينما لا يذكر شيئاً عن خاله عبد الرحمن.

ـ وهو ذو شهرة ومكانة جعلته مقصداً لكلّ أحباب ابن الفارض وابنه محمّد، وكلّ أهل السلوك. وعنه يُسمع ديوان ابن الفارض، ويؤخذ رواية في مجلس الأمير المحبّ لأولياء الله نجم الدين قاسم بن أميرداد ابن الأمير عزّ الدين إيبك الذي بسببه وجد القصيدة عند المنشد برهان الدين إبراهيم[2] فأرسل السبط عليّ

(١) «الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة»، لابن حجر العسقلاني، المحقق: مراقبة/ محمد عبد المعيد ضان، ذكر من اسمه محمود، ٦ / ٢٥٨.

(٢) في نسخة الديوان رقم ٢٥٧٧ يقول الناسخ: إنّ النسخة كانت عند المنشد جمال الدين عبد الله بن الشيخ مجد الدين إسماعيل الدمشقي صديق المنشد برهان الدين إبراهيم، وعنه أخذها. انظر الورقة ١٨١ من مخطوطة الديوان رقم ٢٥٧٧، مكتبة مصطفى الإلكترونيّة.

ابنه إبراهيم ونقلها بخطّه؛ فاكتمل الديوان، وأدّى الأمانة.

ـ وقد أعقب الشيخ عليّ سبط ابن الفارض ولداً اسمه إبراهيم، وهو موضع ثقة أبيه علميّاً، نقل له قصيدة ابن الفارض المفقودة بخطّه الموجودة عند برهان الدين إبراهيم المنشد.

ـ وقد طعن فيه البقاعيّ كما طعن في جدّه ابن الفارض[1].

ـ وهو شاعر، تدلّ قصيدته أبرق بدا ـ التي وضعها عوضاً عن القصيدة المفقودة لابن الفارض واستلهم معانيها من البيت الأوّل الذي كان عنده من قصيدة ابن الفارض ـ تدلّ على شاعريّة وتمكّن من الفنّ، وقطع لمراحل كبيرة في طريق السلوك وفن الشعر. وإن الأفكار والمعاني الصوفيّة والأسلوب والمصطلحات الصوفيّة المستخدمة التي يسوقها في قصيدته تتشابه مع مثيلاتها في قصيدة ابن الفارض ومصطلحاتها، لذلك قال النابلسيّ وغيره: نَفَسُهُ يشابه نَفَس ابن الفارض؛ لأنّه مستمد من المشكاة نفسها ومن تجلّياتها.

ـ وهو ذو نَفَس شعري طويل؛ فقد بنى على بيت الشيخ جدّه (أبرق بدا) ستّين بيتاً؛ بينما قصيدة ابن الفارض التي وجدها خمس وعشرون بيتاً. ولعلّ القصيدة التي وضعها ابن الفارض ستّين بيتاً؛ ولكن المنشدينِ برهان الدين إبراهيم وجمال الدين عبد الله بن الشيخ مجد الدين إسماعيل ما كان عندهما إلّا هذا القدر. والخال محمّد بن الفارض قد حدّث ابن أخته عليّ السبط عن القصيدة وأخبره أنّها ستّين بيتاً فكتب الرجل ستّين بيتاً.

ـ وتتناثر مقطّعات عليّ سبط ابن الفارض في بطون الكتب، وهي بحاجة إلى معرفة ما بقي منها وجمعها للمعرفة الدقيقة بهذا الرجل الذي خدم التصوّف والشعر العربيّ بأعمق تجربة صوفيّة في الحبّ الإلهيّ وأندرها وأغناها؛ فقد فتح ديوان ابن الفارض ومقدِّمة سبطه عليّ باباً كبيراً واسعاً لدراسته ونقده ودراسة التصوّف

---

(١) الإمام البقاعي ومنهاجه في تأويل بلاغة القرآن لمحمود توفيق محمّد سعد ١/ ١٠٠.

ودراسة كلّ ما يتعلّق به من جميع الأوجه المعرفيّة فكراً وفلسفة وعقيدة وفناً، وعلى رأس ذلك كلّه تجربة خاصّة، ومكانة فريدة في الحبّ الإلهيّ بين الحياتين الدنيا والآخرة، ربّما لم يكشف عن حقيقة أخرى غيرها في التاريخ الإسلاميّ.

ومن المقطّعات الشعرية ما كتبه الشيخ عليّ السبط هذه الأبيات الثلاثة الشهيرة على قبر ابن الفارض:

جز بالقرافة ذيل العارضِ   وقل السلام عليك يا بن الفارضِ

أبرزت في نظم السلوك عجائباً   وكشفت عن سرّ مصون غامض

وشربت من بحر المحبّة والولا   ورويت من بحر محيط فائض

- وعلى ما يبدو لي أنّ شأنه شأن جدّه مغرم بالبحر؛ لذلك تتناثر مقطّعاته في بطون الكتب، يقول في وصف منتزه المشتهى على النيل الذي كان يتأمّل فيه جدّه وينظر إلى النيل:

لقد بسطت في بحر جسمك بسطة   أشار إليها بالوفاء الأصابع

فيا مشتهاها أنت مقياس قدسها   أنت الذي في روضة الحسن يانع

- مقدّمة ديباجته تدلّ على قدرته وتمكنه من الخطابة، ومعرفة أركانها. ويدلّ دعاؤه في نهايتها على ثقافته الدينيّة، وعمق إيغاله في طريق السلوك.

- وهو ذو حسّ نقدي دلّ على ثقافة شعريّة، وقدرة في علم النقد، ورهافة حسّ في تذوّق المعاني، فقد كان يتدارس مع أصحابه وإخوانه أيّ البيتين أبلغ: بيت جدّه الذي يقول فيه:

وعلى تفنن واصفيه بحسنه   يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف

وبيت البوصيري:

فإنّ من جودك الدنيا وضرّتها   ومن علومك علم اللوح والقلم

فرجّح صاحبه بيت البوصيري أنّه أبلغ، بينما قال السبط: بيت صاحب البردة فنّ من فنون الوصف النبويّ والمدح النبويّ؛ فهو داخل تحت تلك الفنون التي

أشار إليها الشيخ عمر رضي الله عنه في بيته يوم القيامة، فاعترف الصاحب بذلك وقال: فلا أبلغ من هذا البيت المذكور. فسجد السبط شكراً لله تعالى.

- وقد آثرت وضع كامل الديباجة للديوان التي بدأ النابلسيّ شرحه بها كلمة إثر كلمة دون أن يورد نصّ الديباجة كاملة، بينما ذكر كلّ بيت من الديوان قبل أن يباشر في شرحه في القصائد، ثمّ شرحه كلمة فأخرى. وإتماماً للتوضيح وللفائدة ونظراً لأهميتها؛ فهي المصدر الأساسي والوحيد لحياة الشاعر الكبير، ولشعره، ولبيان أسرار وتجليات نادراً ما كُشف عن مثلها في التاريخ عند أهل السلوك، أوردها كاملة بعد جمعها من الشرح، مع مقارنتها بنسخ مخطوط الديوان، ودون تدوين الفوارق. وقد وضعت المفردات التي للسبط في المقدّمة بين قوسين ( ) منذ بداية شرح الديوان تمييزاً لها عن كلام النابلسيّ في شرحه لهذه المفردات. كذلك وضعت كلّ مفردة من مفردات أشعار ابن الفارض بين قوسين ( ) تمييزاً لها عن كلام النابلسيّ.

يقول عليّ سبط ابن الفارض رضي الله عنهما في مقدّمته:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي اختصّ حبيبه الأسنى بمقام قاب قوسين أو أدنى، وقرن اسمه الشريف بأعظم أسمائه الحسنى. وأ شهد أن لا إله إلّا الله، وليّ عبّاده. وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله، وحبيبه وخليله، وليّ عباده وحبيب عبّاده.

وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله، وحبيبه تعالى وخليله، صلّى الله عليه وسلّم وعلى آله الشرفاء، وأصحابه الخلفاء والحلفاء. وعلى إخوانه من الأنبياء، ومَن اتبعه مِن الأولياء، صلاة تنتشر نفحاتها على أرواحهم الطاهرة، وتسبغ نعمها عليهم باطنة وظاهرة، وسلّم تسليماً تحمله الملائكة، وتبلغه إلى روضاتهم الطيّبة المباركة الطاهرة، وتسبغ نعمها عليهم باطنة وظاهرة. وسلّم تسليماً تحمله الملائكة وتبلغه إلى أرواحهم الطيبة المباركة.

قال المعترف بذنبه، المغترف من نهر عطاء ربّه عليّ سبط الشيخ عمر بن الفارض، الراجي كرم ربّه الفائض، عفا الله عن أخطائه وعمده، وتداركه برحمة من عنده:

نظرت في نسخة ديوان شيخنا قدّس الله سرّه، وشرح صدره له بالنظر إليه، وسرّه، فرأيت النسّاخ جهلوا بعض كلامه، واشتبه عليهم شيء من جناسه، فصحفوه، وأخرجوه بذلك عن أصله، ولم يردّوه إلى أهله. فاستخرت الله تعالى واستعنت به من تحرير هذه النسخة المباركة من الديوان، وسلكت فيها بكلامه مسالكه، معتمداً على نسخة عندي من أثره محرّرة، وصحفها عن التحريف والتصحيف مطهّرة، تلقيتها من ولده سيّدي الشيخ كمال الدين محمّد، جمع الله بينهما في مقعد صدق، وحبذا ذلك المقعد وقرأت عليه ما فيها قراءة تصحيح وحفظه للمعاني. وسمعته يورده بأعذب لغة. وأخبرني أنّه قرأه وسمعه كذلك على الشيخ والده. ولم تفته سوى قصيدة واحدة كان نظمها في حال التجريد بالحجاز بأودية مكّة وجبالها. وكان أهل مكّة يعلّمونها لصغار أولادهم في المكاتب، وينشدونها في وقت الأسحار على المآذن، ولم أرها في نسخة من ديوانه؛ لأنّه نظمها بالحجاز، والديوان أملاه بالقاهرة عند مقامه بها بعد التجريد.

وقال لي ولده: ولي أتطلّبها مدّة سنين ولم أجدها عند أحد من أصحاب الشيخ، ولم أذكر منها سوى هذا البيت، وهو مطلعها:

أبرق بدا من جانب الغور لامع   أم ارتفعت عن وجه ليلى البراقع

عهد إليّ ولده رحمه الله أن أجتهد في طلبها، وأن أجمع شملها بأخواتها، فاجتهدت في ذلك كلّ الاجتهاد، فلم أرها في إنشاء، ولا سمعتها في إنشاد. ولي أتطلّبها من أربعين سنة. وقد استسننت في التذييل على هذا البيت سنّة حسنة، وطرقت الكثير [من] أبيات قصائده، والتمست منها من حسن مقاصدها المسؤول من وقف على هذا التذييل ان يسبل عليه ذيل ستره الجميل. فمن أين لي أن آتي بمثل النظم البديع، وهل يبلغ الضالع شأو الضليع، فنسأل الله تعالى المسامحة، وأن

يرشدنا في محبّته الأنفاس الصالحة. وبحمد الله ما خرج التذييل على هذا البيت المصون، وأتلو سماعه يا ليت قومي يعلمون.

وقد أثبت قصيدته في آخر هذه النسخة بعد ذكر قصائد الشيخ المطوّلة، وجعلتها منهم أخيرة. وإن كانت لهم في السبق أوّلة لأخواتها ختاماً على قلب سامعها برداً وسلاماً.

ثمّ بعد ذلك وجدت القصيدة التي كانت مفقودة الصورة، وذكرت سبب رجوعها، وسبب إشراق شمسها بعد غروبها عن ربوعها، وأثبتّها بعد ذكر السبب في آخر هذا الديوان المنتخب.

وأخبرني ولده أنّه قابل وضبط نسخته المشار إليها على نسخة كانت عنده بخطّ الشيخ رضي الله عنه، وأنّ ابن شيخ الشيوخ استعارها منه، وحلف له أنّه يعيدها إليه، ولم يردّها بعد ذلك عليه.

أخبرني الشيخ أبو القاسم المنفلوطي عندما حضر من بلاد منفلوط إلى القاهرة في سنة خمس وثلاثين، وسبعمئة أنّ النسخة المذكورة موجودة عنده الآن، وهي معه، وأنّها اتصلت إليه من أسلافه، واتّصلت من أسلافه من الشيخ صفي الدين بن أبي منصور. ووعدني أن يحضرها إليّ، وسافر إلى بلاد منفلوط ولم يحضرها.

وبلغني أنّ الشيخ أبا القاسم شيخ زاوية، وله فيها صولة مشهودة. وقد صارت هذه النسخة لهما ثالثة، ولصحّتها وارثة؛ لأنّها مؤلّفة منهما والله الموفّق للسداد، والهادي للرشاد.

وأودعت في صدرها أسراراً من كراماته المشهورة، ومن حسن شكله الذي خلقه الله تعالى في أجمل صورة. ومن فهم معاني كلامه دلّت معرفته على مقامه، ومن اختصّه الله تعالى بمحبّته وأنسه يعرف المحبّ بين أهله المحبّة من جنسه. وقد جعل الله المحبّين له خزائن أسراره المصونة، ومعادن يحبّهم ويحبّونه فيحبّهم ويحبّونه؛ فمن ذلك ما أخبرني به سيّدي ولده المشار إليه، قال:

كان الشيخ معتدل القامة، وجهه جميل، حسن، مشرّب بحمرة ظاهرة. وإذا استمع تواجد، وغلب عليه الحال يزداد جمالاً ونوراً، ويتحدّر العرق من سائر جسده حتّى يسيل تحت قدميه على الأرض. ولم أر في العرب ولا العجم مثل شكله، وأنا أشبه الناس به في الصورة.

وكان عليه نور وخفر وجلالة، وكان أيضاً إذا حضر مجلساً يظهر على أهل ذلك المجلس سكون وسكينة. ورأيت جماعة من مشا يخ الفقهاء والفقراء وأكابر الدولة الأمراء والوزراء والقضاة ورؤساءهم عنده في مجلسه وهم في غاية ما يكون من الأدب معه والاتّضاع والتذلّل. وإذا خاطبوه كأنّهم يخاطبون ملكاً عظيماً.

وكان إذا مشى في المدينة يزدحم الناس عليه يلتمسون من البركة والدعاء ويقصدون تقبيل يده فلا يمكّن أحداً من ذلك. وكانت ثيابه حسنة ورائحة طيّبة .

وكان ينفق على من يرد عليه نفقة متّسعة. وكان يعطي للغير عطاء جزيلاً. ولم يكن يتسبّب في تحصيل شيء من الدنيا، ولا يقبل من أحد.

وبعث إليه السلطان محمّد الكامل رحمه الله تعالى ألف دينار من الذهب فردّها إليه. وسأله أن يجهّز له ضريحاً عند قبر أمّه في داخل قبّة الإمام الشافعي رضي الله عنه فلم يأذن له بذلك. ثمّ استأذنه أيضاً الملك المذكور أن يجهّز له مكاناً يكون مزاراً يعرف به، فلم ينعم له بذلك. وسأذكر سبب ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى.

وقال ولده: سمعت الشيخ يقول: كنت أوّل تجريدي من عادة أهل الدنيا استأذن من والدي وأطلع إلى وادي المستضعفين بالجبل الثاني من جبل المقطّم، فآوي إليه فيه، وأقيم في هذه السياحة ليلاً ونهاراً مدّة أيّام، ثمّ أعود إلى والدي رحمه الله تعالى ومراعاة قلبه. وكان والدي يومئذ خليفة المحتكم العزيز بالقاهرة ومصر المحروستين، وكان والدي من أكابر أهل العلم وأهل العمل، فيجد سروراً برجوعي إليه، ويلزمني في مجالس الحكم ومدارس. ثمّ أشتاق إلى التجريد؛

فأستأذنه، وأعود إلى السياحة. وما برحت أفعل ذلك مرّة بعد أخرى إلى أن سأل والدي الملك أن يكون قاضي القضاة، فامتنع ونزل عن منصب الحكم، واعتزل الناس، وانقطع إلى الله تعالى بقاعة الخطابة في الجامع الأزهر إلى أن توفي. فعاودت التجريد، ولزمت السياحة وسلوك طريقة الحقيقة ليلاً ونهاراً، فلم يفتح عليّ بشيء. فحضرت من السياحة إلى المدينة، فوجدت رجلاً شيخاً بقّالاً على باب المدرسة يتوضّأ، غسل يديه ثمّ رجليه، ثمّ مسح برأسه، ثمّ غسل وجهه. فقلت له: يا شيخ، أنت في هذا السنّ وأنت في دار الإسلام على باب هذه المدرسة، بين فقهاء المسلمين وأنت تتوضّأ وضوءاً خارجاً عن الترتيب الشرعيّ فنظر وقال: لم أتوضّأ إلّا مرتّباً لكنّك لا تبصر، ولو أبصرت أبصرت هكذا، يا عمر أنت ما يفتح عليك في مصر؛ وإنّما يفتح عليك بالحجاز في مكّة شرّفها الله تعالى ـ فأكبّ على أقدامه ـ فاقصدها؛ فقد آن لك وقت الفتح. قال: فعلمت أنّ الرجل من أولياء الله تعالى، وأنّه يتستّر بالمعيشة وإظهار الجهل بترتيب الوضوء. فجلست بين يديه، وقلت: يا سيّدي، وأين أنا من مكّة؟! ولا أجد ركباً ولا رفقة في غير أشهر الحجّ!. فنظر إليّ وأشار بيده، وقال لي: هذه مكّة أمامك. فنظرت معه، فرأيت مكّة شرّفها الله تعالى. فتركته وطلبتها. فلم تبرح أمامي إلى أن دخلتها في ذلك الوقت. وجاءني الفتح حين دخلتها، وترادف، ولم ينقطع.

وإلى هذا الفتح أشار رضي الله عنه في القصيدة الداليّة:

يا سميري روّح بمكّة روحي	شادياً إن رغبت في إسعادي
كان فيها أنسي ومعراج قدسي	ومقام المقام والفتح بادي

قال: ثمّ شرعت في السياحة في أوديتها وجبالها، وكنت أستأنس فيها بالوحش ليلاً ونهاراً.

قلت: وإلى هذا المعنى أشار رضي الله عنه بقوله في القصيدة التائيّة المكسورة القافية اللطيفة، حيث قال وأحسن في المقال:

وجنّبني حبّيك وصل معاشري وحبّبني ما عشت قطع عشيرتي
وأبعدني عن أربعي بعد أربع وبالوحش أنسي إذ من الإنس وحشتي
فلي بعد أوطاني سكون الفلا وبالوحش أنسي إذ من الأنس

قال: وأقمت بواد كان بينه وبين مكّة عشرة أيّام للراكب المجدّ، وكنت آتي إلى مكّة كلّ يوم وليلة، وأصلّي في الحرم الشريف الصلوات الخمس، وكان معي سبع عظيم الخلقة يصحبني في ذهابي وفي إيابي، وينخّ لي كما ينخّ الجمل، ويقول لي: يا سيّدي اركب عليّ. فما ركبته قط. ويقول لي يشير إليّ أن اركبْ. فما ركبته قطّ.

وتحدّث بعض جماعة من أكابر المشايخ المجاورين بالحرم الشريف في تجهيز مركوب لي، يكون عندي في البريّة. فرأوه أحضر عليه إلى الحرم الشريف وأرجع كلّما أردت. فظهر لهم وسمعوا قوله: «يا سيّدي اركب عليّ» فرأوه يشير إليّ فما ركبته فاستغفروا الله العظيم، وكشفوا رؤوسهم واعتذروا إليّ.

ثمّ بعد مضي خمسة عشرة سنة سمعت الشيخ البقّال يناديني وأنا بين جبال مكّة وأوديتها: يا عمر تعال إلى القاهرة احضر وفاتي وانتقالي إلى الله ، وصلِّ عليّ. فأتيته مسرعاً، فوجدته قد احتُضر. فسلّمت عليه، وسلّم عليّ. وناولني دنانير ذهب وقال: جهّزني، وأعطِ حملة نعشي إلى القرافة كلّ واحد ديناراً. واتركني في هذه البقعة، وأشار إليها بيده. فلم تزل بين عينيّ أنظر إليها، وهي بالقرافة تحت المسجد المعروف بالعارض، بالقرب من مراكع موسى عليه الصلاة والسلام بسفح المقطّم، عند مجرى السيل منه. قال: وانتظر قدوم رجل يهبط إليك من الجبل، فصلِّ أنت وهو عليّ، وانتظرْ ما يفعل الله في أمري.

فهبط إليّ رجل من الجبل كما يهبط الطائر المسرع، لم أره يمشي على رجليه. فعرفته بشخصه؛ رجل كنت أراه يصفع قفاه ورقبته في الأسواق، فقال: يا عمر، تقدّم فصلِّ بنا على الشيخ. فتقدّمت، وصلّيت إماماً. ورأيت طيوراً خضراً وبيضاً

وصفوفاً بين السماء والأرض يصلّون معنا. ورأيت طائراً منهم أخضر اللون عظيم الخلقة، قد هبط عند رجليه وابتلعه، وارتفع إليهم. وطاروا جميعاً ولهم زجل بالتسبيح إلى أن غابوا عنّا في السماء. فسألته عن ذلك فقال: يا عمر، أما سمعت: «إنّ أرواح الشهداء في أجواف طيور خضر تسرح» وهذا الرجل كان منهم يا عمر، وكنت معهم؛ وإنّما وقع منّي هفوة فطردت عنهم، فها أنا أصفع في الأسواق ندماً وتأديباً على تلك الهفوة.

قال رضي الله عنه ثمّ ارتفع إلى الجبل كالطير إلى أن غاب عنّي.

قال ولد الشيخ عمر: قال والدي: يا محمّد، إنّما حكيت لك هذا لأرغّبك في سلوك طريقنا، فلا تذكره لأحد من الناس. فلم أذكره لأحد حتّى توفّي رضي الله عنه بحسب وصيّته.

قلت: وفي هذه البقعة المباركة دفن فيها الشيخ رضي الله عنه بحسب وصيّته، وضريحه بها معروف. وفي ذلك قال بعض الفضلاء يرثيه، وهو أبو حسن الجزار الشاعر المشهور:

لـم يبـقَ صيّب مزنـة إلّا وقد ... وجبت عليه زيارة ابن الفارض

لا غرو أن يسـقى ثراه وقبـره ... باقٍ ليوم العرض تحت العارض

وقلت أنا أيضاً:

جز بالقرافة تحت ذيل العارض ... وقل السلام عليك يا بن الفارض

أبرزت في نظم السلوك عجائباً ... وكشـفت عن سرّ مصون غامض

وشربت من بحر المحبّة والولا ... فرويـت من بحر مـحيط فأبـيض

وقال ولده: رأيت الشيخ نائماً مستلقياً على ظهره وهو يقول: صدقت يا رسول الله، صدقت يا رسول الله، صدقت يا رسول الله، رافعاً صوته، مشيراً بإصبعه اليمنى واليسرى. واستيقظ من نومه وهو يقول كذلك، ويشير بإصبعه كما

كان يفعل وهو نائم. فأخبرته بما رأيته وبما سمعته منه، وسألته عن سبب ذلك فقال: يا ولدي، رأيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في المنام، وقال لي: يا عمر، لمن تنتسب؟. فقلت: يا رسول الله، أنتسب إلى بني سعد، قبيلة حليمة السعدية، مرضعتك يا رسول الله. فقال: لا؛ بل أنت منّي، ونسبك متّصل بي. فقلت: يا رسول الله، إنّي أحفظ نسبي عن أبي وجدّي إلى بني سعد. فقال: لا، مادّاً لا صوته الردع لي والزجر عن تلك المقالة. بل أنت منّي، ونسبك متّصل فقلت: صدقت يا رسول الله مكرراً ذلك. ثلاث مرات مشيراً بإصبعيّ كما رأيت وسمعت.

قلت: رأيت ولده. المشار إليه واقفاً: وأصابع يديه مبسوطتان على ركبتيه، وقال: رأيت والدي واقفاً وأصابع يديه مبسوطة على ركبتيه مثل وقوفي هذا. وقال: هذا من علامات الشرف إمّا أن تكون نسبة الأهليّة أو نسبة المحبّة، والنسبة التي هي عند أهل المحبّة أشرف من نسبة الأبوّة، وهي النسبة التي جعلت بلال الحبشي، وجعلت أبا عبد الله سلمان الفارسي، وجعلت صهيب من أهل البيت، وأُبعد عنها أبو طالب، ولم يتشرّف بها، ولم تنفعه نسبة العمومة التي هي أقرب الأنساب الأهليّة لما حجبته المشيئةالإلهيّة عن الهداية الربانيّة. وكذلك تبرأ إبراهيم الخليل عليه السلام من أبيه آزر لمّا تبيّن له أنّه. عدوٌ لله . وإلى هذا النسب الشريف أشار شيخنا في القصيدة اليائيّة حيث قال:

نسب أقرب في شرع الهوى بيننا من نسب من أبـــويّ

قلت: ورأيت في المنام كأنني في الحضرة الشريفة المحمّديّة وكأنّ عند رسول الله صلّى الله عليه وسلّم جماعة كثيرة من الأنبياء والأولياء، وكأنّ الشريف شمس الدين محمّد الأيكي نقيب الأشراف وقاضي العساكر المنصورة قدّس الله روحه ونوّر ضريحه مع الجماعة في الحضرة الشريفة ولم أعرف أحداً منهم بصورته سواه، وكأنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أمر بإثبات نسبة الشيخ صُبيح الحبشي إليه. ورأيت رجلاً معه المكتوب الذي يُشهد فيه بالنسبة وهو يدور على الجماعة

الحاضرين يأخذ خطوطهم فيه، فلمّا وصل إليّ ناولني المكتوب. وقال لي: اكتب. فقلت له: أنا ما رأيت الشيخ صبيح، ولا عاصرته ولا أعرف نسبته وإنّما رأيت أولاده، وهم أصحابي فصرخ عليّ صرخة عظيمة وجدت لها رعباً عظيماً، وقال لي: اكتب كما أمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن يُكتب. فقلت له: وكيف أمر سيّدنا رسول الله صلّى الله وسلّم أن يُكتب. فقال: اكتب أشهد أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم متّصل النسب بالشيخ صبيح. فكتبت كما أمر رسول الله صلّى الله عليه أن يُكتب.

وقال ولده: سمعت الشيخ رضي الله عنه يقول وأنا أسمع: رأيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في المنام وقال لي: يا عمر، ما سمَّيت قصيدتك؟. فقلت له: يا رسول الله، سمّيتها لوائح الجَنان وروائح الجِنان. فقال: لا؛ بل سمِّها: نظم السلوك. فسمّيتها بذلك.

وقال: حضر في مجلس الشيخ رجل، وسمّاه؛ فأُنسيت اسمه ما هو، وكان من أكابر علماء أهل زمانه. واستأذنه في شرح القصيدة التائيّة الكبرى نظم السلوك فقال: كم مجلّد تشرحها؟. فقال: أشرحها في مجلّدين. فتبسّم الشيخ رضي الله عنه وقال: لو شئت لشرحت كلّ بيت منها في مجلّدين.

قلت: سمعت الشيخ شمس الدين محمّد الأيكي شيخ الشيوخ بخانقاة سعيد السعداء يقول لسيدي الشيخ كمال الدين محمّد ولد الشيخ رضي الله عنه وقد حضر إلى زيارته ومعه الشيخ نور الدين النقشواني وكذلك جماعة من أكابر الصوفيّة، وكان ذلك في آواخر دولة المنصور على أعدائه الملك المظفر قلاوون تغمده الله تعالى برحمته: يا سيّدي، الحمد لله الذي عشت ورأيتك وكأنّي اليوم رأيت سيّدي الشيخ شرف الدين والدك وأنا على مذهب شيخنا صدر الدين في محبّة الشيخ واعتقاد صدق كلامه، والاشتغال بقصيدته نظم السلوك، وذكر منها أبياتاً من جملتها هذا البيت:

ولولا حجاب الكون قلت وإنّما قيامي بأحكام الظاهر مسكتي

وشرع يتكلّم على معاني الأبيات التي ذكرها من القصيدة المذكورة بلسان أهل المعرفة. ويقول: كان شيخنا يحضر في مجلسه جماعة من العلماء ومن طلبة العلم، ويتكلّم فنون من العلم. ثمّ يختم كلامه بذكر بيت من القصيدة؛ نظم السلوك، ويتكلم عليه بالعجمي كلاماً غريباً لدنياً لا يفهمه إلا صاحب ذوق وشوق. وكان في ثاني يوم يقول ظهر لي في معنى البيت الذي تكلّمنا عنه بالأمس معنى آخر، ويتكلّم بأعجب مما تكلّم به بالأمس وقد استشهد في كتابه النفحات بقول الشيخ عمر بن الفارض من التائيّة:

وأنت على ما أنت عنّي نازح وليس الثريّا للثرى بقريبة

وكان يقول: ينبغي للصوفيّ أن يحفظ هذه القصيدة التائيّة ويشرحها على من يفهمها.

قال الشيخ شمس الدين الأيكي رحمه الله وكان الشيخ الكامل سعيد الفرغاني قد أقبل بهمته على فهم ما يذكره الشيخ صدر الدين القونوي من شرح القصيدة المذكورة ويعلقه عنده بالعجمي بحسب ما كان يقرره له صدر الدين. ثمّ بعد ذلك عرّبه أي نقله إلى اللغة العربيّة. وعمل شرحه المشهور في مقدار مجلّدين كلّ نصف منهما. وهو للفرغاني من نَفَس شيخنا صدر الدين رحمه الله .

قلت وما برحت أطلب الشرح المذكور إلى أن رأيت الشيخ كريم الدين؛ شيخ الشيوخ بالخانقاه الصلاحيّة عند الشيخ عمر السعودي في الطبقة التي هي على باب زاويته بالقرافة. وأخبرني أنّ الشرح للفرغاني فاستعرته واستنسخته منه. وهو عندي الآن. وقد أجاد فيه ـ رحمه الله تعالى ـ وفتح باباً في شرح القصيدة. لم يفتحه غيره قبله.

قلت: وأخبرني القاضي جمال الدين عبد الله بن سيدنا ومولانا الشيخ جلال الدين محمّد القزويني قاضي القضاة بالشام المحروسة ثم قاضي القضاة بالديار

المصريّة أنّ والده محمد القزويني حرس الله جلاله وحفظ صفاته شرح القصيدة.

وقال ولده: كأن الشيخ رضي الله عنه في غالب أوقاته ما يزال دهشاً، وما يزال بصره شاخصاً، لا يسمع من يكلّمه ولا يراه؛ فتارة يكون واقفاً، وتارة يكون قاعداً، وتارة يكون مضطجعاً على جنبه وتارة يكون مستلقياً على ظهره مسجّى كما يسجّى الميت. وتمرُّ عليه عشرة أيام متواصلة وأقلّ من ذلك المقدار وأكثر وهو على هذه الحالة ولا يأكل ولا يشرب ولا يتكلّم ولا يتحرّك فهو كما قيل:

ترى المحبّين صرعى في ديارهمُ كفتيـةِ الكهف لا يدرون كم لبثوا

والله لو حلـف العشـّاق أنّـهم صرعى من الحبّ أو موتى لما حنثوا

ثمّ إنّه كان رضي الله عنه. يستفيق وينبعث من هذه الغيبة، ويكون أوّل كلامه أنّه يملي من القصيدة نظم السلوك ما فتح الله عليه.

قلت: طالعت في مجموع بخط رجل فاضل فرأيت من جملته القصيدة التائيّة المعروفة بنظم السلوك، ورأيت قبلها ترجمة هذه صورتها: قال الشيخ المحقق شرف الدين عمر بن الفارض نوّر الله مضجعه هذه القصيدة الغرّاء والفريدة الزهراء التي لم يُنسج على مِنوالها ولا سمح خاطر بمثالها، وتكاد تخرج عن طوق وُسع البشر؛ يعني ألفاظاً ومعاني. وكان سمّاها: أوّلاً أنفاس الجنان وروائح الجَنان ثمّ سمّاها لوائح الجَنان وروائح الجِنان. ثمّ رأى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في المنام فقال له سمِّها نظم السلوك.

وحكى جماعة يوثق بهم ممن صحبوه وباطنوه أنه لم ينظمها على حدِّ نظم الشعراء أشعارهم؛ بل كان تحصل له جذبات يغيب بها عن حواسه نحو الأسبوع والعشرة أيام، فإذا أفاق من ذلك أملى ما فتح الله عليه منها نحو الثلاثين والأربعين والخمسين بيتاً ثمّ يدع حتى يعاوده ذلك الحال. ومن تأملها حق التأمل فيها بأن كان من العارفين علم أنّ لها نبأً وشأناً عظيماً صانها الله تعالى عن غير أهلها. ثمّ كتب القصيدة بعد هذه الترجمة.

ويُحكى أنّه لـمّا فُوِّض أمر الوزارة إلى القاضي تقيّ الدين عبد الرحمن بن بنت الأغر رحمه الله تعالى في أيام الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحي رحمه الله تعالى وقع في حقّ شيخ الشيوخ شمس الدين محمّد الأيكي في مجلس حافل بالخانقاه الصلاحيّة وقال له: أنت تأمر الصوفيّة بالاشتغال بنظم سلوك قصيدة ابن الفارض وهو يميل إلى الحلول وأهانه بالكلام. فدعا عليه. وقال له: مثّل الله بك كما مَثَّلتَ بي. فعُزِل عُقيب ذلك المجلس عن الوزارة في آخر الدولة المنصوريّة بسؤاله. ثمّ عُزِل من القضاء في الدولة الأشرفيّة، ومُثِّل به. وحُبس مدّة، ونُسب إلى سوء الاعتقاد، ونُسب إلى أنّه وقع في كلام يفسق به، وشهد عليه بالزور من لا خَلاق له. وكأنّ ذلك الأمر لأجل غرض للصاحب شمس الدين محمّد بن السعلوس، وقد أهان شمس الدين محمّد الأيكي، فأهانه شمس الدين محمّد السلعوس عفا الله تعالى عنه.

ومما قيل فيه:

وحاشاه من قول عليه مزوّر　　　وما علمتْ سوءاً عليه الملائكُ

وكان ذلك القِصاص من أجل وقوعه في حق الخواص.

وقال جامع هذا الديوان: وكان يرسلني في الباطن إلى من يسعى في خلاصه من الأمراء ليشفعوا له ويتسببوا في إنقاذه ومشايخ الفقراء. وكان إذا اشتد عليه الخِناق يقول: اشتدي أزمة تنفرجي ويكرر ذلك مراراً. فلمّا منّ الله عليه بالخلاص من هذه النكبة ومَنَّ عليه بحصول تفريج هذه الكربة حضرتُ عنده أنا وسعد الدين الحارثي الحنبلي المحدّث، أي: صاحب علم الحديث الشريف. وكان من أعزّ أصحابه وسمعته يستغفر الله تعالى، ويحمده، ويشكره على حُسْن العاقبة مما أصابه والسلامة من ذلك. فعرَّضت له بذكر واقعته مع الشيخ شمس الدين الأيكي ووقوعه في حقّه وفي حقِّ شيخنا، وأنّه نَسَبَهُما إلى اعتقاد الحلول وهما بريئان منه. وقلت له كيف يُتصوَّر أن الشيخ في قصيدته المسماة نظم السلوك إلى

الحلول وقد نزّه عقيدته عنه بقوله فيها:

وكيف وباسم الحقّ ظلّ تخلّقي تكون أراجيفُ الضلال مُخيفتي
وها دِحيةٌ وافى الأمينَ نبيّنا بصورته في بدء وحي النبوءة
أجبريلُ قل لي كان دحية إذْ بدا لمُهدي الهدى في صورةٍ بشريةِ
وفي علمه عن حاضرِيه مزيّةٌ بماهيَّة المرئيّ من غير مرية
ولي من أتمّ الرؤيتين إشارة تُنزِّه عن رأي الحلول عقيدتي
يرى ملكاً يوحي إليه وغيرُه يرى رجلاً يُدعى لديه بصحبة
وفي الذكر ذكرُ اللبس ليس بمنكر ولم أعدُ عن حكمَيْ كتاب وسنّة

فقال أنا أحَبُّ الناس في نظم الشيخ، وحفظت ديوانه وأنا شاب، وانتفعت بحفظه. وهذه الأبيات السبعة ما كأنّي قط سمعتها في قصيدته إلى الحلول في شيء. وأنا استغفر الله مما جرى منّي من الكلام في حقّه.

فقلت له: وما جرى منك في حقّ الشيخ شمس الدين الأيكي، فقال: نعم، وما برحت في قلق من دعائه إلى أن حلّت بي هذه المحبّة فالله يغفر لي وله، وأنا تائب إلى الله تعالى من الوقوع في حقّ أحد من أهل هذا الطريق؛ فمنهم وقوعي أُصبت، وبالتوسّل إلى الله ببركتهم سلمت. ثمّ حجّ بعد ذلك الأمر وامتدح رسول الله صلّى الله عليه وسلم بقصيدة وأنشدها عند الروضة الشريفة وهو مكشوف الرأس وبكى هو، وبكى الناس أيضاً معه بكاء شديداً، ودعوا على أعدائه. وقرأ خادم أم الملك السعيد ـ وكان حسن الصوت ـ عشراً من القرآن العظيم، وهو قول الله عز وجلّ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ [٢٤/النور/٥٥] فاستبشروا بذلك العشر المقروء، واستبشر الناس، وعلموا أن الله تعالى قد تقبّل دعاءهم. ولـمّا حضر إلى بلاده مصر المحروسة من

الحجاز الشريف وجد أعداءه الذين سلقوه بالألسنة قد هلك منهم من هلك عن بيِّنة ثمّ فُوِّض إليه القضاء. وما برح متولّياً لمنصب القضاء إلى أن قُضي عليه، فرحمه الله رحمة واسعة، وجعله الله تعالى. في روضات الجِنان مضاجعه.

ورأيته في المنام ووجهه كالقمر وعليه نور يتلألأ، وعليه ثياب دنسة فسألته عن ذلك. فقال هذا نور العلم، وهذه ثياب الحكم. ثمّ رأيته أيضاً بعد ذلك في المنام وهو يخطب على منبر الخطابة في الجامع الأزهر. وممّا حفظت من كلامه قوله: وسيعود شعارنا إلى ما كان عليه.

وقال لي ولده: سمعت الشيخ رضي الله عنه يقول: حصلت منّي هفوة فوجدت من ذلك مؤاخذة شديدة في باطني وانحصرت باطناً وظاهراً حين كادت روحي تخرج من جسدي، فخرجت هائماً كالهارب من ذنب عظيم فعله وهو مطلوب فطلعت إلى جبل المقطّم وقصدت مواطن سياحتي وأنا أبكي وأستغيث، وأستغفر الله فلم ينفرج ما بي. فنزلت إلى القرافة، ومرّغتُ وجهي في التراب بين القبور، فلم ينفرج ما بي. فقصدت مدينة مصر، ودخلت جامع عمرو بن العاص، ووقفت في صحن الجامع خائفاً مذعوراً، وجددّت البكاء والتضرُّع والاستغفار. ولم ينفرج ما بي فغلب عليّ حال مزعج لم أجد مثله قط فصرخت، وقلت:

مَن ذا الذي ما ساء قط ... ومن له الحُسنى فقط

فسمعت قائلاً يقول بين السماء والأرض أسمع صوته ولا أرى شخصه:

محمّد الهادي الذي ... عليه جبريل هَبَط

وقال لي ولده رحمه الله تعالى: رأيت الشيخ رضي الله عنه نهض ورقص زماناً طويلاً، وتواجد وجداً عظيماً وتحدّر منه عرق كثير حتى سال تحت قدميه وخرَّ إلى الأرض واضطرب اضطراباً شديداً ولم يكن عنده أحد غيري ثمّ سكن حاله وسجد لله تعالى فسألته عن سبب ذلك فقال يا ولدي، فتح الله عليّ بمعنى في بيت لم يفتح عليّ بمثله وهو هذا البيت:

وعلى تفنُّن واصفيه بحُسْنه يفنى الزمان وفيه ما لم يُوصَفِ

وقد بحثت يوماً مع بعض الإخوان على أنّ هذا البيت في مدح الحضرة المحمّديّة أيهما أبلغ هذا أم قول صاحب البردة:

فإنّ من جودك الدنيا وضرَّتها ومن علومك علم اللوح والقلم

فكان يقول: إن بيت صاحب البردة أبلغ. فقلت له: في بيت صاحب البردة فنٌّ من فنون الوصف النبويّ، والمدح المحمديّ؛ فهو داخل تحت تلك الفنون التي أشار إليها الشيخ عمر رضي الله في بيته إلى يوم القيامة. فاعترف بذلك؛ فلا أبلغ من هذا البيت المذكور؛ ولهذا سجد شكراً عليه لله تعالى كما مرّ.

وحكى لي قال: كان الشيخ رحمه الله ماشياً في السوق بالقاهرة فمرّ على جماعة من الحَرَسَة وهم يضربون بالناقوس ولعلهم كانوا من النصارى، يتطرّبون بذلك أومن المسلمين، ويقصدون بذلك التطرب. ويغنّون هذين البيتين وهما:

مولايَ سهرنا نبتغي منك وصال

مولايَ فلم تسمح فنمنا في خيال

فلمّا سمعهم الشيخ رضي الله عنه صرخ صرخة عظيمة ورقص رقصاً كثيراً في وسط السوق، ورقص معه ناس كثير من المارِّين في الطريق حتى صارت جَوْلَة وسماع عظيم، وتواجد الناس إلى أن سقط أكثرهم إلى الأرض والحرس يكرِّرون ذلك. وخلع الشيخ كل ما كان عليه من الثياب. ورمى بها إليهم وخلع الناس ثيابهم معه وحُمل بين أيدي الناس إلى الجامع الأزهر وهو عريان، مكشوف الرأس، ولم يبقَ عليه سوى لباسه. وأقام في هذه السكرة أياماً ثلاثة ملقى على ظهره مسجّى كما يسجّى الميت، فلمّا أفاق جاء الحرّاس إليه ومعهم ثيابه فرموها بين يديه فلم يأخذها وبذل الناس لهم فيها ثمناً كثيراً، فمنهم مَنْ باع ومنهم مَنْ امتنع عن بيع نصيبه. وأبقاه عنده تبركاً به.

وحكى لي رحمه الله تعالى قال: كان الشيخ ماشياً في يوم من الأيام في السوق بالقاهرة بالشارع الأعظم في المحلات والأزقّة بالقرب من مسجد ابن عثمان. وكنت معه، وإذا بنائحة تنوح، وتندب على امرأة ميتة في طِبْقة، والنساء يجاذبنها وهي تقول:

سِتِّي ، مُتِّي ! مِنْ حقاً ... إي والله ! حقاً حقاً !!

فلمّا سمعها الشيخ صرخ صرخة عظيمة، وخرّ مغشيّاً عليه فلمّا أفاق صار يقول ويكرر مراراً قوله:

نفسي متّي من حقاً ... إي والله حقّـاً حـقّاً

وحكى لي رحمه الله قال: كان الشيخ رضي الله عنه جالساً في الجامع الأزهر على باب قاعة الخطابة، بالقرب من منبر الخطابة، وعنده جماعة من الأمراء والفقراء، وفيهم جماعة من مشايخ الأعجام المجاورين بالجامع الأزهر وغيرهم. وكلّما ذكروا حالاً من أحوال الدنيا مثل الطشت خانة، والفرش خانة، وغير ذلك يقولون هذا. فبينما هم يتفاوضون في هذا الكلام ويفخّمون زَخْم العجم والمؤذنون رفعوا أصواتهم بالأذان جملة واحدة، فقال الشيخ: وهذا زخم العرب. وصرخ صرخة عظيمة، وتواجد، وصرخ كلّ من كان حاضراً حتى كانت لهم في الجامع ضجّة عظيمة.

وحكى لي أيضاً رحمه الله قال: كان السلطان الملك الكامل رحمه الله يحب أهل العلم، ويحاضرهم في مجلس مختص بهم، وكان يميل إلى فن الأدب. فتذاكروا عنده في وقت أصعب القوافي، فقال السلطان مِن أصعبها قافية الياء الساكنة، فمن كان يحفظ شيئاً منها فليذكره فتذاكروا ذلك، فلم يتجاوز أحد منهم عشرة أبيات. فقال السلطان: أنا أحفظ منها خمسين بيتا. وذكرها فاستحسن الجماعة ذلك منه، فقال القاضي شرف الدين كاتب سرّه: أنا أحفظ منها مئة وخمسين بيتاً قصيدة واحدة، فقال السلطان: يا شرف الدين، جمعت في خزائني أكثر دواوين الشعراء في الجاهليّة

والإسلام، وأنا أحبّ هذه القافية فلم أجد فيها أكثر من الذي ذكرت لكم، فأنشدني هذه الأبيات التي ذكرتها، فأنشده قصيدة الشيخ اليائيّة التي مطلعها قوله:

سائق الأظعان يطوي البيدَ طيّ منعماً عرِّج على كثبان طيّ

فقال: يا شرف الدين لمن هذه القصيدة فلم أسمع بمثلها! وهذا الشعر نَفَس محبّ صادق. فقال هذا نظم الشيخ شرف الدين عمر بن الفارض. فقال: وفي أيّ مكان مقامه؟. فقال: كان مجاوراً بمكة وفي هذا الزمان حضر إلى القاهرة. وهو الآن مقيم بقاعة الخطابة في الجامع الأزهر فقال: خذ منّي ألف دينار وتوجَّه إلى عنده، وقل له عنِّي: ولدك محمّد. يسلِّم عليك، ويسألك أن تقبل هذه منه برسم الفقراء الواردين عليك. فإذا قبلها منك اسأله الحضور إلى عندنا لنأخذ حظنا منه ومن بركته. فقال مولاي السلطان يعفيني من هذا الأمر؛ فإنّي لا أستطيع أن أخاطبه، وإن خاطبته لأجل مولانا السلطان فإنّه لا يأخذ الذهب، ولا يحضر، ولا أقدر بعد ذلك أن أدخل إليه أصلاً حياء منه. فقال: لا بدّ من ذلك. فأخذ الذهب، وتركه مع إنسان صحبته، وقصد مكان الشيخ فوجده واقفاً على الباب ينتظره، فابتدأه بالكلام وقال: يا شرف الدين، ما لك ولذكري في مجلس السلطان! ردّ الذهب إليه، ولا ترجع تجيئني إلى سنة جزاء له على ما صدر منه. فرجع، وقال للسلطان: وددت أن أفارق الدنيا ولا أفارق رؤية الشيخ سنة. وأخبره بما قاله له. فقال السلطان: مثل هذا الشيخ الكاملي يكون في زماني، وفي بلادي، ولا أزوره، فلا بدّ لي من زيارته ورؤيته، فنزل السلطان لأجل زيارته في الليل إلى المدينة من قلعة الجبل مستخفياً هو وفخر الدين عثمان الكامل معه. وبات في دار المهمندار التي قبالة الجامع الأزهر ودخل إلى الجامع بعد العشاء ومعه جماعة من الأمراء، ووقفوا على باب قاعة الخطابة التي بجوار المنبر. فخرج الشيخ من الباب الآخر الذي بظاهر الجامع ولم يجتمع به، وسافر إلى ثغر الإسكندريّة. وأقام بالمنار أيّاماً ثمّ رجع إلى الجامع الأزهر.

وبلغ السلطان حضوره، وأنّه متوعِّك المزاج، فأرسل إليه فخر الدين يستأذنه أن يجهّز له. ضريحاً عند قبر أمّه بقبّة الإمام الشافعي رضي الله عنه. فلم يأذن له بذلك. ثمّ استأذنه أيضاً أن يبني له تربة تكون له مزاراً مختصاً به، فلم يأذن له بذلك. ثمّ نصل من ذلك التوعّك وعافاه الله تعالى منه.

قلت: حضر إلى عندي في مسجدي على نيّة الزيارة القاضي أمين الدين بن الرقاوي، وكان له اعتقاد حسن في الشيخ، تلقاه من والده؛ فإنّه كان من أعزّ أصحاب الشيخ، وحضر معه جماعة رؤوساً. منهم القاضي جمال الدين إبراهيم بن الشيخ بهاء الدين بن الشيخ جمال الدين إبراهيم السيوطي، أمام السلطان. فحكى لنا أنّ والده حكى له عن جدّه أنه قال: مشيت مع الشيخ شرف الدين في الجامع الأزهر إلى باب زويلة. وأخبرني أنه متوجه إلى جامع مصر، فسألته أن أرافقه، فأجاب. فطلبت مكارياً، وقلت كم لك إلى جامع مصر، فقال: اركبوا معي على الفتوح فقلت: له لا بد أن تشارطنا، فعزّ ذلك على الشيخ، وقال: نعم نركب معك على الفتوح. فركبنا معه. فوجدنا في الطريق فخر الدين عثمان الكاملي فترجّل، وترجل معه أصحابه، فسلّم على الشيخ، وأراد أنْ يقبّل يده. فرفع الشيخ يده، ومسح بها على رأسه ووجهه، ودعا له وقال له: اركب، بارك الله فيك وعليك. فركب، وانصرف، وتبعنا فارس من جهته، فاستند إليّ وقال لي: قل للشيخ: هذه مائة دينار يقبلها من الأمير على الفتوح. فقلت ذلك للشيخ. فقال: نحن ركبنا مع المكاري على الفتوح؛ وهذه فتوح، فتوجه له، وأمر بها للمكاري، فرجع الفارس إلى عند الأمير، وأخبره بذلك فبعث إليه مثلها عنها. فقال: أعطها للمكاري. فقلت له هذه مئة دينار ثانية. فقال: عرفت بها فتوجّهْ فأعطها له؛ فأعطيته المئة الدينار الثانية. فلما وصلنا إلى الجامع ونزلنا عن الدواب اعتذر الشيخ إلى المكاري، ودعا له.

وحكى ولده قال: كان للشيخ رضي الله عنه أربعينيّات متواصلة ليلاً ونهاراً، لا يأكل ولا يشرب ولا ينام. وفي بعض أيام أربعينيّته اشتهت نفسه عليّة هريسة،

وكان آخر أيام الأربعين، فقال: يا نفس، أما تصبري بقيّة هذا اليوم وتفطري على الهريسة، فأبت وقالت لا بدّ من الهريسة في هذا الوقت، قال الشيخ: فاشتريت الهريسة وجئت إلى عند قبة الشرابي، ورفعت أوّل لقمة إلى فمي، فانشق جدار القبة وخرج منه شاب جميل الوجه، حسن الهيئة، أبيض الثياب، عطر الرائحة، وقال: تفُ عليك. فقلت: نعم إن أكلتها فرميت اللقمة من يدي قبل أن تصل إلى فمي، وتركت-الهريسة، وخرجت من الحرم إلى السياحة، وأدّبت نفسي بزيادة عشرة أيام في المواصلة لتتمة الخمسين يوماً.

وحكى لي ولده رحمه الله، قال: لمّا حج الشيخ شهاب الدين السهروردي شيخ الصوفيّة قدّس الله روحه ونوّر ضريحه آخر حجة في سنة ثمان وعشرين وستمئة، وكانت وقفة الجمعة، وحجّ معه خلق كثير من أهل العراق. فرأى كثرة ازدحام الناس عليه في الطواف بالبيت والوقوف بعرفة، واقتدائهم بأقواله وأفعاله، وبلغه أن الشيخ في الحرم؛ فاشتاق إلى رؤيته، وبكى، وقال في سرّه يا ترى هل أنا عند الله كما يظنّ هؤلاء القوم فيّ، ويا ترى هل ذُكرت في حضرة المحبوب في هذا اليوم. فظهر له الشيخ رضي الله عنه، وقال يا سهروردي:

لك البشارة فاخلع ما عليك فقد ذكرت ثمّ على ما فيك من عِوَج

فصرخ الشيخ شهاب الدين، وخلع كلّ ما كان عليه، وخلع المشايخ والقوم الحاضرون كل ما كان عليهم، وطلب الشيخ فلم يجده، فقال: هذا إخبار من كان في الحضرة. ثمَّ اجتمعا في الحرم الشريف واعتنقا، وتحدّثا سرّاً زمناً طويلاً؛ واستأذن والدي يلبسني ويلبس أخي عبد الرحمن خرقة الصوفيّة على طريقته، فلم يأذن له، وقال له ليست هذه طريقتنا. فلم يزل يعاوده إلى أن أذن له ذلك. فلبست منه أنا وأخي، فلبس معنا بإذن والدي أيضاً شهاب الدين بن الخيمي وأخوه شمس الدين؛ فإنّهما كانا عند والدي من العزّة عليه في منزلة الأولاد. ولبس منه في ذلك الوقت جماعة كثيرة بحضور الشيخ، وحضور جماعة من المشايخ الكاملين مثل ابن عجيل اليمني وغيره، رضي الله عنهم.

وحكى لي قال: كان الشيخ عمر رضي الله عنه يقيم في شهر رمضان في الحرم لا يخرج إلى السياحة، ويطوي نهاره بالصيام مع ليله، ويحيي ليله. قلت: وقد أشار إلى ذلك بقوله في القصيدة اليائيّة:

في هواكم رمضانٌ عمرُه ينقضي ما بين إحياء وطيّ

قال رحمه الله: فشدّ والدي في وسطه مئزراً، وائتزر به وتأزّر. وكذلك فعل المجاورون بالحرم المكي مثله من أوّل الشهر، وهم في طلب ليلة القدر، فتارة يطوفون، وتارة يصلّون، وأنا معهم. فخرجت ليلة من الحرم في العشر الأواخر لأزيل حقنة بظاهر الحرم، فرأيت البيت والحرم ودور مكة وجبالها ساجدين لله تعالى، ورأيت أنواراً عظيمة بين السماء والأرض، فوجدت هيبة ورعباً شديداً، وجئت إلى والدي مهرولاً فأخبرته بذلك. فصرخ صرخة عظيمة، وقال للمجاورين الواقفين في طلب القدر: هذا ولدي خرج يبول خارج الحرم المكي؛ فرأى ليلة القدر. فصرخ الناس معه إلى أن علا ضجيجهم، والدعاء والصلاة والطواف. وخرج والدي في أودية مكة هائماً في السياحة، ولم يدخل الحرم إلى يوم العيد في تلك السنة.

وحكى لي رحمه الله تعالى قال: كان الشيخ عمر رضي الله عنه يتردد إلى المسجد المعروف في مصر بالمُشتهى. وكان تردده في أيّام وفاء النيل، ويحبّ مشاهدة البحر، وفيه قال من جملة أبيات له في آخر ديوانه:

وطني مصرُ وفيها وطري ولعيني مُشتهاها مشتهاها

فتوجه إليه يوماً، فسمع قصّاراً يقصر مقطعاً ويضرب به على الحجر وهو يقول ويكرر:

قطَّع قلبي هذا المقطع ما قال يصفو أو يتقطّع

فما زال يكرر هذا السجع كلّ ساعة بعد ساعة، ويضطرب اضطراباً شديداً، ويتقلّب على الأرض، ثمّ يسكن اضطرابه حتى يُظن أنه قد مات. ثمّ يستفيق،

ويتحدّث معنا بكلام لدنِّيّ ما سمعنا مثله قط، ولا نحسن أن نعبّر عنه. ثمّ يضطرب على سماع كلامه ويستمع، ويعود إلى حال وجده. ودخل إلينا رجل من أصحابه فلمّا رأى الشيخ وشاهد حاله قال:

أموتُ إذا ذكرتُكَ ثمّ أحيا — فكم أحيا عليك وكم أموتُ

فوثب الشيخ قائماً، واعتنقه، وقال له: أعد ما قلت فسكت الرجل شفقة منه عليه وسأله أن يرفق بنفسه، وذكر له شيئاً من حاله عند غلبة الوجد عليه فقال:

إنْ خَتَمَ اللهُ بغفرانه — فكلّ ما لاقيتُه سهلُ

ولم يزل على هذا الحال من سماع قول القصار إلى أن توفي رحمه الله تعالى.

هذا ذكر سبب رحلة الشيخ برهان الدين إبراهيم بن معاذ بن شدّاد بن ماجد الجعبري الشافعي من بلاد جعبر لزيارة شيخنا. قال: وذلك أنّي كنت في مسجدي، فورد عليّ في باطني انقباض شديد وحصر مديد أوّل الليل إلى أول طلوع الفجر، فصليت الصبح فيه، وخرجت منه عازماً على زيارة ضريح الشيخ، فجزت تحت مسجد الشيخ برهان الدين، فسمعته يتكلّم في ميعاده فطلعت إليه لأحضر ميعاد الشيخ الجعبري، ودخلت المسجد. فسمعته يقول هذا البيت من نظم السلوك:

فلم تهْوَني ما لم تكن فيَّ فانياً — ولم تفنَ ما لم تُجتلى فيكَ صورتي

فلمّا رآني قال: لا إله إلا الله ، كنت أتكلّم في معنى كلام الرجل فساق الله سِرَّه ثمّ أقبل عليّ، ومرّ بيده المباركة على وجهي وصدري، فشرح الله صدري، وزال عنِّي ما كنت أجده. وأقمت زماناً أجد في باطني سروراً وشرحاً.

وشرع يتكلّم في معنى هذا البيت بكلام عجيب، ولفظ غريب، ثمّ أُخبرت بعد هذا الميعاد أن سبب ذكر الشيخ هذا البيت أن الشيخ الجعبري رحمه الله تعالى. قال: كنت في السياحة بجعبر، أو قال بالفرات القريب منها وأنا أخاطب روحي، وأناجيها بتلذّذي بفنائي، وبينما أنا كذلك فمر بي رجل كالبرق وهو يقول:

فلم تهوَني ما لم تكن فيّ فانياً ولم تفنَ ما لم تُجتلى فيك صورتي

قال الجعبري: فعلمت أن هذا النظم نَفَس مُحِبّ صادق. فوثبت إلى ذلك الرجل، وأمسكت به، وقلت: من أين لك هذا النَفَس؟! فقال: هذا نَفَس أخي شرف الدين عمر ابن الفارض. فقلت له وأين هذا الرجل؟. فقال: كنت أجد نَفَسه من جانب الحجاز، والآن أجد نَفَسه من جانب مصر المحروسة، وهو مُحتضَر، أو حضر أجله، وقد أُمرت من جهة الله بالتوجّه إليه، وأن أحضر انتقاله إلى حضرة الله تعالى، وأصلّي عليه. وها أنا ذاهب إلى مصر. فلمّا التفت إلى جانب مصر التفتُ معه فشممت أثر رائحة الرجل، فتتبعت أثر تلك الرائحة إلى أن دخلت عليه في ذلك الوقت في مصر وهو مُحتضر، فقلت له: السلام عليك ورحمة الله وبركاته. فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته يا إبراهيم، اجلس، وأبشر؛ فأنت من أولياء الله تعالى. فقلت له: يا سيِّدي هذه البُشرى جاءتني من الله تعالى على لسانك، وأريد أن أسمع منك دليلاً يطمئن به قلبي؛ فإنّ اسمي إبراهيم، ولي من سرّ مقام هذا الاسم الإبراهيمي نصيب حين قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [٢/البقرة/ ٢٦٠] فقال له نعم، سألت الله تعالى أن يحضر وفاتي وانتقالي إليه تعالى جماعة من الأولياء، وأنّه قد أتى بك أولهم فأنت منهم.

وقال الشيخ إبراهيم الجعبري رحمه الله تعالى للشيخ عمر بن الفارض: كنت سألت جماعة من الأولياء عن مسألة إلهيّة فلم يجبني أحد منهم عنها فسألته عنها قلت له: يا سيِّدي هل أحاط أحد بالله علماً؟. فنظر إليّ نظر معظِّم لي وقال: نعم، إذا حيَّطهم. يا إبراهيم، وأنت منهم.

وقال الشيخ إبراهيم الجعبري: ثمّ رأيت ما قد رأيت. ثمّ رأيت الجنّة قد تمثلت له. فلمّا نظر إليها قال: آهٍ... وصرخ صرخة عظيمة مادّاً بها صوته، وبكى بكاء شديداً وتغيَّر لونه وقال:

إن كان منزلتي في الحبّ عندكم ما قد رأيت فقد ضيعت أيامي
أمنيّة ظفرت روحي بها زمناً واليوم أحسبها أضغاث أحلام

فقلت له: يا سيِّدي، هذا مقام كريم. فقال: يا إبراهيم، رابعة العدويّة تقول وهي امرأة: وعزَّتك يا ربِّ ما عبدتك خوفاً من نارك التي أعددتها لمن عصاك، ولا رغبة في جنّتك التي أعددتها لمن أطاعك؛ بل عبدتك كرامة لوجهك الكريم، محبّة فيك؛ إذ أنت الأحق والأولى أن يُحبّ. وليس هذا المقام مكشف لي عنه الآن هو المقام الذي كنت أطلبه وقضيت عمري في السلوك. ثمّ بعد ذلك سكن قلقه، وتبسّم، وسلّم عليّ، وودّعني، وقال: احضر وفاتي وتجهيزي مع الجماعة، وصلِّ عليّ معهم، واجلس عند قبري ثلاثة أيام بلياليهنّ، ثّم بعد ذلك توجّه إلى بلادك.

ثمّ اشتغل عنِّي بمخاطبة ومناجاة، فسمعت قائلاً يقول له أسمع صوته ولا أرى شخصه: يا عمر فما تروم فقال:

أروم وقد طال المدى منك نظرة وكم من دماء دون مرماي طلت

ثمّ تهلّل وجهه، وابتسم، وقضى نحبه فرحاً مسروراً. فعلمت أنّه قد أُعطي مرامه. وكنّا عنده جماعة كثيرة فيهم من أعرفه من الأولياء، وفيهم من لا أعرفه منهم. وكان منهم الرجل الذي كان سبب المعرفة به وهو ينشد: (فلم تهوني ما لم تكن فيّ فانياً).

وحضرت غسله وجنازته، ولم أرَ في عمري جنازة أعظم منها. وازدحم الناس على حمل نعشه. فحملوه من مصر إلى تربة القرافة. ورأيت طيوراً بيضاً وخضراً ترفرف عليه، وصلينا عليه عند قبره. ولم يتجهّز جهاز حفره إلى آخر النهار، والناس يجتمعون حوله، والحال هم مختلفون في أمره فقال قوم: هذا تأديب في حقِّه؛ فإنّه كان يدّعي في المحبّة مقاماً عظيماً وهو كاذب في ذلك، فعاقبه الله تعالى بتأخير دفنه. ودعواه المحبة في مثل قوله رضي الله عنه:

يحشر العاشقون تحت لوائي وجميع الملاح تحت لواكا

كلّ من في حماك يهواك لكن أنا وحدي بكل من في حماكا

وقال قوم آخرون من عوام المعتقدين عليه: هذا التأخير في دفنه آخر ما يلقى الولي من أعراض الدنيا.

وكلّهم محجوبون عن مشاهدة مقامه إلا من شاء الله، وأنا أنظر بما فتح الله تعالى عليّ به من الكشف إلى الروح الشريفة المحمديّة عليها أفضل الصلاة والسلام وهي تصلي إماماً، وأرواح الأنبياء والملائكة والأولياء من الأنس والجنّ يصلون عليه مع روح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، طائفة بعد طائفة، وأنا أصلّي مع كلّ طائفة إلى آخرهم. فتجهّز القبر، ودُفن الشيخ فيه. وأقمت عنده ثلاثة أيام بلياليهن وأنا أشاهد من حاله ما لا تحتمل عقولكم شرحه. ثمّ توجهت إلى جعبر. وكانت هذه السفرة أول دخولي مصر ولسان الحال يقول لي هذا البيت :

جزاكَ الله عن ذي السعي خيراً ولكن جئت في الزمن الأخير

ثمّ جئت بعد ذلك إلى مصر، وأقمت فيها إلى زماننا.

قال مصنّف هذه الديباجة: حكى لي ولده الشيخ شهاب الدين أحمد بن الشيخ إبراهيم الجعبري ـ جمع الله بينهما في المقام الأحمد ـ قال: زرت مع والدي رحمه الله تعالى قبر الشيخ شرف الدين رضي الله، ومعنا جماعة من الكبار، فوجدناه عنده تراباً كثيراً فصرخ الشيخ:

مساكين أهل العشق حتى قبورهم عليها تراب الذلّ بين المقابر

وحمل الشيخ التراب في حجره وحملنا معه إلى أن نظفنا ما حول القبر.

وتوفي رضي الله عنهما بالقاهرة المحروسة بجامع الأزهر بقاعة الخطابة، وذلك الثاني من جمادى الأولى سنة اثنتين وثلاثين وستّمئة ودُفن من الغد بالقرافة بسفح المُقطّب عند مجرى السيل، تحت المسجد المبارك المعروف بالعارض الذي هو أعلى الجبل المذكور.

وقال مصنف هذه الديباجة: سمعت الشيخ زكي الدين عبد العظيم المنذريّ المحدّث يسأله عن تاريخ مولده فقال: بالقاهرة المحروسة، آخر الرابع من سنة سبع وسبعين وخمسمئة. وكذلك سمعته يخبر القاضي شمس الدين بن خلّكان لمّا سأله عن مولده رضي الله تعالى عنهم أجمعين. وهذا ما انتهى إليه الكلام من هذه الترجمة. وسكتُّ عن ذكر أحوال خارقة مبهمة خوفاً من رديء الانتقاد أو سيِّئ الاعتقاد، وقد سمَّيت هذه الترجمة عنوان الديوان، وجعلتها تبصرة للمحبّين والإخوان، وتذكرة بعدي للأولاد بمآثر الآباء والأجداد. وسألت الله تعالى أن يسلك بي وبهم مسالكه، وأن يجعلنا عزّ وجلّ ذريّة طيبة مباركة، وأجزت أن يرووه إجازة عنّي بسنده، كما أسندت سماعه إلى الشيخ عن ولده، وأشير على من طالعه وارتقى مطالِعَه بنظم السلوك في طريقة الملوك، ويتنسك بطريقتها التي تشرفت سلوكها زهّاد الملوك فنسأل الله تعالى أن يفتح لنا أبواب فهمها الفتّاح العليم كما قال سبحانه: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [٣٥ فاطر/٢] ويمنح قلوبنا علماً من علمها حتى نسرح تحت أستارها، ونشرح ما خفي من أسرارها، ونسفر لثامها، ونشرب مُدامُها؛ فإنّ دنان قوافيها مستورة في ختامها، وحسان معانيها مقصورة في خيامها؛ فلا يفهم رمزها ويستخرج كنزها إلا من بلغ أشده في مسيره، وسلك طريق ناظمها، وطرق طريق غيره واتبعه في سفره، وقبض قبضة من أثره، واستطاع موسى قلبه المحمّدي صبراً على متابعة خضره، وأحاط خُبراً بسِيَر محبّته وخبره؛ فما هُدي هذه الطريق إلا من أمدّه الله بالتوفيق، وأهّلهُ بين أهلها لسلوكها وأهّله فيها ملَكا أو مِلكاً من مُلُوكها؛ فإنّها سبيل مَنْ دعا إلى الله على بصيرة، وأصبحت طُرُق المحبّة اتّباعه منيرة؛ فإنّ الله تعالى أرسله إليه داعياً بإذنه، وراعياً إلى محبّته بعينه وأذنه، وجَعَله لأوليائه سراجاً منيراً، قد أُوتي من تبعه في محبّة الله خيراً كثيراً، فما عرف الله وسمعه إلا ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا

سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ [٤٨/ الفتح/ ٢٩] وقد مدَّت المحبّة عليهم ظلَّها وشربوا وابلها وطَلَّها ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٦٥]. ﴿وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ [٤٨/ الفتح/ ٢٦] وحازوا متابعة صاحب المقام المحمود وجازوا صُحبته إلى الجنّة تحت لواء الحمد المعقود له، وشربوا من الكوثر؛ وهو حوضه المورود، وفازوا معه بالنظر إلى وجه حبيبهم، وهذا هو غاية المقصود من الحبيب المشهود. وما نالوا هذا المقام الأعظم إلا باتّباع نبيِّهم حبيب حبيبهم صلّى الله عليه وسلّم وعلى آله وأصحابه، وعلى كلّ مَن أسلم وجهه لله فأسلم وجهه معه وآمن به وأسلم، وعلى إخوانه من الأنبياء والملائكة كلّما هبّ هواء وتنسم، وكلّما وجه محبّ بمحبّة الله وتبسّم. صَلاة دائمة ما دامت السموات تُتلى بركاتها على ألسنة أهل السُنَّة والفَرْض، وتُجلى عليهم في الطول والعرض، إلى يوم البعث والعَرض.

اللهم يا من له الأسماء الحسنى التي هي أسمى وأحسن الأسماء، يا من جعل كلمة المحبّة بقوله: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [٣٦/ يس/ ٨٢]؛ أصلها ثابت وفرعها في السماء، وغرس في قلوب المحبّين فرعها وأصلها، وأنزل سكينتها عليهم، وكانوا أحق بها وأهلها، وجعل نورها يتوقّد من شجرة مباركة؛ وهو النور الشريف المحمّديّ الذي سجدت له في وجه آدم الملائكة.

اللهم إنّك آتيتنا حرمته وجاهه، وجعلت لنا عندك باتّباعه في محبّتك وعبوديتك، اللهم فكما جعلتنا من أمّته أحينا وأمتنا على محبّتك في ملّته، وابعثنا إليك تحت لوائه، واللواء المعقود إلى مقامه المحمود. اللهمّ إنّك قد أخذتنا كلّنا ذرِّيّة من الظهور قبل الظهور وأشهدتنا على أنفسنا فقلت ألست بربّكم فقلنا بلى؛ فزدتنا بذلك نوراً على نور.

اللهمّ فكما عهدت إلينا بهذه الشهادة في القِدم وجعلت لنا بها عندك يا ربنا قدم صدق ـ وحبّذا هو من قدم ـ وأنعمت علينا، وجعلتنا من أهلها، وأظهرتنا في دنياك طاهرين ظاهرين على عدوِّنا وعدوِّك بقولها وفعلها، وأحسنت إلينا، ورزقتنا

الحُسنى، والنظر إلى وجهك الكريم، وفضلتنا على كثير من خلقك بهذه الشهادة. اللهم فافتح لنا أبواب رحمتك، وأنظمنا في سِلك عِقد عَقد أهل معرفتك، واشهد لنا بها بين يديك، وهذا اللهمّ عهدك إلينا وهذا عهدنا إليك؛ فأنت الحاكم الشاهد على كلّ مشهود في مقامه المحمود. اللهمّ اعفُ عنّا، واغفر لنا خطأنا وعَمْدَنا من الذنوب، واحفظ لنا شهادتنا هذه وعهدنا. وارحم آباءنا ومشايخنا وإخواننا، ومن آمن بك وأحبّك في سائر الملل. وأعذنا من السأم و الفتور والملل. ولا تجعل للشيطان علينا سلطاناً. واحرس منه قلوبنا التي جعلتها لك بيوتاً، ولمحبّتك أوطاناً. اللهم يَسِّر لنا أمورنا واشرح بأنوار محبّتك صدورنا. اللهم فقّهنا في محبّتك، وعلّمنا تأويل كلامك، وفهّمنا كلام أهل معرفتك حتى نهتدي بهم في السير إذا وفدنا عليك نقتدي بسلوكهم الذي يوصلنا إليك. اللهم إنّ عبدك منشئ هذا الديوان في محاسن معرفتك اللطيفة وتُرْجُمان سلطنة محبّتك الشريفة قد جعل الغرام قلبه جُذاذاً، ووجد بتلف مُهْجَتِهِ في هواك لَذاذاً، وتلت مثاني الجلال سورها، وَجَلَت عليه معاني الجمال صورها، وراقب أفلاك المعرفة؛ فأطلعت شمسها وقمرها، فهام بما لا تدركه الأفهام، وأقام نفسه في مقام محبَّتك باتّباع نبيّك وحبيبك محمّد عليه أفضل الصلاة والسلام، وسائر في محامل العشق ولمّا تراءت له جِمال هوادج الجَمال غلب عليه الحال فنادى فقال:

سَائِقَ الأَظْعَانِ يَطْوِي البِيْدَ طَيْ ... مُنْعِما عَـرِّجْ عَلَى كُثْبَـانِ طَـيْ

*

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر بالخير

[٢/ أ] الحمد لله الذي فتح خزائن الحقائق الإلهيّة بمفاتيح العناية والتوفيق، وكشف عن وجوه المعارف الربّانيّة قناعَ الصعوبة والاشتباه ببيان أهل التحقيق، وبيان أرباب هذا الطريق:

لا يعرف الشوق إلّا من يكابده ولا الصبابة إلّا من يعانيها

فسبحانه من إله أمدَّ قلوب أوليائه بملائكة الإلهام، النازلين بالسلام من حضرة الملك السلام، فهم لهذا الفريق نعم الرفيق ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾- إلى قوله - ﴿أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ﴾ [٤١/ فصلت/ ٣٠-٣١] مقالة رب بعبده رفيق.

وتبارك وتعالى من مولى كريم، أيد أرواح أصفيائه بأنوار العقول، وأسرار القبول، ونصر حزبهم المنصور في كل ضيق؛ فهم طيور الملكوت بالأذكار، لخطف نفوس أهل الإنكار: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [٢٢/ الحج/ ٣١].

نحمده وهو ولي الحمد في الآخرة والأولى، وهو الأحقّ به، والأوْلى على ما أحسن وأوْلى، ودفع عنا بعنايته ما لا نطيق. ونشكره على الطهارة من الشركين، ومن الكيف والأين، وإزالة البين من البين بانفتاح العين في العين، وجمع التفريق.

والصلاة والسلام على سيدنا محمّد النبي الأمين، والرسول المبين، الساري بهادته النوريّة، وكلّيته الروحيّة في كلّ شيء عند أهل اليقين والتصديق.

فمن تحقّق بذاته، وتخلّق بصفاته كمل في المتابعة بالتخليق ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [٩/ التوبة/ ١٢٨-١٢٩] فيا سعادة أهل هذا المقام الأنيق!.

ولقد ظهر بلباس الأولين، وسبق إلى حقيقة حقائق الأنبياء والمرسلين، كما هو ظاهر بالآخرين، فكان رحمة للعالمين، ولهذا نجا به إبراهيم من الحريق وموسى من الغريق، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين؛ تعميما لتفصيله بعد التخصيص بإجماله الوثيق. ورضوان الله تعالى عن آله الطاهرين، وأصحابه الظاهرين الذين قاموا معه في خدمة الآمر بالأمر، من غير تأخّر، ولا تعويق؛ فهم مطالع شموس حقيقته، ولوامع بروق طريقته، وكواكب سماوات شريعته، وبدور كمالات سيرته وسريرته؛ فكم بدر ظهر /[٢/ ب] من أهل بدر فعمل ما شاء؛ لأنه مغفور له بنص الحديث النبويّ لصيانة نسب تقواه العريق.

وعن التابعين لهم في الكمال بتجلّيات الجلال والجمال، من كل حميم صديق، وولي صدّيق ما نفحت نوافح الأزهار بالمسك الفتيق، ونفحته الرياض في قصب النرجس حتى تواجدت الأغصان، وشق حلته الشقيق.

أما بعد: فيقول العبد الفقير، والعاجز، الحقير، عبد الغنيّ بن إسماعيل بن عبد الغنيّ بن إسماعيل بن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الله بن محمّد بن عبد الرحمن بن إبراهيم عبد الرحمن بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة، المقدسيّ، النابلسيّ، الشاميّ، الدمشقيّ. رحم الله تعالى أجداده وأسلافه، وأدام إعانته في الخير وإسعافه، وختم له بالحسنى، وأمده بالمدد الأسنى.

إن علم الحقائق الإلهيّة - بعد علم الطرائق الإيمانيّة وعلم الشرائع الإسلاميّة - من أشرف ما كشفت عنه القلوب، وألطف ما نضحت به آنية الغيوب من حضرة

مقام المحبّ والمحبوب. [وإن ممن شرب من رائق زلاله أعذب كوب][1] وامتطى إلى ميدان فرسانه أشرف مركوب حتى دخل إلى حرم حرمته، وطاف حول كعبة حضرته، وإلى رفيع رتبته وصل، وبحبل مودته اتّصل، فحصل على المطلوب، وانفتقت له منه الجيوب، جنابُ العارف، الغارف من تيّار بحار المعارف، والخاطف القاطف من رياض معاني الأحداق والمعاطف، أزهارَ الإشارات في أوراق البشارات بين الجاذب والمجذوب، كهفُ إيواء العلوم، ونقطة باء الحرف المعلوم، وعين العين المدغم بتقارب المخرجين في ذات المعصوم، شرف الحقيقة ومقام التمكين، الكامل المحقّق، سلطان العشّاق، الشيخ شرف الدين، أبو حفص عمر المعروف بابن الفارض، صاحب الحقيقة الوسطى ذات الخيرية بين البكر والفارض، قدّس الله تعالى روحه، ونوّر ضريحه. فنضح إناؤه المفعم، ولمع طرازه المُعْلم، واشتهر ديوان شعره المنظوم كالدرِّ المنظّم، حتى قامت تغنّي به أفواه الأنام على عيدان الأوقات والأيام، في غالب بلدان الإسلام. وقد أَلِف كلامه أكثر الناس من الخاص والعام، وأنشده الحادي في بوادي النوادي، وهام به في كل واد، بإدراكات وأوهام، وكل أحد أخذ منه بمقداره، وصار يمشي في ظلمة ليله بنهاره، وفسره هذا بأنواع بدائعه وإعرابه، وتكلّم عليه [هذا] بفنون كثافاته وإغرابه، وأشار به هذا إلى أحبابه، ولوّح به هذا لزينبه المعشوقة له وربابه. وللناس أقوال مختلفة في معانيه ومذاهب. وكلّ واحد يميل به على مقتضى هواه، والتوفيق مواهب.

ولم أجد له شرحاً ينفض غبار عبارته، ويودع الأفهام إثارة من علم إشارته، غير شرحه المشهور الذي تصدّر له عالم زمانه، وفريد وقته وأوانه، العلّامة الشيخ

---

(١) الكلام بين قوسين من المطبوع نظراً لأنّ هناك تحويلة إلى الهامش في المخطوط من قبل الناسخ بينما نجد الحاشية غير موجودة، قد لحقها الحذف.

حسن البورينيّ[1] رحمه الله تعالى وعفا عنه، ولكنه [لـمّا] لم يكن من أهل هذا البيت جعل شرحه المذكور كأسلوب شرح كلام الشعراء، ولم يتقد سراج بصيرته بذلك الزيت، ومصداقه أنه لم يشرح التائيّة الكبرى، التي شرحها كثير من المحقّقين العارفين قبله، وكانوا بها أدرى، وترك أيضاً شرح (ديباجة الديوان)، وأفهم الجميع أن كلام الناظم تغزّل بالغزلان، وأعرض عن المعاني الإلهيّة والإشارات الربّانيّة، مع أنها المقصودة في كلام أهل العرفان. فيا ليته لم يدخل إلى هذه البيوت؛ فإن أبوابها مقفلة على/ [٣/ أ] من لم يلج عالم الملكوت نعم إنه ـ رحمه الله بالهوى، ولكل امرئ ما نوى- ضبط الكلمات والألفاظ، وخدم الأوزان الشعرية والنكات الأدبية؛ فأعجب الحفاظ، ومَنْ ينظر بالألحاظ، فجزاه الله تعالى الجزاء الجزيل، وأثنى عليه الثناء الجميل؛ فإن روائح الحدائق تفوح.

ولقد أخذتني الغيرة الإيمانيّة، وحرّكتني الحمية الربّانيّة على كلام أهل الله تعالى- الذي ليس بشعر ولا من شاعر- أن يُشرح بالمعاني الغزليّة التي عكفت عليها أفهام الغافلين، وأخذت منهم بالمشاعر، كما قال الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي[2] قدّس الله سرّه:

كلامنا ليس بشعر ولا من	شاعر بل وارث مصطفى
أنطقه الله به مثلما أنطق	أهل الدّين والاصطفا

(١) الحسن بن محمّد بن محمّد بن حسن الصفّوري البورينيّ، من بورين في ساحل فلسطين. ٩٦٣-١٠٢٤هـ. مفسّر مؤرِّخ أديب شاعر. من تصانيفه الكثيرة: حاشية أنوار التنزيل للبيضاوي، البحر الفائض في شرح ديوان ابن الفارض، انظر معجم المؤلّفين، ج٣ ص٢٩١، المحبّي: خلاصة الأثرج٢ص١٥.

(٢) محمّد بن علي بن محمّد، محيي الدين، لقّب بالشيخ الأكبر، ولد في مرسية بالأندلس، ارتحل إلى المشرق. له الكثير من المؤلفات، منها: الفتوحات المكّيّة وهو من أهمّ كتبه و«مواقع النجوم» الذي صدر بتحقيقنا: خالد الزرعي وعبد الناصر سري. وله ديوان شعر شرحه بنفسه، سمّاه: «ترجمان الأشواق».

ولقد نظم الشيخ الأكبر، قدّس الله سره، ديوانه المسمّى «ترجمان الأشواق» بلسان الغزل، ثم قال في شرحه: وكان سبب شرحي لهذه الأبيات أن الولد بدر الحبشي[1] والولد إسماعيل بن سودكين[2] سألاني في ذلك؛ وهو أنهما سمعا بعض الفقهاء بمدينة حلب ينكر أن هذا من الأسرار الربّانيّة والتنزيلات الإلهيّة، وأن الشيخ يتستّر، لكونه منسوباً إلى الدين والصلاح، فشرعت في شرح ذلك. وقرأ عليّ بعضه القاضي ابن العديم بحضرة جماعة من الفقهاء، فلما سمعه ذلك المُنكِر الذي أنكره تاب إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ ورجع عن الإنكار على الفقراء وما يأتون به في أقاويلهم من الغزل والتشبيب، ويقصدون بذلك الأسرار الإلهيّة إلى آخر كلامه الدالّ على مقصوده ومرامه؛ فإن لسان الغزل إذا كان كناية عن غيره، والهزل كناية عن الجدّ فلا مُشاحة في الاصطلاح بين أهل الدين والصلاح، فلا يُحمل الكَلام إلا على ذلك، ولا يُسلك فيه غير هذه المسالك، ومن لم يعرف الاصطلاح فليُسلِّم؛ فإنه أسلم، والله أعلم.

ولا يخفى أن المعنى الغزليّ المفهوم عند العموم لا يسوِّغ لأحد أن يتّهم أهل الله به، وليتعظ اللبيب الناصح لنفسه وينتبه. ويستحيل عند جميع العارفين بالله تعالى أن يكون مرادهم فيما يتكلمون به غير الله، وقد أشار إلى ذلك العارف الكامل أبو مدين الغوث[3] قدّس الله سره من قصيدة له بقوله عن الحقيقة الإلهيّة:

---

(١) بدر الحبشي: عاش قبل (٦٣٨هـ ـ ١٢٤٠م)، صوفيّ، من آثاره: الانباه على طريق الله، وهو بعض ما سمعه من شيخه ابن عربي. انظر معجم المؤلّفين ج٣ ص٣٩.

(٢) إسماعيل بن سودكين، نسبه إلى نور الدين الشهيد، (ت٦٤٦)هـ. تلميذ ابن عربي، وقد كتب أغلب كتبه. له شعر وله مؤلّفات عديدة، منها في التصوّف:شرح التجلّيات الإلهيّة لابن عربي، ولواقح الأسرار ولوائح الأنوار في سبعة أجزاء، انظر الأعلام للزركلي١٣/ ٣٧٢.

(٣) أبو مدين: شعيب بن الحسين، ولد في إشبيلية وتوفي بتلمسان ودفن فيها سنة٥٩١هـ على اختلاف في سنة الوفاة. شيخ أهل المغرب كبير الصوفيّة فيها، كان من أهل العمل والاجتهاد، منقطع القرين في العبادة والنسك، وكراماته مشهورة. آخر كلامه: الله الحيّ ثمّ فاضت روحه. انظر الوافي بالوفيات ج٥ ص٣٠٨.

عرفنا بها كلّ الوجود ولم نزل إلى أن بها كل المعارف أنكرنا

يعني: فأنكرنا أنّها غير هذه الحقيقة الإلهيّة، وقد أشار إلى ذلك المصنّف قدّس الله سره بقوله:

ولو خطرت لي في سواك إرادة على خاطري سهواً قضيتُ بِردَّتي

وذلك لمعرفته بهذه الحقيقة المذكورة، حتى يكاد العارف أن يقول: إن جميع معاني كلماتي الثلاث التي أتكلم بها: الاسم والفعل والحرف هي هذه الحقيقة المذكورة.

وقد أشار إلى ذلك العارف الكبير الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي رضي الله تعالى عنه بأبياته التي في أول ديوانه «ترجمان الأشواق» وهي قوله:

كلُّ ما أذكره من طلل أو ربوع أو مغانٍ كل ما

وكذا إن قلت ها أو قلت يا فأشارات إليها وإمّا

وكذا إن قلت هي أو قلت هو أو هُمُ أو هُن جمعاً أو هما

وكذا إن قلت قد أنجد بي قدرٌ في شعرنا أو أَتْهَما

وكذا الزهر إذا قلت بكت وكذا الزهر إذا ما ابتسما [٣/ب]

أو أنادي بحداة يمّموا بانة الحاجر أو وُرْق الحمى

أو بدور في خدور أفلت أو شموس أو بنات أنجما

أو بروقٍ أو رعود أو صَبا أو رياح أو جنوب أو شمال

أو طريقٍ أو عقيق أو نقا أو خيال أو جبال أو رِمال

أو خليل أو رحيل أو ربا أو غياض أو رياض أو حمى

أو نـــساء كاعبـــاتٍ نهَّـــد طالعـــات كـــشموسٍ أو دُمـــى

كـــلّ مـــا أذكـــره ممـــا جـــرى ذكـــره أو مثلـــه إن تفهـــما

منـــه أسرار وأنـــوار جـــلا أو عـــلا جـــاء بهـــا ركـــب الـــسم

لفـــؤادي أو فـــؤاد مـــن لـــه مثـــل مـــا لي مـــن شروط العُلـــم

صـــفةٌ علويّـــةٌ قدّســـيةٌ أعْلمـــتْ أن لـــصدقي قـــدما

فـــاصرف الخـــاطر عـــن ظاهرهـــا واطلـــب البـــاطن حتـــى تعلـــما

ولله درّ بهاء الدين زهير- الشاعر المشهور- وإن لم يُعرف من هذا الفريق؛ ولكن في بعض شعره رائحة من روائح هذا الزهير حيث قال:

يـــا مَـــن أكابـــد فيـــه مـــا أكابـــده مـــولايَ أصـــبرُ حتـــى يحكـــم الله

وقوله (حتى يحكم الله): يمكن أن يكون تعمية هنا، وإنما خطابه لله، فهو يكابد ما يكابده، أي: يجاهد ليشاهد من حضرة الربوبية، أو غيره من الحضرات. والأمر موقوف على حكم الاسم الجامع اسم الله، ثم قال بعده:

سـميتُ غـيرَك محبـوبي مغالطـة لمعـشر فيـك فـاهوا بـما فـاهوا

أقـول زيـد وزيـد لـست أعرفـه وإنـما هـو لفـظ أنـت معنـاه

وكـم ذكـرت مـسمّى لا اكـتراث بـه حتّـى يجـرّ إليّ ذكـراك ذكـراه

ومن هذا القبيل قول المصنّف قدّس الله سره:

فلـو قيـل مـن تهـوى وصرحـت لقـالوا كنـى أو مـسه طيـف جِنَّـة

يعني: كان الغافلون يقولون: كنى عن محبوبته بما ذكر. أو أنه أصابه جنون؛ لأن هذا المراد الذي ذكرنا لا يُسلّم الغافلون أنه ممكن أصلاً، فضلاً عن كونه واقعاً حاصلاً لشخص بعينه؛ لبعد عقولهم عنه بتمكنهم في الإعراض عن الحقّ تعالى،

وتألُّفهم واعتيادهم على إدراك الأغيار، واحتجابهم عن معارف أهل الله تعالى، ذوي الأسرار.

والحاصل: إن شرح كلام أهل الله تعالى كله إنما يُشرح بالله في حقّ الله لا غير. والذي يعدل عن ذلك فقد حرّف الكلم عن مواضعه.

هذا وقد رأينا ما يؤيِّد ما ذكرنا؛ وذلك أنه ذكر الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه في الفتوحات المكّيّة، في الباب الثامن والتسعين وثلاث مئة قال: «روينا عن منصور ابن عمار[1] أنه رآه إنسان بعد موته - وكان من الواعظين - فقال له: يا منصور، ما لقيت؟. فقال: أوقفني الحقّ تعالى بين يديه، وقال لي: يا منصور، بمَ تقربت إليّ؟. فقلت له: كنت أعظ الناس وأذكِّرهم. فقال: يا منصور، بشعر زينب وسعاد تطلب القرب مني، وتعظ عبادي، وذكر لي أشعاراً كنت أنشدها على المنبر مما قاله أهل المحبّة في محبوباتهم. فشدّد عليّ، ثم قال لي: إنّ بعض أوليائي حضر مجلسك، فقلتَ في ذلك المجلس: اللهمّ اغفرْ لأقسانا قلباً، وأجمدنا عيناً. فقال ذلك الوليّ الذي حضر عندك: اللهمّ اغفر لَمن هذه صفته، فاطّلعتُ، فلم أرَ أجمد عيناً، ولا أقسى قلباً منك، فاستجبت فيك دعاء وليّي فغفرت لك». فلا ينبغي أن/[٤/أ] يُنشد واعظ في مجلسه إلا الشعر الذي قصد فيه قائله ذكر الله بلسان التغزل أو بغيره؛ فإنه من الكلام الذي أهلَّ الله به، فهو حلال قولاً وسماعاً؛ فإنه مما ذكر اسم الله عليه ولا ينبغي أن يُنشد في حقّ الله تعالى شعراً قصد به قائله في أوّل وضعه غير الله نسيباً كان، أو مديحاً؛ فإنه بمنزلة من يتوضأ بالنجاسة قربةً إلى الله؛ فإنّ القول في المحدث حدث بلا شك. وقد نبَّه الله في كتابه على هذه المنزلة بقوله:

---

(١) منصور بن عمّار، كنيته أبو السري، أصله من مرو، أقام بالبصرة، وكن من أحسن الناس كلاماً في الموعظة، وكان من حكماء المشايخ. وأسند الحديث، مات ببغداد سنة ٢٢٥هـ. انظر طبقات الصوفيّة ج١ ص٤٩.

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [٦/ الأنعام/ ١١٩] وقوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ [٦/ الأنعام/ ١٢١] وقال: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ [٥/ المائدة/ ٣] والشعر في غير الله ممّا أُهِلَّ لغير الله به، فإنّه للنيّة أثر في الأشياء، والله تعالى يقول: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [٩٨/ البيّنة/ ٥] والإخلاص النيّة. وهذا الشاعر ما نوى بشعره إلا التغزل في محبوبه، أو المديح فيمن ليس له بأهل لما شاهد به فيه. ولقد كتب إليّ شخص من إخواني بكتاب يعظمني فيه؛ بحيث أنه لقّبني فيه بثلاثة وستين لقباً، فكتبت إليه: ﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ [٤٣/ الزخرف/ ١٩] وذكرت له مع هذا في جواب كتابه أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: «لا أزكّي على الله أحداً ولكن يقول: أحسبه كذا، أو أظنّه كذا»[1]. ويقول الله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [٥٣/ النجم/ ٣٢]. فلو نوى جانب الحقّ هذا القائل ابتداءً في أي صورة شاء ربّما كان ذلك القول قربة إلى الله، فإنّ الأعمال بالنيّات، وإنّما لكل امرىء ما نوى؛ فإنّ الله مطّلع على ما في نفس الإنسان، ولله يوم تبلى فيه السرائر، وكلّ ما كان قربة إلى الله شرعاً فهو ممّا ذُكِر اسم الله عليه، وأُهِلَّ به لله. وإن كان بلفظ التغزّل، وذكر الأماكن والبساتين والجوار. وكان القصد بهذا كلّه ما يناسبها من الاعتبار في المعارف الإلهيّة، والعلوم الربّانيّة فلا بأس. وإن أنكر ذلك المُنكِر فإنّ لنا أصلاً نرجع إليه فيه، وهو أنّ الله تعالى يتجلّى يوم القيامة لعباده في صورة يُنكر فيها، حتى يتعوّذوا منها، فيقولون: نعوذ بالله منك لست ربّنا، وهو يقول: أنا ربكم، وهو هو تعالى. وهنا سرّ في تجلّيه، فابحث عنه في معرفة العقائد واختلافها. كذلك هذه الألفاظ وإن كان صورة المسمّى فيها في الظاهر غير الله

---

(١) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب: الهبة وفضلها. باب: إذا زكّى رجل رجلاً كفاه، ٢٥١٩ .

ـ وهو خلاف ما نواه به القائل ـ فإنّ الله تعالى لا يعامله إلا بما نواه في ذلك. ويدلّ عليه أحوال القائل، كما قيل: ينظر إلى القول وقائله. يريدون: وحال قائله ما هو. فإن كان وليّاً فهو الولاء وإن خشن، وإن كان عدوّاً فهو البَذاء وإن حَسُن، كما نذكر نحن في أشعارنا؛ فإنها كلّها معارف إلهيّة في صورة مختلفة: من نسيب، ومديح، وأسماء نساء، وصفاتهنّ، وأنهار، وأماكن، ونجوم. وقد شرحنا من ذلك نظماً لنا بمكّة سمّيناه: «ترجمان الأشواق»، وشرحناه في كتاب سمّيناه «الذخائر والأعلاق»؛ فإنّ بعض فقهاء حلب اعترض علينا في كوننا ذكرنا أنّ جميع ما نظمنا في هذا الترجمان إنما المراد به معارف إلهيّة وأمثالها، فقال: «إنّما فعل ذلك لكونه منسوباً إلى الدين، فما أراد أن ينسب إليه مثل هذا الغزل والتشبيب فجزاه الله خيراً لهذه المقالة؛ فإنها حركت دواعينا. فلما وقف على شرحه تاب إلى الله من ذلك ورجع». انتهى كلامه.

هذا وقد رأيت شرحاً آخر على قصائد الديوان، بلسان الإشارة العرفانيّة، وعذب عبارة ذلك اللسان، للشيخ الإمام العامل، والفاضل العلّامة الكامل، الشيخ محمّد العَلمي المقدسيّ[1]، تغمده الله برحمته، أرسله إلى جهتي بعض أولاده، فجزاه الله تعالى الخير على مقصوده ذلك ومراده. وقد أجمل فيه لطائف معاني الديوان، وقفل أبوابه على /[٤/ب] أهل السلوك والعرفان، فإذا جاءها من جهته طارق لم يجد الفتح فيقنع بالإيمان. وجعله ـ رحمه الله تعالى ـ كلّه بالأسجاع، ولم يُفهمه للقلوب، وأطرب به الأسماع وأعرض عن شرح الديباجة، وعن القصيدة التائيّة الكبرى كذلك، ولم أجد المقاطيع، ولا الألغاز مشروحة فيه، والله أعلم بما هنالك.

---

(١) محمّد العلمي، المقدسيّ، الرفاعي، صوفيّ مشهور، زاهد من أهل الطرق، توفي (١٠١٨)هـ، انظر معجم المؤلّفين ج٣ص٢٨.

ولقد كنت بُرهة من الزمان أتحدث بين الإخوان بكتابة شرح لطيف على جميع الديوان- وإن كان فيه من كلام الغير ما عساه يكون؛ فإنه لأجل عين واحدة تكرم عيون ـ أسلك فيه مسلك الإشارة إلى بواطن المعاني بظواهر المباني،على حسب الفتح الربّانيّ، والفيض الصمدانيّ؛ لينتفع به القاصي والداني، على حسب ما تيسّر لي من الفهوم، وينكشف لي من إشارات العلوم، بمدد الحيّ القيّوم؛ إذ لا مادة لي غير ذلك أستمدّ منه، وأصدر عنه؛ فإنه عمدتي على كلّ حال. ومنه كانت تربيتي في حجور الكمال، فحرّكتني بواعث فضله العميم، وحثتني أيادي إحسانه القديم، أن أشرعُ في تصنيف الشرح المذكور، متكلاً على كرمه الفيّاض، وعلمه الذي تنفد دونه البحور، حتى أمسكت قلم التوفيق، وغمسته في دواة التحقيق، وأجريته على قرطاس الإحساس؛ لأن فيه تذكرة ومتاعاً للناس. وسمّيته: كشف السرّ الغامض في شرح ديوان ابن الفارض. والله المسؤول أن يمنحني عناية من عنده، ويزل لي من عطائه ورفده، وأن يكفيني شرّ الحاسدين، ويرفع عنّي ظلمات بغي المعاندين، وأن يلطف بي في الدارين، ويجعلني من خير الفريقين؛ إنه جواد كريم، غفور رحيم. وقد صحّت لنا - ولله الحمد ـ رواية هذا الديوان المبارك، وجميع ما ثبت للشيخ عمر بن الفارض من القصائد، والمؤلفات، والمرويات. وهو أننا نروي ذلك بعموم الإجازة عن شيخنا الإمام العلّامة، العمدة الفهّامة، والدنا المرحوم الشيخ إسماعيل بن عبد الغنيّ بن إسماعيل الشهير بالنابلسيّ[1] عن الإمام العلّامة أبي العباس أحمد بن محمّد المقّريّ، التلمسانيّ، المالكيّ،

وعن عمّه قدوة الأئمّة، وسند الأمّة أبي عثمان سعيد بن أحمد المقّريّ، مفتي تلمسان ستين سنة، عن أبي زيد عبد الرحمن بن علي بن أحمد العاصمي المعروف

(١) هو إسماعيل بن عبد الغنيّ بن إسماعيل بن أحمد، الفقيه الأديب. له كتاب الأحكام في شرح الدرر ومقدّمات التفسير. توفي سنة ١٠٦٢هـ. انظر: خلاصة الأثر ج١ ص ٤٠٨.

بسُقَين. ونرويه ـ عالياً ـ عن شيخنا، شيخ الإسلام، مسند دمشق الشام، نجم الدين محمّد الغزّيّ العامريّ عن شيخ الإسلام والده بدر الدين محمّد الغزّيّ العامريّ وهو وسُقَين عن شيخ الإسلام القاضي زكريّا الأنصاريّ، عن شيخ الإسلام الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلانيّ الكنانيّ، عن الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد الغزّيّ، وأبي علي محمّد بن أحمد بن محمّد الفاضليّ، كلاهما عن أبي النون يونس بن إبراهيم الدبوسيّ عن الحافظ زكيّ الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذريّ، عن ناظمه سلطان العشّاق، شرف الدين أبي حفص عمر المعروف بابن الفارض.

ونرويه أيضاً عن شيخنا علّامة الدنيا أبي الضياء نور الدين علي الشبراملسي الأزهريّ فيما كتبه لي من مصر المحروسة، عن العلّامة نور الدين علي الأجهوري، عن العلّامة نور الدين علي القرافي عن الحافظ جلال الدين السيوطيّ.

ونرويه عن شيخنا النجم الغزّيّ، عن والده البدر الغزّيّ، عن الحافظ السيوطيّ رحمه الله تعالى، قال في شرح يائية ابن الفارض / [٥/ أ] ما نصه: أخبرني بهذه القصيدة وسائر الديوان محمّد بن عقيل، إجازة مكاتبة من حلب، عن أبي طلحة محمّد بن علي بن يوسف الحرّاوي عن الحافظ شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدمياطيّ، عن الحافظ زكيّ الدين عبد العظيم بن عبد القويّ المنذريّ، عن الشيخ شرف الدين عمر بن الفارض، قدّس الله سره. وأخبرني به شيخنا شيخ الإسلام شرف الدين يحيى بن محمّد بن المناويّ الشافعيّ، إجازة عن قاضي القضاة ولي الدين أبي زُرعة، عن بن الحافظ أبي الفضل العراقي عن أبي الحرم القلانسي، عن أبي حامد محمّد بن الشيخ شرف الدين عمر بن الفارض، إجازة عن والده صاحب الديوان، قدّس الله سره. ولنشرع في شرح الديباجة أولاً بحسب الإمكان، وبالله المستعان، وعليه التكلان، فنقول، ومن الله القبول.

شَرحُ دِيبَاجَةِ الدِّيوَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أي: بمعونة الاسم الجامع للأسماء، ابتداء هذا الأمر ليكون الوجود اللفظيّ والرسميّ على طبق الوجود العينيّ والعلميّ، فتنكشف الأمثال المضروبة للحقيقة المطلوبة، فإن أسماء الله تعالى واسطة بين الذات والآثار؛ إذ هي التعيّنات الأزليّة منها، فإذا وُجد ذلك في اللفظ والرسم فقد طابق العين والعلم.

و(**الرحمن الرحيم**): اسمان مشتقان من الرحمة، وبها ظهر الوجود العينيّ، فتفصّلت جميع الأنواع في الحسِّ والعقل، فمعنى (**بسم الله**): حضرة الغيب، ومعنى (**الرحمن الرحيم**): حضرة الشهادة الدافعة الريب. أو معنى **بسم الله** تحقيق الذات. ومعنى (**الرحمن الرحيم**) ثبوت مراتب الأسماء والصفات. أو معنى (**بسم الله**) حقيقة الوجود، و معنى (**الرحمن الرحيم**) أعيان المقادير والحدود، أو معنى (**بسم الله**) تقدير الأعيان في الأزل. ومعنى (**الرحمن الرحيم**) إيجادها في ما لم يزل. أو معنى (**بسم الله**) حصول الجمع بالحقّ. ومعنى (**الرحمن الرحيم**) التمييز بالفرق. أو معنى (**بسم الله**) إثبات الأكوان بالإيجاد. ومعنى (**الرحمن الرحيم**) تدبيرها على حكم الاستقامة والفساد. أو (**بسم الله**) إشارة إلى عالم الأرواح. و(**الرحمن الرحيم**) إشارة إلى عالم النفوس والأشباح. أو (**بسم الله**) إشارة إلى حضرة الحقّ الفاخرة. و(**الرحمن الرحيم**) إشارة إلى الدنيا والآخرة.

(**الحمد لله**): أي الشكر لمقدِّر الجميع وموجدهم، بحكم اسمه السميع البصير، واللام لاستغراق الجنس، أي: الظهور بالوجود من كل شيء موجود لله تعالى، المطلق دون غيره من جملة القيود (**الذي اختصّ**): أبلغ من خصّ؛ لزيادة المبنى في

متَّحد الصيغة؛ فإنّه يدلّ على زيادة المعنى كقطع وقطّع، بتشديد أحدهما، بخلاف حذَر وحاذر.

(حبيبه): أي محبوبه، والمحبّة منه تعالى صفة قديمة تقتضي حضور محبوبه لديه، وخلع حلته، وهي الوجود عليه. والأشياء كلّها حاضرة عنده تعالى من الأزل، وهي في غيب ذواتها، فلمّا نزل إليها بها لوصف المحبّة القائمة به أحضرها عندها، فزال غيبها عنها، فأخبرها أنه يحبّها، وأنّها تحبّه بقوله: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [٥/ المائدة/ ٥٤] فحبّه لها اقتضى حبّها له؛ فإنَّ حبّه لها أثبت أعيانها في التقدير، وحبَّها له وصف أعيانها بالوجود والتصوير، وحبّها له هو عين نزوله إليها بها؛ فهي كلّها مخلوقة من نور محمّد صلّى الله عليه وسلّم؛ فالمحبيّة والمحبوبيّة له صلّى الله عليه وسلّم؛ فهو المحبّ والمحبوب، وهو كلّ محبّ، وهو كلّ محبوب، والمحبّ هو المحبوب باعتبار النزول إليهم بهم كما ذكرنا؛ فالمحبّ جاهل بالأمر في نفسه، مدّعٍ ما ليس له بين أبناء جنسه، والمحبوب متحقّق عارف، ومن بحر الفضائل غارف؛ ولهذا/ [٥/ ب] قال: (حبيبه) ولم يقل: (محبّه).(الأسنى) من السناء بالمدّ: وهو الرفعة، أو السنا بالقصر: وهو الضياء والنور؛ وهو صلّى الله عليه وسلّم، مرتفع على الجميع؛ لأنّه وجودها الأول، وهي وجوده الثاني، والفرق بينهما بالاعتبار، وهو أيضاً محض النور في حالة الظهور، وإن استعير لما سواه اسم المذكور. قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [٧٦/ الإنسان/ ١] أي فكان نوراً محمّدياً محضاً، ثمّ اعتُبر كونه إنساناً فذكر باسم الغير، فصار شيئاً، وهو هالك، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [٢٨/ القصص/ ٨٨]. ثم سمِّي إنساناً لنسيانه نفسه ما هي؛ ولهذا قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ﴾ [٣٦/ يس /٧٧] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ﴾ [٢٠/ طه/ ١١٥]. وهناك ما لا يقال من أسنى الأحوال. (بمقام): متعلّق باختصّ، والمقام يقتضي الدوام والثبوت، والحال للتحول والزوال، ومحمّد صلّى الله عليه وسلّم كان ثابتاً

على قدم الرسوخ؛ فهو صاحب مقام لا حال. (قاب): وهو ما بين مقبض القوس ومدخل الوتر، فلكل قوس قابان أو قاب. أي: قدر، كما يقال: بينهما قَاب قوسَين، وقِيب قَوس، وقَاد قَوْس، وقِيد قوس، أي: قَدْر قَوْس، ذكره الجوهري .(قوسين): تثنية قَوْس، وقيل: إنه من القلب. أراد قابي قوس. (أو أدنى): أي أقرب من ذلك؛ وهو قوله تعالى في قرب محمّد صلّى الله عليه وسلّم منه تعالى: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ [٥٣-/ النجم/ ٨-٩] أي: دنا منه ربّه؛ لأنه محبوب ربِّه، والمحبوب مطلوب لا طالب؛ وهو كمال التحقيق بما الأمر عليه في نفسه، وهوأن الدنوّ من جهته تعالى، ولا شيء من جهة العبد أصلاً. (فتدلّى): أي نزل إليه ربّه بوصفه بالوجود في مقام الشهود. (فكان): أي ربّه تعالى، أو هو عليه السلام (من ربّه): سبحانه. (قاب قوسين): أي مقدار قرب القاب من القوسين إذا وضع كلّ واحد منهما مقابلاً للآخر؛ بحيث تخرج منها دائرة مقسومة بالوترين. وأفرد القاب مع إضافته إلى القوسين؛ فيكون أربعة أقواب، لكل قوس قابان لإرادة الجنس، أو إشارة إلى أن كلّ قاب، أي: طرف من الدائرة المحمّديّة عين الطرف الآخر، فكان الأطراف الأربعة طرف واحد قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ﴾ [٥٧/ الحديد/ ٣] فهي الأطراف الأربعة، والمبتدأ هو والخبر غير المبتدأ باعتبار، وعينه باعتبار آخر، كقولك: زيد قائم؛ الموصوف بالقيام خبر لقولك زيد، وهو زيد في المعنى. وكذلك هنا فإن النور المحمّدي الذي هو أول مخلوق كما ورد في الحديث: «أول ما خلق الله نور نبيّك يا جابر». ثم خلق منه كلّ ظاهرٍ بالصورة، وكان باطناً بالمادة لعدم اعتبارها في حال اعتبار الصورة، ثم لـمّا أخبر تعالى أنّه هو عين النور المحمّدي باعتبار، وغيره باعتبار كما ذكرنا أخبر أنّه تعالى أيضاً بالنسبة إلى جميع الصور كذلك، فقال سبحانه: ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [٥٧/ الحديد/ ٣] فظهرت الدائرة المحمّديّة باعتباراتها الأربع، وكان القرب فيها عين قوله تعالى هو في الموضعين، فقال صلّى الله عليه وسلّم بلسان الجمع: «لايزال

عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها»[1] وهو عين الدنوّ والتدلّي منه تعالى في قاب القوسين، وهي الأعضاء الأربعة. وقوله (أو أدنى): هو الظهور الذاتي/ [٦/ أ] النافي لمراتب الأسماء والصفات؛ فلا دنو ولا تدلّي، ولجميع مراتب الآثار؛ فلا قاب، ولا قوسين. وهنا انتهى سير الجميع، ومحيت دائرة التربيع، (وقرن): أي الله تعالى. (اسمه): أي اسم محمّد صلّى الله عليه وسلّم. (الشريف): أي الرفيع القدر (بأعظم أسمائه) تعالى الحسنى، وهو اسم الله؛ فإنّه الاسم الأعظم على ما عليه الأكثر. ذكر اسمه مع اسمه في الشهادتين، كما ورد في حديث جبريل عليه السلام حين سأله عن الإسلام، فقال: «بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمّداً رسول الله»[2] إلى آخره.

وهو صلّى الله عليه وسلّم لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى. وكان يوحى إليه عليه السلام بالقرآن وبالسنّة أيضاً، كما ذكرناه في كتابنا: «الحديقة النديّة شرح الطريقة المحمّديّة» (وأشهد): أي أكشف وأعاين. (أن لا إله): أي معبود بغاية الذّل له، وهو معنى العبادة؛ ولهذا ورد في الحديث: «تعس عبد

(١) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب الرقاق، باب: التواضع، ٦١٣٧، عن أبي هريرة، رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «إنّ الله قال: من عادى لي وليّاً فقد آذنته بالحرب، وما تقرّب إليّ عبدي بشيء أحبّ ممّا افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتّى أحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإنْ سألني لأعطينّه، ولئن استعاذني لأعيذنّه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله تردّدي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته». انظر: كتاب سرّ الأسرار للشيخ عبد القادر الجيلاني بتحقيقنا، مشترك، ص١٣٦، ففيه تعليق مفيد على هذا الحديث مفيد وشافٍ للدكتور عبد الكريم اليافي رحمه الله تعالى.

(٢) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب الإيمان، باب : الإيمان وقول النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «بني الإسلام على خمس» ٨، كما رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب: بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام،١٢. كذلك في باب معرفة الإيمان ج١/ ص١١٤.

الدرهم تعس عبد الدينار»[1]. وهو إشارة إلى أن من أذلّ نفسه لشيء غاية ما يمكنه من الذلّ؛ فقد عَبَدَ ذلك الشيء. والمؤمن صاحب كشف ومعاينة؛ فهو يذلّ لكلّ شيءٍ غاية الذلّ، ولا شيء عنده؛ لأن كلّ شيء هالك، فلا يعبد إلا الله تعالى عن كشف ومعاينة. (وليّ): فعيل بمعنى فاعل، أي: متولّي جميع أمور عباده، أي: المؤمنين به كما ذكرنا؛ فالوليّ له الولاية على عبيده وعباده، فلا ينفذ منهم تصرف في ظواهرهم وبواطنهم إلّا بإذنه تعالى، ولا يأذن سبحانه إلا بخير، كما قال: ﴿وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [٤٢/ الشورى/ ٢٨] وقال: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [٤/ النساء/ ٧٩]. وإذا أراد سبحانه أن يخلقِ الشرّ أَذِن للنفوس أن تريد، فلا تريد إلا الشرّ فيخلقه لها، وهو قوله: ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [٤/ النساء/ ٧٩]. (وحبيب): أي محبوب. (عبّاده): بالتشديد، جمع عابد، أي: هو تعالى المحبوب لمن يعبده بالصدق والإخلاص؛ فإنه تعالى يقبل منه عبادته، ويظهر له على حسب استعداده في مقام الأفعال، فيُحسن إليه في الدنيا. فإذا رأى عليه إحسان ربّه أحبّ ربّه تعالى، وكذلك إذا رأى جماله سبحانه في حضرة أفعاله الحسنة. (وأشهد): أي أكشف، وأعاين أيضاً. (أنّ محمّداً): بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم صلّى الله عليه وسلّم (عبده): أي عبد الله تعالى (ورسوله): أي [رسول] الله تعالى إلى كافة العالمين. (وحبيبه تعالى): أي محبوبه كما مرّ. و(خليله): أي صاحب زيادة محبته الواصلة إلى خُلّته، وأصلها من التخلّل. والوجود المطلق تخلّل تقديره العدميّ بصفة القيّوميّة عليه، ثمّ كشف له عنه، أو تخلّل التقدير العدمي ذلك الوجود المطلق عن كَشف وشهود بالحال المخصوص؛ فهو خليله، قال عليه السلام: «لو

(١) قطعة من حديث أخرجه البخاريّ، في صحيحه كتاب: في كتاب الجهاد، باب: الحراسة في الغزو في سبيل الله، ٢٨٨٧، وفي كتاب الرقاق، باب: الحراسة في باب ما يتّقى من فتنة المال، ٦٤٣٥عن أبي هريرة، بلفظ: تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة؛ إنْ أُعطي رضي، وإنْ لَمْ يُعطَ لم يرضَ.

كنت متخذاً خليلاً غير ربّي لاتخذت أبا بكر»[1]. فأثبت خُلّته لله تعالى. وفي نفس الأمر ذلك خُلّة الله تعالى له كما قدّمناه في المحبّة. (صلّى الله): أي أنزل رحمته تعالى العامة بالإيجاد، والخاصة بالإمداد. (وعليه): أي على محمّد رسول الله صلوات الله عليه وسلامه. (وعلى آله): أي أنسابه، وذوي قرابته المؤمنين به صلّى الله عليه وسلّم، أو كلّ مؤمن به إلى يوم القيامة. (الشرفا): جمع شريف.

(**وأصحابه**): أي كلّ من لقيه عليه السلام مؤمناً به ومات على الإيمان. أو من شهد نوره الساري في الأعيان بأنواع الكشف والبيان، وهو الكامل في الإيمان، والمعرفة والإيقان. وذلك باق إلى يوم القيامة، كما أشار صلّى الله عليه وسلّم إلى ذلك بقوله: «إذا أقيمت الصلاة فلا تقوموا حتى تروني»[2] . رواه أحمد بن حنبل: ٢٣١٩٦، والبخاري: ٦٣٧، ومسلم: ١٣٩٥، وأبو داوود: ٥٣٩، والنسائي: ٦٩٥، عن أبي قتاده يخاطب عليه السلام بذلك أصحابه إلى يوم القيامة./ [٦/ ب]

(**الخلفاء**) بالخاء المعجمة، جمع: خليفة، وهم الخلفاء الأربعة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعليّ؛ رضي الله عنهم، وورثتهم في مقام الكمال الاختصاصي إلى يوم القيامة. (والحلفاء): بالحاء المهملة، جمع: حليف. بمعنى المحالف، أي: المعاهد؛ يعني: المعاهدين له على نصرة الدين، ودوام القيام بالطاعة واليقين؛ وهم بقيّة الصحابة، وأتباع أهل الإرشاد والتسليك في مقام الإحسان إلى آخر الزمان. (**وعلى إخوانه**): صلّى الله عليه وسلّم. (**من الأنبياء**): فيشمل المرسلين منهم عليهم السلام، ومن اتبعه ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ في كماله الظاهر والباطن. (**من الأولياء**): أصحا ب الدوائر الكبرى. قال عليه السلام: «وددت أني لقيت إخواني

---

(١) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبيّ: لو كنت متّخذاً خليلاً، ٣٦٥٧.

(٢) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب الأذان، باب متى يقوم الناس إذا رأوا الإمام عند الإقامة، ٦٣٧، ٦٣٨.

الذين آمنوا بي ولم يروني»[1] رواه الإمام أحمد عن أنس بن مالك، أي: لم يروني في العالم الجسمانيّ.

(**صلاة**): مصدر مؤكّد لقوله صلّى. (**تنشر**): بالبناء للمفعول أو بالبناء للفاعل. (**نفحاتها**): مرفوع أو منصوب: أي نفحات الصلاة؛ يعني: (**تفوح**) جمع نفحة: وهي الرائحة الطيّبة: (**على أرواحهم**): أي أرواح الآل، والأصحاب، والأنبياء، والأولياء. (**الطاهرة**): من دنس الارتياب والشكوك، ووسخ المعاصي والذنوب بالتوبة في عامّة الأصحاب والأولياء، وبالعصمة في الأنبياء، وبالحفظ في خاصّة الأصحاب والأولياء. (**وتسبغ**): بالبناء للمفعول، أو للفاعل من أسبغ: إذا عمّ وشمل، يقال: درع سابغة، أي تعمّ وتشمل، أو تعمِّم وتمم. (**نعمها**): أي الصلاة: جمع نعمة، أي: النعم الحاصلة من الله تعالى بسببها. (**عليهم**): أي المذكورين. (**باطنة**): أي تلك النعم، حال من النعم. و(ظاهرة) كذلك. قال تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [٣١/لقمان/ ٢٠] وعكس هنا لأجل القافية في السجع، ولأنّ هذا الكتاب في علم الباطن، وليشير إلى أنه أهمّ بالنظر إلى العابد الذي أتقن الظاهر؛ فإتمام النعم في الباطن بالإسلام والإيمان والإحسان، وبما فوق ذلك من المراتب الحسان، وغيرها من الأخلاق الكاملة، والخصال الفاضلة. أو باطنة قبل ظهورها من حضرة التقدير في علم القدير، بتقديرها من الأزل، وإتمامها في الظاهر بالأرزاق المحسوسة، والسلامة من الآفات الدنيويّة والأخرويّة، والحفظ من المعاصي ونحو ذلك. (**أو ظاهرة**): بعد إيجادها من تقديرها الأزلي. (**وسلّم**): بصيغة الماضي، معطوف على صلّى. (**تسليماً**): مصدر مؤكد للفعل، وقد جمع بينها

---

(١) رواه أحمد في مسند أنس بن مالك، ١٢٩١٥، ج٢٦، ص٤٤٨. وأخرج بن عساكر عن البراء، بلفظ: وددت أنّي لقيت إخواني. قالوا: يا رسول الله ألسنا إخوانك، قال: أنتم أصحابي، وإخواني قوم يجيئون من بعدي يؤمنون بي ولم يروني، ثمّ قال: يا أبا بكر، ألا تحبّ قوماً بلغهم أنّك تحبّني، فأحبّوك بحبّك أياي، فأحبّهم، أحبّهم الله.

لقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [٣٣/ الأحزاب/ ٥٦]؛ فتأكيد الصلاة هنا لزيادة التثبيت من امتثال الأمر، ولا تأكيد في الآية لعدم الحاجة إليه. وتأكيد السلام فيهما مخافة التهاون بالاكتفاء بأحدهما في حصول كمال الأجر والثواب، وإلّا فإنها سواء في الاجتزاء كما روى النسائي بإسناده إلى أبي طلحة: أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم جاء ذات يوم والبِشر في وجهه، فقلنا: إنّا لنرى البشر في وجهك. فقال: «إنّه أتاني الملك، فقال: يا محمّد، إنّ ربك يقول: أما يرضيك أنّه لا يصلّي عليك أحد إلا صليت عليه عشراً»[1]. (تحمله) :أي ذلك التسليم . الملائكة عليهم السلام (وتبلّغه): أي ذلك التسليم. (إلى أرواحهم): أي المذكورين.

(الطيبة المباركة): نعتان للأرواح وجميع الملائكة، باعتبار الأشخاص من الطرفين، وإلا فإنه ملك واحد. والوارد في الصلاة على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: «إنّ لله تعالى ملكاً أعطاه سمع العباد؛ فليس من أحد يصلّي عليَّ إلا أبلغنيها / [٧/ أ] وإني سألت ربِّي ألا يصلّي عليَّ عبد صلاة إلا صلّى عليه عشر أمثالها»[2] رواه الطبرانيّ عن عمار بن ياسر. وفي رواية أبي داوود قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «صلّوا عليَّ وسلّموا يبلغني حيث كنتم»[3].

---

(١) رواه أحمد في مسند أنس بن مالك، ١٢٩١٥، ج٢٦ص٤٤٨. وأخرج بن عساكر عن البراء، ٢٥٢٦٥، بلفظ: «وددت أنّي لقيت إخواني. قالوا: يا رسول الله، ألسنا إخوانك؟. قال: أنتم أصحابي، وإخواني قوم يجيئون من بعدي يؤمنون بي ولم يروني، ثمّ قال: يا أبا بكر، ألا تحبّ قوماً بلغهم أنّك تحبّني فأحبّوك بحبّك أياي، فأحبّهم، أحبّهم الله».

(٢) رواه الطبرانيّ في الجامع الصغير، ١٠١٢، عن عبيد الله بن عمر بلفظ: «إنّ جبريل أتاني فقال: من صلّى عليك من أمّتك واحدة صلّى الله عليه عشراً، ورفعه عشر درجات». كما ذكره السيوطيّ في الحبائك في أخبار الملائك، باب: الملك الموكل بالقرآن عليه السلام، ج١، ص١٢١. قال عنه الألبانيّ: حسن، انظر الصحيح الجامع للألبانيّ، ٢١٧٦.

(٣) قطعة من أحاديث كثيرة جدّاً، أقتصر منها بما أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب الصوم باب: فضل الصوم، ١٨٩٤.

(**قال الفقير**): أي المفتقر بمعنى المحتاج إلى ربّه تعالى في جميع أحواله. ومتى وجد في نفسه أنه استغنى عن ربّه تعالى بشيء ولو بنفسه فليس مفتقر. قال صلّى الله عليه وسلّم: «والذي نفسي بيده»[1]. وإذا كانت نفسه بيد الله تعالى، فجميع أحواله كذلك. (**المعترف**): أي المقرّ بذنبه: أي بكونه مذنباً. (**المغترف**) بالغين المعجمة، أي: المتناول بيده. (**من نهر عطاء**): أي فضل وكرم (**ربه**): سبحانه. إقراراً منه بالنعم الإلهيّة بعد الإقرار بالإساءة والمخالفة، الشيخ الإمام الكامل (**عليّ**): اسمه. (**سبطه**): أي ابن بنت (**الشيخ**) العارف بالله تعالى، الكامل: (**عمر**) بن أبي الحسن علي بن مرشد بن علي الحموي الأصل، المصري المولد والدار والوفاة، أبي حفص. أو أبي القاسم، [المنعوت بشرف الدين][1] (**بن الفارض**). ويقال: ابن المفرِض. قدم أبوه من حماة إلى مصر فقطنها، وصار يثبت الفروض للنساء على الرجال بين يدي الحكام. ثم ولي نيابة الحكم فغلب عليه التلقيب بالفارض. ثم وُلد له بمصر الشيخ عمر المذكور في ذي القعدة سنة ست وخمسين أوستّين وخمسمئة. نشأ تحت كنف أبيه في عفاف، وصيانة، وعبادة، وديانة؛ بل زهدٍ، وقناعة، وورع. أسدل عليه لباسه وقناعه. فلما شبّ وترعرع اشتغل بفقه الشافعيّة. أخذ الحديث عن الحافظ ابن عساكر[2]، وأخذ عنه الحافظ

---

(١) العبارة من المطبوع.

(٢) ابن عساكر، توفي سنة ٥٧١، قال ابن كثير في البداية والنهاية: ابن عساكر، علي بن الحسين بن هبة الله بن عساكر، أبو القاسم، الدمشقيّ، أحد أكابر حفّاظ الحديث، ومن عُني به: سماعاً، وجمعاً، وتصنيفاً، واطّلاعاً، وحفظاً، لأسانيده ومتونه، وإتقاناً لأساليبه وفنونه. وصنّف تاريخ الشام في ثمانين مجلّداً. وقد ندر على من تقدّمه من المؤرّخين، وأتعب من جاء بعده من المتأخّرين. له أطراف الكتب الستّة، والشيوخ النبل، وتبيين كذب المفتري على أبي الحسن الأشعريّ. وغير ذلك من المصنّفات الكبار والصغار. ومات في الحادي عشرمن رجب، وله من العمر اثنتان وسبعون سنة. وحضر السلطان صلاح الدين جنازته. ودفن في باب الصغير.

المنذريّ[1] وغيره. ثمّ حبّب إليه الخلاء، وسلوك طريق الصوفية؛ فتزهّد، وتجرّد. ذكره المناويّ[2] في «طبقات الأولياء». وذكر أيضاً في آخر ترجمة الشيخ الأكبر أنه ذكر البسطاميّ[3] أنّ ابن الفارض والصدر القونويّ[4]. أخذا عن الشيخ الأكبر ابن العربي قدّس الله سرّهم وجعل الجنّة مقرّهم. (الراجي كرم ربه) تعالى. **(الفائض)**: أي الكثير الوافي. **(عفا الله)**: تعالى **(عن أخطائه)**: أي على سبط الشيخ. **(وعمده)**: في جميع أحواله الظاهرة والباطنة. **(وتداركه)**: سبحانه. **(برحمة من عنده)**: تعالى.

(نظرت وما بعده): مقول القول **(في نسخة من ديوان شيخنا)**، وهو جدّه لأمه. **(قدّس)**: أي طَهُر من دنس الأغيار. **(الله)** تعالى.**(سرّه)**: أي قلبه. **(وشرح)**: أي كشف وأبان الله تعالى. **(صدره له)**: وهو وعاء القلب، فلم يشغل حواسه الباطنة والظاهرة عن نفسه بشاغل، فصار صدره مكشوفاً له. ثُمّ أطلق ذلك على مجرد التمتع والاستلذاذ **(بالنظر إليه)**: أي إلى الله تعالى. يعني: برؤيته سبحانه بالقلب

---

(١) الحافظ المنذريّ، قال ابن الغزّيّ في كتاب ديوان الإسلام، باب في الأنساب: عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، الحافظ، الزاهد، المحدّث، الشيخ أبو محمّد المصريّ، الشافعيّ، مؤلّف كتاب الترغيب والترهيب، وشرح التنبيه، ومختصر صحيح مسلم، ومختصرسنن أبي داوود، وغيره، توفي سنة ٦٥٦هـ.

(٢) المناويّ، محمّد بن عبد الرؤوف المناويّ، أحد كبار العلماء بالدين والفنون، جدّه من قبل الأمّهات الحافظ زين الدين العراقيّ، وجدّه لأبيه قاضي القضاة يحيى المناويّ، كما ذكر في مقدمة كتابه «فيض القدير في شرح الجامع الصغير». من كتبه: الكواكب الدرّيّة في تراجم السادة الصوفيّة توفّي سنة ١٠٣١هـ.

(٣) البسطاميّ، أبو الفضل، محمّد بن علي.

(٤) قال الصفديّ في الوافي في الوفيات ج٢ ص٢٣٣: «صدر الدين القونويّ، محمّد بن اسحق بن يوسف، الشيخ الكبير، صدر الدين أبو عبد الله، صحب الشيخ محيي الدين بن عربي، وله تصانيف في السلوك: النفحات، و تحفة الشكور، وتجلّيات، و تفسير الفاتحة في مجلّدة. توفي بقونية سنة اثنتين وسبعين وستمئة وهو ابن اثنتان وثلاثون». وهو ربيب ابن عربي، توفي سنة ٦٧٢هـ.

في الدنيا، وبالعين في الآخرة. (وسرَّه): من السرور، وهو الفرح. أي: أفرحه بذلك. قال الشيخ عبد الرؤوف المناويّ في طبقاته في ترجمة الشيخ رحمه الله تعالى: «وناهيك بديوانه الذي اعترف بحسنه الموافق والمخالف والمعادي والمحالف، سيّما القصيدة التائيّة. وقد اعتنى بشرحها جمع من الأعيان. وعلى الخمريّة وغيرها عدة شروح. وقال بعض أهل الرسوخ إن الديوان كلّه مشروح. وقد أثنى على ديوانه حتى من كان سيء الاعتقاد فيه، منهم ابن أبي حجلة[1] الذي عزره السراج الهندي[2] بسبب الوقيعة فيه. فقال هو من أرق الدواوين شعراً، وأنفسها دُراً، برّاً، وبحراً، وأسرعها للقلب جرحاً، وأكثرها على الطول والطلول نَوْحاً؛ إذ هو صادر عن نفثة مصدور، وعاشق مهجور، وقلب بحَرِّ النوى مكسور. والناس يلهجون بقوافيه، وما أودع من القوى فيه. وكثر حتى قلَّ من لا رأى ديوانه، أوطنت بأُذنيه قصائده الطنّانة. قال الكمال الأدفوي[3]: وأحسنه القصيدة الفائيَّة / [٧/ ب] التي أولها: (قلبي يحدثني بأنك متلفي)، واللاميّة (هو الحبّ فاسلمْ بالحشى ما الهوى

---

(١) قال في معجم المؤلّفين، ج٢ص٢١٠: أحمد بن يحي بن أبي بكر بن عبد الواحد بن أبي حجلة التلمسانيّ، المعروف بابن أبي حجلة (شهاب الدين، أبو العباس) أديب ناظم، ناثر. ولد بتلمسان، وقدم القاهرة، ودخل دمشق، ثم قدم إلى الحج فلم يرجع، وتوفي في ذي الحجة. من آثاره: سكردان السلطان، أدب الغصن، أطيب الطيب، منطق الطير، وديوان الصبابة.

(٢) السراج الهنديّ، عمر بن اسحاق، سراج الدين الهنديّ، قاضي قضاة الحنفيّة، من مدينة دهلي، قدم القاهرة، كان واسع العلم، كثير الإقدام والمهابة، يتعصّب للصوفيّة الاتحاديّة، عزّر ابن أبي حجلة، لكلامه في ابن الفارض، ولايته نحو أربع سنين. وله شرح المغني، والهداية، وبديع الساعاتي، وتائيّة ابن الفارض. كان يكتب بخطّه مولدي سنة أربع وسبعمئة. انظر «أنباء الغمر بأبناء العمر» لابن حجر العسقلانيّ.

(٣) الكمال الأدفوي: قال ابن حجر العسقلانيّ في "الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة"، باب حرف الجيم، ج١ص١٨٢: جعفر بن ثعلب بن جعفر بن علي المطهر بن نوفل، كمال الدين أبو الفضل الأديب الشافعيّ، ولد سنة ٦٨٠هـ، لازم ابن دقيق العيد وغيره، كان عالماً فاضلاً متقلّلا من الدنيا. توفي ٧٤٨هـ. انظر طبقات الشافعيّة للسبكي ٩/ ٤٠٧.

سهلُ)، والكافيّة التي أولها (تِهْ دلالاً فأنت أهل لذاكا)[1]» انتهى.

وقال بعضهم: إن كلام الشيخ عمر بن الفارض رحمه الله تعالى دون كلام الخالق، وفوق كلام المخلوق، ولا يُشكل ذلك بكلام الملائكة والنبيين عليهم السلام؛ لأنه من كلام الخالق. أمّا الملائكة عليهم السلام فلقوله تعالى: ﴿وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ [٢١/الأنبياء/٢٧]. والكلام من العمل؛ فهو بـأمر الله تعالى، لا بـأمر نفوسهم بمنزلة الكلام اللفظيّ القرآنيّ الذي ليس هو من تأليف المخلوقين. وأمّا الأنبياء عليهم السلام فكان يوحى إليهم بالسنّة، كما يوحى إليهم بالكتاب. قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [٥٣/ النجم/ ٣و٤]. ولا يشكل أيضاً بكلام غيره من الخلفاء العارفين من الصحابة وغيرهم؛ لأن علوّ الكلام لا يقتضي علوّ المقام. (فرأيت النسّاخ): جمع ناسخ، وهو الكاتب؛ أي الذين كتبوا الديوان. (جهلوا بعض كلامه): أي الديوان. (وما عرفوه) لقصورهم عن ذلك. (واشتبه): أي دخل في أشباهه. فالتبس (عليه شيء من جِناسه) البديعي. (فصحّفوه): أي غيّروه وبدّلوه. (وأخرجوه بذلك): أي بسبب التصحيف. (عن أصله) الصحيح. (ولم يردّوه): أي يرجعوه. (إلى أهله) العارفين به. (فاستخرت الله تعالى): أي طلبت منه الإرشاد إلى ما هو الخيرة من أمري. وللاستخارة صلاة معروفة؛ فقد يراد بذلك فعل الصلاة والدعاء الذي يذكر بعدها. (واستعنت): أي طلبت المعونة. (به) تعالى (في تحرير): أي تصحيح وضبط. (هذه النسخة) من الديوان (المباركة): أي ذات البركة؛ وهي النماء والخير.

(وسلكت فيها): أي في هذه النسخة (بكلامه): أي الديوان، أو الشيخ رحمه الله تعالى. (مسالكه): أي مسالك الكلام بردّ كلّ شيء إلى أصله. (معتمداً في ذلك) السلوك المذكور (على نسخة) من الديوان صحيحة كانت (عندي من أثره): أي

---

(١) انظر طبقات الأولياء للمناوي ج٢ ص٢٢٤ مخطوط.

الشيخ قدّس الله سرّه. (**محررة**): أي مضبوطة. (**وصحفُها**): جمع صحيفة، أي صفحاتها وأوراقها. (عن التحريف) بتغيير الحركات. (**والتصحيف**) بتغير النقاط بالزيادة أو النقصان، كجعل الباء ياءً أو تاءً أو ثاءً وبالعكس. (**مطهّرة**): أي خالية من ذلك. (**تلقيتها**): أي تلك النسخة الصحيحة. (**من ولده**): أي ولد الشيخ عمر صاحب الديوان. (**سيدي الشيخ كمال الدين**) لقبه (**محمّد**). اسمه ابن الشيخ عمر الفارض (**جمع الله**): تعالى. (**بينهما**): أي بينه وبين أبيه (**عنده**) سبحانه. (**في مقعد**): أي موضعَ قعود. يعني: دوام واستقرار على (**صدق**) في جميع الأحوال.

(**وحبذا**): أي حبب إليّ ذا، ثمّ أطلقت وأريد بها مطلق المدح. (**ذلك المقعد**) الذي هو مقعد الصدق. (**وقرأت عليه**): أي على ولد الشيخ المذكور. (**ما فيها**): أي في تلك النسخة. (قراءة تصحيح) للألفاظ. (**وحفظ**) للمعاني. (**وسمعته**): أي ابن الشيخ المذكور. (**يورده**): أي ما في تلك النسخة. (**بأعذب لغة**): أي بلفظ أعذب ما يكون من الألفاظ. أي أحلى ما يكون. (**وأخبرني أنه**): أي ابن الشيخ المذكور. (**قرأه**): أي ما في تلك النسخة. (**وسمعه كذلك**): أي بالصفة التي كان يوردها (**على الشيخ**) عمر (**والده**) قدّس الله روحهما. (**ولم تفتْه سوى قصيدة واحدة**) من قصائد والده. (**كان نظمها**) والده رحمه الله تعالى. (**في حال التجريد**) عن العلائق الدنيويّة، والانقطاع إلى عبادة ربّ البريّة. (**بالحجاز**): أي في بلاد الحجاز. (**بأودية**): جمع وادي. (**مكّة**) المشرّفة . (**وجبالها**): جمع جبل، أيام مجاورته هناك. (**وكان أهل مكّة يعلِّمونها**): أي تلك القصيدة. (**لصغار أولادهم في المكاتب**): جمع مكتب؛ وهو البيت/ [٨/ أ] الذي فيه تعليم الأطفال الكتابة وقراءة القرآن. (**وينشدونها**): أي تلك القصيدة. (**في وقت الأسحار**) جمع سحر؛ وهو آخر الليل، قبيل الفجر على (**المواذن**): جمع مِئذنة بكسر الميم: موضع الأذان. (**ولم أرها**): أي تلك القصيدة في نسخة من (**ديوانه**): أي ديوان والده. (**لأنه**): أي والده رحمه الله تعالى. (**نظمها**): أي

تلك القصيدة **(بالحجاز)** في مكّة المشرّفة. **(والديوان أملاه)**: أي أنشأه وأنشده. **(بالقاهرة)**: أي مصر المحروسة. **(عند مقامه)**: أي إقامته **(بها)**: أي بالقاهرة. **(بعد)**: تمام حال **(التجريد)** ورجوعه إلى وطنه الأصليّ. ولم تكن معه إذ ذاك تلك القصيدة. **(وقال ولده)**: أي ولد الشيخ المذكور رحمه الله تعالى. **(ولي أتطلبها)**: أي تلك القصيدة. **(مدة سنين)** كثيرة. **(ولم أجدها)**: أي القصيدة. **(عند أحد من أصحاب الشيخ)**: والده رحمه الله تعالى **(ولم أذكر)**: أي أتذكر. **(منها)**: أي من القصيدة. **(سوى هذا البيت وهو)**: أي **(مطلعها)**: أي القصيدة كما سنشرحه في موضعه إن شاء الله تعالى:

أبـرقٌ بـدا مـن جانـب الغـور لامـع   أم ارتفعـت عـن وجـه ليلى البراقـع

وقال سبط الشيخ محرر نسخة هذا الديوان: **(عهد إليّ)**: أي أوصاني. **(ولده)**: أي ولد الشيخ **(رحمه الله)** تعالى **(أنْ اجتهد في طلبها)**: أي القصيدة **(وأنْ اجمع شملها بأخواتها)** أي القصيدة في ديوان أدبها. **(فاجتهدت في ذلك)**: أي في طلبها. **(كلّ الاجتهاد)**: أي غاية ما يمكنني منه. **(فلم أرها)**: أي القصيدة **(في إنشاء)**: أي ضمن كلام مؤلَّف لأحد من الناس **(ولا سمعتها)**: أي القصيدة. **(في إنشاد)**: أي ينشدها أحد أصلاً. **(ولي أتطلبها)**: أي القصيدة **(من)** مدة **(أربعين سنة)**. وقد **(استسننت)**: أي طلبت عمل السنّة. يعني: الطريقة المسلوكة **(في التذييل)**: أي جعل الذيل. يعني: التكميل **(على هذا البيت)** المذكور حتى يصير قصيدة مستقلة. **(سنّة)** مفعول لقول استسننت مؤكد له. **(حسنة)** نعت لسنّة. وطرقت **(الكثير)** من قولهم: طارق خير لمن يطرق الباب. **(أبيات)** جمع بيت. **(قصائده)**: أي الناظم رحمه الله تعالى. يعني: تأملتها وافتكرت في معانيها وأساليب نظامها لأحذو على حذوها في التذييل المذكور. **(والتمست)**: أي طلبت **(منها)**: أي من أبيات القصائد الحالة **(الحسنى)**: تأنيث الأحسن **(من حسن**

مقاصدها): أي الناظم قدّس الله سرّه. (المسؤول): أي المطلوب. (منه فتوة): أي كرم. (من وقف): أي اطّلع (على هذا التذييل) المذكور في نسخة هذا الديوان. (أن يسبل): أن يرخي (عليه): أي التذييل. (ذيل ستره الجميل): أي الحسن، كناية عن الإعراض عمّا لا يصلح من ذلك، وعدم التحدث به. (فمن أين لي): أي كيف يمكنني (أن آتي بمثل ذلك النظم البديع): أي المبتدَع، بصيغة اسم المفعول. يعني: المخترَع الذي لم يسبقه أحد إلى نظيره. (وهل يبلغ): أي يدرك (الضالع): وهو البعير الأعرج. (شأو): أي غاية.

(الضليع) وهو الفرس التامّ الخلق، الغليظ الألواح الكثير العصب، كذا في القاموس. (فنسأل الله تعالى): أي نطلب منه سبحانه (المسامحة) عمّا قصدناه من دعوى المحاكاة لنظم الأصل، أو من ذكر غير نظم صاحب الأصل في جملة نظمه وإن وقع التصريح بأنّه من غير نظمه، (وأن يرشدنا): أي يدلنا ويوصلنا. (في محبته): أي ناظم الديوان قدّس الله سرّه. إلى حصول (الأنفاس الصالحة): أي الحسنة المرضية في محاكاة النظم ومجاراته. وبحمد الله تعالى (ما خرج التذييل): أي التكميل (على هذا البيت) المذكور حتى يصير قصيدة عن كونه/ [٨/ ب] صادراً من أهل هذا البيت (المصون): أي المحفوظ من طوارق الأغيار في الليل والنهار. (وأتلو): أي أقرأ عند (سماعه): أي هذا التذييل: ﴿ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴾ [٣٦/ يس/ ٢٦]. وهو اكتفاء من الآية لإفادة معنى المدح للتذييل المذكور. أي: يا ليت قومي يعلمون به كما علمته لكمال شرفه. (وقد أثبتُّ) بتشديد التاء مضمومة. (قصيدته): أي التذييل. يعني: جعلتها ثابتة في أواخر هذه النسخة من الديوان (بعد ذكر قصائد): جمع قصيدة (الشيخ): صاحب الديوان قدّس الله سره. (المطوَّلة): أي الطويلة دون المقاطع القصيرة. (وجعلتها): أي تلك القصيدة. (معهم): أي مع بقيّة القصائد التي للناظم رحمه الله تعالى على طريقة الاستعارة والتشبيه بمن يعقل، حيث جعل لذلك معية وسبقاً، وإلا فالقياس

معها. **(آخرة)**: أي متأخرة عنهم في الذكر. **(وإن كانت)**: أي تلك القصيدة. **(لهم)**: أي لتلك القصائد. **(في السبق)**: مبالغة في المدح لها؛ لأنّها حصلت ببركة أنفاس الناظم قدّس الله سره. **(أوّلة)**: أي متقدمه لتكون علة لجعلها آخرة. **(لأخواتها)** من تلك القصائد. **(ختاماً)**: أي خاتمة لهم. وتكون أيضاً على **(قلب سامعها)**: أي تلك القصيدة **(برداً)** بحيث تبرد غلته من طلب تلك المفقودة لقنعه عنها بهذه الموجودة **(وسلاماً)**: أي أماناً من الهمّ والحزن. **(ثم بعد ذلك)**: أي بعد تمام التذييل المذكور. **(وجدت القصيدة)**: أي المذكورة أنها من نظم الشيخ قدّس الله سرّه. **(التي كانت)**: أي تلك القصيدة من هذا الديوان. **(مفقودة الصورة)**: أي لا وجود لصورتها فيه. **(وذكرت سبب رجوعها)**: أي القصيدة المفقودة في آخر الديوان كما يأتي إن شاء الله تعالى.

(وسبب إشراق شمسها): أي القصيدة. **(بعد غروبها عن ربوعها)**: أي موطنها من بقية القصائد التي في الديوان. **(وأثبتها)**: أي تلك لقصيدة. **(بعد ذكر السبب)** لرجوعها **(في آخر هذا الديوان المنتخَب)**: بصيغة اسم المفعول. **(من الانتخاب)** بالخاء المعجمة، أي: الانتقاء.**(وأخبرني ولده)**: أي ولد الناظم رحمه الله تعالى، أنّه **(قابل)**: أي صحح **(وضبط نسخته)** من الديوان **(المشار إليها)** فيما سبق **(على نسخة)** أخرى **(كانت)**: أي تلك النسخة **(عنده)**: أي عند ولد الشيخ. **(بخط الشيخ)** بيده **(رضي الله عنه)**. (و) أخبرني ولده أيضاً **(أن ابن شيخ الشيوخ)** بمصر. **(استعارها)**: أي تلك النسخة التي بخط الشيخ رضي الله عنه. **(منه)**: أي من ولد الشيخ. **(وحلف)**: أي أقسم بالله تعالى **(له)**: أي لولد الشيخ الناظم. **(أنّه)**: أي ابن شيخ الشيوخ **(يعيدها)**: أي النسخة **(إليه)**: إلى ابن الشيخ الناظم. **(ولم يردَّها)**: أي النسخة **(بعد ذلك)**: أي بعد القسم المذكور. **(عليه)**: أي على ابن الشيخ الناظم رحمهم الله تعالى. **(أخبرني الشيخ أبو القاسم المنفلوطيّ)**: نسبة إلى منفلوط من بلاد الصعيد بمصر عندما حضر من بلاد **(منفلوط إلى)** مصر

(القاهرة في سنة خمس وثلاثين وسبع مئة) من الهجرة النبويّة. (أن النسخة) من الديوان (المذكورة): أي التي هي بخط الشيخ قدّس سره (موجودة عنده الآن): أي في ذلك الوقت. (وهي): أي النسخة. (معه): أي مع الشيخ أبي القاسم المذكور بالقاهرة. (وأنها): أي النسخة (اتّصلت إليه): أي إلى أبي القاسم المذكور من (أسلافه): أي آبائه وأجداده. (واتّصلت): أي تلك النسخة. (إلى أسلافه من الشيخ صفي الدين بن أبي المنصور) رحمه الله تعالى. (ووعدني أنّه يحضرها): أي النسخة. (إليّ): أي يطلعني عليها. (وسافر): أي أبو القاسم. (إلى بلاد منفلوط ولم يحضرها): أي النسخة إليّ. (وبلغني أن الشيخ أبا القاسم): المذكور (شيخ زاوية) على جماعة من المريدين بالبلدة المذكورة، وهي منفلوط. (وله): أي/ [٩/ أ] لأبي القاسم المذكور. (فيها): أي في الزاوية، أو البلدة. (صولة): أي سلطة (مشهودة) على المريدين. (وقد صارت هذه النسخة) المشروع في عملها (لهما): أي للنسختين المذكورتين: النسخة التي تلقّاها من ولد الشيخ، والنسخة التي هي بخط الشيخ، رحمهما الله تعالى. (ثالثة، ولصحتهما): أي النسختين المذكورتين. (وارثة لأنها مؤلّفة منهما والله الموفق للسداد): بفتح المهملة؛ وهو الصواب، والقصد من القول والعمل. و رجل مُسدّد: إذا كان يعمل بالسَّدَاد، والقصد السَّدَاد والاستقامة. وكذلك السَّدَد مقصور عنه، ذكره الجوهري في الصحاح . (والهادي) من الهداية: وهي الدلالة والإيصال. (إلى الرَّشَاد): وهو خلاف الغَيّ، وقد رَشَدَ بالفتح يَرْشُدُ رُشْداً بالضمّ، ورَشِدَ يَرْشَدُ رَشَداً لغة فيه، وأَرْشَدَهُ الله، ذكره الجوهري. (وأودعت): أي ذكرت. (في صدرها): أي هذه النسخة الثالثة.

(أسراراً) جمع سر: وهو الأمر الخفي. والمراد به العظيم الجليل. (من كراماته): أي الشيخ الناظم قدّس الله سرّه، وهي جمع كرامة: اسم للأمر الخارق للعادة الذي يخلقه الله تعالى للوليّ تكريماً له؛ لأنّه آثر الاستقامة على منهج الصواب وحسن الحال المرضي عند الله تعالى؛ فهي في حياة الوليّ وبعد وفاته. (المشهورة)

بين الناس. ومن بيان **(حسن شكله)**: أي هيئته. **(الذي خلقه الله تعالى)** عليه **(في أجمل صورة)** من صور الجمال المتحلّية بملابس الكمال. **(وَمَنْ فهم معاني كلامه)**: أي الشيخ الناظم قدّس الله سرّه بالفهم الربّانيّ، والإلهام الصمدانيّ. **(دلّت معرفته)** التي تحصل عنده. **(على مقامه)**: أي مقام الناظم، رحمه الله تعالى، فيعرف شرف ما كان عليه من أنواع الكمال في تجلّيات الجلال والجمال. **(ومن اختصه الله تعالى)**: من بين قومه. **(بمحبّته)** سبحانه **(وأُنسه)**: أي الأنس به تعالى **(يعرف المحبّ)** لله تعالى **(بين أهل المحبّة)** الإلهيّة **(من جنسه)** لأنه جانسه وشاكله فيعرفه. ومن لا يكون كذلك فلا يعرف المحبّ، قال الشاعر:

فــاز باللـــذة أربـــاب الهـــوى ... فهـو حلـو وعـذاب الحـبِّ عـذبُ

ولأهـــل العــشق عـــذر واضـــح ... وعـلى مـن لم يمـت في الحـبّ عتـب

فلذيــــذ الحــــبّ لا يعرفـــــه ... أحـــد في عمــــره إلا المحــــبّ

وقال عمارة اليمني[1] من قصيدة له:

مـن كـان لا يعـشق الأجيـاد والحـدقا ... ثــمّ ادّعــى لــذّة الــدنيا فــما صــدقا

في العـشق معنـى لطيـف لـيس يعرفـه ... مـــن البريـــة إلا كـــل مـــن عـــشقا

(وقد جعل): أي الله تعالى **(المحبّين له)** سبحانه. **(خزائن)**: جمع خِزانة بكسر الخاء المعجمة، ولا تفتح. **(أسراره)** تعالى. **(المصونة)**: أي المحفوظة عن عيون الأغيار، بحيث لا يعرفهم سواهم. **(ومعادن)**: جمع معدِن بكسر الدال المهملة: أي مواضع ظهور معنى قوله تعالى **(يحبّهم)**: وهو الجمع. **(ويحبّونه)**: وهو الفرق. **(فيحبّهم)** بهم، ولا هم؛ بل هو، **(فيحبّونه)** به، ولا هم؛ فهو محبّ نفسه بنفسه،

---

(١) عمارة اليمنيّ: فقيه شافعيّ وشاعر يمنيّ، مدح أمراء الدولة الفاطميّة، وأجاد بمدحهم، ثمّ رثاهم بعد زوال دولتهم على يد صلاح الدين الأيوبي. قام مع من قام لإحياء الدولة الفاطميّة فقتله صلاح الدين ٥٥٠هـ، انظر: صبح الأعشى للقلقشندي، ٢/ ٢٩و٥ / ٢٨٨.

ولكن ظهر بهم واستتر لهم؛ فهو المحبّ والمحبوب، والطالب والمطلوب؛ فقد أنتجت المحبّة المعرفة؛ لأن الشيء لا يجهل نفسه وإن خرج عنها باشتغاله بغيره. فإذا انعدم عنده ذلك الغير يرجع إلى العين الواحدة، فكان هو تلك العين الواحدة حتى [لا][1] تذهب المحبّة بذهاب الغير، فترجع إلى المعرفة، ويسكن الطلب الوهميّ/[٩/ب] حتى تقرُّ العين بالعين، وتنعطف على الواحد حقيقة الاثنين، حيث لا كيف ولا أين؛ (**فمن ذلك**): أي من جملة ما أودعَه في صدر هذا الديوان من حسن شكل النَّاظم قدّس الله سرّه. (**ما أخبرني به سيِّدي**) بكسر الياء مشدّدة، أي: من له السّيادة على (**ولده**): أي ولد الناظم: الشيخ كمال الدين محمّد (**المشار إليه**) فيما سبق رحمة الله تعالى عليه، (**قال**): أي ولده المذكور في وصفه: (**كان الشيخ**) عمر بن الفارض قدّس الله سرّه. (**معتدل القامة**): أي ليس بطويل ولا بقصير. (**وجهه جميل**): أي ذو جمال تلتذّ العيون بالنظر إليه.

(**حسن، مشرَّب**): بتشديد الراء، مفتوحة، أي: ممزوج (**بحُمرة ظاهرة**) للرائي. (**وإذا استمع**): أي حضر في مكان السماع. (**وتواجد**): أي استدعى الوجد بنوع من التكلّف. قال صلّى الله عليه وسلم: «ابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا»[2] فقد أمرهم بتكلف ما ليس عندهم؛ وهو أمر مطلوب؛ لأن غايته الوقوع على الوجد الاضطراري، وحصول الخشوع القلبي، (**وغلب عليه الحال**): الذي هو فيه من معرفة ربه، وشهود تجلِّياته في مقام قربه. (**يزداد وجهه جمالاً**) على جماله. (**ونوراً**): أي بهجة وإشراقاً.

---

(١) [لا]: من المطبوع، ولعلّها سقطت من الناسخ سهواً.

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه، باب: الحزن والبكاء، ٤٣٣٦، عن سعد بن أبي وقّاص، كما أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، ٨٧٢٣، بلفظ: ابكوا؛ فإنْ لم تجدوا بكاء فتباكوا، لو تعلمون العلم لصلّى أحدكم حتّى ينكسر ظهره، ولبكى حتّى ينقطع صوته. وقال الحاكم: «هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين». ووافقه الذهبي.

(ويتحدَّر): أي يقطر ويسيل. (العرق من سائر جسده) لكمال انزعاجه بقوة الواردات الإلهيّة عليه. (حتى يسيل): أي العرق. (تحت قدميه على الأرض) وهو رقص الصوفيّة الذي هو طاعة عندهم، وفرح بربّهم، والأعمال بالنيات، وإنّما لكل امرىء ما نوى. قيل للجنيد قدّس الله سرّه: «إنّ قوماً يتواجدون ويتمايلون. فقال: دعوهم مع الله يفرحون؛ فإنّهم قوم قطعت الطريق أكبادهم، ومزّق النصَب فؤادهم، وضاقوا ذرعاً؛ فلا حرج عليهم إذا تنفّسوا مداواة لحالهم، ولو ذقت مذاقهم عذرتهم في صياحهم وشق ثيابهم» نقله المناويّ في «طبقات الأولياء»[1] في ترجمة الشيخ إبراهيم الدسوقي رحمه الله تعالى. ونقل أيضاً في موضع آخر من كتابه المذكور عن الطبرانيّ عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: «سمعت أبي يقول وقد قيل له: إن هؤلاء الصوفيّة قعدوا في المساجد على التوكّل بغير علم. قال: العلم أقعدهم. قيل له: فإن همّتهم كِسرة وخِرقة. قال: لا أعلم أعظم عذراً ممن هذه صنعته. قيل: فإنهم إذا سمعوا السماع يقومون فيرقصون. قال دعهم يفرحون بربّهم». انتهى.

وأمّا ما ذكره الفقهاء من النهي عن ذلك فهو في حقّ قوم فعلوا ذلك رياء وسمعة لتحصيل الدنيا، واعتقاد الناس فيهم أنهم أولياء؛ فمن كان في نفسه كذلك كان فعله مذموماً، وللإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره. (ولم أرَ في العُرْب) بالتحريك، وبالضمّ وتسكين الراء. (ولا في العُجْم) كذلك بالتحريك وبالضم، وتسكين الجيم المهملة. (مثل حسن شكله): أي الناظم قدّس الله سرّه. وقال ولده رحمه الله تعالى: (وأنا أشبه الناس به في الصورة) وذلك لأن الولد سّر أبيه؛ فلا عجب أن يشبهه ويحكيه، [قال بعضهم]:

والشمس قد شابهها بدر الظُلَم ومن يشابه أباه فما ظلم

(وكان): أي الناظم قدّس الله سرّه. (عليه نور) يلتمع من آثار العبادة،

---

(١) انظر: الجنيد في طبقات الأؤلياء للمناوي ص١٠٠ من المخطوط.

والإخلاص، والمعرفة، واليقين. (**وخَفَر**) بالتحريك: أي حَياء وبهجة. (**وجلالة**): أي حشمة وعظمة وهيبة ووقار. (**وكان أيضاً**) رحمه الله تعالى (**إذا حضر مجلساً**) من مجالس الناس (**يظهر على أهل ذلك المجلس**): ا الذي يحضره (**سكون**) من كمال التأدب معه. (**وسكينة**): أي هيبة ووقار. (**ورأيت جماعة**) بمصر المحروسة (**من مشايخ الفقهاء**): جمع فقيه، وهو العالم بالأحكام الشرعيّة؛ فقد يكون كاملاً في علمها فيسمّى فقيهاً. وقد يكون قاصراً جاهلاً، علمه قليل فيسمّى متفقّهاً؛ وهو الذي يعترض على الصوفيّة وفقرائهم من عدم التوفيق والهداية. (**والفقراء**) جمع/[١٠/ أ] فقير: وهو المفتقر إلى الله تعالى على يد شيخ من المشايخ، يعلّمه كيفية الفقر، ويزيل عنه شائنة الاستغناء. (**وأكابر الدولة**): أي السلطنة بتلك البلاد من (**الأمراء**): أي جمع أمير بمعنى مأمور، أي: مأمور الملك بفعل الأمر والنهي في ولاية من ولاياته. (**والوزراء**): جمع وَزِير، وهو المُوَازِر، كالأكيل للمؤاكل؛ لأنّه يحمل عن الملك وِزْرَهُ، أي: ثقله. ذكره الجوهري. (والقضاة): جمع قاض. (**ورؤساء**): جمع رئيس الناس من كلّ نوع يحضرون (**عنده**): أي الشيخ الناظم قدّس الله سرّه. (**في مجلسه**) بقصد زيارته والتبرك به، وطلب دعائه. (**وهم في غاية ما يكون من الأدب معه**): في حال حضورهم عنده (و) من (**الاتضاع**): أي التواضع له. (**والتذلل**) بين يديه. (**وإذا خاطبوه**) بالكلام (**كأنهم يخاطبون ملكاً**): أي سلطاناً (**عظيماً**) من ملوك الأرض. (**وكان**) رحمه الله تعالى (**إذا مشى في المدينة**): أي مصر المحروسة. (**تزدحم الناس عليه يلتمسون**): أي يطلبون (**منه البركة**): أي زيادة الخير في أمورهم. (**والدعاء**) لهم، (**ويقصدون**): أي الناس (**تقبيل يده فلا يمكّن**) بالتشديد. (**أحداً من ذلك**): أي تقبيل يده، أي: لا يجعل ذلك ممكناً لأحد من الناس، ويمتنع من حصوله تواضعاً في نفسه؛ بل كان يصافحه: أي يصافح كل من أراد تقبيل يده. (**وكانت ثيابه**) التي يلبسها (**حسنة**): أي مليحة نظيفة. (**ورائحة طيبة**): أي زكيّة عطرة. (**وكان ينفق على من يرد عليه**):

أي يزوره من الناس. (**نفقة متسعة**): أي واسعة كثيرة من سخاء نفسه، وكرم سجيته، وسلامة طبعه. (**وكان يعطي للغير**): من سائل ونحوه (**من يده**): الشريفة (**عطاء جزيلاً**): أي كثيراً. (**ولم يكن يتسبّب**): أي يتعاطى السبب. (**في تحصيل شيء من**) معاش (**الدنيا**)؛ وإنّما كان ينفق من غيب فضل الله تعالى وكمال بركته. (**ولا**): كان (**يقبل من أحد**) من الناس شيئاً من الدنيا إذا دفع له. (**وبعث إليه**): أي إلى الناظم قدّس الله سرّه. (**السلطان محمّد الملك الكامل رحمه الله تعالى، ألف دينار من الذهب فردّها**): أي الناظم قدّس الله سرّه. (**إليه**): أي إلى الملك الكامل، ولم يقبلها منه. (**وسأله**): أي طلب الإذن من الناظم رضي الله عنه الملكُ الكامل رحمه الله تعالى (**أن يجهّز**): أي يبني ويهيئ. (**له**): أي للناظم قدّس الله سرّه. (**ضريحاً**): أي قبراً (**عند قبر أمه**): أي أمّ الملك المذكور(**في داخل قبة الإمام الشافعيّ رضي الله عنه فلم يأذن**): أي الناظم، رحمه الله تعالى. (**له**): أي للملك المذكور. (**بذلك**): أي بتجهيز الضريح. (**ثم استأذنه**): أي طلب الإذن من الناظم رضي الله عنه (**أيضاً الملك المذكور أن يجهز**): أي يهيئ. (**له مكاناً يكون مزاراً**): أي موضع الزيارة له. (**يُعرّف**): بالبناء للمفعول، أي: ذلك المزار (**به**): أي بالناظم قدّس الله سرّه. (**فلم ينعم**) الناظم (**له**): أي للملك (**بذلك**): أي بتجهيز المكان المذكور، (**وسأذكر سبب ذلك**): أي استئذان الملك المذكور من الناظم رضي الله عنه في تجهيز الضريح ومكان المزار المذكورين. (**في موضعه**)، أو آخر هذه الديباجة عند ذكر الملك الكامل رحمه الله تعالى. (**إن شاء الله تعالى وقال ولده**): أي الناظم قدّس الله سرّهما: (**سمعت الشيخ**) الناظم رحمه الله تعالى يقول: (**كنت في أول تجريدي**): أي زهدي وخروجي.(**من عادة أهل الدنيا**): في بداية دخولي إلى طريق الصوفيّة، وسلوك سبيل الرياضة (**أستأذن**): أي أطلب الإذن (**من والدي**): أبي الحسن عليّ، الملقب بالفارض، رحمه الله تعالى. (**واطّلع إلى وادي المُستضعَفين**) بصيغة اسم المفعول. (**بالجبل الثاني**): أي الجانب الآخر (**من جبل**

المُقطَّم) بصيغة اسم المفعول بالميم، وفي بعض النسخ/[١٠/ ب] بالباء الموحدة [يعني المقطّب]. قال في القاموس: «مُقطَّم كمُعَظَّم»: جبل بمصر، مطلّ على القَرَافَة (فآوي إليه): أي أسكن. (فيه): أي في الجبل المذكور. (وأقيم في هذه السياحة): التي أفعلها. (ليلاً ونهاراً مدة أيام ثم أعود إلى والدي رحمه الله تعالى): لأجل برّه الواجب عليّ (ومراعاة): أي تطمين (قلبه) لوحشته من المفارقة. (وكان والدي): رحمه الله تعالى. (يومئذ): أي يوم عمل تلك السياحة (خليفة): أي نائب. (المحتكم العزيز بالقاهرة ومصر المحروستين): يعني كان من القضاة في ذلك الزمان.

(وكان) رحمه الله تعالى (من أكابر أهل العلم وأهل العمل، فيجد): أي والدي رحمه الله تعالى. (سروراً): أي فرحاً كثيراً. (برجوعي إليه): من سياحتي سالماً. (ويلزمني بالضَّم): أي يأمرني بالجلوس معه (في مجالس الحكم ومدارس): أي مواضع درس العلم؛ لأحدو على حدوده، وأسلك على طريقه في ذلك، والهمّة الإلهيّة بجذب الإرادة إلى طريق السادة. والعناية الربّانيّة تربّي في حجور السيادة، وتُرضع لبان السعادة. (ثمّ أشتاق إلى التجريد) أيضاً (فأستأذنه): أي أطلب الإذن منه. (وأعود إلى السياحة) في الجبل المذكور كذلك. (وما برحت أفعل ذلك): أي الاستئذان والعود إلى السياحة. (مرة بعد) مرة (أخرى إلى أن سأل والدي): أي طلب منه بأمر السلطان. (الملك) في ذلك الزمان. (أن يكون قاضي القضاة) بمصر المحروسة ونواحيها. (فامتنع) من ذلك. (ونزل عن منصب الحكم) الذي كان فيه. (واعتزل الناس): أي فارقهم، وقاطعهم، وأقبل عل دينه وعبادته. (وانقطع إلى): عبادة (الله تعالى بقاعة الخطابة في الجامع الأزهر) المشهور بمصر المحروسة (إلى أن توفي) رحمه الله تعالى. (فعاودت التجريد) في طاعة الله تعالى (ولزمت السياحة وسلوك طريق الحقيقة): أي المعرفة الإلهيّة. (ليلاً ونهاراً فلم يُفتح) بالبناء للمفعول، أي: لم يفتح الله تعالى. (عليّ بشيء) من مواجيد الصالحين، ومعارف الكاملين. (فحضرت من السياحة) يوماً من الأيام (إلى المدينة): أي مصر

المحروسة. ودخلت المدرسة السيوفيّة[1] المعروفة هناك. **(فوجدت)** في تلك المدرسة **(رجلاً شيخاً)**: أي كبيراً في السن. **(بقالاً)**: أي يبيع البقل للناس. **(على باب المدرسة)** المذكورة ـ وقد ترجمه المناويّ في «طبقات الأولياء» فقال عنه: عليّ: أبو الحسن البقال، شيخ ابن الفارض، صاحب الفتح الإلهيّ، والعلم الوهبيّ. وكان يبيع البقول بحانوت، بخط باب الزهومة على باب المدرسة السيوفيّة؛ يتستّر بذلك حتى لا يعرفه أحد. ويُظهر الجهلَ لئلا يعكف عليه الناس...». وذكر نحو ما سيأتي. ثمّ قال: «حكاه اليافعي في كفاية المعتقد، والدَّميري في حياة حيوان وغيرهما». **(يتوضّأ)** وضوءاً غير مرتب بالترتيب الشرعي؛ حيث **(غسل يديه)** أولاً، **(ثم غسل رجليه)** ثانياً، **(ثم مسح برأسه)** ثالثاً، **(ثم غسل وجهه)** في الآخر. **(فقلت له)**: أي لذلك البقال من غير معرفة به: **(يا شيخ، أنت في هذه السن)** من الكبر، **(وأنت في دار الإسلام على باب هذه المدرسة بين فقهاء المسلمين)** يعني: متمكناً من تعلم ما تحتاج إليه في أمور دينك، **(و)** مع هذا **(أنت)** تارك التعليم بالسؤال والسماع من العلماء. **(تتوضأ وضوءاً خارجاً عن الترتيب الشرعي)**، سواءً كان الترتيب فرضاً بحيث لا يصح الوضوء بتركه كما هو مذهب الإمام الشافعيّ رضي الله عنه، أو سنّة بحيث يُكره تركه كما هو مذهب غيره من الأئمّة. وعلى كل حال فهو وضوء غير شرعي، وإنكاره على فاعله في طريق المتفقّهة طاعة، وقد اعتاد المتفقّهة في كل زمان على التفتيش عن عيوب الناس الشرعيّة، بحيث لا يؤوِّلون ما يجدونه/ [١١/ أ] مخالفاً لعلمهم وإن كان له ألف تأويل؛ بل ينكرون بمقتضى علمهم ما يكون محتملاً للخطأ، ولو بوجه ضعيف، وإن كان صوابه ظاهراً؛ بل ربما بعضهم يجهل مذهب الآخر؛ فينكر عليه ما خالف مذهبه.

---

(١) المدرسة اليوسفيّة، بناها صلاح الدين الأيوبي في القاهرة، لنشر المذهب الحنفي في مصر الذي بدأ بنشره وتعصّب له فيها نور الدين الزنكي. انظر المواعظ والاعتبار للمقريزي تقي الدين أحمد بن علي (٧٦٦ ـ ٨٤٥هـ) ج٣ص٨٤.

كما حكى لي رجل حنفيّ المذهب صلّى ركعتين في الجامع الأمويّ، فوضع يديه تحت سرّته. ثمّ لما فرغ من صلاته أقام عليه النكير رجلٌ شافعيّ المذهب، وقال له: ضع يديك على صدرك، هذا الذي فعلته مكروه، وأنت جاهل بأحكام الصلاة. وهذه الأمور كلّها طريقة المتفقّهة في المذاهب لا الفقهاء؛ فإن المتفقّهة قاصرون، ومرادهم أن يُعرفوا بين الناس بالفقه والعلم لأجل أغراض شيطانيّة يريدون إنفاذها، وشهوات نفسانيّة يحاولون إيجادها؛ فيضطر بهم الأمر إلى التفتيش عن عيوب الناس؛ فكيف يؤوِّلون شيئا مقصودهم التفتيش عليه، ومتى ظفروا بوجه فاسد في حال إنسان فكأنّهم ظفروا بملك الدنيا؛ ففي قلوبهم الفرح الشديد. فمن المحال أن يقيلوا عثرة مؤمن، أو يتغافلوا عن زلّة مسلم؛ لأنهم في زعمهم لا يرتقون ويرتفعون إلا بإنكار المناكر، خصوصاً على الكامل الخاشع، والعابد الذاكر. وأما الفقهاء، أصحاب القدم الراسخ في العلوم على حسب المذاهب الأربعة فإن قلوبهم أولاً متجانبة عن الدنيا، مقبلة على الآخرة؛ وبسبب ذلك لا حسد عندهم ولا تكبّر، ولا عداوة، ولا حقد، ولا رياء ولاسمعة. يعلمون أحكام الله تعالى على وجه التحقيق أصولاً وفروعاً. ومن شدّة شفقتهم على عباد الله تعالى لا يكادون يجدون في الناس منكراً أصلاً. ومن كمال اشتغالهم بعيوب أنفسهم عن عيوب الناس، لا يجدون في الغير مفسدة حتى يجدوا في أنفسهم مئة مفسدة يعدّونها على أنفسهم؛ فلا يخفى عليه دسائس النفوس؛ فهم في صدور كمال نفوسهم وتطهرها، فهم في شغل شاغل عن إنكار المناكر على الغير. وإذا رأوا أمراً لا ينظرون منه إلا الوجه الحسن في حقّ الغير احتياطاً وورعاً. وعندهم أحكام الشريعة أمور كليّات، يقررونها للناس في الدروس وعلى الكراسي وفوق المنابر، وليس في قلوبهم وجود شيء منها في أحد من الناس على التعيين أصلاً. كما أن الله تعالى أنكر المُنكَر في القرآن بلا تعيين أحد مع علمه تعالى بالمناكر وأهلها في كلّ زمان. وكذلك الرسول صلّى الله عليه وسلّم كان يقول: «ما

بال أقوام يفعلون كذا». ولا يذكر أحداً بسوء؛ فهولاء هم الناس الذين يليق في حقّهم أن يقال عنهم إنّهم علماء فقهاء أمناء على أحكام الله تعالى. قال النجم الغزّيّ[1] رحمه الله تعالى في كتابه منبر التوحيد: (ولقد روي عن أبي حنيفة والشافعيّ رضي الله عنهما أنهما قالا: «إن لم تكن العلماء أولياء فليس لله وليّ». والمراد بهم العاملون بلا شك. كما روى التنبيه بذلك عن الشافعيّ أيضاً؛ لقوله صلّى الله عليه وسلّم: «لا يكون العالم عالماً حتى يكون بعلمه عاملاً»[2]. كذلك ذكره بعضهم مرفوعاً؛ وإنما هو موقوف على أبي الدرداء رضي الله عنه. كما رواه ابن حبَّان في (روضة العقلاء). والبيهقيّ في المدخل. وذكر النجم رحمه الله تعالى أيضاً في كتابه المذكور عن الإمام الشافعيّ رضي الله عنه أنه قال :«من أحبّ أن يفتح الله على قلبه نور الحكمة فعليه بالخلوة وقلة الأكل وترك مخالطة السفهاء، وبعض العلماء الذين ليس معهم إنصاف ولا أدب» انتهى كلامه. وهؤلاء العلماء الذين ترك مخالطة بعضهم موجب للفتح على القلب في طريق الله تعالى. هم المتفقّهة الذين قدّمنا ذكرهم قبل ذكر الفقهاء، وهم موجودون في كلّ زمان من عصر الإمام الشافعيّ؛ بل من قبله إلى يوم القيامة، خذلهم الله تعالى وأذلّهم. وإذ لم يكن لهم/[١١/ ب] نصيب في الهداية والتوفيق والتوبة كما كان للشيخ عمر ابن الفارض رحمه الله تعالى. وقد أنقذه الله تعالى من الورطة التي وقع فيها مع

---

(١) النجم الغزّيّ، عليّ بن عبد الحيّ بن عليّ بن سعودي: النجم الغزّيّ، الشافعيّ الدمشقيّ، المؤرّخ، ولد بدمشق ١١٢٦هـ، برع في التاريخ والحديث والفقه والعربيّة والقراءات والعقائد، أخذ طريقة الصوفيّة عن الشيخ عبد الغنيّ النابلسي، وانتفع به كثير من الطلاب. توفي١١٩١هـ ودفن بتربة الشيخ رسلان. انظر محمّد خليل أفندي المرادي في سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ٢ / ١٥.

(٢) قال السخاويّ في المقاصد الحسنة ١/ ٧٤ : لا أعرفه حديثاً، وكذا: ما اتخذ الله من وليّ جاهل، نعم. وروينا في مناقب الشافعيّ للبيهقيّ من طريق الربيع بن سليمان، قال: سمعت الشافعيّ يقول: إنْ لم تكن الفقهاء أولياء الله في الآخرة فما لله وليّ، انتهى.

الشيخ البقّال لعناية سبقت له. وكان اللائق في حقّه أن ينكر ذلك على وجه العموم فيقول في نفسه: الوضوء الذي لا يكون مرتباً ليس بوضوء شرعي، وهذا الوضوء قد يكون لصاحبه عذر في عدم ترتيبه. إمّا لنسيانه فهو غير مكروه عند من كرهه، وإمّا أنه متوضئ من قبل وهو الآن يريد التبرّد بذلك، أو سيتوضأ بعده للصلاة، ونحو ذلك. ولا يفتش عليه أصلاً بعد ذلك؛ لكن لم يكن الشيخ عمر رحمه الله تعالى فقيهاً حينئذ؛ وإنما كان متفقّهاً، ولم تكن نفسه مهذّبة في بداية أمره؛ ولهذا أخبر أنه قال للبقّال ما قال.

ثمّ قال: (**فنظر**) أي: البقّال. (**إليّ وقال: لم أتوضأ إلا مرتباً؛ لكنك لا تبصر، لو أبصرت أبصرت هكذا**). كذا ذكره المناويّ في ترجمة البقّال. وقال له أيضاً (**يا عمر، أنت ما يُفتح**): بالبناء للمفعول. أي: لا يفتح الله تعالى (**عليك في مصر**): عقوبة له، حيث حصل منه عليه إنكار في مصر. ولبعض الأقطار شؤم على من عصى الله فيها. (**وإنما يُفتح عليك بالحجاز في مكّة شرّفها الله تعالى**). قال المناويّ في ترجمة البقّال: (**فأكب**): يعني الشيخ عمر رحمه الله تعالى (**على أقدامه**) يستغفر. (**فاقصدها**): أي مكّة (**إن أردت الفتح؛ فقد آن**) بالمدّ: أي قرب. (**لك وقت الفتح**): بشارة له، وجبراً مما وقع له من كسر الخاطر؛ لأنه رآه تدارك نفسه من ذلك الإنكار الذي وقع منه، وقد رجع عنه في الحال بظاهره وباطنه، ولم يبق مصرّاً على شائبة إنكار عليه أصلاً حين سمع منه قوله: (**يا عمر، أنت ما يفتح عليك بمصر**). قال (**فعلمت أن الرجل**): أي ذلك البقّال رحمه الله تعالى (**من أولياء الله تعالى وأنه يتستّر**) من حيث الإلهام من الله تعالى، وتيسير ذلك له بلا قصد للتستّر؛ فإنه اختار حالة يكون عليها، وليس للولي اختيار إلا فيما اختاره الله تعالى له عن كشف منه وشهود. وقال الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي قدّس الله سرّه في كتاب شرح «الوصيّة اليوسفيّة»: ولا يُخفي وليٌّ حاله عن الناس إلا بدخوله مداخلهم في عاداتهم مما لا تُنتهك فيه حرمه الشرعيّة، فلا يرى العامّة من هذا

الوليّ إلا ما اعتادته منه العامّة؛ فلا يتميّز لهم حال الوليّ المتوهَّم في نفوسهم، فيكون ستراً لهم على هذا الحال المتوهَّم، فما استتر إلا بحاله. فإن استتر بأمر في الظاهر عندهم منتهك فيه حرمة شرعيّة فالغلط في نظرهم لا في نفس الأمر. وبعيد أن يقع مثل هذا من كبير في الطريق متمكّن، ولا من صاحب حال لشغله؛ فإن صاحب الحال تحت حكم حاله، فلا يقوم له خاطر في الستر ولا في الظهور؛ وإنما هو بحكم ما يصرفه فيه حاله **(بالمعيشة)**: وهي بيع البقل. **(وإظهار الجهل)** منه **(بترتيب الوضوء)**: على الوجه الشرعيّ. وهذا الكلام من الشيخ عمر رحمه الله تعالى على عادة المتفقّهة في اعتقادهم في الأولياء أنهم يقصدون التستّر بما يرونه عليهم من الأحوال التي تخالف أحوال الوليّ في اعتقاد العامّة، وفي نفس الأمر لا تصرُّف للبقّال في حال نفسه أصلاً، ولا تكلّف عنده في جميع أموره؛ وإنّما هي حالة أقامه الله تعالى فيها، حتى وضوئه غير المرتب؛ فإن الله تعالى قد تولّى أمور الأولياء في ظواهرهم وبواطنهم، ولم يتركهم مع نفوسهم في أمر مطلقاً. وأهل النفوس يقيسونهم على نفوسهم في قصد التستّر وغيره. **(فجلست بين يديه)**: جلوس التلميذ بين يدي شيخه. **(وقلت له: يا سيِّدي)**: بكسر الياء المشدّدة **(وأين أنا، وأين مكّة)**: أي بعيدة عنِّي. **(ولا أجد رَكْباً)** بفتح الراء وسكون الكاف. ركبان الإبل: اسم جَمْع، أو جَمْع، وهم عَشَرَة فصاعداً. وقد يكون للخيل. كذا في القاموس/ [١٢/ أ] **(ولا رفقة)** بتثليث الراء: جماعة يرافقهم، وجمعه رِفاق ككتاب، وأرفاق كأصحاب ورُفَق كصُرَد. **(في غير أشهر الحج)**؛ لأن القوافل لا تذهب إلى مكّة من مصر إلا في أشهر الحج للحج. **(فنظر)**: أي الشيخ البقّال، رحمه الله تعالى. **(إليّ وأشار بيده)** نحو الكعبة. **(وقال لي: هذه مكّة أمامَك)**: بالفتح، أي: قدّامك، يعني: فارقني واذهب إليها لتجد الفتح فيها. **(فنظرت معه)**: جهة نظره. **(فرأيت مكّة شرّفها الله تعالى، فتركته)**: أي أعرضت عنه **(وطلبتها)**: أي مكّة المشرّفة **(امتثالاً)**: للأمر الذي ذكره له بأن الفتح يكون في

مكّة، كما امتثل موسى عليه السلام أمر الخضر عليه السلام لمّا قال له: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ [١٨/ الكهف / ٧٨] ففارقه. (فلم تبرح): أي مكّة (أمامي): أي قدّامي. يعني: لم يتغيّر عليّ ما وجدته من الكشف ورفع حجاب البعد الحسّي ببركة إشارة الكامل المرشد لوجود كمال الاستعداد في المسترشد ذلك الوقت، مع أنّ الشيخ البقّال رحمه الله تعالى له سنون متعدِّدة في مصر يبيع البقل. والشيخ عمر رضي الله عنه كذلك له سنون متعددة بمصر يطلب الطريق إلى الله تعالى، وغيره أيضاً كثير من الناس طالبون للفتح الإلهيّ؛ ولكن الأمر موهبة من الله تعالى لشخص مخصوص في وقت مخصوص، على يد شيخ مرشد كامل مخصوص كما وقع. وغير ذلك لا يكون؛ فلو وجد الشخص المخصوص ولم يأت الوقت المخصوص، ولو كان المرشد حاضراً فلا يمكن الفتح، وهكذا قال صلّى الله عليه وسلّم: «اعملوا فكلٌّ ميسر لما خلق له»[١] (إلى أن دخلتها): أي مكّة المشرّفة. (في ذلك الوقت) من غير مشي كثير. (وجاءني): أي ورد عليّ من الله تعالى وارد. (الفتح) الربّانيّ. (حين دخلتها) وكوشفت بالحقائق الإلهيّة، والمعارف الربّانيّة. (وترادف): أي توالى وتتابع ذلك الفتح على القلب والمعارف. (ولم ينقطع): أبداً إن شاء الله تعالى.

(قلت): أي سبط الشيخ الذي هو جامع نسخة هذا الديوان رحمهما الله تعالى. (وإلى هذا الفتح): الذي حصل له بمكّة المشرّفة. (أشار رضي الله عنه في القصيدة الداليّة): المكسورة القافية. (حيث قال) ـ وسنشرحه في موضعه إن شاء الله تعالى ـ:

يا سميري روِّح بمكّة روحي   شادياً إن رغبت في إسعادي

كان فيها أنسي ومعراج قدسي   ومقامي المقام والفتح بادي

(قال): أي الشيخ عمر في تمام كلامه السابق الذي يحكيه عن نفسه (رضي الله عنه ثمّ شرعت في السياحة) بعد ذلك (في أوديتها): أي مكّة المشرّفة، جمع وادي.

---

(١) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب التفسير، باب فسنيسِّره للعسرى، ٤٩٤٩.

(**وجبالها**): جمع جبل. (**وكنت**): في تلك السياحة (**أستأنس**): أي أجد الأُنس: ضد الوحشة. (**فيها**): أي في أودية مكّة وجبالها. (**بالوحش**): أي حيوانات البرّ. وجمعه وحوش. (**ليلاً ونهاراً**) من غير مخالطة أحد أصلاً.

(**قلت**): أي قال سبط الشيخ كذلك. (**وإلى هذا المعنى أشار**): أي الشيخ (**رضي الله عنه بقوله في القصيدة التائيّة المكسورة القافية اللطيفة**): أي الصغرى منها، كما سنشرحه في موضعه إن شاء الله تعالى (**حيث قال وأحسن في المقال**):

وجنِّبني حبِّيك وصل معاشري	وحبّبني ما عشتُ قطعَ عشيرتي
وأبعدني عن أربعُي بعد أربع	شبابي وعقلي وارتياحي
فلي بعد أوطاني سكون إلى الفَلا	وبالوحش أُنسي إذ من الإنس

(**قال**): أي الشيخ عمر رضي الله عنه. (**وأقمت بوادٍ**): من أودية مكّة. (**كان بينه**/ [١٢/ ب] **وبين مكّة عشرة أيام للراكب المجد**): أي المسرع، من أجدّ السير: أسرع فيه. (**وكنت**) مع ذلك. (**آتي**) بالمدّ: أي أرجع. (**إلى مكّة منه**): أي ذلك الوادي. (**كل يوم وليلة**) ثم أعود إليه (**خمس مرات وأصلّي في الحرم الشريف**) المكّيّ (**الصلوات الخمس**) وكان (**معي سبع**): أي أسد. (**عظيم الخلقة يصحبني**): أي يسير معي (**في ذهابي**) إلى الحرم الشريف (**وفي إيابي**): أي رجوعي أيضاً منه إلى ذلك الوادي. (**وينخّ**): بالنون والخاء المعجمة، أي يبرك. (**لي**) على الأرض لأركبه (**كما ينخّ**): أي يبرك (**الجمل، ويقول لي**): أي ذلك السبع بلسان فصيح عربيّ (**يا سيِّدي اركب عليّ فما ركبته**): أي ذلك السبع. (**قطّ**) في ذهاب ولا إياب. وفي بعض النسخ من ديباجة هذا الديوان بدل (**ويقول لي**). (**يشير إليّ**): أن اركب (**فما ركبته قط**)؛ فلعله كان ينطق مرة ويشير مرة. وحكى الشيخ رضي الله عنه لولده مرة عن النطق ومرة عن الإشارة. وولده رحمه الله تعالى حكى كذلك.

---

(١) انظر شرح الأبيات رقم: ٥٧-٥٨-٥٩ من التائيّة الصغرى.

(وتحدّث بعض جماعة من أكابر المشايخ المجاورين بالحرم الشريف): المكّيّ. (في تجهيز): أي تهيئة (مركوب لي): من ناقة أو فرس (يكون عندي في) تلك (البرّية) يأكل من حشيشها ويشرب من مائها المذكور. (عند باب الحرم الشريف) المكّيّ (فرأوه): أي ذلك (أحضر عليه إلى الحرم الشريف، وأرجع كلّما أردت، فظهر لهم) السبع. (وسمعوا قوله) لي (يا سيّدي اركب عليّ). وفي نسخة أخرى (فرأوه يشير إليّ) أن أركب (فما ركبته فاستغفروا الله العظيم) من ذنب تقصيرهم في القيام بحرمتي وتبجيلي، حيث جهلوا مقامي؛ فقالوا ما قالوا من أمر المركوب. (وكشفوا رؤوسهم): تذللاً بين يدي. (واعتذروا): أي أتوا بالأعذار. (إليّ) على عدم علمهم بشريف حالي، وأني غير محتاج إلى المركوب وغيره.

(ثمّ بعد) مضي (خمس عشرة سنة) في السياحة بجبال مكّة. (سمعت الشيخ البقّال): رحمه الله تعالى. (يناديني) من مصر المحروسة (وأنا بين جبال مكّة وأوديتها: يا عمر، تعالَ): أي ارجع. (إلى القاهرة): مصر المحروسة. (احضر وفاتي): أي موتي بها. (وانتقالي) من الدنيا (إلى) حضرة (الله) تعالى في الآخرة. (وصلِّ عليّ): بعد تغسيلي. (فأتيته) في الحال (مسرعاً) إلى (القاهرة) بمصر المحروسة؛ فقد خرج من مصر بإذنه، ورجع إليها أيضاً بإذنه، وكان الخروج إلى مكّة ورجوعه منها في أمر خارق للعادة، بينهما خمس عشرة سنة، وهو من اعتناء الله تعالى، وتكريمه لأوليائه. (فوجدته): أي الشيخ البقّال رحمه الله تعالى. (قد احتُضِر) بالبناء للمفعول، أي، حضرته الوفاة، أو ملائكة الموت، فهو يجود بنفسه. (فسلّمت عليه): أي قلت له: السلام عليكم. (وسلّم عليّ): أي ردّ سلامي، ورحب بي وهو في تلك الحالة. وفي نسخة أخرى: وردّ السلام بدل وسلّم علي. (وناولني دنانير ذهب) كانت عنده. (وقال لي: جهزني): أي اشتر لي ما أحتاجه من كفن وحنوط. (بهذه الدنانير وافعل كذا وكذا) في كيفية تغسيله وتكفينه. (وأعطِ حَمَلَة): جمع حامل بالحاء المهملة، كطلبة جمع طالب. (نعشي):

أي سريري الذي أوضع عليه. (**إلى القرافة**) كسحابة: تربة بمصر معروفة. (**كل واحد**): من تلك الحَمَلة لنعشي. (**ديناراً**) من الذهب. (**واتركني على الأرض في هذه البقعة وأشار إليها**): أي إلى تلك البقعة. (**بيده، فلم تزل**): أي تلك البقعة. (**بين عينيّ**). بتشديد الياء الثانية: تثنية عين، وحذفت النون للإضافة إلى ياء المتكلّم. (**انظر إليها وهي بالقرافة**): أي في التربة المذكورة. (**تحت المسجد المعروف بالعارض بالقرب من مراكع موسى عليه الصلاة والسلام**): وهو اسم موضع معروف هناك. (**بسفح**): أي أسفل الجبل (**المقطّم عند مجرى**): أي موضع جريان (**السيل منه قال**):/ [١٣/ أ] أي الشيخ البقّال، رحمه الله تعالى. (**وانتظر قدوم رجل يهبط إليك من الجبل**): المذكور. (**فصلِّ أنت وهو عليّ**): أي على جنازتي، الصلاة المعهودة في الشرع. وتقديمه له بقوله: (**أنت وهو**) إشارة إلى إمامته في الصلاة، واقتداء الآخر به، وكذلك وقع كما يأتي. (**وانتظر**): بعد ذلك. (**ما يفعل الله في أمري**): أي ما يكون منه بحضوركما. (**قال**): أي الشيخ عمر رضي الله عنه. (**وتوفي**): أي الشيخ البقّال (**رحمه الله تعالى فجهزته**) بدنانيره. (**كما أشار**) إليّ بذلك، على طِبق ما ذكر لي. (**وطرحته**): أي وضعته. (**في البقعة المباركة**) المذكورة. (**كما أمرني**): أي على حسب ما أمرني بذلك. (**فهبط**): أي نزل (**إليّ**): أي إلى عندي في تلك البقعة (**رجل من الجبل**) المذكور. (**كما يهبط الطائر المسرع، لم أره يمشي على رجليه**): أصلاً. فعرفته (**بشخصه**) فإنّه (**رجل كنت أراه يَصفع**) بالبناء للفاعل: أي يضرب بيده. (**قفاه**): أي مؤخّر رأسه. (**ورقبته**) على طريق الاستهزاء والسخرية بنفسه. (**في الأسواق**) بين الناس (**فقال**): أي ذلك الرجل. (**يا عمر، تقدّم فصلِّ بنا على الشيخ**): أي البقّال رحمه الله تعالى. (**فتقدّمت، وصليت إماماً**): واقتدى ذلك الرجل به. (**ورأيت طيوراً خضراً وبيضاً صفوفاً**) كثيرة (**بين السماء والأرض يصلون معنا**) على الجنازة؛ وهي ملائكة السماوات، نزلت في صورة الطيور لحضور الجنازة والصلاة عليها. (**ورأيت طائراً منهم**): أي من بينهم. (**أخضر اللون**) مثلهم. (**عظيم الخلقة، قد هبط**) بعد الفراغ من الصلاة عليه (**عند**

رجليه): أي الميت. (وابتلعه): أي ابتلع الميت. (وارتفع): أي ذلك الطير (**إليهم**): أي إلى بقيّة الطيور القائمة بين السماء والأرض. والقياس إليها؛ ولكن لمّا وجد لها أفعالاً كأفعال الرجال قال: إليهم ومنهم. (وطاروا): أي تلك الطيور. (**جميعاً ولهم زَجَل**): بالزاي والجيم محرّكة: ضجّة، أو تطريب، أو رفع صوت. (بالتسبيح): أي التنزيه والتقديس لله تعالى. (**إلى أن غابوا عنا في السماء فسألته**): أي الرجل، (**عن ذلك**) الأمر الذي وقع. (فقال): أي الرجل: (**يا عمر أما سمعت**) الذي ورد في الحديث: «**إن أرواح الشهداء في أجواف**»: جمع جوف؛ وهو البطن. «**طيور خضر تسرح**» أي تأتي وتذهب «**في الجنّة حيث شاءت**» أخرجه مسلم في صحيحه عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «أرواح الشهداء عند الله في حواصل طيور خضر، تسرح في أنهار الجنّة حيث شاءت، ثمّ تأوي إلى قناديل تحت العرش»[1]. وأخرج أحمد وأبو داوود والحاكم والبيهقيّ في الشعب عن ابن عباس أن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: «لمّا أصيب أصحابكم بأُحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد في أنهار الجنّة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلّقة في ظلّ العرش»[2].

وأخرج الطبرانيّ من مرسل ضمرة بن حبيب قال: سُئل صلّى الله عليه وسلّم عن أرواح المؤمنين. «فقال: في طير خضر تسرح في الجنّة حيث شاءت. قالوا: يا رسول الله، وأرواح الكفار؟. قال: في سجين»[3]. وأخرج هنّاد بن السري في الزهد من هذيل قال: «إن أرواح آل فرعون في أجواف طير سود، تروح وتغدوا على النار. وأرواح الشهداء في أجواف طير خضر، وأولاد المسلمين الذين لم

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب: في بيان أرواح الشهداء في...، ٤٩٩٣ كما أخرجه الطيالسي في مسنده، في: ما أسنده عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه، ج١ ص٣٨.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب: في بيان أرواح الشهداء في...، ٤٩٩٣ كما أخرجه الطيالسي في مسنده، في: ما أسنده عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه، ج١ ص٣٨.

(٣) ذكره السيوطيّ في الحاوي للفتاوي، ج٣ ص٢٥٧.

يبلغوا الحنث عصافير من عصافير الجنّة ترعى وتسرح»[1]. هم ـ أي الشهداء المذكورين ـ شهداء السيوف الذين قتلوا في سبيل الله تعالى. وأمّا شهداء المحبّة الإلهيّة المشار إليهم بقوله صلّى الله عليه وسلّم: «إن لله تعالى عباداً يضنّ بهم عن القتل. ويطيل أعمارهم في حسن العمل. ويحسن أرزاقهم. ويحييهم في عافية. ويقبض أرواحهم في عافية على الفرش؛ فيعطيهم منازل الشهداء»[2]/ [١٣/ ب] رواه الطبرانيّ عن ابن مسعود. وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «إن أكثر شهداء أمّتي لأصحاب الفرش؛ وربَّ قتيل بين الصفَّينِ الله أعلم بنيّته» رواه الإمام أحمد بن حنبل عن ابن مسعود. فكلّهم لا أرواحهم فقط؛ بل أجسادهم وأرواحهم في أجواف طيور خضر؛ وذلك لأنّ زيادة المحبّة الإلهيّة فيهم كشفت لهم عن شهود أمر الله تعالى قائماً على كلّ شيء، وعليهم هم أيضاً، أجساداً وأرواحاً؛ فاستحال عندهم الخلق في الأمر. وقال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْـرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُـم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيـلًا ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨٥]؛ فالعالم عندهم كلّه أرواح قائمة بالأمر الإلهي فكيف أجسادهم؛ فأجسادهم وأرواحهم عندهم كلّها أرواح مطهّرة؛ ولهذا يتشكّل بعضهم في الصور، ويظهر في أي صورة شاء من غلبة الروحانيّة، واستهلاك الجسمانيّة عنه بالكلّيّة. وكان منهم قضيب البان الموصلي[3] قدّس الله سرّه. فإذا كانوا كلّهم أجساداً وأرواحاً في أجواف الطيور

(١) قال السيوطيّ: أخرجه ابن أبي شيبة، وهنّاد، وعبد الحميد، عن هذيل بن شرحبيل، انظر الدرّ المنثور للسيوطيّ، باب آية ١١، ج٧ ص٢٩٠.

(٢) رواه الطبرانيّ في المعجم الكبير، ١٠٢٢٠، ج٩ ص٢١

(٣) هو عبد بن محمّد بن أبي الفيض، أبو محمّد المعروف بقضيب البان، يرجع نسبه إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما. كراماته مشهورة، صحب الشيخ الجيلانيّ، وزوجه الشيخ ابنته، ولد في حماة ٩٧١هـ، وجاور بمكّة. ألّف أربعين كتاباً في التصوّف، والمعارف الإلهيّة، منها: الفتوحات المدنيّة، ونهج السعادة، وناقوس الطباع في أسرار السماع، ورسالة في الحروف، وديوان شعر كلّه في لسان القوم، وله تائيّة عارض فيها تائيّة ابن الفارض، انظر خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، حرف العين، ج٢ ص١١٠.

الخضر صدق عليهم الحديث أيضاً أن أرواحهم في أجواف طيور خضر؛ لأنهم كلّهم صاروا أرواحاً، وهم شهداء المحبّة، والعشق زيادة المحبّة، قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من عشق، فعفّ، ثمّ مات، مات شهيداً»[1]. رواه الخطيب البغدادي في تاريخه عن عائشة رضي الله عنها. وفي رواية: «من عشق، فكتم، وعف فمات فهو شهيد» رواه الخطيب البغدادي أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما. ومعنى كتمانه عدم إفشائه بنفسه سرّ الله تعالى بين المحجوبين المنكرين لاقتضاء ذلك الاستهانة به. أمّا إذا تكلّم بغلبة الحال فلا لوم عليه. ومعنى العفّة: ترك رؤية الأغيار في كلّ محسوس ومعقول على حسب ما يقتضيه مقامه. فإذا مات على هذه الحالة مات شهيداً من شهداء المحبّة، أعلى الشهداء وأرفعهم قدراً عند الله تعالى، من غير قتل ولا ألم ولا وجع؛ بل موضع ذلك لذائذ شريفة، ومشتهيات لطيفة، وهو مستور على فراشه بين أهله، لا يعلم به إلا من أسعده الله تعالى وألحقه بمقامه: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [٥٧/ الحديد/ ٢١] (وهذا الرجل): أي الشيخ البقّال رحمه الله تعالى (كان منهم يا عمر، وأنا كنت منهم) أيضاً. (وإنّما وقع مني هفوة فطردت عنهم. فها): أي كما تراني (أنا أصفع): أي أضرب قفاي، أي عنقي. (في الأسواق ندماً) منّي (وتأديباً على تلك الهفوة) التي وقعت لي. (قال): أي الشيخ عمر (رضي الله عنه ثمّ ارتفع) الرجل المذكور. (إلى الجبل) مسرعاً. (كالطير، إلى أن غاب عنّي) فلم أره.

(قال ولد الشيخ عمر): قال لي والدي قدّس الله سرّهما: (يا محمّد، إنّما حكيت لك هذا) الأمر الذي وقع لي (لأرغّبك): أي أجعل لك رغبة. (في سلوك طريقنا) وأرفع همّتك عن الرضا بالمقام مع الغافلين المحجوبين. (فلا تذكره): أي هذا

---

(١) ذكره الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، فصل ذكر الأسماء المفردة، ٦٩٥١. كما رواه الديلمي في الفردوس، ٦٩٩٩، و٧٠٠٠ بلفظ: من عشق فكتم وعفّ ومات مات شهيداً. كما روى ابن عساكر في تاريخه، ٢٢٩٥٢، بلفظ: من عشق وكتم وعفّ وصبر غفر الله له وأدخله الجنّة، ج٤٣ ص١٩٥.

الأمر (**لأحد من الناس**) في حال حياتي (**فلم أذكره**) كما قال لي. (**لأحد**): من الناس في حياته. (**حتى توفي**): أي مات الشيخ عمر. (**رضي الله عنه حسب**): أي بمقتضى. (**وصيته**) التي أوصاني بها.

(**قلت**): أي قال سبط الشيخ جامع هذه النسخة من الديوان رحمهما الله تعالى. (**وفي هذه البقعة المباركة**) التي أشار إليها الشيخ البقّال رحمه الله تعالى أنّه يوضع فيها، فوضع بعد موته حتى جاء ذلك الطائر وابتلعه. (**دفن الشيخ**) عمر بن الفارض (**رضي الله تعالى عنه حسب وصيَّته**) قبل موته بذلك. (**وضريحه**): أي قبره (**بها**): أي في تلك البقعة. (**معروف**) عند أهل مصر، وقد بني عليه قبة ومزار لطيف يُزار، ويُتبرّك به كما هو المشهور. (**وفي ذلك**): أي في دفنه في البقعة المذكور[ة] تحت مسجد الفارض. (**قال بعض الفضلاء يرثيه**): أي الشيخ عمر رضي الله عنه. يُقال: رَثَيْتُ المَيْتَ: بالثاء المثلثة رَثْياً ورِثَاءً/ [١٤/ أ] ورِثَايَة بكسرهما، ومَرْثاة ومَرْثِيَة مخففة، ورَثَوْتُه: بَكَيته وعدّدتُ محَاسِنَه، ونَظَمتُ فيه شعراً وحديثاً عنه، كذا في القاموس. (**وهو**): أي بعض الفضلاء (**أبو حسين الجزار**)[1]: بتقديم الزاي على الراء (**الشاعر المشهور**) رحمه الله (**حيث يقول**) في ذلك:

لم يبقَ صيِّبُ مُزنةٍ إلا وقد ... وجبتْ عليه زيارةُ ابن الفارض

الصَّيِّب بتشديد الياء المثناة التحتيّة مكسورة: السَّحاب ذو الصَّوْب، والصَّوْب: نزول المطر، وصَاب: أي نزل. والتصَوُّب مثله. وصَوَّبتُ الفَرَس: إذا أرسلته في الجَري، ذكره الجوهريّ في الصحاح. [قال الشاعر]:

فلستُ لإنسيٍّ ولكنْ لَمَلْأَكٍ ... تَنَزَّلَ من جو السماءِ يَصُوبُ][2]

---

(١) يحيى بن عبد العظيم، كنيته أبو حسين. عُرف بالجزّار، مهنته. أحد الظرفاء في عصر المماليك. ولد وتوفي بالقاهرة بعدما أصيب بالفالج ٦٠١-٦٧٩هـ، من كتبه: فوائد الموائد، وتقاطيف الجزّار، وهو مقطّعات شعريّة جمعها في كتاب. انظر فوات الوفيات، ج٤ ص٢٧٧.

(٢) زيادة من المطبوع، والمَلْأَك مفرد الملائكة.

والمُزْنَة بالزاي والنون: واحدة المُزْن. قال في القاموس: المُزن بالضمّ: السَّحاب، أو أبيَضُه، أو ذو الماء». والمعنى: لم يبقَ في السماء هاطل سحابة، ولا هامر غمام إلا أوجب الله تعالى عليه بمقتضى حكمته، وسابق قدرته أن يحاذي البقعة التي دُفِن فيها الشيخ عمر بن الفارض رضي الله عنه، فينزل المطر عليها، ويغدق الماء حولها حتى يكثر نبات الحشيش حول ذلك القبر فيكثر تسبيح النبات فتزيد الرحمة، وتترادف النعمة على صاحب القبر، فتزداد روحه بهجة وسروراً وكمالاً وحبوراً:

لا غَــرو أن يُـسقى ثــراه وقــبره   بـاقٍ ليـوم العـرْض تحـت العـارض

فقوله: لا غروَ بالغين المعجمة والراء، والواو مفتوحة. قال في القاموس: «لا غَرْوَ ولا غَرْوَى: لا عجب». والثرى بالثاء المثلّثة والراء: التراب الندي. ويوم العَرْض بسكون الراء: يوم القيامة. والمعنى: ليس بعجيب أن الله تعالى يسقي ترابه النديّ: أي تراب جسد ابن الفارض رضي الله عنه بصيِّب المُزْن، وهاطل السحاب، ويوالي عليه أمطار الرحمة. والحال أن قبره رضي الله عنه باقٍ إلى يوم القيامة تحت العارض. والتورية واقعة في قوله العارض؛ فإن له معنيين: العارض اسم للمسجد الذي بسفح جبل المقطّم، كما مرّ ذكره. وتلك البقعة التي دفن فيها الشيخ عمر رضي الله عنه تحت ذلك المسجد المسمّى بالعارض، وهذا هو المعنى القريب. وقد وُرِّي به، أي: سُتر المعنى الثاني البعيد الذي هو المراد هنا وهو: أن العارض اسم للسحاب. قال في القاموس: «والعارض السحاب المعترض في الأفق. وبين العرض والعارض جناس الاشتقاق.

(وقلت): أي قال سبط الشيخ عمر الجامع لهذا الديوان رحمهما الله تعالى. **(أنا)**: تأكيد لضمير الفاعل. **(أيضاً)**: أي كما قال الشاعر الأول. **(مثله)**: أي مثل قوله ذلك. يعني: في مرثيّة الشيخ رضي الله عنه.

جُـزْ بالقَرافـة تحـت ذيـل العـارض   وقُـلِ السلام عليك يـا بـن الفـارض

فقوله جُزْ بالجيم والزاي: فعل أمر من الجَوَاز وهو المرور. قال في القاموس: «جاز الموضع جَوْزاً وجوازاً وجُؤوزاً ومَجَازاً، وجاز به جِوازاً: سار فيه وخَلَّفَه». والقَرافة: مقبرة معروفة بمصر المحروسة، كما سبق ذكره. والذيل: آخِر كل شيء. ومن الإزار والثوب: ما جُرّ، ومن الريح: ما يتركه في الرمل كأثر ذَيل مَجرور، ومن الفَرَس وغيره: ذَنَبه، أو ما أُسْبِل منه. والجمع أذيال وذُيول، وأَذْيُل. كذا في القاموس. والعارض هنا أيضاً فيه التورية بالمسجد المذكور، والسحاب المعترض في الأفق على التفاؤل بذلك لدوام الرحمة. والمعنى: يا أيها الإنسان سِرْ وامرزْ بالقرافة تحت ذلك المسجد بالبقعة المعروفة، وادخلْ تحت ذلك السحاب الذي لم يزل يهطل بغيوث الرحمة، وتوالي النعمة، والفضل الإلهيّ على قبر الشيخ عمر رضي الله عنه؛ لعلّ أن يصيبك من ذلك الكرم الفيّاض ما يمدّك من معاني التوفيق، ومعارف التحقيق، وإذا وصلت إلى تلك البقعة فقل فيها: السلام عليك يا بن الفارض؛ فإنه يردّ عليك السلام، ويفرح بك حيث قصدته وتبركت بمزاره. قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «إذا مرّ الرجل بقبر يعرفه فسلّم عليه ردّ عليه السلام وعرفه/ [١٤/ ب] وإذا مرّ بقبر لا يعرفه فسلّم عليه ردّ عليه السلام»(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور. والبيهقيّ في شعب الإيمان عن أبي هريرة رضي الله عنه. وأخرج [ابن] عبد البرّ في الاستذكار والتمهيد عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «ما من أحد يمرّ بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا فيسلّم عليه إلا عرفه، وردّ عليه السلام». ذكره السيوطيّ في كتابه: «بشرى الكئيب بمقام الحبيب». ثمّ قال: وقد شرّع صلّى الله عليه وسلّم لأمته أن يسلِّموا على أهل القبور سلام من يخاطبونه ممن يسمع و يعقل.

أبــرزتَ في نظــم الــسلوك عجائبــاً   وكــشفتَ عــن سرّ مــصون غــامضِ

---

(١) أخرجه البيهقيّ في شعب الإيمان، فصل في زيارة القبور، ٩٢٩٦، ج٧ ص١٧.

فقوله: (**أبرزت**): أي أظهرت، خطاب لابن الفارض الذي ناداه رحمه الله تعالى. (**ونظم السلوك**): اسم القصيدة التائيّة الكبرى سمّاها له بذلك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في رؤيا رآها كما سيأتي ذكر ذلك إن شاء الله تعالى في محلّه (**عجائباً**): جمع عجيبة، وهي الأمر الذي يُتعجب منه من دقائق المعاني. (**والسرّ**): هو الأمر الخفي الذي يُكتم. (**والمصون**): المحفوظ. و(**الغامض**) بالغين المعجمة والضاد المعجمة: خلاف الواضح من الكلام

وشربتَ من بحر المحبّة والوَلا	فرويت من بحر محيط فائضِ

(**الولا**): بفتح الواو الوَلاية، وتكسر. وهو مقام القرب إلى الله تعالى، والإنسان. (وَليّ): أي قريب إليه تعالى. وقدّم المحبّة لأنها وسيلة إلى القربة، ثمّ أثبت له الرِيّ من ذلك البحر: وهو زوال العطش، ولا يكون إلا في المقام الذاتيّ المقتضي للاستغراق الكلّي بعد فناء الفناء. (**وقال ولده**): أي ولد الشيخ عمر رضي الله تعالى عنه. (**رأيت**) وأنا في يقظتي. (**الشيخ**): يعني والده الشيخ عمر رضي الله عنه وكان في حال حياته (**نائماً مستلقياً على ظهره وهو**) في تلك الحالة (**يقول: صدقت يا رسول الله، صدقت يا رسول الله، صدقت يا رسول الله**) هكذا ثلاث مرات (**رافعاً**) بذلك (**صوته، مشيراً بإصبعيه**) السبابتين من يده (**اليمنى**) ويده (**اليسرى إليه**) صلّى الله عليه وسلّم (**واستيقظ**): أي الشيخ رحمه الله تعالى (**من نومه**) ذلك. (**وهو يقول كذلك**): أي صدقت يا رسول الله مكرراً ثلاث مرّات. (**ويشير بأصبعيه كما كان يفعل وهو نائم فأخبرته**): أي الشيخ رضي الله تعالى عنه بعد استيقاظه. (**بما رأيته**) يفعله من الإشارة بأصبعيه. (**وبما سمعته منه**) من قوله المذكور. (**وسألته عن سبب ذلك**): أي القول والإشارة. (**فقال**): أي الشيخ رضي الله عنه. (**يا ولدي، رأيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في المنام**): ومعلوم أنّ من رأى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في المنام فقد رآه حقّاً كما ورد في الحديث. قال صلّى الله عليه وسلّم: «من رآني في المنام فقد رآني؛ فإنّ الشيطان لا

يتمثّل بي»[1]. رواه أحمد بن حنبل والبخاري والترمذي عن أنس رضي الله عنه. وفي رواية: «من رآني فقد رأى الحقّ؛ فإن الشيطان لا يتزيَّا بي». رواه أحمد بن حنبل، والبخاري، ومسلم، عن أبي قتادة رضي الله . وفي رواية: «من رآني في المنام فسيراني في اليقظة، ولا يتمثّل الشيطان بي» رواه البخاري ومسلم وأبو داوود، عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أي: تكون رؤياه صلّى الله عليه وسلّم في المنام بشارة له أنه سيراه في اليقظة، ولا يتمثّل الشيطان به في اليقظة أيضاً بالرؤية البرزخيّة التي تحصل للأولياء العارفين بالله تعالى إذا تجرّدوا في اليقظة من عالم أجسامهم، وغلبت عليهم روحانيّاتهم، ولَطَفَتْ كثائفهم بالرياضة الشرعيّة والطاعة المرضيّة؛ فإنّهم يتجرّدون في اليقظة عن غلبة عالم الطبيعة عليهم كما يتجرّد النائم، فيرون في اليقظة ما يراه النائم في منامه، ويجتمعون بالأرواح البرزخيّة، ويتكلّمون معهم؛ وهو أمر محقّق عند العارفين لا شبهة فيه؛ فيكون في الحديث إشارة إلى أن من رأى/ [١٥/ أ] النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في منامه، واستعظم تلك الرؤيا حتى أوجبت كمال تقواه، واستقامت حالته على الشريعة ظاهراً وباطناً؛ لا ظاهراً فقط كما يظنّه الأجانب عن هذا الطريق؛ فإنّه يصير ولياً عارفاً، ويرى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في اليقظة؛ فتكون رؤياه له في المنام داعية إلى حصول ذلك المقام. وأما من رآه صلّى الله عليه وسلّم في المنام واستمر مصرّاً على ما هو فيه من الآثام في الظاهر والباطن وهو غافل، محجوب، مشغول القلب بالدنيا، وجمع الحطام فإنّ تلك

---

(١) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب التعبير، باب من رأى النبيّ في المنام، ٦٩٩٤، بلفظ: (عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: من رآني في المنام فقد رآني؛ فإنّ الشيطان لا يتخيّل بي. ورؤيا المؤمن جزء من ستّة وأربعين جزءاً من النبوّة). كما أخرجه أحمد في مسند أبي هريرة، ٧٣٦٧، كما أخرجه الترمذيّ في الشمائل المحمّديّة عن أنس، باب من رآني في المنام فقد رآني، فإنّ الشيطان، ٤٠٦، ج١ ص٤٦١. قال المناويّ في فيض القديرنقلاً عن السيوطيّ: إنّه متواتر. وقال الزرقاني في شرح الموطّأ: والحديث متواتر، جاء عن جمع من الصحابة. أنظر نظم المتناثر للشيخ محمّد جعفر الكتّاني، ج١ ص٢١٨.

الرؤيا وبال عليه، ومكر به وانتقام. وقد أشار القسطلانيّ[1] رحمه الله تعالى في مواهبه اللدنّيّة إلى مكان رؤيته صلّى الله عليه وسلّم في اليقظة. وكذلك ابن الحجر الهيتمي[2] في «شرح همزيّة البوصيري». وللسيوطيّ[3] رسالة في ذلك سمّاها «إنارة الـحَلَك في إمكان رؤية النبيّ والملك».

(وقال): أي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. **(لي يا عمر لمن تنتسب)**: أيْ يرجع نسبك إليه. **(فقلت: يا رسول الله، أنتسب إلى بني سعد)** وهي. **(قبيلة حليمة السعديّة مرضعتك)**: أي حليمة التي أرضعتك (يا رسول الله فقال) صلّى الله عليه وسلّم: **(لا)**: أي ما أنت منتسب إلى بني سعد؛ **(بل أنت منّي)**: أي من ذرّيّتي**(ونسبك متّصل بي. فقلت: يارسول الله، إني أحفظ نسبي)**: أي أعلمه وأضبطه. **(عن أبي وجدّي)**: أب أبي وأبيه. **(إلى)** قبيلة **(بني سعد. فقال)**: صلّى الله عليه وسلّم. **(لا)**: أي ليس نسبك كذلك. (مادّاً): أي رافعاً **(لا)**: أي بكلامه. **(صوته)**: صلّى الله عليه وسلّم على وجه الردع لي والزجر عن تلك المقالة. **(بل أنت منّي، ونسبك متّصل بي)**: أي من أولاد عليّ من فاطمة الزهراء رضي الله

---

(١) القسطلانيّ: أحمد بن محمّد بن أبي بكربن عبد الملك القسطلانيّ، القتيبيّ، المصريّ. محدّث مؤرِّخ مقرئ. من كتبه: المواهب اللدنيّة في المنح المحمّديّة، وإرشاد الساري على شرح صحيح البخاريّ، ولطائف الإشارات في علم القراءات. انظر معجم المؤلّفين ج٢ ص٨٥.

(٢) ابن حجر الهيتميّ: أحمد بن علي بن حجر الهيتميّ، السعديّ،الأنصاريّ، شيخ الإسلام، أبو العبّاس. فقيه، باحث، مصريّ. ولد في محلّة أبي الهيتم في مصر سنة٩٠٩هـ، وتوفي في مكّة سنة ٩٧٤ هـ. حفظ القرآن صغيراً. من مؤلّفاته: شرح المشكاة، وشرح المنهاج، وشرح الهمزيّة البوصيريّة، والزواجر من الكبائر، وغير ذلك كثير. انظر الأعلام للزركلي ج١ ص٢٣٤.

(٣) هو عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطيّ، (٨٤٩-٩١١)هـ، إمام، حافظ، مؤرِّخ، أديب. له نحو ٦٠٠ كتاب منها المصنّف الكبير والرسالة الصغيرة، في جميع العلوم التي برع فيها، من مؤلّفاته: الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور، وشرح الشاطبيّة، وجمع الجوامع في الأصول، والخصائص الكبرى، وجمع الجوامع في العربيّة وشرحه همع الهوامع، ونكت شرح الألفيّة لابن عقيل. انظر: النور السافر عن أخبار القرن العاشر للعيدروس.

عنهم (**فقلت: صدقت يا رسول الله مكرراً ذلك**): القول (**ثلاث مرات مشيراً**): إليه صلّى الله عليه (**بإصبعيّ**) مشددة الياء المثناة التحتيّة: تثنية إصبع. (**كما رأيت**): تلك الإشارة. (**وسمعت**) ذلك القول فيما سبق.

(**قلت**): أي قال جامع هذا الديوان، سبط الشيخ رحمه الله تعالى. (**رأيت ولده**): أي ولد الشيخ رحمه الله تعالى. (**المشار إليه**): هنا في قصة رؤيا النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وما قبلها (**واقفاً**): على قدميه في اليقظة. (**وأصابع يديه مبسوطتان على ركبتيه**) من غير انحناء في ظهره بأن كانت يداه طويلتين بحيث تصلان إلى ركبتيه. (**وقال**): أي ولد الشيخ رحمه الله تعالى (**رأيت والدي**): أي الشيخ عمر بن الفارض رضي الله عنه. (**واقفاً**) على قدميه (**وأصابع يديه مبسوطة على ركبتيه مثل وقوفي هذا**): وأشار إلى وقوفه ذلك كذلك.

(**وقال**): أي ولد الشيخ، أو الشيخ، والده رحمهما الله تعالى. (**هذا**): أي وصول اليدين إلى حدّ الركبتين كما فعل وهو واقف. (**من علامات الشرف**): أي صحة النسب إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وكونه من ذريّته. ولا يلزم أن يكون ذلك شرطاً في صحة النسب؛ بل هو من علاماته كما قال. وقد ورد في الأخبار ما يدلّ على أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم كانت يداه طويلتين في الحسِّ والمعنى؛ فقد رُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «**كنت عند خالتي ميمونة فقام النبيّ صلّى الله عليه وسلّم يصلّي من الليل. فقمت عن يساره، فأخذ برأسي، فأقامني عن يمينه**»[1] أخرجه البخاريّ ومسلم.

وفي رواية لغيرهما: «فأخذ بأذني، وأدارني خلفه حتى أقامني عن يمينه»[2]. وفي

---

(١) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب: الأذان وغيره، باب: إذا لم ينوِ الإمام أنْ يؤمّ ثمّ جاء قوم فأمّهم، ٦٩٩، كما رواه مسلم في صحيحه، كتاب: المساجد، باب جواز الجماعة في النافلة الواحدة، ١٥٣٤.

(٢) رواه أحمد في مسند ابن عبّاس، ٣٥٥٤، ج٨ ص٨٠، كما رواه مسلم في صحيحه، كتاب: صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، ١٨٤١.

رواية: «وقمت خلفه، فأخذ ذؤابتي وأقامني عن يمينه. فعدت إلى مكاني، فأعادني ثانياً، وثالثاً. فلما فرغ قال: ما منعك يا غلام أن تثبت في الموضع الذي أوقفتك؟!. قلت: أنت يا رسول الله، ولا ينبغي لأحد أن يساويك في الموقف. فقال صلّى الله عليه وسلّم: اللهمّ فقهه في الدين وعلّمه التأويل» ولا شك أنه لا أطول من يد/[١٥/ ب] تُمَدّ إلى رأس مقتدٍ على اليسار أو إلى أذنه؛ فتجذبه من خلف إلى جانب اليمين، من غير تحويل عن القبلة من صاحب تلك اليد؛ فهي اليد الطولى.
ثمّ قال جامع الديوان سبط الشيخ، أو ولد الشيخ رحمهم الله تعالى: **(وهذه النسبة الشريفة)**: أي التي أرادها صلّى الله عليه وسلّم بقوله للشيخ عمر رحمه الله تعالى في المنام: «بل أنت منّي، ونسبك متّصل بي» كما مرّ. **(إمّا أن تكون نسبة الأهليّة)**: بأن يكون من ذريّة فاطمة التي هي ذريّة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وهو الظاهر المتبادر من الكلام وإن لم يكن ثابتاً في الظاهر وكان الثابت غيره؛ لأنّه لّما كان المعتبر في الشرع ثبوت النسب بالبيِّنة، واختلاف الأزمان يقتضي اختلاف الناس في طبائعهم، وعاداتهم، وأغراضهم، ومقاصدهم؛ فقد يضعف بعض الذرّيّة عن إقامة البيّنة. وقد تمنع الشهود عن أدائها لخوف أو طمع. وقد يعدل الحاكم، وقد يظلم. وقد ينتسب بعض الذريّة إلى غير نسبه لجهله بنسبه، أو لغرض من الأغراض؛ فيكون قول النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ـ وهو الصحيح ـ على خلاف ما هو في ظاهر الحال وإن لم تكن هذه الرؤيا المناميّة موجبة لحكم من الأحكام الشرعيّة. **(أو)** تكون تلك النسبة **(نسبة المحبّة)** بينه وبين النبيّ صلّى الله عليه وسلم **(والنسبة التي هي عند أهل المحبّة)** وهي نسبة المحبّة **(أشرف)** قدراً واعتباراً. **(من نسب الأبوّة)** التي كانت منها الولادة. **(وهي)**: أي نسبة المحبّة. **(النسبة التي جعلت بلال)** بن رباح بن حمامة. وحمامة أمه، كذا في القاموس. توفي بدمشق سنة عشرين، ودفن بباب الصغير، وقيل: بباب كيسان، وقيل: بداريّا، وقيل: بحلب. والصحيح الذي عليه الجمهور أنه بباب الصغير. ذكره النووي في تهذيب الأسماء واللغات، **(الحبشيّ)** مؤذن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم.

(وجعلت أبا عبد الله سلمان الفارسيّ): أي المنسوب إلى فارس مولى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. وسُئل عن نسبه فقال: أنا سلمان بن الإسلام. توفي في المدائن سنة ست وثلاثين (وجعلت صهيب) بن سنان مولى عبد الله بن جدعان التميمي، يكنى أبا يحيى. (الرومي): أي المنسوب إلى الروم، مات سنة ثمانين بالمدينة، ودفن بالبقيع. ذكره النوويّ في تهذيب الأسماء. (من أهل البيت): أي: بيت النبوّة المحمّدية؛ بل ورد في الحديث أنه قيل: «من آلك يا رسول الله؟. قال: آلي كلّ مؤمن». أو «كلّ مؤمن تقي»[1] على اختلاف الروايتين. والأول بمعنى الأهل. وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «سلمان منّا أهل البيت»[2] رواه الطبرانيّ والحاكم عن عمر بن عوف. وفي رواية: «سلمان سابق فارس»[3] رواه ابن سعد عن الحسن مرسلاً. وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «السُّبّاق أربعة: أنا سابق العرب، وصهيب سابق الروم، وسلمان سابق الفرس، وبلال سابق الحبشة»[4] رواه البزّار والطبرانيّ والحاكم عن أنس. ورواه الطبرانيّ عن أم هاني.

---

(١) قال ابن حجر الهيتميّ الصواعق المحرقة، الفصل الأوّل في الآيات الواردة فيهم، ج٢ ص٤٢٨: «آلي كلّ مؤمن تقي» ضعيف، ولو صحّ لتأيد به. وقال العجلونيّ في الكشف: «عن أنس، سئل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: من آل محمّد؟. فقال: كلّ تقي من أمّة محمّد. ولفظ الديلمي: ثمّ قرأ: ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [٨/ الأنفال/ ٣٤] ولكنّ شواهده كثيرة، منها في الصحيحين من قوله صلّى الله عليه وسلّم: «إنّ آلي أبي فلان ليسوا بأوليائي؛ إنّما وليّي الله وصالح المؤمنين». أخرجه البخاريّ، كتاب الأدب،٧٨، باب: يبل الرحم ببلالها،٥٩٩٠، كمارواه مسلم، كتاب الإيمان، ٢، باب: موالاة المؤمنين ومقاطعة غيرهم،٥٤١.

(٢) أخرجه الطبرانيّ في المعجم الكبير، ٥٨٠٨،ج٦ ص١٠ كما أخرجه الحاكم في مستدركه، باب ذكر سلمان الفارسيّ رضي الله عنه، ٦٦١٦، ج١٥ ص٧٢ .

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مسنده، ج٧،ص٥٣٦. قال السيوطيّ في جامع الأحاديث، حرف السين، ج١٢ ص٣٨٤ : أخرجه ابن سعد ج٤ص٨٢، وابن أبي شيبة، ٣٢٣٢٩، ج٤ ص٨٢، وابن عساكر ج١٢ ص٤٠٤.

(٤) أخرجه الطبرانيّ في المعجم الكبير،٧١٣٥، عن أنس، كما أخرجه الحاكم في المستدرك، باب: ذكر مناقب صهيب بن سنان مولى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ٥٧٣٨، ج٢،ص١٨٥.

ورواه ابن عدي عن أبي أمامة. (وأُبعد): بالبناء للمفعول. **(عنها)**: أي عن نسبة المحبّة. **(أبو طالب)**: بن عبد المطلب بن هاشم، عمّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أخو أبيه عبد الله، وأبو عليّ كرّم الله وجهه. وقد كان النبيّ صلّى الله عليه وسلّم حريصاً على إسلامه؛ فعاده في مرض موته، فقال له: قل لا إله إلا الله محمّد رسول الله. فأبى، حتى كان يقول له: يا عمّاه، قلها ولو في أذني، كلمة أحاجج لك بها يوم القيامة. فقال: على دين الأشياخ من قريش. **(ولم يتشرّف بها)**: أي بنسبة المحبّة المذكورة. **(ولم تنفعه نسبة العمومة التي هي أقرب الأنساب الأهليّة)**: لاقتضائها العصوبة والولاية. **(لما حجبته المشيئة الإلهيّة)**: الأزليّة بما قدرته عليه من الموت على الكفر والعياذ بالله تعالى.

(عن الهداية الربّانيّة) والعناية الرحمانيّة. **(وكذلك تبرأ إبراهيم الخليل عليه السلام من أبيه آزر لـمّا تبيّن)**/ [١٦/ أ]: أي انكشف. **(له)**: أي لإبراهيم عليه السلام. **(أنّه)**: أي أباه آزر. **(عدوٌّ لله)** تعالى كما قال تعالى عنه: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾ [٩/ التوبة/ ١١٤] وكان وعده بالإسلام والإيمان به، فامتنع من ذلك. **(وقيل لنوح عليه السلام عن ولده)** لـمّا قال: ﴿ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ﴾ [١١/ هود/ ٤٥-٤٦] **(وإلى هذا النسب الشريف)**: الذي هو نسب المحبّة. **(أشار شيخنا)**: يعني الشيخ عمر رضي الله عنه **(في القصيدة اليائيّة)**: التي قافيتها الياء المثناة التحتيّة. **(حيث قال)**: وسنشرحه في موضعه إن شاء الله تعالى:

نسب أقرب في شرع الهوى ... بيننا من نسب من أبويّ[1]

(قلت): أي قال جامع هذا الديوان، سبط الشيخ عمر رحمهما الله تعالى بطريق

(١) انظر شرح هذا البيت في قصيدة سائق الأظعان، البيت رقم ٩٤.

المناسبة في اعتبار نسب المحبّة نظير واقعة الشيخ عمر رضي الله عنه مع النبيّ صلّى الله عليه وسلّم **(ورأيت في المنام كأنني في الحضرة الشريفة المحمّديّة)**: أي حضرة محمّد صلّى الله عليه وسلّم. (وكأنّ): بالهمزة وتشديد النون. **(عند رسول الله صلّى الله عليه وسلّم)** في تلك الحضرة. **(جماعة كثيرة من الأنبياء)** عليهم السلام. **(والأولياء)** قدّس الله أرواحهم **(وكأنّ)** بالهمز والتشديد أيضاً. **(الشريف شمس الدين محمّد الأيكي)**(1) كأنّه نسبة إلى الأيك، وهو الشجر الملتف الكثير، أوالغيضة تنبت السدر والأراك، أو الجماعة من كلّ الشجر حتى من النخل، الواحدة: أَيكة، كذا في القاموس. (نقيب) السادة **(الأشراف)** يومئذ بمصر المحروسة **(وقاضي العساكر المنصورة قدّس الله روحه ونوّر ضريحه)** توفي بدمشق في شهر رمضان سنة سبع وتسعين وتسعمئة. **(والأيكي)** بهمزة مفتوحة.

وكان الجلال القزويني يقول: «الإيكي بكسر الهمزة، ثمّ ياء مثناة من تحت بعدها كاف ثم ياء النسب». ذكره ابن قاضي شهبة في طبقات الشافعيّة. **(مع الجماعة)** الذين عند رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. **(في الحضرة الشريفة ولم أعرف أحداً منهم بصورته)** من هو **(سواه)**: أي سوى الشريف شرف الدين المذكور. (وكأنّ) بالهمز والتشديد. **(النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أمر بإثبات نسبة الشيخ صُبيح)**: تصغير صُبح أو صَبيح مشتق من الصَّباحة. **(الحبشي)** رجل من الصالحين، كان بمصر المحروسة، وله ذريّة فيها مشهورة في ذلك الزمان. **(إليه)**: أي إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم. **(ورأيت رجلاً)** في المجلس. **(معه المكتوب الذي يُشهد)** بالبناء للمفعول. **(فيه بالنسبة)** الشريفة المحمّديّة **(وهو)**: أي ذلك الرجل **(يدور على الجماعة الحاضرين)** في: ذلك المجلس. **(يأخذ خطوطهم)**: أي

---

(1) هو محمّد بن أبي بكر بن محمّد الفارسيّ، الشافعيّ، المعروف بالأيكي. شمس الدين، أبو عبد الله، فقيه، أصولي، صوفي، منطقي، عارف بعلوم الأوائل. درس بالغزاليّة بدمشق، قدم مصر، ثمّ رجع إلى دمشق فتوفي بضواحي المزة. (٦٢٧-٦٩٧) هـ. انظر معجم المؤلّفين.

ما يكتبونه بأيديهم. (**فيه**): أي في ذلك المكتوب. (**فلمّا وصل**): أي ذلك الرجل. (**إليّ**) بالتشديد للياء. (**ناولني المكتوب. وقال لي: اكتب**): أي أنت فيه. (**فقلت له**): أي لذلك الرجل (**أنا ما رأيت الشيخ صبيح**) المذكور. (**ولا عاصرته**): أي كنت في عصره، يعني: زمانه الذي كان فيه. (**ولا أعرف نسبته**): إلى مَن هو منتسب. (**وإنّما رأيت أولاده**) واجتمعت بهم. (**وهم أصحابي**) اليوم. (**فصرخ**): أي صاح ذلك الرجل. (**عليّ**) بتشديد الياء. (**صرخة عظيمة وجدت لها**): أي لتلك الصرخة (**رعباً**): أي خوفاً. (**عظيماً، وقال لي: اكتب كما أمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن يُكتب**) بالبناء للمفعول. (**فقلت له: وكيف أمر سيّدنا رسول الله صلّى الله وسلّم أن يُكتب**) بالبناء للمفعول أيضاً (**فقال: اكتب أشهد أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم متّصل النسب بالشيخ صبيح. فكتبت كما أمر رسول الله صلّى الله عليه أن يُكتب**). والشيخ صبيح المذكور لم يعرف أحد أنّه من ذريّة النبي صلّى الله عليه. وسلّم، إلا أنه كان رجلاً من الصالحين كما وقع للشيخ/ [١٦/ ب] عمر رضي الله عنهما؛ فلعلها في حقّهما نسبة الأهلية، أو نسبة المحبّة كما سبق بيانه.

(**وقال ولده**): أي ولد الشيخ عمر رحمه الله تعالى: (**سمعت الشيخ رضي الله عنه**): يعني والده قدّس الله سرّه. (**يقول**): في حال حياته، (**وأنا أسمع: رأيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في المنام وقال لي: يا عمر، ما سمَّيت قصيدتك**): يعني أي اسم جعلته لقباً للقصيدة التائيّة الكبرى. (**فقلت له: يا رسول الله، سمّيتها**): أي القصيدة المذكورة. (**لوائح**): جمع لائحة؛ وهي ما يلوح: أي يظهر من المعاني والأسرار الإلهيّة. (**الجَنان**) بفتح الجيم، أي: القلب. (**وروائح**) جمع رائحة. (**الجِنان**) بكسر الجيم: جمع جنّة، وهي الحديقة ذات النخيل والشجر. (**فقال**): أي النبيّ صلّى الله عليه وسلّم. (**لا**): أي لا تسمِّها بذلك الاسم؛ (**بل سمِّها**): أي القصيدة المذكورة. (**نظم السلوك**): أي جمع معاني السير بالهمّة القلبيّة، والطاعة المرضيّة في طريق الوصول إلى حضرة ربِّ البرية، وحصول

معرفة الذوقيّة الكشفيّة. (**فسمّيتها**): أي تلك القصيدة. (**بذلك**): أي بهذا الاسم الذي أشار إليه النبيّ صلّى الله عليه وسلّم.

(**وقال**): أي ولد الشيخ عمر رحمه الله تعالى. (**حضر في مجلس الشيخ**) عمر والده رضي الله عنه (**رجل، وسمّاه**): أي ولد الشيخ رحمه الله تعالى: يعني ذكر لي اسمه. (**فأُنسيت**) بالبناء للمفعول، (**اسمه ما هو، وكان**): أي ذلك الرجل. (**من أكابر علماء أهل زمانه**) مفرداً بالكمال في شأنه. (**واستأذنه**): أي طلب منه الشيخ رضي الله عنه الإذن. (**في شرح القصيدة التائيّة الكبرى**): المسمّاة. (**نظم السلوك فقال**): له الشيخ رضي الله عنه في (**كم مجلّد تشرحها**): أي تلك القصيدة المذكورة. (**فقال**): أي ذلك الرجل. (**أشرحها في مجلّدين. فتبسّم الشيخ رضي الله عنه وقال: لو شئت لشرحت كلّ بيت منها**): أي من تلك القصيدة. (**في مجلّدين**) من سعة علمه بالله تعالى، رضي الله عنه.

(**قلت**): أي جامع هذا الديوان، سبط الشيخ عمر رحمه الله تعالى. (**سمعت الشيخ شمس الدين محمّد الأيكي**) المتقدم ذكره. (**شيخ الشيوخ**) يومئذٍ. (**بخانقاه سعيد السعداء**) بمصر المحروسة. (**يقول**): أي الأيكي، رحمه الله تعالى. (**لسيدي الشيخ كمال الدين محمّد ولد الشيخ**) عمر صاحب الديوان (**رضي الله عنه وقد حضر**): أي الأيكي (**إلى زيارته**): أي زيارة ولد الشيخ بعد وفاة الشيخ رضي الله عنه. (**ومعه الشيخ نور الدين النقشواني**)[1] وكذلك (**جماعة من أكابر الصوفيّة، وكان ذلك**): أي وقت الزيارة. (**في آواخر دوله المنصور على أعدائه الملك المظفر قلاوون تغمده الله تعالى برحمته: يا سيّدي، الحمد الله الذي عشت**) إلى هذا الزمان.

---

(١) أحمد بن أبي بكر بن محمّد نجم الدين النقشواني، تولّى المدرسة المنصوريّة في القاهرة التي أنشأها الملك المنصور قلاوون، له عدّة تآليف، منها: تلخيص المحصول، وهو مختصر المحصول لفخر الدين الرازي، وشرح كلّيّات القانون لابن سينا، توفي في حدود ٦٥١هـ. انظر شرح تنقيح الفصول للقرافي، أحمد بن إدريس (٦٨٤)هـ.

(**ورأيتك وكأنّي اليوم رأيت سيّدي الشيخ شرف الدين**) بن الفارض. (**والدك**) رضي الله عنه (وأنا على مذهب): أي الذي كان يذهب إليه. (**شيخنا**) **الشيخ**. (**صدر الدين**): القونوي رفيق الشيخ عمر بن الفارض في الأخذ عن الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي قدّس الله سرّه، كما ذكرناه فيما **تقدّم عن طبقات** المناويّ في آخر ترجمة ابن العربيّ. (**في محبّة الشيخ**) عمر صاحب الديوان. (**واعتقاد صدق كلامه**) في العلوم الإلهيّة. (**والاشتغال بقصيدته**) التائيّة التي اسمها (**نظم السلوك، وذكر**): أي الأيكي رحمه الله تعالى. (**منها**): أي من تلك القصيدة. (**أبياتاً**) متعددة. (**من جملتها**): أي الأبيات المذكورة. (**هذا البيت**): وهو قول الشيخ عمر رضي الله عنه كما سيأتي شرحه في محلّه إن شاء الله تعالى.

ولولا حجاب الكون قلت وإنّما   قيامي بأحكام الظاهر مسكتي[1]

(**وشرع**): أي الأيكي. (**يتكلّم على معاني الأبيات**) التي ذكرها من القصيدة المذكورة بلسان أهل المعرفة. (**ويقول**) في أثناء كلامه ذلك.(**كأنّ شيخنا**): أي صدر الدين القونوي[2] المذكور/ [١٧/ أ] رضي الله عنه. (**يحضر في مجلسه جماعة من العلماء**) في ذلك الزمان (**ومن طلبة العلم، ويتكلّم**): أي صدر الدين. (**في فنون من العلم**) معهم. (ثمّ يختم كلامه) بعد ذلك (**بذكر بيت من القصيدة؛ نظم السلوك**): قصيدة الشيخ عمر رضي الله عنه. (**ويتكلّم**): أي صدر الدين (**عليه**): أي على ذلك البيت. (**بالعجميّ**): أي بلسان العجم؛ وهو اللغة الفارسيّة (**كلاماً**)

---

(١) انظر البيت ٧٤٤ من قصيدة نظم السلوك.

(٢) صدر الدين القونويّ: محمّد بن اسحقّ بن محمّد بن يوسف. ربيب الشيخ محيي الدين بن عربي وصاحبه، له تصانيف في السلوك، منها: النفحات، وتحفة الشكور، وتجلّيات، وتفسير الفاتحة في مجلّدة. توفي بقونية سنة ٦٧٢هـ، وأوصى أنْ يُحمل تابوته إلى دمشق ويدفن مع شيخه ابن عربي، فلم يتهيّأ له ذلك. مات وهو ابن ٣٢سنة، وقيل ابن٦٢، انظر الوافي بالوفيّات للصفدي ج١ ص٢٣٣ وطبقات الأولياء لابن الملقن.

كثيراً. **(غريباً)**: أي لم يطرق سمع أحد من الناس قبل ذلك **(لدنيّاً)** بتشديد الياء التحتيّة، أي: منسوباً إلى لدن الحقّ تعالى من قوله تعالى في الخضر عليه السلام ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [١٨/ الكهف/ ٦٥] **(لا يفهمه)**: أي ذلك الكلام **(إلا صاحب ذوق)**: أي حاسة إيمانيّة، ومعرفة وجدانيّة **(وشوق)**: أي انجذاب إلى الحضرة الإلهيّة **(وكان)**: أي صدر الدين. **(في ثاني يوم)** يوم من ذلك المجلس. **(يقول ظهر لي في معنى البيت الذي تكلّمنا عنه بالأمس)** في ذلك المجلس. **(معنى آخر ويتكلّم)**: أي صدر الدين **(بأعجب مما تكلّم به بالأمس)** وقد استشهد في كتابه النفحات بقول الشيخ عمر بن الفارض من التائيّة:

وأنت - على ما أنت - عنّي نازح وليس الثريّا للثرى بقريبة[1]

(وكان): أي صدر الدين رضي الله عنه. **(يقول: ينبغي للصوفي)**: أي لمن هو في صدد السلوك على طريق القوم من المجاهدة والعرفان، وطلب حقيقة الوجدان. **(أن يحفظ هذه القصيدة التائيّة)**: التي هي نظم السلوك. **(ويشرحها)**: أي يعرف شرحها بقراءته لها، **(على من يفهمها)**: أي القصيدة المذكورة بالفهم الربّانيّ، لا الفكر النفسانيّ؛ فإنّه لا يعرفها إلا الربّانيّون من العلماء كما قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [٣/ آل عمران/ ٧٩].

(قال الشيخ شمس الدين) محمّد. **(الأيكي)** المذكور. **(رحمه الله)** تعالى. **(وكان)** الشيخ**)** الكامل. **(سعيد الفرغانيّ[2])** رضي الله عنه. **(قد أقبل بهمته على فهم ما**

(١) انظر البيت ٣٠٧ من قصيدة نظم السلوك. (التائيّة الكبرى، أوسقتني حُميّا الحب).

(٢) سعيد الفرغانيّ: من شيوخ المتصوّفة، من علماء فرغانة ـ قاعدتها بخارى ـ اشتُهر بشرح قصيدة نظم السلوك لابن الفارض، انظر فتاوى ابن تيميّة ج٤ ص٣١٢، وصبح الأعشى للقلقشندي ج٤ ص٤٢٢. وقد أشاد النابلسيّ بشرح الفرغانيّ، وذلك من خلال اطّلاعه على بعض عباراته، مع أنّه لم يجد كامل شرحه، وكذلك لم يجد شرح القزوينيّ، بينما اضطلع على شرح القاشانيّ والقيصريّ للشيخ محمّد علوان الحموي كما في الصفحة ١٧/ ب.

يذكره الشيخ صدر الدين القونويّ) رضي الله عنه. (من شرح القصيدة) المذكورة. (ويعلقه): أي الفرغاني، يعني: يكتبه. (عنده بالعجميّ) على حسب ما كان يقرره له صدر الدين. (ثمّ بعد ذلك عرّبه): أي نقله إلى اللغة العربيّة. (وعمل) بذلك (شرحه) على القصيدة المذكورة. (المشهور) ذلك الشرح (في مقدار مجلّدين): أي نصفين. (كلّ نصف منهما) في مجلد واحد. (وهو): أي ذلك الشرح الذي (للفرغاني من نَفَس) بفتح الفاء، أي: (شبه) كلام. (شيخنا صدر الدين) القونوي (رحمه الله).

(قلت): أي قال جامع هذا الديوان. (وما برحت أطلب الشرح المذكور): وهو شرح القصيدة التائيّة للشيخ سعيد الفرغاني. (إلى أن رأيت الشيخ كريم الدين؛ شيخ الشيوخ بالخانقاة الصلاحيّة[1]) بمصر المحروسة. (عند الشيخ عمر السعوديّ في الطبقة التي هي على باب زاويته): أي زاوية الشيخ كريم الدين. (بالقرافة): أي المقبرة المشهورة بمصر. (وأخبرني): أي الشيخ كريم الدين. (أنّ الشرح): أي التائيّة للفرغاني عنده. (فاستعرته): أي طلبت إعارته.

(واستنسخته منه): أي كتبت له نسخة من نسخته. (وهو): أي ذلك الشرح. (عندي الآن) ذلك الحين يومئذ. (وقد أجاد): أي أحسن الفرغانيّ. (فيه): أي في ذلك الشرح (رحمه الله) تعالى. (وفتح باباً في شرح القصيدة): أي التائيّة المذكورة. (لم يفتحه غيره) من الشُّرّاح والمتكلّمين عليها. (قبله): أي قبل الفرغانيّ رحمه الله تعالى.

(قلت): أي قال جامع الديوان. (وأخبرني القاضي جمال الدين عبد الله بن سيّدنا ومولانا الشيخ جلال الدين محمّد القزوينيّ قاضي القضاة[2]) أولاً (بالشام

---

(١) هو عبد الكريم بن حسن، الشيخ كريم الدين الآملي، ينتمي إلى سعد الدين حمويه، كان شيخ خانقاه سعيد السعداء، من كبار المتصوّفة، وكان ابن تيميّة كثير الحط عليه. توفي سنة ٧١٠، انظر الوافي بالوفيّات ج٦ص٢١٩.

(٢) جمال الدين عبد الله بن (القاضي محمّد القزوينيّ صاحب شرح قصيدة نظم السلوك كما ذكر النابلسي)، قاضي وخطيب ومدرّس فقه في مصر، توفي بالطاعون مع أبيه وابنه سنة ٧٤٩.

المحروسة ثم قاضي القضاة بالديار المصريّة) تغمده الله برحمته ورضوانه، وأسكنه بحبوحة جنانه. **(أنّ والده)**: أي جلال الدين. **(محمّد القزويني)** المذكور. **(حرس الله)** تعالى **(جلاله)**: أي هيبته/ [١٧/ ب] وحرمته، وهو اشتقاق له من لقبه. **(وحفظ صفاته)** الحسنة. **(وجماله)** الذاتي. **(شرح القصيدة)** التائيّة المذكورة. **(في عدة مجلّدات)**. ولم نره الآن، ولا شرح الفرغانيّ. وقد رأينا شرحهما للقاشانيّ والقيصريّ، وللشيخ علوان بن عطية الحموي، رحمهم الله تعالى. ووقفت على عبارات من شرح الشيخ سعيد الفرغانيّ رحمه الله تعالى. نشهد بصدق فخامة شأن ذلك الشرح.

(وقال ولده): أي ولد الشيخ عمر بن الفارض رحمه الله تعالى. **(كأن الشيخ)** عمر بن الفارض **(رضي الله عنه في غالب)**: أي أكثر **(أوقاته لا يزال دهشاً)**: أي مدهوشاً: من دَهِشَ كفَرِح، فهو دَهِش: أي تحيَّر، أو ذهب عقله من ذُهَلٍ أو ولهٍ، كذا في القاموس. **(ولا يزال بصره شاخصاً)** يقال: شَخَصَ بصرُه، أي: فتح عينيه وجعل لا يَطْرِف. [وشَخَصَ] بصرَهُ رَفَعَه. **(لا يسمع من يكلّمه ولا يراه)**: أي لا يرى من يكلّمه أيضاً من شدّة غلبة الحال على قلبه، واستيلاء الوجدان الروحانيّ على عقله ولبّه؛ بحيث أسكر الحواس لاشتغال البصيرة بمشاهدة عالم الملكوت بعد زوال الالتباس. **(فتارة يكون)**: أي الشيخ رحمه الله تعالى. **(واقفاً)** على قدميه وهو مستغرق في ذلك الحال. **(وتارة يكون قاعداً، وتارة يكون مضطجعاً على جنبه)** الأيمن أو الأيسر **(وتارة يكون مستلقياً على ظهره مسجّى)**: أي مغطى. **(كما يسجّى الميت)** قال في القاموس: «وتَسجِيَة الميِّت تَغطيته، يعني: بالسين المهملة والجيم. **(وتمرُّ عليه عشرة أيام متواصلة)**: أي متتابعة **(وأقلّ من ذلك)** المقدار. **(وأكثر)** منه. **(وهو على هذه الحالة)**: من الاستلقاء على ظهره كالميّت. **(ولا يأكل ولا يشرب ولا يتكلّم ولا يتحرّك)** أصلاً في المُدّة المذكورة. **(فهو)** في تلك الحالة. **(كما قيل)**: أي قال الشاعر في نظير ذلك:

تـرى المحبِّـينَ صرعـى في ديـارهمُ   كفتيـةِ الكهـف لا يـدرون كـم لبثـوا

ترى ـ أيها الناظر ـ المحبّين: جمع مُحبّ وهو من غلبتْ المحبّة على قلبه واستولت على عقله ولبِّه؛ بدليل قوله صرعى: جمع صريع كأمير، بمعنى مصروع: وهو المطروح على الأرض. والديار: جمع دار؛ المحل يجمع البناء والعَرَصة. والفِتْيَة: جمع فَتَى، والفَتَى: هو السخِيّ الكريم. يُقال هو فَتَى: بَيِّنُ الفُتُوَّة. وقد تَفَتَّى وتَفَاتَى. والجمع: فِتْيان وفِتْيَة وفُتُوٌّعلى فعول، وفُتِيٌّ مثل عُصِيّ، كذا في الصحاح للجوهريّ. والكهف: هو الغار في الجبل. قال تعالى في أصحاب الكهف ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ [١٨/الكهف/١٣]. وقال البيضاوي فِتيان: «شبَّان، جمع فتى، كصبيّ وصِبية» انتهى.

وإنّما كانوا فتية لسخائهم وتكرّمهم بخروجهم عن جميع ما كانوا فيه من الأموال والأهلين، ورفعة الشأن والجاه، وإعراضهم عن ذلك كلّه، وإيثارهم للفقر والفاقة في طريق الله تعالى، ثمّ بذلهم نفوسهم؛ حيث خاطروا بها في زمان دقيانوس الملك الجبار، ودخلوا إلى الكهف في الجبل من غير زاد، مستوفزين، مستسلمين، متوكّلين على الله تعالى. فأنزل الله تعالى على قلوبهم الأمن من عدوِّهم؛ فناموا تلك المدّة الطويلة، كما قال تعالى: ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾ [١٨/ الكهف/ ١١] ولا يدرون ما لبثوا، أي: مقدار لبثهم في الكهف قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ﴾ [١٨/ الكهف/ ١٩].

وذكر البيضاوي: «عن معاوية رضي الله عنه أنّه غزا الروم فمرّ بالكهف فقال: لو كُشف لنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم. فقال له ابن عبّاس رضي الله عنهما ليس لك ذلك؛ قد مُنع من ذلك مَن هو خير منك فقال: ﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾ [١٨/الكهف/ ١٨] فلم يسمع. وبعث ناساً، فلمّا دخلوا

جاءت الريح فأحرقتهم»[1] انتهى. ويُفهم من هذا أنّ الكهف هو المشهور؛ لأنه في بلاد الروم بطرسوس/ [١٨/ أ] وأنّ الذي بدمشق في جبل قاسيون ليس هو ذلك الكهف. والمقصود هنا تشبيه حالة المحبّين في وقت انصراعهم وسكرهم بشراب المحبّة في بيوتهم على فرشهم من غير شعور منهم بذلك، ولا إحساس بما هم فيه من ذلك الحال ـ بحالة أصحاب الكهف ـ لـمّا خرجوا عمّا هم فيه، وفرّوا إلى الله تعالى، فدخلوا ذلك الكهف، ومكثوا فيه نائمين لا يشعرون بشيء أصلاً حتى استيقظوا، ولم يعلموا مقدار مكثهم، فإنّ أهل المحبّة كذلك تستغرقهم الأحوال، وتصرعهم تجلِّيات الجلال والجمال، وهم شهداء إذا ماتوا على تلك الحال. قال صلّى الله عليه وسلّم: «إن لله تعالى عباداً يضنّ بهم عن القتل، ويطيل أعمارهم في حسن العمل، ويحسّن أرزاقهم، ويحييهم في عافية، ويقبض أرواحهم في عافية على الفرش، فيعطيهم منازل الشهداء»[2] رواه الطبرانيّ عن ابن مسعود، ذكره السيوطيّ في الجامع الصغير.

والله لــو حلــف العــشّاق أنّهــم   صرعى من الحبّ أو موتى لما حنثوا

العشّاق: جمع عاشق، من العشق: وهو إفراط الحبّ. [وحنِثوا: من قولهم حنِث في يمينه، من باب تعب: إذا لم يفِ بموجبها، يقال: فلان حانث في يمينه، وبارٌّ في يمينه][3] يعني: لو حلفوا أنّهم مصروعون من المحبّة، أو موتى منها ـ جمع ميت، أي: قد زالت حياتهم النفسانيّة، وبقوا أشباحاً جسمانيّة قائمين بحضور هيبة محبوبهم الحقيقي، واستحضارهم تجلِّيات جماله وجلاله - لما حنثوا في حلفهم ذلك؛ لأنّ الأمر فيهم كذلك. والله أعلم بما هنالك.

---

(١) انظر تفسير البيضاوي، ج٣ ص٤٧٢.

(٢) ذكره السيوطيّ في الجامع الصغير، وقال الألبانيّ في صحيح وضعيف الجامع الصغير١٩٥٠، ضعيف جداً.

(٣) العبارات في من المطبوع.

(ثمّ) إنّه كان رضي الله عنه. (**يستفيق**) من سكر غرامه، واستغراق وجده وهيامه. (**وينبعث**): أي يستيقظ . (**من هذه الغيبة، ويكون أوّل كلامه أنّه يملي من القصيدة**) التائيّة. (**نظم السلوك ما فتح الله**) تعالى (**عليه**) من ذلك.

(**قلت**): أي قال جامع هذا الديوان: (**طالعت في مجموع بخط رجل فاضل**): أي صاحب فضل وعلم. (**فرأيت من جملته**): أي من جملة ما كتب في ذلك المجموع. (**القصيدة التائيّة**): أي المنسوبة إلى قافية التاء المثنّاة الفوقيّة. (**المعروفة بنظم السلوك، ورأيت قبلها**): أي قبل ذكرها في ذلك المجموع. (**ترجمة**) لها (**هذه**) الترجمة الآتية. (**صورتها**): أي صورة تلك الترجمة.

(**قال الشيخ المحقّق**): من التحقيق؛ وهو إدراك حقيقة الشيء. ويُقال هو معرفة الشيء بدليله. (**شرف الدين**): لقبه. (**عمر**) اسمه. (**ابن الفارض**): كنيته. (نوّر): بتشديد الواو (الله) تعالى. (**مضجعه**): أي موضع اضطجاعه وهو قبره. (**هذه القصيدة الغرّاء**) تأنيث الأغر؛ وهو الأبيض من كل شيءٍ. (**والفرس الغرّاء**): ذات الغُرّة بالضمّ: وهي بياض الجبهة. والغُرّة من الشهر: ليلة استهلال القمر، ومن الهلال طلعته، ومن الأسنان بياضها وأوّلها، ومن المتاع خياره، ذكره القاموس. فالمراد هنا بالغرّاء المستنيرة الواضحة المعاني، المشرقة الأسرار، المتقنة المباني. (**والفريدة**): وهي الجوهرة النفيسة، وجمعها فرائد. (**الزهراء**): أي ذات البهجة والنضارة والحُسن. وزهرة الدنيا: بهجتها، ونضارتها، وحُسنها. وبالضمّ: البياض والحُسن. وقد زَهِر كفَرِح وكَرُم. وزَهَرَ السراج، والقمر، والوجه، كمنع، زُهُوراً تلألأ كازْدَهَر. و- النار أضاءت وأزْهَرتُها، كذا في القاموس. (**التي لم يُنسج**): بالبناء للمفعول. (**على مِنوالها**): والنسج الحياكة، والمِنوال: خشب الحائك، ويقال: هم على مِنوال واحد، أي: استوت أخلاقهم، وإذا لم ينسج غيرها على مِنوالها لم يكن يشبهها غيرها. (**ولا سمح**): أي جاد وتكرّم. (خاطر): من خواطر أفاضل الشعراء الكاملين. (بمثالها): **أي بما يماثلها**. (**وتكاد**) من انفرادها

في رتبة الفصاحة والبلاغة مع كمال معانيها /[١٨/ب] الإلهيّة، وإشاراتها الربّانيّة. (**تخرج عن طوق**): أي قدرة فطاقة. (**وُسع**): أي غاية ما يتسع (**البشر**) من بني آدم، (**يعني**): البلغاء منهم. (**ألفاظاً**): أي من جهة انسباك الألفاظ في قوالب الرِّقة والانسجام. (ومعاني): أي من جهة المقاصد الأدبيّة، واللطائف الشعريّة، والإشارات الربّانيّة، والمعارف الرحمانيّة.

(**وكان سمّاها**): أي القصيدة المذكورة. (**أوّلاً**): أي في الابتداء. (**أنفاس**): جمع نَفَس، بالتحريك، أي: الهواء الحامل روائح. (**الجِنان**): بكسر الجيم، جمع جَنَّة، وهي الحديقة ذات النخيل والشجر. (**ونفائس**): جمع نفيس، يقُال: شيء نفيس ومُنْفِس كمُخرِج: يُتنافَس فيه، ويُرغب. وقد نَفُسَ ككَرُم، كما في القاموس. نَفَاسَة ونِفاساً ونَفَساً (**الجَنان**): بفتح الجيم، وهو القلب، أو رَوْعُه، أو الرُّوح، وجمعه أجنان، كذا في القاموس.

(**ثمّ سمّاها**): أي تلك القصيدة أيضاً. (**لوائح**): جمع لائحة، من لاح يلوح: بدا وظهر وتلألأ، وهي الحقائق الإلهيّة التي تلوح وتنكشف في (**الجَنان**): أي القلب. (**وروائح**): جمع رائحة. (**الجِنان**) بالكسر جمع جَنّة. (**ثمّ رأى**): أي الشيخ عمر رضي الله عنه. (**النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في المنام فقال**): أي النبيّ صلّى الله عليه وسلّم. (**له**): أي للشيخ عمر رضي الله عنه. (**سمِّها**): أي قصيدتك المذكورة. (**نظم السلوك**) **فسمّاها بذلك**، أي: نظم السلوك، كما تقدّم ذكره.

(**وحكى**) عن الشيخ عمر رضي الله عنه. (**جماعة**): من الأفاضل في الناس. (**يوثق بهم**): أي يعتمد على أقوالهم. (**ممن صحبوه**): أي الشيخ رحمه الله تعالى. (**وباطنوه**): أي اختلطوا به في الصحبة حتى كانوا موضع أسراره، ومطالع شموسه وأقماره. (**أنه**): أي الشيخ عمر رضي الله عنه. (**لم ينظمها**): أي القصيدة المذكورة. (**على حدِّ نظم الشعراء أشعارهم**): باستعمال الفكر، والغوص على المعاني البليغة. وناديتها بالألفاظ اللطيفة، مع التغيير والتبديل على جهة التهذيب

كما قال القائل:

لا تعرضنَّ على الرواة قصيدة ... ما لم تكن بالغتَ في تهذيبها
فإذا عرضتَ شعراً غَيرَ مهذّبٍ ... عدُّوه منك وساوساً تهذي بها

وإنما أشعار العارفين من أهل الله تعالى هي في الظاهر شعر من جنس كلام الشعراء، وفي نفس الأمر إلهام ربّانيّ، ونَفَس روحانيّ، وفتح رحمانيّ، وفيض إحسانيّ. قال الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي قدّس الله سرّه من جملة أبيات له:

كلامُنا ليس بشعر ولا ... من شاعر بل وارث مُصطفَى
أنطقه الله به مثل ما ... أنطق أهل الدين والاصطفا
فخذه فالأ ماضياً طاهراً ... تنل به ما نال أهل الصفا

(بل كان): أي الشيخ عمر رضي الله عنه. **(تحصل له جذبات)**: جمع جذبة، وهي استيلاء الربّ تعالى على العبد في باطنه وظاهره، بحيث تنعزل نفسه الإنسانيّة عن التدبير بالكليّة مع وجودها حتى بفرق بينه وبين الحيوانات. **(يغيب بها)**: أي بتلك الجذبات. **(عن حواسه)** ويستغرقه الحال. **(نحو)**: أي مقدار. **(الأسبوع)**: أي سبعة الأيام. **(وعشرة الأيام، فإذا أفاق من ذلك أملى)**: أي أورد على جماعته. **(ما فتح الله)** تعالى **(عليه منها)**: أي من تلك القصيدة. **(نحو)**: أي مقدار. **(الثلاثين والأربعين والخمسين بيتاً)** منظوماً على تلك القافية التائيّة. **(ثمّ يدع)**: أي يترك النظم في ذلك. **(حتى يعاوده)**: أي يرجع إليه. **(ذلك الحال)** الذي استغرقه في المرّة الأولى، وهكذا. **(ومن تأملها)**: أي القصيدة التائيّة. **(حقّ التأمل)** إن كان من أهل التأمل. **(فيها بأن كان من العارفين)** لا من الغافلين الذين لا ذوق لهم/[١٩/أ] في الحقائق، ولا سلوك لهم في هذه الطريق ولو ملؤوا الدنيا من حفظ علوم غيرهم المدوّنة في الكتب عن المتقدّمين والمتأخرين. **(عَلِم)**: أي ذلك

المتأمل المذكور. (أنّ لها): أي تلك القصيدة (نبأً): أي خبراً. (وشأناً عظيماً) في علوم المعرفة الإلهيّة. (صانها): أي القصيدة المذكورة. (الله تعالى عن غير أهلها): من كلّ جاهل محجوب، ومطرود لم يعلم الله تعالى به خيراً، فلم يسمعه الحقّ لانطماسه بظلمة الذنوب، وكثرة العيوب.

(ثمّ كتب): أي ذلك الرجل الفاضل الذي وجدت هذه الترجمة بخطه. (القصيدة): التائيّة المذكورة. (بعد هذه الترجمة) المسطورة.

(ويُحكى) بالبناء للمفعول. (أنّه): أي الشأن. (لـمّا فُوِّض) بالبناء للمفعول أيضاً. (أمر الوزارة): عن السلطان. (إلى القاضي تقيّ الدين عبد الرحمن بن بنت الأغر رحمه الله تعالى في أيام) دولة. (الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحي[1]): من ملوك الأتراك بمصر المحروسة (رحمه الله تعالى. وقع في حقّ شيخ الشيوخ) الشريف. (شمس الدين محمّد الأيكيّ) المتقدّم ذكره، أي ذمّه وسبّه بكلمات شنيعة، وعبارات فظيعة. (في مجلس حافل): أي جامع للناس، يقال: حَفَل القومُ حَفْلاً اجتمعوا، وحَفَل المجلس: كثر أهلُه، ذكره القاموس. (بالخانقاه الصلاحيّة[2]) في مصر المحروسة. (وقال): أي ابن بنت الأعز المذكور (له): أي للأيكي. (أنت تأمر الصوفيّة) من أهل السلوك في طريق الله تعالى (بالاشتغال

---

(١) هو الملك سيف الدين أبو المعالي وأبو الفتوح التركيّ الصالحيّ النجميّ، اشتُري بألفي دينار فعرف بالألفيّ. من أحسن الناس صورة في صباه، وأبهاهم رجولة، عمل نيابة السلطة للملك سلامش بن الملك الظاهر، ثمّ سلطاناً بعد خلعه سنة ثمانية وسبعين وستمئة. له فتوحات كثيرة، ومعارك شهيرة مع التتار. اشتهر بعدله، وحسن سياسته، وحسن تدبير ملكه. توفي سنة (٦٨٩)هـ. وتولّى الملك من بعده ولده الملك الأشرف محمّد بن سيف الدين.

(٢) الخانقاه الصلاحيّة، أو خانقاه سعيد السعداء، وقفها السلطان صلاح بن أيّوب على الصوفيّة سنة (٥٦٩)هـ ورتّب لهم طعاماً ولحماً وخبزاً. كانت داراً لسعيد السعداء ـ قنبر ـ عتيق الخليفة الفاطميّ المستنصر، وهي أوّل خانقاة عملت بمصر، ونعتَ شيخها بشيخ الشيوخ. انظر حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، خانقاة سعيد السعداء، ج١ ص٣٠١.

بنظم سلوك قصيدة) الشيخ عمر (ابن الفارض) رضي الله عنه. (وهو): أي ابن الفارض. (يميل) في تلك القصيدة. (إلى) إفهام معنى (الحلول): أي حلول الحقّ تعالى في أعيان العالم، وحاشاه رضي الله عنه من خطور ذلك في نفسه، فضلاً عن رضاه به، فضلاً عن اعتقاده ذلك، فضلاً عن دعاء أمة محمّد صلّى الله عليه وسلّم؛ بل حاشاه أدنى أدنى مريد سالك في طريق الصوفيّة الصادقين إلى يوم القيامة من خطور ذلك في بالهم، أو من إمكانه عندهم، وكيف وهو أمر مستحيل عند المستمسكين بالعقول من علماء الكلام وغيرهم، فما بالك بالذين هم أعلى منهم من المتمسكين بالإيمان، والفتح، والكشف، والإلهام، بعد القيام بحسن المعاملة الشرعيّة في الظاهر والباطن من غير بدعة، مع الإخلاص، واليقين، والزهد، والورع. وإن اشتبهت كلماتهم على غير أهل طريقهم، وفهم منها علماء الأفكار المنكبّون على الدنيا قبائح المفهومات؛ فإن الأعمال بالنيّات ولكل أمرىء ما نوى. ولعمري لم يفهم ذلك علماء الظاهر إلا لعذرهم في أمرهم؛ فإنهم يعتقدون كما تعتقد العوام من أن الله تعالى موجود، وكل مخلوق من مخلوقاته موجود أيضاً معه تعالى، والوجود عندهم جنس عام، مشترك بين القديم وبين الحوادث؛ وإنما يتميّز القديم عن الحوادث بالقِدم في ذاته وصفاته، وتتميز الحوادث بالحدوث من العدم في ذواتها وصفاتها. وفي حال وجودها هي مشاركة للقديم تعالى في الوجود العالم المطلق، وهم يعلمون ماذا يترتب على اعتقادهم هذا؛ لأنهم أهل عقول وأفكار، فإذا قيل لهم يلزم على قلولكم هذا تركّب الحقّ تعالى من عام وخاص كبقية الماهيّات الحادثة، انتحلوا بعقولهم جواباً أسكتوا به خصمهم، وبقوا على اعتقادهم ذلك ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِ﴾ [٢/ البقرة/ ٣٢]؛ فإنّ الحلول على الحقّ تعالى في الحوادث يتصور عندهم عقلاً فيحتاجون إلى إقامة الدليل على استحالته وامتناعه، ويتكلفون في ذلك، كما بسطوا الكلام عليه في كتب علم الكلام.

وأما عند المحقّقين من أهل الله تعالى أصحاب الأذواق الوجدانيّة فلا يتصوّر/ [١٩/ ب] الحلول أصلاً، فلا يحتاجون إلى إبطاله لعدم تصوره عندهم، وعدم خطوره في بالهم؛ فإن وجود الحقّ تعالى عندهم وجود حقيقي ليس بمفهوم لهم أصلاً؛ وإنّما يزيدهم التصديق به على الغيب، ووجود الحوادث أثر من آثار قدرته، وذلك بالنسبة إلى وجوده تعالى عدم صرف فكيف الوجود يحل في العدم، ولوحلّ فما حلّ، وإنّما هو قائم بذاته تعالى أزلاً وأبداً، وموجوداً في ذاته بذاته، وكلّ ما عداه من الحوادث معدوم بعدمه الأصليّ على ما هو عليه بالنسبة إلى الحقّ تعالى، وهو تعالى يكشف لمن يشاء من عباده عن كلّ ما يشاء من مخلوقاته، فيُريه ذلك موجوداً، ويصرفه عن تلك الرؤية، ويفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، قال تعالى: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ ﴾ [٦/ الأنعام/ ١٠٩] وقال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ [١٣/ الرعد/ ٣٣] وإذا بطل الحلول بطل الاتحاد بالأولى، وكلّ الضلالات التي تفهّمها علماء الظاهر من كلام المحقّقين من أهل الله تعالى، ويشنّعون بها عليهم بين العوام والجهّال لتنقص رتبتهم عندهم، ويحظون هم بالرفعة في الدنيا، والله يؤتي ملكه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

(وأهانه): أي ابن بنت الأغر أهان الأيكي. **(بالكلام)** في ذلك المجلس الحافل بين الأنام. **(فدعا)**: أي الأيكي. **(عليه)**: أي على ابن بنت الأغر في ذلك المجلس. **(وقال له: مثّل)** بالتشديد، أو بالتخفيف. **(الله)** تعالى. **(بك)** يقال: مَثُل بفلان مَثْلاً ومُثْلَة، بالضم، نَكَّلَ كَمَثَّل تمثيلاً، وهي المَثُلَة، بضم االثاء وسكونها، وجمعها مُثولات ومَثُلات، كذا في القاموس. **(كما مَثَّلتَ بي)**: أي أهنتني واحتقرتني في هذا المجلس. **(فعُزِل)**: بالبناء للمفعول، أي: ابن بنت الأغر. **(عُقيب ذلك المجلس)** بقليل. **(عن)** منصب. **(الوزارة في آخر الدولة المنصوريّة)**: دولة الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحيّ المتقدَّم ذكره. **(بسؤاله)**: أي طلبه ذلك، ومعلوم أنّه ما سأل العزل عن هذا المنصب العظيم عنده الذي قوي به على حضرة

نقيب الأشراف، السيّد شمس الدين الأيكي كما سبق، وكلّمه قبيح الكلام في ذلك المجلس، وأهانه بسبب محبته واعتقاده في الشيخ عمر بن الفارض وغيره من الصوفيّة، إلا من شدّة خوفه على نفسه من غائلة ذلك المنصب، وانقلاب الأمر الذي كان معه عليه بالسوء. (**ثمّ عُزِل**) بعد ذلك أيضاً. (من) منصب (**القضاء في الدولة الأشرفيّة**) بعد دولة قلاوون الصالحيّ. (**وصودر**): أي أُخذتْ منه أموال كثيرة على جهة المصادرة، وهي المطالبة بالظلم والعدوان. (**ومُثِّل به**): بالبناء للمفعول، أي: سلّط الله تعالى عليه من أهانه واحتقره نظير فعله بالشمس الأيكي. (**وحُبس مدّة ونُسب إلى سوء الاعتقاد**) وطُعن فيه. (**ونُسب إلى أنّه وقع في كلام يفسق به**) وينقص دينه. (**وشهد عليه بالزور**): في ذلك الأمر الذي أوقعه الله تعالى فيه. (من **لا خَلاق له**) والخَلاق كسَحاب: النصيب الوافر من الخير، يعني: من لا خير فيه من الناس. (**وكأنّ ذلك الأمر**) الذي وقع فيه. (**لأجل غرض**) بالغين والضاد المعجمتين، أي: قبح نيّة.

(**عرض**) بالعين المهلة والضاد المعجمة. (**للصاحب شمس الدين محمّد بن السعلوس، وقد أهان شمس الدين محمّد الأيكي، فأهانه شمس الدين محمّد السعلوس**[1]) عفا الله تعالى عنه. (**ومما قيل**): أي من جملة القول الذي قاله شعراء ذلك العصر (**فيه**): أي في حقّ ابن بنت الأغر وبراءته مما نسب إليه من السوء:

وحاشاه من قول عليه مزوّر ... وما علمتْ سوءاً عليه الملائكُ

أي: هو بريء من كلّ قول مكذوب عليه؛ فإنّ الملائكة الحَفَظَة الموكّلين به لا يعلمون عليه/ [٢٠/ أ] سوءاً، وهم يراقبونه ليلاً ونهاراً، كما قال تعالى: ﴿ مَا يَلْفِظُ

---

(١) محمّد بن عثمان بن أبي الرجاء التنوخيّ الدمشقيّ، الوزير الصاحب شمس الدين بن السلعوس، كان وزيراً لصلاح الدين بن خليل بن الملك المنصور قلاوون، ورافقه في حملاته العسكريّة وفي فتوحاته المتعدّدة. مات معذّباً بيد منافسه الشجاعيّ الذي يشير إليه جامع الديوان ـ سبط ابن الفارض ـ سنة ٦٩٣هـ. انظر الوافي بالوفيّات، ج١ ص٤٨٠.

﴿مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [٥٠/ق/١٨] فكيف تعلم الناس عليه سوءاً وهم يفارقونه في أكثر أوقاته، ويطَّلعون عليه في أقل الأوقات!. والملائك: جمع ملك كالملائكة.

لَئن ثنتْ العلياءُ عنه عِنانها فتدبيره أثنتْ عليه الممالك

(ثنت): أي لوت وصرفت. **(العلياء)**: أي المرتبة العالية. يعني: مرتبة الوزارة والقضاء. و**(العِنان)**: مِقْوَد الدابّة، كناية عن عزله عن منصبه العالي، وإعراض الملوك عنه؛ إذ يُقال: لوى العِنان: إذا أعرض عنه. والثناء: المدح. يُقال: أثنى عليه، أي: مدحه. و**(الممالك)**: جمع مملكة. والمعنى: يا طالما مَدَحَتْ حُسْنَ تدبيره الرعايا والبلاد في زمان توليته وتصرّفه في أمور العباد بجمع الصلاح وقمع الفساد. **(وكان ذلك القِصاص)** الذي أصابه. **(من أجل وقوعه)** بالانتقاص والإنكار. **(في حقّ الخواص)** وإهانة من يعتقدهم ويحبّهم. وكذلك كلّ من يقع في حقّهم بسوء إلى يوم القيامة؛ فإنّ لحوم الفقراء مسمومة كلحوم العلماء، فكلّ من اغتابهم، أو آذاهم قصمه الله تعالى، وخذله في الدنيا والآخرة. وقصاص الدنيا زيادة نكال لهم، وهوعنوان عقاب الآخرة كما قال تعالى: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا﴾ [٢٧/ النمل/ ٥٢] أو قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [٤٢/ الشورى/ ٣٠].

وقال جامع هذا الديوان: **(وكان)**: أي ابن بنت الأغر. **(يرسلني في الباطن)**: أي سراً. بحيث لا يعلم أحد. **(إلى من يسعى في خلاصه)** مما هو فيه. **(من الأمراء)** الأكابر في ذلك الزمان **(ليشفعوا له ويتسببوا في إنقاذه)** من مصائبه المهلكة **(ومشايخ الفقراء)** لعلهم يدعون له فينجو ببركة دعائهم **(وكان إذا اشتد عليه الخِناق)** بكسر الخاء المعجمة ككتاب: الحبل الذي يخنق به، والمراد ما هو فيه من سوء الحال. **(يقول: اشتدي أزمة)**: أي يا أزمة، وهي الشدة والقحط. جمعه أَزْم، بالفتح، وكعنب: ما يُزَمّ به، أي: يشتد. **(تنفرجي)**: أي لابدّ أن تنحل الشدة

ويزول العُسر؛ وهو حديث أخرجه السيوطيّ في الجامع الصغير. قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «اشتدّي أزمة تنفرجي»[1] رواه القضاعي في مسنده، والديلميّ في مسند الفردوس عن عليّ رضي الله عنه. وقد ذيَّل عليه صاحب المنفرجة في أبياته المشهورة. (ويكرر): أي ابن بنت الأغر. (ذلك) القول. (مراراً): طلباً للفرج من الله تعالى.

(فلمّا منّ): أي أنعم. (الله) تعالى. (عليه بالخلاص) والنجاة والسلامة. (من هذه النكبة): أي البليّة والمصيبة التي كان فيها. (ومنَّ عليه بحصول تفريج هذه الكربة) التي أدهشت حسَّه وعقله (حضرتُ عنده): أي في مجلسه. (أنا): يعني جامع هذا الديوان. (و) الشيخ (سعد الدين الحارثيّ الحنبليّ المحدّث): أي صاحب علم الحديث الشريف. (وكان): أي الشيخ سعد الدين المذكور. (من أعزّ أصحابه): أي أصحاب ابن بنت الأغر. (وسمعته): أي ابن بنت الأغر (يستغفر الله تعالى، ويحمده، ويشكره على حُسْن العاقبة) مما أصابه والسلامة من ذلك. (فعرَّضت) بالتشديد. (له) والتعريض خلاف التصريح، وهو بمعنى التكنية. (بذكر واقعته): أي ابن بنت الأغر المتقدِّم ذكرها. (مع الشيخ شمس الدين الأيكي) المذكور. (ووقوعه): أي ابن بنت الأغر. (في حقّه): أي في حقّ الأيكي. (وفي حقّ شيخنا) الشيخ عمر بن الفارض رحمهما الله تعالى. (وأنّه): أي ابن بنت الأغر (نَسَبَهُما): أي الأيكي والشيخ عمر بن الفارض. (إلى) اعتقاد. (الحلول): أي حلول الحقّ تعالى في الحوادث. (وهما): أي الأيكي وابن الفارض رحمهما الله تعالى (بريئان منه): أي من الحلول.

---

(1) قال السيوطيّ في جامع الأحاديث، باب الهمزة مع الشين، ٣٤٥٥، ج٤ ص٤١٥: أخرجه القضاعيّ (٤٣٦/ ١، رقم ٧٤٨). والديلميّ (٤٢٦/ ١، رقم١٧٣١). قال العجلونيّ (١٤١/ ١): رواه العسكريّ والديلميّ والقضاعيّ بسند فيه كذّاب، والحديث موضوع، كما قال أحمد الغماري في المغير ص٢١.

(وقلت): أي قال جامع هذا الديوان. (له): أي لابن بنت الأغر. (كيف يُتصوَّر) في العقل. (أن الشيخ) عمر ابن الفارض رضي الله / [٢٠/ ب] عنه يميل (في قصيدته) التائيّة (المسماة نظم السلوك) بتسمية النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في المنام، كما مرّ (إلى) اعتقاد (الحلول) الباطل المستحيل على الحقّ تعالى. (وقد نزّه): أي الشيخ عمر رضي الله عنه (عقيدته عنه): أي عن الحلول. (بقوله): أي الشيخ عمر رضي الله عنه. (فيها): أي في تلك القصيدة المذكورة، وسنشرحه في موضعه منها إن شاء الله تعالى:

وكيف وباسم الحقّ ظلّ تخلُّقي	تكون أراجيفُ الضلال مُخيفتي
وها دِحيةً وافى الأمينَ نبيّنا	بصورته في بدء وحي النبوءة
أجبريلُ قل لي كان دحية إذْ بدا	لُمهدي الهدى في صورةٍ بشريةِ
وفي علمه عن حاضرِيه مزيّةٌ	بماهيَّة المرئيّ من غير مرية
ولي من أتمِّ الرؤيتين إشارة	تُنزِّه عن رأي الحلول عقيدتي
يرى ملكاً يوحي إليه وغيرُه	يرى رجلاً يُدعى لديه بصحبة
وفي الذكر ذكرُ اللبس ليس بمنكر	ولم أعدُ عن حكمَيْ كتاب وسنّة[1]

(فقال): أي ابن بنت الأغر: (أنا أَحَبُّ الناس) كلّهم. (في نظم الشيخ) عمر رضي الله عنه (وحفظت) جميع أبيات. (ديوانه): أي الشيخ عمر رضي الله عنه. (وأنا شاب): أي في سنّ الشباب. (وانتفعت بحفظه) في أمور كثيرة. (وهذه الأبيات) المذكورة. (السبعة) من التائيّة الكبرى المسماة بنظم السلوك. (ما كأنّي قط سمعتها) من كلام الشيخ عمر رضي الله عنه. (في قصيدته) المذكورة. (إلى الحلول

---

(١) الأبيات من قصيدة نظم السلوك من ٢٧٩ ـ ٢٨٥.

في شيء) من كلامه. (وأنا استغفر الله) تعالى (مما جرى منّي من الكلام في حقّه): أي الشيخ عمر رضي الله عنه.

(فقلت): أي قال جامع هذا الديوان. (له): أي لابن بنت الأغر. (وما جرى منك) أيضاً. (في حقّ الشيخ شمس الدين الأيكي، فقال: نعم، وما برحت في قلق): أي انزعاج واضطراب. (من دعائه): أي الشيخ شمس الدين الأيكي في ذلك المجلس (إلى أن حلّت): أي نزلت. (بي هذه المحبّة) العظيمة. (فالله) تعالى بمحض فضله وجوده. (يغفر لي وله): أي للشيخ شمس الدين الأيكي (وأنا تائب) بعد الآن. (إلى الله تعالى من الوقوع) بإنكار وانتقاص (في حقّ أحد من أهل هذا الطريق): أي طريق الصوفيّة. (فمنهم): أي من أجل. (وقوعي) في أهل هذا الطريق (أُصبت) بالبناء للمفعول، أي: أصابني الله تعالى بما أصابني الله تعالى بما أصابني به من تلك المصائب. (وبالتوسّل إلى الله) تعالى. (ببركتهم سلمت) مما وقعت فيه.

(ثمّ حجّ): أي ابن بنت الأغر. (بعد ذلك الأمر) المذكور. (وامتدح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بقصيدة وأنشدها): أي تلك القصيدة هو بنفسه. (عند الروضة الشريفة): روضة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم. (وهو): أي ابن بنت الأغر. (مكشوف الرأس): على وجه التذلل والخضوع. (وبكى هو): أي ابن بنت الأغر. (وبكى الناس أيضاً معه بكاء شديداً، ودعوا): أي الناس، وهو معهم هناك (على أعدائه. وقرأ خادم أم الملك السعيد) في ذلك المجلس، وتلك الحضرة المحمّديّة. (وكان): أي ذلك الخادم. حسن الصوت عشراً من القرآن العظيم، وهو قول الله عز وجلّ: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗا﴾ [٢٤/ النور/ ٥٥] (فاستبشروا بذلك) العشر المقروء. (وهو): أي ابن بنت الأغر.

(**واستبشر الناس**) أيضاً. (**وعلموا أن الله تعالى قد تقبّل دعاءهم**) الذي دعوه في شأنه أعداؤه. (**ولمّا حضر**): أي رجع ابن بنت الأغر. (**إلى بلاده مصر المحروسة من**) بلاد. (**الحجاز الشريف وجد أعداءه الذين سلقوه**): أي آذوه. يُقال: سلقه بالكلام، أي: آذاه به/ [٢١/ أ] (**بالألسنة**): جمع لسان. يعني: بتكلّمهم في حقّه بالسوء. (**قد هلك منهم**): أي من تلك الأعداء. (**من هلك**) بأمر الله تعالى (**عن بيِّنة**): أي انكشاف وفضيحة لأمره بين الناس، وظهور افترائه وعدوانه على ابن بنت الأغر المذكور. (**ثمّ فُوِّض**) بالبناء للمفعول. (**إليه**): أي إلى ابن بنت الأغر (**القضاء**): الذي كان عُزل عنه في المرّة الأولى. (**وما برح متولِّياً لمنصب القضاء**) كما كان أولاً. (**إلى أن قُضي عليه**): أي مات. (**فرحمه الله**) تعالى. (**رحمة واسعة، وجعله**) **الله تعالى**. (**في روضات**): جمع روضة. (**الجِنان**): جمع جَنّة. (**مضاجعه**): جمع مضجع، وهو موضع الاضطجاع، أي: تمدد في قبره.

(**ورأيته**): أي رآه جامع هذا الديوان بعد موته. (**في المنام ووجهه كالقمر**) بهجة وضياء. (**وعليه نور يتلألأ، وعليه**) مع ذلك أيضاً. (**ثياب دنسة**): أي وسخة. (**فسألته عن ذلك**) الذي رأيته عليه. (**فقال**): أي ابن بنت الأغر رحمه الله تعالى. (**هذا**): أي النور الذي يتلألأ. (**نور العلم**) الذي كان متصفاً به. (**وهذه**): أي الثياب الدنسة (**ثياب الحكم**): أي القضاء بين الناس؛ فإنّ ذلك دخول في حقّوق العباد، وإلزامهم بما هو مطّلع عليه من ذلك؛ فإن قصّر في الاستكشاف عن أحوال الشهود، أو غفل عن معرفة حكم الله تعالى في كلام أحد الخصمين، أو نحو ذلك كانت العقوبة عليه في الآخرة. (**ثمّ رأيته**): أي رآه جامع هذا الديوان. (**أيضاً بعد ذلك**): أي بعد الرؤيا الأولى. (**في المنام وهو يخطب على منبر الخطابة**): المعروف. (**في الجامع الأزهر**): بمصر المحروسة. (**وممّا**): أي جملة ما. (**حفظت من كلامه**) وبقي معي إلى أن استيقظت (**قوله: وسيعود شعارنا**): أي حالنا وشأننا. (**إلى ما كان عليه**) أولاً. ولعلّ تأويل ذلك بحصول بعض ذرِّيّته في مرتبته التي

كان فيها في الحياة الدنيا من أمر القضاء والوزارة، أو حُسْن حاله بمسامحة الله تعالى له عمّا اقترفه من دنس المنصب والتولية على حقوق الناس[1].

(وقال لي ولده): أي ولد الشيخ عمر رحمه الله تعالى. (سمعت الشيخ): يعني والده. (رضي الله عنه يقول: حصلت منّي هفوة): أي زِلّة. يقال: هفا يهفو هفوة. (فوجدت من ذلك مؤاخذة): أي عقوبة. (شديدة في باطني): من جهة الحقّ تعالى بسدل الحجاب على عين قلبه، وإزالته عمّا كان فيه من اليقظة والمراقبة. (وانحصرت) من شدّة القبض والغمّ. (... وباطناً وظاهراً): أي في باطني وظاهري. (حين كادت روحي تخرج من جسدي): وأفارق الدنيا، ممّا اعتراني من ذلك الأمر الإلهي النازل بي. (فخرجت): من مصر. (هائماً): أي متحيِّراً، مدهوشاً. (كالهارب من ذنب عظيم فعله وهو): أي ذلك العبد. (مطلوب): أي مطالب من جهة مَنْ له القدرة عليه بذلك الذنب، قال تعالى: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [٥١/ الذاريات/ ٥٠]. وقال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «إن العبد ليُذنب الذّنب فيدخل به الجنّة؛ يكون نصب عينيه تائباً، فارّاً، حتى يدخل به الجنّة»[2] رواه ابن المبارك عن الحسن مرسلاً.

(فطلعت إلى جبل المقطّم): وهو ـ كمُعظّم ـ جبل بمصر مطلّ على القرافة، كما مرّ. (وقصدت مواطن): أي مواضع. (سياحتي): في ذلك الجبل. (وأنا أبكي وأستغيث) بالله تعالى ممّا أنا فيه من الحال الشديد. (وأستغفر الله) تعالى ممّا وقع منّي. (فلم ينفرج): أي يزول (ما بي): من ذلك. (فنزلت) من الجبل. (إلى القرافة): وهي مقبرة بمصر معروفة. (ومرّغتُ) يقال: تمَرَّغَ، أي: تَقَلَّب، ومَرَّغَ

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: «بلغ مقابلة وسماعاً على مؤلّفه قدّس الله سرّه».

(٢) أخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق، باب العبد ليذنب الذنب فيدخل به الجنّة. قيل، ١٦١، ج١ ص١٦٩، كما أخرجه السيوطيّ في جمع الجوامع، حرف الهمزة، ٣٨٢،ج١ص٦٥٩٤. قال الألبانيّ: ضعيف، انظر صحيح وضعيف الجامع، ١٥٠٣،ج٨ص٣٧٤.

الدابّةَ في التراب تَمْرِيغاً: قَلَّبَهَا، ذكره في القاموس. (**وجهي في التراب بين القبور**): تذلّلاً لله تعالى، وانكساراً، وتواضعاً لعظمة جلاله. (**فلم ينفرج ما بي**) أيضاً. (**فقصدت مدينة مصر**) المحروسة. (**ودخلت جامع عمرو بن العاص**) رضي الله عنه/ [٢١/ ب] الصحابي المشهور، عمَّره لمّا ولي مصر حين أرسله عمر بن الخطاب رضي الله عنه في زمان خلافته مع جيش إلى مصر. ففتحها ولم يزل والياً عليها حتى توفي عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ثمّ أقره عثمان رضي الله عنه في زمان خلافته عليها أربع سنين ثمّ عزله. فاعتزل عمرو بفلسطين. وكان يأتي المدينة أحياناً، ثمّ استعمله معاوية على مصر، فبقي عليها حتى توفي والياً عليها، ودفن بها. وكانت وفاته ليلة عيد الفطر سنة ثلاث وأربعين. وكان عمره سبعين سنة. (**ووقفت في صحن الجامع**)المذكور. (**خائفاً**) من الله (**مذعوراً**): أي متغيِّر الخلقة. (**وجددت البكاء والتضرُّع**) إلى الله تعالى في دفع ما أنا فيه من الشدّة. (**والاستغفار**): من الهفوات والزلات. (**ولم ينفرج ما بي**) أيضاً. (**فغلب عليّ**): أي على نفسي. (**حال مزعج**) انزعج به باطني وظاهري. (**لم أجد مثله قط**):

قبل ذلك الحين فيما مضى من عمري كلّه. (**فصرخت**) بأعلى صوتي. (**وقلت**) من شدّة ما أجد في نفسي من الكرب.

مَـــن ذا الـــذي مـــا ســـاء قـــط ومـــن لـــه الحُـــسنى فقـــط

(**من**): استفهاميّة، معناها: أي إنسان. (**وذا**): اسم إشارة إلى المُستفهَم عنه، يريد إحضاره في ذهنه حتى يعرفه. و (**ساء**): أي قَبُحَ بعمل السيئة؛ وهي الخطيئة. و(**الحسنى**): ضد السوء، وأحسن إليه ضد أساء إليه، من السوأى؛ وهو الفجور والمنكر. (**فسمعت قائلاً يقول بين السماء والأرض**): إما من الملائكة، أو من صالحي الجنّ؛ وهو الهواتف. (**أسمع صوته ولا أرى شخصه**) وقوله هذا في جواب الاستفهام المذكور:

يعني: الذي استفهمت عنه وطلبت تعيينه في ذهنك، ووصفته بأنّه ما عمل سوءاً في عمره أصلاً؛ وإنّما أعماله كلّها أعمال حسنة مرضية، وهو محمّد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم؛ وإنّما خصّه دون بقيّة الأنبياء عليهم السلام وإن كانوا كلّهم كذلك لعصمتهم عليهم السلام؛ لأنه صلّى الله عليه وسلّم آخر مَنْ وُجِد من هذا النوع الإنساني؛ لأنه خاتم النبيين؛ فهو معروف بهذا الوصف المذكور في هذه الأمة أكثر من غيره. أو لأنّه أفضل الجميع؛ فهو الفرد الكامل صلّى الله عليه وسلّم. و(الهادي): أي الذي هدى الأمة، ودلّهم على أقوم الطريق، الذي نزل عليه جبريل عليه السلام بالوحي من الله تعالى، وبالقرآن العظيم. فأرشد الله تعالى به مَنْ يشاء إلى صراط مستقيم.

(وقال لي ولده): أي ولد الشيخ عمر بن الفارض. (رحمه الله تعالى: رأيت الشيخ) يعني: والده. (رضي الله عنه) في يوم من الأيام. (نهض) على قدميه. (ورقص زماناً طويلاً، وتواجد وجداً عظيماً): من قوة الوارد الذي ورد عليه. (وتحدّر) بالحاء المهملة والدال المهملة والراء، أي: سال. (منه عرق كثير) من شدّة انزعاجه. (حتى سال) ذلك العرق. (تحت قدميه وخرَّ): أي سقط. (إلى الأرض) كالمغشيِّ عليه. (واضطرب اضطراباً شديداً) وهذه الحالة تعتري كثيراً من الفقراء في وقت اجتماعهم في حلق الذكر؛ حتى إن الرجل منهم ينزع عمامته، وبعضهم ثيابه وينطرح على الأرض، فيبقى كالقطعة من الخشب؛ ليُبْس أعضائه، وقشعرة جسمه من قوة الوارد الذي يهجم على قلبه، والخشوع الذي يغلب عليه، فيسلبه الاختيار، خصوصاً من فقراء بني سعد الدين الجباوي بدمشق الشام، ومن فقراء التغالبة بدمشق أيضاً. يدوس بفرسه وهو راكبها على ظهور الرجال في حال وجده الذي يأخذه، ولا يتأثّر أحد من ذلك أصلاً، وربَّما حصل الشفا بذلك لمن

له مرض ونحوه. وربّما جذب بيده المقعد الزَّمِن فيمشي على قدميه في الحال، وهو أمر شائع مشهور عندنا في دمشق الشام؛ وهي حالة شريفة وإن أنكرها كثير من المتفقهة القاصرين/ [٢٢/ أ] في الزمان لبعدها عنهم من قسوة قلوبهم، وهي من أثر الخشوع. وقد قال صلّى الله عليه وسلّم: «اللهمّ إني أعوذ بك من قلب لا يخشع»(١) رواه الترمذيّ والنسائي عن ابن عمرو بن العاص.

وربَّما طعن بعضهم في الفقراء بأنّهم مسرفون على أنفسهم، فتراهم يطلبون فقراً في طريق الله تعالى معصومين من الزلل والمعصية، وهذا لا يكون أبداً؛ بل مَنْ غلب خيرُه على شرِّه؛ فهو الكامل؛ بل في الحديث الشريف النبويّ ما هو أبلغ من ذلك؛ وهو الاكتفاء بالعُشر من الخير، فضلاً عن غلبته على الشرِّ أو كونه نصفاً، أو ربعاً. قال صلّى الله عليه وسلّم: «إنَّكم في زمان مَنْ ترك منكم عُشْر ما أُمر به هلك، ثمّ يأتي زمان من عمل منهم بعُشْر ما أُمر به نجا»(٢)، رواه الترمذيّ عن أبي هريرة، وذكره السيوطيّ في الجامع الصغير.

وقد حكم صلّى الله عليه وسلّم بالنجاة لمن عمل بالعُشر؛ وهي بشارة عظيمة لكلّ مَنْ سلم من الكفر والشرك إلى آخر الزمان، وقلَّ مَنْ يسلم من ذلك في زماننا هذا من كثرة التباس الحقّ بالباطل على غير أهل التوفيق والعناية؛ فقد وجدنا مَنْ يعتقد الطاعة معصية، والمعصية طاعة من كبار علماء زماننا، فضلاً عن العامّة منهم ومن بقية الناس، إلا من حفظه الله تعالى وهداه؛ ولهذا ورد في حديث

---

(١) أخرجه أحمد في المسند، باب: حديث زيد بن أرقم، ١٩٨٢٩، عن زيد بن أرقم، ج٤٢ص١١٢. كما أخرجه الترمذيّ في سننه، كتاب الدعوات، باب اللهمّ إنّي أعوذ بك من قلب لا يخشع، ٣٨١٩، عن عبد الله بن عمرو. كما أخرجه النسائي في سننه، كتاب الاستعاذة، باب الاستعاذة من العجز، ٥٤٧٥، عن زيد بن أرقم.

(٢) أخرجه الترمذيّ في سننه، كتاب الفتن، باب: يأتي زمان من عمل منهم بعُشرما أُمر به، ٢٤٣٦. كما أخرجه السيوطيّ في جامع الأحاديث، حرف الهمزة، باب إنّ المشدّدة، ٨٧٨٥.

الطبرانيّ في المعجم الكبير والحاكم عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب فاسألوا الله تعالى أن يجدد الإيمان في قلوبكم»[1]. **(ولم يكن)**: أي يوجد **(عنده)**: أي عند الشيخ عمر رضي الله عنه حين صدور تلك الحالة الشريفة منه **(أحد غيري)**: أي غير ولده المذكور رحمه الله تعالى.

(ثمّ) بعد ذلك. **(سكن حاله)** الذي اعتراه، وسُرِّي عنه. **(وسجد لله تعالى)** شكراً على النعمة، وفيه إشارة إلى أنه رضي الله عنه كان ملازما للوضوء، وإنّ تلك الحالة لا تنقض الوضوء كما زعمه بعضهم؛ لأنها ليست غيبة بالكليّة في أمور دينه؛ وإنّما هي استغراق في حال نفسه الإنسانيّة، وتغليب لأمورها الروحانيّة الطاوية للجسمانيّة؛ ففيها كمال الشعور بالنفس المنجمعة له ظاهراً وباطناً، وعدم الشعور بالأغيار. **(فسألته عن سبب ذلك)** الحال الذي حصل له. **(فقال)**: أي الشيخ عمر رضي الله عنه. **(يا ولدي، فتح الله)** تعالى **(عليّ)** في هذا الوقت **(بمعنى)** عظيم **(في بيت)** من جملة القصيدة الفائيّة. **(لم يفتح عليَّ بمثله)** قبل ذلك **(وهو هذا البيت)** وسيأتي شرحه إن شاء الله تعالى في محلِّه:

---

(١) قال السيوطيّ في جامع الأحاديث، حرف الهمزة، ٧٧١٦، ج٢ص٢٢٤: أخرجه الطبرانيّ، كما في مجمع الزوائد ١/ ٥٢، قال الهيثميّ: إسناده حسن. أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب الإيمان، باب الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب، ٥، ج١ ص٨.

وعلى تفنُّن واصفيه بحُسْنه يفنى الزمان وفيه ما لم يُوصَف[1]

وقد بحثت يوماً مع بعض الإخوان على أنّ هذا البيت في مدح الحضرة المحمّديّة أيها أبلغ هذا أم قول صاحب البردة:

فإنّ من جودك الدنيا وضرَّتها ومن علومك علم اللوح والقلم

كان يقول: إن بيت صاحب البردة أبلغ. فقلت له: في بيت صاحب البردة فنٌّ من فنون الوصف النبويّ، والمدح المحمّديّ؛ فهو داخل تحت تلك الفنون التي أشار إليها الشيخ عمر رضي الله عنه في بيته إلى يوم القيامة. فاعترف بذلك؛ فلا أبلغ من هذا البيت المذكور؛ ولهذا سجد شكراً عليه لله تعالى كما مرّ. **(وحكى)**: أي ولد الشيخ عمر رضي الله عنهما. **(لي)** أيضاً. **(قال: كان الشيخ)** عمر. **(رحمه الله ماشياً في السوق بالقاهرة)**: أي مصر المحروسة. **(فمرّ على جماعة من الحَرَسَة)**: أي الذين يحرسون الأسواق مجتمعين في مكان. **(وهم يضربون بالناقوس)**: ولعلهم كانوا من النصارى. **(يتطرّبون بذلك)**. أو من المسلمين. ويقصدون بذلك التطرب. قال في القاموس: الناقوس ـ الذي/ [٢٢/ ب] يضربه النصارى لأوقات صلواتهم ـ خشبة كبيرة طويلة وأخر قصيرة، واسمها الوَبيل، وقد نَقَسَ بالوَبيل: الناقوس. **(ويغنّون هذين البيتين)** وهما:

مولايَ سهرنا نبتغي منك وصال

مولايَ فلم تسمح فنمنا في خيال

أي: مولاي سهرنا في الليل نطلب الوصال منك فلم تسمح لنا بالوصال يا مولاي، فنمنا بسبب رجائنا منك طيف الخيال الذي نراه في المنام، وهو صورة المحبوب التي يتخيّلها النائم في منامه، كأنه اجتمع بمحبوبه، وتكلّم معه، ثمّ إذا

(١) انظر شرح البيت ٤٣ في قصيدة قلبي يحدّثني (الفائيّة).

استيقظ من منامه لم يجد شيئاً. ومن هذا المعنى للشيخ حسن البورينيّ رحمه الله تعالى من المواليا:

قال المليح الذي اخترته على قومي ... عاشق تنام لقد أرخصت في
فقلت يا منيتي يا عزّ من قومي ... ما نمت إلّا عسى أنظرك في نومي
مولاي فلم يطرق فلا شكّ بأنّ ... ما نحن إذا عندك مولاي ببال

ثمَّ قال له: يا مولاي فلم يطرقنا: أي لم يدخل علينا ذلك الطيف من الخيال في منامنا، فلا شك عندنا حينئذٍ بأننا لسنا على بالك يا مولاي، ولا أنت مهتمّ بشأننا؛ بل أنت مهمل لنا، وتارك لمراعاتنا، ومعرض عنّا. **(فلمّا سمعهم)**: أي سمع قولهم المذكور. **(الشيخ)** عمر **(رضي الله عنه صرخ صرخة عظيمة)** من شدّة وجده. **(ورقص رقصاً كثيراً في وسط)** ذلك **(السوق، ورقص معه ناس كثير من المارِّين في)** ذلك. **(الطريق حتى صارت جَوْلَة)**: أي كثرة وازدحام. قال في القاموس: «جَالَ القومُ جَوْلَة: انكشفوا ثمّ كرُّوا». **(وسماع عظيم)**: أي ضجة مطربة، ورجة معجبة. **(وتواجد الناس إلى أن سقط أكثرهم إلى الأرض)** هائمين مولّهين مدهوشين. **(والحرس يكرِّرون ذلك)** القول. **(وخلع الشيخ)** عمر رضي الله عنه. **(كل ما كان عليه)** من الثياب.

(ورمى بها إليهم): أي إلى الحراس. **(وخلع الناس)** أيضاً. **(ثيابهم معه)**: أي مع الشيخ عمر رضي الله عنه. **(وحُمل)**: أي الشيخ قدّس الله سرّه. **(بين أيدي الناس إلى الجامع الأزهر وهو عريان)** من ثيابه. **(مكشوف الرأس)** وباقي البدن. **(ولم يبقَ عليه)** من الثياب. **(سوى لباسه)**: أي سرواله الذي يستر عورته. **(وأقام)** بعد ذلك **(في هذه السكرة)**: أي الغيبة الإلهيّة. **(أياماً)**: ثلاثة فأكثر. **(ثلاثة ملقى على ظهره مسجّى)**: أي مغطّى بثوب ونحوه. **(كما يسجّى الميت، فلمّا أفاق)**: من ذلك الحال. **(جاء الحرّاس**

(١) لعلّها سومي، كما في المطبوع.

إليه ومعهم ثيابه) التي كان خلعها في حال تواجده. (فرموها): أي تلك الثياب. (بين يديه): أي الشيخ رضي الله عنه. (فلم يأخذها) منهم. (وبذل): أي دفع. (الناس لهم فيها): أي في تلك الثياب ليشتروها منهم (ثمناً كثيراً، فمنهم): أي من الحراس. (مَنْ باع) ما وصل إليه من تلك الثياب. (ومنهم مَنْ امتنع عن بيع نصيبه) من ذلك. (وأبقاه عنده تبركاً به): أي على وجه التبرُّك.

(وحكى لي) أيضاً ولد الشيخ عمر (رحمه الله تعالى قال: كان الشيخ) والده رضي الله عنه. (ماشياً في يوم من الأيام في السوق بالقاهرة) المحروسة (بالشارع): أي الطريق. (الأعظم): أي أكبر الطرق الذي تتشعّب منه بقية الطرق. (في المحلات والأزقّة بالقرب من مسجد ابن عثمان): المعروف هناك. (وكنت): أي كان ولده المذكور. (معه): في ذلك المكان. (وإذا بنائحة): أي امرأة. (تنوح) وتبكي (وتندب على امرأة) أخرى. (ميتة في طِبْقة) هناك. (والنساء يجاذبنها) بالنواح والبكاء والعويل. (وهي تقول):

سِتِّي، مُتّي ! مِنْ حقّاً ... إي والله ! حقّاً حقّاً !!

قال في القاموس: «سِتِّي للمرأة: أي يا سِتَّ جهاتي، أو لَحْن، والصواب: سيِّدتي». وما أزهر قول بهاء الدين زهير، رحمه الله تعالى/ [٢٣/ أ]:

بروحي من أناديها بستِّي ... فتنظرني النحاةُ بعين مَقْتِ

يرون بأنني قد قلت لحناً ... وما أنا قائل لحناً بنعت

ولكن غادة ملكت جهاتي ... فلا عجب إذا ما قلت ستي

وتقدير من حقّاً بالنصب: أي من موت حقّ حقّا: أي ثبت ثبوتاً، ولزم لزوماً، وأصله: من موت موتاً حقّ حقّاً؛ فمن بيانيَّة، و(إي): بكسر الهمزة بمعنى نعم. و(حقّاً): أي حقّ حقّاً، والثاني تأكيد للأوّل. (فلمّا سمعها): أي تلك النائحة. (الشيخ) عمر رضي الله عنه. (صرخ صرخة عظيمة، وخرّ مغشيّاً عليه): ممّا دهمه

من الوارد المزعج عند سماعه ذلك الكلام. (فلمّا أفاق): من ذلك الغشيّ، ورجع إليه حسه. (صار يقول ويكرر مراراً) قوله:

نفسي متّي من حقّاً ... إي والله حقّاً حقّ

فوضع نفسي موضع ستّي في قول النائحة المذكورة بياناً لاعتباره، وفهمه إشارة قولها وإن لم تكن شاعرة بذلك، وصرخه وغشيه بها فهمه من ذلك عن نطق الوجود في خطاب أهل الشهود. ولا تظنّ أن الشيخ عمر رضي الله عنه سمع ما اقتضى صراخه، وغشيه من تلك النائحة التي كانت تقول ذلك القول، وكذلك سماعه في كلّ ما كان يسمعه ويتواجد عليه؛ وإنّما كان رضي الله عنه يسمع السماع المطلق عن الحقّ تعالى، كما قال القائل:

وإنْ غرّدتْ قمريّةٌ فوق أيكة ... فإنّي منكم لا من الطير سامع

وهكذا أذواق القوم ومواجيدهم عند سماع الأشعار، وفهمهم المعاني الغريبة الإلهيّة من حركات الليل والنهار. قال ابن عطاء الله السكندري[1] في (لطائف المنن) وقُرئ على الشيخ مكين الدين الأسمر[2] رضي الله تعالى عنه قول القائل:

---

(١) هو أحمد بن محمّد بن عبد الكريم بن عطاء الله، تاج الدين أبو الفضل بن عطاء الله السكندريّ، متصوِّف، شاذليّ، كان لسان الصوفيّة في زمانه. صحب أبا العبّاس المرسي صاحب الشاذليّ، وصف مناقبه ومناقب شيخه. من العلماء، كان من أشدّ خصوم شيخ الإسلام ابن تيميّة. له تصانيف كثيرة، منها: (الحكم العطائيّة) في االتصوّف، و (تاج العروس): في الوصايا والعظات، و(لطائف المنن): في مناقب المرسي وأبي الحسن. توفي بالقاهرة سنة ٧٠٩هـ بالمدرسة المنصوريّة، وكانت جنازته حافلة. انظر الدرر الكامنة لابن حجرج١ص٢٩١، وشذرات الذهب لابن العماد، ج٦ص١٩.

(٢) قال ابن الجزريّ في غاية النهاية في طبقات القرّاء، باب العين، ج١ ص٢٠٤: عبد الله بن منصور ابن عليّ بن منصور اللخميّ الإسكندريّ، الشاذليّ، المعروف بالأسمر. أستاذ محقّق كان مقرئ الإسكندريّة؛ بل الديار المصريّة في زمانه. ثقة، صالح، زاهد. قرأ القرءات على أبي القاسم الصفراويّ وإبراهيم بن وثيق، وقد تقدّم حكاية قراءته على ابن وثيق، وأنّه قرأ السبع عليه جمعاً ختمة في ليلة، وهذا ممّا لا يُسمع لغيره. ولد سنة ٦١١هـ، وتوفي سنة ٦٩٢هـ في الإسكندريّة.

لـو كـان لي مُـسعِد بـالراح يـسعدني	لمـا انتظـرت بـشرب الـراح إفطـارا
الــراح شيء شريــف أنــت شــاربه	فـاشرب ولـو حَمَّلَتْـكَ الـراحُ أوزارا
يـا مَـن يلـوم عـلى صـهباء صـافية	خـذ الجنـان ودعنـي أسـكن النـارا

فقال إنسان هناك: لا تجوز قراءة هذه الأبيات. فقال الشيخ مكين الدين للقارئ: اقرأ، هذا الرجل محجوب، ويكفيك في هذا أنّ ثلاثة سمعوا منادياً يقول: يا سعتر بَرِّي. ففهم كل منهم عن الله تعالى مخاطبة خوطب بها في سرِّه. سمع الواحد: اسعَ تَرَ بِرِّي. وسمع الآخر: الساعة ترى بِرِّي. وسمع الآخر: ما أوسع بِرِّي؛ فالمسموع واحد، واختلفت أفهام السامعين، كما قال تعالى: ﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ﴾ [١٣/ الرعد/ ٤] وقال تعالى: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ [٢/ البقرة/ ٦٠] وذكر قبل ذلك قال في تفسير هذه الطائفة لكلام الله وكلام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالمعاني الغريبة: ليس إحالة للظاهر عن ظاهره، ولكن ظاهر الآية مفهوم منه ما جلبت الآية له ودلّت عليه في عرف اللسان، وثَمّ أفهام باطنة تفهم عند الآية والحديث لمن فتح الله قلبه، وليس ذلك بإحالة للظاهر؛ وإنّما كان يكون إحالة لو قالوا: لا معنى للآية إلّا هذا، وهم لم يقولوا ذلك؛ بل يقرّون الظواهر على ظواهرها، مراداً بها موضوعاتها، ويفهمون عن الله ما أفهمهم. وربّما فهموا من اللفظ ضدّ ما قصده واضعه كما أخبرنا الشيخ الإمام، مفتي الأنام الشيخ تقي الدين محمّد بن علي القشيري[1] رحمه الله تعالى،

(١) قال الصفدي في الوافي بالوفيّات، باب: ابن علي، ج٢ص١٧: هو محمّد بن علي بن وهب بن مطيع، الإمام العلّامة شيخ الإسلام تقيّ الدين بن دقيق العيد، المنفلوطيّ، المصريّ، المالكيّ، الشافعيّ. أحد الأعلام، وقاضي القضاة. (٦٢٥-٧٠٢)هـ كان إماماً متفنّناً، متحدِّثاً، مجوِّداً، فقيهاً، مدقّقاً، أصوليّاً، نحويّاً، شاعراً، ناثراً، ذكيّاً، غوّاصاً على المعاني، مجتهداً، وافر العقل، كثير السكينة، بخيلاً بالكلام، تامّاً بالورع، شديد التديّن، مديم السهر، مكبّاً على المطالعة والجمع، جواداً سمحاً، عديم الدعاوي، له اليد الطولى في الفروع والأصول، وبصربعلل المنقول =

قال: كان ببغداد فقيه يُقال له الحَوْزيّ، يُقرئ اثني عشر علماً، فخرج يوماً قاصداً إلى مدرسة فسمع منشداً ينشد:

إذا العشرون من شعبان ولَّت واصِلْ شرب ليلك بالنهار/ [٢٣/أ]

ولا تشرب بأقداح صغار فقد ضاق الزمان عن الصغار

فخرج هائماً على وجهه حتى أتى مكّة، فلم يزل مجاوراً بها حتى مات، انتهى كلامه. ولعله فهم من ذلك إلى متى أنت في الاشتغال بتعليم الناس صغار العلوم، والتنزّل إليهم في صغار الأحوال؛ فإنّ العمر ـ وإن طال ـ قصير، وإن اتسع ضيّق؛ فترك ذلك واشتغل بتعليم نفسه كبار العلوم بكبار الأحوال، وانتهز فرصة العمر، وعمل بقوله عليه السلام: «ابدأ بنفسك»[1] ومن هذا كثير في أحوال الصادقين من أهل العرفان، يأخذون إشارتهم من كلّ شيء بحسب قوة الإيمان، وكمال اليقظة والإيقان.

(وحكى لي): أيضاً ولد الشيخ. (رحمه الله) تعالى. (قال: كان الشيخ رضي الله عنه جالساً في الجامع الأزهر) بمصر المحروسة. (على باب قاعة الخطابة، بالقرب من منبر الخطابة، وعنده جماعة) جالسون. (من الأمراء والفقراء، وفيهم جماعة من مشايخ الأعجام المجاورين بالجامع الأزهر) المذكور. (وغيرهم) أيضاً. (وكلّما ذكروا): أي الجماعة المذكورون. (حالاً من أحوال الدنيا) وأمتعتها التي يتسهل بها أمر المعيشة في الدور والبيوت. (مثل الطشت خانة): أي طشت البيت الذي يستعملونه في غسل الأيدي ونحو ذلك. (والفرش خانة): أي فرش البيت مما هو

=

والمعقول. تفقّه بأبيه، وبالشيخ عزّ الدين بن عبد السلام، وبطائفة. واشتهر اسمه في حياته وحياة مشايخه، وتخرّج به أئمّة. كان لا ينام الليل إلّا قليلاً، يقطعه بمطالعة وتهجد وذكر، أوقاته معمورة.

(١) قطعة من حديث، رواه مسلم في صحيحه، باب الابتداء في النفقة بالنفس، ٢٣٦٠ عن جابر رضي الله عنه.

المعتاد الآن مما يوضع في وسط البيت، وما يوضع في جوانبه بسطاً وتعليقاً ونحوه. **(وغير ذلك)**: ممّا يوضع ويستعمل كالذي يسمّى شمعة دان، ويسمّى «برنج» من الألفاظ العجميّة. **(يقولون هذا)**: أي الاسم الذي يذكرونه، أو الوضع المستعمل بذلك الشيء من جملة، (زخم): بالزاي والخاء المعجمة، أي: وضع واصطلاح الأعجام[كذا] بتفخيم وتعظيم. أصل الزخم: الدفع الشديد، قال في القاموس: زَخَمَه كمَنَعَه: دفعه شديداً. (فبينما هم يتفاوضون): أي يتشاركون، والمُفاوَضَة: الاشتراك في كلّ شيء كالتفاوُض والمُساواة. وتَفَاوضوا في الأمر: فاوَضَ فيه بعضُهم بعضاً، كذا في القاموس. **(في هذا الكلام ويفخّمون)**: أي يعظِّمون. (زَخْم): أي وضع. **(العجم)** على حسب ما يذكرون. **(والمؤذنون رفعوا أصواتهم بالأذان)** على المنارة في الجامع الأزهر. **(جملة واحدة)** وفيه إشارة إلى أن الأذان من جماعة واحدة صنيع السلف الماضين في الأوقات الخمسة. ومن نهى عن ذلك وقال: «إن الأذان لم يشرع إلا من الواحد فقط»، غير مصيب كما حررناه في كتابنا **(نهاية المراد في شرح هدية ابن العماد)** وغيره. **(فقال الشيخ)** عمر رضي الله عنه. **(وهذا زخم)**: أي وضع واصطلاح العرب. **(وصرخ صرخة عظيمة، وتواجد) من ذلك**. (وصرخ) معه **(كلّ من كان حاضراً حتى كانت لهم في الجامع)** الأزهر المذكور. **(ضجة عظيمة)** يصرخون ويتواجدون.

(وحكى لي أيضاً) ولد الشيخ (رحمه الله) تعالى. **(قال: كان السلطان الملك الكامل رحمه الله[1])** تعالى. **(يحب أهل العلم)**: أي العلماء. **(ويحاضرهم)**: أي

---

(١) شعبان بن محمّد بن قلاوون، السلطان الملك المنصور، تسلطن بعد أخيه الملك الصالح. تولّى الحكم ثاني ربيع الآخر٧٤٦هـ وخلع في جمادى٦٤٧هـ كان شجاعاً، يقظاً، فطناً، يجلس للخدمة طرفي النهار مع الله ودائماً، محبّاً لجمع المال، وله حكاية مع المغنّية عجيبة والقاضي ابن عين الدولة. انظر المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي لابن تغري بردي ج٢ص١٧، والعبر في خبر من غبر ج١ص٣٠٦، وطبقات الشافعيّة للسبكي ج٨ص٣٣.

يجالسهم، ويتكلّم معهم (في مجلس مختص بهم) يدخلون عليه فيه. **(وكان)**: أي السلطان. **(يميل إلى فن الأدب)**: أي علم الشعر. **(فتذاكروا)**: أي العلماء. **(عنده)**: أي عند السلطان. **(في وقت)** من الأوقات. **(أصعب القوافي)**: جمع قافية، من القَفْو. يقال قَفَوْتُ أثَرَه، أَقْفُوهُ قَفْواً وقُفُوّاً: أي اتّبعته. ومنه الكلام المُقفّى، وسمّيت قوافي الشعر لأنّ بعضها يتبع أثر بعض. كذا في الصحاح. وفي القاموس: «القافية آخر كلمة في البيت، أو آخر حرف فيه ساكن فيه إلى أول ساكن يليه مع الحركة التي قبل الساكن، أو هي الحرف تبنى عليه القصيدة».

(فقال السلطان) المذكور. **(من أصعبها)**: أي القوافي. **(قافية الياء الساكنة، فمن كان يحفظ شيئاً منها فليذكره)**: في هذا المجلس. (فتذاكروا ذلك، فلم يتجاوز أحد منهم عشرة أبيات. فقال السلطان: أنا أحفظ منها): أي من قافية الياء الساكنة. **(خمسين بيتا. وذكرها)**: أي تلك الأبيات. يعني: أنشدها/ [٢٤/ أ] لهم. **(فاستحسن الجماعة ذلك منه)**: أي من السلطان.

(فقال القاضي شرف الدين كاتب سرّه) أي السلطان. **(أنا أحفظ منها)**: أي من قافية الياء الساكنة. **(مائة وخمسين بيتاً قصيدة واحدة، فقال السلطان: يا شرف الدين، جمعت في خزائني أكثر دواوين الشعراء في الجاهليّة والإسلام، وأنا أحبّ هذه القافية)**: أي قافية الياء الساكنة. **(فلم أجد فيها أكثر من الذي ذكرت لكم)** من الخمسين بيتاً المذكورة. **(فأنشدني هذه الأبيات التي ذكرتها، فأنشده قصيدة الشيخ)**: عمر رضي الله عنه. **(اليائيّة)**: أي التي قافيتها الياء الساكنة. **(التي مطلعها قوله)** كما سيأتي شرحه في موضعه إن شاء الله تعالى:

سائق الأظعان يطوي البيدَ طيّ ... منعماً عرِّج على كثبان طيّ

(فقال): أي السلطان. **(يا شرف الدين لمن هذه القصيدة ؟! فلم أسمع بمثلها! وهذا)** الشعر، **(نَفَس محبّ صادق فقال)**: أي شرف الدين كاتب السرِّ. **(هذا نظم**

الشيخ شرف الدين عمر بن الفارض) رضي الله عنه. (فقال): أي السلطان. (وفي أي مكان مقامه): أي الشيخ شرف الدين بن الفارض. (فقال): أي كاتب السرّ. (كان مجاوراً بمكّة) المشرّفة. (وفي هذا الزمان حضر إلى القاهرة): مصر المحروسة. (وهو الآن مقيم بقاعة الخطابة في الجامع الأزهر فقال): أي السلطان. (خذ منّي ألف دينار وتوجَّه) بها. (إلى عنده): أي الشيخ عمر بن الفارض رضي الله عنه. (وقل له عنِّي: ولدك محمّد) اسم للسلطان الكامل. (يسلِّم عليك، ويسألك أن تقبل هذه): الألف دينار[كذا]. (منه برسم الفقراء الواردين عليك): يعني تنفقها عليهم. (فإذا قبلها منك اسأله): أي اطلب منه. (الحضور إلى عندنا لنأخذ حظنا): أي نصيبنا. (منه): أي من الشيخ عمر رضي الله عنه. (ومن بركته، فقال): أي كاتب السرّ. (مولاي السلطان يعفيني): أي ليسامحني. (من هذا): الأمر. (فإنّي لا أستطيع أن أخاطبه): أي الشيخ عمر رضي الله عنه بمثل ذلك. (وإن خاطبته لأجل مولانا السلطان فإنّه لا يأخذ الذهب، ولا يحضر، ولا أقدر بعد ذلك أن أدخل إليه أصلاً حياء منه فقال): أي السلطان. (لا بدّ من ذلك): أي الذهاب إليه وسؤاله ذلك. (فأخذ): أي كاتب السرّ. (الذهب، وتركه مع إنسان صحبته، وقصد مكان الشيخ): عمر رضي الله عنه في الجامع الأزهر. (فوجده): أي وجد الشيخ عمر رضي الله عنه (واقفاً على الباب): أي باب قاعة الخطابة (ينتظره): أي ينتظر كاتب السرّ. (فابتدأه): أي الشيخ عمر رضي الله عنه. (بالكلام وقال): لكاتب السرّ: (يا شرف الدين، ما لك ولذكري في مجلس السلطان. ردّ الذهب إليه، ولا ترجع تجيئني إلى سنة): جزاء له على ما صدر منه. (فرجع): أي كاتب السرّ. (وقال للسلطان: وددت أن أفارق الدنيا ولا أفارق رؤية الشيخ): عمر رضي الله عنه (سنة) وأخبره بما قاله له. (فقال السلطان: مثل هذا الشيخ الكامل يكون في زماني، وفي بلادي، ولا أزوره، فلا بدّ لي من زيارته ورؤيته، فنزل السلطان لأجل زيارته في الليل إلى المدينة): أي مصر المحروسة. (من قلعة الجبل

مستخفياً): بحيث لا يعرفه أحد. **(هو وفخر الدين عثمان الكامل)**: أحد جماعته. **(معه، وبات في دار المهمندار**[1] **التي قبالة الجامع الأزهر ودخل)**: أي السلطان. **(إلى الجامع بعد العشاء)**: الأخيرة **(ومعه جماعة من الأمراء)** الخواص عنده. **(ووقفوا على باب قاعة الخطابة)**: مكان الشيخ عمر رضي الله عنه. **(التي بجوار)**: أي قرب **(المنبر)**: أي منبر الجامع الأزهر. **(فخرج الشيخ)**: عمر رضي الله عنه. **(من الباب الآخر الذي)**: لقاعة الخطابة **(بظاهر الجامع)** الأزهر **(ولم يجتمع)**: أي السلطان **(به)**: أي بالشيخ عمر رضي الله / [٢٤/ ب] عنه.

(وسافر): أي الشيخ عمر. **(إلى ثغر الإسكندريّة)**: في ذلك الحين. **(وأقام بالمنار)**: أي الجبل الذي هناك **(أياماً ثمّ رجع إلى الجامع الأزهر. وبلغ السلطان حضوره)**: إلى مصر من الإسكندريّة. **(وأنّه)**: أي الشيخ عمر رضي الله عنه. **(متوعّك)**: أي ضعيف **(المزاج)**: بسبب مرض هو فيه. **(فأرسل)**: أي السلطان **(إليه)**: أي إلى الشيخ رضي الله عنه **(فخر الدين)**: عثمان الكاملي المذكور **(يستأذنه)**: أي يطلب منه الإذن **(أن يجهّز)**: أي يهيّأ السلطان **(له)**: أي للشيخ رضي الله عنه **(ضريحاً)**: أي قبراً **(عند قبر أمّه)**: أي أمّ السلطان **(بقبّة الإمام الشافعيّ رضي الله عنه. فلم يأذن له)**: أي للسلطان **(بذلك. ثمّ استأذنه)**: أي السلطان **(أيضاً أن يبني له تربة تكون له مزاراً مختصاً به)**: أي بالشيخ عمر رضي الله عنه **(فلم يأذن له بذلك، ثمّ نصل)**: أي تخلّص الشيخ عمر رضي الله عنه **(من ذلك التوعّك)**: أي المرض الذي كان أصابه **(وعافاه الله تعالى منه)**.

---

(١) المهمندار: هو الذي يتصدّى لتلقّي الرسل والعربان الواردين على السلطان، وينزلهم دار الضيافة، ويتحدّث في القيام بأمرهم. وهو مركّب من لفظين فارسيّين، أحدهما: مَهمَن، بفتح الميمين، ومعناه: الضيف. والثاني: دار، معناه ممسك. فيكون معناه: ممسك الضيف. والمراد المتصدّي لأمره. انظر صبح الأعشى للقلقشندي، باب: الحالة الأولى أن يصدر بلفظ أمير وهو لفظ، ج٢ ص٣٧٨.

(قلت): أي قال جامع هذا الديوان، سبط الشيخ عمر رضي الله عنه. (حضر إلى عندي): في يوم من الأيام. (في مسجدي على نيّة الزيارة القاضي أمين الدين بن الرقاوي، وكان له): أي لأمين الدين المذكور. (اعتقاد حسن في الشيخ): عمر رضي الله عنه. (تلقاه): أي ذلك الاعتقاد الحسن. (من والده): الرقاوي رحمه الله تعالى. (فإنّه): أي والده (كان من أعزّ أصحاب الشيخ): عمر رضي الله عنه. (وحضر معه): أي مع ابن الرقاوي. (جماعة رؤوساً): أي أصحاب رئاسة. (منهم القاضي جمال الدين إبراهيم بن الشيخ بهاء الدين بن الشيخ جمال الدين إبراهيم السيوطيّ) رحمه الله تعالى. (أمام السلطان، فحكى): أي القاضي جمال الدين المذكور. (لنا أنّ والده): الشيخ بهاء الدين. (حكى له عن جدّه) الشيخ جمال الدين السيوطيّ. (أنه قال): أي جمال الدين السيوطيّ رحمه الله (مشيت مع الشيخ شرف الدين) عمر بن الفارض رضي الله عنه. (في الجامع الأزهر إلى باب زويلة): أحد أبواب مصر المحروسة. (وأخبرني): أي الشيخ عمر رضي الله عنه (أنه متوجه إلى جامع مصر) العتيقة. (فسألته): أي طلبت منه. (أن أرافقه): في توجهه ذلك. (فأجاب) إلى ذلك. (فطلبت مكارياً): يحملنا. (وقلت كم لك): من الأجرة (إلى جامع مصر، فقال: اركبوا معي على الفتوح): أي كل شيء يفتح عليك به أتناوله منكم. (فقلت) له: (لا بد أن تشارطنا فعزّ): أي امتنع وصعب. (ذلك) الأمر. (على الشيخ): عمر رضي عنه. (وقال) له: (نعم نركب معك على الفتوح فركبنا معه) على ذلك. (فوجدنا في الطريق فخر الدين عثمان الكاملي): المتقدّم ذكره. (فترجّل): أي نزل عن فرسه. (وترجل معه أصحابه): أي نزلوا عن خيولهم. (فسلّم على الشيخ) عمر رضي الله عنه. (وأراد): أي فخر الدين. (أن يقبّل يده): أي يد الشيخ عمر رضي الله عنه. (فرفع الشيخ يده، ومسح بها على رأسه ووجهه، ودعا له): أي لفخر الدين. (وقال له: اركب، بارك الله فيك وعليك. فركب، وانصرف، وتبعنا فارس): أي رجل راكب على فرس. (من جهته): أي فخر

الدين. (**فاستند**): أي ذلك الفارس. (**إليّ وقال لي: قل للشيخ: هذه مئة دينار يقبلها من الأمير**): فخر الدين. (**على الفتوح**): أي حسب فتوح الوقت. (**فقلت ذلك للشيخ. فقال: نحن ركبنا مع المكاري على الفتوح؛ وهذه فتوح، فتوجه**): أي اذهب. (**أعطها**): أي المئة دينار. (**له**): أي للمكاري. (**وأمر بها**): أي بالمئة دينار. (**للمكاري، فرجع**): ذلك. (**الفارس إلى عند الأمير**): فخر الدين. (**وأخبره بذلك فبعث**): أي الأمير فخر الدين. (**إليه**): أي إلى الشيخ عمر رضي الله عنه. (**مثلها**): أي مئة دينار أخرى. (**فقلت له**) أي: للشيخ عمر رضي الله عنه. (**عنها**): أي /[٢٥/ أ] عن المئة دينار الأخرى. (**فقال: أعطها للمكاري. فقلت له: هذه مئة دينار ثانية. فقال**): أي الشيخ عمر رضي الله عنه. (**عرفت بها فتوجّهْ**): أي اذهب. (**فأعطها**): أي هذه المئة أيضاً (**له**): أي للمكاري. (**فأعطيته المئة الدينار الثانية. فلما وصلنا إلى الجامع**) الذي نحن قاصدون إليه. (**ونزلنا عن الدواب اعتذر الشيخ**): عمر رضي الله عنه. (**إلى المكاري، ودعا**): أي الشيخ. (**له**): أي للمكاري من مكارم أخلاقه رضي الله عنه.

(**وحكى**) لي أيضاً. (**ولده**): أي الشيخ عمر رضي الله تعالى عنه. (**قال: كان للشيخ**): عمر. (**رضي الله عنه أربعينيّات**): أي خلوات، كلّ خلوة أربعون يوماً. (**متواصلة ليلاً ونهاراً، لا يأكل**) فيها. (**ولا يشرب ولا ينام. وفي بعض أيام أربعينيّته**): من ذلك. (**اشتهت نفسه**): أي الشيخ عمر رضي الله عنه. (**علية هريسة**): وهي طعام القمح. (**وكان**) ذلك في (**آخر أيام الأربعين، فقال**): أي الشيخ عمر رضي الله عنه لنفسه. (**يا نفس، إمّا تصبري بقيّة هذا اليوم وتفطري**): في آخره. (**على الهريسة، فأبت**): أي امتنعت نفسه. (**وقالت: لا بدّ من الهريسة في هذا الوقت، قال الشيخ**) عمر رضي الله عنه: (**فاشتريت الهريسة وجئت**) بها. (**إلى عند قبة الشرابي**): مكان معروف هناك. (**ورفعت أوّل لقمة**): من الهريسة. (**إلى فمي، فانشق جدار القبة**): المذكورة. (**وخرج منه شاب جميل الوجه، حسن الهيئة،**

أبيض الثياب، عطر الرائحة، وقال): أي: ذلك الشاب. (تفُ عليك) قال في القاموس: «التُّفُّ بالضمّ: وَسَخُ الظُّفُرِ، أو اتباع لأُفّ، وجمعه: تِفَفَةٌ، كعِنَبَه».

(فقلت: نعم إن أكلتها): أي تلك اللقمة. (فرميت): تلك. (اللقمة من يدي): في الحال. (قبل أن تصل إلى فمي، وتركت الهريسة، وخرجت من الحرم): أي حرم تلك القبّة. (إلى السياحة): بالبعد عن الوطن. (وأدّبت نفسي): بعد ذلك. (بزيادة) صوم. (عشرة أيام في المواصلة): على الأربعين. (لتتمة الخمسين يوماً).

(وحكى لي ولده): أي ولد الشيخ (رحمه الله) تعالى. (قال: لـمّا حج الشيخ شهاب الدين السهروردي[1] شيخ الصوفيّة) ببلاد العراق على الإطلاق بالاستحقاق. (قدّس الله روحه ونوّر ضريحه) وكان ذلك. (آخر حجة في سنة ثمان وعشرين وستمئة، وكانت): في تلك السنة. (وقفة الجمعة، وحجّ معه): أي مع السهروردي. (خلق كثير من أهل العراق): نحو ألف إنسان. (فرأى كثرة ازدحام الناس عليه في الطواف بالبيت والوقوف بعرفة، واقتدائهم بأقواله وأفعاله، وبلغه): أي وصل إليه. (أن الشيخ): عمر بن الفارض رضي الله عنه (في الحرم): المكيّ. (فاشتاق إلى رؤيته، وبكى، وقال في سرّه): أي في نفسه. (يا ترى هل أنا عند الله) تعالى. (كما يظنّ هؤلاء القوم فيّ) من الصلاح والدين. (ويا ترى هل ذُكرت) بالبناء للمفعول، أي: ذكرني ذاكر من ملك أو وليّ مقرّب. (في حضرة

---

(١) السهرورديّ محمّد بن حبش بن أميرك، شهاب الدين أبو الفتوح السهرورديّ، الحكيم المقتول بحلب. اختُلف في اسمه؛ فقال صاحب المرآة: محمّد السهرورديّ. ولم يذكر أباه. وقال ابن أبي أُصيبعة في تاريخ الأطباء: عمر. ولم يذكر أباه. وقال القاضي شمس الدين بن خلّكان: يحيى بن حبش بن أميرك، بالحاء المهملة والباء ثاني الحروف، والشين المعجمة في أبيه. وجدّه أميرك، أمير في آخره كاف. ولعلّ هذه التسمية هي الصحيح. كان مفرط الذكاء، فصيح العبارة. اعتقله غازي بن صلاح الدين بأمر من أبيه، وقتله في قلعتها ٥٧٨ هـ. انظر الوافي بالوفيّات للصفديّ، ج١ ص٢٧٩.

المحبوب): الحقّ سبحانه وتعالى. (في هذا اليوم) المبارك. (فظهر له الشيخ): عمر. (رضي الله عنه، وقال): مخاطباً له (يا سهروردي:

لك البشارة فاخلع ما عليك فقد ذكرت ثمّ على ما فيك من عِوَج)

وهو بيت من القصيدة الجيميّة، وسيأتي شرحه في موضعه إن شاء الله تعالى.

(فصرخ الشيخ شهاب الدين): السهروردي رضي الله عنه. (وخلع كلّ ما كان عليه): من الثياب. (وخلع المشايخ والقوم الحاضرون): في ذلك المجلس. (كل ما كان عليهم): من ثيابهم. (وطلب): أي الشيخ شهاب الدين السهروردي بعد فراغه من التواجد (الشيخ): عمر بن الفارض رضي الله عنهما. (فلم يجده، فقال: هذا إخبار من كان في الحضرة) الإلهيّة لأنّه جاء على/ [٢٥/ ب] طبق ما في سرِّه.

(ثمَّ اجتمعا): أي السهروردي وابن الفارض ـ رحمهما الله تعالى ـ بعد ذلك اليوم. (في الحرم الشريف): المكّيّ. (واعتنقا، وتحدّثا سرّاً): أي بخفية. (زمناً طويلاً، واستأذن): أي السهروردي. (والدي): أي الشيخ عمر بن الفارض قدّس الله سرّهما. يعني: طلب منه الإذن أن. (يلبسني ويلبس أخي عبد الرحمن): ابن الشيخ عمر بن الفارض رضي الله عنه. (خرقة الصوفيّة على طريقته): أي على طريقة السهروردي رضي الله عنه. (فلم يأذن): أي والدي الشيخ عمر بن الفارض رضي الله عنه. (له): أي للسهروردي في ذلك. (وقال): أي والدي. (له): أي للسهروردي. (ليست هذه طريقتنا. فلم يزل): أي السهروردي. (يعاوده): أي يعاود ابن الفارض. (إلى أن أذن له): بذلك. (فلبست منه أنا وأخي): أي الشيخ محمّد وعبد الرحمن ابنا الشيخ[1] عمر بن الفارض رحمهم الله تعالى. (فلبس معنا بإذن والدي): أي الشيخ عمر رضي الله عنه. (أيضاً شهاب

---

(١) يشرح هنا سبط ابن الفارض أن للشيخ عمر بن الفارض ولدين: محمّد الذي نقل عنه الديوان، وعبد الرحمن الذي لم يذكر عنه شيئاً وكذلك أغفلته المصادر كلها.

الدين بن الخيمي فلبس معنا بإذن والدي[1] وأخوه شمس الدين فإنّهما): أي شهاب الدين وشمس الدين. (كانا عند والدي): الشيخ عمر رضي الله عنه (من العزّة عليه في منزلة الأولاد) له (ولبس منه): أي من السهروردي قدّس الله سرّه. (في ذلك الوقت جماعة كثيرة بحضور الشيخ) عمر بن الفارض والد ي قدّس الله سرّه، (وحضور جماعة من المشايخ) الكاملين. (مثل ابن عجيل اليمني[2] وغيره) رضي الله عنهم.

(وحكى لي): أي ولد الشيخ عمر بن الفارض رحمه الله تعالى. (قال: كان الشيخ): عمر (رضي الله عنه): والده. (يقيم في شهر رمضان في الحرم): المكيّ. (لا يخرج إلى السياحة) في الصحارى والجبال. (ويطوي نهاره بالصيام مع ليله ويحيي ليله). (قلت): أي قال جامع هذا الديوان رحمه الله تعالى. (وقد أشار): أي الشيخ عمر بن الفارض رضي الله عنه. (إلى ذلك): الطيّ والإحياء. (بقوله في القصيدة اليائيّة): كما سيأتي شرحه في محلّه إن شاء الله تعالى:

في هـــواكم رمـــضانٌ عمـــرُه ينقـــضي مـــا بـــين إحيـــاء وطـــيّ

(قال): أي ولد الشيخ عمر. (رحمه الله) تعالى (فشدّ والدي): أي الشيخ عمر رضي الله عنه. (في وسطه مئزراً): أي إزاراً؛ وهو الملحفة (وائتزر به وتأزّر. وكذلك فعل المجاورون بالحرم المكي): أي شدوا مآزرهم. (مثله من أوّل الشهر): أي شهر رمضان. (وهم في طلب ليلة القدر، فتارة يطوفون): بالبيت.

---

(١) شهاب الدين بن الخيمي: محمّد ين عبد المنعم بن يوسف بن أحمد الأنصاري، أبو عبد الله بن شهاب الدين بن الخيمي. أديب وشاعر يماني الأصل، مولده ووفاته بالقاهرة. كان مقدّماً على شعراء عصره، وشعره في الذروة، كان مشاركاً في كثير من العلوم. له ديوان في مكتبة فلورنس برقم(١٨٦) انظر فهرس شعراء الموسوعة الشعريّة، باب ابن أبي البشر ج١ ص٦٩

(٢) ابن عجيل اليمنيّ: الإمام العالم الوليّ الكبير أبو العباس أحمد بن موسى بن عجيل. عاصر ابن الفارض والتقاه، اشتهر بفتاويه الفقهية. انظر الفتاوى الفقهيّة الكبرى، باب القضاء ج١ ص٧٩.

(**وتارة يصلّون**): للطواف صلاته المعروفة، وغيرها أيضاً. (**وأنا**): أي ولد الشيخ عمر رضي الله عنه، الشيخ محمّد رحمه الله تعالى. (**معهم**): أي مع المجاورين. (**فخرجت ليلة من الحرم**): المكي. (**في العشر الأواخر**) من شهر رمضان. (**لأزيل حقنة**): أي بول. (**بظاهر الحرم**): الشريف. (**فرأيت**): في تلك الليلة. (**البيت**): المعظّم. (**والحرم**): المشرّف. (**ودور**): جمع دار. (**مكّة**): المباركة. (**وجبالها ساجدين لله تعالى، ورأيت**): أيضاً. (**أنواراً عظيمة بين السماء والأرض، فوجدت**): من ذلك. (**هيبة ورعباً شديداً، وجئت إلى والدي**): الشيخ عمر بن الفارض رضي الله عنه (**مهرولاً**): أي مسرعاً في المشي. (**فأخبرته بذلك**): الذي رأيته. (**فصرخ صرخة عظيمة وقال للمجاورين الواقفين في طلب القدر: هذا ولدي**): أي الشيخ محمّد. (**خرج يبول**): خارج الحرم المكي. (**فرأى ليلة القدر، فصرخ الناس معه**): أي مع الشيخ عمر رضي الله عنه، (**إلى أن علا ضجيجهم**): أي صياحهم بالبكاء. (**والدعاء**) إلى الله تعالى. (**والصلاة والطواف**): أي وقت. (**الصباح، وخرج والدي**): أي الشيخ عمر رضي الله عنه. (**في أودية**): جمع وادي. (**مكّة**): المشرّفة. (**هائماً**): أي متحيراً لا يدري أين يذهب. (**في السياحة ولم يدخل الحرم**): المكي. (**إلى يوم العيد**): أي عيد الفطر. (**في تلك السنة**).

(**وحكى لي**): أي ولد الشيخ عمر رضي الله عنه. (**رحمه الله تعالى قال: كان الشيخ عمر رضي الله عنه يتردد إلى المسجد المعروف في مصر**): المحروسة. (**بالمُشتهى**): بصيغة اسم المفعول، من الشهوة: وهي اللذّة النفسانيّة، فكأنّ كل واحد يشتهيه لفضاء ساحته ورقة هوائه. (**وكان تردده**): ذلك. (**في أيام وفاء النيل**): أي نيل مصر المشهور وزيادته. (**ويحبّ**): أي الشيخ عمر رضي الله عنه. (**مشاهدة البحر**): أي بحر النيل، وسمّاه بحراً من كثرة مائه وسعته، وإلا فهو نهر عظيم من أنهار الجنّة الأربعة المذكورة/ [٢٦/ أ] في الحديث قال رسول الله صلّى

الله عليه وسلّم: «سيحان وجيحان والفرات والنيل كلّ من أنهار الجنّة»[1] رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه. (وفيه): أي في المسجد المعروف بالمُشتهى. **(قال): أي الشيخ عمر رضي الله عنه. (من جملة أبيات له في آخر ديوانه)** وسنشرحه إن شاء الله تعالى في محلِّه:

وطني مصرُ وفيها وطري ... ولعيني مُشتهاها مشتهاها[2]

(فتوجه): أي الشيخ عمر رضي الله عنه. **(إليه)**: أي المُشتهى. **(يوماً)**: من الأيام على عادته. **(فسمع قصّاراً)**: وهو الذي يغسل الثياب ويعالجها ليصير بياضها بياضاً جيداً من القصر على الأمر، وهو الردّ إليه؛ فكأنّه يقصرها على البياض، أي: يردها إليه، فلا تتجاوزه. **(يقصر مقطعاً)**: كمقعد؛ موضع القطع، وهو الثوب الجديد الذي لم يُقطع ليُخاط بل؛ يجري عليه القطع بعد ذلك، أوالذي قُطع من منوال الحائك. **(ويضرب به)**: أي بذلك المقطع. **(على الحجر)**: موضع عصره لإخراج الوسخ منه. **(وهو)**: أي القصار. **(يقول ويكرر)** قوله:

قطَّع قلبي هذا المقطع ... ما قال يصفو أو يتقطّع

(قطّع): بتشديد الطاء أبلغ من قطع بتخفيفها. **(ما قال يصفو)**: أي ما كان يصفو فأطلق القول على الفعل من قبيل قولهم قال بيده كذا. وفي القاموس: ويعبَّر بالقول عند التهيّؤ للأفعال والاستعداد لها، يقال: قال فأكل، وقال فضرب، وقال: فتكلّم ونحوه. **(فما زال)**: أي الشيخ عمر بن الفارض رضي الله عنه من حين سمع هذا السجع من القصار يصرخ من أليم وجْده، وحرارة شوقه وقصده. **(يكرر هذا السجع كلّ ساعة بعد ساعة، ويضطرب اضطراباً شديداً، ويتقلّب على الأرض، ثمّ يسكن اضطرابه)**: من شدّة الوارد الذي يرد على قلبه عند تكراره السجع المذكور،

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة، باب ما في الدنيا من أنهار الجنّة، ٧٣٤٠.

(٢) انظر مقطّعة (جلّق جنّة) البيت الثالث.

وفهمه منه المعاني الإلهيّة، والمعارف الربّانيّة. (**حتى يُظن**): بالبناء للمفعول، أي: يظنّه من يراه. (**أنه قد مات ثمّ يستفيق**): من ذلك. (**ويتحدّث معنا بكلام لدنّيّ**) : أي من فيض الإلهام الربّانيّ، وصفاء الفتح الرحماني. (**ما سمعنا مثله**): أي مثل ذلك الكلام (**قط، ولا نحسن**): أي لا نقدر. (**أن نعبّر عنه**): أي عن ذلك الكلام بعبارة تؤدّيه؛ لعزّة منحاه، ودقة معناه. (**ثمّ**): إنّه رضي الله عنه. (**يضطرب على**): سماع. (**كلامه**): الذي يذكره لنا مما يرد على قلبه من ذكر سجع القصّار. (**ويستمع**): لذلك الكلام. (**ويعود إلى حال وجده**): كما كان. (**ودخل إلينا رجل من أصحابه**): أي أصحاب الشيخ رضي الله عنه. (**فلمّا رأى**): أي ذلك الرجل. (**الشيخ**): عمر رضي الله عنه. (**وشاهد حاله**): الذي يعتريه. (**قال**): أي ذلك الرجل:

أمـــوتُ إذا ذكرتُـــكَ ثـــمّ أحيـــا ... فكـــم أحيـــا عليـــك وكـــم أمـــوتُ

يعني: إذا تذكرتك أموت بذكرك، قال تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [٢٩/ العنكبوت/ ٤٥] وذلك لأن الذكر بداية التذكّر، والتذكّر بداية حضور المذكور الحقّ، وحضور المذكور الحقّ ينفي نفس الذاكر فيقتضي موته، ثمّ إذا انتهى الذاكر بعد ذلك عاد إلى الغفلة فعادت نفسه إليه، فكان حياً. و كم للتكثير؛ فالإحياء يتكرر كثيراً، والموت كذلك، وهو شأن السالك في طريق الله تعالى برفع قدم العبوديّة، ووضع قدم الربوبيّة، وبسط المحو، وقبض الصحو، قال الله تعالى: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ [١٣/ الرعد/ ٣٩] (**فوثب**): أي نهض. (**الشيخ**): عمر رضي الله عنه. (**قائماً**): على قدميه عند سماعه هذا البيت من هذا الرجل. (**واعتنقه**): أي اعتنق ذلك الرجل. (**وقال له: أعد ما قلت**): من الكلام المذكور بإنشاد البيت. (فسكت الرجل): ولم يعده. (**شفقة منه**): أي من الرجل. (**عليه**): أي على الشيخ عمر رضي الله عنه. (**وسأله**): أي طلب الرجل من الشيخ عمر /[٢٦/ ب] رضي الله عنه. (**أن يرفق بنفسه، وذكر**): أي الرجل. (**له**): أي للشيخ

عمر رضي الله عنه. **(شيئاً من حاله)**: الذي هو فيه. **(عند غلبة الوجد)**: الإلهي. **(عليه فقال)**: أي الشيخ عمر رضي الله عنه:

إنْ خَتَمَ اللهُ بغفرانه ... فكلّ ما لاقيتُه سهلُ

يعني: إن كان خاتمة حالي الذي يستغرقني من الوجد الشديد، والشوق المديد، إلى خير جلل بغفران الزلل، وبلوغ القصد والأمل، فجميع ما قاسيته من ذلك سهل لا صعوبة فيه عند السالك، ولله درّ القائل[1]:

وإذا المَطيّ بنا بلغن محمّداً ... فظهورهنّ على الرجال حرام

قرّبننا من خير مَنْ وطئ الثرى ... فلها علينا منّةٌ وذمام

(ولم يزل): أي الشيخ عمر بن الفارض رضي الله عنه. **(على هذا الحال)**: من الوجد والتولّع. **(من)**: أجل. **(سماع قول القصار)**: المذكور يكرر ذلك ويتواجد عليه. **(إلى أن توفي)**: أي مات. **(رحمه الله تعالى)**.

وفي طبقات الأولياء للمناوي رحمه الله تعالى ذكر في ترجمة الشيخ عمر رضي الله عنه أنّه مرّ رجل يوماً ومعه بلالين: أي مآزر فدعاه رجل: يا صاحب البلالين فطرب الشيخ عمر رضي الله عنه من ذلك وصاح، وبكى، وناح. ومن خوارقه العجيبة وأحواله الغريبة، أنّه رأى جملاً لسقّاً[2] فكلف به، وهام، وصار يأتيه كلّ يوم ليراه، ويسقي بأحماله شيئاً كثيراً. وكان يشخص في بعض الأيام إلى الأسطوانة، أو العمود لأسبوع، أو أكثر؛ فلا يطرف بعينه. وله من أمثال هذه الواقعات كثير. وكان عشّاقاً يعشق مطلق الجمال، حتى أنّه عشق بعض الجمال؛ بل زعم بعض الكبار أنّه عشق برنيّة[3] في دكان عطّار.

---

(١) انظر شرح ديوان أبي نواس لإيليا الحاوي ج٢ ص٣٦٨.

(٢) أي التصقت رئته بجنبه من شدّة العطش.

(٣) البرنيّة فخّارة كبيرة واسعة الفم.

وذكر القوصي في (الوحيد[1]) أنّه كان للشيخ عمر رضي الله عنه جوارٍ بالبهنسا يذهب إليهنّ فيغنين له بالدّفّ والشبّابة وهو يرقص ويتواجد، ولكلّ قوم مشرب، ولكلّ جماعة مطلب، وليس سماع الفسّاق كسماع سلطان العشّاق.

وحُكي عن الشيخ شمس الدين بن عمارة المالكي أنّه كان ينكر على الشيخ عمر رضي الله عنه، فتوجّه لزيارة أخيه يوسف، فأجهده العطش، ولم يجد ماء إلا في قلّة على قبر الشيخ عمر رضي الله عنه فرجع عن إنكاره. وكان الشيخ عز الدين بن جماعة[2] رحمه الله تعالى ينكر عليه أيضاً، فرأى في نومه جماعة قد أوقفوا بين يدي الشيخ عمر رضي الله عنه، وقيل له: هؤلاء المنكرون عليك، فقطع ألسنتهم. فانتبه مذعوراً، ورجع عن إنكاره.

وقال لي فقيه عصره شيخنا الرملي[3] رحمه الله تعالى: إنّ بعض المنكرين رأى أن القيامة قد قامت، ونصبت أواني في غاية الكبر، وأُغلي فيها ماء حتى تطاير منه

---

(١) عبد الغفّار بن أحمد بن عبد المجيد الأنصاري القوصي، المعروف بابن نوح. فاضل، متصوّف، أصله من الأقصر بصعيد مصر، اشتهر بقوص وتوفي بالقاهرة ٧٠٨هـ. يتّصل نسبه بسعد بن عبادة، له (الوحيد في سلوك أهل التوحيد) مخطوط في جزأين. انظر الأعلام للزركلي ج٤ ص٢١.

(٢) عبد العزيز بن محمّد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة، قاضي القضاة، أبو عمر بن قاضي القضاة بدر الدين الحمويّ الأصل، الدمشقيّ الشافعيّ، المعروف بابن جماعة. عزل نفسه من القضاء وجاور بمكّة وتوفي فيها كما أراد، ودفن بالمعلّاة (٦٩٤-٧٦٧)هـ. انظر الدررالكامنة في أعيان المئة الثامنة لابن حجر العسقلانيّ ج١ ص٢١٦.

(٣) خير الدين أحمد بن علي الأيوبيّ العليميّ الفارقي. فقيه، باحث، له نظم. من أهل فلسطين ولد ومات فيها (٩٩٣-١٠٨١)هـ. رحل إلى مصر ١٠٠٧هـ مكث في الأزهر، ثمّ عاد إلى بلده. من كتبه : الفتاوى الخيريّة ومظهر الحقائق، حاشية على البحر الرائق، وديوان شعر. انظر الأعلام للزركلي ج٢ ص٢٢٧ .وقد يكون المقصود ولده النجم الرملي ١٠٦٦ـ ١١١٣)هـ محمّد بن محمّد خير وهو كذلك فقيه حنفيّ من أهل فلسطين مولداً ووفاتاً من كتبه: نزهة النواظر في شرح الأشباه. انظر الأعلام ج٦ص١١٩.

الشرار، وجيء بجماعة ضبائر ضبائر[1]، فسُلقوا فيه حتى تهرّى اللحم والعظم، فقال: ما هؤلاء. قال: الذين ينكرون على ابن عربيّ، وابن الفارض رضي الله عنهما.

ولمّا وصل شيخ الإسلام محمّد بن إلياس[2] قاضي القضاة إلى مصر صار ينال من الشيخ عمر رضي الله عنه، وتوعّد زوّاره ومن ينشد كلامه يوم الجمعة عند قبره على العادة، وتطلّب شرح المنهاج للسبكي لكونه حطّ فيه على الشيخ عمر رضي الله عنه ونقصه، فابتلي بمرض، فما شُفي منه حتى رجع عن ذلك. والحكايات في معنى ذلك كثيرة. **(هذا ذكر سبب رحلة)**: أي ارتحال. **(الشيخ)**: الصالح والعالم العامل العارف بالله تعالى. (برهان الدين إبراهيم بن معاذ بن شدّاد بن ماجد الجعبريّ الشافعيّ)[3] رحمه الله تعالى. **(من بلاد جعبر)**: وهي قلعة على الفرات من بلاد الشرق، كان استولى عليها رجل من بني نمير اسمه جعبر فنسبت إليه. **(لزيارة شيخنا)** الشيخ عمر بن الفارض رحمه/ [٢٧/ أ] الله تعالى إلى مصر المحروسة. **(قال)**: أي ولد الشيخ عمر رضي الله عنه. **(وذلك)**: أي سبب الرحلة المذكورة. **(أنّي كنت)**: أي كان ولد الشيخ عمر رضي الله عنه. **(في مسجدي)**: وهو الذي كان يصلّي فيه إماماً. **(فورد عليّ في باطني)** من غير سبب ظاهر. **(انقباض شديد وحصر مديد)** من **(أوّل الليل إلى أول طلوع الفجر،**

---

(١) ضَبائر: جمع ضِبارة، مثل: عِمارة وعَمائر، والضَبائر: جماعات الناس. انظر تهذيب اللغة للأزهري، باب: ضرم.

(٢) قاضي القضاة محمّد بن إلياس.

(٣) إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن معضاذ بن شدّاد بن ماجد الجعبريّ، ولد ٥٩٦هـ. قال الصفدي في الوافي بالوفيّات ج٢ص٢٧٠ أخبرني الشيخ العلّامة أثير الدين أبو حيّان قال: رأيت المذكور بالقاهرة، وحضرت مجلسه، أنا والشيخ نجم الدين بن مكّي، وجرت لنا معه حكاية. وكان يجلس للعوام ويذكّرهم، ولهم فيه اعتقاد. وكان يروي شيئاً من الحديث، وله مشاركة في أشياء من العلم والطبّ وله شعر. توفي ٦٨٧هـ.

فصليت الصبح) بالجماعة. (**فيه**): أي في المسجد المذكور. (**وخرجت منه**): **أي من** المسجد. (**عازماً**): أي قاصداً ومقبلاً. (**على زيارة ضريح**): **أي قبر. (الشيخ)**: عمر بن الفارض والده رضي الله عنه. (**فجزت**): **أي مررت. (تحت مسجد الشيخ برهان الدين)**: إبراهيم الجعبريّ المذكور رحمه الله تعالى وكان مسجده في مصر معروفاً مشهوراً. (**فسمعته يتكلّم في ميعاده**): أي وقته المعتاد له أن يتكلّم فيه، ويعظ من يحضره من جماعته. (**فطلعت إليه**): أي إلى ذلك المجلس. (**لأحضر ميعاد الشيخ الجعبريّ**) رحمه الله تعالى. (**ودخلت المسجد**) المذكور. (**فسمعته**): أي الشيخ الجعبريّ رحمه الله تعالى. (**يقول هذا البيت من نظم السلوك**): قصيدة شيخنا الشيخ عمر بن الفارض رضي الله عنه:

فلـــم تهْـــوَني مـــا لم تكـــن فيَّ فانيـــاً ولم تفـنَ مـا لم تُجتلى فيـكَ صـورتي[1]

وسيأتي شرحه في محلِّه إن شاء الله تعالى. (**فلمّا رآني**): أي الجعبريّ رحمه الله تعالى. (**قال: لا إله إلا الله، كنت أتكلّم في معنى كلام الرجل**): يعني الشيخ عمر بن الفارض رضي الله عنه (**فساق**): أي أرسل. (**الله**) تعالى في هذا الوقت. (**سِرَّه**): أي: ولده؛ لأنّه يقال: الولد سرّ أبيه. (**ثمّ أقبل**): أي الجعبريّ رحمه الله تعالى. (**عليّ، ومرّ بيده المباركة على وجهي وصدري، فشرح الله**) تعالى. (**صدري**) في الحال. (**وزال عنّي ما كنت أجده**) من الانقباض. (**وأقمت زماناً**): أي مدة طويلة. (**أجد في باطني سروراً وشرحاً**): من غير سبب ببركة الشيخ الجعبريّ رضي الله عنه.

(**وشرع**): أي الجعبريّ (**يتكلّم في معنى هذا البيت**) المذكور من نظم السلوك قصيدة الشيخ عمر رضي الله عنه. (**بكلام عجيب، ولفظ غريب، ثمّ أُخبرت**) بالبناء للمفعول: أي أخبرني بعض الناس. (**بعد**) انقضاء. (**هذا الميعاد**): **الذي**

---

(١) انظر قصيدة نظم السلوك البيت ٩٩.

حضرته عند الشيخ الجعبريّ رحمه الله تعالى. **(أن سبب ذكر الشيخ)**: الجعبريّ رحمه الله تعالى. **(هذا البيت)** المذكور في أول الميعاد الذي حضرته عنده أن الشيخ الجعبريّ رحمه الله تعالى. **(قال: كنت في السياحة بجعبر)**: أي بنواحي القلعة المذكورة. **(أو قال بالفرات القريب منها)**: والفرات نهر بالكوفة أحد الأنهار الأربعة التي ورد في الحديث أنّها من أنهار الجنة كما قدّمنا. **(وأنا أخاطب روحي)** بروحي. **(وأناجيها)**: أي أكلّمها بالكلام الخفي. **(بتلذّذي بفنائي)**: أي انمحاقي واضمحلال رسوم نفسي في المحبّة الإلهيّة **(وبينما أنا كذلك)** مسرع **(فمر بي رجل)** مسرع. **(كالبرق)** الخاطف. **(وهو يقول)** بحيث أسمعه:

فلم تهوَني ما لم تكن فيّ فانياً ... ولم تفنَ ما لم تُجتلى فيك صورتي

وهو البيت الذي سبق ذكره، وسيأتي إن شاء الله تعالى في طيّ هذا الشرح نشره، وإلى بقيّة الأبيات حشره. **(قال الجعبريّ)** رحمه الله تعالى. **(فعلمت أن هذا النظم)** المذكور. **(نَفَس)** بفتح الفاء. **(مُحِبّ صادق)**: في المحبّة الإلهيّة. **(فوثبت)**: أي نهضت مسرعاً. **(إلى ذلك الرجل وأمسكت به، وقلت)** له. **(من أين لك هذا النَفَس؟!)** بفتح الفاء. **(فقال)**: أي ذلك الرجل: **(هذا نَفَس)** بفتح الفاء. **(أخي شرف الدين عمر ابن الفارض)** رضي الله عنه. **(فقلت له)**: أي لذلك الرجل **(وأين هذا الرجل؟)**: يعني الشيخ عمر المذكور. **(فقال: كنت أجد نَفَسه)** بفتح الفاء. **(من جانب الحجاز)**: أي مكّة ونواحيها. **(والآن أجد نَفَسه)** بفتح الفاء. **(من جانب مصر المحروسة، وهو مُحتضَر)** بصيغة اسم المفعول: أي حضرته ملائكة الموت. **(أو حضر أجله)**: أي قرب. **(وقد أُمرت)** بالبناء للمفعول. **(من جهة الله)** تعالى. **(بالتوجّه إليه)**: في هذا الوقت. **(وأن أحضر انتقاله)** من الدنيا **(إلى حضرة الله تعالى وأصلّي/ [٢٧/ ب] عليه، وها أنا ذاهب إلى مصر)** لأجل ذلك. **(فلمّا التفت)**: ذلك الرجل. **(إلى جانب مصر)** المحروسة. **(التفتُ معه)**: إلى

جانبها أيضاً. **(فشممت أثر رائحة الرجل)**: أي الشيخ عمر بن الفارض رضي الله عنه. **(فتتبعت أثر)**: تلك الرائحة. **(إلى أن دخلت عليه)**: أي الشيخ عمر رضي الله عنه. **(في ذلك الوقت في مصر)** لأنّ الرجل الذي تمسك به لمّا مرّ عليه كالبرق كان رجلاً من أولياء الله تعالى صاحب خطوة. وبعد ذلك سكن الشيخ إبراهيم الجعبريّ في مصر، وكان له كمال القبول بعد موت الشيخ عمر رضي الله عنه، وكان يعظ الناس، ويذكّرهم في مسجد له مشهور في مصر كما سيأتي تصريحه بذلك قريباً.

(وهو مُحتضر فقلت له: السلام عليك ورحمة الله وبركاته. فقال): أي الشيخ عمر رضي الله عنه: **(وعليك السلام ورحمة الله وبركاته يا إبراهيم، اجلس، وأبشر؛ فأنت من أولياء الله تعالى. فقلت له: يا سيِّدي هذه البُشرى)**: بالضمّ، أي: البشارة التي بشرتني بها بأنّي من أولياء الله تعالى. **(جاءتني من الله تعالى على لسانك)** بإلهام الله تعالى لك أن تذكر لي إيّاها. **(وأريد أن أسمع منك دليلاً)** يدلّ عليها. **(يطمئن)**: أي يسكن ويستقرّ من حركة التردد والاضطراب. **(به)**: أي بذلك الدليل. **(قلبي؛ فإنّ اسمي إبراهيم)**: وهو إبراهيم الجعبريّ المذكور. **(ولي من سرّ مقام هذا الاسم الإبراهيمي)**: أي المنسوب إلى إبراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه وعلى نبيّنا أفضل صلاة وأكمل سلام. **(نصيب)**: أي حظ أشترك معه فيه من حيث اشتراكي معه في الاسم. **(حين)** قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ بحياتك القديمة الأزليّة. ﴿قَالَ﴾ الله تعالى له: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾ [البقرة ٢/ ٢٦٠] أي: تصدّق بإحيائي للموتى. ﴿قَالَ﴾ إبراهيم عليه السلام: ﴿بَلَىٰ﴾ أي: أنا مؤمن مصدِّق بذلك. ﴿وَلَٰكِن﴾ عندي حركة إيمانيّة وقوة تصديقيّة يقينيّة متكررة بالأمثال كغيرها من الأحوال قائمة بأمر الله الذي هو كلمح البصر؛ لأنها خلق قائم بالأمر وهكذا سائر الخلق. قال الله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾

[٧/ الأعراف/ ٥٤] فأراد عليه الصلاة والسلام الفناء عن عالم الخلق، والالتحاق بعالم الأمر، وكلا العالمين كلمح بالبصر، إلّا أنّ عالم الأمر وهو عالم الأرواح مكشوف، وعالم الخلق: وهو عالم الصور والأشباح مستور ملتبس كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [٢٧/ النمل/ / ٨٨] فعبّر عن مطلوبه ذلك بقوله: ﴿لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ أي: تسكن حركته الخلقيّة المستورة الملتبسة بظهور الحركة الأمريّة المكشوفة؛ فإنّ الحياة الإلهيّة التي هي وصف الحقّ تعالى وحده إذا ظهرت في عالم الخلق تلتبس بعالم الخلق الملتبس، وتستتر به، فلا يعلم أحد كيف يحيي الله الموتى؛ وإنّما يرى الحياة في المخلوق ظاهرة، ولا يدري كيف هي ظاهرة فيه؛ فإذا انتقل إلى شهود عالم الأمر انكشف له بسرعة التكرار من غير وقوف كيف صارت موتى الأشباح والصور أحياء، وهو المطلوب.

(فقال له): الشيخ عمر بن الفارض رضي الله عنه. **(نعم)** أذكر لك الدليل على ما بشّرتك به أنك من أولياء الله تعالى. **(سألت الله تعالى)**: أي طلبت منه ودعوته. **(أن يحضره وفاتي)**: أي موتي **(وانتقالي)**: من هذا العالم الفاني إلى ذلك العالم الباقي. **(إليه تعالى)**: أي إلى شهود حضرته، ودوام مراقبته في دار نعيمه وجنّته. **(جماعة)** فاعل يحضر. **(من الأولياء)**: أي أولياء الله تعالى. **(و)** الحال. **(أنّه قد أتى)** سبحانه وتعالى. **(بك)** حال كونك. **(أولهم)**: أي في ابتدائهم. **(فأنت)** يا إبراهيم. **(منهم)**: أي من الأولياء قطعاً بلا شبهة حيث جاء بك الله تعالى الآن، واستجاب دعائي كما قال سبحانه. ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [٤٠/ غافر/ ٦٠].

(وقال الشيخ إبراهيم الجعبريّ رحمه الله تعالى) في ذلك الوقت. **(للشيخ عمر ابن الفارض)** قدّس الله سرّه يصدِّقه على بشارته التي بشره بها، ويثبت ذلك عنده أيضاً بدليل معنوي يعرفه الشيخ عمر/ [٢٨/ أ] رضي الله عنه عن فحوى سؤاله ومرتبة حاله. **(كنت)** فيما مضى من الزمان. **(سألت جماعة من الأولياء)**: أي

أولياء الله تعالى. **(الذين)** اجتمعت بهم. **(عن مسألة إلهيّة)**: في طريق الله تعالى. **(فلم يجبني أحد منهم)**: أي من الأولياء. **(عنها)**: أي عن تلك المسألة. **(فسألته)**: أي سألت الشيخ عمر بن الفارض قدّس الله سرّه. **(عنها)**: أي عن المسألة المذكورة، وهي قوله **(قلت له)**: أي للشيخ عمر. **(يا سيِّدي هل أحاط أحد بالله)** تعالى. **(علماً)**: أي علمه سبحانه وتعالى على وجه الإحاطة به: أي بكنه ذاته عزّ وجلّ. **(فنظر)**: الشيخ عمر رضي الله عنه. **(إليّ)**: أي إلى الشيخ إبراهيم الجعبريّ السائل المذكور. **(نظر)** رجل. **(معظِّم)**: بالتشديد على صيغة اسم الفاعل. **(لي)** حيث رآني أسأله هذا السؤال العظيم، والمرء مخبوء تحت طيّ لسانه، لا تحت طيلسانه كما قالته الحكماء العارفون؛ وإنّما المرء بأصغريه قلبه ولسانه. وقال الشاعر:

كـان مثـل الكتـاب أخفـاه طـي   فاسـتدلّوا عليـه بـالعنوان

ولعمري فإنّه سؤال جليل، سكتت عنه أولياء الله تعالى، ولم يتكلّم فيه إلا القليل احتراماً للجناب الربّانيّ والمقام الصمدانيّ أن تتناقل معانيه الغائبون عن الحضرة الإلهيّة، وتتداول معاليه المشتغلون بإدراكات الأحوال الكونيّة؛ لأنّه السرّ الأعظم، والمقام المعظم.

(وقال): أي الشيخ عمر بن الفارض رضي الله عنه في جوابه عن ذلك. **(نعم، إذا حيَّطهم)**: بالتشديد، أي جعلهم محيطين به علماً سبحانه وتعالى؛ بأن أفناهم في ظهور وجوده الحقّ، بحيث لا يبقى منهم عندهم بقيّة، وتضمحلّ رسومهم في حقيقته النوريّة بالكليّة؛ فعند ذلك يحيطون به علماً؛ وإنّما المحيط به هو لا هم. وأمّا أنّهم يبقون موجودين بالوهم عند نفوسهم، ومع ذلك يحيطون به علماً؛ فذلك من أعظم المحال، وليس لأحد أصلاً في ذلك مجال، ولا يتصوّر عنه جواب ولا سؤال؛ لأنّ الموجود عند نفسه قائم بالوهم المجرد، فلا يعرف نفسه، وإذا لم

يعرف نفسه فلا يعرف ربّه، وإذا لم يعرف ربّه فليس بوليّ لله تعالى، وهذا السؤال سؤال الأولياء بعضهم لبعض، لا سؤال الغائبين الغافلين. فإن قلت: قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [٢٠/ طه/ ١١٠] ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [٢/ البقرة / ٢٥٥] فكيف أمكن الشيخ عمر رضي الله عنه أن يقول: إذا حيّطهم يحيطون؟!. فالجواب: إن قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [٢٠/ طه/ ١١٠] ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾ يعني: بأنفسهم التي يزعمون أنّهم قائمون بها؛ فإنّ ذلك في حقّ أهل الجهل به تعالى الذين لم يَقدروا الله حقّ قدره، الذين يظنّون بالله الظنونا، ويظنّون أيضاً بأنفسهم الظنوناً لغيبتهم عند شهود استيلاء القدرة الإلهيّة عليهم وتصرفها بهم، وغفلتهم عن معرفة نفوسهم، وعن معرفة ربهم. وأمّا العارفون بربهم المتحقّقون بفنائهم في وجوده، واضمحلال رسومهم في معاني شهوده؛ فهم يعلمون أنّه له الاقتدار التام، والاستيلاء العام، والأمر النافذ بالإنعام والانتقام، فيقولون: إذا حيَّطهم يحيطون. ويعنون بذلك أن الإحاطة منه له في تحقيق فنائهم وظهور بقائه. والله أعلم بأحوال أوليائه.

ثمّ قال له: (يا إبراهيم) يذكر اسمه إبقاء للاشتراك الإبراهيمي في الاسمي على حسب ما ادّعاه في قرب المقام، كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [٢/ البقرة/ ١٢٦] تصديقاً للبشارة الأولى وتأكيداً لها. (وأنت منهم): أي من القوم الذين إذا حيّطهم يحيطون. واستعمل إذا في الشرط دون إنْ ولو؛ لأن إذا تفيد التحقّق لما بعدها، وهو فعل الشرط بخلاف إن؛ فإنّها للشك. ولو للامتناع، ولهذا قالوا في قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [١٣٣/ الفلق/ ٥] إن الحسد لأهل الكمال على النعمة أمر محقّق. ولو كان مشكوكاً/ [٢٨/ ب] فيه لقيل: إن حسد. ولو كان ممتنعاً لقيل: لو حسد وكذا هذا.

وقال الشيخ إبراهيم الجعبريّ رحمه الله تعالى. (ثمّ رأيت): أي اطّلعت بطريق الكشف والفيض الإلهاميّ، أو فهماً من إنشاده البيتين الآتي ذكرهما، فإنّ فيهما

قوله: (ما قد رأيت) فقال (ثمّ رأيت): أي علمت يقيناً. (الجنّة قد تمثلت له): أي مثّلها الله تعالى للشيخ عمر بن الفارض قدّس سرّه في حالته تلك، حالة الاحتضار؛ بأن أراه تعالى في خياله صورة مثّلها كما يمثّلها تعالى للنائم، فإذا استيقظ يقول: دخلت الجنّة، ورأيت فيها كذا وكذا، واجتمعت فيها بفلان وفلانة؛ وهو إنّما رأى مثال ذلك مثّله الله تعالى في خياله، غير أنّ النائم تمثّل له الأشياء في عالم نفسه لا في عالم الدنيا، وهذا يمثّل له في عالم الدنيا وهو يقظان، كما ورد في الحديث من قوله صلّى الله عليه وسلّم فيما رواه البخاريّ عن أنس بن مالك قال صلّى بنا النبي صلّى الله عليه وسلّم ثمّ رقي المنبر فأشار بيده قِبَل قبلة المسجد ثمّ قال: رأيت الآن منذ صليت لكم الصلاة الجنّة والنّار ممثّلتين في قبلة هذا الجدار فلم أرَ كاليوم في الخير والشر. ثلاثاً»[1] وروى البخاريّ عن عبد الله بن عبّاس قال: «خسفت الشمس على عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فصلّى، فقالوا: يا رسول الله ، رأيناك تناول شيئا في مقامك هذا ثمّ رأيناك تكعكعت!. قال: إنّي رأيت الجنّة فتناولت منها عنقوداً، ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا»[2].

ومعنى الأخذ: الظهور به في عالم الدنيا، أي: لو كان ذلك أمراً محسوماً من غير تمثيل بأن خرجت به من عالم التمثيل إلى عالم حسّكم لكان من جملة فاكهة الجنّة التي قال تعالى فيها: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [١٢/ الرعد/ ٣٥]. يعني: لا يفنى، وإن أكل فيبقى حينئذ ما بقيت الدنيا من غير اضمحلال ولا زوال. (فلمّا نظر): أي الشيخ عمر رضي الله عنه. (إليها): أي إلى الجنّة التي تمثّلت له في عالم الدنيا كما ذكرنا. (قال: آهٍ) بمدّ الهمزة. قال في المصباح: «آهِ من كذا بالمدّ وكسر الهاء لالتقاء الساكنين: كلمة تُقال عند التوجع، وقد تُقال عند الإشفاق». (وصرخ صرخة عظيمة) حال كونه.

---

(١) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب الأذان، باب رفع البصر إلى الأمام في الصلاة، ٧٤٩.

(٢) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب الأذان، باب رفع البصر إلى الإمام في الصلاة، ٧٤٨. وله في أطراف أخرى.

(ماداً بها): أي بكلمة التأوّه المذكورة. **(صوته، وبكى بكاء شديداً)**: من شدّة ما وجده من الألم؛ لظنّه أنّ ذلك جزاؤه عند ربّه، وذلك غير مطلوبه؛ لأنّ مقصده رؤية وجه محبوبه. **(وتغيّر لونه)**: عمّا كان عليه قبل ذلك. **(وقال)**: أي أنشد قوله مما سيأتي في آخر الديوان، وسنشرحه إن شاء الله تعالى في محلّه:

إن كان منزلتي في الحبِّ عندكم ... ما قد رأيتُ فقد ضيّعتُ أيامي

أمنيّة ظفرت روحي بها زمنا ... واليوم أحسبها أضغاث أحلام[1]

فصرّح بذلك أنّ الجنّة ليست مطلوبه، ولا مراده وإن كان ذلك مقاماً عالياً من مقامات السعادة؛ لأنّ المحبّ لا غرض له غير محبوبه؛ فإنّه نهاية مطلوبه **(فقلت له)**: أي قال الشيخ إبراهيم الجعبريّ رحمه الله تعالى للشيخ عمر بن الفارض قدّس الله سرّه. **(يا سيِّدي، هذا)**: أي مقام رؤية الجنّة بطريق التمثيل في عالم الدنيا على الحسّ. **(مقام كريم)**: أي له الكرامة عند الله تعالى والعزة والاحترام. **(فقال)**: أي الشيخ عمر رضي الله عنه. **(يا إبراهيم، رابعة العدويّة)**: بنت إسماعيل البصريّة شهيرة الفضل توفيت سنة خمس وثلاثين ومئة، وقيل خمس وثمانين ومئة. وقبرها على رأس جبل يُسمّى الطور بظاهر بيت المقدّس. وقيل: ذلك قبر رابعة أخرى غير العدويّة، كذا في تاريخ الذهبي. **(تقول)**: في مناجاتها لربِّها. **(وهي امرأة)**: والنساء ناقصات الهمم في معالي الأمور بالنظر إلى الرجال. **(وعزَّتك يا ربِّ ما عبدتك خوفاً من نارك التي أعددتها لمن عصاك، ولا رغبة في جنّتك التي أعددتها لمن/** [٢٩/ أ] **أطاعك بل)**: عبدتك. **(كرامة)**: أي إجلالاً واحتراماً. **(لوجهك الكريم)**: الموصوف بالكرم وكمال الاستحقاق للعبادة وإن لم يأمر بها، وعبدتك. **(محبّة)**: أي على جهة المحبّة ولأجلها. **(فيك؛ إذ أنت الأحقّ والأولى أن يُحبّ)**.

---

(١) انظر الأبيات رقم (١٣-١٤) في قصيدة: نَشرتُ في موكب العشّاق.

ثمّ قال الشيخ عمر قدّس الله سرّه: **(وليس هذا المقام)**: الذي تراءى لي. **(مكشف لي عنه الآن)** وإن كان عالياً سامياً. **(هو المقام الذي كنت أطلبه)**: من أوّل سلوكي ودخولي في طريق الله تعالى. **(وقضيت عمري)**: وكان عمره رضي الله عنه لمّا مات خمساً وخمسين سنة كما سيأتي بيانه. **(في السلوك)**: أي تحصيله، والجهد في طلبه. **(ثمّ بعد ذلك سكن قلقه)**: أي قلق الشيخ عمر قدّس الله سرّه. يعني: انزعاجه واضطرابه. **(وتبسّم)**: أي ضحك بغير صوت. فعلم الشيخ إبراهيم الجعبريّ رحمه الله تعالى أنّه حصل على مطلوبه، والتمتّع برؤية محبوبه، كما سيأتي تصريحه بذلك قريباً. قال **(وسلّم عليّ)**: أي قال لي: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، سلام مفارقة. **(وودّعني)**: لتحقّقه بالوفاة رحمه الله تعالى. **(وقال)**: أي الشيخ عمر رضي الله عنه للشيخ إبراهيم الجعبريّ رحمه الله تعالى. **(احضر وفاتي)**: أي موتي. **(وتجهيزي مع الجماعة)**: من الأولياء وغيرهم. **(وصلِّ)** أنت. **(عليّ)** صلاة الجنازة **(معهم)**: أي مع الجماعة الذين يحضروني. **(واجلس عند قبري)**: بعد دفني. **(ثلاثة أيام بلياليهنّ، ثمّ بعد ذلك توجّه)**: أي اذهب. **(إلى بلادك)**: جعبر؛ وهي القلعة المعروفة في بلاد الشرق على الفرات كما قدّمنا. **(ثمّ اشتغل)**: أي الشيخ عمر بن الفارض رضي الله عنه. **(عنّي)**: أي عن التكلّم معي. **(بمخاطبة)** لحضرة الغيب. **(ومناجاة)**: لها. **(فسمعت قائلاً)**: من الهواتف الغيبيّة. **(يقول له)**: أي للشيخ عمر قدّس الله سرّه بحيث. **(أسمع صوته ولا أرى شخصه: يا عمر فما تروم)**: أي تريد وتتمنّى. **(فقال)**: رضي الله عنه هذا البيت؛ وهو من القصيدة التائيّة الصغرى، وسيأتي ذكره وشرحنا له إن شاء الله تعالى:

أروم وقد طال المدى منك نظرة | وكم من دماء دون مرماي طلّت

(ثمّ تهلّل): أي ابتهج **(وجهه وابتسم وقضى نحبه)**: أي مات رحمه الله تعالى حال كونه. **(فرحاً مسروراً)**: بلقاء حبيبه، ونيله من وصاله وافر نصيبه.

(**فعلمت**): أي علم الشيخ إبراهيم الجعبريّ رحمه الله تعالى (**أنّه**): أي الشيخ عمر رضي الله عنه. (**قد أُعطي**): بالبناء للمفعول، أي أعطاه ربّه سبحانه وتعالى. (**مرامه**): أي مطلوبه ومقصوده الذي أشار إليه في البيت المذكور، وتمت له البهجة والحضور. (**وكنّا**): نحن. (**عنده**): أي عند الشيخ عمر رضي الله عنه. (**جماعة كثيرة فيهم**): أي في تلك الجماعة. (**من أعرفه من الأولياء، وفيهم من لا أعرفه منهم**) وكان (**منهم**) ذلك (**الرجل الذي كان سبب المعرفة به**): أي بالشيخ عمر رضي الله عنه، وهو الرجل الذي مرّ بالشيخ إبراهيم الجعبريّ كالبرق وهو ينشد قوله: (**فلم تهوني ما لم تكن فيّ فانياً**): البيت. فوثب إليه وتمسّك به كما مرّ بيانه. (**وحضرت غسله**): أي الشيخ عمر رضي الله عنه. (**وجنازته**): إلى أن دُفن رحمه الله تعالى. (**ولم أرَ في عمري جنازة أعظم منها، وازدحم الناس على حمل نعشه**): وهو التابوت الذي فيه الميت. (**فحملوه من مصر إلى تربة القرافة**): لدفنه فيها. (**ورأيت طيوراً بيضاً وخضراً ترفرف عليه**): أي على النعش المذكور، يتبرّكون به، وهم الملائكة في صور الطيور. والرائي هو الشيخ إبراهيم الجعبريّ رحمه الله تعالى خصوصية له، ولمن فيه ذلك الاستعداد بكمال الإيمان، وزيادة العرفان. (**وصلينا عليه**): رضي الله عنه. (**عند قبره**): أي تربة القرافة. (**ولم يتجهّز**): أي يتمّ ويكمل. (**جهاز**): أي تسوية. (**حفره**): أي القبر. (**إلى آخر النهار، والناس**/ [٢٩/ب] **يجتمعون حوله**): أي حول القبر أو النعش الذي فيه الشيخ عمر رضي الله عنه. (**والحال هم**): أي الناس المجتمعون حوله. (**مختلفون في أمره**): أي أمر الشيخ عمر رضي الله عنه. (**فقال قوم**): من الناس. (**هذا**): التأخير. (**تأديب**) من الله (**في حقّه**): أي حقّ الشيخ عمر رضي الله عنه. (**فإنّه كان**): في الحياة الدنيا. (**يدّعي في المحبّة**): أي محبّة الله تعالى. (**مقاماً عظيماً**): وتقدير الكلام وهو كاذب في ذلك، فعاقبه الله تعالى بتأخير دفنه. ودعواه المحبّة في مثل قوله رضي الله عنه:

يحشر العاشقون تحت لوائي	وجميع الملاح تحت لواكا
كلّ من في حماك يهواك لكن	أنا وحدي بكل من في حماكا[1]

[وهذا قول المنكرين عليه ـ قدّس الله روحه ـ من أهل مصر. وقال قوم آخرون من عوام المعتقدين عليه][2] بل هذا التأخير في دفنه. (**آخر ما يلقى الوليّ**): من أولياء الله تعالى. (**من أعراض الدنيا**): التي تعرض له كما يعرض له في الدنيا الجوع والألم والمرض والأذى. وآخر ذلك الموت. وتأخير الدفن لأنه أشد بلاء الأنبياء، ثمّ الأمثل فالأمثل، كما جاء في الخبر النبويّ. (**وكلّهم**): القائلين ذلك من الناس. (**محجوبون عن مشاهدة مقامه**) رضي الله عنه. (**إلا من شاء الله**) تعالى ممن أشهده ـ سبحانه ـ عظيم كرامته عنده. (**وأنا أنظر بما فتح**): أي بسبب الفتح الذي فتح. (الله تعالى **عليّ** به من **الكشف**) عن حقيقة ذلك التأخير الذي كان لدفن الشيخ عمر رضي الله عنه، والاطّلاع على الحكمة في ذلك. (**إلى الروح**): الجار والمجرور متعلق بقوله: «انظر» المقدّسة عن سفاسف الأخلاق. (**الشريفة المحمّديّة**) وهو روح محمّد (**عليها أفضل الصلاة والسلام**) والحال (**هي تصلي إماماً**) على الشيخ عمر رضي الله عنه. وكان ذلك حكمة التأخير للدفن. (**وأرواح الأنبياء والملائكة والأولياء من الأنس والجنّ يصلون عليه**): أي على الشيخ عمر رضي الله عنه مقتدين. (**مع روح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم طائفة بعد طائفة**): بحيث كلّما جاءت طائفة يصلّي بهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. (**وأنا أصلّي**) عليه. (**مع كلّ طائفة إلى آخرهم**). وهذه الحالة كان يجدها الشيخ إبراهيم الجعبريّ رحمه الله عنه تعالى من طريق الكشف عن عالم الأرواح؛ بحيث لا يطّلع على ذلك إلا الأولياء العارفون؛ أهل التجرّد والصلاح. والغافلون الغائبون في

---

(١) انظر البيت ذي الرقم ٣٩ و٣٦ في قصيدة "ته دلالاً"
(٢) العبارات من المطبوع.

كلّ واد من أودية الجبال يهيمون. (**فتجهّز**): أي تمّ وكمل بناء. (**القبر**) في آخر النهار. (**ودُفن الشيخ**): عمر رضي الله عنه. (**فيه وأقمت عنده**): أي عند القبر. (**ثلاثة أيام بلياليهن**): كما أوصاني الشيخ رضي الله عنه فيما تقدم.

(و) الحال. (**أنا أشاهد من حاله**) رضي الله عنه بعد موته (**ما لا تحتمل عقولكم شرحه**): أي بيانه من الأمور التي يكرِّمه الله تعالى بها وهو في قبره. (**ثمّ**) بعد ذلك. (**توجهت**): أي ذهبت. (**إلى**) بلادي، قلعة (**جعبر**) كما أمرني بذلك الشيخ رضي الله عنه فيما تقدّم من وصيته لي (**وكانت هذه السفرة**) من بلادي جعبر (**أول دخولي مصر**) لأنّي لم أكن دخلتها قبل ذلك (**ولسان الحال**) في وقت دخولي مصر (**يقول لي**) هذا البيت:

جـزاكَ الله عــن ذي الــسعي خـيراً ولكــن جئــت في الــزمن الأخــير

يعني: الله تعالى يجزيك خير الجزاء على هذا السعي الذي سعيته على نفسك حيث حضرت موت هذا الوليّ الكامل، وشهدت غُسله وتكفينه ودفنه. ثمّ مكثت عن قبره تشهد عجائب أحواله، وتتمتع بغرائب مقامه وكماله. ولكن إنّما كان هذا في آخر أمره، وانطواء صحيفة أعماله. فيا ليته كان قبل ذلك حتى كنت تفوز بأكثر منه، وتتمتع بمحاسن إقباله في أوقات وصاله.

(**ثمّ جئت بعد ذلك**): أي بعد توجهي إلى بلادي جعبر. (**إلى مصر، وأقمت فيها**): أي في مصر (**إلى زماننا هذا**): وهو كلام الشيخ إبراهيم الجعبريّ رحمه الله / [٣٠/ أ] تعالى عن نفسه. قال الشيخ السبكيّ في طبقات الشافعيّة الكبرى: «إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن الشيخ برهان الدين الجعبريّ أبو إسحاق، نزيل مدينة الخليل عليه السلام. ولد في حدود سنة أربعين وستمئة. وتوفي في شهر رمضان سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة» انتهى.

وهذا الجعبريّ الخليلي غير الشيخ إبراهيم برهان الدين الجعبريّ الذي حضر وفاة الشيخ عمر بن الفارض رضي الله عنه. وأمّا ذاك الذي نحن بصدد ذكره فقد

ذكر السبكيّ أيضاً قبل هذا في طبقاته المذكورة فإنّه إبراهيم بن معضاد بن شدّاد بن ماجد الجعبريّ الشيخ الصالح المشهور بالأحوال والمكاشفات. مولده بجعبر في سابع عشر ذي الحجة سنة تسع وتسعين وخمسمئة، وتفقه على مذهب الشافعيّ. وسمع الحديث بالشام من أبي المحاسن السخاويّ. وقدم القاهرة، وحدّث بها؛ فسمع منه شيخنا أبو حيّان وغيره. وكان يعظ الناس، ويتكلّم عليهم، وتحصل في مجالسه أحوال سنية، ويُحكى عنه كرامات باهرة. ومنعه قاضي القضاة ابن رزين مرّة من الكلام على الناس بسبب ألفاظ ذُكرت عنه ثمّ عاد إلى الكلام، وظهرت براءته، وحُسْن اعتقاده، وامتداد حاله. وكان أبو العباس العراقي ينكر عليه أفكاراً كثيراً، وكان في الشيخ حِدّة، وربّما شتم في الوعظ، ونال منه بعض الحاضرين. وطُلب مرّة إلى مجلس بعض القضاة، وادُّعي عليه بألفاظ قيل: إنّها بدرت منه. فقال له القاضي: أجب. فقال: شقع بقع، يا الله يقع. يكرر ذلك. وخرج من المجلس عجلاً لم يقدر أحد يردّه. فقام القاضي، ركب بغلته، فوقع، وانكسرت يده. ومن شعر الشيخ إبراهيم الجعبريّ:

وأفاضل الناس الكرام أبوّة ... وفتوّة ممن أحبّ وتاها

عشقوا الجمال مجرّداً بمجرّد ... الروح الزكيّة عشق من ازكّاها

متجرِّدين عن الطباع وكونها ... متلبّسين عفافها ونقاها

في أبيات كثيرة. ولمّا دنت وفاته جاء بنفسه إلى موضع يدفن فيه، وقال: هذا قبير الي دبير. وتوفي عقيب ذلك يوم السبت رابع عشر المحرّم، سنة سبع وثمانين وستمئة"[1]. قال مصنّف هذه الديباجة[2] الشيخ الإمام الكامل عليّ سبط صاحب

(١) انظر طبقات الشافعيّة للسبكي ج٨.ص٦٣.

(٢) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: «بلغ مقابلة وسماعاً على مؤلّفه الشارح حفظه الله تعالى ورضي عنه».

الديوان، العارف الكامل، والعالم العامل الشرف بن الفارض قدّس الله سرّه: **(حكى لي ولده)**: أي ولد الشيخ إبراهيم الجعبريّ رحمهما الله تعالى واسمه **(الشيخ)** شهاب الدين أحمد بن الشيخ إبراهيم الجعبريّ. **(جمع الله)** تعالى **(بينهما)**: أي بينه وبين أبيه. **(في المقام الأحمد)**: أفعل التفضيل: أي الأكثر حمداً منه ومن غيره؛ وهو مقام القدس في حضرة الأنس. **(قال: زرت مع والدي)**: يعني الشيخ إبراهيم الجعبريّ. (رحمه الله تعالى قبر الشيخ شرف الدين): بن الفارض. **(رضي الله عنه، ومعنا جماعة من)**: المشايخ. **(الكبار)** رحمهم الله تعالى. **(فوجدناه عنده)**: أي عند قبر الشيخ شرف الدين المذكور. **(تراباً كثيراً)** حول القبر وفوقه. **(فصرخ الشيخ)** إبراهيم الجعبريّ المذكور وقال متمثّلاً بهذا البيت:

مساكين أهل العشق حتى قبورهم ... عليها تراب الذلّ بين المقابر[1]

يعني: أنّ أهل العشق والمحبّة الإلهيّة لهم كمال الذّلّة والانكسار في حياتهم الدنيا؛ فهم في كمال المسكنة بين يدي محبوبهم الحقّ، حتى بعد موتهم يظهر تراب الذلّ على قبورهم أيضاً، وهذا الذلّ هو عين العزّ الأبديّ، كما قلت في مطلع أبيات لي:

إن ذلّي في حبّ علوّة عزّ ... فالطفوا في الملام أو فاستفزّوا

(وحمل الشيخ): إبراهيم المذكور ذلك **(التراب في حجره وحملنا معه)** أيضاً. **(إلى أن نظفنا ما حول القبر)**: من ذلك التراب. **(وتوفي)**: أي مات الشيخ شرف الدين عمر بن الفارض. **(رضي الله عنهما بالقاهرة)**: أي مصر الجديدة، واسمها أيضاً القاهرة دون مصر العتيقة التي فيها/ [٣٠/ ب] المقياس. **(المحروسة)**: من كلّ سوء إن شاء الله تعالى إلى يوم القيامة. **(بجامع الأزهر)**: الجامع المشهور في

---

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: بلغ مقابلة وسماعاً على مؤلّفه الشارح حفظه الله تعالى ورضي عنه.

مصر إلى الآن. **(بقاعة الخطابة)**: وهي بيت يجلس فيه الخطيب ليتهيأ للخطبة في الجمع والأعياد.

(وذلك): أي وقت وفاته رحمه الله تعالى في اليوم. **(الثاني من)** شهر. **(جمادى الأولى)** من شهور. **(سنة اثنتين وثلاثين وستمائة)**: من الهجرة النبويّة. **(ودُفن من الغد)**: أي ثاني يوم من وفاته. **(بالقرافة)**: هي التربة المعروفة في مصر. **(بسفح)** جبل. **(المُقطّب)**: بالتشديد بصيغة اسم المفعول. **(عند مجرى السيل)** من ذلك الجبل. **(تحت المسجد المبارك المعروف بالعارض الذي هو أعلى الجبل المذكور)**: أي جبل المُقطّب.

وقال مصنف هذه الديباجة سبط الناظم رضي الله عنهما: **(سمعت الشيخ)**: الإمام. **(زكيّ الدين عبد العظيم المنذريّ المحدّث)**: المشهور بين المحدثين، رحمه الله تعالى. **(يسأله)**: أي يسأل الشيخ شرف الدين عمر المذكور رضي الله عنه. **(عن تاريخ مولده)** الشريف. **(فقال)**: أي الشيخ عمر رضي الله عنه مولدي **(بالقاهرة المحروسة آخر)** اليوم **(الرابع من)**: شهر ذي القعدة من شهور. **(سنة سبع وسبعين وخمسمئة)** من الهجرة النبويّة. **(وكذلك سمعته)**: أي سمعت الشيخ عمر بن الفارض رضي الله عنه. **(يخبر القاضي شمس الدين بن خلّكان)**: صاحب التاريخ المشهور. **(لمّا سأله)**: أي سأل الشيخ عمر رضي الله عنه. **(عن مولده)**: أي وقت ولادته. **(رضي الله تعالى عنهم)**: أي عن المذكورين. **(أجمعين. وهذا)**: المذكور. **(ما انتهى إليه الكلام)**: في هذا المقام. **(من هذه الترجمة)**: للشيخ الناظم قدّس الله سرّه العزيز.

(وسكتُّ): فلم أتكلّم. **(عن ذكر أحوال خارقة)**: للعادة وقعت للشيخ رضي الله عنه في حياته وبعد وفاته. **(مبهمة)**: لا يهتدي إلى فهم معناها كلّ أحد، وربّما تُفتتن بها أرباب العقول الضعيفة. **(خوفاً)**: منصوب على أنّه مفعول من أجله لقوله سكت. **(من رديء الانتقاد)**: أي الذي انتقاده، أي: اعتراضه وتفتيشه

على الشيخ رديء. **(أو سيِّئ)**: أي صاحب سوء. **(الاعتقاد)**: وهو الذي اعتقاده في الشيخ **اعتقاد** سوء من جهله وخبث نيَّته. **(وقد سمَّيت هذه الترجمة)**: المذكورة. **(عنوان الديوان)**: لأنّها على الديوان كالعنوان للمكتوب الذي يرسله البعض إلى البعض؛ فيعلم من عنوانه ما هو المراد منه. **(وجعلتها)**: أي هذه الترجمة من حيث ما اشتملت عليه. **(تبصرة)**: تبصر بها بدائع المعاني الإلهيّة. **(للمحبّين)**: لمن يحبّ الشيخ الناظم قدّس الله سرّه. **(والإخوان)** من المعتقدين المحقّقين بالكمال الإلهيّ في جناب الشيخ رضي الله عنه. **(وتذكرة بعدي)**: أي بعد ذهابي من الدنيا إلى الآخرة. **(للأولاد)**: أي أولادي جسداً أو روحاً. **(بمآثر)**: أي ما يؤثر: أي يُنقل إليهم عن. **(الآباء)**: أي آبائهم. **(والأجداد)**: أي أجدادهم. يعني: يتذكّرون بها آثار سلفهم الصالحين فيقتدون بها في معالم الخير. **(وسألت الله تعالى)**: أي طلبت منه ودعوته. **(أن يسلك بي وبهم)**: أي بأولادي من حيث جسمي، وهم أولاد الصلب. أو من حيث روحي، وهم أولاد التربية في مراتب الكمال **(مسالكه)** تعالى: أي طرقه الموصلة إليه سبحانه من العبادات، والطاعات، وترك المنهيّات والشهوات العائقة عن بلوغ المراد في جناب القدس، ومحو الأضداد بكمال الاستعداد للمعاد. **(وأن يجعلنا عزّ وجلّ)** معاشر أولاد الصالحين، وسلالة الأولياء العارفين. **(ذريّة طيبة)** ذات طيب فائح بأنواع الأعطية الربّانيّة والمنائح. **(مباركة)**: فيها البركة التامّة، والزيادة في الترقّي في الأحوال الفاضلة العامّة.

(وأجزت الأولاد): أي أولادي المذكورين. يعني: أعطيتهم الإجازة **(أن يرووه)**: أي يرووا هذا المسمّى بعنوان الديوان، أو يرووا جميع الديوان المنظوم وغيره مما أضفته إليه،/[٣١/أ] وجمعته هذا الجمع البديع **(إجازة)** صادرة **(عنّي)**: لهم باللسان والجنان. **(بسنده)**: الذي عندي المتّصل بي. **(كما)**: أي على مثل ما. **(أسندت)**: أنا رويت. **(سماعه)**: أي سماع هذا الديوان. **(إلى الشيخ)**:

الإمام العارف بالله تعالى شرف الدين عمر بن الفارض قدّس الله روحه ونوَّر ضريحه. **(عن ولده)**: أي ولد الشيخ المذكور، وهو سيِّدي الشيخ كمال الدين محمّد بن الشيخ عمر رضي الله عنهما.

(وأشير): أي أوصي وأنصح في دين الله تعالى. **(على من طالعه)**: أي هذا الديوان. **(وارتقى)**: أي صعد بالفهم الإلهيّ والإلهام الربّانيّ. **(مطالِعَه)**: أي موضع طلوعه. يعني: الذي كشف له عن أسرار معانيه، وأنوار معاليه، من ومضات بروق مبانيه. **(أن يتمسّك)**: بظاهره وباطنه. **(بنظم السلوك في طريقة الملوك)**: وهي القصيدة التائيّة الكبرى المشتملة على كيفيّة السلوك. أي: السير والمشي على الطريقة المثلى، ومنهج الاستقامة لتحصيل السعادة الأبديّة في دار الإقامة.

وقوله **(لمن طالعه وارتقى مطالعه)**: يعني لا لمن يرتقِ إلى أوج المعاني ممن هو مكبّل بقيود الطبع الجسمانيّ، وهو أسير الغفلات، ورهين الذنوب والهفوات. فإنّي لا أشير على من هذا حاله في المطالعة؛ فإنّه لا يفهم من ذلك بعقله إلا رذائل المخادعة والممانعة، وربّما وقع في الجدال والمنازعة. **(ويتنسّك)**: أي يتعبد، من النُّسُك، وهو العبادة. **(بطريقتها)**: أي طريقة نظم السلوك المذكورة. **(التي تشرفت سلوكها)**: أي السلوك على ما فيها من المعاني الإلهيّة، والحقائق الربّانيّة. **(زهّاد)**: جمع زاهد، من الزهد؛ وهو الإعراض عن كلّ ما سوى الله تعالى من الدنيا والآخرة. **(الملوك)**: جمع ملِك، بكسر اللام، وهم ملوك الجنّة، المعمورون بالعناية الإلهيّة، المغمورون في بحار الفضل والمنّة. **(فنسأل الله تعالى)**: أي نطلب منه سبحانه. **(أن يفتح لنا أبواب فهمها)**: أي فهم تلك القصيدة المذكورة المسماة بنظم السلوك؛ فإنّه تعالى هو **(الفتّاح العليم)** كما قال سبحانه: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [٣٥فاطر/ ٢] **(ويمنح)**: أي يعطي بمحض فضله سبحانه. **(قلوبنا)** الملتجئة إليه. **(علماً)** عظيماً. **(من علمها)**: أي العلم الذي اشتملت عليه تلك القصيدة المذكورة. **(حتى**

نسرح) بالسين المهملة، أي: نجول وننطلق. (تحت أستارها): بحيث ترتفع عنّا أستارها وتنكشف أنوارها. (ونشرح) بالشين المعجمة، أي: نكشف ونبيّن ونوضّح لنا ولغيرنا. (ما خفي): علينا وعلى غيرنا. (من أسرارها): جمع سرّ: وهو بَطَنَ من عباراتها، وكمن فيها من إشاراتها. (ونسفر): أي نكشف ونزيل. (لثامها): أي خمارها. (ونشرب مُدامُها): أي خمرها المسكر للعقول، المخمّر في أواني النقول. (فإنّ دنان) جمع دنّ، وهو: آنية الخمرة. (قوافيها): أي قوافي القصيدة المذكورة، جمع قافية، وهو: الحرف الأخير من البيت الذي تنسب القصيدة إليه، فيقال: قصيدة تائيّة؛ لأنّ الحرف الأخير من كلّ بيت منها هو حرف التاء المثناة الفوقيّة. (مستورة): أي تلك الدنان. (في ختامها) بالتاء المثناة الفوقيّة، أي ما تختم به من حيث أنها خمرة إلهيّة، أي: تستتر فيه وتختفي تحته من الوزن المخصوص الذي هو كالبنيان المرصوص. (وحسان معانيها): أي معانيها الحسان. (مقصورة): أي ممنوعة من التبرّج والخروج. (في خيامها) جمع خيمة، أي: في طيّ كلماتها البليغة، وما اشتملت عليه ألفاظها من بديع كلّ صيغة. (فلا يفهم رمزها): أي تلك القصيدة. قال في المصباح: «رَمَزَ رَمْزاً، من باب قتل، وفي لغة من باب ضرب: أشار بعين أو حاجب أو شَفَة» انتهى. والمراد ما تشير إليه ألفاظها من المعاني الإلهيّة. (ويستخرج كنزها)/ [٣١/ ب]: أي القصيدة، قال في المصباح: "كَنَزت المالَ كَنْزاً، من باب ضرب: جمعته وادّخرته، والكَنْزُ: المال المدفون، تسمية بالمصدر» انتهى. وهذا معناه في الأصل.

والمراد هنا: ما استتر تحت معانيها من الأسرار الربّانيّة، والأنوار الروحانيّة، كما قال تعالى: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾ [١٨/ الكهف/ ٨٢] أي العقل والحسّ بطريق الإشارة في طيّ العبارة. ﴿وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا﴾ أي: ما وضع تعالى تحت جدار جسدهما من كنز المعارف؛ بأن يعرف نفسه العارف. (إلا من بلغ أشدّه): أي تكاملت قوته في معرفة نفسه، وتحقّق بمعرفة ربّه في يومه وأمسه. وفي القاموس:

«حتى يبلغ أشدّه، ويضمّ أوله، أي: قوته، وهو: ما بين ثماني عشرة سنة إلى ثلاثين. واحد جاء على بناء الجمع كآنُك [اسم للرصاص] ولا نظير لهما، أو جمع لا واحد له من لفظه، أو واحدُهُ شِدّة، بالكسر، مع أنّ فِعْلَه لا يجمع على أفْعُل، أو شَدّ ككَلْب وأكْلُب، أو شِدّ كذِئب وأذْؤُب، وما هما بمسموعَيْنِ؛ بل قياس. **(في مسيره)**: أي سلوكه في طريق الله تعالى، وهو مصدر ميمي. قال في المصباح: «سار يَسير سَيْراً ومَسِيراً». **(وسلك طريق ناظمها)**: الشيخ عمر رضي الله تعالى عنه في الاعتقاد الصحيح الخالي من البدعة والعمل الصالح والأخلاق الحسنة. **(وطرق طريق غيره)**: من أهل الزيغ والعقائد الفاسدة والأعمال المخالفة والأخلاق السيئة. **(واتبعه في)** كيفيّة **(سفره)** من الأكوان كلّها إلى نفسه، ومن نفسه إلى ربّه، ومن ربّه عنده إلى ربّه على ما هو عليه. **(وقبض)** بيد روحانيّته. **(قبضة من أثره)** فحصل على سرّ الإيجاد من نور الوجود، وتحقّق كشفاً وذوقاً على حقيقة الكرم الإلهيّ والجود، فيكون قبض قبضة من أثر الرسول المرسل إليه ليدخل به عليه، وفي المصباح: «وقَبضت قَبضة من تمر، بفتح القاف، والضمّ لغة».

(واستطاع): أي قدر **(موسى قلبه)**: أي قلبه الذي هو على مشرب عليه السلام من الأحوال المرضية والأخلاق الرضية. **(المحمّدي)**: أي المنسوب إلى ملّة محمّد صلّى الله عليه وسلّم. **(صبراً)**: مفعول استطاع، بأن صبر على حكم ربّه في مسالك تجلّياته وقربه. **(على متابعة خضره)**: أي خضر الشيخ عمر رضي الله عنه، أي: ما يظهر له منه، كما ظهر لموسى عليه السلام من الخضر أبي العبّاس رضي الله عنه بأن نظر إلى خصوصيته، وانطوت عن نظره حقيقة بشريّته، فلم يختلج في فكره شيء من الاعتراض في إقبال وإعراض، ولم يرتب في معنى من معاني كلامه في نثره أو نظامه، و صبر على عدم فهمه، ولم يزاحمه على دعوى ما ليس عنده من علمه. **(وأحاط خُبراً)** بالضمّ، قال في المصباح: «خَبَرْت الشيءَ أَخْبُرُه من باب قتل، خُبْراً، فأنا خبير به». **(بسِيَر)**: جمع سِيرة، وهي: الطريقة، وسار في الدين سِيْرَة

حسنة، أو قبيحة، والجمع: سِيَر، مثل: سِدْرَة وسِدَر. والسِيرة أيضاً: الهيئة والحالة، كذا في المصباح. (**محبّته**): الإلهيّة في التجلّيات الكونيّة على تحقيق العرفان في مقام الإيمان. (**وخبره**) بالجر معطوف على سيره، والخَبَر بالتحريك، قال في المصباح: «اسم ما يُنقَل ويُتحدَّث به خَبَر، والجمع: أخبار». (**فما أُهدي**) بالبناء للمفعول إلى. (**هذه الطريق**): أي طريق الأولياء العارفين المحقّقين. وذكر الجلال السيوطيّ في كتابه المزهر في اللغة. (**أنّ الطريق**) من جملة ما يذكّر ويؤنّث. وقال في المصباح: «والطَريق يُذكَّر في لغة نجد، وبه جاء القرآن في قوله تعالى: ﴿فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا﴾ [٢٠/ طه/ ٧٧] ويؤنّث في لغة الحجاز». (**إلا من أمدّه الله**) تعالى (**بالتوفيق**): أي مرضاته في ظاهره وباطنه. (**وأهّله**)[1] بتشديد الهاء. وفي القاموس: «أهّله لذلك تأهيلاً، وآهّله: رآه له أهلاً. (**بين أهلها**)[1]: أي أهل هذه الطريق، أي: الطريقة. (**لسلوكها**): أي السير فيها، يعني: جعله أهلاً لذلك»[1]. (**وأهلّه**) بتشديد اللام: أي أطلعه وأظهره». قال في المصباح: «أُهِلَّ الهلالُ/ [٣٢/ أ] بالبناء للمفعول، وللفاعل أيضاً. ومنهم من يمنعُه، وهَلَّ من باب ضرب لغة أيضاً إذا ظهر». (**فيها**): أي في هذه الطريق. بمعنى: الطريقة. (**مَلَكا**): بفتح اللام، واحد الملائكة، وهو حال من الضمير المنصوب في أهلّه، أي: أطلعه وأظهره حال كونها مَلَكاً من الملائكة في طهارة ظاهرة وباطنة من رذائل الأعمال والأخلاق والأحوال. (**أو مَلِكاً**): بكسر اللام، قال في المصباح: «مَلَكَ على الناس أمرهم: إذا تولّى السلطنة، فهو مَلِك، بكسر اللام، وتخفّف بالسكون». (**من مُلُوكها**): أي من مُلُوك هذه الطريقة، جمع مَلِك، بالكسر أو السكون، مثل: فَلْس وفُلُوس. (**فإنّها**): أي هذه الطريقة المخصوصة. (**سبيل**): أي طريق، قال في المصباح: «السَبيل: الطريق، ويذكَّر ويؤنَّث، قال ابن السِكِّيت: جمع المؤنث سُبُول، كما قالوا: عُنُوق، وجمع المذكّر: سُبُل وسُبْل».

(١) بياض في المخطوط، والألفاظ فيها من المطبوع.

(مَنْ دعا إلى الله على بصيرة): أي علم وخبرة، وهو النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، أو وارثه المتّبع له رضي الله عنه. قال في المصباح: «هو ذو بَصَر وبَصِيرَة، أي: عِلْم وخِبْرة، ويتعدّى بالتضعيف إلى ثانٍ، فيقال: بَصَّرْتُه تبصيراً، والاستِبصار بمعنى: البصيرة» انتهى. يعني: دعا الناس بحاله وقاله إلى معرفة الله تعالى على معرفة منه بالله تعالى، لا على جهل منه به تعالى؛ فإنّ العارف يدعو إلى المعرفة، والجاهل يدعو إلى الجهل. قال تعالى لنبيِّه صلّى الله عليه وسلّم ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾ الآية [١٢/ يوسف/ ١٠٧] فإنّ من تبع النبي صلّى الله عليه وسلّم كان على بصيرة: أي علم وخبرة بربِّه، فإذا دعا غيره إلى المعرفة دعاه وهو عارف كالنبيّ، لا غافل.

(وأصبحت): أي دخلت في صباح الأنوار الإلهيّة المشرقة في قلبه؛ فلا يحتاج إلى مصابيح المعاني العقليّة في ظلمات الطبائع البشريّة، كما قال الإمام علي كرّم الله وجهه لخادمه كميل: «قد طلع الصباح فأطفئ المصباح».(طُرُق) بضمتين جمع طريق. (المحبّة) الحقيقيّة الإلهيّة وهي مراتب التجلّيات الربّانيّة على قلوب العارفين، بحيث تجمع المحبّات كلّها في محبّة واحدة قدسيّة رحمانيّة. (باتّباعه): أي النبيّ صلّى الله عليه وسلّم؛ فهو من إضافة المصدر إلى مفعوله، أو الوارث له كالشيخ عمر بن الفارض رضي الله عنه، فهو من إضافة المصدر إلى فاعله. (منيرة): أي مشرقة واضحة، ويا لها من حالة صالحة.

(فإنّ الله تعالى): بمحض فضله على الناس. (أرسله): أي النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بالأصالة، أو الوراث له بالنيابة عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم. (إليه): أي إلى من هُدي إلى هذه الطريق، وأمدّه بالتوفيق. (داعياً): أصالة أو نيابة. (بإذنه): أي بأمره له بالدعاء إليه. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [٣٣/ الأحزاب/ ٤٥-٤٦] قال النسفي في المدارك: «بإذنه: أي: بأمره أو بتيسيره». وقال البيضاوي: «بإذنه: بتيسيره.

وأطلق له من حيث أنّه من أسبابه، وقيّد به الدعوة إيذاناً بأنّه أمر صعب لا يتأتى إلا بمعونة من جنات قدسه». (وراعياً): أي مراعياً، ومراقباً، وحافظاً، وملاحظاً. قال في المصباح: «رعيته إذا حفظته، وراعيت الأمر نظرت إليه في عاقبته، وراعيته: لاحظته». (إلى[1] محبّته): أي محبّة الله تعالى المذكورة، أو محبّة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم التي هي مقامه عليه السلام. (بعينه): متعلق بقوله راعياً؛ فإنّه صلّى الله عليه وسلّم شاهد على أمّته: أي شاهد لهم، كما أرسله الله تعالى بحكم قوله: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا ﴾ [٣٣/ الأحزاب/ ٤٥] وقد ورد في خبر الطبرانيّ: «إنّ الله قد رفع لي الدنيا؛ فأنا أنظر إليها وإلى ما هو كائن فيها إلى يوم القيامة، كأنّما أنظر إلى كفي هذه»[2]. وخبر أبي داوود: «قام فينا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مقاماً، فما ترك شيئاً إلى قيام الساعة إلا حدّثنا به»[3] وفي الحديث الصحيح فعلمت علم الأوّلين والآخرين[4] مع أنّه صلّى [٣٢/ ب] الله عليه وسلّم لا يعلم الغيب، ولكن علّمه ربّه كما ورد في الحديث: «إنّي لا أعلم إلّا ما علّمني ربي». (وأذنه) صلّى الله عليه وسلّم، معطوف على عينه. يعني: برؤيته لأحوالهم وأعمالهم، وسماعه لأقوالهم. (وجَعَله): أي الله تعالى جعل نبيه عليه السلام، أو وارثه النائب عنه (لأوليائه) تعالى. (سراجاً منيراً) السراج: المصباح، جمعه: سُرُج مثل كتاب وكتب، كما في المصباح، يعني: يستضيؤون به في ظلمات الأكوان، وحنادس الطبع والهوى، ووهم الزمان والمكان. (قد أُوتي): بالبناء للمفعول، أي: آتى الله تعالى. (من تبعه): صلّى الله عليه وسلّم. (في) مقام (محبّة

---

(١) في المطبوع أهل.

(٢) رواه الهيثميّ في مجمع الزوائد،١٤٠٦٧، وقال الهيثميّ: «رواه الطبرانيّ، ورجاله وثّقوا على ضعف كثير في سعيد بن سنان الرهاويّ».

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك، باب: أما حديث أبي عوانة، ٨٦٣٧.

(٤) من حديث الإسراء.

الله): تعالى الخالصة الحقيقيّة. (**خيراً كثيراً**): من أنواع العلوم والمعارف، وغير ذلك في الدنيا والآخرة. (**فما عرف الله**): تعالى المعرفة الكاملة بعين رأسه في ليلة المعراج. (**وسمعه**): بالمخاطبة له مكافحة. (**إلا محمّد رسول الله**): صلّى الله عليه وسلّم. (**و**) ورث ذلك منه عليه السلام. (**الذين معه**) من أصحابه الكاملين، وأتباعه العالمين العاملين، قال النسفي في المدارك: «والذين معه، أي: أصحابه». قال تعالى في وصفهم: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ إلى آخر الآية [٤٩/ الفتح/ ٢٩]. وهذه الأوصاف في ورثته صلّى الله عليه وسلّم العارفين بربهم إلى يوم القيامة؛ لأنّهم معه صلّى الله عليه وسلّم لا يفارقونه، كما قال أبو العبّاس المرسيّ - تلميذ أبي الحسن الشاذليّ رضي الله عنهما - لي منذ ثلاثين سنة: «لو حُجب عني رسول الله صلّى الله عليه وسلّم طرفة عين ما أعددت نفسي من المسلمين».

(**وقد مدَّت المحبّة**) الخالصة الإلهيّة المذكورة. (**عليهم**): أي على الذين مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. (**ظلَّها**): كناية عن دوام اتصافهم بها، وإشارة إلى حمايتهم بها مما ذكرنا، وحفظهم ببركتها، كما يُقال: فلان في ظلّ السلطان، أي: في حمايته وحراسته، والافتخار به، والانتماء إليه. (**وشربوا وابلها**): وهو المطر الغزير الكثير. (**وطَلَّها**): بالطاء المهملة، وهو المطر الخفيف، ويقال: أضعف المطر، كما في المصباح، قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٦٥]. (**وكانوا أحقّ بها**): أي بتلك المحبّة المذكورة من غيرهم. (**و**) كانوا (**أهلها**): أي المستحقّين لها، قال في المصباح: «وهو أهل للإكرام، أي: مستحقّ له». (**وحازوا**): بالحاء المهملة والزاي، أي: حَوَوا وجمعوا، قال في المصباح: «حُزْتُ الشيءَ أَحُوزُه حَوْزاً وحِيازة: ضممته وجمعته، وكلّ من ضمّ إلى نفسه شيئاً فقد حَازه. وحَازه يَحيزه حَوْزاً، من باب سار لغة فيه». (**متابعة صاحب المقام المحمود**): وهو مقام الشفاعة العظمى في يوم القيامة، وصاحب هذا المقام هو محمّد صلّى الله عليه وسلّم. وإنّما سُمّي

مقاماً محموداً لأنّه الشفاعة في فصل القضاء، يحمده فيه الأولون والآخرون. (**وجازوا**): بالجيم والزاي، أي: ساروا، قال في المصباح: «جَاز المكان يَجوزه جَوْزاً وجَوَازاً: سار فيه». (**صُحبته**): صلّى الله عليه وسلّم، أي: معه، مصاحبين له. (**إلى الجنّة**): ذات النعيم المقيم. (**تحت لواء الحمد المعقود له**): صلّى الله عليه وسلّم. واللواء: دون الراية. قال في المصباح: «لواء الجيش عَلَمه، وهو دون الراية، والجمع ألوية».

(**وشربوا من**) ماء نهر. (**الكوثر**): الذي في الجنّة. (**وهو**): أي الكوثر. (**حوضه**) صلّى الله عليه وسلّم في المحشر. (**المورود**) الذي ترده أمّته. وفيه أنبوبان من نهر الكوثر الذي في الجنّة كما وردت بذلك الأحاديث. وبهذا الاعتبار يقال له الكوثر. (**وفازوا معه**): صلّى الله عليه وسلّم. (**بالنظر إلى وجه حبيبهم**): الحقّ سبحانه وتعالى في دار الجنان كما قال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [٧٥/ القيامة / ٢٢-٢٣]. (**وهذا**): النظر. (**هو غاية المقصود**): عندهم. (**من الحبيب**): متعلق بالمقصود. والحبيب عندهم هو الربّ تعالى على الحقيقة؛ لأنّ المحبّة كلّها صادرة منه، وراجعة إليه، وهي من غيره ولغيره مجاز. (**المشهود**): لهم بكشف القلوب، وإماطة لثام/[٣٣/ أ] الغيوب في قيد هذه الحياة الدنيا، وهو الشهود الحاصل للعارفين بربِّهم، هوغير الرؤية المعهودة لهم في الآخرة. وقال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه في كتابه: إنشاء الدوائر والجداول: لكل شيء في الوجود أربع مراتب إلا الله تعالى؛ فإنَّ له في الوجود المضاف إلينا ثلاث مراتب، **المرتبة الأولى**: وجود الشيء في عينه، وهي المرتبة الثانية بالنظر إلى علم الحقّ تعالى بالمحدث.

والمرتبة الثانية: وجوده في العلم، وهي المرتبة الأولى بالنظر إلى علم الحقّ تعالى بنا.

والمرتبة الثالثة: وجوده في الألفاظ. والمرتبة الرابعة: **وجوده في الرقوم**. ووجود الحقّ تعالى بالنظر إلى علمنا على هذه المراتب ما عدا مرتبة العلم، هذا هو الإدراك

الذي حصل بأيدينا اليوم، ولا أدري إذا وقعت المعاينة البصرية المقررة في الشرع هل يحصل في نفوسنا علم إثبات، أو مزيد وضوح في جنس العلم الذي بأيدينا اليوم مَن في علمنا به سبحانه؛ فإن كان كذلك فليس له إلا ثلاث مراتب، وإن كان يوجب النظر إثباتاً في الدار الآخرة حيث وقعت المعاينة لمن وقعت فقد نصفه بالمرتبة الرابعة؛ فتحقّق هذه الإشارة في علمنا بالله سبحانه؛ فإنّها نافعة في الباب، وتمامه هناك».

(**وما نالوا هذا المقام الأعظم**): الذي هو مقام الرؤية الموعود، ومقام الشهود. (**إلا باتّباع نبيِّهم**): محمّد صلّى الله عليه وسلّم في أفعاله، وأحواله، وأقواله، وأعماله، وأخلاقه، وأشواقه، وقيوده، وإطلاقه، وقيامه ظاهراً وباطناً في خدمة خلّاقه. (**حبيب حبيبهم**) الذي هو الحقّ تعالى؛ فإنّه صلّى الله عليه وسلّم حبيب الله عزّ وجلّ. (**صلّى الله**): تعالى، أي: أنزل. (**عليه**) أنواع تحيّاته الشريفة، وأجناس تفضلاته المنيفة. (**وسلّم**): تسليماً مباركاً عظيماً من كلّ آفة، أو نقصان، أو مؤاخذة، أو حرمان. (**وعلى**) جميع. (**آله**): أي أهل بيته، وأقاربه، وأولاده، وذريَّته إلى يوم القيامة، وكلّ من هو على ملّته وطريقته من المؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات. (**و**) على سائر. (**أصحابه**): الذين رأوه ولو مرة في الزمان من أهل ذلك العصر والأوان، أو رآهم هو ولو مرة ليدخل في ذلك العميان؛ فإنّ هذا معنى الصحابي في اصطلاح علماء هذا الشأن. (**وعلى كلّ مَن أسلم وجهه لله**): أي سَلَّم ولم ينازع. قال في المصباح:«أسلم أمره، وجهه لله: فَوَّضَهُ، وسلّم أمره لله بالتثقيل لغة، وربّما عُبِّرَ بالوجه عن الذات» انتهى.

(**فأسلم وجهه**): أي ذاته لله سبحانه. (**معه**): أي مع النبيّ صلّى الله عليه وسلّم. (**وآمن به**): من غير رؤية له، ولا رؤية النبيّ له. (**وأسلم**): أي دخل في ملّته، مِلَّة الإسلام على الغيب ممن لم يره صلّى الله عليه وسلّم، ولم يره هوعليه السلام من التابعين، وتابع التابعين إلى يوم الدين من أصحاب المذاهب

الإسلاميّة، والعقائد السنيّة الإيمانيّة، الخالية مذاهبهم من البدع في الاعتقاد، أو الأعمال، المبرئين من الزيغ، والإلحاد، والضلال. **(وعلى إخوانه)**: صلّى الله عليه وسلّم. **(من الأنبياء والملائكة)**: الكرام عليهم أفضل الصلاة وأكمل السلام. **(كلّما هبّ)** بتشديد الباء الموحّدة، أي: مدّة هبوب. **(هواء)** بالمدّ، أي: ريح. **(وتنسم)**: بمعنى نسم، قال في القاموس: «نَسَمَ يَنْسِمُ نَسْماً ونَسِيماً ونَسَمَاناً: هَبَّ، وتَنَسَّمَ: تَنَفَّسَ، وتَنَسَّمَ النَّسِيم: تَشَمَّمَه». **(وكلّما)**: معطوف على كلّما. **(تهلّل)**: أي تلألأ. قال في القاموس: «تَهَلَّلَ الوجهُ والسَّحَاب: تَلَألأَ، كاهْتَلَّ».

(وجه): فاعل تهلّل. **(محبّ)** لله تعالى على الحقيقة، ولغيره على المجاز. **(بمحبّة الله)**: تعالى، متعلّق بتهلّل. **(وتبسّم)**: أي ضحك بلا صوت. **(صلاة)**: مصدر مؤكّد للفعل قبله، وهوصلّى. **(دائمة ما دامت)**: فما مصدريّة ظرفيّة، والمعنى: مدّة دوام. **(السموات)**: العليا/ [٣٣/ ب]. **(والأرض)** السفلى؛ فإنّ السماء اسم لكل ما علا وارتفع، والأرض اسم لكل ما سفل، أشار إليه في القاموس. **(تُتلى)**: بالبناء للمفعول، أي: تُقرأ. قال في القاموس: «تَلَوتُ القرآنَ، أو كلَّ كلام تِلاوةً، ككتابة: قرأته».

(بركاتها): أي بركات تلك الصلاة، جمع بَرَكَة، وهي: الزيادة والنّماء. وبارَكَ الله فيه؛ فهو مُبَارك، والأصل مبارك فيه. وجُمِع جَمْعَ ما لا يَعقِل بالألف والتاء، ومنه التحيّات المباركات، كذا في المصباح. **(على ألسنة)**: جمع لسان. **(أهل السُّنَّة)**: أي الطريقة المسلوكة في الدين. **(والفَرْض)**: المقطوع بلزومه؛ وهم أهل الملّة الإسلاميّة، والشرائع المحمّديّة. **(وتُجلى)**: بالبناء للمفعول، أي: تنكشف وتتضح معاني أسرارها، **(عليهم)**: أي على أهل السنّة، والغرض. **(في الطول والعرض)**: أي طول تلك البركات وعرضها، أو طول الزمان وعرضه. **(إلى يوم البعث)**: أي بعث الله تعالى للموتى. **(والعَرض)**: أي عرضهم عليه في المحشر.

(اللهم): أي يا الله (يا من له الأسماء) جمع اسم، وهي: التسعة وتسعون اسماً، وقد وردت فيها روايات مختلفة في أحاديث شتى، فلو جُمعت بلغت أكثر من التسعة وتسعين؛ ولكن للتسعة والتسعين سرّ الفرديّة والوتريّة؛ فإنّ تمام المئة ظهور الذات الأحديّة، فلا تتمّ مرتبة العشرات إلا بالمئة، ولا تتمّ المئة إلا بالأحد؛ فهو أول العدد، وهو آخر العدد، وهو ظاهر العدد، وهو باطن العدد، وهو بكلّ شيء من أعيان مراتب العدد كلها؛ عليم لأنّه عليم بنفسه، علم نفسَه فعلم كلّ شيء، والشيء مرتبة من مراتبه التي رتّبها، والمراتب أمور عدميّة اعتباريّة؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [٢٨/ القصص/ ٨٨]. (الحسنى): نعت للأسماء؛ فكلّ أسمائه حسنى وإن قبح بعض آثارها كالاسم المضلّ الضّار، والمؤخّر باعتبار جهل الأثر، وجهله باعتبار قصور إدراكه وغفلته عن المؤثر، فيتألّم في الآخرة بجهله، ويتعجّب بحجابه، كما قال تعالى عن أهل النار. ﴿إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [٣٦/ المطففين/ ١٥] (التي): نعت للأسماء. (هي أسمى): أي أعلى وأنزه عن أن تشابه كوناً من الأكوان، أو (أسمى) اسم محبوبة من المحبوبات، كناية عن الذات الإلهيّة. يعني: أنّ الأسماء عين الذات كما عليه المحقّقون من العارفين.

والمعنى في ذلك: أنّ الأسماء عين الذات باعتبار الأمر في نفسه، وغير الذات باعتبار النظر العقليّ. وعند بعضهم: لا عين الذات ولا غيرها، كما قالوا. (وأحسن الأسماء): جمع اسم، أي: متصفة بكمال الحُسن بالنسبة لحُسن الأسماء الكونيّة، وإن كانت الأسماء الكونيّة تشاركها في مسمّى الحُسن باعتبار أنّ الأسماء الكونيّة ظهور تلك الأسماء الإلهيّة؛ فالمعنى: أنّ ما ظهر من الأسماء الإلهيّة باعتبار آثارها ليس هو كمال الظهور؛ وإنّما هو على حسب ما يليق بالآثار. (يا من جعل كلمة المحبّة) الكونيّة، سمّاها كلمة لظهورها عنه بقوله. ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [٣٦/ يس/ ٨٢]؛ فهي صورة إرادته على مقتضى علمه، ظاهرة بأمره من حضرة

كلامه، ومثلها جميع الأكوان؛ فهي الكلمات المنقسمة إلى كلمة طيبة وكلمة خبيثة، والطيب والخبث باعتبار معناها المدلول عليه بالإلهام كما قال تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [٩١/ الشمس/ ٨]. (**شجرة طيبة**) ولو جعلها كلمة لوافق الآية في قوله. ﴿مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ [١٤/ إبراهيم/ ٢٤] إلى آخره. ولكن جعلها شجرة باعتبار ثمراتها، وذكر الغرس بعده. (**أصلها**) وهو المحبّة الإلهيّة. (**ثابت**): لا يتغيّر؛ لأنّه قديم. (**وفرعها**) الذي هو كناية عنها نفسها، لأنّها محبّة كونيّة، متفرّعة عن محبّة إلهيّة. (**في السماء**): أي في حضرة الغيب المطلق لتعلّقها بالحقّ تعالى؛ فهي محبّة كونيّة منه تعالى له تعالى. (**وغرس**): أي الله تعالى. (**في**) أراضي (**قلوب المحبّين فرعها**): أي فرع شجرة المحبّة الكونيّة: أي ما تفرّع منها عن أصل المحبّة الإلهيّة. (**وأصلها**): وهي الممدة للمحبّة الكونيّة؛ فغرس المحبّة الكونيّة [٣٤/أ] في القلوب التي هي فرع غرس لأصلها الذي هو المحبّة الإلهيّة باعتبار الإمداد الذي لا ينقطع. (**وأنزل**): تعالى. (**سكينتها**): أي سَكِينة تلك المحبّة المغروسة. والسَكينة بالتخفيف: المهابة، والرَّزانة، والوقار.

وحكى في «**النوادر**» تشديدَ الكاف، قال: ولا يُعرف في كلام العرب فعِّيلة مثقّل [العين] إلا هذا الحرف شاذاً، كذا في المصباح. (**عليهم**): يعني أنزل سبحانه وتعالى الهيبة والرزانة والوقار على ظواهر أهل المحبّة وبواطنهم. (**وكانوا أحقّ بها**): أي بالسكينة المذكورة، أو بالمحبّة. (**و**) كانوا (**أهلها**): أي السَّكينة والمحبّة. (**وجعل**): تعالى. (**نورها**): أي نور المحبّة. (**يتوقّد**) في قلوب المحبّين. (**من**): نور زيت. (**شجرة**): زيتونة. (**مباركة**): لعموم نفعها؛ وهي حضرة المحبّة الإلهيّة الذاتيّة التي هي عين الذات من وجه حقيقي، وغير الذات من وجه آخر مجازي بعلاقة المحليّة الاعتباريّة من حيث النظر العقليّ، قال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [٢٤/ النور/ ٣٥] بإضافة اسم الله تعالى إلى النور، وإضافة النور إلى السماوات والأرض؛ أي: منوِّرهما بنوره، يعني: موجدهما بوجوده. ﴿مَثَلُ

نُورِهِۦ﴾، أي: وجوده ﴿كَمِشْكَوٰةٍ﴾ أي: كوّة غير نافذة، وهي الجسد الإنسانيّ وغيره، وذلك هو الصور الظاهرة، صورالأكوان من كلّ محسوس ومعقول في الدنيا والآخرة. وتخصيص ذكر السماوات والأرض لإرادة معنى العاليات والسافلات؛ وهو شامل لجميع العوالم. ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ وذلك توجّه الأرواح على التدابير بمقتضى المقادير في جملة العوالم. ﴿ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ﴾ وهو النفوس البشريّة وغيرها من أنواع الأشياء. ﴿ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ﴾ مضيء ﴿يُوقَدُ﴾ ذلك الكوكب كما تتوقد النار بطريق الإمداد والاستمداد، كما قال تعالى: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ﴾ الآية [١٧/ الإسراء/ ٢٠] من شجرة لاشتباك بعضها ببعض؛ فجميع الأكوان واحد لاتصال بعضه ببعض، وكثرة فروعه، والأصل أصل واحد، وهذه الشجرة في الحضرة العلميّة الإلهيّة، وقد ظهرت هذه الشجرة الكونيّة على طبق تلك الشجرة العلميّة مباركة لكثرة فروعها التي لا تحصى، وهذه الشجرة في الحضرة العلميّة الإلهيّة عين الحضرة العلميّة الإلهيّة؛ إذ لا يحلّ الكون في العلم، ولا العلم في الكون لظهور الفرق بين القديم والعديم؛ ولهذا كانت في العلم عين العلم، والعلم عين الذات الإلهيّة. ﴿زَيْتُونَةٍ﴾: فإنّها ظهرت لموسى عليه السلام نوراً يتوقّد ﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَـٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ الآية [٢٠طه/ ١٠-١٢] ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ﴾ ظاهرة في عالم الكون. ﴿وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ باطنة في عالم الغيب.

(**وهو**): أي ذلك النور هو. (**النور الشريف**): الثاني. (**المحمّديّ**) الذي قال [فيه] تعالى: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾[٢٤/ النور/ ٣٥] فالنور الأوّل: نور الحقّ تعالى، القاهر فوق عباده. والنّور الثاني: هو النور المحمّدي المقهور بحكم قل: ﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾ [٤٦/ الأحقاف/ ٩] (**الذي سجدت له في وجه**): أي ذات، قال في المصباح: «الوَجْه مُستَقبَل كلّ شيء، وربّما عُبِّر بالوجه عن الذات». (**آدم**): أب البشرعليه السلام. (**الملائكة**): كلّهم أجمعون كما قال تعالى: ﴿فَسَجَدَ﴾ أي: انقاد

وأطاع تسخيراً إلهياً. ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [٣٨/ ص/ ٧٣] الالتباس والغيّ كما قال سبحانه: ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ [٦/ الأنعام/ ٩] وهم يلبسون الصور، فالبس عليهم الصُّوَر بالمصوِّر، فمنهم من حكم عليه بالصور، ومنهم من لم يره؛ لظنّه قيام الصور بأنفسها من غير رويّة المصوِّر، والمصوّر لا يفارق الصور، وهو تعالى الخالق البارئ المصوّر، وإبليس ـ الذي لم يسجد لآدم ـ أبو شياطين الجن، وشياطين الجنّ آباء شياطين الأنس، والكلّ في التباس. قال تعالى: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ / [٣٤/ ب] يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [٦/ الأنعام/ ١١٥] ولهذا قال إبليس: ﴿لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [١٥/ الحجر/ ٣٣] وقال: ﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [١٧/ الإسراء/ ٦١] لالتباس الأمر عليه.

(اللهم): أي يا الله **(إنّك آتيتنا)**: أي أعطيتنا ووهبتنا من محض فضلك وإحسانك. **(حرمته)**: أي احترامنا له صلّى الله عليه وسلّم، توفيقاً منك لنا وعناية بنا. **(وجاهه)**: أي جعلتنا نعتبر قدره الرفيع، وشأنه المنيع. قال في القاموس: «الجاه والجاهَة: القَدْرُ والمَنْزِلَة»، انتهى. أو معنى إيتاء الحرمة والجاه جعلنا ـ معشر المؤمنين ـ من أتباعه الداخلين تحت كنفه وحمايته، بحيث تكون لنا حرمة وجاه من حرمته وجاهه صلّى الله عليه وسلّم. **(وجعلت لنا عندك باتّباعه)**: أي بسبب متابعتنا له. **(في محبّتك)**: أي محبّته لك. **(وعبوديتك)**: أي عبوديّته لك. **(وَجَاهه)**: وَجُهَ بالضمّ، وَجَاهَة فهو وَجِيه: إذا كان له حظّ ورُتْبَة، كذا في المصباح. يعني: جعلت لنا بسبب متابعتنا له صلّى الله عليه وسلّم وجاهة عندك، أي: حظاً وافراً، ورُتبة عالية. ومتابعتنا له في تحصيل مقام محبته له، وعبوديّته بطريق الإرث عنه صلّى الله عليه وسلّم؛ فإنّ الورثة له صلّى الله عليه وسلّم هم أهل مقام المحبّة، ومقام العبوديّة.**(اللهم)**: أي يا الله . **(فكما جعلتنا)**: بمحض فضلك. **(من أمّته)**: صلّى الله عليه وسلّم أمّة الإجابة لدعوته. **(أحينا وأمتنا)**: أي اجعلنا في مدّة حياتنا

في الدنيا وبعد موتنا مستقيمين. (**على محبّتك**): أي نحبّك المحبّة الكاملة بحسب قدرتنا واستطاعتنا كائنينَ. (**في ملّته**): أي شريعته صلّى الله عليه وسلّم. (**وابعثنا**): أي أخرجنا يوم القيامة من قبورنا، وفي القاموس:«والبَعْث ويُحرَّك: الجَيش، وجمعه: بُعُوث، والنشر»، انتهى.

والمراد هنا: الثاني، وهو النشر، منتهينَ. (**إليك**): أي إلى حضرتك على الكشف من غير حجاب. (**تحت لوائه**): صلّى الله عليه وسلّم. (**واللواء**): العَلَم، وهو دون الراية، والجمع: ألوية. كذا في المصباح. (**المعقود**): أي المشدود المرفوع. قال في القاموس: «عَقَدَ الحَبْل والبَيْع والعَهْد يَعْقِدُه: شَدَّه» انتهى. حيث ينتهي ذلك اللواء. (**إلى مقامه**): صلّى الله عليه وسلّم. (**المحمود**): وهو مقام الشفاعة العظمى في فصل القضاء. سُمّي محموداً لأنّه يحمده فيه الأوّلون والآخرون، الأنبياء ومَنْ دونهم من أهل المحشر. (**اللهمّ**): أي يا الله. (**إنّك قد أخذتنا**): معشر بني آدم. (**كلّنا**): أي قبضت علينا مستولياً على ظواهرنا وبواطننا. (**ذرِّيّة**): حال من ضمير الجمع المنصوب، أو بدل منه. والذرّ: النسل، وذرّيّة الرجل: ولده. وضمّ الذال أشهرُ مِنْ كسرها، وبه قرأ السبعة. وبالكسر قرأ زيد بن ثابت. ووزنها: فُعْلِيَّة. من الذرّ؛ وهي صغار النمل؛ لأنّ الله تعالى أخرجهم من ظهر أبيهم كالذرِّ، وأشهدهم على أنفسهم، وقيل من الذرّ وهو التفريق؛ لأنّ الله تعالى ذَرَّهم في الأرض، أي: نَشَرَهم وفرَّقهم. وقيل: مأخوذ من ذراء الله الخلق لكن ترك الهمز تخفيفاً لكثرة الاستعمال. وتكون الذرِّيّة واحداً وجمعاً، كذا في المصباح.

(**من الظهور**): جمع ظهر، وهو خلاف البطن، أي: ظهور آبائنا يوم الميثاق، فأخرجتنا ابناً من أب إلى آدم أبي البشر عليه السلام (**قبل الظهور**): مصدر ظهر، قال في المصباح: «ظَهَر الشيءُ يَظْهَر ظُهوراً: بَرَزَ بعد الخفاء». (**وأشهدتنا على أنفسنا فقلت**) لنا. (**ألست بيتجلّى**): أي صاحبكم، ومالككم، ومربيكم. قال في المصباح: «الرَبّ يُطلق على الله تعالى معرّفاً بالألف واللام، ومضافاً. وأمّا على

غيره فقال ابن الأنباري: يكون مالك الشيء، ويكون السيِّد المطاع، ويكون المصلح، وربَّ زيد الأمر ربّاً من باب قتل: إذا ساسه وقام بتدبيره، ومنه قيل للحاضنة: رابّة وربيبة أيضاً: فعيلة بمعنى فاعلة. وقيل لولد امرأة الرجل ربيبة وربيب/ [٣٥/ أ] فعيلة بمعنى مفعولة؛ لأنّه يقوم بها غالباً تبعاً لأمّها. وجمع الربيبة ربائب، وجاء ربيبات على لفظ الواحدة».

(**فقلنا**): في الجواب لك. (**بلى**): أي أنت ربّنا، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ الآية [٧/ الأعراف/ ١٧٢] (**فزدتنا بذلك**): العهد الذي أخذته علينا. (**نوراً**): منك. (**على نور**) ظهرنا به من ظهر أبينا آدم عليه السلام؛ لأنّا كنّا على فطرتك الأصليّة. (**اللهمّ**): أي يا الله (**فكما عهدت إلينا**): أي أوصيتنا. قال في المصباح: «العهد الوصيّة، يقال: عَهِد إليه يَعْهَد، من باب تعب: إذا أوصاه، وعَهِدتُ إليه بالأمر: قدّمته. وفي التنزيل: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ﴾ [٣٦/ يس/ ٦٠]. (**بهذه الشهادة**): أي شهادة الربوبيّة التي أخذت علينا الميثاق بها (**في القِدم**): أي في ذلك الزمان الذي خلقت فيها آدم أبا البشر عليه السلام. قال في المصباح: «قَدُمَ الشيءُ بالضمّ قِدَماً وِزانَ عِنَب: خلاف حَدُثَ؛ فهو قديم. وعَيْب قَدِيم، أي: سابقُ زمانه، متقدِّم الوقوع على وقته». (**وجعلت لنا بها**): أي بهذه الشهادة المذكورة. (**عندك**): أي في حضرتك. (**يا ربّنا**): أي مالكنا ومربينا. (**قدم صدق**): أي سبق في الصدق.

قال في المصباح: «له في العلم قَدَم، أي: سَبْق، وأصل القَدَم: ما قدّمته قدّامك». قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [١٠/ يونس/ ٢]. قال البيضاوي في تفسيره: «قَدَم صدق: سابقة ومنزلة رفيعة، سُمِّيت قدماً لأنّ السبق بها، كما سُمِّيت النعمة يداً لأنّها تعطى باليد، وإضافتها إلى الصدق لتحقيقها، والتنبيه على أنّهم [إنّما] ينالونها بصدق القول والنيّة». (**وحبّذا**): يقال حبّذا وحَبّ الأمر: أي هو حبيب، فجعل حَبّ وذا كشيء واحد؛ وهو اسم، وما بعده مرفوع

به، ولزم ذا حَبَّ، وجرى كالمثل، بدليل قولهم في المؤنّث حَبّذا، لاحَبّذه، كذا في القاموس. (هو): أي قدم الصدق. (من قدم): بيان للضمير المفصل. **(وأنعمت علينا)**: بهذه الشهادة المذكورة. **(وجعلتنا من أهلها)**: أي من أهل هذه الشهادة. **(وأظهرتنا في دنياك)**: التي خلقتها يا رب مشتملة على الخير والشر. **(طاهرين)**: من كلّ دنس وكلّ سوء. قال تعالى: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ [٣٠/ الروم/ ٣٠]. وإنّما التبديل من الشيطان بالوسواس كما حكى تعالى عن إبليس أنه قال: ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾ [٤/ النساء/ ١١٩] وأمره لهم بتغيير خلق الله أي فطرته التي فطروا عليها بالوسواس إلى أبويهم كما قال صلّى الله عليه وسلّم: «كلّ مولود يولد على فطرة الإسلام ولكنّ أبواه يهوّدانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه»[١].

(ظاهرين): أي منصورين. قال في المصباح: «ظَهَرْتُ على الحائط: علوت، ومنه قيل: ظَهَرَعلى عدوّه: إذا غَلَبَه». **(على عدوِّنا)**: من الأنس والجن. **(وعدوِّك)**: كذلك. **(بقولها)**: أي الشهادة **(وفعلها)**: أي العمل بمقتضاها. **(وأحسنت إلينا)**: أكمل الإحسان قال في المصباح: «أَحْسَنتُ: فعلتُ الحَسَن، كما قيل: أجاد إذا فعل الجيّد». وفي القاموس: «والإحسانُ ضدّ الإساءة، وهو مُحْسِن ومِحْسان». **(ورزقتنا)**: أي: أعطيتنا، **(الحُسنى)**: ضدّ السَّوأى، والعاقبة الحسنة، والنظر إلى الله تعالى والظَّفَر، كذا في القاموس، وقيل الجنّة. **(وزيادة)**: على ذلك وهي. **(النظر إلى وجهك الكريم)** قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ الآية [١٠/ يونس/ ٣٦] قال البيضاوي: «الحسنى المثوبة الحسنى وزيادة، [وما] يزيد على المثوبة تفضلاً لقوله: ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ [٤/ النساء/ ١٧٣] / [٣٥/ ب] وقيل: الحسنى مثل حسناتهم، والزيادة عشر أمثالها إلى

---

(١) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب الجنائز، باب: ما قيل في أولاد المشركين، ١٣١٩.

سبعمئة ضعف وأكثر. وقيل: الزيادة مغفرة من الله ورضوان. وقيل: الحسنى الجنّة، والزيادة: اللقاء.

(**وفضلتنا على كثير من خلقك**). قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [١٧/ الإسراء/ ٧٠] وقوله: ﴿عَلَىٰ كَثِيرٍ﴾ بمعنى الكلّ كقوله: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ﴾ [٢٦/ الشعراء/ ٢٢٣]. قال الحسن البصريّ: «أي كلّهم كاذبون». وقوله: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا﴾ [١٠/ يونس/ ٣٦]. ذكر الزمخشري في الكشاف: «إنّ المراد بالأكثر الجميع». وقال البيضاوي: « وفيه تعسّف». وقال قبله: «والمستثنى ـ يعني القليل الذي ما فضّلوا عليه ـ جنس الملائكة أو الخواص منهم». ثمّ قال: «ولا يلزم من عدم تفضيل الجنس ـ يعني على القول بأنّهم الخواص منهم ـ عدم تفضيل بعض أفراده: أي أفراد ذلك الجنس، والمسألة موضع نظر»، انتهى كلامه. وموضع النظر فيها أنّ بني آدم أفضل من الملائكة، والآية تقتضي إخراج بعض الخلق عن تفضيل بني آدم عليهم، والمخرج هم الملائكة، ولا نصّ في الآية على إخراج الملائكة من المفضل عليهم. فيحتمل غيرهم ممن خلق تعالى كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [٧٤/ المدّثّر/ ٣١] وقال: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [٤٨/ الفتح/ ٤]. فكلّ مخلوقاته جنوده. وقال: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [١٦/ النحل/ ٨] (**بهذه الشهادة**): المذكورة.

(**اللهم**): أي يا الله. (**فافتح لنا أبواب رحمتك**): فإنّها كثيرة الأبواب التي يدخل منها إليها، كأنواع الطاعات، وترك المنهيّات. (**وأنظمنا**): أي اجمعنا على ترتيب مقاماتنا وأحوالنا (**في سِلك**) بالكسر، جمع سِلْكَة بالكسر: الخَيْط يُخاط به، وجمعُ الجمع: أسْلاك وسُلُوك، كذا في القاموس. (**عِقد**) بالكسر: قلادة. (**عَقد بالفتح**): أي اعتقاد. (**أهل معرفتك**): أي العارفين بك. (**واشهد لنا بها**): أي بالشهادة المذكورة. (**بين يديك**): في موقف القيامة. (**وهذا**): أي الميثاق المذكور بشهادة

الربوبيّة. (**اللهمّ**): أي يا الله. (**عهدك**): أي ميثاقك المنسوب. (**إلينا**): أنّا عاهدناك عليه، وهو قولك: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ أي: أنا يتجلّى. (**وهذا**): المذكور أيضاً هو (**عهدنا**): الذي عاهدتنا عليه المنسوب. (**إليك**): وهو قولنا ﴿بَلَىٰ﴾ يعني: أنت ربّنا. (**فأنت الحاكم**): علينا وأنت. (**الشاهد**):لنا. (**على كلّ**): أمر. (**مشهود**) به عندك، وقلت أنت بكلامك القديم عن نفسك. ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ﴾ أي: أكثر وفاء. ﴿بِمَا عَاهَدَ﴾ أي: ميثاقه. ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ لا أحد أكثر وفاء من الله بالعهد.

وقلت أيضاً: ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [٤/ النساء/ ٧٩] يشهد على كلّ شيء بما يعلمه ويسمعه ويراه. (**في مقامه**): الذي يقيم فيه نبيّه محمّداً صلّى الله عليه وسلّم يوم القيامة بالشفاعة العظمى في فصل القضاء. (**المحمود**) لأنّه يحمده فيه الأوّلون والآخرون. وضمير مقامه إلى الله في قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ وتصحّ إضافة المقام إليه؛ لأنّه هو الذي يقيم نبيّه عليه السلام فيه كما ذكرنا، خصوصاً وهو مقام الشفاعة، وقال تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [٢/ البقرة / ٢٥٥]. (**اللهمّ**): أي يا الله . (**اعفُ**): أي امحُ الذنوب (**عنّا**) قال في المصباح: «عَفَا المنزل يَعْفُو عَفْواً وعُفُوّاً وعَفَاء، بالفتح والمدّ: درس، وعَفَتْه الريحُ، يُستعمَل لازماً ومتعدّياً، ومنه: عفا الله عنك، أي: محا ذنوبك».

(**واغفر**): أي استر. (**لنا خطأنا**) بالهمز، قال في المصباح: «والخَطَأ، مهموز، بفتحتين: ضدّ الصواب، ويُقصر ويُمدّ، وهو اسم من أَخطأَ فهو مُخطِئ». (**وعَمْدَنا**): وهو ما تعمّدنا فعله. (**من الذنوب**): أي قصدنا فعله. (**واحفظ لنا شهادتنا هذه**): التي هي شهادة الربوبيّة. (**وعهدنا**): أي ميثاقنا الذي أخذته علينا. ومعنى حفظه لنا تذكيرنا به في غالب أوقاتنا حتى ندوم على مراقبتك / [٣٦/ أ] في سائر أحوالنا. (**وارحم آباءنا**): جمع أب، والأصل أباءنا وأمّهاتنا، لكن غلب لفظ الآباء على الأمهات، كالأبوين للأب والأمّ، وذلك إلى آدم أبي البشر. (**ومشايخنا**) جمع شيخ: وهو معلم الناس الخير لنا. وقدّم الآباء لأنهم سبب الإيجاد، والمشايخ سبب الإمداد، والإيجاد قبل الإمداد. (**وإخواننا**): جمع أخ. قال

في المصباح: «الأخ لامه محذوفة، وهي واو، وتردّ في الثنية على الأشهر، فيقال: أَخَوان. وفي لغة يُستعمل منقوصاً، فيُقال أَخَان، وجمعه: إخوة وإخوان، بكسر الهمزة، وضمّها لغة، وقلّ جمعه بالواو والنون، وعلى: آخاءٍ وِزان آباء أقلّ. **(ومن آمن بك)**: من المسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات. **(وأحبّك)**: يا ربّنا، أي: أهل محبتك. **(في سائر الملل)**: أي الأديان الماضية، جمع ملّة، وهي الدين، والمراد الأمم الماضون، المؤمنون بأنبيائهم، عليهم السلام. **(وأعذنا)**: أي اعصمنا واحفظنا، يقال: استعذتُ بالله ، وعُذْت به مَعَاذاً وعِيَاذاً: اعتصمتُ وتعوَّذتُ به، وعَوَّذْت الصغير بالله . كذا في المصباح **(من السأم)**: سِئِمتُه أَسأَمُه، مهموز، من باب تعب، سَآماً وسَآمَة، بمعنى: ضَجِرتُه ومَلَلْته، ويُعدّى بالحرف أيضاً، فيقال: سَئِمتُ منه. وفي التنزيل: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾ [٤١/ فصلت/٤٩] كما في المصباح. (و) من **(الفتور)**: أي الضعف، فَتَرَ عن العمل فُتُوراً، من باب قعد: انكسر عن حدّته ولان بعد شدّته، ومنه: فَتَر الحَرُّ إذا انكسر، فَتْرَةً وفُتُوراً، كذا في المصباح. (و) من **(الملل)**: مَلِلْتُه ومَلِلْتُ منه مَلَلاً، من باب تعب، ومَلَالَة: سَئِمْتُ وضَجِرْتُ، كما في المصباح. **(ولا تجعل للشيطان)**: من الإنس والجنّ. **(علينا سلطاناً)**: أي ولاية، وتحكّماً، وتسليطاً، قال في المصباح:«سَلَّطتُه على الشيء تَسليطاً: مكّنته منه، فتسلّط وتمكّن وتحكّم». **(واحرس)**: أي احفظ. **(منه)**: أي من الشيطان. **(قلوبنا)**: فلا يقدرعلى التسلّط عليها بالوسوسة والتسويل. **(التي)**: نعت للقلوب. **(وجعلتها لك بيوتاً)**: جمع بيت، أي: تسكن فيها بدوام ذكرها لك، ومراقبتها لأمرك. **(ولمحبّتك أوطاناً)**: جمع وطن، وهو: المكان والمقرّ، وفي المصباح: «وأَوطَنَ الرجلُ البلدَ واستَوطَنَه وتَوَطَّنَه: اتّخَذَه وَطَناً، والمَوْطِن: مثلُ الوطن». **(اللهم يَسِّر لنا أمورنا)**: أي اجعلها ميسَّرة، سهلة التناول. **(واشرح بأنوار محبّتك)**: أي محبتنا **لك** أو محبّتك لنا. **(صدورنا)**: أي اجعلها واسعة لا تضيق لأمر من الأمور أصلاً، وفي المصباح: «شَرَحَ الله صدرَه للإسلام شَرْحاً: وَسَّعَه لقبول الحقّ». **(اللهم فقّهنا)**: أي فهّمنا. **(في)** دين **(محبّتك)** بحيث نفهم

عنك الأسرار في طي الأخبار. (**وعلّمنا تأويل**): أي ما يؤول إليه معنى. (**كلامك**): القديم من المحكم والمتشابه. (**وفهّمنا كلام أهل معرفتك**): من العارفين بك، والمحقّقين في دينك سواء كان كلامهم منظوماً، أو منثوراً. (**حتى نهتدي بهم**): أي بأهل معرفتك. (**في السير**) إليك (**إذا وفدنا**): أي نزلنا. (**عليك**): بالوصول إلى حضرتك العليّة وحتى. (**نقتدي بسلوكهم**): أي سلوك أهل معرفتك. (**الذي يوصلنا إليك**): فيوفقنا بين يديك. (**اللهم إنّ عبدك**): الشيخ الإمام العارف الكامل عمر بن الفارض قدّس الله سرّه. (**منشئ**): أي ناظم. (**هذا الديوان**) الشريف. (**في**) ذكر. (**محاسن**) جمع حُسْن، قال في القاموس: «الحُسْن، بالضمّ: الجمال، وجمعه: محَاسِن، على غير قياس. (**معرفتك اللطيفة**): نعت للمحاسن. (**وتُرْجُمان**): كعُنْفُوان، وزَعْفَران: المُفَسِّر للسان، وقد ترجمه، و ـ عنه، والفعل يدلّ على أصالة التاء، كذا في القاموس، وفي المصباح: «تَرجم فلان كلامه: إذا بيَّنه وأوضحه، وتَرْجَمَ كلامَ غيره: إذا عَبَّر عنه بلغة غير لغة المتكلّم. واسم الفاعل: تَرْجُمان، وفيه لغات، أجودها فتح التاء وضمّ الجيم، والثانية: ضمّهما معاً تجعل التاء تابعة للجيم، والثالثة: فتحهما/ [٣٦/ ب] بجعل الجيم تابعة للتاء، والجمع تَرَاجِم، والتاء والميم أصليّتان؛ فوزنْ تَرْجَمَ: فَعْلَل، مثل: دَحْرَج». (**سلطنة**): أي ملك ملوك. (**محبّتك الشريفة**) يترجم للناس ما يردعليه من معاني الحقائق في مقام محبّته لك، أو محبّتك له التي هي من أشرف المقامات. (**قد جعل الغرام**): أي الولوع، والشرّ الدائم، والهَلاك، والعَذاب، والمَغْرَم، كمُكْرَم: أسيرُ الحبِّ والدين، والمُوْلَع بالشيء. كذا في القاموس. (**قلبه جُذاذاً**): جَذَذتُ الشيءَ جَذّاً، من باب قتل: قَطّعتُه، فهو مجْذوذ، وجَذَذْتُه: كسرتُه، ويقال لحجارة الذهب وغيره التي تُكسر جُذاذاً، بضمّ الجيم وكسرها، كما في المصباح.

(**ووجد**) في نفسه. (**بتلف**): أي بسبب هلاك واضمحلال. (**مُهْجَتَه**): المُهْجَة الدَّمُ، أو دَمُ القلب والروح، كذا في القاموس، والرُوحُ، بالرفع: معطوف على الدم، يعني: والمهجة معناها الروح أيضاً. (**في هواك لَذاذاً**): قال في المصباح: «لَذَّ

الشيءُ يَلَذُّ، من باب تعب، لَذاذاً ولَذاذة، بالفتح: صار شهيّاً، فهو لَذٌّ ولَذيذ. **(وتلت)**: أي قرأت علي قلبه. **(مثاني الجلال)**: أي مقام الجلال الإلهيّ على صفحات الآثار الذي هو كالمثاني، أي القرآن المنزل فرقاناً للفرق والتمييز بين الخير والشرّ، والنفع والضرّ، كما قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ ﴾ الآية [٣٩/ الزمر/ ٢٣] وقال في القاموس: «المثاني القرآن، أو ما ثُنِّيَ منه مرة بعد مرة، أو الحمد، أو البقرة، إلى براءة، أو كلّ سورة دون الطول، ودون المئتين، وفوق المفصّل، أو سورة الحج، والقصص، والنمل، والعنكبوت، والنور، والأنفال، ومريم، والروم، ويس، والفرقان، والحِجْر، والرعد، وسبأ، والملائكة، وإبراهيم، وص، ومحمّد، ولقمان، والغُرَف، والزخرف، والمؤمن، والسجدة، والأحقاف، والجاثية، والدخان، والأحزاب.

(سورها) جمع سورة. **(وَجَلَت)**: أي كشفت وأوضحت. **(عليه)**: أي على روحانيّته. **(معاني الجمال)**: الحقيقي الإلهي. **(صورها)**: الظاهرة بملاح الأكوان في أنواع الكيفيّات والألوان. **(وراقب أفلاك)**: جمع فَلَك بالتحرك. **(المعرفة)**: الإلهيّة، أي: ماتدورعليه المعاني الكشفيّة، والأسرار القدسيّة. **(فأطلعت)**: أي أظهرت له تلك الأفلاك المذكورة. **(شمسها وقمرها)**: أي حضرة الذات الأحديّة المتجلّية بحضرة الأسماء الواحديّة، كما ورد في حديث مسلم عن أبي سعيد الخدري: «أنّ ناساً في زمن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربّنا يوم القيامة؟. قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: نعم. هل تضارّون في رؤية الشمس بالظهيرة صحواً ليس معها سحاب؟!. وهل تضارّون في رؤية القمر ليلة البدر صحواً ليس فيها سحاب؟!. قالوا: لا يا رسول الله. قال: ما تضارّون في رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة إلا كما تضارّون في رؤية أحدهما»[1].

---

(١) قطعة من حديث طويل متّفق عليه بين الشيخين من مسند أبي سعيد الخدري. أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب الرقاق، باب: الصراط جسر جهنّم، ٦٥٧٣. كما أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: معرفة طريق الرؤية.

(فهام) من الهيام، قال في المصباح: «هام يَهِيم هَيْماً[1] وهُياماً: خرج على وجهه لا يدري أين يتوجّه، فهو هائم إن سلك طريقاً مَسلوكاً، فإن سَلَكَ طَريقاًغيرمسلوك فهو راكب التعاسيف (**بها**): أي بسبب أمر عظيم ظهر له. (**لا تدركه**): أي تشعر به (**الأفهام**): جمع فهم. والمراد: جنس الأفهام على طريقة الاستغراق، فيشمل فهمه هو؛ فإنّ العجز عن إدراك ذلك هو الإدراك له، كما ورد عن الصديق الأكبر في قوله: «العجز عن درك الإدراك إدراك. (**وأقام نفسه**): بالكشف عن حقيقتها. (**في مقام محبَّتك**): فصارت محبّته لنفسه عين محبّته لك. (**باتّباع**): أي بسبب متابعته لشريعة. (**نبيّك وحبيبك محمّد عليه أفضل الصلاة والسلام وسائر**): أي ساوى في السير. (**في**) موكب. (**محامل**): جمع مَحْمِل، وزان مجلس: الهَوْدَج، ويجوز مِحْمَل وزان مِقْوَد. كذا في المصباح. (**العشق**): أي/ [٣٧/ أ] زيادة المحبّة، ومحامل العشق، هي القلوب المولّهة في الله لاشتمالها على روحانيّات الأنوار الأقدسية في الحضرة الربّانيّة، رجالاً هم العارفون المحقّقون، وآيات قربه، لعلو منزلتهم عند الله تعالى في حضرات قربه. (**ولـمّا تراءت له**): أي تصدّت ليراها. قال في القاموس: «تراءى لي، وترأَّى: تصدّى لأراه، وهو مِنِّي مرأى ومَسْمَع، ويُنْصَب، أي: بحيث أراه وأسْمَعُه». (**جِمال**) بالكسر، جمع: جَمَل. (**هوادج**) جمع هودج، وهو مَرْكَب للنساء، كما في القاموس. (**الجَمال**) بالفتح، وهو الجمال الإلهي الظاهر في محاسن الروحانيّات الكاملة تحت أستار القلوب الفاضلة الراكية على إبل الأجسام المحمولة الحاملة. (**غلب عليه الحال**): الربّانيّ والمقام الصمدانيّ. (**فنادى**) في الملأ الأعلى بين أهل السرّ الأحلى، والكشف الأجلى؛ لأنّهم الذين يفهمون الإشارات، ويعرفون معاني العبارات. (**فقال**): بلسان كنت لسانه الذي ينطق به في تحقيق المقال[2].

---

(١) ورجل هَيْمان: عطشان».

(٢) قال في القاموس: عسفه تعسيفاً: أتعبه.

(١) سَائِقَ الأَظْعَانِ

[الرمل]

١ - سَائِقَ الأَظْعانِ يَطْوِي البِيْدَ طَيْ   مُـنْعِماً عَـرِّجْ عَـلَى كُثْبَـانِ طَـيّ[1]

سُقْتُ الدابّةَ أَسُوقُها سَوْقاً، والمفعول مَسُوقٌ، على مفعول، كذا في المصباح، والفاعل سائق؛ وهوالذي يحثّها من ورائها لتمشي، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ﴾ [٢٢/ البروج/ ٢٠]، أي: من حيث لا يعلمون، فهوالسائق. قال في القاموس: «والقَوْد نقيض السَّوْق؛ فهو من أمام، وذاك من خَلْف»، كما قال صلّى الله عليه وسلّم: «لو كُشف الغطاء لوجدتَ سائقاً يسوق، وقائداً يقود»[2]؛ فالغافل يسوقه من خلفه، كما قال تعالى: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [٣/ آل عمران/ ١٨٧]. يعني: كتاب الله، وهو القرآن الذي قال تعالى: وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [٨٥/ البروج/ ٢٠-٢٢] والعارف يقوده من أمامه، كما قال صلّى الله عليه وسلّم: «إنّ الله في قبلة أحدكم»[3]، وقال: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [١٨/ الكهف/ ٢٨]، وإنّما خاطب ههنا السائق دون القائد، فناداه، وحذف حرف النداء كتماناً للسرّ، لأنّه يسوق الأظعان، لا يقودها، جمع ظَعينة، قال في المصباح: «ويقال للمرأة: ظَعِينَة فَعيلة بمعنى مفعولة؛ لأنّ زوجها يَظْعَن بها، أي: يرتحل.

---

(١) معظم الطبعات تسكّن حرف الرويّ دون أن تشدّده، ودون مراعاة أنّ بعض الكلمات لا يصحّ إلّا تشديدها، وبعضها الأخر لا يحتاج، وقد كان النابلسيّ يشير إلى التشديد في شرحه؛ فشدّدنا الرويّ حيث قاله، وسكّنا بعضها على لغة ربيعة كما قاله، انظر مثال ذلك في ص٣٣٧، سطر٣.

(٢) لم نعثر عليه في مصادرنا.

(٣) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب: العمل في الصلاة، باب: ما يجوز من البصاق والنفخ في الصلاة، ١٢١٣، عن ابن عمر رضي الله عنه، أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم رأى نخامة في قبلة المسجد، فتغيّظ على أهل المسجد، وقال: إنّ الله قِبَل أحدكم، فإذا كان في صلاته فلا يبزقنّ » أو قال « لا يتنخّمن. ثمّ نزل فحتّه.

ويقال: الظَّعِينَة الهَوْدَج سواء كان فيه امرأة أم لا. ويقال الظعينة في الأصل وصف للمرأة في هودجها، ثمّ سُمِّيت بهذا الاسم وإن كانت في بيتها؛ لأنّها تصير مظعونة». وقال في القاموس: «الظَّعينة: الهَوْدَج، فيه امرأة أم لا. وجمعه: ظُعْن وظُعُن وظَعائن وأَظْعَان، والمرأة ما دامت في الهودج»، انتهى.

وعلى كلّ حال فالأظعان أستار وحجب، وتحتها أرْواح ونفوس محجوبة بالغفلات، والسائق يسوقها، فيطوي بها (البِيد): بالكسر، جمع: بَيداء، قال في المصباح: «البَيْداء المفازة، والجمع: بِيد، بالكسر». وهي مسافات الزمان يوماً فيوماً. ثمّ أكّد الطيّ بالمصدر لسرعته، وجملة يطوي البيد (طيّ): حال من سائق الأظعان. و(منعماً): حال من سائق الأظعان أيضاً، أي: حال كونك منعماً بهذا الطيّ على الأظعان بتقريبها إليك مسرعة، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ﴾ [٨٤/ الانشقاق/ ٦] قال في القاموس: «كَدَح في العَمَل كمنع، سَعَى وعَمِل لنفسه خيراً أو شراً». أو حال من فاعل عرِّج، قُدّم عليه للوزن، والتقدير: عرّج حال كونك منعماً عليّ بذلك التعريج، قال في المصباح: «وما عَرَّجْتُ على الشيء، بالتثقيل، أي: ما وقفتُ عنده، وعَرَّجتُ عنه:عَدَلْتُ عنه وتركته». وفي القاموس: «عَرَّج تَعْريجاً: مَيَّل وأقام، وحَبَس المطيّ على المنزل كتَعَرَّج». ومراده عرّج بي أو بها، أي: بالأظعان، أو بنا جميعاً. (على كثبان): جمع كثيب، بالثاء المثلثة، قال في المصباح: «كَثَبَ القوم من باب ضرب: اجتمعوا، وكَثَبْتُهم: جَمَعتهم، يتعدّى ولا يتعدّى. ومنه كَثيب الرمل لاجتماعه/ [٣٧/ ب] وجمعه كثبان، وانكثب الشيء اجتمع». يشير بالكثبان إلى المقامات المحمّديّة في الحضرات الأحديّة، ولهذا أضافها إلى طيء، اسم قبيلة من قبائل العرب، منها حاتم المشهور بالكرم. يعني: عرّج بي أو بهم على المقامات المحمّديّة التي لا انقضاء لها؛ فصاحبها دائم الترقّي، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ﴾ [٣٣/الأحزاب/ ١٣] أي: يا أصحاب محمّد صلّى الله عليه وسلّم، يعني: ورثته المحمّديّين. ويثرب من أسماء المدينة. ﴿لَا مُقَامَ لَكُمۡ﴾ [٣٣/الأحزاب/ ١٣] أي: لا تقفون عند مقام؛ بل أنتم دائمون في الترقي، كما قال صلّى الله عليه وسلّم: «إنّه ليغان

على قلبي، وإنّي لأستغفر الله في اليوم والليلة أكثر من سبعين مرة، وفي رواية مئة مرّة»[١] وقال أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه أنّه غين أنوار لا غين أغيار. يعني: أنّه صلّى الله عليه وسلّم كلّما ترقّى إلى مقام وجد المقام الأوّل الذي كان فيه غيناً، أي: حجاباً فيستغفر الله تعالى منه، وربّما يقال كثبان طي: هي مقامات شيخه وأستاذه الشيخ الكامل، و العالم العامل، المحقّق العارف الذي هو من بحار العلوم الإلهيّة غارف، محيي الدين بن العربي الحاتمي الطائي الذي هو من ذرِّيّة حاتم طيء، وقبيلته هي قبيلة طيء، من عرب المغرب، كما قدّمنا أنّ الشيخ عمر أخذ عن الشيخ الأكبر رضي الله عنهما، وذكر الشيخ أحمد المقَّري[٢] في كتابه: «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب» في ترجمة الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي قدّس الله سرّه، حكى المقريزي في ترجمة سيِّدي عمر بن الفارض ـ أفاض الله علينا من أنواره ـ أنّ الشيخ محيي الدين بن العربي بعث إلى سيّدي عمر يستأذنه في شرح التائيّة. فقال: كتابك المسمّى بالفتوحات المكّيّة شرح لها»[٣] انتهى. وهذا القول من سيّدي عمر قدّس الله سرّه بيان؛ لأنّه كان يستمدّ في تائيّته من فتوحات الشيخ محيي الدين، وأنّ إمداده من فيض إمداده، ويؤيّد ذلك ما ذكره العلامة خاتمة المحدّثين النّجم الغزّيّ[٤] رحمه الله تعالى

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الذكر، والدعاء، والتوبة، باب: استحباب استغفار والاستكثار منه، ٧٠٣٣.

(٢) أبو العبّاس: أحمد بن محمّد بن أحمد المَقري، أصل أسرته من مَقَّرة، بفتح الميم وتشديد القاف المفتوحة. وُلد بتلمسان، ونشأ فيها، وتنقّل في المغرب ومصر والحجاز والشام. شهد انقطاع آخر صلة للعرب بالأندلس، ثمّ غزا الإسبان مدن المغرب. توفي بمصر ١٠٤١هـ بعد أن خلّف الكثير من الكتب، منها: ـ أزهار الرياض في أخبار عياض ـ إضاءة الدجنّة في عقائد أهل السنّة. ونفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب. انظر مقدّمة نفح الطيب بتحقيق الدكتور إحسان عبّاس.

(٣) انظر نفح الطيب، الباب الخامس، ج٢ ص١٦٦. وهنا يتفاخر المتحمِّسون لابن الفارض بهذه الأسبقيّة له على ابن العربيّ، بينما يرى متحمسوا ابن العربيّ هذه الحادثة بالعكس تماماً.

(٤) النجم الغزّيّ، علي بن عبد الحيّ بن علي بن سعودي، النجم الغزّيّ، الشافعيّ، الدمشقيّ، العالم =

في تاريخه «الكواكب السائرة في أعيان المئة العاشرة» في ترجمة القاضي زكريّا[1] قال: «سمعت بعض إخواننا يحكي أنّه روي أنّ الشيخ محيي الدين بن العربي قدّس الله سرّه كان يُعرض عليه كلام سيّدي عمر بن الفارض قدّس الله سرّه فيقول: هو كلامنا لكنّه أبرزه في قالب آخر. وكان يقول هو ماشطة كلامك»[2].

انتهى. فطلب من سائق الأظعان أن يوصله إلى مقامات شيخه المذكور، وشيخه المذكور وارث محمّديّ، لا يقف عند مقام، بل هو دائم الترقي. وكنّى عن المقامات الكثيرة بالكثبان؛ لأنها التلال من الرمل. ولم يجعلها تلالاً من التراب لأنّ التراب يلصق بعضه ببعض فلا يتبيَّن، بخلاف الرمل، فإنّ كلّ رملة متفرّدة عن الأخرى، فهو متبيّن، والمقامات متبيّنة لصاحبها كمال البيان، والله المعين المنّان.

٢- وَبِـذَاتِ الـشَّيحِ عَنِّـي إنْ مَـرَرْ　　تَ بِحَـيٍّ[3] مـن عُرَيـبِ الجِـزْعِ حَـيِّ

(بذات الشيح): أي في ذات الشيح، وهو موضع من ديار بني يربوع، فلاة مشتملة على هذا النبت الطيِّب الرائحة. كَنَّى بذلك عن مقام الحيرة في الله، يشمّ رائحة طيبة من غير أن يدرك شيئاً من قبيل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ وهو تنزيه ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [٤٢/ الشورى/ ١١] تشبيه؛ فالأمر بين التنزيه

= المؤرِّخ. ولد وتوفي في دمشق ١٠٢٦-١٠٩١هـ، تاريخه من أشهر كتبه. انظرخلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحبّي، حرف الميم، ج٢ ص١٠٩١.

(١) القاضي زكريّا: زكريّا بن محمّد بن زكريّا الأنصاري ٩٢٦-١٠٩٢ هـ عُمِّر مئة وثلاث سنوات، ترجم له الشعراوي في الطبقات الكبرى، أمثل أهل زمانه، وأرأس العلماء، رزق البركة في عمره وعلمه وعمله، وأعطي الحظّ في مصنفاته وتلاميذه؛ فلم يُعرف مثله مَنْ قُرئ عليه من تآليفه سبعاً وخمسين مرّة. بلغت مصنّفاته الأربعين، في شتّى علوم الدين والتاريخ والأدب والنحو. انظر الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة ج١ ص١٢٦.

(٢) انظر الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، ج١ ص١٢٨.

(٣) عند اسكاتولين لحيّ، وقد اعتمد نسخة مكتبة يوسف آغا، المنسوخة مابين سنة (٦٤٠-٦٧٣)هـ قونية، تركيّا،وقد رمزنا لها بـ (ق).

والتشبيه، فاللّذة في المشاهدة تمنعه من التأخر، ولا يزيده التقدّم إلّا حرصاً وطمعاً، كماء البحر لا يزداد الشارب منه إلا عطشاً. فأشار بالشيح إلى أنه ليس ثَمّ شيء يدركه بالبصر إلا صور كثيفة. وليس المقصود تلك الصور؛ وإنّما هناك رائحة عطريّة هي حظّ القلوب من إدراك هذا المحبوب، قال تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [٦/ الأنعام/ ١٠٣] ومن هنا سُمّيت الروح، لأنّها رائحة الأمر الإلهي كما قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨٥] وقد نُفِختْ في الأجسام كما علقت الرائحة بذي الرائحة، وإنّما يطلب المسك والعنبر لأجل رائحتها الطيِّبة. وقوله (عنِّي): الجار مع المجرور متعلِّق بقوله حيْ في آخر البيت، أي: حَيٍّ عنّي من قبيل قوله عليه السلام بعد سلامه من الصلاة: «اللهمّ أنت السلام، ومنك السلام، وإليك يرجع السلام»[1] وهذا تشبيه . ثمّ نزه فقال: «تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام».

وقوله إن مررت يخاطب السائق فيقول له: إن مررت في هذا المقام المُكنّى عنه بذات الشيح. والمراد: إن مررت بي، كقوله في البيت الأوّل عرّج أي: بي، كما قدّمنا، لأنّ السائق لا يمر بنفسه بذات الشيح؛ بل بالأظعان. والقائل إن مررت من جملة الأظعان، وهذا من قبيل قول العارف:

أعارتــــه طرْفـــاً رآهـــا بــــه   فكـــان البـــصير لهـــا طرفهـــا

[٣٨/ أ] وقوله (بحيّ): متعلّق بمررتَ. و الحيّ: القبيلة، كناية عن المناظر العُلا التي هي محط رحال السائرين، ومركز الهمم من قلوب العارفين، وذلك

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، باب: من حديث ثوبان، ٢٣٠٢٦، عن ثوبان مولى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: «كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إذا أراد أنّ ينصرف من صلاته استغفر ثلاث مرّات ثمّ قال: اللهمّ أنت السلام ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام» أي: دون لفظ: وإليك يرجع السلام. قال الملّا علي القاري في شرح مسند أبي حنيفة ج١ ص٩٤: «قال شيخ مشايخنا الجزريّ في التصحيح: وأمّا ما يزيد بعد قوله ومنك السلام من نحو: وعليك يرجع السلام فحيينا بالسلام، وأدخلنا دار السلام، فلا أصل له عند علمائنا الكرام.

منتهى ما يظهر للعارف بحسب استعداده من الحضرة الإلهيّة المتجلِّية عليه. وقوله (من عُريب): بيان للحيّ. وعُريب تصغيرعرب، صغّرهم للتعظيم، واشتقاقه من أعرب: إذا أبان وأفصح. و(الـجِزْع): بكسر الجيم: منعَطف الوادي ووسطه، أو منقطعه ومنحناه. إشارة إلى أنّ هذا الحي انعطفت عليه جميع الآمال، وانقطعت إليه مقاصد الرجال، وألقيت في ساحته عصا الترحال، وماذا بعد الحقّ إلا الضلال. والإشارة إلى الوادي بذكر الجِزْع من مقام الموسوي، كما أشار إلى ذلك الشيخ الأكبر، فإنّه الخطيب على هذا المنبر بقوله:

عـرّج ففـي أيمـن الـوادي خيـامُهم ... لله درّك مـــا تحويـــه يـــا وادي

جمعْـتَ قومـاً هُـمُ نفسي وهُـمْ نفسي ... وهـم سـوادُ سـويدا خِلْـب أكبـادي

٣- وتلطّـف واجْـرِ ذِكْـري عنـدهم ... عَلّهُــمْ أَنْ يَنْظُــروا عَطْفــاً إلَــيّ

الخطاب لسائق الأظعان؛ فإنّه لمّا كان سائقاً لها بها وهي كثيفة من عالم الأجسام دعاه إلى التلطّف ليناسب ذكر الحيّ من العريب، كقوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [١٧/ الإسراء/ ١] فإنّ عبده نفس وروح وجسم. وقد حصل الإسراء بذلك كلّه، فقدّم التسبيح ليحصل التلطّف بالخروج عن الكثائف إلى عالم اللطائف برجوع الكلّ لطيفاً مع بقاء الكلّ على ما هو عليه، وهوعالم الجمع الكلّي من اسمه اللطيف. (واجْرِ ذِكْري): الذي هو ذكرك لي من حيث أنّا كما قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [١٥/ الحجر/ ٩] وقوله (عندهم): أي عند ذلك الحيّ عن العريب، كما قال: ﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى﴾ [٨٩/ الفجر/ ٢٩] فيكون الكلّ راجعاً إليه كما كان ظاهراً منه ثمّ قال (علّهم أن ينظروا): فترجّى نظرهم من قبيل كنت بصره الذي يبصر به. (عطفاً): أي من جهة العطف، أي الترحم والتحنن. (إليّ) بتشديد الياء؛ وهي حظيرة القدس التي يجمع الله تعالى فيها المقرّبين في الدنيا والآخرة. وقد شوهد من أكل منهم عن الآخر وهو بعيد عنه في مسافة طويلة،

فيجد الآخر الأكل ينزل في حلقه، ولا يعلم ذلك من أين يحصل له. وفي قوله **(أن ينظروا)**: إشارة إلى أنّ أمر السالك لا بدّ لها أن يكون مُثاراً من جهة الشيوخ بطريق النظر لا من جهة نفس السالك؛ لأنّ ظلمة النفس مانعة من التحاق الأنوار بعضها ببعض، والإثارة الأمريّة إنّما هي في الأصل من جهة الغيب المطلق كما قال: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٥٥] فإنّ الشفاعة شَفعيّة، وهي خلاف الوِتريّة؛ فالأذن يلزمها. قال: ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا﴾ [١٠٠/ الهُمَزة/ ٤-٥]. والجمع لا يكون إلا بالإثارة للنقع. وقال الشيخ أبو بكر الشبلي:

أيهـــــا المعـــــــرض عنّـــــا إنّ إعراضـــــــك منّـــــــا
لـــــو أردنـــــاك لمـــــا كنـــــت حقيقـــــاً لم تردنـــــا

٤- قُلْ تَرَكْتُ الصَّبَّ فيكم شَبَحاً مـا لـه ممّـا بـراهُ الشوقُ فَـيّ

يعني: قل لهم يا سائق الأظعان، بعد التلطّف بهم، وإجراء ذكري عندهم لينظروا بالعطف إليّ **(تركت الصبّ)**: أي المحبّ لكم من الصبابة؛ وهي زيادة المحبّة فيكم، أي: في مقام محبّتكم (شبحاً): لخروجه عن كثافة غيريّته، لكن المحبّة حجاب عن المحبوب، وهو الشبح الحائل لنسبة المحبّة إليه. ثمّ قال **(ما له فَيّ)**: بتشديد الياء. وأصله بالهمزة ، وهو الظلّ الذي فاء، أي: رجع. لكن الشاخص في آخر النهار، فكأنّه راجع عن كونه شبحاً شاخصاً أيضاً، وذلك **مما** براه، أي: من/ [٣٨/ ب] كثرة ما براه الشوق إليهم، وما تركه وعدل عنه إلا بسبب حجاب غيريته بمحبّته؛ فإنّ كلّ محبّ غير المحبوب؛ فالمحبوب تاركه؛ فهو عنه محجوب. ولو قرت عينه بعينه لكانت العين واحدة، والفاقدة واجدة.

٥- خَافِياً عَـن عَائِـدٍ لَاحَ كَـمَا لَاحَ فِي بُرْدَيْـهِ بَعْـدَ النَّـشْرِ طَـيّ

ثمّ ذكر أحواله في مقام المحبّة فقال **(خَافِياً)**: أي مستتراً. **(عن عَائِدٍ)**: يعوده. والعائد: هو زائر المريض، من قوله عليه السلام في الحديث القدسي: «مرضت

فلم تعدني» ثمّ قال: «مرض عبدي فلان فلو عدته لوجدتني عنده» يعني: لو عدته على ما هو عليه في حاله «لوجدتني عنده»[1] كما قال تعالى في السراب: ﴿يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً﴾؛ لأنّ الجهل ظمأ، يطلب صاحبه ماء العلم فلا يجده. فإذا جاءه ﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ [٢٤/ النور/ ٣٩]؛ لأنّ ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [٢٨/ القصص/ ٨٨] ﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾ [٢٤/ النور/ ٣٩]. ثمّ قال عنه (لاح): أي ظهر. (كما لاح): أي ظهر. (طَيّ) فاعل لاح الثاني. (في برديه): تثنية بُرد، بالضمّ. (بعدَ النَشْرِ طَيّ) فإنّ ذلك الطي الذي لاح في برديه أثر عدمي لا وجود له، والوجود للبردين: برد الظاهر من عالم الخلق، وبرد الباطن من عالم الأمر. قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [٧/ الأعراف/ ٥٤] وهذا الطيّ والنشر كائن دائماً في الخلق والأمر وإن خفي على كثير من الناس، ولا يظهر إلا كلمحٍ بالبصر، ولا يبطن أيضاً إلا كلمحٍ بالبصر.

٦- صَارَ وَصْفُ الضُّرِّ ذَاتِيّاً لَهُ عَنْ عَنَاءٍ وَالكَلَامُ الحَيُّ لَيْ

(وصف الضر): هو البلاء الملازم، كما قال أيوب عليه السلام: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ﴾ [٢١/ الأنبياء/ ٨٣] فأيوب عليه السلام مسّه الضر لأنّه في مقام الوحي، فاقتضى الدعاء بالإذن الإلهيّ. والوليّ يقول بالإلهام مع أنّه القائل:

(١) قطعة من حديث، أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البرّ والصلة، باب: فضل عيادة المريض، ٢٧٢١، بلفظ: «إنّ الله عزّ وجلّ يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضت فلم تعدني. قال يا ربّ، كيف أعودك وأنت ربّ العالمين؟. قال: أما علمت أنّ عبدي فلان مرض ولم تعده، أما أنّك لو عدته لوجدتني عنده. يا ابن آدم، استطعمتك فلم تطعمني. قال: يا رب، كيف أطعمك وأنت ربّ العالمين؟. قال أما علمت أنّه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه، أما علمت أنّك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي. يا ابن آدم، استسقيتك فلم تسقُني. قال يا ربّ، كيف أسقيك وأنت ربّ العالمين. قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه، أما إنّك لوسقيته وجدت ذلك عندي». كما أخرجه البخاريّ في الأدب المفرد، وذكره الألبانيّ في صحيح الأدب المفرد، باب: عيادة المريض، ٥١٧/ ٤٠٢.

ولم أقـــــــــلْ جَزَعـــــــــاً   يـــــا أزمـــــــةُ انفرجـــــي[1]

يعني: من جهة الجزع؛ وهو عدم الصبر، وكون (**وصف الضرِّ ذاتياً له**): أي لا ينفك عنه كما قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾ [٧٦/ الإنسان/ ٣] أي: حال كوننا مبتلين له. والابتلاء: هو وصف الضُّرّ. وفي الحديث: «أشدّ الناس بلاء الأنبياء ثمّ الأمثل فالأمثل»[2] أي: الأقرب فالأقرب من ميراث الأنبياء في العلوم والأخلاق. وقوله(**عن عناء**): أي عن تعب ومشقّة؛ وهو الاكتساب الذي نال به مقام ولاية الله تعالى، كما قال سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [٢٩/ العنكبوت/ ٦٩]، وقال: وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٨٢] بخلاف النبوة؛ فإنّها لا تحصّل بالاكتساب. وقوله (**والكلام الحَيُّ**): وهو الصدق من الأحوال إذا تحدّث به في نفسه عن نفسه فهو(لَيْ) بفتح اللام وسكون الياء، أي: صار ليّاً، بالتشديد، أي: كذباً عنده لاحتجاجه برؤيته عن شهود ربّه؛ فالكامل من أراه الله تعالى حقيقة أمره، فوجد المؤمن أسماء لله سبحانه، والوليّ والشهيد كذلك، فاستغنى بربّه عن من سواه قال تعالى: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٩٦] وكلّ من وجد سواه في نفسه أو غيره فهو مؤمن ناقص الإيمان، ووليّ مدَّعي الولاية، وشهيد لا شهود له.

٧- كَهِـــلَالِ الـــشَّكِّ لَـــوْلَا أَنَّـــه   أَنَّ عَيْنِـــي عَيْنَـــهُ[3] لَـــمْ تَتَـــأيْ[4]

شبّه كُلّه بالهلال، ونور الهلال مستفاد من نور الشمس؛ بل لا نور للهلال في نفسه أصلاً، وإنّما هو كالمرآة المجلوّة، يظهر فيه نور الشمس بتجليها عليه، وبعضُه

---

(١) انظر قصيدة ما بين معترك الأحداق، البيت السابع.

(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، عن فاطمة بنت اليمان، أخت حذيفة، ٧٤٨٢. كما أخرجه البزّار بهذا اللفظ في مسند سعد بن أبي وقّاص، باب: ومما روى سمّاك بن حرب، عن مصعب عن أبيه، ١١٥٠.

(٣) في (ق) عَيْنُهُ.

(٤) في (ق): يتأتي

يحتجب عنها بكرة الأرض التي هي بمنزلة النفس المرتفعة، فإذا ارتفع الهلال عنها، وبقيت الأرض في مركزها الأصلي استفاد منه مقابلة الشمس زيادة نور، فصار بدراً. وأمّا/ [٣٩/ أ] وأمّا (**هلال الشكّ**): فهو الذي تتحدّث به الناس، ويختلفون في رؤيته، فلا هو مقطوع بوجوده وظهوره، ولا مقطوع بعدم وجوده وعدم ظهوره. وكذلك حال هذا السالك في ظهور تجلّي ربّه عليه، لا مقطوع بوجوده ـ لأن الوجود ليس له وإن ظهر به ـ ولا مقطوع بعدم وجوده، لظهور الوجود به عليه. ثمّ قال (**لولا أنّه**): أنّ بتشديد النون، من الأنين، وهو إظهار الشكاية والتوجّع وهو الضرّ الذاتي الذي مسّه بسبب الابتلاء بالتكاليف الشرعيّة المتوجّهة عليه بنسبة الوجود إليه، وظهور حكم النفس لإقامة الأحكام التي كلّفه بها ربّه فهو يئنّ لثقلها؛ لأنّها القول الثقيل الذي قال تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [٧٢/ المزّمّل/ ٥] وهي أمانة التكليف التي حملها الإنسان. ثمّ قال: (**عَيني عَينه لم تَتَأْيْ**): فعينه بالنصب، مفعول تتأي. و(**تتأيْ**): أي تقتصد وتتعمد رؤية شخصه. يعني: لولا أنينه بما ذكرنا ما قصدت، ولا تعمّدت عيني عينه، أي: شخصه وذاته.

وحاصله أنّه لا يراه الرائي في حاله وطوره إلا في وقت قيامه بما كلّفه الله تعالى به من الأحكام الشرعيّة. وأمّا في غيرها فهو غائب، مدهوش، فانٍ، مضمحل، ممحوق في نور الوجود الحقّ.

٨- مِثْلَ مَسْلُوبِ حَيَاةٍ مَثَلاً صَارَ فِي حُبِّكُمُ مَلْسُوبَ حَيّ

(**مسلوب الحياة**): هو الميت، والسالك ميت لظهور الحياة الإلهيّة له، وهو الموت الاختياري الذي وردت الإشارة إليه بقوله عليه السلام: «موتوا قبل أن تموتوا»[1] أي: اكشفوا عن موتكم اختياراً قبل أن يُكشف لكم عنه اضطراراً.

---

(١) قال السخاويّ في المقاصد الحسنة، حرف الميم، ج١ ص٢٢٨: حديث: موتوا قبل أنْ تموتوا، قال شيخنا: إنّه غير ثابت. وقال العجلونيّ في الكشف، المجلد الثاني ص٢٩١: وقال القاري: هو من كلام الصوفيّة.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [٣٩/ الزمر/ ٣٠] ولكن دعوى الحياة منعت من ظهوره للعبد، ولم يقطع بموته، وإنّما قال: (**مثل مسلوب حياة**) لقيامه بالحياة الإلهيّة؛ فهو مثل الميت، كما أنّ الميت يُسأل في قبره، ويجيب، وينعم، ويعذّب؛ فهو حيّ بالحياة الإلهيّة، وهو ميّت بلا شبهة. ثمّ قال (مَثَلاً) بالحركات. (صار في حبّكم): أي صار مثلاً في محبّتكم يضرب به المثل فيها بين الناس. (ومَلْسُوب): بتقديم اللام على السين، أي: ملدوغ. (حَيّ): هو ذَكَر الحيَّات، يعني: موته بسبب لدغ الحيّة الذَكَر له؛ وهي روحه المنفوخة فيه من أمر ربّه. ولدغها: غلبة حكمها على جسمانيّته بحيث ظهر له قيامه بها، فبطل حكم قيامه بنفسه، كما قال تعالى: ﴿وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴾ [٢١/ الأنبياء/ ٢٧]، أي: لا بنفوسهم لبطلان نفوسهم عندهم، وانكشاف حكم تصرّف الحقّ فيهم.

٩- مُسْبِلاً لِلنَأيِ طَرْفَاً جَادَ إنْ ضَنَّ نَوْءُ الطَّرْفِ إذْ يَسْقُطُ خَيّ

إسبال الطرف: هو إرسال العين بالدمع من كثرة البكاء بحيث يجود ويكفي. (إنْ ضَنّ): بالضاد المعجمة، أي: بَخِلَ. (نوء): أي سقوط كوكب وطلوع كوكب آخر يقابله.

و(**الطَّرْف**) كوكبان معروفان يَقْدُمان الجهة، وسمِّيا بذلك لأنّهما عينا الأسد ينزلهما القمر. (وخَيّ): بالخاء المعجمة وتشديد الياء: مصدر خَوَي النجم خَيّاً: أَمْحَل ولم يمطر؛ فهو مصدر بمعنى اسم الفاعل، أي: خاوياً. يعني: إذا بخل المطر فلم يَجُد بهطله جاد دمعه.

وحاصله: إنّ هذا المحبّ فاضت بمياه الحياة عيون قلبه على أراضي نفوسهم بالفيض الإلهيّ؛ فهو ممن تحيا به القلوب، وتنكشف بأنوار أسراره ظلمات الغيوب.

١٠- بَيْنَ أَهْلِيْهِ غَرِيْباً نَازِحاً وَعَلَى الأَوْطَانِ لَمْ يَعْطِفْهُ لَيّ

فغربته بين أهله ونزوحه، أي: بُعده عنهم، كناية عن تحقّقه في نفسه بالحيّ القيّوم، قال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ [١٣/ الرعد/ ٣٣] فهو تعالى

قيّوم عَلِيّ/ [٣٩/ ب] النفوس كلّها بإخراج ما هو لها من التقادير عليها من كسب الخير وكسب الشرّ، فإذا تحقّق بالقيّوميّة ارتحل من عالم أهله، وبَعُد عنهم، فصارغريباً وهو بينهم، ومع ذلك هوعلى الأوطان الأصليّة التي كان فيها قبل ظهوره في عالم الكون، وهي حضرة الكلام الإلهيّ، وحضرة العلم الربّانيّ قبل حضرة اللوح المحفوظ، والقلم الأعلى؛ وهي المكنّى عنها بالأوطان، لأنّه كان فيها ولم يزل فيها، ولكنّه غائب عنها. (لم يَعْطِفهُ): أي يميل به. (لَـيّ): بفتح اللام وتشديد الياء، مصدر لَواه إليه لَيّاً إذا عطفه.

وحاصله: إنّه خرج من عالم أهله وأمثاله من البشر، ولم يدخل في عالم الغيب على التمام لبقاء أثر البشريّة عليه.

١١- جَامِـحاً إنْ سِيْمَ صَبْراً عَنْكُمُ وَعَلَـيْكُمْ جَانِحـاً لَـمْ يَتَـأي

(جامحاً): ممتنعاً من الجموح، وهو الامتناع. (إن سِيم): كبيع مبني للمفعول، من سامه الأمر كلّفه أياه. يعني: إن كلّفه أحد. (صبراً عنكم): جمح أي امتنع من ذلك، فهو لا يصبر عنكم أبداً، وكيف يصبرعن بُدِّه اللازم الذي لا بدّ له منه. و(عليكم): متعلّق بالصبر قبله. و(جانحاً): مائلاً، من جنح إليه: مال. فالصبرعنهم تركهم، والصبرعليهم تحمل مشقّاتهم. يعني: إذا طُلِب منه الصبر عنكم فإنّه يمتنع من ذلك، وإن طلب منه

الصبرعليكم يجنح إليه ويميل. وقوله (لم يتأي): فعل مضارع، من تأيت في الأمر:

إذا تثبت فيه. يعني: لم يثبت[1] ولم يتأخّر عن ذلك المطلوب منه، وهو الصبر على مشقّاتكم وتكاليفكم التي تكلّفونه بها وإن أتعبته، كما قال تعالى: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾ [١٩/ مريم/ ٦٥] وذلك لأنّ في عبادته كمال المشقّة؛ لأنّها على خلاف عادات النفوس.

---

(١) قال في القاموس: «تأي يتأي كسعى: إذا سبق».

١٢- نَشَرَ الكاشحُ ما كان له طاويَ الكَشْحِ قُبيلَ النأيِ طَيّ

(**الكاشح**): هو مُضمِر العداوة، كناية عن شيطان الأغيار القائم في طبيعة النفس الإنسانيّة. و(**النشر**): ضدّ الطَّي. ويقال: طوى كَشْحَه على الأمر: أضمره وستره؛ فإنّ شيطان الأغيار الملازم لحكم الطبيعة مضمر العداوة لكلّ إنسان يحمله على الامتناع عن المنافع الأخروية، والمقاصد التوحيديّة، ويأمر بالشهوات، ويسوق إلى الشبهات، وقد انكشف أمره لديه. وتحقّق أنّه ساعٍ في إلقاء الضرر والأذى عليه. وهذا الكشف حصل له من عين شيطان هاتيك الأغيار ؛ فانقلبت حقائقها له، وظهرأنّها حِكَم وأسرار، فقال بسبب ذلك (نَشَرَ الكاشح). وقوله: (**قُبَيْل**): تصغير قَبل، لتقليل مدّة تلك الغيريّة المقتضية للبعد عن حضرة المحبوب. و(**النأي**): البعد؛ فإنّ إضماره للعداوة كان في حال قربكم منّي، أي: كان مهيّأً لي بصلوح غيريته قبل إدراكي لنفسي ولغيري؛ فإنّه كما ورد في الخبر: «إنّ كلّ مولود يولد على الفطرة»[1] وقال تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [٣٠/ الروم/ ٣٠] ثمّ لمّا حصل البعد بادر بإدراك الأغيار نشر كاشح الأغيار ما كان مضمره، وكان طاوياً كشحه عليه طيّاً.

١٣- في هواكمْ رَمَضانٌ عُمْرُهُ يَنقَضِي ما بين إحياءٍ وطَيّ

يعني: في محبّتكم شهر رمضان الذي هو عمره كلّه؛ لأنّه صائم في عمره كلّه عن رؤية الأغيار اشتغالاً بتلقّي فيض التجلّيات على قلبه ببدائع الأسرار. قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [٢/ البقرة/ ١٨٥] فما نزل القرآن إلا بالصوم عن الأغيار، والأغيار أسرار تحت حُجُب الأوهام، فإذا زالت الأوهام نفذت الأفهام. و(**الإحياء**): بكسر الهمزة، مصدر أحيا الليل: إذا سهره. و(**الطيّ**): مصدر طوى: إذا لم يأكل شيئاً. فأخبر أنّه في ليل غفلته، إذا دخل عليه

---

(١) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب الجنائز، باب: ما قيل في أولاد المشركين، ١٣١٩.

سهر في الطاعة، وفي نهار يقظته: إذا ظلّه/ [٤٠/ أ] طوى فلم يأكل ولم يشرب، وإنّما يطعمه ربّه ويسقيه، كما أكل ناسياً وهو صائم، فقال عنه صلّى الله عليه وسلّم: «إنّه أطعمه ربّه وسقاه»[1] وهذا أولى من الناسي في ذلك.

١٤- صَادِياً شَوْقاً لِصَدًّا طَيْفِكُمْ   جِدَّ مُلْتَاحٍ إلى رُؤيَا وَرَيّ

(الصادي): الظمآن، وسبب الظمأ أنّه شرب من البحر المحيط الذي ليس لموجه غطيط، وهو بحرالتوحيد بعد فناء الأغيار، وظهور المتجلّي الحقّ بجميع الآثار. فإنّ هذا البحر كل من شرب منه لا يزال إليه ظمآنَ وإن كان به ملآنَ. وسببه تراكم الأشواق على قلبه، واستيلاء معاني العشق على لبّه. وقوله **(لِصَدًّا)**: بتشديد الدال المهملة، هو اسم بئر عذبة الماء. و**(الطيف)**: هو صورة المحبوب التي يراها العاشق في منامه، وقد ورد في الحديث: «الناس نيام»[2] ففي الدنيا كلّ صورة يراها المحبّ فهي طيف خيال محبوبه، خيَّلها له منامه بحسب طبعه والغالب على مزاجه؛ فلوعرف نفسه لعرف أنّ كلّ صورة يدركها في ظاهره أو باطنه صورة ربّه، تجلى بها عليه منه بحسب استعداده، والمتجلي الحقّ على ما هو عليه من إطلاقه وتنزهه عن تلك الصور كلّها. ومن لطائف الشعر قول بعضهم في العِذار على وجه الاعتذار:

أعد نظراً فما في الخدّ نبتٌ   رعاه الله من ريب المنون

ولكن رقّ ماءُ الخدِّ حتى   رأيتَ خيالَ أهدابِ الجفون

وقوله (جِدَّ): بكسر الجيم وتشديد الدال المهملة مفتوحة، مصدر جَدَّ يجِدُّ: إذا

---

(١) قطعة من حديث، رواه البخاريّ في صحيحه، كتاب: الأيمان والنذور، باب: إذا حنث ناسياً في الأيمان، ٦٦٦٩.

(٢) قال الألبانيّ في سلسلة الأحاديث الضعيفة: «أورده الغزاليّ مرفوعاً إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فقال الحافظ العراقيّ وتبعه السبكيّ: لم أجده مرفوعاً، وإنّما يعزى إلى عليّ بن أبي طالب» انظرسلسلة الأحاديث الضعيفة للألبانيّ، ١٠٢، ج١ ص١٧٩.

اجتهد. و(المُلْتاح): العطشان، أي: هو يجِدُّ جِدَّ ملتاح إلى رؤيا، على وزن رجعى، وهو ما تراه في منامك. و (الرَّي): بفتح الراء وتشديد الياء، قال في المصباح: «رَوِيَ من الماء يَرْوَى رَيّاً، والاسم: الرِّيّ بالكسر». يعني: أنّه مجتهد غاية الاجتهاد، كاجتهاد العطشان إلى رؤيا يراها، فيرى طيف خيال محبوبه ويرتوي من عطشه فلا يمكنه الرِّيّ، فهو دائماً على هذه الحالة، ولا دواء له غير الفناء والاضمحلال بالكلِّيَّة والاستحالة.

١٥- حَائِراً فِيمَا إليه أَمرُهُ   حَائِرٌ وَالمَرْءُ في المِحْنَةِ عَيّ

(حائراً): حال من الصبّ المتقدّم ذكره. والحائر اسم فاعل من حَارَ يَحَارُ حَيْرة: إذا لم يهتدِ لسبيله. **(فيما)**: أي في الذي إليه أمره. **(حائر)**: اسم فاعل أيضاً، ولكن من الحَوْر، وهو الرجوع. يعني: متحيِّراً فيما أمره إليه راجع، أي: في ماذا تكون نهاية أمره؛ فهل يُختم له بالسعادة أو بالشقاوة، فإنّ حُسْن الخاتمة أمر مُغيَّب، وإنْ كان الأصل بقاء ما كان على ما كان ما لم يطرأ أمرٌ آخر، وهو الذي قطع قلوب الصدِّقين حتى قال قائلهم:

مُنىً إن تكن حقّاً تكن أحسن المُنى   وإلا فقد عشنا بها زمناً رَغَداً

وقوله: **(والمَرء)**: الرجل، بفتح الميم، وضمّها لغة، كذا في المصباح. **(في المِحْنة)** بكسر الميم وسكون الحاء المهملة. قال في المصباح: «مَحَنتُه مَحْناً، من باب نفع: اختبرته وامتحنته كذلك، والاسم المِحْنة، والجمع مِحَن، مثل سِدْرة وسِدَر» انتهى. و(**عَيّ**): بفتح العين المهملة وتشديد الياء. قال في المصباح: «عَيِيَ يَعْيا، من باب تعب، عِيّاً: عجز، ولم يهتدِ لوجهه، وقد يدغم الماضي فيقال عيَّ ، فالرجل عَيّ وعَيِيٌّ، على فَعْل وفَعِيل» انتهى. يعني: أنّ الرجل عاجز عن حال الامتحان والاختبار، كما قال تعالى: ﴿ وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [٣٣/ الأحزاب/ ٧٢] وقال تعالى: ﴿ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٦٤] فهم على ما يكسبونه من الخير أوالشرّ غير قادرين، فكيف يقدرون على ما لا يكسبونه، وهذا سبب حيرته

في منتهى أمره، وما لا يؤول إليه حال./ [٤٠/ ب]

١٦- فَكَأَيِّنْ[١] مِنْ أَسَىً أَعْيَا الإِسَا[٢]   نَــال لـــو يَغْنِيـــهِ قَـــوْلِي وَكَـــأيّ

(كأي): أصلها أيّ، بتشديد الياء، دخلت عليها الكاف فصارت بمعنى كم، والنون تنوين أُثبت في الخط على غير قياس، وهي خبريّة. (ومن أسىً): بيان لها، والأسى بالفتح: الحزن. يعني: كم من حزن لهذا الصبّ. (أعيا): أي أتعب. (الإسا) بكسر الهمزة، جمع آسي، بمدّ الهمزة، على وزن فاعل؛ وهو الطبيب. والمشهور أنّ الأُسى بضمّ الهمزة، أصله أُساة كقضاة، ثمّ حُذفت الهاء منه، قال في القاموس: «والآسِي الطبيب، وجمعه كقضاة وظباة». يعني: كم من حزن في طريق المحبّة والعشق أتعب الأطباء فلم يجدوا له دواء. (نال): بالنون، أي: الصبّ المذكور. يعني: أصابه. (لو) حرف تمنٍّ بمعنى ليت. (يغنيه): بالغين المعجمة، أي: يصير مُغنياً له. يعني: مفيداً له فائدة، أو مخففاً عنه شيئاً من حزنه. (قولي): حكاية عنه. (كأي): فيه رد العجز على الصدر، وفيه الاكتفاء. يعني: قولي وكأي من أسى أعيا الإسى نال؛ فإنّ شكوى حال الحزين يخفف عنه بعض ما يجد، كما قال الشاعر:

ولا بـدّ مـن شـكوى إلى ذي مـروءة   يواسـيك أو يـسليك أو يتوجّـع

وأما حال هذا المحبّ فلا تغني الشكوى عنه شيئاً، فإنّ محبوبه حاجبه عنه، مع أنّه ساكن منه في الفؤاد، وحبّه له ملّته ودينه، فلا يمكنه تركه، وهو دائماً في الازدياد.

١٧- رَائِيـــاً إِنْكَـــارَ ضُرٍّ مَـــسَّهُ   حَـــذَرَ التَعْنِيْـــفِ فِي تَعْرِيـــفِ رَيّ

(رَائِياً): حال من الصبّ المتقدّم ذكره أيضاً، وهو مشتق من رأى في الأمر رأياً، والرَّأي: العقل والتدبير، كذا في المصباح، أي: استقر في رأيه وتدبيره. (إنكار

(١) في (ق): كأيّ.

(٢) في (ق): الأُسا.

ضُر): بضمّ الضاد المعجمة، اسم بمعنى الفقر والفاقة، وبفتحها: مصدر ضَرَّه يَضُرُّه، من باب قتل: إذا فعل به مكروهاً، يتعدَّى بنفسه ثلاثياً، وبالباء رباعياً. وقال الأزهري: كلّ ما كان من سوء حال وفقر وشِدَّة في بَدَن؛ فهو ضُرّ، بالضمّ، وما كان ضدّ النفع فهو بفتحها، وفي التنزيل: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [٢١/ الأنبياء/ ٨٣] كذا في المصباح. (مسّه): أي أصابه. (حَذَرَ): بفتح الذال المعجمة بين الحاء المهملة والراء، وهو مفعول من أجله، تعليل لإنكار الضرّ. يعني: مخافة التعنيف، والتعنيف: اللوم له من العواذل على المحبّة التي كانت سبب مسّ الضرّ له، قال في المصباح: «عَنَّفَه تَعْنِيْفاً: لامَهُ وعَتَبَ عليه». (في تعريف): مصدر عرّفته ـ بتشديد الراء ـ به فعرفه، قال في المصباح: «عَرَفْتُه عِرْفة» بالكسر ـ وعِرفاناً: عَلِمْتُه بِحَاسَّةٍ من الحَواسِّ الخمس، والمَعْرِفة: اسم منه، ويتعدّى بالتثقيل، فيُقال: عَرَّفْتُه به فَعَرَفه» انتهى. و(رَيّ): بفتح الراء وتشديد الياء، أصله: رَيّاً، يقال: رجل رَيّان وامرأة رَيَّا، من الرِّيّ ضدّ العطش، وفيه اكتفاء بحذف الألف. يعني: في وقت ذكره لمحبوبته، وتعريفه لها حتى يعرفوها.

والحاصل: إنّه يرى في رأيه وتدبيره أنّه ينكر ما يصيبه من البلاء في طريق المحبّة الحقيقيّة التي عنده للحقّ تعالى مخافة اللوم والتعنيف الذي يكون له من العواذل الجاهلين الغافلين المحجوبين بوساوس الشياطين المستولية على قلوبهم فيرذلون أهل الله ، وينكرون عليهم، ويحتقرونهم جهلاً منهم، ويوقعون تُهمة أهل الله في قلوب بعضهم بعضاً، فيرمونهم بالفواحش والقبائح مع براءتهم من ذلك، خصوصاً إذا عرّفوهم بمن يحبّونه من صور التجلّيات الإلهيّة والمظاهر الربّانية.

١٨ - وَالـذِي أَرْوِيْـهِ عَـنْ ظَـاهِرِ مَـا بَـاطِنِي يَرْوِيْـهِ عَـنْ عِلْمِـيَ زَيّ

(الذي): مبتدأ. و(أَرْوِيْه): أي أنقله لكم، وأذكره من جميع ما تقدّم من الأحوال وغيرها. (عن ظاهر): الجار والمجرور متعلّق بواجب الحذف في موضع

رفع خبر المبتدأ. (ما): أي/ [٤١/ أ] الذي. (**باطني يَزويه**): بزاي معجمة، مضارع زَوَيَ، يُقال: زَوَيْتُهُ أَزْوِيه زَيّاً جمعته، وزَوَيتُ المالَ: قبضته، كذا في المصباح. وزَيّ بفتح الزاي وتشديد الياء: مصدر مؤكّد للفعل. و(**عن عِلمي**): متعلّق بيزويه. يعني: جميع ما أذكره لكم من المعاني الإلهيّة، والمعارف الربّانيّة إنّما أرويه، لا اختراع لي فيه عن ظاهر الأمر الذي باطني يجمعه، ويحويه عن علمي بالله الذي لا ينفد أبداً، فلساني يرويه لكم عن الظاهر الذي يظهر لي، يرويه عن باطني، وقلبي، ولبّي، وباطني يزويه عن علمي، أي: يجمعه باطني عن علمي بالحقّ تعالى، كما قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه:

فــؤادي عنــد معلــومي مقــيم　　　يناجيـــه وعنـــدكم لـــساني

١٩- يَـا أُهَيْـلَ الـوُدِّ أَنَّـى تُنْكِـرُوْ　　　نِي كَهْـلاً بَعْـدَ عِرَفـانِي فُتَـيّ

(**يا أُهَيْل**): تصغير أهل، للتعظيم. ([**الوُدّ**] **والوِداد**): الحُبّ، ويثلّثان، كذا في القاموس. وهو من تجلّي الاسم الودود. (**أَنَّى**): بفتح الهمزة وتشديد النون مفتوحة، وبعدها ألف مقصورة. بمعنى كيف، والاستفهام للتعجب. وقوله (**تنكروني كهلاً**): أي حال كوني في سنّ الكهولة. والكَهْلُ من وَخَطَه الشيب، أو من جاوز الثلاثين إلى إحدى وخمسين. وإنكارهم له إضعافهم لقواه الظاهرة والباطنة، وقلّة إمدادهم له في قواه الجسمانيّة، كأنّهم معرضون عنه، وقاطعون عنه ما عوَّدوه عليه بعد. (**عرفاني فُتَيّ**): بضمّ الفاء وفتح التاء المثنّاة، وتشديد الياء تصغير فتى، وهو الشابّ. والتصغير للتعظيم. يعني: بعد ما كنتم تعرفوني شابّاً، فكنتم تمدّونني بالقوى في ظاهري وباطني. وقال ذلك لأنّه كان وهو شابّ يقوى على حمل مشاقّ محبّتهم، ويقوم في خدمتهم، وامتثال أوامرهم، واجتناب نواهيهم على أبلغ وجه وأكمل حال. فلمّا كَبُرَ وشاب ضَعُفَ عن ذلك، وعَجَزَ عن تمام الخدمة، فهو يخاف أن يكون ذلك إنكاراً منهم له، وهضماً لجنابه عندهم. واعلم أنّ السالك في

بـ يـة أمره إذ فتح الحقّ على قلبه أنوار العرفان يكشف له من أسرار الوجود الحقّ ما يخفي عن بصره وبصيرته صور الأكوان فيعود فرحاً مسروراً، ويتعشّق بشهود الحقّ ظهوراً فظهوراً، وهذه الحال المُعبّر عنها في هذا المحلّ بحالة الفتيان، ومقام المعرفة، فإذا دأب على هذه الحالة، ودام في مكابدتها شعر المحبّ ببقاء نفسه وثبوت جنسه، ومرور يومه عليه، وغده وأمسه، فيدهم الرسم، ويضمحل الوسم، ولا يبقى إلا الحقّ الباقي، فيتوجّه عليه لسان الإنكار الشرعي الواقي، ويكون محفوظاً من الأغيار في جميع الأطوار، وتصير حسناته الأولى عنده سيئات، كما قيل: «حسنات الأبرار سيئات المقرّبين». فالتقوى عنده ترك التقوى؛ لأنّها كانت عنده حاله الأولى بنفسه، وهي إنّما هي في نفس الأمر بربِّه، فيترك التقوى بنفسه، فيجدها بربّه، ويترك الورع بنفسه، فيجده بربّه، ويترك الزهد بنفسه، فيجده بربّه. وهكذا جميع العبادات والطاعات، بحيث يصير عنده التَّرك هو العبادة، والفعل شرك؛ وهذا إنكارهم له وهو كهل بعد معرفتهم له وهو فتى من الفتيان.

٢٠- وَهَـوَى الغَـادَةِ عَمْـرِي عَـادَة   يَجْلُـبُ الـشَّيْبَ إلى الـشَّابِّ الأَحَـيِّ

(هوى) بالقصر، المحبّة والعشق. (والغادة): بالغين المعجمة، المرأة الناعمة [اللينة] البيّنة الغَيد. وغَيِدَ كفَرِح: مالت عُنُقُه، ولانت أعطافه، كذا في القاموس، وذلك هو المحبّة/ [٤١/ ب] الكونيّة للمحبوبة الإنسانيّة. وقوله (عَمري): العَمْر، بفتح العين المهملة، وبالضمّ، وبضمّتين: الحياة، كما في القاموس. أي: أقسم بعمري، أي: بتعمير الله تعالى، أوعمري قسمي، أو عمري الله، أي: بإقراري بحياة الله تعالى. وقوله (عادة): أي ديدن وطبيعة في كلّ أحد، وهو خبر المبتدأ. يعني: إنّ محبّة المليحة الحسنة أمر اعتاده كلّ إنسان. ثمّ حلف عليه بقوله عَمري لإنكار بعض المحجوبين لذلك، وزعمهم أنّهم لا يقع لهم ذلك ولا لأمثالهم من زيادة التقوى. وقد يقال: إنّ قوله عَمري، أي: طول عمري فيكون ظرفاً لهوى الغادة.

وقوله (عادة): أي لي. وقوله (يجلب الشيب): أي يقتضي بياض السواد، فمنتهاه إذا هدى الحقّ تعالى فيه العبد، واعتنى به كشف له عن سواد الأكوان، وظلمة الأعيان، فبان له بياضها بنور التجلّي، وفنيت الأغيار، فاتضحت الأسرار. وقوله (إلى الشابّ الأُحَيّ): بضمّ الهمزة وفتح الحاء المهملة، وبتشديد الباء: تصغير الأحوى؛ وهو الأسود الشعر، فإذا ابيضّ عنده سواد الأكوان ابيضّ عنده سواد نفسه وكلّه بعد ذلك؛ وهو قوله عليه السلام: «اجعل لي نوراً في سمعي، ونوراً في بصري» إلى أن قال: «واجعل لي نوراً واجعلني نوراً»[1].

٢١- نَصَباً أَكْسَبَنِي الشَّوْقُ كَما تُكْسِبُ الأَفْعَالَ نَصْباً لَامُ كَيّ

(النَّصَب): بالتحريك، التعب. منصوب على أنّه مفعول ثانٍ مقدّم لأكسبني، والمفعول الأوّل الياء. والتقديم لإفادة الحصر. يعني: ما أكسبني، أي: أفادني الشوق إلى الأحباب إلا نَصَباً، أي: تعباً ومشقّات وافرة. (كما): أي مثل ما، وهي مصدريّة، والمعنى: كإكساب. (الأفعال): جمع فعل، وهو الفعل المضارع. (نَصْباً) بسكون الصاد المهلة. (لامُ كيّ) فاعل تكسب. قال في المتوسط في نواصب الفعل المضارع: كي مثل، أسلمت كي أدخل الجنّة، ومعناها السببيّة، أي: يكون ما قبلها سبباً لما بعدها؛ فإنّ الإسلام سبب دخول الجنّة، وهي ناصبة للفعل المضارع عند الكوفيين، وهو اختيار المصنِّف. يعني: ابن الحاجب. وليس النصب بعدها بإضمار أنْ كما هو مذهب البصريين لدخول اللام عليه كقوله تعالى: ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ﴾ [٣٣/ الأحزاب/ ٣٧]. وقال أيضاً في النواصب: «لام كي، نحو: أسلمت لأدخل الجنّة. والنصب بعدها بإضمار أن، وإنّما سُميت لام كيّ لأنها بمعنى كيّ، وإنّما يجب تقدير أن بعدها لكونها حرف جر، وامتناع دخول

---

(١) أخرجه البخاريّ في صحيحه عن أنس، كتاب الدعوات، باب: الدعاء إذا انتبه بالليل، ٦٣١٣. كما أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، ١٨٣٠.

حرف الجر للفعل، فقدّر أن ليكون ما بعدها في تقدير الاسم». انتهى. والمعنى في ذلك أنّ الشوق إلى الأحبّة أكسبني النَّصَبَ والتعب والمشقّة مثل ما أكسبت لامُ كي الأفعالَ المضارعة النصبَ، وفي نفس الأمر ما أكسبني ذلك النصب التعب إلا الأحبّة لا الشوق إليهم، لأنّه منهم، وأثر من آثارهم، والأثر لا أثر له كما أنّ لام كي ما أكسبت الأفعال النصب؛ وإنّما الناصب أن مضمرة بعد لام كي، ولام كي لم تنصب، بنفسها ولكن نسب إليها النصب للأفعال، كما نسب النصب والتعب للشوق، وفي نفس الأمر الفاعل المؤثر مضمر، وجميع أفعال العباد من هذا القبيل في الخير والشرِّ، والنفع والضُّرّ، فتصح النسبة، ويمتنع التأثير، وهذا عقد أهل التوحيد قاطبة.

٢٢- وَمَتَى أَشْكُو جِرَاحاً بِالحَشا   زِيْدَ بِالشَّكْوَى إِلَيْهِا الجُرْحُ كَيْ

(متى): اسم شرط. و(أَشْكُو): فعل الشرط مجزوم بحذف الواو، وإنّما لم تحذف لأن الضمّة لّما أشبعت لضرورة الوزن تولّدت الواو. (جراحاً): مفعول أشكو. والجِراح بالكسر، جمع جراحة. وقوله (بالحَشا): الباء ظرفيّة، أي: في الحَشا. والحَشا ما دون الحجاب مما في البطن من كبد وطحال/ [٤٢/ أ] أو كرش وما تبعه، أو ظاهر البطن والحِضْن، كما في القاموس. يعني: كلّما شكوتُ إلى المحبوبة ألم الجراحات التي في باطني أو في ظاهري من مقاساة حبّها وعشقها. (زِيد): فعل ماض مبني للمفعول، وهو جواب الشرط . وقوله (بالشكوى): متعلّق بزيد، والباء للسببيّة. و(إليها): أي إلى المحبوبة. و(الجُرْحُ): بضمِّ الجيم، ونائب الفاعل لقوله زيد. قال في القاموس: «جَرَحَه كمَنَعَه، والاسم الجُرح بالضم». و(كَيْ): مفعول ثان لزِيد. والوقف عليه بالسكون لغة، وهو اسم مصدر، والمصدر في البيت الذي بعده؛ فلا إبطاء. وحاصل المعنى: أنّ هذه المحبوبة كلّما شكوت إليها ما ألاقيه في طريق محبّتها ولو بلسان حالي دون لسان مقالي زادتني كيّاً وحرقة على ما أنا فيه من الكيّ والحرقة؛ لأنّ الشكوى منبئة عن دعوى الوجود معها، وهي

تغار أنْ يكون معها في الوجود غيرها؛ وإنّما كانت الأوجاع والآلام والحرقات قبل الشكوى لإزالة دعوى الوجود من المحبّ مع المحبوبة فإذا أوجبت الشكوى من ذلك إذ مقتضى دعوى الوجود من المُحبِّ فزادته المحبوبة مما شكى منه لتكون زيادة منها في مقابلة زيادة منه. قال أبو القاسم الجُنيد قدّس الله سرّه: «ما انتفعت بشيء كانتفاعي بأبيات سمعتها وأنا مارّ في بعض الطرقات، وهي:

إذا قلتُ أهدى الهجْرُ لي حللَ البِلى — تقولين لولا الهجْر لم يطب الحبُّ

وإنْ قلتُ هذا القلبُ أحرَقه الجَوَى — تقولي بنيرانِ الجَوَى شَرُفَ القلبُ

وإنْ قلتُ ما ذنبي إليكِ أجبْتِني — وجودُكَ ذنبٌ لا يُقاس به ذنبُ

٢٣- عَيْنُ حُسَّادِي عَلَيْها لِي كَوَتْ — لا تَعَدَّاها أَلِيمُ الكَيِّ كَيْ

(الحُسَّاد): جمع حاسد، قال في القاموس: «حَسَدَهُ الشَيءَ وعليه، يَحْسِدُه: تمنّى أن تتحول إليه نِعْمَتُهُ وفضيلَتُه، أو يُسْلَبَهُما، وهو حاسِد، وجمعه: حُسَّد وحُسّاد وحَسَدَه». وقوله (عليها): أي على المحبوبة، حيث شرّفني الله تعالى بحبّها. (لي كوت): أي تلك العين. يعني: آذت وأنكت بكثرة نظرها إليَّ بعين البغض والعداوة، وهي عين الشيطان المقارن له ولغيره أيضاً؛ فإنّه لا يريد للإنسان نعمة وفضيلة تكون له من الله تعالى؛ فهو يراقب الإنسان، خصوصاً السالك في طريق العرفان؛ فإنّه عدوّه الأكبر، يتعرّض له لسلب حاله، فلا يقدر، لحمايته بالإخلاص، كما قال تعالى: ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [٣٨/ ص/ ٨٢-٨٣]. وقوله (لا تعداها) أي لا تجاوزها. يعني: لا تجاوز عين الحسّاد. (أليم): أي مؤلم، فعيل بمعنى فاعل. (الكيّ) الذي كوتني به. وقوله (كَي): مصدر مؤكّد لقوله (لي كوت): أي كوت لي كيّاً. يعني: آذتني أذىً بليغاً، والوقف عليه بالسكون لغة. وجملة (لا تعدّاها أليم الكَيّ) جملة معترضة بين المصدر وعامله للدعاء على الحُسّاد.

٢٤- عَجَباً فِي الحَرْبِ أُدْعَى بَاسِلاً وَلَهَا مُسْتَبْسِلاً فِي الحُبِّ كَيّ

(عجباً): مفعول مطلق منصوب بفعل محذوف، تقديره: أَعْجَبُ عَجَباً. و(الحرب): معروفة، مؤنّثة. و(أُدْعَى): فعل مضارع مبني للمفعول، أي: أُسمّى باسلاً. والباسل بالسين المهملة الأسد والشجاع. (ولها): أي لهذه المحبوبة، والمراد لأجلها. (مُستبسلاً): اسم فاعل، من اسْتَبْسَلَ: إذا بَسَلَ نفسه للموت، وَطَّنَها عليه، واستبسل طرح نفسه في الحرب ويريد أن يَقْتُل أو يُقْتَل، كذا في القاموس. (في الحُبِّ): أي المحبّة. والكَاءُ والكَاءَة والكَيْءُ والكَيْئَة: الضعيفُ الجبان، كما في القاموس. فخفف الكَيْء بقلب الهمزة ياء وإدغامها في الياء.

وحاصل المعنى: إنّي أعجب من نفسي، أُسمَّى في الحرب شجاعاً يعني: في حرب الهوى، والعشق، والمجاهدة، النفسانيّة، والمكابدة على العبادة الجسمانيّة والروحانيّة، ومع ذلك أُدعى وأُسمّى في محبّة هذه المحبوبة لها جباناً/ [٤٢/ ب] ضعيفاً لا أقوى على ملاقاتها، ولا أقدرعلى مقاساتها، كما قال العفيف التلمسانيّ من أبيات:

يا بديع الجمال فاز محبّ بلذيذ الوصال فيك تهنّا

كيف يرجو الحياة وهو مع الهجر قتيل وعند رؤياك يفنى

٢٥- هَلْ سَمِعْتُمْ أَوْ رَأَيْتُمْ أَسَداً صَادَهُ لَحْظُ مَهَاةٍ أَوْ ظَبْيّ[1]

قدّم السمع على الرؤية لأنّه أعمّ إفراداً؛ لأنها رتبة أهل العموم، يسمعون ولا يرون؛ فالكمال عندهم حكايات عن السلف الماضين، ولا يرونه في أحد من أهل زمانهم لبعدهم عن الحضرة الربّانيّة بالحجب الطبيعيّة. والرؤية رتبة الخواص من الناس لا يكادون ينفون الكمال من أحد لما فيه من الكمال، وكنّى بالأسد عن نفسه لزيادة شجاعته في طريق الله تعالى، ومحاربة أعدائه في حرب المحبّة والعشق الربّانيّ

(١) في (ق): «هل رأيتم أو سمعتم...».

من: النفس، والطبيعة، والشهوات، وزخارف الدنيا، وعقبات العلوم، ووساوس الشياطين من الأنس والجنّ. وقوله: (صاده): أي صاد ذلك الأسد، فوقع في حبالات تجلِّياته، وخيالات تنزيلاته، وذلك هو المكنّى عنه بـ (لَحْظُ): أي ملاحظة. (مَهَاة) بالفتح: البقرة الوحشيّة، أو لحظ، أي: ملاحظة. (ظُبَيْ): بضمِّ الظاء المعجمة وفتح الباء: تصغير ظبي، صَغَّرَه للتعظيم. والظَّبِيّ: الغزال. كنّى بذلك عن المحبوبة الحقيقية، كما يُكَنُّون عنها أيضاً بليلى وسعدى ولبنى وميّ، ونحو ذلك من محبوباتهم العرب المشهورات لتجلِّيها وانكشافها بهذه الصور الحسان مع فناء الصور كلِّها، واضمحلالها وانمحاقها إذا ظهرت أنوار هذه المحبوبة الحقيقيّة عند العارف بالله ، المحقّق مما لا يعرفه ويتحقّق به إلا أهل الذوق والشهود القائمون بتحقّق وحدة الوجود، ومن هذا المشرب قول عفيف الدين التلمسانيّ؛ فإنّه بُلبل هذا الدوح العرفاني:

نظـــرت إليهـــا والمليـــح يظنّنـــي	نظرت إليـه لا ومبـسمها إلا لُـــمَيْ
ولكـــن أعارتـــه للحـــسن وصـــفها	صـفات جمـال فـادّعي ملكهـا ظلـماً

٢٦- سَــــهْمُ شَــــهْمِ القَــــوْمِ أَشْوَى سَــــهْمُ أَلْحَــــاظِكُمُ أَحْــــشَايَ شَيْ

(السهم): واحد السهام، وهي النَّبْل. (والشَّهْم): بشين معجمة، الذكيّ الفؤاد المتوقِّد، من الذكاء والفهم. يعني: إذا رمى سهماً صاحبُ الذكاء والعقل التام من (القوم): أي رجال السلوك في طريق الله تعالى. (أشوى): أي أُصاب، الشوي وهي الأطراف، وما كان في غير مقتل كما قال تعالى: ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾ [٧٠/ المعارج/١٦] قال في المدارك: «لأطراف الإنسان كاليدين والرجلين، أو جمع شَوَاة، وهي جلدة الرأس تنزعها نزعاً» انتهى. يعني: إنّ إصابة أهل الذكاء بأسهم أفكارهم، ونبال بصائرهم لظواهر الأكوان وأطرافها فلا يزالون يترددون إذا سلكوا بنفوسم وعقولهم بين صور المحسوسات وصور المعقولات، كما قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا

وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ﴾ [٣٠/ الروم/ ٧] وقوله: (وشَوَى): فعل ماض، أي: طبخ وأنضج بحرارة النار. (سَهْمُ أَلْحاظِكُمُ): أي نبل عيونكم وهو توجّهه بالحقّ على معرفة نفسه ومعرفة غيره، لا توجّهه بنفسه ولا بعقله، فسهم عيون هذه المحبوبة هو النافذ في تحقيق العرفان، وجعل لها عيون، لاعين واحدة، لما ورد في حديث المتقرِّب بالنوافل: «كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده، ورجله[1] .. إلى آخره» ففي كلّ مظهر من ذلك عين. فهي عيون، وهي عين واحدة، كما قال في سفينة نوح عليه السلام: ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾ [٥٤/ القمر/ ١٤] لأنّ عينه الواحدة ظاهرة متجلّية بكلّ فرد فرد مما اشتملت عليه السفينة لمّا قيل له: ﴿ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن / [٤٣/ أ] كُلٍّ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ﴾ [١١/ هود/ ٤٠] فهي عين، وهي عين كعين الشمس إذا ظهرت من طاقات كثيرة؛ فهي عين واحدة لشمس واحدة، وهي عيون كثيرة لشموس كثيرة. وقوله: (أَحْشايَ): جمع حَشَا، وسبق معناه. و(شَيْ): مصدر مؤكّد لقوله شوى، أي: شوى شيّاً، بالتشديد، والسكون لغة. ومعنى: شوى أحشايَ شيّاً أحرقها وأفناها، فتحقّقت بعدمي وعدم كلّ شيء في الوجود الحقّ الواحد الأحد.

٢٧- وَضَعَ الآسِي بِصَدْرِي كَفَّهُ قَالَ مَا لِي حِيْلَةٌ فِي ذَا الهُوَيّ

(الآسي): بالمدّ اسم فاعل بمعنى الطبيب. (بصدري): والعادة أن يمسك يده ليجسّ الشريان، فيعرف داءه من حركة نبضه. وهذا وضع الطبيب يده على صدره ليعرف حياته فضلاً عن معرفة دائه. (كَفَّه): أي كلّ كفّه، ولم يضع الأصابع ليختبر هل بقي فيه رمق حياة أم لا، وهو الطبيب الروحانيّ، والكامل الربّانيّ. اختبره هل بقي فيه دعوى غيريّة حتى قال (ما لي حيلة): أي لا أقدر على صرفه عن الجهة المتوجسة عليها؛ وهي جهة الغيب المطلق التي معشوقة الأرواح. (في ذا): أي هذا. (الهُوَيّ): بضمّ الهاء وفتح الواو وتشديد الياء، تصغير الهوى،

---

(١) انظر تخريجه في الصفحة ص١٤٦.

للتعظيم. والهوى هو المحبّة. يعني: أخذته تجلّيات الحقّ، وتحقّق بالظهور من ذلك النور، وانكشفت الأمور له على ما هي عليه، فزال الحجاب وانفتح الباب.

٢٨- أيُّ شيء مُبْرِدٌ حَرّاً شَوَى لِلشَّوَى حَشوَ حَشايَ[1] أيُّ شَيْ

(أيُّ شيء): استفهام إنكاري بمعنى النفي. (مُبْرِدٌ): اسم فاعل من أَبْرَدَهُ: جاء به بارداً، وأَبْرَد له: سقاه بارداً، كما في القاموس. (حَرّاً): مفعول مُبْرِد. (شَوَى): أي أنضج وحرق. (لِلشَّوَى) أي الأطراف. (حَشْوَ): بالنصب وصفاً لقوله (حَرّاً حَشايَ): أي ملاء باطني، وما اشتمل عليه باطني كحشو الوسادة: ما يُحشا فيها. وهذا الحَرّ الذي هو حشو الحشا هو حرارة الروح المنفوخة فيه عن أمر الله تعالى؛ وهي القوى الروحانيّة التي قال تعالى﴿ :أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [٢/ البقرة/ ١٦٥] فهذا الحَر المذكور شامل لأطرافه الظاهرة وأحشائه الباطنة. ثمّ كرّره بقوله (أيُّ شيْ): من قبيل رد العجز على الصدر مع الاكتفاء؛ فهو طالب لبرد اليقين الذي يطفئ حرارة الطلب، والتوجّه التام ليطمئنّ قلبه من قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٦٠] أي: على أي كيفيّة إحياؤك لموتانا. ومراده: انكشاف تجلّي الحياة الإلهيّة بإحياء كلّي حيّ؛ لأنّه تعالى هو الحيّ لا غير، والكلّ موتى من قوله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [٣٩/ الزمر/ ٣٠] و﴿أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [١٦/ النحل/ ٢١] فقيل له: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [٢/ البقرة/ ٢٦٠] فطلب طمأنينة قلبه ببرد اليقين.

٢٩- سَقَمِي مِنْ سُقْمِ أَجْفَانِكُمُ وبِمَعْسُولِ الثَّنَايَا لي دُوَيّ

(السَّقَم): بفتح القاف، وزن جَبَل، هو المرض، و(السُّقْم) الثاني بسكون القاف وضمّ السين: المرض أيضا، قال في القاموس: «السَقَام كسَحَاب وجَبَل وقُفْل: المرض. سَقِمَ كفَرِحَ وكَرُمَ؛ فهو سَقِيْم». و(الأجفان): جمع جَفْن، وهوغطاء العين

---

(١) في (ق): حشاءِ.

من أعلى وأسفل، وهو بفتح الجيم، والكسر فيه حسن أيضاً. وضمير أجفانكم للأحبّة، وهو محبوبة واحدة، ظهرت في كلّ شيء، وعينها واحدة، وعيونها كثيرة. وأجفان تلك العين صورالأكوان المحسوسة والمعقولة، وظهور الضعف في الأجفان من مقتضيات حُسْن العيون وجمالها. وكذلك كسر الجفون من جملة محاسنها، وقد ورد: «أنا عند المنكسرة/ [٤٣/ ب] قلوبهم من أجلي»(١) وإذا انكسر القلب انكسرت الجوارح كلّها، كما أنّه إذا خشع القلب خشعت الجوارح، والأجفان تمنع عن العين لحوق القذى بها، كما أنّ الحوادث تنزيه للحقّ تعالى عمّا لا يليق به، فكلّ ما ظهر من قدرة الحقّ تعالى على مقتضى إرادته مما هو في علمه، تنزيه له وتسبيح وتقديس عما يستحيل عليه من ذلك؛ ولهذا قال سبحانه:﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡ ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٤٤] فتسبِّح له بأعيانها؛ فهي تسبيح له، وتنزيه، وتقديس. فالمُسبِّح لنفسه هو بها كما قال تعالى في مرتبة الأرواح: ﴿ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡمُسَبِّحُونَ ﴾ [٣٧/ الصافات/ ١٦٥-١٦٦]. وقوله (**وبمعسول**): وهو اسم مفعول من عَسَلْتُ الشيءَ إذا خَلَطْتُه بالعَسَل. كناية عن الريق الحلو المضاف إلى (**الثنايا**): وهي جمع ثَنِيَّة، وهي: الأسنان الأربع التي في مقدّم الفم، ثنتان من فوق، وثنتان من تحت. (**ومعسول الثنايا**): أي المحبوب الذي ريقه ممزوج بالعسل مضاف إلى ثناياه الأربع ، كناية عن ظهور حضرة الأسماء الإلهيّة التي أصولها أربعة: الاسم الحيّ، والاسم العالم، والاسم المريد، والاسم القادر. وهي أركان ظهورالعوالم؛ فإنّ الحيّ يعلم أشياء فيريد إظهارها وهو قادر عليها؛ فتظهر. فإذا ظهرت سالت، فإذا سالت فهي آثار هذه الأسماء، وهي الأكوان، تكون حلوة معسولة عند

---

(١) قال العجلونيّ في الكشف، ٦١٤: «أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي، قال في المقاصد: ذكره في البداية الغزاليّ. وقال القاري عقبه: ولا يخفى أنّ الكلام في هذا المقام لم يبلغ الغاية. قلت وتمامه: وأنا عند المندرسة قلوبهم لأجلي، ولا أصل لهما في المرفوع». انظر الكشف ج١ ص٢٠٢.

السالك المحقّق لتعشُّقه بمن هي له. وقال في هذا المشرب الشيخ الأكبر قدّس الله سرَّه من أبيات له:

فــأبدت ثناياهــا وأومــض بــارق   لم أدر مــن شــقّ الحنــادس مــنهما

فجعل الأكوان وميض بارقها، ومغرب مشارقها. وقول (لي دُوَي): تصغير دواء للتعظيم، وقدّم الخبر للحصر. يعني: ذلك دواء مخصوص بي، فهو دواء لي، لا لغيري، من مرضي الذي أنا مريض به، ومثله مَنْ كان مريضاً بمرضه ذلك من المولّهين.

٣٠- أَوْعِـدُوْنِي أَوْ عِـدُوْنِي وَامْطُلُـوا   حُكْـمُ دِيْـنِ الحُـبِّ دَيْـنُ الحِـبِّ لَـيّ

(أَوْعِدُونِي): فعل أمر من أوعده في الشرِّ. وقوله (أو): حرف عطف. (عِدُوْنِي): من وعده في الخير، أي: افعلوا بي ما شئتم من خير أو شرّ. وقدَّم الوعيد الذي يكون في الشرّ على الوَعْد الذي يكون في الخير؛ لأنّ الوعيد لا حظ فيه للنفس، فطلبه إيثار لإرادة المحبوب على إرادة نفسه، وهو الرضى بالقضاء، بمعنى المقضي به من حيث هو مقضي به، لا من حيث هو شرّ، فلا يرد أنّ الرضى بالكفر كفر؛ فإنّه لا يكون كفراً إلا إذا رضي به من حيث هو كفر. وأمّا إذا رضي به من حيث هو مقضي به فهو رضاء بقضاء الله تعالى، وهو إيمان. وقوله (وامْطُلُوا): راجع إلى الثاني، وهو الوعد في الخير، وذلك أمر من المطل والتسويف في الوعد. و(دِين): الأول، بكسر الدال المهملة، هو الجزاء والإسلام والعبادة، واسم لجميع ما تُعُبِّدَ الله به والملّة. كذا في القاموس. والمناسب هنا الأخير وهو الملّة. يعني: حكم ملّة الحُبّ بالضمّ، أي: المحبّة. و(دَيْن): الثاني، بفتح الدال المهملة، ما له أجل، وما لا أجل له، فهو قرض كما في القاموس. و(الحِبّ): الثاني بكسر الحاء المهملة، بمعنى المحبوب. وقوله : (لَيّ): بفتح اللام وتشديد الياء، مصدر لَوَاه يَلْوِيهِ لَيّاً مطله. والمعنى: إنّ الوَعْد والوَعِيد سواء عند المحبّ، ومَطْل الوعد مقبول عنده، وفي حكم ملَّة المحبّة وشرع الهوى أنَّ دَين المحبوب مَطل وتسويف لا وفاء له، فلا يمتنع على المحبوب أن لا يفي ديون محبه، وأن يمطله فيها ويسوِّفه؛ لأنه المالك

الحقيقي فيفعل/ [٤٤/ أ] ما يشاء، ولا يُسأل عمّا يفعل، وكيفما فعل، فليس بظلم، ولا هو ظالم، ولا يجب عليه شيء لأحد.

٣١- رَجَعَ اللَاحِي عَلَيْكُمْ آيِساً مِنْ رَشَادِي وَكَذَاكَ العِشْقُ غَيّ

(اللاحي): اللائم، من لَحيتُه أَلْحَاه: لمته، وهوالذي يلوم العاشق على محبّته للمحبوب. وقوله (آيساً): اسم فاعل من أَيِس من كذا: قَنِطَ، ولم يبقَ له طمع فيه. يعني: الشيطان المقارن لي من الإنس والجن الذي كان لا يزال يلومني. (عليكم): أي على محبّتي لكم، ويوسوس لي، ويلقي في قلبي الشبهة والإشكالات، ويشككني في أمركم أيام جاهليتي رجع عن ذلك كلّه في حقّي، وصار آيساً لا طمع له في نصيحتي على زعمه. وقوله (مِن رشادي): متعلّق بقوله (آيساً). والرشاد الاهتداء؛ لأنّه يزعم أنّه رشيد، وأنّ لومه لي إرشاد إلى الطريق الأقوم، فلمّا رآني لا أقبل منه النصيحة آيس من رشادي واهتدائي إلى طريقته التي هو فيها من السلوان عنكم، والاعراض عن الاشتغال بمحبّتكم، والنسيان لكم بالكليّة، والغفلة عن مراقبتكم، والإقبال على الدنيا وزخارفها وشهواتها. ثمّ قال مؤكداً لذلك على وجه الإثبات لطريقته هو، التي هي طريقة أهل المحبّة والهوى. (وكذاك): أي مثل ما وقع العشق وهو المرض الوسواسي الذي يجلبه الإنسان إلى نفسه بتسليط فكره على استحسان بعض الصور. (والغَيّ): بفتح الغين المعجمة، اسم لخلاف الرشد، وهذا من قبيل قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ بعد حكاية بلقيس: ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً﴾ [٢٧/ النمل/ ٣٤] والملك الحقّ إذا وسعه قلب عبده المؤمن بالكشف العرفانيّ عن المقام الصمدانيّ فسدت قرية ذلك الجسد والقلب بالموت الاختياري ، وصار أعزّة تلك القرية من الحواس الظاهرة والباطنة أذلّة، وفني الجميع في أنوار التجلّيات الربّانيّة فصدق قوله تعالى بعد ذلك: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ على وجه التصديق لما هناك.

٣٢- أَبِعَيْنَيْهِ عَمَىً عَنْكُمْ كَمَا صَمَمٌ عَنْ عَذْلِهِ فِي أُذُنَيّ

الهمزة للاستفهام التقريري. والضمير راجع إلى اللاحي في البيت قبله. و(العمى): عدم البصر عمّا من شأنه أن يكون بصيراً. يعني: لا شبهة أن بعينيّ اللاحي الاثنتين: عين البصر وعين البصيرة في الظاهر والباطن عمىً عنكم؛ فلا يراكم، ولا يصدِّق برؤيتكم من أحد، كما أنّ في أذني المحبّ كلتيهما (صَمَم): وهو انسداد الأذن، وثقل السمع (عن عذله): أي عَذْل اللّاحِي. والعَذْل هو اللوم. قال تعالى: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٩٨] وقال تعالى: ﴿وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ﴾ [٢/ البقرة / ٧] وقال تعالى﴿ : بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [٨٣/ المطففين/ ١٤] فأفعالهم القبيحة التي كانوا يكسبونها هي التي جعلت الرين على قلوبهم. قال في القاموس: «الرَّيْنُ: الطَّبْعُ والدَّنَس، رَان ذَنْبُهُ على قلبه رَيْناً ورُيُوناً: غَلَبَ» انتهى. فلهذا صاروا لا يرون الحقّ المتجلّي بإظهار كلّ شيء.

٣٣- أَوَلَمْ يَنْهَ النُّهَى عَنْ عَذْلِهِ زَاوِياً وَجْهَ قَبُولِ النُّصْحِ زَيّ

الهمزة الداخلة على الواو للاستفهام الإنكاري، وهو إنكار النفي الذي بعده، ونفي النفي إثبات. والمراد إثبات نهي النهي عن عذله. والنهي خلاف الأمر، والنُّهَى بضمّ النون وفتح الهاء وبعده ألف مقصورة: جمع نُهْيَة بضمّ النون، بمعنى العقل. و (العذل): اللوم. وضميره للمحبّ. يعني: إنّ العقول كلّها تنهى عن لوم المحبّ، وهذا أمر مقرر عند المحبين؛ لأنّها تنهى عن القبيح/ [٤٤/ ب] عقلاً، واللوم قبيح عقلاً؛ لأنّه صدّ عن سبيل الله؛ فإن المحبّة الإلهيّة سبيل الله عند أهلها، والمحبّة صفة من صفات الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [٥/ المائدة/ ٥٤] فإذا ظهرت في كون من الأكوان حرقت حرارتها الأكوان؛ فأُرجعت إلى أصلها، فقيل: ﴿وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾. وقوله : (زاوياً): بالزاي، من زَواه زَيّاً وزُوِيّاً: نَحَّاه فانزوى، كما قال في القاموس. (وَجْهَ): بالنصب مفعول زاوياً. و(قَبول النُّصح): بإضافة

وجه إليه، أي: مُنحِّياً وجه قبول النصح عنه، أي: مبعده عنه على طريق الاستعارة بالكناية؛ شبّه قبول النصح من المحبّ إذا نصحه العاذل الذي يلومه بإنسان له وجه يتوجّه به؛ تشبيهاً مضمراً في نفسه، وأثبت له الوجه على طريقة التخييل، وذكر تنحية الوجه، أي: الإعراض عنه ترشيحاً للاستعارة بالكناية. وقوله (زَيّ): بفتح الزاي وتشديد الياء، مصدر مؤكّد لاسم الفاعل قبله. والمعنى: إني معرض بوجهي عن قبول نصح العاذل إعراضاً كليّاً؛ لأنّ القلب له وجهة واحدة، فإذا توجّه إلى جهة الحقّ أعرض عن الباطل وبالعكس، قال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ [٢/ البقرة/ ١٤٨] يعني: إنّ الحقّ تعالى هو الذي يولّي الوجهة إلى الجهة التي يريدها من حقّ أو باطل، ثمّ قال تعالى ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [٢/ البقرة/ ١٤٨] أي تسابقوا إليها. يعني: إذا كانت وجهتكم إلى الخيرات فاستبقوا إليها، ولا تتأخّروا. ثمّ قال تعالى: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا﴾ يعني: إلى أي جهة توجّهتم ﴿يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ [٢/ البقرة/ ١٤٨] فذكر الاسم الجامع لجميع الأسماء، وأكّد بقوله ﴿جَمِيعًا﴾ إشارة إلى أنّ كلّ وجهة إلى، أي: جهة توجهت فهي متوجهة إليه تعالى في نفس الأمر؛ فيجد المتوجِّه نفسه عند الحقّ تعالى، فيأتي به تعالى ليوم الجمع، فإذا انكشف الحجاب للسالك وجد قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [٢/ البقرة/ ١١٥] وقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [٢٨/ القصص/ ٨٨]. والهالك: الفاني المضمحل، فتستوي عنده الأحوال كلّها، فيلزم ما هوفيه ولا يتنحّى عنه أصلاً.

٣٤- ظَلَّ يُهْدِي لِي هُدَىً فِي زَعْمِهِ ضَلَّ كَمْ يَهْذِي وَلَا أُصْغِي لِغَيّ

(ظَلّ): بالظاء المعجمة، أي: أقام واستمرّ؛ يعني اللاحي. (يُهْدِي): بضمّ الياء، مضارع أَهْدَى هَدِيَّة، وبفتحها. قال في القاموس: «أَهْدَى الهَدِيَّة وهَدَّاها» انتهى. فيقال: على هذه اللغة الثانية: هَدَى الهَدِيَّة. وقوله (يَهْذِي): بفتح الياء ليتمّ الجناس بين يُهدي بالدال المهملة، ويَهذي بالمعجمة. والهُدَى بضمّ الهاء وفتح الدال المهملة:

الرشاد والدّلالة، كما قال في القاموس. (في زعمه) : أي اللاحي المتقدّم ذكره في قوله ورأيه واعتقاده. قال في القاموس: «الزَّعْمُ، مُثلثة: القول الحقّ، والباطل، والكذب، ضِدٌّ، وأكثر ما يقال فيما يُشُكّ فيه». انتهى. يعني: لم يزل يبعث لي هداية ورشدا في زعمه على طريق الهدية التي يتحفني بها؛ لظنّه أنّ ما هو فيه حقّ، وما أنا فيه باطل. ثمّ قال (ضلّ): بالضاد المعجمة من الضلال، وهو ضدّ الهدى، وهي جملة إنشائيّة دعائيّة، أي: أضلّه الله تعالى. أو خبريّة كاشفة لحال اللاحي. وقوله (كم): هي خبريّة، معناها التكثير. (يَهْذِي): بالذال المعجمة من الهَذَيان. قال في القاموس: «هَذَى يَهْذِي هَذْياً وهَذَيانا: تكلّم بغير معقول لمرض أو غيره». (ولا أُصْغِي): أي لا أميل، ولا أستمع يُقال: صَغِيَ كرَضِي صُغياً: مال واستمع»، كذا في القاموس. (لِغَيّ) هو مصدر غوي يغوي غيّاً ضلّ ، والغيّ الضلال .

٣٥- وَلِمَا يَعْـذُلُ[١] عَـنْ لَـمْيَاءَ طَـوْ   عَ هَوَىً فِي العَذْلِ[٢] أَعْصَى مِنْ عُـصَيّ

(ما): في لِمَا استفهاميّة، واللام حرف تعليل، أي: لأي معنى. (يَعْذِلُ): أي يلوم اللاحي عن هوى محبوبة. (لَمْيَاء): مؤنّث أَلْمى، وهو أسمر الشفة، قال في القاموس: «اللُّمَى مثلثة اللام: سُمْرَة في الشَّفَة، وهو أَلْـمَى، وهي لَـمْيَاء». (طَوْعَ): منصوب على أنّه مفعول يعذل، أي: مطيع. (هَوَى): لا يعصي ما أمر به في العذل، أي: اللوم. (أَعْصَى من عُصَيّ): بضمّ العين المهملة وفتح الصاد المهملة وتشديد الياء، وأصله عُصَيَّة بالتصغير، وهو اسم بطن من/[٤٥/ أ] قبيلة من العرب، دعا عليهم النبي صلّى الله عليه وسلّم: «اللهمّ عليك برعل، اللهمّ عليك بذكوان، اللهمّ عليك بعُصيَّة؛ فإنّهم عصوا الله ورسوله»[٣] وحذفت منه الهاء على طريقة الاكتفاء

---

(١) في (ق): يعدل.

(٢) في (ق): الحبّ.

(٣) ذكره الهيثميّ في مسند الحارث في الزوائد، كتاب الصلاة، باب: القنوت ١٧٨، بلفظ: فقام بهم شهراً في آخر صلاة الفجر يقول: اللهمّ عليك ببني عصيّة عصوا ربّهم، وعليك بذكوان.

البديع بحرف واحد، وقد استوفينا بحث الاكتفاء. في شرح بديعتينا.

٣٦- لَوْمُهُ صَبّاً لَدَى الحِجْرِ صَبَا بِكُمُ دَلَّ عَلَى حِجْرِ صُبَيّ

(اللوم): العَتْب والعَذْل، والضمير للّاحي. (صَبًّا): مفعول المصدر، وهو بفتح الصاد المهملة وتشديد الباء، صفة مشبَّهة بمعنى العاشق. (لدى): بالدال المهملة، بمعنى عند. و(الحِجْر): بكسر الحاء المهملة وسكون الجيم: المحوط من الكعبة بين الركنين الشاميّين بجدار قصير، بينه وبين كلّ من الركنين فتحة. (صَبَا): أي جَهِلَ جَهْلَة الفتوّة، قال في القاموس: «الصَّبْوَة: جَهْلَةُ الفُتُوَّة، صَبا صَبْواً وصُبُوّاً. (بكم): متعلّق بصبا، أي: بسبب محبَّتكم. (دَلَّ): أي اللوم. (على حِجْرِ): بكسر الحاء المهملة وسكون الجيم، وهو العقل. و(صُبَيّ): تصغير صَبي، وهو مَن لم يُفْطَم بعد. والمعنى: إنّ لوم هذا اللاحي للعاشق الذي جَهِلَ جَهْلَ الفتوَّة في محبَّتكم عند الكعبة دليل على أنّ عقل ذلك اللاحي عقل صبي صغير لا يدرك شيئاً يشير إلى إنكار الغافلين على أهل الله تعالى العارفين، ولومهم لهم في بواطنهم وظواهرهم إذا وجدوهم وهم مهيمين سكارى مدهوشين في محبّة الحقّ تعالى، أرواحهم معتكفة على مراقبة قلوبهم التي هي بيوت الحقّ تعالى ، فيدلُّ لومهم ذلك على أنّ عقولهم عقول الصبيان الصغار الذين لم يُفطموا بعد؛ فهم يرضعون ثدي أمّهاتهم الطبيعة التي هم مطبوعون عليها؛ ولهذا لا يدركون أحوال أهل الكمال، ولا تتقلّب عليه قلوب الرجال.

٣٧- عَاذِلِي عَنْ صَبْوَةٍ عُذْرِيَّةٍ هِيَ بِي لا فَتِئَتْ هَيُّ بنُ بَيّ

(العَاذِل): اسم فاعل، من عَذَلَ بمعنى لامَ، مرفوع بالابتداء، بضمَّة مقدّرة قبل ياء المتكلِّم. و(الصَّبْوَة): جَهْلَة الفتوَّة. و(العُذْرِيَّة): بضمِّ العين المهملة والياء للنسبة، وهي قبيلة مشهورة بالعشق، كلُّ من عشق منهم مات من العشق. (هي): أي تلك الصبوة. (بي): الجار والمجرور خبر مقدّم لقوله (لا فتئت): وفتئ من

الأفعال الناقصة التي ترفع الاسم وتنصب الخبر، وخبر عاذلي هو قوله (هَيّ): بفتح الهاء وتشديد الياء. (ابن): صفة له. (بَـيّ): بفتح الباء الموحّدة وتشديد الياء، أصله هَيَّان بن بَيَّان بالتشديد فيهما. يعني: لا يُعرف هو، ولا يعرف له نسب، ثمّ اختُصر بطريق الاكتفاء. يعني: إنّ عاذلي في هذه المحبّة الحقيقية مقطوع النسب، مجهول السبب كأبي لهب الذي هو من بني هاشم، وهو أخو حمزة والعبّاس رضي الله عنهما، وهو عمّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم؛ ولكنّه بسبب الكفر بالله تعالى وإنكار نبوَّة ابن أخيه محمّد صلّى الله عليه وسلّم ذهب شرف نسبه، واضمحلَّت معاليه وعراقته، وصار لا يُعرف له أصل، ولا يعلو له فضل لتبرِّي أهل الحقّ منه ومن مقاربته، حتى قال تعالى في حقّه: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [١١١/ المسد/ ١] إلى آخر السورة، فصار هيّان بن بيّان. وكذلك كلّ من أنكر على الورثة المحمّديّين ما هم فيه من كمال الإيمان، ومحض العرفان، فذلك هيّان بن بيّان عند علماء هذا الشأن.

٣٨- ذَابَتِ الرُّوْحُ اشْتِياقا فَهْيَ بَعْـ ـــدَ نَفَـادِ الـدَّمْعِ أَجْـرَى عَبْرَتَــيّ

(ذَابَ): ذَوْباً وذَوَباناً محركة: ضدّ جَمَد كذا في القاموس. (الرُّوح): أي اضمحلّت وفنيت في أمر الله تعالى؛ لأنّها من أمر الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْـرِ رَبِّي ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨٥]. (اشتياقاً): مفعول من أجله، علّة لذوب الروح؛ فهي «أي: الروح» التي ذابت: أي فنيت واضمحلّت من كثرة الاشتياق إليكم. (بعد نفاد): بدال مهملة نَفِدَ، كسَمِعَ: أَفنى/ [٤٥/ ب] وذهب، كذا في القاموس. (الدمع): هو ماء العين: من حزن أو سرور. (أجرى): أي أكثر جرياناً من (عَبْرَتَيّ): تثنية عَبْرة، قال في القاموس: «العَبْرَة، بالفتح: الدمعة قبل أن تفيض، أو تردد البكاء في الصدر، أو الحُزن بلا بكاء، والجمع: عَبَرات وعِبَر»، كذا في القاموس. يعني: روحي ذابت وفنيت واضمحلَّت، ولم يبقَ

إلا أمر الله الذي كلمح بالبصر، فصرت أنظر بأمر الله ، لا بالروح، والروح صارت أجرى من العَبْرتينِ السائلتين من عينيَّ؛ لذهاب عينيّ أيضاً وذهاب العَبرتين؛ فإبصاري ونظري الآن إنّما هو بأمر الله تعالى السريع الذي هو كلمحٍ بالبصر مكان اللمح بالبصر، من قبيل: «كنتُ بصره الذي يبصر به الحديث[1]...».

٣٩- فَهَبُوا عَيْنَيَّ مَا أَجْدَى البُكَا عَيْنَ مَاءٍ فَهْيَ إحْدَى مُنَيَتَيَّ

(هَبُوا): فعل أمر من الهبة، وهي العطيّة، والخطاب للأحبّة باعتبار كثرة الحضرات المختلفة في مقام التجلّيات كما قال القائل: «لتعلم أنّي واحد وكثير». (عَيْنَيّ): بتشديد الياء، تثنية عين مضافاً إلى ياء المتكلّم. وقوله (ما أجدى): بالجيم، بعدها دال مهملة، أي: أنفع. و(ما): مصدريّة ظرفيّة، أي: مدة إجراء البكا، بالقصر، وأصله المدّ. وقوله (عَيْنَ): بالنّصب، مفعول هبَوا. و(ماء): مضاف إليه. يعني: حيث فرغ دمعي من كثرة البكاء فهبوا عينيَّ عينَ ماء تنبع ولا ينقطع ماؤها لأبكي بها عليكم، وذلك مدّة نفع البكاء في محبّتكم لي؛ حيث فيه كمال الذلّ بين يديكم، ويقتضي الرأفة منكم والتحنُّن عليّ. وقوله (فهي): أي عين الماء التي تهبوني إيَّاها لأبكي بها بدل دمعي. (إحدى مُنيَتَيّ): تثنية مُنية، بضمِّ الميم وسكون النون، أي: هي واحدة من مُنيتين لي أتمناهما، والمُنية الأخرى لقاؤكم ووصالكم لي، أو هي الحشا السالي في البيت بعده. يعني: هَبوا عيني الظاهرة في عالم الحسّ، والباطنة في عالم المعاني ـ أي: عالم الملك وعالم الملكوت ـ مدّة نفع البكاء لي، وهي مدّة بقاء الوجود منسوباً إلى عين ماء، وهي عين الحياة الحقيقيّة. فإذا أُسري سر الحياة الحقيقيّة في بصر العين الظاهرة كشفت عن عالم الملك وتجلّياتكم فيه. وإذا أُسرى سرّ الحياة الحقيقيّة في بصيرة العين الباطنة كشفت عن عالم الملكوت الأعلى وتجلّياتكم فيه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ

(١) تقدّم تخريجه ص١٤٦.

﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ [٧٦/ الإنسان/ ٥ ـ ٦]؛ فالأبرار عباد الاسم البَر، أي: المحسن المنعم، يمزج لهم شرابهم منها. والمقرّبون ـ عباد الاسم الجامع الله ـ يشربون من تلك العين خالصة، وهذا سرّ الحياة الحقيقيّة في بصيرة العين الباطنة. ثمّ قال تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ۝ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾ [٧٦/ الإنسان/ ١٨] فيمزج منها للأبرار في شرابهم، ويشرب المقرّبون منها خالصة أيضاً، وهذا سرّ الحياة الحقيقيّة في بصر العين الظاهرة.

٤٠ - أَوْ حَشاً سَالٍ وَلَا أَخْتَارُهَا إِنْ تَرَوْا ذَاكَ بِهَا مَنّاً عَلَيّ

(حشاً): بالتنوين، منصوب، معطوف على عين ماء، أي: هَبوا لي حشاً. والحشا: ما دون الحجاب مما في البطن من: كبد، وطحال، وكرش، وهي الأعضاء الباطنة. فلفظ الحشا مفرد، ومعناه متعدد، فوصفه باعتبار لفظه فقال (سالٍ): بالتنوين، أي: هو سالٍ. ثمّ قال (**ولا أختارها**): فَأَرْجَعَ الضمير إلى الحشا مؤنّثاً باعتبار معناه. وقوله (إنْ تَرَوْا): أي تختاروا يا أيها الأحبّة. (ذاك): أي هبة الحشا السالي بها، أي بالحشا المذكورة. والجار والمجرور متعلّق بقوله (مَنّاً): بفتح الميم وتشديد النون مفتوحة، مصدر مَنَّ ـ بالتشديد ـ يَمُنُّ مَنّاً. (عَلَيّ): بتشديد الياء، متعلّق بقوله مَنّاً أيضاً. وجملة الشرط قيد للحشا السالي. وقوله (**ولا أختارها**): جملة معترضة بين المطلوب وشرطه. والمعنى: أوهبوا لي حشاً سالياً بشرط/ [٤٦/ أ] أن تروا ذلك منّة عليّ منكم؛ فأنا أريد ذلك الحشا السالي، إن كان مرادكم فمرادي مرادكم، لا خصوص شيء. وأمّا من حيث أنا في نفسي باعتبار حالي فلا أريد ذلك الحشا السالي؛ لأنّ السلوّعنكم ليس من ديني، ولا هو من عقد يقيني من قبيل قولهم: «حسنات الأبرار سيئات المقرّبين». والمعنى في ذلك: أوهبوا لي باطناً منفسحاً في أنواع الصور الكونيّة والتجلّيات الإمكانيّة، من قبيل قوله قدّس الله سرّه في قصيدته الجيميّة:

تـراه إن غـاب عنـي كـلّ جارحـة　　في كـلّ معنـى لطيـف رائـق بَهِـجِ[1]

فيسمّى عنده هذا المقام سلوّاً لغيبة الحقّ تعالى عنه في ظهوره بكلّ معنى لطيف رائق بهج. وشرط ذلك برؤيتهم له مِنّة بها عليه حيث منّوا بذلك عليه؛ فهو يقبل منّتهم على كلّ حال، ولكنّه هو لا يختار ذلك؛ لأنّه مرتفع الهمّة إلى مقام الشهود الذاتيّ؛ فنسمّي مقام الشهود الصفاتي سلوّا عن الأصل، وهو مقام الأبرار، والأوّل مقام المقرّبين.

٤١- بَلْ أَسِيئُوا فِي الهَوَى أَوْ أَحْسِنُوا　　كُـلُّ شَيْءٍ حَسَـنٌ مِـنْكُمْ لَـدَيّ

(بل): هنا حرف إضراب وانتقال من طلب أن يهبوه لعينيه الظاهرة والباطنة عينَ ماء أو حشا سالية؛ فإنّ ذلك اختيار منه، وإرادة لشيء من محبوبه، وخصوصاً قوله: ولا أختار الحشا السالي؛ فقد اختار شيئاً، ولم يختر شيئاً آخر، وأراد أمراً، ولم يرد أمراً آخر، فأضرب ههنا عن ذلك كلّه، وتذكر أنّه لا يليق بالمحبّ أن يختار شيئاً مطلقاً، أو يريد أمراً مطلقاً؛ وإنّما الواجب عليه أن يكون اختياره وإرادته هي اختيار محبوبه وإرادة محبوبه فقال لا تنظروا إلى ما تقدّم منّي، والأمر إليكم، فأسيؤوا إليّ بأي سوء أردتم في محبّتكم. وقدّم الإساءة لأنّ النفس لا حظ لها فيها. ثمّ قال أو أحسنوا إليّ؛ فإنّ كلّ شيء يحصل لي منكم حسن. (لديّ): بتشديد الياء، أي: عندي، وكلّ ما يفعل المحبوب محبوب، قال الله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ﴾ [٣/ آل عمران/ ٢٦] ولم يقل والشرّ مع أنّه ذكر نزع الملك ممن تشاء، وهو أمر قد يكون شرّاً كإيتاء الملك لمن يشاء. وكذلك العزّ والذلّ؛ ولهذا قال بعده: ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ والشيء شامل للخير والشرّ، وذلك أنّ الله تعالى أمر نبيّه صلّى الله عليه وسلّم أن يقول ذلك من مشرب المحبّة، وكلّ فعل يفعله المحبوب فهو حسن

---

(١) انظر البيت ٢٩ من قصيدة (ما بين معترك الأحداق والمهج).

محبوب مرغوب. والشرّ لا يكون شراً إلّا باعتبار غلبة الغيريّة، وانصراف المحبّة الإلهيّة عن المحبّ إلى ما يظهر له من الصور الحسيّة أو الخياليّة.

٤٢- رَوِّحِ القَلْبَ بِذِكْرِ المُنْحَنَى وَأَعِدْهُ عِنْدَ سَمْعِيْ يَا أُخَيّ

(رَوِّح): بتشديد الواو، فعل أمر من الرّاحة، ضدّ التعب. أو من الارتياح، وهو النشاط، وفي القاموس: «والرَّواح والرَّواحَة والرَّاحة والمُرَايِحَة والرَّويحَة كسفينة: وجدانك السرور الحادث من اليقين». والمعنى: اجعل في القلب الرَّاحة من تعب الغفلة، ومكابدة الأغيار. أو أَلقِ فيه النشاط حتى يجدَ السرور الحادث من اليقين بذكر إجراء الشيء على اللسان أوعلى القلب. يقال ما زال منّي على (ذِكْر): أي تذكُّر. و(المنحنى): موضع انحناء الوادي وانعطافه، وهو اسم مكان مشهور في بلاد الحجاز، والإشارة به إلى الحضرة الربّانيّة من الانحناء، وهو التدلّي والدنوّ من قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ [٥٣/ النجم/ ٨]. (وأعِدْهُ): من الإعادة، والضمير للذِكْر، أي: كرر ذكره. (عند سمعي): أي بحيث أُسمع. (يا أُخَيّ): بضمّ الهمزة وفتح الخاء المعجمة وتشديد الياء: مصغّر أخي للتعظيم، وقد ورد في الحديث: «المرء مرآة أخيه»[1] يعني: تظهر فيه صورة أخيه، وتظهر صورة أخيه فيه. وقال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ﴾ [٤٢/ الشورى/ ١١] أي: ليس مثل مثله شيء على عدم زيادة الكاف، وهو الأصل، فقد أثبت المِثل، ونفى أن يكون للمِثل مِثل وجميع/[٤٦/ ب] العوالم الظاهرة من علم الله تعالى مثل علم الله تعالى، وعلمه عين ذاته؛ لأنّ به ظهرت جميع صفاته وأسمائه؛ ولهذا قال بعده: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [٤٢/ الشورى/ ١١] فتفصّلت ذاته بعلمه؛ لأنّه علم ذاته، فعلم العوالم كلِّها، فالعوالم كلُّها مثلُه الثابت به، وهذه المثليّة من هذه الأسماء

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنّفه، ج٦ص١٤ عن أبي هريرة، بلفظ: «المسلم مرآة أخيه، فإذا رأى أذى فليمطه عنه». كما ذكره الألبانيّ في صحيح الأدب المفرد للبخاري، ٢٣٨/ ١٧٧، ، بلفظ: «المؤمن مرآة أخيه، إذا رآى فيه عيباً أصلحه». قال الألبانيّ عنه حسن.

والصفات، ثمّ ظهر الإنسان الكامل مثل العوالم كلِّها؛ فهو مثلُ المثل المنفي، ولا شكّ أنّ المثل أخو المثل، والتصغير هنا للتعظيم، كما قال تعالى: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ ﴾ [٤٠ / غافر/ ٥٧] الآية.

٤٣- واشدُ باسم اللّائِي[1] خَيَّمْنَ كَذَا عَـنْ كُـدَا وَاعْـنَ[2] بِـمَا أَخْوِيـهِ حَـيّ

(**اشْدُ**): فعل أمر من الشَدْوِ، وهو الترنُّم، بسكون الشين المعجمة وضمّ الدال المهملة، وفي نسخة (**واحْدُ**): فعل أمر من الحُداء، يخاطب أخاه المذكور في البيت قبله. وقوله (**باسم اللائي**): وهو اسم موصول لجمع التي، عاقلاً كان أو غيره. وقد تحذف منه الياء، فيقال: اللاءِ. و(خيّمنَ): فعل ماض مسند إلى نون جماعة النسوة. وفي القاموس: «الخيمة كلّ بيت مستدير، أوثلاثة أعواد، أو أربعة، يُلقى عليها الثُّمام[3]، ويُستظلّ بها في الحرّ، أوكلّ بيت يبنى من عيدان الشجر. و خَيَّمُوا: دخلوا فيها، وخيّموا بالمكان: أقاموا، وخَيّم الشيء غَطَّاه بشيء» انتهى. (**كذا**): بالذال المعجمة كناية عن المكان، فهي ظرف. قال في القاموس: «كذا كناية عن الشيء، الكاف حرف تشبيه، وذا للإشارة، أي: دخلنَ تحت أستارهذه الآثار الكونيّة». وقوله (**عن كُدَا**): بالدال المهملة، قال في القاموس: «الكَدَاء كسَماء اسم عرفات، وجبل بأعلى مكّة، دخل النبيّ صلّى الله عليه وسلّم مكّة منه، وكسُمَيّ جبل بأسفل مكّة خرج منه النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وجبل آخر بقرب عرفة» انتهى. يعني: خيّمنِ بمعنى استترنَ، أي: تلك الحضرات الربّانيّة بهذه العوالم الكونيّة بدلاً عن هذه الحضرات المذكورة والتجلّيات المستورة. (**وَاعْنَ**): بعين مهملة ونون مفتوحة، وهو فعل أمر، من عَنَاه الأمرُ يَعْنِيه ويَعْنُوهُ عِنَايَة وعَنَاية وعُنِيّاً:

---

(١) في (ق): اللّايَ.

(٢) في (ق): واغنِ

(٣) الثمام: نوع من النبات، قد يستعمل لإزالة البياض من العين.

القاموس: «يقال: حَوَاهُ يَحْويه حَيّاً: جَمَعَهُ». وقوله (حَيّ): في آخر البيت بفتح الحاء أَهَمَّهُ، واعْتَنَى به: اهْتَمَّ، كذا في القاموس. وقوله (بها): أي بالذي (أحويه): قال في المهملة وتشديد الياء: مصدر مؤكِّد للفعل قبله. والمعنى: اعتنِ بالذي أحويه واجمعه يا أخي في حال شذْوِك بالأسماء الإلهيّة فعرّض بعلومي وأسراري في إشارات إلهامك، وتلويحات مناجاتك في مفاهيم كلامك.

٤٤- نِعْـمَ مَـا زَمْـزَمَ شَـادٍ مُحْسِنٌ بِحِـسَانٍ تَخِـذُوا زَمْـزَمَ جَـيْ

(نِعْم): بكسر النون وسكون العين المهملة وفتح الميم: فعل ماض، لفظه لا يتصرّف، ومعناه إنشاء المدح. و(ما): مصدريّة مسبوكة مع ما بعدها بالمصدر، أي: زمزمة فاعل نعم. و(زَمْزَمَ): فعل ماض من الزَمْزَمَة، قال في القاموس:" الزَمْزَمَة الصوت البعيد له دَوِيٌّ، وتتابُع صوت الرعد، وهو أخشنه صوتاً، وأَثْبَتُه مطراً ، وتراطُنُ العُلُوج على أكلهم وهم صُمُوت، لا يستعملون لساناً ولا شَفَة؛ ولكنّه صوت تديره في خياشيمها وحُلُوقها، فيفهم بعضهم من بعض، وصَوتُ الأَسِد» انتهى. والمناسب هنا الأوّل؛ فإنّ الشادي هنا بالدال المهملة ـ أي: المترنّم ـ هو الداعي إلى الله على بصيرة هو ومن اتبعه، فإنّ زمزمته صوت بعيد له دوي مسموع لبُعد عهده من زمن المصنِّف؛ فيسمعه العارف المحقّق مع بُعده عنه من قبيل قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ﴾ [٣/آل عمران/١٩٣] ثمّ وصفه بأنّه (مُحسِن): بصيغة اسم الفاعل، من الإحسان المفسر بقوله صلّى الله عليه وسلّم: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم [٤٧/ أ] تكن تراه فإنّه يراك»[١] والدعوة إلى الله تعالى من أفضل العبادات؛ فهو يدعوا إلى الله وهو محسن، وذلك هو البصيرة في قوله: ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [١٢/يوسف/١٠٨] ثمّ قال (بحِسانٍ): متعلّق بشادٍ، أي: بسببهم، أو متعلّق بزمزم. وحِسان جمع حَسَن، قال

---

(١) قطعة من حديث أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب التفسير، باب: قوله إنّ الله عنده علم الساعة، ٤٧٧٧.

في القاموس: «حَسُنَ كَكَرُمَ ونَصَرَ فهو حَاسِن وحَسَن، والجمع: حِسَان». بمعنى: أمور حِسَان، أو معانٍ حِسان ، أو أسماء حسان، وهو الأنسب لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [١٧/ الإسراء/ ١١٠].

وقوله (تَخِذُوا): فعل ماضي بمعنى اتخذوا. و(زَمْزَمَ): اسم بئرعند الكعبة، وهو المفعول الأوّل لقوله تخِذوا، كناية عن القلب المحمّدي الجامع، والمفعول الثاني قوله (جَيْ): بفتح الجيم وسكون الياء، محذوف الهمزة للتخفيف، وأصله: جَيء. قال في القاموس: «والجَيءُ: الدعاء إلى الطعام والشراب، وجَأْجَأَ بالإبل: دعاها للشرب» انتهى. فإنّ ماء زمزم يتحرك في نفس كل من شرب منه؛ فيطلب العَوْد كما هو المشهور، فكأنّ هذه الحِسان اتخذوا زمزم دعاءً وطلباً لكلّ من ورد عليهم مرة أنْ يعود إليهم أيضاً، ولا شك أنّ هذه الأسماء الإلهيّة الحسان اتخذوا ماء زمزم الذي هو ماء العلوم الإلهيّة والمعارف الربّانيّة، دعاء لكل من ذاقها وشرب نَهْلَةً منها إلى الطعم والشراب؛ أي: إلى الغذاء الروحانيّ المُغني عن الغذاء الجسمانيّ، كما قال صلّى الله عليه وسلّم: «لست كأحدكم، إنِّي أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني»(١).

٤٥- وجَنَابِ رُوِّيتْ مِنْ كُلِّ فَجْـ ـجٍ لَـهُ قَـصْداً رِجَـالُ النُّجْـبِ رَيّ

(وجَنَابِ): بالخفض، معطوف على حِسَان، أي: نعم ماء زمزم الشادي بحسان وبجناب. والجناب: الفِناء ـ بكسر الفاء والمدّ ـ والناحية، وهذا في الأصل، ويراد به جهة الذات، كما يقال: جناب المولى، وتنكيره للتعظيم، فذكر أوّلاً مقام الأسماء، ثمّ ذكر مقام الذات. ثمّ قال (رُوِّيتْ): بتشديد الواو وبالراء، ورَيّ في آخر البيت بالراء مصدر مؤكِّد للفعل، قال في القاموس: «رَوِي من الماء واللبن كرَضِي رَيّاً ورِيّاً» انتهى. وهو ضدّ ظمئ وعطش. وقوله (من كلِّ فَجٍّ): بفتح الفاء وتشديد الجيم: الطريق الواسع بين الجبلين، كناية عن عالم الظاهر، وعالم الباطن،

---

(١) أخرجه أحمد في مسند أبي هريرة، ٧٤٣٠، دون قوله (عند ربي).

وعالم الملك، وعالم الملكوت. وكلّ منهما جبل لانجباله بعضه ببعض، وتركيبه في أجزائه، قال تعالى: ﴿تَبَـٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [٦٧/ الملك/ ١] وقال: ﴿ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [٣٦/ يس/ ٨٣] فالأجسام من عالم الملك والأرواح والعقول والنفوس من عالم الملكوت. وقوله (له): أي لأجله بسبب الوصول إليه. و(قصداً): تمييز، أي: من جهة القصد والتوجّه إليه. و(رجال): نائب الفاعل؛ فإنّ المقام الذاتيّ الربّانيّ لا يقصده ويتوجّه إليه إلا الرجال الروحانيّون وإن كانوا نساءَ الأجسام والنفوس، وأُضيفت الرجال إلى (النُّجْب): بالنون والجيم والباء الموحّدة، على وزن قُفْل: جميع نَجيب ونَجِيبة، وجمعه نَجائب، كما في القاموس. وهي الأعمال الصالحة التي تحمل العبد السالك إلى حضرة الربِّ المالك، قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [٣٥/ فاطر/ ١٠] وهي الأرواح القدسيّة من قوله عن عيسى عليه السلام: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [٤/ النساء/ ١٧١] ثمّ قال: ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [٣٥/ فاطر/ ١٠] أي: يرفع الكلم الطيِّب المذكور. وفي نسخة (زُوِيَتْ) بالزاي مكان الراء. (وزَيّ): بفتح الزاي وتشديد الياء، مصدر مؤكِّد للفعل أيضاً. وقال في القاموس: «زَوَى الشيءَ: جمعه وقبضه. يعني: جُمِعَتْ له، أي: لذلك الجناب المذكور قصداً، أو قصد له، لا لغيره، فتقديم الجار والمجرور للحصر؛ فإنّ رجال النُّجْب خرجوا من ذلك الجناب، وكذا كلّ شيء، وإليه عادوا فجمعوا فيه، أي: في حضرة علمه القديم منه بدأ الأمر وإليه يعود، وعلى الأوّل ارتووا/ [٤٧/ ب] من عطش البعد، وظمأ الغفلة عنه؛ ولهذا لا يزال الطلب والسير حتى يستقرّوا في وطنهم الأصلي، وقد ورد: «حبُّ الوطن من الإيمان»(١).

٤٦- وادِّراعــي حُلَــلَ النَّقْــعِ وَلِي   عَلَــماهُ عِــوَضٌ عــن عَلَمَــيّ

(وادِّراعي): معطوف على حِسان أيضاً. يعني: نعم ماء زمزم الشادي بجناب

---

(١) قال السخاويّ في المقاصد الحسنة،٢٨٦ : «لم أقف عليه، ومعناه صحيح». ١/ ٢٩٧.

ذُكِر شرحه. وبادِّراعي أي: لُبْسي. والادِّراع: افتعال، أصله ادتراعي، فقلبت التاء دالاً، وأدغمت الدال في الدال. و(الحُلَل): بضمّ الحاء المهملة وفتح اللام الأولى، جمع حُلَّة، قال في القاموس: «الحُلَّة بالضمّ إزار ورداء بُرْد أوغيره، لا تكون حُلّة إلا من ثوبين، أو ثوب له بطانة. و(النَّقْعُ): بنون وقاف وعين مهملة،وهو الغبار، قال تعالى: ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا﴾ [١٠٠/ العاديات/ ٤] أي بالعاديات، وهي توجهات الأمرالواحد الإلهيّ. وحُلَل النقع: الصورالروحانيّة والصور الجسمانيّة. وادِّراعي لذلك باعتبار التبدُّل مع الأنفاس. (ولي): متعلِّق بقوله (عِوَض) لأنّه مصدر عاضني الله منه عِوَضاً كَعِنَب، وهو الخَلَف، أشار إليه في القاموس. و(عَلَماهُ): تثنية عَلَم، بالتحريك، وهو الجبل الطويل، والعَلَمان: جبلان بمكّة، وجبلان بمنى، وهما الأخشبان. والضمير راجع إلى الجناب في البيت قبله كناية عن حضرة الجلال وحضرة الجمال. أوحضرة الأسماء الإلهيّة، وحضرة الأفعال الإلهيّة. أو راجع إلى النقع، كناية عن العالم الروحانيّ والعالم الجسمانيّ باعتبار ظهورهما له وانكشافهما لديه، وزمزمة الشادي بذلك من كونه خلق من نوره، فإنّ الحقيقة المحمّديّة مادّة العوالم الكونيّة. والزمزمة عبارة عن كيفيّة الانتشاء من ذلك. وعلماه مبتدأ، وعِوَض خبره. وقوله (عن عَلَمَيّ): مثنى علم بالتحريك، مضاف إلى ياء المتكلّم، وعَلَماه هو كناية عن جلاله وجماله وأسمائه وأفعاله باعتبار المظهرية؛ فإنّ المقام الذاتيّ إذا استغرق فيه السالك ذهب كلّ أثر منه في مؤثّره وزال من لم يكن، وحضر من لم يزُل في أثره.

٤٧- وَاجْتِمَاعِ الشَّمْلِ فِي جَمْعٍ وَمَا   مَــرَّ فِـــي مَـــرٍّ بأفيـــاء الأُثَيّ

(واجتماع): معطوف أيضاً على قوله بحِسان، داخل تحت زمزمة الشادي بذلك، أي: اجتماع شمل حقيقته الإنسانيّة بالحقيقة المحمّديّة. و(جَمْع): اسم المزدلفة، كناية عن مقام الروحانيّ، والتحقّق بحقيقة الروح الأعظم، روح الله

الذي قال تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [١٥/الحجر/٢٩] وقال تعالى عن عيسى عليه السلام ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [٣/النساء/١٧١]. (وما): الواو للعطف على قوله بحِسان أيضاً، وما موصولة له، أي: والحال الذي مرّ أو الأمر والشأن. و(مَرَّ): فعل ماض من المرور، قال في القاموس: «مَرَّ مَرّاً ومُرُوراً: جاز، وذهب، ومَرَّ بفتح الميم وتشديد الراء، وهو بطن مَرٍّ، ويقال له مَرُّ الظهران؛ موضع على مرحلة من مكّة» يعني: الحال الذي كان لي وذهب في وقت السلوك قبل الوصول. (بأفياء): جمع فيء، بالهمزة، وهو ما كان شمساً فنسخه الظلّ. و(الأُشَيْ): بضمّ الهمزة وفتح الشين المعجمة وتشديد الياء: مصغّر أشاء، جمع أشاءة؛ وهي صغار النخل، كنّى بأفياء صغار النخل عن أثار المُرادات الإلهيّة؛ فإنّها بمنزلة الظلالات عن شواخص ما في الإرادة من الغروس في الحضرة العلميّة، وكونه فيئاً أي: ظلاً راجعاً إلى أصله، لا ظلاً خارجاً من أصله في نور الشمس الذاتيّة من قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [٢٥/ الفرقان/ ٤٥] أي: ظلّ الكائنات عن شواخص المشيئة الربّانيّة عن طِبْق ما فيها مما هو مغروس في حضرة العلم القديم في نور شمس الذات، وكان ظلًّا باعتبار أحوال الغافلين؛ فهو متحرِّك دائماً لتزاحمه في الظهور بمقتضى الأمر الذي هو كلمحٍ بالبصر ﴿وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾ [٢٥/ الفرقان/ ٤٥] / [٤٨/ أ] أي: كشف عنه ساكناً كما هو ساكن في الحضرة العلميّة لم يبرح منها، وهم الراسخون في العلم، أي العلم الإلهيّ لقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [٢/ البقرة / ٢٣٢] وقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [٦٧/ الملك/ ٢٦] ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ [٢٥/ الفرقان/ ٤٦] كاشفاً عنها ﴿ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ [٢٥/ الفرقان/ ٤٦] لا تكاد العقول تشعر به؛لأنّ عالم الخلق عالم الالتباس كما قال تعالى: ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ [٦/ الأنعام/ ٩].

٤٨- لِمَنِيَّ عِنْدي المُنَى بُلِّغْتُهَا وأُهَيْلُوهُ وَإنْ ضَنُّوا بِفَيّ

(لِمنى): الجار مع المجرور خبر مُقَدَّم، وعندي ظرف متعلّق بالخبر. ومِنَى

بكسر الميم وفتح النون مقصوراً: قرية بمكّة، سُميت بذلك لما يمنى بها من الدماء، أي: يراق. كناية عن عالم الملكوت السماوي الذي كان يقول عنه النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «اللهمّ الرفيق الأعلى»[1]. و(الـمُنى): بضمّ الميم جمع مُنية، وهي المطلوب. يعني: مطالبي كلِّها هاتيك الحضرة العالية التي تذهب فيها النفوس البشرية. ثمّ قال (بُلِّغْتُها): بالبناء للمجهول وتشديد اللام مكسورة، جملة دعائيّة معترضة بين المتعاطفين، إما بضمِّ التاء للمتكلِّم، كأنّه يقول: بلَّغَنِي الله تعالى أياها، أو بفتح التاء للمخاطب، كأنّه يقول: بَلَّغَكَ الله إياها، من قبيل قول الشاعر:

إنَّ الثمانـــــــينَ وَبُلِّغْتُهـــــــا ... قــد أحوجــت ســمعي إلى ترجمــانِ

(وَأُهَيْلُوه): تصغير أهله للتعظيم، والضمير راجع إلى قوله لِمنى، والتقدير: وأهيلوه عندي المُنى أيضاً؛ وذلك كناية عن الأرواح القدسيّة، والملأ الأعلى النازلين في هاتيك المنازل العليّة. (وإنْ ضَنُّوا): أي بخلوا عليّ. (بفَيّ): بفتح الفاء وتشديد الياء، أي: منعوا عنّي شهود العالم الجسمانيّ، والظلّ النفسانيّ استغراقاً في شهود العالم الروحانيّ، وانتقالاً من استجلاء لطائف المحسوسات إلى لطائف المعاني.

٤٩ - مُنْذُ أَوْضَحْتُ قُرَى الشَامِ وَبَا ... يَنْـــتُ بَانَـــاتِ ضَـــوَاحِيْ حِلَّتَـــيّ

(**مُنذُ**): ظرف زمان مبني على الضمّ. و(**أَوْضَحْتُ**): أي تبيَّنت ورأيت. و(**القُرى**): بضمِّ القاف جمع قَرية، بفتح القاف، وقد تُكسر: المِصر الجامع. و(**الشام**): بالشين المعجمة قطر معروف، وقال في القاموس: «الشام بلاد من مَشأَمَة القِبلة، وسُمِّيَتْ لذلك، أو لأنّ قوماً من بني كنعان شأَموا إليها، أي: تَيَاسَروا، أو سُمِّي بسام بن نوح؛ فإنّه بالشين بالسريانيّة. أو لأنّ أرضها شامات بيض وحمر وسود. وعلى هذا لا يُهْمَز، وقد يذكَّر» انتهى. و(**قرى الشام**): كناية عن عالم الغفلة والغرور؛ لأنهم شمالي الكعبة بيت الله؛ فقد نبذوا الله وراء

(١) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب المغازي، باب: آخر ما تكلّم النبيّ [صلّى الله عليه وسلّم]، ٤٤٦٣.

ظهورهم، وهو نبذ كتابه الذي صوّرهم، وأحوالهم التي كتبها على نفسه من قوله سبحانه: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [٦/ الأنعام/ ٥٤] ولهذا احتجب بها. يعني: من حين كشف لي عن أحوال الغافلين، وتقلبات خواطرهم في نفوسهم. وقوله (باينتُ): يعني فارقت. (باناتِ): جمع بانة، والبان شجر الخِلاف. و(الضواحي): جمع ضاحية؛ وهي الأماكن التي تَتَنَحَّى عن المساكن، وتكون بارزة، فضواحي البلاد القرى الواقعة حولها قريباً منها. و(حِلّتَيّ): بكسر الحاء المهملة، مثنى حِلّة بالكسر، وهي منزل القوم؛ وإنّما ثنّاها وأضافها إلى نفسه بإدغام ياء التثنية في ياء المتكلّم بعد حذف النون للإضافة، باعتبار حالة الجلال التي يكون فيها، وحالة الجمال؛ فإنّهما منزلان ينزلهما السالك في طريق الله تعالى. والمعنى: ومن حين فارقت الحقائق الإنسانيّة النابتة حول المنزلين اللذينِ في الطريق الإلهيّ من قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [٧١/ نوح/ ١٧] ومنه قول عفيف الدين التلمسانيّ:

أسكرتُ بانَ الحَيِّ يا نسمةَ السحرِ فهل أتيتِ من الأحباب بالخبرِ

٥٠- لَمْ يَرُقْ لي مَنْزِلٌ بَعْدَ النَّقَا لا وَلَا مُستَحْسَنٌ مِن بَعْدِ مَيّ

/ [٤٨/ ب] (راق) لزيد المكانُ يروق إذا صفت له معيشة فيه. (منزل): أي: مقام أُنزلُ فيه بعد منزل (النَّقَا): وهو مكان معروف بقرب المدينة، وقال في القاموس: «النَّقَا من الرمل: القطعة المُحْدَوْدِبَة». كناية عن المقام المحمّديّ الذي هو النقيّ، من نَقِيَ كَرَضِي، نَقَاوَة وأَنْقَاه وتَنَقَّاه فانتقاه: اختارَه، وهو صلّى الله عليه وسلَّم النبيّ المُختار من جميع قبائل العرب، ومقامه هو المقام المختار له من بين جميع المقامات الإلهيّة الربّانيّة. وقوله (لا): تأكيد للنفي المفهوم من قوله لم يرق. (ولا): بواو العطف على قوله لم يرق. و(المُستحسَن): اسم مفعول من استحسنت الشيء عددته حَسَناً. (من بعدِ مَيّ): بفتح الميم وتشديد الياء: اكتفاء. وأصله مَيّة،

أو ميّ اسم مستقل، قال في القاموس: «مَيَّة وَمَيّ: من أسمائهنّ». كَنّى بذلك عن الحضرة الوجوديّة المُحْتَجَبَة بصور الأكوان العدميّة.

والحاصل: إنّه يقول من حين كُشِفَتْ لي قُرى الشام، أي: عالم الغفلة والغرور الذي كنت فيه سابقاً باستيلاء أحكام النفس والطبيعة عليّ، فأعرضت عن ذلك، ودخلت طريق الحقّ. ومن حين فارقت مقامات المُجاهَدات في طريق السلوك لم يعجبني منزل، ولا صفا لي العيش في مقام بعد المقام المحمّديّ الجامع لجميع المقامات؛ لعدم وقوف صاحبه عند كلّ ما يظهر له، فيدوم ترقّيه في معارج القرب، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ فَٱرۡجِعُواْ﴾ [٣٣/ الأحزاب/ ١٣] ولا راق لي شيء أستحسنه من بعد هذه المحبوبة المحتجبة عنّي بي وبكلّ شيء، وقد أشار المصنِّف ـ قدّس الله سرَّه ـ إلى ذلك بقوله من القصيدة الكافيّة الآتي ذكرها إن شاء الله تعالى.

قال لي حُسْنُ كلِّ شيءٍ تجلّى ... بي تَمَلَّي فقلتُ قصدي وراكا[1]

هذا معنى دوام الترقّي كما ذكرناه .

٥١- آهِ وَا شَوْقِي لِضَاحِي وَجْهِهَا ... وَظَمَا قَلْبِي لِذَيَّاكَ اللَّمَيّ

(آه): بالمدِّ والهاء المكسورة، كلمة تقال عند الشكاية أو التوقع[2]. وقال في القاموس: «وا تكون حرفاً، وتختص في النداء بالندبة» انتهى. وهنا يتوجع بها من وجود الشوق . و(ضَاحِي وجْهها): أي وجهها الضاحي، والضمير راجع إلى مَيّ في البيت قبله. والضاحي: البادي الظاهر، من ضَحا الطريق ضَحْواً بدا وظهر. وأَضْحَى الشيءَ: أَظْهَره ، كما في القاموس. والمعنى: أنّه أبدى الشكاية والتوجّع من كثرة شوقه لوجه المحبوبة الظاهر له من تحت براقع صور الأكوان، قال تعالى:

---

(١) انظر البيت ٥٣ من قصيدة ته دلالاً.

(٢) لعلّها التوجّع.

﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [٢/ البقرة/ ١١٥] وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [٢٨/ القصص/ ٨٨] وقال: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ٢٦-٢٧]. وقوله (وظما): بحذف ألف الندبة تخفيفاً، وأصله: وا ظمآه، والظمأُ: شدة العطش، قال في القاموس: «ظَمِئَ كَفَرِحَ ظَمْأً وظَمَاءَة: عطش، أو أشدّ العطش، وظمِئ إليه اشتاق». وأضاف الظَمَأَ إلى القلب؛ لأنّه موضع المعرفة الحقيقيّة. (لذيّاك): تصغير ذاك، قال في القاموس: «ذا اسم إشارة إلى المذكَّر، يقال: ذا وذاك، ويزاد لاماً فيقال: ذلك، ويصغَّر فيقال: ذيّاك وذيّالك».

و(اللُّمَيّ): بضمِّ اللام وفتح الميم وتشديد الياء: تصغير اللَّمَي، بفتح اللام وفتح الميم مقصوراً، قال في القاموس: «اللَّمَي مثلّثة سُمْرَة في الشَّفَة» وهي كناية عن الفهوانيّة[1] حضرة الكلام الإلهيّ الذي ليس بحرف ولا صوت، وهذه الحضرة تبثُّ علوماً غريبة في قلوب المقرَّبين.

٥٢- فَبِكُلٍّ مِنْهُ وَالأَلْحَاظِ لِي سَكْرَةٌ وَا طَرَبَا مِنْ سَكْرَتَيّ

(بكلٍّ): أي بكلِّ واحدٍ منه: أي من دلك اللَّمَى: أي الريق والألحاظ، بالجرّ، عطف على الضمير المجرور بمن البيانيّة من غير إعادة الجارّ والمجرور، وهو جائز في السّعة أيضاً كقوله تعالى: ﴿وَالْأَرْحَامَ﴾ [٤/ النساء/ ١] في قراءة الجرِّ عطفاً على الضمير المجرور في قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ/ [٤٩/ أ] بِهِ﴾ [٤/ النساء/ ١] وقوله (لي سكرة): أي باللَّمَى الذي هو كناية عن الكلام الإلهيّ الذي يقع في قلوب العارفين بطريق الفيض والإلهام بالأسرار الربّانيّة والعلوم السريانيّة، فتقتضي غيبة العقول في تجلّيات النزول. وسكرة أخرى بالألحاظ، وهي: توجهات العيون بالنظر. كناية عن حقائق المعلومات الإلهيّة التي ظهرت آثارها في

(١) قال الجرجاني في التعريفات: «الفهوانيّة: خطاب الحقّ بطريق المكافحة في عالم المثال». انظر التعريفات للجرجاني، ج١ ص٥٤.

صورعوالم الإمكان. ثمّ قال (وَا طَرَبَا): أصله واطربي، فقلبت الياء ألفاً تخفيفاً؛ لأنّ الألف والفتحة أخفّ من الياء والكسرة. والطَرَب محرَّكة: الفرح، والحُزْن، ضِدّ، أوخفَّة تلحقك، تَسرُّك أو تَحْزُنُك. وتخصيصه بالفرح وهم، كذا في القاموس. والمُراد به هنا الفرح والسرور، والندبة من زيادة ذلك إلى أن توجع منه؛ لانقلابه إلى ضدِّه. وقوله (من سَكْرَتَيْ): بفتح التاء المثنَّاة الفوقيّة وسكون الياء، مثنّى سَكْرَة، وقد حُذفت منه نون لتثنية لإضافته إلى ياء المتكلّم التي أدغم فيها ياء المثنّى، وهذا مقام أهل الرسوخ من المحقّقين، أصحاب التمكين، قال شاعرهم:

لي سكرتان وللنُدمان واحدة ... شيء خصصتُ به من دونهم وحدي

٥٣- وَأَرَى مِنْ رِيحِهِ الرَّاحَ انْتَشَتْ ... وَلَهُ مِنْ وَلَهٍ يَعْنُو الأُرَيّ

(أرى): من الرؤية، بمعنى العلم. و(من ريحه): أي رائحته، والضمير راجع إلى اللُّمَيّ في البيت السابق. و(الراح): الخمر، وهو مفعول أوَّل لأرى. و(انتَشَتْ): صارت ذات نشوة. وهذه الجملة في محل نصب هي المفعول الثاني، قال في القاموس: «نَشَا نَشْوَاً ونَشْوَةً مثلَّثة سَكِرَ كانْتَشَى وتَنَشَّى» انتهى. يعني: أنَّ الخمر الذي يسكر الناس وهو حرام موجب للحدّ، قد سكر من رائحة هذا اللُّمَيّ، ولم يشربه كما شربناه نحن، فإنّ التجلِّي الإلهيّ ما تحقّق به إلّا الإنسان الكامل. وأمّا كلُّ ما سواه من بقيّة العوالم إنّما شَمَّتْ رائحته فقط، فسكِرت، فغابت عن الإدراك، ومن جملتها الخمر المعروف، ومن جملة ذلك الحيوانات التي في صور الإنسان من أهل دير الطغيان، فقد سكروا من الرائحة، فَحُمِدوا على هذه الحالة الصالحة وإنْ كانوا مذمومين لتعطيل استعداداتهم الراجحة، قال المصنِّف قدّس الله سرَّه:

هنيئاً لأهل الدير كم سكروا بها ... وما شربوا منها ولكنَّهم همّوا[1]

(١) انظر البيت ٣٤ من قصيدة شربنا على ذكر الحبيب مدامة.

ثمّ قال (وَلَهٌ): أي لذلك اللُّمَيّ أيضاً. (وَلَهٌ): بفتح الواو وفتح اللام، أي: تحيَّر، قال في القاموس: «الوَلَهُ محرَّكة الحُزْن، أو ذَهاب العقل حُزْناً، والحَيْرَة. وَلِهَ كَوَرِثَ وَوَجِلَ وَوَعَدَ». و(يَعْنُو): أي يخضع. و(الأُرَيّ) بضمِّ الهمزة وفتح الراء وتشديد الياء، مصغَّر الأَرى كالشمع وهو العسل. يعني: إنّ العسل أيضاً يخضع لهذا اللُّمَيّ المذكور من شدّة التحيُّر فيه لشمِّه رائحته ولا يعلمه؛ لأنّه ليس من ذوي العلم.

٥٤- ذُو الفَقَارِ اللَّحْظُ مِنْها أَبَداً وَالحَشَا مِنِّيَ عَمْرٌو وَحُيَيّ

(ذو الفقار): بفتح الفاء وفتح القاف: سيف الإمام علي كرّم الله وجهه. وأصله سيف العاص ابن منبه، قُتل يوم بدر على كفره، فصار إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، ثمّ صار إلى علي رضي الله عنه، وهو من حديدة كانت صمصامة عمرو بن معدي كرب، وُجدتْ عند الكعبة من دفن جرهم، أو غيرهم. وإنّما سُمِّي ذو الفقار لأنّه كان في وسطه مثل فقرات الظهر. وذو الفقار مبتدأ، و(اللَّحْظُ): خبره، قال في القاموس: «لَحَظَه كَمَنَعَه، و ـ إليه لَحْظاً ولَحَظَاناً، محرّكة: نَظَرَ بمؤخّرِ عينيه، وهو أشدّ التفاتاً من الشَّزْر. (منها): أي من هذه المحبوبة. (أبداً): أي دائماً، وهو ظرف لما يستقبل من الزمان. كناية عن توجه الحقّ تعالى إلى عبده السالك؛ فإنّه يتنوّر قلب ذلك العبد السالك بالنور الحقيقي؛ فتضمحلّ رسوم ذلك العبد السالك فيموت ويفنى كما يفعل السيف الماضي بالحيوان الحيّ، فإنّه يميته ويفنيه /[٤٩/ب] بحسب العادة، ثمّ قال (والحشا): وهو ما في البطن من كبد وطحال وما يتبع ذلك. وقوله (مِنِّي) على معنى: وحشايَ. (عمرو): هو عَمْرو ابن ودّ العامريّ[١]. قتله علي رضي الله عنه بسيفه ذي الفقار المذكور. (وحُيَيّ)[٢]: بضمّ الحاء المهملة وفتح الياء الأولى

---

(١) من جبابرة قريش وصناديدها، كانت نساء قريش تخيف أبناءها به إذا أرادت أن تنيمها، قتله عليّ ابن أبي طالب رضي الله عنه في غزوة الخندق.

(٢) حييّ بن أخطب بن شعبة بن عبيد بن الخزرج، من سبط هارون بن عمران. من رؤساء اليهود وعلمائها وشواعرها، وهو من أشدّ يهود عداوة لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم قتل مع يهود قريظة بعد الخندق.

مع تشديد الياء الثانية مصغّر حَيّ: ضدّ الميت، وهو والد صفيّة بنت حُيَيّ، اصطفاها النبي صلّى الله عليه وسلّم من سبايا خيبر، وأعتقها، وتزوّجها. وأبوها حُيَيّ يهوديّ من سبط هارون النبيّ عليه السلام، وكان قتله عليّ رضي الله عنه بسيفه ذي الفقار.

٥٥- نَحَلَتْ جِسْمِيْ نُحُوُلاً مِنْهُ حَالِي فَهْوَ أَبْهَى حُلَّتَيّ

(نَحَلَتْ): أي المحبوبة من نَحِلَ جَسمه كَسِمِعَ ونَصَرَ وكَرَمَ نُحُولاً: ذهب من مرض أو سفر، كذا في القاموس. (وخَصْرُها): أي المحبوبة، كناية عن نفس السالك التي هي وسط عالمه الإنساني، حاملة لجميع أحواله وشؤونه الباطنة والظاهرة بمنزلة الخصر للإنسان في وسط صورته الجسمانيّة، حاملاً لأعلاه وأسفله. والنُّحُول والرِّقّة في خصر المليحة حسنٌ ممدوح، معدود من محاسنها البديعة، وكذلك ضعف النفس ونحولها ورقّتها من جملة محاسن هذه الصورة الإلهيّة المعنويّة؛ ولهذا قال (منه): أي من ذلك النحول. (حالي): أي متحلٍّ، من الحِلية وهي الزينة. ثمّ قال (فهو): أي من ذلك النحول الذي نحلته لجسمي. (أبهى): أفعل تفضيل من البهاء؛ وهو الحُسن. (حُلَّتَيّ): بضمّ الحاء المهملة وتشديد اللام مفتوحة وفتح التاء المثنّاة الفوقيّة، وأُدغمت ياء التثنية في ياء المتكلّم. يعني: أنّ له رضي الله عنه حُلَّتينِ؛ إحداهما الحُلّة التي يلبسها في الظاهر، والحُلّة الأخرى التي هي (أَبْهَى): أي أحسن عنده، هي حُلّة النحول والسُّقْم حيث هي ناشئة في الحقيقةعن نحول نفسه وضعفها التي كَنّى عنها بنحول خصر هذه المحبوبة، قال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [٣/ آل عمران/ ٢٨] أي: نفسكم التي هي له خَلقاً وملكاً واستيلاءً؛ ولهذا قال بعده: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ أي: مصيركم إليه بعد ذهاب غيريّتكم عنكم، وفي آية أخرى قال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [٣/ آل عمران/ ٣٠] أي: إذا ظهرت الرأفة بكم منكم؛ فهي رأفته بكم ظهرت منكم لكم.

٥٦- إنْ تَثَنَّتْ فَقَضِيْبٌ فِي نَقَا مُثْمِرٌ بَدْرَ دُجَىً فَرْعِ ظُمَيّ[1]

ثَنَى الشيء كَسَعَى، ردَّ بعضه على بعض فَتَثَنَّى، وانْثَنَى: انعطف، كذا في القاموس. (فتَثَنَّت): مالت وانعطفت. يعني: المحبوبة. وهو كناية عن إظهار سواها منها، فكأنها صارت اثنين وهي واحدة. (فَقَضِيبٌ): أي فهي قضيب، والقضيب الغُصْن؛ وهو الإنسان الكامل من قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا﴾ [٧١/ نوح/ ١٧] يعني: فنبتّم نباتاً. وقوله (في نَقا): بفتح النون، والنَّقَا من الرمل: القطعة المُحْدَوْدِبة، أي: المستطيلة، كناية عن المقام المحمّديّ الدائم الترقّي؛ فكان الكامل مقيم فيه، وناشئ عليه. وقوله (مُثْمِرٌ): اسم فاعل من أثمرت الشجرة: إذا خرج ثمرها. (بَدْرَ): مفعول اسم الفاعل، والبدر: القمر التمام الممتلئ. كناية عن قلب الإنسان الكامل الممتلئ من معرفة ربِّه، وهو الوُسع الوارد في الحديث القدسيّ: «ما وَسِعَنِي سمواتي ولا أرضي ووسعني قلب عبدي المؤمن»[2] وجعله بدراً لأنّ نور البدر مستفاد من نور الشمس، أي: شمس الحضرة الإلهيّة من غير أنْ ينتقل إليه شيء منها، ولا حلّ فيه شيء منها، كما أنّه لم ينتقل نور الشمس إلى البدر، ولا حلّ فيه؛ ولكن ظهر به كالمرآة المجلوّة إذا ظهر فيها صورة الوجه أو نور السراج من غير انتقال ولا حلول، ثمّ أضاف البدر إلى الدجى؛ لأنّ سلطان ظهوره في الدجى، فإذا طلعت الشمس عليه لا يظهر له نور، كما أنّ الحقّ تعالى إذا انكشف لقلب العارف لا يبقى للعارف وجوده؛ لأنّ وجوده كان

---

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ رحمه الله تعالى: «بلغ إلى هنا مقابلةً وسماعاً على مؤلّفه قدّس الله سرّه ورضي عنه».

(٢) ذكره في جامع الأحاديث القدسيّة، ١١٢٨. و قال السخاويّ في المقاصد الحسنة: «ذكره الغزاليّ في الإحياء بلفظ: قال الله لم يسعني، وذكره بلفظ: ووسعني قلب عبدي المؤمن الليّن الوادع. وقال مخرجه العراقيّ: لمْ أرَ له أصلاً. وقال ابن تيميّة: هو مذكور في الإسرائيليّات، وليس له إسناد معروف عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم. ومعناه: وسع قلبه الإيمان بي، ومحبّتي، ومعرفتي».

بطريق ظهور وجود الحقّ تعالى عليه، فإذا تحقّق القلب بوجود الحقّ تعالى وهو الوجود/[٥٠/ أ] الحقيقي لا يبقى لشيء عنده وجود أصلاً. (والدجى): جمع دُجية. قال في القاموس: «الدُّجْيَة بالضمّ: الظُّلْمَة، وجمعه دُجَىً». وذلك كناية عن ظلمة الأكوان، أي: غيريّتها للحقّ تعالى بالوجود، ثمّ أبدل من الدجى قوله (فَرْعٍ): بالجرّ، والفَرْع الشَّعْر التامّ، ومن المرأة شعرها. ولما نشأ الكون من تجلّي الحقّ تعالى، وشَهِدَهُ الجاهل والغافل عن المعرفة انقلب نوره ظلمة؛ فصار أسوداً كالشَّعْر، وعاد الفيض الإلهيّ له شعوراً نفسانيًا، فكان شعراً. ومنه الشِّعْر، بكسر الشين المعجمة؛ لأنّه حديث النفس وشعورها، وقد تنزّهت عنه الأنبياء عليهم السلام. قال في شأنِ نبيِّنا صلّى الله عليه وسلّم: ﴿وَمَا عَلَّمْنَـٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ [٣٦/ يس/ ٧٠] ثُمّ أضاف الفَرْع إلى (ظُمَيّ): بضمّ الظاء المعجمة وفتح الميم وتشديد الياء، أصله ظُمَيْئَة، مصغَّر ظمآنة؛ وهي المليحة الظمآنة، أي: العطشانة من الشوق والمحبّة، كما يقال: كالغزال العطشان؛ فإنّه يهجم على الماء من شدّة عطشه. فيحسُنُ منه هذا الوصف. ثُمَّ بعد التصغير حذف آخره تخفيفاً على طريقة الاكتفاء، فقيل: ظُمَيّ كناية عن الحضرة الإلهيّة المشتاقة إلى الأكوان بالمحبّة الحقيقيّة.

٥٧- وَإِذَا وَلَّـتْ تَوَلَّـتْ مُهْجَتِـي　　أَوْ تَجَلَّـتْ صَـارَتِ الأَلْبَـابُ فَـيْ

(**ولَّت وتولّت**): بتشديد اللام فيهما، بمعنى: أدبرت وأعرضت. و(**المُهْجَة**): الروح. يعني: إذا أعرضت عنِّي هذه المحبوبة فإنّ روحي تذهب وتصير نَفْساً، والروح من أمر الله ، والنفس أمّارة بالسوء، وليس في بدن الإنسان إلا شيء واحد فيُسَمَّى روحاً لصدوره عن أمر الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨٥] ويسمّى نفساً لوروده على الأكوان، واشتغاله بها بسبب غلبة أحكام الطبيعة. والنفس تموت بحكم قوله تعالى: ﴿ كُلُّ

﴿نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِ﴾ [٣/ آل عمران/ ١٨٥] وهي التي تفنى ثمَّ تعود يوم القيامة للجزاء؛ الخير والشر. والروح لا تموت أبداً لأنها خُلقت للبقاء الدائم. وقوله (**أو تجلّت**) يعني: برزت وانكشفت وظهرت للسالك. (**صارتِ الألباب**): جمع لُبّ؛ وهو العقل. سُمّي بذلك لأنّه لُبّ، والقشر الإنسان. والعقل لسان الروح والصافي منها. يعني: صارت العقول أفياء، و(**الفيْ**): مهموز، حذفت همزته تخفيفاً، إمّا بمعنى الظِّل، قال في القاموس: «الفَيْء: ما كان شمساً فنسخه الظِّل، وجمعه أفياء». كَنَّى به عن رسوم الأمر الإلهيّ، وهو ظهور الروح عنه بلا واسطة، كما قلنا في أبيات لنا:

إنّ العــــــوالم كلّهـــــا بظهورهـــــا والاختفـــــاء

في سرعـــــــة وتقلّـــــــب مثـــــل الكتابـــــة في الهـــــواء

أو كَنَّى بالفَيْء عن الغنيمة التي يظفر بها المحارب من مال العدوّ. يعني: صارت العقول غنائم لها فانتهبتها. ويؤيّد الأوّل إشارة قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيۡفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ إلى قوله: ﴿ثُمَّ قَبَضۡنَٰهُ إِلَيۡنَا قَبۡضٗا يَسِيرٗا﴾ [٢٥/ الفرقان/ ٤٥-٤٦].

٥٨- وَأَبَـــى يَتْلُـــوَ إلاّ يُوسُـــفاً حُسْنُهَا كَالـذِّكْرِ يُـتْلَى عَـنْ أُبَـيّ

(**أَبَى**): الشيءَ يَأْبَاهُ ويَأْبِيه: كرهه. و(**يَتْلُوَ**): منصوب بأنْ مقدرة على حدِّ قول العرب: «خُذْ اللّصَّ قبل يأْخُذَكَ». أي: قبل أنْ يأخذك. وتَلَوْتُهُ: كدَعَوْتُهُ ورَمَيْتُهُ، تُلُوّاً كَسُمُوّ: تَبِعْتُهُ، كذا في القاموس. (**إلّا**): أداة استثناء. (**يوسفاً**): هو يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، والضمير في قوله (**حُسْنُها**): عائد إلى المحبوبة. يعني: كره وامتنع حُسْن هذه المحبوبة أنْ يكون تابعاً إلّا ليوسف النبيّ عليه السلام. يعني: وصفاً ظاهراً عليه؛ فإنّ الأوصاف تابعة للذوات، ولم يجد حسنها قابلاً للظهور به إلا يوسف عليه السلام في ذلك الزمان، فكان حُسن يوسف عليه السلام في عصره الأوّل الظاهر عليه هو حُسْن هذه المحبوبة، وسماه

حُسْناً باعتبار ظهوره بالأثر، وإلا فهو جمال، والجمال: الحُسن في/ [٥٠/ ب] الخَلق والخُلق، كما في القاموس. والظاهر أنّ الواو بمعنى الجمع، أو بمعنى (أو)، بدليل قول القاموس: «والحُسْن بالضمِّ الجَمَال» فهما مترادفان. وقد يقال: إنَّ ما بالذات فهو الجمال، وما بالعَرَض فهو الحُسْن. وعلى كلّ حال فلا يقال في الحقّ تعالى: حُسْن، ويقال: جميل كما ورد في الأثر: «إنّ الله جميل يحبّ الجمال»[1]. فهذه الحضرة المحبوبة ظهر جمالها، لا حُسْنُها في يوسف عليه السلام، فكان حُسْناً له؛ لأنّه أثر جمالها، لا عين جمالها. وإنْ صحّ أن يُطلق عليه جمالاً من غير أنْ يُطلق على جمال هذه الحضرة المحبوبة حُسْناً تأدُّباً مع الوارد في الأثر، ولأنّه بالعَرَض وجماله بالذّات، كما ذكرنا. ثمّ قال (**كالذِّكْر**): أي القرآن، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [١٥/الحجر/٩]. وهذا جواب عن سؤال مقدَّر، تقديره كيف يجوز أن يكون جمال الحقّ تعالى تابعاً للمخلوق، وهو يوسف عليه السلام؟. فأجاب عنه بقوله (**كالذكر**): أي كالقرآن العظيم الذي نزل على نبيِّنا محمّد صلَّى الله عليه وسلّم أفضل الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام. ومع ذلك يُتلى، بالبناء للمفعول. بمعنى: يقرأ، من تَلَا بمعنى قرأ. والفاعل محذوف، وهو النبيّ صلّى الله عليه وسلّم. وقوله (**عن أُبَـيّ**): بضمِّ الهمزة وفتح الباء الموحَّدة وتشديد الياء؛ وهو أُبيّ بن كعب، الصحابي رضي الله عنه، وكان يقرأ عليه النبيّ صلّى الله عليه وسلّم القرآن، وكان يقول عليه السلام: «أقرؤكم أُبَـيّ»[2]. ورويَ عن أنس رضي الله عنه أن النبيَّ صلّى الله عليه وسلّم قرأ على أُبَي بن كعب سورة ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، باب: وأمّا حديث معمر،٦٩. وللحديث أطراف أخرى.

(٢) ذكره في شرح سنن النسائي، كتاب الإمامة والجماعة، إمامة أهل العلم،٧٦٩. وذكره ابن حجر في الفتح، باب: قوله باب إذا استووا في القراءة ج٢ص١٧١. وقال البقاعيّ في تفسيره: رواه أحمد والترمذيّ وابن ماجه، عن أنس، وهو صحيح. انظر نظم الدرر في الآيات والسور للبقاعيّ، ٢٢/ ١٦٨.

كَفَرُوا﴾ [٩٨/البينة/١] وقال: «أمرني الله عزّ وجلّ أن أقرأ عليك»[1] وهي منقبة عظيمة لأُبَيّ لم يشاركه فيها أحد من الناس. وكان عمر رضي الله عنه يقول: «أُبَيّ سيد المسلمين»[2]. والمعنى: إنّه لا يبعد تبعيّة الأعلى للأدنى، فإنّ نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم مع أنّ القرآن نزل عليه كان تابعاً لأُبَيّ بن كعب أحد أصحابه المؤمنين به، يقرأ عليه القرآن المنزل عليه صلّى الله عليه وسلّم بأمر الله تعالى له بذلك. وأقرب من هذا في الدلالة ما أشار إليه الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه من أبيات في معنى ذلك، وهي قوله:

تطوف بقلبي ساعة بعد ساعة ... بوجد وتبريح وتلثم أركاني

كما طافَ خيرُ الخلقِ بالكعبةِ التي ... يقومُ دليلُ العقلِ فيها بنقصانِ

وقبّلَ أحجاراً وهوَ ناطقٌ بها ... وأين مقام البيت من قدر إنسان

٥٩- خَـرَّتِ الأَقْـمَارُ طَوْعَـاً يَقْظَـةً ... أَنْ تَـرَاءَتْ لَا كَرُؤْيَـا فِي كُـرَيّ

(**خَرّتْ**): بتشديد الراء، أي: سقطت من علوّ إلى أسفل، و(**الأقمار**): جمع قمر، والقمر يكون في الليلة الثالثة، كناية عن العارفين بالله تعالى الظاهرعلى تقادير أرواحهم وأجسامهم المحفوظة في حضرة العلم القديم، نور الوجود الحقّ الحقيقيّ من غير انتقال، ولا انفصال، ولا اتصال، ولا دخول، ولا خروج، ولا حلول، ولا اتحاد، ولا انحلال. كما يظهر نور الشمس في صفاء مرآة القمر من غير انتقال: ولا انفصال، ولا اتصال.

والمعنى: أنّه تجلّى لهم، وانكشف الوجود الحقيقي، فبطل وجودهم الموهوم، واضمحلت رسومهم عندهم. ثمّ قال (**طَوعاً**): أي اختياراً منهم، لا كرهاً عنهم لانكشافهم على حقيقة الأمر، وعدم استتار الشأن الإلهيّ عنهم، فظهر حُسْن هذه

---

(١) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب التفسير، باب: حدّثنا محمّد بن بشار، ٤٩٥٩.

(٢) انظر أسد الغابة في معرفة الصحابة، باب: أُبي بن كعب بن قيس ١/ ١٦٨.

الحقيقة عليهم؛ وهو الجمال الإلهيّ كما ظهر على يوسف عليه السلام؛ ولهذا كنّى عنهم بالأقمار. وقوله (**يقْظة**): بسكون القاف تخفيفاً. واليَقَظَة كما في القاموس محرّكة: نَقيض النوم. يعني: إنّ ذلك لم يقع لهم في المنام، وإنّما كان في حال اليقظة على وجه التحقيق التام. ثمّ قال (**أَنْ تَراءتْ**): بفتح همزة أن، أي: لأن؛ فأن بالفتح مصدريّة. والأصل: تراءيت على وزن تفاعلت، فحرَّكت الياء، وانفتح ما قبلها، فانقلبت ألفاً، فالتقى ساكنان: الألف والتاء فحذفت الألف لذلك، [٥١/أ] فوزنه تفاعَلَتْ. ومعنى تراءت ظهرت وانكشفت. يعني: تلك الحضرة المحبوبة للمكنّى عنهم بالأقمار كما ذكرنا. وقوله (**لا كرؤيا**) قال في القاموس: «الرُّؤْيا: ما رأيته في منامك» انتهى. و (**الكُرَيّ**): بضمّ الكاف وفتح الراء وتشديد الياء، مُصغَّر كَرَى، والكَرَى: النوم. يعني: إنّ ذلك لا كالرؤيا في المنام، مجرّد تخيّل؛ لأنّه تحقّق على وجه اليقين، لا ظن وتخمين.

٦٠- لَمْ تَكَدْ أَمْنَاً تُكَدْ مِنْ حُكْمِ لَا تَقْـصُصِ الرُّؤْيَـا عَلَـيْهِمْ يَـا بُنَـيّ

(**لم تَكَدْ**): بفتح التاء المثناة الفوقية وفتح الكاف، لم نافية جازمة لتكَد الفعل المضارع، وأصله تكاد، فحُذفت الألف لالتقاء الساكنين، والضمير المستتر للمُكَنَّى عنهم بالأقمار في البيت قبله، أي: لم تكد الأقمار، وتكاد: من أفعال المقاربة. و(**أمناً**): منصوب على أنّه تمييز. والأمن: خلاف الخوف. يعني: لم تقارب من جهة الأمن الحاصل لها من الحقّ تعالى، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [٢٤/ سبأ/ ٣٤] أي: في غرفات طبائعهم وبَشريّاتهم حصل لهم الأمن التام من غضب ربِّهم عليهم. وقوله (**تُكَدْ**): بضمّ التاء المثنّاة الفوقيّة وفتح الكاف، من الكيد؛ وهو المكْر، يقال كاد زيد عمراً: إذا مَكَرَ به. وهو فعل مضارع مجزوم على أنّه بدل من تكد الأولى، بدل غلط ، والمقام يقتضي الغَلط والسهو والذهول، فكأنّه أراد أنْ يقول ابتداءً تُكد بضمِّ التاء فقال تَكد بفتح التاء. وقوله (**من حُكْم لا تقصصْ الرؤيا عليهم يا بنيّ**): وهو تصغير ابن، أي: من مقتضى ما وقع

ليوسف عليه السلام فيما حكاه الله تعالى عن أبيه يعقوب عليه السلام أنّه قال له: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا﴾ [١٢/ يوسف/ ٥] وقد وقع في التقدير أنّ إخوته كادوا له كيداً فنجّاه الله تعالى من ذلك. وسبب ذلك الكيد الواقع منهم له حكاية ما رآه أوّلاً في عالم خياله المنامي فتحدّث به، وهو منام ورؤيا في منام قبل أنْ يصير في اليقظة، فبلغ إخوته فكادوه، وذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾ [١٢/يوسف/ ٤] وأمّا هؤلاء الأقمار المحمّديّون فإنّهم لم يتحدّثوا بما رأوه في خيالهم حفظاً إلهيّاً مراعاة لصاحب المقام في الإرث المحمّديّ؛ حال كونهم في عالم السلوك قبل الوصول؛ فإنّه ورد: «الناس نيام، فإذا ماتوا انتبهوا»[١] ولهذا لم يكدهم كائد، قال العفيف التلمسانيّ:

ولا تنطقوا حتى تروا نُطْقَها بكم ... يلوح لكم منكم فتلكم شؤونها

٦١- شَفَعَتْ حَجِّي فَكَانَتْ إِذْ بَدَتْ ... بِالْمُصَلَّى حُجَّتِي فِي حِجَّتِي

(شَفَعَتْ): أي المحبوبة المذكورة، من الشَّفْع، بخلاف الوَتر؛ وهو الزوج، وقد شَفَعه كمَنَعَه، كذا في القاموس. أي: صيَّرت حَجّي؛ وهو قصدي بيت الله تعالى لأداء النسك. (شفعاً): أي حَجَّينِ اثنين، حجاً في الظاهر إلى الكعبة التي هي بيتها المعظّم، وحجاً في الباطن إلى قلبي المتجلية عليه الذي هو بيتها المكرّم من قوله عليه السلام: «ما وسعني سمواتي ولا أرضي، ووسعني قلب عبدي المؤمن»[٢]. ثمّ بيّن ذلك بقوله (فكانت): أي تلك الحضرة المحبوبة. (إذ بَدَت): أي ظهرت وانكشفت. (بالمُصَلَّى): مشدد اللام مفتوحة، اسم مكان بنواحي مكّة. كناية عن العقل المهتدي المقبل على الحقّ تعالى. (حُجَّتي): بضمّ الحاء المهملة وتشديد الجيم

---

(١) انظر تخريجه ص٢٨٦.

(٢) انظر تخريجه ص٣٢٤.

مفتوحة، وهي البرهان الساطع، والشاهد القاطع، قال تعالى: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ [١١/هود/١٧] أي: يتبعه شاهد من نفسه، وهو عقله، مؤيِّد عنده لشرعه. (في حِجَتَيّ): بكسر الحاء المهملة تثنية حِجَّة بالكسر، المرة الواحدة من الحَجّ، قال في القاموس: «وهو شاذ، أي: مخالف للقياس؛ لأنّ فعله حَجَّ بالفتح، وحِجَّتَيْ مثنى حذفت منه النون مضاف إلى ياء المتكلِّم، فأُدغمت الياء في الياء، يعني فهي /[٥١/ب] دليلي وبرهاني على كونها شفعت حجِّي فصار حجَّين، ولا دليل لي، ولا حُجَّة عندي غيرها على ذلك؛ إذ لا قدرة للكامل أنْ يظهر كماله، ولا حُجَّة له ولا برهان إلا ربّه تعالى، فإنْ أظهره ظهر، وإنْ ستره استتر.

٦٢- فَلَهَـا الآنَ أُصَـلِّي قَبِلَـتْ ذَاكَ مِنِّـي وَهْـيَ أَرضَى قِبْلَتَـيّ

(لها): أي لهذه المحبوبة لا لغيرها. (الآن): أي في مقامي هذا الذي أقامتني فيه. (أصَلِّي) لها إذا صَلَّيتُ فرضاً أو نفلاً. ثمّ قال (قَبِلَتْ): أي تلك المحبوبة. (ذاك مِنِّي): أي صلاتي إليها. يعني: إلى وجهها الظاهر في كلّ شيء من قوله: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [٢/البقرة/١١٥] وقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [٢٨/القصص/٨٨]. وسبب القبول منها أنّه قد اتّقى، أي: توقى غيرها، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [٥/المائدة/٢٧]. ثُمّ قال (وَهْيَ): أي تلك المحبوبة. (أرضى): أي أكثر رضاء منها عنِّي إذا صلَّيت إليها، أو صلَّيت إلى الكعبة، وهما المراد بقوله (قِبْلَتَيّ): بلفظ التثنية المضافة إلى ياء المتكلِّم؛ فصلاة الظاهر قبلتها الكعبة، وصلاة الباطن قبلتها وجه المحبوبة. وكلا القبلتين للعارف الكامل، لا يدع واحدة منها في كلّ صلاة دائماً؛ ولهذا أضاف القبلتين إليه.

٦٣- كُحِلَتْ عَيْنِي عَمَىً إنْ[١] غيْرَهَا نَظَرَتْـهُ إِيْـهِ عَنِّـي ذَا الـرُّشَيّ

(كُحِلَتْ): فعل ماض مبني للمفعول، وعيني نائب الفاعل، ويصحّ أنْ يكون

---

(١) في (ق): عن.

مبنياً للفاعل، والضمير للمحبوبة. (عَمَىً): مصدر عَمِيَ، كَرَضِيَ، عَمِيَ: ذهب بصره كلّه، أي: كُحِلَتْ عَينيَّ كُحْلَ عمى، وهي جملة دعائيّة، دعا بها على نفسه. (إنْ غيرَها): أي غير هذه المحبوبة. (نظرتْ): أي عيني. يعني: أنَّ عيني لا تنظر إلا إلى هذه المحبوبة أعماها الله تعالى إنْ كانت تنظر إلى غيرها، من قبيل قول العفيف التلمسانيّ قدّس الله سرّه من أبيات له:

نظرتُ إليها والمليح يظنني ... نظرت إليها لا ومبسمها الألمى

ولكن أعارته التي الحسنُ وصفُها ... صفاتِ جمالٍ فادَّعى مُلْكَها ظُلما

ثمّ قال (إيْهِ): بكسر الهمزة وسكون الياء وكسر الهاء. قال في القاموس: «إيْهِ بإسكان الياء، زَجْر بمعنى حَسْبُك، مبنيّة على الكسر» انتهى. والمناسب هنا الزجر. يعني: انزجِرْ عنّي وانصرف يكفيك ما اتهمت به منك عند الغافلين وبين الجاهلين . قوله (ذا الرُّشَيّ): مصغَّر رشا، والرَّشَا محرَّكة: الظبي إذا قَوِيَ ومشى مع أمّه. كناية عن الغلام المليح، أوالجارية المليحة كما هو المشهور عند الشعراء قال الحاجري:

أُدْعوهُ إنْ أبدى التلفُّتَ يا رشا ... وأُشير بالغُصن الرطيب إذا مشى

ومعنى (ذا الرُّشَى): أي يا ذا الرشا، فهو منادى يشبه المضاف، حذف منه حرف النداء. يعني: انزجرْ عنّي وانصرف أيها المليح؛ فإنّي لا أنظر إليك، وعميت عيني إنْ نظرت إليك. إمّا إنشاء دعاء منه على نفسه كما ذكرنا، أو خبر عن حاله أنّه متى نظر إلى مليح الكون عميت عينه عن شهود الحقّ تعالى في الذي نظر إليه، وفي غيره. وهذا أقوى دليل من المصنِّف قدّس الله سرّه على أنّ كلّ تغزل يقع في كلامه سواء كان مذكراً أو مؤنّثاً، أو تشبيب في رياض، أو زهر، أو نهر، أو طير، ونحو ذلك؛ فمراده الحقيقة الظاهرة المتجلّية بوجهها الحقّ الباقي في ذلك الشيء الفاني الهالك. وليس مراده ذلك الشيء الذي هو في نظره وتحقيقه مجرَّد رتبة

وهميّة، وصورة تقديريّة ﴿ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ [٣٦/ يس/ ٣٨]. وكذلك أمثال المصنِّف رضي الله عنه وعنهم من المحقّقين من أهل المعارف الإلهيّة، واليقين في كلامهم كلّه: نظماً أو نثراً، كلاماً عرفيّاً، أو شرعيّاً، أو عقلياً. ومن فسّر كلامهم، أو حمله على غير ما أرادوه فقد حرَّف الكلمُ عن مواضعه كما قدّمناه في ديباجة هذا الكتاب، والله أعلم بالصواب.

٦٤- جَنَّةٌ عِنْدِي رُبَاهَا أَمْحَلَتْ   أَمْ حَلَتْ عُجِّلْتُها مِنْ جَنَّتَيّ/ [٥٢/ أ]

(جَنَّة): خبر مبتدأ محذوف، تقديره: هي جنَّة. يعني: المحبوبة. و(عِنْدِي): أي كائنة عندي، خبر مقدّم، ورباها مبتدأ مؤخّر، والضمير للجنّة. و(الرُّبا) جمع ربوة مثلثة الراء، اسم لما ارتفع من الأرض. كناية عن المقامات الإلهيّة، والأحوال الربّانيّة التي يكون فيها السالك في طريق الله تعالى، وهذه هي جنّة المعارف والعلوم كما قال تعالى: ﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ٤٦] يعني: جنّة الحِس، وهي المعروفة في الآخرة. وجنّة المعاني، وتكون في الدنيا والآخرة. ثمّ قال تعالى: ﴿مُدۡهَآمَّتَانِ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ٦٣] وقال: ﴿فِيهِمَا عَيۡنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ٦٦] إلى آخر ما وصفهما به. وقوله (أمحلت): يعني تلك الجنّة. من أمحل المكان، أي: أجدب وانقطع المطر عنه، ولم تثمر أشجارها، قال القائل:

مُنى إنْ تكنْ حقّاً تكنْ أحْسَنَ المُنى   وإلا فقد عِشْنا بها زمَناً رغداً

ثمّ قال (أم): وهي حرف استفهام. و(حَلَت): فعل ماض من الحلاوة. يعني: أثمرت بما يحلو من لذائذ المناجاة ولطائف الخطابات، والمكالمات الحاصلة في الدنيا والآخرة. ثمّ قال (عُجِّلْتُها): بضمِّ العين المهملة وتشديد الجيم وسكون اللام على البناء للمفعول، أي: جُعِلَتْ هذه الجنّة مُعجّلَة لي. وقوله (من جَنَّتَيّ): بفتح الجيم وتشديد النون مفتوحة وسكون اللام[1]، بصيغة التثنية، والمثنّى مضاف

(١) هكذا وردت في المخطوط، ولعلّ عين الناسخ ذهبت إلى السطر فوقه فنقل (وسكون اللام) منه.

إلى ياء المتكلِّم. يعني: رباها جنّة عندي سواء أثمرت أو لم تثمر عجّلها الله لي من جملة الجنتين اللتين تكونان في الآخرة: جنّة الحسّ، وجنّة المعنى اللتينِ وعدهما الله تعالى لمن خاف مقامه، والتزم شرائعه وأحكامه.

٦٥- كَعَرُوْسٍ جُلِيَتْ فِي حِبَرٍ   صُنْعِ صَنعاء ودِيباجِ خُوَيّ

أي: هي. يعني: المحبوبة كعروس. (جُلِيَتْ): بالبناء للمفعول، من الجَلْوَة، وهو الزِّفاف. (في حِبَر): بكسر الحاء وفتح الباء الموحّدة، جمع حِبَرَة، كَعِنَبَة؛ وهي ضرب من بُرود اليمن. كناية عن التجلِّيات الإلهيّة المختلفة في أنواع الصور البديعيّة. وقوله (صُنْعِ): بالجر، صفة حِبَر. و(صَنعاء): بفتح الصاد المهملة وسكون النون، وبالعين المهملة اسم مدينة باليمن كثيرة الأشجار والمياه، تشبه دمشق الشام، ينسب إليها غرائب الصنائع من البُرود، والديباج: نوع نفيس من الأقمشة، ينسج بالذهب والحرير. و(خُوَيّ): بضمّ الخاء المعجمة وفتح الواو على صيغة التصغير، بلدة بأذربيجان ينسب إليها الديباج البديع.

٦٦- دَارُ خُلْدٍ لَمْ يَدُرْ فِي خَلَدِي   أَنَّهُ مَنْ يَنْأَ عَنْهَا يَلْقَ غَيْ

يعني: هي. أي: المحبوبة. (دار خُلْدٍ): بضمّ الخاء المعجمة وسكون اللام، البقاء والدوام كالخلود. كناية عن خلود عارفيها في أنواع اللطائف، ولذائذ المعارف، من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ أي: عن كلّ ما سواه ﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى﴾ وهو الاتحاد المعنوي بين أهل الكمال من قول الأستاذ الأعظم والشيخ الأكبر قدّس سرّه:

كُنّا حروفاً عاليات لم تُقَل   متعلِّقاتٍ في ذرا أعلى القُلل

أنا أنت فيه ونحن أنت وأنت هو   والكلّ في هوهو فسل عمّن وصل

فإنّه كَنّى بقوله (ذرا أعلى القُلل) عن حضرة العلم الإلهيّ الذي فيه جميع الكائنات، وفيه أنا أنت وهو الاتحاد الذي ذكرناه بين أهل الكمال بعد محو الرسوم

وفناء الأرواح والجُسوم مما لا يعرفه إلا أهل الكمال في العلوم. وقوله تعالى: ﴿وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي﴾ [٨٩/ الفجر/ ٣٠] أي حضرة علمي التي فيها أنا أنت، ونحن أنت، وأنت هو، والكلّ في هو هو، مما يتحقّقه الواصل، فيسأل عمّا لديه منه حاصل، وهو قوله (فسل عمَّن وصل) فهي دار الخلد، ودار الأمان، وهي جنّة المعاني التي قال تعالى: ﴿وَجَنَى ٱلۡجَنَّتَيۡنِ / [٥٢/ ب] دَانٍ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ٥٤] وهي عند العارفين الواصلين أشرف من جنّة الحسّ التي هي في الآخرة لعباده الصالحين، كما قال المصنِّف رحمه الله تعالى ورضي عنه:

يا جنّةً فارقتْها النفسُ مُكرَهةً ... لولا التأسّي بدار الخلدِ مُتُّ أسىً

أي: دار الخلد المحسوسة في الآخرة وإنْ كانت هي أيضاً دار خلدٍ لأهل المقامات الفاخرة. وقوله (لم يَدُرْ): أي لم يخطر. (في خَلَدِي): بفتح الخاء المعجمة، وفتح اللام، أي: في بالي، وفي قلبي، وفي نفسي. (أنَّه): بفتح الهمزة. والضمير للشأن. (مَن يَنْأَ): أي يعرض. (عنها): أي عن تلك الجنّة. (يَلْقَ): بحذف الألف؛ لأنّه مجزوم على أنّه جزاء مَنْ الشرطيّة. كما حُذفتْ الألف أيضاً من قوله (ينأ) المجزوم على أنّه فعل الشرط. والضمير في فعل الشرط وفي جزاءه راجع إلى مَن الاسميّة الشرطيّة. و(غَيْ): بالغين المعجمة مفعول يلقَ، والوقف عليه لغة ربيعة، والجملة فاعل (لم يَدُرْ). وجملة (لَمْ يَدُر في خَلَدي) صفة (دار خُلْد): أي هي موصوفة بزيادة الأمان عندي بحيث أنّه لم يخطر في بالي أنّ مَن يُعرض عنها بغفلة ونحوها يلقَ غيّاً. أي: ضلالاً، وحَيْرة، وعمى؛ لأنّها جامعة للكلّ بحيث لا يخرج عن حضرة علمها شيْ. لكن هل يستوي الذين يعلمون بذلك، والذين لا يعلمون. وقوله: مَنْ ينأ عنها... إلى آخره من قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ [١٩/ مريم/ ٥٩] وهذا معنى النأي عنها: ﴿فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾ وبيان ذلك إنّ إضاعة الصلاة عدم الخشوع والحضور والمراقبة فيها؛ وسبب ذلك اتّباع الشهوات، أي: تعلق القلب بالشهوات تلذّذاً وتعشّقاً، وذلك

يقتضي الإعراض والنأي عن الحقّ تعالى عند الجاهلين به تعالى، المحجوبين عن معرفة تجلّياته في كلّ شيء مع بقاء أحكامه على الأشياء، والعارف الواصل في طور وراء ذلك حاصل.

٦٧- أيّ مَنْ وَافَى حَزِيْناً حَزْنَهَا   سُرَّ لَوْ رَوَّحَ سِرِّي سِرُّ أيّ

(أيّ): بالتشديد، اسم شرط جازم. (وافى): أي أتى. و(حَزيناً): حال من فاعل وافى. و(الحَزْن): بالفتح ضد السهل. (سُرَّ): بالبناء للمفعول، أي: دخل عليه السرور، وذلك باعتبار نسبة الحزن إليها. يعني: كلّ من اقتحم الأمور الصعاب في محبّتها سَهُلت عليه، ودخل عليه السرور من قوله تعالى:﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾[٢٩/ العنكبوت/ ٦٩] والهداية إلى سبله تعالى، أي: طرق معرفته، ومناهج شهوده في تجلّياته، ولا سرور أتمّ من ذلك عند المحبّ السالك. ثمّ قال (لو): وهو حرف تمنّي. (رَوَّح): بتشديد الواو، أي: جَلَبَ الراحة، خلاف التعب. (سِرِّي): مفعول روّح. و(السرّ): هنا بمعنى الباطن، والقلب. و(سِرُّ): فاعل روَّح، وهو ما تضمَّنه قوله، أي: مَنْ وافى .. إلى آخره. وفيه ردّ العجز على الصدر. والمعنى: لو أنّ هذا القول يوجد راحة في قلبي؛ فإنّ الأقوال عبارات تمرّ على اللسان ولا تؤثّر نتيجة مقصودة في قلب الإنسان، كما قال العارف الكامل أحمد الغزالي في كتابه تجريد التوحيد: ما احترقَ لسانُ أحدٍ قالَ نار، ولا استغنى من قال ألفَ دينار.

٦٨- بِئْسَ حَالاً بُدِّلَتْ مِنْ أُنْسِهَا   وَحْشَةً أَوْ مِنْ صَلَاحِ العَيْشِ غَيّ

(بِئْسَ): كلمة ذمّ. و(حالاً): تمييز، أي: بئس الحال حالاً. يعني: حاله في محبّة هذه المحبوبة. وقوله (بُدِّلَتْ): على صيغة المبني للمفعول، والضمير للحال. وقوله (من أُنْسِها): متعلّق ببدّلت. و(الأُنس): بالضمّ خلاف الوَحشة، والضمير للمحبوبة، أي: من أُنسه بها، ولم يقل وحشة منها؛ لأنّها لا وحشة بها؛ وإنّما

الوحشة من ملاحظة أغيارها، والغفلة عنها؛ فإنّه لّما ذكر في البيت قبله أنّ مَن اقتحم مشقّاتها وشدائدها فهو مسرور أتمّ السرور /[٥٣/ أ] ذكر في هذا البيت أنّ حاله بئس الحال. حيث بُدِّلت الحال عليه من أُنسه بها وحشة بسبب ملاحظة أغيارها، والغفلة عنها. أو بُدِّلت من صلاح العيش، أي: عيشه بها، وانتظام أموره في طريق محبَّتها. (غَيّ): بالغين المعجمة، وهو الخيبة، والحرمان، وفساد الحال، واضطراب الأمور. و(غَيْ): بالسكون لغة ربيعة؛ فإنّ حاله حينئذ كان بئس الحال؛ فإنّ كلّ واحد منهما حيث حصّل لمكانة حاله بئس الحال. في الإقامة والترحال.

٦٩- حَيْثُ لَا يُرْتَجَعُ الفَائِتُ وَا حَسْرَتَا أُسْقِطَ حُزْناً فِي يَدَيّ

(**حيثُ**): ظرف مبني على الضم. و(**يُرتجَع**): بالبناء للمفعول. و(**الفائتُ**): بالرفع نائب الفاعل. يعني: الأمر الفائت، وهو ما وقع منه قدّس الله سرّه من الذلّة الموجبة للغفلة، والذهول من ملاحظة الحقّ في حال سلوكه، كما وقعت الإشارة منه إلى ذلك في صدر الديوان بقوله:

من ذا الذي ما ساء قطّ ومن له الحسنى فقط

حتى سمع الهاتف الغيبي بقوله له:

محمّد الهادي الذي عليه جبريل هبط

ثمّ قال (وا حَسْرَتَا): ندبة لحاله بالتأسف بسبب ذلك. (أُسْقِطَ): بضمير الهمزة، يقال: أُسْقِطَ في يده، بمعنى: زَلَّ وأخطأ، وتحيَّر. و(حُزْناً): تمييز. وقوله (في يَدَيّ): متعلّق بأُسقط. وأصله في يدين، تثنية يد، وحُذفت النون للإضافة إلى ياء المتكلِّم، وأدغمت ياء التثنية في ياء المتكلِّم فصار في يديّ بتشديد الياء، وزلّة هذا الشيخ رضي الله عنه تحتمل أن تكون غفلة، أو هفوة، وهي من ذنوب المقرَّبين التي هيَ حسنات عند الأبرار. واعلم أنّ العصمة من الذنوب الكبائر والصغائر أمر مخصوص بالأنبياء والمرسلين؛ لأنّ الأحكام الشرعيّة في الشرائع كلّها لا

تُعرف إلا منهم بسبب الوحي المخصوص بهم. وأمّا الأولياء الورثة للأنبياء والمرسلين في العلوم النبويّة، وليسوا ورثة في الوحي، ولا في العصمة من الذنوب؛ وإنّما لهم الحفظ في مقابلة العصمة والإلهام في مقابلة الوحي، فيصدر من الأولياء الذنوب، كبائرها وصغائرها، ويُحْفَظون من شؤم ذلك بالتوبة والندم والإقلاع وعدم الإصرار حتّى يترقّى في الأمر في حقّهم، فيصيرون يعدّون الغفلات ذنوباً، والعبادات مع الغفلات ذنوباً. وكلّما ترقُّوا في المقامات ترقت معهم المعاملة الإلهيّة، فيعدّون التقوى والورع، والزهد والصبر، والشكر ـ مع دعوى النفوس أنها قائمة بذلك متصفة به ـ ذنوباً، فيتوبون منه لاقتضاء ذلك انحجابهم عن شهود مقاماتهم حتى اشتُهر قولهم: «حسنات الأبرار سيئات المقرَّبين»؛ لانَّ المقرّبين يعدّون الحجاب عن الحقّ تعالى عنهم هو العقاب منه تعالى لهم، لأنّه يقتضي إعراض الحقّ عنهم، ومع ذلك فالأولياء كلّهم ليسوا بمعصومين من الذنوب كلِّها؛ بل ولا من الكفر والشرك، وكم من ولي مقرَّب سُلب حاله، وكان إلى الضلال مآله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

٧٠- لَا تُـمِلْنِي عَـنْ حِمَـى مُرْتَبَعِـي عُدْوَتَـــيّ تَـــيْما لِرَبْـــعٍ بِتُمَـــيّ

هذا بيان لزلّته بأنّها ميل خاطره عن جناب الحقّ تعالى بإمالةٍ حصلت له من جهة عدوٍّ له، المعادي له في نفسه وهو قرينه فقال (لا تُـمِلْني): بلا الناهية الجازمة للفعل المضارع المضموم التاء. وقوله (عن حِمَى): متعلِّق بتُمِلني. و(المُرْتَبَع): بضمِّ الميم وفتح التاء وفتح الباء على صيغة اسم المفعول، مصدر ميمي. أي: ارتباعي، من ارتبع المكان: أقام فيه زمن الربيع. و(عُدْوَتَيّ): مفعول مُرتَبَعي الذي هو مصدر، وهو تثنية عُدوة مثلَّثة العين المهملة، قال في القاموس[1]: «العُدوة مثلَّثة/ [٥٣/ ب] شاطئ الوادي».

---

(١) لعلها في المحيط أو اللسان، وليس في القاموس.

وحُذفت نون الثنية لإضافته إلى (تَيْما): بالتاء المثنّاة الفوقيّة والياء التحتيّة والميم والألف. قال في الصحاح: «التيماء الفلاة». وتيماء اسم موضع، وعُدوتاها: شاطئا واديها. والوادي كناية عن نشأته الجسمانيّة. والعُدوة الدنيا منه: شاطئه اليمين، مسكن النشأة النفسانيّة. والعُدوة القصوى منه، وهو شاطئه الشمال: مسكن النشأة القلبيّة الروحيّة. والمعنى: لا تعرض بي عن دوام مراقبة نفسي وقلبي لأشهد بهما تجلّي ربِّي، ومنه قول الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه:

عَـرِّجْ ففـي أيمـن الـوادي خيـامهم   لله درُّك مـــا تحويـــه يـــا وادي
جَمَعَـت قومـاً هُـمُ نفسي وهـم نَفَـسي   وهـم سـواد سـويدا خِلْـبِ أكبـادي

(ولا تُـمْلِني لربع): أي مسكن. (بتُمَيّ) وفي نسخة (من تُـمَي): بضمّ التاء المثنّاة الفوقيّة وفتح الميم، قيل: هي اسم مصر، أو اسم مكان تابع لمصر. يعني: لا ترجع بي إلى أوطان طبيعتي ومسكن عاداتي فتقطعني عن ذلك الجناب العالي، والكوكب المتلالي.

٧١- فَلُبَانَـــاتِي لِبَانَـــاتِ تَـــرَا   ضُـــعُنا فِيْهَـــا لِبـــانَ الحُـــبِّ سَيّ

(اللُّبانات): بالضمّ، جمع لُبانة، بضمِّ اللام، وهي: الحاجة من غير فاقة؛ بل من همة. وقوله (لِبانات): اللام حرف جر، والبانات: جمع بانة؛ وهي: واحدة البان، وهو شجر الخلاف. كَنّى بذلك عن مشايخة العارفين، وأشباله السالكين الصادقين من قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا﴾ [٧١/ نوح/ ١٧]. وقال العفيف التلمسانيّ قدّس سرُّه مخاطباً عالم الروح الشريف الأمري الإلهي بقوله في مطلع أبيات له:

أسكرتِ بانَ الحمى يا نسمة السحر   فهـل أتيـتِ مـن الأحبـاب بـالخبر

فكنَّى عن رفقائه من العارفين ببان الحمى. ثمّ قال المصنِّف (تَرَاضُعُنا): مصدر قولك تراضع القوم اللبن تراضعاً: إذا تشاركوا في رَضاعه. والتراضع: مرفوع على أنّه مبتدأ، وخبره سَي في آخر البيت، قال في القاموس: «وقع في سَي رأسه.

يعني: بفتح السين المهملة، وسَوائة رأسه، ويُكسَر، أي: حُكْمِهِ من الخير، أو في قدر ما يَغْمُرُ رأسه، أو في عدد شَعَرِهِ» انتهى.

فمعناه: تراضعنا الذي وقعنا به في سَيِّ رؤوسنا، أي: قدر ما يغمر رؤوسنا، أو عدد شعر رؤوسنا رضعات. وقوله (**فيها**): أي فيها بينها. يعني: البانات، بأن أرضع بعضنا بعضاً ونحن ناشئون في نشأتها. و(**اللِّبان**): بكسر اللام، جمع: لبن، وهو المعروف. و(**الحُبّ**): بالضمّ، المحبّة. يعني: المحبّة الإلهيّة التي تشاركنا في تراضُع لِبانها، والإيواء إلى منازل بانها.

٧٢- مَلَلِي مـن مَلـلٍ والخَيْـفُ حَيْـــــفٌ تَقَاضِـــيهِ وَأَنَّـــى ذَاكَ وَيّ

(**الملل**): السأم، وهو مصدر مَلِلْتُهُ ومَلِلْتُ منه بالكسر مَلَلاً. وقوله (**من مَلَلَ**): بفتحتين اسم جبل، كناية عن هذا الجسم الطبيعي المركب من العناصر الأربع الكثيف الحجاب، كما قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه:

متى أغتني عـن ذا التـنفُّس والـنفس وأُخْرَج من سجني وأُطلق من حبسي

(**والخَيْف**): بالخاء المعجمة خَيف منى، قال في القاموس: «**الخَيْف غُرَّة بَيْضاء** في الجبل الأسود الذي خلف أبي قبيس، وبهما سُمِّيَ مسجد الخيف. أو لأنّها ناحية من مِنَى، أو لأنهما في سفح جبل». كنّى بذلك عن حضرة الجلال الإلهيّ المشعر بالخوف منها في قلوب العارفين، وهو مبتدأ. و(**حَيْفٌ**): بالحاء المهملة خبر مقدّم. والحَيْف: الجَوْر والظلم. (**وتقاضيه**): مبتدأ مؤخَّر، أي: استيفاء الدَّين من أي دين الوعد بالوصال. والضمير للخَيْف. والمعنى: إنّ /[٥٤/ أ] هذه الحضرة الجلاليّة الإلهيّة إذا تجلّت بالحقيقة الروحيّة الأمريّة محقت الأكوان، وأفنت جميع الأعيان؛ فتقاضي ديون وعودها بالوصال حَيف ومطال، وهو من قسم المحال؛ إذ لا ثبوت فيه لشيء ولا محال، حتى تتجلى تلك الحضرة الجماليّة، بتلك الحقيقة الروحيّة، أيضاً فتثبت الأعيان، ويتحقّق الخلق بأمر كن فكان، كما قال عفيف الدين التلمسانيّ؛ وهو الشارب من كأس هذه المعاني:

يــا بـــديع الجـــمال فـــاز محـــبٌّ بلذيـــذ الوصـــال فيـــك تهنّـــى

كيـف يرجـو الحيـاة وهـو مـع الهجــ ــر قتيــل وعنــد رؤيــاك يفنــى

ثمّ قال (وأنّى): بتشديد النون مفتوحة، بمعنى كيف؛ وهو استفهام تعجُّب. (ذاك): اسم إشارة، والمشار إليه التقاضي المذكور. وقوله (وَيّ): بفتح الواو وتشديد الياء ساكنة: كلمة تعجّب.

٧٣- بِالــدُّنَا لَا تَطْمَعَــنْ فِي مَــصْرِفِي عَــنْهُمَا فَــضْلاً بِــمَا فِيْ مِــصْرَ فَــيْ

(الدُّنا): جمع دنيا، نقيض الآخرة. يعني: بسبب أنواع الدنيا لا تطمعَنْ يا أيها العاذل من مَصْرِفِي، وهو مصدر ميمي، أي: انصرافي عنهما، أي: عن مَلَل. والخَيْف: كناية عن عالم جسمانِيَّتِه التي هي حجابه الكثيف عن المقام اللطيف، وعن عالم روحانِيَّته الشريف، الأمري الإلهي، الذي هو مجلى الجلال بالفناء، والجمال بالبقاء. يعني: أنا دائما لا أنصرف عن مقام فرقي النازل به الفرقان من قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [٢٥/ الفرقان / ١] فإنّه لو لا الحجاب بشهود مقام الفرق ما كان وجود العالمين، ولا كان إنذارهم. ولا أنصرف أيضاً عن مقام جمعي النازل به القرآن من قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ١-٢] أي: أوصل إلى مقام الجمع. وفي الجمع لا شيء غير الوجود الحقّ. وفي هذا المقام فناء الأكوان في تجلِّي حقيقة الرحمن بظهور الرحمة التي وسعت كلّ شيء من دون كتابتها. وحيث كتبت تبينت حروف الحدود، ومقادير التقادير، ورسوم التصاوير من قوله تعالى: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ [٦/ الأنعام/ ٥٤] وهوقوله: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٥٦] أي: لأجلهم. والكمال هو: الجمع بين الجلال والجمال؛ وهو جمع الجمع؛ وهو مقام المقرَّبين أولى البصر والسمع. وقوله (فَضْلاً): أي من جهة الفضل؛ وهو تمييز للانصراف المذكور. ثمّ قال (بما): أي بسبب ما في بلدة (مِصْرَ فَيْ): بفتح الفاء

وسكون الياء، وأصله فيء بالهمز، فحُذف تخفيفاً، وهو الظلّ. يعني: بسبب ما يكون في بلادنا مِصرَ من الدخول في ظلّ الأغيار، والاحتماء بأرباب المناصب الكبار، والراحة الأريحيّة، والعيشة الهنيّة.

٧٤- لَوْ تَرَى أَيْنَ خَمِيْلَاتُ[1] قُبَا وَتَرَاءَيْنَ جَمِيْلَاتُ[2] القُبَيّ

٧٥- كُنْتَ لَا كُنْتَ بِهِمْ صَبّاً يَرَى مُرَّ مَا لَاقَيْتُهُ فِيْهِمْ حُلَيّ

(لو): شرطيّة. و(ترى): فعل مضارع من الرؤية البصريّة. و(أين): اسم استفهام عن المكان، مبني على الفتح. و(خَمِيْلَاتُ): جمع خميلة، بالخاء المعجمة، قال في القاموس: «الخَمِيْلَة المُنْهَبَطُ من الأرض، وهي مَكْرَمَة للنبات. أو رَمْلَةٌ تُنْبِتُ الشجر، والشجر الكثيف الملتف، والمَوْضِع الكثير الشجر حيث كان». و(قُبَا): بضمِّ القاف وفتح الباء الموحدة مقصوراً. قال في القاموس: «قُباء بالضمِّ، ويذكر، ويقصر: موضع قرب المدينة». كنَّى بذلك عن منازل الحقيقة المحمّديَّة، وَرَثَتُها من الأولياء العارفين؛ فإنّهم نابتون في أصلها الثابت، وهم فروع دوحها النابت. والخطاب للعذول الجاهل الذي هو لا شارب من المشرب، ولا ناهل. ثم قال (وتَرَاءَيْنَ): فعل ماض [من] تراءى/[٥٤/ب]، أي: تصدّى لي لأراه، من باب التفاعل، والنون للنسوة. (جَمِيْلَات): بالجيم، جمع جميلة. من الجمال، وهو: الحُسْن الذاتي. (القُبَيّ): بضمّ القاف وفتح الباء الموحَّدة وتشديد الياء ساكنة، تصغير القُباء، وهي: نفوس الورثة المحمّديين المذكورين المستترة ـ تلك النفوس الجميلات ـ بالقباء الجسمانيّ، الطاهر، الطيِّب، اللطيف المعاني. فكنَّى بالخَميلات بالخاء المعجمة عن الأجسام، وبالجميلات بالجيم عن النفوس والأرواح الكرام. ثمّ قال (كُنْتَ): بفتح التاء، وهو جواب الشرط. (بهم) متعلِّق بـ (كنتَ): أي

---

(١) في (ق): ترى أين جميلات.

(٢) في (ق): تراءين خميلات.

بسبب رؤيتهم. وجملة (لا كنتَ): بفتح التاء، خطاب للعَذول، دعاء عليه بعدم الكون، أي: عدم الوجود في هذا الشهود. وقوله (صَبّاً): أي عاشقاً، خبر كنتَ الأولى. (يرى): فعل مضارع. (مُرَّ ما): أي الذي. (لَاقَيْتُه): أي وجدته أنا في محبتهم، من المشقات والأتعاب. (حُلَيّ): بضمِّ الحاء المهملة وفتح اللام وتشديد الياء ساكنة: مُصَغَّر حُلو، وهو ضدّ المر.

٧٦- فَأَرِحْ مِنْ لَذْعِ عَذْلٍ مِسْمَعَيْ وعَنِ القَلْبِ لِذاكَ الراء زَيّ

(أَرِحْ): فعل أمر، من أراح الله زيداً من التعب، أي: خلَّصَه منه. و(اللَّذْعُ): إن كان من النار فهو بالذال المعجمة والعين المهملة. وإنْ كان من ذوات السموم فهو بالدال المهملة والغين المعجمة، وكلاهما جائز هنا. وهو مضاف إلى (عَذْلٍ): أي لوم وتعنيف حصل منك، والخطاب للعاذل. و(مِسْمَعَيْ): مفعول أرحْ. قال في القاموس: «المِسْمَع كَمِنْبَر، الأُذُن». وقوله (عن القلب): أي ازْوِ عن القلب، أي: نَحِّ، واذوِعن القلب. (زَيّ): في آخر البيت، مصدر من زَوَاهُ زَيّاً: إذا نحَّاه فانزوى. وقوله (لذاك الراء): من رَوَّأَ في الأمر تَرْوِئَةً نَظَرَهُ وتَعَقَّبَهُ. كذا في القاموس. وأشار بذلك الراء إشارة بُعد إلى راء العذول، وهو السلوان. وقوله (وعن القلب): أي وأرح عن القلب لذاك الراء؛ وهو حرف الراء التي في قوله (أرح زَي): لغة في الزاي، قال في القاموس: «والزَّاي إذا مُدَّ كُتب بهمزة بعد الألف، وفيه لغات: الزَّاي والزَّاءُ والزَّيُّ كالطيّ». فإذا كان مكان الراء زاي صار أزح. يعني: أزح عن القلب هذا العزل.

٧٧- خَلِّ خِلِّي عَنْكَ أَلْقَاباً بِهَا جِيءِ مَيْناً وَانْجُ مِنْ بِدْعَةِ جَيّ

(خَلِّ): فعل أمر، أي: انزع، ودَعْ. (خِلِّي): بكسر الخاء المعجمة، منادى مضاف إلى ياء المتكلِّم، حُذف منه حرف النداء، أي: يا خِلِّي (عنك أَلْقَاباً): جمع لقب، وهو ما أشعر بمدح أو ذمّ. وفي القاموس: «اللَّقَب، مُحَرَّكة، النَّبْز، وجمعه: ألقاب،

ولَقَّبَهُ تَلْقِيْباً فَتَلَقَّب» انتهى. وذلك كشرف الدين وناصر الدين. وقوله (بها): أي بالألقاب. (جِيْء): بكسر الجيم، فعل ماض مبني للمفعول، أي: جيء بها. يعني: جاء بها الذين جاؤوا من الناس. وقوله (مَيْناً): أي كذباً، قال في القاموس: «مَانَ يَمِينُ: كَذَبَ؛ فهو مائن. يعني: لا تذكرني بلقب شرف الدين ونحوه، كما لقبني بذلك الناس؛ فإنّه كذب في حقّي. (وانجُ): فعل أمر من النجاة ضدّ الهلاك». (من بِدْعَة): قال في القاموس: «البِدْعَة بالكسر: الحَدَث في الدين بعد الإكمال، أو ما استُحدِث بعد النبيِّ صلّى الله عليه وسلّم من الأهواء والأعمال، وجمعها بِدَع كَعِنَب». وقوله (جَيّ) قال في القاموس: «جَيّ بالفتح لقب أصبهان قديماً، أو قرية بها» انتهى. ويقال: إنّ أوّل ما ظهرت البدعة منها. يعني: اترك الألقاب؛ فإنّها بدعة في دين المحبّة، وانجُ، واسلم من بدعة أصبهان التي هي أشد بدعة، لأنّها أوّل بدعة ظهرت.

٧٨- وَادْعُنِـي غَـيْرَ دَعِـيٍّ عَبْـدَهَا نِعْـمَ مَـا أَسْـمُو بِـهِ هَـذَا الـسُّمَيّ

(ادْعُنِي): فعل أمر بمعنى سَمِّنِي. وقوله (غيرَ دَعِيٍّ): بتشديد الياء، أي: غير كاذب في نسب عبوديّتي. (عبدها) مفعول ادعني. و(نِعْم): كلمة وضعت لإنشاء المدح. (ما): أي اسم. (أَسْمُو): أي أعلو وافتخر به. (هذا السُّمَيّ): بضم السين المهملة، تصغير الاسم/[٥٥/أ] قال القائل:

لا تـدعُني إلا بيـا عبـدها فإنّـه أشرف أسـمائي

وقال الآخر:

ودَعَتْـهُ بالعبـد يومـاً فقـالوا قـد دَعَتْـه بـأشرف الأسـماء

وقال الآخر:

وهـان علـيَّ اللـومُ في جنـب حُبِّهـا وقـولَ الأعـادي إنّـه لخليـعُ
أصـمم إذا نوديـت باسـمي وإنـني إذا قيـل لي يـا عبـدَها لَـسَميع

٧٩- إِنْ تَكُـنْ عَبْـداً لَهَـا حقّـاً تَعُـدْ　　خَـيْرَ حُـرٍّ لَمْ يَـشُبْ دَعْـوَاهُ لَـيّ

العبد الحقّ هو: المتصف بصفة العبوديّة في ظاهره وباطنه، والعبوديّة هي الرضا بأفعال المولى؛ فلا فعل للعبد غير الرضا، والرضا وصف المولى بأفعاله، فلمّا ظهر العبد بوجود المولى ظهرعليه هذا الوصف، فسُمِّي عبوديّة. وقوله (لم يَشُب): أي يمازج ويخالط. (دعواه): العبوديّة. (لَـي): بفتح اللام وتشديد الياء ساكنة، أي: جحود وإنكار.

٨٠- قُوتُ رُوحِي ذِكْرُهَـا أَنَّـى تَحُـوْ　　رُ عَـنِ الـشَّوْقِ لِـذِكْرِي هَـيَّ هَـيّ

يعني: ذكرها، أي: تذكرها واستحضارها. (قُوت روحي): يعني أنّ روحي تقتات بذكر هذه المحبوبة، فمتى ذُهِلْتُ عنها، وغفلت عن تذكرها ماتت روحي لعدم القوت الذي به حياتها، فصارت روحي نفْساً؛ والنفس أمّارة بالسوء كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [١٢ / يوسف/ ٣٥] ثمّ إنّ النفس إذا ماتت بزوال غفلتها عن شهود ربّها ومولاها، وترك شهواتها ومقتضى طبيعتها عادت روحاً؛ والروح من أمر الله كما قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨٥] ولهذا لا يموت ويحيا إلا النفوس، بخلاف الأرواح؛ فإنّها لا تموت أبداً قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [٣/ آل عمران/ ١٨٥] وقوله (أَنَّى تحور): فأَنَّى بفتح النون مشددة بمعنى كيف، وهواستفهام تعجّبي. و(تحور) بالحاء المهملة والراء بمعنى ترجع. والفاعل ضمير يعود إلى الروح. (عن الشوق): متعلّق بتحور. ثمّ قال (لِذِكْري) ومراده: لذكرها، أي: المحبوبة، ولكنّه أضاف الذكر إليه لأنّه ذَكَرَها على حسب قدرته واستطاعته؛ لا على ما يليق بها لمقتضى ما هي عليه من كمال التنزه والتجرُّد عن مشابهة المحسوسات والمعقولات؛ فهو ذكره أياها المردود عليه؛ وهو ذكره بحسب حاله على مقتضى ما لديه. وقوله (هَيَّ هَيّ): بفتح الهاء فيهما وتشديد الياء، كلمة مكررة لطلب الإقبال إلى الذِّكر بسرعة من غير إمهال.

٨١- لَسْتُ أَنْسَى بِالثَّنَايَا قَوْلَهَا كُلُّ مَنْ فِي الحَيِّ أَسْرَى فِي يَدَيّ

(الثنايا): جمع ثَنِيَّة وهي العقبة، أو طريقها، أو الجبل، أو الطريق فيه، أو إليه. كذا في القاموس. كَنّى بالثنايا عن حضرات الأسماء الإلهيّة المؤثرة في إظهار الأكوان، وإثبات حقائق الأعيان. وضمير. (قولها): للمحبوبة الحقيقيّة، والحضرة الإلهيّة الغيبيّة. و(الحيّ): بطن من بطون العرب، والجمع أحياء. كنّى به عن عالم الإنسان الذي هو نوع من أنواع الأكوان. و(أسرى): جمع أسير. و(يدَيّ): بصيغة التثنية، مثنى يَد، واليدان هما الحضرتان اللتان تنقسم إليهما الأسماء الإلهيّة؛ فإنّها تنقسم إلى أسماء الجلال، وأسماء الجمال. والأسماء بقسميها هي المتصرِّفة في العوالم، والعوالم هي القائمة بها، والقا بضة عليها، وهذا معنى قوله أسرى في يدَي.

٨٢- سَلْهُمْ مُسْتَخْبِراً أَنْفَسَهُمْ هَلْ نَجَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْ قَبْضَتَيّ

الضمير المستكن في قوله سلهم راجع إلى قوله (خِلِّي): أي يا خلّي في البيت السابق[1] وضمير الهاء المستكن في قوله سلهم راجع إلى (من في الحيّ). و(أَنفَسُهم): بفتح الفاء على صيغة أفعل التفضيل. (هل نجت): أي تخلّصت. (أَنْفُسُهم): بضمّ الفاء، جمع نَفْس بسكون الفاء. (من قبضتيّ): تثنية قبضة/[٥٥/ب] أي: قبضة السعادة وقبضة الشقاوة، كما قال تعالى: ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ [٤٢/الشورى/ ٧] وخصّ السؤال بالأنفس منهم، أي: الأعرف لأكمل المحقّق؛ إذْ القاصر منهم يظنّ أنّه يفعل ما يشاء؛ وإنّما العارف هو الذي يعرف أنّه في قبضته تعالى على كلِّ حال، قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [٧٦/ الإنسان/ ٣٠] فمشيئتهم أثر مشيئته، كما أنهّم أثار قدرته وإرادته.

---

(١) انظر البيت ٧٧.

٨٣- فَالقَضَا مَا بَيْنَ سُخْطِي وَالرِّضَى   مَـنْ لَـهُ أُقْـصِ قَـضَى أَوْ أُدْنِ حَـيّ

(القضا): حكْم الله تعالى في الأزل على جميع الأكوان بما يتداول عليها من الألوان، فمن الأكوان ما هو الخير، وهو أثر الرضى؛ ولهذا يظهر الرضى من الحقّ تعالى عُقَيبَه. ومن الأكوان ما هو الشرّ؛ وهو أثر السخط الإلهيّ والغضب، ولهذا يظهر السخط والغضب من الحقّ تعالى عُقَيْبَه، وهذا معنى قوله (ما بين سُخْطي والرضى). وقوله (مَنْ له أُقْصِ): بضمّ الهمزة وسكون القاف وبالصاد المهملة، أي: أبعد. (قضى): بالضاد المعجمة، من القاضية، وهي الموت. وقوله (أو أُدْنِ): بحذف الياء تخفيفاً. يقال: أَدناه إذا قرّبه ولم يبعده. (حيّ): ضدّ الميت. والمعنى: إنّ كلّ من أبعدته عن شهود حضرتي في التجلي بأسمائي فقد أقصيته؛ فإنّه يقضي، أي: يموت ويهلك من حيث إنسانيّته وروحانيّته. وكلّ من أدنيته منّي بشهود حضرات أسمائي فهو حيٌّ بي، وبتجلّي حياتي الأزليّة الأبديّة عليه، قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [٦/ الأنعام/ ١٢٢].

٨٤- خاطِبَ الخَطْبِ دَعِ الدعوى فما   بـالرُّقى تَرْقَـى إلى وَصْـلِ رُقَـيّ

(خاطِبَ): اسم فاعل بمعنى طالب، وحذف منه حرف النداء تخفيفاً، والتقدير يا خاطب، وهو منادى منصوب لإضافته إلى الخَطْب بفتح الخاء المعجمة وسكون الطاء المهملة الأمر العظيم قال تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ [٧٨/ النبأ/ ١-٣] فسمّاه نبأً، أي: خبراً عظيماً لاتصافه بالعظمة؛ ولهذا لا يُدرك كما قال: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ الآية [٦/ الأنعام/ ١٠٣]. وقوله (دع): أي اترك الدعوى، أي: دعوى الحَوْل والقوّة، فلا حول، أي: لا تحوّل في النفس والخاطر من معنى إلى معنى. ولا قوّة في الأعضاء الظاهرة والباطنة من الحواس الظاهرة والباطنة إلا بالله قال تعالى: ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [٢/ البقرة/ ١٦٥]؛ بل

دعوى الوجود؛ لأنّه للحقّ تعالى وحده: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [٢٨/ القصص/ ٨٨]. ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ٢٦-٢٧] وكان الله ولا شيء معه. وهو الآن على ما عليه كان. فلامُ الدعوى لام العهد الذهني، وهي شاملة لما ذكرنا. ثمّ قال تأكيداً لذلك (فما بالرُّقى): بضمّ الراء وفتح القاف مقصوراً، جمع رُقية بضمٍّ الراء وسكون القاف ما يُرْقى به المَلْسوع ونحوه، كَنى بذلك عن قراءة الأوراد والأحزاب والمداومة على الأذكار فقط من غير تنبّه لشهود تجلّيات الحقّ تعالى، ولا التفات إلى رؤية الأفعال، والأعمال، والأقوال كلّها، والأحوال صادرة منه تعالى خلقاً وإيجاداً؛ وإنّما هي مستندة إلى سواه من العوالم استناداً. وقوله (بالرُّقَى) متعلِّق بترقى، قُدِّم عليه لإفادة الحصر كما ذكرنا، ومعنى(تَرقَى): تعلو وترفع. يعني: من حضيض نفسك وطبعك وهواك إلى أوج وصل، (رُقَى): بضمّ الراء، وهو اكتفاء. وأصله رُقَيّة، قال في القاموس: «رُقَيَّة كسُمَيَّة» انتهى. كنّى بها عن المحبوبة المُطْلَقَة الجمال، والحضرة العليّة المتصفة بالكمال التي هي مطلوبة الكُمَّل من الرجال.

٨٥- رُحْ مُعَافَىً وَاغْتَنِمْ نُصْحِي وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَهْوَى فَلِلْبَلْوَى تَهَيّ

[٥٦/ أ] (رُحْ): فعل أمر بمعنى اذهب، من راح: إذا سار وذهب. (مُعافَىً): اسم مفعول من عافاه الله تعالى: جعله صاحب عافية. (واغتنمْ): من الغنيّمة. (نُصْحِي): أي نصيحتي لك. يعني: إنّ هذا الأمر الذي تحاوله أمر صعب؛ فإنَّ لازمه المحبّة؛ لأنّها الوسيلة إلى المعرفة الإلهيّة الذوقيّة الكشفيّة. وأمّا المعرفة الخياليّة العقليّة فطريقها النظر العقلي، وغايتها العلم المقتضي للغفلة عن العلوم الحقّ، ونتيجتها الاحتجاج، والجدال، والانتصار لتحقيق مذهب المتكلِّمين من الرجال. وليست هي المعرفة المرادة للمصنِّف ولا غيره من أهل الكمال؛ وإنّما المطلوب المعرفة الأولى، فإنّها طريقة النبيين أولى العلوم الإلهيّة اللدنيّة التي هي

نتيجة التقوى والذكرى. وقوله (وإنْ شئتَ أنْ تهوى): أي تدخل في هذه المعرفة الذوقيّة المذكورة التي لازمها المحبّة كما ذكرنا من قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ الآية [٥/ المائدة/ ٥٤]. (فَلِلْبَلْوَى): أي الابتلاء؛ وهو الامتحان من الله تعالى في أي نوع يريد تعالى من أنواع الامتحان، فيبتلي تعالى مَنْ يحبُّ جماله الظاهر على صفحات مخلوقاته بالبلاء الحسن كما قال: ﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا﴾ [٨/ الأنفال/ ١٧] أي: لا بلاء قبيحاً، وهو البلاء في الدين، كالبلاء بالجهل، والكفر، والضلال، والفسق، ونحو ذلك. والبلاء الحَسَن: كالبلاء في بدن الإنسان، أوفي عرضه بالتهمة، والإنكار من الجاهلين، والحاسدين، والافتراء، والبغي، ونحو ذلك. وقوله (تَهَيّ): فعل أمر، أصله بالهمزة تَهَيَّأ على وزن تقدّم، فحُذفت الهمزة تخفيفاً، من التَّهيئَة، مصدر هيّأه تَهْيئَة وتَهْييئاً: أصلحه، كذا في القاموس. واعلم أنّه تعالى إذا أحبّ عبداً أنعم عليه وأكرمه من حيث أنّه يحبّه، فيجد ذلك العبد في نفسه آثار محبَّة الله تعالى له، ويظهر له الجمال الإلهيّ ببدائع الألطاف، ومحاسن المنن والأوصاف، فيحبّ الله تعالى قهراً عنه، فتكون محبته لله تعالى أثر محبّة الله تعالى له؛ ولهذا قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ﴾ [٥/ المائدة/ ٥٤] فهو البادئ بالمحبّة ثم قال: ﴿وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [٥/ المائدة/ ٥٤] فهم من حيث أنّهم محبوبون له تعالى مكرمون معظمون، ومن حيث أنّهم مُحِبُّون له تعالى مُبْتَلَوْن، مُمْتَحَنون، وهذا معنى قوله (وإن شئتَ أن تهوى فللبلوى تهيّ).

٨٦- وَبِسُقْمٍ هِمْتُ بِالأَجْفَانِ أَنْ زَانَهَا وَصْفاً بِزَيْنٍ وَبِزَيْ[1]

(بِسُقْمٍ): على وزن قُفْل، وهو المرض، والمراد: الضعف. والباء للسببيّة، والجار والمجرور متعلّق بهِمْتُ، قُدِّم عليه لإفادة الحصر، ادِّعاء مبالغة في المحبّة. وفي القاموس: «هَامَ يَهِيم هَيْماً وهَيَماناً: أَحَبَّ امرأة» . وقوله (بالأجفان): صفة سُقْم،

(١) في (ق) تزيّنْ وتزي.

وهي جمع جَفْن، وهي غطاء [العين]. كنّى به عن صور الأكوان التي هي حُجُب على العين الإلهيّة. وضعفُ الأجفانِ مقبولٌ؛ لأنّه نوع من المحاسن، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾ الآية [٣٠/ الروم/ ٥٤] ولا أضعف من العارف بالله تعالى لتحقّقه في نفسه بلا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم. وقوله (**أنْ**): بفتح الهمزة هي أن المصدريّة، والأصل لأن. (زَانَهَا): أي حَسَّنَها وجَمَّلها. وفاعل زانها ضمير راجع إلى السُّقْم. وضمير زانها: أي الأجفان، أي: لزينته لها. وقوله (**وصْفاً**): منصوب على التمييز. و(**بزَيْن**): متعلّق بزانها. والزَّيْن: ضِدّ الشَّين، و (**بِزَيْ**): بفتح الزاي، وأصله زأي بالهمز، فحُذف تخفيفاً، وهو مصدر زَأَى كَسَعَى: تَكَبَّرَ، ذكره في القاموس. يعني: إنّ السُّقم زان الأجفان بالحُسن وبالتكبُّر، أي: الامتناع على العشّاق، وهو نوع الملاحة.

٨٧- كَمْ قَتِيْلٍ مِنْ قَبِيْلٍ مَا لَهُ قَوَدٌ فِي حُبِّنَا مِنْ كُلِّ حَيّ

(**كَمْ**): للتكثير، و(**قتيل**): فعيل بمعنى مفعول، من القتل، و(**قبيل**): بالباء الموَّحدة والياء/ [٥٦/ ب] التحتيّة، قال في القاموس: «القَبِيل: الجماعة من الثلاثة فصاعداً من أقوام شتّى. وقد يكون من نَجْرٍ واحد، وربَّما كانوا بني أب واحد» انتهى. والجار والمجرور صفة لقتيل. يعني: كم لذلك السُّقم الذي في الأجفان من قتيل موصوف بأنّه من جماعات متفرّقين من أنواع الناس. وقوله (**ما لَهُ**): أي لذلك القتيل المذكور. (**قَوَد**): محرَّكة، وهو القصاص. (**في حُبِّنا**): أي محبَّتنا، وهو كلام على لسان المحبوبة التي في أجفانها السُّقْم. وقد تكلَّم على لسانها، لأنّها لسانه الذي يتكلّم به لفنائه في محبّتها، كما ورد في حديث المتقرِّب بالنوافل: «كنت لسانه الذي ينطق به». ثمّ قال (**من كلّ حَيّ**): بفتح الحاء المهملة. و(**الحيّ**): البطن من بطون العرب وقبائلهم، وهو تأكيد لمعنى القبيل كما ذكرنا؛ لأنّ من أهل الله تعالى المحبِّين مَنْ هو من العرب، ومن هو من العجم ومن الفرس ومن الهند ومن الروم وغيرهم.

٨٨- بَابُ وَصْلِي السَّامُ مِنْ سُبْلِ مِنْهُ لِي مَادُمْتُ حَيّاً لَمْ تَبَيّ

(السام): بالسين المهملة الموت. وأصله سَوَّم القوم على القوم: أغار فعاث فيهم. يعني: إنّ الباب الذي يُتوصّل منه إلى وصالي، والقرب إليّ هو الموت في محبَّتي. وهذا تكلُّم على لسان المحبوبة أيضاً كما ذكرنا. ثمّ قال (مِنْ سُبْل): بضمّ السين المهملة وسكون الباء الموحّدة، وهو الطريق. و(الضَّنَى): المرض، وهو الضعف الحقيقي في الظاهر والباطن. يعني: باب الوصال والشهود الذوقي هو الموت من شواغل النفس، والخروج عن حكم الطبيعة بمخالفة النفس والهوى من طريق التخلِّي عن القوى الحسيّة والعقليّة. ثمّ قال (منه): أي من وصلي . (لي) متعلِّق بِتَبَيّ في آخر البيت. (مادمت): أي مدة دوامك حيّاً لم تمُتْ في محبَّتي. (لم تَبَيّ): بفتح التاء المثنّاة الفوقيّة وفتح الباء الموحّدة وتشديد الياء ساكنة، أي: لم تغنم، قال في القاموس: «تَبَا يَتْبُو، كَدَعَا: غَنِم، يعني: ما دمت حيّاً لم تغنم لي، أي: أكون غنيمتك من وصلي؛ فإنّ الحيّ يَدَّعي كلّ وصف تقتضيه الحياة من العلم، والإرادة، والقدرة، والسمع، والبصر، والكلام، وما يتبع ذلك من بقيّة الأوصاف، والمُدّعي صاحب شرك خفي، كما قال الشيخ أرسلان[1] قدّس الله سرَّه في ابتداء رسالته المختصرة كُلُّكَ شرك خفي.

٨٩- فَإِنْ اسْتَغْنَيْتَ عَنْ عِزِّ البَقَا فَإِنَّ وَصْلِي بِبَذْلِ النَّفْسِ حَيّ

(اسْتَغْنَيْتَ): أي وجدت الغنى بما لديك من الجوارح، والأعضاء، والحواس، والعقل، والفكر، والخيال، وبقيّة الأحوال التي خلقها لك الحقّ تعالى. (عن عِزِّ البَقَا): أي عن عزِّ العزيز الذي له البقاء والدوام، ولك الفناء والزوال. وهذا الاستغناء مجرّد توهّم منك؛ إذْ لا غنى لك عنه؛ لانّه القيوم عليك، الممد لك في

(١) أرسلان بن يعقوب بن عبد الله بن عبد الرحمن الجعبريّ الدمشقيّ، ويقال له: رسلان الدمشقيّ. صوفي، متكلّم، عاصر الجيلاني، توفي ٦٩٩هـ. من آثاره رسالة في التوحيد شرحها كثيرون، انظر معجم المؤلّفين ج٢ص٢٢٤.

كلِّ شؤونك ظاهراً وباطناً، كما وردَ: «أنا بُدُّكَ اللازم الذي لا بُدَّ لك مِنِّي؛ فإلى أين تفرَّعنِّي»(1) ، وقال تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [51/ الذاريات/ 50]. وقوله: (فإلى وَصْلي): ببذل النفس: أي الخروج عنها، قال في القاموس: «بَذَلَه يَبْذُلُهُ ويَبْذِلُهُ: أعطاه وجاد به». وقوله (حَيّ): أي أعجل من قولهم: حَيَّهْل، بسكون الهاء، حيّ، أي: أعجل وهو صِلة، كذا في القاموس. يعني: أعجل إلى وصْلي ببذل نفسك في سبيل مرضاتي؛ لأمتعك بنعيم جناتي.

90- قُلْتُ رُوْحِي إنْ تَرَيْ بَسْطَكِ قَبْضِهَا عِشْتُ فَرَأْيِي أَنْ تَرَي

(**قُلْتُ**): أي لها. يعني: للمحبوبة في جواب قولها ذلك. (**روحي إنْ تَرَي**): بفتح التاء المثنّاة/ [57/ أ] الفوقيّة وفتح الراء وسكون الياء التحتيّة، وضمير الخطاب للمحبوبة. وقوله (**بَسْطَك**): بسكون السين المهملة وبكسر الكاف، قال في القاموس: «بَسَطَ فلاناً: سَرَّهُ». فالبَسْطُ كناية عن الرضا. يعني: إن ترى رضاك في قبضها، أي: قبض روحي. (**عِشْتُ**) جواب الشرط، أي: صرتُ حيّاً بالحياة الحقيقيّة الأزليّة، وزال عنّي حكم الحياة المجازيّة الفانية، فحييتْ بك لابالروح، وهذا هو المراد. ثمّ قال (**فرأيي**): أي الذي أراه صواباً. (**أنْ تَرَي**): أي رأيك قبض روحي، فرأيك ذلك هو رأيي، ومرادي هو مرادك، كما قيل لأبي يزيد البسطاميّ قدّس الله سرَّه: «ماذا تريد يا أبا يزيد؟. فقال: أريد أنْ لا أريد». فقال الشيخ الأكبر رضي الله عنه: «كان الغالب على أبي يزيد رأيُ العموم، وإلا فلو قال: أريد ما تريد لكان أتمّ وأكمل ولطف الله أشمل».

---

(1) ذكره ابن الجوزي في كتاب الموضوعات بلفظ: «عن أنس قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: يقول الله تعالى: يا ابن آدم، أنا بدّك اللازم فاعمل لبدّك. قال الخطيب: هذا ا الحديث موضوع المتن مركب على هذا الإسناد. وكلّ رجاله مشهورون معروفون بالصدق إلّا ابن الجارود؛ فإنّه كذّاب، ولم نكتبه إلّا من حديثه». انظر الموضوعات لابن الجوزي، ج3ص136. وانظر تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، باب من اسمه محمّد واسم أبيه الحسين، ج2ص247.

٩١- أَيُّ تَعْـذِيْبٍ سِـوَى البُعْـدِ لَنَـا مِنْـكِ عَـذْبٌ حَبَّـذَا مَـا بَعْـدَ أَيّ

(أي): بالتشديد، مرفوع على الابتداء، مضاف إلى تعذيب. و(سوى): صفة تعذيب. و(البعد): مضاف إليه. و(لنا): متعلّق بتعذيب. و(منكِ): بكسر الكاف صفة تعذيب. و(عَذْبٌ): مرفوع على أنّه خبر المبتدأ. يعني: كلّ تعذيب تُعَذِّبينا به غير بُعْدِكِ عنّا؛ فإنّه عَذْب، أي: حلو لنا لنستلِذَّ به من قبيل قول أبي يزيد البسطاميّ قدّس الله سرَّه:

أحبّـكَ لا أحُبُّـك للثـواب ولكنِّـي أحِبّـك للعقـاب
وكـلّ مـآربي قـد نِلـتُ منهـا سـوى مَلْـذوذ وجـدي بالعـذاب

وقوله :(حبَّذا): جرى مجرى المثل. حَبَّ: فعل ماض، وذا فاعله، والجملة خبر مقدَّم، و(ما): بمعنى الذي. (بَعدَ أَيّ): يعني بعد قولك أي في أولّ البيت، وبعدها التعذيب. والمعنى: التعذيب حبذا عندنا، وإنّما كان البعد غيرعذب له لغيبته به عن شهود المحبوبة، فحجاب الكافرين بالبعد عن حقيقة حقّ اليقين؛ وهو عين العذاب المهين، كما قال تعالى في حقّهم: ﴿إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [٨٣/ المطففين/ ١٥][1].

٩٢- إنْ تَـشِيْ رَاضِـيَةً قَـتْلِي جَـوَىً فِـي الهَـوَى حَسْبِي افْتِخَـاراً أَنْ تَـشَيْ

(تشيْ): بسكون الياء التحتيّة، أصله تَشينَ، خطاب للمحبوبة، فحذفت النون للجازم، وهو إنْ الشرطيّة. (راضيةً): حال من الضمير المؤنّث في تشي. (قتلي): مفعول تشي وراضية على طريقة التنازع. وقوله (جَوَى): منصوب على التميز، أي: محبَّة وعشقا.(في الهوى): أي في طريق الهوى. (حسبي): أي يكفيني. (افتخاراً): تمييز أيضاً. وقوله (أنْ): بفتح الهمزة مصدرية. و(تَشَي): محذوف النون

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: بلغ مقابلة وسماعاً على المؤلّف عفا الله عنه.

للناصب الذي هو أن المصدريّة. يعني: حسبي مشيئتك افتخر بها بين قومي، ويزيد بها غَدي على أمسي ويومي.

٩٣- مَا رَأَتْ مِثْلَكِ عَيْنِي حَسَناً وَكَمِثْلِي بِكِ صَبّاً لَمْ تَرَيْ

(ما رأتْ): أي تحقّقت مثلك بالنصب مفعول أول لِرأت. والكاف مكسورة لخطاب المحبوبة؛ وهي الحضرة الإلهيّة من حيث ظهور الأكوان عنها، وهي حضرة الأسماء والصفات، لا من حيث الذات التي هي الغيب المطلق؛ فإنّه لا شيء بالنسبة إليها، وإنّما الأشياء موجودة بها في حضرات أسمائها الحُسنى، وهي محبوبة الرجال من أهل الكمال، وهي المرئيّة لهم على كلّ حال، وهي التي ليس كمثلها شيء. و(عَيْنِي): فاعل رأت، فالرؤية بصريّة، كما قال الصدّيق الأكبر أبو بكر بن أبي قحافة رضي الله عنه: «ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله فيه»؛ فإنّ الله اسم الذات الجامع لجميع الأسماء؛ فهذا اسم من حيث تجلّيها بالأسماء الظاهرة بالأشياء، ولم يقل إلا رأيت ذات الله لعلمه بأنّ الذات لا شيء معها؛ لا رأي ولا رؤية ولا مرئي. وقوله (حَسَناً): [حال] من قوله مثلك، ومفعول/ [٥٧/ ب] ثاني لرأت إن كانت الرؤية علميّة لا بصريّة. وقوله (كَمِثْلِي): أي مثلي إنْ كانت الكاف زائدة، أو بمعنى مثل: أي مثل مثلي. (بكِ): بكسر الكاف، جار ومجرور متعلِّق بـ(صبّاً): بتشديد الباء الموحّدة، قَدَّم على متعلقه لإفادة الحصر، أي: لا صبّاً بغيرك. والصبُّ: صفة مشبّهة من الصبابة، وهي المحبّة والعشق. وقوله (لم تَرَي) بفتح التاء وفتح الراء. والنون محذوفة للجازم، والأصل تَرَيْنَ. ولا يريد مخاطبة الحضرة بأنّها لم ترَ مثله؛ لأنّها لم تتجلَّ على شيئين بتجلٍّ واحد أزلاً وأبداً. والأشياء إنّما تظهر بالتجلّي؛ فلا شيء يشبه شيئاً أصلاً، وإن تشابهت الأشياء في نظر المخلوقين فهي غير متشابهة في نظر الخالق، فكلّ شيء لم يرَ الحقّ تعالى مثله لأنّه لم يخلق مثله.

٩٤- نَسَبٌ أَقْرَبُ فِي شَرْعِ الهَوَى   بَيْنَنَا مِنْ نَسَبٍ مِنْ أَبَوَيّ

(نَسَبٌ): مبتدأ وبيننا صفته، أي: نسب كائن بيننا. و(أقرب): خبره. يعني: نسب التقوى وكمال العبوديّة، وهو النسب الحقيقي الذي يرتفع كلّ نسب دونه يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [٢٣/ المؤمنون/ ١٠١] وقال صلّى الله عليه وسلّم: «إنّ الله تعالى يقول يوم القيامة: اليوم أرفع أنسابكم وأضع نسبي، أين المتّقون»(١).

وقوله (في شرع الهوى): أي في دين المحبّة الإلهيّة، لا في شرع الأحكام الظاهرة بين الأنام. وقوله (من نسب): الجار والمجرور متعلّقان بأقرب. و(من أَبَوَيّ): تثنية أبّ تغليباً، أي: من أبٍ وأمّ. وحُذفت النون لإضافة المثنى إلى ياء المتكلّم، فأُدغمت الياء في الياء، فإنّ نسب الأبوين نسب مجازي باعتبار السببيّة، وإلا فلا تأثير لهما في الحمل والولادة كما قال تعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ [٤٦/ الأحقاف/ ١٥] وقوله (من أَبَوَيّ): فيه ردّ على من اعتبره من أب، كقول النصارى: «إنّ عيسى ابن الله» فيقول المصنِّف: إنّ نسب المحبّة أقرب من هذا النسب؛ لأنّ الله تعالى مُنَزَّه عن هذا النسب المجازي السببي، وقد ردّه الله تعالى بقوله: ﴿وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [٣٧/ الصافات/ ١٥٢] وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾ [٣٧/ الصافات/ ١٥٨] .

٩٥- هَكَذَا العِشْقُ رَضِينَاهُ وَمَنْ   يَأْتَمِرْ أَنْ تَأْمُرِي خَيْرُ مُرَيّ

[هكذا] الهاء للتنبيه. والكاف للتشبيه. وذا اسم إشارة. والمشار إليه جميع ما

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، باب تفسير سورة الحجرات، ٣٦٨٤، عن أبي هريرة أنّ النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: «إنّ الله عزّ وجلّ يقول يوم القيامة: أمرتكم فضيعتم ما عهدت إليكم فيه، ورفعت أنسابكم، أين المتقون؟ أين المتقون؟ إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم». قال الحاكم: «هذا حديث عال غريب الإسناد والمتن ولم يخرجاه، وله شاهد من حديث طلحة بن عمرو عن عطاء بن رباح عن أبي هريرة».

تقدّم في الأبيات قبله. يعني: هذا لسان المحبّة الإلهيّة مبني على حقائق الأمور دون مجازاتها. و(العِشْق): خبر المبتدأ الذي هو اسم الإشارة. وقوله (رضيناه): أي رضينا جميع أحكامه وإنْ خالفت مقتضى العقول، وأوهمت المخالفة لأقوال أهل النقول. ولا مخالفة في نفس الأمر في نظر المحقّقين الفحول. وقوله (ومَنْ يأتَمِر): فعل مضارع مجزوم بمن الشرطيّة، أي: يمتثل. (أن تأمري) أنْ مصدريّة. يعني: أمركِ بكسر الكاف خطاب للمحبوبة، إشارة إلى أنّه وإن تبع دين المحبّة، وسلك على حقائق الأمور، ورضي ذلك، كما قال [رضيناه]؛ فإنّه لا يخالف الأمر الظاهر من أحكام الشريعة المحمّديّة فيتمثل الأمر، ويجتنب النهي. وقوله (خَيْرُ مُرَيّ): خبر مبتدأ محذوف، أي: هو خير مُرَيّ. ومُرَيّ: تصغير مَرء. قال في القاموس: «المَرْء مثلث الميم: الإنسان، أو الرجل». يعني: فذلك الممتثل للأمر هو خير إنسان وخير رجل.

٩٦- لَيْتَ شِعْري هل كَفَى مَا قد مُذْ جَرَى مَا قد كَفَى مِن عَبْرَتَيّ[١]

(ليت): حرف تمنٍّ. و(شِعري): بمعنى شعوري، أي: ليتني أشعر، أي: أعلم هل كفى ما قد جرى، أي: جرى لي في طريق المحبّة عند المحبوبة فهل هي راضية عنّي بذلك/ [٥٨/ أ]. أو غير راضية، فإنّي لا أعلم ذلك؛ لأنّها لا غرض لها ولا علّة لأفعالها، ولا سبب طاعة ينفع عندها. ولقد وجدت في بعض المجاميع بخطّ جَدّنا الأعلى الشيخ الإمام العلامة إبراهيم بن عبد الرحيم المشهور بابن جماعة المقدسيّ النابلسي رحمه الله تعالى، قال: سمعت الإمام أبا الطيب سهل بن محمّد بن سليمان[٢] يقول : سمعت أبي يقول : ما قُبِلَ من قُبِل لعلّة، ولا رُدَّ مَنْ رُدَّ لِزِلّة؛ إنّما هي إلهيّة محضة، وربوبيّة صِرفة، وجباريّة بتّة، وقهاريّة بتلة» انتهى. ولعمري فإنّ

---

(١) في(ق) مُقْلتَيْ.

(٢) سهل بن محمّد بن سليمان الصعلوكيّ النيسابوريّ، مفتي نيسابور، وابن مفتيها، وشيخ الشافعيّة فيها، كان إمام وقته، من كتبه الفوائد، توفي ٤٠٤. انظروفيات الأعيان، ج٢ ص٤٣٥.

فإنّ الأمر كذلك، وهذا حكم ظاهر مشهود في الممالك. وقوله (مُذْ): أي حين. (جرى ما قد كفَى من عَبْرَتَيّ): تثنية عبرة، قال في القاموس: «العَبْرَة بالفتح الدمعة قبل أنْ تفيض، أو تردد البكاء في الصدر أو الحزن بلا بكاء. والجمع عبرات». والمعنى: إنا في ذلك الحين تجري دموعي من كثرة البكاء مخافة أن أكون غيرمقبول عندها، وقد رَدّتْ عليّ جميع ما عملته، وطردت عندها.

٩٧- حَاكِيــاً عَــيْنَ وَلِي إنْ عَــلَا خَــدَّ رَوْض تَبْــكِ عَــن زَهْــرٍ تَبَــيّ

(**حاكياً**): حال من فاعل جرى في البيت قبله، وهو ما قد كفى من العَبرتين من العينين. وقوله (عينَ ولي): مفعول حاكياً. و(الوليّ): المطر بعد المطر. شبّه المطر بإنسان يبكي، استعارة بالكناية. وأثبت له العين استعارة تخيُّليّة. والبُكاء: ترشيح للاستعارة. وقوله (إنْ علا): بكسر الهمزة حرف شرط. وفاعل علا ضمير راجع إلى المطر. (خَدّ روضٍ): مفعول علا. (تَبْكِ): جواب الشرط، وفاعله ضمير راجع إلى عين ولي. وقوله (عن زَهْرٍ): بالتنوين متعلّق بِتبَيّ. و(تَبَيّ): فعل ماض من قولهم بَيَّاك، أي: أضحكك، قال في القاموس: «بَيّاكَ الله : أضحكك» انتهى. والأصل تَبِئ على وزن فرح، ثمَّ صيغ منه تفعّل بتشديد العين، وحُذفت منه الهمزة فصار تَبَيّاً بفتح التاء المثناة الفوقيّة، وفتح الباء الموحّدة، وتشديد الياء ساكنة. وضمير تَبَيّ إلى الروض. والمعنى: إنْ عَلا هذا المطر خَدَّ روضٍ تبكي عينه فيضحك ذلك الروض عن زهر فتنفتح كمائمه، وتتقطّر نسائمه.

٩٨- قَدْ بَرَى أَعْظَمُ شَوْقِيْ[1] أَعْظُمِي وَفَنِــيَ جِــسْمِي حَاشَــا أَصْــغَرَيّ

(**بَرَى العظم**): نحته. و(**أَعْظَمُ**): أفعل التفضيل من العِظَم. أي: أجلُّ شوقٍ عندي إلى المحبوبة. (**أَعْظُمِي**): جمع عَظْم. و(**فَنِيَ**): كرَضيَ، أي: عَدَمَ جسمي،

---

(١) في (ق) سُقْمِ.

وهو مجموع البدن، كناية عن فنائه واضمحلاله ظاهراً وباطناً في تجلّي وجه الحقّ له، وانكشاف نور وجوده. ثمّ قال (حاشا): وهو فعل يستعمل للاستثناء. يعني: إلّا (أصغريّ): تثنية أصغر، وذلك أصغر ما في أعضائه وهما: قلبه ولسانه، كما ورد «المرء بأصغريه: قلبه ولسانه»[1] فقلبه لتلقّي المعارف الإلهيّة، ولسانه لنشر العلوم اللدنيّة، كما قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه من أبيات له:

فؤادي عند مَعْلومي مُقيم   يناجيه وعندكُمُ لِساني

وهذه صفة الرجال من أهل الحقائق والكمال، يجمعون بين الغيبة والحضور، وهي من أشرف الأحوال.

٩٩- شَافِعِي التَّوْحِيْدُ فِي بُقْيَاهُمَا   كَانَ عِنْدَ الحُبِّ مِنْ غَيْرِ يَدَيَّ

(شافعي): خبر كان مُقدَّم، و(التوحيد): مبتدأ. يعني: إنّ توحيد الله تعالى يعني اعتقاد وحدانيّته في مقام العموم، وشهودها برفع حجب الأوهام على الخصوص. أو فناء ما لم يكن، وبقاء ما لم يزل. أو طمس الرسوم، ومحو العلوم في تجلّي الحيّ القيوم. أو زوال الحدود عن حقيقة الوجود. ثمّ قال (في بُقْياهما): متعلّق بشافعي، أي: الأصغرين: القلب واللسان؛ فالقلب لأنّه لا يتحقّق بالتوحيد. واللسان لأنّه يقرره ويبيّنه؛ فبقاؤهما أمر لازم في ظهور الكمال بحقائق صور الرجال/ [٥٨/ ب] المتحقّقين بالتوحيد الحقيقي على كلّ حال. وقوله (كان) اسمها ضمير راجع إلى التوحيد. وجملة كان من الاسم والخبر خبر المبتدأ، والتقدير: التوحيد كان شافعي في بُقياهما. وقوله (عند الحِبِّ): بالكسر، أي: المحبوب صادر. (مِنْ غير يديّ): تثنية يد، أي: من غير اختيار منّي لذلك. وعند الحِبّ ظرف للشفاعة. والمعنى: إنّ

---

(١) في الأمثال العربية من كلام ضمرة بن ضمرة الأسدي للنعمان بن المنذر، انظر الأمثال لابن سلّام ج١ ص٩٨. وجمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش ج١ ص٢٦٦. والمزهر في علوم اللغة للسيوطي ج١ ص٣٨٤.

التوحيد شافعٌ عند المحبوب في بقاء الأصغرين إلى قلبي ولساني؛ وكان ذلك من غير اختيار مني، ولو كان باختياري لاخترت فناءهما أيضاً، كفناء بقيّة جوارحي مع جملتي غيرةً منّي على المحبوب أن يكون معه غيره. وهذا البقاء إنّما هو بقاء بالمحبوب لا بقاء معه. وإذا كان بالمحبوب فلا يقتضي نقصان توحيده بالتبعيّة له، لا بالاستقلال، بحيث لو نظر المحبوب لم يرَ إلا نفسه من قبيل قول القائل:

تسترتُ عن دَهري بظلِّ جناحِهِ بحيثُ أرى دهري وليس يراني

فلو تسألُ الأيامَ عنّي ما درتْ وأينَ مكاني ما عرفْنَ مكاني

وعند كتابتي هذا المحلّ خطر في نفسي بأنّ بقاء القلب واللسان من غير فناء كيف يكون عند العارف الكامل الفاني! وكيف لا يطعن ذلك في التوحيد! وكيف يشفع التوحيد عند المحبوب بإبقاء ذلك، وإبقاؤه مما ينقص التوحيد الكامل الحقيقي!. فسمعتُ هاتفاً في الحال أسمع صوته يقول: «بقاء بالاعتبار»، فعلمت أنّ الأمور الاعتباريّة لا تغيّر الحقائق عمّا هي عليه.

١٠٠ - وَتَلَافِيكِ كَبُرْئِي دَونَهُ سَلْوَتِي عَنْكِ وَحَظِّي مِنْكِ عَيّ[1]

(التلافِي): التدارك، والخطاب للمحبوبة. **(والبُرء)**: الشفاء. والكاف للتشبيه. يعني: إذا تداركتيني قبل أن أهلك في محبّتكِ وغرامي فيك، كان ذلك بمنزلة شفائي من دائي، والتدارك لا يكون إلا بتمام الظهور له والانكشاف عليه، وعند ذلك كان يبرأ من داء الهجر والإعراض عنه. ثمّ قال **(دونه)**: أي دون تلافيكِ، في ذلك **(سلوتي عنكِ)**: أي نسياني محبّتك؛ فالتلافي بتمام الظهور محالٌ لعدم المناسبة بيني وبينك؛ لأنّك وجود صِرف، وأنّي عدم صِرف، وأنت نور محض، وأنا ظلمة محضة، وأنت حقّ خالص، وأنا باطل خالص، وهيهات أن يجتمعا أو يلتقيا، ولا وجود لأحدهما

(١) في (ق) وحظّي فيك غيّ.

إذا وجد الآخر، ولا ظهورَ له إذا ظهر الآخر، كما قلنا في مطلع قصيدة:

أنـتَ قيـدُ الوجـودِ إنْ غبـتَ غابـا　　　وإذا مـا ظهـرتَ كنـتَ حجابـا

وقال الجنيد قدّس الله سرّه: «الحادث إذا قُرِن بالقديم لا يبقى له وجود بإرجاع ضمير له، إمّا للحادث أو للقديم؛ فإنّ الوجود واحد، إذا نُسِب لأحدهما لا يبقى للآخر وجود. والوجود واحد فرد، إنْ نُسب للعوالم بسبب تجليه عليه أُوجدت به؛ فلا يبقى له وجود. وإذا تجرّد عنها وتنزّه كما هو في نفس الأمر كذلك لا يبقى للعوالم كلّها وجود، ويشير إلى ما ذكرناه قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [٢٤/النور/ ٣٥] فقد أضاف نفسه إليها ولم تُغيِّرْهُ الإضافة عمّا هو عليه من التنزه عنها؛ لأنّ العوالم كلّها في أنفسها مع قطع النظر عنه عدمٌ صِرف، والعدم لا يغيِّر الوجود. وقد شبّه التلافي المذكور ببرئه وشفائه من داء هجرها وإعراضها عنه؛ فبرؤه وشفاؤه محال؛ لأنّه مشبَّه بمحال وهو التلافي. ثمّ أخبر أن سلوته عنها دون التلافي المذكور في كونها محالا منه؛ لتمكن محبّتها من قلبه، وسريانها في جميع أجزائه. وقوله (وحظّي): أي قسمي ونصيبي منك. والواو للحال. (عَيّ): أي تعب ومشقّة لا فائدة في ذلك غير الحيرة؛ فإنّه لا ينال الحادث من العلم بالقديم غير العجز عن العلم به، كما ورد عن الصديق الأكبر رضي الله عنه/[٥٩/أ] أنه قال: «العجز عن درك الإدراك إدراك».ولعمري فَمَن تحقّق بعجزه عن العرفان فهو عين العرفان.

١٠١- سَـاعِدِي بِـالطَّيْفِ أنْ(١) عَـزَّتْ　　　قِـصَرٌ عَـنْ نَيْلِهـا في سَـاعِدَيّ

(ساعدي): فعل أمر للمخاطبة المؤنثة، وهي المحبوبة الحضرة الإلهيّة، و(بالطيف): متعلّق بـ(ساعدي): من المساعدة، وهي الإسعاف، أي: أسعفيني بمشاهدة طيفك، قال في القاموس: «الطَّيْف: الخيال الطائِف في المنام» انتهى.

(١) في (ق) إنْ.

وجميع العوالم في نفس الأمر بمنزلة الطيف، طيف المحبوبة الحقيقيّة في المنام، والناس جميعهم في منام في الحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [٣٠/ الروم/ ٢٣] وقال صلّى الله عليه وسلّم: «الناس نيام، فإذا ماتوا انتبهوا»[1]. وليس كلّ أحد من الناس يعرف نفسه، ويشعر من نفسه بأنّه في منام، وأنّ الذي يراه هو طيف خيال المحبوبة؛ ما عدا العارف بالله تعالى، المعرفة الذوقيّة الكشفيّة؛ فإنّهم يعرفون ذلك من أنفسهم؛ ولهذا طلب المصنِّف أنْ تساعده المحبوبة بشهود طيف خيالها في مقام الحياة الدنيا. وأمّا الغافلون المحجوبون فإنّهم لا يشهدون إلّا الأغيار؛ فاعتبروا يا أولي الأبصار. وقوله (أنْ عَزّت): بفتح الهمزة وسكون النون؛ لأنّ (عَزَّت): بتشديد الزاي من عَزَّ الشيء: قَلّ؛ فلا يكاد يوجد. كذا في القاموس. (مُنَىً): بضمِّ الميم، جمع مُنْيَة، يعني: لإعزاز، أي: قِلّة حصول المرادات. ثمَّ قال: (قِصَرٌ): بكسر القاف وفتح الصاد المهملة. و(عَنْ نَيْلِها): متعلّق بقِصَر، وهو مبتدأ. والذي سوَّغ الابتداء بالنكرة الجار والمجرور به. (في ساعديّ): بتشديد الياء فأُدغمت ياء التثنية في ياء المتكلّم بعد حذف النون للإضافة. يعني: إنّ المُرادات التي أتمنَّاها من إدراك المحبوبة، والكشف عنها على الوجه التامّ قصرت عن ذلك يديّ، ولم أستطع الوصول؛ فساعدني بطيف الخيال ومشاهدته.

١٠٢- شَامَ مَنْ سَامَ[2] بِطَرْفٍ سَاهِرٍ طَيْفَكِ الصُّبْحَ بِأَلْحَاظِ عُمَيّ

(شام): بالشين المعجمة، بمعنى: نظر إلى البرق، قال في القاموس: «شامَ البَرْقَ بالشين المعجمة، بمعنى: نظر إليه أين يَقْصِد، وأين يُمْطِر». (مَنْ سَامَ): بالسين المهملة، أي: طلب. (بِطَرْفٍ): متعلّق بـ(شَامَ): بالمعجمة. (ساهرٍ): نعت لطرف.

(١) قال العجلونيّ بالكشف: «من قول علي بن أبي طالب». انظر تخريجه في الصفحة ٢٨٦.
(٢) في (ق) سامَ مَنْ سامَ.

(**طيفك**): مفعول سام بالمهملة. والمعنى: الذي طلب أنْ يشاهد طيف خيالك أيتها المحبوبة بطرف ساهر، أي: لم ينم نوم التسليم لأمر الله تعالى؛ بل استيقظ يقظة التدبير النفسانيّ في ليل الغفلة والحجاب. وقوله (**الصبح**): مفعول شام بالمعجمة، أي: نظر الصبح، أي: صبح نور الحقّ. (**بألحاظ**): أي عيون. (**عُمَيّ**): تصغير أعمى، يعني: إنّما هو ناظر بعيون ناظر أعمى؛ فلا يرى صبحَ الظهورِ، ولا يقدر أنْ يفرِّق بين الظلمة والنور.

١٠٣- لَوْ طَوَيْتُمْ نُصْحَ جَارٍ لَمْ يَكَدْ فِيْهِ يَوْماً يَأْلُ طَيّاً يالَ طَيّ[1]

(لو): شرطيّة. و(**طَوَيتُم نصح**): أي نصيحة. (**جارٍ**): أي مجاور لكم في السلوك في طريق الله تعالى، كناية عن نفسه. ونصحُهُ: هو التكلُّم له بالمعارف الإلهيّة، والحقائق الربّانيّة تنشيطاً لهمَّته في دوام الطلب. وقوله (**لم يكد**): أي لم يقارب هذا الجار. وفي نسخة لم يكن. (**فيه**): أي في النصح ، كذلك. (**يألُ**): أصلها بالواو، وحُذفت تخفيفاً، أي: لم يكد يقصر. و(**طيّاً**): تمييز. يعني: من جهة. الطيّ، أي: طيّ ذلك النصح؛ فإنّه كان يفعل مثل ما تفعلون معه؛ ولكِنَّكم ما طويتم أنتم نصح الجار لكم في السلوك. يعني: نصحه فتبعكم هو أيضاً، وما طوى نصح الجار له في السلوك؛ لأنّه مُقتدٍ بكم، وأنتم شيوخه وأساتذته. (**يال طيّ**): وأصله يا آل، أي: أهل طيّ؛ القبيلة المعروفة من عرب المغرب، ومراده: حضرة شيخه الشيخ الأكبر، والكبريت الأحمر محيي الدين بن العربي الحاتمي الطائي، وكنى عنه بآل طيّ تفخيماً له، وتعظيماً لمقامه كما، تقدّم في كثبان طيّ؛ فإنّه قدّس الله سرّه هو أوّل/[٥٩/ب] من بسط الكلام في الحقائق الإلهيّات، والمعارف الربّانيّات. وصنَّف الكتب الكثير في هذا الشأن تنشيطا وتسهيلاً على أهل السلوك في العرفان.

---

(١) في (ق) يال طيّ يأل طيْ.

١٠٤- فَاجْمَعُوا لِيْ هِمَماً أَنْ فَرَّقَ الدَّ ... دَهْرُ شَمْلِي بالأُلَى بَانُوا قُصَيْ

(اجمعوا): فعل أمر للجماعة المخاطبين في البيت قبله، وهم آل طيّ، بإرادة الواحد منهم على جهة التفخيم والتعظيم، أو إرادة الطائفة المحبوبة المتابعين لإمامهم الجليل في سلوك السبيل. و(هِمَمًا): مفعول اجمعوا، أي: اجعلوا هممي كلّها مجموعة متوجّهة إلى وجه واحد. وقوله (أنْ): بفتح الهمزة، أي: لأن (فرق الدهر شملي): أي لأجل تفريقه شملي. (بالأولى): أي الذين، متعلّق باجمعوا. (بانوا): أي بعدوا. (قُصَيّ): بضمّ القاف وفتح الصاد المهملة، مصغّر قَصِيّاً، أي: بانوا بيناً، أي: بُعداً قصيّاً يعني: بعداً بعيداً، والذين بانوا هم الأحبّة، كناية عن حقائق الأسماء الإلهيّة الظاهرة بآثارها؛ وهي الأكوان.

١٠٥- مَا بِوِدِّي آلَ مَيٍّ كَانَ بَثْ ... ثُ الهَوَى إذْ ذَاكَ أَوْدَى أَلَمَيّ

(الوُدُّ): بالضمّ، الحبّ. و(ما بودي): أي ما بحبّي ومرادي وقصدي. (آل): أي يا آل بمعنى يا أهل. (مَيّ): ترخيم مَيَّة. والترخيم في المنادى جائز مطلقاً، وفي غير المنادى يجوز في ضرورة الشعر، لكن قال في القاموس: «مَيَّة وميّ من أسمائهن. ومَيَّا: اسم بنت أُدّ بنت مدينة فارقين، فأضيفت إليها؛ فسُمِّيت مَيّا فارقين». فعلى هذا لا ترخيم. و(آل ميّ): كناية عن أهل هذه المحبوبة الحقيقيّة؛ وهم الأولياء الكاملون. وقوله (كان بثّ الهوى): قال في القاموس: «بَثَّ الخَبَرَ يَبُثُّهُ: نَشَرَهُ وفَرَّقَه». يعني: إذا فشا سرّ المحبّة والعشق بشكوى الغرام، وإيراد معاني حقائق المقام لم يكن بقصد منّي ولا مرام؛ وإنّما ذلك من غلبة الحال على جهة الاضطرار، واستيلاء سلطنة الأسرار، وامتلاء القلوب بتجلّيات الغيوب والأنوار. ثمّ قال (إذْ): وهي تعليليّة. و(ذاك): اسم إشارة عائد إلى بثّ الهوى. و(أودى): اسم تفضيل من الوَدَى كفتى؛ وهو الهلاك. يعني: إنّ شكوى الهوى عندي أهلك (أَلَمَيّ): تثنية ألم. والألَم محرَّكة: الوجع، كما في القاموس. وأصله

أَلَمَينِ، فأضيف المثنى إلى ياء المتكلِّم فحُذفت النون، ثمّ أدغمت الياء في الياء. فأَحَدُ الألمين بثُّ الهوى وإظهاره، والآخر كتمانه واستتاره. والأوّل عنده أهلك من الثاني؛ لأنّه يقتضي كشف ستر الغواني، وهتك حجب المعاني.

١٠٦- سِرُّكُمْ عِنْدِي مَا أَعْلَنَهُ   غَيْرُ دَمْعٍ عَنْدَمِيٍّ عَنْ دُمَيّ

(سِرُّكُمْ): يعني يا آل مَيّ. (عِنْدِي): وهو سِرّ المحبّة الإلهيّة الحقيقيّة. (ما أَعْلَنَه): أي أَظهره. (غير دمع عندمي): أي منسوب إلى العَنْدَم؛ هو نبت أحمر. وقوله (عن دُمَيّ): أي هو صادر ـ يعني ذلك الدمع ـ عن دُمَيّ، بضمّ الدال المهملة وفتح الميم: تصغير دم. ذلك كناية عن سيلان حقيقته عن عين الأمر الإلهيّ؛ فكأنّ روحه دمع يسيل عن تلك العين الأمريّة أحمر اللون، ينتج السرور بمعاني الحضور، فكلّ من رآه رأى ذلك السرّ الخفيّ، والعهد الوفي؛ وهم الذين إذا رأوا ذُكِر الله كما ورد في الأثر عن خير البشر.

١٠٧- مُظْهِرٍ مَا كُنْتُ أُخْفِي مِنْ   مِ حَدِيْثٍ صَانَهُ مِنِّي طَيّ

(مُظْهِر): بصيغة اسم الفاعل، نعت لدمع في البيت قبله. وقوله (ما كنت أُخْفي): يعني من حيث حقيقتي العلميّة في غيب الهوية الربّانيّة من قدم بيان لِما كنت أخفي. (حديثٍ): أي كلام ربّاني؛ وهو الكلام المنزل كما قال تعالى: ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ﴾ [٥/ الشعراء/ ٥] يعني: عندهم باعتبار تكلّمهم به، وهو قديم من قديم؛ فالعوالم كلّها قديمة/ [٦٠/ أ] بالعلم والكلام القديمين الإلهيين، ومُحدثة بالعلم والكلام الحادثين للمخلوقين. ثمّ قال (صانه): أي صان ذلك الحديث القديم. (مِنّي طَيّ): وهو مصدر طوى الحديث يطوي: كَتَمَه؛ وذلك لأنّه كان في حقيقته مخفياً، وعن بصيرته مطوياً.

١٠٨- عِبْرَةٌ فَيْضُ دُمُوعِي[1] عَبْرَةً   بِيَ أَنْ تَجْرِيَ أَسْعَى وَاشِيَيّ

(عِبْرَة): بالكسر خبر مقدّم. قال في القاموس: «العِبْرة بالكسر: العَجَب». و(فيض): مبتدأ مؤخَّر، أي: سيلان دموعي. (عَبْرَة): بفتح العين المهملة، أي: حُزْناً، قال في القاموس: «العَبْرَة بالفتح، الدمعة قبل أنْ تفيض، أو تردد البكاء في الصدر، أوالحزن بلا بكاء. والجمع عَبَرَات». والمناسب الأخير. وهذا كناية عن ظهوره من عين الموجودات بطريق الأمر الجاري كلمح البصر، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ [٥٤/ القمر/ ٥٠] وقال تعالى: ﴿يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [٣٤/ سبأ/ ٤٨] وقال تعالى لموسى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ [٢٠/ طه/ ٣٩] وقوله (بِيَ): بتحريك الياء، الجار والمجرور متعلّق بأسعى. و(أنْ): مصدريّة. و(تجري) منصوب بها، بتأويل جريانها، مبتدأ. و(أسعى): أفعل التفضيل خبر المبتدأ. وقوله (وَاشِيَيّ): مثنّى واشٍ؛ وهو النمام الذي يسعى بالفتنة بين الناس. وقد حذفت نون التثنية، وأدغمت الياء في ياء المتكلّم. وأحدُ الواشيينِ الدمعُ، والآخر الذي يسعى بين المحبِّ والمحبوب بإيقاع العداوة، وهو خاطر الأغيار. ولا شك أنّ يد الله فوق أيديهم بالغيريّة، ويده بالنسبة الحقيقيّة.

١٠٩- كَادَ لَوْلَا أَدْمُعِي أَسْتَغْفِرُ الْـ   لَـهَ يَخْفَى حُبُّكُمْ عَنْ مَلَكَيّ

(كاد): أي قارب. و(لولا): حرف امتناع لوجود. و(أدمعي): مبتدأ، والخبر محذوف، تقديره موجودة. (أستغفر الله): جملة معترضة بين كاد ومعمولها. وقوله (يخفى حبُّكم): أي محبَّتكم التي في قلبي.(عن مَلَكَيّ): تثنية مَلَك، بفتح اللام. وقد أُدغمت ياء التثنية في ياء المتكلِّم. وهما المَلَكان الحافظان الموكَّلان بكل إنسان. والملائكة الكرام قال تعالى في حقّهم: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ۝٢٧ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [٢١/الأنبياء/ ٢٧] وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ

(١) في (ق): جفوني.

﴿عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [٨٢/ الانفطار/ ١١-١٢] فقد أخبر تعالى عنهم أنّهم يعلمون ما يفعل العباد. والمحبّة فعل في القلب؛ فلو كانوا لا يعلمونها، وتخفى عنهم لخفي عليهم من أفعال العباد، ولما صدق قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [٨٢/ الانفطار/ ١٢] ولهذا قال: (**أستغفر الله**) أي: من هذه المبالغة في الكتمان للمحبّة المؤدية للخطأ بعد أن ذكر فيها كاد المفيدة للمقاربة.

١١٠- صَارِمِيْ حَبْلَ وِدَادٍ أَحْكَمَتْ بِـاللِّوَى مِنْـهُ يَـدُ الإِنْـصَافِ لَـيّ

(**الصارمُ**): القاطع، وصارِمِيْ: أصله صارِمِيْنَ، جمع مذكر سالم، وهو منادى مضاف إلى حبل. حُذف منه حرف النداء تخفيفاً، والتقدير: يا صارمي. (**حبْل وداد**): الحَبْل بالحاء المهملة والباء الموحّدة معروف. والوِداد: المَوَدّة. كنّى بذلك عن أحبابه من العارفين، ورفقائه في سلوك طريق الله تعالى المشتغلين بشهود تجلّيات ربِّهم عن أنفسهم، وعن غيرهم. ثمّ وصف الوداد الذي بينه وبينهم بقوله (**أَحْكَمَتْ**): أي أتقنت. (**باللِّوى**): وزنه أَلَّي؛ وهو ما التوى من الرمل، أو مُستدقُّه، اسم مكان، كناية عن مقام التجلِّي الأمريّ الملتوي بتصاوير الكائنات على الطريق الأمم في كُن فيكون الذي تجتمع في شهود جميع أهل الله، ويتعاهدون عليه، ويتعارفون لديه؛ لأنّه مشهد ذوقيّ برقيّ. ثمّ يفترقون منه في مقامات شتى. (**منه**): أي من ذلك الحبل. وقوله (**يد الإنصاف**): فاعل أَحكمت. والإنصاف العدل. وقوله (**لَيّ**): مصدر لواه يلويه لَيّاً، قال في القاموس: «لَوَاهُ يَلْوِيهِ لَيّاً ولُوِيّاً، بالضمّ، فَتَلَه وثَنَاه». وهو مفعول أحكمت. والمعنى: يا قاطعين/[٦٠/ ب] حبل ودادي الذي أتقنتْ منه يد العدل منّي فتلاً ولَيّاً فصار محكماً متقناً في المقام والقوّة.

١١١- أَتُـرَى حَـلَّ لَكُـمْ حَـلَّ أَوَا خِـي رُوَى وُدٍّ أَوَاخِـي مِنْـهُ عَـيّ

الهمزة للاستفهام، و(**تُرى**): بضمَ التاء المثنّاة الفوقيّة مبني للمفعول. و(**حَلّ**): فعل ماض ضدّ حَرَّم. و(**لكم**): الخطاب للأحبّة المذكورين في البيت قبله. وقوله

حَلَّ العقدة: نقضها فانحلّتْ. و(أَوَاخِي): بالخاء المعجمة، جمع آخية، كائنة، عود في حائط، أو في حبل يُدفن طرفه في الأرض، ويبرز طرفه كالحلقة يشد فيها الدابّة. وقوله (رُوَي): بضم الراء مقصوراً، أي: فُتِلَ، من رَوَيْتُ الحبلَ: فَتَلْتُهُ. وقوله (أُواخي): فعل مضارع من المؤاخاة؛ وهو ملازمة الشيء، واتخاذه ديدناً. وقوله (منه): أي من ذلك الحبل المذكور. (عَيّ): بالعين المهملة، مصدر عَيِيَ بالأمر، كرضي: لم يَهْتَدِ لوجه مراده، وعَجَزَ. وهو مفعول أواخي. والوقف عليه لغة ربيعة. والمعنى: هل حلّ لكم يا أيها الصارمون لحبل ودادي أن تحلوا حبال فتل الود، أي: فَتْل حِبال الودّ على القلب، وجعلها حبّاً لا؛ لأنّه يخاطب جمعاً؛ فكلّ واحد منهم له حبل ودٌّ مفتول قد حلّه هو، وأفرد الحبل في البيت قبله، لأنّه حبل ودِّه الذي صرموه هم. ومن المعلوم أنّ نقض العهد، وحلَّ عقد الودّ بالإعراض بين الأحباب، وقطع رحم الأصحاب من غير عذر حرام، قال تعالى: ﴿أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ﴾ [٥/ المائدة/ ١] والأمر للإيجاب. وعذر القوم معروف، وبالقبول موصوف؛ لأنّ الاشتغال بالله لم يترك لهم حساً لسواه، ولا تذكراً لمن عداه، ولله درّ القائل:

أدنى الهوى ما يُنسي العبدَ اسمَه ... وأوسطُه نارٌ تأَجّجُ بالوَقْدِ

١١٢- بُعْدِيَ الدَّارِيَّ وَالهَجْرَ عَلَيْـ ... ـيَ جَمَعْتُمْ بَعْدَ دَارِيّ هِجْرَتِيّ

(بُعْدِيَ): بضمّ الباء الموحّدة وسكون العين المهملة مفتوح الياء التحتيّة، وهو مفعول مقدّم لقوله جمعتم، ووصف البعد بالداريّ، أي: المنسوب إلى تميم الداري[1]

(١) هو تميم بن أوس بن خارجة، ينسب إلى الدار، وهو بطن من لخم، يكنّى أبا رقيّة بإبنة له تسمّى رقيّة. كان نصرانيّاً فأسلم سنة تسع من الهجرة. كان يسكن المدينة، ثمّ انتقل إلى الشام بعد مقتل عثمان رضي الله عنه. روى الشعبي عن فاطمة بنت قيس أنّها سمعت من النبي صلّى الله عليه وسلّم يذكر الرجال في خطبته، وقال فيها: حدّثني تميم الداري، وذكر الجسّاسة وقصّة الدجال. وهذا أولى ممّا يخرجه المحدّثون في رواية الكبار عن الصغار. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البرّ ج١ ص١٩٣.

رضي الله عنه الذي اختطفه الجانّ في قصته المشهورة. وهو بعد اختطافٍ من أهله ومعارفه من الناس، بحيث لا يشعر بهم، ولا بأحوالهم لغيبته عنهم، الغيبة الكلّيّة. و(الهجر): معطوف على بُعدي. وقوله (عليّ): بتشديد الياء التحتيّة متعلّق بـ(جمعتم) يعني: يا أيها الأحباب جمعتم عليَّ بُعدَينِ: بُعد الاختطاف الذي اختطفت فيه عنّي وانفصلت مني. وبُعدُ الهجرِ؛ وهو إعراضكم عنّي، واشتغالكم بما ينسيكم إيّاي بالكلّيّة مع أن فنكم فنّي.

والحاصل: إنْ بُعْدَه عنهم بعد الاختطاف وبُعْدَهم عنه بعد الاشتغال. والأحبّة هم السبب عنده في حصول هذين البعدين. ثمّ قال (بُعْدَ دَارَي): تثنية دار، وقد حُذفتْ نون المثنى للإضافة إلى (هجرتيّ): تثنية هجرة، حُذفت منه النون أيضاً للإضافة إلى ياء المتكلِّم. وكنّى بداريّ الهجرتين عن مثل الهجرتين اللتين كانتا للصحابة في عصر النبوّة المحمّديّة: الهجرة الأولى من مكّة إلى بلاد الحبشة؛ وهي الهجرة النفسانيّة، خرج فيها من النفس؛ التي نفس الأمر هي القلب الذي هو بيت الربّ، ولكنّه في جاهليّته مملوء بأصنام الأغيار إلى بلاد حبشة الأكوان المكدّرة بغيريَّة الأطوار. ثمّ الهجرة الثانية، وفيها النورانيّة المحمّديّة من النفس المطمئنّة التي هي القلب أيضاً إلى المدينة المحمّديّة، والحضرة الأحمديّة.

١١٣- هَجْرُكُمْ إنْ كَانَ حَتْماً قَرِّبُوا مَنْـزِلِي فَالبُعْدُ أَسْوَا حَالَتَيّ

[٦٠/ أ] (هجركم): مبتدأ، والخطاب للأحباب. يعني: صدّكم وإعراضكم عنّي لاشتغالكم بي تجلّى، مع احتياجي إليكم في وصول الإمداد الإلهيّ إلى قلبي، وتقوية روحي ولُبّي بالحكم الإلهيّة، والنصائح العرفانيّة. وقوله (إنْ كان): إنْ شرطيّة. واسم كانَ ضمير راجع إلى هجركم. و(حتماً): خبر كان. والمعنى: إنْ كان ولا بدَّ من هجركم لي. (قرّبوا): جواب الشرط. (منزلي): أي اجعلوه قريباً منكم. والمنزل المقام الذي ينزله في حضرة القرب الربّانيّ، والتجلّي الصمدانيّ؛ فإنّه إذا شهد السالك حضرة الغيب المطلق في مظاهر تصاوير المشايخ، ومقادير هياكلهم

الفانية في حضرة العلم الراسخ سهل عليه ما يصدر منهم من الهجر والإعراض، ونجحت مقاصده والأغراض، ونسب التقريب إليهم باعتبار الظاهر بهم، وهو الحقّ، وهم الفانون فيه. و قوله (**فالبُعْد أسوا**): بالقصر، وأصله أسوأ بالهمز على وزن أفعل التفضيل، من السوء، فخفّف بقلب الهمزة ألفاً، ثمّ أضيف أسوا إلى (**حالَتَيّ**): تثنية حالة، فحُذفت نون المثنّى لإضافته إلى ياء المتكلِّم، وأُدغمت الياء في الياء. يعني: إنّ البُعْد أسوأ الحالتين عنده: حالة البعد، وحالة الهجر؛ وإنّما كان كذلك لأنّ حالة البعد يغيب عنه محبوبه الحقيقي، فيشتد عليه أمره، وحالة الهجر لا يغيب عنه غير إقباله عليه فيسهُل الأمر لديه.

١١٤- يَا ذَوِي العَوْدِ ذَوَى عُوْدُ وِدا دِي مِـــنْكُم بَعْـــدَ أَنْ أَيْنَـــعَ ذَيّ

(**يا ذَوِي**): أي يا أصحاب العَوْدِ، بفتح العين المهملة: الرجوع السهل عن مقتضيات الغضب والقهر أو العَود بالإحسان بعد الإحسان (**ذَوَى**) بالذال المعجمة: أي ذبل ويبس. و(**العُوْدُ**): بالضم الغصن. و قوله (**ودادي**): أي محبّتي. يعني المحبّة منكم لي (**بعد أنْ أينع**): أي نضج. قال في القاموس: «يَنَعَ الثمرُ حان قطافه. و(**ذَيّ**): مصدر ذَوَى. وأصله ذيّاً، والوقف عليه لغة ربيعة». يعني: أنتم أصحاب أخلاق حسنة، وطباع مهذَّبة، وقد يبس عود مَوَدّتكم لي، ومحبتكم لجنابي، بعد ما كان أخضر ريّان، وكنت معروفاً بالإحسان.

١١٥- عَهْدُكُم وَهْناً كَبَيْتِ العَنْكَبو تِ وَعَهْـــدي كَقَليـــب آدَ طَـــيّ

يعني: عهدكم من جهة الوَهْن بسكون الهاء، قال في القاموس: «الوَهْن الضَّعْف في العمل، ويحرَّك». (**كبيت العنكبوت**): قال تعالى: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾ [٢٩/ العنكبوت/ ٤١] يضرب به المثل في شدّة الضعف. وكذلك عهد الأحبّة، أي ما يُعهَد منهم؛ وهي صورهم الظاهرون بها في عالم الأكوان، في تجلِّي الرحمن، فلا تُمنع قوة البصائر من شهود الملك الحقّ عند ذوي

العرفان. وقوله (وعَهْدي): أي ما يعهد الناس منِّي من صورتي الظاهرة والباطنة. (كقَليب): أي بئر. (آدَ): بالمدّ، أي اشتدّ وقوي. (طَيّ): أصله طَيّاً، وهو تمييز، أي: من جهة طيِّه، وهو تعميره. والمعنى: إنَّ ما يُعهد منِّي مثل البئر المعمورة التي اشتدّ وقوي بنيانها، قال تعالى: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ [٢٢/الحج/ ٤٥] فقال بعضهم: البئر المعطّلة قلب الكافر. والقصر المشيد قلب المؤمن، وهنا البئر المعمورة الشديدة الطَيّ القويَّة البنيان قلب السالك، ينتفع به الوارد والصادر بإدلاء دلو السؤال، فتخرج منه الحِكَم والنوادر.

١١٦- يَا أُصَيْحَابِي تَمَادَى بَيْنُنَا وَلِبُعْدِ بَيْنَنَا لَمْ يُقْضَ طَيّ

(الأُصَيْحاب): تصغير أصحاب للتعظيم. يُكَنِّي بهم عن الملائكة الحفظة الملازمين له؛ لشرف مقامهم وإنْ كانوا على حال لا يقبل الترقّي، والإنسان يقبل الترقِّي و(تمادى)/ [٦١/ب] تطاول. و(بَيْنُنا): بضمّ النون، أي: فراقُنا. وقوله (لِبُعْدِ بيننا): بين ظرف مبني على الفتح، أي: كائن بيننا. وقوله (لم يُقضِ): بضمِّ الياء التحتيّة مضارع مبني للمجهول. و(طَيّ) نائب الفاعل، وهو مصدر طواه يطويه: قطعه وأمضاه. والمعنى: أنّه يشكو إلى أصحابه أنّ فراق محبوبه تطاول عليه، وما ذلك إلا لبعد بينه وبينه لم ينقضِ طيّه، وهذا البعد أمر لازم ؛ إذ لا مناسبة بين الوجود والعدم، ولا بين الحدوث والقِدم.

١١٧- عَلِلُوا رُوْحِي بِأَرْوَاحِ الصَّبَا فَبِرَيَّاهَا تُعِيْدُ المَيْتَ حَيّ

(عَلِّلُوا): فعل أمر، أي: اشغلوا، قال في القاموس: «تَعَلَّلَ بالأمر: تَشاغَل، وعَلَّلَهُ بالطعام وغيرِه تَعْلِيلاً: شغله به». وقوله (رُوحِي): أي اشغلوها عن شكوى الفراق، وبُعد التلاق. والفراق يقتضي وصلة سابقة، وهي حضور المعلوم في حضرة العلم الأزلي، حضور معدوم في موجود؛ فلمّا تَجلَّى عليه الوجود فارقه، وبعد عنه، فشكا الفراق على طريق العشّاق، وظهر له البعد الذي لا ينقضي أبداً،

وتبين عدم المناسبة له؛ فازداد غماً وكمداً، فطلب من أصحابه أن يشغلوا روحه المتوجِّهة من حضرة الأمر الإلهيّ على الأمر الإلهيّ بأرواح. (**الصَّبَا**): قال في القاموس: «الصَّبَا ريح مَهَبُّهَا من مَطْلع الثُّرَيَّا إلى بنات نعش». يُكَنِّي بها عن الروح الأعظم الظاهر عن الأمر الإلهي بغير واسطة عن ثُرَيَّا الأسماء الربّانيّة. وبنات نعش التقادير الأزليّة من الحضرة العلميّة. وأرواح تلك الصَّبَا كناية عن الأرواح المنفوخة في الهياكل النورانيّة والترابيّة الراضية المرضيّة. ثمّ قال (**فَبرَيَّاها**): بالتشديد للياء، وهي الريح الطيِّبة. يعني: بطيب روائح هاتيك الأرواح المذكورة (**تُعِيد الميت حَيّ**): أي حيّاً، والسكون لغة ربيعة. يعني: تحيي الميت بروائح أنفاسها من طيب غراسها. وفي نسخة يعود الميت حيّ؛ فإنّ الأرواح المنتشرة عن الروح الأعظم كانتشار أشعة الشمس عن قرص الشمس، هي التي تحي الأجسام بانتشارها عليها. أو الروح الأعظم الذي هو يحيى بها ما انتشرت عليه أرواحه، وأصل الأحياء للاسم المحيي المتجلِّي بصيغة الأمر في ذلك الروح، متجلّياً على حقيقة يوحَ من باب الفتوح.

١١٨- ومتى ما سِرَّ نَجْدٍ عَبَرَتْ عَبَّرَتْ عن سِرِّ مَيٍّ وأُمَيّ

(سِرَّ): بكسر السين المهملة وتشديد الراء: بطن الوادي وأطيبه، وما طاب من الأرض وكَرُم، وخالص كلّ شيء، كما في القاموس. وهو منصوب على أنّه مفعول. (**عَبَرَتْ**): مضاف إلى (**نجد**): وهو ما أَشْرَف من الأرض، والطريق الواضح المرتفع، وما خالف الغَور، أي: تِهامة، مذكَّر، أعلاه: تِهامة واليمن، وأسفله: العراق والشام، وأوّله من جهة الحجاز: ذات عِرق. كذا في القاموس. كِناية عن عالم الهياكل الطيِّبة الظاهرة، والأجسام الزكيّة، بالأخلاق الفاضلة الزاهرة. وقوله (**عَبَرَتْ**): بفتح العين المهملة وفتح الباء الموحّدة، والتاء لتأنيث الفاعل. والفاعل ضمير راجع إلى أرواح الصَّبَا في البيت قبله. ومعنى عبرت:

دخلت وجازت. يقال: عبر الوادي مَرَّ به وقطعه. يعني: متى ما مرّت هذه الأرواح الطيِّبة على هذه الهياكل الطاهرة. (عَبَّرَتْ): بتشديد الباء الموحَّدة، من التعبير وهو الإخبار. يقال: عبَّرعمّا في نفسه: أعرب وأخبر. وقوله (عن سِرّ): بكسر السين المهلة أيضاً قال في القاموس: «السِّرّ: ما يُكتم كالسَّرِيرَة. والجمع أسرار. (مَيَ): ترخيم مَيَّة، وهي محبوبة غيلان ذي الرِّمة. و(أُمَيّ): بضمّ الهمزة وفتح الميم ترخيم أميّة أيضاً: اسم امرأة، رخماً على غير القياس لضرورة الوزن والقافية. كنّى بهاتين المحبوبتين عن حضرة الذات الإلهيّة، وحضرة الأسماء الربّانيّة. يعني: لا يكون من التعبير عن ذلك إلا بعد/[٦٢/أ] هبوطها إلى هياكلها الطبيعيّة وأجسامها النورانيّة، فإنّها ما أدركت الكمال إلا في عالم الكثافة، وهو عين حقيقة اللطافة ، قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه من أبيات له:

ولا فخر إلا في الجُسوم وكونها ... مولِّدة الأرواح ناهيك من فخر

١١٩- ما حَديثي بِحَدِيثٍ كَمْ سَرَتْ ... فأَسَرَّتْ لِنَبِيٍّ مِنْ نُبَيّ

(ما حديثي): أي كلامي الذي أحدِّثكم به. يعني: معناه الذي أريده. (بِحَدِيثٍ): أي حادث؛ بل هو قديم، لأنه من كلام الله القديم، يلقي تراكيبه وجمله في نفسي بطريق الفيض والإلهام وإنْ كان ذلك من قسم النظام، قال الشيخ الأكبر:

كلامنا ليس بشعر ولا ... من شاعر بل وارث مصطفى

أنطقه الله به مثل ما ... أنطق أهل الدين والاصطفا

وقوله (كم سرت): فاعله ضمير عائد إلى أرواح الصَّبَا في البيت السابق. (وسرت): من السُّرى كالهُدى، وهو سيرعامّة الليل. سرى يسري، وذلك لأنَّ عالم الأجسام ليل مظلم، فسير أرواحها فيها سيرٌ في ليل مظلم. وقوله (فأسرّت): من الإسرار، وهو السرّ ضدّ الجهر، أي: أخبرت خفية لنبئ فقيل بمعنى مفعول. أي: مخبر مَنْ غيره. أو بمعنى فاعل مخبر لغيره، وهو صاحب النبوّة. وقوله (من نُبَيّ):

تصغير نَبَأ، وهو الخبر، متعلّق بأَسرّت. والمعنى: إنّ الأولياء إذا ورثوا الأنبياء في علومهم يرثوها بكيفيّة تلقّيها من حضرة الغيب لا بطريق التعليم؛ فإنّ الأنبياء عليهم السلام ما تلقَّوها بطريق التعليم من غيرهم، وكذلك الأولياء عليهم الرضوان.

١٢٠ - أيْ صَبَا أَيُّ صَباً هِجْتِ لَنا   سَحَراً مِنْ أَيْنَ ذَيّاكَ[١] الشُّذَيّ

(**أَيْ**): بفتح الهمزة وسكون الياء، حرف نداء للقريب. و(**صَبَا**): بفتح الصاد المهملة، منادى، وهو ريح الصَّبَا، كَنَّى به عن عالم الأرواح الأمريّة، كما مرّ. وقوله (**أيّ**): بتشديد الياء، استفهاميّة. أو دالَّة على معنى الكمال، صفة موصوف محذوف، تقديره: (صَباً) بفتح الصاد المهلة، من الصَّبْوَة، وهو جَهْلة الفتوَّة. صَبَا يَصْبُو: وأصله الميل، صَبَا إليه: مال وحنّ. يعني: يا أيها الصَّبَا، أيّ ميلٍ وحنين إلى الأحبّة. (**هِجتِ**): بكسر الهاء وكسر التاء المثنّاة الفوقيّة، خطاب لريح الصَّبَا. وهو فعل ماض، من هَاجَ يَهِيْجُ هَيْجاً وهِياجاً بالكسر: أثار. وقوله (**لنا**): أي لذلك الصَّبَا والميل كائناً لنا، ونحن موصوفون به؛ لكنّه كان ساكناً فهِجته علينا. وقوله (**سَحَراً**): أي وقت السحر، وهو قبيل الصبح أواخر الليل، وهو وقت نزول الربِّ إلى السماء الدنيا كما ورد في الخبر[٢]، أي: ظهوره متجلياً بعالم المحسوسات.

قال عفيف الدين التلمسانيّ:

أسكرتِ بانَ الحيِّ يا نسمةَ السَّحَر   فهل أتيتِ عن الأحبابِ بالخبرِ

إلى آخر الأبيات، وهي في ديوانه المشهور. وقوله (**من أين**): أي من عالم الكون، أو من عالم العين المغيّبة عنا. (**ذيّاك**): تصغير ذاك، اسم إشارة للبعيد.

---

(١) في (ق): هاذي.

(٢) إشارة إلى قوله صلّى الله عليه وسلّم فيما أخرجه مالك في الموطأ، كتاب الحج، باب: المواقيت. والبخاريّ في صحيحه، كتاب: الدعوات، باب: دعاء نصف الليل، ٦٣٢١: «يتنزّل ربّنا كلّ ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى الثلث الأخير من الليل فيقول: من يدعوني فأستجيب له، ومن يسألني فأعطيه، ومن يستغفرني فأغفر له».

(والشُّذَيّ): بضمٍّ الشين المعجمة وفتح الذال المعجمة، وتشديد الياء، مصغَّر الشَّذَا، بالقصر، وهو: قوة ذكاء الرائحة. يعني: من أين قُوَّة هذه الرائحة الفائحة التي دخلت في أنوفنا، فَسَرَتْ فينا حتى أعقبتنا فناء نفوسنا. وأصله الرُّوْح، بالضمِّ النفخ ، وحكم الله وأمره، والقرآن، والوحي، وجبريل، وعيسى عليهما السلام، وما به حياة الأنفس كما في القاموس وهو للحقّ الوجود المتجلّي كالرائحة للمسك تُدرك بالشمّ ،ولا يُدرك المسك منها ما لم يعلم من قبل الرؤية ونحوها، فلو شممنا رائحة لا تشبه الروائح لا يمكن أن نستبدل/ [٦٢/ ب] بها على ما هي له من الأشياء. وقد وقع لنا مرّة أننا كُنّا داخلين مع جماعتنا على بلاد الخليل، وهي حبرون في زمن الربيع فشممنا رائحة زهرمن أعطر الروائح، وعجزنا نحن وجماعتنا عن معرفة ذلك الشيء الذي تخرج منه تلك الرائحة فلم نقدر على معرفته، ومضينا.

١٢١- ذَاكَ أَنْ(١) صَافَحْتِ رَيَّانَ وَتَحَرَّشْتِ بِحَوْذَانِ كُلَيّ

(ذاك): أي الشذا المذكور شممناه منكِ يا ريح الصبا. (أنْ): بفتح الهمزة وسكون النون، أي: لأنّ لأي من أجل أنْ (صافحتِ): بكسر التاء المثنّاة الفوقيّة خطاب لريح الصّبَا، أي: مَسَسْتِ في حال مرورك. (ريّان): ضدّ عطشان. (الكَلا): بالفتح العشب النابت في الصحارى والقفار، كناية عن الأسرار المحمّديّة، والأنوار الأحمديّة التي بدأ بها الله تعالى خلق الأكوان، ولأجلها تفصلت حقائق الأعيان. قوله (وتَحَرَّشْتِ): بالشين المعجمة وكسر التاء أيضاً، خطاباً لريح الصَّبَا. واحترش بالشيء: تصدّى له وقصده، أي: تصدَّيت وقصدت وتعرضت. (بحَوْذان): وهو اسم بنت، بالحاء المهملة، بعدها واو ، وذال معجمة، وألف ونون، قال في القاموس: «الحَوْذان نَبْت» وقد كنَّى به ههنا عن الجناب الإلهيّ الغيبيّ الذي لا يُدرك، ولا يُترك؛ فمن تحرَّشَ به لا يصل إليه، ولا يقدر أنْ

---

(١) في (ق):إنْ.

يهجم بعقله عليه، ثمّ أضافه إلى قوله (كُلَيّ): بضمّ الكاف وفتح اللام وتشديد الياء، مصغّر كِلَى بكسر الكاف، قال في القاموس: «كُلى الوادي: جوانبه" كناية عن جوانب وادي الأكوان؛ فإنّها مظاهر تجلّيات الرحمن. ومعنى ذلك: إنّ هذه الرائحة لعلّها فاحت لدينا من أحد هذين الأمرين، وليس بعد الله ورسوله عين هي أشرف عين، وقدّم الكناية الأولى، لأنّه ترقّى في البين، والمصافحة مناسبة للحقيقة المحمّديّة، كما أنّ التحرش يناسب الثاني، المنزل المثاني.

١٢٢- فَلِـذَا تُـرْوِي وَتَـرْوِي[1] ذَا ... وَحَـدِيْثاً عَـنْ فَتَـاةِ الحَـيِّ حَـيّ

(فلِذا): أي فلأجل ما ذكر من المصافحة والتحرُّش (تُرْوي): بضمّ التاء، مضارع أرواه، يقال: أروى العطشان إذا أشبعه من الماء. و(تَرْوي): بفتح التاء، رويت الحديث أرويه: نقلته. وقوله (ذا): أي صاحب. (صدى): أي عطش، مفعول تروي الأوّل. (وحديثاً): أي كلاماً معطوف على ذا صدى، وهو مفعول تروي الثاني؛ ففي الكلام لفٌّ ونشرٌ مُرَتَّب. وقوله (عن فتاة الحَيّ): متعلّق بتَرْوي الثاني. وكنّى بـ(فتاة الحيّ): عن الحضرة الأسمائيّة الإلهيّة التي مبدؤها الاسم الحَيّ، وكونها فتاة: أي ظاهرة في كلّ حين بتجلٍّ جديد؛ فهي فتاة دائماً. وقوله (حَيّ): صفة حديثاً، وقف عليه في لغة ربيعة، والحيّ: الحقّ. قال في القاموس: «لا يعرف الحَيَّ من اللَّيّ، الحقّ من الباطل».

١٢٣- سَائِلِي مَا شَفَّنِي فِي سَائِلِ الدْ ... دَمْـعِ لَـوْ شِـئْتَ غِنَـىً عَـنْ شَـفَتَيّ

(سَائِلي): أي يا سائلي. (ما): استفهاميّة. و(شَفَّني): نَحَّلَنِي وهَزَلني، قال في القاموس: «شَفَّ جِسمُهُ شُفُوفاً: نَحَل، وشَفَّهُ الهَمّ: هَزَلَه». يعني: أي شيء شفَّني، بمعنى أسقمني وأنحلني. وقوله (في سائل): أي جارٍ، من السيلان، وهو جريان

---

(١) في (ق): تَروي وتُروي.

الدمع، وهو ماء البكاء. كناية عن المعاني التي تفيض من عين بصيرته، أي: معاينتها للحقائق الإلهيّة، بحيث تظهر شواهدها في أثناء عبارته من غير قصد منه، من قبيل قول العفيف التلمسانيّ قدّس سرّه:

ولا تنطقوا حتى ترَوا نطقها بكم يلوح لكم منكم فتلك شؤونها

كالعارف ساكت، والحقّ ينطق على لسانه بالمعاني الفائضة على قلبه. وقال الجنيد رضي الله عنه لـمّا سُئِل عن التوحيد فأجاب بكلام لم يفهمه السائل فطلب /[٦٣/أ] منه أن يعيده، فقال: «إنْ كنت أجريه فأنا أمليه». وقوله (لو شئتَ): يعني يا أيها السائل. (غِنَىً): مبتدأ مؤخَّر، وخبره المقدّم قوله: في سائل الدمع. والغِنى للاستغناء. (عن شفتيّ): تثنية شَفَة. يعني: عن الكلام الذي يخرج من بين الشفتين قصداً منه له؛ فإنّه إذا اشتغل القلب واستغرقه شغله سكت اللسان عنه عنده فلا ينطق إلا بإنطاق الحقّ تعالى له كما قال: ﴿أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [٤١/ فُصِّلت/ ٢١] وذلك أنّ الحقّ تعالى إذا كان لسان العارف على حسب المعنى الذي أراده النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في حديث المتقرِّب بالنوافل: «كنت لسانه الذي ينطق به»[1] سلب اللسان عنه عنده ؛ بل سلبه كلَّه مستولياً على حقيقته الفانية بحقيقته الباقية، ظهرت العين الواحدة في قلبه وسالت دموع العلوم؛ فحصلت الكفاية بذلك لأهل العقول والفُهوم.

١٢٤-عُتْبُ لَمْ تُعْتِبْ وَسَلْمَى وَحَمَى أَهلُ الحِمَى رُؤْيَةَ رَيّ

(عُتْب): بضمّ العين المهملة وسكون التاء المثنّاة الفوقيّة، عَلَم امرأة. وقد كَنّى بذلك عن الروح الإنسانيّة المتوَجِّهة من عالم الملكوت الأعلى لتدبير هذا الهيكل الإنساني. وقوله :(لم تُعْتِب): بضمِّ التاء المثنَّاة الفوقيّة، أي: لم ترفع العتب، أي: المَلام، يقال: فما أعتبني، أي: ما أزال عنّي بسبب عتبي. يعني: أنّها دائماً تكثر

(١) انظر تخريجه ص١٤٦.

العَتْب عَلَيّ فِي جميع أفعالي وأقوالي وأحوالي؛ لأنّها من العالم الأعلى، وأنا من العالم الأدنى. وهي من العالم النوراني، وأنا من العالم الظلماني. وهي من العالم الأمر، وأنا من عالم الطبيعة. ثمّ قال (وسلمى): وهي اسم محبوبة مشهورة. كنّى بها عن النفس الإنسانيّة. ثمّ قال (أسلمتْ): أي سلّمت الأمر، ولم تنازع شيئاً، من قبيل قول الشيخ الأكبر قدّس سِرُّه:

فأسلمتْ ووقانا الله شِرَّتَها وزَحْزَح الملكُ المنصورُ إبليسا

(وحَمَى): أي منع أهل الحِمَى، قال في القاموس: «الحِمى كإلى ما حُمِيَ من شيء». وكنّى بأهل الحِمى عن الأسماء الإلهيّة. وقوله (رؤيةَ رَيّ): أي ريّا مرخّم، وهو اسم محبوبة، كنّى بها عن الذات الإلهيّة المحميّة بأسمائها الحسنى لكثرة ظهور آثار أسمائها المختلفة، قال العفيف التلمسانيّ قدّس سرّه:

منعتها الصفات والأسماء أنْ تري دون برقع أسماء

فالأول جمع اسم، والثاني اسم واحد، عَلَم على المحبوبة، أصله مقصور، وقد مدّه الناظم للضرورة الشعريّة:

١٢٥ - والّتي يَعْنُو لَهَا البَدْرُ سَبَتْ عَنْوَةً رُوْحِي وَمَالِي وَحُمَيّ

(**يعنو**): يخضع ويذل. و(**البدر**): كناية عن الإنسان الكامل الذي قابل الشمس الأحديّة بكلّه، ولم يبقَ فيه فضلة لمقابلة شيء أصلاً، فلا تدخل عليه الظلمة من جهة أبداً؛ لارتفاع الحجب كلّها عنه؛ فقد امتلأ من النور الأحديّ. ولم ينتقل النور الأحديّ إليه، ولا حلّ في شيء منه أصلاً؛ إذ لا شيء معه، وإنّما هي مراتب ينزلها؛ فتظهر به ويظهر بها، كما قلنا في مطلع قصيدة:

ظهرتَ يا نورُ والسِّوَى عَدَمُ فأشرقَتْ من ظهوركَ الظُّلَمُ

وقوله (**سَبَتْ**): فعل ماض من سَبَى العدوَّ سَبْياً وسِبَاء: أسَرَه. و(**عَنْوَة**): أي قهراً وغلبة. (**روحي**): مفعول سبت، فصارت روحي ملكاً لها، فصارت روحها،

وظهر قوله تعالى: ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴾ [١٥/الحجر/٢٩]. (ومالي): معطوف على روحي. يعني: جميع ما أملكه فصار ملكها من قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا ﴾ [١٩/مريم/٤٠] وإنّما ينتقل الإرث بعد موت المورِّث. وهنا انتقل بالسبي والقهر والغلبة. وقوله (وحُمَيّ) بضمٍّ الحاء المهملة وفتح الميم مضافاً إلى ياء المتكلِّم، مصغَّر حِمَى، بكسر الحاء، وهو ما يُحمى من كلِّ شيء/[٦٣/ ب] من دار، أو أرض، أو جهة، أو بلاد، ولله درّ القائل:

لا تقــلْ دارُهــا بــشرقيّ نجــدٍ كــلُّ نجــدٍ للعامريّــة دارُ

١٢٦- عُدْتُ مِمَّا كَابَدَتْ مِنْ صَدِّهَا كَبِدِي حِلْفَ صَدَىً والجَفْنُ رَيّ

(عُدْتُ): أي صرت. (مما كابدت): أي قاست، من المكابدة بمعنى المقاساة. وقوله (من صَدِّها): أي المحبوبة. والصّدّ الإعراض والهجر. و(كبدي): فاعل كابدتْ. وقوله (حِلْفَ) بكسر الحاء المهملة وسكون اللام، المحالف المعاشر. و(الصدى): العطش. يعني: من كثرة التعطُّش والتشوُّق إلى لقاء المحبوبة، ولقاؤها ممتنع. (والجَفْن): أي جَفْن العين. (رَيّ): أي ريّان من كثرة البكاء.

١٢٧- وَاجِداً مُنْذُ جَفَا بُرْقُعُهَا نَاظِرِي مِنْ قَلْبِهِ فِي القَلْبِ كَيّ

(واجداً): بالجيم، من الوُجدان، وهو حال من فاعل عُدتُ وهو التاء. (منذ): اسم مبني على الضم. (جَفَا): أي هجر ولم يصل. (بُرقُعُها): فاعل جَفَا، والبُرقُع بضمّ الباء وضمّ القاف، وتُفتَح أيضاً: ما تَستُر به المرأة وجهها. كنّى بالبرقع عن الإنسان الكامل الذي هو غطاء على وجه الحقّ، وهو غطاء هالك، أي: فانٍ مضمحِلٌ عن نفسه كما قال تعالى: ﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ [٢٨/القصص/٨٨] ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ [٥٥/الرحمن/٢٦-٢٧] وقوله (ناظري): مفعول جفا، والناظر: العين، أي: كلّ ما ينظر مِنّي فيشمل الحواس كلّها والعقل؛ وهو

بعد الإنسان الكامل عنه في شيخه أو في نفسه لتحقّقه بالفناء في العيان، وغيبته عن عوالم الإمكان. وقوله (**من قلبه**): أي قلب برقع، وهو عقرب، ويُشبَّه به شعر الأصداغ. كناية عن حجب الآثار الكونيّة من أهل الغفلات الطبيعيّة، كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا﴾ [٧١/ نوح/١٧]. وقوله (**في القلب**): أي الفؤاد. (**كَيّ**): مصدر كَوَاه يَكْوِيه كَيّاً: أحرق جلده بحديدة ونحوها، وهي المِكْوَاة. والكَيَّة: موضع الكَيّ، كذا في القاموس، وهو التعشُّق بملاح الأكوان، لأنّها آثار تجلّيات الأسماء الحسان.

١٢٨ - وَلَنَا بِالشِّعْبِ شَعْبٌ جَلَدِي بَعْدَهُم خَانَ وَصَبْرِي كَاءَ كَيْ

(**الشِّعْب**): بكسر الشين المعجمة: الطريق في الجبل، كناية عن عالم الأجسام العنصريّة. (**وشَعْب**): بفتح الشين المعجمة وسكون العين المهملة: قبيلة عظيمة، وهي كناية عن حضرات الأسماء الإلهيّة المتجلّية بإظهار الأكوان. وقوله (**جَلَدي**): محرّكة، أي: قوّتي. (**بعدهم**): أي بعد فراقي لهم بانحراف خاطري عن مراقبتهم ومشاهدة ظهورهم في الأثار الكونيّة. وقوله (**خان**): بالخاء المعجمة من الخيانة خلاف الوفاء، أي: لم يسعفني، ولم يثبت معي في تحمّل مشقات بُعدهم عنّي. (**وَصَبْري كاء**): أي ضَعُفَ وَجَبُنَ. وقوله (**كَيْ**): أصله كيئاً، مصدر كاء، فحُذفت الهمزة تخفيفاً، والوقف عليه بالسكون لغة ربيعة.

١٢٩ - حَلَفَتْ نارُ هَوَىً(1) حَالَفَنِي لَا خَبَتْ دُوْنَ لِقَا ذَاكَ الخُبَيّ

(**حَلَفَتْ**): أقسمت. (**نارُ هَوَىً**): أي حرارة محبَّتي التي هي كالنار في الحرقة. وفي نسخة جَوَى، أي: وجد وشوق، والتنكير للتعظيم. وقوله (**حالفني**): بالحاء المهملة، أي: لازمني وعاهدني، قال في القاموس: «الحِلْف، بالكسر: العَهْد بين القوم والصَّداقة، والصديقُ يحلف لصاحبه ألا يَغْدُر به، وحالفه عاهده ولازمه».

---

(١) في (ق): جوى.

(**لا خَبَتْ**): لا سَكَنَتْ، ولا انطفأتْ. (**دون لقا**): بحذف الهمزة لضرورة الوزن، أي: إلا أن تلاقى، أي: تجد بالمعاينة ذاك. (**الخُبَيّ**): بضمِّ الخاء المعجمة وفتح الباء الموحّدة، مصغر الخِبَاء. والخِبَاء ككِساء، من الأَبْنِيَة، يكون من وَبَرٍ، أو صُوف، أو شَعَر، كما في القاموس. كنّى بذلك/[٦٤/ أ] عن الصور الحسيّة والمعنويّة الظاهرة بطريق التأثر عن الأسماء الإلهيّة. والإشارة بذلك الخُبَيّ إلى جنس الخِباء؛ إذ لا يكون خِباء واحداً محمياً إلّا وهو محفوظ بأخبية كثيرة. وأيضاً فإنّ كلّ أثر في الكون توجّهت على إظهاره جميع الأسماء الإلهيّة، باعتبار أنّ كلّ اسم منها جامع لكل اسم قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [١٧/ الإسراء/ ١١٠].

١٣٠- عِيْسَ حَاجِي البَيْتِ حَاجِي لَوْ كَـنُ أَنْ أَضْـوِي إلى رَحْلِـكِ ضَيّ

(**العيس**): بكسر العين المهلة وسكون الياء التحتيّة: إبِل بيض، يخالط بياضها شُقْرَة، كذا في القاموس. (**حاجي**): بتخفيف الجيم لضرورة الوزن. وأصله حاجِّي بالتشديد، جمع حاجّ، وحُذفت النون للإضافة إلى (**البيت**): أي بيت الله تعالى، وهو الكعبة. والمعنى: يا عِيسَ الحاجِّين إلى بيت الله تعالى. وقوله (**حاجي**): يعني حاجاتي، قال في القاموس: «الحُوْج، بالضمِّ: الحاجة، وجمعه: حَاج وحاجات وحَوائِج». وقوله (**لو أُمَكَّنُ**): بضمِّ الهمزة وفتح الميم وتشديد الكاف مفتوحة، على البناء للمفعول. (**أَنْ**): مصدريّة. (**أَضْوِي**) بالضاد المعجمة مضارع ضَوَى يَضْوِي ضَيّاً وضُوِيّا: انْضَمّ ولَجَأ، كما في القاموس. (**إلى رَحْلِكِ**): بالحاء المهملة وكسر الكاف، خطاب للعِيس. والرحل: مركب البعير، أي: موضع الركوب منه. وقوله (ضَيّ): بالضاد المعجمة، أصله ضَيّاً، مصدر مؤكّد لأَضوي، وإسكانه لغة ربيعة. كنّى بالعيس عن عالم الأجسام، وبحاجّي البيت عن الأرواح الكاملة المتوجّهة بالهمم العالية إلى حضرات التجلّيات الإلهيّة في العوالم الإمكانيّة. ومعنى قوله (لو أُمَكَّنُ): أي يمكِّنُنِي منه أنا في تصرّف أمره أنْ أنضمّ وألتجئ إلى جملة

الراكبين السائرين على تلك العيس إلى حضرة الغيب المطلق.

١٣١- بَلْ عَلَى وِدِّي بِطَرْفٍ[1] قَدْ كُنْتُ أَسْعَى رَاغِباً عَنْ قَدَمَيّ

(بل): حرف إضراب. (على وِدّي): أي محبَّتِي، متعلِّق بقوله دَمِي. يعني: على حسب ذلك الذي أجد من المحبّة وبمقتضاه. وقوله (بطَرْفٍ): متعَلِّق بأسعى. و(الطَّرْف): العَين. و(دَمِيَ): فعل ماض، أي: جرى دمه مكان الدمع من كثرة البكاء. وقوله (كنت أسعى راغباً): أي معرضاً. (عن قدميّ): تثنية قدم. والمعنى: لو أتمكَّن من الانضمام والالتجاء إلى هؤلاء الركب السائرين إلى بيت الله الحرام كنت أسعى على قدميّ معهم؛ بل كنت أسعى بعيني الدامية من البكاء على محبَّتي التي أجدها لهم، معرضاً عن المشي على قدميّ؛ وهم ركب العارفين من أهل الكمال، السالكين في مقامات الجلال والجمال.

١٣٢- فُزْتِ بِالمَسْعَى الذِي أُقْعِدْتُـهُ وَعَاوِيكِ لَهُ دُونِيَ عَيّ

(فُزْتِ): بضمِّ الفاء وسكون الزاي وكسر التاء المثَنَّاة الفوقيّة، خطاباً للعِيس. و(المَسْعَى): مكان بين الصفا والمروة. كناية عن مقام تحقيق الشهود، بالتردد بين الصفا الروحانيّة، ومروة الجسمانيّة، سبعة أشواط الصفات المعنويّة؛ شوط الحياة الإلهيّة الساري أثرها في عالم الطبيعة العنصريّة، وشوط العلم القديم الممد للعقول والحواس الكونيّة، وشوط الإرادة الربّانيّة المؤثرة في النفوس الإنسانيّة، وشوط القدرة الأزليّة الظاهرة بإظهار القوى الإمكانيّة، وشوط السمع الإلهيّ المؤثر بإظهار السمع الكوني، وشوط البصر الرحمانيّ المؤثّر بإظهار البصر الحادث، وشوط الكلام الحقّ المؤثّر بإظهار المعاني والحروف والأصوات. وقوله (أُقْعِدْتُ): بضمِّ الهمزة وسكون / [٦٤/ ب] القاف وكسر العين وضمّ التاء، على أنّه مبني للمجهول، أي: أقعدني الحظ والقصور في الهمّة والحال عنه، أي: عن

---

(١) في (ق): بجفنٍ.

ذلك المسعى. وقوله (وعاويكِ): بالعين المهملة، بعدها ألف فواو، وبكسر الكاف: خطاب للعيس، معطوف على التاء في فزتِ، أي: وفاز عاويكِ. و(العاوي): اسم فاعل من عَوَى يَعْوِي عَيّاً: لَوَى خَطْمَه. يعني: زمام ناقته، ثُمَّ صَوَّتَ، أومَدَّ صَوْتَه ولم يُفْصِح، و ـ الشيء عَطَفَه، كذا في القاموس. والمعنى: فُزْتِ يا أيتها العِيس بالمسعى المذكور، وفاز أيضاً من لَوَى زمامك وعطفك له، أي: للمسعى المذكور دوني، حيث لم أفز أنا بمثل ذلك، وقوله (عَي): مصدر مؤكّد لاسم الفاعل وهوعاويك، وأصله عيّاً، وسكونه في لغة ربيعة.

١٣٣ - سِيءَ بِي إنْ فَاتَنِي مِنْ فَاتِنِي الْـ ـخَبْتِ مَا جُبْتُ[1] إلَيْهِ السَّيَّ طَيّ

(سِيْءَ): بكسر السين المهملة، وسكون الياء وفتح الهمزة، فعل ماض مبني للمفعول، من ساءه سَوْءاً: فعل به ما يكره. (بي): أي فعل الله تعالى بي ما أكره. (إنْ فَاتَنِي): من الفَوْت قال في القاموس: «فَاتَه الأمرُ فَوْتاً وفَوَاتاً: ذهب عنه». وقوله (مِنْ فَاتِنِي): جمع فاتِن، من فَتَنَهُ يَفْتِنُهُ وفُتُوناً، والفِتْنَة بالكسر: الخِبْرَة، والضلال، والإثم، والفضيحة، والعذاب، والجنون. والمِحْنَة. وأصل فاتِنِي: فاتِنِينَ، حُذفت منه النون لإضافته إلى (الخَبْتِ): بالخاء المعجمة المفتوحة وسكون الباء الموحّدة وكسر التاء المثنّاة الفوقيّة، وهو المُتَّسِع من بُطون الأرض، وصحراء بين الحرمين، كذا في القاموس. كنّى بذلك عن حضرة الأسماء الإلهيّة الظاهرة بإظهار آثارها من العوالم الإمكانيّة. ومعنى كونها فاتنة الخَبْت: أي مثيرة في علوم الإمكان بمَنْ هي أسماؤه؛ وهو الحقّ تعالى أحوالاً مختلفة، وأعمالاً متقابلة، وأقوالاً متباينة، كما قال تعالى حاكياً عن موسى الكليم عليه السلام: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِي مَن تَشَآءُ﴾ الآية [٧/الأعراف/ ١٥٥]. وقوله (ما): أي الأمر العظيم الذي (جُبْتُ): بضمّ الجيم وسكون الباء الموحّدة وضمّ التاء، ضمير

(١) في (ق): خُبّتْ.

المتكلِّم، أي: قطعت (إليه): أي إلى ذلك الأمر العظيم، أي: لأجل حصوله، والوصول إليه. (السَّيّ): بفتح السين المهملة وتشديد الياء التحتيّة: الفلاة، واسم موضع، كذا في القاموس. كنًّى به عن طريق المجاهدة، وسبيل السلوك إلى ملك الملوك. وقوله (طَيّ): مصدر طَوَى الأرض يَطْوِيهَا طَيّاً: قطعها. وهو مفعول مطلق مؤكد لقوله (جُبْتُ): من حيث معناه كقولهم قام وقوفاً، وقعد جلوساً، والوقف عليه بالسكون لغة ربيعة.

١٣٤- حَاظِرِي مِنْ حَاضِرِي مَرْمَاكِ دِي قَــضَاءٍ لَا اخْتِيــار لِــيَ شَيْ

(حاظِري): أي مانعي من الحَظْرِ، بالحاء المهملة وسكون الظاء المعجمة، وهو المنع. وقوله (من حاضري): بالحاء المهملة والضاد المعجمة، جمع حاضر من الحضور خلاف الغيبة، وهو مضاف إلى مَرْمَاكِ بكسر الكاف، خطاب لعِيس حاجّي البيت في البيت المتقدّم. والمَرْمَى موضع الرمي، أي: رمي الجمار، يقول للعيس، أي: لراكبها، إنّ المانع لي من حضوري في موضع رمي الجمار كل عام. كناية عن إلقاء دعاوي الصفات السبعة، صفات المعاني: الحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام؛ وهي الحصيّات السبع المحصونة بالدعوى في النفس الإنسانيَّة. فرميها في هذه المواضع الثلاثة جمرة العقبة في الدنيا، والوسطى في البرزخ، والتي عند مسجد الخيف، من الخوف في العقبى؛ إنّما ذلك لتظهر له أصولها، وهي الصفات السبعة الإلهيّة. وقوله (بادي): خبر المبتدأ الذي هو حاظري، أي: مانعي من ذلك إنّما هو ظاهر. (قضاء): بالتنوين، وتنكيره للتعظيم، أي: ظاهر قضاء الله تعالى الأزلي. ثمّ قال (لا اختيار لي شي)/ [٦٥/ أ] بسكون شي بعد حذف الهمزة، والأصل شيئاً بالنصب، خبر لا العاملة عمل ليس، و(اختيار): اسمها، والسكون لغة ربيعة. والمعنى لا اختيار موصوفٌ بأنّه لي شيئا، وإذا كان اختياره ليس شيئا كان ليس موجوداً؛ وإنّما هو ثابت ليس بمنفي، كما أنّ الأكوان كلّها ليست موجودة مع الله تعالى؛ وإنّما هي ثابتة ليست بمنفيّة،

ولا يلزم من الثبوت الوجود؛ فقد يكون الحقّ المستحقّ ثابتاً لإنسان، ولكنه غير ظاهر، فهو ليس بموجو د؛ لأنّ الموجود هو الظاهر.

١٣٥ -لَا بَرَى جَذْبُ البُرَى جِسْمَكِ   تَضَتِ مِنْ جَذْبِ البَرَى وَالنَأيُ نَـيّ

(لا): دعائيّة. و(بَرى): نَحَتَ وهزل. و(الجذب): بالجيم والذال المعجمة مصدر جَذَبَه يَجْذِبُه: مدّه. و(البُرى): بالضمّ جمع بُرَة كَثبُة حلقة في أنف البعير أوفي لحمة أنفه. (جسمَكِ): مفعول بَرَى، بكسر الكاف، خطاب لعيس حاجّي البيت. كناية عن عالم الأجسام الإنسانيّة. و(جذب البُرى): كناية عن التكاليف الشرعيّة الشاقّة. و(اعْتَضَتِ): بالعين المهملة فالتاء المثنّاة الفوقيّة فالضاد المعجمة، وكسر التاء: خطاب للعيس أيضاً، معطوف على جملة لا بَرَى. والمعنى: عوَّضك الله تعالى، أي: جعل لك عوضاً (من جَدِب): بالجيم والدال المهملة، أي: مَحْل وقَحْط. (البَرَى): بفتح الباء، ومن البُعد عن أوطان التحقيق. (نَيّ): بفتح النون وسكون الياء مشددة: مصدر نَوَتِ الناقة نَيّاً ونَوَاية: سَمِنَت من أكل النوى، فهي نَاوية. يعني: سِمَناً من ثواب الأعمال الظاهرة، وزيادة أجر، وهو مناسب لعالم الأجسام، إذ هي كثيفة، وعملها كثيف، وجزاؤها كثيف، جزاء وفاقاً.

١٣٦ - خَفِّفِي الوَطْءَ فَفِي الخِيْفِ   ـتِ عَلَى غَيْرِ فُؤَادٍ لَمْ تَطَـي

(خَفِّفِي): فعل أمر خطاب لعيس حاجيّ البيت. و(الوَطْءَ): مفعوله، وهو مصدر وطِئَه، بالكسر، يَطَأَه: داسَه. وقوله (ففي الخِيف): أي خيف وادي مِنى. (سلِمْتِ): بكسر التاء، خطاب للعيس، وهي جملة دعائيّة. وقوله (على غير فؤاد): أي قلب من قلوب المحبِّين (لم تَطَي). والمعنى: إذا مررتِ يا عيسَ حاجّي البيت بخِيف وادي منى خففي الوطء فإنّكِ لا تدوسين وتطئين هناك إلا على قلوب المحبِّين المنطرحة على هاتيك الأراضي شوقاً إليها، وتلهفاً عليها. وكنّى: بالخَيف عن مقام الهيبة والجلال في حضرة القرب من الحقّ المتعال؛ فإنّ القلب الداخل إلى

هذه الحضرة يكون معه جسمه كالذي في خِيف منى تكون معه مطيته التي يركبها، وتحضر معه المناسك كلّها إلا الطواف بالبيت، فإنّها لا تدخل معه إلى المسجد الحرام، وقد طاف النبيّ صلّى الله عليه وسلّم على ناقته يعلمنا المناسك؛ فهي خصوصيته، وللورثة من ذلك نصيب.

١٣٧ - كَانَ لِي قَلْبٌ بِجَرْعَاءِ الحِمَى ضَاعَ مِنِّي هَلْ لَهُ رَدٌّ عَلَيّ

(الجرعاء): أرض ذات رمل وحجارة، كناية عن مقام المجاهدة في الله، وأضافها إلى **(الحمى)**: أي حمى الحَضْرَة الإلهيّة. وقوله **(ضاع منّي)**: أي فقدته؛ لأنّه ذهب مع القلوب، فانطرح في خِيف منى بين يدي المحبوب. ثمّ قال **(هل له ردٌّ عليّ)**: أي لا أدري هل يمكن عودة إليّ فأصحو من سكر الغرام أم أبقى كذلك في قيود الهيام، وما ألطف قول القائل:

لي في الحجاز وديعةٌ خلّفتُها أودعتُها يومَ الوداعِ مودِّعي
وأظنُّها لا بل يقيناً أنّها قلبي لأني لم أجد قلبي معي/ [٦٥/ ب]

١٣٨ - إنْ ثِنَى نَاشَدْتُكُمْ نِشْدَانَكُمْ سُجَرَائي(١) لِيَ عَنْهُ عَيٌّ عَيّ

(إنْ): حرف شرط مكسورة الهمزة ساكنة النون. و**(ثَنَى)**: بالثاء المثلثة والنون: فعل ماض بمعنى أمال، وقوله **(نَاشَدْتُكُمْ)**: أي سألتكم بالله ، يقال: نَشَدْتُكَ اللهَ، أي: سألتك بالله. وقوله **(نِشْدَانَكُمْ)**: بالنصب، مفعول ثنى. والنِّشْدان بكسر النون: مصدر نَشَدَ الضَّالّة نَشْداً ونِشدَة ونِشْداناً بكسرهما: طَلَبَها وعَرَفَهَا، كذا في القاموس. وقوله **(سُجَرَائي)**: جمع سَجِير بالسين المهملة والجيم، قال في القاموس: «السَّجِيْر الخَلِيل الصَّفِيّ، وجمعه سُجَراء»، وقد أضافه هنا إلى ياء المتكلّم. وحذف منه حرف النداء؛ فتقديره يا سُجَرائي، أي: يا أخلائي وأصفيائي. **(لِيَ)**: متعلّق بنِشدانكم. و**(عنه)**:

(١) في (ق): شجرائي.

متعلّق أيضاً به، أي: عن قلبي الذي ضاع منّي. وقوله (عَيٌّ عَيّ): فعَيٌّ الأوّل من عَيِيَ بالأمر كرضي، عَجِزَ عنه وتعب، وهو فاعل ثنى. وعَيّ الثاني: مضاف إليه. الأوَّل من عيي في المنطق: حُصر. والمعنى: سألتكم بالله يا أصحابي، إنّ آمال تَعَبَ الحصر الذي اعتراكم إنشادكم وسؤالكم لي عن قلبي الذي ضاع منّي، فتركتم إنشاده والسؤال عنه لعجزكم عن وجدان من يخبركم عنه؛ فالجزاء في البيت بعده.

١٣٩- فَاعْهَدُوا[1] بَطْحَاءَ وَادِي سَلَمٍ فَهْـوَ مَـا بَـيْنَ كَـدَاءٍ وَكُـدَيّ

(فاعهَدوا): من التعهُّد للشيء، قال في القاموس: «تَعَهَّدَهُ وتَعَاهَدَهُ: تَفَقَّدَهُ، وأَحدث العَهْدَ به». و**(البطحاء)**: مسيل واسع فيه دقاق الحصى. و**(السَّلَم)**: بالتحريك، اسم شجر نابت في ذلك الوادي؛ فيُقال له وادي سلم. وكنّى ببطحاء وادي سَلَم عن عالم الأرواح الذي هو الوادي المقدّس طُوَى، قدّس عن دنس الطبيعة، وانطوى فيه كلّ شيء. وبطحاؤه موضع قبول الفيض الإلهيّ، والمدد الربّانيّ؛ وهو عالم العقول والألباب. وقوله **(فهو)**: أي قلبي الذي ضاع منّي بين كَدَاء وكُدَيّ، قال في القاموس: «كَداء كسماء، اسم عرفات، وجبل بأعلى مكّة؛ دخل النبي صلّى الله عليه وسلّم مكّة منه. وكُدَيّ كسُمَيّ، جبل بأسفل مكّة خرج منه، وجبل آخر بقرب عرفة». كنّى بالأوّل عن النور الأوّل الأعلى، وهو نور الحقّ تعالى. وبالثاني عن النور الثاني الأسفل، وهو نور محمّد صلّى الله عليه وسلّم الذي قال تعالى: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ [٢٤/ النور/ ٣٥].

١٤٠- يَـا سَـقَى الله عَقِيْقـاً بِـالْلِّوَى وَرَعَـى ثَـمَّ فَرِيْقـاً مِـنْ لُـؤَيّ

(يا): حرف نداء، والمنادى محذوف، أي: يا قوم. **(سقى الله عقيقاً)**: هو الوادي، وكلّ مسيل شقّه ماء السبيل، وموضع بالمدينة، وباليمامة، وبالطائف، وبتهامة، وبنجد، كذا في القاموس. و**(اللِّوَى)**: كإلى، ما التوى من الرمل. كنّى بذلك عن المقام المحمّديّ الذي

(١) في (ق): فاعمدوا.

هو موضع الفيض الربّانيّ، والمدد الصمدانيّ، والوحي الرحماني. (**وسقاه الله**): أي أدام غيث العلوم نازلة لديه، وهاطلة عليه. وقوله (**رَعَى**): أي حَفِظَ. (**ثَمَّ**): بفتح الثاء المثلّثة وتشديد الميم، بمعنى هناك. و(**الفريق**) الطائفة من الناس ؛ يعني حفظ الله تعالى جماعة من العارفين المحقّقين في ذلك المقام المحمّديّ، ورثوه بنسب التقوى. وقوله (**من لُوَيّ**): يعني أنّهم من بني لؤي ابن غالب بن فهر؛ فهم من آل بيته صلّى الله عليه وسلّم، كما قال عليه السلام: «آل محمّد كلّ تقيّ إلى يوم القيامة»[1].

١٤١ - وَأُوَيْقَــاتٍ بِــوَادٍ سَــلَفَتْ   فِيْــهِ كَانَــتْ رَاحَتِــيْ فِي رَاحَتَــيّ

(**أُوَيْقاتٍ**): تصغير أوقات، وهو منصوب بالكسرة معطوف على (**فريقاً**) في البيت قبله. أي: رعى الله أويقاتٍ. (**بوادٍ**): نكرة للتعظيم، وهو الوادي المقدّس طُوى؛ قلب العارفين/ [٦٦/ أ] الكامل ينطوي بأمر الله ، وينشر بأمر الله ، وهو أوّل أثر من آثار أمر الله . وقوله (**سَلَفَتْ**): أي مضت في ذلك العالم الروحانيّ قبل النفخ في الأجسام، كما ورد في الحديث: «إنّ الله خلق الأرواح قبل الأجسام بألفيّ عام»[2].
وقوله (**فيه**): أي في ذلك الوادي. (**كانت راحتي**): الراحة ضدّ التعب. (**في راحَتَيّ**): أي في يديّ، تثنية راحة، وهي باطن الكفّ. يعني: كانت راحتي في باطن كفي قابضاً عليها، إذا شئتُ أطلقتُها أو أمسكتُها. كناية عن العالم الروحانيّ الأصليّ الذي كان فيه قبل أنْ ينزل إلى عالم الطبيعة ويسكن في المُركَّب العنصري.

١٤٢ - مَعْهَـدٍ مِنْ عَهْـدِ أَجْفَانِي عَـلَى   جِيــدِهِ مِــنْ عِقْــدِ أَزْهَــارٍ حُلَــيّ

(**مَعْهَدٍ**): بالجرّ بدل من وادٍ. والمعهد: المكان الذي يتعهَّده صاحبه للسُّكنى فيه، وفي القاموس: «المَعْهَد: المَنزِل المَعْهُوْد به الشيء». فهو وادٍ باعتبار انصباب غيوث

---

(١) انظر تخريجه في ص١٨٦ ـ ١٨٧.

(٢) ذكره العجلونيّ في الكشف، وقال ضعيف جدّاً فلا يعوّل عليه، وكذا قول ابن عبّاس: خلق الله الأرواح قبل الأجسام بأربعة آلاف سنة فلم يثبت عن ابن عبّاس؛ بل هو باطل عنه، قاله ابن حجر المكّيّ في فتاويه الحديثية، انظر الكشف للعجلوني ج٣ ص٣٨٣.

الفيض وسيول الإمداد إليه النازلة من سماوات الغيوب الأسمائيّة، وحضرات التجلّيات الإلهيّة. وهو معهد باعتبار سُكناه المعهود وما يَعهَد فيه ساكنه من التوجّهات الربّانيّة، والكمالات النازلة من الحضرة العليّة. وقوله (**مِنْ عَهْدِ**) والعَهْدُ مطرٌ بعد مطرٍ، يُدرِكُ آخرُه بَلَلَ أوَّلِه، كذا في القاموس. (**وأجفاني**): مضاف إليه. كناية عن البُكاء بسيلان الدموع منها، وهي حجب العين، وهي من العين؛ إذ الحقّ تعالى ليس بمحجوب؛ وإنّما نحن محجوبون عنه بنا، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [٨٣/ المطففين/ ١٥] ولم يقل هو محجوب عنهم. والبكاء من الفرقة بالحجاب. وقوله (**على جيده**): أي جيد ذلك المعهد على طريق الاستعارة. والجِيْد: العنق. وقوله (**من عِقْدِ**): بكسر العين المهملة وسكون القاف، وهو القِلادة، مضاف ذلك إلى (**أزهار**): نُكِّرَ للتعظيم. كنّى بالأزهار عن الأحوال التي ينتجها له ذلك البُكاء من الذلّ والانكسار، والشكر والثناء الجميل. و(**حُلَيّ**): بضمّ الحاء المهملة وفتح اللام، تصغير حَلْي بفتح الحاء المهملة وسكون اللام: ما يُتَزَيَّن به.

١٤٣- كَـمْ غَـدِيْرٍ غَـادَرَ الـدَّمْعُ بِـهِ أَهْلَـهُ غَـيْرَ أُولِـي حَـاجٍ لِـرَيّ

(**كَمْ**): للتكثير، ويخفض ما بعدها بمَن مقدّرة، أو بالإضافة. و(**الغدير**): بالغين المعجمة القطعة من الماء يغادرها السيل. وغادر الشيء بالغين المعجمة: تركه وأبقاه. و(**الدمعُ**): فاعل غادر، أي: دمع عينين. (**به**): أي بذلك المعهد المذكور، يعني: فيه. (**أَهْلَهُ**): مفعول غادر، أي: أهل ذلك المعهد. (**غير أولي**): أي أصحاب. (**حاجٍ**): أي حاجات، قال في القاموس: «الحاجة جمعها حاجٌ أو حاجات». وقوله (**لِرَيٍّ**): بفتح الراء مصدر رَوِي من الماء واللبن كَرَضِيَ رَيّاً ورِيّاً. يعني: بالفتح وبالكسر.

١٤٤- فَثَرَائِـي مِـنْ ثَـرَاهُ كَـانَ لَـوْ عَـادَ لِي عَفَّـرْتُ فِيْـهِ وَجْنَتَـيّ

(**ثرائي**): بالثاء المثلّثة والراء، غَنائِي وثروتي. وقوله (**من ثَراه**): الثرى بالثاء المثلّثة والراء مقصوراً: التراب. والضمير للمعهد في البيت السابق. واسم كان ضمير راجع إلى ثراه. وخبرها قوله (**من ثراه**): أي كان ثرايَ من ثراه. (**لو عاد**): أي رجع.

(لي): يعني ثراه مرة أُخرى، وهو كناية هنا عن حال الذلِّ والانكسار الذي كان له في ذلك المعهد. وقوله (عَفَّرْتُ): أي مَرَّغْتُ، يُقال: تعفَّرَ في التراب تمرّغ فيه، قال تعالى: ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا﴾ [١٠٠/ العاديات/ ٤] والنقع هو التراب والغبار الدقيق؛ فإنّه مما تثيره العاديات: أي الأرواح العاديات، أي: المسرعات من أمر الله؛ فإنّها تثير، أي: تهيج الأحوال السائرة لها. وقوله (وَجْنَتَيّ): تثنية وَجْنَة، مفعول عَفَّرْتُ، مضافاً إلى ياء المتكلِّم، حُذفت منه النون فأُدغمت ياء التثنية في ياء المتكلِّم، وفي القاموس: «الوَجْنَة مثلَّثة، وكَكَلِمَة ومحرَّكة: ما ارتفع من الخَدَّين». وكَنَّى بالوجنتين عن ظاهره وباطنه.

١٤٥- حَيِّ رَبْعَيَّ الحَيَا رَبْعَ الحَيَا بِأَبِي جِيْرَتَنَا فِيْهِ وَبَيّ / [٦٦/ ب]

(حَيِّ): فعل أمر من التحيَّة. و(رَبْعيَّ الحَيا): حُذف منه حرف النداء، وتقديره: يا رَبْعيَّ الحَيَا، وهو من رَبَعَ، كَمَنَعَ، يَرْبَعُ رَبْعاً، بفتح الراء؛ فالرَّبْعُ مصدر من قولك رُبِعُوا، بالضمِّ؛ مُطِروا في الربيع. والياء في الرَّبْعي ياء النسبة. و(الحَيا): من أسماء المطر، وهو بالحاء المهملة والياء مقصورة؛ وإنّما أضيف إلى الحَيَا لئلا يُتوهَّم أنّ الرَّبعي منسوب إلى الرَّبْع بمعنى المنزل. وهو كناية عن مطر العلم الإلهيّ من سماء الغيب الحقّ في ربيع قوة الحال الشوق الإلهيّ. وقوله (رَبْعَ): مفعول حَيّ: أي منزل الحياء، بمعنى الاستحياء؛ وهو هيكل الإنسان الكامل. ثم قال (بأبي): أي أفدي جيرتنا منصوب بأفدي المحذوف. (وجيرته): المجاورون له في المقام؛ وهم العارفون الكاملون. وضمير (فيه): راجع إلى رَبع الحَيا. وقوله (وَبَيّ): بفتح الباء الموحّدة، فعل أمر معطوف على حيّ من قولهم حيّاك وبيّاك: أي أضحكَكَ، أو قَرَّبَكَ، أو جاء بك أو بوَّأك، ذكره في القاموس.

١٤٦- أَيُّ عَـيْشٍ مَـرَّ لِي فِي ظِلِّـهِ أَسَـفِي إِذْ صَـارَ حَظِّـي مِنْـهُ أيّ

(أيّ): اسم استفهام، يقصد به التهويل والتعظيم. و(عيش): مضاف إليه. وقوله (مَرَّ لِي): أي انقضى. (لي في ظلِّه): أي ظلِّ ربع الحيا المذكور في البيت قبله. وقوله (أسفي): أي يا أسفي، فحرف النداء محذوف منه. و(إذْ): تعليليّة. (صار

حظِّي): أي نصيبي. (منه): أي من ذلك العيش. (أيّ): يعني قولي أيُّ عيشٍ... إلى آخره على طريقة ردّ العجز على الصدر.

١٤٧- أَيْ لَيَالِي الوَصْلِ هَلْ مِنْ   وَمِنَ التَّعْلِيْلِ قَوْلُ الصَّبِّ أيْ

(أيْ): بفتح الهمزة وسكون الياء، حرف نداء للقريب. و(ليالي الوصل): كناية عن عالم الروح الأمري، فكونها ليالي لأنّها من عالم الكون؛ فهي أوّل مخلوق ظهر عن أمر الله تعالى القديم، كما قال سبحانه: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨٥] وكونها ليالي الوصل فإنّ السالك إذا صفا من أكدار الطبيعة وأحكامها يصير روحانيّاً، فيتصل بأمر الله تعالى الذي كلمحٍ بالبصر من غير اتصال. وقوله (هل من عودة): فإنّ الله تعالى خلق الأرواح قبل الأجسام بألفي عام، كما ورد في الأثر. ثُمّ إذا سوَّى الله الجسم من العناصر والطبائع على حسب ما سبق به العلم القديم، والقضاء العدل، والتقدير القويم، نفخ فيه من روحه، وأنزله من حضرة قلمه الأعلى إلى لوحه، فاختفى على هذا السالك حقيقة ما هنالك، فطلب العَوْد إلى ما كان لتنكشف له شُجْنَة الرَّحِم المتعلِّقة بعرش الرحمن، ولله درّ الإمام الجيليّ: حيث قال في مثل هذا الشأن:

تَعَالُوا بنا حتّى نعود كما كُنّا   ولا عهدُنا خُنتم ولا عَهدَكم خُنّا

وقوله (ومن التعليل) مصدر تعلل بالأمر: تشاغل به، وتعلل بالمرأة: تلهّى. والمعنى: من تعليل الإنسان لنفسه وتسليتها، أنْ ينادي ليالي الوصل، ويسألها هل من عودة إلى الوصال بعد الانفصال.

١٤٨- وبأيِّ الطُّرْقِ أرجو رَجْعَها   ربَّما أَقْضي ولا أَدْرِي بِأَيّ

[بأي]: يعني لا أدري بأي طريق أرجو رجع هاتيك الليالي؛ فإنّ الروح قبل اتصالها وتعلّقها بالجسم كانت خالية من عالم الخيال، فلمّا اتصلت بالجسم وتعلّقت به انفتح عليها عالم الخيال، فأشغلها عمّا كانت فيه من قبل من: الصفا عن كلّ ما يشغلها ويلهيها عن الاتصال بعالم القدس، وحضرات الأمر الإلهيّ

فتمنّى لو رجعت له الحالة الأولى، وأخبر أنّه لا يدري بأيّ طريق يصل إلى ترجيه رجوعها فضلاً عن رجوعها. ثُمّ قال (ربّما أقضي): أي أموت على حالتي هذه؛ والميت يُحشر على حالته التي مات عليها؛ فكان في حياته لا يدري بأيّ طريق يرجو رجوعها وبعد./ [٦٧/ أ] موته كذلك لا يدري بأي طريق يرجو رجوعها.

١٤٩- حَـيْرَتِي بَـيْنَ قَـضَاءِ جِـيْرَتِي مِـنْ وَرَائِـي وَهَـوَىً بَيْـنَ يـدَيّ

(حَيْرَتِي): بالحاء المهملة مفتوحة، بمعنى التحَيُّر؛ وهو عدم الاهتداء للسبيل، وذلك بين أمرين: قضاء إلهيّ قديم لا بُدّ من نفاذه كيف ما كان. والقضاء من ورائه بحيث لا يعلم ما تضمّنه من مراد الله تعالى. و(هوىً) وهو الميل النفسانيّ الذي لا يمكن ردّه إلا بمعونة الله تعالى. والهوى بين يديه حاضر يعلمه ويعلم ما تضمّنه من الأمور. وقوله (جِيْرَتِي): بالجيم منادى حُذف منه حرف النداء، تقديره يا جيرتي؛ وهي جملة معترضة بين الصفة والجار والمجرور في قوله (من ورائي): أي كائن من ورائي، وبين الموصوف، وهو قضاء. والجِيرة: جمع جار، وهو المقاسم، والحليف، والناصر. كناية عن أهل طريق الله تعالى من العارفين.

١٥٠- ذَهَبَ العُمْرُ ضَيَاعاً وَانْقَضَى بَـاطِلاً إذْ لَـمْ أَفُـزْ مِـنْكُمْ بِـشَيْ

قوله (العُمْر): أي عُمري؛ فالألف واللام عوض عن ياء المتكلّم، وقال ذلك يندب حاله بأنّ عمره ذهب ضياعاً، وانقضى باطلاً؛ حيث لم يفُز من معرفة ربّه بشيء يدركه منه، والأمر كذلك؛ فإنّ غاية ما يحصل عليه العارف بربّه يحصل على معرفة نفسه، ويكشف له عن فنائها وفناء العوالم كلّها في وجود الحقّ الحيِّ القديم، ولا يُكشف له عن وجود الحقّ القيوم ما هو فيتحقّق به، ولا يعرف ما هو، ولا يفوز منه بشيء؛ إذ كُلّ شيء هالك إلا وجهه، فلا شيء معه حتى يفوز منه بذلك الشيء.

١٥١- غَيْرَ مَا أُولِيْتُ مِنْ عَقْدِ وَلَا عِـتْرَةِ المَبْعُـوثِ حقّـاً مـن قُـصَيّ

قوله (ما أُوليتُ): استثناء من قوله (ذهب العمر): إلى قوله (لم أفُزْ منكم بشيء): وهو استثناء متّصل؛ فإنّ ما ذكر شيء وهو قوله (ما أُوليتُ): بضمّ التاء للمتكلّم

فعل ماضٍ مبني للفاعل، قال في القاموس: «أَوْلَيْتُهُ الأَمْرَ: وَلَّيْتُهُ إياه». وقوله (مِنْ عَقْدِ): بيان لما أُوليت. والعَقْدُ هو عَقْدُ المُوالاة. ويُقال: عَقَدَ الوَلاءَ، بالفتح؛ وهو حكم في الشرع لمن أسلم على يد رجل ووالاه، أو والَى غيره على أنْ يرثُهُ ويعقل عنه، فإنّه صحيح كما صرّحت به الفقهاء، وقد نوّه بولاء العتاقة، وعقدوا لهما باباً من أبواب الفقه، وشَرَطوا فيه أنْ يكون مجهول النسب، وألا يكون عربياً، و ألا يكون له عتاقة، ولا ولاء موالاة مع أحد، وقد عقل عنه. وليس المراد هنا هذا الحكم؛ وإنّما مراده موالاة آل بيت النبوّة على طريقة التشبيه بأنْ يعقد مع قلبه، ويأخذ العهد على قلبه بنُصرتهم ومحبّتهم. والمعنى: أنّه لم يَفُز طول عمره من الحقّ تعالى بشيء؛ لأنّه تعالى ليس كمثله شيء. وإن عرف نفسه، وقيل له من عرف نفسه فقد عرف ربّه. يعني: عرفانه. يعرف ثمّ استثنى من ذلك الشيء الذي لم يفُز به من ربّه، عقد موالاته لآل بيت النبيّ صلّى الله عليه وسلّم. وعدّ هذا الشيء فوزاً له، ونجاة، وهبة، وعطيّة من ربّه محبّة فيه صلى الله عليه وسلَّم، وهو شيء من أشرف الأشياء من قبيل قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ [٢/البقرة/ ٢٦٥] وقد أضاف في البيت (عقد) إلى (ولاء). في نسخة (عقدي) بياء المتكلّم. وأضاف (ولاء) إلى (عِترة) بكسر العين المهملة وسكون التاء المثنّاة الفوقيّة وبالراء، قال في القاموس: «والعِتْرَة، بالكسر: نَسْلُ الرجلِ ورَهْطُهُ وعَشِيْرَتُهَ الأَدْنَوْن ممن مضى وغَبَرَ». وأضاف (العترة) إلى (المبعوث): أي الذي بعثه الله تعالى، أي: أرسله لهم لهداية الأمّة. والمبعوث صفة لموصوف محذوف، أي: عترة النبيّ/ [٦٧/ ب] المبعوث. وقوله (حقّاً): أي بعثاً حقّاً من نسل. (قُصَيّ): بضمّ القاف وفتح الصاد المهملة وتشديد الياء ساكنة؛ وهو قُصيّ بن كلاب، واسمه زيد؛ أحد أجداد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم. وقد سلك هذا المسلك الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي قدّس الله سرّه فقال:

جَعلتُ ولائي آلَ أحمدَ قُرْبَةً ... على رَغْمِ أهلِ البعدِ يورثني قُربا

وما طَلَبَ المُخْتارُ أجراً على الهُدى ... بتبليغه إلا المودّة في القُربى

صَدٌّ حَمَى ظَمَئِي

[الكامل]

وقال الشيخ عمر رضي الله عنه[1]:

١ - صَدٌّ حَمَى ظَمَئي لَمَاكَ لماذا   وَهَواكَ قلبي صار منه جُذاذاً

يُقال صَدَّ عنه صُدُوداً: أَعْرَض. وصَدَّ فلان فلاناً عن كذا: منعه، وصرفه، كأَصَدَّه، أشار إليه في القاموس. فقوله (صَدٌّ): مصدر، نُكّر للتعظيم، معناه: مَنْعٌ حصل من المحبوب الحقيقي، صاحب الجمال الحقيقي الذي محبّته هي المحبّة الحقيقيّة. ثمّ قال (حَمَى): بمعنى منع، وهو فعل ماض، وفاعله ضمير فيه راجع إلى قوله صدّ. و(ظَمَئِي): أي عَطَشي مفعول أوّل لقوله حَمَى؛ فإنّ حمى ينصب مفعولين، قال في القاموس: «حَمَى المريض مما يَضرّه: مَنَعَهُ أياه. وقوله (لَمَاكَ): مفعول ثانٍ لقوله حمى. والمراد باللَّمى هنا الريق البارد من فم المحبوب. والكاف حرف خطاب للمحبوب الحقيقي؛ وهو الحقّ تعالى المتجلّي بوجوده في كلّ صورة عدميّة صوّرها باسمه المصوِّر؛ لأنّه الخالق البارئ المصوِّر. و(لَمَاه): حلاوة توحيده التي يُضرب بها المثل عند الشعراء، وهو التوحيد الحقيقي الذي ترتفع فيه الأكوان، وتفنى جميع الأعيان، ولا يبقى غير حقيقة الوجود الحقّ الذي كلّ يوم هو في شأن. وقوله (لماذا): استفهام على التركيب، قال في القاموس: «يكون ماذا كلّه استفهاماً على التركيب كقولك: لماذا جئت» انتهى. وهو سؤال واستفهام رغبة في الجواب، ولا يمكن أن يكون للعدم من الوجود خطاب إلا في الصور العدميّة التي هي عين الحجاب. وإذا وقعت الكنايات من العاشق تكلّم بما أراد، وطلب المستحيل وكلّ ما يتمنّاه الفؤاد وإنْ علم من نفسه عدم الاستعداد. ومن هذا القبيل قول الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه.

---

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: تصحيحي على المؤلّف قدّس سرّه.

ومـــاذا عليهـــا لـــو تَـــرُدُّ تحيّـــةً   علينا ولكنْ لا احتكامَ علـى الـدُّمى

فجعلها من قسم الدُّمى بضمّ الدال المهملة، جمع دُمية: وهي صورة الصنم المنحوت من حجر أو خشب، لعدم إمكان نطقها عادة؛ فلا تُجيب من سألها، ولا تتكلّم لجماديَّتها، كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿ فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴾ الآية [٢١/الأنبياء/٦٣] فأنزل الأصنام منزلة من يعقل بقوله: ﴿ فَسْـَٔلُوهُمْ ﴾ والقياس: فاسألوها، وكذلك قوله: ﴿يَنطِقُونَ ﴾ مجارات لقومه بإثبات دعوى المماثلة مع زيادة استحقاق المعبوديّة وقد نفى المماثلة بنفي النطق في المعنى، وكذلك الحقيقة لكمال تنزيهها عن مشابهة الأكوان لا تنطق ولا تجيب إذا سُئِلت؛ ولكنّها تتكلّم بكلام ليس من جنس الكلام المعهود بالصوت والحرف؛ ولهذا قال: «لا احتكام على الدُّمى». وأشار بقوله: «وهواك قلبي صار منه جُذاذاً» بواو الحال إلى أنّ كلامه ذلك من قبيل كلام العشّاق، يُطوى ولا يُنشَر، ويُسمَع ولا يُذكَر؛ لأنّ لسان المحبّة مطلق، ولهجه بسرّ القلوب مغلق، ألم تسمع إلى قوله موسى عليه السلام: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ ﴾ [٧/الأعراف/١٥٥] ومن يقدر على مثل هذا الخطاب في الكلام ؟!. و(الجُذاذ): بالذالين المعجمتين، اسم مصدر من جَذّ بمعنى قَطَع.

٢ـ إنْ كَـانَ فِي تَلَفِـي رِضَـاكَ صَـبَابَة   وَلَكَ البَقَاءُ وَجَدْتُ فِيْهِ لَذَاذَا/ [٦٨/أ]

(التَّلَف): محرَّكة الفَناء والهلاك. والفناء في طريق الله هو الكشف عن جميع أعيان العوالم مما هو سوى الله تعالى من المحسوسات والمعقولات؛ بحيث يجدها السالك كلّها ونفسَه معها ووُجدانَه فانيةً، هالكةً، معدومةً بعدمها الأصلي ؛ وإنّما هي مقدّرة مفروضة بتقدير الوجود الحقّ سبحانه وتعالى، وفرضه لها على حسب ما يريد أزلاً؛ وإنّما تظهر موجودة بإضافة الوجود الحقّ تعالى إليها من قبيل قوله سبحانه: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [٢٤/النور/٣٥] أي: وجودهما الذي هو النور الحقيقي بإضافته إليهما. وبسبب هذه الإضافة حكم الإدراك العقلي من جميع العقلاء بوجود السموات والأرض، وسمّوا ذلك بالوجود المستفاد، وبالوجود

المجازي بالنسبة إلى وجود الحقّ تعالى الوجود الحقيقي. واعتبروا ابتداء هذه النسبة؛ فسمّوا العوالم كلّها حوادث، لأنّ وجودها مستفاد عندهم من الوجود القديم، وهو أثر الوجود القديم، لا عين الوجود القديم عندهم. وتلاعبت بهم الأوهام، وعجزت الأفهام. ونصوص الكتاب والسنّة تأبى ذلك؛ بل استفادة الوجود من الوجود الحقّ طرف من الولادة، وقال تعالى: ﴿ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [٣٧/ الصافات/ ١٥١-١٥٢] وقال سبحانه: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ بل هو الوجود الحقّ الواحد الأحد الذي ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [١١٢/ الإخلاص/ ٣-٤] وجميع العوالم ظاهرة بعين وجوده، فوجوده هو الظاهر لكل أحد، وهو المنسوب عند العقل لجميع العوالم، فهو الباطن عن كلّ أحد، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [٥٧/ الحديد/ ٣] فلا وجود إلا وجوده. والعوالم كلّها تظهر بوجوده، وتختفي في شهوده. و(**الصبابة**) شدة الشوق. يعني: إنْ كان رضاك في فنائي واضمحلالي حتى تنفرد أنت بالوجود وحدك كما هو الأمر عليه في نفسه. ولكن لا يصل السالك إلى التحقيق بذلك إلا من باب المحبّة، ولهذا قال صبابة، أي: تلفي من جهة الصبابة. (**ولَكَ البقاء**): أي الدوام والاستمرار بلا زوال. وقوله (**وَجَدْتُ**): جواب أنْ الشرطيّة، من الوُجدان، وَجَدَ المطلوبَ يَجِدُهُ وُجداناً: أدركه. وقوله (**فيه**): أي في تلفي. (**لَذاذا**): بالذالين المعجمتين من اللذّة، نقيض الألم. يقال: لذّه الشيء ولذّ به لَذاذاً. وقولهم: «ما التذّ عارف بفناء قطّ» معناه: إذا عمّه الفناء. وأمّا إذا بقيتْ فيه بقيّة لضرورة المحبّة فإنّ المُحبّ يجد في فنائه في المحبّة لَذّة بسبب بقائه مُحِبّاً؛ ولهذا ذكروا «حجاب المحبّة لأجل البقيّة» التي بها يحبّ؛ بحيث لو زالتْ لزالتِ المحبّة؛ ولهذا قال الملّا جلال الدين الروميّ[1] قدّس الله سرّه في كتابه «المثنوي» ما معناه:

---

(١) محمّد بن محمّد بن الحسين بن أحمد البلخي، القونوي، الرومي، جلال الدين. عالم بفقه الحنفيّة والخلاف، وشتّى أنواع العلوم الإسلامية. صاحب المثنوي المشهور بالفارسيّة. صاحب الطريقة =

الكُلّ هم المعشوق، والعاشق هو الحجاب، والمعشوق هو الحيّ، والعاشق ميْت.

وماذا عليها لو تَرُدُّ تحيّةً   علينا ولكنْ لا احتكامَ على الدُّمى

٣- كَبِدِي سَلَبْتَ صَحِيْحَةً فَامْنُنْ   رَمَقِي بِهَا مَمْنُوْنَةً أَفْلَاذاً

المراد بـ (الكبد): القلب. و(سَلَبْتَ): بفتح التاء، خطاب للمحبوب الحقيقي. أي: اختلستَ وأخذتَ قهراً وذلك بسبب المحبّة الحقيقيّة. وقوله (**صحيحة**): حال من كبدي، أي: سلبتها منّي وهي صحيحة سليمة، فهي عندك في جميع الأوقات، لا تغيب عنها طرفة عين، وهو شأن المحبّين في دوام مراقبة محبوبهم. (فامنن على رمقي): بفتح الراء، وفتح الميم، والرَّمَق: بقيَة الحياة. يعني: امنن على بقيّة حياتي التي بقيَتْ فيَّ. (بها): أي بكبدي المذكورة حال كونها (ممنونة): اسم مفعول مِنْ قولهم مَنَّ الحبلَ: قطعه. وقوله (أفلاذاً): حال من الضمير في ممنونة. والأفلاذ: جمع فِلْذة بكسر الفاء وسكون اللام وبالذال المعجمة، قال في القاموس: «الفِلْذة: بالكسر وبهاء القطعة من الكبد، ومن الذهب، والفضة، واللحم. والأفلاذ جمعُها» انتهى. وإنّما طلب أنْ يرجع إليه قلبه لي فيتحقّق بمعرفة محبوبه. ولقد اجتمعت/ [٦٨/ ب] مرّة برجل من أهل الجذب و الاستغراق في الله، فسألته عن مسألة إلهيّة. فقال لي: نحن لا نؤكّد، أنتم تؤكّدون. فتعجّبت أنا والحاضرون من كلامه ذلك». ويُحكى عن الشيخ عبد القادر الكيلاني قدّس الله سرّه أنّه قيل في مجلسه: «ما أحسنَ المُولَهين في الله!. فاطرق ساعة، ثُمّ رفع رأسه وقال : غُفلاء الله أحسن منهم؛ تَهُبُّ عليهم نسمات الله باقةً؛ فلا تُحرِّك من شعرات لحاهم طاقة، يحملون بها على محامل النبوّة».

= المولويّة. ولد في بلخ ٦٠٤هـ وتوفي فيها٦٧٢هـ. انتقل إلى بغداد وهو ابن أربع سنوات ونشأ فيها في المدرسة المستنصريّة. درَّس في أربع مدارس في وقت واحد، ثمّ ترك التدريس والتصنيف والدنيا وتصوّف سنة ٤٤٢هـ. انظر الأعلام للزركلي ج٧ ص٣٠.

٤- يَـا رَامِيـاً يَرْمِـي[١] بِـسَهْمِ لَحَاظِـهِ عَـنْ قَـوْسِ حَاجِبِـهِ الحَـشَا إنْفَـاذَا

(اللَّحاظ): بفتح اللام كَسَحاب، مؤخّر العين، كناية عن توجّه أمره تعالى بالروح، فالسهم أمره، واللَّحاظ حضرة الروح المدبِّر لعالم الأجسام. وقوله (عن قوس حاجبه): كنّى بالحاجب عن عالم الجسم. وكونه قوساً لاعوِجاجه بالكثافة. وهذا الرمي حاصل له من كلّ شيء. وقوله (الحَشا): مفعول يرمي. يعني: إنّ رميه مخصوص بالبواطن فينفذ فيها. (إنفاذاً): وهي محل نظر الربّ، كما ورد في الخبر: «إنّ الله لا ينظر إلى صوركم وأعمالكم؛ وإنّما ينظر إلى قلوبكم»[٢].

٥- أَنَّى هَجَرْتَ لِـهُجْرِ وَاشٍ بِي كَمَنْ فِي لَوْمِــهِ لُــؤْمٌ حَكَــاهُ فَهَــاذَى

(أنّى): بفتح الهمزة وتشديد النون مفتوحة، معناها كيف، اسم استفهام. و(هَجَرْتَ): من الهَجر بفتح الهاء وسكون الجيم، بمعنى تركتَ، أي: تركتني ولم تحفل بي، وأعرضتَ عني. كنايه عن إشغاله بعالم الأكوان والهاً قلبه عن شهود التجلّي باسمه الرحمن. وقوله (لِـهُجْر): بضمّ الهاء وسكون الجيم، أي: هذيان. (واشٍ): اسم فاعل؛ وهو النمّام، والساعي بالنميمة للإفساد. كنّى بذلك عن الهوى الذي يقع في القلب؛ فينقل الأعمال الحسنة إلى حضرة الحقّ تعالى ناقصة قاصرة عن كماله. وقوله (بي): متعلّق بواشٍ. (كمن في لومه): أي ملامته لي على المحبّة وهو العَذول. كناية عن العقل القائم به، المحجوب عن حقائق المعارف الإلهيّة في ابتداء سلوكه في طريق الله تعالى. وقوله (لؤم): بالهمزة، وهو ضدّ الكرم، وهو مبتدأ مؤخّر، وخبره مقَدَّم وهو قوله: في لومه. وكون عقله لائماً يلومه على المحبّة؛ لأنّ العَقل يمشي بالعبد على مقتضى الإدراك القاصر،

---

(١) في (ق): أصمى.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البرّ والصلة، باب تحريم ظلم المسلم، وخذله واحتقاره، ٦٧٠٨، بلفظ: «إنّ الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظرإلى قلوبكم وأعمالكم».

والوساوس النفسانيّة، والأمور الإلهيّة من وراء طور العقل، ولا يقدم بالعبد على ذلك إلا توفيق الله تعالى وهدايته، والعناية السابقة له أزلاً. وقوله (حكاه): أي مَن في لومه لؤم، حكى ذلك الواشي المذكور. وقوله (فهاذى): فعل من المهاذاة، أي: شاركه في هذيانه، وهو الهُجْر من الكلام.

٦- وَعَلَيَّ فِيْكَ مَنِ اعْتَدَى فِي حَجْرِهِ فَقَـدِ اغْتَـدَى فِي حَجْـرِهِ مَـلّاذاً

(عليَّ): بتشديد الياء جار ومجرور متعلِّق باعتدى. و(فيكَ): أي في محبَّتكَ. وقوله (من اعتدى): أي ظلم وافترى. (في حَجْره): بفتح الحاء المهملة وسكون الجيم، أي: منعه. يعني: منعه لي أنْ ألقاك وأشهدك. كناية عن العقل؛ وهو اللائم في البيت قبله، من قبيل قول الشيخ أرسلان في رسالته المشهورة: «الناس تائهون عن الحقّ بالعقل». وقوله (فقد اغتدى): بالغين المعجمة، أي: صار في (حَجْرِه): بفتح الحاء المهملة وسكون الجيم، أي: في حفظه لي، وستره لأحوالي، قال في القاموس: «نشأ في حَجْره: أي في حفظه وستره» ولا شكّ أنّ الإنسان ينشأ في حَجْرِ عقله، أي: في حفظه له من جميع المؤذيات، وستره لمقابحه وعيوبه. وقوله: (مَلّاذاً): بالتشديد، أي: خفيفاً مُتصنِّعاً لا تصحُّ مودّته، قال في القاموس: «المَلّاذ المُتصنِّع لا تَصِحُّ مَوَدَّتُه، وذِئب ملّاذ: خفيف».

٧- غَـيْرَ الـسُّلُوِّ تَجِـدْهُ عِنْـدِي لائِمـي عَمَّـنْ حَـوَى حُـسْنَ الـوَرَى

(غَيْر): منصوب بفعل محذوف يفسره الفعل المذكور، وتقديره: تجد غير السُّلوِّ تجده. و(السلوّ): النسيان، أي: نسيان المحبوب. وقوله (لائمي): أي يا لائمي. [عمَّن]: متعلِّق بالسلوّ، أي: عن المحبوب الذي. (حَوَى): أي جمع. (حُسن الورى): أي المخلوقات كلّهم. (استحواذا): أي غلبة واستيلاء، قال في القاموس: «اسْتَحْوَذَ:غَلَبَ واسْتَوْلَى». ولا شك أنّ جميع الحُسْن الظاهر على كلِّ صورة من صور العالم في الحواس الخمس، وفي العقل كلّ ذلك مظاهر الجمال

الإلهيّ، ونظيره أيضاً جميع المحبّات الظاهرة في كلّ صورة من صور العالم، هي محبّته تعالى لجماله كما ورد في الخبر: «إنّ الله جميل يحبّ الجمال»[1].

٨- يَـا مَـا أُمَيْلَحَـهُ رَشَـاً فِيْـهِ حَـلَا تَبْدِيلُـــهُ حَـــالِي الحُلِـــيّ بَـــذَاذَا

(يا): حرف نداء. والمنادى محذوف، تقديره يا قوم، أو يا رجل. وقوله (ما أُميلحه): ما تعجبيّة، وأُمَيْلَح تصغير أملح. والأصل: ما أملحه، وهو فعل تعجّب وتصغيره شاذٌّ؛ لأنّ التصغير من خواص الأسماء. و(رشاً): منصوب تقديراً على أنّه حال من ضمير أُمَيْلَحه البارز. وقوله (فيه): متعلّق بـ(حَلا). وحلا فعل ماض من الحلاوة. و(تبديلُه): بالرفع فاعل حلا. والضمير راجع إلى المحبوب الحقيقي. ومعنى تبديله: ظهوره في كلّ طرفة عين في صوَر غير الصور التي ظهر بها أولاً، وهكذا في كلّ حين وإن تشابهت الصور، وظن الغافل أنّها جامدة واقفة غير متغيِّرة. وينكشف ذلك في عالم الآخرة، قال الله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [٢٧/ النمل/ ٨٨] فهي صور تُخلَع، وصُوَر تُلْبَس إلى الأبد في الدنيا والآخرة، كما قلنا في مطلع قصيدة لنا:

هـــذه الأثـــوابُ والخِلَـــع تُكتَـــسى طَـــوراً وتُختلـــع

والحامل لها الممسك لأعيانها بقدرته وإرادته هو اللّابس لها، كما قال: ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ [٦/ الأنعام/ ٩] وحقائقهم لابسة لصوَرهم؛ فهذا معنى ما يلبسون. وإنّما سُمِّي اللباس لأنّ به يحصل الالتباس على مَن لم يعرف اللابس، ومن عرفه لا يلتبس عليه بجميع ما يلبس عن الصور، كما ورد في حديث مسلم: «فيأتيهم ربّهم في غير الصورة التي يعرفون فيقول: أنا يتجلّى. فيقولون: نعوذ بالله منك، لست ربّنا، نحن ههنا حتى يأتينا ربّنا. فيتحوّل لهم في

---

(١) انظر تخريجه ص٣٢٧.

الصورة التي يعرفون، فيقول: أنا يتجلّى. فيقولون: أنت ربّنا فيتّبعونه»[1] الحديث بطوله. فالذين ينكرونه هم غير العارفين به في الدنيا. والعارفون لا ينكرونه؛ لأنّهم يعرفونه غير لابس شيئاً من الصوَر، ويعرفونه وهو لابس للصور، فلا يتعوّذون منه؛ وهو الواحد لا سواه، والجميع صوره التي صوّرها باسمه المصوِّر، وهو الغنيّ عن العالمين. وكلّ الصور فانية في وجوده، فلا صور ولا لبس؛ ولهذا قال: ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم﴾ [٦/ الأنعام/ ٩] ولم يقل: ﴿وَلَلَبَسْنَا﴾ من غير أنْ يقول: ﴿عَلَيْهِم﴾ وقوله (حالي): اسم فاعل من الحلاوة مضاف إلى (الحُلِيّ): بضمّ الحاء المهملة وكسر اللام وتشديد الياء، جمع حَلْي بفتح الحاء المهملة وسكون اللام، ما يُزيَّن به من مَصوغ المَعْدِنِيَّات والحجارة، كذا في القاموس. و(حالي الحُلِيّ): مفعول تبديله الأوّل. وكنّى بالحالي من الحُلِيّ عن جميع الصور المحسوسة، والصور المعقولة؛ فإنّها ملابسة كما ذكرنا، وهي حليُّه التي يتحلّى بها، أي يتزيّن عند عارفه كما قلنا في موشّح لنا:

كُلُّ شيءٍ عِقد جوهر حِليةُ الحُسْن المَهيب

وقوله (بَذاذا): مفعول ثاني لتبديله، قال في القاموس: «بَذِذْتَ كعلمتَ بَذَاذَةً وبَذَاذاً: ساءت حالتك، وباذُّ الهيئةِ وبَذُّها: رَثُّها. والمعنى: يحلو من هذا المحبوب تبديله وتغييره/ [٦٩/ ب] الهيئة الحاليّة في أنواع حُلِيِّها بالهيئة الرثَّة، فيظهر تارة بملابس حسنة تزينه مشتملة على أنواع الحُلي، فيحلو للناظرين إليه، ويتبدّل تارة أخرى فيظهر بالهيئة الرثة، كما ورد: «ربَّ أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبرّه»[2]. والإقسام هنا الإلزام، والجميع صوره وأشكاله، وهي

---

(١) قطعة من حديث طويل، أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: معرفة طريق الرؤية، ٤٦٩. كما أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب: الرقاق، باب: الصراط جسر جهنم، ٦٥٧٣ بألفاظ مشابهة. وكذلك أخرجه أحمد في المسند، مسند أبي هريرة، ٧٩٣٣.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، ٧٩٣٢، عن أبي هريرة، بلفظ: «رُبّ أشعث أغبر ذي طمرين، تنبو عنه أعين الناس، لو أقسم على الله لأبرّه»، وقال هذا حديث صحيح الإسناد، أظن مسلماً أخرجه من حديث حفص بن عبدالله بن أنس. وتعليق الذهبي في التلخيص: هذا حديث صحيح.

الأمثال التي يضربها للناس، ولا يعقلها إلا العالمون؛ وإنّما ينكرها الجاهلون.

٩- أَضْحَى بِإِحْسَانٍ وَحُسْنٍ مُعْطِياً لِنَفَائِسٍ وِلأَنْفُسٍ أَخَّاذاً

(أَضحى): أي صار المحبوب الداخل في وقت الضحى، وهو كمال الظهور بإحسان منه، أي: إنعام. و(حُسْنٍ): أي جمال حقيقي. (معطياً): خبر أضحى. (لنفائس): متعلّق بمعطياً، أي: واهباً لنفائس العلوم الإلهيّة، والمعارف الربّانيّة، وهو راجع إلى قوله بإحسان. وقوله (لأنفس): جمع نفس بالسكون. والجار والمجرور متعلّقان بأخّاذ، وهو اسم فاعل للمبالغة من الأخذ، بالخاء والذال المعجمتين. وهو راجع إلى قوله وحُسْن على طريقة اللف والنشر المرتب. وإعطاؤه للنفائس: جمع نفيسة من العلوم ظاهر، وأخذه للأنفس بالاختيار والطوع؛ حيث تجلى لها ببدائع الحسن والجمال في الكاملين من الرجال، وهو الموت الاختياري الوارد في قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ [٣٣/ الأحزاب/ ٢٣] وفي الأثر: «موتوا قبل أنْ تموتوا»[1]. وفي غيرهم من بقيّة الناس يأخذ أنفسهم بالموت الاضطراري قهراً عليهم كما قال: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾[١٨/ الكهف/ ٧٩].

١٠- سَيْفاً تَسُلُّ عَلَى الفُؤَادِ جُفُوْنُه وَأَرَى الفُتُوْرَ لَهُ بِهَا شَحَّاذَا

(سيفاً): مفعول تسلُّ مقدّماً عليه. وقوله (على الفؤاد): أي القلب؛ لأنّه موضع المعرفة به تعالى، والتحقّق بتجلّيه على كلّ شيء، حتى وُجد الشيء بوجود المتجلّي الحقّ، والشيء هالك في نفسه، معدوم؛ لأنّه شيء في الأصل، فعيل بمعنى مفعول، أي: مَشيوء. يعني: شاءه تعالى بمشيئته الأزليّة، فصار شيئاً، فما ثَمّ إلا أشياء مشيوءات، لا وجود لها سوى ظهور وجود الحقّ الذي شاءها على حسب ما يريد الظهور بها عند من يريد الظهور له، والتجلّي عليه، وله في كلّ شيء وجميع الأشياء على حدّ ما ذكرنا هي المُكنّى عنها هنا بقوله (جُفُونه): جمع جَفْن: وهو غطاء

(١) انظر تخريجه ص٢٨٢.

العين؛ فإذا انفتح نظرت العين؛ وهو قوله في حديث المتقرّب بالنوافل: «كُنتُ بصره الذي يبصر»[1]. والانفتاح: رفع الجفن الأعلى إلى فوق؛ وهو النشأة الروحانيّة العُلْويّة. وخفض الجفن إلى تحت؛ وهو النشأة الجسمانيّة؛ فتظهر العين الإلهيّة حينئذٍ لامع الروح ولامع الجسم؛ وإنّما هي قائمة بنفسها، بينهما حاملة لهما، وحافظة لكليهما، وهي الرافعة للجفن الأعلى، والخافضة للجفن الأسفل؛ فهي في الوسط، والوسط محلّ القلب، والقلب موضع التجلّي، فكما ورد: «ما وسعني سماواتي ولا أرضي، ووسعني قلب عبدي المؤمن»[2]. وكنّى عن العين بالسيف لقطعها آثار جميع الأغيار. وقوله (وأرى الفتور): أي الضعف والانكسار له، أي: لذلك السيف الذي تسلّه الجفون. (بها): أي بتلك الجفون. يعني: الفتور الكائن فيها. (شحّاذاً): بالشين المعجمة والحاء المهملة والذال المعجمة، فعّال بالتشديد، صيغة مبالغة من الشحذ، يقال شحذ فلان سيفه: إذا سنّه وحدّده ليقطع. وهذا من [قبيل] قوله في الحديث القدسي: «أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي»[3] فإذا انكسر القلب من أجل الله تعالى انكسرت جميع الجوارح، فظهر الانكسار على ذلك العبد، وهو انكسار جفن الحقّ تعالى؛ لأنّه غطاء على عينيه كما ذكرنا. وقد سأل أبو يزيد البسطاميّ رضي الله عنه/ [٧٠/ أ] ربَّه في بعض تجلِّياته عليه بماذا يتقرب إليك المتقرّبون، فقال بما ليس لي: الذلَّة والافتقار.

١١- فَتْكٌ بِنَا يَزْدَادُ مِنْهُ مُصَوِّراً ... قَتْلَى مُسَاوِرَ فِي بَنِي يَزْدَاذَا

(الفتك): مصدر فَتَكَ به إذا انتهز منه فرصة فقتله أو جرحه. و(يَزْدَادُ): من الزيادة. وقوله بكسر (منه): أي من المحبوب الحقيقي، أو من السيف الذي تسلّه جُفُونُه. وقوله (مُصَوِّراً): بكسر الواو، حال من الضمير في منه. و(قَتْلَى): مفعوله،

(١) انظر تخريجه ص١٤٦.

(٢) انظر تخريجه ص٣٢٤.

(٣) انظر تخريجه ص١٤٦.

وهو جمع قتيل، مضاف إلى (مُساوِر): وهو بالسين المهملة، اسم شجاع من الشجعان. وقوله (في بني يَزْداذا): بالياء المثنّاة التحتيّة المفتوحة والزاي الساكنة ثمّ الدال المهملة، فالذال المعجمة. ومساور هذا كان رجلاً روميّاً شجاعاً، وكان بنو يزداذ هؤلاء أعداء له، فأوقع بهم، قال المتنبّي في مثل ذلك:

أمُساوِرٌ أمْ قَرْن شمسٍ هذا   أمْ ليثُ غابٍ يقْدُم الأستاذا

هَبْكَ ابنَ يزداذٍ حَطَمْتَ ورَهْطَهُ   أترى الورى أضْحَوْا بَني يَزْداذا[1]

وما ذكر كناية عن عموم الفناء والاضمحلال عن ظهور الحقّ في بصائر الرجال، قال تعالى: ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾ أي: ظهر. ﴿وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ أي: تبيَّن بطلانه من الوجود وفناؤه واضمحلاله في حالة الشهود. ثمّ قال: ﴿إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ﴾ أي: كلّ ما سوى الله تعالى ﴿كَانَ زَهُوقًا﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨١] أي: باطلاً، فانياً، مضمحلّاً من قبل أنْ يظهر للسالك بطلانه وفناؤه واضمحلاله. وإنّما كان الباطل كلّ ما سوى الله تعالى لقوله عليه السلام كما ورد في حديث مسلم: «أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد: ألا كلّ ما خلا الله باطلاً»[2].

١٢ - لَا غَرْوَ إنْ تَخِذَ العِذارَ حَمَائِلاً   إذْ ظَلَّ فَتَّاكاً بِنَا[3] وَقَّاذا

(لا غروَ): بالغين المعجمة والراء، أي: لا عجب. و(إنْ): بكسر الهمزة ـ وفي نسخة بفتحها ـ وسكون النون، يعني: لأنْ. و(تَخِذَ): بمعنى اتخذ. و(العِذار): بكسر العين المهملة وفتح الذال المعجمة، أصله من اللجام: ما سال على خدِّ

---

(١) انظر ديوان المتنبي ج٢ ص٨٢. كذلك معجز أحمد لأبي العلاء المعرّي، باب الشاميّات ج١ ص٥٩.

(٢) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب: أيام الجاهليّة، ٣٨٤١، عن أبي هريرة بلفظ: أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد: ألا كلّ شيء ما خلا الله باطلاً، وكاد أميّة بن أبي الصلت أنْ يسلم.

(٣) في(ق): به.

الفرس، ثُمَّ قيل عَذِرَ الغلام: إذا نبت شعر عِذاره، وهو ما على الخدَّين من الشعر.

كناية هنا عمّا ينبت في القلب من المعاني، وإدراك الأشياء، والشعور بها. فلمّا جعل العين سيفاً، وجعل جفونها ـ وهي الروح والجسم ـ أجفاناً لذلك السيف جعل ما يقع في القلب من الشعور والإدراك للمعاني الإلهيّة حمائلاً لذلك السيف؛ لأنّها تحمله حتى يبقى معلوماً عندها، وأفرد السيف في البيت الذي سبق، وجمع الجفون للإشارة إلى الوحدة الإلهيّة الظاهرة في كلّ شيء من غير تعددٍ فيها، وإن تعددت مظاهرها من قبيل قولنا في مطلع قصيدة لنا:

يـا شـمْعةً هـي في كـلّ الفـوانيس   يُخـالِفُ العقـل هـذا في التقـاييس[1]

و(الحمائل): جمع حَميلة بالحاء المهملة، فيُقال: حَميلة وحِمَّالة بالكسر وهي عِلاقة السيف. وقوله (إذْ): تعليليّة. وفي النسخة الأُخرى (أن ظلّ): أي لأنْ ظلَّ، بمعنى صار، وأنْ مصدريّة، أي: لصيرورته.(فتّاكاً): بصيغة المبالغة، من الفَتْك، وهو رُكوب ما هَمَّ من الأمور ودعت إليه النفس، كالفُتُوك والإفتاك، فتَكَ يَفْتُكُ فهو فَاتِك: جَريء شجاع، كذا في القاموس. ويُقال في المبالغة: فتّاك كما ذكرنا. وفاعل ظلّ ـ وهو اسمها ـ ضمير راجع إلى المحبوب الحقيقيّ. وقوله (بنا): متعلّق بفتّاكاً. وقوله (وقّاذاً): صيغة مبالغة من الوَقْذ، بالقاف والذال المعجمة، وهو شدّة الضرب. ووَقَذَه: صَرَعَه، وغَلَبَه، وتركه عليلاً، كأَوْقَذَهُ، كذا في القاموس.

١٣- وَبِطَرْفِهِ سِحْرٌ لَوَ أَبْصَرَ فِعْلِهِ   هَـارُوتُ كَـانَ لَـهُ بِـهِ أُسْـتَاذاً

(بطرفه): أي بعينه، وتقَدَّم معنى الكناية فيها. وقوله (سحر): أي ما هو يشبه السحر في تشتيت عقل السالك، والتفريق بينَه وبين ما كان ملاحظه أوّلاً من العوالم. ثمّ قال (لَوَ أَبصر فعله/[٧٠/ ب] مفعول أبصر. و(هاروتُ): بالرفع فاعل أبصر، وهو المَلَك الذي أنزله الله تعالى لتعليم السِّحْر للناس ليفرقوا به بين

---

(١) انظر ديوان الحقائق للشيخ عبد الغنيّ النابلسيّ ج١ ص٢٦٥.

معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء وبين السِّحْر الذي هو استعمال الجنّ في الأمور الخارقة للعادة. وأصل السحْر: كلّ ما لَطُف مأخذه ودقّ، كأنّه مأخوذ من السَّحَر، بالتحريك، وهو قُبَيل الصبح لاختلاط السواد من الليل فيه بشيء من بياض الصبح القريب، وفي قوله (**لَوَ أَبصر فعلَه هاروت**): يعني أنّ هذا المَلَك لمّا علَّمه الله تعالى السِّحْر أوجب ذلك عنده غفلة من المعلم لضرورة كونه سحراً، فلو أبصر ذلك الفعل نفسه الصادر منه تعالى له لكان، أي: ذلك المحبوب الحقيقيّ. (**له**): أي لهاروت. (**به**): أي فيه. والضمير راجع إلى السِّحْر.

(**أُستاذاً**): أي معلِّماً كما هو المعلِّم له ذلك في نفس الأمر، ولعلمه أنّ الأُستاذ أعلم منه في ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [١٢/ يوسف/ ٧٦].

١٤ - تَهْذِي بِهَذَا البَدْرِ فِي جَوِّ السَّما خَـلِّ افْـتِرَاكَ فَـذَاكَ خِـلِّي لَا ذَا

(**تَهْذي**): بالذال المعجمة، فعل مضارع من هذى إذا تكلَّم بغير معقول لمرضٍ أو غيره، كذا في القاموس، وهو خطاب للائم المتقدِّم ذكره في قوله (**غير السلوّ تجده عندي لائمي**)[1]. وقوله (**بهذا**): اسم إشارة إلى البدر؛ وهو القمر ليلة التمام. كناية عن الحقيقة الإنسانيّة المُستمدَّة من شمس الحقيقيّة الإلهيّة. كما أنَّ البدر نوره الظاهر فيه نور الشمس كالمرآة المجلوَّة الظاهر فيها ما يقابلها من الأنوار؛ بحيث لم ينتقل النور بذاته إلى البدر، ولا فارق الشمس. ومعنى هذيانه بهذا البدر المشار إليه لحضوره في حقيقة المشير المخاطب بذلك؛ وهو اللائم الجاهل بما هو الأمرعليه في نفسه؛ فإنّ أصل اللائم إنسان يسلك بنفسه في طريق ربّه ليتَوَصّل بعقله وفهمه في علوم العرفان إلى التحقّق بتجلِّيات الرحمن، وغَلَبَتْ عليه شهوته وهواه؛ فجهل أمر الله المحيط به؛ فقال في نفسه لنفسه: «أنا الحقّ». وهو في ظلمات الطبع والهوى والشهوة؛ فكأنّه قال عن نور بدر نفسه: إنّ ذلك النور هو نور

---

(١) انظر البيت السابع من القصيدة نفسها.

حقيقة ربّه، ولو كان نور بدر نفسه هو نور حقيقة ربِّه لفنيَ بدر نفسه في شمس ربّه، واضمحلّت رسومُه بالكليّة؛ وإنّما هو واقع في الوساوس النفسانيّة، والأوهام الخياليّة، فهو أسير الأوهام، المُكبّل بقيود الانبهام[1]، وزخارف الأفهام؛ فجميع ما عنده هَذَيَان، وتباعد عن مقام العرفان. وقوله (في جَوٍّ): أي هواء. (السما): بالقصر، وهي العلوّ. كناية عن العابد الزاهد الذي أفعاله، وأعماله، وأقواله، وأحواله كلّها على طِبق الشريعة، ولكنَّه لم يفنَ عن نفسه التي هي جِرْم القمر الخالي من النور، وجميع ما يصدر عنه صادر عن نفسه الأمّارة بالسوء من حيث لا يشعر. وقوله (خَلِّ): بالخاء المعجمة وتشديد اللام، أي: أترك. (افتراك): بالقصر في الافتراء لضرورة الوزن؛ فإنّه افتراء منك على الحقّ تعالى، وعلى نفسك في قولك أنا هو، فإنّك لو كنت هو لقدرت على خلق كلّ شيء، وعلى إعدام كلِّ شيء، وأنت لا تقدر مع ذلك على تحريك جناح بعوضة. ولّما عجزت عن شيء، وأنت عاجز عن كلّ شيء ما لم يقدّرك الله تعالى على ما يريد، ولما متَّ وأنت تمرض قهراً عنك، وتموت وتدفن، والله منزّه عنك وعن كلّ ما سواه. ثمَّ قال (فذاك): أي المشار إليه، البعيد عنّي وعنك، مع كمال قربه إلينا من غير مسافة، ولا اتّصال، ولا انفصال، ولا حلول، ولا انحلال. ثُمّ قال (خِلِّي): بكسر الخاء المعجمة وتشديد اللام مكسورة، أي خليلي المصاحب لي، الذي لا يفارقني أزلاً، ولا أبداً كما ورد في الأثر: «اللهمّ إنّك أنت الصاحب في السفر»[2]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [٥٧/ الحديد/ ٤]. ثمّ قال (لا ذا): أي لا، إنّ خلِّي الذي أنا أخالل، وأطلب انفراده دوني، هوذا الذي تشير إليه أنت يا أيها اللائم لي، الجاهل/[٧١/ أ] بي الذي لا يرضى بطَريقتي، ويريد أنْ يسوقني إلى طريقته المعوجّة الفاسدة فيلومني، ويُوبِّخني على ما يجده منّي مما يخالف طريقته، كما قال الشيخ علي الوفائي المصري

(١) في المطبوع: الإيهام.
(٢) أخرجه مالك في الموطّأ، باب: ما يؤمر به من الكلام في السفر،٣٥٨٣. إلى آخره.

قدّس الله سرَّه في موشَّحٍ له:

يـــــا أيهـــــا المربـــــوطْ إنّـــــا نريـــــد حلّـــــكْ
وأنـــــت تريـــــد تـــــربطْ رجـــــلي جِـــــذا رجلـــــك

١٥ - عَنَتِ الغَزَالَةُ وَالغَزَالُ لِوَجْهِهِ مُتَلَفِّتـــاً وَبِـــهِ عِيَـــاذاً لَاذَا

(عَنَت): أي خضعت وذلَّت. (الغزالة): أي الشمس. و(الغَزال): كسحاب، الشادن حين يتحرّك ويمشي، أو من حين يولد إلى أنْ يبلغ أشُدّ الإحضار، كذا في القاموس. (لوجهه): أي وجه المحبوب الحقيقي؛ فالشمس بالنسبة إلى نوره الحقيقي كنسبة نور القمر إلى نور الشمس؛ بل الأنوار كلّها آثار نور وجهه، قال تعالى: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ﴾ [٢٠/ طه/ ١١١] أي: لوجهه تعالى كما قال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [٢٨/ القصص/ ٨٨] وقال: ﴿تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [٢/ البقرة/ ١١٥]. وعنى الغزال أيضاً لوجهه حال كونه ذلك المحبوب الحقيقي (متلفِّتاً): فهو حال من الضمير في قوله لوجهه؛ يعني خضع له الغزال، وذلك حُسْن الالتفات، وهو العطف بالرحمة واللطف والإحسان على السالك في طريقه. وقوله (وبه): أي بذلك المحبوب المذكور، والجار والمجرور متعلِّق بـ (لاذا). والألف ضمير التثنية راجع إلى الغزالة والغزال. و(عِياذاً): بكسر العين المهملة والذال المعجمة، مصدر عاذ، وهو الاستعاذة، بمعنى الالتجاء، وهو منصوب على أنّه مفعول لأجله، أو حال من ضمير التثنية في قوله (لاذا) على معنى عائذينِ، بصيغة التثنية. والمعنى: لاذ به الغزالة والغزال، أي: استترا بنور وجهه الكريم، وتحصَّنا عن الفناء والاضمحلال. وربّما كنّى بالغزالة عن الروحانيّة الإنسانيّة المشرقة على العالم الجسمانيّ الإنساني، وبالغزال عن القلب الإنساني المُتلفِت بالفكر والخيال إلى عوالم الإمكان.

١٦ - أَرْبَتْ لَطَافَتُهُ عَلَى نَشْرِ الصَّبَا وَأَبَـــتْ تَرَافَتُـــهُ الـــتَّقَمُّصَ لاذا

(أَرْبَتْ): بالراء والباء الموحّدة، أي: زادت. (لطافته): من اسمه اللطيف. (على

نَشْر): وهي الرائحة الطيِّبة. كناية عن الروح الآمريّ من قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ الآية [١٧/ الإسراء/ ٨٥]. وهو الروح الأعظم بمنزلة الرائحة الفائحة من المسك ونحوه، تنقل رائحة الأمر الإلهي إلى جميع الأكوان. وقد أضاف النشر إلى (الصَّبَا): وهو ألطف الرياح التي تهبُّ وقت الصَّبا. والصَّبا: كناية عن الأرواح الجزئيّة المدبِّرة للأجسام الإنسانيّة. وقال بعضهم في قوله تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [٦/ الأنعام/ ١٠٣] إنّ هذا لفٌّ ونشر مرتَّب. يعني: لا تدركه الأبصار، لأنّه اللطيف، وهو يدرك الأبصار؛ لأنّه الخبير. فذكر أنّ سبب عدم إدراك الأبصار له تعالى زيادة لطفه تعالى؛ فهو بالنسبة إلى الروح الأعظم الذي هو ألطف من الأرواح كلِّها المنفوخة منه في الأجسام بمنزلة الروح الأعظم بالنسبة إلى الأجسام الكثيفة؛ فالروح الأعظم مع كمال لطافته أكثف من أكثف الأجسام بالنسبة إلى لطافة الحقّ تعالى؛ ولهذا قال: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴾. وقوله (وأَبَتْ): أي كرهت. (ترافته): بالتاء المثنَّاة الفوقيّة والراء بعدها ألف وفاء، قال في القاموس: «المُتْرَف كمُكْرَم: المَتْروكُ يَصْنَع ما يشاء، ولا يُمْنَع، والجَبَّار» انتهى. فالترافة هنا كناية عن كمال إطلاقه وتنزهه وجبروته سبحانه. وقوله (التقمُّص): أي لبس القميص؛ وهو الصورة من اسمه المصوِّر. وقوله (لاذا): مفعول التقمُّص الذي هو مصدر، وفي القاموس: «واللَّاذة: ثوب حرير أحمر صيني، وجمعه لَاذ». والمعنى: أنّه من كمال نزاهته وإطلاقه امتنع عليه أنْ يلبس الصورة اللطيفة؛ فضلاً عن الكثيفة وإنْ كان متجلِّياً بها، وظاهراً بتصويرها من اسمه المُصَوِّر، وقوله سبحانه: ﴿ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٨٤] وقوله: ﴿ وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ﴾ [٢٧/ النمل/ ٩١] كما هو المعروف/ [٧١/ ب] عند أهل الأذواق من السالكين، فإنّ هذا كلّه بالنظر إلينا؛ حيث نراه ونعلمه كذلك بعيون العقول والألباب. والله أعلم بالصواب.

١٧ - وَشَكَتْ بَضَاضَةُ خَدِّهِ مِنْ وَرْدِهِ وَحَكَتْ فَظَاظَةُ قَلْبِهِ الفُولَاذَا

(شَكَتْ بَضَاضَةُ): بالباء الموحَّدة والضادين المعجمتين بينهما ألف، هي الرِّقة مع الامتلاء في البشرة. و(الخَدّ): معروف. كنّى به عن صفات الجمال؛ وهو الخدّ الأيمن، والخدّ الشمال صفات الجلال. وكلاهما في الوجه المكنّى به عن التوجّه على الإيجاد. وبضاضة الخدّ كناية عن كمال النعيم الصادر لأهل التجلِّي الجمالي؛ وهم فريق الجنّة، فتشكو تلك البضاضة. (من وَرْدِهِ): أي وَرْدِ ذلك الخدّ، وهو الحُمرة الجماليّة التي تتعشَّق بها النفوس الأبيّة، نفوس المحبِّين، من قبيل قول الناظم قدّس سرّه في قصيدته الكافية:

قال لي كلّ حُسْنٍ تجلّى بي تَمَلَّى فقلت قصدي وراكا[1]

لأنّ مقصود المحبوبين الذاتيّين من كمال العارفين الوصول إلى معرفة الذات الإلهيّة وهم يعرفون أنّها لا تُعرف؛ لأنّهم آثار أسمائها الحسنى، وصفاتها العليّة. ولكنَّ المقام جذبهم إلى ما هم فيه من الهمم السنيّة، والأسماء والصفات تتحفهم بأنواع الآثار البديعة، وتكشف لهم عن محاسن صنائعها الرفيعة، وهم يعرضون عن ذلك، ويشكون مما هنالك؛ لأنّهم بضاضة خدِّه،وملاحة ورده. وقد ورد في الحديث: «إنّ من أمتي مَن يدخل الجنّة بالسلاسل»[2] وذلك إشارة إلى أهل هذا المقام، كما قال تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ [١٨/الإسراء/٢٨] أي: ذاته. وقوله (حَكَتْ فظاظة): أي غِلظَة قلبه. كناية عن عظيم جبروته وتكبُّره، بحيث لا يذلّ أصلاً من حيث اسمه الجبّار المتكبّر. وقوله (الفولاذا): مفعول حكت، وهو خالص الحديد. وهذه الفظاظة إنّما هي على أهل محبّته الذين حرقهم بنار بعده عنهم وهجره لهم،

(١) انظر البيت رقم٥٣ من قصيدة ته دلالاً.

(٢) لم نعثر عليه في مصادرنا بهذا اللفظ، وإنّما ذكر السيوطيّ في جمع الجوامع، ٣٤٩٥، عن أبي هريرة، بلفظ: «إنّي لأرى أمماً تقاد بالسلاسل إلى الجنّة»، وقال: أخرجه الحاكم في الكنى عن أبي هريرة، كما أخرجه البخاريّ في التاريخ الكبير.

وهم أهل الشمال الذين هم مظهر الجلال، فعاملهم بالنَّكال، وسوء المنقلب والمآل: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [٢١/الأنبياء/٢٣]؛ فإنّ محبّته أوصلتهم إلى أنْ عملوا ما كانوا يعملون، كما قال: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [١٥/الحجر/٤٩-٥٠].

١٨- عَمَّ اشْتِعَالاً خَالُ وَجْنَتِهِ أَخَا شُغْلٍ بِهِ وَجْداً أَبَى اسْتِنْقَاذَا

(عَمّ): شمل. (اشتعالاً): بالعين المهملة، أي: التهاباً بالنار. (خَالُ): فاعل عمّ. و(الخال) هو الشامة، نقطة سوداء. كناية عن ظلمة عالم الإمكان في صفحة وجنة الأسماء والصفات. (أخا): مفعول عمّ، أي: مؤاخي، بمعنى ملازم. (شُغْل): بالغين المعجمة، أي: اشتغال به عمن سواه، وهو العارف به الذي يراه في كلّ شيء. وقوله (وجداً): تمييز لنسبة الشغل إليه، أي: مشتغلاً به من جهة الوجد، أي: الشوق والمحبّة. (أبى): أي كره. (استنقاذاً): أي نجاة وتخلُّصاً من محبّته؛ فهو دائم الاشتغال والالتهاب بسبب حسْن سواد ذلك الخال الظاهر في بيض وجنة الأسماء الحسنى من وجه الجميل المتعال.

١٩- خَصِرُ اللَّمَى عَذْبُ الْمُقَبَّلِ بُكْرَةً قَبْلَ السِّوَاكِ الْمِسْكُ سَادَ وَشَاذَا

(خَصِرُ) بفتح الخاء المعجمة وكسر الصاد المهملة، البارد. و(اللَّمَى): أي الريق، وهو ماء الفم. كناية عن لطائف المناجاة السريّة بالمعاني الربّانيّة. وقوله (عَذْب): أي سائغ حُلْو. (المُقَبَّلِ): بتشديد الباء الموحّدة، كمُعَظَّم، محل التقبيل؛ وهو الفم. كناية عن التجلّي الرحماني والانكشاف الربّانيّ بالظهور السبحانيّ. وقوله (بُكْرة): أي في ابتداء كلّ خَلْق جَديد، والخلق الجديد متكرر الأنفاس من قوله: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحِۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ [٥٤/ القمر/ ٥٠] وقوله: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن/ [٧٢/ أ] تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [٣٠/الروم/ ٢٥] فقيامها بالأمر تجدّدها كلمحٍ بالبصر وهو قوله: ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [٥٠/ ق/ ١٥] وقوله (قبل

السواك): أي قبل استعماله. وكنّى بالسواك عن التنزيه الذي يزيل من التجلّي أوساخ الأغيار، ودنّس الآثار؛ إذ لا يحتاج تجليه على ما هو عليه إلى تنزيه لكمال نزاهته في أصله على ما هو عليه. وقوله (**المِسْك**): بالنصب مفعول مقدّم لقوله (**سَاد**): بالسين المهملة، أي: صار سيِّداً على **المسك**. وفاعل ساد ضمير راجع إلى **المُقَبَّل**. و(**شاذا**): بالشين المعجمة، أي: ذلك المسك بالطيب. يعني: أكسبه الطيب، قال في القاموس: «الشياذ ذلك الجيّد بالطيّب». ولا شك أنّ التجلّي الإلهيّ هو الذي أظهر المسك وأكسبه الرائحة الطيّبة.

٢٠- مِنْ فِيْهِ وَالأَلْحَاظِ سُكْرِي بَلْ ... فِي كُلِّ جَارِحَةٍ بِهِ نَبَّاذَا

كنّى بـ(**فِيه**): أي فمه عن تجليه كما ذكرنا. وكنّى بـ(**الألحاظ**):عن حضرات أسمائه وصفاته. وقوله (**سُكْرِي**): أي ما أجده ويظهر مني من الغيبة عن جميع الأكوان. (**بل أَرَى في كُلِّ جَارِحَة**): أي عضو من أعضائي. (**نَبَّاذا**): مفعول أرى، والنبّاذ بالتشديد صيغة مبالغة، وهو الذي يعطي النبيذ أو يبيعه. وقوله (**به**): أي بسبب كلّ واحد من فيه ومن ألحاظه، وذلك قوله عليه السلام: «كنت سمعه الذي يسمع به» وهذه جارحة الأذن، وقوله: «بصره الذي يبصر به» وهذه جارحة العين وكذلك باقي الجوارح[1].

٢١- نَطَقَتْ مَنَاطِقُ خَصْرِه حَتماً إذا ... صَمْتُ الخواتم للخناصر آذى[2]

(**المناطق**): جمع مِنْطَقَة كَمِكْنَسَة، بكسر الميم وفتح النون. والمِنْطَقَة ما يُنْتَطَقُ به على الناطقة؛ وهي الخَصر. فقوله نطَقت: أي تكلّمت لسعتها من ضيق الخصر ورقّته. كنّى بالخصر عن حضرة الذات الإلهيّة، وبالمناطق عن حضرات الأسماء والصفات؛ لأنّها دائرة على الذات تشبه المحيطة بها، وليس بمحيطة، لأنّ الأسماء

(١) انظر تخريجه ص١٤٦.

(٢) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: «بلغ».

والصفات هي الظهور من حضرات الذات المطلقة على مقدار ما يناسب الأكوان. وقد ورد: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [٣٧/ الصافات/ ١٨١] فنزّه نفسه ـ سبحانه ـ عن صفات الواصفين سماعاً أوعقلاً. ثمّ قال (حتماً): بالحاء المهملة والتاء المثنّاة الفوقيّة، أي: نطقاً حتماً. يعني: كلاماً ملزماً من الحتم، وهو القطع. كناية عن الأمر والنهي اللازمين شرعاً بالكلام الإلهيّ. وفي نسخة خَتماً بالخاء المعجمة، أي: نطقها يشبه الختم في إظهار الأثر على طِبْقِ ما هو في الحضرة العلميّة. ثم قال (إذا صَمْت): بفتح الصاد المهملة وسكون الميم، وهو السكوت، ضدّ التكلّم، وأضاف ذلك إلى (الخواتم): جمع خاتم، وسبب صمتها ضيقها وعدم سعتها. وقوله (للخناصر): جمع خنصر، وهو الإصبع الصغيرة في اليد. (آذى): بمدّ الهمزة، فعل ماض من الأذى، وسبب ذلك السِّمَن في الأصابع؛ بحيث ضاقت عليها الخناصر ولم تتسع، فكنّى بالأصابع عن حضرات الجلا ل وحضرات الجمال. وكنّى بالخواتم عن مظاهر هذه الحضرات من قلوب العارفين، وهي الحضرات الإلهاميّة، والمعاني الكثيفة؛ فإنّها تضيق عن استيفاء جلال الحضرة وجمالها؛ لسعة عالم الجلال والجمال، وضيق عالم الإمكان عن ذلك، وقد ورد: «قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلّبه كيف يشاء»[1].

٢٢- رَقَّتْ وَدَقّ فَنَاسَبَتْ مِنِّي النَّسِيْـ ـبَ وَذَاكَ مَعْنَاهُ اسْتَجَادَ فَحَاذَى

(رَقَّتْ): يعني المناطق المذكورة، فكادت تخفى من كمال رقّتها؛ لتناسب اللطف الإلهيّ من اسمه اللطيف، حتى إنّ بعض الفِرَق أنكروا الصفات الإلهيّة؛ وهم حكماء الفلاسفة. وذلك من كمال خَفائها عليهم، ولولا ورودها في الشرع لأنكرها الكلّ. وقوله (دَقَّ): أي الخصر. يعني: خفي فلا يكاد يظهر إلا بقيام المناطق عليه. (فناسبت): أي المناطق/ [٧٢/ ب] وأمّا الخصر فلا مناسبة له لعدم

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: القدر، باب: تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء، ٦٩٢١.

ظهوره بالكليّة. (مني النسيب): بالنون والسين المهملة؛ وهو التشبيب بالشعر في امرأة ونحوها. أراد به هذا اللسان الغزليّ الذي لهج به هنا. يعني: ناسبته في الرِّقة وحسن اللطافة. وقوله (ذاك): أي الخصر الذي دَقَّ. (استجاد): أي عَدَّ الشيء جيِّداً. يعني: جعل الأسماء والصفات جيِّدة له، أي: حسنة، جميلة؛ ولهذا يقال لها الأسماء الحسنى، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [٨/ الأعراف/ ١٨٠] وحُسْنها بسبب نسبتها إليه تعالى. وقوله (فحاذى): بالحاء المهملة من المحاذاة، أي: المقابلة والمقارنة للأسماء والصفات؛ إذ كلّ اسم منها، وكلّ صفة هي عين الذات العليّة من وجه حقيقي. ومع ذلك هي غير الذات أيضاً من وجه عقليّ؛ فالناظر بالحقيقة ـ وهي عين الإيمان بالغيب ـ يرى الأسماء والصفات عين الذات، والناظر بالأنظار العقليّة يراها غير الذات.

٢٣- كَالغُصْنِ قَدّاً وَالصَّباح صَبَاحَةً   واللَّيْـلِ فَرْعـاً مِنْـهُ حَـاذَى الحَـاذا

المعنى: إنّ هذا المحبوب الحقيقي قَدُّه كالغصْنِ. يعني: ظهوره في قلوب العارفين به قَدّ له. وفي القاموس: «القَدُّ قَامةُ الرجل، وتقطيعه، واعتداله». فيما يظهر في القلوب من المعنى المسمّى عند القلوب بأسماء الحقّ تعالى، وموصوفاً بصفاته تعالى، يُسَمّى إله المعتقدات، يشبه الغصن النابت من أصل الشجرة الإنسانيّة بقدر طاقتها في أرض الحقيقة الغيبيّ المعجوزعنها، ويسمّى المناظر العُلا، وهذا كلّه تنزيه للحقّ تعالى عند العارفين به سبحانه. ثُمّ قال (والصباح): أي كالصباح. (صباحةً): أي نوره الذي أشرق على ظلام الأكوان أفنى الأكوان كنور الصباح الذي إن أشرق على ظلام الليل أعدمه، وإنْ أشرق على أسمائه الحسنى أظهر أمثال ما فيها من الحضرة العلميّة فترتسم ظلالات المعلومات على صفحة الإمكان. وقوله (والليل): أي وكالليل من جهة (الفَرْع) : أي الشعر النابت من الشعور بمعنى الإدراك، هو شعور العقول بالمعاني النابتة في نفوسهم؛ فإنّها له تعالى بحكم: ﴿ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٨٤] أي: سموات الأرواح،

وأرض النفوس، وقال تعالى: ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖ﴾ [٢٧/النمل/٩١] وهي مظلمة كالليل، لأنّها معاني الأغيار التي لولاها لم يُعرف نهار الأسرار. وقوله (منه): أي من ذلك المحبوب الحقيقي. (حاذى): أي وصل إلى حِذاء، بكسر الحاء المهملة والذال المعجمة. (الحاذا): بالحاء المهملة والذال المعجمة؛ وهو الظَّهْر، أي: من طوله كان كذلك، فإنّ الشعور والإدراك النفسانيّ متصل بعضه ببعض، طويل إلى أنْ ينكشف الأمر الإلهيّ على ما هوعليه وتشهده البصيرة خلق الله ؛ فيذهب الليل ويأتي العرفان.

٢٤- حُبِّيْهِ عَلَّمَني التَّنَسُّك إذْ حَكَى مُتَعَفِّفَـــاً فَـــرَقَ المَعَـــادِ مُعَـــاذاً

قوله (حُبِّيه) أي حُبّي إياه عَلَّمَني (التَّنَسُّك): أي التعَبُّد رغبة في الوصول إليه. (إِذْ): تعليليّة. يعني: لأنّه (حَكَى): أي ذاك الحبّ الذي أحبّه به. (مُعَاذا): هو معاذ بن جبل الصحابي المشهور. وهو منصوب بأنّه مفعول حَكى. (مُتَعَفِّفَاً): حال من معاذ مُقَدَّم عليه. و(فَرَقَ) بالحركات الثلاث، أي خوف. (المعاد): بالدال المهملة، أي: المرجع، وهو الآخرة. يعني: حكى حبِّي له معاذ بن جبل رضي الله عنه حال كون معاذ مُتَعَفِّفَاً من خوف الآخرة، وههنا أمران، الأوّلُ: كون المحبّة لصاحب الأخلاق الجميلة الحسنة تُعلِّم الأخلاق الجميلة الحسنة للمحبّ؛ فالمحبّة نفسها للحقّ تعالى إذا صَدَقَ بها المُحبّ أورثته أخلاق الحقّ تعالى، كما ورد في الحديث: «تخلّقوا بأخلاق الله»(1) فإنّ من أحبّ أحداً وجب عليه أنْ يسلك طريقه فيما يفعله، وهي المراد بالتَّنَسُّك في قوله/ [٧٣/ أ] (حُبِّيه علمني التنسُّك). والأمر الثاني كون حُبِّه له. حكى مُعاذ بن جبل في حالة كون معاذ مُتَعَفِّفاً عن كلّ شيء سوى محبوبه ذلك، من خوف مجيئه في الآخرة إلى بين يدي محبوبه. ومعنى ذلك: إنَّ المحبّة التي توجب التخلُّق بالأخلاق الإلهيّة كما ذكرنا هي المحبّة التي لا تعلُّق لها بغير المحبوب الحقيقيّ أصلاً كحالة معاذ بن جبل في تعفُّفِه عن الأغيار،

---

(١) ذكره الألبانيّ في السلسلة الضعيفة، ٢٨٢٢، وقال: «لا أصل له».

وخوفه من لقاء ربّه، فإنّ حُبَّه لما علمه أشبه إنساناً يعلمه وأخبر عنه بأنّه حكى معاذاً في محاسن أحواله.

٢٥- فَجَعَلْتُ خَلْعِي لِلعِذَارِ لِثَامَهُ   إذْ كَانَ مِنْ لَثْمِ العِذارِ مُعَاذَا

(خَلْع العِذار): كناية عن التهتُّك وعدم التقَيُّد بها تعتبره العامّة من الآداب العرفيّة، مع المحافظة على الأحكام الشرعيّة فيها لا يعرفه غير الخاصّة مِن البريَّة، وذلك حال السادة الملاميّة[1] الذين هم من كمال الرجال المعروفين بكتم الأسرار وإخفاء الأحوال. وقوله (لِثامَه): المفعول الثاني لجعلتُ، والمفعول الأوّل هو خلعي للعِذار. والضمير للمحبوب الحقيقيّ، أي: حجابه الذي يستر وجهه الكريم عن أعين الناظرين، فإذا نظروا ينظرون إليّ فيَرَوْني دونه غَيْرَةً مِنِّي عليه. وإذا رأوا أحوالي أنكرها مَنْ لم يعرف الطريق فيزداد الحجاب على غير الأحباب. ثُمَّ قال (إذْ): أي لأنّه. (كان): أي المحبوب الحقيقيّ. (مِنْ لَثْمِ): أي تقبيل العِذار، وهو الشعر النابت على الخدين، كناية عما يشعر بوجهه الكريم من الحجب الروحانيّة النورانيّة. (مُعاذا): بضمّ الميم، اسم مفعول، من أعاذه يُعيذه: يحفظه بالعَوذة، وهي الرُّقيَة، أي: كان محفوظاً من ذلك لكمال صيانته، وفرط علوِّه، وتنزُّهِه عن إدراك الأبصار والبصائر، وتوهُّمات القلوب والسرائر.

٢٦- وَلَنَا بِخَيْفِ مِنَى عُرَيْبٌ دُوْنَهُمْ   حَتْفُ المُنَى عَادَى لِصَبٍّ عَاذَا

(الخَيْف): بفتح الخاء المعجمة وسكون الياء التحتيّة، ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء، ومنه مسجد الخَيْف بمنى. و(مِنى): بكسر الميم، مقصورة، موضع بمكّة، كنّى بذلك عن القلب الملازم للخوف وللتّمَنِّي، فهو يخاف ويرجو. وقوله (عُريب): تصغير عَرَب، من الإعراب وهو الإبانة والإفصاح، وتنكيره

---

(١) الملاميّة أو الملامتيّة أو الملامكيّة:هم الذين لم يظهر على ظواهرهم ممّا في قلوبهم شيئاً، وهم يجتهدون في الإخلاص ولا يظهرونه، ولا يظهرون شرّاً وقد يظهر بعضهم الشرخوف الرياء. انظر معجم مصطلحات الصوفيّة للحفني ص٢٤٩.

للتعظيم، كنّى بذلك عن الحقّ الذي وسعه قلب عبده المؤمن، وهو مقدار ما انكشف للقلب من الغيب المطلق. وقوله (دونهم): أي دون الوصول إليهم. (حَتْفُ) بحاء مهملة وتاء مثنّاة حتف أنفه، أي: من غير قتل ولا ضرب. و(المُنى): بضمّ الميم، جمع مُنية، وهي البُغْية، والطلبة، فمعنى (حَتْف المُنى): أي هلاك المُنى واضمحلاله بحيث لا يبقى منى فوقيّة وهو الموت. وقولهم مات أصلاً لشيء من أمور الدنيا وأمور الآخرة، وذلك دون الوصول إليهم كما قال شيخنا الشيخ عبد القادر الجيلانيّ قدّس الله سره:

لا أمـــــلاً ولا أمنيــــــــةً أرجـــو ولا موعـــودة أترقّـــبُ

٢٧- وَبِجِــزْعِ ذَيَّــاكَ الحِمَــى ظَبْــيٌ بِظُبَــا اللَّــوَاحِظِ إِذْ أَحَــاذَ إِخَــاذَا

(الجِزْع): بكسر الجيم وسكون الزاي، أي: منعطف الوادي. (ذيّاك): بتشديد الياء التحتيّة، اسم إشارة مُصغّر، و(الحِمى): المكان الممنوع الذي لا يُقرَب، كنّى بذلك عن قلب العارف أيضاً. وقوله (ظَبْيٌ): أي غزال. كنّى بذلك عن جناب الغيب المطلق الذي لا يزال نافراً عن الحصول لكمال تنزُّهه عن مدارك العقول، وقوله (حَمى): أي مَنَعَ الوصول لِمَن أراده بـ(بِظُبَا): بضمّ الظاء المعجمة، جمع ظُبة بالضمّ، وهي حدّ السيف، أو السنان ونحوه. و (اللواحظ): العيون. كناية عن حضرات الأسماء والصفات الإلهيّة/ [٧٣/ ب]. وقوله (إذْ): تعليليّة، أي: لأنّه (أحاذ): بالحاء المهملة والذال المعجمة، أي: قهر وغلب، على معنى أنّه وصف بالقهر والغَلَبة. وقوله (إخاذا): بكسر الهمزة وبالخاء المعجمة، اسم الغدير من الماء. كناية عن عالم الأكوان. قال تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [١١/ هود/ ٧] وإخاذا مفعول حَمى فالمعنى: إنّه تعالى حَمَى عالم الأكوان بأسمائه الحسنى؛ لأنّه متّصف بالقهر والغَلَبة.

٢٨- هِيَ أَدْمُعُ العشّاق جَادَ وَلِيُّهَا الـ ـــوَادِي وَوَالَى جُوْدُهَـــا الإِلْـــوَاذَا

(هي): ضمير القصة مرجعه القصّة، مثل ضمير الشأن، وبيان القصّة: صدور

عالم الأكوان الذي كنّى عَنه بالغدير في البيت قبله عن الأسماء الحسنى الإلهيّة المكنّى عنها هنا بالعشّاق وما تحمله وتتوجّه به. كنّى عنه بـ (**الأدمع**): جمع دمع. ثمّ قال (**جاد**): يُقال جاد المطر جوداً: إذا نزل. وقوله (**وَليُّها**): الوليّ المطر الثاني الذي يكون بعد الوَسْمِيِّ. وكنّى بالوليّ بمعنى المطر عمّا كنّى عنه أوّلاً بأدمع العشّاق باعتبار تجدده من قوله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [٥٠/ ق/ ١٥]. و(**الوادي**): مفعول جاد. وكنّى بالوادي عن أهل الحضرة القدسيّة كما قال تعالى: ﴿إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [٢٠/ طه/ ١٢] لانطواء الكلّ منها، رجوعه إليها. ومن هذا القبيل قول الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه:

كُنّا حُرُوفاً عالياتٍ لم تُقَل ... مُتَعَلِّقاتٍ في ذُرى أعلى القُلَل

أنا أنتَ فيه ونحنُ أنتَ وأنت هُو ... والكلّ في هُو هُو هُو فَسَلْ عمّن وَصَل

وقوله (**ووالى**): أي تابع. (**جودها**): أي مطرها الغدير. والضمير راجع إلى أدمع العشّاق، المكنّى عنه بالوليّ. (**والإلْوَاذ**): مفعول وَالَى، وذلك جمع أَلْوَاذ، قال في القاموس: «الأَلْوَذ: من لا يميل إلى عَذلٍ، ولا ينقاد لأمر، وقد لَوِذَ كَفَرِح، وجمع: الأَلْوَاذ»[1]. والكناية فيه عن المتكبّرين على أصلهم الذي نشؤوا عنه، الجبارين على خلقه. كما كنّى بالوادي عن العارفين المحقّقين الفانين المضمحلّين في حقيقة العالم بهم.

٢٩- كَمْ مِنْ فَقِيرٍ ثَمَّ لَا مِنْ جَعْفَرٍ ... وَافَى الأَجَارِعَ سَائِلاً شَحَّاذَا

(**فَقِير**): أي بئر. كناية عن المريد الكاذب في إراده، كما قال تعالى: ﴿وَبِئْرٍ

(١) الألوَد، بالدال المهملة، مَن لا يميل إلى عدل ولا ينقاد إلى الأمر، وقد لَوِدَ كفَرِحَ، والجمع أَلْوَاد. والأَلْوَذ بالذال المعجمة، من اللَّوْذِ: الاستتار والاحتضان به، كاللُّواذ، مثلّثة، واللِّيَاذ، والمُلاوَذَة. والإحاطة كالإلاذة، وجانب الجبل، وما يطيف به، ومنعطف الوادي، والجمع أَلْوَاذ، ولعله المقصود، ولعلّ الشيخ وَهِمَ هنا، والله أعلم. انظر القاموس مادتي لَوِدَ ولَوِذ.

مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ [٢٢/الحج/٤٥] فالبئر قلب المريد الكاذب لطلبه أسافل الأمور كالدنيا والشهوات. والقصر قلب المريد الصادق لطلبه معالي الأمور، وهمّه بها كمعرفة ربّه، ومعرفة ما يقرّبه إليه. (ثَمَّ): بفتح الثاء المثلثة، أي: هناك إشارة إلى الوادي في البيت قبله. وقوله (لا مِنْ جَعْفَر): معطوف على فقير، أي: لا كم من جعفر، وهو النهر الصغير. كناية عن المريد الصادق. (وافى): أي جاء. (الأَجَارِع): جمع أَجْرَع؛ وهو الكثيب جانب منه رمل، وجانب حجارة. كناية عن المشايخ الكاذبين الذين ما عندهم شمس من المعرفة بالله تعالى، ولا بشيء من علوم الحقيقة والشرعيّة؛ فإنّ أمثال هؤلاء لا يقصدهم إلا المريد الكاذب في إرادته، لا المريد الصادق؛ فإنّهم لا يختفون عليه من قبيل قول العفيف التلمسانيّ قُدِّس سرُّه:

ومـن لم يجـب داعـي هـداك فخلّـه   يجب في العمى من جهله كلّ مدّعي

وقوله (سائلاً): حال من فاعل وافى. و(شحّاذا): بالشين المعجمة والحاء المهملة، أي: ملحّاً في سؤاله.

٣٠- مِنْ قَبْلِ[1] مَا فَرَقَ الفَرِيقُ عَمَارَةً   كُنَّا فَفَرَّقَنَا النَّوَى أَفْخَاذَا

(فَرَقَ): كَنَصَرَ: فَصَّ. و(الفريق): الطائفة الكثيرة من الناس. واللام للعهد، قال تعالى: ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ [٤٢/ الشورى/٧] والمراد هنا الفريق الأوّل. ومعنى فَرَقَ الفريق: انفصل إلى خواص وعوام. وذلك بانصباغ أعيانهم بنور الوجود، وقبل ذلك هو عالم التقادير والأقضية الأزليّة. وقوله (عَمَارَة): بفتح العين المهملة أصغر من القبيلة ـ وتكسر العين/[٧٤/ أ] أيضاً ـ والحيّ العظيم. وقوله (كُنّا): أي معشر أهل الله تعالى. (فَفَرَّقنا النوى): أي البُعد المتفاوت بيننا عن الحقّ تعالى بحسب الأحوال وتَوجّهات الهمم؛ وبهذا اختلفت المراتب بين

(١) في (ق): غير.

أهل الله تعالى. وقوله (أفخاذاً): جمع فَخْذ؛ وهو الحيّ من العشيرة، أي: جُعِلنا أقساماً وأنواعاً.

٣١- أُفْرِدْتُ عَنْهُمْ بِالشَّآمِ بُعَيْدَ ذَا ... كَ الالْتِئَامِ وَخَيَّمُوا بَغْدَاذا

(أُفردْتُ): بضمِّ الهمزة مبنيّاً للمفعول. (عنهم): أي عن العَمارة المذكورة في البيت قبله. وقوله (بالشأم): بالهمز، والمدِّ لغة في الشأم: القطر المعروف. ومعنى إفراده: دخوله في مقام الفرديّة الخارجة عن حكم الأقطاب كلهم. و(بالشأم): أي: حصل له ذلك بسبب دخوله أرض الشأم، ومفارقته مصر. ثمّ قال (بُعَيْد): بضمّ الباء الموحّدة، مصغّر بعد. (ذاك الالتئام): أي الاتفاق معهم، والانضمام إليهم. ثمّ قال (وخَيَّموا): يقال خيَّم بالمكان إذا أقام فيه. وضمَّنه معنى استوطنوا فقال (بغداذا): مفعول خَيّموا، ولهذا لم يقل وضمّوا بغداذا[1]. وهي بالغين المعجمة، دار السلام، وفيها لغات، منها هذه، بغداذ، بالذال المعجمة. وخَصّ بغداذ لأنها مسكن القطب الذي تدخل جميعُ أهل المراتب الإلهيّة تحت حيطته من أقطاب المقامات وغيرهم إلا الأفراد خاصّة.

٣٢- جَمَعَ الهُمُوْمَ البُعْدُ عِنْدِي بَعْدَ أنْ ... كَانَتْ بِقُرْبِي مِنْهُمُ أَفْذَاذَا

(الهموم): جمع همّ، وهو الحُزن. و(البُعْدُ): فاعل جمع، أي: بُعدي عنهم عِندي؛ لأنّ مقام الفرديّة يقتضي الانفراد بمرتبة خاصّة لا يعلمها إلا صاحبها، فلا تتفرّق هموم صاحبها على بقيّة أهل الله لعلوِّ مرتبته عليهم، وكمال تحمّله للبلاء النازل أكثر منهم. ثمّ قال (بعد أنْ كانت): أي تلك الهموم. (بقربي): أي بسبب كوني من جملتهم. (أفْذاذا): جمع فَذ، وهو الفرد، فإنّ تلك الهموم كانت من قبل، يعني: البلايا والمصائب النازلة على الخلائق تتفرّق على جميع الصالحين بحسب مراتب صلاحهم، وعلى مقدار مقاماتهم وقربهم من الله [تعالى]. وكان الناظم

(١) في المخطوط: ولم يقل خيموا، ولعلّ الصواب: ولم يقل ضمّوا، كما في المطبوع.

قدّس الله سرّه أولى منهم؛ فكان له نصيب من ذلك البلاء. فلمّا كان في الفرديّة كان بلاؤه أشدّ؛ لأنّه الوارث المحمّدي الجامع، قال صلّى الله عليه وسلّم: «أشدّ الناس بلاء الأنبياء ثمّ الأمثل فالأمثل»[1].

٣٣- كَالْعَهْدِ عِنْدَهُمُ العُهُودُ عَلَى الصَّفَا أَنَّى وَلَسْتُ لَهَا صَفاً نَبَّاذَا

(العَهْد): أوَّل المطر الوَسميّ. **(عِنْدَهُم)**: أي هؤلاء الأحبّة المذكورين في الأبيات قبله، بأنّه أفرد عنهم العهود، جمع عهد، وهو الموثِق. وقوله **(على الصفا)**: متعلِّق بمحذوف حال من العهد. والصفا: جمع صَفاة، وهي الحجر الصلد. والمعنى: إنّ عهودهم كالمطر على الحجر الصلد، وإنّ الحجر لا يمسك شيئاً منه، وذلك لكمال اشتغالهم بربهم، فليسوا مع أحد غير الحقّ. ثمّ قال **(أَنّى)**: بفتح الهمزة وتشديد النون مفتوحة؛ اسم بمعنى كيف، وهو استفهام على طريق التعجّب من حالهم مع قوله **(ولستُ لها)**: أي للعهود. **(صَفا)**: مفعول من أجله، أي: من أجل الصّفا، وهو عندي في مقام الفرديّة، وصاحب هذا المقام يسع الحقّ تعالى، وما يظهر منه مِن الأكوان، وهم لا يَسَعون إلا الحقّ وحده. وقوله **(نبّاذا)**: صيغة نسبة كالقطّان، نسبة إلى بيع القطن ونحو ذلك، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ ﴾ [٤١/ فصلت/ ٤٦] أي: منسوب إلى الظلم.

٣٤- وَالصَّبْرُ صَبْرٌ عَنْهُمُ وَعَلَيْهِمُ عِنْدِي أَرَاهُ إِذاً أَذَىً أَزَّاذَا[2]

(الصَّبْرُ): نقيض الجزع والضجر، وقوله **(صَبْرٌ)**: هوعصارة شجر مُرٍّ، وهو على وزن كتف، وتسكينه لضرورة الشعر. وقوله **(عنهم)**: أي عن الأحبّة بأنْ

---

(١) أخرجه البزار في مسنده بهذا اللفظ، باب: وممّا روى سِماك بن حرب عن مصعب عن أبيه، ١١٥٠. كما أخرجه الحاكم في المستدرك، باب: محنة أبي ذرّ رضي الله عنه، ٥٤٧٢، بلفظ: «أشدّ الناس بلاء الأنبياء ثمّ العلماء ثمّ الأمثل فالأمثل».

(٢) ورد على حاشية المخطوط قول الناسخ: «بلغ». أي: بلغت مقابلته على المؤلّف الشيخ النابلسي. وقد وردت الشطرة الثانية في(ق): " عندي أراه إزاء ذا آزاذا"

اشتاق إليهم/ [٧٤/ ب] وأمنع نفسي من مطالبتها بهم، فإنّ ذلك الصبر عندي مُرٌّ. وقوله (وعليهم): أي وصبرعليهم، أي: على هجرهم وصدِّهم. (عِندي أراه): أي أجده. (إذاً): أي حينئذٍ. يعني: حين يكون مِنِّي، وهي بكسر الهمزة وفتح الذال المعجمة مع التنوين. (أذىً): بفتح الهمزة وفتح الذال المعجمة منوناً. وقوله (أزّاذا): بفتح الهمزة وتشديد الزاي وبالذال المعجمة؛ هو نوع من التمر الحلو.

٣٥- عَزَّ العَزَاءُ وَجَدَّ وَجْدِي بِالأُلَى   صَرَمُوا وَكَانُوا بِالصَّرِيْمِ مَلَاذَا

(**عَزَّ**): أي قلَّ. و(**العَزَاءُ**): بفتح العين المهملة وفتح الزاي مع المدّ وهو الصبر. (**وجَدَّ**): أي قوي. (**وَجْدي**): أي محبَّتي وشوقي إلى الأحبّة. (**بالأُلى**): أي بالذين. (**صرموا**): أي قطعوا حبل مَوَدَّتي لكمال اشتغالهم بمحاسن أحوالهم، وكانوا قبل ذلك (**بالصريم**): أي في الصريم، وهو اسم مكان. كناية عن الحالة التي يجتمعون فيها، حيث يمتازون عن عوام المؤمنين، وهو معهم في تلك الحالة. وقوله (**ملاذا**): أي حصناً لبعضهم بعضاً في المساعدة على الخير، ودفع الضمير.

٣٦- رِيْمَ الفَلَا عَنِّي إلَيْكَ فَمُقْلَتِي   كُحِلَتْ بِهِمْ لَا تُغْضِهَا اسْتِيْخَاذَا

(**الريم**): الظبي الخالص البياض. و(**الفلا**): جمع فلاة؛ وهي المفازة التي لا ماء فيها، وهو منادى مضاف، حُذف منه حرف النداء تخفيفاً وللوزن. كناية: عن المحبوب المجازي، وهو المليح اللطيف الشمائل الذي كبدر التمام فوق الغصن المائل. وقوله (**عَنِّي**): متعلِّق بقوله إليك. و(**إليك**): اسم فعل بمعنى تنحَّ وتباعد. وقوله (**فمُقْلَتي**): هي الحدقة، أو الشحمة التي تجمع السواد والبياض. والمراد بها العين. وقوله (**كُحِلَتْ**): بضمِّ الكاف مبنياً للمفعول، والضمير في بهم راجع إلى الأحبّة المشار إليهم بالأُلى في البيت قبله. يعني: رأتْهم وشاهدتْهم من قبيل ما ورد في الأثر الذين إذا رأوا شهدوا لله فهو يشاهده تعالى بالأحبّة ويشهد ما شهده بالأحبّة بكُلِّ شيء، قال العفيف التلمسانيّ قدّس الله سرّه:

نظـرْتُ إليهـا والمَليـح يظنُّني ... نظـرْتُ إليـه لا ومَيـسَمها الألمـى

ولكـن أعارتْـه التـي الحُسْنُ وَصْفُها ... صِـفاتِ جَمَالٍ فادعـتْ مُلكهـا ظلـما

وقوله (**لا تُغْضِها**): أي لا تُغضِ مقلتي، بالغين المعجمة والضاد المعجمة، يقال أغضى جفونه: أدناها، وضمّ بعضها إلى بعض. يعني: لا تحجب عيني عن رؤية محبوبي الحقيقي الذي أراه. وقوله (**استِيخاذا**): بالخاء المعجمة، أي: طأطأة للرأس، قال في القاموس: «المُستأخِذ: المُطأطِئ رأسَه من وجع». كناية عن النظر إلى أغياره، وعدم رفع الرأس إلى المتجلِّي بالأسرار.

٣٧- قَسَماً بِمَنْ فِيْهِ أَرَى تَعْذِيْبَهُ ... عَذْباً وَفِي اسْتِذْلَالِهِ اسْتِلْذَاذَا

قوله (**بِمَنْ**): أي بالمحبوب الحقيقي الذي. (**فيه**): أي في محبّته. (**أرى**): أي أجد (**تَعْذيبه**): لي. (**عَذْباً**): أي حلْواً. وفي (**استذلاله**): أي وأرى في استذلاله، أي: جعله لي ذليلاً. يقال استذلَّه: جعله ذليلاً، وكذلك استذلّه: رآه ذليلاً. (**واسْتِلْذَاذَا**): هو المفعول الثاني لأرى المقدّرة، وإنّما أتى بفي في الاستذلال دون التعذيب؛ لأنّ الاستذلال صفة كلّ مخلوق بين يديّ خالقه، فكأنّه مظروف في الذِّلَّة، ولا هو كذلك مظروف في التعذيب.

٣٨- مَا اسْتَحْسَنَتْ عَيْنِي سِوَاهُ وَإِنْ ... لَكِنْ سِوَايَ وَلَمْ أَكُنْ مَلَّاذَا

(**سِواه**): أي غير المحبوب الحقيقيّ. (**وإنْ سَبَى**): أي ذلك السِّوى من جميع ملاح الأكوان. وقوله (**لكنْ**): حرف استدراك. (**سِوايَ**): مفعول سبى. (**ولم أكن ملَّاذا**): معطوف على جواب القسم. و(**الملَّاذ**): بالتشديد من المَلْذِ؛ وهو الكذب. يعني: لم أكن كاذباً في يميني ذلك.

٣٩- لم يرقُب الرُّقَبَاءُ إلا في شَجٍ ... مِنْ حَوْلِهِ يَتَسَلَّلُوْنَ لِوَاذَا

(**رَقَبَ**): بمعنى حَرَسَ. و(**الرقباء**): جمع رقيب. بمعنى: الحارس كناية عن الأغيار المستحسنة بالبصائر/ [٧٥/ أ] والأبصار؛ فإنّها تراقب أهل المحبّة الإلهيّة

لتلهّي قلوبهم عن مشاهدة الحقّ تعالى. وقوله (إلا في شجٍ): أي محبّ أشجته المحبّة، أي: أحزنته وبرحت به. وأمّا الفاني المتحقّق بمعرفة نفسه وربّه الذي فات مقام المحبّة فلا رقيب له، قال عفيف الدين التلمسانيّ قُدِّس سرُّهُ.

ومهما يكن للصحو فيك بقيّة ... يجد نحوك اللاحي سبيلاً إلى الظلم

وقال الآخر:

لّما نظر العُذال حالي بُهِتوا ... في الحال وقالوا لوم هذا عَنت

ما نفرض إلا أننا نعذله ... مَنْ يسمع من يعقل مَنْ يلتفت

٤٠- قَدْ كَانَ قَبْلَ يُعَدُّ مِنْ قَتْلَى رَشَاً ... أَسَداً لآسَادِ الشَّرَى بَذَّاذَا

(قد كان): أي ذلك الشجيّ في البيت قبله. (قبلَ): بالنصب على الظرفيّة مضافاً إلى الجملة بعده، بتقدير أنْ. وقوله (يُعَدّ): بالبناء للمفعول وتشديد الدال المهملة. وقوله (من قتلى): جمع قتيل بسبب المحبّة. و(رشاً): هو الظبي إذا قوي، إشارة إلى المليح الجامع للمحاسن، كناية عن المحبوب الحقيقي. وقوله (أسداً): خبر كان. (لآساد): جمع أسد. (الشرى): بالشين المعجمة طريق في جبل يسمّى سُلمى كثير الآساد، وجبل بتهامة كثير السباع. وقوله (بَذّاذا): نعت لأسد، وهو صيغة مبالغة من البذّ، وهو الغَلَبة. وسبب ذلك أنَ المُحبّ له بقيّة دعوى يحبُّ بها، فكلّما قُتل بأسياف المحبّة أخّرته تلك الدعوى.

٤١- أَمْسَى بِنَارِ جَوَىً حَشَتْ أَحْشَاءَهُ ... مِنْهَا يَرَى الإِيْقَادَ لَا الإِنْقَاذَا

(أمسى): أي دخل في المساء، وهي ظلمة الأكوان. واسمها ضمير راجع إلى الشجيّ المتقدِّم ذكره[1]. (بنار): أي محترقاً بنار. (جَوَىً): أي شوق إلى حبيبه. ثمّ وصف تلك النار بقوله (حَشَتْ): بمعنى مَلأتْ. (والأحشاء): جمع حشا؛ وهو ما في البطن من قلب وكبد وغيرهما. وقوله (منها): أي من تلك النار. (يرى

(١) انظر البيت ٣٩ من هذه القصيدة نفسها.

الإيقاد): أي الاشتعال. لا يرى (الإنقاذ): مصدر أنقذ من كذا: إذا خَلَّصَه.

٤٢- حَيْرَانُ لَا تَلْقَاهُ[١] إِلَّا قُلْتَ مِنْ كُلِّ الجِهَاتِ أَرَى بِهِ جَبَّاذَا

(الحَيْران): بالحاء المهملة مَن لا يستهدي لسبيله، وذلك من كثرة تراكم الظهورات الإلهيّة على قلبه في الأضداد والأمثال الكونيّة. وقوله (لا تلقاه): يا أيّها الناظر. (إلا قُلتَ من كلّ الجهات أرى به جَبَّاذا): يجبذه بمعنى يجذبه؛ وذلك لانكشاف المعنى الإلهيّ له من قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [٢/البقرة/ ١١٥] وقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [٢٨/القصص/ ٨٨] حتى من نفسه يجذبه إليه، فهو مجذوب من كلّ جهة توجَّه عليها، وذلك سبب حيرته.

٤٣- حَرَّانُ مَحْنِيُّ الضُّلُوْعِ عَلَى أَسىً غَلَبَ الإِسَى فَاسْتنجذ استنجاذا[٢]

(الحَرَّان): زائد الحرارة، يقال: أحرّ النهار: صار حاراً. وقوله (مَحْنيّ): أي مِعوَج، من الانحناء لكثرة همه وحُزْنه. (والضلوع): جمع ضِلْع. (على أسىً): أي حزن زائد، فتنكيره للتعظيم. وقوله (غَلَبَ الإسى): بكسر الهمزة، جمع آسي بالمدّ، وهو الطبيب، فمعناه أنّ مرضه وداءه غلب الأطباء فعجزوا عنه. وقوله (فاستنجذ): بالجيم والذال المعجمة من النَّجذ، قال في القاموس: «النَّجْذُ: شِدَّة العضِّ بالنَّوَاجِذ؛ وهي أقصى الأضراس، وهي أربعة». والمعنى: إنّه من شدّة تألُّمه وتوجّعه مما هو فيه من المرض والداء العضال عضَّ على نواجذه عضّاً شديداً. وقوله (استنجاذا): مصدر مؤكّد للفعل.

٤٤- دَنِفٌ لِسِيْبِ حَشاً سَلِيْبُ حُشَاشَةٍ شَهِدَ السُّهَادُ بِشَفْعِهِ مُشَاذَا

(دَنِف): كَفَرِح؛ وهو المريض مرضاً مزمناً. و(اللسيب): اللديغ، بمعنى الملدوغ. و(السليب) بمعنى المسلوب. و(الحُشاشة): بضمّ الحاء المهملة، بقيّة الروح في

---

(١) في (ق): لا تلقاه.

(٢) الشطرة الثانية في (ق) كما يلي: "غلب الأُسا فاستيخذ استيخاذا"

المريض والجريح. و(شَهِدَ)/ [٧٥/ ب] من الشهادة. و(السُّهَاد): بالضمِّ، السهر والأرق. و(الشفع) على وزن نفع، مصدر شفَعَه كَمَنَعَه، أي: صار ثانياً له، والضمير في شفعه راجع إلى هذا المُحبّ. (مِمْشَاذَا): مفعول المصدر، وهو بميم مكسورة بعدها ميم ساكنة؛ رجل كان من كبار الصالحين، قيل إنّه استمرَّ أربعين سنة لا ينام؛ فالمعنى أنّ طول سهده في الليل شهد عند الناس بأنّه صار ثانياً لهذا الرجل المشهور في كمال السهر في عبادة الله تعالى، وكثرة محبّته.

٤٥ - سُـقْمٌ أَلَـمَّ بِـهِ فَآلَـمَ إِذْ رَأَى   بِالجِـسْمِ مِـنْ إِغْـدَادِهِ إِغْـذَاذَا

(سُقْمٌ): بضمّ السين المهملة وسكون القاف، أي: مرض. (ألـمّ) بتشديد الميم، أي: نَزَلَ به. وقوله (فآلَـم): بالمدّ؛ أوصل الألم، أي: الوجع إليه. و(إذْ): ظرفيّة. والضمير في به وفي رأى للدنِف في البيت قبله. وقوله (بالجسم): الجار والمجرور متعلّق برأى. وقوله (من إغداده): بدالين مهملتين بعد الغين المعجمة، والإغداد مصدر قولك: أغدَّ البعير إذا صار ذا غُدّة، وهو كناية عن ظهور نفسه له، وظهور صفاتها على جسمه من التكبُّر والعُجْب ونحو ذلك. وقوله (إغذاذا): بالغين المعجمة والذالين المعجمتين، وهو مفعول رأى، مصدر قولك: أغذَّ الجرح إذا سال ما فيه، أو ورم. كناية عن رؤية ما تقتضيه صفات نفسه من الأحوال، فهو في مجاهدة شديدة مع نفسه، وهذه كُلُّها أوصاف الشجيّ الذى مضى الكلام عليه في قوله (لم ترقب الرقباء إلا في شجٍ) إلى آخره.

٤٦ - أَبْـدَى حِـدَادَ كَآبَـةٍ لِعَـزَاهُ إِذْ   مَـاتَ الـصِّبَا فِي فَـوْدِهِ جَـذّاذَا

(أبدى): أي أظهر، والحداد: مصدر حَدّتِ المرأة تَحِدّ حَدّاً وحِداداً: تركت الزينة للعدَّة. وكان الحِداد في اصطلاح أهل الأندلس لبس البياض لا السواد، حتى قال شاعرهم ابن شاطر السرقسطي:

قـد كنـت لا أدري لأيـة علَّـة   صـار البيـاضُ لبـاسَ كـلِّ مـصاب

حتّى كساني الدهر سَحق مُلاءة بيضاً من شيبي لفقد شَبابي
فبذا تبيَّن لي إصابة من رأى لبس البياض على نَوَى الأحباب

ذكره ابن الصيرفي في كتاب المختار من شعر الأندلسيين العصريين، وقال: «هذه عادة أهل الأندلس». ولأبي الحسن علي بن عبد الغنيّ الحصري:

إذا كان البياضُ لباسَ حُزنٍ بأندلسٍ فذاك من الصواب
ألم ترني لبستُ بياضَ شيبي لأنّي قد حزنت على الشباب

انتهى. وهو كناية هنا عن بياض الشعر من الشيب. وقد أضاف الحِداد إليّ الكآبة، وهي الغمّ وسوء الحال والانكسار من الحزن. كنّى بذلك عن ظهور نور الوجود له في مشاعره ومداركه. وقوله (لِعَزاه): أي لصبره. يعني: لتصبُّره وهو على علّة للبسه الحِداد، فإنّ في لبس الحداد بعض تصبّر لإظهار بعض ما عنده من الحزن؛ فتخفَّ مؤنة حزنه عليه. وقوله (إذْ): ظرفيّة. (مات الصِّبا): بكسر الصاد المهملة؛ وهو الصغر. (في فَوده): بفتح الفاء جانب الرأس ومعظم شعر الرأس مما يلي الأذن. وقوله (جَذّاذَا): بالجيم من الجَذّ بمعنى القطع، أي: قطاعاً للذائذه وشهواته.

٤٧ - فَغَدَا وَقَدْ سُرَّ العِدَا بِشَبَابِه مُتَقَمِّصاً وَبِشَيْبِهِ مُشْتَاذَا

(غَدا): أي صار. (وقد سُرَّ): بالبناء للمفعول. و(العِدَا): نائب الفاعل. وقوله (بشبابه): أي بلباس شبابه. (مُتَقَمِّصاً): أي لابساً للشباب كالقميص. ولباس الشباب: القوّة. وسواد الشعر، أي: الشعور، فلا يرى إلا الأكوان في بعض الأحيان. (وبِشَيبه): أي لباس شيبه/ [٧٦/ أ] وهو ضعف قوَّته، وبياض شعره بظهور نور الوجود في شعوره وإدراكه أحياناً. وقوله (مُشْتاذا): بضمّ الميم وبالشين المعجمة، اسم فاعل من اشتاذ، بمعنى تعمم، بالشين المعجمة. وسرور (العِدا): جمع عدوّ، وهي شياطين الوساوس النفسانيّة لتقلّبه بالتلوّن في مقام المحبّة الإلهيّة؛ لأنّ المحبّة حجاب عن المحبوب.

٤٨- حَزْنُ المَضَاجِعِ لَا نَفَادَ لِبَثِّهِ   حُزْناً بِذَاكَ قَضَى القَضَاءُ نَفَاذَا

(الحَزْن): بفتح الحاء المهملة، ما غلظ من الأرض. [والمضاجع][1] جمع مضجع، وهو موضع الاضطجاع، وَضَجَع كمَنَع، ضَجْعاً وَضُجوعاً وضع جنبه بالأرض كانْضَجَع واضْطَجَع، والمَضْجَع كمَقْعَد: موضعه، كذا في القاموس. كناية عن صلابة حاله على حجاب المحبّة، وقوّة الشوق النفسانيّ إلى الجناب الربّانيّ. وقوله (لا نَفَاد): بالدال المهملة، أي: لا فراغ (لِبَثِّهِ): أي إظهاره ونشره. والضمير لِحَزْن المضاجع، أي: بثّ المحبّ له. وقوله (حُزْناً): بضمّ الحاء المهملة، وهو الهمّ، منصوب على أنّه تمييز لنسبة البث إليه. وقوله (بذاك): متعلّق بقضى. والقضاء فاعل قضى، أي: قضاء الله تعالى. و(نَفَاذا): بالذال المعجمة مصدر منصوب بفعل محذوف، تقديره ونَفَذ نَفاذا. والنفاذ: جواز الشيء، والخلوص منه.

٤٩- أَبَداً تَسُحّ وَما تَشِحُّ جُفُونُهُ   لِجَفَا الأَحِبَّةِ وَابِلاً وَرَذَاذَا

(تسُحّ): بالسين المهملة، أي: تصبّ وتسيل. (وتشِحّ): بالشين المعجمة، مضارع شحّ بمعنى بخل. و(جفونه): فاعل الفعلين على التنازع، والضمير للمحبّ في الأبيات قبله. وقوله: (لجَفا): متعلّق بتسُحّ، بالمهملة. وقال في القاموس: «الجَفَاء: نقيض الصلة، ويقصر، جَفَاهُ جَفْواً وجَفاءً». و(الأحبّة): جمع حبيب. وقوله (وابلاً): مفعول تسُحّ بالمهملة، والوابل: المطر الكثير الشديد، و(الرذاذ): بالراء والذالين المعجمتين: المطر الضعيف، والساكن الدائم الصغار [القَطْر] كالغُبار، وهو بعد الطلّ[2]، كذا في القاموس. وجمع الأحبّة لكثرة ظهورات الأسماء الإلهيّة؛ فالظاهر الحقّ بكل اسم حبيب له، والجفاء الامتناع عن الإدراك.

---

(١) نقص من المخطوط.

(٢) في القاموس: أو هو بعد الطلّ.

٥٠- مَنَحَ السُّفُوْحَ سُفُوْحَ مَدْمَعِهِ   بَخِلَ الغَمَامُ بِهِ وَجَادَ وِجَاذَا

(**مَنَح**): بمعنى أعطى، والاسم المِنْحَة بالكسر. (**والسُّفُوح**): بضمّ السين المهملة جمع سَفْح، يقال: سَفْح الجبل: عَرْضُ الجبل المُضْطَجِع، أو أصله، أو أسفله، أو الحضيض. وسَفَحَ الدمعَ: أرسله سَفْحاً وسُفُوحاً انصبّ، كذا في القاموس. فسفوح الأوّل مفعول مَنَحَ الأول، وسفوح الثاني مفعوله الثاني. و(**مَدْمَعِه**): مضاف إليه، والضمير للمحبّ في الأبيات قبله. يعني: أعطى المحبّ سفوح الجبال، انصباب دمعه كناية عن كثرة سياحته بين الجبال، جبال مكّة في ابتداء سلوكه في طريق الله تعالى، وكثرة بكائه وحُزنه على فوات حظه من الحقّ تعالى. وقوله (**بَخِل الغمام به**): أي بمطلق السفوح وهو سفوح المطر. (**وجاد**): بالجيم والدال المهملة، من الجَوْد، بفتح الجيم؛ وهو المطر الغزير، أو لا مطر فوقه، كذا في القاموس. وهو معطوف على منح. يعني: وجاد، أي: سفوح مدمعه. (**وِجاذا**): بكسر الواو، وجمع وَجْذ بسكون الجيم وبالذال المعجمة؛ وهو النقرة في الجبل تُمْسِكُ الماء، كما في القاموس. يعني: ملاء نقرات الجبال أيضاً.

٥١- قَالَ العَوَائِدُ عِنْدَمَا أَبْصَرْنَهُ   إنْ كَانَ مَنْ قَتَلَ الغَرَامُ فَهَذَا

(**العَوائِد**): جمع عائدة، مؤنّث عائد؛ وهو زائر المريض. (**وأَبْصَرْنَهُ**): بنون النسوة الراجعة إلى العوائد، أي: حين تحقّقنَ حاله. وقوله (**إنْ كان..... إلى آخر**): مقول القول. (**والغرام**): بالغين المعجمة، الولوع، والعذاب في المحبّة. وضمير أبصرنه للمحبّ؛ وهو المشار إليه بقوله فهذا. وقَتْل الغرام له أي: العشق الملازم لقلبه شوقاً إلى رؤية المحبوب الحقيقي فيتجلّى/[٧٦/ب] عليه الاسم الحيّ بالاسم المحيي؛ فينكشف له حقيقة الموت، فيقتله سيف الجمال الحقيقي المجرّد من غمد المعاني الإمكانيّة، والصور الكونيّة في اليد الممتدّة الإلهيّة، والله الأعلم والأحكم.

نَعَمْ بِالصَّبَا قَلْبِي صَبَا

[الطويل]

وقال رضي الله عنه من قافية التاء، وهي التائيّة الصغرى:

١ - نَعَمْ بِالصَّبَا قَلْبِي صَبَا لِأَحِبَّتِي　　　فَيَا حَبَّذَا ذَاكَ الشَّذَا حِيْنَ هَبَّتِ

(**نَعَمْ**): كلمة كَبَلَى، إلّا أنّها في جواب الواجب، كذا في القاموس. فكأنّه قيل له: أَصَبَا قلبك بالصَّبَا لأحبّتك؟. فقال في جوابه: (**نَعَمْ بالصَّبَا**): أي بسبب اتصالها بجسمي. والصَّبَا: ريح مَهَبُّها من مطلع الثريّا إلى بناة نعش. كنّى بالصَّبَا عن الروح الأمر الإلهيّ الذي يهبّ من مطلع ثريّا الأسماء الإلهيّة إلى بناة نعش الأسماء الإنسانيّة؛ فالأسماء الإلهيّة سبعة: الحيّ، العليم، المريد، القادر، السميع، البصير، المتكلِّم. والأسماء الإنسانيّة تضاهيها، سبعة أيضاً: الحيّ العليم المريد القادر السميع البصير المتكلّم. إلا أنّ الأسماء الإلهيّة هي المؤثرة الغنيّة عن الأكوان. كما أنّ الثريّا مُصَغَّر الثروى، قال في القاموس: «وامرأة ثَرْوَى: مُتَمَوِّلَة. والثُّرَيَّا تصغيرها، والنجم، لكثرة كواكبه مع ضيق المحلّ». والأسماء الإنسانيّة المُتأثِّرة بنات نعش؛ وهي سبعة كواكب أيضاً، والنَّعْش: سرير الميت، ولها الافتقار إلى تلك الغنيّة، كما لها الموت في مقابلة ما لتلك من الحياة. ونعشها الجسم المركّب من الطبائع والعناصر تركيب السرير؛ فالروح من أمر الله كما قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨٥] وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ﴾ [٦٥/ الطلاق/ ٥]. وقوله (صَبَا): أي حَنَّ ومال؛ فالقلب بسبب الروح المتصلة به حَنَّ إلى أحبَّته ومال إليهم؛ لأنّها روح محبوبه كما قال تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴾ [٣٨/ ص/٧٢]؛ فالروح الإنسانيّة أوّل مخلوق شرفت بإضافتها إليه سبحانه، فمتى تجردت عن أغشية الطبائع، وأكنّة العناصر، وتخلّصت عن الخلود إلى أرض الأجسام صفت، فوصفت الحضرة الإلهيّة على التمام بما أودعه الحقّ

تعالى فيها من مضاهاة أسمائه وصفاته، فأحبّت واشتاقت إلى ذاتها الحقيقيّة، وتخلت عن ذاتها الوهميّة، فكانت محبّتها لنفسها، وزال البَين من البَين، وقرت العين بالعين، وارتفعت نقطة الغين، وظهر الواحد باختفاء الاثنين. ثمّ قال (فيا حبّذا): أي هو حبيب، فجعل حَبَّ وذا كشيء واحد، وهو اسم، وما بعده مرفوع به. (ذاك): اسم إشارة إلى البعيد؛ لِبُعْد الحضرة الإلهيّة عن مشابهة الأكوان. ثمّ قال (الشذا): بالشين المعجمة والذال المعجمة، وهو الرائحة. كناية عمّا تنقله الروح إلى الحقيقة الإنسانيّة عن الحقيقة الربّانيّة من الأخبار اللطيفة، والأسرار المنيفة، والعلوم اللَّدنيّة، والمعارف الرحمانيّة. وقوله (حينَ هَبَّتِ): بكسر التاء للقافية، وأصلها السكون؛ لتأنيث الفاعل وهو الصَّبَا المكنى بها عن الروح كما ذكرنا، فإنّها تهبُّ، أي: تنبعث عن أمر الله قبل كلّ شيء.

٢- سَرَتْ فَأَسَرَّتْ لِلْفُؤَادِ غُدَيَّةً أَحَادِيثَ جِيْرَانِ العُذَيْبِ فَسَرَّتِ

(سَرَتْ): فعل ماض من السُّرى كَهُدَى، وهو سيرعامّة الليل. والضمير للصَّبَا المكنّى بها عن الروح. يعني: انبعاثها الآن عن أمر الله تعالى في ليل الأكوان. وقوله (فأسرّتْ): ضدّ أعلنت. (للفؤاد): أي للقلب. وقوله (غُدَيَّة): بتشديد الياء التحتيّة، مصغّر غَداة، وفي القاموس: «الغُدْوَة بالضمّ البُكرة، أو ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس كالغَدَاة». وهي ظرف لأسرّت؛ يعني: إسرارها لقلبي كان في حال انتشار نور فجر الأحديّة قبيل طلوع شمس الوجود الحقّ على صفحات الأعيان الكونيّة. وقوله (أحاديث): مفعول أسرَّتْ. و(جِيران): بكسر الجيم، جمع جار؛ وهو المجاوِر، أي: القريب كما قال تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [٥٠/ق/١٦] وجَمَعَ الجار باعتبار/ [٧٧/ أ] الظهور بالأسماء الحُسنى؛ بحيث لا يحصرها الإحصاء. و(العُذَيب) كَزُبَيْر بصيغة التصغير، ماء معروف للعرب. كناية عن حضرة الإمداد الربّانيّ. وقوله (فَسَرَّتِ): بكسر التاء، وأصلها السكون. سُرَّ فعل ماض من السرور، أي: ألقتِ السرور في قلبي بما أسرّته إليّ من أخبار الأحبّة

الذين هم أقرب إليّ مِنّي، وهم حضرة الإمداد لي بكلّ ما أرادوا على كلّ حال.

٣- مُهَيْنِمَةً بِالرَّوْضِ لَدُنٌ رِدَاؤُهَا بِهَا مَرَضٌ مِنْ شَأْنِهِ بُرْءُ عِلَّتِي

(مُهَيْنِمَةً) اسم فاعل من الهينمة، وهي الصوت الخفيّ. و(الروض) جمع روضة. والروضة من الرمل والعشب: مستنقع الماء؛ لاستراضة الماء فيها. فالمهينمة وصف للصَّبا المكنّى بها عن الروح. والروضة الذي تهينم فيه هوعالم الأجسام والهياكل العنصريّة، فتدرك هينمتها النفوس، وهو الكلام النفسانيّ الخفي؛ لأنّه ليس بصوت، ويُسمع بالسمع النفسانيّ. وقوله (لَدُنٌ): اللدن باللام والدال المهملة والنون: الليّن من كلّ شيء. (رداءها): أي ثوبها الذي هي ملفوفة به، وهو النفس؛ فإنّ النفس غشاء يشمل الروح، بحيث يسترها. وهذا الغشاء اعتراها من طبيعة الجسم. والنفس هي التي يدركها الموت كما قال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [٣/ آل عمران/ ١٨٥] والروح لا تموت أبداً، لأنّها من أمر الله تعالى، وأمر الله تعالى قديم؛ فالصادر عنه بلا واسطة سبب باق إلى الأبد. وقوله (بها مرض): أي ضعف وهو عجزها الحقيقي الذي هي متحقّقة به لظهور الأمر الإلهي الذي هي ظاهرة عنه بلا واسطة سبب لديها، وهذا المرض الذي بها هو عين صحّتها؛ إذ لا التباس للأمر الإلهي، فهي قائمة بأمر الله تعالى، ضعيفة جداً من قبل نفسها؛ بل هي إمكان محض وتقدير صرف، فقوّتها قوة الأمر الإلهيّ، ووجودها وجوده، ولا وجود لها من نفسها عنده أصلاً. ثمّ قال (من شأنه): أي شأن ذلك المرض إذا تحقّقتُ به، وكشفتُ عنه، واستعملتُه بأنْ تحقّقتُ به في نفسي، فمرضت مثلها في ذلك المرض الذي هو لها. ثمّ قال (بُرْء): أي شفاء. (عِلّتي): بكسر العين المهملة، أي: مرضي الذي أنا مريض به، وهو مرض الدعاوي النفسانيّة، والأغراض الشهوانيّة؛ فإنّ السالك مريض بالجهل والغفلة، فإذا عرف نفسه عرف روحه، وإذا عرف روحه صحّ من مرضه ذلك، وكان في مرض هو صحة وشفاء، وهو المرض المُلازم، وهو داء الكون الذي أشرنا إليه في بيت من قصيدة لنا بقوله:

داءُ كَوْني مِن عِلّتي ليس يبرى والشفاءُ الشفاءُ مَحْضُ الوجودِ

٤- لَها بِأُعَيْشَابِ الحِجَازِ[1] تَحَرُّشٌ بِهِ لَا بِخَمْرٍ دُوْنَ صَحْبِيَ سَكْرَتِي

(لها): أي لتلك الصَّبا المكنى بها عن الروح الأمري. **(بِأُعَيْشاب)**: تصغير أعشاب، صُغِّر للتعظيم، جمع عشب، وهو الكلأ الرطب. كناية عن العلوم النبويّة المحمّديّة المضافة إلى الحجاز، وهي بلاد معروفة؛ سُمِّيَتْ بذلك لأنّها حَجَزَتْ بين نجد والغور. وفي القاموس: «الحجاز: مكّة والمدينة والطائف ومخالفيها، لأنّها حجزت بين نجد وتهامة، أو بين نجد والسَّراة؛ أو لأنّها حُجِزَت بالحرار الخمس: حَرَّة بني سُليم، وواقم، وليلى، وشَوْرَان[2]، والنّار. وفي نسخة بأُعَيْشاب الغوير، تصغير الغور ، قال في القاموس: «الغَوْر ما بين ذات عِرقٍ إلى البحر، وكلُّ ما انحدر مغَرِّباً عن تهامة، فهو من جملة الحجاز». والكناية فيه عمَّن ظهر في تلك البلاد ونشأ فيها، وهو نبيُّنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم. وقوله **(تَحَرَّش)**: هو المبتدأ، والخبر قوله لها، وقُدّم لإفادة الحصر، أي: لا تَحَرُّش لها إلا بذلك. والتَحَرُّش: الإغراء بين القوم. فمعنى التحرّش بالأُعيشاب: الدخول بينها ليُحَرِّك بعضها بعضاً، فكأن هذه الصَّبا ـ المكنّى بها عن الروح الأمري ـ تدخل بين الحقائق والمقامات المحمّديّة والعلوم/ [٧٧/ ب] والمعارف النبويّة فيحَرِّك بعضها بعضاً فتظهر في قلوب الورثة المحمّديين، وعلى ألسنتهم، وتمر على خواطر الأولياء الكاملين. ثمّ قال **(به)**: أي بذلك التحرّش الذي يثير تلك العلوم والإلهامات الفائضة من الحقيقية المحمّديّة

---

(١) في (ق): الغوير.

(٢) في المخطوط شَرْوَان وهي من مدن أرمينيا، انظر معجم البلدان لياقوت الحموي، باب: الهمزة والراء ج١ص١٦٠. ولعلّ الصواب شَوْرَان ما قاله ياقوت الحموي: حرّة شوران بفتح الشين المعجمة وسكون الواو وراء وألف ونون، قال: عرام وعبر جبلان أحمران من عن يمينك وأنت ببطن العقيق تريد مكّة وعن يسارك شوران؛ وهو جبل مطلّ على السد». انظر معجم البلدان، باب الحاء والراء، ج٢ص٢٤٧.

على قلوب الورثة الكاملين، وقوله (**لا بخمرٍ**): أي بشراب يخامر العقل، أي: يستره غير ذلك التحرّش المذكور. ثمّ قال (**دون صَحبي**): أي لصحابي ورفقتي في طريق الله تعالى؛ لأنّهم بعد لم يدركوا ما أدركتُ. وقوله (**سَكْرَتي**) هو المبتدأ، وخبره قوله به، أي: لا بغيره كما هو قاعدة تقديم الخبر.

٥- تُـذَكِّرُنِي العَهْـدَ القَـدِيمَ لِأَنَّـهَـا حَدِيثَـةُ عَهْـدٍ مِـنْ أُهَيْـلَ مَـوَدَّتِي

(**تُذَكِّرُنِي**): بتشديد الكاف، أي: ترسم ذلك في القوّة الحافظة بعد النسيان، والعهد القديم هو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٧٢] وفي حديث الترمذيّ عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه أنّه سُئِل عن هذه الآية فقال سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم سُئِل عنها فقال: «إنّ الله خلق آدم ثمّ مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذريّة...»[1]. الحديث. وفي رواية عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «لمّا خلق الله آدم مسح ظهره ، فسقط من ظهره كلّ نسمة هو خالقها من ذريّته...»[2]. الحديث. فإنّ من جملة ما تنتجه معرفة الروح الإنساني تذكُّر العهد الربّانيّ، والاطّلاع على ما هنالك من السرّ الروحانيّ. ثمّ قال (**لأنّها**): أي الصَّبَا المذكورة. (**حديثة عهد**): أي عهدها جديد. يعني: هي متجدِّدة، حادثة، مخلوقة، قريبة العهد. (**من أُهيل**): تصغير أهل مودّتي، وهم حضرات الأسماء الإلهيّة الحُسنى المتوجِّهة على إيجاده، وتدبيره على مقتضاها؛ وذلك لأنّها إنّما سُمِّيتْ رُوحاً

---

(١) أخرجه الترمذيّ في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة الأعراف، ٣٣٥٥، بلفظ: «إنّ الله خلق آدم ثمّ مسح ظهره بيمينه، فاستخرج منه ذرّية فقال: خلقت هؤلاء للجنّة، وبعمل أهل الجنّة يعملون. ثمّ مسح ظهره فاستخرج منه ذرّيّة فقال: خلقت هؤلاء للنار، وبعمل أهل النار يعملون...» الحديث.

(٢) أخرجه الحاكم بهذا اللفظ، في المستدرك، كتاب التفسير، باب ذكر نبيّ الله داوود عليه السلام، ٤١٣٢.

من سُرعة رَواحها، وذَهابها، وتجدُّدها مع الأنفاس، وانكشاف هذه الحال منها لها؛ فإنّها قائمة بأمر الله تعالى. وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ﴾ [٥٤/ القمر/ ٥٠] فالروح كلمح بالبصر؛ وهذا معنى قرب العهد من الحقّ تعالى الذي من أسمائه الودود، أي: الكثير التوَدُّد إلى عباده، وإنْ لم يشعر بذلك الغافلون، فهو أهل المَوَدّة.

٦- أَيَا زَاجِراً حُمْرَ الأَوَارِكَ تَارِكَ الـ مَـوَارِكِ مِـنْ أَكْوَارِهَـا كَالأَرِيْكَـةِ

(الزجر): سَوْق الإبل، والزاجر السائق لها. كناية عن القائم على كلّ نفس بما كسبت، وهو الحقّ تعالى من تجلّي اسمه القيّوم. (والأوارك): جمع أَرِكَة، وهي الإبل التي أقامت في الأراك ـ وهي شجرة من الحَمْض يُستاك به ـ رعته الإبل، أو لزمته، وأقامت فيه تأكله. و(الحُمْر): جمع أحمر، وصف للأوارِك، أُضيف إليه الأوراك. والأصل الإبل الأوارك الحُمْر. كناية عن النفوس البشريّة التي تتزيّن لها شهوات الدنيا، فتلازمها، وتقيم فيها. واحمرارها باعتبار قوّة شهوتها. وزجرها كناية عن تكليفها بالأوامر والنواهي. وقوله (تارك): أي جاعل. (الموارك): جمع موركة، وموركة الرحل أي: رحل الإبل، الموضع الذي يجعل عليها الراكب رجله إذا ملّ من الركوب. (من أكوارها): أي أكوار الإبل، جمع كُور، بالضمّ، وهو الرحل بأداته. وقوله (كالأَرِيكَة): كسَفِينَة: سَرير في حَجَلَةٍ، أو كُلُّ ما يُتَكَأ عليه من سرير، ومِنَصَّة، وفِراش، أو سرير مُتخذ، مُزَيَّن في قُبَّةٍ أو بيت، وجمعه أرائك، كذا في القاموس. كناية عن كمال استيلاء الحقيقة الإلهيّة على النفوس البشريّة كما ورد: «ما وسعني سمواتي ولا أرضي ووسعني قلب عبدي المؤمن»[1] فإذا استولى على القلب الذي وسعه حيث آمن بتنزيهه عن مشابهة كلّ شيء فقد استولى على جميع جسده ظاهراً وباطناً/ [٧٨/ أ].

---

(١) انظر تخريجه [ص٤٩/ ب].

٧- لَكَ الخَيْرُ إنْ أَوْضَحْتَ تُوضِحَ مُضْحِياً وَجُبْتَ فَيَافِي خَبْتِ آرامِ وَجْرَةِ

(لك الخير): أي أنت مختصٌّ بك الخير كما قال تعالى: ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾ [٣/آل عمران/ ٢٦]. وفي الأثر: «والشرّ ليس إليك»[1]. ويقال: أوضح زيد المكان إذا أشرف على مكان فنظره منه، والحقّ تعالى مشرف من الأزل باسمه البصير السميع على جميع معلوماته المترتِّبة أزلاً، باسمه المقسط الجامع. و(تُوضِح): بضمّ التاء المثنّاة الفوقيّة وكسر الضاد المعجمة: اسم موضع. كناية عن حضرة العلم القديم التي توَضِّح للعالم المتَّصف بها أزلا ـ وهو الحقّ تعالى ـ كلَّ ما تعلّقت به من الواجبات العقليّة والممكنات والمستحيلات، وهو مقرر في مَحَلِّه كما يُفهم ذلك من إشارة كلام الشاعر، وهو امرؤ القيس، وإنْ لم يكن بصدده فإنّه من نطْق الوجود على لسان غير أولي الشهود:

قِفا نَبْكِ من ذكرى حبيبٍ ومَنْزِل بِسِقْطِ اللِّوَى بين الدَّخولِ فَحَوْمَلِ

فَتُوضِحَ فالمُقْراةَ لَمْ يَعْفُ رَسْمُها لما نسجته من جنوب وشمأل

فذكرى الحبيب والمنزل تذكُّر الحقّ تعالى، وتذكُّر منزل الكائنات في حضرة علمه أزلاً، أمَرَ الشاعر بالوقوف على ذلك، والبكاء خشية منه، أو فرحاً بلقائه. وسِقْط اللِّوَى: ما سقط من العلم إلى الكون؛ وذلك بين الدَّخول في الحضرة الذاتيّة وحَومَل ما خرج عنها من العدم؛ فتوضح هي الحضرة العلميّة الأزليّة كما ذكرنا. فَالمُقْراة هي الكتابة في اللوح المحفوظ. وقوله لم يعفُ، أي: لم يندرس. رَسْمُها، أي: ما رسمته من الصور الحسيّة والعقليّة. من جنوب: فريق السعير، وشمأل: فريق الجنّة. وقوله (مُضْحِياً): حال من التاء في أَوضَحْتَ، وهو اسم فاعل من أضحى زيد: دخل في الضُّحَى. كناية عن كمال طلوع شمس الأحديّة على جدران الأعيان الكونيّة. وقوله (وَجُبْتَ): فعل ماض، من جاب الأرض:

---

(١) قطعة من حديث طويل في أذكار الصلاة، أخرجه أحمد في المسند، مسند عليّ بن أبي طالب، ٨١٤.

قَطَعَها، وهو تكرار الظهور بالتجلّي المتنوّع باعتبار كثرة الأسماء الإلهيّة. (فيافي): جمع فَيْفَاة وفَيْفَاء، ويُقْصَر. وفَيْفٌ: هو المكان المستوي، أو المَفازة لا ماء فيها، كما قال في القاموس. كناية عن استواء عوالم الإمكان بالنظر إلى تصرّف الأسماء الإلهيّة فيها، كما قال: ﴿وَلَا يَئُودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ [٢/البقرة/ ٢٥٥] وقال : ﴿وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ﴾ [٤٦/الأحقاف/ ٣٣] وقال: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [٣٠/الروم/ ٢٧]. وقوله (خَبْتِ): بالخاء المعجمة والباء الموحّدة والتاء المثنّاة الفوقيّة: المتسِع من بطون الأرض. كناية عن وسع الإمكان بحيث يشمل ما كان وما هو كائن، وما لا يكون مما لا يريده الحقّ تعالى. و(آرام): جمع ريم وهو الظبي [الأبيض] الخالص. كناية عن الممكنات التي يريدها الحقّ تعالى؛ فإنه ما أرادها إلا وهو يحبُّها، ولا يحبّها إلا وهي ذات ملاحة وحُسْن في نظره ـ سبحانه ـ تشبه الأرام في جمال العيون والأعناق. وأضاف الآرام إلى (وَجْرَة): بالواو والجيم والراء والتاء المثنّاة الفوقيَّة: اسم موضع، قال في القاموس: «وَجْرَة: موضع بين مكّة والبصرة أربعون ميلاً ما فيها منزل؛ فهي مرتع للوَحْش»؛ فآرامها كثيرة التوَحُّش من الغير، كما هي الأعيان، قبل ظهورها بالوجود، وهي في إمكانها الـمُتَّسع.

٨- وَنُكِّبْتَ عَنْ كُثْبِ العُرَيْضِ مُعَارِضاً   حُزُوْناً لِحُزْوَى سَائِقاً لِسُوَيْقَةِ

(وَنُكِّبْتَ) بتشديد الكاف قبلها نون، أي: عُدِّلتَ بفتح التاء، خطاباً للزاجر في الأبيات قبله، من التنكيب، قال في القاموس: «نَكَبَ وَتَنَكَّبَ تَنْكِيْباً: عدل». (عَنْ كُثْبِ): بضمّ الكاف وبالثاء المثلَّثة وسكونها تخفيفاً والباء الموحَّدة، جمع كَثِيْب؛ وهو التلّ من الرمل. (والعُرَيْض): بضمِّ العين المهملة وفتح الراء، مصغَّر، اسم وادٍ بالمدينة، فيه أموال لأهلها. ذكره في القاموس. فالكُثْب كناية عن الجبّارين المتكبِّرين الغافلين المعرضين/ [٧٨/ ب] عن الحقّ تعالى الذين هم في وادي الجهل والغرور بأموالهم وما يمسكون منه أنواع الزخارف؛ فإنّه تعالى عادل عنهم، ومعرض عن

الالتفات إليهم لفساد أحوالهم ـ بالنظر إليهم لا بالنظر إليه ـ في ملاحتهم الإمكانيّة كما قدّمناه. وقوله (**معارضاً**): حال من التاء في نُكِّبْت، وهو اسم فاعل من عارض الشيء إذا جانبه وعدل عنه. و(**حُزُوناً**): مفعوله؛ وهو جمع حَزْن، بالفتح، اسم لما غَلُظ من الأرض، كناية عن الكثائف الطباع، القباح الأفعال؛ فإنّه تعالى مجانب لهم، وعدل عنهم. وقوله (**لِحُزوى**): بضمّ الحاء المهملة، اسم موضع بالدّهناء، ذي تلال شامخات من الرمل، نسب الحُزُون إليه لكمال كثافته، كناية عن أصول أولئك الكثائف الطباع المذكورين. وقوله (**سائقاً**): اسم فاعل حال من بعد حال. و(**سُوَيْقَة**): بضمّ السين المهملة، قال في القاموس: «سُوَيْقَة كَجُهَيْنَة، جبل بين يَنْبع والمدينة، وموضع ببطن مكّة وبنواحي المدينة، يسكنه آلُ علي بن أبي طالب رضي الله عنه. كناية عن سوق الحقّ تعالى السعداء من بني آدم إلى منتهى أحوالهم بالكشف من النور المحمّدي الذي هم متكوِّنون منه؛ فإنّه تعالى يسوقهم مقبلاً عليهم كما يسوق من تقدّم ذكرهم من الأشقياء معرضاً عنهم.

٩- وبايَنْتَ بَانَاتٍ كَذَا عَنْ طُوَيْلِعٍ ... لِسَلْعٍ فَسَلْ عَنْ حِلَّةٍ فِيْهِ حَلَّتِ

(**بايَنْتَ**): فارقْتَ من البَيْن، وهو الفُرْقَة. يعني: أوقَعْتَ الثنويّة بينك وبين (**بانات**): جمع بانة؛ وهي شجرة البان، كناية عن النشأة الإنسانيّة الفاضلة قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا﴾ [٧١/ نوح/ ١٧] وذلك في وقت القيام بأحكام التكاليف الشرعيّة، فإنَّ الثَّنويّة من ضرورة ذلك؛ ليكون عبداً وعابداً، ومعبوداً وعُبادة. وقوله (**كذا**): كناية عن المجانب المتباعد. (**عن طُوَيْلِع**): بضمِّ الطاء المهملة، كَقُنَيْفِذ: اسم جبل. كناية عن الطاعات والعِبادات والأعمال الصالحة الرافعة لصاحبها. وقوله (**لِسَلْعٍ**): وهو جبل بقرب المدينة. كناية عن الأحوال السَّنِيَّة، والمقامات المحمّديّة التي تُنْتِجُها تلك الأعمال الصالحة. وقوله (**فَسَلْ**): أمر من السؤال، وأي: تفقدْهُمْ وراءِهم. (**عَنْ حِلَّةٍ**): قال في القاموس: «الحِلَّة بالكسر القوم النُّزول. كناية عن أهل الله تعالى العارفين، النازلين بفناء أسمائه

الحُسنى. (وفيه): أي في سَلْع، أي: في المقامات المحمّديّة. (حلَّتِ): بكسر التاء للقافية المكسورة، وأصلها السكون لتأنيث الضمير الراجع إلى الحِلَّة قبله. ومعنى حلَّتْ: أقامت.

١٠- وَعَـرِّجْ بِـذَيَّاكَ الفَرِيْـقِ مُبَلِّغـاً سَـلِمْتَ عُرَيْبـاً ثَـمَّ عَنِّـي تَحِيَّتِـي

(عَرِّجَ): بِتَشديد الراء تعريجاً: مَيَّل وأقام، وحَبَسَ المطيّة على المنزل. وهو فعل أمر معطوف على سَلْ في البيت قبله. و(ذيَّاك): تصغير ذاك، إشارة للبعيد لعلو المقام، وهم البانات أصحاب طُوَيْلِع الحِلّة المذكورة في البيت قبله. و(الفريق): كأمير، أكثر من الفرقة؛ وهي الطائفة من الناس، وهم فريق السعادة، فريق الجنّة، كما قال تعالى: ﴿ فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ ﴾ [٤٢/الشورى/٧]. وقوله (مُبَلِّغاً): حال من فاعل عرّج، من التبليغ؛ وهو الإيصال . (سَلِمْتَ): جملة دعائيّة معترضة بين العامل والمعمول. يعني: سَلِمْتَ من كلّ تشبيه ونقص يخِلُّ بكمالك المطلق. وقوله (عُرَيْباً): مفعول أوّل. وهو تصغير عَرَب بَيِّنَ العُروبَة، وهو وضوح الحال، وصفاء المَبْدأ والمآل. كناية عن العارفين الكاملين، أهل الحقائق واليقين. وقوله (ثَمَّ): بفتح الثاء المثلّثة إشارة إلى المقامات المحمّديّة المشار إليها في البيت قبله. وقوله (عَنِّي): مُتَعَلّق بمبلغاً. و(تحيَّتي) مفعول ثان لمبلغاً.

١١- فَلِي بَيْنَ هَاتِيْكَ الـخِيَامِ ضَنِيْنَةٌ عَـلَيَّ بِجَمْعِـي سَـمْحَةٌ بِتَـشَتُّتِي

[٧٩/ أ] (لِي): خبر مُقدّم، والإشارة بـ(هاتيك الخيام): إلى المُكَنَّى عنهم بالعُرَيب من العارفين الكاملين في البيت قبله، باعتبار قيامهم بها من حيث أنّهم مظاهرها عنده. وقوله (ضَنينَة): بالضاد المعجمة، مبتدأ مؤخر، وهي البخيلة. (عليّ): بتشديد الياء التحتيّة. (بِجَمْعي): متعلّق بضَنينة، أي: اجتماعي بها، وهو مقام الجمع الذي لا يشهد صاحبه فيه غير الحقّ تعالى، ويفنى عن كلِّ ما سواه؛ وإنّما عبّرعن الحقيقة بضنينة لكمال تنزُّهِها وامتناعها عن إدراك العقول وظهورها بحسب المظاهر، وهذه شكوى حاله رضي الله عنه في ابتداء سلوكه في طريق الله

تعالى أيام تَجَرُّدِهِ للعبادة والزهد والتقوى. وقوله (سَمْحَةٌ): صفة ضنينة، من سَمُحَ كَكَرُمَ سَماحاً وسَماحَة وسُمُوحاً: جَادَ وكَرُمَ، كذا في القاموس. وقوله (بِتَشَتُّتِي): أي تفرُّقي، وهو مقام الفرق الذي يشهد فيه صاحب الكثرة والتعدد في الخلق على الاستغلال؛ وإنّما كانت سمحة بذلك لِغَلَبَة شهود أعيان الكاملين على بصيرته من شيوخه وغيرهم.

١٢- مُـحَجَّبَةٌ بَـيْنَ الأَسِـنَّةِ وَالظُّبَـا   إِلَيْهَـا انْثَنَـتْ أَلْبَابُنَـا إِذْ تَثَنَّـتِ

(مُحَجَّبَة): المستورة، صفة لضنينة أيضاً في البيت قبله، وحجابها ظهورصور الكاملين عنها من تجلِّي الاسم المصوِّر. وقوله (بين الأسنّة): جمع سنان؛ وهو نصل الرمح. و(الظُّبَا): بضمّ الظاء المعجمة، جمع ظُبَة، كَثُبَة، وهي حَدُّ السيفِ. وكونها بين ذلك، أي: محميّة بالرماح والسيوف عمَّن يخبر عنها بأنّها مستورة خلف صُوَر هؤلاء الكاملين لقصور أفهام علماء الشريعة عن معرفة ذلك، فيفهمون من القائل به طولها، أو اتحادها، فيحكمون بكفر مَنْ يقول ذلك، ويغزّونه بالرِّماح وبالسيوف، وهذا سبب إيراد أهل العلوم الذوقيّة الكشفيّة معارفهم وحقائقهم بالكنايات الغزليّة وغيرها؛ لأنّهم لو صرحوا بذلك لما قدر أن يفهم مرادهم غيرُ أبناء طريقهم، ويقع الغافلون بالأفهام العقليّة في أديانهم وأعراضهم بغيرعلم. وقوله (إليها انثنت): أي مالت. (ألبَابُنا): أي عقولنا ميلَ تعشُّق روحانيّ في جمال حقيقي. وقوله (إذْ تَثَنَّت): أي تمايلت. وتثنِّيتها كناية عن توجهها بالإرادة الأزليّة على التكوين. وما أحسن قول الأرجاني[1] الشاعر في نحو هذا المعنى:

وقْفـاً لـصائِدَةِ القلـوبِ بـدَلِّها   وخفـا جنايـة عينهـا الحَـوْراء

---

(١) أحمد بن محمّد بن الحسين القاضي أبو بكرا لأرّجاني الشاعر، الملقب ناصح الدين. كان قاضي مدينة تستر، وشاعر عصره، ولد ٤٦٠هـ ومات بتستر٥٤٤. انظر طبقات الشافعيّة الكبرى للسبكي، ج٦ص٢١.

وتحــــدَّثا سِرّاً فحَـــولَ خِبائهــــا   سُــمْر الرمـــاح يَمِلــنَ للإصــغاء

[وله أيضاً]:

يـــا طـــارق الحـــيِّ إذا جِئْتَـــه   فحـيَّ عنِّـي سـاكني ذي البِطـاح

وارمِ بطــرفٍ مـــن بعيــدٍ فمـــن   دونِ صِـفاحِ البيض بيضُ الـصفاح

١٣- مُمَنَّعَــةٌ خَلْــعُ العِــذَارِ نِقَابُهَــا   مُـسَرْبَلَةٌ بُـرْدَيْنِ: قَلْبِـي وَمُهْجَتِـي

(مُمَنَّعَة): بصيغة المفعول، أي: عن إدراك العقول. ثمّ قال (خَلْعُ): أي إزالة (العِذار): هو من اللجام ما سال على خدَّي الفرس. كناية عن التَهتُّك، وعدم المبالاة وما يتحفّظ الناس عنه. وقوله (نِقَابُهَا): أي حجاب وجهها عن الظهور؛ فإنّ كلّ متهتِّك لا يبالي بما يظهر منه من المباحات التي تحترز العقلاء منها؛ فيفعلها فلا يخطر لأحد من الناس أنّه وليٌّ، وأنّ الحقّ تعالى متصرفٌ به في ظاهره وباطنه، بحيث أنّه عند نفسه بلا نفس، فهو في ظلّ الإرادة الإلهيّة يظهرعنها كالظلِّ عن الشاخص، معدوم، مرسوم عن موجود، معلوم بعلم هو من جملة تلك الرسوم. ثمّ قال (مُسرْبلة): اسم مفعول من سربلته: ألبسته السربال، بالسين المهملة، مكسورة، والراء والباء المَوَحَّدة؛ هو القميص، أو الدرع، أو كلّ ما لُبس. وقوله (بُردَين): تثنية بُرْد، بالضمّ، ثوب مخطط/ [٧٩/ ب] (قلبي): القلب هنا العقل، وهو القوّة الروحانيّة الربّانيّة المحمّديّة؛ لأنّها نور محمّد صلى الله عليه وسلّم الذي هو أوّل مخلوق خلقه الله تعالى قبل كلّ شيء. (ومُهْجَتي): المُهْجَة هي دم القلب الجسمانيّ. والمعنى: أنّ هذه الحقيقة لابسة صورة قلبه الروحانيّ، وهي صورة عقله النورانيّ. ولابسة أيضاً صورة قلبه الجسمانيّ. وهي المهجة من تجلِّي اسمه المصوِّر، كما قال تعالى: ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ [٦/ الأنعام/ ٩]؛ فإنّ الاسم الحقّ المصوِّر لابس دائماً للصور التي يصوِّرها على مَنْ يريد أنْ يُلبَس الأمرعليه. وإليه يشير عفيف الدين التلمسانيّ من قصيدة له بقوله:

شـــمسٌ ومطلعهـــا ذاتي ومغربُهـــا   بين السوادينِ من قلبي ومن بـصري

١٤- تُتِيْحُ المَنَايَا إذْ تُبِيْحُ لِـيَ الـمُنَى   وَذَاكَ رَخِـيْصٌ مُنْيَتِـي بِمَنِيَّتِـي

(**تُتيحُ**): بتائينِ مثنَّاتين فياء تحتيّة فحاء مهملة، [فعل] مضارع، قال في القاموس: «تَاحَ له الشيءُ يَتُوحُ: تَهَيَّأَ». ومعناه: تُهَيِّءُ لي. (**المنايا**): جمع مَنِيَّة وهي الموت، وجَمَعَه لكثرة: الموتات. الموت الأبيض الفقر، والموت الأحمر مخالفة النفس، والموت الأسود تحمُّل أذى الخلق، ونحو ذلك. (**إذْ تُبيح**): فعل مضارع، من أباحه: جعله مباحاً. و(**الـمُنى**): جمع مُنْية، بضم الميم وسكون النون، وهي المطلوب. وجَمَعَها لكثرة مطالبه في حين سلوكه في طريق الله تعالى. ثمَّ قال (**وذاك**): إشارة إلى الأمر البعيد، وهو أمر واحد يجمع الأمور كلّها حقيقة جمع الحقائق بأسْرِها من تجلِّي اسمه الجامع واسمه الكافي. ثمّ قال (**رَخيص**): من الرُّخص بالضمّ ضدّ الغلاء. ومعنى الرخص هنا: كونه مَبْذولاً، سهل الاضطلاع عليه إنْ أراد الحقّ تعالى كما ورد: «اللهمّ لا سهل إلا ما جعلته سهلاً ، وأنت تجعل الحَزْنَ إذا شئتَ سهلاً»[1]. وقوله (**مُنْيَتي**): أي ما أتمنّاه.

وأفرد المنية هنا لجمعها لجميع المُنى المتفرِّقات من قبيل إذا حصلتْ لك حصل لك كلّ شيء، وإذا فاتتك فاتك كلّ شيء. وقوله (**بِمَنِيَّتي**): أي بموتي. فأفرد الموت هنا، وهوموت التحقيق بحقائق العرفان، والاضطلاع على مراكز الاضطرار في حقيقة الإنسان؛ فإنّه يجمع الموتات كلّها، قال العارف الذي هو من هذا البحر الغارف:

كـــلُّ أوقـــاتي اضـــطرار إلى الله   ومـــا لي وقـــتٌ بغـــير اضـــطرار

١٥- وَمَا غَـدَرَتْ فِي الحُـبِّ أَنْ هَـدَرَتْ   بِـشَرْعِ الهَـوَى لَكِـنْ وَفَـتْ إذْ تَوَفَّـت

(**الغَدْر**): بالغين المعجمة، خلاف الوفاء. وقوله (**في الحُبّ**): بالضمِّ، أي: المحبّة.

---

(١) أخرجه ابن حبّان في صحيحه، كتاب: الرقائق، باب: الأدعية، ٩٧٩.

(أنْ): بفتح الهمزة مصدريّة. و(هَدَرَتْ دَمي): أي أبطلت حكم المؤاخذة به فأباحت قتلي. (بشرع الهوى): أي بشريعة المحبّة؛ لأنّ المحبوب الحقيقيّ يأبى انفراده بالوجود، وتوحُّده بالأسماء والصفات أن يكون معه مُحِبُّه يضاهيه في ذاته، وأسمائه، وصفاته. ويزاحمه في جماله، وجلاله، وكماله؛ فيقتضي شرع المحبّة أن يقتل محبَّه ويفنيه، ويبقى هو على ما هو عليه أزلاً وأبداً. وقوله (لكن وَفَتْ): أي بما هو بمقتضى شرع المحبّة. (إذْ توفَّتِ): بكسر التاء للقافية، أي: توفَّتني. بمعنى: أماتتني؛ وذلك حين ظهورها بي عندي.

١٦- مَتَى أَوْعَدَتْ أَوْلَتْ وَإِنْ وَعَدَتْ لَوَتْ[1]
وَإِنْ أَقْسَمَتْ لَا تُبْرِئُ السُّقْمَ بَرَّتِ

(أَوْعَدَتْ): فعل ماض من الإيعاد وهو بالشرّ. وقوله (أولَتْ): فعل ماض بمعنى: اتبعتْ الإيعاد بما أوعدت به من الهجر والصدِّ والإعراض ونحو ذلك مما لا يلائم العاشق. وقوله (وَعَدَتْ): فعل ماض من الوعد بالخير. (لَوَتْ): بمعنى أمطلتْ وهذا شأن الحقّ تعالى بعباده المؤمنين الكاملين متى صدرت منهم هفوة في الدنيا عجَّل لهم العقوبة والمآخذة ليؤدِّبهم، فيحسن تأديبهم، فينَفِّذ وعيده فيهم في الحال. أو يعفو، كما قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ [٤٢/ الشورى/ ٣٠] وإنْ صدرت منهم أفعال [٨٠/ أ] حسنة مرضية، أخّر الجزاء عليها إلى الآخرة، فيبقى الوفاء بوعده إلى دار البقاء. وقوله (وإنْ أقسمتْ لا تُبْرِئ): فعل مضارع من أبرأه الله: شفاه. و(السُّقْم): بضمّ السين المهملة وسكون القاف، المرض، أي: مرض عباده المؤمنين؛ وهو من البلاء الحسن، قال تعالى: ﴿وَلِيُبۡلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡهُ بَلَآءً حَسَنًا﴾ [٨/ الأنفال/ ١٧] وقوله (بَرَتْ): فعل ماض من برَّ في يمينه، أي: صدق. ومعنى إقسامه: تأكيد ابتلائه

(١) الشطرة الأولى في (ق): «متى أوعدت ألوت وإن وعدت لوت».

لعباده، كما قال: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ ﴾ الآية [٤٧/ محمد/ ٣١].

١٧- وَإِنْ عَرَضَتْ أُطْرِقْ حَيَاءً وَهَيْبَةً   وَإِنْ أَعْرَضَتْ أُشْفِقْ فَلَمْ أَتَلَفَّتِ

(عَرَضَتْ): فعل ماض من العَرْض؛ وهو الظهور، يُقال: عرض له الشيء، أي: ظهر. يعني: إذا تجلّت له، وانكشفت. (أُطرِق): من الإطراق؛ وهو أنْ يُرخي عينيه، ينظر إلى الأرض. يعني: ينظر إلى ذلّه ومسكنته في كمال عزّ الحقيقة، وتكبّرها، وجبروتها. وقوله (حياء): وهو انقباض النفس خوف القبائح. (وهَيْبَة): أي إجلالاً لها، واحتراماً لشأنها، وتعظيماً لها، فيذوب العبد حينئذٍ بين يدي ربّه، وتضمحلّ رسومه. وقوله (وإنْ أعرضت): من الإعراض خلاف الإقبال، أي: استترت واحتجبت، فأرتني صورتي وهيئتي؛ لأنّ بصري وبصيرتي بيدها تُقَلِّبُهما كيفما شاءت، قال تعالى: ﴿أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ﴾ [١٠/ يونس/ ٣١] وقال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ [١٨/ الكهف/ ٢٨]. وقوله (أشفق): فعل مضارع، من أشفقَ من كذا: خاف منه. وقوله (فلم أتلفّت): أي لا يميناً ولا يساراً من خوفي منها، وحذاري أنْ تكون قد مكرت بي بإعراضها عنّي قال تعالى: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾.

١٨- وَلَو لَمْ يَزُرْنِي طَيْفُهَا نَحوَ مَضْجَعِي   قَضَيْتُ وَلَمْ أَسْطِعْ أَرَاهَا بِمُقْلَتِي

(زار الطيف): أتى في المنام، والطيف هو الخيال الطائف في المنام، والمراد خيال المحبوب، وهو على صورته، ومن لا صورة له؛ فكلّ صورة صورته لتجلّيه باسمه المصوِّر، وورد في الأثر: «الناس نيام»[1] وفي القرآن: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ [٣٠/ الروم/ ٢٣] فكلّ صورة يراها السالك فهي طيف خيال محبوبه الحقّ تعالى من تجلي اسمه المصوِّر كما قال من قال: «ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله فيه». مع قوله: «العجز عن درك الإدراك إدراك» وذلك لعلمه بعجزه الحقيقيّ، وعلمه بأنّ

---

(١) انظر تخريجه ص٢٨٦.

الحياة في الدنيا منام؛ فكلّ صورة هي صورة الحقّ تعالى عنده من تجليه عليه باسم المصوِّر. وقوله (نحو مَضْجَعي): المَضْجَع كمَقعد، موضع الاضطجاع ؛ فزيارة الطيف حاصلة له في موضع اضطجاعه. والاضطجاع: وضع الجنب بالأرض، أي: لصوقه بها؛ لأنّه خُلق منها فعاد إليها، فلا يكشف له أنّ تلك الصورة التي زارته صورة محبوبه، إلا إذا رجع إلى أصله بلصوقه بالأرض تواضعاً وذلاً وانكساراً. يعني: لو لم يزرني في ذلك الطيف كما ذكرنا. (قضيتُ): أي مُتُّ، من قضى نحبه، أي: مات. وإذا متُّ (فلم أسْطِع): أي أقدر. وأصله أستطيع، مِن استطاع؛ فحذفت التاء استثقالاً.

(أراها): أي أرى تلك المحبوبة. (بمُقلتي): أي بعيني؛ لأنّ الميت جماد، لا يمكن أنْ يرى بنفسه؛ لأنّها هي التي تملك بصره فتريه ما شاءت، فإذا أفرزها عنه لا يراها. قال العارف ابن غانم المقدسيّ(1):

ومخطوبـــة الحـــسن محجوبـــة	فـــلا يـــألفنّ الـــسوى إلفهـــا
إذا رام عاشـــــــقها نظـــــــرة	ولم يـــستطع إذ عـــلا وصـــفها
أعارتـــه طرْفـــاً رآهـــا بـــه	فكـــان البـــصير لهـــا طرْفُهـــا

١٩ - تَخَيُّـلَ زُورٍ كَـانَ زَوْرُ خَيَالِـهَا لِمُـشْبِهِهِ عَـنْ غَـيْرِ رُؤْيَـا وَرُؤْيَـةِ

(التخيّل): التوهُّم. و (الزُّور): بضمِّ الزاي، الكذب. (كان زَوْر): بفتح الزاي. بمعنى: الزيارة مصدر/ [٨٠/ ب] زار. وقوله (خيالها): أي المحبوبة. يعني: إنّ الصورة أراها بها محض تزوير عليها؛ لأنّها لا تشبه شيئاً، ولا يشبهها شيء، كما قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [٤٢/ الشورى/ ١١] ولكن هذا مقدار ما يمكن أنْ يراها به الممكن المخلوق. ثمّ قال: (لِمُشْبِهِهِ): أي لمشبه ذلك الخيال، فإنّه صورة

(1) علي بن محمّد بن علي، من ولد سعد بن عبادة الخزرجي، أحد أكابر الحنفيّة في عصره. أصله من بيت المقدس. ومولده ومنشأه ووفاته بالقاهرة ٩٢٠ - ١٠٠٤هـ. انظر الأعلام للزركلي ج٥ ص١٢.

خياليّة أيضاً مثل صورة الخيال، قال تعالى: ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖ﴾ [٦٧/الملك/٣] أي: كلُّه سواء في التخليق، وكلّه ممكن حادث. وقوله (**عن غير رؤيا**): أي صدر ذلك التخيّل عن غير رؤيا ناميّة؛ لأنّي متحقّق بذلك يقيناً. وقوله (ورؤيةِ): أي عن غير رؤية في اليقظة؛ بل كان ذلك في عالم الانسلاخ عن النوم واليقظة في حالة ذوقيّة يعرفها العارف، لا تُنال بالعقل.

٢٠- بِفَرْطِ غَرَامِي ذِكْرَ قَيْسٍ بِوَجْدِهِ وَبَهْجَتِهَا لُبْنَى أَمَتُّ وَأَمَّتِ

(**بِفَرْطِ**): الباء للسببيّة، والفرط :الزيادة، أي: بزيادة. (**غرامي**): أي شوقي الملازم لي. (**ذكْر**): مفعول مقدّم لأَمَتُّ. و(**قيس**): هو قيس بن الملَوَّح العامريّ المشهور بمجنون بني عامر. وقوله (**بوجده**): متعلِّق بذكر. وقوله (**وبهجتِها**): بالجر معطوف على فرط غرامي؛ أي: وببهجتها، والبهجة: الحُسْن والجمال، والضمير للمحبوبة. وقوله (**لُبنى**): اسم محبوبة من محبوبات العرب. وقوله (**أَمَتُّ**): بتشديد التاء مضمومة، من الإماتة. يعني: أنا أَمَتُّ ذكر قيس بني عامر بوجده، فما بقي حيّاً ذكره بوجده، وهذه الإماتة بسبب زيادة غرامي، وكذلك هذه المحبوبة الحقيقيّة بسبب بهجتها وجمالها وحُسنها. (**أَمَّتِ**): بتشديد الميم، أي: صارت إماماً لِلُبْنى المحبوبة المشهورة عند العرب؛ فلُبنى مقتدية بها في البهجة والحُسن؛ لأنّها أثر من آثارها تابعة لها على كلِّ حال.

٢١- فَلَمْ أَرَ مِثْلِي عَاشِقاً ذَا صَبَابَةٍ وَلَا مِثْلَهَا مَعْشُوْقَةً ذَاتَ بَهْجَةِ

(**مثلي**): أي مماثلاً لي. (**عاشقاً**): اسم فاعل من العشق، وهو زيادة المحبّة. و(**الصَّبَابَة**): الشوق الشديد. يعني: أنا لم أرَ مثل نفسي عاشقاً صاحب صبابة لهذه المحبوبة الحقيقيّة؛ لأنّ عشقي حقيقيّ لا مجازي، وعشق العشّاق كلّهم عشق مجازيّ يعدلون به عن المحبوبة الحقيقيّة إلى المحبوبة المجازيّة، فيعشقون الصور، ويتركون المصوِّر، ولا ظهور للصوَر إلا بالمصوِّر، ولا ظهور للمصوِّر إلا بالصور؛

لإطلاقه وكمال تنزّهه عن القيود والحدود في الحسِّ والعقل. وقوله (**ولا مثلها**): معطوف على مثلي، أي: ولم أرَمثلها. و(**معشوقة**): حال من الضمير. يعني: من حيث أنّ كلّ عاشق لشيء في الوجود عاشق لها؛ إذْ هي المصوِّرة لذلك الشيء، وموجدة له؛ فعشق العشّاق كلّه لها، منها، علموا أو لم يعلموا. وكذلك قوله (**ذات بهجة**): أي حُسن؛ فإنّ الحُسن كلّه لها؛ إذْ هي الظاهرة بالجمال الحقيقيّ المتفرق ظهوره بالتصاوير على أعيان التقادير في الحسن والعقل، من قوله عليه السلام: «إنّ الله جميل يحبّ الجمال»[1] فكلُّ الجمال منه له، وكل المحبّة منه له، ولم يرَ أحد مثل ذلك أصلاً.

٢٢- هِيَ البَدْرُ أَوْصَافاً وَذَاتِي سَمَاؤُهَا ... سَمَتْ بِي إِلَيْهَا هِمَّتِي حِيْنَ هَمَّتِ

(هي البدر): أي التام في الظهور بالنور. وقوله (**أوصافاً**): تمييز لنسبة كونها بدراً. وللبدر أوصاف كثيرة منها: عُلوُّه، وارتفاعه. ومنها: كمال نورانيّته. ومنها: أنّه لا يُنال لأحد من أهل الأرض. ومنها: أنّه لا يضام أحد في رؤيته؛ فلا يحتجب أحد برؤية غيره له كما قال صلّى الله عليه وسلَّم: «إنّكم سترون يتجلّى كما ترون البدر، هل تضامون في رؤيته»[2] الحديث. وفي رواية: «**كما ترون الشمس**»[2]. ولنا في هذا المعنى من مطلع قصيدة/ [٨١/ أ]:

يا طَلْعَةَ الشمس أو يا طَلْعَةَ القَمَر ... تختال في حُلَل الأشباح والصُّوَر

وليس في الحديث، ولا في نظمنا تشبيه له بالشمس، ولا بالقمر؛ لأنّه ليس كمثله شيء، وإنّما شبّه في الحديث رؤية برؤيته. وفي نظمنا تشبيه طلعة [**بطلعة**] أي: ظهور بظهور. وقوله (وذاتي سماؤها): من قوله عليه السلام: «ووسعني قلب عبدي المؤمن»[3] وهو وسع معرفة لا وسع إحاطة. وقوله (سَمَتْ): أي ارتفعت.

---

(١) انظر تخريجه ص٣٢٧.
(٢) انظر تخريجه ص٢٧٠.
(٣) انظر تخريجه ص٣٢٩.

(إليها): أي إلى تلك المحبوبة الحقيقيّة. (هِمَّتي): أي باعث قلبي حين انبعث إلى كلّ شيء؛ لأنّها ظاهرة لي بإظهارها لكلّ شيء. وقوله (حين هَمَّتِ): فعل ماض من الهمِّ بالشيء؛ وهو العزم عليه، أي: في كلّ حين من الأحيان إذا همت هِمَّتي فإنّما تسمو إليها لا إلى شيء سواها؛ إذ ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [٢٨/ القصص/ ٨٨].

٢٣- مَنَازِلُهَا مِنِّي الذِّرَاعُ تَوَسُّداً وَقَلْبِي وَطَرْفِي أَوْطَنَتْ أَوْ تَجَلَّتِ

(منازلها): جمع منزل، وهو الأمر الاعتباري الذي تنزل فيه، فيصير منزلاً بنزولها فيه، وقبل نزولها ليس هو بمنزل؛ بل هو أمر عدمي مقدّر بتقديرها أزلاً، ثابتاً بعلمها من غير وجود له؛ وإنّما له ثبوت لا نفي، وعدد المنازل. ولم يقل منزلها بالإفراد ليناسب أفراد الذراع؛ لأنّه أراد كثرة تجلّياتها في اتحاد إقباله عليها في مرتبة الذراع المشار إليها بقوله في الحديث القدسي: «مَنْ تقرَّب إليَّ شبراً تقربتُ إليه ذراعاً»[1]؛ فالذراع موعد تقرُّب الربّ من عبده المتقرِّب إليه بالشبر الذي هو ثلث الذراع، وهو النفس. والثلث الثاني الروح. والثالث الجسم. فقرّب الذراع منه تعالى؛ ولكنّه قال منّي: إشارة إلى أنّ التقرّب واحد منهما، ولا بدّ أنْ يكون تقرّب العبد إلى الرّبّ بالربِّ لا بالنفس، فإذا كان بالربّ فهو من الربّ حقيقة، وإنْ كان من العبد صورة، وهو معنى قول الشيخ الأكبر رضي الله عنه: «قُمْ به عليه لا بك عليه»؛ ولهذا قال في الحديث بعد ذلك: «ومن تقرّب إليّ ذراعاً تقرَّبْتُ منه باعاً»[1] فجعل قرب الذراع من العبد أيضاً. ثمّ قال (تَوَسُّداً): وهو تمييز لكون منازلها منه الذراع. والتوسّد: الاتّكاء على الوسادة وهي المخدّة. كناية عن الجسم المركّب

---

(١) قطعة من حديث، أخرجه البيهقيّ في شعب الإيمان، فصل: الثاني عشر من شعب الإيمان، ١٠٤٣، بلفظ: «عن أبي ذرّ قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم؛ يعني: بقول الله عزّ وجلّ: من عمل حسنة فجزاؤه عشر أمثالها، أو أزيد، ومن عمل سيئة فجزاؤه مثلها، أو غفر له، ومن تقرّب إليّ شبراً تقرّبت منه ذراعاً. ومن تقرّب ذراعاً تقرّبت من باعاً، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة، ومن لقيني بقراب الأرض خطايا لم يشرك بي شيئاً جعلت له مثلها مغفرة».

الكثيف تتوسده الروح فتتوكّأ عليه، فمنازلها في حالة التوسّد المذكورة مرتّبة الذراع من الربّ تعالى، أو منه. ثمّ قال (**وقلبي وطرفي**): أي منازلها **أيضاً قلبي** من قوله في الحديث القدسي: «ووسعني قلب عبدي المؤمن»[1]. (**وطرْفي**): **أي عيني** من قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [١٠/ يونس/ ١٠١] وقوله: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ [٦/ الأنعام/ ٣] وهذه الظرفيّة ظرفيّة معلوم في علم، وعلم في عالِم؛ فإنّ علم العالِم مظروف في العالِم ظرفيّة معنويّة، كما أن في السموات والأرض، وما فيهما كان في علم الله ليس كينونة شيء في شيء؛ بل كينونة معلوم في علم، مثل كينونة علم في عالِم. ثمّ لمّا ظهرت السموات والأرض من علم الله بتوجيه وجوده تعالى عليهما فتكونا بالكلمة الوجوديّة التي هي قوله: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [٣/ آلعمران/ ٤٧] أي: أوجد فيوجد، ظهر الوجود الواحد الحقّ متوجِّهاً على ما في علمه، منسوباً إليه وجوده تعالى. ولمّا ظهرمن كلّ شيء ولا شيء؛ إذْ كلّ شيء هالك إلا وجهه ظهر أنّه تعالى في كلِّ شيء قلب، كون كلّ شيء فيه سبحانه، ولا تغيير حصل فيه تعالى عمّا كان عليه أزلاً، ولا تغيير أيضاً حصل في كلّ شيء عن حالته، وهو في علمه تعالى؛ ولكنه يقلِّب القلوب والأبصار فيحكم بالإيجاد، ويحكم بالإعدام، والله يحكم، لا معقِّب لحكمه. ثمّ بين منازل القلب ومنازل الطرف بقوله (**أَوطَنَتْ**): بالطاء المهملة، أي: **أقامت في الوطن**، وهو منزل الإقامة، وهو راجع إلى القلب. يعني: لا تنفك عن القلب **وإنْ اختلفت تجلِّياتها**/ [٨١/ ب] عليه فتنقلب بتقلّب التجلِّيات؛ لأنّه كلّ يوم هو شأن فتتعدّد منازلها منه. وقوله (**أو تجلَّتِ**): أي انكشفت، وهو راجع إلى الطرف، فتنكشف للطرف بتجلِّيات مختلفة، فتتعدَّد منازلها منه أيضاً كذلك، ويصحُّ أن يكون تعددت منازلها بتعدد الذراع والقلب والطرف؛ فكلّ واحد منزل لها.

---

(١) انظر تخريجه ص٣٢٩.

٢٤- فَمَا الوَدْقُ إلّا مِنْ تَحَلُّبِ مَدْمَعِي وَمَا البَرْقُ إلا مِنْ تَلَهُّبِ زَفْرَتِي

(الوَدْق): المطر. و(التَّحَلُّب): بالحاء المهملة مصدر تَحَلَّبَ المطر، أي: سال. و(المَدْمَع): بإسكان الدال المهملة، مصدر ميمي. بمعنى: الدمع. وقوله (**وما البرق إلا من تلهُّب**): أي اشتعال واضطراب. (زفرتي): اسم مصدر من الزفير، وهو الشهيق، وقيل الزفير إدخال النفَس، والشهيق إخراجه. وهذه شكاية حاله في مقام المحبّة الإلهيّة بعد ذكر ما هو فيه من القرب الربّانيّ؛ فإنّه من جهة أنّ الحقّ تعالى يحبّه ينعم عليه بالتجلّيات والمعارف والحقائق. ومن جهة أنّه يحبّ الحقّ تعالى، يبتليه الحقّ تعالى بالبكاء والنحيب والشهيق واللهيب.

٢٥- وَكُنْتُ أَرَى أَنّ التَّعَشّقَ مِنْحَةٌ لِقَلْبِي فَمَا إنْ كَانَ إلّا لِمِحْنَتِي

(أرى): بفتح الهمزة، أي: أعلم، وهي الرؤية بالقلب. (أن التعشُّق): أي تكلُّف العشق (مِنْحَة): بكسر الميم، أي: عطيّة، وهبة من هبات الله تعالى لقلبي. وقوله (**فما إنْ كان**): بكسر الهمزة، زائدة لتأكيد النفي المفهوم من ما. و قوله (**إلا لمِحْنتي**): المحنة بكسر الميم: البليَّة كقول الشاعر:

العِشق أوّل ما يكون لحاجة تأتي بها وتسوقها الأقدار

حتّى إذا اقتحم الفتى لجج الهوى جاءت أمور لا تطاق كبار

فإنّ (**التعشّق**): يقتضي حصول المحبّة الإلهيّة في القلب، وهي قربة وطاعة من أفضل القربات وأشرف الطاعات. ومن هنا يرى العبد السالك أنّ ذلك منحة له، وعطيّة وهبة من الله تعالى؛ وإنّما ذلك وأمثاله من القربات والطاعات بلاء من الله تعالى، ومحنة للعبد. كما أنّ الذنوب والمخالفات بلاء من الله تعالى ومحنة للعبد أيضاً، كما قال تعالى: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [٧/ الأعراف/ ٦٨]، وقال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [٢١/ الأنبياء/ ٣٥] فالحسنات والخير بلاء ومحنة، وهو البلاء الحسن الذي قال تعالى: ﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً

حَسَنًا﴾ [٨/ الأنفال/ ١٧] وهو بلاء الأنبياء والأولياء والصالحين، كما جاء في الحديث: «أشدّ الناس بلاء الأنبياء ثمّ الأمثل فالأمثل»[1]. ويلتحق بذلك البلاء المشترك بأحوال الدنيا والسيئات. والشرّ بلاء ومحنة أيضاً، وهم لبقية الناس؛ فبنو آدم كلّهم مبتلَوْن في جميع أحوالهم: الدينيّة والدنيويّة إنْ علموا وإنْ لم يعلموا.

٢٦ - مُنَعَّمَةً أَحْشَايَ كَانَتْ قُبَيْلَ مَا دَعَتْهَا لِتَشْقَى بِالْغَرَامِ فَلَبَّتِ

(**مُنَعَّمَةً**): بالنصب خبر مقدّم لكانت. و(**أحشايَ**): اسمها، أي: كانت أحشايَ منعَّمةً، أي: مستريحة براحة الغفلة والجهل، متلذِّذة في الدنيا باللذائذ الوهميّة، وذلك (**قُبيل**): مصغّر قبل. و(**ما**): مصدريّة. و(**دعتها**): فعل ماض من الدعاء، بمعنى النداء. والضمير المرفوع المستتر للمحبوبة الحقيقيّة. والمنصوب الظاهر للأحشاء. وهذا النداء كناية عن انكشاف نِعَم الله تعالى ومحاسن أفعاله للعبد، فإنّ هذا نوع من الجمال الإلهيّ الذي يقتضي المحبّة من العبد لربّه، وهو دعاء ونداء للعبد السالك بأن يحبَّ ربّه. ثمّ قال (**لتشقى بالغرام**): أي بالشوق الملازم، وهذا الشقاء من قوله تعالى: ﴿طه ۝ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ [٢٠/ طه/ ١] وذلك لمّا قام النبيّ صلّى الله عليه وسلّم من الليل حتى تورَّمت قدماه فقيل له في ذلك؛ فإنّ الشقاء في اللغة الشدّة والعسر. وقوله (**فَلَبَّتِ**): بكسر التاء لأجل القافية، وأصلها السكون لتأنيث الفاعل، وهو ضمير الاحشاء. ومعنى لبَّتِ: أجابت لمّا دُعيَت له.

٢٧ - فَلَا عَادَ لِي ذَاكَ النَّعِيمُ وَلَا أَرَى مِنَ العَيْشِ إِلّا أَنْ أَعِيْشَ بِشَقْوَتِي/ [٨٢/ أ]

(**لا**): نافية. و(**عاد**): أي رجع. و(**ذاك النعيم**): أي الذي كنت متنعِّماً به من قبل، وهو إخبار بمعنى الإنشاء، جملة دعائيّة. وقوله (**ولا أرى من العيش**): أي الحياة. (**إلّا أنْ أعيش بشَقوتي**): وهي شقوة الغرام التي تقدَّم ذكرها؛ فإنّه اختارها

---

(١) انظر تخريجه ص ٤١٨.

على نعيم الغفلة، والجهل بالله ،واللذائذ الفانية، والشهوات المضمحلّة، الدنيويّة، وهي صفة الصادقين، وحالة الأولياء المقرَّبين.

٢٨- أَلَا فِي سَبِيْلِ الحُبِّ حَالِي وَما بِكُمْ أَنْ أُلَاقِي لَوْ دَرَيْتُمْ أَحِبَّتِي

(ألا): حرف استفتاح، ومعناها التنبيه. وقوله **(في سبيل الحبِّ)**: أي طريق المحبّة. **(حالي)**: أي ما أقاسيه وأُكابده من البلاء المذكور. يعني: لا في سبيل هوى نفسي وغَرَضِها محبَّة منِّي لدخول الجنَّة أو النجاة من النار، أو لتحصيل المقامات العالية، والأحوال السَّنِيّة عند الله تعالى، كما هو شأن المحجوبين، قال الشيخ أرسلان قدّس الله سرَّه في رسالته المشهورة: «الناس تائهون عن الحقّ بالعقل، وعن الآخرة بالهوى». يريد بالهوى الأغراض النفسانيّة والحظوظ الشهوانيّة؛ فإنّ الآخرة لا تُنال بهذا السعي؛ فإنّه ليس سعيها؛ وإنّما سعيها الإخلاص في الأعمال، والتخلُّص من جميع حظوظ النفس، كما قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ الآية [١٧/الإسراء/١٩]. وقوله **(وما)**: موصولة، أو نكرة موصوفة، معطوفة على حالي. **(عسى)**: هي فعل إشفاق هنا من مكروه ما يقاسيه، والاشفاق: الحذر. وقوله **(بكم)**: أي بسببكم. **(أنْ)**: مصدريّة. **(أُلاقي)**: أي أجد في المستقبل من البلاء. ثمّ قال **(لو)**: وهي للتمنِّي. **(دَرَيْتُم)**: أي علمتم. والمراد: دراية ذوقيّة، وعلماً بطريق المقاساة والمكابدة، لا مجرَّد دراية وعلم؛ فإنّ الحقّ تعالى عليم بكلّ شيء، خبير بالكلّ. ولكن إذا خلق للعبد ذوق الألم فلا يكون هو الذي يذوق ذلك الألم؛ بل هو تعالى العالم به على الوجه التام، وليس العالم بالشيء ذائقاً له، فمعنى دريتم: ذقتم عين ما أذوق؛ إذ لا يتصف تعالى بما يخلق لعبده. ثمّ قال **(أحبّتي)**: أي يا أحبّتي، جمع حبيب؛ وإنّما جمعه لكثرة ظهوره تعالى بأسمائه وصفاته المختلفة، فهذا المحبّ يحبّ محبوبه الظاهر له في كلّ اسم من أسمائه، وكلّ صفة من صفاته: أسماء الجلال، وأسماء الجمال، وأسماء الكمال.

٢٩- أَخَذْتُمْ فُؤَادِي وَهْوَ بَعْضِي فَمَا الذِي[1] يَــضُرُّكُمُ لَــوْ تُتْبِعُــوهُ بِجُمْلَتِــي

وفي نسخة (وهو بعضي عندكم فما ضرّكم أن تتبعوه). فقوله (أخذتم فؤادي): أي قلبي، بسبب ظهور استيلائكم عليه، قال تعالى: ﴿أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [١٠/ يونس/ ٣١] جمع فؤاد، وهو القلب، فيملك تعالى كلّ سمع، وكلّ بصر، وكلّ فؤاد؛ وهو الاستيلاء؛ وهو معنى الأخذ للفؤاد المذكور هنا. ثمّ قال (فما الذي): ما استفهاميّة. يعني: أي شيء. (يضرُّكمُ): بضمِّ الميم لاستقامة الوزن. (لو تُتْبعوه): أي تتبع الفؤاد. (بِجُمْلَتي): أي بقيّة أعضائي وجوارحي. يعني: في الأخذ المذكور؛ فتأخذوا جملتي أيضاً بأن تُظهروا لي استيلاءكم على جملتي كما أَظهرتم استيلاءكم على فؤادي؛ وهذا معنى عنديّة الربّ الواردة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [٧/ الأعراف/ ٢٠٦] وقوله: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ﴾ [١٣/ الرعد/ ٤٣].

٣٠- وَجِدْتُ بِكُمْ وَجْداً قُوَى كُلِّ عَاشِقٍ لَوِ احْتَمَلَتْ مِنْ عِبْئِهِ البَعْضَ كَلَّتِ

(وجِدْتُ): بكسر الجيم في الحزن، وبفتحها في الحبّ. (بكم): أي بسببكم. (وَجْداً) في المحبّة. قال في القاموس: «وَجَدَ به وَجْداً في الحبِّ فقط، وكذا في الحُزن، لكن بكسر ماضيه». وقوله (قُوى): بضمِّ القاف، جمع قُوَّة. (كلّ عاشق): من الناس. (لو احتملت): أي تلك القوى كلّها/ [٨٢/ ب]. (من عِبْئِه): أي عبء ذلك الوجد. والعِبْء بكسرالعين المهملة وسكون الباء الموحّدة وبالهمز: الحمل الثقيل من أي شيء كان. والضمير للوجد. وقوله (البعض): مفعول احتملت. (كَلَّتِ): فعل ماض من الكلال، وهو التعب، والبلاغة في جمع قُوى وإضافتها إلى كلّ عا شق، وذكر مِنْ التبعيضيّة، وإفراد العبء المضاف إلى ضمير الوجد، أي: عبء من أعبائه. وقوله (البعض): أي من ذلك العبء، وإنّما كان كذلك لأنّ كلّ عاشق مناطُ عشقِهِ أمرٌ كونيّ، فانٍ، زائل، مضمحلّ؛ وهو المحبوب

[1]: البيت في (ق): أخذتم فؤادي وهو بعضي نحوكم فما ضرّكم لو كان بعضي جملتي

المجازيّ. وأمّا هو فمناط عشقه الحقّ تعالى من حيث ظهوره بأسمائه الحسنى، وهو باقٍ على الدوام، وهو المحبوب الحقيقيّ.

٣١- بَرَى أَعْظُمِي مِنْ أَعْظَمِ الشَّوْقِ ضِعْفُ مَا بِجَفْنِي لِنَوْمِي أَوْ بِضُعْفِي لِقُوَّتِي

بَرَى السهم يَبْرِيْهِ [بَرْياً] وابْتَرَاه: نَحَتَه، وبَرَاهُ السفر يَبْرِيه بَرْياً: هَزَلَه، كذا في القاموس. و(**الأعْظُم**): جمع عظْم، أي: نحتها وهزلها. وقوله (**من أعظَم الشوق**): صفة لموصوف محذوف؛ هو فاعل برى، أي: شوق من أعظم الشوق، أو صفة لما. و(**ضِعْف**) فاعل برى. و(**ما**) بمعنى شوق، أي: ضِعف شوق، وضِعْفُ الشيء بالكسر: مثله أو الضعف المثل إلى ما زاد. ويقال: لَكَ ضِعْفُه، يريدون مثليه، وثلاثة أمثاله؛ لأنّه زيادة غير محصورة، كذا في القاموس. (**بِجَفْني**): أي كائن فيه لنومي. يعني: إنّ الشوق الذي نحت عظامي وبراها مقدار الشوق الذي في جفني لنومي مرتين وأكثر. وقوله (**أَوْ بِضُعْفِي**): أي ضُعْف ما في ضَعْفِي، بفتح الضاد المعجمة، أو ضمِّها؛ وهو ضد القوّة (**لقوَّتي**): أي شوق لقوَّتي. والمعنى: إنّ الشوق الذي برى عظامي ضُعف الشوق الذي في ضَعفي لقوَّتي مرتين أيضاً أو أكثر. وفي ذلك إخبار منه أنّ جفنه لا نوم له، وهو مشتاق إلى النوم غاية الاشتياق. وإنّ ضَعْفَه، وعجزه، ومرضه كائن فيه، حاصل له. وذلك مشتاق إلى القوَّة غاية الاشتياق. وهذا كلّه شكوى الحال لتطول المناجاة مع الحبيب المتعال، مع أنّه يعلم أنّه عليم بجميع الأحوال كقول موسى عليه السلام: ﴿**هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ**﴾ [٢٠/ طه/ ١٨] ليقول له وما تلك المآرب. فيطيل الجواب التذاذاً بالخطاب.

٣٢- وَأَنْحَلَنِي سُقْمٌ لَهُ بِجُفُونِكُمْ غَرَامُ التَّيَاعِي بِالفُؤَادِ وَحُرْقَتِي

(**أنحلني**): أي جعلني نحيلاً مهزولاً من شدّة المحبّة. (**سُقْمٌ**): أي مرض وضعف، وهو فاعل أنحلني. (**له**): أي لذلك السُّقم المذكور. (**بجفونكم**): جمع

جَفْن، وهو غطاء العين. كناية صور المخلوقات المحسوسة والمعقولة؛ فإنّ كلّ صورة من ذلك غطاء على العين الإلهيّة من التجلّي بكلّ اسم من الأسماء الحسنى، كما قال الشيخ الأكبر قدّس الله تعالى سرّه:

مـــرضي مـــن مريـــضة الأجفـــان   علـــلاني بـــذكرها علـــلاني

وسقم تللك الجفون هو زيادة ضعف المخلوق، كما قال تعالى: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ ضَعِيفًا﴾ [٣/ النساء/ ٢٨] وقال: ﴿خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾ [٣٠/ الروم/ ٥٤] وقال: ﴿ لا يقدرون على شيء مما كسبوا ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٦٤] وهذا الضعف فيهم من جملة الجمال الإلهي الظاهر في الأكوان. وقوله (غرام التياعي): الالتياع هو الاحتراق من الهم والحزن. يعني: لذلك السقم والضعف والعجز الذي في جفونكم التي هي صور مخلوقاتكم المغطية لعيون تجلّياتكم بأسمائكم المختلفة. (غرام احتراقي): أي الشوق الملازم لي بسبب احتراقي في محبّتكم. يعني: هو عاشق لأعينكم مثلي أيضاً؛ لأنّي صور مثل تلك الصور المغطية لتلك الأعين المختلفة بالتجلّيات بالأسماء الحسنى، ومن هنا قالوا: «إنّ المحبّة حجاب عن المحبوب». وقوله /[٨٣/أ] (بالفؤاد): متعلّق بالالتياع. (وحُرقتي): معطوف على التياعي للبيان. وفي القاموس: «اللَّوْعَة حُرْقَةٌ في القلب، وأَلَم من حُبّ، أو هَمٍّ، أو مرض، ولَاعَه الحُبُّ: أَمْرَضَه». فتكون الحرقة على هذا هي الألم والمرض؛ فهي غير مطلقها في هذا الموضع.

٣٣- فضَعْفِي وَسُقْمِي ذَا كَرَأْيِ عَوَاذِلِي   وَذَا لِحَدِيْثِ النَّفْسِ عَنكُمْ بِرَجْعَتِي

(الضَّعْف): بفتح الضاد المعجمة وبضمِّها: أيضاً ضدّ القوَّة. و(السُقْم): على وزن قُفْل: المرض. وقوله (ذا): هو اسم إشارة إلى الضَّعْف. وقوله (كرأي): الكاف للتشبيه، والرأي: النظر والفكر. يعني: ضَعْفِي مثل رأي عواذلي؛ فإنّ رأيهم ضعيف، أَشَدُّ ضعفاً، وهم جمع: عَذول، وهو الذي يعذله، بالذال المعجمة، أي: يلومه على المحبّة؛ وذلك غاية الجهل والبعد عن الله تعالى؛ حيث يلوم المحبَّ في محبَّته لربِّه من حيث لا يشعر أنّ محبّته لربّه، ويظنّ أنّها لكون من الأكوان من

عدم معرفته بالربّ، ولا بتجلّياته، وعدم معرفته بصدور المخلوقات عنه تعالى بالقدرة والإرادة. وظنّه أنّ كلاً من الربّ والعبد قائم بنفسه، غير أنّه يقول بافتقار العبد إلى الربّ في ابتداء حال وجوده فقط، إلى غيرذلك من أنواع الجهل بالله ؛ فيفسد رأي العواذل كلّهم، ويضعُف فيكون ضعْف المحبّ مُشبّهاً بضعيف رأي العواذل؛ لأنّه مشبّه به، فهو أقوى في صفة الضعف من المشبّه. وقوله (وذا): إشارة إلى السُّقم، كحديث النفس عنكم، متعلّق (برجعتي): أي رجوعي عنكم، وتركي لكم الذي يطلبه العاذل مِنّي. يعني: إنّ سُقْمي الذي اعتراني في محبّتكم يشبه حديث نفسي بالرجوع عنكم أسقم من سقمي؛ لأنّه مشبّه به، وهو أشد من المشبّه في صفة السقميّة؛ فيقال: حديث سقيم، كما يقال: قول ضعيف.

٣٤- وَهَا جَسَدِي مِمَّا وَهَى جَلَدِي لِذَا[1] تَحَمُّلُهُ يَبْلَى وَتَبْقَى بَلِيَّتِي

(الواو): للعطف على ما قبله. وكلمة (ها): بالقصر للتنبيه؛ لأنّه أمر غريب. و(جَسَدي): مبتدأ. وقوله **(ممَّا)**: ما مصدريّة. و**(وهى)**: فعل ماض من الوَهِي: وهي الشَّقُّ في الشيء، وَهَى كوَعَى ووَلِيَ: تَخَرَّقَ، وانْشَقَّ، واسْتَرْخَى رِبَاطُه، كذا في القاموس. يعني: جسد مؤلَّف، مركَّب من الوَهْي الذي هو أمر معنويّ؛ فجسدي كذلك أمر معنويّ متصوَّر في صورة حِسِّيَّة، و**(الجَلَد)** محركة: الشِّدَّة، والقوّة، وهي القوّة التي بالله ، كما قال: ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [١٨/ الكهف/ ٢٣] وقال: ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [٢/ البقرة/ ١٦٥] فمتى نُسبت القوّة إليه اضمحلّتْ وضعفت، فخَلُق جسدُه من ذلك الضعف والاضمحلال. ثمّ قال **(لذا)**: أي لأجل هذا الأمر. **(تَحَمُّله)** أي تَحَمُّل جسدي. يعني: تكلُّف حمله للأمور الشرعيّة وغيرها. **(يبلى)**: مثل يرضى من البِلى، بكسر الباء الموحَّدة والقصر، وهو الفناء والاضمحلال. **(وتبقى بليَّتي)**: أي ما ابتلاني به ربِّي من الجزاء في الآخرة؛ هو الثواب أو العقاب.

---

(١) في (ق): لدى.

٣٥- وَعُدْتُ بِمَا لَمْ يُبْقِ مِنِّيَ مَوْضِعاً   لِضُرٍّ لِعُوَّادِي حُضُوْرِي كَغَيْبَتِي

(عدتُ): أي صِرْتُ. (بما): أي بالأمر العظيم الذي (لَمْ يُبْقِ): بضمّ الياء التحتيّة، أي: يترك. (منّي): أي من جميعي؛ ظاهراً وباطناً. (موضعاً لضُرٍّ): أي محلاً يكون قائماً به نوع من الضرّ. والضُّرّ الشِّدّة، والضرر، وسوء الحال، والأذى. والألم؛ فإنّ الضُّرّ عَرَضٌ، والعَرَض لا يقوم بنفسه؛ بل لا بدّ له من محلٍّ يقوم به. فإذا لم يبق منه محل يقوم به الضرّ فقد فني واضمحلّ، ولم يبقَ له وجود أصلاً. وذلك الأمر العظيم الذي فعل به ذلك هو تجلٍّ وانكشاف الوجود الحقّ له: فإنّه وجود واحد، حي بنفسه، قائم بنفسه، عَلِم/ [٨٣/ ب] ما لا يعلمه سواه ممّا لا نهاية له، مرتباً على أكمل ما يكون من التراتيب، فحكم أزلاً بجميع ما علمه. فقدّر كلّ شيء مما علمه بمقداره المعلوم، وقضى بذلك، وتوجّه أزلاً على جميع ما علمه، وحكم به وقدّره، وقضى على طبق ما هوعليه كلّ شيء في نفسه. فاستحضره من علمه مرتباً كذلك بترتيبه الأزلي، فظهر كلّ شيءٍ كذلك بتو[ر] وجوده الحقّ في نفس الأمر سوى وجوده الحقّ، والكلّ فانٍ مضمحلّ؛ فإذا تحقّق العارف في نفسه بهذا الأمر كان فانياً مضمحلاً في نفسه. وكذلك جميع العوالم عنده كلّها فانية مضمحلّة، والوجود الحقّ مشهود له ظاهراً في كلّ شيء، ولا شيء عنده سوى الوجود الحقّ الواحد الأحد. ثمّ قال (لعُوَّادي): جمع عائد؛ وهو الزائر للمريض. متعلّق بحضوري، أي: كوني حاضراً عندهم، يشهدون وجودي جهلاً منهم بي وبربّي؛ لأنّهم لا يعرفوني، ولا يعرفون ربّي كغيبتي عنهم؛ بحيث أنّ العُوّاد الزائرين له إذا أرادوه كان حضوره عندهم، وغيبته عنهم سواء؛ لعدم وجوده. وهذا عنده في بصيرته؛ فهو فانٍ، مقدّر الصور، مضمحلّ في نظر نفسه وتحقّقه بربه، وإنْ كانوا هم يجدونه كما يجدون أنفسهم؛ لأنّ كلامه عن نفسه من مقامه في نفسه.

٣٦- كَأَنِّي هِلَالُ الشَّكِّ لَوْلَا تَأَوُّهِي   خَفِيْتُ فَلَمْ تَهْدَ العُيُونُ لِرُؤْيَتِي

(هلال الشكِّ): هو الذي يتحدّث الناس برؤيته [و] لم تثبت رؤيته. يعني: أنا

عند نفسي بمنزلة هلال الشكّ، أتحدّث في نفسي برؤيتي ولم تثبت رؤيتي عندي؛ لأنّ عندي المرئي لي هو الوجود الحقّ المطلق عن صورتي الظاهرة والباطنة، وعن صورة كلّ شيء أدركه حساً أوعقلاً. ثمّ قال (**لولا تأوّهي**): التأوّه مصدر تأوّه الرجل تأوّهاً، إذا قال أوّاه. يعني: تألُّمي وتوجّعي من نسبة الوجود إليّ، ومشاركة الحقّ تعالى في الاتصاف بالوجود في أوقات قيام الأحكام الشرعيّة لاعتنائه بها مراعاة لحقوق العبادة، وقبول التكاليف التي كلّفه الله تعالى بها، وأمره أن يقوم فيها بنفسه، ولا بدّ لها من فاعل تصدر هي منه عن قصد ونيّة في الأوامر والنواهي. فيضطر حينذاك إليه؛ فيتأوّه من ذلك، ويتألّم، ويتوجّع على مفارقة حالته الأولى التي هو فيها. وقوله (**خَفِيْتُ**): أي لم أظهر، ولم أتبين عند نفسي لنفسي لشهودي الوجود كلّه للحقّ تعالى، لا لنفسي، ولا لكل ما سواه تعالى، ولم أظهر، ولم أتبيّن على ما أنا عليه من المشهود عند أحد من الناس أيضاً. وقوله (**فلم تُهد**): بضمّ التاء المثنّاة الفوقيّة وسكون الهاء، فعل مضارع مبني للمفعول، متفرّع على خفائه وعدم ظهوره بما فيه من الشهود، أي: لم يهد الله تعالى (**العيون**): نائب الفاعل، أي: عيون الناس لرؤيتي على ما أنا عليه من الشهود والتحقيق بحقيقة الوجود؛ وإنّما تراني العيون معتوهاً، أو مجنوناً، لا يوثق بكلامي، ولا يُلتفت إليّ لعدم انضباطي وانتظامي. فإذا دخلتُ في عبادة لم أقدر على ضبط أحوالها وأدائها على وجه كمالها؛ وهي أحوال المجاذيب الذين رُفع عنهم قلم التكاليف لعدم ضبطهم الأحكام، وقلّة تمكّنهم من مراعاة الحلال والحرام، وللشيخ الأكبر قدّس الله سرُّه في الفتوحات المكيّة باب مستقلّ في شأنهم، وهو الباب الرابع والأربعون. وقد استوفى هناك أسرارهم وأنوارهم.

٣٧- فَجِسْمِي وَقَلْبِي مُسْتَحِيْلٌ وَوَاجِبٌ وَخَدِّيَ مَنْدُوْبٌ بِجَائِزِ عَبْرَتِي

(**مستحيل**): من استحال الشيء: إذا انقلب عن حاله التي كان عليها فاضمحلّ وانمحق. راجع [٨٤/ أ] إلى الجسم لفنائه في التجلِّي. و(**الواجب**): بمعنى الساقط، يقال: وَجَبَ يَجِبُ وَجْبَةً: سَقَطَ، وَوَجَبَ القلبُ وَجْباً ووَجِيْباً

ووَجَاناً: خَفَق، كذا في القاموس. وهو راجع إلى القلب على طريق اللفّ والنشر المرتّب؛ فأصل التجلّي الإلهي على القلب؛ فيقتضي سقوطه، وهو الهبوط من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [٢/ البقرة/ ٧٤] وهي قلوب الغافلين عن التجلّي الإلهي، الجاهلين بالله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [٢/ البقرة/ ٧٤] وهي قلوب العارفين بالتجلّي الإلهي المتحقّقين به. وقوله (وخَدِّي مندوب): اسم مفعول، من النَّدْبَة أثر الجرح الباقي على الجلد، ونَدِب الجُرْح كَفَرِح صَلُبَتْ فيه نَدْبَتُه كذا في القاموس. وقوله (بجائز): من جاز، بمعنى سار ومَرَّ. (عَبْرَتي): بفتح العين المهملة، الدمعة قبل أن تفيض. يعني: إنّ خدّه مجروح بكثرة سيلان دموعه من بكائه من خشية الله تعالى.

٣٨- وَقَالُوا جَرَتْ حُمْراً دُمُوْعُكَ قُلْتُ مِنْ ... أُمُوْرٍ جَرَتْ فِي كَثْرَةِ الشَّوْقِ قَلَّتِ

٣٩- نَحَرْتُ لِضَيْفِ الطَّيْفِ(١) فِي جَفْنِيَ الكَرَى ... قِرَىً فَجَرَى دَمْعِي دَمَاً فَوْقَ وَجْنَتي

ضمير قالوا للأحبَّة. و(حُمْراً): حال مُقَدَّم من الفاعل وهو دموعك. وقوله (من أمور): جمع أمر؛ وهو الشأن المهم في طريق المحبّة الإلهيّة. وقوله (جَرَتْ): أي صدرت لي من المحبوب الحقيقيّ، كالصَّدِّ والهجران، وإظهار الغضب عليّ، والابتلاء الحسن في أحوال الدنيا والبدن. وقوله (كثرة الشوق قَلَّتِ): بتشديد اللام، من القلّة؛ ضدّ الكثرة، أي: تلك الأمور كثيرة في نفسها، غيرأنّها قليلة بالنسبة إلى كثرة الشوق. ثمّ قال معتذراً عن حمرتها، والدمع من عادته أنْ يكون أبيض كالماء، فأشار إلى أمر واحد من تلك الأمور الكثيرة التي اقتضت حُمْرَة الدمع فقال (نَحَرْتُ) أي ذَبَحْتُ (لضيف الطيف): وهو خيال المحبوب الذي يزور المُحبّ كالضَّيف الزائر، قال في القاموس: «الطَّيْفُ: الخيال الطائف في المنام،

(١) في (ق): السُهدِ

أو مجيئه في النوم». انتهى. ولا شك أنّه أمر موهوم تتخيَّله روحانيّة المحبّ من غلبة المحبّة والشوق، قال الشاعر:

خاطبتُ طَيفَ خيالٍ مَرَّ بي ومَضَى ... كيف اهتديت وجنحُ الليلِ مسدولُ

فقالَ آنَسْتُ ناراً من جَوانِحِكُمْ ... يُضِيءُ منها لدى السارين قِنديلُ

فقلتُ يا نارَ الهوى وليس لها ... عينٌ تُعاينُ ماذا القَوْلُ مَقبولُ

فقال نِسْبتُنا في الحُكم واحدةٌ ... أنا الخيالُ ونارُ الشوقِ تخْييل

ومعنى الطيف هنا ما يقع في القلب من الصور عند توجُّهه إلى شهود الحقّ تعالى؛ فإنّ الناس نيام، كما ورد في الخبر، فما يجدونه بمنزلة الخيال الذي يجده النائم، فإذا استيقظ بالموت ذهب ما كان يجده كأن لم يكن. ثمّ قال في (جَفْني): أي في جفن عيني؛ وهو محلّ ذلك النحر الذي هو الذبح. و(**الكرى**) بمعنى النوم، مفعول نحرتُ، والمعنى: ذبحت النوم في جفني للضيف الذي جاءني؛ وهو طيف المحبوب. وقوله (**قِرَى**): بكسر القاف، قال في القاموس: «قَرَى الضيفَ، قِرَى بالكسر والقصر؛ والفتح والمدّ: أضافه» . ثمّ قال (**فجَرى دمعي دماً**): حال من دمعي وهذا بيان سبب حُمْرة الدمع فوق وَجْنَتَي، وهي: ما ارتفع من الخدّ.

٤٠ - فَلَا تُنْكِرُوا أَنْ مَسَّني ضَرُّ بَيْنِكُمْ ... عَلَيَّ سُؤَالِي كَشْفَ ذَاكَ وَرَحْمَتِي

(**فلا تنكروا**): خطاب للأحبّة المُتحدَّث عنهم في البيتين قبله. وقوله (**أنْ مَسَّني**): بفتح الهمزة، أي: لأنْ مسَّني. والضَّرُّ بالفتح: مصدر، وبالضمّ: اسم بمعنى الشدّة والضرر/[٨٤/ب] وسوء الحال، وإضافة إلى (**بينكم**): والخطاب للأحبّة. والبَيْن: الفرقة والبُعْد. وقوله (**عَلَيّ**): بتشديد الياء التحتيّة متعلّق بـ(تنكروا). و(**سؤالي**): مفعول تنكروا، أي: طلبي منكم. وقوله (**كشف**): مفعول سؤالي؛ لأنّه مصدر. يعني: إزالة ذاك إشارة إلى ضَرُّ بينِكم. (**ورحمتي**): معطوف على كشف. والمعنى: لا تنكروا يا أحبَّتي عليّ إذا طلبتُ منكم أنْ تكشفوا عنّي ما مسَّني من ضرّ فِرْقَتكم وبُعدكم؛ فإنّ أيّوب عليه السلام قال: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ

ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [٢١/الأنبياء/٨٣] ولغيره أسوة به؛ فإنّه فتح باب الاقتداء بشكاية الحال للأحبّة.

٤١- فَصَبْرِي أُرَاهُ تَحْتَ قَدْرِي عَلَيْكُمُ مُطَاقاً وَعَنْكُمْ فَاعْذِرُوْا فَوْقَ قَدْرَتِي

(أُرَاهُ): بضمّ الهمزة، أي: أعتقده. (تحت قدري): أي قدرتي فوقه، فأنا قادرعليه. وقوله (عليكم): متعلّق بصبري. والصبر عليهم، أي: على صدِّهم وإعراضهم عنه وهجرانهم له. وقوله (مُطاقاً): بضمّ الميم، اسم مفعول من الإطاقة، وهي القدرة على الشيء، حال من الضمير في أُراه. وقوله (وعنكم): متعلّق بصبري أيضاً، أي: وصبري عنكم. والصبرعنهم هو السلو عن محبَّتهم ونسيانهم من قلبه. وقوله (فاعذروا): جملة معترضة بين المبتدأ الذي هو صبري عنكم، وبين خبره الذي هو قوله (فوق قدرتي): أي بحيث لا أقدر عليه، ولا أستطيعه فاعذروني في ذلك.

٤٢- وَلَـمَّا تَوَافَيْنَـا عِـشَاءً وَضَـمَّنَا سَـواءُ سَـبِيلَيْ ذِي طَـوَى وَالثُّنَيَّـةِ

(توافينا): أي وافى كلّ مِنَّا الآخر، يُقال: وافيت القوم: أتيتهم. كناية عن إقباله على حضرة الحقّ تعالى؛ فإنّه عين إقبال الحقّ تعالى عليه. وقوله (عِشَاءً): العِشاء أوّل الظلام، وفي ذلك اختلاط النور الباقي بعد غروب الشمس بالظلمة. كناية عن ظهور العدم المقدّر، المصوَّر بنور الوجود الحقّ من حيث أسماؤه الحسنى بعد غروب شمس الذات الأحديّة. وقوله (وضَمَّنا): بتشديد الميم، أي: جمع كلّ واحد منّا. وقوله (سواء): فاعل ضمَّنا مضاف إلى (سَبِيْلَي): أي وسط طريقين؛ فإنّ سواء السبيل وسط السبيل. و(سَبِيلَيْ): بالتثنية، وحذف النون للإضافة إلى (ذي طُوى): مثلث الطاء المهملة، قرية قرب مكّة. كناية عن الحضرة الإلهيّة من قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [٢٠/ طه/١٢]. وقوله (والثُّنَيَّة): بضمّ الثاء المثلّثة وصيغة التصغير: العقبة. كناية عن النفس الإنسانيّة من قوله تعالى: ﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ⑪ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ⑫ فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ [٩٠/البلد١١-١٣] وهي عتق

النفس بمعرفتها المُستلزِمة معرفة ربّها من رقّ الأغيار، فالعشاء المذكور هو اختلاط نور الوجود الحقّ بظلمة عُدْم النفس، والله غنيّ عن العالمين من حيث الذات، فحيث الذات لأكوان، كما قال عليه السلام: «كان الله ولا شيء معه» يعني: من حيث الذات، «وهو الآن على ما عليه كان»[1].

٤٣ - وَمَنَّتْ وَمَا ضَنَّتْ عَلَيَّ بِوَقْفَةٍ تُعَادِلُ عِنْدِي بِالمُعَرَّفِ وَقْفَتِي

(مَنَّتْ): تفضّلت وأحسنت. (وما ضَنَّتْ): أي ما بَخِلَتْ. وقوله (عَلَيَّ): متنازع فيه بالتعلق بين مَنَّتْ وضَنَّت. وكذلك قوله (بوَقْفَة): فمعناه مَنَّتْ عليّ بوقفة، وما بخلت عليّ بوقفة. وكنّى بالوقفة هنا عن قوة العارف إذا تحقّق بفناء نفسه، واضمحلال رسومه، فوجد أنه كلّه لم يكن، وتحقّق بوجود ربّه، وثبوت أسمائه وصفاته. وأنّه لم يزل ولا يزال على ما هو عليه أزل الأزال، ويستمر له هذا الشهود والعيان مدّة قليلة من الزمان؛ فهي وقفة العرفان، لا شُبهة فيه لإنسانه. ثم قال (تعادل): بمعنى تساوي وتماثل. يعني: تلك الوقفة المذكورة عندي في مقام الكمال لدى الفحول من الرجال. وقوله (بالمُعَرَّف): بضمّ الميم وفتح العين المهملة وتشديد/[٨٥/ أ] الراء مفتوحة وبالفاء، متعلّق بوقفتي، وهو الموقف بعرفات. وكون تلك الوقفة تعادلها عندي في تمام الجمع بها؛ ولهذا قال صلّى الله عليه وسلّم: «الحج عرفة»[2]. وهذه الوقفة المذكورة يتمّ بها حج المعرفة الإلهيّة إلى بيت الذات المقدّسة للسالك المخلص[3].

---

(١) أخرجه القاري علي بن سلطان الهروي في المصنوع في معرفة الحديث الموضوع،٢٢٠. وقال: حديث: كان الله ولا شيء معه، وفي رواية: ولا شيء غيره. وفي رواية: ولم يكن شيء قبله: ثابت، انظر المصنوع في الحديث الموضوع للقاري علي بن يوسف بن سلطان الهروي، تحقيق عبد الفتّاح أبو غدّة ج١ص١٢٢.

(٢) قطعة من حديث، أخرجه أحمد في المسند، حديث عبد الرحمن بن يعمر،١٩٢٨٧. كما أخرجه الحاكم في مستدركه، باب أوّل كتب المناسك، ١٧٠٣.

(٣) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ:« بلغ». أي بلغت مقابلة هذه النسخة على المؤلّف.

٤٤-عَتَبْتُ فَلَمْ تُعْتِبْ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ لِقاً وَمَا كَانَ إلّا أنْ أَشَرْتُ وَأَوْمَتِ

(عَتَبْتُ): من العَتْب، وهو الملامة. (فلم تُعْتِبْ): بضمّ التاء المُثنَّاة الفوقيّة وسكون العين المهملة وكسر التاء الثانية المثنّاة الفوقيّة. ومعنى تُعتِب: تزيل العتب، وترفع الشكوى، قا ل في المصباح: «أعتبني: الهمزة للسلب، أي: أزال الشكوى والعتاب». وقال في الصحاح: «أعتبني فلان إذا عاد إلى مَسَرَّتي راجعاً عن الإساءة»[1]. وفاعل تُعْتِب ضمير راجع إلى حضرة الحقّ تعالى؛ إذْ هي المحبوبة الحقيقيّة في الأبيات قبله، من قبيل قول الشاعر:

أُعاتِبُ ذا المَوَدَّة من صديقٍ إذا ما رابني منه اجتنابُ
إذا ذهب العتاب فليس وُدٌّ ويبقى الودُّ ما بقي العتابُ

وقوله (كأَنْ): بفتح الهمزة وسكون النون مخففة من كأنَّ، بفتح الهمزة وتشديد النون، واسمها ضمير الشأن محذوف، والأصل كأنّه. وقوله (لم يكن لِقاً): هذه الجملة خبر كأن التي هي من أخوات إنّ. و(اللِّقا): الاجتماع. يعني: كأنّه لم يكن لنا اجتماع في الحضرة العلميّة الأزليّة، وفي باقي الحضرات الإلهيّة. وقوله (وما كان): يعني بيني وبينها بعد العتب. (إلّا أنْ أشرتُ): مصرّحاً إليها بالذلِّ مِنّي والمسكنة والافتقار بطريق الاضطرار كما قال القائل:

كلُّ أوقاتي اضطرارٌ إلى الله وما لي وقتٌ بغير اضطرارِ

(وأَوْمَتِ): بسكون التاء المكسورة لأجل القافية من الإيماء، يُقال: أَوْمَأْتُ إليه إيماءً: أشرت إليه بحاجب، أو يد، أو غير ذلك. كذا في المصباح. فالإيماء من الحضرة المذكورة. كناية عن إشارتها بعدم قبوله إمّا بحاجبها ـ وهو أحد الأشخاص الإنسانيّة المحجوب عنها بنفسه من الغافلين ـ أو بيدها في أثر قدرتها من إنسان، أوغيره. فإيماؤها أخفى من إشارته، قال في المصباح: «فالإشارةُ تُرادِف

(١) انظر مقاييس اللغة لأحمد بن فارس، مادّة عتب.

النطقَ في فَهْم المعنى كما لو استأذنه في شيء، فأشار بيده أو رأسه أنْ يفعل أو لا يفعل، فيقوم مقام النطق».

٤٥ - أَيَـا كَعْبَـةَ الحُـسْنِ التِـي لِـجَمَالِهَا قُلُـوْبُ أُولِي الأَلْبَـابِ لَبَّـتْ وَحَجَّـتِ

خاطب الحضرة المذكورة منادياً لها بقوله (أيا كَعْبَةَ) الكعبة: هي بيت الله الشريف، سُميت بذلك لارتفاعها في القدر على جميع البيوت. وأضافها إلى الحُسْن. والحُسْن يكون في المخلوقات لا غير. والمعنى: يا أيتها الحضرة المقصودة من حيث تجلِّها في قلوب العارفين الكاملين، فقلوبهم بيوتها، وكلّ قلب من تلك القلوب بيت لها؛ فهو كعبة حُسْن تسعى إليها قلوب المريدين وتطوف به، وتلثم أركانها. ثمّ وصف تلك الكعبة بقوله (التي لجمالها): والجمال كما قال سيبويه: هو رقَّة الحُسْن. والأصل جماله، بالهاء، مثل صَبُح صَبَاحه؛ لكنّهم حذفوا الهاء تخفيفاً لكثرة استعمال، كذا في المصباح. فالجمال هو رقّة الحسن، أي: ما لَطُفَ من الحُسْن. والحُسْنُ ما كَثُفَ منه؛ ولهذا ورد في وصف الله تعالى: أنّه جميل يحبّ الجمال. فقوله (لجمالها): أي جمال تلك الحضرة من حيث هي. (قلوب): جمع قلب. (وأولي): أي أصحاب، والألباب جمع لبّ، وهو: صفاء العقل وخالصه. وقوله (لَبّتِ): أي أجابتْ إجابة بعد إجابة؛ وذلك بأن تقول لبيك. و(حَجَّتِ): أي قصدت ، قال في المصباح: «حَجَّ حَجّاً، من باب قتل: قَصَدَ، فهو حاجٌّ. هذا أصله، ثمّ قُصِرَ استعماله في الشرع على قَصْدِ الكعبة للحج أو العمرة، ومنه يُقال: ما حَجَّ ولكن دَجَّ؛ فالحَجُّ: القَصْدُ/ [٨٥/ ب] للنّسُك، والدَجّ للتجارة، والاسم: الحِجُّ، بالكسر».

٤٦ - بَرِيْقُ الثَّنَايَا مِنْكِ أَهْدَى لَنَا سَنَا بُرَيْـقِ الثَّنَايَـا فَهْـوَ خَـيْرُ هَدِيَّـةِ

(بَريقُ): مبتدأ، وهو بفتح الباء الموحّدة مصدر بَرَقَ الشيءُ بَرْقاً وَبَرِيْقاً وبَرَقَاناً: لَمَعَ، كذا في القاموس. و(الثَّنَايَا): مضاف إليه، جمع ثَنِّيَة من الأضراس الأربع التي في مقدَّم الفم، ثِنْتان من فوق وثِنْتان من أسفل. وقوله (منكِ): بكسر الكاف خطاب للحضرة المذكورة في الأبيات قبله. وكنّى ببريق أي لمعان الثنايا الأربع من

المحبوبة المذكورة عن الأسماء الإلهيّة الأربعة التي هي أركان الإيجاد والتأثير في العوالم، وهي: الاسم الحيّ، والعليم أعلى، والمريد والقدير أسفل. وقوله (**أهدى لنا**): بطريق التمثيل ليُعرف الغائب بالشاهد. وقوله (**سَنَا**): أي ضياءً، مفعول أهدى، مضاف ذلك السنا إلى (**بُرَيق**): بضمّ الباء الموحَّدة مصغَّر بَرْق مضاف إلى (**الثَّنَايا**): جمع ثَنِيَّة، وهي العقبة، أو طريقها، أو الجبل، أو الطريق فيه أو إليه، كذا في القاموس. وكنّى بـ سَنَا ـ أي ضياء بُريق الثنايا المذكورة ـ عن إيجاد العوالم على اختلاف تكاوينها؛ فإنّها ظاهرة عن أمر الله ، مكوَّنة بالأسماء الأربعة الإلهيّة كلمح البرق، وكلمح البصر، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ﴾ [٥٤/ القمر/ ٥٠] وقال تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦ﴾ [٦٠/ الروم/ ٢٥] فإذا قامت السماء والأرض بأمره، وأمره كلمح بالبصر؛ فالسماء والأرض كلمحٍ بالبصر، ودخل في السماء والأرض كلّ علوي روحانيّ، وكلّ سفليّ جسمانيّ، وذلك عالم الملك والملكوت. وقوله (**فهو**): أي ذلك الذي أهداه إلينا (**خير هديّة**) لأنّ به تعرف الحقيقة المتجلّية وهو النعم كلّها.

٤٧- **وَأَوْحَى لِعَيْنِي أَنّ قَلْبِي مُجَاوِرٌ حِمَاكِ فَتَاقَتْ لِلجَمَالِ وَحَنَّتِ**

(**أوحى**): أي أشار، وفاعله ضمير راجع إلى سنا بريق الثنايا في البيت قبله. وقوله (**لَعَيْني**): أي عين البصر أوعين البصيرة. وقوله (**أنّ قلبي مجاور**) من المجاورة، وهي الاعتكاف في المسجد، كذا في القاموس. و(**حِماكِ**): مفعول مجاور، والكاف خطاب للحقيقة المذكورة، والحِمى هو المحمي من تطرق الأغيار إليه. كناية عن جملة الأكوان مما يلي المكوّن؛ فإنّه لا متصرف في ذلك سوى الحقيقة المذكورة، وهو محمي بها عن الأغيار، والأغيار في هذه الحضرة؛ فإنّ الأغيار من جملتها، ومجاورة القلب لذلك مراقبته للخلق الجديد مع الأنفاس. وقوله (**فتاقت**): أي عيني، من التوق، وهو الاشتياق (**للجمال**): أي جمال تلك الحقيقة الظاهرة بتجلّيها في آثار أفعالها. (**وحَنَّتِ**): أي عيني من الحنين، وهو الشَّوق

وشِدَّة البكاء والطَّرَب، أو صوت الطرب عن حُزن أو فَرح. حَنَّ يَحِنُّ حَنيناً: استطرب. كذا في القاموس.

٤٨ - وَلَوْلَاكِ مَا اسْتَهْدَيْتُ بَرْقاً وَلَا شَجَتْ فُؤَادِي فَأَبْكَتْ إِذْ شَدَتْ وُرْقُ أَيْكَةِ

(**ولولاكِ**): بكسر الكاف، خطاب للحقيقة المشار إليها في الأبيات قبله. وقوله (**ما استهديتُ برقاً**): أي طلبتُ الهداية لي من البرق اللَّمُوع؛ وهو برق الأكوان يهدي إلى حقيقة المكوِّن بالكشف عن تجلِّياته بأسمائه الحسنى. وقوله (**ولا شَجَتْ**): من الشجو، وهو الحزن. (**فؤادي**): أي قلبي. وقوله (**فأبكت إذْ شَدَتْ**): بالدّال المهملة من الشدو، وهو الغناء والترنُّم. وقوله (**وُرْقُ**): بضمِّ الواو وسكون الراء، جمع ورقاء، وهي الحمامة. وهو فاعل شجت وأبكت وشدّت على التنازع. و(**الأيكة**): الشجرة الملتفّة الأغصان، وكنّى بالوُرْق - جمع ورقاء- عن الروحانيّات الكاملات من أرواح المشايخ المحقّقين. وبالأيكة عن الجسم الإنسانيّ المختلف المزاج والطبيعة. وجَمَعَ الوُرْق لكثرة اختلاف مشارب/ [٨٦/ أ] الأرواح. وأفرد الأيكة لاتِّحاد التركيب الجسمانيّ من العناصر والطبائع؛ فكلّ ورقاء على غصن من تلك الشجرة الواحدة.

٤٩ - فَذَاكَ هُدَىً أَهْدَى إِلَيَّ وَهِذِهِ عَلَى العُوْدِ إِذْ غَنَّتْ عنِ العُوْدِ أَغْنَتِ

الإشارة بذلك إلى البرق في البيت قبله. (**هُدىً**): بضمِّ الهاء وفتح الدال المهملة مصدر هداه يهديه هُدىً: دلَّه وأرشده إلى المطلوب. و (**هُدى**): مفعول مقدَّم لقوله. (**أهدى**): من الهديّة، كغنيّة: ما أتحف به، وجمعها هدايا. وقوله (**إليّ**): بتشديد الياء متعلِّق بأهدى. يعيني: على طبق ما طلبت منه. وقوله (**وهذه**): أي الوُرْق المذكورة. بمعنى: الحمائم الروحانيّات الكاملة. (**على العود**): متعلق بغنَّتْ، أي: عُوْد الأيكة؛ وهو الغصن من الشجر الملتفة. وقوله (**إذْ غَنَّت**): أي ترنّمتْ عن العُود، وهو آلة الطرب، متعلِّق بـ (**أغْنَتْ**): أي صيِّرتْ السامع لها غنيّاً عن سماع آلة الطرب.

٥٠- أَرُوْمُ وَقَدْ طَالَ المَدَى مِنْكِ نَظْرَةً وَكَمْ مِنْ دِمَاءٍ دُوْنَ مَرْمَايَ طُلَّتِ

(أروم): أي أطلب، والحال أنّه (قد طال المدى): على وزن فتىً، وهو الغاية، أي: غاية مطلبي. وقوله (مِنْكِ): بكسر الكاف، خطاب للحقيقة المذكورة. (نَظْرة): مفعول أروم. وقدّم الجار والمجرور لإفادة الحصر، أي: لا أطلب نظرة من كلّ ما سواك. ثمّ قال مستعظماً لما يرومه من محبوبته المذكورة. و(كم): خبريّة تفيد الكثرة. (ومن دماء): بيان لكثرة. وقوله (دون مرمايَ): المرمى مكان الرمي، ومعناه المقصود. وقوله (طَلَّتِ): بالطاء المهملة. يقال: طُلّ الدّم، بفتح الطاء، وبضمِّها، وهو أكثر، أي: هُدر. يعني: كم من دماء رجال ادّعوا النظر إلى هذه المحبوبة فهُدرت دماؤهم بحكم شريعتها إنكاراً عليهم من علماء الرسوم مع الخلاف في جواز ذلك عندهم، والمعتمد جواز ذلك عندهم. والمعتمد جوازه في الدنيا والآخرة، وأنكرت المعتزلة جوازه فيهما، وفي وقوعه للنبيّ صلّى الله عليه وسلَّم ليلة المعراج خلاف، والمسألة محقّقة في محلّها في شرح الديباجة[1]، ما له تعلّق في هذا المحلّ.

٥١- وَقَدْ كُنْتُ أُدْعَى قَبْلَ حُبِّيْكِ بَاسِلاً فَعُـدْتُ بِـهِ مُسْتَبْـسِلاً بَعْـدَ مَنْعَـةِ

(أُدْعَى): بضمِّ الهمزة مبني للمفعول، ونائب الفاعل ضمير المتكلِّم. وقوله (قبل حُبِّيْكِ): أي حُبِّي إياكِ. والكاف حرف خطاب للمحبوبة المشار إليها في الأبيات قبله. وقوله (باسلاً): مفعول ثانٍ لأُدعى، والباسل: الأسد والشجاع. وقوله (فَعُدْتُ): بمعنى صرتُ به، أي: بحبِّي إياكِ. (مستبسلاً): بسكون الباء الموَحَّدة اسم فاعل من استبسل: طرح نفسه في الحرب، يريد أنْ يَقتل أويُقتل طلباً للموت. وقوله (بعد مَنْعَةِ): بفتح الميم وسكون النون. قال في القاموس: «هو في عِزٍّ ومَنَعَة محرَّكة وتُسَكَّن، أي: مَعَه من يَمْنَعُه من عشيرته.

---

(١) انظر شرح الديباجة ص٢٥٧.

٥٢- أُقَادُ أَسِيراً وَاصْطِبَارِي مُهَاجِرِي   وَأَنْجَدُ أَنصَارِي أَسَىً بَعْدَ لَهْفَتِي

(أُقاد): بضمِّ الهمزة، فعل مضارع مبني للمفعول. يعني: لا حول لي ولا قوّة عن ذوق منّي وتحقّق. والقائد هو الحقّ تعالى إلى حيث يريد. والقائد من أمام فيُرى، بخلاف السائق، فإنّه من وراء فلا يُرى، قال تعالى: ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [٥٠/ ق/ ٢١] فكان سائقاً؛ لأنّها نفس جاهلة غافلة. وقوله (أسيراً): حال من نائب الفاعل أُقاد؛ إذْ هو ضمير المتكلِّم. (واصطباري): الواو للحال، واصطباري مبتدأ، ومهاجري خبره، والجملة في محل نصب على أنّها حال من ضمير أُقاد. والاصطبار: مصدر اصطبر، بمعنى تكلُّف الصبر. وقوله (مُهاجري): بضمّ الميم من الهَجر، بمعنى الترك والمقاطعة. وقوله (وَأَنْجَدُ): أفعل تفضيل من النجدة؛ وهي الإعانة، أي: أكثر نجدة. وأضاف أَنْجَد إلى (أنصاري :(جمع ناصر، بمعنى أنجد وأعون. /[٨٦/ ب] الناصرين لي على ما أجده من بلاء المحبّة. (أسىً): أي حُزناً (بعد لَهْفَةِ): واللَّهفة التحسُّر والاستغاثة. والمعنى: إنّ الحُزن والتحسُّر وكثرة الاستغاثة أنجد ما يكون لي من الأنصار على تحمّل ما أجده من المشقّات والبلاء في طريق المحبّة.

٥٣- أَمَا لكِ عنْ صَدٍّ أمالَكِ عن صدٍّ   لِظَلْمِكِ ظُلْماً مِنكِ مَيْلٌ لِعِطْفَةِ

[أما]: الهمزة للاستفهام، وما نافية. و(لكِ): جار ومجرور، خبر مقدّم، والكاف مكسورة خطاب للمحبوبة المشار إليها في الأبيات قبله. وقوله (عن صدٍّ): متعلّق بميل. والصَّدُّ مصدر صدّه عن كذا: منعه وصرفه؛ وهو إعراض المحبوبة عن مُحبِّها وعدم اعتنائها به وبأحواله . وقوله (أمالَكِ): بكسر الكاف، فعل ماض خطاب للمحبوبة أيضاً يُقال: أماله عن كذا: صرفه عنه. وقوله (عن صدٍّ): وحُذفت الياء لتنوينه، والصَّدي على وزن فَرِح صفة مشبّهة بمعنى العطشان، قال في القاموس: «صَدِيَ كَرَضِيَ، صَدَىً؛ فهو صَدٍ وصَدْيان». وقوله (لِظَلْمِكِ): بكسر الكاف أيضاً والظَّلْم بفتح الظاء المعجمة وسكون اللام ماء الأسنان

وبَرِيقها. والجار والمجرور متعلِّق بقوله عن صدّ، أي: هو صادٍ، أي: عطشان. (لِظَلْمِكِ): أي ريقكِ وماء فمكِ. كناية عن العلوم الإلهيّة اللدنيّة. وقوله (ظُلْمَاً): بضمِّ الظاء المعجمة، مفعول من أجله، علّة لإمالتها عن ذلك الظلم؛ وهو وضع الشيء في غير موضعه. وقوله (منكِ): بكسر الكاف خطاب أيضاً للمحبوبة. والجار والمجرور متعلّق بواجب الحذف، وصف لقوله ظلماً، أي: ظلماً كائناً منكِ. والظلم منها مستحيل شرعاً بحكم قوله تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [١٨/ الكهف/ ٤٩] وقوله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [٤١/ فصّلت/ ٤٦] وهذا المستحيل عليه تعالى من حيث هو، لا من حيث تجلّيه بظهور آثاره بأن يخلق الصور الإنسانيّة باسمه المصوِّر، ويقوم على نفوسها بما كسبت من ظلم وعدل وغير ذلك، كما قال: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [١٣/ الرعد/ ٣٣] فإنّ المخلوقات كلّها هو المستولي على ظاهرها وباطنها، والمتصرِّف فيها في جميع أفعالها، وهي لا تقدر على شيء مما كسبت، كما قال سبحانه: ﴿لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ﴾ [١٤/ إبراهيم/ ١٨] يعني: لا يقدرون قدرة خلق وإيجاد؛ لأنّ هذه القدرة مخصوصة به تعالى، لا تكون لأحد غيره أصلاً، ولا يمكن أن تكون أصلاً، وإلا لما كان تعالى واحداً في صفاته وأسمائه؛ بل يلزم على ذلك أنّ له شريكاً في صفة القدْرة، فيكون لغيره قدرة كقدرته سبحانه؛ وهو محال عقلاً وشرعاً؛ وإنّما قدرته واحدة لا تعدُّد لها، ولا شبيه لها، ولا مثيل. وهو تعالى منفرد بها في ملكه وملكوته أزلاً وأبداً كذاته العليّة وباقي صفاته وأسمائه، وهذه القدرة الواحدة التي له تعالى خلق بها جميع مخلوقاته، ويخلق لمخلوقاته بها جميع ما قدره وقضاه عليهم أزلاً من ظلم وغيره من أفعالهم بعد أنْ يخلق فيهم قدرة على ذلك، وإرادة لذلك، كما خلق لهم أعيناً، وهو يخلق لهم الإبصار بها، وخلق لهم آذاناً، وهو يخلق لهم الاستماع بها، وخلق لهم أيدي، ويخلق لهم التناول بها، وخلق لهم أرجلاً، ويخلق لهم المشي بها، وإن شاء خلق لهم تلك الجوارح كلّها كاملة، وخلق فيها القوى المعتاد خلقها فيها، ولا يخلق لهم ذلك الأمر المقصود [إلّا]: من تلك

الجوارح، والناس الناظرون إلى الحقّ تعالى في كلّ ما خلق ينسون المخلوقات؛ فينسبون الأفعال إلى من هي صادرة عنه حقيقة، وهو المؤثر فيها، ويسمّونها بما سمّاها به تعالى من الظلم، والكفر، والفسق، والعدل، والإيمان، والطاعة. وهو الوجود الحقّ سبحانه وتعالى، فيخاطبونه بكلّ لسان، وبكلّ طريقة؛ إذ لا سواه عندهم، والكلّ صادر عنه/ [٨٧/ أ] لا عن غيره، وأمّا الناظرون إلى الخلق في كلّ ما يجدون؛ فإنّهم نسوا الله فأنساهم أنفسهم، فينسبون الأفعال إلى غير مَنْ هي صادرة عنه على طريقة المجاز، وهو العبد المخلوق، وهم الغافلون عن الله تعالى، المشاهدون لمخلوقاته، وهذا الشأن ليس على طريقهم. وقوله (ميلٌ): مبتدأ مؤخَّر للخبر المقدّم الذي هو قولك (**أَمَالَكِ**): والتقدير أمالكِ ميلٌ. يقال: مال إليه ميلاً: عَدَلَ. يعني: أمالكِ يا أيتها المحبوبة الحقيقيّة ميلٌ عن الصدّ والإعراض. (**لعطفةِ**): أي للانعطاف والإقبال علينا.

٥٤- فَبَلُّ غَلِيْلٍ مِنْ عَلِيْلٍ عَلَى شَفَاً ... يُبِلُّ شِفَاءً مِنْهُ أَعْظَمُ مِنَّةِ

(**البَلُّ**): مصدر بلّ، جعله نداوة. (**والغليل**): بالغين المعجمة كأمير، العطش، أو شدّته، أو حرارة الجوف. وقوله (**من عليل**): بالعين المهملة، أي: مريض. و(**مِنْ**): بيانيّة. وقوله (**على شَفا**): بفتح الشين المعجمة والقصر، هو هنا بقيّة الروح. وقوله (**يُبِلُّ**): بضمّ الياء المثنّاة التحتيّة وكسر الباء الموحدة وتشديد اللام، فعل مضارع من أَبَلَّ ـ بتشديد اللام ـ المريض من مرضه: بَرَأَ. وقوله (**شَفَاً**): بالنصب مفعول من أجله ليبلّ. وقوله (منه): متعلّق بمحذوف صفة لشفاً، أي: شفاء موصوفاً بأنّه منه، أي: من الغليل بالغين المعجمة. وقوله (**أَعْظَمُ**): خبر المبتدأ الذي هو بلّ غليل، وأعظم: مضاف إليه. (**مِنَّةٍ**): أي فضل من المحبوبة على المحبّ.

٥٥- وَلَا تَحْسَبِي أَنِّي فَنِيْتُ مِنَ الضَّنَى ... بِغَيْرِكِ بَلْ فِيْكِ الصَّبَابَةُ أَبْلَتِ

(**أنّي فَنيت**): من الفناء في المحبّة، وهو الاضمحلال في الوجود الخارجي المستفاد من الوجود الحقيقيّ القديم بطريق تجلّيه على التقادير العلميّة اللدنيّة،

وهو الرجوع إلى الأصل والكشف والتحقّق بالمعرفة. وقوله (**من الضنى**): أي السقم، على معنى أنّ السقم هو الذي أوصلني إلى ذلك الفناء بأنْ كان ذلك السقم حاصلاً لي. (**بغيرك**): بكسر الكاف، خطاب للمحبوبة الحقيقيّة المشار إليها في الأبيات قبله، أي: بسبب غيرِكِ، ثمّ أضرب عن ذلك بقوله (**بل فيكِ**): بكسر الكاف أيضاً، أي: في محبّتك أصابني ذلك السقم، فأوصلني إلى الفناء المذكور. وقوله (**الصبابة**): وهي زيادة الشوق. (**أَبْلَتِ**): بكسر التاء للقافية، أي: جعلتني بالياً، أي: فانياً، مضمحلاً، والجملة من المبتدأ؛ وهو الصبابة. والخبر هو جملة أبلتِ من الفعل والفاعل؛ وهو الضمير الراجع إلى الصبابة ومتعلّقه وهو الجار والمجرور في قوله (**فيكِ**): بيان للمعنى المذكور، وإضراب عمّا سبق.

٥٦- جَمَــالُ مُحَيَّــاكِ المَــصُوْنُ لِثَامُــهُ عَـنِ اللَّـثْمِ فِيْـهِ عُـدْتُ حَيّـاً كَمَيِّـتِ[1]

(**جمال**): أي حُسْن. (**مُحيّاكِ**): بكسر الكاف، خطاب للمحبوبة. و(**المُحيّا**): الوجه، من قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [٢/ البقرة/ ١١٥] أي: ذات الله تعالى محيطة بكلّ شيء من قوله: ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾ [٤١/ فصّلت/ ٥٤] قال في القاموس: «الوَجْهُ مُسْتَقْبَلُ كلّ شيء ونَفْسُ الشيء». وقوله (**المَصون لِثَامُهُ**): أي المحفوظ نقابه وحجابه، وصف للوجه. كناية عن كلّ شيء فانٍ، كلّ شيء ساتر للوجه ستراً عن الغافل الجاهل، لا عن العارف المحقّق؛ لأنّ العارف فانٍ مضمحلّ، والغافل الجاهل لايعرف ذلك، ولا يسلمه، ولا يدخل ذلك في عقله، وإذا سمعه أنكره، أو فهمه على خلاف ما يريده العارف المحقّق. وكون الوجه مستوراً عنه لأنّه ليس من محارم هذه المحبوبة الحقيقيّة حتى تكشف وجهها له فيراها لعدم تقواه القلبيّة وإن كان على كمال التقوى في الظاهر قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [٢٢/ الحج/ ٣٢] فالنسب المعتبر الذي

---

(١) انظر تخريجه في الصفحة ٣٥٥ والحاشية ٤٨ من المقدّمة.

يقتضي المحرميّة المقتضية لكشف الوجه له، إنّما هو/ [٨٧/ ب] التقوى في الباطن، وينشأ منها التقوى في الظاهر، كما ورد في الحديث قوله تعالى في القيامة: «اليوم أرفع أنسابكم وأضع نسبي؛ أين المتّقون»[١]. وقوله (عن اللثم): متعلّق بالمصون، أي: التقبيل، كناية عن التمتع بالنقاب والحجاب من كلّ شيء؛ التمتّع المقصود من قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾ [٧/ الأعراف/ ٣٢] وهو محاسن كلّ شيء ثمّ قال: ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ [٧/ الأعراف/ ٣٢] فيشمل المأكول وغيره، وكلّها حجب وأستار على الوجه الربّانيّ كما ذكرنا. ثمّ قال: ﴿قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [٧/ الأعراف/ ٣٢] وهم العارفون المحقّقون المؤمنون الإيمان الكامل. ثمّ قال: ﴿خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [٧/ الأعراف/ ٣٢] يعني: يشاركهم فيها غيرهم في الحياة الدنيا، ولكن لا يكمل النعيم فيها كما يكمل للذين أمنوا. وأمّا يوم القيامة فلا يشاركهم فيها غيرهم أصلاً. وقوله (فيه): أي في ذلك الجمال المذكور، متعلق بـ (عُدْتُ): قُدِّم عليه للحصر. و(عُدْتُ): أي صرت أي(حياً): أي ذا حياة حقيقيّة. (كَمَيِّتٍ): أي شبيهاً بالمَيِّت من حيث أنّه لا حركة لي من نفسي، ولا سكون لي في باطني وظاهري من نفسي عن كشف مني، وشهود لحالي، تحقّقا بلا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم.

٥٧- وَجَنَّبَنِي حُبِّيْكِ وَصْلَ مُعَاشِرِي   وَحَبَّبَنِي مَا عِشتُ قَطْعَ عَشِيْرَتِي

(جَنَّبني): بالجيم والنون المشدّدة المفتوحة والباء الموحّدة، أي: صيّرني متجنِّباً، أي: متباعداً. وقوله (حُبِّيكِ): بكسر الكاف، أي: حُبّي إياكِ. (وَصْل): أي مواصلة. (مُعَاشِرِي): بضمّ الميم، أي: من كان معاشراً لي، أي: مصاحباً، وإذا تجنَّب مواصلة من يعاشره بسبب اشتغال قلبه بمحبَّتها فكيف لا يتجنّب مواصلةَ غير المُعاشِر له، وهو مقام العزلة والتجرّد عن الأغيار من أحوال السالكين

---

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: «بلغ». أي: بلغ مقابلة على المؤلّف.

الأخيار في ابتداء الطريق بمحض العناية والتوفيق. وقوله (وحبَّبَنِي): بالحاء المهملة وتشديد الباء الموحّدة الأولى مفتوحة، وفتح الباء الموحّدة الثانية، أي: حُبِّبَ إلي، وفاعله ضمير راجع إلى (حُبِّيكِ): أي حبّي إياك. وقوله (ما): مصدريّة ظرفيّة. (عشْتُ): فعل ماض، أي: مدّة عيشتي أي حياتي في الدنيا. وقوله (قَطْعَ): بالنصب مفعول حُبِّب، أي: مقاطعة عشيرتي، قال في القاموس: «عشيرة الرجل بنو أبيه الأدنَوْنَ، أو قبيلته، والجمع عشائر».

٥٨- وَأَبْعَدَني عنْ أَرْبُعِي بُعْدُ أَرْبَعٍ شَبابِي وعَقْلِي وارتِياحي وصِحَّتي

(أَبْعَدني): أي صَيَّرني بعيداً. (عن أَرْبُعِي): بفتح الهمزة وسكون الراء وضمّ الباء الموحّدة وكسر العين المهملة: جمع رَبع، والربع الدار بعينها حيث كانت، والمحلّة، والمنزل. يعني: عن منازلي وما كنت فيه من العادات والطبائع في الباطن، وعن دُوري ومحَلّاتي وما كنت أسكن فيه وآوي إليه في الظاهر. وفاعل أبعدني ضمير راجع إلى حُبِّيْكِ، أي: حبِّي إياكِ في البيت قبله. وقوله (بعد أربع): أي بعد إبعاده لي عن أوصاف أربع. الأوّل: شبابيّ، أي: عصر شبيبتي، فصرت أعجز عن تعاطي كلّ شيء. والثاني: عقليّ؛ فصرت لا أعي ولا أدرك شيئاً. والثالث: ارتياحيّ. والارتياح النشاط والاهتمام بالأمور. والرابع: صحَّتي، أي: عافيتي في بدني؛ فما حال إنسان فقد شبابه فشاخ وانهرم وفقد عقله ؛ فجُنّ وذهِل، وعَدِمَ إدراكه، وزال نشاطه وابتهاجه في الأمور، وذهب عافية بدنه؛ فمرض وسقم. ثمّ بعد هذه الأربعة خرج عن أوطانه، وساح في الأرض على هذه الحالة بسبب محبّته لهذه المحبوبة الحقيقيّة.

٥٩- فَلِي بَعْدَ أَوْطَانِي سُكُونٌ إِلَى الفَلَا وَبِالوَحْشِ أُنْسِي إِذْ مِنَ الإِنْسِ وَحْشَتِي

(فلي): بفاء التفريع على ما قبله. (بعد أوطاني): جمع وطن؛ وهو منزل الإقامة. وقوله (سكون):/ [٨٨/ أ] أي: قرار، يُقال: سَكَنَ سُكُوناً: قَرَّ ونزل. وقوله (إلى الفلا): جمع فلاة؛ وهي المفازة لا ماء فيها، فلا يدخلها أحد من إنسان، أو حيوان،

أو طير لعدم الماء فيها. وقوله (**وبالوحش**): وهو حيوان البرِّ كالوحيش. (**أُنسي**): أي استئناسي. والأُنس: بضمّ الهمزة وسكون النون ضدّ الوحشة، وكان ذلك لكمال توحُّشِه فيستأنس بما يناسبه في التوحُّش والنفرة عن الناس. وقوله (**إذْ**): تعليليّة. (**من الإنس**): بكسر الهمزة وسكون النون. والإنس هم البشر، كالإنسان: ذكوراً وإناثاً. (**وحشتي**): قال في القاموس: «الوَحْشَةُ: الهَمُّ والخَلْوَة والخَوْف». وذلك إشارة إلى كمال تجرّده ونفرته عن الناس.

٦٠- وَزَهَّدَ فِي وَصْلِي الغَوَانِيَ إذْ بَدَا   تَبَلُّجُ صُبْحِ الشَّيْبِ فِي جُنْحِ لِمَّتِي

(**زهّد**): بتشديد الهاء من الزُّهْدُ ضدّ الرَّغبة، يقال: زَهَد فيه: إذا أعرض عنه، وزَهَدَ عنه إذا رغب فيه. وقوله (**في وصلي**): أي مواصلتي والقرب إليّ. وقوله (**الغواني**): مفعول زَهَّدَ. و(**الغواني**): جمع غانية؛ وهي المرأة الحُسْنى التي استغنت بحُسْنها عن الزينة، كناية عن حضرات الأسماء الإلهيّة، والتجلّيات الربّانيّة. وقوله (**إذْ**): ظرفية بمعنى حين. (**بدا**): ظهر. (**تَبَلُّج**): بتشديد اللام. فاعل زهّد وبدا بطريق التنازع. والتبلُّج مصدر تَبَلَّج، أي: أشرق وأضاء. وقوله (**صُبح**): مضاف إليه، وهو مضاف إلى الشيب، كناية عن ظهور نور الوجود الحقّ. وقوله (**في جُنح**): بضمّ الجيم وكسرها وبسكون النون وبالحاء المهملة والطائفة من الليل، وأضافه إلى قوله (**لِمّتي**): بكسر اللام وتشديد الميم؛ وهي الشَّعَر المُجاوز لشحمة الأذن. كناية عن الشعور بمعنى الادرك. يقال: شَعَرَ به: إذا أدركه بنفسه، وهو حديث النفس؛ فإنّه ينبت فيها كما ينبت الشَّعَرُ في البدن، وهو أسود، فإذا شاب فأشرق وأضاء كان ذلك بظهور نور العلم اللدنيّ الإلهيّ، والفيض الإلهاميّ الربّانيّ. وإذا ظهر نور الوجود الحقّ أعرضتْ عنه غواني الأسماء الحسنى الإلهيّة التي هي لا عين الذات الإلهيّة، ولا غيرها؛ فيفنى السالك حينئذ وتضمحلّ رسومه بالكليّة، وتغيب الأسماء الإلهيّة في الذات العليّة؛ فلا يبقى إلا نور الحقّ، والوجود الحقيقيّ الأزليّ الأبديّ على ما هو عليه أزلاً وأبداً.

٦١- فَرُحْنَ بِحُزْنٍ جَازعَاتٍ بُعَيْد مَا فذَرِحْنَ بِحَزْنِ الجِزْعِ بِي لِشَبِيبَتِي

(رُحْنَ): أي ذهبن، والنون المفتوحة الساكن ما قبلها ضمير جماعة النسوة راجع إلى الغواني في البيت قبله. ورواحهن كناية عن رجوعهن إلى حقيقة الذات الأقدس في نظر المحبّ لفنائه، وفناء كلّ شيء عنده؛ فلا يبقى ما تتعلّق الأسماء الإلهيّة بالتأثير فيه. و(الحُزْن): بضمّ الحاء المهملة، خلاف الفرح. وقوله (جازعات): حال من ضمير جماعة النسوة، من جَزِع الرجل جَزَعاً من باب تَعِب؛ فهو جَزِع وجَزوع مبالغة إذا ضعُفت قوَّته عن حمل ما نزل به، ولم يجد صبراً، كما في المصباح. وجَزَع الأسماء الإلهيّة كناية عن زيادة طلبهن للتأثير في الأشياء، وكمال توجّههن على إيجاد العوالم، فإذا انكشف للسالك فناؤه في الوجود الحقّ ـ سبحانه ـ اختفين عنه في ذات الوجود الحقّ بحيث لم يبق عنده غير ذات الوجود الحقّ، ولا شيء انفصل عنه، ولا شيء اتّصل به، ولا دخل فيه شيء، ولا خرج عنه شيء. وقوله (بُعَيد): بضمّ الباء الموحّدة تصغير بَعْد. (وما): مصدريّة. و(فَرِحْنَ): أي سُررنَ. يعني: تلك الغواني. (بِحَزْن): أي في حَزْن، بفتح الحاء المهملة، ضدّ السهل. و(الجِزع): بكسر الجيم، منعطف الوادي. كناية عن باطن الجسم الإنسانيّ؛ فإنّ الأسماء الإلهيّة متوجّهة على الروح، والروح متوّجة على باطن ياالجسم الإنسانيّ بالقوى العَرضيّة المبثوثة/ [٨٨/ ب] فيه. وقوله (بي): متعلّق بفرحنَ. وفرحهن كناية عن تصرفهنّ فيه بتوجيه الروح الأمري، وإعطاء كلّ اسم مقتضاه. وقوله (لشبيبتي): أي لأجلها، وهي حالة صغره وجهله مقام العرفان زمن رعونته وغفلته عن التحقّق بعالم الإمكان.

٦٢- جَهِلْنَ كَلُوَّامي الهَوَى لا عَلِمْنَهُ وخَـابُوا وإنِّـي مِنْـهُ مُكْتَهِـلُ فَتِـي

ضمير (جَهِلْنَ): للغواني أيضاً. وجَهْلُهُنَّ كناية عن توجيه كلّ اسم إلهيّ على ما هو متوجّه إليه من الأثر المخصوص بمقتضى توجيه المسمّى الحقّ سبحانه، فهو تعالى يعلم السالك وجميع صفاته وأحواله على التمام؛ ولكن لا يتّصف سبحانه

بشيء من صفاته، ولا بحال من أحواله، وقوله (كَلُوَّامي): أي مثل لُوَّامي، جمع لائم على المحبّة؛ فإنّهم أيضاً لا يتّصفون بشيء من صفاتي، ولا بحال من أحوالي؛ فهم لا يعرفون أمري. وقوله (الهوى): مفعول جهلنَ. يعني: المحبّة؛ إذ هي وصفي وحالي، لا وصفهم وحالهم، وإنْ كان ذلك الهوى الذي أكابده أثراً من آثار الأسماء الإلهيّة؛ وهو من جملة معلوماته على أنّه وصفي، لا وصفها، ومكابدتي له من جملة معلوماتها؛ فهو حالي لا حالها، فهنَّ جاهلات به ذوقاً وإحساساً كاللوائم عليه وإنْ كُنَّ وكان اللوام أيضاً عالمين به، ولكن غير ذائقين له. ثمّ قال (لا علمْنَه): الضمير للغواني، والجملة دعائيّة، أي: لا علمنه علم ذوق له، واتّصاف به؛ لأنّ ذلك من شأن الممكنات، والأسماء قديمات أزليّات ليسوا بممكنات حتّى يذقنه ويتَّصفن به. وقوله (وخابوا): بضمير الجمع المذكّر الراجع إلى اللّوام قال في الصحاح: «خاب الرجل خَيبة إذا لم ينل ما طلب». يعني: ولا نالوا ما طلبوا منّي من ترك الهوى والمحبّة. ثمّ قال (وإنِّي منه): أي من الهوى. (مكتهل): أي في سنِّ الكهولة، قال في المصباح: «الكَهْل: مَنْ جاوز الثلاثين ووخطه الشيب، وقيل: من بلغ الأربعين». يعني: إنّه من جهة الهوى والمحبّة كبير مجاوز للمدّة الطويلة. وقوله (فَتِي): بفتح الفاء وكسر التاء المثنّاة الفوقيّة، وأصل الياء مشددة فخففت للقافية، وهو من جهة قوَّته وشدَّته فتيّ، قال في المصباح: «الفَتِيّ من الدواب خلاف المُسنّ، وهو كالشاب في الناس». وذلك كقول الشيخ إبراهيم بن رفاعة قدّس الله سرَّه من قصيدة له:

صِرتُ شيخاً وما تغيَّر حالي ... عن هواكم وهمَّتي كالشباب

٦٣- وَفِي قَطْعِيَ اللّاحِي عَلَيْكِ وَلَاتَ حِيْـ ... ـنَ فِيْكِ جِدَالٍ كَانَ وَجْهُكِ حُجَّتِي

(قطع اللاحي): أي اللائم على المحبّة بمعنى تبكيته، قال في القاموس: « قَطَعَ فلاناً بالحجّة بَكَّتَهُ كَأَقْطَعَهُ». وقوله (عَلَيْكِ): بكسر الكاف، خطاب للمحبوبة الحقيقيّة المشار إليها في أثناء الكلام المتقدّم، والجار والمجرور متعلّق باللّاحي.

وقوله (ولات حين فيكِ جدال): قال الرضيّ في شرح الكافية، في إعمال لا عمل ليس: «وقد تلحق لا التاء نحو لات فتختصّ بلفظ الحين مضافاً إلى نكرة نحو لات حين مناص. وقد تدخل على لفظة أوان. ولفظة أوان هنا أيضاً، قال الفرّاء: تكون مع الأوقات كلّها، وأنشد: «لات ساعة مندم»[1]. والتاء في لات للتأنيث. وحين خبرها منصوب. واسمها محذوف، أي: لات الحين حين مناص. وقال الرضي في موضع آخر: «واعلم أنّ الفصل بين المضاف والمضاف إليه في الشعر بالظرف والجار والمجرور غير عزيز، وبغيرهما عزيز جداً. وحكى ابن الأعرابي: هو غلام ـ إنْ شاء الله ـ ابن أخيك، وقد يفصل في السعة بينها قليلاً بالقسم نحو: هذا غلام ـ والله ـ زيدٍ، وذلك لكثرة دوره في الكلام»[2]. فقوله (فيكِ): جار ومجرور فصل به بين المضاف وهو حين، والمضاف إليه وهو جدال، وأصله ولات حين جدال/ [٨٩/ أ] فيكِ بكسر الكاف،خطاب للمحبوبة المشار إليها في الأبيات قبله. يعني: في قطعي اللاحي بالحجّة، وإلزامه بها على إثبات عذري في المحبّة، وثبوتها عندي اضطراراً منّي من دون اختياري، والحال إنَّ الحين ليس حين جدالٍ ومخاصمة في محبّة المحبوبة؛ لأنّها حاضرة لا غيبة لها عن المحبّ. وقوله (كان وجهكِ): بكسر الكاف. يعني: في وقت قطعي اللّاحي عليك، وإلزامي له، والوجه هنا هو الذات العليّة من قوله: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [٢/ البقرة/ ١١٥] وقوله (حُجَّتي): أي برهاني ودليلي على ثبوت عذري في محبّتها؛ وهو- لَعَمْري- برهان قاطع، ودليل ساطع؛ فإنّ مَنْ تحقّق بالفناء عن الأغيار، حتى عن نفسه، وعرف أنّ كلّ شيء هالك إلا وجهه معرفة كشف وشهود، عرف الحقّ الواحد الوجود، وتبيَّن له أنّ الإحسانات والعطايا بأكملها منه، وحصول الأغراض والمرادات بأسرها صادرة عنه، وتحقّق بهذا الجمال الحقيقيّ؛ فمن لازمة المحبّة لفاعل ذلك بالضرورة، لا بالاختيار، فيثبت عذر المحبّ بالاضطرار.

---

(١) انظر شرح الرضي على الكافية لرضي الدين الإستراباذي، ج١ ص٧٠٢.

(٢) المصدر ذاته ج١ ص٧٦٥.

٦٤- فَأَصْبَحَ لِي مِنْ بَعْدِ مَا كَانَ عَاذِلاً ... بِهِ عَاذِراً بَلْ صَارَ مِنْ أَهْلِ نَجْدَتِي

(**فأصبح**): أي اللاحي. (لي): متعلّق بـ(عاذراً). وقوله (**من بعد ما كان عاذلاً**): أي لائماً. وقوله (**به**): أي بسبب الوجه المذكور الذي هو أقوى حجة في المحبّة متعلّق بقوله (**عاذراً**). وقوله (**بل صار**): أي ذلك اللّاحي عندما رأى الوجه المذكور. (**من أهل نجدتي**): أي معاونتي ومساعدتي في مهمات أموري، فأشار بذلك أنَّ اللّاحي إنّما يلوم المحبِّين بسبب جهله بالمحبوب، وعدم رؤيته. فلو رآه بعين المحبّ ـ العين الحقيقيّة الصحيحة ـ لترك لومه وصار محبّاً، وعذر أهل المحبّة. وكذلك المنكرون على أهل الله فيما يجدونه من العلوم الإلهيّة، ويفهمونها من الآيات القرآنيّة، والأحاديث النبويّة الوارد ذلك من الشارع تعليماً للمتّقين، وتفهيماً لقلوب المريدين؛ فلو رأت عيون اللّواحي ما رأته عيون المحبِّين من النور الإلهيّ الظاهر، والجمال الربّانيّ القاهر لعذروهم، وتركوا لومهم، ولكن طمس الله تعالى قلوبهم بالإنكار، وأوقعهم في حبوس الوساوس والأفكار، قال صلّى الله عليه وسلّم: «مَنْ بلغه عن الله فضيلةٌ فلم يصدِّق بها لم ينلها»[1] أخرجه السيوطيّ في جامعه الصغير. وذكر الشيخ الأكبر قدّس الله سرَّه في الفتوحات المكّيّة ما معناه أنّ موسى عليه السلام لما أنكر على الخضر ما جاء به من خرق السفينة، وقتل الغلام، وبنيان الجدار من غير أنْ يحيط بذلك علماً فهل علم بعد ذلك علم الخضر أم لا. لم أجد ما يدلّ عليه. انتهى.

قلت: الظاهر أنّه لم يعلم ما أنكره على الخضر من العلم للحديث المذكور؛ ولكنّ علوم الله تعالى كالبحار الزواخر ، وموسى عليه السلام على علم علمه الله تعالى إيّاه لم يعلم به الخضر، والخضر على علم علّمه الله تعالى إياه لم يعلّمه موسى كما جاء في الحديث الصحيح.

---

(١) أخرجه أبو يعلى الموصليّ في مسنده، باب: من بلغه عن الله فضيلة فلم يصدّق بها ، ٣٣٤٩. وقال الهيثميّ في مجمع الزوائد ج١ ص١٧٩: رواه أبو يعلى والطبرانيّ في الأوسط، وفيه بزيع أبو خليل، وهو ضعيف.

٦٥- وَحَجِّيَ عَمْرِي هَادِياً ظَلَّ مُهْدِياً ضَلَالَ مَلَامِي مِثْلُ حَجِّي وَعُمْرَتِي

(حَجِّي): مصدر حَجَّه يحجّه وهو الغلبة بالحُجَّة، وهو مبتدأ. وقوله (عَمْري): بفتح العين المهملة وسكون الميم قسم بالعَمْر، وهو الحياة ، قال في القاموس: «العَمْر بالفتح وبالضمّ وبضمَّتين: الحياة». قيل: ومنه لَعَمْرُك، فَعَمْري مبتدأ، وخبره محذوف، تقديره قسمي. وقوله (هادياً): مفعول حَجِّي. والهادي: اسم فاعل من الهداية؛ بمعنى: الدلالة على طريق يوصل إلى المطلوب. يعني: رجلاً هادياً؛ وهو اللاحي في البيت الذي يزعم أنّه هادي بلومه المحبّين، وعذله لهم، إلى أنْ قامت عليه الحُجّة في المحبّة برؤية وجه المحبوب/ [٨٩/ ب] فصار عاذراً، وصار من أهل مساعدتهم ومعاونتهم على ما هم فيه. وقوله (ظلّ): اسمها ضمير راجع إلى قوله هادياً وخبرها مُهدياً. و(المُهْدي): بضمّ الميم اسم فاعل من أهدى هديّة. وقوله (ضلال ملامي): مفعول مُهدياً، وجملة (ظلّ مهدياً ضلال ملامي): في موضع نصب وصف لقوله هادياً. وقوله (مثلُ): خبر المبتدأ الذي هو حجِّي، ومثلُ مضاف إلى (حَجِّي): أي زيارتي لبيت الله الحرام. (وعُمرتي): معطوف على حجّي. والمعنى: عمري قسمي إنَّ إلزامي الحجّة لهذا اللاحي الذي يزعم في نفسه أنّه يهديني إلى الصواب بلومه لي في المحبّة الإلهيّة من حيث لا يشعر، وإنّما هو في نفس الأمر يهدي لي ضلال لومه ثواب إلزامي له، وأجر هدايتي يعادل ثواب حجّي وأجر عمرتي في سبيل الله تعالى، كما ورد: «لأنْ يهدي بك الله رجلاً واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس»(١).

٦٦- رَأَى رَجَباً سَمْعِي الأَبِيِّ وَلَوْمِي الـ ـمُحَرَّمُ عَنْ لُؤْمٍ وَغِشِّ النَّصِيْحَةِ

(رأى رَجَباً): وهو رجب الأصمّ؛ فهو من قبيل ذكر حاتم، وإرادة الجود. وفاعل رأى ضمير راجع إلى قوله هادياً في البيت قبله. يعني: رأى اللاحي

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، باب: ذكر عبد الله بن عبّاس بن عبد المطّلب،٦٥٣٧، بلفظ: «يا علي، لأَن يهدي الله على يديك رجلاً خير مما طلعت عليه الشمس».

سمعي، وهو المفعول الأوّل مؤخّر. (الأبيّ): بتشديد الياء وصف لسمعي، أي: الممتنع من سماع اللوم. وقوله (رجباً): مفعول ثانٍ لرأى مقدّماً، أي: أصمّ، من قبيل الجناس المعنوي، كما قال الشاعر:

ابـــــنُ عَـــــذابٍ إذا تغنّـــــى فإننـــــا منـــــه في أبيـــــه

قد شرحنا هذا النوع من أنواع البديع في شرح البديعيّة لنا، ومثّلنا له. وقوله (ولومي): مبتدأ، و(المُحَرَّمُ): بالرفع خبر المبتدأ، والواو للحال، والجملة في محل نصب على الحاليّة من ضمير سمعي، أو لومي معطوف على سمعي. والمُحَرَّمَ بالنصب وصفه، أي: رأى لومي المحرّم عليه بعد التزامه بالحجّة، وكان لا يعلم قبل ذلك. وقوله (عن لؤم): بالهمز؛ وهو ضدّ الكرم. والجار والمجرور متعلّق بقوله رجباً؛ لأنّه بمعنى الأصمّ، أي: أصمّ عن لؤم. و(غِشّ): بكسر الغين معطوف على لؤم. و(النّصيحة): مضاف إليه.

٦٧- وَكَـمْ رَامَ سِـلْوَانِي هَـوَاكِ مُـيَمِّماً سِـوَاكِ وَأَنَّـى عَنْـكِ تَبْـدِيْلُ نِيَّتِـي

(كَم): خبريّة. وضميرها المضاف إليها محذوف، أي: كم مرّة. وقوله (رَامَ): أي قَصَدَ. يعني: اللّاحي المذكور. (سِلْوَانِي): بكسر السين المهملة، أي: نسياني. (هَواكِ): بكسر الكاف، خطاب للمحبوبة. يعني: من قبل أنْ أُلزمه بالحجّة. وقوله (مُيَمِّماً): اسم فاعل، حال من فاعل رام، أي: قاصداً (سِواكِ): بقصر الكاف، أي: غيركِ. وقوله (وأنّى): بتشديد النون مفتوحة وألف مقصورة، بمعنى كيف، والتقدير: كيف يكون. (عنكِ): بكسر الكاف. (تبديل نيّتي): يعني لا تتبدّل نِيّتي، ولا تتغيّر عنك، ولا يمكنني ذلك. وإذا كانت نيّته لا تتبدّل فأحواله لا تتبدّل، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [١٣/ الرعد/ ١١].

٦٨- وقَالَ تَلَافَ مَا بَقِيَ مِنْكَ قُلْتُ مَا أَرَانِي إلّا لِلتَّـــلَافِ تَلَفُّتِـــي

فاعل قال ضمير راجع إلى اللّاحي. و(تَلَافَ): فعل أمر من التلافي؛ وهو التدارك. و(ما): موصولة. و(بقي): صلته، والعائد الضمير المستتر فيه. وقوله

(مِنْكَ): بفتح الكاف، خطاب للمحب. والباقي منه هو الرمق، قال في القاموس: «الرَمَقُ مُحَرَّكَة: بقيّة الحياة». (قُلتُ): يعني في جوابه. (ما أُراني): بضمّ الهمزة بمعنى أظنني، وبفتح الهمزة بمعنى أجدني. وقوله (إلّا): أداة استثناء، وهو مفرّغ. وقوله (للتلاف): من تَلِفَ كَفَرِحَ، هلك، وأتلفه: أفناه. والجار والمجرور متعلّق بقوله (تلَفُّتي): يقال تَلَفَّتَ، بتشديد الفاء: إذا لوى وجهه يميناً أو شمالاً. والمعنى: إنّي لا أتلفتُ إلا للتلف، والهلاك، والفناء، لأنّ الفناء هو طهارة/ [٩٠/ أ] السالك عن دنس الأغيار، قال تعالى: ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾ [٥٦/ الواقعة/ ٧٩] فلولا طهارة القلب من كلّ ما سوى الحقّ تعالى ما عرف الحقّ تعالى أحد، ولنا في مطلع قصيدة:

إنَّ الفَنـــاءَ طهـــارةُ الإنـــسانِ لـــصلاةِ معرفـــةِ البعيـــدِ الـــداني

٦٩- إِبَـائِي أَبَـى إلّا خِـلَافِي نَاصِـحَاً يُـحَاوِلُ مِنِّـي شِـيْمَةً غَـيْرَ شِـيْمَتِي

(إبائي): بكسر الهمزة، أي: امتناعي، من قولهم: فلان يطبعه أبيٌّ، بالتشديد: يأبى رذائل الأخلاق. وقوله (أبى): أي كره. وقوله (إلّا) أداة استثناء، والاستثناء مُفَرَّغ. (وخلافي): مفعول أَبى، أي: مخالفتي. و(ناصحاً): مفعول خلافي؛ ومعناه طبعي الأَبِي كره كلّ شيء إلا مخالفة الناصح الذي ينصح على المحبّة؛ فإنّ طبعي لا يكره المخالفة للناصح؛ لأنّي مُنجبِلٌ على الحبّ والهوى، ومعتاد على مكابدة الشوق والجَوَى. وقوله (يحاول): الجملة صفة ناصحاً. وقال في القاموس: «احْتَوَلُوهُ: احْتَاشُوا عليه، وحَاوَلَه حِوالاً ومُحَاوَلَةً: بمعنى يقصد ويروم». (مِنِّي شِيمة): بالكسر، أي: طبيعةً وعادة. (غير شيمتي): أي طبيعتي وعادتي الّتي انطبعت فيها، واعتَدْتُ عليها، وذلك أمر ممتنع لا يكون أصلا فيه.

٧٠- يَلَـذُّ لَـهُ عَـذْلِي عَلَيْـكِ كَـأَنَّمَا يَـرَى مَنَّـهُ مَنِّـي وَسَـلْوَاه سَـلْوَتِي

(لَذَّ): بتشديد الذال المعجمة صار لذيذاً. وقوله (له[1]): أي للناصح المذكور

---

(١) نقص من المخطوط.

في البيت قبله. و(عَذلي): أي لومي على الهوى، وهو فاعل يلذُّ. وقوله (عليكِ): بكسر الكاف، خطاب للمحبوبة. وقوله (كأنّما يرى): أي الناصح. و(مَنَّهُ): بتشديد النون، والضمير راجع إلى الناصح. والمَنُّ: كلُّ طَلٍّ ينزل من السماء على حجر أو شجر، ويَحلُو، وينعقد عَسَلاً، ويَجِفُّ جَفافَ الصَمْغِ. والمعروف بالمَنِّ: ما وَقَع على شجر البلوط، كذا في القاموس. وقوله (مَنِّي): بفتح الميم وتشديد النون، مِنْ: مَنَّ الحبلَ: قَطَعَهُ. يعني: قطعه لي عن المحبّة. وقوله (سَلْوَاهُ): قال في القاموس: «السَّلْوى بفتح السين المهملة: طائر، واحدته سَلْوَاة. وقوله (سلوَتِي): أي نسياني المحبّة قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ [٢/ البقرة/ ٥٧] أي: الترنجبين[١] والسُّمَّانى، قيل: كان ينزل عليهم المَنُّ مثل الثلج من الفجر إلى الطلوع. ويبعث الجنوب عليهم السُّمَّانَى، ذكره البيضاوي في تفسيره. والمعنى: يرى طيره الذي يأكل لحمه ويلتذّ بأكله. والسلوة عن المحبّة ونسيانها يعني: يرى شرابه اللذيذ قطعي عن المحبّة وتركها، ومأكله اللذيذ سلواني محبّة المحبوبة كما أرى أنا شرابي اللذيذ، ومأكلي اللذيذ من حيث روحانيّتي وجسمانيّتي هو المحبّة للمحبوبة.

٧١- وَمُعْرِضَةٍ عَنْ سَامِرِ الجَفْنِ رَاهِبِ الـ ‌‌ ‌ ‌ فُؤَادِ المُعَنَّى مُسْلِمِ النَّفْسِ[٢] صَدَّتِ

(ومُعرضةٍ): مجرور بواو ربَّ، والمُعْرِضَة: اسم فاعل للمؤنّث، من أعرض زيد عن عمرو: إذا صدّ عنه، وهي المحبوبة الحقيقيّة، وإعراضها كناية عن كمال تنزهها وتجرّدها عن الموادّ كلّها؛ فإنّ وجودها بنفسها لا بمادة روحانيّة، ولا نفسانيّة، ولا عقليّة، ولا جسمانيّة، بخلاف العوالم كلّها؛ فإنّها لا توجد إلا بإحدى مادة من المواد المذكورة؛ ولهذا نقول: إنّ وجود كلّ ما سوى الحقّ تعالى إنّما هو بإشراق وجود الحقّ تعالى، الوجود الحقيقيّ، القائم بنفسه، المجرّد عن جميع الموادّ المذكورة وغير المذكورة

(١) الترنجبين: الكمأة. والسلوى طائر كالسّمانى. انظر تفسير البيضاوي: ج١ ص٩٤.

(٢) في (ق): القلب.

مما لا نعلمه نحن، كما قال سبحانه: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [١٦/ النحل/ ٨] بحيث أنّ ذلك الإشراق يشمل كلّ مادّة من الموادّ المعدومة في نفسها، الموجودة بذلك الإشراق؛ فيظن الغافل المحجوب أنّ الشيء الذي هو كناية عن تلك المادّة - أي مادّة كانت - وجد، وتلك المادة في نفسها فانية مضمحلّة على ما هي عليه في نفسها لم يتغير كما كان ذلك الإشراق المذكورعلى/ [٩٠/ ب] ما هو عليه أيضاً لم يتغيّر أزلاً وأبداً، والكتاب والسنَّة طافح ببيان ذلك. وكذلك الكشف والعيان شاهد بذلك عند أهل المعرفة والإيقان، والله يقلِّب القلوب والأبصار وهو معنى الإعراض المذكور. وقوله (عن سامر): بالسين المهملة، اسم فاعل، أي: ساهر، قال في القاموس: «سَمَرَ سَمْراً وسُمُوراً لم ينم». و(الجَفْن): غطاء العين. يعني: عينه لم تنم عن مشاهدة تلك المحبوبة المعرضة عنه، تشاهدها في كلّ مادّة على حدِّ ما ذكرنا، ولا تقدر العين أن تشهدها مجرَّدة كما هي عليه في نفسها، فإعراضها عنه لم يزل مع شهوده لها. وقوله (راهب): أي خائف. (الفؤاد): أي القلب. (المُعَنَّى): بتشديد النون مفتوحة، اسم مفعول من عاناه: قاساه، أي: القلب القاسي لأنواع الأتعاب والمشقات. يعني: قلبه خائف من تلك المحبوبة المعرضة عنه؛ وهو يقاسي في محبّتها أنواع الأتعاب والمشقات من عواذلها ولوَّامها والمنكرين عليه من الجاهلين بأحواله. وقوله (مُسْلِمِ): من الإسلام؛ وهو كمال التسليم لهذه المحبوبة في جميع مأموراتها ومنهيّاتها، قبولاً وامتثالاً، لا بحسب قدرته وطاقته، بإضافة ذلك إلى النفس وهي النفس المطمئنّة، الراجعة إلى ربّها بعد فنائها واضمحلالها. وقوله (صدَّتِ): بكسر التاء للقافية، وأصلها السكون. والمعنى: إنّ إعراض هذه المحبوبة أصليٌّ لمقتضى كمالها الذاتيّ؛ ولهذا قال (ومُعْرِضَة). وصدودها بعد تحقّق وجود المحبّ فافترقا.

٧٢- تَناءَتْ فكانتْ لَذَّةَ العَيْشِ وَانْقَضَتْ بِعُمْرِي فَأَيْدِي البَيْنِ مُدَّتْ لِمُدَّتِي

(تناءت): أي تباعدتْ عنِّي تلك الحبيبة المعرضة بإزالة الخاطر المستقيم لأمر اقتضاه الوقت لابدّ من نفاذه. ثُمّ قال (فكانت لذّة العيش): أي لذّة الحياة الدنيا؛

تعالى، وبالصبح عن ظهور الحقّ تعالى له، كما ورد في الأثر: «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا»[1] فالانتباه يحصل بالموت الاختياري، وهو طلوع فجر الأحديّة من أفق الروح الأمريّة. فإذا كان نومه كصبحه، وصبحه معدوم، فنومه معدوم كذلك؛ فهو لم ينم من طلبه للحقّ تعالى، وهو محجوب عن الحقّ تعالى، فهو معذب. ثمّ قال (حيث كانت مسرّتي): أي في مكان فيه مسرّتي. وأخبر أنّ مسرّته معدومة بقوله (فلم ير طرفي بعدها ما يسرّني) فلذلك نومه معدوم، كما أنّ صبحه معدوم. وهذه الأبيات شكاية حاله في ابتداء سلوكه.

٧٥- وَقَدْ سَخِنَتْ عَيْنِي عَلَيْهَا كَأَنَّهَا بِهَا لَمْ تَكُنْ يَوماً مِنَ الدَّهْرِ قَرَّتِ

(سَخِنَتْ): العين كفَرِحَتْ، لم تَقَرّ، وأسخن الله عينيه: أبكاه بكاءً حارّاً، وهو بكاء الحزن. و قَرَّتِ العين بالفتح: تَقَرُّ، بالكسر والفتح، قَرَّة بالفتح، وتضمّ، وقُرُوراً: بَرَدَتْ؛ وهو بكاء الفرح؛ فإنّه دمع بارد. كنّى بسخونة العين عن تجلّي المحبوبة الحقيقيّة عليه بالجلال والقبض؛ فإنّ ذلك يورثه الحجاب، والأعمال النفسانيّة الحارة. وكنّى بقُرُور العين عن تجلّي الجمال والبسط. ومنه برد اليقين الذي يقع في قلوب الصدّيقين، وقال صلّى الله عليه وسلّم: «وجُعلت قُرَّة عيني في الصلاة»[2] وهو برد الدمع الذي هو كناية عن الصلاة الكاملة الصادرة من العين الحقيقيّة التي ظهرت به صلى الله عليه وسلم فكَنى عنها بقوله: عيني.

٧٦- فَإِنْسَانُهَا مَيْتٌ وَدَمْعِيَ غَسْلُهُ وَأَكْفَانُهُ مَا ابْيَضَّ حُزْنَاً لِفُرْقَتِي

(فإنسانها): الضمير راجع إلى العين في البيت قبله. وإنسان العين كناية عن المثال الذي يرد في سواد العين، وهو الناظم، من قبيل: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [٢٠/ طه/٣٩]

---

(١) انظر تخريجه ص٢٨٦.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، مسند أنس بن مالك، ١٤٤٠١، بلفظ: «حبّب إلي من الدنيا النساء والطيب، وجُعلت قرّة عيني في الصلاة». كما أخرجه الحاكم في المستدرك، باب: حبّ النساء والطيب وجعلت قرّة عيني في، ٢٦٢٧. وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

وهي اللذّة المعبَّر عنها بحلاوة التوحيد التي مَنْ ذاقها فالْتَذَّ بها نَسِيَ أهله وأمواله ودنياه وأخراه. وقد قصد المتنبِّي المبالغة في كلامه كما هو عادة الشعراء فقال:

يَتَرَشَّفْنَ مِنْ فَمِي رَشَفَاتٍ هُنَّ فيه أَحْلَى مِنَ التَّوْحِيدِ

وقوله (وانقضت): أي تلك اللَّذَّة. (بِعُمري): بضَمِّ العين المهملة وسكون الميم، متعلِّق بانقضت. يعني: لا يَعُدُّ مِنْ عمره إلّا ذوقه لتلك اللّذّة. فلمّا تباعدت عنه بإسدال الحجاب انقضت لذّتُه فانقضى عمره. ثمّ قال (فأيدي): جمع يد. (البَيْن): أي البُعد. (مُدّتْ): بضمّ الميم والدّال المهملة مشدّدة، وضمير مدَّتْ لأيدي البين. وقوله (لِمُدَّتِي): متعلِّق بمَدّت. يعني: فتناولت عمري، فلذلك انقضى عمري مع انقضاء لذّة العيش.

٧٣- وَبَانَتْ فَأَمَّا حُسْنُ صَبْرِي فَخَانَنِي وَأَمَّا جُفُونِي بِالبُكَاءِ فَوَفَّتِ

(بانتْ): أي بَعُدَتْ تلك الحبيبة المذكوره (فأمّا حُسْن صَبري): أي صبري الحَسَن، وهو الصبر الجميل الذي لا شكوى معه ولا ضجر. (فخانني): أي لم يَفِ لي ببقائه على حاله. (وأمّا جفوني): أي عيوني. فكنّى عنها بالجفون لكونها أغطيتها، إشارة إلى أنّه في ذلك الحين لم يغن؛ فهو مع الغطاء، وهو الحجاب النفسانيّ الذي يقتضيه بُعد المحبوبة عنه. وقوله (بالبكاء): أي بما يظهر عن تلك الجفون من الدموع كناية عن الأعمال النفسانيّة. وقوله (فَوَفَّتِ): أي أدَّتْ ذلك على الوفاء.

٧٤- فَلَمْ يَرَ طَرْفِي بَعْدَهَا مَا يَسُرُّنِي فَنَوْمِي كَصُبْحِي حَيْثُ كَانَتْ مَسَرَّتِي

الفاء: تفريعيّة عمّا قبله، وهو بينونة المحبوبة، أي: بُعْدُها عنه بإرسال الحجاب. و**الطَّرْف** كناية عن العين النفسانيّة. وقوله (بعدها): أي بعد احتجاب تلك المحبوبة عنه. (ما) / [٩١/ أ] أي: شيئاً، مفعول يرى. وجملة يسرّني صفة ما. يعني: جميع ما أراه وأنا محجوب عنها لا يسرّني شيء منه أصلاً؛ لأنّها مقصودي، وموضع سروري دون كلّ شيء. ثمّ قال (فنومي كصبحي): كنّى بالنوم عن الغفلة عن الحقّ

وهو مقام القرب. وقوله (مَيْتٌ): مخفف مَيِّت، وهو الموت الاختياري كما ورد في الأثر: «موتوا قبل أنْ تموتوا»[1]. وقوله (ودمعي) : أي ما يظهر عنّي من الأعمال . (غَسله) بفتح الغين المعجمة وضمِّها ، أي طهارته من دنس الأغيار.

(وأكفانه): أي أكفان ذلك الميْت. (ما ابيضَّ): أي صار أبيض من شعره . (حُزْناً): أي من جهة الحزن. (لفُرقتي): أي فراق أحبّته؛ وذلك الذي ابيض شعره من الشعور، وهو الإدراك؛ فإنّ إدراكه كان أسود بملاحظة الأكوان، فلمّا عرف ومات الموت الاختياري في معروفه ابيضّ إدراكه، فصار لا يرى الأكوان السود بظلمة العدم؛ وإنّما يرى تجلِّي النور الحقّ على كلّ شيء، وزالت ظلمة الأكوان من شعوره فإدراكه.

٧٧- فَلِلْعَيْنِ وَالأَحْشَاءِ أَوَّلَ هَلْ أَتَى   تَـلَا عَائِـدِي الآسِي وَثالِـث تَبَّـتِ

(فَلِلْعَيْنِ): أي عيني. و(الأحشاء): بالجرّ عطف على العين. وقوله (أوّلَ هل أتى): راجع للعين. وذلك قوله تعالى:﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴾ [٧٦/ الإنسان/ ١] يعني: إنسان تلك العين لم يكن شيئاً مذكوراً. وقوله (تلا): أي قرأ. (عائدي): من العيادة، وهي زيارة المريض. (والآسي): بمدِّ الهمزة، نعت للعائد، وهو الطبيب. يعني: إنّ الطبيب الذي جاء يعودني إذ لا يمكنه مداواتي؛ لأنّ طبّه لا ينفع في علاج مرضي قرأ حين رأى إنسان عيني الميت: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ الآية. وحين رأى تلهّب أحشائي واحتراقها بنيران العشق قرأ ثالث[2] ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ [١١١/ المسد/ ١].

٧٨- كَأَنّا حَلَفْنَا لِلرَّقِيْبِ عَلَى الجَفَا   وَأَنْ لَا وَفَـا لكِـنْ حَنِثْـتُ وَبَـرَّتِ

/ [٩١/ ب] (كأنّا): أي كأنّي وكأنّ المحبوبة. (حلفنا): كلانا (للرقيب): وهو الذي يرقب اجتماعنا فيسعى في فرقتنا حال لقائنا. كناية عن الشيطان الذي

(١) انظر تخريجه ٢٨٢.

(٢) يريد قوله تعالى: ﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾.

يوسوس في الصدور فيلقي الأوهام والشكوك في معاني البطون والظهور، من قبيل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا﴾ الآية [٤٣/ الزخرف/ ٣٦]. وقوله على (الجفا): أي كلّ منّا يجفو صاحبه، أي: يتجنّبه ويتباعد عنه. وقوله (وأنْ لا وَفَا): معطوف على الجفا، أي: وعدم الوفا، وهذا الحَلْف التقديري للرقيب حتى يطمئنّ قلبه بعدم اجتماعنا فيترك مراقبتنا. وقوله (لكن حَنِثْتُ): في حَلْفِي ذلك؛ فلم أَجْفُ المحبوبة، ووفيت لها عهد المحبّة، و بَرَّتِ هي. يعني: في حَلْفِها ذلك فَجَفَتْنِي، ولم تَفِ لي بعهد المحبّة، وبسبب حنثي في يميني ووفائي بالعهد استمر الرقيب يرقبني؛ لأنّه لا تخلُّص منه إلا بالسكْر في المحبّة، والاضمحلال عن الأغيار، كما قال العفيف التلمسانيّ قدّس الله سرّه من أبيات:

ومهما يكن للصحو فيكَ بَقِيَّة ... يجد نحوك اللاحي سبيلاً إلى الظلم

٧٩- وَكَانَتْ مَوَاثِيقُ الإِخَاءِ أَخِيَّةً ... فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا عَقَدْتُ وَحَلَّتِ

(المواثيق): جمع مَوْثِق كَمَجْلِس، أو ميثاق، وهي العهود والإخاء، بكسر الهمزة وبالخاء المعجمة والمدّ، مصدر آخيتُ زيداً إخاءً عاهدته على مثل أخوّة النسب من الحقوق. وقوله (أَخِيّة): بفتح الهمزة وكسر الخاء المعجمة وتشديد الياء، وهي كالحلقة، تشدّ فيها الدّابّة والطُّنُب. والمعنى: كانت عهود أُخُوتي مع المحبوبة الحقيقيّة وهي الحضرة العليّة ثابتة مربوطة بحلقة القلب الدائرة الروحانيّة من قوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [١٥/ الحجر/ ٢٩] وقوله: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨٥]؛ فدائرة الأمر الإلهيّ محل الربط، وهذا الإخاء من إشارة قوله صلّى الله عليه وسلّم: «المرء مرآة أخيه»[1] فكلّ منهما يرى نفسه في مرآة هذه

(١) من الأمثال التي ذكرها أبو هلال العسكري في كتابه: جمهرة الأمثال، باب التفسير، ج١ ص٧٣. ولكن يؤيده ما أخرجه أبو داوود في سننه، باب بالنصيحة والحياطة، ٤٩٢٠، بلفظ: المؤمن مرآة المؤمن. والمؤمن أخو المؤمن من حيث لقيه، يكفّ عليه ضيعته، ويحوطه من ورائه.

الأُخُوّة المعنويّة. ثمّ قال (فلمّا تفرّقنا): أي بالنفخ الروحانيّ في الهيكل الجسمانيّ. (عَقَدْتُ): أي ربطت تلك المواثيق الأكيدة بحلقة القلب المذكورة، وحلّت هي ذلك الربط لبقائها على ذلك التجرّد الأزليّ فبعُدت للمناسبة بيني وبينها.

٨٠- وَتَاللهِ لَمْ أَخْتَرْ مَذَمَّةَ غَدْرِهَا   وَفَاءً وَإِنْ فَاءَتْ إلى خَتْرِ ذِمَّتِي

أي: أقسم بالله أنّي. (لم أختر): من الاختيار وهو ترجيح أحد الجانبين. (مَذَمَّة): مصدر ميمي من الذمّ، ضدّ المدح. وقوله (غَدرها): بالغين المعجمة والدال المهملة، عدم الوفاء بالعهد، أي: كان عدم اختياري ذم الغدر منها وفاءً مِنّي بعهدها؛ فإنّ المُحبّ المخلص في المحبّة لا يتغيّر وإنْ نقض المحبوب عهده. وهذا النقض كناية عن تبعيد العبد من حضرة العلم الأزليّ إلى إظهاره في عينيه بإيجاده واجداً لنفسه على طبق ما هو عليه في الحضرة العلميّة. قال العارف الجيليّ قدّس سرّه في هذا المقام:

تعالوا بنا حتّى نعود كما كنّا   ولا عهدَنا خُنتم ولا عهدكم خُنّا

وقوله (وإنْ): وصليّة في الكلام. (فاءت): أي رجعت. (إلى خَتْر): بفتح الخاء المعجمة وسكون التاء المثنّاة الفوقيّة والراء، وهو النقض، والغدر، والخديعة. و(الذِّمّة): العهد، وما أحسن قول القائل:

والله لو قُطِّعتُ في حبّكم   ما ازددتُ إلّا لكمُ حبّا

ولو فعلتم كلّ ما ساءني   ما كان عندي لكم ذنباً

٨١- سَقَى بِالصَّفَا الرَّبْعِيُّ رَبْعَاً بِهِ الصَّفَا   وَجَادَ بِأَجْيَادٍ ثَرَىً مِنْهُ ثَرْوَتِي

(الصفا): الأوّل من مشاعر مكّة بِلِحْف جبل أبي قبيس، والباء في قوله بالصّفا بمعنى في. (ربعيُّ): بالرفع، فاعل. (سقى): وهو المطر الذي ينزل في زمن الربيع. كناية عن العلوم الإلهيّة اللدنيّة. وقوله (ربعاً): مفعول سقى، وهو المنزل. كناية

عن قلب العارف المحقّق فإنّ/ [٩٢/ أ] منزلة المحبوبة من قوله صلّى الله عليه وسلَّم: «ووسعني قلب عبدي المؤمن»[1]. وكون ذلك الربع في الصفا، أي: في المقام الروحانيّ، والسرِّ الإنسانيّ. كما أنّ المروة أحد مشاعر مكّة كناية عن الجسم الطاهر من العصيان المنسوب إلى السرِّ الظاهر من حقيقة الإنسان، والإشارة إلى ذلك في السعي من الصفا والمروة في الحج الروحانيّ من مقام الإحسان. وقوله (به): أي فيه الصفا، هو ضدُّ الكدر، بذهاب أوهام الأغيار، والالتهاب أفهام الأسرار. وقوله (وجاد): معطوف على سقى، يقال: جاد بمعنى أمطر، وضميره راجع إلى الربعيّ قبله.(**بأجياده**): وهي أرض مكّة، أو جبل فيها؛ كناية عن الجسم العنصري للإنسان الكامل. وقوله (**ثري**): مفعول جاد. والثري بالمثلثة التراب. كناية عن أصل جسم الكامل الذي نشأ منه كاملاً بتربيته في حجر أحكامه، وهوالحقيقة المحمّدية النورانيّة التي هي هيولى الأكوان من قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ [١٨/ الكهف/ ١١٠] وقوله (منه): أي من ذلك الثرى.(**ثروتي**): أي غَنائي، وهو حصول الفتح له في ذوق التجلّيات الإلهيّة.

٨٢- **مُخَيَّمَ لَـذّاتِي وَسُـوْقَ مَـآرِبِي وَقِبْلَـةَ آمَـالِي وَمَـوطِنَ صَـبوَتِي**

(**مُخَيَّمَ**): بضمِّ الميم وفتح الخاء المعجمة وتشديد الياء التحتيّة، من خَيَّم زيدٌ بالمكان: إذا أقام فيه. و(**اللّذّات**): جمع لَذَّة، وهي ما ينشأ عن إدراك الملائم؛ وذلك حظ الروح، كما أنّ الشهوة حظ النفس لتعلّقها بالجسم؛ على معنى أنَّ لذّاته الروحانيّة مقيمة في ذلك الثرى المذكور في البيت قبله. ثمّ قال (**وسوق مآربي**): أي مقاصدي وحاجاتي؛ على معنى أن مقاصده وحاجاته تباع وتشترى فيه، من قوله عليه السلام: «إنّ الله هو المُعطي وأنا القاسم»[2]، ولنا من هذا المعنى قولنا في قصيدة نبويّة:

---

(١) انظر تخريجه ص٣٢٤.

(٢) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب فرض الخمس، باب قوله تعالى: فإن لله خمسه، ٣١١٦، عن =

يـا أبـا القاسـمِ يـا قاسِـمَ مـا يَهَـبُ اللهُ عـلى طُـولِ المَـدَى

ثمّ قال (وقبلة آمالي): القِبلة بكسر القاف، الجهة. والآمال: جمع أمل، وهو الرجاء، أي: جميع ما أُؤمِّله وأتمنّاه متوجّهاً إليها، أي: تلك القبلة التي هي ذلك الثرى المذكور، وهو يتمنّى ويترجّى الدخول بها إلى الحضرة الإلهيّة، ولا يدخل إليها إلّا من جهة هذه القِبلة كما قال القطب البكريّ قدّس الله سرّه من أبيات نبويّة:

وأنـتَ بـابُ الله أي امـرئٍ أتـاه مـن غَـيركَ لا يـدخُلُ

وقوله (وموطِنَ صَبْوَتي): الصبْوة في الأصل جهلة الفتوّة، وهنا معنى زيادة العشق والمحبّة من قوله صلّى الله عليه وسلّم: «لن يكمل إيمان أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من نفسه وأهله والناس أجمعين»[1]، وقوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ [٣٣/ الأحزاب/ ٦]. وسبب ذلك كشفه عن الأكوان أنّها من نوره صلّى الله عليه وسلّم، ووجد أنّ كلّ محبَّة هي محبَّته صلَّى الله عليه وسلَّم في تعييناته الروحانيّة والجسمانيّة على التخييل والتمثيل.

٨٣- مَنَازِلَ أُنْسٍ كُنَّ لَمْ أَنْسَ ذِكْرَهَا بِمَنْ بُعْدُهَا وَالقُرْبُ نَارِي وَجَنَّتِي

(منازلَ): منصوب على أنّه خبر كُنَّ. وضمير جمع المؤنّث لما تقدّم في البيت قبله من قوله: مُخَيَّمَ، وسوق، وقبلة، وموطن؛ فإنّها أربعة منازل محيطة بالحقيقة الإنسانيّة تنزلها وتقيم بها: إمّا على الكشف في الكاملين، وإمّا على الجهل والغفلة في القاصرين. و(الأُنس): بضمّ الهمزة خلاف الوحشة. وقوله (لم أُنس ذكرها):

=

معاوية، بلفظ: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، والله المعطي، وأنا القاسم. ولا تزال هذه الأمّة ظاهرين على من خالفهم حتّى يأتي أمر الله وهم ظاهرون.

(١) لم نعثر عليه في مصادرنا بهذا اللفظ؛ وإنّما يؤيّده ما رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: وجوب محبّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين، ١٧٨، عن أنس بن مالك، بلفظ: لا يؤمن أحدُكم حتّى أكون أحبَّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين.

أي تذكرها، ومقتضى الحقيقة الإنسانيّة النسيان من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ﴾[٢٠/ طه/ ١١٥] وقول القائل:

و مــا سُــمِّي الإنــسانُ إلّا لنَـسيِهِ ولا القلــبُ إلّا أنّــه يتقلّــبُ

ولهذا ورد في القرآن: ﴿فَذَكِّرْ﴾ ولم يرد فعلِّم. قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ [٨٧/ الأعلى/ ٩] ﴿ فذكِّر / [٩٢/ ب] إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ [٨٨/ الغاشية/ ٢١] ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ [٨٠/ عبس/ ١١] ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ [٨٩/ الفجر/ ٢٣] وقال لموسى ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ [١٤/ إبراهيم/ ٥] ونحو ذلك. والتعليم في الأصل من الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [٩٦/ العلق/ ٤- ٥] ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ١-٢] ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ [٤/ النساء/ ١١٣]. وقوله (بمَنْ): أي بسبب المحبوبة التي (بُعْدُها): بضمِّ الباء الموحّدة، أي: البُعْد عنها. (والقُرْب): بالرفع معطوف على بُعدها. (ناري): راجع إلى بعدها. (وجَنَّتِي): راجع إلى القرب، فهو لف ونشر مرتّب، قال تعالى: ﴿وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ [٨٩/ الفجر/ ٣٠] أي: قربي في الدنيا، ونعيمي في الآخرة. وذلك حظ النفس المطمئنّة على لقائه تعالى وشهوده في تجلّياته.

٨٤- وَمِنْ أَجْلِهَا حَالِي بِهَا وَأُجِلُّهَا عَنِ المَنِّ مَا لَـمْ تَخْفَ والسُّقْمُ حِلّتَي

(من أجلها): أي تلك المحبوبة. (حالي): أي ما أنا فيه من الأحوال المشقة في مقاساة شدائد المحبّة. وقوله (بها): أي بسببها. وقوله (وأُجِلُّها): بضمّ الهمزة وكسر الجيم فعل مضارع، أي: ارتفع مقامها عن المنِّ عليها بما ألاقيه في طريق محبَّتها، كما ورد في الدعاء المأثور: «اللهمّ يا ذا المَنِّ ولا يمنُّ عليه»[1]. وقال تعالى:

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنّفه، باب: ما جاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، ٢٩٥٣٠، بلفظ: «عن عبد الله بن مسعود قال: ما دعا قطّ عبدٌ بهذه الدعوات إلّا وسّع الله عليه في معيشته: يا ذا المنّ فلا يُمَنُّ عليه، يا ذا الجلال والإكرام، يا ذا الطَّوْل والإنعام، لا إله إلّا أنت، ظهر
=

﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ [٤٩/ الحجرات/ ١٧] فقوله ذلك جملة معترضة بين المبتدأ والخبر الذي قوله (ما): أي حال عظيمة. (لم تخفَ): على أحد من الناس لظهورها، أوعن هذه المحبوبة لعلمها بها ورؤيتها لها. ثمّ قال. (والسُّقم): بضمِّ السين المهملة وسكون القاف، والواو للحال، والتقدير: كيف تخفى والحال أنّ السُّقم (حُلَّتي): أي ثوبي الذي ألبسه ظاهراً، من قبيل قول البوصيري رحمه الله تعالى:

وكيفَ تُنْكِر حُبّاً بعد ما شهدتْ ... به عليك عُدُول الدمع والسَّقمِ

وأثبتَ الوَجد خَطّي عَبْرةٍ وَضَنىً ... مثلَ البَهارِ على خديكَ والعَنَمِ

٨٥- غَرَامِي بِشَعْبٍ عَامِرٍ شِعْبَ عِامِرٍ ... غَرِيمِي وَإِنْ جَارُوا فَهُمْ خَيْرُ جِيْرَتِي

(الغرام): الولوع، والشوق الدائم الملازم. وقوله (بشَعْبِ): أي بسبب شَعْبِ، بفتح الشين المعجمة، أي قبيلة عظيمة من قبائل العرب. (عامر): نعت لِشَعْب، من عَمَرَ المكان عِمارة، أي: عامرين. (شِعْب): بكسر الشين المعجمة وسكون العين المهملة فيهما، منصوب على أنّه مفعول عامر؛ لأنّه اسم فاعل. والشِّعب: الطريق في الجبل، مضاف إلى عامر الثاني، وهو اسم قبيلة يقال لهم (بنو عامر): وهو شِعب بني عامر. وكنّى بهذه القبيلة عن إخوانه وأشياخه من أهل الله العارفين الكاملين المُعمِّرين أوقاتهم بذكر الله تعالى على الكشف والشهود؛ وهم القائمون له في صدق العبوديّة بدوام الركوع والسجود. وقوله (غريمي): خبر المبتدأ الذي هو غرامي. والغريم هو الخصم الملازم الذي يخاصم ويشتدّ في

= اللاجئين، وجار المستجيرين ومأمن الخائفين؛ إنْ كتبتني عندك في أمّ الكتاب شقيّاً فامحُ عنّي اسم الشقاء، وأثبتني عندك سعيداً، موفّقاً للخير؛ فإنّك تقول في كتابك: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾».

الخصومة. وقوله (وإنْ): شرطيّة تجزم فعلين، و(جاروا): فعل الشرط، وضمير الجمع لشَعب بفتح الشين، أي: قبيلته، نعتها أوّلاً بالمفرد باعتبار اللفظ، ثمّ أرجع إليها ضمير جمع المذكر باعتبار المعنى. وقوله (فهم خير جيرتي): أي المجاورين لي في المقام والرتبة. وهذه الجملة جواب الشرط. والمعنى: أنا أحتمل جميع ما يعاملوني به.

٨٦- وَمِنْ بَعْدِهَا مَا سُرَّ سِرِّي لِبُعْدِهَا وَقَدْ قَطَعَتْ مِنْها رَجَائِي بِخَيْبَتِي

(مِنْ بَعْدِها): بفتح الباء الموحّدة، ضدّ قبلها، أي: من بعد تلك القبيلة المشار إليها في البيت قبله. (ما سُرَّ): بضمّ السين المهملة، فعل ماض مبني للمفعول، من السرور. وقوله (سِرِّي): نائب الفاعل. وقوله (لِبُعْدِهَا): بضمّ الباء الموحّدة، أي: لأجل بُعد تلك القبيلة عنّي. وقوله (وقد قطعتْ): أي تلك القبيلة. (منها): مُتعلِّق برجائي. و(رجائي) مفعول/ [٩٣/ أ] قطعتْ. يعني: قطعت الترجي منها لكلّ شيء. (بِخَيْبَتِي): أي بحرماني ويأسي، متعلِّق بقطعتْ. وفيه إشارة إلى أنّه قبل ذلك كان يترجّى المعونة والإمداد من حيث تلك الأرواح النازلة في كوامل الأشباح، حتى انكشفت له حقائق تجلِّيات الأسماء الإلهيّة في مظاهر هاتيك الأعيان الإنسانيّة، فانقطع رجاؤه منها بالخيبة، واليأس، والحرمان. وتوجيه إلى حقيقة الغيب المطلق في تجلّيات الرحمن.

٨٧- ومَا جَزَعِي بِالجِزْعِ عَنْ عَبَثٍ وَلَا بَــدَا وَلَعَــاً فِيْهَــا وُلُــوْعِي بِلَــوْعَتِي

(الجَزَع): محرَّكة نقيض الصبر، و(الجِزْعُ): بكسر الجيم وسكون الزاي، مُنعَطَف الوادي، ومحلّة القوم. كنّى بذلك عن مقام السادة، المكنّى عنهم بالقبيلة فيما تقدّم. يعني: ما قلّة صبري ـ بسببهم ـ عن ملاقاتهم صادر عني عن عبث منّي بلا فائدة؛ وإنّما ذلك لكونهم مظاهر تجلِّيات الغيب المطلق والحقّ؛ فعين التوجه عليهم عين التوجّه عليه. وقوله (ولا بَدا): أي ظهر. (وَلَعَاً): مُحرَّكة منصوب على

أنّه مفعول من أجله، علّة لبدا. وقوله (فيها): أي في تلك القبيلة المذكورة التي كنّى عنها هنا بالجِزْع. وقوله (ولوعي): فاعل بدا. والوُلُوع بالشيء ـ بضمِّ الواو ـ: التحرُّش به. وقوله (بِلَوْعَتي): أي بسبب لوعتي، واللوعة حرقة القلب وتألّمه، من: همٍّ، أوحبٍّ، أو مرض.

٨٨- عَلَى فَائِتٍ مِنْ جَمْعِ جَمْعٍ تَأَسُّفِي وَوُدٌّ عَلَى وَادِي مُحَسِّر حَسْرَتِي

(على فائتٍ): جار ومجرور، خبر مقدّم. وقوله (تأسُّفي): مبتدأ مؤخّر، وقدّم الخبر للاهتمام والحصر. يعني: على أمر فائت لا على غيره. وقوله (من جَمْع): بيان لذلك الفائت، أي: الذي يكون ساعة ويفوت. وجَمْع الأوَّل: ضدّ الفَرْق؛ وهو شهود الوحدة في عين الكثرة، ولا بقاء له إلّا في غَلَبَة الروحانيّة على الجسمانيّة، والفرق شهود الكثرة في عين الوحدة، وذلك من غَلَبَة الجسمانيّة على الروحانيّة، وأصل ذلك كلام الله تعالى النفسانيّ القديم الذي هو عين العلم الأزليّ من وجه: نزل قرآناً؛ فهو جَمْع، ونزل فُرقاناً؛ فهو فرق. ولا يقدر على شهوده قرآناً إلّا الأنبياء عليهم السلام فشهده محمّد صلَّى الله عليه وسلَّم قرآناً، وكذلك ورثته الكاملون. وشهده أيضاً فرقاناً كعوام الخلق، وشهده آدم وشيث وإدريس ونوح وإبراهيم صحائف. وشهده موسى توراة، وداوود زبوراً، وعيسى إنجيلاً، والكلّ كلام الله تعالى القديم النفسانيّ المُنزل لا يختلف إلّا بالحروف والأصوات المرقومة في صفحات الصور والمعاني. وكذلك ورثة هؤلاء الأنبياء عليهم السلام. وشهدوه كذلك من أممهم، ومن هذه الأمّة من مشكاة محمّد صلَّى الله عليه وسلَّم الجامع الخاتم. وكذلك شهدوه فرقاناً هم وأممهم. وقوله (جَمْعٍ): الثاني عَلَم على المزدلفة؛ مكان بين عرفات ومنى، مشتق من الازدلاف، وهو القرب، قال في القاموس: «المُزْدَلِفَة»: موضع بين عرفات ومِنَى؛ لأنّه يُتقرَّب فيها إلى الله تعالى، أو لاقتراب الناس إلى مِنى بعد الإفاضة، أو لمجيء الناس إليها في زُلَفٍ من الليل، أي: ساعات الليل الآخذة من النهار، أو لأنها أرض مستوية مكنوسة، وهذا أقرب».

وقوله (وودٍّ): بالجرِّ معطوف على فائت. والوُدّ مثلث الواو: المحبّة. وقوله (على وادي مُحَسِّر): بكسر السين المهملة، اسم مكان قريب المزدلفة. سُمِّي بذلك لأنّ فيل أبرهة حَسِرَ هناك، أي: أعيا، وبرك لمّا جاء به لهدم الكعبة. وكنّى بالوُدِّ على وادي مُحَسِّر عن المحبّة الحاصلة له مع العجز والإعياء عن حمل مشقاتها، وإنْ كانت أدنى من مقامه لحنينه إلى البداية في مقام النهاية. وقوله (حسرتي): واحدة الحسرات، وهي التلهُّف، مبتدأ/ [٩٣/ ب] مؤخَّر، وخَبره قوله (وودّ) بتقدير: وعليّ ودّ.

٨٩- وَبَسْطٍ طَوَى قَبْضُ التَّنَائِي بِسَاطَهُ لَنَــا بِطُــوَىً وَلَّى بِأَرْغَــدِ عِيْــشَةِ

(وَبَسْطٍ): بالخفض والتنوين، والواو للعطف على وُدٍّ في البيت قبله، أي: حَسْرَتِي على بسطٍ أيضاً، أوالواو هي واو ربّ، أي: ربَّ بسطٍ ، والبسط: الإنشراح والمسرّة؛ وهو ضدّ القبض كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٤٥] وهما تجلّيان إلهيّان. فالبَسط إعطاء العبد حقيقته العلميّة على تمامها. والقبض ظهور الاستيلاء الإلهيّ على تلك الحقيقة؛ لنقصان ظهورها، وقد يُسمى القبض تجلِّياً، والبَسط استتاراً، ويسمى القبض جلالاً، والبسط جمالاً باختلاف أحوال السالكين. وقوله (طوى): خلاف نشر، والقبْض خلاف البسط كما ذكرنا. (والتنائي): بمعنى التباعد عن حقيقة العبد السالك؛ بحيث يفقد نفسه بغلبة ظهور الاستيلاء الإلهيّ عليه. وقوله (بِساطه): بكسر الباء الموحّدة؛ وهو ما يُبْسَط، والضمير للبسط. وقوله (لنا): الجار والمجرورمتعلِّق بوَلَّى، والباء في قوله (بطُوى): ظرفيّة، بالضمِّ والكسر، ويُنَوَّن: اسم وادٍ بالشام؛ كنّى به عن مقام الفرق. وقوله (ولَّى): بتشديد اللام، قال في القاموس: «وَلَّى تَوْلِيَة: أَدْبَرَ، كتوَلّى». وقوله (بأرغد عيشة): أي بعيشة هي أرغد المعايش، قال في القاموس: «العَيْش الحياة، عَاشَ يَعِيْشُ عَيْشاً ومَعَاشاً ومَعِيْشاً ومَعِيْشَة وعِيْشَة، بالكسر. والمَعِيشة: ما

تعيش به من المَطْعَم والمَشْرَب، وما تكون به الحياة». و(**أَرْغَد**): أفعل تفضيل، يُقال: عِيْشَة رَغَد بالغين المعجمة، واسعة، طيِّبة.

٩٠- أَبِيْتُ بِجَفْنٍ لِلسُّهَادِ مُعَانِقٍ تُصَافِحُ صَدْرِي رَاحَتِي طُوْلَ لَيْلَتِي

يقال: بات يفعل كذا، يَبِيْتُ ويَبَاتُ بَيْتاً وبَيَاتاً ومَبِيْتاً وبَيْتُوْتَةً، أي: يفعله ليلاً، ومن أدركه الليل فقد بات، كذا في القاموس. (**بِجَفْنٍ**): أي مصاحباً به. (**للسهاد**): أي السهر. (**معانق**): وصف للجفن، أي: ملازم له. كناية عن عدم غفلته في مراقبة ربّه في ظلمة الأكوان. وقوله (**تصافح صدري**): من التصفيح؛ وهو التصفيق، كذا في القاموس.(راحتي): أي كفِّي فإنّ الراحات هي الأكفّ. وقوله (**طولَ ليلتي**): بنصب طول على الظرفيّة لمعانقة الجفن للسهاد، ولمصافحة الراحة للصدر، وذلك من كمال الوجد الغالب عليه.

٩١- وَذِكْرِ أُوَيْقَاتِي الَّتِي سَلَفَتْ[1] بِها سَمِيْرِيَ لَوْ عَادَتْ أُوَيْقَاتِي الَّتِي

(**وذِكرِ**): بالخفض معطوف على قوله في البيت قبله بجفن. يعني: أبيت مصاحباً بـ (**ذِكْرِ**): أي تذكّر. (**أُويقاتي**): تصغير أوقاتي للتعظيم، أو للتحبيب. جمع وقت، وهو الزمان. وقوله (**التي سلفت**): أي مضت لي، نعت للأُويقات. والضمير في قوله بها راجع إلى المحبوبة المشار إليها فيما سبق من الأبيات في قوله: (**بمن بعدها والقرب ناري وجنّتي**). ثمّ قال: (**سَمِيْرِيَ**): أي يا سميري، وهوالمسامر له، أي: المُحَدِّث له بالليل، من السَّمَر، بالتحريك، وهو حديث الليل. كناية عن المتجلِّي عليه بصورة نفسه من قوله تعالى: ﴿ **أَفَمَنْ هُوَ قَآيِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ** ﴾ [١٣/ الرعد/ ٣٣] ويصحّ أنْ يكون قوله (**وذِكْرِ**): الواو للاستئناف، وذِكْرِ: مبتدأ مضاف إلى أُويقاتي، وسميريَ: خبر المبتدأ، أي: ذلك الذكر سميري.

---

(١) في (ق): وصلت.

وقوله (**لوعادت**): لو للتمَنّي، وعادت: رجعت أُويقاتي (التي): أي التي سلفت، ففيه الاكتفاء، وردّ العجز على الصدر. ولعل تمنّي إعادة الأوقات السالفة هو معنى المساعدة هنا.

٩٢- رَعَى اللهُ أيامَاً بِظِلِّ جَنَابِهَا   سَرَقْتُ بِهَا فِي غَفْلَةِ البَيْنِ لَذَّتِي

(رَعَى): أي حَفِظَ اللهُ. (**أياماً**): أي تجلّيات إلهيّة بحضرات كونيّة. كنّى عنها بقوله (**بظلّ جنابها**): أي جناب تلك المحبّة. والظِّلّ: أثر الإرادة والمشيئة من قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ / [٩٤/ أ] رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ [٢٥/ الفرقان/ ٤٥] الآية. وقوله (سَرَقْتُ بها): أي بتلك الأيام. (في غفلة البين): أي البعد والفراق. وقوله (لذّتي): أي التذاذي، واللَّذَّة: حظّ الروح كما أنّ الشهوة حظّ الجسم.

٩٣- وَمَا دَارَهَجْرُ البُعْدِعَنها بِخَاطِرِي   لَدَيْهَا بِوَصْلِ القُرْبِ فِي دَارِهِجْرَتِي

يُقال: ما دار الشيء في خاطري، أي: ما خطر ببالي. و(هَجْرُ): بفتح الهاء، أي: ترك البعد. (**عنها**): أي عن المحبوبة. (**بخاطري**): أي في بالي، من خَطَرَ له يَخْطُر خُطُوراً: ذكره بعد نسيان. وقوله (لديها): أي وأنا عند المحبوبة. (**بوصل القرب**): أي الوصل الذي هو عين القرب. (في دار هِجرتي): بكسر الهاء، ودار الهِجرة هي مدينة الرسول صلّى الله عليه وسلّم. كناية عن الحقيقة النوريّة الأصليّة المحمّديّة التي خلق الله تعالى منها كلّ شيء بوجه الأمر الإلهيّ القائم به كلّ شيء؛ فإنّ من دخل في هذه الحقيقة الأصليّة التحق بها، فكان متصلاً واحداً، وصار كلامه بلسانها، كما قال المصنِّف في التائيّة الكبرى:

وإنِّي وإنْ كنتُ ابنَ آدمَ صورةً   فَلِي فيه مَعنىً شاهدٌ بأُبُوَّتي[1]

إلى مثل تلك من الأبيات.

---

(١) انظر البيت ٦٣١ في قصيدة نظم السلوك (التائيّة الكبرى).

٩٤- وَقَدْ كَانَ عِنْدِي وَصْلُهَا دُوْنَ مَطْلَبِي فَصَارَ تَـمَـنِّي الهَجْرِ فِي القُرْبِ قُرْبَتِي

(وقد كان): يعني في الزمان السابق حيث كان في دار الهجرة كما ذكرنا في البيت قبله. وقوله **(عندي)**: أي بالنسبة إلى ما أجد أنا في نفسي. وضمير وصلها راجع إلى المحبوبة. وقوله **(دون مطلبي)**: أي أدنى مما أطلب وأتمنّى؛ لالتحاقه بالحقيقة المحمّديّة التي مطلبها أعلا المطالب كلِّها. والوصل بالنسبة إليها أدنى حال من أحوالها؛ لأنّ الالتحاق المذكور أعلى منه؛ لذهاب الاثنينيّة فيه بدخول الفرع في أصله. وقوله **(فصار تمنّي الهجر)**: يعني اختلف عليه الحال بانفصاله عن حاله الأوّل؛ فرجع إلى اثنينيَّته من قبيل قوله تعالى لنبيِّه عليه السلام: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ الآية. [٣٩/ الزمر/ ٦٥] وقوله صلى الله عليه وسلَّم: «إنّه لَيُغان على قلبي، وإنِّي لأستغفر الله في اليوم والليلة أكثر من سبعين مرّة»[1]. وهذا مشرب السِّرِّ المحمّديّ، والمقام الأحمدي، وهكذا الورثة المحمّديّون، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟﴾ [٣٣/ الأحزاب/ ١٣] ولمَّا قال الشاعر:

كـــلَّ يـــومٍ تتلـــوَّن غـــيْرُ هَـــذا بِـــكَ أحـــسن

قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه:

كـــلَّ يـــومٍ تتلـــوَّن إنّ هـــذا بِـــكَ أحـــسن

فإنّ التمكُّن في التلوُّن أحسن وأكمل. وقوله **(في القرب)**: أي في مقام القرب، وهو التمكّن في العرفان بالتحقّق بحقائق العيان. وقوله **(قُربتي)**: بضمِّ القاف، أي: وصلتي بالمحبوبة لتفصيل حضراتها، وتبيين مراتب ذاتها.

٩٥- وَكَمْ رَاحَةٍ لِي أَقْبَلَتْ حِينَ أَقْبَلَتْ وَمِـنْ رَاحَتِـي لَـمَّا تَوَلَّـتْ تَوَلَّـتِ

(كمْ): اسم ناقص مبني على السكون. أو مؤلّفة من كاف التشبيه وما، ثمَّ

---

(١) انظر تخريجه ص ٢٧٤.

قُصرتْ وأُسكنت، وهي للاستفهام. ويُخفض ما بعدها حينئذٍ كَرُبَّ، وقد يُرفع، تقول: كمْ رجلٌ كريمٌ قد أتاني كذا في القاموس. وهي هنا تفيد معنى التكثير. و(الراحة): خلاف التعب. (لي): أي كائنة لي صفة لراحة. وقوله (أَقْبَلَتْ): أي تلك الراحة حين أقبلت. يعني: المحبوبة. وإقبالها: تجلِّيها على قلبه، وانكشاف الأمر له، إنّما هي لا هو على وجه اليقين. وقوله (ومن راحتي): أي من كفِّي ويدي. (لمَّا تولَّتْ): أي أعرضتْ عنّي تلك المحبوبة. (تولَّتِ): أي أعرضت تلك الراحة التي لي.

٩٦- كَأَنْ لَمْ أَكُنْ مِنها قَرِيباً وَلَمْ أَزَلْ بَعيـداً لأيٍّ مـا لَـهُ مِلْـتُ مَلَّـتِ

(كَأنْ): مُخَفَّفة من كأَنَّ المشدّدة التي للتشبيه. وقوله (لم أكن منها): أي من هذه المحبوبة/ [٩٤/ ب] (قريباً) ولم أزل. يعني: على ما كنت من قبل بعيداً عنها لسرعة أمرها في تقلُّب القلوب، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ﴾ [٥٤/ القمر/ ٥٠]. وقوله (لأيّ ما) أي: لأيّ شيء من الأشياء، أيّ شيء كان مِلْتُ، فأيّ شرطيّة منوَّنة مجرورة اللام. وما زائدة لتأكيد معنى الشرط؛ فإنّ ميل الإنسان بقلبه إلى شيء من مطلق الأشياء حجاب له عن هذه المحبوبة، فلا يقدر معه أنْ يشهدها أصلاً، وذلك الحجاب هو قوله (مَلَّتِ): بتشديد اللام وكسر التاء الساكنة للقافية، من الملل، وهو السآمة، أي: سئِمَتْ من شهودي لها فاحتجبتْ عنِّي.

٩٧- غَرَامِي أَقِمْ صَبْرِي انْصَرِمْ دَمْعِي انْسَجِمْ

عَدوِّي احْتكِمْ دَهْرِي انْتَقِمْ[1] حَاسِدِي اشْمَتِ

(الغرام): الولوع والشوق الدائم. وأقِمْ فعل أمر من الإقامة، خلاف الرحيل، والتقدير ياغرامي أقم عندي ملازماً لي. ثمّ قال (صبري): أي يا صبري على الأحبّة.

(١) الشطرة الثانية في (ق): «عدوّي انتقم دهري احتكم حاسدي اشمت».

(**انصرم**): من الانصرام بمعنى الانقطاع. ويا (**دمعي انسجم**): من الانسجام، وهو انسكاب الدمع والمطر ونحوه. ثمّ قال (**عدوِّي**): أي يا عدوِّي، وهو شيطانه المقارن له الذي يدعوه إلى السوء والطغيان، قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ [٣٥/ فاطر /٦] الآية. وقوله (**انتقم**): فعل أمر من الانتقام، بمعنى المعاقبة، أي: انتقمْ منِّي وعاقبْني على مقدار ما تقدر قال تعالى: ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٦٤] الأية. كما قيل لأبي مدين قدّس الله سرَّه: «كيف أنت مع الشيطان؟ فقال: أرأيتم لو بال أحدكم في البحر فهل ينجس؟ قالوا: لا. قال فكذلك الشيطان معنا». ثمّ قال (**دهري**): أي يا دهري. (**احتكم**): أمر من الاحتكام، قال في القاموس: «حَكَّمَهُ في الأمر تَحْكِيماً: أَمَرَه أنْ يَحْكُمَ فَاحْتَكَم، وتَحَكَّمَ: جاز في حُكْمِه». انتهى. يعني: يا دهري امضِ حكمك فيَّ، ونفِّذ عليَّ كلَّ ما يقتضيه أمرك؛ فإنني راضٍ بجميع أقدارك وأقضيتك، في الخير والشرّ، والنفع والضرّ. ثمّ قال (**حاسدي**): أي يا حاسدي، وهو الذي يتمنّى زوال النعمة عنه. كناية عن معاصره الذي يعمل بعمله، فإنّه يتمنّى زوال النعمة عنه، ورجوعها إلى نفسه، حتى لا يبقى له عليه شفوف منزلة، أو رفعة مرتَّبة، ويبقى هو المنفرد بتلك الرتبة، دون غيره. ثمّ قال (**اشمتِ**): بكسر التاء للقافية، وهو فعل أمر من الشماته، وهي فرح الإنسان ببليّة غيره. وكنّى بذلك عن كمال الثبات والرسوخ؛ بحيث لا يتحرّك لشيء من ذلك أصلاً كما قال تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [١٤/ ابراهيم/ ٢٧].

٩٨- **وَيَا جَلَدِي بَعْدَ النَقَا لَسْتَ مُسْعِدِي ... وَيَـا كَبِـدِي عَـزَّ اللّقَـا فَتَفَتَّـتِ**

(**الجَلَد**): بالتحريك الشدّة والقوَّة. وقوله (**بعد النَّقَا**): بفتح النون والقاف مقصوراً، هو في الأصل قطعة من الرمل مُحْدودبة، وهو هنا اسم مكان في مدينة الرسول صلّى الله عليه وسلَّم. يعني: مفارقتي مكان النقا. (**لستَ مُسْعدي**): من

أسعده: إذا أنجده وأسعفه؛ يشير إلى تشوَّقَه إلى الالتحاق بالحقيقة المحمّديّة بعد محو الرسوم ونسيان العلوم، وبطون الموجود الموهوم لظهور الحيِّ القيُّوم. وقوله (وياكبدي عَزَّ): قلَّ فلا يكاد يوجد. (اللقا): يعني ملاقاة الأحبّة. (فَتَفَتَّتِ): من التفتُّت وهو القطع والتكسير. وسبب عزَّة اللقاء كثرة التمتُّع بحجاب العظمة والكبرياء والتّفَرُّد بالجلال فلا شيء معه.

٩٩- وَلـمَّا أَبَتْ إلّا جِمَاحاً وَدَارُهَا انْـ تِزَاحاً وضَنَّ الدَّهْرُ مِنْهـا بأَوْبَـةِ

(أَبَتْ): أي كرهتْ أن تعمل، أي: المحبوبة التي عزَّ لقاؤها. (إلا جماحاً): على وزن رمال، مصدر جَمَحَ الفرس: إذا غلب صاحبه. يعني: لا تعمل معنا إلّا امتناعاً، وزيادة نفور/[٩٥/أ] لعظمتها وكبريائها وتفرُّدها في جلاله. وقوله (ودارُها): بالرفع معطوف على الضمير في قوله أبتْ. وأشار بدارها إلى حضرتها النزيهة ورتبتها السامية. كناية عن حضرة أسمائها وصفاتها. وقوله (انتزاحاً): أي بعداً عنّا؛ لأنّا آثارها؛ فلا نعرفها إلّا بها، قال تعالى: ﴿لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ﴾ [٢١/ الأنبياء/ ٢٧] مع أنّهم ملائكة مقرَّبون فكيف البشر المحجوبون. وقوله (وضَنَّ): بالضاد المعجمة، أي: بخل. (الدهر مِنها): أي من تلك المحبوبة. (بأوبة): أي رجوع إلى مثل تجلّيها الأوّل الذي به أوجدتنا من عدمنا، فالتبستْ علينا بنا؛ فاحتجنا إلى الرجوع إلى عدمنا الأصليّ بالفناء في وجودها الحقيقيّ، ورجوع تجلّيها الأوّل لنوجد به فنكون بها لا بنا.

١٠٠- تَيَقَّنْتُ أَنْ لا دَارَ مِن بَعْدِ طَيْبَةٍ تَطِيْـبُ وَأَنْ لا عِـزَّةً بَعْـدَ عَـزَّةِ(١)

وفي نسخة «أنْ لا منزلاً بعد طَيْبَةٍ». وهي مدينة الرسول صلّى الله عليه وسلَّم. و(الدّار): من الدوران. يعني: لا تدور الأمور إلّا عليها، فإنّها دائرة محمّديَّة تدور

---

(١) ورد البيت في (ق): «تيَقَّنْتُ ألّا منزلاً بعدَ طَيبَةٍ يطيبُ وأن لا عِزّةَ بعد عَزَّةٍ» وهو غير مستوٍ.

عليها جميع الدوائر الكونيّة، قال القطب البكريّ[1] كما أنشدنيه ولده الكامل زين العابدين محمّد البكريّ الصِّدِّيقيّ قدّس الله سرَّهما العزيز:

دوائِـرُ أوهـامٍ بهـا شُـغِلَ الفِكْـرُ   فظاهرهـا خلـق وباطنهـا أمـر

وكونها منزلاً لنزول الحقائق الكونيّة بها. وقوله (تطيب): أي تلك الدار لَمَنْ دارعليها وسكنها، فدارت به محيطة له، أو يطيب ذلك المنزل لَمَنْ ينزله مِن قولهم: طاب له المنزل إذا زكا عنده، ووجد فيه لذّة، أو من الطيب، وهو الرائحة الحسنة العطرة؛ لأنّ صاحب هذا المقام يجد فيه مطلوبه الروحانيّ من الجناب الربّانيّ، كما يجد رائحة المسك من غير رويَّة له، والرائحة أثر من آثار الشيء يتكيَّف بها الهواء كما تتكيَّف الروح بالآثار الطبيعيّة والعنصريّة، قال الشاعر:

إنَّ آثارنـا تـدلّ علينـا   فـانظروا بعـدنا إلى الآثـار

وقوله (وأَنْ): بفتح الهمزة مثل أنّ الأولى معطوفة عليها مع مدخولها. (عِزَّة): بكسر العين المهملة وبالزاي، ضدّ الذلّة، أي: لا اعتزاز. (بعد عَزَّة): بفتح العين المهملة وبالزاي، اسم علم للمحبوبة المشهورة. كناية عن المحبوبة الحقيقيّة التي أشار إليها في هذه الأبيات. يعني: بعد الاعتزاز بها والافتخار بالانتماء إلى محبَّتها، والانتماء إلى معرفتها؛ فإنّها العِزّ كلَّ العِزِّ للعبد السالك في الدنيا والآخرة. قال

---

(١) هو محمّد البكريّ، يرجع نسبه إلى أبي بكر الصدّق رضي الله عنه، لقّب بأبيض الوجه، صاحب المعارف الإلهيّة والحقائق الربّانيّة، له ديوان مشهور. قال المناويّ في الطبقة العاشرة فيمن مات في التسعمئة: محمّد الصديق البكريّ، شيخ الإسلام، علم الحرمين ومصر والشام. أخذ علوم الشرع والتصوّف عن أبيه شيخ الإسلام أبي الحسن. وتفقّه على الشهاب عميرة البرلسي. كان فصيح اللسان، له دروس في التفسير وصحيح البخاريّ والتصوّف، يعلو مجلسه الوقار والسكينة؛ فلا لغو، ولا لغط، ولا غيبة؛ وإنّما الفوائد العلميّة فقط. أعقب أربعة أبناء، وهم: أبو المواهب وأبو السرور وتاج العارفين وزين العابدين جدّ صديق النابلسيّ زين العابدين ومضيفه في رحلته. انظر الحقيقة والمجاز في رحلة الشام والحجاز ص١٩٤ و١٩٥.

الشيخ - يعني المصنِّف العارف الكامل شرف الدين عمر بن الفارض قدّس الله سرّه - عملتُ هذه الأبيات الثلاثة ـ التي سيذكرها ـ بعدما فرغتُ من نظم القصيدة التي تليها، أي: تلي هذه القصيدة التائيّة الصغرى. (وهي): أي تلك القصيدة التي فَرَغَ منها، ثمّ نَظَمَ هذه الأبيات اسمها نَظْم السلوك، بتسمية النبي صلّى الله عليه وسلَّم لها بذلك في الواقعة كما قدّمناه في شرح الديباجة، فمن أراد أنْ يصلها، أي: يصل هذه الأبيات الثلاثة بها، أي بهذه التائيّة الصغرى التي فرغنا هنا من شرحها فليقل بعدها، أي :بعد تمام أبياته.

١٠١ - سَلَامٌ عَلَى تِلْكَ المَعَاهِدِ مِنْ فَتَىً ... عَلَى حِفْظِ عَهْدِ العامريّةِ مَا فَتِي

نكَّر السلام للتعظيم. وقوله (على تلك المعاهد): إشارة إلى ما تقدّم من حضرات الحقيقة المحمّديّة. (والمعاهد): جمع معهد، وهو المنزل المعهود به الشيء؛ فإنّ عهد الربوبيّة أخذ على الذرّات البشريّة حين أُخرجتْ من ظهر آدم عليه السلام يوم الميثاق. قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ الآية [٧/ الأعراف/ ١٧٢] والحقيقة [٩٥/ ب] الآدميّة من الحقيقة المحمّديّة النوريّة الأصليّة التي هي أول خلق الله . وقوله (مِنْ فتىً): يعني نفسه. والفتي الشاب السخيّ الكريم، من الفتوّة الجامعة لمكارم الأخلاق بطريق الميراث للمقام المحمّديّ الذي قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [٦٨/ القلم/ ٤] . وقال هو عليه السلام: «بعُثْتُ لأُتمم مكارم الأخلاق»[1] وقوله (على حفظ عهد العامريّة): هي المحبوبة المنسوبة إلى بني عامر، القبيلة المعروفة، كناية عن المحبوبة الحقيقيّة المشار إليها فيما سبق من الأبيات بنحو ذلك. وقوله (ما فتي): أي ما برح وما زال. يعني: هو مقيم على ذلك العهد.

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه على الصحيحين، باب: ذكر أخبار سيد المرسلين، وخاتم النبيّين، ٤٢٢١. هذا صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

١٠٢- أَعِدْ عِنْدَ سَمْعِي شَادِيَ القَوْمِ ذِكْرَ مَنْ بِهِجْرَانِهَا وَالوَصْلِ جَادَتْ وَضَنَّتِ

(أعِدْ): فعل أمر من الإعادة، وهي تكرار الشيء. وقوله (عند سمعي): أي بحيث أسمع ذلك. وقوله (شادي القوم): أي يا شادي القوم. والشادي بالشين المعجمة والدال: المغني. والقوم كناية عن جماعة العارفين. ومغنِّيهم هو الذي ينشدهم كلام العارفين بربِّهم على معنى العلوم الإلهيّة، والمعارف الكشفيّة، والحقائق اليقينيّة. وقوله (ذكر): مفعول أعدْ. يعني: كرره حتى أسمعه سمع الامتثال المشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾[٨/ الأنفال/ ٢١]. وقوله (مَن): أي التي؛ كناية عن المحبوبة الحقيقيّة. (بهجرانها): أي إعراضها عنّي. (والوصل): أي وصلها لي؛ فالهجران إرخاء حجاب الغفلة، والوصل كشف ذلك الحجاب باليقظة من نوم تلك الغفلة. (جادت): أي سمحت، راجع إلى هجرانها؛ يعني: سمحتْ بهجرانها. (وضَنَّتْ): بالضاد المعجمة، أي: بخلت، راجع إلى الوصل.

١٠٣- تُضَمِّنُهُ مَا قُلتُ والسُّكْرُ مُعْلِنٌ لِسِرِّي وما أخْفَتْ بِصَحْوي سَرِيرَتي

جملة (تُضَمِّنُهُ): من الفعل والفاعل؛ وهو الضمير المستتر، والمفعول؛ وهو الضمير البارز: في محل نصب حال من شادي القوم في البيت قبله. ومعنى تضمّنه تجعل في ضمنه؛ أي: ضمن ذلك المحبوبة الحقيقيّة. (ما قلتُ): أي المعنى الذي قلته في أبيات القصيدة التي تقدَّمتْ، فقد طلب من الشادي المذكور إنشاد الكلام بالمعنى؛ لأنّه المقصود عند العارفين كيفما كانت الألفاظ غزليّة، أو رياضيّة، أو في صف الأطلال، أو مديح الرجال، أوغير ذلك مما يحمل المعاني الإلهيّة وقال: في سمع أهل هذه الطائفة العليّة. ثمّ قال: (والسُّكرُ) أي: الغيبة بالاستغراق في مطالعة التجلِّيات الإلهيّة في الصور الكونيّة، بحيث تغيب عنه الغيريَّة بالكلِّيَّة،

وتحضر عنده الأفعال الربّانيّة. وقوله (مُعْلِنٌ): أي كاشف. (لِسرِّي): أي لما أخفيه وأكتمه في قلبي من المحبّة الإلهيّة والأشواق. وقوله (وما): معطوف على سِرِّي الذي [ما]، أو أمر عظيم. (أَخْفَتْ): أي أخفته، صلة الموصول، أو صفة النكرة. وقوله (بصَحْوِي): أي بسبب صحوي من ذلك السُّكْر المذكور؛ يعني: في وقت صحوي. (سريرتي) فاعل أخفت، والسريرة: هي ما يُكْتم، قال في القاموس: «السِّرُّ ما يُكْتم». والله أعلم وأحكم.

❊

كشف السر الغامض
شرح ديوان ابن الفارض

تأليف الشيخ

عبد الغني النابلسي

الكتاب الثاني

قدم له

الدكتور بكري علاء الدين

دراسة وتحقيق خالد الزرعي


كشف السر الغامض
شرح ديوان ابن الفارض

عنوان الكتــاب: كشف السر الغامض شرح ديوان ابن الفارض (٢-٤)
اسـم المؤلـف: الشيخ عبد الغني النابلسي
تحقيــــق: خالد الزرعي
الموضـــوع: شعر صوفي
عدد الصفحات: 2190 ص
القيــــاس: 17.5 × 25 سم
الطبعـة الأولى: 1000 / 2017 م - 1438 هـ
ISBN: 978-9933-580-60-5

دار نينوى
للدراسات والنشر والتوزيع

سورية . دمشق . ص ب 4650
تلفاكس: +963 11 2314511
هاتــف: +963 11 2326985

E-mail: info@ninawa.org
ninawa@scs-net.org
www.ninawa.org


دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع


Ayman ghazaly

العمليات الفنية:

التنضيد والتدقيق والإخراج والطباعة - القسم الفني: دار نينوى

عُمَرُ بنُ الفَارِض

هو أبو حفص، أو أبو القاسم، شرف الدين عمر بن علي بن المرشد الحمويّ الأصل، المصريّ المولد، والدار، والوفاة. المعروف بابن الفارض.

ولقد برع ابن الفارض في فنون الشعر، وأوتي حسّاً شعريّاً مرهفاً عالياً، وتمكّناً من نواصي اللّغة، وبراعة في اختيار الألفاظ، وروائع التركيب، وحُسن الصورة وإبداعها. وكان يمتلك حسّاً نقدياً متميّزاً تمكن فيه من الحكم بين الشعراء لمّا احتكموا إليه.

يقول خير الدين الزركلي في ترجمة ابن الفارض في كتابه الأعلام معرّفاً به: «أشعر المتصوّفين، يُلقّب بسلطان العاشقين، في شعره فلسفة تتصل بها يسمّى وحدة الوجود».

اعتنى ابن الفارض في ديوانه بعلوم البلاغة؛ بيانها وبديعها، لكنّه ساقها ببراعة الفنّان ومقدرة الشعراء الكبار، حتّى إنّه يبدو للوهلة الأولى كأنّما كان يسوقها عفو الخاطر.

إنّ ابن الفارض في حبه الإلهيّ، يصور أطوار المحبّة الإلهيّة، ويكتشف عجائب الحبّ، وحقائق المعرفة، ويتذوّق عطاءات التجلّيات.

الشيخ عبد الغني النابلسي

الشيخ عبد الغنيّ النابلسيّ، واحد من أولئك الذين لهم تأثيرهم الكبير في الأمّة في عصره وفي العصور اللاحقة؛ ذلك أنّه عالم غزير العلم متنوّعه، فهو مجموعة موسوعات علميّة متعدّدة الجوانب، فإضافة لكونه صوفيّاً هو أكبر شارح للتصوّف، وباعه في الحديث كبير. كذلك هو فقيه حنفيّ يُعتمد رأيه، ويُقرّ اجتهاده. وهو شاعر مكثر، له أربعة دواوين، أكبرها وأهمّها ديوان الحقائق. وهو ناظم كبير لا يعلم عدد أبيات نظمه إلّا الله. وهو مؤرِّخ فذّ لرحلاته التي قام بها إلى بغداد وطرابلس الشام، وبلاد الشام ومصر والحجاز. ويكتسب النابلسيّ رتبة مؤرّخ لوصفه الدقيق كلّ أشكال الحياة الموجودة في عصره بدقّة متناهية، فهو يصف البلدة التي ينزل بها، وأولياءها، وعلماءها، ورجالها، ومساجدها، والدروس، والمجالس، وحياتها العلميّة، والاجتماعيّة؛ فيعطينا صورة واضحة يندر وجودها في المصادر الأخرى لتلك الفترة التاريخيّة التي شحّت أخبار الحياة العلميّة بمثلها.

نَظْمُ السُّلوك
((التائية الكبرى))
سقتني حميا الحب

[الطويل]

وقال الشيخ رضي الله تعالى عنه وقدّس سرّه العزيز:

١ - سَقَتْني حُمَيّا الحبّ راحةُ مُقْلَتِي وَكَأْسِي مُحَيّا مَن عَنِ الحُسْنِ جَلَّتِ

(سقتني حُميّا): أي خمرة. مفعول سقتني. (الحبّ): بضمٍّ الحاء المهملة. بمعنى المحبَّة. وقوله (راحة): أي كفّ. (مقلتي): بمعنى عيني التي أنظر بها. والمقلة في الأصل كما قال في القاموس: «شَحْمَةُ العينِ التي تَجمع البياض والسواد والحدقة. وجمعها: مُقَل، كَصُرَد». شبّه عينه الباصرة بكفٍّ سقته خمرة المحبَّة، فلمّا شربها بيد عينه سرت في عروقه وأعضائه. والخمرة من شأنها السُّكْر، وهو الغيبة عمّا هو سوى المحبوب. وراحته الّتي هي كفّه لم تسقه خمرة المحبّة الإلهيّة إلّا لأنها يده التي قال صلَّى الله عليه وسلَّم في حديث المتقرِّب بالنوافل: «كنت يده التي يبطش بها»[1] الحديث؛ فالساقي هو الحقُّ تعالى كما قال: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [٧٦/ الإنسان/ ٢٢]. وقوله (وكأسي): الكأس هو القدح المملوء من الشراب. يعني: الذي شربت به تلك الخمرة هو في يدي/ [٩٦/ أ] وهو(محيّا): أي وجه. (مَنْ): بفتح الميم، أي: المحبوبة الحقيقيّة التي (عن الحُسْن جَلَّتِ): أي عظُمَت وتنزَّهَت عن الاتِّصاف به؛ لأنَّ لها الجمال من قوله عليه السلام: «إنَّ الله جميل يحبُّ الجمال»[2].

---

(١) انظر تخريجه ص١٤٦.

(٢) انظر تخريجه ص٣٢٧.

والحُسْن هو أثر الجمال؛ فالجمال ما كان بالذّات، والحُسْن ما كان بالعَرَض، وكون وجه هذه المحبوبة كأسه إشارة إلى ما ورد بأنّ الله تعالى كتب الحُسْن على كلِّ شيْ، وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [٣٢/ السجدة/ ٧]. والحُسْن أثر الجمال، والجمال للوجه الإلهيّ الذي قال تعالى فيه: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [٢/ البقرة/ ١١٥] وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [٢٨/ القصص/ ٨٨] وقال: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ٢٦-٢٧].

٢- فَأَوْهَمْتُ صَحْبِي أَنَّ شُرْبَ شَرَابِهِمْ بِــهِ سُرَّ سِرِّي فِي انْتِــشَائِي بِنَظْــرَتِي

(فأوهمتُ صحبي): أي أوقعتهم في الوهم من عدم فهمهم حالي، وما أنا فيه من شهود الوجه الحقّ في كلِّ شيء ولاشيء؛ لأنَّ كلَّ شيء فانٍ هالكٌ وليس له إلّا الوجه الواحد الحقُّ، وما سواه باطل، قال تعالى: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [١٦/ الإسراء/ ٨١] وقال صلّى الله عليه وسلَّم: «أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد: ألا كلُّ ما خلا الله باطل»[1]. قوله (صحبي): أي مَنْ يصحبني من الناس وأراه ويراني في غالب الأوقات؛ فإنّ عندهم في شهودهم جميع الأشياء موجودات بالوجود الذي استفادته من توجّه أمر الله تعالى عليها بقوله: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [٢/ البقرة/ ١١٧] كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَـٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [١٦/ النحل/ ٤٠]. وهذا النظر حظّ العقل من الإدراك، وعليه تبنّى العقلاء جميع ما يدركونه من المحسوسات والمعقولات. وهو كذلك لا شُبهة فيه عند النظر العقليّ، وقد وفّى العقل ما عليه من الإدراك بمقدار طاقته وقدرته. والتكاليف الشرعيّة كلّها متوجِّهة عليه بسبب نظره ذلك؛ فإذا تحقّق العاقل للبيت، وفتح على قلبه القريب المجيب، وعرف ربّه، وتحقَّق قربه، صار له في مقام العرفان رتبة، وانكشف له أنّ في الغيب وجوداً حقّاً، وقَيُّوماً صدقاً، وهو الوجود الحقيقيّ،

---

(١) انظر تخريجه ص٤٠٢.

وظهر له أنّ كلّ وجود بالنسبة إلى وجوده عدم، وهي الحوادث، كلّها سواء، وما هناك غير الوجود الواحد الذي له القدم؛ فيرسخ في شهود ذلك الوجود الحقّ ويصير له فيه أرسخ قدم، ويغيب عن مدركات العقلاء بشهود عرفانه، في مقام كامل إيمانه. ويسمِّي تلك الغيبة عنده سُكْراً بشراب المحبّة الإلهيّة؛ فيقع الوهم عند أصحابه أنّه سكر بما يسكروا به من معاني تلك الأعيان الكونيّة لوقوع نظرهما معاً في منظور واحد. وهيهات هيهات أنْ يتساوى الفاقد بالواجد؛ فإنّ شراب الغافلين أعيان الحوادث الفانية، وشراب العارفين أعيان التجلّيات الإلهيّة الباقية.
وقوله (به): أي بشرب شرابهم. (سُرَّ): بضمِّ السين المهملة وتشديد الراء، فعل ماض مبني للمفعول. و(سِرِّي): بكسر السين المهملة، نائب الفاعل، وأصل السرّ: ما يُكْتَم. والمراد به هنا الخاطر والبال، أي: صار مسروراً بما هم مسرورون به، وذلك توهُّم منهم. وقوله (في انتشائي): أي سُكْري، قال في القاموس: «نَشَا نُشْوَةً، مثلَّثة: سَكِرَ، كانْتَشَى وتَنَشَّى» انتهى.

فمصدر انْتَشَى انْتِشَاءً. والجار والمجرور متعلّق بقوله سُرَّ. وقوله (بنظرتي): متعلِّق بانْتِشَائِي، أوبقوله فأَوْهَمْتُ.

٣- وَبِالْـحَدَقِ اسْتَغْنَيْتُ عَنْ قَدَحِيْ وَمِنْ　　شَـمَائِلِهَا لَا مِـنْ شَـمُوْلِيَ نَـشْوَتِي

(وَبِالْـحَدَقِ): محرَّكاً جمع حَدَقَة، قال في القاموس: «الحَدَقَةُ مُحَرَّكة: سواد العين كالحُنْدُوْقَةِ والحِنْدِيْقَة، جمعها: حَدَق وأَحْدَاق وحِدَاق». أراد أحداق المحبوبة: يعني عيونها السود، كناية عن ظلمات الكائنات؛ فإنّ النور الحقّ من ورائها كما قال: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾ [٨٥/ البروج/ ٢٠] وقال:/ [٩٦/ ب] ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىۡءٍ مُّحِيطُۢ﴾ [٤١/ فصّلت/ ٥٤]. وقوله (استغنيت عن قدحي): والقَدَح بالتحريك: آنية تروي الرجلين، أو اسم يجمع الصغار والكبار، وجمعه أقداح، كذا في القاموس. أشار بالقَدَح هنا إلى ما تقدّم في البيت الأوّل من قوله وكأسي محيًّا ...إلى آخره؛ فإنّه بعدما أخبر أنّ كأسه وجه الحقّ في كلِّ شيء كما قدَّمنا ـ وهي حالة السالك في

بداية أمره ـ لدخوله في حضرة الفناء عن كلِّ شيء، وتحقُّقه بالوجود الواحد الحقّ نور السموات والأرض انتقل إلى شهود أعيان الكائنات التي هي ظلمات سود؛ فسمَّاها أحداقاً لذلك النور الذي وراءها، فاستغنى بهذه الأحداق عن ذلك الكأس الذي سماه قدحاً، وهو مقام جمع الجمع بعد مقام الجمع. ثمّ قال (ومن شمائلها): أي المحبوبة الحقيقيّة، والحضرة العليّة، وهي جمع شِمال، قال في القاموس: «الشِّمال: الطَّبْع، وجمعه: شمائل» انتهى. والمراد الخلق. يعني: أخلاقها كناية عن صفاتها وأسمائها الحسنى كما قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٨٠]، أي: توجَّهوا إليه في حوائجكم وأنتم قائمون بها لا بأنفسكم، فمن قام بها غاب عن قيامه بنفسه فسكر بها، فكان سُكره بأسماء هذه المحبوبة الحقيقيّة، كما قال (ومن شَمائلها لا من شَمُولِي نَشْوتي): أي سكرتي من أسمائها الحسنى وصفاتها. (لا من شمولي): أي خمرتي النفسانيّة. و(الشَّمُول): بالفتح الخمرة.

٤ - فَفِي حَانِ سُكْرِي حَانَ شُكْرِي لِفِتْيَةٍ   بِهِمْ تَمَّ لِي كَتْمُ الهَوَى مَعَ شُهْرَتِي

الحَانِيَّة: بالحاء المهملة الخَمْرة. و(الحَان): موضع بيعها، كذا في القاموس. يُقال: حانة أيضاً. فقوله (حان سكري): أي حانة سكري. كناية عن مجلس الذكر الإلهيّ. وقوله (حان) قال في القاموس: «حان يحين قرُب»[1]. و(الشكر): هو الثناء الجميل. (لفتية): جمع فتى، وهو الموصوف بالفتوّة. كناية عن مشايخه العارفين بربِّهم، أصحاب الأخلاق المحمّديّة. ثمّ قال (بهم): أي بسببهم. (تمّ): أي كمل كتمي، أي: سِتري. (الهوى): أي المحبّة الإلهيّة الحقيقيّة؛ بحيث تحقّقت بحقائق الوجود، ولزمت معاني المعرفة والشهود، فجهلت أحوالي أهل العقول، وخفي عنهم معنى القرب والوصول، فتمّ لي الكتم والاستتار، مع حصول الإفشاء والاشتهار. وهذه طريقة الصادقين في مقامات المعرفة واليقين.

---

(١): العبارة من المصباح المنير.

٥- وَلَـمَّا انقَضَى صَحْوِي تَقَاضَيْتُ وَصْلَهَا   وَلَـمْ يَغْشَنِي فِي بَسْطِهَا قَبْضُ خَشْيَةِ

(ولـمّـا انقضى): أي زال، قال في القاموس: «تَقَضَّى: فَنِيَ وانصرم كانقضى **(صحوي)**: أي إفاقتي من سُكْر الغيب المطلق المشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [١٦/ النحل/ ٧٨]: أي شيؤوا بمشيئته الأزليّة، وهو نكرة في سياق النفي فلها العموم؛ وذلك لاستغراقهم بصفة العلم في الاسم الذاتيّ الذي هو الله ، والله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [٤٢/ الشورى/ ١١] وهو سكر الغيب المطلق، وهي: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [٣٠/ الروم/ ٣٠]. والصحو من هذا السكر الذاتيّ بسريان صفة العلم في حضرات الأسماء الإلهيّة، والصفات الرّبّانيّة، وتلك الحضرات هي المسماة بالآثار الكونيّة، والأغيار الإمكانيّة؛ لأنّه لا صحو إلّا بعد سُكْر، كما أنّه لا سكر إلّا بعد صحو، والسكر الذاتيّ الذي ذكرناه كان بعد صحو الميثاق في عهد الربوبيّة المأخوذ على الذرّ في قوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [٧/ الأعراف / ١٧٢] فإنّهم ما قالوا بلى إلّا وهم صحاة بالصحو الأسمائي والصفاتي، ثمّ سكروا بعده بالسكر الذاتيّ كما ذكرنا، وكانوا قبل هذا الصحو الميثاقيّ في سكون ذاتيّ بعد صحو أسمائي صفاتي؛ هو عين هذا الصحو الدنيويّ الذي ذكره الناظم هنا، وهذا دور لا يزال إلى الأبد على مقتضى ما هو ثابت في حضرة العلم القديم، وهي حضرة العلم الإلهيّ كما قال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ [ي٨/ الرعد/ ١٣] وقال: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا /[٩٧/ أ] خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [١٥/الحجر/ ٢١] وهذا من فيض للوقت لم أجد من صرّح به من أهل الله . ومعنى قوله **(انقضى صحوي)**: أي رجعت إلى السكر الذاتيّ الذي قبله. وقوله **(تقاضيت)**: أي استوفيت، قال في القاموس: «تقاضاه الدَّين: قبضه». **(وصلها)**: مفعول تقاضيت، أي: استوفيت وصل هذه المحبوبة، أي: كمال القرب إليها لزوال المانع، وهو الغيريّة بزوال الصحو. وقوله **(ولم يَغْشَني)**: من غَشِيَه الأمرُ،

بالغين المعجمة والشين المعجمة، أي: أصابه ودهمه. وقوله (**في بسطها**): أي بسط هذه المحبوبة لي، والبسط صحوٌ من سكر. وقوله (**قبض**): فاعل يغشني. (**خَشيةٍ**): مضاف إليه، والخَشْيَة خوف الإجلال، أي: من إجلاله وهيبته خشية. والخوف يكون من العقاب، وهذا الفرق بينهما، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [٣٥/ فاطر/٢٨] فالخشية للعلماء بالله، والخوف للعوام.

٦- وَأَبْثَثْتُهَا مَا بِي وَلَمْ يَكُ حَاضِرِي رَقِيبٌ بَقَا حَظٍّ بِخَلْوَةِ جَلْوَتِي

(**وأَبْثَثْتُها**): من بَثَثْتُكَ السِرَّ، وأَبْثَثْتُكَ: أَظْهَرْتُه لك، كذا في القاموس. والضمير للمحبوبة. وقوله (**ما بي**): أي الذي بي؛ وهو سرّه، وما يقاسيه في طريق محبّتها. وقوله (**ولم يكُ**): أي يكن، وحذْفُ النون لغة معروفة. وقوله (**حاضري**): أي حاضراً عندي في ذلك المقام. (**رقيب**): اسم يكُ، و(حاضري): خبرها منصوب بفتحة مقدّرة على ما قبل ياء المتكلِّم. وقوله (**بقا حظّ**): بإضافة البقاء ـ وهو ضدّ الفناء والزوال ـ إلى الحظّ بالحاء المهملة والظاء المعجمة، وهو حظّ النفس، أي غرضها، وقصدها، وحيث زالت النفس، وخمدت سَوْرَتُها: زالت حظوظها، وجعل حظَّ النفس رقيباً؛ لأنّه يتوسّط بين المحبّ والمحبوب، ويفسد الخلوة بينهما، فلا خلوة مع الرقيب. وقوله (**بخلوة**): بالخاء المعجمة، متعلِّق بأبثثتها. والباء بمعنى في. و(جَلْوَة): بالجيم مضاف إليه، قال في القاموس: «جلا العروس على بعلها جَلوة وتثلّث. وجِلَاءُ، ككِتاب. واجْتَلَاهَا عَرَضَهَا عليه مَجْلُوَّةً».

٧- وَقُلْتُ وَحَالِي بِالصَّبَابَةِ شَاهِدٌ وَوَجْدِي بِهَا مَاحِيَّ وَالفَقْدُ مُثْبِتِي

(**وحالي**): الواو للحال، وحالي مبتدأ، و(شاهد): خبره. وأشار بحاله إلى ما يظهر عليه من آثار المحبّة، كالنحول، والبكاء، والتأوّه، ونحو ذلك. وقوله (بالصبابة): متعلّق بشاهد. والصَّبَابَة: الشوق، أو رِقَّتُه، أو رِقَّة الهوى، كذا في القاموس. وقوله (ووجدي): قال في القاموس: «وَجَدَ به وَجْداً: في الحبّ فقط ،

وكذا في الحزن لكن بكسر ماضيه». وقوله (بها): متعلّق بوجدي. والضمير للمحبوبة، أوللصبابة. وقوله (ماحيَّ): بتشديد الياء؛ فإنّ ماحي اسم فاعل من المحوِ، ضدّ الإثبات، مضافاً إلى ياء المتكلِّم. يعني: حيث اعتراني الوجد بالمحبوبة حصل لي المحو والفناء فيها من كلّ ما سواها. وقوله (والفقد): أي حيث تعتريني الغفلة عنها فأفقدها فذلك (مُثبتي): أي جاعلني ثابتاً عند نفسي، والثُّبُوت: ضدّ النفي؛ ولهذا قابله بالفقد، قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ [١٤/ابراهيم/٢٧] وهو أمره القديم؛ فهو ثابت عند نفسه، وليس بموجود؛ لأنّ الوجود يقابله العدم، والعوالم في نظر المحقِّقين ثابته. يعني: ليست بمنفيّة، ولكنها غير موجودة؛ فهي معدومة ثابتة لا معدومة منفيّة.

٨- هَبِي قَبْلَ يُفْنِي الحُبُّ مِنِّي بَقِيَّةً أَرَاكِ بِهَا لِي نَظْرَةَ المُتَلَفِّتِ

(هَبي): بفتح الهاء، فعل أمر، خطاب للمحبوبة، من وَهَبَ يَهَبُ هِبَةً، وهي العطيّة. وقوله (قبل يُفْنِي): أي أن يفنى، على معنى قبل إفناء (الحبّ) أي: المحبّة منِّي (بقيّة): مفعول يُفني، ثمّ وصفت تلك البقيّة بقوله (أراكِ): بكسر الكاف خطاب للمحبوبة. وقوله (بها): أي بتلك البقيّة /[٩٧/ب] وهي بقيّة النفس التي يكون بها راءٍ ومرئيٌّ؛ إذْ لو زالت لم يبقَ هناك راءٍ ولا مرئيٌّ؛ فإنّ شرط الرؤية أن تحصل بين راءٍ ومرئيٍّ، فإذا زال الرائي بالتحقُّق في مقام الفناء في وحدة الوجود لم يبقَ رائياً؛ فلم تفِ رؤية، فلم يبقَ مرئيّاً. وقوله (لي): الجار والمجرور متعلِّقان بِهَبي، أو بواجب الحذف، صفة لبقيّة. وقوله تعالى: ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾ [١١/هود/٨٦]، أي: البقيّة التي بالله لا بالنفس، وهي المطلوبة هنا، وذلك صفة أهل الجنّة؛ فإنّهم بها يأكلون ويشربون في الجنّة، وبها ينكحون ويتنعَّمون، وبها يرون ربّهم، ولا يزيلها إلّا غلبة المحبّة عليهم في مقام الفناء بالاتِّحاد عند رؤيتهم ربّهم، ومشاهدة جماله المطلق، كما أشار إلى ذلك الشيخ الناظم لبدء الأمالي في

عقيدته المشهورة حيث قال:

فينســـــسَوْن النعــــــيم إذا رأوه فيـــا خـــسران أهـــل الاعتـــزالِ

وذلك لإنكار أهل الاعتزال رؤية الربِّ تعالى في الآخرة فيُحَرَّمونها. وقوله (نَظرة المتلفّت): أي الذي يتلفَّت يميناً وشمالاً؛ فإنّ نَظرته قليلة. يعني: المتلفِّت من طرف الرائي؛ وهو العبد، بقرينة قوله (أراكِ بها): إذْ التلفت من صفات العبد، وهو مستحيل في حقِّ الربّ تعالى، ويجوز أنْ تكون نظرة المتلفِّت من طرف الرّبِّ تعالى المكنّى عنه بالحضرة الربوبيّة المحبوبة للعبد على طريقة الاستعارة المكنيّة. والمعنى: هبي لي نظرة منك، أي: انظري إليّ نظرةً مقدار نظرة المتلفّت قبل أن يُفني حبّك بقيةً مني أراكِ بها؛ فإنّ رؤيتي لك مظهر رؤيتك لي من حيث أنا رؤية تنزيليّة كباقي الصفات من قوله: «ينزل ربّنا...»[1] الحديث، ونحو ذلك. ورؤيتك لي من حيث أنت رؤية قديمة أزليّة؛ فإنّه تعالى كما قال: ﴿بِكُلِّ شَىۡءٍ مُّحِيطُۢ﴾ [٥٤/ فصِّلَت/ ٤١] فإحاطته بكلِّ شيء من جهتين، من جهته تعالى، ومن جهة كلّ شيء، فله تعالى مرتبة التنزّه من حيث هو، ومرتبة التنزّل من حيث كلّ شيء. وإلى مرتبة التنزّل أشار تعالى بقوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [٥٤/ القمر/ ٤٩] برفع كلّ كما قُرِئ[2] فيما أشار إليه العلماء.

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ، كتاب التهجّد، باب: ما جاء في الدعاء،٥٠٢، عن أبي هريرة، أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: ينزل ربّنا تبارك وتعالى كلّ ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخرفيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له. كذلك أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التهجّد، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل، ١١٤٥.

(٢) يعتمد الشيخ هنا الرفع مع أنّ الجمهور قرأها بالنصب كما قال القرطبي: قرأها العامّة بالنصب، وقرأ أبو السَّمَّال بالرفع. وذهب الشيخ محمّد علي طه الدّرّة إلى أنّ القراءة بالرفع شاذّة. انظر تفسير القرطبي، وتفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه للشيخ محمّد علي طه الدرّة لهذه الآية الكريمة.

٩- وَمُنِّي عَلَى سَمْعِي بِلَنْ إنْ مَنَعْتِ أَنْ   أَرَاكِ فَمِـنْ قَـبْلِي لِغَـيْرِيَ لَـذّتِ

(ومُنِّي): معطوف على هَبِي، وهو بتشديد النون وضمِّ الميم، فعل أمر من المَنّ، قال في القاموس: «مَنَّ عليه مَنّاً: أَنْعَمَ، واصْطَنَعَ عنده صنيعةً» قال تعالى: ﴿ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ﴾ [٤٩/ الحجرات/ ١٧] ومن أسمائه تعالى المنّان. وقوله (على سمعي): متعلّق بمُنِّي، والخطاب للمحبوبة. كناية عن الحضرة الربّانيّة؛ فإنّه تنزّل من طلب الرؤية في مقام بقيّة الله كما ذكرنا من حضرة الميراث المحمّدي إلى طلب سماع الكلام الربّاني في مقام تلك البقيّة المذكورة من حضرة الميراث الموسوي؛ فإنّ الرؤية والسماع كلاهما لا يكونان إلّا في تجلّي الاسم الربّ تعالى من جهة كلّ شيء في مقام التنزّل، قال تعالى في الرؤية: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [٧٥/ القيامة/ ٢١-٢٢] وقال في طلب موسى عليه السلام للرؤية من المقام المحمّدي وهو ليس مقام ﴿رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٤٣] وفي الحديث: «إنّكم سترون ربّكم»[1] وقال تعالى في السماع: ﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٤٣]. وأمّا قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [٤/ النساء / ١٦٤] بذكر الاسم الجامع؛ فهو في مقابلة قولهم: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ ﴾ [٢/ البقرة/ ٥٥] وربّما أنهم لو قالوا: حتى نرى ربّنا لرأوه؛ ولكنهم لم يعرفوا الفرق بين الاسم، الله، الجامع لجميع الأسماء، وبين الاسم الربّ الذي ينزل كلّ ليلة إلى سماء الدنيا كما ورد في الحديث، فأخبرهم تعالى أنّه كلّم موسى عليه السلام من حيث الاسم الجامع الذي طلبوا رؤيته فصُعِقوا ليعلموا ثبات موسى عليه السلام ويتحقّقوا صدقه. وقوله (بلن): الجار والمجرور/ [٩٨/ أ] متعلّقان بمُنِّي. يعني: لن تراني الذي خاطب تعالى به موسى عليه السلام. ثمّ قال(إنْ مَنَعتِ أنْ أراكِ): وأتى بأَنْ لعدم تتحقُّق المنع. والمعنى: إنْ وقع منكِ المنع للرؤية فَمُنِّي عليَّ بالسماع ولو كان

(١)انظر تخريجه ص٢٧٠.

سماع قولكِ لن تراني. وقوله (فمِنْ قَبلي لِغَيري): وهو موسى عليه السلام. (للَّذتِ): بتشديد الذال المعجمة، أي: صارت كلمة لن تراني منكِ له لذيذة عنده فعساها تكون لي منك فتصير لذيذة عندي أيضاً من مقام الميراث الموسوي.

١٠ - فَعِنْدِي لِسُكْرِي فَاقَةٌ لإِفَاقَةٍ لَهَا كَبِدِي لَوْلَا الهَوَى لَمْ تُفَتَّتِ

(فعندي): خبر مقدّم. وقوله (فاقة): مبتدأ مؤخر. والفاقة: الفقر والحاجة. وقوله (لسُكْري): الجار والمجرور صفة لفاقة، أي: فاقة كائنة لسُكْري، وهو الاستغراق في المحبّة الإلهيّة، أي: أنا مفتقر، محتاج للاستغراق في المحبّة ، وهو الصعق الموسوي، وهو قوله تعالى له بعد طلب الرؤية: ﴿لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ﴾ أي: من عدمه الأصلي. ﴿فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗا﴾ [٧/ الأعراف/ ١٤٣]. وقوله (لإفاقة): أي لأجل إفاقة موجودة عندي، وهي ضدّ السُّكْر بمعنى الصحو، وهي الإفاقة الأولى قبل السُّكْر في حال البداية العشقيّة؛ ولهذا وصفها بقوله (لها): أي لأجل تلك الإفاقة. (كبدي لولا الهوى لم تُفَتَّتِ): بتشديد التاء المثنّاة الفوقيّة، أي: لم تتقطّع لولا المحبّة؛ فإنّ العاشق إذا أفاق من عشقٍ وجدِ ألمِ العشق، وقاسى شدائده، فإذا غاب واستغرقه الحبّ اشتغل سرّه باللذائذ الروحانيّة، ولم يشعر بآلامه الجسمانيّة.

١١ - وَلَوْ أَنَّ مَا بِي بِالجِبَالِ وَكَانَ طُوْ رُ سِيْنَا بِهَا قَبْلَ التَّجَلِّي لَدُكَّتِ

(ولو أنَّ ما): أي هذا الأمر العظيم الذي (بي): أي قائم بي من الشوق والحنين والحزن والغرام. (بالجبال): أي بجميع جبال الدنيا، جمع جبل. (وكان): أي والحال أنَّ. (طور سيناء): وُجِد. (بها): أي في جملة تلك الجبال كلّها. وقوله (قبل التجلِّي): أي قبل وقوع التجلِّي من الربِّ تعالى على طور سيناء. و(الطُّور): بالضمِّ: الجبل، وجبل قرب أَيْلَة يضاف إلى سِيناء وسِينِين، وجبل بالشام. وقيل هو المضاف

إلى سيناء، وجبل بالقدس عن يمين المسجد، وآخر عن قِبلته، به قبر هارون عليه السلام، وجبل برأس العين، وآخر مطلّ على طبريّة كذا في القاموس. والمراد هنا جبل أَيْلَة. وأيلة بلاد بين ينبع ومصر، وهو الجبل المشهور بطور سِيناء، وطور سِينين. وتفتح، وتكسر سينه المهملة، وهو الذي كلَّم عليه موسى عليه السلام ربّه تعالى. وقوله (لَدُكَّتِ): جواب لو. ودُكَّتِ: بضمِّ الدال المهملة وتشديد الكاف وبتاء التثنية الساكنة المكسورة للقافية، والضمير للجبال. والمعنى: لو تحمَّلت الجبال كلِّها- ومن جملتها جبل طور سيناء قبل أنْ يتجلَّى عليه الربّ فيجعله دكاً كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [٧/ الأعراف/ ١٤٣] الآية - ما بي من الآلام والشدايد التي أقاسيها في المحبّة والعشق لدُكَّت تلك الجبال كلُّها واندرست. قال في القاموس: «الدَّكُّ: الدَّقُّ والهدم» وذلك لقوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ﴾ وهي دوام الصدق في العبوديّة:﴿ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا﴾ أي: امتنعن من حملها لضعفهِنَّ عنها ﴿وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾ أي: حَذِرْنَ. يقال: أَشْفَقَ، وشَفَقَ: حَاذَر، أو لا يُقال: إلّا أشفق، كذا في القاموس. ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ [٣٣/ الأحزاب/ ٧٢] فثبت؛ إنّ الإنسان أقوى من الجبال في حمل ما يقاسيه؛ فإنّ طور سيناء ما دُكَّ إلّا بعد التجلِّي كما هو صريح الآية.

١٢- هَوىً عَبْرَةٌ نَمَّتْ بِهِ وَجَوىً نَمَتْ بِـــهِ حُـــرَقٌ أَدْوَاؤُهَـــا بِيَ أَوْدَتِ

(هَوَىً): بالتنوين، نكرة للتعظيم، وهو بدل من ما في قوله (ما بي) في البيت الذي قبله/ [٩٨/ ب] أو خبرمبتدأ محذوف تقديره هو هوىً، قال في القاموس: «الهَوَى بالقصر: العِشْقُ، يكون في الخير والشر وإرادة النفس». وقوله (عَبْرة): بفتح العين المهملة وسكون الباء الموحّدة، وهي الدمعة قبل أن تفيض، أو تَرَدُّد البكاء في الصدر، أو الحُزْن بلا بكاء، كذا في القاموس. (نمّت): بتشديد الميم، من النميمة، وهي إشاعة الحديث، نَمَّ يَنِمُّ فهو نَمُوم ونَمّام. وقوله (به): أي بذلك

الهوى؛ فَعَبْرَة مبتدأ، وساغ الابتداء بالنكرة لإرادة القليل كقوله تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [٩/ التوبة/ ٧٢] فكيف بالكثير من ذلك. وجملة نمَّتْ به خبر المبتدأ، وجملة المبتدأ والخبر صفة هوى. يعني: مدامع العيون كشفت سرّ ذلك الهوى المصون. وقوله (وجَوًى): معطوف على هَوًى، والجوى بالجيم هو الهوى الباطن، والحزن، والحُرقة، وشِدّة الوجد، كذا في القاموس. (نَمَت): بفتح الميم، أي: زادت، يقال: نَمَا يَنْمُو نُمُوّاً: زاد به، أي: بسببه .(حُرَق): بضمٍّ الحاء المهملة وفتح الراء، جمع حَرْقَة، قال في القاموس: «في جوفه حَرقة، وتضمّ، وحَرِيقَة: حرارة. والحُرقة بالضمّ: اسم من الاحتراق كالحريق». وهو فاعل نمّت. وقوله (أدواؤها): أي أدواء تلك الحُرَق، جمع دواء، هو المرض. (بي): متعلّق بـ (أَوْدَتِ): أي لا بغيري، أي: أهلكت، قال في القاموس: «أودى هلك ، وأودى به الموت ذهب». وفاعل أودت ضمير يعود إلى أدوائها.

١٣- فَطُوْفَانُ نُوْحٍ عِنْدَ نَوْحِي كَأَدْمُعِي وَإِيْقَادِ نِيْرَانِ الخَلِيْلِ كَلَوْعَتِي

(طوفان): مبتدأ مضاف إلى نوح النبيّ عليه السلام، وهو الماء الذي كانت أمواجه تلاطم السحاب، عمّ الدنيا، وقال في القاموس: «والطُّوفان بالضمّ: المَطَر الغالب، والماء الغالب يَغْشى كلَّ شيء، والسيل المُغْرِق». وقوله (عند نَوحي): من ناح الرجل: بكى واستبكى غيره. وقوله (كان معي): جار ومجرور، خبر طوفان. و(إيقاد): مبتدأ، أي: اشتعال، مضاف إلى (نيران): جمع نار. (الخليل): إبراهيم عليه السلام. وقوله (كلوعتي): الجار والمجرور خبر المبتدأ. وقال في القاموس: «اللَّوْعَة حُرْقَةٌ في القلب، وألم من حبّ، أو همٍّ، أو مرضٍ. ولَاعَهُ الحبّ: أَمْرَضَهُ». وهذا من الناظم على وجه المبالغة في الكلام، وكذلك أمثاله، والمبالغة ادّعاء المتكلِّم حقيقة كلامه، لا الحكم منه بحقيقة كلامه؛ وبذلك يفرِّق بينها وبين الكذب، وهي من المحسِّنات المعنويّة المقبولة في الكلام. وقالوا خير الكلام ما بولغ فيه.

١٤- وَلَـوْلَا زَفِـيْرِي أَغْرَقَتْنِـي أَدْمُعُـي وَلَـوْلَا دُمُـوعِي أَحْرَقَتْنِـي زَفْـرَتِي

(لولا زفيري): بالزاي والفاء، زَفِرَ يَزْفِر زَفْراً وزَفِيْراً: أَخْرَج نَفَسَه بعد مدِّهِ إيَّاه، كذا في القاموس؛ والمراد لولا تنفسّه الحار من شدّة العشق. وقوله (أغرقتني): جواب لولا. وأدمعي فاعل أغرقتني، وكذلك قوله في عكس ذلك. (ولولا دموع أحرقتني زفرتي): وهي فعل مرّة من الزفير الذي هو تنفسه الحار.

١٥- وحُـزْنِي مـا يَعْقُـوبُ بَـثَّ أَقَلَّـهُ وَكُـلُّ بَـلا أيـوبَ بَعْـضُ بَلِيَّتِـي

(وحزني ما): أي حزن عظيم. (يعقوب):النبيّ عليه السلام. (بثّ): فعل ماض من بَثَّ الخبر: نَشَرَهُ وفرَّقَه، وبَثَثْتُكَ السِّرَّ وَأَبْثَثْتُكَ: أَظْهَرْتُهُ لك، والبَثُّ: الحال، وأشدُّ الحُزْن، كذا في القاموس. قال تعالى حكاية عن يعقوب عليه السلام: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [١٢/يوسف/٨٦] وكان يجلس على الطريق، ويشكو حاله لكلِّ من يمر به، فقال ذلك حين قالوا له: ﴿تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا﴾ أي: ذائباً من العِشق، أو الحُزن، أو مشرفاً على الهلاك، والمضنى مرضاً وسقماً، أشار إليه في القاموس.﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ﴾ [١٢/يوسف/٨٥]. وقوله (أَقَلَّهُ): مفعول بثَّ، والضمير لحزني؛ لقدرته عليه السلام على الكتم من قوة النبوّة دون غيره وإنْ اشتركا في التعلُّق بالجناب الإلهيّ في/[٩٩/أ] المظهر الكونيّ؛ فإنَّ قوله فيما حكاه تعالى عنه من قوله: ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [١٢/يوسف/٨٤] فعيل صيغة مبالغة من الكظم، قال في القاموس: «كَظَمَ غَيْظَهُ يَكْظِمُه: رَدَّه، وحبسه». وأشار إلى تعلّقه بمظهريّة يوسف عليهما السلام، وبقيّة المظاهر بقوله: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [١٢/يوسف/٨٦] وهو الاسم الجامع لتجلّيات الأسماء المختلفة الآثار، ثمّ قال: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من ذلك. وقوله (وكلّ بَلا أيوب): النبيّ عليه السلام. (بعض

بليّتي): يعني من جهة خطر البلاء لجواز صدور البلاء في الدين كالمعاصي والكفر على غير الأنبياء عليهم السلام، بخلاف الأنبياء فإنّ ذلك يستحيل في حقّهم بعصمتهم من ذلك دون غيرهم فلا يردّ على الناظم قوله صلّى الله عليه وسلّم: «أشدُّ الناس بلاءً الأنبياء ثمَّ الأمثل فالأمثل»[1] ويمكن أنْ يُقال بأنّ الأشديّة من جهة الألم، أو من مخافة التقصير فيما هم بصدده من المخاطبة بالوحي دون غيرهم في الأوامر والنواهي، والتبليغ في حقّ االرسل منهم عليهم السلام، وإنْ قصدت المبالغة في ذلك بطريق الادّعاء دون إرادة معنى ظاهر الكلام كما هو دأب البلغاء فلا إيراد ما، وكذلك إن أريد ما هو أعلى من ذلك؛ وهو التكلُّم عن الحقيقة المحمَّديّة النور الذي هو أول مخلوق كما ورد في الحديث: «أوَّل ما خلق الله نور نبيِّك يا جابر ثمّ خلق منه كذا وكذا...»[2] الحديث في مسند عبد الرزاق وغيره بمعناه؛ فالناظم من جملة من خلق من نوره صلىَّ الله عليه وسلّم. ثمّ بعد اضمحلال الغيريّة عنه بالفناء في المحبّة والعشق تكلَّم على لسان الحقيقة المحمّديّة بطريق الميراث للمقام المحمَّدي كما هو دأبه رضي الله عنه في هذه ا لقصيدة (نظم السلوك) وغيرها كقوله :

لقد خضتُ بحراً دونه وقف الأولى ... بساحله صون لموضع حرمتي[3]

ومن فضل أسارت شرب معاصري ... ومن كان قبلي فالفضائل فضلتي[4]

١٦ - وَآخِرُ مَا أَلْقَى الأُلَى عَشِقُوا إِلَى الـ ... ـرَّدَى بَعْضُ مَا لَاقَيْتُ أَوَّلَ مِـحْنَتِي

(ألقى): فعل ماض، أي: طرح ورمى. **(الأُلى)**: بالضمّ، اسم موصول مبني

---

(١) انظر تخريجه ص ٤١٨.

(٢) انظر تخريجه في ص١٤٤.

(٣) هو البيت رقم ٢٨٨ من قصيدة نظم السلوك، انظر شرحه هناك.

(٤) هو البيت الأخير من قصيدة نظم السلوك رقم ٧٦٢.

مقصور بالألف على وزن الفتى، بمعنى الذين، جمع لا واحد له من لفظه. وجملة (**عشقوا**): صلة الموصول، والعائد الواو. وقوله (**إلى الردى**): متعلّق بألقى. و(**الرَّدى**): بفتح الراء الهلاك، رَدِيَ كرضي رَدَىً: هلك، كذا في القاموس. والمعنى[1]. (**آخر ما**): أي آخر أمرعظيم، أو الأمر العظيم الذي طرح العشّاق في مهاوي الهلاك. (**بعض ما**): أي أمراً، والأمر الذي. (**لاقيتُ**): أي قاسيت ووجدت، من الملاقاة، والضمير محذوف، أي: لاقيته. (**أوّلَ**): بالبناء على الفتح للظرفيّة. (**محنتي**): أي اختياري قال في القاموس: «مَحَنَهُ كمنعه: اخْتبَره كامْتَحَنَه، والاسم المِحْنَة، يريد بذلك العشق والمحبّة الإلهيّة.

١٧- فَلَوْ سَمِعَتْ أُذْنُ الدَّلِيْلِ تَـأَوُّهِي لِآلَامِ أَسْـــقَامٍ بِجِـــسْمِي أَضَرَّتِ

١٨- لأَذْكَرَهُ كَرْبِي أَذَى عَيْشٍ أَزْمَةٍ بِمُنْقَطِعِـي رَكْـبٍ إِذَا العِـيْسُ زُمَّـتِ

أشار بـ(**الدليل**): إلى المرشد الكامل، حقيقة أو وراثة. (**والتأوّه**): قول أوّاه بتشديد الواو، كلمة تقال عند الشكاية أو التوجّع. وقوله (**لآلام**): جمع ألم، وهو الوجع، متعلّق بتأوّهي؛ لأنّه مصدر تأوّه يتأوّه. وقوله (**أسقام**): مضاف إليه، والسُّقم: المرض. (**بجسمي**): متعلّق بـ(**أضرّتِ**): والتاء مكسورة للقافية. وقوله (**لأذكره**): أي أذكر الدليل. (**كَربِي**): فاعل أذكره من شدّة تلك الأسقام. (**أَذَى**): بفتح الهمزة، مصدر أَذِيَ، كَبَقِيَ أَذىً وَتَأَذَّى، والاسم: الأَذِيَّة والأَذَاة؛ وهي المكروه اليسير، كذا في القاموس. وقوله (**عَيش**): أي حياة، أو معيشة، أو ما يعيش به. قال في القاموس: «العَيْشُ الحَيَاة، عاش يَعِيْشُ عَيْشاً ومَعِيشَةً وعِيْشَةً/ [٩٩/ب] بالكسر، والطعام وما يُعَاش به، والخُبْز، والمَعِيْشَة التي تَعِيْش بها من المَطْعَم والمَشْرِبِ وما تكونُ به الحياة، وما يُعاش به أو فيه». و(**الأزمة**): الشدَّة. والمعنى: لأذكره أذيّة العيش الضنك في زمن الشدّة والقحط القائم ذلك

---

(١) لعلّه يوجد هنا كلام سقط من الناسخ عن معنى الردى.

الأذى الشديد. (**بمُنقطِعِي**): أصله منقطعين؛ فحُذفت النون للإضافة إلى ركب، قال في القاموس: «الرَّكْبُ رُكْبَان: الإبل، اسم جَمْع، أو جَمْعٌ، وهم عشرة فصاعداً، وقد يكون للخيل». (**إذا**): بكسر الهمزة ظرف زمان. (**العِيس**): بكسر العين المهملة، الإبل البيض، يخالط بياضها شُقْرة. وقوله (**زُمَّتِ**): بضمّ الزاي وتشديد الميم وكسر التاء للقافية، فعل ماض مبني للمفعول، قال في القاموس: «زَمّه فَانْزَمَّ: شدّه، والزِّمام ككتاب ما يُزَمُّ به، وجمعه: أَزِمَّة. وزَمّ البعير: خَطَمَه». أي: في وقت شدّ زِمام الإبل للسير. والمعنى لَأذكره الكرب الذي أقاسيه من كثرة الآلام والأوجاع في طريق المحبّة؛ الأذى الذي يعهده ذلك الدليل من عيش الشدّة الحاصلة للمنقطعين عن الركب إذا شدّ الركب أزمّة عيسهم وقصدوا السير، فإنّ الضعفاء المنقطعين المشاة ذوي العيش الضنك يجدون حينئذ غاية المشقّة، وزيادة التحيُّر والتلهُّف لفقدهم آلة السير، وعدم الزاد، وكثرة الضعف في أبدانهم، وأحوالهم، وعجزهم عن اللحوق بالركب السائرين إلى ديار الأحبّة.

١٩ - وَقَدْ بَرَّحَ التَبْرِيْحُ بِي وَأَبَادَنِي وَأَبْدَى الضَّنَى مِنِّي خَفِيَّ حَقِيْقَتِي

(**بَرَحَ**): بتشديد الراء، من البَرْح؛ وهو الشدّة، وبَرْحَاً الحمى وغيرها شدّة الأذى، ومنه بَرَّحَ به الأمرُ تَبْرِيْحاً، وتَبَارِيح الشَّوْق: تَوَهُّجُه، كذا في القاموس. (**وأبادني**): أي أهلكني وأفناني، بحيث لم يبقَ مَنِّي ما أعرف نفسي به في الظاهر والباطن. وقوله (**وأبدى**): أي أظهر. (**الضَّنى**): وهو المرض الملازم، قال في القاموس: «ضَنِيَ كرَضِي ضَنَىً مَرِضَ مَرَضاً مُخامِراً كلَّما ظُنَّ بُرْؤُه نُكِسَ». وقوله (**مِنِّي**): أي من ذاتي. (**خَفِيَّ**): مفعول أبدى. و(**حقيقتي**): مضاف إليه، وهي ماهيَّته، ما هو بها هوَ هُوَ، وهي غيره؛ لأنّه حجاب عليها قال الشيخ الأكبر قدَّس الله سرَّه:

حقيقتي هِمت بها وما رآها بصري

ولو رآها لغدا قتيل ذاك الحور

٢٠- فَنَادَمْتُ فِي سُكْرِي النُّحُولَ مَرَاقِبِي   بَجُمْلَـةِ أَسْرَارِي وَتَفْـصِيْلِ سِيْرَتِـي

(نادمتُ): من المنادمة، وهي في الأصل المجالسة على الشرب. قال في القاموس: «نَادَمَه مُنادَمَةً ونِدَاماً: جالسه على الشرب. والمراد هنا المحادثة والمكالمة. وقوله (في سكري): أي في حال سكري. كنَّى بذلك عن الغيبة في شهود المحبوب الحقيقي. وقوله (النُّحُول): بضمٍّ النون، مصدر نَحِل جسمُه كَسَمِع ونَصَر وكَرُم نُحولاً: ذهب من مرض أو سفر، كذا في القاموس بدل من سُكري؛ لأنَّ النُّحُول هو السكر، وهما ذهاب واضمحلال. ويجوز أنْ يكون النَّحُول: بفتح النون، فَعُوْل، صيغة مبالغة نعت لسكري، أي سكر الناحل، أي: المذهب لنفْسي بالكليّة ظاهراً وباطناً بطريق المبالغة، وشرح المنصري على سكر النحول بالإضافة أو بنزع الخافض، أي: سكري من النحول. ثمّ قال: والأوَّل أولى» انتهى. فالمنادمة بسبب السكر ؛ لأنّ السكران لا يفرِّق بين من يخاطب من الناس وكون المنادمة بجملة أسراره من شدّة نحوله فلا يستطيع التكلُّم. وقوله (مراقبي): مفعول نادمت، وهو الذي يراقبني ليكشف عن حقيقة حالي وجليّة أمري، بسبب كثرة التحيُّر في شأنه. وقوله (بجملة أسراري): متعلِّق بنادمت، أي: بطريق الإجمال لأسراري، وهي التي يسرّها في نفسه. (وتفصيل سيرتي): أي بطريق التفصيل لسيرتي، وهي حالته الظاهرة، وأحواله الظاهرة؛ فاطلع مراقبه على طاعاته وعبادته وزهده وصبره وورعه/[١٠٠/ أ] وشكره بالتفصيل، ولم يطلع على أسراره وحقائقه ومعارفه إلّا بطريق الإجمال.

٢١- ظَهَرْتُ لَهُ وَصْفاً وَذاتِيْ بِحَيْثُ لَا   يَرَاهَـا لِبَلْـوَى مِـنْ جَـوَى الحـبّ أَبْلَـتِ

(ظهرتُ له): أي لمراقبي حين نادمته بها نادمته. وقوله (وصفاً): تمييز، أي: من جهة الوصف، فعرف وصفي الظاهر له، وهو تفصيل سيرته الذي نادمه به في سكره .ثمّ قال (وذاتي): بحيث لا يراها. يعني: من شدّة نحوله؛ ففهم منادمته

عنها بطريق الإجمال في إسراره. وقوله (لِبَلْوَى): عِلّة لعدم رؤيته ذاته، أي: بليَّته. ومحنته ناشئة من (جوى): أي حُرقة الحبّ ـ بضمِّ الحاء المهملة ـ بمعنى المحبَّة. (أبلتِ): بسكون التاء، وحُرِّكت بالكسر للقافية. والضمير المستتر راجع إلى قوله لِبَلوى، قال في القاموس: «بَلِيَ الثوبُ كَرَضِي، يَبْلَى بلاء، وأبلاه هو». يعني: هذه البلوى هي التي أبلته ونحلته.

٢٢- فَأَبْدَتْ وَلَمْ يَنْطِقْ لِسَانِي لِسَمْعِهِ هَـواجِسُ نَفْسِي سِرَّ مَا عَنْهُ أَخْفَـتِ

(فأبدت): أي أظهرت وبَيَّنَت. و(هواجسُ): مرفوع لأنّه فاعل أبدت. وقوله (لم يَنْطِق لساني لسمعه): أي سمْع مراقبي في البيت المتقدّم، أي: لم أسمع نطق لساني، و(الهواجس): جمع هاجس، قال في القاموس: «هَجَسَ الشيءَ في صدره يَهْجِس: خطر بباله، أو هو أنْ يُحدِّث نفسَه في صدره، مثل الوَساوس المنبثّة تسمعها ولا تفهمها، وكلّ ما وقع في خلدك». وقوله (سرَّ): مفعول أبدتِ. و (ما): نكرة موصوفة، أي: أمر عظيم، أو موصولة، أي: الأمر الذي (عنه): أي عن مراقبي. (أخفتِ): بكسر التاء للقافية. وفاعل أخفتِ ضمير راجع إلى هواجس. وعائد الموصول محذوف تقديره أخفته. يعني: كلَّمتُ مراقبي بحديث نفسي، وكشفت له عن سرِّ قلبي، ولم أنطق له بلساني؛ وهي طريقة النقشبنديّة اليوم يلزمون السكوت في مجالس مراقبتهم، ويفهمون الكلام النفسي من بعضهم بعضاً، من غير نطق اللسان، ولنا في طريقهم كتاب شرحنا به رسالة لبعض الكاملين منهم، سميناه «مفتاح المعيّة في طريق النقشبنديّة». ومعنى سلسلة طريقهم إلى الصديق الأكبر أبي بكر خليفة رسول الله صلَّى الله علي وسلَّم بنسبة المعاهدة بالتخليق من شيخنا العارف بالله أبي سعيد البلخيّ قدّس الله سرَّه.

٢٣- وَظَلَّتْ لِفِكرِي أُذْنُهُ خَلَدَاً بِهَا يَـدُوْرُ بِـهِ عَـنْ رُؤْيـةِ العَـيْنِ أَغْنَـتِ

(ظلَّت): من أخوات كان، ترفع الاسم؛ وهو (أُذْنُهُ): بضمِّ الهمزة، والضمير راجع إلى مراقبي، أي: أُذْنُ مراقبي قال في القاموس: «الأُذُنُ بالضمّ، وبضمَّتين،

مؤنَّثة». و(خَلَداً): بالتحريك، خبر ظلَّت، والخَلَد: القلب، أي: صارت أُذْنُه قلباً لفكري، أي: لمَا أفكر فيه، ثمّ بيَّن ذلك بقوله (بها): أي بأُذنه لا بغيرها. (يدور): أي يجول ذلك المراقب بأذنه في تقليب أحوالي الباطنيّة والظاهريّة بالإصغاء إلى الكلمات التي تخرج مِنِّي، والتأوّه والأنين والحُرقة. وقوله (به): أي بذلك الدوران (عن رؤية العين): أي عينه، متعلِّق بأغنتِ بكسر التاء للقافية. وفاعل أغنتِ ضمير راجع إلى أُذنه. والمعنى: ظلَّ مراقبي يدور بأذنه في أحوالي وقد صارت أذنه قلباً له يدرك بها ويرى بها، وقد أغنته عن رؤية عينيه.

٢٤- فَأَخْبَرَ مَنْ فِي الحَيِّ عَنِّي ظَاهِراً بِبَاطِنِ أَمْرِي وَهْوَ مِنْ أَهْلِ خِبْرَةِ

(فأخبر): أي مراقبي. (مَن في الحيِّ): وهو البطن من بطون العرب، والمراد هنا أهله وقومه. وقوله (عنِّي): مُتَعلِّق بأخبر. (ظاهراً): أي إخبار ظاهر بلا تكنية ولا رمز. وقوله (بباطن): متعلِّق بأخبر أيضاً. و(أمري): أي شأني وما أنا منطوٍ عليه. و(هو): أي ذلك المراقب المذكور من أهل خبرة. و(الخِبرة): بكسر الخاء المعجمة وضمِّها: الاختبار، وهو العلم بالشيء، وقد خَبُرَ كَكَرُمَ. والمعنى: إنّ ذلك المراقب صرَّح ببواطن أموري وخفايا أسراري عند أهلي وقومي وعشيرتي، ولم يكتم عليّ شيئاً من ذلك، وهو من أهل المعرفة بالأمور، له خبرة وإدراك/ [١٠٠/ ب] بخفايا الأحوال.

٢٥- كَأَنَّ الكِرَامَ الكَاتِبِيْنَ تَنَزَّلُوا عَلَى قَلْبِهِ[1] وَحْياً بِمَا فِيْ صَحِيفَتِي

(الكرام الكاتبين): أي الملائكة الذين يكتبون أعمال العباد وأقوالهم؛ الخير والشرّ. وقوله (تَنَزَّلُوا): بتشديد الزاي، قال في القاموس: «تَنَزَّلَ: نَزَلَ في مهلة». (على قلبه): أي قلب مراقبي المذكور. وقوله (وحياً): تمييز من جهة الوحي، وهو الإشارة، والكتابة، والإلهام، والكلام الخفيّ، وكلّ ما ألقيته إلى غيرك، كذا في القاموس. والمراد الإلهام هنا. (بها): أي بالذي (في صحيفتي): أي بما هو مكتوب فيها من أسراري

(١) في (ق): سمعه.

وبواطن أحوالي. و (الصحيفة): الكتاب. والمعنى: كان الملائكة الحفظة عَلَيَّ ألهموا مراقبي جميع أسراري وما تضمَّنته صحيفتي التي كتبوها في أعمالي وبواطن أحوالي.

٢٦- وَمَا كَانَ يَدرِي مَا أُجِنُّ وَمَا الذِي حَشَايَ مِنَ السِّرِّ المَصُوْنِ أَكَنَّتِ

(وما كان يدري): أي مراقبي المذكور. (ما): أي الذي. (أُجِنُّ): أي أستر وأُخفي ، يقال أَجَنَّه: سَتَرَه، وكلُّ ما سُتِرَ عنك جُنَّ عنك. وجملة أُجِنّ صلة الموصول، والعائد محذوف تقديره أُجِنُّه. وقوله (وما): أي الأمر العظيم. (الذي حَشَايَ): أي باطني وما اشتمل عليه من الكبد، والطحال، والكرش. وما يتبع ذلك. وقوله (من السِّرِّ): بيان لما. (والمصون): نعت للسرّ. وقوله (أَكَنَّتِ): بكسر التاء للقافية، وضمير أكنّتِ يعود على أحشايَ. ومعنى أكنّت سترت.

٢٧-وَكَشْفُ حِجَابِ الجِسْمِ أَبْرَزَ سِرَّ ما بِـهِ كَـانَ مَـسْتُوراً لَـهُ مِـنْ سَرِيـرَتِي

(وكشف حجاب الجسم): أي كشف مراقبي المذكور. (حجابِ الجسم): أي الحجاب الذي هو جسمي بكمال مراقبته لي. وقوله (أبرز): أي أظهر بعد الخفاء، يقال: بَرَزَ بُرُوْزاً إذا ظَهَرَ بعد الخفاء، كذا في القاموس. وقوله (سِرَّ): مفعول أبرز (ما): أي أمر عظيم. (به): بالجسم. (كان): أي ذلك الأمر العظيم مستوراً. وقوله (له): متعلِّق بأبرز. والضمير عائد إلى مراقبي المذكور سابقاً. وقوله (من سريرتي): بيان لما. والمعنى: إنَّ كشفه لحجاب جسمي أظهر له سرَّ أمرٍ عظيم كان مستوراً عنه من سريرتي. والسريرة هي السرّ وهو ما يُكْتَم، والجمع: الأسرار.

٢٨- وَكُنْتُ بِسِرِّي عَنْهُ فِي خُفْيَةٍ وَقَدْ خَفَتْـهُ لِـوَهْنٍ مِـنْ نُحُـولِيَ أَنَّتِـي[1]

(وكنتُ بسرِّي): أي بما أكتمه من أحوالي. (عنه): أي مراقبي المذكور سابقاً. وقوله (في خُفْيَةٍ): أي غير معلوم عنده. (وقد): الواو للحال. و(خَفَتْه): بالخاء المعجمة والفاء، أي: أظهرته، قال في القاموس: «خَفَاهُ يَخْفِيْهِ خَفْياً: أَظْهَرَهُ،

(١) البيت في (ق): «وعنه بسرّي كنت في خفية وقد جفته لوهنٍ من نحولي أنّتي»..

واسْتَخْرَجَهُ». والضمير البارز يعود إلى سرّي. وقوله (لِوَهْنٍ): بسكون الهاء هنا، ويحرّك، أي: لضعف. وقوله من (نحولي): أي ذهابي واضمحلالي من السقم، والجار والمجرور متعلّقان بوهن. و(أَنَّتِي): بتشديد النون، فاعل خَفَتْهُ. والأَنّة: فِعْلُ مرَّة من أَنَّ يَئِنُّ أَنِيْناً: تأوَّه. يعني: أنا كنت سابقاً مخفياً بسرِّي عن مراقبي المذكور، والحال: إنّ أنّتي ـ لضعفي من شدّة النحول والسقم ـ أظهرت سرِّي لمراقبي.

٢٩- فَأَظْهَرَنِي سُقْمٌ بِهِ كُنْتُ خَافِيَاً ... لَـهُ والهَـوَى يَـأْتِي بكُـلِّ غَرِيْبَـةِ

(**فأظهرني**): أي كشف عن حالي وعن عشقي الذي أخفيه. (**سقم**): أي مرض ظاهر عليّ. وقوله (**به**): أي بسبب ذلك السقم كنت خافياً له متعلّق بأظهرني. والضمير لمراقبي وقوله. (**والهوى**): أي الحبّ والعشق. (**يأتي بكلّ غريبة**): أي بكلِّ حالة غريبة، والحالة الغريبة هنا ـ أي سقمه ـ أظهره وأخفاه؛ فقد عمل فيه الضدّين الإظهار والإخفاء، فمن الإخفاء قول البوصيري رحمه الله تعالى:

فكيـفَ تُنْكِـرُ حبّاً بعـد مـا شـهِدتْ ... بـه عليـك عُـدولُ الـدمعِ والـسقمِ

/ [١٠١/ أ] ومن الإخفاء قول المتنبّي:

كَفَـى بجِـسمي نُحُـولاً أنّنـي رَجُـلٌ ... لـولا مُخـاطَبَتِي إيـاكِ لم تَـرَنِي

٣٠- وَأَفْـرَطَ بِي ضُرٌّ تَلَاشَـتْ لِـمَسِّهِ ... أَحَادِيْـثُ نَفْـسٍ كَالمَـدَامِعِ نَمَّـتِ

(**أفرط**): أي زاد وجاوز الحدّ. (بي ضُرٌّ): وهو ضِدُّ النَّفْعِ، ويُضَمُّ، أو بالفتح: مصدر، وبالضمّ اسم، يُقال: ضَرَّهُ وضَرَّ به وأَضَرَّهُ وضَارَّهُ مُضَارَّةً وضِراراً، كذا في القاموس. وقوله (**تلاشت**): صفة ضرّ، ومعنى تلاشتِ فنيت وتفرَّقت كأنّه تفاعل من لا شيء. وقوله (لِمَسِّه): متعلّق بتلاشت، والضمير للضُّرِّ. و(**أحاديث**): فاعل تلاشت. و(نَفْسٍ): مضاف إليه. يعني: ذهبت وفنيت أحاديث نفسه من زيادة الضُّرِّ الذي مسَّه، وألم العشق، وأوجاعه الملازمة له، ثمّ أخبر عن أحاديث نفسه التي ذهبت واضمحلّت من إفراط الضُّرِّ إنّما كانت منه (**كالمدامع**): أي مثل

دموع عينيه. (نَمَّتِ): بتشديد الميم وكسر التاء للقافية. أي: نقلت أخبار عشقه الذي يكتمه، وأحوال غرامه الذي يلزمه، وكون أحاديث نفسه تنمّ عليه مثل دموعِ عينيه، إنّما ذلك بالنسبة إلى مراقبه الذي سبق ذكره، وانطوى في الأبيات المتقدِّمة نشره، وأخبر عنه بأنَّ الكرام الكاتبين كأنّما تنزّلوا على قلبه بإلهام ما في صحيفته من أحوال عشقه وحبّه. ثمّ أخبر هنا بأنّ أحاديث نفسه تلاشت وزالت، وذلك بسبب فناء نفسه، وانمحاق هويته، وطمسه في تجلّيات ربِّه، حيث مسَّه الضرّ، وأفرط به من غلبة الحقِّ بالحقيقة في جذبه. وإذا زالت النفس زالت أحاديثها؛ فإنّه بالبلوى ومسّ الضرّ يسرع تمويت النفوس وتُمِيْثُها[1]، كما قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ [٢١/ الأنبياء/ ٨٣-٨٤] فإنّ حكمة البلوى لتحصيل مقام القربى، وكشف حجاب الأغيار، ومسح الغبار عن عيون الأسرار؛ وهذا معنى الاستجابة له فيما دعا بزوال ما لم يكن، وظهور من لم يزل حيث توجّه إليه وسعى، وبعد ذلك آتاه أهله ومثلهم معهم؛ وهو رجوعه كما كان متحقّقاً بمعرفة ربِّه، وبمعرفة الأكوان من عالم النفوس، وعالم الأرواح، وعالم الأجسام، حتى عالم المثال؛ وهو قوله: ﴿وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ [٢١/ الأنبياء/ ٤١] كما هو عند المحقِّقين من الرجال.

٣١- فَلَوْ هَمَّ مَكْرُوْهُ الرَّدَى بِي لَمَا دَرَى ... مَكَانِي وَمِنْ إِخْفَاءِ حُبِّكِ خُفْيَتِي

(**فلو هَمَّ**): أي توجّه وقصد. (**مكروه الردى**): أي الهلاك. يعني: الردى المكروه الذي تكرهه النفوس. وقوله [بي] متعلّق بِهَمَّ. وقوله (**لَمَا دَرَى مكاني**): وذلك لأنّ حياته بأمر ربّه لا بتوجُّه روحه على قلبه، لانخراق حجبه؛ فهو حيّ بالحياة الربّانيّة، قائم بالروح الآمريّة، على الكشف والمشاهدة وعقد النيّة. و(**الردى**): وهو الهلاك والموت لا يدرك الأرواح الأمريّة؛ وإنّما يدرك الحياة الحيوانيّة بواسطة

---

(١) مَثَّ اليد مسحَها، ومثَّ الشارب أطعمه دسماً، انظر القاموس المحيط، مادّة: مثث.

القوى النفسانيّة، فإذا ارتفعت همّة العارف عن ملاحظة الأغيار، وتقطعت به الأسباب من داخله وخارجه لظهور الواحد القهار لا يموت أبداً، ويبقى بإبقاء الله تعالى له سرمداً؛ وإنّما ينتقل من دار إلى دار، ويتقلّب بأمر الله تعالى في الأطوار والأوطار. فلو همَّ به مكروه الردى لما درى مكانه، ولا عرف مناله ولا إمكانه. وقوله (ومن إخفاء حبّكِ) بكسر الكاف، خطاب للمحبوبة الحقيقيّة، والحضرة المتجلّية عليه بأسمائها الحسنى العليّة، وهو رجوع إلى خطابها، وشكوى نفسه ما قاسته من مصابها، وهذا الجار والمجرور خبر مقدّم لإفادة الحصر. وقوله (خُفْيَتِي): مبتدأ مؤخّر. يعني: ليست خفيتي، أي: اختفائي عن الأغيار كلّها إلّا من سبب إخفاء حبّك عن الأغيار؛ فإنّ الأغيار إذا انقلبت أعياناً، والأعيان عيناً واحدة من قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [٢/ البقرة/ ١١٥] وقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [٢٨/ القصص/ ٨٨] كانت المحبّة كلّها واحدة لعين/ [١٠١/ ب] واحدة من تلك العين الواحدة لنفسها، وفنيت كثرة الأغيار، في حقيقة الوجود الحقّ الواحد، فكانت خفية عند أهل الأوهام بثبوت الأغيار، ناشئة من أخفياء الحبّ عندهم، فلا يعرفون ما هناك، والله ولي التوفيق، والهادي إلى مقام التحقيق.

٣٢- وَمَا بَيْنَ شَوْقٍ وَاشْتِيَاقٍ فَنِيْتُ فِي ... تَوَلٍّ بِحَظْرٍ أَوْ تَجَلٍّ بِحَظْوَةِ

(وما بين شوقٍ): وهو نزاع النفس وحركة الهوى. (واشتياق): وهو زيادة الشوق؛ ولهذا قال الأكابر من المحقّقين: «الشوق يسكن باللقاء، والاشتياق يزيد» ذكره البساطي المالكي[1] في شرحه. (فَنِيْتُ): أي ذهبت إلى ما كنت فيه قبل أنْ أكون، وكان تسبب ذلك الشوق والاشتياق إلى المحبوبة الحقيقيّة. ثمّ قال (في تولٍّ): هو مصدر تولّى عنه: أعرض. يعني: في حالة إعراض من المحبوبة عنّي.

---

(١) محمّد بن أحمد بن عثمان بن نعيم بن مقدم بن محمّد بن حسن بن غانم بن محمّد علي البساطي المالكيّ، قاضي القضاة شمس الدين، توفي بالقاهرة ٧٦٠هـ عن٨٢سنة برع بعلوم المعقول والعربيّة والبيان والحديث والفقه، وله تصانيف في ذلك. انظر الضوء اللامع للسخاوي ج٥ ص٢٠.

(بحَظْرٍ): بالحاء المهملة والظاء المعجمة، أي: منع صادر منها لي. وقوله (أو تجلّ): أي انكشاف بحظوة بالحاء المهملة والظاء المعجمة، قال في القاموس: «الحُظْوَة بالضمّ والكسر: المكانة، والحظ من الرزق». والمعنى: إنّ رجوعه إلى عالم فنائه واضمحلاله حصل في حالتين كانتا تتعاقبان عليه: حالة الإعراض عنه بمنعه عن الشهود، وحالة الإقبال عليه بكشف حقيقة الوجود، والحظوة لديه، بما يمنّ به عليه ويسوقه من النعم إليه. وفي نسخة (بحضرة): بالضاد المعجمة والراء مكان الواو. والمعنى: ذلك التجلّي بحضرة من حضرات الأسماء الإلهيّة.

٣٣- فَلَوْ لِفَنَائِي مِنْ فِنَائِكِ رُدَّ لِي ... فُؤَادِيَ لَمْ يَرْغَبْ إِلَى دَارِغُرْبَةِ

(فَلَوْ لفَنائي): بفتح الفاء، أي: لعدمي الأصلي واضمحلالي. (مِنْ فِنائِكِ): بكسر الفاء وكسر الكاف خطاب للمحبوبة الحقيقيّة، وأصل الفِناء بالكسر ما اتسع من الدار، قال في القاموس: «فِناء الدار كَكِساء: ما اتسع من أمامها» كنّى بذلك عن حضرتها الواسعة. وقوله (رُدَّ): بضمِّ الراء، فعل ماض مبني للمفعول. (لي فؤادي): أي قلبي، نائب فاعل رُدَّ. والمعنى: لو رُدّ لي قلبي من حضرة أسمائك الحسنى لعدمي الأصلي الذي كنت فيه قبل ظهوري بنور وجودك الحقّ الذي هو حضرة الأسماء الحسنى. وقوله (لم يرغب): يعني فؤادي إلى دارغربة؛ فإنّه يصير في عالم الفناء ودار العدم الأصلي في دار غربة؛ لأنّ وطنه الثاني الذي هو حضرة الأسماء الحسنى وطن قديم له، ووطنه الأوّل الذي هو الفناء والعدم بَطُل عنده بسبب وطنه الثاني، والوطن الأصلي يبطل بمثله كما قرره العلماء، فلو رجع إليه كان فيه غريباً مسافراً حتّى ينوي الإقامة فيه فيصير مقيماً، وما ثمّ الآن له إلّا وطن الحضرة الأسمائيّة الإلهيّة الأزليّة، وهي الحضرة العلميّة المحيطة بكلّ شيء، وفي الأثر: «حُبّ الوطن من الإيمان»[1].

---

(١) ذكره العجلونيّ في الكشف، ١١٠٢، وقال: «حبّ الوطن من الإيمان». قال الصغانيّ: موضوع. وردّ القاريّ: قوله ومعناه صحيح بأنّه عجيب.قال: إذ لا تلازم بين حبّ الوطن والإيمان.وقال: وردّ أيضاً بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ﴾ [٤/ النساء/ ٦٦] الآية. بتشديد اللام وكسر التاء الساكنة للقافية، والضمير المؤنّث راجع إلى الأمور المذكورة، أي: ظهرة قليلة، أي: على خلاف ما هي عليه في نفس الأمر من الكثرة، أو العِظَم والشِّدَّة.

٣٤- وعُنْوانُ شَأنِي ما أَبُثُّكِ بَعْضَهُ وَمَا تَحْتَهُ إِظْهَارُهُ فَوْقَ قُدْرَتِي

(وعُنْوان): أي ظاهر، قال في القاموس: «كُلُّ مَا استدللتَ بشيء تُظهره على غيره فعُنوانٌ له، ومنه عُنوان الكتاب». و(الشأن): الأمر. يعني: ظاهر أمري دون باطنه هو (ما): أي أمرعظيم، أو الذي (أَبُثُّكِ): بكسر الكاف خطاب للمحبوبة الحقيقيّة، ومعنى البثُّ بالباء الموحّدة والثاء المثلثة الشكاية. قال تعالى حكاية عن يعقوب عليه السلام: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [١٢/ يوسف/ ٨٦]. وقوله (بعضه): مفعول أبثّكِ، والضمير راجع إلى شأني وما تحته، أي: ذلك البعض، أو تحت شأني، أو تحت عنوان شأني، أي: باطن ذلك العنوان الذي هو الظاهر مما لم أبثّه إظهاره فوق قدرتي، أي: لا [١٠٢/ أ] أقدرعلى بثّه لكثرته، أو لعِظَمِه وشدَّته؛ فلا تحمله العبارة، ولا تفهمه الإشارة.

٣٥- وَأُمْسِكُ[١] عَجزاً عَنْ أُمُورٍ كَثِيْرَةٍ بِنُطْقِيَ لَنْ تُحْصَى وَلَوْ قُلْتُ قَلَّتِ

(وأمسك): أي أمنع نفسي عن البيان. (عجزاً): تمييز، أي: من جهة العجز لا غيره عن أمور تتعلّق بأُمْسِك. و(كثيرة): صفة لأمور. يعني: أتركُ شكوى أمور كثيرة وقعت لي في طريق المحبّة عجزاً مِنِّي عن بيانها؛ لأنّها أمور ذوقيّة لا يعرفها إلّا مَنْ ذاقها، قال الشاعر:

لا يعرفُ الشوقَ إلّا مَنْ يكابِدُهُ ولا الصَّبابةَ إلّا مَنْ يُعانيها

واختصره بعضهم:

لا يعرف الشوق إلّا ولا الصبابة إلّا

وقوله (بنطقي): متعلّق بقوله (لن تُحصي): بضمّ التاء المثنّاة الفوقيّة مبنياً للمفعول، أي: لا يمكن عدّها بنطقي، أي: بتكلّمي ولو قلتُ، أي: نطقتُ بها، وتكلّمت. (قَلَّتِ): بتشديد اللام، وكسر التاء الساكنة للقافية. والضمير المؤنث

(١) في (ق): وأسكتُ.

راجع إلى الأمور المذكورة. أي: ظهرت قليلة، أي: على خلاف ما هي عليه في نفس الأمر [كذا] من الكسرة أو العِظَم والشِّدة.

٣٦- شِفَائِي أَشْفَى بَلْ قَضَى الوَجْدُ أَنْ قَضَى وَبَرْدُ غَلِيلِي وَاجِدٌ حَرَّ غُلَّتِي

(**شِفائي**) بكسر الشين المعجمة، وهو الدواء والبُرْء. وقوله (**أشفى**): أي زال منه الشفاء؛ فالهمزة للسلب، أي: هو صورة شفائه في الظاهر، وفي نفس الأمر ليس بشفاء؛ بل هو هلاك. وقوله (**بَلْ**): حرف إضراب عن قوله أشفى. و(**قضى**): أي حكم. (**الوجد**): أي الحبّ والعشق. (**أن قضى**): أي مات، والضمير راجع إلى شفائي. (**وبرد غليلي**): الغليل بالغين المعجمة، حرارة الحبّ والحزن. (**واجد**): اسم فاعل من وجد يجد. (**حَرَّ**) ضدّ برد. (**غُلَّتي**): والغلّة بضمّ الغين المعجمة وتشديد اللام: العطش، أو شِدَّتُه، أو حرارة الجوف، كذا في القاموس. يعني: إنّ حرارة المحبَّة والعِشق حيث بردت منِّي؛ فَبَرَدَ غليلي بلقاء المحبوبة؛ فهو بَرْدٌ لغليلي في الظاهرة صورة، وذلك البَرْدُ في باطن الأمر عين حرارة الغُلَّة، أي: الحُرقة، وزيادة العطش، وشدّته، كما قال الشاعر:

أعانقُهُ والنفسُ بعدُ مَشوقةٌ إليه وهل بعدَ العناقِ تداني

وألثمُ فاكِ تزولُ حرارتي فيشتدُّ ما عِندي من الهيمان

وأقسم لا تنفكُّ نار صبابتي سوى أن ترى الروحان يمتزجان

٣٧- وَبَالِي أَبْلَى مِنْ ثِيَابِ تَجَلُّدِي بَلِ الذَّاتُ فِي الأَعْدَامِ نِيْطَتْ بِلَذَّتِي

(**وبالي**): أي حالي. قال في القاموس: «البال الحال والخاطر والقلب». وقوله (**أبلى**): من بَلِيَ الثوبُ، كرَضِيَ، يَبْلَى بَلاءً. وقوله (**من ثياب تجلُّدي**): أي الثياب التي هي تجلّدي، ثمّ أضرب عن ذلك بقوله (**بل الذات**): أي ذاتيّ. (**في الأَعْدَام**): أي الفناء والاضمحلال. (**نِيطَتْ**): أي عُلِّقتْ، قال في القاموس: «ناطَه نوْطاً: عَلَّقه، وانْتَاطَ: تَعَلَّقَ». وقوله (**بِلَذَّتِي**): متعلّق بنيطت. يعني: إنَّ ذاتيّ تعلّقتْ بلذَّتي في الأَعْدَام؛ فانعدمت لذّتي أوَّلاً، ثمّ انعدمت ذاتي بعدها.

٣٨- فَلَـوْ كُوشِـفَ العُـوَّادُ وتَحَقَّقُـوا مِـنَ اللَّـوْحِ مَـا مِنِّـي الـصَّبَابَةُ أَبْقَـتِ
٣٩- لَـمَا شَاهَدَتْ مِنِّي بَصَائِرُهُم سِوَى تَـخَلُّلِ رُوْحٍ بَـيْنَ أَثْـوَابِ مَيِّـتِ

(**فلو كوشف**): قال في القاموس: «الكَشْفُ كالضَّرْبُ، والمُكَاشَفَة: الإظهار، ورَفْعُ شيءٍ عمّا يواريه ويغطّيه، كالتكشيف». كنّى به عن رفع الحجاب. و(**العُوّاد**): جمع عائد/ [١٠٢/ ب] وهو الذي يزورالمريض. (بي): الجار والمجرور متعلّقان بكوشف، أي: لو كشف الله تعالى لعُوَّادي الذين يزوروني وأنا مريض حجابهم، وتحقّقوا من اللوح المحفوظ أحوالي المقدّرة فيه عليّ مما هو في الماضي والحال والاستقبال. وقوله (ما): مفعول تحقَّقوا، أي: أمراً عظيماً، أو الأمر الذي. (**منّي**): متعلّق بأبقتِ. (**والصَّبَابَةُ**): مبتدأ، وهي زيادة المحبّة والعشق. و(**أبقت**): فعل ماض، والتاء ساكنة، وكسرها للقافية. والجملة خبر المبتدأ. والعائد محذوف إن قدرت. (ما): موصولة. والمعنى: لو تحقَّقوا ما أبقته الصبابة منِّي. وقوله (**لما شاهدت**): هذا جواب لو. و(**مِنّي**): متعلّق بشاهدت. و(**بصائرهم**): جمع بَصيرة، فاعل شاهدت، وهي نظر القلب. (وسوى): بمعنى غير، مفعول شاهدَتْ. والمعنى: لمّا رأت عيون قلوبهم فضلاً عن عيون وجوههم من جميع أحوالي غير (**تَخَلُّلِ**): مصدر تَخَلَّلَ الشيءَ: نَفَذَ فيه. (روح): أي سريانها من غير نفس مدبرة. وقوله (**بين أثواب**): كنّى بالأثواب ـ جمع ثوب ـ عن الجسد وتوابعه من الأعضاء الظاهرة والباطنة؛ لأنّه يستر سريان الروح كما تسترالأثواب الجسد الإنساني. ثمّ أضاف الأثواب إلى (مَيِّتِ): بتشديد الياء التحتيّة، ضدّ حيّ؛ فيقال: مَيْت، بالسكون، ومَيِّت؛ بالتشديد، لغتان، قال في القاموس: «مَيْت ومَيِّت ضدّ حَيّ». وهذا هو الموت الاختياري الذي ورد في الأثر: «موتوا قبل أنْ تموتوا»[1] وهو

---

(١) انظر تخريجه ص٢٨٢.

موت النفس المُدبِّرة؛ فلا يبقى في الجسد غير توجه الروح الآمر في يدبِّره بقوله تعالى: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ﴾ [٣٢/ السجدة/ ٥].

٤٠ - وَمُنْذُ عَفَا رَسْمِي وَهِمْتُ وَهَمْتُ فِي ... وُجُودِي فَلَمْ تَظْفَر بِكَوْنِيَ فِكْرَتِي

(مُنذُ): اسم بسيط، مبني على الضم، مبتدأ، وما تعدّه خبره، ومعناه الأمر في الحاضر، وأوّل المدة في الماضي. وقوله (عفا): أي اندرس وانمحى. (رسمي): أي أثري وشخصي، قال في القاموس: «الرسم الأثر، أو بَقِيَّتُهُ، أو ما لا شخصَ له من الأثار». (وهِمْتُ) الواو حرف عطف، و(هِمْتُ): معطوف على عفا، وهو من هَامَ يَهِيم هُياماً، والهُيام: الجنون من العشق. وقوله (وَهَمْتُ): من الوَهْمِ، وهو من خَطَرَاتِ القَلْب وَوَهِمَ في الحساب، كَوَجِلَ: غَلِطَ، وفي الشيءِ كوَعَدَ: ذَهَبَ وَهْمُهُ إليه. وتَوَهَّمَ: ظَنَّ، كذا في القاموس. وقوله (في وجودي): أي دخل منِّي الوَهْمُ في وجودي الذي أنا ظاهر به لي مع تحقُّقي بالوجود الحقّ الواحد الأحد. ثمّ بين تَوَهُّمَهُ في وجوده بقوله (فلم تظفر): ظَفِر به كفَرِح، وجده. وقوله (بكوني): أي بتكويني وإيجادي. (فكرتي): فاعل تظفروا. والمعنى: إنِّي لَمّا انمحت رسوم ذاتيّ بمعرفة الوجود الحقّ، وتحقّقي به سرحت فكرتي في وجودي الذي هو كناية عن ايجاد الله تعالى لي؛ فأنا موجود، بصيغة اسم مفعول، أي: واقع على إيجاد الله تعالى، لا أنا وجود؛ فإنّ الوجود حقيقة الحقّ تعالى وحده، وهذا معنى وحدة الوجود، والعوالم كلّها بإيجاد الله تعالى موجودات، والإيجاد معنى مصدر له أثر ظاهر، يقال له موجودات بصيغة اسم المفعول، ولا يقال للوجود الحقّ تعالى موجود بصيغة اسم المفعول؛ لأنّه تعالى ليس بإيجاد غيره. ومن قال عنه تعالى موجود بنفسه، فكأنه يقول: إنّه أوجد نفسه، فإنّ صيغة موجود تقتضي وقوع الإيجاد عليه، فإذا كان إيجاده من نفسه لزم تقدّمه على نفسه، وهو محال أنْ يتقدّم الشيء على نفسه، ولعدم السماع في ذلك. ولا يقال له تعالى وجود أيضاً لعدم السماع؛ ولكن معناه صحيح لأنّه بمعنى ينبوع الإيجادات للموجودات كلّها؛

فكلّ موجود له إيجاد منه، أي: فعل؛ فمن [١٠٣/ أ] تحقّق بوجود نفسه علم إيجاد الله تعالى له، وعرف أنّه موجود بإيجادٍ هو فعل الله تعالى. وعرف أنّه لا وجود له، وأنّ الوجود كلّه للحقّ تعالى لا لغيره، وأنّ الوجود واحد قديم أزلي، وليس إيجاد الله تعالى للأشياء الموجودات كما ذكرنا بتقييم وجوده على الأشياء، ولا بتولدها منه؛ وإنّما ذلك بطريق التجلّي والظهور، كما قال سبحانه: ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [٣٩/الزمر/ ٦٩] وقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [٢٤/النور/ ٣٥] أي: منوِّرهما بنوره، ونوره وجوده؛ لأنّه يجعل المعدومات موجودات، كما أنّ النور يجعل الظلمات منيرات، والذوق يكشف ما لا يكشف العلم.

٤١- وبَعْدُ فَحَالِي فِيْكِ قَامَتْ بِنَفْسِهَا وَبَيِّنَتِــي فِي سَــبْقِ رُوْحِــي بَنِيَّتِــي

(وبعد): ظرف مبني على الضم لقطعه عن الإضافة لفظاً، ونيَّة معنى المضاف إليه. يعني: بعد ما تقدّم من شكايات الأحوال، فحالي الآن (فيكِ): بكسر الكاف، خطاب للمحبوبة الحقيقيّة. وقوله (قامت بنفسها): وذلك لأنّي رجعت إلى العدم الأصلي، المكشوف عنه بالعلم القديم الأزلي؛ لأنّ العلم صفة تكشف عن المعلومات على ما هي عليه، وتحيط بها إحاطة واحدة من غير زيادة علم بمعلوم دون معلوم، ولا فرق عندها بين موجود ومعدوم، فحال الذي انكشف بالعلم القديم الإلهي هو حالي الذي تخصص بالإرادة القديمة، الأزليّة، وهو حالي الذي أظهرته القدرة القديمة، هو حالي الذي تكوَّن بالأمر القديم المترجم عنه بكن فيكون. فإذا تحقَّق العارف بالوجود القديم، والإيجاد الحادث انكشف له حاله المعدوم بالعدم الأصلي؛ فوجد حاله قائماً بنفسه، لا بمعنى أنّه موجود بنفسه؛ وإنّما معنى قيامه بنفسه أنّه على ما هو عليه في نفسه، وهو معدوم بعدمه الأصليّ، والوجود الحقّ تعالى بأسمائه الحسنى متوجِّه عليه بعلمه، وإرادته، وقدرته، وأمره، وباقي فروع أسمائه. وهو على ما هو عليه؛ فيظهر بها، ويبطن بها، ثمّ يظهر بها، ولا يظلم ربّك أحداً. وقوله (وبيِّنتي): أي شهودي وحجَّتي فيما قلته من قيامي

بنفسي، وهو سبق روحي قبل تكوُّن جسدي؛ فإنّها كانت قائمة من غير جسد، كما ورد في الحديث: «إنّ الله خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام»[1]. وقوله (بَنِيَّتِي): أي بدني وجسدي؛ فإنّه متأخِّر عن روحي بسبب أنّه ينمو ويتجدد ثمّ يفنى ويزول، والروح على ماهي عليه. فلولا قيام الروح بنفسها بأمر الله تعالى على طبق قيامها بنفسها في عدمها الأصلي لأنّها مخلوقة كسائر المخلوقات لما كانت قبل الجسد، وما بقيت بعده، والبَنِيَّة المذكورة تفنى وتزول كما كانت قبل تعلق الروح بها.

٤٢- وَلَمْ أَحْكِ فِي حُبِّيْكِ حَالِي تَبَـرُّماً بِهَا لِاضْطِرَابٍ بَلْ لِتَنْفِيسِ كُرْبَتِي

(ولم أحكِ): من الحكاية. (في حُبِّيكِ): بكسر الكاف، خطاب للمحبوبة، أي: في حُبِّي إيَّاكِ، أي: محبَّتي لك. (حالي): مفعول أحكي. وقوله (تبرماً): أي سآمة، وتضجُّراً، ومللاً. (بها): أي بحالي التي حكيتها في طريق محبَّتي. ثمّ قال (الاضطراب): أي الجزع وقلَّة الصبر. (بل لتنفيس): أي تفريج. (كُرْبتي): بضمّ الكاف، هي الحزن يأخذ النفَس؛ وذلك لأنّ العارف المحبّ الإلهيّ إذا تحقَّق بمعرفة نفسه ومعرفة ربِّه تمتلئ حقيقته بما ينافي بشريّته من الأحوال؛ فيشتدُّ عليه أمره؛ فيسلِّي نفسه بشرح حاله نظماً ونثراً ليخفِّف عليه ما يجده من ذلك./ [١٠٣/ ب].

٤٣- وَيَحْسُنُ إِظْهَارُ التَّجَلُّد للعِدى وَيَقْبُحُ غَيْرُ العَجْزِ عِنْدَ الأَحِبَّةِ

(ويحسن إظهار التجلّد): أي الشدّة والقوّة. من تجلَّد: إذا تكلَّف ذلك. (للعدى): أي المعادين له حذر الشماتة به، كما قال صلَّى الله عليه وسلَّم: «رحم الله امرأً أظهر الجَلَادَةَ من نفسه في هذا اليوم»[2] وكانت الصحابة حين دخلوا مكة أصابتهم الحمّى فقال المشركون: أصابتهم حمّى بيثرب. فأمرهم النبيّ صلى الله عليه وسلَّم أنْ يتبختروا في الطواف، وهو الرَّمَل فيه، فبقي سُنَّة في الثلاثة أشواط

---

(١) انظر تخريجه ص٣٨٧.

(٢) ذكره الماوردي في الحاوي في فقه الشافعي، باب عمرة القضاء، ج١ ص٥٧.

الأُوْلى [إلى] يوم القيامة؛ وهو مما زال سببه وبقي حكمه، كما قال الشاعر :

وتجلُّدي للشامتين أريهم ... أنّي لريب الدهر لا أتضعضعُ[1]

وقوله (**ويقبح غير العجز**): وهو إظهار القوّة والقدرة. (**عند الأحبّة**): أي في وقت ملاقاتهم، لأنّهم يرأفون ويشفقون على من يحبّهم، فيحسن إظهار التضاعف لهم، وشكوى الحال إليهم، كما قال الشاعر:

ولا بدّ من شكوى إلى ذي مروءة ... يواسيك أو يسليك أو يتوجّع

وهذه من أخلاق الرجال، وهي الطريقة المسلوكة بين أهل الكمال خصوصاً للمحبّ الذي هو ذو الإكرام والجلال.

٤٤- وَيَمْنَعُنِيْ شَكْوَايَ حُسْنُ تَصَبُّرِي ... وَإِنْ أَشْكُ لِلأَعْدَاءِ مَا بِيَ أَشْكَتِ[2]

(**ويمنعني شكواي**): مفعول يمنعني، وحُسْنُ فاعل يمنعني. و(**تصبُّري**): أي تكلُّفي الصبر. وقوله (**وإنْ أشكُ للأعداء ما بي**): من مصائب المحبّة والعشق لَأصابها الكرب الشديد، والألم الفظيع من سماع ذلك. (**فأشكت**) من كثرة أوجاعها بسماع ذلك ، فضلاً عن مقاساته .

٤٥- وَعُقْبَى اصْطِبَارِي فِي هَوَاكِ حَمِيْدَةٌ ... عَلَيكِ وَلكِنْ عَنْكِ غَيْرُ حَمِيْدَةِ

(**وعقبى اصطباري**): أي جزاؤه، قال في القاموس: «العُقْبَى: جَزَاء الأمرِ، وَأَعْقَبَهُ: جازاه». و(**الاصطبار**): مبالغة في الصبر، وهو نقيض الجزع. وقوله (**في هواكِ**): بكسر الكاف، خطاب للمحبوبة الحقيقيّة. و(**حميدة**): بمعنى محمودة. وقوله (**عليكِ**): بكسر الكاف أيضاً، أي: على ما تفعلين بي. يعني: عاقبة تكلّفي للصبر على الهجر، والجفاء، ومقاساة الآلام والأوجاع في طريق المحبّة والعشق عاقبة حميدة، وجزاء محمود. وقوله (**ولكنْ**): بسكون النون، حرف استدراك.

---

(١) لأبي ذؤيب الهذلي، انظر المفضليّات للضبّي، ج١ ص٤٢٢.

(٢) الشطرة الثانية في (ق): «ولو أشكُ ما بي للأعادي لأشكتِ».

(عنكِ): بكسر الكاف أيضاً، أي: عقبى اصطباري عنكِ، أي: حبس نفسي عن طلب رؤيتكِ والاجتماع بكِ، بحيث أصبر عن ذلك فلا أطلبه عقبى (غير حميدة): أي ما هي محمود عندي، ولا عند غيري من المحبِّين. وفي نسخة (وأمّا عنكِ) موضع (ولكن عنكِ).

٤٦- وَكُلُّ أَذىً فِي الحبّ مِنْكِ إذَا بَدَا جَعَلْتُ لَهُ شُكْرِي مَكَانَ شَكِيَّتِي

(وكلّ أذى في الحبّ): أي في المحبّة والعشق. (منكِ): بكسر الكاف خطاب للمحبوبة الحقيقيّة، هو متعلِّق بقوله (بدا): أي ظهر لي. وقدّم الجارّ والمجرور لإفادة الحصر، أي: بدا منكِ لامن غيرك. وقوله (جعلتُ له شكري): على ذلك حيث كان له حِكَم وأسرار في علمك القديم وإن خفي ذلك عن علمي الحادث؛ وهو نعمة منك عليّ، وشكر النعمة واجب. وقوله (مكان شكيّتي): أي فلا أشكو من ذلك؛ وإنّما أشكر عليه، قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [٢/ البقرة/ ٢١٦] وقال تعالى: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾ [٤/ النساء/ ١٩].

٤٧- ومَا حَلَّ بِي مِن مِحْنَةٍ فَهْي مِنْحَةٌ وَقَدْ سَلِمَتْ مِن حَلِّ عَقْدِ عَزِيْمَتِي

(وما): أي أمر عظيم. (حلّ): أي نزل بي. وقوله (من محنة): أي بليّة، بيان لما. وقوله [١٠٤/ أ] (فهي): أي تلك المِحْنَة. (مِنْحَة): أي عطيّة عظُمت منك لي. وقوله (وقد سلمت): الواو للحال. و(من حلّ): أي انفكاك. (عقد): أي عهد بيننا. و(عزيمتي): فاعل سَلِمت. يعني: إنني واجد كلّ مِحنة وبَليّة تصيبني منكِ في طريق هواكِ منحة، وعطيّة، ونعمة منك عليّ. وتنكير كلٍّ منهما للتعظيم، وذلك كأين منّي حال كون عزيمتي سالمة من حلّ عقدها وانفكاكها عن طلبك، والرغبة في لقائك. والعزيمة: مصدر عَزَمَ على الأمرِ يَعْزِمُ: أراد فعلَهُ، وقطع عليه، أوجدّ في الأمر، كذا في القاموس. ويجوز أن يكون فاعل سلمت ضمير راجع إلى المحنة. يعني: حال كون تلك المحنة والبليّة سالمة من أن تحلّ عقد عزيمتي في طريق المحبّة

والعشق وتوجّب تركي لسلوك طريق الشوق والغرام، والوجد والهُيام.

٤٨ - نَعَمْ وَتَبَارِيحُ الصَّبَابَةِ إنْ عَدَتْ عَلَيَّ مِنَ النَّعْمَاءِ فِي الحبّ عُدَّتِ

(نعم): كلمة جواب، وضعت للتصديق والتحقيق. ومعناها في هذا الموضع تحقيق ما تقدّم من الكلام في مقام الصبر والشكر، وهي في محلّ خبر المبتدأ، أي: ما مضى من القول محقّق مقدّر. (التباريح): جمع تبريح من قولهم بَرَّحَ به الأمرُ تَبْرِيْحاً وبَرْحاً الحمّى وغيرها: شدّة الأذى، وتَبَارِيْحُ الشوقِ: توهّجُه، كذا في القاموس. وقوله (إنْ عَدَتْ): أي ظلمت، والضمير للتباريح، يقال: عَدَا عليه عَدْواً وعُدُوّاً بالضمّ والكسر: ظلمه كتَعَدَّى عليه واعْتَدَى. وقوله (عليّ): بتشديد الياء التحتيّة. (من النَّعماء): بفتح النون ممدوداً، أي: النعمة، قال في القاموس:" النِّعمَة بالكسر، المَسَرَّة، واليد البيضاء الصالحة، كالنُّعْمَى، بالضمِّ، والنَّعماء، بالفتح ممدوداً». والجار والمجرور متعلّق بعُدَّت آخر البيت. و(عُدَّتِ): بضمِّ العين المهملة مبني للمفعول، والتاء لتأنيث الضمير الراجع إلى التباريح، وكُسرت للقافية.

٤٩ - وَمِنْكِ شَقَائِي بَلْ بَلَائِي مِنَّةٌ وَفِيْكِ لِبَاسِي البُؤْسِ أَسْبَغُ نِعْمَةِ

(ومِنكِ): بكسر الكاف، خطاب للمحبوبة الحقيقيّة. (شقائي): الذي هو حرماني لقائكِ، والتمتّع برؤيتكِ. (بل بلائي): ومحِنتي في طريق المحبّة. (مِنَّةٌ): خبرشقائي. و(بل): حرف عطف. و(بلائي): معطوف على شقائي. والمِنَّة: اسم من قولك مَنَّ عليه مَنّاً: أنعم واصطنع عنده صنيعة، قال تعالى:﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ﴾ [٣/آل عمران/٢٦] فقد ذكر تعالى الشيء وضدّه، إيتاء الملك ونزع الملك، والإعزاز والإذلال. ثمّ قال: ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾ فعلّمنا أنّ كلّ ذلك منه تعالى خير لا شرّ فيه، والشرّ في عدم الملائمة للعبد، وأكمل ذلك بقوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [٣/آل عمران/٢٦] فكلّ أفعاله خير، وهذه رؤية المحبّين، وهي الموافقة لنفس الأمر. وقوله (وفيكِ): بكسر الكاف أيضاً. (لباسي): اللباس ما يلبس من الثياب مضافاً

إلى ياء المتكلِّم. وفي نسخة من غير ياء، مضافاً إلى (**البُؤْسِ**): مصدر بَئِسَ كسَمِعَ بُؤْساً وبُؤُوْساً، والبَأْسُ: العذاب والشِّدَّةُ. بَؤُسَ ـ كَكَرُمَ ـ بأساً. والمراد: شدّة الألم والوجع في مقاساة الحبّ والعشق . وقوله (**أَسْبَغُ**): أي أوسع. (**نعمةٍ**): أي إنعام، قال في القاموس: «سَبَغَ الشيءُ سُبُوغَاً: طال إلى الأرض، و[سَبَغَتِ] النِّعْمَةُ: اتسعتْ ، ونعمة سابغة: تَامَّةٌ». وانقلاب المضار منافع، والآلام والأوجاع لذائذ إنّما يكون في مقام المحبّة الإلهيّة، والعشق الربّاني المقتضي للفناء النفسانيّ والبقاء الروحانيّ؛ بل إدراك المنافع، والمضارّ، والآلام، والأوجاع، واللذائذ، والشهوات لا يكون إلّا بالنفوس؛ فإذا ارتفع حكم النفوس عن العبد بالفناء الكلِّيّ في الوجود الحقّ الواحد/[١٠٤/ب] الأحد، وتجرّدت الروح عن جميع ذلك ارتفعت العلل كلُّها والأغراض، كما قال شيخنا الكامل أبو صالح عبد القادر الجيلانيّ قُدِّس سرّه[١]:

أصـــبحتُ لا أمَـــلاً ولا أُمنيـــة   أرجـــو ولا موعـــودة أترقَّـــبُ

ومن كلام العارف بالله الشيخ أرسلان الدمشقي قُدّس سرّه في رسالته: «من تلذّذ بالبلاء فليس منّا». يعني: لأنّ الإنسان له نفساً يتلذّذ بها ولو كان تلذّذه على خلاف عادة النفوس؛ لأنّ عادتها أن تتلذّذ بالنعمة لا بالبلاء، وإنْ أُريد بالبلاء ما يعمُّ الخير، والشر كما قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [٢١/ الأنبياء/ ٣٥] فقد شمل كلّ ما ذكر.

٥٠- أَرَانِيَ مَا أُوْلِيتُهُ خَيرَ قِنيَةٍ[٢]   قَدِيْمُ وَلَائِي فِيْكِ مِنْ شَرِّ فِتيَةٍ[٣]

(أراني): فعل ماض ينصب ثلاثة مفاعيل، الأوّل: ياء المتكلِّم، والثاني قوله: ما أوليته. (ما): موصولة بمعنى الذي أُوليته، أو نكرة موصوفة بقوله: أُوْلِيْتُه، بضمِّ

---

(١) انظر ترجمته ص١٤٦.

(٢) في (ق): فِتْنَةٍ.

(٣) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: «بلغ». أي بلغ مقابلة نسخته مع نسخة المؤلّف رحمهما الله.

الهمزة، فعل ماض مبني للمفعول، أي: أولاني إياه ربِّي، بمعنى أعطاني إياه من الأحوال العشقيّة، والأمور الشوقيّة. والثالث: (خير قنية): أي ذات ذخيرة أَقْتَنيها وأَدَّخِرُهَا، قال في القاموس: «القِنْيَة بالكسر والضمّ: ما اكتُسِب، قَنِيَ المال ـ كرَمَى قَنْياً وقِنياناً بالكسر والضمّ ـ اكْتَسَبَهُ». وقوله (قديمُ): بالرفع فاعل أَراني مضافاً إلى (ولائي): أي قُربي من جناب الحقّ تعالى، أو محبّتي له، أو نصرتي منه، أو له؛ لأنّ الوليّ هو المحبّ والناصر. (فيكِ): بكسر الكاف، خطاب للمحبوبة الحقيقيّة. وقوله (من شرّ فتية): من بيانيّة، أي: حاصل لي ذلك من شرِّ فتية، جمع فَتَى من الفتاة، كَسَما الشباب، كنّى بذلك عن العواذل الذين يلومونه على المحبّة والعشق من عدم معرفتهم بالحِكَم الإلهيّة، والأسرار الرّبّانيّة لغلبة جهل الشباب عليهم فسمَّاهم فِتيَة.

٥١- فَلَاحٍ وَوَاشٍ ذَاكَ يُهْدِيْ لِعَزَّةٍ[١] ضَلَالاً وَذَا بِي ظَلَّ يَهْذِي لِغِرَّةٍ[٢]

[فلاحٍ] الفاء للتفريع على قوله (شرّ فتية) في البيت قبله. و(لاحٍ): وكذلك (واشٍ): أصلهما لاحي وواشي بالياء التحتيّة الساكنة، حُذفت لالتقاء الساكنين في حالة التنكير: الياء الساكنة والتنوين. والتنوين فيهما للتحقير، أو الجنسيّة، أو الإبهام. و(اللاحي): اسم فاعل من لَحَاهُ يَلْحُوْهُ: شَتَمَه. ولَحَيْتُ فُلَاناً أَلْحَاهُ: لُمته. و(الواشي): اسم فاعل أيضاً من وَشَى به إلى السُّلطان وَشْياً ووِشَايَة: نمَّ، وسَعَى، كذا في القاموس. وقوله (ذاك): يشير إلى اللاحي. (يُهْدِي): أي يدلني ويرشدني بلومه لي وتعنيفه. (لِعَزّة): وهي بالعين المهملة والزاي: بنت الظبية، وبها سُمّيت عَزّة، كذا في القاموس: اسم محبوبة في العرب، كنَّى بذلك عن المحبوبة الحقيقيّة. يعني: إنّ اللائم على حُبِّها بكثرة لومه، وامتناعي عن موافقته، يدلُّني على حبِّها، ويرشدني إلى عشقها؛ لأنّ نفوس المحبِّين مجبولة على مخالفة اللوائم والعُذَال. وقوله (ضَلالاً): أي من جهة الضلال الذي فيه، وهو الحيرة وعدم الاهتداء إلى

(١) في (ق): لغرّة.
(٢) في (ق): لغيرة.

الصواب. وفي بعض النسخ لغِرّة بكسر الغين المعجمة وبالراء، قال في القاموس: «غَرَّهُ غُرُوراً وغِرَّة، بالكسر: خَدَعَهُ، وأَطْمَعَهُ بالباطل فَاغْتَرّ هو. وقوله (وذا): إشارة إلى الواشي. (بي): متعلّق بيهذي. و(ظلّ): بالظاء المعجمة، أي: استمرّ (يهذي): بالذال المعجمة من الهذيان، قال في القاموس: «هَذَى يَهْذِي هَذْياً وهَذَيَاناً: تَكَلَّمَ بغير معقولٍ لمرض أو غيره. وقوله (لِغِرَّةِ): بالغين المعجمة والراء إن كان قوله أولاً (لعَزّة) بالعين المهملة والزاي . وإنْ كان الأوّل بالغين المعجمة والراء ففي النسخة الأخرى قافيته لغِرَّة/ [١٠٥/ أ] بالغين المعجمة بعدها ياء تحتيّة، من قولهم غار على امرأته وهي تغار، وقد تطلق الغَيرة على طلب المساواة مع العجز عنها.

٥٢- أُخَالِفُ ذَا فِي لَوْمِهِ عَنْ تُقَىً كَمَا أُحَالِفُ ذَا فِي لُؤمِهِ عَنْ تَقِيَّةِ

(أخالف): بالخاء المعجمة، من المخالفة؛ وهي عدم الموافقة. و (ذا): اسم إشارة إلى اللّاحي في البيت قبله؛ وهو اللائم. وقوله (في لَومه): أي معاتبته لي على المحبّة والعشق، وطلبه السلوان منّي. وقوله (عن تُقَىً): أي مخالفة صادرة منّي عن تقوى؛ لأنّ محبّتي محبّة إلاهيّة للحضرة الربّانيّة؛ وهو لا يشعر بذلك لجهله بمدارك الحقيقة. وقوله (كما أحالف): بالحاء المهملة، من الحِلْفِ، بالكسر، وهو العهد بين القوم، والصداقة، والصديق يَحْلِفُ لصاحبه أن لا يغدر به، كذا في القاموس. وقوله (ذا): إشارة إلى الواشي في البيت قبله؛ وهو النمّام الذي ينقل الكلام ويسعى بالفساد بين المحبّين. وقوله (في لؤمه): اللُّؤْمُ، بالضمّ: ضِدُّ الكَرَم، لَؤُمَ، كَكَرُمَ لُؤْماً، بالضمّ؛ فهو لَئِيمٌ، كما في القاموس. (عن تقيّة): أي محالفتي له، وصداقتي معه، ومعاهدتي صادرة منّي عن تقيّة واحتراز من أذاه وحذر، قال في القاموس: «اتَّقَيْتُ الشيءَ وتَقَيْتُهُ اتَّقِيْته تُقَى وتَقِيَّةً وتِقَاءً كَكِسَاء: حَذِرْتُه.

٥٣- وَمَا رَدَّ وَجْهِي عَنْ سَبِيلِكِ هَوْلُ مَا لَقِيْتُ وَلَا ضَرَّاءُ فِي ذَاكَ مَسَّتِ

(وما ردّ): أي ما صرف وجهي، يعني: حَوَّله. (عَن سبيلكِ): بكسر الكاف، خطاب للمحبوبة الحقيقيّة، أي: طريقكِ الموصل إليكِ، وهو الشريعة المحمّديّة؛

ظاهراً بأحكام العبادات والمعاملات، وباطناً بالأخلاق المحمودة: كالزهد، والتقوى، والورع، والتوكّل، والصبر، والشكر، وترك الأخلاق المذمومة كحُبِّ الدنيا، وفعل المعاصي وحبِّها، والانهماك في الشهوات ولو مباحة، وتتبُّع الرُّخص، والحرص، وطول الأمل، والجزع، والغفلة عن نعم الله تعالى. وهذا هو الطريق الموصل إلى معرفة الحقّ سبحانه، ويتبع ذلك الصدق والإخلاص. وقوله (هولُ): فاعل ردّ مضاف إلى (ما): أي الذي. (لقيتُ): أي لقيته. بمعنى: وجدته في هذا الطريق من الأهوال والشدائد من الجاهلين بالطريق المستقيم لخفاء ذوقه على كثير من الناس وإنْ عرفوا ألفاظه، والعبارة عنه؛ فإنَّ الأمر لا يتحقَّق به إلّا ذائقه، وفاعله، والمتَّصف به:

لا يعـرف الـشوق إلّا مـن يكابـده ... ولا الـصبابة إلّا مـن يعانيهـا

فبالضرورة يجد الجاهل الغافل في نفسه الإنكار والتكذيب لمن اتّصف بأوصاف الطريق المستقيم لعدم معاناته لذلك، وقلّة سلوكه لهذه المسالك؛ فيلوم المحبَّ، ويعذله، ويذمّه، ويشتمه، وإذا رآه مصرّاً خاصمه. ومن هذا السبب أنكر الجاهلون بطريق العرفان على أهل هذه الحقائق والإيقان، والله يعلم المفسد من المصلح. وقوله (ولا ضرّاء): معطوف على هول. والضرّاء بالمدّ: الشدّة. (في ذاك): أي في سبيلكِ، وهو الطريق المذكور. وقوله (مسَّتِ): بتشديد السين المهملة وكسر التاء المثنّاة الفوقيّة. وجملة مسَّتِ صفة ضرّاء.

٥٤- وَلَا حِلْـمَ لِيْ فِيْ حَمْـلِ مَا فِيْـكِ نَـالَنِي ... يُـؤَدِّي لِحَمْـدِي أَوْ لِمَـدْحِ مَـوَدَّتِي

(ولا حِلْم): أي احتمالي .... **(لي)**: من جهة نفسي تكلّفتُه فحصّلتُه. **(في حمل)**: أي تحمُّل. **(ما)**: أي الأمر العظيم الذي. **(نالني)**: أي أصابني من جهة سلوكي في الطريق المستقيم، معاناة ومنازلة كما سبق في البيت قبله. وقوله **(يؤدّي)**: أي ذلك الحلم. بمعنى: يوصل. **(لحمدي)**: أي الثناء عليّ به عندك، أوعند الناس العارفين

بي. وقوله (أو لمدح مودّتي): أي محبّتي لك؛ فإنَّ ذلك كلّه لا صنع لي فيه، ولا جاءت به نفسي الأمّارة بالسوء من تلقاء حالها، ولا هي أهل أن يصدر منها ذلك في جنابك، لأنّها عدوّة لك، والعدوّ لا يأتي منه ما يرضي به/[١٠٥/ب] عدوّه، كما ورد: عاد نفسك؛ فإنّها انتصبت لمعاداتي؛ ولهذا ترى أهل الجهل والغفلة لاتطاوعهم أنفسهم في سلوك الطريق المستقيم إلّا بعناية ربّانيّة و(سابقة) أزليّة[١].

٥٥- قَضَى حُسْنُكِ الدّاعِي إلَيْكِ احْتِمالَ مَا قَصَصْتُ وَأَقْصَى بُعْدَ مَا بَعْدَ قَصَّتِي

(قضى): أي حكم عليّ. يعني: إنّما ذلك كلّه حاصل منّي بسبب أنّه قضى. (حُسنكِ) بكسر الكاف، خطاب للمحبوبة الحقيقيّة، أي: حَكَمَ عليّ بذلك فنفذ حُكمه فيَّ. وقوله: (الداعي): صفة حُسْنُكِ، أي: يدعو. بمعنى: يجذب إليكِ كلَّ من شعر به وعرفه في الآثار الجميلة، والألوان البديعة؛ فإنّ الحُسن الإلهيّ هنا بمعنى الإحسان والإنعام، كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [٢/ البقرة/ ٢٩] أي: من كرمه وفضله وإحسانه إليكم، وإنعامه عليكم، أو من ظهوره لكم، وتجلّيه لديكم؛ فإنّ [في] السموات الأسباب، وفي الأرض المُسَبَّبات، وكلُّها خلقُ الله تعالى، مظاهرُ حسنه الصفاتي، وجماله الذاتيّ عند العارفين به دون البهائم والغافلين؛ فإنّ العارف لا يغيب عن شهود اللطف الظاهرة، والإحسان الباهرة، وتزول عنه تهمة الأكوان، في تأثير نوع من أنواع الإحسان، ولهذا قالوا: «مَنْ عرف الله أزال التهمة، وعلم أنّ كلّ شيء لحكمة». خصوصاً وقد قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ بعد قوله: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ [٢/ البقرة/ ٢١٦].

وقوله (احتمال): مفعول قضى، أي: قضى وحكم باحتمال. (ما): أي الأمر العظيم الذي (قصصتُ): أي قصصته. يعني: أعلمت به، قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ

---

(١) بياض في المخطوط.

﴿أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ﴾ [١٢/ يوسف/ ٣] نبيّن لكَ أحسن البيان؛ والمراد ما ذكره في الأبيات قبله من مشقات الهوى وشدائد المحبّة، ومقاساة العواذل واللُّوام، ومكابدة جهلهم. وقوله (وأقصى): بالصاد المهملة معطوف على ما، أي: واحتمال أقصى، أي: أبعد. وقوله (بُعْدَ): بضمِّ الباء الموحَّدة، أي: أبعد. (بُعدَ ما): أي الأمر الذي بَعْدَ بفتح الباء الموحَّدة ظرف مضاف إلى قصَّتي. والمعنى: حَكَمَ حُسنكِ عليَّ بأن أحتمل جميع ما قصصته وأنْ أحتمل أيضاً أَبْعَدَ بُعدِ الأمر الذي بعدما قصصته من قصّتي المذكورة، أي: أن أحتمل فوق ما احتملته بمراتب عديدة؛ فإنّ الحال إذا كان بالله لا بالنفس فهو أعظم حال، وأوسع مجال، ولا تكون الأحوال الصادقة في طريق الله تعالى إلّا بالله تعالى، قال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ﴾ ثمَّ قال: ﴿وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [١٦/ النحل/ ١٢٧] وهكذا جميع الأمور في الغيبة والحضور.

٥٦- وَمَا هُوَ إلّا أَنْ ظَهَرْتِ لِنَاظِرِي بِأَكْمَلِ أَوْصَافٍ عَلَى الحُسْنِ أَرْبَتِ

(وما هو): أي ذلك الحُسن الداعي إليكِ الذي قضى عليَّ بما قضى في البيت الذي قبله (إلّا أن ظهرتِ): بكسر التاء المثنّاة الفوقيّة خطاب للمحبوبة الحقيقيّة. (لناظري): متعلِّق بظهرتِ، وظهورها إيجادها للأكوان بإشراق أنوار وجودها الحقّ على المعدومات العلميّة، حيث توجّهت بها الإرادة الأزليّة، والقدرة الصمدانيّة بالكلام النفسانيّ القديم، والأمر الواحد من حضرة تجلّي الاسم الواجد باليدين الأسمائيّة ذات الجلال والجمال، بالانفصال والاتِّصال، وهو الغيريّة والعينيّة في كلّ حال. وقوله (بأكمل): متعلِّق بظهرتِ أيضاً. (أوصاف): جمع وصف، أي: بالأوصاف الكاملة التي على الحُسْن. (أربتِ): بكسر التاء الساكنة للقافية المكسورة. و(أربتِ): أي زادت ونمت على الحُسن؛ فالحُسْن كلُّه الذي هو ظاهر في جميع أنواع الأكوان أثر من آثارها، قال الشاعر:

نَأى والأمَاني الكاذباتُ بِهِ تَدْنُو بَدِيعُ صِفَاتٍ مِنهُ مَحَاسِنُهُ الحُسنُ

وقدّمنا معنى الحُسن الإلهيّ.

٥٧- فَحَلَّيْتِ لِي البَلْوَى فَخَلَّيْتِ بَيْنَهَا وَبَيْنِي فَكَانَتْ مِنْكِ أَجْمَلَ حِلْيَةِ

[١٠٦/أ] (فَحَلَّيْتِ): بالحاء المهملة وكسر التاء المثنّاة الفوقيّة، خطاب للمحبوبة الحقيقيّة، حَلَّيتِ: بتشديد اللام، من الحُلْو، ضدّ المرّ، حَلَا الشيءَ يَحْلُو في الفم، وحَلِيَ بعيني وقلبي كرَضِيَ، ودَعَا حَلَاوَةً وحُلْوَاناً، ذكره في القاموس، أو من التَّحْلِيَة بمعنى الزينة، يقال: حَلَّيْتُ المرأةَ تَحْلِيَةً: أَلْبَسْتُها حَلْيَاً. وقوله (لي): متعلّق بحلَّيتِ. و(البلوى): اسم من ابتليته: اختبرته؛ وهي ما يقاسيه من شدائد المحبّة، وتحليتها له: جعلها حلوة لذيذة عنده، أو جعلها زينة له. وقوله (فخَلَّيتِ): بالخاء المعجمة وتشديد اللام وبكسر التاء، خطاب للمحبوبة أيضاً، أي: تركتِ. (بينها): أي بين البلوى وبيني على معنى أنّها تفعل بي ما تقتضيه من أليم شدائدها، ووجيع مصائدها. ثمّ قال (فكانت): أي البلوى. (منكِ): بكسر الكاف، خطاب أيضاً للمحبوبة، أي: حاصلة لي منك. (أجملَ): بالنصب، خبر كانت. (حِلية): مضاف إليه. و(الحِلْية): بالكسر، ما يُزيَّن به، من مصوغ المعدنيّات، كذا في القاموس. وقدَّم الجار والمجرور لحصر كونها حِليَة بكونها من المحبوبة، فلو كانت منسوبة إلى سبب من الأسباب لم تكن حلية فضلاً عن كونها أجمل حِلية، قال الشاعر مضمِّناً المثل المشهور:

كأنّ دمعي على هَواكِ لُجَيناً فأحالته نار قلبي نضاراً

حَلْيةٌ لا أُعيرها المُحبَّ شغل الحَليُ أهلَه أنْ يُعاراً

٥٨- ومَن يَتَحَرَّشْ بالجَمَالِ إلى الرَّدَى أَرَى نَفسَهُ مِنْ أَنْفَسِ العَيْشِ رُدَّتِ

(ومن يتحرَّش): من حَرَشَ الضّبَّ يَحْرِشُه حَرْشاً وتَحْرَاشَاً: صاده، كاحْتَرَشَه، وذلك بأنْ يحرِّك يده على باب جحره ليظنَّه حَيَّةً؛ فيُخرج ذنبَه ليضربها؛ فيأخذَه. والتَّحْرِيشُ: الإغراء بين القوم أو الكلاب، كذا في القاموس. والمراد هنا التعرّض بإدامة النظر، وكثرة جولان الفكر. وقوله (بالجمال): متعلّق بيتحرَّش، وهو الجمال

الإلهيّ الذاتيّ الذي هو كناية عن الوجود الحقّ الحقيقيّ، الظاهر بالتجلّي على صور الكائنات العدميّة، العلميّة، من الحضرة الغيبيّة، لمن شهد ذلك مجرّداً عن جميع الصور الكونيّة، الحسيّة والعقليّة. وهذا بيان من الناظم قُدِّس سرّه لمعنى قوله (وما هو إلّا أن ظهرتِ لناظري) في البيت السابق[1]. وقوله (إلى الردى): متعلّق بقوله (رُدَّتِ): في آخر البيت. و(الردى): بالقصر الهلاك. وقوله (أَرَى نفسَه): أي أنظرها، أو أعتقدها. (من أَنْفَسِ): يقال شيء نَفِيسٌ: يُتَنَافَسُ فيه ويُرْغَب، وقد نَفُسَ كَكَرُمَ نَفَاسَةً. و(العَيْشِ): مضاف إليه، وهو الحياة. عَاشَ يَعِيشُ عَيْشاً ومَعَاشاً ومَعِيْشاً ومَعِيْشَةً وعِيْشَةً بالكسر، كذا في القاموس. وقوله (رُدَّتِ): إلى الردى من أنفس عيشة، وأرغب معيشة.

٥٩- ونَفْسٍ تَرَى فِي الحبّ أَنْ لَا تَرَى عَناً مَتَى مَا تَصَدَّتْ لِلصَّبَابَةِ صُدَّتِ

(ونفس ترى): أي تظنُّ وتعتقد. (في الحبّ): أي في طريق المحبّة. (أنْ لا ترى): أي لا تبصر ولا تلقى. (عَنَاً): بفتح العين المهملة، أي: تعباً، وهمّاً، وغمّاً. وقوله (ما تصدَّتِ): أي قصدتِ وأرادت. (للصبابة): أي المحبّة والعشق. (صُدَّتِ): بضمّ الصاد المهملة وتشديد الدّال المهملة والتاء ساكنة وكُسرت للقافية، قال في القاموس: «صَدَّ فلاناً عن كذا صَدّاً: مَنَعَهُ وصَرَفَه:. يعني: مُنعتُ عن ذلك، وصرفت عنه، لأنّ مَنْ يحبُّ نفسه فيحبُّ أن لا يصيبها تعب ولا مشقّة، لا يقدر أن يحبّ غيره، والمحبَّة الإلهيّة / [١٠٦/ ب] لا غير فيها، ولا نفس فيها؛ فلا يصل إليها من يحبّ نفسه، ويحبُّ راحتها، وسلامتها من آفات الدنيا والآخرة، قال السودي[2] قُدّس سرّه:

---

(١) انظر البيت ٥٦ من القصيدة نفسها.

(٢) محمّد بن علي بن محمّد السودي، أبوعبد الله ، الشهير بالهادي اليمني. متصوّف شاعر من أهل اليمن له ديوان « بلبل الأفراح وراحة الأرواح» في شعره جودة وطلاوة به يد طولى في علم الفلك والفقه والقراءة. ولد في قرية مشضب في تعز وتوفي فيها سنة ٩٣٢هـ. انظر فهرس الموسوعة الشعريّة حرف العين١/ ١٦٥٩ والنور المسافر في أخبار القرن العاشرج١ ص٤٩ .

يـــا ســـــاكناً قلبـــي المُعنَّـــى ولـــيس فيـــه ســـواكَ ثـــانِ
لأيِّ مَعْنـــىً كَـــسرْتَ قلبـــي ومـــا التقـــى فيـــه ســـاكنانِ

٦٠- وَمَا ظَفِرَتْ بِالوُدِّ رُوْحٌ مُرَاحَةٌ وَلَا بِالوَلَا نَفْسٌ صَفَا العَيْشِ وَدَّتِ

(وما ظفرتْ): أي فازت بمطلوبها، من الظَّفَر، بالتحريك، وهو الفوز بالمطلوب، ظَفِرَه، وظَفِر به، وعليه، كَفَرِحَ، كذا في القاموس. وقوله **(بالوُدِّ)**: مثلث الواو: الحبّ. بمعنى: المحبَّة. وقوله **(رُوْحٌ)**: فاعل ظَفِرتْ، ولم يقل نفس؛ لأنَّ النفس لا تظفر بالحبّ الإلهيّ من حيث هي نفس؛ لأنّها تنافس فترى أن لا ترى العناء والتعب كما مرّ في البيت قبله بخلاف الروح؛ لأنّها من أمر الله كما قال سبحانه: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾ [١٧/الإسراء/ ٨٥] فإذا زالت النفس المنافسة، وأسلمت لحكم ربّها، وكلّ حكم هو حكم ربّها، إمّا حكم ابتلاء بخير، أو حكم ابتلاء بشرّ قال تعالى: ﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ﴾ [٢١/الأنبياء/ ٣٥] فعند ذلك تظهر الروح مكانها من أمر الله تعالى قائمة به، له فتظفر بالودّ الإلهيّ من اسمه الودود، ويتميَّز عندها العدم من الوجود . وقوله **(مُراحة)**: بضمٍّ الميم، أي تلك الروح. يعني: من الأتعاب والمشقّات. وقوله **(ولا بالولا)**: معطوف على قوله **(بالودّ)**: أي ولا ظفرت بالولاء، و**(الوَلاء)**: بفتح الواو ممدود، ويقصر للوزن، في الأصل: المِلْك، والمَوْلَى: المَالِك، والعَبْدُ، والمُعْتَق، والمُعتِق. وتَوَلَّى الأمْرَ: تَقَلَّدَهُ، وإنّه لَبَيِّنُ الوَلَاءِ، ذكره في القاموس. والمناسب هنا الأوّل أو الثاني؛ لأنَّ وَلِيَّ الله مَنْ تولّاه الله تعالى في جميع أموره، فتحقَّقَ بالعبوديّة الصرفة لله تعالى، أو مَنْ قلَّده تعالى أمور عباده، فتجري أمورهم على مقتضى أنفاسه. وقوله **(نفسٌ)**: مرفوع على أنّه فاعل الفعل المُقَدَّر، وهو ظفرت. وقوله **(صفا)**: مفعول قوله ودَّتِ.

و**(العيش)**: مضاف إليه، والجملة صفة نفس. والمعنى: ولا ظفرت بالولاء

نفسٌ ودّت صفاء العيش، أي: الحياة الخالية من الأكدار، يُقال: ودَّ الأمر يودّه أحبّه. والتاء ساكنة، وكسرت للقافية.

٦١- وَأَيْنَ الصَّفَا هَيْهَاتِ مِنْ عَيْشِ عَاشِقٍ وَجَنَّـــةُ عَـــدْنٍ بِالمَكَـــارِهِ حُفَّـــتِ

(أين): سؤال عن المكان. و(الصفا): أي صفاء العيش المذكور في البيت قبله، والصَّفَا والصَّفْو: نقيض الكَدَر. و(هيهاتِ): مثلثة التاء، اسم فعل بمعنى بَعُدَ، والتقدير هيهات الصَّفا من عيش حياة عاشق. وقوله (وجنّة عدن): الواو للحال، وجنّة عَدْن هي التي وعدها الله تعالى لعباده المؤمنين في الآخرة، وعَدَنَ بالبلد يَعْدِنُ ويَعْدُنُ عَدْنَاً وعُدُوْناً: أقام، ومنه جنَّات عَدْن، كذا في القاموس. وقوله (بالمكاره): متعلِّق بحُفَّتِ، قُدِّم عليه لإفادة الحصر، أي: لا بغيرها. والمَكَارِه: ما تكرهه النفس، من: البلايا، والمصائب، والشدائد. و(حُفَّتِ): بالحاء المهملة مضمومة وبتشديد الفاء، والتاء ساكنة، وكسرها للقافية، يقال: حَفَّه بالشيء: أحاط به؛ وهو اقتباس من الحديث: «حُفَّتِ الجَنَّة بالمكاره، وحُفَّت النار بالشهوات»[1] وفيه تشبيه المحبّة بالجنّة من حيث....؛ إذ النفس بها، وتشبيه بلايا المحبّة ومصائبها من العواذل واللوّام والرقباء بالمكاره، أو تشبيه المحبوبة بالجنّة وما يصيب المحبّ من هجرها وإبعادها محفوفاً بالمكاره.

٦٢- وَلِي نَفْسُ حُرٍّ لَوْ بَذَلْتِ[2] لَهَا عَلَى تَسَلِّيْكِ مَا فَوْقَ المُنَى مَا تَسَلَّتِ

(ولي نفس حرٍ): أي نفس رجل حرّ، أي: مُعْتَق من رِقِّ الأغيار، لم يستبعده شيء من/ [١٠٧/ أ] القيود والحظوظ في الحس ولا في الأفكار من حظوظ الدنيا والآخرة. وقوله (لو بذلتِ): بكسر التاء خطاب للمحبوبة الحقيقيّة. والبذل بالذال

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الجنّة وصفة نعيمها، باب: حدّثنا عبد الله بن مسلمة، ٧٣٠٨.
(٢) في(ق): بذلتُ.

المعجمة العطاء. وقوله (لها): أي لتلك النفس التي لي. وقوله (على تَسَلِّيْكِ): بكسر الكاف أيضاً، والتَّسَلِّي: النسيان. وقوله (ما): مفعول. (بذلتِ): أي أمراً عظيماً موصوفاً بأنّه فوق ظرف مبني على الفتح، أي: أعلى من (المُنى): بضمٍّ الميم والكسر، من تمنّاه: أراده. يعني: فوق كلّ شيء يريده. وقوله (ما تسلَّتِ): بتاء ساكنة حُرِّكت بالكسر للقافية، أي: ما نسيَتْ الهوى ولا عهود المحبَّة[1].

٦٣- وَلَو أُبْعِدْتُ بِالصَّدِّ وَالهَجْرِ والقِلَى وَقطْعِ الرَّجَا عَنْ خُلَّتِي مَا تَخَلَّتِ

(ولو أُبْعِدْتُ): بضمٍّ الهمزة مبنياً للمفعول. (بالصدّ): متعلّق بأبعدت، يقال صَدَّ عنه صدوداً: أعرض. و(الهجر): الترك. (والقِلى): بكسر القاف: البغض، قَلاهُ كرَمَاهُ ورَضِيَهُ قِلَىً: أَبْغَضَهُ وكَرِهَهُ غايةَ الكَرَاهَة فتَرَكَه أو قَلاه في الهَجْر، وقَلِيَهُ في البغض، كذا في القاموس. (وقطع الرجاء): هو ضدّ اليأس، وقَطْعُهُ اليأس هو اليأس.يعني: لو كان إبعادها بسبب ذلك كلّه عن (خُلَّتي): بضمّ الخاء وتشديد اللام، قال في القاموس: «الخُلَّةُ بالضمِّ: الصداقة المُخْتَصَّة، لا خَلَلَ فيها، تكون في عفاف، وفي دَعَارَة، ـ أي: فِسْقٌ وخُبْث ـ والخِلّة بالكسر أيضاً بمعنى الصداقة والإخاء». وقوله (ما تخلَّتِ): أي تركتِ، يقال: تخلّى منه وعنه تركه، كذا في القاموس. وقدّم الجارّ والمجرور لإفادة الحصر، أي: عن خلَّته فقط ما تجلى، وقد تخلّى عن كلّ ما سواها.

٦٤- وَعَنْ مَذْهَبِي فِي الحبّ مَا لِيَ مَذْهَبٌ وَإنْ مِلْتُ يَوْمَاً عَنْهُ فَارَقْتُ مِلَّتِي

(وعن مذهبي): جار ومجرور متعلّقان بمذهب الثاني، وهو مصدر ميمي بمعنى الذهاب، وقُدِّم للحصر. وقوله (في الحبّ): أي المحبَّة الإلهيّة، وهي طريقته التي هو سالك عليها في المحبّة الإلهيّة. وقوله (ما لي) الجار والمجرور خبرمقدّم.

---

(١) سواد في أصل المخطوط بمقدار كلمة، لعلها: الحقّ.

وقوله (مذهب): مبتدأ مؤخر. وقوله (وإنْ مِلتُ يوماً): أي وقتاً من الأيام، أي: الأوقات، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ﴾ [٦/ الأنعام/ ٧٣] وهو يوم الأمر كما قال: ﴿أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ﴾ [٥٤/ القمر/ ٥٠] وقوله (عنه): أي عن ذلك المذهب.(فارقت مِلّتي): بكسر الميم، أي: ديني وشريعتي؛ لأنَّ صاحب التوحيد إذا فارق توحيده وقع في الشرك سواء كان الشرك خفيّاً أو جليّاً، وصاحب المعرفة الكاملة بالله متحقّق بأنّ كلّ محبّة واقعة على الله تعالى ذوقاً وكشفاً، فإذا عدل عن الله مع معرفته فقد أشرك على علم، ولا كذلك الجاهلون الغافلون، ولهذا نسب المذهب إليه واختصّ به.

٦٥- وَلَوْ خَطَرَتْ لِي فِي سِوَاكِ إِرَادَةٌ عَلَى خَاطِرِي سَهْوَاً قَضَيْتُ بِرِدَّتِي

(ولو خطرت لي): خَطَرَ بباله و ـ على باله، يَخْطِرِ خُطُوْراً: ذَكَرَه بعد نسيان، كذا في القاموس. وقوله (في سواكِ): بكسر الكاف، خطاب للمحبوبة الحقيقيّة، أي: في شيء سواكِ من جميع الأكوان الدنيويّة والأُخرويّة. وقوله (إرادة): فاعل خطرت، أي: ميل وتوجّه أفضل وتشوّق. وقوله (على خاطري): أي بطريق الغلبة والاستعلاء على الخاطر، والجار والمجرور متعلّق بخطرت ، والخاطر الهاجس. وقوله (سهواً): تمييز، أي: على جهة السهو فضلاً عن القصد، قال في القاموس: «سها: نَسِيَه وغَفَلَ عنه، وذَهَبَ قَلبُه إلى غيره». وقوله (قَضَيْتُ): أي حكمتُ. (بردّتي): عن ديني وشريعتي التي تقدّم ذكرها في البيت قبله، ولكن هنا لم يغتفر على نفسه الخاطر، ولا السهو مبالغة في طريق المحبّة والعشق. ولعل مراده بالردّة عن دين المحبّة والعشق لا الردّة عن دين الإسلام؛ لأنّ ذلك مغتفر في الشرعة المحمّديّة قال صلّى الله عليه / [١٠٧/ ب] وسلّم: «إنّ الله غفر لأمّتي ما حدّثتْ به أنفسها»[1].

---

(١) ذكره القيرواني في مقدّمته ، انظر شرح مقدّمة القيرواني للشيخ أحمد النقيب، الدرس الثالث، ج٣ ص١٦.

وقال: «رُفع عن أمَّتي ثلاث: الخطأ والنسيان وما أُكرهوا عليه»[1]. وأحوال أهل التمكُّن في العرفان خارجة عن أحوال العامّة من أهل الإيمان؛ لأنّهم في الطور الذي فوق طور العقول، وهم محفوظون بحفظ الله تعالى الحفيظ وإنْ لم يكونوا من أهل العصمة كالنبيّ والرسول.

٦٦- لَكِ الحُكْمُ فِي أَمْرِي فَمَا شِئْتِ فاصنع   فَلَمْ تَكُ إِلّا فِيكِ لَا عَنْكِ رَغْبَتِي

(لك الحكم): بكسر الكاف، خطاب للمحبوبة الحقيقيّة، والجار والمجرور خبر مقدّم، والحُكْم: مبتدأ مؤخر، وتقدُّم الخبر لإفادة الحصر، أي: لا لغيرك، وتعريف الحكم للعهد، أو لاستغراق الجنس. وقوله (في أمري): متعلِّق بالحكم، والأمر: الحالة، يقال: أمره مستقيم، كذا في المصباح. وقوله (فما): أي الذي شئتِ، بكسر التاء المثنّاة الفوقيّة. (فاصنعي): أي اعملي ما شئتيه في جميع أمري وأحوالي في الظاهر والباطن. وقوله (فلم تكُ): أي تكن، وحُذفت النون من تكن تخفيفاً لكثرة الاستعمال، ذكره في المدارك[2]، وقال البيضاوي: «وحذف النون من غير قياس تشبهاً بحروف العلّة»[3]. وقال الطيبي[4] في حاشية الكشّاف: «قال الزجاج: الأصل في تكن تكون فسقطت الضمّة للجزم، والواو لسكونها وسقوط النون. وأمّا سقوط النون فلكثرة الاستعمال تشبيها بحروف اللين؛ لأنّها ساكنة فحُذفت استخفافاً، كما قالوا: لم أدرِ، ولم أبلُ». وقوله (فيكِ): بكسر الكاف، والجارّوالمجرور خبر لم تكُ، مقدّم للحصر. (لا عنكِ): بكسر الكاف أيضاً. (رغبتي): اسم تكُ، ويقال: رغب فيه

---

(١) ذكره الشيباني في المبسوط، باب الكسب، ج٣٤ ص١٥٨.

(٢) هو كتاب ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض.

(٣) لم أعثر عليه عند البيضاوي؛ وإنّما ذكره الفيروزآبادي في كتابه «بصائر ذوي التمييز من لطائف الكتاب العزيز».

(٤) هو شرف الدين الحسن بن محمّد الطيبيّ، صاحب الحاشية على الكشاف المسمّى: فتوح الغيب في الكفّ عن قناع الريب. انظر التفسير والمفسرون للدكتور محمّد حسين الذهبيّ، باب الكشاف عن حقائق التنزيل ج٤ ص١٠٧.

إذا أقبل عليه، ورغب عنه إذا أعرض عنه، وبعكسه زَهَدَ؛ فإنّه يقال: زهد فيه إذا أعرض عنه، وزهد عنه إذا أقبل عليه. وقال في القاموس: رَغِبَ فيه كسَمِعَ رَغْباً، ويُضَمُّ، ورَغْبَةً: أرادَهُ، ورَغِبَ عنه: لم يُرِدْهُ، ورَغِبَ إليه: ابْتَهَل، أو هو الضَّرَاعَةُ . والمَسْأَلَةُ». وقال في الصحاح: «الزّهْدُ خلافُ الرَّغبة ، تقول: زَهِدَ في الشيء وعن الشيء يَزْهَدُ زَهْداً وزَهَاداً.

٦٧- وَمُحْكَمِ حُبٍّ لَمْ يُخَامِرْه بَيْنَنَا تَخَيُّلُ نَسْخٍ وَهْوَ خَيْرُ أَلِيَّةِ

(ومحكم): الواو للقسم، والمُحكَم بفتح الكاف: اسم مفعول من أَحْكَمْتُ الشيءَ ـ بالألف ـ أَتْقَنْتُهُ فَاسْتَحْكَمَ هو: صار كذلك، كما في المصباح. و(الحبّ): بالعلم المحبّة. وقوله (لم يخامره): بالخاء المعجمة، خامره خالطه. وقوله (بيننا): أي بيني وبين المحبوبة الحقيقيّة؛ لأنّ المحبّة من الجانبين، قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [٥/ المائدة/ ٥٤]. وقوله (تخيُّلُ) فاعل يخامر، مصدر خَيَّلَ الرجلُ على غيره تَخْييلاً مثل لَبَّسَ تَلْبِيساً وزناً ومعنى إذا وجَّهَ الوهم إليه، كذا في المصباح. (نسخ): بالخاء المعجمة، مضاف إليه، والنسخ: الإزالة، يقال: نسخ الشيبُ الشبابَ: أزاله، فإذا لم يخالطه تخيّل، أي: تلبّس.وتوهُّم النسخ لم يخالطه: تحقُّق النسخ بالأولى. ثمّ قال (وهو): أي ذلك الحبّ المُحكَم المذكور. (خير أُلِيَّة): بتشديد الياء التحتيّة، والأَلِيَّة: الحَلِفُ، والجمع: أَلَايَا، مثل عَطِيَّة وعَطَايَا، قال الشاعر:

قليلُ الألايا حافظُ ليَمِينِهِ فَإِنْ سَبَقَتْ منه الأَلِيَّةِ بَرَّتِ

كذا في المصباح.

٦٨- وَأَخْذِكِ مِيثَاقَ الوَلَا حَيْثُ لَمْ أَبِنْ بِمَظْهَرِ لَبْسِ النَّفْسِ فِي فَيْءِ طِينَتِي[1]

(وأخذكِ): بكسر الكاف، والواو للقسم، أو للعطف على المُقسَم به في البيت قبله. وقوله (ميثاق): أي عهد مضاف إلى (الولا): بفتح الواو، مصدر وَالَاهُ

---

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: «بلغ». أي بلغ مقابلة على نسخة المؤلّف.

مُوَالَاةً ووَلَاءً، من باب قاتل: تابعه، كذا في المصباح، وذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٧٢]/ [١٠٨/ أ] ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٧٢] وقوله (حيث لم أبن): أي لم أظهر، من باب يَبِيْنُ بَيَاناً: اتّضح. يعني في حالة لم أكن فيها ظاهراً. وقوله (بمظهر): متعلّق بابن. والمظهر: موضع الظهور، مضاف إلى لَبْس، مصدر لَبَسْتُ الأمرَ لَبْساً، من باب ضرب: خَلَطْتُهُ، والْتَبَس الأمر: أشكل، كذا في المصباح. ولَبْس النفس الْتِباسها بالغيريّة الفاعلية. وقوله (فِي فَيء): بفتح الفاء وبالهمزة، أي: ظلّ. (طِيْنَتِي): أي جسمي؛ فإنّ حركة الجسم من توجّه النفس بمنزلة حركة الظلّ بحركة الشاخص. والجار والمجرور متعلّق بلَبْس. يعني: ذلك اللَبْس كائن في ظلّ الطينة؛ فهي سترة؛ فلا ترى إلّا غيريَّتها، وأفعالها. والمعنى: قبل أنْ أظهر في هذه الصورة العنصريّة الجسمانيّة ذات النفس الملتبسة البشريّة حين كنت في ظهر آدم عليه السلام وقد أُخِذ عليّ ميثاق الربوبيّة، وعلى بقيّة الذَّر من البَرِيّة.

٦٩- وَسَابِقِ عَهْدٍ لَمْ يَحُلْ مُذْ عَهِدْتُهُ   وَلَاحِقِ عَقْدٍ جَلَّ عَنْ حَلِّ فَتْرَةِ

(وسابق عهد): أي عَهد سابق على زماننا هذا، وهو عهد النبيّ صلّى الله عليه وسلَّم مع خلفائه وأصحابه رضي الله عنهم في قبول دينه، والتزام شرائعه وأحكامه. وقوله (لم يَحُلْ): بفتح الياء وضمّ الحاء المهملة، لم يتحوَّل، من حَال يَحُوْلُ: إذا تَحَوَّل وتَغَيَّرَ؛ فإنّ ذلك العهد واصل إلينا بالخبر المتواتر في الكتاب والسنّة وإجماع الأمّة. وقوله (مذ عهدته): أي مذ عرفته. قال في المصباح: «عَهِدْتُهُ بمالٍ: عَرَّفْتُهُ به، والأمرُ كما عَهِدْتُ، أي: كما عرفت». (ولا حق): الواو للقسم أيضاً، أو للعطف. و(عقدٍ): مضاف إليه، والعَقْد، بفتح العين المهملة: بمعنى العهد، من عَقَدَ العَهْدَ يَعْقِدُهُ: شَدَّهُ؛ وهو عهد مشايخه الذي أخذوه عليه بالاستقامة في الدين المحمّدي؛ فإنّه لاحق لذلك العهد الأوّل، عهد النبوّة على الخلفاء الراشدين.

وقوله (جَلَّ): بالجيم، أي: عَظُم عن (حلّ): بفتح الحاء المهملة، أي: انحلال، قال في الصحاح: «حَلَلْتُ العُقدةَ أَحُلُّهَا حَلَّاً: فَتَحْتُهَا فانْحَلَّت» . وقوله (فَتْرَةِ): بالفاء والتاء المثنّاة الفوقيّة، مضاف إليه، قال في المصباح: «فَتَرَ عن العَمَلِ فُتُوراً، من باب قَعَدَ: انكَسَرتْ حِدَّتُه، ولان بعد شِدّتِه، ومنه فَتَرَ الحَرُّ: إذا انكسر، فُتُوْراً وفَتْرَةً». والمعنى: عَظُمَ ذلك العهد عن انحلال فترة وضعف؛ فهو معقود، شديد العقد، يَجِلّ عن الضعف، فضلاً عن الفقد. قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه في أواخر كتاب (التجلّيات الإلهيّة): «له المبايعون ثلاثة: الرسل، والشيوخ الورثة، والسلاطين. والمبايع على الحقيقة في هؤلاء الثلاثة واحد؛ وهو الله تعالى. وهؤلاء الثلاثة شهود الله عزّ وجلّ على بيعة هؤلاء الأتباع، وعلى هؤلاء الثلاثة شروط يجمعها القيام بأمر الله تعالى، وعلى الأتباع الذين بايعوهم شروط يجمعها المتابعة فيما أُمروا به. فأمّا الرسل والشيوخ فلا يأمرون بمعصية أصلاً؛ فإنّ الرسل معصومون من هذا. والشيوخ محفوظون. وأمّا السلاطين فمن لحق منهم بالشيوخ كان محفوظاً، وإلّا كان مخذولاً، ومع هذا لا يطاع في معصية. والبيعة لازمة حتى يلاقوا الله . ومن نكث من هؤلاء الأتباع فحسبه جهنّم خالداً فيها، لا يكلّمه الله ، ولا ينظر إليه، ولا يزكّيه، وله عذاب أليم، هذا حظه في الآخرة. وأمّا الدنيا فقد قال أبو يزيد البسطاميّ في حقّ تلميذه لمّا خالفه: دعوا مَن سقط من عين الله . فرؤي بعد ذلك مع المخنَّثين، وسرق فقُطِعت يده، هذا لمّا نكث. أين هو ممن وَفَّى ببيعته مثل تلميذ داوود الطائيّ الذي قال له: ألقِ نفسك في التنّور. فألقى نفسه فيه فعاد عليه برداً وسلاماً. هذا نتيجة الوفاء». انتهى كلامه قدّس الله سرّه. والمذكور هنا بيعتان، وهما عهدان وموثقان فقط؛ وهما بيعة/ [١٠٨/ب] الرسل المعصومين، وهي السابقة. وبيعة المشايخ المحفوظين، وهي اللاحقة. وأمّا بيعة السلاطين فلا يعتمد عليها، ولا يحلف بها؛ لترددها بين الحقّ والباطل. فإنْ حقَّت فهي ملحق ببيعة المشايخ المحفوظين، وإلّا فلا. وكهذا ذكر الناظم ـ قُدِّس سرُّه ـ العهدَ السابق، والعهدَ اللاحق، وأقسم بهما لشرفهما، وشهده بدوامهما، وبقائهما

في أهل التوفيق والعناية. وعهود بقيَّة المشايخ غير الورثة المحفوظين كعهود الأمراء، والعساكر، ومشايخ الحرف، والصنائع، ملحقة ببيعة السلاطين، إنْ حَقّتْ لَحِقَتْ بالمشايخ المحفوظين، وإلّا فلا، والله الموفِّق.

٧٠- وَمَطْلِعِ أَنْـوَارٍ بِطَلْعَتِـكِ التِـي لِبَهْجَتِهَـا كُـلُّ البُـدُورِ اسْتَـسَرَّتِ

(ومطلع): الواو للقسم، أو للعطف، ومطلَع بفتح اللام وكسرها: مصدر ميمي، يُقال: طَلَعَ الكوكبُ طُلُوْعاً ومَطْلَعَاً ومَطْلِعاً: ظَهَرَ، كأَطْلَعَ، وهما للموضع أيضاً، كذا في القاموس. (أنوار): جمع نور، قال في القاموس: «النُّوْر بالضمِّ: الضوء أيّاً كان، أو شُعَاعُه، والجمع أَنْوَار. ومحمَّد صلّى الله عليه وسلَّم، والذي يُبيِّن الأشياء» انتهى. فاما أن يراد، وطلوع أنوار، وموضع طلوع أنوار. والأنوار منها القرآن، قال تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٧٤] وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞ﴾ [٥/ المائدة/ ٤٤]. ومحمّد صلّى الله عليه وسلَّم نور قال تعالى: ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ﴾ [٥/ المائدة/ ١٥] والحقّ سبحانه وتعالى نور، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [٢٤/ النور/ ٣٥]. والنور من حيث هو تنكشف به الأشياء، وتبين، وتظهر للعقول أوللحسّ أولهما إمّا من عدمها الأصلي وهو النور القديم، أو من ظلمتها وخفائها عن العقل أو الحسّ أو عنهما، وهو النور القديم والنورالحادث. وفي نفس الأمر لا يكشف عن الأشياء ويبيّنها إلّا النور القديم، ولا نور إلّا نوره؛ ولذا قال (**بطلعتِكِ**): بكسر الكاف، خطاب للمحبوبة الحقيقيّة، وهي الحضرة الإلهيّة ذات النور الحقيقيّ؛ فإنّه النور الظاهر بنفسه، الذي به كلّ ظهور؛ فهو ظاهر في نفسه، مظهر لغيره. ومهما قوبل الوجود بالعدم كان الظهور لا محالة للوجود، ولا ظلام أظلم من العدم؛ فالبريء عن ظلمة العدم؛ بل عن إمكان العدم، المخرج كلَّ الأشياء عن ظلمة العدم إلى ظهور الوجود أحقّ وأولى أنْ يُسمّى نوراً. والوجود نور مضيء على الأشياء كلها، فهو نور السموات والأرض وما بينهما. وكما أنّه لا ذرّة من نور إلّا

وهي دالّة على وجود الشمس المنوِّرة فلا ذرّة من وجود السموات والأرض وما بينهما إلّا وهي دالّة على وجود مخترعها، وتحقيق وحدانيّة مبدعها. وكما أنّه لم ينفصل من نور الشمس شيء، ويحلّ في ذرَّة من المنيرات بها لم ينفصل من نور الوجود الحقيقيّ شيء ويحلّ في شيء أصلاً، ولا اتّحد به، ولا نقص هو في نفسه، ولله المثل الأعلى في السموات والأرض. وقوله (التي): نعت لطلعتك. وقوله (لبهجتها): متعلّق باستسرَّتِ. و(البهجة): الحسن. وقوله (كلّ البدور): مبتدأ، وخبره جملة استسرّتِ، والبدور جمع بدر، وهو القمر الممتلئ من نور الشمس التي تقابله ليلاً؛ فهو مظهرها، ومطلع نورها، بحيث لم ينتقل من نورها شيء، ويحلّ في البدر. وكنّى بالبدورعن الأولياء العارفين بربهم. وقوله (استسرّتِ): بكسر التاء للقافية، قال في القاموس: «اسْتَسَرَّ: اسْتَتَرَ». يعني: استترت البدور كلّها؛ بمعنى فَنيَت، وانمحت، واضمحلَّت، ورجعت إلى عدمها الأصلي؛ حيث ظهر لها الوجود الحقيقيّ، وانكشف لأعين بصائرها، قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ /[١٠٨/أ] إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [٢٨/ القصص/ ٨٨] وقال: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ٢٦-٢٧] وقال صلّى الله عليه وسلَّم: «كان الله ولا شيء معه، وهوالآن على ما عليه كان»[1].

٧١- وَوَصْفِ كَمَالٍ فِيْكِ أَحْسَنُ صُورَةٍ وَأَقْوَمُهَــا فِي الخَلْــقِ مِنْــهُ اسْــتَمَدّتِ

(ووصف): الواو للقسم أو للعطف. (كمال): مضاف إليه، والكمال هو الجمع بين الجلال والجمال. وقوله (فيكِ): بكسر الكاف خطاب للمحبوبة الحقيقيّة. ثمّ قال: (أَحْسَنُ): مبتدأ. (صورة): مضاف إليه، وحُسْنُ الصورة إمّا في الظاهر المحسوس، أو في الباطن المعقول، أو فيهما. قال تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [٤٠/ غافر/ ٦٤] وقوله (وأقومها): معطوف على أحسن من قوله

---

(١) انظر تخريجه ص٤٦١.

تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [٩٥/ الزيتون/ ٤]. وقوله (**في الخلق**): أي في جملة المخلوقات، ونعت لأحسن صورة. وقوله (**منه**): أي من وصف الكمال المذكور لا من غيره. (**استمدّتِ**): بكسر التاء للقافية من الاستمداد، وهو طلب المدد بإعطائها ذاتها وصفاتها.

٧٢- وَنَعْتِ جَلَالٍ مِنْكِ يَعْذُبُ دُوْنَهُ عَـــذَابِيْ وَتَحْلُــوْ عِنْــدَهُ لِيَ قِتْلَتِــي

(**ونعت**): الواو للقسم أيضاً، أو للعطف.(**جلال**): مضاف إليه، والجلال: العَظَمة والهيبة المقتضية للخوف والخشية. وقوله (**منكِ**): بكسر الكاف خطاب للمحبوبة الحقيقيّة. ثمّ قال (**يَعْذُبُ**): أي يصير عذباً، والعَذْبُ من الطعام والشراب: كلُّ مُسْتَسَاغ، كذا في القاموس. وقوله (**دون**): نعت ذلك الجلال. يعني: أمامه وقبل الوصول إليه. وقوله (**عذابي**): فاعل يعذب، والعذاب هوالتعذيب؛ فإنّ النفس تستعذب من محبوبها ما تكرهه من غيره، من شدّة المحبّة وزيادة العشق، والجلال مقتضاه التعذيب والقهر. كما أنّ الجمال مقتضاه الإحسان واللطف. وقوله (**وتحلو**): أي تصير حلوةً، ضدّ المُرّة. (**عنده**): أي عند نعت ذلك الجلال. (**قتلتي**): بكسر القاف فاعل تحلو. و(**القِتلة**) بالكسر نوع من القتل، يقال: قتله قِتلةِ سوء بالكسر.

٧٣- وَسِرِّ جَمَالٍ عَنْكِ كُلُّ مَلاحَةٍ بِــهِ ظَهَــرَتْ في العَالَــمِينَ وَتَــمَّتِ

(**وسرِّ**): الواو للقسم أوللعطف. (**جمال**): مضاف إليه. وخص السرّ بالجمال لأنّه يجذب القلوب إليه بأمر خفي لا يعرفه أحد. وقوله (**عنكِ**): بكسر الكاف متعلّق بظهرت، أي: لا عن غيركِ. وقوله (**كلُّ ملاحة**): مبتدأ. وجملة (**به ظهرت**): خبره. وضمير به يعود إلى سرّ الجمال. وقوله (**ظهرت**): أي تلك الملاحة، وهي حسن الظاهر والباطن في العالمين، أي: في جميع الأشياء من الإنسان وغيره، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [٣٢/ السجدة/ ٧] وقال صلّى الله

عليه وسلّم: «إنّ الله كتب الحُسْنَ على كلّ شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة»[1].

وقوله (وتمّتِ): بتشديد الميم وكسر التاء للقافية، أي: تلك الملاحة الظاهرة على كلّ شيء تامّة كاملة لا نقص فيها، ولكن الله يقلّب القلوب والأبصار كما يقلّب الليل والنهار؛ فيرى من شاء كمالاً، ويرى من شاء نقصاً ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [١٠/ يونس/ ٣١] ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ﴾ [٦/ الأنعام/ ١١٠]. واستعمل (في) عند ذكر الكمال لإفادة عموم الظرفيّة، واستعمل (من) في الجلال لإفادة معنى التبعيض؛ فإنّ الكون أجمعه لا يحتمل تمام ظهور الجلال؛ بل بعض ظهوره، واستعمل عن سرّ الجمال لإفادة إستناد الملاحات إليه، لا كما قال بعضهم: أتى بمن في الجلال، وبعن في الجمال، تنبيهاً على أنّ الجلال لا يتعدّى من الذات، والجمال يتعدّى، حتى ردّه القيصري بقوله: وأنت تعلم أنّ الأعيان الكونيّة كلّها مظاهر الجمال والجلال الإلهيّين؛ إذ القهر واللطف الصادران في العالم من القهر واللطف/[١٠٩/ب] الإلهيَّين، لا من غيره. والوصف والنعت في اللغة بمعنى واحد، وقد استُعمل الوصف في الكمال، والنعت في الجلال. وقد اعتبر بعضهم في الوصف جهة الموصوف، واعتبار جهة الموصوف من الكمال، واعتبر في النعت جهة الناعت، فيناسب ما ظهر له من الجلال على مقدار احتماله.

٧٤- وَحُسْنٍ بِهِ تَسْبِي النُّهَى دَلَّنِي عَلَى ... هَوىً حَسُنَتْ فِيهِ لِعِزِّكِ ذِلَّتِي

(وحُسْنٍ): الواو للقسم، أو للعطف أيضاً. وقوله **(به)**: أي بذلك الحسن. والجار والمجرور متعلّقان بتَسْبِي، قُدِّم عليه للحصر، أي: لا بغيره، أو للاهتمام. و**(تسبي)**: من سَبَى العدو سَبْياً وسِبَاءً: أَسَرَهُ. **(والنُّهى)**: أي العقول، جمع نُهْيَة، سمي بذلك

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصيد والذبائح، باب: الأمر بإحسان الذبح والقتل، ٥١٦٧، عن شدّاد بن أوس.

لكونه ينهى عمّا لا ينبغي، قال في القاموس: «النُّهيَة بالضمّ: العقل». وقوله (دلَّني): من الدلالة. والجملة صفة حُسن. وقوله (على هوى): متعلّق بدلَّني. والهَوَى: المحبّة. وقوله (حسنت): أي صارت ذات حُسْنٍ، أو صارت ذات حَسَنَةٍ من الحَسَنَات أثاب عليها فيه، أي: في ذلك الهوى. وقوله (لعِزِّكِ): بكسر الكاف، والعِزّ خلاف الذلّة. وقوله (ذِلَّتِي): بكسر الذال المعجمة، مصدر ذَلَّ يَذِلّ ذُلّاً وذُلَالَة، وذِلَّة بالكسر ومَذَلَّةً وذَلالاً هان فهو ذَليل، وذُلّان بالضمّ ، كذا في القاموس .

٧٥- وَمَعْنىً وَرَاءَ الحُسْنِ فِيْكِ شَهِدْتُهُ بِــهِ دَقَّ عَــنْ إِدْرَاكِ عَــيْنِ بَــصِيرَتِي

(ومعنى): الواو للقسم أيضاً، أو للعطف، والمراد بالمعنى: ما لا يدرك بالحسّ أو بالعقل في الدنيا، لا المعنى الذي يقابل الجوهر، لأنّه عَرَض من قسم الخيال العقليّ. وقوله (وراء الحسن): أي أعلى وأعظم من الحُسْن الذي يظهر للحسّ أو للعقل في كلّ شيء، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾ ثمّ قال ﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ﴾ أي: كلام نفسي إلهيّ قديم ﴿فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ﴾ [٨٥/ البروج/ ٢٠-٢٢] بحروف الحدود والمقادير والصور، وقال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾ [٥٤/ القمر/ ٤٩] برفع كلّ؛ إذ لا غير الوجود الحقّ الواحد الأحد كثرتْ ظهوراته بكثرةِ ذرات العوالمِ في المركّبات والبسائط المحسوسة والمصقوله، وكلّها فانية عدميّة، والوجود الحقّ لا يتجزّأ ولا ينقسم، ولا يحلّ في شيء من العدميّات، ولا يتّحد بها، ولا يشغله منها شأن عن شأن؛ فهو من وراء كلّ شيء بعينه الواحدة، وكلّ شيء غير الشيء الآخر، وكلّ شيء هالك إلّا وجهه؛ فالأشياء كثيرة، والوجه واحد؛ وهوالذات الإلهيّة، الوجود الحقّ تعالى وتقدّس، وقال تعالى: ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِ﴾ [٢/ البقرة/ ١١٥] فذكر الاسم الجامع لجميع الأسماء؛ وهو اسم الله ، وبسبب ذلك اختلفت العوالم، وتنوّعت أنواعاً لا يحيط بها العدُّ والإحصاء، وهذا هو المعنى الذي وراء الحسّ؛ بل وراء كلّ شيء، قال في القاموس : «وَرَّاهُ تَوْرِيَةً: أَخْفَاهُ، كَوَارَاهُ،

وورّاه عن بصره: دفعه، ووراء مثلثة الآخر مبنيّة، والوراء معرفة: خلف وقدّام، ضدّ، وهو ما توارى عنك».

وقوله (فيكِ): بكسر الكاف، خطاب للمحبوبة الحقيقيّة؛ وهي الحضرة العليّة، حضرة الأسماء والصفات الإلهيّة، المتجلّية بالآثار الكونيّة على حسب ما هي ظاهرة للعقول والبصائر الإمكانيّة؛ لا من حيث هي هي في نفسها العليّة، قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [٦/الأنعام/٩١]. وقوله (شهدته): أي بعين البصيرة، وذلك الشهود؛ هو المقتضي للمحبّة، قال العارف الكامل عفيف الدين التلمساني قُدّس سرّه:

حتّام تبذل في هواك الأنفس	وتصان عنها بالجمال وتحرس
وإلامَ يوحشك الغنا عن مغرم	أبداً بوحشة ذاته يتآنسُ / [١١٠/أ]
مالي وللأكوان تهواني ولي	حسن عن الكون الكثيف مقدّسُ
معنى به لَطُفَ الكثيفُ فأصبحتْ	صمّ الجبال هي الغصون الميّسُ
وحقيقة طوتِ البعيد فرامة	نجد وليث الغاب ظبي أخنسُ
ووراء ذاك ولا أشير لأنّه	سرّ لسان النطق عنه أخرسُ
أمر له وبه ومنه تعيّنت	أعياننا ووجوده المتلبِّسُ

بعد ذلك أقول: والله أكبر عن جميع ما تشير إليه العارفون، وكلّ حزب بما لديهم فرحون. ولا أقرب من العلوم الذوقيّة اللدنيّة؛ فإنّها ميراث النّبوَّة المحمَّديّة، ونتيجة الفتوّة الأحمديّة، وهم أهل القرب بالنسبة إلى من سواهم من جميع البريّة كالمُجَلّي والمُصَلّي من خيل السباق؛ فإنّ الأوّل هو المتفرِّد بالسبق، ويليه الثاني، وليس الكاشف عن الأسرار، كالذي يتلو كلمات السبع المثاني. وما بعد ذلك من الخيل فهم المتأخِّرون لعدم القوّة والحَيْل.

وقوله (به): أي بسبب ذلك المعنى نفسه، لا بسبب آخر غير نفسه. (دقّ): من

الدِّقّة، بكسر الدال المهملة وتشديد القاف الأمر الغامض، كذا في القاموس، أي: صار أمراً دقيقاً غامضاً. وقوله (**عن إدراك**) متعلّق بدقّ. وقوله (**عين بصيرتي**): يعني فضلاً عن عين بصري، قال في القاموس: «البصيرة بالهاء: عَقِيْدَةُ القلبِ، والفِطْنَة».

٧٦- لَأَنْـتِ مُنَـى قَلْبِـي وَغَايَـةُ مَطْلَبِـي وَأَقْـصَى مُـرَادِي وَاخْتِيَـارِي وَخِـيرَتِي

(**لأنت**): اللام في جواب القسم. و(**أنتِ**): بكسر التاء خطاب للمحبوبة المذكورة. وقوله (مُنَى): بضمِّ الميم جمع مُنْيَة، بضمِّ الميم وبكسرها. و(**قلبي**): مضاف إليه، أي جميع ما يتمنّاه قلبي، والجملة جواب القسم المتقدّم في الأبيات كلِّها. وقوله (**وغاية**): معطوف على مُنَى. و(**مطلبي**): مضاف إليه، أي: نهاية جميع ما أطلبه من أمور الدنيا والآخرة. (**وأقصى**): بالقاف والصاد المهملة، أي: أبعد، من قَصِيَ: بعُد؛ فهو قَصِيّ وقَاصٍ. (**مرادي**): أي ما أريده. (**واختياري**): من اختار الشيء: انتقاه، كتخيَّره. (**وخيرتي**): بكسر الخاء المعجمة: مصدر خَار الرجل على غيره خِيْرَةً بالسكون، وخِيَرَة بالتحريك: فَضَّلَه، والوصف بالمصدر فيهما للمبالغة في ذلك. قال الشيخ شهاب الدين السُّنْبُلي[1] (بضمّ السين المهملة وسكون النون وبالباء الموحّدة واللام، ولعله منسوب إلى سُنْبل، بلد بالروم، أو منسوب إلى سنبل بن علي الشاشي[2]، محدِّث ذكره في القاموس رحمه الله تعالى): قرأتُ ذات ليلة ـ أي: في نفس ليلة من الليالي، قال في القاموس: «جاء من ذي نفسه، ومن ذات نفسه، أي: طبعاً، ويقال: ذات بينِكم، أي: حقيقة وصلكم، أو ذات البين: الحال التي بها يجتمع المسلمون» ـ القصيدة، أي: هذه القصيدة، المسمّاة «نظم

---

(١) أحمد بن صالح، أبو العباس، شهاب الدين السنبليّ، كان فاضلاً، شاعراً، كثير المروءة والأخلاق، كان مباشر أعمال الجامع الأموي بدمشق زمن نجم الدين الصالح، توفي ٦٩٣هـ. انظر الوافي بالوفيات، باب أبي السرايا، ج٢ص٢٦٧.

(٢) في القاموس المحيط للفيروز آبادي: سُنبل بن علي الشاميّ المحدِّث. ولعل الشاشيّ تحريف للشاميّ. انظر القاموس مادّة (السنبلة).

السلوك» من أوّلها إلى أن وصلت إلى البيت منها الذي أوّله قوله (لأنت منّي قلبي... إلى آخره) وهو هذا البيت السابق المذكور فنمت بعد ذلك فرأيت في منامي الشيخ الناظم شرف الدين عمر بن الفارض رضي الله تعالى عنه، والحال: نسخة هذه القصيدة بيده، وأشار إليَّ بها، أي: بهذه القصيدة، وقال قدّس الله سرّه: أَلحِقْ هذا البيت، أي: اجعله ملحقاً في هذه القصيدة، خلف هذا البيت الذي وقفتَ عليه في قراءتك وهو هذا، وأشار إلى البيت الآتي.

قلت(١): ونظير هذا ما وقع لي مع حضرة الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي قدّس الله سرّه، وذلك أنّ رجلاً من أقربائي الأعزّة كان يقرأ عندي كتاب «شؤون المسجون وفنون المفتون» للشيخ الأكبر رضي الله عنه فوصل في قراءته إلى محل في ذلك الكتاب، فرأى الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه في المنام/ [١١٠/ ب] فقال له: أَلحِق في هذا المحل زجرة: اعرفْ نفسك وهي بين جنبيك قبل أن تفرّ من بين يديك ثمّ سكت حصّة ثمّ قال له: فات وقت ذلك. فانتبه الرجل، وجاء فأخبرني، فكتبت ذلك عنه، وعَيّنَ المحلّ؛ ولكن لم ألحقه به؛ لإعراض الشيخ عن ذلك. ثمّ نسيت المحلّ، ومضى الأمر على ذلك.

٧٧- خَلَعْتُ عِذَارِي وَاعْتِذَارِيَ لَابِسَ الْـ ـخَلَاعَةِ مَسْرُوْراً بِخَلْعِي وَخِلْعَتِي

(خلعت): أي نزعتُ، قال في القاموس: «الخَلْعُ كالمَنْع: النَّزع، إلّا أنّ في الخَلْعِ مُهْلَة». وقوله (عِذاري): أصل العِذار، بالعين المهملة والذال المعجمة: من اللجام ما سال على خدّ الفرس، ثم صار قولهم: «خَلَعَ عِذَارَهُ» كناية عن إزالة قيد المبادلة في الأمور، وإطلاق نفسه في جميع الأعمال. وقوله (واعتذاري): معطوف على عذاري، أي: خلعت اعتذاري أيضاً؛ بمعنى نزعتة عني وتركته، والاعتذار: إقامة العذر عن نفسه فيما يلحقه اللَّوم فيه. واعتذر: شكا. وقوله (لابس): بالنصب، حال من ياء المتكلِّم فيهما. و(الخَلاعة): بفتح الخاء المعجمة عدم المبالاة في الأقوال

(١) القائل الشيخ عبد الغني النابلسي.

والأفعال، ومنه الخليع للغلام، والكثير الجنايات، والأحمق. ولبس الخلاعة كناية عن ملازمة الشطح والتهتّك في طريق المحبّة. وقوله (مسروراً): حال أيضاً من ياء المتكلّم. وقوله (بخَلعي): متعلّق بمسروراً؛ وهو خلعه لعذاره. وقوله (وخِلعتي): معطوف على خلعي، أي: مسروراً بخلعتي أيضاً، وهو راجع إلى قوله لابس الخلاعة. (والخِلْعة): بكسر الخاء المعجمة ما يُخلَع على الإنسان، وخيار المال، ويضم، كذا في القاموس.

٧٨- وَخَلْعُ عِذَارِي فِيْكِ فَرْضِي وَإِنْ أَبَى اقْـ ـتِـرَابِيَ قَـوْمِي وَالخَلَاعَـةُ سُـنَّتِي

وهذا البيت كأنّه بيان للبيت الذي قبله، ولهذا نصّ الشيخ الناظم قُدِّس سرّه على وضع ذلك البيت قبل هذا. (وخَلْعُ العِذَار والخَلاعَة): قد بينّا معناهما من قبل. وقوله (فيكِ): بكسر الكاف، خطاب للمحبوبة الحقيقيّة. وقوله (فرضي): أي أمر لازم يلزمني شرعاً؛ فإنّ السالك إذا تحقّق بمعرفة نفسه ذوقاً وكشفاً وجد نفسه في قبضة تصريف الله تعالى، فيترك مراعاة أمورها، ولا يبالي بما يصدر من تصرّف أمر الله تعالى به كيفما كان، وهو تسليم أمورها كلِّها إلى ربّه حيث لم يبقَ فيه منازع بدعوى أنيّة، قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [٢/ البقرة/ ١٣١] وهذه المقالة من الله تعالى لإبراهيم عليه السلام ليس معناها طلب مجرّد قوله ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [٢/ البقرة/ ١٣١]؛ بل المطلوب حالة ذوقيّة يصدق فيها العبد، وهو الإسلام الحقيقيّ، ولهذا قال تعالى بعده: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ إلى آخر الآية. [٢/ البقرة/ ١٣٢] وهو إسلام الأنبياء المطلوب شرعاً، كما قال تعالى: ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ ﴾ [٢/ البقرة/ ١٣٢] أي: بهذا الإسلام المذكور الحقيقيّ، وهو فرض على المكلّفين بحسب ما يقدرون، وعلى قدر استطاعتهم، قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٨٦] فإذا تركت وسعها في ذلك فقد

تركت أمراً مفروضاً عليها، فإسلام العامّة بمجرّد القول والاعتقاد مع بقاء الدّعاوى النفسانيّة معصية عند الخاصّة من أهل الله ،أصحاب التحقّق في العرفان؛ لأنّهم المسلمون على الحقيقيّة إرثاً نبويّاً، واقتداء مصطفويّاً؛ فلا يشهدون لأنفسهم تأثيراً في شيء من الأفعال والأحوال مطلقاً، قال الشيخ أبو الحسن الشاذليّ[1] قدّس الله سرّه: «شهود التقصير دعوى تأثير». وقوله (**وإن أبى**): أي امتنع وكره. و(**اقترابي**): مفعول أبى، قال في القاموس: «أَبَى الشيءَ يَأْبَاهُ ويَأْبِيهِ إِبَاء وإِباءَةً بكسرهما: كَرِهَهُ، ومعناه كَرْه. (**قَومِي**): أي أهلي، وعشيرتي أن يقتربوا إليّ./[١١١/ أ] ويقاربوني تحاشياً ومخافة أنْ يلحقهم العار والذمّ، أو كرهوا أنْ يعدّوا أحوالي اقتراباً في دين الله لشناعة ذلك عندهم، وبشاعته في رؤيتهم. وقوله (**الخلاعة سنّتي**): أي طريقتي التي أنا سالك عليها. والجملة حال من ياء المتكلّم. والمراد بالقوم الذين ينتسبون إلى الطريقة والسلوك ظاهراً من الصوفيّة الرسميّة، أصحاب العبادات العاديّة، الذين ما بلغوا الحقائق وبواطن الأشياء، وقصروا نظرهم في ظواهر الأخبار، فيعيبون على أهل السكر والجذبات الإلهيّة، وينكرون كلام أهل الحقيقة.

٧٩- وَلَيسُوا بِقَوْمِي مَا اسْتَعَابُوْا تَهَتُّكِي فَأَبْدَوْا قِلَيَ وَاسْتَحْسَنُوا فِيْكِ جَفْوَتِي

(**وليسوا بقومي**): أي ما هم قومي، تبرّأً منهم لإعابتهم عليَّ طريق الحقِّ والحقيقة، جهلاً بما هنالك. وقوله (**ما**): ظرفيّة، مصدريّة. (**استعابوا**): بالعين المهملة أي:طلبوا العيب، ووجدوا العار والقبح. والمعنى: مدّة استيعابهم. (**تهتّكي**): أي فضيحتي واستهتاري بالعشق والمحبّة. وأشار بذلك إلى أنّهم إذا تركوا تلك الإعابة والتقبيح علي، والإنكار لحالي، ولو لم يعرفوا حقيقة ذلك، واعتقدوني ظاهراً على الحقّ؛ فإنّهم قومي، وهم منّي، وأنا منهم؛ فإنّ المرء مع من

---

(١) انظر ص٢١٨.

أحبّ ولو لم يعمل بعمله، كما ورد في الحديث الصحيح: «أنّ إعرابياً دخل على النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله ، الرجل يحب القوم ولمّا يلحق بهم ـ يعني: إلى الآن لم يلحق بهم ـ فقال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: المرء مع من أحبّ»[1]. وقوله (**فأبدوا**): أي أظهروا لي. (**قِلى**): بكسر القاف، أي: بغضاً. قال في القاموس: «قَلَاهُ كَرَمَاهُ ورَضِيَه قِلًى وقِلاءً: أَبْغَضَه وكَرِهَهُ غاية الكراهة فَتَرَكَهُ». وإظهارهم البغض والقَلى بسبب تهتّكي في محبّة الله تعالى من حيث لا يشعرون لجهلهم وغفلتهم عن إدراك معارف أهل الله تعالى. وقوله (**واستحسنوا**): أي وجدوا حسناً. (**فيكِ**): بكسر الكاف، أي: في طريق محبَّتكِ. (**جَفْوَتِي**): مفعول استحسنوا، من الجَفَاء، وهو نقيض الصِّلَة، ويقصر، جَفَاه جَفْوَاً وجَفَاءً، وفيه جَفْوَة، ويكسر، أي: جِفَاء، كذا في القاموس.

٨٠- وَأَهْلِيْ فِي دِيْنِ الهَوَى أَهْلُهُ وَقَدْ   رَضُوْا لِيَ عَارِي وَاسْتَطَابُوْا فَضِيحَتِي

(**وأهلي**): أي قومي وعشيرتي. (**في دين الهوى**): أي شرع المحبّة الإلهيّة. (**أهله**): أي أهل دين الهوى، وهم المحبّون الإلهيّون، والعشّاق الربّانيّون، وهم الذين صبروا على بلايا المحبوب، واختاروا ذلك على الدنيا والآخرة من كلِّ أمر مطلوب. وقوله (**وقد رضوا لي عاري**): جملة حاليّة. والعارُ: كلُّ شيءٍ لَزِمَ به عَيْبٌ. وتَعَايَروا: عَيَّرَ بعضُهم بعضاً. وقوله (**واستطابوا**): أي وجدوا طيباً، أي: لذيذاً. (**فضيحتي**): قال في القاموس: «فَضَحَه كَمَنَعَه: كَشَفَ مَسَاوِيَهُ، فَافْتُضِحَ، والاسم: الفضيحة». وفيه إشارة إلى مقام الملاميّة الذين آثروا المَلَامَةَ على السلامة، وهؤلاء هم الذين لم يميِّزوا أنفسهم من عامة المؤمنين في الظاهر، وإنْ كانوا في الباطن من الأوتاد والأقطاب الذين بهم قيام العالم، قال الشيخ الأكبر محيي الدّين ابن العربي قدّس الله سرّه في فتوحاته المكيّة: «إنّ للملاميّة ألفاً ومئتين من القوى،

---

(١) أخرجه أحمد في المسند، باب مسند حديث صفوان بن عسّال، ١٨٥٧٩. وله أطراف كثيرة.

لو سلّط قوّة منها على العالم لأفناه. ومن جملتها قوّة يخفي حاله؛ بحيث لا يطلع عليه غيره إلّا مَنْ كان من أهل مقامه، ونبينا صلّى الله عليه وسلّم وأبو بكر وعمر منهم، هذا كلامه رضي الله عنه»؛ فهم في الظاهر مع الخلق، وفي الباطن مع الحقّ، وهم على قسمين: يحفظون الظواهر أيضاً كما يحفظون البواطن. وقسم لا يحفظون جميع الظواهر؛ بل يأتون بما فرض الله تعالى عليهم، وينتهون بأنفسهم عمّا نهى الله تعالى عنه فقط، ويتركون الناس مع/ [١١١/ ب] ربّهم، لا يأمرون بالمعروف، ولا ينهون عن المنكر، ولا يزهدون في الأشياء؛ بل يخترقون في بعض ظواهر النواميس الإلهيّة بحضورهم في مجامع أهل الضلال والفساد، وانخراطهم بالصورة في زمرة المطرودين من الناس؛ لا أنّهم يأتون بمثل ما يأتي به أهل الحجاب، حاشاهم من ذلك؛ بل يكونون معهم من غير إنكار عليهم، وكلّ ذلك لحفظ حالهم، وعدم إنكارهم عليهم؛ إنّما هو لاطّلاعهم على سرِّ القدر، ووقوفهم عند الإرادة الإلهيّة، وتأدّبهم بين يدي الله تعالى بعدم الاعتراض في أفعاله، وفراغهم من إقرار الخلق وإنكارهم، واطّلاعهم على أسرار القبضتين، وشهودهم هويّة الحقّ سبحانه مع كلّ شيء، وعلمهم بنهاية مقام الجهنّميّين، وأسرارهم المختفية عن أعين العالمين، ذكر ذلك القيصري في شرحه.

٨١- فَمَنْ شَاءَ فَلْيَغْضَبْ سِوَاكِ فَلا أَذَى إذا رَضِيَتْ عَنِّي كِرَامُ عَشِيرَتِي

(فمن شاء): يعني من الخلق. **(فليغضب)** عليَّ. **(سواكِ)**: بكسر الكاف خطاب للمحبوبة الحقيقيّة. فإنّ غضبهم عليّ ورضاهم عنّي سواء عندي، لا أبالي بشيء من ذلك ما عدا غضبكِ عليَّ، ورضاكِ عنّي يا أيتها المحبوبة؛ فإنّ ذلك هو المعتبر عندي وعند أمثالي من أهل هذا الطريق. ثمّ قال **(فلا أذى)**: أي شرّ يصيبني، ولا ضرّ في الدنيا والآخرة **(إذا رضيتْ عنّي كرام عشيرتي)**: وهم سادتي ومشايخي من أهل طريق الله تعالى؛ فإنّ رضاهم من رضا الله تعالى. والمعنى: إنّ مقامي يقتضي أن لا أبالي بغضب أحد غير الله تعالى، ولا برضائه بسبب شهودي

أنْ لا غضب، ولا رضا إلّا وهو أثر من آثار غضب الله تعالى ورضائه؛ فإنْ كان بحقّ شرعي فهو غضب الله تعالى ورضاؤه. وإنْ كان بباطل ذلك الغضب والرِّضا؛ فهو غضب الله تعالى أيضاً، لكن على مَنْ صَدَر منه في حقِّي أو في حقِّ غيري. واحتماله هو احتمال بلاء ابتلى الله تعالى به عباده؛ فالصبر عليه طاعة؛ فالكلّ غضب الله تعالى ورضاؤه. ولا وصف للمخلوق في حقيقة الأمر على كلّ حال، والمصارف الشرعيّة والحقيقيّة لا يعرفها ويتحقّق بها إلّا أهل الله تعالى من خاصّة البريّة.

٨٢- وَإِنْ فَتَنَ النُّسَّاكَ بَعْضُ مَحَاسِنٍ لَـدَيْكِ فَكُـلٌّ مِنْـكِ مَوْضِـعُ فِتْنَتِـي

(وإن فتن): من الفِتْنَة بالكسر: الخِبْرَة، وإعجابُكَ بالشيء، فَتَنَهُ يَفْتِنُهُ فَتْناً وفُتُوْناً وأَفْتَنَهُ المِحْنَة، كذا في القاموس. و(النُّسَّاك): جمع نَاسِك، مِنَ النُسُك مثلثة، وبضمَّتين: العبادة، وكلّ حقّ لله تعالى. والمراد بهم العبّاد والزهّاد. وقوله **(بعض)**: فاعل فتن. و**(المحاسن)**: قال في القاموس: «الحُسْنُ، بالضمّ: الجَمال، وجمعه: مَحَاسِن على غير قياس». وقوله **(لديك)**: بكسر الكاف، خطاب للمحبوبة الحقيقيّة. كَنَّى ببعض محاسن هذه المحبوبة عن الآثار الإلهيّة التي تظهر من قدرة الله تعالى للعُبَّاد والزهّاد من: تيسير الأرزاق، والحفظ من المؤذيات، ودفع مضرّة الأعداء، والظفر بالمطلوب، والتوفيق لأعمال البرّ، ونحو ذلك. وقوله **(فكلّ)**: بالرفع والتنوين، أي: كلّ شيء يكون من المحاسن في جميع العوالم، سواء ظهر في عالم الإنسان أو غيره؛ فإنّه منسوب عندي إلى الحقّ سبحانه وتعالى، لا إلى أحد غيره، ولا إلى شيء منه، وكلّ ذلك محاسن إلاهيّة وإن كانت لا تلائم الأمزجة البشريّة والحيوانيّة. فعدم ملائمتها ملائمةً لمنافعها الدنيويّة والأخرويّة، وكلها محاسن ربّانيّة، وإحسانات رحمانيّة. وهي **(موضع فتنتي)**. أي: استقرّت فتنتي فيها، واستمرّت متوجِّهة إليها في كلّ حال. ولا شك أنّ المحبّة الإلهيّة إذا صدق فيها المُحبّ وكانت للذات من/ [١١٢/ أ] حيث هي ذات لزم من ذلك أن تسري تلك

المحبَّة إلى محبَّة الصفات والأسماء الإلهيّة أيضاً كلِّها؛ فيصير المحبّ يحبّ الله تعالى، ويحبّ جميع صفاته، وأسمائه، وأفعاله، وأحكامه، حتى يحبّ تعذيبه كما يحبّ تنعيمه. ويحبّ غضبه كما يحبّ رضاه، كما قال أبو يزيد البسطاميّ قدّس الله سرّه:

أحبُّـــك لا أحبُّـــك للثـــواب ولكنِّـــي أحبُّـــك للعقـــاب

وكـــلّ مـــآربي قـــد نلـــت منهـــا ســـوى ملـــذوذ وجـــدي بالعـــذاب

وهذا أمر خفي في الناس، ولهذا رتّب فقهاء الحنفيّة على ذلك مسألة شرعيّة، قال في تنوير الأبصار(١) في مَن قال لامرأته: «إنْ كنتِ تحبين عذاب الله تعالى فأنت طالق. فإنّها إن قالت: أحبّ، طلقت.

٨٣- وَمَا احْتَرْتُ حَتَّى اخْتَرْتُ حُبِّيْكِ مَذْهَباً فَـوَا حَـيْرَتِي إنْ لم تَكُـنْ فِيْـكِ خِـيْرَتِي

(وما احترتُ): بالحاء المهملة، أي: وقعتُ في الحَيْرَة، وهي: الدهشة، وعدم الاهتداء إلى الصواب. وقوله (حتى اخترت): بالخاء المعجمة، قال في القاموس: «اختار الشيءَ: انتقاه، واختاره على غيره فضَّله». وقوله (حُبيكِ): بكسر الكاف خطاب للمحبوبة الحقيقيّة. وأصله حبِّي لك؛ فاتصل الضمير بالفعل، وحذفت اللام. أو أصله: حبِّي إياك بالضمير المنفصل. والمعنى: استمر تحيُّري واندهاشي في محبّة المظاهر الجماليّة والآثار الكونيّة، حتى انكشف لي الأمر الإلهيّ، والسرّ الربّانيّ، فوجدت المحبّة كلّها واقعة في نفس الأمر على الحضرة الإلهيّة، فانصرف اختياري وقصدي كلّه إلى تلك الحضرة. (ومذهباً): مفعول ثان لاخترت. والمفعول الأوّل حبيكِ. وكأنّه ضمن اختيار معنى جعل، فاخترت محبّتك مذهباً، أي: جعلت ذلك مذهباً أعبد الله تعالى به، قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه:

لقـــد صـــار قلبـــي قـــابلاً كـــلّ صـــورة فـــدير لرهبـــان وبيـــت لأوثـــان

---

(١) في الفقه الحنفي للشيخ التمرتاشي: محمّد بن عبد الله بن أحمد الخطيب التمرتاشي الغزّي، وقد شرحه محمّد بن علي الملقّب علاء الدين الحصفكي الدمشقي في الدرّ المختار شرح تنوير الأبصار.

ومرعى لغزلان وكعبة طائف وألواح توراة ومصحف قرآن

أدين بدين الحبّ أنى توجّهت ركائبه فالدين ديني وإيماني

وقوله (فوا حيرتي): بالحاء المهملة، أي: تحيري، واندهاشي، قال في القاموس: «واتكون حرفاً، وتختصّ في النداء بالندبة». وقوله (إنْ لم تكن فيكِ) بكسر الكاف، أي: في محبَّتكِ، خطاب للمحبوبة الحقيقيّة. وقوله (خِيْرَتِي): بالخاء المعجمة مصدر خَار يَخِير خِيْرَة بمعنى اختار اختياراً.

٨٤- فَقَالَتْ هَوَى غَيْرِي قَصَدْتَ وَدُوْنَهُ اقْـ تَـصَدْتَ عَمِيّـاً عَـنْ سَـوَاءِ مَحَجَّتِـي

(فقالت): أي المحبوبة التي يخاطبها فيما سبق من الكلام. (هوى): أي محبّة (غيري): من مخلوقاتي. (قصدت): أي أردتَ في محبّتكَ لي على زعمك؛ فإنّك تحبّني على حسب ما تدرك من المعاني التي أخلقها لك بمقتضى فقه عقلك، ومزاج طبيعتك، وجهد معرفتك لي بقدر ما أخلقه فيك؛ فأنت في نفس الأمر لا تحبّني من حيث ما هو أنا عليه في نفس أمري، ولا يمكنك ذلك أصلاً، وأنت إنّما تحبّ صورة استعدادك، وما أنت موصٍ به مما خلقته فيك على أنّه أنا، ومن هذا القبيل قول أبي عبد الرحمن السلمي رحمه الله تعالى:

إنّ الإله الذي يبدو لكم وبكم والله والله ما هذا هو الله

وإنّما ذاك معنى قد فتنت به فإنّ تحققت معناه هو الله

وقوله (ودونه): بمعنى عنده. (اقتصدت): أي اتّحد قصدك. والضمير لهوى الغير. و(عميّاً): بتشديد الياء التحتيّة حال من التاء في اقتصدت، قال في القاموس: «عَمِيَ كَرَضِيَ، عَمَىً: ذهب بصرُه /[١١٢/ ب] كلُّهُ كَأَعْمَايَ يَعْمَايُ اعْمِيَاءً، وقد تشدّد الياء، والعَمَى أيضاً: ذهاب بصر القلب». وقوله (عن سواء): متعلق بعميّاً. (سَوَاء): بفتح السين المهملة والمدّ، قال في القاموس: «السَّوَاءُ العَدْلُ والوَسَطُ». وقوله (مَحَجَّتي) مضاف إليه. والمحجّة الطريق الواضح. يعني: أعمى

عن طريقتي الواضحة الموصلة إليّ، وهي الطريقية السواء، أي: العدل الوسط بين الإكثار والتقليل، والتحكُّم والتعليل، والاختصار والتطويل.

٨٥- وَغَرَّكَ حَتَّى قُلْتَ مَا قُلتَ لابِسَاً بِـهِ شَـيْنَ مَـيْنٍ لَـبْسَ نَفْـسٍ تَمَنَّـتِ

(وغرَّكَ): بفتح الكاف، خطاب من المحبوبة الحقيقيّة للناظم قُدِّس سِرُّه. وفاعل غرّكَ ضمير عائد إلى هوى غيري في البيت قبله، وهو من الغُرُور، بالغين المعجمة، يقال: غَرَّتْه الدنيا غُرُوْراً، من باب قعد: خَدَعَتْهُ بزينتها، كذا في المصباح. (حتى قُلْتَ): بفتح التاء، خطاب له أيضاً، وادعيت ما ادعيت من المقام العالي. والمعنى الذي قلته في الأبيات السابقة كلِّها من شكوى المحبّة، والعشق، وذكرالمحبوبة، ونشر صفاتها الحسنى، وبيان المجاهدات في طريق الله تعالى. يعني: اشتبهت عليك الأمور، وغرَّكَ هوى الغير فوقعت في شرك الغرور، وظننت أنّك في الحاصل من محبتي، وأنت في هوى غيري منحرف عن محجتي. وقوله (لابِسَاً): حال من فاعل قلت، وفي المصباح لَبَسْتُ الأمرَ لَبْساً، من باب ضَرَب: خَلَطْتُهُ. وفي التنزيل: ﴿وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ﴾ [٦/الأنعام/٩]. وقوله (به): أي بهوى غيري، أو بما قلت. وقوله (شَيْنَ): بالشين المعجمة، وهو العيب، يقال: شَانَهُ شَيْناً، من باب باع: عَابَهُ، والشَّيْنُ خلاف الزين، كذا في المصباح. (وهو): مفعول لابساً. وقوله (مَيْن): مضاف إليه. والتنوين للتعظيم. و(المَيْنُ): بفتح الميم: الكَذِب. قال في المصباح: «مَانَ يَمِيْنُ مَيْناً، من باب بَاع: كَذَبَ». والمعنى: مُلبَساً بهوى غيري، أو بما قلته عيب كذب؛ فإنّ من الكذب ما ليس بعيب، كالكذب المباح في الحرب، وللإصلاح بين المتخاصمين، ولدفع الظالم. ثمّ قال: (لَبْسَ): مصدر مؤكد لاسم الفاعل. و(نفس): مضاف إليه. وقوله (تمنّتِ): بكسر التاء الساكنة للقافية. والجملة صفة نفس؛ فإنّ النفس إذا تمنَّت أمراً عظيماً كذبت فيه، ولَبَسَتْ فيه على الغير. والناقد البصير لا تخفى عليه خافية قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ﴾ [٥٠/ق/١٦].

٨٦- وَفِي أنفَسِ الأَوْطَارِ أمْسَيْتَ طَامِعاً   بِــنَفْسٍ تَعَــدَّتْ طَوْرَهَــا فَتَعَــدَّتِ

(وفي أنفس): أفعل تفضيل، من نَفُسَ الشيءُ بالضمّ نَفَاسَةً: كَرُمَ، فهو نفيس. و(الأوطار): جمع وَطَر، بالتحريك: الحاجة، والبُغْيَة. كنّى بأنفس الأوطار عن مطلوب السالك في طريق الله تعالى من كشف الحجاب، وشهود الوجه المهاب في مقام الاقتراب. وقوله (أمسيتَ): بفتح التاء، خطاب له. و(طامعاً): خبر أمسى. والمعنى: دخلتَ في المساء زمان ملازمة العبادة والطاعة، وقيام الليل، والخلوة، والانفراد، وأنت طامع في نيل الوصال، وحصول الإقبال. (بنفس): متعلّق بطامعاً. وتنكيرها للتحقير. وقوله (تعدّت): صفة نفس، بمعنى جاوزت. (طورها): بفتح الطاء المهملة، أي: قدرها، قال في القاموس: «الطَّوْرُ الحَدّ بين الشيئين، والقَدْر». والضمير للنفس. وقوله (فتعدَّتِ): بكسر التاء للقافية، من التعدِّي، وهو الظلم؛ لأنّه مجاوزة عن حدود الشرع.

٨٧- وَكَيْفَ بِحُبِّي وَهْوَ أحْسَنُ خُلَّةٍ   تَفُــوْزُ بِــدَعْوَى وَهْــيَ أقْــبَحُ خَلَّــةِ

(وكيف:) اسم استفهام، أي: على أي كيفيّة. (بحُبِّي): أي بسبب حبِّي بالضمّ، أي: محبَّتي. قوله (وهو): أي حُبِّي. (أحسن خُلَّة): بالخاء المعجمة، أي: صداقة ومحبّة. قال في المصباح: «الخَلّة: الصداقة، بالفتح، والضم لغة». وفي الصحاح: «الخُلّة: الخَليل يستوي فيه المذكَّر/ [١١٣/ أ] والمؤنّث»؛ لانّه في الأصل مصدر قولك خليل بيِّن الخلّة. يعني: إنّ محبَّتها أحسن محبّة وأشرفها. وقوله (تفوز): أي تزعم أنّك فزت وظفرت بشيء عظيم؛ وإنّما هو (بدعوى): أي مجرّد دعوى للمحبّة لا حقيقية لها. وقوله (وهي): الدعوى. (أقبح خَلَّة): بفتح الخاء المعجمة، أي: خصلة؛ فإنّ الدعوى الكاذبة تسوِّد وجه المدعي فتكون أقبح ما يكون من الخصال.

٨٨- وَأَيْنَ السُّهَى مِنْ أَكْمَهٍ عَنْ مُرَادِهِ   سَــهَا عَمَهَــاً لَكِــنْ أَمَانِيْــكَ غَــرَّتِ

(وأين): اسم استفهام، يطلب به تعيين المكان. و(السُّهى): بالضم، كوكب

خفي في بنات نعش الكبرى. والناس يمتحنون به أبصارهم، وفي المثل «أُريها السُّها وتريني القمر» كذا في الصحاح. وقوله (من أَكْمَه): كَمِهَ كَمَهاً، من باب تَعِب، فهو أَكْمَه. والمرأة كَمْهَاء، مثل أَحْمَرَ وحَمْرَاء، وهو العَمَى يولد عليه الإنسان، وربّما كان من عرض، كذا في المصباح. كنّى بذلك عن الغافل المحجوب الذي ولد كذلك، واعتاد السلوك مع الغافلين المحجوبين فيما هم عليه من المسالك، كما أنّه كَنّى بالسهى عن الكوكب الخفي في سماء الغيب والحضرة المنزّهة عن مشابهة الأكوان المقدّسة عن النقص والعيب. وقوله (عن مراده): أي عن مراد ذلك الأكمه. (سَهَا): أي أدركه السهو أيضاً زيادة على ما هو فيه من الكَمَه. وتقديم الجار والمجرور لإفادة الحصر. يعني: لم يسهُ عن غير مراده، بل هو متذكّر للأغيار، منهمك فيما يظهر له من أنواع الآثار. وقوله (عَمَهاً): منصوب على التمييز من نسبة السهو إليه، قال في المصباح: «عَمِهَ في طغيانه عَمَهاً، من باب تَعِب: إذا تردد مُتَحَيِّراً، وتَعَامَهَ مأخوذ من قولهم: أرض عَمْهَاء: إذا لم تكن فيها أَمَارات تدلّ على النجاة فهوعَمِهٌ، وأَعْمَهُ». وقوله (لكنْ): حرف استدراك، من نسبة قصد ذلك له، والتعمّد فيه. وقوله (أمانيكَ): بفتح الكاف خطاب له، والأماني: جمع أُمنية بالضمّ، اسم مَن قولك مَنَى اللهُ الشيءَ، من باب رَمَى: قَدَّرَه. والاسم المَنَا، مثل العَصَا. وتَمَنَّيْتُ كذا، قيل: مأخوذ من المَنَا؛ وهو القَدَر؛ لانّ صاحبه يُقَدِّرُ حصوله، والاسم المُنْيَة والأُمْنِيَة. وجمع الأولى: مُنَىً، مثل غُرْفَة وغُرَف. وجمع الثانية: الأَمَاني، كذا في المصباح. وقوله (غرَّت): بكسر التاء للقافية. يعني: سبب السهو والعَمَه غرور الأماني لك، والتمنيات المستحيلة على أمثالك؛ فتطلب منّي إدراك ما لا يدرك بالبصائر والأبصار، مع ضعف بصيرتك، وقلّة استعدادك. وفيه تنبيه للسالك على بعد المناسبة بينه وبين مطلوبه؛ ليرى الوصول من فضل الله ، لا من استعداده واستحقاقه، وإن كان في الواقع كذلك؛ فإنّ إعطاء الاستعداد أيضاً إنّما هو من فضل الله وكرمه لاغير، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

٨٩- فَقُمْتَ مَقَامَاً حُطَّ قَدْرُكَ دُوْنَهُ عَلَى قَدَمٍ عَنْ حَظِّهَا مَا تَخَطَّتِ

(فقمتَ): بفتح التاء، خطاب له من المحبوبة. (مقاماً): منصوب على الظرفيّة، أي: في مقام، وتنكيره للتعظيم. وقوله (حُطَّ): بضمّ الحاء المهملة وتشديد الطاء المهملة، فعل ماض مبني للمفعول، أي أُنزِلَ وأُسْقِطَ. (قَدْرُكَ): بالرفع، نائب الفاعل، والقَدْرُ بسكون الدّال المهملة وبفتحها: الحُرْمَة والوَقَار، يقال: ما له عندي قَدْر ولا قَدَر، أي: حُرْمَةٌ ووقار، كذا في المصباح. وقوله (دونه): أي دون ذلك المقام. وقوله (على قَدَمٍ): بالتحريك، متعلّق بقمت، وأفردها لأنّ الإنسان إذا قام على قدم واحدة لا يمكنه المشي لها، ولا التحوّل من مكانه فيقف من غير سير في طريق وإنْ عبد الله تعالى في ذلك الوقوف على القدم، وأجهد نفسه في الطاعة ما لم يسر بوضع قدمه الآخر الروحاني، ويرفع قدماً، ويضع قدماً في طريق الله تعالى، فينفي ويثبت، ويفنى ويبقى، ويغيب/[١١٤/ ب] ويحضر، ويصحو ويسكر. وقوله (عن حظها): أي حظّ تلك القدم، وهي مؤنّثة، ولهذا تصغير قديمة بالهاء، و(الحَظُّ): بالحاء المهملة والظاء المعجمة الجَدُّ، وفلان محظوظ، وهو أَحَظُّ من فلان، والحَظُّ: النصيب، كذا في المصباح. والجار والمجرور متعلّق بقوله (ما تَخَطَّتِ): بالخاء المعجمة والطاء المهملة المشدّدة وكسر التاء للقافية، أي: ما تجاوزت تلك القدم عن حَظِّها وغرضها، أي: غرض نفسها، فلا تمشي إلاّ في ما فيه غرضها، ولها فيه لذة عاجلة أو آجلة من لذائذ الدنيا، أو لذائذ الآخرة. يُقال: تَخَطَّيْتُه: إذا تَجَاوَزْتُهُ، ويُقال: تَخَطَّيْتُ رقاب الناس، وتَخَطَّيْتُ إلى كذا، ولا تقل تَخَطَّأْتُ، بالهمز، كذا في الصّحاح. وكنّى بالقدم عن النفس الإنسانيّة كلّها، كما يكنّى بالرقبة عن الإنسان كلّه، قال تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [٤/ النساء/ ٩٢] وكما كنّى تعالى بالقدم عن السابقة والمنزلة الرفيعة بقوله سبحانه: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ [١٠/ يونس/ ٢] قال البيضاوي في تفسيره: «سابقة ومنزلة رفيعة سُمِّيَتْ قدماً لأنَّ السبق بها، كما سُمِّيَتْ النعمة يداً

لأنّها تُعطى باليد»[1].

٩٠- وَرُمْتَ مَرَامَاً دُوْنَهُ كَمْ تَطَاوَلَتْ بِأَعْنَاقِهَا قَوْمٌ إِلَيْهِ فَجُذَّتِ[2]

(وَرُمْتَ): بفتح التاء، خطاب له أيضاً، أي: طلبتَ. (مَراماً): أي مطلباً عالياً. ونَكَّرَهُ تعظيماً له. وقوله (دونه): أقرب منه. وقوله (كم تطاولت): أي امتدَّت. (بأعناقها): متعلّق بتطاولت. و(الأَعنَاقُ): جمع عُنُق. والضمير يعود لمتأخِّر لفظاً، متقدِّم رتبة؛ وهو الفاعل، وهو قوله قوم، قال في المصباح: «القَوْم جماعة الرجال، ليس فيهم امرأة، الواحد: رجل، وامرؤ من غير لفظه، والجمع: أقوام، سُمُّوا بذلك لقيامهم بالعظائم والمهمات، ويذكَّر القوم ويؤنَّث؛ فيُقال: قام القوم، وقامت القوم». وتنكير قوم هنا للتعظيم. وضمير إليه راجع إلى قوله مراماً. وقوله (فجُذّتِ) بالجيم المضمومة وتشديد الذال المعجمة المفتوحة، وكسر التاء للقافية، والفاء للفور، والجَذّ: القطع والكسر، وضمير جُذَّتِ للأعناق. وهذه إشارة إلى أنَّ مقام القرب إلى الله تعالى والوصول، وحصول القبول عنده، والازدلاف لديه لا يحصل للسالك ما دام باقياً على تعيينه، واقفاً عند حظوظ نفسه سواء كانت دنيويّة، أو أخرويّة، جسمانيّة، أو روحانيّة. ولا بدّ من فناء النفس والتعين بالكليّة، قال ابن غانم المقدسي قدّس الله سرَّه:

فامحُ العلوم ولا تبقي الرسوم ولا تنظر لأياك لا عيناً ولا أثر

وقال الشيخ إبراهيم بن رفاعة الخليلي قُدِّس سرِّه:

وكم من هامة طاحت فناحت عليها الخيل فانسحقت غباراً

٩١- أَتَيْتَ بُيُوتَاً لَمْ تُنَلْ مِنْ ظُهُورِهَا وَأَبْوَابُهَا عَنْ قَرْعِ مِثْلِكِ سُدَّتِ

(أتيتَ): بفتح التاء خطاب له. وكنّى بالبيوت عن المقامات والدّرجات العلية

---

(١) انظر تفسير البيضاوي ج٢ ص٢.

(٢) في (ق): فجدَّتِ.

التي يقصدها السالك فيتَّصف بها في حال سلوكه، كالصبر، والشكر، والرضا، والمحبّة، والمعاينة، والمشاهدة، وأمثالها. أو الحضرات التي يتَّصف بها بعد الوصول من الحضرات الإلهيّة الأسمائيّة والصفاتيّة. وقوله (لم تُنل): بضمّ التاء المثنّاة الفوقيّة وبالنون، من نَال يَنال نَيْلاً: إذا بَلَغَ مطلوباً، وضمير تُنَلْ عائد إلى قوله بُيُوتاً. وقوله (من ظهورها): أي ظهور تلك البيوت، جمع ظهر، وهو غير الباب من نقب أو فرجة ، قال تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [٢/ البقرة/ ١٨٩] وقوله (وأبوابها): الواوللحال. والجملة في محل نصب على الحاليّة من قوله بيوتاً بعد وصف النكرة بقوله (لم تنل من ظهورها) [١١٤/ أ] وقوله (عن قَرْع): بفتح القاف وسكون الراء بالعين المهملة، مصدر قَرَعَ، يُقال: قَرَعْتُ الباب قَرْعاً: طَرَقْتُهُ ونَقَرْتُ عليه، كذا في المصباح. وقوله (مثلِك): بخفض اللام، لأنّه مضاف إليه، والكاف مفتوحة للخطاب. وقوله (سُدَّتِ): بضم السين المهملة وتشديد الدّال المهملة مفتوحة، فعل ماض مبني للمفعول، ونائب الفاعل ضمير يعود إلى الأبواب. والمعنى: أبواب تلك البيوت سُدّت عن قرع سالك مثلك فضلاً عن غلقها دونه، فلا يستطيع قرعها؛ لأنّها مسدودة عنه فضلاً عن فتحها له، أو دخوله منها.

٩٢- وَبَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكَ قَدَّمْتَ زُخْرُفَاً   تَرُوْمُ بِهِ عِزّاً مَرَامِيْهِ عَزَّتِ

(وبين يديّ نجواكَ): بفتح الكاف خطاب له أيضاً. و(النجوى): الاسم من نَاجَيْتُهُ: سَارَرْتُهُ، وتَنَاجَى القومُ: نَاجَى بعضُهم بعضاً، كذا في المصباح. يعني: قبل وصولك إلى مساررتنا ومناجاتنا. (قدّمتَ): بتشديد الدّال المهملة وفتح التاء للخطاب. وقوله (زُخرفاً): مفعول قدَّمت. والزُّخْرُفُ بالزاي المضمومة، وسكون الخاء المعجمة وبالراء والفاء: الزينة المموَّهة. وأصل الزخرف الذهب، ثمّ يشبَّه به كلّ مموَّه. والمزخرَف: المزيَّن، والزخرف من القول: الكذب المزيّن

المموّه. كنّى بذلك عن الكلام الذي يأتي به صاحبه، ولا يكون شرحاً لحاله؛ فالكلام صادق، وصاحبه كاذب. وقوله (تروم): أي تطلب. (به): أي بذلك المزخرف. (عِزّاً): مفعول تروم. والعِزّ: ضدُّ الذُّل. وقوله (مراميه): أي مرامي ذلك العِزّ. جمع مرمى، وهو مكان الرمي، وهي المقاصد التي ترمي بالهمم والعزائم، أي: تقصد وتطلب. وقوله (عزَّتِ): أي قَلَّتْ أنْ تُنَال، وأنْ يُوصل إليها، أو يُقدر عليها، قال في المصباح: «عَزَّ الشيءُ يَعِزُّ، من باب ضَرَب: لم يقدرعليه». وفي هذا تنبيه للسالك على أنّ الكلمات المزخرفة، والعبارات المزينة التي تحصل بالتعلُّم والتعليم لا يمكن الوصول بها إلى حضرة القرب الإلهيّ؛ وإنّما ذلك بالعمل الصالح، والفناء في الله.

٩٣- وَجِئْتَ بِوَجْهٍ أَبْيَضٍ غَيْرِ مُسْقِطٍ لِجَاهِكَ فِي دَارَيْكَ خَاطِبَ صِفْوَتِي

(**وجئتَ**): بفتح التاء، خطاب له أيضاً. يعني: جئتَ إلى حضرتنا. (**بوجه أبيض**): كناية عن المدح بين الناس، والوصف عندهم بأكمل الأوصاف، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [٣/آل عمران/١٠٦] الآية. وقوله (**غيرِ مسقطٍ**): بخفض غيرِ على أنّه صفة لوجه، أو بالنصب على الحال من فاعل جئت، وهو التاء ضمير المخاطب. و(**مُسْقِط**): مضاف إليه بصيغة اسم الفاعل، من أسقط، قال في المصباح : «سَقَطَ سُقُوطاً: وقع من أعلى إلى أسفل. ويتعدّى بالألف فيقال: أَسْقَطْتُهُ». وقوله (**جاهك**): متعلِّق بمسقط، وبفتح الكاف، خطاب له. والجاه: القَدْرُ والمَنْزِلَة. وقوله (**في دَارَيْكَ**): أصله في دارين لك، بفتح الراء، تثنية دار، فأضيف إلى الكاف، فحذفت النون؛ والمراد في دار الدنيا وفي دار الآخرة. والمعنى: جئت إلى حضرتنا ووجهك الذي تواجه به الناس أبيض، يرون منك كمال الأوصاف الحسنة، ولم يسقط جاهك وقدرك عندهم في الدنيا والآخرة لِتَقَيُّدِكَ بفعل ما يرضونه منك، كما قال تعالى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [٤/النساء/ ١٠٨]. وقوله (**خاطِب**): بصيغة اسم الفاعل، من

خطب العروس: إذا طلب أن يتزوّج بها، وهو منصوب حال من فاعل جئتَ. (صِفْوَتِي): مضاف إليه. والصِّفوة بكسر الصاد المهملة، وحُكِيَ بالتثليث فيها، صِفوة الشيء: خالصه، كذا في المصباح. وقال في الصحاح: «وصَفْوة الشيء خالصه»، ومُحَمَّدٌ صَفوة الله من خلقه ومصطفاه/ [١١٤/ ب] وكنّى بالصفوة هنا عن حضرة الذات العليّة التي هي خالصة مجموع الصفات والأسماء. يعني: من يطلب لقائي يلازم طريق الفقر، والفقر سواد الوجه في الدارين، كما ورد في الأثر. وذلك كناية عن سقوط الجاه والقدرعند الناس.

٩٤- وَلَوْ كُنْتَ بِي مِنْ نُقْطَةِ البَا خَفْضَةً رُفِعْتَ إِلَى مَا لَمْ تَنَلْهُ بِحِيْلَةِ

(ولو كنت): بفتح التاء، خطاب له من المحبوبة الحقيقيّة، أي: لو وجدتَ، من كان التامَّة، إشارة إلى عدم التعمّد في ذلك والتكلُّف، كما قال تعالى لنبيّه عليه السلام: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [٣٨/ ص/ ٨٦] وقال صلّى الله عليه وسلّم: «إنّا وأتقياء أمَّتي براء من التكلُّف»[1] . أو من كان الناقصة، أي: اتصفت بالانخفاض لي. وقوله (بي): أي لا بنفسك، كما قال تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ [٩٦/ العلق/ ١] وقال تعالى: ﴿ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ [١١/ هود/ ٤١] وقوله (من نقطة البا): بيان لكونه به. وقوله (خفضة): منصوب على التمييز لقوله من نقطة البا؛ فإنّ الباء حرف علوي وانحراف ربّاني منزَّه عن نقطة الأكوان، وقد امتدّ عن الألف التي تألف بها كلّ شيء، فقالت له الحضرة الغيبيّة، والمحبوبة الحقيقيّة لو كنت قائماً بي لا بنفسك، منخفضاً بالفناء عن وجودك الذي تدّعيه فإنّه وجودي لا وجودك، ولكن لا تعيه». كما قال الشيخ الأكبر رضي الله عنه: «الباء ظهرالوجود، وبالنقطة تميَّز

(١) ذكره الشوكانيّ في الفوائد، ٧٤، بلفظ: أنا وأتقياء أمّتي براء من التكلّف وقال: «قال النووي: ليس بثابت. وقال في المقاصد: روى معناه بسند ضعيف». ولكن يؤيّد معناه ما رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الاعتصام بالكتاب، باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلّف ما لا يعنيه، ٧٢٩٣، بلفظ: عن أنس قال كنّا عند عمر فقال: نهينا عن التكلّف.

العابد من المعبود؛ فأوّل ما خلق الله تعالى العقل فتعيَّن عند نفسه بالنقطة التي هي تعينه الذي به تميّز عن معبوده وهي التي لأجلها شقّ عن قلب نبيِّنا صلّى الله عليه وسلّم وغسل منها ليلة المعراج، وكان يقول صلّى الله عليه وسلّم: «إنّه ليُغان على قلبي، وإنّي لأستغفر الله أكثر من مائة مرّة»[1] . وقال في ذلك العارف بالله أبو الحسن الشاذليّ قُدِّس سِرُّه: «هو غين أنواره، لا غين أغياره، فتختلف النقطة العقليّة بحسب غلبة الأحوال الإنسانيّة، وتعلو وتسفل، وتطلع وتأفل، وكمالها في نقصانها، ورفعها في خفضها بفناء روحها وجسمانها». وقوله (رُفعتَ): بفتح التاء خطاب له، والفعل مبني للمفعول. ونائب الفاعل ضمير المخاطب، وقوله (إلى ما): أي مقام عالي. (لم تنله): أي تصل إليه بحيلة من الحيل، لا بذكر، ولا بفكر، ولا بعلم، ولا بعمل، إلّا بمحض فضل من الله تعالى، وأوفر مِنّة منه، وكرمٍ، والذكر، والفكر، والعلم، والعمل، أسباب لحصول الإخلاص، والتقوى، والورع، والزهد، والصبر، والشكر، ونحو ذلك من الأحوال والمقامات، وهي أسباب لحصول المراقبة، والمشاهدة، والمعاينة، والمعرفة، والتحقيق، وعين اليقين، وهذه أسباب لظهور حقائق الأمر الإلهيّة والصفات الربّانيّة في الحقيقة الوجوديّة؛ فيفضي من لم يكن، ويبقى من لم يزل.

وبعد فناء الأكوان يظهر المتجلِّي على العرش الرحمن، والله الموفِّق، وهو الحقيقة والمتحقّق.

٩٥- بِحَيْثُ تَرَى أَنْ لَا تَرَى مَا عَدَدْتَهُ وَأَنَّ الَّذِي أَعْدَدْتَهُ غَيْرُ عُدَّةِ

(بحيث): متعلّق برُفعتَ في البيت قبله. وحيث ظرف مبني على الضمّ. وقوله **(ترى)**: أي تعلم؛ وهي الرؤية القلبيّة، والخطاب للناظم - قُدِّس سرُّه - من المحبوبة الحقيقيّة. وقوله **(أن لا ترى)**: أي لا تجد. **(ما)**: أي الذي. **(عددته)**: من

---

(١) انظر تخريجه ص٣٧٥.

العدّ، وهو الإحصاء، قال في المصباح: «عَدَدْتُهُ عَدّاً، من باب قتل، والعَدَد بمعنى المَعْدود». والمراد: ما عددته من أعمالك الصالحة، وأحمالك الفالحة، قال تعالى: ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [٣٥/ فاطر/ ١٠] فإذا ارتفع فلا يراه العبد. وإذا لم يرتفع فيكون نصب عينه فيتكبّر به على غيره، ويُرائي الناس به، ويعجب به، إلى غير ذلك من المفاسد المترتِّبة على العمل غير المقبول، كما ورد في الأثر في حقِّ المسيء/ [١١٥/ أ] صلاته أنّها تُلَف كما يُلف الثوب الخَلِق ويُضرَب بها وجهه، ولهذا تكون مواجهة له، فيراها في كلِّ حين. وقوله (وأنَّ الذي): أي وترى أنّ الذي. (أعددته): أي حصّلته، وهيئته من الأعمال والأحوال. (غير عدّةٍ): أي ليست بأمر مهيَّأٍ ولا محضر، أو ليست بعدّة لك، أي: سلاح تقاتل به عدوَّك: الشيطان، والهوى، والدّنيا، قال في المصباح: «العُدَّةُ بالضمّ: الاستعداد والتأهّب، والعُدّة: ما أعددتَه من: مال، أو سلاح، أو غير ذلك، والجمع عُدَد، مثل غُرْفَة وغُرَف، وأَعْدَدْتُهُ إعْداداً: هيَّأْتُه، وأحضرته.

٩٦- وَنَهْجُ سَبِيلِي وَاضِحٌ لِمَنِ اهْتَدَى وَلكِنَّهَا الأَهْوَاءُ عَمَّتْ فَأَعْمَتِ

(النَّهْجُ): بسكون الهاء، الطريق الواضح. و(السبيل): الطريق، يذكَّر ويؤنّث، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ ﴾ [١٢/ يوسف/ ١٠٨] فأنّث. وقال: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ [٧/ الأعراف/ ١٦٢] فذكَّر، كذا في الصحاح. وإضافة نهج إلى سبيل كإضافة جرد قطيفة، أي: قطيفة جرد. وسبيل نهج أي: طريق واضح. وقوله (واضح): أي: ظاهر لا خفاء فيه على أحد. وقوله (لمن اهتدى): أي ذلك الوضوح إنّما هو عند مَنْ هداه الله تعالى فاهتدى. وقوله (ولكنَّها): بتشديد النون، والهاء ضمير القصّة والحالة. وفي نسخة ولكنّما، فما كافَّة. وقوله (الأهواء): جمع الهوى، قال في الصحاح: «والهَوَى، مقصور: هوى النفس. والجمع الأَهْوَاء». وهو ميل النفس إلى الشهوات واللذائذ الدنيويّة والأخرويّة. وقوله :(عمَّتْ) يقال: عَمَّ المطرُ وغيرُه عُمُوماً، من باب

قَعَدَ؛ فهو عامٌّ، كذا في المصباح، أي: شملت الأهواء ظاهرالعبد وباطنه، واستغرقت حسّه وعقله. وقوله (فأعمَتِ): بكسر التاء للقافية، قال في الصحاح: «العَمَى: ذهاب البصر. وقد عَمِيَ؛ فهو أَعْمَى، وأَعْمَاهُ الله». يعني: إنّ الأهواء والأغراض النفسانيّة لمّا عمّته واستولت على باطنه وظاهره أعمتْ بصيرته؛ فلا يرى طريق الحقّ الواضح، ويظهر منه مقتضاه، وكلّ إناء بما فيه ينضح.

٩٧- وَقَدْ آنَ أَنْ أُبْدِي هَوَاكَ ومَنْ بِه ضَنَاكَ بِمَا يَنْفِي ادِّعَاكَ مَحَبَّتِي

(قد): للتحقيق و(آنَ): بمدّ الهمزة، قال في المصباح: «آنَ يَئِيْنُ أَيْناً، مثل حَانَ يَحِيْنُ حَيْناً، وزناً ومعنىً». وقوله (أن أُبدي): أي أظهر هواكَ بفتح الكاف، خطاب له، أي: محبّتك. وقوله (ومَن به): أي وأبدي أيضاً بمعنى أظهر المحبوب الذي بسببه ضناكَ، خطاب له أيضاً. و(الضنى): مصدر قولك ضَنِي ضَنَىً، من باب: تَعِب، مَرِضَ مَرَضاً ملازماً حتى أشرف على الموت، كذا في المصباح. وقوله (بما): أي بدليل قاطع ينفي عندك وعند غيرك. (ادّعاكَ): بفتح الكاف، خطاب له أيضاً. و(الادّعا): بالقصر للوزن، وأصله ممدود، مصدر ادَّعَى يَدَّعِي ادِّعَاءً، والادِّعَاء قد يكون باللسان، وقد يكون بالقلب. وقوله (محبّتي): مفعول المصدر؛ وهو الادّعاء. قال القائل فيمن يعصي ويدّعي المحبّة بلا طائل:

تعصي الإله وأنت تظهر حبَّه هذا لعمري في القياس شنيعُ
لو كان حبُّك صادقاً لأطعته إنّ المحبّ لمن يحبُّ مطيعُ

٩٨- حَلِيْفُ غَرَامٍ أَنْتَ لَكِنْ بِنَفْسِهِ وَإِبْقَاكَ وَصْفَاً مِنْكَ بَعْضُ أَدِلَّتِي

(حليف): بالحاء المهملة، أصله: المعاهد، يقال منه: تحالفا إذا تعاهدا وتعاقدا. والمراد هنا ملازم غرام. والغرام بالغين المعجمة: المحبّة الملازمة للقلب. وقوله (أنت): خطاب له. ثمّ قال (لكن): حرف استدراك. وقوله (بنفسه): متعلّق بحليف. يعني: صدقت، أنت حليف غرام، وصاحب محبّة زائدة، لكن محبّتك

لنفسك؛ فمحبوبك نفسك؛ لأنّكَ تريد الوصال، واللقاء، والرؤية، وذلك حظُّها، فأنت ساعٍ في تحصيل حظوظها/[١١٥/ب]؛ وذلك من زيادة محبَّتكَ لنفسك.

وقوله (وأبقاك): مبتدأ، وخبره بعض. والإبقاء بكسر الهمزة مصدر مضاف إلى كاف الخطاب المذكَّر، أي: إبقاؤك، وقُصر للوزن. وقوله (وصْفاً): مفعول المصدر. و(منكَ): الجار والمجرور صفة للنكرة. وقوله (بعض أدلّتي): أي من جملة أدلّتي التي تنفي دعواك محبَّتي، وتثبت أنّك محبّ لنفسك؛ لا لي إبقاؤك. (وصفاً): واحداً من أوصافك؛ فإنّ الوصف إذا بقي دلّ على بقاء الموصوف به. والموصوف به هو نفسك؛ فأنت محبّ لها ساعٍ في تحصيل حظوظها، ولذائذها، وشهواتها، ومن جملة ذلك وصالي ورؤيتي، والقرب إلى حضرتي؛ فإنّك تطلب ذلك مني لأجل محبوبتكَ التي هي نفسك، لا لأجلي؛ ولهذا قال الشيخ أبو الحسن الشاذليّ قدّس الله سرَّه: «من أقطعِ القواطعِ عن الله شهوة الوصول إلى الله» وصدق في ذلك رضي الله عنه؛ لأنَّ شهوة الوصول إلى الله تعالى من جملة حظوظ النفس، وحظوظ النفس هي القواطع.

٩٩- فَلَمْ تَهْوَنِي مَا لَمْ تَكُنْ فِيَّ فَانِيَاً وَلَمْ تَفْنَ مَا لَمْ تُجْتَلَى فِيْكَ صُوْرَتِي

(فلم تهوني): أي لست أنت محبّاً لي ما لم تكن. (فيَّ): بتشديد الياء، جار ومجرور متعلِّقان بفانياً، خبر تكن، واسمها ضمير المتكلّم. و(ما): ظرفيّة مصدريّة. والمعنى: لستَ محبّاً لي مدَّة عدم كونكَ فانياً في محبَّتي، فإذا فنيتَ في محبَّتي فأنت تحبُّني حينئذٍ. وقوله (فيَّ فانياً): إشارة إلى أنَّ الفناء المطلوب حصوله في هذا المقام ليس انعداماً محضاً؛ بل انعدام التعين والأنانيّة كانعدام تعين قطرات الماء في البحر عند وصولها إليه، وانعدام الموجات والفقاقيع عند ذهابها من الماء بسكون الريح المثير لها. وقوله (ولم تفنَ): بيان للمراد من الفناء. يعني: لا يمكنك الفناء المطلوب ما لم. (تُجتلى): بضم التاء الأولى، مبني للمفعول، من الانجلاء؛ وهو الانكشاف. وقوله (فيكَ): أي في نشأتك كلِّها ظاهراً وباطناً. وقوله (صورتي): نائب الفاعل لقوله

تُجتلى. والمعنى: لا يمكنك الفناء مدّة عدم اجتلائك، أي: كشفك صورتي فيك، وفيه إشارة إلى أنّ تلك الصورة التي تنكشف لك هي صورتكَ التي تدَّعي أنّها لك، فليس تجلِّي الحقّ سبحانه على العبد من خارج ذات العبد أصلاً. وهذا مما لا يكون، والجاهل بالله يظن أنّه رآه في الخارج عن نفسه لشهوده إياه في صورة مثاليّة خارجة عن صورته، وهو المنزّه عن ذلك كلّه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

١٠٠ - فَدَعْ عَنْكَ دَعْوَى الحبّ وَادْعُ لِغَيْرِهِ   فُـؤَادَكَ وَادْفَـعْ عَنْـكَ غَيَّـكَ بِـالّتِي

(دع): أي اترك. (عنكَ): بفتح الكاف، خطاب له. (دعوى الحبّ): بالضمّ، أي: المحبّة لي، وارفع هذه الدعوى من قلبك بالكليّة. وقوله (وادع لغيره): أي إلى غيره، أي: غير الحبّ، أي: حبِّي الذي تدّعيه، قال الراغب[1]: «الدّعاء إلى الشيء: الحثّ على قصده» قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [١٠/ يونس/ ٢٥]. وقوله (فؤادك): مفعول ادعُ، والكاف حرف خطاب له. وقوله (وادفع عنك): أي أزل من قلبك. (غيَّكَ): بفتح كاف الخطاب فيهما. والغَيُّ: الضَّلال والخَيبة، كما في الصحاح. ولا شك أنّ دعوى النفس للمحبّة الإلهيّة كذب منها، فإنّ تلك المحبّة في نفس الأمر تراجعه إليها، لا إلى ربِّها؛ فإنّها تحبّ ربّها لنفسها كي تلتذّ برؤيته ومشاهدته وتنتفع برضوانه وهدايته كمن يحبّ المأكل، والشراب، والمناكح، والمساكن، والملابس، ونحو ذلك؛ فإنّه في نفس الأمر إنّما يحبّ نفسه فيسعى في تحصيل ما يلائمها ويدفع عنها ما لا يلائمها، والدعوى الكاذبة قبيحة مذمومة، فهي ضلال عن المقصود، وخيبة وحرمان. وقوله (بالّتي): اكتفاء، أي: بالّتي هي أحسن،/ [١١٦/ أ] كما قال تعالى: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [١٦/ النحل/ ١٢٥] أي: بالحالة التي هي أحسن الحالات، والمراد بالحالة هنا التي هي أحسن فناء

---

(١) هو الحسين بن محمّد بن المفضل، الإمام أبو القاسم الراغب الأصفهانيّ، تُوفي ٥٠٢ هـ. أديب من الحكماء العلماء، له التفسير الكبير في عشرة أسفار، وله مفردات القرآن لا نظير له في معناه، انظر البلغة في أئمّة النحو واللغة للفيروزآبادي ج١ ص١٩، والأعلام للزركلي ج٢ ص٢٥٥.

النفسيّة بالكليّة حتى يكون العبد صادقاً في محبّة الله تعالى بأنْ يعرف نفسه بنفسه، وذلك بأن ينكشف له بأنّه كلّه ظاهراً وباطناً مجرّد فرض، وتقدير ذلك هو التخليق الإلهيّ كما قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [٢٥/ الفرقان/ ٢] فإنّ قوله قدَّره بيان لقوله خلق، وهو الخلق الأوّل القديم، كما قال تعالى:﴿ أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [٥٠/ق/ ١٥] فالخلق الأوّل هو التقدير الأزليّ الذي لا يتغيّر ولا يتبدّل كما قال تعالى:﴿ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ ﴾ [٥٠/ ق/ ٢٩]. والخلق الثاني وهو الخلق الجديد، هو الذي يتغيَّر ويتبدّل قال تعالى: ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ﴾ [١٣/ الرعد/ ٣٩]. يعني: في الخلق الجديد. ﴿ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ [١٣/ الرعد/ ٣٩]. يعني: في الخلق الأوّل والتغيير، والتبديل والمحو والإثبات مقدر في الخلق الأوّل، فيظهر في الخلق الجديد، فلا تغيير ولا تبديل، ولا محو ولا إثبات في نفس الأمر، وإنّما الخلق الثاني هو التجلِّي الوجود الحقّ، الواحد الأحد، وانكشافه محيطاً بكلِّ شيء، كما قال تعالى:﴿ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا ﴾ [٤/ النساء/ ١٢٦] وهو من وراء كلّ شيء، كما قال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ [٨٥/ البروج/ ٢٠]. وكلّ شيء هو عين الخلق الأوّل، وهو التقدير الأزليّ، وهذا الخلق الثاني هو الخلق الجديد الذي هم في لَبْس منه، كما قال تعالى. واللبس هو الالتباس عليهم حيث قال هم، ولا لبس في نفس الأمر، فإذا تحقّق العبد بمعرفة نفسه وزال عنه الالتباس بالوجود المتجلّي عليه، الواحد الأحد، الذي أمره إذا أراد شيئاً أنْ يقول له كن فيكون، أي: أوجِد فيوجد. يعني: شيئاً من الخلق الأوّل في الخلق الثاني، الذي هو الخلق الجديد، الذي هم في لبس منه، ومَن تحقّق بما قلناه عرف معنى الفناء الذي أجمع عليه جميع العارفون، وأوقفوا عليه معرفة الله تعالى، وعلى معرفة الله تعالى، وعلى المعرفة تتوقّف المحبّة الإلهيّة.

١٠١- وَجَانِبْ جَنَابَ الوَصْلِ هَيْهَاتَ لَمْ يَكُنْ   وَهَا أَنْتَ حَيٌّ إِنْ تَكُنْ صَادِقاً مُتِ

(وجانب): فعل أمر من المجانبة، وهي المباعدة، أي: باعد. وقوله (جناب):

مفعول جانب، والجَنَاب بالفتح، يقال: جناب الحقّ، وجناب السلطان، أي: جانبه، وقد أضيف هنا إلى الوصل لشرفه وعظمه بكونه وصل الحقَّ تعالى، المكنّى عنه فيما سبق بالحضرة المحبوبة؛ لأنّه ظهور وتجلٍّ للعبد، على مقدار استعداد العبد؛ فهو حضرة محبوبة للعبد، لا هو هو على ما هو عليه في نفس الأمر؛ فإنّ ذلك لا يكون إلّا بتجلٍّ منه له تعالى لا لغيره، وهذا الظهور والتجلّي بحسب الاستعداد يسمى قرباً ودنوّاً، ونحو ذلك. ثمّ قال **(هيهات)**: اسم فعل بمعنى بَعُدَ، وفيها لغات خمس عشرة ذكرها ابن مالك في (تسهيله)، الأولى: هيهاتَ، بفتح التاء، والثانية: هيهاتُ بضمّها، والثالثة: هيهاتِ بكسرها، والرابعة: هيهاةً بفتح مع تنوين، والخامسة: بضمّ مع تنوين، والسادسة: بكسر مع تنوين، والسابعة: ايهات بفتح الهمزة، وفيها الست لغات[كذا] المذكورة، والثالثة عشر: إيهاتِ، بكسر الهمزة، والرابعةعشر: إيهاه بكسر الهمزة، وبالهاء عوض التاء، والخامسة عشر إيهاكَ، بكسر الهمزة، وبالكاف المفتوحة عوض التاء. وقوله **(لم يكن)**: أي الوصل. وها: حرف تنبيه، تقول: ها أنتم هؤلاء. وقوله **(أنت حيّ)**: أي متّصف بالحياة عند نفسك فتنبّه لذلك. ثمّ قال **(إن تكن صادقاً)**/ [١١٦/ ب] في دعواك المحبَّة لنا **(مُتِ)**: وهو فعل أمر مبني على السكون، حركت التاء بالكسر للقافية، قال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ أي: مات ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ أي: الموت في سلوكه ﴿وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [٣٣/ الأحزاب/ ٢٣] من فطرتهم التي فطروا عليها.

١٠٢ - هُوَ الحُبّ إنْ لَمْ تَقْضِ لَمْ تَقْضِ مَأرَباً ... مِنَ الحِبّ فَاخْتَرْ ذَاكَ أوْ خَلِّ خُلّتِي

(هو): ضمير الشأن مبتدأ. **(الحُبّ)**: بضمِّ الحاء المهملة، بمعنى المحبّة، خبر المبتدأ. وقوله **(إنْ لم تقضِ)**: من قضى، مات، قال في الصحاح: «ضربه فقضى عليه، أي: قتله، كأنّه فرغ منه. وسُمٌّ قاضٍ، أي: قاتل، وقضى نحبه قضاء: أي

مات». وقوله (لم تقضِ): أي لم تنل، ولم تبلغ مأرباً، أي: وطراً وحاجة، قال في المصباح: «قَضَيْتُ وَطَرِي: بَلَغْتُهُ وَنِلْتُهُ، وقَضَيْتُ الحاجةَ كذلك». وقوله (من الحِبّ): بكسر الحاء المهملة، أي: المحبوب، قال في المصباح: «أَحبَبْتُ الشيءَ، بالألف، وحَبَبْتُهُ من باب ضرب. والحُبّ يعني ـ بالضمّ ـ اسم منه» وهو ميل القلب إلى الشيء، وقد يكون بالتفضيل له على غيره؛ فهو محبوب، وحبيب، وحِب بالكسر. وقوله (فاخْتَرْ): فعل أمر، قال الراغب في مفرداته: «الاختيار: طلب ما هو خير وفعله، وقد يقال لما يراه الإنسان خيراً وإنْ لم يكن [خيراً]». وقوله (ذاك): إشارة إلى أنه يقضي، أي: يموت. وقوله (أو خَلِّ): بالخاء المعجمة وتشديد اللام، أي اترك، من قولك: أَخَلَّ الرجلُ بكذا: تركه ولم يأتِ به، كما في المصباح. وقال الراغب: «خليتُ فلاناً: تركته في خلاء، ثمّ يقال لكل ترك تخلية، نحو: ﴿فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ﴾ [٩/ التوبة/ ٥] وقوله (خُلَّتي): بضمّ الخاء المعجمة وتشديد اللام، قال الراغب: «الخُلّة المودّة إمّا لأنّها تخلل النفس، أي: تتوسطها وإمّا لأنّها تخلّي النفس فتؤثر فيها تأثير السهم في الرمية».

١٠٣ - فَقُلْتُ لَهَا رُوْحِي لَدَيْكِ وقَبْضُهَا إلَيْكِ وَمَا لِي أنْ تَكُوْنَ بِقَبْضَتِي

(فقلت لها): أي للمحبوبة الحقيقيّة في جواب ما قالته هي له في الأبيات السابقة، وهذا القول منها له، ومنه لها بطريق الإلهام، وهوإلقاء المعنى في القلب من حضرة الغيب الحق على الكشف والبصيرة. وقوله (روحي لديكِ): بكسر الكاف، أي: عندك، قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨٥] وقوله (قبضها): أي قبض الروح، بمعنى سلبها وأخذها إليكِ بكسر الكاف، أي: موكول إليك، ومفوّض إلى أمرك قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [٣٩/ الزمر/ ٤٢] الآية. وقوله (وما لي): ما استفهاميّة، بمعنى أيّ شيء لي. يعني: يا ليتها. (أنْ تكون): أي الروح. (بقبضتي): أي في يدي يمكنني أن أتصرّف فيها فأسلمها إليك طوعاً واختياراً.

١٠٤ - وَمَا أَنَا بِالشَّانِي الوَفَاةَ عَلَى الهَوَى وَشَانِي الوَفَا تَأْبَى سِوَاهُ سَجِيَّتِي

(وما): نافية. وقوله (بالشَّاني): الباء زائدة في خبر ما، كما زيدت في خبر ليس، قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [٣٩/ الزمر/ ٣٦] وقال تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [٢/ البقرة/ ١٤٩] و(الشاني): بالشين المعجمة بمعنى العائب، ويجوز أن يكون الشاني أصله الشانئ بالهمز، فخفف بإبدال الهمزة ياء، قال في المصباح: «شَنِئْتُهُ أَشْنَؤُهُ، من باب تعب، شَنْأً، مثل فَلْس، وشَنْآنَاً بفتح النون وسكونها: أبغضته، والفاعل شانِئٌ». قال في المصباح: «شَانَهُ شَيْنَاً، من باب باع: عابه/ [١١٧/ أ] والشين خلاف الزين». و(الشاني): اسم فاعل يضاف إلى مفعوله، أو ينصب المفعول. و(الوفاة) مفعوله. وقوله (على الهوى): أي المحبّة. والجار والمجرور محلّه النصب حال من الوفاة. و(الوفاة): الموت. يعني: ما أنا بعائب الموت في طريق الهوى والمحبّة، أو ما أنا بمبغض الموت في ذلك، ولا كاره له. ثمّ قال (وشاني): أصله شأني، بالهمز على الألف، فحذف الهمز تخفيفاً، قال الراغب: «الشأن الحال والأمر الذي يتقن ويصلح، ولا يُقال إلّا في ما يعظم من الأحوال والأمور». وقوله (الوفا): وهو ضدّ الغدر، يقال: وفَى بعهده وأوفى بمعنىً، كذا في الصحاح. وقوله (تأْبى): من« الإباء بالكسر، مصدر أَبَى يَأْبَى، بالفتح ـ وفيهما مع خلوِّه من حروف الحلق، وهو شاذ ـ أي: امتنع، كذا في الصحاح. وقال الراغب: «الإباء شدَّة الامتناع؛ فكلّ إباء امتناع، وليس كلّ امتناع إباء». وقوله (سواه): أي سوى الوفاء، وهو الغدر. و(سجيَّتي): فاعل تأبى، والسَّجِيَّة بالسين المهملة: الغريزة، والجمع: سَجَايَا، مثل عَطِيَّة وعَطَايَا كما في المصباح. وفي الصحاح: السَّجِيَّة: الخلق والطبيعة. يعني: طبيعتي تأبى الغدر، وعدم الوفاء، وتمنع من ذلك غاية الامتناع.

١٠٥ - وَمَاذَا عَسَى عَنِّي يُقَالُ سِوَى قَضَى فُلَانٌ هَوَى مَنْ لِي بِذَا وَهْوَ بِغْيَتِي

(وماذا): ما اسم استفهام، مبتدأ، وذا: اسم موصول، والجملة بعده صلة. و(عسى): فعل ماض جامد غير متصرّف، وهو من أفعال المقاربة، وفيه تَرَجٍ وطَمَع،

كذا في المصباح. وقوله (عَنِّي): متعلّق بـ(يقال). وقوله (**سوى قضى**): أي غير قولهم. (**قضى**): أي مات. و(**سوى**): مضاف إلى جملة قضى خبر المبتدأ. و(**فلان**): فاعل قضى، قال في المصباح: «فُلان وفُلَانَة وبغير ألف ولام: كناية عن الأُناسيِّ، وبهما: كناية عن البهائم، فيقال: ركبْتُ الفُلانَ، وحَلَبْتُ الفُلانَة». وقوله (**هَوَىً**): تمييز. والهوى: المحبّة. ثمّ قال (مَن لي): أي أين الذي يسعفني بذا؛ إشارة إلى الموت. وهو أي المشار إليه، وهو الموت. (بِغيتي): البِغية بكسرالباء الموحّدة وبالغين المعجمة: الحاجة التي تبغيها، وضمّ الباء لغة. وقيل: بالكسر الهيئة، وبالضمّ الحاجة.

١٠٦- أَجَلْ أَجَلي أَرْضَى انْقِضاهُ صَبَابَةً وَلَا وَصْلَ إنْ صَحَّتْ لِحُبِّكِ نِسْبَتِي

(**أجلْ**): بسكون اللام حرف جواب مثل نعم. وقوله (**أجلي**): أي مُدّتي. والأجل مدّة الشيء؛ والمُراد هنا مدّة العمر، قال في المصباح: «أَجَلُ الشيء: مُدَّتُه، ووقته الذي يَحِلُّ فيه». وقوله (**أرضى انقضاه**): بالقصر، وحذف الهمزة للوزن، والأصل انقضاءه بالمدّ، مفعول أرضى، والضمير يعود إلى أجلي. والمعنى في تقدير سؤال كأنّه قيل له: هل ترضى بانقضاء أجلك؟. فقال: أجل، أي: نعم أرضى بانقضاء أجلي (**صبابة**): بالنصب على التمييز. وقوله (**ولا وصل**): الواو للحال، وخبر لا محذوف، تقديره حاصل لي ونحوه. وقوله (**إنْ صحَّتْ لحبِّكِ**): بكسر الكاف، خطاب للمحبوبة الحقيقيّة. يعني: إلى حبِّكِ. وقوله (**نِسبتي**): فاعل صحّت. والنِّسبَة بالكسر: الاسم، من نَسَبْتُه إليه، من باب قتل: عزوته إليه. وتجمع على نِسَب، مثل: سِدْرَة وسِدَر. وقد تُضمّ، فتجمع، مثل: غُرْفَة وغُرَف، كذا في المصباح. يعني: إن كانت محبّتي لك صحت في نفس الأمر نسبتها إليك، وكانت واقعة عليك؛ لأنّ الممكن المخلوق هل يصحّ أنْ يحبّه الحقّ القديم، الخالق، والمحبّة التي هي صفة العبد مخلوقة، فكيف تقع على القديم ؟! وإنّما هي واقعة على مقدار استعداد العبد من علمه الحادث المتعلّق بالقديم، والأصل في ذلك/ [١١٧/ب] أنَّ العدم لا يدرك الوجود؛ لأنّه ضدّه، والممكن مادّته العدم،

وصورته العدميّة مستفادة من الوجود بتجلّيه به، قال تعالى: ﴿ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ [٨٢/ الإنفطار/ ٨] فصحّة نسبة المحبّة من الحادث القديم مشكوك فيها، ولهذا أتى بأن الشرطيّة بدلاً من إذا فقال: (إنْ صَحَّتْ).

١٠٧ - وإنْ لَمْ أَفُزْ حَقّاً إلَيْكِ بِنِسْبَةٍ لِعِزَّتِهَا حَسْبِي افْتِخَاراً بِتُهْمَتِي

(وإنْ لم أفز): أي أظفر. وقوله (حقّاً): أي على وجه الحقيقة. (إليكِ): بكسر الكاف، خطاب للمحبوبة الحقيقيّة. وقوله (بنسبة): متعلّق بأفز، أي: بمناسبة. يعني: إذا لم يكن بيننا هنا نسبة حقيقيّة، لأنّ العدم لا يناسب الوجود أصلاً، ولا بوجه من الوجوه، ولا باعتبار من الاعتبارات. وقوله (لعزّتها): أي النسبة. يعني: لقلّتها، من قولهم عَزَّ الشيء: قلّ، وشاة عزوز: قلّ درّها، كذا في مفردات الراغب. أو من العِزَّة التي هي ضدّ الذلّ، أي: لعظمتها. وقوله (حسبي): أي يكفيني. (افتخاراً): أي أنْ أفتخر افتخاراً. (بتهمتي): متعلّق بافتخاراً. والمعنى: يكفيني افتخاري بتهمتي، أي: بكوني متهوماً بمحبّتي لك بين الناس.

١٠٨ - وَدُوْنَ اتِّهَامِي إنْ قَضَيْتُ أَسَىً فَما أَسَأْتُ بِنَفْسٍ بِالشَّهَادَةِ سُرَّتِ

(ودون اتهامي): أي من غير اتهامي بالمحبّة، وقبل الوصول إلى الاتّهام بها، أي: قضيت، أي: مُتّ، من قولهم قضى فلان، يعني: مات. و(أسىً): تمييز، أي: من جهة الأسى، وهو الحزن. وقوله (فما أسأتُ): بضمّ التاء، من الإساءة، والسوء وهو فعل القبيح، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ ﴾ [٣٠/ الروم/ ١٠] وعبّر بالسوء عن كلّ ما يقبح، كذا في مفردات الراغب. وقوله (بنفس): متعلّق بأسأتُ. وقوله (بالشهادة): متعلّق بسُرَّتِ، أي: صارت النفس مسرورة بتحصيل مقام الشهادة في طريق المحبّة، لما روي عن عائشة رضي الله عنها عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال: «مَن عشق فعفَّ فمات مات شهيداً»[١] أخرجه السيوطي في الجامع الصغير. وأخرج

---

(١) انظر تخريجه ص١٧٧.

أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم قال: «مَن عشق فكتم وعفَّ فمات فهو شهيد». وقوله (سُرَّتِ): أصله ساكن التاء، لأنّه فعل ماض مبني للمفعول، وحرِّكت التاء بالكسر لأجل القافية.

١٠٩ - وَلِيْ مِنْكِ كَافٍ إنْ هَدَرْتِ دَمِيْ وَلَمْ أُعَـدُّ شَـهِيْدَاً عِلْـمُ دَاعِـي مَنِيَّتِـي

(لي): جار ومجرور، خبر مقدّم. و(مِنْكِ): بكسر الكاف متعلّق بكافٍ، قُدِّم للحصر. و(كافٍ): بالخفض والتنوين مرفوع تقديراً على أنّه مبتدأ. وقوله (إنْ هدرتِ): بكسر التاء، خطاب للمحبوبة الحقيقيّة في المُحِلِّين (دمي): مفعول هدرت. قال في المصباح «هَدَرَ الدَّمَ هَدْراً، من بابي: ضرب وقتل، وأَهْدَرَ ـ بالألف ـ لغة، وهَدَرْتُهُ من باب قتل، وأَهْدَرْتُهُ: أَبْطَلْتُه، يُستعملان مُتعدِّيين أيضاً. وقوله (ولم أعدُّ شهيداً): الواو للحال، أي: إنْ ذهب دمي هدراً في محبَّتكِ، والحال أنِّي لم أكن شهيداً أيضاً؛ لأنّ الشهادة مقام عالٍ، ولحصولها شروط. وقوله (عِلْمُ): مرفوع على أنّه فاعل كافٍ. وجملة (إنْ هدرتِ دمي ولم أعدّ شهيداً): معترضة بين اسم الفاعل وفاعله. وقوله (داعي): مضاف إليه، وهو مضاف إلى منيَّتي. والمنيَّةُ بتشديد الياء التحتيّة: الموت، (وداعي المنيّة): أي المنيّة الداعية. بمعنى الطالبة لصاحبها. والعلم بها مخصوص بالحقِّ سبحانه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [٣١/ لقمان/ ٣٤] والمعنى: إنْ هدرت دمي ولم أكن معدوداً من الشهداء فيكفيني منك عملك بوقت موتي التي هو طالب/ [١١٨/ أ] لي فإنَّ شرفي كون داعي منيتي معلوماً لك.

١١٠ - وَلَمْ تَسْوَ رُوحِي فِي وِصَالِكِ بَذْلَهَا لَـدَيَّ لِبَـوْنٍ بَـيْنَ صَـوْنٍ وبِذْلَـةِ

(ولم تَسْوَ): أي ليست روحي مساوية. (بَذْلَهَا) مفعول تَسْوَ، والضمير للروح. وقوله (وصالِكِ): بكسر الكاف، خطاب للمحبوبة الحقيقيّة. يعني: إنّ بَذْل روحي في وصالك، ووصالك أمر عظيم الشأن. و(روحي): حقيرة القَدْرِ بكونها منسوبة إليّ، والحقير لا يساوي العظيم. وقوله (لديّ): بتشديد الياء التحتيّة، أي:

عندي، وهو التواضع المطلوب شرعاً بأنْ يرى نفسه دون كلّ جليس. وقد ورد: «مَن تواضع لله رفعه الله»[1]. وأمّا عند الحقّ تعالى فكلّ شيء معتبرعنده، كما قال سبحانه: ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [٦٥/ الطلاق/ ٣] وقال: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٧٠] الأية. ثمّ قال (لِبَوْنٍ): أي بُعد. (بَيْنَ صَوْنٍ): أي صيانة في وصالك، وعِزّة، وكمال شرف، (وبِذْلَة): بكسر الباء الموحّدة، مثال سِدْرَة: ما يُمتهن من الثياب في الخدمة، والفتح لغة، قال ابن القوطيّة: بَذَلتُ الثوبَ بِذلةً: لم أَصُنْهُ، وابْتَذَلْتُ الشيء: امتهنتُه، كذا في المصباح؛ فإنّ روحي مبتذلة حقيرة بالنسبة إلى وصالك العزيز المنال، العظيم الجلال.

١١١ – وَإِنِّي إِلَى التَّهْدِيدِ بِالمَوْتِ رَاكِنٌ   وَمِنْ هَوْلِهِ أَرْكَانُ غَيْرِيَ هُدَّتِ

(وإنِّي): أي تحقيقاً أنا إلى التهديد، مصدر هَدَّدَهُ وتَهَدَّدَهُ: تَوَعَّدَهُ بالعقوبة، كذا في المصباح؛ بمعنى التخويف. والجار والمجرور متعلّقان براكن، وبالموت متعلّق بالتهديد (وراكن): أي معتمد، يقال: رَكَنْتُ إلى زيد: اعتمدتُ عليه، وذلك الركون لعلمه بأنّ الوصال لا يحصل له إلّا بعد موته، كما ورد في الأثر: «إنّكم لن تروا ربّكم حتى تموتوا»[2]. وقوله (ومِن هَوْلِه): أي الموت، قال في المصباح: «هَالَنِي الشيءُ هَوْلاً، من باب أَفْزَعَنِي؛ فهو هَائِل». وقوله (أركان): جمع رُكْن، وأركان الشيء أجزاء ماهيَّتِه. وقد أضيفت أركان إلى غيري على معنى أجزاء ماهيَّة

---

(١) قطعة من حديث، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنّف، باب الجزء الثامن، ٩، ٧/ ٤٧٦.

(٢) قطعة من حديث ذكره السيوطي في جامع الأحاديث، باب: إنّ المشدّدة مع الهمزة، ٩٣٢٣، بلفظ: «إني قد حدّثتكم عن الدجال حتّى خشيت أنْ لا تعقلوا؛ إنّ المسيح رجل قصير، أفحج، جعد، أعور، مطموس العين، ليست بناتئة، ولا حجراء؛ فإنْ أُلبس عليكم فاعلموا أنّ ربّكم ليس بأعور، وإنّكم لن تروا ربّكم حتّى تموتوا». (أحمد، وأبو داوود، ونعيم بن حمّاد في الفتن، وأبو نعيم في الحلية، والضياء عن عبادة بن الصامت). كما أخرجه النسائي في سننه الكبرى، باب: المعافاة والعقوبة، ٧٧٦٤.

ذلك الغير. (هُدّتِ): بضمّ الهاء وتشديد الدال المهملة، والتاء ساكنة، وحُرِّكت بالكسر للقافية.

١١٢- وَلَمْ تَعْسِفِي بِالقَتْلِ نَفْسِيَ[1] بَلْ لَـهَا   بِـهِ تُـسْعِفِي إنْ أنْـتِ أتْلَفْـتِ مُهْجَتِـي

(ولم تَعْسِفِي): بالعين المهملة بعدها سين مهملة وفاء، خطاب للمحبوبة الحقيقيّة، قال في المصباح: «عَسَفَهُ عَسْفَاً من باب ضرب: أخذه بقوة». وقوله (بالقتل): متعلّق بتعسفي. و(نفس): مفعول تعسفي. (بل لها): أي لنفسي (به): أي بالقتل. (تُسْعِفِي): بتقديم السين المهملة على العين المهملة، قال في المصباح: «أَسْعَفْتُهُ بحاجته إسْعَافاً: قضيتها له، وأَسْعَفْتُهُ: أَعَنْتُهُ على أمره». وقوله (إن أنت): بكسر التاء لخطاب المحبوبة الحقيقيّة. وقوله (أتلفتِ): أيضاً قال في المصباح: «تَلِفَ الشيءُ تَلَفاً: هَلَكَ؛ فهو تالِف، وأَتْلَفْتُهُ». و(مُهْجَتِي): مفعول أتلف. والمُهجة في الأصل الدم، ويقال: دم القلب خاصّة، يقال: خرجت مُهجته إذا خرجت روحه، كذا في الصحاح. وإتلاف المهجة كناية عن الإهلاك له والإماتة، وذلك كناية عن كشف السالك عن موت العوالم كلّها بظهور سرّ لا حول ولا قوّة إلّا بالله العلي العظيم، والتحقّق بمعنى قوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [٢/ البقرة/ ١٦٥] وقوله سبحانه: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [٣٩/ الزمر/ ٣٠] وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَمْوَٰتٌۢ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [٢/ البقرة / ١٥٤] ومن تحقّق بموت نفسه ظهرت له الحياة الحقيقيّة، حياة ربّه تعالى. وكان حُكي عن شيخنا القطب الصمدانيّ الشيخ عبد القادر الكيلانيّ رضي الله عنه أنّه كان يقول: «لا آكل حتى يقال لي/ [١١٨/ ب] بحياتي: كُلْ. ولا أشرب حتى يقال لي بحياتي: اشرب. ولا أنام حتى يقال لي بحياتي: نم». ومن المعلوم أنّ مَنْ مات في نفسه تحقّق في أفعاله كلِّها بحياة ربِّه تعالى، كما أنَّ مَنْ تحقَّق بفناء نفسه عرف وجود ربِّه تعالى وتقدَّس.

---

(١) في (ق): روحي.

١١٣- فَإِنْ صَحَّ هَذَا الفَأْلُ مِنْكِ رَفَعْتِنِي وَأَعْلَيْتِ مِقْدَارِي وأَغْلَيْتِ قِيْمَتِي

(فإنْ صحَّ هذا الفأل): بالفاء والهمزة الساكنة، قال في المصباح: «الفَأْلُ بهمزة ساكنة، ويجوز التخفيف: هو أنْ تسمع كلامنا حسناً فتتيمَّنَ به، وإنْ كان قبيحاً فهو الطِّيَرَة. وجعل أبو زيدٍ الفأل في سماع الكلامين. وتَفَاءَلَ بكذا تَفَاؤُلاً». وقال في القاموس: «الفَأْلُ ضِدُّ الطِّيَرَة، كَأَنْ يسمع مريضٌ: يا سالم، أو طالب: يا واجد، ويستعمل في الخير والشرّ». وأشار بقوله (هذا الفأل) إلى قوله في البيت قبله (إنْ أنت أتلفت مهجتي) كناية عن موته وإتلافه. وقوله (منكِ): بكسر الكاف خطاب للمحبوبة الحقيقيّة. والجار والمجرورمتعلّقان بصحّ وصحّة هذا الفأل الذي تفاءل به وقوع الموت له باختياره. وقوله (رفعتِني): بكسر التاء، من قبيل قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [٩٤/ الانشراح/ ٤] فإذا رُفِع ذكره فَنِيَ؛ فلم يبقَ له ذكر، وصار الذِكْر للحقّ تعالى، كما قال: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [٢٩/ العنكبوت/ ٤٥]. وقوله (وأَعْلَيْتِ): بكسر التاء أيضاً، من العلو، وهو الارتفاع. وقوله (مقداري): مفعول أَعليتِ، قال في المصباح: «أَخَذَ بِقَدْرِ حَقِّهِ وبِقَدَرِهِ ـ يعني بسكون الدال المهملة وفتحها ـ أي بمقداره؛ وهو ما يُساويه» وأراد: بإعلاء مقداره هنا جَعْلَ الحُرْمَةَ له، والوَقَار في قلوب المؤمنين، وإفناء جملته عند نفسه؛ بحيث أَرْجعَهُ إلى حضرة العلم القديم من أسفل سافلين. وقوله (وأَغْلَيْتِ): بكسر التاء أيضاً، يُقال: غَلَا السِّعْرُ، أي: ارتفع، وكلّ شيء زاد وارتفع فقد غَلَا، كذا في المصباح. وقوله (قيمتي): مفعول أَغلتِ.

١١٤- وَهَا أَنَا مُسْتَدْعٍ قَضَاكِ وَمَا بِهِ رِضَاكِ وَلَا أَخْتَارُ تَأْخِيرَ مُدَّتِي

(وها): الواو لعطف هذه الجملة على ما قبلها، أو للاستئناف. وقوله (ها): بالقصر حرف تنبيه، وهي الدّاخلة على اسم الإشارة نحو: هذا وهذه وهؤلاء. وقوله (أنا مستدعٍ): أي طالب، قال في الصحاح: «دَعَوْتُ فُلاناً: صِحْتُ به واسْتَدْعَيْتُهُ». وقوله (قضاكِ): بكسر الكاف، خطاب للمحبوبة الحقيقيّة. وأصله

بالمدِّ، فقصر للوزن، من قضى: إذا حكم. قال في الصحاح: «والقضاء: الحكم، وأصله قضايي» لأنّه من قَضَيْتُ، إلّا أنّ الياء لمّا جاءت بعد الألف هُمِزَتْ. وقوله (وما): أي بالأمر الذي. (به): أي بذلك الأمر. و(رضاكِ): بكسر الكاف، خطاب للمحبوبة الحقيقيّة أيضاً، و(ما): معطوف على قضاك، أي: ومستدعٍ أيضاً الأمر الذي به رضاك. قال في المصباح: «رَضِيْتُ عنه رضىً مقصور: مصدر محض، والاسم: الرضا، ممدود». وقوله (ولا أختار تأخير مدّتي): أي مدّة عمري، وطول حياتي.

١١٥- وَعِيْدُكِ لِي وَعْدٌ وَإنجَازُهُ مُنَى وَلِـيٍّ بِغَـيْرِ البُعْـدِ إنْ يُـرْمَ يَثْبـتِ[1]

(وعيدكِ): بكسر الكاف، خطاب للمحبوبة الحقيقيّة، والوعيد بالياء مصدر وعده: في الشرّ، والوَعْد ـ بغير ياء ـ في الخير ، قال في المصباح: «وَعَدَه وَعْدَاً يُستعمل في الخير والشرّ، ويُعدَّى بنفسه وبالباء، فيُقال: وَعَدَهُ الخيرَ وبالخيرِ، وشرّاً وبالشرّ. وقد أسقطوا لفظا الخير والشرّ، وقالوا في الخير: وَعَدَه وَعْدَاً وَعِدَةً. وفي الشرّ: وَعَدَهُ وَعِيْداً. فالمصدر فارقٌ، وأَوْعَدَه إيعاداً. وقالوا: الله أوعده خيراً وشراً بالألف أيضاً. وقد أدخلوا الباء مع الألف في الشر خاصة». وقال الراغب «الوعد يكون في الخير والشر، يقال: وعدته بنفع وضر وعداً وموعداً وميعاداً، والوعيد في الشرّ خاصّة، يُقال منه: أوعدته، ويقال: واعدته وتواعدنا» يعني: إنّ الوعيد بالشرّ/ [١١٩/ أ] من هذه المحبوبة لهذا المحبّ هو عين الوعد بالخير؛ لأنّ الخير والشرّ منها قد استويا عنده لزيادة محبّته لها ولجميع أفعالها. ثمّ قال (وإنجازه): أي الوعد الذي هو وعيد بالشرّ، والإنجاز بالجيم والزاي مصدر أنجزه: إذا عجّل له الوعد. وقوله (مُنى): بضمّ الميم وفتح النون، جمع مُنية، كغُرفة وغُرَف، وهي المأمول والمقصود. وقوله (ولِيٍّ): بكسر اللام وتشديد الياء، من الولاية؛ وهي القرب على معنى: مُنَى وليٍّ، بالجرِّ وإضافة مُنَى إليه. وقوله

(١) الشطرة الثانية في (ق): «ولي بمهما يُرَمَ في الحبّ يَثْبُتِ».

(بغير البعد إنْ يُرْمَ): بالبناء للمفعول، أي: ذلك الوَلِيّ. وقوله (يَثْبُتِ): بفتح الياء، أي: يسكن ولا يضطرب، ومفهومه إن يرم بالبعد يضجر ويضطرب ويقْلَق غاية القلق، ويمكن أن يقال: وَلَيّ، بفتح اللام وتشديد الياء التحتيّة، أي: مُطْل لذلك الوعد الذي هو وعيد بالشرّ في مقابلة الإنجاز المذكور، قال في المصباح: «لَوَاهُ بدَيْنِهِ لَيّاً، من باب رمى، ولَيَّاناً أيضاً: مَطَلَه». وقوله (بغير البُعد): أي البعد الحاصل في إبعاد المحبوبة للمحبّ؛ فإنّه نوع من المطل أيضاً؛ بل هو أشدّ المطل؛ لأنّه يقتضي مفارقة المحبوبة بالغفلة عنها مع حضورها لديه، وهو الطَّرْد واللَّعْن كما فُعل بإبليس. وقوله (إن يُرمَ): بضمّ الياء التحتيّة وسكون الراء وبالميم، نائب فاعله ضمير راجع إلى اللّي المذكور. ومعنى يرمي: يطرح ويلقى، أي: تطرحه المحبوبة، وتلقيه على المحبّ. وقوله (يَثْبِتِ): بضمّ الياء التحتيّة وسكون الثاء المثلثة وكسر الباء الموحّدة وكسر التاء للقافية، أي: يثبت من رمى به فيجعله ثابتاً. يعني: ينقله من لَبْس الوجود الذي كان فيه إلى حقيقته الأصليّة التي هو فيها من حيث لا يشعر، وهي مجرد الثبوت بلا وجود، وذلك إيجاد الموجد وتثبيته، كاستحضارنا وتذكرنا للمعاني المحفوظة لنا، قال تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ﴾ [١٤/ إبراهيم/ ٢٧] أي: يجعلهم ثابتين، ضدّ منفيّين، لا موجودين؛ فإنّ الوجود ضدّ العدم، والثبوت ضدّ النفي؛ فقد يكون ثابتاً معدوماً، وهذا معنى تثبيتهم؛ وهو مقام الفناء الذي يشير إليه العارفون، ثمّ قال تعالى: ﴿وَيُضِلُّ ﴾ أي: يحيّر الله ﴿ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الغامسين الوجودَ، يدعونه مع الله ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ [١٤/ إبراهيم/ ٢٧] وهذا إذا كان ذلك اللَّي[كذا] الذي هو المطل بغير البعد. وأمّا بالبُعد فهو مما يقع في الوهم واللبس.

١١٦- وَقَدْ صِرْتُ أَرْجُو مَا يُخَافُ فَأَسْعِدِي   بِهِ رُوحَ مَيْتٍ للحَياةِ اسْتَعَدَّتِ

(وقد صرتُ) بضمِّ التاء ضمير المتكلِّم. وقوله (أرجو): من الرجاء وهو ضدُّ اليأس، وقال في الصحاح: «والرَّجَاء من الأمل، ممدود، يقال: رَجَوْتُ فُلَاناً رَجْوَاً

وَرَجَاءً ورَجَاوَةً». وقوله (ما): أي الأمر الذي. (يُخاف): بضمِّ الياء التحتيّة، مبني للمفعول، أي: يُخاف منه. يعني: يخاف الناس منه لهوله وشدّته. وقوله (فَأَسْعِدِي): فعل دعاء، يخاطب به المحبوبة، من الإسعاد والمساعدة، وهي المعونة، يقال: أَسْعَدَهُ الله، قال في الصحاح: «والإسعاد: الإعانة، والمُسَاعَدَة: المعاونة». وقوله (به): أي بها يخاف. (روح مَيْتٍ) مفعول أسعدي. ومَيْت بسكون الياء التحتيّة، أي: إنسان ميت. وقوله (للحياة): أي الحياة الحقيقيّة الربانيّة. متعلّق بـ(استعدَّتِ): بكسر التاء للقافية من الاستعداد، وهو التهيُّؤ. يعني: روحه تهيّأت لقبول ظهور الحياة الحقيقيّة بانتشار قوّتها في أعضاء البدن، وموت النفس البشريّة الداعية إلى الشهوات والغفلات، وحبّ العاجلة.

١١٧- وَبِيْ مَنْ بِهَا نَافَسْتُ فِي الحبّ(١) سَالِكَاً ... سَبِيْلَ الأُلَى قَبْلِـي أَبَـوْا غَـيْرَ شِرْعَتِي

(وبي): أي أفدي بنفسي، مثل قولهم بأبي وأمي. و(مَنْ): بفتح الميم. كناية عن المحبوبة/ [١١٩/ ب] وقوله (بها): أي بسببها وبحولها وقوّتها، وعظيم قدرتها. وقوله (نافستُ): أي جاريت، وباريت، وفاخرت، قال الراغب في مفرداته: المنافسة مجاهدة النفس للتشبيه بالأفاضل واللحوق بهم». وقال في القاموس: «نفس فيه رغب على وجه المباراة في الكرم كتنافس». وقوله (في الحبّ): متعلّق بنافست. و(سالكاً): مفعول نافست، من السلوك، قال في المصباح: «سلكتُ الطريق سُلُوكاً، من باب: قَعَدَ: ذَهَبْتُ فيه». ويجوز أن يكون (سالكاً) حالاً من التاء في نافست، أي: حال كوني سالكاً. وقوله (سبيل): أي طريق، مفعول سالكاً، والسبيل مضاف إلى (الأُلَى): بضمّ الهمزة وفتح اللام مقصوراً، اسم موصول، قال الرضي: «الأُلَى جمع الذي والّتي، لا من لفظه، فالذي والتي يشتركان في الأُلى واللائِي، إلّا أنّ الأُلى في جمع المذكّر أشهر، واللائي بعكسه. وقوله (قبلي): أي من المتقدّمين عليّ. وقوله (أَبَوْا): قال في المصباح: «أَبَى الرجلُ

(١) في (ق): بالنفس.

يَأْبَى إِبَاءً، بالكسر والمدّ، وإبَاءَةً: امتنع». وقال الراغب: «الإباء شدّة الامتناع». فمعنى أَبَوْا: امتنعوا. وقوله (غَيْرَ): بالنصب مفعول أبَوْا، قال في الصحاح: «وأَبَيْتَ اللَّعْنَ: كان تحيّة الملوك في الجاهليّة» فنصب المفعول. وقال في القاموس: «أَبَى الشيءَ يَأْبَاهُ: كَرِهَهُ». وقوله (شِرْعَتِي): مضاف إليه، قال في المصباح: «الشِّرْعَةُ، بالكسر: الدِّين والشَّرْع». والمعنى: أفدي بنفسي المحبوبة التي فاخرتُ في محبَّتي لها السالكَ على طريق القوم الذين كانوا قبلي تابعين ديني وشريعتي من الأولياء العارفين، والأتقياء المقرّبين.

١١٨- بِكُلِّ قَبِيْلٍ كَمْ قَتِيْلٍ قَضَى بِهَا	أَسَىً لَمْ يَفُزْ يَوْماً إِلَيْهَا بِنَظْرَةِ

(بكلّ): أي في كلّ (قبيل): بالقاف والباء الموحّدة، وهي الجماعة، ثلاثة فصاعداً من قوم شتى، كذا في المصباح. وقوله (كَمْ): بفتح الكاف وسكون الميم: اسم يُخبر به عن الكثرة. و(قتيل): مضاف إليه، وهو بمعنى مقتول. وقوله (قضى): أي مات. وقوله (بها): أي بسبب هذه المحبوبة. يعني: في محبَّتها. وقوله (أَسَىً): تمييز، والأسى هو الحُزن. وقوله (لم يفز): أي يظفر. (يوماً): من الأيام. (إليها): أي إلى هذه المحبوبة. وقوله (بنظرةٍ): متعلّق بيَفُز. يعني: لم يرها في عمره ولا مرّة واحدة، قال الشاعر:

سمعتُ أوصافها الحُسنى فهِمْتُ بها	والأُذن تعشق قبل العين أحياناً

وقال عفيف الدين التلمسانيّ:

يا بديع الجمال فاز محبٌّ	بلذيذ الوصال فيكَ تهنّى
كيف يرجوا الحياة وهو مع الهجـ	ـرِ قتيل وعند رؤياكَ يفنى

١١٩- وَكَمْ فِي الوَرَى مِثْلِي أَمَاتَتْ صَبَابَةً	وَلَوْ نَظَرَتْ عَطْفَاً إِلَيْهِ لَأَحْيَتِ

(كم): خبريّة. و(الورى): مقصور، بمعنى الخلق. وقوله (مثلي): أي عاشق يماثلني في صدق المحبّة شعراً ولم يشعر؛ فإنّ كلّ إنسان محبٌّ لنوع من الصور

المحسوسة أو المعقولة، وكلّ الصور مظاهر تجلّيات هذه المحبوبة الحقيقيّة تُصَوّر الصور لها كما قال تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٨٤] وقوله: ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَيْءٍ﴾ [٢٧/ النمل/ ٩١] والغافلون يظنّون بالله الظنون. وقوله **(أماتت صبابة)**: منصوب على التمييز، أو مفعول من أجله. وقوله **(ولو نظرتْ)**: أي هذه المحبوبة الحقيقيّة. **(عطفاً)**: أي من جهة العطف، أو لأجله. والعطف: الحُنُو، يقال: عَطَفَتِ الناقةُ على ولدها عَطْفاً، من باب ضرب: حَنَّتْ عليه، ودَرَّ لَبَنُهَا، كذا في المصباح. وقد ورد من أسماء الله تعالى الحَنَّان. وقد سُئل عليّ رضي الله عنه عن معنى الحنّان فقال: «هو الذي يُقْبِل على مَن أعرض عنه». وقوله (إليه): الضمير راجع إلى مثلي. وقوله (لَأَحْيَتِ): بكسر التاء للقافية، وهي تاء التأنيث الساكنة، والضمير راجع إلى المحبوبة الحقيقيّة. يعني: لأحيته بحياتها الحقيقيّة بعدما أماتته من حياته الوهميّة.

١٢٠ - إذا مَا أَحَلَّتْ فِي هَوَاهَا دَمِي فَفِي ذُرَى العِـزِّ والعَلْيَـاءِ قَـدْرِي أَحَلَّـتِ

/[١٢٠/ أ] **(إذا ما أحلَّتْ)**: ما زائدة. و**(أحلّت)**: بالحاء المهملة وتشديد اللام، والضمير المستتر للمحبوبة الحقيقيّة، ومعنى أحلَّتِ أي أباحت. وقوله **(في هواها)**: أي في محبَّتها. **(دمي)**: مفعول باحت. وقوله **(ففي ذُرَاهَا)** بضمّ الذال المعجمة وفتح الراء مقصور، جمع ذِرْوَة بالكسر والضمّ؛ وهو من كلّ شيء أعلاه، كذا في المصباح. والجار والمجرور متعلّقان بأحلّتِ. وقوله **(العِزّ)**: ضدّ الذُّلّ. و **(العَلياء)**: بفتح العين المهملة والمدّ. قال في المصباح: «العُليا خلاف السفلى، تُضَمّ العين فيُقصر، وتُفتح فيُمدّ. قال ابن الأنباري: والضمّ مع القصر أكثر استعمالاً». وقوله (قدري): مفعول أحلّت بكسر التاء للقافية، والضمير للمحبوبة. وأحلت بمعنى أنزلت، يقال: حَلَلْتُ بالبلد حُلُولاً من باب قعد: إذا نزلتُ به، كذا في المصباح. وقال الراغب: «وحللت نزلت، أصله من حلّ الأحمال عند النزول، ثمّ جرِّد استعماله للنزول، فقيل: حلّ حلولاً، وأحلّه غيره».

١٢١- لَعَمْرِي وإنْ أَتْلَفْتُ عُمْرِي بِحُبِّهَا رَبِحْتُ وَإنْ أَبْلَتْ حَشَايَ أَبَلَّتِ

(لعمري): بفتح اللام وفتح العين المهملة. و(العمر): البقاء، بتثليث العين، ولا يكون القسم إلّا في المفتوح العين، وتدخل لام القسم على المصدرالمفتوح فتقول: لعَمْرُكَ لأفعلَنَّ. والمعنى: وحياتك وبقائك، كذا في المصباح. وقال في القاموس: «عَمْرَ الله ما فعلت كذا، وعَمْرَكَ اللهَ ما فعلتَ كذا، أصله: عَمَّرْتُكَ اللهَ تَعْمِيْراً، وأُعَمِّرُكَ اللهَ أنْ تفعلَ: تُحَلِّفَهُ بالله ، وتسأله بطول عُمْرِهِ، أو لَعَمْرُ الله، أي: وبقاء الله ، فإذا سَقَطَ اللامُ نُصِبَ انتِصاب المصادر، أو عَمْرَكَ اللهَ : أذَكِّرَكَ اللهَ تذكيراً ، وجاء في الحديث النهي عن قول لعَمْرُ اللهَ . وقوله (لعمري): أي أقسم بحياتي التي هي الحياة الأزليّة؛ إذ لا حياة لي من أجل تحقّقي بمقام الموت الاختياري عن الحياة الوهميّة، يدلّ عليه قوله (وإن أَتلفتُ): أي أهلكت، وأفنيتُ عُمْري بضمّ العين المهملة، أي: مدّة حياتي الوهميّة بحبِّها في طريق محبّتها، أو بسبب محبّتها، والضمير للمحبوبة الحقيقيّة. وقوله (ربحت): جواب القسم، والربح: ضدّ الخسران. وقوله (وإنْ أَبْلَتِ): من البلاء. قال في المصباح: «بَلَاه اللهُ بخيرٍ أو شرٍّ يَبْلُوْهُ بَلْواً، وأَبْلَاه بالألف، وابْتَلَاه ابْتِلَاءً بمعنى: امتحنه». وضمير أبلت للمحبوبة الحقيقيّة. وقوله (حَشايَ): مفعول أبلت، أي: قلبي وكبدي، وجميع ما اشتمل عليه بدني. وقوله (أبلَّتِ): بتشديد اللام، قال في المصباح: «بَلَّ من مرضه وأَبَلَّ إبْلَالاً أيضاً: بَرَأ». والضمير للمحبوبة أيضاً.

١٢٢- ذَلَلْتُ بِهَا فِي الحَيِّ حَتَّى وَجَدتُنِي وَأَدْنَى مَنَالٍ عِنْدَهُمْ فَوْقَ هِمَّتِي

(ذللت): بالذال المعجمة، أي: صرتُ ذليلاً. (بها): أي بسبب محبَّتها. والضمير للمحبوبة الحقيقيّة. وقوله (في الحيّ): وهو واحد أحياء العرب وقبائلها. وقوله (حتّى وجدتني): أي وجدت نفسي وأدنى، أي: أقل. (منال): مصدر ميمي، بمعنى الشيء الذي ينال عندهم، أي: عند أهل الحيّ. وقوله (فوق همَّتي): أي

أعلى من منالي الذي أنا متّهم به. والمعنى: إنني وجدت نفسي من كمال ذلّي وضعف همّتي عند أهل الظاهر بحيث ظنّوا أنّ من له أدنى حالة من الأحوال هو أعلى مرتبة منّي، وهمَّته أشرف من همَّتي.

١٢٣- وَأَخْمَلَني وَهْناً خُضُوعِي لَهُمْ فَلَمْ يَـرَوْنِي هَوَانـاً بِي مَـحَلّاً لِـخِدْمَتِي

(وأخملني): بالخاء المعجمة، من خَمَلَ الرجلُ خُمُولاً، من باب قَعَد؛ فهو خامل، أي: ساقط النباهة، لاحظَّ له مأخوذ من خَمَلَ المنزلُ خُمُوْلاَ: إذا عَفَا ودَرَسَ، كذا في المصباح. وقوله (وهناً): أي ضعفاً، منصوب على التمييز. وقوله (خضوعي): فاعل أخملني لهم، أي: لأهل الحيّ/[١٢٠/ ب] المذكورين في البيت قبله. وقوله: (فلم يروني): أي يجدوني في أنفسهم. وقوله (هواناً): مصدر هَانَ يَهُوْنُ هُوْناً -بالضمّ- وهَوَاناً: ذَلَّ وحَقُر، كذا في المصباح. وهو منصوب على التمييز، أو مفعول لأجله. وقوله (بي): متعلّق بهواناً. وقوله (محلاً): مفعول ثاني ليروني. (لخدمتي): متعلّق بمحذوف صفة لمحلًّا. يعني: لم يروني أهلاً لأن يخدمني أحد من كمال ذلّي وحقارتي عندهم.

١٢٤- وَمِنْ دَرَجَاتِ العِزِّ أَمْسَيْتُ مُخْلِدَاً إلَى دَرَكَـاتِ الـذُّلِّ مِـن بَعْـدِ نَخْـوَتِي

(الدرجات): جمع درجة، قال في المصباح: «الدَّرَج: المَرَاقِي، الواحدة دَرَجَة، مثل: قَصَب وقَصَبَة». وقال في الصحاح: «الدَّرَجَة: المِرْقَاة، والجمع: الدَّرَج، والدَّرَجَةُ: واحدة الدَّرَجَات، وهي الطبقات من المراتب» وأضاف الدرجات إلى العزّ؛ لأنّه أراد بها المراتب. وقوله (أمسيت): أي دخلت في المساء، خلاف الصباح؛ فالصباح للأنوار، والمساء للظلمات التي هي إشارة إلى معاني الأسرار، وقوله (مُخْلِداً): بكسر اللام بعد سكون الخاء المعجمة، اسم فاعل من أَخلد إلى فلان: ركَنَ إليه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٧٦] وأخلد بالمكان أقام به ، كذا في الصحاح. وقوله (إلى دَرَكات): جمع دَرَكَة، قال في

الصحاح: «دَرَكَات النار: منازل أهلِها. والنار دَرَكَات، والجنّة دَرَجَات. والقعر الآخر دَرْك ودَرَك». يعني: بالفتح وبالسكون، كذا في الصحاح. وقال الراغب: «الدرك كالدرج، لكن الدرج يقال اعتباراً بالصعود، والدرك اعتباراً بالحدور؛ ولهذا قيل: درجات الجنّة ودركات النار». وأضاف الدركات إلى الذلّ، كما أضاف الدرجات إلى العزّ. يعني: بعد أن كان بيِّناً معروفاً بين الناس بالعلم والعمل الصالح المقتضي لذلك العزّ بينهم، الموجب للتكبّر والتعاظم دخل في مساء الأسرار، فاختفى عن عيون الأبرار، وخواطرالأخيار؛ وهي دركات الذلّ بين الغافلين، كما ورد في الحديث: «ربَّ أشعث أغبرلا يؤبه له، مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبرّه»[1]. وقوله (**من بعد نخوتي**): بالنون والخاء المعجمة، قال في المصباح: «النَّخْوَةُ: العَظَمَة، وانْتَخَى: تَعَاظَم وتَكَبَّر». يعني: هو في الأصل بين الناس صاحب قدر وجاه معروف.

١٢٥ - فَلَا بَابَ لِي يُغْشَى وَلَا جَاهَ يُرْتَجَى وَلَا جَــارَ لِي يُحْمَــى لَفَقْــدِ حَمِيَّتِــي

(**يُغشى**): بالبناء للمفعول، قال في المصباح: «غَشَيْتُهُ أَغْشَاه، من باب تَعِب: أَتيته، والاسم: الغِشْيَان، بالكسر». يعني: صرتُ ليس لي باب مشهور بقضاء حوائج الناس بحيث يدخلون عليّ منه لذلك كأبواب الأعيان من الأكابر. وقوله (**ولا جاه**): أي قدر ومنزلة يُرتَجَى بالبناء للمفعول، أي: يرتجيه أحد لنفع، أو دفع ضرر. وقوله (**ولا جار**): وهو المجاور في السكن، والجمع جيران. وقوله (**يُحمى**): بالبناء للمفعول، من الحماية وهي الحفظ. وقوله (**لفقد حميّتي**): بتشديد الياء، قال الراغب: «عبّر عن القوّة الغضبيّة إذا ثارت وكثرت بالحميّة، فقيل: حميت على فلان: أي غضبت عليه، قال تعالى: ﴿حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ [الفتح/ ٢٦]

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البرّ والصلة والأدب، باب: فضل الضعفاء والخاملين، رقم ٦٨٤٨، دون لفظ (لا يؤبه له). وللحديث أطراف أخرى، وطرق كثيرة.

وسبب ذلك كثرة اشتغاله بتجلِّيات الحقّ تعالى عليه وعلى غيره بحيث صار غائباً عن العوالم كلّها، فرأته الناس لايعرف شيئاً مما هم عليه من أحوال الدنيا والآخرة فلم يعتبره أحد.

١٢٦- كَأَنْ لَمْ أَكُنْ فِيهِمْ خَطِيْراً وَلَمْ أَزَلْ لَـدَيْهِمْ حَقِـيراً فِي رَخَـائي وشِـدَّتي

(كأنْ): بفتح الهمزة وسكون النون، أي: كأنّي فخففت النون، وأُلْغِيَت عن العمل. وقوله (لم أكن فيهم): أي في الحيّ كما تقدّم، ذكره في البيت السابق. وقوله (خطيراً): بالخاء المعجمة والطاء المهملة، أي: ذا قدر واعتبار، قال في المصباح: «خَطُرَ الرجل يَخْطُرُ خَطَراً، وِزَان شَرُفَ شَرَفاً إذا/ [١٢١/ أ] ارتفع قدْرُه ومنزلته؛ فهو خطير».

وقوله (ولم أزل لديهم): أي عند أهل الحيّ المذكورين. (حقيراً): من الحقارة، قال في المصباح: «حَقُر الشيءُ ـ بالضمّ ـ حَقَارَةً: هَانَ قَدْرُه، فلا يُعبَأ به فهو حَقِيْر». وقوله (في رخائي): أي في حال رخائي وحال شدّتي، قال في المصباح: «رَخِيَ ورَخَوَ من بابي تَعِبَ وقَرُبَ رَخَاوَةً بالفتح: إذا لان، وكذلك العيش رَخِيَ ورَخُوَ: إذا اتَّسَعَ؛ فهو رَخِيّ، على فعيل، والاسم: الرَّخَاء، وزيد رَخِيُّ البال: أي في نِعْمَة وخِصْب». و(الشدّة): ضدّ الرخاء. والمعنى: أنا حقير عندهم على كلّ حال من أحوالي؛ سواء كنت في رخاء العيش وسعة الحال، أو كنت في ضيق العيش وعسر الحال.

١٢٧- فَلَوْ قِيْلَ مَنْ تَهْوَى وَصَرَّحْتَ بِاسْمِهَا لَقِيْـلَ كَنَـى أَوْ مَـسَّهُ طَيْـفُ جِنَّـةِ

(فلو قيل): أي قال لي أحد منهم. (من تهوى): استفهام له عمَنْ يحبّه بعد علمهم بأنّه محبّ لظهور آثار المحبّة عليه. وقوله (وصرّحت): الواو للحال. ووقوع الفعل الماضي حالاً بدون قد مختلف فيه. وقد تكون مقدّرة، قال ابن هشام في المغني بوجوب دخول قد عند البصريين ـ إلّا الأخفش ـ على الماضي الواقع

حالاً إمّا ظاهرة نحو: ﴿ قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَا ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٤٦] أو مقدّرة نحو: ﴿ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَا ﴾ [١٢/ يوسف/ ٦٥]. وخالفهم الكوفيّون والأخفش؛ فقالوا: لا يُحتاج إلى ذلك لكثرة وقوعه حالاً بدون قد، والأصل عدم التقدير لا سيما فيما كثر استعماله». والتصريح ضدّ الكناية. وقوله **(باسمها)** متعلّق بـصرّحت. والضمير للمحبوبة الحقيقيّة. والمعنى: ذكرت لهم اسمها الصريح. وقوله **(لقيل كَنَى)**: بتخفيف النون، قال في المصباح: «كَنَيْتُ بكذا عن كذا، من باب رمى، والاسم الكناية؛ وهي أن يتكلّم بشيء يُستدلّ به على المَكْنِيِّ عنه». وقال في الصحاح: «الكناية: أنْ تتكلَّمَ بشيء وتريد غيره. وقد كَنَيْتُ عن كذا بكذا وكَنَوْت». والمعنى: لقالوا كنى بذكر ذلك عمَّنْ يحبّه ولم يصرِّح لنا بذكره، لاستبعادهم المحبّة منّي للمحبوبة الحقيقيّة من عدم أهليّتي لذلك عندهم من هَوَاني عليهم وحقارتي لديهم. وقوله **(أو مسّه)**: معطوف على كَنَى، أي أصابه. وقوله **(طَيفُ)**: فاعل مسّه، قال في المصباح: «طَيْفُ الشيطانِ وطائفُه: إلمامُه بمَسٍّ أو وسوسةٍ. وقال ابن فارس: الطَّيْفُ والطَّائِف: ما أطاف بالإنسان من الجن، والأنس، والخيال». وقوله **(جِنّة)**: بكسر الجيم وتشديد النون، قال في المصباح: «الجِنُّ والجِنَّةُ: خلاف الإنس. والجِنَّةُ: الجُنُون». والمعنى: أو أصابه المسّ من الجِن؛ وهو الصَّرَع فتكلّم بما لا يعقل من أمثاله لبعد مناله.

١٢٨ - وَلَوْ عَزَّ فِيهَا الذُّلُّ مَا لَذَّ لِي الهَوَى ... وَلَمْ تَكُ لَوْلَا الحبّ فِي الذُّلِّ عِزَّتِي

(ولو عزّ): أي قلّ، فلا يكاد يوجد، كذا في القاموس. وقوله **(فيها)**: أي في هذه المحبوبة الحقيقيّة. يعني: في طريق محبّتها. **(والذلّ)**: فاعل عَزَّ، يعني: لو كان الذلُّ مفقوداً في طريق محبّتها. **(ما لَذّ)**: بتشديد الذال المعجمة، أي: صار لذيذاً لي. **(الهوى)**: فاعل لَذّ، أي: الميل إليها، وذلك لأنّ الذلّ من كمال صفات العبد، ولا يحصل كمال العبوديّة إلّا به؛ لأنّه صفة أصليّة في العبد؛ فلهذا لا يصير الهوى

والعشق لذيذاً عند العاشق إلّا بالذّل للمعشوق. وقوله (**ولم تكُ**): أصله تكن؛ فحُذفت النون تخفيفاً. وقوله (**لولا الحبّ**): بالضمّ، أي: المحبّة. وقوله (**في الذلّ**): الجار والمجرور خبر تكُ مقدّم، واسمها عزّتي. يعني: لم تكن عزّتي في الذلّ لولا المحبّة فإنّها التي ذليلها عزيز، وحقيرها المهان في حرز حريز.

١٢٩ - فَحَالِي بِهَا حَالِي بِعَقْلِ مُدَلَّهِ   وَصِحَّةِ مَجْهُودٍ وَعِزِّ مَذَلَّةِ

(**فحالي**): أي شأني وأمري (**بها**): أي بسبب هذه المحبوبة الحقيقيّة. وقوله (**حالي**): اسم فاعل، أي: مزيِّن، من حَلِيَتِ المرأةُ حَلْياً، ساكن اللام: لَبِسَتْ، ذكره في المصباح. وقوله/ [١٢١/ ب](**بعقل**): أي بمصاحبة عقل. (**مدلَّه**): بضمّ الميم وفتح الدّال وتشديد اللام مفتوحة، وبالهاء: نعت لعقل، قال في القاموس: «الدَّلَه، ويُحَرَّك ذهاب الفؤاد من همّ ونحوه. ودَلَّهَهُ العِشْقُ تَدْلِيْهَاً فتَدَلَّهَ، والمُدَلَّهُ كمُعَظَّم: الساهي القلب، الذاهب العقل من عشق ونحوه، أو من لا يحفظ ما فَعَل وفُعِل به». (**وصحّة**): معطوف على عقل، مضاف إلى مجهود. و(**المجهود**): اسم مفعول وهو من أجهده المرض، أي: أضعفه، قال في المصباح: «جَهَدَه الأمرُ والمرض جَهْداً: إذا بلغ منه المشقّة، ومنه جَهْدُ البَلاء». وإضافة صحّة إلى مجهود على معنى في، أي: صحّة في مجهود، كقولهم: مكر الليل؛ أي: في الليل. وقوله (**عِزِّ**): الإضافة إلى مذلّة، قال في المصباح: «ذَلَّ ذَلّاً، من باب ضَرَب، والاسم: الذُّلّ، بالضمّ. والذِّلَّةُ، بالكسر، والمَذَلَّةُ: إذا ضَعُفَ وَهَان؛ فهو ذليل». والمعنى: إنّ حاله مزيِّن بعقله المخيّل الذاهب، وبالصحّة في المرض، وبالعزّ في الذلّ، بعكس ما عليه الناس لكمال استغراقه في شهود تجلّيات ربّه عليه، وتركه مقتضى العقول البشريّة من: حبِّ السلامة، والرغبة في الراحة.

١٣٠ - أَسَرَّتْ تَمَنِّي حُبِّهَا النَّفْسُ حَيْثُ لَا   رَقِيْبَ حِجَىً سِرّاً لِسِرِّي وَخَصَّتِ

(**أَسَرَّتْ**): أظهرت أو أخفت، قال في المصباح: «أسررته: أظهرته، وأخفيته؛ فهو من الأضداد». وقال الراغب في قوله تعالى: «﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ [٦٠/ الممتحنة/ ١]

أي تطلعونهم على ما تسرّون من مودّتهم . وقد فُسِّر بأنّ معناه تظهرون». وهذا صحيح؛ فإنّ الإسرار إلى الغير يقتضي إظهار ذلك لمن يفضي إليه بالسرّ وإن كان يقتضي إخفاءه عن غيره؛ فإذا قولهم أسررت إلى فلان يقتضي من وجه الإظهارَ ومن وجه الإخفاء». وقوله (تَمَنِّي): مفعول أسرّت. (حُبِّها): مضاف إليه، أي: محبّتها. والضمير للمحبوبة الحقيقيّة. والنفس فاعل أسرّت؛ فإنّ هذه المحبوبة لّما كانت عنده عظيمة القدر كان حبّها عنده أمراً عظيماً، لا يكاد يتمناه أحد، فضلاً عن طلبه منها، فضلاً عن دعواه، فضلاً عن حصوله لأحد. فأخبر أنّ نفسه أظهرت تمنّى حبّها، وقد ورد في الأثر : «عادِ نفسك؛ فإنّها انتصبت لمعاداتي»[1]. وورد «أعدى عدويك نفسك التي بين جنبيك»[2]. والعدو لا يتمنّى محبّة عدوّه؛ لأنّ لقاء الحقّ يُفْنِي النفس ويبطلها، إلّا في نفوس أهل العناية من السالكين، أصحاب النفوس المطمئنّة. وقوله (حيث لا رقيب حجى): جملة معترضة بين أسرَّتْ النفس وبين لسرّي. (والرقيب): المراقب . و(الحجى) كإلى: العقل؛ فإنّ العقل عقال يربط النفس عن السير مع الإرادة الإلهيّة لنظره في عواقب الأمور، فإذا ارتفع حكمه عن السالك كان السالك سالكاً في طريق الله تعالى بحكم الإرادة الإلهيّة، لا بحكم عقله. وقوله (سرّاً): منصوب على الظرفيّة لقوله (أسرّت): أي كان ذلك في حالة السرّ دون الجهر. وقوله : لسرِّي متعلّق بـ(أسرّت). و(السرّ): ما يُكتم، وما هو مخفي، ويكنِّي به هنا عن الروح الأمري المنفوخ في الإنسان البشري. وقوله (وخصَّتِ): بكسر التاء للقافية، معطوف على أسرت.

---

(١) ذكره ابن حزم في الإحكام في أصول القرآن، باب في المحكوم عليه، وهو المكلّف، ج١ ص٥٦.

(٢) ذكره العجلوني في الكشف، ٤١٢، المجلّد الأوّل، ١٤٣، بلفظ: أعدى أعدائك نفسك التي بين جنبيك وقال: «رواه البيهقي في الزهد بإسناد ضعيف، وله شاهد من حديث أنس، ويجري على ألسنة كثيرين، بلفظ: أعدى عدوَّيْك ـ بالتثنية في الموضعين ـ ولا أصل له بهذا اللفظ. والمشهور على الألسنة: أعدى عدوّك، بالإفراد في عدوّك».

١٣١- فَأَشْفَقْتُ مِنْ سَيْرِ الحَدِيْثِ بِسَائِرِي فَتُعْرِبُ عَنْ سِرِّي عِبَارَةُ عَبْرَتِي

(فأشفقت): الفاء للتفريع على البيت قبله، قال في المصباح: «أشفَقتُ من كذا، بالألف حَذِرتُ، قال الراغب: الإشفاق عناية مختلطة بخوف؛ لأنّ المشفِق يحبُّ المشفَق عليه، ويخاف ما يلحقه، قال تعالى: ﴿وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشۡفِقُونَ﴾ [٢١/الأنبياء/ ٢٨] فإذا عُدِّيَ بمن فمعنى الخوف فيه أظهر، وإذا عُدِّي بعلى فمعنى العناية فيه أظهر». وقال في الصحاح: «أشفقت عليه فأنا مُشفِق وشفيق. وإذا قلت أشفقت منه فإنّما تعني حَذِرْتُهُ، وأصلها واحد. ولا يُقال: شَفِقْتُ». وقوله (من سير): أي سريان، وذهاب. (الحديث): أي الذي يتحدّث به وينتقل، كذا في المصباح. واللام للعهد، وهو الحديث الذي حَدَّثَتْهُ به نفسه؛ وهو تمنّي حبّ المحبوبة في البيت قبله. وقوله (بسائري): أي بجملتي، وجميع أعضائي، وجوارحي ما عدا نفسي التي أسرّتْ. و(سرّي): الذي أسرَّتْ إليه فسائر بمعنى/ [١٢٢/ أ] باقي على أصله، لا بمعنى جميع، قال في المصباح: «قال الأزهري: اتّفَقَ أهل اللغة أنّ سائر الشيء باقيه، قليلاً كان أو كثيراً. وقال الصغانيّ: سائر الناس باقيهم، وليس معناه جميعَهم كما زعم من قَصُرَ في اللغة باعه، وَجَعْلُهُ بمعنى الجميع من لحن العوام». وقوله (فتُعرب): الفاء للتفريع. وتعرب أي: تبيِّن، وتكشف. وقوله (عن سرّي): أي عمّا أسرّته نفسي لروحي، من السرّ الذي هو تمنّي محبّة هذه المحبَّة به. وقوله (عبارةُ): فاعل تعرب. والعبارة: ما يعبِّرُ به الإنسان عن نفسه أو عن غيره، قال في القاموس: «عَبَّرَعمّا في نفسه: أَعْرَبَ، وعَبَّرَ عن غيره فأعرب عنه، والاسم: العِبَارَة». وقوله (عَبْرَتي): أي دمعتي، قال في القاموس: «العَبْرَةُ، بالفتح: الدمعة». يعني: دمعة بكائه تكشف عن عشقه، وأليم بلائه.

١٣٢- يُغَالِطُ بَعْضِي عَنْهُ بَعْضِي صِيَانَةً وَمَيْنِي فِي إِخْفَائِهِ صِدْقُ لَهْجَتِي

غَالَطَهُ مُغَالَطَة وغِلَاطاً، والغَلَطُ، محرَّكَة: أن تعيا بالشيء فلا تعرف وجه الصواب فيه، وقد غَلِطَ، كفَرِح، في الحِساب وغيره، أو خاصٌّ بالمنطق، كذا في

القاموس. وقوله (بعضي): فاعل يغالط، وكنّى بذلك عن نفسه. وقوله (عنه): أي عن سرِّي المذكور في البيت قبله. فمعنى المغالطة عنه الإيقاع في الغلط بتلبيس الأمر. وقوله (**بعضي**): مفعول يغالط، كناية عن العقل؛ لأنّه يقتضي الربط والتقييد. وقوله (**صيانة**): أي حفظاً لذلك السرّ أن يدخل في ربط العقل وتقييده؛ فيفسد على النفس. وقوله (**وَمَيني**): بفتح الميم، أي: كذبي، من مَان يَمِين مَيْناً، من باب باع: كَذَبَ ، كما في المصباح. وقوله (**في إخفائه**): متعلِّق بمَيْنِي. والضمير للسرّ، أي: كتمانه عن العقل بتلبيس الأمرعليه حتى لا يشعر بذلك. وقوله (**صدق**): خبرالمبتدأ الذي هو ميني. و(لهجتي) مضاف إليه، قال في المصباح: «اللَّهْجَةُ، بفتح الهاء، وإسكانها لغة: اللسان، وقيل طَرَفُهُ. وهو فصيح اللَّهْجَة، وصادق اللَّهْجَةِ.

١٣٣ - ولمَّا أَبَتْ إظْهَارَهُ لِجَوَانِحِي بَدِيْهَــةُ فِكْــرِي صُــنْتُهُ عَــنْ رَوِيَّتِــي

(**ولـمّا أبت**): أي امتنعت. (**إظهاره**): مفعول أبت. والضمير للسرّ في البيت قبله. وقوله (**لجوانحي**): وهي الضلوع تحت الترائب مما يلي الصدر، واحدته: جانحة. كذا في القاموس. وقوله (**بديهة**): فاعل أبت، قال في القاموس: «البَدْهُ والبَدَاهَة، ويضمّان، والبَدِيْهَةُ: أَوَّلُ كلِّ شيء، وما يَفْجَأُ منه». وقوله (**فكري**): مضاف إليه، وبديهة الفكر، وهو الخاطر الأوّل، فإنّه صواب ولا يخطئ، وعليه المعوّل. وقوله (**صُنْتُهُ**): أي حفظت ذلك السرّ المذكور عن (**روِيَّتِي**): بتشديد الياء التحتيّة ، قال في القاموس: «رَوَّيْتُ في الأمر: نظرتُ وفَكَّرْتُ، والاسم: الرَّوِيَّة». ومعنى صيانته عن رَوِّيْتِه: ترك التفكّر فيه، والعدول عن تردد الخاطر.

١٣٤ - وَبَالَغْــتُ فِي كِتْمَانِــهِ فَنَــسِيْتُهُ وَأُنْــسِيْتُ كَتْمِــي مَــا إلَيْــهِ أَسَرَّتِ

(**وبالغت في كتمانه**): أي ذلك السرّ. (**فنسيته**): أي لم يخطر في بالي من شدّة كتماني له. وقوله (**وأُنسِيتُ**): بضمّ الهمزة، أي: أنساني الحقّ تعالى (**كتمي**): مفعول ثان لأُنسيت. وقوله (**ما**): أي الذي، مفعول كتمي؛ لأنّه مصدر مضاف إلى فاعله. وقوله (**إليه**): أي إلى سرّي. (**أسرَّتِ**): بكسر التاء للقافية. يعني أُنسيت

أنّي كتمت ذلك السرّ الذي أسرَّتْه نفسي إلى سرِّي. (سراً): أي خفية كما سبق في البيت المتقدّم، وقريب من المعنى قول بعضهم:

أفــــرط نــــسياني ليَّ حالــــة لم يــــترك النــــسيان لي حـــسّا

فــصرت مهـــما اعترضـــتْ حاجــة مهمّــــة أودعتهــــا طرســــا

وصرت أنــسى الطــرس في راحتــي وصرت أنسى أنني أنسى / [١٢٢/ ب]

١٣٥- فَإنْ أجْنِ فِي غَرْسِ المُنَى ثَمَرَ العَنَا فَلِلّـــهِ نَفْـــسٌ فِي مُنَاهَـــا تَعَنَّـــتِ

(فإنْ أَجْنِ): أي أقتطف. قال في القاموس: «جَنَى الثمرةَ: اجْتَنَاهَا كتَجَنَّاهَا». وقوله (في غرس): بالغين المعجمة وسكون الراء. قال في القاموس: «غَرَسَ الشجَرَ يَغْرِسُهُ: أثْبَتَه في الأرض كأغْرَسَه، والغَرْسُ: المَغْرُوس». وقوله (المُنى): مضاف إليه، جمع منية، بالضمّ والكسر. والأُمنية، بالضمّ: من تمناه وأراده. وقوله (ثمر): مفعول أجنِ. (العنا): بالعين المهملة، التعب، والنصب. وقوله (فللّه): الفاء تفريعيّة. و(لله): اللام للتعجب. قال في القاموس: «من معاني اللام: القَسَم والتعجب معاً، ويختص باسم الله، نحو قوله: لله يبقى على الأيام ذو حَيَدِ. والتعجّب المجرد عن القسم، ويستعمل في: فلله درّه». وقوله (نفس): أي أتعجّب من نفس (في مناها): أي مراداتها ومقاصدها. (تعنتِ): بكسر التاء للقافية، أي: تعبت، ونصبت، وصبرت على مشقات أمورها، وأغراضها، وشهواتها.

١٣٦- وَأحْلَى أمَانِي الحبّ لِلنَّفْسِ مَا قَضَتْ عَنَاهَـا بِـهِ مَـنْ أَذْكَرَتْهَـا وَأَنْـسَتِ

(وأحلى): أي أكثر الأماني حلاوة. (والأماني): جمع أمنية، وهي المأمول والمقصود. (للنفس): أي نفس الإنسان في طريق المحبّة. وقوله (ما): أي شيء، أو الذي. (قضت): أي حكمت وألزمت. وقوله (عناها): أي عنا النفس، بمعنى تعبها ونصبها. وقوله (به): متعلّق بقضت. و(عناها): مفعول قضت، أي: ألزمت. (به): أي بسببه. وقوله (من أذكرَتها): مَنْ بفتح الميم، كناية عن المحبوبة الحقيقيّة، فاعل قضت. وضمير أذكرتها للنفس، أي: أذكرت النفس. (وأَنْسَتِ):

بكسر التاء للقافية، أي: وأَنْسَتِ النفس، والمفعول محذوف في الفعلين، أي: أذكرت النفس كلّما شاءت أن تذكّرها أياه من أي أمر كان، وأنست النفس كلّما شاءت أن تنسيها إياه. والحاصل: إنّ المعنى أحلى ما تتمناه نفس المحبّ من المحبوبة الحقيقيّة ما حكمت تلك المحبوبة، وألزمت العناء والتعب بسببه فإنّها هي التي تذكر وتنسى، وكلّ أفعالها بالمحبّ حسنة مرضية عنده.

١٣٧- أَقَامَتْ لَهَا مِنِّي عَلَيَّ مُرَاقِبَاً خَوَاطِرَ قَلْبِي فِي الهَوَى إنْ أَلَمَّتِ

(**أقامت**): أي نصبت، ودلّت، والفاعل ضمير راجع إلى المحبوبة الحقيقيّة. وكذلك ضمير (**لها**): أي لأجلها. وقوله (**مِنّي**)على طريق التجريد، أي: مجرداً منّي. وقوله (**عليَّ**): بتشديد الياء التحتيّة، أي: على جميع أحوالي وأموري في ظاهري وباطني. وقوله (**مراقباً**): مفعول أقامت. وقوله (**خواطر**): مفعول مراقباً، جمع خاطر، وهو ما يلقيه الله تعالى في نفس العبد من خير أو شرّ، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [٩١/ الشمس/ ٧-٨]. وقوله (**قلبي**): أشار بذلك إلى أنّ له قلباً مُتَقلّباً بأمر الله ، فخواطره خير لكنها قد تكون في السوى والغير غفلة منه عن مراقبة الحقّ تعالى في كلّ شيء. وقوله (**في الهوى**): أي في طريق المحبّة الإلهيّة. وقوله (**إنْ ألـمَّتِ**): بتشديد الميم وكسر التاء للقافية، أي: نزلت به تلك الخواطر. من ألمّ به: إذا نزل عنده.

١٣٨- فَإنْ طَرَقَتْ سِرّاً مِنَ الوَهْمِ خَاطِرِي بِلَا حَاظِرٍ أطْرَقْتُ إجْلالَ هَيْبَةِ

(**فإن طرقت**): أي أتت ليلاً، قال في القاموس: «الطَّرْق: الإتيان بالليل كالطروق فيها». وفاعل طرقت ضمير راجع إلى المحبوبة الحقيقيّة. وكون إتيانها بالليل يعني في ظلمة ليل الأكوان فإنّ الأكوان كلّها ظلمة بالنسبة إلى نور وجود الحقّ تعالى. وقوله (**سرّاً**): منصوب على الحال، أي: خفية بحيث لا يشعر بذلك أحد؛ لأنّ طروقها دائم لا ينقضي، لأنّ به ظهور الأكوان ومن كثرة اعتياد الغافلين على شهود وجود الأكوان، لا يشعرون بطروقها، فإذا العارف في شهود وجودها

طرقته سرّاً من غيره فلا يشعر بها غيره./ [١٢٣/ أ] وقوله (**من الوهْم**): بسكون الهاء، يعني: وهم الغافلين عنها، المشغولين بشهود الأكوان عن شهودها. و(**الوَهْمُ**): الغلط أو ذهابه، يقال: وَهِم في الحِساب، كوَجِلَ: غَلِطَ، و- في الشيء، كوَعَدَ: ذهب وَهْمُهُ إليه، كذا في القاموس. وقوله (**خاطري**): مفعول طرقت، قال في القاموس: «الخاطِر: الهاجِس، خَطَرَ بباله و ـ عليه، يَخْطِر ويَخْطُرُ خُطُوْراً: ذكره بعد نسيان». وقوله (**بلا حاظر**): بالحاء المهملة والظاء المعجمة، أي: مانع يمنع من ذلك الطروق المذكور، من حَظَرَ الشيءَ و ـ عليه: منعه، كذا في القاموس. والمعنى من غير مانع من توسّط تصاوير الخيال، وأشكال الطبيعة؛ فإنّ نفوس الجاهلين بالله، الغافلين عن شهوده في مقام العرفان واليقين به إذا طرق سبحانه خواطرهم بطريق التجلّي عليهم لا يظهر لهم ويحضر لديهم إلا في صورة متخلية[1] لهم، تنشأ من خيالهم على أشكال طبائعهم وأمزجتهم، غير ذلك لا يكون. كما أجمعت العقلاء بأنّ الحكم فرع التصوُّر، فلا يحكم العقل بوجوده تعالى، وإثبات صفاته، وأسمائه، وأفعاله، وأحكامه له عزّ وجلّ إلّا بعد تصوّره في النفس كما ذكرنا. وقول علماء العقائد من أهل السنّة كلّ ما خطر في بالك فالله بخلاف ذلك؛ للتنبيه على ما ذكرنا من ضرورة الحكم العقلي، وهو مغفور لعامّة المؤمنين لا لأهل الخصوص من العارفين المحقّقين؛ لمعرفتهم بنفوسهم وبربّهم المعرفة الكثيفة؛ لأنّ حسنات الأبرار سيئات المقرّبين، قال الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي قدّس الله سرّه في فتوحاته المكيّة: «إنّ الحقّ تعالى ما حجر علينا أن نتخذ له صورة في خيالنا الباطني، وإنّما منعنا وحجرعلينا أن نتخذ له صورة في الظاهر المحسوس، أو عبارة هذا معناها، كما بسطنا الكلام في هذا المقام في كتابنا «الوجود الحقّ والخطاب الصدق» وغيره. وأمّا عقول العارفين به تعالى، فإنها معطّلة عن الاستعمال في حقّ الله تعالى؛ فلا حكم عندهم عقلاً في معرفة ربّهم؛ وإنّما يتلقون المعرفة بقبول الشرع المحمّديّ،

---

(١) كذا وردت ولعلّها مُتَخَيَّلَة.

والطريق الأحمدي، بعد موت نفوسهم، واضمحلال قوّة خيالهم، وضعف طبائعهم، وأمزجتهم بالتحقّق بالفناء والعدم في الوجود الحقّ؛ فلا علم بالله إلّا علمهم، ولا معرفة به إلّا معرفتهم، ولا قيام بالشريعة المحمّديّة إلّا قيامهم، ولا أدب مع الله ورسوله إلّا أدبهم. يعرف ذلك مَن عرفه، ويجهل من جهله، وينكره مَن ينكره من الجهل والغفلة والغرور. وقوله **(أطرقت)**: جواب الشرط، من قولهم أطرق: سكت ولم يتكلّم، وأَرْخَى عينيه ينظر إلى الأرض، كذا في القاموس. ومعناه هنا: سكوته في وقت ظهور تجلّي الحقّ تعالى عليه، وإرخاء عيني قلبه اللذين هما عقله وخياله لمعرفته بالعجز عن المعرفة، وهو ينظر إلى أرض نفسه، قال الصّدِّيق الأكبر رضي الله عنه: «العجزعن درك الإدراك إدراك». وقوله **(إجلال)**: بالنصب مفعول من أجله. و**(الإجلال)**: التعظيم، أجلّه:عظّمه. وقوله **(هيْبةٍ)**: مضاف إليه، أي: تعظيم هيبة. قال في القاموس: «الهَيْبَةُ: المَخَافَةُ، والتَّقِيَّةُ، كالمَهَابَة، وهَابَهُ يَهَابُهُ هَيْباً ومَهَابَةً: خافه».

١٣٩ - وَيطْرَفُ طَرْفِي إنْ هَمَمْتُ بِنَظْرَةٍ وإنْ بُسِطَتْ كَفِّي إلِى البَسْطِ كُفَّتِ

(وَيطْرَفُ): بالبناء للمفعول، من طَرَفَهُ عنه يَطْرِفُهُ: صَرَفَهُ، ورَدَّهُ، أو من طَرَفَ بَصَرَهُ: أَطْبَقَ أَحَدَ جَفْنَيْهِ على الآخر، أو من طرف عينيه: حرّك جفنيها، والمرّة منه طَرْفَة، أو من طَرَفَ بصره: أصابها بشيء فدمعت، كذا في القاموس. والمناسب المعنى الأوّل والأخير. يعني: يصرف بالعجز والقصور، أو يصاب بذلك؛ فيرجع كليلاً. وقوله (طرفي): الطَّرْف العين، لا يُجمع؛ لأنه في الأصل مصدر، أو اسم جامع للبصر، لا يثنّى ولا يجمع؛ وقيل: جمعه أطراف، كذا في القاموس. وقوله **(إنْ هممت)**: أي قصدت وتوجّهت إلى المحبوبة الحقيقيّة. وقوله **(بنظرة)**: متعلّق بهممت. والمعنى: يصرف طرفي، ويجعل إلى جهة/ [١٢٣/ ب] غير جهة المحبوبة إنْ قصدتُ أن أنظر إليها وذلك لعظمها، وحقارة العبد السالك باعتبارها؛ بل لكمال وجودها الحقيقيّ، وعدم ما سواها من الأكوان بالنسبة إليها. وقوله **(وإنْ بُسطت)**:

بالبناء للمفعول، من بسط يده: مدّها. وقوله (كفّي): نائب الفاعل. وقوله (إلى البسط): أي الانبساط، من بسطه: سرّه. يعني: إنْ انبسطتْ كفّي وامتدت إلى تلك المحبوبة لأجل المباسطة معها. وقوله (كُفَّتِ): بضم الكاف وتشديد الفاء وكسر التاء للقافية، أي: دفعته وصرفت، يقال: كففْتُه وصرفته، كذا في القاموس.

١٤٠ - فَفِي كُلِّ عُضْوٍ فِيَّ إِقْدَامُ رَغْبَةٍ وَمِنْ هَيْبَةِ الإِعْظَامِ إِحْجَامُ رَهْبَةِ

(ففي كلِّ عُضو): قال في القاموس: «العُضُو، بالضمِّ والكسر: كلُّ لحمٍ وافرٍ بعَظْمِهِ». وقوله (فِيَّ): بتشديد الياء التحتيّة، أي: من أعضاء. وقوله (إقدام): بكسر الهمزة، من أَقْدَمَ على الأمرِ: شَجُعَ. وقد قَدَمَ كنَصَرَ وعَلِمَ، وأَقْدَمَ وتَقَدَّم واسْتَقْدَمَ. وقوله (رَغْبَة): مضاف إليه، من رَغِبَ فيه، كسَمِعَ، رَغْباً، ويضم. ورَغْبَةً: أَرَادَهُ، كذا في القاموس. يعني: في كلّ عضوٍ فيّ إقدام برغبة على المحبوبة الحقيقيّة مع رغبة فيها. وقوله (ومن هيبة الإعظام): بكسر الهمزة، أي: الإجلال للمحبوبة المذكورة. وقوله (إحجام): بكسر الهمزة، من أحجم عنه: كفّ. وقوله (رهبة): مضاف إليه، من رَهِبَ، كعَلِمَ رَهْبَة وَرُهْباً، بالضمِّ، ويحرّك: خاف، كذا في القاموس. يعني: في كلِّ عضو من أعضائي إقدام وإقبال على المحبوبة المذكورة رغبة فيها، ومحبّة لها مع إحجام وكف وامتناع من خوفي منها، ومهابتي لها، وإعظامي لقدرها لمعرفتي بنفسي، ومعرفتي بعدمها الأصلي، وذلّها وحقارتها، ومعرفتي بتلك المحبوبة الحقيقيّة، ومعرفتي بوجودها الحقّ الحقيقيّ، وعزِّها وعظمها؛ فأنا بين الرجاء منها لعلمي بكثرة كرمها وإحسانها، وجزيل إنعامها، وبين الخوف منها، والخشية لها؛ لعلمي بأليم عقابها، ووجيع عذابها، كما قال تعالى لنبيِّه صلّى الله عليه وسلّم: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴾ [١٥/الحجر/٤٨-٥٠].

١٤١ - لِفِيَّ وَسَمْعِي فِيَّ آثَارُ رَحْمَةٍ عَلَيْهَا بَدَتْ عِنْدِي كَإِيْثَارِ رَحْمَتِي

(لِفِيَّ): بكسر اللام وتشديد الياء، أي: لفمي. (وسمعي): معطوف على فِيَّ،

والمراد بالسمع هنا الأذن، قال في القاموس: «السَّمْعُ: حِسُّ الأُذُن والأُذُنُ، وما وقر فيها من شيء تَسْمَعُهُ. وقوله (فِيّ): بتشديد الياء، أي: الكائنين في جملتي. وقوله (آثار): جمع أَثَر، مُحَرَّكَة: بقيَّة الشيء». وقال: «أَثَّرَ فيه تَأْثِيراً: تَرَكَ فيه أثراً»، كذا في القاموس. وقوله (زَحْمَةٍ): بالزاي والحاء المهملة، أي: مضايقة، قال في القاموس: «زَحَمَه كمَنَعَه، زَحْماً وزِحَاماً، بالكسر: ضايَقَهُ». وقوله (عليها): أي على المحبوبة الحقيقيّة. وقوله (بدت): أي ظهرت تلك الآثار عندي. وقوله (كإيثار): أي بمنزلة إيثار، أي: اختيار وتقديم رحمة، بالراء، وهي الرِقّة، والمغفرة، والعطف، كذا في القاموس. والمعنى: لفمي ولأذني آثار ازدحام على تللك المحبوبة يؤثران حظّيهما منها على جميع حظوظها، كإيثارهما رحمتها، وعطفها، ومغفرتها، على كلّ رحمة وعطف ومغفرة من سواهما، فحظّ فمي من اللذة لثمها وتقبيلها، وحظّ أذني من اللذّة سماع خطابها وحلاوة كلامها، فيزدحم فمي مع أذني، كلّ منهما يطلب حظّه منها. وتظهر آثار ذلك الازدحام عليهما؛ فأثرٌ في فمي حلاوة كلامي ، وأثره في أذني حلاوة فمي فهمي لكلام المحبوبة، فكلامي المنظوم والمنثور يستلذّ به أسماع العاشقين، وفهمي لمعاني القرآن تستلذّ به عقولهم.

١٤٢ - لِسَانِيَ إنْ أَبْدَى إذا مَا تَلا اسْمَهَا لَهُ وَصْفُه سَمْعِي وَمَا صَمَّ يَصْمُتِ

(لساني) مبتدأ. وجملة الشرط والجزاء خبره. وقوله (إنْ أبدى): أي أظهر. وسمعي فاعل أبدى. وقوله (وصفه): مفعول أبدى. والضمير لسمعي. ووصف سمعي هو استماعه وتنصته. وقوله (إذا ما تلا): أي لساني. (اسمها): أي المحبوبة الحقيقيّة. (له): لسمعي؛ وهو متأخر لفظاً متقدّم رتبة. وقوله/ [١٢٤/أ] (وما صَمَّ): بفتح الصاد المهملة، أي: ما ثقل سمعه، قال في القاموس: «الصَّمَمُ، محرّكة: انسداد الأذن، وثِقَل السَّمْع، صَمَّ يَصَمُّ بفتحهما». وقال في المصباح: «صَمَّتِ الأُذن صَمَماً، من باب تعب: بَطَلَ سَمْعُها، ويسند الفعل إلى الشخص أيضاً فيقال: صَمَّ يَصَمُّ صَمَماً. وجملة (ما صَمَّ) نعت لسمعي. وقوله (يصمت):

جواب إن الشرطيّة، وحرِّكت بالكسر للقافية. والمعنى: إنّ لساني يصمت إذا تلا اسم هذه المحبوبة لسمعي، وذلك إذا بدأ سمعي وصفه وما صمّ؛ وإنّما يصمت لساني شفقة على سمعي، ورحمة له حتى لا ينزعج ويقلق ويشتدّ عليه الحال.

١٤٣- وَأُذْنِيَ إنْ أَهْدَى لِسَانِيَ ذِكْرَهَا لِقَلْبِي وَلَمْ يَسْتَعْبِدِ الصَّمْتَ صَمَّتِ

(وأذني إنْ أهدى): أي أعطى هديّة. (لساني): فاعل أهدى. وقوله (ذكرها): مفعول أهدى، والضمير للمحبوبة الحقيقيّة. وقوله (لقلبي): متعلّق بأهدى. و(الذكْر): بمعنى التذكّر؛ فإنَّ اللسان إذا تكلّم سمعت الأذن، وإذا سمعت الأذن تذكر القلب ذلك المذكور. وقوله (ولم يستعبد الصمت): أي لم يتخذه عبداً. يعني: لم يملكه؛ بحيث يتصرّف فيه بأنْ لم يقدر اللسان على ترك الذكر لغلبة الشوق عليه. وقوله (صَمَّتِ): بفتح الصاد المهملة وتشديد الميم وكسر التاء للقافية، أي: أصابها الصمم حتى لا توصل إلى القلب بواسطة سماعها ما ينزعج به القلب من تذكّر المحبوبة شفقة عليه من الأذن، ورحمة له منها.

١٤٤- أَغَارُ عَلَيْهَا أنْ أهِيْمَ بِحُبِّهَا وأعْرِفُ مِقْدَارِي فَأُنْكِرُ غَيْرَتِي

(أغار عليها): أي على هذه المحبوبة. وقوله (أن أهيم): من هَامَ يَهِيْمُ هَيَماً وهَيَمَاناً: أحبّ امرأة، كذا في القاموس. وقوله (بحبِّها): أي بمحبّة المحبوبة الحقيقيّة. والمعنى: إنّ هذه الغَيرة على هذه المحبوبة حاصلة عنده عليها من نفسه، فيغارعليها أن تهيم نفسه بها مبالغة في غيرته، وفي هذا المعنى قول الشاعر:

أغار عليك من غيري ومنّي ومنك ومن مكانك والزمان

ولو أني جعلتك وسط عيني إلى يوم القيامة ما كفاني

ومعنى (الغيرة): بالفتح إرادة المحبّ إزالة تعلّق محبّة الغير بمحبوبه، أو إرادة انفراده بمحبّة المحبوب، وبقربه، وكلامه، ووصاله، حفظاً، وصيانة لشأنه. والغيريّة الإلهيّة من الجانبين؛ لأنّ كلّ واحد منهما محبّ ومحبوب؛ فالعبد يغار على

الرّبّ أنْ يحبّه غيره، كما قيل للشبلي قدِّس سرّه: متى تجد راحة؟. فقال: إذا لم أجد له ذاكراً. وكأن هذا من غيرته؛ لأنّ الذاكر له محبّ له. والربّ إذا غار على العبد يغار عليه أن يحبّ غيره، فيريد أنْ يفرده بالمحبّة، كما قال تعالى:﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [٥/ المائدة/ ٥٤] قال العارف نجم الدين بن إسرائيل[1] قُدِّس سرّه:

مــا في محبّتهــا ضــدٌّ أضــيق بــه ... هــي المــدام وكــلّ الخلــق نــدماني

وهذه حالة الواصلين المحقّقين، والأولى حالة السالكين العارفين. وقوله **(وأعرف مقداري)**: أي قدري، ومقامي، ومبلغ أمري؛ فأعرف أنّي مخلوق معدوم في صورة موجود، فكيف أناسب الخالق القديم الموجود بالوجود الحقيقيّ وجوداً حقيقيّاً. وقوله **(فأنكر غَيرتي)**: أي لا أجدها لائقة مني؛ وهي فضول من الأمر.

١٤٥ - **فَتُخْتَلَسُ الرُّوْحُ ارْتِيَاحاً لَهَا وَمَا ... أُبَــرِّئُ نَفْـسِي مِــنْ تَــوَهُّمِ مُنْيَتِــي**

(فتُختلَس): بالبناء للمفعول، أي: تُسْلَب، وتُخْتَطَفُ. و**(الروح)**: نائب الفاعل. والألف واللام عوض عن ياء المتكلّم، أي: روحي، واختلاسها: انقباضها إلى أمر الله الذي هو منشؤها كما قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْـرِ رَبِّي ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨٥] وأمر الله كما قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴾ [٥٤/ القمر/ ٥٠] فالروح تقبض وتبسط في كلّ لمحة بحكم قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٤٥] ارتياحاً تمييزاً/ [١٢٤/ ب] ومفعول من أجله، والارتياح: النشاط والرحمة، كذا في القاموس. وقوله **(لها)**: أي للمحبوبة الحقيقيّة. يعني: يكشف للسالك عن حال روحه، وأنّها تقبض إلى روح الله ، وتبسط منها في كلّ لمحة. ثمّ قال **(وما أبرِّئ نفسي)**: يعني في

(١) محمد بن سوار بن إسرائيل بن الخضر بن إسرائيل بن الحسن بن علي بن الحسين بن نجم الدين أبو المعالي الشيبانيّ، ولد بدمشق (٦٠٣ـ٦٧٧)هـ لبس الخرقة من الشيخ شهاب الدين السهروردي، وسمع عليه، وأجلسه ثلث خلواته، كان قادراً على النظم، مكثراً منه، توفي في دمشق ٦٧٧هـ ودفن عند الشيخ رسلان. الوافي بالوفيات للصفدي، باب ابن سوار/ ١ ٢٥٥.

وقت بسط الروح. (من توهّم مُنيتي): بضمّ الميم وبكسرها، وهي ما يتمنّاه. كناية عن المحبوبة الحقيقيّة، وتوهّمها إحساس روحه بها على الوهم بتخيّلها. وقوله (وما أبرِّئ نفسي): إشارة إلى أنّ ذلك التوهّم لها تنقيص منه لها؛ لأنّها في كمال التنزّه عن مشابهة المعاني والمحسوسات، كما قالوا: كلّ ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [٤٢/ الشورى/ ١١] الآية. لكن من ضرورة الروح هذا التوهّم لأنّه مخلوق فلا يدرك إلا مخلوقاً مثله، كما قال يوسف عليه السلام فيما حكاه الله تعالى عنه بقوله: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾ [١٢/ يوسف/ ٥٣] الآية.

١٤٦- يَرَاهَا عَلَى بُعْدٍ عَنِ العَيْنِ مِسْمَعِي بِطَيْـفِ مَـلَامٍ زَائِـرٍ حِـيْنَ يَقْظَتِـي

(يراها): أي يرى هذه المحبوبة الحقيقيّة على جهة المتوهِم كما في البيت قبله. وقوله (على بعد عن العين): أي عين القلب والباصرة، وذلك بعد المناسبة بين القديم والحادث، والوجود الحقّ، والعدم الباطل. وقوله (مِسْمَعِي): فاعل يراها بأن يسمع ذكر اسمها من لسان اللائم له. و(المِسمع): بكسر الميم، الأذن. وقوله (بطيف): قال في القاموس: «الطَّيْفُ: الخَيَال الطَّائِف في المنام، أو مجيئه في النوم، وطاف الخيال يَطِيْفُ طَيْفاً». و(مَلام): مضاف إليه، والمَلَام هو اللوم، وهو العذل، والعتاب، والتعنيف على المحبّة والهوى، فلائم على المحبّة يتخيَّل المحبوب في نفسه، ويلوم المحبّ عليه، فالذي تخيّله في نفسه خيال المحبوب، وهو طيف المنام؛ لأنّ اللائم في نوم الغفلة والجهل والغرور، فلا يرى إلّا طيف المحبوب؛ لا حقيقة المحبوب. ثمّ قال (زائر): بالجرّ نعت لذلك الطيف، أي: زائر للمحبّ، لأنّ المحبّ يعرف ذلك من كلام اللائم، فيتخيّل في نفسه ما تخيَّل اللائم في نفسه، ويعرف أنّ ذلك طيف خيال المحبوب طرق ذلك اللائم في منامه بحكم قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَيْءٍ﴾ [٢٧/ النمل/ ٢١] وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [٤/ النساء/ ١٣١] وقوله (حين يقظتي): يعني ذلك الطيف زارني في

حال يقظتي، وهي مقام التحقيق والعرفان، وزوال نوم الغفلة والتلاهي عن قلب الإنسان؛ فلا يخفى أمر ذلك الطيف على ذلك اليقظان.

١٤٧ - فَيَغْبِطُ طَرْفِيْ مِسْمَعِي عِنْدَ ذِكْرِهَا وَتَحْسِدُ مَا أَفْنَتْهُ مِنِّي بَقِيَّتِي

(فيغبط): غَبطْتُهُ، من باب ضرب: إذا تمنَّيت مثل ما ناله من غير أن تريد زوالَه عنه لِمَا أعجبك منه، وعَظُمَ عندك، وهذا جائز؛ فإنّه ليس بحسد، فإن تمنيت زواله فهو الحسد، كذا في المصباح. وقوله (طرْفي): فاعل يغبط، قال في المصباح: «طَرْفُ العين نَظَرُها، ويُطلق على الواحد وغيره؛ لأنه مصدر». وقوله (مِسْمَعِي): مفعول يغبط، قال في المصباح: «طَرَقَ الكَلامُ السَّمْعَ والمِسْمَع بكسر الأوّل، والجمع: أَسْمَاع ومَسامِع». وفي القاموس: «المِسْمَع، كمِنْبَر: [الأُذُن]، والجمع: مَسامِع» وقوله (عند ذكرها): أي ذكر هذه المحبوبة الحقيقيّة بلساني، حيث أنّ الأذن تسمع الذكر دون العين، فتتمنى العين لو أنّها تسمع الذكر أيضاً مثل الأذن، من غير أن يذهب سماع الأذن عنها؛ فكان غبطة لا حسد. وقوله (وتحسد ما): مفعول تحسد، قُدِّم للحصر، أي: الجزء الذي (أفنته): أي محقته وأزالته هذه المحبوبة الحقيقيّة. (منّي): أي من بين أجزائي، وذلك الجزء الذي أفنته المحبوبة المذكورة منه هو نفسه؛ فإنّ تجلِّي الوجود الحقّ وظهوره للنفس يبطل النفس، ويفنيها، ويمحقها، ويزيلها بالكليّة. وقوله (بقيّتي): فاعل تحسد، وكان حسداً، لا غبطة؛ لأنّ مراده زوال الفناء عن النفس، وحصوله لبقيّة الأجزاء الإنسانيّة لترى النفس بالوجود الذي يظهرعليها ما أفناه الوجود من البَقيَّة فيحصل الترقي في المعرفة.

١٤٨ - أَمَمْتُ إِمَامِي فِي الحَقِيقَةِ فَالوَرَى وَرَائِي وَكَانَت حَيثُ وَجَّهْتُ وِجْهَتِي

[١٢٥/أ](أممت): من أَمَّهُ، وأمّ به إمامة: صلّى به إماماً، كذا في المصباح. فإنْ أَمَّهُ وأَمَّ به بتشديد الميم، ثمّ لمّا اتصل به ضمير المتكلّم وهو التاء، فُكَّ الإدغام فقيل: أممت. وقوله (إمامي): بكسر الهمزة، أي: صرت إماماً لإمامي، وكنت مقتدياً به، فصار مقتدياً بي. وقوله (في الحقيقة): متعلّق بأممت، أو بمحذوف صفة

لإمامي، أي: في علم الحقيقة، أو في حقيقة الأمر لزيادة اختصاص الحقّ تعالى له بعلوم ليست عند شيخه، كما قال أبو الحسن الشاذليّ قدّس الله سرّه: «أخذت عن ستمئة شيخ، ثمّ وُزنت بهم فرجحتهم». وقوله **(أممت في الحقيقة إمامي)**: أي مَن كنت أقتدي به في العلوم الظاهرة من مشايخ الحديث والفقه وعلوم العربية وغيرها، فكنت أقتدي بهم في ذلك، ويقتدون بي في علوم الباطن. حتى شيخه الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي، قدّس الله سرّه، من حيث أنّ الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي قدّس الله سرّه، وكذا بقيّة مشايخه في العلوم الباطنة؛ إذ جميع مشايخه من قبيل قولهم: «المريد شيخ الشيخ بالحال، والشيخ شيخ المريد بالقال». وذلك لأنَّ المريد يستخرج بصدق حاله من باطن الشيخ علوم التحقيق، فتجري على لسانه بعناية التوفيق، فهو إمامه بهذا الاعتبار. أو أنّه قال: **أممت إمامي** بعد تحقّقه بالفناء في جميع باطنه وظاهره، بحيث وجد الحقّ تعالى هو الحيّ القيّوم عليه، والوجود للحقّ وحده، ووجد نفسه، وجميع ظواهره وبواطنه مجرد شؤون وتقاديرعدميّة، متجلّياً بها الحقّ تعالى فانمحت ذاته في ذات الحقّ، وصفاته في صفاته، وأفعاله في أفعاله. وصار من قبيل قوله تعالى: ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ٢٩]. وقوله سبحانه: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [١٠/ يونس/ ٦١] فالشؤون له تعالى بحكم الأصالة، وهي لنا أيضاً بحكم التبعيّة، كما قلنا في مطلع قصيدة لنا:

إنّـــما نحـــن للإلـــه شـــؤون ... فهـــو فينـــا في كـــلّ آن يكـــون

نزلـــت شمـــسه المنـــازل منّـــا ... فظهـــور لهـــا بنـــا وكمـــون

فإنّ المنازل مجرد تقادير تنزلها الشمس فتختلف أحكام الشمس بها، والشمس في نفسها على ما هي عليه. وإذا كان الأمر كذلك فقد رجعت ذاته إلى ذات الحقّ تعالى بعد فناء ذاته هو، ورجعت صفاته إلى صفائه بعد فناء صفاته وأفعاله إلى

أفعاله، فكان بهذا الاعتبار إماماً لكلّ إمام في الظاهر والباطن من حيث أنّهم كلّهم سواه، وغيره، وهم كلّهم مخلوقون مثله من حيث أنّه مثلهم مخلوق للحقّ تعالى، وهو إمامهم من حيث أنّه فانٍ عن وجوده، شاهد بشهود الحقّ تعالى في تحقيق شهوده، فليس هوغيرهم بهذا الاعتبار؛ بل هوعينهم وحقيقتهم بعد طهارتهم منهم بتنزههم عنهم، وطهارته هو أيضاً منه بتنزهه عنه، فهو إمامهم الذي هم مقتدون به في كلّ حال، وصحّ قوله؛ فالورى كفَتى: الخلق، كذا في القاموس. والخلق بمعنى المخلوقات كلّها. وقوله (ورائي): قال في القاموس: «وراء مثلثة مبنيّة، والوراء معرفة، تكون خلف وقدّام، ضدّ أولاً؛ لأنّه بمعنى. وهو ما توارى عنك». وكون الورى وراءه من حيث أنّهم ورى؛ أي: خَلْف، لا من حيث أنّهم فانون عن وجودهم الوهميّ مثله، لأنّهم عينه، وحقيقته بذلك الاعتبار حينئذ؛ ولهذا كان مبنى كلام المحقِّقين من أهل الله تعالى على تحقيق مقام الفناء في الوجود. وذوق ذلك بدوام الشهود بخلاف كلام الصوفيّة كلِّهم؛ فإنّه مبني على حسن المعاملة مع الحقّ ومع الخلق؛ من حيث أنّهم صوفيّة، ولا تتحقَّق لهم في المعرفة. وقوله (**وكانت**): أي تلك المحبوبة الحقيقيّة حيث (**وجَّهت وجهي**): قال في القاموس: «الجهة مثلثة، والتوجهة بالكسر والضمّ: الجانب والناحية». وهذا من قوله:/ [١٢٥/ ب] ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [٢/ البقرة/ ١١٥] قال في القاموس: «الوَجْه نفس الشيء».

١٤٩- يَرَاهَا أَمَامِي فِي صَلَاتِيَ نَاظِرِي وَيَشْهَدُنِي قَلْبِي أَمَامَ أَئِمَّتِي

(**يراها**): أي يبصرها ويتحقَّقها. والضمير للمحبوبة الحقيقيّة. وقوله (**أمامي**): بفتح الهمزة. قال في المصباح: «أمام الشيء بالفتح: مُستَقْبَلُهُ، وهو ظرف، ولهذا يذكَّر ويؤنَّث على معنى الجهة». قال في القاموس: «والأَمَام نقيض الوراء، كقُدّام، يكون اسماً وظرفاً، وقد يُذَكَّر». وقوله (**في صلاتي**): من قوله عليه السلام: «إنّ الله

في قبلة أحدكم»[1] الحديث. وقوله (ناظري): فاعل يراها، من قول الصدِّيق الأكبر رضي الله عنه: «ما رأيت شيئاً إلّا رأيت الله فيه». وهذه الصلاة هي المعتبرة عند أهل التحقيق، وهي الصلاة التي فيها قرّة عين النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، كما ورد في الحديث: «حُبِّب إليَّ من دنياكم الطيب والنساء وجعلت قرّة عيني في الصلاة»[2]. وكون قرّة عينه صلّى الله عليه وسلَّم في الصلاة أي: غاية فرحه بلقاء ربّه فيها، ورؤيته له في قبلته، وقوله (ويشهدُني): أي يشاهدني ويراني. (قلبي): فاعل يشهدني. وياء المتكلِّم مفعول أوّل ليشهدني، والمفعول الثاني (إمام): بكسر الهمزة، وهو ما ائتُمّ به، من رئيس وغيره، وجمعه: أيمَّة، وأَئِمَّة شاذّ، كذا في القاموس. وكون قلبه يشهد نفسه أمام أئمّته، أي: مشايخه؛ إنّما ذلك بعد تحقُّقه بمقام الفناء في الوجود؛ فالإمام في الحقيقة هو الوجود الحقّ لا غير كما سبق في البيت قبله.

١٥٠- ولَا غَرْوَ أَنْ صَلّى الأَنَامُ[3] إلَيَّ أنْ ثَوَتْ بِفُؤادِي وَهْيِ قِبْلَةُ قِبْلَتِي

(ولا غرو): بالغين المعجمة، قال في المصباح: «غَرَوْتُ غَرْوَاً، من باب قَتَل: عجبت، ولا غرو: ولا عجب». وقوله (إنْ): بكسر الهمزة، والنون ساكنة. (صلّى) : أي الصلاة المعهودة. (الأنام): فاعل صلّى. والأنام بالنون: الخَلْقُ، أو الجِن، أو الإنس، أوجميع ما على وجه الأرض، كذا في القاموس. وفي نسخة الأمام بالميم، أي: إمام الصلاة بالجماعة. وقوله (إليّ): بالتشديد، أي: إلى جهتي. وقوله (أنْ): بفتح الهمزة، أي: لأنْ مخففة من الثقيلة. وقوله (ثوت): بالثاء المثلّثة، أي: سكنت. ثَوَى بالمكان وفيه، أي: أقام، كذا في المصباح. والمعنى: أقامت، يعني: المحبوبة الحقيقيّة. وقوله (بفؤادي): أي في فؤادي، أي: قلبي، من قوله عليه السلام في الحديث القدسيّ: «ما وسعني سماواتي ولا أرضي ووسعني قلب عبدي

(١) انظر تخريجه ص٢٧٣.

(٢) انظر تخريجه ص٤٨٤.

(٣) في (ق): الإمام.

المؤمن»[1]. وهذا الوسع وسع معرفة، لا وسع حلول؛ لأنّه تعالى لا شيء معه، والوجود له وحده؛ فالموجودات كلّها كناية عن تجلّيه بمعلوماته ومراداته التي هي مقدرات ومرتبات في حضرة علمه القديم. وقوله (وهي): الواو للحال، أي: المحبوبة الحقيقيّة (قِبْلَةُ): بكسر القاف، قال في القاموس: «القِبلة بالكسر التي يُصَلِّى نحوها، والكعبة، وكلّ ما استقبلك. وقوله (قبلتي): مضاف إليه، يعني: هيّ، أي: المحبوبة الحقيقيّة قبلة قبلتي التي أنا متوجّه إليها في صلواتي؛ فإنّها متوجّهة مثلي إليها أيضاً، فإنّ الكعبة بيت الله ، حكماً إلهيّاً، شرعيّاً، محمّديّاً، لا حقيقة؛ لأنّ الله تعالى لا مكان له، وهو خالق المكان.

١٥١ - وَكُلُّ الجِهَاتِ السِّتِّ نَحْوِي تَوَجَّهَت[2]   بِـمَا ثَـمَّ مِـنْ نَـسْكٍ وَحَـجٍّ وَعُمْـرَةِ

(وكلّ الجهات): جمع جِهة، مثلّثة؛ وهي الجانب والناحية. وقوله (السِّتّ): بالكسر، أصله سِدْس، فأُبْدِل السينُ تاءً، وأُدْغِمَ فيه الدال، كذا في القاموس. و(الجهات الستّ): هي فوق وتحت ويمين وشمال وقدّام وخلف. والمراد أهل الجهات الستّ من العابدين. وقوله (توجّهتْ): من وجَّهَهَ بالتشديد تَوْجِيْهاً: أرسله، أي: مرسلة نحوي، قاصدة لي. وقوله (بما ثَمّ): أي بمصاحبة ما. (ثَمّ): بفتح الثاء المثلثة، أي: هناك أي: بما هو لدى العابدين، والجار والمجرور متعلّقان بتوجّهت. وقوله (من نَسْك): بيان لما، والنُّسْك بسكون السين المهملة. قال في القاموس: «النَّسْك مثلثة، وبضمّتين: العِبادة، وكلُّ حقّ لله تعالى. وقد نَسَكَ كنَصَرَ وكَرُمَ». وقوله (وحج):/ [١٢٦/ أ] معطوف على نسك. والحج: القصد، وقصد مكّة للنسك. وقوله (وعمرة): معطوف عليه. والعُمْرَةُ: الزيارة، وقد اعْتَمَرَ وأَعْمَرَهُ: أعانه على أدائها، كذا في القاموس. والمعنى: جميع أهل الجهات الستّ متوجِّهون نحوي وجهتي في حال توْجُّههم إلى الكعبة بالنسك والحجّ

(١) انظر تخريجه ص٣٢٤.

(٢) في (ق): مشيرة.

والعمرة. كما أنّهم إذا صلّوا فهم متوجِّهون إلى جهتي أيضاً، بسبب أنّ المحبوبة الحقيقيّة أقامت بقلبي كما سبق في البيت قبله، أي: وسعها قلبي؛ على معنى أنّه عرفها حقّ معرفته، لا حقّ معرفتها؛ لأنّها لا يعرفها حقّ معرفتها إلّا هي، كما قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [٦/ الأنعام/ ٩١].

١٥٢- لَـهَا صَـلَوَاتِي بِالمَقَـامِ أُقِيْمُهَـا وأَشْـهَدُ فِيْهَـا أَنَّهَـا لِـيَ صَـلَّتِ

(لها): أي لهذه المحبوبة الحقيقيّة. (صلواتي): جمع صلاة، وإنّما جمعها لاختلافها باختلاف صورها باختلاف مواضع ظهورها؛ فصلاة الجسد ذات الركوع والسجود. وصلاة النفس بالموت لاختياري. وصلاة الروح بالفناء في المشاهدة. فهذه الصلوات الثلاث هي قوله (في المقام): أي مقام إبراهيم عليه السلام. (أقيمها): يعني بعد كلّ أسبوع من الطواف. فطواف الجسد معروف بكعبة الحسّ ذات الأركان الأربعة. وكعبة النفس: حضرة الأسماء والصفات ذات الأركان الأربعة: الحيّ بالحياة، والعالم بالعلم، والمريد بالإرادة، والقادر بالقدرة. وكعبة الذاتِ الإلهيّة ذات الأركان الأربعة: التجلِّي، والاستتار، والمحو، والإثبات. قال تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [٢/ البقرة/ ١٢٥]. فمقام إبراهيم في كلّ صلاة من هذه الصلوات الثلاث. أمّا في مقامه في كعبة الحسّ فمعلوم مقامه في كعبة الأسماء والصّفات، مقام الإسلام ، قال تعالى في إبراهيم:﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ﴾ الأية [٢/ البقرة/ ١٣١]. ومقامه في كعبة الذات دوام شهود الوجود الحقّ. ثمّ قال الناظم قُدّس سرّه. (وأشهد فيها): أي في تلك الصلوات المذكورة. (أنّها): أي هذه المحبوبة الحقيقيّة. (لِيَ): بفتح الياء التحتيّة. (صَلَّتِ): بكسر التاء للقافية، أي: أنّها رحمتني بصلاتها؛ لأنّ الصلاة من الله تعالى الرحمة، ومن الملائكة الاستغفار، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾: أي ظلمة الجسد، وظلمة النفس، وظلمة الروح الإنساني ﴿ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [٣٣/ الأحزاب/ ٤٣] أي: نور الوجود الحقّ؛ فالظلمات ثلاث، والنور واحد. والصلاة من المكلَّفين بها

الدعاء. قال تعالى:﴿ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [٤٠/ غافر/ ٦٠] أي اعبدوني بالصلاة أجبكم بالرحمة.

١٥٣ - كَلَانَا مُصَلٍّ وَاحِدٌ سَاجِدٌ إلى حَقِيْقَتِهِ بِالجَمْعِ فِي كُلِّ سَجْدَةِ

(**كلانا**): أي كلّ واحد منّا أنا والمحبوبة الحقيقيّة (**مصلٍّ واحد**): صلاة واحدة، هي منّي دعاء لها، ومنها رحمة لي. والفاعل واحد: أنا بالروح والنفس والجسد؛ الصلوات الثلاث التي ذكرناها في ما سبق في البيت قبله. والمحبوبة الحقيقيّة بالوجود الحقّ الحقيقيّ. ثم قال (**ساجدٌ**): أي ذلك المصلّي الواحد إلى حقيقته التي هي الوجود الحقّ الحقيقيّ، الذي لا يشعر به كيف، ولا حدّ، وليس له صورة، ولا مثل، ولا شبه المطلق حتى من الإطلاق؛ لأنّه قيّد، وهو المنزّه من جميع القيود الحسّيّة والمعنويّة. وقوله (**بالجمع**): أي بسبب الجمع. والجار والمجرور متعلّقان بساجد. والجمع هو اتّحاد الحقيقتين في الغيب. كما أنّ الفرق تعدّدهما في الشهادة؛ فإنّ القيوم على كلّ نفس بما كسبت باعتبار مبلغها من العلم. وقوله (**في كلّ سجدة**): أي من سجدات الصلوات الثلاث؛ فسجدة الجسد معروفة. وسجدة النفس اندراجها في حضرة الأسماء والصفات. وسجدة الروح اندراجها في أمر الله تعالى كما قال تعالى:﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨٥] الآية.

١٥٤ - وَمَا كَانَ لِي صَلَّى سِوَايَ وَلَمْ تَكُن صَلَاتِي لِغَيْرِي فِي أَدَا كُلِّ رَكْعَةِ

(**وما كان لي صلّى**): من حيث الحقيقة الواحدة. (**سواي**): أي غيري. (**وإنّما**): من حيث تلك الحقيقة الواحدة صَلَّيت بأنْ فعلت فعل الصلاة بتصوير الصورة قائمة، قارئة، راكعة، ساجدة/ [١٢٦/ ب] قاصدة بذلك تلك الحقيقة المذكورة، وصورة المعبر عنها بأنّا عند الغافلين من جملة أفعال تلك الحقيقة وتصاويرها. وقوله (**ولم تكن صلاتي**): المذكورة صادرة عنّي؛ بل هي صادرة عن تلك الحقيقة لتلك الحقيقة نفسها، لا صادرة منّي لغيري. (**في أدا كلّ ركعة**). من ركعات تلك الصلاة؛ والحاصل أنّه لمّا كانت الحقيقة واحدة، وقد صوّرت لها صورة من قوله:

﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [٤/ النساء/ ١٣١] وقال تعالى: ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ﴾ [٢٧/ النمل/ ٩١] وهو تعالى من حيث هو لا صورة له، ومن حيث أسمائه وصفاته له كلّ الصور، كان له سبحانه حضرتان: حضرة غيبه المنزّهة عن مشابهة الأكوان. وحضرة شهادته التي هي أعيان الأكوان. وأعيان الأكوان عدم صرف في الوجود الواحد القديم الحقّ، فإذا صلّى بصورته العدميّة في وجوده الحقّ صلّى لنفسه بنفسه لا بغيره لغيره، والله على كلّ شيء قدير.

١٥٥- إِلَى كَمْ أُوَاخِي السِّتْرَ هَا قَدْ هَتَكْتُهُ وَحَلُّ أَوَاخِي الحُجْبِ فِي عَقْدِ بَيْعَتِي

(إلى كم): أي إلى كم وقت وزمان. فكم استفهاميّة بمعنى أيّ عدد. أو خبريّة بمعنى كثير، أي: إلى زمن كثير. وقوله (أُوَاخِي): بضمّ الهمزة فعل مضارع من المؤاخاة، لغة المُآخاة. قال في الصحاح: «واخَاه لغة ضعيفة في آخاه، يبنى على يُوَاخِي». ومعنى أُواخي: أتخذ أخاً، أي: ألتزم. (السِّتْر): بكسر السين المهملة، أي: الحجاب، وبفتحها: مصدر سَتَرت الشيءَ سَتْراً من باب قتل. وحاصل المعنى إلى كم مدّة ألتزم الحجاب عن الحقّ تعالى فأستره بذكر نفسي بين الغافلين عنه مماثلة لهم، ومراعاة لطريقهم وعاداتهم. ثمّ قال (ها): وهي كلمة تنبيه، وتدخل في ذا وذه، تقول: هذا وهذه، كما في القاموس. وقوله (قد هتكته): الضمير للسِّتر. وقال في القاموس: «هَتَكَ السِّتْرَ وغيرَه يَهْتِكُهُ فَانْهَتَكَ وتهَتَّكَ: جَذَبَه فَقَطَعَهُ من موضعه. أو شَقَّ منه جُزْءاً فَبَدا ما وراءه». وقوله (وحلّ): يقال حلّ العقدة: نقضها فانحلّت. وقوله (أَوَاخي): جمع أُخيّة، قال في القاموس: «الأُخيّة ويمدّ، وقد يخفف كآنية، عود في حائط أو في حبل، يدفن طرفاه في الأرض، ويبرز طَرَفُه كالحلقة تُشدّ فيها الدّابة. والجمع: أَخَايَا وأُوَاخِي. والآخيّة: الطُّنُبُ، والحُرْمَة، والذِّمَّة». وقد أضيف أُواخي إلى الحجب؛ فإنّ إيراد المعنى الأوّل كناية عن ما تشدّ به عقول دواب الغافلين المحجوبين من زخارف الدّنيا، وعوائد المعاش، ومطلق الأسباب؛ فإنّها حجب كلّها. أو إيراد المعنى الثاني استعارة بالكناية؛ شبه الحجب

بالخيمات على أهلها، وأثبت الأطناب تخييل للاستعارة ، والحلّ ترشيح، أو إيراد المعنى الثالث أو الرابع؛ فإنّ الحجب لها حرمة عند أهلها، ولها ذمّة محفوظة بينهم لا يتعدّونها. والحُجُب جمع حِجَابَ، وما احْتُجِب به. وقوله (**عقد بيعتي**): قال في القاموس: «عَقَدَ الحبْلَ والبَيْعَ والعَهْدَ يَعْقِدُه: شَدَّهُ، و ـ البَيْعَةَ بفتح الباء ـ فعل مرّة من بَاعَه يَبِيْعَهُ بَيْعاً: إذا بَاعَهُ وإذا اشْتَرَاهُ ، ضدّ، صرّح به في القاموس؛ فالبَيْعَةُ: العهد والموثق بين اثنين، كأنّ كلًّا منهما يبيع نفسه للآخر. والأخر يشتريها منه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾ [٩/ توبة/ ١١١] الآية. وفي الحديث «فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها»[1] المراد عقد بيعته للمشايخ الصادقين. يعني: من جملة عهودي من مشايخي زالت قيود العادات عن قلبي، وفك أغلال الأسباب عن عقلي ولبّي حتى أبقى منكشف الحجاب، مرتفع النقاب، فليس في هتك الستر مخالفة لآراء الرجال إذا كان ذلك بسبب غلبة الحال. والمراد عقد بيعة الربوبيّة بين العباد وبين ربّهم يوم الميثاق في عالم الذرّ كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ / [١٢٧/ أ] ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ ﴾ [٧/ الأعراف / ٧٢] فإنّ هذا الميثاق لا حجاب فيه بين العبد وربّه، ومقتضاه ترك الحجب وإزالتها.

١٥٦- مُنِحْتُ وَلَاهَا يَوْمَ لَا يَوْمَ قَبْلَ أَنْ   بَـدَتْ عِنْـدَ أَخْـذِ العَهْـدِ فِي أَوَّلِيَّتِـي

(**منحتُ**): بضمّ الميم فعل مبني للمفعول، أي: أعطيت. وقوله (**ولاها**): بالفتح والقصر، وأصله المدّ، أي: قرّبها والدنوّ منها ومحبّتها. وقوله (**يوم لا يوم**):

---

(١) قطعة من حديث، أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب: فضل الوضوء، ٥٥٦، عن أبي مالك الأشعري، بلفظ: «الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن ـ أو تملأ ـ ما بين السموات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجّة لك أو عليك. كلّ الناس يغدو؛ فبائع نفسه؛ فمعتقها، أو موبقها». وللحديث أطراف كثيرة عند المحدّثين.

أي الوقت الذي خلقت فيه الأرواح قبل ظهور عالم الأفلاك وحركاتها، وقبل ظهور الزمان. وهو اليوم القائم من الأزل إلى الأبد من حيث هو قطع النظر عن انصباغه في كلّ دورة فلكيّة بصبغة طلوع الشمس، وصبغة غروبها. وهو يوم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٧٢] وهو يوم ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [٤٠/ غافر/ ١٦]. وقوله (**قبل أن بدت**): أي ظهرت وانكشفت لي؛ يعني: المحبوبة الحقيقيّة التي منحتني، أي: أعطتني ولاها فشغفت بحبّها، والقرب إليها، والدنوّ منها في عالم الأرواح. ثمّ لمّا ظهرت لي في عالم الذرّ من الخلقة الأدميّة أخذت عليّ ميثاق عهدها ما حرّكت به داعية المحبّة الأوّليّة بإظهار تجلّي الربوبيّة. وفي قوله (**منحت**): إشارة إلى الاستعداد من أوّل الخلقة. وإنّ الأمر وهبي لا كسبيّ.

١٥٧ - فَنِلْتُ هَوَاهَا لَا بِسَمْعٍ وَنَاظِرٍ وَلَا بِاكْتِسَابٍ وَاجْتِلَابِ جِبِلَّةِ

(**فنلت**): الفاء تفريعيّة على ما تقدم من قوله في البيت قبله منحت ولاها. وقوله (**هواها**): أي محبّتها، والضمير للمحبوبة الحقيقيّة. وقوله (**لا بسمع**): أي باستماعي لأوصافها الحسنى وأسمائها العليا من قبيل قول الشاعر:

سمعت أوصافك الحسنى فهمت بها والأذن تعشق قبل العين أحياناً

وقوله (**وناظر**): أي ولا بناظر، أي: بسبب رؤية رأيتها بها فهويتها. وقوله (**ولا باكتساب**): مصدر اكتسب تصرف واجتهد، أي: من غير تصرّف منّي ولا اجتهاد لي في ذلك. وقوله (**واجتلاب**): مصدر اجتلبه: ساقه من موضع إلى آخر، كذا في القاموس. و(**جبلّة**): مضاف إليه، قال في القاموس: «الجِبِلَّة محرّكة وهو الخِلْقَة والطبيعة»؛ والمعنى: إنني نلت المحبّة لها منحة لي منها، وعطيّة من الأزل قبل خلق الزمان وما فيه، وأنا في حضرة علمها بتجلّي اسمها العليم، وفي حضرة كلامها القديم. ثمّ لمّا كان عالم الذرّ أخذت عليَّ العهد بربوبيّتها، ثمّ لمّا ظهرت بحركة محبّتها من عالم الذرّ إلى عالم الأجسام انكشفت محبّتها في قلبي، ولم يكن ذلك عندي بسبب استعمال شيء من الحواس، أو العقل، أومن جهة الطبيعة والخلقة.

١٥٨ - وَهِمْتُ بِهَا فِي عَالَمِ الأَمْرِ حَيْثُ لَا ظُهُورٌ وَكَانَتْ نَشْوَتِي قَبْلَ نَشْأَتِي

(وهمت): من هَام يَهيم: أحبّ امرأة، كذا في القاموس. وقوله **(بها)**: أي بهذه المحبوبة الحقيقيّة. وقوله **(في عالم)**: بفتح اللام. و**(الأمر)**: هو الأمر الإلهيّ الذي قال تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ﴾ [٥٤/ القمر/ ٥٠] وهو الذي قام به الخلق كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [٣٠/ الروم/ ٢٥] وقال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [٧/ الأعراف/ ٥٤] فإنّ الخلق صور الأمر، والخلق كثير، والأمر واحد قائم على كلّ أحد من ذلك الخلق الكثير، والأمر قديم، والخلق حادث، وحدوثه ترتيبه في الظهورعلى حسب ما سبق به العلم القديم، واقتضته الإرادة الأزليّة، والمشيئة الأبديّة. وقوله **(حيث لا ظهور)**: يعني في عالم الخلق، وهيامه بها في ذلك العالم الأمري القديم هوعين هيامه بها في هذا العالم الذي هو عالم الظهور، لكنّه من غير ظهور، فإنّ الخلق ما زاد على الأمر إلّا بالظهور فقط، والظهور إنّما هو للخلق على حسب الترتيب الذي في العلم والإرادة والمشيئة. وأمّا له سبحانه فلا ظهور ولا بطون. والكلّ حاضر لديه جملة واحدة مشهود لا يغيب عنه. وقوله **(وكانت)**: أي وجدت نشوتي، قال في القاموس/ [١٢٧/ ب]: «نَشى نَشْوَة مثلّثة كانتشى». وقوله **(قبل نشأتي)**: من نشأ، بالهمزة، كمَنَع وكَرُم. نَشْأً ونَشْأَةً: حَيِيَ وَرَبَا وَشَبَّ؛ يعني: كانت سكرتي بخمر محبَّتها قبل وجود حياتي وزيادة مادّتي التي هي ماهيَّتي، على ما كنت فيه حيث كنت في عالم الأمر مجرّداً عن عالم المادة والماهيّة.

١٥٩ - فَأَفْنَى الهَوَى مَا لَمْ يَكُنْ ثَمَّ بَاقِياً هُنَا مِنْ صِفَاتٍ بَيْنَنَا فَاضْمَحَلَّتِ

(فأفنى الهوى): أي ذهبت المحبّة الإلهيّة. وقوله **(ما)**: أي الذي لم يكن قبل، أي: لم يوجد، بأن كشفت عن ذلك من قبيل قول العريف قدَّس الله سرّه: «حتّى يفنى مَنْ لَمْ يكُن، ويظهر مَنْ لم يزل». فإنّ فناء الفاني ـ بمعنى انكشاف فنائه ـ وظهور من لم يزل التحقّق به، وبأنّه هو الموجود لا غيره. وقوله **(ثَمَّ)**: بفتح الثاء المثلَّثة، أي:

هناك، وقال في القاموس: «ثَمَّ بالفتح: اسم يشار به إلى المكان البعيد، ظَرْفٌ لا يتصرّف. فقول مَن أعربه مفعول لرأيت في ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ﴾ [٧٦/ الإنسان/ ٢٠] وَهْمٌ». والإشارة بثَمّ إلى حال اضمحلال الأكوان، وظهور فناء الأعيان. وقوله (**باقياً**): حال من فاعل يكن إنْ كانت تامّة، وخبرها إنْ كانت ناقصة. وقوله (**هنا**): بضمّ الهاء، اسم إشارة إلى المكان القريب. وهو حال توهّم وجود الأكوان، وتحقُّق حقائق الأعيان في حضرة غفلة الإنسان عن شهود تجلِّي الوجود الحقّ على عرش الرحمن. وقوله (**من صفات**): بيان لما لم يكن. وقوله (**بيننا**): أي بيني وبين المحبوبة الحقيقيّة. وقوله (**فاضمحلّت**): بكسر التاء للقافية، أي: تلك الصفات المذكورة من حيث أنّها صفات كونيّة؛ والمعنى: إنّ المحبّة الإلهيّة أفنت ذات المحبّ، فرجعت ذاته أمراً تقديرياً كما قال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ [٦٧/ يس/ ٩٦] والتقدير أمر نسبي. والنسب لا حقيقة لها؛ وإنّما هي اعتبارات يعتبرها الوجود الحقّ فيظهر بها، وهي فانية في نفسها مضمحلّة. فأمّا الصفات التي تتصف بها تلك الذات من الحياة، والعلم والإرادة، والخشية، والقدرة، والقول، والكلام، والسمع، والبصر، إلى غير ذلك؛ فهي مجرّد تقديريّة ونسب واعتبارات من حيث خصوصيّات تعلّقاتها من بقيّة التقادير الكونيّة كما ذكرنا في الذات، فإذا انكشف الوجود الحقّ بطل وجود جميع ذلك، وتبيّن قوله: «كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به»[1] كما في الحديث القدسي الوارد في حقِّ المتقرِّب بالنوافل.

١٦٠- فَأَلْفَيْتُ مَا أَلْقَيْتُ عَنِّيَ صَادِرَاً إلَـيَّ وَمِنِّـي وَارِدَاً بِمَزِيْدَتِـي[2]

(فألفيت): بالفاء، أي: وجدت، ألفاه: وجده. وقوله (ما): مفعول أوّل لألفيتُ، أي: الذي. (**ألقيتُ**): بالقاف، أي: طرحتُ وأزلتُ. والعائد محذوف،

(١) انظر تخريجه ص١٤٦.

(٢) في (ق): ببصيرتي.

أي: ألقيته عنّي. متعلّق بـ(صادر). والمراد: إنّه خلع عن دعوى نفسه تلك الصفات التي كان يدّعيها لغناء نفسه، ورجوع صفاته إلى حقيقة الوجود الحقّ الذي ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨]. وقوله (صادراً): مفعول ثانٍ لألقيت، أي: وجدت الذي ألقيته من الصفات والسمات والأسماء ذلك الإلقاء عنّي. وقوله (إليّ): متعلّق بوارداً أي: صادراً عنّي ومنّي أي: من حقيقتي وارداً إليّ. وقوله (بمَزِيدَتِي): أي مع مزيدتي، وهي ذاتي ونفسي التي زدت ذلك. والحاصل: إنّه بعد تحقّقه بفناء ذاته وصفاته وجد ذلك كلّه صادراً من حقيقة الوجود الحقّ، وارداً على حقيقة الوجود الحقّ.

١٦١- وَشَاهَدْتُ نَفْسِي بِالصِّفَاتِ التي بِها تَحَجَّبْتِ عَنِّي فِي شُهُودِي وحِجْبَتِي

(**وشاهدت**): أي عاينت نفسي على ما هي عليه من حقيقتها الوجوديّة الحقّة المستترة **بالتقدير** الفاني الحاصل منها. وقوله (**بالصفات**): متعلّق بـ(**شاهدت**). أي: بحقائق الصفات الراجعة في نفس الأمر إلى حقيقة الوجود الحقّ بعد ظهور فناء تقاديرها/[١٢٨/ أ] الوهميّة حقيقة نفسي وذاتي التي هي حقيقة الوجود الحقّ. وقوله (**في شهودي وحِجْبَتِي**): من قبيل اللف والنشر: المراتب. فقوله: في شهودي متعلّق بشاهدت. وقوله: وحِجْبَتي راجع إلى قوله تحجّبت.

١٦٢- وَإِنِّي الّتِي أَحْبَبْتُهَا لا مَحَالَةً وَكَانَتْ لَهَا نَفْسِي عَلَيَّ مُحِيْلَتِي

(**وإنّي**): أي شاهدت أيضاً. (**إني التي أحببتها**): أي المحبوبة الحقيقيّة التي أحببتها؛ فإنّها أنا في نفس الأمر بعد تحققي بفناء نفسي وذاتي الوهميّة التقديريّة، وفناء صفاتها الوهميّة التقديريّة أيضاً. وقوله (**لا مَحالة**): من المَحال، ككتاب: المكيد، وروم الأمر بالحيل، والتدبير، والمكر، كذا في القاموس. أي: لا شيء من ذلك فيما ذكرته. وقوله (**وكانت لها**): أي للتي أحببتها؛ نفسي الحقيقيّة لا الوهميّة التقديريّة. (**عليّ**): بتشديد الياء، أي: على نفسي الحقيقيّة على معرفة نفسي الوهميّة

التقديريّة، كما ورد في الأثر ـ من عرف نفسه فقد عرف ربّه»[1] وقال تعالى: ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾ [٥١/ الذاريات/ ٤٣] وقال سبحانه وتعالى: ﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ ﴾ [٤١/ فصلت/ ٥٣] قال الشيخ الأكبر محيي الدين:

حقيقتــــي همــــت بهــــا ... ومــــا رآهــــا بــــصري

ولــــو رآهــــا لغــــدا ... قتيــــل ذاك الحــــور

١٦٣- فَهَامَتْ بِهَا مِنْ حَيْثُ لَمْ تَدْرِ وَهْيَ فِي ... شُـهُودِي بِـنَفْسِ الأمْـرِ غَيْرُ جَهُولَـةِ

(فهامت): أي نفسي الوهميّة التقديريّة. **(بها)**: أي بنفسي الحقيقيّة من حيث لم تدرِ، أي: نفسي الوهميّة التقديريّة أنّ هيامها في نفسها الحقيقيّ، وإلى ذلك أشرت بقولي من قصيدة لي في ديواني:

وبــذات المليـح ذات مليـح ... كلّـما شـئت كلّمتنـي شـفاها

أي: مشافهة من حيث أنا؛ والمعنى: إنّه بذات المليح الوهميّة التقديريّة ظاهرة لي ذات مليح حقيقي، وإنّما يكون ذلك بعد التحقُّق بالفناء الحاضر لا محالة. وقوله **(وهي)**: أي نفسي وذاتي الحقيقيّة في حال شهودي ومعاينتي لها بها. وقوله **(بنفس الأمر)**: متعلّق بـ**(جهولةِ)**: أي غير جاهلة بنفس الأمر؛ بل عالمة بذلك، ولكنها تفعل ما تشاء وتحكم ما تريده.

١٦٤- وَقَدْ آنَ لِي تَفْصِيلُ مَا قُلْتُ مُجْمَلاً ... وَإِجْمَـالُ مَـا فَـصَّلْتُ بَـسْطاً لِبَـسْطَتِي

(وقد آن): أي قرب وحان. **(لي تفصيل ما قلت)**: أي الذي ذكرته في الأبيات قبله.

(مجملاً): حال من ما، وهذا إشارة منه أنّ كلامه السابق في قوله: وأنّي التي أحببتها ، ونحو ذلك كلام منه مجمل محتاج إلى التفصيل والبيان؛ فإنّ ظاهره في

---

(١) ذكره العجلونيّ في الكشف، ٢٥٣٢، وقال: قال ابن تيميّة: موضوع. وقال النوويّ: ليس بثابت، انظر الكشف للعجلونيّ ٢/ ٢٦٢.

فهم الغافل المحجوب الذي لا يعرف الفناء الحاضر الشامل له، ولا يعترف به لغلبة الوهم على قلبه أنّ المصنّف يقول باتحاد العبد والرب بحيث أنّ ذات كلّ واحد منهما عين ذات الآخر، وحاشاه أن يقول ذلك، أو أنّ مجمل كلامه معناه ذلك؛ وإنّما مراده ما قدّمناه في شرح كلامه قريباً بأنّ ذات العبد ونفسه مجرد تقدير واعتبار، وكذلك جميع صفاته قدر ذلك، واعتبره الوجود الحقّ فظهر به، والتقادير والاعتبارات أمور نسبيّة لا حقائق لها في نفس الأمر؛ وإنّما الحقيقة الواحدة المقدّرة المعتبرة بصيغة اسم الفاعل؛ لذلك كلّه هي الوجود الحقّ الواحد الأحد، الظاهر بكلّ شيء، قدّره واعتبره من غير أنْ ينقسم وجوده على الأشياء، ولو استفادت الأشياء منه وجوداً أصلاً غير وجوده الحقّ الواحد؛ لأنه لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، ولا يشبهه شيء، ولا يشبه شيئاً، وهو الكافي لكلّ شيء، ولا يشغله شيء عن شيء، وكلّ شيء هالك؛ فانٍ مضمحل. لا وجود له أصلاً إلّا وجهه؛ أي: توجّهه إلى تقدير كلّ شيء، واعتباره، وتصويره، وهو الحيّ القيّوم لا إله إلّا هو. والحاصل: إنّ الوجود الحقّ المطلق بالإطلاق الحقيقيّ /[١٢٨/ب] حتى عن معنى الإطلاق المفهوم لنا قدَّر لنفسه في نفسه تقادير عدميّة، وصوَّر لظهوره تصاوير، واعتبر اعتبارات ورتب ومراتب؛ فظهر بها لمن شاء وأراد من تلك التقادير وتلك الصور، والاعتبارات، والمراتب العدميّة الفانية بظهور، وعلوم، وفهوم؛ وهي تقادير، وتصاوير، واعتبارات، ومراتب عدميّة فانية أيضاً، على حسب ما شاء وأراد، واستتر، واحتجب عن من شاء وأراد أيضاً، باستتار واحتجاب هو تقدير واعتبار عدمي فانٍ، فيفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد في تلك التقادير والتصاوير والاعتبارات والمراتب العدميّة الفانية، وليس عين تلك التصاوير والتقادير. ولا تلك التصاوير والتقادير عينه؛ وإنّما ليس في الوجود غيره؛ وهذا معنى الاتحاد عند المصنِّف قدّس الله سرّه، وضاعف أنعامه وبرُّه.
وقوله **(وإجمال)**: هو ضدّ التفصيل. وقوله **(ما فصَّلت)**: أي الذي فصَّلته أجمله أيضاً؛ لأنّ الأمر الإلهيّ ظاهر، باطن، مستتر، مكشوف، لا يحتجب مطلقاً من كلّ

وجه، ولا ينكشف مطلقاً من كلّ وجه، ولم يزل كذلك إلى أبد الآبدين، قال تعالى: ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٧٢]. وقوله (بسطاً): مصدر مؤكّد لفصّلت، يقال: بسطه نشره، بمعنى التفصيل من غير لفظه، أي: إجمال ما فصّلت، أي: بسطت بسطاً نحو قمت وقوفاً، وقعدت جلوساً. وقوله (بسطتي): من قولهم بسط فلان سرّه، أي: لسروري في حالة سكري بخمر المعارف الإلهيّة؛ فإنّ ذلك يقتضي إجمال التفصيل. إشارة منه قُدّس سرّه إلى أنّ ما وقع منه من الإجمال كان في حال سكره، وغلبة السرور على قلبه بلقاء ربّه تعالى.

١٦٥- أَفَادَ اتِّخَاذِي حُبَّهَا لاتِّحَادِنا نَوَادِرَ عَنْ عَادِ المُحِبِّيْنَ شَذَّتِ[1]

(أفاد): أي أعطى. وقوله (اتّخاذي): بالخاء والذال المعجمتين، مصدر اتّخذ، بمعنى تناول، قال في القاموس: «الأخذ: التناول». وقوله (حبّها): مفعول اتّخاذي، أي: تناولي حبّها، وجمعي له، واستيلائي عليه. والضمير في حبّها راجع إلى المحبوبة الحقيقيّة. وقوله (لاتّحادنا): بالحاء والدّال المهملتين، وهو اطّلاعي على أنّ ذاتي وذاتها واحدة في الحقيقة. وكذلك صفاتي وصفاتها صفات واحدة في نفس الأمر، على معنى ذاتي وصفاتي تقاديرها العدميّة الفانية التي هي عدم صرف في وجودها الحقّ الحقيقيّ، ولا وجود إلا وجودها ظاهر لي بتقاديرها العدميّة الفانية؛ فأنا من حيث كلّ ما يظهر مِنِّي ويصدر عَنِّي هي لا غيرها. وأمّا من حيث صور ما يظهر منِّي ويصدر عنِّي فتقادير عدميّة، وصور فانية، ما شمّت رائحة الوجود، ولا يمكن أن تشمّ رائحة الوجود أصلاً؛ وإنّما هذا المسمى مخلوقات عند المخلوقات على تناويع أجناسها وأنواعها وأشخاصها فيما مضى، وما هو مستقبل، وما هو حاضر من الأزل إلى الأبد، هو الواحد الأحد،

---

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ رحمه الله: «بلغ». أي: بلغ مقابلة على نسخة المؤلّف رحمه الله.

الفرد الصمد، الوجود الحقّ الحقيقيّ، ظاهر بجميع التصاوير والتقادير العدميّة الفانية، يفعل بها ما يشاء، ويحكم ما يريد، وهو منزَّه مقدّس عنها جميعها، ولا يشغله منها شيء عن شيء، وسِع كلّ شيء رحمة وعلماً، ورحمته وسعت كلّ شيء. وليس هو عين شيء من الأشياء أصلاً، ولا شيء من الأشياء عينه أصلاً؛ لأنّه لا شيء معه، وهو مع كلّ شيء. ولولا معيّتُه للأشياء لما كانت الأشياء بالأشياء غير كائنة إلا بوجوده الذي معها، وهذا معنى الاتّحاد عند المصنّف قُدِّس سرّه كما قدّمناه. وقوله (**نوادر**): جمع نادرة، وهي اللطيفة من كلّ شيء القليلة الوجود، قال في القاموس: «نَوَادِر الكلام: ما شَذَّ، وخرج من الجمهور. ونَادِرَة الزمان: وحيد العصر». والمراد هنا: علوم، وحقائق، ومعارف نادرة، وأفعال وأحوال لا تكاد/ [١٢٩/ أ] توجد في الغير كالكرامات وخوارق العادات، وذلك قوله (**عن عاد**) جمع عادة، قال في القاموس: «العادة: الدَيْدَن، وجمعه: عاد». و(**المحبِّين**): جمع محبّ، وهم الذين يحبّون هذه المحبوبة الحقيقيّة. وقوله (**شذّتِ**): أي قَلّتِ، قال في القاموس: «شَذَّ يَشِذُّ شَذّاً وشُذُوذاً: نَدَرَ عن الجمهور». وكسر التاء للقافية.

١٦٦- يَشِي لِي [بِيَ] الوَاشِي إِلَيْهَا وَلَائِمِي عَلَيْهَا بِهَا يُبْدِي لَدَيْهَا نَصِيْحَتِي[1]

(**يشي**): فعل مضارع، من وَشَى به إلى السلطان وَشْياً بالشين المعجمة، وَوِشَايَةً: نَمَّ، وسعى ليفسد بينه وبين السلطان. وقوله (**لي**): إشارة لمعنى الاتّحاد الحاصل بينهما بحيث أنّ (**الواشي**): أي النّمام الساعي بالفساد بينهما يشي إليها به، فيشي له من حيث لا يشعر أنّه هي بسبب اتّحاده معها كما مرّ. ثمّ قال أيضاً (**ولائمي عليها**): أي العاذل الذي يلومني على محبّتها. وقوله (**بها**): أي بسببها، أي: بسبب محبّته لها أو بها، بظهوره، بوجودها، وقوّتها، وقدرتها. (**يُبْدِي**): بضمّ

---

(١) الزيادة [بي] من الديوان.

الياء التحتيّة، أي: يظهر. وقوله (**لديها**): أي عندها. (**نصيحتي**): فيظهر نصيحته عندي، ولا يشعر أنّه أبدى النصيحة عندها؛ لأنّ عندي عندها، وعندها عندي لاتّحادي بها، واتّحادها بي، على حسب ما ذكرناه فيما سبق من معنى ذلك، كما قلنا من قصيدة لنا في معنى ذلك:

أنكرَتْهـــا منّـــي العــــدا بعيـــون　　هـــي مـــا بـــين جفنهـــا والـــسواد

١٦٧ - فَأُوسِعُهَا شُكْرَاً وَمَا أسْلَفَتْ قِلَى　　وَتَـــمْنَحُنِي بِـــرّاً لِـــصِدْقِ المَحَبَّـــةِ

(**فأُوسعها**): أي دأبي ذلك، بمعنى أُكثر لها. (**شكراً**): تمييز، أي: من جهة الشكر. والضمير للمحبوبة الحقيقيّة. والشكر: مقابلة النعمة بالثناء باللسان، وامتثال الأمر، واجتناب النهي بالأركان والجنان. وقوله (**وما أسلفت**): أي ما قدمت لي في الأزل في حضرة علمها وتقديرها. (**قِلَى**): بكسر القاف، أي: بفضائل لي، إنّما سبقت لي منها محبّة أزليّة هي عين محبّتي لها فيما لا يزال كما قال سبحانه: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [٥/ المائدة/ ٥٤] فيحبّهم، فبخلقهم له[١] فيحبّونه في كلّ صورة يظهر لهم بها، فالصورة المحبوبة له أوّلاً في الواحدة. ولهم ثانياً في الكثرة، وهم العارفون بأنفسهم وبربّهم على الكشف التامّ، وإنْ كان الكلّ كذلك؛ ولكنّه تعالى احتجب عن من شابهم، وقلّب قلوبهم وأبصارهم، فأوقعهم في الحيرة، ولا غيره. وقوله (**وتمنحني**): أي تعطيني تلك المحبوبة الحقيقيّة. (**بِرّاً**): بكسر الباء الموحّدة، قال في القاموس: «البِرّ: الصِّلَة، والجَنَّة والخير، والاتساع في الإحسان». وقوله (**لصدقه المحبّة**): أي محبّتي لها ومحبّتها لي، لأنّ هذه المحبّة غير معلّلة بعلّة؛ لكونها قديمة أزليّة من مقتضى الذات العليّة حيث انكشفت لها أعيان الممكنات العدميّة بكشف العلم القديم؛ حيث لا بداية ولا نهاية، فتوجّهت الذات إلى تلك

---

(١) أي: طُبِعُوا على أخلاقه، أو يُسِّروا لمحبّته فهم مُهَيَّؤُون، مَصرُوفونَ، مُسَهَّلُونَ له، أو أخلاقهم له. أمّا إذا كانت بمعنى الإيجاد فلعلّ صواب العبارة «فبخلقه لهم» والله أعلم.

الأعيان الممكنة بتخصيص الإرادة والمشيئة الأزليّة، على حسب كشف العلم وإحاطته، ولتلك الأعيان الممكنة ترتيب في أنفسها، وتخصيصات بقيود ممكنة حكمت بها الإرادة والمشيئة السابقة الأزليّة، فظهرت تلك الأعيان بالوجود الذاتيّ المتوجّهة عليها بالإرادة القديمة المترتّبة على كشف العلم،على حسب ما هي عليه تلك الأعيان، فسمّيت أشياء، جمع: شيء، أصله شيء، فعيل بمعنى مفعول، أي: مشيوء؛ لأنّ المشيئة الأزليّة توجّهت بها الذات العليّة عليه. وسمِّي ذلك التوجّه الذاتيّ محبّة، وهو الوجه الإلهيّ الذي قال تعالى: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [٢٨/ القصص/ ٨٨] ولا تكون تلك المحبّة إلّا صدقاً؛ إذ هي حيث لا شيء، ولا تظهر للمريد الصادق إلّا حيث لا شيء عنده من جميع الأكوان، وليست هي كوناً من الأكوان وإنْ ظهرت بكون من الأكوان، وهو الميل النفسانيّ؛ فإنّه بالنسبة إليها معنى من المعاني؛ وهو حال مضمحلّ فانٍ، والكلام في الحقائق الأُوَل القديمة لا في الثواني./ [١٢٩/ ب]

١٦٨ - تَقَرَّبْتُ بَالنَّفْسِ احْتِسَاباً لَهَا وَلَمْ أَكُنْ رَاجِياً عَنْهَا ثَوَاباً فَأَدْنَتِ

(تقربت): أي طلبت القرب بمعنى الدنو، وهو ضدّ البعد؛ فإنّ علوم العارفين بربِّهم أقرب إلى ما هو سبحانه عليه من علوم غيرهم من الجاهلين به تعالى، وعلوم الكلّ به تعالى دون ما عليه سبحانه في نفسه، قال تعالى:﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [٦/ الأنعام/ ٩١] وعلمه تعالى بنفسه هو لا يساويه علم أحد به أصلاً كائناً من كان، قال تعالى:﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [٣/ آل عمران/ ٦٦]. ولمّا كان منشأ الجهل به تعالى هوى النفس قال (تقرَّبتُ بالنفس): أي بإفنائها وإذهابها من البين؛ لينكشف للقلب الروحانيّ العلم الإلهيّ على حسب استعداد ذلك القلب؛ فإنّه الروح، والروح صادرة عن أمر الله تعالى، قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨٥] فحيث كانت الروح من أمر الله تعالى فلا واسطة بينها وبين الأمرالإلهيّ القديم فهي؛ أكمل استعداداً من النفس لتلقى

العلوم الإلهيّة، والحقّ تعالى أعلى من ذلك كلّه وأكمل، قال الشيخ محيي الدين بن العربيّ قدّس الله سرّه العزيز:

مـــا قلتـــه قلـــت عنـــي　　　فـــلا أرى القـــول يغنـــي

هيهـــــات أدرك ذاتـــــا　　　إلَـــيَّ أقـــرب منّـــي

وقال أيضاً من أبيات له:

ونـــدرك منـــه في أتـــمّ صـــفاتنا　　　كما يدرك الخفّاش من باهر الشمس

وقوله (**احتساباً**) قال في القاموس: «احْتَسَبَ بكذا أجراً عند الله: اعْتَدَّهُ ينوي [به] وجه الله. وقوله (**لها**): أي للمحبوبة الحقيقيّة. يعني: لأجلها. وقوله (**ولم أكن راجياً**): أي مترجياً (**عنها**): أي عن المحبوبة المذكورة، والجار والمجرور مقدّمان من تأخير، أي: ثواباً صادراً عنها. وقوله (**فأدنتِ**): أي فقرّبتني على طبق ما طلبت منها. وكسر التاء للقافية.

١٦٩- وَقَدَّمْتُ مَا لِي فِي مَآلِيَ عَاجلاً　　　وَمَـا إِنْ عَـسَاهَا أَنْ تَكُـونَ مُنِيلَتِـي

(**وقدَّمتُ**): بتشديد الدال المهملة، أي: بذلت ولم أتوقّف في الإعراض عن ذلك، وتركت طلب (**ما**): أي الذي لي، أو شيئاً موصوفاً بأنّه كائن لي عند الله تعالى من الثواب الجزيل والأجر الجليل. وقوله (**في مآلي**): أي في آخرتي التي هي مرجع أموري كلّها. وقوله (**عاجلاً**): حال من فاعل قدّمت، أي: مسرعاً في ذلك التقديم. وقوله (**وما**): معطوف على ما الأولى، أي: وقدّمت ما، أي: أيضاً، أي: الذي أو أمراً عظيماً. وقوله (**إن**): بكسر الهمزة وسكون النون زائدة، كقوله: «ما إن أتيت بشيء أنت تكرهه»[1]. وقوله (**عساها**): قال في القاموس: «عسى: فِعلٌ مطلقاً، أو حرفٌ مطلقاً، للترجّي في المحبوب، والاشفاق في المكروه». والضمير للمحبوبة الحقيقيّة. وقوله (**أن تكون**): أي المحبوبة الحقيقيّة. و(**مُنيلتي**): بضمّ

(١) شطرة من بيت للنابغة الذّبياني، وعجزه: «إذن فلا رفعت سوطي إلى يدي».

الميمِ وكسرِ النون، اسم فاعل، من أَنَالَه نَيْلاً ونَالَةً: أعطاه؛ والمعنى: إنيّ قدّمت بين يديها، وفي طريق محبّتها جميع ما أعددته لي في الآخرة من درجات الجنان والحور والولدان، وكلّ ما تعطيني إيّاه من أنواع اللذائذ والشهوات الأخرويّة، ولم أرغب في شيء من ذلك دونها؛ فإنّ مطلوبي هي؛ لا شيء منها كما قالت رابعة العدويّة[1]: «ما عبدتك خوفاً من نارك، ولا رغبة في جنّتك؛ وإنّما عبدتك تقرّباً إلى وجهك الكريم». وقال تعالى في شأن الأنصار: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [٦/ الأنعام/ ٥٢].

١٧٠- وَخَلَّفْتُ خَلْفِي رُؤْيَتِي ذَاكَ مُخْلِصاً ... وَلَسْتُ بِرَاضٍ أَنْ تَكُونَ مَطِيَّتِي

(وخلفت): بتشديد اللام، أي: رميت وألقيت خلفي؛ نقيض قدامي. وقوله **(رؤيتي)**: مفعول خلَّفت، أي: كَوني أرى ذاك، أي: ما أَعَدَّه الله لي في الآخرة، وما ينيلني إيّاه من رفع الدرجات؛ يعني: ألقيت عنّي رؤية ذلك كلّه؛ فلا يخطر شيء منه ببالي. وقوله **(مخلصاً)**: أي حال كوني/ [١٣٠/ أ] مخلصاً في أعمال البرّ والخير التي أنا عاملها؛ فلا أترجّى بها جزاءً في الآخرة، ولا رفع درجة، ولا أعملها أيضاً مخافة العقاب على تركها. وقوله **(ولست براضٍ أن تكون)**: أي رؤيتي ما أعدّه الله تعالى لي في الآخرة **(مطيَّتي)**: لأنّه يقال: نيَّتك مطيَّتك، أي: تحمّلك إلى ما تعلّقت به من الأمور؛ يعني: ما أنا راضٍ أن تكون رؤيتي لثواب الأعمال الصالحة مطيَّتي التي تحملني إلى نيلها في الآخرة. والمطيّة بتشديد الياء التحتيّة: الدّابّة تمطو في سيرها، أي: تسرع وتجد.

١٧١- وَيَمَّمْتُهَا بِالفَقْرِ لَكِنْ بِوَصْفِهِ ... غَنِيتُ فَأَلْغَيْتُ[2] افْتِقَارِيْ وَثَرْوَتِي

(ويممتها): أي قصدتها. والضمير للمحبوبة الحقيقيّة. وقوله **(بالفقر)**: أي

---

(١) انظر ما كتبه عنها الشيخ علي جامع الديوان في ديباجة الديوان ص٢٤٢.

(٢) في (ق): فألقيت.

الاحتياج إليها في الإيجاد والإمداد على كلّ حال، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [٣٥/ فاطر/ ١٥] الآية. أو (بالفقر): أي الفراغ عن كلّ ما سواها من الأعمال والأحوال، والدنيا والآخرة، وكلّ مطلوب وكلّ مرغوب، كما قال الشيخ عبد القادر الكيلاني قدّس الله سرّه العزيز:

أصبحت لا أملاً ولا أمنية أرجو ولا موعودة أترقب

وقال الشيخ عبد الهادي السودي اليمني قُدِّس سرّه:

أتيناك بالفقر لا بالغنى وأنت الذي لم تزل محسنا

وقوله (لكن بوصفه): أي وصف الفقر حيث هو وصفي الذاتيّ؛ لأنّ الكائنات جميعها أصلها العدم المحض، وهو حقيقة الفقر. فهي محتاجة دائماً ما بقيت إلى إيجاد الموجد وإمداده، والاحتياج لها إلى شيء سواه تعالى لعدم تأثير شيء مطلقاً معه تعالى، فالفقر لها وصف ذاتيّ على كلّ حال. وقوله (غنيت): أي صرت غنياً بوصف الفقر المذكور باعتبار من افتقرت إليه؛ فإنّه غني بالذات، وله الغنى المطلق الذاتيّ بحكم قوله ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [٣/ آل عمران/ ٩٧] والعبد غني بغنى سيِّده ومولاه. أو غنيت من الفقر لمبالغتي فيه، فلم أكن قابلاً لزيادة فقر آخر. وقوله (فألغيت): أي أبطلت، ولم أعتبر افتقاري الذي غنيت به. (وثروتي): أي غنائي أيضاً، قال في القاموس: «الثَّرْوَةُ: كَثْرَةُ المال». والمعنى لم ألتفت إلى شيء سوى المحبوبة الحقيقيّة أصلاً.

١٧٢ - فَأَثْبَتَ لِيْ إلْقَاءَ فَقْرِيَ وَالغِنَى فَضِيْلَةَ قَصْدِيْ فَاطَّرَحْتَ فَضِيْلَتِي

(فأثبت لي إلقاء): فاعل أثبت فقري والغنى المذكورين في البيت قبله. (فضيلة): مفعول أثبت. (قصدي): مضاف إليه، أي: قصدي إلقاء ذلك، ونيَّتي تركي وإعراضي عن إلقائهما؛ فإنّ إلقاء ذلك فضيلة؛ لأنّه زهد في السوى، وتجريد لقصد التوجّه إلى إرادة الموجّه الباقي بمفرده. وقوله (فاطّرحت): بتشديد الطاء

المهملة، أي: ألقيت. يقال: طَرَحَهُ وطَرَحَ بِهِ، كَمَنَعَ: رَمَاهُ وأَبْعَدَهُ، كذا في القاموس. وقوله (فضيلتي): أي تلك الفضيلة التي ثبتت لي بإلقاء فقري والغنى، كما ذكرنا؛ وإنّما ألقى ذلك حتى لا يبقى عنده التفات إلى سوى محبوبته الحقيقيّة.

١٧٣ - فَلَاحَ فَلَاحِي فِي اطِّرَاحِي فَأَصْبَحَتْ ثَوَابِيَ لا شَيْئاً سِوَاهَا مُثِيْبَتِي

(**فَلَاحَ**): أي فظهر وتبيّن. (**فَلَاحِي**): فاعل لاح، والفلاح: الفوز، والنجاة، والبقاء في الخير، كذا في القاموس. وقوله (**في اطراحي**): أي في تركي وإعراضي عن تلك الفضيلة المذكورة في البيت قبله. وقوله (فأصبحت): أي المحبوبة الحقيقيّة؛ يعني: دخلت في الصباح، وهو النور المنفهق عن ظلمة الليل، وفيه إشارة إلى ظهورها له، وبطلان ظلمة كونه. وقوله (**ثوابي**): خبر أصبح، أي: جزائي الذي أطلبه منها بعد إلقاء كلّ ما سواها من أمور الدنيا وأمور الآخرة. وقوله (**لا**): نافية. و(**شيئاً**): مفعول مُثِيْبَتِي، قدّم عليه، وهو نكرة في سياق النفي؛ فتعم كلّ شيء من الأشياء مطلقاً. (سواها): أي غيرها. وقوله (**مُثِيْبَتِي**): اسم فاعل، من أثابته: جعلت له ثواباً، وأعطته له.

١٧٤ - وَظَلْتُ بِهَا لَا بِي عَلَيْهَا أَدُلُّ مَنْ بِهِ ضَلَّ عَنْ سُبْلِ الهُدَى وَهْيَ دَلَّتِ

(**وظَلْتُ**): بفتح الظاء وكسرها وسكون اللام، قال في القاموس: «ظَلَّ نهارَه يفعل كذا، يَظَلُّ بالفتح /[١٣٠/ ب] ظَلّاً وظُلُولاً، وظَلِلْتُ، بالكسر، وظَلْتُ، كلَسْتُ، وظِلْتُ كمِلْتُ». وقوله (**بها**): أي بالمحبوبة الحقيقيّة؛ يعني: بقوّتها، وقدرتها. وقوله (**لا بي**): أي لا بنفسي، وقوّتي، وقدرتي، عدم وجودها الحقّ الحقيقيّ. وقوله (**عليها**): أي على المحبوبة الحقيقيّة، أي: لا على غيرها؛ لأنّ غيرها عدم في وجودها. والجار والمجرور متعلّقان بأدلّ، و(أدلّ): فعل مضارع من الدّلالة، وهي الإرشاد إلى المطلوب. وقوله (**مَنْ**): بفتح الميم، مفعول أدلّ، بمعنى الذي. وقوله (به): متعلّق بضلّ، قُدِّم عليه للحصر، والأصل ضلّ به، أي: بنفسه؛ فإنّ نفسه سبب ضلال لقيامه بها في وهمه، وغلبة غفلته عليه، وتراكم الحجاب

على قلبه. والضلال ضدّ الهداية. وقوله (عن سبل): متعلّق بضلّ، وسُبْل بضمّ السين المهملة وسكون الباء الموحّدة تخفيفاً، والهُدَى، بضمّ الهاء وفتح الدال المهملة: الرشاد والدِّلالة، ويذكر، كذا في القاموس. وقوله (وهي): أي المحبوبة الحقيقيّة. (دلّتِ): بالدال المهملة وتشديد اللام، وكسر التاء الفوقيّة للقافية؛ والمعنى: إنّي صرت بالحضرة الإلهيّة، وحولها وقوّتها، لا بنفسي وحولي وقوّتي أدلّ عليها أهل الضلال بأنفسهم، وفي حقيقة الأمر هي التي دلّتهم، وأرشدهم إليها؛ لا أنّي أنا الذي أَدلّهم.

والحاصل: إنّ القرآن العظيم، والسّنّة النبويّة في شأن الأفعال الإنسانيّة وغير الإنسانيّة على جهتين، تارة منسوبة إلى الله تعالى بالإنسان المكلّف أو غيره، كما قال تعالى: ﴿يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ [٩/ التوبة / ١٤]، ﴿فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ [٢/ البقرة / ٢٢]. وتارة منسوبة إلى الإنسان المكلّف بالله تعالى قال سبحانه: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [٢/ البقرة / ٢٤٩] فإنّ نسبت الأفعال إلى الله تعالى بالإنسان فقيل الفاعل هو الله تعالى نبا، فالباء للملابسة والمصاحبة، كما يقال: دخلت عليه بثياب السفر، ومعنى المصاحبة من قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [٧٥/ حديد/ ٤] وإنْ نسبتْ الأفعال إلى الإنسان بالله تعالى، فقيل في الفاعل هو الإنسان بالله تعالى؛ فالباء للاستعانة، كما قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [١/ الفاتحة/ ٤]. وهنا جهتان أيضاً للأفعال الإنسانيّة وغيرها، تارة تنسب إلى الله تعالى وحده من غير ذكر أحد، كما قال تعالى: ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ [٥٦/ الواقعة/ ٦٤]، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [٨/ الأنفال/ ١٧]، ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [٣٩/ الزمر/ ٤٢] . وتارة تنسب إلى غيره تعالى من دون ذكره سبحانه ، كما قال سبحانه: ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [٢/ البقرة / ٣]، ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ [٤/ النساء / ٩٣] ، ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [٣٢/ السجدة/ ١١] فهذه أربع جهات وردت في الشرع، جاء بها

القرآن العظيم، وأمثلتها فيه كثيرة، مَن تتبّعها وجدها. والجهتان الأَولَيان مسلَّمتان للعارف وغيره، كيف قال صحّ. والجهة الثالثة مخصوصة بالعارف لغنائه في وجوده الحقّ تعالى، لا يجوز لغيره التشبّه به من غير عرفان. والجهة الرابعة جهة الغافلين، وهم مأذنون فيها لورودها في الشرع مع الاحتراز عن اعتقاد التأثير، وهي جهة العارفين المحقِّقين أيضاً، مع اعتقاد التأثير لطهارتهم بالفناء في الوجود الحقّ، كما قال الغوث البغدادي قدّس الله سرّه: «وحباني الربّ المهيمن خِلَعَه؛ فالأرض أرضي، والسماء سمائي». وإذا لم يطهروا بالتحقّق بالفناء في الوجود الحقّ فهي نزعة فرعونيّة، قال تعالى فيها: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ (٢٣) فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ (٢٤) فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ﴾ [٧٩النازعات/ ٢٣-٢٥] ولهذا قلنا في مطلع قصيدة لنا:

إنّ الفنا طهارة الإنسان كـ ... صلاة معرفة القريب الدّاني

١٧٥- فَخَلِّ لَهَا خِلِّي مَرادَكَ مُعْطِيَاً ... قِيَادَكَ مِنْ نَفْسٍ بِهَا مُطْمَئِنَّةِ

(فخلّ) الفاء تفريعيّة على ما قبله. و(خَلِّ) بفتح الخاء المعجمة وتشديد اللام: فعل أمر من التخلية، بمعنى الترك، أي: اترك. وقوله (لها): أي للمحبوبة الحقيقيّة. وقوله (خِلِّي): بكسر الخاء المعجمة/ [١٣١/ أ] وتشديد اللام مكسورة لمناسبة ياء المتكلِّم، وقد حذف منه حرف النداء، والتقدير: يا خِلِّي، قال في القاموس: «الخِلّ بالكسر والضمّ الصديق المختصّ، ولا يضمّ إلّا مع ودّ، يقال: كأنّ لي وُدّاً وخُلاً». وقوله (مرادك): مفعول خلّ، أي: اترك لها مرادك، فلا ترد شيئاً لك، واصبر على ما تريده هي لك في كلّ حال. وقوله (معطياً): حال من خِلِّي. وقوله (قيادك): بالنصب مفعول معطياً. و(القِياد): بكسر القاف القَوْد، نقيض السوق؛ فهو من أمام، والسوق من خلف. قال تعالى: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ [١١/ هود/ ٥٦] فقيادها بيده تعالى، يجذبها حيث شاء. و(القِياد): أيضاً ما يقاد به، كذا في القاموس. والمعنى: أعطِ الحقيقة المذكورة قَوْدَكَ تجذبك بأمرها حيث أرادت، وأعطها ما تقاد به من مراداتك وأغراضك. وقوله (من

نفس): بيان لقيادك، فإنّ النفس قياد الإنسان الذي ينجذب به للأشياء كلّها من الذوات والأعمال. وقوله (بها): أي بهذه المحبوبة الحقيقيّة. والجار والمجرور متعلّقان بمطمئنّة، قُدّم للحصر. و(مطمئنّة): وصف لنفس، قال تعالى:﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [١٣/ الرعد/ ٢٨]. والمطمئن: الساكن، أي: تسكن حركات قلوب العارفين بتذكّر استيلاء الله تعالى عليهم وتصرّفه في جميع أحوالهم ظاهراً وباطناً.

١٧٦ - وَأَمْسِ خَلِيّاً مِنْ حُظُوظِكَ واسْمُ عَنْ   حَضِيضِكَ وَاثْبُتْ بَعْدَ ذَلِكَ تَنْبُتِ

(وأمْسِ): بفتح الهمزة وقطعها، فعل أمر بمعنى الدخول في المساء، ضدّ الصباح، وهو ظلمة العدم. وقوله (خَلِياً): بفتح الخاء المعجمة وكسر اللام وتشديد الياء التحتيّة: خبر أمسِ. و(الخَليّ): الخالي الفارغ. وقوله (من حظوظك): متعلّق بـ(خلياً). و(الحظوظ): جمع حظّ، بالحاء المهملة، والظاء المعجمة، بمعنى النصيب، أو خاص بالنصيب من الخير والفضل، كذا في القاموس. والمراد: حظوظ النفس؛ وهي الأغراض الآجلة أوالعاجلة. وقوله (وَاسْمُ): فعل أمر من سما يِسمو سُموّاً: ارتفع، أي: ارتفعْ عن حضيضك با لحاء المهملة والضادين المعجمتين بينهما ياء تحتيّة، قال في القاموس: «الحَضيض: القَرار في الأرض». والمراد هنا: عالم الطبيعة، والشهوات العاجلة، وحب الدنيا وما فيها، كما قال تعالى في فاعل ذلك: ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٧٦] الآية. وقوله (واثبت): أي استقم، ودم بعد ذلك المذكور من الخلوّ عن الحظوظ والسمو عن الحضيض الأسفل. وقوله (تنبتِ): بكسر التاء الساكنة لأجل القافية، وهو فعل مضارع مجزوم في جواب الشرط، مشتق الأمر من الإنبات؛ وهو النمو والزيادة، يقال: نَبَتَتِ الأرضُ وأَنْبَتَتْ، وهذا كما قيل: «مَنْ ثَبَتَ نَبَتَ».

١٧٧ - وَسَدِّدْ وَقَارِبْ وَاعْتَصِمْ وَاسْتَقِمْ لَهَا   مُجِيْباً إلَيْهَا عَنْ إنَابَةِ مُخْبِتِ

(وسدّد): بالسين المهملة، فعل أمر من قولك سَدَّدَهُ تَسْدِيداً: قَوَّمَهُ للسَّداد،

أي: الصَّواب من القول والعمل. وقوله (**وقارب**): فعل أمر من المقاربة، وهي الدنوّ شيئاً فشيئاً، كما ورد في الآثر: «ساددوا وقاربوا وأبشروا وبشِّروا»[1]. وقوله (**واعتصم**): أمر من الاعتصام، وهو الامتناع عن النقائص، واعتصم بالله امتنع بلطفه من المعصية. وقوله (**واستقم**): من الاستقامة وهي الاعتدال في الأمور، وعدم الانحراف عن الصراط المستقيم. وقوله (**لها**): أي للمحبوبة الحقيقيّة بحيث لا تتغيّر عن محبّتها، وطلب لقائها، والقرب إليها. وقوله (**مجيباً**): حال من فاعل الأفعال المذكورة على التنازع، وهو اسم فاعل من أجابه: إذا امتثل أمره. وقوله (**إليها**): متعلِّق بمجيباً. والضمير للمحبوبة الحقيقيّة. وقوله (**عن إنابة**): أي رجوع إلى الله تعالى وتوبة، يقال: تاب إلى الله تعالى، كأناب: تاب إليه، والمُخبت اسم فاعل من أخبت: خشع وتواضع.

١٧٨ - وَعُدْ مِنْ قَرِيبٍ واسْتَجِبْ وَاجْتَنِبْ غَدَاً

أُشَــمِّرُ عَــنْ سَــاقِ اجْتِهَــادٍ بِنَهْــضَة

(**وعُدْ**): أي ارجع من قريب عمّا أنت فيه من القيام بالنفس والاشتغال بغير الله تعالى من الأكوان. وقوله (**واستجب**): أي امتثل ما أمرت به ظاهراً وباطناً من الأعمال الحسنة؛ الحسنة/[١٣١/ب] عند الله تعالى، قال تعالى: ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُمْ﴾ [٤٢/ الشورى/ ٤٧]. وقوله (**واجتنب**): أمر من الاجتناب؛ وهو التباعد عن الشيء، والترك له. وقوله (**غداً**): بالغين المعجمة والدال المهملة: اسم لليوم الذي بعد يومك. وقوله (**أُشَمِّرُ**): فعل مضارع من شمَّر للأمر: تهيّأ له. وقوله (**عن ساق**): هو ما بين الكعب والركبة. وقوله (**اجتهاد**): مضاف إليه، والاجتهاد الدأب في العمل. وقوله (**بنهضةٍ**): متعلّق بأُشَمِّر. و(**النهضة**): من النهوض؛ وهو

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: الدين يسر، ٣٩، بلفظ : إنّ الدين يسر، ولن يشادّ الدين أحد إلّا غلبه، فسدّدوا، وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة والدلجة. وله أطراف كثيرة عند البخاريّ وغيره.

القيام، يقال: نهض كمنع نَهْضاً ونُهُوضاً: قام. وجملة أشمِّر ..إلخ مفعول اجتنب.

١٧٩ - وَكُنْ صَارِماً كَالوَقْتِ فَالمَقْتُ فِي عَسَى وَإِيَّـــاكَ عَـــلَّ فَهْـــيَ أَخْطَـــرُ عِلَّـــةِ

(**وكن صارماً**): أي سيفاً قاطعاً. (**كالوقت**): أي الزمان الحال الذي أنت فيه؛ فإنّه يمضي كلمح بالبصر؛ فيصير ماضياً، وقد كان مستقبلاً. والإقرار له. وقوله (**فالمقت**): مصدر مَقَتَه، كمَنَعَه مَقْتاً ومَقَاتَة: أبغضه. وقوله (**في عسى**): أي في قولك عسى، وهو فعل ترجِّي للأمر المحبوب، فتقول: عسى أنْ يكون كذا وكذا لأمر مرغوب فيه بلا إقبال منك على فعله؛ فإنّ في ذلك المقت والبغض من أمر الله تعالى لك. وقوله (**وإياك**): أي احذر. (**علَّ**): بفتح العين المهملة وتشديد اللّام، كلمة طمع وإشفاق، يقال: علّ أفعل كذا. وقوله (**فهي**): أي كلمة علّ. (**أخطر علّة**): أي أكثر العلل خطراً بالتحريك، قال في القاموس: «الخَطَر، بالتحريك: الإشراف على الهلاك». يعني: احذر أنْ تقول لعلّي غداً اشتغل بالعبادة والإقبال على معرفة الله تعالى؛ فإنّ ذلك من أهلك تعللات النفس وأقبحها.

١٨٠ - وَقُمْ فِي رِضَاهَا وَاسْعَ غَيْرَ مُحَاوِلٍ نَـشَاطَاً وَلا تُخْلِـدْ لِعَجْـزٍ مُفَـوِّتِ

(**وقم**): أي انهض مسرعاً. (**في رضاها**): أي المحبوبة الحقيقيّة، فامتثل جميع أوامرها الشرعيّة ونواهيها. وقوله (**واسع**): فعل أمر من السعي، أي: اجتهد (**في رضاها**): أي كلّ ما يرضيها من الأعمال والأفعال. وقوله (**غير محاول**): من فاعل واسْعَ. وقوله (**محاول**): بصيغة اسم الفاعل، أي: طالب. (**ونشاطاً**): مفعول محاول، يقال: نَشِطَ كسَمِع، نَشَاطاً، بالفتح: طابَتْ نفسه للعمل وغيره، كذا في القاموس؛ يعني: إذا قمت في رضاء هذه المحبوبة الحقيقيّة، وسَعَيْتَ باجتهادٍ في طاعتها لا تكن طالباً بذلك حصول نشاط لك، وطِيب نفس في أعمالك؛ فتكون ساعياً في حظ نفسك لا في مرضاة ربّك. وقوله (**ولا تُخلِدْ**): من أَخْلَد بالمكان: أقام

فيه، وأخلد إلى كذا: رَكَنَ، كما في المصباح. (لعجز): متعلّق بتُخْلِدْ. وقوله (مُفَوِّتِ): بصيغة اسم الفاعل، وتشديد الواو: وصف لعجز، و(العَجْزُ): الضعف.

١٨١- وسِرْ زَمِناً وَانْهَضْ كَسِيراً فحَظُّكَ الـ ـبَطَالَةُ مَا أَخَّـرْتَ عَزْمَـاً لِـصِحَّةِ

(وسر): فعل أمر من السير، وهو الذهاب ليلاً أونهاراً. وقوله (زَمِناً): بكسر الميم، صفة مشبّهة، وهو حال من فاعل، قال في المصباح:« زَمِنَ الشخصُ زَمَناً وزَمَانَةً؛ فهو زَمِن، من باب تَعِب: وهو مرض يدوم زماناً طويلاً». وقوله (وانهض): من النهوض، يقال: نَهَضَ عن مكانه يَنْهَضُ نُهُوضاً: ارتفع عنه، ونَهَضَ إلى العَدوِّ: أسرع [إليه]، كذا في المصباح. وقوله (كسيراً): فعيلاً بمعنى مفعول، قال في المصباح: «شَاةٌ كَسِيرٌ فعيل بمعنى مفعول: إذا كُسِرَت إحدى قوائمها، وكَسِيْرَةٌ بالهاء أيضاً». وهو حال من فاعل انهض. ويجوز أن يكون زَمِناً وكَسِيْراً خبر عن كان المحذوفة. وتقدير المعنى: سِرْ في سبيل الله تعالى ولو كنت زمناً، وانهض في طاعته ومرضاته ولو كنت كسيراً بأنْ تأتي من ذلك بما استطعت كما قال تعالى:﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ [٦٤/ التغابن/ ١٦] وقال صلّى الله علي وسلّم: «يصلِّي المريض قائماً، فإن لم يستطع فقاعداً، فإنْ لم يستطع فعلى جنبه يومي إيماء»[1] وعلى الأوّل إذا كان حالاً. والحال قيد في المعنى/ [١٣٢/ أ] أي: لا تسرْ إلّا زَمِناً، ولا تنهض إلّا كسيراً. فمعناه: إذا سرت في سبيل الله فليكن سيرك بالله لا بنفسك، وبحول الله وقوته، لا بحولك وقوتك؛ وكذلك إذا نهضت في مرضاة الله تعالى فانهض بالله لا بنفسك، وبحول الله وقوته، لا بحولك وقوّتك؛ فإنّك في نفس الأمر زمِن وكسير. فإنْ توهّمت خلاف ذلك وقد ورد في حديث المتقرِّب بالنوافل: «وكنت رجله التي يمشي بها»، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٧٠] وفي ذلك إشارة إلى الردّ على طائفة من عوام

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الصغرى، كتاب الصلاة، باب: صلاة المريض، ٥٨٧، كما للحديث أطراف أخرى عند الطبراني والدارقطني.

المتشبِّهين بأهل المعرفة إذا سمعوا باستيلاء الحقِّ تعالى على العبد في ظاهره وباطنه، واعتقدوا إسقاط التكاليف الشرعيّة عنهم، وخرجوا إلى الزندقة والإلحاد. وقوله (**فحظّك**): أي نصيبك البطالة بفتح الباء الموحّدة، قال في المصباح: «بَطَلَ الأجير من العمل؛ فهو بَطَّال بيِّنُ البَطَالَة، بالفتح. وحكى بعض شارحي المعلّقات: بالكسر، وقال: هو أفصح اللغات، وربّما قيل: بُطَالَة، بالضمّ، حَمْلاً على نقيضها، العُمالة». وقوله (ما): ظرفيّة مصدريّة. (**أخّرت**): أي مدّة تأخيرك. وقوله (**عزماً**): مفعول أَخَّرْتَ، وهو مصدر عَزَمَ: على الشيء وعَزَمَهُ عزماً، من باب ضرب: عَقَدَ ضميرَه على فعله، كذا في المصباح. وقوله (**لصحّة**): أي عافية بدن وسلامة قوّة؛ يعني: إذا أخّرت عزمك على السير في طريق الله، والنهوض إلى طاعته إلى وقت صحّتك وسلامتك من العوائق الدنيويّة، والشواغل الطبيعيّة، فإنّما حظّك ونصيبك البطالة، وقد ورد أنّ الله يكره العبد البطال.

١٨٢ - وَأَقْدِمْ وَقَدِّمْ مَا قَعَدْتَ لَهُ مَعَ الْـ ... ـخَوَالِفِ وَاخْرُجْ عَنْ قُيُوْدِ التَّلَفُّتِ

(**وأقدمْ**): فعل أمر، من الإقدام، يقال: أَقْدَمَ على العَيب إقداماً: كناية عن الرضا، وَأَقْدَم على قِرْنِه بالألف: اجْتَرَأ عليه، كذا في المصباح. يعني: أقبل على ما فيه رضا الله تعالى، وتقدّم إلى عمل طاعته. وقوله (**وقدّم**): بتشديد الدّال المهملة، أمر من التقديم. وقوله (ما): أي عملاً صالحاً، وهو مفعول قَدِّم. ثمّ وصفه بقوله (**قعدتَ له**): أي لذلك العمل الصالح؛ يعني: تركته. (**مع الخوالف**): أي المتخلِّفين عن النهوض إلى معالي الأمور كالضعفاء من الناس والنساء والولدان، جمع خالف، وهو الذي يقعد بعدك، قال تعالى: ﴿رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ [٩/ التوبة/ ٨٧] نزلت فيمن تخلّف عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في غزوة تبوك. وقوله (**واخرج عن قيود**): جمع قيد، وهو ما يربط النفس عن الانطلاق. و(**التلفُّت**): **تفعُّل**؛ وهو تكلّف الالتفات يميناً وشمالاً بكثرة الميل إلى الأشياء، وكلّ قيود للنفس تمنعها عن الانطلاق في سبيل السعادة، ولا بدّ من الخروج عن تلك القيود كلّها.

١٨٣- وَجُدَّ بِسَيْفِ العَزْمِ سَوفَ فَإنْ تَجُدْ تَجِدْ نَفَساً فَالنَّفْسُ إنْ جُدْتَ جَدَّتِ

(وجُدَّ): بضمّ الجيم وتشديد الدّال المهملة، فعل أمر، قال في المصباح: «جَدَّهُ جَدّاً، من باب قتل: قطعه». وقوله (بسيف العزم): وهو عقد الضمير على الفعل. وقوله (سوف): مفعول جُدَّ؛ يعني: اقطع بسيف عزمك كلمة سوف أفعل؛ فلا تقل سوف أفعل. وقوله (فإنْ تجُدْ): بضمّ الجيم، فعل مضارع، أي: فإنْ تقطع بسيف العزم سوف. وقوله (فإنْ تجِد): بكسر الجيم، فعل مضارع، من وَجَد يَجِد، قال في المصباح: «وَجَدْتُه أَجِدُهُ وِجْدَاناً ـ بالكسر ـ وَوُجُوْداً، في لغة لبني عامر: يَجُدُهُ، بالضمّ، ولا نظير له في باب المثال. ووجه سقوط الواو على هذه اللغة وقوعها في الأصل بين ياء مفتوحة وكسرةٍ، ثمّ ضُمَّت الجيم بعد سقوط الواو من غير إعادتها؛ لعدم الاعتداد بالعارض. وقوله (نَفَساً): بالتحريك، قال في المصباح: «النَّفَس، بفتحتين: نسيم الهواء، والجمع أَنْفَاس. وتَنَفَّسَ: اجتذب النفس بخياشيمه إلى باطنه وأخرجه». والمعنى: بقوله نَفَساً، أي: راحة، وتنفيس كرب، وكشف همّ وغمّ. ونفحة من نفس/ [١٣٢/ ب] الرحمن بطريق الإرث من المقام المحمّدي في قوله صلّى الله عليه وسلّم: «إنّي لأجد نفس الرحمن يأتيني من قبل اليمن»[1] فكان الأنصار من أهل اليمن. أي: اليمين. وقوله (فالنفْس): بسكون الفاء، وهي: اسم لجملة الحيوان. قيل سُميت نفساً لتولّد النَّفَس ـ بالتحريك ـ منها، قال في المصباح: «والنَّفْسُ: أنثى إنْ أُريد بها الروح، قال تعالى: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [٤/ النساء/ ١] وإن أُريد الشخص فمذكر». وقوله (جُدْت): بضمّ الجيم، أي: قطعت بسيف العزم سوف. وقوله (جَدَّتِ): بفتح الجيم وتشديد الدّال المهملة وكسر التاء للقافية، من الجَدّ، خلاف الهَزْل؛ يعني: إذا قطعت نفسك علاقة التسويف، ومطل الأوقات أسرعت في الأعمال الصالحة، وقويت على السعي في مرضاة الله تعالى،

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، باب مسند أبي هريرة، ١١٢٦٩، بلفظ: ألا إنّ الإيمان يمان، والحكمة يمانيّة، وأجد نَفَس ربكم من قبل اليمن.

وزال عنها الهزل، واللعب، واللهو، والغرور.

١٨٤- وَأَقْبِلْ إِلَيْهَا وَانْحُهَا مُفْلِساً فَقَدْ   وَصَيْتَ لِنُصْحِي إِنْ قَبِلْتَ نَصِيحَتِي[1]

(وأقبِل): فعل أمر، من أقبَل فهو مقبل؛ خلاف أدبَر، فهو مدبِر. وقوله **(إليها)**: أي إلى المحبوبة الحقيقيّة. وقوله **(وانْحُها)**: انحُ، بضمّ الحاء المهملة، فعل أمر من نَحَوْتُ نَحْوَ الشيءِ، من باب قتل: قصدت، فالنحو القصد، ومنه: النحو؛ لأنّ المتكلّم يَنحُو به منهاجَ كلام العرب إفراداً وتركيباً: ، كذا في المصباح، والضمير للمحبوبة الحقيقيّة. وقوله **(مفلساً)**: بصيغة اسم الفاعل، من أَفْلَسَ الرجلُ كأنه صار إلى حال ليس له فُلُوس، كما يقال: أَقْهَر: إذا صار إلى حال يُقْهَر عليها، وبعضهم يقول: صار ذا فُلُوس بعدَ أن كان ذا دراهم، فهو مُفْلِس، والجمع: مَفَالِيس، وحقيقته: الانتقالُ من حالة اليُسر إلى حالة العُسر، كما في المصباح؛ والمعنى: مُفلِساً من كلّ شيء؛ فلا يملك شيئاً؛ لأنّه عبد للحقّ المالك، ولا يملكه شيء غير الحقّ المالك لكلّ شيء، قال تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٨٤] وقال تعالى: ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَيْءٍ﴾ [٢٧/ النمل/ ٩١]. وقوله **(فقد وصَيْتَ)**: بالصاد المهملة الخفيفة، أي: أكثرت وأوصلت من وَصَى بالتخفيف، كوَعَى، يقال: وَصَيَتِ الأرضُ وَصْياً ووَصَاءً ووَصَاءَةً: اتّصل نباتها، كذا في القاموس، وفي المصباح: «وَصَيْتُ الشيءَ بالشيءِ أَصِيْهِ، من باب وَعَدَ: وَصَلْتُهُ».

وفي الصحاح: «وَصَيتُ الشيءَ بكذا: إذا وَصَلْتُه به، قال ذو الرمّة:

نَصِي الليلَ بالأيام حتّى صلاتُنا   مُقاسَمةٌ يَشْتَقُّ أنصافَها السَّفَرُ

وأرضٌ وَاصِيَةٌ: مُتَّصلة النبات، وقد وَصَتِ الأرضُ: إذا اتّصل نباتها، وربّما قالوا تَوَاصَى النبتُ: إذا اتّصل، وهو نَبْتٌ واصٍ». وقوله **(لنصحي)**: أي لما ذكرته لك من النصيحة في طريق الله تعالى. وقوله **(إنْ قبلت نصيحتي)**: أي امتثلتها.

---

(١) في (ق): وصيّتي.

وفي نسخة :(إن قبلت وصيّتي). والوصيّة: اسم من وصّاه ـ بالتشديد ـ تَوْصِيَة: عهد إليه؛ يعني: إنْ قبلت ذلك الذي ذكرت من شرائط السلوك فإنّك تسعد السعادة الأبديّة وتحظى بالوصول إلى الحضرة القدسيّة.

١٨٥ - فَلَمْ يَدْنُ مِنْهَا مُوسِرٌ لاجْتِهَادِهِ وَعَنْهَا بِهِ لَمْ يَنْأَ مُؤْثِرُ عُسْرَةِ

(فلم يدنُ): بضمّ النون، أصلها يدنو، بالواو، فحُذفت لدخول الجازم، أي: لم يقرب. وقوله (منها): أي من المحبوبة الحقيقيّة. وقوله: (موسِر): فاعل يدنو، والموسِر بكسر السين المهملة، قال في القاموس: «اليُسْرُ بالضمّ وبضمّتين: الغنى، وأَيْسَرَ: صار ذا غنى، فهو مُوسِر. واليُسْرُ ضدّ العُسْر؛ والمعنى: هنا لا يقرب من حضرتها صاحب الغنى بعلمه، وماله، وحاله، وإنْ نشر علمه، وفرّق ماله، وأرشد بحسن حاله، كصبره، وشكره، وزهده، وورعه، وتقواه. وهذا معنى قوله (لاجتهاده): أي لأجل اجتهاد ذلك الموسر في بذل يسره لطالبه، كما قال العارف الكامل الشيخ محمّد البكريّ الصدّيقيّ[1] قدّس الله سرّه من قصيدة له:

صلّوا وصاموا ولا نالوا ولا صلّوا وقد وصلت مقاماً عنه قد صرفوا

/[١٣٣/أ] وقوله (وعنها): أي عن المحبوبة الحقيقيّة. وقوله (به): الضمير راجع إلى (مؤثّر عسرة): وهو مقدّم من تأخير، والأصل: مؤثّر عسرة لم ينأَ عنها به، أي: بنفسه، على معنى أنّ تقديم حظّ نفسه على مقتضى طاعة ربّه هو الذي اقتضى بُعده عنها، وطرده عن بابها. وقوله (لم ينأ): أي لم يبعد، قال في القاموس: «نَأَيْتُهُ ونَأَيْتُ عنه كسَعَيْتُ: بَعُدْتُ». وقوله (مُؤْثِر) بالهمزة الساكنة وكسر الثاء المثلّثة من قولهم: رجل يستأثر على أصحابه، أي: يختار لنفسه أشياء حسنة، وأَثِرَ على أصحابه كفَرِحَ: فَعَلَ ذلك، واسْتَأْثَرَ بالشيء: اسْتَبَدَّ به، وخَصَّ به نفسه، كذا في القاموس. و(العُسْرَة): هي العُسْرُ: ضِدّ اليُسر، والعُسْرُ في المال، والعلم، والحال: بأنْ كان

---

(١) سبقة ترجمته في ص٥٠٠.

خالياً عن ذلك كلّه. وقد أَثِرَ واختار ما هو فيه، ورضي بذلك لنفسه؛ فإنّه لم يبعد عنها بسبب ذلك أيضاً، فإنّه تعالى يهدي من يشاء ويضلّ من يشاء من غير سبب، ولا غرض، ولا علّة تحمله على ذلك؛ وإنّما ذلك بمشيئته القديمة، ومحض إرادته السابقة من الأزل قبل خلق الأكوان، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ﴾ [٢١/الأنبياء /١٠١] الآية، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ [٣٧/ الصافات/ ١٧١-١٧٣]؛ وذلك لأنّ الله تعالى من الأزل خلق خلقاً للجنّة واستعملهم في أعمال أهل الجنّة، وخلق خلقاً للنار واستعملهم في أعمال أهل النار، كما قال سبحانه: ﴿فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ [٤٢/الشورى/٧] فلا يدخل أحد الجنّة بعمله، ولا يدخل النار أحد بعمله؛ وإنّما ذلك سوابق، ولهم روائح عوابق.

١٨٦- بِذَاكَ جَرَى شَرْطُ الهَوَى بَيْنَ أَهْلِهِ   وَطَائِفَــةٌ بِالعَهْــدِ أَوْفَــتْ فَوَفَّــتِ

(بذاك) : أي بما ذكر في البيت قبله من أنّه لم يقرب من هذه المحبوبة صاحب كدّ واجتهاد بكدّه واجتهاده، ولا بَعُد عنها صاحب تقصير في العمل الصالح بسبب تقصيره وقعاده، وإنّما الفتح مواهب على حسب مراد الواهب. وقوله (جرى): أي عرف (شرط الهوى): أي المحبّة الإلهيّة. وقوله (بين أهله): أي أهل المحبوب؛ فشرط المحبّة الحقيقيّة عند المحبِّين الإلهيّين أن يكون المحبّ فقيراً من كلّ شيء إلى ربّه؛ بحيث لا يزال غنيّاً بربِّه تعالى عن كلّ ما سواه. فلو نظر إلى عمله الصالح، أوحى له الفالح نظر إلى ما سواه تعالى، فلا يكون فقيراً إلى ربِّه بل يكون فقيراً إلى ما نظر إليه من عمله وحاله؛ فلا يكون محبّاً إلهيّاً، بل هومحبّ كوني. وشرط المحبّة أيضاً أن يعتقد المحبّ الإلهيّ أنّ كلّ من كان بعيداً عن حضرة الحقّ تعالى لتقصيره في العمل الصالح، أو ارتكابه لمعاصيه تعالى ما كان سبب بعده وطرده عن حضرة الحقّ تعالى ذلك التقصير والارتكاب؛ لأنّه لا تأثيرلشيء من ذلك في ملك الله وملكوته؛ وإنّما التأثير كلّه لله تعالى؛ فالله تعالى هو الذي شاء له

من الأزل أنْ يكون بعيداً عن حضرته، مطروداً عنها بلا سبب أصلاً، ولا غرض، ولا علّة. واختار ذلك له وأراده لذلك، ثمّ إنّه تعالى استعمله في أعمال أهل البعد والطرد عن جنابه. ومتى اعتقد خلاف ذلك في أحد من خلق الله تعالى لم يكن يعتقد أنّه تعالى غنيّ عن العالمين، وأنّ جميع العالمين مفتقرون إليه سبحانه وتعالى بحكم قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [٣٥/ فاطر/ ١٥] وإذا لم يكن كذلك فما هو فقير إلى الله تعالى. وإذا لم يكن فقيراً إلى الله تعالى فما هو محبّ الله تعالى. ثمّ المراد بكونه فقيراً من كلّ شيء إلى ربّه، غنيّاً بربّه عن كلّ شيء أن يكون ناظراً إلى الوجود الحقّ الظاهر بكلّ شيء، والشيء عدم فانٍ، فلا يجد تأثيراً يظهر له من شيء أصلاً؛ لأنّ الشيء فانٍ عنده، وإنّما يظهر له التأثير من الوجود الحقّ تعالى وحده، وذلك التأثير أيضاً فانٍ هالك، ولا ظهور إلّا للوجود الحقّ/ [١٣٣/ ب] الظاهر به، ولا ظهور له تعالى بشيء أيضاً؛ بل بظهوره بنفسه، وبطونه بنفسه؛ فهو تعالى الأوّل والآخر، والظاهر والباطن. وكذلك احتجابه سبحانه، واستتاره بشيء من الأشياء مطلقاً. إنّما ذلك الاحتجاب والاستتار بنفسه تعالى، لا بذلك الشيء؛ إذ لا تأثير للشيء أصلاً، لأنّه عدم فانٍ، والعدم لا يحجب الوجود، ولا يستره. كما لا يظهره، ولا يكشفه في زمانه؛ وإنّما هو سبحانه يظهره بما شاء لمن شاء، ويبطن بما شاء عمّن شاء، يشير إلى ذلك قول العارف الغريب الحسين بن منصور الحلّاج[1] قُدِّس سرّه من جملة رسالة أرسلها إلى بعض تلامذته مبنيّة على طريقته المخفيّة: «أمّا بعد حمد الله تعالى الذي تجلّى عن رأس إبرة

(١) قال الصفدي في الوافي بالوفيات ج٤ ص٢٩٦: الحسين بن منصور الحلّاج، الزاهد المشهور، من أهل البيضاء، بلدة بفارس، نشأ بواسط العراق، وصحب الجنيد وغيره. والناس مختلفون في أمره؛ فمنهم من يبالغ في تعظيمه، ومنهم من يكفّره. قال ابن خلّكان: ورأيت في كتاب مشكاة الأنوارلأبي حامد الغزالي فصلاً طويلاً في حاله، وقد اعتذر له عن الألفاظ التي كانت تصدر عنه، مثل قوله: أنا الحقّ، وما في الجبّة سوى الله، وهذه الإطلاقات التي ينبو السمع عنها وعن ذكرها. وحملها على محامل حسنة، وأوّلها، وقال: هذا من فرط المحبّة.

لمن شاء، وتستّر في السموات والأرضين عمّن شاء». وقوله (**وطائفة**): أي جماعة، وهم الأولياء العارفون، المتحقّقون بالفقر إليه تعالى لا إلى سواه كما ذكرنا، المحبّون الإلهيّون على التحقيق بالعناية الربّانيّة والتوفيق. وَنَكَّرَهم للتعظيم. وقوله (**بالعهد**): أي عهد الربوبيّة، وهو قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٧٢] إلّا به. والجار [والمجرور] متعلّقان بقوله (**أوفتِ**): قال في الصحاح: «الوفاء ضدّ الغدر، يقال: وَفَى بعهده وأَوْفَى بمعنىً». وقوله (**فَوَفَّتِ**): بتشديد الفاء وكسر التاء للقافية، يقال: أوفاه حقّه ووفّاه بمعنىً، أي: أعطاه حقّه وافياً، كذا في المصباح؛ والمعنى أعطت حقّ العهد وافياً، ولم تنقص منه شيئاً.

١٨٧ - مَتَى عَصَفَتْ رِيْحُ الوَلَا(١) قَصَفَتْ أَخَا غَنَـاءٍ وَلَـوْ بِـالفَقْرِ هَبَّـتْ لَرَبَّـتِ

(**متى عصفت**): قال في المصباح: «عَصَفَتِ الريحُ عَصْفاً، من باب ضرب، وَعُصُوْفاً: اشتدّت؛ فهي عاصِف وعاصِفَة». وقوله (**ريح الوَلا**): بالفتح، أصله القرابة، بمعنى القرب إلى الله تعالى. والولي هو المتصف بالقرب؛ لأنّ الحقّ تعالى متولٍّ جميعَ أموره على الكشف منه؛ والمعنى: متى اشتدّت ريح الولاية الإلهيّة، وهي المحبّة الربّانيّة بأن ظهر للسالك استيلاء الحقّ تعالى على ظاهره وباطنه كاستيلاء الذهن على ما فيه من المعاني المتخيّلة. وقوله (**قَصَفَتْ**): قال في المصباح: «قَصَفْتُ العُودَ قَصْفاً فانقصَف، مثلُ: كسرته فانكسر، وزناً ومعنىً» . وقوله (**أخا غَناء**): مفعول قصفت. ويقال: هو أخو الصدق، أي: ملازم له، وأَخُو الغَنَاء، أي: ذُو غَنَاء كذا في المصباح. والغَنَاء، بفتح الغَيْن المعجمة. قال في المصباح: «الغَنَاء، مثلُ كلام الاكتفاء، وليس عنده غَنَاءٌ، أي: ما يَغْتَنِي به، يقال: غَنِيتُ بكذا عن غيره، من باب تَعِب: إذا اسْتَغْنَيْتُ به». والمعنى: إنّ تلك المحبّة الإلهيّة تكسر ما صَلُبَ من نفس ذلك السالك، وتغنيه بالكلّيّة عن كلّ شيء سوى الحقّ تعالى؛

(١) في (ق): الغنى.

لأنّها صادفته مكتفياً بالأغيار، مستغنياً في نظره بما يظنّه مؤثِّراً مع الواحد القهار، فيرجع مجذوباً غير سالك، لا يعي ولا يدرك كيف الطريق السالك، ولا يعرف الفرق بين المملوك والمالك، فهو المخطوف المسلوب، والمأخوذ المنهوب، والمقهور المغلوب، المستغرق في بحر غيب الغيوب. وقوله (ولو بالفقر): أي الاحتياج إلى الحقّ تعالى في عين احتياجه إلى كلّ شيء؛ إذ لا شيء عنده بالنسبة إلى الحقّ تعالى، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [٢٨/ القصص/ ٨٨] والجار والمجرور متعلّقان بـ(هَبَّت)، يقال: هبَّتِ الريح هُبُوباً، من باب قَعَدَ: هاجَتْ، كذا في المصباح. ومعنى هبّتِ بالفقر، أي: بسبب الافتقار والاحتياج إلى الحقّ تعالى في كلّ شيء، بأنْ كان السالك يرى ذلك ويشهده في نفسه وفي الآفاق، كما قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [٤١/ فصلت/ ٥٣]. وقوله (لربّتِ): بتشديد الباء الموحّدة وكسر التاء للقافية، قال: في المصباح: «رَبِيَ الصغيرُ يَرْبَى، من باب تعِب، وَرَبَا/ [١٣٤/ أ] يَرْبُو، من باب عَلَا: إذا نَشَأَ، ويتعدّى بالتضعيف، فيقال: رَبَّيْتُهُ فَتَرَبَّى». وقال الراغب في مفرداته: «إنّ التربية هي إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حدّ التمام، يقال: ربّه وربّاه وربَّبه، وقيل لَأَن يُرَبِّبَنِي رجل من قريش أحبّ إليّ أنْ يُرَبِّبَنِي رجل من هوازن»[1]. وفي الصحاح: «إنّ هذا القول لصفوان». والمعنى: لربته ريح الولاء فأنشأته، وأوصلته إلى كماله في مقام الولاية شيئاً فشيئاً، حيث هبّت عليه بالافتقار منه على حدّ ما ذكرنا، فلم تزعجه، ولم تخرجه عن مقتضى عادته في أحوال أبناء جنسه؛ فينتفع بتربيته السالكون، ويرشد بعلومه وتحقيقاته المريدون.

١٨٨- وَأَغْنَى يَمِيْنٍ بِاليَسَارِ جزاؤها　　مَدَى القَطْعِ مَا لِلْوَصْلِ فِي الحبّ مُدَّتِ

(وأغنى): أفعل تفضيل، أي أكثر غَنَاء. وقوله (يمين): مضاف إليه، وهي

---

(١) هو من قول: صفوان بن أميّة بن خلف لأبي سفيان يوم حنين لمّا انهزم الناس أوّل المعركة. انظر مفردات القرآن للراغب الأصفهانيّ ١ / ٢٧٥.

الجارحة. قال الأزهري وغيره: اليد اليَمين واليُمنى، وأخذت يَمينه، أي: قبضتها، وبيمينه، أي: أمسكت عليها. وقال ابن قتيبة: «واليَسار واليَمين مفتوحتان، والعامّة تكسرهما». وقال ابن فارس: «اليَسار أخت اليَمين، وقد تُكسر، والأجود الفتح» كذا في المصباح. والمعنى: أغنى يد يمين، أي: ذات قوّة؛ فإنّها أقوى من اليَسار، ثمّ بين غناها بقوله (باليَسار). أي: بسبب اليَسار، بالفتح لا غير، وهو الغِنَى والثَّروة، مذكر. وأيسرَ بالألف صار ذا يَسار، كذا في المصباح. فاليَسار هنا بمعنى الغِنَى. والياء للسببيّة، أي: بسبب اليسار، أي: الاستغناء بشيء سوى الحقّ تعالى، وهو ضدّ الفقر؛ يعني كلّ يد يمنى ذات قوّة لها زيادة غنى عندها بشيء من علومها، وأعمالها، وأحوالها، وماهي متَّصفة به، بحيث لا تجد فيه الافتقار والاحتياج إلى الحقّ تعالى على العموم. ثمّ قال (جزاؤها): أي الجزاء الذي تستحقّه في دين أهل المحبّة الإلهيّة. وقوله (مدى): جمع مُدية، وهو السكين، قال في المصباح: «المُدْيَة: الشَّفْرَة، والجمع مُدَىً ومُدْيات مثل: غُرْفَة وغُرَف وغُرْفات بالسكون والفتح. وبنو قُشَيْر تقول: مِدْيَة بكسر الميم، والجمع مِدَى، مثل سِدْرَة وسِدَر، ولغة الضمّ هي التي يُراد بها المماثلة في هذا الكتاب». وقوله (القطع): مضاف إليه، أي: سكاكين القطع عن جناب الحقّ تعالى، جزاء تلك اليد التي استغنت عن الحقّ تعالى في شيء من الأشياء مطلقاً ولم تفتقر إليه فيه؛ لأنّها سرقت غناه تعالى، وادّعته لنفسها أو لشيء سواه، وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [٥/ المائدة / ٣٨]. وكنّى بالسكاكين عن تلك الأشياء التي استغنى بشيء منها عن الحقّ تعالى، فإنّ ذلك الشيء بيد الحقّ تعالى، يقطعه به عن جنابه سبحانه؛ لأنّه الواحد القهّار. وقوله (ما): هي ظرفيّة مصدريّة تُسبَك مع الفعل الذي دخلت عليه بالمصدر، وهي داخلة هنا على قوله. (مُدَّتِ): بضمّ الميم وتشديد الدّال المهملة وكسر التاء للقافية، وهي فعل ماضٍ مبني للمفعول، والتقدير مُدَّةِ مَدِّها، فإذا لم تمتدّ إلى اليسار والاستغناء بشيء عن الحقّ سبحانه لا يكون جزاؤها ذلك، فلا تقطع عنه. وكذلك إذا امتدّت ثمّ

رجعت. وقوله (**للوصل**): أي الاتّصال بالحقّ تعالى في الحبّ؛ أي: المحبّة الإلهيّة وفي شرع المحبِّين. والجار والمجرور متعلّقان بمُدَّتِ، قُدِّم عليه للحصر؛ أي: إذا مُدَّت للاتّصال به تعالى لا إلى غيره من أغراضها؛ فإنّها لا تقطع عن نيل ذلك الغرض دنيويّاً كان أو أخرويّاً، كما هو شأن أهل الغفلة والحجاب ممن ليسوا من الأحباب.

١٨٩ - وَأَخْلِصْ لَهَا واخْلُصْ بِهَا مِنْ رُعُوْنَةِ افْـ ـتِقَارِكَ مِـنْ أَعْـمَالِ بِـرٍّ تَزَكَّـتِ[1]

(**وأخلِص**): فعل أمر من الإخلاص، وهو في الأصل الخُلُوص من الكَدَر، يقال: خَلَصَ الماءُ من/[١٣٤/ب] الكَدَر، من باب قَعَدَ: إذا صفا، وخُلاصة الشيء بالضمّ: ما صَفا منه، ذكره بالمصباح. وقوله (**لها**): أي بالمحبوبة الحقيقيّة. وقوله (**واخلُص**): بضمّ اللام، فعل أمر أيضاً من الخُلُوص، وهو الصفا من الكدر، قال الراغب في مفرداته: «فحقيقة الإخلاص التعرِّي[2] عن كلّ ما دون الله». وقوله (**بها**): أي بالمحبوبة الحقيقيّة؛ لا بنفسك. ثمّ قال (**من رُعونة**): قال في القاموس: «الأَرْعَنُ: الأَهْوَج في مَنْطِقِهِ، والأَحْمَقُ المُسْتَرْخِي، وقد رَعُنَ، مثلثة رُعُونَة ورَعَناً، محرّكة، وما أَرْعَنَهُ». وقوله (**افتقارك**): هي احتياجك. وقوله (**من أعمال**): جمع عمل متعلّق بافتقارك. و(**البِرّ**): بالكسر، الخير والفضل. وقوله (**تَزَكَّتِ**): بتشديد الكاف، أي: نَمَتْ وزَادَتْ، من الزَّكَاء، بالمدّ: النَّماء والزيادة. يقال: زَكَا الزَّرْعُ يَزْكُو، من باب قعد، وأَزْكَى الله المال وزَكَّاهُ، بالألف والتثقيل، كذا في المصباح. والمعنى: أخلصْ لهذه الحضرة، وهي المحبوبة الحقيقيّة في جميع أعمالكَ الصالحة من: الرياءِ، والسمعة، والعُجب، وغيرها من المقابح. وتخلّص بها لا بنفسك من رُعُونة افتقارك واحتياجك إلى الحقّ تعالى من أعمال البرّ الزكيّة، فإنّك حيث افتقرت إلى الله تعالى من أعمال البرّ الزكيّة فلم تحتج إليها، وكان فقرك

---

(١) في (ق): تقضّتِ.

(٢) عند الراغب في مفرداته: فحقيقة الإخلاص التبرِّي. انظر مفردات القرآن للراغب الأصفهانيّ، مادّة: خلص، ج١ ص٢١٢.

واحتياجك مجرّداً إلى الحقّ تعالى لا إلى شيء سواه، بقي عليك التخلّص من ذلك الافتقار المذكور فإنّه سوى الحقّ تعالى فتحتاج إلى التجرّد عنه أيضاً؛ فإنّ التفاتك إليه رعونة نفسانيّة، وحماقة إنسانيّة.

١٩٠ - وَعَادِ دَوَاعِي القِيْلِ والقَالِ وَانجُ مِنْ عَـوَادِيْ دَعَـاوِ صِـدْقُهَا قَـصْدُ سُـمْعَةِ

(**وعادِ**): بكسر الدال المهملة، فعل أمر من المعاداة، وهي ضدّ المصادقة، أي: اتخذ عدوّاً. وقوله (**دواعي**): جمع داعية، وهي التي تسوق إلى الشيء، من دعاه: ساقه. و(**القيل والقال**): اسمان من القول، لا مصدران، قاله ابن السِّكِّيت. ويُعربان بحسب العوامل. وقال في الإنصاف: «هما في الأصل فعلان ماضيان جُعلا اسمين، واستُعملا استعمال الأسماء، وأُبقي فتحُهما ليدل على ما كانا عليه». قال: ويدلّ عليه ما في الحديث: «نهى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن قيل وقال»[1] بالفتح، وحكى القولين في التهذيب، ولا يستعمل القيل والقال إلّا في الشرّ. والحديث مقول على النقص، كذا في المصباح. والمعنى: اترك كلّ ما يدعو ويسوق إلى الباطل وإلى مجرّد القول والحكاية. وقوله (**وانجُ**): فعل أمر من النجاة، وهي السلامة. وقوله (**من عوادي**): جمع عادي، من عَدَا عليه: ظَلَمَ وجَاوَزَ الحَدَّ؛ فهوعادٍ، كذا في المصباح. وقوله (**دَعَاوٍ**): مضاف إليه، جمع دعوى. والفتح والكسر في الدّعاوى سواء، ومثله الفَتْوَى والفَتَاوَى. وقال الأزهري: قال اليَزيدي: «يقال: لي في هذا الأمر دَعْوَى ودَعَاوَى، أي: مطالب، وهي مضبوطة في بعض النسخ بفتح الواو وكسرها معاً، كما في المصباح». والمعنى: من دعاوى نفسانيّة ظالمة للحقّ خارجة عن الحدود. وقوله (**صدقها**): أي صدق تلك الدعاوى، أي: الصادق منها، المطابق للواقع. وقوله (**قصد سمعة**): بضمّ السين المهملة، أي: حاصلة بقصد السمعة

---

(١) أخرج البخاريّ في صحيحه، كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنّة، باب: ما يُكره من كثرة السؤال، وتكلّف ما لا يعنيه، ٦٨٦٢، بلفظ: «وكتب إليه» - يعني: المغيرة بن شعبة كتب إلى معاوية - إنّه كان ينهى عن قيل وقال... وللحديث أطراف أخرى كثيرة عند البخاريّ وغيره.

والرياء فكيف إذا كانت كاذبة. وقال في القاموس: «مَا فَعَلَهُ رِيَاء وَسَمْعَة، ويُضَمّ ويُحَرَّك وهي ما نُوّه بذكره ليَرَى ويَسْمَع».

١٩١- فَأَلْسُنُ مَنْ يُدْعَى بِأَلْسَنِ عَارِفٍ
وَقَـدْ عُـبِّرَتْ كُـلُّ العِبَـارَاتِ كَلَّـتِ

(فَأَلْسُنُ): جمع لسان، قال في المصباح: «اللِّسان: العُضُو، يذكَّر ويؤنَّث؛ فمَنْ ذَكَّرَ جمعه على: أَلْسِنَة، ومن أَنَّثَ جمعه على: أَلْسُن، قال أبو حاتم: والتذكيرُ أكثر، وهو في القرآن كلّه مذكر. واللِّسان: اللغة، مؤنّث، وقد يُذكَّر باعتبار أنه لفظ، فيقال: لسانُه فصيحة وفصيح، أي: لغته فصيحة، أو نُطْقُهُ فصيح، وجمعه على التذكير والتأنيث كما تقدّم، كذا في المصباح. والمعنى: هنا، فلغات/ [١٣٥/أ] ولهذا جمعه على أَلْسُن، جمع لِسان، مؤنث، بمعنى اللغة. واللغات مختلفة كثيرة. وقوله (يُدعى): بضمّ الياء التحتيّة فعل مبني للمفعول، أي: يدعوه الناس، بمعنى يسمّونه. وقوله (مَن): بفتح الميم، أي: الذي، أو إنسان. وقوله (بأَلْسَنِ): متعلّق بيُدعى. وأَلْسَن صيغة أفعل التفضيل. قال في المصباح: «لَسِنَ لَسْناً، من باب تَعِب: فَصُحَ؛ فهو لَسِن، وأَلْسَنُ، أي: فَصيحٌ بليغ». ويقال: «دعوت الولد زيداً وبزيد: إذا سميته بهذا الاسم». والمعنى جميع اللغات المختلفة التي يعرفها أفصح عارف ينطق بها، وهو أفصح الفصحاء بها. وقوله (وقد): الواو للحال. وقوله (عُبِّرَتْ): بتشديد الباء الموحّدة، قال في المصباح: «عبّرت عن فلان ـ بالتشديد: تكلّمت عنه، واللسان يعبر عمّا في الضمير، أي: يُبيِّنُ». وقوله (كلّ العبارات): جمع عبارة، وهي اسم من عَبَّرَ عَمَّا في نفسه: أعرب، وعَبَّرَعنه غيره فأعرب عنه، كذا في القاموس. يعني: جاءت تلك اللغات المختلفة بكلّ العبارات المختلفة من أفصح عارف وأبلغه. وقوله (كَلّتِ): بفتح الكاف وتشديد اللام وكسر التاء للقافية، قال في المصباح: «كلَّ يَكِلُّ، من باب ضرب كَلَّاً: تَعِبَ وأَعيا». وفاعل كَلّتِ ضمير راجع إلى أَلْسُن، أي: تكلّ تلك الألسن، وتتعب،

وتعيا عن بيان الحقيقة المطلوبة للرجال، فدع عنك دواعي القيل والقال، ودعاوى المعرفة الإلهيّة، وانجُ من هذا المجال؛ ولهذا قالوا: من عرف الله كَلَّ لسانه، وجَنَّ في بيان المعاني جَنَانُه.

١٩٢- وَمَا عَنْـهُ لَمْ تُفْـصِحْ فَإِنَّـكَ أَهْلُـهُ ۝ وَأَنْـتَ غَرِيْـبٌ عَنْـهُ إِنْ قُلْـتَ فَاصْـمُتِ

(وما): أي المعنى الإلهيّ الذي. **(عنه)**: أي عن ذلك المعنى. **(لم تفصح)**: يقال أَفصح عن مراده، بالألف: أظهره. يعني: إذا كتمت المعنى الوارد عليك ولم تظهره بلسانك. وقوله **(فإنّك)**: أي تحقيقاً. **(أنت أهله)**: أي أهل ذلك المعنى الإلهيّ الوارد عليك بطريق الفيض والإلهام ما لم تكن في مقام الدعوة إلى الله تعالى، وقد وجدت الطالب الصادق؛ فإنّه يجب عليك الإفصاح له، وإلّا كنت ممن كتم علماً فأُلجِم بلجام من نار، كما ورد في الحديث النبوي، فإنّ الله لا ينفعك بذلك المعنى حينئذ فيقلبه عليك باطلاً، فيكون لجامك، وهو من النار، وإذا لم تصادف أهله حُرِّم عليك إظهاره والإفصاح عنه لغير أهله، لأنّه أمانة عندك، فإذا دفعتها إلى غير أهلها فقد خنتها، قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ [٤/ النساء/ ٥٨] ومن هنا قال الإمام الشافعي رضي الله عنه وقد طُلب منه شيء من العلم الإلهيّ:

أأنثـــر درّاً بـــين ســـارحة الـــنعم	وأنظـــم منثـــوراً لراعيـــة الغـــنم
لـــئن يـــسر الله الكـــريم بفـــضله	وصادفت أهلاً للمعارف والحكم
بثـت مفيـداً واسـتنفدت ودادهـم	وإلّا فمحـــزون لـــديّ ومكتـــتم
ومَـن مَـنَح الجُهـال عِلـماً أضـاعه	ومـن منع المستوجبين فقـد ظلـم

وإنّما بثّ رضي الله عنه علوم الفقه والحديث والأصول والعربيّة، وعُرف بذلك. وهذا كلّه لم يكن مغلوباً في البيان بتراكم الواردات على قلبه، وغلبتها على اللسان، وإلّا فحاله كما قال الشيخ الأكبر عليه الرحمة والرضوان في أبياته التي في

ابتداء كتابه الفتوحات المكيّة الظاهرة للعيان:

أنـــا القـــرآن والـــسبع المثـــاني ... وروح الـــــــروح لا روح الأواني

فـــؤادي عنـــد معلـــومي مقـــيم ... يناجيـــــه وعنـــــدكم لــــساني

فـلا تنظـر بطرفـك نحـو جـسمي ... وعـــد عـــن التـــنعم بالمغـــاني

وخض في بحـر ذات الـذات تبـصر ... عجائب ما تبدّت للعيان/ [١٣٥/ ب]

وأسرار تـــــبراءت مـــــبهمات ... مُـــــسْتَرَةٌ بــــأرواح المعـــــاني

ثمّ قال رضي الله عنه: «فوا الله ما أنشدت من هذه القطعة بيتاً إلّا وكأنّي أسمعه ميتاً» ...إلى آخر كلامه بمقتضى حاله ومقامه، ولنا من هذا القبيل أبيات على طريقة التضمين وهي قولنا:

يقولـون لا تنطـق بـما أنـت عـارف ... بـه بـين أهـل الجهـل ذاك معيـب

فقلــت لهــم: خلّــوا المــلام فإننــا ... بحكــم الــتجلّي والمجــال قريــب

شربنـا وأهرقنـا عـلى الأرض جرعـة ... وللأرض من كاس الكـرام نـصيب

وقوله (**وأنت غريب**): أي بعيد، قال في المصباح: «غَرُبَ الشخصُ - بالضمّ- غَرَابةً: بَعُدَ عن وطنه؛ فهو غَرِيْب» فعيل بمعنى فاعل. وقوله (**عنه**): أي عن ذلك المعنى الذي أفصحت عنه. وقوله (**إنْ قلت**): أي أفصحت عنه، وفي نسخة (**ما قلت**): أي مدّة قولك. وقوله (**فاصمتِ**): بكسر التاء للقافية، واصمتِ فعل أمر من الصمت، قال في المصباح: «صَمَتَ صَمْتاً، من باب قتل: سَكَتَ؛ يعني: إنْ تكلّمتَ بالمعنى الوارد عليك، فأنت أجنبيّ عن ذلك المعنى، غير متحقّق به في وقت التكلُّمِ فاسكت، ولا تتكلَّم بالمعاني الواردات عليك في ابتداء السلوك حتى تتحقّق فيها، وترسخ في انكشافها لك، وتجلّيها، قال عفيف الدّين التلمسانيّ قدّس الله سرّه من قصيدة له:

عجبـت لـصحبي والغـرام يحـثّهم ... يقولــون حــدِّثنا فأنــت أمينهــا

ألا فاسمحوا أن يشتموها بأنفس طويل إلى تلك الديار حنينها
ولا تنطقوا حتى تروا نطقها بكم يلوح لكم منكم فتلكم شؤونها

١٩٣ - وَفِي الصَّمْتِ سَمْتٌ عِنْدَهُ جَاهُ مُسْكَةٍ غَدَا عَبْدَهُ مَنْ ظَنَّهُ خَيْرَ مُسْكَتِ

(وفي الصمت): مصدر صَمَتَ: إذا سَكَتَ. وقوله **(سَمْتٌ)**: قال في المصباح: «السَّمْتُ: الطريق. والسَّمْتُ: القصد والسكينة والوَقار. وَسَمَتَ الرجل سَمْتاً، من باب قتل: إذا كان ذا وَقَار، وهو حَسَنُ السَّمْتِ، أي: الهيئة». والمعنى: إن الصمت عن الكلام فيه وقار وسكينة، وهو حال حسن، ممدوح عند الله، وعند الناس. وقد كان عبادة في بعض الملل الماضية. وقوله **(عنده)**: أي عند السمت أو الصمت. وقوله **(جاه)**: أي قدر ومنزلة. وقوله **(مُسْكَةٍ)**: بضمّ الميم وسكون السين المهملة وفتح الكاف والتنوين، قال في القاموس: «المُسْكَةُ بالضمّ: ما يُتَمَسَّكُ به، وما يُمْسِكُ الأَبْدَانِ من الغِذاء والشراب، أو ما يُتَبَلَّغُ به منهما، والعقل الوافِر. يعني: إنّه جاه عظيم لأنّه الجاه الذي به قوام الأبدان، أو الذي به قوام الأبدان أو الذي به العقل الوافر للإنسان. وقوله **(غداً)**: أي صار. **(عبده)**: أي عبد ذلك السمت الموصوف بما ذكر، أو عبد الصمت المذكور. وقوله **(مَن)**: أي الإنسان الذي. **(ظنّه)**: أي ظن ذلك السمت، أو الصمت. **(غير مُسْكِتٍ)**: بضمّ الميم وسكون السين المهملة وكسر الكاف، صيغة اسم الفاعل. والمعنى: إنّ مظنّة خير أمر مسكت، فإنّه يشتغل به، وينقاد إليه، فيصير عبده، لا عبد الحقّ تعالى، مشغولاً به، لا بالحقّ تعالى، والمراد أنْ يصمت ويترك الصمت حتى يكون مشغولاً بالله تعالى في الصمت، لا مشغولاً بالصمت؛ ولهذا ذكر الشيخ الأكبر رضي الله عنه في فتوحاته المكيّة باب التوبة، ثمّ ذكر بعده باب ترك التوبة؛ بمعنى: عدم النظر إليها وتركها بهذ المعنى أعلى منها، ثمّ ذكر باب المجاهدة وبعده باب ترك المجاهدة. وبعده باب الخلوة، ثمّ باب ترك الخلوة. ثمّ باب العزلة، وباب

ترك العزلة. وباب التقوى، وباب ترك التقوى. وباب الورع، وباب ترك الورع. وباب الزهد، وباب ترك الزهد. وباب الخوف، وباب ترك الخوف. وباب الرجاء، وباب ترك الرجاء./[١٣٦/ أ] وباب الحزن، وباب ترك الحزن. وباب الجوع، وباب ترك الجوع. وباب الخشوع، وباب ترك الخشوع. وباب التوكّل، وباب ترك التوكّل. وباب الشكر، وباب ترك الشكر. وباب اليقين، وباب ترك اليقين. وباب الصبر، وباب ترك الصبر. وباب المراقبة، وباب ترك المراقبة. وباب الرضا، وباب ترك الرضا. وباب العبوديّة، وباب ترك العبوديّة. وباب الاستقامة، وباب ترك الاستقامة. وباب الإخلاص، وباب ترك الإخلاص. وباب الصدق، وباب ترك الصدق. وباب الحياء، وباب ترك الحياء. وباب الذكر، وباب ترك الذكر ...إلى آخر ما ذكر من ذلك. وعنده أنْ ترك كلّ مقام مع وجوده أكمل منه مع ملاحظته.

١٩٤- فَكُنْ بَصَرَاً وَانْظُرْ وَسَمْعَاً وَعِ وَكُنْ لِسَانَاً وَقُلْ فَالجُمْعُ أَهْدَى طَرِيْقَةِ

(فكن): الفا للتفريع على ما قبله. و(كن): فعل أمر من كان الناقصة، اسمها ضمير المخاطب، وخبرها بصراً. والمعنى: اتصف من حيث أنّك الوجود الحقيقيّ بأنّك بصر، كما ورد في الحديث: «كنت بصره الذي يبصر به»[1]. ويجوز أنْ يكون من كان التامّة بمعنى وجد، فتكتفي بالمرفوع، وهو الفاعل، نحو: كان زيد، أي: وجد زيد. والمنصوب بعدها حال من الفاعل. والمعنى: أوجد بنسبة الوجود الحقيقيّ إليك حال كونك مبصراً، أي: صاحب قوّة باصرة، أو تمييز، أي: من جهة كونك بصراً، بمعنى مبصراً على أنّك تبصر بوجودك الذي صرت موجوداً به، وأنت في حدّ ذاتك عدم صرف، من قبيل قوله تعالى للشيء الذي يريد تكوينه وإيجاده من عدمه الذي هو فيه ﴿كُن﴾ أي: أوجد ﴿فَيَكُونُ﴾ [٢/ البقرة/ ١١٧] أي: فيوجد، وهو في حدّ ذاته على ما هو عليه من العدم الأصليّ. غير أنّ الوجود الحقيقيّ لم توجّه

---

(١) انظر تخريجه في ص١٤٦.

بالإرادة والمشيئة على ذلك الشيء، وهو عدم مكشوف عنه بالعلم الإلهيّ القديم، انتسب الوجود الحقيقيّ إليه لانصباغه به، وظهوره عليه، كما قال تعالى: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴾[٢/ البقرة/ ١٣٨] وقال تعالى: ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ [٣٩/ الزمر/ ٦٩]؛ فاللون الصابغ وهو الوجود لله تعالى، والمصبوغ به هو المعدوم المعلوم. وكلّ واحد منهما على حاله لم يتغيّر، وكذلك الإشراق لنورالربّ، وهو الإيجاد؛ لأنّ النور الحقيقيّ هو الوجود الحقيقيّ، لا هو نور بمعنى العرض الحادث الذي هو أيضاً، فإنّه مستحيل عليه تعالى. وقوله (وانظر): يعني إذا نظرت إلى الأشياء فلا تنظر إليها ببصرك الذي هو قوّتك الباصرة العدميّة؛ وإنّما انظر إليها بما كنت به. (بصر): أي وجدت، وهو الوجود الحقيقيّ حيث هو صبغتك، وهو مشرق عليك، ولم تزل أنت وبصرك عدماً صرفاً. وكذلك قوله (وسمعاً): أي كن سمعاً، أي: أوجد بالوجود الحقيقيّ بطريق نسبته إليك حال كونك سمعاً، أي: قوّة سامعة. وقوله (عِ): فعل أمر من الوعي، قال في المصباح: «وَعَيْت الحديثَ وَعْياً، من باب وَعَدَ: حَفِظْتُهُ وتَدَبَّرْتُهُ». يعني: احفظ وتدّبر ما تسمعه بوجودك الحقيقيّ الذي هو عندك منسوب إليك وأنت على ما أنت عليه من عدمك الأصلي المقدّر لم تتغيّر. كما أنّ الوجود الحقيقيّ الذي هو منسوب إليك عندك أيضاً على ما هو عليه من وجود القديم الحقيقيّ لم يتغيّر، وكيف يمكن أنّ يتغيّر أو يتبدّل بنسبته إلى المعدومات!. أو نسبة المعدومات إليه، والمعدومات كلّها معلوماته أزلاً وأبداً، ومقدّراته ومصوراته من حيث لا بداية لها ولا نهاية وإنْ كانت هذه المعدومات كلّها مترتّبة في العلم القديم، يتقدّم بعضها على بعض، ويتأخّر بعضها عن بعض، ويقارن بعضها لبعض في نسبة الوجود الحقيقيّ إليها عندها؛ لأنّ هذه النسبة من جملتها معدومة مثلها، مترتّبة مثلها. وكذلك قوله (وكن): أي أوجد أيضاً بنسبة الوجود الحقيقيّ إليك. وقوله (لساناً): حال أو تمييز بتأويل العضو المعروف على/[١٣٦/ ب] معنى أنّه فعل من أفعال الوجود

الحقيقيّ، أو بتأويل متكلِّماً أو تكلّماً. وقوله (وقل): فعل أمر. يعني: تكلّمْ، وهذا كلّه من قوله صلّى الله عليه وسلّم في الحديث القدسي: «لا يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتّى أحبّه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ...» إلخ. والمفهوم من هذا الحديث: إنّ من كان هكذا حاله فهو محبوب الله تعالى على الحقيقة، وإنّ الطريق الموصل إلى ذلك إنّما هو دوام العبوديّة، ونيّته مجملة للتقرُّب إلى الله تعالى بالأعمال الصالحة النافلة زيادة على الفرائض. وقوله: «سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به» فيه إشارة إلى أنّ الله تعالى لا يكون سمعه الذي لا يسمع به، وهو القوّة المنبثّة في العضو المخصوص؛ فإنّ ذلك ليس هو سمعه الذي يسمع به، لأنّه يسمع بالله لا بقوّة تلك الجارحة؛ إذ لا تأثير لشيء مع الله تعالى مطلقاً كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ﴾ [٣٥/ فاطر/ ٢٢] الآية. وكذلك الحال في بصره ولسانه، كما قال سبحانه: ﴿أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [٤١/ فصلت / ٢١] وفي شأن البصر قال تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ﴾ [٨/ الأنفال/ ٤٢-٤٤] الآية. وقوله (فالجمع): أي هذا الجمع المذكور هو مقام الجمع الجامع بين العبد والرّب بوجود واحد، وهو الذي يعني به الناظم قدّس الله سرّه الاتّحاد، بأن يكون العبد والربّ واحداً؛ لأنّ الوجود بينهما واحد، والعبد فانٍ من الأصل، معدوم؛ لأنّه مجرد عدم، مقدّر، مصوّر، بتقدير وتصوير الوجود الحقّ الحقيقيّ الواحد الأحد، قدَّره وصوّره لنفسه، كما قال سبحانه: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٥٥] وقال: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾ [٢٠/ طه/ ٤١] ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ [٢٠/ طه/ ٣٩] وقال: ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ﴾ [٢٧/ النمل/ ٩١] وإنّما يحتاج الأمر إلى الصدق في المعرفة والذوق، ومتى غاب عن هذا المشهد؛ فالعبد عبد، والربّ ربٌّ. والمدّعي مع عدم الذوق والمعرفة فيه نزعة فرعونيّة، وهو ضال

مضلّ، والله بصير بالعباد. وقوله (أَهْدَى طَرِيْقَةِ): أي ذلك أكثر الطرق كلّها إلى الله تعالى هداية، وهي طريقة الأنبياء والمرسلين وسبيل الصدِّقين.

١٩٥- وَلَا تَتَّبِعْ مَنْ سَوَّلَتْ نَفْسُهُ لَهُ   فَصَارَتْ لَهُ أَمَّارَةً وَاسْتَمَرَّتِ

(ولا تتبع): بتشديد التاء المثنّاة الفوقيّة الثانية نهى عن الاتباع. وقوله (مَنْ): أي الذي (سوّلت): بتشديد الواو، قال في المصباح: «سَوَّلْتُ الشيءَ بالتثقيل زَيَّنْتُهُ». ونفسه فاعل سوّلت، و(له): الجار والمجرور متعلّقان بسوّلت. والمعنى: من زينت له نفسه الباطل فرآه حقّاً، وهم أهل الغفلة والحجاب، فلا تتبع أحداً منهم إذا نهاك عن السلوك في طريق الله تعالى لالتباس الأمر عليهم، ورؤيتهم الحقّ باطلاً، والباطل حقّاً. ثمّ قال (فصارت): أي نفسه (له أمّارة): بتشديد الميم، أي: كثرة الأمر بالسوء، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾. وقوله (واستمرتِ): بكسر التاء للقافية، أي: دامت على فعلها ذلك ، ولم تتركه؛ فإنّ مَن هذا شأنه لا يؤمن على نصيحة يبديها، أو حكمة يبتديها؛ لسكون السوء في قلبه، وكمون الحياة في عقله.

١٩٦- وَدَعْ مَا عَدَاهَا وَاعْدُ نَفْسَكَ فَهْيَ مِنْ   عِدَاهَا وَعُذْ مِنْهَا بِأَحْصَنِ جُنَّةِ

(ودعْ): أي اترك. (ما): أي الذي، أو كلّ شيء (عداها): أي المحبوبة الحقيقيّة؛ يعني: غيرها. وقوله (واعْدُ): بضمّ الدال المهملة، فعل أمر من عدا يعدو: إذا جاوز، قال في الصحاح:« عداه يعدوه: أي جاوزه». وقوله (نفسَك): مفعول اعْدُ، أي: تجاوز نفسك، واعدل عنها، وانصرف/ [١٣٧/ أ] عن صحبتها. وقوله (فهي): أي نفسك. (مِنْ عِداها): بكسر العين المهملة، جمع عَدُوّ، أي: من جملة عِداء المحبوبة الحقيقيّة كما ورد «عادِ نفسك»[1]؛ فإنّها انتصبت لمعاداتي. وقوله (وعُذ): بضمّ العين المهملة وسكون الذّال المعجمة، فعل أمر من العَوْذ والعِيَاذ؛ وهو الالتجاء والاحتماء. وقوله (منها): أي من نفسك وشرِّها. (بأَحْصَنِ): أفعل

(١) انظر تخريجه ص٦٠٢.

تفضيل من حَصُنَ، بالضمّ، حَصَانَةً؛ فهو حَصِيْن، أي: مَنِيع، ويتعدَّى بالهمزة والتضعيف، فيقال: أَحْصَنْتُه وحَصَّنْتُه، كذا في المصباح. وقوله (جُنَّةٍ): بضمّ الجيم وتشديد النون، قال في المصباح»[1]: «الجُنَّةُ، بالضمّ: ما استترتَ به من سلاح وغيره» والمعنى: استعذ من نفسك بالله تعالى، واحتمِ بجنابه؛ فإنّه تعالى أعظم ما تحصّنت به، واستترت عن عيون الأغيار، حيث أقبلت عليه، وتركت كلّ ما سواه في جميع الأطوار.

١٩٧ - فَنَفْسِيَ كَانَتْ قَبْلُ لَوَّامَةً مَتَى أُطِعْهَا عَصَتْ أَوْ تُعْصَ كَانَتْ مُطِيْعَتِي

(فنفسي): الفاء للتفريع على ما قبله من النصيحة، والتعليل لذلك بشرح أحوال نفسه. وقوله (كانت قبلُ): بضمّ اللام، ظرف مبني لنيّة معنى المضاف إليه، أي: قبل ما ساء ذكره. وقوله (لوّامه): بتشديد الواو، أي: كثيرة اللوم لنفسها على ما يصدر منها من المخالفات، وهي نفس الصالح من عباد الله تعالى؛ فإنّها لا تزال تلومه حتى يتوب من ذنبه. كما أنّ الأمّارة نفس الفاسق العاصي لا تزال تأمره بالسوء حتى توقعه في العذاب الأليم. وقوله (متى أطعها): أي أدخل تحت طوعها فيما تأمرني به من الشهوات العاجلة، والمخالفات المستلذّة. (عصت): أي امتنعت عليّ فلا تطيعني هي فيما آمرها به من التوبة والرجوع، ولكنها تكثر لومي على ما فرط منّي وتزيد ألمي بذلك. وقوله (أو تُعْصَ): بضمّ التاء المثنّاة الفوقيّة، فعل مضارع مبني للمفعول. والتقدير: ومتى تَعْصِ، وأصله تعصي بالياء فحذفت لوقوعه فعل الشرط مجزوم بحذف الياء؛ يعني: متى أعص نفسي اللوّامة؛ فلا أطيعها فيما تأمرني به. (كانت): أي نفسي مطيعتي، أي: تطيعني حينئذ حيث عصيتها فتمتثل أمري، وتنقاد إليّ.

---

(١) لم أعثر عليه في المصباح، وإنّما في مختار الصحاح.

١٩٨- فَأَوْرَدْتُهَا مَا المَوْتُ أَيْسَرُ بَعْضِهِ   وَأَتْعَبْتُهَا كَيْمَا تَكُوْنَ مُرِيْحَتِي

(فأوردتها): أي نفسي، وأصله: وَرَدَ البعيرُ وغيرُه الماءَ وُرُوداً: بَلَغَهُ ووافاه، وأوردته الماء، كذا في المصباح. يعني: فبلغت نفسي . وقوله (ما): أي أمراً عظيماً من المجاهدات والرياضات، ثمّ وصف ذلك بقوله (الموتُ أَيسَرُ بعضه): بإرجاع الضمير إلى ما. و(أيسر): بمعنى أسهل، قال في المصباح: «يَسِر الأمرُ يَيْسَرُ، من باب: تَعِب، ويَسُر يُسْراً، من باب: قَرُبَ؛ فهو يَسير، أي: سَهُلَ، ويَسَّرَهُ الله فتيَسَّرَ. وقوله (وأتعبتها): أي نفسي. يعني: ألقيتها في الأتعاب والمشقات بمخالفة هواها وشهواتها. وقوله (كيما): قال ابن هشام في المغني: إنْ كي تكون بمنزلة لام التعليل معنىً وعملاً، وهي الداخلة على ما الاستفهاميّة في قولهم في السؤال عن العلّة كَيْمَه بمعنى لِمَه وعلى ما المصدريّة في قول الشاعر:

إذا أنت لم تنفع فضرّ فإنّما   يرجى الفتى كيما يضرّ وينفع

وقيل: (ما) كافّة، وعلى هذا فالمعنى كي تكونُ برفع النون؛ لأنّ ما كافة لكي عن عمل النصب. وعلى المصدريّة الفعل بعدها منصوب بأنْ مضمرة في تأويل مصدر. والمعنى: لكونها ترتجي بصيغة اسم الفاعل، أي لتكون في المستقبل. (مريحة): يعني تريحني، من أراحه من التعب: أزاله عنه، قال في المصباح: «أرحت الأجير راحة: أذهبت عنه ما يجد من تعبه فاستراح».

١٩٩- فَعَادَتْ وَمَهْمَا حُمِّلَتْهُ تَحَمَّلَتْـ   ـهُ مِنِّيْ وَإِنْ خَفَّفْتُ عَنْهَا تَأَذَّتِ

/ [١٣٧/ ب] (فعادت): أي رجعت؛ يعني: نفسي بعد ذلك. وقوله (مهما): قال في القاموس: «هي بسيطة لا مركّبة من: مَهْ وَمَا، ولا مِنْ مَا مَا ، خلافاً لزاعميها؛ ومعناها لا يعقل غير الزمان مع تضمّن معنى الشرط نحو قوله تعالى: ﴿مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ﴾ [٧/الأعراف/ ١٢٣] الآية. والمعنى: فصار كلّ شيء من المجاهدات والمشقّات. (حُمِّلَتْهُ): بضمّ الحاء وتشديد الميم مكسورة وفتح اللام

وسكون التاء المثنّاة الفوقيّة، يعني: حَمَّلْتها إياه من ذلك. وقوله (**تَحَمَّلَتْه**): بتشديد الميم مفتوحة، أي: قبِلَتْ حَمْلَهُ منّي. وقوله (**وإن خَفَّفْتُ**): بتشديد الفاء الأولى، أي: نَقَّصْتُ عنها، أي: عن نفسي شيئاً من تلك المجاهدات والمشقّات. (**تأَذَّتِ**): بتشديد الذال المعجمة مفتوحة، وكسر التاء للقافية، أي: حصل لها الأذى بذلك التخفيف عنها لاعتيادها على تحمّل المشقّات؛ فإنّ كلّ شيء اعتادت عليه يصعب عليها تركه من خير أو شرّ كالطفل الصغير إذا تركته يرتضع ثدي أمّه يصعب ترك الرضاع، وإنْ فطمته ومنعته من الرضاع مدّة يصعب عليه الرضاع بعد ذلك. البوصيري في ميميّة المديح النبويّ:

والنفس كالطفل إنْ تهمله شبّ على ... حبّ الرضاع وإنْ تفطمه ينفطم

٢٠٠- وَكَلَّفْتُهَا لَا بَلْ كَفَلْتُ قِيَامَهَا ... بِتَكْلِيْفِهَا حَتَّى كَلِفْتُ بِكُلْفَتِي

(**وكلّفتها**): بتشديد اللام، أي: نفس من التكليف، وهو الأمر بما يشقّ عليها من طاعة ربّها على مقتضى ما أمرها به ربّها. ثمّ قال: (**لا**): أي: لم أكلّفها. ثمّ قال (**بل**): وهو حرف إضراب. (**كَفَلْتُ**): من الكفالة، وهي الضمان، أي: ضمنت. (**قيامها**): أي قيام نفسي؛ يعني: دوام عملها لله تعالى. (**بتكليفها**): أي بكلّ ما كلّفها به من الأوامر والنواهي، قال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا ﴾ [٣٣/ الأحزاب/ ٧٢] أي: حَذِرْنَ؛ لعظم خطرها عند الله تعالى؛ لأنّها أمانة التكاليف المشروعة من الأوامر والنواهي بلا زيادة ولا نقصان، على وجه الإخلاص. ثمّ قال تعالى: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ [٣٣/ الأحزاب/ ٧٢] أي: تكفّل لله تعالى بالقيام بها على الوجه المشروع كما قال سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ [٨٩/ البينة/ ٥]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي: الإنسان ﴿ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [٣٣/ الأحزاب/ ٧٣]، أي: كثير الظلم لمنع ما تحمله، أو تنقيصه كثير الجهل لما هو عليه، ولما هو المطلوب منه. وقوله

(حتّى كَلِفْتُ): بكسر اللام، أي: تولّعت، قال في القاموس: «كَلِفَ بِهِ كَفَرِح: أُولِع، والكَلِف بالكسر : الرجل العاشق. وقوله (بكُلْفَتِي): بضمّ الكاف، أي: مشقّتِي ومجاهدتي، فصرت متولّعاً بها بحيث لا أقدر على تركها من محبّتي لها.

٢٠١- وَأَذْهَبْتُ فِي تَهْذِيْبِهَا كُلَّ لَذَّةٍ بِإِبْعَادِهَا عَنْ عَادِهَا فَاطْمَأَنَّتِ

(وأذهبت): أي أزلت، من ذهب به: أزاله، كأذهبه. وقوله (في تهذيبها): أي النفس. هَذَّبَه، بالتشديد: خلّصه وأصلحه. وقوله (كلّ لذة): مفعول أذهبتُ، أي: شهوة من شهوات الدنيا بأنْ تركت الشهوات، وكلّ ما لنفسي فيه غرض حتى تهذّبت نفسي، وصارت مُهَذَّبَة. وقوله (بإبعادها): أي إبعاد نفسي. والجار والمجرور متعلّقان بأذهبت. والإبعاد: التنحية، أبعده الله: نحّاه. وقوله (عن عادها): أي النفس. و(العَاد): جمع عادة، قال في القاموس: «العَادَة الدَيْدَن، وجمعه: عَاد وعِيد؛ والمراد عن عاداتها. وقوله (فاطمأنّتِ): بكسر التاء للقافية، أي: صارت نفساً مطمئنّة، من الاطمئنان وهو السكون؛ يعني: إنّها ساكنة على أمر الله تعالى غير مضطربة به؛ وهو النفس الكاملة.

٢٠٢- وَلَمْ يَبْقَ هَوْلٌ دُوْنَهَا مَا رَكِبْتُهُ[1] وَأَشْهَدُ نَفْسِي فِيْهِ غَيْرَ زَكِيَّةِ

(ولم يبق هول): قال في القاموس: «الهَوْلُ المَخَافَة من الأمر، لا يَدْرِي ما هَجَمَ عليه منه، والجمع:/ [١٣٨/أ] أهوال». وقوله (دونها): أي دون نفسي؛ يعني:

(١) في طبعة الشريف الرضي لأمين الخوري (رَكِتُهُ) ولا بأس بذلك؛ بحيث يعود الضمير فيها على النفس التي ألقت عنها الذنوب المخيفة، وطَرَحَتْها، وتخلّصتْ منها، حتّى زَكَتْ كما ذكر في البيت قبله، وصار دأبها العبوديّة التي تحقّقت بالعبودة في البيت بعده. وإنّ معاني ركّ في المعاجم تثبت ما ذهبت إليه؛ فقد قال في الصحاح: «رَكَكْتُ الغلّ في عنقه أرُكُّه رُكّاً: إذا غللتُ يدَهُ إلى عنقه. ورَكَكْتُ الذنبَ في عنقه: إذا ألزمتُه إياه. ورَكَكْتُ الشيءَ بعضه على بعض: إذا طرحته، ورَكَّ الشيءُ، أي: رَقّ وضَعُفَ، ومنه قولهم: اقطعْهُ حيث رَكَّ، والرَّكِيْكُ الضَّعِيْفُ». انظر البيت في جلاء الغامض في شرح ديوان ابن الفارض لأمين خوري ص٨٢.

عندها. وقوله (ما ركِبْتُهُ): أي الهول، بمعنى: علوته واقتحمته في تهذيبها وتخليصها، حتى صارت مطمئنّة. وقوله (وأَشْهَدُ): الواو للحال، وأشهد: أي أرى. (نفسي فيه): أي في حال ارتكاب ذلك الهول أو في ذلك الهول. (غير زَكِيَّةٍ): أي ليست نفساً مزكّاة، أي: مطهّرة عن قبائح العادات، ورذائل الأخلاق.

٢٠٣- وَكُلُّ مَقَامٍ عَنْ سُلُوْكٍ قَطَعْتُهُ عُبُوْدِيَّةٌ حَقَّقْتُهَا بِعُبُوْدَةِ

(وكلّ مقام): أصله اسم لموضع القدمين في حال القيام، وأُريد به هنا الحال الحسن شرعاً إذا دام عليه العبد، فإنْ كان غير دائم له فهو حال، وليس بمقام. ومقامات السالكين في طريق الله تعالى كثيرة: كمقام الشكر، ومقام الصبر، ومقام الورع، ومقام التوكّل، ومقام اليقين، ومقام الزهد، ومقام الإخلاص... إلى غير ذلك مما هو في كتب التصوّف. وقوله (عن سلوك): أي دخول في طريق الله تعالى بالمجاهدة الشرعيّة. وقوله (قطعته): أي حصلت عليه وجاوزته. وقوله (عبوديّة): تمييز، أي: عبديّة؛ بمعنى: إقرار بالرِّقّ لله تعالى، وإنّي عبد له. قال في القاموس: «العَبْدِيَّةُ والعُبُودِيَّةُ والعُبُودَةُ والعِبَادَةُ: الطَّاعَةُ» انتهى. وقد فرّقوا بينها اصطلاحاً؛ فالعبادة: فعل ما يرضي الربّ، والعبوديّة: الرضا بما يفعل الربّ. والعَبديّة: الإقرار بالرِّقّ للربّ، والعُبُودَة: الفناء في وجود الربّ. وقوله (حققتها): أي تلك العبوديّة؛ يعنى: تحقّقتُ بها بسبب عُبُودَة، أي: الفناء في الوجود الحقّ.

٢٠٤- وَكُنْتُ بِهَا صَبّاً فَلَمَّا تَرَكْتُ مَا أُرِيْدُ أَرَادَتْنِي لَهَا وَأَحَبَّتِ

(وكنت بها): أي بالمحبوبة الحقيقيّة. وقوله (صَبّاً) : أي متعلّقاً تعلّق عشق، قال في الصحاح: «الصِّبَا ـ يعني بالكسر ـ من الشوق، يقال: فيه تَصَابَى وصَبَا يَصْبُو صَبْوَةً وصُبُوءاً، أي: مال إلى الجهل والفتوّة». وقوله (فلما تركت ما أريد):

أي أعرضت عن جميع مراداتي، كما قيل لأبي يزيد البسطاميّ قدّس الله سرّه في نفسه ماذا تريد يا أبا يزيد؟. فقال: أريد أن لا أريد. فقال الشيخ الأكبر محيي الدين ابن العربي قدّس الله سرّه: لم يتنبه أبو يزيد لما قال؛ فإنّه أراد، ولو قال: أريد ما تريد لكان لم يُعيِّن مراداً. وقوله (أرادتني): أي المحبوبة الحقيقيّة. وقوله (لها): أي لنفسها لا لي، كقوله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾ [٢٠/ طه/ ٤١] ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ [٢٠/ طه/ ٣٩] أي: ذاتي؛ يعني: غطاء عليها، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾ [٨٥/ البروج/ ٢٠] الآية. وقوله (وأحبّت): بتشديد الباء الموحّدة وكسر التاء للقافية معطوف على أرادتني. والمعنى: إنّها أرادتني لنفسها، وذلك لما تركتُ جميع مراداتي فصلحتُ لها، قال الشيخ العارف أرسلان الدمشقيّ قدس الله سرّه: «ما صلحتَ لنا وفيك بقيّة لسوانا». ثمّ إنّه لما صلح لها بنفي الأغيار عنه أحبّته، فكان محبوباً لها، كما قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [٥/ المائدة/ ٥٤] فلولا أنّه يحبّهم ما ظهر فيهم أنّهم يحبونه، ولكن لما ظهر فيهم أوّلاً أنّهم يحبّونه ظنّوا أنّ ذلك منهم، كما قال: (وكنت بها صبّاً) أي: محبّاً لها. ثمّ إنّ تلك المحبّة اقتضت ترك المُحِبّ جميع مراداته. وذلك الترك اقتضى ظهور أنّه تعالى يحبّهم من قبل؛ لأنّ محبّته لهم أزليّة خفيت عنهم أولاً ثمّ ظهرت لهم.

٢٠٥- فَصِرْتُ حَبِيْباً بَلْ مُحِبّاً لِنَفْسِهِ وَلَيْسَ كَقَوْلٍ مَرَّ نَفْسِي حَبِيْبَتِي

(فصرت حبيباً): أي محبوباً؛ يعني: للمحبوبة التي قال عنها في البيت قبله: أرادتني لها وأحبت. ثمّ أضرب عن ذلك فقال (بل محبّاً لنفسه): أي لحقيقته التي هو موجود بها، وذلك بعد فناء نفسه المغايرة للحقيقة الوجوديّة التي هو موجود بها، فهو المحبّ والمحبوب، كما قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه:

حقيقتي همت بها وما رآها بصري

وقوله (وليس/ [١٣٨/ ب] كقول مَرَّ نفسي حبيبتي): أي كالقول السابق في

كلامه قُدّس سرّه على لسان المحبوبة أنّها قالت له على طريقة الإنكار لحاله: «**حليف غرام أنت لكن بنفسه**»[1] لأنّه لم يكن يعرف نفسه حينئذٍ لعدم تحققه بالفناء، فإنّه كان في الاثنينيّة، وقد صار في الوحدة الوجوديّة بفناء من لم يكن، وظهور من لم يزل.

٢٠٦- خَرَجْتُ بِهَا عَنِّي إِلَيْهَا فَلَمْ أَعُدْ إِلَـيَّ وَمِـثْلِي لَا يَقُـولُ بِرَجْعَـةِ

(**خرجت**): أي أعرضت بالكليّة. (**بها**): أي بقوّة أمر هذه المحبوبة الحقيقيّة. وقوله (**عنّي**): متعلّق بـ (**خرجت**)، أي: عن نفسي وجملتي. ولو خرج عن نفسه بنفسه لما أمكنه الخروج، قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه في بعض كتبه: «قُمْ به عليه، لا بك عليه». وقوله (**إليها**): أي خروجاً منتهياً إليها، أي: إلى تلك المحبوبة؛ بحيث لا تبقي له نفساً أصلاً، ولا شيئا من توابعها، وذلك بالكشف والتحقّق بالفناء والاضمحلال كما كان من قبل، قال تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ [١٩/ مريم/ ٩] إشارة إلى خلقه له منه قبل، حيث لا ابتداء له، أي: تقديره كما قال: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [٢٥/ الفرقان/ ٢] فإنّ المُقَدَّر ـ بصيغة اسم المفعول ـ لا وجود له مع المُقَدِّر ـ بصيغة اسم الفاعل ـ وهو الخلق الأوّل الأزليّ الذي قال فيه: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ﴾ ثم قال: ﴿بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [٥٠/ ق/ ١٥] الخلق الجديد هو الملبوس عليهم، وهو نسبة تجلّي وانكشاف الوجود الحقّ لهم بهم، ودعواهم له. والتحقّق بالفناء هو شهود العدم الأصليّ، كما ذكرنا. ومعرفة أنّ التقدير لا يحتاج إلى الإيجاد بالوجود؛ لأنّ الإيجاد بالوجود مجرد توهّم والتباس عليهم. والتوهّم والالتباس تقدير من الوجود الحقّ سبحانه يتصف بذلك التوهّم والالتباس العبد المتوهّم المتلبس عليه، وذلك الفناء والاضمحلال إنْ كان من العبد السالك بقوّة نفسه فإنّه لا يحصل له أصلاً وإنْ أجهد نفسه كلّ الإجهاد؛ لأنّ

---

(١) انظر البيت ٩٨.

نفسه عدم مقدّر كما ذكرنا؛ فالحاصل بها فناء، هو عدم مقدّر مثلها، وهو التخيّل النفسانيّ، ما هو الكشف الربّانيّ. وإنْ كان ذلك الفناء من العبد السالك بقوّة ربّه لا بقوّة نفسه فهو الكشف الحقيقيّ بالوجود الحقّ عن الوجود الواحد الأحد. وقوله (فلم أعد): أي لم أرجع بعد ذلك. (إليّ): بتشديد الياء التحتيّة، أي: إلى نفسي التي خرجت عنها، كما ذكرنا. ثمّ قال (ومثلي): أي وعارف كامل يشبهني. (لا يقول برجعةٍ): أي برجوع عن هذا التحقيق والعرفان؛ يعني: برجوع إلى دعوى الوجود مع الوجود الحقّ عن قصد وتعمّد، وإلّا فالرجوع الحاصل عن غلبة الضرورة البشريّة لأجل حكمة التكاليف الشرعيّة، والقيام بالأحكام الربّانيّة كما كان النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في وقت الإنذار والتبشير يرجع إلى بشريته؛ لأنّه بشر، قال تعالى له: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [١٨/ الكهف/ ١١٠] الآية. وقال عليه السلام: «إنّه ليغان على قلبي، وإنّني لأستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة»[1] وفي رواية مئة مرّة، لأنّه كان صلّى الله عليه وسلّم بعد ذلك يعدّ ذلك من الذنوب من قبيل قولهم: «حسنات الأبرار سيئات المقربين»، وقال تعالى له عليه السلام: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ [٦٤/ الانشراح/ ٧-٨] أي فرغت مما أمرناك به من: التبليغ، والإنذار، والتكاليف؛ فاتعب بالمجاهدة النفسانيّة، والرجوع إلينا، وذلك قوله: ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ [٦٤/ الانشراح/ ٨].

٢٠٧- وَأَفْرَدْتُ نَفْسِي عَنْ خُرُوْجِي تَكَرُّمَاً فَلَمْ أَرْضَهَا مِنْ بَعْدِ ذَاكَ لِصُحْبَتِي

(وأفردت نفسي): أي جعلت نفسي التي خرجت عنها مفردة قائمة بي وأنا قائم عليها/ [١٣٩/ أ] بها أكسبت، كما قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [١٣/ الرعد/ ٣٣] وذلك لأنّ حقيقتي ظهرت لحقيقتي على ما هي عليه في غيبها بعد فنائي فيها كما ذكرنا. وقوله (عن خروجي): أي خروجي عنها الذي

---

(١) انظر تخريجه ص٣٧٥.

كان منّي في الحال الأوّل؛ فانفصل عن حقيقتي خروجي عن نفسي أيضاً؛ لأنّه صفة من صفات نفسي. وقوله (**تكرّماً**): تمييز، أي: من جهة تكرّمي، أي: تكرّم حقيقتي على نفسي التي خرجت عنها وأفردتها، وخرجت أيضاً عن خروجها ذلك؛ ليتمّ لها وصفها الذي قدّر لها كما قدّرت له، وتكون حقيقتي منزّهة عن الأكوان المخلوقة المقدّرة، وعن جميع صفات الأكوان، وهذا هو الكرم الفيّاض، والنعمة الكاملة التي ذيلها فضفاض. وقوله (**فلم أرضها**): أي لم أرض نفسي التي خرجت عنها وأفردتها، ولا الصفة التي هي من صفاتها. وقوله (**من بعد ذاك**): أي الخروج المذكور والإفراد. (**لصحبتي**): أي مصاحبة لي لتحقّقي بفنائها، وفناء أوصافها جميعها، وذلك قول الشيخ الأكبر، قدّس الله سرّه:

إنّما الكون خيال ... وهو حقّ في الحقيقة

كلّ من يعرف هذا ... حاز أسرار الطريقة

فإنّ قوله (**إنّما الكون خيال**): أراد بالخيال الفاني المضمحل، الذي هو مجرّد تقدير وتصوير، والوجود ليس له في نفس الأمر وإنْ كان منسوباً إليه عند العقول المتوهّمة الملبس عليها الأمر. وقوله (وهو حقّ): أي الكون حقّ من جهة أنّه وجود حقّ، منزّه، مقدّس عن جميع ما يقدّره ويصوّره من العدميّات، وذلك من قوله (في الحقيقة): أي فيما يظهر للعقول من ظاهر الحال.

٢٠٨- وَغُيِّبْتُ عَنْ إفْرَادِ نَفْسِي بَحَيْثُ لَا ... يُزَاحِمُنِي إبْدَاءُ وَصْفٍ بَحَضْرَتِي

(**وغُيِّبْتُ**): بضم الغين المعجمة وتشديد الياء التحتيّة مكسورة وسكون الباء الموحّدة، أي: حقيقتي رجعت إلى ما هي عليه من غيبتها الأصليّة بلا صنع منّي. وقوله (**عن إفراد نفسي**): الذي حصل لي في الحال في الأوّل، وذلك لأنّ الإفراد المذكور هو أيضاً من صفات نفسي المقدّرة هي وصفاتها. ثمّ قال (**بحيث لا يزاحمني**): أي في حقيقتي الوجوديّة. (**إبداء**): أي إظهار وصف منه أوصافي

أصلاً. وقوله (بحضرتي): أي في حضرتي من حيث أنّي مجرّد منزّه عن جميع الأكوان وسائر صفاتها. ومن المعلوم أنّ الذات الكونيّة إذا انكشف فناؤها ظهر وجود الحقيقة الأزليّة. والصفات الكونيّة أيضاً إذا انكشف فناؤها ظهرت الصفات الربّانيّة على التنزّه التامّ، وكان ذلك الانكشاف والظهور لها لا لسواها، قال عفيف الدين التلمسانيّ قُدِّس سرّه:

أرى رسمها في الحبّ عوض عن رسمي ... فما بالهم في الحيّ يدعونني باسمي

وهل بعد ضوء الشمس يبدو لك الرجا ... وهل عندها يبقى على الأفق من نجم

إذا ما دعا الدّاعي بعلوة فاستجب ... ولكن إذا أفتتك عنك على علمِ

إلى آخر الأبيات. وهو من قوله: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [١٧/الإسراء/ ٨١] وقوله صلّى الله عليه وسلّم في الحديث الصحيح: «أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد: ألا كلّ شيء ما خلا الله باطل»[١] أخرجه مسلم في صحيحه بالروايات المتعدّدة. ومعلوم أنّ الباطل خلاف الحقّ، وهو الأمر الفاني الهالك المضمحل. وقد ورد أنه صلّى الله عليه وسلّم كان يقول: «لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرّب ولا نبي مرسل»[٢] يعني: فضلاً عن غيرهما من الأكوان.

وقد أشار ابن الكمال رحمه الله تعالى في رسالته في الروح إلى أنّه صلّى الله عليه

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الشعر، باب: حدّثنا عمرو الناقد، ٦٠٢٩. وللحديث أطراف أخرى عند أحمد والبخاريّ والترمذيّ وابن ماجه.

(٢) ذكره العجلونيّ في الكشف، ٢١٥٩، وقال: تذكره الصوفيّة كثيراً، وهو في رسالة القشيري، بلفظ: «لي وقت لا يسعني فيه غير ربّي». وقريب منه ما رواه الترمذي في شمائله، وابن راهويه في مسنده عن عليّ من حديث: «كان صلّى الله عليه وسلّم إذا دخل منزله جزّأ دخوله ثلاثة أجزاء، جزءاً لله ، وجزءاً لأهله، وجزءاً لنفسه. ثمّ جزّأ جزأه بينه وبين الناس». كذا في اللآلئ. وزاد فيها: ورواه الخطيب بسند قال فيه الحافظ الدمياطيّ: إنّه على رسم الصحيح.

وسلّم أراد بالملك المقرّب جبريل، وبالنبيّ المرسل نفسه عليه السلام، وهو ما ذكرناه للورثة المحمّديين شربٌ من ذلك./ [١٣٩/ ب]

٢٠٩- وَهَا أَنَا أُبْدِي فِي اتِّحَادِيَ مَبْدَئِي   وَأُنْهِي انْتِهَائِي فِي تَوَاضُعِ رِفْعَتِي(١)

(وها): الواو للاستئناف. وكلمة **(ها)**: بالقصر، كلمة تنبيه. وقوله **(أنا أُبدي)**: بضمّ الهمزة، أي: أُظهر. وقوله **(في اتّحادي)**: أي ظهر أنّي والمحبوبة الحقيقيّة حقيقة واحدة، ووجود واحد، لا تركيب في ذلك، ولا تجزيء، ولا تبعيض، ولا اتّصاف بشيء من أوصاف الأكوان مطلقاً. وهو ما ذُكر في الأبيات قبله. وقوله **(مبدئي)**: مصدر ميمي، وهو بضمّ الميم وفتحها وفتح الدال المهملة فيهما، كما في القاموس، أي: ابتداء ظهور ذلك الاتّحاد المذكور وانكشافه. وقوله **(وأُنهي)**: بضمّ الهمزة، معطوف على أُبدي، وهو فعل مضارع من الإنهاء، وهو الإعلام. وقوله **(انتهائي)**: مصدر انتهى، أي: فرغ ووصل إلى غايته. وقوله **(في توا ضع)**: أي انخفاض. **(رفعتي)**: أي مقامي الرفيع، وذلك أنّ أسفار السالكين إلى الله تعالى أربعة، **الأوّل**: سفر السالكين من الخلق إلى الحقّ بالفناء عمّا سواه سبحانه. **والثاني**: سفر الحقّ إلى الحقّ بالتحقّق به سبحانه، والتنزّه عن الأكوان وصفاتها بالكليّة. **والثالث**: الحقّ إلى الخلق بالتنزّل في مراتب الأسماء الإلهيّة والصفات الربّانيّة . **والرابع**: سفر الخلق إلى الخلق بالمعرفة الكاملة، والحقيقة الشاملة؛ وهو النزول بظهور الآثار وانصباغها بوجود الواحد القهّار، كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾ [٢/ البقرة/١٣٨] وهو قولهم: «النهاية رجوع البداية». وهو ميراث المرسلين من أولي العزم المشار إليه بقول النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «ينزل ربّنا كلّ ليلة إلى سماء الدنيا..»(٢) الحديث. وقوله:

---

(١) ترتيب رقم هذا البيت في (ق): ٢١٣، ثمّ البيت الذي مطلعه جلت ترتيبه فيها ٢١٤.

(٢) ذكره في الجمع بين الصحيحين: البخاري ومسلم باب: المتّفق عليه من مسند أبي هريرة، ٢٢٥٧.

«لو دليتم بحبل لهبط على الله...»(1) وقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [10/ يونس/ 101] وقوله: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [6/ الأنعام/ 3] الآية. ولكن هذا المقام عزيز، ولا يفهمه على ما هو عليه إلّا الكاملون، والورثة المحمّديّون.

210- جَلَتْ فِي تَجَلِّيْهَا الوُجُودَ لِنَاظِرِي فَفِــي كُــلِّ مَرْئِــيٍّ أَرَاهَــا بِرُؤْيَتِــي

(جَلَتْ): بالجيم، أي: كشفت وأظهرت. وقوله (في تجلّيها): أي انكشافها وظهورها. وقوله (الوجود): أي الحقيقة الواحدة القائمة بنفسها، المقوِّمة لكلّ شيء من محسوس، ومعقول، وموهوم، التي بها كلّ موجود من جميع ما ذكر موجود؛ فانَّ كلّ شيء موجود لا بدّ أنْ يكون له وجود هو به موجود، والشيء نفسه معدوم، لا وجود له من نفسه؛ وإنّما وجوده من ذلك الوجود الواحد الأحد؛ بل وجوده الذي هو به موجود هو بعينه ذلك الوجود الواحد الأحد، وهو الحقيقة الذاتيّة المتحقّقة بنفسها. وكلّ ما سواها ممّا ذكرنا معدومات مقدّرة هي تقديراتها العدميّة، وتصويراتها الإمكانيّة، يتوجه هذا الوجود الحقّ الواحد الأحد بالشيء؛ أي: المشيوء، بمعنى: الذي يشاء، وهو معلوم في علمه الأزليّ فيظهر ذلك الشيء، وهو على ما هو عليه من عدمه الأصليّ في نفسه بسبب إشراق نور الوجود الحقّ عليه من غير أنْ يستفيد ذلك الشيء المعدوم من توجّه ذلك الوجود به وجود أصلاً؛ لأنّه جلّ وعلا لم يلد ولم يولد؛ فإنّه لو استفاد وجوداً لكان ذلك الوجود متولّداً من الوجود الحقّ، وهو محال. قال تعالى: ﴿لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [37/ الصافات/ 152] فالشيء على ما هو عليه من عدمه الأصليّ، والوجود الحقّ على ما هو عليه من وجوده القديم الأزليّ. ثمّ إنّ ذلك

---

(1) قطعة من حديث طويل، أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، 283.

التوجّه المذكور بالشيء يسمى وجه الله كما قال تعالى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [٢٧/القصص/٨٨] أي: إلّا ذاته المتوجّهة بذلك الشيء. والهالك هو: الفاني المضمحل، وفي الحديث النبويّ «كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه»[1]/ [١٤٠/ أ] كان. وقوله (ناظري): أي لعيني التي أنظر بها. ثمّ قال (ففي كلّ مرئيٍّ): بتشديد الياء التحتيّة، أي: مرئيّ من المرئيات، أي: المدركات بالحسّ أو العقل. (أراها): أي هذه المحبوبة الحقيقيّة التي هي حقيقة الوجود الحقّ كما ذكرنا. وقوله (برؤيتي): أي بما أرى به كلّ شيء. ومنه قول الصدِّيق الأكبر رضي الله عنه: «ما رأيت شيئاً إلّا رأيت الله فيه» أي: في ذلك الشيء، ولا شيء، فلا حلول ولا اتحاد، والله بصير بالعباد.

٢١١- وَأُشْهَدُ عَيْنِي[2] إِذْ بَدَتْ فَوَجَدْتُنِي هَنَالِكَ إِيَّاهَا بِجَلْوَةِ خَلْوَتِي

(وأُشْهَدُ): بضمّ الهمزة، مبني للمفعول، أي: أشهدتني المحبوبة الحقيقيّة. (عَيْنِي): أي نفسي وذاتي، فتحقّقت بمعرفة نفسي وذاتي. وقوله (إذْ): أي حين. (بدت): أي ظهرت وتجلّت لي؛ يعني: للمحبوبة الحقيقيّة. وقوله (فوجدتني): أي فوجدت نفسي وذاتي. وقوله (هنالك): إشارة إلى الحين الذي ظهرت فيه. وقوله (إيّاها): بتشديد الياء التحتيّة، أي: نفسها وذاتها. ومعلوم أنّها إذا ظهرت وتجلّت لا يبقى معها شيء موجود أصلاً؛ فيتحقّق الاتّحاد في الوجود، لا في التقديرات العدميّة التي هي المخلوقات، والذين يمنعون الاتّحاد ينسبون الوجود للمخلوقات، ويقسمون الوجود إلى قديم وحادث. ومعلوم أنّ الوجود إذا كان على قسمين، وجود قديم، ووجود حادث يمتنع أنْ يتحد أحدهما بالآخر، أو يحلّ

---

(١) انظر تخريجه ص٤٦١.
(٢) وأُشهِدتُ عَيْنِي.

أحدهما في الآخر، أو ينحلّ أحدهما من الآخر عقلاً وشرعاً، ويستحيل ذلك جملة واحدة. وأمّا إذا كان الوجود واحداً كما ذكرنا، والمخلوقات كلّها منسوبة إليه؛ لأنّها تقاديره ومنفَعَلاته، وآثار أسمائه وصفاته، وهي كلّها شؤون عدميّة في نفسها كما قال سبحانه: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ٢٩]؛ فالاتّحاد في الوجود أمر محقّق، لا شبهة فيه عند العارفين، والكثرة والتعدّد في التقادير العدميّة، والشؤون والآثار دون الوجود، والوجود هو الظاهر في كلّ شأن كما قلنا في مطلع قصيدة لنا:

إنّــــما نحــــن للإلــــه شــــؤون	فهــــو فينــــا في كــــلّ آن يكــــون
نزلــــت شمــــسه المنــــازل منّــــا	فظهــــور لــــه بنــــا وبطــــون

إلى آخر الأبيات في ديواننا، وقد حقّقنا في هذه المسألة في كتابنا في وحدة الوجود كتاب: «الوجود الحقّ والخطاب الصدق»[1]. وقوله (بجلوة): بالجيم متعلّق بوجدتني. (وخلوتي): بالخاء المعجمة مضاف إليه. قال في القاموس: «جَلَا العروسَ على بعلها جَلْوَةً، ويثلّث، وجِلَاء ككِتاب. واجْتَلَاهَا: عَرَضَهَا عليه مَجْلُوَّةً» والمعنى: شهدت وتحقّقت حقيقتي، هي حقيقة المحبوبة المذكورة حين جُلِيَتْ عليَّ مثل جَلْوَة العروس على بعلها في حال خَلْوَتِي بها، حال: خلا معه وبه خَلَاءً وخَلْوَةً: اجتمع به في موضع خالٍ لا نراهم فيه. ومعنى الخَلْوَة هنا: الكشف عن فناء الأغيار، حتى فناء نفسه، بحيث لم يبقَ شيء موجود غير تلك المحبوبة المذكورة؛ فهي المجتمِع، والمجتمَع معه، ولا ثاني هناك؛ فهو العارف والمعروف، والذاكر والمذكور. وزال البين من البين، وقرّت العين بالعين. وهذا هو الوصال الذي يطلبه السالك كالفَراش؛ لما يلقي نفسه في النار، ليتَّحد بها، وتزول الاثنينيّة من بينها؛ بل أقوى طلباً لذلك من الفَراش؛ لأنّ الفَراش لا تعلّق له بالنار، لأنّ النار ليست ممدّة له، ولا هو مخلوق منها.

---

(١) انظر كتاب الوجود الحق للشيخ عبد الغني النابلسي، تحقيق د. بكري علاء الدين، الفصل الخامس والتاسع والرابع عشر.

وأمّا السالك فإنّه متعلّق بالفاعل الخالق؛ لأنّه مخلوقه، وهو فعله واستمداده منه في جميع أحواله؛ فاتّحاده به بعد فناء المغايرة أولى وأحقّ.

٢١٢- وَطَاحَ وُجُوْدِيْ فِيْ شُهُوْدِيْ وَبِنْتُ عَنْ
وُجُـوْدِ شُـهُوْدِيْ مَاحِيَـاً غَـيْرَ مُثْبِـتِ

(وطاح): بالحاء المهملة، يَطوحُ ويَطِيحُ: هلك، أو أشرف على الهلاك، وذهب، وسقط، كذا في/ [١٤٠/ ب] القاموس. وقوله (وجودي): أي الذي كنت أجد أنه لي، وأَشهد نفسي موجودة به. وقوله (في شهودي): أي معاينتي الأمر على ما هو عليه في نفس الأمر من غير التباس. وقوله (وبِنْتُ): أي بعُدتُ، وتجاوزت عن وجود شهودي ذلك المذكور أيضاً؛ فإنّ ذلك الشهود كان مجرّد تقدير عدمي مثلي لأنّه صفة من صفاتي، ولا وجود لي ولا لشيء من صفاتي. وقوله (ماحياً): حال من فاعل بِنْتُ، وهي التاء، ضمير المتكلّم. والمحو ضدّ الإثبات. مَحَاهُ يَمْحُوهُ ويَمْحَاهُ: أذهب أثَرَه، كذا في القاموس، قال تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ [١٣/ الرعد/ ٣٩] والله عَلَمٌ على الذات المستجمِع لجميع الأسماء والصفات؛ فالمَحْو: الاستتار، والإثبات: التجلّي، ولم يزل الحقّ تعالى، وهو الوجود الذاتيّ الحقيقيّ، يتجلّى فيثبت بتجلّيه ما تجلّى عليه من معلوماته المقدّرة على مقتضى مشيئته القديمة، ويمحو بمشيئته من ذلك ما استتر هو تعالى عنه. وقوله (ماحياً): أي لشهودي من حيث حقيقتي التي محت غير مثبت لما محته من جميع الأشياء.

٢١٣- وَعَانَقْتُ مَا شَاهَدْتُ فِي مَحْوِ شَاهِدِي بِمَشْهَدِهِ لِلْصَّحْوِ مِنْ بَعْدِ سَكْرَتِي

(وعانقت): أي التزمت. (ما شاهدت): أي الذي شاهدته وكشفت عنه. وقوله (في محو شاهدي): أي زوال واضمحلال الذي شهد منّي؛ يعني: في وقت ذلك المحو، بحيث صارت حقيقتي هي حقيقة ذلك الذي شهدته في وقت محو الشاهد منّي، قال تعالى: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ [٨٥/ البروج/ ٣] وقال: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا

تُبۡصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ﴾ [٦٩/ الحاقة/ ٣٨ ـ ٣٩] فما لا تبصرون هو المبصرون؛ لأنّ المبصر منّا لا يبصر نفسه، وما أقسم تعالى بغيره فيما ذكرنا وما لم نذكر، كما قاله الشيخ الأكبر بن العربي قدّس الله سرّه. وقوله (**بمشهده**): بصيغة اسم الفاعل، وهو الحقّ تعالى، والمجرور متعلّقان بمحو؛ فإنّه ما محا شاهده إلّا بقوّة الذي أشهده، لا بقوّة نفسه، قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه: «قم به عليه لا بك عليه» والضمير لشاهدي. وقوله (**للصحو**): أي لأجل الصحو الحاصل لي من بعد) **سكرتي**): أي غيبتي التي كانت لي وقت السلوك من عدم التحقّق بحقيقة ملك الملوك. ولقد تكلّمت مرّة مع مغلوب عليه بالجذب الإلهيّ فقال لي: «أنتم تؤكِّدون ونحن لا نؤكّد» يريد أنتم تحقِّقون ونحن لا نحقِّق.

٢١٤ – فَفِي الصَّحْوِ بَعْدَ المَحْوِ لَمْ أَكُ غَيْرَهَا   وَذاتي بِذاتي إذْ تَجَلَّتْ تَحَلَّتِ

(**ففي الصحو**) : أي في حال الصحو وزوال الاستغراق. وقوله (**بعد المحو**): أي بعد الفناء والاستغراق في الوجود الحقّ لا الصحو الذي هو قبل ذلك؛ فإنّه في غفلة واشتغال بعالم الأكوان، وتضمخ بنجاسات الأغيار، وحدث الحوادث؛ ولهذا قلنا في مطلع قصيدة لنا:

إنّ الفنا طهارة الإنسان   لصلاة معرفة القريب الداني

وقوله (**لم أكُ**): أي لم أكن. (**غيرها**): أي غير المحبوبة الحقيقيّة، لأنّه فني منّي ما يغايرها، فظهرت حقيقتي لصلاة معرفتها، قال تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ﴾ [٥٦/ الواقعة/ ٧٦] أي: القرآن الذي قال تعالى عنه: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ﴾ [٨٥/ البروج/ ٢٠] أي: الله الذي هو من ورائهم محيط. ﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ﴿٢١﴾ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ﴾ [٨٥/ البروج/ ٢١-٢٢] أي: طاهر فيه بما فيه إلّا المظهرون بالمحو والفناء والاضمحلال بالكليّة. وقوله (**وذاتي**): أي حقيقتي التي هي محض الوجود الحقّ المطلق عن جميع القيود حتى عن قيد الإطلاق. وقوله (**بذاتي**): متعلّق (**بتحلت**): بالحاء المهملة آخر البيت، أي:

بمجموع القيود الظاهرة بمحض الوجود. وقوله (إذ): أي حين (تجلّتِ): بالجيم، أي: انكشفت ذاتي الوجوديّة التي هي/[١٤١/أ] هي محض الوجود المذكور. وقوله (تحلّتِ) بالحاء المهملة، أي: لبست الحلية، وهي الزينة؛ فإنّ الوجود متزيّن بالقيود، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ ﴾ [٧/ الأعراف/ ٣٢] أي: العارفين به، المتحقّقين بحقيقته. وأمّا قوله:﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [١٨/ الكهف/ ٤٦] فذلك في حقّ الغافلين الجاهلين به تعالى، ولنا موشّح في هذا المعنى قولنا:

كـــلّ شيء عقـــد جـــوهره حليـــة الحـــسن المهيـــب

٢١٥- فَوَصْفِيَ إِذْ لَمْ نُدْعَ بِاثْنَيْنِ وَصْفُهَا وَهَيْئَتُهَـا إِذْ وَاحِـدٌ نَحْـنُ هَيْئَتِـي

(فوصفي): أي كلّ وصف أنا موصوف به هو (وصفها): أي المحبوبة الحقيقيّة من حيث اسمها الظاهر بالقيود المقدّرة، والحدود، والكيفيّات، المفروضة، لا من حيث اسمها الباطن؛ فإنّها من هاتيك الحيثيّة، لا توصف بوصف أصلاً، قال تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [٣٧/ الصافات/ ١٨٠] أي: عن جميع الأوصاف، ثمّ قال تعالى:﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [٣٧/ الصافات/ ١٨١] أي: أمان منّا عليهم فيما يصفون به ربّهم؛ لأنّهم لا يصفونه إلّا بما وصف به نفسه عندهم، رحمته بهم وبأمثالهم من المخلوقين، ولهذا قال بعده: ﴿ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [٣٧/ الصافات/ ١٨٢] أي: الشكر له على صفة ربوبيّته للعالمين التي اقتضت الاتّصاف بالأوصاف الواردة على ألسنة المرسلين تعريفاً به سبحانه؛ فإنّ وجوده الحقّ المطلق لمّا ظهر بالقيود العدميّة عند القيود العدميّة، وهوعلى ما هو عليه من إطلاقه الحقيقيّ كان ذلك نعمة عليهم من أكمل النعم، فصاروا إذا عرفوا أنفسهم عرفوه، وإذا جهلوا أنفسهم جهلوه؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾ [٥/ المائدة/ ١٠٥] أي: الزموا معرفتها لتعرفوا ربّكم. وقال تعالى: ﴿ مَنِ

ٱهۡتَدَىٰ﴾ [١٧/إسراء/١٥] أي وصل إلى معرفة ربّه ﴿فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦ﴾ [١٧/الإسراء/١٥] أي: لمعرفة نفسه. ﴿وَمَن ضَلَّ﴾ فلم يعرف ربّه ﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَا﴾ [١٧/الإسراء/١٥] أي: على معرفة نفسه. وقال سبحانه: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [٥١/الذاريات/٢١] فإنّ من عرف الفاني عرف الباقي، ومن عرف العاجز عرف القادر، وهكذا... فظهر سبحانه بالحياة، والعلم، والقدرة. والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام، وغير ذلك من أوصاف العباد، وميّز العباد عنه بالموت، والجهل، والعجز، والقهر، والصمّ، والعمى، والبكم. وغير ذلك ظهوراً وتمييزاً، لا خفاء فيه، فكان ظهوره بأوصاف الكمال فقط عند الناقصين من الغافلين، وظهوره بجميع الأوصاف عند الكاملين العارفين، فإنّ الظاهر بالحياة عندهم ظاهر بالموت أيضاً، والظاهر بالعلم ظاهر بالجهل أيضاً عندهم، وكذلك الظاهر بالقدرة والإرادة ظاهراً أيضاً بالعجز والقهر. والظاهر بالسمع والبصر والكلام ظاهراً أيضاً عندهم بالصمّ والعمى والبكم اقتداراً إلهيّاً في الكلّ. وإنْ لم يوصف بذلك ظاهراً فإنّ الوجود الحقّ موصوف بجميع ما اتّصف به مما يقال عنه موجود، وهذا عند العارف المحقّق من باطن الأمر عند أولي الأمر لا عند أهل الظاهر الذين قال تعالى في حقّهم: ﴿يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ﴾ [٣٠/الروم/٧] فكلّفهم الله تعالى بوسعهم في المعرفة من حيث ما عندهم، وكلّف الكاملين بوسعهم في المعرفة من حيث ما عندهم. والكلّ شَرْعٌ وبيانٌ إلهيّ، ورد على ألسنة المرسلين، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾ [٢/البقرة/٢٨٦] وقال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [٦٤/التغابن/١٦] وقال سبحانه: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [٣/آل عمران/١٠٢] في شأن الكاملين، كما قال سبحانه: ﴿قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ﴾ [٣٢/السجدة/١١] وهو في حقّ الغافلين الناظرين إلى الأسباب الظاهرة، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا﴾ [٢٩/الزمر/٤٢] وهو في حقّ العارفين المحقِّقين، وهكذا ورد الشرع الحقّ عن/[١٤١/ب]

الشارع فلا معاند، ولا منازع. وقوله (إذْ): تعليليّة. (لم نُدْعَ): بضمّ النون، فعل مضارع مبني للمفعول، من دعاه باسم كذا: سمّاه به، قال في القاموس: «دعوته زيداً، وبزيدٍ سمّيته به». وقوله (باثْنَيْنِ): متعلّق بنُدعَ، والجملة معترضة بين المبتدأ والخبر للتعليل؛ والمعنى: لأننا حينئذٍ لم نسمَّ باثنينِ لأنّه هو الوجود الحقّ المطلق، وأنا قيوده العدميّة الصادرة عنه بإرادته ومشيئته على مقتضى علم السابق بنفسه في الأزل، وليس للقيود المذكورة وجود آخر غير وجوده سبحانه حتى يكون وجودان فندعي باثنينِ، فإنّ الثَّنْوِيَّةَ تقتضي وجودين مستقلّين، لا وجوداً واحداً له تحقّق في نفسه، وله ظهور لغيره من القيود بغيره من القيود؛ فإنّه حينئذٍ لا ثَنْوِيَّةَ فيه، وهذا كلّه عند الكاملين دون القاصرين من المحجوبين. وقوله (وهيئتها): أي المحبوبة الحقيقيّة؛ يعني: مجموع أوصافها، وأسمائها، وأفعالها، وأحكامها، لا الهيئة بمعنى الشكل المحسوس. وقوله (إذْ): تعليليّة أيضاً. (واحداً نحن): أي أنا وإياها وجود واحد، وما عدا الوجود عدم محض من جميع القيود الحسيّة والعقليّة.

وقوله (هيئتي): خبر المبتدأ، أي: هيئتها هي هيئتي؛ لأنّي أنا وإيّاها وجود واحد لا تعدّد له، ولا انقسام ولا تجزيء ولا تبعيض. والقيود العدميّة كلّها تقاديره وتصاويره ظهر بها لبعضها من البعض، واختفى بها عن بعضها من البعض، وكان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان، كما ورد في الحديث.

٢١٦- وَإِنْ دُعِيَتْ كُنْتُ الُمجِيْبَ وَإِنْ أَكُنْ مُنَادىً أَجَابَتْ مَنْ دَعَانِي وَلَبَّتِ

(وإنْ دُعيت): بضمّ الدال المهملة، فعل ماض مبني للمفعول، والتاء الساكنة للتأنيث، أي: دعا المحبوبة الحقيقيّة داعٍ من الناس أو غيرهم. وقوله (كنتُ): بضمّ التاء، ضمير المتكلِّم، (المجيب): أي لمّا دعاها، لأنّي وإيّاها واحد. وقوله (وإنْ أكن مُناديً): بصيغة المفعول، أي: ناداني أحد من الناس أوغيرهم. وقوله (أجابتِ): أي تلك المحبوبة الحقيقيّة. وقوله (مَنْ): أي الذي، مفعول أجابت.

وقوله (دعاني): صلة الموصول. وقوله (لبّتِ): بتشديد الباء الموحّدة وتحريك التاء المثنّاة الفوقيّة بالكسر للقافية، معطوف على أجابت، ومعنى لبّى - بالتشديد - أجاب تأكيد له.

٢١٧- وإنْ نَطَقَتْ كُنْتُ المُنَاجِي كَذَاكَ إنْ قَصَصْتُ حَدِيْثاً إنَّمَا هِيَ قَصَّتِ

(وإنْ نطقت): أي تكلّمت. يعني: المحبوبة الحقيقيّة، قال في القاموس: «نَطَقَ يَنْطِقُ نُطْقاً ومَنْطِقاً ونُطُوقاً: تكلّم بصوت وحروف تُعْرَف بها المعاني». فإذا كانت تلك الحروف والأصوات التي نطق هو بها مثله فانية في الحقيقة الوجوديّة، فكلامها عينها، وهو ليس بحروف، ولا أصوات وإنْ ظهر عندنا بحروف وأصوات من جنس حروفه وأصواتنا؛ ولهذا قال (كنت المناجي): بصيغة اسم الفاعل من ناجاه مناجاة: سارّه، والقوم تناجوا: تسارّوا، أي: كنت أنا وإيّاها أسارّها بعين ما نطقت به هي، قال عفيف الدين التلمسانيّ قدّس الله سرّه:

ولا تنطقوا حتى تروا نطقها بكم يلوح لكم منكم فتلكم شؤونها

ولم يكن الفرق بين نطقها ونطقه إلّا ظهور الحروف والأصوات، وهي المادّة اللفظيّة. كما أنّ الفرق بينها وبينه مجرّد الصورة الروحانيّة، والصور الجسمانيّة، وهي المادّة الكونيّة. فإذا فني من لم يكن ظهر من لم يزل؛ وهو الاتّحاد الصحيح مراد الناظم قدّس الله سرّه. وقوله (كذاك): أي مثل ما /[١٤٢/أ] ذكر في النطق. (إن قصصتُ حديثاً): أي خبراً، قال في القاموس: «قَصَّ الخبرَ: أعلمه». وقوله (إنّما هي): أي المحبوبة الحقيقيّة. (قَصَّتِ): بكسر التاء للقافية، وذلك بعد فناء المواد التي تقع المغايرة بينه وبينها كما ذكرنا.

٢١٨- فَقَدْ رُفِعَتْ تَاءُ المُخَاطَبِ بَيْنَنَا وفِي رَفْعِهَا عَنْ فُرْقَةِ الفَرْقِ رِفْعَتِي

(فقد): الفاء للتفريع على ما قبله. وقوله (رُفِعتْ): أي أزيلت، قال في القاموس: «رَفَعَهُ كَمَنَعَه، ضدّ وَضَعَهُ». وقوله (تاء المخاطب): بصيغة اسم المفعول، أي: الذي يخاطب غيره وهي التاء المفتوحة، فيقول له: فعلتَ وقلتَ،

بفتح التاء. وقوله (بيننا): أي بيني وبين المحبوبة الحقيقيّة؛ وإنّما رُفعتْ التاء بينهما لأنّهما رجعا حقيقية واحدة باتّحادها بعد فناء المواد الروحانيّة والجسمانيّة كما مرّ. ثمّ قال في (رفعها): أي التاء المذكورة. وقوله (عن فِرقَةٍ): بكسر الفاء، وهي الطائفة من الشيء. و(الفَرْق): بفتح الفاء وسكون الراء، مصدر فَرَقَ بينهما فَرْقاً وفُرْقَاناً: فَصَلَ، كذا في القاموس. ومعناه هنا: انفصال العبد عن الرّب؛ بحيث يشهد العبد من نفسه أنّه مستقلّ بالحركات والسكنات غفلة منه وذهولاً عن معنى اتّصاله بأمر ربّه. وطائفة هذا المقام هم الغافلون المحجوبون. والجار والمجرور متعلّقان بـ (رفعتي): قال في القاموس: «رَفَعَ ككَرُمَ رِفْعَةً، بالكسر: شَرُف وعَلَا قدرُهُ؛ فهو رفيع». والمعنى: في إزالة التاء المذكورة من بيننا شرفي وعلو قدري عن الطائفة الغافلين المحجوبين.

٢١٩- فَإِنْ لَمْ يُجَوِّزْ رُؤْيَةَ اثْنَيْنِ وَاحِدَاً حِجَاكَ وَلَمْ يُثْبِتْ لِبُعْدِ تَثَبُّتِ

(فإنْ لم يجوِّزْ) بتشديد الواو، أي: لم يسوِّغ، من جَوَّزَهُ: سَوَّغَهُ، أي: اعترف بإمكانه. وقوله (رؤية اثنين): أي عبد وربّ، هما اثنان عندك: عبد طاهر، وربّ في الغيب غير ظاهر عندك. وفيه إشارة إلى أنّ مراده بالاتّحاد الذي يشير إليه في كلامه الاتّحاد الذي لا يخالف ما عليه أهل الظاهر من اعتقاد: عبد وربّ في المفهوم العقلي بحسب الظاهر، وفي الباطن: عبد فانٍ، وربّ وحده ليس معه غيره. وقوله (واحداً): أي هما واحد: ربّ وجوده الحقّ، وعبد هو مخلوق، خلقه ذلك الرّب، أي: قدَّرَهُ، ووجوده به، وجميع أحواله به، وهو فانٍ مضمحلّ في وجود ربّه. وقوله (حِجاك): فاعل يجوّز. والحِجَا كإلى: العقل والفطنة، كذا في القاموس. والكاف حرف خطاب للغافل المحجوب. (ولم يُثْبِتْ): أي حجاك؛ يعني: عقلك هذا الأمر العظيم، وأنكره. وقوله (لِبُعْد): بضمّ الباء الموحّدة، ضد قرب، و(التَّثَبُّت): بتشديد الباء الموحّدة، هو التأنّي في الأمور، والتبصّر فيها، لعلّ لها معنى صحيحاً سيفتح الله به، فلا يبادر إلى إنكاره مَنْ تَثَبَّتَ، ككرم، ثَبَاتَةً وثُبُوتَةً، كذا في القاموس. والذي ينبغي للإنسان إذا سمع كلاماً لم يفهمه، أوفهم منه معنى باطلاً

أن لا يبادر من إنكاره من أوّل وهلة من غير سؤال وتفهّم ممن يعرف ذلك الكلام؛ فيدخل تحت قوله صلّى الله عليه وسلّم: «من بلغه عن الله تعالى فضيلة فلم يصدق بها لم ينلها»[1] : وقال القائل:

إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع

٢٢٠- سَأَجْلُو إِشَارَاتٍ عَلَيْكَ خَفِيَّةً بِهَا كَعِبَارَاتٍ لَدَيْكَ جَلِيَّةِ

(سَأَجْلُو): السين تُمحّض الفعل المضارع للاستقبال، و(أَجْلُو): أي أُظْهِر وأكشف، من جَلَا الأمرَ: كَشَفَهُ. وقوله (إشاراتٍ): جمع إشارة، أصله شَار إليه أَوْمَأَ كأشار، ويكون بالكف والعين والحاجب، كذا في القاموس. والمراد هنا الإشارة بالكلام، وسُمِّيَتْ/ [١٤٢/ ب] إشارة لأنَّ الأذواق لا تؤدِّيها عبارة، ولو أفصح العارف غاية الإفصاح لا يحصل بذلك بيان لمراده ولا إيضاح؛ ومن يقدر أن يوصل إلى العِنِّين فهم لذّة النكاح.

قوله (عليك): متعلِّق بقوله (خَفِيَّةً) قُدِّم للحصر. يعني: لا على غيرك من العارفين. وقوله (بها): أي بالمحبوبة الحقيقيّة، يقال: أشار إليه، أو بقوّتها وقدرتها؛ لا بقوّتي وقدرتي. والضمير إلى رؤية الاثنين واحداً في البيت قبله. وقوله (كعبارات): جمع عبارة، فيقال: عبّر عما في نفسه: أَعْرَبَ، والاسم: العِبَارة كذا في القاموس. والعبارة: هي ما إذا تكلّم بها المتكلِّم شاركه في فهمها السامع. وقوله (لديك): أي عندك. (جليّة): بتشديد الياء التحتيّة، نعت لعبارات، أي: واضحة منكشفة. والمعنى: إنّ الإشارات التي أظهرها لك كالعبارات الواضحة عندك؛ يعني: هي مثلها في نظري، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

٢٢١- وَأُعْرِبُ عَنْهَا مُغْرِبَاً حَيْثُ لَاتَ حيـ ـنَ لَبْسٍ بِتِبْيَانَيْ سَمَاعٍ وَرُؤْيَةِ

(وأعرب): أي اكشف وأظهر. (عنها): أي عن المحبوبة الحقيقيّة، أو عن رؤية

(١) انظر تخريجه ص٤٧٧.

الاثنين واحداً. وقوله (مغرباً): بالغين المعجمة، من أغرب إذا أتى بأمر غريب عن العقول، وردت به قواطع النقول، ولهذا قال (حيث لات حين لبس): بالباء الموحّدة، مصدر لَبَسَ عليه الأمرَ يَلْبِسُهُ: خَلَطَهُ، وأَلْبَسَهُ: غَطَّاهُ، وأَمْرٌ مُلْبِسٌ ومُلْتَبِسٌ: مُشْتَبِهٌ. والتَّلْبِيس: التَّخْلِيط والتَّدْلِيس، كما في القاموس. يعني: حيث لا تلبيس، ذلك الحين حين التباس، وتغطية، وتخليط، واشتباه، قال تعالى: ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ [٣٨/ ص/ ٣] أي: ليس ذلك الحين حين فرار. وقوله (بتِبيانَيْ): أصله تِبيانَين؛ فحذفت النون للإضافة إلى سماع ورؤية. والتِّبْيان: بالكسر، ويُفتح مصدر شاذ، يقال: بَانَ وبَيَّنَ وتَبَيَّنَ وأَبَانَ واسْتَبَان كلُّها لازمة ومُتَعَدّية، كذا في القاموس. و(السماع): سماع الآيات القرآنيّة، والأخبار النبويّة. والرؤية رؤية الأمثال المضروبة، والأشكال المنصوبة، الدّال جميع ذلك على رؤية الاثنين واحداً.

٢٢٢- وَأُثْبِتُ بِالْبُرْهَانِ قَوْلِيَ ضَارِباً مِثَالَ مُحِقٍّ والحَقِيْقَةُ عُمْدَتِي

(وأُثبتُ): أي ألزم بالبرهان، أي: بالدليل القاطع، قال في القاموس: «البُرْهَان بالضمّ: الحُجَّة، وبَرْهَن عليه: أَقَامَ البُرْهَان». وقوله (قولي): أي الذي ذكرته من رؤية الاثنين واحد، وهو الاتّحاد الذي أراده بحيث تندرج فيه التنويه في الوجود. وقوله (ضارباً): حال من فاعل أُثْبِتُ. و(مثالَ): بالنصب مفعوله. وضرب المَثل: تمثيل الشيء بالشيء ليُفْهم المراد منه. مشتق من الضَّرب، وهو المِّثْل. والنوع: من الشيء بالكسر فالسكون. والمَثَل بالتحريك: الصفة، والمِثال شِبْه الشيء. وقوله (محقّ): مضاف إليه، أي: رجل محقّ بصيغة اسم الفاعل، أي: صادق في قوله فلا يداخله الرَّيب. وقوله (والحقيقة): الواو للحال، وهي حقيقة الأمر التي عليها الوجود في نفسه. وقوله (عمدتي): أي اعتمادي كله على ما نفس الأمر، لا على ظاهر الحال من حيث ما يدركه العقل بطريق الوهم، وإن كنت مسلّماً ذلك لأهله؛ لأنّ الأعمال بالنيّات، وإنّما لكلّ امرئ ما نوى.

٢٢٣- بِمَتْبُوْعَةٍ يُنْبِيْكَ فِي الصَّرْعِ غَيْرُهَا عَلَى فَمِهَا فِي مَسِّهَا حَيْثُ جُنَّتِ

(بِمَتْبُوْعَةٍ): متعلّق بـ (ضارباً): في البيت قبله، والمتبوعة هي امرأة لها تابع أو تابعة من الجنّ، قال في القاموس: «التَّابع والتَّابِعَة: الجِنّيّ والجِنيَّةُ، يكونان مع الإنسان يَتْبَعَانِه حيث ذهب». وقوله (يُنْبِيْكَ) أي يخبرك. وقوله (فِي الصَّرْعِ): قال في القاموس: «الصَّرْع ـ ويكسر ـ الطَّرْحُ على الأرض، وقد صَرَعَهُ كمَنَعَهُ، والصَّرْعُ عِلَّةٌ تمنع الأعضاء النَّفيسَة من أفعالها منعاً غير تام. وسببه: شدّة تعرض في بعض بطون الدماغ/[١٤٣/أ] وفي مجاري الأعصاب المحرِّكة للأعضاء من خلط غليظ، أو لزج كثير؛ فيمتنع الروح عن السلوك فيها سلوكاً طبيعيّاً فتتشنّج الأعضاء» انتهى. ولا مانع أن يحصل ذلك بسبب مسّ الجنِّ فيتوافق الشرع مع الطبّ، قال تعالى: ﴿كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٧٥]. وقوله (غيرها): فاعل ينبيك وهو الجِنِّيّ الذي استولى وغلب على باطن الإنسيّة وجرى منها مجرى الدّم، بحيث تصرَّف في أعضائها بما أراد. وقوله (على فمها): أي بفمها، متعلّق بـ(يُنْبيك): أي يخبرك على لسانها فيستعمل فمها ولسانها في ذلك الإخبار. وقوله (في مسِّها): أي مخالطة الجنِّيّ لتلك المتبوعة، قال في القاموس: «المَسُّ: الجُنُون، مُسَّ: بالضمّ؛ فهو مَمْسوس». وقوله (حيث جُنَّتِ): بضمّ الجيم وتشديد النون وكسر التاء للقافية، يقال: جُنَّ بالضمّ جُنُوْناً، واسْتُجِنَّ مبنياً للمفعول. وتَجَنَّنَ وتَجَانَّ وأَجَنَّه الله فهو مجنون، كذا في القاموس.

٢٢٤- وَمِنْ لُغَةٍ تَبْدُو بِغَيْرِ لِسَانِهَا عَلَيْهِ بَرَاهِيْنُ الأدِلَّةِ صَحَّتِ

(ومن لغة): متعلِّق بـ(يُنبيك غيرها) في البيت قبله. و(اللغة): أصوات يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم، والجمع لُغَات ولُغُون، كذا في القاموس. وقوله (تبدو): أي تظهر، صفة للغة. وقوله (بغير لسانها): أي تلك المتبوعة. والجار والمجرور متعلّقان بتبدو؛ فقد تكون المتبوعة عربيّة لا تعرف لسان العجميّة، فيتكلّم الجنّيّ على لسانها باللغة الأعجميّة، وبالعكس. وقوله (عليه): أي على هذا الأمر

المذكور. (**براهين**): جمع برهان، وهو الحجّة القطعيّة. و(**الأدلّة**): جمع دليل، وهو عام شامل للقطعي والظنّيّ. وقوله (**صحّتِ**): أي كانت صحيحة مطابقة للواقع، لأنّها تدلّ على أنّ النفوس الجنيّة تستولي على النفوس الإنسانيّة، وتتصرّف في أبدانها بحيث لا تدع للنفوس الإنسانيّة تصرُّف أصلاً، وهو أمر معروف مشهور، فكيف الحقّ الواحد الأحد المتصرِّف في الملك والملكوت؛ وعوالم الغيب والجبروت، بلا منازع، ولا مشارك، ولا معين، ولا مساعد؛ فإنّه أولى أن يتصرّف في عبده المسلم له، كلِّه: ظاهره وباطنه، من غير دعوى منه أصلاً لشيء من الأشياء، ويتكلّم بلسانه بكلّ كلام يريده ويختاره، ويفعل بيديه ما يشأ من الأفعال والآثار، وهذا المعنى المراد بالاتّحاد في رأي الناظم قدّس الله سرّه؛ فإنّ فيه اتّحاد الفاعل والموجود. وشرطه التحقّق بالفناء في الوجود.

٢٢٥- وَفِي العِلْمِ حَقّاً أَنَّ مُبْدِيْ غَرِيبَ مَا   سَمِعْتَ سِوَاهَا وَهْيَ فِي الحُسْنِ أَبْدَتِ

(**وفي العلم**): أي علم السامعين لكلام تلك المتبوعة. وقوله (**حقاً**): أي محقّق حقّاً لا شبهة فيه عندهم. وقوله (**أن مبدي**): بصيغة اسم الفاعل، أي: مظهر. وقوله (**غريبَ**): مفعول المبدي. وقوله (**ما سمعت**): أي الذي سمعته من كلام تلك المتبوعة إذا كانت عربيّة، وقد سمعت منها كلاماً أعجمياً وبالعكس. وقوله (**سواها**): خبر أنّ، ولها معنى أنّه محقّق في العلم أنّ الذي أظهر غريب الكلام هو غير تلك المتبوعة، لأنّها لا تعلم تلك اللغة. وقوله (**وهي**): الواو للحال، أي: تلك المتبوعة وهي التي في الحسّ؛ أي: الإحساس بحاسّة السمع. (**أبدتِ**): بكسر التاء للقافية، أي: أظهرت ذلك الكلام، وأحسّ الناس بالسماع منها في ظاهر الحال مع أنّ المتكلّم غيرها على لسانها.

٢٢٦- فَلَوْ وَاحِدَاً أَمْسَيْتَ أَصْبَحْتَ وَاجِدَاً   مُنَازَلَــةً مَــا قُلْتُــهُ عَــنْ حَقِيْقَــةِ

(**فلو**): الفاء للتفرّع على ما قبله. وقوله (**واحداً**): بالحاء المهملة، أي: متّحداً بربّك في وجودك به، ودوام بقائك به، وحركاتك، وسكناتك به، عن كشف منك

لنفس أمرك، وشهودك به. لذلك كلّه كما قال سبحانه: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [١٣/ الرعد/ ٣٣] وقال تعالى: ﴿أَمَّن يَمْلِكُ / [١٤٣/ ب] ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ﴾ [١٠/ يونس/ ٣١]. وهذا كلّه لا يتحقَّق لك إلّا بعد فنائك في وجوده الحقّ، وذهاب حجاب دعواك الوجود معه. وقوله (**أمسيت**): أي دخلت في المساء، وهو إرشاد ذلك إلى وقت الخلوة والمجاهدة؛ وهو الليل، لأنّ فيه تسكن الأصوات، وتستتر المرئيّات والملهيّات. وقوله (**أصبحت**): أي دخلت في صباح التوحيد، ونور التغريد. وقوله (**واجد**): بالجيم، من وجد المطلوب: أدركه. وقوله (**منازلة**): أي ذو وقار ووجدان. و(**المنازلة**): عبارة عن تداني العبد من ربّه. وتدلّي الربّ إليه كأنّهما يجتمعان في منزل واحد، كما قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه:

دنـــا فتـــدلّى عبـــد ربّ وربّـــه   فلـما التقينـا لم أجـد غـير واحـد

وقوله (ما): أي: الذي مفعول واجداً، وجملة قلته صلة الموصول، والعائد الضمير. وقوله (**عن حقيقة**): متعلّق بـ (**قلته**): أي عن تحقيق ويقين ثابت.

٢٢٧- وَلَكِنْ عَلَى الشِّرْكِ الخَفِيِّ عَكَفْتَ لَوْ   عَرَفْتَ بِنَفْسٍ عَنْ هُدَى الحَقِّ ضَلَّتِ

(**ولكن**): حرف استدراك من قوله (**فلو واحداً أمسيت**): أي لا تمسي واحداً. ولكنّك على الشرك بالله تعالى. (**الشرك الخفيّ**): عنك وأنت لا تدري، وهو اعتقاد تأثير الأسباب، مع الغفلة المتراكمة على القلب، عن شهود الفاعل الحقيقيّ، قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [١٢/يوسف/ ١٠٦] وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «الشرك في أمّتي أخفى من دبيب النمل على الصفا»[1]، وقال الشيخ أرسلان الدمشقيّ قدّس الله سرّه في ابتداء رسالته: «كلّك شرك خفي». وقوله (**عكفت**): خطاب للغافل المحجوب، قال في القاموس: «عَكَفَ عليه عُكُوفاً: أقبل عليه مُوَاظِباً. وقوله (**لو**): حرف يقتضي في الماضي

---

(١) ذكره السيوطيّ في جمع الجوامع، باب: حرف الشين، ٩٤. وقال: ذكره الحكيم ٤/ ١٤٢، وأورده ابن طاهر المقدسي في تذكرة الموضوعات ١٠٨١، ص١٤٩.

امتناع ما يليه واستلزامَهُ لتاليه، كذا في القاموس. وقوله (**عرفت**): أي حالك الذي أنت فيه. وقوله (**بنفس**): متعلّق بـ (**عكفت**). وقوله (**عن هدى الحقّ**): متعلّق بـ(**ضلّت**) قُدِّم عليه للحصر؛ أي: لا عن غيره من أمور الدنيا، فإنّك لم تضلّ عن ذلك دناءة همّة منك. و(ضلَّتِ): بكسر التاء للقافية.

٢٢٨- وَفِي حُبِّهِ مَنْ عَزَّ تَوْحِيْدُ حِبِّهِ   فَبِالشِّرْكِ يَصْلَى مِنْهُ نَارَ قَطِيْعَةِ

(**وفي حُبِّه**): بضمّ الحاء المهملة، أي: محبّته. والضمير راجع إلى (**الحقّ**) في البيت قبله؛ يعني: في محبّة الحقّ تعالى. وقوله (**مَنْ عَزَّ**): أي قلّ فلا يكاد يوجد. (**توحيد**): فاعل عزّ. و(**حِبِّه**): بكسر الحاء المهملة. والضمير راجع إلى مَنْ. والمعنى: في محبّة الله تعالى مَنْ قلّ توحيد محبوبه عنده. ومحبوبه هو الحقّ تعالى. وسبب قلّة توحيد محبوبه رؤية غيره معه من الأشياء مطلقاً. وقوله (**فيه الشرك**): أي بسبب شركه معه غيره. و(**يصلى**) قال في القاموس: «صَلَى اللحم يَصْلِيْه صَلْيَاً: شَوَاهُ، وأَلقَاهُ في النار للإحراق. وصَلِيَ النارَ، كرَضِيَ، وبها: قاسى حَرَّها، وأَصْلَاهُ النارَ، وصَلَاهُ إياها وفيها وعليها: أدخله إياها وأَثْوَاهُ فيها». وقوله (**منه**): أي من (**حِبِّه**): أي محبوبه. وقوله (**نار**): مفعول يصلى. و(**قطيعة**): مضاف إليه. والقطيعة كشريفة: الهجران، كالقطع. واعلم أنّ التوحيد أربعة : **توحيد الرتبة**؛ وهو توحيد اللسان بأنّ يشهد أن لا إله إلّا الله بلسانه، ويصدّق ذلك بقلبه. وهذا يدفع الشرك الجليّ، وما يترتّب عليه من الأحكام الشرعيّة. **وتوحيد الأفعال** أرقى منه، وهو الذي لا يشاهد فاعلاً ومتصرِّفاً في الكائنات إلّا الله تعالى. **وتوحيد الصفات والأسماء**، وهو الذي لا يشاهد صفة كماليّة جلاليّة أو جماليّة اشتق منها اسم الله تعالى. **وتوحيد الذّات**؛ وهو أنْ لا يشاهد لشيء ذاتاً، ولا وجوداً إلّا الله تعالى، وهو تعالى القائم على كلّ شيء؛ فيرى الأشياء كلّها قائمة / [١٤٤/ أ] بالحقّ تعالى موجودة بوجوده، وهي مظاهر لذاته وصفاته وأفعاله؛ فيخلص مَن هذه صفته عن الشرك الجليّ والشرك الخفيّ، ويكتال بالكيل الوفي.

٢٢٩- وَمَا شَانَ هَذا الشَّأْنَ مِنْكَ سِوَى السِّوَى   وَدَعْـوَاهُ حَقّـاً عَنْـكَ إنْ تُـمْحَ تَثْبُـتِ

(ما شان): فعل ماض من الشين وهو العيب. وقوله (هذا الشأن): أي الأمر العظيم، وهو التوحيد الحقيقيّ. وقوله (منك): متعلِّق بشان، أي: من جهتك. (سوى): أي غير السوى، أي: سوى الحقّ تعالى؛ فإنّ إثبات ذلك السوى ناشئ من جهة رؤيتك ذلك. وإلّا فإنّ الحقّ تعالى لا سوى له أصلاً في نفس الأمر. وقوله (ودعواه): أي دعوى وجود السوى، بيان للحقّ تعالى. وقوله (حقّاً): أي محقَّق ذلك حقاً. وقوله (عنك): متعلِّق بـ (تُـمْحَ): قُدّم عليه للحصر؛ أي: تمحى عنك لا في نفس الأمر، لأنّه في نفس الأمر لا دعوى سوى؛ فإنّ الذي تدَّعي أنّه سوى الحقّ هو الحقّ تعالى لا سواه، ولكنّك لا تعرف ذلك. وقوله (إنْ تُـمْحَ): بضمّ التاء المثنّاة الفوقيّة، فعل مضارع مبني للمفعول، من مَحَاهُ: أذهبه وأزاله. وقوله (تَثْبُتِ): بكسر التاء للقافية، أي: تبقى أنت ثابتاً في التوحيد الحقيقيّ، وتلحق بالموحِّدين صدقاً وعدلاً، وذلك لأنّ دعواك السوى مانعة ذلك عن اللحاق بهم.

٢٣٠- كَذَا كُنْتُ حِيْناً قَبْلَ أنْ يُكْشَفَ الغِطَا   مِـنَ اللَّـبْسِ لا أَنْفَـكُّ عَـنْ ثَنَوِيَّـةِ

(كذا): أي مثل ذا؛ يعني: مثلك في الأحوال المذكورة. (كنت): أنا. (حيناً): منصوب على الظرفيّة، أي: زماناً قال في القاموس: «الحِيْنُ: الدَّهر، ووقت مبهم يصلح لجميع الأزمان، طال أو قَصُرَ. يكون سَنَةً وأكثر، أو يَخْتصُّ بأربعين سنة، أو سَبعَ سنين، أو سنتين، أو ستة أشهر، أو شهرين، أو كلّ غدوة وعشيّة». وقال في تنوير الأبصار: «الزمان والحين ومنكر، هما ستّة أشهر، وهذا ما ارتضاه الفقهاء في كتاب الأيمان والحلف». وقوله (قبل أن يُكْشَفَ): بالبناء للمفعول. (الغطاء): نائب الفاعل، أي: حجاب أحديّة الوجود الحقّ الظاهر في جميع تقادير الصور العدميّة. وقوله (من اللبس): أي الالتباس؛ يعني: من استيلائه على بصري وبصيرتي. (لا أنفكّ): بتشديد الكاف، أي: لا أنفصل وأخلص. (عن ثَنْوِيَّةٍ):

بتشديد الياء التحتيّة، أي: اعتقاد المتعدّد والكثرة، وإنّها أمور حقيقيّة، لا ترجع في نفس الأمر إلى وحدة حقيقيّة كما يزعم المحجوبين.

٢٣١- أَرُوْحُ بِفَقْـدٍ بَالـشُّهوْدِ مُـؤَلِّفِي وَأغْـدُو بِوَجْـدٍ بِـالوُجُوْدِ مُـشَتِّتِي

(أروح): من الرواح، وهو العشيّ، أو من الزوال إلى الليل، وجعله رواحاً لأنّه إقبال على ظلمة الأكوان بالاشتغال بها. وقوله (بفقد): متعلّق بأروح. وفقد الشيء: عدم وجدانه. كناية عن الغفلة عن الحقّ تعالى. وقوله (بالشهود): متعلّق بمؤلّفي. وقُدّم عليه للحصر، أي: ليس مؤلّفي بغير الشهود، أي: شهود الحقّ تعالى؛ يعني: معاينة تجلية بصور آثاره. وقوله (مُؤَلِّفي): أي هو مؤلّفي. والجملة صفة لفقد، وهو اسم فاعل من تَأَلَّفَ فلاناً: دَارَاهً، وقاربه، ووصله حتى يستميله إليه. وتَأَلَّفَ القومُ: اجْتَمَعُوا، كأْتَلَفُوا، كما في القاموس؛ يعني: إنّ ذلك الفقد وصلني بشهود الحقّ تعالى، واستمالني إليه سبحانه، وجمعني عليه تعالى، وبسببه كان إقبالي عليه تعالى، ورغبتي في معرفته وقربه. وقوله (وأغدو): بالغين المعجمة، من غَدَا عليه غُدُواً وغُدْوَةً بالضمّ، واغْتَدَى: بَكَّرَ، وغَادَاهُ: بَاكَرَهُ، كما في القاموس. وجعله غدواً لأنّه إقبال على نور الحقّ تعالى. وقوله (بِوَجْدٍ): متعلّق بـ(أَغْدُو)، والوَجْدُ: مصدر وَجَدَ المطلوبَ، كوَعَدَ، ووَرِمَ يَجِدُهُ ويَجُدُه، بضمّ الجيم ولا نظير له، وَجْداً بالسكون: أَدْرَكَهُ. وقوله/ [١٤٤/ ب] (بالوجود) متعلّق بـ (مُشَتِّتِي): وهو الوجود الكوني الذي تشهده الغافلون. و(المُشتِّت): بصيغة اسم الفاعل: المُفرِّق، من شَتَّتَهُ، بالشين المعجمة، أي: فرقة. وهو ضدّ مؤلّفي؛ والمعنى: إنّي أمسي بفعله تجمعنى على الحقّ تعالى بشهوده ، وأصبح بيقظة تفرّقني عن الحقّ تعالى بملاحظتي للأكوان، فتارة أغفل عن شهود الحقّ تعالى فتسوقني الغفلة عليه تعالى بشهوده في كلّ شيء، وتارة أستيقظ له، وأتنبّه لأجتلي تجلّيه فتسوقني اليقظة إلى التفرقة عنه.تعالى، والغيبة عن تجلّيه؛ والمراد أنّه في ذلك متلوّن لا متمكّن. ثمّ بيّن ذلك بقوله بعده:

٢٣٢- يُفَرِّقُنِي لُبِّي الْتِزَامَاً بِمَحْضَرِي وَيَجْمَعُنِي سَلْبِي اصْطِلَامَاً بِغَيْبَتِي

(يفرِّقني): بتشديد الراء، أي: يَكثُر عليّ وجود الصور الكونيّة، وتعدُّدها في بصري وبصيرتي، فيوقع الفرق بيني وبين الحقّ تعالى. وقوله (لُبِّي): أي عقلي لرؤيتي بنظر العقل. وقوله (التزاماً): أي لزوماً ضرورياً. وقوله (بمَحْضَري): مصدر ميمي، أي: بسبب حضوري عند نفسي، أو المحضر: مكان حضوره مع الناس، قال في القاموس: «حَضَرَ كنَصَرَ وعَلِمَ حُضُوراً: ضِدّ غاب، وكان بحَضْرَتِه مثلثة، وحَضَرِهِ وحَضَرَتِه، محرَّكتين، ومَحْضَرِه. بمعنى: ولا شكّ أنّ الحضور مع نفسه، أو مع غيره من الناس في المحضر يفرِّق جمعيّة العبد السالك قبل رسوخه في المقام، فإذا رسخ كانت جمعيّته بالحقّ تعالى في نفسه، وفي حضوره مع الناس، سواء مع غيبته عن ذلك. وقوله (ويجمعني): أي بالحقّ تعالى. (سَلْبِي): أي خروجي عن الأكوان كلِّها، حتى عن نفسي. وأصل السَّلْب: مصدر سَلَبَه سَلْبَاً بالتحريك: اخْتَلَسَهُ كاسْتَلَبَه، والسَّلِيْب: المُسْتَلَب العقل، كذا في القاموس. وقوله (اصطلاماً): يقال اصْطَلَمَه: استأصله؛ بحيث لم يبقَ منه شيء. وقوله (بِغَيْبَتِي) متعلِّق بسلبي؛ والمعنى: إنّ عقلي يجعلني في الغفلة والذهول عن شهود الحقّ تعالى بسبب حضوري مع نفسي، أو غيري. والذّهول يجعلني مسلوباً في الاصطلام، غائباً عن نفسي وعن غيري، فتارة أكون في جمع، وتارة في فرق. وهو معنى التلوين في مقام اليقين.

٢٣٣- إخَالُ حَضِيضِي الصَّحْوَ والسُّكْرَ مَعْرِجِي إلَيْهَا وَمَحْوِي مُنْتَهَى قَابَ سِدْرَتِي

(إخال): بكسر الهمزة وبالخاء المعجمة، أي: أظنّ. وقال في القاموس: «إخال بكسر الألف ويُفتح في لُغَة». وقوله (حضيضي): الحضيض: القرار في الأرض. (والصحو): ذهاب السُّكْر؛ يعني: أظن ذهاب سكر الغرام عنّي هو حضيضي الأسفل، أي: مقامي الذي أنزل فيه إلى أسفل سافلين، وهو الذي ردّ فيه الإنسان الذي خلق في أحسن تقويم، وهو عالم الطبيعة. وقوله (والسكر): بالنصب مفعول إخال الأوّل، والمفعول الثاني قوله (مَعْرِجِي): بفتح الميم مصدر ميمي،

قال في القاموس: «عَرَج عُرُوجاً ومَعْرَجاً: ارْتَقى». والمعنى: أظنّ غيبتي عن نفسي وعن سائر الأكوان عروجي وارتقائي. (إليها): أي إلى حضرة المحبوبة الحقيقيّة. وقوله (ومحوي): أي انمحاء رسومي كلِّها بحيث لم يبقَ منِّي عالم ولا معلوم بخلاف السُّكْر؛ فإنّه الغيبة عن حالته التي كان فيها بدخوله في حالة أخرى ذات لذّة وطرب. وقوله (منتهى): أي آخر وغاية. (قاب سدرتي): والقاب من القوس ما بين المِقبض والسِّيَة، ولكل قوس قابان، كذا في القاموس. وسِيَة القوس بالسين المهملة مكسورة وفتح الياء التحتيّة، قال في القاموس: «سِيَة القَوس بالكسر: ما عطف من طرفيها، والجمع سِيَات» . و(السِّدْرَة): شجرة النبق، قال في القاموس: «السِّدْرُ: شجر النَّبْق، الواحدة بهاء، وسِدْرَةُ المنتهى في السماء السابعة. وكنّى / [١٤٥/ أ] بالسدرة عن نشأته الإنسانيّة كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [٧١/ نوح/ ١٧-١٨]. وكنّى (بالقاب) عن حضرة روحانيّته المنفوخة عن قوس الأمر الإلهيّ الذي تظهر عنه توجّهاتُ القلب كالسهام، كما أشارإليه تعالى في مقام القرب المحمَّدي من جناب القدس بقوله سبحانه: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [٥٢/ النجم/ ٨-٩].

٢٣٤- فَلَمّا جَلَوْتُ الغَيْنَ عَنِّي اجْتَلَتْني مُفِيْقَاً وَمِنِّي الْعَيْنُ بِالْعَيْنِ قَرَّتِ

(فلمّا جلوت): جَلَا الهمَّ عنه: أَذْهَبَهُ، و ـ فلاناً الأمرُ كَشَفَهُ عنه، كذا في القاموس. و(الغين): بالمعجمة، وهو الغين، كناية عن حجاب الغفلة. وقوله (عَنِّي): أي عن قلبي وعين بصيرتي، وكان ذلك بالمجاهدة الشرعيّة والرياضة الربّانيّة. وقوله (اجتلتني): أي اجتليت نفسي وذاتي؛ يعني: كشفت عنها وعرّفتها، يقال: جَلا العروسَ على بَعْلِها جَلْوَة، ويثلث، وجِلَاء ككِتَاب واجْتَلَاهَا: عَرَضَهَا مَجْلُوَّة. واجْتَلَاهَا: نظر إليها، كما في القاموس. وقوله (مفيقاً): حال من ضمير المتكلّم في قوله اجتلتني، وهو الياء، أي: كشفت نفسي حال كوني مفيقاً من سكر الغيبة في شهود الوجود الحقّ. وقوله (ومنّي): الجار والمجرور متعلّقان بواجب الحذف،

صفة للعين، أي: العين الكائنة منّي؛ يعني: عيني وهي الباصرة في القلب، بمعنى البصيرة، أو في الرأس. وقوله (**بالعين**): متعلّق بقرّتِ. و(**العين**) الثانية: الذات، أي: ذات الوجود الحقّ. و(**قرّتِ**): بتشديد الراء والتاء المكسورة للقافية، يقال: أقرّ الله عينه، أي: أبكاه دمعاً بارداً من القُرِّ، بالضمِّ، وهو البرد؛ فإنّ شدّة السرور تبكي بدمع بارد، وشدّة الحزن تبكي بدمع حار؛ والمعنى: حين كشفتْ حجاب الغفلة عنّي عرفتُ نفسي ففقتُ من سكر الفناء والمحو في شهود الوجود الحقّ. وقرّتْ عيني بعين الوجود الحقّ؛ فلم أكن غيره، ولم يكن غيري، وذهبت الصورة العدميّة، والنشأة الوهميّة في الحقيقة الحقيّة.

٢٣٥- وَمِنْ فَاقَتِي سُكْرَاً غَنِيْتُ إِفَاقَةً ... لَدَى فَرْقِيَ الثَّانِي فَجَمْعِي كَوَحْدَتِي

(**ومن فاقتي**): أي فقري وحاجتي. وقوله (**سُكْراً**): تمييز، أي: من جهة السُّكْر بخمر المشاهدة والمعاينة. وقوله (**غَنِيت**): أي صرت غَنياً مُثْرِياً. وقوله (**إفاقة**) تمييز، أي: من جهة الجمع؛ فالفرق: ما أشهدك عبداً وربّاً، والجمع ما أشهدك ربّاً بلا عبد. والفرق اثنان: فرق أوّل؛ وهو حالة الغفلة، والحجاب، والجهل بربّ الأرباب. وفرق ثانٍ؛ وهو مقام العِرفان، وتحقيق الكشف والإيقان، والفرق بين الوجود الحقّ، والممكن، الفاني، الهالك الذي به ملحق. وقوله (**فجَمْعِي كَوَحْدَتِي**): أي اجتماعي مع الحقّ تعالى؛ بحيث هو ولا أنا كوحدتي، أي: مثل حالتي الأولى في الفرق الأوّل بحيث أنا وحدي ولا هو، وذلك لأنّهما اتّحدا ذاتاً في الغيب، وزاد العبد على الربّ بصورة فانية، ونشأة هالكة، كان يظن في الفرق الأوّل أنّ الوجود لها، فلمّا جمع استغرقت صورته ونشأته في ذلك الوجود بالكليّة، ولم يبقَ لهما عين ولا أثر، لَمَّا أفاق من سكره ذلك ووصل إلى الفرق الثاني رجع إلى حالته الأولى في الفرق بينه وبين ربِّه، كما قالوا: «بأنّ النهاية رجوع إلى البداية»، وصار جمعه بربّه الذي اقتضى اتّحاده به كوحدته بنفسه، وانفراده بها، لكنّها وحدة معدوم بأحواله

العدميّة، والوجود واحد، وهو الجود الحقّ الحقيقيّ، وقد انتسب هذا المعدوم مع أحواله العدميّة لهذا الوجود بالواحد الحقّ في فرقه الثاني بعدما كان الوجود منسوب إلي عنده في فرقه الأوّل، ورجع كلّ منهما إلى أصله، فرجع الوجود إلى ما هو عليه منزّهاً عن كلّ شيء، ورجع كلّ شيء إلى ما كان عليه من/ [١٤٥/ ب] عدمه الأصلي وهذه في النهاية في الوصول إلى عين الهداية.

٢٣٦- فَجَاهِدْ تُشَاهِدْ فِيْكَ مِنْكَ وَرَاءَ مَا وَصَفْتُ سُكُوْنَاً عَنْ وُجُوْدِ سَكِيْنَةِ

(فجاهد): خطاب منه للسالك في طريق معرفة الله تعالى، المعرفة الذوقيّة، لا المعرفة العقليّة التي توصل إليها الأدلّة والبراهين القطعيّة؛ فإنّها معرفة بالنسبة إلى أهل التقليد في الإيمان، لا بالنسبة إلى أهل الشهود والعيان، وذكر المجاهدة، وهي الرياضة الشرعيّة، أي: تعليم النفس فعل الطاعات، وترك المنهيّات ظاهراً، وحمل النفس باطناً على معاينة التجلّيات الإلهيّة بالأفعال الربّانيّة في قوله تعالى: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [١٣/ الرعد/ ١٦] وقوله تعالى: ﴿أَفَمَنۡ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ﴾ [١٣/ الرعد/ ٣٣] وقوله سبحانه: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ﴾ [٦٧/ الملك/ ١] وقوله: ﴿ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [٣٦/ يس/ ٨٣] إلى غير ذلك من غير أن يصرفه تأويل عقلي عن هذا النص النقلي، فيكلّف نفسه رؤية ذلك، ومشاهدة ما هنالك شيئاً فشيئاً حتى يترشّح فيه، ويزول عنه التّكَلُّف في معاينته، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا﴾ [٢٩/ العنكبوت/ ٦٩]؛ فإنّه متى كانت مجاهدته في الله تعالى بالله تعالى لا بنفسه هداه الله تعالى إلى شهوده، ومعاينته ذوقاً، ومن أوفى بعهده من الله تعالى؛ فإنّه تعالى لا يخلف الميعاد؛ ولهذا جزم الناظم قُدِّس سرّه الفعل المضارع في جواب الأمر فقال **(تشاهدْ)**: أي تعاين، وتتحقّق ذوقاً ووجداناً. وقوله **(فيك)**: أي في نفسك وذاتك متعلّق بتشاهد. **(ومنك)**: أي من نفسك وذاتك، لا من شيء خارج عنك. وقوله **(وراء)**: أي أمراً عظيماً كائناً وراء،

وهو ظرف متعلّق بواجب الحذف، صفة لـ (أمراً) كما ذكرنا، وهو ما توارى عنك مما كنت غافلاً عنه من الأمور العظام الإلهيّة. وقوله (**ما**): الذي وصفت لك مما تقدّم في الأبيات السابقة من العلوم الإلهيّة، والحقائق الرّبانيّة. وقوله (**سُكُونا**): أي ساكناً سكوناً، وهو حال من فاعل جاهد. و(السكون): ضدّ الحركة. كنّى بالسكون عن عدم الفكر؛ فإنّ الفكر حديث النفس، وهو منهيّ عنه في ذات الله تعالى، كما قال صلّى الله عليه وسلّم: «تفكَّروا في آلاء الله ولا تفكَّروا في ذات الله فإنّكم لن تقدِّروا قدره»[1]، يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [٦/ الأنعام/ ٩١]. ولنا من المواليا في هذا المعنى:

غب عن وجودك تجد في وسط قلبك وسم
به حبيبك قسم لك من شهود وقسم
وسلِّم الأمر واحسم داء فكرك حسم
واعلم بأنّ التفكّر من بقايا الرسم

ولنا أيضاً من المواليا قولنا:

كن باسم حبّك تكن موجوداً باسمك
واخرج عن الفكر إنّ الفكرّ من رسمك
وانسب إلى الحبّ كلّك واجعل قسمك
ورح عن الروح وامحق في الهوى جسمك

ويجوز أنّ يكون سكوناً بدل من قوله (وراء). أي: تشاهد سكوناً من قبيل قوله تعالى في حقّ موسى عليه السلام: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ

(١) أخرجه البيهقيّ في شعب الإيمان، باب: فصل في الإشارة إلى أطراف الأدلّة في معرفة الله عزّ وجلّ في حدث العالم، ١٢٠، عن ابن عمر بلفظ: «تفكّروا في آلاء الله ـ يعني عظمته ـ ولا تتفكّروا في الله». وقال البيهقيّ هذا إسناد فيه نظر. وللحديث طرق عديدة.

مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي﴾ [٧/ الأعراف/ ١٤٣] الآية فيكون السكون كناية عن الفناء والمحو في تجلّي الحقّ تعالى، كما قال سبحانه: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [٧/ الإعراف/ ١٤٣] فإنّ الفناء والمحو استقرار الممكن مكانه. وقوله (**عن وجود سكينة**): الجار والمجرور متعلّقان بـ(سكونا)، أي: بواجب الحذف، صفة سكوناً؛ أي: سكوناً حاصلاً عن وجود سكينة في القلب، وهي الطمأنينة. وقوله تعالى: ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٤٨] أي ما تسكنون به إذا أتاكم، كذا في القاموس. وذلك قول إبراهيم عليه السلام لما قيل له: ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ﴾ [١٤٦/ أ].

٢٣٧- فَمِنْ بَعْدِ مَا جَاهَدْتُ شَاهَدْتُ مُشْهِدِي وَهَادِيَّ لِي إِيَّايَ بَلْ بِيَ قُدْوَتِي

(**فمن بعد ما جاهدت**): ربِّي في نفسي، لا بنفسي. وهذا إخبار عن كيفيّة سلوكه في طريق الله تعالى؛ ليعلم السالك أنّ قوله في البيت قبله: فجاهد تشاهد، أمر منه بـ(ما): نازلة من المجاهدة، وحصل له من المشاهدة ذوقاً، لا مجرد علم، وهو غائب عمّا هنالك. وقوله (**شاهدت**): أي عاينت بعين البصيرة أو البصر. ومعلوم أنّه إذا عاين الحقّ تعالى لا يعاين شيئاً؛ بل يعاين من ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [٤٢/ الشورى/ ١١] ويعاين شيئاً هو أكبر شهادة، كما قال سبحانه: ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ﴾ [٦/ الأنعام/ ١٩] ومعلوم أنّ كلّ مرئي إنّما يرى على حسب ما هو عليه في نفسه، وإلّا فلو رآه الرائي على حسب ما يعطيه استعداده فما رآه على حسب ما هو عليه في نفسه وإنّما رأى استعداده، قال القائل:

كالنجم تستصغر الأبصار طلعته والذّنب للطرْف لا للنجم في الصغر

فلو سمّينا رؤية الاستعداد رؤية ذلك المرئي لسمّينا رؤية كلّ شيء من كلّ أحد رؤية الحقّ تعالى. وقد أنكر ذلك الحقّ تعالى بقوله: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [٧/ أعراف/ ١٩٨] وسمّاهم عُمياً بقوله: ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [٢/ البقرة/ ١٧١] وأخبر تعالى عن موسى عليه السلام أنّه طلب الرؤية بقوله: ﴿رَبِّ

أَرِنِيٓ أَنظُرۡ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٤٣] ولو كانت الرؤية مستحيلة لما طلبها، ولا يرتكب سوء الأدب مع ربّه لأجل قومه الطالبين لها بقولهم: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ﴾ [٤/ النساء/ ١٥٣] كما قالت المعتزلة؛ لعصمته عليه السلام من طلب المستحيل المقتضي للنقص في حقِّه تعالى، ومحمّد نبينا صلّى الله عليه وسلّم رأى ربّه، وسيراه المؤمنون في الجنّة، فعلمنا من ذلك أنّ الاستعداد في الرائين يختلف باختلاف أحوالهم؛ فالأنبياء والأولياء يرونه بعد فناء نفوسهم وصورهم في نور وجوده الحقّ؛ فيكون هو الرائي والمرئي، كما قال تعالى: ﴿وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ﴾ [٨٥/ البروج] بطريق القَسَم، وما أَقسم سبحانه بغيره، وفي الحديث: «كنت بصره الذي يبصر به»[1] وعامة الناس لم تفنَ نفوسهم ولا صورهم؛ فلا يرون إلّا نفوسهم وصورهم، ونفوس الأغيارِ وصورهم، ولا يرونه تعالى؛ لعدم استعدادهم لرؤيته. فلو جاهدوا في الله حقّ جهاده، ولم يروا معه شيئاً من عباده. وذلك في حال رؤيته على مقتضى تجليه عليهم بمراده. وللحلّاج في هذا المعنى قوله:

وأي الأرض تخلــو منــك حتــى تعــالَوا يطلبونــك في الــسما
تــراهم ينظــرون إليــك جَهــراً وهــم لا يبــصرون مــن العمــى

وقوله (مُشهدي): بضمّ الميم وسكون الشين المعجمة وكسر الهاء، اسم فاعل من أشهده، أي: كشف عنه حجابه؛ وهو الحقّ تعالى الذي أشهده. وقوله (وهاديَّ): بتشديد الياء النّحتيّة مفتوحة، معطوفة على مشهدي، وهو اسم فاعل من هدى يهدي، مضاف إلى ياء المتكلِّم. وقوله (لي): متعلّق بهاديَّ؛ يعني: وشاهدت الذي هداني لنفسي. وقوله (إيّاي) ضمير منفصل في محل نصب على المفعوليّة لشاهدت، وهو المفعول الثاني، والمفعول الأوّل هاديَّ. يقال: شهدت زيداً فاضلاً؛ والمعنى: وشاهدت الذي هداني لنفسي. (إيّاي): أي المعبّر عنه بنفسي عندي. وقوله (بل):

(١) انظر تخريجه ص ١٤٦.

حرف إضراب. (بي): خبر مقدّم لقوله (قدوتي): قال في القاموس: «القُدْوَة، مثلّثة: ما تَسَنَّنْتَ به واقتديتَ به. وقدّم الخبر للحصر؛ أي: ليس قدوتي بغيري؛ إذ لا غير في هذه الحضرة الإلهيّة وإنْ تنوَّعت عليها الصور الكونيّة».

٢٣٨- وَبِي مَوْقِفِيْ لَا بَلْ إِلَيَّ تَوَجُّهِيْ كَذَاكَ صَلَاتِي لِي وَمِنِّيَ كَعْبَتِي

(وبي): أي بوجودي الذي أنا موجود به عند المحجوبين حيث لا وجود لي عندي في/[١٤٦/ب] نفس الأمر، والجار والمجرور خبر مقدّم لإفادة الحصر. (وموقفي): مبتدأ مؤخّر. والموقف موضع الوقوف، وهو جبل عرفات وموقف المزدلفة؛ يعني موجود موقفي في الحجّ بوجودي الذي هو أنا، لا بغيره. وقوله (لا): أي لا لغيري. وقوله (بل إليّ): بتشديد الياء التحتيّة، أي: إلى نفسي التي هي عين وجودي الذي أنا فانٍ فيه مضمحل. (توجّهي): يعني بقصد الحجّ والعمرة. وإذا كان هناك صور كونيّة مسمّاة بعرفات، والمشعر الحرام، ومكة، والمدينة، وغير ذلك؛ فإنّها كلّها فانية مضمحلّة في الوجود الواحد الحقّ، وإن كنت أنا فيه من حيث أني صورة كونيّة أحجّ بالذهاب إلى تلك الأماكن، وأفعل المناسك كلّها امتثالاً لأمر ربِّي في عالمي الذي هو عالم الأكوان. وأمّا في حقيقة الأمر؛ فأنا وجميع ذلك وجود واحد حقّ. وكلّ ما سواه فانٍ مضمحلّ. وقوله (كذاك): أي مثل ما ذكر (صلاتي): التي أصلِّيها فإنّها مثلي فانية مضمحلّة؛ فهي صادرة من الوجود الحقيقيّ للوجود الحقيقيّ، وهو معنى (صلاتي لي). وقوله (ومِنِّي): أي من حقيقتي التي بها أنا أنا، وهي الوجود الواحد الحقّ الذي به كلّ شيء في نفسه كلّ شيء. وقوله (كعبتي): أي بيت الله الحرام الذي في مكّة يحج إليه الناس ويعتمرون؛ فإنّه صورة قائمة بها أنا به قائم؛ وهو الوجود الحقّ، وكلّ ما سواه تقاديره وتصاويره.

٢٣٩- فَلَا تَكُ مَفْتُوْنَاً بِحُسْنِكَ مُعْجِبَاً بِنَفْسِكَ مَوْقُوْفَاً عَلَى لَبْسِ غِرَّةِ

(فلا تكُ): أي لا تكن، نهيٌ للسالك في طريق الله تعالى على وجه النصيحة له. وقوله (مفتوناً): من الفتنة، وهي المحنة والابتلاء. وأصل الفِتْنَة من قولك فَتَنْتُ

الذهبَ والفضّة: إذا أدخلته النار لِيَبِيْنَ الجيدُ من الرديء، كذا في المصباح. وقوله (بحسنك): أي بحسن صفاتك، وأفعالك، وأحوالك، الموافقة للشريعة المحمّديّة والطريق المرضيّة؛ فإنّ ذلك كلّه فتنة لك وابتلاء من الله تعالى، واختبار ليظهر منك الاغترار بذلك، وأنّه نافعك دون الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [٢١/ الأنبياء/ ٣٥] وقال تعالى: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٦٨] يعني: إلينا من كلّ ذلك، أي: من الاعتماد عليه إنْ كان خيراً، والنفور عنه إنْ كان شرّاً؛ فإنّ النافع والضار هو الله تعالى لا سواه. وقوله (معْجِباً): بكسر الجيم، اسم فاعل من العُجْب، بالضمّ؛ وهو الزُّهُو والكِبْر، كما قال في القاموس. وقوله (بنفسك): أي متكبّراً بها مترفّعاً على غيرك في باطنك ونيّتك، وإنْ كنت في ظاهرك متواضعاً، وبلسانك منخفضاً، فإنّ ذلك من النفاق المذموم. وموجب ذلك كلّه أنّك جاهل بنفسك وبربك، مغرور بما لديك، قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه في كتابه شرح الوصايا اليوسفيّة: «وإنْ كبرتْ عند العارف نفسه فليس ذلك الكِبْر بمذموم؛ فالكبر لله لا لها، وإنْ كَبُرَتْ عند المريد نفسُهُ فليس بمريد لله ؛ بل هو من العوام. وقوله (موقوفاً): أي محبوساً بحيث لا تحوّل له عمّا وقف عليه. وقوله (على لبس): أي على التباس. (غِرّة): بكسر الغين المعجمة وتشديد الراء، قال في المصباح: «الغِرّة بالكسر الغَفْلَة» يعني: على الالتباس الحاصل من الغفلة عن شهود الحقّ تعالى الذي آياته ظاهرة في الآفاق وفي الأنفس.

٢٤٠- وَفَارِقْ ضَلَالَ الفَرْقِ فَالجَمْعُ مُنْتِجٌ ... هُـدَى فِرْقَـةٍ بِالاتّحَـادِ تَحَدَّتِ

(وفارق): أي اجتنب وباعد عنك. (ضلال): بالنصب مفعول فارق. وقوله (الفرق): بفتح الفاء وسكون الراء، وهو إثبات المغايرة بينه وبين الفاعل له بغير ماهيّته الشاملة لصورته الظاهرة والباطنة، والقيام بنفسه دون ربّه ؛ فإنّ هذا الفرق ضلال؛ لأنّ صاحبه يجد من نفسه الانقطاع والانفصال عن إمداد ربّه له فيعتقد/ [١٤٧/ أ] أنّه مستقلّ بنفسه في كلّ ما يصدر عنه. وقوله (فالجمع): وهو قيامه

بربّه تعالى: إيجاداً وإمداداً، ظاهراً وباطناً؛ بحيث يجد نفسه فانية في ظهور الوجود الحقّ تعالى. وقوله (مُنْتِجُ): أي موصل إلى هدى. (فِرْقَة): بكسر الفاء، أي طائفة من الناس، وهم العارفون بنفوسهم وبربّهم، المحقّقون للحقّ المبين. وقوله (بالاتّحاد): وهو الكشف عن القائم على كلّ نفس بما كسبت بحيث يشهد العبد ربّه تعالى فاعلاً له ولجميع أفعاله، كما قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [٣٧/ الصافات/ ٩٦] ويشهد الوجود كلّه له تعالى، وهو العدم المقدّر بتقدير ربّه تعالى أزلاً، والعدم المقدّر لا يذكر مع الوجود الحقّ؛ وإنّما يذكر بالوجود الحقّ؛ فهو الوجود الحقّ لا غيره، ظاهر في شؤونه التي هي ذلك العدم المقدّر كما قال سبحانه: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ٢٩] وهذا هو معنى الاتّحاد عند أهل هذه الطريقة، لامعناه أنّ ذلك العدم المقدّر هو عين الوجود الحقّ، بل ظاهر فيه كما قال سبحانه: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [٦/ الأنعام/ ٣] وقال سبحانه:﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [٥١/ الذاريات/ ٢١] يعني: هو ظاهر في أنفسكم وأنتم لا تبصرون فإنّ أنفسكم أعدام مقدّرة، وهي شؤونه تعالى، وهو ظاهر فيها؛ لأنّه الوجود الحقّ، وليس هذا بحلول، لأنّ الوجود لا يحلّ في العدم، وليس أيضاً باتّحاد مذموم؛ فإنّ الاتّحاد المذموم عند أصحاب العقائد من المتكلّمين أن يكون الوجود الحقّ تعالى القديم هو عين العبد الذي هو العدم المقدّر، وهو محال عقلاً وشرعاً فافهم هذا؛ وكن منه على علم في كلّ ما تجده للعارفين المحقّقين دون الجاهلين الغافلين. وقوله (تحدّتِ): بكسر التاء للقافية. قال في المصباح: «تَحَدَّيتُ الناسَ القرآنَ: طلبتُ إظهارَ ما عندهم ليُعْرَفَ أيّنا أقْرَأ، وهو المعنى مثل قول الشخص الذي يفاخر الناس بقومه: هاتوا قَوْماً مثلَ قَوْمي أو مثلَ واحد منهم».

٢٤١- وَصَرِّحْ بِإِطْلَاقِ الجَمَالِ وَلَا تَقُلْ بِتَقْيِيدِهِ مَيْلاً لِزُخْرُفِ زِينَةِ

(وصرّح): بتشديد الراء فعل أمر خطاب للسالك في طريق الله تعالى، من صَرُحَ الشيءُ ـ بالضمّ ـ صَرَاحَةً وصُرُوحَةً: خَلَصَ من تَعَلُّقَاتِ غيره؛ فهو صَرِيح، وعربيٌّ

صَرِيح: خَالِصُ النَّسَب وكلُّ خالصٍ صَرِيح، ومنه: القولُ الصَّرِيحُ وهو الذي لا يفتقر إلى إضمار أو تأويل. وصَرَّحَ بما في نفسه: أَخْلَصَه للمعنى المراد على التفسير الأوّل، أوأذهب عنه احتمالات المجاز والتأويل على التفسير الثاني. وصَرَّحَ الحقُّ عن مَحْضِه مِثْلُ: انكشف الأمر بعد خفائه. وصَرَّحَ اليومُ: إذا لم يكن فيه غيمٌ ولا سَحَاب، كذا في المصباح. والمعنى: أَظْهِرْ واكشفْ لنفسك، ولا تكتمْ عنها، وارفع احتمالات الأغيار؛ فإنّها كلّها وهميّة. وقوله (**بإطلاق**): متعلّق بصرِّحْ، وهو ضدّ القيد (**والجمال**): هو ما كان بالذات، والحُسْن: بالعَرَض؛ ولهذا ورد في أسمائه تعالى الجميل، ولم يرد الحَسَن. وفي الحديث: «إنَّ الله جميل يحبّ الجمال»[1] ولم يقل يحب الحُسْن، فإنّ كلّ ما يظهر على الكائنات حسن، وهو أثر الجمال الذاتيّ الإلهيّ، والمأمور به هنا إطلاق الجمال الذاتيّ الإلهيّ في كلّ حُسن يظهر على كلّ شيء محسوس أو معقول؛ فإنّه أثر ذلك الجمال المطلق الإلهيّ، والأثر مُظهِر للمُؤَثِّر. ومعنى التصريح بإطلاق الجمال: شهود الجمال الإلهيّ في كلّ شيء، كما قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ ﴾ [٣٢/ السجدة/ ٧] وروى الإمام أحمد في مسنده، والإمام مسلم، وأبو داوود، والترمذيّ، والنَّسائيّ، وابن ماجه عن شدّاد بن أوس رضي الله عنه، قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «إنّ الله كتب الإحسان على كلّ شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة»[2] الحديث. وروى الدارميّ عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال عليه السلام: « حسِّنوا القرآن بأصواتكم؛ فإنّ الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً»[3]. وروى أبو داوود عن / [١٤٧/ ب] أبي هريرة رضي الله عنه قال صلّى الله عليه وسلَّم: «حُسن الظنّ من حسن العبادة»[4]. فإنّ هذا الحسن كلّه أثر الجمال الإلهيّ كما ذكرنا. وقوله (**ولا تقل**): من القول، وهو الكلام. ويطلق على الرأي

---

(١) انظر تخريجه ص٣٢٧.

(٢) انظر تخريجه ص٦٥٦.

(٣) أخرجه الدارميّ في سننه، باب التغنّي بالقرآن، ٣٥٠١.

(٤) أخرجه أحمد في المسند، باب مسند أبي هريرة، ٨١٧٦.

والاعتقاد؛ يقال: هذا قول أهل السُّنَّة، أي: رأيهم واعتقادهم الذي ذهبوا إليه، وقول أبي حنيفة رضي الله عنه، أي: مذهبه. والمعنى هنا: ولا تتمذهب. (بتقييده): أي تقييد الجمال الظاهر بالحُسن في صورة محسوسة في إنسان، أو حيوان، أو جماد، أو نبات، أو غير ذلك، أو صورة معقولة من صور المعاني. وقوله (ميلاً): أي تميل بسبب ذلك التقييد ميلاً لزخرف زينة، قال في القاموس: «الزُّخْرُف، بالضمّ: كمالُ حُسْنِ الشيء». و(الزِّينة): بالكسر، ما يُتَزَيَّن به. والمعنى: لا تمل للشيء المزخرف فَتُقَيِّدَ به إطلاق الجمال؛ فإنّ زخرفة الشيء وتزيينه لك إنّما هو بحسب طبعك، فتكون محبوساً في سجن طبيعتك، ومربوطاً بحبال عقلك، ومقهوراً تحت حكم شهواتك.

٢٤٢- فَكُلُّ مَلِيْحٍ حُسْنُهُ مِنْ جَمَالِهَا مُعَارٌ لَهُ بَلْ حُسْنُ كُلِّ مَلِيْحَةِ

(فكلّ): الفاء للتفريع. (وكلّ مليح): أي شيء مليح بالملاحة المحسوسة أو المعقولة. وقوله (حُسْنُهُ): أي الحسن الظاهر عليه لحاسَّة من حواسك، أوبصرك، أو سمعك، أو ذوقك، أو شمّك، أو لمسِّك، أو لعقلك...[الخ] من المعاني؛ فإنّ ذلك الحسن كلّه أثر ظاهر. (من جمالها): أي المحبوبة الحقيقيّة. وقوله (مُعار): بصيغة اسم المفعول. (له): أي المليح المذكور؛ ولهذا لا يبقى ذلك الحُسْنُ على ذلك المليح؛ بل يذهب عنه لعدم ملكه له؛ فإنّ العواري مردودة على أصحابها. وقوله (بل): حرف إضراب؛ لئلّا يفهم الاختصاص في العارية بالمذكّر فقط. وقوله (حسن كلّ مليحة): محسوسة، كامرأة، أو دابّة، أو ثمرة، ونحو ذلك. أو معقول كمشيئة، أو نكتة، وغير ذلك. وإن اشتُهر المليح والمليحة في نوع الإنسان خاصّة لكمال ظهور الجمال الإلهيّ في هذا النوع. ولقد قدّمنا في شرح ديباجة هذا الديوان أنّ الناظم قدّس الله سرّه كان يحبّ بُرْنِيَّة في دكان عطار. وكان يأتي حتى ينظر إليها، كما نقل في ترجمته قُدِّس سرّه. وهذا من إطلاق الجمال في نظره. والناس لا يعرفون المليح والمليحة إلّا في الإنسان، فيميلون إلى ذلك خاصّة، ويعشقونه، وإليه يشير قوله:

٢٤٣- بِهَا قَيْسُ لُبْنَى هَامَ بَلْ كُلُّ عَاشِقٍ كَمَجْنُونِ لَيْلَى أَوْ كُثَيِّرِ عَزَّةِ

(بها): أي المحبوبة الحقيقيّة. (قيس): اسم رجل من العرب عشق امرأة اسمها (لُبْنَى): على وزن بُشْرَى. وقوله (هام): قال في المصباح: «هَامَ يَهِيْمُ هَيْماً وهُيَاماً و[هَيَمَاناً] خرج على وجهه لا يدري أين يتوجّه؛ فهو هائم إن سلك طريقاً مسلوكاً؛ فإنْ سلك طريقاً غير مسلوك فهو راكب التعاسيف». والمعنى: إنّه هائم بلبنى عشقاً؛ بسبب حُسْنِها، وهو أثر من جمال المحبوبة الحقيقيّة، فهيامه في الحقيقة بالمحبوبة الحقيقيّة وهو لا يشعر؛ لأنّ الآثار لا وجود لها، فإنّها أعدام مقدرة، والوجود كلّه هو الوجود الحقيقيّ، وهو الحقّ تعالى لا غير. وقوله (بل): حرف إضراب؛ لئلا يفهم الاختصاص بالعين المذكور في قيس لبنى. وقوله (كلّ عاشق): ممن عشق: مذكراً أو مؤنّثاً من نوع الإنسان، أوغيره. والعشق الإفراط في المحبّة. وقوله (كمجنون ليلى): فإنّه رجل من العرب عشق امرأة اسمها ليلى، وازداد عشقه لها حتى توسوس، ودخل في نوع من الجنون بحيث لا يقدر أن يخرج من ذلك، فيقال: إنّه قيل لأبيه: لو أخذته إلى مكّة أيام الموسم في الحجّ فأمرته أن يدعو الله تعالى بأنْ يخلِّصه من حبّ ليلى. فأخذه، فكان من أمره أنه كلّما أمره أنْ يدعو بالخلاص بكى ثمّ أنشد:

ذكرتك والحجيج له ضجيج بمكّة والقلوب لها وجيب

فقلت أتوب يا رحمن مما جنيت فقد تكاثرت الذنوب/ [١٤٨/ أ]

وأمّا من هوى ليلى وتركي زيارتها فإنّي لا أتوب

فإنّه كان يحبّ ليلى بسبب حُسْنِهَا في نظره. وحسنها أثر من جمال المحبوبة الحقيقيّة؛ فحبّه في الحقيقة للمحبوبة الحقيقيّة، والأثر عدم؛ وإنّما الوجود هو الوجود الحقيقيّ كما ذكرنا. وقوله (أو كُثير): بضمّ الكاف وفتح الثاء المثلّثة وتشديد الياء التحتيّة مكسورة: تصغير كَثير، قال في القاموس: «كَثير، كأمير:

اسم، وبالتصغير صاحب عزّة» وقال في الصحاح: «العَزّة بالفتح بنت الظبية» وبها سُمِّيت المرأة عزّة، والمعنى فيه ما ذكرنا.

٢٤٤- فَكُلٌّ صَبَا مِنْهُمْ إلَى وَصْفِ لَبْسِهَا بِصُوْرَةِ حُسْنٍ لَاحَ فِي حُسْنِ صُوْرَةِ

(**فكلٌّ**): بالتنوين، أي: كلّ واحد مما ذكر في البيت قبله من قيس لبنى، ومجنون ليلى، وكُثيِّر عزّة ، ومثلهم كلّ عاشق. وقوله (**صَبَا**): أي مال حبّاً وعشقاً. (**منهم**): أي مما ذكر. وقوله (**إلى وصف لبسها**): أي للمحبوبة الحقيقيّة، و(**اللَّبْس**): بالباء الموحّدة والسين المهملة، مصدر لَبَسْتُ الأمرَ لَبْساً من باب ضَرَب خَلَطتُه. قال تعالى: ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾ [٦/ الأنعام/ ٩] وفي الأمر لُبْسٌ بالضمّ، ولُبْسَةٌ أيضاً، أي: إشكال. والْتَبَسَ الأمرُ: أشكلَ، كذا في المصباح. والمعنى: في وصف لَبْسها ما تصف به الْتِبَاسَها من الصور المحسوسة والمعقولة، وهي الكائنات المعدومة المقدّرة الظاهرة بالوجود الحقّ القديم. وقوله (**بصورة حُسْن**): أي أثر الجمال الإلهيّ. وقوله (**لاح**): أي ظهر ذلك الحُسْن لمن شاء تعالى أنْ يظهره له، كإظهارصورة حُسْن لُبْنى في نظر قيس، وإظهار صورة ليلى في نظر مجنونها، وإظهار صورة حسن عزّة في نظر كُثيِّر، وكذلك وإظهار صورة حُسْن كلّ محبوبة أو محبوب في نظر العاشق. وقوله (**في حُسْن صُورة**): متعلّق بلاح، وهذا الإظهار على حسب إرادة الله تعالى.

٢٤٥- وَمَا ذَاكَ إلّا أنْ بَدَتْ بِمَظَاهِرٍ فَظَنُّوا سِوَاهَا وَهْيَ فِيهِمْ تجلَّتِ

(**وما ذاك**): أي اللَّبس المذكور في البيت قبله. وقوله (**إلّا أن بدتْ**): أي ظهرتِ المحبوبة الحقيقيّة. وقوله (**بمظاهر**): جمع مظهر، وهو ما فيه الظهور، وهي الآثار التي بظهورها يظهر المؤثّر فيها على قدرها بحكم ما هي عليه في علمه، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [١٥/ الحج/ ٢١] وقوله (**فظنّوا**): أي العشّاق المذكورون وغيرهم أيضاً. (**سواها**) : أي سوى المحبوبة الحقيقيّة يعني: غيرها. وسبب ظنِّهم ذلك رؤيتهم للصور

المقدرة المعدومة، وهم منها التي يظهر بها الوجود الحقّ فيظنُّون أن الظهور لها، وأنّها موجودة؛ وإنّما الظهور في الأمر للوجود الحقّ الواحد الأحد بها؛ لأنّها شؤونه، وأحكام ظهوره. وقوله (وهي): يعني المحبوبة الحقيقيّة. (فيهم): أي في تلك المظاهر ذكوراً كانوا أو إناثاً، وفيه تغليب الذكور على الإناث. وقوله (تجلّت): أي ظهرت، وكسرت التاء للقافية.

٢٤٦- بَدَتْ بِاحْتِجَابٍ وَاخْتَفَتْ بِمَظَاهِرِ عَلَى صِيَغِ التَّلْوِيْنِ فِي كُلِّ بَرْزَةِ

(بَدتْ): أي المحبوبة الحقيقيّة، يعني: ظهرت. وقوله (باحتجاب): أي استتار عن أبصار الجاهلين بها وعن بصائرهم. وهذا الاحتجاب إنّما حصل للجاهلين من جهتهم، لا من جهتها هي؛ لأنّها هي ظاهرة في نفسها؛ وإنّما الجاهلون ناظرون إلى أنفسهم وغيرهم من الأكوان، وجاعلون ظهورها بوجودها الحقّ لأنفسهم، ولغيرهم من الأكوان. وأنفسهم وغيرهم من جميع الأكوان أمور عدميّة صادرة عن ذلك الوجود الحقّ، كصدور المعاني الواردة على خواطر البشر؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [٥١/ الذاريات/ ٢١] وقال سبحانه: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ﴾ [٥١/ الذاريات/ ٢٣] وهو النطق النفسانيّ المخصوص بالنوع الإنساني. وقد أشرنا إلى ذلك بقولنا/ [١٤٨/ ب] في مطلع قصيدة لنا في ديواننا:

لمائـــــــــه كلّنـــــــــا أواني ونحـــــن في نفـــــسه معـــــاني

وقوله (على صيغ): قال في القاموس: «صَاغَ الله فلاناً صِيْغَةً حَسَنَةً: خَلَقَهُ». وقوله (التلوين): مصدر لوّنه بتشديد الواو، أي: جعله ذا لون، أي: هيئة كالسواد. وقوله (في كلّ برزة): أي ظهور من ظهوراته سبحانه؛ فإنّ له تعالى ظهورات بعدد كلّ شيء محسوس ومعقول في الدنيا والآخرة إلى الأبد، وهو الواحد الأحد.

٢٤٧- فَفِي النَّشْأَةِ الأُوْلَى تَرَاءَتْ لِآدَمٍ   بِمَظْهَرِ حَوًّا قَبْلَ حُكْمِ الأُمُومَةِ

(**ففي النشأة**) : أي الخلقة الأولى من هذا النوع الإنساني. وقوله (**تراءت**): أي ظهرت. يعني: المحبوبة الحقيقيّة، يقال: تراءى لي: تصدّى لأراه. (**لآدم**): وهو أبو البشر عليه الصلاة والسلام. وقوله (**بمظهر**): متعلّق بتراءى، أي: بما فيه الظهور؛ وهو عدم مقدّر، وهو حوّاء، زوجة آدم عليه السلام. وقوله (**قبل حكم الأمومة**): أي قبل ظهور حكم الأمومة في هذا النوع الإنسانيّ، لأنّ بها ظهر حكم الأمومة، وحوّاء قبل الولادة لم يكن لها أمومة؛ فأوّل ظهور هذه المحبوبة الحقيقيّة بصفة المحبوبيّة لآدم عليه السلام في صورة حوّاء لإظهار هذا الحكم المذكور.

٢٤٨- فَهَامَ بِهَا كَيْمَا يَكُوْنَ بِهَا أَبَاً   وَيَظْهَرُ بِالزَّوْجَيْنِ حُكْمُ البُنُوَّةِ

(**فهام**): أي آدم عليه السلام. (**بها**): أي بِحَوًّا وأحبّها. (**كيما**): كي تعليليّة، وما زائدة. وقوله (**يكونَ**): منصوب بأن مضمرة بعد كي، أي: لكي أن يكونَ، أي: آدم عليه السلام. وقوله (**بها**): أي بِحَوَّاء، يعني: بسببها. وقوله (**أباً**): خبر يكونَ؛ فإنّ حكم الأُبوّة أوّل ما ظهر بآدم عليه السلام في هذا النوع. وقوله (**ويظهر بالزوجين**): أي بسببهما، وهما: آدم وحوّاء عليهما السلام؛ فالألف واللام للعهد. وقوله (**حكم**): فاعل يظهر. و(**البنوّة**): بتقديم الباء الموحّدة على النون؛ فإنّ الأولاد لا يقال لهم أبناء إلّا بالأبوين، وهما الزوجان.

٢٤٩- وَكَانَ ابْتِدَا حُبُّ المَظَاهِرِ بَعْضِهَا   لِبَعْضٍ وَلَا ضِدٌّ يُصَدُّ بِبِغْضَةِ[1]

(**وكان**): أي ذلك الحبّ الواقع من آدم لحوّاء عليهما السلام. وقوله (**ابتدا**): بالقصر لضرورة الوزن، خبر كان. و(**حبّ**): أي محبّة. وقوله (**المظاهر**): مضاف إليه، جمع مظهر، وقدّمنا بيانه. وقوله (**بعضها**): بدل من المظاهر، بدل بعض من كلّ، والضمير للمظاهر. وقوله (**لبعض**): متعلّق بحبّ. وقوله (**ولا ضدّ**): بكسر

(١) في (ق): لبِغضة.

الضاد المعجمة، أي: مخالف ومنافر بين المحبّ ومحبوبه؛ إذ المحبّة تحرق بنارها رؤية مثل للمحبوب، أو مغاير له، فيما أنفرد به من الحسن، فلا يتصوّر المخالف والمنافرمع المحبّة. وقوله (يصدّ): أي يمنع ويصرف عن المحبوب. قال في القاموس: «صَدَّ فلاناً عن كذا مَنَعَه وصَرَفَه كَأَصَدَّهُ». وقوله (بِبِغْضَةٍ): بكسر الباء الموحّدة، متعلّق بيصدّ. و(البُغضُ): بالضمّ ضِدُّ الحبّ. والبِغْضَة، بالكسر والبَغْضَاء: شدّته، وبَغُضَ كَكَرُمَ ونَصَرَ وفَرِحَ؛ فهو بَغِيْضٌ». كذا في القاموس.

٢٥٠- وَمَا بَرِحَتْ تَبْدُو وَتَخْفَى لِعِلَّةٍ عَلَى حَسَبِ الأَوْقَاتِ فِي كُلِّ حِقْبَةِ

(وما برحت): أي ما زالت، من برِحَ مكانه ـ كَسَمِعَ ـ زَالَ عنه، والضمير المستتر راجع إلى المحبوبة الحقيقيّة. وقوله (تبدو): أي تظهر. (وتخفى): أي تستتر. وقوله (لعلّة): أي لأجل وجود علّة في الذي تبدو له وتخفى عنه، لا فيها هي، وتلك العلّة قوّة بصيرة في الذي تبدو له بإمداد منها روحانيّ، وضعف قوّة في بصيرة الذي تخفى عنه بعدم ذلك الإمداد الروحانيّ، ومرجع تلك الصلة إلى حكمة من جهة أفعالها/ [١٤٩/ أ] تقتضي ظهورها واختفائها من قبيل قوله تعالى: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٍ﴾ [٦/ الأنعام/ ٣٩]. وقوله (حسب): أي مقتضى الأوقات، جمع وقت، وهو المِقدار من الدّهر، وأكثر ما يُستعمل في الماضي، كذا في القاموس. فإنّ كلّ وقت يقتضي إظهار ما يناسبه مما لا يعلمه إلّا الله تعالى، ولنا من المواليا في هذا المعنى قولنا:

هـذا زمـان لـه أهـل إذا حقّقـت وجـدتهم مثلـه سـترت أو شـققت
ولا تعانـد وسـلّم للـصفا والمقـت فإنّما الغالـب المغلوب حكـم الوقـت

وقولنا الغالب، أي: على غيره من الأوقات، المغلوب بحكم إيجاده تعالى له في محلّه. واعلم أنّ ظهور هذه الحقيقة الإلهيّة في المظاهر كما مرّ ذكره، واختفاءها في المظاهر المذكورة على حسب مراد الله تعالى أمر دائم لا ينقطع إلى الأبد؛ لكن في بعض الأزمان تتجلّى للعارفين فيعرفونها، ويتحقّقون بها، وفي بعض الأزمان

تختفي اختفاء بحيث لا يمكن الاطّلاع عليها، فيؤمنون بها غيباً، لا حضوراً. وقوله (في كلّ حِقْبَةٍ): بكسر الحاء المهلة، هي من الدهر مُدَّة لا وقت لها، وجمعها حِقَب وحُقُوب، كعِنَب وحُبُوب، والحُقْب، بالضمّ وبضمَّتين: ثمانون سنة أو أكثر، والدهر، والسَّنَة أو السِّنُونَ، وجمعه: أَحْقَاب وأَحْقُب، كذا في القاموس.

٢٥١- وَتَظْهَرُ لِلْعُشَّاقِ فِي كُلِّ مَظْهَر   مِنَ اللَّبْسِ فِي أَشْكَالِ حُسْنٍ بَدِيْعَةِ

(وتظهر): أي وما برحت تظهر للعشاق؛ يعني: المحبوبة الحقيقيّة. وقوله في كلّ مظهر): أي أثر من آثارها معدوم في نفسه، فتكون هي وجوده الذي هو موجود بها، لا وجود له غيرها. وقوله (من اللَّبس): أي الالتباس، بيان المظهر، فإنّ ذلك الأثر المعدوم قي نفسه يحجبها عند نفسه، لا عندها، فيحصل به التباسها عنده، فيشهد غيرها، وما في الوجود غيرها؛ لأنّه ليس في الوجود إلّا الوجود؛ وهو الحقّ. وقوله (في أشكال): جمع شكل بالفتح، وهو الشَّبَه والمِثْل، ويُكسر، وواحد الأشكال للأمور المُخْتَلِفَة: المُشْكِلَة، وصورة الشيء المحسوسة والمتوهّمة، كذا في القاموس. وقوله (حُسْن): مضاف إليه، وهو أثر الجمال الذاتيّ كما ذكرنا. وقوله (بديعة): وصف لأشكال. والبديع: المبتدع المخترع، وهو الغاية من كلّ شيء.

٢٥٢- فَفِـي مَـرَّةٍ لُبْنَـى وَأُخْـرَى بُثَيْنَـةٌ   وَآوِنَــــةً تُــــدْعَى بِعَـــزَّةَ عَـــزَّةِ

(ففي مرّة): يعني المحبوبة الحقيقيّة. (لُبنى): أي هي لُبنى، وهي محبوبة قيس؛ يعني: تظهر في مظهرها. وقوله (وأخرى): أي في مرّة أخرى. (بُثَيْنَة): أي هي بُثَيْنة بضمّ الباء الموحّدة وفتح الثاء المثلّثة وسكون الياء التحتيّة، والنون، والهاء: اسم امرأة من محبوبات العرب. وهي مرفوعة كلبنى على أنّها مبتدأ، وما قبلها خبر. وقال في القاموس: «بُثَيْنَةُ العُذْرِيَّةُ ـ كجهينة ـ صاحبة جميل». اسم رجل عاشق من العرب. ومعنى العُذْرِيَّة: منسوبة إلى بني عُذْرَة، قبيلة من العرب. وقوله (وآونة): جمع أَوَان، وهوالحِين، ويُكْسَر، وجمعه آوِنَة، ويَصْنَعُهُ آوِنَة وآيِنَة: إذا كان يَصْنَعُهُ

مراراً، ويَدَعُهُ مراراً، كذا في القاموس. وقوله (تُدْعَى): بالبناء للمفعول، أي: تسمّى. يعني: المحبوبة الحقيقيّة. (بعَزَّة): متعلّق بتُدعى، والعَزّة: بنت الظبية، وبها سُمِّيت محبوبة كُثَيِّر بالتصغير، كما ذكرناه سابقاً. وهي مضافة إلى (عِزَّةٍ): بكسر العين المهملة، مصدر عَزَّ يَعِزُّ، قال في القاموس: «عَزَّ يَعِزُّ عِزّاً وعِزَّةً بكسرهما، وعَزَازَةً: صار عَزيزاً» والمعنى: بعَزّة ذات العِزَّة، بمعنى العزيزة في قومها. والحاصل: إنّ هذه المحبوبة الحقيقيّة تارة [١٤٩/ب] هي لُبنى قيس، صُوِّرتْ صُورتها من قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ [٥٩/الحشر/٢٤] وقوله سبحانه: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [٤٠/ غافر/ ٦٤] ومعلوم أنّ الصورة أمر عدميّ، مادّته العدم الصرف. ثمّ تجلّى وانكشف بتلك الصورة: الوجود الحقّ القديم بطريق التّوجّه بها، وهي حضرة علمه القديم، فظهر الوجود الحقّ في صورة لبنى قيس، وإن لم يشعر قيس العاشق بذلك. والوجود الحقّ باعتبار ذلك هو تلك المحبوبة الحقيقيّة، وكذلك الحال في ظهوره بصورة بثينة جميل وإن لم يشعر بذلك عاشقها جميل. وكذلك الحال في الظهور بصورة عزّة كُثَيِّر وإنْ لم يشعر بها عاشقها كُثَيِّر لغلبة الجهل عليه بالله تعالى وبنفسه. وقد قال صلّى الله عليه وسلّم: «إنّما الأعمال بالنيّات، وإنّما لكلّ امرئ ما نوى»[1] وكلّ واحد من قيس وجُميل وكُثير في نيّته أنّه يحبّ مخلوقاً، فهو مخلوق يحبّ مخلوقاً مثله، كما قال صلّى الله عليه وسلّم: «حبّك الشيء يعمي ويصمّ »[2] أي: يعمي عن رؤية الحقّ الحقيقيّ، ويصمّ عن سماعه، لأنّه إنّما أحبّ شيئاً هالكاً فانياً آفلاً، كما قال تعالى: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [٢٨ / القصص/ ٨٨] أي: إلّا ذاته، وهي الوجود الحقّ الحقيقيّ. وقال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ٢٦] أي: ذاته

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله، ١، وللحديث أطراف كثيرة.

(٢) أخرجه أحمد في المسند، باب: باقي حديث أبي الدرداء، ٢٢٣٢٢.

الوجود الحقّ الحقيقيّ. وقال إبراهيم عليه السلام: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ﴾ [٦/الأنعام/ ٧٦] وتقديره إنّما أحبّ الوجود الحقّ الذي لا يأفل أبداً وهو الظاهر، والظاهر يصوّر الكواكب الثلاث وغيرها، وهذا بيان لمراده بقوله في الأوّل: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ [٦/الأنعام/ ٧٦] إلى غير ذلك من النصوص القطعيّة، والعارف بالله تعالى وبنفسه عرفت كلامه في ذلك، فأعماله بنيّته، وله ما نوى.

٢٥٣- وَلَسْنَ سِوَاهَا لَا وَلَا كُنَّ غَيْرَهَا وَمَا إِنْ لَهَا فِي حُسْنِهَا مِن شَرِيكَةِ

(ولسْنَ): ضمير جمع الإناث، راجع إلى المحبوبات الثلاث: لُبنى وبثينة وعزّة. وقوله (سواها): أي غير هذه المحبوبة الحقيقيّة، المكنّى عنها في جملة ما تقدّم وما يأتي عن الوجود الحقّ الحقيقيّ، الموجود بوجوده ذلك كلُّ موجود من: محسوس، ومعقول، وموهوم ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [١٦/ النحل/ ٨] ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [٧٤/ المدّثر/ ٣١]، ولم يقل: هن عينها وإنْ لزم ذلك من الكلام؛ لأنّ عينها فانية معدومة، والوجود للمحبوبة الحقيقيّة وحدها، وتلك الأعيان الثلاث الفانية المعدومة يستحيل عقلاً وشرعاً أنْ يكن منتهين الوجود الحقّ الحقيقيّ؛ وإنّما لسن هن غيره كما قال قدّس الله سرّه وأحسن في مقالته. ثم قال (ولا كُنّ): بتشديد النون، أي: تلك المحبوبات الثلاث. (غيرها): أي غير هذه المحبوبة الحقيقيّة. والمعنى: لم يوجدنَ من الأصل بوجود غير وجودها؛ فالوجود لها وحدها، والصور المختلفة الفانيات المعدومات قائمات بالغرض، والتقدير لتلك المحبوبات المذكورة. ثمّ قال: (وما إنْ): بكسر الهمزة وسكون النون حرف زائد لتقوية الكلام وتوكيده. وقوله (لها): أي لهذه المحبوبة الحقيقيّة. وقوله (في حسنها): أي أثر جمالها الحقيقيّ (من شريكة): أي من صورة موجودة بوجود ثانٍ، مشاركة لها في حسنها الذي هو أثر جمالها الحقيقيّ؛ بل الحسن كلّه لها، لأنّه آثار جمالها الحقيقيّ؛ فالجمال لها حقيقة كما قدّمناه، والحُسن لها أيضاً، لأنّه أثر جمالها، وقد أعادت هذا الأثر لآثارها المخلوقة لها؛ فالكلّ لها، قال تعالى: ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَيْءٍ﴾ [٢٧/ النمل/ ٩١].

٢٥٤- كَذَاكَ بِحُكْمِ الاتِّحَادِ بِحُسْنِهَا   كَمَا لِي بَدَتْ فِي غَيْرِهَا وَتَزَيَّتِ

(**كذاك**): أي مثل ذلك الحكم الذي ذكر في المحبوبات الثلاث بأنهنّ لَسْنَ غير هذه المحبوبة الحقيقيّة من حيث الوجود، وأنّه لا وجود غيره. وقوله (**بحكم**): أي بمقتضى أمر الاتحاد الواقع بين الوجود الحقّ الواحد بين جميع التصويرات العدميّة/ [١٥٠/ أ] والتقديرات المسمّاة أشياء ومخلوقات كما مرّ غير مرّة. وقوله (**بحسنها**): متعلّق بالاتحاد، أي: اتّحادهن. يعني: المحبوبات المذكورة معها بسبب حُسنهنّ الذي هو عين حسنها الظاهر عن جمالها بطريق التأثير. وقوله (**كما لي بدت**): أي مثل بُدُوِّهَا، أي: ظهورها لي. وقوله (**في غيرها**): أي في صورها التي تصوّرها، وتقديراتها التي تقدِّرها من العدم الصرف. وقوله (**وتزيَّتِ**): بتشديد الياء التحتيّة، وكسر التاء للقافية، من الزِّيّ بالكسر: الهَيْئَة، وتَزَيَّا الرجلُ وزَيَّيتُهُ تَزْيِيَةً، كذا في القاموس.

٢٥٥- بَدَوْتُ لَهَا فِي كُلِّ صَبٍّ مُتَيَّمٍ   بِأَيِّ بَدِيْعٍ حُسْنُهُ وَبِأَيَّةِ

(**بدوتُ**): أي ظهرتُ لها، أي: للمحبوبة الحقيقيّة. وقوله (**في كلّ صبٍّ**): متعلِّق ببدوت. و(**الصبّ**): العاشق؛ يعني: ظهرت لها في صورة كلّ عاشق من حيث أنّي أنا عينها، أي: وجودي هو وجودها، وما عدا الوجود فانٍ فناءً أصلياً، وهو معدوم مقدّر. وقوله (**مُتَيَّم**): بالجر، وصف لصبّ. وقوله (**بأيٍّ**): متعلِّق بمتيّم. والتَّتَيُّمُ بمعنى إفراط المحبّة. وقوله (**بديع**): بالجر مضاف إليه، ومعناه الغاية في كلّ شيء. وقوله (**حُسْنُهُ**): بالرفع فاعل بديع. وقوله (**وبأيَّة**): بتشديد الياء التحتيّة فيهما، ومعنى ذلك هو معنى كم الخبريّة، فتدلّ على الكثرة، فمعنى بأيّ بديع حسنه: بكم شخص مذكر حسنه بديع هو الغاية في الحسن، وبكم صورة مؤنّثة حسنها بديع لا يُرى مثله.

٢٥٦- وَلَيْسُوا بِغَيْرِيْ فِي الهَوَى لِتَقَدُّمٍ عَـلَيَّ لِسَبْقٍ فِي اللَّيَالِي القَدِيْمَةِ

(وليسوا): أي العشّاق السابقون عليّ في الزمان الماضي. وقوله **(بغيري)**: متعلّق بواجب الحذف، خبر ليس. واسمها ضمير الجمع، وهو الواو. وقوله **(في الهوى)**: أي المحبّة والعشق، والجار والمجرور في محل نصب حال من الواو. وقوله **(لتقدّم)**: أي لأجل تقدّمهم عليَّ في الزمان، وسبقهم في الليالي والأيام المتقدّمة، فإنّ حقيقتي التي أنا بها أنا هي عين حقائقهم، وإنْ كانت صورتي العدميّة المقدّرة بتقدير حقيقتيّ لها هي غير صورهم العدميّة المقدّرة بتقدير حقائقهم كلّها التي هي عين الحقيقة الواحدة القديمة الأزليّة، وليس هذا من قبيل التناسخ في الأرواح الذي يعتقده أهل الباطل؛ لأنّ هذه الحقيقة الواحدة السارية في كلّ حقيقة كونيّة روحانيّة كانت أو جسمانيّة من غير سريان هي حقيقة الوجود الحقّ الواحد الأحد. وقولنا من غير سريان، أي: من غير تخلل وجود في موجود، لأنّ كلّ ما سوى الوجود الحقّ الواحد الأحد عدم صرف، مقدّر بتقدير على طبق علمه القديم، والوجود لا يسري في العدم، وإنْ سرى في التقادير العدميّة التي يقدّرها، بمعنى أنّه يظهر فيها، من غير حلول فيها، ولا اتحاد بها؛ وفي ردّ الشيخ العارف الكامل أبي مدين الغوث الذي أرسله إلى الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي قدّس الله سرّهما هويّة سارية، مظاهرها بادية، وجود عدم، صمت وصمم، إلى آخره.

٢٥٧- وَمَا القَوْمُ غَيْرِي فِي هَوَايَ وَإِنَّمَا ظَهَـرْتُ بِهِـمْ لِلَّـبْسِ فِي كُـلِّ هَيْئَـةِ

(وما القوم): أي جماعة العشّاق كلّهم. (غيري): أي يغايروني في هواي، يعني: في محبّتي وعشقي؛ فمحبّتي وعشقي عين محبّتهم وعشقهم. كما أنّ الظاهر بصورتي عين الظاهر/ [١٥٠/ ب] بصورهم، كما أنّ المتجلّي بصورة محبوبي هو عين المتجلّي بصور محبوبهم؛ فأنا وأياهم، ومحبوبي ومحبوبهم، وعشقي وعشقهم عين واحدة كما مرّ غير مرّة. وقوله **(وإنّما ظهرتُ بهم)**: أي بالقوم المذكورين. وقوله **(للبس)**: أي لأجل تحصيل الالتباس عليهم وعلى غيرهم من الناس بالظهور، **(في كلّ هيئة)**:

أي صورة من صور المحبّين، وصور المحبوبين، وصور المحبّة والعشق التي في كلّ محبوب وفي كلّ عاشق.

٢٥٨- فَفِي مَرَّةٍ قَيْسَاً وَأُخْرَى كُثَيِّراً   وَآوِنَــةً أَبْــدُو جَمِيْــلَ بُثَيْنَــةِ

(ففي مرّة قيساً): أي ظهرتُ لهم قيساً، وهو الذي كان يحبّ لبنى. وقوله (وأخرى): يعنى وفي مرّة أخرى ظهرتُ لهم (كُثَيِّراً): بالتشديد مصغّر، وهو الذي كان يحبُّ عَزّة بالفتح. وقوله (وآونة): بمدّ الهمزة جمع أوان، بمعنى حين. وقوله (أبدو): أي: كنت أبدو بمعنى أظهر حكاية الحال الماضية. وقوله (جميل): بالنصب. و(بثينة): مضاف إليه، بصيغة التصغير، اسم محبوبة من محبوبات العرب، ثم قال قدّس الله سرّه:

٢٥٩- تَجَلَّيْتُ فِيْهِمْ ظَاهِرَاً وَاحْتَجَبْتُ بَا   طِنَـاً بِهِـمِ فَاعْجَـبْ لِكَـشْفٍ بِـسُتْرَةِ

(تجلَّيتُ): أي انكشفتُ. وقوله (فيهم): أي في هؤلاء العشّاق المذكورين في البيت قبله. وقوله (ظاهراً): أي للعارفين بي المحقِّقين لفنائهم في وجودي. وقوله (واحتجبت باطناً): أي من جهة بطوني بهم، أي: بالعشّاق المذكورين؛ بحيث لا يعرفونني؛ لعدم معرفتهم بفنائهم في وجودي. ثمّ قال (فاعجب): يا أيّها الواقف على هذا الحال العجيب. (لكشف): أي ظهور. (بِسُتْرَةٍ): أي مع استتار؛ فإنّ كون الشيء[1] الواحد ظاهراً مستوراً أمرٌ عجيب، وإنْ كان ظهوره بالنسبة إلى معرفة العارفين واستتاره بالنسبة إلى جهل المحجوبين.

٢٦٠- وَهُنَّ وَهُمْ لَا وَهْنَ وَهْم مَظَاهِرٌ   لَنَــا بِتَجَلِّيْنَــا بِحُــبٍّ وَنَــضْرَةِ

(وهن): أي المحبوبات المذكورات، وكذا غيرهنّ من جميع المحبوبات والمحبوبين. وقوله (وهُم): أي العشّاق المذكورون، وكذا غيرهم من جميع العشّاق والعاشقات. وقوله (لا وَهْنَ): بسكون الهاء، قال في القاموس: «الوَهْن

---

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: «بلغ». أي بلغ مقابلة على نسخة المؤلّف.

الضَّعْف في العمل، ويُحرِّك» وقوله (وَهْمٍ): بسكون الهاء، أيضاً مضاف إليه، والوَهْم: الغَلَط والظنّ؛ يعني: لا ضعف في الكلام بسبب الغلط فيه أو الظنّ، وهي جملة معترضة بين المبتدأ والخبر. وقوله (مظاهر): جمع مظهر؛ يعني: ما فيه الظهور كما مرّ. وقوله (لنا): أي من حيث حقيقتنا لنا التي هي الوجود الحقّ الواحد. وقوله (بتجلِّينا): أي بسبب انكشافنا، أي: ظهور حقيقتنا لنا. وضمير الجمع للواحد المعظم نفسَه من حيث اسمه العظيم، وصفة العظمة التي له، أو مِنْ حيث كثرة المظاهر واختلاف التجلِّيات. وقوله (بحبٍّ): أي محبّة، يعني: بسببها، لأنّ المحبّة هي التي توصل العشّاق الإلهيّين إلى هذا المقام، وهو راجع إلى قوله (وَهُم): بضمير جمع الذكور الراجع إلى العشّاق. وقوله (ونَضْرَةٍ): بالضاد المعجمة، وفتح النون، قال في القاموس: «النَّضْرَة: الحُسْن، كالنُّضُور والنَّضَارَة». وهو راجع إلى قوله (وهُنَّ): بضمير جمع المؤنّث الراجع إلى المحبوبات؛ فإنّ حُسنهنَّ هو السبب في جذب قلوب العشّاق إليهن.

٢٦١- فَكُلُّ فَتَى حُبٍّ أَنَا هُوَ وَهْيَ حِبـ ـــبُّ كُـلِّ فَتـىً وَالْكُـلُّ أَسْـمَاءُ لُبْـسَةِ

(فكلّ فتى حُبّ): بضمّ الحاء المهملة، وكسرها أيضاً، أي: محبّة كذا في القاموس ووصفه بأنّه فتى، و(الفتى): هو السخيّ الكريم، من الفتوّة، وهي الكرم. وقوله (أنا هو): أي ذلك المتّصف بصفة الفتوّة بسبب اتّصافه بصفة المحبّة، وهذا مقام الاتّحاد من حيث العقل الأوّل/ [١٥١/أ] الروح والنفس الكليّة والاتّحاد من حيث الوجود الحقيقيّ كما مرّ تقديره. وقوله (وهي): أي المحبوبة الحقيقيّة. (حِبّ): بكسر الحاء المهملة، أي: محبوب كلّ فتى، وهذا هو الاتّحاد من حيث الوجود الحقيقيّ. وقوله (والكلّ): أي جميع المحبِّين والمحبوبين ذكوراً وإناثاً هم ذلك الوجود الحقيقيّ الواحد. وقوله (أسماء لُبسة): أي التباس، فأسماؤهم كلّها الحادثة واقعة على الظاهر بجميع صور الالتباس من حيث اسمه الظاهر وأسماؤه الحسنى القديمة واقعة عليه من حيث اسمه الباطن، واللِّبْسَة، بالكسر: الكُسوة.

قال في القاموس: «اللِّبْس، بالكسر: ما يلبِس الكعبة». والمراد بها هنا كسوة الوجود الظاهر بها، وهي تقاديره وتصاويره الحسيّة والعقليّة والوهميّة والخياليّة.

٢٦٢- أَسَامِي بِهَا كُنْتُ الْمُسَمَّى حَقِيْقَةً وَكُنْتُ لِيَ البَادِي بِنَفْسٍ تَخَفَّتِ

(أسامي): جمع اسم، وهو بدل من قوله (أسماء لبسة) في البيت قبله. وقوله (بها): أي بتلك الأسامي. وقوله (كنت المسمّى): بلام التعريف لإفادة الحصر. و(المسمّى): اسم مفعول. وقوله (حقيقة): تمييز، أي: من جهة حقيقية أمري ونفس ماهيّتي، وهي الوجود الحقّ المطلق؛ فإنّه المسمّى بجميع الأسامي، كما قلت من موشّح لي:

يا مسمّى بالأسامي كلِّها وهو المنزّه أنت في الكلّ مرامي فيك عيني تتنزّه

جامع الطلعة أزهر في شروق ومغيب كلّ شيء عقد جوهره حلية الحسن المهيب

وقوله (وكنت لي البادي): أي الظاهر. وتقديم المجرور للحصر. وكذلك لام البادي، أي: لست بادياً لغيري؛ إذ ما هنا غيري. وقوله (بنفس): متعلّق بالبادي، أي بذات، وهي الوجود الحقّ الواحد الأحد من قوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [٣/ آل العمران/ ٢٨] وقوله سبحانه: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [٥/ المائدة/ ١١٦]. والنفس بمعنى الذات نفس واحدة؛ فهو من حيث صورة اللبسة لا تعلم، ومن حيث هي على ما هي عليه تعلم، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [٢/ البقرة/ ٢١٦]. وقوله (تخفّتِ): بتشديد الفاء وكسر التاء للقافية، من الخفاء، بالخاء المعجمة، وهو الاستتار، صفة للنفس، أي: نفس مستترة؛ يعني: حقيقيّة ذاتيّة هي نفس الوجود الحقّ، مستترة بها تقدّره وتصوّره في نفسها من أعيان الممكنات بتجلّي اسمها المصوِّر.

٢٦٣- وَمَازِلْتُ إِيَاهَا وَإِيَّايَ لَمْ تَزَلْ وَلَا فَرْقَ بَلْ ذاتي لِذاتي أَحَبَّتِ

(وما زلت إيّاها): أي أن تلك النفس التي استترت بتقديرها إيّاي، وتصويرها لي، فيظهر للعين مقداري وصورتي. وفي الحقيقة إنّما هي تلك النفس المتخفّية

المستترة بالمقدار والصورة. وقوله (وإيّاي لم تزل): أي تلك الحقيقة المذكورة هي أنا كما أنّي أنا هي. والثاني تأكيد للأوّل. وقوله (ولا فرق (تأكيد أيضاً في المعنى، فإنّ نفي الفرق جمع، ونفي الجمع فرق. والجملة قرآن وفرقان؛ فالقرآن الجمع: وهو من ورائهم، أي: من حيث لا يعلمون محيط بكلّ شيء، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ﴾ ـ وهو الاسم الجامع لجميع الأسماء ـ ﴿مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾ [٨٥/ البروج/ ٢٠] يعني: بهم، ثمّ أضرب عن ذلك كلّه لبيان الحقيقة النازلة في منازل المقادير التي تقدّرها، والتصاوير التي تصوّرها فقال: ﴿بَلْ هُوَ﴾ أي: الله ﴿قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾ [٨٥/ البروج/ ٢١] فعيل بمعنى مفعول، أي: ممجّد به، أو بمعنى فاعل؛ لأنّه يمجّد نفسه بنفسه. ثمّ قال: ﴿فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ [٨٥/ البروج/ ٢٢] وهو النفس الكليّة من حيث أنّها تقديره وتصويره جملة واحدة إجمالاً. والفرقان: الفرق بالتفصيل في مقابلة ذلك الإجمال كما قال تعالى: ﴿نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ [٢٥/ الفرقان/ ١] وهو الفرق والتفصيل المذكور من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [٥٣/ النجم/ ١٣] وهي نزلة التفصيل بعد النزلة الأولى، نزلة الإجمال، ثمّ قال تعالى: ﴿عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ وهو نفسه الملتبسة بالصورة المخصوصة التي صورها لنفسه من قوله تعالى [١٥١/ ب] لموسى عليه السلام: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾ [٢٠/ طه/ ٤١] وبالمقدار المخصوص الذي قدّره لنفسه من قوله: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ [٢٠/ طه/ ٣٩] وهو نبيّه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلّم، ثمّ قال تعالى: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [٢٥/ الفرقان/ ١] أي: لباقي المقادير التي قدّرها، والتصاوير التي صوّرها لنفسه. وقوله (ذاتي): أي من حيث الاستتار بالمقدار والصورة المخصوصتين. وقوله (لذاتي): أي من حيث هي على ما هي عليه حيث تلك المقادير والتصاوير كلّها معدومة فانية. وتقديم المجرور للحصر. وقوله (أحبّتِ): بتشديد الباء الموحّدة وكسر التاء للقافية، أي: إنّها أحبّت ذاتي لذاتي لا لغيرها، وهو الاتّحاد الحقّ الحقيقيّ الذي يذكره الناظم قدّس الله سرّه، لا ما يتوهّمه الكاذبون في أنفسهم من غير ذوق له لبقاء نفوسهم عندهم وهم لا

يشعرون؛ فإنّ الطريق صدق كلّه، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ ﴾ [٣٩/ الزمر/ ٣٣] الآية .

٢٦٤- وَلَيْسَ مَعِي فِي المُلْكِ شَيْءٌ سِوَايَ وَالـ ـمعِيَّةُ لَـمْ تَـخْطُرْ عَـلَى أَلْـمَعِيَّةِ

(وليس معي): من حيث أنّي أنا تلك الحقيقة الواحدة، الوجود الحقّ، الحقيقيّ، المطلق. وقوله (في الملك): بضمّ الميم وسكون اللام، وهو ما ظهر من العوالم. وقوله (شيء): أي مشيوء بمشيتي. (سواي): يعني غيري، فلا لصدّ يغايرني؛ فإنّ ما به المغايرة لي، إنّما هو تقديريّ وتصويريّ من تجلّي اسمي المقدّر والمصوّر. وقوله (والمعيّة): نسبة إلى قولهم مع، قال في القاموس: «مع: اسم، وقد يُسكَّن وينوَّن، أو حرف خفض، أو كلمة تضمّ الشيء إلى الشيء، وأصلها: معاً، أو هي للمصاحبة، وتكون بمعنى عند، وتقول: كنّا معاً، أي: جميعاً». ومعنى المعيّة هنا: أنّ معي في الملك شيء سواي. وقوله (لم تخطر): من خَطَرَ بباله وعلى باله: ذَكَرَهُ بعد نِسْيَان، كذا في القاموس. وقوله (على ألمعيّتي): متعلّق بتخطر. والألمعيّة صفة هي نسبة أيضاً بالياء إلى الألمعي، وهو الذكيّ التوقّد.

٢٦٥- وَهَذِي يَدِي لَا أَنَّ نَفْسِي تَخَوَّفَتْ سِـوَايَ وَلَا غَـيْرِي لِـخَيْرِي تَرَجَّـتِ

(وهذي يدي): هي الكفّ، أو من أطراف الأصابع إلى الكَتِف، كذا في القاموس. كنّى بذلك عن العهد، يعني: هذي يدي سددتها للعهد بيني وبينك، وهو الحَلْف والقَسَم. وقوله (لا أنّ نفسي تخوّفت): بتشديد الواو، أي خافت ورهبت. (سِوَايَ): أي غيري؛ لأنّه لا غير لي عندي بحسب معرفتي وتحقّقي بنفسي أنّها هي الوجود الحقّ الواحد الأحد، ظاهر لي بصورتي التي صوّرها من اسمه المصوِّر لنفسه التي هي نفسي فلا تخاف نفسي سواي؛ وإنّما تخاف نفسي من حيث هي نفسي المتصوِّرة بالصورة التي صوّرتها نفسي الحقيقيّة لها، فظهرتُ بها لها فيها وفي غيرها من كلّ نفس هي كذلك، فنفسي تخاف من نفسي على حسب

المعنيين: معنى النفس المقيّدة بالقيود الإمكانيّة. ومعناها وهي مطلقة عن جميع ذلك، منزّهة عنه. وقوله (ولا غيري): من حيث ما هو غيري مقيّد بالقيود الإمكانيّة، وهو مفعول مقدّم لقوله (ترجّتِ): قُدّم لحصر نفي الترجّي. وقوله (لخير): متعلّق بقوله ترجّتِ. و(ترجّتِ): بتشديد الجيم وكسر التاء للقافية من الرجاء، وهو ضدّ اليأس، يعني: ما ترجيتُ الخير إلّا منّي؛ فالراجي أنا من حيث ظهوري بالصورة التي صوّرتها لنفسي من تجلّي اسمه المصوِّر، والمرجو للخير أنا من حيث بطوني بالحقيقة التي هي الوجود الحق، كما كان تخوّفي كذلك. ولا مانع من بقائه على طبيعته الأصليّة يخاف من كلّ الذي له قدرة عليه من البشر وغيرهم، ويرجو كلّ ذي خير ومنفعة من العباد، وهذا فتح للباب وإنّما يتذكر أولو الألباب.

٢٦٦- وَلَا ذُلَّ إِخْمَالٍ لِذِكْرِي تَوَقَّعَتْ وَلَا عِزَّ إِقْبَالٍ لِشُكْرِي[1] تَوَخَّتِ

(ولا ذلَّ): أي مذلّة. (إخمال): بالخاء المعجمة، مصدر أخمله الله ، يقال: خَمَل ذِكْرُهُ خُمُولاً: خَفِي، وهو خامل: سَقَطَ، لا نباهة له، كذا في القاموس. وقوله (لذكري): يعني بحيث لا أذكر لخمول ذكري بين الناس. وقوله (تَوَقَّعَتْ): أي نفسي، يعني: انتظرت وقوع ذلك الخمول من غيري؛ وإنّما انتظار نفسي وقوع الخمول لها، بحيث لا يعرفها أحد لتتحقّق بمعرفتها، ومعرفة ربّها/ [١٥٢/أ] منها، لا من غيرها. وقوله (ولا عزّ): خلاف الذلّ مفعول مقدّم لتوخّت. وقوله (إقبال): هو ضدّ إخمال الذكر، ومعناه: إقبال الناس عليه بالتعظيم والاحترام. وقوله (لشكري): أي لأجل حصول الشكر منّي لربِّي على تلك النعمة، كما أنّ إخمال ذكري لصبري، أي: لأجل حصول صبري على مشقّة ذلك. وقوله (توخَّتِ): بتشديد الخاء المعجمة وكسر التاء للقافية، من الوخى، وهو القصد، يقال: تَوخَّى رضاه: تحرّاه، كذا في القاموس. يعني: ولا تطلّبت نفسي من غيرها عزّ الإقبال لتحصيل شكر المنعم، وإنّما تطلبها ذلك منها بالحيثيتين المذكورتين.

---

(١) في (ق): بشكري.

٢٦٧- وَلَكِنْ لَصَدَّ الضِّدَّ عَنْ طَعْنِهِ عَلَى عُـلَا أَوْلِيَـاءِ الـمُنْجِدِيْنَ بِنَجْدَتِـي

(ولكن): حرف استدراك مما قبله، وكان جواب عن سؤال مقدّر، تقديره: إذا كنت في مقام الاتّحاد الحقّ الحقيقيّ، فكنت أنت تلك الحقيقة التي هي الوجود الحقّ الواحد الأحد، صُوِّرتْ لكلّ صورة مخصوصة، كما صُوِّرت لكلّ صورة من تجلّي اسمك المصوِّر، فظهرت بها بين تلك الصور كلِّها التي هي لك، وأنت ممتاز عن جميع صورك بمعرفتك بنفسك، فلا تخاف إلّا من نفسك، ولا تترجّى خيراً إلّا من نفسك، ولا تتوقع ذلّ الإخمال لذكرك لتحصيل مقام الصبر إلّا من نفسك، ولا تتوخى عِزّ الإقبال لتحصيل مقام الشكر إلّا من نفسك، فَلِمَ رجعتَ لأعمال عبادتك التي أنت عليها بوجه العبوديّة التي هي أكمل وأتمّ من العبادة، وقمت بها على وجه العادة كما سنذكره قريباً !. فأجاب بقوله (لصَدَّ): أي منع. قال في القاموس: «صَدَّ فلاناً عن كذا: مَنَعَه، وصَرَفَه». وقوله (الضِدِّ): بالضاد المعجمة، قال في القاموس: «الضِّدّ بالكسر: المُخالف». والمراد بالضّد هنا الجاهل بنفسه وبربِّه، الغافل عن الإحساس بتصرّف ربّه تعالى في ظاهره وباطنه، وهو المحجوب الذي يظنّ قيامه بنفسه، ويغره علمه بالأحكام الشرعيّة، وعمله الأعمال بقوّة نفسه البشريّة، وهو صاحب الشرك الخفي الذي يقول في حقِّه الشيخ العارف بالله أرسلان الدّمشقيّ قدّس الله سرّه: «كلّك شرك خفيّ، ولا يبيِّن لك توحيدك إلّا إذا خرجت عنك. وقد بسطنا الكلام على ذلك في شرحنا المسمّى: «بخمرة الحان ورنّة الألحان في شرح الشيخ أرسلان». وقوله (عن طعنه): يعني بالقول، أي: حكمه بالسوء والشرّ. وقوله (على عَلَا): بفتح العين المهملة، قصر للوزن، قال في القاموس: «عَلَا كسَمَا: الرفعة، وعَلِيَ في المكارم، كرَضِي، عَلاءً». وقوله (أولياء): جمع وليّ وهو المحبّ والصديق والناصر، وكلّها مناسبة هنا وهم طائفة أؤلياء الله تعالى العارفين المحقّقين. وقوله (المُنْجِدِيْنَ): من أَنجَد، بمعنى: أَعان. وقوله (بنجدتي): قال في القاموس: «النَّجْدُ الشجاع الماضي فيما يُعجز غيرَه

كالنَّجيد، وقد نَجُد ككَرُم نَجادة ونَجْدَةً». والمعنى: لأجل منع أهل الغفلة والحجاب عن إنكارهم واعتراضهم بالسبّ والقذف على أولياء الله تعالى الذين هم أصدقائي وأحبّائي والناصرون لي، والمعينون لي، بسبب إقدامي وشجاعتي في مقام الاتّحاد الإلهيّ الحقّ الحقيقيّ، المتحقّقون به مثلي على الوجه الأكمل ذوقاً ووجداناً.

٢٦٨- رَجَعْتُ لأَعْمَالِ العِبَادَةِ عَادَةً وأعْدَدْتُ أحْوَالَ الإرَادَةِ عُدَّتِي

هذا معلول لقوله في البيت قبله (**ولكن لصدّ الضدّ** ...إلخ) يعني: رجعت إلى الحالة الأولى التي كنت فيها في ابتداء سلوكي في طريق الله تعالى التي أخبر عنها بقوله فيما تقدّم:

كذا كنت حيناً قبل أن يكشف الغطا مــن اللــبس لا أنفــك عــن ثنويــة[1]

فأخبر عن نفسه أنّه كان محجوباً غافلاً عن ربّه، ملتبساً عليه أمر الحقيقة. وقوله (**لأعمال العبادة**): متعلّق برجعت، يعني: بعد تحقّقه بمقام الاتّحاد الحقّ، ومعرفته التامّة بنفسه، وأنّها مجرّد تجلّي وانكشاف ربّه الحقّ بصورته الظاهرة الجسمانيّة، والباطنة الروحانيّة النفسانيّة، الفاني كلّ ذلك في الوجود الحقّ/ [١٥٢/ ب] الحقيقيّ المطلق عن جميع القيود، وعرف إمكان نفسه. وكونه مقداراً مفروضاً من غير وجود، وإنّما هو ثابت بإثبات الوجود الحقّ له، كما قال تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [١٤/ إبراهيم/ ٢٧] والقول الثابت هو قول الله تعالى له: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [٢/ البقرة/ ١١٧] فإنّ هذا القول ثابت لله تعالى، ولا وجود له مستقل غير وجود الله تعالى، فساوى بقيّة الثابتات من الكائنات في أنّ وجودها واحد، وهو الوجود الحقّ الواحد الأحد، وامتاز عن الممكنات بالإطلاق الحقيقيّ؛ لأنّه وصف الحقّ المطلق. وامتازت الممكنات عنه بأنّها قيود وتقادير وتصاوير، ثمّ قال تعالى : ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [١٤/ إبراهيم/ ٢٧]

(١) انظر البيت ٢٣٠ من هذه القصيدة نفسها.

أي: المدّعين الوجودَ وهو ليس لهم؛ لأنّه للحقّ تعالى وحده، ولهم الثبوت ـ لا غير ـ الذي هو ضدّ النفي. ثمّ قال تعالى: ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [١٤/ إبراهيم/ ٢٧] يعني: على طبق علمه بهم؛ فمشيئته تابعة لعلمه، وعلمه تابع للمعلومات على ما هي عليه في عدمها الأصليّ كما حررناه في «شرحنا لتفسير القاضي البيضاوي». والمراد بأعمال العبادة التي رجع إليها ما سيذكره بعد ذلك من النسك، والعفّة، والصوم، وإحياء الليل، والأوراد، والصمت، والاعتكاف، والعزلة، والورع، والقناعة... إلى غير ذلك، بشرط أنْ يفعلها بنفسه، فيكون عابداً بها ربّه، لأنّ العبادة لا بدّ لها من اعتقاد وجود عابد ومعبود وعمل يسمّى عبادة، إمّا بظاهره أو بباطنه. وهذا تثليث، وهو الشرك الخفيّ الذي قاله النبيّ صلى الله عليه وسلّم: «الشرك في أمّتي أخفى من دبيب النمل على الصفا»(١) وقال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [١٢/ يوسف/ ١٠٦]. وخاطب به الشيخ أرسلان ـ قدّس الله سرّه ـ السالكَ في طريق الله تعالى بقوله في ابتداء رسالته: «كُلُّكَ شركٌ خفيّ» ومن هذا القبيل قول العلماء: «حسنات الأبرار سيئات المقرّبين». وقال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ [٤٣/ الزخرف/ ٣٢]. وقوله (**عادة**): تمييز لأعمال العبادة، أي: كان رجوعي لأعمال العبادة على وجه العادة؛ يعني: أعملها بسبب اعتيادي على عملها كما كنت كذلك في ابتداء السلوك، كما هو عمل المحجوبين الغافلين عن مشاهدة ربّهم؛ فإنّهم يعبدون ربّهم عادة اعتادوا عليها، وألفوا المواظبة عليها، واطمأنّت نفوسهم إليها من غير شهود لهم فيها ولا حضور، والشرك الخفيّ حشو ضمائرهم، لا يستطيعون الفرار منه؛ فهم أبرار صالحون لأولياء محقّقين مقربين: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ [٢/ البقرة/ ٦٠] فالعبادة لمّا كانت تقتضي عابداً ومعبوداً وعملاً يسمّى عبادة كانت هي التي تصدر من هؤلاء الأبرار

---

(١) انظر تخريجه ص٦٨٧.

الصالحين. وأمّا العبادة التي تصدر من الأولياء المقرّبين المحقّقين ـ وإنْ كانت صورتها على صورة العبادة ـ فإنّها تسمّى عبودة وعبوديّة. وليس في ذلك فعل بالنفس، بل ولا نفس في ذلك مع الله تعالى، وصاحبها صاحب توحيد حقيقيّ، وإيمان كامل. إذا علمت ذلك فيكون قول الناظم قدّس الله سرّه: (رجعتُ لأعمال العبادة عادة): يعني من مقام المقرّبين العالي إلى مقام الأبرار الذي هو أدنى منه. وعلّة ذلك لأجل مشاركة الأبرار الصالحين الذين هم ضدّ الأولياء المنجدين بنجدته؛ وهم المحقّقون المقرّبون. ومعنى الضِّديّة ما ذكرنا من أنّ حسناتهم وهم أبرار سيئاتهم وهم مقرّبون. فإنْ قلت كيف يجوز للإنسان أن يرجع عن مقامه إلى مقام لو فعل صاحبه ما عسى أن يفعل من الحسنات فهي سيئات عنده في مقامه الذي هو فيه؟! وكيف يترك الأعلى ويرجع إلى الأدنى مخافة طعن الأدنى في مقام الأعلى؟!. قلت ليس هذا رجوعاً في نفس الأمر؛ وإنّما هو من قبيل قوله تعالى للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم: ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ﴾ [١٨/ الكهف/ ١١٠] لأنّ المثليّة سبب عظيم من أسباب المتابعة والاقتداء، فرُكِّبت البشريّة في الأنبياء عليهم السلام ظاهراً لئلاً تنفر منهم الخلق، ولتتبعهم أممهم ويقتدوا بهم. ورجعت الأولياء في حال نهاياتهم إلى مقام بداياتهم أيضاً ظاهراً لئلا تنفر منهم الخلق، وتطعن عليهم، ولتتبعهم المريدون/[١٣٥/ أ] ويقتدوا بهم. والأنبياء عليهم السلام على ما هم عليه باطناً من نبوّاتهم، ولهذا قال تعالى بعد ذكر المثليّة: ﴿ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ﴾ [١٨/ الكهف/ ١١٠] وقال الناظم قدّس الله سرّه فيما سيأتي بعد ذكر ما به المثليّة متى حلّت عن قولي أنا هي ...إلخ إشارة إلى أنّ الأولياء المقرّبين أيضاً على ما هم عليه باطناً من مقام القرب، وقال هنا (**وأعددت أحوال الإرادة عدّتي**): إشارة إلى ذلك. فإنْ قلت قوله (**رجعت إلى أعمال العبادة**) يقتضي أنّه كان تاركاً لأعمال العبادة قبل رجوعه إليها؟!. قلت: لم يكن تاركاً لأعمال العبادة؛ وكيف يكون تاركاً لأمر كان بسببه واصلاً إلى ربّه، وهو عمله الصالح، وإنّما لم تكن أعماله

تسمّى أعمال عبادة؛ وإنّما هي شكر لربّه على النعم التي هو منعم بها عليه، كما قال تعالى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [٣٤/ سبأ/ ١٣] يعني: الذين أعمالهم شكر لربّهم؛ فإنّ المقرّبين أعمالهم شكر لربّهم، فليس لهم أعمال هي منهم لطلب الجزاء من ربّهم عليها، بخلاف الأبرار الصالحين؛ فإنّ أعمالهم كلّها لطلب الجزاء وإنْ كانوا بها مخلصين. وقال الشيخ أرسلان قدّس الله سرّه في مقام المقربين: «طريقتنا محبّة لا عمل، وفناء لا بقاء». ثمّ فسّر ذلك بقوله أيضاً: ﴿كُن﴾ [٢/ البقرة/ ١١٧] من قبيل المنّة، لا من قبيل العمل، أي: انظر لأعمالك مِنناً عليك من ربّك، لا أعمالاً أنت عاملها؛ لأنّ العمل يحتاج إلى عامل، فلا يكون إلّا مع دعوى الوجود مع الله تعالى المعمول له بخلاف المنّة التي يمنّ بها الله تعالى على من يشاء من عباده، فليس من شرطها دعوى الوجود؛ فإنّه تعالى مَنَّ بالوجود على الممكنات المعدومة، فأوجدها منةً منه تعالى عليها. وقوله **(وأعددت)**: أي أحضرت وهيّأت. **(أحوال)**: جمع حال. وقوله **(الإرادة)**: أي التوجّه إلى جنات الحقّ تعالى بتحقيق مقام الاتّحاد الحقّ الذي ذكرناه فيما مرّ. وقوله **(عُدّتي)**: بالضمّ، أي: ذخيرتي وعمدتي التي أعتمد عليها.

٢٦٩- وَعُدْتُ بِنُسْكِي بَعْدَ هَتْكِي وَعُدْتُ مِنْ خَلَاعَةِ بَسْطِي لِانْقِبَاضٍ بِعِفَّةِ

(وعدت): أي رجعت من حالتي التي لا دعوى عمل لي فيها؛ وإنّما أعماله فيها كلّها مِنَنٌ عليه من الله تعالى، حيث هو متحقّق بمعرفة نفسه على ما هي عليه من العدم المقدّر، وبمعرفة ربّه على ما هو عليه من الوجود الحقّ الحقيقيّ المطلق. وقوله **(بِنُسْكِي)** متعلّق بعدت، أي: ملابساً لنسكي. والنُّسْك، بضمّ النون وسكون السين المهملة، قال في القاموس: «مثلثة، وبضمّتين: العبادة، وكلّ حقّ لله تعالى». وقوله **(بعد هتكي)**: أي فضيحتي، وعدم مبالاتي، وكثيف الستر. وسبب ذلك عدم الدعوى النفسانيّة في كلّ ما يصدر عنه من الأعمال، لشهوده فناء نفسه في

وجود ربّه، وغلبة ذلك عليه بحيث لا يقدر على الرجوع إلى حالة إحساسه إلّا قليلاً بحسب مراد الله تعالى له ذلك الرجوع في بعض الأوقات، ويحفظ الله تعالى عليه وقته؛ فلا يجري عليه في تلك الحالة لسان ذنب، ولا يترك عملاً كلّف به عناية من الله تعالى سبقت له، فيعمل الأعمال الصالحة بأن تظهر عليه، وهو غير عامل لها، كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [٣٧/ الصافات/ ٩٦] أي وعملكم. وذكر الشيخ الأكبر قدّس الله سِرَّه في الفتوحات المكيّة في الباب الرابع والأربعين في البهاليل وأئمّتهم في البهللة، وأراد بهم قدّس الله سرّه قوماً استغرقتهم الواردات الإلهيّة، والمعارف الرّبانيّة، وحفظ الله عليهم أحوالهم، وأعمالهم، فلم يكلّفهم عملها بنفوسهم؛ ولكن شرَّفهم بها، فهم في تشريف لا تكليف، لمحو نفوسهم في تجلّيه، وظهوره عندهم في تدلّيه، قال الشيخ قدّس الله سرّه: «وقد لقينا جماعة منهم، وعاشرناهم، واقتبسنا من فوائدهم. ولقد رأيت واحداً منهم يلازم المسجد، ويصلِّي في أوقات الصلوات، وربّما كنت أسأله عندما أراه يصلّي أقول له: أراك/ [١٥٣/ ب] تصلِّي فيقول لي: لا والله ، إنّما أراه يقيمني ويقعدني، وما أرى ما يريد بي. أقول له: فهل تنوي في صلاتك هذه أداء ما افترض الله عليك. فيقول: أيش تكون النيّة؟!. أقول له: القصد بهذه الأعمال القربة إليه تعالى. فيضحك، ويقول: أنا أقول له: أراه يقيمني ويقعدني فكيف أنوي القربة إلى من هو معي، وأنا أشهده، ولا يغيب عنِّي. هذا كلام المجانين! ما عندكم عقول!. ثمّ بسط الكلام، قال قدّس الله سرّه عن نفسه: ولقد ذقت هذا المقام، ومرّ عليّ وقت أُؤدِّي فيه الصلوات الخمس إماماً بالجماعة على ما قيل لي بإتمام الركوع والسجود، وجميع أحوال الصلاة من أفعال وأقوال، وأنا في ذلك كلّه لا علم لي بذلك، لا بالجماعة، ولا بالمحلّ، ولا بالحال، ولا بشيء من عالم الحسّ، لشهود غلب عليّ، غيِّبت فيه عنِّي وعن غيري. فأخبرت أنّي كنت إذا دخل وقت الصلاة أقيم الصلاة، وأصلِّي بالناس، فكان حالي كالحركات الواقعة من النائم ولا علم له بذلك، فعلمت أنّ الله

حفظ عليّ وقتي، ولم يجرِ على لساني ذنبٌ ولا عتب، كما فعل الشبلي في ولَهِهِ، ولكنّه كان الشبلي يرد في أوقات الصلوات ـ على ما روي عنه ـ فلا أدري هل كان يعقل ردّه، أو كان في مثل ما كنت فيه، فإنّ الراوي ما فصل، فلمّا قيل للجنيد عنه قال: الحمد لله الذي لم يجر عليه لسان ذنب إلّا أنّي كنت في أوقات في حال غيبتي أشاهد ذاتي في النور الأعمّ، والتجلّي الأعظم بالعرش العظيم يصلّي بها، وأنّي عَرِيٌّ عن الحركة بمعزل عن نفسي، وأشاهدها بين يديه راكعة وساجدة، وأنا أعلم أنّ ذلك الراكع والساجد كرؤية النائم واليد في ناصيتي، وكنت أتعجّب من ذلك وأعلم أنّ ذلك ليس غيري، ولا هو أنا. ومن هناك عرفت المكلّف والتكليف. والمُكَلّف: اسم فاعل واسم مفعول»[1]. ولعلّ هذه كانت حالة الناظم قُدِّس سرّه، وكان محفوظاً عليه أحواله وأوقاته على طبق الشريعة المحمّديّة. ثمّ صحا بعد ذلك فعاد إلى القيام بذلك بنفسه عن قصد تعمّد موافقة للأبرار الصالحين في أعمالهم الصالحة بنفوسهم لصدّهم عن الطعن في حقّ المأخوذين عن نفوسهم في استيلاء تجلّيات ربّهم عليهم، فإنّهم ضدّهم، لأنّ القيام بالنفوس في طاعة الله تعالى قربة كاملة عند الأبرار الصالحين، وذلك كلّه سيئات في نظر المشاهدين المقرّبين، كما ذكر الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي قدّس الله سرّه في الفتوحات المكيّة، باب التقوى وبيَّنها وبيَّن فضلها من مقام الأبرار.

ثمّ ذكر بعده باب ترك التقوى من مقام المقرّبين، وبيَّن أن تركها عندهم أفضل من فعلها بنفوسهم، بل فعلها بنفوسهم عندهم سيئة لا حسنة. وذكر أيضاً باب الورع، ثمّ باب ترك الورع، ثمّ باب الشكر، ثمّ باب ترك الشكر، وباب الزهد، ثمّ باب ترك الزهد ..إلى غير ذلك. والمراد بتركها الأفضل فعلها بالله حتى يكون تعالى هو الفاعل لها، كما هو في نفس الأمر كذلك، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا

(١) انظر: الفتوحات المكيّة، الباب الرابع والأربعون، ١ / ٤١٥.

تَعۡمَلُونَ﴾ [٣٧/ الصافات/ ٩٦] أي: وعملكم التقوى، عملهم مجرد نسبة شرعيّة، وهي خلق الله تعالى، وإيجاده، فلا بدّ عند المقرّبين من ترك النفوس لها، أي: الكشف عن النفوس بأنّها تاركة لها ليتبرّؤوا عن الشرك الخفيّ كما تبرّؤا عن الشرك الجليّ. وأمّا عند الأبرار فلابدّ من عملها بالنفوس، والقيام فيها بنفوسهم وذلك طاعة منهم لله تعالى والإشارة إلى هذين المقامين بقوله تعالى: ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ [٨٣/ المطفّفين/ ١٨] فكتابهم نفوسهم المكتتبة فيها تأثيرات أعمالهم الصالحة، فإنّ كلّ عمل بالجوارح خيراً كان أو شرّاً له أثرٌ في النفس، فذلك كتابته. وقد أشار إليه القاضي البيضاوي في سورة الإسراء في قوله تعالى: ﴿وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ [١٧/ إسراء/ ١٣] ثمّ قال تعالى: ﴿كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ﴾ [٨٣/ المطففين/ ٢٠ـ ١٩] أي: مقام/ [١٥٤/ أ] نفسانيّ رقم الله تعالى فيه لذائذ الشهوات، يشهده المقرّبون، أي: يعرفونه ويتحقّقون به، وهي منزلة في الجنّة نفسانيّة، قال تعالى: ﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ﴾ [٣٢/ السجدة/ ١٧] وقال تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُ﴾ [٤٣/ الزخرف/ ٧١] والمقرّبون يشهدون ذلك، ويعرضون عنه، من قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ﴾ [٦/ الأنعام/ ٥٢]. وقال صلّى الله عليه وسلّم: «من أمّتي من يدخل الجنّة بالسلاسل»[1] . وقالت رابعة العدويّة قدّس الله سرّها: «ما عبدتك خوفاً من نارك، ولا رغبة في جنّتك، ولكن حبّاً لوجهك الكريم». ثمّ قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ﴾ [٨٣/ المطففين/ ٢٢-٢٥] وهي المعارف الإلهيّة التي تضمّنتها العقائد الإيمانيّة والأعمال الصالحة المرضيّة؛ فيعتقدونها ويعملون بها، وهي مختومة عنهم، غير مفتوحة لهم. ثمّ قال تعالى: ﴿خِتَٰمُهُۥ﴾ ـ أي: ذلك الرّحيق ـ ﴿مِسۡكٞ﴾

---

(١) لم نعثر عليه بهذا اللفظ، ولكن أخرج الطبرانيّ في مسند الشاميّين، عن أبي هريرة بلفظ: «إنّي لأرى أمماً تقاد بالسلاسل من النار إلى الجنّة». كذلك ذكره ابن حجر في فتح الباري عن أبي هريرة، بلفظ: «عجب الله من قوم يدخلون الجنّة في السلاسل».

[٨٣/ المطففين/ ٢٦] وهو نفوسهم الماسكة لهم عندهم لها رائحة المسك، وطيبه من حسن نيّاتهم، وسلامة سرائرهم من كلّ سوء؛ وإنّما كانت المعارف الإلهيّة المذكورة رحيقاً؛ لأنّها تسكر العقول، وتطرب الأرواح. ولم يذكر الكاس الذي فيه ذلك الرحيق، فإنّه نشأتهم الإنسانيّة المضاهيّة للأكوان وللحضرة الإلهيّة. ثمّ قال تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [٨٣/ المطففين/ ٢٦] أي: أصحاب النفوس إذا تنافسوا، أي: تخاصموا فيما بينهم وتحاسدوا فليتنافسوا في ذلك المذكور لا في غيره من أمور الدنيا الفانية. ثمّ قال تعالى: ﴿وَمِزَاجُهُۥ﴾ أي: الممتزج بذلك الرحيق. ﴿مِن تَسْنِيمٍ﴾ [٨٣/ المطففين/ ٢٧] أي: مقام عالٍ عنهم، قال في القاموس: «التسنيم ماء في الجنّة يجري فوق الغرف، أو عين تسنم عليهم من فوق». انتهى. وهي شراب المقرّبين من حضرات الغيب الحقّ، ولهذا قال تعالى بعده: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [٨٣/ المطففين/ ٢٨]. وللشيخ العارف أبي مدين[1] الغوث قدّس الله سرّه قوله في مطلع قصيدة له:

أدرها لنا صرفاً ودع مزجها عنّا	فإنّا أناس لا نرى المزج مذ كنّا
حضرنا فغبنا عند دور كؤوسها	وعدنا كأنّا لا حضرنا ولا غبنا

إلى آخر كلامه قدّس الله روحه، فإنّه كان من المقرّبين الذين حسنات الأبرار سيئاتهم؛ فإنْ الأبرار لم يستطيعوا أن يشربوا التسنيم صرفاً؛ وإنّما مزجوا شرابهم بشيء من ذلك، وما شرب التسنيم خالصاً إلّا المقرّبون، والله أعلم بما هم عاملون، وما هم عاملون. وقوله (وعدت): أي رجعت أيضاً من خلاعة بسطي المتضمّن للخلاعة، وهي عدم المبالاة بالأمور لانقباض، هو ضدّ البسط؛ فالقبض يغلب على الأبرار استيلاء الخوف والهيبة على قلوبهم. والبسط يغلب على المقرّبين لاستيلاء الرجاء والأنس على قلوبهم ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

(١) أبو مدين التلمساني الصوفيّ الزاهد شعيب بن حسان الأندلسيّ، المولود سنة (٥١٤) هـ شيخ أهل المغرب، جال وساح، وكثر أتباعه حتّى خافه السلطان توفي(٥٩٣)هـ.

[٢/ البقرة/ ٢٤٥]. وقوله (بعفّة): متعلّق بانقباض. والعِفَّةُ، بالكسر: الكفّ عمّا لا يَحِلّ ولا يَجْمُل، كما في القاموس. واللام في الانقباض بمعنى إلى.

٢٧٠- وَصُمْتُ نَهَارِي رَغْبَةً فِي مَثُوبَةٍ وَأَحْيَيْتُ لَيْلِي رَهْبَةً مِنْ عُقُوبَةِ

(وصمت): أي أمسكت عن شهوتيّ البطن والفرج، تقرّباً إلى الله تعالى، وهو صوم الأبرار. وأمّا صوم المقرّبين فهو مَنْعُهُم عن الأكل والشرب والجماع استغراقاً في تجلّي جماله تجلّياً صمدانيّا، وهو نهاري، هو عند الأبرار من طلوع الفجر إلى غروب الشمس. وعند المقرّبين من طلوع نورالوجه الرّبّانيّ في شيئيّة ذواتهم المعدومة المقدّرة: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ ظاهراً وباطناً، لا لكم ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [٢٨/ القصص/ ٨٨]، من حيث أنّكم لا شيء، قال الشيخ العارف أحمد القشاشي[1] المدنيّ قدّس الله سرّه (مواليا):

إنْ لم تـراني فحقّـق أنني رأيـك واعلم بأنّك لا شيء غير وجهي فيك
يا من تسمّى باسم النور في التحليك حقّق وجودك لكي تدري المحرك فيك

وقال القشيري في رسالته/ [١٥٣/ أ]:

لـيلي بوجهـك مـشرق وظلامـه في النـاس ساري
النـاس في غـسق الظـلام ونحـن في ضـوء النهـارِ

ثمّ قال (رغبة في مثوبة): أي ثواب على الصيام من الله تعالى ترغب فيه الأبرار. وأمّا المقرّبون فإنّهم كما قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [٦/ الأنعام/ ٥٢] وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [٧٦/ الإنسان/ ٩]. وقوله (وأحييت ليلي):

(١) الشيخ أحمد القشاشي: هو أحمد بن محمّد بن يونس، ينتهي نسبه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، من كبار العلماء والأولياء بالمدينة، أخذ عن حوالي مئة شيخ مختلف العلوم، له نحواً من خمسين كتاباً، ولد بالمدينة ودفن بها (٩٩٠-١٠٧٢)هـ ودفن في البقيع. انظر كتاب مشيخة أبي المواهب الحنبليّ لمؤلّفه ابن عبد الباقي الحنبليّ، باب خير الدين الرملي، ١ / ٢٢٢.

أي قمت فيه بالصلاة، وقراءة القرآن، والأوراد، والأذكار، حتى صار حياً من موت النوم، وهو إحياء الأبرار، وإحياء المقرّبين رؤيةُ المتجلّي الحقّ بالصور الكونيّة إلى أن تغيب تلك الصور؛ فيزول فرضها وتقديرها ـ وهو معنى خلقها ـ ويظهر فارضها ومقدِّرها، وهو خالقها لنفسه. وقوله (رهبة): أي خوفاً من عقوبة، وهو حال الأبرار، ورهبة المقرّبين من استتار الوجه الإلهيّ عنهم؛ فإنّ ذلك عقوبتهم، كما قال الناظم قدّس الله سرّه فيما سيأتي إن شاء الله تعالى:

عذّب بما شئت غير البعد عنك تجده ... أوفى محبّ بما يرضيك مبتهج[1]

٢٧١- وَعَمَّرْتُ أوْقَاتِي بِوِرْدٍ لِوَارِدٍ ... وَصَمْتٍ لِسَمْتٍ وَاعْتِكَافٍ لِحُرْمَةِ

(وعمّرت): بتشديد الميم. (أوقاتي): جمع وقت، أي: جعلتها عامرة، قال في القاموس: «عَمَرَ اللهُ منزلَكَ عِمَارَةً وأَعْمَرَهُ: جعله آهِلاً، وعَمَرَ الرجلُ ماله وبيتَهَ عِمارة وعُمُوراً: لَزِمَهُ». وقوله (بوِرْدٍ): متعلّق بـ (عَمَّرْتُ)، وهو بكسر الواو: الجزء من القرآن، كذا في القاموس. وقد يُراد منه غير القرآن أيضاً، كالأذكار، والأدعية، والصلوات، والصيام، ونحو ذلك من العبادات. وقوله (لوَارِدٍ): أي لأجل حصوله الواردِ الذي يرد على القلب ـ أي: خاطر العلوم والمعارف الإلهيّة، وجميع ما يرد على قلب العارف الكامل، تجلِّيات الحقّ تعالى لا غير. إمّا تجلّيات جلال، أو تجلِّيات جمال بحسب أسمائه الحسنى، وصفاته العليا. ولهذا قال الناظم قدّس الله سرّه فيما تقدّم.

ولو خطرت لي في سواك إرادة ... على خاطري سهواً قضيت بردّت[2]

ولنا في هذا المعنى قولنا من أبيات:

هو البحر عنه لا يزول كلامنا ... فعن موجه طوراً عن الماء

---

(١) انظر البيت رقم (١١) من قصيدة ما بين معترك الأحداق والمهج.

(٢) هو البيت رقم ٦٥ من قصيدة: «نعم بالصَّبَا قلبي صَبَا» (التائيّة الصغرى).

وقوله (**وصَمْتٍ**): أي سكوت، وعدم تكلّم. وعند العارف الكامل عدم عدم التكلّم بالنفس، كما قال العفيف التلمساني قدّس الله سرّه في أبيات له:

ولا تنطقوا حتّى تروا نطقها بكم　　لـوح لكـم مـنكم فـتلكم شـؤونها

وقوله (**لسمت**): بالسين المهملة، قال في القاموس: «السَّمْتُ: هيئة أهل الخير». يعني: لأجل إظهار ذلك بين الناس، وفي نظره بين يدي الله تعالى المتجلّي بصور الناس المقدّرة بتقديره تعالى، الفانية في ظهور وجوده الحقّ. وقوله (**واعتكاف**): وهو الملك في المسجد بقصد عبادة الله تعالى فيه. وقوله (**لحرمتي**): أي لتحصيل الحُرمة، بالضمّ، وهي المهابة. وفي نظر العارف مهابة الله تعالى المتجلّي على الناس الذين هم بقيّة تجلّياته سبحانه على التنزيه التّام.

٢٧٢- وَبِنْتُ عَنِ الأوْطَانِ هِجْرَانَ قَاطِعٍ　　مَوَاصَــلَةَ الإخْــوَانِ واخْــتَرْتُ عُزْلَتِـي

(**وبِنْتُ**): أي بعدت. (**عن الأوطان**): جمع وَطَن، محرّكة، ويُسَكَّن: منزل الإقامة، كذا في القاموس، أي: قصدت الاغتراب عن المساكن الأولى التي كنت أسكنها. وفي نظر العارف: لا يراها مساكن، بل تجلّياتها الإلهيّة من اسمه الجامع. وقوله (**هِجران**): مصدر هَجَرَ، قال في القاموس: «هَجَرَهُ هَجْراً، بالفتح، وهِجْراناً، بالكسر، صَرَمَهُ. و- الشيءَ تَرَكَهُ». وهو منصوب على المصدريّة بقوله بِنْتُ من غير لفظه. وقوله (**قاطع**): مضاف إليه، من قَطَعَ رَحِمَهُ قَطْعاً وقَطِيْعَةً: هجرها وعَقَّهَا، كذا في القاموس. وقوله (**مواصلة**): بالنصب، مفعول قاطع. قال في القاموس: «وَصَلَهُ وَصْلاً وَصِلَةً ووَاصَلَهُ مُوَاصَلَةً ووِصَالاً كلاهما يكونان في عفاف الحبّ ودعارته». و(**الإخوان**)/ [١٥٥/ أ] جمع أخ، وهو من النَّسَب، معروف، والصديق والصاحب، والجمع إخوان، بالكسر والضمّ، كذا في القاموس. وهذا في الظاهر، وعند العارف: إنّما ترك ذلك ليتحقّق بالحقّ في نفسه، فلا تكثر عليه التجلّيات اكتفاء بمظهريّته الجامعة. وقوله (**واخترت عزلتي**): أي اعتزالي عن الكلّ لئلا يتعرّف عليه الحال في نفس الأمر تحقّقاً للمقام الذاتيّ.

٢٧٣- وَدَقَّقْتُ فِكْرِي فِي الحَلَالِ تَوَرُّعَاً   وَرَاعَيْــتُ فِي إِصْــلَاحِ قُــوتِيَ قُــوَّتِي

(ودقّقت): من التدقيق، دَقّ يَدِقّ دِقَّةً، والدَّقِيق: الأمر الغامض، أي: بالغت جداً في استعمال فكري. وقوله (في الحلال): أي في معرفة الشيء الحلال من الشيء الحرام فيما أنا بصدد استعماله من مأكل، ومشرب، وملبس، ومسكن، وغير ذلك. وعند العارف هذا التدقيق بالله تعالى ذوقاً، وكشفاً، وتحقّقاً، وعرفاناً. وقوله (تورّعاً): أي على وجه التورّع. والورع التحرّج في الأمور، والاحتياط فيها. والعارف يجد ذلك تجلّياً إلهياً، لا كسباً نفسانياً؛ فإنّ أصحاب النفوس مرهون بأعمالهم الصالحة، فإنّهم الأبرار الصالحون، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [٧٤/ المدثر/ ٣٨]. والنفس الرهينة مقيّدة في الدنيا والآخرة بأعمالها المنسوبة إليها؛ لأنّها كسبها. ثمّ قال تعالى: ﴿إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ﴾ [٧٤/ المدّثر/ ٣٩] أي: القوّة الإلهيّة، فإنّهم لا يعملون ما يعملونه بأنفسهم؛ بل بربّهم، فأعمالهم بقوّة ربّهم، كما قال تعالى: ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [٢/ البقرة/ ١٦٥]. وأجمعت الأمّة على أنّه لا حول ولا قوّة إلّا بالله، وهم المقرّبون، فإنّ نفوسهم مطلقة غير مرهونة، فلها الإطلاق في الدنيا والآخرة وفي البرزخ، فتظهر نفوسهم بعد الموت بالصورة التي تريد، وكذلك في الدنيا، فتتعدّد، والروح المدبِّر واحد، وتتراءى في أماكن شتى، كما يحكى ذلك عن قضيب البان الموصلي وغيره من أهل هذا المقام؛ فالأبرار هم أصحاب الميمنة، أي: النسبة إلى اليمين، والمقرّبون هم أصحاب اليمين، وفرق بين حقيقة الشيء وبين النسبة إليه، كما قال تعالى في الأبرار: ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ﴾ [٨٣/ المطففين/ ٢٦] إلى قوله: ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [٨٣/ المطففين/ ٢٧-٢٨] وقدّمنا بيان هذا. وقوله (وراعيت): من المراعاة، قال في القاموس: «رَاعَيتُه: لاحَظتُهُ مُحْسِناً إليه، وراعيت الأمرَ: نظرت إلى ما يصير، وراعى أمرَهُ: حَفِظَهُ كرَعَاهُ، والمراد هنا اعتبرت ولاحظتُ». وقوله (في إصلاح قُوتِي): القُوتُ: ما يُقْتَاتُ به، وهو المُسكَةُ من الرزق. وقوله (قوّتي): بتشديد الواو

مفعول راعيت، أي: عملت في كلّ ما أقتات به على حسب قوّتي وقدرتي ومقدار استطاعتي على وجه الإصلاح لأمري في بقاء بُنْيَتِي، وذلك عند العارف تخلّقاً ربانياً، وتجلّياً رحمانياً.

٢٧٤- وَأَنْفَقْتُ مِنْ يُسْرِ القَنَاعَةِ رَاضِياً مِـنَ العَـيْشِ فِي الـدُّنْيا بَأَيْـسَرِ بُلْغَـةِ

(وأنفقت من يسر القناعة): أي من غناها؛ فإنّ القناعة كلّها يسر وغنى ، قال في القاموس: «اليُسر بالضمّ وبضمّتين، واليسار واليَسارة والمَيْسرة مثلثة السين المهملة: السهولة، والغنى». و**(القناعة)**: الرضا بالقسم، وسكون القلب عليه. وقوله **(راضياً)**: حال من التاء في أنفقت. وقوله **(من العيش)**: متعلّق براضياً. والعيش: مصدر عاش يَعيش عَيْشاً ومَعَاشاً ومَعِيشاً ومَعِيشَة وعِيْشة بالكسر، وعَيْشوشة وهو الحياة. وقوله **(في الدنيا)**: أي في هذه الدار المقابلة للآخرة. وقوله **(بأيسر)**: أي أقل من اليسير، وهو القليل. وقوله **(بُلْغَةِ)**: بضمّ الباء الموحّدة: ما يتبلّغ به من العيش، كذا في القاموس. وهذا حال البَرِّ الصالح كالأحوال التي قبله، يعملها بنفسه. وأمّا العارف فالعامل منه ربّه، وقناعة أحكم التقدير الأزلي الذي لا يقبل الزيادة ولا النقصان، وكذا رضاه بذلك.

٢٧٥- وَهَذَّبْتُ نَفْسِي بِالرِّيَاضَةِ ذَاهِباً إِلَى كَـشْفِ مَـا حُجْـبُ العَوَائِـدِ غَطَّـتِ

/[١٥٥/ب] **(وهذّبت)**: من التهذيب؛ وهو الإصلاح. وقوله **(نفسي)**: أي ما أعبّر عنه بقولي **(أنا)**. ولا شك أنّ هذا القول صادر من العبد اتصافاً عن الربّ تعالى تقديراً وإيجاداً؛ فالبرّ الصالح يعتقد نسبة الاتصاف لا غير، فدعواه تهذيب نفسه مجاز لا حقيقة، والعارف الكامل يعتقد التقدير والإيجاد لا غير؛ فدعواه ذلك حقيقة لا مجاز. وقوله **(بالرياضة)**: متعلّق بهذّبت. و**(الرياضة)**: تعليم النفس الكمال شيئاً فشيئاً. وقوله **(ذاهباً)**: حال من فاعل هذّبت، وهو التاء المضمومة. وقوله **(إلى كشف)**: أي إظهار. **(ما)**: أي أمر عظيم، أو الأمر الذي.

وقوله (**حجب**): جمع حِجاب، وهو الساتر. وقوله (**العوائد**): جمع عائدة، وهي العادة بمعنى الديدن، من العَوْد، وهو الرجوع؛ لأنّ صاحب العادة يرجع إليها المرّة بعد المرّة. وقوله (**غطّت**): بالغين المعجمة وتشديد الطاء المهملة وكسر التاء للقافية، والأصل غطّته، أي: سترته، فإنّ النفس إذا اعتادت على شيء وانطبعت عليه رجعت إليه في كلّ مرّة؛ فاحتجبت به عن الحقّ على ما هو عليه؛ فحجب العوائد النفسانيّة تغطّي هذا الأمر العظيم عن النفس، فلا تهتدي إليه النفس إلّا بهداية من الله تعالى، قال تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ [٧٨/ النبأ/ ١] فقوله (عن النبأ العظيم): بيان لما المحذوفة الألف لدخول حرف الجرّ عليها، وهذا النبأ أي: الخبر العظيم الحقيقة؛ هو الحقّ وكلُّهم فيه مختلفون في الصور، لأنّهم تقاديره العدميّة، ومقاديره الإمكانيّة. وتقديم الجار والمجرور لإفادة الحصر إذا لا اختلاف لهم في غيره لعموم تجلّيه في كلّ شيء.

٢٧٦- وَجَرَّدْتُ فِي التَّجْرِيْدِ عَزْمِي تَزَهُّدَاً ... وَآثَـرْتُ فِي نُـسْكِي اسْـتِجَابَةَ دَعْـوَتِي

(**وجرّدت**): أي أفردت، وتجرّد لأمره: جدّ فيه. وقوله (**في التجريد**): أي السلوك؛ وهو مجاهدة النفس في طلب الربّ، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [٢٩/ العنكبوت/ ٦٩]. وقوله (**عزمي**): مفعول جرَّدتُ، والعزم بالعين المهملة والزاي إرادة الفعل والقطع عليه، والجد في الأمر. وقوله (**تزّهداً**): منصوب على التمييز، وهو تكلّف الزهد، وهي حالة السالك بنفسه، وعند العارف: التأثير بالواسطة من تجلّي اسمه تعالى المقتدر أبلغ من التأثير بلا واسطة من تجلّي الاسم القادر؛ فإنّ زيادة المبنى تدلّ على زيادة المعنى، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٢] فإخراجه تعالى بالماء من الثمرات الرزق تأثير بواسطة الماء من تجلّي الاسم المقتدر ونحو ذلك. وقوله (**وآثرت**): بالمدّ، أي: اخترت. وقوله (في نُسْكِي): أي عبادتي التي أعبد الله تعالى

بها. (استجابةَ): مفعول آثرت. (دعوتي): أي أحببت أنْ يستجيب الحقّ تعالى دعوتي في كلّ ما دعوته به، وهذه حالة السالك البرّ الصالح، وعند العارف التجلّي التام بالأسباب العاديّة والأسباب الشرعيّة من قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [١٠/ يونس/ ٢٥]، وقوله سبحانه: ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم﴾ [٤٢/ الشورى/ ٤٧] الآية وهو أكمل الأحوال؛ لأنّه حال المقرّب، يدعو من وجه، ويستجيب من وجه، والحقيقة واحدة، وهي لأعمالها واجدة. ثمّ قال: بعدما أتى أحوال السالكين الأبرار من حيث ظاهره لصدّهم ومنعهم عن الطعن والانتقاص على أحوال المقرّبين المحقِّقين الأخيار. وأخبر بأنّه لم يخرج بعد ذلك من حيث باطنه عن أحوال المقرّبين وشهودهم في أنفسهم تجلّي ربِّ العالمين فقال على طريق الاستفهام الإنكاري.

٢٧٧- مَتَى حِلتُ عَنْ قَوْلِي أَنَا هِيَ أَوْ أَقُل   وَحَاشَا لِمِثْلِي إِنَّهَا فِيَّ حَلَّتِ

(متى): ظرف غير متمكّن لسؤال عن الزمان، متى نصر الله، كذلك في القاموس. وكأنّه جواب عن سؤال مقدّر تقديره: لقد حلتَ عن قولك أنا هي برجوعك إلى أعمال العبادة عادة/ [١٥٦/ أ] وبصيامك رغبة في الثواب، وإحياء ليلك رهبة من العقاب إلى غير ذلك من أحوال السالكين الأبرار، فأجاب بقوله (متى حِلْتُ): أي تغيَّرت. يعني: في أي زمان حِلْتُ ورجعتُ عن مقام الاتّحاد. و(قولي: أنا هي): لأنّه لا مانع من الجمع بين أحوال الصالحين للسالكين الأبرار بحسب الظاهر وبين أحوال المقرّبين المحقِّقين الأخيار بحسب الباطن، وهي طريقة الأنبياء والمرسلين، وميراث الكمّل من الأولياء المحمّديّين؛ ولهذا قالوا: الكامل من لا يطفئ نور معرفته ونور ورعه. وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ [٢/ البقرة/ ١٩٩] وهو مقام الأبرار كما ذكرنا. وقال بعده: ﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ وهو مقام المقرّبين يستغفرون الله ممّا عملوا في مقام الأبرار؛ لأنّ حسنات الأبرار سيئات المقرّبين. والحاصل: إنّ

المقرّب لا نفس له يعمل بها، ولا يكون عمل بلا نفس. والبرّ له نفس لضرورة العمل؛ ولهذا البَرّ مكلّف بالعمل، لأنّ عمله بكلفة نفسه، أي: مشقّتها. والمقرّب مشرَّف بالعمل، لا به مكلّف، كما قال الشيخ أرسلان قدّس الله سرّه في رسالته: «كن من قبيل المنّة لا من قبيل العمل». وقال: «طريقتنا محبّة لا عمل»؛ فالأبرار يتقرّبون بالأعمال الصالحة إلى الله تعالى، كما ورد في الحديث القدسي: «لا يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتّى أحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده ورجله..»[1]. الحديث. والمقرّبون الذين كانوا أبراراً فصاروا مقرّبين يتشرفون بالأعمال الصالحة؛ يعني: يشرّفهم الله تعالى بها، لأنّه العامل لها سبحانه عندهم، لا هم العاملون، لأنّهم لا يقدرون في نظرهم الذي هو محض التحقيق على العمل كما قال تعالى: ﴿لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا﴾ [٢/ البقرة/ ٢٦٤] ذلك لأنّه تعالى كان سمعهم وبصرهم ويدهم ورجلهم، لا على معنى أنّه تعالى عن جوارحهم المذكورة؛ وإنّما معناه المؤثّر بجوارحهم، فهو تعالى عين الصادر منه ما هو صادر من جوارحهم، ولهذا جاء لفظ الحديث بقوله صلّى الله عليه وسلّم : «فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به»[2]، أي: لا سمعه الذي لا يسمع به، وهو الجارحة، وكذلك قوله « كنت بصره الذي يبصر به»[2] أي: لا بصره الذي لا يبصر به الذي هو الجارحة، وهكذا ... إلى آخر الحديث. وقوله حتى لمحبّه. وقوله «فإذا أحببته» هو قول الشيخ أرسلان قدّس الله سرّه: «طريقتنا محبّة لا عمل». واعلم أنّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أرسلوا من الله تعالى بالحقّ لإيصال الخلق إلى طريق الأبرار، ثمّ إلى طريق المقرّبين بمعونة الله الملك الجبار، وكذلك نزلت الكتب، وشرّعت الشرائع في جميع الملل الحقّة فإذا

---

(١) انظر تخريجه ص١٤٦.

(٢) انظر تخريجه ص١٤٦.

وصلت الناس إلى مقام الأبرار تهيّؤوا لمقام المقرّبين، وبعض الناس ينقل: من مقام الفجار إلى مقام المقرّبين من غير توسّط الوصول إلى مقام الأبرار، وهو قليل نادر كسحرة فرعون، قال تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ [٥٦/ الواقعة/ ٨] وهم الأبرار ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ [٥٦/ الواقعة/ ٩] وهم الفجّار. ثمّ قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾. ثمّ قال تعالى: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [٥٦/ الواقعة/ ١٠-١٤] وهي بضمّ الثاء المثلّثة: الجماعة من الناس من الأوّلين، أي: من أصحاب الميمنة الذين هم الأبرار. وقليل من الآخرين الذين هم أصحاب المشأمة وهم الفجار، وإنّما قلنا بأنّ بعثة الرسل، وإنزال الكتب لأجل الايصال إلى مقام الأبرار، لأنّه تكليف بالأعمال الظاهرة والباطنة، ولا يمكن تحصيل الأعمال وتسميتها أعمالاً لها بالنفوس البشريّة، والدعاوى النفسانيّة، فإذا فنيت النفوس بشهود تجلّيات الحقّ تعالى بها، وكشفت النفوس عن نفسها فتحقّقت بأنّها آثار قدرة الله تعالى، واستحضرت ذلك، وذاقته، زال عنها استقلالها في نفسها مع بقائها موصوفة بما هي موصوفة به من الإرادة الحادثة، والقدرة الحادثة، والعلم الحادث، التي هي أعراض حادثة قائمة بتصريف إرادة الله تعالى وقدرته وعلمه/ [١٥٦/ ب] القديمات الأزليّات، فيبطل حينئذ معنى الإنسان، ويندرج العبد في جملة ملك الله تعالى من حيث ظاهره، وفي جملة ملكوت الله تعالى من حيث باطنه. فلا يُتصوّر حينئذ في حقّه تكليف بالأعمال الشرعيّة في تلك الحالة لعدم وجوده بالاستقلال مع وجود الحقّ تعالى ذي الجلال، ولكنّها حالة لا تدوم في المحقّقين المقرّبين الكاملين من الرجال، وإنّما تعتريهم في أوقات دون أوقات، كما أشار إلى ذلك الشيخ أبو مدين المغربيّ قدّس الله سرّه بقوله من قصيدة له:

فقد رفع التكليف في سُكْرنا عنّا ... فَلِمْ تَلُمِ السكرانَ في حال سكره

ثمّ إذا عاد إدراك العقل، وحصل العبد في مقام الفرق بظهور تفاصيل الفرقان، وانقضى سكر العقل بخمر التجلّي الربّانيّ في مقام الجمع الظاهر فيه إجمال القرآن رجع العبد إلى مقام الأبرار، وكلّف بتكاليف الشرائع والأحكام دائماً في كلّ حال ومقام: متى عقل فَرَق، ومتى غاب جَمَع فاحترق؛ فإنّ الفرقان هو الفرق، مقام الأبرار. والقرآن هو الجمع مقام المقرّبين، وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾[٢٥/ الفرقان/ ١] فإنّه لا يكون نذيراً للعالمين إلّا في مقام الفرق، والفرقان هو القرآن، إلّا أنّ القرآن هو الصفة القديمة القائمة بذات الله تعالى، وهو كلام الله القديم الذي ليس بحرف ولا صوت، فلمّا نزل نزل فرقاناً؛ لأنّه مجمل فتفصّل، وكان ذكراً حكيماً، قال تعالى: ﴿صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ [٣٨/ ص/ ١] وقال: ﴿يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا﴾ [٣٦/ يس/ ١-٥] إلى آخره؛ فالكلّ قرآن إجمالاً صفة الإلهيّة. ثمّ فرقان مفصلّ تفصيلاً، قال تعالى: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَـٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾ [١٧/ الإسراء/ ١٠٥] فمن دامت له حالة القرب نقص؛ لأنّه زاد عن حدّه فانعكس إلى ضدّه؛ وهو النقص؛ لأنّه ضدّ الكمال، وهم أهل الجذب الدائم، والعقل الهائم لشبههم بالبهائم، ومن كان في الفرق طوراً وفي الجمع طوراً في القرآن والفرقان؛ فهم الورثة المحمّديون، وهو قول الناظم قدّس الله سرّه بأنّه رجع لأعمال العبادة عادة، وكان رجوعه لصدّ الضدّ عن طعنه على الأولياء، فإنّ المجذوبين مطعون فيهم، مذمومون عند الأبرار الصالحين لعدم ذوقهم لأحوالهم، وكان رجوعه للصدّ عن طعن الضدّ ظاهراً، لا لله تعالى؛ لأنّه في التشريف الإلهيّ في تلك الحالة ينتظر المنن عليه من الله تعالى باطناً، ولا ينتظر العمل من نفسه؛ لأنّه لم يحُل عن مقام الاتّحاد المحمود كما قدّمنا بيانه؛ ولهذا قال **(متى حلت عن قولي أنا هي)**. ثمّ قال (أو أقل): أي أو متى أقل؛ فمتى الثانية المقدّرة اسم شرط جازم يجزم فعلين، الأوّل أقُل، ومقول القول محذوف تقديره إنّني حلتُ عن قولي أنا

هي. والفعل الثاني محذوف، تقديره خرجت عن مقامي، أو هبطت عن رفعتي، ونحو ذلك؛ فالذي يدلّ على تقدير متى الثانية ذكر متى الأولى وإنْ كانت غير جازمة، وهي ظرفيّة استفهاميّة، والذي يدلّ على أنّ متى الثانية المقدّرة جازمة، وهي اسم شرط جزم الفعل بها وهو أقُلْ. والذي يدلّ على مقول القول المحذوف معنى (حلّت عن قولي أنا هي)، والذي يدلّ على جواب الشرط المحذوف، سياقُ الكلام وسباقه ، والله أعلم. وقوله (وحاشا): كلمة تبرئة، قال في القاموس: «حاشاك وحاشا لك: بمعنى، وحاشا لله : معاذ الله». وهذا ردّ لما يفهمه الأبرار الصالحون ومن دونهم من مقام المقرّبين الذين يُكَنون عنه مرّة بما يفيد الاتّحاد المذموم شرعاً كقول بعضهم:

رقّ الزجاج وراقت الخمر ... وتشابها فتشاكل الأمر

فكأنّما خمر ولا قدح ... وكأنّما قدح ولا خمر

ويُكَنُّونَ عنه مرّة بما يفيد الحلول، وحاشاهم من ذلك كقول الآخر:/ [١٥٧/ أ]

عطس الصبح في الدجا فاسقنيها ... خمرة تترك الحليم سفيها

لست أدري من رقّة وصفاء ... هي في كأسها أمّ الكأس فيها

ومقام المقرّبين فيما بينهم معلوم لا يتحاشون فيه؛ لأنّه ليس ممّا تفيده الألفاظ والكلمات على العموم، قال تعالى: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ [٢/ البقرة/ ٦٠] (لمثلي): أي لمحقّق في الشريعة والحقيقة يماثلني من الرجال أصحاب المقامات والأحوال. وقوله (إنّها): أي تلك المحبوبة الحقيقيّة، والحضرة العليّة. وقوله (فيّ): بتشديد الياء التحتيّة. وقوله (حَلّتِ): بالحاء المهملة وتشديد اللام وكسر التاء للقافية، من الحلول، يقال: حَلَّ المكان وبالمكان: نزل به؛ فإنّ الحلول والاتّحاد، وكلّ ما تفهمه الأبرار الصالحون ومَنْ دونهم من العباد لا يُتصوَّر إلّا في وجودين مستقلّين: وجود ربّ، ووجود عبد. ووجود خالق ، ووجود مخلوق. كلّ منهما

مستقلّ عن الآخر، بحيث يمكن أنْ يقال: اتّحد أحدهما بالآخر، أو حلّ أحدهما في الآخر. والوجودان أمر مقرر، لا شبهة فيه في عقول الأبرار الصالحين ومَنْ دونهم، وهو بديهي يدركونه، ولا يدركون غيره. وأمّا عند المقرّبين المحقّقين، فهو أمر مستحيل لا يتصوّر في عقولهم ثبوته أصلاً؛ لأنّ الوجود عندهم لا يمكن أن يكون إلّا واحداً، وهو وجود الحقّ تعالى الواحد الأحد، الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. والمخلوقات جميعها أمور مقدّرة، وأشكال مصوّرة بتجلّي أسمائه تعالى الخالق البارئ المصوّر، وكلّ المخلوقات معدومة في أنفسها بعدمها الأصليّ ما شمّت رائحة الوجود أصلاً، ولا يمكن أن تشمّ رائحة الوجود أصلاً فضلاً عن الوجود نفسه، وإنّما هي ظاهرة بظهور وجود الحقّ تعالى، كما قال سبحانه من تجلّي اسمه النور الذي يكشف في العدم عن كلّ مستور: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [٢٤/ النور/ ٣٥] أي: منوّرهما بنوره. وقال تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [٣٩/ الزمر/ ٦٩]؛ فالإشراق للأرض والنور لربّها، لا لها، فسُمِّي تعالى نوراً، كما سُمّي وجوداً، كما سُمّي حقّاً، قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ [٣٩/ الزمر/ ٥]. وقال: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾ [١٧/ الإسراء/ ١٠٥]. وهذا كلّه عند المقرّبين المحقّقين أمر واضح لا شبهة فيه أصلاً، فكيف يتصوّر أنّ يتّحد المعدوم بالموجود؟!. أم كيف يمكن أنّ يحلّ موجود في معدوم؟!. وهذا كلّه عند الأبرار الصالحين، ومَن دونهم غير معروف ولا مفهوم. والآيات والأحاديث الدّالة عليه مؤولة مصروفة عن معانيها عندهم، لأنّهم لا يمكنهم الخروج عن مقتضى الثنويّة في الوجود، وإن علموا أنّه تعالى قيّوم على كلّ شيء، وأنّه خلق كلّ شيء فقدّره تقديراً، وأنّه قائم على كلّ نفس بما كسبت، وأنّه على كلّ شيء وكيل، وأنّه بكلّ شيء حفيظ، وأنّ كلّ شيء هالك إلّا وجهه، وأنّ كلّ من عليها فان ويبقى وجه ربّك، وأنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: «كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه

كان»[1] إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث والأخبار، فإنهم يؤولون جميع ذلك ويصرفونه بعقولهم إلى ما هم مجمعون عليه من تعدد الوجود، واشتراكه بين الوجود القديم والوجودات الحادثة، والمحقِّقون منهم يقولون: هو مقول بالتشكيك لعدم تساوي الأفراد فيه، والله أعلم وأحكم.

٢٧٨- وَلَسْتُ عَلَى غَيْبٍ أُحِيْلُكَ لَا وَلَا عَلَى مُسْتَحِيْلٍ مُوْجِبٍ سَلْبَ حِيلَةِ

(ولست): أي في قولي بالاتّحاد الحقيقيّ ونفي الحلول. (على غيب): أي أمرغائب عنّي وعنك. (أحيلك): أيها المنكرعليّ فيما أقوله من ذلك الاتّحاد ونفي الحلول. كما يظن الغافل المحجوب بأنّ ذلك أمر موهوم، ويعتقد أنّ الإله الحقّ شيء موجود خارج عن جميع الموجودات، وعن جميع العوالم الظاهرة والباطنة، والحقّ سبحانه يخبر عن نفسه بقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ / [١٥٧/ ب] أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [٥٧/ الحديد/ ٤] وقوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [٥٠/ ق/ ١٦] وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [٤٣/ الزخرف/ ٨٤] إلى غير ذلك مما يفيد أنّه قائم على كلّ شيء، ولا شيء إلّا وهو به شيء، وهو بكلّ شيء محيط، وهو على كلّ شيء حفيظ؛ فالمحجوب ما يعبد إلّا إلهاً متوهَّماً مجعولاً بتوهّمه، ويحسب أنّه على عقيدة مطابقة للكتاب والسنّة، وهي إنّما هي مطابقة لتأويله في معاني الكتاب والسنّة. ولكن لمّا كان ذلك مبلغهم من العلم حيث تركوا به عبادة شيء محسوس لهم من كوكب، أو صنم، أو نار، أو أي شيء عبدته الكفّار قبل منهم ما تصوّروه بعقولهم، وتوهّموه بأوهامهم، فكانوا من أهل الجنّة، لا من أهل النار، ونجوا من عقاب الجبّار، ولم يكونوا من أهل الله الواحد القهّار، حتى ورد الحديث النبوي القدسيّ: «ما وسعني سماواتي ولا أرضي ووسعني قلب بدي المؤمن»[2] يعني: ما وسع قلب العبد المؤمن أنْ يكون

---

(١) انظر تخريجه ص٤٦١.

(٢) انظر تخريجه ص٣٢٤.

الإله المعبود عنده إلّا ذلك الذي تصوّره بعقله، وتخيّله بخياله، وكلّ شيء في السموات والأرض، ما وسع قلب العبد المؤمن أن يكون عنده هو المعبود له، وهذا أحد المعاني للخبر الوارد، ونحن دائماً لا نحصر اللفظ النبويّ كما لا نحصر النظم القرآني في المعنى الذي نذكره لعلمنا بأنّه صلّى الله عليه وسلّم قال: «أوتيت جوامع الكلم»[1] وعلمنا بقوله تعالى عن القرآن: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾ [١٨/ الكهف/ ١٠٩] أو قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ﴾ [٣١/ لقمان/ ٢٧] بل نقبل كلّ معنى وافق الحقّ وطابق الدّين المحمّدي سواء ورد على لساننا أو لسان غيرنا.

وقوله (لا): تأكيد للنفي السابق بقوله: لست. وقوله (ولا): معطوف على مدخول (لا): المقدّر المستفاد مما قبله؛ فإنّ تقديره لا أحيلك على غيب، ولا أحيلك أيضاً على (مستحيل): أي أمر تستحيله العقول. وقوله (موجب): بالجر وصف المستحيل. وقوله (سلب): بالنصب مفعول موجب مضاف إلى (حيلة): أي يقتضي نفي حيلة كلّ محتال، وهو معنى المستحيل، فإنّه لا يتصوّر في العقل وجوده، لأنّ هذا الاتّحاد الذي يريده أمر واقع حاضر يعترف به كلّ من يدركه ويعرفه، ولا يخفى على أحد إلّا على المنكر المحجوب الذي أخذ عقيدته من نظر عقله، وتصوّر خياله، وإلّا فكلّ من قلّد معاني الكتاب والسّنة من دون تأويل ولا تحريف، وصدق في عبوديّته وصل إليه، ولم يحتج إلى الأنظار العقليّة ولا القياسات الوهميّة، وهو ليس بأمر مستحيل؛ إذ لا يلزم منه نقص، ولا تشبيه، ولا تعطيل في جناب الله تعالى عند العارف المحقّق دون الجاهل الغبي الذي يظنّ في الله الظنونا.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند، باب: مسند أبي هريرة، ٧٦٠٨، وللحديث طرق كثيرة.

٢٧٩- وَكَيْفَ وِبِاسْمِ الحَقِّ ظَلَّ تَخَلُّقِي تَكُــوْنُ أَرَاجِيْــفُ الــضَّلَالِ مُخِيْفَتِـي

(وكيف): الواو للاستئناف. و(كيف): اسم استفهام مبني على الفتح. (وباسم): الواو للحال. (واسم الحقّ): أي وصف الحقّ، ضدّ الباطل من قوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾ [٢٤/ النور/ ٢٥] قال في القاموس: «الحقّ من أسمائه تعالى، أو من صفاته وضدّ الباطل». وقوله (ظلّ): بفتح الظاء المعجمة، أي: دام. وقوله (تخلّقي) اسم ظلّ، وخبرها قوله (باسم الحقّ): قدّم للحصر. والتخلّق: تكلّف الخلق بالضمّ وبضمّتين: الطبع، والخليقة الطبيعيّة، والخلق أيضاً الدين؛ والمعنى: دام تطبعي وتديني باسم الحقّ تعالى، أي: والحال أنّي متحقّق باسم الحقّ، أي: مكشوف لي اسمه تعالى في كلّ ما عداه من الكائنات المختلفة ملكاً وملكوتاً؛ فإنّها كلّها بالنسبة إليه تعالى باطلة، ولا حقّ إلّا هو سبحانه، كما قال صلّى الله عليه وسلّم فيما رواه مسلم في صحيحه: «أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد: ألا كلّ شيء ما خلا الله باطل»[1] وذلك تحقّقه في نفسه، وفي غيره بالوجود الحقيقيّ الواحد الأحد، القائم بنفسه، المقوّم لغيره، الذي لا وجود سواه، ولا وجود لشيء إلّا به فهو الموجد للأشياء، أي: لكلّ ما شاءه وأراده، وهو موجود الأشياء كما قال الشيخ الجيليّ قدّس الله سرّه في قصيدته:/ [١٥٨/ أ] العينيّة:

هــو المُوجِـد الأشـياء وهـو وجودهـا وعين ذوات الكلّ وهـو الجوامع

فقوله (هو الموجد الأشياء): متّفق عليه عند العموم. وقوله (وهو وجودها): أي الأشياء، مختلف فيه بين المقرّبين المحقّقين، وبين الأبرار الصالحين ومَنْ دونهم من العالمين بناء على أنّ الوجود المحض الخالي عن الصور والمقادير والأشكال والتصاوير الذي[2] به الأشياء موجودة في الحسّ والعقل من المحسوسات والمعقولات هل هو عرض حادث مخلوق كما هو في نظر الأبرار ومَنْ دونهم من جميع العوالم، أو هو ليس

(١) انظر تخريجه ص٤٠٣.

(٢) ورد على حاشية المخطوط قول الناسخ: «بلغ» أي بلغ مقابلة على نسخة الشيخ عبد الغنيّ النابلسيّ رحمه الله تعالى.

بعرض قديم قائم بنفسه، مقرر لغيره كما هو في نظر المقرّبين المحقّقين، وبينهم خلاف آخر بأنّ هذا الوجود المذكور هل هو صفة للأشياء الموجودة وتابع لها يتحقّق بظهورها، ويذهب بذهابها كما هو عند الأبرار ومَنْ دونهم من جميع العوالم. أو هو ليس بصفة للأشياء الموجودة، ولا تابع لها؛ وإنّما الأشياء صفات له من جميع الصور والمقادير والأشكال والتصاوير المحسوسات والمغفولات عند المقرّبين المحقّقين على معنى أن جميع الأشياء المذكورة صفاته في نظرها باعتبار إدراكها فقط، لا في نفس الأمر، وأمّا عندها في نفس الأمر فمن المحال البيِّن أنْ يتّصف الوجود المحض بها هو عدم محض، وإنّما الوجود المحض على ما هو عليه من إطلاقه الأصليّ عن التقيّد بها، وجميع الأشياء على ما هي عليه أيضاً من أنّها حدود، ومقادير، وأشكال، وتصاوير، معدومة بعدمها الأصليّ؛ لا شمّت رائحة الوجود، ولا تشمّ رائحة الوجود أصلاً، ولا يمكن ذلك؛ فإنّه مستحيل عندهم، كما أنّ الوجود يستحيل عندهم أنْ يتقيّد بشيء منها؛ فيتغيّر عن تنزّهه عنها، وتقدّسه عن الاتّصاف بقيد منها، فلا يتقيّد عندهم أصلاً بصورة، ولا شكل في الحسّ أو العقل، ولا يتقيّد أيضاً بمكان ولا زمان، ولا يحلّ في شيء من ذلك، ولا يتّحد به، ولا ينحلّ منه، ولا ينحل شيء من ذلك منه؛ بل عندهم الوجود على ما هو عليه وجود محض أزلاً وأبداً، وجميع الأشياء المحسوسات والمعقولات على ما هي عليه أيضاً من عدمها الأصليّ عدم محض أزلاً وأبداً.

وأما ظهور الأشياء المحسوسات والمعقولات موجودة في الحسّ، وفي العقل محسوسات موجودة ومعقولات؛ فإنّ ذلك عندهم تجلّي الوجود المحض، وانكشافه، وظهوره لتلك الأشياء المحسوسة والمعقولة. وتلك الأشياء على ما هي عليه من عدمها الأصليّ، فمن كان له تقدير معرفة في أصل تقديره، في عدمه الأصليّ القديم، المكشوف عنه بالعلم القديم الذي هو علم الوجود المحض، ظهر ذلك بتجلٍّ وانكشاف وظهور الوجود المحض من جملة تقدير صورة ذلك العارف، وجملة أحواله، ومن لم يكن له تقدير معرفة كما ذكرنا؛ بل كان له تقدير جحود وإنكار، أو حيرة وتشكيك واندهاش ظهر كذلك.

والوجود المحض عندهم المنزّه المقدّس عن جميع الصور والأشكال المحسوسة والمعقولة هو عين الذات الإلهيّة من حيث هو في نفسه. وأيضاً هو عين صفاته، وأسمائه، وأفعاله، وأحكامه التي هي كلّها قديمة، أزليّة، أبديّة من حيث تجلّيه، وانكشافه، وظهوره؛ فحياته عين ذاته، وكذلك علمه، وإرادته، وقدرته، وكلامه، وسمعه، وبصره، وبقية صفاته، وأسمائه، وأفعاله، وأحكامه، فإذا علم كان هو عين علمه؛ ولهذا نقول: إنّ علمه ليس بتصوّر، ولا تصديق؛ لأنّ جميع التصوّرات والتصديقات أمور معدومة في أنفسها، فلا تكون صفات له، ولا لعلمه. ولا يتصوّر ذلك، ولا يمكن بالنسبة إليه.

وأمّا بالنسبة إلينا لأنّا نحن من جملة تلك التصوّرات والتصديقات المعلومة له، فنحن كلّنا تصوّراته وتصديقاته على حسب ما هو ظاهر عندنا، كما قال تعالى لنا في كلامه المنزل بحروفنا وكلماتنا ومعانينا: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ [٥١/ الذاريات/ ٢٣] وهو النطق النفسانيّ لنا، كما يقال: الإنسان حيوان ناطق، ونطقنا هو ما في نفوسنا/ [١٥٨/ ب] من الكلام والمعاني المتخيّلة لنا بقوّة خيالنا فيما نريد. أو هو النطق اللفظيّ اللسانيّ بالمادّة الهوائيّة، فإنّ ذلك مثال ضربه الله تعالى لنا في أنفسنا لنعرف به قيام الحوادث بالوجود الحقّ، المحض تعالى. وكذلك إذا أراد وشاء كان هو عين إرادته ومشيئته، وإذا قدر كذلك. وإذا تكلّم كذلك؛ فهو عين كلامه؛ ولهذا نقول بأنّ كلامه النفسيّ ليس من جنس الحروف والأصوات، لأنّه عين الوجود المحض كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ۝٢٠ بَلْ هُوَ ـ أي الله تعالى ـ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾ والقرآن كلام الله تعالى، وقوله: ﴿فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ [٨٥/ البروج/ ٢٠] وهو نزوله فرقاناً، فإنّ الفرقان هو القرآن، إلّا أنّ القرآن جمع، لأنّه إجمال. والفرقان فرق لأنّه تفصيل ذلك الإجمال.

والذي في اللوح المحفوظ هو عين ما كان، وما يكون، وما هو كائن إلى يوم القيامة ممّا هو مكشوف للعلم القديم، ومراد بالإرادة القديمة، ومقدور عليه

بالقدرة القديمة، وهو معدوم في نفسه بالنسبة إليه تعالى من كلّ محسوس ومعقول. ولو ذهبنا نفصّل هذا المبحث لما وسعته بطون القراطيس، والله أعلم واحكم.

وقوله (**تكون أراجيف**): جمع أرجاف، قال في الصحاح: «والأرجاف واحد أراجيف: الأخبار، وقد أرجفوا في الشيء، أي: خاضوا فيه». وقال في المصباح: «وأرجَف القومُ في الشيء وبه إرجافاً: أكثروا من الأخبار السيئة، واختلاق الأقوال الكاذبة حتى تضطرب الناس منها، وعليه وقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ [٣٣/ الأحزاب/ ٦٠] وقال في القاموس: «أرجف القوم خاضوا في أخبار الفتن ونحوها». والمراد بالأراجيف الأخبار التي تنتجها عقول أهل الجهل والحجاب في حقّ الوجود الحقّ سبحانه، من اختلافهم فيما ينبغي أنْ يكون عليه تعالى عندهم، فإنّهم ناظرون إليه بعقولهم وبصائرهم، وهو ظاهر لهم بحسب قوى عقولهم وبصائرهم التي هم ناظرون بها إليه سبحانه، ولهذا اختلف ظهوره عندهم على مقدار ما اختلفت عقولهم وبصائرهم من القوّة والضعف؛ فكلٌّ نظر بعقله وبصيرته فقال قولاً يخالف فيه الآخر.

وأمّا المقرّبون المحقّقون من أهل الله تعالى فإنّهم ما نظروا إليه تعالى بعقولهم وبصائرهم، وإنّما نظروا إليه سبحانه به سبحانه؛ وتوجّهوا إلى معرفته بقوّته، وقدرته، وإرادته التي هم قائمون بها، وهو متصرّف بها في ظواهرهم وبواطنهم؛ فانكشف لهم الأمر الإلهيّ على ما هو عليه، وظهر عندهم الوجود الحقّ تعالى على ما هو عليه في أزله وأبده، وكان عندهم العجز عن معرفته عين معرفته مع كمال ظهوره لهم في كلّ شيء محسوس ومعقول ولا شيء معه كما قدّمناه. ثمّ أضاف قدّس الله سرّه الأراجيف إلى الضلال بقوله (**أراجيف الضلال**) لأنّ الأراجيف المذكورة كلّها ضلال عن طريق الحقّ، قال تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [١٠/ يونس/ ٣٢].

وقوله (**مخيفتي**): أي بحيث أخاف منها أن تكون حقّاً فيدركني الإثم والخطأ في الدنيا، والنكال والعقوبة في الآخرة؛ فإنّ أهل اليقين قلوبهم ساكنة على الحقّ لا

اضطراب لها فيه، وبصائرهم مملوءة من أنوار الحقّ، فلا فراغ فيها لظلمة من ظلمات الأوهام، قال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [٦٤/ التغابن/ ١١] وقال تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [٣٩/ الزمر/ ٢٢].

٢٨٠- وَهَـا دِحْيَـةٌ وَافَى الأَمِـيْنُ نَبِيَّنَـا بِـصُوْرَتِهِ فِي بَـدْءِ وَحْـيِ النُّبُـوَّةِ

هذا شروع في مثال ظهور الوجود الحقّ وتجلّيه بصور الأكوان، وأشكال المخلوقات كلّها المحسوسة والمعقولة من غير الاتّحاد والحلول المشهود فسادهما عند المحجوبين، وإنّما هو بمعنى الاتّحاد الذي يشير إليه الناظم ـ قدّس الله سرّه ـ فيما سبق من كلامه، وفيما سيأتي، على معنى: أنّ الوجود واحد وهو الوجود الحقّ الحقيقيّ لا سواه/ [١٥٩/ أ] وإنّما هو الظاهر في كلّ شيء؛ لأنّه المُقدِّر، المُصوِّر كلّ شيء، فهو الظاهر بصورة كلّ شيء، وما هو كلّ شيء؛ لأنّ كلّ شيء هالك، فانٍ، مضمحلّ، معدوم بالعدم الأصلي الذي هو فيه قبل ظهوره بالوجود الحقّ، فقال قدّس الله سرّه (وها) الواو للاستئناف. و(ها): كلمة تنبيه، يعني: تنبَّه أيها السالك لما أذكره لك، ولا تغفل عنه.

وقوله (دِحية): بكسر الدّال المهملة وسكون الحاء المهملة والياء المثنّاة التحتيّة، وهو في الأصل رئيس الجند. والمراد به هنا إنسان مخصوص، وهو: دحية بن خليفة الكلبيّ، وتُفتح الدال منه أيضاً، كذا في القاموس. وقال العيني في شرح البخاري: «دَحية بفتح الدال المهملة وكسرها، ابن خليفة بن قرّة بن فضالة بن زيد بن امرئ القيس بن الخَزْرَج، بخاء معجمة مفتوحة ثمّ زاي ساكنة ثمّ راء مهملة، ثمّ جيم، وهو: العظيم، واسمه زيد مناة ـ سُمِّي بذلك لعظم بطنه ـ ابن عامر بن بكر الأكبر بن عوف، وهو زيد اللات»[1]... إلى آخر ما ذكره من نسبه إلى معدّ بن عدنان. وقيل إنما هو ابن مالك بن حِمْيَر بن سادان، كان من أجمل الصحابة وجهاً، ومن كبارهم رضي الله عنهم.

---

(١) انظر عمدة القاريّ في شرح صحيح البخاريّ لبدر الدين العينيّ، باب: بدء الوحي، ج١ ص٢١٣.

وكان جبريل عليه السلام يأتي النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في صورته، وذكر السهلي عن ابن سلّام رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا﴾ [٦٢/الجمعة/ ١١] قال: كان اللهو نظرهم إلى وجه دحية لجماله. وروي أنّه كان إذا قدم من الشام لم تبق مُعْصِر[1] إلّا خرجت تنظر إليه، قال ابن سعد: «أسلم قديماً ولم يشهد بدراً، وشهد المشاهد بعدها، وبقي إلى خلافة معاوية رضي الله عنه». وقال غيره: شهد اليرموك، وسكن المِزّة بقرب دمشق. ومِزّة بكسر الميم وتشديد الزاي المعجمة، وليس في الصحابة من اسمه دحية سواه.

وقوله (وافى): أي أتى، قال في المصباح: «وافيته موافاة أتيته». وقوله (الأمينُ): بالرفع. فاعل وافى. و(الأمينُ): هو جبريل عليه السلام، الأمينُ على وحي الله تعالى بينه وبين الأنبياء عليهم السلام. وقوله (نبينا): بالنصب، مفعول وافى، وهو نبيّنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم. وقوله (بصورته): متعلّق بـ(وافى). والضمير يرجع إلى دحية، أي: بصورة دحية المذكور، كما تصوّر لمريم في صورة البشر السويّ، قال تعالى: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [١٩/ مريم/ ١٧] الآية.

وقوله (في بَدْء): بفتح الباء الموحّدة وسكون الدال المهملة: مصدر بَدَأْتُ الشيءَ وبالشيءِ، أَبْدَأ بَدْءاً وابْتَدَأْت به: قدّمتُه، كذا في المصباح. وقوله (وحي) هو الإشارة والكتاب. وكلُّ ما ألقيته إلى غيرك ليعلمه: وحيٌ، كيف كان، وهو مصدر الرسالة، وَحَى إليه يَحِي من باب وَعَد، وأوحيت إليه ـ بالألف ـ مثلُه، وبعض العرب تقول: وحيتُ إليه ووحيتُ له، وأَوحيتُ إليه وله. ثمّ غلب استعمال الوحي فيما يلقى إلى الأنبياء عليهم السلام من عند الله تعالى. ولغة القرآن الفاشية أوحى بالألف، كذا في المصباح.

ومعنى النبوّة من النبَأ، مهموز: الخَبَر، والنبيّءُ على فعيل، مهموز؛ لأنّه أَنْبَأَ عن الله تعالى، أي: أخبر. والإبدال والإدغام لغة فاشية. وقُرِئَ بهما في السبع، كما في

(١) الـمُعْصِر: المرأة رأت في نفسها زيادة الشباب، انظر العين للخليل، باب: العين والصاد والراء معهما.

المصباح أيضاً. وقال في القاموس: «والنبيّءُ: المُخْبِرُ عن الله تعالى. وترك الهمز المختار. والاسم النُّبُوءَةُ، وتَنَبَّأَ: ادّعاها».

٢٨١- أَجِبْرِيْلُ قُلْ لِي كَان دِحْيَـةَ إِذْ بَدَا ... لِـمُهْدِي الهُـدَى فِي صُـوْرَةٍ بَـشَرِيَّةِ[1]

(أجبريل): بهمزة الاستفهام، أي: هل جبريل. (قل) فعل أمر من القول. وقوله (لي): متعلّق بقل. وقوله (كان): أي جبريل ودِحْيَةَ بالنصب، خبر كان. وقوله (إذ بدا): أي حين بدأ، أي: ظهر. وقوله (لمهدي): متعلّق ببدأ، أي: موصل إلى الأمّة. (الهُدى): بالضم ضدّ الضلال؛ وهو نبيّنا محمّد صلى الله عليه وسلّم. وقوله (في صورة): متعلّق ببدأ أيضاً.

وقوله (بشريّة): وصف لصورة منسوبة إلى البشر، وأصله من البِشر، وأصله من البَشَرَة؛ وهي ظاهر الجلد. والجمع البَشَر، مثل: قصبة وقصب. ثمّ أُطلق على الإنسان؛ واحده وجمعه، لكن العرب ثَنَّوْهُ ولم يجمعوه. وفي التنزيل: ﴿فَقَالُوٓاْ / [١٥٩/ ب] أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا﴾ [٢٣/المؤمنون/٤٧] كذا في المصباح. والمعنى: هل كان جبريل حين ظهر للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم ولغيره من الصحابة رضي الله عنهم في صورة دحية الكلبي، وهي صورة بشريّة، هو دحية الكلبي بعينه حتى يكون متّحداً به، ويصلح للاتحاد بين الحقيقتين، والاتّحاد بين الحقيقتين بأنّ تصير أحدهما عين الأخرى أمر باطل يحيله العقل عند الكلّ؛ وإنّما استحال الاتّحاد بهذا المعنى بين الربّ تعالى وبين العبد بناء على ما عند الأبرار الصالحين، ومَنْ دونهم من طبقات الناس من أنّ الربّ سبحانه حقيقة مستقلّة لكنّها قديمة أزليّة، والعبد كذلك حقيقة مستقلّة لكنها حادثة مخلوقة، خلقتها الحقيقة الأولى، حقيقة الربّ تعالى باستيلاء صفاتها وأسمائها عليها.

وكلا الحقيقتين مستقلّتان بأنفسهما، موجودتان بوجودين: **قديم وهو وجود**

---

(١) انظر الروض الآنف للسهلي، ج١ ص٤٠.

الربّ، ووجود حادث وهو وجود العبد. وهذا المعنى المفهوم في عقول الأبرار الصالحين ومَنْ دونهم خطأ فاحش، وأمر باطل مستحيل أن يكون عند المقرّبين المحقّقين؛ لأن الوجود لو كان منه نوع حادث لكان متولِّداً من الوجود القديم، أو منقسماً منه، أو منحلاً عنه. وهذا كلّه مستحيل عقلاً وشرعاً، قال تعالى: ﴿لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [٢٧/ الصافات/ ١٥٢] وقال تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [١١٢/ الإخلاص/ ٣] ولوكان من الوجود نوع حادث لكان كفواً له تعالى، أي: مكافئاً، بمعنى: مماثل؛ وهو باطل؛ وإنّما الوجود كلّه قديم، وليس هناك وجود حادث أصلاً، وإنّما الحوادث كلّها أشكال وتماثيل وتصاوير مقدّرة مصوّرة من المحسوسات ومن المعقولات، صوَّرها وقدَّرها ذلك الوجود الواحد الأحد في نفسه لنفسه، كما قال تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٨٤] وقال تعالى : ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ﴾ [٢٧/ النمل/ ٩١] وجبريل عليه السلام لّما كان يأتي النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في صورة دحية الكلبيّ ما كان يكون هو عين دحية، ولا كان يحلّ في صورة دحية، وإنّما كان يقدِّر في نفسه، ويصوّر فيها لنفسه صورة دحية، ويعطيها وجوده بتوجهه عليها، فتظهر منه صورة دحية بحيث يراها الناظرون؛ فيقولون: هذا هو دحية، وفي نفس الأمر إنّ الذي رأوه مجرّد صورة مقدّرة صوَّرها جبريل بقوّة خياله، وإذا شاء أذهبها ومحاها، وجبريل على ما هو عليه لم يتغير عمّا هو عليه من خلقته الملكيّة بتصويره هذه الصورة البشريّة. وهكذا ظهوره في صورة الأعرابي ونحو ذلك. وكذلك الوجود الحقّ تعالى الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد؛ هو واحد في ذاته، وواحد في أسمائه وصفاته؛ لأنّها عين ذاته، لم ينقسم سبحانه، ولا تجزّأ ولا تبعَّض، ولم يلد ولم يولد، ولكنه تعالى قدّر في نفسه لنفسه أزلاً وأبداً مقادير، وصوّر تصاوير من اسمه الخالق البارئ المصوّر، فليس شيء من الحوادث أصلاً له وجود مستقل معه تعالى؛ وإنّما الوجود كلّه حقيقة واحدة ظاهرة بالتجلّي في كلّ صورة هو

مصوّرها، وليس لكلّ صورة هو مصوّرها وجود مستقلّ غير وجوده تعالى الواحد الأحد؛ **فمعنى الاتّحاد** عند الناظم قدّس الله سرّه: أنّ جميع صور الكائنات معدومة في نفس الأمر، وإنّما وجودها الظاهر بها والظاهرة هي به وجود واحد، لا ينقسم، ولا يتبعّض، ولا يتّحد بشيء؛ لأنّ كلّ شيء هالك إلّا وجهه في حدّ ذاته، لأنّه عدم صرف؛ فالكلّ كناية عن ذلك الوجود الواحد، ظاهر في شؤونه الكثيرة المختلفة، وهذا الاتّحاد الذي يشير إليه الناظم قدّس الله روحه ليس باتّحاد في حقيقة معناه وإنْ سمّاه اتّحاداً، وإنّما هو أمر واحد متوجّه على خلق كثير وتقادير مختلفة، قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [٧/ الأعراف/ ٥٤] وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ [٥٤/ القمر/ ٥٠] فالأمر واحد، والخلق كثير، والخلق قائم بالأمر، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ / [١٦٠/ أ] وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [٣٠/ الروم/ ٢٥].

وصورة دحية التي يأتي بها جبريل إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم صورة فانية في نفسها ظهرت بوجود جبريل، أو ظهر جبريل بها وبحكمها، فهي قائمة بقوّة قدرة جبريل، وقوّة تصويره لها. ويقدر جبريل في الآن الواحد على أن يظهر بصور كثيرة مختلفة متعددة، وهي كلّها جبريل نفسه لا تعدد في نفسه، ولا تكثُّر ولا تغيّرعمّا هو عليه. ولا حلَّ في غير ذاته، ولا اتّحد بغير ذاته، والله بكلّ شيء عليم.

٢٨٢- وَفِي عِلْمِهِ عَنْ حَاضِرِيْهِ مَزِيَّةٌ ... بِمَاهِيَّةِ المَرْئِيِّ مِنْ غَيْرِ مِرْيَةِ

(وفي علمه): أي علم مُهدي الهدى، وهو نبيّنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم. وقوله **(عن حاضريه)**: أي الحاضرين عنده من الصحابة رضي الله عنهم. وقوله **(مزيّة)**: مبتدأ مؤخّر. والخبر المجرور المقدّم. أو فاعل للجار والمجرور عند من لم يشترط الاعتماد. والمعنى: إنّ في علم النبيّ صلّى الله عليه وسلّم مزيّة عظيمة؛ لأنّ تنكيرها للتعظيم فمعظم الحاضرين من الصحابة عليهم الرضوان. و**(المزيّة)**: بالزاي والياء التحتيّة المشدّدة: الفضيلة. وقوله **(بماهيّة)**: متعلّق بعلمه؛ لأنّه مصدر، و: ما به

الشيء هو هو، وهي ذات الشيء. وكأنّها منسوبة بياء النسبة إلى السؤال بـ: ما هي.

وقوله (المرئي): بصيغة اسم المفعول، وهو الظاهر بصورة دحية الكلبيّ. وماهيّته: ذاته التي بها هُوَ هُوَ، وهي جبريل عليه السلام، ففي علم النبيّ عليه السلام مزيّة بماهيّة جبريل عليه السلام عن علم الحاضرين لديه (من غير مِرْيَة): قال في القاموس: «المِريَة بالكسر والضمّ: الشكّ، والجَدَل، وماراه مماراة ومِراءً، وامْتَرَى فيه، وتَمَارَى: شكّ».

٢٨٣- يَرَى مَلَكَاً يُوْحِي إِلَيْهِ وَغَيْرُهُ   يَرَى رَجُلاً يُدْعَى[1] لَدِيْهِ بِصُحْبَةِ

(يرى): أي النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ذلك الظاهر في صورة دحية الكلبيّ مَلَكاً بفتح اللام واحد الملائكة، وهو جبريل عليه السلام. وقوله (يوحي): أي ذلك المَلَك الذي هو جبريل عليه السلام. (إليه): أي إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلم عن أمر الله تعالى بالشرائع والأحكام. ولا يلتبس عليه المَلَك بالبشر الظاهر في غير صورته التي خُلق عليها، كما لا يلتبس على الإنسان الشمع إذا صوّرته بصورة إنسان لكمال عقله ومعرفته، ويعلم أنّ الذي يراه شمع خالص كلّه. وصورة الإنسان التي يراها مجرد تصوير صورة لا حقيقة لها غير الشمع الذي يعرفه ويراه بعين التحقيق واليقين بلا شبهة عنده في ذلك. وليست تلك الصورة قيداً في مطلقيّة الشمع؛ بل هي فعل من أفعاله إنْ فرضنا أنّه يوصف بالفعل، وانفعال من انفعالاته، وهوعلى ما هوعليه في نفسه ظاهراً وباطناً. وقوله (وغيره): أي غير النبيّ صلّى الله عليه وسلّم من الحاضرين لديه من الصحابة رضي الله عنهم، يرى رجلاً، أي: إنساناً من بني آدم. (يُدعى): بضمّ الياءالتحتيّة، فعل مضارع مبني للمفعول. (لديه): أي النبيّ صلّى الله عليه وسلّم. (بصحبة): أي يقال له صحابيّ؛ وهو دحية الكلبيّ، يعرفه ويتحقّقه بلا شبهة عنده في ذلك،

(١) في (ق): يُزعى.

ويلتبس عليه المَلَك بالبَشر، كما أنّ القاصر الادراك إذا رأى الشمع مصوّراً بصورة إنسان من بعيد يقطع بأنّه إنسان، ويلتبس عليه الشمع بالإنسان خصوصاً وهو لا يعرف المَلَك، ولا يعرف جبريل الذي يوحي إلى الأنبياء عليهم السلام؛ لأنّه ليس بنبيّ، ولا يعرف كيف يتصوّر المَلَك بالصورة التي يريدها من غير أنّ يتغيّر عن حقيقته التي هو عليها. وكذلك هي هذه القضية الإلهيّة التي يتصور فيها الوجود الحقّ المطلق في ذاته عن جميع الصور، والأشكال، والحدود، والمقادير، المحسوسة، والمعقولة أزلاً وأبداً بالصور العدميّة المعلومة في علمه إذا صوّر صورة، أو صوراً كثيرة من اسمه الخالق، أي: المقدِّر البارئ، أي: المنشئ المصوّر، إذا قدّر صورة، وأنشأها، وصوّرها، أو صوراً كثيرة في وقت واحد من العدم المحض، وأمسكها بقدرته وإرادته، وهي في نفسها عدم لا يلزم أنّ يتغيّر بسبب تصويره/ [١٦٠/ ب] لها وتقديره عمّا هو عليه في نفسه. ولا يلزم أنْ يتّحد بها بحيث يصير هو عين تلك الصورة، أو الصور التي صوّرها في نفسه، وأمسكها بقدرته وإرادته زماناً أو أزمنة متعدّدة وإنْ كان هو عين الممسك لها، المتصرّف بها بما يريد ويختار على معنى الاتّحاد الذي يشير إليه الناظم قدّس الله سرّه؛ فإنّه تعالى القيّوم عليها من قوله سبحانه: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآيِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [١٣/ الرعد/ ٣٣] وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [١٠/ يونس/ ٣١] وقوله تعالى: ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ [٢٠/ طه/ ٦] أي كلّها تصاويره وتقاديره، وهو الممسك لها بقدرته وإرادته من غير أن يتغيّر عمّا هو عليه من إطلاقه الحقيقيّ.

وقال الشيخ الأكبر رضي الله عنه في فتوحاته المكيّة من هذا المعنى الذي ذكرناه: ليس للحقّ تعالى صورة وله الصور كلّها، ولا يلزم أيضاً أنْ يحلّ تعالى في شيء من الصور التي يصوِّرها من العدم المحض كما ذكرنا؛ لأنّ الحلول لا يكون إلّا بين حقيقتين مستقلّتين. وهنا لا يتصوّر أن يكون حقيقتان مستقلّتان أصلاً،

وإنّما الحقيقة واحدة وهي الوجود المطلق، وما عداها من كلّ شيء محسوس أو معقول صور عدميّة تصوّرها تلك الحقيقة الواحدة في نفسها لنفسها وتظهر بها لها، ولنفسها، وهي على ما هي عليه لم تتغيّر عن إطلاقها الحقيقيّ.

إنّ الصور كلّها على ما هي عليه أيضاً من عدمها الأصلي، ولم يصر شيء منها موجوداً في نفس الأمر أصلاً، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [٢٨/ القصص/ ٨٨] وقال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ١٣] الآية. وهالك وفانٍ يعني في الحال. وقال صلّى الله عليه وسلّم: «كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما هو عليه كان»[1] فأين الحلول الذي عقده محلول؟!. وأين الاتّحاد الذي هو إلحاد والله بصير بالعباد.

٢٨٤- وَلِي مِنْ أَتَمِّ[2] الرُّؤْيَتَيْنِ إِشَارَةٌ تُنَزِّهُ عَنْ رَأْيِ الْحُلُولِ عَقِيدَتِي

(ولي من أتمّ): أي أكثر تماماً، وفي نسخة **(أصح)** أي أكثر صحّة. وقوله **(الرؤيتين)**: أي رؤية النبيّ صلّى الله عليه وسلّم للظاهر بصورة البشر الذي هو جبريل عليه السلام ظهر في صورة دحية الكلبيّ. **والرؤية الأخرى** رؤية غيره صلّى الله عليه وسلّم، وهي رؤية الحاضرين من الصحابة رضي الله عنهم الذين كانوا يرون رجلاً صحابيّاً هو دحية الكلبيّ رضي الله عنه، ولا يخطر في بالهم أنّه جبريل عليه السلام تصوّر في صورة بشر.

ومعلوم عند الكلّ أنّ أتمّ الرؤيتين، وأصحّهما رؤية النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، لعدم الالتباس عليه فيها. ورؤية غيره من الصحابة وإنْ كان فيها الالتباس عليهم؛ فإنها توفية للرؤية البشريّة حقّها، فإنّ البشر من حيث هو بشر يحكم على ما يرى بصورة ما يرى؛ ففيها تمام وصحّة أيضاً. لكن الرؤية التي لا التباس فيها أتمّ وأصحّ كما لا يخفى.

---

(١) انظر تخريجه ص٤٦١.

(٢) في (ق): أصحّ.

وقوله (**إشارة**): أي معنى مفهوم يرشد إلى ما أراده. ثمّ بيّن تلك الإشارة بقوله (**تنزّه**): أي تلك الإشارة المذكورة من التنزيه، وهو التبعيد، والتقدير، والتطهير.

وقوله (**عن رأي**): أي نظر (**الحلول**): أي حلول الوجود الحقّ المطلق في شيء من الصورالتي يصوِّرها بتجلِّي اسمه المصوّر. وقوله (**عقيدتي**): مفعول تنزّه، أي: اعتقادي كما يقوله المنكرون على الناظم قدّس الله سرّه، ويتّهمونه به بفهم القاصرفي معاني كلامه رضي الله، ويلتبس عليهم التجلِّي والظهور والانكشاف بالحلول والاتّحاد، كما قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [١٠/يونس/١٠١] وقال سبحانه في آية أخرى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [٦/الأنعام/٣] الآية. والمحجوب الغافل يتعب في إيمانه بذلك، ويذهب كل مذهب من التأويل، ولا يقدر أن يجحد كون ذلك حقّاً؛ لأنّه إخبار الله تعالى عن نفسه ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ﴾ [٤/نساء/١٢٢] وحاشا كلام الله تعالى أنْ يكون فيه معنى حلول أو/ [١٦١/ أ] اتحاد على حسب المعنى الذي يفهمه المنكر المحجوب المبني على ثنوية الوجود الحقّ المطلوب.

٢٨٥- وَفِي الذِّكْرِ ذِكْرُ اللَّبْسِ لَيْسَ بِمُنْكِرٍ وَلَـمْ أعْـدُ عَـنْ حُكْمَـيْ كِتَـابٍ وَسُنَّةٍ

(**وفي الذكر**): أي القرآن العظيم. وقوله (**ذكر اللبس**): أي إيراده، وأصله كما قال في القاموس: «الذِكْر، بالكسر: الشيء يجري على اللسان». و(**اللبس**): من لَبَسَ عليه الأمرَ يَلْبِسُهُ: خَلَطَهُ، وأَلْبَسَهُ: غَطَّاهُ، وأمرٌ مُلْبِس: مُشْتَبِه. والتَلْبِيْسُ: التَخْلِيْط والتَدْلِيْس». وذلك كذكر ظهور جبريل عليه السلام في لباس البشر، كما قال تعالى في حقّ مريم، عليهما السلام: ﴿فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ﴿١٧﴾ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ﴾ [١٩/ مريم/١٧-١٩] وكذلك ظهور الوجود الحقّ تعالى في صورة من صور المخلوقات كظهوره لموسى عليه السلام في صورة النار، وفي صورة

الشجرة، كما قال تعالى خطاباً للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم: ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَـٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾ [٢٠/ طه/٩-١٤] وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَـٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَـٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [٢٨/ القصص/ ٣٠].

وقوله (ليس بمنكِرِ): يعني كلّ مَنْ يؤمن بالقرآن يؤمن بذلك بلا شبهة ولا توقّف. والمنكر لذلك كافر لإنكاره نص القرآن. وقوله (ولم أَعْدُ): أي لم أتجاوز، قال في القاموس: «عَدَا عنه: جاوزه وتركه كتَعَدَّاهُ». وقوله (عن حُكْمَيْ): بياء التثنية، وأصله حكمين، بالنون، فحذفت النون للإضافة إلى شيئين. (كتابٍ): وهو القرآن العظيم، فإنّه حاكم بظهور الحقّ تعالى في صورة النار وصورة الشجرة، على معنى أنّه تعالى مصوّرهما باسمه المصوّر، وممسك لتلك الصورة بقدرته وإرادته، وهو تعالى على ما هو عليه من إطلاقه وتنزّهه عن تلك الصورة وغيرها، وتلك الصورة وغيرها عدم صرف في حدّ ذاتها. وكذلك جميع صور العالم في الحسّ والعقل، وهو تعالى ينكشف لمن شاء من عباده بما شاء من صور العالم، ويستتر عمن شاء من عباده فيما شاء من الصور، أو في كلّها؛ فإنّ له تعالى التجلّي والاستتار على حسب ما يريد.

وقد جاء في ورد يوم الأحد المنسوب إلى الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه: «إذا كشف فلا غير، وإذا استتر فكلّ غير». وقال تعالى: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾.

وقوله (وسُنَّةٍ): معطوف على كتاب، وهي سنّة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، شاملة

للقول والفعل، والحال والمقام. والسيرة أعمّ من الحديث لاختصاصه بالقول. وبيان ذلك كما قال الشيخ العارف المحقّق إبراهيم الكرديّ المدنيّ رحمه الله تعالى في كتابه شرح التحفة المرسلة: «إنّ الحقّ تعالى مع إطلاقه الحقيقيّ، وكمال تنزّهه يصحّ أن يتجلّى في الأعيان، فلا أين له ذاتياً مع تجلّيه في كلّ أين شاء؛ فكمالاً منّا فإنّ بين حديث «لا شخص أغير من الله»[1] الوارد في صحيح البخاري وبين قوله تعالى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [٥٧/ الحديد/ ٤] كذلك لا منافاة بين غناه تعالى عن العالمين وإحاطته بكلّ شيء وبين التجلّي في الأين والجهة المذكورة في قوله تعالى: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ [٢/ البقرة/ ١١٥]. وقوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [٦٧/ الملك/ ١٦] وقوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [٧/ الأعراف/ ٥٤] وحديث: «إذا كان يوم الجمعة نزل تبارك وتعالى من عليّين على كرسيّه وفيه ثمّ يصعد تبارك وتعالى على كرسيّه»[2] وحديث: «إنّ أحدكم إذا قام في صلاته فإنّه يناجي ربّه، وإنّ ربّه بينه وبين القبلة»[3] وحديث: «فإذا الربّ قد أشرف عليهم من فوقهم فقال: السلام عليكم يا أهل الجنّة»[4] إلى غير ذلك مما يطول ذكره، والمقصود: إنّك إذا علمت أنّ الحقّ سبحانه وتعالى له الإطلاق الحقيقيّ الذي لا يقابله تقييد، وفهمت معنى هذا الإطلاق/ [١٦١/ ب] حقّ الفهم علمت أنّ تجلّي الحقّ في الصورة وتوابعها مما صحت به الأحاديث، كالضحك، والتعجّب، والإتيان، والنزول، والصعود، والتقرّب بالذراع والباع، والهرولة، وأمثالها لأنّها في التنزيه.

---

(١) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب التوحيد، باب: قول النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: لا شخص أغير من الله ، ٢٠.

(٢) قطعة من حديث، أخرجه الهيثميّ في مجمع الزوائدومنبع الفوائد، باب منازل المتحابّين في الله،١٨٧٧٢ ، ج٥، ص٧٤، وقال: رواه البزّار والطبرانيّ في الأوسط، وأبو يعلى باختصار، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح...

(٣) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب الصلاة، باب: حكّ البزاق باليد من المسجد، ٤٠٥.

(٤) الحديث في الحاشية ٨٧ نفسه. وله أطراف وطرق أخرى.

وقد صحّت الأحاديث الناطقة بتجلّي الحقّ تعالى في الصورة؛ بل بلغت مبلغ التواتر لمن تتبع الأحاديث، فمنها الأحاديث ما عند البخاريّ في التوحيد من حديث أبي سعيد رضي الله عنه: «فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أوّل مرّة»[١]. ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الرقاق «فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفون»[٢]. ثمّ قال بعده «فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون»[٣] وعند مسلم من حديث صهيب رضي الله عنه: «فيأتيهم الله في صورة غير صورته التي يعرفون»[٤] ثمّ قال بعده: «فيأتيهم في صورته التي يعرفون»[٥] ومن حديث أبي سعيد رضي الله عنه «أتاهم ربّ العالمين في أدنى صورة من التي رأوه فيها»[٦] ثمّ قال بعده: «ثمّ يرفعون رؤوسهم وقد تحوّل إلى صورته التي رأوه فيها أوّل مرّة»[٧]. ومنْ حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه «فيقولون حتى ينظر إليك فيتجلّى لهم يضحك»[٨]. وعند الحاكم من حديث أبي سعيد رضي الله عنه: «يتبدّى الله لنا في صورة غير صورته التي كنّا رأيناه فيها أوّل مرّة»[٩]. ومن حديث ابن مسعود رضي الله عنه «فيتمثّل لهم الربّ تعالى فيأتيهم» وفي رواية أخرى له «ثمّ يتمثّل الله للخلق

---

(١) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى: وجوه يومئذ ناضرة، ٧٠٠١، عن أبي سعيد الخدريّ.

(٢) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب : الرقاق، باب: الصراط جسر جهنّم، ٦٥٧٣، عن أبي هريرة.

(٣) هو قطعة من الحديث السابق،و تخريجه في الحاشية السابقة أعلاه .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: معرفة طريق الرؤية، ٤٦٩، من حديث صهيب.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب:معرفة طريق الرؤية، ١٨٢، عن أبي هريرة.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: معرفة طريق الرؤية، ٢٧٢، عن أبي سعيد الخدري.

(٧) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب الرقاق، باب: الصراط جسر جهنّم، ٦٥٧٣، بلفظ ثمّ يأتيهم الله بالصورة التي يعرفون، وليس بلفظ ثمّ يتحوّل الله.

(٨): أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: أدنى أهل الجنّة منزلة فيها، ١٩١ .

(٩) أخرجه الحاكم في المستدرك، باب: ماذا كنتم تعبدون؟. فيقولون عزيراً، ٨٨٨٨. من حديث أبي سعيد الخدريّ .

فيلقاهم»[1]. وعند البيهقي وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه «جاءهم الله فيما شاء من هيئة»[2]. عند الترمذي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما وحسّنه «أتاني الليلة ربّي في أحسن صورة»[3]. ومن حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه وصححه «فإذا أنا بربّي تبارك وتعالى في أحسن صورة»[4]. وعند الطبراني من حدث جابر بن سَمُرَة رضي الله عنه «نّ الله تجلّى لي في أحسن صورة»[5]. ومن حديث أبي رافع رضي الله عنه «رأيت ربّي في أحسن صورة»[6]. ومن حديث أبي أمامة رضي الله عنه «أتاني ربّي في أحسن صورة»[7] ومن حديث أبي عبيدة بن الجرّاح رضي الله عنه: «رأيت ربّي عزّ وجلّ في أحسن صورة»[8]. ومن حديث عبد الرحمن بن عايش الحضرمي رضي الله عنه: « وما لي لا أكون كذلك وقد تبدّى لي ربّي في أحسن صورة»[9] جواباً لمن قال: ما رأيناك أسفر وجهاً منك الغداة. ومن حديث ثوبان رضي الله عنه: «إنّ ربّي عزّ وجل أتاني الليلة في أحسن صورة»[10]. ومن حديث ابن

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، باب: أمّا حديث أبي عوانة، ٨٦٥٨ ، من حديث ابن مسعود.

(٢) أخرجه البيهقي في كتاب البعث والنشور، باب: حديث الصور،٥٩٣.

(٣) أخرجه الترمذيّ في سننه، كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة ص،٣٥٤٢، عن ابن عباس، وقال: حسن غريب.

(٤) أخرجه الترمذيّ في سننه، كتاب: كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة ص،٣٥٤٣، عن معاذ ابن جبل، وقال: حديث حسن صحيح.

(٥) لم أعثر عليه عند الطبرانيّ بهذا اللفظ عن جابر بن سمرة.

(٦) أخرجه الطبرانيّ في المعجم الكبير، ٩٣١، عن أبي رافع.

(٧) أخرجه الطبرانيّ، في المعجم الكبير، ٨٠٤٢، عن أبي أمامة.

(٨) أخرجه الخطيب البغداديّ في تاريخه ج٨ص٥٢، عن أبي عبيدة بن الجراح.

(٩) أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في كتاب معرفة الصحابة، باب: من اسمه عبد الرحمن، بلفظ ٤١٧٧، قريب من هذا اللفظ.

(١٠) ذكره البغويّ في شرح السنّة، باب: الاعتدال على قيام الليل، ج١ ص٢٢٢.

عباس رضي الله عنهما: « رأيت ربّي في صورة شابّ له وفرة»[1]. قال السيوطيّ عن أبي زرعة الرازيّ أنّه حديث صحيح. وعند البخاريّ في أوّل كتاب الاستئذان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «إنّ الله خلق آدم على صورته»[2]. وعند مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: «إذا قاتل أحدكم فليتجنب الوجه؛ فإنّ الله خلق آدم على صورته»[3]. وعند الطبرانيّ في السنَّة عن أبي هريرة رضي الله عنه: «إذا قاتل أحدكم فليتقِ الوجه؛ فإنّ الله تعالى خلق آدم على صورة وجهه»[4]. وعند الدار قطنيّ عن أبي هريرة رضي الله عنه إذا ضرب أحدكم فليجتنب الوجه فإنّ وجه الإنسان على صورة الرحمن»[5].

وعند ابن أبي عاصم أيضاً في السنّة والطبرانيّ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما بسند رجاله ثقات «فإنّ الله خلق آدم على صورته»[6] إلى غير ذلك مما يطول استيفاؤه. ومن تحقّق أنّ الله تعالى ليس كمثله شيء لإطلاقه الحقيقيّ علم أنّه تعالى لا صورة له تقيده. وأنّه تجلّى في أيّ صورة شاء الظهور فيها. ومن علم ذلك حقّ العلم لم يستشكل هذه الأحاديث وما في معناها من المتشابهات وبالله التوفيق[7].

---

(١) ذكره السيوطيّ في اللآلئ المصنوعة، ج١ ص٣٣، وقال: قال الطبرانيّ: سمعت أبا بكر يقول: سمعت أبا زرعة الرازيّ يقول: حديث قتادة عن عكرمة عن ابن عبّاس في الرؤية صحيح، ولا ينكره إلّا معتزليّ.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاستئذان، باب: بدء السلام، ٧٢٢٧، عن أبي هريرة، وقال بعض العلماء: الضمير في (صورته) يعود إلى آدم.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: البرّ والصلة، باب: النهي عن ضرب الوجه، ٦٨٢١، عن أبي هريرة.

(٤) رواه الطبرانيّ في المعجم الكبير، باب: قطعة من المفقود، ١١٣٩، عن أبي هريرة، كذلك رواه في الأوسط، باب: من اسمه محمود، ٨٠٧٥.

(٥) أخرجه الدارقطنيّ في كتاب الصفات، باب: أوّل الكتاب، ٥٠، عن أبي هريرة.

(٦) ذكره ابن حجر في فتح الباريّ، باب: قوله باب إذا ضرب العبد فليجتنب الوجه، ٢٤٢٠، وقال: الزيادة ـ يعني: فإنّ الله خلق آدم على صورته ـ أخرجها ابن أبي عاصم في السنّة والطبرانيّ من حديث ابن عمر بإسناد، ورجاله ثقات. انظر فتح الباري ج٥ ص١٨٣.

(٧) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: «بلغ مقابلة وسماعاً على شيخنا المؤلف قدّس الله سرّه العزيز».

٢٨٦- مَنَحْتُكَ عِلْماً إن تُرِدْ كَشْفَهُ فَرِدْ   سَبِيْلِـــيَ وَاشْرَعْ فِي اتّبَـــاعِ شَرِيْعَتِـــي

(منحتك): أي أعطيتك بما ذكرته لك من هذه المسألة العظيمة التي هي تجلّي الوجود الحقّ تعالى في الصور على حسب ما يريد تعالى من كمال تنزّهه هنا، فيظهر بها غيرحالٍّ فيها، ولا مُتَّحِدٍ بها، فيكون هو الظاهر سبحانه وحده لا شيء معه غيره وقوله (علماً) تنكيره للتعظيم أي:/ [١٦٢/ أ] علماً عظيماً. وقوله (إن ترد): يعني يا أيّها السالك في طرق الله تعالى (كشفه): أي كشف ذلك العلم بأنّ تدركه ذوقاً، وتنازله منازلة، فإنّ مُجرّد فهمك له من غير كشف ومنازلة لا يجدي شيئاً كعلم الأعمى بالمكان الذي هو فيه، فإنّه يتخيّله بعقله وهو بعيد عنه؛ فقربه إليه مثل بعده عنه، وإذا فتح بصره وجد ما كان يتخيّله على خلاف ما كان يتخيّله، وكشف عن الأمر على ما هو عليه، وتحقّق أن الأمور كلّها على ما هي عليه؛ وإنّما قوّة إدراكه كانت ضعيفة عن كشف ذلك، فلما قويت أبصرت ما هنالك. وقوله (فَرِد): الفاء في جواب الشرط، و(رِدْ): فعل أمر من ورد: أشرف على الماء أو غيره؛ دخله، أو لم يدخله. وقوله (سبيلي): أي طريقي الذي أنا سالك فيه إلى ربّي، وفيه إشارة إلى أنّه لا وصول بحيث ينتهي أمر السالك، وإنّما هي تجلّيات واستتارات في أعيان تلك التجلّيات، كما قال الناظم قدّس الله سرّه في الكافية كما سيأتي إن شاء الله تعالى:

قـــال لي كـــلّ حـــسْن تجـــلّى   بي تمـــلّى فقلـــتُ قـــصدي وراكـــا[1]

فالطلب دائم، والسير قائم، والقلب هائم، قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ [٥٣/ النجم/ ٤٢] أي: من حيث السلوك في الأغيار، والدخول في عالم الأسرار والأطوار والأدوار، فينتهي الأمر إليه وتنكشف علومه من عليه، كما قال تعالى لنبيّه عليه الصلاة والسلام: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [٢٠/ طه/ ١١٤] أي: بك. وقال

(١) انظر البيت ٥٣ من قصيدة ته دلالاً.

صلّى عليه وسلّم عن نفسه: «إنّه ليغان على قلبي، وإنّي لأستغفر الله في اليوم والليلة أكثر من مئة مرّة»[1] فقال العارف الكامل أبو الحسن الشاذليّ قدّس سرّه: «هذا غين أنوار لا غين أغيار، فإنّه عليه السلام دائم الترقّي؛ فكلّما ترقّى إلى مقام في القرب وجد ما قبله حجاباً؛ فاستغفر الله منه، وهكذا إلى ما لا نهاية له، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ فَٱرۡجِعُواْ﴾ [٣٣/ الأحزاب/ ١٣] وأهل يثرب أهل المدينة، إشارة إلى الورثة المحمّديين؛ فإنّهم لا مقام لهم يقيمون فيه، ويقفون عنده، وهو التلوين في التمكين، فيرجعون إليه تعالى، ويصدرون عنه، ثمّ يرجعون إليه، فهو تعالى مركز الجميع، دنيا وآخرة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ﴾ [٩٦/ العلق/ ٨] وقال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٨١] وهو معنى المنتهى في الآية السابقة. وأمّا السلوك في سبيله فلا نهاية له في الدنيا، وفي الآخرة يُردُّون إليه ويصدرون عنه، ثمّ يُردون إليه؛ وذلك لأنّ تجلّياته تعالى لا تتناهى، ولا تتكرر أزلاً وأبداً.

وقوله (واشْرَعْ): من شرع في الأمر شروعاً: خاض ودخل فيه. وقوله (في اتباع): أي متابعة (شريعتي): والشَرِيْعَةُ: ما شَرَعَ الله تعالى لعباده، والظاهرُ المستقيم من المذاهب كالشِرْعَة بالكسر، كذا في القاموس. قال تعالى: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗا﴾ [٥/ المائدة/ ٤٨] أي: طريقاً مستقيماً يسلك عليه إلينا؛ وهي اختلاف التجلّيات الإلهيّة بالأحوال البشريّة، ويقال لها اختلاف المشارب كما قيل:

مشاربنا شَتّى وحسنك واحد ... وكلّ إلى ذاك الجمال يشير

٢٨٧- فَمَنْبَعُ صَدًّا مِنْ شَرَابٍ نَقِيعُه ... لَدَيَّ فَدَعْني مِنْ سَرَابٍ بِقِيْعَةِ

(فمنبع): أي موضع النبع، يقال: نَبَعَ الماء يَنْبُعُ، مثلثة، نَبْعاً ونُبُوعاً: خرج من العين، كذا في القاموس. وقوله (صَدًّا): بفتح الصاد المهملة وتشديد الدّال

---

(١) انظر تخريجه ص٣٧٥.

المهملة، ممدود، وقصر هنا للوزن، قال في الصحاح: وصَدْآء: اسم رَكِيَّة- بئر عذبة الماء ـ وفي المثل ماء ولا كصَدْآء. وقلت لأبي علي النحوي: هو فعلاء من المضاعف فقال: نعم، وأنشدني لضرار بن عتبة العبسيّ:

كـــأنّي مــــن وجـــدٍ بزينـــب هـــائم
يخالس من أحواض صداَء مشرباً / [١٦٢/ ب]

يـــرى دون بـــرد المــــاء هـــولا وذادة
إذا شـــــــدّ صـــاحوا قبــــل أنْ يتحبّبـــا

وقوله (من شراب): بالشين المعجمة، أي: مشروب متعلّق بمحذوف خبر المبتدأ، وهو منبع. كنّى بمنبع صدآء هذا البئر المشهور بعذوبة الماء الذي يضرب به المثل في العذوبة، والحلاوة، والبرودة عن قلبه، العارف بربّه، المحقّق في المعرفة الذي تنبع منه العلوم الإلهيّة العذبة، المشروب لكلّ صادٍ.

وقوله (بقيعة): بالباء الموحّدة فالقاف فالياء المثنّاة التحتيّة فالعين المهملة؛ قال في القاموس: «البقيع: موضع فيه أصول الشجر منه ضروب شتّى. وبقيع الغَرقَد: مقبرة بالمدينة المنوّرة. والغرقد: بالغين المعجمة اسم للشجر العظام. أوهي العوسج إذا عظم سُمّي البقيع بذلك؛ لأنّه كان منبتها. وبقيع الزبير، وبقيع الخيل، وبقيع الخَبْجَبَة، بخاء معجمة ثمّ باء موحّدة ثمّ جيم، كلّهنّ بالمدينة المنوّرة. والخَبْجَبَة، يقال أيضاً بخائين معجمتين وبجيمين موحّدة بينهما: اسم شجر، أشار إليه في القاموس. وضمير بقيعة راجع إلى الشراب، أي: أصل ذلك الشراب الذي منبع صدآء منه يخرج من موضع شريف فيه أصول الشجر من ضروب شتّى، فكنى بالموضع الشريف الذي هو المدينة المنوّرة على ساكنها الصلاة والسلام عن الحقيقة المحمّديّة؛ فإنّها موضع هذا الشراب الذي منبع صدآء منه المكنّى به عن قلبه كما ذكرنا. وكنّى بذلك الشراب عن الروح المنفوخ منه في الهياكل الجسمانيّة

الإنسانيّة. ثمّ أشار بأنّ ذلك الموضع فيه أصول الشجر من ضروب شتى؛ يعني: جميع حقائق الأنبياء والمرسلين والأولياء والصدّيقين، نبتت أصولهم في ذلك الموضع، ونشؤوا بتربية حقائقهم منه.

وقد ورد أنّ الله تعالى أوّل ما خلق نور محمّد صلّى الله عليه وسلّم، ثمّ خلق منه جميع الأشياء كما ورد في حديث عبد الرزّاق بسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه: «قال: يا رسول الله أخبرني عن أوّل شيء خلقه الله تعالى قبل الأشياء. قال: يا جابر، إنّ الله خلق قبل الأشياء نور نبيّك من نوره، فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله تعالى، ولا في ذلك الوقت لوح، ولا قلم، ولا جنّة، ولا نار، ولا ملك، ولا سماء، ولا أرض، ولا شمس، ولا قمر، ولا جنّ، ولا أنس. فلمّا أراد الله تعالى أنّ يخلق الخلق قسّم ذلك النور أربعة أجزاء: فخلق من الجزء الأوّل القلم. ومن الثاني اللوح. ومن الثالث العرش. ثمّ قسّم الجزء الرابع أربعة أجزاء؛ فخلق من الأوّل السموات. ومن الثاني الأرضين. ومن الثالث الجنّة والنار. ثمّ قسّم الرابع أربعة أجزاء؛ فخلق من الأوّل نور أبصار المؤمنين. ومن الثاني نور قلوبهم. وهي المعرفة بالله تعالى. ومن الثالث نور تشهدهم؛ وهو التوحيد: لا إله إلّا الله محمّد رسول الله»[1] إلى آخر الحديث.

وصحّ حديث: «أوّل ما خلق الله القلم»[2]. وجاء بأسانيد متعدّدة: «إنّ الماء لم يخلق قبله شيء»[3]. ولا ينافيه ما في الأوّل من نور نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم؛ لأنّ الأوّليّة في غيره نسبة، وفيه حقيقة، فلا تعارض. وفي حديث ابن القطّان: «كنت نوراً بين يدي

---

(١) انظر تخريجه ص١٤٥، وليس الحديث من الصحيح.

(٢) أخرجه أحمد في المسند، وهو في مسند ابن الجعد، باب: عبد الواحد بن سليم، ٣٤٤٤. وقد أخرجه الحاكم في المستدرك، ٣٦٩٣، وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الذهبي في التلخيص: صحيح.

(٣) ذكره جعفر الحسنيّ الإدريسيّ، الشهير بالكتّاني: في كتاب نظم المتناثرج١ ص٢٢٧، باب بدء الخلق، أوّل ما خلق الله،١٩٤، وقال: ذكر الأمير في مبحث الوجود من حواشيه على جوهرة اللقّاني أنها متواترة.

ربِّي قبل آدم بأربعة عشر ألف عام» وفي الخبر: «لمّا خلق الله آدم جعل ذلك النور في ظهره، وكان يلمع في جبينه فيغلب على سائر نوره»[1] الحديث. ذكره شارح القصيدة الهمزيّة البوصيريّة العلّامة ابن حجر المكّيّ.

فقوله (بقيعة): أي بقيع ذلك الشراب. (لديّ): بتشديد الياء التحتيّة، أي: عندي وهو حقيقتي التي أنا بها إنسان كامل، قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه في كتابه شرح الوصايا اليوسفيّة: «ولا شك أنّ الورثة إنّما هم هياكل لروحانيّة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم؛ فهو رسول أبداً حيّاً وميتاً؛ فمن يطع الشيخ فقد أطاع الرسول؛ فإنّه روح هيكله، ومن أطاع الرسول فقد أطاع الله فإنّه مجلاه، وحينئذ الرسول موضع ظهور الحق، ثمّ يفنى عن الرسول لقوله/ [١٦٣/ أ] تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [٤/النساء/ ٨٠] فيكون نظرك في الرسول، فيغيب الرسول، فيبقى الحقّ. فكما يبقى الحقّ في مغيب الرسول بالنصّ كذلك يبقى الحقّ في مغيب الشيخ عن بصيرتك، ويبقى الحقّ إذ هو المتكلّم من الرسول؛ ومعنى ذلك حضور الرسول صلّى الله عليه وسلّم عنده في حقيقته التي خلقت من نوره صلّى الله عليه وسلّم في وقائعه التي تهمّه في دينه، أو دنياه ، أو آخرته، قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه أيضاً في كتابه المذكور: وحضور النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في الوقائع دليل على علوّ مرتبته صاحب الواقعة، وعصمته وعلوّه فيما رآه، فإنّه من مرآة الحاضر ينظره، لا من مرآته، مثل مسألة الشاب الذي أغنته رؤية الله عزّ وجلّ عن رؤية أبي يزيد في زعمه . فلمّا حضر أبو يزيد ورأى الله تعالى هذا الشابّ لم يطق حمل عظيم ما رآه فمات من حينه؛ فأين هذا الإدراك بحضور أبي يزيد من ذلك الإدراك الذي انفرد به؟!. وأين أبو يزيد من محمّد صلّى الله عليه وسلّم.

---

(١) ذكره الهيتميّ في أشرف الوسائل إلى فهم المسائل، باب: ما جاء في خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ١/ ٢٧.

ولقد روينا عن أبي موسى الدَبِيلِيّ[1] عن أبي يزيد البسطاميّ «أنّه سأل الله تعالى رؤية مقام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. فقيل له أنك لا تطيق. أي نورك الذي ترى به يضعف عن إدراك ما تطلبه من ذلك مع كون الحقّ في هذه الحال بصره فكيف به لو لم يكن بصره؟! فألحّ في السؤال. قال أبو يزيد: ففتح لي من ذلك قدر خرم إبرة، فلم أطق الثبوت عند ذلك، واحترقت».

هذا قوله عن نفسه، فلولا مشاهدته تعالى في الصور المعتادة لما ثبت أحد عند رؤية شيء من ذلك؛ فإنّا لا نشكّ في قوّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وثباته، وعلو مرتبته، ومقامه في معرفة ربّه عزّ وجل. ومع هذا قيل له حقّ ما أعطيه أصحاب الكهف ﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾ يعني: خوفاً على نفسك أنْ تذهب ﴿وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ أي: في قلبك فإنّهم جماعة، ولكلّ واحد منهم حال مع الله في إيمانه به ما هو للآخر فـ ﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [١٨/ الكهف/ ١٨] بالجملة لرأيت اختلاطاً في الأمر، واختلافاً في النظرة الواحدة، فكنت تخاف على نفسك من الحيرة فيما رأيته في النظرة الواحدة، فكنت تولّي فراراً، وتملأ قلبك رعباً من هول الأمر؛ لأنك ترى مالا تقدر على دفعه، لعلمك بأنّ الله جعل ذلك كلّه حقاً، ولا ينضبط لك من شيء دون شيء فتحتار، وتملأ قلبك رعباً من الفوت:

تفرّقت الضباب على خداش ... فما يدري خداش ما يصير

وليس في قوّة هذا الصائد أخذ الكلّ، ولا يدري ما هو الأولى من ذلك فيقصد إليه ويترك ما سواه، فإنّه يرى العين واحدة في صور كثيرة، كما ترى الإنسانيّة واحدة في أشخاص كثيرة بأحكام مختلفة يريد ضبطها فلا تنضبط؛ فإنّ الأمر فيما لا يتناهى لا ينضبط؛ إذ لو انضبط لتناهى. فلو أنّ صاحب الواقعة يرى الحقّ في

---

(١) هو ابن أخت أبي يزيد البسطاميّ، لعلّ اسمه شعيب بن أحمد بن بزيع الدبيليّ، روى عن سهل ابن سفير الخلاطيّ، وحدّث عنه أبو بكر المفيد، انظر الإكمال ٣/ ٣٥٢ وتوضيح المشتبه ٤/ ٧١.

واقعة بحضور جميع الرسل لكان حاله حال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم لو اطّلع على أصحاب الكهف؛ فلذلك لم يشهد الله تعالى صاحب الواقعة ما أشهده من العلم به إلّا بحضور الرسول وحده صلّى الله عليه وسلّم؛ فإنّ الله تعالى قد جعل لكلّ رسول فيه شرعة. ومنها جاء ما رآني إلّا ما أعطيته حقيقة نشأته الروحيّة الصادرة عن مزاج طبيعته، وكما لا يتكرر مزاج لا يتعدّد بين اثنين معراج، ولكلّ معراج غاية؛ بل للإنسان الواحد معارج كثيرة، وغايات كثيرة بعدد معارجه، بل لا يكون له في كلّ مزاج إلّا معراج واحد؛ لأنّ مزاجه لا يدوم زمانين وإن كان ذلك في عين جوهر واحد فلا خفاء باختلاف الصور على ذلك الجوهر الواحد، لا معنى لاختلاف الصور إلّا وجود المزاج؛ فهذا المزاج غير هذا المزاج.

فلمّا نظرنا الجوهر القائل الذي لا وجود له إلّا بالصورة كذلك تجوّزنا بقولنا بل للمزاج الواحد معارج/ [١٦٣/ ب] كثيرة وليس إلّا هو في نفسه على ما قلناه؛ فالخلق جديد مع الأنفاس، كثير بالصور، والحقّ ليس بجديد، بل هو مستمر ثابت واحد العين والقول.

وقال العارف المحقِّق الشيخ عبد الكريم الجيليّ(١) في كتابه الإنسان الكامل: «اعلم وفقك الله أنّ الإنسان الكامل هو القطب الذي تدور عليه أفلاك الوجود من أوّله إلى آخره. وهو واحد منذ كان الوجود إلى أبد الآبدين، ثمّ له التنوّع في الملابس، فيسمى باعتبار لباس ما لا يسمّى به باعتبار آخر، واسمه الأصل الذي له محمّد. وكنيته أبو القاسم. ووصفه عبد الله. ولقبه شمس الدين. ثمّ له باعتبار ملابس آخر أسامٍ. وله في كلّ زمان اسم يليق بلباسه في ذلك الزمان. وقد اجتمعت به صلّى الله عليه وسلّم وهو في صورة شيخي شرف الدين إسماعيل الجبرتي. فكنت

---

(١) عبد الكريم ابن إبراهيم بن عبد الكريم الجيليّ، ابن سبط الشيخ عبد القادر الجيلانيّ، من العلماء، شاعر، متصوِّف، من كتبه: «الإنسان الكامل في معرفة الأوائل والأواخر» في مصطلحات الصوفيّة، وله: «الكمالات الإلهيّة في الصفات المحمّديّة» و«شرح مشكلات الفتوحات المكيّة». انظر معجم المؤلّفين ج٥ ص٢٢٤ وفهرس الموسوعة الشعريّة١/ ٧٧٦.

أعلم أنّه النبيّ صلّى الله عليه وسلّم. وكنت أعلم أنّه شيخي. وهذا من جملة مشاهد شهدته فيها بزبيد سنة ست وتسعين وسبعمائة".

وهذا المعنى أنسب بذكر قوله (بقيعة): بالباء الموحّدة لأنّ الأبيات الستّة التي بعده مقولة على لسان الحقيقة المحمّديّة الحاضرة عند الناظم قدّس الله سرّه من حيث نفسه فتكلّم على لسانها.

وفي نسخة (نقيعة): بالنون مكان الباء، والنقيع البئر كثيرة الماء، وشراب من زبيب، أو كلّ ما ينقع تمراً كان أو زبيباً أو غيرهما، والمحض من اللبن يبرّد، كذا في القاموس. فيكون المعنى نقيع ذلك الشراب، أي: يثيره الكثير الماء لديّ. أو نقيعه أي: ما ينقع فيه فيوجب حلاوته لديّ، وهو خصوص حالي ومقامي، أو محض لبنه المبرّد لديّ كناية عن فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيّم.

وقوله (فدعني): أي اتركني من ذكر سراب بالسين المهملة والراء: ما تراه نصف النهار كأنّه ماء، كناية عن علوم الرسوم التي عند المحجوبين، إذ يظنّون أنّ الأمر في نفسه كذا، وليس كذلك؛ فإنّهم يقولون ذلك عن قياساتهم العقليّة رجماً بالغيب. وقال الشيخ الإمام العارف الكامل القاشاني قدّس سرّه في خطبة كتابه التعريفات لاصطلاحات الصوفيّة: «الحمد لله الذي نجانا من مباحث العلوم الرسميّة بالمنّ والإفضال ...» إلخ.

وقوله (بقيعة): الباء حرف جرّ. والقيعة جمع قاع، قال في القاموس: «القاع أرض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام. والجمع قيع وقيعة وقيعان بكسرهنّ وأقواع وأقْوُع قال تعالى: ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ﴾ [٢٤/ النور/ ٣٩] وكذلك كلّ من جاء إلى سراب علومهم الرسميّة من غير الجهة التي هم جاؤوا إليه منها لم يجده شيئاً ووجد الله عنده من حيث أنّه تصاوير عقليّة، وتقادير وهميّة من تجلّي اسمه تعالى الخالق البارئ المصوّر، فيحاسبه عليه إن اغترّ به، وعمل بمقتضاه، وترك العمل بالله وحده، كما هو الأمر عليه في نفسه، والله أعلم وأحكم.

٢٨٨- وَدُوْنَكَ بَحْراً خُضْتُهُ وَقَفَ الأُلَى بِسَاحِلِهِ صَوْناً لِمَوْضِعِ حُرْمَةِ

(ودونك) اسم فعل بمعنى خذ. وقوله (بحراً): هو الماء الكثير، كناية عن المشتمل على أنواع العلوم التي هي كالبحر في كثرة مياهه، إشارة إلى الحقيقة المحمّديّة. وتنكيره للتعظيم. وقوله (خضته): من خاض الماء يَخُوضُه خَوْضاً وخِيَاضاً: دَخَلَه. أراد كشفت عن أسرار علومه، واطلعت على أنوار كواكبه ونجومه. وقوله (وقف): من الوقوف، وهوعدم السير. و(الأُلَى): بضمّ الهمزة وفتح اللام مقصوراً: جمع آول، بالمدّ، بمعنى: سابق، قال في القاموس: «أوِلَ كفرِح سبق» انتهى. فمنها الأُلى السابقون الأوّلون. وقال الساطي[١] في شرحه: «الألى مقلوب الأُوَل، لأنّه جمع الأولى مثل أخرى وأخر، ومنه قولهم: ذهبت العرب الأوَل». ويحتمل أن/ [١٦٤/ أ] يكون موصولاً حذفت صلته، كقولهم: بعد اللُّتيا والّتي إيذاناً بأنّ المشار إليهم بالأُلى علا وصفهم عن البيان. وقال الدماميني[٢] في شرح التسهيل: «وبمعنى الذين الأُلى على وزن العُلا فيكون للعقلاء كقول الشاعر:

رأيت بني عمرو الأُلى يخذلونني على حدثان الدهر إذ يتقلّب

وقال ابن عصفور: يقع على من يعقل وما لا يعقل من المذكورين. وقد يرد للمؤنّث فيكون هذا اللفظ مشتركاً بين جمع الذي وجمع التي، وقد اجتمعا في قول الشاعر:

---

(١) علي بن موسى بن النقرات الأنصاريّ، الساطيّ، الجيّانيّ، نزيل فارس وخطيبها، إمام كبير، وأديب بليغ، وجامع للقراءات (٥١٥-٦٦٥)هـ.

(٢) محمّد بن أبي بكر المخزومي، القرشي، بدر الدين المعروف بابن الدماميني، عالم بالشريعة وفنون الأدب، من كتبه: «شرح مغني اللبيب»، و«نزول الغيث»، انتقد فيه شرح لاميّة العجم للصفدي، و«عين الحياة» اختصر فيه حياة الحيوان للدميريّ، و«شرح تسهيل الفوائد» في النحو وله نظم، توفي (٨٢٧هـ) انظر الأعلام للزركلي ٦/ ٥٧.

ويـأبى الألى يـستميلون عـلى الألى تـراهن يـوم الـردع كالحـدا قـبلي

وقد استعملت بدون ألف ولام كقول الشاعر:

لأنـتم أُلى جئـتم مـع النمـل والدبـا فطـار وهـذا شخـصكم غـير طـائر

فإنْ كان الأُلى بمعنى السابقين الأوّلين فهم الأنبياء والمرسلون عليهم الصلاة والسلام، ومن دونهم من أولياء زمانهم لم يكونوا خاضوا هذا البحر العظيم الذي هو محمّد صلّى الله عليه وسلّم، لأنّهم لم يدركوا زمانه، ولا كانوا محسوبين من أمّته، ولا اطّلعوا على ما أطّلع عليه الناظم، وإنْ لم يكن نبياً من العلوم المحمّديّة، والحقائق والمعارف الأحمديّة، أو المراد بالبحر بحر لتوحيد الوجود الذي خاضه الأولياء والصدّيقون ولم يجدوا له قراراً، والأنبياء والمرسلون عليهم الصلاة والسلام لم يخوضوه؛ لأنّ علومهم علوم الوحي النبويّ الموقوفة على نزول جبريل الأمين من حضرة ربّ العالمين، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [٥٣/ النجم/ ٣-٤] وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [٣٩/ الزمر/ ٦٥] وعدم الشرك هو التوحيد، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [٢١/ الأنبياء/ ٢٥]؛ فالأنبياء عليهم السلام لم يخوضوا في التوحيد؛ وإنّما وقفوا بساحله متابعة للوحي الإلهيّ؛ إذْ ليس للأفكار والعقول الإنسانيّة عليهم حكم في بواطنهم، لأنّهم يجدون الوحي من الله تعالى في جميع أحوالهم؛ فهم المعصومون من كلّ ما سواه تعالى أن يلج قلوبهم بغير أمره سبحانه بخلاف الأولياء؛ فإنّهم خاضوا بحار التوحيد بالفتح والإلهام الربّانيّ، فيما أُوحي إلى الأنبياء والمرسلين عليهم السلام؛ لأنّهم أتباعهم، يخوضون فيما يوحى به إلى أنبيائهم. و(الخوض): هو التردد في الشيء مرّة بعد أخرى لمعرفته والتحقّق به، وذلك من عدم عصمة الأولياء وعدم الوحي في حقّهم. والخوض في الشيء دون الوقوف بالساحل، فإنّ الوقوف بالساحل إدراك للشيء من غير خوض فيه، ولا

مباشرة له، لا سيما لم يرد الخوض في القرآن إلّا بمعنى الباطل، قال تعالى: ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ﴾ [٧٤/ المدثر/ ٤٥] وقال تعالى: ﴿وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ﴾ [٩/ التوبة/ ٦٩] وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ [٦/ الأنعام/ ٦٨]؛ فالخوض هو الدخول في الشيء؛ فإنْ كان الخوض بالنفس والهوى فهو الباطل. وإنْ كان بالفتح الإلهيّ والإلهام في معاني القرآن والسنّة فهو الممدوح، لأنّه خوض بالحقّ لا بالباطل، وهو خوض الأولياء والصدّيقين؛ فإنّه ليس بالنفس ولا بالهوى. وقد طهّر الله تعالى الأنبياء والمرسلين منه صلوات الله عليهم أجمعين. والساحل: ريف البحر وشاطئه، مقلوب، لأنّ الماء سَحَلَه فكان القياس مَسْحُوْلاً، أو معناه: ذو ساحل، من الماء إذا ارتفع ثمّ جَزَرَ فَجَرَفَ ما عليه، من سَحَلَه، كمنعه: قَشَرَهُ ونحته فانْسَحَلَ. والرياحُ تَسْحَلُ الأرضَ: تَكْشُطُ ما عليها، كذا في القاموس.

وسُمّي موضع وقوف الأنبياء عليهم السلام ساحلاً لأنّ البحر العلميّ الإلهيّ بحر التوحيد الحقيقيّ سَحَلَ مقامهم/[١٦٤/ب] الشريف النبويّ فلم يبق فيه استمداداً من الغيار، ولا شيئاً من خِدع الآثار؛ بل كلّهم آداب ربّانيّة، وحركات رحمانيّة. ولهذا قال الناظم بعده (**صوناً**): هو مفعول من أجله، أي: كان وقوفهم بذلك الساحل لأجل الصون، أي: الحفظ (**لموضع حرمة**): أي لمكان الحرمة، أي: الاحترام للجناب الإلهيّ. ولا ياء متكلّم في هذه النسخة، وفي بعض النسخ بياء المتكلّم، أي: وقوفهم وعدم خضوعهم. (**صوناً**): أي لأجل حفظ حرمتي؛ فيكون الكلام على لسان محمّد نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم. ويكون لباس الصورة الفارضيّة صورة الناظم قدّس سرّه عارية في الحقيقة المحمّديّة باعتبار حضوره صلى الله عليه وسلّم في تلك الواقعة، كما قدّمنا في شرح البيت الذي قبله عن الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه من قوله: «وحضور النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في الوقائع دليل على علوّ مرتبة صاحب الواقعة وعصمته، وعلوّه فيما رآه؛ فإنّه من مرآة الحاضر ينظر لا من مرآته». وقدّمنا ما عن الشيخ الجيليّ قدّس سرّه، وقدّمنا

الحديث النبويّ أنّ الله تعالى خلق نور أبصار المؤمنين، ونوّر قلوبهم من نوره صلّى الله عليه وسلّم. فإذا تكلّمت الأولياء على لسان محمّد صلّى الله عليه وسلّم بعد نزع لباس صورهم المستعارة الحقيقيّة عليه السلام فلا عجب في ذلك، خصوصاً وقد أشار تعالى إلى ذلك بقوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [٩/ التوبة/ ١٢٨].

ونحن نرى أنّ الباب من الخشب، والصندوق منه. ونحو ذلك لباس البابيّة والصندوقيّة أمر عارض في ماهيّة الخشب، سريع زواله عن بصر الناظر وعن بصيرته إذا لم يعتبرها ويشهد ماهيّة الخشب؛ فإنّ جميع الأكوان مخلوقة من نوره صلّى الله عليه وسلّم كما هو المعروف عند أهله، المحقّق الثابت بالأحاديث النبويّة والإشارات القرآنيّة؛ فيكون النبيّ صلى الله عليه وسلّم هو المتكلّم بصورة اللسان الفارضيّ بعد فنائه عن صورته، وبقاء الحقيقة النوريّة المحمّديّة مشهودة له بها. فتقول الحقيقة المحمّديّة (خضت بحراً وقفت الأنبياء بساحله) صيانة وحفظاً منهم لموضع حرمتي في هذا الحضور الخاص.

وهذه المعاني مما فُتح بها علينا عند كتابتنا هذا المحلّ صيانة لكلام الأولياء والمقرّبين عن الضياع في مهاوي الأسماع. ولقد وجدنا معنى آخر لهذه العبارة ذكره الشيخ العارف الكامل تاج الدين بن عطاء الله الإسكندريّ في كتابه «لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العبّاس المرسيّ وشيخه أبي الحسن» قال رضي الله عنه ـ يعني به الشيخ أبا العبّاس المرسيّ قدّس سرّه ـ في قول أبي يزيد «خضت بحراً وقف الأنبياء بساحله»: «إنّما يشكو أبو يزيد بهذا الكلام ضعفه وعجزه عن اللحاق بالأنبياء عليهم السلام. ومراده أنّ الأنبياء عليهم [السلام] خاضوا بحر التوحيد، ووقفوا من الجانب الآخر على ساحل الغرق يدعون الخلق إلى الخوض، أي: فلو كنت كاملاً لوقفت حيث وقفوا. وهذا الذي فسّر الشيخ به كلام أبي يزيد هو اللائق بمقام أبي يزيد». وقد ورد عنه أنّه قال: «جميع ما أخذ الأولياء ممّا أخذ

الأنبياء كزق مليء عسلاً ثمّ رشحت منه رشاحة، فما في بطن الزقّ للأنبياء، وتلك الرشاحة هي للأولياء». والمشهور عن أبي يزيد التعظيم لمراسم الشريعة، والقيام بكمال الأدب، حتى حُكي عنه أنّه وُصف له رجل بالولاية فأتى إلى زيارته، فقعد في المسجد ينتظره، فخرج ذلك الرجل، وتنخّم في حائط المسجد، فرجع أبو يزيد ولم يجتمع به، وقال: «هذا رجل غير مأمون على أدب من آداب الشريعة كيف يؤمّن على أسرار الله تعالى».

وما جاء عن الأكابر أولي الاستقامة مع الله تعالى من أقوال وأفعال يُستنكر ظاهرها أوّلناها لهم لِمَا علمنا من استقامتهم، وحسن طريقتهم، وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «لا تظننّ بكلمة من امرئ مسلم سوءاً وأنت تجد لها في الخير محملاً»[1] وقال العارف بالله تعالى الشيخ جمال الدين محمّد أبو المواهب/ [١٦٥/أ] الشاذليّ التونسيّ قدّس الله سرّه في كتابه «قوانين حكم الإشراق إلى كافّة الصوفيّة في جميع الآفاق»: «قال إن قال عارف: خضت بحراً وقفت الأنبياء بساحله. قلنا خاض العارفون بحر التوحيد أوّلاً بالدليل والبرهان. وبعد ذلك شهدوا رتبة الشهود والعيان. والأنبياء وقفوا بأوّل وهلة على ساحل العبارة. ثمّ وصلوا إلى ما لا يعبّر عنه العرفان فكانت بدايتهم عليهم السلام نهاية العارفين والسلام».

٢٨٩- وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ اليَتِيْمِ إِشَارَةٌ ۞ لِكَفٍّ يَدٍ صُدَّتْ لَهُ إِذْ تَصَدَّتِ

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [٦/الانعام/ ١٥٢] هذه الآية إشارة منه تعالى لأرواح الأوّلين من الأنبياء والمرسلين، وغيرهم من ورثتهم العارفين

---

(١) أخرجه البيهقيّ في شعب الإيمان، باب: فصل في ترك الغضب وفي كظم الغيظ والعفو، ٨١١٤، عن سعيد بن المسيّب، قال: كتب إليّ بعض إخواني من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن ضع أمر أخيك على أحسنه ما لم يأتك ما يغلبك، ولا تظنّن بكلمة خرجت من امرئ مسلم شرّاً وأنت تجد له في الخير محملاً....

المقرّبين إلى يوم الدين إذا مدّ أحد منهم يده الروحانيّة لنيل هذا المقام المحمّدي الذي اختصّ به محمّد صلّى الله عليه وسلّم نبيّاً؛ فإنّه لا ينال ذلك، ولا يصل إليه، وهو عليه السلام عاش يتيماً لموت أبيه عبد الله وهو حَمْل. على خلاف في ذلك. قال السهيلي في الروض الآنف: «ذكر أنّه مات أبو النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وهو حمل. وأكثر العلماء على أنّه كان المهد. وقيل: ابن شهرين. وقيل: أكثر من ذلك» انتهى. وكذلك أمّه صلّى الله عليه وسلّم ماتت وهو صغير فرُبِّي يتيماً. وإليه الإشارة القرآنيّة بالآية المذكورة وإن كانت الآية شاملة لكلّ يتيم. ولكن آيات الله تعالى لا تتناهى معانيها كما قال سبحانه: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [١٨/ الكهف/ ١٠٩] وأُشير بـ(المال) إلى المقامات المحمّديّة، والتجلّيات الإلهيّة المخصوصة بالحقيقة الأحمديّة.

وقوله (إشارة): أي إيماء ورمز لا تصريح فيه بذلك، وهو من جملة الإشارات القرآنيّة إلى المعاني المخفيّة تأييداً من الناظم لمعنى البيت قبله. قال القيصري في شرحه: «وهذا الكلام من لسان نبيّنا عليه الصلاة والسلام؛ إذ كمال التوحيد الذاتيّ مختصّ بمقام جمعه والكمّل المتابعين إياه. ثمّ أشار بلسان الإشارة إلى أنّهم مأمورون بالانتهاء عنه بقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ﴾ [٦/ الأنعام/ ١٢٥] ...إلخ إشارة إلى كفّ أيدي الأوّلين عن التصرّف في التوحيد الذاتيّ الذي هو مال من أموال نبيّنا عليه أفضل الصلاة والسلام ومتابعيه الذين سلكوا طريقته بالمتابعة التي هي أحسن الخصال. وقد أشار البوصيريّ رحمه الله تعالى في همزيّة المديح النبويّ إلى ذلك بقوله:

لك ذات العلوم من عالم الغيـ ـب ومنها لآدم الأسماء

وقال عليه السلام: «آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة». وقوله **(لكفّ)**: هو مصدر كَفَّ عن الشيء كَفّاً من باب قتل: تَرَكَه. وكَفَفْتُه كَفّاً: منعته فكَفَّ. هو يتعدّى ولا يتعدّى. ويصح أنّ يكون الكفّ اسماً، لا مصدراً؛ لأنّ التناول به، وهو من الإنسان وغيره، مؤنّث، قال ابن الأنباري: «وزعم مَن لا يوثق به أنّ الكفّ

مذكّر، ولا يعرف تذكيرها مَنْ يوثق بعلمه. وأمّا قولهم: كفّ مخضّب فعلى معنى ساعد مخضّب». وقال الأزهري: «الكفّ الراحة مع الأصابع، سمِّيت بذلك لأنّها تكفّ الأذى عن البدن» كذا في المصباح.

وقوله (صُدَّتْ): بضمّ الصاد المهملة وتشديد الذال المهملة، فعل ماض مبني للمفعول. والتاء للتأنيث. وفي المصباح: «صَدَدْتُهُ عن كذا صَدّاً، من باب قتل: منعتُه وصرفته». وقوله (له): أي لمال اليتيم المكنّى به عن المقام الذاتيّ المحمّدي. والجار والمجرور متعلّق بـ (تصدّتِ) في آخر البيت. والتقديم للحصر؛ إذ لا تصدّ عن غيره. وقوله (إذ): حرف تعليل، وتدلّ على الزمان الماضي، نحو: إذْ جئتني لأكرمنّك؛ فالمجيء علّة للإكرام، كذا في المصباح. وقوله/ [١٦٥/ ب] (تَصَدَّتِ): بالصاد المهملة وتشديد الدال المهملة والتاء مكسورة للقافية، وقال في المصباح: «تَصَدَّيْتُ للأمر: تَفَرَّغْتُ له وَتَبَتَّلْتُ، والأصل: تَصَدَّدْتُ فأُبدل للتخفيف.

٢٩٠- وَمَا نَالَ شَيئاً مِنْهُ غَيْرِي سِوَى فَتىً عَلَى قَدَمَيْ فِي القَبْضِ وَالبَسْطِ مَا فَتِي

وفي نسخة: (وما نال شيئاً منه غيري). وضمير منه للمقام الذاتيّ المحمّدي المذكور. وقوله (سوى): أي غير (فتى): نُكِّر للتعظيم. والفتوّة: الكرم. وقد تَفَتَّى وتَفَاتَى، وفَتَوْتُهم: غَلَبْتُهُم فيها. والفتى: السخيّ الكريم، كذا في القاموس. يعني: السخيّ بنفسه، الماحق لها في تجلّي الوجود الحقّ، الكريم المتّصف بكرائم الأخلاق. وقال في المصباح: «الفتى: العبد». يعني: المتّصف بكمال العبوديّة؛ وهي أشرف الأوصاف، قال تعالى في حقّ نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [٧٢/الجن/١٩] الآية. والمراد هنا بالفتيّ الوارث المحمّديّ للمقام الذاتيّ الإلهيّ. وقوله (على قدمي): متعلّق بفتي آخر البيت. والقدم من الإنسان معروفة. وتقول العرب: «وضع قدميه في الحرب: إذا أقبل عليها، وأخذ فيها. وله في العلم قدم، أي: سَبْق». وأصل القدم ما قدّمته قدّامك، كذا في المصباح. والمراد على سيرتي وطريقتي في سلوك محجة الاستقامة.

وقوله (في القبض والبسط): متعلّق بمحذوف صفة قدمي، أي: الثابت في هذين المقامين بتجلّي الاسم القابض والباسط، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٤٥] أي: يعدم ويوجد. وهو القيام بأمر الله تعالى الذي كلمح بالبصر، قال تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦۚ﴾ [٣٠/ الروم/ ٥٩] أي: سماء الأرواح، وأرض الأشباح. وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ﴾ [٥٤/ القمر/ ٥٠] وقوله (ما فتي): أصله بالهمزة، فحذفت تخفيفاً، قال في المصباح: «ما فَتِئَ يذكر بالهمز، مثل: ما بَرِحَ، وزناً ومعنى».

٢٩١- فَلَا تَعْشُ عَنْ أَثَارِ سَيْرِيَ وَاخْشَ غَيْـ ـنَ إِيْثَـارِغَيْرِي واغْـشَ عَـيْنَ طَرِيْقَتِـي

(فلا): الفاء تفريعيّة على ما سبق. ولا ناهية جازمة للفعل المضارع الذي بعدها، وهو قوله (تَعْشُ): أصله عَشِيَ يَعْشَى بالعين المهملة والشين المعجمة، قال في المصباح: «عَشِيَ عَشَىً، من باب تَعِبَ: ضَعُفَ بصرُه؛ فهو أعشى». وقال في الصحاح: «العَشَى مقصوراً، مصدر الأعْشَى، وهو الذي لا يبصر بالليل ويبصر بالنهار. وأَعْشَاهُ الله فعَشِيَ، بالكسر يَعْشَى عَشَاً، وهما يَعْشَيَانِ. ولم يقل يَعْشَوان؛ لأنّ الواو لمّا صارت في الواحد ياء لكسرة ما قبلها تركت في التثنية على حالها». والمعنى فلا يصر بصرك أعشى، تبصر في نهار التجلّي، ولا تبصر في ليل الاستتار، لأنّ المستتر هو المتجلّي.

وقوله (عن آثار سيري): قال في الصحاح: «عَشَوْتُ إلى النار أَعَشُو إليها عَشْوَاً: إذا استدللتُ عليها ببصر ضعيف، وإذا صَدَرَ عنه إلى غيره قلت: عَشَوْتُ عنه، ومنه قوله تعالى ﴿وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا﴾ [٤٣/ الزخرف/ ٣٦] و(الآثار): جمع أثر، وهو بقيّة الشيء. وقوله (سَيْرِي): أي سلوكي في طريق الله تعالى. كنّى بآثار السير عن مقدار ما يفهم المريد من أحوال السلوك، وهو تقوى الله تعالى ظاهراً وباطناً بحسب القدرة والاستطاعة كما قال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [١٤/ التغابن/ ١٦]. وقوله (واخش): فعل أمر مبني على حذف الياء، من

خشي: خاف، بمعنى حاذر وأحذر. وقوله (غين): مفعول اخشَ. و(الغين): بالغين المعجمة: الغيم والحجاب. وقوله (إيثار): أي تقديم واختيار، من قولهم: رجل يستأثر على أصحابه، أي: يختار لنفسه أشياء حسنة. وقوله (غيري): أي ما يغايرني من الناس وغيرهم. يعني: احذرمن الاحتجاب/[١٦٦/ أ] عن الحقّ باختيارك لنفسك شيئاً من الأشياء مطلقاً مما في الدنيا أوفي الآخرة. وقوله (واغشَ): بالغين المعجمة والشين المعجمة، فعل أمر من غشيه السائل أو الزائر: أتاه. وقوله (عَيْنَ): بالعين المهملة، أي: ذات طريقتي، أي: ما أنا سالك عليه من أحوالي.

٢٩٢- فَوَادِي وَلَاهَا صَاحِ صَاحِي الفُؤَادِ في وِلَايَـةِ أمْـرِي دَاخِـلٌ تَحْـتَ إمْـرَتِي

(فوَادي): الفاء للتفريع عمّا قبله، مع التعليل. و(الوادي): مَفْرَجُ ما بين جبال أو تلال أو آكام، كذا في القاموس. كنّى به عن أحوال المجاهدة في طريق الله تعالى. وقوله (ولَاها): بفتح بالواو، أي: وَلِيَ هذه الحقيقة الإلهيّة، وأصل الولاء بالهمزة الممدودة، فقصر للوزن: المِلْك، والمَوْلَى: المالك، أو الوَلاء: من الوَلْي بسكون اللام بمعنى القرب والدنو. والوَلِيّ، فعيل، اسم منه، والمُحِبّ، والصديق، والنصير، كما في القاموس. وقوله (صاح): بكسر الحاء المهملة، منادى حذف منه حرف النداء تخفيفاً مرخّم، وتقديره يا صاحبي. وقوله (صاحيَ): اسم فاعل من الصحو، ضدّ السكر والفؤاد: القلب، أي: فارغ البال خالي القلب عن التعلّق بالأغيار، وهو صفة لقوله صاح.

وقوله (في ولاية): الجار والمجرور خبر قوله وادي،. والولاية بالفتح والكسر من تولّى الأمر ولاية: تقلّده. وقوله (أمري): أي شأني بعيني وادي ملك هذه المحبوبة وسلطنتها حاصل في جملة محل حكمي وتقليد توليتي لأمري. والوادي هو المقامات السفليّة التي هي في تصرف النفوس البشريّة دون الجبال العالية، والتلال الساميّة؛ أعني مقامات الوجدان، وتحقيقات العرفان في مقام الإحسان؛ فإنّها لا تدخل في تصرف الإنسان. وقوله (داخل): أي ذلك الوادي المذكور.

(تحت إمرتي): الإمرة بالكسر: الاسم من أمَر علينا، إذا وَلِي، وله عليّ إمرة مطاعة، وبالفتح: للمرّة منه، أي: له عليّ أَمْرَةٌ أُطيعه فيها. كذا في القاموس.

٢٩٣- وَمُلْكُ مَعَالِي العِشْقِ مِلْكِي وَجُنْدِي الـ ـمَعَانِي وَكُــلُّ العَاشِــقِيْنَ رَعِيَّتِـــي

(ومُلك): بالضمّ أي سلطنة، وفي القاموس: «مَلَكَه يَمْلِكُه مِلْكاً مثلّثة، وَمَلَكَة محرّكة، ومَمْلُكَة، وبضمّ اللام أو يُثلث: احتواه قادراً على الاستبداد به». وقوله (معالي العشق): جمع مَعْلَاة، وهي كَسْبُ الشَرَف، كما يقال: رجل عالي الكَعْب، بمعنى شريف كما في القاموس. وكنّى بذلك عن المقامات العالية التي ينتجها العشق الإلهيّ. وقوله (مِلْكِي): بكسر الميم، أي: في تصرّفي، إشارة إلى أنّه يملك الأحوال ولا تملكه الأحوال. وقوله (وجُنْدي): بضمّ الجيم، أي: عسكري وأعواني المعاني الإلهيّة، والعلوم اليقينيّة، والأسرار الربّانيّة الحاصلة لي من تجلّي الذات الأحديّة؛ فإنّي أنتصرُ بها على أعدائي من الجنّ والإنس في حروب النفوس البشريّة. وقوله (وكلّ العاشقين): أي للصور الكونيّة الحسيّة والمعنويّة. (رعيّتي): أي موضع ظهور حكمي فيهم فخلافتي عليهم، ونفوذ تصرّفي فيهم إن شاؤوا، أو إنْ أَبَوا غلبة أمريّة إلهيّة.

٢٩٤- فَتَى الحبّ هَا قَدْ بِنْتُ عَنْهُ بِحُكْمِ مَنْ يَــرَاهُ حِجَابَــاً فَــالهَوَى دُوْنَ رُتْبَتِـــي

(فتى الحبّ): بضمّ الحاء المهملة، أي: يا فتى المحبّة الإلهيّة. والفتى الشاب والسخيّ الكريم. وقوله (ها): هي كلمة تنبيه. وقوله (قد بنت): أي بعدتُ، من البَيْن بمعنى البعد والفراق. وقوله (عنه): أي عن الحبّ، بمعنى المحبّة. وقوله (بحكم مَنْ): بفتح الميم أي: حاكم، أو الذي يراه، أي: يرى المحبّ حجاباً بينه وبين المحبوب؛ وذلك لأنّ المحبّة تقتضي المغايرة بين المحبّ والمحبوب، ولا مغايرة في نفس الأمر، حيث مقام الاتّحاد المشار إليه فيما تقدّم. وقد فُتح عليّ بأبيات عند كتابتي هذا المحلّ وهو قولي:

إنّ الجميع هو المحبوب قد ظهرا ... وبالمحبّين في جلبابه استترا/ [١٦٦/ ب]

وما المحبّة إلّا بالحجاب أتت ... فاربَأْ بنفسك عنها إنْ أردت ترى

واسلك سبيل الفنا فيمن تحبّ ولا ... تترك لذاتك لا عيناً ولا أثراً

يظهر لك الوجه وجه الحقّ منكشفاً ... للحقّ والكون عنه يكشف الخبرا

هنالك الأمر أمر الله جلّ ولا ... خلق مع الأمر بل الأمر قد ظهرا

والروح من أمره في الجسم ينفخها ... والجسم من خلفه يحوي به الصورا

ألا له الخلق والأمر استمعه تفز ... بسرّه واترك الأوهام والفكرا

أنت الغنيّ فلا تعشق فتحجب عن ... محبوبك الحقّ خلّ العشق للفقرا

وقوله (**فالهوى**): أي المحبّة دون رتبي؛ لأنّها مَرْتَبَةُ المريدين السالكين في طريق الله تعالى، لوجود الحجاب معها كما ذكرنا.

٢٩٥- وَجَاوَزْتُ حَدَّ العِشْقِ فَالحبّ كَالقِلَى ... وَعَنْ شَأْوِ مِعْرَاجِ اتِّحَادِيَ رِحْلَتِي

(**وجاوزت**): من جاز الموضع، وأجازه غيره وجاوزه: سار فيه وخلفه. وقوله (**حدّ العشق**): أي منتهاه، قال في القاموس: «الحَدُّ منتهى الشيء، ومن كلّ شيء حِدَّتُه»، و- منك: بأسك، ومن الشراب سَوْرته. وقوله (**فالحبّ**): بالضمّ المحبّة والعشق. وقوله (**كالقِلَى**): بكسر القاف: البغض والكراهة؛ يعني: صارت المحبّة والعشق عندي بمنزلة البغض للمحبوب، وكراهته غاية الكراهة؛ لأنّ ذلك يقتضي دعوى الإثنينيّة والمشاركة مع المحبوب في الوجود، وهو الشرك الخفي. والمحبوب الحقيقيّ لا يرضى منّي بذلك لمنازعتي له في وحدانيّته؛ فالمحبّة له بغض وكراهة مِنّي له، لعدم رضاه منّي بذلك، حيث أنّي عالم بما هو مترتّب على ذلك. وأمّا إذا لم أكن عالما بذلك كأحوال المريدين السالكين؛ فالمحبّة والعشق كمال في حقّي عنده حينئذ؛ لأنّه يحكم على كلّ حقيقة بما عندها من القابليّة والاستعداد،

فما يمدح به قوماً يذم به قوماً آخرين أعلى منهم، كما قالوا: «حسنات الأبرار سيئات المقرّبين» قال تعالى في حقّ قوم:﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ ﴾ [٥/ المائدة/ ٥٤] ففرّق بالضمائر، وجمع بالوصف، وهو المحبّة. فمن فرّق ضميره تفرّق أمره. ومن جمع وصفه اجتمع أمره. وقوله (وعن شأو): أي غاية معراج، وهو السلم الذي يرتقي به. وقوله (اتّحادي): أي رؤيتي الاثنين واحداً، وهو اتّحاد الفاعل مع فعله المصدريّ؛ فإنّ فعله المصدريّ لا يصح أن يكون فاعلاً، فيكون الفاعل اثنين، فإنّ المصدر عين فعل الفاعل، ولهذا قالوا بأنّ الحقّ تعالى ليس له مفعول به، وما ورد منه ذلك فهو مفعول مطلق، والمفعول المطلق هو المصدر؛ فقولك ضربت ضرباً ليس كقولك ضربت زيداً؛ فإن زيداً مفعول به، والمفعول به هوما وقع عليه فعل الفاعل، فيكون موجوداً قبل وقوع الفعل عليه، وأفعال الله تعالى ليست واقعة على أشياء موجودة قبلها؛ بل أفعاله تعالى توجد الأشياء. فقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [٦/ الأنعام/ ١] وقوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [٢٥/ الفرقان/ ٢] ونحو ذلك فليست السموات والأرض وكذا كلّ شيء موجودات قبل خلق الله لها حتّى يقع خلقه عليها، فتكون مفعولاً به؛ بل جميع ذلك موجود بخلقه تعالى، فهو مثل قولك ضربت ضرباً؛ فإنّ ضرباً هو عين ضربت لا غيره، كما صرّح بذلك من النحاة ابن هشام في أواخر كتابه «مغني اللبيب» وغيره. فاتّحاد الفعل مع فاعله هو اتّحاد المفعول المطلق الذي هو المصدر مع الفعل الناصب له. والفاعل واحد وهو الوجود الحقّ الواحد الأحد.

فقوله (عن شأو معراج اتّحادي رحلتي): أي ارتحالي. قال في القاموس: «ارتحل القوم عن المكان. والاسم الرِحلة بالضمّ والكسر، أو بالكسر: الارتحال، وبالضمّ الوجه الذي/ [١٦٧/ أ] تقصده، والسَفْرَة الواحدة». والمعنى: ارتحالي عن غاية ما أتوصّل به إلى الحقّ تعالى، وهو الاتّحاد الذي سبق بيانه، وذلك فإنَّ الاتّحاد يقتضي ملاحظة اثنين أوّلاً، ثمّ ملاحظتهما واحداً، وذلك نقص وجهل في مقام الواحد

الأحد الذي لا ثاني له من الأصل؛ فاعتبار الثنويّة، ثمّ اعتبار زوال الثنويّة ليس من أحوال الكاملين، وإنّما ذلك من أحوال المريدين السالكين المتخلّصين من دعاوى نفوسهم القائمة بالشرك الخفّي قد علم كلّ أناس مشربهم والله تعالى يعطي كلّ شيء خلقه على حسب القبول والاستعداد وفوق كلّ ذي علم عليم.

٢٩٦- فَطِبْ بِالْهَوَى نَفْسَاً فَقَدْ سُدْتَ أَنْفَسَ الـ

ـــعِبَادِ مِـــنَ الْعُبَّـــادِ فِي كُـــلِّ أُمَّـــةِ

(**فَطِبْ**): الفاء للتفريع، يعني: إذا علمت- يا أيها المريد الصادق- أنّي جاوزت حدّ العشق بحيث صارت المحبّة عندي بمنزلة البغض والقِلى؛ فأنا أحترز عنها في جناب الحقّ تعالى، فلا تظنّ أنّ المحبّة مذمومة مطلقاً؛ فإنّها بالنسبة إليك مقام شريف، ومعراج منيف، كيف وقد ورد في الحديث القدسي: «كنت كنزاً مخفيّاً فأحببت أنْ أُعرف فخلقت خلقاً تعرّفت إليهم فبي عرفوني»[1] فانظر قوله: «كنت كنزاً مخفيّاً». يعني: ولم أزل كنزاً مخفيّاً، كما قالوا في كان: إ نّها في حقّ الله تعالى تدلّ على الدوام والاستمرار، لا على المضي والانقطاع، كالشيخ إنْ قال: كنت شاباً. يعني: وقد صرت شيخاً وانقضى عليّ مرّ شبابي. وفي حقّه تعالى معنى كان: لم أزل ولا أزال كذلك، كقوله: ﴿ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا [٢٥/ الفرقان/ ٥٤] ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ [١٨/ الكهف/ ٤٥] ونحو ذلك. والكنز المخفيّ من قوله تعالى حكاية عن موسى والخضر عليه السلام: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَـٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ

---

(١) ذكره العجلونيّ في الكشف، ٢٠١٦، بلفظ: كنت كنزاً لا أعرف فخلقت خلقاً فعرّفتهم بي؛ فبي عرفوني. وفي لفظ: فتعرّفت إليهم، فبي عرفوني. قال ابن تيميّة: ليس من كلام النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، ولا يعرف له سند صحيح ولا ضعيف، وتبعه الزركشي، والحافظ ابن حجر في اللآلئ والسيوطي وغيرهم. وقال القاري: لكنّ معناه صحيح مستفاد من قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [٥١/ الطور/ ٥٦] أي ليعرفوني، كما فسّره ابن عبّاس. انظر الكشف ٢ / ١٢٢.

﴿كَنزَلَّهُمَا﴾ أي: للغلامين اليتيمين في المدينة الإنسانيّة، وهما الروح الأمري والنفس الفلكيّة. والجدار هو الجسم الحائل بين الدنيا والآخرة، فإنّه إذا خرب زال حكم الدنيا وظهر حكم الآخرة. والكنز المخفيّ تحت هذا الجدار من قوله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي﴾ [٢٠/ طه/ ٤١] وقوله: ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾ [٢٠/ طه/ ٣٩] أي ذاتيّ. فالعلو إشارة إلى الظهور، وهذا معنى أنّ الحقّ تعالى كنز مخفيّ تحت جدار الجسم، فإذا بلغ الغلامان اليتيمان أشدّهما بأن قويا بقوّة أصولهما، وغلبتهما على مقتضيات الجسم استخرجا كنزهما، فظهر الكنز المخفيّ. وقوله (بعد ذلك فأحببت أنْ أُعرف) فتظهر حينئذ المحبّة الإلهيّة من قوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [٥/ المائدة/ ٥٤] فقال الناظم للمريد الصادق: فطِبْ بالهوى نفساً.

ولا تظن أنّ كلامنا في هذا الحديث والآية على معنى التفسير لهما فتستغرب ذلك منّا، وتحسب أنّا نمنع معنى ذلك على مقتضى ما قال العلماء. فإنّ هذا الذي ذكرناه هنا إشارة إلى بعض ما اشتمل عليه الحديث والآية؛ فإنّه عليه السلام أُوتي جوامع الكلم. وقال تعالى: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا﴾ [١٨/ الكهف/ ١٠٩] فإنّه متضمِّن لمعاني لا نهاية لها، والإشارات غير العبارات. ومعنى قوله (**طبّ بالهوى نفساً**): يقال: طِبْتُ به نفساً أي: طَابت به نفس، كذا في القاموس. وطابت النفس ضدّ خبثت، أي: اتصفت بالطيب، وهو تزكيتها بالأخلاق الحسنة، وطهارتها من الأخلاق الذميمة، قال تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [٩١/ الشمس/ ٩] أي: طهّرها: ﴿وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [٩١/ الشمس/ ١٠] أي: دسّها في تراب جسمه؛ بأن غلب عليها حكم طبيعته وأَسَرَتْها شَهَواته. وقوله (**فقد سُدْتُ**): من السيادة، يقال: ساد يَسود: صار سَيِّداً. و(**أَنْفُسَ**) مفعول سُدْتُ. والأَنْفَسُ: أفعل من تفضيل، من نَفُسَ الشيءُ ككَرُمَ نَفَاسَةً. وأصل النفيس المال الكثير، والمراد به الأكثر صلاحاً وديانة من (**جميع العباد**): جمع عبد، وهو الإنسان، حراً كان أو رقيقاً، كذا في القاموس. ويجوز

/[١٦٧/ ب] أن تكون أَنْفُس، جمع نَفْس أيضاً. وقوله (من العُبّاد): بيان للأنفس. والعُبّاد بتشديد الباء الموحّدة، جمع عابد، من عَبَدْتُ اللهَ أَعْبُدُه عِبَادَةً، وهي الانقياد والخضوع، والفاعل: عابد، والجمع: عُبَّاد وعَبَدَة، مثل: كافر وكُفَّار وكَفَرَة، كذا في المصباح. وقوله (في كلّ أمّة): متعلّق بالعبّاد. والأمّة: بتشديد الميم أتباع النبيّ. والجمع: أُمَم، مثل: غرفة وغرف. وتطلق الأُمّة على عالم دهره، المنفرد بعلمه، كما في المصباح؛ والمعنى: إنّك صرت سيّداً على كلّ سيِّد من الناس ممن لم يكن في مقامك، وفضلت على جميع العبّاد والزهّاد في جميع الأمم؛ لأنّك تعبد الله بالله لله، لا بنفسك، ولا حظ نفسك من جلب نفع، أو دفع ضرر عن معرفة إلهيّة، وكشوفات يقينيّة، وتجلِّيات ربّانيّة. والعبّاد والزهّاد يعبدونه بقوى أنفسهم جاهلين بربِّهم، طالبين منه الثواب، ومتوقِّين بذلك من العقاب.

٢٩٧- وَفُزْ بِالعُلَا وَافْخَرْ عَلَى نَاسِكٍ عَلَا بِظَـاهِرِ أعْـمَالٍ وَنَفْـسٍ تَزَكَّـتِ

(فز) فعل أمر من الفوز، فَازَ يَفُوزُ فَوْزاً: ظَفَرَ ونَجَا، كذا في المصباح. والعُلا بالضمّ جمع العَلياء، قال في المصباح: «أصل العَلْياء: كلُّ مكان مُشرِف، وجمع العُليا: عُلَا، مثل: كُبْرَى وكُبَر» أراد بالعُلا مراتب التحقّق في معرفة الله تعالى. وقوله (وافْخَرْ): فعل أمر من الفَخْر، قال في المصباح: «فَخَرتُ به فَخْراً، من باب نفع، وافْتَخَرْتُ مثله، والاسم الفَخَار، مثل كلام، وهو المباهاة بالمكارم والمناقب من حَسَب ونَسَب وغير ذلك، إمّا في المتكلِّم، أو في آبائه». وقوله (على ناسك): اسم فاعل، من نَسَكَ لله يَنْسُك من باب قتل: تَطَوَّع بقربه» ، كما في المصباح. وقوله (عَلَا): أي ارتفع مفتخراً على غيره. (بظاهر أعمال): أي بأعماله الظاهرة، كالصلوات، والصيام، والصدقة، والحج، والعمرة، ونحو ذلك. وقوله (ونَفْسٍ) معطوف على ظاهر، أي: وبنَفْسٍ له. (تزكّت): أي تطهّرت من رذائل الأخلاق، قال في المصباح: «زَكَا الرجلُ يَزْكُو: إذا صلح، وزَكَّيْتُه، بالتثقيل: نسبته إلى الزَكَاء، وهو الصلاح» انتهى. فإنّ أصحاب النفوس وإنْ تزكّت نفوسهم، وحسنت

أخلاقهم، وكملت أحوالهم؛ فإنّهم منازعون للحقّ تعالى، بدعوى وجودهم معه، وادّعاء الحول والقوّة في جميع أعمالهم، سواء شعروا بذلك أم لم يشعروا. وهم أهل تكليف لا تشريف، وهم قائمون بنفوسهم في خدمته، فإنّهم ليسوا كمن كان هو تعالى القائم على نفوسهم بما كسبت، ولا نفوس لهم معه، فلا أعمال لهم، وهو العامل دونهم؛ فإنهم المُشَرَّفون بالأعمال الصالحة، لا مكلّفون بها؛ فلا يتركون أمراً، ولا يقدمون على نهي، تشريفاً منه تعالى لهم، ولا تكليف عليهم.

٢٩٨- وَجُزْ مُثْقَلاً لَوْ خَفَّ طَفَّ مُوَكَّلاً بِمَنْقُوْلِ أحْكَامٍ وَمَعْقُوْلِ حِكْمَةِ

(وَجُزْ): أي تجاوز، يقال: جَاوَزْتُ الشيءَ وتَجَاوَزْتُه: تعَدَّيته، كذا في المصباح. وقوله (مُثْقَلاً): بفتح القاف، اسم مفعول، من أَثْقَلَه الشيءُ، بالألف: أَجْهَدَه، كذا في المصباح. أي: رجلاً مُثْقَلاً، يعني: فُتْ. وتجاوزت رجلاً أثقلته أعماله الصالحة، وأتعبت ظاهره وباطنه لقيامه فيها بنفسه. ودعوى حوله وقوّته، فهو مكلّف بها شرعاً، لا مشرّف بخلق الله تعالى له ذلك، فإنّ المشرَّفين لا نفوس لهم، والنفوس للمكلّفين. والمكلّفون في كُلْفة ومشقّة؛ لأنّ نفوسهم لا تقدر أنْ تخلق شيئاً، قال تعالى: ﴿لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٦٤] والله تعالى مكلِّفهم، أي: موقعهم في الكلفة جزاء على دعواهم، فإنّ لَطُفَ بهم خلق لهم الأعمال فيدعونها، ويعتقدون أنّها أعمالهم هم عملوها، وإنْ لم يخلق ذلك علموا أنّهم تاركون، فاستحقّوا عقابه. وقوله (لو خف): صفة لمثقلاً / [١٦٨/ أ] يقال: خَفَّ الشيءُ خَفّاً، من باب ضرب، وخِفَّة: ضدّ ثُقُل، فهو خفيف. وفي الصحاح: «خَفَّ الشيءُ خِفَّةً: صار خَفيفاً». والمعنى: لو فنيت نفسه واضمحلّت في تجلّي ربّه عليه بما كسبت، بحيث كان يجد نفسه التي هو عامل بها عين فعل ربّه به، وتصرّفه فيه، صار حينئذٍ خفيفاً، لا ثقل فيه، ولا كلفة له، ولا مشقّة عنده، لأنّه فعل ربّه، لا فاعل هو بالاستقلال. وقوله (طفّ): أي ارتفع، قال في القاموس: « طَفَّهُ بِرِجْلِه أو بيده: رفعه. وخُذْ ما طَفَّ لك واسْتَطَفَّ: ما ارتفع لك وأمكن». يعني: ارتفع مقامه في

حضرة الله تعالى، فكان مشرّفاً بالأعمال الصالحة التي يخلقها له تعالى الله، لا مكلّفاً بها لزوال نفسه، ودعواها أعمالها. وقوله (**مُوَكَّلاً**): بصيغة اسم المفعول، من وَكَلْتُ الأمرَ إليه وَكْلاً، من باب وَعَد، وَوُكُولاً: فوَّضتُه إليه، واكتفيت به. والوَكِيل بكذا: الحافظ، كما في المصباح. وهو وصف لمثقلاً. يعني: مَنْ أثقله الله تعالى بدعاوى أعماله، وجعله مفوّضاً إليه. كما ورد: «من اتكّل على شيء أوكله الله إليه»[1]. وقوله (**بمنقول**): متعلّق بموكولا. و(**الأحكام**): جمع حكم، وأصل الحكم: المنع، يقال: حَكَمْتُ عليه بكذا: إذا مَنَعْتُهُ من خلافه، فلم يَقْدر على الخروج من ذلك، كذا في المصباح. وهي الأحكام الشرعيّة، فإنّها منقولة، لا مساغ فيها للعقل. وقوله (**ومعقول**): معطوف على منقول. والحكمة فهم معاني الخطابات الإلهيّة، وأسرار الأحكام الشرعيّة، قال الراغب في مفرداته: «الحُكْم أعمّ من الحِكمة، فكلُّ حكمةٍ حكمٌ، وليس كلّ حُكمٍ حكمةً، فإنّ الحكم أن يُقضي بشيء على شيء»، فيقول: هو كذا أو ليس كذا، وكقوله عليه السلام: «الصمت حكم وقليل فاعله»[2] أي: حكمت. والحكمة ما نبّه عليه القرآن، فمن ذلك: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [٥/ المائدة/ ١] أي: ما يريد يجعله حكمة، وذلك حثّ للعباد على الرضا بما يقتضيه، وقيل الحكمة فهم حقائق القرآن».

٢٩٩- وَحُزْ بِالْوَلَا مِيْرَاثَ أَرْفَعِ عَارِفٍ غَـدَا هَمُّـهُ إِيْثَـارَ تَـأْثِيْرِ هِمَّـةِ

(**وَحُزْ**): بالحاء المهملة والزاي، فعل أمر من حُزْتُ الشيءَ أَحُوزُهُ حَوزاً وحِيَازَةً: ضممته، وجمعته. وكلُّ مَنْ ضمّ إلى نفسه شيئاً فقد حازه، كذا في المصباح. وقوله

---

(١) لم نجده بهذا اللفظ وإنّما أخرج أحمد في المسند، باب: حديث عبد الله بن عكيم، ١٩٢٩٤، بلفظ: من تعلّق شيئاً وُكِّل إليه.

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، باب الصمت حُكْمٌ وقليل فاعله، ٤٨١٧، وقال: غلط في هذا عثمان بن سعيد هذا، والصحيح عن أنس، كما أخرجه ابن حبّان في روضة العقلاء، باب: حفظ اللسان، بسند صحيح عن أنس، بلفظ: إنّ لقمان قال: إنّ الحُكْم الصمت وقليل فاعله.

(بالولا): أصله بالمدّ، وقصر للوزن. والولاء هو النصرة، أي: نصرة الله تعالى للعبد على نفسه وعدوِّه من الجنِّ والإنس بأنّ يتولّاه الله تعالى؛ فيجعله وليّاً من أوليائه، فعيلاً بمعنى مفعول. وفيه إشارة إلى أنّه بنصرة الله تعالى لا بنفسه يحوز ذلك. وقوله (ميراث): مفعول حُز. و(أَرْفَع عارف): هو نبيّنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم من قوله: «أنا أعلمكم بالله وأكثركم منه خشية»[1] ويجوز أن يكون المراد بأرفع عارف صاحب الوراثة المحمّديّة من الأولياء الكاملين؛ فإنّه على قدر اتّصال الصورة المخلوقة بالنور المحمّدي الذي هو أوّل ما خلقه الله تعالى، وخلق منه كلّ شيء، كما ورد في الحديث تكمُلُ القرابة النسبيّة، ويتّصل الرحم الإنساني حتّى تصير العصوبة، فيحوز من الميراث بغير تقدير، وإذاْ لم تحصل العصوبة ورث نصيباً معلوماً، وهم أرباب السهام المقدّرة، يرثون من المقام المحمّدي على قدر ما للنبيِّين عليهم السلام من المقامات المحمّديّة؛ فيكون الولي الوارث موسويّاً محمّديّاً، أو عيسويّاً محمّدياً إلى غير ذلك.

وقوله (غدا): أي دخل في وقت الغَدوة والغَداة. وذلك من أوّل النهار، قاله الراغب. وفي المصباح: «الغَدَاة: الضَحْوَة». وفي الصحاح: «الغُدْوَةُ ما بين صلاة الغَداة، أي: الفجر وطلوع الشمس. والغُدُو نقيض الرَوَاح. وقد غَدَا يَغْدُو غُدُواً». وقوله (همّه): أي همَّ ذلك الذي هو أرفع عارف، كما ذكرنا. و(الهمّ): ما هَمَمَتَ به، وهَمَمْتُ بالشيء هَمّاً، من باب قتل: إذا أردته ولم تفعله، وفي الحديث «لقد هممت أن أنهى عن الغيلة»[2]، أي: عن إتيان المرضع. والهَمُّ: الحُزْن. وأَهَمَّنِي الأمر: بالألف أقلقني. وهَمَّنِي هَمّاً، من باب قتل: مثلُه، كما في المصباح. وقوله (إيثار): أي/ [١٦٨/ ب] تقيم، قال في القاموس: «رجل يستأثر على أصحابه، أي

---

(١) قال الهنديّ في كنز العمّال: أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: قول النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: أنا أعلمكم بالله،٣١٩٩١، بلفظ: إنّ أتقاكم وأعلمكم بالله أنا.

(٢) أخرجه مالك في الموطّأ، باب: جامع ما جاء في الرضاعة، ١٢٩١، وله طرق كثيرة.

يختار لنفسه أشياء حسنة. وأَثِرَ على أصحابه كفَرِح فعل ذلك. وتأثير مصدر. أَثَّرَ فيه تَأْثِيراً ترك فيه أثراً. والأَثَر محرّكة: بقيّة الشيء».

و(الهِمّة): بالكسر، وتُفتح: ما هَمَّ به من أمر ليُفْعَل، والهوى، كذا في القاموس. والمعنى: صار ميله وقصده دائماً تقديم واختيار تأثير همّته القلبيّة، وتوجّه إرادته الربّانيّة جهة ما يريد من الأفعال والتحكم في كلّ شيء بصدق الحال، فلا يميل ولا يقصد غير الله تعالى الذي ظهرت له صفاته بظهور صفاته، وتجلّت عليه أسماؤه الحسنى بأعيان أسمائه في جميع حالاته، فانكشف له بأن صفاته الإنسانيّة ظلال صفات ربّه المنزّهة العليّة، وأسماءه المختلفة العرضيّة ظلال أسماء ربّه الحسنى البهيّة، وانعدمت ذاته التقديريّة في ذات ربّه المحقّقة الوجوديّة؛ فاستغنى بما فيه من الظلال القائمة بشواخص المرادات، والمعلومات الإلهيّة من حضرة الإرادة على طبق علم ذي الجلال، فظهر به الغيب المطلق، والحقّ المحققٌ بذاته، وصفاته وأسمائه التي هي ظلالات ذات ربّه وصفاته وأسمائه؛ بمعنى: آثارها التقديريّة وتصويراتها العدميّة الإمكانيّة فانمحق العبد الممحوق من قبل بالكليّة، وتحقّق الحقّ المحقّق من قبل على ما هو عليه في حضرته العليّة. فشهد منه الجاهلون ما كان يشهده من نفسه قبل ذلك لاحتجاجهم من عدم معرفتهم بنفوسهم بكلّ شيء هالك. وشهد هو من نفسه ما قال تعالى في جملة كلامه القديم: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [٣/آل عمران/ ١٨]. وهذا المقام المحمّديّ، والميراث الأحمديّ.

٣٠٠- وَتِهْ سَاحِباً بِالسُّحْبِ أذْيَالَ عَاشِقٍ بِوَصْلٍ عَلَى أعْلَى المَجَرَّةِ جَرَّتِ[(١)]

(وته): بكسر التاء المثنّاة الفوقيّة وسكون الهاء، فعل أمر من تَاه فهو تائِه. وتَيَّاه: من التِيْه، بالكسر: الصَلَف والكِبْرياء، كذا في القاموس. وقوله (ساحباً): حال

---

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ « بلغ». يعني: بلغ سماعاً ومقابلة على نسخة الشيخ النابلسي رحمه الله تعالى.

من فاعل الفعل من سَحَبَهُ كمنعه: جَرَّهُ على وجه الأرض فانْسَحَب. والسُّحْب بضمّ السين المهملة وسكون الحاء جمع سَحَابَة، وهي الغيم. والباء للظرفيّة، أي: في السحب؛ يعني: فوق السحاب. وقوله (**أذيال**): مفعول ساحباً، جمع ذيل، وهو من الثوب والإزار: ما جُرَّ. وقوله (**عاشق**): أي رجل عاشق، وهذا من نوع التجريد، كقولك رأيت من زيد أسداً، وتقديره: هنا ساحباً منك أذيال رجل عاشق، أي: صاحب عشق إلهيّ: والمعنى: افتخرْ وتكبّرْ على جميع العشّاق بعشقك الربّاني، ومحبّتك الأصليّة في المقام النورانيّ.

ومن هنا يقول الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه في شرح الوصايا اليوسفيّة: « وإنْ كبرتْ عند العارف نفسه فليس ذلك الكِبْر بمذموم، وإنّما هو لمشاهدة حقيقة كونها على صورة منشئها؛ فالكبرياء لله لا لها. فإنْ صغرت في هذه الحالة عنده أو صغّرها بنظره عند نفسها فقد صغّر الحقّ، وألقاها في بحر الجهل بنفسها، وأخرجها عن معرفتها بها. ومن خرج عن معرفة نفسه فقد خرج عن معرفة ربّه؛ فالعلماء تشهد نفوسهم ذات كبرياء وعظمة. والمريد يشهدها صاغرة ذليلة. فإنْ صغرت عند العالم كان نقيصاً في حقّه، ولم يكن عالماً، وعاد ذلك الصغر على ربّه فأساء الأدب، فاستوجب الطرد. وإنْ كبرت عند المريد نفسه فليس بمريد؛ بل هو من العوام. (**بوصل**): متعلّق بساحباً، أي: بسبب وصل، أي: اتّصال بحضرة المحبوب الحقيقيّ كاتّصال الظلّ بالشاخص فهو اتصال بلا اتّصال. وانفصال من غير انفصال، كما قال تعالى بطريق الإشارة القرآنيّة: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ أي: الظلّ الذي هو الكائنات جميعها: ﴿وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ﴾ أي نوراً ذاتياً، العليّة ﴿عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ [٢٥/ الفرقان/ ٤٥] إذْ لولا النور لما ظهر الشيء المستور، ولولا الشاخص/ [١٦٩/ أ] الإرادي على طبق العلم الإلهيّ لَمَّا ثبتت في العدم قبل ذلك الظهور أعيانُ الكائنات كلّها: ﴿ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ [٢٥/ فرقان/ ٤٦] بإرجاع كلّ شيء إلى أصله. وهذه هي الحالة في عالم الدنيا.

وأشار تعالى إلى الحالة أيضاً في عالم الآخرة بإشارة قوله سبحانه في سورة الواقعة التي هي صورة الواقعة: ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [٥٦/ الواقعة/ ٢٧-٢٩] الآية. ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴾ [٥٦/ الواقعة/ ٤١-٤٣] فكلا الفريقين في الظلّ على معنى أنهم عين الظلّ في الآخرة أيضاً. والآخرة تكوين على مثال ما هذه الدنيا تكوين: ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ [٦٧/ الملك/ ٣]؛ وإنّما التفاوت من وجوه أُخَر. وقوله (على أعلى المجرّة): أي أرفعها. والمَجَرَّةِ بفتح الميم وفتح الجيم وتشديد الراء مفتوحة آخره هاء: طريق أبيض يظهر في السماء، وقال في الصحاح: « المجرّة: التي في السماء، سميت بذلك لأنّها كأثر المَجَرّ». وقوله (جُرّتِ): بضمّ الجيم وتشديد الراء وكسر التاء للقافية، وهو فعل ماض مبني للمفعول. والمعنى: إنّ تلك الأذيال مجرورة على أعلى ما يكون من أطراف المجرّة التي في السماء، يعني: من جهة التفاخر والتكبّر؛ لأنّه لم يتكبّر بمخلوق من مال، أوجاه، أو شيء من الكائنات. وإنّما تكبّر بالحقّ سبحانه وتعالى، قال تعالى في ذمّ من تكبّر بغيره: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٤٦] الآية؛ إذ لو تكبّروا بالحقّ لكان ذلك تكبّر الحقّ لا تكبّر نفوسهم بغيره.

٣٠١- وَجُلْ فِي فُنُوْنِ الاتِّحادِ وَلَا تَحِدْ ... إلِى فِئَةٍ فِي غَيْرِهِ العُمْرَ أفْنَتِ

(وجل): فعل أمر من الجَوَلان، وهو الطواف، يقال جَال في الحرب جَوْلة، وفي الطواف جَوْلَاً، ويضمّ. وجُؤُولا، وجَوَلاناً محرّكة وجِيْلالاً بالكسر: طاف، كذا في القاموس. وقوله (في فنون): جمع فَن، وهو الضرب من الشيء. و(الاتّحاد): هو ظهور الأمر واحداً بعد ظهوره اثنين فأكثر، كما إذا نظر الإنسان إلى نفسه وجسمه الظاهر، أو إلى نفس غيره، وجسم غيره الظاهر، فرأى له يدين ورجلين وعينين وأذنين ولساناً وشفتين ومنخرين وسبيلين. ورأى لكلّ واحد من ذلك

حركة على الاستقلال، وخاصّيّة لا توجد إلّا فيما شاكله، يظنّ كثرة في هذا الظاهر له، المتعدّد عنده في الظاهر بحسب الصور المختلفة والخاصّيّات. فإذا تفطّن لذلك، وزالت غفلته تنبَّه للاتّحاد الذي يعينه الناظم، قُدّس سرّه، ويريده فيما يذكره من هذه القصيدة وغيرها، ويجد أنّ المتصرّف في كلّ واحد من اليدين والرجلين والأذنين وبقية الجوارح إنّما هو واحد لا تعدد فيه، وهو الإنسان الحيّ الظاهر في كلّ صورة من صور جوارحه وحواسه في وقت واحد بطريق الاستيلاء على ذلك كلّه بخاصّيّة كلّ جارحة. ولا يشك في وحدته أصلاً، وعدم انقسامه وتجزيه. وهذا مثال فن من فنون الاتّحاد، وهو الاتّحاد الأفعاليّ. وفوق هذا مقام الاتّحاد الأسمائيّ بأن ترجع الأسماء كلّها إلى مسمّى واحد. وفوق ذلك الاتّحاد الصفاتيّ بأن ترجع الصفات كلّها إلى موصوف واحد. ثمّ الاتّحاد الذاتيّ بأن ترجع الصفات كلّها ذات واحدة كما قلنا من قصيدة:

فصفاتنا كلّ الصفات وذاتنا كلّ الذوات وروحنا الأرواح

وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [١٣/ الرعد/ ٣٣]. وقوله: ﴿أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [١٠/ يونس/ ٣١] وقوله: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٤٥] ﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ [٢٩/ العنكبوت/ ٢١] ﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [٥/ المائدة/ ١٨] ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ [٦/ الأنعام/ ١٠٢] ﴿إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ﴾ [١١/ هود/ ٣٥] ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾ [٤١/ فصلت/ ٥٤] إلى غير ذلك من الإشارات القرآنيّة، والعبارات الفرقانيّة التي تظهر للعبد إذا عرف نفسه فلم يتعدّ طوره/ [١٦٩/ ب] وتحقّق بفنائه في وجود ربّه وبقائه. وقوله (ولا تحِد): بكسر الحاء المهملة فعل مضارع مجزوم بلا الناهية، وأصله تحيد؛ فحذفت الياء لالتقاء الساكنين. قال في القاموس: «حَادَ عنه يَحِيدُ حَيْداً وحَيَداناً ومَحِيْداً وحُيُوداً وحَيْدَةً وحَيْدُوْدَةً: مال». يعني: لا تمل. (إلى فئة):

متعلّق بتجِد. و(الفِئَة): بكسر الفاء: الطائفة من الناس. وقوله (في غيره): متعلّق بأفنت، آخر البيت، وقدّم للحصر. والضمير يرجع إلى الاتّحاد. وقوله (العمر): بالنصب مفعول مقدّم لقوله (أفنتِ): أي أذهبت عمرَها. وكسرةُ التاء للقافية، والمعنى: لا تمل إلى طائفة موصوفة بأنّها أفنت عمرها في غيره، وهو التعدّد والكثرة في الفاعل، والمسمّى، والموصوف، والذات. فيشهدون ذوات كثيرة، لها صفات مختلفة، وأسماء متعددة، إلى آخر عمرهم، كما قال تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ [١٠٢/ التكاثر/ ١] وقال تعالى خطاباً للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم لما كان في مقام الاتّحاد المذكور: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [١٠٨/ الكوثر/ ١] مشتق من الكثرة. وقد أعطيت لحقيقته صلّى الله عليه وسلّم؛ ولهذا قال لهم تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [٩/ التوبة/ ١٢٨] الآية. وورد في الحديث أنّ أول ما خلق الله تعالى نوره صلّى الله عليه وسلّم، ثم خلق الأشياء من نوره[1].

٣٠٢- فَوَاحِدُهُ الجَمُّ الغَفِيْرُ وَمَن عَدَا ... هُ شِرْذِمَـةٌ حُجَّـتْ بِـأَبْلَغِ حُجَّـةِ

(فواحده): أي واحد مقام الاتّحاد المذكور. يعني: الواحد منهم باعتبار وجدانه ذلك الاتّحاد في نفسه، وإلّا فكلّ واحد من العالم العلويّ والسفليّ عين الجميع، عرف نفسه فوجد ما ذكرنا من الاتّحاد المذكور أو لم يعرف، ولكنَّ الجعل مختلف، والوجدان الذي هو المعتبر عقلاً وشرعاً وعرفاً غير مؤتلف، قال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ [٣٨/ ص/ ٢٨]؛ ولهذا صرّح بالجعل في جهة المؤمنين والمتّقين لشهودهم ذلك في أنفسهم وفي غيرهم، ولم يصرّح به في جهة المفسدين والفجار لعدم شهودهم ذلك في نفوسهم وفي غيرهم، فلمّا ظهر لهم أمر الجعل أظهره في كلامه، ولمّا لم يظهر لغيرهم لم يظهره، فكان مقدّراً في المعنى، وقال تعالى على هذا المنوال: ﴿أَمْ حَسِبَ

(١) انظر تخريجه ص١٤٥.

﴿ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡ﴾ [٤٥/ الجاثية/ ٢١] فإنّه يحشر المرء على ما مات عليه. فإذا اختفى عنهم الجعل في الدنيا اختفى في الآخرة. ثمّ قال تعالى: ﴿سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾ أي: قبح حكمهم في ذلك. وقد وجدنا أناساً من الجاهلين الغافلين عن ذوق الحقائق، ووجدان الرقائق يتعلمون كلام أهل الله، ويفهمونه ويظنون أنّ فهمه كاف، وأنّ الفهم عين الذوق والوجدان فيدَّعون لأنفسهم مقامات القوم، وهم عنهم بمعزل بعيد، كما قال تعالى: ﴿سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾ [٤٥/ الجاثية/ ٢١].

وفي بعض النسخ (فواجده) بالجيم، أي: القوم الواجدون له، من الوجدان، وهو الذوق والإحساس. ويؤيده قوله في مقابلته (شرذمة) وقوله في البيت الذي بعده (واتبع أمّة فيه أمّتِ). وقوله (الجم الغفير): أي جماعة الناس كلّهم شريفهم ووضيعهم، قال في القاموس: « الجَمَّاء الغَفِيْر: البَيْضَةُ التي تَجْمَع الرأسَ وتَضُمُّهُ. وجاؤوا جَمّاً غَفِيراً، وجَمّاء غفيراً، وجَمَّ الغَفِيْرِ، وجَمَّاءَ الغَفِيْرِ، والجَمّاءَ الغَفِيْرَ، وجَمّاءَ الغَفِيْرَى، وجَمَّ الغَفِيْرَةِ، وجَمَّاءَ الغَفِيْرَةِ، والجَمَّاءَ الغَفِيْرَةَ، وجَمّاء غَفِيْرَةً، والجَمَّ الغَفِيْرَ، وبِجَمَّاءِ الغَفِيْرِ، وبِجَمَّاءِ الغَفِيْرَةِ أي: جميعاً؛ شريفهم، ووضيعهم، لم يتخلّف أحد، وهم كثيرون، وهو عند سيبويه: اسم وضع موضع المصدر، أي: مررت بهم جمعاً غفيراً، وجعله غيره مصدراً، وأجاز ابن الأنباريّ فيه الرفع على تقدير: هم. وقال الكسائيّ: « العرب تنصب الجَمَّاءَ الغَفِيرَ في التمام، وترفعه في النقصان»[1]. وقوله (ومن/ [١٧٠/ أ] عداه): أي عدا ذلك الواحد المذكور. (شِرْذِمَة): بكسر الشين المعجمة وسكون الراء وكسر الذال المعجمة وفتح الميم، وآخره هاء. قال في القاموس: «الشِرْذِمَةُ، بالكسر: القليل من الناس». وقلّتهم باعتبار عدم الاعتداد بهم لحقارتهم من قبيل قول الشاعر:

---

(١) انظر مادّة غفر في القاموس.

إنّ الكـــرام كثـــير في الـــبلاد وإنْ قلّـــوا كـــما غـــيرهم قِـــلٌّ وإنْ كثـــروا

يعني: إنّ الكرام كثير في البلاد وإن كان واحداً، فذلك الواحد هو الكثير. وقال الآخر:

هـــو واحـــــد كالألـــــف في زمـــــن بـــــه ألـــــف كواحِـــدْ

وقال تعالى: ﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٦] أي: بالقرآن، قال البيضاوي: « كثرة كلّ واحد من القبيلين بالنظر إلى أنفسهم لا بالقياس إلى مقابليهم؛ فإنّ المهديين قليل بالإضافة إلى أهل الضلال كما قال تعالى: ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [٣٤/ سبأ/ ١٣] ويحتمل أنْ تكون كثرة الضالّين من حيث العدد، وكثرة المهديين باعتبار الفضل والشرف، كما قال الشاعر: (قليل إذا عدّوا كثير إذا شدّوا)». وقوله (حُجّتْ): بضمّ الحاء المهملة وتشديد الجيم، فعل مبني للمفعول، ونائب الفاعل ضمير راجع إلى تلك الشرذمة، من حَجَّهُ بالتشديد: غلبه بالحُجَّة، وهي بالضمّ: البرهان. وقوله (بأبلغ حُجّةٍ) بضمّ الحاء المهملة وتشديد الجيم؛ أي أبلغ برهان قاطع للخصم؛ وذلك الكتاب، والسنّة، والكشف الصحيح المؤيّد بهما؛ فإنّ الكتاب والسنّة إذا فُهما بالفهم الإلهيّ المنوّر بالعمل الصالح، كما قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٨٢] وصل العبد السالك إلى علوم الكشف والوجدان، واستغنى بالعيان عن الدليل والبرهان، ولا يضرّ في ذلك إلّا النظر العقليّ في معاني الكتاب والسنّة. قال الشيخ أرسلان الدمشقي قدّس الله سرّه في رسالته: « الناس تائهون عن الحقّ بالعقل»: فإنّ النظر بالعقل اجتهاد. وجاء في الحديث أنّ المجتهد يخطئ ويصيب، وأنّه مثاب على خطئه مرّة، وعلى صوابه مرّتين، وذلك في العمليّات وفي الاعتقاد إذا أخطأ في الاجتهاد؛ فليس بمثاب وعليه العقاب. وأمّا

قوله صلّى الله عليه وسلّم: «من يُرد الله به خيراً يفقّهه في الدين ويلهمه رشده»[1] فليس هذا من قبيل الاجتهاد بالعقل في الشرع، وإنّما هو من قبيل قوله (صلّى الله عليه وسلّم) في الحديث القدسي: «لا يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به»[2] إلى آخره. فإنّ ذلك يقتضي أنّه إلهام من الله تعالى، وابتداؤه في العبد الجاهل الغافل اعتبار جانب الحقّ تعالى، المتصرّف في ظاهره وباطنه، وتسليم الأمور كلّها إليه، ومراقبته في جميع الأحوال، والإخلاص إليه في الأعمال بأن يقصد بها مجرّد التقرّب إليه تعالى على الدوام حتى يظهر له من نفسه أنّه تعالى هو العامل به، لا أنّ العبد هو العامل بنفسه، فإنّه إذا داوم على هذه الحال أحبّه ربّه، فكان سمعه الذي يسمع به لا سمعه الذي لا يسمع به. وهو أذنه وصماخها وقوّتها المنبثّة فيها. وكان بصره الذي يبصر به لا بصره الذي لا يبصر به. وهو عينه وحدقتها وأجفانها، والقوّة المنبثّة فيها إلى غير ذلك. فيظهر له معنى قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾ [٩١/ الشمس/ ٧] فيكون من له علوم الإلهام أعلى من أهل العقول والأفكار والأفهام. ثمّ يترقّى إلى مقام الاتّحاد، وتندرج في حقيقته جميع حقائق الأعداد من المثاني والآحاد، كما قال تعالى في إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ﴾ [١٦/ النحل/ ١٢٠] الآية. وأخبر تعالى عن نُعيم بن مسعود بن الأشجعيّ رضي الله عنه بصيغة الجمع في قوله سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ [١٧٠/ ب] ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [٣/ آل عمران/ ١٧٤].

---

(١) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب العلم قبل القول والعمل، ١٠، دون لفظ ويلهمه رشده، وله طرق كثيرة. وقد أخرجه الطبرانيّ في المعجم الكبير بهذا اللفظ، ١٦١٤٢.

(٢) انظر تخريجه ص١٤٦.

٣٠٣- فَمُتَّ بِمَعْنَاهُ وَعِشْ فِيْهِ أَوْ فَمُتْ ‌‌ مُعَنَّاهُ وَاتْبَعْ أُمَّةً فِيْهِ أَمَّتِ

(فمُتَّ): الفاء للتفريع على ما قبله. يعني: إذا علمت ما ذكر من الفضيلة في مقام الاتّحاد الإلهيّ. (مُتَّ): بضمّ الميم وتشديد التاء المثنّاة الفوقيّة: فعل أمر من المَتّ بفتح الميم وتشديد التاء. قال في القاموس: «المَتّ :التوسّل بقرابة»، أي: بسبب القرابة، وهي الرحم كما ورد في الحديث: «الرحم شجنة متعلّقة بالعرش»[1] وفي رواية تقول: «من وصلني وصله الله ، ومن قطعني قطعه الله » والعرش هو المستوى الرحماني؛ فالرحم مشتقّة من الاسم الرحمن. والشِجْنة بالكسر وبالجيم: الشُعْبة. وقوله (بمعناه): أي معنى الاتّحاد المذكور، وهو ما يدل عليه لفظه؛ يعني: توسّل بالقرابة والرحم المتّصلة بالاسم الرحمن، المستوي على العرش الذي هو أعلى الكائنات جميعها؛ أي: اجعل ذلك وسيلتك إلى الاتّصال به، وانقطع عمّا سواه إليه، بسبب معنى الاتّحاد المذكور بينك وبينه، وهو أمره الحقّ الذي أنزله إليك، كما قال سبحانه: ﴿ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ﴾ [٥٦/ الطلاق/ ٥] وقال: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨٥] ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ ﴾ [٦٥/ الطلاق/ ١٢] فأنت خلق قائم بأمر، والكلّ له تعالى، كما قال: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [٧/ الأعراف/ ٥٤] وقوله (وعِشْ): فعل أمر من العَيش، وهو الحياة. وقوله (فيه): أي في الاتّحاد المذكور. يعني: اجعل حياتك في الدنيا كلّها في مقام الاتّحاد المذكور. وقوله (أو فَمُتْ): يعني إذا لم يحصل لك ذلك الاتّحاد لتقصيرك في أسباب تحصيله. (مُتْ): بضمَ الميم وسكون التاء، فعل أمر من مات يموت: فارق الحياة حال كونك. (مُعَنَّاه): بالعين المهملة وبتشديد النون، أي: معنى ذلك الاتّحاد بمعنى أسيره. يقال عنوت فيهم: صرت لهم أسيراً. أو (مُعَنَّاه): يعني صاحب عناء، أي: تعب،

---

(١) أخرجه الطبرانيّ في المعجم الكبير، وفي الأوسط، ١٦٣٧٣، بلفظ: الرحم شجنة من الرحمن، تعلّقت بحقوي الرحمن، تقول: اللهم صِلْ من وصلني، واقطع من قطعني.

وجهد، ومشقّة في طلبه، وتمنّي حصوله، قال في القاموس: « عَنَاه الأمرُ يَعْنِيْهِ ويَعْنُوْهُ: أَهَمَّهُ، واعْتَنَى به: اهْتَمَّ. وعَنَى عَنَاءً وتَعَنَّى: نَصِبَ وتَعِبَ». وقوله (واتْبَعْ) فعل أمر من الاتّباع، وهو الاقتداء، قال في القاموس: « تَبع كفَرِح تَبَعاً وتَبَاعة: مشى خلفه، ومرّ به فمضى معه». و(الأُمَّة): بتشديد الميم وضمّ الهمزة، جماعة أرسل إليهم رسول، والجيل من كلّ حيّ، ومن هو على الحقّ ومخالف لسائر الأديان، كذا في القاموس. و(فيه): متعلّق باتبع. والضمير للاتّحاد المذكور. وقوله (أَمَّتِ) بتشديد الميم والتاء ساكنة للتأنيث وحركت بالكسر للقافية. وأَمَّه: قصده كَأْتَمَّهُ وأَتَمَّهُ وتَأَمَّمَه ويَمَّمَهُ كذا في القاموس. وتنكير أمّة للتعظيم، وهي أمّة أهل التوحيد الحقيقيّ، العارفون بربّهم، المحققون.

٣٠٤- وَأَنْتَ بِهذَا المَجْدِ أَجْدَرُ مِنْ أَخِي اجْـ ـتِهَادٍ مُجِـدٍّ عَـنْ رَجَـاءٍ وَخِيْفَـةِ

(وأنت): يا أيها السالك لمقام الاتّحاد المذكور حينئذ. (بهذا المجد): أي نيل الشرف العظيم، والكرم الفخيم. (أجدر): أي أحقّ وأولى أنْ يكون لك (من أخي): أي: مؤاخي ومصاحب اجتهاد بنفسه في طاعة الله تعالى ظاهراً وباطناً، فإنّ الطاعة والعبادة من أشرف الخصال، لكنّها إذا كانت بالنفس والغرض الهوى الدنيويّ أو الأخرويّ كانت مذمومة لمنازعة الحقّ تعالى في إيجادها بطريق الدعوى، مخالفة لقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [٣٧/ الصافات/ ٩٦] فإنّ شعر العبد بذلك وأصرّ بذلك فهو قَدَري يعتقد خلق أفعاله، وإنْ لم يشعر فهو جاهل بعموم قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [١٣/ الرعد/ ١٦] والجاهل في مقام أدنى، وربّما يعاند الجاهل فيقول: أنا لا أجد في نفسي أنّي موجد لأفعالي، وإنّما أعتقد نسبتها لي، والموجد لها هو الخالق، وهو الله تعالى وحده، فإنّه تعالى أوجدها لي، لا له، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ فنسب العمل إلينا لاتّصافنا به، وعدم اتّصافه هو به، فقال له: داؤك نفسك التي تعتقد/ [١٧١/ أ] استقلالها بالقيام

مع الله تعالى، يقول: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآيِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ [١٣/ الرعد/ ٣٣] فنفسك مجرّد صورة معنويّة خلقها الله تعالى، وخلق لها ما شاء من الأفعال، فإنْ أضلّها خلق لها دعوى الاستقلال، وإنْ هداها ظهر هو قائماً عليها بما كسبت من خير أوشرّ، كما قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [٩١/ الشمس/ ٧-٨] فإنّ ذلك الجاهل أنت، أثبتَّ النفس مع الله تعالى، فكيف يكون مقام الاتّحاد الذي هو أشرف المقامات؟! فيقال له: هذا إثبات ضدّ النفي لا وجود له، فإنّ الوجود واحد، وهو الله تعالى وحده، وجميع ما عداه ثابت بإثباته تعالى لأمر [و]جود، والفرق عندنا ظاهر بين الوجود والثبوت، فإنّ الوجود ضدّ العدم، والثبوت ضدّ النفي، فقد يكون الشيء ثابتاً وليس بموجود. وكذلك جميع العوالم فدعوى الوجود مع الله تعالى هي الدّاء العضال، قال القائل:

فإن قلت ما ذنبي إليك أجبتني وجودك ذنب لا يقاس به ذنب

وإنّما الوجود الظاهر للعوالم كلّها في الحسّ والعقل هو تجلّي وجود الحيّ القيّوم الذي جميع العوالم ثابتة بإثباته تعالى لها، فهي ليست بمنفيّة؛ فإنّ المنفي هو الذي لا تقدير له في العدم أصلاً، وإلى إثبات العوالم بتثبيت الله تعالى لها جميعها من دون وجود، أشار قوله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾ [١٤/ إبراهيم/ ٢٧] وهو قوله الحقّ، وهو أمره الصدق المشار إليه عندنا بـ﴿ كُن فَيَكُونُ ﴾ [٢/ البقرة/ ١١٧]، فأخبر تعالى أنّ قوله ثابت لا موجود ثانٍ معه، فإن الجود المحض مختصّ بذاته تعالى. وقوله (الذي): هو كلامه القديم ثابت له أزلاً وأبداً، يثبّت به الذين آمنوا وهم أصحاب الإيمان الكامل، أي: يجعلهم به ثابتين فقط من غير وجود بعد أنْ كانوا منفيّين، ولمّا كان قوله الثابت تابعاً لذاته؛ لأنّه صفة ذاته؛ فإنّ كلامه تعالى صفة من صفاته، ظهر بها وجوده الذاتيّ متجلّياً عندنا فترجم لنا تعالى قوله الثابت بـ﴿ كُن ﴾ أي: أوجد فيوجد. فسرى التجلّي الوجوديّ

من قوله تعالى: ﴿كُن﴾ ولهذا جاء بعده ﴿فَيَكُونُ﴾ ومع ذلك فالوجود على ما هو عليه لله تعالى وحده، ولا وجود لشيء معه أصلاً. ولهذا نبّه تعالى على ذلك بأنّ الشيء الذي قال له ﴿كُن﴾ أي أوجد. وأخبر عنه بأنّه ﴿فَيَكُونُ﴾ أي: فيوجد هالك فانٍ، حيث قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [٢٨/ القصص/ ٨٨] أي: إلّا ذاته التي هي مجرّد الوجود الحقّ. وقال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ٢٦-٢٧] أي: ذاته. والهالك والفاني معدوم، لا وجود له، وإنّما له مجرّد الثبوت كما ذكرنا. وقال صلّى الله عليه وسلّم: «كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان»[1] وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ [٦/ الأنعام/ ٣] أي: هو هذا الوجود الظاهر المتجلّي على أعيان السموات والأرض التي هي كلّها ثابتة بتثبيته، لا منفيّة ومعدومة لا وجود لها أصلاً.

ومن المعلوم أنّ الوجود الصرف الحقّ الحقيقيّ الذي لا تقييد له بصورة حسيّة، ولا معنويّة، ولا بحدّ، ولا بمكان، ولا بزمان إذا أثبت من العدم الصرف، وصوَّر من سموات وأرض وأماكن وأزمان وعوالم كثيرة مختلفة، ظهر من وراء ذلك كلّه محيطاً بذلك كلّه، كما قال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾ [٨٥/ البروج/ ٢٠] أي: ولا يكون حالاً في شيء من ذلك؛ إذ لا شيء موجوداً معه حتى يحلّ فيه، أو يخالطه أو يمازجه. والأشياء كلّها معدومات. ولولا تجلّيه وظهوره عليها لما رآها الجاهل الغافل موجودة في حسّه وعقله أصلاً. وقد شرد بنا القلم عمّا نحن بصدده لحكمة يعلمها الحقّ تعالى الذي هذا كلّه من مدده. وقوله (مُجِدٍّ): بتشديد الدّال المهملة اسم فاعل من الجِدّ بالكسر وهو الاجتهاد في الأمر وضدّ الهَزْل، كذا في القاموس. وهو صفة (لأخي اجتهاد): من قبيل التأكيد اللفظي بمرادفه، كقوله قمت وقوفاً، وقعدت جلوساً. أو بمعنى/ [١٧١/ ب] غير هازل.

---

(١) انظر تخريجه ص٤٦١.

وقوله (عن رجا): أي عن طمع في ثواب الله تعالى ونعيم جنّته، وهو متعلّق بـ(مُجِدٌّ): أي مجتهد في طاعة ربّه اجتهاداً صادراً منه عن طمع في ثوابه، ودخول جنته. وقوله (وخِيْفَةٍ): بكسر الخاء المعجمة، مصدر خَاف يَخَاف خَوْفاً ومَخَافَةً وخِيْفَة، وأصلها خِوْفَة، كذا في القاموس، معطوف على (رجاء): أي خوف من عقابه تعالى وأليم عذابه، وهذا مقام للعباد والزهّاد والقائمين بنفوسهم، كما ذكرنا في عبادة الله تعالى وطاعته؛ فإنّهم يعبدونه طمعاً في ثوابه، وخوفاً من عقابه، فجنّتهم هي الجنّة الثابتة في الآخرة. وأهل مقام الاتّحاد الحقيقيّ المذكور جنتهم الذات؛ ذات الوجود الحقّ، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ [٨٩/ الفجر/ ٢٧-٣٠] فإذا دخلت في عباده ودخلت جنّته حصل لها مقام الاتّحاد الحقيقيّ المذكور على التنزيه التام والتسبيح العام من غير قصور.

٣٠٥- وَغَيْرُ عَجِيْبٍ هَزُّ عِطْفَيْكَ دُوْنَهُ بِـأَهْنَى وَأَنْهَى لَـذَّةٍ وَمَسَرَّةٍ

(وغير عجيب): أي ليس بأمر يتعجب منه أحد، وهو خبر مقدّم. وقوله (هَزُّ): بالزاي المعجمة، أي: تحرك واضطراب، مبتدأ مؤخر. وقوله (عِطفيكَ): تثنية عِطْف بكسر العين المهملة، قال في القاموس: « عِطْفَا كلّ شيء بالكسر: جانباه، وتَنَحَّ عن الطريق، ويفتح، أي: قارِعَتُه. وهو ينظر في عِطْفَيْهِ، أي: معجب. وجاء ثاني عطفيه، أي: رَخِي البال، أو لاوياً عنقَهُ، أو متكبّراً معرضاً. وثَنَى عَنّي عطْفَهُ: أعرض. وتَعَوَّج الفرس في عطفيه: تثنى يمنة ويسرة » والمُراد هنا بهز عِطْفَيْكَ أي: مَنْكِبَيْكَ. كناية عن التبختر والتفاخر؛ فإنّه من خواص مشية المتكبّر. وقوله (دونه): أي عنده؛ يعني عند هذا المُجِدّ المتقدّم ذكره، وهو مقام الاتّحاد المذكور من قبل. يعني: تكبّرك به، واقتخارك على كلّ عابد وناسك من أهل الغفلة عن هذا المقام الشريف، والتكبّر إذا كان بالحقّ فهو حقّ كما سبق، وإذا كان بالباطل فهو باطل. وكلّ شيء ما خلا الله تعالى باطل، قال صلّى الله وسلّم في الحديث الصحيح

الذي رواه مسلم في صحيحه: «أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد: ألا كلّ ما خلا الله باطل»[1] وقال تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٤٦] الآية، يعني: بالباطل. وقوله (بأهنى): متعلّق بهزّ، وهو بيان لمعنى تكبّره بالحقّ، الذي هو تكبّر حقّ؛ وذلك إنّما يكون بسبب ما يجده في نفسه من فرحه وسروره بلقاء ربّه.

وقد نقل عن الإمام مالك رضي الله عنه أنّه لمّا سئل عن قوم يذكرون الله تعالى في المسجد، ويتواجدون، ويرقصون فقال: دعوهم يفرحوا بربّهم». و(أهنى) أفعل تفضيل، أصله بالهمزة أهنئ فخفف بحذفها، قال في القاموس: « الهَنِيءُ والمَهْنَأ: ما أتاك بلا مشقّة، وهو هنيء: سائغ». وقوله (أنهى): أفعل تفضيل أيضاً، أي: أكثر نُهْيَةً، والنُهْيَةُ بالضمّ: غايةُ الشيءِ وآخِرُهُ كالنهاية والنِّهاء، مكسورتين، كذا في القاموس. والمعنى: بأكثر نيل وحصول بلا مشقّة، وغاية ما يكون. وقوله (لذّة): على معنى مِنْ البيانيّة، أي: أكثر نيل وحصول بلا مشقّة من لذّة، وهي نقيض الألم، راجع إلى أهنى، أي: لذّة تكون من لذائذ الدنيا والآخرة. (ومسرّة): مصدر سَرَّهُ سُرُوراً، وسُرّى، بالضمّ، كبُشرى. وتَسِرَّة ومَسَرَّة: أفرحه. والاسم السَرور بالفتح، كما في القاموس، وهو راجع إلى أنهى سروراً؛ أي: أكثر ما يكون من غاية السرور في الدنيا والآخرة قال الله تعالى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [١٠/ يونس/ ٥٨] أي: يجمعونه عندهم، أي: عند نفوسهم من كلّ ما سواه تعالى. إشارة إلى مقام الاتّحاد المذكور؛ فإنّ لذات الوصول إلى مقام الاتّحاد ومسرّات القبول في مقام الفناء عن الوجود والإيجاد أبلغ لذّة، وأكمل سروراً، ويحقّ للعارف المتحقّق بذلك أن يفتخر في الكونين، ويتكبّر بشهوده في الدارين.

---

(١) انظر تخريجه ص٤٠٣.

٣٠٦- **وَأَوَصَافُ مَا يُعْزَى إلَيْهِ كَمِ اصْطَفَتْ   مِنَ النَّاسِ مَنْسِيّاً وأَسْمَاهُ أَسْمَتِ**

/[١٧٢/ أ] (**وأوصاف**): جمع وصف، يقال: وَصَفَهُ وَصْفاً: نَعَتَهُ، كذا في القاموس. وقوله (**ما يُعزى**): بالبناء للمفعول وبالزاي المعجمة، ونائب الفاعل ضمير عائد إلى هذا المُجِدّ المذكور، وهو مقام الاتّحاد الجالب لغاية اللّذة والسرور. ومعنى (**يُعزى**): ينسب. (**إليه**): متعلّق بـ(**يعزى**). والضمير راجع إلى (**ما**): والمعنى: صفات الحقّ تعالى الذي ينسب إليه هذا الاتّحاد. (**كم**): خبريّة. أي: (**كم اصطفت**): أي لها اصطفاء كثير، أي: اختصاص، يقال: اصطفاه بمعنى اختاره، وقدّمه على غيره، فجعله صفوته.

وقوله (**من الناس**): نعت للنكرة التي بعده. والتقدير منسيّاً من الناس. و(**منسيّاً**): مفعول لاصطفت. و(**المنسي**): اسم مفعول من نَسِيَهُ نِسْياناً: ضدّ حفظه. وهو مَنْسِيّ الذكر بحيث لا يعرف فيذكر. وقوله (**وأسماه**): أي وأسماؤه بالمدّ والهمز في الأصل ثمّ خفّف بالحذف لضرورة الوزن، معطوف على أوصاف. وقوله (**أَسْمَتِ**): أي أَعْلَت. والتاء مكسورة للقافية، قال في القاموس: «سَمَا سُمُوّاً: ارتفع. وسَمَا به: أَعْلاه، كأَسْمَاه». والمعنى: إن صفات الحقّ تعالى وأسماؤه الحسنى، فالصفات باعتبار قيامها بذاته العليّة، هي الأسماء باعتبار ظهورها بالآثار الكونيّة، وهي الحضرة الثابتة له تعالى أزلاً وأبداً، ولا وجود لها غير وجود ذاته سبحانه، فليس هي عين ذاته، ولا غير ذاته، وجميع الكائنات قائمة بها، وهي المتحكّمة في العوالم بالإيجاد الوهميّ والإعدام؛ فإنّه لا يظهر الوجود الحقّ متجليّاً على شيء من العوالم إلّا بها، فيقول كم اختارت واختصّت هذه الأسماء الإلهيّة والصفات العليّة الربّانيّة بسبب الوصول إلى مقام الاتّحاد المقبول إنساناً من الناس كان منسي الذكر خاملاً لا يعرفه أحد من حقارته أو ذلّه؛ فأكسبته بوساطة ذلك المقام الاتّحادي مكارم الأخلاق الكماليّة، ومحاسن الطباع الإحسانيّة في مقام الوراثة النبويّة المحمّديّة، ورفعت قدره وشأنه، وأهلكت كلّ من عابه وشانه.

٣٠٧- وَأَنْتَ عَلَى مَا أَنْتَ عَنِّيَ نَازِحٌ   وَلَيْسَ الثُّرَيَّا لِلثَّرَى بِقَرِيْبَةِ[1]

(وأنت): يعني يا أيّها السالك الواصل إلى مقام الاتّحاد المذكور.(على ما أنت): أي على كونك موصوفاً بغاية ما يكون من ظهور صفات الحقّ تعالى وأسمائه الحسنى؛ بإظهار كمالك في مرتبة العلم والعمل والحال حتّى صرت ربّانياً كلَّك، كما قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ [٣/ آل عمران/ ٧٩] أي: منسوبين إلى الربّ تعالى، لا نفسانيّين، أي، منسوبين إلى نفوسكم. وقوله (عنّي): خبر مقدّم لقوله نازح. و(نازح): مبتدأ مؤخّر. أي: بعيد. من نَزَحَ، كَمَنَعَ وضَرَب نَزْحَاً ونُزُوحاً: بَعُدَ، كذا في القاموس.

وهذا الكلام من عين الحقيقة المحمّديّة التي هي روح الأرواح كلّها، كما قالت عائشة رضي الله عنها في حقّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «كان خلقه القرآن»[2]. وللشيخ الأكبر قدّس الله سرّه أبيات يشير بها إلى ذلك قوله:

أنا القرآن والسبع المثاني   وروح الروح لا روح الأواني

فؤادي عند معلومي مقيم   يناجيه وعندكم لساني

إلى آخره. والغرض من ذلك أنّ السالكين كيفما كانوا، وإنْ بلغوا إلى أعلى المقامات، وأرفع الدرجات لا يمكنهم الوصول بالسعي إلى العين المحمّديّة، والتحقّق بالحقيقة الأحمديّة؛ فإنّ دون فهم ذلك خرط القتاد، فضلاً عن التحقّق به في مرتبتَيِّ الوجود والايجاد. وقوله (وليس الثريّا): أصله ثَرْوَى. يقال امرأة ثَرْوَى: مُتَمَوِّلَة، يعني: كثيرة المال. والثُّرَيَّا تصغيرها: والنجم، سُمِّيَ بذلك لكثرة كواكبه مع ضيق المَحَلّ، ذكره في القاموس. وقوله (للثرى): أي للتراب. وقوله (بقريبة): خبر ليس، والباء للتوكيد؛ فإنّه فرّق بين المقام الصفاتيّ والأسمائيّ، والمقام الذاتيّ الإلهيّ، كما أشار إلى ذلك صاحب همزيّة المديح النبوي بقوله مخاطباً للحقيقة المحمّديّة:

---

(١) في (ق): قرينة.

(٢) أخرجه أحمد في المسند، باب : حديث السيدة عائشة، ٢٥٣٤١.

لـك ذات العلـوم مـن عـالم الغيـــ ــــب ومنهـا لآدم الأسـماء

٣٠٨- فَطُورُكَ قَدْ بُلِّغْتَهُ وَبَلَغْتَ فَوْ قَ طَوْرِكَ حَيْثُ النَّفْسُ لَمْ تَكُ ظَنَّتِ/

[١٧٢/ ب] (**فَطُوْرُكَ**): الفاء للتفريع على ما قبله. و(**طُورُكَ**): بالضمّ، أي: جِبِلّك، الذي هو كناية عن جملتك المنجبلة من الروحانيّة والجسمانيّة والبرزخيّة الخياليّة، قال في القاموس: « الطُور: الجبل، وجبل قُرب أَيْلَة، يضاف إلى سِيناء وسِينين، وجبل بالشام. وقيل هو المضاف إلى سيناء، وجبل بالقدس عن يَمين المسجد، وآخر عن قِبلِيّه، به قبر هارون عليه السلام، وجبل برأس العين، وآخره مُطِلٌّ على طَبَرِيَّة». وقال القاضي البيضاوي: « والطور ـ يريد طور سينين ـ وهو جبل بمَدْيَن، سمع فيه موسى عليه السلام كلام الله »، وهوَ هُنا باعتبار إضافته إلى السالك المخاطب غاية مراتب ترقيه، ونهاية المقامات تلقيه من الحضرات الإلهيّة والتجلّيات الربّانيّة». وقوله (**قد بُلِّغْتَه**): بضم الباء الموحّدة وتشديد اللام مكسورة وسكون الغين المعجمة وفتح التاء للخطاب. والضمير للطور، أي: أوصلك الله إليه، وانتهى سيرك عنده بتربيتي لك، وإرشادي وتعليمي لك باتّهامي وإنجادي، فوصلت بدلالتي إلى أعلى حدّ همّتك، وأدركت بحسب استعدادك وقابليّتك غاية بغيتك. وقوله (**وَبَلَغْتَ**): بفتح الباء الموحدة وفتح اللام وسكون الغين المعجمة وفتح التاء للخطاب خطاباً للسالك أيضاً، قال في القاموس: « بَلَغَ المكانَ بُلُوغاً: وصل إليه. وقوله (**فوق**): ظرف. و(**طَوْرِك**): بفتح الطاء المهملة، أي: حدّك وقدرك، قال في القاموس: « الطور الحدّ بين الشيئين، والقَدْر». والمعنى: إنّك وصلت إلى ما هو أكثر من حدّك، وأكبر من قدرك وجدّك. ثمّ قال (**حيث**): وهي كلمة دالّة على المكان كحين في الزمان، ويثلّث آخره، كذا في القاموس. يعني: تضمّ الثاء المثلّثة، وتفتح، وتكسر. وقوله (**النفس**): مبتدأ، أي: نفسك أو نفس غيرك. (**لم تكُ**): أي (لم تكن) وحذف النون لغة. وقوله (**ظنّتِ**):

بفتح المعجمة وتشديد النون وكسر التاء للقافية. والمعنى: وبلغتَ مكاناً لم تكن النفس ظنّتْ أنّك تبلغه؛ لأنّ بلوغه كان بعيداً عنكَ، وأنت لست من أهله.

٣٠٩ - وَحَدُّكَ هَذَا عِنْدَهُ قِفْ فَعَنْهُ لَوْ   تَقَــدَّمْتَ شَــيْئاً لَاحْتَرَقْــتَ بِجَــذْوَةِ

(وحَدُّكَ): الحدّ بالحاء المهملة: منتهى الشيء. وقوله (هذا): أي ما ذكر لك، وهو مقام الاتّحاد، قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ [٣٥/ النجم/ ٤٢] فإذا نتهوا إليه رجعوا إلى حقائق علمه، وأعيان مراداته، وهو الوجود الحقّ لا غير، وانطوى بساط الأوهام عن الخاص والعام. وقوله (عنده قف): أي لا عند غيره، لأنّ تقديم الظرف لإفادة الحصر. وقوله (فعنه): أي عن هذا المكنّى به عن مقام الاتّحاد المذكور. وقوله (لو تقدّمت شيئاً): أي تقدّماً يسيراً بأن فارقت مقامك، وطلبت ما قلّ مما هو أعلى منه. وقوله (لاحترقتَ): أي اضمحلّتْ روحك في نور التجلّي الأمري، وذهبت حياتك. وقوله (بجَذْوَة): مثلثة الجيم، وبالذال المعجمة: القَبْسَةُ من النار، والجَمْرَة، كذا في القاموس.

واعلم أنّ الروح مختصّة بمقام الاتّحاد المذكور، لأنّه من أمر الله، كما قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ [١٨/ الإسراء/ ٨٥] وأمر الله هو الله تعالى آمراً. وأمّا النفس فإنّها مختصّة بمقام الغيريّة، والعقل تابع للغالب منهما. فإذا تجرد السالك عن حكم نفسه بالكليّة، وغلبت عليه روحانيّته المنفوخة فيه ظهر فيه النافخ الحق؛ فاضمحلت رسوم نفسه، وقام بأمر ربّه كماهي الملائكة عليهم السلام، لأنّهم روحانيّون، قال تعالى حكاية عنهم: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾ [١٩/ مريم/ ٦٤] وقال تعالى: ﴿وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴾ [٢١/ الأنبياء/ ٢٧] فلو تقدّم أحد منهم أنملة لاحترقتْ روحه، وبطلت حياته، كما قال جبريل عليه السلام في حديث المعراج «لو دنوت أنملة لاحترقت». وإليه أشار الناظم قُدّس سرّه بما ذكر.

٣١٠- وَقَدْرِي بِحَيْثُ المَرْءُ يُغْبَطُ دُوْنَهُ سُمُوّاً وَلكِنْ فَوْقَ قَدْرِكَ غِبْطَتِي[1]

(وقدري): أي مقداري وتعظيمي. قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [٦/الأنعام/ ٩١] ما عظّموه حقّ/[١٧٣/ أ] تعظيمه، قاله في القاموس. وقوله (**بحيث المرء**): والمرء مثلّث الميم: الإنسان أو الرجل، كما في القاموس. وقوله (**يُغبط**): بالبناء للمفعول، من الغِبطة بالكسر: الحسد وتمنّي نعمة على ألّا تتحول عن صاحبها؛ فهو غابط. وضمير يغبط يعود للمرء، وهو نائب الفاعل. وقوله (**دونه**): أي دون قدري. بمعنى: أقلّ منه وأدنى. وقوله (**سموّاً**): أي علوّاً، ورفعة. وهو منصوب على التمييز. والمعنى: إنّ قدري وجاهي في المقام الإلهيّ في مكان عالٍ يحسد المرء الذي يُقام في أدنى منه فضلاً عمّن يُقام فيه من جهة السمو والرفعة. وقوله (**ولكن**): استدراك ممّا قبله. (**فوق قدرك**): أي مقدارك وما أنت فيه من الرفعة. (**غبطتي**): أي حسدي وتمنّي مقامي؛ بحيث لا يتحوّل عنّي، فإنّك لست ممن يعرف مقامي حتى يمكن أن يغبطني عليه، ويتمنّى مثله لنفسه؛ فإنّ المقام المحمّديّ الجامع، والميراث الأحمدي اللامع، لا يعرفه إلّا الأكابر من الأنبياء والأولياء الكاملون، فما يغبطهم إلّا هم. وهذا كلام على لسان الحقيقة الفرديّة المحمّديّة بعد التجرّد عن مقام الغيريّة بظهور استيلاء الحقيقة الإلهيّة.

٣١١- وَكُلُّ الوَرَى أَبْنَاءُ آدَمَ غَيرَ أَنْـ ـنَنِي حُزْتُ صَحْوَ الجَمْعِ مِنْ بَيْنِ إِخْوَتِي

(**وكلّ الورى**): كافة الخلق، بمعنى المخلوقين من جنس الإنسان. وقوله (**أبناء آدم**): أي أولاده، وهم كلّهم سواء من هذه الحيثيّة. وقوله (**غير أنّني حزت**): أي جمعت. (**صحو الجمع**): أي الصحو من سكر الجمع، فإنّ مقام الجمع مقام روحانيّ، تضمحلّ فيه جميع المقامات النفسانيّة، والتوهّمات الغيريّة. فصاحبه سكران لا يشعر بنفسه، ولا بغيره، وهو مقام الأحديّة الإلهيّة الجامعة

---

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: «بلغ».

لجميع الوحدات الأسمائيّة، والأعداد الإمكانيّة في وحدة عين الهويّة الوجوديّة، والصحو منها هو مقام الفرد الكامل، والجامع الشامل، وهو عين النهاية، وهو الرجوع إلى عين البداية، وصاحبه شرب من الخمر الأوّل الذي أوجب سكره؛ فاقتضى صحوه منه فوالى شكره:

ومنها تداوينا بها عند سكرنا كما يتداوى شارب الخمر بالخمر

وقوله (من بين إخوتي): أي المشاركين لي في حصول مقام الجمع والسكر بخمر التوحيد الحقيقيّ، وهذا الصحو بعد السكر هو مقام الفرق الثاني الذي تكون فيه جميع الأكوان بمنزلة المعاني، كما قلت في قصيدة لي مطلعها:

لمائِه كلُّنا أواني ونحن في نفسه معاني

وقال عفيف الدين التلمساني في مطلع له:

إلى ذلك المغنى مآلي ومرجعي وشِرْكي الذي أدّى إلى وحدتي معي

أراد به الشرك الخفي الذي هو مناط الأغيار، ومحل إثارة الغبار على وجوه الأسرار، والنقط الثلاث التي تجعل الأسرار الأشرار، فإنّ ذلك المقام كالمملحة، كلّ شيء حصل فيه استحال إليه، وإليه يشير قول الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه:

لقد صار قلبي قابلاً كلّ صورة فدير لرهبان وبيت لأوثان

ومرعى لغزلان وكعبة طائف وألواح توراة ومصحف قرآني

وقد كنت قبل الآن أنكر صاحبي إذا لم يكن ديني إلى دينه داني

فلمّا صفا كوني تلطّف بي فلم أجد غير ذاتيّ تنجلي بين أكواني

أدين بدين الحبّ أنى توجهت ركائبه فالحب ديني وإيماني

لنا أسوة في بشر هند وأختها وسعدى ولبنى ثمّ مي وغيلان

وقد فتح علينا في أثناء هذه الكتابة بقولنا:

جاءني الساقي بكأس من طُلا يتجلّى بين ندمان العيان
في رياض وزهور نفحت وطيور سجعت سجع القيان/[١٧٣/ب]
فشربت الكاس والساقي وند ماني المزرين بالغيد الحسان
وشربت الدنّ والإبريق في سكرتي ثمّ مكاني والزمان
وسقاني بعده الساقي فها أنا صاحٍ بعد سكري في أمان
كلّنا في كلّنا في كلّنا أنا سكران وصاحٍ يا فلان

٣١٢- فَسَمْعِي كَلِيْمِي وقَلْبِي مُنبَّئِي بِأَحْمَدِ رُؤْيَا مُقْلَةٍ أَحْمَدِيَّةِ

(**فسمعي**): أي ما به أسمع من القوّة الروحانيّة الأمريّة على طور نشأتي الإنسانيّة الجسمانيّة. وقوله (**كليميّ**): بياء النسبة المشدّدة المرفوعة على الخبريّة لسمعي. والمعنى: إنّ سمعي يكلّمني من حيث قوله عليه السلام في حديث المتقرّب بالنوافل: «كنت سمعه الذي يسمع به»[1] فهو يكلّمني، وأنا أسمع به كلامه، قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه:

يا من تخاطبه حقيقة ذاته في غيره لكنّه لا يعلم
وهو المخاطب ذاته في ذاته وهو المكلّم عنه والمتكلّم
مرآتك الأكوان فيها ناظر ما أنت فيه فنيّرٌ أو مظلم

فمعنى (**كليمي**): أي موسوي، يسمع كلام حقيقتي الربّانيّة على طور نشأتي الإنسانيّة. وقوله (**وقلبي مُنبِّئي**): بصيغة اسم المفعول، أي: مُخْبَر، من نَبَّأَهُ بتشديد الموحّدة، أي: أخبره. والفاعل محذوف. أي: أخبره الحقّ تعالى بما أخبره به من العلوم الإلهيّة، والمعارف الربّانيّة. وقوله (**بأحمدِ رؤيا**): أي رؤية هي أكثر حمداً، أو رؤيا هي أكثر حمداً. والرؤية مصدر رأيتُ الشيءَ رُؤْيَةً: أبصرته بحاسة البصر،

(١) تقدّم تخريجه ص١٤٦.

فرؤية العين معاينتها للشيء، يقال: رُؤية العين ذكره في المصباح. والرؤيا، يقال: رأى في منامه رُؤْيا، على فُعلى، غير منصرفٍ لألف التأنيث، كذا في المصباح أيضاً. وقال الراغب في مفرداته: « والرؤيا ما يُرى في المنام، وهو فُعلى، وقد تخفف الهمزة فيقال بالواو». وروي «لم يبق من مبشرات النبوّة إلّا الرؤيا»[1] قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾ [٤٨/ الفتح/ ٢٧] وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٦٠] قال البيضاوي: « وتعلّق به من قال إنّ المعراج كان في المنام، [و] من قال إنّه كان في اليقظة فَسَّر الرؤيا بالرويّة. وقال في كتاب الابتهاج بالإسراء والمعراج للشيخ **نجم الدين الغيطي**[2]: «والذي ذهب إليه الجمهور من المفسّرين والمحدِّثين والفقهاء والمتكلّمين إلى أنّ الإسراء والمعراج وقعا في ليلة واحدة بالروح والجسد في اليقظة معاً، لا في المنام، من مكّة إلى بيت المقدس، إلى السموات العُلا، إلى سدرة المنتهى، إلى حيث شاء العليّ الأعلى». قال القاضي عياض وغيره: «وهو الحقّ وتدل عليه الآية أيضاً وصحيح الأخبار. وذهب بعضهم إلى أنّ الإسراء كان بروحه صلّى الله عليه وسلّم في المنام. وهذا المذهب لمعاوية رضي الله عنه، واحتجّ على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٦٠] والرؤيا إنّما تطلق على ما كان مناماً، ولظاهر ما في بعض الأحاديث من قوله صلّى الله عليه وسلّم: «بينما أنا نائم في بعض الطرق، فاستيقظت، وأنا بالمسجد الحرام»[3] ويعزى هذا المذهب لعائشة

---

(١) قطعة من حديث، أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب: النهي عن قراءة القرآن في الركوع، وللحديث طرق أخرى كثيرة.

(٢) محمّد بن أحمد بن علي السكندريّ، الحافظ ، توفي ٩٨١، له تصانيف كثيرة في الحديث والفقه وغيرهما، من مؤلّفاته: الابتهاج في الكلام على الإسراء والمعراج، وبهجة الناظرين والسامعين بمولد سيّد الأوّلين والآخرين. انظر هديّة العارفين، باب: اللام٢/ ٨٠ .

(٣) ذكره القاضي عياض في الشفا بتعريف حقوق المصطفى، باب: فصل ثمّ اختلف السلف والعلماء، هل كان... ١ / ١٨٨، وانظر الإسراء والمعراج للسيوطي: ٣ / ٧٠.

رضي الله عنها لما في حديث ابن إسحاق من قولها: «ما فقدت جسد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وإنّما أسري بروحه»[1] وأجيب عن الآية بأنّ الرؤيا قد تكون بمعنى الرؤية في اليقظة، كما نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما بأنّ قوله فتنة للناس يؤيّد أنّها رؤية عين؛ إذ ليس في الحلم فتنة، ولا يكذب به أحد. وعن قوله: «بينما أنا نائم» بان أوّل مجيء الملك إليه وهو نائم فليقظة، لا أنّه استمرّ نائماً. وأما قوله: «فاستيقظت وأنا بالمسجد الحرام». معناه (أفقت): أي أفاق مما كان فيه من شغل البال بمشاهدته عجائب الملكوت. ورجع/ [١٧٤/ أ] إلى عالم الملك، فلم يرجع إلى حال البشريّة إلّا وهو بالمسجد الحرام على أنّ الحديث الذي ورد فيه ذكر النوم موهن؛ فإنّ العلماء اتفقوا على أنّ شُريكاً راويه اضطرب فيه، وما حفظه، وزاد ونقَّص، وقدّم وأخّر.

وعمّا يعزى لعائشة رضي الله عنها بأنّه لم يرد بسند يصلح للحجة؛ بل في سنده انقطاع، وراوٍ مجهول. وبتقدير صحّته فعائشة رضي الله عنها لم تكن زوجة إذْ ذاك، ولا كانت في سنّ من يضبط الأمور. وعلى القول بأنّ الإسراء كان بعد البعثة بعام لم تكن ولدت بعد، فإذا لم تشاهد ذلك دلّ على أنّها حدَّثتْ به عن غيرها؛ فلم يرجَّح خبرُها مع خبر أمّ هاني بخلافه. وذهب جماعة منهم أبو شامة إلى تكرار الإسراء والمعراج. واحتجّ بما رواه البزّار وغيره عن أنس رضي الله عنه من أنّ قصّة المعراج مخالفة لما تقدّم في قصّته. قال الحافظ ابن حجر: « ولا يبعد وقوع مثل ذلك في المنام. وإنّما المستغرب وقوع التعدُّد في قصّة المعراج التي عن كلّ نبيٍّ، وسؤال أهل كلّ سماء هل بعث إليه، وفرض الصلوات الخمس وغير ذلك؛ فإن تعذّر مثل ذلك في اليقظة لا يتّجه فيتعيّن ردّ بعض الروايات المختلفة إلى بعض، والترجيح بأنّه لا بعد في وقوع ذلك في المنام، ثمّ وقوعه في اليقظة على وفقه.

---

(١) ذكره السيوطي في الإسراء والمعراج، باب: الإسراء والمعراج ١ / ٣٣، وانظر تفسير الرازيّ لقوله تعالى: ﴿لنريه من آياتنا﴾ [١٦/ الإسراء/ ١].

وذهب جماعة منهم البغويّ. وجزم به النوويّ في فتاواه إلى أنّ الإسراء وقع مرّتين: مرّة في النوم، ومرّة في اليقظة. قالوا: وكانت مرّة النوم توطئة له، وتيسيراً عليه كما كان بدء نبوَّته الرؤيا الصادقة ليسهل عليه أمر النبوّة؛ فإنّه أمر عظيم تضعف عنه القوى البشريّة. وكذلك الإسراء سهل عليه في الرؤيا، لأنّ هوله عظيم، فجاء في اليقظة على وفقه في المنام، توطئة وتقدمة، رفقاً من الله تعالى بعبده، وتسهيلاً عليه».

وقوله (مقلة): مضاف إليه. والمقلة شحمة العين التي تجمع البياض والسواد والحدقة. وجمعها مُقَل كصُرَد، كذا في القاموس. وقوله (أحمديّة): أي منسوبة إلى أحمد، اسم نبيّنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم. ولذلك إشارة إلى رؤية الله تعالى في ليلة المعراج الواقعة لنبيِّنا صلّى الله عليه وسلّم، قال النجم الغيطي: «وقد اختلف السلف من الصحابة والتابعين وغيرهم في رؤيته صلّى الله عليه وسلّم لربّه ليلة المعراج ببصره؛ فنفت ذلك عائشة رضي الله عنها، وذهبت إلى أنّه رآه بقلبه، وهو المشهور عن ابن مسعود رضي الله عنه. وجاء مثله عن أُبَيّ رضي الله عنه. وإليه ذهب كثير من المحدّثين والمتكلِّمين. وذهب ابن عبّاس رضي الله عنهما إلى أنّه رآه ببصره. وبه قال سائر أصحاب ابن عبّاس. وبه جزم كعب الأحبار والزُهريّ، وصاحبه معمر وأُخَر. وحُكي عن الحسن أنّه كان يحلف أنّ محمّداً رأى ربّه. وبه قال الشيخ أبو الحسن الأشعريّ وسائر أتباعه. وقال الإمام النوويّ: «الراجح عند أكثر العلماء أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم رأى ربّه بعيني رأسه ليلة المعراج. وقد روى الإمام أحمد بسند صحيح من ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «رأيت ربِّي عزّ وجلّ»[1]. وأخرج الطبراني بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّه كان يقول: «نظر محمّد إلى ربّه مرّتين: مرّة ببصره،

(١) أخرجه الهيثميّ، في مجمع الزوائد، ٢٤٧، عن ابن عبّاس، وقال: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح. وقال الهيثميّ في المقصد في زوائد المسند: باب في الإسراء، ١/ ١٤٨: قال عبد الله : وقد سمعت هذا الحديث من أبي، أملاه عليّ في موضع آخر.

ومرّة بفؤاده»[1]. انتهى ما ذكروا. قلت: والحاصل: إنّه يمكن التوفيق بين قولهم: إنّ الإسراء والمعراج كان في اليقظة أو كان في المنام، وقولهم: إنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم رآى ربّه عزّ وجلّ بعيني رأسه ليلة المعراج. أو ما رآه وإنّما رأى جبريل عليه السلام. أو رأى آيات ربّه؛ إذ اليقظة والمنام يختلفان في الحقيقة بين يقظتنا ومنامنا، ويقظة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ومنامه. وكذلك يقظة سائر الأنبياء عليهم السلام ومنامهم؛ فإنّ إدراك البصر تابع لإدراك القلب فينا وفي الأنبياء عليهم السلام/ [١٧٤/ ب] وقلوب الأنبياء عليهم السلام لا تنام وإنْ نامت أعينهم، كما ورد في الحديث. وكان صلّى الله عليه وسلّم لا ينتقض وضوؤه بنومه إذا نام، وكان منام الأنبياء عليهم السلام وحياً، فكان يوحى إليهم في المنام كاليقظة؛ فمنامهم عليهم السلام مثل يقظتنا.

غاية الأمر أنّ منامهم فيه طبق عيونهم كمنامنا؛ ولهذا نام صلّى الله عليه وسلّم في قصّة الوادي ولم يرَ الفجر ولا الشمس، لأنّ ذلك يدرك بالعين والعين مطبوقة، فسمّى الله تعالى قضية الإسراء والمعراج مناماً، وقال: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَـٰكَ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٦٠] وذلك بالنسبة إلينا يقظة، وليست برؤيا كرؤيانا. وورد الخبر عنها مرّة أخرى بأنّها يقظة، وهي رؤية لا رؤيا؛ لأنّها يقظة كيقظتنا. وكون عائشة رضي الله عنها قالت: «ما فقدت جسد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم» يمكن فيه تعدّد الجسد الشريف كما يقع للأبدال والكثير من الأولياء؛ فالأنبياء أولى بذلك. والاختلاف في رؤية الله تعالى هل هي رؤية الذات الإلهيّة أو حضرة الأسماء

---

(١) أخرجه الطبرانيّ في المعجم الكبير، ١٢٤٠٠، عن ابن عبّاس وكذلك في الأوسط، ٥٩٢٢. كما أخرجه الهيثميّ في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ٢٤٩، وقال: رواه الطبرانيّ في الأوسط، ورجاله رجال الصحيح، خلا جهور بن منصور الكوفيّ، وجهور بن منصور ذكره ابن حبّان في الثقات. قال القرطبيّ في تفسيره ٧/ ٥٦: وحكى ابن اسحق أنّ مروان سأل أبا هريرة: هل رأى محمّد ربّه؟. فقال نعم. وحكى النقّاش عن أحمد بن حنبل أنّه قال: أنا أقول بحديث ابن عبّاس: بعينه رآه رآه، حتّى انقطع نفسه. يعني: أحمد. وإلى هذا ذهب الشيخ أبو الحسن الأشعريّ وجماعة من أصحابه أنّ محمّداً صلّى الله عليه وسلّم رأى الله ببصره وعيني رأسه.

والصفات المتجليّة بصور الكائنات، فهي رؤية المظهر دون الظاهر به. فمن أنكر الرؤية أراد رؤية الذات مجرّدة عن الأسماء والصفات. ومن أثبت الرؤية أراد رؤية مظاهر التجلّي بالأسماء والصفات؛ فسمّى ذلك المظهر جبريل عليه السلام، أو آيات الله؛ أي: علامات وجوده الحقّ والأمر في نفسه واحد، لا خلاف فيه، والله الموفّق.

٣١٣- وَرُوْحِيَ لِلأَرْوَاحِ رُوْحٌ وَكُلُّ مَا تَرَى حَسَنَاً فِي الكُوْنِ مِنْ فَيْضِ طِينَتِي[1]

هذا الكلام من المقام المحمّدي على لسان الحقيقة المحمَّديَّة، لأنّه وارثها في أحواله أيضاً بعصوبة النسب الأصليّ النوريّ؛ فإنّ الكائنات كلّها خُلقت من نوره صلّى الله عليه وسلّم، كما جاء في الحديث. فإذا اضمحلّت نشأته في تلك النشأة الحقيقيّة الأوليّة، وانمحت رسوم الصور الغيريّة تكلّمت الحقيقة المحمّديّة بلسان الماهيّة الخياليّة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [٩/التوبة/١٢٨] ويقول صلّى الله عليه وسلّم يوم القيامة: «أمّتي أمّتي لمّا تقول الأنبياء عليهم السلام نفسي نفسي»[2]. إشارة إلى هذا السرّ الخفيّ.

فقوله (وروحي للأرواح روح): فإنّ روحه عليه السلام أصل الأرواح كلّها، فهي القلم الأعلى، ونفسه نفس النفوس كلّها؛ فهي اللوح المحفوظ. ومن هنا قول الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه في شرح الوصايا اليوسفيّة: « ولا شك أنّ الورثة إنّما هم هياكل لروحانيّة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فهو رسول أبداً، حيّاً وميتاً. فمن يطع الشيخ فقال أطاع الرسول فإنّه روح هيكله. ومن أطاع الرسول فقد أطاع الله، فإنّه مجلاه. وحينئذ الرسول موضع ظهور الحقّ». وقوله (كلّ ما ترى): خطاب للمريد السالك في طريق الله. وقوله (حسناً): مفعول ترى. أي: شيئاً حسناً، وكلّ شيء في الكون. أي: داخل في التكوين حسن بالنظر إلى صدوره عن

---

(١) في (ق): تربتي.

(٢) انظر الحديث في صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب: أدنى أهل الجنّة منزلة،٥٠١. وله أطراف كثيرة، وطرق متعددة.

خالقه، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [٣٢/ السجدة/ ٧] وفي الحديث: «كتب الله الحُسْن على كلّ شيء»[1].

وقبّح بعض الأشياء بالنظر إلى نفسه وإلى غيره من الأشياء. والقبح حكم شرعي عند أهل السنّة، كما أنّ الحُسْن كذلك وهو الأصل، ولهذا كان الأصل في الأشياء الإباحة، لأن الحُسْن فيها أصل. والتحريم حكم طارئ لطروء القبح عليها باعتبار النظر إليها، والإعراض عن خالقها، كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا﴾ [٢/ البقرة/ ٢٩] ثمّ حرّم تعالى ما حرّمه من ذلك بالنصوص القطعيّة والظنيّة.

وقوله (من فيض): مصدر فاضَ الماء يَفيض فَيْضاً وفُيُوضاً بالضمّ والكسر، وفَيْضُوضَةً وفَيَضَاناً: كَثُر حتى سال كالوادي. كذا في القاموس. وقوله (طينتي): مضاف إليه. والطينة بالطاء المهملة واحدة الطين، وهو تراب معجون بماء، كناية عن الجسد الشريف المحمّديّ، فإنّه كما أن الأرواح كلّها من روحه صلّى الله عليه وسلّم منفوخة في أجسادها؛ لأنّه صلّى الله عليه وسلّم روح الله الذي هو أوّل مخلوق، والإضافة للتشريف مثل ناقة الله، وأرض الله، وبيت الله، وعبد الله، فكذلك جميع الأجساد/ [١٧٥/ أ] الحسنة في الكون. يعني: التي يظهر عليها الحسن بالنظر إلى خالقها، كما ذكر من فيض جسده صلّى الله عليه وسلّم الذي هو منشأ الطبائع الأربعة: الحرارة، والبرودة، والرطوبة، واليبوسة. والعناصر الأربعة: النار، والهواء، والماء، والتراب، المشار إلى ذلك بقوله صلّى الله عليه وسلّم: «كنت نبيّاً وآدم بين الماء والطين»[2]. وفي رواية: «ولا آدم ولا ماء ولا طين». ولا يكون نبيّاً إلّا وهو روح

---

(١) انظر تخريجه ص ٥٥٦.

(٢) قال السخاوي في المقاصد الحسنة: ١/ ٥٢١ عن هاتين الروايتين: «لم نقف عليه بهذا اللفظ فضلاً عن زيادة: كنت نبيّاً ولا ماء ولا طين. وقال شيخنا عن الزيادة: إنّها ضعيفة، والذي قبلها قوي». أشار بقوله (والذي قبلها) إلى قوله صلّى الله عليه وسلّم مجيباً عن سؤال متى كنت نبيّاً فقال: وآدم بين الروح والجسد، هذا اللفظ أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، باب: ذكر نبي الله =

وجسد؛ فروحه أصل الأرواح، وجسده أصل الأجساد صلّى الله عليه وسلّم. ويؤيّده حديث انتقال النور من جبهة آدم حتى ظهر في جبهة عبد الله والد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم. ثمّ انتقل إلى آمنة بنت وهب، والدته صلّى الله عليه وسلّم، وذلك النور كان مادّة روحه وجسده، فتقلّب في الأصلاب الطيّبة والأرحام الطاهرة حتّى ظهر في عالم الدنيا. ففرج له سقف البيت، وتراءت النجوم، وأشرقت الأرض بنور الحيّ القيّوم، فهو صلّى الله عليه وسلّم أبو الأرواح، وأبو الأجساد، والله لطيف بالعباد.

٣١٤- فَذَرْ لِيَ مَا قَبْلَ الظُّهُوْرِ عَرَفْتُهُ ... خُصُوصاً وَبِي لَمْ تَدْرِ فِي الذَّرِّ رُفْقَتِي

وهذا كلام على لسان الحقيقة المحمّديّة أيضاً من حيث أحوالها كما ذكرنا، فقوله **(فذر)**: الفاء للتفريع عمّا قبله. يعني: إذا عرفت أنّ روحي روح الأرواح، وجسدي جسد الأجساد. **(فذر)**: أي اترك، بمعنى التسليم والإذعان، وعدم التكذيب والارتياب. وقوله **(لي)**: متعلّق بذر. وقوله **(ما)**: أي الأمر الذي. **(قبل الظهور)**: أي ظهوري في الدنيا بروحي وجسدي المخصوصين بي. وقوله **(عرفته)**: صلة الموصول، والضمير عائد إلى الموصول، وهو ما. وقوله **(عرفته)**: أي تحقّقته من جميع ما كان من مادة نوري أو يكون، أو هو كائن قال صلّى الله عليه وسلّم: «إنّ الله قد رفع لي الدنيا فأنا أنظر إليها، وإلى ما هو كائن فيها إلى يوم القيامة كأنّما أنظر إلى كفّي»[1] هذه رواية الطبراني. وفي الحديث الصحيح: «فعلمت علم الأولّين والآخرين»[2].

=

عيسى بن مريم صلوات.. ، ٤٢٠٩، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. وشاهده حديث الأوزاعي الذي: تعليق الحافظ الذهبي في التلخيص: صحيح.

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية، باب: حدير بن كريب، عن ابن عمر. كما أخرجه الهيثميّ في مجمع الزوائد، ١٤٠٦٧ عن عمر.

(٢) قطعة من حديث، ذكره الطبريّ في تفسيره: ١١ / ٤٧٦، عن عبد الرحمن بن عائش، وذكره =

وقوله (**خصوصاً**) مصدر خَصّه بالشيء خَصّاً وخُصُوصَاً وخُصوصِيَّةً، وتفتح، كذا في القاموس. وهو مفعول مطلق، ناصبه محذوف، تقديره خَصَّني الله تعالى بذلك خُصوصاً دون غيري من جميع المخلوقات. وقوله (وبي): الواو للحال، والجار والمجرور متعلِّق (تَدْرِ). وقوله (لم تدرِ):أي لم تعلم، يعني: لم تعلم بي. وقوله (في الذَرّ): أي في عالم الذَر، وهو الذي أشار إليه تعالى بقوله : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٧٢] الآية. وجاء في الحديث: «إنّ الله مسح ظهر آدم فأخرج بنيه مثل الذرّ فقال ألست بربّكم قالوا بلى»[1] وأصل الذّرّ، بالذال المعجمة المفتوحة والراء مشدّدة: صغار النمل، ومائة منها زنة حبّة شعير. الواحدة ذرّة كما في القاموس. وقوله (رُفْقَتِي): فاعل تدري. والرُفْقَة مثلّثة، كثُمامة: جماعة تُرافِقُهُم، وجمعه: رِفاق ككِتاب، وأرفاق كأصحاب، ورُفَق كصُرَد. والرفيق: المرافق، والجمع رُفَقَاء، فإذا تفرّقوا ذهب اسم الرفقة لا اسم الرفيق: للواحد والجمع. والمصدر [الرَفاقة] والرُفْقَةُ: اسم للجمع كصُرَد وعِنَب وحبال، كذا في القاموس. أراد بالرفقة بقيّة المجانسين له من الآدميين في الصورة الإنسانيّة الآدميّة، وهم كالذرّ في الصغر، وهو منهم. نشؤوا كلّهم في ظهر آدم من مادّة واحدة، وطينة واحدة، خُلق آدم منها، وهي مخلوقة من أصل هذه الطينة المحمّديّة كما سيشير إليه الناظم قدّس الله سرّه بقوله في هذه القصيدة على لسان الحقيقة المحمّديّة:

وإنّي وإنْ كنت ابن آدم صورة ... فلي فيه معنى شاهد بأبوّتي

= السيوطي بلفظ مشابه في الدرّ المنثور .. «فعلمت ما في السموات والأرض»... وقال أخرجه أحمد وابن جرير وابن مردويه والبيهقيّ في الأسماء والصفات عن عبد الرحمن بن عائش. انظر الدرّ المنثور: ٤ / ٨٤

(١) ذكره ابن القيّم في كتاب الروح، باب: المسألة الثامنة عشرة، عن الضحاك: ١ / ١٥٩.

وهذا المعنى هو الطينة المحمّديّة. حتى إنّ الصورة الآدميّة مرسومة بقلم القدرة على صورة رسم اسم محمّد صلّى الله عليه وسلّم، فإنّ الرأس كالميم دائرة، واليدين/ [١٧٥/ ب] كالحاء، والبطن كالميم الثانية، والرجلين كالدال. وقد نقل بعضهم أنّه لا يعذّب أحد من الكفّار في النار وهو على هذه الصورة، إكراماً لحروف اسمه صلّى الله عليه وسلّم، ولكن تتغيّر صورته، وتقبح هيئته وتكبر جثّته، كما ورد في الحديث.

٣١٥- فَلَا تُسْمِنِي فِيْهَا مُرِيْدَاً فَمَنْ دُعِي   مُـرَاداً لَهَـا جَـذْبَاً فَقِـيْرٌ لِعِـصْمَتِي

يعني: إذا عرفت مقامي وتصورت منزلتي. (فلا تُسمِني): والفاء تفريعيّة. (ولا): ناهية. والخطاب للمريد السالك. و(تُسْمِني): بضمّ التاء المثنّاة الفوقيّة وسكون السين، من أسماه فلاناً وبفلان، كسمّاه فلاناً وبفلان، أي: جعل ذلك علامته، ودعاه به. وقوله (فيها): أي في محبّة الحقيقة الإلهيّة. وقوله (مريداً): مفعول ثانٍ لتُسمِني، لأنّه يُقال: أسميت ابني زيداً، كما يقال سميّته زيداً. وقوله (فمن دُعِي): بضمّ الدال المهملة وكسر العين المهملة، أي: سُمِّي، قال في القاموس: «دَعَوْتُهُ زَيْداً وبِزَيدٍ: سمّيته به». وقوله (مُراد): مفعول ثانٍ لدُعِي. وقوله (لها) متعلّق بمراد، أو الضمير للحقيقة الإلهيّة. وقوله (جذباً) تمييز. والمعنى: إنّ من سمّي مراداً للحضرة الإلهيّة بأن كانت هي تريده بطريق الجذب له، وتطلبه وإنْ كان هو غافلاً معرضاً باشتغاله بما سواها، وإن لم تكن فيه أهليّة لقربها، فتُقْبِل هي عليه وتختطفه من نفسه، ومن بين أيدي الأغيار بطريق القهر له والاستيلاء عليه، وهذا معنى الجذب الإلهيّ الذي لا بدّ منه في الوصول إلى الحضرة الإلهيّة؛ فإنّه لولا القبول من جهة الحقّ المأمول ما حصل الوصول، ولولا الجذب ما نفع السالك جهاد ولا اجتهاد، ولا أجدت له العبادة والطاعة غير الثواب والجزاء الحسن في الآخرة، وإن كان لا بدّ منهما في حصول مقام الكمال، والتحقّق بالمعارف والحقائق الإلهيّة، وأحوال الرجال. ولكن إمّا أن يتقدّم الجذب ويتأخر السلوك، أو يتقدّم السلوك

ويتأخّر الجذب. وأمّا الجذب الخالي عن السلوك، والسلوك الخالي عن الجذب فلا يأتي منه كمال عرفان ولا رسوخ، ولا يحصِّل مقام الشيوخ.

وقوله (فقير): خبر قوله (فمن دعي): أي هو مفتقر إلى الحقّ تعالى في جميع أموره الظاهرة والباطنة، متحقّق بالفقر الحقيقيّ في جميع شؤونه، لا غناء فيه بذات ولا بصفة، ولا باسم ولا برسم، ولا بحول ولا بقوّة أصلاً، وهذا معنى عصمته، أي: حفظه من دعوى ما ليس له. ولمّا كان الكلام على لسان الحقيقة المحمّديّة أبقينا العصمة على معناها الأصليّ المعروف، وجعلنا الصورة الفارضيّة لاضمحلال رسومها بالكليّة ترجمان الحقيقة المحمّديّة بين يدي الحضرة الإلهيّة ومظاهرها الكونيّة.

٣١٦- وَأَلْغِ الكُنَى عَنِّي وَلَا تَلْغُ أَلْكَنَاً بِهَا فَهْيَ مِنْ آثَارِ صِيغَةِ صَنْعَتِي

(وَأَلْغِ): فعل أمر، خطاب للسالك، وهو من لَغَا الشيءُ يَلْغُو، من باب قال: بَطَلَ. وأَلْغَيْتُهُ: أَبْطَلْتُه، وأَلْغَيْتُهُ من العدد: أسقطته، كذا في المصباح. و(الكُنَى): بضمّ الكاف، جمع كُنية، قال في المصباح: «الكُنْيَة: اسم يطلق على الشخص للتعظيم، نحو: أبي حفص، وأبي حسن. أو عَلَامَة عليه، والجمع: كُنَى بالضم في المفرد. والجمع والكسر فيهما لغة، مثل بُرْمَة وبُرَم، وسِدْرَة وسِدَر». وقوله (عنِّي): متعلِّق بأَلغِ، أي: لا تكتني بكنية تعظمني بها، وأبطل الكُنَى كُلّها عنِّي.

وقوله (ولا تَلْغُ): أي: لا تلهج بالكلام، من لَغِيَ بالأمر يَلْغَى، من باب تعب: لَهِجَ به. ويقال اشتقاق اللُغَة من ذلك، وحذفت اللام وعوِّض عنها الهاء، وأصلها لُغْوَةٌ، مثل غُرْفَةٌ. وسمعتُ لُغَاتِهِم، أي: اختلافَ كلامهم، كذا في المصباح. وقوله (أَلْكَناً): حال من فاعل تلغو. والأَلْكَنُ: الذي لا يفصح بالعربيّة، من اللُكْنَة، وهو العِيّ، وهو ثقل اللسان، ولَكَن لَكَناً من باب تعب: صار كذلك؛ فالذَكَر أَلْكَنُ، والأنثى لَكْنَاءُ، مثل: أحمرُ وحمراء كما في المصباح. وقوله (بها): متعلّق بتلغو، والضمير إلى الكُنَى، أي: لا تلغُ بالكُنى حال كونك ألكناً ، فإنّ جميع الكنى

والأوصاف/ [١٧٦/ أ] دون مقامي وأدنى منزلتي والغُ بها حال كونك فصيحاً، أي: مفصحاً، بأنّها بحسب رؤية الرائي إذا رآني، لا بحسب حقيقتي وما أنا عليه. وقوله (فَهْي): أي الكُنى المذكورة. (من آثار): جمع أثر. وقوله (صِيْغَةِ): بالصاد المهملة والياء المثنّاة التحتيّة والغين المعجمة، يقال: صِيْغَةُ القول كذا، أي: مثاله وصورته، على التشبيه بالعمل والتقدير، كذا في المصباح. وقوله (صَنْعَتِي): بالصاد المهملة والنون والعين المهملة، وهي عمل الصانع، قال في المصباح: «الصَنْعَةُ: عمل الصانع، والصَنِيْعَةُ: ما اصْطَنَعْتَهُ من خير». وهذا معنى القول المشهور: إنّ الألقاب تنزل من السماء. أي: تأتي من غيب الحقيقة الفرديّة الجامعة.

٣١٧- وَعَنْ لَقَبِي بِالعَارِفِ ارْجِعْ فَإِنْ تَرَ الـ ـتَنَابُزَ بِالأَلْقَابِ فِي الذِّكْرِ تُمْقَتِ[1]

(وعن لقبي): متعلّق بارجع، والمعنى في إفادة الحصر بالتقديم: إنّ الرجوع لا ينبغي لك يا أيّها السالك إلّا عن تلقيبي، فإنّ رجوع السالك عن أمر من الأمور المحمودة عنده مذموم في حقّه، لأنّه يجد النور، وهو وجه الله في كلّ ما توجّه إليه، على خلاف ما قاله تعالى في حقّ الكافرين: ﴿قِيلَ ٱرْجِعُواْ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُواْ نُورًا﴾ [٥٧/ الحديد/ ١٣] وذلك لأنّهم نبذوه وراء ظهورهم، كما حكى تعالى عنهم، وهو القرآن كلام الله القديم. وأمر التلقيب ممّا نهى تعالى عنه في قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾ [٤٩/ الحجرات/ ١١] لعدم رضا الملقّب به. ومعنى اللَّقَب بالتحريك ما يطلق على الإنسان من الأوصاف المقتضية للمدح أو للذم، وهذا معنى قولهم «ما أشعر بمدح أو ذمّ، كشمس الدين وبطّه». والكُنية ما صُدِّر بأب أو أمّ، كأبي حفص وأم عِرْيَط. وقوله (بالعارف): بيان للتلقيب، أي: لا تلقِّبْني بأن تقول عنِّي: العارف بالله. تريد بذلك مدحي؛ فإنّ معنى العارف الذي يكون علمه عن سابقة جهل، لقولهم إنّ المعرفة هي العلم المسبوق بالجهل، ولهذا لا يقال في الله

---

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: «بلغ سماعاً ومقابلة على شيخنا المؤلّف أبقاه الله».

عارف، ويقال عالم، وأنا علمي هو علم الله تعالى، ومستحيل عليه تعالى سابقة الجهل. وكون علمه هو علم الله تعالى لأنّه متحقّق بقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [٢/ البقرة/ ١٢٦]. وقوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [٦٧/ الملك/ ٢٦]. والمتحقّق بمقام الفناء في الله لا وصف له؛ وإنّما تظهر فيه آثار صفات ربّه تعالى. وقوله (ارجع): فعل أمر من الرجوع، وهو ترك التوجّه إلى الشيء والانصراف عنه. ثمّ قال (فإنْ تَرَ): أي تعتقد، وأصله الرؤية بالقلب، قال في القاموس: «الرؤية: النظر بالعين وبالقلب». وقوله (التنابز): هو التعاير والتداعي بالألقاب. من النَبْز بالفتح، وهو الهَمْز. واللَّمز: هو العيب، وهو اللقب القبيح، ومصدر نَبَزَهُ يَنْبِزُهُ، ورجل نُبَزَةٌ كهُمَزَة: يلقِّب الناس كثيراً». و(الألقاب): جمع لقب كذا في القاموس. وقوله (في الذكر): متعلّق بـ(تُمْقَتِ). و(الذِّكر): بكسر الذال المعجمة: القرآن. وقوله (تُمْقَتِ): بضمّ التاء المثنّاة الفوقيّة، وسكون الميم، وفتح القاف، وكسر التاء للقافية، أي: يمقتك الله تعالى لمخالفة نهيه، والمَقْتُ البُغض، قال في القاموس: «مَقَتَهُ كمَنَعَهُ مَقْتاً ومَقَاتَة: أَبْغَضَهُ» قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِ﴾ [٩٤/ الحجرات/ ١١] أي: لا يدعوا بعضكم بعضاً بلقب السوء فإنّ النَبْزِ مختصّ بلقب السوء عُرْفاً و ذكره البيضاوي.

٣١٨- فَأَصْغَرُ أَتْبَاعِي عَلَى عَيْنِ قَلْبِهِ عَرَائِسُ أَبْكَارِ المَعَارِفِ زُفَّتِ

(فأصغر): الفاء للتعليل، أي: كيف تلقّبني بالعارف. و(أصغر): أفعل تفضيل، أي: أكثر صغراً، يعني: التابع لي الذي هو أصغر. (الأتباع): المتابعين لي ممَّنْ هو ماشٍ على طريقتي في العلم النافع، فالعمل الصالح والأخلاق الحميدة، والأقوال السديدة. وقوله (على عين قلبه): أي بصيرته المنوّرة بأنوار التوفيق، وأسرار التحقيق. وقوله (عرائس): جمع عروس، والعَرُوس: الرجل والمرأة ما داما في إعراسهما، وهم عُرُسٌ وهنَّ عَرائس، كذا في القاموس. وقوله (أبكار): جمع بِكْر /[١٧٦/ ب] وهي العذراء. و(المعارف): جمع معرفة، وهي المعاني

الإلهيّة التي ترد على قلب المريد الصادق إثر التجلّي الإلهي الذي لا يتكرر أصلاً، فكلّ معرفة منها لم يطرقها فكر. وقوله (زُفَّتِ): بضم الزاي وتشديد الفاء مفتوحة وكسر التاء للقافية، زَفَّ العَرُوس إلى زوجها زَفّاً وزِفَافاً ككتاب: هَداها، [كذا] قال في القاموس. ومنه قول أبي يزيد البسطاميّ قدّس سرّه عن العارفين: «عرائس الله، ولا يرى العرائس إلّا المُحْرَمُون». والمُحْرَم: مَنْ بينه وبينهنّ نسب، فإنّه جعل نفوس العارفين منفعة للأمر الإلهيّ. والناظم هنا جعل المعارف منفعلة، والقلوب فاعلة، وذلك لتفاوت مقامات العرفان في حظيرة العيان.

٣١٩- جَنَى ثَمَرَ العِرْفَانِ مِنْ فَرْعِ فِطْنَةٍ   زَكَا بِاتِّبَاعِي وَهْوَ مِنْ أَصْلِ فِطْرَتِي

(جنى): أي اقتطف، والضمير المستتر راجع إلى أصغر أتباعه. وقوله (ثمر العرفان): أي ما يثمر العرفان، أي: معرفة الله تعالى من العلوم الربّانيّة والحقائق التوحيديّة الوحدانيّة. وقوله (من فرع): أي غصن. والفرع في الأصل كما قال في القاموس: «فرع كلّ شيء أعلاه». ثمّ أُطلق على ما يتفرّع من الشجرة، وهو أغصانها. وقوله (فِطْنَةٍ): بالكسر هي الحِذْقُ، فَطِنَ به وإليه وله كفَرِح ونَصَرَ وكَرُمَ، فِطنا، مثلّثة، كذا في القاموس بمعنى فَهِمَ. والفِطْنَة: الفَهْم والذكاء. وقوله (زكا :) بالزاي، أي: نما وزاد، يقال: زَكَاهُ وأَزْكَاه. والضمير في زَكَا راجع إلى ذلك الفَرْع. وقوله (باتّباعي): متعلّق بـ(زَكَا). أي: بسبب متابعته لي. وقوله (وهو): أي ذلك الفرع الذي جنى منه التابع لي الذي هو منه أصغر أتباعي. وقوله (من أصل فطرتي): أي هو مستمدّ من أصل فطرتي، أي: من فطرتي التي هي أصل له، وهو فرع عنها، والفِطْرَةُ بالكسر: الخِلقة، فطر الله الخلق، خلقهم وبراهم، قال الله تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [٣٠/ الروم/ ٣٠] وقال صلّى الله عليه وسلّم: «كلّ مولود يولد على فطرة الإسلام»[1] الحديث. والتابع دائماً يستمد من متبوعه، ويرى رأيه في العلم وغيره.

---

(١) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب الجنائز،باب: ما قيل في أولاد المشركين، ١٣٨٥.

٣٢٠- فَإِنْ سِيْلَ عَنْ مَعْنَىً أَتَى بِغَرَائِبٍ عَنِ الفَهْمِ جَلَّتْ بَلْ عَنِ الوَهْمِ دَقَّتِ

(فإنْ سِيْلَ): بكسر السين المهملة وسكون الياء التحتيّة مُبدَلَة من الهمزة لضرورة الوزن. وأصل سئل فعل مبني للمجهول، أي: سأل سائل، يعني: سأل هذا التابعَ، الذي هو من أصغر أتباعه، سائلٌ من الناس. وقوله (عن معنى): أي من معاني الحقيقة أو مسألة مشكلة دقيقة. وقوله (أتى): أي جاء في الجواب. (بغرائب): جمع غريبة: جمع غريبة، أي: بمعارف غريبة، وحقائق يستغربها كلّ من سمعها، ولا يقدر على إنكارها؛ لأنه يجدها حقاً، أو بِحِكَمٍ وأسرار غريبة عن الفهوم، وهي من لباب العلوم. وقوله (عن الفهم): متعلّق بجلّت، أي: فهم السائل، قال في القاموس: «فَهِمَهُ كفَرِحَ، فَهْمَاً، ويحرك وهو الأفصح، وفَهَامَة وفَهَامِيَة: عَلِمَهُ وعَرِفَهُ بالقلب». وقوله (جَلَّتْ): بتشديد اللام، أي: عظمت. وقوله (بل): حرف إضراب عن (الوَهْم): بسكون الهاء، من خَطَرَاتِ القلبِ، أو مَرْجُوْحُ طَرَفَي المُتَرَدَّدِ فيه، وجمعه أَوْهَام، كذا في القاموس. وقوله (دَقَّتِ): بفتح الدال المهملة وتشديد القاف وكسر التاء للقافية. وقال في القاموس: «دَقَّ يَدِقُّ بالكسر. والدَقِيْقُ: الأمر الغامض». وهذا الأمر من علامات العرفان في السالك، فإنّه لا يأتي بالمعاني الغريبة للآيات القرآنيّة، والأحاديث النبويّة، والتجلّيات الإلهيّة، من غير أخذ من عبارات العارفين، وفهم من كلام المحقّقين إلّا الوليّ الواصل، والعارف المحقّق الحاصل، والله ولي التوفيق.

٣٢١- وَلَا تَدْعُنِي فِيْهَا بِنَعْتٍ مُقَرَّبٍ أَرَاهُ بِحُكْمِ الجَمْعِ فَرْقَ جَرِيْرَةِ

(ولا تدعني): نهيٌ للسالك، أي: يدعوه، أي: يناديه ويسميه، قال في القاموس: «دَعَوْتُهُ زيداً / [١٧٧/أ] وبزيدٍ: سَمَّيْتُه به». وقوله (فيها): أي في محبّتها. وقوله (بنعتٍ): أي بوصف. (مقرّب): بتشديد الراء على صيغة اسم المفعول، من قرّبه بالتشديد إذا أدناه، والمقرّبون أصحاب منزلة فوق منزلة

(الأبرار): جمع بَرّ، بالفتح وهو الصالح، فإنّ المقرّبين جمع مقرّب، وهو المتّصف بالقرب إلى الله تعالى على معنى أنّه عارف بنفسه، وعارف بغيره من الأكوان، وعارف بربّه تعالى معرفة ذوقيّة في الكلّ. وقوله (أراه): أي أرى نعت المقرّب المذكور. وقوله (بحكم): أي بمقتضى مقام الجمع الموجب للاتّحاد السابق بيانه. وقوله (فَرْق): بفتح الفاء وسكون الراء ونصب القاف على أنّه المفعول الثاني لأرى. وقوله (جريرة): مضاف إليه، وهي بجيم، فراء، فياء تحتيّة، فراء، فهاء، قال في القاموس: « الجريرة: الذَنْبُ والجِنَايَة، جَرَّ على نفسه وغيره جَرِيْرَةً، يَجُرُّهَا بالضمّ والفتح». والمعنى: إنّي أرى نعت المقرّب إذا قيل عنّي بسبب ما يقتضيه الاتّحاد الحقيقيّ الذي أنا متّصف به كما مرّ. (فرقاً): أي مفارقة لمقام الجمع ومبانيه له، مفارقة ذنب يقع منّي، وجناية تصدر عنّي توجب طردي وإخراجي عن الدخول في ظلّ الربّ تعالى، كما ورد: «سبعة يظلّهم الله تعالى في ظلّه يوم لا ظلّ إلّا ظلّه»[1] الحديث. يعني: أعمالهم الصالحة المذكورة إذا أخلصوا فيها تكون سبباً لكشفهم عن حقائق أمورهم، واطّلاعهم على أنّهم معاني المعلومات الإلهيّة في وجود الحضرة الربّانيّة، كما قلت في مطلع قصيدة:

نحـــن معـــاني الوجـــود فيـــه ونحـــن عنـــه كنطـــق فيـــه

ولا شكّ أنّ المعاني تُعنى وتُقصد وتُراد، وليست بأمور موجودة في نفسه فتشبه الظلال التي هي مجرّد رسوم ظاهرة، واتّحادها بشواخصها، كناية عن تبعيّتها لها كتبعيّة العوالم كلّها للعلم الإلهيّ القديم؛ فإنّها إشارة كما قال تعالى: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ [٤/ النساء/ ١١٦] وعدم استقلالها بأنفسها، بل عدم وجودها أصلاً.

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ، كتاب الشعر، باب: ما جاء في المتحابّين في الله، ١٧٤٦، كما أخرجه البخاريّ في صحيحه ، كتاب : الأذان، باب: من جلس في المسجد ينتظر الصلاة ، ٦٦٠، عن أبي هريرة.

٣٢٢- فَوَصْلِي قَطْعِي وَاقْتِرَابِي تَبَاعُدِي   وَوُدِّيَ صَدِّي وَانْتِهَائِي بَدَايَتِي[1]

(فوصلي): بفاء التفريع عمّا قبله، يعني: لا تدعُني بالأسماء الموجبة للإثنينيّة، فإنّ وصلي بها قطعي عنها، أو وصلي بالحقيقة الوجوديّة، واستمدادي منها ظهور وجودها عليّ هو عين قطعي عنها بالفناء فيها والاضمحلال، وكذلك اقترابي إلى الحقيقة الوجوديّة المذكورة بالاتّحاد معها بالمعنى السابق ذكره هو عين تباعدي عنها، لعدم المناسبة بيني وبينها، لفنائي في وجودها، وعدمي في تحقّقها بحيث تكون هي الموجودة وحدها، ولا أنا.

وكذلك. (ودّي): لها، أي: محبّتي قال في القاموس: «الوُدّ والوِدَاد: الحبّ، ويثلثان». هو عين (صدّي): أي إعراضي عنها، لأنّ المحبّة تقتضي الاثنينيّة، وأنْ يكون المحبّ غير المحبوب، غير المحبّة؛ فالمحبّة تقتضي التثليث. والاثنينيّة والتثليث ينافيان التوحيد الحقيقيّ، وأنا في مقام التوحيد الحقيقيّ، وكذلك (انتهائي): أي نهايتي في ظهوري عنها هو عين (بدايتي) منها، لأنّ الوجود كلّه لها، وأنا على ما أنا عليه في علمها الأزليّ، قال في قوله تعالى: «كما بدأنا أوّل خلقٍ نعيده»، [سورة الأنبياء الآية/ ١٠٤] والكاف للتشبيه، أي: كالبداية الإعادة؛ فالإعادة بداية دائماً، وما ثَمَّ إلّا بداية لا غير، والكلّ أزل. وهو عين الأبد، ولا يذهب عليك أنّ المشبّه غير المشبّه به، فإنّ هذه الغيريّة في مجرّد الصورة المختلفة الفانية، والوجود عين الوجود، لا يتغيّر ولا يتبدّل، وبه الاتّحاد الحقيقيّ.

٣٢٣- وَفِي مَنْ بِهَا وَرَّيْتُ عَنِّي وَلَمْ أُرِدْ   سِوَايَ خَلَعْتُ اسْمِي وَرَسْمِي[2] وَكُنْيَتِي

(وفي مَن): متعلّق بخلعتُ، قدّم للحصر، أي: في المحبوبة التي (بها): أي: بذكرها (وَرَّيْتُ): بفتح الواو/ [١٧٧/ ب] وتشديد الراء بعدها ياء تحتيّة وتاء مضمومة، قال في القاموس: « وَرَّاهُ تَوْرِيَةً: أَخفاه، كواراه ، وَوَرِيَ الخبر: جعله وراءه ، وـ عن كذا: أراده وأظهر غيره. ووَرِيَ عنه بصره: رفعه». وقوله (عنّي):

---

(١) في (ق): بدأتي.

(٢) في (ق): ورسمي.

متعلّق بورَّيتُ، يعني: سترتُ حقيقتي وكتمتها بذكر اسم المحبوبة فأردت بذكر اسمها ذكري ونفسي وحقيقتي. وقوله (ولم أرد سواي): أي لم أقصد بذكرها غيري. وقوله (خلعت): أي نزعت وتركت. قال في القاموس: «الخَلْعُ كالمَنْعِ: النَزْعُ، إلّا أنّ في الخلع مهلة» وقوله (اسمي): مفعول (خلعت): أي ما كنت أُسمَّى به من الأسماء؛ فم يبقَ لي اسم يقع على مسمّى أصلاً. وقوله (ورسمي): قال في القاموس: «الرَسْمُ : الأَثَرُ، أو بقيّته، أو ما لا شخص له من الآثار». يعني: صورته الظاهرة والباطنة بحيث انتزع منها نسبة الوجود إليها عندها.

وقوله (كُنيتي): أي ما أُكنّى به من كلّ كنية تدلّ على شرف وغيرها، وهي ما صُدِّرَتْ بأب، أو أم، كأبي بكر، وأم هاني. واللقب ما أشعر بمدح أو ذمّ، كشرف الدين ونحو ذلك. وهذا الخلع المذكور والترك مقتضي ما الأمر عليه في نفسه؛ فإنّ الوجود الحقّ إذا انتزع من جملة الممكنات وليس غير الوجود الحقّ لم يبق شيء منها أصلاً. ويبقى الوجود الحقّ وحده قائماً بنفسه على ما هو عليه أزلاً وأبداً. وهذا هو المراد بالاتّحاد الحقيقيّ في كلام الناظم قدّس الله سرّه.

٣٢٤- وَسِرْتُ[١] إِلَى مَا دُوْنَهُ وَقَفَ الأُلَى وَضَلَّتْ عُقُوْلٌ بِالْعَوَائِدِ ضَلَّتِ

(وسِرْتُ): معطوفة على قوله خَلَعْتُ في البيت قبله. وقوله (إلى ما): أي مقام عظيم عالٍ، وهو الفرق الثاني بعد ميراث الأنبياء والمرسلين. وقوله (دونه): أي دون ذلك المقام. (وقف): فلم يتجاوز. (الأُلى): بضمّ الهمزة وفتح اللام، مقصور، أي: الأوّلون السابقون الذين تقدّموا عليّ بالزمان من الأنبياء والصدِّيقين. وقوله (وضلّت): بالضاد المعجمة وتشديد اللام، أي: تحيّرت وزاغت عن سبيل الحقّ، وطريق الرشد. وقوله (بالعوائد): متعلّق بـ(ضلّت) الثاني، وهو من الضلال، بمعنى: الضياع. قال في القاموس: «ضَلَّ يَضِلُّ، وتُفتح

---

(١) في (ق): فصرتُ

الضاد المعجمة ضَلَالاً: ضَاع ومَات وخَفِيَ وغَابَ». و(**العوائد**): جمع عادة، وهي الديدن، والمراد: العادات التي اعتادها أهل الغفلة من الشهوات الجسمانيّة واللذائذ النفسانيّة. والمعنى: إنّ العقول بسبب انهماكها في ذلك ضاعت، وفسدت، وغابت عن ملاحظة ما هو الكمال لها من مقامات السالكين، ومدارك العارفين. ومن جملة العوائد التي أورثتها الحجاب عن النهوض إلى التحقّق بحقائق الأحديّة الظاهرة في صور الحوادث الكونيّة، اشتغال العقول بالعلوم الظاهرة كمال الاشتغال بالكليّة، والانهماك في العلوم الفكريّة التي بها يتمّ عالم الحكمة والأسباب العاديّة، كالعلوم الفلسفيّة وغير ذلك مما يعدّونه من الكمالات الإنسانيّة بحسب ما عندهم من الأحوال الطبيعيّة. ولقد أنصف من قال، وصدق في المقال:

وجاهل يدّعي في العلم فلسفة   قد راح يكفر بالرحمن تقليداً
وقال أعرف معقولا فقلت له   عنيت عقلك معقولاً ومعقوداً
فقال إنّ كلامي ليس تعرفه   فقلت لست سليمان بن داوود

٣٢٥- فَلَا وَصْفَ لِي وَالوَصْفُ رَسْمٌ كَذَاكَ الْاسْـ
ـمُ وَسْمٌ فَإِنْ تُكْنِ فَكَنِّ أو انْعَتِ

(**فلا وصف**): مطلقاً من الأوصاف الظاهرة والباطنة (**لي**): لانتزاع الوجود كلّه عندي من ذاتي، ومن أوصاف ذاتي، وإفراده وجوداً حقّاً قائماً بنفسه، منزّهاً عن ذاتي، وعن جميع أوصافي، وذاتي وأوصافها مجرّد تقادير عدميّة، وصور اعتباريّة، قدّرها الوجود الحقّ/ [١٧٨/ أ] في نفسه ولنفسه، وفرضها واعتبرها، فظهر بها لها، وهو على ما هو عليه أزلاً وأبداً، لم يتغيّر ولم يتبدّل. وهي أيضاً على ما هي عليه أزلاً وأبداً، لم تتغيّر ولم تتبدّل، فهي معلوماته، وهي مراداته، وهي مخلوقاته باعتبارات ثلاث مختلفة بحسب ترتيبها الذي هي عليه، وعدم نهايتها دنيا وآخرة، وبرزخاً بينهما، وهذا هو المراد بالاتّحاد الحقيقيّ في اصطلاح الناظم قدّس الله سرّه. ثمّ بيّن ذلك

بقوله (والوصف رسم): أي هو مجرّد تقدير عدمي، واعتبار فرضي. وقوله (كذلك): أي مثل ذلك؛ يعني: الوصف الذي هو مجرّد رسم، كما ذكرنا.

(الاسم): أي العلامة اللفظيّة المميّزة له عن غيره. وقوله (وَسْمٌ): قال في القاموس: «الوَسْمُ: أثر الكَيّ. والسِّمَة ما وُسِمَ به الحيوان من ضروب الصور». ومعنى ذلك: إنّ الاسم على الشيء كالشيء، مجرّد صورة مرسومة كأثر الختم في الشمع، أمر عدمي ظاهر في الشمع لا وجود له؛ وإنّما الوجود كلّه للشمع فقط، فهو تقدير كما ذكرنا، قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [٢٥/ الفرقان/ ٢] وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [٦/ الأنعام/ ٩٦].

ثمّ قال الناظم قدّس الله سرّه بعده (فإن تُكَنّي): فعل مضارع من الكناية، وهي التعريض، خلاف التصريح، والخطاب للسالك. ولما كانت الكنية ما صُدّر بأب أو أم كما قدّمناه، بأن تقول عن زيد مثلاً: أبو محمّد، أو أبو عمر، فتسمّي ابنه ولا تسمّيه هو، غير أنّك تنسب إليه الأبوّة فقط، وهي أمر إضافي إذن ـ قدّس الله سرّه ـ في الكنية له حيث قال (فَكَنِّ): الفاء في جواب الشرط و(كَنِّ): بتشديد النون فعل أمر من التكنية. وقوله (أو انعتِ): انعت أمر من النعت، وهو الوصف باعتبار حال الواصف، وعلى قدر معرفته بالموصوف لا على قدر الموصوف في نفسه.

٣٢٦- وَمِنْ أَنَا أياهَا إلَى حَيْثُ لَا إلِى   عَرَجْتُ وَعَطَّرْتُ الوُجُوْدَ بِرَجْعَتِي

(ومن): ابتدائيّة. (أنا أياها): أي المحبوبة الحقيقيّة. يعني: من مقام اتّحادي بها، الاتّحاد الحقيقيّ كما مرّ بيانه غير مرّة. (إلى حيث لا إلى): فإلى حرف غاية، ينتهي إلى ما بعدها سير المبتدئ؛ والمعنى بقوله (حيث لا إلى): مجرّد التقادير العدميّة، والأمور الاعتباريّة التي لا وجود لها، ومن جملتها ذاته وصفاته وجميع أعماله، فإنّها معلومات فانية لا يصح أنْ يقال فيها كلمة إلى. وقوله (عَرَجْتُ): أي صَعِدْتُ وارتقيت. والقياس أن يقول: نَزَلْتُ وهبطت. لأنّه خروج من وجود إلى عدم. ولكن لمّا علم أنّ الوجود ليس له وهو للحقّ تعالى وحده، وهو مجرد تقدير عدميّ صادر عن الوجود

الحقّ تعالى. وقد علم ما ورد في الأثر: «رحم الله أمرئ عرف وقدره فلم يتعدّ طوره» فتحقّق بأنّ له في العدم الصرف حقيقة مقدّرة، وعيناً معتبرة، قدرها الوجود الحقّ واعتبرها. وقد سترها عنه في حالة إقباله على الوجود الحقيقيّ ليكمل تحقّقه به، فكان يجد الوجود الحقيقيّ ليكمل تحقّقه به، ولا يجد معه غيره فيقول بالاتّحاد الحقيقيّ كما سبق بيانه من قوله تعالى: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [٢/ البقرة/ ١٥٦] ثمّ إنّه كشف له عن حقيقته المقدّرة في العدم، فرجع إليها، وسمّى رجوعه ذلك عروجاً، لأنّه أرقى من حالة دعواه، لأنّه متّحد مع الوجود الحقّ، حيث كانت حقيقته العدميّة مستورة عنه، فإنّه دعوى ما ليس له، وهذا أحد الأسفار الأربعة التي للسالكين في طريق معرفة الله تعالى؛ فإنّ السِّفر الأوّل من نفسه إلى ربّه، وفيه تفنى نفسه. والثاني من ربّه. وفيه يتحقّق بالاتّحاد الحقيقيّ مع ربّه، والثالث من ربِّه إلى نفسه، وهو الفرق الثاني بعد الجمع، وهو هذا المقام المذكور هنا الآن.

وقوله (وعَطَّرْتُ): من التعطير بالعِطْر، بالكسر، وهو الطِيب. وقوله (الوجود): بالنصب مفعول عطّرت؛ أي: بكثرة ما أثنيت عليه، ونزّهته، وسبّحته، وقدّسته، ونشرت/ [١٧٨/ ب] محاسن أفعاله، وعظيم مننه وأفضاله. وقوله (برجعتي): متعلّق بـ(عطّرت) يعني: برجعتي إلى حقيقتي النفسيّة العدميّة التقديريّة، وتحقّقي بها ومعرفتي لها، كما ورد «من عرف نفسه فقد عرف ربّه»، وإذا عرف ربّه يثني عليه كمال الثناء، ويشكره أعظم الشكر، وينزِّهه أشد التنزيه، ويسبّحه ويقدّسه عن مشابهة الأكوان، ومماثلة الحدثان.

٣٢٧- وَعَنْ أَنَا إِيَّايَ لِبَاطِنِ حِكْمَةٍ   وَظَاهِرِ أَحْكَامٍ أَقَمْتُ لِدَعْوَتِي

(**وعن أنا إيّاي**): وهو السفر الثالث الذي قدّمناه، وهو الفرق الثاني، وهو النهاية المعبَّر عنه بالرجوع إلى البداية. والجار والمجرور متعلِّقان بـرجعة المفهوم من قوله في البيت السابق (برجعتي). وقوله (**لباطن حكمة**): أي لأجل حكمة باطنيّة، والحكمة هي العلم الإلهيّ، قال في القاموس: الحِكمة بالكسر : العدل، والعلم، والحلم. وقوله (**وظاهر أحكام**): أي أحكام ظاهرة، وهي أحكام الله

تعالى التي هي شرائعه المحمّديّة، وشعائره الأحمديّة. وقوله **(أقمت)**: أي عملت جميع الأعمال التي كلفت بها، وهي ملاحظة الحِكَم الإلهيّة في الباطن، ومراعاة الأحكام الشرعيّة في الظاهر، إقامة وامتثالاً لدعوتي التي دعاني بها نبيّ الله ورسوله محمّد صلّى الله عليه وسلّم، المرسل من عند الله تعالى، وهذا هو السفر الرابع الذي هو من نفسه إلى نفسه، وهو منتهى سير السالكين، وغاية السّفر في مراتب اليقين، وهو مقام الورثة، المقرّبين الوارثين لعلوم الأنبياء والمرسلين، أو إقامة لدعوتي إلى الله تعالى بنشر أسرار التوحيد، وحقائق التجلّيات الإلهيّة بين السالكين من العبيد.

٣٢٨- فَغَايَـةُ مَجْـذُوْبِي إِلَيْهَـا وَمُنْتَهَـى مُرادِيْـهِ مَـا أسْـلَفْتُهُ قَبْـلَ تَـوْبَتِي

(فغاية مجذوبي): أي المجذوب منّي في مقام الفرق الثاني الذي هو السفر الرابع من نفسي إلى نفسي لملاحظة الحِكَم المندرجة باطناً في الأحكام الشرعية الظاهرة. وقوله **(إليها)**: أي إلى المحبوبة الحقيقيّة، والجار والمجرور متعلّق بمجذوبي؛ يعني: نهاية ما أنا فيه في حال رجوعي إلى نفسي، وتحقّقي بنفسي حيث أنّي مجذوب إليها في تلك الحالة، وكذلك منتهى أحوال (المُرادين): جمع مراد، وهو الشيخ الكامل المرشد إلى الله تعالى الذي فات مقام الإرادة، وكان مُريداً فصار مُراداً للحقّ تعالى، وأضافهم إلى ذلك المجذوب الذي جرّده من نفسه بقوله **(فغاية مجذوبي)**: أي المجذوب منّي.

(ومنتهى مراديه): أصله مرادينه فحذفت النون لإضافة المرادين إلى ضمير المجذوب منه فصار: المعنى أنّ غاية أحوالي وأنا مجذوب إليها، ومنتهى أحوال مشايخي المرادين هو**(ما)**: أي الأمر الذي، أو أمر عظيم. **(أسلفته)**: أي قدّمته قبل توبتي في حال جهلي وغفلتي في الفرق الأوّل الذي هو حال الجاهلين الغافلين العابدين الزاهدين، فلأجل هذا ما بقي أحد يعرفني لدخولي في مثليّة أهل الغفلة، وكثائف أعمالهم مع كمال التحقّق والعرفان بمشارب أهل القرب والعيان ميراثاً نبويّاً: ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [٢٥/ الفرقان/ ٧].

٣٢٩- وَمِنِّي أَوْجُ السَّابِقِيْنَ بِزَعْمِهِمْ حَضِيْضُ ثَرَى آثَارِ مَوْضِعِ وَطْأَتِي

(ومنِّي): أي من جهتي، حيث أنني في المقام المذكور في البيت قبله، وهو مقام جمع الجمع. (أوج): أي ضدّ الهبوط، كما في القاموس، بمعنى: مرتفع مقام السابقين من الأولياء والمقرّبين. وقوله (بزعمهم): متعلّق بالسابقين، أي: الذين زعموا أنّهم سبقوا، وهم في مقام الجمع بعد الفرق الاوّل، ولم يصلوا بعد إلى الفرق الثاني الذي هو مقام الميراث المحمّدي، وهو الرجوع إلى البداية بعد النهاية، أهل السفر الرابع.

وقوله (حَضِيْض): خبر المبتدأ الذي هو أوج الحضيض بالحاء المهملة المفتوحة وكسر الضاد المعجمة بعدها ياء/ [١٧٩/ أ] مثنّاة تحتيّة ساكنة وضاد أخرى معجمة: القرار في الأرض، كذا في القاموس. وقوله (ثرى): بفتح الثاء المثلثة وفتح الراء، أي: تراب. وقوله (آثار): جمع أثر بالتحريك: بقيّة الشيء. وقوله (موضع وطأتي): أي دوستي بقدمي، قال في القاموس: « وَطِئَه بالكسر يَطَؤُه: داسه». والمعنى: إنّ أعلى مقامات الأوّلين، وهو مقام الجمع والتوحيد الحقيقيّ بفناء الأغيار، وهو مستمدّ منه أدنى تراب آثار موضع قدمي الذي أنا واضعه في الأرض الحقيقيّة، وهو القدم المحمّديّ الجامع، والنور الإلهيّ المصطفوي اللامع.

٣٣٠- وَآخِرُ مَا بَعْدَ الإِشَارَةِ حَيْثُ لَا تَرَقِّي ارْتِفَاعٍ وَضْعُ أَوَّلِ خَطْوَتِي

(وآخر): أي منتهى. وقوله (ما): أي المقام الذي هو (بعد الإشارة): أي ما يمكن أن يشار إليه حسيّة أو معنويّة من المقامات أو الأحوال فيما بين الرجال، وليس بعد الإشارة إلّا حضرة الغيب المطلق، والوجود الحقيقيّ المحقِّق. وقوله (حيث لا ترقّي): أي زيادة ارتفاع عن ذلك؛ لأنّه لا يمكن، وهو الدخول في الحضرة العلميّة القديمة الأزليّة بلا دخول، هو انتقال، ولا تحوّل عنها ولا زوال. وقوله (وضع): خبر المبتدأ الذي هو آخر. وقوله (أوّل خطوتي): أي ابتداء سيري، فإنّ مبتدأ السير في أوّل المقام المحمّديّ الجامع، هو منتهى سير جميع

الأولياء السائرين بالجمع والتوحيد الحقيقيّ على السنن المستقيم.

وذلك لأنّ السير المحمّدي نزول من الحضرة العليّة، مقام الجمع، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [٥٣/النجم/١٣] وهي السفر الرابع بعد النزلة الأولى مقام أو أدنى بعد القاب قوسين الذي هو مقام الجمع الكلّي والتوحيد الحقيقيّ، وللوارث المحمّديّ منّا حصول جميع ذلك في درجة ولا يته صلّى الله عليه وسلّم دون درجة نبوّته؛ لأنّ النبوّة درجة أخرى لا تنال بالإرث، قال عليه الصلاة والسلام: «إنّا معاشر الأنبياء لا نورّث درهماً ولا ديناراً»[1] في موضع لا نورّث نبوّة ولا رسالة، ولمّا كان الدرهم والدينار بهما المعاملة بين النّاس كنّى بهما عن النبوّة والرسالة اللتين بهما سياسة الأمّة، واتصال الملأ الأعلى بالملأ الأدنى في المعاملات الشرعيّة. ثمّ قال عليه السلام: «ولكن نورث العلم» أي: الولاية الجامعة للعلوم الإلهيّة بلا واسطة ملك وحي، ولا ملائكة أمور إلهاميّة، قال تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [١٣/النجم/ ١٠]؛ فالعلم الإلهيّ هو الموروث عن الأنبياء عليهم السلام لا غير، والنبوّة والرسالة انسدّ بابهما.

٣٣١- فَلَا عَالَمٌ إِلَّا بِفَضْلِي عَالِمٌ وَلَا نَاطِقٌ فِي الكَوْنِ إِلَّا بِمِدْحَتِي

(**فلا عالَم**): بفتح اللام، قال في القاموس: « العالَم: الخلق كلّه، أو ما حواه بطن الفَلَك». وقال في الصحاح: «والعالَم: الخَلْق. والجمع: العوالِم، والعالَمُون: أصناف الخلق». وقوله (**إلّا بفضلي عالِم**): بكسر اللام، أي: متّصف بالعلم بسبب فضلي وإمدادي له. والفَضَل ضدّ النقص، والفضيلة: الدرجة الرفيعة في

(١) يشهد له ما أخرجه مالك في الموطأ، كتاب الكلام، باب: ما جاء في تركة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، ١٨٤٠، عن عائشة قالت لأزواج النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: أليس قد قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: لا نورث ما تركناه صدقة. كما أخرج أحمد في المسند، مسند عمر بن الخطاب، ٣٤٣، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: إنّا لا نورث ما تركنا صدقة. كذلك أخرج البخاري في صحيحه، كتاب فرض الخمس، باب: فرض الخمس، ٣٠٩٣، بلفظ: لا نورث ما تركنا صدقة.

الفَضل، كذا في القاموس. وهو فضل المقام المحمّديّ الممدّ لكلّ فضل في العالم العلويّ والعالم السفليّ؛ إذ الكلّ مخلوقون من نوره، وظهورهم من آثار ظهوره. وقوله (**ولا ناطق**): أي متكلّم في الكون، أي: في جملة الأشياء(**إلّا بمدحتي**): أي مدحي والثناء عليّ؛ فإنّ صاحب هذا المقام المحمّدي محمود في السماء والأرض. وقال تعالى في حقّه صلّى الله عليه وسلّم: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ [٢١/الأنبياء/١٠٧] فقد رحم الله تعالى به العوالم كلّها، وكلّ شيء ناطق، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [٤١/فصّلت/٢١] وكلّ ناطق مادح لسبب الرحمة التي شملته بلسان قال، ولسان أحوال.

٣٣٢- وَلَا غَـرْوَ أَنْ سُـدْتُ الأُلَى سَـبَقُوا وَقَـدْ
تَمَـسَّكْتُ مِـنْ طَـهَ بِـأَوْثَقِ عُـرْوَةِ

(**ولا غرو**): بالغين المعجمة المفتوحة وسكون الراء وفتح الواو، قال في الصحاح: «الغَرْو: العجب/[١٧٩/ب] وغَرَوْتُ، أي: عَجِبْتُ، يقال: لا غَرْوَ، أي: ليس بعجب». وقوله (**إن سُدْت**): من ساد قومه يسودهم فهو سيّدهم. والسيد الجليل الذي له السيادة عليهم. وقوله (**الأُلى**): مفعول سدتُ، أي: الذين (**سبقوا**): أي تقدموا عليّ في الزمان الماضي، وهم أهل الجمع والتوحيد كما مرّ.

وقوله (**وقد**): الواو للحال. وجملة (**تمسّكت**): في محل نصب على أنّها حال من فاعل سدت، وهو التاء، قال في المصباح: «أَمْسَكْتُ الشيءَ واسْتَمْسَكْتُ به وامْتَسَكْتُ به كلّه بمعنى اعتصمت به». وقوله (**من طه**): أي من دين طه، أو من حقيقته التي هي نوره المخلوق منه كلّ شيء، كما ورد في الحديث. وطه اسم محمّد نبيّنا صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ [٢٠/طه/١] والقرآن كلام الله، وكلامه تعالى علمه النازل في صورة كلّ شيء، قال تعالى في حقّ عيسى عليه السلام: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾ [٤/النساء/٧١] وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ﴾ [١٩/مريم/٣٤] وقال تعالى: ﴿إِنَّ

﴿مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [٣/آل عمران/٥٩] وكلّ شيء كذلك خلقه من تراب ، ثمّ قال له: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [٢/البقرة/١١٧] وهو ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾ [٦/ الأنعام/٧٣]. فقوله كلامه كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [٣٦/يس/ ٨٢] وهو القرآن الذي أنزله على (طه): أي على المادة النوريّة الأصليّة المخلوقة من نوره سبحانه بلا واسطة: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [٢٤/النور/ ٣٥] يعني: بنوره المحمّدي الواسطة العظمى ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [٢٤/النور/ ٣٥].

وقوله (بأوثق): أي أشد (عروة): بضمّ العين المهملة وسكون الراء وفتح الواو وبالهاء، قال في الصحاح: « عُرْوَةُ القميص والكوز: معروفة، والعروة أيضاً من الشجر: الشيء الذي لا يزال باقياً في الأرض لا يذهب. والعُرْوَةُ الأسد، وبه سمّي الرجل عُرْوَة. وفي القاموس: « العُرْوَةُ من الدَلْو والكوز: المِقْبَض، ومن الثوب: أخت زِرِّهِ كالعُري، ويُكْسَر». وقال البيضاوي في قوله تعالى: ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٥٦] طلب الإمساك من نفسه بالعروة الوثقى من الحبْل الوثيق، وهي مستعارة لتمسك الحقّ، يعني: بالكتاب والسنّة. والمراد بالحقيقة المحمّديّة الجامعة.

٣٣٣- عَلَيْهَا مَجَازِيٌّ سَلَامِي وَإِنَّمَا حَقِيْقَتُهُ مِنِّي إِلَيَّ تَحِيَّتِي

(عليها): أي على ما تمسكت به من طه، وهو حقيقته المحمّديّة العروة الوثقى. وقوله (مَجازيٌّ): بتشديد الياء التحتيّة: ياء النسبة. (والمجاز): خلاف الحقيقة. وقوله (سَلَامِي): أي سلامي عليها إذا قلت: عليها السلام، أي: الأمان من نظري إلى غيرها؛ إذ لا غير لها؛ فإنّها عين كلّ حقيقة كونيّة. ثمّ قال (وإنّما حقيقته): أي حقيقة السلام. (منّي): أي من حقيقتي (إليّ): بتشديد الياء التحتيّة، أي: إلى حقيقتي. (تحيّتي): أي سلامي؛ فإذا سلّمتُ عليها فإنّما سلَّمتْ حقيقتي على نفسها؛ لفناء صورتي العرضية الباطنيّة والظاهريّة على الماديّة النوريّة المحمّدية؛ فإنّ من جمع تراباً كان كالحقّ تعالى إذا توجّهت إرادته على تقدير في علمه متعيّن، فأشرف ذلك

التقدير المتعيِّن في العلم الإلهيّ الأزليّ، وخرج من عدمه الأصليّ إلى ظهور نور الوجود عليه من الوجه الإلهيّ، ثمّ انجبل ذلك التراب بالماء كتوجّه الأمر الإلهيّ على ذلك التقدير المتعيِّن من ذلك التقدير المتعيِّن منه؛ حتى صار الحقيقة المحمّديّة؛ فالتقدير المتعيِّن فيها فانٍ مضمحلٌّ؛ لأنّه عدم أصليّ ، والأمر الإلهيّ هو الوجود الحقّ الصرف؛ فنور محمّد صلّى الله عليه وسلّم، أي: أمر الله الوجود الحقّ المتوجّه على ذلك التقدير المتعيِّن؛ فباعتبار التقدير المتعيِّن نور محمّد صلّى الله عليه وسلّم، وباعتبار فناء ذلك التقدير المتعيّن واضمحلاله وزواله حتى رجع إلي / [١٨٠/أ] وعدمه الأصلي نور الله ، فلا نور إلّا نور الله؛ فهو نور على نور، فهما نوران بالاعتبارين المذكورين، وهما نور واحد وهي المعيّة الإلهيّة: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [٩/ التوبة/ ٤٠] ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [٥٧/ الحديد/ ٤].

ثمّ إنّ ذلك الطين جعل الصانع منه أواني كثيرة مختلفة الصور والهيئات حتى لم يبق من ذلك الطين شيء. فإذا سأل سائل بعد ذلك فقال: أين ذلك الطين؟!. يقال له: غاب في هذه الأواني كلّها، وليس بغائب؛ لأنّ الأواني كلّها إنّما هي مجرّد صور وهيئات فانيّة مضمحلّة. وكذلك ذلك التقدير المتعيِّن الذي هو نور محمّد صلّى الله عليه وسلّم كما ذكرنا، خلق الله منه جميع المخلوقات، أي: صوّرها وقدّرها. قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [٢٥/ الفرقان/ ٢] ثمّ نبّه تعالى على ذلك بقوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [٩/ التوبة/ ١٢٨] وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا﴾ [٣٣/ الأحزاب/ ٤٥].

فمن عرف ما قلناه عرف الحقيقة المحمّديّة، وعرف أنّها غائبة في الصور الكونيّة، والهيئات الإمكانيّة، فمن ظهر له اضمحلال صورته الباطنة والظاهرة قرّت عينه بعين الحقيقة المحمّديّة الفانية المضمحلّة في الحقيقة الربّانيّة على الوجه الأكمل، والقانون الأشمل، وذلك نهاية السالكين، وغاية الواصلين.

٢٣٤- وَأَطْيَبُ مَا فِيْهَا وَجَدْتُ بِمُبْتَدَا   غَرَامِي وَقَدْ أَبْدَى بِهَا كُلَّ نُدْرَةِ

(وأطيب): قال في القاموس: « طَاب يَطِيْبُ: لذَّ وزَكَا» والأطيب: أفعل تفضيل، أي: الأكثر طيباً. وقوله (ما فيها): أي أطيب شيء فيها، أي: في الحقيقة المحمّديّة كما قدمناه، واعلم أنّ السالك أوّل ما تنفذ بصيرته إلى حضرة الغيب المطلق، وهو الوجود الحقّ الحقيقي الذي لا يُدْرَك ولا يُترَك، فيتعلّق قلبه بجماله الحقيقيّ، المنزّه عن الصور الحسيّة، والمعنويّة، والخياليّة؛ فيشاهد لطائفة، وعظائم مننه، وشرائف عطاياه؛ فيتعلّق به، وتلتذّ روحه بمعرفته، وكمال نزاهته، وشدّة تجردّه عن جميع المواد الكونيّة، والحدود، والقيود، الحسيّة والخياليّة، فينكشف له بلا انكشاف أنّه الحق، وكلّ ما سواه باطل، وأنّه النور المحض الحقيقيّ، وكلّ ما سواه ظلمة محضة، وأنّه الوجود الصرف المطلق حتى عن الإطلاق، وكل ما سواه عدم خالص، فيظهر له أنّه معدوم في نفسه بالنسبة إليه تعالى، وأنّه فانٍ مضمحل فينطلق لسانه بما صار عنده من التعشّق فيه، والهيام في محبّته، فينفخ عليه لسان الغزل والتشبيب في العيون والخدود والأعناق والقدود، ومحاسن الوجوه، والوجنات، وأنواع التغزّلات، وتنفتح عليه معانٍ في ذلك وأسرار، ولطائف إشارات من غير طريق الأفكار، فينظم الشعر البديع على حسب ما عنده من معرفة الصناعة الشعريّة، والعلوم الأدبيّة، فيظهر منه الرقيق من الأشعار، ولا يسمّى كلامه شعراً؛ بل يسمَّى علماً إلهياً، وإنْ كان في ذلك الطيور والأزهار، ويصير كلّما سمع شعراً فهمه على حسب حاله، أو سمع المغنيّ أخذ إشارته من لطيف مقاله، أو سمع دفّاً، أو مزماراً، أعرض عن محاله، ودخل في معرض عرفانه ومجاله، إلى أن ينتهي به العشق الإلهيّ إلى دخول بالفناء والانعدام في حقيقة علم الوجود الحقّ، وينقطع منه الكلام، فيظهر منه التصريح بالاتّحاد حيث لا أرواح ولا أجساد، ويسكر ويصحو، ويستحضر ويلهو، ويفيق ويسهو، إلى أن لا يرسخ في مقام الاتّحاد الحقيقيّ، حيث لا يجد نفسه معه تعالى، ولا يجد معه تعالى شيئاً.

ثمّ تتراءى له الأنوار المحمّديّة والحقيقة الأحمديّة ببركة مواظبته من حال بدايته على الأحكام الشرعيّة والسنن النبويّة، والآداب المصطفويّة، فيجد عين ما هو فيه من الأحوال لم يخرج عن / [١٨٠/ ب] أحوال الحقيقة المحمّديّة في تجلّي ذي الجلال؛ فإنّها السابقة بالأفعال في تحقيق حقيقة الوصال والاتّصال. فيرجع كلامه فيما علم منها من شرائف الخصال، ويعود له التغزّل والتشبيب، وشكوى الشوق والغرام من المحبّ إلى الحبّيب، ويرجع عشقه في الحقيقة المحمّديّة المتحقِّقة على الوجه الأكيد بالحقيقة الإلهيّة، ويرجع اتحاده إليها، ويقع اختياره عليها، فلا يجد غيرها، ولا يعرف إلّا خيرها، ولا يبقى عنده فرق بين معروفه الأوّل والثاني، بل وجد الحقيقة واحدة، ظاهرة ببدائع المعاني في لطائف المباني، ولهذا قال: **(وأطيب ما فيها وجدت بمبتدا)**: أي في حال ابتداء **(غرامي)**: أي عشقي، ولم يقل: **(غرامي بها)** لأنّ الغرام كلّه والعشق لا يكون إلّا بها منها لها، ولكن صور التجلّي، أي: تجلّيها بها لها، بمرادها ناقصة وكاملة، وجاهلة وعالمة، على حسب تعلق المشيئة الأزليّة بها في حضرة العلم العليّة على طبق ما كشفت عنه أزلاً من معلوماتها العدميّة.

وقوله **(وقد)**: الواو للحال، والجملة في محل نصب حال من غرامي. وقوله **(أبدى)**: أي أظهر، وفاعله ضمير يعود على غرامي. وقوله **(بها)**: أي بسبب الحقيقة المحمّديّة، أو بالاستعانة بها من حيث ظهور المتجلّي بها لها عليه من ابتداء غرامه حيث لم ينتبه لها من حيث هي حقيقة محمّديّة متبدِّلة في أطوار التجلِّيات الإلهيّة. فلمّا تنبّه لها علم أنّها هي هي التي غرامه بها أوّلاً وآخراً؛ بل ذلك حبّه لها في أنواع تجلِّياتها. وقوله **(كلّ)** مفعول أبدى. وقوله **(نَدْرَة)**: مضاف إليه بفتح النون وسكون الدال المهملة والراء المفتوحة بعدها هاء، قال في الصحاح: «قولهم لقيته في النَدْرَة والنَدَرَة ـ يعني: بفتح الدّال المهملة ـ أي: فيما بين الأيام». وفي القاموس: «لقيه نَدْرَة، وفي النَدْرَة مفتوحتين، أي: بين الأيام، ونَوَادِرُ الكلام: ما

شَذَّ وخرج من الجمهور». والمراد هنا الشيء النادر العجيب، أي: كلّ نادرة عجيبة غريبة من عجائب الأحوال، وغرائب ما يجده السالك من أنواع الكمال.

٣٣٥- ظُهُوْرِي وَقَدْ أَخْفَيْتُ حَالي مُنْشِدَاً   بِهَا طَرَبَاً وَالحَالُ غَيْرُ خَفِيَّةِ

(**ظهوري**): أي اشتهاري بالولاية والقرب الإلهيّ، وصدق المعاملة بين الناس، وهو خبر المبتدأ الذي قوله (**وأطيب**) في البيت قبله. وقوله (**وقد**): الواو للحال، والجملة حال من ياء المتكلّم في قوله (ظهوري)، والعامل: المصدر. وقوله (**أخفيت حالي**): أي كتمته عن الناس، ولم أقصد إظهار شيء منه، لأنّه أسرار بين المحبّ والمحبوب، والغيرة تقتضي الستر والكتمان. وقوله (منشداً): حال من فاعل أخفيت، ومنشِداً بكسر الشين المعجمة: اسم فاعل، يقال: أنشد الشعر: قرأه، كذا في القاموس. وإنشاد الشعر قراءته، أعمّ من أن يكون شعره الذي أنشأه، أو شِعر غيره. وقوله (بها): أي بسبب الحقيقة المحمّديّة، أو باستعانتها من حيث عينها الربّانيّة المنزّهة عن تجلّيها بالتقدير المعين لها، العدميّ كما مرّ.

وقوله (**طَرَباً**): بالتحريك، أي على وجه الطَرَب، وهو تمييز لنسبة الإنشاد إليه، قال في القاموس: «الطَرَب محرّكة: الفَرَح والحُزْن، ضدّ، وخِفَّة تلحقك تسرّك أو تحزنك». والطَرَب أيضاً: الحركة والشوق. وفي الصحاح: « الطرب خفّة تصيب الإنسان لشدّة حزن أو سرور». وهو المراد هنا. يعني: أظهر الخفّة بإنشاد الأشعار الغزليّة التي سأنشدها بعد ذلك، والتشبيب في محاسن المحبوب والمحبوبة، وأكثر التأوّه والشكاية والتحزّن من الهجر والبُعد والإعراض، وأتمنّى الوصال والقرب، ويظهر منّي الميل والتعشّق/ [١٨١/ أ] في صور الملاح من الذكور والإناث، كحال العشّاق المحجوبين المفتونين بما ابتلاهم الله تعالى به من عشق الصور، ستراً منّي لشريف أحوالي، وغيرة على أمري أن يظهر بين الغافلين المعرضين عن الحقّ المشتغلين بما سواه من الباطل، حتى إذا وقع منهم إنكار لشيء من تجلّياته تعالى

عليَّ تجلِّياً ظاهراً لهم، أو باطناً عنهم، فلم يقبلوا أثره فيَّ، أكون أنا وقاية للحقّ في ذلك الإنكار والاعتراض.

ومع هذا كلّه حصلّ ظهوري بالكمال بينهم، وعدم اختفائي عنهم، وقوله **(الحال)**: أي حالي المذكور غير خَفيَّة بتشديد الياء التحتيّة، أي: ظاهرة. يعني: إنّ الإخفاء لها الذي كان قصدي لم يعمل في إخفائها شيئاً، كما قال صاحب الموشّح العامي:

غطّوهـــا النـــدامى قالـــت عـــين الـــشمس مـــا تتغطّـــى

والأبيات التي أنشدها قاصداً إخفاء حاله، صيانة لتوجّه الإنكار على تجلِّيات محبوبه المحمّدي الربّانيّ ببدائع أفعاله التي هي كلّها عند المحبّ محاسن جماله اثنان وخمسون بيتاً. وقال الشارحان القيصري والبساطي واحد وخمسون بيتاً. وقال الشارح الأوّل أبو سعيد الفرغاني أستاذ القيصري ، وتلميذ الصدر القونوي الذي هو تلميذ الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي قدّس الله أسرارهم: إنّها ستة عشر بيتاً. وستمرّ بك بيتاً بيتاً.

٣٣٦- بَدَتْ فَرَأيْتُ الحَزْمَ فِي نَقْضِ تَوْبَتِي وَقَـامَ بِهَـا عِنْـدَ النُهـى عُـذْرُ مِحْنَتِـي

(بدت)[١]: أي ظهرت، ولم يقل لي لأنّ الظهور عام، والضمير يعود على الحقيقة المحمّديّة، والكلّ يشهدونها ولا يعلمون بها لاشتغالهم بما توجّهت عليه قلوبهم وانصرفت إليه، فليس ظهورها بأمر زائد على ما هو ظاهر للغافلين المحجوبين الذين إذا انفتحت بصائرهم يرونها عين ما هم له راؤون من قبل، كما قال تعالى: ﴿ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٨٩] فإنّهم كانوا إذا نظروا إليه صلّى الله عليه وسلّم لا يبصرون إلّا ساحراً، أو معلِّماً مجنوناً، أو نحو ذلك مما

(١) ورد على الهامش «بلغ». أي: بلغ مقابلة النص على نسخة المؤلف الشيخ عبد الغني النابلسي إلى هنا.

قالوه عنه صلّى الله عليه وسلّم. وأمّا المؤمنون به فكانوا إذا أبصروه أبصروا نبيّاً صادقاً، ورسولاً أميناً. وشتّان ما بين الرؤيتين.

وقوله (فرأيت): أي فاعتقدت، وهي الرؤية القلبيّة، يقال: رآه رأياً. وفي الصحاح: «الرؤية بالعين تتعدّى إلى مفعول واحد، وبمعنى العلم إلى مفعولين. يقال: رَأَيْتُ زيداً عالماً، ورأيت رُؤْيَةً. والرَأْيُ معروف، وجمعه آراء».

وقوله (الحزم): بفتح الحاء المهملة وسكون الزاي وبالميم، وهو ضبط الأمر، والأخذ فيه بالثقة وفي الصحاح: «ضبط الرجل أمره وأخذه بالثقة وقد. وقد حَزُمَ الرجل بالضمّ حَزَامة فهو حازم». وقوله (في نقض): أي إبطال توبتي الصادرة عنّي أوّلاً ممّا كنت أفعله في حالتي الأولى من التهتّك بالعشق، والمحبّة، والهوى، والشطح، والهيام. وقد تبتُ من ذلك، أي: رجعت عنه إلى حال الرسوخ، والخشوع، والحضور، ودوام الأدب الظاهر. وكانت تلك التوبة توبة الخواص من أحوال العوام الإلهيّن، فرأيت الآن نقض تلك التوبة هو الحزم والرأي السديد؛ لأنّ في العود إلى الحالة الأولى ستر المقام، ووقاية الحضرة الإلهيّة عن إنكار ما تتجلّى به من محن الآثام على هذا الرجل التامّ. وقوله (وقام بها): أي بهذه الحقيقة المحمّديّة المحبوبة العليّة. وقوله (عند النُهى): بضمّ النون، قال في الصحاح: «النُهْيَة بالضّمّ واحدة النُهَى، وهي العقول؛ لانّها تنهى عن القبيح».

وقوله (عُذْرُ): بضمّ العين المهملة وسكون الذال المعجمة ورفع الراء بالفاعليّة. وقوله (مِحنَتِي): مضاف إليه، قال في الصحاح: « المِحْنَةُ واحدة المِحَنِ التي يُمْتَحَنُ بها الإنسانُ من بَلِيَّة. ومَحَنْتُهُ وامْتَحَنْتُه، أي: اختبرته، والاسم: المِحْنَة». والمعنى: عذرني أربابُ العقول الراسخة في امتحاني به، وتعشّقي فيها، وهيامي في محبّتها، لأنّ جمالها حقيقة الجمال، وحسنها هو الظاهر لكلّ عاشق على حسب ما هو /[١٨١/ ب] فيه من الحال بمقتضى النقص والكمال.

٣٣٧- فَمِنْهَا أَمَانِي مِنْ ضَنَى جَسَدِي بِهَا   أَمَانِيُّ آمَالٍ سَخَتْ ثُمَّ شَحَّتِ

(فمنها): الفاء للتفريع على ما قبله، والضمير في منها للحضرة المحمّدية والحقيقة الأحمديّة المحبوبة العليّة. وقوله **(أماني)**: مبتدأ، أي: الأمان الحاصل لي، قال في القاموس: «الأَمْنُ والأَمَان: ضدّ الخوف، أَمِنَ كفرِحَ، أَمْناً وأَمَاناً بفتحهما». وقوله **(من ضنى جسدي)**: متعلّق بأماني؛ لأنّه صدر كما ذكرنا. و**(الضنى)**: المرض يقال: «منه ضَنِيَ، بالكسر، ضَنىً شديداً»، كما في الصحاح، وفي القاموس: «ضَنِيَ كرَضِيَ، ضَنىً: مَرِضَ مَرَضاً مُخامِراً، كُلَّما ظُنَّ بُرْؤُهُ نُكِسَ، وأَضْنَاهُ المرض».

و**(الجسد)**: هو الجسم. وقوله **(بها)**: أي بسبب محبّة هذه الحقيقة المحمّديّة المذكورة؛ والمعنى: إنّ حصول الأمان لي من سقمي في محبّتها. وقوله **(أمانيّ)**: بتشديد الياء التحتيّة، خبر المبتدأ، أي ذلك الأمان مجرّد (أمانيّ): جمع أمنيّة، بضمّ الهمزة وسكون الميم وكسر النون، قال في القاموس: تَمَنَّاه: أراده، تَمْنِيَةً، وهي المُنْيَةُ، بالضمّ والكسر. والأُمْنِيَّةُ بالضمّ. وفي الصحاح: الأُمْنِيَّةُ: واحدة الأَمَانِي، تقول منه: تَمَنَّيْتُ الشيءَ، ومَنَّيْتُ غيري تَمْنِيَه». وقوله (آمال): بالمدّ، جمع أَمَل بالتحريك، قال في القاموس: «الأَمَل كجَبَلٍ، ونَجْمٍ ،وشِبْرٍ: الرجاء، وجمعه آمال». ومعنى ذلك: إنّ الأمان المذكور وهو مرادات ومقاصد مضافات إلى آمال، وإنّما جَمَعَها لتنوّع جهاتها.

ثمّ إنّه وصف تلك المرادات أو الآمال بقوله **(سَخَتْ)**: بفتح السين المهملة وفتح الخاء المهملة وتاء التأنيث الساكنة، من السَخَاء، قال في الصحاح: «السَّخَاوَة، والسَخَاء: الجُود، يقال منه: سَخَا يَسْخُو، وسَخِيَ يَسْخَى». وقوله **(ثمّ شَحَّتْ)**: بفتح الشين المعجمة وتشديد الحاء المهملة وكسر التاء للقافية؛ يعني: إنّ تلك الأماني والمقاصد، أو تلك الآمال سمحت أولاً فكثرت عندي حتى حصل لي بها الأمان من السقام والمرض، ثمّ شحّت عليّ وبخلت. قال في القاموس: «الشّح مثلثة، البُخْل والحِرْص». وفي الصحاح: «الشُّحُ :البُخلُ مع حِرْص، يقال: شَحِحْتُ بالكسر، وشَحَحْتُ أيضاً، تَشُحّ وتَشِح، ورجل شَحِيح، وقوم شِحاح».

٣٣٨- وَفِيْهَا تَلافِي الجِسْمِ بِالسُّقْمِ صِحَةٌ   لَـهُ وَتَـلافُ الـنَّفْسِ نَفْـسُ الفُتُـوَّةِ

(وفيها): أي في هذه الحقيقة الحمّديّة المحبوبة العليّة. وقوله (تلافي): قال في الصحاح: «تلافيته: تداركته». وفي القاموس: « تلافاه: تَدارَكَهُ. وقوله (الجسم بالسقم): السُقْم كقُفْل: المرض، كذا في القاموس. وقوله (صحة): خبر المبتدأ الذي هو تلافى. والمعنى: تداركُ الجسم بالمرض، والضعف في محبّتها هو الصحة والعافية والشفاء. وقوله (له): أي للجسم. وقوله (وتلافُ): مصدر تَلِفَ يَتْلَف تَلَفاً، يعنى: هلاك النفس وفناؤه، واضمحلالها بالكليّة في المحبّة (نفس): أي عين الفتوّة. قال في الصحاح: « الفتَى: السَخيّ، الكريم، يقال: هو فَتَى بيِّن الفتوّة»، وفي القاموس: «الفُتُوَّة: الكرم».

٣٣٩- وَمَـوْتِي بِهَـا وَجْـدَاً حَيَـاةٌ هَنِيْئَـةٌ   وَإنْ لَـمْ أمُتْ فَي الحبّ عِشْتُ بِغُصَّتِي

(وموتي بها): أي بسبب الحقيقة المحبوبة المذكورة. وقوله (وجداً): تمييز، وهو الشوق الشديد والحزن المديد. وقوله (حياة): خبر المبتدأ الذي هو موتي في المحبّة. وقوله (هنيئة): صفة لحياة، قال في الصحاح: «هَنُؤَ الطعام يَهْنُؤ هَنَاء، أي: صار هَنِيْئاً، وكلّ أمر يأتيك من غير تعب فهو هَنِيء». وفي القاموس: «الهَنِيء والمَهْنَأ: ما أتاك بلا مشقّة». وقوله (وإنْ لم أمت في الحبّ): أي في المحبّة والعشق.

وقوله (عِشْتُ): من عَاشَ يَعِيْشُ عِيشة، والعيش: الحياة، كذا في القاموس. وقوله (بغصتي): متعلّق بـ(عشتُ). أو الباء للملابسة، أي ملابساً لغصّتي. يعني: ملازماً لها. و(الغُصّة): بضمّ الغين المعجمة وتشديد الصاد/ [١٨٢/ أ] المهملة والهاء. وجمعها: غُصص، وهي ما اعترض في الحلق فأشرق من عظم ونحوه، فإنّ بقاءه حيّاً في حلق روحانيّته كالغصّة الناشئة في الحلق لا يقدر صاحبها معها؛ أنْ يتنفّسَ ولا تذهب عنه فيستريح منها. وكذلك حياته الوهميّة مجرّد دعوى نفسانيّة زائلة على كلّ حال.

٣٤٠- فَيَا مُهْجَتِيْ ذُوبِي جَوَىً وَصُبَابَةً   وَيَا لَوْعَتِي كُونِي كَذَاكَ مُذِيْبَتِي

(فيا مهجتي): المُهْجَة: الدم، أو دم القلب والروح، كذا في القاموس. وفي الصحاح: « يقال خرجت مهجته: إذا خرجت روحه؛ وهو المراد هنا. وقوله (ذوبي): فعل أمر خطاب لروحه، وذوبان الروح كناية عن تلاشيها واضمحلالها في أصلها الذي هو أمر الله تعالى، قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨٥] وقوله (جَوَىً): أي عشقاً (وصبابة): أي شوقاً، أي: من أجل ذلك. وقوله (ويا لوعتي): اللَوْعَةُ حُرْقَةٌ في القلب، وألم من حبٍّ، أو هَمٍّ، أو مرض، ولَاعَهُ الحبّ، كذا في القاموس (كوني): فعل أمر (كذاك): أي: كالجوى والصبابة المذكورين. وقوله (مُذِيْبَتِي): أي ماحقّة كلِّي، ومُفْنِيَتَهُ حتّى لا يبقى منّي شيء أصلاً، لا روح، ولا نفس، ولا جسد؛ ليظهر الجود الحقّ، كما هو ظاهر على ما هو عليه، «كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما هو عليه كان».

٣٤١- وَيَا نَارَ أَحْشَائي أَقِيْمِي مِنْ الجَوَى   حَنَايَا ضُلُوعِي فَهْيَ غَيْرُ قَوِيْمَةِ

(ويا نار أحشائي): كناية عن حرارة العشق والمحبّة. وقوله (أقيمي): يقال أقام الشيءَ: أزال عوجه، وعدله فاعتدل. وقوله (من الجوى) بيان لنار الأحشاء (والجوى): العشق. وقوله (حنايا): جمع حَنِيَّة كغَنِيَّة، صفة (للضلوع): جمع ضلع. وأصل الحَنِيَّة: القوس، شبّه الضلع بها لانحنائه واعوجاجه. قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه: «اعوجاج القوس استقامته، واعوجاج النفوس عن الصراط المستقيم هو استقامتها، فإنّ المرأة خُلقت من ضلع أعوج، فلو ذهبت تقوِّمه كسرته، ولا يخرج السهم إلا من اعوجاج قوسه، فيصيب الغرض المقصود، ولا يقوم الضلوع المنحنية المعوجّة إلا نار العشق، فتنكسر بها الضلوع، وتذهب النفوس، ويظهر حكم الأرواح على نشاء الأشباح».

٣٤٢- وَيَا حُسْنَ صَبْرِي فِي رِضَا مَنْ أُحِبُّهَا   تَجَمَّلْ وَكُنْ لِلدَّهْرِ بِي غَيْرَ مُشْمِتِ

(ويا حسن صبري): أي يا صبري الحسن، يعني: الذي حسن موقعه منّي.

وقوله (في رضا مَنْ أُحِبُّهَا): أي كائناً في كلّ أمر ترضى به المحبوبة الحقيقيّة. ولم يقل في إرادتها لأنّ الرضا منها لا يكون إلا بالخير، والإرادة للخير والشرّ، وفيه إشارة إلى أنّه لا يفعل إلا ما ترضى به من الخير وإنْ كان مُشِقّاً عليه مَشَقَّةً تقتضي حسن الصبر منه، قال تعالى: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾ [١٩/ مريم/ ٦٥].

وقوله (تجمّل): فعل أمر خطاب منه لصبره، أي: كن صبراً جميلاً. وفي الحديث «الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه»[1]: أي إلى الخلق. ذكره البيضاوي في قوله تعالى حكاية عن يعقوب عليه السلام: ﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٞ﴾ [١٢/يوسف/١٨] مع كثرة بكائه على يوسف عليه السلام، وشدّة حزنه وشكايته حتى قال: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [١٢/ يوسف٨٦] يعني: لا إلا غيره ممن تروني أشكو إليه ﴿وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ في تجلّيه بالمظاهر. وقوله (وكن): أي يا صبري. (للدهر): أي لأهل الدهر. (بي) غير (مُشمِتٍ): يعني لا تشمت بي أحداً من الناس، قال في القاموس: «شَمِتَ كفَرِحَ شَمَاتاً وشَمَاتَةً: فَرِحَ بِبَلِيَّة العدو».

٣٤٣- ويَا جَلَدِي فِي جَنْبِ طَاعَةِ حُبِّهَا   تَحَمَّـلَ عَـدَاكَ الكَـلُّ كُـلَّ عَظِيْمَـةِ

(ويا جَلَدِي): بالتحريك، أي: شدّتي وقوّتي. وقال في الصحاح: «الجَلَدُ: الصَلَابَة والجَلادة تقول منه: جَلُدَ الرجلُ بالضمّ فهو جَلْدٌ، وجَلِيْد، بَيِّنُ الجَلَدِ والجَلَادَة. وقوله (في جنب)/ [١٨٢/ ب] أي: جانب، قال في الصحاح: «يقال قعدت إلى جنب فلان، وإلى جانب فلان بمعنى». وقوله (طاعة حبِّها):أي المحبوبة الحقيقيّة. وقوله (تَحَمَّل): فعل أمر من التحمّل، قال في الصحاح: «حَمَلْتُ أدْلَالَهُ واحْتَمَلْتُ بمعنى»، قال الشاعر:

أدلَّتْ فلم أحمل وقالت فلم أجب   لعمـرو أبيهـا إنَّنِـي لظلـوم

---

(١) أخرجه البيهقيّ في شعب الإيمان، باب: فصل ذكر ما في الأوجاع والأمراض، ١٠٠٧٦، عن الحسن بن عمرو قال: سمعت بشر بن الحارث يقول: الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه إلى الناس.

وفي القاموس: « حَمَّلَهُ الأمرَ تَحْمِيلاً فَتَحَمَّلَه». وقوله (**عداك الكَلُّ**): جملة معترضة للدعاء. (**وعداك**): تعدّاك وجاوزك، وتركك، والكَلّ بفتح الكاف وتشديد اللام فاعل عدَّاك، وهو التعب والعيّ. وقوله (**كلَّ**) مفعول تحمّل. و(**عظيمة**): نعت لقضيّة أو واقعة، أي: كلّ قضيّة عظيمة من قضايا المحبّة والعشق.

٢٤٤- وَيَا جَسَدِي المُضْنَى تَسَلَّ عَنْ الشَّفَا وَيَـا كَبِـدِي مَـنْ لِي بَـأنْ تَتَفَتَّـي

(**ويا جسدي**): أي يا جسمي. (**المُضْنَى**): بصيغة اسم المفعول، أي: الذي أضناه، أي أسقمه العِشق، قال في الصحاح: « الضَنَى: المرض، يقال منه: ضَنِيَ، بالكسر ضَنَىً شديداً، وأَضْنَاهُ المرض، أي: أثقله». وقوله (**تَسَلَّ**): بتشديد اللام، فعل أمر من التَسلّي، قال في الصحاح: « سَلَّانِي مِن هَمِّي تَسْلِيَةً، وأَسْلَانِي، أي: كشفه عَنِّي، وانْسَلَى عنه الهَمُّ وتَسَلَّى بمعنى، أي: انكشف». وقوله (**عن الشفا**): أي عن العافية من الضَنَى، متعلّق بـ (تَسَلَّ).

وقوله (**ويا كَبِدِي**): بفتح الكاف وكسر الباء الموحّدة، كناية عنّ القلب الصنوبري الذي وسط الجسد، قال في الصحاح: « كَبِدُ السماء: وسطها، وتَكَبَّدَتِ الشمس، أي: صارت في كَبِدِ السماء، وكَبِدُ القوس مَقْبِضُهَا». وفي القاموس: «الكَبِدُ ككَتِف: الجَوْف بِكَمَالِه، ووَسَطَ الشيءِ، ومُعْظَمُهُ». وقوله (**مَن**): اسم استفهام، بمعنى أي: إنسان يعينني ويساعدني ويسعفني. وقوله (**بأن تَتَفَتَّتِي**): أي على تَفَتُّتِكِ، قال في الصحاح: «فَتَّ الشيءَ، أي: كَسَرَهُ، فهو مَفْتُوْتٌ وَفَتِيتٌ. والتَفَتُّتُ: التَكَسُّر». والمعنى في ذلك: إنّ المحبّ يطلب الموت في حياة محبوبه، والفناء والاضمحلال في وجوده ليتّحد به، ولا يبقى له حياة ينازعه بها، ولا وجود يشاركه فيه.

٣٤٥- وَيَا سَقَمِي لَا تُبْقِ لِي رَمِقاً فَقَدْ أَبَيْـــتُ لِبُقْيَـــا العِـــزِّ ذُلَّ البَقِيَّـــةِ

(**ويا سَقَمِي**): بفتح السين المهملة وفتح القاف، كجَبَل: المرض، سَقِمَ كفَرِح وكَرُم، فهو سَقِيْمٌ. وقوله (**لا تُبْقِ**): أي لا تَتْرُكْ، مجزوم بلا الناهية. وقوله (لي

رَمَقاً): بفتح الراء وفتح الميم، قال في الصحاح: « الرَّمَق بقيّة الروح». وفي القاموس: « الرَمَقُ، محرّكة: بقيّة الحياة». وقوله (فقد أَبَيْتُ): من أَبى الشيءَ يَأْباه ويَأْبِيهِ: كَرِهَهُ، كذا في القاموس. وقوله (لِبُقيا): بضمّ الباء الموحّدة وسكون القاف وبالياء المثنّاة التحتيّة بعدها ألف، قال في القاموس: « بَقِيَ يَبْقَى بَقَاءً: ضدّ فَنِيَ، والاسم البَقْوَى، كدَعْوَى، ويضم، والبُقْيَا، الضمّ، والبَقِيَّة». وقوله (العِزّ): ضدّ الذلّ. وقوله (ذلَّ): بالنصب مفعول أَبَيْتُ. والمعنى: فقد كرهت ذلّ البقيَّة إذا بقيت منّي لتحصيل بقايا العزّ الحقيقيّ؛ فإنّ البقيّة منّي مغايرة للمحبوب، وهي وَهْمٌ زائل ليس تحته طائل، قال تعالى: ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾ [١١/ هود/ ٨٦] أي: ما يبقى من العبد بعد فنائه؛ وهي قيّومة الحقّ تعالى عليه، والله تعالى هو الباقي، والعزّ للباقي، والذلّ للفاني.

٣٤٦- وَيَا صِحَّتِي مَا كَانَ مِنْ صُحْبَتِي انْقَضَى وَوَصْلُكَ فِي الأَحْيَاءِ مَيْتاً كَهِجْرَةِ

(ويا صِحَّتِي): بكسر الصاد المهملة وتشديد الحاء المهملة مفتوحة، قال في القاموس: «الصِحَّةُ بالكسر: ذهاب المرض». وقوله (ما كان): أي وجد في الزمن الأوّل. وقوله (من صحبتي): بيان (لما): أي مصاحبتي لك، ومعاشرتي معك. والصُحبة: مصدر صَحِبَهُ كسَمِعَهُ، صُحْبَةً: عَاشَرَهُ». وقوله (انقضى): أي مضى حكمه؛ فلا عَوْدَ له. وقوله (ووصلك): أي وصالك في جملة (الأحياء): جمع حيّ، أي:/ [١٨٣/ أ] القوم الأحياء، أو الأحياء: المنازل. والخطاب للصحّة. وقوله (ميتاً): مفعول وصلك. وكنّى بالميت عن نفسه. وقوله (كهجرة): أي بمنزلة الهجرة عن ذلك الميت؛ إذ لا ينقطع بك؛ لأنّه ميت، والميت لا يحسُّ بالوصل. قال المتنبّي:

من يهن يسهل الهوان عليه ... ما لجرح بميِّت إيلام

و(الهِجْرَةُ): بكسر الهاء وسكون الجيم، الاسم من الهَجْرِ، ضدّ الوصل. وقد هَجَرَه هَجْراً وهِجْرَاناً، كذا في الصحاح. وفي القاموس: «هَجَرَهُ هَجْراً، بالفتح،

وهِجْرَاناً بالكسر: صَرَمَهُ، و ـ الشيء تَرَكَهُ، والاسم الهِجْرَة، بالكسر».

٣٤٧- وَيَا كُلَّ مَا أَبْقَى الضَّنَى مِنِّي ارْتَحِلْ   فَـمَا لَـكَ مَـأْوَى فِي عِظَـامٍ رَمِيْمَـةِ

(ويا كلّ): بالنصب، يا حرف نداء. و(كلّ): منادى مضاف إلى قوله (ما): أي الذي أبقى، أي: ترك. و(الضنى): السقم فاعل أبقى. و(مِنِّي): متعلّق بأبقى. وقوله (ارتحلْ): فعل أمر، خطاب للباقي من الضنى. وقوله (فما) نافية. و(لك): جار ومجرور في محل نصب على أنّه خبر مقدّم لما النافية الحجازيّة العاملة عمل ليس. وقوله (مأوى): اسم (ما): وهو المكان. يقال: أَوَيْتُ مَنْزِلِي وإلى منزلي: نَزَلْتُ بنفسي وسَكَنْتُه، كذا في القاموس. وقوله (في عظام): صفة لمأوى، جمع عَظْم. (رَمِيْمَةِ): نعت لعظام، قال في الصحاح: الرِمّة بالكسر: العِظام البالية، والجمع: رِمَم ورِمَام، تقول منه: رَمّ العَظْمُ يَرِمُّ، بالكسر، رَمَّةً، أي: بَلِيَ؛ فهو رَمِيْمْ، وإنّما قال تعالى: ﴿مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ [٣٦/ يس/ ٧٨] لأنّ فَعيلاً وفَعولاً قد يستوي فيه المذكّر والمؤنّث والجمع، مثل: رسول وصديق وعدو». فإنّ الحقّ تعالى إذا كان يحيي العظام الرميمة، وإنّها تحيا بحياته القديمة، فلا حاجة إلى حياتها بما أبقى الضنى منها؛ فإنّ ذلك حياة عرضيّة، فانية، عديمة.

٣٤٨- وَيَا مَا عَسَى مِنِّي أُنَادِي تَوَهُّمَاً   بِيَـاء النِّـدَاءِ أُونِـسْتُ مِنْـكَ بِوَحْـشَةِ

(ويا): حرف نداء. وقوله (ما): كناية عن شيء حقير. وقوله (عسى): فعل من أفعاله المقاربة، وفيه طمع، وإشفاق، ولا يتصرّف؛ لأنّه وقع بلفظ الماضي لما جاء في الحال، تقول: عسى زيدٌ أن يخرج، وعست فلانةُ أن تخرج، فزيد فاعل عسى، وأنّه يخرج مفعولها، وهو بمعنى الخروج إلّا أنّ خبرها لا يكون اسماً، لا يقال عسى زيدٌ منطلقاً، كذا في الصحاح. وقوله (منّي): أي من بقيّتي التي فنيت واضمحلّت من المحبّة والعشق. وقوله (أنادي): وفي نسخة (أناجي): من المناجاة. والمعنى: يا شيئاً حقيراً قليلاً من حقيقتي وعيني وذاتي متوهَّماً وجوده، لا

محقّقاً عسى أناديك أو أناجيك توهماً. وقوله (بيا النداء): أي بأن أقول لك يا فلان، كناية عن نفسه الموهومة عنده. وقوله (أُونِسْتُ): بضمّ الهمزة مبني للمفعول، أي: جُعلتُ ذا أُنس، أيَ: تأنّس، والأُنس: ضدّ الوحشة. وقوله (منك): الخطاب لما عسى يناديه أو يناجيه منه بطريق التوهّم. وقوله (بوحشة): متعلّق بأُونست.

٣٤٩- وَكُلُّ الذِي تَرْضاهُ وَالمَوْتُ دُوْنَهُ بِـهِ أَنَـا رَاضٍ والـصَبَابَةُ أرْضَـتِ

(وكلّ الذي ترضاه): أي المحبوبة الحقيقيّة، من أنواع البلايا والمحن. وقوله (والموت دونه): أي دون ذلك الأمر الذي ترضى به. والواو للحال. والجملة في محل نصب على أنّها حال من الذي، أي: أشدّ من الموت. وقوله (به): متعلّق براضٍ، قُدّم للحصر أو للاهتمام. والضمير راجع إلى الذي ترضاه. وقوله (والصَبَابَةُ): أي شدّة المحبّة والعشق. (أرضت): بكسر التاء للقافية، أي: أرضتني، ولولاها لما رضيت.

٣٥٠- وَنفْسِي لَمْ تَـجْزَعْ بِإتْلَافِهَا أسىً ولـوْ جَزِعَـتْ كَانَـتْ بِغَـيْرِيْ تَأَسَّـتِ

(ونفسي لم تجزع): من الجَزَع، وهو نقيض الصبر، وقد جَزِعَ من الشيء بالكسر وأَجْزَعَهُ غيرُه، كذا في الصحاح. وقوله (بإتلافها): أيَ هلاكها. وقوله (أسىً): أي حزناً وهو تمييز/ [١٨٣/ ب] وقوله (ولو جزعت): جَزِعَ، كفَرِحَ جَزَعَاً وجُزُوْعاً: نقيض صَبَرَ، كذا في القاموس. وقوله (كانت): أي نفسي. وقوله (بغيري): متعلّق بتأسّت. و(تَأَسَّتِ): أي اقتدتْ، وكُسرتْ التاء للقافية، قال في الصحاح: « ائتسى به، أي: اقتدى به، يُقال: لا تَأْتَسِ بمن ليس لك بأُسْوَة، أي: لا تقتدِ بمن ليس بقدوة». والمعنى: إنّ نفسي لو جَزِعَتْ، ولم تصبر على هلاكها وإتلافها في أحزان المحبّة والشوق، ومكابدة الهوى ولواعج التوق، لاقتدت في ذلك بغيري من بقيّة نفوسِ البشر، ولا غير عندي؛ لأنّ نفسي لَمّا تلفت بكشفي

عنها كانت مجرّد أوهام خياليّة، وأفكار رديّة، وحركات خواطر طبيعيّة منبعثة عن توجّهات روحانيّة من أمر الحضرة الإلهيّة، كما قلت في مطلع أبيات لي في ديواني:

أنـــت في بالـــك خـــاطر فــانمحيي عنــك وخــاطر

وصـــل الجــزء بكـــلّ ثــمّ كُــن للكــلّ فاطــر

وإذا بـــان همـــام لــكَ مــن نفــسك[1] شــاطر

عـــدّ مـــن سلـــسلة النفـــس واغـــلال الخـــواطر

فعند ذلك عرفتُ بأنّ جميع النفوس مثل نفسي، فتلفتْ مع تَلَف نفسي جميعُ النفوس، فلم يبقَ عندي غَيْرٌ أَتَأَسَّى به، وأقتدي بجَزَعِهِ إذا جزع، ومتى ثبت غيري ثبتت نفسي عندي؛ فإنّ النفوس كلّها أمثال مضروبة ولا يعقلها إلّا العالمون. والنفس أصلها واحدة، كما قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [٤/ النساء/ ١] ولها ظهور بما ذكرنا من الأوهام والخواطر في كلّ نشأة إنسانيّة، وهيئة جسمانيّة، ومادة منجبلة طبيعيّة.

٣٥١- وَفِي كُلِّ حَيٍّ كُلُّ حَيٍ كَمَيِّتٍ بِهَا عِنْدَهُ قَتْلُ الهَوَى خَيْرُ مِيْتَةِ

(وفي كلّ حيٍّ): أي قبيلة من القبائل، قال في القاموس: «الحَيُّ: البَطْنُ من بُطُونِ العرب». وفي الصحاح: «الحَيُّ: واحد أحياءِ العرب». وذلك كناية عن صورة كلّ شيء؛ لأنّ القرآن عربي، وهو كلام الله المنزل، وقال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [٦/ الأنعام/ ٢٨] والأشياء كلّها آثار كلمات الله ، ومظاهر تجلّياته تعالى بها. وقوله (كلّ حيّ): ضدّ الميت، قال في الصحاح: « الحياة: ضدّ الموت، والحيّ: ضدّ الميت، ومعلوم أنّ كلّ شيء حيّ؛ لأنّه يسبّح ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٤٤] وينطق: ﴿أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [٤١/ فصلت/ ٢١]

---

(١) في ديوان الحقائق للشيخ النابلسي: «ذاتك».

وورد في الأثر: «يشهد للمؤذن صوته من رطب ويابس» وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَيٍّ﴾ [٢١/الأنبياء/ ٣٠]. وقُرِئ ﴿حياً﴾ على أنّه صفة كلّ، أو مفعول ثانٍ، ذكره البيضاوي. وقوله (كميِّت): من حيث أنّه لا تصرّف له في حياته بإبقاء أو انتزاع، فحياته كلا حياة.

وقوله (بها): متعلّق بـ(قتل الهوى): أي بسببها، والضمير للمحبوبة الحقيقيّة. وقدّم المجرور للحصر، أي: لا بغيرها؛ إذ لا غير لها، كما مرّ. وقوله (عنده): أي عند كلّ حيّ كميّت. وقوله (قتل الهوى): أي الإتلاف والهلاك في المحبّة والعشق. (خير مِيْتَةٍ): بكسر الميم، أي: نوع من الموت، قال في القاموس: «والمَيْتَةُ: ما لم تلحقه الذّكاة، وبالكسر: النوع» وفي الصحاح: «والمَيْتَة: ما لم تلحقه الذكاة، والمِيْتَةُ، بالكسر، كالجِلْسَةِ والركبة، يقال: مات فلان مِيْتَةً حَسَنَةً». فـ(خَيْرٌ): هنا أفعل تفضيل، أي: أفضل المِيتات عند كلّ حيّ هي المِيتة التي بقتل المحبّة الإلهيّة والعشق؛ لأنّ فيها ظهور الحياة الأبديّة، وهي الشهادة الإلهيّة، قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [٣/آل عمران/ ١٨] وهذا من حيث هو. ثمّ قال تعالى بعده: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ وهو ظهور أمره الحقّ، كما قال سبحانه: ﴿وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ [٢١/الأنبياء/ ٢٧] وتمم بعد ذلك بقوله: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ/ [١٨٤/ أ] قَآئِمًا بِٱلْقِسْطِ﴾ [٣/آل عمران/ ١٨] وهو نهاية الكمال في تجلّيات الجلال والجمال بمظاهر الكاملين من الرجال، وهم شهود الحقّ.

٣٥٢- تَجَمَّعَتِ الأَهْوَاءُ فِيهَا فَمَا تَرى بِهَا غَيْرَ صَبٍّ لَا يَرَى غَيْرَ صَبْوَةِ

(تجمّعت): أي اجتمعت. (الأهواء): جمع هَوَى مقصور، وهو هَوَى النفس، والجمع: الأَهْواء، ذكره في الصحاح. وقوله (فيها): أي في المحبوبة الحقيقيّة؛ فالكلّ يَهْوَونَها ويحبّونها، وهي تحبّهم أيضاً، ولولا محبّتها لهم ما ظهَرَ ودٌّ. ولولا محبّتهم لها ما ظهرت لهم؛ فتجلّت لهم بهم؛ فأحبّوا أنفسهم؛ لا بل هي أحبت أنفسهم بهم، وتجلّيها عليهم بكلّ ما تجلّت به، فأحبّوا ما تجلّت به عليهم؛ لا بل

أحبّوها بكلّ ما أحبّوا به غيرها؛ لا بل أحبّت هي نفسها بكلّ ما أحبّوها به. وقوله **(فما ترى)**: أي ببصرك، أو ببصيرتك من جميع المحسوسات والمعقولات. **(غير صبّ)**: أي محبّ عاشق لها. وقوله **(لا يرى)**: أي ذلك الصبّ من نفسه ومن غيره ببصره وبصيرته. وقوله **(غيرَ)**: مفعول يرى إنْ كانت الرؤية بالبصر. ومفعوله الثاني بتقدير يرى أحداً، غير إن كانت الرؤية بالبصيرة كقوله المتقدّم: **(فما ترى)**. وقوله **(غيرَ صَبْوَةٍ)**: في الأصل جَهْلَةُ الفُتُوَّة، ثمّ استعمل في الحنين إلى الشيء، قال في القاموس: « صَبَا إليها: حَنَّ». ثمّ استعملت بمعنى العشق والمحبّة، وهي المراد هنا؛ أي: لا يدرك غير أهل صَبْوَة، أو لاً يعتقد غيرَ الصَبْوَة، كما قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه:

أدين بدين الحبّ آنّى توجهت ركائبه فالحب ديني وإيماني

٣٥٣- إِذَا سَفَرَتْ فِي يَوْمِ عِيْدٍ تَزَاحَمَتْ عَلَى حُسْنِهَا أَبْصَارُ كُلِّ قَبِيْلَةِ

(إذا سَفَرَت): أي كشفت، قال في القاموس: « سَفَرَ الصُّبْحُ يَسْفِرُ: أضَاءَ وأَشْرَقَ كأَسْفَرَ، و ـ المَرأَةُ: كَشَفَتْ عن وجهها؛ فهي سَافِر». والضمير المستتر للمحبوبة الحقيقيّة. وقوله **(في يوم عيد)**: واليوم الذي تسفر فيه عن وجهها فهي هو يوم العيد، وهو اليوم الذي يراها فيه محبُّها بعينها التي تراه، كما ورد «كنت بصره الذي يبصر به»[1] قال ابن غانم المقدسي قدّس الله سرّه:

ومخطوبة للحسن محجوبة فلا يألفنّ السوى إلفها

إذا رام عاشقها نظرة ولم يستطع إذ علا وصفها

أعارته طرفاً رآها به فكان البصير لها طرفها

(١) انظر تخريجه ص١٤٦.

وعينها التي رآها بها هي وجهها الذي سفرت عنه. والعيد مشتق من العَوْد، قال في تعالى: ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ [٢١/الأنبياء/ ١٠٤] أي: فاعلين البداء والإعادة في كلّ طرفة عين؛ لأنّه أمر الله الذي هو كلمح بالبصر؛ فبداء الخلق صوم؛ لأنّه إمساك عن الغير؛ إذ لا غير فيه، والإعادة التي هي كالبداء تكرار فهي فرحة بالفطر، وهي عيد الفطر، كما في الحديث «للصائم فرحتان، فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربّه»[1].

وقال عليه الصلاة والسلام: «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته»[2]. والرؤية واحدة كما أنّ المرئي واحد، وهو القمر في أوّل الشهر وفي آخره. وقد ورد: «إنّكم سترون ربّكم كما ترون القمر»[3] وكذلك الرائي واحد «كنت بصره الذي يبصر به»[4]. سواء عرف ما قلناه من عرف، أو جهله من جهل قال تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ [٦٩/الحاقة/٣٨] فإنّ ما أبصروا وما لم يبصروا حقّ محقّق. وقوله (تزاحمت): أي زاحم بعضُها بعضاً، قال في القاموس: «زَحَمَه كمَنَعَه: ضايَقَهُ، وازْدَحَم القومُ وتَزَاحَمُوا». وقوله (على حسنها): أي المحبوبة الحقيقيّة التي سَفَرت عن وجهها، كما مرّ. والجار والمجرور متعلّق بتزاحمت. وقوله (أبصار): فاعل تزاحمت، جمع بصر. وقوله (كلّ قبيلة): أي طائفة من خلق الله تعالى كما سبق بيانه./ [١٨٤/ ب].

٣٥٤- فَـأَرْوَاحُهُم تَـصْبُو لِمَعْنى جَمَالِـهَا　　وأَحْـدَاقُهُم مِـنْ حُـسْنِها فِي حَدِيْقَـةِ

(**فأرواحهم**): أي أرواح كلّ قبيلة في البيت قبله، وهي جمع روح، قال في القاموس: « الرُوح، بالضمّ: ما به حياة الأنفس، ويؤنّث». وقوله (**تصبو**): أي

---

(١) قطعة من حديث أخرجه أحمد في المسند، مسند أبي هريرة، ٩٩٦٥، وله طرق كثيرة .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب: قول النبيّ إذا رأيتم الهلال فصوموا، ١٩٠٩.

(٣) انظر تخريجه ص٢٧١.

(٤) انظر تخريجه ص١٤٦.

تميل، قال في الصحاح: «صَبَا يَصْبُو صَبْوَةً وصُبُوّاً، أي: مال إلى الجهل». وقوله (لمعنى جمالها): أي المحبوبة الحقيقيّة، ومعنى جمالها هو ما تعنيه، أي: تقصده وتريده من إظهار صور تجلِّياتها من المخلوقات المحسوسة والمعقولة. وقوله (وأحداقهم): جمع حَدَقَة، محرّكة: سواد العين، وجمعها: حَدَق وأَحْدَاق، كذا في القاموس. والضمير راجع إلى ما رجع إليه ضمير أرواحهم. وقوله (من حسنها): أي المحبوبة الحقيقيّة في حديقته، وهي الروضة ذات الشجر والبستان من النخل والشجر، أو كلّ ما أحاط به البناء، أو القطعة من النخل، كذا في القاموس والمعنى: إنّهم يتنزّهون في آثار صفاتها الحسنى، وذلك مجموع العوالم.

٣٥٥- وَعِنْدِيَ عِيْدِي كُلَّ يَوْمٍ أرَى بِهِ جَمَـــالَ مُحَيَّاهَـــا بِعَـــيْنٍ قَرِيـــرَةِ

(وعندي): أي بالنسبة إليّ مما يقتضيه مقامي في ديني، ومذهب محبّتي الإلهيّة، حتى لا يكون جاحداً للعيدين الشرعيّينِ، أو قد زاد عليهما بما يخالف الحكم الظاهر. وقوله (عيدي): أي يوم جمعي، وفرحي، وسروري، قال في القاموس: العِيْد بالكسر: ما اعتاد من همّ، أو مرض، أو حزن، ونحوه، وكلّ يوم فيه جمع. وعَيَّدوا: شهدوه. وقوله (كلّ يوم): خبر المبتدأ، وهو عيدي. والمراد باليوم مالا يتجزأ من الزمان؛ فإنّ المحبوبة الحقيقيّة تلبس فيه ثياباً فاخرة غير ما كانت لابسة في اليوم قبله، قال تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ٢٩] وقال تعالى لموسى عليه السلام: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ [١٤/ إبراهيم/ ٥] وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ﴾ [٦/ الأنعام/ ٧٢].

وقوله (أرى به): أي فيه، بالعين الباصرة، وعين القلب؛ وهي البصيرة. وقوله (جمال): مفعول أرى. و(محيّاها): أي محيّا المحبوبة الحقيقيّة؛ يعني: وجهها، قال تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [٢/ البقرة/ ١١٥] وفي القاموس: « الوَجْهُ مُسْتَقْبَل كلّ شيء، ونفس الشيء». وقوله (بعين قريرة): قال في القاموس: «قَرَّت عينُه تَقَرُّ بالكسر والفتح، قُرَّةً، ويضمّ. وقُرُوراً: بَرَدَتْ، وانقطع بكاؤها، أو رأت ما كانت

متشوِّقة إليه». وفي الصحاح: « قَرِرْتُ بِه عيناً قُرَّةً، وقَرِرْتُ به عيناً وقُرُوراً فيهما، ورجل قَرِير العين، وقد قَرَّت عينه تَقِرُّ وتَقَرُّ نقيض سَخُنَت. وأَقَرَّ الله عينَه، أي: أعطاه حتى تَقَرَّ فلا تطمح إليه من هو فوقه، ويقال: حتّى تَبْرُد ولا تَسْخَنُ، فللسرور دمعة باردة، وللحزن دمعة حارّة».

٣٥٦- وَكُلُّ اللّيَالِي لَيْلَةُ القَدْرِ إنْ دَنَتْ   كَمَا كُلُّ أَيَامِ اللِقَا يَوْمُ جُمْعَةِ

(وكلّ الليالي): جمع ليلة، أي: ليالي الدّهر كلّه، وهي ليالي تجلّيها بمظاهر الأسماء الحسنى والصفات العليا، وملابس الأكوان، وحجب الأعيان، قال ابن عطاء الله الإسكندري في حِكَمِهِ: « الكون كلّه ظلمة إنّما أناره ظهور الحقّ فيه، فكلّ ليلة كونيّة وظلمة إمكانيّة ثوب أسود تتجلّى به الحقيقة النوريّة على بصر العاشق وبصيرته الإنسانيّة». وقوله (ليلة القدر): بسكون الدال المهملة، وهي الليلة التي نزل فيها القرآن، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [٩٧/ القدر/ ١] وهي القلب المحمّدي المودع في الجسم الطاهر من الأغيار، الظاهر بالمعارف الإلهيّة والأسرار، بطريق إرث العلوم، وآداب الكمالات والفهوم. نشأة فاضلة، وهيئة كاملة، محفوظة الأعمال، مصونة الأحوال، مستقيمة الأقوال: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ﴾ [٢/ البقرة/ ٦٣] ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [٢م البقرة/ ١٦٥] وقوله: (إنْ دنت): أي الحقيقة المحبوبيّة القرآنيّة: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى [١٨٥/ أ] لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ [٨٥/ البروج/ ٢٢] أي قلب سليم، وهو الذي لا ينفعه المال والبنون، والدنو والقرب، قال تعالى: ﴿دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ [٥٣/ النجم/ ٨] أي: قرب، فنزل فاستولى بعد أن انعزل، ولم يتغيّر عمّا كان عليه في الأزل، ومن هذا قولنا من قصيدة:

نزل الذي هو عن سواه لفي غنى   فتلمّس السرّ الخفيّ وتبيّنا

نعمت به روح المحبّ فخاطبت   شبحاً يسمّى أنت أو هو أو أنا

وقوله (كما كلّ أيام اللقا): وهي أيام لقاء الله التي أشرنا إليها فيما مرّ قريباً في البيت قبله، كلّ جزء لا يتجزّأ من الزمان كان يوماً لإشراق شمس الأحديّة فيه من فلك الأمر الإلهيّ، ويقابله ليل الكون النازل به الأمر: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [٢٧/ النمل/ ٨٨] والصُنْعُ مصدر صَنَعَ يَصْنَع صُنْعَاً، وهو المفعول المطلق، وليس لله مفعول به كما تقرر في موضعه من علم النحو، قال ابن هشام في مغني اللبيب أواخر الباب السادس منه: «قولهم في نحو ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: إنّ السموات مفعول به، والصواب أنّه مفعول مطلق؛ لأنّ المفعول المطلق: ما يقع عليه اسم المفعول بلا قيد، كقولك ضربت ضرباً، والمفعول به ما لا يقع عليه ذلك إلّا مقيّداً بقولك به، كضربت زيداً. وأنت لو قلت السموات مفعول به كما تقول فالضرب مفعول به كان صحيحاً. ولو قلت السموات مفعول به كما تقول زيد مفعول به لم يصحّ فالمفعول به ما كان موجوداً قبل الفعل الذي عمل فيه، ثمّ أوقع الفاعل به فعلاً. والمفعول المطلق ما كان الفعل العامل فيه هو فعل إيجاده. والذي غرّ أكثر النحويّين في هذه المسألة أنّهم يمثّلون المفعول المطلق بأفعال العباد، وهم إنّما يجري على أيديهم إنشاء الأفعال، لا الذوات. فتوهّموا أنّ المفعول المطلق لا يكون إلّا حدثاً. ولو مثّلوا بأفعال الله عزّ وجلّ لظهر لهم أنّه لا يختص بذلك؛ لانّ الله تعالى موجد الأفعال والذوات جميعاً، لا موجد لهما في الحقيقة سواه، سبحانه. وممن قال بهذا الذي ذكرته الجرجانيّ وابن الحاجب في أماليه. وكذا البحث في أنشأت كتاباً، وعمل فلان خيراً، و«الذين آمنوا وعملوا الصالحات».

وقوله (يوم): خبر المبتدأ الذي هو كلّ. و(جمعة): مضاف إليه، قال في المصباح: «يوم الجمعة سُمِّي بذلك لاجتماع الناس به، وضمُّ الميم لغة الحجاز، وفتحها لغة بني تميم، وإسكانها لغة عُقَيل، وقرأ بها الأعمش. والجمع: جُمَع وجُمُعَات، مثل غُرَف وغُرُفات. وجَمَّع الناس بالتشديد: إذا شهدوا الجمعة، كما يقال عَيَّدوا: إذا

شهدوا العيد. وأمّا الجُمْعَة، بسكون الميم: فاسمٌ لأيام الأسبوع، وأوّلها السبت».

٣٥٧- وَسَعْيِي لَهَا حَجٌّ بِهِ كُلَّ وَقْفَةِ عَلَى بَابِهَا وَقَدْ عَادَلَتْ كُلَّ وَقْفَةِ

(وسعيي): مصدر سعى إلى الصلاة: ذهب إليها على أي وجه كان، كذا في المصباح. وقال في القاموس: «سَعَى سَعْيَاً كرَعَى: قَصَد ومَشَى وعَدَا». وقوله (لها): أي لأجلها في كلّ ما سعيت فيه. والضمير للمحبوبة الحقيقيّة. وقوله (حَج): قال في القاموس: «الحَجُّ: القَصْدُ، وقَصْدُ مكّةَ للنُّسُك، وبالكسر: الاسم». وقال في المصباح: «حَجَّ حَجَّاً: من باب قَتَل؛ فهو حَاجٌّ، هذا أصله، ثمّ قُصر استعماله في الشرع على قَصْد الكعبة للحجّ أو العُمرة. ومنه يقال: ما حَجّ ولكن دَجَّ؛ فالحَجّ: القَصْدُ للنُّسُك، والدَجّ: القَصْدُ للتجارة. والاسم الحِجُّ، بالكسر».

وقوله (به): أي بسببه. والضمير للحجّ. وقوله (كُلّ وقفة): أي وقوف على بابها، أي: باب المحبوبة الحقيقيّة. وكنّى بالوقفة على بابها عن ذهاب الثالث الذي لا أصل له. ومعنى الثالث أنّ الحقّ/ [١٨٥/ ب] تعالى هو الأوّل، وقد صوّر صُوَراً من تجلّي اسمه المُصَوِّر، فظهرت الصور مختلفة الأجناس والأنواع والأشخاص، فظهر الثاني، وهو عالم الصور، وهو عالم الأكوان، وهو المخلوقات بأسرها، ثمّ ظهر الثالث، وهو المُسمَّى سموات وأرضاً، وعناصر وطبائع، وهو الذات، وجمادات، ونباتات، وحيوانات، وأنواع الإنسان، إلى غير ذلك من المعاني والمحسوسات والمعقولات مما سُمِّيَ أغياراً. وهذا الثالث الذي ظهر هو عين الثاني والأوّل، لا زائد على ذلك إلّا مجرّد الأوهام، وتحيير الأفهام. وذلك من جملة الثاني؛ فهذا الثالث هو الثاني الزائل المضمحلّ، ولنا في هذا أبيات في هذا المعنى، هي قولنا:

يا ثالثاً أنت وهم وليس يدريك فهم
يا فانياً تاه جهلاً عن ربّه فهو جهنم
وليس في الحقّ حظّ ولا له منهم سهم

ومــــن ســـــواه إليــــــه يرمـــي هـــذا الـــدهر ســـهم
قـــــف وانتبــــــه فالـــــذي لم يكـــن هنـــا فهـــو شـــهم
كــــلّ الثوالــــــث تـــــاهوا فهــــم عــــن الفهــــم بُهُــــمُ
والأبيـــــــضون قليــــــــل وإنّـــــما الكـــــلّ دُهْـــــم

والوقوف عند الثاني بعد محو الثالث، وهو معنى الوقوف على باب هذه المحبوبة الحقيقيّة. وقوله **(قد عادلت)**: أي الوقفة على بابها. **(كلّ وقفة)**: أي كلّ وقفة على عرفات. والمعادلة: المماثلة. والتفاوت بينها وبين الوقوف بعرفات في الفضيلة أمر ظاهر، وفضل باهر لا يحصل بعلّة ولا حيلة، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [٣٩/ الزمر/ ٩] وفي الحديث «ركعتان من عالم بالله خير من ألف ركعة من جاهل به»[1].

٣٥٨- وَأيُّ بِـلَادِ الله حَلَّـتْ بِهَـا فَـمَا أرَاهَـا وَفِي عَيْنِـي حَلَـتْ غَـيْرَ مَكَّـةِ

(أي بلاد الله): جمع بلدة، يعني: أي بلدة من البلاد، قال في المصباح: «البَلَد، يُذكّر ويؤنّث، والجمع: بُلْدَان، والبَلْدَةُ: البَلَد، وجمعها: بِلَاد، مثل: كَلْبَة وكِلَاب، وبَلَدَ الرجلُ يَبْلِدُ، من باب ضرب: أقام بالبلد فهو بَالِد». وقوله **(حلت)**: بالحاء المهملة وتشديد اللام مفتوحة. والضمير للمحبوبة الحقيقيّة لا من حيث ذاتها؛ بل من حيث الصور النفسانيّة من تجلّيها باسم المصوِّر، ولهذا نسب الحلول إليها، على معنى أنّ الصورة حلّت في البلاد؛ فالصورة والبلدة صورتان، إحداهما حلّت في الأخرى، والكلّ صورة محسوسات أو معقولات، وكلّ الصور للحقّ تعالى، ولا

---

(١) ذكره الغزاليّ في الإحياء، الكتاب السادس من ربع المنجيات، فصل: بيان حكم العمل المشوب، واستحقاق الثواب: ٢/ ٤٧١، دون لفظ الجلالة. وقد ذكره السيوطيّ في الجامع الكبير، ١٧٨٠، عن أنس، بلفظ: ركعتان من رجل ورع أفضل من ألف ركعة من مخلط. وقال المناوي في فيض القدير: فيه يونس بن عبيد أورده الذهبي في الضعفاء وقال مجهول.

صورة للحقّ تعالى هو عليها في ذاته تعالى وتقدّس عن ذلك علواً كبيراً. وقوله (بها): أي فيها، يعني: في أي البلاد. وقوله (فما): الفاء للتفريع، وما نافية. وقوله (أراها): بفتح الهمزة، الرؤية لبصريّة، وبضم الهمزة الرؤية القلبيّة، قال في المصباح: « رأيت الشيء: أبصرته بحاسة البصر. فرؤية العين معاينتها للشيء، يقال: رؤية العين، ورأيَ العين، ورَأيَ في الأمور رأياً، والذي أُرَاه بالبناء للمفعول بمعنى: الذي أظنّ، وبالبناء للفاعل بمعنى: الذي أذهب إليه». وضمير أراها للبلدة التي حلّت منها. وقوله (وفي) الواو للحال، وجملة (وفي عيني حلّت): حال من الهاء في أراها. و (حَلَتْ): بفتح الحاء المهملة وفتح اللام، قال في المصباح: « حَلَا الشيءُ يَحْلُو حَلَاوَة، وحَلَا لِيَ الشَيءُ: إذا لَذَّ لَكَ. واسْتَحْلَيْتُه: رَأَيْتُهُ حُلواً». وقوله (غَيْرَ): بالنصب مفعول ثانٍ لأَراها. والمفعول الأوّل الهاء، ومكّة مضاف إليه، قال في المصباح: « مَكَّةُ شرّفها الله تعالى، وقيل فيها: بَكَّةُ، على البَدَلِ، وقيل: بالباء: البيت، وبالميم: ما حوله، وقيل بالباء: بَطْنُ مَكَّة». والمعنى: إنّ البلدة تحلّ بها هذه المحبوبة الحقيقيّة من حيث تجلّيها باسمها المصوِّر، ما يراها إلّا مكّة باعتبار البيت الحرام الذي هو كناية عن قلب العارف المشار إليه بالمؤمن في الحديث القدسي «ما وسعني سمواتي ولا أرضي ووسعني قلب/ [١٨٦/ أ] عبدي المؤمن»[1] وهو صاحب الإيمان الكامل العالم العامل.

٣٥٩- وَأَيُّ مَكَانٍ ضَمَّهَا حَرَمٌ كَذَا أَرَى كُلَّ دَارٍ أَوْطَنَتْ دَارَ هِجْرَةِ

(وأي مكان ضمّها): أي هذه المحبوبة الحقيقيّة من الحيثيّة المذكورة. وقوله (حرم): أي حرم مَكّي؛ لاشتماله على الإنسان الكامل الذي قلبه بيت ربِّه، أو حرم مدنيّ، بناءً على أنّ المدينة لها حرم كحرم مكّة، كما قال به بعض العلماء، قال والدنا -المرحوم- في شرحه على شرح الدرر، قال في الحقائق شرح كنز الدقائق: «الحرم

(١) انظر تخريجه ص٣٧٥.

المدينة عندنا، وعند الشافعي لها حرم، ثمّ اتفقت أقاويله أنّه لا يباح قتل صيد المدينة، ولا قطع أشجاره. واختلفت أقاويله في وجوب الجزاء». وفي كتاب المصطفى: «والأصل: إنّ إثبات الشرع بالرأي لا يجوز؛ فلا يجوز إلحاق المدينة بحرم مكّة، حتى لا يجوز أخذ صيده بالرأي. وأما قوله صلّى الله عليه وسلّم: «إنّ إبراهيم عليه السلام حرّم مكّة، وأنا أحرِّم المدينة»[1] فمعناه: أجعل لها حرمة. وعلى كونه حرّم المدينة؛ لأنّ هذه المحبوبة الحقيقيّة نشأة محمّديّة نوريّة، ليست بإلهيّة مجرّدة. ويناسبه قوله بعد ذلك **(كذا)**: أي مثل ذا أرى، أي: أبصر، أو اعتقد كلّ دار أوطنت، قال في المصباح: « الوَطَنُ: مكان الإنسان ومقرّه. وأَوْطَنَ الرجلُ البَلَدَ واسْتَوْطَنَهُ وتَوَطَّنَهُ: اتَّخَذَهُ وَطَناً». وقوله **(دار هِجْرَةٍ)**: بكسر الهاء وسكون الجيم، قال في المصباح: « الهِجْرَةُ، بالكسر: مفارقة بَلَدٍ إلى غيره، وهي: اسم من هَاجَرَ مُهَاجَرَة»، وأراد بدار الهجرة مدينة الرسول صلّى الله عليه وسلّم.

٣٦٠- وَمَا سَكَنَتْهُ فَهْوَ بَيْتٌ مُقَدَّسٌ   بِقُـرَّةِ عَيْنِـي فِيْـهِ أحْـشِايَ قَـرَّتِ

(وما): أي المكان الذي. **(سكنتْه)**: أي المحبوبة الحقيقيّة بالاعتبار المذكور فيما مرّ. **(فهو بيت مقدّس)**: بصيغة اسم المفعول، من التقديس، وهو التطهير. وبيت المقدس: بَلَدٌ مَعْرُوْفٌ. وقوله **(بقُرَّةِ)**: الجا ر والمجرور متعلّقان بـ**(قرّت)**. وقُرَّة العين بضمّ القاف وتشديد الراء. قال في المصباح: « قَرَّتِ العينُ قُرَّةً، بالضمّ، وقُرُوراً: بَرَدَت سروراً». وقوله **(فيه)**: أي في ذلك البيت المقدّس. وقوله **(أحشايَ)**: جمع حَشَا، بالحاء المهملة والشين المعجمة، قال في المصباح: « الحَشَا مقصور: المِعَى. والجمع: أحشاء، مثل: سَبَب وأسباب». وقوله **(قَرّت)**: من قَرَّ الشيءُ قَرّاً، من باب ضَرَبَ: استقرّ بالمكان. والاسم: القرار. والاستقرار: التمكّن». يعني: استقرّت أحشايَ فيه بسبب قُرّة عيني.

---

(١) قطعة من حديث، أخرجه أحمد في المسند، مسند جابر بن عبد الله، ١٥٦٢٤.

٣٦١- وَمَسْجِدِيَ الأَقْصَى مَسَاحِبُ بُرْدِهَا وَطِيْبِـي ثَـرَى أَرْضٍ عَلَيْهَـا تَمَـشَّتِ

(ومسجدي الأقصى): أي الأبعد، من قَصَا المكانُ قُصْواً، من باب قَعَدَ: بَعُدَ، كذا في المصباح. وقوله (مَسَاحِبُ): جمع مَسْحَب، اسم مكان من السَحْبِ، بالسين المهملة والحاء المهملة والباء الموحّدة، سَحَبْتُهُ على الأرض سَحْباً، من باب نَفَعَ: جَرَرْتُه فانْسَحَب، كذا في المصباح. وفي القاموس: «سَحَبَهُ كَمَنَعَهُ: جَرَّه على وجه الأرض فانسحب». وقال في الصحاح: «سَحَبْتُ ذَيْلِي فَانْسَحَب: جَرَرْتُهُ فَانْجَرّ». والمعنى: مواضع جرّ. (بُرْدِها): بضمّ الباء الموحّدة وسكون الراء وبالدّال المهملة، وهو ثوب من الثياب، والجمع بُرُود وأَبْرَاد. والثور الأَبْرَد فيه لُمَعُ بياضٍ وسَوَاد» كذا في الصحاح. والضمير راجع للمحبوبة الحقيقيّة. وبُرْدها كناية عن الصورة المشتملة على التجلّي والاستتار من اسمها المصوِّر إذا زاد الاستتار، ففضُل عنها، وانجرّ على أرض الطبيعة لطوله بالاستتار، من قوله صلّى الله عليه وسلّم: «إنّه ليغان على قلبي فأستغفر الله في اليوم والليلة مائة مرّة»[1].

وقوله (وطيبي): وهو ما يُتطيّب به، وفي المصباح: «تَطَيَّبَ بالطِيْبِ، وهو من العطر. وطَيَّبْتُهُ: ضَمَّخْتُهُ به». وقوله (ثرى): أي تراب. (أرضٍ): نكّرها للتعميم، أو للتعظيم. وقوله (عليها): أي: على تلك الأرض. (تَمَشَّتِ): بتشديد/ [١٨٧/ ب] الشين المعجمة، قال في القاموس: «مَشَى يَمْشِي: مَرَّ، كمَشَّى تَمْشِيَة». وفي الصحاح: «مَشَى يَمْشِي مَشْياً، وَمَشَى تَمْشِيَةً مُثَلَّثَة وتَمَشَّتْ فيه حُمَيَّا الكأس». والمعنى: إنّ طيبيَ الذي أَتطيّب به وأتعطّر، هو تراب الأرض التي (تمشّت): أي تلك المحبوبة الحقيقيّة من حيث تجلّيها باسمها المصوّر عليها حيث تمشى الإنسان الكامل المحمّديّ الشامل، ذيل الحقيقة، وبرد الطريقة، والتاء من تمشّتِ مكسورة للقافية.

---

(١) انظر تخريجه ص٣٧٥.

٣٦٢- مَـوَاطِنُ أَفْرَاحِـي وَمَرْبَـى مَـآرِبِي وَأَطْـوَارُ أَوْطَـارِي وَمَـأْمَنُ خِيفَتِـي[١]

(مواطن): أي هي مواطن؛ يعني: المذكورات قبله من مكّة والحرم، ودار الهجرة التي هي المدينة، وبيت المقدس، والمسجد الأقصى. مواطن: جمع مَوْطِن، والوَطَن محرّك ويسكن: منزل الإقامة، كذا في القاموس. وفي المصباح: «المَوْطِن مثل الوَطَن: مكان الإنسان ومقرّه، والجمع مَوَاطِن، مثل مَسْجِد ومَسَاجِد».

وقوله (أفراحي): جمع فَرَح، ومصدر فَرِحَ فَرَحاً؛ وإنّما جمع لقصد تعدد أنواعه. والفَرَحُ: لَذَّةُ القلب بنيل ما يشتهي». ذكره في المصباح. وقوله (ومَرْبَى): بفتح الميم بفتح الميم وسكون الراء وفتح الباء الموحّدة، مقصوراً، أي: موضع رَبَّت، أي: نشأت فيه، يقال: رَبَوْتُ في بني فلان ورَبِيْتُ، أي: نشأت فيهم، كذا في الصحاح. (مأربي): جمع مأربة بفتح الراء وضمّها: الحاجة. والجمع مآرب، كذا في المصباح. يعني: هي الأماكن التي تربت ونشأت فيها حاجاتي ومقاصدي وآمالي.

وقوله (وأطوار): جمع طَوْر، بفتح الطاء المهملة وسكون الواو وبالراء، قال في المصباح: «الطُوْر: الحال والهَيْئَة، والجمع أَطْوَار، مثل: ثَوب وأَثْواب. و تَعَدَّى طَوْرَهُ: أي حاله التي تليق به». وقوله (أوطاري): جمع وَطَر، بالتحريك، وهو الحاجة. قال في المصباح: «الوَطَرُ: الحاجة، والجمع: أَوْطَار، مثل: سَبَب وأَسْبَاب، ولا يبنى منه فعل. وقَضَيْتُ وَطَرِي: إذا نلت بُغْيَتَكَ وحَاجَتَكَ». يعني: هي أحوال حاجاتي وأغراضي. وقوله (ومأمن): قال الراغب في مفرداته: «أَصْل الأمن: طُمَأنينة النفس وزوال الخوف». (والمأمن): المنزل الذي ينزل فيه. وقوله (خيفتي): قال في المصباح: «خاف خوفاً وخِيفَةً ومَخَافَة». يعني هي منزل الأمن من كلّ ما أخاف.

٣٦٣- مَغَانٍ بِهَـا لَمْ يَـدْخُلِ الـدَّهْرُ بَيْنَنَـا وَلَا كَادَنَـا صَرْفُ[٢] الزَّمَـانِ بِفُرْقَـةِ

(مغانٍ): بالغين المعجمة، أي: هي مَغَانٍ، جمع مغنى، وهو موضع الإقامة. غَنِيَ

---

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: « بلغ مقابلةً وسماعاً على مؤلفه حفظه الله تعالى.

(٢) في (ق): فيها.

بالمكان: أَقَامَ به، كذا في المصباح. وقال في الصحاح: «والمَغْنَى: واحد المَغَانِي، وهي المواضع التي كان بها أهلوها». وفي القاموس: « المَغْنَى: المَنْزِل الذي غَنِيَ به أهله ثمّ ظعنوا، أو عامٌّ». وقوله (بها): أي فيها، والضمير للمغاني. وقوله (لم يدخل الدهر بيننا): أي لم تحكم الأيام والليالي بتشتت شملنا؛ فكنّا فيها مع المحبوبة الحقيقيّة متّحدين في كمال السرور، وجمال الحبّور. وقوله (ولا كادنا): من الكيد. قال في المصباح: «كَادَهُ كَيْداً، من باب بَاعَ: خَدَعَهُ ومَكَرَ به». وقوله (صَرْف الزمان): بفتح الصاد المهملة وبإسكان الراء وبالألف، قال في القاموس: «الصَرْف من الدهر: حِدثَانِهُ ونَوَائِبُهُ». وقوله (بِفُرْقَةٍ) متعلّق بكادنا.

٣٦٤- وَلَا سَعَتْ الأيامُ فِي شَتِّ شَمْلِنَا وَلَا حَكَمَتْ فِيْنَا اللَيَالِي بِجَفْوَةِ

(**ولا سعت الأيام**): يقال سَعَى سَعْيَاً، كرَعَى، كذا في القاموس، من النميمة. وفي الصحاح: «سعى به إلى الوالي إذا وشى به». وقوله (**في شتّ**): قال في القاموس: «شَتَ الأمرُ شَتّاً وشَتَاتَاً: تفرّق». وقوله (**شَمْلَنَا**): بفتح الشين المعجمة وسكون الميم شَمَلَهم الأمرُ يَشْمِلُهُم: إذا عمّهم، وجمع الله شَمْلَهم؛ أي: ما تَشَتَّتَ من أَمْرِهِم، وفَرَّقَ الله شَمْلَهُ، أي: ما اجتمع من أمره، كذا في الصحاح. (**ولا حكمت**): أي قضت وألزمت، يقال: حكم بينهم يحكم: أي قضى. وقوله (**فينا**): أي في أمرنا. (**الليالي**): فاعل حَكَمَ. وقوله (**بجفوة**): متعلّق بحكمت/ [١٨٨/ ب].

٣٦٥- وَلَا صَبَّحَتْنَا النّائِبَاتُ بِنَبْوَةٍ وَلَا حَدَّثَتْنَا الحَادِثَاتُ بِنَكْبَةِ

(**ولا صبّحتنا**): بتشديد الباء الموحّدة، أي: أَتَتْنا صباحاً، قال في الصحاح: «صَبَّحْتُهُ: إذا أتيته صَبَاحاً، ولا يراد بالتشديد هنا التكثير». وقوله (**النائبات**): جمع نائبة، وهي المَصيبة، واحدة نوائب الدهر. كذا في الصحاح. وقوله (**بِنَبْوَةٍ**): متعلّق بصبَّحتنا، والنَبْوَة: من نَبَا الشيءُ عَنِّي يَنْبُو، أي: تجافى وتباعد. وقوله (**ولا حدّثتنا**): بتشديد الدّال المهملة، من الحَدَث، محرّكة: الإيذاء، كذا في القاموس. أي: آذتنا. أو من التحديث، وهو التكلُّم. وقوله (**الحادثات**) :جمع حادثة، وهي

الواقعة، والألف واللام عوض عن المضاف إليه، أي: حادثات الدهر. يعني: وقائعه التي تحدث فيها. وقوله (بنكبة): متعلّق بحدّثتنا. قال في القاموس: «النَّكْبَة بالفتح: المُصيبَة. نَكَبَه الدهرُ نَكْبَاً ونَكَبَاً: بلغ منه، أو أصابه بنَكْبَةٍ».

٣٦٦- وَلَا شَنَّعَ الوَاشِي بِصَدٍّ وَجَفْوَةٍ[1] وَلَا أَرْجَفَ اللَّاحِي بِبَيْنٍ وَسَلْوَةِ

(ولا شَنَّعَ): بفتح الشين المعجمة وتشديد النون وبالعين المهملة، من الشَّنَاعَة، وهي الفَظَاعَة، والاسم الشُّنْعَة. وشَنَّعْتُ عليه تَشْنِيْعَاً، وشَنَعْتُ فُلَانَاً: أي استقبحتُه، وسئمته، كذا في الصحاح. وفي القاموس« التشنيع: تكثير الشناعة. وقوله (الواشي): وَشَى في كلامه كَوَعَى: كَذَبَ فيه. ووَشَى به إلى السلطان وَشْيَاً ووِشَايَةً: نَمَّ، وَسَعَى»، كذا في القاموس. وقوله (بصَدٍّ): متعلّق بشَنَّع. والصَدُّ: مصدر صَدَّ فلاناً عن كذا صَدَّاً: مَنَعَهُ، وصَرَفَهُ. أي: نَقْلُ النّمام إلى الغَيران ممَّنْ أحبّه منعني وصرفني عنه وعن لقائه. وقوله (وجَفْوَة): بفتح الجيم، وكسرها، قال في القاموس: « الجَفَاء: نقيض الصِلَةَ، ويقصر. جَفَاهُ جَفْواً وجَفَاءً، وفيه جَفْوَة. ويُكْسَر، أي جِفَاء. فإنْ كان مَجْفُوَّاً قيل: به جَفْوَةُ». وفي نسخة: هِجْرَةٌ مكان جفوة. والهِجْرَة: بالكسر: اسم من هَجَرَه، وصَرَمَهُ، وتَرَكَهُ. وهما يَهْتَجِرَانِ ويَتَهَاجَرَانِ: يتقاطعان، كذا في القاموس. وقوله (ولا أرجف): يقال: أَرْجَفَ القومُ في أخبار الفتن ونحوها. ومنه المرجفون في المدينة. وأَرْجَفَ في الشيءِ، وبالشيء: خاض فيه، كذا في القاموس. وقوله (اللاحي): أي اللائم، من لَحَوْتُ الرجلَ أَلْحَاه لَحْيَاً: إذا لُمْتُه. وقوله (بِبَيْنٍ): متعلّق بأَرْجَفَ. والبَيْنُ: الفراق. تقول منه: يَبِينُ بَيْنَاً وبَيْنُوْنَة، كذا في الصحاح. وقوله (وسلوة): أي سلوان المحبّة.

٣٦٧- وَلَا اسْتَيْقَظَتْ عَيْنُ الرَّقِيْبِ وَلَمْ تَزَلْ عَلَيَّ لَهَا فِي الحُبّ عَيْنِي رَقِيْبَتِي

(ولا استيقظت): من اليَقَظَة، محرَّكة، نقيض النوم. وقد يَقُظَ ككَرُمَ، وفَرِحَ يَقَاظَةً ويَقْظَانَاً، محرّكة، وقد استيقظ، كذا في القاموس. وقوله (عين الرقيب): أي يرقبني

---

[1] في (ق): وهجرة.

وفي وقت اجتماعي بمن أحبّه. وقوله (**ولم تزل عليّ**): بتشديد الياء التحتيّة جار ومجرور متعلّق برقيبتي. وقوله (**لها**): أي للمحبوبة الحقيقيّة، أي: لأجلها. وقوله (**في الحبّ**): أي المحبّة، متعلّق بتزل. وقوله (**عَيني**): اسم تزل المنفي بلم. و(رقيبتي): خبرها. والمعنى: لم تزل عيني رقيبة على نفسي لأجل المحبوبة في محبّتي لها، على معنى أنّه لا رقيب لي إلّا منّي.

٣٦٨- وَلَا اخْتُصَّ وَقْتٌ دُوْنَ وَقْتٍ بِطِيْبَةٍ بِهَا كُلُّ أَوْقَاتِي مَوَاسِمُ لَذَّةِ

(**ولا اختُصّ وقت**): أي زمان دون وقت، أي: زمان آخر، وهو مقام التمكّن في المعرفة والشهود. قوله (**بطِيبةٍ**) بكسر الطاء المهملة، مصدر طَاب يَطِيْبُ طَابَاً وطِيْباً وطِيْبَةً وتَطْيَاباً: لَذَّ، وزَكَا، كذا في القاموس. وقوله (**بها**): أي بالمحبوبة الحقيقيّة. والجار والمجرور متعلّق بطِيبَة، أي: بالتذاذي بها. وقوله (**كلّ أوقاتي**): مبتدأ. وقوله (**مواسم لذّة**): خبره. والمواسم: جمع مَوْسِم، بفتح الميم وسكون الواو وكسر السين المهملة، وبالميم، قال في الصحاح: « مَوْسِم/ [١٨٧/ أ] الحاجّ: مَجْمَعُهُم بذلك، لأنّه مَعْلَم يُجْتَمَعُ إليه، ووَسَّم الناسُ تَوْسِيْما: شهدوا الموسم، كما يُقال في العيد: عَيَّدوا. وقوله (**لذّة**): مضاف إليه، يعني المجتمعات التي يحصل بها التذاذي بالمحبوبة الحقيقيّة.

٣٦٩- نَهَارِي أَصِيْلٌ كُلُّهُ إنْ تَنَسَّمَتْ[1] أَوَائِلُهُ مِنْهَا بِرَدِّ تَحِيَّتِي

(**نهاري أصيل**) الأصيل: الوقت بعد العصر إلى المغرب، كذا في الصحاح. وفي القاموس: «الأصيل العشي». وقوله (**كلّه**): تأكيد لنهاري، أي: من أوّله إلى آخره. وقوله (**إنْ تنسمت**): بتشديد السين المهملة، قال في القاموس: «تَنَسَّم: تَنَفَّسَ، وتَنَسَّم النَسِيمَ تَشَمَّمَه، وتَنَسَّم المكان بالطيب: أَرِجَ، وتَنَسَّمَ العلمَ: تَلَطَّفَ في التماسه». وكلّها مناسبة هنا. وقوله (**أوائله**): أي أوائل نهاري. (**منها**): أي من

---

(١) في (ق): تبسّمت.

المحبوبة الحقيقيّة. وقوله (بِرَدٍّ): متعلّق بتنسمت، والردّ جواب التحيّة وهي السلام، قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه:

ومـاذا عليهـا لـو تـردّ تحيّـة علينا ولكن لا احتكام على الدماء

فجعلها دَمِيَّة من جهة عدم قبولها للتغيير، فإنّ كان في علمها بنا درٌّ علينا ردّت علينا بنا، وإلّا فلا، فالرَدُّ مِنَّا علينا بها، وهو أعلى من توهّم إنْ ردها علينا منها حيث تنسّمت به أوائل النهار، فصار كلّه عشيّاً؛ فإنّ المعروف أنّ النسائم تهبّ بالعشايا والآصال، لا في أوائل النّهار لاشتداد سورة الحرّ فيها.

٣٧٠- وَلَـيْلِيَ فِيْهَـا كُلُّـهُ سَـحَرٌ إذَا سَرَى لِي مِنْهَـا فِيْـهِ عَـرْفُ نُـسَيْمَةِ

(وليلي فيها): أي في محبّة المحبوبة الحقيقيّة. وقوله (كلّه): تأكيد لليل، أي: جميع الليل من أوّله إلى آخره. (سَحَرٌ): بالتحريك وهو قبيل الصبح؛ لقرب سواده من بياض الصبح. وقوله (إذا سرى): أي سار ليلاً. وقوله (لي): متعلّق بسرى. وقوله (منها): أي من المحبوبة الحقيقيّة. وقوله (فيه): أي في ليلي. وقوله (عَرْف): فاعل سرَى، وهو بفتح العين المهملة وسكون الراء وبالفاء: الرائحة مطلقاً، قال في الصحاح: «العَرْف: الريح، طَيِّبَةً كانت، أو مُنْتِنَةً. يقال: ما أطيب عَرْفَهُ». وفي القاموس: «العَرْف: الريح، طَيِّبَة أو منتنة، وأكثر استعماله في الطَيِّبَة». وقوله (نُسَيْمَةِ): تصغير نَسْمَة، وهي نفس الريح، كالنسيم.

٣٧١- وَإنْ طَرَقَـتْ لَـيْلاً فَـشَهْرِيَ كُلُّـهُ بِهَـا لَيْلَـةُ القَـدْرِ ابْتِهَاجَـاً بِـزَوْرَةِ

(وإنْ طَرَقَتْ): أي المحبوبة الحقيقيّة، والطرق: الإتيان بالليل، كالطروق، كما في القاموس. وفي الصحاح: «طَرَقَ يَطْرُقُ طُرُوقاً: إذا جاء بليل. فقوله (ليلاً): تأكيد، لأنّ الطُرُوق لا يكون إلّا ليلاً، كقوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [١٧/الإسراء/١] قال في الصحاح: «وإنْ كان السُرَى لا يكون إلّا بالليل لتأكيد، كقوله: سِرْتُ أَمْسِ نهاراً والبارحةَ ليلاً. وقوله (فَشَهْرِيَ): مبتدأ. (كلّه): تأكيد، أي: شهر صومي، وهو شهر رمضان الذي قال تعالى فيه: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ

﴿ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ [٢/ البقرة/ ١٨٥] وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ﴾» أي: القرآن «﴿فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ [٩٧/ القدر/ ١] فليلة القدر في شهر رمضان من مجموع الآيتين. وقوله (بها): أي بسبب ظهور المحبوبة الحقيقيّة. وقوله (ليلة القدر): خبر المبتدأ، على معنى أنّ ليالي شهري كلّها ليلة القدر، وذلك النزول: القرآن في كلّ ليلة منه بظهور التجلّي الحقّ من قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ٢٠ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ٢١ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ﴾ [٨٥/ البروج/ ٢٢]. وقوله (ابتهاجاً): تمييز، أي: من جهة الابتهاج، وهو السرور، قال في الصحاح: «بَهِجَ بِهِ بالكسر، أي: فَرِحَ به، وسُرَّ؛ فهو بَهِجٌ وبَهِيج، وبَهَجَنِي هذا الامر، بالفتح، وأَبْهَجَنِي: إذا سرّك. وقوله (بِزَوْرَةِ): متعلّق بـ(ابتهاجاً): أي زورة منها لي، وهو طروقها ليلاً بتجلّيها على قلبي.

٣٧٢- وَإِنْ قَرُبَتْ دَارِي فَعَامِيَ كُلُّهُ   رَبِيعُ اعْتِدَالٍ فِي رِيَاضِ أَرِيضَةِ

(وإنْ قربت داري): أي صارت قريبة، كنّى بداره عن مجموع نشأته الشاملة للجسمانيّة/ [١٨٨/ أ] والنفسانيّة والروحانيّة، وقربها: تخلّيها عن ملاحظة الأغيار، واطّلاعها على لطائف الحكم والأسرار؛ فإنّ المتجلِّي الحقّ ﴿أَفَمَنۡ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ﴾ [١٣/ الرعد/ ٣٣]؛ فالقرب من جهته محقّق. ﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ﴾ [٥٠/ ق/ ١٦] وكلّما صفا العبد من كدورة الطبع والهوى ازداد علمه به؛ فازداد قربه إليه. وقوله (فعامي): أي سَنَتِي التي أكون فيها. وقوله (كلّه): تأكيد للعام. والعام مشتمل على فصول أربعة: ربيع وخريف وشتاء وصيف. وقوله (ربيع): خبر المبتدأ. وقوله (اعتدال): قال في القاموس: «الاعتدال توسط حال بين حالتين في كم أو كيف، وكلّ ما تَنَاسَب فقد اعتدل». وهو هنا حالة الاستقامة، قال تعالى: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ [١١/ هود/ ١١٢] الآية. فالربيع هو النشأة الإنسانيّة إذا اعتدلت أحوالها. وقوله (في رياض): جمع روض، وهو المقام المحمّدي الذي يتنوّع بالأسرار، ويطيب بروائح الأزهار، ويَلَذُّ للأذواق بطعوم الثمار. وقوله (أريضة): زكيّة معجبة للعين خليقة للخير.

٣٧٣- وَإِنْ رَضِيَتْ عَنِّي فَعُمْرِيَ كُلُّهُ   زَمَانُ الصِّبَا طِيْبًا وَعَصْرُ الشَّبِيْبَةِ

(وإن رَضِيَتْ): أي المحبوبة الحقيقيّة. (عنّي فعمري كلّه): أي من حين رضاها إلى وقت الوفاة، أو من (زمان الصبا): الذي كنت فيه أولاً إلى وقت الوفاة، فيدخل في ذلك عصر الكهولة والشيخوخة. وكان عُمْرُ الناظم قدّس الله سرّه لمّا تُوفي ثلاثاً وخمسين سنة ونصف إلّا يومين؛ لأنّه وُلد آخر اليوم الرابع من ذي القعدة سنة سبع وسبعين وخمسمائة. وتُوفي في اليوم الثاني من جمادى الأولى سنة اثنتين وثلاثين وستمائة، كما سبق في ديباجة هذا الكتاب.

قال في القاموس: «الشيخ والشَّيْخُون: مَنْ استبانت فيه السِنّ، أو من خمسين أو إحدى وخمسين إلى آخر عمره، أو إلى الثمانين، والكَهْل: مَنْ وَخَطَه الشَيْبُ ورأيتَ له بَجَالَة. أو من جاوز الثلاثين، أو أربعاً وثلاثين، إلى إحدى وخمسين». وقد بلغ الناظم قدّس الله سرّه سنّ الكهولة والشيخوخة. فقوله (فعمري كلّه زمان الصِّبا): بكسر الصاد المهملة، قال في الصحاح: «تقول صَبِيٌّ بَيِّنُ الصِبَا، والصَبَاءُ، إذا فتحت الصاد مددتَ، وإذا كسرت قصرت. والصِبَا أيضاً: من الشوق، يقال منه: تَصَابَى وصَبَا يَصْبُو صَبْوَةً وصُبُوءاً، أي: مال إلى الجهل والفتوّة». وقوله (طِيباً): أي من جهة الطِيِّب فهو منصوب على التميز. والطيب: اللَذَّة والبَهْجَة، قال في القاموس: «طَاب يَطِيب طِيْباً: لَذَّ وزكا». وقوله (وعصر الشبيبة): أي زمان الشباب، قال في الصحاح: «الشباب: الحداثة، وكذلك الشبيبة، وهو خلاف الشيب. تقول: شَبَّ الغلامُ يَشِبُّ بالكسر شَبَاباً وشَبِيبَةً». وفي القاموس: «الشباب: الفَتَاءُ كالشَبيبة، وأوّلُ الشيء». وهذا تشوّق من الناظم قدّس الله سرّه إلى زمان شبابه لاستكمال قواه فيه، القوى الظاهريّة والباطنيّة. ولمّا كانت قواه في المحبّة الإلهيّة والعشق الربّاني مستكملة لزوال الغفلة عنه، والتلهيِّ بالأغيار أخبر أنّ عمره كذلك، قال العارف ابن رفاعة المقدسي الخليليّ قدّس الله سرّه من قصيدة له:

صرت شيخاً وما تغيّر حالي   عن هواهم وهمّتي كالشباب

ومن عادة الشيخوخة أنّها تضعف القوى بالحواس، وتَهُدُّ أركان الجسم من الأساس، حتّى يكاد صاحبها أن لا يُعدّ من جملة الناس حتّى قال صاحبنا المرحوم معجز الأفاضل الشيخ رمضان العطيفي[1] من بيتين ثانيهما قوله:/ [١٨٨/ ب]

يا عيدنا المنحوس خذ من عمرنا عشراً وأدِّ من الصبا معاشراً

٣٧٤- لَئِنْ جَمَعَتْ شَمْلَ المَحَاسِنِ صُورَةً شَهِدْتُ بِهَا كُلَّ المَعَانِي الدَّقِيْقَةِ

(لئن): اللام موطئة للقسم المقدّر. وإنْ شرطيّة. (**وجَمَعَتْ**): أي المحبوبة الحقيقيّة. وقوله (**شمل**): بفتح الشين المعجمة وسكون الميم وباللام: ما تفرّق من الشيء، وما تجمّع منه. قال في الصحاح: «يقال: جمع الله شملهم، أي: ما تشتت من أمرهم، وفرّق الله شمله، أي: ما اجتمع من أمره. وقوله (**المحاسن**): قال في الصحاح: «الحُسْنُ: نقيض القُبْح، والجمع المَحاسِن على غير قياس. كأنّه جمع مَحْسَن». والمعنى: وحقّ هذه المحبوبة الحقيقيّة لئن جمعت هي كلّ حسن تفرّق في جميع المخلوقات. وقوله (**صورة**) تمييز: أي من جهة الصورة التي تتجلّى بها، وهي صورة كلّ شيء حسن محسوس أو معقول، وجميع الصور لها؛ لأنّه تعالى المُصوِّر، والصور كلّها أعراض، متكررة بالأمثال، لا بدّ لها من مصوّر قيوم عليها، وهو تعالى من حيث هو لا صورة له. وله الصور كلّها: حسنها وقبيحها، ولا قبح لصورة تنسب إليه بحكم قوله: ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَيْءٍ﴾ [٢٧/ النمل/ ٩١] وقوله: ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ [٢٠/ طه/ ٦] وقوله: ﴿ٱلَّذِيٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [٣٢/ السجدة/ ٧] وقوله (**شهدتُ**): بضمّ التاء للمتكلِّم، أي: عاينتُ (بها): أي بسبب تلك الصورة الجامعة لجميع ما تفرّق من

(١) من العلماء المعاصرين للشيخ عبد الغني النابلسيّ، ومن أصدقائه ومجالسيه، توفي في حياة النابلسيّ، أخذ عنه كثيرون، منهم المحبّي صاحب خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، انظر سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، إسماعيل المحاسني ١/ ١٥٩.

المحاسن أو فيها، وهي الصورة المحمّديّة المخلوق من نورها كلّ شيء، على ما ورد في الحديث. كنّى بذلك عن صورته المحمّديّة الموروثة على ما سبق بيانه. وقوله (**كلّ المعاني الدقيقة**): وهي العلوم الإلهيّة والحقائق العرفانيّة التي هي من وراء طور العقل.

٣٧٥- فَقَدْ جَمَعَتْ أَحْشِايَ كُلَّ صَبَابَةٍ بِهَا وَجَوًى يُنْبِيكَ عَنْ كُلِّ صَبْوَةِ

(**فقد جمعت**): الفاء في جواب الشرط. وقوله (**أحشايَ**): فاعل جمعتْ. و(**كلّ صبابة**): مفعول جمعتْ، ومضاف إليه. و(**الصَبابة**) بفتح الصاد المهملة: المحبّة والعشق. وأصلها صَبَا يَصْبُو: مال إلى الجهل والفتوّة. وقوله (**بها**): أي بسببها، أو فيها، أي: في محبّة هذه المحبوبة الحقيقيّة. والباء للظرفيّة. وقوله (**وجَوًى**): معطوف على صَبَابَة، أي: كلّ جوى. والجوى، بالجيم: الحرقة، وشدّة الوجد من عشقٍ أو حزنٍ، تقول منه: جَوِيَ الرجلُ بالكسر؛ فهو جَوٍ مثل ذَوٍ، كذا في الصحاح. وقوله (**يُنْبيكَ**): أي يُخبرك، وأصله بالهمز، يقال: نَبَأَ وأَنْبَأَ ونَبَّأَ، أي: أخبر. والنَبَأُ: الخَبَر، ثمّ أبدل من الهمز الياء. وقوله (**عن كلّ صبوة**): متعلّق بـ **يُنْبِيك**. والصَبوَة: ميل المحبّة والعشق.

٣٧٦- وَلِمْ لَا أُبَاهِي كُلَّ مَنْ يَدَّعِي الهَوَى بِهَا وَأُنَاهِي فِي افْتِخَارِي بِحُظْوَةِ

(**ولِمْ**): بكسر اللام وسكون الميم. أصلها لِمَا بفتح الميم وبالألف، وهي ما الاستفهاميّة، دخل عليها حرف الجر فحذفت ألفها، كقوله: ﴿بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [٢٧/ النمل/ ٣٥]، ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [٧٨/ النبأ/ ١]. وقوله (**لا**): نافية. وقوله (**أباهي**): قال في القاموس: «بَاهَيْتُهُ فَبَهَوْتُه: غَلَبْتُهُ بالحُسْن» وفي الصحاح: «المُبَاهَاة: المُفَاخَرَة، وتَبَاهُوا أي تفاخروا». وقوله (**كلّ**): مفعول أباهي. وقوله (**من يدعي الهوى**): أي المحبَّة والعشق. وقوله (**بها**): متعلق بـ (**أباهي**)، أي: بالمحبوبة الحقيقيّة. وقوله (**أُناهِي**): أي أقول عَنِّي: ناهيك بي من رجل، قال في الصحاح: «يقال: هذا رجل نَاهِيك من رجل، ونَهْيُكَ من رجل». وتأويله: إنّه

بجده وغَناءه ينهاك عن تطلب غيره، قال الشاعر:

هـو الـشيخ الـذي حـدّثت عنـه ... نهـاك الـشيخ مكرمـة وفخـراً

ومعناه: حسبك الشيخ مكرمة وفخراً. وقوله (**في افتخاري**): أي في الحالة التي أفتخر بها على غيري. وقوله (**بحُظْوَةٍ**): متعلّق بافتخاري. و(الحِظْوَة): بكسر الحاء المهملة وضمّها/ [١٨٩/ أ] وسكون الظاء المعجمة وبالواو والهاء، وهي المنزلة الرفيعة، والمرتبة المنيعة، قال في الصحاح: «حظيَتْ المرأةُ عند زوجها حِظْوَةً وحُظْوَةً بالكسر والضمّ، وقد حَظِيَ عندَ الأمير، واحْتَظَى به، بمعنى». وفي القاموس: «الحُظْوَةُ بالضمّ والكسر : المكانة والحَظُّ من الرزق».

٣٧٧- وَقَدْ نِلْتُ مِنْهَا فَوْقَ مَا كُنْتُ رَاجِياً ... وَمَا لَـمْ أَكُـنْ أَمَّلْـتُ مِـنْ قُـرْبِ قُرْبَتِـي

(**وقد نلت**): الواو للحال، والجملة في محل نصب على أنّها حال من ضمير المتكلِّم في البيت قبله. وقوله (**منها**): أي من المحبوبة الحقيقيّة. وقوله (**فوق ما كنت راجياً**): أي مترجّياً، قال في القاموس: «الرجاء ضِدُّ اليأس». وفي الصحاح: « الرجاء: من الأمل ممدود، يقال: رَجَوْتُ فُلاناً أَرْجُو رَجَاء» وقوله (**مالم أكن أمّلت**): بتشديد الميم، أي: وأمراً عظيماً لم أكن أمّلْتُه. وقوله (**من قريب**): بيان لما. والقُرب: ضدّ البُعد. وقوله (**قُرْبَةً**): بضمّ القاف وسكون الراء، قال في الصحاح: « تَقَرّب إلى الله تعالى بشيء، أي: طَلَبَ به القُرْبَةَ عنده، وقَرَّبْتُهُ تقريباً: أي: أَدْنَيْتُهُ، والقُرْبَة أيضاً القَرَابَةُ. وقُرْبُ القَرَابَة: دُنوُّهَا» إشارة إلى معنى ما ورد في الحديث: «اليوم أرفع أنسابكم وأضع نسبي»[1].

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ ﴾ [٢٣/ المؤمنون/ ١٠١]. وفي الحديث: «الرحم شجنة معلّقة بالعرش»[2] وهو عرش الاستواء: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [٢٠/ طه/ ٥] واشتقاق الرحم من الرحمن. والرحم: القرابة. وهي

(١) انظر تخريجه ص٣٥٥.

(٢) انظر تخريجه ص٧٩٤.

القربة، وهذا شيء ليس في أمل العبد، ولا كان راجياً له.

٣٧٨- وَأَرْغَمَ أَنْفَ البَيْنِ لُطْفُ اشْتِمَالِهَا   عَلَيَّ بِمَا يُرْبِي عَلَى كُلِّ مُنْيَةِ

(**وأرغم أنف البين**): يقال أرغم الله أنفه: ألصقه بالرَّغام، بالفتح: التراب، كذا في الصحاح. و(**البَيْن**): الفراق، تقول منه: بَانَ يَبِيْنُ بَيْنَاً. وقوله (**لُطْفُ**): فاعل أرغم. وقوله (**اشتمالِها**): أي المحبوبة الحقيقيّة.(**عليَّ**): بتشديد الياء التحتيّة مفتوحة. وهذا الاشتمال من قوله تعالى: ﴿وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [٤٠/غافر/٧] فإنّ وسع الشيء يقتضي الاشتمال عليه، والإحاطة به، والله بكل شيء محيط. والمراد الكشف عن ذلك وإلّا فهو معنى عام في كلّ شيء. ولا شك أنّ معلومات الوجود مشتمل عليها، ومحيط بها، وواسع لها. سواء كان الوجود منسوباً إليها عندها، أو لم يكن منسوباً إليها كما هي كذلك في نفس الأمر. وقوله (**بما**): أي بأمر عظيم متعلّق بأرغم. وقوله (**يُربي**): مضموم الأوّل، من أربى المتعدِّي، قال في القاموس: « أَربيته يعني زدته». وفي الصحاح: « أُربيت: إذا أخذت أكثر مما أعطيت». والجملة صفة (ما). وقوله (**على كلّ مُنْيَةِ**): متعلّق بـ أربى. والمُنْيَة: ما يتمنّاه الإنسان، قال في القاموس: « تمنّاه: أراده، وهي المُنية بالضمّ والكسر».

٣٧٩- بِهَا مِثْلَ مَا أَمْسَيْتُ أَصْبَحْتُ مُغْرَماً   وَمَا أَصْبَحَتْ فِيْهِ مِنَ الحُسْنِ أَمْسَتِ

(**بها**): أي بالمحبوبة الحقيقيّة، متعلّق بـ مغرماً، قدّم للحصر، أي: لا بغيرها. وقوله (**مثلَ**): بالنصب، خبر مقدّم لأصبحت. وقوله (**مغرماً**): حال من اسم أصبح، وهو التاء المضمومة ضمير المتكلِّم، أي: أصبحت، يعني: دخلت في الصباح مثل (ما): مصدرية. (**أمسيت**): أي إمسائي، يعني: دخولي في المساء. والمعنى: إنّ الغرام ملازم لي لا يفارقني. وقوله (**وما**): مبتدأ، أي: الذي أصبحت فيه من الحُسْن، بيان لما. وقوله (**أمست**): أي فيه، وكسر التاء للقافية. والجملة

خبر المبتدأ. والضميران للمحبوبة الحقيقية. ومعناه: إنّ حُسْن هذه المحبوبة لا يقبل الزيادة ولا النقصان؛ وإنّما قدّم الإمساء على الإصباح في الذكر، لأنّ الإمساء صفته الظلمة، والإصباح نور، وهو صفة المحبوبة، فقدّم صفته، لأنّها الأصل فيه، فإنّه كان في ظلمة العدم، فأشرف عليه نور الوجود، فظهر بحكم قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [٢٤/ النور/ ٣٥] ولهذا قدّم وصفه أيضاً بأنّه مغرم على وصف المحبوبة بالحُسْن مبالغة/ [١٨٩/ ب] في حُسنها بأنّه أثبت فيه الغرام قبل ظهوره له من قبيل قول أبي نواس في مبالغة وصف الخمرة:

أمرُّ بالكرْم جَنْب حائطها وتأخذني نشوة من الطرب

أسكر بالأمس إن عزمت على الشرب غداً إنّ ذا من العجب

وفي قوله (وما أصبحت فيه من الحسن أمست) إشارة إلى أنّ ما ظهرت وتجلّت به من الجمال الحقيقيّ اختفت به أيضاً؛ فهي ظاهرة في عين بطونها، وباطنة في عين ظهورها، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾.

٣٨٠- فَلَوْ مَنَحَتْ كُلَّ الوَرَى بَعْضَ حُسْنِهَا خَلَا يُوسِفٍ مَا فَاتَهُمْ بِمَزِيَّةِ

(**فلو منحت**): أي أعطت، يقال: مَنَحَه كمَنَعَه وضَرَبَه: أعطاه، كذا في القاموس. والضمير للمحبوبة الحقيقيّة. وقوله (**كلّ الورى**): مفعول منحت، والورى كفتىً: الخلق، كذا في القاموس. وقوله (**بعض**): مفعول ثانٍ لمنحت وضمير حُسنها للمحبوبة الحقيقيّة. وقوله (**خلا يوسفٍ**): خلا كلمة يُستثنى بها، فإذا قلت خلا زيدٍ فجررتَ فهو عند بعض النحويين حرف جر بمنزلة حاشا. وعند بعضهم مصدر مضاف» و(**يوسفٍ**): اسم مصروف لضرورة الوزن، وهو ابن يعقوب النبيّ عليهما السلام؛ وإنّما استثنى يوسف عليه السلام، لأنّه أُعطِيَ شطر الحُسن كما ورد في الحديث. أي: الحسن الحادث المنسوب إلى الحوادث، أو كلّ الحُسن الحادث. فلو أنّ هذه المحبوبة الحقيقيّة أعطتْ جميعَ المخلوقين ما عدا

يوسف عليه السلام بعض حُسنها القديم المنسوب إليها. (ما فاتهم): أي سبقهم وذهب عنهم يوسف عليه السلام (بمزيّة): قال في القاموس: «فاته الأمر فَوْتاً: ذهب عنه». وفي الصحاح: «الافتيات: افتعالٌ من الفَوْت، وهو السبْق إلى الشيء دون ائتمار من يُؤتمر. تقول: افتات عليه بأمر كذا، أي: فاته به». وقوله (بمزيّة): أي فضيلة، يقال: له عليه مزيّة، ولا يُبنى منه فعل، كذا في الصحاح. والمراد بيان حُسْنها العظيم، الكامل القديم، وإنّه يتفاوت في ظهوره بالمظاهر، وتجرّده عنها، فلمّا أعطت يوسف عليه السلام شطر الحُسْن، أو كلّه، بطريق التجلّي بالصورة اليوسفيّة حدث الحُسْن ليوسف عليه السلام بحدوث صورته اليوسفيّة، ونشأته الإنسانيّة، فاشتهر بكمال الحسن بين المخلوقين، حتّى صار بحيث يُضرب به المثل في الحسن والكمال. ولقد أنشدني المرحوم مفخر العلماء والمدرِّسين إبراهيم أفندي العمادي من فمه لنفسه في إمام حسن الوجه:

صلّى بنا عذب اللمى ... وذو القوام الأهيفِ
فسمعت سورة يوسف ... ورأيت سورة يوسفِ

والمعنى: إنّ هذه المحبوبة الحقيقيّة لو أعطتْ بعض حُسنها على فرض أن حسنها القديم يمكن أنْ يتجزّأ، وهو محال لجميع المخلوقات من غير تجلّ في مظاهرهم، بأن تفنى مظاهرهم، وتضمحلّ في ظهور ذلك الحسْن الحقيقيّ. لم يكن ليوسف عليه السلام مزيّة بحُسْنه على جميع المخلوقات؛ بل يظهر مساواة حسنه لحسنهم، وفيه أدب مع يوسف عليه السلام، حيث لم يقل: فاتوه بالمزيّة؛ لأنّ فناء المظهر في التجلّي بالصورة من مقامه أيضاً، فيكون الكلام في حاله عليه السلام مع عدم اعتبار ذلك بالنظر إلى عامّة النّاس في جميع المسالك.

٣٨١- صَرَفْتُ لَهَا كُلِّي عَلَى يَدِ حُسْنِهَا ... فَضَاعَفَ لِي إِحْسَانُهَا كُلَّ وُصْلَةِ

(صرفت): أي أنفقت. (لها): أي لأجلها. والضمير للمحبوبة الحقيقيّة. وقوله (كلّي): مفعول/[١٩٠/أ] صرفت، أي: أذهبت ومحوت جميع نشأتي الظاهرية

والباطنيّة، بحيث لم يبقَ منّي بقيّة. وقوله (على يد حسنها): أي بمباشرة حسنها لذلك الصرف، فهو منسوب إليّ، وهو فعلها على الحقيقة؛ فإنّ الحقّ إذا ظهر زهق الباطل، وكلّ شيء ما خلا الله باطل، إنّ الباطل كان زهوقاً في نفس الأمر على وجه المبالغة. فإذا زهق بالنسبة إلى العبد العارف لم يكن زهوقه مساوياً لما هو في نفس الأمر؛ بل أدنى من ذلك لشعور العبد بذلك في بقيّة الله التي هي خير.

وقوله (فضاعف لي): أي أكثر لي، قال في الصحاح: «التَضعيف: أنْ يُزاد على أصل الشيء فيُجعَل مثلين أو أكثر. وكذلك الإضعاف والمُضاعَفَة، يقال: ضَعَّفْتُ الشيء وأَضْعَفتُه وضاعفته بمعنى». وقوله (إحسانها): فاعل ضاعف، والضمير للمحبوبة الحقيقيّة. والإحسان: ضدّ الإساءة، كذا في القاموس.

وقوله (كلّ وُصلة): مفعول ضاعف. و(الوُصْلَة): بالضمّ الاتّصال، وكلّ ما اتّصل بشيء فما بينهما وُصْلَة. ومعنى مضاعفة الإحسان له كلّ وُصْلَة، وزيادة القرب بالكشف عن التجلّيات في كلّ شيء محسوس، أو معقول، أو موهوم؛ فإنّ الوجود الواحد الحقّ متجلٍّ بصور جميع المخلوقات؛ لأنّه الخالق البارئ المصور فإذا تجلّى على العبد بصورة الكشف والشهود؛ فقد أحسن كمال الإحسان المضاعف بعدد ذرّات الوجود، وهو الاتصال التّام، وكمال الإنعام. فإنّه على قدر الفناء والاضمحلال يكون الظهور والانجلاء لوجه الحسن والجمال.

٣٨٢- يُشَاهِدُ مِنِّي حُسْنَهَا كُلُّ ذَرَّةٍ بِهَا كُلُّ طَرْفٍ جَالَ فِي كُلِّ طُرْفَةِ

(يشاهد): أي يعاين. وقوله (منّي): الجار والمجرور صفة لذرّة، على أنّ أصل المعنى: يشاهد كلُّ ذرّةٍ منّي حُسْنَها. (وحسنها): مفعول يشاهد، والضمير للمحبوبة الحقيقيّة. وقوله (كلّ ذرّة): فاعل يشاهد. و(الذرّة): بالذال المعجمة. والمراد قَدْرَ ذَرَّة. قال في القاموس: «الذَّرُّ صغار النمل، ومئة منها زنة حبّة شعير، الواحدة: ذرّة». وفي الصحاح: «الذَّرّ: جمع ذَرّة، وهي أصغر النمل». وهي مشاهدة حسّ وكشف، فيشترك فيها الحواس وغيرها. وقوله (بها): أي بتلك

الذرّة؛ يعني: فيها، وهو خبر مقدّم. وقوله (كلُّ): مبتدأ. (طَرْفٍ): مضاف إليه. والطَرْفُ بفتح الطاء المهملة: العين. ولا يجمع، لأنّه في الأصل مصدر فيكون واحداً، ويكون جماعة، قال تعالى: ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ [١٤/ إبراهيم/ ٤٣] فمعناه: إنّ كلّ مقدار ذرّة منه لها كلّ عين مشاهدة لسريان صفة الحياة الإلهيّة بالوجود الساري من غير سريان؛ إذ من المحال سريان الوجود في العدم، وظهور ظلمة الحدوث في نور القدم. وقوله (جال): بالجيم، وفاعله ضمير مستتر راجع إلى كلّ طرف. والجملة صفة طرف. وقوله (في كلّ طُرْفة) : بضمٍّ الطاء المهملة وسكون الراء، وهي الشيء اللطيف المعجب. وأصله كما قال في الصحاح: «الطَارِف والطَرِيف من المال: المُسْتَحْدَث، وهو خلاف التَالِد والتَلِيْد. والاسم الطُرْفَة. وقد طَرُفَ بالضمّ، وأَطْرَف فلان إذا جاء بطُرْفَة».

٣٨٣- وَيُثْنِـي عَلَيْهَـا فِيَّ كُـلُّ لَطِيْفَـةٍ بِكُـلِّ لِسَانٍ طَـالَ فِي كُـلِّ لَفْظَـةِ

(ويثني): بالضمّ، من أثنى عليه، والثَناء بالفتح: الوصف بالمدح، كذا في القاموس. وقوله (عليها): أي على المحبوبة الحقيقيّة. وقوله (فيّ): بتشديد الياء التحتيّة، أي: في نشأتي الإنسانيّة من حيث ظاهري وباطني. وقوله (كلّ لطيفة): فاعل يثني. واللطيفة هي الروحانيّة المنبعثة من القلب الإنسانيّ، المتطوِّرة بأطوار الأسرار والمعاني. وقوله (بكلّ لسان): متعلّق بـ يثني، وهذا على طريق الاستعارة المكنيّة المبنيّة على التشبيه بالإنسان، وإثبات اللسان لها تخييل. وقوله (طال): أي ذلك اللسان/ [١٩٠/ ب] بمعنى: إنّه أكثر النطق. وقوله (في كلّ لفظة): أي كلمة يلفظ بها، وهو كثرة الشكر من الاسم الشكور، قال تعالى: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [٣٤/ سبأ/ ١٣].

٣٨٤- وَأَنْـشَقُ رَيَّاهَـا بِكُـلِّ رَقِيْقَـةٍ بِهَـا كُـلُّ أَنْـفٍ نَاشِـقٍ كُـلَّ هَبَّـةِ

(وأنشَقُ ريّاها): بتشديد الياء التحتيّة، قال في القاموس: «الرَيَّا: الريحُ الطيّبة».

والضمير للمحبوبة الحقيقيّة، ورائحتها ما ينبعث عنها وعن أمرها، وهو الروح الفائح في جملة الأكوان، قال القائل:

ناشدتك الله نسيم الصَبَا من أين هذا النَّفَس الطيِّب

وقال العفيف التلمساني قدّس سرّه:

أسكرت بان الحمى يا نسمة السحر فهل أتيت من الأحباب بالخبر

نعم مررت بذاك الحيّ واكتسبت ذيول بردك ريّا نشره العطر

وقوله (**بكلّ رقيقة**): أي روحانيّة رقيقة، من الرِّقَّة، قال في الصحاح: « الرقيق نقيض الغليظ والثخين. وقد رَقَّ الشيء يَرِقّ رِقَّة». وتكرار الأمر الإلهيّ يقتضي تكرار الروح الصادر عنه، لأنّه من أمر الله ، قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨٥] وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ﴾ [٥٤/ القمر/ ٥٠] يعني: في الظهور والخفاء بالروح الساري في الأجسام الطبيعيّة، فالروح رقيقة، وهي رقائق ممتدّة من حضرة الأمر الإلهيّ. ولنا من المواليا ما يقرب من هذا المعنى:

لطائر السرّ في أوج الرقيقة وكر ضع حبّة القلب لُوا نصب فخاخ الذكر

واستنزلوا عل ينزل بالرداح البكر عليك يوماً فتنحوا من قيود الفكر

وقوله (**بها**): أي بالرقيقة، يعني: فيها، وهو خبر مقدّم. وقوله (**كلّ أنف**): مبتدأ مؤخر. وقوله (**ناشق**): صفة أنف. وقوله (**كلّ هَبَّةٍ**): مفعول ناشق. والهَبَّة: المرّة من ثوران الريح، قال في القاموس: « الهَبُّ والهُبُوب: ثَوَرَان الريح كالهَبِيب» وإثبات الأنف للرقيقة على طريقة التخييل للاستعارة المكنية. وذكر النَشْق: ترشيح، لأنّه يلائم المشبّه به.

٣٨٥- وَيَسْمَعُ مِنِّي لَفْظَهَا كُلُّ بَضْعَةٍ بِهَا كُلُّ سَمْعٍ سَامِعٍ مُتَنَصِّتِ

(**ويسمع منِّي**): جار ومجرور متعلّق بواجب الحذف صفة لبضعة، معناه: كلّ بضعة منِّي. وقوله (**لفظها**): مفعول يسمع. والضمير للمحبوبة الحقيقيّة. وقوله (**كلّ**

بَضْعَةٍ): فاعل يسمع. و(البَضْعَة): بفتح الباء الموحّدة وسكون الضاد المعجمة وبالعين المهملة والهاء: القطعة من اللحم. وقوله (بها): أي بتلك البضعة. يعني: فيها كلّ سَمْعٍ، وهو سَمْعُ الإنسان، ويكون واحداً وجمعاً لقوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ [٢/ البقرة/ ٧] لأنّه في الأصل مصدر قولك سَمِعْتُ الشيءَ سَمْعاً وسَمَاعاً، كذا في الصحاح. وقوله (سامع): وصف السمع، وكذلك متنصِّت صفة لسمع أيضاً. ومعناه الساكت المستمع للحديث.

٣٨٦- وَيَلْثُمُ مِنِّي كُلُّ جُزْءٍ لِثَامَهَا   بِكُلِّ فَمٍ فِي لَثْمِهِ كُلُّ قُبْلَةِ

(ويلثم): من لَثِمَ فاها كسَمِعَ وضرب: قَبَّلَها، كذا في القاموس. وقوله (منّي) متعلّق بواجب الحذف صفة لجوء، وأصله كلّ جزء منّي. وقوله (كلّ): فاعل يلثم. وقوله (جزء): مضاف إليه. (ولثامها): مفعول يلثم. والضمير للمحبوبة الحقيقيّة. واللثم: كناية عن كمال الإقبال بشدّة المحبّة، والتحقّق بالشهود. واللثام الحجاب وأصله كما قال في المصباح: «اللِثام بالكسر: ما تغطّي به الشفة». وفي القاموس: «لِثام ككتاب ما علا الفم من النقاب». والفم موضع ظهور الحروف والكلمات/ [١٩١/ أ] وهي النفوس التي هو صور التجلّيات الإلهيّة من اسمه تعالى المصوِّر. وكذلك الأشياء الهالكة، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [٢٨/ القصص/ ٨٨]. وقوله (بكلّ فم): لأنّ كلّ جزء صورة عن مصوِّر، فكلّ جزء حرف من حروف كلمة إلهيّة كقوله تعالى: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾ [٤/ النساء/ ١٧١] فإنّ عيسى عليه السلام مركّب من أجزاء طبيعيّة وعنصرية، وقوى روحانيّة. وكذا كلّ شيء. قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ [٣/ آل عمران/ ٥٩] وإنّما التمييز بين الأشياء بالمعرفة وظهور العلم. وقوله (في لثمه): أي لثم كلّ فم، بمعنى شهود في تجلّيه بالصور. (واللثم): مصدر لَثَمْتُ الفم لَثْماً من باب ضرب: قَبّلته، ومن باب تعب لغة، كذا في المصباح. وقوله (كلّ

قُبلة): بضمّ القاف اسم من قَبَّلْتُ الشيءَ تَقْبِيلاً، والجمع: قُبَل كغُرْفَة غُرَف، كذا في المصباح. وفي القاموس: «والقُبْلة بالضمّ: اللَثْمَة». والمعنى: في لَثْم ذلك الفم قُبل كثيرة من القبول، والإقبال، من التحقّق بأنواع الجلال والجمال، ولطائف الكمال، وشهود الإفضال.

٣٨٧- فَلَو بسَطتْ جِسْمِي رأتْ كُلَّ جَوْهَرِ بِـهِ كُـلُّ قلْـبِ فِيْـهِ كُـلُّ مَحَبَّـةِ

(فلو بسطت جسمي): أي حللت أجزاء بعضه من بعض، إذ هو مركّب من الأحوال التي لا تتجزّأ، وهي الجواهر الفردة. وقوله (رأت كلّ جوهر): أي كلّ جزء من تلك الأجزاء. وقوله (به): أي بكلّ جوهر.(كلُّ قلب): أي توجّه روحانيّ، وسرّ ربّانيّ. وقوله (فيه): في ذلك القلب. (كلُّ محبّة): أي ميل وإقبال وعشق وإجلال.

٣٨٨- وَأَغْرَبُ مَا فِيْهَا اسْتَجَدْتُ وجَادَلي بِـهِ الفَـتْحُ كَـشْفَاً مُـذْهِباً كُـلَّ رِيْبَـةِ

(وأغرب): بالغين المعجمة والراء والباء الموحّدة، أي: أكثر غرابة، وهو مبتدأ، خبره قوله (شهودي): في البيت بعده. وقوله (ما): أي شيء، أو أمر. (فيها): أي في محبَّتها. يعني: محبّة المحبوبة الحقيقيّة. وقوله (استجدّت): أي وجدت جيداً، قال في القاموس: «الجيد ككيِّس: ضدّ الرديء واسْتَجَادَهُ: وَجَدَهُ، أو طَلَبَه جَيِّداً. واسْتَجَادَهُ: طَلَبَ جُودَه فَأَجَادَهُ أياه، وأَعْطَاهُ أياه، والجُوْدُ: السَخَاءُ». وقوله (به): متعلّق بجاد أيضاً. وقوله (به): متعلِّق بجاد أيضاً. وقوله (الفتح): فاعل جاد، وهو زوال الوهم عن عين البصيرة، كأن حقائق التجلِّيات الإلهيّة التي هي أبواب الحضرة الربّانيّة مغلقة عليها إغلاق الأغيار، باستيلاء الوهم والغفلة التي كالغبار المثار. و(الفتح): هو إزالة تلك الأغلاق، وإزاحتها بنور الحقّ تعالى، وظهور ذلك الإشراق. وقوله (كشفاً): تمييز، أي: من جهة الكشف، وذهاب الأستار الوهميّة المتمكّنة في البصيرة الإنسانيّة، واعتادت عليها الطبيعة، والنفس منقادة لذلك

مطيعة. وقوله (**مذهباً**): بصيغة اسم الفاعل، من أَذْهَبَ الشيءَ: أَزاله ومَحَقَهُ. وقوله (**كلّ**): مفعول مذهباً. وقوله (**ريبة**): بكسر الراء مضاف إليه، وفي القاموس: «الرِّيبَةُ بالكسر: الظِنَّة والتُهْمة». وفي المصباح: «الرَّيْب: الظَنّ والشَكّ. ورَابَني يَرِيبُني: إذا جعلكَ شاكّاً، ورَابَني من فلان أمر يَرِيبُني رِيْباً: إذا استيقنتُ منه الرِّيبة، فإذا أَسَأْتَ به الظَنّ ولم تَستيقن منه الرِيبة قلتَ: أَرَابَني منه أمرٌ هو فيه إرابَةً، وأَرَابَ فلانٌ إِرابة فهو مُرِيب: إذا بلغكَ عنه شيء أو تَوَهَّمْتَهُ. وفي لغة هذيل: أَرابني بالألف: فرِبْتُ أنا وارْتَبتُ: إذا شَكَكْتُ».

٣٨٩- شُهُودِي بِعَيْنِ الجَمْعِ كُلَّ مُخَالِفٍ وَلِيَّ ائْتِلَافٍ صَدُّهُ كَالمَوَدَّةِ

(**شهودي**) خبر المبتدأ الذي هو أغرب في البيت قبله، وفي المصباح: «شهدتُ الشيء أطّلعتُ عليه وعاينته، وشاهدته مشاهدة مثل: عاينته معاينة». وقوله (**بعين**): /[١٩١/ ب] الجمع، وهي الحقيقة التي قبلت الظهور بكلّ شيء،أي: بكلّ صورة صادرة عنها من تجلّيها بالاسم المصوِّر. و(**الجمع**): خلاف الفرق، والفرق شهود الأغيار في جمع وحدته الواحد القهار، وقوله (**كلّ مخالف**): مفعول شهودي. أي: كلّ من يخالفني، ولا يوافقني في ديني أو دنياي، أو حال من أحوالي، أو قول من أقوالي.

وقوله (**وليّ**): بتشديد الياء التحتيّة، فعيل بمعنى فاعل، أي: موالٍ، بمعنى متابع. وقوله (**ائتلاف**): قال في المصباح: «أَلِفْتُهُ إِلْفَاً، من باب عَلِمَ: أَنِسْتُ به وأَحْبَبْتُه. والاسم: الأُلفة، بالضمّ، أيضاً اسم من الائتلاف، وهو الالتئام والاجتماع». وقوله (**صَدُّه**): أي إعراضه عنّي كالمودّة لي، وذلك لأنّه صدَّ عَنّي بعين الجمع التي أراه بها من حيث لا يشعر، فصدّه عنّي بالعين التي أنا ناظر بها إليه، فهو إقباله عليّ بمنزلة المودّة لي، ولا اعتبار عنده لخصوص صورة الصدّ والإعراض مع عين الجمع لفنائها فيها، ومن ذلك قول الشيخ الأكبر قُدِّس سرّه:

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي   إذا لم يكن ديني إلى دينه داني
فلمّا صفا كوني تلطّف بي فلم   أجِدْ غيرَ ذاتيّ تنجلي بين أكواني

٣٩٠- أحَبَّنِي اللَّاحِي وَغَارَ فَلَامَنِي   وَهَامَ بِهَا الوَاشِي فَجَارَ بِرِقْبَتِي

(**أحبني اللَّاحِي**): أي الذي يلحاني، أي: يلومني في المحبّة، قال في الصحاح: «لَحَيْتُ الرجلَ ألْحَاهُ لَحْيَاً إذا لُمته». وقوله (**وغار**): بالغين المعجمة، من الغَيْرَةِ بالفتح، يُقال :غار على امرأته، وهي عليه تغار غَيرة. والمعنى: إنّ العذول الذي يلومني على محبّة المحبوبة الحقيقيّة، هو يحبّها أيضاً مثلي، وهي ظاهرة له بصورتي التي صوّرتها، لها من تجلّي اسمها المصوِّر، فأحبَّني لذلك وهو لا يشعر؛ فهو لاحِ يلحاني من حيث أنني غيرها عنده، وشعر بي أنّني أحبّها معه، فغار منّي عليها، فلامني على محبَّتي لها، جهلاً منه بما الأمر عليه في نفسه.

وقوله (**وهام**): قال في المصباح: «هَامَ يَهِيْمُ هيماً وهِيامَاً خرج على وجهه لا يدري أين يتوجّه، فهو هائم إنْ سلك طريقاً مسلوكاً، فإنْ سلك طريقاً غير مسلوك فهو راكب التعاسيف». وقوله (**بها**): أي بالمحبوبة الحقيقيّة. وقوله (**الواشي**): يقال وَشَى به عند السلطان وَشْياً: سَعَى به، ووَشَى في كلامه وشياً: كذب، كذا في المصباح. وهو الذي ينقل الكلام بين المحبّ والمحبوب ليفرِّق بينهما. والمعنى: إنّ الواشي هام في محبَّة المحبوبة الحقيقيّة من حيث لا يشعر، وشعر بأنّي محبّ لها مثله فسعى في إفساد ما بيني وبينها. وهو قوله (**فَجَارَ**): بالجيم من الجَوْر وهو الظلم، أي: ظلمني (**برِقْبتي**): بكسر الراء: اسم من رَقَبْتُه رُقُوباً من باب قعد: حفظته، فأنا رَقِيب، ورَقَبْتُهُ وتَرَقَّبْتُه وارْتَقَبْتُهُ. يعني: تجاوز الحدّ في أمري، بسبب مراقبته إياي، لينكر عليَّ أفعالي، وهي أفعال محبوبته من حيث لا يشعر. ولله درّ الشيخ نجم الدين بن إسرائيل الحريري الدمشقيّ، قُدّس سرّه من قصيدة له:

مَا في محبّتها ضدٌّ أضيق به   هي المدام وكلّ الناس ندماني

وقال قدّس سرّه من أخرى:

مـا أنـت غـيري فـما لي غَـيرة أبـداً لو أضحت الأرض ملآى من محبِّيكا

وقال أيضاً منه أخرى:

يـا مـن برؤيـاه يـتمّ الـسرور ومـن لـه في كـلّ شيء ظهـور

أنـت الـذي تـشتاق أرواحنـا إليـه في حـال النـوى والحـضور

دام تجلّيـك فـلا غـيرة وغـيرة العاشـق عـين الغـرور

٣٩١- فَشُكْرِي لِهَذَا حَاصِلٌ حَيْثُ بِرُّهَا لِـذَا وَاصِـلٌ وَالْكُـلُّ آثَـارَ نِعْمَتِـي

[١٩٢/ أ] (فشكري لهذا): أي اللَاحي، وهو اللائم. (حاصل): منِّي، لأنّه لا يلومني على المحبّة إلّا خوفاً منه على أنْ تهلكني المحبّة؛ فهو يحبُّني، وأنا أشكره على ذلك. وقوله. (حيث بِرّها): بكسر الباء الموحّدة، وهو الإحسان، والضمير للمحبوبة الحقيقيّة. وقوله (لهذا): أي للواشي الواصل، فبسبب وصول إحسانها إليه واعترافه بذلك تقيد بالقيام بأحكامها الشرعيّة على وجه الإخلاص؛ فهو يشي إليها في نفسه ما يظهر له من منكر أحوالي على حسب رؤيته، وسوء ظنِّه، فينقل إليها في نفسه سوء أحوالي في المحبّة بمقتضى ما يتراءى له منِّي، وينقل لي عنها إنكارها أحوال محبّتي في حكم شريعتها بحسب ما يعلم من ذلك؛ فالواشي هو العالم المخلص العامل بعلمه من علماء الرسوم الغافلين عن معرفة نفوسهم، ومعرفة ربِّهم، واللَاحي هو الصديق المصاحب لي من الجاهلين في أيام الغفلة. ولمّا كان هذان الرجلان يعتقدان الثنويّة، وقد فاتهما التحقّق بالتوحيد الحقيقيّ، فهما قائمان بالشرك الخفيّ في دعوى نفوسهما الاستقلال بالأعمال، والأقوال، والأحوال. وغيرهما عندهما، كذلك قال بعده (والكلّ): أي أنا وهما، وكذلك غيرنا. (آثار): جمع أثر. وقوله (نعمتي): أي إنعامي علينا جميعاً من حيث حقيقتي التي هي حقيقتها، وحقيقة غيرنا أيضاً، وحقيقة كلّ شيء التي هي حقيقة واحدة،

أنا صُورتُها، وهما أيضاً صورتاها، وغيرنا أيضاً صورها، والأشياء كلّها صورها. على معنى أنّها صَوَّرت هذه الصور كلُّها بتجلّي اسمها المصوِّر. من أجلها قال تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [٤٠/ غافر/ ٦٤] وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ [٥٩/ الحشر/ ٢٤] ، قال تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٨٤] وقال: ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ﴾ [٢٧/ النمل/ ٩١].

٣٩٢- وَغَيْرِي عَلَى الأَغْيَارِ يُثْنِيْ وَللسِّوَى سِوَايَ يُثَنِّي مِنْهُ عِطْفَاً لِعَطْفَةِ

(وغيري): أي إنسان غيري. يعني لا تظنّ أنّي لّما شكرت اللّاحي على لومه لي، ومدحت الواشي بوصول إحسان هذه المحبوبة الحقيقيّة إليه أنّني أثني على الأغيار، فإنّ غيري من الناس يفعل ذلك. وقوله (على الأغيار): جمع غير، أي: أغيار هذه المحبوبة الحقيقيّة. والجار والمجرور متعلّق بـ يُثني، قدّم عليه للحصر. ومعنى: يثني يَمدح، وهو الشكر، ومعناه الثناء الجميل، قال في المصباح: «أَثْنَيتُ على زيدٍ، بالألف والاسم الثَناء، بالفتح والمد. واستعماله في الذكر الجميل أكثر، يقال: أَثنيتُ عليه خيراً وبخير، وأَثنَيتُ عليه شراً وبشرٍّ، لأنّه بمعنى: وَصَفْتُهُ، أو لأنّه يثني مرّة بعد أخرى، أي: يعاد»، وأطال في ذلك. والمراد هنا الثناء بالخير. وقوله (وللسوى): بكسر السين المهملة، أي: للغير، أي: غير المحبوبة الحقيقيّة. والجار والمجرور متعلّق بيثني، قُدّم عليه للحصر. وقوله (سوايَ): بكسر السين المهملة، أي: غيري من الناس. وقوله (يُثنِّي): بتشديد النون للوزن مبالغة، قال في القاموس: «ثَنَى الشيءَ كسَعَى: رَدّ بعضَه على بعض فَتَثَنَّى وانْثَنَى واثْنَوْنَى: انعطف». وفي الصحاح: « ثَنَيْتُ الشيءَ ثَنْياً عطفته». وقال الراغب: « يقال لِلَاوِي الشيء: قد ثَناهُ، نحو قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾ [١١/ هود/ ٥] وقوله: ﴿ثَانِىَ عِطْفِهِۦ﴾ [٢٢/ الحج/ ٩] وذلك عبارة عن التنكّر والإعراض، ونحو: لَوَى شِدْقَه، ونَأَى بجانبه». وقوله (منه): أي من سواي على التجريد. وقوله (عِطْفاً):

بكسر العين المهملة، قال في المصباح: «عِطْفُ الشيء جانبه، والجمع: أعْطَاف، مثل: حِمْل وأحْمَال». وقوله (لعَطْفَةِ): بفتح العين المهملة، فعل مرة من العَطْف، وهو الميل. قال في القاموس: «عَطَفَ يَعْطِف: مَال، وعليه أَشْفَق كَتَعَطَّفَ».

٣٩٣- وَشُكْرِيَ لِي وَالبِرُّ مِنِّي وَاصِلٌ   إليَّ ونَفْسِي بِاتِّحَادِي اسْتَبَدَّتِ

(وشُكْرِيَ): بفتح الياء التحتيّة للوزن، وهو الذي تقدّم في قوله: فشكري لهذا واصل/ [١٩٢/ ب] بعد أنْ أشار إلى أنّه ليس شكراً لغير المحبوبة الحقيقيّة بقوله (وغيري على الأغيار يثني ...إلخ): أشار هنا إلى أنّ شكره ليس لغيره أيضاً؛ فهو متحقِّق بالحقيقة في غيره وفي نفسه أيضاً، كما قال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [٤١/ فصلت/ ٥٣]. وقوله (لي): أي لحقيقة نفسي المصوِّرة لها. وقوله (والبِرُّ): بالكسر، أي: الإحسان، وهو الذي تقدّم. (واصل): بعد أن أشار إلى أنّه ليس واصلاً لغير الحقيقة من غيرها بقوله (وللسوى سواي يثني منه عِطفاً).وقوله (مِنِّي): متعلِّق بواصل، قُدّم للحصر. وقوله (واصل إليّ): بتشديد الياء التحتيّة، أي: إلى غيري، كما قال عفيف الدّين التلمسانيّ قدّس الله سرّه في مطلع قصيدة له:

وجودي وحبِّي أنْ أقول وجود   له كرم منه عليه وجود

ولابن إسرائيل قدّس الله سرّه:

يا نديمي إنْ كنت غيري فلا تشرب   فإني منزّه عن ثاني

وتحقّق أنّ المدامة والخمّار   والدير والحِمَى والغواني

والوجود الأرضي والعالم العلويّ   حقّاً وجملة الأكواني

واحد إن نظرت أن له ثاني   فلا تلتفت إلى قول ثاني

وقوله (ونفسي): الواو للحال، أي: نفسي من حيث وجودها الحقّ الذي هي قائمة به، لا من حيث صورتها العدميّة الفانية. وقوله (باتّحادي): مع الحقّ تعالى.

(استبدّتِ): بكسر التاء للقافية، يقال: استبدّ فلان بكذا أي: تفرّد به، كذا في الصحاح. والمعنى: إنّ نفسي تفرّدت دون غيري من الناس باتّحادها مع الحقّ تعالى، فإنّه تعالى هو المصوّر لنفسي. ونفسي صورته التي صوَّرها له، لا لها، كما ورد: «يا ابن آدم خلقت الأشياء كلَّها من أجلك، وخلقتك من أجلي، فلا تشتغل بما خُلق من أجلك عمّن خُلقْتَ من أجله»[1].

٣٩٤- وثَـمَّ أُمُـوْرٌ تَـمَّ لِي كَـشْفُ سِـتْرِهَا بِـصَحْوٍ مُفِيْـقٍ عَـنْ سِـوَايَ تَغَطَّـتِ

(وثَمَّ): بفتح الثاء المثلّثة وتشديد الميم مفتوحة؛ بمعنى هناك، وهي للبعيد بمنزلة هنا للقريب، كذا في الصحاح. والإشارة بِثَمَّ إلى مقام الاتّحاد الذي ذكره في البيت قبله. وقوله (أمور): جمع أمر، وهو الشأن، العظيم. وقوله (تمَّ): بفتح التاء المثنّاة الفوقيّة وتشديد الميم مفتوحة، بمعنى كمل. وقوله (لي): متعلّق بـ تمَّ. وقوله (كشف): فاعل تمّ، أي: إزالة سِترها، بكسر السين المهملة، أي: حِجَابَها. وقوله (بصحو): متعلّق بكشف. والصحو: خلاف السكر. و(مفيق): مضاف إليه، وهو اسم فاعل من أفاق، قال في الصحاح: «اسْتَفاقَ من مرضِهِ، ومن سُكْرِهِ، وأَفاقَ بمعنى». يعني: يصحو رجل مفيق من سكر المحبَّة الإلهيّة، والعشق الربّانيّ. ولا يُقال: صحو إلّا بعد السُكْر، ولا إفاقة كذلك. وهو الإنسان الكامل، العالم، المتحقِّق، العامل. وقوله (عن سوايَ): أي عن غيري من الناس. (تغطّتِ): بكسر التاء للقافية. والضمير المستتر يعود إلى تلك الأمور، وهي أمور إلهيّة، وأسرار ربّانيّة، تعرفها أهل الأذواق، يحرم كشفها لأرباب العقول؛ لأنّها من الوجدانيّات المُحَقّقة: لمن ذاق، كلَذَّة النكاح، ذوطعم العسل والتفاح.

---

(١) ذكره ابن عجيبة في تفسيره «البحر المديد»، تفسير سورة النحل / / ٢٤٨، كما ذكره المناوي في فيض القدير ٥/ ٤٦٦ بلفظ: ابن آدم، خلقت الأشياء من أجلك، وخلقتك من أجلي، الأكوان لك عبيد، وأنت عبد الحضرة.

٣٩٥- وَعَنِّيَ بِالتَّلْوِيْحِ يَفْهَمُ ذَائِقٌ غَنِيٌّ عَنِ التَّصْرِيْحِ لِلْمُتَعَنِّتِ

(**وعنّي**): الجار والمجرور متعلّق بـ (**يَفْهَمُ**): قُدّم للحصر، أي: لا عن غيري. وقوله (**بالتلويح**): متعلّق بـ يفهم أيضاً. و(**التلويح**): مصدر لَوَّحَ بثوبه: لَمَعَ به، كذا في الصحاح. ومعنى التلويح هنا: أن يذكر إشارات خفيّة في ضمن عبارات إلهيّة، فيفهم منها الغافل /[١٩٣/أ] المحجوب خلاف ما يريده المحبّ من أوصاف المحبوب، قال القائل:

لا يعرف الشوق إلّا من يكابده ولا الصبابة إلّا من يعانيها
ويرثى لها العدوّ المنكر فيجري فيها على طريقته كلّما يفكّر

﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ [٧٤/ المدّثر/ ٢٠].

والتكلّم بالمتشابه سنّة الله ورسوله لضرورة عِظَم المعاني، عند من لها يعاني. وحقارة قدر القاصر في منتهى سؤله. وقوله (**بفهم ذائق**): أي صاحب ذوق ووجدان، وتحقّق بحقائق العرفان. فإنّ لكلٍّ مقام مقالاً، وإنّ لكلّ مجال رجالاً؛ فإنْ من أسلم وآمن بمتشابهات الله ورسوله وأولي الأمر؛ فقد سلم ونجا. ومن تلاعب بها بوساوس نفسه فقد اتخذ له عن منهج الحقّ منهجاً. والقضيّة منه تعالى، وعليه بيانها، فإنّه ترجمانها، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [٧٥/ القيامة/ ١٥]. وقوله (**غني**): صفة ذائق، أي: صاحب الذوق المذكور، وهو مُسْتغنٍ بكشف ربِّه له عن ذلك؛ لأنّه عبد مخلص سالك. وقوله (**عن التصريح**): أي الإتيان بصريح القول الموحش للجاهل الغبيّ، والذي هو تحت أثواب عداوته مختبئ، وهو قوله (**للمتعنّت**): من عَنَّتَهُ تَعْنِيْتاً شَدَّدَ عليه، وأَلزمه ما يصعب عليه أداؤه، وجاء مُتَعَنِّتاً: أي طالباً زلّته، كذا في القاموس.

٣٩٦- بِهَا لَمْ يَبُحْ مَنْ لَمْ يُبِحْ دَمَهُ وَفِي الْـ إِشَارَةِ مَعْنَىً مَا العِبَارَةُ حَدَّتِ

(**بها**): أي بتلك الأمور المتقدِّم ذكرها. وقوله (**لم يبح**): بفتح الياء التحتيّة وضمّ الباء الموحّدة وسكون الحاء المهملة، من باح: أي أظهر، قال في القاموس: «باح

بِسِرِّه: أَظهره، كأَباحه». وقوله (مَنْ): أي الإنسان الذي (لم يُبِح): بضمّ الياء التحتيّة وكسر الباء الموحّدة، من أباح، قال في القاموس: «أَبَحْتُكَ الشيءَ: أَحْلَلْتُهُ لك». وقوله (دمه) مفعول يُبِحْ. والمعنى في وصف تلك الأمور المذكورة: إنّه لا يبوح بها فيفشيها للناس، فيضرّهم بفهم غير المراد منها إلّا كُلّ إنسان أباح دمه بالكفر الذي يفهمه الناس من المتكِّم بها، كما قال العارف السهروردي قدّس الله سرّه من قصيدة له:

بالسرّ إنْ باحوا تُباحُ دماؤهم ... وكذا دماء البائحين تباحُ

ولزين العابدين بن الحسين رضي الله عنهما:

يا ربّ جوهر علمٍ لو أبوح به ... لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا

ولاستحلّ رجال مسلمون دمي ... يرون أقبح ما يأتونه حسنا

وقال الشيخ نجم الدين بن إسرائيل قدّس الله سرّه:

أنتم حقيقة كلّ موجود بدا ... ووجود هذي الكائنات توهّم

في باطني من نوركم ما لو بدا ... أفتى بسفك دمي الذي لا يعلم

ولو أنني أبدي سرائر جودكم ... قال العواذل ليس هذا مسلمُ

ولقد أنصف الشيخ الإمام شهاب الدين أحمد بن عبد الغفار رحمه الله تعالى في قوله في شأن الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه:

حاشاك يا محيي الدين الذي ... له الفضائل من علم ومن عمل

أن تقتفي غير ما جاء الكتاب به ... أو تبتغي بدلاً عن أشرف الملل

أو أن تهُدّ أساس الشرع معتقداً ... فيه عقيدة أهل الزيغ والزلل

عمري لقد كذبوا في كلّ ما نسبوا ... إليك من خطأ يصميك أو خطل

إنْ غرّهم كلمات منك ظاهرها ... يخالف الشرع في فهم لهم خبل/[١٩٣ب]

ذَكِّرْهُمُ قـول عبـد الله حـسبك أو أبي هريـــرة أو قـــول الإمـــام عـــلي
أو ينـشدوا شـعر زيـن العابـدين وإنْ شــاؤوا فقـصّة موســى أوضـح الــسبل

وأراد بعبد الله عبد الله بن عبّاس رضي الله عنهما؛ فإنّه قال في قوله تعالى: ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ [٦٥/ الطلاق/ ١٢] ما لو قلته لرجمتموني. وقول أبي هريرة رضي الله عنه، رواه البخاريّ في أوائل صحيحه، قال: «حفظت من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وعائين: فأمّا أحدهما: فبثثته، وأمّا الآخر: فلو بثثته قطع البلعوم»[1].

وأما قول الإمام علي كرّم الله وجهه فهو ما روي عن كميل بن زياد قال: «أخذ بيدي عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فأخرجني إلى ناحية الجبّانة، فلّما أصحر، أي: خرج إلى الصحراء، تنفّس، ثمّ قال: يا كميل، إنّ هذه القلوب أوعية، فخيرها أوعاها. احفظ عنّي ما أقول، وساق الكلام إلى أنْ قال: إنّ ههنا لعلماً، وأشار إلى صدره، لو أصبت له حملة»[2] الأثر بطوله أخرجه جماعة منهم أبو نعيم وابن عساكر. وهو دليل على أنّ علم الأسرار لا يُمنع إفشاؤه لأهله وفاء بحق الحكمة. وذكر الأستاذ جلال الدين محمّد الدواني[3] في آخر رسالة خلق الأعمال قال: «ويكفي في تحقيق هذه المرتبة الكلمات الخمس المأثورة عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في جواب كميل بن زياد[4] صاحب سرّه، وقابل جوده وبرّه. وأراد بالكلمات

---

(١) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب: العلم، باب: حفظ العلم، ١٢٠.

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق، باب: كميل بن زياد بن نهيك، ٥٠ / ٢٥٤.

(٣) جلال الدين محمّد بن أسعد الصدّيقيّ الدوّانيّ. قاضي فارس، ولد بها ومات. باحث، يعدّ من الفلاسفة، له مؤلّفات كثيرة، منها: الأربعون السلطانيّة. إثبات الواجب. أنموذج العلوم. وحاشية على شرح القوشجي. وتعريف العلم ت ٩٠٧، قيل غير ذلك. ورد الدوّاني في المخطوط في [١٩٣/ ب] و[٤٤٢/ ب].

(٤) كميل بن زياد بن نهيك النخعي، تابعي، كوفيّ ،صاحب علي رضي الله عنه، وكاتم سرّه، شهد معه صفيناً، كان شريفاً مطاعاً شيعيّاً متعبّداً. روى الحديث مقلًا عن: عثمان، وعلي، وابن مسعود، وأبي =

الخمس المذكورة ماهي مشهورة بين الصوفيّة. وقد أفرد بعضهم بالشرح عن كميل أنّه سأل علياً: ما الحقيقة؟

قال: ما لك والحقيقة؟! قال: أولستُ صاحبَ سرّك؟! قال: بلى؛ ولكن يترشّح عليك ما ينضح عنِّي. فقال: أو مثلك يخيِّب سائلاً. فقال: كشف سبحات الجلال من غير إشارة فقال: زدني بياناً. فقال محو الموهوم مع صحو المعلوم. فقال زدني بياناً. فقال: هتك الستر بغلبة السرّ. فقال زدني بياناً. فقال: جذب الأحديّة لصفة التوحيد. فقال زدني بياناً. فقال: نور يشرق من صبح الأزل، فتلوح علي في هياكل التوحيد آثاره. فقال: زدني بياناً. فقال: أطفئ السراج فقد طلع الصباح».

وقوله: أو ينشدوا شعر زين العابدين[1] رضي الله عنه، هو ما ذكرناه من قوله: «يا ربّ جوهر علم لو أبوح به»...إلخ. وأمّا قصّة موسى فهي ما وقع له مع الخضر فيما قصّه الله تعالى علينا في القرآن العظيم. ومما يؤيّد ذلك أيضاً ما ذكر في «الرياض النضرة» للمحب الطبريّ. قال: عن عمر رضي الله عنه قال: كنت أدخل على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وهو وأبو بكر يتكلّمان في علم التوحيد، فأجلس بينهما كأنّي زنجي لا أعلم ما يقولان[2]. قال الملا إبراهيم الكورانيّ المدني في شرح «التحفة المرسلة» بعد نقله كلام الإمام عمر رضي الله عنه هذا. وهو عمر المشهود له على لسان

=

هريرة، وثّقه ابن سعد، و ابن معين، والعجلي، وذكره ابن حبّان في المجروحين. قتله الحجاج لاشتراكه بمقتل عثمان رضي الله عنه، انظر الإصابة في معرفة الصحابة لابن حجر،٢/ ١٩ وتذكرة الحفّاظ للذهبي ١/ ١١، وميزان الاعتدال للذهبي ١/ ١٩٨.

(١) زين العابدين: رابع الأئمّة الاثني عشر عند الإماميّة، وأحد من كان يُضرب به المثل في الحلم والورع، يقال له الأصغر تمييزاً له عن أخيه الأكبر الذي استشهد في كربلاء مع أبيه الحسين رضي الله عنه، ولد في المدينة وتوفي فيها (٣٨-٩٤)هـ أحصي عدد من كان يقوتهم سراً بعد موته فكانوا مئة بيت حتى قيل: ما فقدنا صدقة السرّ إلّا بعد موت زين العابدين، انظر الأعلام للزركلي٤/ ٢٧٧.

(٢) لم نعثر عليه في مصادرنا..

الصادق صلّى الله عليه وسلّم بقوله : «لو كان بعدي نبيّ لكان عمر»[1] وبقوله: «إنّ الله جعل الحقّ على لسان عمر وقلبه»[2] وبأنه من المحدَّثين، بفتح الدال. وبأنّه أعطاه في الرؤيا فضلة من اللبن المؤول بالعلم. وأنّه لمّا مات قال ابن مسعود: رضي الله عنه: «مات تسعة أعشار العلم»[3].. إلى آخر عبارته.

وقوله (**وفي الإشارة**): أي من غير تصريح بما لا يفهمه إلّا ذوق عند أهل العرفان المتحقِّقين بحقائق الأكوان. وقوله (**معنى ما العبارة حَدَّتِ**): بفتح الحاء وتشديد الدّال المهملة مفتوحة وكسر التاء للقافية. قال في الصحاح: « الحَدّ: الحاجز بين الشيئين، وحدّ الشيء: منتهاه. تقول: حددت الدار أحدُّها حدّاً، والتحديد مثله. والحدّ: المنع. ومنه قيل للبواب: حدّاد. والمعنى: إنّ في الإشارة معنى/ [١٩٤/ أ] الأمر الذي تحدّه العبارة، أي: تعرفه فتمنع دخول غيره فيه من الحدّ، وهو التعريف. يُقال: حدَّ الشيء الفلاني كذا وكذا، أي: العبارة التي تعرّفك به هي كذا وكذا. وهو معنى اصطلاحي للحدّ، ومعناه اللغوي ما ذكرنا؛ فإنّ الإشارة تفيده ما تفيده العبارة، كما قيل: وفي الإشارة ما يغني عن الكلم؛ بل ربّما تفيد العبارة ما لا يريده المتكلِّم، فتكسب الخسارة، ورحم الله تعالى الشيخ العارف نجم الدين بن إسرائيل الدمشقيّ الشيبانيّ الحريريّ في قوله من ديوانه:

معاني أشعار الفحول صحيحة ... وإنْ كان في ألفاظها بعض ما فيها

فلا تحتجب عنها برؤية لفظها ... فتحرم ما أملت عليك معانيها

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، باب: ومن مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب، رضي الله عنه، ٤٤٧٠.

(٢) أخرجه أحمد في المسند، مسند أبي هريرة، ٩٤٥١ .ككما أخرجه الحاكم في المستدرك، باب: مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب، ٤٤٧٦، وقال: صحيح على شرط الشيخين.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، باب: ٢، ٨٨١٠، عن عبد الله بن مسعود بلفظ: «قال عبد الله: إنّي لأحسب عمر قد رفع معه يوم مات تسعة أعشار العلم، وإنّي لأحسب علم عمر لو وضع في كفّة الميزان وعلم من بعده لرجح عليهم».

٣٩٧- وَمَبْـدَأُ إِبْـدَاهَا اللَّـذَانِ تَـسَبَّبَا إِلَى فُرْقَتِـي وَالْجُمْـعُ يَـأْبَى تَـشَتُّتِي

(ومبدأ)[١]: بفتح الميم وضمّها، أي: ابتداء. قال في القاموس: « وكان ذلك في بَدْأَتِنَا، مثلَّثَة الباء، وفي بَدَأَتِنَا محَرَّكَة، وفي مَبْدَئِنَا؛ يعني: بفتح الميم، ومُبْدِئِنَا بضمّها ومَبْدَآتِنَا». وقوله (إبداها): أي إظهارها، يقال: أَبْدَاهُ إِبْدَاءاً: أظهره. قال في المصباح: «بَدَا يَبْدُو بُدُوّاً: ظهر، فهو بادٍ. ويتعدّى بالهمزة فيقال: أَبْدَيْتُهُ». والضمير للمحبوبة الحقيقيّة. يعني: كان ابتداء إظهارها لنفسها من حين تجلّياتها بصور الأكوان عند المحقّقين، وذلك هو عين إظهارها لما عداها من العوالم عند الغافلين عنها، المحجوبين بأنفسهم عن نفسها.

وقوله (اللذان): تثنية الذي، المشار إليهما باللّاحي والواشي فيما تقدّم، أي: هما الأمران اللذان، وهو خبر المبتدأ الذي هو مبدأ، فإنّ قوله: (مبدأ) إشارة إلى الوجود الحقّ. و (الإبداء): إشارة إلى العلم الإلهيّ القديم، وهما اللذان تسببا. أو (المبدأ): إشارة إلى الوحدة الذاتيّة. والإبداء: إشارة إلى الكثرة الصفاتيّة الأسمائيّة. وقوله (تسببا): بألف التثنية، صلة اللذان، أي: كانا سبباً. وقوله (إلى فرقتي): متعلّق بـ تسببا. و(الفُرقة): بضمّ الفاء، يقال: افترق القوم، والاسم الفُرقة بالضمّ، كذا في المصباح. وهو مقام الفرق الذي يظهر فيه العبد مع جملة الأكوان، ويغيب فيه الربّ. وقوله (الجمع): مصدر جَمَعْتُ الشيءَ جَمْعَاً، وهو المقام الذي يظهر فيه الربّ وحده، ويغيب فيه العبد مع جملة الأكوان فلا يبقى لهم عين ولا أثر، وفيه ورد الحديث «كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به»[٢] وهما ضدّان لا يجتمعان: ربٌّ وعبد. وهما مضافان، لا يكون أحدهما بدون الآخر. فإذا كان الظهور للعبد والعوالم كان الربّ غيباً عنهم لا بدّ منه، كما ورد «أنا بدّك اللازم الذي لا بدّ لك منّي... إلى

---

(١) ورد على هامش المخطوط قول التناسخ: «بلغ مقابلة على مؤلّفه رضي الله عنه».

(٢) انظر تخريجه ص١٤٦.

أين تفرّ عنّي»[1] وإذا كان الظهور للربّ، كان العبد والعوالم غيباً عنه فهو غيب، وهي غيوب. قال تعالى: ﴿عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [٥/ المائدة/ ١٠٩] كما قال: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ [٦/ الأنعام/ ٧٣] لا بدّ من ذلك؛ إذ لا يصحّ نفي المخلوق، لأنّه ثابت وإنْ كان معدوماً. والوجود للربّ تعالى وحده لا شريك له فيه.

وقوله (يأبى): مضارع أبى، قال في المصباح: «أَبى الرجل يأبى إباءً بالكسر والمدّ، وإباءة: امتنع». وقوله (تَشَتُّتِي): أي افتراقي، وهو مصدر تَشَتَّتَ، قال في المصباح: «شَتَّ شَتّاً من باب ضرب: إذا افترق. والاسم الشَتات». يعني: أنّ مقام الجمع يمتنع عن مقام الفرق، فتثبت فيه العوالم كلّها من غير وجود، وهي الأعيان الثابتة بالعلم الإلهيّ غير المجهولة، كما تقرر في كتب علم الكلام.

٣٩٨- هُمَا مَعَنَا فِي بَاطِنِ الجَمْعِ وَاحِدٌ وَأَرْبَعَةٌ فِي ظَاهِرِ الفَرْقِ عُدَّتِ

(هما): أي المبدأ والإبداء اللذان تسببا إلى الفرق، ومقام الجمع يأبى الفرق، كما ذكر في البيت قبله. وقوله **(مَعَنَا)**: بفتح العين المهملة، أي: معي ومع أمثالي من العارفين، ومع المحبوبة الحقيقيّة أيضاً. وقوله **(في باطن الجمع)**: أي في مقام الجمع الذي هو باطن الأمر الإلهيّ. أي: في مقام الجمع بالنظر إليه من حيث الشهود المشترك في قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ/ [١٩٤/ ب] قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [٣/ آل عمران/ ١٨].

وقوله **(واحد)**: أي هما أمر واحد لا تعدد فيه؛ فإنّ الوحدة الوجوديّة الذاتيّة في باطن الأمر هي عين الكثرة العلميّة الصفاتيّة الأسمائيّة. ثمّ قال: **(وأربعة)**: أي هما أربعة أيضاً، أي: أمور أربعة في **(ظاهر الفَرْق)**: بفتح الفاء وسكون الراء وبالقاف. وقوله **(عُدَّتِ)**: بضمّ العين المهملة وتشديد الدّال المهملة مفتوحة وكسر التاء للقافية، أي: عَدَّها العَادُّون، فإنّ تلك الوحدة المذكورة لمّا كانت عين الكثرة في باطن

---

(١) انظر تخريجه ص٣٥٢.

الجمع كانت أربعة في ظاهر الفرق بظهور آثار تلك الكثرة الصفاتيّة الأسمائيّة.

والأربعة هي أصول الصفات والأسماء الإلهيّة التي هي المُظْهِرة لجميع عوالم الإمكان، وهي صفة الحياة، والعلم، والإرادة، والقدرة في غيب الذات الإلهيّة، فإذا ظهرت بآثارها، فهي الاسم الحيّ، والعالم، والمريد، والقادر، وبقيّة الصفات والأسماء فروع عن هذه الأربعة في الغيب وفي الشهادة. وقد يشير بهذه الأربعة إلى اللاحي، والواشي، ونفسه، والمحبوبة.

٣٩٩- وَإِنِّي وَإِيّاهَا لَذَاتٌ وَمَنْ وَشَى بِهَا وَثَنَى عَنْهَا صِفَاتٌ تَبَدَّتِ

(وإنّي): أي من حيث معلوميتي الجامعة لجميع تأثيرات الكثرة الصفاتيّة الأسمائيّة. وقوله (وإيّاها): أي المحبوبة الحقيقيّة من حيث عالميتها بي، المستغرقة لجميع آثار كثرتها الصفاتيّة الأسمائيّة المذكورة. وقوله (لَذَاتٌ): اللام موطئة للقسم المقدّر. وذات خبر إنّ. وهذا مقام الاتّحاد المشار إليه فيما سبق. ولا يكون إلّا بعد التحقّق بمقام الفناء، بحيث ترجع المعلومات إلى عالمها، والمرادات إلى مريدها، والمقدورات إلى القادر عليها. وهكذا فتنمحي الآثار الكونيّة في وجود مؤثّرها الحقّ، وينكشف ذلك للعبد السالك في نفسه وفي غيره، ويظهر له أنّ الأمر كذلك في حقيقته، وإنّما كان مغلوباً بالأوهام، منبهماً عليه أشدّ الانبهام.

وقوله (ومن وشى بها): أي بالمحبوبة الحقيقيّة، أي نقل إليّ أوصافها، ونقل إليها أوصافي، ومن هنا قال موسى عليه السلام: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٥٥] الآية. وقوله (وثَنى): أي أمال عنها، أي: عن المحبوبة الحقيقيّة. يعني: أراد أن يميلني ويثنيني عن محبّتها، وهو اللاحي العذول، وهو من قوله تعالى: ﴿أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ [١٨/ الكهف/ ٢٨] وقوله (صفات): جمع صفة، وهي الحضرات المتنوّعة المختلفة الكامنة في غيب الوحدة الذاتيّة الوجوديّة. وقوله (تبدّت): بتشديد الدّال المهملة، أي: من حيث أنّها ظهرت بآثارها، فهي الأسماء الإلهيّة الحسنى التي ظهرت بها الأكوان، وتفصلت بها الأعيان، فإنّ منها أسماء جمال جاذبة، وأسماء

جلال مانعة سالبة. فالجاذبة هي الجاذبة من الجانبين: جانب وحدة الذات لجانب كثرة الصفات والأسماء، وجانب كثرة الصفات والأسماء الإلهيّة لجانب وحدة الذات، وهي الواشي، يشي أخبار الوحدة للكثرة، وأخبار الكثرة للوحدة. والمانعة السالبة هي المانعة التي تسعى في سلب الوحدة عن الكثرة، وسلب الكثرة عن الوحدة، وهي اللاحي الذي يلوم الوحدة في محبّة الكثرة، والتوجّه عليها، واقتضائها، ويلوم الكثرة في محبّة الوحدة، والتوجّه عليها، واقتضائها كالواحد المطلق في مراتب الأعداد التي لا نهاية لها؛ فإنّ للواحد المطلق سرياناً فيها مع أنّه عينها، وهي عينه، فإنّ الثاني واحد، والثالث واحد، والرابع واحد، والخامس واحد، وكذلك السادس واحد، والسابع والثامن إلى ما لا نهاية له من الأعداد.

فالواحد هو الجاذب لهذه المراتب العدديّة المتوجّهة عليها المقتضي لها لضرورة ظهوره بها، وهي أيضاً جاذبة له، ومتوجّهة عليه، ومقتضية له لقيامها به، بحيث لو زال منها بطلت كلّها/ [١٩٥/ ب] ومراتب الأعداد مانعة للواحد من حيث اسمها الخاص الملقّب بالثنائيّة والثلاثيّة والرباعيّة والخماسيّة والسداسيّة، ونحو ذلك. وسالبة له من حيث اسمه الواحد، والواحد أيضاً مانع للكثرة من حيث الواحديّة التي هي عدم السبق بالغير، وعدم اللّحوق به، إذ لا يكون الواحد إلّا واحداً، وسالباً للكثرة عنه. والكثرة كذلك مانعة للواحد من حيث سبقها بالغير، ولحوقها به، وسلب الواحديّة عنها من حيث هو واحد: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [١٦/ النحل/ ٦٠] .

٤٠٠- فَـذَا مُظْهِـرٌ لِلْـرُوْحِ هَـادٍ لِأُفْقِهَـا   شُـهُوداً غَـدَا فِي صِـيْغَةٍ مَعْنَوِيَّـةِ

(فذا): اسم إشارة إلى الواشي بها، وهو أسماء الجمال الجاذبة كما ذكرنا. وقوله (مُظْهِر): بصغة اسم الفاعل، أي: كاشف ومبيِّن. (للروح): الأمري المنفوخ منه في الأجسام الإنسانيّة؛ فإنّ الروح منبعث عن الأمر الإلهيّ الذي هو كلمح بالبصر من تجلِّي أسماء الجمال الإلهيّ والرحمة التي وسعت كلّ شيء. وقوله (هادٍ): أي موصل.

(لأفقها): أي أفق الروح. والأفق بضمّ الهمزة وسكون الفاء، وبالقاف، أي: الناحية. يعني: ناحية الروح، وناحيتها أمر ربّها التي هي منه، كما قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨٥] وهو تجلّي الأسماء الجماليّة، كما ذكرنا.

وقوله (شهوداً): أي من جهة الشهود، وهو المعاينة. وقوله (غدا): بالغين المعجمة والدّال المهملة. والضمير يرجع إلى الشهود، قال في المصباح: «غَدَا غُدُوّاً، من باب قَعَدَ: ذهب غُدْوَةً: وهي ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس». وقوله (في صيغة): بالصاد المهملة والياء المثنّاة التحتيّة والغين المعجمة والهاء، وهي الخِلْقَة، قال في المصباح: «صِيغَةُ الله خِلْقَتُه. والصِيْغَة: العمل والتقدير. وصيغة القول كذا، أي: مثاله وصورته، على التشبيه بالعمل والتقدير.

وقوله (معنويّة): صفة الصيغة، أي: ليست صيغة الروح حسيّة؛ وإنّما هي معنويّة منسوبة إلى المعنى من كمال لطافتها، وهي مشابهة للصورة المحسوسة المنفوخة فيه. وتلك الصورة هي التي أوجبت كون ذلك الشهود. (غدا): أي دخل في وقت الغدوة قبل طلوع الشمس لاحتجابها عن شهود الأمر الإلهيّ بتلك الصيغة المعنويّة التي هي كناية عن النفخ الأمري المتعيّن بالجزئيّة.

٤٠١ - وَذَا مُظْهِرٌ لِلنَّفْسِ حَادٍ لِرِفْقِهَا وُجُوداً غَدَا فِي صِبْغَةٍ صُورِيَّةِ

(وذا): اسم إشارة إلى اللّاحي الذي يُثني عنها وهو أسماء الجلال المانعة السالبة كما قدّمنا. وقوله (مُظْهِرٌ): بصيغة اسم الفاعل، أي: كاشف ومبيّن أيضاً. وإنّما قلنا كاشف ومبيّن؛ لأنّ الكلّ مقدّر مقضي به في الأزل، حاضر في حضرة العلم القديم، والغيب المطلق. وإنّما يحتاج إلى كشف النور الحقّ عنه، وبيانه لنا. وقوله (للنفس): أي النفس الكليّة المنصبغة بلون كلّ جزئيّة، وليست غير الروح الأمريّة إلاّ باعتبار التلوين بالصبغة المذكورة. وقوله (حاد): بالحاء بالمهملة بعدها ألف ودال مهملة، من حَدَا يَحْدُو، قال في المصباح: «حَدَوْتُ بالإبل أَحْدُو حَدْواً: حَثَثْتُهَا على السير بالحُدَاء، مثل غراب: وهو الغِنَاء لها. وحَدَوْتُه على كذا: بَعَثْتُه عليه». يعني: يحث

النفس على الوصول. (لِرِفْقِها): بكسر الراء وسكون الفاء وبالقاف، قال في القاموس: «الرِّفْق بالكسر ما أستُعين به، واللُّطْف. رَفِقَ به وعليه مثلّثة رفقاً وَمَرْفَقاً». وفي الصحاح: «الرِّفْقُ ضدّ العنف، وقد رَفَقَ به يَرْفُق. وحكى أبو زيد رَفَقْتُ به وأَرْفَقْتُهُ بمعنى. وكذلك تَرَفَّقْتُ به. ويقال أيضاً: أرفقته أي نفعته». وفي القاموس: «رَفَقَ فلاناً: نَفَعَهُ كأَرْفَقَهُ، والرِّفْق: اللُّطْف، وحُسْنُ/[١٩٥/ب] الصَّنِيع». وكونه حادياً أي: سابقاً بصفة الكلام المنتظم، وهو الغِناء المطرب من قوله تعالى للشيء: ﴿ كُن فَيَكُونُ ﴾ [٢/ البقرة/ ١١٧] وبه يحصل الرفق واللطف وحسن الصنيع، وبه يستعان في الأمور كلِّها. وقوله (وجوداً): تمييز، أي: من جهة الوجود الحقّ، الشامل لكلّ شيء بطريق السماع من قوله: ﴿كُن﴾. فإنّها كلمة وجوديّة، أمر بالإيجاد. ومثلها قوله ﴿ فَيَكُونُ ﴾: أي فيوجد عند سماع القول الحقّ، والله يُسمع من يشاء، والذي قال تعالى عنه: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ﴾ [١٩/ مريم/ ٣٤] لأنّه كان من أولي الأمر الإلهي المعبّر عنه بكن؛ فإنّه من غلبة الأمر الإلهيّ عليه كان روحاً منه مجرّداً، فقال عنه تعالى: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ [٤/ النساء/ ١٧١] والروح من أمر الله بحكم قوله سبحانه وتعالى: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨٥].

وقوله (عَدَا): بفتح العين المهملة وفتح الدّال المهملة، يقال: عَدَا يَعْدُو عَدْواً: أسرع. وضمير عَدَا يرجع إلى الوجود، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴾ [٥٤/ القمر/ ٥٠] وقوله (في صبغة): بكسر الصاد المهملة وسكون الباء الموحّدة وفتح الغين المعجمة وبالهاء، قال في المصباح: «الصِبْغ بكسر الصاد. والصِّبْغَة والصِّبَاغ أيضاً كلّه بمعنى، وهو ما يُصْبَغ به. وصَبَغْتُ الثوبَ صَبْغاً من بابي نَفَعَ وقَتَلَ، وفي لغة من باب ضَرَبَ». والجار والمجرور متعلّق بعدا؛ يعني: أسرع ظهوراً في صبغة، أي: في لون من الألوان، كقوله تعالى: ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ٣٧] يعني: إنّ ذلك الوجود مصبوغ بصبغة النفس. أو النفس مصبوغة بصبغة الوجود، وكذا كلّ شيء. قال تعالى: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ﴾ [٢/ البقرة/ ١٣٨] وقوله (صُوَرِيَّةٍ): بضمّ الصاد المهملة

وفتح الواو وبالراء وياء النسبة إلى الصُوَر جمع صُوْرَة، قال في القاموس: «الصُوْرَةُ، بالضمّ الشَّكْل، وجمعها صُوَرٌ وصِوَر. وتستعمل الصُورة بمعنى النوع والصِفة». وذكر شيخي زاده[1] في حاشيته على تفسير البيضاوي في سورة عمّ يتساءلون، قال: «والنفخ في الصور إمّا بمعنى نفخ الأرواح في أجساد الموتى، فيكون الصُور جمع صُوْرَة، نحو بُسْرَة وبُسْر. وإمّا بمعنى نفخ إسرافيل عليه السلام في القِرن. فالصور حينئذ مفرد معناه القِرن الذي ينفخ فيه للبعث: «انتهى. وإذا كان مفرداً بمعنى القِرن فلا مانع أن يكون هو القول الأوّل؛ فإنّه ورد أنّ لكلِّ روح محلًّا فيه، وهو صورتها الجسمانيّة، فإنّ للكثرة صُوْرة مفردة، قال تعالى: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ [٣١/ لقمان/ ٢٨] وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [٤/ النساء/ ١].

وقال الراغب في مفرداته: «الصورة ما تنتقش به الأعيان، وتتميّز بها من غيرها، وذلك ضربان: أحدهما محسوس تدركها الخاصّة والعامّة؛ بل يدركها الإنسان، وكثير من الحيوانات، كصورة الإنسان والحمار والفرس بالمعاينة. والثاني: معقول تدركها الخاصّة دون العامّة، كالصورة التي اختصّ الإنسان بها من العقل والرويّة، والمعاني التي خُص بها شيء دون شيء. وإلى الصورتين أشار بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَـٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَـٰكُمْ ﴾ [٧/ الأعراف/ ١١] وقال تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾ [٤٠/ غافر/ ٦٤] وقال تعالى: ﴿ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ [٨٢/ الانفطار/ ٨] وقال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ [٣/ آل عمران/ ٦] ونحو ذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ [٦/ الأنعام/ ٧٣] وقد قيل: هو مثل قَرْن ينفخ فيه فيجعل الله تعالى ذلك سبباً لعَوْد الصُوَر والأرواح إلى

---

(١) عبد الرحمن بن محمّد بن سليمان و المعروف: بشيخي زاده. فقيه حنفيّ مفسّر من أهل كليبولي بتركيا. من قضاة الجيش له: مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر، ونظم الفرائد في مسائل الخلاف بين الماتريديّة والأشعريّة. توفي١٠٧٨هـ. انظر الأعلام للزركلي٢/ ٢٢٢.

أجسادها. وروي في الخبر أنّ الصُور فيه صُورَة الناس كلِّهم.

٤٠٢ - وَمَنْ عَرَفَ الأشْكَالَ مِثْلِيَ لَمْ يَشُبْــهُ شِرْكُ هُدَىً[1] فِي رَفْعِ أشْكَالِ شُبْهَةِ

(ومن عرف): أي تحقّق بذوق، وكشف، ووجدان؛ لا بمجرد التعقّل، والحفظ، والتخيل، والتفهّم. وقوله **(الأشْكَال)**: بفتح الهمزة، جمع شَكْل، بفتح الشين المعجمة وسكون الكاف وباللام، قال في المصباح: «الشَكْل: المَثَل، يقال: هذا شَكْل هذا». والمراد هنا الصور الحسنة والمعنويّة/[١٩٦/أ] وهي جميع العوالم الجسمانيّة والروحانيّة والخياليّة والعقليّة والوهميّة؛ بل كلّ ما خلق الله تعالى، فإنّ ذلك كلّه صور مختلفة. قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ [٥٩/الحشر/٢٤] فجميع الصور له تعالى تخليقاً وتصويراً ولا صورة له تعالى من حيث هو بحكم قوله سبحانه: ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَيْءٍ﴾ [٢٧/النمل/٩٢].

وإنّما ضرّ الغافلين المحجوبين في ابتداء إدراكهم للأشياء حين كانوا أطفالاً صغاراً أفاقوا على الدنيا، وعلى أنفسهم وغيرهم، فأدركوا أنّ الصور والأشكال على خلاف ما هي عليه في أنفسها بلا تحقّق ذوقيّ، ولا كشف عرفانيّ. ثمّ لم يزالوا يكبرون إلى أنْ بلغوا وصاروا رجالاً، وإدراكهم الأوّل الذي أدركوه في أوّل ما أفاقوا على الدنيا هو إدراكهم للعوالم كلّها، وقد تمكّنوا فيه بكثرة تكراره على نفوسهم، وتمرّنوا عليه. ومعلوم أنّ الطفل الصغير في أوّل شعوره بنفسه وبغيره لا يشعر إلّا بحسب استعداده وطبعه، فيرسخ في ذلك، ويتمرّن عليه، ثمّ إذا كبر وبلغ الحلم، وتعلّم العلوم المبنيَّة على مثل ذلك يكون بالنسبة إلى العارفين المحقّقين لا يعرف شيئاً من الأشياء التي خلقها الله تعالى أصلاً، لا لنفسه، ولا لغيره، فيبني على ذلك عقائده وأعماله وجميع أحواله الشرعيّة والعاديّة، وينطبع على ذلك حتى يلهمه الله تعالى الرياضة الشرعيّة بالتقوى، وفهم كلام الله تعالى، وكلام رسول الله صلّى الله عليه وسلم بالفهم المستند عنده إلى الله تعالى على وجه

---

(١) في (ق): هوىً.

الإخلاص إن فعل الله تعالى به ذلك، وتفضّل عليه، وألهمه رشده؛ فعند ذلك تنفتح بصيرته بنور الهداية والتوفيق، ويدرك الأشياء على ما هي عليه بإذعان منه وتحقّيق. فهنالك يعرف ربّه، وينال قربه. وإلّا فهو من: ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا﴾ [١٨/ الكهف/ ١٠٤].

وقوله (مثلي): أي مثل معرفتي بها على ما هي عليه؛ فإنّ معرفة الآثار موصلة إلى معرفة المؤثر. وأمّا الاشتغال بها، والانهماك فيها بلا معرفة به فهو الطمس للبصائر، والعمى للقلوب والضمائر. وقوله (لم يَشُبْه): أي لم يخالطه، قال في المصباح: «شَابَهُ شَوْباً من باب قال: خَلَطَهُ، مثل: شَوْبِ اللبنِ بالماء، فهو مَشُوبٌ». وقوله (شِرْك هدىً): نَكَّر الهدى للتعظيم، وهو الشرك الخفيّ الذي لم يخلص منه العالِم بأحكام الشريعة والطريقة، قال صلّى الله عليه وسلّم: «الشرك في أمّتي أخفى من دبيب النمل على الصفا»[1]. وقال الشيخ أرسلان الدمشقيّ قدّس الله سرّه «كلّك شرك خفيّ. ولا يسلم من ذلك إلّا أهل الحقيقة العارفون المحقّقون». وللعفيف التلمسانيّ قدّس الله سرّه في مطلع قصيدة له:

إلى ذلك المعنى مآلي ومرجعي   وشركي الذي أدّى إلى وحدتي معي

وقوله (في رفع): أي إزالة متعلّق بِيَشُبْهُ. وقوله (**الإشكال**): بكسر الهمزة من أشكل الأمر، أي: التبس. فالإشكال: الالتباس. وقوله (**شُبْهَة**): من اشْتَبَهَتِ الأمور وتَشَابَهَتْ: الْتَبَسَتْ فلم تتميَّز، ولم تظهر. ومنه: اشْتَبَهَتِ القِبْلَةُ ونحوُها. والشُّبْهَةُ في العقيدة: المَأخذ المُلْبِس. سُمِّيَت شُبْهَةً لأنّها تُشبه الحقّ، كما في المصباح. فإنّ من عرف المخلوقات كيف صدرت عن الخالق وتحقّق بما أرشده الحقّ تعالى إليه بقوله: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ﴾ [٨٨/ الغاشية/ ١٧-٢٠] عرف العوالم كلّها التي ما في خلقها من تفاوت، وزال عنه كلّ الالتباس وكلّ شبهة/ [١٩٦/ ب].

---

(١) انظر تخريجه ص٦٨٧.

٤٠٣ – فَذاتِي بِاللَّذَّاتِ خَصَّتْ عَوَالِمِي   بِمَجْمُوعِهَا إمْدَادَ جَمْعٍ وَعَمَّتِ

(فذاتي): وهي حقيقة صورتي المحسوسة والمعنويّة التي أنا مصوّر بها، وأنا صورتها الفانية فيها. الظاهرة بها، وبوجودها وبجودها، المشار إليها بقول الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه:

حقيقتي هِمْتُ بها وما رآها بصري
ولو رآها لغدا قتيل ذاك الحَوَرِ

وقوله (باللّذات): جمع لذّة، من لَذَّ الشيءُ يَلَذُّ، من باب تعب، لَذَاذاً ولَذَاذَة بالفتح: صار شهياً. واللَذّة بالفتح :الاسم. والجمع لَذّات، كذا في المصباح. واللَذات حَظُّ الأرواح، كما أنّ الشهوات حظّ النفوس والأشباح، كما ورد في حديث الجامع الصغير للسيوطي: «كان صلّى الله عليه وسلّم يعجبه النظر إلى الخضرة والماء الجاري»[١]. وقال شارحه المناوي: الظاهر إنْ المراد بالخضرة الشجر والزرع الأخضر بقرينة قوله: والماء الجاري، أي: كان يحبّ مجرّد النظر إليهما، ويَلتذّ به، فليس إعجابه بهما ليأكل الخضرة، أو يشرب الماء، أو لينال منهما حظّاً سوى نفس الرؤية. قال الغزاليّ: «ففيه إنّ المحبّة قد تكون لذات الشي، لا لأجل قضاء الشهوة منه، وقضاء الشهوة لذّة أخرى. والطباع السليمة قاضية باستلذاذ النظر إلى الأنوار والأزهار والأطيار المليحة والألوان الحسنة، حتى إنّ الإنسان ليتفرّج عنه الهمّ والغمّ بالنظر إليها، لا لطلب حظّ وراء النظر. ويؤيّد هذا ما ورد في حديث الجامع المذكور أيضاً، قال صلّى الله عليه وسلّم قال: «ثلاث يُجلِّين البصر: النظر إلى الخضرة وإلى الماء الجاري وإلى الوجه الحسن»[٢]، وقال الشارح المناوي: «(يُجلين) بضمّ أوّله وتشديد

---

(١) أخرجه ابن السنيّ في الطبّ النبويّ، وقال: قال ابن عبّاس: ثلاث يجلين البصر: النظر إلى الخضرة، والماء الجاري، والوجه الحسن. كما أخرجه الطبراني في المعجم الصغير،٧١٠٤. وذكره الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء،٣٧٣٨. وقال إسناده ضعيف.

(٢) ذكره المناوي في فيض القدير، ٤٣٨٦.

اللام (النظر) إلى الخضرة، أي: إلى الزرع الأخضر، او الشجر، أو إلى كلّ أخضر. وإلى الماء الجاري. خرج به الراكد كبركة. وإلى الوجه الحسن عند ذوي الطباع السليمة والسلائق المستقيمة. ويحتمل عند الناظر. وقوله (خصّت): أي ذاتيّ. وقوله (عوالمي): مفعول خَصَّتْ، جمع عالَم بفتح اللام، وهو الخلق. وقيل يختصّ بمن يعقل، كذا في المصباح. وإنّما جمع لاختلاف أنواعه عالم الجماد، ومنه عظامه ولحمه، وعالم النبات. ومنه شعره وظفره. وعالم الحيوان، ومنه أعضاؤه، وعالم الإنسان، ومنه نفسه، وعالم الملائكة الأرضية، ومنه قواه المنبثّة، وشياطينه، وهم وساوسه وأوهامه، وعالم الملائكة العلويّة، وهم أفهامه وإلهاماته، وارداته، وعقله، وقلبه، وروحه، وكلّ هذه العوالم متّصلة بعضها ببعض في الإنسان الصغير والإنسان الكبير. ولمّا كانت الذات ذاته كانت العوالم عوالمه، كما قال الغوث البغدادي قدّس الله سرّه:

وحَباني الربّ المهيمن خلعة فالأرض أرضي والسماء سمائي

وهي خلعة الأسماء والصفات التي بها ظهر كلّ شيء كما قال تعالى لموسى عليه السلام: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [٢٠/ طه/ ٣٩] وقال صلّى الله عليه وسلم في الحديث القدسي: «كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به»(١)...إلخ وقوله (بمجموعها): متعلّق بخصّت. والضمير راجع إلى اللَذات، أي: بمجموع الذات، أي: جميعها، أو الجار والمجرور، متعلّق بواجب الحذف حال من عوالمي، أي: حال كونها مجموعة. وقوله (إمداداً): بالجر بدل من اللَذات، بدل كلّ، أو بدل اشتمال. و(الإمداد): مصدر أمدّه: زاده معونة ونصرة، وقال الراغب: «أكثر ما جاء الإمداد في المحبوب. والمدّ في المكروه، نحو: ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [٥٢/ الطور/ ٢٢] ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ﴾/ [٢٣/ المؤمنون/ ٥٥] ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ﴾ [٧١/ نوح/ ١٢] ﴿يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ

(١) انظر تخريجه ص١٤٦.

ءَالَفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ [٣/ آل عمران/ ١٢٥] ﴿وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا﴾ [١٩/ مريم/ ٧٩] ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [٢/ البقرة/ ١٥] ﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ﴾ [٧/ الأعراف/ ٢٠٢] وقوله (إمداد): جمع، بالإضافة إلى إمداد في مقام الجمع، خلاف مقام الفرق. والجمع اتّحاد الكلّ في حقيقة الوجود الحقّ بالوجود الحقّ: شهوداً ووجداناً. وقوله (وعمّتِ): بفتح العين المهملة وتشديد الميم وكسر التاء للقافية، معطوف على خَصَّتْ، أي: شملت عوالمي كلّها باللّذّات التي هي إمداد الجمع في كلّ نَفَسٍ من الأنْفَاس.

٤٠٤- وَجَادَت وَلَا اسْتِعْدَادَ كَسْبٍ بِفَيْضِهَا   وَقَبْـلَ التَهَيِّـي لْلقَبُـوْلِ اسْـتَعَدَّتِ

(وجادت): أي ذاتي التي هي عين الوجود المحض المطلق بالإطلاق الحقيقيّ، حتى عن الإطلاق المقابل للقيود كلّها، قال في المصباح: «جَادَ الرجلُ يَجُودُ من باب قال، جُوداً بالضمّ: تكرّم. وجاد بالمال: بَذَلَهُ». وقوله (ولا استعداد كسب): الواو للحال. والجملة في محل نصب على الحال من فاعل جادت، تقديره جادت في حال عدم استعداد كسب لما جادت به لأحد، فضلاً عن وجود قابل لوجودها، فإنّ نور قرص الشمس مثلاً فائض من حين طلوع الشمس، لا ينقصه شيء أصلاً، فإذا فرضنا أنّه لم تقابله الأرض، ولا الجبال، ولا شيء مطلقاً لا يلزم من ذلك قصور فيه، ولا نقص له ثم إذا فرضنا شيئاً من الأشياء قابله بعد ذلك ظهور الفيض منه على ذلك الشيء والفيض على ما هو عليه من قبل لم يحدث بحدوث مقابلة الشيء ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

وقوله (بفيضها): متعلّق بجادت. والضمير يرجع إلى فاعل جادت، وهو قوله في البيت السابق (فذاتي). والفيض: مصدر فاض الماء يَفِيْضُ فَيْضَاً كثر حتى سال كالوادي، وفاض صدرُه بالسرّ: باح»، كذا في القاموس. فإنّ الجواد الكريم سبحانه وتعالى جوده وكرمه فيّاض أزلاً وأبداً، سواء وجد مُفاضاً عليه، أو لم يوجد؛ لأنّ ذلك صفة لذاته كبقية صفاته القديمة، الأزليّة الأبديّة، غير معللة

بعلل، ولا متوقفة على أثر من الآثار إلّا من حيث تعلقنا، وظهور ذلك لنا؛ فإنّ الجواد الكريم عند عقولنا، ومن حيث ظهوره لنا لا يكون أصلاً إلّا إذا وجد من يجود له، ويتكرّم عليه. وكذلك قادر ولا مقدور، ومريد ولا مراد، ونحو ذلك لا يكون عندنا. ومن حيث ظهوره لنا بلا مظهر أصلاً. وأمّا من حيث ذاته تعالى وتبارك؛ فهو متّصف بالصفات، وسُمِّي بالأسماء، وإنْ لم يكن من يقبل آثار ذلك، وإنْ لم يكن أيضاً استعداد في شيء لقبول آثار ذلك كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [٣/آل عمران/٩٧] الموجودين والمعدومين، وعن استعداداتهم أيضاً. فضلاً عن وجودهم. وهذا الغناء المطلق له تعالى من حيث ذاته تعالى الموصوفة بالصفات المسمّاة بالأسماء، لا من حيث اعتبار صفاته تعالى، واعتبار أسمائه عزّ وجلّ من حيث هي صفات وأسماء، فإنّ صفاته وأسماءه تعالى من هذا الوجه باعتبار تعلقنا بذلك، وباعتبار ظهور ذلك لنا، فإنّ بين صفاته وأسمائه، والآثار الصادرة عنه تعالى نسبة التضايف؛ فلا يكون علم بلا معلوم، ولا معلوم بلا علم. وكذلك لا مقدور بلا قدرة وبالعكس. وهكذا إلى آخر الصفات والأسماء المعلومة لنا، الظاهرة عندنا والله يقول الحقّ وهو يهدي السبيل.

وقوله (وقبل التهيي): أي تهيُّيء العوالم كلّها، أي: صلاحيّة كلّ شيء. قال القاموس: هَيَّأَهُ تَهْيِئَةً وتَهْيِيئاً: أصلحه. وفي المصباح: «تَهَيَّأْتُ للشيء: أخذت له أُهْبَتَه، وتَفَرَّغْتُ له. وهَيَّأْتُه للأمر: أعْدَدْتُه فَتَهَيَّأَ». وقوله (للقبول): أي قبول الفيض المذكور بأن يظهر عليها فتظهر به، فإنّ فيض الوجود الصرف الحقّ الحقيقيّ إذا ظهر على الأعيان الثابتة في حضرة علمه أظهر تلك الأعيان على/ [١٩٧/ ب] حسب ما هي عليه في حضرة العلم من التقدّم والتأخّر، والزيادة والنقصان، والتغيُّر والتبدّل. كما تظهر الأشياء على ما هي عليه بظهور النور عليها. وقوله (استعدّت): بكسر التاء للقافية. والضمير يعود على ما يعود عليه جادت، وهو قوله في البيت قبله (فذاتي). يعني: استعدّت ذاتي للفيض المذكور قبل اكتساب

العوالم منها في حضرة العلم استعدادها الذي تهيّأت به لقبول فيض الوجود الحقّ عليها نوره الحقّ الذي هو كناية عن الإيجاد بالأمر المعبَّر عنه بكن فيكون؛ فإنّ الفيض الإلهيّ على قسمين: فيض أقدس وهو الذي أعطي المعلومات في حضرة العلم الإلهيّ أزلاً، وأوهبها الاستعداد لقبول فيضه عليها، وهيأها لذلك. وفيض مقدّس وهو الذي أوجد الأعيان كلّها على حسب ما هيّ عليه وأوجدها عند أنفسها، وأخرجها من ثبوتها في حضرة العلم الإلهيّ إلى وجودها في الحسّ والعقل. والأوّل هو الفيض الذاتي، والثاني هو الفيض الأسمائي الصفاتي.

٤٠٥- فَبِالنَّفْسِ أَشْبَاحُ الوُجُودِ تَنَعَّمَتْ وَبِالرُّوحِ أَرْوَاحُ الشُّهُودِ تَهَنَّتِ

(**فبالنفس**): الفاء تفريعيّة عمّا قبله، وهذا تفصيل لتلك اللَذّات التي خصّت عوالمه وعمّتهم، كما مرّ في البيت السابق. ولّما كانت (**النفْس**): بسكون الفاء، ظاهرة عن الأسماء الجلاليّة الإلهيّة كما قدّمناه. أخبر هنا بأنّ العالم الجسماني بسببها مُتنعِّم بما هو مُتنعَّم به نعيم جلال ممزوج بجمال روحانيّ. وقوله (**أشباح**): جمع شَبَح بفتح الشين المعجمة وفتح الباء الموحّدة وبالحاء المهملة، قال في القاموس: «الشَبَح، محرّكة: الشَخْص، وَيُسَكَّن. وجمعُه أَشْبَاح وشُبُوح». وفي الصحاح «الشبح الشَخْصُ . وقد يُسَكَّن». وإضافة الأشباح إلى الوجود إنْ أُريد به الوجود الحقّ القديم، فهو من قبيل إضافة العبد إليه في قوله سبحانه: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ﴾ [٧٢/ الجن/ ١٩]. وإضافة الناقة في قوله: ناقة الله ، وأرض الله ، وخلق الله. وإن أريد به الوجود المحسوس، والمعقول المنسوب عند الحسّ والعقل لكلّ شيء فإضافة الأشباح إليه ظاهرة المعنى.

وقوله (**تنعّمت**): أي الأشباح المذكورة بأنواع شهواتها في الدنيا والآخرة، والبرزخ بينهما. وقوله (**بالروح**): الذي هو من أمر الله ظاهر عن الأسماء الجماليّة الإلهيّة كما ذكرنا سابقاً. وقوله (**أرواح الشهود**): أي المشاهدة والمعاينة للوجود الحقّ الذي قام به كلّ شيء وهو الظاهر بكلّ شيء. والظاهر به كلّ شيء، وهو مع

كلّ شيء فانٍ، ولا شيء معه؛ إذ كلّ شيء هالك إلّا هو. وقوله (تهنّتِ): بتشديد النون، وكسر التاء للقافية. والضمير راجع إلى أرواح الشهود. قال في القاموس: «الهَنِيءُ والمَهْنَأُ: ما أتاك بلا مَشَقّةٍ. وقد هَنِئَ وهَنُؤَ هَنَاءَة. وهَنَأَنِي وهَنَّأَ لي الطعام، وهو هَنِيْئ: سائغ». وفي الصحاح: «التَّهْنِئَة خلاف التعزية، تقول: هَنَّأْتُه بالولاية تَهْنِئَة وتَهْنِيئاً». وفي المصباح: «هَنُؤَ الشيء بالضمّ مع الهمز، هَنَاءَة بالفتح والمدّ: تَيَسَّر من غير مشقّة، ولا عَنَاءٍ فهو هَنِيءٌ، ويجوز [الإبدال] والإدغام. وهَنَأَنِي الولد يَهْنَؤُنِي مهموز، من باب نفع وضرب، أي: سَرَّنِي. وتقول العرب في الدعاء: لِيَهْنِئْك الولدُ بهمزة ساكنة وبإبدالها ياء، وحذفها عامّي».

٤٠٦- فَحَالِي[1] شُهُوْدِي بَيْنَ سَاعٍ لِأُفْقِهِ وَلَاحٍ مُـــرَاعٍ رِفْقَــهُ بِالنَّــصِيْحَةِ

(فحالي شهودي): بفاء التفريع على ما قبله، أي: حال مشاهدتي ومعاينتي للوجود الحقّ المشهود لكلّ أحد، عرفه أم لم يعرفه، آمن به أو جحده، ومن كفره، أي: مَنْ سَتَرَه، فعليه ستره لا على الحقّ سبحانه، أي: فكره مردود عليه فهو الذي/ [١٩٨/ أ] ستر الحقّ عن نفسه بنفسه. وقوله (بين ساعٍ): أي خبر المبتدأ الذي هو حال شهودي. يعني: إنّ حاله في شهوده الوجود الحقّ متردد بين حالتين: حا[illegible] روحانيّة لروحه المنفوخ فيه عن أمر الله تعالى، وهو دائماً ساعٍ، من سعى به إلى الو[illegible] وَشَى به، كذا في المصباح. وهو الواشي المتقدِّم ذكره من صفات الجمال الإلهيّ.

وقوله (لأُفْقِهِ): بضمّ الهمزة وسكون الفاء وبالقاف، أي: جهته العلويّة، وناحيته العليّة. والضمير للساعي. وقوله (ولاح): معطوف على ساع، وهي الحالة الثانية النفسانيّة لنفسه الإنسانيّة المدبِّرة لصورته الجسمانيّة. و(اللاحي): من لَحَيْتُ الرجلَ أَلْحَاهُ لَحْيَاً: إذا لُمتُه، كذا في الصحاح. وهو صفات الجلال الإلهيّ كما سبق بيانه. وقوله (مراع): من المراعاة، يقال: راعيت الأمرَ: نظرت في عاقبته، وراعيته: لاحظته. كذا في المصباح. وقوله (رِفقة): بكسر الراء، مفعول مراعٍ. والضمير

(١) في (ق): وحالُ.

يعود على قوله لاح. والرِفْقُ: ضدّ العنف، وهو اللطف، وحسن الصُنع كما مرّ.

وقوله (**بالنصيحة**): متعلّق برفقة. والمعنى: إنّ حاله في شهود الحقّ تعالى لا يختلف عليه في عالم الجمع الروحانيّ، وفي عالم الفرق النفسانيّ، من قبيل قول العارف عفيف الدين التلمسانيّ قدّس الله سرّه:

إلى ذلك المغنى مآلي ومرجعي	وشركي الذي أدّى إلى وحدتي معي
تصرفت في ملكي بملكي فلم أدع	مكانة إمكان ولا وضع موضع
وأسرعت إسراع المشوق إلى الحمى	بسائر أنواع الوجود المنوّع
وقامت بذاتي معنوياتي التي	بقائي بها في حال مرئي ومسمع

فتارة يغلب عليه عالم روحانيّته فينجذب إلى حضرة الغيب بأسماء الجلال الإلهيّ، فيشهد الوجود الحقّ بالوجود الحقّ، وتارة يغلب عليه عالم نفسانيّته؛ فينجذب إلى حضرة الشهادة بأسماء الجلال الإلهيّ، فيشهد الكثرة العلميّة في الآثار الإمكانيّة والأحوال الكيانيّة، ولا يغيب عن الوجود الحقّ. فإمّا أنْ يشهد الكثرة في الوحدة، وهو الحال الأوّل، أو يشهد الوحدة في الكثرة، وهو الحال الثاني. وتارة يبقى بين الكثرة والوحدة مضطرب الحال، لم يغلب عليه واحد منهما لضيق المجال مع سعة الحضرة في مقام الكمال.

٤٠٧- شَهِيْدٌ بَحَالِي فِي السَّمَاعِ لِجَاذِبِي فَضَاءٌ مَقَرِّي أَوْ مَمَرُّ قَضِيَّتِي

(**شهيد**): مبتدأ. وقوله (**بحالي**): متعلّق به، أي بحال شهودي المذكور في البيت قبله. وجاء الابتداء بالنكرة لتخصيصها بكونها عاملة ـ في محل الجار والمجرور ـ النصبَ، نحو: أمرٌ بمعروف صدقة؛ إذْ الظرف منصوب المحلّ بالمصدر ذكره ابن هشام في المغني. و(**شهيد**): بمعنى شاهد. قال في المصباح: «شَهِدَ بكذا شَهَادَة؛ إنّما تعدّى بالباء لأنّه بمعنى أخبر به؛ ولهذا قال بن فارس: الشهادة الإخبار بما قدّ شوهد» أي: يشهد بحالي الذي تقدّم في البيت قبله، وهو حال الشهود المتردد بين صفات الجمال، وصفات الجلال، بشهود الوحدة الإلهيّة، والكثرة الخليقة كما مرّ. وقوله (في

السماع): الجار والمجرور في محل نصب على أنّه حال من قوله حالي، أي: حال كون حالي كائناً في السماع. و(السماع): مصدر سَمِع يَسْمَع سَمَاعَاً. والذِكْرُ المَسْمُوع، ويكون للواحد والجمع، كذا في القاموس. وفي المصباح: «والسَّماع اسم منه»؛ والمراد به هنا الذِكْرَ المَسْمُوع، وهو الأصوات الحسنة المطربة، والألحان الطيِّبة المعجبة، والنغمات الرائقة بالآلات الفائقة. وقوله (لجاذبي): أي لأجل الذي يجذبني إليه، قال في القاموس: «جَذَبَهُ يَجْذِبُهُ: مَدَّهُ، كاجْتَذَبَهُ، وجَذَبَ الشيءَ: حَرَّكَه عن موضعه».

وقوله (فَضاء): بفتح الفاء والضاد المعجمة/[١٩٨/ب] والمدّ، قال في القاموس: «فَضَا المكانُ فَضَاءً وفُضُوّاً: اتسع، وبالمدّ الساحة، وما اتسع من الأرض». وهو خبر المبتدأ، أو فاعل شهيد، سدَّ مسدَّ الخبر على رأي من يُجَوِّزُه، قال في المغني لابن هشام في مسوِّغات الابتداء بنكرة «وأنْ تكون عاملة إمّا رفعاً نحو: قائم الزيدان عند مَنْ أجازه». وقوله (مقرِّي): أي موضع قراري، وهو حضرات الأسماء الجماليّة؛ فإنّها موضع قرار روحي، لأنّه منشأ الأرواح كلّها من عالم الجمال الربّانيّ.

وقوله (أو ممر): موضع مرور(قضيّتي): بتشديد الياء التحتيّة، أي: مقضيَّتي قال الراغب: «كلّ قول مقطوع به من قولك هو كذا، وليس بكذا يقال له: قضيّة. ومن هنا يقال: قضيّة عادلة، وقضيّة كاذبة». والمعنى: ما تمرّ عليه قضيَّتي، أي: تعرض، ويتكرر عروضها لديه، وهو حضرات الأسماء الجلاليّة، فإنّ منشأ النفوس بأجمعها من عالم الجلال الرحماني، ولهذا تجذبها الأسماء الجلاليّة إليها عند سماع المحرّك المطرب والمبيّن المعرب، فإنّ نغمات الألحان تذكر الأرواح عهد الجمال المطلق المنتشئة منه، فتضرب الجسد بقواها لتخرج منه، فتردّها العوارض النفسانيّة لانبعاثها عن الأسماء الجلاليّة وانتشائها منها؛ ولهذا يرقص الجسم عند السماع، ويتواجد ويضطرب على حسب حاله؛ فالقاصر الحال تكثر حركاته ارتفاعاً وانخفاضاً، وكلّما كمل حاله قلّت حركاته في السماع لقرّة عينه بكمال حضوره حتّى

ترجع حركاته روحانيّة أمريّة، كما قيل للجنيد قدّس سرّه: ما لنا نراك لا تضطرب في السماع؟!. فقال: ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [٢٧/ النمل/ ٨٨] . فمعنى البيت الذي يشهد بصدق حالي في وقت حضور السماع، وكوني أضطرب فيه باطناً وظاهراً هو سعة مَقَرِّي الروحانيّ لإطلاق عالم الأرواح، أو موضع مرور نفسي من سعة العلم الإلهيّ لقوّة جاذبي الروحانيّ للجمال المطلق.

٤٠٨- وَيُثْبِتُ نَفْيَ الالْتِبَاسِ تَطَابُقُ الْـ ـمِثَالَيْنِ بِالْخَمْسِ الحَوَاسِ الْمُبِينَةِ

(**ويثبت**): بضمّ الياء التحيّة، أي: يحقّق عندي. وقوله (**نفي الالتباس**): مفعول يثبت، وهو مصدر التبس الأمر: أشكل. وقوله (**تطابق المثالين**): فاعل يثبت. وأشار بالمثالين إلى روحه ونفسه، فإنّهما مثالان عنده لحضرة الذات الإلهيّة، وحضرت الصفات والأسماء الربّانيّة، كما قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [٣٠/ الروم/ ٢٨] وقال: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ ـ وهو عالم الأرواح ـ ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ [٣٠/ الروم/ ٢٧] وهو عالم النفوس. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ﴾ [٢٢/ الحج/ ٧٣] فتطابق عالم الروح لحضرة الذات الإلهيّة من جهة إطلاق عالم الأرواح عن قيود الجسمانيّة، والحدود النفسانيّة، وخروجها عن عالم الطبيعة بالكليّة فهي مثال للحضرة الإلهيّة على التنزيه التام، وتطابق النفس لحضرة الصفات والأسماء الإلهيّة من جهة اختلاف أحوالها، وكثرة أطوارها، وسرعة تقلّباتها في الأمور، ونحو ذلك في معنى التطابق ممّا لا يدرك إلّا ذوقاً. وقوله (**بالخمس**): متعلّق بـ يثبت. و(**الحواس**): بدل من الخمس، وهي السمع، والبصر، والذوق، والشمّ، واللمس. وقوله (**المُبِينَة**): بصيغة اسم الفاعل، أي: الكاشفة، فإنّ المثالين المذكورين هما المشهودان من حضرة الذات، وحضرة الأسماء والصفات؛ لأنّهما صورتان صورتهما الذات لنفسها بواسطة أسمائها وصفاتها، فمن عرف نفسه عرف ربّه. والروح لا تعرف، كما أنّ الذات لا تعرف. والنفس تعرف، كما أنّ الأسماء والصفات تعرف. وما في الوجود غير الوجود

الحقّ، وهو الذات، وأسماؤه وصفاته، والمثالان المذكوران، فمن تحقّق بإزالة الوهم فذهب عنه ما لم يكن، وظهر/ [١٩٩/ أ] له ما لم يزل. وثبت ذلك عنده بالسمع، فكان سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، إلى أخر الخمس الحواس المذكورة. فيصير الحقّ تعالى محسوساً عنده بعدما كان معقولاً. وتصير المخلوقات كلّها معقولة عنده بعدما كانت محسوسة. وهو قلب الحال كما قال تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ [٢٩/ العنكبوت/ ٢١] ﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [٥/ المائدة/ ١٨] ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٤٥]، وهي الآخرة؛ فإنّها حقّ كلّها. ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [٣/ آل عمران/ ١٨٥].

٤٠٩ - وَبَيْنَ يَدَيْ مَرَمَايَ دُوْنَكَ سِرَّ مَا   تَلَقَّتْهُ مِنْهَا النَّفْسُ سِرّاً فَأَلْقَتِ

(وبين يدي): تثنية يد، أصله يدين، فحذفت النون لإضافته إلى (مرمايَ): بفتح الياء التحتيّة، أي: موضع رميي بهمّتي، وهو مقصودي. وقوله (دونك): اسم فعل بمعنى خذ. وقوله (سِرَّ): مفعول دونك، أي: خذ سرّ، قال في المصباح: «السِرُّ ما يُكتم، وهو خلاف الإعلان:. وقوله (ما): أي الذي (تلقّته): بتشديد القاف، قال في الصحاح: «تلقّاه، أي: استقبله. وقوله تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ﴾ [٢٤/ النور/ ١٥] أي: يأخذه بعض عن بعض. وقوله (منها): الضمير يعود على النفس، وإنْ عاد على متأخّر لفظاً فإنّه متقدّم رتبة، لأنّه فاعل تلقّته. والمعنى: إنْ النفس تلقت منها بعد كشف حجاب التوهّم للغيريّة، وزوال غفلة الثنويّة، الأمر الذي تلقّته كما قال تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [٣٥/ النجم/ ١٠] فأظهر عبده، وأضمر نفسه، فخذ يا أيّها المريد هذا الأمر الحاضر بين يدي مقصودي، وهو سرّ ما ألقته نفسي إلى نفسي. وقوله (سرّاً): لا جهراً. يعني: بطريق الإسرار دون الإجهار، قال في المصباح: «أَسرَرتُ الحديثَ إسراراً: أخفيته». وقوله (فألقت): بكسر التاء للقافية، أي: فألقته على غيرها، وقد أشار تعالى إلى هذا السرّ الذي تلقّته النفس منها على غيرها من المريدين الصادقين بقول سبحانه : ﴿وَلَوْ

جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا ﴾ [٦/ الأنعام/ ٩] فإنّ الجعل يقع على الصور، وما في خلق الرحمن من تفاوت، والرسول من جنس المرسل إليهم. قال تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٩٥]. ثمّ قال تعالى: ﴿ وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾ [٦/ الأنعام/ ٩] فإنّه من لَبَسْتُ الأمرَ لَبْساً، من باب ضرب: خَلَطْتُه، يكون لَبَسَهُم عين لَبْسِه عليهم. واللَّبْسُ إنّما هو واقع في الصور لا في العين الواحدة، قال سبحانه: ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [٥٠/ ق/ ١٥]. يعني: لا هو في لبس لاستحالته عليه.

٤١٠ – إذَا لَاحَ مَعْنَى الحُسْنِ فِيْ أيِّ صُوْرَةٍ وَنَاحَ[١] مُعَنًّى الحُزْنَ فِي آيِ سُوْرَةِ

٤١١ – يُشَاهِدُهَا فِكْرِي بِطَرْفِ تَخَيُّلِي وَيَسْمَعُهَا ذِكْرِي بِمِسْمَعِ فِطْنَتِي

(إذا لاح): أي ظهر. وقوله (معنى الحسن): هو الجمال الحقيقيّ، فإنّه معنى الحسن الظاهر، أي: من ورائه محيط به، كالمعنى من وراء اللفظ محيط به. وقوله (في أي صورة): يعني سواء كانت صورة إنسان أو غيره من ملاح الكون. وقوله (وناح): أي صاح بعويل. يقال: ناحت الحمامة نَوْحاً. وأصل النَّوْح اجتماع النساء في المَنَاحَة، وهو من التَنَاوُح، أي: التقابل. يقال جبلان يَتَنَاوَحَان، ورِيْحَان يتناوحان ذكره الراغب في مفرداته. وقوله (مُعَنّى): بتشديد النون، اسم مفعول من العَنَاء، وهو المشقّة، قال في المصباح: «عَنِي يَعْنَى، من باب تَعِب: إذا أصابه مشقة. ويُعَدَّى بالتضعيف فيقال: عَنَّاهُ يُعَنِّيهِ: إذا كَلَّفَه ما يَشُقُّ عليه». و(الحُزن): بضمّ الحاء المهملة خلاف السرور. وقوله (في آي سورة): الآيُ بالمدّ جمع آية، وتجمع على آيات. والسُّورة بالضمّ جملة من الآيات القرآنيّة. والمعنى: إنّه كلّما ظهر له المعنى الجمالي الإلهيّ في حسن ملاح الكون من إنسان وغيره، وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [٣٢/ السجدة/ ٧] وقال صلّى الله عليه وسلم: «إنّ الله

(١) في (ق): وناح.

كتب الإحسان على كلّ شيء»[1] الحديث. فآي هنا لإفادة العموم، قال في المصباح/ [١٩٩/ ب]»: وقد تقتضي العموم لقرينة نحو: أيُّ صلاة وقعت بغير طهارةٍ وجب قضاؤها «وكذلك متى بكى وناح صاحب العشق الإلهيّ عند تلاوة آيات كلام الله القديم».

(**يشاهدها**): أي المحبوبة الحقيقيّة، وهو جواب إذا، والمشاهدة هي المعاينة. وقوله (**فكري**): أي قوتي المفكرة، وقال في المصباح: «الفِكْرُ، بالكسر: تردد القلب بالنظر والتدّبر لطلب المعاني». وقوله (**بطَرْفِ**): متعلّق بـ يشاهدها. و(**الطَرْفُ**): بفتح الطاء المهملة وسكون الراء وبالفاء، قال في المصباح: «طَرْف العين نَظَرُها، ويُطْلَق على الواحد وغيره، لأنّه مصدر».

وقوله (**تَخَيُّلي**): مصدر تَخَيَّلَ، بالتشديد، قال في الصحاح: «تَخَيَّلَ له أنّه كذا، أي: تَشَبَّه وتَخَايَل، يُقال: تَخَيَّلْتُهُ فتَخَيَّل لي، كما يقال: تصوَّرتُه فتصوّر، وتَبَيَّنْتُهُ فتَبَيَّنَ وتَحَقَّقْتُهُ فتَحَقَّقَ. وقال الراغب في مفرداته: «الخيال أصله الصورة المجرّدة كالصورة المتصوّرة في المنام. وفي المرآة بُعَيْد غيبوبة المَرئي. ثمّ يستعمل في صورة كلّ أمر متصوّر، وفي كلّ شخص دقيق يجري مجرى الخيال. والتخييل: تصوير خيال الشيء في النفس، والتخيّل: تصوّر ذلك». فالمعنى إنّ كلّ ما يخطر في فكري من تخيلات المعاني كلّ ذلك تجلّيات المحبوبة الحقيقيّة، والحضرة المنزّهة العليّة؛ فأنا أشاهدها في جميع ذلك. وقوله (**ويسمعها**): أي يسمع المحبوبة الحقيقيّة. يعني: يسمع كلامها القديم الذي ليس بحرف حادث، ولا صوت حادث. وقوله (**ذكري**): هو فاعل يسمعها، قال الراغب في مفرداته: «الذِكْرُ: تارة يُقال ويُراد به هيئة للنفس، بها يمكن الإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة. وهو كالحفظ، إلّا أنّ الحفظ يُقال اعتباراً بإحرازه، والذكر يقال باعتبار استحضاره. وتارة يقال لحضور الشيء في القلب، أو القول، ولذا قيل الذكر ذكران: ذكر بالقلب، وذكر

---

(١) انظر تخريجه ص٥٥٦.

باللسان، وكلّ منهما ضربان: ذكر عن نسيان، وذكر لا عن نسيان؛ بل عن إدامة الحفظ. ولذا قال الجنيد قدس سرّه:

ذكرتـك لا أنّي نـسيتك سـاعة وأيـسر مـا في الـذكر ذكـر لـساني

وهو المعنى المراد هنا. يعني: إنّ دوام حفظي وتذكري لها يسمع كلامها. وقوله (**بِمِسْمَعِ فِطْنَتِي**): متعلّق بـ يسمعها، والمِسْمَع بكسر الميم الأولى وسكون السين المهملة، بمعنى السمع، وهو قوّة في الأُذُن، بها تدرك الأصوات. ذكره الراغب. وفي المصباح: «طَرَقَ الكلامُ السَّمْعَ والمِسمَع بكسر الأوّل، والجمع: أسماع ومَسَامِع». وقد أضاف المِسمع إلى قوله (**فطنة**): وهي العلم والحِذْق، قال في المصباح: «يقال: رجل فَطِن بخصومته، عالم بوجوهها: حاذق».

٤١٢ - وَيُحْضِرُهَا لِلْنَفْسِ وَهْمِي تَصَوُّرَاً فَيَحْسَبُهَا فِي الحِسِّ فَهْمِي نَدِيْمَتِي

(**ويُحضرها**): بضمّ الياء التحتيّة، أي: المحبوبة الحقيقيّة، من أَحضرَ الشيء، يُقال: حَضَرَ حُضُوراً: ضدّ غاب. وقوله (**للنفس**): أي لأجل نفسي، فإنّ النفس صورة وهمِيَّة حاصلة بقوّة روحانيّة، فلا تعرف إلّا مثلها، ولا تألف إلّا شكلها. وقوله (**وهْمِي**): فاعل حضرها، قال في المصباح: «وَهَمْتُ إلى الشيء وَهْماً، من باب وَعَد: سَبَقَ القلبُ إليه مع إرادة غيره». وقوله (**تصوّراً**): أي من جهة تصوّري لها، فما لا صورة له إذا صوّرته القوّة الواهمة للنفس لقصور الوهم، وضعف إدراك النفس لا يكون غير ما لا صورة له، كصغر النجم في عيون أهل الأرض من البعد، قال الشاعر:

كـالنجم تستـصغر الأبـصار طلعتـه والذنب للطَرْف لا للـنجم في الـصغر

وقوله (**فيحسبها**): أي يظنّها. يعني: يحسب المحبوبة الحقيقيّة. وقوله (**في الحسّ**): بالكسر، أي: الشعور والإدراك. وقوله (**فهمي**): فاعل يحسبها. وقوله (**نديمتي**) مفعول ثان ليحسب، والأوّل الضمير، قال الشاعر/ [٢٠٠/ أ]:

يمثّلـك الـشوق الـشديد لنـاظري فـأطرق إجـلالاً كأنـك حـاضر

(ولا شك): عندنا أنّ خالقنا ومصورنا ليس بمخلوق، ولا مُصوَّر، بفتح الواو. فإذا أحبّنا فتحبب إلينا بالنعم والتوفيق، وألهمنا شكره وذكره، لا نجده إلّا في تجلّيه بصورنا، يصوِّرها من عدم. فإذا عرفنا أنفسنا، وأنّنا تصويراته التي يصوِّرها لذاته تعالى فقد عرفناه كما قال تعالى: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾ [٢٠/طه/٤١] وقال: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ [٢١/طه/٣٩] وجميع العوالم كلّها كذلك تصويرات صوّرها الحقّ تعالى لنفسه، فهو ظاهر بها، فمن عرفها عرف ربّه، ومن جهلها جهله. ولهذا أحالنا تعالى على أنفسنا بقوله: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [٥١/الذاريات/٢١] وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [١٠/يونس/١٠١] وقال: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [٨٨/الغاشية/١٧] إلى آخره.

٤١٣- فَأَعْجَبُ مِنْ سُكْرِيْ بِغَيْرِ مُدَامَةٍ وَأَطْـرَبُ فِيْ سِرِّيْ وَمِنِّـيْ طِرْبَتِـي

(**فأعجب من سكري**): أي غيبتي عن ملاحظة أبناء جنسي والمجاراة معهم. وقوله (**بغير مدامة**): متعلّق بسكري. والمدامة اسم الخمر. وقوله (**وأطرب**): أي يأخذني الطرب. قال في المصباح: «طَرِبَ يَطْرَبُ طَرَباً فهو طَرِب، من باب تعب: وهو خِفَّة تصيبه لشدّة حزن أو سرور، والعامّة تخصّه بالسرور». وقوله (**في سرِّي**): أي باطني. وقوله (**ومنِّي**): أي من ذاتي لا من غيري. (**طِرْبَتِي**): بكسر الطاء المهملة: ما يطربك من شيء، كالطلبة: ما طلبته من شيء.

٤١٤- فَيَرْقُصُ قَلْبِي وَارْتِعَاش مَفَاصِلِي يُـصَفِّقُ كَالـشَّادِي وَرُوْحِـيَ قَيْنَتِـي

(**فيرقص قلبي**): أي يخفق ويضطرب، بسبب حضور المحبوبة الحقيقيّة، واستحضار عظمتها. وقوله (**وارتعاش**): مصدر ارتعش: أَخَذَتْهُ الرِعشة، وهي الرِعْدَة. وقوله (**مفاصلي**): جمع مفصل، قال في المصباح: «المَفْصِل وِزَان مسجِد: أحد مفاصل الأعضاء». وقوله (**يصفق**): بتشديد الفاء، قال في المصباح: «صَفَّقَ بيديه بالتثقيل». وفي الصحاح: «التَصْفيق باليد: التصويت بها». وقوله (**كالشادي**):

بالشين المعجمة والدال المهملة، قال في الصحاح: «الشادي الذي يشدو ـ أي: يسوق ـ شيئاً من الأدب، أي: يأخذ طرفاً منه، كأنّه ساقه وجمعه. وشَدَوْتَ: إذا أَنشدتَ بيتاً أو بيتين تمدّ به صوتك كالغناء. ويقال للمغني الشادي. وقد شدا شعراً أو غناء: إذا غنَّى به، أو ترنّم به». وقوله (وروحي قينتي): بفتح القاف وسكون الياء التحتيّة، وفتح النون وبالهاء، قال في المصباح: «القَيْنَة: الأمة البيضاء، هكذا قيّده ابن السكِّيت، مغنيّة كانت أو غير مغنيّة. وقيل تختصّ بالمغنيّة».

٤١٥ - وَمَـا بَرِحَـتْ نَفْـسِي تُقَـوَّتْ بِـالمُنَى   وَتَمْحُو القُوَى بِالضَّعْفِ حَتَّى تَقَوَّتِ

(وما برحت) قال في المصباح: «بَرِحَ الشيءُ يَبْرَحَ، من باب تَعِب، بَرَاحاً: زال من مكانه، وما بَرِحَ يفعل كذا بمعنى المواظبة والملازمة». وقوله (نفسي): اسم برحت، وخبرها قوله **(تقوّت)**: بتشديد الواو، مبني للمجهول من القُوت، وهو ما يؤكل ليُمسك الرمق، قاله ابن فارس والأزهري. وقَاتَه يَقُوتُه قَوْتاً من باب قال: عاله، وأعطاه قوتاً. واقتات به: أكله، وهو يتقوّت بالقليل. وقوله (بالمنى): متعلّق بـ تقوّت. والمنى مقصور، جمع مُنْيَة، مثل غُرْفة وغُرُف: اسم من تمنّيت،، كذا قيل مأخوذ من المَنَا كالعصا، وهو القَدَر، لأنّ صاحبه يُقَدِّر حصوله كما في المصباح». والمعنى: إنّ نفسه في ابتداء أمره كانت مواظبة، ولها ذمَّة ليتمنّى المقامات العالية في طريق الله تعالى كما قال صلّى الله عليه وسلّم: «إنّ الله يحبّ معالي الأمور وأشرافها ويكره سفاسفها»[1] أخرجه الطبراني عن الحسين بن علي رضي الله عنهما. وقوله **(تمحو)** يقال: مَحَوْتَهُ مَحْواً من باب قتل، ومَحَيْتُهُ مَحْياً، من باب نَفَعَ، لغةٌ: أزلته. وانمحي الشيءُ: ذهب أثره، كذا في المصباح. وفاعل تمحو ضمير يعود إلى نفسي. وقوله **(القوى)**: جمع قوّة، مثل غرفة وغرف، وهي القوى الجسمانيّة الظاهرة،

---

(١) أخرجه الطبرانيّ في المعجم الكبير، ٢٨٢٥، عن الحسين بن عليّ رضي الله عنهما، كما رواه في الأوسط ، ٣٠٥٥، عن سهل بن سعد الساعديّ.

والقوى النفسانيّة الباطنية ومحوها/[٢٠٠/ب] إزالة دعواها؛ لأنّها من أمر الله تعالى، لا مدخل لغيره في شيء منها، لا لغيره تعالى في شيء منها، كما قال تعالى: ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ﴾ [٢/ البقرة/ ١٦٥].

وورد في أدعية النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: لا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم؛ فالحول تحوّل النفوس، وهي القوى الباطنة، والقوّة هي الظاهرة في الأجسام. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قال لي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: أكثِرْ مِن قول لا حول ولا قوّة إلّا بالله؛ فإنّها من كنز الجنّة»[1] رواه الترمذي في الدعوات. وللعارف الكامل عفيف الدين التلمسانيّ قدّس الله سرّه من قصيدة له:

ولولا انخرام الكلّ بالقوّة التي	لإطلاقها في جمعهن قيود
لما عدم الموجود يوماً ولا امتحت	رسوم بأنواع البلى وحدود
ولكنّها يأبى النهاية وصفها	فليس لها في الدرّ قطّ جمود
ولو وقفت يوماً بحدٍّ لنا لها	به عدم هيهات وهي وجود

ولنا في هذا المعنى قولنا:

من فرط قربك منّي	ظننت أنّك أنّي
فقلت ما قلت جهلاً	وذاك من سوء
وحين حقّقت أمري	والوهم قد زال عنّي
تركت هذا وهذا	ثمّ الفنا صار فنّي
وصرت عن عيب غيباً	ما أقول أُكَنِّي
أنا الموحِّد ذوقاً	فخلني يا مثنِّي

(١) أخرجه الترمذيّ في سننه، كتاب الدعوات، باب: فضل لا حول ولا قوّة إلّا بالله، ٣٩٥٠.

وقوله (**بالضعف**): متعلّق بـ تمحو. والضَعف بفتح الضاد المعجمة في لغة تميم، وبضمّها في لغة قريش: خلاف القوّة والصحّة، كذا في المصباح. ومحو القوى بالضعف: التحقّق ذوقاً بأنّ القوّة لله جميعاً في الإنسان، وفي غيره من جميع المخلوقات على اختلاف أنواع القوى. وقوله (**حتّى تقوّتِ**): بتشديد الواو وكسر التاء للقافية، أي: صارت قويّة لرجوعها إلى أصلها من أمر الله؛ فإنّها لمّا خرجت بالدّعوى رجعت بالتسليم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ [٨٩/ الفجر/ ٢٧].

٤١٦ - هُنَاكَ وَجَدْتُ الكَائِنَاتِ تَحَالَفَتْ عَلَى أَنَّهَا وَالعَوْنُ مِنِّي مُعِيْنَتِي

(**هناك**): أي في مقام تحقُّقي بحقيقة نفسي؛ حيث محوت قواي بالضعف، فقويت نفسي بالقوّة الآمريّة الإلهيّة، كما مرّ في البيت السابق. وقوله (**وجدت**): أي كان ذلك وجداناً عندي لا تخيّلاً علمياً. وقوله (**الكائنات**): أي المخلوقات على اختلافها. وقوله (**تحالفت**): بالحاء المهملة، أي حالف بعضها بعضاً، بمعنى عاهد، قال في المصباح: «الحَليف المُعاهد، يقال منه: تحالفا: إذا تعاهدا، وتعاقدا على أنْ يكون أمرهما واحداً في النصرة والحماية. وبينهما حلف وحلفة بالكسر، أي: عهد. وقوله (**على أنّها**): أي الكائنات. والجار والمجرور متعلّق بتحالفت. وقوله (**والعَوْن**): أي الظهير على الأمر. والجمع أعوان، كذا في المصباح. وقال الراغب في مفرداته: «العون: المعاونة والمظاهرة، يقال: فلان عوني، أي: مُعيني»؛ والثاني هنا أنسب. وقوله (**مِنّي**): أي معونة الكائنات لي حاصلة منّي، وهي جملة معترضة بين اسم أنّ وخبرها لدفع توهّم الغيريّة. وقوله (**معينتي**): خبر أنّ. فالكائنات تعينني في تحصيل كلّ ما أريده منها. وفي نفس الأمر إنّما إعانتها لي حاصلة منّي فلا مغايرة بيننا؛ إذ الكل قائم بأمر الله.

٤١٧- لِيَجْمَعَ شَمْلِي كُلُّ جَارِحَةٍ بِهَا   وَيَشْمَلَ جَمْعِي كُلُّ مَنْبَتِ شَعْرَةِ

(ليجمع شملي): تعليل لإعانة الكائنات له في البيت قبله، قال في المصباح: «شَمِلَهُم الأمرُ شَمَلاً من باب تَعِبَ: عَمَّهُم. وشَمَلَهم شُمُولاً من باب قَعَدَ، لغة. وأمر شامل: عام. وجمع الله شملهم: أي ما تفرّق من أمرهم». وقوله (كلّ جارحة): فاعِل يجمع. والجارحة واحدة جوارح الإنسان: أعضاؤه التي يكتسب بها كذا في الصحاح. وقوله (بها)/ [٢٠١/أ] أي بالمحبوبة الحقيقيّة. وقوله (ويشمل): أي يعمّ. وقوله (جمعي): فاعل. والجمع هنا ضدّ الفرق، وهو مقام شهود الأمر الإلهيّ قائماً على كلّ شيء. وقوله (كلّ): مفعول يشمل. وقوله (مَنْبِتِ): مضاف إليه، موضع نبات شعره. والمعنى يشملني كلّي، فلا يُبقي منّي محل نبات شعرة إلاّ وسرى فيه شهود الوحدة الأمريّة الإلهيّة.

٤١٨- وَيُخْلَعُ فِيمَا بَيْنَنَا لَبْسُ بَيْنِنَا   عَلَى أَنَّنِي لَمْ أَلْفِهِ غَيْرَ أُلْفَةِ

(ويخلع): بالبناء للمفعول، أي: ينزع. يقال: خلعتُ النعلَ وغيرَه خَلْعاً: نزعته، كذا في المصباح. وقوله (فيما بيننا): أي بيني وبين المحبوبة الحقيقيّة. وقوله (لَبْس): بفتح اللام وسكون الباء الموحّدة وبالسين المهملة، مصدر لَبِسْت الأمر لَبْساً من باب ضَرَب: خلطته. ويقال : في الأمر لُبْس بالضمّ، أي: إشكال. لَبِسْتُ الثوبَ من باب تَعِبَ لُبساً بضمّ اللام، كما في المصباح. ولَبْسُ مرفوع على أنّه نائب فاعل يخلع. وقوله (بيننا): أي بُعْدنا. قال في المصباح: «والبَيْنُ، بالفتح، من الأضداد، يطلق على الوصل وعلى الفرقة». فالمعنى على الأوّل: وينزع من بَيني وبَين المحبوبة الحقيقيّة التباس وصْلِنا، أي: اختلاطه وعدم انكشافه لي خالصاً، كحالة الغافلين المحجوبين، يعلمون أنّ الحقّ تعالى محيط بهم، وقائم على نفوسهم بما كسبت، ومالك سمعهم وأبصارهم، وهو أقرب إليهم من حبل الوريد على مقتضى ما ورد في القرآن، وهم مؤمنون، به مصدِّقون؛ وهذا وصل لا فرقة. ومع ذلك قد التبس عليهم الأمر وأشكل، وزاد التباسهم حتي أنكروا على أهل الله ما هم متحقّقون به

من ذلك. والمعنى على الثاني: ظاهر؛ لأنّ مَن غبت عنه فقد فارقته وإنْ لم يغب هو عنك، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [٧٥/ الحديد/ ٤]. وقوله (على أنني): أي تحقيقاً عندي أنني. (لم أَلْفِهِ): أي لم أجده، قال في المصباح: «أَلْفَيْتُهُ يُصَلِّي بالألف: وجدته على تلك الحالة». والضمير في أَلْفِهِ يعود على لَبْس البين. وقوله (غيرَ): مفعول ثانٍ لألفه. والمفعول الأوّل الهاء. وقوله (أُلْفَةِ): بضمّ الهمزة وسكون اللام وفتح الفاء، يقال أَلِفْتُهُ إلْفَاً، من باب عَلِمَ: أَنِسْتُ به، وأحببته. والاسم الأُلفة بالضمّ، والأُلْفَة أيضاً: اسم من الائتلاف، وهو الالتئام، والاجتماع». والمعنى: إنّ ذلك الالتباس تحقّقته من نفسي، فلم أجده غير أُلفة الإنسان، واستئناسه بحالة الالتباس، واعتياده عليها وانطباعه بها.

٤١٩ - تَنَبَّهْ لِنَقْلِ الحِسِّ لِلْنَفْسِ رَاغِبَاً عَنْ الدَّرْسِ مَا أَبْدَتْ بِوَحْيِ البَدِيْهَةِ

(تنبّهْ)[1]: فعل أمر، أي: استيقظ من نوم الغفلة، والخطاب للسالك. وقوله (لنقل الحسّ): أي الإدراك بالحواس الخمس: السمع، والبصر، والشمّ، والذوق، واللمس؛ فإنّ ذلك يُنقل للنفس. والمراد بها النفس الناطقة، المسمّاة بالقلب. وقوله (راغباً): حال من فاعل تنبّه، أي: معرضاً. وقوله (عن الدرس): أي: عن التعلّم من المشايخ. أمّا تعلّم العلوم المغايرة لهذا العلم المنافرة له، المقتضية للتكبّر والإعجاب. أو تعلّم هذا العلم؛ فإنّ المعاني المدركة بالتعلّيم والتعلّم إذا كانت مجرّدة عن الوجدان والذوق لا تفيد شيئاً طائلاً للمتعلّم؛ فإنّها في معرض الزوال بخلاف ما يدرك بالذوق والوجدان باطناً، أو بالحواس الخمس ظاهراً، فإنّه لا يمكن لأحد مخالفة ما يجده ويشاهده، ولو برهن من يخالفه بألف برهان. وهي جملة معترضة بين العامل ومعموله، تنفيراً للطالب السالك عن الاعتماد على تعلم علم الحقائق من المشايخ بدون وجدان وذوق، وإلّا فإنّ في حضور مجالس العارفين بربّهم، وفي سماع كلامهم

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: بلغ مقابلة على مؤلّفه رضي الله عنه وأرضاه.

في علوم الحقائق من أفواههم ما لا يجحد من/[٢٠١/ب] الإفادات والفهوم، بخلاف السماع ممن ينقل عنهم، فإنّه كما قيل: وما آفة الآخبار إلّا رواتها. وهذا إذا وجد شيخاً منهم. وإذا لم يجد فمطالعة كتب الحقائق مع اعتقادهم هذا العلم وأهله من أهمّ المهمّات في الدين المحمّدي.

ولقد ذكر عبد الكريم الجيليّ قدّس الله سرّه في رسالته مراتب الوجود: «إنّ القوم المشار إليهم بهذا العلم رضي الله عنهم، إنّما أخذوا منه طرفاً، كلّ على قدر قابليّته، وقبول الفيض المقدّس والأقدس من حضرة التجلّي مع التأييد الإلهيّ، حتّى إنّهم مع دوام النفحات، وتواتر الخيرات لم يزالوا يطلبون العلم من بعضهم بعضاً، ويسيحون في الأرض للوقوع على رجل يفيدهم في مسألة طولاً وعرضاً»، ولهذا قال الجنيد رضي الله عنه: «لو علمت أنّ تحت أديم السماء علماً أشرف من علمنا هذا لرحلت إليه» تنبيهاً على شرف هذا العلم. وأنّه ممّا ينبغي للمريد أنْ يرحل إليه بل يجب عليه. وقال الشيخ أحمد الرفاعيّ[1] لتلاميذته: «تعلّموا هذا العلم فإنّ جذبات الحقّ قَلَّتْ في زماننا» يريد بالجذبات: المجذوبين؛ يعني: إنّ المجذوبين قليل في الزمان. وبسبب قلّتهم عدم تعرّض أهل الزمان لنفحات الرحمان. وإن شئت قلت عدم التخلّي لقبول فيض التجلّي. وقد يكون قصد الشيخ بقلّة الجذبات قلّة ظهورها على أهل الزمان، لا لكو قليلة في نفس الأمر بالنسبة إلى ما مضى من الأزمنة؛ لأنّ الله تعالى لم يزل متجليا بجميع تجلّياته، مفيضاً على خلقه بمقتضيات أسمائه وصفاته.

وقد بلغني أنّ شيخي الشيخ اسماعيل الجبرتي رضي الله عنه أنّه قال لبعض إخواني من تلامذته: «عليك بكتب الشيخ محيي الدّين بن عربي. فقال له التلميذ:

---

(١) أحمد الرفاعيّ: أبو العبّاس، ينتهي نسبه إلى الحسن بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهم. صاحب الطريقة الرفاعيّة وأستاذها، كراماته مشهورة، ولد سنة ٥٠٠هـ وتوفي سنة ٥٧٨ ولم يبقَ على جسده من لحمه شيئاً، وكان قد أخبر أنّ الربّ وعده ألّا يعبر الدنيا وعليه شيء من لحمه. انظر طبقات الأولياء لابن الملقن.

يا سيّدي إنْ رأيت أصبر حتى يفتح الله عليّ من حيث الفيض. فقال الشيخ إنّ الذي تريد أن تصبر له هو عين ما ذكره الشيخ لك في هذه الكتب». هذا كلامهم رضي الله عنهم للتلامذة والإخوان إنّما هو لتقريب المسافة البعيدة إليهم، وتسهيل الطريق الصعب عليهم؛ لانّ المرء قد ينال بمسألة من مسائل علمنا هذا ما لا يناله بمجاهدة خمسين سنة؛ وذلك لأنّ السالك إنّما ينال ثمرة سلوكه وعمله، والعلوم التي وضعها الكمّل من أهل الله تعالى هي ثمرة سلوكهم وأعمالهم الخالصة، فكم بين ثمرة عمل معلول إلى ثمرة عمل مخلص؛ بل علومهم من وراء ثمرات الأعمال؛ لأنّها بالفيض الإلهيّ الوارد عليهم على قدر وسع قوابلهم، وكمّ بين قابليّة الكامل من أهل الله وقابليّة المريد الطالب، فافهمْ. فإذا فَهِمَ المريد الطالب ما قصدوه من وضع المسألة في الكاتب وعلمُه استوى هو ومصنَّفُه في تلك المسألة؛ فنال بما هو ما نال بها المُصنِّف وصارت له ملكاً، مثل ما كانت للمُصنِّف، وهكذا كلّ مسألة من العلوم الموضوعة في الكتب، فإنّ الأخذ لها من الكتب إذا فهمها وميّزها يصير كالآخذ لها من المعدن الذي أخذ منه مصنّفها.

وما ورد عن بعض أهل الله تعالى من منع بعض التلامذة عن مطالعة كتب الحقيقة هو لإشرافه على قصور ذلك المريد عن فهم ما وضع في كتب الحقيقة؛ لأنّ قاصر الفهم لا يخلو إمّا أن يتأوَّل كلامهم على خلاف ما أرادوه فيستعمل فيهلك. أو يضيع العمر في تصفح الكتب بلا فائدة. فنهي الشيخ لمثل هذا عن مطالعة هذه الكتب واجب ليشتغل بغيرها ممّا فيه نفعه. وأمّا من كان ذا عقل ذكيّ، وفهم وتمييز جليّ، وإيمان قويّ، يأخذ من كتبنا كلّ مأخذ، وينال منها كلّ مقصد، ولقد رأيت في زماننا هذا طائفة كثيرة من كلّ جنس من أجناس العرب والفرس والهند والترك وغير ذلك من الأجناس، كلّهم بلغوا بمطالعة كتب الحقيقة مبالغ الرجال، ونالوا منها مقاصد الآمال. فمن أضاف بعد ذلك إلى علمه فضلة سلوك واجتهاد صادر من الكُمَّل. ومن وقف/[٢٠٢/ أ] مع علمه كان من العارفين.

وسبب ذلك أنّ المسائل الموضوعة في كتب أهل الله إنّما تفيدك بالوضع علم التوحيد تصريحاً، وبالعبارة والإشارة عين التوحيد كناية وتلويحاً، وبضرب الأمثال تفيدك حقّ التوحيد رمزاً وتسنيحاً، فقد يكون بعض الكتب مسبوكاً على هذه الهيئات كلّها، فتدخل بك إلى عين اليقين، ثمّ ترقيك إلى حقّ اليقين إذا أعطيت نفسك لذلك العين على حكم ما ذكره المؤلّف. وإلّا فهو محلّك ومنتهاك. فإذا بلغت إلى حقّ اليقين انقطعت فائدة الكتب عنك، وهذا منتهى ما تبلغ بك الكتب إليه إنْ كنت شهماً، وحويت تمييزاً وفهماً.

فأمّا حقيقة اليقين فلا تستفاد من الكتب بنوع من الأنواع البتة، لأنّه في الأصل لا يدخل تحت الإفادة الكونيّة بحال؛ فهو أمر وهبيّ من فوق المدارك العلميّة والعينيّة والذوقيّة، يمنحه الله تعالى من يشاء من أهله. ولعلّك تقول إنْ كان لا بد من الانقطاع بعد فائدة الكتب في آخر الأمر فأنا أتركها في أوّل الأمر، وأرجع إلى ما ترجع إليه. فأقول لك: إنّ المراتب المشار إليها بعلم اليقين، وعين اليقين، وحقّ اليقين التي ذكرنا أنّها فائدة الكتب تكاد ألّا تصل إليها؛ بل إلى أقلّها باجتهادك العمر كلّه. فإنّي قد رأيت صبياناً من أهل الطريق من إخواني بلغوا بمطالعة هذه الكتب في الأيام القليلة ما لم تبلغه رجال باجتهاد أربعين أو خمسين سنة، على أنّ قد كانوا سبباً لدخول أولئك الصبيان إلى الطريق، ولكنّهم لّما وقفوا مع سلوكهم صار الصبيان شيوخاً في الحقيقة، والشيوخ لهم صبياناً حتّى أنشد منشدهم فقال:

وقد تبنّيت آبائي على ثقة ... ولا محالة أنّي جدّ كلّ أب

وهذا البيت لرجل من تلامذة شيخنا، لا نعلم له شيئاً من أعمال الطريق سوى مطالعته لكتب الحقائق، حتى بلغ من هذا العلم ما سبق به كثيراً من السابقين. واسمه أبو بكر بن محمّد الحكاك. له نظم كثير في علم الحقيقة. فمن وقف على ديوان شعره عرف مقداره. قال: «وإنّما أردت لك هذه الحكايات كلّها حتّى أفهّمك قدر هذا العلم وعلو شأنه، لترغب في تحصيل هذا الفنّ الشريف بمطالعة

هذه الكتب وممارستها، ومذاكرة أهلها حيث كانوا؛ فإنّ الرجل منهم قد يفيدك بكلمة ما لم تفيدك الكتب كلّها في العمر كلّه؛ لأنّك لا تأخذ من الكتاب إلّا بفهمك. والرجل العالم بالله إذا أرادك لفهم مسألة على ما هي عليه أعطاك فهمه فيها، وكم بيْنَ فَهْمِك وفَهْمِهِ، ولهذا كانت مطالعة كتب الحقيقة عند المحقّقين أفضل أعمال السالكين. ومجالسة أهل الله مع التأدّب معهم أفضل من مطالعة الكتب كلّها. فعليك ثمّ عليك بملازمة الشيوخ الهداة إلى الله تعالى. فإنْ لم تجدهم فعليك ثمّ عليك بملازمة المطالعة في كتب الحقائق، والعمل بمقتضى علومها، فإنّك تصل بذلك إلى مقصودك، وتقع به على معرفة معبودك إن شاء الله تعالى».

وإنّما ذكرنا عبارته هذه كلّها لاشتمالها على الفوائد، ولتكون بياناً لقول الناظم قدّس الله سرّه (**راغباً عن الدرس**): أي عن قراءة العلوم، ومدارستها، ومطالعتها، وفهمها، وحفظها، واستعمال العقل، والخيال فيها، والقناعة بذلك عن المقصود الأعظم من تدوين علوم الحقائق، وتصنيف الكتب في علم الحقيقة، ونظم الأشعار فيها، وتضمّن ذلك لمعاني الأسرار، والإشارة به إلى بيان تجلّيات الحقّ تعالى في الآفاق، وفي الأنفس حتّى يتبيّن للمريد الصادق أنّه الحقّ، ومدار ذلك كلّه على انعكاس حال الجاهل الغافل المحجوب؛ فإنّ الحقّ تعالى عنده مفقود مفهوم معلوم/[٢٠٢/ب] والمخلوقات عنده محسوسات محقّقات حاضرات مستحضرات في عقله وحواسه يغيب عن الحقّ تعالى كلّما غاب عن ذلك المعقول المفهوم له، المعلوم عنده في عقله وخياله. ويحضر تارة عنده كلّما استحضر ذلك المعنى المعقول المفهوم له، المعلوم عنده. وأمّا المخلوقات فإنّها محسوسات عنده، محقّقات مستحضرات لا تغيب عنه، ولا يغيب عنها، ورشد هذا الغافل المحجوب إذا ألهمه إياه ربّه، وفقهه في دين حقيقته كما قال صلّى الله عليه وسلّم: «من يرد الله به خيراً يفقّهه في الدين، ويلهمه رشده»[1] ليس يحصل له ذلك إلّا بانعكاس حاله عليه

---

(١) انظر تخريجه ص٧٩٣.

فيظهر له بإرشاد الله تعالى إياه أنّ ربّه الحقّ محسوس لديه، محقّق، حاضر، مستحضر، لا يغيب أصلاً عن عقله وحواسّه، وأنّ المخلوقات جميعها هي المعقولات المفهومات له، المتخيّلات في عقله وحواسّه، ومن هنا قال الشيخ أرسلان الدمشقي قدّس الله سرّه في رسالته المشهورة: «الناس تائهون عن الحقّ بالعقل». وقال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه في فصوص الحكم : «الخلق معقول، والحقّ محسوس، مشهود عند المؤمنين وأهل الكشف والوجود. وما عدا هذين الصنفين فالحقّ عندهم معقول، والخلق مشهود»... إلى آخر كلامه.

وقوله (ما): أي الذي، مفعول النقل، لأنّه مصدر. وقوله (أبدت): أي أظهرت. وعائد الموصول محذوف. أي: أبدته. وفاعل أبدت ضمير يعود إلى النفس، لأنّ الحسّ ينقل المعاني للنفس، والنفس تبدي ذلك، أي: تظهره باللسان، أو بحركات الأركان. وقوله (بوحي): متعلّق بأبدت. يعني: إبداؤها لذلك كان بسبب ما أوحي إليها من البديهة. فلولا إيحاء الحقّ تعالى إليها بطريق البديهة لما قدرت على إبداء ما نقل الحسّ إليها من ذلك.

٤٢٠ - لِرُوحِي يُهْدِي ذُكْرُهَا الرَّوْحَ كُلَّمَا سَرَتْ سَحَراً مِنْهَا شَمَالٌ وَهَبَّتِ

(لرُوحي): أي رُوحِي، بضمّ الراء، ولم يقل لنفسي؛ لأنّ النفس من المنافسة، وهو المنازعة، قال الراغب: «والمنافسة مجاهدة النفس للتشبّه بالأفضل واللحوق بهم من إدخال ضرر غيره. والعارف لا منازعة له منه، والروح من أمر الله ؛ فهو روح كلّه لا نفس، ولهذا قال: لروحي. وقوله (يُهدي): بضمّ الياء التحتيّة، قال في الصحاح: «الهديّة واحدة الهدايا، يقال: أهديت له وإليه. وقوله (ذكرها): مفعول يُهدي. والضمير للمحبوبة الحقيقيّة. و(الذكر): بمعنى التذكّر. قال في المصباح: «ذَكَرْتُه بلساني وبقلبي، ذِكْرَى بالتأنيث وكسر الذال. والاسم ذُكْر، بالضمّ. والكسر نصّ عليه جماعة، منهم أبو: عبيدة وابن قتيبة. وأنكر الفِرّاء الكسر في القلب، وقال: اجعلني على ذُكْرٍ منك، بالضمّ لا غير. ولهذا اقتصر عليه جماعة». وقوله (الرَّوْح):

فاعل يُهْدي، والرَوْح بفتح الراء نسيم الريح، كذا في القاموس. وفي المصباح: «والرِّيح: الهواء المسخَّر بين السماء والأرض. وأصلها الواو، ولكن قلبت بانكسار ما قبلها، والجمع أَرْواح ورِياح، والريح أربع: الشمال، وتأتي من ناحية الشام، وهي حارّة في الصيف بارحٌ. والجَنُوب: تقابلها، وهي الريح اليمانيّة. والثالثة الصَّبَا، وتأتي من مطلع الشمس، وهي القَبُول أيضاً. والرابعة الدَّبُور، وتأتي من ناحية المغرب. والريح مؤنّثة على الأكثر، فيقال: هي الريح. وقد يُذَكَّر على معنى الهواء فيقال: هو الريح، وهب الريح، نقله أبوزيد. وقال ابن الأنباري: مؤنّثة لا علامة فيها، وكذلك سائر أسمائها إلّا الإعصار فإنّه مذكّر».

وقوله (**كلّما سرت سحراً**): أي في وقت السحر لطيب الهواء في ذلك الوقت. وقوله (**منها**): أي من الروح بمعنى الريح. وقوله (**شَمَال**): فاعل سرت، وخصّها من بين أنواع الريح الأربع التي قدّمنا ذكرها لأنّها تأتي من ناحية الشام فتخبر عن أحوال أهل الشمال، فتنتفع الروح الإنسانيّة بما أعرضوا/ [٢٠٣/أ] عنه من التجلّيات الربّانيّة لكثرة زخارف الدنيا وشهواتها وملاهيها في قطرهم، فإنّ ثمر الشجرة كلّما كبر قلّ جرمه، وكثر إمداده منها. وإذا كثر صغر جرمه، وقلّ إمداده منها. فإذا انقطع منها غالب الثمر كثر إمداد الباقي، والمنقطعون هم أهل الشمال المنكرون، وفيهم نقول:

دع المنكرين الجاحدين فإنّهم	ستائرنا اللاتي لحجب الأجانب
من الغيب مدّت بالكثافة وهي من	تجلّي اسمه الستّار ربّ المواهب
فصان بهم كالدرّ في صدف السوى	وكالعين بالأجفان تحت الحواجب
ولا ملك إلّا وحجابه به	تحفّ اشتمالاً بالقنا والقواضب
وللكنز أرصاد وفيه طلاسم	يصان بها في الناس عند نيل طالب
صدقت هم الحساد نار قلوبهم	لقد نفحت من عودنا بالأطايب
وصان بهم عنهم لباب علومنا	إله البرايا بالقشور السوالب

وقد ذادهم عن ورد حوض نبيّنا لدينا بتبديل من الوهم غالب
خيالات أفكار من الغيب سيطرت ملائكة منهم بهم في تناسب
ويخبث أو يزكو من الأرض نبعها على قدرها وهو اختلاف المشارب

٤٢١ - وَيَلْتَذُّ إنْ هَاجَتْهُ سَمْعِي بِالضُّحَى عَلَى وَرَقٍ وُرْقٌ شَدَتْ وَتَغَنَّتِ

(ويلتذّ): أي يجد اللذّة. وقوله (إنْ هاجته): جملة معترضة بين الفعل وفاعله، يقال: هاج الشيء هَيَجَانَاً وهِيَاجَاً بالكسر: ثار، وهِجْتُه يتعدّى ولا يتعدّى. وهَيَّجْتُه ـ بالتثقيل ـ مبالغة، كذا في المصباح. وضمير هاجته يعود إلى قوله (سمعي): أي إنّ هاجت سمعي. وهو فاعل يلتذّ؛ فالضمير راجع إلى متأخّر لفظاً، متقدّم رتبة نظير قول الشاعر كما أتى ربّه موسى على قدر. ويمكن أن يكون ضمير هاجته راجعاً إلى الذكر في البيت قبله، أي: هاجت ذكرها، أي: ذكر المحبوبة الحقيقيّة بمعنى أثارت.

وقوله (بالضحى): متعلِّق بهاجته. وقوله (على وَرَقٍ): متعلِّق بواجب الحذف، حال من وُرْقٌ الثاني، وهو نكرة لكنّه وُصف بجملة شَدَتْ. و(الوَرَق):الأوّل، بفتح الواو، قال في المصباح: «الوَرَق بفتحتين: من الشجرة، الواحدة: وَرَقَة». وكنّى به هنا عن الشجرة والغصن. و(الوُرْقُ) الثاني بضمّ الواو وسكون الراء: جمع ورقاء، يقال: حمامة ورقاء: لونها كلون الرماد، ذكره في المصباح. وقال في الصحاح: قال الأصمعي: الأَورق من الإبل: الذي في لونه بياض إلى سواد. ومنه قيل للرماد أورق، وللحمامة ورقاء. وقال أبوزيد: «هو الذي يضرب لونه إلى الخضرة».

وقوله (شَدَتْ) بالشين المعجمة والدال المهملة. قال في الصحاح «شَدَوْتُ الإبلَ شَدْوَاً: سُقْتُهَا. والشادي الذي يَشدوا شيئاً من الأدب، أي: يأخذ طرفاً منه كان ساقه وجمعه. وشَدَوْتُ: إذا أَنشدت بيتاً أو بيتين تمّ به صوتك كالغناء. ويقال للمغنّي: الشادي. وقد شدا شعراً أو غناء: إذا غنّى به، أو ترنّم به. وقوله

(**تغنّتِ**): من الغناء، قال في المصباح: «الغِنَاء مثل كِتاب: الصوت. وقياسه الضمّ، لأنّه صوت. وغنّى بالتشديد: إذا ترنّم بالغِناء».

٤٢٢- وَيَـنْعَمُ طَـرْفِي إنْ رَوَتْـهُ عَـشِيَّةً   لإنْـسَانِهِ عَنْهَـا بُـرُوقٌ وأَهْـدَتِ

(**وينعم**): من نَعِمَ عيشه يَنْعَم، من باب تعب: اتَّسَعَ وَلَانَ. وأَنْعَم الله بك عَيْناً، ونَعَّمَهُ الله تَنْعِيماً، جعله ذا رفاهيّة، كذا في المصباح. وقوله (طرفي): أي عيني. وقوله (**إنْ روته**): أي روت ذكرها في البيت قبله، أي: ذكر المحبوبة الحقيقيّة يعني نقلته. وقوله/ [٢٠٣/ ب] (**عَشِيَّةً**): منصوب على الظرفيّة، قال ابن الأنباري: «العَشِيَّةُ مؤنّثة، وربما ذكرتها العرب على معنى العَشِيّ». وقال بعضهم: «العَشِيَّةُ: واحدة، جمعها: عَشِيٌّ. والعَشِيّ قيل ما بين الزوال إلى الغروب. ومنه يقال للظهر والعصر: صلاتا العَشِيّ. وقيل هو آخر النهار. وقيل: العَشِيّ من الزوال إلى الصباح، كما في المصباح. وقوله (**لإنسانه**):أي إنسان طَرْفي. وإنسان العين حدقتها، كذا في المصباح. وقال في الصحاح: «إنسان العين: المثال الذي يُرى في السواد:. وقوله (**عنها**): أي عن المحبوبة الحقيقيّة. وقوله (**بروق**): فاعل روته، وهي جمع برق، وهو واحد بروق: السحاب. وقوله (**وأهدت**): معطوف على روته، أي: روت ذكرها وأهدت ذكرها.

٤٢٣- وَيَمْنَحُهُ ذَوْقِي وَلَـمْسِيَ أَكْؤُسَ الْـ   ـشَرابِ إذَا لَـيْلاً عَـلَيَّ أُدِيْـرَتِ

(**ويمنحه**): أي يعطيه لي. والضمير لذكرها في البيت السابق. وقوله (**ذوقي**): فاعل يمنحه. ومفعول ذوقي محذوف، تقديره ذوقي الشراب. وقوله (**ولمسيَ**): معطوف على ذوقي. وقوله (**أكؤس**): مفعول لمسيَ، وهي جمع كأس. و(**الشراب**): كناية عن المعاني الإلهيّة. وقوله (**إذا ليلاً**): أي في وقت الليل. وقوله (**عليّ**): بتشديد الياء التحتيّة، متعلّق بـ أُديرت. و(**أُدِيرت**): فعل مضارع مبني للمفعول، أي: أدارها على الساقي، قال تعالى: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [٧٦/ الإنسان/ ٢١].

٤٢٤- وَيُوحِيْـهِ قَلْبِـي لِلْجَـوَانِحِ بَاطِنَـاً بِظَـاهِرِ مَـا رُسْـلُ الجَـوَارِحِ أَدَّتِ

(يوحيه): أي الذكر المذكور في البيت المتقدِّم. والوحي: الإشارة، والرسالة، والكتاب. وكلّ ما ألقيته إلى غيرك ليعلمه: وحيٌ، كيف كان، كذا في المصباح. وقوله قلبي فاعل يوحيه. وقوله (للجوانح): وهي الأضلاع التي تحت الترائب، وهي مما يلي الصدر، كالضلوع مما يلي الظهر. الواحدة جانحة، كما في الصحاح. وقوله (باطناً): تمييز، أي: من حيث الباطن. وقوله (بظاهر): متعلّق بـ يوحيه. و(ما): موصولة: أي بالأمر الظاهر الذي (رُسْلُ): بضمّ الراء وسكون السين المهملة وباللام، جمع رسول. قال في المصباح: «رَسُول فَعُول بمعنى مفعول، يجوز استعماله بلفظ واحد للمذكّر والمؤنّث والمثنّى والمجموع، ويجوز التثنية والجمع، فيجمع على: رُسُل بضمّتين، وإسكان السين لغة».

وقوله (الجوارح): وهي أعضاء الإنسان التي يكتسب بها، كذا في الصحاح. وقوله (أدّتِ): بتشديد الدّال المهملة وكسر التاء للقافية، والأصل أدّته، قال في المصباح: «أَدَّى الأمانة إلى أهلها تأدية: إذا أوصلها. والاسم: الأداء. والمعنى: إنّ قلبي يوصل ذكر المحبوبة الحقيقيّة إلى أضلاع صدري من جهة الباطن، وهذا الإيصال بظاهر الأمر الذي أوصلته إليّه الأعضاء الظاهرة، والحواس الباهرة، وهو سريان السرّ الإلهيّ في باطنه وظاهره بالأمر الرّبّاني، والحكم الرحمانيّ، وجعل إيحاء القلب للجوانح بظاهر الامر الذي أدّته إليه رسل الحواس والجوارح؛ لأنّ باطن ذلك لا يستعدّ له إلّا القلب لكماله بالنسبة إلى بقية الأعضاء البدنيّة.

٤٢٥- وَيُحْضِرُنِي فِي الجَمْعِ مَنْ بِاسْمِهَا شَدَا فَأَشْـهَدُهَا عِنْـدَ الـسَّمَاعِ بِجُمْلَتِـي

(ويحضرني): بضمّ الياء التحتيّة وسكون الحاء المهملة وكسر الضاد المعجمة، من أحضره: جعله حاضراً. قال في الصحاح: «حَضَرَ الرجلُ حُضُوراً، وأَحْضَرَهُ غيرُه». وقوله (في الجمع): أي في مقام الجمع، وهو خلاف الفرق. وقوله (مَنْ):

أي المنشد الذي. (باسمها): أي باسم المحبوبة الحقيقيّة. (شَدَا): بفتح الشن المعجمة وفتح الدال المهملة، يقال: شَدَوْت: إذا أَنْشَدْتُ بيتاً أو بيتين تمدّ به صوتك كالغناء، كما في الصحاح. واسمها عنده كلّ اسم كما قلنا/ [٢٠٤/ ب]: من جملة موشّح لنا:

يـــــا مـــــسمَّى بالأســـــامي كلّهــــــا وهـــــو المنـــــزّه

أنـــــت في الكـــــلّ مرامـــــي فيـــــك عينـــــي تتنـــــزّه

وقوله (فأشهدها): أي المحبوبة الحقيقيّة، أي: أصير مشاهداً لها، ومعايناً على حسب ما يعرفه العارفون. وقوله (عند السماع): أي سماع ذلك المنشد الشادي باسمها. وقوله (بجملتي): بظاهري وباطني.

٤٢٦ - فَتَنْحُو سَمَاءَ النَّفْخِ[1] رُوحِي وَمَظْهَرِي مُسَوًّى بِهَا يَحْنُو لِأَتْرَابِ تُرْبَتِي

(فتنحو): أي تقصد، قال في المصباح: «نَحَوْتُ نَحْوَ الشيءِ، من باب قتل: قصدت». وقوله (سماء النفخ): السماء كلّ عالٍ مظلّ، قال في المصباح: «كلّ عالٍ مُظِلٍّ سماء، حتّى يقال لظهر الفرس سماء». و(النفخ): من قوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [١٥/ الحجر/ ٥٩] وذلك مرتفع عن مشابهة الحوادث، لأنّه أمر الله، كما قال تعالى: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨٥] وقوله (روحي): فاعل تنحو، وهو بيان لقوله (فأشهدها): في البيت قبله. وقوله (ومظهري المُسَوَّى): أي جسمي الذي سواه الحقّ تعالى في قوله: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [١٥/ الحجر/ ٢٩] وهذه الآية في آدم عليه السلام، [لم][2] يكن بينه وبين ربّه واسطة وفي غيره، كما قال الناظم قدّس سرّه (بها): أي بروحي. فإنّ تسوية جسده بواسطة روحه، وهي المَلَك المُوكَّل بالرحم، كما ورد في حديث البخاريّ عن أنس

---

(١) في (ق): الفتح.

(٢) لا يوجد في المخطوط لم، لعلّ هذا الصواب والله أعلم.

ابن مالك عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: «إنّ الله وكّل بالرحم ملَكاً فيقول: يا ربّ، نطفة. يا ربّ، علقة. يا ربّ، مضغة. فإذا أراد أنْ يخلقها قال: يا ربّ، أذكرٌ أمْ أُنثى؟. يا ربّ، أشقيٌّ أم سعيد؟. فما الرزق؟. فما الأجل؟. فيكتب كذلك في بطن أمّه»[1] فإنّ قوله: يا ربّ كذا، يا ربّ كذا، تسوية بأمر الله. وقال تعالى عن الملائكة: ﴿وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ [٢١/ الأنبياء/ ٢٧].

وقوله (يحنو): أي يعطف ويحن ويميل، قال في الصحاح: «فلان أَحْنَى الناسِ ضُلُوعاً عليك، أشفقهم عليك. وحَنَوْتُ عليه: عَطَفْتُ. وقوله (لأتراب): جمع تِرْب بالكسر، قال في القاموس: «التِرْبُ بالكسر، اللِدَةُ والسنّ ومَنْ وُلد معك». وقال الراغب: «أتراب أي نشأْنَ معاً، تشبيهاً في التساوي والتماثل بالترائب التي هي ضلوع الصدر، أو لوقوعهن معاً على الأرض. والمراد هنا انعطاف الجسم المخلوق من التراب إلى أمثاله وأشكاله من المخلوقين منه. والتربة: لغة في التراب.

٤٢٧ - فَمِنِّيَ مَجْذُوْبٌ إلَيْهَا وَجَاذِبٌ   إلَيَّ وَنَزْعُ النَّزْعِ فِي كُلِّ جَذْبَةِ

(فمنِّيَ) وهي روحي المنفوخة في جسدي من أمر الله. والروح أوّل مخلوق، كما ورد في الحديث. فليس بينه وبين أمر الله تعالى واسطة، لأنّ أمره تعالى قوله: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [٣٦/ يس/ ٨٢] فالروح صادر عن قوله تعالى: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ وكلّ شيء أيضاً صادر عن قوله تعالى: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [٣٦/ يس/ ٨٢] ولكن جعل تعالى الأسباب والوسائط حجباً وأستاراً على أمره سبحانه. ولمّا كان لا تأثير للأسباب والأستار في خلق الشيء، بل ولا في الحجب والستر لم يعتبرها تعالى في صدور كلّ شيء عن أمره حتى قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [٣٠/ الروم/ ٢٥]

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: خلق آدم صلوات الله عليه وذرّيته، ٣٣٣٣.

ولـمّا كان الروح قائماً بأمره تعالى من غير حجاب ولا ستر بينه وبينه تعالى جذبه تعالى إليه، فهو مجذوب بصيغة اسم المفعول.

وقوله (إليها): أي إلى المحبوبة الحقيقيّة، وهي الحضرة العليّة. وحقيقة الجذب: رجوع الأمر إليه تعالى، كما قال سبحانه: ﴿وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ﴾ [١١/ هود/ ١٢٣] وقال تعالى: ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٤٥] فنعم الخلق والأمر. وقال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُ﴾ [٧/ الأعراف/ ٥٤] فالخلق: ما صدر عنه تعالى بوساطة الأسباب والأستار. والأمر: يقال فيه عالم الأمر: وهو ما صدر عنه تعالى من غير سبب ولا ستر، وهي النفس الإنسانيّة التي من عرفها فقد عرف/[٢٠٤/ب] ربّه. ومن اهتدى فإنّما يهتدي إليها، قال تعالى: ﴿مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦ﴾ [١٧/ الإسراء/ ١٥] أي: كما قال صلّى الله عليه وسلّم: «من عرف نفسه فقد عرف ربّه»[1] وقال تعالى ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [٥١/ الذاريات/ ٢١] وقوله (وجاذب): أي ومِنّي أيضاً جاذب بصيغة اسم الفاعل.

وقوله (إليّ): بتشديد الياء التحتيّة، أي: إلى نفسي الحيوانيّة المتولّدة من طبيعة الجسد، ومزاج العناصر الأربعة: التراب والماء والهواء والنار. وهي النفس المذمومة بحكم قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [١٢/ يوسف/ ٥٨] وهي التي تموت بقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِ﴾ [٣/ آل عمران/ ١٨٥] فهذه النفس الحيوانيّة تجذب الروح الأمريّة إليها أيضاً، لتأخذها عن ملاحظة أمر الله تعالى فيها، فمن الناس من يغلب عليه جذب الأمر الربّانيّ فيكون من أمر الله، ومنهم من يغلب عليه جذب النفس الحيوانيّة، فيكون من خلق الله. وفي خلق الله الطيّب والخبيث، والحسن والقبيح، كما قال تعالى: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا

(١) قال السخاوي في المقاصد الحسنة١/ ٢٢٠: «حديث من عرف نفسه فقد عرف ربّه» قال أبو مظفّر السمعاني في «الكلام على التحسين والتقبيح العقلي من القواطع: إنّه لا يعرفه مرفوعاً؛ وإنّما يحكى عن يحيى بن معاذ الرازي يعني من قوله: وكما قال النووي : إنّه ليس بثابت.

خَلَقَ ﴾ [١١٣/ الفلق/ ١-٢] وليس في عالم أمره تعالى إلّا الطيّب الحسن، وهم أولو الأمر الذين لهم طاعة بعد طاعة الله ورسوله في قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [٤/ النساء/ ٥٩] وقوله (ونَزْعُ): أي كف وإقلاع. قال في المصباح: «نَزَعَ عن الشيء نُزُوعاً: كفَّ وأقلعَ عنه». وقوله (النَّزْعِ): أي نِزَاعُ النفس الحيوانيّة لموتها، قال في المصباح: «نَزَعَ المريضُ نَزْعاً: أَشرف على الموت»؛ والمعنى: عليَّ قلع الحياة، بحيث يكون كف النَزِع، وقلعه في كلّ جذبة من الجذبات. وإنّما تتميّز الروح عن الجسد، ويتميّز الجسد عن الروح، ثمّ يمتزجان. والأمر الإلهيّ واحد محيط بهما، فيميِّز ويمزج، ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ١٩-٢٠] والكلّ صُوَرُهُ التي يصوِّرها له؛ لأنّه المصوِّر، وهو لا صورة له.

٤٢٨- وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّ نَفْسِي تَذَكَّرَتْ   حَقِيْقَتَهَا مِنْ نَفْسِهَا حِيْنَ أَوْحَتِ

(وما ذاك): أي هذا الجذب المذكور في البيت قبله. وقوله (إلّا أنَّ نفسي): أي روحي التي هي من أمر ربِّي. وقوله (تذكّرَتْ): أي استيقظت من نوم الغفلة والوهم. وقوله (حقيقتها): فعلمت أنّها ليست غير المصوّر لها. وقوله (من نفسها): متعلِّق بـ تذكّرت، أي: حصل هذا التذكّر لها منها، لا من غيرها، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ [٣٥/ فاطر/ ٣٧] وقوله (حين أوحت): قال في الصحاح: «الوَحْيُ: الإشارة، والكتابة، والرسالة والإلهام، والكلام الخفيّ، وكلّ ما ألقيته إلى غيرك. يقال: وَحَيْتُ إليه الكلامَ وأَوْحَيْتُه، وهو أنْ تكلّمَهُ بكلام تخفيه». وهو المراد هنا؛ لأنّه كلام النفس، أي: الحقيقة لنفسها. والتاء مكسورة للقافية، والأصل أوحت إليها. وضمير أوحت راجع إلى حقيقتها؛ يعني ألهمتها ذلك.

٤٢٩- فَحَنَّتْ لِتَجْرِيْدِ الخِطَابِ بِبَرْزَخِ الْـ   ـتُرَابِ وَكُلٌّ آخِذٌ بِأَزِمَّتِي

(فحنّت): أي نفسي، بمعنى روحي المذكورة في البيت قبله، قال في الصحاح: «حنّت المرأة حنيناً :اشتاقت إلى ولدها». وقوله (لتجريد): قال في الصحاح: «كلّ

شيء قشرته عن شيء فقد جرّدته عنه. والتجريد: التعرية من الثياب. وتجريد السيف انتضاؤه» والمعنى هنا: التخليص. وقوله (الخطاب): أي خطاب الحقّ تعالى، وهو قوله للشيء: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [٢/ البقرة/ ١١٧] فهو خطاب حقّ ملتبس بقشر الشيئيّة الباطلة. فإذا جرّد عن القشر كان خطاباً مجرّداً. والخطاب الإلهيّ لعموم الأشياء مجرّد في نفس الأمر، فيحتاج العبد أنْ يكون عنده مجرّد أيضاً، كما هو مجرّد في نفس الأمر، فيقوم بأمر الله، ويعمل به.

وقوله (ببرزخ): قال/ [٢٠٥/ أ] في الصحاح البَرْزَخُ: الحاجز بين الشيئين». وقوله (التراب): مضاف إليه، كناية عن الجسد المركّب من العناصر الغالب عليه، منها التراب. وكونه برزخاً؛ لأنّه حاجز بين الدنيا والآخرة، وهو الجدار الذي تحته الكنز، كنت كنزاً مخفيّاً، لم أُعْرَف للغلامين اليتيمين في المدنيّة الإنسانيّة. فإذا انهدم هذا الجدار صارت الروح في عالم الآخرة، قال في الصحاح: «والبَرْزَخُ ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت إلى البعث، فمن مات فقد دخل البرزخ ». وقد قال الراغب: «والبرزخ في القيامة: الحائل بين الإنسان وبلوغ المنازل الرفيعة في الآخرة، وذلك إشارة إلى العقبة المذكورة في قوله تعالى: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ [٩٠/ البلد/ ١١] قال تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [٣٢/ المؤمنون/ ١٠٠] وتلك العقبة موانع من أحوال لا يصل إليها إلّا الصالحون. وقوله (وكلّ): الواو للحال، والجملة في محل نصب على الحال من فاعل حنّت. والمعنى: كلّ واحدٍ من الروحانيّة والجسمانيّة.

وقوله (آخذ): بمدّ الهمزة، اسم فاعل من الأخذ، وهو التناول. وقوله (بأزمّتي): جمع زمام، قال في المصباح: «الزِّمام للبعير، جمعه: أَزِمَّة» . وفي القاموس: «الزِّمام ككتاب، ما يُزَمُّ به». يعني: إنّ العالَم الروحانيّ يجذبني إليه بزمام روحانيَّتي. والعالم الطبيعيّ يجذبني إليه بزمام جسمانيّتي، والروح تحنّ إلى عالم الأرواح فتشتاق إلى اللحاق بالرفيق الأعلى. والمجاهدة دائمة، والمكابدة لازمة.

٤٣٠- وَيُنْبِيْكَ عَنْ شَأْنِ الْوَلِيْدُ وَإِنْ نَشَا بَلِيْــدَاً بِإِلْهَــامِ كَــوِحْيٍ وَفِطْنَــةِ

(وينبيك): أي يخبرك. من النَّبأ، مهموز: الخَبَر. وأَنْبَأْتُهُ الخبرَ وبالخبر، ونَبَّأْتُه به: أعلمته، كذا في المصباح. وقال الراغب: «النّبأ خبرٌ ذو فائدة عظيمة، يحصل بها علم أو غلبة ظنّ. ولا يقال للخبر في الأصل نبأ حتّى يتضمّن هذه الأشياء الثلاثة. وحقّ الخبر الذي يقال فيه نبأ أن يتعرّى عن الكذب كالتواتر، وخبر الله، وخبر النبيّ». وقوله (عن شأني): أي عن حالي وأمري. قال الراغب: «الشأن: الحال، والأمر الذي يتّفق ويصلح. ولا يقال إلّا فيما يعظم من الأحوال والأمور». وقوله (الوليد): فاعل ينبيك، وهو فعيل بمعنى مفعول، يعني المولود. قال الراغب: «والوليد يقال لمن قرب عهده بالولادة وإنْ كان يصحّ في الأصل لَمِنْ قرب عهده أو بعد، كما يقال لمن قرب عهده بالصِبا: صبيّ، فإذا كبر سقط عنه هذا الاسم. وجمعه ولدان، قال تعالى: ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾ [٧٣/ المزمل/ ١٧].

وقوله (وإن نشا): بالإبدال، وأصله بالهمز، قال في الصحاح: أَنْشَأَهُ الله خَلَقَهُ، ونُشِّئَ وأُنْشِئَ بمعنى». وفي المصباح: «نَشَأَ الشيءُ نَشْأً ـ مهموز ـ من باب نفع: حدث وتجدّد. وأَنْشَأْتُه: أحدثته». وقوله (بليداً): حال من فاعل نَشَا، وهو الوليد. و(البليد) من بَلُد الرجل ـ بالضمّ ـ بلادة فهو بليد، أي: غير ذكيّ، ولا فَطِن. كذا في المصباح. وقوله (بإلهام): متعلّق بـ يُنبيك، أي: بأن يلهمك الله تعالى هذا النبأ العظيم عن شأني وحالي الذي أنا فيه في وقت السماع إذا رأيت الطفل الصغير القريب العهد بالولادة. وإنْ نشأ وكبر وبلغ فصار بليداً لا ذكاء له ولا فطنة؛ فإنّ كلّ مولود حاله يشبه حالي لقرب العهد بالخلقة؛ فإنَّ قيامي بأمر الله عن كشف منّي وشهود وتحقّق، يقتضي قربَ العهد بالخلقة كالطفل الصغير؛ فإنّ أمره تعالى كلمح البصر. والخلق قائم كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [٣٠/ الروم/ ٢٥]. وقال: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [٧/ الأعراف/ ٥٤] فكلّ من كشف عن ذلك في نفسه أو غيره وجده حقّاً كما أخبر به ربُّنا الحقّ. ومن

عمي عنه لا يعرفه، وهو الخلق الجديد الذي قال تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [٥٠/ ق/ ١٥] وكالطفل أيضاً من جهة أنّه على فطرة الإسلام/ [٢٠٥/ ب] قال تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [٣٠/ الروم/ ٣٠] فإنّ مشاهدة الخلق الجديد في كلّ لمحة مع الأنفاس لا تبديل فيه لخلق الله بخلق غيره؛ إذ لا غير معه تعالى. وقوله تعالى عن الشيطان أنّه قال: ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾ [٤/ النساء/ ١١٩] لما أثبتوه، وهما منهم مع الله تعالى، أو همَّهم تغيير خلق الله، فلو أثبتوه لا مع الله تعالى صدقاً منهم في عدم معيَّته مع الله تعالى؛ بل به تعالى لا معه، كباقي المخلوقات لمّا قدر عليهم بوسوسة، ولا إيهام تغيير خلق، ولا غيره.

وقوله (كوحي): أي ذلك الإلهام الذي يلهمه الله تعالى لمن يعرف أنّ شأني وحالي مثل شأن الوليد، وحاله يشبه الوحي الإلهيّ الذي لا يكون إلّا للنبيّين عليهم السلام. لأنّه لا يقع إلّا في قلوب الصِّدِّيقين وأكابر الأولياء؛ لأنّه شأن جسيم، ونبأ عظيم بأنّ الرجال الكبار البالغين هم والأطفال الصغار سواء في الخلقة والفطرة، وقرب العهد بالولاية الطبيعيّة، كما قال الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي قدّس الله سرّه من أبيات له في أواخر كتابه «شجون المسجون»:

مشيمة الجسم كلّ كنا الجنين بها   وهذه كرة الأفلاك كالرحم

ومن ذلك قوله عيسى بن مريم عليه السلام: «لن يلج ملكوت السموات مَنْ لم يولد ولادتين». يعني: في كلّ خلق جديد كلمح بالبصر، والمراد عن ذوق وتحقيق وكشف وتوقيف. وفي الحديث: «كلّ مولود يولد على فطرة الإسلام لكنّ أبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يمجِّسانه»(١) فالعقل أب، والطبيعة أمّ. فإذا غلبا على المولود خرج عن الفطرة والدين القيّم. وقوله (وفطنة): معطوف على ألهام، أي: إمّا بالإلهام وهو إلقاء المعنى في القلب، وذلك لأهل المعرفة. وإمّا بطريق الفِطنة ـ بالكسر ـ وهي: الحِذْق.

---

(١) انظر تخريجه ص٨٢٠.

فَطِنَ به، وإليه، وله، كفرح، ونصر، وكرم، كما في القاموس. يعني: لمن له إدراك إنسانيّ، وشعور نفسانيّ يتنبّه بذلك إلى دقائق المعاني.

٤٣١- إذَا أنَّ مِنْ شَدِّ القِمَاطِ وَحَنَّ في نَشَاطٍ إلَى تَفْرِيْجِ إفْرَاطِ كُرْبَةِ

(إذا أنّ): بفتح الهمزة وتشديد النون، قال في المصباح: «أَنَّ الرجل يَئِنُّ» بالكسر ـ أنِيْنَاً، وأُنَاناً « بالضمّ» صَوَّت وفاعل أَنّ ضمير يعود على الوليد في البيت قبله. وقوله (مِن شدّ القماط): متعلّق بأنّ. والقِماط بكسر القاف وبالطاء المهملة، قال في المصباح: «القماط خرقة عريضة يقمط بها الصغير، وجمعه قُمُط مثل كتاب وكتب. وقوله (وحنّ): بالحاء المهملة وتشديد النون، حَنَنْتُ على الشيء أحِنُّ من باب ضرب، حَنَّة بالفتح، وحَنَانَاً: عَطفتُ وتَرحّمت، كما في المصباح. وفاعل حنّ ضمير راجع إلى الوليد أيضاً. وقوله (في نشاط): أي كائناً في نشاط. قال في المصباح: «نَشِط في عمله يَنْشَط من باب تَعِب: خَفَّ وأسرع». وقوله (إلى تفريج): متعلّق بحنّ. قال في الصحاح: الفَرَج: من الغَمّ، تقول فرّج الله عنك تفريجاً. وكذلك فرّج الله عنك غمّك». وقوله (إفراط): مصدر أَفْرَطَ. قال في المصباح: «أفْرَط إفْرَاطَاً: أسرف وجاوز الحدّ. وقوله (كُرْبَة): بضمّ الكاف، قال في المصباح: «كَرَبَه الأمرُ كَرْبَاً شُقّ عليه، ورجل مَكْرُوب مهموم. والكُرْبَة اسمٌ منه، والجمع كُرَب مثل غُرْفَة وغُرَف.

٤٣٢- يُنَاغَى فَيُلْغِي كُلَّ كَلِّ أصَابَهُ وَيُصْغِي لِمَنْ نَاغَاهُ كَالْمُتَنَصِّتِ

(يناغي): بصيغة المبني للمفعول، من المناغاة، وهي المغازلة. والمرأة تناغي الصبيّ، أي: تكلِّمه بما يعجبه ويسرّه، كذا في الصحاح. ونائب الفاعل ضمير راجع إلى الوليد في البيت السابق. وقوله (فيلغي): من لَغَا، من باب بطل. وأَلْغَيْتُهُ: أبطلته.

وألغيته من العدد: أسقطته، كذا في المصباح. وفاعل يُلغي ضمير عائد إلى/

[٤٠٦/أ] الوليد أيضاً. وقوله (كُلَّ): مفعول يلغي. وقوله (كَلٍّ): بفتح الكاف وتشديد اللام، مصدر: كَلَّ يَكِلّ. قال في المصباح: «الكَلُّ بالفتح: الثِقَل، وكَلَّ الرَجلُ كَلًّا، من باب ضرب: صار كذلك». وقوله (أصابه): جملة من الفعل والفاعل في محلّ جر نعت لكَلّ الثاني. وقوله (ويصْغِي): يقال صَغَيْت إلى كذا أَصْغَى بفتحتين: مِلْتُ، كذا في المصباح. وقوله (لمن ناغاه): أي يميل إلى مَنْ كلَّمه بما يعجبه ويسرّه ويضحكه.

وقوله (كالـمُتَنَصِّتِ): أي المتكلِّف الإنصات، قال في المصباح: «أَنْصَتَ إنْصَاتَاً: استمع» يعني: إنّ الطفل الصغير يحنّ إلى تفريج الكربة إذا أصابته من شدّة القِماط إذا ضاق عليه، فيذوق الجلال الربّاني طبعاً وخلقة وإنْ لم يعقل ذلك. وإذا ناغاه أحد بما يعجبه من الكلمات وسرّه بذلك يترك كلّ مشقّة هو فيها ويميل إلى سماع المُناغي، فيذوق الجمال الربّاني أيضاً طبعاً وخلقة من غير إدراك لشيء من ذلك. فليس شرط الأمور الذوقيّة الوجدانيّة العقل والإدراك. ولا يحصل به؛ فالقبض والبسط أحوال ذوقيّة تحصل بأمور وجدانيّة بسبب تجلِّيات ربّانيّة يشترك في حصولها له العاقل وغيره. بل العاقل محجوب عن معرفة أسبابها بعقله وإدراكه. والعارف يعرف أسبابها بالذوق والوجدان، والعقل يفصِّلها له، ويشرح مجملاتها، ولهذا قال الشيخ أرسلان الدمشقيّ قدّس الله سرّه: «الناس تائهون عن الحقّ بالعقل». وقال: «فمتى طلبت الحقّ بالعقل فقد ضللت». وبيان ذلك: إنّ العقلاء يؤمنون بربّهم معقولاً، ويعبدونه كذلك؛ فالربّ تعالى عندهم معقول. وأمّا العارفون فإنّهم يؤمنون بربّهم محسوساً ومعقولاً. وهو مشهود عندهم من حيث أفعاله تعالى بحواسهم كلّها حاضراً بهم؛ لأنّهم أفعاله غير غائب عنهم. وقال الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي قدّس الله سرّه في بيان الفرق بين أحوال العقلاء وأحوال العارفين:

إذا ما لقيت الناس فلتلقَ عاقلاً ... فذلك إنْ نازعته لا يعاقب

ولا تلقَ إنّي قد نصحتك عارفاً ... فمن يلقَه صبّت عليه المصائب

فهـذا الـذي يجـري بحكمـة وقتـه ولا شـكّ أنّ الوقـت بـالحكم طالـب
ولله مكــــر في العبــــاد محقّــــق لــذلك لم تـؤمن لديـه العواقـب
لـه الحكـم والتحكـيم في كـلّ مـأمن فــلا يغلــب المكـر الإلهـيّ غالــب

٤٣٣- وَيُنْسِيْهِ مُرَّ الخَطْبِ حُلْوَ خِطَابِهِ وَيُــذْكِرُهُ نَجْــوَى عُهُــودٍ قَدِيْمَــةِ

(وينسيه): من أَنْساه، يقال: نَسِيَ الشيءَ يَنْسَاهُ: إذا لم يَتَذَكَّرَهُ ويتعدّى بالهمز وبالتضعيف. يقال: أُنْسِيْتُهُ ونَسِيْتُهُ. وضمير يُنْسِيْهِ عائد إلى الوليد في البيت السابق. وقوله (مرّ): بضمّ الميم، خلاف الحُلو وهو مفعول مقدّم. و (الخَطْب): مضاف إليه، وهو الأمر الشديد. وجمعه خُطُوب، مَثْل فَلْس وفُلُوس، كما في المصباح. وقوله (حلو): فاعل ينسيه، مضاف إلى خطابه. وخطاب مضاف إلى ضمير الوليد من إضافة المصدر إلى مفعوله. ويقال: خَاطَبَهُ مُخَاطَبَةً وخِطَاباً، وهو الكلام بين متكلّم وسامع، كذا في المصباح. وهو بيان للبيت الذي قبله، فإنّ المناغاة خطاب. وقوله (ويذكره): بضمّ الياء التحتيّة من أَذْكَرَ المتعدّي. وفاعله ضمير راجع إلى الوليد. وقوله (نَجْوَى): مفعول يُذْكِر، قال في المصباح: «نَاجَيْتُهُ: سَارَرْتُهُ، والاسم: النَجْوَى». وقوله (عهود): جمع عهد. و(قديمة): وصف لعهود. والعهد المَوْثِق، وهو قوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٧٢] فإنّ هذا العهد مأخوذ على الأرواح في صور الذرّ لمّا أخرجهم الله تعالى من ظهر آدم عليه السلام، كما ورد في الأخبار النبويّة.

٤٣٤- وَيُعْرِبُ عَنْ حَالِ السَّمَاعِ بِحَالِهِ فَيُثْبِــتُ لِلْــرَقْصِ انْتِفَــاءَ النَّقِيْــصَةِ

/ [٢٠٦/ ب] (ويعرب): أي يكشف ويبيّن، قال في المصباح: «أَعَرَبْتُ الشيءَ، وأَعْرَبْتُ عنه وعَرَّبْتُهُ بالتثقيل، وعَرّبْتُ عنه، كُلُّها بمعنى التبيين والإيضاح. وقوله (عن حال السماع) يقال: سَمِعْتُهُ وسَمِعْتُ له سَمْعَاً وتَسَمَّعْتُ واسْتَمَعْتُ، كلّها يتعدّى بنفسه وبالحرف بمعنى. واسْتَمَعَ لِما كان بقصد، لأنّه لا يكون إلّا

بالإصغاء، وسَمِعَ يكون بقصد وبدونه. والسَّماع: اسم منه، كذا في المصباح. وهو كناية عن الاستماع للأغاني والأناشيد والآلات المطربة. ولنا في ذلك كلّه رسالة سمّيناها «إيضاح الدّلالات في سماع الآلات».

وقد رأينا للعلماء رسائل كثيرة في حكم السماع؛ فبعضهم أباح، وبعضهم حرّم، وبعضهم كره، وبعضهم فصل بين العارف والغافل، فأباح للعارفين، وحرّم على الغافلين وهو الذي نذهب إليه، وإليه يشير كلام الناظم قدّس سرّه. واعلم يا أخي، عليك كلّ خير، وسهّل عليك طريق المعرفة والسير أنّ نفوس العارفين بالله تعالى ـ وإنْ كانوا في حال سلوكهم وسيرهم بالمجاهدة في طريق الله تعالى ـ ليست كنفوس الغافلين المحجوبين عن المعرفة الربّانيّة؛ فإنّ معرفة هؤلاء بربّهم تعالى معرفة عقليّة، تلقّوها بعقولهم من معاني الكتاب والسُنّة، وشاركتهم في ذلك جميع فرق المعتزلة، فتلقوا كلّهم عقائدهم بفهوم عقولهم من كتاب الله وسنّة نبيّه ـ عليه السلام ـ وموارد الإجماع؛ لأنّهم أهل اجتهاد، فمنهم المصيب كالأشاعرة والماتريديّة ومن حَذَا حُذْوَهُم؛ فإنّهم غلّبوا الشرع على العقل؛ لكنّهم لا يفارقون الأنظار العقليّة والمفاهيم الخياليّة. وغيرهم بالنظر إليهم أخطؤوا في الاجتهاد. وكلٌّ مُجازى بعمله. فإنّ أصحاب هذه النفوس المذكورة لا يقبلون حالة من الأحوال إذا وجدوها في الناس أو في أنفسهم إلّا إذا وافقت مفاهيم عقولهم، وأنظار تخيلاتهم. ويرجعون ما فهموه من ذلك إلى معاني الأحكام الشرعيّة الاجتهاديّة. فيحكمون على صاحب تلك الحالة بالفسق، أو بالكفر والضلال، أو بالإيمان، والتقوى، والديانة، والصلاح، والكمال، والولاية. ذلك مبلغهم من العلم؛ لأنّهم غفلوا عن الشريعة المحمّديّة، والطريقة الأحمديّة، والحقيقة المصطفويّة. فإنّهم يتلقّون معرفة ذلك بالعقول في النقول. فتبرز لهم معاني ذلك على حسبهم لا على حسبها. وهم مكلّفون في التقوى بقدر استطاعتهم، كما قال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [٦٤/ التغابن/ ١٦]. وقال تعالى: ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [٢/ البقرة/ ٢٣٣] فإنّهم معذورون، مثابون، مأجورون على نيّاتهم ومقاصدهم. وفيهم يقول صلى الله عليه وسلّم: «إنّ الله لا ينظر إلى

صوركم [وأموالكم] ولكن ينظر إلى قلوبكم [وأعمالكم]»[1].

وأمّا نفوس العارفين بالله تعالى وإنْ كانوا بعد في طريق المجاهدة فإنّ عقائدهم في الابتداء إيمان محض، وإسلام صرف، وانقياد خالص لا يشوبهم فهم عقلي ولا نظر خيالي، ولا تنازعهم عقولهم في ذلك التسليم والانقياد، ولا تضطرب نفوسهم بشكر ولا ترداد. أسلموا أنفسهم للشريعة والدّين، وألقوا عقولهم وأفهامهم بين يديّ المشايخ المتّقين، كما قال تعالى في شأنهم: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [٤/ النساء/ ٦٥]. وفي الحديث: قال صلّى الله عليه وسلّم: «أنا وأتقياء أمّتي براء من التكلّف»[2] فلا تكلّف لهم إلّا في التلقّي بالإذعان لجميع ما ورد في كتاب الله وسنّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. وإجماع أمّة الخير والهدى، لا يسألون عمّا به يؤمنون، ولا يتوقّفون في الإيمان بما لا يعرفون. وهم يتّهمون نفوسهم في موارد خطراتها فلا يثقون بما تأتي به عقولهم / [٢٠٧/ أ] من معاني تخيُّلاتها، فهم نور على نور، وتصديق خالص مبرور. وهذه حال ابتدائهم. فإذا نظر الله تعالى إلى نفوسهم الصادقة في الإيمان، الطاهرة المطهّرة بمياه التسليم له والإذعان كشف لهم عن تجلّيه بنفوسهم على نفوسهم. فذابت نفوسهم في نور التجلّي بالتملّي، وفنيت من التحلّي والتخلّي، كما قال سبحانه: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ [١٣/ الرعد/ ٣٣] بعد قوله تعالى: ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [١٥/ الذاريات/ ٢١] وقوله عزّ وجلّ: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [٤١/ فصّلت/ ٥٣] وقوله تعالى في شأنِ غيرهم: ﴿ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾ [١٨/ الكهف/ ٥١] فعند ذلك يكتفون بربّهم في جميع ما يريدون من: علم، وفهم، وعمل، وغير ذلك، كما قال تعالى: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: البرّ والصلة والأدب، باب: تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره، ٦٧٠٨، عن أبي هريرة.

(٢) انظر تخريجه ص٥٧٥.

عَبۡدَهُۥ﴾ [٣٩/ الزمر/ ٣٦] فالتجلّي على نفوسهم دائم، لأنّه هو الذي عليها قائم، قال أبو مدين قدّس الله سرّه في هذا المقام من قصيدة له مشيرة إلى الحضرة العليّة عن الأفهام:

عرفنا بها كلّ الوجود ولم نزل إلى أنْ بها كلّ المعارف أَنْكَرْنا

ثمّ إنّ هذا السالك إذا عرف التجلّي الربّانيّ في نفسه، وفي غيره، وظهر له معنى وقوله: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [٦/ الأنعام/ ١٠٢] وقوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا﴾ [٢٥/ الفرقان/ ٢] تميّزت نفسه عن نفس الغافل المحجوب، فصار لها في الشريعة المحمّديّة أحكام أُخَر، ما دامت في مقام الحضور مع التجلّي العام، وهو المسمّى بالجمع. فإذا غفلت نفسه، واحتجّت بالبشريّة، وهو المسمّى بالفرق رجع إلى أحوال القسم الأوّل. فإنْ رجع إلى المجاهدة في نفسه حتّى تمكّن من العرفان كان من أهل التحقيق والإيقان. وإلّا فهو من عامّة أهل الإيمان إذا تقرر عندك هذا فاعلم أنّ العارفين بالله تعالى إذا سمعوا الغناء والطرب وأنواع السماع حنّت أرواحهم وجنّت أشباحهم، وانفتحت عليهم أبواب المعاني، وأنفتقت لهم أسرار المباني فلا يبقى عندهم إشكال، ولا يعييهم قيد ولا شكال؛ ولهذا كان العارف الكامل الشيخ محمّد البكريّ قدّس الله سرّه يقول: «هاتوا لنا الآلات تنتج لنا حالات».

وقال الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي قدّس الله سرّه في كتابه شجون المسجون: «إذا كان الذكر بنغمة لذيذة فله في النفس أثر كما للصورة الحسنة في النظر». وفي كتاب المواهب اللدنيّة للشيخ القسطلاني رحمه الله تعالى قال بأنّ العارف الكبير سيدي على الوفائي وضع حزبه المشهور على الألحان والأوزان اللطيفة تنشيطاً لقلوب المريدين، وترويحاً لأسرار السالكين؛ فإنّ النفوس لها حظّ من الألحان، فإذا قيلت هذه الواردات السنيّة الفائضة من الموارد النبويّة المحمّديّة بهذه النغمات الفائقة، والأوزان الرائقة، تشرّبتها العروق، وأخذ كلّ عضو نصيبه من ذلك الوارد الوفي المحمّدي، فأثمرت شجرة خطاب الأزل بما سقته من موارد

هذه اللطائف عوارف المعارف. وقوله (**فيثبت**): من أثبت. وفاعله ضمير راجع إلى حال الوليد، أو من ثبت، وفاعله انتفاء. أي: يثبت بذلك، يعني بحال الوليد.

وقوله (**للرقص**): أي للتواجد. وقد أثبت التواجد الإمام القشيري في رسالته، وجعله تفاعل، أي: تكلّف الوجد. واستدلّ عليه بقوله صلّى الله عليه وسلّم في الحج: «ابكوا فإنْ لم تبكوا فتباكوا»[1]. ثمّ ذكر الوجد وهو ما لا تكلّف فيه فإنّه يحصل بالتواجد تكلّفاً، وبغيره قيّدهم العبد السالك في وقت السماع وغيره. ثم ذكر الوجود، وفيه الرسوخ والسكينة.

فرقص الصوفيّة هو تواجدهم ولو كان بالتكلّف منهم، فإنّه مطلوب عندهم لتحصيل الوجد والوجود، ولا التفات لمن شدّد في النهي عنه من الفقهاء، لأنّه مبني عندهم على حصول الغفلة عن تجلّيات الحقّ تعالى، وقسوة القلب والجمود على الظواهر، فليس في طريقهم شيء من ذلك المطلوب / [٢٠٧/ ب] عند الصوفيّة.

وذكر في طبقات الحنفيّة لعبد القادر القرشي قال في ترجمة محمّد بن وهبان الديلميّ الأصبهانيّ الحنفيّ: «كان حافظ الفقه، مليح الدرس في العبادة والإيراد، جيد الكلام في المناظرة، يرجع إلى صلاح ودين. لا يفارق مجلس أبي الوفا بن عقيل الواعظ. ويقول: الفقه يقسّي القلب، والوعظ يرققه». انتهى كلامه.

والإنسان عدوّ ما يجهل، فلهذا ينهون عنه. والحاصل: إنّ حال الطفل الصغير في اضطرابه عند السماع، ورقصه من غير تكلّف، لعدم إدراكه يثبت لرقص الصوفيّة، وتواجدهم انتفاء النقيصة عنه، فلا نقص فيه عندهم، والأعمال بالنّيات، وإنّما لكلّ امرئ ما نوى، كما ورد في الحديث. وقال صلّى الله عليه وسلّم: «إنّ الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، وإنّما ينظر إلى قلوبكم»[2].

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب: الزهد، باب: الحزن والبكاء، ٤٣٣٦، عن سعد بن أبي وقّاص.
(٢) تقدّم تخريجه ص٩٣٥.

فالمُعتبَر في الشرع عمل القلب، وهو النيّة والقصد. فإن كان رياءً يأثم على عمله به، وإن كان إخلاصاً وصدقاً يثاب ويؤجر. والناس محمولون على المقاصد الحسنة من غير تجسس عليهم.

٤٣٥- إذَا هَامَ شَوْقَاً بِالْمُنَاغِيْ وَهَمَّ أنْ يَطِيْرَ إلِى أوْطانِهِ الأوَّلِيَّةِ

٤٣٦- يُسَكَّنُ بِالتَحْرِيْكِ وَهْوَ بِمَهْدِهِ إذَا مَا لَهُ أيْدِي مُرَبِّيْهِ هَزَّتِ

في هذين البيتين بيان حال الوليد، وهو الطفل الصغير في حال السماع، حيث لا تكلّف له في حاله. فقوله (**إذا هام شوقاً**): أي من جهة الشوق، قال في الصحاح: «الهُيَام كالجنون من العِشق». وقوله (**بالمُنَاغِي**): أي بسببه. قال في الصحاح: «النَغْيَةُ مثل النَغْمَةِ، وسمعت منه: نَغْيَة وهو من الكلام الحَسَن. والمُنَاغَاة: المُغازَلَة. والمرأة تُنَاغي الصبيّ، أي: تُكَلِّمُه بما يعجبه ويسره».

وقوله (**وَهَمَّ**): يقال هَمَمْتُ بالشيء أَهُمُّ هَمّاً: إذا أردته، كذا في الصحاح. وقوله (**أن يطير**): إلى أوطانه الأوّليَة: أي عالم روحانيّته الأصليّة؛ لأنّه قريب عهد منها، فيخرج من عالم جسمانيّته وطبيعة بدنه إلى حضرات الحقّ من حضرة القدرة الأزليّة، وحضرة الإرادة، وحضرة العلم؛ فإنّها أوطانه التي كان فيها بما يقتضيها من المقدوريّة والمراديّة والمعلوميّة، فإنّه يأنف طبعاً وخلقة أن يبقى في أسفل سافلين بعد حصوله في أعلى عليّين قبل التهائة بزخارف بالدنيا، واشتغاله بلذائذها وشهواتها.

وقوله (**يُسَكَّن**): بالتشديد والبناء لما لم يسمَّ فاعله، يقال: سَكَنَ الشيءُ سُكُوْنَاً وسَكَّنَهُ غيرُهُ تَسْكِيْنَاً، كذا في الصحاح. وقوله (**بالتحريك**) متعلّق بـ يسكَّن. والتحريك ضدّ التسكين. وقوله (**وهو**): أي ذلك الوليد، أي: الطفل الصغير. وقوله (**بمهده**): أي بفراشه الذي يُمهد له للنوم فيه، وهو سرير من الخشب، مرتفع يُقَمّط عليه الطفل الصغير مخافة أنْ يسقط منه. والباء بمعنى في. والجملة حال من نائب فاعل يسكَّن. وقوله (**إذا ما**): هي زائدة بعد إذا. وقوله (**له**): أي للوليد بمعنى الطفل. وقوله (**أيدي**): جمع يد. وقوله (**مربِّيه**): أي مربي الوليد؛

والمربِّي بتشديد الباء الموحّدة، اسم فاعل، وهو الذي يربيه ويخدمه. وقوله (هزّتِ): بتشديد الزاي، يقال: هَزَزْتُ الشيءَ هَزّاً، أي: حَرَّكْتُه فتحرّك، كذا في الصحاح. وكسر التاء للقافية.

٤٣٧- وَجَدْتُ بِوَجْدٍ آخِذِي عِنْدَ ذِكْرِهَا بِتَحْبِيرِ تَالٍ أَوْ بِأَلْحَانِ صَيِّتِ

(وجدت): من الوَجْد، قال في الصحاح: وَجَد في الحزن وَجْدَاً بالفتح. وقوله (بوجدٍ): متعلِّق بوجدت. وقوله (آخذي): بمَدِّ الهمزة: اسم فاعل، صفة للوجد، من الأخذ، يقال: أخذت الشيء آخذه أخذاً: تناولته، كذا في الصحاح، أي: مُتناوِلِي من نفسي إليه بحيث لا أشعر/ [٢٠٨/ أ] بنفسي من الوجد.

وقوله (عند ذكرها): أي المحبوبة الحقيقيّة، أي: تذكّري لها، لأنّها المصوّرة لكل حسّ ومحسوس بإحدى الحواس، وكل عقل ومعقول، ومفهوم وموهوم، ومتخيّل بالعقل، كما قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ﴾ [٥٩/ الحشر/ ٢٤] فهو المصوِّر لكلّ صورة، والكلّ صور في الحسّ، وفي العقل، والكلّ له تعالى، كما قال: ﴿ وَلَهُۥ كُلُّ شَيْءٍ ﴾ [٢٧/ النمل/ ٩١]. وقوله (بتحبير): أي تحسين وتزيين. قال في المصباح[١]: «الحبْر هو الجمال والبهاء وأثر النعمة، يقال: فلان حَسَن الحبْر والسِّبْر بالفتح. وهذا كأنّه مصدر قولك: حَبَّرْتُهُ حَبْرَاً: إذا حَسَّنْتُهُ. والأوّل اسم، وتَحْبِيْر الخط والشعر وغيرهما: تحسينه». وقوله (تالٍ): هو اسم فاعل من تلا القرآن: قرأ من حِفْظه، أو من المصحف. وقوله (أو بألحان) جمع لَحْن. قال في الصحاح: «اللحن واحد الألحان واللحون». ومنه الحديث: «اقرؤوا القرآن بلحون العرب»[٢]. وقد لحن في قراءته إذا طرب بها وغرّد، وهو ألحن الناس إذا كان أحسنهم قراءة أو غناء.

(١) هذا القول من الصحاح، وليس من المصباح لعلّ الناسخ وهم هنا. والسِبْر أي: الهيئة.

(٢) أخرجه الطبرانيّ في الأوسط، ٧٢٢٣، عن حذيفة بن اليمان، بلفظ: «اقرؤوا القرآن بلحون العرب وأصواتها. وإيّاكم ولحون أهل الكتابَينِ وأهل الفسق؛ فإنّه سيجيء بعدي قوم يرجِّعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانيّة والنوح، لا يجاوز حناجرهم، مفتونة قلوبهم وقلوب من يعجبهم شأنه». لا يروى هذا الحديث إلّا بهذا الإسناد.

وقوله (صَيِّتِ): بتشديد الياء التحتيّة، قال في الصحاح: «رجل صَيِّتٍ، أي: شديد الصوت ، وكذلك رجل صَات».

٤٣٨- كَمَا يَجِدِ المَكْرُوْبَ فِيْ نَزْعِ نَفْسِهِ إذَا مَا لَهُ رُسْلُ المَنَايَا تَوَفَّتِ

(**كما يجد المكروب**): أي الذي لحقه الكرب. قال في الصحاح: «الكُرْبَة بالضمّ: الغَمّ الذي يأخذ بالنفس. وكذلك الكَرْب على وزن الضَرْب، تقول منه: كَرَبَهُ الغَمُّ إذا اشتدّ عليه. وقوله (**في نزع نفسه**): أي في وقت نزع روحه من التعلّق بجسده. والضمير للمكروب. وقوله (**إذا ما**) فما زائدة بعد إذا. وقوله (**له**): أي لذلك المكروب. (**رسْلُ**): بسكون السين المهملة، جمع رسول، وهم ملائكة الموت. (**والمنايا**): جمع مَنِيَّة بالتشديد. قال في الصحاح: «المنيّة الموتُ؛ لانّها مقدّرة، يقال: منيّ له، أي: قدر».

وقوله (**توفّتِ**): بكسر التاء للقافية، قال في الصحاح: «توفاه الله: أي قبض روحَه، والوَفاة: المَوْتُ». والمعنى: إنّه يجد عند سماع تلاوة القرآن بتحسين القراءة وتزيينها بالصوت الحسن ،كما ورد «زيِّنوا القرآن بأصواتكم»[1] وقوله عليه السلام «مَن لم يتغن بالقرآن فليس منّا»[2]. وكذلك يجد عند سماع الأناشيد بالألحان والنغمات الطيِّبة مَنْ جذب روحه إلى عالم الأرواح، واضطراب نفسه كما يجد المحتضر عند موته نزع روحه، وشدّة كربه. وهي الحالة التي تسمِّيها العامّة بالتنوير، بالتاء المثناة الفوقيّة. وكان أصله بالثاء المثلثة من ثار: إذا هاج. قال في الصحاح: «يقال: ثَوَّر فلانٌ عليهم الشرَّ أي: هَيَّجَه وأظهره. وثَوَّرَ القرآن: أي بحث عن علمه». وذلك بتشديد الواو. فيصل الإنسان فيها من شدّة الوجد إلى يبس أعضائه وسقوطه إلى الأرض بمنزلة الميت. وهذا الحال مشاهد في كثير من فقراء

---

(١) أخرجه أحمد في المسند، باب: مسند حديث البراء بن عازب، ١٨٨٩٤. كما أخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب فضائل القرآن، باب: أمّا حديث عبد الله الأخنس، ٢٠٥٤،

(٢) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب التوحيد، باب: قول الله : ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ﴾، ٧٥٢٧، عن أبي هريرة بلفظ: «ليس منّا من لم يتغنَ بالقرآن» وزاد غيره (ويجهر به).

الطرق. وهو خشوع يقع في القلب أوّلاً، ثمّ يتزايد حتّى يصير قشعريرة في الأعضاء، فيضطرب بها البدن. ومن الناس من ينكرها على أهلها. ومنهم من يعتقدها. وهي حالة يدخلها التلبيس من الكاذبين في طريق الصوفيّة، وأحوال الصادقين لا تخفى. ومن ذاق عرف، ومن عرف اغترف.

٤٣٩- فَوَاجِدُ كَرْبٍ فِي السِّيَاقِ لِفُرْقَةٍ كَمَكْرُوْبِ وَجْدٍ لاشْتِيَاقٍ لِرُفْقَةٍ[1]

(فواجد كرب في السياق): يعني الذي يجد الكرب الشديد في حال سياق الموت، قال في الصحاح: «السياق نزع الروح، يقال: رأيتُ فلاناً يَسوق، أي: يُنْزَعُ عند الموت». وقوله (لفرقة): أي لأجل فراقه للحياة الدنيا، وقطع لذائذه وشهواته، وتأنسه بما فاته، وهذا الفرق بين من ينازع عند موته ومن يتواجد عند السماع إذا كان من الصادقين فإنّه يجد ما يجد من شدائد الأحوال التي ترد على قلبه من شدة شوقه إلى العالم الروحانيّ، وهو قوله (كمكروب وجد): أي كالذي كربه ما يجد. وقوله (لاشتياق): أي لأجل كمال اشتياقه. وقوله (لرفقة): أي إلى رفقتة من الأرواح العليّة والملأ الأعلى، كما كان صلّى الله عليه وسلّم / [٢٠٨/ ب] يقول عند موته: «اللهم الرفيق الأعلى»[2] اشتياقاً وحنيناً إلى الحضرات السنيّة، والتجلّيات العليّة.

٤٤٠- فَذَا نَفْسُهُ رَقَّتْ إِلَى مَا بَدَتْ بِهِ وَرُوْحِي تَرَقَّتْ لِلْمَبَادِي العَلِيَّةِ

(فذا): أي واجد الكرب في نزاع الموت. وقوله (نفسه): أي روحه عند تمام نزاعه. وقوله (رقّت): أي نفسه؛ بمعنى زالت كثافتها الجسمانيّة الطبيعيّة، وصارت رقيقة روحانيّة. وقوله (إلى ما): أي رجعت إلى مقام ومحلّ. وقوله (بدت به): أي ظهرت به حياته الدنيا، وهو الذي كان عليه من الأحوال. والمعنى: إنّ الميّت

---

(١) الرُفقة بضم الراء: الأصدقاء ما داموا في مجلسهم، فإن تفرقوا صاروا رِفقة بالكسرة.

(٢) أخرجه مالك في الموطّأ كتاب الجنائز، باب: جامع الجنائز، ٥٦٩. كما أخرجه البخاريّ ـ عنها أيضاً ـ في صحيحه، كتاب: المغازي، باب: آخر ما تكلّم النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، ٤٤٦٣، قالت: «فكان آخر كلمة تكلّم: اللهم الرفيق الأعلى».

تكون حاله بعد موته نتيجة حاله وهو حيّ في الدنيا؛ فالموت يوصل كلّ حيّ إلى نهاية ما كان عليه من صلاح أو فساد، وذلك قوله في الأثر: «يحشر المرء على ما مات عليه، ويموت على ما عاش عليه»[1]. وقوله (**روحي**): أي في حال السماع والتواجد، ومقامات الكرب الشديد الذي يشبه النزاع عند الموت. وقوله (**ترقّتِ**): أي صعدت متجرِّدة عن العوائق الجسمانيّة والعلائق الطبيعيّة. وقوله (**للمبادي**): جمع مبدأ، وهو الذي كان منه ابتداء الشيء، وهي حضرة الأرواح الأمريّة، والأسباب السماويّة الأصليّة المنبثّة بالنفخ الربّاني عن الروح الصمدانيّ، ولهذا قال (**العليّة**): صفة للمبادي.

٤٤١- وَبَـابُ تَخَطِّـيَّ اتِّـصَالِي بِحَيْـثُ لَا　　حِجَـابَ وِصَـالٍ عَنْـهُ رُوْحِـي تَرَقَّـتِ

هذا بيان لإزالة معنى الغيريّة المفهوم من البيت قبله يقول (**وباب**): أي افتتاح هذا الأمر الذي هو (**تخطِّيَّ**) بتشديد الطاء المهملة المضاف إلى ياء المتكلِّم المشدّدة مفتوحة، أي: مجاوزتي. قال في المصباح: «تَخَطَّيْتُه وخَطَّيْتُه: إذا خَطَوْتُ عليه». وفي الصحاح: «تَخَطَّيْتُهُ: إذا تجاوزته، يُقال: تَخَطَّيْتُ رقابَ الناس، وتَخَطَّيْتُ إلى كذا». ولا تقل تخطأت بالهمز. وقال (**اتّصالي**): مفعول تَخَطِّيَّ. والاتّصال مصدر اتّصل، أصله: اوتصل، من وصل، فقلبت الواو تاءً، وأدغمت في التاء، كاتّعَدَ واتّقد، مطاوع وصل، ووعد، ووقد، قال في المصباح: «وصلت الشيء بغيره وصْلاً فاتَّصَلَ به». والمعنى: اتّصالي بالحضرة الربّانيّة من حيث توجّهات أسمائها الحسنى وصفاتها العليّة، وتخطّي هذا الاتّصال مجاوزته بزواله وذهابه عن عين البصيرة إلى

---

(١) لم نعثر عليه بهذا اللفظ؛ وإنّما يشفع له ما رواه البخاريّ في صحيحه كتاب: الفتن، باب: إذا أنزل الله بقوم عذاباً، ٧١٠٨، عن ابن عمر، بلفظ: «أصاب العذاب من كان فيهم ثمّ بُعثوا على أعمالهم». كما روى مسلم في صحيحه، كتاب الجنّة والنار، باب: الأمر بحسن الظنّ بالله تعالى عند الموت، ٢٨٧٨، عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «يُبعث كلّ عبد على ما مات عليه».

ما هو أرقى منها، وهو رجوعه إلى حقيقة الذات الإلهيّة واتّحاده بها من حيث فناؤه عن كلّ ما يغايرها من الأكوان، قال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ [١٣/ الرعد/ ٣٣]. يعني: افتتاح هذا التخطّي هو قوله (**بحيث**): أي مقام موصوف بأنّه (**لا حجاب وصال فيه**) أي: مواصلة للحقيقة الذاتيّة؛ لأنّ الوصال يقتضي الاثنينيّة؛ فإنّه لا وصال إلّا بين اثنين يتّصل أحدهما بالآخر. وقوله (**عنه**): متعلّق بـ ترقّت. والضمير يرجع إلى وصال.

وقوله (**روحي ترقّتِ**): بكسر التاء للقافية، أي: رجعت بالصعود إلى أمر الله الذي هو الحقّ تعالى آمراً، كما قال تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ [١١/ هود/ ١٢٣] ثمّ أكّده بقوله (**كلّه**): يعني باعتبار قيام الخلق به؛ لأنّ الخلق كثير، والأمر واحد. فإذا رجع الأمر إليه تعالى، وتأكد بقوله (**كلّه**) كان رجوعه إليه لا باعتباره هو في نفسه، لأنّه واحد، بدليل: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴾ [٥٤/ القمر/ ٥٠] وهو هو تعالى، فهو راجع إليه، ولا بدّ لعدم انفصاله عنه، ولا يتصوّر رجوع الشيء إلى نفسه، فلا رجوع له إلّا برجوع كثرته بالخلق لاعتبار الأسماء والصفات فيه إلى وحدته بالذات، وهو المراد.

٤٤٢- عَلَى أَثَرِي مَنْ كَانَ يُؤْثِرُ قَصْدَهُ   كَمِثْلِيَ فَلْيَرْكَبْ لَهُ صِدْقَ عَزْمَةِ

(**على أَثَري**): بفتحتين، أي: مذهبي وطريقتي، قال في المصباح: «جئت في أَثَرِهِ بفتحتين. وإِثْرِهِ بكسر الهمزة والسكون، أي: تَبِعْتُهُ عن قُرب». وقال الراغب: «أَثَرُ الشيءِ حصولُ ما يدلّ على وجوده، ومنه ما يقال للطريق المستدلّ به على من تقدّم أثره نحو قوله تعالى: ﴿هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ/ [٢٠٩/ أ] أَثَرِي﴾ [٣٠/ طه/ ٨٢] وقوله (**مَنْ كان**): أي كلّ إنسان كان، فمَنْ شرطيّة وقوله (**يؤثر**): من آثر بالمدّ، قال في المصباح: «آثَرْتُهُ، بالمدّ: فَضَّلْتُهُ». وقال الراغب: «ويستعار الأثر للفضل، والإيثار للتفضيل. ومنه آثرته. وقوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [٥٩/ الحشر/ ٩] وقوله تعالى:

﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ [٨٧/الأعلى/١٦] وقوله (قصده): أي قصد باب التخطّي في البيت قبله، من إضافة المصدر إلى مفعوله. والمعنى: كلّ من كان يقدم قصد الباب على جميع مقاصده، ويرغب في ذلك فهو تابع لطريقتي، ومقتدي بمذهبي.

وقوله (كمثلي): الكاف زائدة، أي: مثلي. أو غير زائدة. يعني: كإنسان يماثلني في إيثار هذا القصد على غيره. وقوله (فليركب): الفاء في جواب الشرط، واللام لام الأمر. ويركب فعل مضارع مجزوم بلام الأمر، وهي استعارة مكنيّة، شبّه صدق العزم بدابة، وأثبت لها الركوب تخييلاً للمشبّه به المحذوف، وهو الدّابة. وقوله (له): أي إليه. والضمير للباب المقصود، وهو ترشيح للاستعارة. وقوله (صِدْقَ) مفعول يركب. (عزمة): أي اجتهاد. قال في المصباح: «عَزَمَ عَزِيْمَةً وعَزْمَةً: اجتهد وجَدَّ في أَمْرِهِ». و(صدق العزم): أنْ لا يبقى فيه فضلة لغير ما عزم عليه من الأمر، ويتوجّه إليه بكليّته إخلاصاً ونعياً.

٤٤٣- وَكَمْ لُـجَّةٍ قَدْ خُضْتُ قَبْلَ وُلُوْجِهِ فَقِـيرُ الغِنَـى مَـا بُـلَّ مِنْهَـا بِنُغْبَـةِ

(وكم لجّةٍ): بالجرّ، قال في القاموس: «كم اسم ناقص مبني على السكون، أو مؤلّفة من كاف التشبيه، وما ثمّ قصرت واسكنت. وقال في المغني لابن هشام: «كم على وجهين: خبريّة بمعنى كثير. واستفهاميّة، أي: عدد. ويشتركان في خمسة أمور: الإسميّة، والإبهام، والافتقار إلى التمييز، والبناء، ولزوم التصدير. ويفترقان في خمسة أمور: ـ أنّ الكلام مع الخبريّة محتمل للتصديق والتكذيب بخلافه مع الاستفهاميّة. «وأنّ المتكلّم بالخبريّة لا يستدعي من مخاطبه جواباً، لأنّه مخبر. والمتكلّم بالاستفهاميّة يستدعيه، لأنّه مستخبر. ـ وإنّ الاسم المبدل من الخبريّة لا يقترن بالهمزة، بخلاف المبدل من الاستفهاميّة. يقال في الخبريّة: كم عبيدي! خمسون ؛ بل ستّون!. وفي الاستفهاميّة: كم مالك؟. عشرون أم ثلاثون؟. ـ وأنّ مميّز الخبريّة مفرد أو مجموع ـ. وأنّ تمييز الخبريّة واجب الخفض. وتمييز الاستفهاميّة منصوب، ولا يجوز جرّه مطلقاً. يعني: سواء جرّت كم بحرف جَرَّ أو

لم تجرّ، خلافاً للفرّاء والزجّاج وابن السرّاج، فإنّهم يجرّونه مطلقاً، ذكره الشمني. وكم هنا خبريّة لا استفهاميّة.

وقوله (لجّة): بالجرّ على إضافة كم إليها. و(**اللُجّة**): بالضمّ معظم الماء، كذا في المصباح. والمراد شدّة من شدائد طريق الله تعالى. وقوله (**قد خضت**): أي دخلت ومشيت، يقال: خاض الرجلُ الماءَ يَخُوضُهُ خَوْضاً: مشى فيه. وخاض في الأمر: دخل فيه، كذا في المصباح. وقوله (**قبل ولوجه**): أي ولوج الباب المذكور. يعني: قبل دخولي فيه، وهو باب الاتّحاد الحقيقيّ كما مرّ؛ فإنّ صعوبة الطريق وأهواله العظام إنّما تكون قبل الوصول إلى حقيقة الأمر، وانكشاف السرّ الرّباني في الأمر الروحانيّ، والتجلّي الرحمانيّ. فإذا استوى الرحمان على عرش النشأة الإنسانيّة، ولم يبق في العبد فضلة من الغيرية الوهميّة ذهبت نقطة الغين، وقرّت العين بالعين.

وقوله (**فقير الغنا**): أي الفقير من الغنى الدنيويّ، وهو الزاهد في الدنيا، وفي شهواته، وفي الآخرة، وفي لذّاتها. واحترز بذكر الغنا عن الفقير من كلّ ما سوى الله تعالى، حتّى من نفسه وأحوالها، وهو الفاني في الوجود الحقّ عزّ وجلّ، فإنّه ولج الباب المذكور، وهو الشاكر والمشكور. وقوله (**ما بُلَّ**) بضمّ الباء الموحّدة وتشديد اللام مفتوحة: فعل ماض مبني للمفعول، من البَلَل، يقال: بَلَلْتُهُ بالماء بَلّاً - من باب قتل - فابْتَلّ هو. والاسم: البَلَل بفتحتين، كذا في المصباح. ونائب الفاعل ضمير عائد إلى فقير الغنى. وقوله (**منها**): أي من تلك اللجّة. وقوله (**بِنُغْبَةٍ**): متعلّق بِبُلّ. و(**النُغْبَةُ**): بضمّ النون وسكون الغين المعجمة وبالباء الموحّدة والهاء. قال في الصحاح: «النُغْبَةُ، بالضمّ الجُرْعَةُ/[٢٠٩/ب] وقد تفتح». قال ابن السكّيت: «نَغِبْتُ من الماء بالكسر نَغْباً، أي: جَرِعْتُ مِنْه جَرْعَاً. وقدّ يكون قوله (**وكم لجّه**): أي من لجج بحار التوحيد، والمعارف الإلهيّة، قد خضتها قبل دخولي باب الاتّحاد الحقيقيّ كما ذُكر. والزاهد العابد المجاهد في الطريق ما بَلَّ حَلْقه، ولا شرب من تلك اللجّة جرعة، لوقوفه مع نفسه وحجابه

عن ربّه بأحوال نفسه. وقد يُراد بفقير الغنا المفتقر إلى السماع ليحرّك شوقه إلى حضرة ربّه، فيكون الغنا ممدودة أو قد قصر لضرورة الوزن.

٤٤٤- بِمِـرْآةِ قَـوْلِي إنْ عَزَمْـتَ أُرِيْكَـهُ فَأَصْـغِ لِـمَا أُلْقِـي بِـسَمْعِ بَـصِيْرَةِ

(بمرآة): بالمدّ، قال في المصباح: «المرآة بكسر الميم. وجمعها مرايا». وفي الصحاح: «والمِرْآةُ، بكسر الميم. التي يُنْظَر فيها. وثَلاث مَرَاء، والكثير مَرَاء، قال أبو زيد: رأيت الرجل تَرْئِيَةً: إذا أمسكتُ له المرآة لينظر فيها. وقوله (قَوْلي): أي كلامي الذي أقوله في هذا النظم، فإنّه شبَّه كلامه بمرآة مجلوّة، فإذا نظر فيها الرائي رأى نفسه، لأنّها ترى الناظر فيها صورة وجهه، فإنّ رأى وجهاً حسناً فهو وجهه، وإنْ رأى وجهاً قبيحاً، فهو وجهه. وكذلك المريد السالك في طريق الله تعالى إذا نظر في معاني كلام الناظم، وفهمه على طبق الشريعة المحمّديّة، والأحكام التوحيديّة المطابقة للكتاب والسنّة النبويّة؛ فإنّه يرى بذلك أحوال نفسه، وما هو عليه في باطنه وظاهره. فإنّ وجده مطابقاً لذلك علم صدقه في الإرادة وسلوكه في طريق الساده وفي منهاج السعادة. وإن رأى في باطنه وظاهره انحرافاً عن ذلك علم كذبه والتباس أمور نفسه عليه، فليسعَ في تصحيح الحال، أو يبق هاوياً في أودية الضلال. وهذه حكمة تكلّم العارفين المحقّقين بعلومهم ومواجيدهم للغافلين المحجوبين حتى يعرضوا أحوالهم على أحوال السادة المتقدّمين، ويقتدوا بهم في بواطنهم وظواهرهم، فيهتدوا بما اهتدت به أسلافهم، فإنّ المرشد المحقق ما عنده إلّا التبليغ، وما أُمِرَ إلّا بالتبليغ، كما قال تعالى في حقّ المرشدين الكاملين من الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام: ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [٢٤/ النور/ ٥٤]. وقال تعالى لنبيّنا صلّى الله عليه وسلّم: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٧٢] وقال تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [١٠/ يونس/ ٤٢] وقال تعالى في حقّهم وفي حقّ الأتباع لهم: ﴿قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾

[١٢/ يوسف/ ١٠٨] وقوله (إن عزمتَ): بفتح التاء، خطاب للمريد السالك، قال في المصباح: «عَزَمَ على الشيء عَزْمَاً، من باب ضرب: عَقَدَ ضميرَه على فِعله، وعَزَمَ عَزِيْمَةً وعَزْمَةً: اجتهد وجَدَّ في أمره، وكلاهما مراد هنا. وقوله (أُرِيْكَهُ): أي أريك الباب المذكور فيما سبق، فتراه، فتجاهد نفسك، حتّى تدخل منه. وهو باب الله الحقّ الحقيقيّ الذي من دخله كان آمناً في الدنيا والآخرة. فإنّه في بيت الله الحرام، يرجع إلى أصله؛ فيكون في حضرة العلم القديم. وكان من دهم إلى البيت العتيق، فيفنى الفاني، ويبقى الباقي: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [١٣/ الرعد/ ١٧] بعد قوله كذلك: ﴿يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ﴾ [١٣/ الرعد/ ١٧] وقوله النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «ألا كلّ شيء ما خلا الله باطل»[1] حيث صدّق في ذلك قول الشاعر كما في صحيح مسلم وغيره.

(فأصغ): فعل أمر بقطع الهمزة لضرورة الوزن مكسورة، يقال: صَغَيْتُ إلى كذا أَصْغَى بفتحتين: مِلْتُ. وصَغِيَ من باب تعب. وصَغَوْتُ صُغُوّاً من باب قعد، لغة أيضاً، كذا في المصباح. وقوله (لمّا أُلقي): أي إلى الذي ألقيه عليك من الكلام. وقوله (بسمع): متعلّق بأصْغِ. وقوله (بصيرة): أي بسمع القلب الذي هو الامتثال والطاعة. والبصيرة: قوّة القلب المدركة. وجمعها بصائر، ولا يكاد يقال الجارحة: البصر بصيرة، وبصيرة العلم/[٢١٠/ أ] في قوله تعالى: ﴿ٱدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [١٢/ يوسف/ ١٠٨] أي: على معرفة وتحقّق. ذكره الراغب، وقال أيضاً: «ويعبّر بالسمع تارة عن الأُذن نحو: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ [٢/ البقرة/ ٧]. وتارة عن فعله كالسماع نحو قوله: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ [٢٦/ الشعراء/ ٢١٢] وقال تعالى: ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [٥٠/ ق/ ٣٧] وتارة عن الفهم، وتارة عن الطاعة. تقول: اسمع ما أقول لك، ولا تسمع ما قلت. وتعني: لم تفهم. وقوله: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ [٢/ البقرة/ ٩٣] أي: فهمنا ولم نأتمر

(١) انظر تخريجه في ص٦٧١.

بك. وكذا قوله:﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٨٥] أي: فهمنا وائتمرنا. وقوله: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ [٨/ الأنفال/ ٢١] يجوز أنْ يكون معناه فهمنا وهم لا يفهمون، وأن يكون معناه فهمنا وهم لا يعملون بموجبه؛ فهو في حكم من لم يسمع.

٤٤٥- لَفَظْتُ مِنَ الْأَقْوَالِ لَفْظِيَ غَيْرَةً وَحَظِّي مِنَ الأفْعَالِ فِي كُلِّ فَعْلَةِ

(لفظتُ): أي ألقيت ورميت، قال في المصباح: «لَفَظَ رِيْقَهُ وغَيْرَهُ لَفْظاً، من باب ضرب: رمى به. ولَفَظَ البحرُ دابَّةً: ألقاها إلى الساحل. ولَفَظَتِ الأرضُ الميِّتَ: قَذَفَتْهُ». وقوله (من الأقوال): جمع قَوْل، وهو مصدر قال يقول قولاً. وقوله (لفظيَ): مفعول لفظت، وهو مصدر لَفَظَ بقولٍ حسن: تكلّم به، وتَلَفَّظَ به: كذلك. واستعمل المصدر اسماً، وجُمِع على: أَلْفَاظ، مثل: فَرْخ وأفْرَاخ، كذا في المصباح. والمعنى: ألقيت ورميت كلامي وتلفّظي من الأقوال، فلا كلام لي في العلوم الإلهيّة، ولا تلفّظ منّي بالمعارف الربّانيّة، ولا غير ذلك لذهاب دعوى النفس، وفناء نسبة إيجاد ذلك إليّ؛ لأنّه تعالى هو الموجد لكلّ شيء، كما قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ [٣٩/ الزمر/ ٦٢] وقوله سبحانه:﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ [٢٥/ الفرقان/ ٢] وفي الحديث: «قال الله على لسان عبده: سمع الله لمن حمده»[١]. ولمّا ناجى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم علياً رضي الله عنه قالوا: ينتجي ابن عمّه فقال صلّى الله عليه وسلّم : «أنا ـ والله ـ ما انتجيته، ولكنّ الله انتجاه»[٢] وكلّ هذا من عدم دعوى الأقوال وشهود الحقّ تعالى فيها، وقوله (غَيْرَة): بفتح الغين المعجمة وسكون الياء التحتيّة وبالراء والهاء، قال في المصباح: «غَارَ الزوج على امرأته، والمرأةُ على زوجها، يَغار، من باب تعب، غَيْراً وغَيْرَة بالفتح، وغَاراً» يعني: كان تركي

(١) أخرجه مالك في الموطّأ، كتاب الصلاة، باب: افتتاح الصلاة، ٢٠٤.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: المناقب،٣٧٢٦ ،عن جابر ، بلفظ: وما انتجيته ولكنّ الله انتجاه، قال الألبانيّ: ضعيف.

لدعوى التكلّم من جهة الغَيْرَة على خلق الله تعالى أنْ أَدّعِيْهِ وأَنسبه إلى نفسي الموصوفة به، لتحقُّقي بأنّ الله تعالى خالقي، وخالق جميع أوصافي، خصوصاً. وقد ورد في حديث المتقرِّب بالنوافل، وكنت لسانه الذي ينطق به»[1]. وقوله (وحظّي): معطوف على لفظي، أي: لفظتُ وألقيتُ ورميتُ أيضاً حظِّي. والحَظُّ، بالحاء المهملة والظاء المعجمة: النصيب، والجمع حُظُوظ ، مثل فَلْس وفُلُوس، كذا في المصباح. وقوله (من الأفعال): بيان للحظّ، والأفعال، جمع: فعل، وهو حركة بدنيّة مخصوصة بالظاهر أو الباطن، قال الراغب: «الفعل الثابت من جهة مؤثّر، وهو عام لّما كان باجادة أو غير إجادة. ولّما كان بعلم أو غير علم، وقصد أو غير قصدّ، ولّما كان من الإنسان والحيوانات والجمادات والعمل والصنع أخصّ منه قال: العمل كلّ فعل يكون من الحيوان بقصد فهو أخصّ من الفعل، لأنّ الفعل قد ينسب إلى الحيوانات التي يقع منها فعل بغير قصد. وقد ينسب إلى الجمادات، والعمل قلّما ينسب إلى ذلك. ولم يستعمل العمل في الحيوانات إلّا في قولهم: الإبل العوامل. والعمل يستعمل في الأعمال الصالحات والسيّئات. قال: والصنع إجادة الفعل، فكلّ صنع فعل، وليس كلّ فعل صنعاً، ولا ينسب إلى الحيوانات والجمادات كما ينسب إليها الفعل. وقوله (في كلّ فَعْلَة): بفتح الفاء، أي فعل مرّة. وترك حظّه من الأفعال، هو ترك دعوى الأفعال كلّها؛ لأنّه هو وأفعاله/ [١١٠/ ب] كلّها فعل ربّه. وما أحسن في هذا المحلّ أبيات الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربيّ قدّس الله سرّه في كتابه شجون المسجون، وهي:

يخاطبني بي في مواقف قربه ... فأشهدني غيري وإيّاي أشهد
فقال ولا غيري تقول وإنني ... مناجي مناجي واحد متعدد
وما أنا غيري غير أنّي غيره ... وأقرب بي منه وفي القرب أبعد

---

(١) انظر تخريجه ص١٤٦.

تعالى وأدناني إليه بوحدة … يراها بها إيّاي والغير يفقد
وما عدمت ذاتي بلى وجدت به … تُرقي بلا حدّ هناك وتخلّد
هنا وقف السيّار من غير وقفة … فزاد وزيد قال لا يتزيّد
بغير اتّحاد قلت إني موحّد … وإنّي بها وحّدت ذاتي موحّد
لأنّي به غيري إذا لم أكن به … بذلك أشقى أو بذلك أسعد
فلي وحدتي بالذات ضدّان دائماً … ووحدّته بالذات لا تتعدّد
وتحقيق فصل الحكم بيني وبينه … قريب إذا ما كنت من لا يقيّد
بقيت مرادي إنْ أردت مراده … فما ههنا إلّا المراد المجرّد
فعدنا يقينا فاعلين كواحد … مريدين موصوفين والعقل مفرد
فإنْ قلت فعل الله فالقول صادق … وإنْ قلت فعلي فهو صدق مؤيّد
إرادته تجري بأيدي عباده … فأفعالهم أفعاله وهو يشهد
رمى بيد الرامي فلم يرم إذْ رمى … سوى الله والرامي هناك محمّد
ولا شرك بين الراميين ومن درى … حقيقة إيضاحي بأحمد يحمد
ألا إنّ قطب الشأن أنّ مراده … بنفي إرادات العباد مقيّد
فهما أرادوا لا عن الأمر أشركوا … ومنهما أرادوه عن الأمر وحدوا
وليس العبد أن يريد إرادة … ولا نفيها بل يأمر العبد سيِّد
فمن قام بالأمر استفهام وههنا … هو المطلب الأعلى الأتمّ المسدّد
كذاك إذا ما الأمر منه أقامني … فما أنا بل غيري له القول واليد
وحين أقيم الأمر إنّي عبده … تعالى بما قد قاله أتعبّد
فدأبي أقيم الأمر حتّى يقيمني … طريق قريب للجميع ممهّد

فقـم تحـيَ بـالأمر الـذي إنْ أقمتـه أقامـك حيّاً حين تفنى وتوجـد
ولا تـك مفتونـاً بـوهم خيالـه ألا إنّـما سـيف الخيـال مهنّـد

٤٤٦- وَلَحْظِي علَى الأعْمَالِ حُسْنُ ثَوَابِهَا وحِفْظِـيَ لِلأحْـوَالِ مِـنْ شَـيْنِ زِيْنَـةِ

(ولحظي): معطوف على لفظي، أو حظّي في البيت قبله، أي: لفظت وألقيت وتركت أيضاً ملاحظتي. قال في المصباح: «لَحَظْتُ إليه لَحْظاً من باب نفع: راقبته. ولاحَظْتَه مُلاحَظَةً ولِحَاظاً من باب قاتل: راعيته. وقوله (على الأعمال): تقدّم معناها، وهي الأعمال الصالحة التي يعملها في طريق الله تعالى.

وقوله (حسن): مفعول لحظي. وقوله (ثوابها): أي الجزاء عليها من الله تعالى، فترك ملاحظة ذلك على وجه الإخلاص لله تعالى، فلم يعمل لأجل الثواب، وإنّما يعمل عبوديّة صرفة، فإنّ العبد إذا خدم سيّده وأطاعه بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه لا يرجو منه ثواباً ولا أجراً، ولا يستحقّ على ذلك أجرة من مولاه. بخلاف الأجير القائم بنفسه في خدمة من استأجره؛ فإنّه يطلب الأجر، ويرجو ذلك من المستأجِر، ويستحقّه بالتزام المستأجر ذلك وإيجابه على/[٢١١/أ] نفسه شرعاً لأنّه يعول نفسه ويموِّنها، وليس على المستأجر أنْ يموِّنه ويعوله إلّا إذا شرط ذلك على مستأجره، ولا كذلك العبد، فإنّ مونته وجميع حوائجه على مولاه، ولهذا جعل الله تعالى على نفسه الأجر والثواب للعاملين بأحكامه بعد تمام أعمالهم في الدار الآخرة، ولّما كان الأنبياء المرسلون إلى الخلق قوّاماً على المكلّفين في رعاية الأعمال، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ [١٤/ إبراهيم/ ١١] جعل تعالى لهم أجراً كالعمال حتّى قالوا: ﴿إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ [١٠/ يونس/ ٧٢] وقال لنبيّنا صلّى الله عليه وسلّم: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [٤٢/ الشورى/ ٢٣] فطلب الأجر من العمّال مجانسة لهم، وتمهيداً لطريقهم التي درجوا عليها على حسب طاقتهم، فإنّهم لا ينقادون إلّا بسلاسل الترغيب والترهيب، ولهم ذلك في الكتاب والسنّة. وإلّا فالعبوديّة في الأنبياء والمرسلين

عليهم الصلاة والسلام أكمل منها في غيرهم من عبيد الله تعالى، فلا يرجون ثواباً، ولا ينتظرون أجراً في حقائق أحوالهم بينهم وبين الله تعالى، كما نُقل عن رابعة العدويّة، فكانت من أهل عبوديّة الله تعالى الخالصة، رضي الله عنها، فكانت تقول في مناجاته: «ما عبدتك خوفاً من نارك، ولا رغبة في جنّتك؛ وإنّما عبدتك طلباً لوجهك الكريم». وفي «شجون المسجون» للشيخ الأكبر قدّس الله سرّه قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «إنّ أدنى أهل الجنّة منزلة لمن ينظر إلى جنّاته وأزواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف عام، وأكرمهم على الله تعالى من ينظر إلى وجهه بكرة وعشيّة»[1].

اعلم أنّ المتأمّل لهذا الحديث من المؤمنين به لا يرضي أبداً أن يكون أدنى وهو يقدر على أن يكون أكرم. وتحقيق ذلك إنّما هو هناك مبنيّ على ما هو هنا. فمن كان من المؤمنين ههنا نظره إلى جنّاته وأزواجه ونعيمه وغير ذلك؛ فهو هناك كذلك. ومن كان قلبه مع الله تعالى، وهو دائم النظر إليه، معتمداً رضاه فيما فرض عليه، فهو أيضاً هنالك على مثل ذلك. فاختر لنفسك ما شئت فستردّ إلى ما رضيت، أو تهوي إلى ما هويت:

يا ممتحناً بكلّ ما بين يديه ... والأمر منه الآمر قد ردّ إليه

مهما كسبت يداه في عالمه ... هذا فهناك يرجع الكسب عليه

وقوله (وحفظي): معطوف على لفظي وحظّي أو لحظي، أي: محافظتي ومداومتي. قال في المصباح: «حَفِظْتُ المالَ وغيرَهُ حِفْظاً إذا: منعته الضَّياع والتَلف، وحَفِظْتُهُ: صُنْتُهُ عن الابتذال، واحتفظت به. والمعنى: إنّي لفظت وألقيت وتركت محافظتي (للأحوال): جمع حال من حَالَ الشيءُ حَوْلاً من باب قال: إذا مضى، ومنه للعام: حَوْل وإن لم يمضِ؛ لأنّه سيكون ماضياً، تسمية بالمصدر، كذا في المصباح. وسمّي الحال لتحوّله وعدم بقائه على صاحبه، فإنّ بقي عليه ورسخ

(١) أخرجه أحمد في المسند، مسند عبد الله بن عمر، ٥٤٤١.

فيه فهو مقام، وأصل المقامات أحوال، كالزهد، والتوكّل، والصبر، والشكر من الأعمال القلبيّة. وقوله (من شَيْنِ زِيْنَةِ) متعلّق بحفظي، والشَّيْن، بفتح الشين المعجمة: مصدر شانه شَيْنَاً من باب عابه، والشَّيْن خلاف الزَّين، كذا في المصباح. (والزينة) بكسر الزاي وسكون الياء التحتيّة وبالنون والهاء، قال في المصباح: «زَانَ الشيءُ صاحبَه زَيْنَاً من باب سار. والاسم الزِينَة. والمعنى: تركت حفظ أحوالي من عيب تزيّن نفسي، ولمّا التفت إليّ افتخار نفسي وتكبّرها بما يصدر عنها من الأحوال الحسنة، زيَّنتُها بذلك لرجوع جميع ما يصدر من نفسي وما هي متّصفة به إلى ربّها، قال تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ [١١/هود/١٢٣] ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [٢/البقرة/ ٢٤٥] ﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ [٢٩/العنكبوت/ ٢١].

وقال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه في كتابه شرح الوصايا اليوسفيّة: «وإن كبرت عند العارف نفسه فليس ذلك الكبر بمذموم وإنّما هو/[٢١١/ب] بمشاهدة حقيقة كونها على صورة منشئها؛ فالكبرياء لله لا لها، فإنّ صغرت في هذه الحالة عنده، أو صغَّرها بنظره عند نفسها فقد صغَّرَ الحقّ، وألقاها في بحر الجهل بنفسها، وأخرجها عن معرفتها به. ومَنْ خرج عن معرفة نفسه، فقد خرج عن معرفة ربّه؛ فالعلماء تشهد نفوسهم ذات كبرياء وعظمة. والمريد يشهدها صاغرة ذليلة، فإنْ صَغُرَتْ عند العالم كان نقصاً في حقِّه، ولم يكن عالماً، وعاد ذلك الصِغَرُ على ربّه فأساء الأدب، فاستوجب الطرد. وإنْ كبرت عند المريد نفسه فليس بمريد، بل هو من العوام.

٤٤٧ - وَوَعْظِي بِصِدْقِ الْعَزْمِ(١) إِلْغَاءَ مُخْلِصٍ وَلَفْظِي اعْتِبَارَ اللَّفْظِ فِي كُلِّ قِسْمَةِ

(ووعظي): معطوف على لفظي وحظّي ولحظي أو حفظي. والوَعْظ مصدر وَعَظَهُ يَعِظُهُ وَعْظَاً وَعِظَةً: أمره بالطاعة ووصاه بها. وقال بعض المتقدِّمين:

(١) في (ق): القصد.

«الوعظ تذكير مشتمل على زجر، وتخويف، وحمل على طاعة الله بلفظ يرقّ له القلب، كذا في المصباح. والمعنى لفظت، وألقيت، وتركت وعظي لعباد الله تعالى الصادر منّي . (**بصدق العزم**): أي بعزمي الصادق. والعزم: الجدّ والاجتهاد. و(**صدق العزم**): مطابقته للواقع بالإخلاص لله تعالى من غير شائبة حظ النفس وغرضها. وقوله (**إلغاء**): منصوب على أنه مصدر مؤكّد لقوله (**لفظت**) فيما سبق. بمعنى: ألقيت وتركت. يعني لفظت جميع ذلك، وهو لفظي وحظّي ولحظي وحفظي ووعظي إلغاء كما تقول: قمت وقوفاً، وقعدت جلوساً. وهو مصدر منصوب بالفعل على اعتبار معناه دون لفظه تأكيداً له. وقوله (**مخلص**): مضاف إليه. والمعنى ألغيت جميع ذلك مع صدوره منّي على أتمّ الوجوه إلغاء رجل مخلص لا ينظر إلى عمله لاشتغاله بشهود المعمول له، وهو الحقّ تعالى وحده؛ على معنى الاتّحاد الحقيقيّ الذي يشير إليه الناظم في كلامه، كما مرّ بيانه مراراً. وقال في المصباح: «أَلْغَيْتُهُ: أَبْطَلْتُهَ، وألغيته من العدد: أسقطته». و(**المخلص**): الصافي من كدر النفس ودعاويها. من خَلَصَ الماءُ من الكدر: صفا». وقوله (**ولفظي**): معطوف أيضاً على لفظي الأوّل في البيت السابق، وما عطف عليه، أو على وعظي، أي: لفظت وألغيت وتركت أيضاً تلفّظي هذا المذكور. وقوله (**اعتبار اللفظ**): بدل من لفظي، أي: اعتبار هذا اللفظ. وقوله (**في كلّ قسمة**): متعلّق باللفظ أو باعتبار، سواء كانت القسمة في هذا التقسيم المذكور للأقوال، والأفعال، والأعمال، والأحوال، وصدق العزم، أو غير ذلك. والمراد نفي الاثنينيّة عن الحقّ تعالى مطلقاً؛ لحصول صفاء التوحيد من كدر الأوهام، كما قال القائل:

لقد كنت حيناً قبل أن يكشف الغطا ... أظنّ بأنّي ذاكر لك شاكر

فلمّا أضاء الفجر أصبحت شاهداً ... بأنّك مذكور وذكرك ذاكر

ولنا من هذا القبيل :

هو المشكور والشاكر ... هو المذكور والذاكر

هو الأمر الذي قد أنـْ كروا والنكر والناكر
معان كلّها فيه فقم لرياضها باكر
وأطلق ذاته فيها وحاذر عقلك الحاكر

وقولنا أيضاً:

أنت هو اللفظ واللافظ واللفظ والملحوظ واللاحظ
واللحظ والمعلوم والعلم والعالم والحفظ والمحفوظ والحافظ
وكلّ ما يدرك بالعقل والـ عقل ومن يغتاظ والغائظ
/[٢١١/أ] والحسّ والمحسوس والوهم والـ موهوم بل والوعظ والواعظ
مراتب قام وجود بها حقّ على تغييرها واقظ
وهو وجود مطلق ثابت قد حار فيه السعد والجاحظ.

٤٤٨- فَقَلْبِيَ بَيْتٌ فِيْهِ أَسْكُنُ دُوْنَهُ ظُهُورُ صِفَاتِي عَنْهُ مِنْ حُجَبِيَّتِي

يعني: إذا لفظتُ عنِّي جميع ما ذكرت من: أقوالي وأفعالي وأحوالي، وفنيتْ ذاتيّ عنِّي بالكلّيّة، وبقي الحقّ تعالى وحده ظاهراً بجميع ما ذكرت، والعوالم كلّها صور تجلِّياته بأسمائه وصفاته؛ فقلبي بيت من جملة بيوته، وأنانيَّتي ظهور أنانيّته. وقوله **(فيه)**: أي في ذلك البيت. **(أَسكن)**: أي تسكن أنانيِّتي التي ظهور أنانيّته متجلِّية بي. وقوله **(دونه)**: أي دون ذلك البيت الذي هو قلبي. ودون: ظرف مبني على الفتح ومعناه أقرب من ذلك، قال في المصباح: «هو دون ذلك على الظرف، أي: أقرب منه» وهو خبر مقدّم. وقوله **(ظهور صفاتي)**: مبتدأ مؤخر. **وصفاته**: هي حياته، وعلمه، وسمعه، وبصره، وإرادته، وقدرته، وكلامه. وغير ذلك من صفات أفعاله، وكلّها ظاهرة دون مقام قلبه. وقوله **(عنه)**: أي عن ذلك البيت الذي هو قلبي، على معنى أنّها ناشئة عن توجّهات من توجّهاته. وقوله (من

حجبيّتي): أي من جملة ما احتجبت به عنه؛ فبيت قلبي محتجب عنّي باعتبار ذاتي المطلقة بالإطلاق الحقيقيّ التي لا تدخل تحت مرتبة العلم الإلهيّ، واحتجابه عنّي بظهور صفاته التي هي عينه؛ من حيث هو، وغيره من حيث ما يظهر عنها من الآثار؛ فصفاته التي هي الحجب النورانيّة، وآثارها هي الحجب الظلمانيّة، كما ورد: «إنّ لله سبعين حجاباً من نور وظلمة. لو كشفها لأحرقت سبحات نور وجهه ما أدركه بصر من خلقه»[1]. الحديث.

٤٤٩ - وَمِنْهَا يَمِيْنِي فِيَّ رُكْنٌ مُقَبَّلٌ وَمِنْ قِبْلَتِي لِلْحُكْمِ فِيْ فِيَّ قُبْلَتِي

(ومنها): أي من جملة صفاتي الظاهرة (يميني): أي يدي اليمين التي أبايع بها مَنْ أريد من المريدين. وقوله (فيّ): بتشديد الياء التحتيّة، أي: في جملة بنيان جسدي المستور بأثوابي كما سُتِرت الكعبة بالأستار شرعاً. وقوله (ركن): قال في المصباح: «رُكْنُ الشيءِ: جانبه»؛ وهو ركن الحجر الأسود. وقوله (مُقَبَّلٌ): صفة ركن باعتبار الحجر الأسود الذي يُقَبِّلُه كلُّ مَنْ يطوف بي حساً أو معنىً من أتباعي، والمعتقدين فيَّ حُسْنَ أحوالي من الناس. ولمّا كان الركن اليماني مقابلاً لركن الحجر الأسود، وهو منه ورد تقبيله أيضاً في الطواف كما ذكر والدي في شرحه على شرح الدرر. قال: «ونُدِب استلام الركن اليمانيّ». وعن محمّد بن الحسن

---

(١) قال الزين العراقيّ في تخريج أحاديث الإحياء١ / ٢٤٠: حديث «إنّ لله سبعين حجاباً من نور، لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصر». أخرجه أبو الشيخ ابن حبّان في كتابه «العظمة»، من حديث أبي هريرة: «بين الله والملائكة الذين حول العرش سبعون حجاباً من نور». وإسناده ضعيف. وفيه أيضاً من حديث لأنس قال: «قال: رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لجبريل: هل ترى ربّك؟. قال: إنّ بيني وبينه سبعين حجاباً من نور». وفي الطبرانيّ: «من حديث سهل بن سعد ـ دون الله تعالى ألف حجاب من نور وظلمة ـ». ولمسلم من حديث أبي موسى: «حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصر من خلقه». ولابن ماجه: «شيء أدركه بصر».

الشيباني[1] أنّه سُنَّة. وحديث الدار قطني عن ابن عمر رضي الله عنهما: «كان عليه الصلاة والسلام يقبّل الركن اليمانيّ، ويضع يده عليه»[2] وأخرجه عن ابن عبّاس رضي الله عنهما أيضاً. وقال: «ويضع خدّه عليه» . وعن ابن عمر رضي الله عنهما «كان عليه الصلاة والسلام لا يدع أن يستلم الحجر والركن اليمانيّ في كلّ طواف»[3] رواه أحمد وأبو داوود «ولا يستلم غيرهما».انتهى. ولهذا قال الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربيّ قدّس الله سرّه في جملة أبيات له:

يمين المؤمن الركن اليمانيّ ... أقبّلها لأحظى بالأماني

يمين مالها حجب تعالت ... عن الحجبات والحجب المثاني

آمنت بلثمها من كلّ سوء ... يقرّبني إلى دار الهواني

وقوله (ومن قِبلتي): بكسر القاف. وسمِّيت قِبلة لأنّ المصلِّي يقابلها. وكلّ شيء جعلته تلقاء وجهك فقد استقبلته وواجهته، كذا في المصباح. وقوله (للحكم): أي لأجل القيام بحكم الله تعالى، وهو القيام بالشريعة المحمّديّة والعمل بها. وقوله (في): حرف جر/[٢١٢/ب] وقوله (فيّ): بتشديد الياء التحتيّة، أي: في فمي، والأصل فم، وإذا أضيف إلى غير ياء المتكلّم حذفت الميم وعوض عنها واو رفعاً وألف نصباً وياء جراً. وربّما أعرب بالحروف بدون إضافة على قلّة، حكاه ابن السكّيت. فيقال هو الفو، ورأيت الفا، ونظرت إلى الفي. وإن

---

(١) ولد بواسط ونشأ بالكوفة، عاش٥٧ سنة، سمع من أبي حنيفة ومالك بن مغول، وطائفة. وكان من أذكياء العالم. قال أبو عبيد: ما رأيت أعلم بكتاب الله منه. وقال الشافعي: لو أشاء أن أقول تنزّل القرآن بلغة محمّد بن الحسن لقلت؛ لفصاحته. وقد حملت عنه وقر بختي. لمّا توفي هو والكسائي سنة ١٩٢هـ قال الرشيد: دفنا الفقه والنحو بالريّ. انظر «العبر في خبر من غبر» ١/ ٥٦ للذهبي.

(٢) أخرجه الدار قطني في سننه، كتاب الحجّ، ٢٧٧٦، عن ابن عباس. قال الشوكانيّ في فتح القدير: في الدار قطنيّ عن ابن عمر، انظر فتح القدير، باب: الإحرام، ٥/ ١٢٢.

(٣) أخرجه أحمد في المسند، مسند عبد الله بن عمر، ٤٧٨٩.

أضيف إلى ياء المتكلّم قيل فيّ وفمي. وقوله (قُبْلَتِي): بضمّ القاف، قال في المصباح: «القُبْلَة: اسم من قَبَّلْتُ الشيءَ تقبيلاً، والجمع: قُبَل، مثل غُرْفَة وغُرَف: والمعنى: إنِّي أُقبِّل، وأَلْثُمُ، والتمس الحجر الأسود بها والركن اليمانيّ من الكعبة التي هي قِبلتي في صلاتي إذا طفت بالكعبة في الحجّ الظاهر إقامة لأحكام الله تعالى؛ فلا أترك شيئاً من أحكام الشريعة المحمّديّة لاعترافي بالتكليف ظاهراً، وإيماني بذلك، واعتقادي له كأحوال المكلّفين من الغافلين الجاهلين بالله تعالى، مع معرفتي بالله تعالى، وتحقيقي بالكشف الذوقيّ عن يقين وإذعان، ولا أهمل شيئاً من ذلك، ولا أتهاون فيه، فإنّ الشريعة المحمّديّة الظاهرة هي الحقيقة الأحمديّة الباطنة، كما صرّح بذلك أهل الكمال من المحقِّقين العارفين من الرجال، كما ذكر الشيخ عبد الرؤوف المناويّ في كتابه طبقات الأولياء. قال: «ومن وصايا الشيخ العارف المحقّق عبد الحقّ بن سبعين قدّس الله سرّه إلى تلامذته وأتباعه: عليكم بالاستقامة على الطريق. وقدّموا فرض الشريعة على الحقيقة. ولا تفرقوا بينهما؛ فإنّهما من الأسماء المترادفة. واكفروا بالحقيقة التي في زمانكم هذا. وقولوا عليها وعلى أهلها اللعنة». وذكر أيضاً في ترجمة العارف الكامل المحقّق الشيخ إبراهيم الدسوقي قدّس الله سرّه قال: «عليك بالوحدة، فإنّك في القرن السابع الذين أكثرهم يجعل الحقيقة مخالفة للشريعة. ويقولون: باب العطاء أغلق حتى رأوا باب العطاء أُغلق دونهم. وما علموا أنّ لله عباداً أفاض عليهم من جوده ما لا عين رأت من علوم ومعارف وأسرار.

٤٥٠- وَحَوْلِيَ بِالمَعْنى طَوَافِي حَقِيْقَةً وسَعْيِي لِوَجْهِي مِنْ صَفَائِي لِمَرْوَتِي

(حو لي): أي حول نشأتي الإنسانيّة، وهي الجهات المحيطة بها، وهو خبر مقدّم لقوله (طوافي): قُدّم للحصر. قال في المصباح: «وقعدنا حولَه، بنصب اللام على الظرف، أي: في الجهات المحيطة به، حواليه بمعناه». وقوله (بالمعنى): أي بالأمر المعنويّ لا بالأمر الحسّي. وقوله (طوافي): أي دوراني قال في المصباح: «طاف

بالشيء يطوف طَوْفَاً وطَوَافَاً اسْتَدَارَ بِه». وقوله (**حقيقة**): أي إنّما أطُوف حول ذاتيّ في حقيقة الأمر لا في مجازه. وقوله (**وسعيي**): قال في المصباح: «سعى في مشيه: هرول». وقوله (**لوجهي**): أي لذاتي. قال في المصباح: «الوجه: مستقبل كلّ شيء». وربّما عبّر بالوجه عن الذات». وقوله من (**صفائي**): أي روحانيّتي. (**لمروتي**): أي لجسمانيّتي، قال في المصباح: «الصفا مقصور: الحجارة، ويقال: الحجارة الملس، الواحدة صفاة، مثل: حصا وحصاة، ومنه: الصفا لموضع بمكّة». وقال: «المَرْوُ: الحجارة البيض، الواحدة مروة، وسُمّي بالواحدة الجبلُ المعروف بمكّة». فكان سعيه المذكور كناية عن كونه مرّة في شهود صفاه الروحانيّة، ومرّة في شهود مروته الجسمانيّة. وهو سعيه للتحقيق بذاته، وابتداء ذلك من الصفا، وهي روحانيّته لقوله تعالى: ﴿ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾ [٥/ المائدة/ ١٠٥] وقوله عليه السلام «ابدأ بنفسك»[١].

٤٥١- وَفِي حَرَمٍ مِنْ بَاطِنِي أَمْنُ ظَاهِرِي ... وَمِـنْ حَوْلَـهُ يُخْشَى تَخَطُّـفُ جِيْرَتِي

(**وفي حرم**): بالتحريك، وهو الممتنع، قال في المصباح: «حَرُمَتْ الصلاةُ من باب قَرُبَ/ [٢١٣/ أ] وتَعِبَ حَرَاماً وحُرْمَاً: امتنع فُعْلُها. والممنوع يسمّى حَرَاماً، تسميةً بالمصدر، وقد يُقصر فيقال: حرم مثل: زمان وزمن. والحُرْمَةُ: اسم من الاحترام مثل: الفُرْقَة من الافتراق، وإنّما أتى به نكرة للتعظيم». وقوله (**من باطني**): بيان للحَرَم، أي: كائن من باطني، وهو قلبه، وما اشتمل عليه من خفايا أسراره، وحنايا إضماره، لامتناعه عن إدراك الغير، والاطّلاع عليه. وقوله (**أَمْنُ**): خلاف الخوف. قال في المصباح: «أَمِنَ زيدٌ الأسدَ أَمْنَاً، وأَمِنَ منه، مثلُ: سَلِمَ منه، وزناً ومعنى. والأصل أن يستعملَ في سكون القلب». وقوله (**ظاهري**): أي

---

(١) قطعة من حديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الزكاة، باب: الابتداء في النفقة بالنفس ثمّ أهله، ثمّ القرابة، ٢٣٦٠.

ظاهر جسدي كلّه، قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ [٢٩/ العنكبوت/ ٦٧] ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ [١٦/ النحل/ ٧٢] وهذا هو الحَرَمُ الآمِن المجهول بطريق الإشارة، فإنّه بالباطل يحفظ الظاهر، وبحسن النيّة تحسن الأعمال. وقوله (**ومن حوله**): أي حول ذلك الحرم، أي: من استدارته، ومن جهاته المحيطة به. وقوله (**يُخشى**): بالبناء للمفعول، أي: يخاف من غيره لا منه؛ لأنّه حرم آمن لا يخاف منه؛ لأنّه مسلم، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، فلا يوذي أحداً، ولا يؤذيه أحد. وقوله: تخطّف نائب الفاعل، وهو مصدر تخطّفه بالتشديد. قال في المصباح: «خَطِفَهُ يَخْطَفُهُ من باب تَعِبَ: اسْتَلَبَه بسرعة، وخَطَفَ خَطْفاً من باب ضَرَب لغة، واخْتَطَفَ مثلُهُ. وقوله (**جيرتي**): بكسر الجيم، جمع جار: وهو الحليف، والمجاور في السكن. يعني: إنّما يخشى ويخاف أنْ يستلب الشيطان، ويختطف بوساوسه لمن حوله من الأتباع والأصحاب إذا لم يدخلوا في حرمة الأمن بالإيمان، والإذعان له، والتسليم لأحواله.

٤٥٢ - وَنَفْسِي بِصَوْمِي عَنْ سِوَايَ تَفَرُّدَاً   زَكَتْ وَبِفَضْلِ الفَيْضِ[١] عَنِّيَ زَكَّتِ

(**ونفسي بصومي**): أي بسبب إمساكي، قال في المصباح: «الصوم: الإمساك عن الطعام. وصام الفرس صَوْمَاً، أي: قام على غير اعتلاف». وقوله (**عن سواي**): أي عن غيري. يعني: عن سوى الحقّ تعالى، لأنّه تعالى قائم على نفسي بما كسبت، والنفس أثر من آثاره، ينسب إليها عند غيره كلّ ما هو صادر منه؛ فإمساكه عن كلّ شيء حتى عن نفسه. وقوله (**تفرّداً**): أي من جهة تفرّد الحقّ تعالى بالوجود والتأثير في الملك والملكوت. وقوله (**زَكَتْ**) يعني: نفسي، أي: طَهُرَتْ وتخلصّت عن نجاسة الأغيار والأوهام. فإذا طهرت اتصلت بصلاة الوَصْلَة بينها وبين الحقّ تعالى، كما قال سبحانه: ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾ [٥٦/ الواقعة/ ٧٩] يعني:

---

(١) في (ق): وبفيض الفضل.

القرآن الذي هو كلام الله تعالى، وكلامه هو متكلّماً، لأنّ كلامه تعالى ليس بحروف ولا أصوات، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌ ۝٢٠ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [٨٥/ البروج/ ٢] فهو في الغيب صفة قائمة بالموصوف الحقّ، متعلّقة بإيجاد الحوادث، وهو قوله: ﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [٨٥/ البروج/ ٧٩] والحوادث لا وجود لها سواه، وهذا معنى الطهارة، ومعنى المسّ المذكور. وقوله (**وبفضل**): أي زيادة، متعلّق بزكَّتِ المشدّد في آخر البيت، قدّم للحصر، والاهتمام، قال في الصحاح: «الفضل خلاف النقص». وقوله (**الفيض**): أي العطاء الكثير الإلهيّ من العلوم والمعارف وغيرها. وقوله (**عنِّي**) متعلّق بزكّت، أي: بالنقل عنّي، ورواية المريدين ذلك. وقوله (زكّتِ): بتشديد الكاف: أي طهرت غيري وأرشدته إلى طريق الحقّ وأوصلته إلى مقامات القرب، وكسر التاء للقافية.

٤٥٣- وَشَفْعُ وُجُودِي فِي شُهُودِيَ ظَلَّ فِي اتْـ ـــتِحَادِيَ وِتْــرَاً فِي تَــيَقُّظِ غَفْــوَتِي

(وشَفْعُ): أي زوج، قال في الصحاح: «الشَفْعُ خِلَافُ الوِتْر، وهو الزَّوْج، تقول: كان وِتْراً فَشَفَّعْتُهُ شَفْعاً». وقوله (**وجودي**): يعني وجودي الحادث لي الذي أنا قائم /[١١٣/ ب] به جعل وجود الحقّ تعالى القديم شفعاً. وقوله (**في شهودي**): أي في حال مشاهدتي لوجود الحقّ تعالى القديم. وقوله (**ظلّ**): أي صار، وأصله ظَلَلَ فَخُفِّفَ، قال في الصحاح: «ظَلِلْتُ أعمل كذا بالكسر، ظُلُولاً: إذا عمِلْته بالنهار دون الليل. ومنه قوله تعالى: ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ [٥٦/ الواقعة/ ٦٥] وهو من شواذ التخفيف. وإنّما قال: ظَلَّ، ولم يقل صار لاختصاص ظلّ بعمل النهار حيث أنّ ذلك الأمر مكشوف له. وقوله (**وتراً**): خبر ظلّ. والوِتر بالكسر: الفَرْدُ. كذا في الصحاح وهو خلاف الزَوج والشفع. يعني: وجودي، ووجود الحقّ تعالى شفع في مقام الفَرْق. وقوله (**في اتّحادي**): أي في مقام الاتّحاد الحقيقيّ بانكشاف الأمر. إنّ الحقّ تعالى هو الوجود الحقّ الحقيقيّ الصرف، وإنّي أنا

المعدوم الفاني، المعلوم للحقّ تعالى في الأزل، المقدّر بتقديره، المراد بإرادته على ما أنا عليه من العدم الأصلي. والحقّ تعالى على ما هو عليه من وجوده القديم، العالم بي، المقدّر لي، المريد لجميع أحوالي وأموري الظاهرة والباطنة. فلا وجود إلّا للوجود الحقّ تعالى وحده، والعالم كلّه على ما هو عليه من عدمه الأصلي؛ فهو العدم المقدّر، المتجلّي به الوجود الحقّ تعالى على العدم المقدّر. وهذا الاتّحاد هو ثالث رتبة؛ فهي الوِتر ثلاث مراتب: مرتبة الوجود الحقّ. ومرتبة الوجود والعبد. ومرتبة الاتّحاد؛ وهي مرتبة التجلّي المذكور، وهي الجامعة بين المرتبتين؛ لأنّها مجموعهما، لأنّه تعالى ليس ذاتاً مجرّدة عن الأسماء والصفات كما تزعم حكماء الفلاسفة وغيرهم ممن نفى الصفات وأثبت الذات المجرّدة، وسمَّوْها علّة العلل؛ بل هو تعالى عند أهل الحقّ ذات موصوفة بالصفات، مسمّاة بالأسماء. وصفاته وأسماؤه ليست معطّلة عن الآثار أزلاً وأبداً. والآثار عدميّة معلومة له تعالى مقدّرة مرادة. والوجود الحقّ سبحانه ليس غيره وجود أصلاً، وهو متجلٍّ مكشوف من وراء حجب آثارها العدميّة المعلومة المقدّرة المرادة أزلاً على هذا الترتيب الذي هي عليه من الأزل إلى الأبد. وهذا الترتيب هو معنى حدوثها، وذاته تعالى الوجود الصرف الواحد الأحد، هو وصفاته وأسماؤه قديم أزليّ، أبديّ، لا يتغيّر، ولا يتبدّل فيتحصّل من هذا أنّ الحقّ تعالى هو مجموع ذلك كلّه: ذات، وصفات، وأسماء، قديم، أزليّ، وآثار عدميّة، حادثة بالترتيب الذي بيّنها المقدّر أزلاً وأبداً، دنيا وآخرة وبرزخاً، قال العفيف التلمسانيّ قدّس الله سرّه:

منعتها الصفات والأسماء أن ترى دون برقع أسماء

وقوله (في تيقّظ غفوتي): أي في حالة تيقّظي من غفوتي، قال في الصحاح: «أَيْقَظْتُهُ من نَوْمِه، أي: نبّهْتُه فتيقّظ، واسْتَيْقَظ فهو يَقْظَان، والاسم اليَقَظَة. و(الغفوة): مِنْ أَغْفَيْتُ إغْفَاء: نِمْتُ، قال ابن السكّيت: «ولا تقل: غَفَوْتُ»، كذا في الصحاح.

٤٥٤ - وَإِسْرَاءُ سِرِّي عَنْ خُصُوصِ حَقِيْقَةٍ إِلَيَّ كَسَيْرِي فِي عُمُوْمِ الشَّرِيْعَةِ

(وإسراء): مصدر أسرى. قال في الصحاح: «سَرَيْتُ: إذا سِرْت لَيلاً. وبالألف لغة أهل الحجاز، وجاء القرآن بهما جميعاً». وقوله (سِرِّي): أي ما يُسِرُّه ويخفيه قلبي من حقيقة روحي الأمريّة. قال في الصحاح: «السِّرُّ: ما يُكْتَم، والجمع الأسرار، والسريرة مثله، والجمع السرائر» قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ [٨٦/ الطارق/ ٩] وقوله (عن خصوص): أي توجّه قلبي كائن عن (خصوص حقيقة): أي مخصوصة. وهي حقيقة الوجود الحقّ، المتعالي عن الكيف والكم ونحوهما من الممكنات. وقوله (إليّ): بتشديد الياء التحتيّة، متعلّق بإسراء. يعني واصلاً إليّ من حضرة الغيب المطلق، لا منقطعاً عنه، قائماً بنفسه. وقوله /[٢١٣/ أ] (كسيري): أي مشيي وسعيي.

وقوله (في عموم الشريعة): أي في أحكام الشريعة العامّة الشاملة للأعمال، البدنيّة والأعمال النفسيّة. يعني: هذا الإسراء، وهذا السير في باطني وظاهري، إنّما هو بالإرادة والاختيار من غير جبر ولا اضطرار، فإنّه بإرادة الواحد القهّار، التي لا إرادة في الحقيقة إلا إرادته، وهي مشيئته القديمة المقدّرة لكلّ مشيئة حادثة، قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [٧٦/الإنسان/ ٣٠]. والمعنى بذلك: تقرير الاتّحاد الحقيقيّ؛ إنّه لا إرادة له، ولا مشيئة غير الإرادة الإلهيّة، والمشيئة الربّانيةّ. وكذلك القدرة والعلم. وكذلك بقية الصفات والأسماء على إرادة أنّ كلّ ذلك صفات وأسماء عدميّة مقدّرة بصفات وأسماء وجوديّة قائمة بالوجود الحقّ الواحد الأحد.

٤٥٥ - وَلَمْ أَلْهُ بِالْلَاهُوْتِ عَنْ حُكْمِ مَظْهَرِي وَلَمْ أَنْسَ بِالنَاسُوْتِ مَظْهَرَ حِكْمَتِي

(ولم أَلْهُ): بضمّ الهاء وبفتحها، فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف الواو، فإنّ أصله أَلْهُو، من: لَهَا يلهو قال في الصحاح: «لَهَوْتُ بالشيء أَلْهُو لَهْواً: إذا لَعِبتَ به ـ والضمّة باقية على الهاء لتدلّ على الواو المحذوفة، أو علامة جزمه

حذف الألف، فإنّ أصله ـ أَلْهَى من لِهِيت عن الشيء بالكسر: أَلْهَى لِهِيّاً ولُهْيَاناً: إذا سلوت عنه، وتركت ذكره، وأضربت عنه. وألْهَاه: أي شغله، كذا في الصحاح. فالفتحة باقية على أَلْهَى لتدلّ على الألف المحذوفة. وقوله (**باللاهوت**): متعلّق بـ ألهو. و(اللاهوت): هو عالم الأرواح الأمريّة، من لاه يليه ليهاً: احتجب لاحتجاب الروحانيّة الجسمانيّة، أي: لم يقع منّي لهو ولعب بعالم لاهوتي وروحانيّة قلبي المنبعثة عن أمر الله تعالى، أو لم يقع منِّي ترك وإعراض واشتغال بسبب ذلك؛ بل كلّ باطني جدّ وتحقّق بأسرار العرفان، وأنوار الإيمان والإذعان.

وقوله (**عن حكم مظهري**) بفتح الميم: أي موضوع ظهوري، وهي صورتي الجسمانيّة الظاهرة، فإنّ لها أحكاماً شرعيّة، وتكاليف إلهيّة، كلّفني الله تعالى بها، فلم أشتغل بما في باطني عن حكم ظاهري. وقوله (**ولم أنسَ**): بحذف الألف وفتح السين المهملة دليل عليها، قال في الصحاح: «النِسيان: الترك، بكسر النون، خلاف الذِكْر والحِفْظ ، وقد نَسِيْتُ الشيءَ نِسْيَاناً، والنِسْيان: الترك، قال عزّ وجلّ: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [٩/ التوبة/ ٦٧]. وقوله (**بالناسوت**): وهو عالم الأجسام الإنسانيّة، مِنْ: نَاسَ يَنُوسُ نوَاسَاً: تحرّكَ لتحرّكِ الجسمانيّة بالروحانيّة، أي: لم أترك بسبب اشتغالي بالقيام بأحكام جسمي وشرائع تكليفي. وقوله (**مَظهر**): بفتح الميم، أي: موضع ظهور. (**حِكْمَتِي**): بكسر الحاء المهملة وسكون الكاف. والحكمةُ: العلمُ الإلهيّ والحلم، وموضع ظهور ذلك، هو الروح الأمري، والقلب الربّانيّ. ومعناه: إنِّي لم أشتغل بأعمالي الظاهرة عن أسراري الباطنة، كما أنّي لم أشتغل بأسراري الباطنة عن أعمالي الظاهرة كما قالوا: «الكامل من لا يُطفِئ نورُ معرفته نورَ ورعه».

٤٥٦ - فَعَنِّي عَلَى النَفْسِ العُقُوْدُ تَحَكَّمَتْ   وَمِنِّي عَلَى الْحِسِّ الحُدُوْدُ أُقِيْمَتِ

(**فعنِّي**): أي عن حقيقتي التي أنا بها أنا، وهي الوجود الحقّ المجرّد عن كلّ شيء. وقوله (**عن النفس**): أي على نفسي الإنسانيّة. وقوله (**العُقُودُ**): جمع عَقْد،

وهو عَهْدُ المبايعة في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٧٢] وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَـٰمِ﴾ [٥/ المائدة/ ١] أي: نفوسكم انحلّت لكم من قيود علائقها البشريّة وعوائقها الطبيعيّة. وسبب ذلك وفاؤكم بعهود الربوبيّة. قال في القاموس: «أَحَلَّ من ميثاق كان عليه». وهذه إشارة الآية لا عبارتها. وقوله (تحكمّت): بتشديد الكاف/ [٢١٤/ ب] أي: حَكَمَتْ وألزمت على وجه المبالغة. وقوله (ومِنّي): أي من جهة حقيقتي المذكورة. وقوله (على الحسّ): أي إدراك الحواس الخمس: السمع والبصر والذوق والشمّ واللمس. يعني: على ظاهر صورتي المحسوسة. وقوله (الحدود): أي المقادير الشرعيّة التي كلّفني الله تعالى بإقامتها. وقوله (أُقيمتِ): بالبناء للمفعول، وكسر التاء للقافية. والمعنى: من طرف الحقيقة الإلهيّة المستولية عليَّ ظاهراً وباطناً بإسلامي لها، وإيماني بها هي موفية عنّي بعهود ربوبيّتها باطناً، وبأحكام شريعتها ظاهراً، كما قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [١٣/ الرعد/ ٣٣] فهو يعبد ربّه بربّه لا بنفسه.

٤٥٧- وَقَدْ جَاءَنِي مِنِّي رَسُوْلٌ عَلَيْهِ مَا   عَنِتُّ عَزِيْزٌ بِي حَرِيْصٌ لِرَأْفَتِي

(وقد): الواو للحال. والجملة في محل نصب حال من ياء المتكلّم في البيت قبله. وذلك إشارة إلى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [٩/ التوبة/ ١٢٨]. وقوله (جاءني): أي من حيث صورتي البشريّة الإنسانيّة. وقوله (منّي): أي من حيث حقيقتي الوجوديّة الأمريّة الإلهيّة، كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ﴾ [٦٥/ الطلاق/ ٥] على معنى أنّه حقيقتكم التي أنتم بها أنتم. وقوله (رسول): فاعل جاءني، وهو نور محمّد صلّى الله عليه وسلّم الذي أوّل ما خلقه الله تعالى، ثمّ خلق منه كلّ شيء على ما ورد في الحديث. وقد يراد به العقل

النورانيّ المقبل، وهو لا شك كما قال (عليه): أي ذلك الرسول. (ما عنتٌّ): أي الأمر الذي يشقّني ويتعبني. قال في المصباح: «العَنَتُ: المشقّة، يقال: أَكَمَةٌ عَنُوْتٌ، أي: شاقّة. وتَعَنَّتَهُ: أدخل عليه الأذى، وأعْنَتَهُ: أوقعه في العَنَت، وفيما يشقّ عليه تحمّله». قال في الصحاح: «العَنْتُ: الإثم، وقد عَنِتَ الرجل، والعَنَت أيضاً: الوقوع في أمر شاقّ، وقد عَنِتَ وَأَعْنَتَهُ غيره». وقال في القاموس: «العَنَتُ محرّكة: الهلاك ، ودخول المشقّة على الإنسان، ولقاء الشدَّة، وما يصعب عليه أداؤه».

وقوله (عزيز): يعني عزيز عليه ما عَنِتَ، قال في المصباح: «عَزَّ عليَّ أنْ تفعل كذا يَعِزُّ ـ من باب ضرب ـ أي: اشتدَّ كناية عن الأنفة عنه. وقال في الصحاح: «عَزّ عليّ أن تفعل كذا، وعَزَّ عليّ ذاك أي: حَقَّ واشْتَدَّ». وقوله (بي حريص): أي حافظ، مجتهد، على أبلغ وجه، قال الراغب: «الحرص فرط الشَرَه، وفرط الإرادة، قال تعالى: ﴿ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ ﴾ [١٦/ النحل/ ٣٧] أي: تُفرط إرادتك في هدايتهم، وأصل ذلك من حَرَصَ القَصَّارُ الثوبَ، أي: قَشَّره بدّقة.

وقوله (لِرَأْفَةِ): أي لكمال رأفته عليّ، قال الراغب: «الرأفة: الرَحمة، وقد رَؤُفَ: فهو رَؤوف». والرسول المذكور هو الروح الكلّي المدّبر للأرواح الجزئيّة المربيّة للنفس الطبيعيّة المتصرّفة في البدن. وقال الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي قدّس الله سرّه في كتابه شرح الوصايا اليوسفيّة: «ولا شكّ أنّ الورثة إنّما هم هياكل لروحانيّة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فهو رسولٌ أبداً حيّاً وميّتاً، فمن يطع الشيخ فقد أطاع الرسول، فإنّه روح هيكله، ومن أطاع الرسول فقد أطاع الله ، فإنّه مجلاه، وحينئذ الرسول موضع ظهور الحقّ ثمّ يغني عن الرسول لقوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [٤/ النساء/ ٨٠] فيكون نظرك في الرسول، فيغيب الرسول، فيبقى الحقّ، فكما يبقى الحقّ في مغيب الرسول بالنص كذلك يبقى الحقّ في مغيب الشيخ عن بصيرتك، ويبقى الحقّ إذ هو المتكلّم من الرسول».

(فحكمي): الفاء للتفريع على ما تقدّم. و(الحكم): القضاء، وأصله المنع، يقال: حكمت عليه بكذا: إذا مَنَعْتُهُ من خلافه؛ فلم يقدر على الخروج من ذلك، كذا في المصباح. أي: الحكم الشرعيّ الصادر من الحقّ تعالى عليّ بوساطة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. وقوله (من نفسي) أي: إنّما هو صادر من حقيقة نفسي، أي: روحيّ المنفوخة في بدني بأمر الله تعالى كما قال سبحانه: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ /[٢١٥/أ] مِن رُّوحِي﴾ [١٥/الحجر/٢٩] لا من نفسي الطبيعيّة الحيوانيّة التي قال تعالى فيها: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [٢/آل عمران/١٨٥]. وقوله **(عليها)**: أي عن نفسي الطبيعيّة. وفيه استخدام بديعي باستعمال النفس أوّلاً في معنى، وإرجاع الضمير إليها بمعنى آخر. قال في المصباح: «والنفس أنثى إنْ أُريد بها الروح، قال تعالى: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [٤/النساء/١]. وإنْ أُريد الشخص فمذكّر». وقال في موضع آخر: «الروح والنفس واحد، غير أنّ العرب تُذكِّر الروح، وتؤنِّث النفس.

وقال بعضهم: الروح النفس، فإذا انقطع عن الحيوان فارقته الحياة. ومذهب أهل السنّة أنّ الروح هو النفس الناطقة المستعدّة للبيان، وفهم الخطاب، ولا تفنى بفناء الجسد، وأنّه جوهر لا عَرَض، ويشهد لهذا قوله تعالى: ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [٣/آل عمران/١٦٩]. والمراد هذه الأرواح». وقال الراغب: «الروح اسم للنفس؛ وذلك لكون النفس بعض الروح، فهو كتسمية النوع باسم الجنس، نحو تسمية الإنسان بالحيوان. وجُعِل اسماً للجزء الذي به تحصل الحياة والتحرّك واستجلاب المنافع واستدفاع المضار، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْـرِ رَبِّى ﴾ [١٧/الإسراء/٨٥]. وقوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [١٥/الحجر/٢٩]. وإضافته تعالى إلى نفسه إضافة ملك وتخصيص، بالإضافة تشريف له وتعظيم، كقوله تعالى: ﴿وَطَهِّـرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ﴾ [٢٢/الحج/٢٦] و﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟﴾ [٣٩/الزمر/٥٣]. وقوله **(قَضَيْتُهُ)** يقال: قضيت بين الخصمين وعليهما: حَكَمْتُ، كذا في المصباح. وقوله **(ولما**

تولّتِ): يعني نفسي الروحيّة الأمريّة، أي: تقلّدت. يقال: تولّى العمل، أي: تقلّده، وولّاهُ الأمير عمل كذا. وولّاه بيع الشيء. وقوله **(أَمْرَها)**: أي أمر نفسها. يعني: من حيث هي نفس طبيعيّة حيوانيّة كما ذكرنا. وقوله **(ما تولّتِ)**: أي ما أعرضت عن ذلك. يقال تولّى عنه، أي: أعرض. وفيه إشارة إلى أنّ النفس الروحيّة الأمريّة، لا تتجرّد عن الصورة أصلاً، سواء كانت تلك الصورة مظهراً عنصريّاً دنيويّاً، أو خياليّاً مثاليّاً برزخيّاً، أو روحانيّاً عنصريّاً أخرويّاً.

٤٥٩- وَمِنْ عَهْدِ عَهْدِي قَبْلَ عَصْرِ عَنَاصِرِي إلِى دِارِ بَعْثٍ قَبْلَ إنْذَارِ بَعْثَةِ

٤٦٠- إلَيَّ رَسُوْلاً كُنْتُ مِنِّي مُرْسَلاً وَذاتِي بِآيَاتِي عَلَيَّ اسْتَدَلَّتِ

(ومن عهدي): أي حين وزمن، قال في المصباح: «عَهِدْتُه بمالٍ: عَرَّفْتُه به، والأمر كما عَهِدْت. وهو قريب العَهْدِ بكذا، أي: قريب المعرفة والحال. وعهدته بمكان كذا: لَقِيْتُه. وعهدي به قريب، أي: لِقائي». وقوله **(عهدي)**: أي ميثاقي الذي أخذه عليّ ربّي، وهو قوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٧٢]. وقوله **(قبل عصري)**: أي زمان. وقوله **(عناصري)**: أي دخولي في عالم العناصر، جمع عُنْصُر بالضمّ، وبالفتح، قال في القاموس: «العُنصَر وبفتح الصاد: الأصل». والعناصر الأربعة: هي النار والهواء والماء والتراب. يعني: قبل توجّه روحي على تدبير جسدي المركّب من الأصول الأربعة المذكورة. وقوله **(إلى دار بعثة)**: متعلّق بإنذار، أي: قبل إنذار البعثة النبويّة بدار البعث والحشر، وهي القيامة. ودار البعث هي: دار الآخرة. قال في الصحاح: «بَعَثَهُ من منامه أي: أَهَبَّهُ. وبَعَثَ الموتى: نَشَرَهُم ليوم البعث». وقوله **(قبل إنذار)**: أي تخويف بحسب الاستعمال غالباً، حيث ذُكر مع التبشير. وإذا أُطلق كما هنا فهو بمعنى مطلق التبليغ، قال في المصباح: «أنذرت الرجل الشيء إنذاراً أبلغته إياه يتعدّى إلى مفعولين، وأكثر ما يستعمل في التخويف كقوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْأَزِفَةِ ﴾ [٤٠/ غافر/ ١٨] أي

خوِّفهم عذابه». وقوله (بعثه) يقال: بَعَثَهُ وابْتَعَثَهُ بمعنى، أي: أرسله، كذا في الصحاح. يعني قبل تبليغ البعثة، أي: بعثة النبيّ المرسل.

وقوله (إليّ): بتشديد الياء التحتيّة متعلّق بـ (مرسلاً): بصيغة اسم الفاعل. ومرسلاً خبر كنت، أي: كنت مرسلاً إليّ. وقوله (رسولاً): مفعول مرسلاً. وقوله (كنت منِّي): أي من عين حقيقتي الأمريّة الإلهيّة النافخة فيَّ روحاً من/ [٢١٥/ ب] أمرها على معنى الاتّحاد الحقيقيّ الذي مرّ بيانه غير مرّة، وتقدير الكلام. ومن حين أخذ الميثاق عليّ بالربوبيّة لله تعالى قبل اتّصالي بعالم العناصر، وتركبي في هذه الجسمانيّة قبل إنذار البعثة النبويّة بدار البعث والحشر وتخويفي بالقيامة. (كنت منِّي مرسلاً): رسولاً إليّ، إشارة إلى قوله صلّى الله عليه وسلّم: «كنت نبيّاً وآدم بين الماء والطين»[1].

وفي حديث الدّيلمي في مسند الفردوس: «كنت نبيّاً وآدم بين الروح والجسد» أخرجه أحمد عن ميسرة الفخر. وأخرجه الترمذي عن أبي هريرة[2] رضي الله عنه. وقوله (وذاتي): أي الحقيقيّة التي أنا قائم بأسمائها الحسنى، وصفاتها العليا من حيث تنزّلها في صور عالم الإمكان داخلة تحت أحكام تكليفها بالأمر والنهيّ. وقوله (بآياتي): جمع آية، أي: بعلاماتي الدالَّة عليّ، وهي الأدلة العقليّة. أو بآيات كلامي القديم المنزل بالحروف والأصوات، وهي الأدلة السمعيّة. وقوله (عليّ): بتشديد الياء

---

(١) ذكره السيوطيّ في الدرّ المنثور، الباب: السابع، ٨/ ١٢٩ وقال: أخرجه أحمد والبخاريّ في تاريخه، والطبرانيّ والحاكم، وصححه أبو نعيم والبيهقيّ معاً في الدلائل عن ميسرة الفخر رضي الله عنه قال: «قلت: يا رسول الله، متى كنت نبيّاً، قال: وآدم بين بين الروح والجسد».

(٢) روى الترمذي في سننه، كتاب: المناقب، باب: في فضل النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، ٣٩٦٨، عن أبي هريرة قال: «قالوا: يا رسول الله ، متى وجبت لك النبوّة؟. قال: وآدم بين الروح والجسد». قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب، من حديث أبي هريرة، لا نعرفه إلّا من هذا الوجه، وفي الباب عن ميسرة الفخر.

التحتيّة: أي: على ذاتي وأسمائي وصفاتي. متعلّق بـ استدلت، قُدّم عليه للحصر. وقوله (**اسْتَدَلَّتِ**): بكسر التاء للقافية، أي طلب الدليل على ذلك.

٤٦١ - وَلَمَّا نَقَلْتُ النَفْسَ مِنْ مِلْكِ أرْضِهَا   بِحُكْمِ الشِّرَا مِنْهَا إلى مُلْكِ جَنَّةِ

٤٦٢ - وَقَدْ جَاهَدَتْ فَاسْتَشْهَدَتْ فِي سَبِيْلِهَا   وَفَازَتْ بِبُشْرَى بَيْعِهَا حَيْنَ أوْفَتِ

(**ولمّا**): أي حين. وقوله (**نقلتُ النفس**): أي نفسي التي أظهرتها لي بمقتضى أسمائي وصفاتي. والنقل كناية عن الموت والتحويل من دار الدنيا إلى البرزخ الأُخروي. وقوله (**من مِلك**): بكسر الميم، اسم من مَلَكْت مِلْكاً من باب ضرب. والفاعل: مَالِك كذا في المصباح. وقوله (**أرضها**): أي أرض النفس، وهي تراب جسدها، أو ما تملكه من أرض، وما تولّد منها من الأموال المختلفة.

وقوله (**بحكم الشِرا منها**): أي من النفس. يعني: بحكم قوله تعالى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ [٩/ التوبة/ ١١١] الآية. وقوله (**إلى مُلْك**) بضمّ الميم: اسم من مَلَكَ على الناس أمرَهم: إذا تولى السلطة، فهو مِلْك بكسر اللام وتخفف بالسكون. وقوله (جَنَّةِ) مضاف إليه، وهي الجنّة الموعودة في الآية والجار والمجرور متعلّق بـ نقلت. وقوله (**وقد جاهدت**): الواو للحال، والجملة في محل نصب حال من النفس. و(**جاهدت**) أي: النفس، من الجهاد، وهو مقاتلة العدو على الحقّ، إمّا في الباطن بمقاتلة ومحاربة الهوى والشيطان والشهوات والأخلاق الذميمة. وإمّا في الظاهر كقتال الكفّار، ومخالفة العصاة والفجّار بحسب الاستطاعة. وقوله (**فاستُشهدَتْ**) بالبناء للمفعول، أي: النفس، قال في المصباح: اسْتُشْهِد بالبناء للمفعول: قُتْل شهيداً. والشَهِيدُ مَنْ قتله الكفّار في المعركة، فعيل بمعنى مفعول؛ لأنّ ملائكة الرحمة شهدت غسله، أو شهدت نقل روحه إلى الجنّة، أو لأنّ الله شهد له بالجنّة. وقوله (**في سبيلها**) متعلّق بـ استشهدتْ. والضمير للنفس باعتبار حقيقتها النازل أمرها بها. وقوله (**وفازت**): قال في المصباح: «وفَازَ

يَفُوزُ فَوْزاً: ظَفِرَ ونَجَا. والضمير المستتر للنفس. وقوله (**ببشرى بيعها**) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ﴾ [٩/ التوبة/ ١١١]. والبُشرى بضمّ الباء الموحّدة فُعْلى من البشارة، وهي الخبر المُسِرُّ لتغييره بَشَرَة الوجه. وقوله (**حين أوفت**): بكسر التاء للقافية، قال في المصباح: «أَوْفَيْتُ بالوعد إيْفَاء، وأَوْفَيْتُهُ حَقّه، ووَفَّيْتُهُ أياه بالتثقيل، وأَوْفَى بما قال ووَفَّى بمعنى».

٤٦٣ - سَمَتْ بِي لِجَمْعِي عَنْ خُلُودِ سَمَائِهَا وَلَـمْ أَرْضَ إخْلَادِي لِأَرْضِ خَلِيْفَتِي

/ [٢١٦/ أ] (**سمت**): أي علت نفسي، وهو جواب لما يعني: ارتفعت. وقوله (**بي**): أي بحقيقتي التي نفسي قائمة بها، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [١٣/ الرعد/ ٣٣]. وقوله (**لجمعي**): أي لأجل حصول مقام الجمع خلاف الفرق. وقوله (**عن خلود**): أي دوام البقاء والإقامة، قال في المصباح: «خَلَدَ بالمكان خُلُوداً، من باب قعد: أقام، وأَخْلَدَ بالألف مثله». وقوله (**سمائها**): أي سماء نفسي، أي: علوّها وارتفاعها من حيث حقيقتها الغيبيّة، فإنّها لم تقف. ولو وقفت لانقطعت، كما قال العفيف التلمساني قدّس الله سرّه:

ولـو وقفـت يومـاً يجـدّدها لنـا بـه عـدم هيهـاتِ وهـي وجـود

وقوله (**ولم أرضَ**): من رَضِيْتُ الشيءَ، ورضيت به رِضاً: اخْتَرْتُهُ، كذا في المصباح» .وقوله (**إخلادي**): مصدر أَخْلَدَ إلى كذا، وخَلَدَ: رَكَنَ، كما في المصباح. وفي الصحاح: «أَخْلَدْتُ إلى فلان، أي: رَكَنْتُ إليه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٧٦] وقوله (**لأرضِ**): أي إلى (**أرض خليفتي**): وهو آدم عليه السلام الذي جعله الله تعالى خليفة عنه، كما قال سبحانه للملائكة: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [٢/ البقرة/ ٣٠] وقال تعالى في الذي أتاه آياته فانسلخ منها: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٧٦] الآية. وإخلاده إلى الأرض ركونه، واعتماده على نفسه وهواه،

وشهود الغيريّة، وإعراضه عن شهود تجلّي ربّه به في تقلّبات شؤونه[1].

٤٦٤- وَكَيْفَ دُخُوْلِي تَحْتَ مِلْكِي كَأَوْلِيَا ءِ مُلْكِي وَأَتْبَاعِي وَحِزْبِي وَشِيْعَتِي

(**وكيف**): أصلها كلمة يُستفهَم بها عن حال الشيء وصفته، يقال: كيف زيد؟ وتأتي للتعجّب، والتوبيخ، والإنكار، وللحال ليس معه سؤال. وقد تتضمّن معنى النفي، كذا في المصباح. وهي هنا لمعنى النفي والتعجّب. وقوله (**دخولي تحت مِلكي**): بكسر الميم، أي: في جملة ما أملكه من العوالم، أي: ليس ذلك بحاصل، ولا هو مما يمكن. كما ينقل عن أبي يزيد قدّس الله سرّه أنّه قال: «إنّ الله اطّلع على العالم فقال: يا أبا يزيد كلّهم عبيدي غيرك، فأَخْرَجَنِي من العبوديّة»، ويفسّره قول الشبليّ قدّس الله سرّه حين سمع ما قاله أبو يزيد فقال: «كاشفني الحقّ بأقلّ من ذلك، فقال: كلّ الخلائق عبيدي غيرك فإنّك أنا». وقال الشبلي أيضاً: «كنت أكتب الفقه والحديث ثلاثين سنة حتى أسفر الصبح، فجئت إلى كلّ من كتبت عنه، فقلت أريد فقه الله ، فما كلّمني أحد». وقوله (**كأولياء مُلْكي**): بضمّ الميم، أي: الأولياء الذين هم في مملكتي، وتحت حكمي، وهم السالكون في طريقتي. وقوله (**واتّباعي**): جمع تبع، قال في المصباح: «تَبِعَ زيدٌ عمراً من باب تعِب: مشى خلفه، أو مرّ به فمضى معه. والمصلّي تَبَعٌ لإمامه، والناس تبع له. يكون واحداً وجمعاً، ويجوز جمعه على أتباع مثل سبب وأسباب». وقوله (**وحزبي**): الحزب الطائفة من الناس، والجمع أحزاب. وتحزّب القوم: تجمّعوا. وقوله (**وشيعتي**): الشيعة الأتباع والأنصار، وكلّ قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة، كذا في المصباح. والمعنى: أنّي لست داخلاً في جملة الناس القائمين بأنفسهم على الوهم والغفلة، الجاهلِينَ بتجلّي

---

(١) ورد في هامش المخطوط قول الناسخ قوله: «بلغ سماعاً ومقابلة على مؤلّفه قدّس الله سرّه العزيز. وكتبه الفقير إبراهيم بن محمّد الدكدكجيّ غفر الله له بمَنّه». ونلاحظ هنا أنّه للمرة الأولى يذكر الناسخ اسمه عندما يكتب مثل هذه الحاشية التي تكررت بكثرة.

الحقّ تعالى بهم وبكلّ شيء، تجلياً ظاهراً لهم ولكلّ شيء من حيث لا يشعرون، كما قال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [٦٨/ القلم/ ٣٥-٣٦] ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [٣٨/ ص/ ٢٨]. وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا/ [٢١٦/ ب] يَحْكُمُونَ﴾ [٤٥/ الجاثية/ ٢١] وسرّ هذه الآيات مندرج فيها لأهل التحقيق والعرفان بالتصريح بالجعل عند من يشهده في نفسه، وعدم التصريح به فيمن لم يشهده؛ فإنّ مشهود الجعل عين شهود التجلّي الربانيّ في النشوء الإنسانيّ، وإنّما اتّصل الجعل بالذين اجترحوا السيئات للاستفهام الإنكاري، والاستبعاد المستفاد من حسب بمعنى ظنّ، يقال حَسِبْتُ زيداً قائماً، أي: ظننته قائماً. وقال صلّى الله عليه وسلّم: «إنّي لست كأحدكم، إنّي أبيت عند ربّي يطعمني ويسقيني»[1] مع أنّ الله تعالى قال له صلّى الله عليه وسلّم: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾ [١٨/ الكهف/ ١١٠] فهو صلّى الله عليه وسلّم بشر مثلنا، وليس كأحدنا، فإنّه بيات عند ربّه، يطعمه ويسقيه لشهوده تجلّي ربّه به وبكلّ شيء. والغافل يشهد نفسه وغيره فيحتجب عن ربّه بنفسه وبغيره، فلو أراد أنْ يشهد لما قدر لأنَّ ذلك بيد الله لا بيد نفسه، كما قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [٤١/ فصّلت/ ٥٣] وقوله تعالى: ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ [١٨/ الكهف/ ٥١] وهذا ظاهر لا خفاء فيه.

٤٦٥- فَـلَا فَلَـكٌ إلَّا وَمِـنْ نُـوْرِ بَـاطِنِي ... بِهِ مَلَكٌ يُهْدِي الْهُدَى بِمَشِيئَتِي

(فلا): الفاء للتفريع على ما قبله. و(لا): نافية. وقوله (فلكٌ): نكرة في سياق النفي، فتعمّ كلّ فَلَك بالتحريك، قال الراغب: «الفَلَك مجرى الكواكب. وتسميته

(١) انظر تخريجه ص٣١٣.

بذلك لكونه كالفُلْك، قال تعالى: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [٣٦/ يس/ ٤٠] وفَلْكَة: المغزل» قال في الصحاح: «فَلْكَة: المغزل. سمّيت لاستدارتها». وفي المصباح: «الفَلَك: جمعه أفلاك مثل سبب وأسباب». وقوله (إلّا ونور باطني): أي قلبي العارف المتحقق بربِّي، وهذا من قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ﴾ هي الجسد ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ وهو الروح الأمري. ﴿ٱلْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾ هي القلب. ﴿ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ من جهة إشراق نوره على ما دونه من الأشياء. ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ ذات الجود الحقّ بطريق الكناية. ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ﴾ أي: ظاهرة لاستتارها بعوالم الإمكان. ﴿وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ أي: باطنة لفناء عوالم الإمكان، وعدمه الأصلي بالنسبة إلى الوجود الظاهر به، فهي الأوّل والآخر والظاهر والباطن. وقوله (به): أي فيه. يعني: في كلّ فلك من باطن (مَلَكٌ): الروح المنفوخ عن أمر الله. وقوله (يُهْدِي): صفة لذلك المَلَك، أي: يدلّ الناس ويرشدهم بإذن ربّه. وقوله (الهُدَى): أي إلى الهدى، بالضمّ، خلاف الضلال، قال في المصباح: «هَدَيتُهُ الطريقَ أَهْدِيه هِدَايَة، وهي لغة الحجاز، ولغة غيرهم يتعدّى بالحرف، فيقال هَدَيتُه إلى الطريق وللطريق، وهَدَاه الله إلى الإيمان هُدَىً، والهُدَى البيان. وقوله (بمشيئتي) متعلّق بـ يهدي، أي: لا بمشيئة أخرى له غير مشيئتي، أي: إرادتي، قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [٧٦/ الإنسان/ ٣٠] فإنّه يشاء الله تعالى أوّلاً، ثمّ تشاؤون أنتم ثانياً بعين تلك المشيئة الأولى، فتظهر الحقيقة في الشريعة، والغيب في الشهادة، فيختلف الحكم، ويحصل الفرق في عين الجمع، وهذا سرّ الكمال الجامع بين الجلال والجمال.

٤٦٦- وَلَا قُطْرَ إِلَّا حَلَّ مِنْ فَيْضِ ظَاهِرِي بِـهِ قَطْـرَةٌ عَنْهَـا الـسَّحَائِبُ سَحَّتِ

(ولا قُطْرٌ): بضمّ القاف، قال في المصباح: «القُطْر بالضمّ الجانب والناحية، والجمع أقطار، مثل قُفْل وأقْفَال». والمراد جانب من جوانب الأرض، وناحية من

نواحيها. وقوله (**إلّا حلّ**): قال في المصباح: «حَلَلْتُ بالبلد حُلُولاً من باب قعد: إذا نزلت به، ويتعدّى/ [٢١٧/ أ] بنفسه أيضاً، فيقال: حَلَلْتُ البَلَدَ». وقوله (**من فيض**): أي كثرة إمداد ظاهري، أي: بركة صورتي الظاهرة، قال في المصباح: «فاض الخير: كَثُر. وقوله (**به**): أي فيه، يعني: في ذلك القطر. وقوله (**قطرة**): أي نقطة واحدة، قال في المصباح: «القَطْرَة: النقطة، والجمع: قَطَرَات، وتَقَاطَرَ: سَالَ قَطْرَةً قَطْرَة». وقول (**منها**): أي من تلك القطرة الواحدة. وقوله (**السحائب**): جمع سَحَابَة، وهي الغَيم، ويجمع على سَحَاب وسُحُب، كذا في الصحاح. وقال في المصباح: «سُمِّي بذلك لانسحابه في الهواء». وقال الراغب: «إمّا لجرّ الريح له، أو لانجراره في مَرِّهِ. وقوله (**سَحَّتِ**): بتشديد الحاء المهملة وكسر التاء للقافية»، قال في المصباح: «سَحَّ الماء سَحّاً من باب قتل: سال من فوق إلى أسفل، ويقال :السَّحُّ هو الصَّبّ الكثير».

٤٦٧- وَمِنْ مَطْلَعِي النُّوْرُ البَسِيْطُ كَلَمْعَةٍ وَمِنْ مَشْرَعِي البَحْرُ المُحِيْطُ كَقَطْرَةِ

(**ومن مطلعي**): أي المطلع الذي هو أنا، كناية عن الروح الأمري المنفوخ فيه بأمر الله تعالى، يقال: طَلَعَتِ الشمس والكوكَبُ طُلُوْعَاً ومَطْلِعَاً، بالكسر وبالفتح، والمَطْلِع والمَطْلَع بكسر اللام وفتحها أيضاً: موضع طلوعها، كذا في الصحاح. وما أحسن قول العفيف التلمسانيّ في هذه الكناية البديعة المعاني:

شـــمس ومطلعهـــا ذاتي ومغربهـــا بين السوادين من قلبي ومن بصري

فإنّ كون ذاته مطلع هذه الحقيقة الوجوديّة أمر ظاهر بلا شبهة عند العارف المحقّق. وكذلك كون مغربها بين السوادين، أي: الأسودين بالسواد الكونيّ؛ فإنّ الكون ظلمة عدميّة، وقلبه وبصره هما آلة الإدراك، وهما كونان حادثان، والكون لا يدرك إلّا مثله، وهذا سبب غروب هذه الشمس عنهما بهما، فإنّ المخلوق لا يدرك الخالق، والمصنوع لا يعرف الصانع إلّا من كونه صانعاً له، فقد عرف المرتبة

لا الذات. وقوله (النور البسيط): أي المنبسط على وجه الأرض، وهو نور الشمس، يقال: بَسَطَ الشيءَ: نَشَرَهُ، وبالصاد أيضاً. وانْبَسَطَ الشيءُ على الأرض، يقال: مكانٌ بَسَاط وبَسِيط، أي: واسع، كما في الصحاح. والبسيط أيضاً خلاف المركبّ». وقد يراد به هنا النور المخلوق به كلّ شيء لبساطته، وعدم تركيبه من شيء آخر غيره، وهو النور المحمّديّ الذي هومن نور الله تعالى.

وقوله (**كلَمْعَةٍ**): أي هو بالنسبة إلى النور الحقيقيّ بمنزلة لمعة واحدة، من لَمَعَ البرقُ لَمْعاً ولَمَعَاناً، أي: أضاء. وإنّما كان ذلك النور من مطلعه، أي: من موضع طلوعه لاشتراكه معه في الطلوع من مطلع واحد، قال تعالى: ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ [٦٧/ الملك/ ٣] فالأصول والفروع متساوية النسبة إلى الحقّ تعالى بالنسبة إلى الحقّ تعالى، قال تعالى: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ [٣١/ لقمان/ ٢٨] وقوله (**ومن مَشْرَعِي**): أي موردي الذي أرِدُه وأصدر عنه. وأصله مورد الشاربة كالمَشْرَعة، وتضمّ راؤها، كذا في القاموس. وهو كناية عن حضرة العلم الإلهيّ الذي منه كلّ شيء وارد إليه وصادر عنه. وقوله (**البحر المحيط**): وهو كناية عن حضرة بحر الكائنات المحيط بالعلويات، والسفليّات، والمعقولات، والمحسوسات، إلى الأبد. وقوله (**كقطرة**): أي هو بمنزلة قطرة واحدة.

٤٦٨ - فَكُـلِّي لِكُـلِّي طَالِـبٌ مُتَوَجِّـهٌ وَبَعْـضِي لِبَعْـضَي جَـاذِبٌ بِالْأَعِنَّـةِ

(**فكلّي**) الفاء للتفريع على ما تقدّم. و(**كلِّي**): من حيث الوجود الواحد الحقّ الذي ليس معه غيره موجود أصلاً. وقوله (**لكلِّي**): من حيث مجموع الأكوان المختلف الكيفيّات والألوان في الأماكن والأزمان مما هو كائن أو يكون، أو كان. وكون ذلك الأوّل والثاني هو كلّه باعتبار مقام الجمع وامتداد الرقائق من العين الواحدة وقوله/ [٢١٧/ ب] (**طالب**): أي مريد حضوره لديه، محبّة فيه، وشوقاً إليه. قال الشاعر:

يمتلــك الــشوق الــشديد لنــاظري فــأُطرق إجــلالاً كأنّــك حــاضر

وأصل المحبّة الذاتيّة للحضرات الصفاتيّة والأسمائيّة. وقوله (**مُتَوَجِّهٌ**): من قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [٢/ البقرة/ ١١٥] أي: توجّهه من حيث اسمّه الجامع لجميع الأسماء على كلّ شيء. وقوله (**وبعضي**): وهو العالم الروحانيّ، وكونه بعضاً أي: بعض مجموع الكون. وقوله (**لبعضي**): وهو العالم الجسمانيّ؛ فإنّ الأرواح متعشّقة بعالم الأجسام وماسكة لذلك، ومُنْمِيَةٌ له بالطعام والشراب المناسب له، ولا تكاد تنفك عنه إلّا بغلبة الأمر الإلهيّ عليها بالانفكاك. وكذلك عالم الأجسام متعشّق بعالم الأرواح، ومتعلّق به بجواذب الشهوات واللذائذ الطبيعيّة. ولهذا سرّ عظيم في خدمة ذلك ومعانقته، من قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [٤٣/ الزخرف/ ٨٤] وقوله صلّى الله عليه وسلّم: «لو دلّيتم بحبل لهبط على الله»[١]. والاسم الله اسم ذاتيّ جامع لجميع الأسماء، كما أنّ الاسم الإله اسم صفاتيّ جامع لجميع الأسماء. فلا يخرج عن ذلك شيء من الآثار السفليّة، كما لا يخرج عن ذلك شيء من الآثار العلويّة. وقوله (**جاذب**): من الجَذْب بالجيم والذال المعجمة، قال في القاموس: «جَذَبَه يَجْذِبَه: مَدَّه كاجْتَذَبَه، وجَذَبَ الشيءَ: حركّه عن موضعه كجاذبه». وقوله (**بالأَعِنَّةِ**): جمع عِنَان ككِتَاب، وهو سَير اللجام الذي تُمسك به الدّابة، والجمع الأعنّة والعَنَن، كذا في القاموس، وذلك كناية عن القوى الروحانيّة المنبثّة في الجسم في ظاهره وباطنه، والبواعث الجسمانيّة. وهذا من كمال النشأة الإنسانيّة إذا كان عن معرفة وتحقيق وعناية وتوفيق.

فإنّ الروح مطلوبة للحقّ تعالى، مجذوبة إليه بجواذب الصفات والأسماء. والروح طالبة للجسم، جاذبة له، بجواذب القوى العقليّة والحسيّة؛ فهي جاذبة ومجذوبة عن كشف وعيان، وشهود وبيان في أهل مقام الإحسان، وعن حجاب

---

(١) أخرجه الهيثميّ في مجمع الزوائد، المجلّد الأوّل، ٢٨٣، عن أبي هريرة.

وأستار، وجحود وإنكار، وظلامات وأكدار في أهل الجهل والغفلة والإعراض، المفتونين بأنواع الأغراض.

٤٦٩- وَمَنْ كَانَ فَوْقَ التَّحْتِ وَالفَوْقُ تَحْتَهُ إلِى وَجْهِهِ الهَادِي عَنَتْ كُلُّ وِجْهَةِ

(**ومن كان**): أي الإنسان الكامل الذي هو(**فوق التحتِ**): أي فوق عالم الأجسام بطريق الاستيلاء والغلبة بأنْ غلبت روحه على جسمه لقيام روحه بأمر ربّه، لا بحكم نفسه الحيوانيّة، وهذا معنى قوله (**والفوق**): أي الروح تحته لقيامها بأمر ربّها؛ فإنّ أمر الله من فوق ذلك كلّه؛ فالروح التي هي فوق تحته لاستيلاء الامر الإلهيّ عليها، كما قال تعالى: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [١٧/الإسراء/٨٥] والأمر الإلهيّ ليس فوقه شيء، ولا هو لشيء، قال تعالى للإنسان الكامل على الإطلاق، وهو نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم : ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [٣/آل عمران/١٢٨] وإنّما الروح الكاملة تعمل به، لا بنفسها، قال تعالى: ﴿وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ [٢١/الأنبياء/٢٧].

وقوله (**إلى وجهه**): أي وجه العامل بالأمر الإلهيّ، فإنّه هو عين الأمر الإلهيّ. وقال تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [٢/البقرة/١١٥] أي: واسع لكلّ شيء بسبب علمه به، فهو وسع عِلْميّ. وكلّ شيء هالك فانٍ، لا وجود له. والظاهر عليه وجود الوجه الإلهيّ لا غير، لحكم قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [٢٨/القصص/٨٨] وقوله: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [٥٥/الرحمن/٢٦-٢٧] وقوله (**الهادي**): صفة للوجه، لأنّه هو الذي يدلّ على الله بالله، ويرشد إليه به، وهو معنى البصيرة في قوله سبحانه: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ/ [٢١٨/ أ] عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [١٢/يوسف/١٠٨] فشرك نفسه مع من اتّبعه في البصيرة، وهي العلم الربّاني، والكشف والتحقيق، وكمال الشهود الذوقي بعناية التوفيق. وقوله (**عَنَتِ**): من عنا يَعْنُو: خَضَعَ وذَلَّ، كذا في الصحاح. وقوله (**كلّ وِجْهَةِ**): بكسر الواو وضمّها،

بمعنى: الجهة، قال في الصحاح: «الوَجْهُ والجِهة بمعنى. والهاء عوض عن الواو. والاسم: الوِجْهة والوُجهة، بكسر الواو وضمّها. والواو ثابتة في الأسماء». والمعنى: كلّ جهة شيء من الأشياء خاصّة ذليلة لذلك الوجه الإلهيّ.

٤٧٠- فَتَحْتَ الثَّرَى فَوْقُ الأثِيْرِ لِرَتْقِ مَا   فَتَقْتُ وَفَتْقُ الرَّتْقِ ظَاهِرُ سُنَّتِي

(**فتحتَ الثرى**): الفاء تفريعيّة عمّا سبق من كون بعضه جاذب لبعضه. و(**الثرى**): التراب النديّ، أو الذي إذا بُلّ لم يصر طِيناً لازباً، كما قال في القاموس. (**فتحتُ الثرى**): عالم المولّدات من الجماد والنبات والحيوان والإنسان، لأنّه مغلوب بطبع العناصر، والتراب غالب؛ فهي أرواح تحت التراب النديّ الممازج لبقيّة العناصر. وقوله (**فوق الأثير**): أي فلك النار. فالسفليّات الجسمانيّة مساوية للعلويات الروحانيّة. والأمر الإلهيّ متساوي النسبة إلى جميع العوالم لإحاطته بالجميع إحاطة واحدة. وإلى ذلك يشير قوله صلّى الله عليه وسلّم: «لا تفضلوني على يونس بن متّى»[1] يعني: إنّ معراجه صلى الله عليه وسلّم إلى العلويّات، ومعراج يونس عليه السلام إلى السفليّات في بطن الحوت في بطن البحر في ظلمات ثلاث، والكلّ سواء بالنسبة إلى قرب الحقّ تعالى؛ فمن فضله على يونس عليهما السلام من هذه الجهة الحسيّة فقد أخطأ، وإنّما الفضيلة من حيث المنزلة والشرف والمكانة لا المكان.

وقوله (**لرتق**): الرتق: ضدُّ الفَتْق، وقد رَتَقْتُ الفَتْقَ أَرْتُقُهُ فارْتَتَقَ، أي: الْتأَمَ كما في الصحاح. وقوله (**ما**): أي الذي فَتَقْتُ، أي: فَتَقْتُهُ، يقال: فَتَقْتُ الشيءَ فَتْقاً: شَقَقْتُه، كذا في الصحاح. والرَتْقُ كناية عن الإجمال في العوالم. والفتق هو تفصيل ذلك الإجمال. والمعنى: إنّ الأمر الواحد الإلهيّ الذي هو تحت الثرى فالسفليّات مظاهره هو أيضاً بعينه الذي فوق الأثير، فالعلويات مظاهره أيضاً؛ وذلك لأجل

---

(١) ذكره القاضي عياض في الشفا بتعريف حقوق المصطفى، فصل في تواضعه صلّى الله عليه وسلّم ١/ ١٠٥.

إجمال الذي فصَّله من العوالم؛ فإنّه كان ولا شيء معه من إجمال وتفصيل، وهو الآن على ما عليه كان، ولا إجمال ولا تفصيل، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ [٢١/ الأنبياء/ ٣٠] يعني: كانت العلويات في السفليات فميّزها عنها، وفصَّلها من مجملها. وقوله (**وفتق**): أي تفضيل الرتق، أي: الإجمال (**ظاهر سنّتي**): أي طريقتي من حيث اسم الظاهر، كما أن رتق الفتق باطن سنّتي أيضاً، يعني: طريقتي من حيث اسم الباطن؛ فللاسم الباطن الرتق، وللاسم الظاهر الفتق، وهذا أمر لم يزل ولا يزال، وهو قوله تعالى: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [١٣/ الرعد/ ٣٩] أي: أصله من حيث هو ككتاب، وهو الأمر الإلهيّ عنده تعالى، ومن كان عنده تعالى، لا عند نفسه كان هو ذلك الأمر، قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ [٧/ الأعراف/ ٢٠٦] أي: لا يتكبّرون بنفوسهم فيجدونها؛ وإنّما يجدون ربّهم كما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ﴾ [٦٥/ الطلاق/ ٥]. أي: فظهر بخلقكم، فأنتم الخلق القائم بالأمر، ألا له الخلق والأمر.

٤٧١- وَلَا شُبْهَةٌ وَالْجَمْعُ عَيْنُ تَيَقُّنٍ وَلَا جِهَةٌ وَالأَيْنُ بَيْنَ تَشَتُّتِ

(**ولا شبهة عندي**): في هذا الأمر المذكور. وقوله (**والجمع**): الواو للحال، والجملة حال من المحذوف، أي: شبهة عندي في حالة كون جمعي بالحقّ هو (**عين**): أي حقيقة تيقّن بكشف ووجدان عن شهود وعيان، وهو ظهور نفس الأمر الإلهيّ على ما هو عليه؛ فإنّ البصيرة إذا تحقّقت بذلك لا يبقى عندها شُبهة، ولا شك، ولا توهّم أصلاً. وقوله (**ولا جهة**): أي ناحية/ [٢١٨/ ب] من الجهات الستّ: فوق وتحت ويمين وشمال وقدّام وخلف. يعني: ولا جهة أشير إليها في توجّهي إلى الحقّ تعالى. وقوله (**والأين**): الحين. ومصدر آنَ يئين: حَان، وأَيْنَ سؤالٌ عن مكان، كذا في القاموس. وفي المصباح: «أين: ظرف مكان، يكون استفهاماً، فإذا قيل: أين زيد؟ لزم الجواب بتعيين مكانه ،ويكون شرطاً أيضاً.

ويزاد ما فيقال: أينما تقم أقم». والواو للحال أيضاً، والجملة حال من المحذوف، أي لا جهة لي حال كون أيني بعد شتات. وقوله (بَيْنَ): خبر المبتدأ. والبين: البعد، كما في القاموس. وقوله (تشتتِ): أي تفرّق. قال في المصباح: «شَتَّ شَتّاً، من باب ضرب: إذا تفرّق. والاسم: الشتات». والمعنى: لا شبهة عندي في الحقّ، والحال أنّي في مقام الجمع على يقين من أمري، وهذا من حيث مخلوقيّتي، ولا جهة لي تقيد وجودي الحقّ الذي أنا قائم به من حيث خالقيّتي، والحال أنّي في مقام الفرق الثاني بعد الجمع. والأين تقييد بزمان ومكان. والقيد حادث قائم بوجودي الحقّ الذي أنا قائم به؛ فالقيود كلّها قائمة بالمطلق عنها كلّها، وهو الحقّ تعالى وتقدّس. فالخلق قيود المطلق، والمطلق قيّوم على القيود كلّها، لا قيام لشيء منها بنفسه، ولا ظهر له عندها إلّا بها. فإذا رأته مقيّداً بها إنْ شاء أعلمها به أنّه هو لا غيره، وطمس عنها رؤية غيره. ولا يكون ذلك إلّا لأهل العناية والهداية، أهل الوجوه الناضرة، أي: المسرورة برضوان الله تعالى عنها، كما قال سبحانه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [٧٥/ القيامة/ ٢٢]. وإنْ شاء طمس بصيرتها عنه، وأعمى بصرها عن رؤيته، ولا يكون ذلك إلّا لأهل الغواية والخذلان، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [٨٣/ المطففين/ ١٥]. وقال تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [٢/ البقرة/ ١٧١] فالرؤية وعدمها بيد الله تعالى، لا بيد غيره، سواء كانت رؤية له تعالى أو لغيره، ومن كلام الحسين بن منصور الحلاج قدّس الله سرّه أنّه قال في جملة كلامه: «أمّا بعد حمداً لله الذي تجلّى عن رأس إبرة لمن شاء، وتستّر في السموات والأرضين عمّن شاء. ولنا في هذا المعنى من المواليا قولنا:

إنْ شاء مولاي يظهر للذي يختار	في كلّ شيء بلا حجب ولا أستار
وإن يشا يحتجب بالكون والآثار	فالزم أدب حضرته وأعرض عن
انظر لموسى نبيّ الله يا مفتون	لمّا تجلّى له في شجرة الزيتون

وانظر لإبليس قبلو ذلك الملعون لمّا احتجب عنه في آدم وما هو دون
آدم نبيّ واحتجب فيه عن الشيطان حتّى كفر والتبس أمره وله ما بان
وكان مجلاه في زيتونة البستان تبارك الله إنّ السرّ في السكّان

٤٧٢- وَلَا عُدَّةٌ وَالعَدُّ كَالحَدِّ قَاطِعٌ وَلَا مُدَّةٌ وَالحَدُّ شِرْكُ مُوَقِّتِ

(ولا عدّة): بكسر العين وتشديد الدّال المهملة، أي: عدد، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ﴾ [٧٤/ مدّثر/ ٣١] أي عددهم، وقال تعالى: ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [٢/ البقرة/ ١٨٤] وقال تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ﴾ [٩/ التوبة/ ٣٦] ذكره الراغب. يعني: لا عدد لحقيقتي التي أنا قائم بها؛ فإنّها واحدة من جميع الوجوه والاعتبارات. وقوله **(والعدّ)**: مصدر عددته عدًّا، من باب قتل. والعدد: هو الكميّة المتآلفة من الوَحَدات، فتختصّ بالمتعدِّد في ذاته، وعلى هذا فالواحد ليس بعدد، لأنّه غير متعدّد؛ إذ التعدّد الكثرة. وقال النحاة: الواحد من العدد، لأنّه الأصل المبني منه، ويبعد أنْ يكون أصل الشيء ليس منه، ولأنّ له كميّة في نفسه، فإنّه إذا قيل: كم عندك؟. صحّ أنْ يقال في الجواب: واحد، كما يقال ثلاثة وغيرها. كذا في المصباح. فالعدد من الواحد إلى ما لا يتناهى، فالواحد داخل في العدد ولا بدّ.

وقوله **(كالحدّ)**: أي هو بمنزلة الحدّ . وفي المصباح: «الحدّ في اللغة: الفصل والمنع، يقال حددت الدار حدّاً ،من باب قتل: ميزتها عن مجاورتها بذكر نهاياتها/ [٢١٩/ أ] يعني: إنّ الدخول تحت مراتب العدد ولو تحت مرتبة الواحد بمنزلة الحدّ والقيد، والحقيقة المطلقة من حيث هي لا تدخل تحت قيد أصلاً إلّا من حيث القيود الخلقيّة، وتوهّماتها الخياليّة. وقوله **(قاطع)**: أي عن الوصلة فمن يدخل الحقيقة المذكورة تحت العدّ والحدّ فهو مقطوع عن الاتّصال بها. وقوله **(ولا مُدَّةٌ)**: بضمّ الميم وتشديد الدّال المهملة: البرهة من الزمان، تقع على القليل والكثير. والجمع مُدَد، مثل غُرْفَة وغُرَف، كذا في المصباح. يعني: ولا تدخل أيضاً

تحت المُدَّة، أي: الزمان؛ لأنّ الزمان من جملة القيود الصادرة عنها عنها فلا تتقيّد به. وقوله (والحدّ): أي المقدار المعلوم المقدّر؛ بمعنى القيد سواء كان بالعدد أو بالمدد والأزمنة. وقوله (شِرْكُ مُوَقت): بالإضافة، أي: شِرْك رجل مؤقِّت بتشديد القاف مكسورة، يعني: شرك توقيت وتحديد وتقييد. والمطلق لا يمكن فيه ذلك؛ لأنّه من أمارات الحدوث.

٤٧٣ - وَلَا نِدَّ فِي الدَّارَينِ يَقْضِي بنقضِ مَا بَنَيْتُ وَيُمْضِي أمْرَهُ حُكْمُ إِمْرَتِي

(ولا ندّ): بكسر النون وتشديد الدّال المهملة مفتوحة، قال في المصباح: «النِدُّ بالكسر: المِثْلُ، والنَدِيدُ مِثْلُهُ، ولا يكون النِدُّ إلّا مُخالِفاً، والجمع: أَنْدَاد، مثل حِمْل وأَحْمَال». يعني: لا مثل للحقيقة المذكورة أصلاً؛ إذ ليس معها غيرها، وهي مطلقة، وما عداها قيود صادرة عنها، كما ذكرنا. وقوله (في الدارين): أي دار الدنيا، دار الأوهام والأباطيل. ودار الآخرة دار الإكرام والتفاضيل. وقوله (يقضي): أي يحكم عليّ ويلزمني. وقوله (بنقض): متعلّق بـ يقضي. و(النقض): الإبطال، وإزالة تأليف الشيء. وقوله (ما): أي الأمر العظيم الذي (بَنَيْتُ): أي بنيته، قال في المصباح: «بنيتُ البيتَ وغيره بِناء. والبُنْيَان: ما يُبنى» وهو ما ذكره في هذه القصيدة وغيرها من قصائد الديوان ومقاطعيه من معاني التجلّيات الإلهيّة، والحقائق العِرفانيّة، والعلوم الربّانيّة، والتنزيهات الخياليّة، والتقديسات الصمدانيّة. وقوله (ويُمْضِي أمره): بضمّ الياء التحتيّة، من أمضاه: نفذه، و(أَمْرَهُ): مفعوله. و(يمضي): معطوف على بَنيتُ، والتقدير: يمضي أمره. والضمير للموصول المقدّر، أي: أَمَرَ ذلك الشيءَ الذي حقّقته وذكرته. قال في المصباح: «أَمْضَيْتُهُ بالألف: أَنْفَذْتُهُ». وقوله (حُكْمُ): فاعل يمضي، أي: إلزام. وقوله (إمرتي): بكسر الهمزة، قال في المصباح: «الإمْرَة والإمَارَة: الوِلاية بكسر الهمزة، يقال: أَمَرَ على القوم يَأْمر، من باب قتل، فهو أمير، والجمع: الأمراء». والمعنى: ينفذ هذا الشيء الذي ذكرته، ويلزم به الخصوم حكم الإمارة والسلطة والقهر الذي لحقيقتي المقوّمة لظاهري وباطني،

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦ﴾ [١٣/ الرعد/ ٤١].

٤٧٤ - وَلَا ضِدَّ فِي الكَوْنَيْنِ وَالخَلْقُ مَا تَرى بِهِـمْ لِلتَّسَاوِي مِـنْ تَفَـاوُتِ خِلْقَـةِ

(ولا ضدّ): أي لا نظير ولا كفؤ، والجمع: أَضْدَاد، كذا في المصباح. وقال الراغب: «الضِدّان: الشيئان اللذان من تحت جنس واحد، وينافي كلّ واحد منهما الآخر في أوصافه الخاصّة وبينهما أبعد البعد». يعني ليس للحقيقة المذكورة ما يضادُّها من نظير وكفء. وقوله (في الكونين): أي كون الدّنيا الفاني الزائل. وكون الآخرة الباقي الدائم. وقوله (والخَلْقُ): أي المخلوقات على اختلاف أجناسهم وأنواعهم وأشخاصهم. وقوله (ما ترى بهم): أي ما تبصر فيهم. وقوله (للتساوي): أي لأنّهم سواء في عدمهم الأصلي، ووجودهم الوهمي الطارئ عليهم. وقوله (من تفاوت خلقة): أي من خلقة متفاوتة، قال في المصباح: «تَفَاوَتَ الشيئان: اختلفا، وتَفَاوَتَا في الفضل تَبَايَنَا فيه، تَفَاوُتاً بضمّ الواو». وهذه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖ﴾ [٦٧/ الملك/ ٣] وقال الراغب: «التفاوت الإختلاف في الأوصاف/ [٢١٩/ ب] كأنّه يفوتها وصف أحدهما الآخر، أو وصف كلّ واحد منهما الآخر». والمعنى إنّ هذه الحقيقة المذكورة لا يساويها شيء أصلاً، وكلّ ما سواها يساوي بعضه بعضاً.

٤٧٥ - وَمِنِّـي بَـدَا لِي مَـا عَـلَيَّ لَبِـسْتُهُ وَعَنِّـي البَـوَادِي بِي إلَيَّ[1] أُعِيْـدَتِ

(ومنّي): أي من صورتي الظاهرة والباطنة، وقيودي الحسيّة والمعنويّة. وقوله (بدا): أي ظهر وتبيَّن لي. وقوله (ما): أي الأمر الذي. وقوله (عليّ) بتشديد الياء التحتيّة، أي: على نفسي. وقوله (لَبِسْتُهُ): أي أُلْبِسْتُهُ. بمعنى: جعلته مُلْتَبِساً عليّ، قال الراغب: «أصل اللُّبْس سَتْر الشيء. ويقال ذلك في المعاني، يقال لَبَسْت عليه أمْرَه، قال تعالى: ﴿وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ﴾ [٦/ الأنعام/ ٩] ويقال: في الأمر

---

(١) في (ق): عليَّ

لُبْسَة، أي: الْتِباس. والمعنى: ظهر مِنِّي لي جميع ما كنت أَلْبَسْتُهُ على نفسي بأنّها لها. وحكمت فيه بالمغايرة لربّي مع أنّه لربِّي لا لي، ولا لنفسي، حتّى نفسي له تعالى، لا لها، قال تعالى: ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ﴾ [٢٧/ النمل/ ٩١] وقوله (وعنِّي): أي عن حقيقتي التي أنا قائم بها لها. وقوله (البوادي): أي الظواهر من الأشياء المحسوسات والمعقولات المتبيِّنة لي، المحقّقة عندي. وقوله (بي): أي بحقيقتي التي أنا قائم بها. وقوله (إليّ): بتشديد الياء التحتيّة، متعلّق بـ أُعيدتِ، بكسر التاء للقافية، و(أُعِيْدَتِ): بضمّ الهمزة مبني للمفعول. فالأوّل إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ﴾ يعني الرسول منّا ﴿مَلَكًا﴾ كما طلبه الغافلون عنّا الكافرون الساترون لحقيقتنا بهم وبصورهم التي هي قيود حقيقتنا المطلقة ﴿لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾ مثلهم بشراً، يأكل مما يأكلون منه، ويشرب مما يشربون. ﴿وَلَلَبَسْنَا﴾ أي: سترنا عليهم من أمرنا الظاهر بهم ﴿مَّا يَلْبِسُونَ﴾ [٦/ الأنعام/ ٩] هم الآن على أنفسهم من أمرنا الظاهر بهم، فلو جعلنا فيهم رشداً لتنبّهوا لحقيقتنا الظاهرة لهم بهم، فإنّها رسول منّا إليهم، كما قال سبحانه في أهل العناية: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [٩/ التوبة/ ١٢٨]. والثاني إشارة إلى قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [٢١/ الأنبياء/ ١٠٤] أي: ابتدأناه، وأظهرناه في صورة كلّ ذي صورة من المعاني والأحوال المحسوسة والمعقولة، نعيده على الوصف الذي أعلمنا به كلّ إنسان، بحيث يقع الوهم فيه بأنّه جامد لم يتغيّر، وهو عين الأوّل على ما هو عليه لم يتحوّل، وهو متغيّر متبدّل متحوّل مع الأنفاس، كلّ نفس يتنفّسه الإنسان يذهب بخلقه الأوّل، ويأتي بخلق جديد كما قال تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [٥٠/ ق/ ١٥] ولا يشعر بذلك مع الأنفاس إلّا أهل العناية والهداية من الناس دون أهل الوسواس.

٤٧٦ - وَفِيَّ شَهِدْتُ السَّاجِدِيْنَ لِمَظْهَرِي فَحَقَّقْتُ أَنِّي كُنْتُ آدَمَ سَجْدَتِي

(وفيّ): بتشديد الياء التحتيّة، أي: في حقيقتي التي أنا قائم بها. وقوله

(**شهدت**): أي عاينت. وقوله (**الساجدين**): جمع ساجد، وهم الملائكة الذين قال لهم الله تعالى: ﴿ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾ [٢/ البقرة/ ٣٤]. وقوله (**لمظهري**): أي صورة ظهوري من تجلّي اسم المصوِّر. و(**المَظْهَر**): هو آدم عليه السلام. وقوله (**فحقّقت**): يقال حَقَّقَهُ تَحْقِيْقاً: صَدَّقَهُ، كذا في القاموس. وفي الصحاح: «حقّقت الأمر وأحقّقته أيضاً: إذا تحقّقته، وصرت منه على يقين». وقوله (**إنّي كنت**): أي من حيث حقيقتي الجامعة لصورتي، ولجميع الصور المتقدّمة والمتأخّرة بطريق التجلّي بها عليها. وقوله (آدم): عليه السلام من حيث التجلّي بصورته. وقوله (**سجدتي**) مضاف إليه، أي: سجدتي التي سجدتها له، من حيث ظهوري بصور الملائكة الساجدين له/ [٢٢٠/ أ].

٤٧٧- وَعَايَنْتُ رُوْحَانِيَّةَ الأَرَضِيْنَ فِي مَلَائِكِ عِلِّيِّيْنَ أَكْفَاءَ رُتْبَتِي

(**وعاينت**): معطوف على شهدت في البيت قبله، يقال: عَايَنْتَ الشيءَ عِيَاناً: إذا رأيته بعينك، كذا في الصحاح. وقوله (**روحانيّة**): قال في القاموس: «الرُوحانيّ بالضمّ ما فيه الرُوح، وكذلك النسبة إلى المَلَك والجِن. والجمع: رُوحانيّون». وقوله (**الأرضين**) بالإضافة: جمع أرض، وهي مؤنّثة، اسم جنس. وكان حقّ الواحدة منها أنْ يقال: أَرْضَة، ولكنّهم لم يقولوا، والجمع: أَرْضَات ،لأنّهم قد يجمعون المؤنّث الذي ليس فيه هاء التأنيث بالتاء، كقولهم عربشات. ثمّ قالوا: أرضون. فجمعوا بالواو والنون، والمؤنّث لا يُجمع بالواو والنون، إلّا أنْ يكون منقوصاً كثبة وضبّة، ولكنّهم جعلوا الواو والنون عوضاً من حذفهم الألف والتاء، وتركوا فتحة الراء على حالها، وربّما سكنت، كذا في الصحاح. وهذا الرفع في الواو والنون، وفي النصب والجرّ بالياء والنون. ومعنى روحانيّة الأرضين بسكون الراء: ملائكة الأرضين، وهم السفليّون. وقوله (**في ملائك**): جمع مَلَك بفتح اللام، قال في الصحاح: «والمَلَكُ من الملائِكة، واحد وجمع، قال الكسائي: أصله مألك بتقديم الهمزة، من الأُلُوك، وهو الرسالة. ثمّ قُلِبت وقُدّمت اللام،

فقيل: مَلْأَكٌ. ثمّ تركت همزته لكثرة الاستعمال، فقيل مَلَكٌ. فلمّا جمعوه ردّوها إليه، فقالوا: ملائكة وملائك أيضاً. وقوله (علّيين): قال في القاموس: «عِلِّيُّون جمع عِلِّيّ في السماء السابعة، تصعد إليه أرواح المؤمنين، كذا في القاموس. فقد جمع بالواو والنون في حالة الرفع، وفي النصب والجرّ بالياء والنون. وقوله (أَكْفَاءَ): جمع كُفُؤ قال في الصحاح: «الكُفُؤُ: النظير، وكذلك الكُفْءُ والكُفُوُ على وزن ـ فُعْل وفُعُل والمصدر الكَفَاءَة، بالفتح والمدّ». وفي القاموس: «الجمع أَكْفَاء وكِفَاء». والمعنى: بعضهم نظير بعض بسبب اتّصال روحانيّة الأرضين السفليّين بروحانيّة السموات العُلويِّين في الإمداد والاستمداد، وهم الملائكة الأرضيّون المدبِّرون للصور الأرضيّة العنصريّة على اختلاف أجناسها وأنواعها وأشخاصها، مستمدّة من الروح الأعظم القائم بأمر الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْـرِ رَبِّى ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨٥] وهذه الملائكة تمدّ ملائكة السموات بإمدادها الروحانيّ الذي تستمدّه من الروح الأعظم، وهو الإمداد القلميّ الأصليّ، وتستمدّ منها الإمداد النفسانيّ للوحي؛ فالملائكة السفليّون يعطون الملائكة العُلويِّين أرواحاً أمريّة، ذاتيّة، قلميّة، والملائكة العُلويّون يعطون الملائكة السفلّيين أرواحاً صوريّة، نفسانيّة، لَوحِيَّة ارتباطاً إلهيّاً، وسراً ربّانيّاً.

وقوله (رتبتي): مضاف إليه: أي جميع هذه الملائكة الروحانيّون نظراء في بعضهم بعضاً. والفضائل بينهم معلومة. والجميع تحت حكم مرتبتي، وحيطة أمري؛ لأنّ حقيقة ذاتي الروح الأعظم الذي من أمر الله تعالى، وهو الممدّ للكلّ، والمستمدّ من أمر الله، فإنّ أولي الأمر هم الخلفاء الذين لهم إطاعة بعد إطاعة الله، وإطاعة الرسول في قوله تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [٤/ النساء/ ٨٣].

٤٧٨ – وِمن أُفْقِيَ الذاتِيّ اجْتَدَى[1] رَفْقِيَ الهُدَى وَمِـنْ فَرْقِـيَ الثَّـانِي بَـدَا جَمْـعُ وَحْـدَتِي

(ومن أُفقيَ): بضمّ الهمزة وسكون الفاء وكسر أو ضمّها، وبكسر القاف،

(١) في (ق): الداني احتذى.

مضافاً إلى ياء المتكلِّم. قال في القاموس: «الأُفْق بالضمّ، وبضمتين: الناحية، وجمعه آفاق، أو ما ظهر من نواحي الفَلَك، أو مَهَبَّ الجنوب والشمال، والدَّبُور والصَبَا». وقوله (الذاتيّ): وصف لأفقي، أي: المنسوب إلى الذات، كناية عن الروح الأعظم الأمري. وقوله (اجْتَدَى): أي طلب الجَدْوَى، وهي العطيّة، قال في القاموس: «الجَدَا والجَدْوَى: العَطِيَّة. وجَدَاهُ جَدْواً واجْتَدَاهُ/ [٢٢٠/ ب]: سأله حاجةً». وقوله (رَفْقِي): بفتح الراء وسكون الفاء، جمع لرَفُق كرَكْب، اسم جمع لراكب، وهو فاعل اجتدى. وقوله (الهدى): مفعول اجتدى. يعني: إنّ المريدين والسالكين في طريق استمدّوا الهدى والرشاد إلى معرفة الحقّ من ناحيتَيَّ الذاتيّة، وحضرة روحانيّتي الآمريّة الإلهيّة. وقد يكون رفقاؤه أهل الكمال في عصره من المحقّقين. وقوله (ومن فَرْقِي) بفتح الفاء وسكون الراء، أي: مقام فرقيَ الثاني، وهو الفرق بعد الجمع، والصحو بعد السكر. وقوله (بدا): أي ظَهَر وتَبيَّنَ. وقوله (جمع وحدتي): وهو جمع الجمع، وهو الجمع بين الفرق والجمع، شهود الحقّ والخلق معاً بشهود الكثرة الخَلقيّة في الوحدة الحقيّة، والوحدة الحقيّة في الكثرة الخلقيّة.

٤٧٩- وَفِي صَعْقِ دَكِّ الحِسِّ خَرَّتْ إِفَاقَةً   لِـيَ الـنَفْسُ قَبْـلَ التَوْبَـةِ المُوسَـوِيَّةِ

(وفي صَعْقِ) يقال: صَعِقَ الرجلُ صَعْقَةً وتَصْعَاقاً، أي: غُشِيَ عليه. وأَصْعَقَهُ: غيّره، كذا في الصحاح. وفي القاموس: «صَعَقَ [كَمَنَعَ وَ] كَسَمِعَ صَعْقاً، ويُحَرَّك، وصَعْقَةً وتَصَعَاقاً: غُشِي عليه». وقوله (دكّ) قال في القاموس: «الدَكّ: الدَّقّ والهَدْمُ، وما اسْتَوَى من الرمل» انتهى. وفي الصحاح: «قد دَكَكْتُ الشيءَ أَدُكُّهُ دَكّاً: إذا ضربته وكسرتُه حتى سوَّيْته بالأرض». و(الحسّ): الإحساس بالشيء، أي: إدراكه بإحدى الحواس الخمس، وهي المشاعر الخمس: السمع، والبصر، والشمّ، الذوق، واللمس. والمعنى: في حاله الغَيبة، والفناء، والانمحاق بتجلّي الوجود الحقّ، وانكشافه، واندكاك الإحساس بالكلّيَّة. وقوله (خَرَّتِ): أي

سقطت. وقوله (إفاقة) تمييز. والإفاقة ضدّ السكر، وهي رجوع الصحو. وقوله (لي): صفة لإفاقة، أي: إفاقة حاصلة لي من حيث الذات الحقيقيّة الحقيّة. وقوله (النفس): فاعل خرّت. والمعنى: إنّ النفس رجعت نفساً لي من حيث ذاتيّ الغيبيّة الحقيّة، وذلك بعد سقوطها وفنائها من حيث أنّها نفس إمكانيّة كونيّة. وقوله (قبل التوبة الموسويّة): أي المنسوبة إلى موسى عليه السلام، فإنّه طلب الرؤيّة من ربّه تعالى، فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗا﴾ [٧/ الأعراف/ ١٤٣] أي: مغشياً عليه من هول ما رأى في اندكاك الجبل من عظمة الأمر الإلهي. فلمّا أفاق من غشيته قال: ﴿سُبۡحَٰنَكَ﴾ تنزيهاً له تعالى عن طلب رؤيته مع بقاء النفس ﴿تُبۡتُ إِلَيۡكَ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٤٣] يعني: من ذلك لأنّه لا يكون؛ فإنّ النفس مظهر ربّاني بصورة طبيعيّة، فلا ترى ربّها إلّا صعقت، فيكون تعالى هو الذي يرى نفسه، وهو رأى نفسه بنفسه أزلاً وأبداً، ولكن صورة النفس قائمة به من تجلّي اسمه المصوّر. والصورة حجاب عليه، فمن رأى نفسه رآه متجلّياً بالصورة، ولهذا لا يغيب عن العارفين به أصلاً دنيا وآخرة. قال ابن غانم المقدسي قدّس الله سرّه:

ومخطوبة الحسن محجوبة ... فلا يألفنّ السوى إلفها
إذا رام عاشقها نظرة ... فلم يستطع إذ علا وصفها
أعارته طرفاً رآها به ... فكان البصير لها طرفها

ومعنى كون النفس خرّت وسقطت من حيث أنّها أفاقت فرجعت حقيقتها إلى أنّها عين الحقيقة فزال حجاب الصورة النفسانيّة فظهرت رؤية الربّ للربّ على ما هي عليه. وتبيّن ذلك أمر قديم سابق على التوبة الموسويّة كما ذكرنا، فظهر أنّ حقيقتي وحقيقة موسى عليه السلام واحدة، وهي الحقيقة الموجودة الواجدة، وما به التميز. فإني وإنّه من جملة المعاني.

٤٨٠ – فَلَا أَيْنَ بَعْدَ العَيْنِ وَالسُّكْرُ مِنْهُ قَدْ أَفَقْتُ وَعَيْنُ الغَيْنِ بِالصَّحْوِ أَصْحَتِ[1]

/ [٢٢١/ أ] (فلا أين): أي محلّ ومكان يطلبه الطالب لهذه الحقيقة الربّانيّة، قال في المصباح: «أين ظرف مكان يكون استفهاماً. فإذا قيل: أين زيد؟ لزم الجواب بتعيين مكانه». وقوله (بعد العين): أي بعد حصول عين المطلوب ومعاينته، فإنّ الطلب لا يكون إلاّ للغائب، والحاضر لا يطلب.

وقوله (والسُكْرُ): الواو للحال، والجملة حال من فاعل خبر لا المحذوفة، والتقدير لا أين لمن أطلبه بعد حصول معاينته والتحقّق به، والحال أنّ غيبتي عنه قد أفقت منها. وقوله (وغين): بالمعجمة، قال في المصباح: «الغَيْن لغةٌ في الغيم، وغِيْنَتِ السماء، بالبناء للمفعول: غُطِّيَت بالغَيْن، وفي الحديث: «إنّه لَيُغَان على قلبي»[2] كناية عن الاشتغال عن المراقبة بالمصالح الدنياويّة، فإنّها وإنْ كانت مهمّة فهي في مقابلة الأمور الأخراويّة كاللهو عند أهل المراقبة. وقوله (العين) بالمهملة: أي الذات، يعني: ذات الحقّ تعالى، فإن صورة النفس غطاء عليها كما تقدّم، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ﴾ [٨٥/ البروج/ ٢٠] وقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [١٣/ الرعد/ ٣٣]. وقوله (بالصحو): صَحَا من سُكْرِهِ يَصْحُو صَحْواً زال سُكْرُه». والجار والمجرور متعلّق بـ(أصحتِ): بكسر التاء للقافية. يقال: أصْحَتِ السماء، بالألف فهي مُصْحِيَة: انكشف غيمها». كذا في المصباح. فاعل أصحتِ ضمير مؤنّث يعود على العين، بمعنى الذات، يعني: أصحا غيمها، أي: تفرّق وزال، قال في المصباح: «وأنكر الكسائي استعمال اسم الفاعل من الرباعي، فقال: لا يقال أصحت فهي مُصْحِيَة، وإنّما يقال: أَصْحَتِ فهي صَحْو، وأَصَحَى اليوم فهو مُصْحٍ ، وأَصحينا صرنا في صَحو»، قال السجستاني. والعامّة

---

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: بلغ سماعاً ومقابلة... ثم انقطاع للكلام.

(٢) انظر تخريجه ص٣٧٥.

تظن أنّ الصحو لا يكون إلّا ذهاب الغيم، وليس كذلك، وإنّما الصحو تفرّق الغيم مع ذهاب البرد.

٤٨١- وَآخِرُ مَحْوٍ جَاءَ خَتْمِيَ بَعْدَهُ كَأَوَّلِ صَحْوٍ لِارْتِسَامِ بِعِدَّةِ

(وآخر محو): أي فناء واضمحلال، وهو سرّ الروح الجامع لكلّ ما هو دونه من محو الروح الذي هو منشأ التعقّل والتخيُّل، وما دونه من محو النفس التي هي منشأ القوى الجسمانيّة، والحركات الطبيعيّة. وقوله (جاء ختمي): أي مقام ختم الولاية، وهي الوراثة المحمّدية الجامعة الذاتيّة. وقوله (بعده): أي بعد ذلك المحو المذكور.

وقوله (كأوّل صحو): وهو الصحو الذي يكون قبل السلوك، فإنّ فيه كمال الإعراض عن الحقّ والتحقّق بالخلق، وهذا من قبيل قولهم: إنّ النهاية هي الرجوع إلى البداية. وقوله (لارتسام): من الرسم، وهو الأثر. وقوله (بِعِدَّةٍ): أي بعدد. يعني: لارتسام تعداد الأشياء في الخيال؛ فالنهاية ليست كالبداية إلّا من جهة ارتسام الكثرة والتعدّد لا بطريق التحقّق، فإنّ الرسم مجرّد أثر؛ والطريقة أنّ المشبّه به أقوى من المشبّه. فالمحو الأخير المذكور تكون الأشياء المتعدّدة فيه رسوماً بمنزلة السراب الذي يحسبه الظمآن ماء حتّى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفّاه حسابه بسبب حسبانه المذكور، والصحو الأوّل هو عين حسبانه ما بطريق التحقّق بذلك، قال تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾، يعني: بأنفسهم وبأموالهم وجاههم، فيجدونها غير الحقّ. فيتكبّرون بها على الحقّ، لأنّهم في الصحو الأوّل، فهم مصروفون عن آيات الله تعالى التي في الآفاق، وفي أنفسهم. وصاحب المحو الأخير يشهد الرسوم المتعدّدة عين الوحدة الوجوديّة، ويعاين التجلّيات الربّانيّة، فلا يرى الحقّ ظاهراً في الرسوم بالآثار التي هي الخلق، ولا يرى الخلق لاحتجابه بالحقّ؛ فالحقّ عنده حجاب عن الخلق، كما أنّ الخلق عند الأوّل حجاب عن الحقّ.

٤٨٢ - وَمأْخُوْذُ مَحْوِ الطَّمْسِ مَحْقَاً وَزْنَتُهُ   بِمَجْذُوْذِ صَحْوِ الحِسِّ فَرْقَاً بِكِفَّةِ

(ومأخوذ): بصيغة اسم المفعول، من الأخذ، وهوالتناول، قال في الصحاح: «أَخْذْتُ/ [٢٢١/ ب] الشيءَ آخُذُهُ أَخْذَاً: تناولته». وقوله (محو الطمس): هو المحو الأخير، كما ذكرنا في البيت قبله. فالمأخوذ فيه هو الذي أخذه من نفسه، أي: تناوله بحيث لم يترك منه أثراً. قال في القاموس: «مَحَاهُ يَمْحُوهُ ويَمْحَاه: أذهب أثره. وهو هنا كناية عن إزالة الأوصاف البشريّة والفناء في الأفعال الإلهيّة. و(الطَّمْس): والطُمُوس: الدُرُوس والانمحاء. وقد طَمَسَ الطريق يَطْمُسُ ويَطْمِسُ، وطَمَسْتُه طَمْسَا، يتعدّى ولا يتعدّى، وانْطَمَسَ الشيء وتَطَمَّسَ، أي: انمحا واندرس، كذا في الصحاح. والطمس هنا كناية عن إزالة آثار الصفات البشريّة بالكليّة. وقوله (مَحْقَاً): تمييز، أي: من جهة المَحْق. وفي القاموس: «مَحَقَهُ كمَنَعَه: أَبْطَلَهُ». وفي الصحاح: «مَحَقَهُ يَمْحَقُه، أي: أَبْطَلَهُ ومَحَاه. والمَحْقُ هنا كناية عن استهلاك الذات بالأصالة؛ فالمحق أخصّ من الطمس، وهو أخفى من المحو، فالمحو هو هنا الفناء في الأفعال الإلهيّة. والطمس هو الفناء في الصفات الربّانيّة. والمحق هو الفناء في الذات الصمدانيّة. وقوله (وزنته): من الوزن كالرعد، وهو روز الثقل، والخفّة كالزنة. والضمير للمأخوذ. وقوله (بمجذوذ): متعلِّق بوزنته، أي: قدرته في الثقل والخفّة بإنسان مجذوذ، أي: مقطوع، من الجَذِّ بالجيم والذال المعجمة، وهو القطع، كناية عن الواقف مع الخلق المنقطع عن حضرة الحقّ. وقوله (صحو الحسّ): أي الإحساس بالحواس الخمس النفسانيّة، وهو السمع والبصر والشمّ والذوق واللمس. فإنّ الصاحي للإحساس بها صحوه أوجب انقطاعه عن مشاهدة الحقّ تعالى. وقوله (فرقاً): أي من جهة الفرق الذي هو فيه، أي: الغيريّة والاشتغال بها. وقوله (بكِفَّةِ): متعلِّق بوزنته، وهي بكسر الكاف، قال في الصحاح: «كلّ ما استدار فهو كِفَّة، بالكسر، نحو كِفّة الميزان. وقال في القاموس: «والكِفَّة بالكسر من الميزان، وتُفتح». والمعنى: وجدت في مقام الفرق

الثاني بعد الجمع أنّ الكامل الواصل إلى الذات الإلهيّة بالأسماء الربّانيّة. والناقص الجاهل المنقطع عن الحقّ تعالى في كونهما مظهرين للحقّ تعالى، مشتغلين بشؤون الحقّ تعالى، وتجلّياته في كلّ شيء واحد يساوي كلّ منهما الآخر، كما قال تعالى: ﴿مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ﴾ [٦٧/ الملك/ ٣] وإنْ كان من حيث المرتبة بينهما تفاوت عظيم، وفرق ظاهر جسيم.

٤٨٣ - فَنُقْطَةُ غَيْنِ الغَيْنِ عَنْ صَحْوِيَ انْمَحَتْ وَيَقْظَةُ عَيْنِ العَيْنِ مَحْوِيَ أَلْغَتِ

(فنقطة غَيْنِ الغَيْنِ): بالمعجمتين، يعني بالغين حرفاً من حروف التهجّي، وهي غين الغين، أي: السوى. وقوله (عن صحوي): متعلّق بانمحت، أي: عن صحو إدراك الأغيار، وملاحظة الخلق بالغفلة عن الحقّ، فإذا زالت نقطة الغين، وانمحت ظهرت العين. وقوله (ويقظة): بسكون القاف، وهي التنبّه للأمور، وهي اليقظة من النوم. وقوله (عين العين): أي معاينة الذات، يعني: اليقظة الحاصلة من معاينة الذات الإلهيّة. (محوي): أي زوالي وفنائي. (ألغتِ): بكسر التاء للقافية، يقال: ألغاه بالغين المعجمة، أي: أَبطله، يعني: ألغت تلك اليقظة محوي وفنائي، لأنّها يقظة للوجود الحقّ، الواحد الأحد الذي لا غيره ولا سواه. ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [٢٨/ القصص/ ٨٨] أي: إلّا ذاته، وذاته الوجود الحقّ.

٤٨٤ - وَمَا فَاقِدٌ فِي الصَّحْوِ فِي المَحْوِ وَاجِدٌ لِتَلْوِينِهِ أَهْلاً لِتَمْكِينِ زُلْفَةِ

(وما هي): نافية حجازيّة تعمل عمل ليس. و(فاقد): اسمها. (واجد): صفته. و(أهلاً): خبرها. وقوله (فاقد): أصل الفاقد المرأة التي تفقد زوجها، أو ولدها. وظبية فاقد، وتفاقد القوم، أي: فقد بعضهم بعضهم، كذا في الصحاح. وهو كناية عمّن يفقد شهود ربّه المتجلّي/ [٢٢٢/ أ] وقوله (في الصحو): أي في حالة محوه لغير الحقّ تعالى، واشتغاله بما سواه سبحانه. وقوله (في المحو): أي

الفناء والاضمحلال. وقوله **(واجد)**: أي متحقّق مشاهد لربّه الحقّ المتجلّي. وقوله **(لتلوينه)**: اللام للتعليل، واللون هيئة كالسواد والحمرة، وفلان مُتلوِّن: إذا كان لا يثبت على خلق واحد كذا في الصحاح. وقوله **(أهلاً)**: تقول فلان أهل لكذا، ولا تقل مستأهل، والعامّة تقوله. ويقال: أَهَّلَكَ الله للخير تَأهيلاً كما في الصحاح. وقال في القاموس: «أَهْلُ الأمر وُلاتُه، وللبيتِ سُكَّانُه، وللمذهب مَنْ يَدِينُ به، وأَهَّلَهُ لذلك تَأْهِيلاً، وآهَلَهُ: رَآه له أَهْلاً ، واسْتَأْهَلَهُ: اسْتَوْجَبَهُ، لغة جيدة، وإنكار الجوهري باطل».

وقوله **(لتمكين)**: هو ضدّ التلوين. قال في الصحاح: مَكَّنَه الله من الشيء وأَمْكَنَهُ منه بمعنىً. واسْتَمْكَن الرجلُ من الشيء وتَمَكَّنَ منه بمعنىً. وقوله **(زُلْفَةٍ)**: مضاف إليه، وهو بضمّ الزاي وسكون اللام، أي: قرّبَهُ إلى الله تعالى، قال في الصحاح: «أَزْلَفَهُ أي: قَرَّبَهُ، والزُّلْفَةُ والزُّلْفَى: القُرْبَةُ والمَنْزِلَة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ﴾ [٢٤/ سبأ/ ٣٧] وهو اسم مصدر، كأنّه قال: بالتي تقرّبكم عندنا إزلافاً. والمعنى: إنّ التلوين بالفقد عند الصحو والوجدان عند المحو لا يكون صاحبها أهلاً للتمكين في القرب إلى الحقّ تعالى؛ لأنّه صاحب تقلّب في أموره، لا صاحب ثبوت ورسوخ. لكن ذكر الشيخ الأكبر محيي الدّين بن عربي قدّس الله سرّه بأنّ التمكن في التلوّن أتمّ وأكمل من التمكّن فقط من غير تلوّن، لأنّه صلّى الله عليه وسلّم قال: « إنّه ليغان على قلبي، وإنّي لأستغفر الله في اليوم والليلة أكثر من سبعين مرّة»[1]. وفي رواية: «مائة مرّة ». وهو المقام المحمّديّ الذي أشار إليه تعالى بقوله: ﴿يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟﴾ [٣٣/ الأحزاب/ ١٣] وهم الأولياء المحمّديّون لا يقفون عند حال، ولا مقام مع رجوعهم إلى الحقّ تعالى في كلّ نفس فيرجعون إليه، ويصدرون عنه في كلّ مقام. وقال في قول القائل:

---

(١) انظر تخريجه ص٣٧٥.

كـــــلّ يـــــوم تتلـــــون غـــير هـــذا بـــك أحـــسن

بل قوله لو قال:

كـــــلّ يـــــوم تتلـــــون إنّ هـــذا بـــك أحـــسن

لكان هو الأحسن. فقول الناظم: ما هو **أهل لتمكين زلفة**، يعني: صاحب التلوين من غير تمكين في تلوينه ذلك؛ ولهذا ذكر الفقد في الصحو، والوجدان في المحو، وصاحب التمكين في التلوين ما عنده فقد، ولا صحو للغير فقط؛ بل رجوع إليه تعالى وصدور عنه، ولهذا قال الشيخ أبو الحسن الشاذليّ قدّس الله سرّه في قوله عليه السلام «إنّه ليغان على قلبي» إنّه غين أنوار، لا غين أغيار، فإنّه صلّى الله عليه وسلّم كان دائم الترقّي؛ فكلّما يرقى إلى مقام وجد المقام الذي قبله غيناً بالنسبة إليه، فيستغفر منه. وقال تعالى بعد قوله: ﴿يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ﴾ ويثرب من أسماء المدينة المنورّة قال تعالى: ﴿فَٱرۡجِعُواْ﴾ [٣٣/ الأحزاب/ ١٣] أي: إلى ما كنتم فيه من حضرة العلم الحقّ تعالى.

٤٨٥ - تَسَاوَى النَّشَاوَى وَالصُّحَاةُ لِنَعتِهِمْ بِرَسْمِ حُضُوْرٍ أَوْ بِوَسْمِ حَظِيْرَةِ

(تساوى النشاوى): جمع نشوان، قال في الصحاح: رجل نَشْوانُ، أي: سَكْران، بَيِّنُ النَّشْوَةِ بالفتح، وزعم يونس أنّه سمع فيه نِشْوَة بالكسر، وقد انْتَشَى، أي: سكر. وقال في القاموس: نَشَى نَشْوَاً ونُشْوَة، مثلثة: سَكِرَ كَانْتَشَى وتَنَشَّى، ورجل نَشْوَانُ ونَشْيَان: بَيِّن النَّشْوَة بالفتح». وقوله **(والصُّحَاة)**: جمع صاحٍ، قال في القاموس: «الصَّحْو ذهاب الغَيم والسُكْرُ، وترك الصِّبَا والباطل. يومٌ وسماءٌ صَحْوٌ [وصَحِيٌّ]. وصَحِيَ السكران كرضي، وأصْحَى. وكذا المُشتاق». وقوله **(لِنَعْتِهِم)**: أي تساويهم لأجل نعتهم الذي/ [٢٢٢/ ب] هم منعوتون به من الفرق بين القديم والحوادث، وإدراك تعداد الحوادث وكثرتها، ووحدة القديم الحقّ في ذاته وصفاته وأسمائه، فإنّ السكارى بخمرة التوحيد والصُّحاة من ذلك سواء للاستواء في نعوتهم وأوصافهم. وقوله (برسم): أي حكم من قولهم رسم

له كذا: أمر له به فارتسم، كذا في القاموس. والرسم أيضاً الأثر أو بقيّته، أو ما لا شخص له من الآثار، فإنّ الحوادث رسوم الصفات والأسماء الإلهيّة وآثارها. وقوله (**حضور**): مضاف إليه، والجار والمجرور متعلّق بنعتهم. والباء للسببيّة، أي: بسبب رسم الحضور، وهو ضدّ الغيبة، راجع إلى النشاوى، فهم سكارى من الحضور مع الحقّ تعالى، والغيبة عن الخلق كلّهم، فالخلق عندهم مجرّد رسوم وآثار فانية مضمحلّة. وقوله (**أو بوسم**): أصله أثر الكي، وتَوَسَّمَ الشيءَ: تَخَيَّلَهُ وتفرّسه، كذا في القاموس. وقال في الصحاح: «وَسَمَهُ وَسْماً وَسِمَةً: إذا أثّر فيه سِمَةً وكَيّ، والهاء عوض من الواو».

وقوله (**حظيرة**): من الحَظْرِ بالحاء المهملة والظاء المعجمة والراء، وهو الحَجْرُ وهو المَنْعُ، خلاف الإباحة. والمَحْظُور: المُحَرَّم، والحِظَار: الحَظِيْرَة تُعْمَل للإبل من شجر لتقيَها البرد والريح. قال أبوعبيدة: أراه سَمَّى أمواله حَظِيَرة لأنّه حَظَرَهَا عنده ومنعها، وهي فعيلة بمعنى مفعولة، كذا في الصحاح. والجار والمجرور متعلّق بنعتهم المقدّر، وتقديره: أو لنعتهم بوسم حظيرة، أي: أثر كَيّ الأغيار، ومنع الغفلة والحجاب عن شهود الأسرار، وهو راجع إلى الصحاة من طريق اللَفّ والنَشر المرتّب؛ فإنّ الصحاة هم المشغولون بالملاحظة للمخلوقات، والانهماك بها من غير معرفة ولا شهود للحقّ تعالى؛ فإنّ القسمين النشاوى والصحاة سواء بحكم قوله تعالى: ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ [٦٧/ الملك/ ٣] لكن النشاوى سكارى بشهود الحقّ سبحانه، فلا يعرفون الخلق إلّا رسوماً وخيالات، والصُحاة سكارى بشهود الخلق فلا يعرفون الحقّ سبحانه إلّا رسماً أو تخيلاً في نفوسهم، وهؤلاء سكارى بالنسبة إلى هؤلاء، وهؤلاء سكارى بالنسبة إلى هؤلاء. والخمر الذي سكر به كلّ منهما غير الخمر الذي سكر به الآخرون، وكذلك هؤلاء صحاة بالنسبة إلى الآخرين. والآخرون صحاة بالنسبة إلى الأوّلين والذي صحوا له مختلف، ولهذا حكم فيهم بالتساوي. وفي نعتهم

يحتمل اللف والنشر المرتّب والمشوش على ما ذكرنا.

٤٨٦ - وَلَيْسُوا بِقَوْمَي مَنْ عَلَيْهِمْ تَعَاقَبَتْ صِفَاتُ الْتِبَاسٍ أَوْ سِمَاتُ بَقِيَّةِ

(**وليسوا**): بضمير الجمع، وهو الواو، راجع إلى متأخّر لفظاً متقدّم رتبة، وهو مَنْ، بمعنى الذين، فإنّه مبتدأ مؤخّر، وجملة ليسوا من أسمائها، وهو الواو وخبرها. (وهو بقومي): في محل رفع خبر مقدم. وقوله (**بقومي**): قال في القاموس: القوم الجماعة من الرجال والنساء معاً، أو الرجال خاصّة، أو تدخل النساء على التبعيّة، ويؤنّث. والجمع أقوام». وقوله (**من عليهم تعاقبت**): من العَقْب، بالتسكين، وهو الجري، يجيء بعد الجري الاوّل، وهما يتعاقبان كالليل والنهار. وقوله (**صفات**) جمع صفة. و(**التباس**): النفس أي: الالتباس المضاف إلى النفس، وهو التباس الأمور الإلهيّة على نفوسهم، فإذا رأوا تجلِّيات الحقّ تعالى التي هي آثار أسمائه الحسنى رأوها عوالم قائمة بأنفسها، وغفلوا عنه كونها مظاهر إلهيّة من حيث تجَلِّيه تعالى باسمه الخالق البارئ المصوّر له الأسماء الحسنى، وهم المحجوبون الغافلون المنهمكون في الدنيا وأحوالها. وقوله (**أو سمات**): جمع سمة، وهي العلامة. وقوله (**بقيّة**): مضاف إليه، أي: بقيّة دعوى نفسانيّة، فإنّ من تعاقبت عليه علامات البقيّة النفسانيّة كان كمن التبست عليه الأمور الإلهيّة/ [٢٢٣/ أ] بصفات نفسه، وهو مع الأغيار بعيد عن شهود الأسرار، قال تعالى في الأوّل: ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ [٦/ الأنعام/ ٩] أي: عين ما يلبسون بدعاوي نفوسهم. وقال تعالى: ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾ [١١/ هود/ ٨٦] يعني: خير من بقيّة النفوس، فإنّها شرّ، وهؤلاء الطائفتان ليسوا بقومه، ولا بأهل عشيرته قدّس الله سرّه وإنْ كانوا أهله الأقربين.

٤٨٧ - وَمَنْ لَمْ يَرِثْ مِنِّي الْكَمَالَ فَنَاقِصٌ عَلَى عَقِبَيْهِ نَاكِصٌ فِي الْعُقُوبَةِ

(ومن لم يرث): قال في القاموس: «وَرِثَ أباه. ومنه: بكسر الراء يَرِثُه ـ كيَعِدُهُ ـ وِرْثاً وَوِرَاثَة وإرْثاً وَرِثَةً بكسر الكُلّ، وأَوْرَثُه ووَرَّثَهُ: جعله من وَرَثَتِه». وقوله

(مِنِّي): متعلّق بيَرِث. وقوله (الكمال): مفعول يرث، أي: كمال العلم والعمل والحال والمقام؛ بحيث يتبعني ويسير على سيري. وقوله (فناقص): أي فهو ناقص علماً وعملاً، وليس من ورثتي، ولا هو مِنِّي، وهم أتباعه في أحواله الظاهرة فقط، ومن جالسه وانتسب إليه بقصد دنيويّ وعرض فاسد. وقوله (على عقبيه ناكص): قال في الصحاح: «النُكُوص: الإحجام عن الشيء، يقال: نَكَصَ على عقبيه يَنْكُصُ بالضمّ، ويَنْكِص بالكسر، أي رجع». وقوله (في العقوبة): وهي جزاء الأمر، قال في الصحاح: «أَعقبه بطاعته، أي: جازاه. والعُقبى: جزاء الأمر». وفي القاموس: «أعقبه: جازاه. وتعقّبه: أخذه بذنب كان منه». يعني: إنّ ذلك الناقص الذي لم يرث منه الكمال راجع عن الترقّي في مراتب الإيمان والإحسان مجازاة له، ومؤاخذة بذنوب تركه الاهتمام بمعالي الحال والمقام، ورضاه بسفاسف الأخلاق الرديّة، والطبائع البشريّة.

٤٨٨ - وَمَا فِيَّ مَا يُفْضِي لِلَبْسٍ بَقِيَّةٍ وَلا فَيْءَ لِي يَقْضِي عَلَيَّ بِفَيْئَةِ

(وما): نافية. وقوله (فيّ): بتشديد الياء التحتيّة. وقوله (ما): أي أمر من أمور النفس، وقوله (يفضي): بالفاء والضّادّ المعجمة، أي: يوصل. وقوله (للَبْسِ بقيّة): أي بحيث يوصل ذلك إلى التباس بسبب بقيّة نفسانيّة لم تزل عنّي. والمعنى: إنّ الموانع الموصلة إلى التباس الحقّ بالباطل زالت بالكليّة، ولم يبقَ لها بقيّة. وقوله (ولا فيء): بالهمزة، قال في المصباح: «الفيء لا يكون إلّا بعد الزوال، ولا يقال لما قبل الزوال فيء، وإنّما سمّي بعد الزوال فيئاً لأنّه ظلّ فاء عن جانب المغرب إلى جانب المشرق، والفيء: الرجوع. وقوله (لي): أي لحقيقتي العلميّة المشتملة على جميعي في إشراق شمس الوجود الحقّ لفناء الرسم، واضمحلال الأثر والوسم. فإنّ نور شمس الوجود الحقّ إذا طلعت من مشرق الروح الإنسانيّ المنفوخ في القلب الجسمانيّ امتدّ ظلّ الصورة الإنسانيّة الباطنيّة والظاهريّة جهة مغرب الجسد، وعالم الطبيعة والنفس الحيوانيّة. فيبقى نظر العبد إلى صورته الممتدّ في

المغرب عن شاخص معلوميّته في حضرة العلم القديم، وتبقى شمس الوجود الحقّ من ورائه، كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ﴾ [٨٥/ البروج/ ٢٠] ثمّ لا يزال العبد السالك يرقبها بمجاهدة الطاعة والعبادة حتّى يحصل الاستواء على صورته الممتدّة، فتنمحي الرسوم، ويضمحل المعلوم عندها، والمفهوم بتجلّي الحيّ القيوم. ثمّ لا تزال البصيرة القلبيّة تنفتح شيئاً فشيئاً حتّى يتحوّل وجهه إلى شهود صورته، وهي تمتدّ من شاخص معلومة العلم القديم الإلهيّ إلى جهة المشرق، فيرجع الظلّ فيسمّى الفيء، وهو ممتدّ عن الشاخص جهة المشرق حتّى تغرب الشمس في مغربها المعلوم، ويظهر مقام الاتّحاد الحقّ الحقيقيّ في فناء الرسوم، فلا يبقى ظلّ ولا فيء، وهو معنى قوله (ولا فيء لي). وقوله (يقضي): أي يحكم عليّ، بتشديد الياء/ [٢٢٣/ ب] التحتيّة. وقوله (بفَيْئَةٍ): أي برجعة إلى مقام السالكين بعد التحقّق بمقام الاتّحاد الحقيقيّ الذي هو مقام الواصلين.

٤٨٩- وَمَاذَا عَسَى يُلْقِي جَنَانٌ وَمَا بِهِ يَفُوهُ لِسانٌ بَيْنَ وَحْيٍ وَصِيْغَةِ

و(ما) استفهاميّة. و(ذا) اسم موصول. يعني: أي شيء الذي عسى، قال في المصباح: «عسى فعل ماض جامد غير متصرّف، وهو من أفعال المقاربة، وفيه ترجّي وطمع» وقوله (يُلْقي): بضمّ الياء التحتيّة وسكون اللام، أي: يُلقيهِ، أَلْقَيْتُ الشيءَ بالألف: طَرَحْتُهُ، وأَلْقَيْتُ إليه القولَ وبالقول: أَبْلَغْتُهُ. وأَلْقَيْتُهُ عليه بمعنى أَمْلَيْتُهُ وهو كالتعليم، كما في المصباح. وقوله (جَنَانٌ): بفتح الجيم فاعل يلقي، والجَنَان: القلب، سُمِّي بذلك، لأنّ الصدر يستره. والمعنى: أي شيء الذي يحصل الترجيّ والطمع فيه أن يلقيه قلب من قلوب الكاملين المحقِّقين من العلوم الإلهيّة، والحقائق العرفانيّة. وتنكير جَنان للتعظيم. يعني: من صاحب المقام المذكور في البيت قبله، وهو مقام الاتّحاد الحقيقيّ. وقوله (وما): أي الذي معطوف على الموصول الأوّل، وهو ذا. وقوله (به): متعلّق بـ (يفوه) يقال: فَاهَ الرجل بكذا يَفُوهُ: تَلَفَّظَ به كما في المصباح. وقوله (لسان): فاعل يفوه، أي: لسان

من ألسِنَة أهل العرفان وذوي التّحقيق والإيقان. وتنكيره للتعظيم أيضاً. وحذف مفعول يلقى لإفادة عمومه، وعدم حصره. وصرّح بضمير الموصول وهو العائد لقلّته بالنسبة إلى كثرة ما في الجنان. وقوله (بين وحيٍ): قلبيٍ إلهيّ ربّانيّ، وهو راجع إلى ما يلقيه الجَنَان. وقوله (وصيغة): معطوف على وحيّ، قال في المصباح: «صيغة القول كذا، أي: مثاله وصورته على التشبيه بالعمل والتقدير». ومعنى الصيغة هنا اللفظ المصوغ على أكمل ما يكون من البلاغة، وهو راجع إلى ما يفوه به اللسان، والمعنى: إنّ الذي يتضمّنه ويشتمل عليه صاحب مقام الاتّحاد الحقيقيّ أمر عظيم ليس من الأمور التي يمكن أنّ يلقيها قلب بوحي إلهيّ، أو يفوه بها لسان بصيغة بليغة من صيغ الكلام. كناية عن الكلام الربّانيّ القديم المنزّه عن المعاني الخياليّة، والحروف والأصوات اللفظيّة.

٤٩٠ - تَعَانَقَتِ الأَطْرَافُ عِنْدِي وَانْطَوَى بِسَاطُ السِّوَى عَدْلاً بِحُكْمِ السَّوِيَّةِ

(**تعانقت**): أي تداخلت واجتمعت، وانضمّ بعضها إلى بعض، بحيث صارت شيئاً واحداً. وقوله (**الأطراف**): جمع طَرَف بالتحريك، قال في المصباح: «الطَرَف الناحية، والجمع: أطراف، مثل سبب وأسباب». وذلك كناية عن الجهات الأربعة الحقيّة المنسوبة إلى الحقّ تعالى، الصفات الأربعة: الحياة، والعلم، والإرادة، والقدرة، وما يتبعها من بقية الصفات والأسماء الأربعة: الحيّ، العالم، المريد، القادر. وما يتضمّنه من بقية الأسماء والجهات الأربعة الخلقيّة المنسوبة إلى الخلق: الحرارة، والبرودة، والرطوبة، واليبوسة. وما يتبعها من تراكيب الطبيعة، والمزاج وما تركّب منه بالأخلاط الأربعة: الصفراء والسوداء، والدم، والبلغم. والعناصر الأربعة: النار، والهواء، والماء، والتراب. والمواليد الأربعة: الجماد والنبات، والحيوان، والإنسان. والأرواح الأربعة: جبرائيل، وإسرافيل، وميكائيل، وعزرائيل. والجوامع الأربعة: العرش، والكرسيّ، والسموات، والأرض. والكواكب الأربعة:

الثوابت، والسيّارة، والشمس، والقمر. والأصول الاعتباريّة الأربعة: الروح الكلّ، والنفس الكليّة، والقلم الأعلى، واللوح المحفوظ. وهذا مجموع الكلّ: عبد، وربّ، وخلق، وحقّ ، ووجود، وعدم. والكلّ واحد حقٌّ في ذاته، كثير باعتباراته، لمّا تحقق محمّد صلّى الله عليه وسلّم بهذا المقام الذاتيّ الاتّحاديّ الحقيقيّ أنزل الله تعالى عليه: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [١٠٨/الكوثر/١] وهي الكثرة، ترجع / [٢٢٤/ أ] إلى الوحدة، قال صلّى الله عليه وسلّم: «إذا وضعتِ أُصبعيك في أُذنيك سمعت خرير الكوثر»[1] وهو تدافع حركة التكوين بالأمر الإلهيّ الذي كلمح بالبصر، وقد أُريته ولله الحمد في مبشرة من سنين متقدّمة، وشربت من ماء أحلى من العسل ، وأبرد من الثلج، لا يبقى معه شيء من العطش، وأنا الآن متحقّق به، ولله الفضل والمنّة. وقد ظهرت حقيقة المبشرة. وقوله (**عندي**): أي هذا أمر أنا مخصوص به وحدي وإنْ شاركني فيه غيري في الزمان الماضي، أوفي الحال وفي الاستقبال، فإنّه لا غير لي. والكلّ عيني بحكم الاتّحاد الحقيقيّ الذي هو مقتضي المقام المذكور. ويفسره قوله بعد ذلك (**وانطوى بساط السوى**): أي الغير، والبساط على الاستعارة هو الأمر المنبسط في عقول العالم الإنساني وغيره من العوالم، فلا يكاد ينفكّ عنه عقل ألبتّة إلّا بعناية ربّانيّة، وسابقة أزليّة. وقوله (**عدلاً**): منصوب على التمييز، أي: بوجه العدل منّي، في ذلك قوله (**بحكم السويّة**): أي بمقتضى التسوية بين الخلق، كما قال تعالى: ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ [٦٧/ الملك/ ٣] وهو المستوى الذي ظهر به صلّى الله عليه وسلّم ليلة المعراج فسمع فيه صرير الأقلام بتصاريف الأقدار، على ما ورد في الأخبار.

---

(١) ذكره السيوطيّ في الجامع الصغير، باب: إذا مع الجيم، ١٧٤٩، عن عائشة، بلفظ: إذا جعلتِ أُصبعيك في أذنيك سمعت خرير الكوثر، قال المناويّ: رواه الدارقطنيّ عن عائشة، وبيّن السخاويّ وغيره أنّ فيه وقفاً وانقطاعاً، ولكن يعضده ما رواه الدارقطنيّ عن عائشة: إنّ الله أعطاني نهراً في الجنّة لا يُدخل أحد أصبعيه في أذنيه إلّا سمع خريره.....

٢٩١- وَعَادَ وُجُوْدِي فِي فَنَا ثَنَوِيَّةِ الـ ـــوُجُوْدِ شُــهُوْداً فِي بِقَــا أَحَدِيَّــةِ

(وعاد): رجع، يقال: عاد إلى كذا، وعاد له أيضاً: صار إليه، وعاد كذا. وقوله **(وجودي)**: أي الذي كنت أتوهّم في حالة الغفلة والجهل أنّه وجودي. وقوله **(في فنا)**: بالقصر لضرورة الوزن. و**(الفناء)**: الزوال بالكليّة. وقوله **(ثَنَوِيَّةِ)**: يقال ثُنَّيْتُ الشيء بالتثقيل: جعلته اثنين، كذا في المصباح. وقوله **(الوجود)**: أي اعتقاد أنّ الوجود اثنان: **وجود حادث**، وهو وجود المخلوقات الظاهر للحسّ والعقل. **ووجود قديم**، وهو المُتخيَّل في العقول على حسب إدراكاتها، ولا يقدر العقل أنْ ينفكّ عن التخيّل سواء ضبط معلوماً محقّقاً، أو أسلم لغيب مطلق، وهو التصوّر العقليّ، ولا فرق بين التصوّر والتصوير.

فإنّ معناه حصول الصورة في العقل، وما لا صورة له لا وجود له عند العقل. قال القائل:

إنّ الإلـه الـذي يبـدو لكـم وبكـم ... والله والله مــا هــذا هــو الله

وإنّـما هـو معنـى في العقـول بـدا ... إذا تحقّـق معنـاه هـو الله

وقد اغتفر للقاصرين الجاهلين من عوام المؤمنين، هذا المعنى في إيمانهم بالله تعالى. وقال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه: الحقّ تعالى «إنّما حجر علينا أنْ نتخذ له صورة في الخارج ولم يحجر علينا أنْ نتخذ له صورة في نفوسنا، وهذا من الضرورات العقليّة. فإنّ الحكم فرع التصوّر، وهو مقتضى الثنويّة في الوجود، ولنا كلام على هذا في غير هذا المحلّ من كتبنا». وقوله **(شهوداً)** حال من وجودي، أو خبر عاد. و**(وجودي)**: اسمها إنْ كانت بمعنى صار. والشهود المعاينة، أي: صار وجودي الذي كنت أعتقد أنّه وجود ثانٍ مع وجود الحقّ تعالى معاينة ومشاهدة لوجود الحقّ تعالى. وهذا لا يكون إلّا بعد فناء الرسوم الكونيّة. والصور الحسيّة والمعنويّة، والاضمحلال بالكليّة. وقوله **(في بقا)**: بالقصر لضرورة الوزن. والبقاء

ضدّ الفناء. وقوله (أحديّة): أي وحدة الوجود الحقّ؛ فإنّ الأحديّة أخص من الواحديّة. لأنّ الواحديّة عدم الإثنينيّة، والأحديّة عدم الإثنيْنيّة، وعدم إمكانها بوجه من الوجود؛ ولهذا قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ﴾ [١١٢/الإخلاص/٣] ولم يقل قل هو الله واحد؛ لأنّ الله عَلَمٌ على ذات واجب الوجود الجامع لجميع/[٢٢٤/ب] الأسماء، والعلم لا يكون مسمّاه إلاّ واحداً، فلو قبل الله واحداً لم يفد شيئاً. وأمّا الأحد فهو الواحد الذي لا يمكن أنْ يكون له ثانٍ؛ فإنّ الشمس في الدنيا واحد ولكن يمكن أنْ يكون لها ثانٍ، وكذا كلّ واحد.

٤٩٢- فَمَا فَوْقَ طَوْرِ العَقْلِ أوَّلُ فَيْضَةٍ كَـمَا تَحْـتَ طُـوْرِ النَّقْـلِ آخِـرُ قَبْـضَةِ

(فما): الفاء للتفريع على ما قبله. وما موصولة بمعنى الذي، أي: الحال الذي. وقوله (فوق طور العقل): بفتح الطاء المهملة. قال في المصباح: «الطَّوْر، بالفتح: الحال والهيئة. والجمع: أطوار، مثل ثوب وأثواب». يعني أنّ المعاني والعلوم والإدراكات التي فوق مقدار فهم العقل، وفوق حاله وهيئته، قال تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [٧١/ نوح/ ١٤] واعلم أنّ العقل تسمية بالمصدر من قولك عَقَلَ يَعْقِل عَقْلاً، أي: رَبَطَ، وهو قوّة روحانيّة تعقل، أي: تربط ما يظهر لها من صور المعاني والمحسوسات، فتطبعه بقوّة الخيال في لوح القوّة الحافظة. وللعقل أطوار باعتبار قابليَّته للاستفادة من كلّ ما يعرض عليه بطريق الفيض الإلهيّ، والقوّة المفكِّرة لا تخرجه من طَور إلى طَوْر؛ وإنّما تجول به في طوره الذي هو فيه، فيستخرج له معاني مختلفة بوساطة الحواس الظاهرة أو الباطنة، فإذا جاء الفتح الربّاني، والفيض الرحمانيّ تنبّه لطور آخر فوق طَوره الأوّل، فَسرَحَتْ بصيرته في معانٍ أُخر، فكشف عنها وشهدها عياناً و(هي مما)[1] يستحيل عنده في طوره الأوّل، وهكذا إلى ما لا نهاية له، ففوق طَور العقل أطوار لا نهاية لها دنيا

(١) بياض كلمة أو اثنتين أو أكثر نقص من المخطوط.

وآخرة. ولا ينقل العبد فيها من طور إلى طور إلاّ ربّه الحقّ تعالى بتهيئته لذلك بحسن المعاملة والتقوى، وسلوك مسالك الصالحين، قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [٣٥/ فاطر/ ١٠] وهي النفوس التي تزكّت وطابت بالطهارة من الأخلاق الذميمة، وتحلّت بالأخلاق الحسنة: والعمل الصالح أي الموافق لأحكام الشريعة المحمّديّة: ﴿يَرْفَعُهُۥ﴾ [٣٥/ فاطر/ ١٠] أي: يرفع الكلم الطيِّب من أسفل سافلين وهو مقتضيات بالطبيعة إلى أعلى علِّيين، وهو مقتضيات الروح الآمري. وقوله (**أوّل فيضةٍ**): من فاض الماء يَفيض فَيضاً، أي: كثر حتّى سال على ضفّة الوادي. وأرض ذات فُيُوض إذا كانت فيها مياه تفيض، ونهر فَيَّاض أي: كثير الماء، كذا في الصحاح. يعني: إنّ الفَيضة الأولى، وابتداء الفتح الربّاني فوق طور العقل، الطور الأوّل الذي فيه العقلاء، فلا يدرك العقلاء من حيث أفكارهم ما يدركه العارفون في الطور الذي فوق طور العقل. ومن هنا يقع الإنكار من عقلاء العلماء على أحوال العارفين وأقوالهم. وقوله (**كما تحت طور النقل**): الطُّور، بضمّ الطاء المهملة: الجَبَل، أي: جبل النقل. و(**النقل**): ما ينقل عن الله ورسوله من شرائع الأحكام في الملّة المحمّديّة؛ فإنّ ذلك جبل عالٍ مرتفع على كلّ مكلّف به، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٧١] الآية. فالمكلّفون كلّهم تحت ذلك الجبل. وقوله (**آخر قبضة**): بضمّ القاف وفتحها. قال في المصباح[1]: «القُبضَةُ بالضمّ: ما قَبَضْتَ عليه من شيء. يقال: أعطاه قُبْضَةً من سُويقٍ أو تمرٍ، أي: كَفاً منه، وربّما جاء بالفتح. ويقال: صار الشيء في قَبْضِكَ وقَبْضَتِك، أي: في ملكك». والمعنى: إنّ الحال الذي تحت أحكام الشريعة المحمّديّة آخر قُبضة قبضها الحقّ تعالى على عباده المكلّفين. فمن دخل تحتها سَعِدَ ونجا، ومن لم يدخل فهو الشقي. وقيل: هذه القبضة قبضات، منها: قبضة العلم الإلهيّ القديم، وقبضة الإرادة والمشيئة، وقبضة التكوين والإيجاد، وآخر

---

(١) القول هنا من الصحاح، وليس من المصباح.

القبضات: قبضة الحكم والتكليف بالأمر والنهي؛ فقد ذكر أوّل قبضة يقبضها العلم الإلهيّ؛ وإنّما تكون من فوق طور العقل، وهي مقام الولاية، وهي بداية الأنبياء عليهم السلام، فإنّ طور النبوّة فوق هذا الطور الذي فوق طور العقل؛ فقد اشترك في ذلك جميع النبيّين عليهم السلام، كما اشتركوا أيضاً مع أممهم/ [٢٢٥/ أ] في آخر قبضة من قبضات الحقّ تعالى، وهي قبضة التكليف، فتساوى الكلّ في البسط بالفيض، والقبض بالتكليف، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ - وهي الأرواح والعقول والنفوس - ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [٣٩/ الزمر/ ٦٧] أي: الأجسام والطبائع، وقيد يوم القيامة لظهور ذلك وتبيّنه كمال البيان للكلّ، كما قال تعالى: ﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ۝١٠ كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ﴾ [٧٥/ القيامة/ ١٠-١٢].

٤٩٣ - لِـذَلِكَ عَـنْ تَفْـضِيْلِه وَهْـوَ أَهْلُـه نَهَانَـا عَـلَى ذِي النُّـوْنِ خَـيْرُ البَرِيَّـةِ

(لذلك): أي لأجل ما سبق في البيت قبله من التساوي في القبض وفي البسط، كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٤٥] عن تفضيله متعلّق بـ **(نهانا)**. وقوله **(وهو أهله)**: جملة حالية من ضمير تفضيله وقوله **(على ذي النون)**: أي صاحب الحوت، وهو يونس النبيّ عليه السلام. وقوله **(خير البريّة)**: نبيّنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم **(عن تفضيله)**: على يونس نبيّ الله عليه السلام، كما ورد في الحديث قال صلّى الله عليه وسلّم: «لا تفضلوني على يونس بن متى»[1]. والحال أنّه صلّى الله عليه وسلّم أهل لتفضيله عليه وعلى غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ فإنّ القبض والبسط فعلان إلهيّان يشترك فيها جميع الخلق من حيث يعلمون، ومن حيث لا يعلمون. ولا اعتبار بمن لم يعلم. والعلماء بالله من هذه الحيثيّة مشتركون؛ فلا تفضيل بينهم في ذلك لوجود التساوي. والفضائل معتبرة من حيث زيادة ذلك ونقصانه بالميزان الإلهيّ الذي لا يُعرف إلّا بالتوقيف منه تعالى

(١) انظر تخريجه ص٩٧٩.

بالوحي، وتبليغه من الرسل، قال صلّى الله عليه وسلّم: «أنا سيّد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر»[1] وقال تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [٣٥/ النجم/ ٣٢] أي: لا تعتقدوا أنّ أنفسكم أزكى من غيرها، فلا يردّ قوله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [٩١/ الشمس/ ٩] أي: سعى في تزكيتها، وتسبب ذلك بالأعمال الصالحة.

٤٩٤ - أَشَرْتُ بِمَا تُعْطِي العِبَارَةُ وَالذِي   تَغَطَّى فَقَدْ أَوْضَحْتُهُ بِلَطِيْفَةِ

(أشرت): أي أومأت ولم أصرح. وقوله (بما): أي بالمعنى الذي. وقوله (تعطي العبارة): من قولك عَبَّرْتُ عن فلان: تَكَلَّمْتُ عنه. واللسانُ يُعَبِّرُ عمّا في الضمير: يُبَيِّنُ. كذا في المصباح. والمعنى: أومأت إلى المعاني الإلهيّة، والحقائق الربّانيّة بمقدار ما يمكن أنْ تفيده الحروف المنطوق بها والكلمات. ثمّ قال (والذي تَغَطَّى) بالغين المعجمة، أي: استتر، فلم ينكشف بالكلام والنطق؛ لأنّه من ذوقي، من قبيل الوجدانيّات. وقوله (فقد أوضحته): أي أبنته وأظهرته. وقوله (بلطيفة): أي بإشارة لطيفة في أثناء الكلام. وأصل اللطافة: صغر الجسم، قال في المصباح: «لَطُفَ الشيءُ، فهو لَطِيف، من باب: قَرُبَ: صَغُرَ جسمُهُ، وهو ضدّ الضَخامَة. والاسم: اللَطافة، بالفتح»[2]. والمعنى بإشارة لا يدركها إلّا الراسخون في العلم، الكاشفون عن حقائق الأشياء، وأسرارها من أهل الذوق والوجدان، دون غيرهم من أهل العقول والأفكار المتعلّقين بالدليل والبرهان، ولنا في هذا المعنى قولنا:

كلام أهل الله في   دين الهدى نفع العباد
حقائق لها إلى   شريعة الحقّ استناد

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، مسند: أبي سعيد الخدريّ، ١١٢٧٨، عن أبي سعيد الخدري، بلفظ: «قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: أنا سيّد ولد آدم يوم القيامة، ولا فخر، وأنا أوّل من تنشقّ عنه الأرض يوم القيامة، ولا فخر، وأنا أوّل شافع يوم القيامة، ولا فخر».

(٢) القول هنا من الصحاح وليس من المصباح.

علــم إشــارة فــلا لفـظ ولا معنـى يـراد
سرّ خفـــيّ خـــارج مـــن الفـــؤاد للفـــؤاد
وظـــاهر لـــذي اعتقـــا د بـــاطن عـــن ذي انتقـــاد
فـــآمنوا بـــه وســـلّمو ـــه يـــا أهـــل العنـــاد
فهـــو المجـــرّد اللطيـــ ـــف عـــن كثـــائف المـــواد

٤٩٥- وَلَيْسَ أَلَسْتُ الْأَمْسِ غَيْراً لِمَنْ غَدَا وَجُنْحِي غَدَاً صُبْحِي وَيَوْمِيَ لَيْلَتِي

(وليس ألست): أي قوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ يوم أخذ الميثاق على بني آدم كما قال تعالى:/ [٢٢٥/ ب]: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٧٢] فإنّه ورد في الحديث أنّه لمّا خلق الله آدم أخرج من ظهره ذريّته كالذرّ، وأحياهم، وجعل لهم العقل والنطق وألهمهم ذلك[1]. وقوله (الأمسِ): بالإضافة. يعني: ﴿أَلَسْتُ﴾ التي هي قول الله تعالى فيما مضى من الزمان، وهو زمان وجود آدم عليه السلام، قال في المصباح: «أَمْسِ: عَلَم على اليوم الذي قبل يومك، وتُستعمل فيما قبله مجازاً، وهو مبني على الكسر». وقوله (غيراً): أي مغايراً. وقوله (لمن): أي لقوله تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [٤٠/ غافر/ ١٦] قال النسفي في المدارك: أي يقول الله تعالى ذلك حين لا أحد يجيبه، ثم يجيب نفسه بقوله: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [٤٠/ غافر/ ١٦] أي: الذي قهر الخلق بالموت. وقوله (غداً): هو اليوم الذي يأتي بعد يومك على أَثِره، ثمّ توسّعوا فيه حتّى أُطلق على البعيد المُتَرَقَّب، كذا في المصباح. وقوله (لِمَنْ): مضاف إلى غد الآن.

---

(١) ذكره البيضاويّ في تفسيره، الباب: ١٦٥، ١ / ٢٣٥، وقال: الحديث رواه ابن عمر رضي الله عنه، وقد حقّقت الكلام في شرحي لكتاب «المصابيح». والمقصود من إيراد هذا الكلام ها هنا: إلزام اليهود بمقتضى الميثاق العام بعدما ألزمهم بالميثاق المخصوص، والاحتجاج عليهم بالحجج السمعيّة والعقليّة.

هذا القول يكون في يوم القيامة. والمعنى: إنّ قول الله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ يوم أخذ الميثاق على بني آدم في حياة أبيهم آدم عليه السلام ليس غير قوله تعالى يوم القيامة: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [٤٠/ غافر/ ١٦] بل هذا القول هو عين ذلك القول؛ لأنّ كلامه تعالى ليس من جنس الحروف والأصوات؛ وإنّما هو تعالى إذا تكلّم كان عين كلامه بطريق التجلّي، فيصل إلى السامع ما يريده تعالى من المعاني. وهو تعالى منزّه عن المكان والزمان والمواد والصور والحروف والأصوات وغير ذلك. وإنّ وصل كلامه إلينا، ونحن في مكان وفي زمان، ولنا مواد وصور، كلّ هذا من جهتنا، لا من جهته، تعالى، وتبارك، وتقدّس.

وقوله (وجُنحيّ): قال في المصباح: «جُنْحُ الليلُ، بضمّ الجيم وكسرها: ظَلامُهُ واخْتِلَاطُهُ. وجَنَحَ الليلُ يجْنَحُ، بفتحتين: أقبل». وقوله (غدا): أي صار. وقوله (صبحي) الصبح: الفجر، والصباح مثلُه، وهو أوّل النهار؛ وإنّما صار ظلام ليله ضياء نهاره لاتّحادهما عنده بخروجه عن القيود الكونيّة، واشتغال بصيرته بشهود الوجود الحقّ في حضرته الأزليّة. وقوله (ويومي): اليوم من طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس، تقول فعلته أمسِ، لأنّه فعله في النهار الماضي. واستحسن بعضهم أن يقول أمسِ الأقرب، أو الأحدث، كذا في المصباح. وقوله (ليلتي): الليلة من غروب الشمس إلى طلوع الفجر. وقيل الليل: مثل الليلة، كما يقال: العَشِيّ والعَشِيَّة، كما في المصباح. وإنّما كان يومه ليلته، لتجرّده عن القيود الزمانيّة والمكانيّة بالكشف عن فنائها واضمحلالها في الوجود الحقّ.

٤٩٦- وَسِرُّ بَلَى لله مِرْآةُ كَشْفِهَا وَإِثْبَاتُ مَعْنَى الجَمْعِ نَفْيُ المَعِيَّةِ

(وسرّ): مبتدأ، مضاف إلى بلى، أي: قول ذريّة آدم عليه السلام: بلى في جواب قول الله تعالى لهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٧٢] والسرّ: ما يُكتم، وهو خلاف الإعلان. والجمع: أسرار، كذا في المصباح. يعني: المعنى الخفيّ في قولهم: ﴿بَلَىٰ﴾ حين أجابوه تعالى عن سؤاله. وقوله (لله): أي التي قالوها له تعالى. وقوله (مِرآة):

خبر المبتدأ. والمرآة بمدّ الهمزة، قال في الصحاح: «المِرآة بكسر الميم التي يُنْظَرُ فيها، وثلاث: مَرَائِي. والكثير: مَرَايَا، كذا في الصحاح. وقوله (**كشفها**): بالجرّ مضاف إليه، والضمير لـ(بلى). يعني: إنّ سرّ قولهم: بلى هو المرآة التي تنكشف فيها بلى؛ فإنّ سرّها ما انكتم منها، وهو وجودها الذي هي موجودة به، وهو وجود عين الحقّ تعالى، وكذلك وجود كلّ شيء سرّ ذلك الشيء، وكلّ شيء عدم ظاهر من عِلم الله تعالى بإرادته ومشيئته وقدرته، وبقوله الحقّ في مرآة وجوده تعالى، فقولهم بلى هو عين الحقّ، ظهر في مرآة وجوده، ظاهر في وجوده، ولا وجود غيره تعالى. وهو عين قوله سبحانه: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٧٢] وهو الواحد الأحد عزّ وجلّ في كلامه، كما أنّه الواحد الأحد في ذاته، ويستحيل عليه التركيب والتجزيء والتبعيض والانقسام في ذاته/ [٢٢٦/ أ] وفي كلّ صفة من صفاته، وكلّ اسم من أسمائه، وكلّ قول من أقواله، وكل فعل من أفعاله، وكلّ حكم من أحكامه، وإنْ تركبت المخلوقات، وتبعّضت، وتجزأت، وانقسمت إلى أقسام كثيرة، واختلفت أجناسها، وأنواعها، وأشخاصها، فإنّها كلّها آثار أسمائه وصفاته؛ فهو الواحد من جميع الوجوه والاعتبارات، والعوالم هي الكثيرة بالوجوه والاعتبارات، وكلّها عدم في وجوده، وفناء ومحقٌّ في شهوده، لا حلول له في شيء منها، ولا حلول الشيء منها فيه تبارك وتقدّس. وقوله (**وإثبات**) مبتدأ. وقوله (**معنى الجمع**): مضاف إليه، وهو ضدّ الفرق بأنْ يقام العبد في مقام شهود الوجود الحقّ القديم ظاهراً في كلّ شيء حادث عديم. وقوله (**نفي**) :خبر المبتدأ. وقوله (**المعيّة**): وهي كونه تعالى مع شيء، أو كون شيء معه؛ لأنّ المعيّة تقتضي الثنويّة، والثنويّة إثبات السوى. والسوى: كما قاله الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي قدّس الله سرّه في فتوحاته المكيّة في أواخر أسئلة الترمذي: «فإن قلت: ما السوى؟. قلنا: «بطون الحقّ في الخلق، وبطون الخلق في الحقّ». وهذا ـ أي بطون الخلق في الحقّ ـ لا يكون إلّا في مَنْ عرف أنّه مظهر للحقّ، فيكون عند ذلك باطناً للحقّ».انتهى

كلامه قدّس الله سرّه. وكون الحقّ باطناً في الخلق، أو الخلق باطناً في الحقّ لا يقتضي حلول أحدهما في الآخر كما تتوهمه عقول القاصرين الذين يجعلون للمخلوقات وجوداً مستفاداً من الله تعالى، ويجعلون المخلوقات قائمة بذلك الوجود المستفاد، لا قائمة بوجود الله تعالى، فإنّ وجود الله تعالى يستحيل عليه أن يتولّد منه وجود آخر للمخلوقات، ويستحيل أيضاً أن يوجد الله تعالى وجوداً آخر من العدم، لاستحالة أن يخلق مثله تعالى، وأيضاً فإنّ العدم ضدّ الوجود، والضدّ لا يكون فيه ضدّه، ولا ينقلب إلى ضدّه، وإلّا لأمكن انقلاب وجود الله تعالى عدماً، وهو محال، فتعين أن يكون الوجود واحداً هو لله تعالى حقيقة، وهو للمخلوقات مجازاً بطريق الإضافة الواردة في قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [٢٤/ النور/ ٣٥] وقوله تعالى: ﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [٣٩/ الزمر/ ٦٩] وقوله تعالى: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٥٥] إلى غير ذلك من صريح النصوص في الكتاب والسنّة؛ فإنّ القيّوم هو الذي قامت به السموات والأرض، وكلّ شيء فلا يظهر الشيء موجود إلّا بوجوده، والأشياء كلّها عدم صرف مقدّر في عظمته تعالى، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [٢٨/ القصص/ ٨٨] ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ٢٦-٢٧] ومعلوم أنّ المعدومات الفانيّة في أنفسها إذا كان الحقّ تعالى في باطنها، أو كانت هي في باطنة، كان ذلك بحسب ما يظهر لها، لا في نفس الأمر موجود في موجود حتّى يلزم حلول أحدهما في الآخر، وأمّا المعيّة الواردة في قوله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [٢٠/ طه/ ٤٦] وقوله تعالى في شأن محمّد صلّى الله عليه وسلّم حكاية عنه وعن صاحبه الصِّدّيق الأكبر رضي الله عنه: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ [٩/ التوبة/ ٤٠] وقوله تعالى خطاباً لهذه الأمّة: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [٥٧/ الحديد/ ٤] فهو القدر المشترك بين الأنبياء المرسلين عليهم السلام وأممهم، كما أشار إليه تعالى بقوله: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ

إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [١٤/ إبراهيم/ ٤] وقوله تعالى لمحمّد صلّى الله عليه وسلّم: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ ـ أي من الدعوة إلى الله تعالى وتبليغ الأمّة ـ ﴿فَٱنصَبْ﴾ ـ أي: فاتعب في عبادة الله تعالى شكراً على جزيل إنعامه عليك ـ ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ [٩٤/ الانشراح/ ٧-٨] لا إلى غيره، ولو إلى نفسك فإنّ تقديم ما رتبته التأخير يفيد الحصر، وإذا رغب إلى ربّه أعرض عن نفسه وعن جميع الأغيار، فالمعيّة مقام الدعوة إلى الله على بصيرة، وأعلى منها مقام الاتّحاد الحقيقي، وهو مقام العبودة، قال الشيخ الأكبر قدّس الله /[٢٢٦/ ب] سرّه: «فإنْ قلت ما العبودة؟. قلنا: نسبة العبد إلى الله لا إلى نفسه؛ فإنْ انتسب إلى نفسه فتلك العبوديّة، لا العبودة. فالعبودة أتمّ حتى لا يحكم عليه مقام السوى». انتهى كلامه قدس سرّه. ومقام السوى هو المعيّة المذكورة، فإذا ثبت مقام الجمع ـ وهو القرآن العظيم ـ انتفى مقام المعيّة، وهو مقام الفرق، وهو الفرقان الحكيم، وهو بكلّ شيء عليم.

٤٩٧ - فَلَا ظُلَمٌ تَغْشَى وَلَا ظُلْمَ يُخْتَشَى وَنعْمَـةُ نُـورِي أَطْفَـأَتْ نَـارَ نَقْمَتِـي

(لا ظلمٌ): الفاء للتفريع على ما قبله. (والظُّلَمٌ): بضمّ الظاء المعجمة وفتح اللام، جمع ظُلْمَة، قال في المصباح: «الظُّلْمَة: خلاف النور، وجمعها ظُلَم وظُلُمات، مثل غرف وغرفات» كنّى بالظُّلَم عن جميع المخلوقات الفانيّة في ظهور وجود الحقّ تعالى منها منزّهاً عنها. وقوله (تَغْشَى): أي تغطّي، من الغشاء، وهو الغطاء وزناً ومعنى. وهو اسم من غَشَّيْتُ الشيءَ، بالتثقيل، إذا غَطَّيْتُهُ، كذا في المصباح. وقوله (ولا ظُلْم): بضمّ الظاء المعجمة وسكون اللام، اسم من ظَلَمَهُ ظُلْماً من باب ضرب. وأصل الظُّلْم: وضعُ الشيء في غير موضعه، كما في المصباح. يعني: إنّ الله تعالى لا يظلم شيئاً، كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَـٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [١٠/ يونس/ ٤٤] لاتّصافهم في الأزل حال عدمهم بما كشف بعلمه عنهم، وهم موصوفون به من الخير والشر، وإنّما الله تعالى كما قال: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ﴾ [٢٠/ طه/ ٥٠] أي: دلّ بنور وجوده أنّه أعطى كلّ شيء

خلقه. وقوله: (يُخْتَشَى): بالبناء للمفعول، أي: يُخاف منه، قال في المصباح: خَشِيَ خَشْيَةً: خاف، فهو خَشْيَان، والمرأة خَشْيَا مثل غضبان وغضبى». فهو تعالى مأمون من الظلم؛ فإنّ ملوك الدنيا يُخاف منهم إذا ظلموا، ويؤمن منهم إذا عدلوا، وملك يوم الدين يؤمن من ظلمه؛ وإنّما يُخاف منه إذا عدل، قال القائل:

أوّاه وا ويـــــلاه مـــــن موقـــــف أخـــاف أن يعـــدل بـــه الحـــاكم

يـــا ربّ غفرانـــك عـــن مجـــرم أذنـــب إلّا أنّـــه نـــادم

وقوله (ونعمة نوري): يعني النعمة التي أنعم بها الحقّ تعالى على أعيان الممكنات، وهي تنويره لها الذي هو: ظهور نور وجوده تعالى على ظلمة عدمها الأصليّ من قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [٢٤/النور/٣٥] فنوري بمعنى تنويري. ولا شكّ أنّه نعمة من الله. وقوله (اطفأتْ): أي تلك النعمة. يقال: «طَفِئَتِ النّار تُطْفَأُ، بالهمز، من باب تَعِب، طُفُوءاً على فُعُول: خَمَدَت. وأَطْفَأْتُهَا، كما في المصباح. وقوله (نار نقمتي):أي نار النقمة التي ينتقم بها ممن شاء من عباده على ذنوبهم ومعاصيهم. والنقمة: اسم من الانتقام، قال في المصباح: «نَقَمْتُ منه من، باب ضرب. وانْتَقَمْتُ: عَاقَبْت. والاسم نَقِمَة، مثل كَلِمَة، ويُخَفَّف مثلها. ويُجْمع على نِقَم، مثل سِدْرَة وسِدَر».

٤٩٨- وَلَا وَقْتَ إِلَّا حَيْثُ لَا وَقْتَ حَاسِبٌ وُجُودَ وُجُودِي مِنْ حِسَابِ الْأَهِلَّةِ

(ولا وقت): أي لا زمان. وقوله (إلّا): بالتشديد، هي أداة استثناء. وقوله (حيث لا وقت): أي موجود، وهذا استثناء، من قوله (ولا وقت): يعني لا زمان لحضرة الوجود الحقّ؛ لأن الزمان قيد إمكاني، لأنّه مدّة الحركة الفلكيّة، أو هو متجدد، قرن به متجدّد آخر، وذلك مستحيل على الوجود الحقّ المطلق، المنزّه عن القيود الوجوديّة والاعتباريّة، فلا يمضي عليه تعالى زمان كما لا يتقيّد بمكان إلّا حضرة الأزل المعبر عنها بقوله (حيث لا وقت) فإنّها وقته تعالى إنْ سُمِّيَت وقتاً؛

لأنّها حال دائماً من غير ماض، ولا مستقبل، ولا بداية، ولا نهاية، والأزل هو الأبد. وذلك كناية عن ارتفاع الزمان عن وجوده تعالى الحقّ الحقيقيّ. وقوله (**حاسب**): خبر لا، وهو اسم فاعل. من حَسَبْتُ المال حَسْبَاً، من باب قتل: أحْصَيْتُه عَدداً، كما في المصباح. وقوله (**وجود وجودي**): أي الوجود الظاهر على الممكنات الذي هو وجودي، أي: وجود الحقّ تعالى، وإنّما عبّر عنه بوجود وجوده لتقييده بالممكنات عند الممكنات، فهو وجود الممكنات / [٢٢٧/ أ] وهو وجوده تعالى بلا ممكنات. وقوله (**من حساب الأهلّة**): متعلِّق بحاسب. والأهلّة جمع هلال. قال في المصباح: «وأما الهلال فالأكثر أنّه القمر في حالة مخصوصة»، قال الأزهري: «ويُسمّى القمر لِلَيْلَتيْنِ من أوّل الشهر هلالاً. وفي ليلة ست وعشرين وسبع وعشرين أيضاً هلالاً، وما بين ذلك يسمّى قمراً. وقال الفارابي، وتبعه في الصحاح: الهلال لِثلاث ليالٍ من أوّل الشهر. ثمّ هو قمرٌ بعد ذلك. وقيل: الهلال هو الشهر بعينه». والجمع: أهلّة، مثل سلاح وأسلحة. والمعنى: ليس للحقّ تعالى وقت هو فيه حاسب وجود وجوده الذي هو وجود الممكنات من جملة حساب الأهلّة والشهور بالأيام والليالي إلّا وقت الأزل الذي هو حضرته تعالى كما ذكرنا، قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ [٢/ البقرة/ ١٨٩]؛ فالأهلّة محسوبة من حساب المواقيت التي للناس وللحجّ، فليست هي لوجود الله تعالى، وإنّما هي لوجود وجوده الذي هو وجود الممكنات القائمة به تعالى؛ فالزمان لنا في مقابلة الأزل له تعالى.

٤٩٩ - وَمَسْجُونُ حَصْرِ العَصْرِ لَمْ يَرَ مَا وَرَا   سَجِيَّتِهِ فِي الجَنَّةِ الأَبَدِيَّةِ[1]

(**ومسجون**): مبتدأ. وهو اسم مفعول من سَجَنْتُه سَجْنَاً، من باب قتل: حَبَسْتُهُ. والسِجْنُ: الحبْسُ، والجمع: سُجُون، مثل: حِمْل وحُمُول، كذا في المصباح. وقوله

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: «بلغ سماعاً مع المقابلة على مؤلِّفه رضي الله عنه، وكتبه إبراهيم الدكدكجي».

(حَصْرِ) مضاف إليه. وقوله. قال في المصباح: «حَصَرَه العَدُوّ حَصَراً، من باب قتل: أحاطوا به ومنعوه من المضيّ لأمره». وقوله (العَصْرِ): مضاف إليه أيضاً، والعصر: الدهر. يعني: المحبوس في حبس الدهر الذي يحيط به الزمان، وتغلب على عقله قيود الأوقات والأيام والليالي، لا يقدر أن يعقل شيئاً خارجا عن الأزمنة والساعات. وقوله (لم يرَ): أي لم يدرك. وقوله (ما ورا): أي الأمر العظيم الذي هو وراء، أي: خلف. قال في المصباح: «كلمة وراء مؤنّثة، تكون خلفاً وتكون قدّامَ، وأكثر ما يكون ذلك في المواقيت من الأيام والليالي، لأنّ الوقت يأتي بعد مُضِيِّ الإنسان فيكون وراءه»، وإنْ أدركه الإنسان كان قدّامه، ويقال: وراءك برد شديد، وقدّامك برد شديد؛ لأنّه شيء يأتي، فهو من وراء الإنسان على تقدير لحوقه بالإنسان، وهو بين يديه على تقدير لحوق الإنسان به، فلذلك جاز الوجهان، واستعمالُها في الأماكن سائغ على هذا التأويل. وفي التنزيل: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾ [١٨/الكهف/٧٩] أي: أمامهم». وقوله (سجيّته): بالسين المهملة، أي: طبيعته وغريزته، قال في المصباح: «السَجِيَّةُ: الغريزة، والجمع: سَجَايا، مثل: عَطِيَّة وعَطَايا». وقوله (في الجنّة الأبديّة): وهي التي وعد الله تعالى بها عباده في الآخرة فلا يعرف منها الغافل المحجوب إلّا ما تقتضي طبيعته، وعلى وفق لذّته وشهوته، ولا يعرف الجنّة الأزليّة، والحضرة الوجوديّة الحقيقيّة التي قال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [٥٥/الرحمن/٤٦] فجنَّة الأزل ذات العلوم والمعارف، وجنّة الأبد ذات الحلل والمطارف، وإليه أشار القاضي البيضاوي بقوله: روحانيّة وجسمانيّة «ثمّ قال تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [٥٥/الرحمن/٤٧] وخطاب المثنى للعقل والحس؛ لأنّهما حاضران مع كلّ قارئ وسامع. ثمّ وصف تعالى الجنتين بقوله تعالى: ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾ [٥٥/الرحمن/٤٨] أي: أغصان، جمع فَنَن، أو ألوان جمع فَنّ لتنوّع ما فيها من أنواع العلوم التي تدرك بالعقل، وأنواع اللذائذ والشهوات التي تدرك بالحسّ. ثمّ قال تعالى للعقل والحسّ: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [٥٥/الرحمن/٤٩] ثمّ قال:

﴿فِيهِمَا﴾ أي: في الجنتين المذكورتين ﴿عَيْنَانِ﴾ تثنية عين، وهي ينبوع الماء ﴿تَجْرِيَانِ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ٥٠] أي: يسيل ماء منهما؛ فالجنّة الأزليّة عينها ظاهرة لأهلها، وهي الحضرة الوجوديّة الحقيقيّة التي تجري بمياه علوم التوحيد والعرفان، والجنّة الأبديّة عينها باطنة/

[٢٢٧/ ب] عند أهلها مستورة عليهم بهم، وأصلهما عين واحدة واحدة، ولكن المنبع مختلف، وهي تجري بمياه اللذائذ والشهوات، كما قال تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [٤٣/ الزخرف/ ٧١] فخلودهم باعتبار أنّها الجنّة الأبديّة، وقوله تعالى بعده ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثْتُمُوهَا﴾ [٤٣/ الزخرف/ ٧٣] إشارة منه تعالى إلى الجنّة الأزليّة التي ورثوها بالأعمال الصالحة، والتقوى من الأنبياء عليهم السلام، وهي العلم الإلهيّ الذي قال صلّى الله عليه وسلّم: «نحن معاشر الأنبياء لا نورّث درهماً ودلا ديناراً، ولكن نورّث العلم»[1] الحديث. وحديث الجلال السيوطيّ في الجامع الصغير: «أكرموا العلماء؛ فإنّهم ورثة الأنبياء، فمن أكرمهم فقد أكرم الله ورسوله»[2] حديثه أيضاً: «العلماء مصابيح الأرض، وخلفاء الأنبياء، وورثتي وورثة الأنبياء»[3]. والإشارة بالعلماء إلى العلماء بالله، وشرائعه، وأحكامه، العاملين بعلومهم. ثمّ قال تعالى: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [٤٣/ الزخرف/ ٧٢] أي: وراثتكم بسبب ذلك. ويجمع ذلك كله العلم بالله وإنْ كان في الأميّ الذي لا يقرأ ولا يكتب، كما يشير إليه حديث السيوطيّ أيضاً في جامعه الصغير، قال صلّى الله عليه وسلّم: «أفضل الأعمال العلم بالله تعالى»[4]. وقال القاضي البيضاوي: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ

---

(١) انظر تخريجه ص٨٢٩.

(٢) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد، ٤/ ٤٣٧ والديلمي في الفردوس، ١/ ١/ ٣٢٠. قال العجلوني في الكشف ١ / ١٦٩: رواه الخطيب والديلمي بسند ضعيف.

(٣) ذكره السيوطي في الجامع، باب: المحلّى بال، ١٤٥٠٨.

(٤) قطعة من حديث، ذكره السيوطي في الجامع، باب: الهمزة مع الفاء، ٣٩٥٨.

﴿تَجۡرِيَانِ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ٥٠] أحدهما التسنيم. والأخرى السلسبيل» انتهى. فأخبر الله تعالى أنّ العين الأولى في الجنّة الأزليّة، تسمّى التسنيم، قال تعالى: ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ ۝٢٧ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾ [٧٣/ المطففين/ ٢٧] قال البيضاوي: «سُمِّيتْ تسنيماً لارتفاع مكانها، أو رفعة شرابها» انتهى. ولرفعتها ورفعة شرابها لم يقدر أصحاب الجنّة الأبديّة، وهم الأبرار الصالحون على الشرب منها خالصة، فمزج بها شرابهم، وإنّما هو من الرحيق المختوم، ختامه مسك، وهو أطيب الطيّب، كما ورد في الحديث، مأخوذ من الإمساك لإمساكهم أدباً معها. وقرأ الكسائي: ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞ﴾ وهو بفتح التاء، أي: ما يختم به ويطبع. والعين الثانية في الجنّة الأبديّة تسمّى السلسبيل، قال تعالى: ﴿وَيُسۡقَوۡنَ فِيهَا كَأۡسٗا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾ [٧٦/ الإنسان/ ١٧] فالكأس: النفس لبقائها مع الأبرار الصالحين، ممزوجة بحرارة الهمّة في الطاعة والعبادة. ثمّ قال تعالى: ﴿عَيۡنٗا فِيهَا﴾ قال النسفيّ في المدارك: «عيناً بدل من زنجبيلاً، فيها في الجنّة تسمَّى تللك العين سلسبيلا، وهذه التسمية الإلهيّة فيها خطاب للأبرار بأن يسألوا سبيلاً، أي: طريقاً موصلاً إلى التحقيق به، وهو طريق المقرِّبين حتّى يلتحقوا بالمقربين، ويشربوا من شرابهم، ويتركوا المزج، كما قال العارف المحقّق أبو مدين قدّس الله سرّه:

أدرها لنا صِرْفاً ودَعْ مَزْجَها عنّا   فنحن أناس لا نرى المَزْجَ مُذْ كنّا

فإنّ شراب الأبرار ممزوج بشراب المقرّبين فقال تعالى: ﴿سَلۡسَبِيلٗا﴾ أي: اطلب من المقرّب معرفة السلوك إلى سبيله فإنّ بينك وبينه قدراً مشتركاً، وهو ما مزج به شرابك من شرابه، كما قال تعالى أيضاً: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ [٧٦/ الإنسان/ ٥] لبرده وعذوبته وطيب ريحه، وذلك برد اليقين بالله. وهو التسنيم الذي هو شراب المقرّبين. ثمّ قال تعالى: ﴿عَيۡنٗا﴾ بدل من ﴿كَافُورًا﴾ يشرب بها عباد الله، أي: الذين هم عباد الذات المستجمع لجميع الأسماء والصفات، وهم أهل الجمع والتوحيد، وهم المقرّبون. ثمّ قال تعالى: ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا﴾ [٧٣/ الإنسان/ ٦] أي: تللك العين، تفجيراً بكثرة ما يذكرونه من

العلوم الربّانيّة، والحقائق الصمدانيّة. ويفيض على قلوبهم منها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر من الأبرار؛ فالأبرار لهم كؤوس يشربون بها شرابهم الممزوج. والمقرّبون لهم عيون جارية/[٢٢٨/أ] يشربون شرابهم، وشتّان بين الأواني والعيون.

٥٠٠- فَبِي دَارَتِ الأَفْلَاكُ فَاعْجَبْ لِقُطْبِهَا الـ ـمُحِيطِ بِهَا وَالقُطْبُ مَرْكِزُ نُقْطَةِ

(فبي): الفاء للتفريع، وبي جار ومجرور متعلّق بـ دارت، قدم عليه للحصر، أي: لا بغيري دارت. وقوله (**الأفلاك**): جمع فَلَك بالتحريك. قال الراغب: الفَلَك مجرى الكواكب. وتسمية بذلك لكونه كالفلْك، يعني: بسكون اللام، أي: السفينة. يعني: دارت الأفلاك السماويّة بكواكبها والأفلاك الأرضيّة: النار، والهواء، والتراب بكواكبها الجسمانيّة: الجماد، والنبات، والحيوان، والإنسان. ودوران الأفلاك به من حيث أنّه هو الوجود الحقّ الواحد الأحد بعد فناء كلّ ما عداه.

وقوله (**فاعجب**): يا أيها المطّلع على هذا الأمر لقطبها، أي: قطب الأفلاك الذي تدور كلّها على مركزه، وهو مركز واحد، وهي أفلاك كثيرة. وأصله قطب الرحا، وزان قُفل بالضمّ، وهو ما تدور عليه الرحا، ولا يتصوّر في العقل أنْ يكون مركز واحد تدور عليه جميع الأفلاك العلويّة والسفليّة. ولكن هذا من الطَوْر الذي فوق طَوْر العقل، وهو مستحيل عند العقلاء. وقوله (**المُحِيط**): وصف لقطبها وقوله (بها): أي بالأفلاك إحاطة كليّة من جميع جهاتها، واعتباراتها إيجاداً أو إمداداً. وقوله (**والقطب**): أي الإنسان الكامل المشهور بين الصوفيّة. وقال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه: «القطب، وهو الغوث، عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر الله تعالى من العالم في كلّ زمان، وهو على قلب إسرافيل عليه السلام». وقوله (مركز): قال في المصباح: «المَرْكِزُ، وزان مَسْجِد: موضع الثبوت». وقال الراغب: «مركز الجند: محطّهم الذي ركزوا فيه الرماح». وقوله (**نقطة**): مضاف إليه، أي: نقطة من نقط ذلك القطب المحيط المذكور، **فكأنّما ذلك**

القطب المحيط المذكور الذي تدور عليه جميع الأفلاك بحرٌ محيط. وهذا القطب الذي هو محل النظر الإلهيّ مركز نقطة من ذلك البحر، قال الخضر لموسى عليهما السلام: «ما علمي وعلمك في علم الله إلا كما أخذ هذا العصفور من هذا البحر».

٥٠١- وَلَا قُطْبَ قَبْلِي عَنْ ثَلَاثٍ خَلَفْتُهُ وَقُطْبِيَّةُ الأَوْتَادِ عَنْ بَدَلِيَّتِي

(**ولا قطب**): وهو الواحد الذي هو محلّ نظر الله تعالى من خلقه في كلّ زمان كما ذكرناه. وقوله (**قبلي**): أي قبل كوني قطباً. وقوله (**عن ثلاث**): متعلّق بخلفته، أي: عن مراتب ثلاث نزلت فيها، وانتقلت عنها مرتبة دوام شهود الذات الإلهيّة، وهي مقام القطب. ومرتبة دوام شهود الصفات والأسماء الإلهيّة، وهي مقام إمام اليسار. ومرتبة دوام شهود الأفعال والأحكام الإلهيّة، وهي مقام إمام اليمين، وإنّما كان اليسار لمن يلي القطب؛ لأنّه إمام القلوب، واليمين لمن بعده، لأنّه إمام النفوس. وقوله (**خَلَفَتُهُ**): أي صرت خليفة عن ذلك القطب بعد ذهابه من عالم الدنيّا؛ فإنّ إمام اليمين إذا مات جعل في مقامه غيره من الأولياء. وإذا مات إمام اليسار جعل مقامه إمام اليمين. وجعل في مقام إمام اليمين غيره من الأولياء. وإذا مات القطب جعل في مقامه إمام اليسار، وجعل في مقام اليسار إمام اليمين، وجعل في مقام إمام اليمين غيره من الأولياء. والقطبيّة التي أشار إليها الناظم قدّس الله سرّه بقوله في البيت السابق (**فاعجب لقطبها المحيط**) قطبيّة الذات الوجوديّة التي لم تزل ولا تزال في المنصب الأعلى، والمقام الأسنى أزلاً وأبداً، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ [٧٩/ النازعات/ ٤٠] فأثبت له المقام، فإنّ هذ القطبيّة ليست موروثة، ولا مستفادة، ولا مسبوقة بمثلها. وقوله (**وقطبيّة الأوتاد**): يعني الأوتاد الأربعة الذين هم في أربع جهات المعمور من الأرض، أقطاب أيضاً تدور على مقاماتهم أحوال من في أقطارهم من الأولياء، ولهم مقام قطبيّة من الوجه المذكور مع أنّهم أوتاد/ [٢٢٩/ ب]، جمع وتِد، بكسر التاء، والفتح لغة. قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [٧٨/ النبأ/ ٧] فالله تعالى لمّا خلق

الأرض على الماء، مادت فأرساها بالجبال، فسمِّيَت الجبال أوتاداً. كما خلق النفوس البشريّة على الهوى، فمادت واضطربت في أغراضها فأرساها بثقل نفوس الأولياء المتحقِّقين بحقائق التوحيد والإيمان؛ فسكنت بالتوجّه الربّاني عليها فهي أوتاد لها؛ فالأوتاد هم المقصودون لكسر الفتن التي تهيج من قبل النفوس البشريّة، وتسكين غضب الرحمن على أهل المعاصي والمخالفات في أقطار المعمور من الأرض. وقوله (عن بدليَّتي): أي ناشئة تلك القطبيّة عن مقام البدليّة المنسوبة إليّ. والبدل هو المبتدل بالصور والأشكال فيتحد بها، ويتعدّد، ويتغيّر، ويتجدّد وهو على حاله. وإنّما يفعل ذلك باختلاف أفعاله. وليست البدليّة هنا سوى ما تقدّم من قوله (فاعجب لقطبها المحيط). والبدليّة من قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ٢٩] وهو المقام الذاتيّ المنزّه عن المكان والزمان ومشابهة الأكوان.

٥٠٢- فَلَا تَعْدُ خَطِّي الْمُسْتَقِيْمَ فَإِنَّ فِي الْـ ـــزَوَايَا خَبَايَـا فَـانْتَهِزْ خَـيْرَ فُرْصَـةِ

(فلا): الفاء للتفريع على ما قبله، ولا ناهيّة. وقوله (تَعْدُ) مجزوم بحذف واو العلة، من عدا يعدو. وقال في الصحاح: «عَدَاهُ يَعْدُوهُ، أي: جَاوَزَه، وما عَدَا فلان أنْ فَعَل كذا، وما لي عن فلان مَعْداً، أي: لا تجاوز لي [إلى] غيره، ولا قصور دونه». وقوله (خطِّي): بالخاء المعجمة والطاء المهملة، وهو واحد الخطوط. وقوله (المستقيم): وصف للخط، قال في الصحاح: الاستقامة الاعتدال، يقال: استقام له الأمر. وفي القاموس: «اسْتَقَام: اعْتَدَل. وقَوَّمْتُهُ: عَدَّلْتُهُ، فهو قويم ومستقيم». والمعنى: لا تتجاوز يا أيّها السالك طريقي المستقيم في الدين وإنْ كان خفيّاً عنك، غير ظاهر لك، إنّه طريق مستقيم، لقصورك بنظرك العقليّ في الأحوال الإلهيّة. وقوله (فإن في الزوايا): جمع زاوية، قال في القاموس: «الزاويّة من البيت: ركنه، والجمع زوايا. وتَزَوَّى، وزَوَّى وَانْزَوَى صار فيها». والمعنى هنا ناحية من نواحي البيت. وقوله (خبايا): جمع خبيّة بمعنى مخبوءة، وأصلها بالهمزة. قال في الصحاح: «خَبَأْتُ الشيءَ خَبْأً، ومنه الخابية، وهي الحَبْ، إلّا أنّ

العرب تركت همزه. والخَبْءُ ما خُبِئَ وكذلك الخَبِيْءُ على فَعِيل. وخَبْءُ السموات: القَطْر، وخَبْءُ الأرض: النبات، واخْتَبَأَتْ: اسْتَتَرَت». وفي القاموس: «خَبأَهُ، كَمَنَعَهُ: سَتَرَهُ، كَخَبَّأَهُ وَاخْتَبَأَهُ. والخَبْءُ: ما خُبِئَ وغاب، كالخَبِيءِ والخَبِيْئَةِ». وهذا مَثَل، يُقال للأمر الخفيّ: «في الزوايا خبايا». يعني: النواحي والجهات التي لا يُلتفت إليها فيها الأمور العظيمة الخفيّة عن الإدراك، فمن تطلَّبَها وسأل عنها بصدق العزم من أهلها وجدها؛ فإنّ في زوايا الستر والخمول خبايا الكشف والوصول. وقوله (**فانتهز**): قال في الصحاح: «نَهَزَتِ الدَابَّة: إذا نهضت بصدرها للسير. والنُهْزَةُ: الفُرْصَةُ. وانْتَهَزْتَهَا: إذا اغْتَنَمْتُها». وقوله (**خير فرصة**): أي فرصة هي خير الفرص كلّها، قال في الصحاح: «الفُرْصَة: الشِرْبُ والنَوْبَة، يقال: وجد فلانٌ فُرْصَةً أي: نُهْزَةً، وجاءت فُرْصَتُكَ من البئر، أي: نَوْبَتُك. وبنو فلان يتفارصون بئرهم إذا كانوا يتناوبونها. وانتهز فلان الفرصة: أي اغتنمها، وفاز بها. وأَفْرَصْتَنِي الفرصة: أي أمْكَنْتَنِي. وأَفْرَصْتُهَا: أي اغتنمتها».

٥٠٣- فَعَنِّـي بَـدَا فِي الـذَّرِّ فِيَّ الـوَلَا وَلِي   لِبَـانُ ثُـدَيِّ الجَمْـعِ مِنِّـيَ دَرَّتِ

(**فعنّي**): الفاء للتفريع على ما قبله، وعنّي: أي متجاوزاً عنِّي. والجار والمجرور متعلِّق ببدا، قُدّم للحصر. وقوله (**بدا**): أي ظهر. وقوله (**في الذرّ**): جمع ذرّة، وهي أصغر النملّ، كذا في الصحاح. يعني: في عالم الذرّ حين أخرج الله تعالى ذريّة آدم كما هم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربّكم قالوا بلى. وقوله/ [٢٢٩/ أ] (**فِيَّ**) بتشديد الياء التحتيّة. وقوله (**الوَلا**): بالفتح، المحبّة. وفي القاموس: «الوليّ المحبّ». والولا: فاعل بدا، أي: ظهرت في قلبي المحبّة الإلهيّة، وسرت فيه من قوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٧٢] في عالم الذّر، وفي قوله (**بدا**): إشارة إلى أنّ محبّته الظاهرة فيه لربّه هي محبّة ربِّه لنفسه. المحبّة القديمة، ثمّ تفرقّت على المُحبِّين الإلهيّين بحسب استعداداتهم. والوَلَا أيضاً القُرْب الإلهيّ والدُّنُوّ، قال في القاموس: «الوَلْيُ القُرْب والدنو» يعني: ظهر فيّ ذلك من عالم الذرّ، وظهر مِنِّي في

جميع المقرَّبين، واختصّ بذلك الظهور للحِبّ، أو للقُرب باعتبار كمال فنائه، واستهلاكه فيما يغاير الحقّ تعالى. وقوله (ولي): جار ومجرور، خبر مقدّم. وقوله (لِبَان): مبتدأ مؤخر، قدّم خبره عليه للحصر. واللِبان بالكسر كالرِّضاع، تقول: هو أخوه بلِبان أُمّه. قال ابن السِكّيت: ولا يقال بِلَبن أمّه؛ إنّما اللَّبَنُ الذي يُشرب [من ناقة أو شاة أو بقرة]. كذا في الصحاح. وقوله (ثُدَيّ): بضمّ الثاء المثلّثة وفتح الدال المهملة وتشديد الياء التحتيّة: تصغير ثَدْي، قال في الصحاح: «الثُدَي يذكّر ويؤنّث، وهي للمرأة والرجل أيضاً». وقال في القاموس: «الثَدْيُ، ويُكْسَر، وكالثَرَى: خاصٌّ بالمرأة، أو عامٌّ ، ويُؤَنَّث». وقوله (الجمع): مضاف إليه، وهو مقام الجمع على الله، ضدّ الفرق. وقوله (مِنّي): متعلّق بـ درّتِ، وقدِّم للحصر. وقوله (دَرَّتِ) بفتح الدال المهملة وتشديد الراء وكسر التاء للقافية. والمعنى: لِبان ثدي مقام الجمع كائن لي بالأصالة لاتّحادي الحقيقيّ. وقد درّت تلك الثدي على أهل الجمع كلّهم منِّي؛ فأنا أبوهم من الرِّضاع لمصّهم لِبان المعرفة الإلهيّة، والتحقّق بالمقامات الربّانيّة، مِنّي إشارة إلى الحقيقة المحمّديّة التي هو مخلوق من نورها الذي هو من نور الله على ما ورد في الحديث.

٥٠٤- وَأَعْجَبُ مَا فِيْهَا شَهِدْتُ فَرَاعَنِي وَمِنْ نَفْثِ رُوْحِ القُدْسِ فِي الرَّوْعِ رَوْعَتِي

٥٠٥- وَقَدْ أَشْهَدَتْنِي حُسْنَهَا فَشُدِهْتُ عَنْ حِجَايَ[1] وَلَمْ أُثْبِتْ حِلَايَ لِدَهْشَتِي

٥٠٦- ذَهَلْتُ بِهَا عَنّي بِحَيْثُ ظَنَنْتُنِي سِوَايَ وَلَمْ أَقْصِدْ سِوَايَ[2] مَظِنَّتِي

(وأَعْجَبُ): مبتدأ، خبره جملة قوله (ذهلت). و(أعجب): أفعل تفضيل، مضاف إلى ما النكرة الموصوفة بما بعدها، أي: أكثر عجباً من كلّ حال شهدته فيها، أي: في المحبّة المعبّر عنها في البيت قبله بلفظ (الولا): وهو الحبّ، كما تقدّم. أو الضمير المؤنّث للمحبوبة الحقيقيّة الذي هو في صدد ذكرها في جملة الأبيات

---

(١) في (ق): حجابي.

(٢) في (ق): سواء.

الماضية. وقوله (**شهدت**): من المشاهدة، وهي المعاينة. وقوله (**فراعني**): أي أَفْزَعَنِي وأَخَافَنِي. من الرَوْع بالفتح، وهو الفَزَعُ، والرَوْعَة: الفَزْعَة، وَرُعْتُ فلاناً ورَوَّعْتُهُ فَارْتَاعَ، أي: أَفْزَعْتُهُ فَفَزِعَ. وتَرَوَّعَ أي: تَفَزَّعَ. وقولهم: لا تُرَعْ، أي: لا تَخَفْ، ولا يلحقْك خَوْف. أو يقال: فَرَاعَنِي، أي: أَعْجَبَنِي. كما يُقال: رَاعَنِي الشيءُ، أي: أَعْجَبَنِي. والأَرْوَعُ من الرجال: الذي يعجبك حُسْنُه، كذا في الصحاح. وقوله (**ومِنْ نَفْثِ**): قال في الصحاح: «النَفْثُ: شبيهٌ بالنَفْخِ، وهو أَقلُّ من التَّفْل، وقد نَفَثَ الرَاقِي يَنْفِث». وقوله (**روح القدس**): هو جبريل عليه السلام، قال في الصحاح: «القُدُسُ: الطُهْرُ، اسمٌ، مصدرٌ، ومنه قيل للجَنَّة: حَظِيْرَةُ القُدُسِ، وروح القُدُسِ: جبريل عليه السلام». وقوله (**في الرُّوع**): بالضمّ وهو القلب، أو موضع الفزع منه، أو سواده، والذهن، والعقل. وقوله (**رَوْعَتِي**): مبتدأ مؤخّر، وخبره قوله (**ومن نفث**) قدّم عليه للحصر. والرَّوْعَة بالفتح: الفَزْعَة. وقال في الصحاح: الرُّوعُ، بالضمّ: القلب، والعقل، يقال: وقع ذلك في رُوعي، أي: في خَلَدِي وبالي. وفي الحديث: «إنّ الروح الأمين نفث في رُوعي»[1] والمراد هنا معنى الإلهام، والفيض الربّانيّ بواسطة الروح المنفوخ عن الأمر الرحمانيّ، بطريق الإرث المحمّدي، من المقام الأحمديّ. وقوله (**وقد/ [٢٢٩/ ب] أشهدتني**): الواو للحال، والجملة حال من التاء في شهدت. وفاعل أشهدتني ضمير راجع إلى المحبوبة الحقيقيّة. وقوله (**حُسْنَها**) مفعول أشهدتني. والضمير راجع للمحبوبة المذكورة، وهو أثر الجمال الذاتيّ الظاهر على المظاهر. وقوله (**فَشُدِهْتُ**): قال في القاموس: «شَدَهَ فَلَانَاً أَدْهَشَهُ كأَشْدَهَهُ. والاسم: الشَدْهُ، ويُحَرَّك. وشُدِهَ كعُنِيَ: دُهِشَ وشُغِل وحُيِّرَ». وفي الصحاح: «شُدِهَ الرجلُ شَدْهَاً فهو مَشْدُوه: دُهِشَ. وقال أبوزيد: شُدِهَ الرجلُ شُغِلَ لا غير. وقوله (**عن**

---

(١) أخرجه البيهقيّ في شعب الإيمان، الباب: الحادي والسبعون، ١٠٣٧٦، عن عبد الله بن مسعود، كما أخرجه السيوطيّ في جامع الأحاديث، باب: إنّ المشدّدة مع الهمزة، ٦٣٧٧.

حِجايَ): أي عن عقلي، قال في القاموس: «الحِجَا كإلى: العقل» والمعنى: فاندهشت واشتغلت عن عقلي، فلم يبقَ لي عقل ولا إدراك لشيء، بما ظهر لي من معاني الحسن. وقوله (**فلم أُثبِتْ**): بضمّ الهمزة من أَثْبَتَ الشيءَ ضدّ نفاه. وقوله (**حِلَايَ**): مفعول أُثْبِتْ. و(**الحَلَا**): جمع حِلْيَة، قال في المصباح: «الحِلْيَةُ بالكسر: الصِّفَة، والجمع: حُلَىً مقصور، وتضمّ الحاء وتكسر». وقوله (**لِدَهْشَتِي**): قال في المصباح: «دَهِشَ دَهَشاً، فهو دَهِش، من باب تعِب: ذهب عقلُه، حياءً أو خوفاً، ويتعدّى بالهمزة، فيقال: أَدْهَشَهُ غيرُه، وهذه هي اللغة الفصحى، وفي لغة يتعدّى بالحركة فيقال: دَهَشَهُ خَطْبٌ دَهْشاً، من باب نفع، فهو مَدْهُوش، ومنهم من منع الثلاثي». والمعنى: نفيت صفاتي الباطنيّة والظاهريّة من شدّة دهشتي فلم أثبت لي صفة مع الحقّ تعالى حين أشهدني حُسْن كلّ شيء خلقة أثراً من آثار جماله الذاتيّ لظهور قيّوميّته على مجموع ذاتيّ وصفاتيّ وأفعاليّ وأحكاميّ. وقوله (**ذهلت**): قال في المصباح: «ذَهَلْتُ عن الشيء أَذْهَل «بفتحتين » ذُهُولاً: غَفَلْتُ. وقد يتعدّى بنفسه، فيقال: ذَهَلْتُهُ، والأكثر أنْ يتعدّى بالألف، فيقال: أَذْهَلَنِي فلان عن الشيء، وقال الزمخشري: ذَهَلَ عن الأمر: تناساه عمداً. وشُغِل عنه. وفي لغة: «ذَهِلَ يَذْهَلُ من باب تَعِب». وقوله (**بها**): أي بالمحبوبة الحقيقيّة، أي: بسبب اشتغالي بمحبّتها، واستغراقي في بديع آثار صفاتها وأسمائها. وقوله (**عنّي**): أي عن ملاحظة نفسي، ووجدان صفاتي وأفعالي ظاهراً وباطناً. وقوله (**بحيث ظَنَنْتُنِي**): أي ظننتُ نفسي. وقوله (**سواي**): أي غيري. يعني: شخصاً آخر من شخوص الخلق. وقال ظننت، ولم يقل تحقّقت؛ لأنّه ليس شخصاً آخر من شخوص الخلق في التحقيق، بل هو وجميع الأشخاص في التحقيق أشخاص المتجلِّي الواحد المقدرة بتقديره الأزليّ، الفانيّة المعدوميّة في ظهور وجوده الحقّ الحقيقيّ، كما قال صلّى الله عليه وسلّم: «كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على

ماعليه كان»[1] وأشخاص العوالم كلّها مقدّرة. والمقدّر مفروض. والمفروض معدوم؛ وإنّما يظهر موجوداً بوجود الفارض المقدّر على وجه الالتباس من قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَهُ رَجُلًا ﴾ [٦/ الأنعام/ ٩] يعني: لوقدّرنا مَلَكاً لقدّرناه رجلاً، أي: فرضناه كذلك. ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾ [٦/ الأنعام/ ٩] على غيرهم، وعلى أنفسهم، بعقولهم، وأفعالهم، وأقوالهم. وقوله (ولم أقصد): أي ما قصدت. وقوله (سواي): أي غيري، وهو السوى الذي ظنّه نفسه كما ذكر. وقوله (مَظِنّتي): قال في المصباح: المَظِنَّةُ بكسر الظاء للمَعْلَم، وهوحيث يُعْلَمُ الشيءُ، قال النابغة الشاعر: (فإنّ مَظِنَّةَ الجهل الشباب). والجمع المَظَانُّ. وقال ابن فارس: مَظِنَّةُ الشيءِ موضعه، ومَأْلَفُهُ. والمعنى: إنّي لمّا ظننت نفسي سوايَ من الخلق لم أقصد ذلك السوى لأجد نفسي فيه، فيكون ذلك السوى مظنَّة وجود نفسي بحيث أجد نفسي فيه، وهو احتراز من قوله (ظننتُني سوايَ) كأنّه استدراك منه في المعنى، كقوله الشاعر:

كانت إذا أبصَرتْ في القوم محتشماً قال السرور له قُمْ غيرَ مطرود

وقال المتنبّي من هذا الباب:/ [٢٣٠/ ب]:

إذا خلَتْ منك حِمْص لاخَلَتْ أبداً فلا سَقاها من الوَسْميِّ باكره

فإنّ قوله (لا خلت أبداً): احتراس بالدعاء لمدوحه. وقوله في الأوّل (قم غير مطرود): هو في وصف الخمرة احتراس بالأدب، لأنّ المخاطب به ذو حشمة وهيبة من الرجال. والاحتراس كما يكون في وسط الكلام يكون في أواخره، كما مثّلنا، وهو نوع من أنواع البديع ذكره أهل المعاني. وهو هنا احتراس لإزالة وهم الغيريّة بالكليّة عن المتجلّي الحقّ في الصور المفروضة التقديريّة العدميّة.

---

(١) انظر تخريجه ص٤٦١.

كشف السر الغامض
شرح ديوان ابن الفارض

تأليف الشيخ

عبد الغني النابلسي

الكتاب الثالث

قدّم له

الدكتور بكري علاء الدين

دراسة وتحقيق خالد الزرعي


كشف السر الغامض
شرح ديوان ابن الفارض

كَشْفُ السِّرِّ الغَامِضِ
شَرْحُ دِيوَانِ ابْنِ الفَارِضِ

عنوان الكتـــاب: كشف السر الغامض شرح ديوان ابن الفارض (٣-٤)
اسـم المؤلــف: الشيخ عبد الغني النابلسي
تحقيــــــق: خالد الزرعي
المـوضـــــوع: شعر صوفي
عدد الصفحات: 2190 ص
القيـــــاس: 17.5 × 25 سم
الطبعـة الأولى: 1000 / 2017 م - 1438 هـ
ISBN: 978-9933-580-60-5



سورية . دمشق . ص ب 4650
تلفاكس: 2314511 11 963+
هاتــف: 2326985 11 963+

E-mail: info@ninawa.org
ninawa@scs-net.org
www.ninawa.org
دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع
Ayman ghazaly

العمليات الفنية:

التنضيد والتدقيق والإخراج والطباعة - القسم الفني: دار نينوى

عُمَرُ بنُ الفَارِض

هو أبو حفص، أو أبو القاسم، شرف الدين عمر بن علي بن المرشد الحمويّ الأصل، المصريّ المولد، والدار، والوفاة. المعروف بابن الفارض.

ولقد برع ابن الفارض في فنون الشعر، وأوتي حسّاً شعريّاً مرهفاً عالياً، وتمكّناً من نواصي اللّغة، وبراعة في اختيار الألفاظ، وروائع التركيب، وحُسن الصورة وإبداعها. وكان يمتلك حسّاً نقدياً متميّزاً تمكن فيه من الحكم بين الشعراء لمّا احتكموا إليه.

يقول خير الدين الزركلي في ترجمة ابن الفارض في كتابه الأعلام معرّفاً به: «أشعر المتصوّفين، يُلقّب بسلطان العاشقين، في شعره فلسفة تتصل بما يسمّى وحدة الوجود».

اعتنى ابن الفارض في ديوانه بعلوم البلاغة؛ بيانها وبديعها، لكنّه ساقها ببراعة الفنّان ومقدرة الشعراء الكبار، حتّى إنّه يبدو للوهلة الأولى كأنّما كان يسوقها عفو الخاطر.

إنّ ابن الفارض في حبه الإلهيّ، يصور أطوار المحبّة الإلهيّة، ويكتشف عجائب الحبّ، وحقائق المعرفة، ويتذوّق عطاءات التجلّيات.

الشيخ عبد الغني النابلسي

الشيخ عبد الغنيّ النابلسيّ، واحد من أولئك الذين لهم تأثيرهم الكبير في الأمّة في عصره وفي العصور اللاحقة؛ ذلك أنّه عالم غزير العلم متنوّعه، فهو مجموعة موسوعات علميّة متعدّدة الجوانب، فإضافة لكونه صوفيّاً هو أكبر شارح للتصوّف، وباعه في الحديث كبير. كذلك هو فقيه حنفيّ يُعتمد رأيه، ويُقرّ اجتهاده. وهو شاعر مكثر، له أربعة دواوين، أكبرها وأهمّها ديوان الحقائق. وهو ناظم كبير لا يعلم عدد أبيات نظمه إلّا الله. وهو مؤرّخ فذّ لرحلاته التي قام بها إلى بغداد وطرابلس الشام، وبلاد الشام ومصر والحجاز. ويكتسب النابلسيّ رتبة مؤرّخ لوصفه الدقيق كلّ أشكال الحياة الموجودة في عصره بدقّة متناهية، فهو يصف البلدة التي ينزل بها، وأولياءها، وعلماءها، ورجالها، ومساجدها، والدروس، والمجالس، وحياتها العلميّة، والاجتماعيّة؛ فيعطينا صورة واضحة يندر وجودها في المصادر الأخرى لتلك الفترة التاريخيّة التي شحّت أخبار الحياة العلميّة بمثلها.

٥٠٧- وَدَلَّـهَنِي فِيهـا ذُهُـوْلِي وَلَمْ أُفِـقْ   عَـلَيَّ وَلَمْ أَقْـفُ الـتِماسِي بِظِنَّتِـي

(ودلّهني): بالدال المهملة قال في القاموس: «الدَّلْهُ بسكون اللام، ويُحرَّك: ذهاب الفؤاد من هَمٍّ ونحوه. ودَلَّـهَهُ العِشقُ تَدْلِيْهَاً فَتَدَلَّهَ. والمُدَلَّه كمُعَظَّم: السَاهي القلب، الذاهب العقل من عشق ونحوه. أو مَنْ لَا يَحْفَظُ ما فَعَل، أوفُعِل به. وقوله (فيها): أي في محبّة المحبوبة الحقيقيّة. وقوله (ذُهُولي): فاعل دَلَّهَني. والذُهُول: هو الغفلة، أي: ذهولي الذي ذهلته عن نفسي، كما تقدّم في البيت قبله. وقوله (ولم أُفق) قال في المصباح: «أفاق المجنون إفاقة: رجع إليه عقله، وأَفاق السكران إفاقة. والأصل: أفاق من سُكْره، كما يقال: استيقظ من نومه». وقوله (عليّ): بتشديد الياء متعلّق بـ(أُفِق): أي ما فقت على نفسي، وذاتي، وصفاتي، وأفعالي، وأحوالي. إنّ شيئاً من ذلك له وجود مع الحقّ تعالى له لمجرّد تحقّقي أنّ كلّ ذلك أوهام منّي، مفروضة مقدّرة معدومة. تجلّى بها الوجود الحقّ تعالى الواحد الأحد؛ لأنّه فارضها ومقدّرها، وهي معدومة في نفسها؛ فهو الظاهر بها لها ولنفسه. وقوله (ولم أَقْفُ): بفتح الهمزة وسكون القاف وضمّ الفاء، قال في المصباح: «قَفَوتُ أَثَرَهُ قَفْوَاً، من باب قال: تَبِعْتُهُ». وقوله (التماسي): مفعول أَقْفُ. والالتماس: الطلب. وقوله (بِظِنَّتِي): أي بتهمتي. قال في المصباح: الظِنَّة بالكسر: التُهمة، وهي اسم من ظَنَنْتُه من باب قَتَلَ إذا اتَّهَمْتُهُ». يعني: لم أتبع طلبي وتفتيشي على نفسي وصفاتها وأفعالها بسبب تهمتي لها أنّها موجودة مع الحقّ تعالى، أو شيء من صفاتها أو أفعالها، كما قالوا: مَنْ عرف الله أزال التهمة، وعلم أنّ كلّ شيء لحكمة.

٥٠٨- فَأَصْبَحْتُ فِيْهَـا وَالِهَـاً لَاهِيَـاً بِهَـا   وَمَـنْ وَلَّـهَتْ شُـغْلَاً بِهَـا عَنْـهُ أَلْـهَتِ

(فاصبحت فيها): أي في محبّة المحبوبة الحقيقيّة. وقوله (والهاً): قال في المصباح: «وَلِهَ يَوْلَهُ وَلَهَاً، من باب تعب، ووَلْهَانَاً بفتح اللام أيضاً، وفي لغة وَلَهَ يَلِهُ، من باب وَعَدَ، فالذَّكَرُ والأُنْثَى: وَالِهٌ، ويجوز في الأنثى والهة: إذا ذهب عقله

من فرح أو حزن. وقيل أيضاً: وَلْهَان، مثل غَضِبَ فهو غَضْبَان». وقوله (لاهياً من) لَهَوْتُ به لَهْوَاً، من باب قتل: أُولِعت به. كذا في المصباح. وقوله (بها): أي بمحبّة المحبوبة الحقيقيّة. وقوله (ومَنْ وَلَّـهتْ): بتشديد اللام، أي: ولَّهته، بمعنى أذهبت عقله في محبّتها وعشقها. وقوله (شغلاً): تمييز، أي: اشتغالاً. وقوله (بها): أي بمحبّتها، وبمحاسن تجلّياتها في آثارها ومقدّراتها العدميّة. وقوله (عنه): الضمير لمن، أي: عن نفسه وعن صفاته وأفعاله. وقوله (ألهتِ): بكسر التاء للقافية. قال في المصباح: «أَلْهَانِي الشيءُ بالألف: شَغَلَنِي».

٥٠٩- وَعَنْ شُغُلِي عَنِّي شُغِلْتُ فَلَوْ بِهَا قَـضَيْتُ رَدَىً مَـا كُنْـتُ أَدْرِي بِنُقْلَتِـي

(وعن شُغُلِي): بضمّ الشين المعجمة وضم الغين المعجمة، قال في المصباح: «شَغَلَهُ الأمْرُ شَغْلاَ، من باب نفع. والاسم: الشُغُل، بضمّ الشين، وتُضَمُّ الغين وتسكن للتخفيف. والجار والمجرور متعلّق بشُغِلْتُ. وقوله (عَنِّي) متعلّق بشُغُلِي، أي: عن إدراك نفسي، وإدراك صفاتها وأفعالها. وقوله (شُغِلْتُ): بالبناء للمفعول، أي: شَغَلَتْنِي هي عن إدراكي أنّي مشغول عن نفسي، وعن صفاتها، وأفعالها. وقوله (فلو بها): أي بسبب محبّة المحبوبة الحقيقيّة /[٢٣٠/ب] وقوله (قَضَيتُ) قال الراغب: «ويعبَّر عن الموت بالقضاء فيقال: فلان قضى نحبه، كأنه فُصِل أمرُه المختصّ به من دنياه». وفي الصحاح: «ضربه فقضى عليه، أي: قتله، كأنه فَرَغَ منه. وسُمٌّ قاضٍ، أي: قاتل. وقَضَى نَحْبَهُ قَضَاءً: أي مات». وقوله (رَدَىً) تمييز، وهومصدر رَدِيَ رَدَىً من باب تعب: هَلَكَ، ويتعدّى بالهمزة، كذا في المصباح. وقوله (ما كنت أدري): أي أعلم. وقوله (بنُقلتي): بضمّ النون متعلِّق بأدري. قال في المصباح: نَقَلْتُهُ نَقْلاً من باب قتل: حَوَّلْتُهُ من موضع إلى موضع، وانْتَقَل: تَحَوَّل. والاسم النُقْلَةُ». والمعنى: فلو أنّي مت هلاكاً في المحبّة لما كنت أدري بأنّي متّ من كمال استغراقي بشراب الحبّ والعشق الربانِّي.

٥١٠- وَمِنْ مُلَحِ الوَجْدِ المُدَلَّهِ فِي الهَوَى الْـ ـمُوَلِّهِ عَقْلِي سَبْيُ سَلْبٍ كَغَفْلَتِي

(ومن مُلَح): جمع مُلْحَة، قال في الصحاح: «المُلْحَة بالضمّ: واحدة المُلَحِ من الأحاديث». وقال في المصباح : «مَلُحَ الشيءُ بالضمّ مَلَاحَةً: بَهُجَ، وَحَسُنَ منظرُهُ فهو مَلِيح». وقوله (الوجد): مضاف إليه، وهوالعشق والشوق. وقوله (المُدَلَّه): وصف للوجد، أي: فاعل. أي: المُذهِب للعقل من دَلَّهَهُ العشق تَدلِيْهَاً فتَدَلَّهَ، أي: أذهب عقله. وقوله (في الهوى): أي الحبّ. وقوله (المولّه): نعت للهوى، أي: فاعل أيضاً من الوَلَه، محرّكة: الحُزْن، أو ذهاب العقل حزناً، والحيرة والخوف، كذا في القاموس. وقوله (عقلي): مفعول المولّه. (سَبْيُ): مرفوع بالابتداء. وخبره (من مُلَح) قدّم عليه للحصر. والسَبْيُ مصدر سَبَيْتُ العدوَ سَبْيَاً من باب رمى، كذا في المصباح. وقوله (سَلْبٍ): بالجر مضاف إليه. والسَلْبُ مصدر سَلَبْتُهُ ثَوْبَهُ سَلْبَاً، من باب قتل، أَخَذْتُ الثوبَ منه، وكان الأصل سَلَبْتُ ثوبَ زيدٍ، لكنْ أُسْنِدَ الفعل إلى زيد، وأُخِّرَ الثَّوب، ونُصِب على التمييز. ويجوز حَذْفُهُ لفهم المعنى، كذا في المصباح. وقوله (كغفلة) الغفلة: غيبة الشيء عن بال الإنسان وعدم تذكّره له، وقد استُعمل فيمن تركه إهمالاً وإعراضاً، كما في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [٢١/ الأنبياء/ ١] كما في المصباح. والمعنى: إن من لطائف العشق والحبّ المفرط استيلاؤه وغلبته بطريق السلب والأخذ قهراً عَنِّي لجميعي باطناً وظاهراً بمنزلة الغفلة والإعراض عن المحبوبة والترك لها، كما ينقل عن مجنون ليلى أنّها جاءته وقالت له: ها أنا ليلى. فقال لها: عنِّي إليك؛ فإنّ حبّك شغلني عنك. ولا شكّ أنّ هذه حالة من أعاجيب الأحوال، ولطائفها المحيّرة للرجال.

٥١١- أُسَائِلُهَا عَنِّي إذَا مَا لَقِيتُهَا وَمِنْ حَيْثُ أَهْدَتْ لِي هُدَايَ أَضَلَّتِ

(أُسَائِلُهَا): أي المحبوبة الحقيقيّة. وقوله (عَنِّي): أي عن مجموع ذاتي، وصفاتي، وأسمائي، وأفعالي، لأنّه فقد ذلك لمّا وجدها لغلبة ذاتها الحقيقيّة على ذاته الوهميّة، وصفاتها الحقيقيّة على صفاته الوهميّة، وأسمائها الحقيقيّة على أسمائه الوهميّة،

وأفعالها الحقيقيّة على أفعاله الوهميّة، كما قال العارف بالله عفيف الدين التلمسانيّ قدّس الله سرّه:

أرى رسمها عندي يعوّض عن رسمي	فما بالهم في الحيِّ يدعونني باسمي
وهل بعد ضوء الشمس يبدو لك الدُّجا	وهل عندها يبقى على الأفق من نجم
إذا ما دعا الداعي بعلوة فاستجب	ولكن إذا أفنتْكَ عنك على علم
ولا تبق إنْ أبقتك إلّا بها لها	فأنت إذا حقّقت من عالم الوهم

وقوله (**إذا ما لقيتها**): أي في حال لقائي لها، أي: للمحبوبة الحقيقيّة، ولا يلقاها إلّا إذا فني عن نفسه بالكلّيّة. فعند ذلك تتبدّل أرضه غير أرضه، وسماواته غير سمواته. ويبرز لله الواحد القهّار، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ - أي أصحاب الإجرام، وهي الذنوب - ﴿مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾ [١٤/إبراهيم/٤٨] وجمع صفد بالكسر، وهو القيد، وهي أعمالهم التي ادَّعوا عملها بأنفسهم. وقوله (**ومن حيث**): أي من الجهة التي أهدت/[٢٣١/ أ] أي بعثت لي هداي. (**هداي**): مفعول أهدت، وهو إيصاله إلى نفسه، وإيقافه عليها المسؤول عنه. وقوله (**أضلّت**): بكسر التاء للقافية، أي: أضلتني عنها، فإنّ مَنْ شَهِد نفسَه غاب عن ربّه، ومن يشهد ربّه غاب عن نفسه. ولا يجتمعان أصلاً، كما لا يجتمع الليل والنهار، قال أحمد الغزاليّ قدّس الله سرّه في تجريد التوحيد على لسان الحضرة الإلهيّة: «إمّا أنا، وإمّا أنت».

٥١٢- وَأَطْلُبُهَا مِنِّي وَعِنْدِي لَمْ تَزَلْ عَجِبْتُ لَهَا بِي كَيْفَ عَنِّي اسْتَجَنَّتِ

(**وأَطْلُبُها**): أي المحبوبة الحقيقيّة. وقوله (**منِّي**): لأنّي أنا مجرّد تقديرها العدميّ، وفرضها الأزليّ في حضرة علمها القديم، وإرادتها الأزليّة، وقدرتها النافذة، وكلامها المنزّه عن الحروف والصوت. فإذا تجلّى وظهر الوجود الحقّ لي ظهر بي. وأنا معدوم متعيّن بعلمه بفصلٍ بإرادته، مقهور بقدرته، مرسوم بكلامه،

ونور وجوده الحقّ، مشاهد له به، أطلبه بطلب هو من جملة أحوالي القائمة به، المرسومة بكلامه الحقّ. فيكون طلبي له به منّي؛ لأنّه كما قال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ﴾ [٨٥/ البروج/ ٢٠] أي: بهم. وإلى ذلك إشارتي بقولي من قصيدة:

إنّـــما نحـــن للإلـــه شـــؤون فهـــو فينـــا في كـــلّ يـــوم يكـــون
نزلـــت شمـــسه المنـــازل منّـــا فظهـــور لهـــا بنـــا وكمـــون
هـــا هـــو الحـــقّ مـــلء قلبـــي وجسمـــي وعظـــامي وكـــلّ مـــا هـــو دون
لا حلـــول وإنّـــما هـــو فعـــل خلقـــه فاعـــل بـــه محـــصون
كخـــروق الجـــدار يظهـــر منهـــا قمـــر الأفـــق وهـــو عنهـــا مـــصون

إلى آخر الأبيات التي في ديواننا. وقوله (**وعندي لم تزل**): يعني المحبوبة الحقيقيّة، دائماً عندي أزلاً وأبداً، وذلك لانّي عندها، وهي معي أينما كنت بحكم قوله سبحانه: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ﴾ [٥٧/ الحديد/ ٤] أي: وجدتم وإن عدمتم، قال تعالى حكاية عن قول موسى عليه السلام: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [٢٠/ طه/ ٥٢] وقوله (**عجبت لها**): أي لهذه المحبوبة الحقيقيّة والحضرة الوجوديّة. وقوله (**بي**): أي بذاتي، وصفاتي، وأسمائي، وأفعالي، وأحوالي، وأحكامي التي هي كلّها أمور عدميّة مقدّرة مفروضة. وقوله (**كيف عنّي**): أي عن إدراكي لها مع هذا القرب من قوله سبحانه: ﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ﴾ [٥٠/ ق/ ١٦]. وقوله (**استجنّتِ**): بكسر التاء للقافية، أي: اختفت، يقال: اسْتَجَنَّ الشيءُ، أي: اسْتَتَر. والمعنى: إنيّ أعجب من هذا الوجود الحقّ، والنورالمبين، كيف استتر واختفى بهذا التقدير العدمي والمفروض الوهميّ. ولكن الواحد القهّارعلى كلّ شيء قدير يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

٥١٣- وَمــا زِلْــتُ فِي نَفْــسِي بِهِــا مُــتَرَدِّدَاً لِنَشْوَةِ حِسِّي وَالمَحَاسِنُ خَمْرَتِي

(**ومازلت في نفسي**): أي أنا دائماً لا أزال في نفسي. وقوله (**بها**): أي بالمحبوبة

الحقيقيّة، يعني: قائماً بها. وقوله (متردّداً): أي أذهب، وأرجع، وأغيب، وأحضر. لأنّي شأنه المتجدّد، ومظهره المتجرِّد، كما قال تعالى: ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ٢٩] يعني: شؤون يبديها لا يبتديها. وقوله (لنشوة): أي لسكر، قال في المصباح: «النَّشْوَة : السُكْر، ورجلٌ نَشْوَان: مثل سَكْرَان». وقوله (حِسِّي): أي قوّة حِسِّي، والحِسّ بالكسر مصدر يتعدى بالباء على معنى شعرت، يقال: أَحَسَّ الرجلُ الشيءَ إحساساً: عَلِمَ بِه، يتعدّى بنفسه مع الألف، وربّما زيدت الباء على معنى شعر به، وحَسَسْتُ به من باب قتل، لغة فيه. ذكره في المصباح. والمعنى: إنّما كنت بقيّوميّتها عليّ أتردد في أطوار شؤونها، وأنواع ملابسها الفاخرة لسكرة حواسي الخمس الظاهرة والباطنة، حيث أشاهدها بها. وشهودي لها من جملة شؤونها البعديّة. وقوله (والمحاسن): قال في القاموس: «الحُسن بالضمّ: الجمال، والجمع محاسن». على غير قياس. وقوله (خمرتي) يعني: إنّ أنواع المحاسن الظاهرة على الشؤون الإلهيّة، والملابس الربّانيّة. هي خمرتي التي أنا سكران بها، وإلى ذلك الإشارة بقول ابن/ [٢٣١/ ب] إسرائيل قدّس الله سرّه:

يا مديراً من لحظ عينيه خمراً ... خمر عينيك يملأ الكون سكراً
اسقنا صرفه فإنّا على السكر ... نُثيب الساقي ثناء وشكراً
يتّمتنا خلائق تملك الأر ... واح لطفاً وتملأ الأفق عطراً
ومعانٍ أضحى لديها المعاني ... في وثاق الوجد المبرّح أسراً
نورها يكسب البصائر نوراً ... ثمّ يثني أبصارها عنه حسراً

ولابن إسرائيل أيضاً قدّس الله سرّه من أبيات:

يا من بهم تستأنس المشاهد ... قلبي لكم من غبتم مشاهد
وقد أمنت في هواكم عاذلي ... والكون لي على هواكم شاهد
وغبتموا توهماً وباطني ... لكم إذا صحّ الصحيح واجد

يــــراكم في كــــلّ شيء نـــاظري   كــأنّما العــالم عنــدي واحــد

٥١٤- أُسَــافِرُ عَــنْ علْــمِ اليَقِــينِ لِعَيْنِــهِ   إلى حَقِّــهِ حَيْــثُ الحَقِيْقَــةُ رُحْلَتِــي

(أسافر): أي انتقل في مراتب نفسي في حالة سلوكي بها إلى حضرات ربّي؛ فأعلم أوّلاً أنّ نفسي شأن من شؤون ربّي، وتجلٍّ من تجلّياته ظاهراً بها؛ لانّها فعله، وتقديره، وتصويره، وكذلك كلّ شيء. وهذا العلم هو علم اليقين لأنّه مستفاد من الكتاب والسنّة وإجماع الأمّة. فلا شكَّ فيه، ولا تردّد، لأنّه علم، لا ظنّ. والعلم هو القطع بالمعلوم، قال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ [١٣/ الرعد/ ٣٣]. وكان صلّى الله عليه وسلّم يحلف: «والذي نفسي بيده لو اجتمعت الأمّة » على أنّ الله خالق كلّ شيء، ومحيط بكلّ شيء، ومدّبر كلّ شيء، وإنْ غفل عن معنى ذلك الغافلون ولم ينكروه. وقوله (لعينه): أي عين اليقين، أي: معاينة ذلك الذي آمن به أوّلاً، وصدَّق من غير شكٍّ ولا تردّد. والمعاينة: حضور ومشاهدة، قال في الصحاح: «عايَنْت الشيءَ عِياناً: إذا رأيته بعينيك» فإنّ عين اليقين لا يصل إليها أحد إلّا بعد تحقّقه بعلم اليقين، كما قال تعالى: ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴾ [١٠٢/ التكاثر/ ٥-٦] يعني: بعد تحقّقكم بعلم اليقين. ومن كان عنده شكّ أو تردّد في شيء من كلام أهل هذه الطريقة المحمّديّة، والسيرة الأحمديّة التي عليها أصحاب المعارف الإلهيّة، والحقائق الربّانيّة لم يصل بعد إلى علم اليقين فلا يقدر أن يتجاوز إلى عين اليقين، ومن المحال أنْ ينكشف عنه الحجاب، أو يشهد بارقة من بوارق ربّ الأرباب. وقال صلّى الله عليه وسلّم: «من بلغه عن الله فضيلة فلم يصدّق بها لم ينلها»[1]. وقد ورد عن الخضر، أنَّ موسى عليه السلام لمّا أنكر عليه بقوله: ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ﴾.﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴾ [١٨/ الكهف/ ٧٤و٧١] وقال له: «علم

---

(١) انظر تخريجه ص٤٧٧.

علمنيه الله لا تعلمه أنت، وأنت على علم علمكه الله لا أعلمه أنا». إنّ موسى عليه السلام مات ولم يصل إلى علم الخضر فيما يعلمه الله ، وإن كان موسى عليه السلام نبيّاً مرسلاً من أولي العزم. والخضر اختلف في نبوّته، فإنّه تعالى قال في حقّه: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [١٨/ الكهف/ ٦٥] ونكّر العلم لشرفه، وهو علم الذوق والوجدان، وهو علم الكشف والبيان، وهو علم اليقين الموصل إلى عين اليقين، وللأنبياء عليهم السلام علوم أُخر في مراتب نبوّاتهم وولاياتهم لا يعرفها الأولياء إلّا بطريق الإرث والاستفادة بالفيض والإمداد. وقوله (إلى حقّه): أي حقّ اليقين، وهو ظهور الأمر الإلهيّ في عين ما علم، ثمّ عاينته البصيرة، فيزول الرائي والمرئي، ويظهر الأمر عليه، وهو قول ابن العريف قدّس الله سرّه: «حتى يفنى من لم يكن، ويظهر من لم يزل»، قال تعالى : ﴿إِنَّ هَٰذَا / [٢٣٢/ أ] لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [٥٦/ الواقعة/ ٩٥] فإنّه ليس بعد حقّ اليقين إلّا التسبيح والتقديس لتبدّل النفس بالقلب الذي يسع الربّ. وقوله (حيث الحقيقة): أي حقيقة الأمر على ما هوعليه في نفسه. وقوله (رُحْلَتِي): قال في الصحاح: «الرِحلة بالكسر: الارتحال، يقال: دَنَتْ رِحْلَتُنا، والرُحْلَةُ بالضمّ: الوَجْه الذي تريده، يقال: أنتم رُحْلَتِي، أي: الذين أَرتحل إليهم». والمناسب هنا الضمّ، بمعنى: إنّ الحقيقة هي وجهتي التي أتوجّه إليها، وأقصدها، وأرتحل إليها عن كلّ شيء.

٥١٥- وَأَنْشُدُنِي عَنِّي لِأُرْشِدَني عَلَى لِسَانِي إِلَى مُسْتَرْشِدِي عَنْدَ نِشْدَتِي

(وأنشدني عنّي): أي أنشد نفسي عن نفسي، يُقال: نَشَدْتُ الضَالَّةَ أَنْشُدُهَا نَشْدَةً ونِشْدَانَاً، أي: طلبتها، كذا في الصحاح. أي: أطلب نفسي منّي؛ لأنّها ضلت عنّي، فكأنها ضالّتي التي أطلبها وأفتّش عنها. وقوله (لأرشدني): أي لأجل أن أُرْشِدَ نفسي إلى نفسي، أي: أدلّ نفسي على نفسي وأهديها إليها. قال في القاموس: «رَشَدَ ـ كنَصَرَ وفَرِحَ ـ رُشْداً وَرَشَدَاً وَرَشَاداً: اهتدى، كاسْتَرْشَدَ. واسْتَرْشَدَ طَلَبَ

الرشد، والرُّشْد: الاستقامة على طريق الحقّ مع تصلّب فيه». وقوله (**على لساني**): متعلِّق بأرشدني. والمعنى: ليحصل لي الرشاد بتقدير كلامي، وتحقيق مرامي. فإنّ العارف في حال سلوكه يهتدي إلى معرفة تجلِّيات ربّه بإيضاح المعاني له بنفسه، واطّلاعه على تحقيق المعارف الغيبيّة بإشارات كلامه ونطقه، فيستفيد العلوم الإلهيّة من إلهام قلبه الجاري على لسانه، ويستغني عن عبارات غيره، وإفادة ترجمانه. لأنّ مولاه قد فتح عليه باب نفسه المغلق، وفني عن دعوى وجوده في تجلّي حضرة الوجود المطلق، وتبدّل حديث نفسه بكلام ربّه، وانكشف له الحجاب عن عين قلبه. وقوله (**إلى مسترشدي**): متعلِّق بـ (**أرشدني**): أيضاً. والمسترشد بصيغة اسم الفاعل: هو طالب الرشد منه. وهو المحرِّك لهمّته إلى طلب الاستقامة في الدين، والاقتداء بسنن الأنبياء والمرسلين؛ وهو الحقّ تبارك وتعالى لا سواه؛ فإنّه القائم على كلّ نفس بما كسبت، ولا معبود إلّا إيّاه. وهو حقيقة جميع الحقائق. وهو المحبّ حقيقة والمحبوب من جميع الخلائق. وهو السالك والمسلوك إليه في منتهى جميع الطرائق. يعرف هذا من قطع جميع العلائق، واتّصل بينه وبين اللطائف والرقائق. وقوله (**عند نِشدتي**) قال في القاموس: «النِشْدَة بالكسر: الصوت». أي: في حال رفع صوتي بذلك الإنشاد، والسؤال، والطلب من الكريم المتعالي.

٥١٦- وَأَسْأَلُنِي رَفْعِي الحِجَابَ بِكَشْفِيَ الْـ ـنِّقَابَ وَبِي كَانَتْ إِلَـيَّ وَسِيْلَتِي

(**وأسألني**): أي أطلب منِّي. وقوله (**رفعي**): أي إزالتي. وقوله (**الحجاب**): مفعول رفعي. وهو حجاب الغفلة، والجهالة، والغرور المسدول على عين القلب بتوهّم الأغيار مع الواحد القهار. وقوله (**بكشفي**): متعلِّق برفعي. والكشف: الإماطة والتحويل. وقوله (**النقاب**): وهو ما يستر الوجه. و(**الحجاب**): ما يستر البدن كلّه. والمعنى: بتحويل الحجاب النفسانيّ الذي هو شأن من شؤون الحقّ تعالى، الذي من ورائه وجه الحقّ تعالى لقوله سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾ [٨٥/ البروج/ ٢٠].

وقوله عزّوجلّ: ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ﴾ [٢/ البقرة/ ١١٥] وقوله تبارك وتعالى: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ﴾ [٢٨/ القصص/ ٨٨]؛ فإنّ هذا النقاب هالك فانٍ في نفس الأمر، ولكن لسلطان الوهم غلبة على النفوس. ولولاه لما كانت النفوس، لأنّها هي النقاب على الوجه الحقّ بطريق الاستعارة. كما أنّ الوجه كذلك في نسبته إلى الله تعالى استعارة بالكناية وردت في الشرع المحمّديّ، ومثل ذلك اليد والجنب، وغيره مما أشكل على علماء الرسوم، وهو من بلاغة العربيّة التي نزل بها القرآن، وثبت بذلك إعجازه كما قررنا في محلّه من كتبنا. وقوله (وبي): بحولي، وقوّتي، وقدرتي الحقيقيّة من حقيقة ذاتي الوجوديّة الغيبيّة /[٢٣٢/ ب] وقوله (كانت): أي ثبتت وتحقّقت. وقوله (إليّ): بتشديد الياء التحتيّة متعلّق بوسيلتي. وقوله (وسيلتي): فاعل كانت. والوسيلة ما يتقرّب به إلى الغير، يقال: وَسَّلَ فلانٌ إلى ربّه وَسِيْلَة، وتَوَسَّلَ إليه بوسيلة: إذا تقرّب إليه بعمل، كذا في الصحاح. يعني: تَوَسَّلْتُ بحقيقتي التي أنا قائم بها إليها في تحصيل ما طلبته بها منها مما ذكر.

٥١٧- وَأَنْظُرُ فِي مِرْآةِ حُسْنِيَ كَيْ أَرَى جَمَالَ وُجُودِي فِي شُهُودِيَ طَلْعَتِي

(وأَنْظُرُ): أي من حيث حقيقتي التي هي من ورائي محيط بي. وقوله (في مِرآة): بكسر الميم والمدّ وهي التي ينظر فيها الإنسان في وجهه. وقوله (حسنيَ) ومرآة الحسن هي عوالم الإمكان المفروضة المقدّرة على اختلافها وترتيبها في الحضرة العلميّة الإلهيّة. وإنّما أضيفت إلى الحسن لظهوره عليها في كلّ شيء، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ﴾ [٣٢/ السجدة/ ٧] والحسن مضاف إلى المتكلّم الحقيقيّ بلسان أثره المفروض المقدّر. وقوله (كي أرى): أي أشاهد وأعاين. وقوله (جمال وجودي): أي وجودي الجميل الذي هو الوجه الحقّ الظاهر في مرآة كلّ شيء، من حيث أنّ حسن كلّ شيء أثره المنسوب إليه. وقوله (في شهودي): أي في حال شهودي ومعاينتي، من حيث أنّ ذلك هو نفس شهوده سبحانه من قوله: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [٣/ آل/ عمران/ ١٨]. وقوله (طلعتي): أي طلوعي

وظهوري على مقدار ما تقبل المرآة التي هي عوالم الإمكان. فإن الوجود المشهود في الأشياء بالنسبة إلى وجود الوجه الحقّ الحقيقيّ بمنزلة الوجه الذي يظهر في المرآة بالنسبة إلى الوجه الذي يقابله في الخارج عن المرآة، بل أكمل وأنزه، وأين القديم من العدم ؟!.

٥١٨- فَإِنْ فُهْتُ بِاسْمِي أُصْغِ نَحْوِي تَشَوُّقَاً   إِلى مُسْمِعِي ذِكْرِي بِنُطْقِي وَأُنْصَتِ

(فَإِنَّ): الفاء للتفريع على ما قبله، وإنْ بكسر الهمزة وسكون النون حرف شرط يجزم فعلين، الأوّل قوله (فُهتُ): بضمّ التاء فعل ماض في محل جزم. وفَاهَ بالكلام يَفُوه: لفظ به كذا في الصحاح. وقوله (باسمي): متعلّق بـ (فهت). وقوله (أُصْغِ): بالصاد المهملة والغين المعجمة، أصله أصغي إصغاء بالياء، وقد حذفت لأنّه الفعل الثاني المجزوم بإنْ الشرطيّة. وقال في الصحاح: «أَصْغَيْت إلى فلان: إذا مِلْتَ بسمعكَ نحوه. وقوله (نحوي): أي جهة نفسي التي صدرمنها التفوّه بالاسم. وقوله (تشوُّقاً): منصوب على التمييز. وقوله (إلى مُسْمِعِي): بصيغة اسم الفاعل. أي: الذي أسمعني تفوّهي باسمي، وهو الحقّ تعالى من قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ﴾ [٣٥/ فاطر/ ٢٢]. وقوله (ذكري): أي تفوّهي باسمي الذي ذكرته. وقوله (بنُطْقي): متعلّق بذكري، أي: ذكري المنطوق بلساني. وقوله (وأنصتِ): بكسر التاء للقافية، وأصلها السكون. لأنّ هذا الفعل المضارع معطوف على المضارع قبله، المجزوم بأن الشرطيّة، وهو أصغ كما ذكرنا. والإنصات: السكوت، والاستماع للحديث: تقول أنصتوه وأنصتوا له.

٥١٩- وَأُلْصِقُ بِالْأَحْشَاءِ كَفِّي عَسَايَ أَنْ   أُعَانِقُهَا فِي وَضْعِهَا عَنْدَ ضَمَّتِي

(وألصق بالأحشاء): جمع حشا، قال في الصحاح: «الحشى ما انضمّت عليه الضلوع. والجمع أحشاء». قال في القاموس: «الحَشَى ما دون الحِجَاب مِمَا في البَطْن من الكَبِد والكَرِش وما تَبِعَه، أو ما بين ضِلع الخَلْف التي في آخر الجَنْب إلى

الوَرِك، أو ظَاهِر البَطْن والحِضْن». وقوله (كفى): مفعول ألصق. وقوله (عسايَ أنْ أعانقها): أي المحبوبة الحقيقيّة، قال في القاموس: «عسى فعل مطلقاً، أوحرف مطلقاً للترجّي في المحبوب، وللاشفاق في المكروه». وقال في الصحاح: «عسى من أفعال المقاربة، وفيه طمع واشفاق. ولا يتصرّف لأنّه وقع بلفظ الماضي لمّا جاء في الحال. تقول عسى زيد أن يخرج، وعست فلانة أن تخرج. فزيد فاعل عسى وأن يخرج مفعولها، وهو بمعنى الخروج، إلّا أنّ خبره لا يكون/ [٢٣٣/ أ] اسماً، لا يقال: عسى زيد منطلقاً. وأمّا قوله: عسى الغُوَيْرُ أَبْؤُسَاً فشاذٌّ ونادر. وضع أبؤساً موضع الخبر. وقد يأتي في الأمثال ما لا يأتي في غيرها». وقوله (في وَضْعِهَا): أي وضع كفّي متعلّق بـ أعانقها. وقوله (عند ضمّتي): أي عند إلصاق كفّي بأحشائي. والمعنى في ذلك: غلبة العشق والمحبّة، بحيث لم يملك نفسه في احتشام مقام ربّه تعالى من كمال قربه إليه، وشدّة طمعه في حصوله.

٥٢٠- وَأَهْفُو لِأَنْفَاسِي لَعَلِّيَ وَاجِدِي بِهَا مُسْتَجِيْزاً أَنَّهَا بِيَ مَرَّتِ

(**وأَهْفُو**): من هَفَا الطائر بجناحه: إذا خفق. وهفا الشيء في الهواء: إذا ذهب كالصرخة ونحوها، كذا في الصحاح». وهو كناية عن شدّة الميل، وكمال التوجّه. وقوله (**لأنفاسي**): جمع نَفَس، بفتح الفاء. قال في الصحاح: «النَفَسُ بالتحريك واحد الأنفاس، وقد تَنَفَّسَ الرجل، وتَنَفَّسَ الصُعَدَاء، أو كلّ ذي رِئَة مُتَنَفِّس. ودواب الماء لارئات لها». يعني: إذا خرج النفس ـ وهو الهواء ـ من باطني إلى ظاهري يخرج حاملاً للمعاني التي ترد عليّ من الحقّ تعالى، وأنا متحقٌّق بذلك، فأميل إليها، وأتوجّه بكلِّيتي. وقوله (لعلّي): قال في الصحاح: «العلّ: كلمة شكّ، وأصلها علّ، واللام في أوّلها زائدة، والياء ضمير المتكلِّم في محل نصب على أنّه اسمها». وقوله (واجدي) خبرها. أي: واجد ذاتي، أي: أترجى بميلي وتوجّهي الكلِّي إلى ما يصدر منّي ممّا أنفس به عليَّ من المعاني الوجدانيّات الإلهيّات، عسى

أنْ أجد ذاتي الحقيقيّة التي أنا قائم بها، التي يصدر منها جميع ما هو صادرمنّي، قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه:

مـــا قلتـــه قلـــتُ عنِّـــي فـــلا أرى القـــول يغنـــي
هيهــــات أدرك ذاتــــاً إليَّ أقــــربَ مِنِّـــي

وقال أيضاً في أبيات:

يـــا مـــن تخاطبـــه حقيقـــة ذاتـــه في غـــيره لكنـــه لا يعلـــم
وهـــو الخاطـــب ذاتـــه في ذاتـــه وهـــو المكلَّـــم عنـــه والمـــتكلّم
مرآتـــك الأكـــوان فبهـــا نـــاظر مـــا أنـــت فيـــه فنـــيِّر أو مظلـــم

وقوله (بها): متعلِّق بواجدي. والضمير للأنفاس. وقوله (مستجيزاً): حال من ضمير المتكلّم في واجدي. و(المستجيز) الطالب للجواز، بمعنى المرور والسلوك، قال في الصحاح: «جُزْتُ الموضعَ أَجُوزهُ جَوَازاً: سَلَكْتُهُ وسِرْتُ فيه. وقوله (إنّها): أي الأنفاس المذكورة بي، متعلِّق بـ مرّتِ بكسر التاء للقافية. وتقديم الجار والمجرور لمعنى الحصر. والضمير المستتر للأنفاس، أي: طالباً أنّها تَمُرُّ بي، وتُقْبِل عَلَيّ لأجد بشمِّي لها رائحة المحبوبة الحقيقيّة فأقف على التحقق بها.

٥٢١- إلِى أَنْ بَـدَا مِنِّـي لِعَيْنِـيَ بَـارِقٌ وَبَـانَ سَـنَا فَجْـرِي وَبَانَـتْ دُجُنَّتِـي

(**إلى أنْ بدا**): أي غاية ذلك، أي: ظهر وتحقّق عندي على الكشف والمعاينة. وقوله (**منّي**): أي من نفسي. وقوله (**لعيني**): أي لعين بصري. وقوله (**بارق**): فاعل بدا. والبارق: سحاب ذو برق. والسحابة: بارقة. ويقال بَرَق السيفُ وغيرُهُ يَبْرُقُ بُرُوقاً: تَلألأَ، والاسم البَرِيق. والبَرْقُ: واحد بُرُوق: السَّحاب، كذا في الصحاح. وهو كناية عن الروح المنفوخ فيه عن أمر الله تعالى، كما قال سبحانه: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [١٥/الحجر/٢٩] وقال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْـرِ

رَبِّي﴾ [١٧/الإسراء/ ٨٥] ولا واسطة بين الروح وأمر الله تعالى، وهو أوّل مخلوق، كما قال صلّى الله عليه وسلّم: «أوّل ما خلق الله الروح»[1]. وكونه بارقاً: أي سحاباً ذا برق، أي: نور وضياء يظهر بسرعة، ثمّ يذهب ويستتر، ثمّ يعود كلمح بالبصر لصدوره عن الأمر الواحد الإلهيّ الذي هو كلمح بالبصر، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ [٥٤/ القمر/ ٥٠] والنور والضياء الذي يظهر بظهوره وهو نور شمس الحقيقيّة الذاتيّة، وضياء عين الحضرة الصفاتيّة الأسمائيّة. وقوله (وبان): أي ظهر وانكشف. وقوله (سنا): أي ضياء، قال/ [٢٣٣/ ب] في الصحاح : «السنا، مقصور: ضوء البَرْقِ». ولعلّه هنا بمعنى مطلق الضياء. ولهذا أضافه إلى قوله فجري. والفجر ضوء الصباح، وهو حمرة الشمس في سواد الليل وقد انْفَجَرَ الصبح، وتَفَجَّرَ وانفجر عنه الليل إلى طلوع الشمس، كذا في القاموس. وسواد الليل كناية عن نشأته الإنسانيّة نفساً وجسماً. وقوله (وبانت): أي فارقت وبعدت، من البَين، وهو الفُرقة والبُعد، كذا في القاموس. وقوله (دُجُنَّتِي) قال في

---

(١) قال اللكنويّ، عبد الحيّ في الآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة ١ /٤٣: تنبيه: قد ثبت في رواية عبد الرزاق أوّلية النور المحمّدي خلقاً، وسبقه على المخلوقات سبقاً. وقد اشتهر بين القصاص حديث: «أوّل ما خلق الله نوري: وهو حديث لم يثبت بهذا المبنى وإن ورد غيره موافقاً له في المعنى. قال السيوطيّ في تعليق جامع الترمذيّ المسمّى ـ بقوت المغتذي ـ عند شرح حديث: «إنّ أوّل ما خلق الله القلم»، قال زين العرب في «شرح المصابيح»: يعارض هذا الحديث ما روي: إنّ أوّل ما خلق الله العقل، وإنّ أوّل ما خلق الله نوري، وإنّ أوّل ما خلق الله الروح، وإنّ أوّل ما خلق الله العرش. يجاب بأنّ الأمور الأوّليّة الإضافيّة؛ فيأوّل: إنّ أوّل كلّ واحد مما ذكر خلق قبل جنسه؛ فالقلم خلق قبل أجسام، ونوره عليه الصلاة والسلام قبل الأنوار، ويحمل حديث العقل على أنّ أوّل ما خلق الله من الأجسام اللطيفة: العقل، ومن الكثيفة العرش؛ فلا تناقض في شيء. انتهى كلام زين العرب. قلت حديث العقل موضوع، والثلاثة الأخر لم ترد بهذا اللفظ فاستغني عن التأويل. انتهى كلام اللكنويّ. قلت: إن كلام اللكنويّ لاينفي ورود الأحاديث الثلاثة بغير هذا اللفظ مع بقاء المعنى ذاته، ولم ينفِ اللكنويّ صحتهم، ولم يصرّح بوضع المعنى مع أنّه صرح بوضع حديث العقل. والله أعلم.

القاموس: «الدُّجُنَّةُ كحُزُقَّة، وبكسرتين: الظلمة. والغيم المطبق الريّان المظلم لا مطر فيه». وهي كناية عن ظلمة كونه، وغيم إمكانه المفروض المقدَّر بتقدير ربّه القديم؛ فإنّ الوجود الحقّ نور، والظلمة هي العدم.

٥٢٢- هُنَاكَ إِلَى مَا أَحْجَمَ العَقْلُ دُوْنَهُ وَصَلْتُ وَبِي مِنِّي اتِّصَالِي وَوُصْلَتِي[1]

(**هناك**): هنا بضمّ الهاء مقصور: اسم إشارة. قال في الصحاح: «هنا وهاهنا للقريب إذا أشرت إلى مكان. وهناك وهنالك للبعيد. واللام زائدة، والكاف للخطاب. وفيها دليل على التبعيد، تفتح للمذكّر، وتكسر للمؤنّث. والإشارة إلى عالم الأمر الإلهيّ الذي هو أعلى من كلّ شيء. وقوله (**إلى ما**): أي مقام كريم، وسرّ عظيم. وهذا الجار والمجرورمتعلّق بوصلتُ، والتقديم للحصر. وقوله (**أحجم**) يقال: حَجَمْتُهُ عن الشيء أَحْجُمُهُ: أي كَفَفْتُه عنه. وحَجَمْتُهُ عن الشيء فَأَحْجَمَ، أي: كَفَفْتُه عنه فكفّ، وهو من النوادر، مثل: كببته فأكبّ، كذا في الصحاح. وقوله (**العقل دونه**): قال في الصحاح: «دون نقيض فوق، وهو تقصير عن الغاية، وتكون ظرفاً». وقوله (**وصلتُ**): بضمّ تاء المتكلّم، أي: نفذت بصيرتي بحيث وقف عقلي عجزاً عن إدراك ما هنالك، وهو الطور الذي الذي فوق طور العقل مما يعرف السالك. وقوله (**وبي**): أي بذاتي. وقوله (**منّي**): أي من ذاتي. وقوله (**اتصالي**): مبتدأ مؤخّر، خبره قوله منّي، أي: لا من غيري. يعني: إنّما حصل اتّصالي بذاتي من ذاتي، لا من أحد غيري، كما قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ١] وإنّما الشيوخ صور تجلّيات الرحمن. وقوله (**ووصلتي**): معطوف على اتّصالي. والاتّصال ضدّ الانفصال. وقال في الصحاح: «وَصَلَ إليه وُصُولاً، أي: بَلَغ. ووَصَل بمعنى اتَّصَلَ. ويقال: بينهما وُصْلَة، أي: اتّصال، وذريعة. وكلّ شيء اتّصل بشيء فما بينهما وصلة.

---

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ رحمه الله: «بلغ سماعاً ومقابلة على مؤلّفه رضي الله عنه. وكتبه الفقير إليه سبحانه: إبراهيم الدكدكجي، غُفر له».

٥٢٣- فَأَسْفَرْتُ بِشْراً إِذْ بَلَغْتُ إِلَيَّ عَنْ يَقِيْنٍ يَقِيْنِي شَدَّ رَحْلٍ لِسَفْرَتِي

(**فأسفرت**): قال في الصحاح: «أَسْفَر وجهُهُ حُسْناً، أي: أشرق». وقوله (**بِشْراً**): تمييز من جهة البِشْر بكسر الباء الموحّدة وسكون الشين المعجمة والراء. قال في الصحاح: «يقال بَشَرْتُهُ بمولود فَأَبْشَرَ إِبشَاراً، أي: سُرّ. وبَشِرْتُ بكذا بالكسر أَبْشَرُ، أي: اسْتَبْشَرْتُ به. وأتاني أمر بَشِرْتُ به، أي: سُرِرْتُ به، وهو حَسَنُ البِشْرِ، بالكسر، أي: طَلْق الوجه». وقوله (**إذْ**): تعليليّة. وقوله (**بلغت**): أي وصلت. وقوله (**إليّ**): بتشديد الياء، أي: إلى ذاتي فعرفتها. وقوله (**عن يقين**): أي بلوغاً حاصلاً عن يقين وتحقّق، قال في القاموس: «اليقين: إزاحة الشكّ». وقوله (**يقيني**): من وَقَاهُ يَقِيْهِ وَقْياً ووِقَايَة: صَانَه، كوَقَّاه، كذا في القاموس. يعني: يحفظني. ويكفيني ينصب مفعولين: الأول ياء المتكلّم. والثاني قوله (**شَدَّ**). قال في المصباح: «شَدَدْتُه شَدّاً من باب قتل: أَوثَقْتُهُ. وشَدَدْتُ العُقدة فَاشْتَدَّت. ومنه شَدَّ الرِّحال، وهو كناية عن السفر». وقوله (**رَحْلٍ**): بفتح الراء وسكون الحاء المهملة واللام، مضاف إليه، قال في المصباح: «الرَّحْلُ: كلّ شيء يُعَدُّ للرَحِيل، من وِعاء للمتاع، ومَرْكَب للبعير، وحِلْس وَرَسَن، وجمعه: أَرْحُلٌ ورِحَال، مثل بَحْروأَبْحُر وبِحَار». وقوله (**لسفرتي**): أي سفري، وهو الخروج للارتحال. وكنّى بشدّ الرَّحْلِ للسفرعن استعمال النظر العقلي، ونصب القياسات والأدلّة المعقولة على علوم التوحيد، والمعرفة الإلهيّة. فإنّ طريق التحقيق والوجدان في ذلك لا يسلك بها هنالك. قال الشيخ العارف الكامل أرسلان الدمشقي، قدّس الله سرّه في رسالته المشهورة: «الناس/ [٢٣٤/ أ] تائهون عن الحقّ بالعقل». وقال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه من أبيات ترجمان الاشواق:

طلب النعت أنْ يبينها فتعالت فعاد ذا حَصَر

وإذا رام أنْ يكفيها لم يزل ناكصاً على الأثر

إنْ أراح المطـــــــي طالبهـــــــا لم يريحـــوا مطيّـــة الفكـــــر

وقال قدّس الله سرّه في شرح هذه الأبيات في كتابه «الذخائر والأعلاق شرح ترجمان الأشواق» يقول: لا تدرك النعوت والأسماء الواردة عليها، فعاد النعت ذا حصر، لأنّه لم يجد محلًّا يقبله. فإذا جاء الخيال بتكييفه ليحمله عليها لم تقبله، فارتدّ على عقبه راجعاً. وإذا كلّت الهمم التي هي المطايا من العارفين في طلبها، لوقوفهم على عجزهم في ذلك، وأنّها لا تُنال بالسعايات، لم ترحِ العقلاء الذين يزعمون أنَّ الله يُعرَف بالدليل مطيّة فكرهم في استخلاص العلم بها، جهلاً منهم بما يعطيه المقام الأعلى.

٥٢٤- وَأَرْشَـدْتُنِي إذْ كُنْتُ عَنِّي نَاشِـدِي إلـــيَّ وَنَفْـسِي بِي عَـلَيَّ دَلِيْلَتِـــي

(وأرشدتني): أي أَرْشَدْتُ نفسي، من الرَّشَاد خلاف الغَيّ. وقد رَشَدَ يَرْشُدُ رُشْدَاً بالضمّ، ورَشِدَ بالكسر يَرْشَدُ رَشَدَاً لغة فيه. وأَرْشَدَه الله، كذا في الصحاح. وقوله **(إذ)**: تعليليّة. قال في الصحاح: «إذْ كلمة تدلّ على ما مضى من الزمان، وهو اسم مبني على السكون. وحقّه أنْ يكون مضافاً إلى جملة». وقوله **(كنت عنِّي)**: متعلِّق الجار والمجرور. وقوله **(ناشدي)**: وهو خبركنت. وناشدي: اسم فاعل، مضاف إلى ياء المتكلّم، أي: ناشد نفسي. بمعنى طالبها، من: نَشَدْتُ الضَالَّةَ أَنْشُدُهُا نَشْدَةً ونِشْدَانَاً، أي: طَلَبْتُهَا، كما في الصحاح. وقوله **(إليّ)**: بتشديد الياء، أي: إلى نفسي. والمعنى: كنت أطالب نفسي أن تفارقني من حيث أنانيَّتي الوهميّة. وترجع إليَّ من حيث أنانيّتي الحقيقيّة الحقّة. وقوله **(ونفسي)**: أي حقيقتي التي أنا متحقِّق بها من حيث أنّي حقّ لا باطل. وقوله **(بي)**: أي بقوّة نفسي المذكورة. وقوله **(عليّ)**: بتشديد الياء، أي: على نفسي المذكورة. وقوله **(دليلتي)**: أي هي التي دلَّتني وأرشدتني إليها، فزالت نفسي الوهميّة، وظهرت نفسي الحقيقيّة الحقيّة.

٥٢٥- وَأَسْتَارُ لَبْسِ الحِسِّ لَمَّا كَشَفْتُهَا وَكَانَتْ لَهَا أَسْرَارُ حُكْمِيَ أَرْخَتِ
٥٢٦- رَفَعْتُ حِجَابَ النَّفْسِ عَنْهَا بِكَشْفِيَ الـ ـنِّقَابَ فَكَانَتْ عَنْ سُؤَالِي مُجِيْبَتِي

(وأستار): جمع ستر، وهوالغطاء. من سَتَرْتُ الشيء أَسْتُرُهُ: إذا غَطَّيْتُهُ فاسْتَتَرَ هو، وتَسَتَّرَ،أي: تَغَطَّى، كذا في الصحاح. وقوله (لَبْس): بفتح اللام وسكون الباء الموحّدة وبالسين المهملة، قال في الصحاح: «اللَبْسُ بالفتح: مصدر قولك لَبَسْتُ عليه الأمر أَلْبِسُ: خلطت». وقوله (الحسّ): هو الحواس الخمس: السمع والبصر والشمّ والذوق واللمس، كذا في القاموس. وقوله (لمّا كشفتها): أي أزلت دعوى الإحساس بها، ومحوت نسبة إدراكها إليّ بظهورالتحقّق بحقائقها، المشار إليها بقوله صلّى الله عليه وسلّم في الحديث القدسي: «كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به»[1]. وقوله (وكانت لها): أي لتلك الأستار المذكورة. وقوله (أسرار): جمع سِرّ، وهو الأمر الخفيّ. وقوله (حكمي): أي إلزامي من حيث حقيقتي لنفسي الموهومة بالأحكام التكليفيّة. وقوله (أرخت): بكسر التاء للقافية، يعني: أرخت تلك الأستار وسدلتها على عيني. فالحقيقة تكشف، والشريعة تستر، ولا بدّ من الكشف، ولا بدَّ من الستر؛ فالكشف في الباطن، والستر في الظاهر. وقوله (رفعت): جواب لما. وقوله (حجاب النفس): بسكون الفاء، أي: الحجاب الذي هو النفس. وقوله (عنها): أي عن النفس. وقوله (بكشفي) متعلّق برفعت /[٢٣٤/ ب] وقوله (النقاب) مفعول كشفي. والنقاب بالكسر: ما تنتقب به المرأة، أي: تستر وجهها؛ فالنفس الإنسانيّة نقاب على وجه الحقّ، مستتر بها؛ لأنّها خلقه وتقديره. وقوله (وكانت): أي النفس بعد رفع الحجاب عنها بكشف بالنقاب عن وجهها. وقوله (عن سؤالي): أي طلبي لها، أو لما شئت منها. متعلّق بـ(مجيبتي). وقوله (مجيبتي): خبركان، أي: مجيبة لي عن كلّ

---

(١) انظر تخريجه ص١٤٦.

ما أطلبه منها، لأنّ بيدها كلّ شيء.

٥٢٧- وَكُنْتُ جِلَا مِرْآةِ ذَاتِي مِنْ صَدَا صِفَاتِي وَمِنِّي أُحْرِقَتْ بِأَشِعَّتِي

(وكنت): أي من حيث ذاتي الحقيقيّة. وقوله (جِلَا): بكسر الجيم. قال في الصحاح: «جَلَوْتُ السيف جِلَاءً بالكسر، أي: صَقَلْتُه». وقوله (مرآة): بكسر الميم وبالمدّ: هي التي ينظر فيها الإنسان وجهه. وقوله (ذاتي): أي حقيقتي الحقيّة. وقوله (من صدا): أصله بالهمزة حذفت لضرورة الشعر. قال في الصحاح: «صَدَأُ الحديد وَسَخُهُ، وقد صَدِئَ يَصْدَأُ صَدَأً». وقوله (صفاتي): أي الصفات الوهميّة المنسوبة إليّ كسمعي وبصري. وقوله (ومنّي): أي من حيث ذاتي الحقيقيّة الحقيّة. وقوله (أحرقت): بالبناء للمفعول، والضمير المستتر لصفاتي. وفي نسخة (أُحْدَقْتُ): بالدال المهملة، من الإحداق. قال في الصحاح: «حَدَقُوا بالرجلِ وأَحْدَقُوا به، أي: أَحاطوا به». وقوله (بأشعّة): متعلّق بالفعل. والأشعة: جمع شُعَاع. قال في الصحاح: «شُعَاعُ الشمس: ما تراءى من ضوئها عند ذُرُورِهَها كالقضبان. وقد أَشَعَّتِ الشمسُ: نشرت شُعَاعُهَا. الواحدة: شُعَاعَة. وأحرقت بالراء يناسب الحديث: «إنّ لله سبعين حجاباً من نور وظلمة، لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصر من خلقه»[1].

---

(١) قال الزين العراقيّ في تخريج أحاديث الإحياء١/ ٢٤٠: حديث «إنّ لله سبعين حجاباً من نور، لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصر». أخرجه أبو الشيخ ابن حبّان في كتابه «العظمة»، من حديث أبي هريرة: «بين الله وبين الملائكة الذين حول العرش سبعون حجاباً من نور». وإسناده ضعيف. وفيه أيضاً من حديث لأنس قال: «قال: رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لجبريل: هل ترى ربّك؟. قال: إنّ بيني وبينه سبعين حجاباً من نور». وفي الطبرانيّ من حديث سهل بن سعد: «ـ إن الله تعالى ألف حجاب من نور وظلمة ـ». ولمسلم من حديث أبي موسى: «حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصر من خلقه». ولابن ماجه: «شيء أدركه بصره».

٥٢٨- وَأَشْهَدْتُني إيّايَ إذْ لا سِوَايَ في شُهُوْدِيَ مَوْجُوْدٌ فَيَقْضِي بِزَحْمَةِ

(وأَشْهَدْتُني أياي): أي أُشهدتْ نفسي لنفسي، فذاتي الحقيقيّة شاهدة لذاتي الحقيقيّة، من قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [٣/ آل عمران/ ١٨] بعد فناء واضمحلال ذاتي الوهميّة الإمكانيّة. وهو ذهاب من لم يكن، وظهور من لم يزل. وقوله (إذ): تدلّ على الماضي، مبني على السكون. وتكون اسماً للزمن الماضي. وحينئذ تكون ظرفاً، كذا في القاموس. وقوله (لا سواي في شهودي): أي لا غيري في شهود، أي: معاينة ذاتي الحقيقيّة لذاتي الحقيقيّة. وقوله (موجود): خبر لا، وجميع السوى مقدّر مفروض، لا موجود؛ إذْ الفرض والتقديرهو معنى الخلق، كما قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [٢٥/ الفرقان/ ٢]. والمخلوق مقدّر مفروض لا موجود. وقوله (فيقضي): أي يحكم ذلك السوي. وقوله (بزحمة): بالزاي، أي: مزاحمة للوجود الحقّ. قال في القاموس: «زَحَمَه كمنعه، زَحْماً وزِحَاماً بالكسر: ضايقه. وازْدَحَم القوم وتَزَاحَمُوا». ولابن إسرائيل قدّس الله سرّه من أبيات له:

وكَيف يصبح عنها الطرف محتجباً وحسنها في جميع الخلق يلقاني

إنْ غيَّبت ذاتها عنّي فلي بصر يرى محاسنها في كلّ إنسان

ما في محبّتها ضدّ أضيق به هي المدام وكلّ الخلق ندماني

٥٢٩- وَأَسْمَعُنِي فِي ذِكْرِيَ اسِمِيَ ذَاكِرِي وَنَفْسِي بِنَفْيِ الحِسِّ أَصْغَتْ وَأَسْمَتِ

(وأَسْمَعُني): فعل ماض ينصب مفعولين، الأول: ياء المتكلّم، والنون للوقاية. وقوله في (ذكريَ اسميَ): أي في حال ذكري اسمي، أي: في حال ذكري اسمي، أي: في حال ذكري لاسمي الذي سمَّيت به نفسي. واسمي هو المفعول الثاني لأسمعني. وقوله (ذاكري): فاعل أسمعني. والياء ضمير المتكلِّم. والمعنى: أسمعني ذاكري، أي: الذي ذكرني، وهو أنا ذكرت نفسي اسمي الذي ذكرني به،

من قبيل قول القائل / [٢٣٥/ أ]:

لقد كنت حيناً قبل أن يكشف الغطا ... أظنّ بأنّي ذاكر لك شاكر

فلـمّا أضاء الفجر أصبحت موقناً ... بأنّك مذكور وذكر وذاكر

وقوله **(ونفسي)**: أي الحقيقيّة الحقّيّة. وقوله **(بنفي الحسّ)**: أي الحواس الخمس الظاهرة والباطنة، وفنائها، واضمحلالها في تجلّي الوجود بالحقّ، وأنّه إذا جاء الحقّ زهق الباطل، وكلّ شيء ما عدا الله باطل. والعارف مكشوف له ذلك، قال صلَّى الله عليه وسلّم: «كنت سمعه الذي يسمع به» في حديث المتقرِّب بالنوافل. وقوله «سمعه الذي يسمع به» أي: لا كنت سمعه الذي لا يسمع به، وهو القوّة العرضيّة المنبثّة في العصب المفروش في صماخ الأذن؛ لأنّ ذلك مخلوق لا يسمع به، وإنّما يسمع بالخالق، وكذلك البصر، وبقية الحواس كذلك. وقوله **(أصغت)**: أي استمعت. والضمير المستتر للنفس المذكورة. وقوله **(وأسمت)**: بكسر التاء للقافية، أي: أسمتني. بمعنى: أعلنتني، وجعلتني سامياً، مترفعاً عن أن أسمع بجارحة أذن. وكذلك البصر، وبقيّة الحواس. وفاعل أسمت ضمير مستتر راجع إلى النفس المذكورة.

٥٣٠- وَعَانَقْتُنِي لَا بِالْتِزَامِ جَوَارِحِ الْـ ... ـجَوَانِحَ لَكِنِّي اعْتَنَقْتُ هُوِيَّتِي

(وعانقتني): فعل ماض، وهو عانق. والتاء ـ ضمير المتكلّم ـ فاعل الفعل. والنون للوقاية. والياء ـ ضمير المتكلّم ـ مفعول الفعل، قال في الصحاح: «العِنَاق: المُعَانَقَة، وقد عَانَقَهُ: إذا جعل يديه على عنقه وضَمّهُ إلى نفسه، وتَعَانَقَا، واعْتَنَقَا». والمعنى: عانقت ذاتي بذاتي». وقوله **(لا بالتزام)** قال في القاموس: «المُلَازِم: المُعَانِق. والْتَزَمَهُ اعْتَنَقَهُ». وقوله **(جوارح)**: جمع جارحة. قال في القاموس: «الجوارح أعضاء الإنسان التي تكتسب». **(والجوانح)**: جمع جانحة، وهي الضلوع تحت الترائب مما يلي الصدر. يعني: ليس معانقتي لذاتي كمعانقة

جسم لجسم بالتزام الأعضاء للضلوع. وقوله (**لكنّي اعتنقت**): أي التزمت (**هُويّتي**): أي ماهيتي، وهي ذاته؛ فإنّ ذات الوجود الحقّ معانق للوجود الحقّ. والفاصل بينهما: الصورة الكونيّة المقدّرة المفروضة العدميّة. وهذه المعانقة لا انفكاك لها؛ لأنّها في الثبوت، وفي الوجود سواء كانت الصور معدومة أو موجودة، فهي أزليّة أبديّة.

٥٣١- وَأَوْجَدْتُنِي رَوْحِي وَرُوْحُ تَنَفُّسِي يُعَطِّرُ أَنْفَاسَ العَبِيرِ المُفَتَّتِ

(**وأوجدتُني**): أي جعلت نفسي واجدة، بمعنى مستنشقة. وقوله (**رَوْحي**): بفتح الراء، قال في القاموس : «الرَّوْح بالفتح: نسيم الرِّيح». إلي، أي: هوائي، بمعنى أنفاسي. وقوله (ورُوْح): بضمّ الراء، قال في القاموس : «الرُّوْح بالضمّ مابه حياة الأنفس». وقوله (**تنفسّي**): من قوله صلّى الله عليه وسلّم: «إنّي لأجد نَفَس الرحمن من قبل اليمن»[١]. وقوله عليه السلام: «لا تسبّوا الريح ، فإنّها من نَفَس الرحمن»[٢]. والنَفَس بفتح الفاء: اسمٌ وُضِعَ مَوْضِع المصدر الحقيقيّ، من نَفَّسَ تَنْفِيْسَاً وَنَفَسَاً، أي: فَرَّجَ تفريجاً، كذا في القاموس. وذلك كناية عن العالم الروحانيّ، الأمريّ، الإلهيّ، المنفوخ منه في الهياكل المحسوسة الإنسانيّة وغيرها. وقوله (**يعطّر أنفاس**): أي روائح. وقوله (**العَبير**): هو الزعفران، أو أخلاط من الطيب، كذا في القاموس. وقال في الصحاح: «العَبير أخلاط تجمع بالزعفران عن الأصمعي. وقال أبو عبيدة: «**العبير عند العرب الزعفران وحده**». وقوله (**المُفَتَّت**): بصيغة اسم المفعول، من فَتَّ الشيءَ، أي: كَسَرَه. والتَفَتُّتُ التكسُّر،

---

(١) ذكره العراقيّ في تخريج أحاديث الإحياء، ٢٤٥، بلفظ: «إنّي لأجد نَفَس الرحمن من جانب اليمن». وقال: أخرجه أحمد من حديث أبي هريرة، في حديث قال فيه: وأجد نَفَس ربّكم من قبل اليمن، ورجاله ثقات.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك، باب:من سورة البقرة، ٣٠٧٥، عن أُبيّ بن كعب. وقال: هذا صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. علّق الذهبي: على شرط البخاريّ.

والانْفِتَات الانكسار، كذا في الصحاح. والمعنى: إنّي جعلت ذاتي تستنشق روائح أنفاسي في حالة تنفّسي بالأنفاس الطيِّبة العطرة المنبعثة من حضرة القدس، كناية عن المعاني الإلهيّة والحقائق / [٢٣٥/ ب] العرفانيّة التي ترد على قلبه، فيتكلَّم بها، فيلتذ بسماعها منه.

٥٣٢- وَعَن شِرْكِ وَصْفِ الحِسِّ كُلِّي مَنَزَّهٌ   وَفِيَّ وَقَـــدْ وَحَّـــدْتُ ذَاتِيَ نُزْهَتِـــي

(وعن شرك): متعلِّق بمنزّه. وقوله (وصف الحسّ): أي الوصف الذي هو الحِسُّ كالسمع والبصر والشمّ والذوق واللمس. يعني: عن المشاركة في ذلك، وأنْ يتعدّد شيء من ذلك بسبب تعدّد الأشخاص. وقوله (كلِّي): أي ذاتي الواحدة التي هي عين كلّ ذات، وهي ذات كلّ عضو من أعضاء كلّ إنسان وغيره. وقوله (مُنَزَّه): بصيغة اسم المفعول، من التنزيه، وهو التبعيد. قال في الصحاح: «التَنَزُّه: التباعد عن المياه والأرياف. ومنه قيل: فلان يَتَنَزَّهُ عن الأقذار، ويُنَزِّهُ نفسه عنها، أي: يباعدها عنها، والنَزَاهَة: البعد عن السوء. وإذا كانت ذاته التي عبّرعنها بقوله (كُلِّي): باعتبار كثرة أشخاصها منزّهة عن شرك الاتّصاف بالأوصاف المتعدِّدة، المتكررة بتكرار الأشخاص، فلا تعدّد لذاته في نفس الأمر، ولا اشتراك لأوصافها معها، ولا فيها أصلاً، كما قلت في جملة أبيات لي:

أنـــا كـــلّ الوجـــود والكائنـــات   أنـــا كـــلّ الأرواح كـــلّ الـــذوات

أنـــا كـــلّ العقـــول بـــل كـــلّ شيء   في جميـــع الأزمـــان والأوقـــات

لـــيس كـــلّ الوجـــود إلّا أســـامٍ   والمـــسمّى بكـــلّ ذلـــك ذاتي

وقوله (وفيّ): بتشديد الياء، جار ومجرور متعلّق بواجب الحذف، خبر مقدّم، أي: في ذاتي الحقيقيّة الحقّة. وقوله (وقد): الواو للحال من ضمير فيّ المشدّد. وقوله (وَحَّدْتُ) بتشديد الحاء المهملة، أي: من التوحيد، أي: وجدت ذاتي الحقيقيّة الحقّة واحدة بتوحيد الوجدان، لا توحيد الدليل والبرهان. وقوله

(نزهتي): مبتدأ مؤخّر، قدّم عليه للحصر؛ إذْ لا نزهة له في غير ذاته المذكورة، لظهورها له في كلّ صورة. و(النزهة): الطرب والسرور والتباعد عن الشرور.

٥٣٣- وَمَـدْحُ صِـفَاتِي بِي يوَفِّـقُ مَـادِحِي   لِـحَمْدِي وَمَـدْحِي بِالـصِفَاتِ مَـذَمَّتِي

(مدح صفاتي): أي الثناء عليها. قال في الصحاح: «المَدْحُ: الثَنَاءُ الحَسَن. وقد مَدَحَه وامْتَدَحَه بمعنىً. وقوله (بي) متعلّق بمدح، أي: بذاتي؛ فإنّ الصفات تابعة للموصوف بها، فإنْ كان الموصوف بها قديماً فهي قديمة، أو حادثاً فهي حادثة. وكمالها ونقصها، وإطلاقها وتقييدها تابع ذلك كلّه للموصوف بها. وهذا معنى مدح الصفات الإلهيّة بالذات العليّة دون العكس. وقوله (يوفّق): بتشديد الفاء، أي: يلهم الموافقة لما هو في نفس الأمر. وقوله (مادحي) مفعول يوفّق، أي: الذي يمدحني ويثني عليَّ بالثناء الحسن، وهو الإنسان الكامل، العارف، المحقّق لمعرفة نفسه، ومعرفة ربّه. وقوله (لحمدي): متعلّق بيوفّق، أي: للثناء عليَّ بما أنا أهله من الثناء الحسن، وهو مدح صفاتي بي، لا مدحي بصفاتي؛ لأنّ جميع المعاني والمفاهيم وإنْ ارتفع شأن بعضها على بعض باعتبارها، أو باعتبار من هي منسوبة إليه من أهل الكمال العرفانيّ، والتحقيق الربّاني حادثة، قاصرة، فانية، مضمحلّة، لا مناسبة لها بالذات القديمة الأزليّة وإنْ قبل تعالى شرعاً الاتّصاف بالمعاني الواردة منها في الكتاب والسنّة، مما يجب اعتقاده. فإنّه أمر تعبّدي، يُعتقد ويُقال بالعبارات الواردة فيه، مع الإذعان للغيب المطلق، فإنّ كلّ ما نجده كمالاً في نظر عقولنا حادث مخلوق كما نحن مخلوقون، وعقولنا مخلوقة، ولا يتّصف الحقّ القديم بما هو مخلوق. وقوله (ومدحي): أي: الثناء على ذاتي. وقوله (بالصفات): أي بصفاتي الواردة في الكتاب والسنّة على المعنى الذي يفهمه المخلوق، ويعرفه المحدث/ [٢٣٦/ أ] فإنّ ذلك المعنى محدث مثله؛ وإنّما وجب عليه اعتقاد أمر تعبّدي، وتحكّم إلهيّ لا تصرف فيه للعقول، ولا اطّلاع للأفهام عليه: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ﴾

[٤٢/الشورى/١٣] الآية. وقوله (مذمّتي): بالفتح أي ما أُذمّ به من العيب والعار، وهو خلاف المَحْمَدَه، قال عفيف الدين التلمسانيّ قدّس الله سرّه من أبيات له:

تنـــزّه عـــن وصـــف الكـــمال لأنّـــه لمعنـــى اعتبـــار الـــنقص فيـــه يقـــود

٥٣٤- فَشَاهِدُ وَصْفِي بِي جَلِيْسِي وَشَاهِدِي بِـهِ لاحْتِجـابِي لَـنْ يَحِـلَّ بِحِلَّتِـي

(فشاهد وصفي): أي المشاهد المعاين لأوصافي. وقوله (بي): أي بذاتي، وذلك بأن فني عن ذاته الوهميّة، وتحقّق بحقيقة الذات الحقيّة الحقيقيّة. وهو الذي يشاهد الصفات بالذّات، وهذا البيت موافق للبيت الأوّل في تتمّة معناه، وتقرير فحواه. وقوله (جليسي): أي مجالس لي قريب منّي، لأنّه شهد أوصافي بذاتي فذكرني بي لا به، وأنا جليس من ذكرني. وقوله (وشاهدي): أي المشاهد المعاين لذاتي المتحقّق بها بعد فنائه واضمحلاله. وقوله (به): أي بوصفي. يعني: بصفاتي بأن شهد ذاتي بما عنده من معاني صفاتي، كما قدّمناه. وقوله (لاحتجابي): أي امتناعي عنه، ووقوع معرفته على مقدار ما أدّى إليه نظره، ولَمَحَهُ بصره. وقوله (لن يَحِلَّ بِحِلَّتِي): أي لم يلبس ثوبي الذي أنا لا بسه، وهو كناية عن الاتّصاف بصفاته بعد التحقّق بحقيقة ذاته، قال امرؤ القيس:

فـــإن كـــان لا يرضـــيك منّـــي ســـجيّة فـــسلّي ثيـــابي مـــن ثيابـــك تنـــسل

٥٣٥- وَبِي ذِكْـرُ أَسْـمَائِي تَـيَقُّظُ رُؤْيَـةٍ وَذِكْـرِي بِهَـا رُؤْيَـا تَوَسُّـنِ هَجْعَـةِ

(وبي): أي بذاتي الحقيقيّة. وقوله (ذكر أسمائي): جمع اسم، وهو ما يشير إلى الذات بمعنى صفة من صفاتها، أو لا بمعنى صفة. يعني: ذكر أسمائه تعالى الحسنى بذاته الحقيقيّة. وقوله (تيقّظ): مصدر تَيَقَّظَ ، أي: انتبه من نومه ،يقال: أَيْقَظْتُهُ من نومه، أي: نَبَّهْتُهُ فتيقَّظَ، واسْتَيْقَظَ فهو يَقْظَان، كما في الصحاح. وقوله (رؤية): أي معاينة بحاسّة البصر، وهو قوله صلّى الله عليه وسلّم في الحديث القدسي، حديث المتقرّب بالنوافل: «كنت بصره الذي يبصر به». (وذكري بها):

أي بأسمائي بأن أراد التوصُّل بذكر أسماء الذات الإلهيّة إلى معرفة الذات الإلهيّة. وقوله (رؤيا): أي معاينة مناميّة خياليّة. وقوله (تَوَسُّنِ) بتشديد السين المهملة، مصدر تَوَسَّنَ من الوَسَنِ بالتحريك، وهو النعاس. وقد وَسِنَ الرجلُ يَوْسَنُ فهو وَسْنَان. وقوله (هَجْعَةٍ): بفتح الهاء، قال في الصحاح: «أتيت فلاناً بعد هَجْعَةٍ، أي: بعد نومةٍ خفيفة من أوّل الليل. والمعنى: ذكره تعالى بأسمائه رؤيا مناميّة يراها الذاكر. وهي مجرد خيال يطرقه في منامه، منام حياته الدنيا التي هي لعب ولهو، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [٣٠/الروم/ ٢٣] وفي الأثر: «الناس نيام، فإذا ماتوا انتبهوا»[1]. وذلك لأنّ جميع إدراكات الغافلين المحجوبين خيالات فكريّة، وتوهمات نفسانيّة؛ فلا يعرفون الموجود إلّا في صُوَرِه، ولا يدركون المشهود إلّا في حقيقة محصورة.

٥٣٦- كَـذَاكَ بِفِعْـلِي عَـارِفِي بِيَ جَاهِـلٌ   وَعَارِفُـهُ بِي عَـارِفٌ بِالحَقِيْقَـةِ

(**كذاك**): أي مثل ذلك المذكور قبله في الأبيات السابقة. وقوله (**بفعلي**): متعلّق بعارفي. وقوله (**عارفي**): أي مَنْ يعرفني. وقوله (**بي**): أي بذاتي الحقيقيّة. وهوخبرمقدّم. وقوله (**جاهل**): مبتدأ مؤخّر. أي: هو جاهل بي، لا يعرفني، لأنّه إنّما عرفني بأفعالي/ [٢٣٦/ ب] والمعروف بأفعاله معروف أنّه فاعل فقط، والمعروف أنّه فاعل ليس بمعروف أنّه مسمّى بالأسماء. ولا أنّه موصوف بالأوصاف، ولا أنّ له ذاتاً منزّهة عن مشابهة الذوات فهو جاهل ببقيَّة الحضرات. وقوله (**عارفه**): أي عارف فعلي، يعني: العارف بأفعالي. وقوله (بي): أي بذاتي الحقيقيّة. وقوله (**عارف بالحقيقة**): أي بحقيقة الأمر كلّه على ما هو الأمر عليه، وهذا هو مقتضى قول بعضهم في وصيّة المريد السالك: قم به عليه لا بك عليه. وهو نصح واضح، وصدق فاضح، لأنّك إذا قمت به عليه فقد قمت بموجود

---

(١) انظر تخريجه ص٢٨٦.

حقّ على موجود حقّ، وإذا قمت بك عليه فقد قمت بمعدوم باطل على موجود حقّ ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨١].

٥٣٧- فَخُذْ عِلْمَ أَعْلَامِ الصِّفَاتِ بِظَاهِرِ الْـ ـمَعَالِـمِ مِـنْ نَفْـسٍ بِـذَاكَ عَلِيْمَـةِ

(فخذ): الفاء للتفريع. و**(خذ)** فعل أمر. والخطاب للسالك في طريق الله تعالى. وقوله **(علم)** مفعول خذ. وقوله **(أعلام)**: جمع عَلَم بالتحريك، أصلّه العلامة على الشيء. والعَلَم أيضاً الجبل، والراية. وقوله **(الصفات)**: أي صفات الله تعالى، وأعلامها أصولها وأمّهاتها، وهي المشاهير منها، وهي سبعة: الحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام. وبقية الصفات تابعة لهذه السبعة، ومفصّلة لها بأسماء مخصوصة. وقوله **(بظاهر المَعالِم)**: جمع مَعْلَم بفتح الميم وسكون العين المهملة: الأثر الذي يستدلّ به على الطريق. والمعنى هنا: بظاهر المعالم مواضع ظهور هذه الصفات السبع من جوارحنا وأعضائنا، فإنّها آثار تجلّيات الصفات القديمة، ومواضع توجّهات تصرّفاتها. وقوله **(من نَفْس)**: إنسانيّة كاملة في مرتبة العلم والعمل. ولهذا أنكرها. وقوله **(بذاك)**: أي بمعرفة معالم أعلام الصفات على ما تقرر. وقوله **(عليمة)** نعت لنفس.

٥٣٨- وَفَهْمُ أَسَامِي الذَّاتِ عَنْهَا بِبَاطِنِ الْـ ـعَوَالَمِ مِـن رُوْحٍ بِـذَاكَ مُـشِيْرَةِ

(وفهم): بالنصب، معطوف على علمِ في البيت قبله، أي وخذ فهم. والفهم: الإدراك للأمر الخفيّ الدقيق. أخصّ من العلم؛ لشمول العلم للخفي والجلِي، قال تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [٢١/ الأنبياء/ ٧٩]. وقوله **(أسامي)**: جمع اسم، وهو ما يراد به الذات عند الإطلاق من الكلمات كالقديم والعليم. وقوله **(الذات)**: أي ذات الحقّ تعالى. وقوله **(عنها)**: أي عن الذات، أي: حاصلاً ذلك الفهم عن تجلّيها، لا عن نفسك. وقوله **(بباطن العَوالَم)**: جمع عالَمَ بفتح اللام، وهي المخلوقات المتنوِّعة إلى أنواع كثيرة، كلّ نوع منها يقال له

عالَم. وباطن هذه العوالم سريان الروح الأمري الإلهيّ. والجار والمجرور متعلّق بفهم. وقوله (**من رُوْحٍ**): وهو الروح الأعظم الذي أوّل ما خلقه الله تعالى، الصادر عن أمر الله تعالى بلا واسطة. وتنكيره للتعظيم. وقوله (**بذاك**): أي بالفهم المذكور. وقوله (**مشيرة**) نعت لروح، فإنّها تشير للمنفوخة فيه إلى فهم ذلك.

٥٣٩- ظُهُورُ صِفَاتِي عَنْ أَسَامِي جَوَارِحِي مَجَازاً بِهَا لِلْحُكْمِ نَفْسِي تَسَمَّتِ

٥٤٠- رُقُومُ عُلُومٍ فِي سُتُورِ هَيَاكِلٍ عَلَى مَا وَرَاءَ الحِسِّ فِي النَّفْسِ وَرَّتِ

(**ظهور صفاتي**): أي الصفات الإلهيّة ظاهرة باعتبار استيلائها على صور الحوادث. وقوله (**عن أسامي**): جمع اسم، الجار والمجرور متعلّق بظهور. وقوله (**جوارحي**): جمع جارحة، كالعين الباصرة، والأذن السامعة، والأيدي الباطشة والأرجل، ونحو ذلك في كلّ حيوان. وقوله (**مجازاً**): أي بطريق المجاز لعلاقة السببيّة فيسمّى سمعاً، وبصراً، وقدرة، وإرادة في المخلوق على جهة المجاز، والسمع، والبصر، والقدرة، والإرادة في الخالق الحقّ حقيقة/ [٢٣٧/ أ] وقوله (**بها**): أي بتلك الأسامي المجازيّة. وقوله (**للحكم**): أي لأجل الحكم الإلهيّ والشرع الربّانيّ. وقوله (**نفسي تسمّتِ**): بكسر التاء للقافية، أي: تسمّت نفسي المدركة بالسميع، البصير، القادر، المريد، إلى غير ذلك مجازاً لا حقيقة لمراعاة القيام بالأحكام الشرعيّة، والملّة المحمّديّة. وقوله (**الرقوم**): خبر قوله: **ظهور صفاتي في** البيت قبله. وقوله (**الرقوم**): جمع رَقْم، وهو الكتابة والختم. قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾ [٨٣/ المطففين/ ٩] ورَقْمُ الثوبِ: كتابته، كذا في الصحاح. وقوله (**علوم**) جمع علم، وهو ما يتنزّل في تلك الرقوم من المعارف والإدراكات. وقوله (**في ستور**): جمع ستر، وهو ما يستر الذي وراءه. وقوله (**هياكل**): جمع هيكل، وهو البناء المشرف، وبيتٌ للنصارى، وهو بيت عبادتهم، كما ورد في الصحاح. كنّى بالستور عن النفوس البشريّة، وبالهياكل عن الأجسام البدنيّة. وقوله (**على ما وراء**): أي

خلف. والجار والمجرور متعلّق (بورّتِ). وقوله (الحسّ): أي قوّة الإدراك بالحواس. وقوله (في النفس): أي الإنسانيّة. وقوله (ورّتِ): بتشديد الراء وكسر التاء للقافية. من واريتُ الشيءَ: إذا أخفيته. وتَوارَى هو، أي: اسْتَتَر. والمعنى في التورية أن يذكر لفظ في معنى، ويراد به معنى آخر. وتقديرذلك هنا أنّ القوى في المخلوقات قوي الإدراك. وقوى التصرّف في الأعمال البدنيّة مخلوقة على جهة التوريّة. والمراد: ما وراءها من الصفات الإلهيّة والأسماء الربّانيّة، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [١٣/ الرعد/ ٣٣] وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾ [٨٥/ البروج/ ٢١] وقال تعالى: ﴿أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [١٠/ يونس/ ٣١].

٥٤١- وَأَسْمَاءُ ذَاتِي عَنْ صِفَاتِ جَوَانِحِي جَـوَازاً لأَسْرَارٍ بِهَـا الـرُّوْحُ سُرَّتِ

٥٤٢- رُمُوْزُ كُنُوْزٍ عَنْ مَعَانِي إِشَارَةٍ بِمَكْنُوْنِ مَا تُخْفِي السَرَائِرُ حُفَّتِ

(وأسماء): جمع اسم، وهو ما ينشأ عن الصفة، كالقدرة ينشأ عنها الاسم القادر. وقوله (ذاتي): أي ما تسمّت به الذات. وقوله (عن صفات جمع): صفة متعلّق بواجب الحذف، خبر للمبتدأ، وهو أسماء. وقوله (جوانحي): جمع جانحة، قال في الصحاح: «الجَوانح: الأضلاع التي تحت الترائب، وهو مما يلي الصدر كالضلوع مما يلي الظهر. الواحدة: جانحة». يعني: كلّ اسم من أسماء الذات ظاهر عن صفة من صفاتها، متفرّع عليها. وقوله (جوازاً): منصوب على التمييز من انتشاء الأسماء عن الصفات. يعني: إنّ ذلك غير لازم؛ بل هو جائز أنْ يعتبر على تقدير أنّه غير ممتنع، يقال: جَوَّزَ له ما صنع، وأَجَازَهُ له، أي: سوّغ له ذلك. وقد يكون من جُزت الموضع أَجُوزه جوازاً: سَلَكْتُهُ وسِرْتُ فيه، كذا في الصحاح. وقوله (لأسرار): جمع سرّ، وهو الأمر الخف. يعني: لأجل أمور خفيّة لا تكاد تدرك إلّا بمعونة إلهيّة. وقوله (بها): أي بتلك الأسرار، وهو متعلّق بـ سُرَّت، قُدِّم عليه للحصر. وقوله (الروح): أي الإنسانيّ المنفوخ عن أمر الله تعالى. وقوله

(سُرَّتِ): بالبناء للمفعول، وكسر التاء للقافية، أي: صارت مسرورة، من السرور، قال في الصحاح: السُّرُورُ خلاف الحُزْنِ، تقول: سَرَّنِي فلان مَسَرَّةً، وسُرَّ هُوَ على ما لم يُسَمَّ فاعله، فهو مَسْرُورٌ». وقوله (رموز): أي هي رموز، يعني: أسماء الذات. والرموز جمع رمز، وهو الإشارة والإيماء بالشفتين والحاجب، كذا في الصحاح. يعني: إنّ الأسماء إشارات وإيماءات من جهة الذات ناشئتان عن الصفات. وقوله (كنوز): مضاف إليه، جمع كنز، وهو المال المدفون. وقد كَنَزْتُهُ أَكْنِزُهُ، كما في الصحاح. وهذه الإضافة على معنى إليّ، أي: رموز إليّ كنوز أسرار مخبوءة، وأمور لا تظهر إلّا لأهلها. وقوله (عن معاني) أي صادرة عن معاني. جمع معنى، وهو ما يُعنى/ [٢٣٧/ ب] أي: يُقصد. وقوله (إشارة): من أَشار إليه باليد: أومأ. وهي الإعلام والتفهيم من حضرة الغيب المطلق. وقوله (بمكنون): متعلّق بـ (حَفَّتِ). والمكنون: المخفي، قال في الصحاح: الكِنُّ السُّتْرَة. وكَنَنْتُ الشيءَ: سَتَرْتُهُ وصُنتُهُ عن الشمس. وأَكْنَنْتُهُ في نفسي أسررته، يقال: كَنَنْتُ العلم وأَكْنَنْتُهُ فهو مَكْنُون. وقوله (ما تخفي السرائر): جمع سريرة، وهي السِرّ. كناية عن القلب. و(حُفَّت) بضمّ الحاء المهملة وتشديد الفاء وكسر التاء للقافية. يقال: حَفُّوا حوله يَحُفُّون حَفّاً، أي: أطافوا به واستداروا، قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ [٣٩/ الزمر/ ٧٥] وحَفَّهُ بالشيء يَحُفُّه كما يُحَفُّ الهودج بالثياب، كذا في الصحاح. وجملة (حُفَّتِ): نعت لإشارة محفوفة بالأسرار الإلهيّة التي تخفيها القلوب العرفانيّة، والأفئدة الإحسانيّة.

٥٤٣- وَآثَارُهَا فِي العَالَمِيْنَ بِعِلْمِهَا وَعَنْهَا بِهَا الأَكْوَانُ غَيْرُ غَنِيَّةِ

٥٤٤- وُجُودُ اقْتِنَا ذِكْرٍ بِأَيْدِ تَحَكُّمٍ شُهُودُ اجْتِنَا شُكْرٍ بِأَيْدٍ عَمِيْمَةِ

(وآثارها) جمع أثر. والضمير للصفات والأسماء المذكورة قبله. وقوله (في العالَمين): جمع عَالَم، بفتح اللام: اسم لما سوى الله تعالى من الأكوان. والجمع باعتبار اختلاف الأجناس والأنواع. والمعنى: في العالَمين المقدّرين في الأزل،

وآثارها فيهم إيجادها لهم بتكوينها لهم، بتكوينها لأعيانهم الثابتة في العدم على طبق ما هم ثابتون فيه، غير منفيين. وقوله (**بعلمها**): أي العلم القديم المضاف إلى تلك الصفات والأسماء، الذي هو صفة من جملتها. واسم من بعضها على تقدير أنّ ذلك طبق علمها، قال تعالى: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ [٤/ النساء/ ١٦٦] وقوله (**وعنها**): متعلّق بغَنيَّة، والضمير للصفات والأسماء. وقوله (**بها**): أي بالصفات والأسماء أيضاً. وقوله (**الأكوان**): أي المخلوقات جميعها. وقوله (**غير غَنيَّةٍ**): أي مستغنيّة. يعني: إنّ جميع الكائنات ليست بمستغنية عن تلك الأسماء والصفات ولا طرفة عين، ولا استغناء حاصلاً بها؛ فإنّ الاستغناء يحتاج فيها أيضاً إلى الأسماء والصفات؛ لأنّه حال من أحوالها إنْ كان ثابتاً لها وإن كان مسلوباً عنها. وإيضاح ذلك: إنّ جميع الأكوان مفتقرة إلى تلك الصفات والأسماء افتقاراً ذاتيّاً ليست بمستغنية عنها من نفسها، ولا من استغناء حاصلها لها منها. وقوله (**وجود**): خبر المبتدأ الذي هو آثارها، يعني: آثار تلك الصفات والأسماء إفاضة وجود. بمعنى توجّهه من قوله تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [٣٩/ الزمر/ ٦٩] فالإشراق للأرض، والنور لربّها. كما أنّ الظهور بالوجود للأكوان، والوجود للحقّ تعالى. والأكوان على ما هي عليه لم تتغيّرعن عدمها الأصلي، فلا يتصوّر عند العارف المحقّق توهّم الحلول من قوله (تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ [٦/ الأنعام/ ٣] مع قوله سبحانه: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [١٠/ يونس/ ١٠١] ولا يتوهّم اتّحاد، ولا حلول، ولا انحلال في قوله تعالى عن نار موسى عليه السلام: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ [٢٠/ طه/ ١١-١٤] الآية. فإنّ الأوهام الفاسدة لا تعتري من يعرف الله أصلاً؛ وإنّما هي وساوس في نفوس الغافلين المحجوبين. وقوله (**اقتنا**): بقصر الممدود لضرورة الوزن، أي اكتساب. وقال في الصحاح: «اقتناء المال وغيره اتّخاذه».

والمعنى بالاقتناء هنا: الإحتواء والمداومة. وقوله (ذِكْرِ): مضاف إليه، وهو الذِكْر القديم، ذكر الحقّ تعالى للكائنات التي في علمه الأزليّ على الترتيب، والتقديم، والتأخير الذي عليه الكائنات الثابتة في حضرة العلم الإلهيّ، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [١٥/الحجر/٩] وقال تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [٢٩/العنكبوت/٤٥] وتنكيره هنا للتعظيم. وقوله (بأيدي): جمع يدٍ، قال في / [٢٣٨/أ] في القاموس: «اليد: الجَاه، والوَقار، والقوّة، والقُدرة، والسلطان، والملك». وكلّها مناسبة هنا. وقوله (تحكّم): مضاف إليه، يقال: تَحَكَّمَ في الأمر: جَازَ فيه حُكْمُهُ، كذا في القاموس. فالتحكّم بمعنى القهر والاستيلاء والغلبة من قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [٦/الأنعام/١٨]. وقوله (شهود): أي مشاهده من قوله سبحانه: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [٢٤/سبأ/٤٧]. وقوله (اجتنا): بالقصر مصدر، يقال: جَنَيْتُ الثمرةَ أَجْنِيْهَا جَنْياً، واجْتَنَيْتُهَا بمعنىً. كذا في الصحاح. وأصلها الاقتطاف. والمعنى: هنا التناول والتحصيل. وقوله (شكر): مضاف إليه، وهو مقابلة المنعم بالثناء عليه، والطاعة له من قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [٥١/الذاريات/٥٦] أي: ليشكروني بعبادتي من غير طلب جزاء منّي عليها، قال تعالى: ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾ [٢٤/سبأ/١٣]. وقوله (بأيد): أي بسبب إسداء. أيد: جمع يد، قال في الصحاح: «اليد النِعْمَة والإحسان تصطنعه، وتجمع على أَيْد، قال الشاعر:

تكنّ لك في قومي يد يشكرونها وأيدي الندا في الصالحين قروض

وقوله (عميمة): نعت لأيد، أي: نعم عامّة شاملة لكلّ شيء. ومن جملة النعم الرحمة؛ بل من أجلِّها وأشملها، قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [٧/الأعراف/١٥٦].

٥٤٥- مَظَاهِرُ لِي فِيْهَا بَدَوْتُ وَلَمْ أَكُنْ عَلَيَّ بِخَافٍ قَبْلَ مَوْطِنِ بَرْزَةِ

(مظاهر): أي تلك الآثار التي هي الأكوان، جمع مظهر، اسم موضع الظهور، من ظهر ظهوراً: تَبَيَّنَ. وقوله (لي): أي من حيث الذات بمحض الوجود، ومن

حيث الصفات والأسماء باختلاف الأعيان والأكوان، والتقليب والترتيب، وغير ذلك من الأحوال، وتصرّفات الأفعال. وقوله **(فيها)**: أي في تلك المظاهر. والجار والمجرور متعلّق ببدوت، قدّم عليه للحصر، أي: لا بَدْوَ لنا في غيرها. وقوله **(بدوت)**: من بَدَا الأمرُ بُدُوّاً، مِثْل قَعَد قُعُوداً، أي: ظهر، كذا في الصحاح. وقوله **(ولم أكن عليّ)**: بتشديد الياء، أي: على نفسي، متعلّق بخافٍ. والمعنى: لم أكن مختفياً على نفسي. وقوله **(قبل)**: ظرف لِخافٍ. وقوله **(موطن برزة)** من بَرَزَ: ظَهَرَ بعد الخفاء، كذا في القاموس. ومعنى ذلك: إنّ مظاهري التي أظهر بها من حيث ذاتي وصفاتي وأسمائي، هي جميع الأكوان. وهذا الظهور ليس عن خفاء عنّي سابق على ذلك؛ بل خفاء الكائنات، وظهورها سواء بالنسبة إليه تعالى، وهي كلّها على حالة واحدة، لا تتغيّر عنها، ظاهرة له تعالى أزلاً وأبداً، ثبوت بلا وجود، وفروض وتقادير ذات ترتيب وحدود. وأمّا الظهور والخفاء فهو بالنسبة إلى الكائنات بعضها لبعض؛ وذلك لأنّ وجود الكائنات عندها مجرّد إضافة: إمّا بإضافتها إلى الوجود الحقّ، أو بإضافة الوجود الحقّ إليها. والإضافة توهّم لا تحقّق. ويستحيل على الحقّ تعالى التوهّم بالإضافة المذكورة.

٥٤٦- فَلَفْظٌ وَكُلِّي بِي لِسَانٌ مُحَدِّثٌ وَلَحْظٌ وَكُلِّي فِيَّ عَيْنٌ لِعِبْرَةِ

٥٤٧- وَسَمْعٌ وَكُلِّي بِالنَّدَى أَسْمَعُ النِّدَا وَكُلِّيَ فِي رَدِّ الرَّدَى يَدُ قُوَّةِ

(فلفظ)[1] الفاء للتفريع على قوله **(وآثارها)**: في البيت السابق. أي: من تلك الآثار لفظ، وهو صوت مشتمل على الحروف لإفادة معنى من المعاني. وقوله **(وكلّي)**: الواو للحال، أي: جميعي؛ روحاً، ونفساً، وجسداً. وقوله **(بي)**: أي بسبب وجودي الحقيقي القيوم على الكلّ . وقوله **(لسان)**: تظهر عنه المعاني كما

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: «بلغ مقابلة على مؤلّفه رضي الله عنه وأرضاه». انتهى. والملحوظ هنا: إن الناسخ قد قلل من عدد الصفحات في كتابة مثل هذه الحاشية بين الملاحظة والأخرى.

تظهر الألفاظ عن اللسان.

وقوله (مُحَدِّث): بصيغة اسم الفاعل، صفة لسان، وحديثه لأولى البصائر، وأصحاب السرائر. وقوله (ولَحْظٌ): معطوف على لَفْظ. واللحظ مصدر لَحَظْتُهُ بالعين، ولَحَظْتُ إليه لَحْظاً، من باب نفع: رَاقَبْتُهُ. ويقال: نظرت إليه بمؤخّر العين عن يمين وشمال، وهو أشدّ التفاتاً من الشَزْر، كذا في المصباح. يعني: من جملة تلك/ [٢٣٨/ ب] الأثار لَحْظٌ. وقوله (وكلِّي): الواو للحال أيضاً، أي: والحال أنّ جميعي ظاهراً وباطناً. وقوله (فِيّ): بتشديد الياء التحتيّة، أي: كائن ذلك الكلّ في حقيقة الوجوديّة، أي: مندرج في علمها، كما قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٥٦]. وقوله (عين): أي بصيرة باصرة مدركة. وقوله (لِعِبْرَةٍ) بكسر العين المهملة، قال في المصباح: «الاعْتِبار بمعنى الاتِّعاظ، نحو قوله تعالى: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَاأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [٥٩/ الحشر/ ٢]. والعِبْرَة اسم منه، قال الخليل: العِبْرَة والاعتبار هما بمعنىً، أي: الاتّعاظ والتَذَكُّر. وجمع العِبْرَة عِبَر، مثل سِدْرَة وَسِدَر. وتكون العِبْرَة والاعْتِبار بمعنى: الاعتداد بالشيء في ترتُّب الحكم نحو: والعِبْرَة بالعَقِب، أي: والاعتداد في التقدم بالعَقِب ـ يعني في الاقتداء بالإمام ـ ومنه قول بعضهم: ولا عِبْرَة بِعَبْرَةِ مُسْتَعْبِرٍ ما لم تكن عَبْرَة مُعْتَبِر». وقوله (وسمع): معطوف على لفظ. والسمع مصدر سَمِعْتُه وسَمِعْتُ لَه سَمْعَاً. واسْتَمَع: لِمَا كان بقصد؛ لأنّه لا يكون إلّا بالإصغاء، وسَمِعَ يكون بقصد وبدونه. يعني: من تلك الآثار السمع أيضاً. وقوله (وكلِّي): الواو للحال أيضاً. وكلّي بمعنى جميعي. وقوله (بالندى): أي بسبب العطاء من الكريم الوهّاب. قال في المصباح: «النَّدَى مقصور، في الأصل المطر، ثمّ أُطلق لمعانٍ: يقال أصابه ندىً من طَلٍّ ومن عَرَقٍ، وندى الخير، وندى الشرّ، وندى الصوت. والندى: ما أصاب من بلل، وبعضهم يقول: ما سقطَ آخرَ الليلِ ندى، وأمّا الذي يسقط أوّله فهو السَدَى. ويقال: هو أَنْدَى من فلان، أي: أكثر فضلاً وخيراً». وقال: في الصحاح : «نَدَوْتُ من الجود،

ورجل نَدٍ، أي: جواد. وفلان أنْدَى من فلان: إذا كان أكثر خيراً منه. وفلان يَتَنَدَّى على أصحابه، أي يَتَسَخَّى، ولا تقل يُنَدِّى على أصحابه. وقوله (**أسمع النداا**): بكسر النون، قال في الصحاح: «النِداء: الصوت. وقد يضم، مثل: الدُّعاء، والرُّغاء. وناداه مُناداة ونِداء: أي صاح به». وقال في المصباح: «النِداء: لدُعاء، وكسر النون أكثر من ضمّها، والمدّ فيهما أكثر من القصر. ونادَيْتُه مُناداة ونِداء، من باب قاتل: إذا دعوته». والمراد هنا النداء من قبل الحقّ تعالى على ألسنة الملائكة والنبيين عليهم السلام في دعاء المكلَّفين بالأحكام الشرعيّة أمراً ونهياً، قال تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا﴾ [٣/ آل عمران/ ١٩٣] قال البيضاوي: «في تنكير المنادي وإطلاقه ثمّ تقييده تعظيماً لشأنه. والمراد به الرسول صلّى الله عليه وسلّم. وقيل القرآن. وقوله (**وكلّي**): أي جميعي ظاهراً وباطناً أيضاً. وقوله (**في ردّ**): أي دفع وإرجاع، قال في المصباح: «رَدَدْتُ الشيءَ رَدّاً: أرجعته فهو مَرْدُود». وقال في الصحاح: «رَدَّهُ عن وجهه يَرُدُّهُ رَدّاً ومَرَدّاً: صرفه» ، قال تعالى: ﴿فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ﴾ [١٣/ الرعد/ ١١]. وقوله (**الرَّدَى**): أي الهلاك. قال في الصحاح: «رَدِيَ بالكسر يَرْدَى رَدًى، أي: هَلَكَ، وأَرْدَاهُ غيرُه، ورجل رَدٍ للمهالك، وامرأةٌ رَدِيَةٌ، على فَعِلَةٍ». والمعنى في صرف الهلاك، ودفعه هلاكاً دنيويّاً أو أخرويّاً عنه، أوعن غيره. وقوله (**يد قوّة**): أي يد هي قوّة. خبر المبتدأ الذي هو كلّي. أي: جميعي قدرة وقوّة أدفع بها جميع المؤذيات عنّي وعن غيري، قال تعالى: ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [٢/ البقرة/ ١٦٥] وقد أشار إلى ذلك العارف الكامل عفيف الدين التلمسانيّ قدّس الله سرّه بقوله من أبيات:

ولولا انخرام الكلّ بالقوّة التي لإطلاقها في جمعهن قيود

لما عدم الموجود يوماً ولا انقضت رسوم بأنواع البلا وحدود

ولكنّها يأبى النهايةَ وضعُها فليس لها في الدور قطّ جمود

ولـــو وقفــت يومــاً تجــددها لنـــا به عدم هيهات وهي وجود/ [٢٣٩/ أ]

٥٤٨- مَعَانِي صِفَاتٍ مَا وَرَا اللَّبْسِ أُثْبِتَتْ   وَأَسْـمَاءُ ذَاتٍ مَـا رَوَى الحِـسُّ بَثَّـتِ

(معاني): جمع معنى. خبر مبتدأ محذوف تقديره هي. يعني اللفظ، واللحظ، والسمع، ويد القوّة المذكورات. وقوله (صفات): مضاف إليه، جمع صفة. وتنكيرها للتعظيم. وهي صفات الحقّ تعالى، والآثار المذكورة معانيها المقصودة لها؛ فهي قائمة بها قيام المعاني بمن يعنيها، قال في الصحاح: «عَنِيْتُ بالقول كذا: أَرَدْتُ». ومعنى الكلام ومَعْنَاتُه واحد، تقول: عرفت ذلك في معنى كلامه. وقوله (ما ورا) بالقصر. وأصله المدّ، قال في الصحاح: «وراء بمعنى خلف. وقد يكون بمعنى قدّام، وهي من الأضداد قال تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾ [١٨/ الكهف/ ٧٩]، أي: أمامهم. والمراد هنا الأوّل. وقوله (ما): زائدة. و(ورا اللَّبْسِ):صفة للصفات. و(اللَّبْس) بالفتح: مصدر قولك لَبَسْتُ عليه الأمر أَلْبِسُ: خَلَطْتُ، من قوله تعالى: ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ [٦/الأنعام/ ٩]. واللَّبْس أيضاً اختلاط الظلام. وفي الحديث: «لُبسة » بالضمّ، أي: شبهة، ليس بواضح. والْتَبَس عليه الأمر، أي: اختلط واشتبه، كذا في الصحاح. والمعنى: أنّ تلك الصفات خلف أستار الكائنات الملبسة على القلوب الغافلة عن معرفة الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌ﴾ [٨٥/ البروج/ ٢٠] وقال: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [١٣/ الرعد/ ٣٣]. وقوله (أُثْبِتَتْ) بالبناء للمفعول، أي أثبتها الحقّ تعالى. والضمير المستتر للمعاني، ويصحّ أن كون أَثْبَتَتْ مبنيّاً للفاعل. و(ما): مفعول أثبتت مقدّماً عليه، والذي وراء اللبس، أي: قدّامه هي الكائنات. والإثبات ضدّ النفي. ولم يقل أوجدت؛ لأنّ الوجود ليس للكائنات، وإنّما لها الثبوت ضدّ النفي، فهي ثابتة بإثبات الله تعالى لها، وليست بموجودة، قال تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ

﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [١٤/ إبراهيم/ ٢٧] فالذين آمنوا قائمون في الحياة الدنيا وفي الآخرة بإثبات الله تعالى لهم، والوجود له تعالى لا لهم، والظالمون لأنفسهم ولربّهم بعدم المعرفة في دعوى الوجود، ضالّون متحيِّرون، يرون إيجاداً وإعداماً، ولا يعرفون أنّ الوجود لا يصير عدماً، والعدم لا يصير وجوداً، والحقائق لا تنقلب أصلاً، والله فعّال لما يشاء. وقوله (وأسماء): جمع اسم، وهو مظهر الصفة، معطوف على صفات، بتقدير معاني، أي: ومعاني أسمائي. يعني: تلك الآثار المذكورة معاني أسماء إلهيّة. وقوله (ذات): مضاف إليه. والتنكير للتعظيم، وهي ذات الحقّ تعالى. وقوله (ما): موصولة، أو نكرة موصوفة بقوله (رَوَى): أي نقل (الحسّ): أي الإدراك بالحواس الخمس السمع والبصر والذوق والشمّ واللمس. وقوله (بَثَّتِ): بتشديد الثاء المثلّثة وكسر التاء للقافية. يعني بثت ما رواه ونقله الإدراك الحسِّي للمُدرَّك العقلي من أنواع المحسوسات؛ لأن تلك الذات قائمة بأسمائها الحسنى على كلّ نفس بما كسبت.

٥٤٩- فَتَصْرِيفَهَا مِنْ حَافِظِ العَهْدِ أَوَّلاً بِنَفْسٍ عَلَيْهَا بِالوَلَاءِ حَفِيْظَةِ

(فتصريفها): أي تلك المعاني القائمة بالصفات الإلهيّة، والأسماء الحسنى الربّانيّة الثابتة بها من غير وجود ولا نفي. ومعنى تصريفها تقديم ما هو مقدّم منها، وتأخير ما هو مؤخر، وتركيب ما هومركّب وإفراد ما هو مفرد، وجمع ما هو مجموع، وتفريق ما هو مفرّق إلى غير ذلك من أحوال الكائنات إلى الأبد دنيا وآخرة. وقوله (من حافظ العهد): خبر تصريفها. وحافظ العهد: كناية عن الحقّ تعالى من قوله سبحانه: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾ وهو عهد الربوبيّة المأخوذ على الذريّة الآدميّة قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٧٢] الآية. وقوله (أوّلاً) منصوب على الظرفية مقطوع عن الإضافة، أي: في ابتداء ظهور كلّ ذرّة من الذريّة/ [٢٣٩/ ب] واستناد تصريف تلك الأحوال كلّها حاصل من الحقّ

تعالى للذريّة الآدميّة بالأصالة، و لغيرها من سائر الكائنات بالتبعيّة للذريّة المذكورة؛ لأنّ الجميع خُلق لأجلها كما ورد: «يابن آدم خلقت الأشياء كلّها من أجلك، وخلقتك من أجلي؛ فلا تشتغل بما خُلق من أجلك عمّن خُلقت من أجله»[1]. وقوله (بنفسٍ): أي بملابسة نفس، ومصاحبتها كالباء في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ [١٤/ إبراهيم/ ٣٢] أي: بملابسته ومصاحبته، لا بالاستعانة به. وتنكير النفس للتعظيم، وهي نفس الإنسان الكامل من رسول، أو نبي، أو وليّ، فإنّ لهم التصرّف في العوالم بتصريف الله تعالى، كما يتصرّف الماء المنزل من السماء في تنمية الزروع، وإخراج الثمرات بحسب الظاهر. وقوله (عليها): أي على تلك المعاني والآثار المذكورة. والجار والمجرور متعلّق بحفيظة. وقوله (بالولاء): أي مقام الولاية، وهي تقليد المنصب والإقامة على التصريف بالخير في الغير. وفي نسخة الوفاء، وهو يناسب العهد. والوفاء ضدّ الغدر، قال في القاموس: وَفَى بالعهد، كوَعَى، وَفَاءً: ضِدّ غَدَرَ، كأَوفى. وقوله (حفيظة): وصف لنفس، من الحِفْظ ، وهو الحراسة. يقال: حَفْظتُ الشيءَ حِفْظاً، أي: حَرَسْتُهُ ولم أُضِيعه.

٥٥٠- شَـوَادِي مُبَاهَـاةٍ هَـوَادِي تَنَبُّـهٍ   بِـوَادِي فُكَاهَـاتٍ غَـوَادِي زَجِيَّـةٍ[2]

(شوادي): جمع شادٍ، قال في الصحاح: «الشادي الذي يَشْدُو شيئاً من الأدب، أي: يأخذ طَرَفاً منه. وشَدَوْتَ: إذا أَنْشَدْتُ بيتاً أو بيتاً أوبيتين تمدّ به صوتك كالغناء. ويقال للمغنّي الشادي. وقد شَدا شعراً أو غناء: إذا غنى به أو ترنّم به». وشوادي خبر مبتدأ محذوف، تقديره هي. أي: تلك المعاني التي عنتها، أي: قصدتها الصفات والأسماء، وهي جميع الكائنات. (سوادي): أي ذوات كلام موزون من قوله تعالى: ﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ [١٥/ الحجر/ ١٩] تترنّم

(١) انظر تخريجه ص/ ٢٩٢.

(٢) في (ق): رجيّة.

بنفسها الاشياء تسبيحاً لخالقها من قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٤٤]. وقوله سبحانه: ﴿ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [٤١/ فصّلت/ ٢١] فالأشياء تغني بالنطق، بالتسبيح على طريقة الوزن والإيقاع، ولكن الصم لا يسمعون، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ﴾ [٣٥/ فاطر/ ٢٢]. وقوله (مباهاة): مضاف إليه، والمباهاة: المفاخرة، وتباهَوْا أي: تفاخروا، كذا في الصحاح. يعني: إنّ تسبيح الأشياء لله تعالى على وجه المباهاة والمفاخرة بإتقانها وإحكامها على أحسن ما يكون، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِيٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [٢٢/ السجدة/ ٧] وقال تعالى: ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [٦٧/ الملك/ ٣-٤]. وقال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [٩٥/ التين/ ٤] وفي الحديث: «إنّ الله كتب الحسن على كلّ شيء»[1] وهذا معنى المباهاة. وقوله (هوادي): جمع هادي، من الهدى، وهو الرَّشاد والدلالة على الحقّ. وقوله (تَنَبُّهٍ): مضاف إليه، وهو مصدر نَبَّهْتُهُ على الشيء أَوقَفْتُهُ عليه فتَنَبَّهَ هو عليه، كذا في الصحاح. يعنى: إنّ الأشياء تهدي إلى الحقّ بالتنبيه عليه لمن كشف الله تعالى له عنها فعرفها، وتَحَقّق بقيامها به تعالى، كما قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ﴾ [١٦/ النحل/ ٤٨] وقال تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [٥١/ الذاريات/ ٢١]. وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾[٨٨/ الغاشية/ ١٧] إلى غير ذلك. فأحال تعالى عباده على النظر في مصنوعاته؛ لأنّها تهدي إليه تعالى، وإلى الانتباه من نوم الغفلة عنه سبحانه. وقوله (بوادي): جمع بادٍ، من بَدَا الأمر بُدُوّاً، مثل قَعَدَ قُعُوْداً، أي: ظَهَرَ. وأَبْدَيْتُهُ، أي: أظهرته. وقال تعالى: ﴿هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ ﴾ [١١/ هود/ ٢٧] أي في ظاهر الرأي.ومن همزه جعله من بدأت، معناه: أوّل الرأي، كذا في الصحاح. وقوله (فُكاهات): جمع فَكَاهَة، بالفتح، مصدر فَكِهَ الرجل بالكسر فهو فَكِهٌ، إذا كان طيب النفس

(١) انظر تخريجه ص٥٥٦.

مَزَّاحاً. والمُفَاكَهَةُ: المُمَازَحَةُ، وتَفَكَّهْتُ بالشيء تَمَتَّعْتُ به كما /[٢٤٠/أ] في الصحاح، يعني: إنّ الأشياء أيضاً ظواهر ما بطن في الجنّة من أنواع النعيم؛ ففي الدنيا من كلّ شيء عنوانه وأنموذجه. وقوله (غَوَادِي): جمع غَادِية، وهي سحابة تنشأ صباحاً، كما في الصحاح. وقوله (زجيّةِ): بالزاي والجيم، من زَجَّيْتُ الشيءَ تَزْجِيَةً: إذا دَفَعْتَهُ برفق. وأَزْجَيْتُ الإبل: سُقْتُها، والريح تُزْجِي السحاب، كما في الصحاح. يعني: إنّ الأشياء سحب مسوقة، تنبعث عن توجيهات الأسماء الإلهيّة، والصفات الربّانيّة، فتغطّي عين شمس الحقيقة الوجوديّة، تسوقها القدرة الرحمانيّة، فتمطر علوم المعارف الغيبيّة، والحقائق الصمدانيّة.

٥٥١- وَتَوْقِيفُهَا مِنْ مُوْثِقِ العَهْدِ آخِرَاً   بِنِفْسٍ عَلَى عِزِّ الإبَاءِ أَبِيَّةِ

[توقيفها] أي: توقيف تلك المعاني المذكورة، أي: اطّلاع العقل والحسّ عليها، يقال: وقَفْتُهُ على ذنبه، أي: أطلعته عليه، كذا في الصحاح. وقوله (من مُوْثِق) بكسر الثاء المثلّثة اسم فاعل، أوبفتحها اسم مفعول من أوثقت العهد: أكدّته. وقوله (العهد): مضاف إليه. أي: عهد النبوّة والرسالة. وقوله (آخراً): منصوب على الظرفية، وهو آخِر الأنبياء والمرسلين، نبيّنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم؛ فإنّ الله تعالى خلق الأشياء كلّها، وأظهرها من نوره المخلوق الأوّل، كما ورد في الحديث. وإليه الإشارة بقوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [٩/ التوبة/ ١٢٨] الآية. وقوله (بنفس): متعلّق بتوفيقها، وهو نفسه صلّى الله عليه وسلّم بمعنى حقيقته النوريّة التي هي من نور الله تعالى. وقوله (على عزّ الإباء): صفة لنفس، أي: مستولية على عزّ الإباء، أي: الامتناع عن رذائل الأخلاق، قال تعالى له صلّى الله عليه وسلّم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [٦٨/ القلم/ ٤] وقوله (أبِيّة): نعت أيضاً. والنفس الأَبِيّة: الممتنعة عمّا ينقصها لكمال شرفها، وفي القاموس: «والأُبِيَّة بالضمّ: الكِبْر والعَظَمَة». أي: ذات كِبْر وعَظَمَة.

٥٥٢- جَـوَاهِرُ أَنْبَـاءٍ زَوَاهِـرُ وُصْـلَةٍ   طَـوَاهِرُ أَبْنَـاءٍ[1] قَـوَاهِرُ صَـوْلَةِ

(جواهر): جمع جوهر، وهو كلّ حجر يُستخرج منه شيء ينتفع به، ومن الشيء: ما وضعت عليه جِبِلَّتُهُ، كذا في القاموس. يعني: هي جواهر، أي: المعاني المذكورة. كناية عن الأشياء كلّها معاني الصفات والأسماء الإلهيّة. أي: مقاصدها المعنيّة بها. وقوله (أنباء): أي: أخبار. جمع نبأ، بمعنى خبر، أي: هي أخبار عن الغيب المطلق تشبه الجواهر المعدنيّة، لاستخراج المنافع منها. وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ﴾ [٢/ البقرة/ ٢١٩]. أي: عن الدنيا؛ فإنّها خمر لأهلها. ﴿وَٱلْمَيْسِرِ﴾: أي القمار، إشارة إلى الآخرة، فإنّ فيها يقمر بعضهم حسنات بعض. ثمّ قال تعالى: ﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ [٢/ البقرة/ ٢١٩]؛ فالإثم الكبير لما في الدنيا من الفتن في الدين والأموال، ومنافع الناس في الآخرة ظاهرة. ثمّ قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ [٢/ البقرة/ ٢١٩] يعني: إذا تركوا الدنيا والآخرة، وتعلّقوا بجناب الغيب المطلق الذي يُدرك ولا يُترك. ويسألونك عن إنفاق شيء من جنسهم يتصرّفون فيه، فقال تعالى: ﴿قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ [٢/ البقرة/ ٢١٩]، أي: المحو والفناء والاندراس، قال في الصحاح: «عَفَتِ الريحُ المنزل: أَدْرَسَتْهُ، وعَفَا المنزل يَعْفُو: دَرَسَ، يتعدّى ولا يتعدّى. وتَعَفَّتِ الدار: دَرَسَتْ. وعَفَّتْهَا الريح: شُدِّد للمبالغة، ثمّ قال تعالى في بيان الإشارة الآية على حسب ما ذكرنا: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [٢/ البقرة/ ٢١٩] أي: لتتفكّروا في الدنيا والآخرة؛ فجعل الإشارة تفكّروا من العبد على وجه الاتّعاظ والاعتبار، لا المعنى المسوق إليه الكلام. وأولياء الله تعالى هم أهل الاتّعاظ والاعتبار بآيات الله تعالى، فيفهمون منها ما لا يفهمه غيرهم، ومعاني الآيات بحسب الظاهرعلى ما هي عليه عندهم كما هي عند علماء/[٢٤٠/ب] الظاهر، وبهذا ترقّوا عليهم، وخُصّوا

---

(١) في (ق): طَوَاهِرُ إِنْبَاءٍ.

بالفهم في القرآن ما لا يفهمه غيرهم، قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [١٨/ الكهف/ ١٠٩]. وقوله (زواهر): جمع زاهر، من زَهَرَ السراجُ والقمر والوجه، كمنع، زُهُوراً: تَلَألَأَ، كازْدَهَرَ، و ـ النار أضاءت، كذا في القاموس. وقوله (وصلة): أي اتّصال وذريعة، وكلّ شيء اتّصل بشيء فما بينهما وُصْلَة. يعني: إنّ الاشياء اتّصالات وذرائع ووسائل للتحقيق بمعرفة الحقّ تعالى، كما قال الشاعر:

إنّ آثارنا تدلّ علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار

فهي آثار زواهر ودلالات بواهر

وقوله (طواهر): جمع طاهر. وقوله (أبناء): جمع ابن. يعني: إنّ الأشياء أبناء بعضها لبعض، فالأرواح أبناء الروح الأعظم الذي هو أوّل مخلوق. واللوح المحفوظ ابن القلم الأعلى. وما في اللوح أبناء اللوح. والعناصر الأربعة أبناء الطبائع الأربعة، والطبائع أبناء الطبيعة الكليّة، والمولدات أبناء بعضها لبعض. وهكذا الخواطر أبناء القوى الخياليّة، والمعاني أبناء العقول. وقوله (قواهر): جمع قاهر. وقوله (صَوْلَةٍ): مصدر صَالَ، قال في الصحاح: «صَالَ عليه: إذا اسْتَطَالَ. وصَالَ عليه: وَثَبَ، صَوْلاً وصَوْلَة. يعني: إنّ كلّ شيء من الأشياء له قهر وصَوْلَة على ما دونه من الأشياء، كقهر الأرواح للأجسام، وصولتها عليها، وقهر النفوس الحيوانيّة والإنسانيّة بعضها لبعض، وصولتها عليها استعلاء وضع إلهيّ.

٥٥٣- وَتَعْرِيْفُهَا مِنْ قَاصِدِ الحَزْمِ ظَاهِرَاً سَجِيَّةُ نَفْسٍ بِالْوُجُوْدِ سَخِيَّةِ

(**وتعريفها**): أي تعريف المعاني المذكورة، معاني الأسماء والصفات، أي: إعلام الغير بها. قال في الصحاح: التعريف الأعلام، فإنّ معرفة الأشياء على ما هي عليه، وتعريفها للغير على ما ينبغي لا يكون ذلك إلّا ممن ذكر. وقوله (**من قاصد الحزم**): قال في القاموس: «الحَزْمُ ضَبْطُ الأمور، والأَخْذُ بالثقة. حَزُمَ ككَرُمَ، فهو

حَازِم وَحَزِيم». وكنّى بقاصد الحزم عن العارف الكامل؛ فإنّه يشرح تلك المعاني المذكورة، ويعرف حقائقها لمن لم يعرفها. وقوله (ظاهراً): أي في ظاهر أحواله، فإنّ قصد الحزم من العارف الكامل إنّما هو بحسب ما يظهر للناس. وفي نفس الأمر لا قصد له؛ لا لحزم ولا لغيره؛ لاستيلاء الحقيقة الربّانيّة عليه في ظاهره وفي باطنه، وإليه أشار بقوله (سجيّة): بالسين المهملة والجيم. قال في الصحاح: «السَجِيَّةُ: الخُلُقُ والطَبيعة». وقوله (نفس): مضاف إليه. يعني: إنّ ذلك لا تكلّف له به، وإنّه طبيعة نفسانيّة بحسب ظاهر القضيّة. وإنّما ذلك وجود رحماني، وظهور ربّانيّ. وقوله (بالوجود): متعلّق بسجيّة. وقوله (سخيّة): نعت لنفس بصيغة اسم الفاعل، من سَخَا يَسْخُو، أو سَخِيَ يَسْخَى والسَخَاوَةُ والسَخَاءُ: الجود، كذا في الصحاح. يعني: إنّ تلك النفس حادث بوجودها الذي كانت تدّعيه في حالة غفلتها عن ربّها الحقّ الذي هو معها أينما كانت، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [٥٧/ الحديد/ ٤] لأنّه تعالى هو وجودها الحقّ الذي هي موجودة به عندها. كما أنّ كلّ شيء موجود به عند نفسه، لا بنفسه؛ فالوجود الحقّ له تعالى وحده، وكلّ ما سواه فانٍ في وجوده الحقّ عدم صرف. فمن خرج عن وجوده إنّما خرج في نفس الأمر عن دعوى وجود الحقّ تعالى، لا عن وجود مستفاد له من وجود الحقّ تعالى؛ لأنّه تعالى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، ولا عن وجود خرج من العدم؛ لأنّه من المحال أنّ يخرج الضدّ من ضدّه. والقدرة لا تتعلّق بالمجال الذاتي. وقد استوفينا هذا البحث في كتاب: «الوجود الحقّ بما له استحقّ».

٥٥٤- مَثَانِي مُنَاجَاةٍ مَعَانِي نَبَاهَةٍ مَغَانِي مُحَاجَاةٍ مَبَانِي قَضِيَّةِ

/[٢٤١/ أ] (مثاني): أي هي مثاني المعاني المذكورة، معاني الأسماء والصفات، كناية عن جميع الأكوان. والمثاني هي مثنى بمعنى اثنين اثنين، قال في الصحاح: «يقال جاؤوا مثنى مثنى، أي: اثنين اثنين. والمثاني من القرآن ما كان أقلّ من المئتين. وتسمّى فاتحة الكتاب مثاني، لأنّها تُثَنَّى في كلّ ركعة. ويسمّى جميع القرآن

مثاني أيضاً؛ لاقتران آية الرحمة بآية العذاب» انتهى. وذكروا أيضاً غير ذلك في التسمية، وهنا جميع الأكوان مثاني؛ لأنّها مظاهر الكلمات الإلهيّة، والآيات القرآنيّة، قال تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ﴾ [١٣/ الرعد/ ٣] وقال: ﴿وَخَلَقۡنَٰكُمۡ أَزۡوَٰجًا﴾ [٧٨/ النبأ/ ٨]. وأضاف ذلك إلى قوله (مناجاة): نَاجَاه مُنَاجَاة ونِجَاء سَارَّه. وانْتَجَاه: خَصَّه بمناجاته. والنَّجْوَى السرّ، كذا في القاموس. يعني: إنّ الأكوان جميعها مناجاة ومسارّة بينه تعالى وبين العارفين به سبحانه من أنبيائه وأوليائه، متكرر ذلك لهم منه عزّ وجلّ فيستفيدون العلوم الإلهيّة، والحقائق الربّانيّة من سماع ذلك، وفهمه عنه تعالى، كما قلنا إشارة إلى ذلك من المواليا:

ليل الهياكل دجى يا سعد إيقاظو والبرق يلمع لمن ينظر بألحاظو
والحبّ معناه ظاهر عند حفاظو من يفهمو فاز والأكوان ألفاظو

وقوله (مَعَاني): جمع معنى، وهو ما يُعنى باللفظ، أي: يقصد. فإنّ ظواهر الأكوان من حيث ما يظهر للعقل والحسّ ألفاظ وكلمات وحروف مركّبات لمن تحقّق بذلك، وبواطن الأكوان من حيث النظر بنور عيون الإيمان معاني لطائف في صور المتخيلات الكثائف، صادرة عن حضرات الأسماء والصفات الإلهيّة القائمة بالذات الربّانيّة، وتلك المعاني مضافة إلى قوله (نباهة): قال في الصحاح: «نَبُهَ الرجلُ، بالضمّ: شَرُفَ واشتهر، نَبَاهَةً، ونَابِه، وهو خِلاف الخامل. ونَبَّهْتُه أنا: رفعته من الخمول». يعني: تلك المعاني ترفع مقام الحضرة الأسمائيّة والصفاتيّة، وتكشف عن شرفها وكمالها في بصائر العارفين المحقِّقين. وقوله (مغاني): بالغين المعجمة، جمع مغنى. قال في الصحاح: «المغنى واحد المغاني، وهي المواضع التي كان بها أهلوها». كناية عن الأكوان التي في بصر العارف، وفي بصيرته، أغياراً مستقلّة؛ فانكشف لها أنّها تجلّيات الحقّ تعالى وشؤونه التي قال سبحانه: ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ٢٩] فكأنها منازل خلت من أهلها، وانعدموا منه، فتبيّن اندراسها وانمحاؤها، كما قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه:

قـف بـالطلول الدارسـات بلعلـع وانـدب أحبّتنـا بـذاك البلقـع

وللناظم قدّس الله سرّه فيما سيأتي إنْ شاء الله تعالى:

قـف بالـدِّيار وحـيّ الأربـع الدرسـا وناده‍ـا فعسـاها أن تجيـب عسـى

وإنْ أجنّـك ليـل مـن توحّـشها فاشعل من الشوق في ظلمائهـا قبسـا

ثمّ إنّه أضاف المغاني إلى (**المُحَاجَاة**): وهي مصدر حَاجَيْتُه مُحَاجَاةً فحَجَوْتُه فَاطَنْتُهُ فَغَلَبْتُهُ، وهي الأُحْجِية والأُحْجُوَة، كذا في القاموس. فإنّ الأغيار دائماً يكون بينهم المحاجاة والمغالبة في أمورهم النفسانيّة، وتصرّفاتهم الوهميّة. وقوله (**مباني**): جمع مبنى وهو ما يُبنى عليه الشيءِ كالأصل للفروع. والمباني مضافة إلى قوله (**القضيّة**): مصدر قَضَى عليه يَقْضِي قَضْياً وقَضَاءً وقَضِيَّة، وهو الاسم أيضاً، والصُّنْع، والحَتْمُ، والبَيَان، كذا في القاموس. يعني: إنّ الأكوان أيضاً أصول للأمور المقضيّة الإلهيّة المتفرِّعة على التجلّيات الإلهيّة، والاستتارات الربّانيّة، وهي قضية الظهور الرحمانيّ بالعرش السلطانيّ، والكرسي الديوانيّ، والكواكب السبعة المستوزرة للتصرّف الربّانيّ في المملكة الجماديّة، والنباتيّة، والحيوانيّة، والإنسانيّة. على حسب المقام الإسلاميّ والإيمانيّ والإحسانيّ.

٥٥٥- وَتَشْرِيْفُهَا مِنْ صَادِقِ العَزْمِ بَاطِنَاً إنَابَـةُ نَفْـسٍ بِالـشُّهُوْدِ رَضِـيَّةِ

(**وتشريفها**): أي تشريف تلك المعاني المذكورة، معاني الأسماء والصفات، وهي الأكوان، وقوله (**من**/ [٢٤١/ ب] **صادق العزم**): مصدر عَزَمْتُ على كذا عَزْمَاً وعُزْماً بالضمّ، وعَزِيْمَةً وعَزِيَماً: إذا أردت فعله، وقطعت عليه. قال تعالى: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [٢٠/ طه/ ١١٥] أي: صريمة، كذا في الصحاح. وكنّى بصادق العزم عن الإنسان الكامل من الأنبياء وخلفائهم من الأولياء، وهو قطب الأكوان الذي تدور عليه رحى الكائنات، وقد التحقت ذاته بذات ربّه، وصفاته بصفات ربّه، وأفعاله بأفعال ربّه؛ فأفنى ما لم يكن، وأبقى ما لم يَزُل. وقوله (**باطناً**): يعني

صدق عزمه في أموره كلّها في عالم باطنه الذي لا يطّلع عليه غيره. فإنّ به يحصل التشريف، وليس إلّا به يتمّ التعريف، ويتقرر التكليف. وقوله (**إنابة**): خبر مبتدأ محذوف، تقديره هو إنابة. يعني: صدق عزمه في الأمور إنّما هو مجرّد إنابة، أي: رجوع مضاف ذلك الرجوع إلى قوله (**نفسٍ**): أي نفسه. يعني رجوعها عن كلّ ما سوى الحقّ تعالى من جماة الأغيار حتى عنها من حيث هي نفسه. وقوله (**بالشهود**): أي بمعاينة الحقّ تعالى بالحقّ تعالى، والجار والمجرورمتعلّق بقوله (**رضيَّةٍ**): ورضيّة: بتشديد الياء التحتة وصف لنفس بمعنى مرضيّة، أي: مرضيٌّ عنها، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ أي: الساكنة المستقرّة على أنّه الحقّ تعالى لا هي: ﴿ٱرْجِعِىٓ﴾ أي: عنك وعن كلّ شيء: ﴿إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ [٨٩/ الفجر/ ٣٠] حيث تشهدين بشهود منه، وهو شهوده من قوله سبحانه: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾ [٣/ آل عمران/ ١٨] ﴿رَاضِيَةً﴾ برضاه، لا برضا منك: ﴿مَّرْضِيَّةً﴾ عنك بذلك الرضا: ﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى﴾ الذين هم في المقام الذي فيه أنت، سواء كانوا في قيد الحياة الدنيا أو الحياة الأخرى، سابقة أو متأخرة. وسواء وصل إليهم علمهم بأحوالم، أو لم يصل. وهم كلّ شيء من جملة الأكوان، قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَـٰنِ عَبْدًا﴾ [١٩/ مريم/ ٩٣] أي: عبداً واحداً. ﴿لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ﴾ من حيث كثرة صورهم التقديريّة المختلفة ﴿وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ واحداً. ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا﴾ [١٩/ مريم٩٤-٩٥] أي: حقيقة واحدة هي حقيقته الواحدة. وهذا معنى إتيانهم إليه. وقوله تعالى: ﴿وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ [٨٩/ الفجر/ ٣٠] أي: ستري الذي أنا مستتر به، وهو المشار إليه بالكتاب الذي يأتي لأهل الجنّة من الحيّ الذي لا يموت إلى الحيّ الذي لا يموت: «إنّي جعلتك تقول للشيء كن فيكون»، كما ورد في الحديث النبويّ وقال صلّى الله عليه وسلّم «إذا وضعتِ أصبعيكِ في أذنيكِ سمعت خرير الكوثر»[1]. والكوثر نهر في الجنّة. وقد أعطاه الله تعالى للنبيّ

---

(١) انظر تخريجه ص١٠٠١.

صلّى الله عليه وسلّم بحكم قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ [١٠٨/ الكوثر/ ١] وهو ذلك العبد الواحد المذكور الذي خلق الله تعالى من نوره كلّ شيء بعد أنْ خلق تعالى نوره من نور ذاته أنّه سبحانه كما ورد في الحديث النبويّ، وإلى ذلك أشرنا بقولنا:

ما الخلق سوى خرير نهر الكوثر   هذا قد جاء في حديث يؤثر
والذات هي الجنّة بل ما فيها   فهي الأسماء فاعتبر من أثر

٥٥٦- نَجَائِبُ آيَاتٍ غَرَائِبُ نُزْهَةٍ   رَغَائِبُ غَايَاتٍ كَتَائِبُ نَجْدَةٍ

(نجائب): جمع نجيبة. قال في القاموس: «نَاقَةٌ نَجِيْبٍ ونَجِيْبَة.،والجمع نَجائِب. والنَّجِيْب: الحَسِيب». يعني الذي له نسب شريف وعراقة. وقال في الصحاح: «رجلٌ نَجِيب: أي كريم، بَيِّنُ النَّجَابَة. والنجيب من الإبل، والجمع النُجُب والنَّجَائب». يعني: إنّ الأكوان بمنزلة النوق النجائب لحمل ما تضمّنته من قوله **(آيات)**: جمع آية، وهي العلامات الدالّة على الحقّ تعالى، المشار إليها بقوله سبحانه: ﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ ﴾ [٤١/ فصّلت/ ٥٣] ولم يسمِّها آيات في قوله تعالى: ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ﴾ [١٨/ الكهف/ ٥١]؛ لأنّه لم يكشف لهم عمّا تضمّنته تلك النجائب من الآيات فكأنّهم حيوانات، ما ترى إلّا حيوانات لا غير. وقوله **(غرائب)**: جمع غريبة، من الأغراب، وهو الإتيان بالغريب، وهو الشيء المستغرب، وهي الأ كوان البديعيّة التي يسبق لها أمثال، كما قال تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [٢/ البقرة/ ١١٧] أي: المبدع/ [٢٤٢/ أ] لها بمعنى المخترع، فإنّه تعالى لم يكرر شيئاً في الكائنات لسعة علمه وقدرته، وهذا عند أهل التحقيق من العارفين، وغيرهم من الغافلين يقولون: جرت عادة الله في كذا، والعادة تكرار. وذلك على حسب علمهم به تعالى، ولو تحقّقوا لأثبتوا له تعالى الابتداع

والاختراع في كلّ لمحة لكلّ شيء. وأضاف الغرائب إلى قوله (**نزهة**) قال في القاموس: «النُّزْهَة التباعد، والاسم: النُّزْهَة». والمراد هنا التباعد عن الأوطان الأصليّة، وهي الحضرة العلميّة الإلهيّة، فإنّ الأكوان كلّها متباعدة عنها بظهورها الحادث في أعيانها، وإنْ كانت الحضرة العلميّة الإلهيّة غير متباعدة، قال تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [٥٠/ ق/ ١٦]. وقال تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ [٥٦/ الواقعة/ ٨٥] وقوله (**رغائب**): أي هي رغائب جمع رغيبة، بمعنى مرغوب فيها، قال في الصحاح: «رَغِبْتُ في الشيء: إذا أَرَدْتُه، رَغْبَةً ورَغَباً بالتحريك. وارْتَغَبْت فيه مِثْلُهُ». وهي الأكوان المرغوب فيها، أي المرادة بالإرادة الإلهيّة مضافة إلى (**الغايات**): جمع غاية، وهي مدى الشيء، بمعنى: مقادير الأشياء ونهاياتها، كما قال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ [١٣/ الرعد/ ٨] فالأشياء مرغوب فيها إلى غايات معلومة بالعلم الإلهيّ. وقوله (**كتائب**): جمع كتيبة، بالتاء المثنّاة الفوقيّة، أي: هي كتائب. قال في الصحاح: «الكتيبة الجيش، تقول منه: كَتَبَ فلان الكَتَائِب، أي: عبّاها كَتِيبَة كتيبة. وتَكَتَّبَتِ الخيل، أي: تَجَمَّعَتْ». وأطلق على الأكوان كتائب من قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [٤٨/ الفتح/ ٧] وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [٧٤/ المدثر/ ٣١] وفي الحديث: «الأرواح جند مجنّدة»[1]. والجنود العساكر، وكلّها لله سبحانه وتعالى على معنى أنّها أسباب يخلق عندها ـ لا بها ـ ما يريد، ويفعل ما يشاء، وله القهر والغلبة على كلّ شيء، لأنّه الملك السلطان، وهذه الكتائب مضافة إلى (**نجدة**): قال في الصحاح: «النَّجْدَة الشجاعة. ورجل ذونَجْدَة أي: ذو بأس. ولاقى فلان نَجْدَة، أي: شِدَّة». يعني: إنّ الأكوان عساكر شجاعة وشدّة وبأس لقيامهم بالله، وتوجّههم بمراد الله في الخير والشرّ، علموا أو لم يعلموا، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [٣٧/ الصافات/ ١٧٣].

---

(١) قال العراقيّ في تخريج أحاديث الإحياء، ١٧٦٦: أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة، والبخاريّ تعليقاً من حديث عائشة.

٥٥٧- فَلِلَّبْسِ مِنْهَا بِالتَعَلُّقِ فِي مَقَا م الإِسْلَامِ عَنْ أَحْكَامِهِ الحِكَمِيَّةِ
٥٥٨- عَقَائِقُ أَحْكَامِ دَقَائِقُ حِكْمَةٍ حَقَائِقُ إِحْكَامِ رَقَائِقُ بَسْطَةِ

(فلِلَبس): الفاء للتفريع. واللَبْس بالفتح: مصدر قولك لَبَسْتُ عليه الأمر أَلْبَس: خلطت، من قوله تعالى: ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ [٦/ الأنعام/ ٩] كذا في الصحاح. وقوله (منها): أي مما ذكر من معاني الصفات والأسماء المكنّى عنها بالشوادي، والهوادي، والبوادي، والعوادي، والجواهر، والزواهر، والظواهر، والقواهر، والمثاني، والمعاني، والمغاني، والمباني، والنجائب، والغرائب، والرغائب، والكتائب؛ فإنّها كلّها تلبيسات كونيّة، وخيالات وهميّة، وإنْ تحقّقها المتحقِّق بالعقل والحسّ، فإنّه وعقله وحسّه مثلها في الصفة الإمكانيّة، وتحقّقه من جنسها في كلّ قضية. وقوله (بالتعلّق): أي بسبب تعلّق النفس البشريّة بها من حيث أنّها مظاهر الصفات الإلهيّة، والأسماء الربّانيّة، ومن حيث أنّها معانيها وآثارها؛ ولهذا ظهرت من عدمها بها. وقوله (في مقام بالإسلام): أي التسليم والإذعان للحقّ المتصرّف في جميع الأكوان على حسب مراده تعالى. وقوله (عن أحكامه): أي أحكام مقام الإسلام الصادر فيه اللَّبس المذكور عن تصرّفاته تعالى في الأكوان بلا منازعة ولا اعتراض، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾ [١٣/ الرعد/ ٤١] وقوله (الحِكَمِيَّةِ): أي المنسوبة إلى الحكم، جمع حكمة، وهي العلم المتقن، والحكيم المتقن للأمور، والحكيم العالم صاحب الحكمة؛ فإنّ أحكام المقام الإسلاميّ مُحكمَة، مُتقَنَة؛ لأنّها وضع إلهيّ قديم، ظهر ببعثة الرسل، وإنزال الكتب. وقوله (عقائق): مبتدأ خبره مقدّم، وهو لِلَبْس، جمع عقيقة، قال في الصحاح: «عَقَّ بالسهم إذا رمى به نحو السماء وينشد:

عقّوا بسهم ثمّ قالوا صالحوا يا ليتني في القوم إذ مسحوا اللحى

/ [٢٤٢/ ب] وذلك السهم يسمّى عقيقة وهم سهم الاعتذار، وكانوا يفعلونه في الجاهليّة، فإنْ رجع السهم ملطّخاً بالدم لم يرضوا إلّا بالقود. وإنْ رجع نقياً

مسحوا لحاهم، وصالحوا على الدية، وكان مسح اللحى علامة للصلح». والمعنى هنا: إنّ جميع هذه الأكوان كائنة لأجل اللَّبس بمنزلة السهام العقائق التي ترمي جهة الغيب الحقّ، أي: ترفع إليه لتعرف أحوالها منه، وهو الذي يحكم عليها بما يحكم. فإنْ رجعت منه نقيّة فهي على خير. وإنّ رجعت مدنسة فهي على شرّ. وأضاف العقائق إلى قوله (**أحكام**): جمع حكم، لأنّها لا تعرف أحكام الأشياء إلّا من جهته تعالى بمقتضى كتابه وسنّة نبيِّه صلّى الله عليه وسلّم. وقوله (**دقائق**): جمع دقيقة. من دقّ الشيء، أي: صار دقيقاً، والدقيق خلاف الغليظ، مضاف ذلك إلى قوله (**حكمة**): وهي العلم المتقن. يعني: إنّ الأكوان علوم محكمة دقيقة، لا يهتدي إلى أسرارها إلّا اللبيب، ولا يستنير بأنوارها إلّا الأريب. وقوله (**حقائق**): جمع حقيقة، وهي ماهيّة الشيء على ما هو عليه (**إحكام**): بكسر الهمزة، أي: إتقان الصنع، قال تعالى: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [٢٧/ النمل/ ٨٨] وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [٣٢/ السجدة/ ٧] وقوله (**رقائق**): جمع رقيقة، والرقيق نقيض الغليظ والثخين. وقد رَقَّ الشيء يَرِقُّ رِقَّةً. وتَرْقِيقُ الكلام تحسينه، كذا في الصحاح. وهي مضافة إلى قوله (**بَسْطَةِ**): بالفتح، قال في الصحاح: البَسْطَة السَّعَة». يعني: إنّ الأكوان جميعها لطائف رقيقة مبسوطة لا يعلمها على التفصيل إلّا الحقّ تعالى الذي وسع كلّ شيء رحمة وعلماً، وهي المشار إليها بقوله سبحانه: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾ [٢/ البقرة/ ١٣٨] فإنّ الألوان في المتلوِّن بها أعراض فانية فيه، قائمة به. فلو تجرد الجرم المتلوِّن بها عنها لانعدمت في الحال، لعدم قيامها بنفسها، والله أعظم من ذلك وأعلى تسبيحاً وتقديساً.

٥٥٩- وَلِلْحِسِّ مِنْهَا بِالتَّخَلُّقِ فِي مَقَا ... مِ الإِيمَانِ عَنْ أَعْلَامِهِ العَلِيَّةِ[1]

٥٦٠- صَوَامِعُ أَذْكَارٍ لَوَامِعُ فِكْرَةٍ ... جَوَامِعُ آثَارٍ قَوَامِعُ عُرَّةِ

(**وللحسّ**): أي لقوة الإحساس بالحواس، وهي المشاعر الخمس: السمع،

(١) البيت في (ق): وللحسّ منها بالتحقّق في مقا ... مِ الإيمان عن أعلامه العمليّةِ.
والبيت مكسور الوزن بكلمة (العليّة).

والبصر، والشمّ، والذوق، واللمس. وقوله (**منها**): أي من تلك المذكورات في الأبيات قبله. وقوله (**بالتخلّق**): أي بسبب تَكَلُّف الخُلُق، واحد الأَخْلاق. قال في الصحاح: «الخُلْقُ والخُلُقُ يعني: بسكون اللام وضمّها: السَجِيَّةُ، يقال: خالِص المؤمن وخَالِقِ الفاجر، وفلان يَتَخَلَّقُ بغير خُلُقِهِ، أي: يَتَكَلَّفُهُ، قال الشاعر: (إنّ التَخَلُّقَ يأتي دونه الخُلُقُ). والخَلِيْقَةُ: الطبيعة، والجمع خَلائِق، قال لبيد:

فاقنعْ بما قسم المليك فإنّما قسم الخلائق بيننا علّامها

وقوله (**في مقام الإيمان**): وهو التصديق بالله تعالى، وبما جاء عنه. يعني: إنّ النفوس البشريّة تشهد في هذا المقام الذي هو مقام الإيمان بطريق الحسّ انتقالاً عن طريق العقل. فإنّ مقام الإسلام ـ وهو المقام الأوّل ـ فيه ظهور اللَبْس الإلهيّ بالأغيار؛ فالحسّ مشغول بها، فلا سلوك لصاحبه إلّا بالعقل والفكر والخيال، فإذا توجّه إلى ربّه فإنّما يتوجّه إليه بعقله وفكره وخياله؛ فيصيب المعاني والصور الخياليّة؛ فيسلم ويستسلم لما ورد عنه تعالى في الكتاب والسنّة على حسب ما يريده الله ورسوله، وهي طريقة السلف الصالحين من غير تصرّف في شيء من ذلك أو تصوير. وأمّا صاحب مقام الإيمان فإنّ حسّه تنبّه للتجلّيات الربّانيّة، والتدلّيات الرحمانيّة، بإشراف نور إيمانه، وإخلاص قلبه بزيادة إيقانه، فتعطّل عنده طريق العقل/ [٢٤٣/ أ] والفكر والخيال. وسلك طريق الحسّ في معرفة تجلّيات ذي الجلال. وقوله (**عن أعلامه**): أي أعلام مقام الإيمان. يعني: صادر ذلك التخلّق له عن أعلام مقام إيمانه. والأعلام بفتح الهمزة جمع عَلَم بالتحريك، وهو العلامة على الشيء، والعَلَم الراية أيضاً. فإنّ علامات مقام الإيمان الآياتُ البيّنات التي قال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [٤١/ فصّلت/ ٥٣] وقوله (**العليّة**): صفة للأعلام. أي: هي منشورة في الآفاق مثل الرايات المنصوبة والألوية المرفوعة. وقوله (**صَوَامِعُ**): مبتدأ مؤخّر، خبره قوله (**وللحسّ**) من الجار والمجرور المتقدم. و(**الصوامع**): جمع صَوْمَعَة، فَوْعَلَة، من

قوله للكلاب صُمْعُ الكُعُوب، أي: صغار الكعوب. وهي صومعة النصارى، لأنّها دقيقة الرأس، كما في الصحاح. وإضافتها إلى قوله (أذكار) جمع ذِكْر. يعني: يتذكرون بها ربّهم تعالى، فيذكرونه بقلوبهم، فتكون لهم بمنزلة الصوامع التي جرّدتها أهلها للعبادة. وخرجوا فيها عن أحكام العادة. وقوله (لوامع): من لَمَعَ البَرْقُ لَمعاً ولَمَعَاناً: أضاء. واللَوامِعُ مضافة إلى قوله (أفكار)[1]: جمع فِكْر،من إضافة الصفة إلى موصوفها. والأصل أَفكار لوامع، وهي الأفكار المضيئة المشرقة بأنوار الإيمان واليقين. فكلّ شيء يتوجّه إليه صاحب مقام الإيمان المذكور يشرق به فكره ويستنير له ذكره. وقوله (جوامع): جمع جامع، وهو ما يجمع المعاني الكثيرة في الجثة اليسيرة. وقد أضافها إلى قوله (آثار) جمع: أَثَر بالتحريك، وهو ما بقي من رَسْمِ الشيء. والتَأْثِير: إبقاء الأَثَرِ في الشيء، كذا في الصحاح. والمعنى: إنّها آثار جامعة، وأسرار لامعة. وقوله (قوامع): أي قواهر، من قَمَعْتُهُ وأَقْمَعْتُه، أي: قهرته وأذللته فانْقَمَع، قال ابن السكيت: أَقْمَعْتُ الرجل عَنّي إقْماعَاً إذا طَلَعَ عليك فَرَدَدْتَهُ عنك كذا في الصحاح. يعني: هذه الأكوان قواهر تقهر وتغلب بحسب تجلّيات الأسماء والصفات الإلهيّة بها عليها. وقد أضاف القوامع إلى قوله (عُرّة): بالعين المهملة المضمومة والراء المشدّدة، قال في الصحاح: «يقال فلان عُرّة، أي: قَذِر، وهو يَعُرُّ قومه، أي: يدخل عليهم مكروهاً يلطِّخهم به". أي: تقهر كلّ خبيث قذر فتردّه خاسراً بإذن الله. وفي نسخة (عِزَّةِ): بالزاي، من العِزّ ضدّ الذلّ، أي: تقهر كلّ مستعزّ بغير الله تعالى من مال أو جاه، وهو الجبّار المتكبِّر، فتجعله ذليلاً حقيراً بإذن ربِّها.

---

(١) في نسختي الديوان دار صادر ودار الشريف الرضي «فكرة» بدل «أفكار». وكذلك ناسخ الديوان يكتبها عند سرد البيتين معاً «فكرة»؛ ثمّ يعود لكتابتها أثناء الشرح فيقول: «أفكار»، مما يدل على أنّ نسخة النابلسي التي اعتمدها «أفكار»، وبكلمة (أفكار) يختل وزن البيت.

٥٦١- وَلِلْنَفْسِ مِنَهَا بِالتَّخَلّقِ فِي مَقَا م الإحْسَانِ عَنْ أَنْبَائِهِ النَبوِيَّةِ
٥٦٢- لَطَائِفُ أَخْبَارٍ وَظَائِفُ مِنْحَةٍ صَحَائِفُ أَخْبَارٍ خَلَائِفُ حِسْبَةٍ

(وللنفس): أي للنفس البشريّة، وهي ما يعبّرعنه كلّ إنسان بقوله أنا. فإنّ صاحب مقام **الإسلام** غير متلفت إلى نفسه، ولا إلى مدارك حِسّه في حال توجّهه إلى ربّه. وإنّما هو قانع بالتوجّه بعقله ولبّه ونفسه وحسّه. مشتغلاً بالأكوان، من حيث ظهورها له بأنواع الصور والألوان. وصاحب مقام **الإيمان** تنبّه حسّه فقط فاشتغلت مداركه ومشاعره في تجلّيات ربّه الرحمن في أنواع المحسوسات المختلفة الأكوان، وهوغافل عن نفسه، منهمك في التحقّق بمحسوسات حسّه، تارك استعمال عقله ولبّه في معاني تجلّيات حضرات ربّه. وأمّا صاحب مقام **الإحسان** المشار إليه في هذه الأبيات الحسان فإنّه منتبه لنفسه بعد تنبّهه لمدارك حسّه، ولهذا قال فيه وللنفس كما قال فيمن قبله وللحسّ. وقال في الأوّل وللّبْس. وقوله **(منها)**: أي من المذكورات في الأبيات السابقة. وقوله **(بالتحقيق)**: من الحقّ الذي هو/ [٢٤٣/ ب] خلاف الباطل. وحَقَّ الشيء يَحِقُّ بالكسر، أي: وجب وأَحْقَقْتُ الشيءَ أي: أوجبته، وتَحَقَّق عنده الخبر، أي: صحّ. وحَقَّقْتُ قوله وظنّه تَحْقِيقاً، أي: صدقت، كذا في الصحاح. وقوله **(في مقام الإحسان)** وهو في الحديث النبويّ: «أن تعبد الله كأنّك تراه» حيث ترى تجلّياته بك، وبغيرك لك. «فإنّ لم تكن تراه» لأنّك لا ترى إلّا صورالتجلّيات. «فإنّه يراك»[1] برؤيتك لك، ولا أنت؛ وإنّما هو هو. وهذا **مقام الإحسان له مرتبتان**: الأولى كأنك تراه. والثانية: فإنّه يراك. وهي أعلى من الأولى؛ لبقاء النفس البشريّة في الأولى دون الثانية. فإنّها في الثانية تبدّلت قلباً من قوله تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ [٢٩/ العنكبوت/ ٢١]. وقوله **(عن أنبائه)**: أي حصل ذلك التحقّق، وصدرعن أنبائه، أي: أخبار مقام

(١) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم، ٥٠.

الإحسان المذكور. والأنباء بفتح الهمزة، جمع نبأ. بمعنى خبر. وقوله (**النبويّة**): صفة لأنبائه المنسوبة إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، كما ورد في الحديث المذكور. وقوله (**لطائف**): مبتدأ مؤخّر، خبره قوله وللنفس. واللطائف جمع لطيفة، من اللُّطف، وهو الرِّفق، وأَصله الصغر، يقال: لَطُفَ الشيء بالضمّ يَلْطُفُ لَطَافَة، أي: صَغُرَ، فهو لَطِيف. واللُّطْف في العمل الرفق فيه. واللُّطْف من الله سبحانه التوفيق والعصمة، كذا في الصحاح. وأضاف اللطائف إلى قوله (**أخبار**): جمع خبر، أي: هي أخبار لطيفة تأتي من الحقّ تعالى إلى عبده في مقام شهوده بتجلّيه في كلّ شيء، قال عفيف الدين التلمسانيّ قدّس الله سرّه:

أسْكَرْتِ بانَ الحِمى يا نسمةَ السَّحَرِ فهل أتيتِ عن الأحباب بالخَبَرِ

وقوله (**وظائف**): جمع وظيفة، قال في الصحاح: «الوَظِيْفَة ما يُقَدَّرُ للإنسان في كلّ يوم من طعامه، أو رزق. وقد وَظَّفْتُهُ تَوْظِيْفاً. وقد أضافها إلى قوله (**مِنْحَةٍ**): أي عطيّة، من المَنْح، وهو العطاء. مَنَحَهُ يَمْنَحُهُ والاسم: المِنْحَةُ بالكسر، وهي العَطِيَّةُ؛ يعني: هي عطايا من الله تعالى لعباده على حسب حوائجهم، مُوَظَّفَة، دارّة لا تنقطع. قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [١١/ هود/ ٦] وقال تعالى: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [٢٠/ طه/ ٥٢]. وقوله (**صحائف**): جمع صحيفة، وهي الكتاب، وجمعه صحف وصحائف، كذا في الصحاح. وإنّما كانت صحائف لأنّها مكتوبة بالقلم الأعلى الممسوك بيد الأمر الإلهيّ، كما أشرنا إلى ذلك بقولنا من قصيدة لنا:

إنّ العوالم كلّها بظهورها والاختفا
في سرعة وتقلّب مثل الكتابة في الهوا
قد خطّها القلم الذي هو باب ديوان العطا
بمداد أنوار الوجود الحقّ من يد ذي العلا

وقد أضاف الصحائف إلى قوله (**أحْبَار**): بالحاء المهملة، جمع حَبْر، بالفتح، أو الكسر، قال في الصحاح: «الحَبْر والحِبْر: واحد أَحْبَار اليهود، وبالكسر أفصح، لأنّه يجمع على أفعال دون الفعول. هو حِبْر بالكسر، يقال ذلك للعالم، وإنّما قيل: كعب الأحبار لمكان هذا الحبر الذي يكتب به. قال: وذلك لأنّه كان صاحب كتب، قال الأصمعي: لا أدري هو الحَبر أو الحِبر للرجل العالم. وقال أبو عبيد: والذي عندي أنّه الحَبر بالفتح. ومعناه العالم بتجهيز الكلام وتحسينه. قال: وهكذا يرويه المحدثون بالفتح. يعني: إنّها كتب وصحائف إلاهيّة نازلة من الحضرات الرحمانيّة لتقرأها علما الملة المحمّديّة، كما قلنا من قصيدة لنا نعرّض فيها بأهل الغفلة المغترين:

قرؤوا الوجود زخارفاً ووساوساً وقبيح أوهام وخبث فهوم
ولقد قرأنا صحائف نشرت بالحقّ دين معارف وعلوم

وأردنا بالوجود الموجودات وهي الأكوان المتخلّقة. وقوله (**خلائف**): جمع خليفة / [٢٤٤/ أ] قال في الصحاح: «الخليفة السلطان الأعظم، والجمع خلائف، جاؤوا به على الأصل، مثل كريمة وكرائم». والمراد: إنّ الله تعالى استخلف آدم وذريّته في الأرض كما قال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ [٦/ الأنعام/ ١٦] وأضاف الخلائف إلى قوله (**حِسْبَةٍ**): بالكسر، وهي الاحتساب بإقامة المأمورات وإنكار المنكرات، قال في الصحاح: «احْتَسَبْتُ عليه كذا: إذا أنكرته عليه. ويقال: إنّه لَحَسَنُ الحِسْبَة في الأمر إذا كان حَسَنَ التدبير له». والمعنى: إنّهم الخلفاء للتصرّف بالحقّ في الحقّ عن الحقّ.

٥٦٣- وَلِلْجَمْعِ مِنْ مَبْدَا كَأَنّكَ وانْتَهى فَإِنْ لَمْ تَكُنْ عَنْ آيَةِ النَّظَرِيَّةِ
٥٦٤- غُيُوْثُ انْفِعَالَاتٍ بُعُوثُ تَنَزُّهٍ حُدُوْثُ اتِّصَالَاتٍ لُيُوثُ كَتِيبَةِ

(**وللجمع**): أي لمقام الجمع، وهو الجمع على الله تعالى بفناء كلّ ما سواه. وقوله (**من مبدا**): أي من ابتداء قوله (**كأنّك**): في الحديث الشريف في تعريف

مقام الإحسان. وذلك قوله صلّى الله عليه وسلّم: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنّه يراك»[1]. فإنّ ابتداء مقام الجمع المذكور ظهور نور الوجود الحقّ في قلب الإنسان بطريق الإحساس بالتجلّي، كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُواْ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ/٢٣/ ٢٤] وهو مقام الملائكة، وفيه ثبوت النفس بكاف الخطاب في قوله (كأنّك): وهي رؤية التجلّي في الصور لثبوتها بالمصوِّر الحقّ، ونسبة الوجود إلى النفس به. وقوله (تراه): أي رؤية مشبهة بالصور الحسيّة والمعنويّة، كما ورد في حديث الصحيحين: «إنّكم سترون ربّكم كما ترون القمر ليلة البدر»، وفي رواية «كما ترون الشمس في الظهيرة»[2] وهذا في الآخرة لعامّة أهل الجنّة، ولأهل الجمع في الدنيا في ابتداء مقامهم، كما قال الناظم قدّس الله سرّه.

تراه إنْ غاب عنّي كلّ جارحة ... في كلّ معنى لطيف رائق بهج

في نغمة العود والناي الرخيم إذا ... تألّفا بين ألحان من الهزج

إلى آخر الأبيات المشتملة على رؤية الحواس الخمس. وقوله (وانتهى): أي مقام الجمع المذكور إلى قوله (فإنْ لم تكن) من قول النبيّ صلّى الله عليه وسلم «فإنْ لم تكن تراه فإنّه يراك» يعني: فإنْ وصلت إلى حالة لا تراه فيها لغلبة فناء الصور الحسيّة والمعنويّة عليك، بحيث فنيت بالكليّة نفساً وروحاً وجسداً، ولم يبقَ عندك شيء أصلاً محسوس ولا معقول، فإنّه حينذاك يراك برؤيتك الأولى التي كنت تزعم أولاً أنك تراه بها؛ فقد ظهر لك الآن أنّه يراك بها. وذكر الشيخ إبراهيم الكوراني المدني في شرح التحفة المرسلة، قال في حديث الإحسان: «أنْ تعبد الله كأنّك تراه فإنْ لم تكن تراه فإنّه يراك» من أنّه إشارة إلى مقام المحو والفنا. واعترض عليه

---

(١) انظر تخريجه ص١٠٧٧.

(٢) انظر تخريجه ص٢٧١.

الحافظ في فتح الباري حيث قال: وأقدم بعض غلاة الصوفيّة على تأويل الحديث بغير علم فقال: «فيه إشارة إلى مقام بالمحو والفناء. وتقديره: «فإنّ لم تكن» أي: لم تصر شيئاً، وفنيت عن نفسك حتّى كأنّك لست بموجود، فإنّك حينئذٍ تراه». وغفل قائل هذا لجهله بالعربيّة عن أنّه لوكان المراد ما زعم لكان قوله «تراه » محذوف الألف؛ لأنّه مجزوم على زعمه جواب الشرط. ولم يرد في شيء من طرق هذا الحديث بحذف الألف، ومن ادّعى إثباتها في الفعل المجزوم على خلاف القياس، فلا يصار إليه؛ إذْ لا ضرورة هنا، وأيضاً لو كان ما ادّعاه صحيحاً لكان قوله «فإنّه يراك» ضائعاً لأنّه لا ارتباط له بما قبله، ومما يفسد تأويله رواية كهمس[1]؛ فإنّ لفظها «فإنّك إن لا تراه فإنّه يراك» أي: عند ابن/[٢٤٤/ب] ماجه، حدّثنا عليّ بن محمّد، حدّثنا وكيع عن كهمس بن الحسن إلى أنْ قال: «فإنّك إنْ لاتراه فإنّه يراك» وكذلك رواية سليمان التيمي، فسلّط النفي على الرؤية لا على الكون الذي حمله على ارتكاب التأويل المذكور» انتهى. أقول: إنّه استند في هذا الردّ على استقراء ناقص، ومع هذا فقد ناقض نفسه، أمّا الأوّل فلأن إثبات لام الفعل المعتل اللام، المجزوم له وجه صحيح في العربيّة، وواقع في فصيح الكلام، لا في الضرورة ، فقد قال ابن هشام في المغني في قاعدة تقارب اللفظين: والثالث إعطاء إنْ الشرطية حكم لو في الإهمال، كما روى في الحديث: «فإنْ لاتراه فإنّه يراك» وهو تخريج ابن مالك. والظاهر: إنّه يتخرج على أجزاء المعتل مجرى الصحيح كقراءة قُنْبُل: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ﴾ [١٢/ يوسف/ ٩٠] بإثبات ياء يتقّي وجزم يصبر، انتهى. وأمّا الثاني فلأنّه قد قال: إنّ إثبات الألف على خلاف القياس لا يصل إليه هنا؛ إذْ لا ضرورة، ثمّ روى ما فيه إثبات الألف مع كونه مجزوماً اتفاقا؛ فإنّه صرّح بأنّه لم يرد في شيء من طرق هذا الحديث بحذف

---

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: «بلغ مقابلة على مؤلّفه رضي الله عنه وأرضاه».

الألف، ثمّ أورد رواية كهمس بلفظ: فإنّك إنْ لا تراه، بإثبات الألف في تراه الواقع شرطاً بلا خلاف. والشرط مجزوم كالجزاء اتفاقاً. فما هو جوابه في تراه الواقع شرطاً فهو جوابنا في تراه الواقع جزاء. ثمّ إنّ بعض المحقّقين من الصوفيّة أبدى نكتة لإثبات الألف في تراه الواقع جزاء، وحاصله: إنّ الرؤية لا تتعلق إلّا بمتعيّن؛ فإثبات الألف إشارة إلى أنّ الله تعالى من حيث التجلّي والتعين بالوحدة تتعلق به الرؤية لا من حيث عين ذات المشار إليه بحذف الألف لو حذفت. وأمّا ادّعاؤه لزوم كون قوله «فإنّه يراك» ضائعاً إلى آخره. فجوابه: إنّه ليس بضائع؛ لأنّه مرتبط بما قبله بوجه صحيح، غير أنّ الفاء جواب الشرط في الظاهر وتعليليّة في التأويل، وذلك غير قادح كما بيّناه، وإنّما القادح أنْ لا يبقى له وجه ربط صحيح في العربيّة، وليس كذلك. وبيانه: إنّ المشاهد للحقّ سبحانه عند الفناء عن البشريّة إذا تحقّق مَن يشهد منه علم أنّه يشاهد الحقّ بعين الحقّ فبهذا يثبت؛ إذ الحقّ لا يفنى بمشاهدته نفسه، ولا العالم. فإذا قلنا بالتأويل فإنْ لم تكن أنت؛ بل فُنيت عنك من حيث بشريّتك، وكان الحقّ حينئذٍ بصرك تراه إذْ ذاك، ولا تضمحلّ. فإنّه يراك، ولا فناء ثَمّ. فكذلك في رؤيتك إيّاه؛ لأنك به تراه إذا تحقّقت من المشاهد منك، فإنّ للحقّ سبحانه وجهاً خاصّاً في كلّ ممكن، فإنّه القيّوم للكلّ. وقد قال تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [٥٥/الرحمن/٢٧]. فإنْ قلت: قد تبيّن فيما سبق، إذْ الوجوه المحتملة إنّما يصحّ إرادتها لم يقدح فيها شيء من الأصول الشرعيّة. وقد صرّح مسلم في روايته من حديث أبي أمامة بقوله صلّى الله عليه وسلّم: «واعلموا أنّكم لن تروا ربّكم حتّى تموتوا» قلت: قد قال السيّد قدّس الله سرّه في شرح **المواقف** قال الآمدي: «أجمعت الأمّة من أصحابنا على أنّ رؤيته تعالى في الدنيا والآخرة جائزة عقلاً، واختلفوا في جوازها سمعاً في الدنيا فأثبته بعضهم ونفاه آخرون» انتهى. وهذا يدلّ على أنّ حديث مسلم ليس نصاً في نفي جواز الرؤية لمن لم يمت بالموت الطبيعيّ، وإلّا لما اختلفوا. وإذا كان كذلك فجاز أن يتمسّك المثبت

بهذا الحديث على الوجه المقرّر في المعنى الباطنيّ، وتفسير الموت في حديث مسلم بمعنى يعمم حالة الفناء للسائرين. وذلك أنّ الموت ليس انعداماً للروح؛ وإنما هو مفارقة الروح عن البدن، وانقطاع تصرّفه عنه. وفي حالة الفناء ينقطع/ [٢٤٥/ أ] تصرف الروح عن البدن وإنْ لم يفارقه، فكان نوعاً من الموت، فكأنّه قال «إنكم لن تروا ربّكم» حتى ينقطع تصرّف أرواحكم عن أبدانكم، وتغيبوا عن الأحكام الدنيويّة جملة واحدة، إمّا بالمفارقة عن الأبدان، وهو الموت الطبيعي، أو بالغيبوبة والفناء، وهو الموت المعنويّ، وقد أوضح المقام المحقِّق الفرغاني قُدّس سرّه في منتهى المدارك عند قول ابن الفارض قدّس سرّه.

فلمّا انقضى صحوي تقاضيت وصلها ولم يغشَ في بسطها قبض حشيّة

حيث قال ما نصّه: «فإنْ قلت كيف طلب الوصل والرؤية، وذلك محال في هذه النشأة الدنيويّة لقوله صلّى الله عليه وسلّم «إنّ أحدكم لن يرى ربّه حتّى يموت» قلت: نعم، نقول بالموجب؛ فإنّ السائر لا يرى حتّى يموت عن جميع الأقسام والأحكام الدنيويّة، ويغيب وينقطع عن الإحساس بها، وبالقوى والمدارك المختصّة أحكامها بهذه النشأة الدنيويّة. نعم، وعن الأحكام الأخرويّة أيضاً، وحينئذٍ يكون ميتاً موتاً معنويّاً؛ بل موتاً صوريّاً في تلك الحالة المعنيَّة بالصعق. فلم يكن حالتين في الدنيا ولا في الآخرة أيضاً. ألا ترى أنّ المتوجّه إلى أمر وهمي كاللعب بالشطرنج مثلاً، كيف يغيب فيه بحيث لم يشعر بشيء دون ما توجه إليه، فانتفاء الوهميّات، والعقليّات، والحسيّات، حالة التوجّه إلى جنبة عالم الحقّ، والحقيقة أشدّ وأقوى من انتفاء الحسيّات، وحدّها حالة التوجّه إلى الوهميّات والعقليّات فتكون تلك الغيبة والانقطاع والانسلاخ موتاً أشدّ وأقوى من الموت الطبيعي؛ فإن النفس في الموت الطبيعي لم تغب بالكليّة عن عالم الحسّ؛ بل تكون شاعرة بها وبالأحكام التي تجري فيها على ما نصّ على ذلك الشارع في أحاديث صحاح ما يدل على شعورها، وتلذّذها بما عمل وأنفق لأجلها. وهذا المتوجّه إلى

تلك الحضرة يستغرق في توجهّه، بحيث ينسلخ عن جميع الملابس الحسيّة، والوهميّة، والعقليّة، والروحيّة. حتّى إنّه لم يحسّ بشيء مما سوى من توجّه إليه ألبتّة، واصلاً إلى حدّ أنّه لو قطع في تلك الحالة من أعضائه لم يحسّ بذلك من جهة ألم أصلاً، فلم يكن هذا المتوجّه عند ذلك في الدنيا ولا في الآخرة، فلا جرم صحّ في حقّه أنّه مات فرأى، ولم يرَ حتّى مات»، انتهى. ثمّ لا دلالة في رواية كهمس وغيره على فساد التأويل المذكور، إذ يلزم من تضمّن بعض الروايات إشارة إلى معنى أن يسري ذلك في جميع الوجوه، فإنّه غير مستلزم، ولا لازم الالتزام، والحمد لله على الدوام. على أنّا نقول: يمكن أنْ يقال إن الشرط محذوف في هذه الرواية، أي: رواية كهمس. والتقدير: فإنّك إنْ لا تكن تراه بقرينة رواية «إنْ لم تكن» على حدّ قول الشاعر:

فطلِّقها فلست لها بكفؤ وإلّا يعلُ مفرقك الحسام

أي: إنْ لا تطلِّقها، كذا في مغني اللبيب. فيكون النفي مسلّطاً على الكون لا على الرؤية، فتتوافق الروايتان، وبالله التوفيق. وقوله (عن آية): يعني حاصلاً ذلك عن آي الجمع، وهي جمع آية، قال في الصحاح: «الآية العلامة، وجمعها آي وآيات». وقوله (**النظريّة**): نعت للآي، يعني: إنّ آيات مقام الجمع، أي: علاماته الدّالة على الحقّ تعالى كلّها نظريّة، أي: منسوبة إلى النظر، وهو المعاينة والمشاهدة. قال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [٤١/ فصّلت/ ٥٣] ثم شرع في بيان الآيات فقال (**غيوث**): جمع غيث؛ وهو المطر. كنّى به عن علوم الإلهام النازلة على القلوب من حضرات الغيوب. وقوله (**انفعالات**) مضاف إليه، وهي جمع انفعاله، كناية عن الأشياء المنفعلة عن أمر الله تعالى في الحسّ والعقل؛ فإنّ صاحب مقام الجمع تنكشف له الحكم والأسرار في معاينة مخلوقات هذه الدار. وقوله (**بعوث**): جمع بَعْث، قال في القاموس: «البَعْثُ، ويحرّكُ: الجيش، وجمعه: بُعُوث». وقوله (تنزّه): مضاف إليه، أي: تباعد

من نَزَّهَه عن كذا: باعده عنه، قال في القاموس: /[٢٤٥/ب] «التنزّه: التباعد، ونَزَّهَ نفسَهُ عن القبيح: نَحَّاهَا». إشارة إلى أنّ جميع المنفعلات الحادثة في الحسّ والعقل تنزيهات للوجود الحقّ سبحانه وتعالى، فلا يشبه شيئاً منها، ولا يشبهه شيء: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [٤٢/ الشورى/ ١١] وهو معنى التسبيح الذي قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٤٤]. وجمع ضمير الأشياء كلّها بصيغة من يعقل إشارة إلى أنّ ذلك تسبيح مقصود من الكلّ، وأنّه نطق وإنْ لم يكن مفهوماً، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [٤١/ فصّلت/ ٢١] ولا ضرورة للتأويل بالتغليب البياني، كيف وهو تعالى بكلّ شيء محيط، وقد حكي عن الملائكة قولهم: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾ [٣٧/ الصافات/ ١٦٤-١٦٥] بصيغة الحصر، أي: لا مُسبِّحَ غيرنا، فالكلّ ملائكة من وجه القيام بالأمر الإلهيّ وإنْ كانت غيرذلك من وجوه أُخر، ولهذا سمّاها بُعُوثاً، أي: جنوداً، كماقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [٤٨/ الفتح/ ٤] وقال: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [٧٤/ المدثر/ ٣١] كما سمّاها عبيداً له في قوله: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [١٩/ مريم/ ٩٣-٩٤] فأخبرعنهم بصيغة من يعقل، وهذه كلّها أمورتنكشف لصاحب مقام الجمع. وقوله (**حدوث اتّصالات**): جمع اتّصال، أي: أحوال تتّصل بها حقائق الأكوان بالوجود الحقّ تعالى. بمعنى: وصول الإمداد إليها، لا بمعنى اتصال الشيء بالشيء؛ فإنّ المعدومات الثابتة غير المنفيّة يستحيل أن تتصل بالوجود الحقّ تعالى مثل اتّصال الشيء بالشيء؛ لأنّ شرط هذا الاتّصال مستحيل. وقوله (**ليوث**): جمع ليث، وهو الأسد. وقوله (**كتيبة**): بالتاء المثنّاة الفوقيّة، قال في القاموس: «الكتيبة: الجيش والجماعة المُسْتَحْيِرَة من الخيل، أو جماعة الخيل إذا غارت من المائة إلى الألف». كناية عن ظهور الاقتدارالإلهيّ والبطش منه تعالى بالأشياء المحسوسة أو المعقولة، بحسب ما يريد سبحانه. فينتقم ممن يشاء

بمحسوس أو بمعقول؛ فالأشياء بهذا الاعتبار أسود مفترسة، وجيوش مجتمعة في تصرّف أمر الله تعالى. قال سبحانه: ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [٢/ البقرة/ ١٦٥].

٥٦٥- فَمَرْجِعُهَا لِلْحِسِّ فِي عَالَمِ الشَّهَا دَةِ الْمُجْتَدِي مَا النَّفْسُ مِنِّي أَحَسَّتِ

٥٦٦- فُصُولُ عِبَارَاتٍ وُصُولُ تَحِيَّةٍ حُصُولُ إِشَارَاتٍ أُصُولُ عَطِيَّةٍ

(**فمرجعها**): الفاء للتفريع، والمرجع مكان الرجوع، أو هو مصدر ميمي قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ﴾ [٦/ الأنعام/ ١٦٤] وهو شاذّ؛ لأنّ المصادر من فَعَلَ يَفْعِلُ إنّما تكون بالفتح، كذا في الصحاح. والضمير للكائنات المكنّى عنها في البيت قبله بغيوث الانفعالات إلى آخره. يعني: هي راجعة. وقوله (**للحسّ**): أي لإدراك الحواس الخمس، فهي عند القوّة الحاسّة على حسب ما تدركه الحواس، وإلّا فهي في نفس الأمر حقائق تجلّيات إلهيّة. وقوله (**في عالم الشهادة**): وهو العالَم، بفتح اللام، المشهود للحسّ والعقل؛ لأنّها في عالَم الغيب الحقّ المطلق، هي تجلّياته الربّانيّة. ثمّ وصف عالم الشهادة بقوله (**المجتدي**): بصيغة اسم الفاعل، من جَدَوتُهُ واجْتَدَيْتُهُ واسْتَجْدَيْتُهُ، بمعنى: طلبت جَدْواه، والجَدَا بالقصر، والجَدْوَى: العطيّة، كذا في الصحاح. يعني: إن عالم الشهادة من حيث هوعالم شهادة طالب. وقوله (**ما**): أي أمراً وشأناً، وهو مفعول: المجتدي. وقوله (**النفس**) مبتدأ. وقوله (**منّي**): متعلّق بأحسّت. وقوله (**أَحَسَّتِ**): بكسر التاء للقافية، والجملة في محل رفع خبر المبتدأ. ومفعول أحسّت محذوف، وتقديره أحسّت به. يعني: أدركته بإحدى حواسّها. والمعنى: إنّ عالَمَ الشهادة مفتقر طالب علمي الذي أدركته نفسي منّي ومن/[٢٤٦/ أ] حقيقتي التي أنا قائم بها، فهو مستفاد من إدراكي لنفسي ومعرفتي بها. والحاصل: إنّ عالم الدّنيا تابع لأحوال أهلها. فإنّ حَسُنَتْ أحوالهم حَسُنت بهم أحوالها، وإنْ ساءت أحوالهم ساءت أحوالها. فالأصل هم، وهي التبع لهم. ثم قال في بيان ذلك (**فصول**): جمع فصل، وهو القطعة من الشيء. وقوله (**عبارات**): جمع عبارة، من عَبَّرعمّا في نفسه: أعْرَبَ. وعَبَّرعنه غيره فأعَرَبَ

عنه. والاسم: العَبْرَة والعِبَارَة، كذا في القاموس. يعني: هي عبارات مفصول بعضها عن بعض، قال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَهُ تَفْصِيلًا﴾ [١٧/الإسراء/١٢]. وكونها عبارات لأنّها من قبيل الكلمات الصادرة عن المتكلّم الحقّ الذي يقول: للشيء ﴿كُن فَيَكُونُ﴾. وقوله (**وصول تحيّة**): التحيّة السلام، وحَيَّاهُ تَحِيَّةً، كذا في القاموس. يعني: إنّها جميعها واصلة من حضرة الغيب إلى حضرة الشهادة. ومن الأوّل إلى الآخر، ومن الباطن إلى الظاهر. ونظير ذلك قوله صلّى الله عليه وسلّم لّما كان يسلم من صلاته قاصداً بالخطاب ـ في قوله: السلام عليكم ـ الحَفَظَةَ والمقتدين، وسن لأمته أنّ يقصدوا ذلك، والمنفرد يقصد الحفظة فقط، والمقتدي يقصد الإمام والحفظة ومن عن يمينه أو يساره من المقتدين. ثمّ يقول بعد تمام السلام: اللهم أنت السلام ومنك السلام وإليك يرجع السلام. وهذه مرتبة التنزّل، وهو مقام التشبيه والتجلّي بالصور. ثمّ يقول: تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام. وهذه مرتبة التنزّه والتباعد عن مشابهة كلّ شيء، وهو المقام الذاتيّ. والأوّل هو المقام الأسمائيّ والصفاتيّ. وقوله (**حصول إشارات**): جمع إشارة، وهي ما يشار بها إلى الوجود الحقّ من الأعيان الثابتة في علمه سبحانه من غير وجود لها على الاستقلال؛ فالإشارات هي المظاهر والتجلّيات، وهي الآيات البيّنات. وقوله (**أصول عطيّة**): أي هي أصول للعطايا الإلهيّة، والهبات الربّانيّة. وفروعها الشهوات الدنيويّة، واللذائذ الأخرويّة، والعنوان القائم، والنعيم الدائم.

٥٦٧- وَمَطْلَعُهَا فِي عَالَمِ الغَيْبِ مَا وَجَدْ ... تُ مِنْ نِعَمٍ مِنِّي عَلَيَّ اسْتَجَدَّت

٥٦٨- بَشَائِرُ إِقْرَارٍ بَصَائِرُ عِبْرَةٍ ... سَرَائِرُ آثَارٍ ذَخَائِرُ دَعْوَةِ

(**ومَطْلَعُهَا**): أي مَطْلَع هذه الكائنات جميعها. قال في الصحاح: «طَلَعَتِ الشمسُ والكواكبُ طُلُوعَاً ومَطْلَعَاً ومَطْلِعَاً. والمَطْلِع أيضاً موضع طُلُوعِهَا؛ فالمَطْلِع هنا بكسر اللام وفتحها مصدر ميمي، أو اسم موضع. وقوله (**في عالم**

الغيب): أي طُلَوعُها، أو مَوضع طُلُوعِها على الوجه المخصوص في البيت بعده، حاصل في حضرة الوجود الحقّ الذي هوغائب عن العقل والحسّ، لأنّهما يكيفانه ويمثلانه، وهو منزّه عن الكيفيّة والمثليّة، قال عفيف الدين التلمساني قدّس الله سرّه من قصيدة له:

شــمس ومطلعهــا ذاتي ومغربهــا   بين السوادين من قلبي ومن بـصري

(وسواد القلب): هو القوّة المدركة منه، وكذلك سواد البصر: القوّة المدركة منه. وهو النور الأسود بسبب الغيريّة التي يدركانها، وغلبة الوهم والتوجّه الربّاني بالمرادت الكونيّة من الحقيقة العلميّة. وقوله **(ما وجدت)**: أي الذي وجدته وجداناً، ومنازلة لا تخييلاً عقليّا وتمثيلاً حسّياً؛ لأنّ العقل والحسّ يكذبان في شهود الوجود الحقّ، ويكذِّبان به. ولا شهود إلّا شهود الحقّ تعالى، وتكذيبها من كذبهما. قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ ﴾ ـ أي اشهدوا وعاينوا ـ ﴿مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [١٠/ يونس/ ١٠١] وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [٦/ الأنعام/ ٣] والعقل والحسّ مع ذلك يكذِّبان بشهود الأغيار. ويكذِّبان بشهود الواحد القهار، قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا﴾ ـ أي على الحقيقة الوجوديّة التي لا سواها ـ ﴿فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ٢٦]. ثمّ قال/ [٦٢٤٦/ ب] تعالى مخاطباً للعقل والحسّ: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ٥٦] وتكرّر ذلك في هذه السورة، وهي سورة الرحمن الذي على العرش استوى، وهو تعالى لا صورة له ـ بالصاد المهملة ـ وإنّما له سورة بالسين، من سور البلد، اسم للجدار المحيط به، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ﴾ [٨٥/ البروج/ ٢٠] فسورته تعالى إحاطته بكلّ شيء، وهي سورة الرحمن المستوي على عرش الكائنات، ولا صورة له تعالى؛ لأنّ الصورة محكوم عليها محاط بها، والسورة حاكمة محيطة، ولهذا انتفت عنه الصورة وثبتت له السورة. وقوله **(من نعم)**: بيان لما. والنِعَم: جمع نِعْمة بالكسر، وهي الدَعَة والمال. والتَنَعُّم: التَرَفُّه. والاسم: النَّعْمَة بالفتح. والنَّعْمَاء، بالفتح، ممدود: جمع

أنْعُم ونِعَم ونِعِمَات بكسرتين، وبفتح العين، كذا في القاموس. وقوله (منّي): متعلّق باسْتَجَدَت، قُدّم للحصر، أي: لا من غيري، أي: باعتبار حقيقتي التي أنا قائم بها. وقوله (عليّ): بتشديد الياء التحتيّة متعلّق باستجدت أيضاً، أي: لا على غيري. وقوله (اسْتَجَدَّتِ): بكسر التاء للقافية من قوله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [٥٠/ ق/ ١٥]. وقوله (بشائر): جمع بشارة، وهي الخبر المُسِرّ الذي يغيِّر بشرة الوجه. وقوله (إقرار): أي: نطق، من قوله سبحانه: ﴿الَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [٤١/ فصّلت/ ٢١] وتصديق له تعالى بالعبوديّة من قوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [١٩/ مريم/ ٩٣] والمراد: إتيان بالله تعالى، وإذعان له سبحانه. وكون ذلك بشائر لأنّه أنوار ساطعة من حضرة الغيب الحقّ بتجلِّي اسمه المؤمن. وقوله (بصائر): جمع بَصيرة، وهي عقيدة القلب والفطنة، كذا في القاموس. وقال في الصحاح: «البصيرة: الحُجَّة والاسْتِبْصَار في الشيء. وقوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾ [٧٥/ القيامة/ ١٤] قال الأخفش: جعله هو البصيرة، كما تقول للرجل: أنت حُجَّة على نفسك». وقوله (عِبْرة): مضاف إليه، قال في القاموس: «العِبْرَة بالكسر: العَجَب. واعْتَبَر منه: تَعَجَّبَ». يعني: إنّ جميع الكائنات عقائد صحيحة، وحُجَج رجيحة يعجب منها اللبيب، ويعتبر بها الأريب. قال تعالى: ﴿بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ﴾ [٢٨/ القصص/ ٤٣] أي: يبصرون به ما خفي عنهم من الأسرار، ويكتشفون عمّا استتر عليهم من الأنوار. وقوله (سرائر): جمع سريرة، وهي السر، قال في القاموس: «السرّ ما يُكتم كالسريرة. وجمعه أَسْرار وسرائر. وقوله آثار مضاف إليه، جمع أَثَر، محرّكة: بقيّة الشيء، كما قال في القاموس. يعني: إنّ هذه الكائنات على اختلافها هي سرائر، أي: أسرار آثار الأسماء الإلهيّة، والصفات الربّانيّة. وقوله (ذخائر): جمع ذخيرة، قال في القاموس: «ذَخَرَه كَمَنَعَه، ذُخْراً، بالضمّ، واذَّخَرَه: اختاره واتخذه. والذَّخِيرَة ما ادُّخِر». وقوله (دعوة) أي: هي دعوات مدّخرة من قوله تعالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾ [١٣/ الرعد/ ١٤] وفي الحديث:

«لكلّ نبيّ دعوة مستجابة، وقد ادّخرت دعوتي لأمّتي»[1] وقال صلّى الله عليه وسلّم: «أنا دعوة أبي إبراهيم»[2] يعني: قول إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ﴾ [٢/ البقرة/ ١٢٩] الآية. وقال تعالى: ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [٧/ الأعراف/ ٣٢].

٥٦٩- وَمَوْضِعُهَا فِي عَالَمِ المَلَكُوْتِ مَا خُصِصْتُ مِنَ الإِسْرَا بِـهِ دُوْنَ أُسْرَتِي

٥٧٠- مَدَارِسُ تَنْزِيلٍ مَحَارِسُ غِبْطَةٍ مَغَارِسُ تَأْوِيلٍ فَوَارِسُ مِنْعَةِ

(**وموضعها**): أي موضع هذه الكائنات، قال في الصحاح: «المَوْضِع المكان، والمَوْضِع أيضاً مصدر قولك وَضَعْتُ الشيءَ من يدي وَضْعَاً ومَوْضِعَاً، وهو مثل المعقول، ومَوْضِعَاً والمَوْضَع بفتح الضاد لغة في المَوضِع». سمعها الفراء. وقوله (**في عالَـم**): بفتح اللام وقوله (**الملكوت**): قال في الصحاح: «المَلَكُوْت من المُلك كالرَهَبُوت من الرَّهْبَة، يقال: له مَلَكُوتُ العراق ومَلْكُوَةُ العراق أيضاً ـ مثال التَّرْقُوَة ـ وهو المُلْكُ والعِزُّ». والمعنى: في الملكوت أبلغ منه في الملك؛ وهو عالم الأرواح، كما أنّ المُلْك عالم الأجساد، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ/ [٢٤٧/ أ] وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [٣٦/ يس/ ٨٣] وقال تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [٦٧/ ١] فالملكوت ظهور الأمر، والملك ظهورالخلق، قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُ﴾ [٧/ الأعراف/ ٥٤]. وقوله (ما): أي الأمر الذي. قوله (**خُصِصْتُ**) بالبناء للمفعول، أي: خصّني الله تعالى. وقوله (من الإسرا): بيان لما. والإسرا

---

(١) قطعة من حديث طويل. أخرجه أبو يعلى في مسنده، باب: وإنّي ادّخرت دعوتي لأمّتي، ٢٨٦٠.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك، باب: تفسير سورة الأحزاب، ٣٥٦٦، عن العرباض بن سارية، وتتمّة الحديث: وبشارة عيسى، ورؤيا آمنة، وكذلك أمّهات النبيّين يرين، وأنّ أمّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم رأت حين وضعته نوراً أضاء لها قصور الشام. قال الحاكم: هذا حديث صحيح ولم يخرجاه. وعلّق الذهبي: صحيح. انظر المستدرك ٢ / ٤٥٤.

بالقصر هنا، وأصله المدّ، قال في الصحاح: «سَرَيْتُ سُرىً ومَسْرَى، وأَسْرَيْتُ بمعنى: إذا سَرْتُ ليلاً، وبالألف لغة أهل الحجاز. وأسْرَاه وأسَرَى به ـ مثل أخذ الخطام وأخذ بالخطام ـ وإنّما قال الله عزّ وجلّ: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [١٧/ الإسراء/ ١] وإنْ كان السُرى لا يكون إلّا بالليل للتأكيد، كقوله: سرت أمسِ نهاراً، والبارحة ليلاً. وقال في القاموس: «السُرَى، كالهدى سَيْرُ عامّة الليل. وأسْرَى بعبده ليلاً تأكيداً. أومعناه: سَيَّرَه». والحاصل: إنّ الإسراء هنا السير بالحقّ تعالى في حقائق أعيان الأكوان، والغوص في بحار ظلمات تلك الأعيان، حتّى ينتهي بالتحقّق بفنائها إلى حقيقة الوجود الحقّ. وليس هذا المعنى بمخصوص بالأنبياء عليهم السلام بل لورثتهم من الأولياء تحقّق فيه، كما عمل الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه في ذلك كتاب «الإسرا ». وقوله (به): متعلّق بـ (خُصِصْتُ). وقوله (دون أُسْرَتِي): بالضمّ، قال في القاموس: «الأُسْرَةُ بالضمّ من الرجل: الرَّهْطُ الأَدْنَوْنَ». وفي الصحاح: «أَسَرَ قَتَبَهُ، يأسِرُهُ أَسْراً: شدّه بالإسار، وهو القَدُّ. وأُسْرَة الرجل رهطه»؛ لأنّه يَتَقَوَّى بهم. والمراد هنا رفقته وأتباعه من المريدين. يعني: إنّهم بَعْدُ لم يبلغوا مقامي، ولم يشربوا من شرابي. وقوله (مَدارِسُ): جمع مِدْرَاس، وهو الموضع يُقرأُ فيه القرآن. ومنه مَدارِسُ اليهود، كذا في القاموس. وقوله (تنزيل): هو في الأصل مصدر نزّله تنزيلاً. والتنزيل أيضاً الترتيب، كما في الصحاح، و أشار بذلك إلى الكلام الإلهيّ المُنزل في حروف الكائنات، وكلماتها، وآياتها، وسورها، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ﴾ [٤١/ فصّلت/ ٣٧] وقال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾ [٢٠/ الروم/ ٢٢] إلى غير ذلك فهي مَدارس، مواضع درس الآيات والسير الإلهيّة، هذا ما قلنا في مطلع قصيدة:

افتح عيونك في الآيات والسور ... واحذر غرورك بالأشباح والصور

والحقّ تعالى هو التالي لتلك الآيات، والدارس لها، من الدَرْس، وهو القراءة. والدرس بمعنى المحو والإزالة، قال تعالى: ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٥٢] أي: نظهرها، أو نظهر تلوّها، أي: بعد درسها. بمعنى محوها وإزالتها. وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [٧٥/ القيامة/ ١٨-١٩]. وقوله (مَحَارِسُ): جمع محرس بالحاء المهملة والسين المهملة: من الحِراسة، أي: هي مواضع الحِراسة، وهي الحِفْظُ، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [١٥/ الحجر/ ٩] وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ [٨٥/ البروج/ ٢٠-٢٢]. وقوله (غبطة): مضاف إليه. والغِبْطَة: أنْ تتمنّى مثل حال المَغْبُوط من غير أن تريد زوالها عنه، وليس بحسد، تقول: منه غَبَطْتُه بما نال أَغْبِطُهُ غَبطاً وغِبْطَةً فاغْتَبَطَ، هو كقولك مَنَعْتُه فامْتَنَع، وحبسته فاحتبس، كذا في الصحاح. يعني: تغبط تلك المحارس لما فيها من كمال الحراسة لها والحفظ، بحيث لا يتصوّر استباحة حُرَمِها، ولا انتهاك حُرْمَتِها لعزّة حاميها، وارتفاع مراميها. وقوله (مَغَارِس): جمع مَغرِس، وهو موضع الغَرْس. وقوله (تأويل): هو تفسير الكلام بأحد محتملاته. وقال في الصحاح: «التأويل تفسير ما يؤول إليه الشيء، وقد أوّلَه تأويلاً». والمعنى: إنّ هذه الكائنات كلّها مغارس المعاني الإلهيّة والتأويلات الربّانيّة، تظهر للعقول على طبق موارد النقول. وقوله (فوارس): جمع فارس، قال في الصحاح: «الفارس راكب الفرس، أي: صاحب فرس. ويجمع على فوارس، وهو شاذّ لا يقاس عليه». وقوله (مِنْعَةِ): يقال مكان مَنِيع. وقد مُنِع بالضمّ مَناعَةً، وفلان في عِزَّة ومَنَعَةٍ بالتحريك. وقد يُسَكَّن، أي: هو في عِزٍّ مَنْ يَمْنَعُه من عشيرته، كذا في الصحاح. يعني: إنّها فوارس العِزّ الإلهيّ، والحماية الربّانيّة، من قوله سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [٤٨/ الفتح/ ٤]/ [٢٤٧/ ب] وقوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [٧٤/ المدثر/ ٣١].

٥٧١- وَمَوْقِعُهَا فِي عَالَمِ الجَبَرُوتِ مِنْ مَشَارِقِ فَتْحٍ لِلْبَصَائِرِ مُبْهِتِ
٥٧٢- أَرَائِكُ تَوْحِيْدٍ مَدَارِكُ زُلْفَةٍ مَسَالِكُ تَمْجِيْدٍ مَلَائِكُ نُصْرَةِ

(وموقعها): أي الكائنات المذكورة. والموقع موضع الوقوع، قال في الصحاح: «مَوَاقِعُ الغَيْثِ مساقطه. ويقال: وَقَعَ الشيءُ مَوْقِعَه، ومَوْقَعَةُ الطائر بفتح القاف: المَوْضِع الذي يَقَعُ عليه». وقوله (**في عالَم**): بفتح اللام. وقوله (**الجَبَرُوت**): بالتحريك من الجَبْر، وهو القَهْرُ، قال في القاموس: «الجَبَّار: المُتَكَبِّر الذي لا يرى لأحد عليه حقّاً، فهو بَيِّن الجِبْرِيَّة والجِبْرِياء مكسورتين. والجِبِرِيَّة بكسرات، والجَبْرِيَّة والجَبَرُوَّة والجَبَرُوتِي محركات» انتهى. فكأنّها مصادر من الجَبْرِ، خلاف الكَسْر، وبمعنى التكَبُّر. وقال في الصحاح: «الجَبَّار الذي يقتل على الغضب. والمُجَبِّر الذي يُجَبِّرُ العظام المكسورة. وتَجَبَّرَ الرجل: تَكَبَّرَ». **فالجبروت على هذا** إمّا من **صفات الجلال**، أو من **صفات الجمال**. وهو هنا **عالم** العقول. [و] إمّا **المَلَكِيَّة**، وهي ملائكة العذاب، أو ملائكة الرحمة. وإمّا **البشريّة** وهي العقول الضّالّة المدبرة، أو المهتديّة المقبلة. وقد ورد في الحديث: «أول ما خلق الله العقل فقال له أقبل، وقال له أدبر، ثمّ قال : وعزّتي وجلالي، لا خلقت خلقاً أضعك فيه، فبك أعطي، وبك أمنع، وبك أخفض، وبك أرفع»(١). ومعنى أقبل، أي: عليَّ. ومعنى أدبر، أي: عنِّي. فمن العقول الملكيّة والبشريّة العقول المقبلة على شهود الحقّ تعالى في كلّ شيء. والعقول المدبّرة المعترضة عن شهود الحقّ تعالى، فلا تشهد إلّا للخلق. ومنها ما يكون مقبلاً فيصير مدبراً، ومنها ما يكون مدبراً فيصير مقبلاً. بحسب تصرّف الحقّ تعالى فيها، بلا صنع من العبد. وتصرّف الحقّ تعالى من الأزل على مقتضى علمه سبحانه، وتقديره، وقدرته، وإرادته. وقوله (**من مشارق**): جمع مشرق، وهو موضع الشروق، أي: طلوع نور الوجود الحقّ، وإنشاره على صفحات

---

(١) انظر تخريجه في ص١٠٣٨.

التقادير العدميّة، والتصاوير الإمكانيّة المسمّاة بالخلق والكون. وقوله (فتح): مضاف إليه منكّر للتعظيم. والفتح: مصدر فَتَحَ كمَنَعَ ضدّ أَغْلَقَ، كذا في القاموس. قال تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [٣٥/ فاطر/ ٢] فالفتح على العقول إظهارما فيها من أسرار الوجود الحقّ، وهو الفتح المبين، الذي تضمحلّ به رسوم العبد السالك. ويخرج به إلى النور من الظلام الحالك. وقوله (للبصائر): جمع بصيرة، وهو عين القلب، متعلّق بمُبهتِ. وقوله (مُبْهِتٍ): بصيغة اسم الفاعل، وصف لفتحٍ، من البَهْت، وهو الحَيْرَة، بَهِتَ كعَلِمَ ونَصَرَ وكَرُمَ وزُهِيَ، وهو مَبْهُوت لا بَاهت ولا بَهِيت، كذا في القاموس. وقال في الصحاح: «بَهِتَ الرجلُ، بالكسر: إذا دَهِشَ وتحيَّر. وبَهُتَ بالضمّ مثله. وأفصح منها بُهِتَ، كما قال تعالى: ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ [٢/ البقر/ ٢٥٨]. وقوله (أَرَائِكُ): قال في الصحاح: «الأَريكة سرير متخذ مزيَّن في قبة أو بيت. فإذا لم يكن فيه سرير فهو حَجَلَة. والجمع: الأرائك». وقوله (توحيد): أي اعتقاد وحدانيّة الله تعالى، وهو قوله سبحانه: ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ [٨٣/ المطففين/ ٢٣] أي: يشهدون الوحدانيّة الإلهيّة من فوق صور أجسامهم وأرواحهم. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ﴾ [٥٤/ القمر ٥٤-٥٥] وقوله (مدارك): جمع مدرك، وهو موضع الإدراك، أو مصدر ميمي بمعنى الإدراك، وهو اللحوق، ويقال: مشيت حتّى أدركته، وعشت حتّى أدركت زمانه، وأدركته ببصري، أي: كذا في الصحاح. وقوله (زُلْفَةٍ): أي قرب/ [٢٤٨/ أ] قال في الصحاح: «الزُّلْفَةُ والزُّلْفَى: القُرْبَة والمَنْزِلَة». يعني: هي إدراكات قربات ومنازل عند ذي الجلال. وقوله (مَسَالِكُ): جمع مَسْلَك، وهو الطريق. من سَلَكْتُ الشيءَ في الشيء فَانْسَلَكَ، أي: أَدْخَلْتُهُ فيه فدخل، قاله في المصباح. وقوله (تمجيد): من المجد، وهو نيل الشرف والكرم، ولا يكون إلّا بالآباء، أوكرم الآباء خاصّة. مَجَدَ كنَصَرَ، وكَرُمَ. مَجْداً ومَجَادَة فهو: ماجِد ومَجِيد. وأَمْجَدَهُ: عَظَّمَه، وأثنى عليه، وتماجَد:

ذَكَرَ مَجْدَه، كذا في القاموس. وقال في الصحاح: «التَّمْجِيْد أنْ يُنْسَبَ الرجل إلى المجد». يعني: هي طرق لتحصيل المجد والشرف في الدنيا والآخرة. وقوله (مَلَائِكُ): جمع مَلَك، قال في الصحاح: «المَلَكُ بالتحريك، أصلُه مَأْلَك، بتقديم الهمزة، من الأَلوك، وهي الرسالة. ثمّ قُلبت وقدّمت اللام فقيل مَلْأَك، ثمّ تُركت همزته لكثرة الاستعمال، فقيل مَلَك. فلمّا جمعوه ردّوها إليه فقيل ملائكة وملائك أيضاً». وقوله (نُصْرَةٍ): هي حُسْنُ المعونة، كذا في القاموس. وقال في الصحاح: «نَصَرَهُ الله على عدّوه يَنْصُرُهُ نَصْراً. والاسم: النُّصْرَة» أي: هم ملائكة للنصر، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [٣١/الأنبياء/ ١٠١-١٠٣] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [٤١/ فصّلت / ٣٠-٣١] أي ناصرون لكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

٥٧٣- وَمَنْبَعُهَا بِالفَيْضِ فِي كُلِّ عَالَمٍ لِفَاقَةِ نَفْسٍ بِالْإِفَاقَةِ أَثْرَتِ

٥٧٤- فَوَائِدُ إِلْهَامٍ رَوَائِدُ(١) نِعْمَةٍ عَوَائِدُ إِنْعَامٍ مَوَائِدُ نِعْمَةِ

(ومَنْبَعُهَا): أي الكائنات، أي: موضع نبعها، أوهو مصدر ميمي. بمعنى نبعها، يقال: نَبَعَ الماء يَنْبَعُ ويَنْبُعُ ويَنْبِعُ بتثليث الباء [نَبْعاً و] نُبُوعاً: خرج، أشار إليه في الصحاح. وقوله (بالفيض) يقال: فاض الماء يَفِيضُ فَيْضاً وفَيْضُوضَة: كَثُر حتّى سال على صفة الوادي، وأرض ذات فُيُوض: إذا كان فيها مياه تفيض، كذا في الصحاح، والإشارة بذلك إلى إفاضة العلوم الإلهيّة، والمعارف الربّانيّة. وقوله

---

(١) في (ق): زوائد.

(**في كلّ عالَـم**): بفتح اللام، كعالَمِ الإنسان، وعالَمِ الحيوان، وعالَمِ النبات، وعالَمِ الجمال، وعالَمِ الخيال، وغير ذلك. وقوله (**لِفَاقَةِ**): الجار والمجرور: خبر المبتدأ الذي هو منبعُها، والفاقة: الفقر والحاجة. وافتاق الرجل، أي: افتقر، كذا في الصحاح. وقوله (**نَفْسٍ**): نكَّرها للتعظيم. وقوله (**بالإفاقة**) متعلِّق بأَثْرَتِ. والإفاقة: مصدر أَفَاقَ المجنون إفاقَةً: رجع إليه عقله، وأفاق السكران إفاقة. والأصل مصدر أفاق من سُكْره، كما يقال استيقظ من نومه، كذا في المصباح. وقوله (**أَثْرَتِ**): بكسر التاء للقافية، يقال: أَثرى الرجلُ: إذا كثرت أمواله، كذا في الصحاح. وقال في المصباح: «الثَرْوَةُ: كَثْرَةُ المال، وأَثْرَى إِثْراء: استغنى. والاسم منه: ثَراء، بالفتح والمدّ». والمعنى إنّ النفس التي فقرها إلى الحقّ تعالى ذاتي، استغنت بالغيبة عنها، والإفاقة من سُكْر عقلها، وهو استغناؤها بالله تعالى عمن سواه، قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [٩٦/ العلق/ ٧] أي: رأى نفسه، فإنّ من رأى نفسه رأى ربّه متجلّياً بصورة نفسه، فيحصل له الاستغناء حينئذٍ، ورؤيته بربّه هي إفاقته من سكر دعوى نفسه وطغيانه، زيادته في العرفان، والعلم الإلهيّ، كما قال: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ﴾ [٦٩/ الحاقة/ ١١] وهو العلم من قوله: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [١١/ هود/ ٧] ﴿حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾ [٦٩/ الحاقّة/ ١١] وهي النفس المذكورة، وهذا تفسير الإشارة، لا العبادة، والكلام لك يا كنّة فاسمعي يا جارة. ثمّ أخبرنا عن المنبع بقوله (**فوائد**):/ [٢٤٨/ ب] جمع فائدة. وقوله (**إلهام**): مضاف إليه، والإلهام: إلقاء المعنى في النفس، سواء كان خيراً أو شرّاً قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [٩١/ الشمس/ ٨]. وفوائد الإلهام هي العلوم الإلهيّة. وقوله (**روائد**): بالراء المهملة جمع رائد من الرَوْد، وهو الطلب، والذهاب والمجيء، كذا في القاموس. وقال في الصحاح: «راد الشيء يرود، أي: جاء وذهب». وقوله (**نعمة**): بفتح النون هي التنعم. بمعنى التَرَفُّه. قال في القاموس: «التنعّم الترفُّه، والاسم: النَّعْمَة بالفتح». والمعنى: الترفّهات تتردّد المرَّة بعد المرّة.

وقوله (عوائد): جمع عائدة. وقوله (إنعام): مصدر أنعم الله علينا إنعاماً. والاسم النعمة بالكسر، قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ [١٤/ إبراهيم/ ٣٤] فإنّ كلّ متّصف بالوجود منعم عليه، وبه على غيره. ولنا في هذا المعنى مما في ديواننا:

شكرت إلهي باللسان تعبّداً وبالقلب والأركان منّي تقصّداً

فأشهدني شكري له نعمة بدت ونعمة إشهادي تلتها لأشهدا

فأعجزني عن شكر نعماه دائماً فصيّرت شكري عنه عجزي على المدى

وشاهدت عجزي منه أكبر نعمة وذا القول إنعاماً أراه تجدّدا

فقلت إلهي لست أحصي لك الثنا فكن أنت عنّي شاكراً لك سرمداً

وقوله (موائد): جمع مائدة، قال في المصباح: «مَاد مَيْدَاً، من باب باع، ومَيَدَاناً بفتح الياء: تحرّك، ومَادَه مَيْدَاً: أعطاه. والمائدة: مشتقّة من ذلك، وهي فاعلة بمعنى مفعولة، لأنّ المائد مادَهَا للناس، أي: أعطاهم إيّاها، وقيل: مشتقة من مادَ يَمِيد: إذا تحرّك، فهي اسم فاعل على الباب». وقوله (نِعمة): بكسر النون، اسم مصدر من الإنعام، ولنا من ذلك في ديواننا قولنا في مطلع أبيات:

إنّي أنا المكتوب في الطرس لا يهرب الكلب من العرس

موائد الإحسان ممدودة والفضل ملء العرب والفرس

والكلّ إنعام عليهم بهم من كلّ نوع كان أو جنس

٥٧٥- وَيَجْرِي بِمَا تُعْطِي الطَّرِيْقَةُ سَائِرِي عَلَى نَهْجِ مَا مِنِّي الحَقِيْقَةُ أَعْطَتِ[1]

(ويجري): من الجري، وهو السير السريع. وقوله (بما): أي بالذي، متعلّق بـ (يجري). وقوله (تعطي): أي: تعطيه الطريقة، وهي السلوك إلى معرفة الله تعالى

---

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: بلغ مقابلة على مؤلّفه رضي الله عنه وأرضاه.

من مكارم الأخلاق، ومحاسن الأحوال، كالصبر، والشكر، والزهد، والتقوى، والورع، والإخلاص، واليقين إلى غير ذلك. وقوله (سائري): فاعل يجري، أي: جميعي ظاهراً وباطناً. والمراد: ما بقي مِنِّي، لأنّه من سَئِرَ الشيء سُؤْرَاً، من باب شرب: بَقِيَ، فهو سائر، قال الأزهري: واتفق أهل اللغة أنّ سائر الشيء: باقيه، قليلاً كان أو كثيراً. وقال الصنعاني: سائر الناس باقيهم، وليس معناه جميعهم، كما زعم من قَصُرَ في اللغة باعه، وجَعْلُهُ بمعنى الجميع من لَحْنِ العوام. ولا يجوز أنْ يكون مشتقاً من سُورَ البلدُ لاختلاف المادّتين، ذكره في المصباح. ويحتمل أن يكون سائري، أي: السائرين منِّي، اسم فاعل من السَّيْرِ، وهو السلوك في طريق الله تعالى، ويكون على طريقة التجريد البياني، كقولك رأيت من زيدٍ أسداً. ويؤيِّده قوله (على نهج): متعلِّق بيجري أيضاً، قال في المصباح: «النَّهْج مثلُ فَلْس: الطريق الواضح، ونَهَجَ الطريق يَنْهَجُ بفتحتين نُهُوجَاً: وَضَحَ واستبان. وأَنْهَجَ بالألف مثلُهُ ونَهَجْتُهُ وأَنْهَجْتُهُ: أوضحته، يستعملان لازمين ومتعديين». وقوله (ما): أي الذي. وقوله (منيّ): متعلِّق بأعطتِ. وقوله (الحقيقة): مبتدأ، وحقيقة الشيء: مُنتهاه، وأَصله المشتمل/[٢٤٩/أ] عليه، وحَقَقْتُ الأمرَ أَحُقُّهُ: إذا تَيَقَّنْتُهُ، أو جعلته ثابتاً لازماً. وفي لغة بني تميم أَحْقَقْتُهُ بالألف، وحَقَّقْتُهُ بالتثقيل مبالغة، كذا في المصباح. والمراد بالحقيقة: ما يكشف عنه السالك من قيام الخلق بالخالق، ومعرفة الأمر الإلهيّ على ما هوعليه في نفسه، وهو منتهى سيرالسالكين. وقوله (أَعطتِ): بكسر التاء للقافية، وأصله أعطته. والجملة خبر المبتدأ. والتقدير: على نهج الأمر الذي أعطته الحقيقة منِّي، وهذا مقام الكاملين الذي لم يُطفِئ نور معرفتهم نورَ ورعهم؛ فهم قائمون بأحكام الشريعة المحمّديّة ظاهراً وباطناً، ومتخلِّقون بالأخلاق المحمّديّة ظاهراً وباطناً، ومتحقِّقون بالحقيقة المحمّدية ظاهراً وباطناً، والله الموفق لما يشاء.

٥٧٦- وَلَمَّا شَعَبْتُ الصَّدْعَ وَالْتَأَمَتْ فُطُوْ رُ شَمْلٍ بِفَرْقِ الوَصْفِ غَيْرَ مُشَتَّتِ

٥٧٧- وَلَمْ يَبْقَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ تَوَثُّقِي بِإِيْنَاسِ وُدِّي مَا يُؤَدِّي لِوَحْشَةِ

٥٧٨- تَحَقَّقْتُ أَنَا فِي الحَقِيْقَةِ وَاحِدٌ وَأَثْبَتَ صَحْوُ الجَمْعِ مَحْوَ التَشَتُّتِ

(ولمّا شَعَبْتُ): من الشَعْب، كالمَنْع: الجَمْع، كذا في القاموس. وقال في الصحاح: «شَعَبْتُ الشيءَ فَرَّقْتُه، وشَعَبْتُه: جَمَعْتُهُ، وهو من الأضداد، تقول: الْتَأَمَ شَعْبُهُم: إذا اجتمعوا بعد التفرُّق، وتفرَّق شَعْبُهُم: إذا تفرّقوا بعد الاجتماع. الشَعْبُ هنا بمعنى الجمع، والالتآم، والضمّ. وقوله (الصَّدْع): أي الشَّقُّ، يقال: صَدَعْتُهُ فانْصَدَع، أي: انشق. والتَصدِيعُ: التَفْريقُ، وتَصَدَّعَ القوم: تَفَرَّقُوا كذا في الصحاح. والألف واللام في الصدع عوض عن المضاف إليه، أي: صدعي، وهو تفريقه عن الاتّصال بربّه. فاعل بمفعول، ومحرّك بمتحرّك، ومصوِّر بمتصوَّر. وهنا التفريق يقتضي القيام بالنفس، والغفلة عن شهود الربّ تعالى. وشَعْبُ هذا الصدع: شهودُ العبد رجوعه إلى أنّه فعل ربّه لا استقلال له دون ربّه تعالى، فهو قائم به قيام الظلّ بالشاخص، والمعدوم المقدّر بالوجود الحقّ. وقوله (والْتأَمَتْ): أي انجمعت وانضمّت. وقوله (فطور): جمع فطر، قال في القاموس: «الفَطْرُ: الشُّقُّ. وجمعه: فُطُور وفَطَرَه يَفْطِرَه شَقَّهُ فَانْفَطَر وتَفَطَّرَ». وقوله (شَمْلٍ): مضاف إليه، وتنكيره للتعظيم، والشَمْلُ: ما اجتمع من الأمر، قال في الصحاح: «جمع الله شملهم، أي: ما تشتت من أمرهم، وفَرَّقَ الله شَمْلَهُ، أي: ما اجتمع من أمره". فعلى هذا الشَّمْلُ من أسماء الأضداد، يقال للمتفرّق وللمجتمع من الأمر. والمراد هنا: المجتمع والمعين، إنّ ما تشقّق وتكسّر من الشمل فقد التأم وانجمع. وقوله (بفرق الوصف): متعلّق بمُشَتَّتِ. وفرق الوصف هوالفرق بمجرّد الوصف، أي: لا بالذات؛ فإنّ الذات واحدة، والأوصاف هي المتعدِّدة في نفسها، فمنها أوصاف روحانيّة، وأوصاف نفسانيّة، وأوصاف جسمانيّة، وذلك في كلّ إنسان

وحيوان، ونبات، وجماد، ومَلَك، وجنّي، وغير ذلك من أنواع العوالِـم. والذات واحدة. وجميع تلك الأوصاف قائمة بها، فانيّة مضمحلّة فيها. والذات بهذا الاعتبار كثيرة، متعدِّدة بتعدّد تلك الأوصاف الكونيّة الاعتباريّة، كما قيل: لتعلَمْ أنّي واحد وكثير، وقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [١٣/ الرعد/ ٣٣] وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ﴾ [٨٥/ البروج/ ٢٠] وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطُۢ﴾ [٤١/ فصّلت/ ٥٤]. وقوله (غير): بالجرّ، نعت لشمل. وقوله (مُشَتَّتِ): أي: مفرّق. والمعنى: إنّ ذلك الشمل في نفس الأمر غير مُشَتَّت ولا مفرّق؛ وإنّما تفريقه وتشتيته بحسب الأوصاف النفسانيّة من قوله تعالى: ﴿أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ [١٨/ الكهف/ ٢٨] فمقتضى الإغفال هو التفريق والتشتيت. وهو فعل من أفعال الربّ تعالى بعبده. كما أنّ العبد وجميع أعماله فعل من/ [٢٤٩/ ب] أفعال الربّ سبحانه؛ فالتفريق والتشتيت لا تفريق ولا تشتيت، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [٣٧/ الصافات/ ٩٦] أي: وأعمالكم. وقوله (**ولم يبقَ ما بيني وبين توثقي**): أي اعتصامي واستمساكي بالأمر الوثيق القوي المتين، من قوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [٣/ آل عمران/ ١٠٣] وحبله أمره الذي قام به كلّ شيء، وهو وجوده الظاهر الذي به كلّ شيء موجود، مع أنّ كلّ شيء هالك، فانٍ، مضمحلّ، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ﴾ [٩٥/ الطلاق/ ٥] فأنتم غيره بما به أنتم فانون مضمحلّون معدومون بالعدم الأصلي، وأنتم عينه بما أنتم به موجودون فاعلون. وقوله (**بإيناس**): متعلّق بـ(**يبقَ**)، والباء للسببيّة. والإيناس خلاف الإيحاش، وهو حصول المباسطة. وقوله (**ودِّي**): مضاف إليه، قال في القاموس: «الوُدُّ والوِدَاد: الحِبُّ، ويثلّثان، أي: بسبب إيناسه لي محبّة ومودّة؛ لأنّ من أسمائه تعالى الودود، وهو الكثير الودّ. وقوله (**ما**): أي أمر من الأمور فاعل يبقى. وقوله (**يؤدِّي**): صفة ما، أي: يوصل. وقوله (**لوحشة**): نكّرها للتعميم. والوَحْشَةُ: خلاف الأُنْس، قال في القاموس:

«الوَحْشَةُ: الهَمُّ والخوف». وقوله (تحقّقت): قال في الصحاح: حَقَّقْتُ الأمر وأَحَقَقْتُهُ أيضاً: إذا تَحَقَّقْتُه، وصرت منه على يقين». وقوله (أَنَا): أي أنا والوجود الحقّ. وقوله (في الحقيقة): أي في نفس الأمر، لا بحسب ما يظهر للعقل والحسّ. وقوله (واحد): أي لا ثاني له؛ لأنّه وجود حقّ، وكلّ شيء سواه تقديره، وتصويره عدم محض، لم يشمَّ رائحة الوجود، وما أدراك ما العقل؟ وجود كلّ شيء، وكذلك إدراك الحسّ ذلك فهو جهل بالحقيقة، وغلبة وَهْم على العقل والحسّ، قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ٢٥-٢٧] خطاب للعقل والحسّ. وللعارف الكامل عفيف الدين التلمسانيّ قوله من أبيات:

شمس ومطلعها ذاتي ومغربها بين السوادين من قلبي ومن بصري

وإنّما عرف أنّها شمس، وأنّ مطلعها ذاته ببصيرة الإيمان، فإنّه نور يقذفه الله تعالى في قلب العبد المؤمن، فيعرف به ربّه، ولا يحتاج إلى عقله ولا إلى حسّه؛ وإنّما يدرك بعقله وحسّه مخلوقات ربّه تعالى في الدنيا والآخرة، فالفاني يدرك الفاني، والباقي يدرك الباقي؛ فإنّ الإيمان هو الباقي، ومن أسمائه تعالى المؤمن، وقد سَمَّى به عبده لهذا السرّ العظيم، والنور المستديم. وقد وردت علينا هذه الأبيات في هذا المحلّ فأثبتناها، وهي قولنا:

سكرت بخمر العقل والحسّ مدّة وأعقب صحوي منهما سكر إيماني
وإنّي لبالإيمان صاح وإنّني لسكران بالإيمان إيمان إيقان
ألا فاعجبوا ممن يقلّب في الورى قلوباً وأبصاراً لإظهار إنسان
وما ذلك الإنسان غير تقلّب يكون كما قد جاء في نصّ قرآن
فإنْ ذهب التقليب فالكلّ ذاهب ولم يبقَ إلّا واحد ما له ثاني
هو المؤمن الحقّ الذي نحن لم نزل بإيمانه أصحاب كشف وعرفان

ومـا الكـشف والعرفـان إلّا شـؤونه كـما كـلّ يـوم قـال لي هـو في شـأن

وقوله (**وأثبت صحو**): مرفوع على إنّه فاعل أَثْبَتَ. وقوله (**الجمع**): مضاف إليه، وهو الجمع على الوجود الحقّ الذي كلّ يوم هو في شأن فبأي آلاء ربّكما يا عقل ويا حسّ تكذِّبان. وقوله (**مَحْوَ**): بالنصب، مفعول أثبت، أي: إزالة. وقوله (**التشتّت**): أي التفريق، وهو مقام الأغيار الناشئ من إدراك العقل والحسّ، المكذبين بآلاء ربّهما، جلّ وعلا كما أشار تعالى إلى ذلك.

٥٧٩- فَكُـلِّي لِـسَانٌ نَـاظِرٌ مِـسْمَعٌ يَـدٌ لِنَطْـقٍ وَإِدْرَاكٍ وَسَـمْعٍ وَبَطْـشَةِ

/ [٢٥٠/ أ] (فكلِّي): الفاء للتفريع على ما سبق في البيت قبله من معنى الاتّحاد، الذي هو كناية عن قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [١٣/ الرعد/ ٣٣] وقوله تعالى: ﴿أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [١٠/ يونس/ ٣١]. والمعنى: إنّ الله تعالى يملك ذلك كلّه، لا ما تسمّونه نفوسكم؛ لأنّها فانية معدومة ولا موجود سواه تعالى، فهو المالك لا سواه. وهذا الاتّحاد الذي يشير إليه الناظم قدّس الله سرّه مجمع عليه عند المسلمين. لكن تختلف العبارة عنه فيظنّ الجاهل أنّه اتّحاد في ذات الحوادث، والحوادث معدومة فانيّة عند التحقق بالوجود الحق الواحد، قال العارف عفيف الدين التلمسانيّ قدّس الله سرّه:

وهـل بعـد ضـوء الـشمس يبـدو لـك الـدجا وهـل عنـدها يبقـى عـلى الأفـق مـن نجـم

ولكنّ الجاهل لمّا كان في الظلمة، ظلمة نفسه وطبعه، ظنَّ أنّ الكلام عنه وعن ظلمته. وهيهات هيهات أنْ تعرف الخفافيش ضوء الشمس، قال القشيري في رسالته قدّس سرّه:

لـــيلي بوجهـــك مـــشرق وظلامـــه في النـــاس ســـاري

النـــاس في غـــسق الظـــلام ونحـــن في ضـــوء النهـــار

هذا مقدار ما يمكننا من الردّ عن أولياء الله تعالى المتحقّقين بمعرفته سبحانه،

والله الموفّق. وقوله (**كلّي**): أي جميعي باطناً وظاهراً من حيث روحي المنفوخ فيّ من أمر ربِّي كما قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨٥]. وقوله (**لسان**) من حيث الحركة والتعبير عن المراد، قال تعالى: ﴿أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [٤١/ فصلت/ ٢١]. وقوله (**ناظر**): أي بصر. يعني: كلّي بصر من حيث إدراك المحسوسات. وقوله (**مِسْمَع**): بكسر الميم الأولى وفتح الثانية: الأُذن. قال في الصحاح: «المِسمَع بالكسر: الأُذن، يقال: فلان عظيم المِسْمَعَيْنِ. يعني: كلِّي أُذن من حيث سماع الأصوات. وقوله (**يد**): أي: كلِّي يد من حيث الأخذ والعطاء والتناول. وقوله (**لِنُطْقٍ**): راجع إلى قوله لسان. وقوله (**وإدراك**): راجع إلى قوله ناظر. وقوله (**وسمع**): راجع إلى قوله مِسْمَع. وقوله (**وَبَطْشَةٍ**): راجع إلى قوله يد، قال في الصحاح: «البَطْشَةُ: السَّطْوَةُ، والأَخْذُ بالعُنف. وقد بَطَشَ به يَبْطُشُ ويَبْطِشُ بَطْشَاً». وهذا معنى الاتّحاد الحقيقيّ في مقام الجمع بعد محو آثار الأسماء والصفات. فإنّ الذي ينطق من الإنسان، ويبصر ويسمع ويبطش؛ إنّما هو في الحقيقة روحه الإنسانيّة، وهي واحدة. واللسان والعين والأُذن واليد آلاتها ومظاهرها التي تظهر بها من حيث أسماؤها وصفاتها، فإذا فنيت عن الآلات والمظاهر كانت هي المسمّاة بتلك الأسماء كلّها والموصوفة بتلك الصفات، فإذا فنيت الروح في أمر الله كان الظهور لله بأسمائه وصفاته، فتحقّق الاتّحاد، وتنزّه الوجود عن الإيجاد وزال ما لم يكن، وحضر من لم يزل، والنازل صعد، والصاعد نزل. ثمّ شرع في بيان هذا الاتّحاد الروحاني الربّانيّ فقال:

٥٨٠- وَعَيْنِيَ نَاجَتْ واللِسَانُ مُشاهِدٌ   وَيَنْطِقُ مِنِّي السَمْعُ وَاليَدُ أَصْغَتِ

٥٨١- وَسَمْعِيَ عَيْنٌ تَجْتَلِي كُلَّ مَا بَدَا   وَعَيْنِيَ سَمْعٌ إنْ شَدَا القَوْمِ تُنْصِتِ

٥٨٢- وَمِنِّيَ عَنْ أَيْدٍ لِسَانِي يَدٌ كَمَا   يَدِي لِي لِسَانِي فِي خِطَابِي وَخُطْبَتِي

٥٨٣- كَذَاكَ يَدِي عَيْنٌ تُرِي كُلَّ مَا ترى وَعَيْنِي يَدٌ مَبْسُوْطَةٌ عِنْدَ بَسْطَتِي[1]

٥٨٤- وِسَمْعِي لِسَانٌ فِي مُخَاطَبَتِي كَذَا لِسَانِيَ فِي إِصْغَائِهِ سَمْعُ مُنْصِتِ

(وعيني): أي الباصرة منّي بعد فنائها في الروح الأمري. وقوله (ناجت): أي تكلّمت عوضاً عن اللسان، من النجوى، وهي السِّرّ، نَاجَاه مُناجاة سَارّه، قال الشاعر: [٢٥٠/ ب]

تكلّم منّا في الوجوه عيوننا فنحن سكوت والهوى يتكلّم

وقوله (واللسانُ مُشاهِدٌ): أي: متّصف بما اتّصفت به العين، وهي المشاهدة كما اتّصفت العين بما هو متّصف به، وهو التكلّم لاتّحادهما في الحقيقة الروحانيّة الأمريّة. وقوله (وينطق منّي السمع): أي الأُذن، قال في الصحاح: «السَّمْعُ سَمْعُ الإنسان، يكون واحداً وجمعاً لقوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ [٢/ البقرة/ ٧] لأنّه في الأصل مصدر قولك: سَمِعْتُ الشيءَ سَمْعَاً». ونُطْقُ الأُذن: اتّحادها مع اللسان في القوة الروحانيّة. وقوله (واليد أصغتِ): بكسر التاء للقافية، أي: اسْتمَعَتْ، يقال: أَصْغَيْت إلى فلان: إذا ملْتَ بسمعك نحوه. كذا في الصحاح. واستماع اليد باعتبار اتّحاد الحواس، ورجوعها إلى القوّة الروحانيّة الأمريّة، كما قال تعالى: ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [٢/ البقرة/ ١٦٥] والقوّة الإلهيّة من تجلي اسمه تعالى القويّ، وهي حقيقة الوجود الحقّ الظاهر بالغلبة والاستيلاء على كلّ شيء محسوس، أو معقول، أو موهوم، أو غير ذلك. وبتلك القوّة انخرام الأشياء وفناؤها واضمحلالها ورجوعها إلى عدمها الأصليّ باستتار الوجود الحقّ عنها، كما أنّ وجودها بتجلِّيه عليها، قال العارف عفيف الدين التلمسانيّ قدّس الله سرّه من أبيات له:

لولا انخرام الكلِّ بالقوّة التي لإطلاقها في جمعهن قيود

---

(١) في (ق): سطوتي.

لما عدم الموجود يوماً ولا انقضت رسوم بأنواع البلا وحدود
ولكنّها يأبى النهاية وصفها فليس لها في الدور قطّ جمود
فلو وقفت يوماً بحدّ لنا لها به عدم هيهات وهي وجود

وقوله (وسمعي): أي أُذُنِي. وقوله (عين): باعتبار القوّة المذكورة الواحدة. وقوله (تجْتَلِي): أي تنتظر، قال في القاموس: «اجتلاه نظر إليه». وقوله (كلَّ): بالنصب مفعول تجتلي. وقوله (ما): أي شيء. (بدا): أي ظهر. وقوله (وعيني سَمْعٌ): أي أذن سامعة. وقوله (إنْ شدا): بالشين المعجمة. والدال المهملة، أي: أنشد وغنّى، قال في الصحاح: «شَدَوْتُ الإبلَ شَدْوَاً: سُقْتُها، والشادي: الذي يَشْدُوا شيئاً من الأدب، أي: يأخذ طرفاً منه كأنّه ساقه وتبعه». وقال في القاموس: «شَدَا الإبلَ ساقها، و-الشِّعْرَ: غنّى به، أو ترنّم، وأنشد بيتاً أو بيتين بالغناء، أو أخذ طرفاً من الأدب». وقوله (القوم): فاعل شدا، وهم الجماعة من الرجال والنساء معاً، أو الرجال خاصّة، أو تدخل النساء على التبعيّة، ويؤنّث، وجمعه: أقوام. وقوله (تُنْصِتِ): فعل مضارع مجزوم بأنْ الشرطية لأنّه جوابها، وحُرّك بالكسر للقافية. وقوله (ومنِّي): أي من ذاتي. وقوله (عن [أيدٍ]) جمع يد، أي: صادر ذلك منِّي عن قوى مختلفة، راجعة إلى قوّة واحدة منصبغة بصبغة مرادها، كما قال سبحانه: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾ [٢/ البقرة/١٣٨] وقال في القاموس: «اليدّ القوّة والقدرة». وقوله (لساني يدٌ): يعني القوّة التي أحرّك بها اللسان أحرك بها اليد، فاعمل بها باللسان ما أعمل بها، بل اليد. وقوله (كما يدي لي لساني) أي: أنطق بيدي مكان لساني، ولكنّه قيده بقوله (لي): أي نطقاً ظاهراً إليّ لا لغيري. وقوله (في خطابي): أي مخاطبتي لنفسي، ومكالمتي لها، وكذلك لغيري من أمثالي من العارفين المجرّدين عن العلاقة البشريّة. وقوله (وخُطبتي): بضمّ الخاء المعجمة، قال في القاموس: «خَطَبَ الخَاطِب على المنبر خَطَابَة بالفتح، وخُطْبَة بالضمّ، وذلك الكلام خُطْبَة أيضاً، أوهي الكلام المنثور

المُسْجَع ونحوه. ورجل خَطِيب: حَسَن الخُطبة بالضمّ». قوله (**كذاك**): أي مثل ذلك. وقوله (**يدي عينٌ**): أي بصر. وقوله (**ترى**): أي يدي (**كلّ ما بدا**):/ [٢٥١/ أ] أي العين، ومن هذا الباب كان صلّى الله عليه وسلّم يرى من ورائه كما يرى من أمامه، حتّى تكلّف بعض علماء الرسوم فقالوا: له صلّى الله عليه وسلّم عين بين كتفيه لا تحجبها الثياب، يرى بها من ورائه كما يرى من أمامه، ولم يثبت ذلك، وإنّما كان يرى بكلّه؛ لأنّه صلّى الله عليه وسلّم نور، فلا يحتجب عنه شيء، وحواسّه متّحدة بالقوّة الربّانيّة كما ذكرنا. وقوله (**وعيني يد**): أي أفعل بها ما أفعل بيدي من التناول والأخذ والعطاء. وقوله (**مبسوطة**): أي ممدودة، قال في القاموس: «بَسَطَ يده: مدّها». وقوله (**عند بَسطتي**): أي مسرّتي، قال في القاموس: «بَسَطَ فلاناً سَرَّهُ». وقال في الصحاح: «البَسْطَةُ السَّعَةُ، والانْبِسَاطُ: ترك الاحتشام». وقوله (**وسمعي**): أي أُذني التي أسمع بها. وقوله (**لِسانٌ**): أي آلة للتكلّم. وقوله (**في مخاطبتي**): أي في حال خطابي لمن أُريد أنْ أخاطبه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ﴾ [٣٥/ فاطر/ ٢٢] فلا يتوقّف إسماعه على صوت، ولا لسان. وقوله (**كذا**): أي مثل هذا. وقوله (**لساني في إصغائه**): أي ميله للاستماع. وقوله (**سَمْعُ**): أي أُذُنُ سامعة. وقوله (**منصت**): مضاف إليه بصيغة اسم الفاعل، من نَصَتَ يَنْصِتُ، وانْصَتَ وانْتَصَتَ: سَكَتَ، وأَنْصَتَهُ وأَنْصَتَ له: سَكَتَ، واسْتَمَع لحديثه، كذا في القاموس. وهذا كلّه من اتّحاد الحواس والعقل مع الروح الأمريّ كما ذكرنا. وإنّما يفترق عنها بالصور الجسميّة، والمحال الطبيعيّة، وهذا الأمر ظاهر عند المجرّدين عن العلائق البشريّة، والشهوات النفسانيّة.

٥٨٥- وَلِلشَّمِّ أَحْكَامُ اطِّرَادِ القِيَاسِ فِي اتـ ... ـتِحَادِ صِفَاتِي أَوْ بِعَكْسِ القَضِيَّةِ

(**وللشمّ**): أي للقوّة التي أدرك بها الروائح. وقوله (**أَحكام**): جمع حكم. وقوله (**اطّراد**): **القياس**، أي: جريانه كما تقدّم. وقوله (**في اتّحاد صفاتي**): أي كونها واحدة، وتعددها بسبب محالّها وأماكنها التي تظهر فيها، فقوّة الشمّ هي قوّة

السمع، وقوة البصر، وقوّة النطق، وقوّة البطش. قوله (**أو بعكس القضيّة**): بأن تظهر كلّ قوّة من هذه القوى بقوّة الشمّ فتعمل عملّها طرداً وعكساً.

٥٨٦- وَمَا فِيَّ عُضْوٌ خُصَّ مِنْ دُوْنِ غَيْرِهِ بِتَعْيِينِ وَصْفٍ مِثْلُ عَيْنِ بَصِيْرَتِي

(**وما**): نافية. وقوله (**فِيَّ**): بتشديد الياء خبر مقدّم. وقوله (**عضو**) مبتدأ. وقوله (**خُصّ**) بالبناء للمفعول. وقوله (**من دون غيره**): أي العضو الآخر. وقوله (**بتعيين**): متعلّق بخُصَّ. وقوله (**وصفٍ**): بالجرّ، مضاف إليه، كعضو العين، لا تختصّ بالنظر، بل يحصل بها السمع والذوق والشمّ واللمس والنطق، وكذلك عُضو اللسان لا يختصّ بالنطق، بل يحصل به جميع ما يحصل ببقية الأعضاء، وهكذا كلّ الأعضاء. وسبب ذلك غلبة الروح على طبيعة البدن، وضعف طبيعة البدن بظهور أمر الله الواحد الممدّ للروح، فإنّ أوصاف الأعضاء كلّها هي أوصاف الروح الواحد، ولهذا بعد مفارقة الروح للبدن بالموت الطبيعي تبقى أوصاف الأعضاء كلّها مع الروح الواحد وإنْ بطلت الأعضاء وتعطّلت عن سريان القوى فيها، كما ورد أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في يوم بدر لّما أمر بإلقاء جثث المشركين في قليب بدر وقف على شفيره ونادى الموتى بأسمائهم: «يا فلان بن فلان، هل وجدت ما وعدك ربّك حقّاً، حتى أتى على آخرهم، فقيل له: هل يسمعون وهم موتى؟!. فقال: والله إنّهم لأسمع منكم، غير أنّهم حيل بيننا وبينهم». يعني: تعطلت الآلات التي كانوا يستعملونها في إيصال ما يجدونه إلينا، وهي الأعضاء كلّها، وبقيت الأوصاف عليه. وقوله (**مثل عين البصيرة**): أي عقيدة القلب؛ فإنّها جامعة للإدراك كلّه، ومتّصفة بأوصاف الأعضاء كلّها: الظاهرة والباطنة؛ لأنّها موضع ظهور الروح الحيوانيّ في البدن الإنسانيّ.

٥٨٧- وَمِنِّي عَلَى إِفْرَادِهَا كُلُّ ذَرَّةٍ جَوَامِعَ أَفْعَالِ الجَوَارِحِ أَحْصَتِ

(**ومِنِّي**): أي من جميعي. وقوله (**على إفرادها**) بكسر الهمزة، أي: كُلّ ذرَّة / [٢٥١/ ب] والأصل كلّ ذرّة منّي على إفرادها. وقوله (**جوامع**): جمع بالنصب،

مفعول أَحْصَتِ. وقوله (**أفعال**): مضاف إليه، وهي جمع فعل. وقوله (**الجوارح**) جمع جارحة، وهي أعضاء الإنسان مجرور بالإضافة. وقوله (أَحْصَتِ): بكسر التاء للقافية. يعني: كلّ ذرّة منّي على إفرادها، أي: من حيث هي منفردة باعتبارها في نفسها، مع قطع النظر عن انضمامها إلى غيرها من الذّرات. (أحصتِ): أي جمعت أفعال كلّ الجوارح والأعضاء باعتبار ما قدّمناه.

٥٨٨- تُنَاجِي وَتُصْغِي عَنْ شُهُودِ مُصَرَّفِ بِمَجْمُوعِهِ فِي الحَالِ عَنْ يَدِ قُدْرَةِ

(**تناجي**): أي كلّ ذرّة مني من النجوى، وهي السِّرّ. نَاجَاه مُنَاجَاة ونِجَاءً: سَارَّهُ، كذا في القاموس. يعني: تُشاور الحقّ تعالى في أي مظهر شتات من صور الكائنات. وقوله (**وتصغي**): أي تسمع المناجاة ممن ناجته لرجوع الروح الجزئيّ المنفوخ في بدنه من الروح الكلّي الذي هو من أمر الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ﴾ - أي الكلّي الذي هو منفوخ في كلّ الأبدان - ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْـرِ رَبِّى ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨٥]. وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ ﴾ - وهو الكلّي - ﴿وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾ [٧٨/ النبأ/ ٣٨] وهي الأرواح الجزئيّة المنفوخة من الأبدان المُسوَّاة، وهو الإمام المبين. قال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ [٣٦/ يس/ ١٢] أي: مظهر لأحوال جميع الأرواح الجزئيّة؛ فهو إمامها في تقلّب الأحوال عليها. **وهذا اتّحاد أعلى من الاتّحاد الأوّل**. وهو النزّلة الأولى، والاتّحاد الأوّل هو النزلة الأخرى، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾ معاينة رجل نزلة أخرى . وقوله (**عن شهود**): أي حاصل ذلك له عن معاينة الحقّ تعالى رجل. وقوله (**مُصَرَّف**): بصيغة المفعول، مجرور بالإضافة، وهو الذي صرفه الحقّ تعالى، أي: جعله متصرّفاً. وقوله (**بمجموعه**): متعلّق بمصرَّف. والضمير لمصرّف، أي: في جميع أموره الظاهرة والباطنة. وقوله (**في الحال**): أي في الوقت الذي يكون فيه. وقوله (**عن يد قدرة**): أي حاصلاً ذلك التصرّف له عن يد قدرة إلهيّة، وهو قوله تعالى: ﴿وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْـمَلُونَ ﴾ [٢١/ الأنبياء/ ٢٧].

٥٨٩- فَأَتْلُو عُلُومَ العَالَمِينَ بِلَفْظَةٍ وَأَجْلُو عَلَيَّ العَالَمَيْنَ بِلَحْظَةِ

٥٩٠- وَأَسْمَعُ أَصْوَاتَ الدُّعَاةِ وسَائِرِ الـ ـلُّغَاتِ بِوَقْتٍ دَوْنَ مِقْدَارِ لَمْحَةِ

٥٩١- وَأُحْضِرُ مَا قَدْ عَزَّ لِلْبُعْدِ حَمْلُهُ وَلَمْ يَرْتَدِدْ طَرْفِي إِلَيَّ بِغَمْضَةِ

٥٩٢- وَأَنْشَقُ أَرْوَاحَ الجِنَانِ وَعَرْفَ مَا يُصَافِحُ أَذْيَالَ الرِّيَاحِ بِنَسْمَةِ

٥٩٣- وَأَسْتَعْرِضُ الآفَاقَ نَحْوِي بِخَطْرَةٍ وَأَخْتَرِقُ السَّبْعَ الطِّبَاقَ بِخَطْوَةِ

(فأتلو): أي أقرأ. وقوله (علوم): جمع علم. وقوله (العالمين): جمع عالَم، بفتح اللام، وهو اسم لما سوى الله تعالى. وجمعه باعتبار تعدّد أنواعه. وعلوم العالمين لا تحصى كثرة. وقوله (بلفظة): أي بكلّمة واحدة تجمع ذلك كلّه إجمالاً، وهي كلمة من كلمات الله التّامّات. قال تعالى: ﴿مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ [١٤/ إبراهيم/ ٢٤] غيرها منفيّ لا موجود؛ لأنّه معدوم، والوجود للحقّ تعالى وحده. ﴿وَفَرْعُهَا﴾ أي: ما يتفرّع على أصلها، وهي العلوم في السماء لارتفاعها عن الحسِّ بكونها معقولة. ﴿تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا﴾ [١٤/ إبراهيم/ ٢٤] وهو ما يؤكل منها، أي: يعلم، وهي معلوماتها. ﴿كُلَّ حِينٍ﴾ أي: وقت على التدريج؛ لأنّه لا يمكن الإحاطة بها دفعة واحدة في وقت واحد بإذن ربّها المحيط بها، قال العارف الكامل في مثل ذلك:

كلّ شيء فيه معنى كلّ شيء فتفطّن واصرف الذهن إلي

وقوله (وأجلو): أي أكشف. (عليَّ): بتشديد الياء. وقوله (العالَمَين): بفتح اللام والميم، تثنية عالَم، أي: عالَم الدنيا وعالَم الآخرة. وقوله (بلحظة): أي نظرة واحدة أنظر بها شيئاً من الأشياء، الجامع كلّ منها لكلّ منها. وبيان ذلك أنّ كلّ شيء ظاهر عن كلمة: كُنْ فيكون/ [٢٥٢/ أ] وهو أمره تعالى، كما قلت في مطلع أبيات لي:

كلّ تحريك تراه وسكون فإشارات إلى كن فيكون

وأمره تعالى جامع، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ﴾ [٥٤/ القمر/ ٥٠] وقال تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦۚ﴾ [٣٠/ الروم/ ٢٥] وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ فوَحَّدَهُ، ثمّ قال: ﴿أَنزَلَهُۥٓ﴾ فوَحَّدَهُ أيضاً ثمّ قال: ﴿إِلَيۡكُمۡۚ﴾ [٦٥/ الطلاق/ ٥] فكَثَّره، وهو الخلق الكثير الظاهر عن الأمر الواحد. وقال تعالى للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ [١٠٨/ الكوثر/ ١] أي: الكَثرة، وهو إرجاع الكثرة إلى الوحدة مع أنّه قال تعالى لغيره صلى الله عليه وسلّم من الغافلين: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ [١٠٢/ التكاثر/ ١] أي: الكثرة؛ لأنّهم في مقام الفرق، وهو إرجاع الوحدة إلى الكثرة. وقوله (**وأسمع أصوات الدّعاة**): جمع داع. وقوله (**وسائر**): أي جميع. وقوله (**اللغات**): جمع لغة، قال في القاموس: «اللغة أصوات يُعَبِّر بها كلّ قوم عن أغراضهم، وجمعها لُغات ولُغُون. ولَغَا لَغْواً: تكلّم. وعطف اللغات على الأصوات، من عطف الخاص على العام لنكتة؛ وهي شرفها بالدلالة على معانيها. وقوله (**بوقت**): أي في وقت واحد. وقوله (**دون مقدار لمحة**): من لَمَحَ كمَنَعَ: اختلس النظر كألْمَحَ، كذا في القاموس. وقال في الصحاح: «لَمَحَهُ وألْمَحَهُ والْتَمَحَه: إذا أبصره بنظر خفيف. والاسم اللُّمْحَة». وقوله (**وأُحْضِرُ**): أي أجْعَل حاضراً. وقوله (**ما**): أي الذي. وقوله (**قد عَزَّ**): أي قَلَّ، فلا يكاد يوجد. وقوله (**للبعد**): أي لأجل بُعد المسافة في حمله، وهو كعرش بلقيس الذي جاء به آصف بن برخيا وزير سليمان بن داوود عليهما السلام وابن خالته. وكان يحفظ الاسم الأعظم، وهوعلم الكتاب. يعني: كتاب الله الذي هو كلمح بالبصر فانسلب الوجود عن العرش في سبأ، واتّصف بالوجود في بيت المقدس قبل ارتداد الطرف؛ وهي سرعة الأمر الإلهيّ الذي قام به الخلق كلّه، قاله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ﴾. وقوله (**ولم يرتدد**): الواو للحال. وقوله (**طرفي**) فاعل يرتدد. وقوله (**إليّ**): بتشديد الياء، متعلّق بـ (يرتدد). وقوله (**بغمضة**): وهي طبقة الجفن الأعلى على الأدنى، وهو معنىً لارتداد الطرف، أي: رجوعه بعد

الانفتاح إلى الانطباق. وقوله (وأَنْشَقُ) يقال: استنشقت الريح: شممتها منه رِيحاً طيبة بالكسر، أي: شممت. وهذه ريح مكروهة النشق؛ يعني: الشَّمِّ، كذا في الصحاح. وقوله (أرواح): جمع ريح، وهي الرائحة، والشيء الطيّب، كذا في القاموس. وقوله (الجِنَان) بكسر الجيم، جمع جَنَّة بالفتح، وهي الحديقة ذات النخل والشجر. والجمع: جِنَان ككِتَاب، كما في القاموس. وهي جِنان الآخرة المذكورة في القرآن بأوصافها الحسان، أو أعمّ من ذلك، فيشمل جنان الدنيا. وغلبة الروحانيّة على الجسمانيّة يوجب الكشف عن ذلك، وعموم الإحساس كالذي كان يكاشف بالجنّة الأخرويّة والنار، فوجد أمّه في النار إلى أن أهدى إليها بعض الحاضرين سبعين ألف لا إله إلّا الله ، كأنّ عملها لنفسه، حتى قال ها هي أمّي خرجت من النار. في قصّة ذكرها السنوسيّ في أواخر شرحه على مقدّمة أمّ البراهين. ونقلها غيره أيضاً. وورد في الحديث قال صلّى الله عليه وسلّم: «مثلت الجنّة في عرض الحائط، وعُرض عليَّ عنقود منها لو أخرجته إليكم لأكلتم منه ما بقيَتْ الدنيا»[1]. وفي حديث حارثة: «رأيت أهل الجنّة في الجنّة يتنعّمون وأهل النار في النار يتعذبون فقال له صلّى الله عليه وسلّم عرفت فالزم»[2] في قصّة ذكرها ابن عطاء الله الإسكندريّ في كتابه لطائف المنن. وغيره أيضاً. أو/ [٢٥٢/ ب] يراد جنان الدنيا بدليل قوله (وعَرْفَ): بالنصب معطوف على أرواح الجنان، و(العَرْف) بالفتح: الريح، بمعنى الرائحة طيبة، كانت أو منتنة، يقال: ما أطيب عَرْفَهُ ذكره في الصحاح. وقوله (ما): أي

---

(١) انظر تخريجه ص٢٤١.

(٢) أخرجه السيوطيّ في الجامع الكبير، باب مسند الحارث بن مالك الليثيّ، ٣٧٢١٢، عن الحارث ابن مالك قال مررت بالنبيّ صلّى الله عليه وسلّم فقال: كيف أصبحت ياحارث، قال: أصبحت مؤمناً حقّا، فقال: انظر ما تقول؛ فإنّ لكلّ شيء حقيقة، فما حقيقة إيمانك؟! فقال: قد عَزَفَتْ نفسي عن الدنيا، وأظمأت نهاري، وأسهرت ليلي، وكأنّي أنظر إلى عرش ربّي بارزاً، وكأني انظر إلى أهل الجنّة يتزاورون فيها، وكأنّي أنظر إلى أهل النار يتضاغون فيها ـ أي: يتباكون ويتصايحون ـ. فقال: يا حارث، عرفت فالزم.

روض، أو زهر رياض. وقوله (**يُصَافِحُ**): من المُصافَحَة، وهي: الأَخْذُ باليَدِ كالتصافح، كذا في القاموس. والمُراد: اللمسّ واكتساب الرائحةعلى وجه الاستعارة التبعيّة. وقوله (**أَذْيال**): جمع ذيل، شبّه الرياح ـ جمع ريح، وهي الهواء ـ بإنسان لابس ثوباً له أذيال، يمرّ بها على الروض، فيعلق بها رائحة الزّهر. وقوله (**بِنَسْمَةٍ**): متعلق بأَنْشَقُ، والتاء للوحدة، أي: بنسمة واحدة، من تَنَسَّمَ: تَنَفَّسَ، وتَنَسَّمَ النَسِيْم: تَشَمْمَهُ، كذا في القاموس. وقوله (**واستعرض الآفاق**): أي: أطلب عرض الآفاق عليّ لأحيط علماً بما فيها، والآفاق جمع أفق، قال في المصباح: «الأُفُق بضمّتين: الناحية من الأرض ومن السماء، والجمع آفاق». وقوله (**نحوي**): أي جهتي. وأصله: القصد، نَحَوْتُ نَحْوَ الشيء، من باب قتل: قَصَدْتُ. فالنحو: القصد، كذا في المصباح. وقال في الصحاح: «النَحْوُ: القَصْد، والطريق، يُقال: نَحَوْتُ نَحْوَكَ، أي: قَصْدَكَ»، وقال في القاموس: «النَحْوُ الطريق والجهة، وجمعه: أنْحَاءٌ ونُحُوٌّ، والقصد يكون اسماً وظرفاً». وقوله (**بخطرة**): متعلّق باستعرض. والخطرة: فعل مرّة من خَطَرَ بباله وعليه، يَخْطِرُ خُطُوراً: ذكره بعد نسيان، كذا في القاموس. وقال في المصباح : الخاطر ما يَخْطِر بالقلب من تدبير أمر، يُقال: خَطَرَ ببالي وعلى بالي خَطْرَاً وخُطُورَاً، من باب ضرب وقعد». وقوله (**وأخترق**) من: خرقته، من باب ضرب: إذا قطعته. وقد استُعمل في قطع المسافة، فقيل: خَرَقْتُ الأرَض: إذا جبتها، كذا في المصباح. وقوله (**السبع الطباق**): أي الطِّباق السبع، وهي السموات السبع. وقوله (**بخَطْوَة**) : بفتح الخاء المعجمة متعلِّق بأخترق، قال في المصباح: «خَطَوْتُ أخْطُو خَطْوَاً: مَشَيْتُ. الواحدة: خَطْوَة، مثل ضَرَب وَضَرْبَة. والخُطْوَةُ بالضمّ: ما بين الرجلين. وجُمع المفتوح خَطَوَات، على لفظه، مثل شَهْوَة وَشَهَوَات. وجمع المضموم: خُطًا وَخُطُوات، مثل: غُرْفَة وغُرَفَات في وجوهها». ويشير بهذا إلى معراج النبي صلّى الله عليه وسلّم بجسمه، وإنْ كان في زمانه يسير بحث رجع وفراشه على سخونته الأولى. قال الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي

قدّس الله سرّه في الباب الرابع عشر وثلاثمئة من كتابه الفتوحات المكيّة: «اعلم أنّ معارج الأولياء بالهمم، وتشاركهم الأنبياء في هذا المعراج، من كونهم أولياء، لا من كونهم أنبياء؛ فيعرج الوليّ بهمّته، وبصيرته على براق عقله، ورفرف صدقه، معراجاً معنويّاً، يناله فيه ما يعطيه خاصّ الهمم من مراتب الولاية والتشريف»... إلى آخر ما بسطه من الكلام في هذا المقام، ولله درّ الإمام المحقِّق العارف شهاب الدّين عمر بن محمّد السهروردي قدَّس الله سرّه، فإنّه قال في كتابه كشف الفضائح اليونانيّة ورشف النصائح الإيمانيّة: «سرت أنوار الوحي المنزل في عوالم قلوب الأصحاب والأتباع، وخلقهم عن الارتهان بالعادات والطباع، وأُفْعِمَتْ[1] لهم سجال اليقين، وصار كلّ منهم غرساً من غروس الدين، حيث قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه تعالى عنه في صبيحة ليلة المعراج: «والذي بعثك بالحقّ نبيّاً ما رأيتَ شيئاً بعين رأسك إلّا رأيته بعين قلبي». قال الشيخ شرف الدين السهروردي المذكور:" فليت شعري، عرج برسول الله صلّى الله عليه وسلّم بقالبه/[٢٥٣/أ] في طباقات السموات، واتّسعت عرصة قلبه وانشرح، حتّى أدرجت فيه السموات". ومذهب أهل الحقّ من أهل السنة والجماعة أنّه عرج بقالبه المتّصف بصفة قلبه لغلبة روحانيّته على جسمانيّته، ويلائم هذا المحل قول القائل:

ثقلت زجاجات أتتنا فُرَّغاً ... حتّى إذا ملئت بصفو الراح
خفَّت فكادت أن تطير بما حوت ... وكذا الجسوم تخفّ بالأرواح

وقال قدّس الله سرّه:

راح الروح وسرى في دمائه ... وأبشاره
فنهض طائر همته من ... أوكار أفكاره
وأزعجه فرط حنوِّه ... واستهتاره

---

(١) أُفعِمَتْ / مُلِئَتْ.

فنضا جلباب الغين والدين حتّى توطّن حريم قاب قوسين، فكما أنّ لرسول الله صلّى الله عليه وسلم عروج بقالبه فلأتباعه ببركة متابعته عروجٌ قلبيٌّ روحانيٌّ. أليس يقول أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: «سلوني عن طرق السماء؛ فإنّي أعرف بها من طرق الأرض». [ما] قال ذلك إلّا بما علم أنّ قلبه صار سماءنا، والطرق التي أشار إليها أندري ما هي؟!. التوبة النصوح، والزهد في الدنيا، وصدق التوكّل، وصفو الرضا، وخالص التسليم، وموافقة في الأقدار، وحراسة القلوب عن الأكدار. هي طرق السماء، لا يزال الإنسان يسلكها بقدم الصدق، حتّى يصير قلبه سماءً محفوظاً من خطف الشياطين، محفوفاً بأنوار اليقين، قال تعالى: ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴾.

٥٩٤- وَأَشْبَاحُ مَنْ لَمْ تَبْقَ فِيْهِمْ بَقِيَّةٌ ... لِجَمْعِي كَـالأَرْوَاحِ خَفَّـتْ فَخَفَّـتِ[1]

٥٩٥- فَمَنْ قَالَ أَوْ مَنْ طَالَ أَوْ صَالَ إِنَّمَا ... يَمُـتُّ بِإِمْـدَادِي لَـهُ بِرَقِيْقَـةِ

٥٩٦- وَمَـا سَـارَ فَـوْقَ المَـاءِ أَوْ طَـارَ فِي ... أَوْ اقْـتَحَمَ النِـيْرَانَ إِلَّا بِهِمَّتِـي

٥٩٧- وَعَنِّيَ مَنْ أَمْدَدْتُهُ بِرَقِيْقَةٍ ... تَـصَرَّفَ عَـنْ مَجْمُوْعِـهِ فِي دَقِيْقَـةِ

٥٩٨- وَفِي سَاعَةٍ أَوْ دُوْنَ ذِلِكَ مَنْ تَـلَا ... بِمَجْمُوْعِهِ جَمْعِي تَـلَا أَلْـفَ خَتْمِةِ

٥٩٩- وَمِنِّيَ لَوْ قَامَتْ بِمَيْتٍ لَطِيْفَةٌ ... لَـرُدَّتْ إِلِيْـهِ نَفْـسُهُ وَأُعِيْـدَتِ

(وأشباح): جمع شَبَح بالتحريك، قال في المصباح: «الشَّبَح الشخص، والجمع: أَشْبَاح، مثل سَبَب وأسباب». وقوله (من لم تبق فيهم بقيّة): وهم العارفون الفانون في تجلّي الوجود الحقّ. الذين فنيت رسومهم، واضمحلّت آثارهم بالكلّيّة. وقوله (بجمعي): أي بسبب وصولهم إلى مقام جمعي، أي: الجمع إليّ من حيث رجوعي إلى حقيقة من فنيت فيه رسومي واضمحلّت آثاري بالكليّة. وقوله

(١) في (ق): خُفَّت فَخَفَّتِ.

(**كالأرواح**): خبر المبتدأ الذي هو أشباح. يعني: أشباحهم بمنزلة الأرواح الصادرة عن أمر الله تعالى الذي هو كلمح بالبصر، كما قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨٥] وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴾ [٤٥/ القمر/ ٥٠]. وقوله (**خفت**): بالخاء المعجمة، أي: تلك الأشباح، وذهبت ثقالة أجسامها العنصريّة، واندرجت ظلمتها في نورانيّة الروح الأمري، ورجّحت الكثافة لطافة، وعادت الزجاجة الإنسانيّة شفافة كما قيل:

رقّ الزجاج وراقت الخمر وتشابها فتشاكل الأمر

فكأنّما خمر ولا قدح وكأنّما قدح ولا خمر

وقال الآخر:

عطس الصبح في الدجى فاسقِنيها هي في كأسها أَمِ الكأس فيها؟

/ [٢٥٣/ ب] وقوله (**فحفّتِ**): بالحاء المهملة وكسر التاء للقافية، أي: أطافت بالعوالم كلّها، قال في المصباح: «حَفَّ القومُ بالبيت: أطافوا به، فهم حَافُّونَ». وقال في الصحاح: «حَفُّوا حوله يَحُفُّونَ حَفّاً أي: أطافوا به واستداروا». قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ [٣٩/ الزمر/ ٧٥] وقوله (**فمن قال**): أي تكلّم من أهل المعرفة بما تكلّم به من الحقائق الإلهيّة، والمعارف الربانيّة، أو من قال بمعنى غلب، قال في القاموس: «القَيْلُ: المَلِك أو من ملوك حِمْيَر يقول ما شاء فَيَنْفُذُ، والجمع أَقْيال. واقتال عليهم: احْتَكَم». فيكون معنى ذلك ما أشار إليه الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه بقوله من معشراته:

لله درّ رجال ما لهم دول وهم يقيمون ما في الدهر من دول

لهم عَنَتْ أوجه الأملاك خاضعة وما لهم أرب في عِلّة العلل

إلى آخر الأبيات. وقوله (**أو من طال**): أي علا وارتفع في مقامات القرب، قال في المصباح: طَالَ الشيءُ طُوْلاً بالضمّ: امتدّ طرفاه، وطالت النخلة: ارتفعت،

وطَال عليَّ القومُ يَطُول طَوْلاً، من باب قال: إذا أَفضل؛ فهو طائل». يعني: من فُضِّل وارتفع على غيره بالكمال والعرفان. وقوله (**أوصال**): يقال صَال عليه: اسْتَطَال. وأَصله: صَالَ الفَحْل يَصُول صَوْلاً: وَثَبَ. قال أبو زيد: إذا وَثَبَ البَعِيرُ على الإبل يقاتلها، قيل استأسد البعيرُ، وصَال صَوْلاً وصِيالاً، الصَّوْلَة: المرّة، والصِّيَالة كذلك، ذكره في المصباح. يعني: من توجّه بصدق أحواله، فانفعلت له الآثار الكونيّة، وتصرّف في عوالم الإمكان. وقوله (**إنّما يَمُتُّ**): بتشديد التاء المثنّاة الفوقيّة، من المَتّ، وهو المَدُّ والنَزْعُ على غَيْر بَكَرَة، والوسيلة، كذا في القاموس. وقال في الصحاح: «المَتُّ: التوسُّل بِقَرَابَة، تقول: فلان يَمُتُّ إليك بِقَرَابَة، والمَوَاتُّ: الوسائل». وقوله (**بإمدادي له**): متعلّق بيَمُتّ. الباء للسببيّة. وقوله (**برقيقة**): متعلّق بإمدادي. والرقيقة هي الروح المنفوخ عن أمر الله تعالى في الهياكل الإنسانيّة، وغيرها من الروح الكلّ، وهو الروح الأعظم، كقرص الشمس، تنبعث عنه جميع الأرواح، كالأشعّة، وهي الرقائق المدّبرة للأجسام، بحكم طبائعها، كما قلنا في مواليا:

الطـائر الـسرّ في أوج الرقيقــة وكــر   ضع حبّذا القلب لـو وأنـصب فخـاخ

واسـتنزلوا عــل ينـزل بــالرداح البكــر   عليك يوماً فتنجو من قيود الفكر

وقوله (**وما سار**): أي مشى، وتقديره أحد من أولياء الله تعالى. وقوله (**أو طار في الهوى**): أي بين السماء والأرض. وقوله (**أو اقتحم**): أي دخل، قال في الصحاح: «اقْتَحَمَ النهرَ: دخله، وقَحَّمَ الفَرَسُ فَارِسَهُ تَقَحِيماً على وجهه: إذا رماه. وأَقْحَمَ فَرَسَه النهرَ فَانْقَحَم [دخله]». وقوله (**النيران**): جمع نار، وهم الذين يدخلون النار بصدق أحوالهم فلا تحرقهم، كتلميذ ابن سليمان الدّاراني قدّس سرّه، وغيره من المتقدّمين والمتأخِّرين. وقوله (**إلّا بهمّتي**): أي بصدق التوجّه إليّ، وكمال الإيقان بي، وفناء الطبيعة النفسانيّة والغيبة عن الوساوس الوهميّة، والأفكار الرديّة بالكلّيّة؛ فإنّ الروح الأمري يمدّ من كان بهذه المنزلة، ويحميه من

الأذيّة؛ لأنّ التأثيرات كلّها به في العوالم الإمكانيّة. وقوله (**وعنّي**): الجار والمجرور متعلّق بـ تصرّف، قُدم عليه للحصر. وقوله (**مَنْ**): أي الذي، مبتدأ. وقوله (**أمددته**): متعلّق صلته، أي: وصلته بإمداد لي، وقويته بقوّتي، قال في الصحاح: «مَدَدْتُ الشيءَ فامْتَدَّ، والمائدة: الزيادة المتّصلة. وقوله(**برقيقة**): متعلّق بأمددت، وهي الروحانيّة الأمرية الممتدّة/ [٢٥٤/ أ] من الروح الأعظم وقوله (**تَصَرَّفَ**): أي صار مُتَصَرِّفاً: بالقبض، والبسط، والمنع، والعطاء، والتقديم، والتأخير، والزيادة، والنقصان، بعوالم الإمكان. وقوله (**عن مَجْمُوعِهِ**): الضمير إلى مَنْ، أي: تصرَّف صادراً عن مجموعة من أعضائه، وقواه الظاهرة والباطنة. وقوله (**في دقيقة**): قال في القاموس: «هي في المصطلح النجوميّ جزء من ثلاثين جزءاً من الدرجة. وقوله (**في ساعة**): هي جزء من أجزاء الجَديدَين، والوقت الحاضر. وجمعها ساعاتٌ وساعٌ، كذا في القاموس. وقوله (**أو دون ذلك**): أي أقلّ من ساعة. وقوله (من تلا): أي وجد الإنسان الذي تلا، أي: تبع، قال في الصحاح: «تَلَوْتُ الرجلَ أَتْلُوهُ تُلُوّاً: إذا تبعته. يقال ما زلت أَتْلُوهُ حتى أَتْلَيْتُهُ: أي تَقَدَّمْتُهُ، وصار خلفي». وقوله (**بمجموعه**): أي بظاهره وباطنه عن صدق يقين. وقوله (**جَمْعِي**) مفعول تلا. أي: تبعني في مقام جمعي على الحقّ تعالى بكلّيته، ولم تبقَ فيه بقيّة للأغيار. وقوله (**تلا**): أي قرأ. يقال: تَلَوتُ القرآن: إذا قَرَأْتُه». وقوله (**ألف ختمة**): هي فعل مرّة من قولك ختمت القرآنَ: إذا بلغت آخره. ويكون ذلك من غلبة الروحانيّة على الجسمانيّة. والروح من أمر الله، وأمر الله كلمح بالبصر. والقائم بالسريع سريع، كما نُقل أنّ عيسى المغربي من أولياء الله تعالى قدّس الله روحه، كان ورده في كلّ يوم سبعين ألف ختمة، وسمع منه أنّه ختم عند طوافه في الملتزم، وهو مقدار ثلاث أو أربع خطوات من المكان. وذكر المناوي في شرح الجامع الصغير للسيوطيّ، قال القسطلانيّ أخبرني شيخ الإسلام البرهان بن أبي شريف أنّه كان يقرأ خمسة عشر ختمة في اليوم والليلة. وفي الإرشاد أنّ النجم

الأصبهاني رأى رجلاً من اليمن ختم في شوط أو أسبوع، وهذا لا يتسهّل إلّا بفيض ربّانيّ، ومدد رحمانيّ. وأخبرني بعض الثقات أنّ شيخنا العارف عبد الوهاب الشعراني ختم بين المغرب والعشاء ختمتين. ثمّ رأيته ذكر في كتاب الأخلاق ما نصّه: «ومنها عمل أحدهم على تحصيل مقام غلبة الروحانيّة على الجسمانيّة، حتّى يصير يقرأ في اليوم والليلة كذا كذا ختماً. ويقرأ مع من غلبت روحانيّته على جسمانيّته، فلا يتخلّف عنه. ويحتاج صاحب هذا المقام إلى ورع شديد، وطاعة كثيرة، ليحصل له تلطيف الكثائف، فلا يقدر يستعجل في القراءة مع ذكر؛ بل يصير كأنّه يسحب صخراً على الأرض خلف طائر. فمن فهم هذا عرف سرّ أمره تعالى للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم بترتيل القرآن؛ فإنّ روحانيّته تغلب جسمانيّته. فإذا قرأ لا يلحقه أحد لانطواء الألفاظ في نطق الأرواح». وأخبرنا الشيخ علي المرصفي أنّه قرأ في أيام سلوكه في كلّ يوم وليلة ثلاثمئة وخمسين ألف ختم، كلّ درجة ألف ختم. وكان على المقام شيخنا القاضي زكريّا فكان إذا قرأنا معه لا نلحقه، وكذا الشيخ نور الدين الشوني لغلبة روحانيّتهما على جسمانيتهما. وقوله (ومنّي) على طريقة التجريد البياني. والجار والمجرور متعلّق بقامت، قدّم عليه للحصر. وقوله (لو قامت): أي ثبت. وقوله (بمَيْتٍ) متعلّق بقامت. والمَيْتُ بسكون الياء التحتية: الذي فارق الحياة، قال في القاموس: «المَيْت مخفّفة الذي مات، والمَيِّت والمَائِت الذي لم يَمُت بعد. ويقال ميِّت ضدّ حَيّ، والجمع أموات. ومَوْتَى ومَيِّتون ومَيْتُون، وهي مَيْتَة ، ومَيِّتَه». وقوله (لَطِيفَةٌ): فاعل قامت، وهي إفاضة من إفاضات روحه الأمري المدبّر لهيكله. وقوله (لَرُدَّت): بالبناء للمفعول، أي: لردّ الله تعالى. وقوله (إليه): أي إلى ذلك الميت. وقوله (نفسه): نائب فاعل لردّت. وقوله (وأُعيدتِ)/ [٢٥٤/ب] بالبناء للمفعول أيضاً، وكسر التاء للقافية، أي: أعاد الله تعالى إليه نفسه التي ماتت، وذلك بتوجّه أمره سبحانه، فإنّ أولي الأمر من العلماء بالله العارفين، إنّما يعملون

بأمره، لغلبة الروحانيّة على جسمانيّتهم كما قال تعالى: ﴿وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ [٢١/ الأنبياء/ ٢٧] فإذا عملوا بأمره كان توجههم بأمره، ومشيئتهم على طبق مشيئته، قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [٧٦/ الإنسان/ ٣٠] فلو شاء سبحانه لشاؤوا، ولتوجّهت بأمره تعالى لطيفة من فيوضات أرواحهم الفائضة عن أمره تعالى كما قال سبحانه: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [١٧/ الإسراء] على ميت من الأموات، فتقوم به تلك اللطيفة، ويحيا بها، ويعود كما كان حياً من المقام العيسوي، فإنّ عيسى عليه السلام كان روحاً منه تعالى. يعني: كانت روحانيّته غالبة على جسمانيّته، والعلاقة الجسمانيّة ضعيفة فيه، قال تعالى: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [٤/ النساء/ ١٧٢] لأنه تولّد في مريم عليها السلام عن نفخ جبريل الروح الأمين من غير أبٍ جسمانيّ إنسانيّ. فكان إذا شاء أحيا ميتاً شاء قبله ربُّه ذلك، فتوجّه منه لطيفة روحانيّة عن أمره تعالى على ذلك الميت فيحيا بها، ويعود كما كان، والله على كلّ شيء قدير. وللورثة نصيب من مشارب النبيّين، عليهم الصلاة والسلام.

٦٠٠- هِيَ النَّفْسُ إنْ أَلْقَتْ هَوَاهَا تَضَاعَفَتْ قُوَاهَا وَأَعْطَتْ فِعْلَهَا كُلَّ ذَرَّةِ

(هي): ضمير القصّة، نظير ضمير الشأن، فإنّ ضمير الشأن مذكّر، كقول الناظم قدّس الله تعالى سرّه:

هو الحبّ فاسلم بالحشا ما الهوى سهل فما اختاره مضنى به وله عقل

وضمير القصّة مؤنّث، وكقول الشاعر:

هي الصبابة من باد ومن سكني طوى لها البين أحشايَ على شجن[1]

(والنفس): أصلها اللطيفة الروحانيّة المتوّجة من أمر الله تعالى على تدبير الجسد، لكن غلب عليها طبع الجسد فاشتغلت بما يناسبه، وانهمكت في شهواته، وما يحفظ عليه أحواله الظاهرة والباطنة، فصارت نفساً بعد أنْ كانت روحاً أمريّاً

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: «بلغ مقابلة على مؤلّفه رضي الله عنه وأرضاه».

شريفاً. ومسكنها في القلب، ومحلّ نفاذ أمرها في الدماغ. وقوله (**إن ألقت**): أي تركت، قال في الصحاح: «أَلْقَيْتُهُ: أي طَرَحْتُهُ. وتقول: أَلْقِ مِنْ يدك، وأَلْقِ به من يدك». وقوله (**هواها**): أي ما تهواه وتحبّه وتميل إليه، قال في الصحاح: «هَوِيَ بالكسر يَهْوَى، أي: أحبّ». وإضافة الهوى إليها إشارة إلى قصدها له، وتعمّدها فيه ذلك يشغلها عن التفرّغ لمعرفتها، ومعرفتها مستلزمة لمعرفة ربّها، كما ورد: من عرف نفسه فقد عرف ربّه. وقوله (**تضاعفت**): أي تعدّدت، وكثرت، وقويت. من الضِّعف بالكسر، قال في القاموس: «ضَعْفُ الشيء، بالكسر: مثلُه، وضِعفاه: مثلاه. أو الضِّعف: المثل، إلى ما زاد. ويقال: لك ضِعْفُهُ، يريد مِثليه، وثلاثة أَمثاله؛ لأنّه زيادة غير محصورة. وقول الله تعالى:﴿يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِ﴾ [٣٣/ الأحزاب/ ٣٠] أي: ثلاثةَ أَعْذِبَةٍ. ومجاز يضاعف،[أي]: يُجْعَل إلى الشيء شيئانِ حتى يصير ثلاثة». وقوله (**قُواها**): فاعل تضاعفت. و(**القُوى**): جمع قوّة، قال في الصحاح: «القُوَّةُ خلاف الضَّعف. والقُوَّةُ: الحَبْل، وجمعها: قُوَى». والمراد بقوَى النفسّ: قوى حواسها الخمس، وقوة الطاقةُ من العقل، والقوى الباطنة التي في أعضاء الباطن؛ وذلك لاتّصالها بقوّة الروح الكلّيّ الأمريّ القائم على جميع العوالم بقوّة الأمر الإلهيّ، كما قال تعالى: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ﴾ [٥٣/ النجم/ ٥] وهو جبريل الروح الأمين عليه السلام الذي يمدّه الحقّ تعالى بتجلّي اسمه القويّ، والكلّ راجع إليه/ [٢٥٥/ أ] سبحانه قال تعالى: ﴿أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا﴾ [٢/ البقرة/ ١٦٥] ويقال: لا حول ولا قوّة إلّا بالله العلي العظيم. وقوله (**وأعطت**): معطوف على تضاعفت قواها. وفاعله ضمير مؤنّث عائد إلى النفس. وأعطى ينصب مفعولين: الأوّل قوله فعلها، أي: فعل النفس في كلّ ما تريده بإرادة ربّها، وتشاؤه بمشيئته تعالى من جميع الأفعال الإنسانيّة. والمفعول الثاني قوله (**كلّ ذرّة**): أي من جميع ذرّات العوالم، قال في القاموس: «الذرّ صغار النَّمل، ومائة منها زنة حبّة شعير. الواحدة ذرّة » فإذا أَعْطَتْ فعلها لكلّ ذرّة، أي: مقدار ذرّة من مقادير ذرّات

العوالم فعلت كلّ ذرّة من ذلك ما تفعله تلك النفس من الأفعال العجيبة، والأعمال الغريبة بتصريف الحقّ تعالى لها في كلّ ذلك.

٦٠١- فَنَاهِيْكَ جَمْعَاً لَا بِفَرْقِ مِسَاحَتَيْ مَكَانٍ مَقِيْسٍ أَوْ زَمَانٍ مُوَقَّتِ

[فناهيك] الفاء للتفريع على ما قبله، و**(ناهيك)**: اسم فاعل بكاف الخطاب للمذكر، يقال: هذا رجل ناهيك من رجل، ونَهْيُكَ من رجل. وتأويله: أنّه بِجِدِّهِ وغَنائه يَنْهَاك عن تَطَلُّبِ غيره، قال الشاعر:

هو الشيخ الذي حدّثت عنه   نهاك الشيخ مكرمة وفخراً

وهذه امرأة نَاهِيَتُكَ من امرأة، وتذكّر وتؤنّث، وتُثَنَّى وتجمع؛ لأنّه اسم فاعل. وإذا قلت نَهْيُك من رجل، كما تقول: حَسْبُك من رجل، لم تثَنَّ، ولم تجمع؛ لأنّه مصدر. وتقول في المعرفة: هذا عبد الله ناهيك من رجل، فتنصب ناهيك على الحال، كذا في الصحاح. وقوله **(جَمْعاً)**: تمييز منصوب؛ يعني: حَسْبُكَ، بمعنى: كافيك، بحيث ينهاك عن تطلّبِ غيره زيادة عليه من جهة مقام الجَمْع الذي لا يخرج عنه شيء مطلقاً، وهو شهود وحدة الحقّ تعالى في عين كثرة الخلق، فيقوم فيه الوجود الحقّ بنفسه، وكلّ ما عداه فانٍ، مضمحلٌّ، معدوم، مقدّر به، مفروض، كما قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه:

يا آخر الكلّ فيك الكلّ مندرج   وقولي الكلّ كاف أن تكون فَطِنْ

وقوله **(لا بِفَرْقٍ)**: أي لا بسبب فرق، على خلاف الجمع، لأنّ فيه شهود الكثرة، ومعاينة الأغيار بتراكم الحجب والأكدارعلى عيون البصائر والأبصار. ثمّ ذلك الفرق مضاف إلى قوله **(مساحتَيْ)**: تثنية مساحة، وهي ذرع الأرض بالذراع لمعرفة مقدارها، قال في الصحاح: «مَسَحَ الأرض مِسَاحَةً، أي: ذَرَعَهَا». فالمساحة هنا مقدار المسافة، وهي مثنّاة مضافة إلى قوله **(مكانٍ)**: ولهذا حذفت منها نون التثنية، فإنّ أصله مساحتين. والمكان هو الموضع الذي يتمكّن فيه الجسم. وقوله

(مَقِيسٍ): بصيغة اسم المفعول، وصفان لمكان، من: قاسه بغيره، وعلى غيره: يَقيسه قياساً، واقتباسه قدره على مثاله، والمِقدار: مِقياس، كذا في القاموس. وقوله (أو زمان): معطوف على مكان. والمساحة في الزمان أيضاً، وهي مقدار مسافته من طوله وقصره. وقوله (مُوَقَّتِ): بتشديد القاف صيغة اسم المفعول: وصف لزمان من الوقت، وهو المقدار من الدهر، وأكثر ما يُستعمَل في الماضي، كالمِيْقَات، وتحديد الأوقات، كالتوقيت، كما في القاموس. يعني: إنّ الجمع على الحقّ تعالى هو الأمر المعتبر الذي حصلت به المعجزات للأنبياء والمرسلين عليهم السلام. والكرامات لورثتهم من الأولياء المقرّبين، قدّس الله أسرارهم، كما سيذكره، لا بالفرق الذي يُدخِل صاحبه في مضيق الزمان والمكان، ويتقيّد بهما في عالم الإمكان؛ فإنّ ذلك قيد ينافي الإطلاق. والخارج عنهما يَنْشَطُ كأنّما حُلّ من وثاق، ولا يكون ذلك إلّا بتحقيق العرفان، والكشف عن الوجود الحقّ بالمشاهدة والعيان وبالله المستعان/ [١٥٥/ ب].

٦٠٢- بِذَاكَ عَلَا الطُّوْفَانَ نُوْحٌ وَقَدْ نَجَا ... بِـهِ مَـنْ نَجَـا مِـنْ قَوْمِـهِ فِي الـسَفِيْنَةِ

٦٠٣- وَغاضَ لَهُ مَا فَاضَ عَنْهُ اسْتِجَادَةً ... وَجَـدَّ إِلى الجُـودِي بِهَـا وَاسْـتَقَرَّتِ

(بذاك): أي بالجمع المذكور. يعني: بسببه؛ إذ ليس فيه سوى الحقّ تعالى، فالاسم الحفيظ يلزمه، لأنّ كلّ ما سواه تعالى ذكر له بعلمه، وبقدرته، وبإرادته، وبكلامه القديم، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [١٥/ الحجر/ ٩]. وقوله (عَلَا): أي ارتفع. وقوله (الطوفان): مفعول عَلَا، وهو بالضمّ: المطر الغالب، والماء الغالب يغشى كلّ شيء، والسيل المغرق، ومن كلّ شيء ما كان كثيراً مطيفاً بالجماعة، وبذلك سميّ الطائف، وهو بلاد ثقيف في واد أَوَّل قُراها لُقَيْم، وآخرها الوَهْط، سُمِّيَتْ لأنّها طافت على الماء في الطوفان، أو لأنّ جبريل طاف بها على البيت، أو لأنّها كانت بالشام، فنقلها الله تعالى إلى الحجاز بدعوة إبراهيم عليه السلام، ذكره في القاموس. وقوله (نوح): فاعل علا، وهو نبيّ الله

المرسل إلى قومه. أوّل أولي العزم، عليهم الصلاة والسلام. وقوله **(وقد نجا)**: الواو للحال، أي: والحال أنّه قد نجا من الغرق بذلك الطوفان. وقوله **(به)**: أي بسبب الجمع الذي نوح عليه السلام مشتمل عليه. **(مَنْ نجا)**: فاعل نجا الأوّل. وقوله **(مِن قومه)**: بيان لِمَنْ الأولى، وهم المشار إليهم بقوله تعالى: ﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [١١/ هود/ ٤٠]. وقوله **(في السفينة)**: متعلّق بنجا، واللام للعهد الذهنيّ. وقوله **(وغاض)** يقال: غاضَ الماء، يَغِيضُ غَيْضاً، أي: نَضَبَ، وانْغَاضَ مثله، وغِيضَ الماء، أي: فُعِلَ به ذلك، وغَاضَهُ الله يتعدّى ولا يتعدّى، وأَغاضه الله أيضاً، كذا في الصحاح. وقوله **(له)**: أي لنوح عليه السلام. يعني: لأجله، أو للجمع، أي: جمع نوح عليه السلام ، يعني: لاحترام مقام جمعه بالحقّ تعالى الذي هو سرّ كلّ أمر خارق للعادة: معجزة النبيّ، أو كرامة لوليّ. وقوله **(ما)**: أي الماء الذي فاض، يُقال: فاض الماء، يَفِيض فَيْضاً وفَيْضُوضَةً، أي: كَثُرَ حتّى سال على ضفة الوادي». وقوله **(عنه)**: أي عن نوح عليه السلام، أو عن جمعه بالله. وقوله **(اسْتِجَادَةً)**: منصوب على التمييز، أي: من جهة طلبه عليه السلام الجود الإلهيّ، أي: الكرم الفياض؛ فإنّ الطوفان إنّما حصل باستدعاء نوح عليه السلام، وطلبه إظهار الحجّة على قومه بإهلاكهم ليتبيَّن ما جاء به من الحقّ للباقين معه وهم القليل كما قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [١١/هود/ ٤٠]. ومعنى **(الاستجادة)**: يرجع إلى معنى الاستجابة، أي: إجابة دعائه، حيث قال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [٧١/ نوح/ ٢٦] إلى آخره. وقوله **(وَجَدَّ)**: معطوف على غاض. يعني: اجتهد وكابد مشقّة السفينة، وقوله **(إلى الجودي)**: أي إلى أنْ وصل نوح عليه السلام إلى جبل الجودي، قال في القاموس: «الجودي: جبل بالجزيرة، استوت عليه سفينة نوح عليه السلام». وقوله **(بها)**: أي بالسفينة. وقوله **(واستقرّتِ)**: أي السفينة على جبل الجودي، وكُسرت التاء للقافية. قال في القاموس: (قَرّ): بالمكان يَقِرّبالكسر والفتح: ثَبَتَ، وسَكَنَ كاسْتَقَرَّ».

٦٠٤- وَسَارَ وَمَتْنُ الرِّيحِ تَحتَ بِساطِهِ سُلَيْمانُ بِالجَيْشَيْنِ فَوْقَ البَسِيْطَةِ
٦٠٥- وَقَبْلَ ارْتِدَادِ الطَّرْفِ أُحْضِرَ مِنْ سَبَا لَهُ عَرْشُ بِلْقِيْسٍ بِغَيْرِ مَشَقَّةِ

(وسار): أي مشى. وقوله **(ومتن)**: الواو للحال، والمتن: الظَّهْر على طريق الاستعارة المكنيّة بتشبيه الريح بالدّابة، وإثبات المتن لها تخييل للاستعارة. وقوله **(الريح)**: مضاف إليه. وقوله **(تحت بساطه)**: ترشيح للاستعارة. والضمير لسليمان عليه السلام. وهو متقدّم رتبة، وإنّ تأخرلفظاً؛ لأنّه فاعل سار. وقوله **(سليمان)**: هو نبيّ الله بن/[٢٥٦/ أ] داوود عليه السلام مرفوع على أنّه فاعل سار. وقوله **(بالجيشين)**: متعلّق بسار، وهما تثنية جيش، وهو الجند، أو السائرون لحرب، أوغيرها، كذا في القاموس. وأراد بالجيشين: جيش الأُنس، جيش الجن، لأنّ ملكه كان شاكلاً لهما ولغيرهما. و**(فوق البسيطة)**: وهي المستوية من الأرض، والأرض الواسعة. وقوله **(وقبل ارتداد)**: أي رجوع. وقوله **(الطَّرْف)**: بفتح، العين، لا يُجمع، لأنّه في الأصل مصدر، أو اسم جامع للبصر، لا يُثَّنى ولا يُجمع، كذا في القاموس. وقوله **(أُحْضِرَ)**: بضمّ الهمزة مبني للمفعول، يقال: حَضَرَ كنَصَرَ وعَلِمَ، حُضُوْراً وحضارة : ضدّ غاب. وأَحْضَرَ الشيءَ وأَحْضَرَه إيّاه، كذا في القاموس. وقوله **(من سَبَا)**: بلدة بلقيس في أقصى اليمن. وقوله **(له)**: أي لسليمان عليه السلام. وقوله **(عرش)**: نائب فاعل أُحضر، وهو سرير الملك. وقوله **(بِلْقِيس)**: بالكسر مَلِكَة سَبأ، كما في القاموس. **(بغير مشقّة)**: متعلّق بأُحْضر. المَشَقَّة من شَقَّ عليه الأمرشَقّاً ومَشَقَّةً: صَعُبَ، كذا في القاموس. وذلك كان من سليمان عليه السلام، أو من وزيره آصف بن برخيا ابن خالته، وكان يحفظ الاسم الأعظم، وهو الاشتمال على مقام الجمع المذكور، وذهب إلى الأوّل الفخر الرازي في تفسير: قال الذي عنده علم من الكتاب، هو سليمان عليه السلام، وقد قال للعفريت: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَ﴾ لّما قال له العفريت ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ [٣٧/ النمل/ ٣٩]. وقال غيره: إنّ القائل آصف ببركة سليمان عليه السلام، فهي كرامة لآصف، وهي معجزة لسليمان عليه السلام.

٦٠٦- وَأَخْمَدَ إِبْرَاهِيْمُ نَارَ عَدُوِّهِ وَمِنْ نُوْرِهِ عَادَتْ لَهُ رَوْضَ جَنَّةِ
٦٠٧- وَلَمَّا دَعَا الأَطْيَارَ مِنْ كُلِّ شَاهِقٍ وَقَدْ ذُبِحَتْ جَاءَتْهُ غَيْرَ عَصِيَّةِ

(وأخمد): من خَمَدَتِ النَارُ تَخْمُدُ خُمُوْداً: سَكَنَ لَهَبُهَا، ولَمْ يَطْفَأْ جَمْرُهَا، وهَمَدَتْ: إذا طَفِئَ جَمْرُهَا. وَأَخْمَدْتُهَا أنا. كذا في الصحاح. وقوله (إبراهيم): هو فاعل أخمد، وهو نبيّ الله، وخليل الله، عليه الصلاة والسلام. وقوله (نار): مفعول أَخْمَدَ. وقوله (عدوّه): أي عدوّ إبراهيم عليه السلام، وهو النُمْرُود، بضمّ النون، من الجبابرة، كذا في القاموس. وقوله (ومن نوره): أي نور إبراهيم عليه السلام، وهو حالة جمعه بالحقّ تعالى المذكور، والجار والمجرور متعلّق بعادت، وقدّم المتعلَّق للحصر، أي: لا من غير ذلك، وهو قول نبيِّنا عليه الصلاة والسلام في دعائه، كما ورد في الحديث «اللهمّ اجعل في سمعي نوراً وفي بصري نوراً » إلى أن قال: «واجعله لي نوراً واجعله لي نوراً»[1]. وقال تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [٣٩/ الزمر/ ٢٢]. وقال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ﴾ [٦/ الأنعام/ ١٢٢] وهذا كلّه إشارة إلى مقام الجمع الربّانيّ المذكورهنا. وقوله (عادت): أي النار المذكورة. يعني: رجعت عن طبعها الأصليّ، وهو الإحراق بغلبة نوره عليها واستحالتها إلى ضدّها. وقوله (له): أي لإبراهيم عليه السلام. وقوله (روضَ جَنَّةٍ): قال في القاموس: «الروض جمع روضة، وهي: مُسْتَنْقَعِ الماء لاسْتِرَاضِةِ الماءِ فيها». والمراد هنا: البستان المشتمل على الماء والثمار والأزهار، وما ألطف الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه في الإشارة إلى ذلك:

---

(١) أخرجه المتّقيّ الهنديّ في كنز العمال، باب: ذكر الركوع والسجود، كما أخرجه العراقيّ في تخريج أحايث الإحياء، ١٠٨٩، وقال متّفق عليه. لكن الأرجح أنه ليس في صحيحي البخاري ومسلم، إذ رواه البخاري في الأدب المفرد: ٦٩٥، والترمذي في كتاب الدعوات: ٣٤١٥ وقال: هذا حديث غريب، كما رواه أبو داود في كتاب الصلاة: ١٣٥٣، والنسائي في كتاب الافتتاح: ٢/ ٢١٨.

بـــأبي ثُـــمَّ بي غـــزال ربيـــب يرتعـــي بـــين أضـــلعي في أمـــان

مـــا عليـــه مـــن نارهـــا فهـــو نـــور وكـــذا النـــور مخمـــد النـــيران

وقوله (ولمّا دعا): أي نادى إبراهيم عليه السلام. وقوله (الأطيار): جمع طير وهي الأربعة/ [٢٥٦/ ب] التي قال الله تعالى له: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ أي: أمهلهن واضممهن، وهي: الطاووس، والديك، والغراب، والحمامة. وبعضهم ذكر النسر بدل الحمامة ﴿ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ﴾ أي: قل لهن تعالين بإذن الله، أي: بأمره الذي أنت قائم به، وكلّ شيء قائم به أيضاً عندك في مقام الجمع المذكور﴿يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ [٢/ البقرة/ ٢٦٠] ساعيات مسرعات طيراناً أومشياً. روي أنّه أُمر بأن يذبحها، وينتف، ريشها، ويقطّعها، فيمسك رؤوسها، ويخلط سائر أجزائها، ويوزعها على الجبال، ثمّ يناديهن، ففعل ذلك، فجعل كلّ جزء يطير إلى الآخر، حتّى صارت جثثاً، ثمّ أقبلن، فانضممن إلى رؤوسهن. ذكره البيضاوي. وقوله (من كلّ شاهق): أي جبل عالٍ. قال في القاموس: «الشاهق: المرتفع من الجبال والأبنية وغيرها». وقوله (وقد): الواو للحال. وقوله (ذُبِحَتْ) بالبناء للمفعول، أي: ذبحها هو، وخلط أجزاءها وفرّقها. جاءته جواب لمّا. وقوله (غير): حال منها. وقوله (عصيّة): أي عاصية عليه، بل هي مطيعة له في محبّتها إليه، وما كان ذلك له إلّا بسبب الجمع المذكور.

٦٠٨- وَمِنْ يَدِهِ مُوْسَى عَصَاهُ تَلَقَّفَتْ مِنْ السِّحْرِ أَهْوَالاً عَلَى النَّفْسِ شَقَّتِ

٦٠٩- وَمِنْ حَجَرٍ أَجْرَى عُيُوْنَاً بِضَرْبَةٍ بِهَا دِيَمَاً سَقَّتْ وَلِلْبَحْرِ شَقَّتِ

(ومن يده): أي يد موسى عليه السلام، والضمير راجع إلى متأخّر لفظاً، متقدّم رتبة، لأنّ الجار والمجرور متعلّق بتلقفت، وهو خبر المبتدأ الذي هو عصاه، والجملة خبر المبتدأ الذي هو موسى. والتقدير موسى عصاه تلقفت، أي: تلقّفت عصاه من يده. وقوله (موسى): هو ابن عمران، نبيّ الله ورسوله عليه الصلاة والسلام. وقوله (عصاه): مبتدأ ثانٍ. قال في الصحاح: «العصا مؤنّثة يقال: عَصَا

وعَصَوَان، والجمع عُصَيّ وعِصِيّ؛ يعني: بالضمّ وبالكسر». وقوله (**تلقفت**) يقال: لَقِفَه كسَمِعَه لَقْفاً ولَقَفَاناً مُحَرَّكة تَنَاوَلَهُ بسرعة. والتَلْقِيف: بَلْعُ الطعام كالتَلَقُّف، كذا في القاموس. وقوله (**من السِّحْر**): متعلِّق بـ تلقّفتْ قال في القاموس: «السِّحْر كلّ ما لطف مأخذه ودقّ، والفعل كمنع. والمعنى: هنا ما تُخَيِّلُهُ السحرةُ في أعين الناس من الخيالات الباطلة. وقوله (**أهوالاً**): جمع هَوْل، قال في الصحاح: «هَالَه الشيءُ يَهُولُهُ هَوْلاً، أي: أفزعه، ومكان مَهِيل، أي: مَخُوف. وكذلك مكان مَهَال. وهُلْتُهُ فَاهْتَالَ، أي: أَفزعتهُ ففزع». والمراد ما أَلْقَتْهُ السحرة من حبالهم وعصيّهم. وقوله (**على النفس**): أي نفس موسى عليه السلام . وقوله (**شَقَّتِ**): أي أَتعبت. يعني: تلك الأهوال. وكسر التاء للقافية. وذلك من قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ۝٦٧ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [٢٠/ طه/ ٦٧-٦٨] وقوله (**ومن حَجَر**): متعلِّق بأجرى. وقوله (**أجرى**):أي موسى عليه السلام. وقوله (**عيونا**): مفعول أَجرى، وهي جمع عَيْن، وهي الينابيع من الماء الاثني عشر بعدد الأسباط الذين كانوا معه. وقوله (**بضربة**) متعلِّق بأجرى. وقوله (**بها**): أي بعصاه؛ يعني: كان يضرب بعصاه الحجر فتنفجر منه اثنتا عشرة عيناً، لكل سبط عين يشربون منها، وهو قوله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ [٢/ البقرة/ ٦٠] وقوله (**دِيَماً**): مفعول شَقّتِ، وهي جمع دِيْمَة: المطر الذي ليس فيه رعد ولا برق، أَقَلُّهُ ثلث الليل، أو ثلث النهار، وأكثر ما بلغ منْ العدّة، والجمع دِيَم، كذا في الصحاح. وقوله (**شَقّتِ**): أي تلك الضربة كأنّها شقّت السحاب فجرى المطر. والشَقُّ هو تفجّر ذلك الحجر بالاثني عشر عيناً من قبيل رأيت أسداً يرمي عن قوسه. وجملة شقّت من الفعل والفاعل والمفعول صفة ضربة. وقوله (**للبحر**): متعلِّق بشقّت الثاني/ [٢٥٧/ أ] وهو بحر القُلْزُم[١] الذي قال تعالى: ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ

(١) القلزم: اسم للبحر الأحمر.

ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٦٠] الآية. وقوله (شَقَّتِ): أي فلقت البحر، وكسر التاء للقافية.

٦١٠- وَيُوسُفُ إِذْ أَلْقَى البَشِيْرُ قَمِيْصَهُ عَلَى وَجْهِ يَعْقُوْبٍ عَلَيْهِ بِأَوْبَةِ

٦١١- رَآهُ بِعَيْنٍ قَبْلَ مَقْدَمِهِ بَكَى عَلَيْهِ بِهَا شَوْقَاً إِلَيْهِ فَكُفَّتِ

(ويوسف): النبيّ، ابن يعقوب النبيّ، ابن اسحاق النبيّ، ابن إبراهيم الخليل، عليهم الصلاة والسلام. وقوله (إذْ): ظرف لما مضى من الزمان، تعليليّة. وقوله (ألقى): أي طرح. وقوله (البشير): فاعل ألقى. والبِشارة بالكسر والضمّ، يقال: بَشَرتُهُ بمولود، فأَبْشَرَ إِبْشَاراً، أي: سَرَّهُ. والبِشارة المطلقة لا تكون إلّا بالخير؛ وإنّما تكون بالشر إذا كانت مقيّدة به كقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [٣/ آل عمران/ ٢١] وتَبَاشَر القوم، أي: بَشَّربعضهم بعضاً، كذا في الصحاح. والبشير هو يهوذا، أحد إخوة يوسف، عليهم السلام، قال البيضاوي: «البشير يهوذا، روي أنّه قال: كما أَحزنته بحمل قميصه الملطّخ إليه فأفرحه بحمل هذا إليه، فأقول قميصه. أي: قميص بوسف عليه السلام». وقوله (على وجه يعقوبٍ) بالجر والتنوين لضرورة النظم. وهو يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم عليهم السلام. وقوله (إليه): أي يعقوب عليه السلام، متعلّق بـ أوبة، أي: بأوبة إليه. وقوله (بأوبة): متعلّق بالبشير. والأوبة: الرجوع، مصدر آب، أي: رَجَعَ، قال في الصحاح: «آب، أي: رَجَعَ، يَؤُوبُ أَوْباً وَأَوْبَةً وَإِيَاباً». والمعنى جاء البشير برجوع يوسف إلى أبيه يعقوب عليهما السلام. وقوله (رآه): أي يعقوب رأى ابنه يوسف عليهما السلام، وهو قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ أَلۡقَىٰهُ﴾ [١٢/ يوسف/ ٩٦] أي: قميص يوسف على (وجهه): أي وجه يعقوب، فارتدّ بصيراً. وقوله (بعين): متعلّق برآه. وقوله (قبل مقدمه): يوسف عليه السلام. والمَقْدَم: مَصْدَر قَدِمَ من سفره قُدُوماً ومَقْدَماً بفتح الدّال المهملة، يقال: ورَدْتُ مَقْدَمَ الحاج، تجعله ظرفاً، وهو مصدر، أي:

وقت مقدم الحاج، كذا في الصحاح. وقوله (بكى): أي يعقوب عليه السلام. وقوله (عليه): أي على ابنه يوسف عليه السلام. وقوله (بها): أي بتلك العين. وقوله (شوقاً): أي من جهة الشوق، وهو نِزَاعُ النفس، وحركة الهوى. والجمع أَشواق. وقد شاقَنِي حُبُّها: هاجني، كَشَوَّقَنِي، كما في القاموس. وقوله (إليه): أي إلى يوسف عليه السلام. وقوله (كفَّت): بفتح الكاف وبضمّها. قال في القاموس: «كُفَّ بَصَرُه بالفتح والضمّ: عَمِيَ». والضمير للعين. وكسر التاء للقافية. والمعنى: رآه بالعين التي بكى عليه شوقاً إليه حتّى عميت بغشاوةٍ اعترتها، فعادت مبصرة كما كانت. ورآه بها ببركة الجمع بالحقّ الذي سبق بيانه.

٦١٢- وَفِي آلِ إِسْرَائِيلَ مَائِدَةٌ مِنَ السْـ ـسَمَاءِ لِعِيسَى أُنْزِلَتْ ثُمَّ مُدَّتِ

٦١٣- وَمِنْ أَكْمهٍ أَبْرَا وَمِنْ وَضَحٍ عَدَا شَفَى وَأَعَادَ الطِّيْنَ طَيْرَاً بِنَفْخَةِ

(وفي آل): قال في القاموس: «الآلُ أهْلُ الرجل وأتباعه وأولياه. ولا يُستعمل إلّا فيما فيه شَرَفٌ غَالِباً، فلا يُقال: آل الإسكافِ، كما يقال: أَهْلُه، وأصله:.أهل، أُبْدِلَتْ الهاء همزةً، فصارت أأل، فتوالت همزتان فأُبْدِلَت الثانية ألفاً. وتصغيره أُوَيْل وأُهَيْل». وقوله(إسرائيل): قال في الصحاح: «إسرائيل اسم، يقال: هو مضاف إلى إيل، قال الأخفش: هو يهمز ولا يهمز. قال: ويقال في لغة: إسرائين بالنون، كما قالوا: جبرائين وإسماعين. وقال في القاموس: «إيل بالكسر، اسم الله تعالى. وقال في جبر وجبرائيل، أي: عبد الله». والمراد بإسرائيل هنا يعقوب عليه السلام، وبنو إسرائيل الذي بعث فيهم أوّلاً/ [٢٥٧/ ب] موسى وآخراً عيسى عليهما السلام. وقوله (مائدة) المائدة: الطعام، والخِوانُ عليه الطعام، كالمَيْدَة فيهما، كما في القاموس. وقوله (من السماء): إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [٥/ المائدة/ ١١٢] الآية. والجار والمجرور صفة مائدة. وقوله (لعيسى): هو ابن مريم عليهما السلام. وقوله (أنزلت): بالبناء للمفعول، أي: المائدة. وقوله (ثمّ مُدَّتِ):

بالبناء للمفعول أيضاً. وكسر التاء للقافية. ومُدّت أي: بسطت، قال في القاموس: «المدّ البَسْطُ». وقوله (**من أكْمَه**): من بيانيّة، والأكْمَه هو الذي يولد أعمى. وقد كَمِهَ كَمَهَاً، كذا في الصحاح. وقوله (**أبْرَا**): أصله بالهمز، مِن بَرَأَ المريض يَبْرَأُ بُرْءَاً بالضمّ، وبَرُؤَ، كَكَرُمَ وفَرِحَ، [بَرْءاً وبُرْءاً] وبُرُوْءاً: نَقِهَ، وأبْرَأَهُ الله، كما في القاموس. وقوله (**ومن وَضَح**) بالضادّ المعجمة، والحاء المهملة محرّكة: البَرَص. ولو قال من بَرِصٍ كان أوضح وأوفق للقرآن، قال في الصحاح: «الوَضَحُ البَياض، يُقال بالفرس: وَضَحُ إذا كانت به شِيَةٌ. وقد يُكَنَّى به عن البَرِص». ومنه قيل لجذيمة الأبرش الوضّاح». وقوله (**عدا**): أي تجاوز الحدّ، يُقال: عَدَا عليه عَدْواً وعُدُوّاً وعَدَاء، وهو تجاوز الحدّ والظلم، كما ورد في الصحاح. والجملة: صفة وضح. وقوله (**شفا**): قال في الصحاح: «شفاه الله من مرضه شفاء ممدود». فاعل شفا ضمير عائد إلى عيسى عليه السلام. وقوله (**وأعاد**): أي أرجع. وقوله (**الطين**): الذي سوَّاه، أي: على صورة الخفاش، ما يقال: وناسب خلقته عليه السلام، فإنّ المرأة القريبة الوضع إذا مسحت فرجها بمرارته ولدت في ساعتها، كما ذكره في القاموس. كما ولد عيسى بنفخ جبريل عليهما السلام من ساعته. وقوله (**طيراً**): مفعول ثانٍ لأعاد. وقوله (**بنفخة**): متعلّق بأعاد، وكان ذلك بإذن الله تعالى كما صرّح به في القرآن، وإذنه تعالى أمره، وهو الجمع المذكور.

٦١٤- وَسِرُّ انْفِعَالَاتِ الظَّوَاهِرِ بَاطِنَاً ... عَنِ الإذْنِ مَا أَلْقَتْ بِأُذْنِكَ صِيْغَتِي

(**وسرّ**): هو الأمر الخفيّ، وهو مبتدأ. وقوله (**انفعالات**): جمع انفعال، وهي قبول تأثيرالمؤثّر. وقوله (**الظواهر**): جمع ظاهر، وهو الشيء الظاهر في الوجود، بحيث يدرك بإحدى الحواس، كظهورالطوفان استجابة لدعوة نوح عليه السلام، ونجاته مع مَنْ كان معه في السفينة. وحمل الريح بساط سليمان عليه السلام، والإتيان بعرش بلقيس من سبأ إلى بيت المقدس قبل ارتداد الطرف، وإخماد إبراهيم عليه السلام نار النمرود، غاية للأطيار بعد ذبحها وتفريقها في الجبال

حتّى أتته مسرعة، وانقلاب المصاحبة بإلقاء موسى عليه السلام، وتلقّفها لسحر السحرة. وعود البصر ليعقوب بإلقاء قميص يوسف عليهما السلام على وجهه. ونزول المائدة من السماء لعيسى عليه السلام. وإبرائه للأكمه والأبرص وإحيائه الموتى بإذن الله تعالى. فهذه كلّها وما أشبهها انفعالات الظواهر. وقوله (**باطناً**): أي انفعالاً جاءها من قبل باطنها، لا بسحر، ولا تخييلاً؛ لأنّ السحر أو التخييل يجيء إلى الشيء من خارجه، أي: من الخارج عن ذاته. وقوله (**عن الإذن**): أي إذن الربّ تعالى، قال في المصباح: «ويكون الأمر إذناً، وكذا الإرادة نحو بإذن الله، وهو الجمع على الله، الذي شرحناه فيما تقدّم. وقوله (**ما ألقت**): خبر المبتدأ، أي: الذي ألقته، أي: وضعته وطرحته. وقوله (**بأُذنك**): أي في أُذنك، يا أيها المريد الصادق. وقوله (صيغتي): أي عبارتي وكلماتي التي ذكرتها لك في ضمن الأبيات المذكورة، كما بيَّنَّاه.

٦١٥- وَجَاءَ بِأَسْرَارِ الجَمِيعِ مُفِيضُهَا   عَلَيْنَا لَهُمْ خَتْماً عَلَى حِيْنِ فَتْرَةِ

(**وجاء بأسرار الجميع**): أي جميع تلك الآثار الظاهرة، والانفعالات الباهرة. وقوله (**مُفيضها**)/ [٢٥٨/أ] فاعل جاء، وهو نبيُّنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم. وقوله (**علينا**): معاشر العارفين المحقِّقين، وقال بأسرارهم، ولم يقل بآثار، إشارة إلى أنّه عليه السلام نبّه على الحِكَم التي انطوت في تلك الأمور الخارقة للعادة، الصادرة عن الأنبياء الماضين عليهم السلام في ضمن إشارات الكتاب المنزل عليه، وهو القرآن العظيم الذي يسرّه الله تعالى بلسانه العربي المبين، كما قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [٢٦/ الشعراء /١٩٣-١٩٥] على أنّ المجرور متعلّق بتكون، لا بنزل. فيكون اللسان العربيّ المبين معجزة منه صلّى الله عليه وسلّم، والمنزل عليه هو المعاني فقط، كما قالوا ذلك في أحد القولين عند العلماء. فهو صلّى الله عليه وسلّم مفيض أسرار

تلك الآثار على أتباعه من المقرّبين الأبرار بالتعبير عن كلام الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ﴾ [١٩/ مريم/ ٩٧] الآية. أي: جعلنا القرآن ميسوراً بعبارة لسانك، وإشارات أحاديثه صلّى الله عليه وسلّم. وقوله (لهم): أي للأنبياء الماضين عليهم السلام. وقوله (ختماً): حال من مفيضها، أي: خاتماً لهم، فلا نبيّ بعده، ولا رسول بعده. وقوله (على حين فترة): متعلّق بجاء، أي: في زمان فترة الرسل، قال في المصباح: «فَتَرَ عن العمل فُتُوراً، من باب قَعَدَ: انكسر عن حِدَّتِهِ، ولَانَ بعد شِدَّتِهِ. ومنه فَتَرَ الحَدُّ: إذا انكسر، فَتْرَة وفُتُوراً، وطَرْفٌ فاتر ليس بحديد". وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [٥/ المائدة/ ١٩] أي: على انقطاع بعثهم، ودروس أعلام دينهم.

٥١٦- وَمَا مِنْهُمُو إِلَّا وَقَدْ كَانَ دَاعِيَاً بِهِ قَوْمَهُ لِلْحَقِّ عَنْ تَبَعِيَّةِ

(وما مِنْهُمُ): بضمّ الميم لاستقامة الوزن، والضمير للأنبياء عليهم السلام، أي: وما من نبيٍّ منهم. وقوله **(إلّا وقد كان)**: أي ذلك النبيّ. وقوله **(داعياً)**: أي آمراً وناهياً بإذن ربِّه الحقّ. وقوله **(به)**: أي بذلك المفيض علينا، وهو محمّد صلّى الله عليه وسلّم. يعني: بسببه، لأنّه مرسل إليهم ليدعو أممهم بالنيابة عنه صلّى الله عليه وسلّم ـ أو بمباشرة نوره ـ المخلوقين منه فكأنه هو الدّاعي بالظهور في صورهم من قبيل قول البوصيريّ قدّس الله تعالى سرّه في همزيّة المديح النبويّ:

إنّما مثلوا صفاتك النّا س كما مثل النجوم الماء

يعني: مثلوا صفاتك بذواتهم، فظهروا مثلك للناس، كما ورد في حديث عبد الرزاق بسنده عن جابر رضي الله عنه، قال: «يا رسول الله، أخبرني عن أوّل شيء خلقه الله قبل الأشياء. قال: يا جابر، إنّ الله خلق قبل الأشياء نورنبيِّك من نوره»[1] الحديث الطويل. ذكره ابن حجر في شرح الهمزيّة. وفيه: لمّا خلق الله نور نبيِّه

(١) انظر: ص٣٨٧ و ص١٠٣٨.

صلّى الله عليه وسلّم أمره أن ينظر إلى نور الأنبياء عليهم السلام، فغشي من نوره ما أنطقهم الله به. وقالوا: ربّنا من غشينا نوره؟!. فقال: هذا نور محمّد بن عبد الله، إنْ آمنتم به جعلتكم أنبياء. قالوا: آمنا به وبنبوّته. فقال الله تعالى أشهدُ عليكم. قالوا: نعم. فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [٣/ آل عمران/ ٨١] في هذه الآية، كما قال التقيّ السبكي: من التنويه بقدره العلي صلّى الله عليه وسلّم ما لا يخفى. وفيها مع ذلك أنّه على تقدير مجيئه يكون مرسلاً إليهم، وإلى أممهم. فتكون رسالته عامّة لجميع الخلق؛ فهو نبيّ الأنبياء صلّى الله عليه وسلّم وعليهم أجمعين. ولذلك كانوا كلّهم يوم القيامة تحت لوائه عليه السلام». وقال ابن حجر أيضاً رحمه الله تعالى في محل آخر من كتابه المذكور: «قال تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ أي: وأممهم/ [٢٥٧/ ب] وحذف استغناء بذكر المتبوعين عن ذكر الأتباع ﴿لَمَآ﴾ مفتوحة توطئة للقسم الذي تضمّه أخذ الميثاق ﴿لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ﴾ سدّ مسد جوابه وجواب ما الشرطيّة، ومكسورة، أي: لأجل ما أتاكم ﴿مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ﴾ أي: وهو محمّد صلّى الله عليه وسلّم ﴿لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ [٣/ آل عمران/ ٨١] الآية. وقد اختلف المفسّرون فيها، والذي قاله علي وابن عباس رضي الله عنهم، وتبعهما الحسن، وطاووس، وقتادة: أَخَذَ على كلّ نبيّ بعثه من لدن آدم إلى محمّد صلّى الله عليه وسلّم لئن بُعث محمّد عليه السلام وهو حيّ ليؤمِنَنَّ به ولينصرنه. ويلزم من هذا أنّ الأنبياء عليهم السلام كانوا يأخذون الميثاق من أممهم بأنّهم إذا أدركوا محمّداً صلّى الله عليه وسلّم آمنوا به، ونصروه. ولا ينافيه العلم بأنّ الأنبياء عليهم السلام لا يدركون حياته صلّى الله عليه وسلّم، ولا الحكم في آخر الآية بالضيق على من تولى عن ذلك؛ لأنّ التعليق في ذلك لا يستلزم الوقوع، ألا ترى إلى قوله تعالى:

﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [٣٩/ الزمر/ ٦٥] ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ﴾ [٦٩/ الحاقة/ ٤٤]. والمقصود: إنّه لو فُرِض أنّه بعث وهو حي لزمهم ذلك، كما أنّ القصد من هاتين الآيتين التقدير أيضاً. ومن ثمّ قال الإمام التقي السبكي: دلَّت الآية على أنّهم لو أدركوا زمنه صلّى الله عليه وسلّم كان مرسلاً إليهم، فتكون نبوّته ورسالته عامّة لجميع الخلق والأنبياء وأممهم، من لدن آدم عليه السلام إلى قيام الساعة، وحينئذ يدخلون في "وأرسلت للناس كافّة"(١). وحكمت أخذ هذا الميثاق على الأنبياء عليهم السلام: أعلامهم وأممهم بأنّه المتقدّم. وأنّه صلّى الله عليه وسلّم نبيّهم ورسولهم. وقد ظهر ذلك في الدنيا، بكونه أمَّهم ليلة الأسراء. ويظهر في الآخرة بأنّهم كلّهم تحت لوائه صلّى الله عليه وسلّم، بل في آخر الزمان بكون عيسى عليه السلام ينزل حاكماً بشريعة محمّد صلّى الله عليه وسلّم، دون شريعة نفسه. وقوله (قومه): أي قوم ذلك النبي. وقوله (للحق): متعلّق بـ داعياً، وهو خلاف الباطل، وهو شريعة ذلك النبيّ التي توافق أمته، وتكون على طبق الحكمة في زمنه. وقوله (عن تبعيّة): يعني لا عن استقلال؛ بل بطريق النيابة عنه صلّى الله عليه وسلم، كما أشرنا إلى ذلك في بعض قصائدنا بقولنا:

كـلّ النبيّـين والرسـل الكـرام أتـوا ... نيابـة عنـه في تبليـغ دعـواه

فهـو الرسـول إلى كـلّ الخلائـق في ... كـلّ الـدهور ونابـت عنـه أفـواه

٦١٧- فَعَالِمُنَـا مِـنْهُمْ نَبِـيٌّ وَمَـنْ دَعَـا ... إِلى الحَـقِّ مِنَّـا قَـامَ بِالرُّسْـلِيَّةِ

٦١٨- وَعَارِفُنَـا فِي وَقْتِنَـا الأَحْمَـدِيُّ مِـنْ ... أُولِي العَـزْمِ مِـنْهُمْ آخِـذٌ بِالْعَزِيْمَـةِ

(فعالِمُنا): الفاء للتفريع على ما قبله. وعالمنا: أي العالم منّا. يعني: صاحب العلم الإلهيّ المأخوذ عن الله تعالى بطريق الفيض والإلهام، كما قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ

---

(١) أخرجه الطبرانيّ في المعجم الكبير، باب: عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة،١٢، بلفظ:إنّ الله عزّ وجلّ بعثني رحمة للناس كافّة...

﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٨٢]. وقوله (منهم): أي من الانبياء عليهم السلام. وقوله (نبيّ): أي كنبيّ منهم لمشاركتهم لهم في علومهم؛ لأنّهم ورثتهم في العلم، قال صلّى عليه: «إنّا معاشر الأنبياء لا نورّث درهماً ولا ديناراً ولكن نورِّث العلم فمن أخذ به فقد أخذ بحظٍّ أوفى»[1]. فإنّه كما أنّ علوم الأنبياء وهبيّة غير مكتسبة، فعلوم الأولياء كذلك وهبيّة، غير مكتسبة، ولهذا أطلق على الأولياء في الفتوحات المكيّة للشيخ الأكبر قدّس الله سرّه أنّهم أنبياء الأولياء باعتبار أنّ النبأ هو الخبر؛ فإنّهم أنبياء بالمعنى اللغوي، لانتقال علوم الأنبياء إليهم بالإرث عنهم، فإنّ مال المؤرِّث / [٢٥٩/ أ] إذا انتقل إلى الوارث مقامه فيه ومُلكه، كما كان المؤرِّث مالكه، ولنا برسالة مستقلّة في قول العارف المصريّ من الأروام بأنّ الحسن والحسين نبيّان. وقد أوضحنا ذلك على وجه التحقيق في البيان على حسب ما سئلنا عنه وبالله المستعان.

وقوله (ومن دعا إلى الحقّ): أي نشر العلوم الإلهيّة والشرعيّة. ودعا الناس إلى التقوى والعمل الصالح. وقوله (منّا): أي معاشر الأولياء. وقوله (قام بالرسليّة): أي بصفتها؛ فهو رسول الرسول، لقوله صلّى الله عليه وسلّم: «فليبلِّغ الشاهد الغائب»[2]. وقوله لمعاذ بن جبل لمّا أرسله إلى اليمن: «اللهمّ وفّق رسول رسولك»[3].

(١) أخرج البخاريّ في صحيحه، كتاب: العلم باب: العلم قبل القول والعمل،١٠، بلفظ: وأنّ العلماء هم ورثة الأنبياء، ورّثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافر. وأمّا قوله : «إنّا معشر الأنبياء لا نورث» فقطعة من حديث ذكره الحافظ في الفتح، ٦٢٣٢، قال عمر: أتعلمون أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: ما تركناه صدقة. ولأحمد إنّا لا نورث ما تركناه صدقة. وقد أخرج الترمذيّ في سننه، ٢٨٩٨، وأبو داوود في صحيحه، ٣٦٤٣، وابن ماجه في سننه، ٢٢٨، الحديث: إنّ العلماء ورثة الأنبياء، إنّ الأنبياء لم يورِّثوا ديناراً ولا درهماً، إنّما ورّثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر.

(٢) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب الحجّ، باب: الخطبة أيام منى، ١٧٣٩.

(٣) ورد اللفظ على لسان معاذ رضي الله عنه كما في سنن النسائي، ٣٩٩٨.

و(**الرسليّة**): بمعنى الرسالة، وهي السفارة بين الله تعالى وبين الخلق. وقوله (وعارفنا): مبتدأ، أي: العارف منّا، وهو صاحب الكشف والبصيرة، المحقِّق في علم الشريعة والطريقة والحقيقة. وقوله (**في وقتنا**): أي في الوقت الذي يكون فيه إلى آخر الزمان، وقوله (**الأحمديُّ**): خبر المبتدأ، أي: هو الأحمديُّ، بتشديد الياء مرفوعة، نسبة إلى أحمد، نبيّنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم؛ لأنّه وارثه في علومه، دون نبوّته ورسالته؛ فإنّهما لا يورَّثان كما تقرر في موضعه. وقوله (من أولي): أي أصحاب العزم، أي: القطع في الأمور والقوّة فيها وهم خمسة: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمّد صلى الله عليه وسلّم. وقوله (**منهم**): أي من الأنبياء عليهم السلام. وقوله (**أخذ بالعزيمة**): خبر بعد خبر لعارفنا. والعزيمة: مصدر عَزَمْتُ على كذا عَزْماً وعُزْماً بالضمّ، وعَزِيْمَةً وعَزِيَماً: إذا أردت فعله، وقطعت عليه، كذا في الصحاح.

٦١٩- وَمَا كَانَ مِنْهُمْ مُعْجِزاً صَارَ بَعْدَهُ كَرَامَـةَ صِـدِّيْقٍ لَـهُ أَوْ خَلِيْفَـةِ

و(**ما كان منهم**): أي كلّ أمر كان من الأنبياء عليهم السلام في أزمنة أممهم الماضين. وقوله (**مُعْجِزاً**): بصيغة اسم الفاعل، أي: خارقاً للعادة، مقروناً بالتحدّي. وقوله (صار بعده): أي بعد ذلك النبيّ الذي أظهر الله تعالى تلك المعجزة على يديه. وقوله (كرامةَ): بالنصب خبر صار. والكرامة اسم من الإكرام. قال في الصحاح: «التكريم والإكرام، بمعنىً، والاسم منه الكرامة». وهي هنا ما يكرم الله تعالى به الوليَّ من الأمر الخارق للعادة؛ فإنه يصلح أن يكون مثل معجزة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم. والفارق بينهما التحدّي، وهو دعوى النبوّة. والمشهور أنّ كرامات كلّ وليٍّ مثل معجزة النبيّ الذي هو وارثه، وكرامات أولياء هذه الأمّة معجزات لنبيِّنا، صلّى الله عليه وسلّم؛ لأنّها حصلت بسبب متابعتهم له صلى الله عليه وسلّم، واقتدائهم به في أعماله وأحواله. وقوله (**صِدِّيق**): بتشديد الدّال، كسكِّيت: الكثير الصدق، كذا في القاموس. وقال في

الصحاح: «والصَدِيق مثال الفَسيق :الدائم التصديق، ويكون الذي يُصَدِّقُ قولَه بالعمل. وذكر المناوي في شرح الجامع الصغير قال:«النبوّة انكشاف الغطاء. والصديقيّة: استواء سريرة القلب بعلانيّة الأركان، والشهادة : احتساب المرء بنفسه على الله تعالى». وقوله (له): أي لذلك النبيّ الذي هو وارث علومه. وقوله (أو خليفة): أي عنه في مقامه. قال في الصحاح: «الخليفة السلطان الأعظم، والجمع خلائف وخلفاء. يقال خلف فلان فلاناً إذا كان خليفته، يقال: خَلَفَه في قومه خِلافة، وخَلَفْتُهُ أيضاً: إذا جئتُ بعده. وقال الراغب: «الخلافة النيابة عن الغير لغيبة المنوب عنه، أو موته، أو عجزه، أو تشريف المستخلف. وعلى الأخير استخلف الله أولياءه في الأرض.

٦٢٠- بِعِتْرَتِه اسْتَغْنَتْ عَنِ الرُسُلِ الوَرَى وَأَصِحَابِهِ والتَّابِعِيْنَ الأَئِمَّةِ/ [٢٥٩/ ب]

٦٢١- كَرَاماتُهُمْ مِنْ بَعْضِ مَا خَصَّهُمْ بِهِ بَمَا خَصَّهُمْ مِنْ إرْثِ كُلِّ فَضِيْلَةِ

(بعترته): بالتاء المثنّاة الفوقيّة، عِتْرَة الرجل نَسْلُهُ، ورَهْطُهُ، وعشيرته الأدنون ممن مضى، كذا في القاموس. وقوله (استغنتْ): أي صارت لها كفاية وغنى. وقوله (من الرسل): أي الأنبياء والمرسلين إليهم من الله تعالى؛ لأنّهم ورثتهم وخلفاؤهم من بعدهم؛ لسيرهم على سيرتهم، واقتدائهم بهم. وقوله (الورى): فاعل استغنت. قال في الصحاح: «الوَرَى الخَلْق، يقال: ما أدري أيُّ الورى هو، أي: الخلق». وقوله (وأصحابه): جمع صَاحِب، من صَحِبَهُ، كسَمِعَهُ، صَحَابَة، وتكسر. وصَحِبَهُ: عاشَرَهُ، وهم أصْحَابٌ وأصَاحِيْب وصُحْبَان وصِحَاب وصِحَابَة وصَحَابَة وصَحْب، كذا في القاموس. والصَّحابي: منسوب إلى صَحابة، مصدر لصُحْبَة، وهي صُحْبَةُ النَبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وهو: كلّ من لقي النبيّ صلّى الله عليه وسلّم مؤمناً به، ومات على الإيمان. وقوله (والتابعين): جمع تابع، وهو مَنْ لقي الصحابي مؤمن بما آمن به من الحقّ كالأئمّة المجتهدين، وكثير من المحدثين. وهم على طَبَقَات

في فضائلهم. وقوله (**الأئمّة**): وصف للتابعين، جمع إمام، وهو المقتدى به في العلم وغيره. وقوله (**كراماتهم**): أي المذكورين من العِترة والأصحاب والتابعين لهم، جمع كرامة، وهي: ما كرمهم الله تعالى به من الأمور الخارقة للعادة. وقوله (**من بعد ما خصّهم به**): دون غيرهم، و(مِن): تبعيضيّة، لأنّه عليه السلام خصَّهم بأمور كثيرة في بواطنهم وظواهرهم بإمداد الله تعالى. وقوله (**بها**): أي بسبب الأمر الذي. وقوله (**خصّهم**): صلة الوصول، أي: ميّزهم به على غيرهم. وقوله (**من أرث**): أي ميراث. وقوله (**كلّ فضيلة**): وهي الدرجة الرفيعة في الفضل، كذا في القاموس. وهو بيان لما يعني بطريق الإرث عنه، صلّى الله عليه وسلّم؛ فإنّهم ورثته في كلّ فضيلة اتّصفوا بها رضي الله عنهم أجمعين. لأنّه كانوا يقتدون به صلّى الله عليه وسلّم، ويتّبعون سنّته ظاهراً وباطناً، فأورثهم الله تعالى في مقابلة معجزاته كراماتهم، كما أورثهم في مقابلة علومه علومهم الحقيقيّة والشرعيّة، وفي مقابلة أحواله أحوالهم المرضية، وفي حديث الجامع الصغير للسيوطي. قال رسول الله صلّى االله عليه وسلّم: «من بلغه عن الله فضيلة، فلم يصدق بها لم ينلها»[(١)] وقال شارحه المناويّ: أي لم يعطِه الله تعالى إيّاها، وإنْ أعطيها حُرِم من ذوق ما أنكره، ولهذا قال الصوفيّة: كلّ من أنكر شيئاً على القوم بغير دليل عوقب بحرمان ما أنكره، فلا يعطيه الله له أبداً. و(**الفضيلة**): ما يفضل به الشيء على غيره، يقال لفلان فضيلة، أي: خَصْلة حميدة، وفي حديث الديلميّ عن جابر رضي الله عنه، قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: « من بلغه عن الله عزّ وجلّ شيء فيه فضيلة، فأخذ بها، إيماناً رجاء ثوابه أعطاه الله ذلك، وإنْ لم يكن كذلك»[(٢)].

---

(١) انظر تخريجه ص٤٧٧.

(٢) ذكره السيوطيّ في الجامع، باب: حرف الميم، ٢١٦٦٥، كما أخرجه الخطيب في تاريخه، ٨/ ٢٩٥، والديلميّ في الفردوس، ٣/ ٥٥٩.

٦٢٢- فَمِنْ نُصْرَةِ الدِّيْنِ الحَنِيْفِيّ بَعَدَهُ   قِتَـــالُ أَبِي بَكْـــرٍ لِآلِ حَنِيْفَـــةِ

(فمن): الفاء للتفريع على ما قبله، بيان له، ومِنْ للتبعيض، أي: من جملة خوارق العادة بعد موت النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ما وقع لصاحبه أبي بكر الصدّيق، رضي الله عنه، وهو نصرة الحق والدين بقتال المرتدّين من بني حنيفة. وقوله (الدين): أي دين الإسلام، وهو دين محمّد صلّى الله عليه وسلّم. وقوله (الحنيفيّ): وصف للدين. قال في القاموس: الحَنَفُ محرّكة: الاستقامة، والحَنِيف كأمير: الصحيح المَيل إلى الإسلام، الثابت عليه، وكلّ من حج، وكان على دين إبراهيم عليه السلام». وقال في الصحاح: «والحنيف: المسلم، وقد سمي المستقيم بذلك، كما سُمِّيَ الغراب أعورَ؛ يعني: لأنّ الحَنَف/[٢٦٠/أ] وفي الأصل الاعوجاج في الرِجل، وهو أنْ تقبل إحدى إبهامَيْ رجله على الأخرى. والرجل أَحْنَف، ومنه سمّي الأحنف بن قيس، واسمه صخر. وقال ابن الأعرابي: هو الذي يمشي على ظهر قدمه من شقّها الذي يلي خنصرها، فسمّيت الاستقامة حنفاً لذلك؛ فالياء في الحنيفيّ مشدّدة، هي ياء النسبة إلى الحنيف، وهو الدين المستقيم. وقوله (بعده): أي بعد موت النبيّ صلَّى الله عليه وسلّم. وقوله (قتال): مبتدأ. وخبره ما تقدّم، وهو الجار والمجرور من نصرة. وقتال: مضاف إلى أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه في زمان خلافته عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم. وقوله (لِآل): الآل أهل الرجل، وأتباعه، وأولياؤه. ولا يستعمل إلّا فيما فيه شَرُفَ غالباً؛ فلا يقال: آل الإسكاف، كما يقال: أهله، كما في القاموس. وقوله (حنيفة): على وزن سفينة، لقب أُثَالِ بنِ لُجَيْم، أبي حَيٍّ، منهم: خَوْلَة بنت جعفر الحَنِيْفِيَّة، أم محمّد بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، ذكره في القاموس. والمراد بآل حنيفة بنو حنيفة، قوم من العرب في بلاد اليمن، أسلموا، ثمّ أغراهم على الردّة الغَرور ابن النعمان واسمه المنذر، وإنّما سُمِّي الغَرور لأنّه غرَّ قومه في تلك الردّة، أوغروره. واستعانوا على حربهم فقُتل هنالك. وزعم وثيمة بن موسى أنّه أسلم

بعد ارتداده، كذا في الروض الأنف للسهلي. وروى البخاريّ بسنده عن عبيد الله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود، أنّ أبا هريرة رضي الله عنه قال: لمّا توفي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وكان أبوبكر، وكفر من كفر من العرب، فقال عمر: كيف نقاتل الناس وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «أُمرت أنْ أقاتل الناس حتّى يقولوا لا إله إلّا الله، فمن قالها فقد عصم منّي ماله ونفسه إلّا بحقّه، وحسابه على الله تعالى فقال: والله لأقاتلنَّ من فرّق بين الصلاة والزكاة، فإنّ الزكاة حق المال، والله لو منعوني عَناقاً كانوا يؤدّونها إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لقاتلتهم على منعها. قال عمر فوالله ما هو إلّا أن قد شرح الله صدر أبي بكر، فعرفت أنّه الحق»[1] وفي رواية للنسائي «فوالله ما هو إلّا أنْ رأيت أنّ الله تعالى قد شرح صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنّه الحقّ»[2] فهذه المقاتلة من أبي بكر رضي الله عنه، ونصرة دين الإسلام دليل على أنّه مؤيد من عالم الملكوت والغيب. ولولا ذلك لاختل ركن من أركان الإسلام، وانحلّ سلكه عن النظام. وقد شهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه بشرح الصدور، وأنّ ما ذهب إليه هو الحقّ، وكفى بذلك كرامة جليلة، ومنّة جزيلة.

٦٢٣- وَسَارِيَةٌ أَلْجَاهُ لِلْجَبَلِ النِّدَاءُ مِنْ عُمَرٍ والدَّارُ غَيْرُ قَرِيبَةِ

(**وسارية**): بالسين المهملة، فالألف فالراء فالياء المثنّاة التحتيّة فالهاء: اسم للأسطوانة، وللسحابة التي تأتي ليلاً. والمراد هنا اسم الصحابي الجليل رضي الله عنه، وهو سارية بن زنيم بن عبد الله الكنانيّ، وهو الذي ناداه عمر بن الخطاب رضي الله عنه يا سارية الجبلَ الجبلَ. قال الراوي: فجاء البشير بالفتح بعد شهر، فذكر بعد شهر أنّه سمع في ذلك اليوم في تلك الساعة حين جاوز الجبل صوتاً يشبه

---

(١) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب: الاعتصام، باب: الاقتداء بسنن رسول الله ، ٧٢٨٤، والعَناق: المولودة الجديدة للغنم والماعز.

(٢) أخرجه النسائي في سننه، ٣٠٩١.

صوت عمر رضي الله عنه: يا سارية الجبلَ الجبلَ. قال: فعدلنا إليه، ففتح الله علينا. ذكره في مختصر أسد الغابة في أسماء الصحابة[1]. وسارية هذا كان في بلاد نهاوند، يغزوها في زمان خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، فناداه عمر وهو على منبر النبيّ صلّى الله عليه وسلّم يخطب يوم الجمعة في المدينة المنوّرة. وسارية يومئذٍ في بلاد نهاوند ـ قال في القاموس: «نهاوند مثلّثة النون، والفتح والكسر عند الصاغاني، والضمّ عن اللباب: بلاد من بلاد الجبل جنوبي همدان، أصله نوح آوند ، لأنّه بناها، وأصله إينهاوند ـ فأسمع الله تعالى سارية/ [٢٦٠/ب] صوت عمر، رضي الله عنهما، يقول: يا سارية الجبلَ الجبلَ، والله يُسمع من يشاء فامتثل سارية قول عمر رضي الله عنهما فصعد الجبل مع جماعة الصحابة الذين كانوا معه في تلك الغزاة فانتصروا، وحصل الفتح، وهي من كرامات عمر رضي الله عنه، وكان هذا في حياة سارية رضي الله عنه. ولمّا مات في مصر دُفن أيضاً في قلعة الجبل، فكأنّه امتثل نداء عمر رضي الله عنهما بعد وفاته أيضاً، فهو سارية الجبل حكمة إلهيّة، ونفحة ربّانيّة يمسك الله تعالى ببركة روحانيّته المشرقة على تراب جسمانيّته قلعة الجبل ومن فيها من الوزراء وأعوانهم، والعساكر المصريين مع إسرافهم على أنفسهم، كما أمسك من قبلهم الملوك الأُوَل المختلفة وأعوانهم؛ فهو سارية الجبل، أي: عضادته التي يمسك الله تعالى بها الجبل، وجميع من دفن فيه. ويرفعه بها، ويحفظه بها، والله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين. وقد أشرنا إلى ذلك بعد زيارته أيام كنا في مصر المحروسة سنة خمس بعد المائة والألف بهذه الأبيات:

قد حلّ سارية في قلعة الجبل ... من مصر حتّى بسرٍّ لاح من جبل

كأنّما عمر الخطاب حين له ... من المدينة نادى ساعة الوجل

وذاك في ناهوند كان ممتثلاً ... حين الحياة وبعد الموت والأجل

(١) انظر أسد الغابة في معرفة الصحابة ١ / ٤٠٨.

وقد استوفينا ذلك في كتاب رحلتنا الكبرى. وقوله (**أَلْجاهُ**): بالجيم والألف المبدلة من الهمزة، وأصله ألْجأه، قال في المصباح: «لَجَأَ إلى الحِصْن وغيره، لَجَأً، مهموز، من بابَيْ نَفَع وتَعِب، والتَجَأَ إليه: اعتصمَ بِهِ، فالحِصْن مَلْجَأٌ، بفتح الميم والجيم. وأَلْجَأْتُهُ إليه ولَجَّأْتُهُ بالهمز والتضعيف اضطررته وأكرهته». وقال في القاموس: «أَلجَأَه: اضطرّه». وفي الصحاح: «أَلْجَأْتُهُ إلى الشيء: اضطررته إليه». وقوله (**للجبل**): متعلّق بألجاه، وهو جبل بنهاوند. وقوله (**النداء**): فاعل ألجاه، قال في الصحاح: «النداء الصوت، وقد يُضمّ مثلُ الدُّعاء والرُّغاء. وناداه مُناداةً ونِداءً، أي: صاح به». وقوله (**من عُمَرٍ**): بالتنوين لضرورة الوزن. والجار والمجرور متعلّق بواجب الحذف في محلّ نصب حال من النداء. وهو عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وقوله (**والدار**): أي التي كان فيها سارية المذكور، قال في القاموس: «الدار، والبلد، والقبيلة» يعني: بلد نهاوند أو قبيلة الصحابة الذين كانوا مع سارية رضي الله عنهم. وقوله (**غير قريبة**): يعني بل هي بعيدة عن مدينة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم التي كان فيها يومئذ عمر رضي الله عنه.

٦٢٤- وَلَمْ يَشْتَغِلْ عُثْمانُ عَنْ وِرْدِهِ وَقَدْ أَدَارَ عَلَيْــهِ القَــوْمُ كَــأْسَ المَنِيَّــةِ

(**ولم يشتغل عثمان**): هو ابن عفّان بن أبي العاص الأمويّ، رضي الله عنه، ثالث خلفاء رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. وقوله (**عن وِرْدِهِ**): بكسر الواو، متعلّق بيشتغل. و(**الوِرْدُ**): الوظيفة من قراءة ونحو ذلك. والجمع أوراد، مثل حِمْل وأحْمَال. وذلك وِرْدُهُ من قراءة القرآن العظيم. وقوله (**وقد**): الواو للحال. وقوله (**أدار عليه القوم**): أي جماعة الصحابة، رضي الله عنهم أجمعين؛ فإنّهم كلّهم مجتهدون في الدين، يتبّعون الكتاب والسنة، ولا يخرجون عنهما بشهادة النبيّ صلى الله عليه وسلّم بقوله: «**أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم**»[1]. ولا يُقتدَى

(١) ذكره الحافظ ابن حجر في تلخيص الحبير، باب: أدب القضاء، ٢٠٩٨. وهو حديث ضعيف.

إلّا بالإمام المجتهد، إذْ المقتدي بغيره لا يُقتدى به، وفي قوله (**بأيهم اقتديتهم**): إشارة إلى اختلافهم على مذاهب، فمنهم المصيب، ومنهم المخطئ، وهم مثابون على كلّ حال بقوله صلّى الله عليه وسلّم: «من اجتهد فأصاب فله أجران، ومن اجتهد فأخطأ فله أجر واحد»[1]. وقوله (**اهتديتم**): إشارة إلى أنّ الجميع على هدى/ [٢٦١/ أ] فقاتلهم ومقتولهم في الجنّة كما ورد ذلك في الآثار. وقوله (**كأس المنيّة**): أي الموت. وفيه تشبيه المنيّة بالخمر، استعارة بالكناية. وذكر الكأس وهو وعاء الخمر تخييل. وذكر الإدارة ترشيح للاستعارة المكنيّة. وقال في مختصر أسد الغابة: «بويع الإمام عثمان بن عفان رضي الله عنه بالخلافة يوم السبت، غرّة المحرم، سنة أربع وعشرين من الهجرة، بعد دفن عمربن الخطاب رضي الله عنه بثلاثة أيام. وقتل رضي الله عنه بالمدينة يوم الجمعة لثماني عشرة، أو سبع عشرة خلت من ذي الحجة، سنة خمس وثلاثين من الهجرة. وقال القاسم بن أميّة بن أبي الصلت في ذلك:

لعمري لبئس الذبح ضحيّتم به ... خلاف رسول الله يوم الأضاحيا

وقال حسان رضي الله عنه:

من سرّه الموت صرفاً لا مزاجَ له ... فليأتِ مأدبة في دار عثمانا

ضحّوا بأشمط عنوان السجود به ... يقطّع الليل تسبيحاً وقرآنا

صبراً فدىً لكمُ أمي وما ولدت ... قد ينفع الصبر في المكروه أحياناً

لتسمعنّ وشيكاً في ديارهم ... الله أكبر يا ثارات عثماناً

ومنها:

يا ليت شعري وليت الطير يخبرني ... ما كان بين علي وابن عفّانا

---

(١) أخرجه المتّقيّ الهنديّ في كنز العمّال، ١٤٥٩٧، عن أبي هريرة، بلفظ: «إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر واحد».

قال أيضاً:

إنْ تمس دار بني عفان موحشة باب صريع وباب مخرق خرب
فقد يصادف باغي الخير حاجته فيها ويأوي إليها الجود والحسب

ولا شكّ أنّ هذه الحالة التي وقعت لعثمان رضي الله تعالى عنه من أكبر الكرامات الجليلة.

٦٢٥- وَأَوْضَحَ بِالتَّأْوِيلِ مَا كَانَ مُشْكِلاً عَلِيٌّ بِعِلْمٍ نَالَهُ بِالْوَصِيَّةِ

(وأوضح بالتأويل): وهو إرجاع معنى بعض النصوص إلى معنى البعض. قال في المصباح: «أوّلت الشيء صببت بعضه على بعض حتّى آل وطاب». وعلى هذا فمعنى التأويل ردّ بعض النصوص إلى بعض حتّى يتّفقا في معنى، كما يتفق الشيئان المختلطان في الصورة، ويصيران كشيء واحد. وقوله (ما كان مشكلاً): أَشكل الأمر التبس. والمشكل الملتبس، كأنّه دخل بين إشكاله، أي: صوره المختلفة فالتبس. وذلك هو المتشابه في كتاب الله تعالى، وسنّة نبيِّه صلّى الله عليه وسلم. وذلك ما ورد في صحيح البخاريّ بسنده عن أبي جحيفة قال: «قلت لعليّ ابن أبي طالب رضي الله عنه: هل عندكم كتاب؟. قال: لا، إلّا كتاب الله ، أو فهم أُعطيه رجل مسلم، أو ما في هذه الصحيفة. قال: قلت: وما في هذه الصحيفة؟. قال: العقل، وفكاك الأسير، ولا يُقتل مسلم بكافر»[1]. وفي رواية للبخاريّ في الجهاد عن أبي جحيفة قال: قلت لعلي: عندكم شيء من الوحي إلّا مافي كتاب الله؟. قال: لا، والذي فلق الحبّة، وبرأ النسمة، ما أعلمه إلا فهم يعطيه الله رجلاً في القرآن، وما في هذه الصحيفة بنحو ما ذكر»[2]. وفي رواية الترمذيّ، قال حدّثنا أبو جحيفة، قال: «قلت لعليّ: يا أمير المؤمنين، هل عندكم سوداء في بيضاء

---

(١) أخرجه البخاريّ، في صحيحه، كتاب: العلم، باب: كتابة العلم، ١١١.

(٢) أخرجه البخاريّ، في صحيحه، كتاب: الجهاد باب: لا يُقتل المسلم بالكافر، ٤٧٦١.

ليس في كتاب الله؟. قال: لا، والذي فلق الحبّ، وبرأ النسمة، ما علمته إلّا فهماً يعطيه الله رجلاً في القرآن، وما في الصحيفة»[1] وفي رواية النسائيّ عن الشعبيّ، قال: «سمعت أبا جحيفة يقول: سألنا علياً رضي الله عنه، فقلنا له: هل عندكم من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم شيء سوى القرآن؟. فقال : لا، والذي فلق الحبّة، وبرأ النسمة إلّا أنْ يعطي الله عزّ وجلّ عبداً فهماً في كتابه، أو ما في هذه الصحيفة[2]. وفي رواية ابن ماجه عن أبي جحيفة قال: «قلت لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: هل عندكم شيء من العلم ليس عند الناس؟. قال: لا، والله ما عندنا إلّا ما عند الناس، إلّا أنْ يرزق الله رجلاً فهماً في القرآن، وما في هذه الصحيفة»[3]. ولا شكّ أنّ إيضاح ما أشكل/[٢٦١/ب] من أسرار الكتاب والسنّة من أعظم الكرامات للعبد إذا أُعطي ذلك. وقوله (عَلِيٌّ): فاعل أوضح، وهو علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وقوله (بعلم): أي بسبب علم. وتنكيره للتعظيم، وهو علم الله الذي يقذفه في قلب العبد، كما أخرج الديلميّ في مسند الفردوس، عن عليّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «علم الباطن سرّ من أسرار الله تعالى، وحِكَم من حِكَم الله عزّ وجلّ، يقذفه في قلوب من يشاء من عباده»[4]. وقوله (ناله): أي عليّ رضي الله عنه. والجملة صفة لعلم. وقوله (بالوصيّة): هي التقدّم إلى الغير بما يعمل به، مقترناً بوعظ، من قوله: أرض واصية: متّصلة النبات. ويقال: أَوصاه، ووصَّاه، ذكره الراغب. وقال في المصباح:

---

(١) أخرجه الترمذيّ في سننه، كتاب الديات، باب: ما جاء لا يقتل مسلم بكافر، ١٤٧٤.

(٢) أخرجه النسائي في سننه، كتاب القسامة، باب: سقوط القود من المسلمللكافر، ٤٧٦١.

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الديات، باب: لا يقتل مسلم بكافر، ٢٧٦٠.

(٤) أخرجه المتّقيّ الهنديّ في كنز العمّال، الباب الأوّل في الترغيب فيه، ٢٨٨٢٠، قال الكتّانيّ في تنزيه الشريعة: كما ذكره ابن الجوزيّ في الواهيات، ١٠٥، انظر تنزيه الشريعة المرفوعة لابن عراق ١/ ٢٨٠.

«ولفظ الوصية مشترك بين التذكّر والاستعطاف وبين الأمر. فيتعيّن حمله على الأمر. وقام مقامه كلّ لفظ فيه معنى الأمر، وتواصى القوم: أوصى بعضُهم بعضاً». والألف واللام في الوصيّة للجنس: أي جنس الوصيّة التي أوصاه بها النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، أو للعهد. وهي وصيّة الله تعالى بالتقوى، كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [٤/ النساء/ ١٣١].

٦٢٦- وَسَائِرُهُمْ مِثْلُ النُّجُوْمِ مَنِ اقْتَدَى بِأَيِّهِمِ مِنْهُ اهْتَدَى بِالنَّصِيْحَةِ

(وسائرهم): أي بقية الصحابة رضي الله عنهم.[قال في المصباح:] «قال الأزهري: اتفق أهل اللغة أنّ سائر الشيء باقيه، قليلاً كان أو كثيراً. وقال الصَّغَّاني: سائر الناس باقيهم، وليس في معناه جميعهم، كما زعم من قَصُرَ في اللغة باعُهُ وجعله بمعنى الجميع مِنْ لَحْنِ العوام. ولا يجوز أنْ يكون مشتقّاً من سُورِ البلد لاختلاف المادّتين». وقوله (مثل النجوم): يعني مَنْ ذكر من الصحابة، وهم الخلفاء الأربعة، وبقيتهم أيضاً مثل نجوم السماء، أي: كواكبها المضيئة لأهل الأرض في الظلمات، قال صلّى لله عليه وسلّم: «أصحابي بمنزلة النجوم في السماء بأيهم اقتديتم أهتديتم»[1] ذكره أيضاً في مسند الفردوس، وأسنده عن ابن عبّاس رضي الله عنهما. وتشبيههم بالنجوم من جهة النور، والإضاءة، والارتفاع، والانتفاع بهم في الهداية في البرّ والبحر. واختلاف السير لا يطعن في هدايتهم، فاتّفاقهم حجة قاطعة، واختلافهم رحمة واسعة، وكذا من بعدهم من المجتهدين رضي الله عنهم أجمعين. وقوله (من اقتدى) يقال: اقتدى به، أي: فعل مثل فعله تأسيّاً به، كذا في المصباح. وقوله (بأيِّهِمِ): بكسر الميم لضرورة الوزن، أي: بأيِّ إمام منهم إنْ وصل إليه مذهبه بالتواتر، وتفصّلت شروطه، وتبيّنت أحكامه. وقوله (منه): متعلّق بالنصيحة، قال

(١) انظر تخريجه ص١١٤٢.

في المصباح: نَصَحتُ لزيدٍ أَنْصَحُ لَهُ نُصْحاً ونَصِيحَة، هذه اللغة الفصيحة. وفي لغة يتعدّى بنفسه، فيقال: نصحته».

وقوله (اهتدى): جواب الشرط، أي: وصل إلى طريق الحقّ، والصراط المستقيم. وقوله (بالنصيحة): متعلّق باهتدى، فإنّه يهتدي بالنصيحة ممن اقتدى به من أئمّة الهدى إذا عمل بها على وجه الصواب، وإلى الله المرجع والمآب.

٦٢٧- وِلِلْأَوْلِيَاءِ الْمُؤْمِنِيْنَ بِهِ وَلَمْ   يَرَوْهُ اجْتِبَا قُرْبٍ لِقُرْبِ الأُخُوَّةِ

٦٢٨- وَقُرْبُهُمُ مَعْنَىً لَهُ كَاشْتِيَاقِهِ   لَهُمْ صُوْرَةٌ فَاعْجَبْ لِحَضْرَةِ غَيْبَةِ

(وللأولياء): جمع وليّ، فعيل بمعنى مفعول، في حقّ المطيع، فتقول: المؤمن وليّ الله، أي: يتولّى الله أموره، كذا في المصباح. والجار والمجرور خبر مقدّم. وقوله (المؤمنين): صفة للأولياء. وقوله (به): أي بالنبيّ صلّى الله عليه وسلّم، والمفهوم من الكلام في هذا المقام. وقوله (ولم يروه): الواو للحال. والجملة حال من المؤمنين. يعني: آمنوا به صلّى الله عليه وسلّم، ولم يدركوا زمانه، ولا رأوه. وقوله (اجتبا) بالقصر لضرورة الوزن، وأصله المدّ، أي: اصطفاء واختصاص. يقال: اجتباه، أي: اصطفاه. وقوله (قرب): أي دَنَوْا منه صلّى الله عليه وسلّم، الدُنُوّ المعنويّ من حيث بواطنهم، فاجتباء القرب اختصاص مزيّة عنده صلّى الله عليه وسلّم، ليست لغيرهم، كما ورد في حديثه / [٢٦٢/أ] صلّى الله عليه وسلّم عند السيوطيّ في جامعه الصغير، قال عليه الصلاة والسلام: «طوبى لمن رآني وآمن بي مرّة، وطوبى لمن لم يرني وآمن بي سبع مرّات»[1] قال المناويّ في شرحه: وذلك لأنّ الله مدحهم بإيمانهم بالغيب، وكان إيمان الصدر الأوّل غيباً وشهوداً؛ فإنّهم آمنوا بالله وباليوم الآخر غيباً. وآمنوا بالنبيّ شهوداً لمّا أنّهم رأوا الآيات، وشاهدوا

(١) أخرجه السيوطيّ في جامع الأحاديث، باب: حرف الطاء، ١٣٩٦٥.

المعجزات. وآخر هذه الأمّة آمنوا غيباً بما آمن به أوّلها شهوداً؛ فلذا أثنى عليهم النبيّ صلّى الله وسلم. وأخذ ابن عبد البرّ من هذا الحديث ونحوه أنّه يوجد في مَنْ يأتي بعد الصحابة مَن هو أفضل من بعض الصحابة، وأيده بعضهم بخبر ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً: «أتدرون أي الخلق أفضل إيماناً؟ قالوا: الملائكة. قال وحُقّ لهم؛ بل غيرهم. قالوا: الأنبياء. قال وحُقّ لهم؛ بل غيرهم. ثمّ قال: أفضل الخلق إيماناً قوم في أصلاب الرجال، يؤمنون بي ولم يروني؛ فهم أفضل الخلق إيماناً»[1].انتهى. ولا يعارضه أحاديث فضل الصحابة رضي الله عنهم، من وجه رؤيته صلّى الله عليه وسلّم، والجهاد معه؛ فإنّ فضل مَنْ لم يرَه من جهة الإيمان بالغيب. وأيضاً فإنّ هذه الفضيلة من جهة كلّ شخص منهما على حِدَتِهِ، وإلّا فإنّ حديث: «من دلّ على خير فله أجره وأجر من عمل به»[2] صريح بأن أجر العامل بالخير في صحيفة مَن دلّ عليه؛ فالمتقدّم أفضل على كلّ حال، فإنّ فضيلة المتأخّر مندرجة في فضيلة المتقدّم زيادة على فضيلته، فلا يفضله غيره كما أشار إلى ذلك الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه في بعض كتبه. وقوله (لقرب الأخوّة): علّة لاجتباء القرب الذي اختُصّ به مَن آمن ولم يره صلّى الله عليه وسلّم. و(الأُخوّة): بتشديد

---

(١) ذكره ابن الهيتميّ في الصواعق المحرقة، على أهل الرفض والضلال والزندقة ٢ / ٦١١، وقال: صححه الحاكم، وحسّن غيره خبر: يا رسول الله ، هل أحد خير منّا؟. أسلمنا معك، وجاهدنا معك؟. قال: «قوم يكونون بعدكم، يؤمنون بي ولم يروني».

(٢) لم نعثر عليه بهذا اللفظ في مصادرنا؛ وإنّما يؤيّده ما أخرجه أحمد في مسنده، باب: من حديث جرير بن عبد الله عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، ١٩٢٢٣، بلفظ: «من سنّ سنّة حسنة فعمل بها من بعده كان له أجرها وأجر من عمل بها، من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً . ومن سنّ سنّة سيئة عمل بها من بعده كان عليها وزرها ووزر من عمل بها ولا ينقص ذلك من أوزارهم شيئاً». قال الشيخ شعيب أرناؤوط معلّقاً على الحديث: صحيح وهذا إسناده حسن من أجل عاصم، وهو ابن أبي النجود، وبقية رجاله ثقات ، رجال الشيخين. كما يؤيّده حديث أحمد في المسند، باب: بريدة الأسلميّ رضي الله عنه، ٣٠٧٧، بلفظ: «الدّال على الخير كفاعله». قال الشيخ شعيب أرناؤوط: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح.

الواو، بمعنى الإخوان؛ فإنّهم إخوانه صلّى الله عليه وسلّم بصريح الحديث الذي أخرجه الإمام مالك في الموطّأ بإسناده عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خرج إلى المقبرة فقال: السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون، وددت لو أنيّ رأيت إخواننا. فقالوا يا رسول الله، ألسنا بإخوانك ؟!قال: بل أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد، وأنا فرطهم على الحوض. فقالوا يا رسول الله، كيف تعرف من يأتي بعدك من أمتك. فقال: أرأيت لو كان لرجل خيل غير محجّلة في خيل دُهم بُهم ألا يعرف خيله؟!. قالوا: بلى يا رسول الله. قال: فإنّهم يأتون يوم القيامة غراً محجلّين من الوضوء، وأنا فرطهم على الحوض. فليذادنَّ رجال على حوضي كما يُذاد البعير الضالّ، أنادي بهم: ألاهلمَّ، ألا هلمّ. فيقال : إنّهم قد بدّلوا بعدك. فأقول فسحقاً فسحقاً فسحقاً»[1]. وقوله (**وقُرْبُهُمْ**): بضمّ الميم للوزن. وقوله (**معنىً**): أي هو أمر معنوي ثابت لهم باعتبار إيمانهم به صلّى الله عليه وسلّم، وبما جاء به من الحقّ ولم يروه، ولا أدركوا زمانه. ومحبّتهم له الخالصة من قلوبهم. وقوله (**له**): متعلّق بقربهم، أي: للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم؛ فإنّ ذلك قرب باطنيّ قلبيّ لولا وجود المناسبة بينهم وبينه صلّى الله عليه وسلّم لّما تيقّنت قلوبهم بصدق ما جاء به من الحقّ. وقوله (**كاشتياقه**): الشوق نزاع النفس، وحركة الهوى. والجمع أشواق. وقد شاقني حبّها: هاجني، كشوّقني، واشتاقه، واشتاق إليه: بمعنى، كذا في القاموس. وقوله(**لهم**): أي إليهم. وقوله (**صورة**): فإنّهم لم يُخلقوا بعد، ولم يرهم صلّى الله عليه وسلّم، فكيف يكون اشتياق لغير موجود؟!. وجوابه: إنّه لو كشف له عنهم صلّى الله عليه وسلّم فهو ينظر إليهم وإنْ لم يكونوا موجودين

---

(١) أخرجه مالك في الموطّأ، كتاب الطهارة، باب: جامع الوضوء، ٥٩، ولكن بلفظ (فلا يذادنّ). أمّا لفظ (فليذادنّ) فعند أحمد في المسند، والبيهقيّ في السنن، وأبي عوانة في المسند، وابن حبّان في الصحيح، والبغوي في شرح السنّة. كذلك عند أحمد في المسند (ألا ليذادنّ) في رواية أخرى.

في زمانه، كما ورد في خبر الطبرانيّ الذي ذكره ابن حجر الهيتميّ في شرح الهمزيّة، قال صلّى الله عليه وسلّم: «إن الله قد رفع لي الدنيا، فأنا أنظر إليها، وإلى ما هو كائن فيها إلى يوم القيامة. كأنّما أنظر إلى كفّي هذه»[1]. وفي الحديث الصحيح «فعلمت علم الأوّلين والآخرين»[2] فيكون على هذا كون اشتياقه صلّى/ [٢٦٢/ ب] عليه وسلّم إليهم صورة إنّ ذلك في الحقيقة اشتياق إلى تجلّيات ربّه الحقّ في صورهم المقدّرة بعلمه وإرادته تعالى؛ أنّه تعالى كما قال عنه موسى، عليه السلام: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [٢٠/ طه/ ٥٢] وليس من شرط الكشف اتّصاف المكشوف عنه بالوجود؛ بل يكفي فيه التقدير المحقّق والثبوت. وقوله (فاعجب لحضرة غيبة): أي لحضور الأمر من المغيّب، وهو اجتماع النقيضين: حضرة الشيء وغيبته معاً، كما قيل:

ومن العجائب أنني أشتاقكم ... أبداً وأنتم في بعادكُمُ معي

بل اشتياقه صلّى الله عليه وسلّم لهم، إنّما هو اشتياق لصور تجلّي النور المحمّدي الذي هو حقيقته صلّى الله عليه وسلّم، فاشتياقه لهم إنّما هو مجرّد صورة كونه لهم، وهو لحقيقته الظاهرة في صورهم، لأنّ جميع المخلوقات خلقت من نوره صلّى الله عليه وسلّم، المخلوق من نور الله، كما وردت به الأحاديث النبويّة، وإلى ذلك يشير الناظم قدّس الله سرّه بتكلّمه على لسان الحقيقة المحمّديّة؛ لأنّه مخلوق من نورها حيث يقول:

---

(١) أخرجه الهيثميّ في مجمع الزوائد، ٨/ ٢٨٧، عن عمر رضي الله عنه، وقال: رواه الطبرانيّ، ورجاله وثقوا على ضعف كثير في سعيد بن سنان الرهاويّ. كما أخرجه المتّقي الهنديّ في كنز العمال، كتاب الفضائل، باب: الفصل الثالث في فضائل متفرّقة، ٣١٩٧١، عن ابن عمر.

(٢) قطعة من حديث طويل. أخرجه الطبرانيّ في الدعاء، باب: رأيت ربّي عزّ وجلّ في أحسن صورة فقال. ١٣٢٠. بلفظ: فوضع يده بين كتفي، فوجدت بردها بين ثدييّ، فعلمت ما في السماء والأرض. وللحديث أطراف أخرى وطرق كثيرة.

٦٢٩- وَأَهْلٌ تَلَقَّى الرُّوْحَ بِاسْمِي دَعَوْا إلى سَبِيلِي وَحَجُّوا الْمُلْحِدِينَ بِحُجَّتِي

(وأَهلٌ تلقّى الروح): أي استقبالها وقبولها بظهور حكم استيلائها على بشريّته، وتغلّبها على بشريّته، قال في الصحاح: «تَلَقَّاه، أي: استقله، وقوله: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ [١٤/ النور/ ١٥] أي: يأخذ بعضٌ من بعض. وقال في القاموس: «الروح: ما به حياة الأنفس، ويُؤنَّث، والقرآن، والوحي، وجبريل، وعيسى، عليهما السلام، والنَّفْخُ، وأمرالنبوّة، وحكم الله تعالى، وأمره، ومَلَكٌ وجْهُهُ كوجه الإنسان وجسده كالملائكة». والمراد هنا الوحي العام، فيدخل فيه الأنبياء، وغيرهم من الورثة والصدّيقين. قال تعالى: ﴿يُلْقِي ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [٤٠/ غافر/ ١٥] الآية. والمعاني كلّها متقاربة في التحقيق عند أهله. وقوله (باسمي): أي بالحقيقة التي يصحّ فيها إطلاق اسمي عليهم إذا تحقّقوا بها كما أنا متحقّق بها؛ ولهذا كان كلامه قدّس الله سرّه بلسانها، ويصحّ أنْ يكون باسمي الذي أنا متحقّق به، وهو الاسم الهادي من أسماء الله تعالى. والجار والمجرور متعلّق بـ دَعَوْا، قدّم عليه للحصر. وقوله (دَعَوْا إلى سبيلي): أي مُرُوا الناس أنْ يدخلوا في طريقي المستقيم وصراطي القويم. قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [١٢/ يوسف/ ١٠٨] يعني: وكذلك من اتبعني، سواء تقدّم أو تأخّر؛ فإنْ الأنبياء عليهم السلام كلّهم دعوا أممهم بالنيابة عنه صلّى الله عليه وسلّم، كما قدمنّاه مفصّلاً. وقوله (وحَجُّوا): أي ألزموا الحجة. وقوله (الملحدين): جمع ملحد بصيغة اسم الفاعل، من أَلْحَدَ في دين الله، أي: حاد عنه، وعدل . ولَحَدَ لغة فيه. وأَلْحَدَ الرجلُ، أي: ظلم في الحرم، وأصله من قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ﴾ [٢٢/الحج/ ٢٥] أي: إلحاد بظلم. والباء فيه زائدة، كذا في الصحاح. والإلحاد: هو العُدُول عن ظواهر الكتاب والسنّة إلى معانٍ يمنعون معها ظواهر الكتاب والسنّة، ويقولون: ليس إلّا

البواطن هي المرادة. وقوله (بحجّتي): متعلّق بحجّوا. قال في الصحاح: «الحُجَّة: البرهان. تقول: حَاجَّه فَحَجَّه، أي: غلبه بالحجّة».

٦٣٠- وَكُلُّهُمُ عَنْ سَبْقِ مَعْنَايَ دَائِرٌ بِدَائِرَتِي أَوْ وَارِدٌ مِنْ شَرِيعَتِي

(وكلّهم): أي أهل تلقّي الروح، وهم الأنبياء والورثة من كبار الأولياء. وقوله (عن سَبْقِ مَعْنايَ): أي تقدّم حقيقتي على حقائقهم كلّهم، وهو نوره صلّى الله عليه وسلّم الذي هو أوّل مخلوق خلقه الله تعالى من نوره، كما ورد في حديث جابر رضي الله عنه الذي أخرجه عبد الرزّاق في مسنده. وقوله (دائرٌ بدائرتي): أي داخل بدائرتي لكونه نقطة منها. ودائرته صلّى الله عليه وسلّم لا تزال دائرة ينعطف مبتداها على/[٢٦٣/أ] منتهاها قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [٢١/الأنبياء/ ١٠٤] ذلك دائماً؛ فإنّ عالم الخلق قائم بعالم الأمر، وعالم الأمر كلمح بالبصر، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ [٥٤/ القمر/ ٥٠]، وقال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [٣٠/الروم/ ٢٥]؛ فالخلق والأمر كلمح بالبصر، وهي الدائرة المحمّديّة الجامعة، والدرّة البيضاء اللامعة، قال القائل:

عَلَى الدُّرَّةِ البَيْضَاءِ كَانَ اجْتِمَاعُنَا وَمِنْ قَبْلِ خَلْقِ الخَلْقِ وَالعَرْشِ كُنَّا

وقوله (أَو وَارِدٌ من شَرِيعتي): الورود الإشراف على الماء وغيره، دخله أو لم يدخله، كالتورُّد والاستيراد، وهو وارد، والشريعة: ما شَرَعَ الله تعالى لعباده. والظاهر المستقيم من المذاهب كالشِّرْعَة بالكسر فيهما. ومورد الشارب كالمَشْرَعَة. وتضمّ: رؤاها. والشِّرع بالكسر، كذا في القاموس.

٦٣١- وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ ابْنَ آدَمَ صُورَةً فَلِي فِيهِ مَعْنًى شَاهِدٌ بِأُبُوَّتِي

(وإنِّي): كلام على لسان الحقيقة المحمّديّة. وقوله (وإنْ كنت ابن آدم صورة): أي أبي آدم عليه السلام، من حيث ولادته لصورتي. وقوله (فلي فيه): أي في آدم

عليه السلام. وقوله (معنى شاهد): ذلك المعنى (بأبوّتي له): أي بكوني أباه، وهو المعنى الروحانيّ؛ فإنّه عليه السلام أبو الأرواح كلّها، أرواح النبيّين وغيرهم. كما أنّ آدم عليه السلام أبو الأجساد؛ فإنّه عليه السلام حقيقة الروح الأعظم الذي هو أوّل مخلوق خلقه الله تعالى، ونفخ منه جسد آدم عليه السلام، وفي سائر أجساد الأنبياء والمرسلين، عليهم الصلاة والسلام. فتلك النفخة هي روح آدم، ومنها جميع نفخات أرواح الأنبياء والمرسلين بعده، عليهم السلام؛ بل أرواح جميع العالمين كذلك، فروحه صلى الله عليه وسلّم، ومعناه أصل جميع لجميع أرواح النبيّين والمرسلين ومعانيهم عليهم السلام؛ فلهذا كان صلّى الله عليه وسلّم أبا الأرواح، ومنشأ المعاني. ولهذ قال (فلي فيه معنى شاهدٌ بأبوّتي) له وكذلك لغيره من الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، ومثلهم الورثة من الأولياء الكرام والخلفاء العظام، قال تعالى في آدم عليه السلام: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ [١٥/الحجر/٢٩] وهذا الروح هو الروح المحمّدي، والسرّ الأحمديّ. والسجود في الحقيقة لروح محمّد صلّى الله عليه وسلّم، المنفوخ منه في آدم عليه السلام، المشار إليه بقوله صلّى الله عليه وسلّم «كنت نبيّاً وآدم بين الماء والطين»[1] أي: لم يُخلق بعد، وفي رواية «ولا آدم ولا ماء ولا طين».

٦٣٢- وَنَفْسِي عَنْ حَجْرِ التَحَلِّي بِرُشْدِهَا تَخَلَّتْ وَفِي حِجْرِ التَجَلِّي تَرَبَّتِ

(ونفسي عن حَجْرِ): أي منع، قال في القاموس: «الحَجْر، مثلّثة: المَنع، كالحُجْران، بالضمّ و الكسر». وقوله (التحلِّي): بالحاء المهملة، أي: التزين به، يقال: حَلَّيْتُها تَحْلِيَةً، ومنه سيفٌ مُحَلًّى، وتَحَلَّى بالحلي، أي تزيَّن، كذا في الصحاح. وقوله (برُشْدها): متعلّق بالتحلِّي. والرُّشْد بضمّ الراء وسكون الشين المعجمة وبالدال المهملة: الهداية، قال في القاموس: «رَشَدَ كنصَرَ وفَرِحَ: رُشْداً ورَشَاداً:

---

(١) انظر تخريجه ص٩٦٩.

اهْتَدَى». وضمير رشدها للنفس؛ لأنّها ظاهرة بأسماء الله تعالى وصفاته، فهي متزيّنة متجلّية بتلك الأسماء الإلهيّة، والصفات المقدّسة العليّة.

وقوله (تخلّت): بالخاء المعجمة، من التخلّي، وهو الترك والفراغ عن الشيء. يعني: إنّ نفسي تركت التباعد والامتناع عن التحلّي والتزيّن بزينة الأسماء والصفات الإلهيّة كما يفعل الجاهل بالله، المحروم بجهله، وقلّة أدبه مع الله تعالى، وبزعم التنزيه والتقديس للحضرة الإلهيّة أنْ يكون ظاهراً بمظاهر أسمائها وصفاتها، فيدّعي الاستقلال بالأسماء والصفات بها ما يشاء دون ربّه الحقّ، ويظنّ أنّه في الحاصل، وهو في الفائت. قال تعالى: ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾ [٧/ الأعراف/ ٨٠] أي: يميلون عن الحقّ فيها إلى الباطل، فيزعمون في أنفسهم أنّ ما هم فيه من الأسماء والصفات أنّها لهم، / [٢٦٣/ ب] لا له تعالى، وأنّهم يتصرّفون بها، هو تعالى المتصرّف بها دونهم، وهم لا يشعرون، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [٢/ البقرة/ ٢١٦] وقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [٦٧/ الملك/ ٢٦] وقال تعالى: ﴿لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟﴾ [٢/ البقرة/ ٢٦٤] وقال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [٦٧/ الإنسان/ ٣٠] وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٥٥] يعني لا غيره. وقال تعالى: ﴿أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [١٦/ النحل/ ٢١] وقال تعالى: ﴿أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [١٠/ يونس/ ٢١] إلى غير ذلك. فهذه صفة العلم، واسم العليم. وصفة القدرة، واسم القادر. وصفة المشيئة واسم الشائي. وصفة الحياة، واسم الحيّ. كلّ ذلك لله تعالى وحده.

وقوله (وفي حِجْر): أي حضن، قال في الصحاح: «حَجْر الإنسان وحِجْرُه بالفتح والكسر. والجمع الحُجُور». وقوله (التجلّي): بالجيم، أي: الانكشاف والظهور.

وقوله (تربّتِ): أي نشأت فيهم، قال الشاعر(ثلاثة أملاك ربوا في حجورنا)

ورَبَّيْتُهُ تَربِيَةً، وتَرْبَيْتُهُ، أي: غذوته. هذا لكلّ ما ينمو، كالولد، والزرع، ونحوه»[1].
وضمير تربتِ راجع للنفس. يعني: إنّ النفس تربت في حضن التجلّي الإلهيّ على الاستعارة؛ لأنّه تعالى ربّ العالمين، فهو الذي يربّي كلّ شيء، حتّى يوصله إلى كماله المعلوم عنده تعالى في عمله القديم. و(حجر التجلّي): كناية عن ظهور حضرات الأسماء الإلهيّة والصفات العليّة للعبد من نفسه، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [٦/الأنعام/ ١٤] وتدبير أموره بها، ظاهراً وباطناً خصوصاً، والكلام على لسان الحقيقة المحمّديّة، وليس بمخصوص بها كما علمت. و(تربتِ) بكسر التاء للقافية.

٦٣٣ - وَفِي المَهْـدِ حِـزْبِي الأَنْبِيَـاءُ وَفِي عَنَـا صِرِي لَوْحِيَ المَحْفُوْظُ وَالفَتْحُ سُوْرَتِي

(وفي المهد) هو الموضع الذي يهيأ للصبي، ويوطأ له، كذا في القاموس. وهذا الكلام على لسان الحقيقة المحمّديّة؛ لأنّه صلّى الله عليه وسلّم من حين كان في المهد نبيّ، بل من قبل خلق آدم عليه السلام، كما قدّمناه. وقوله (حزبي): أي أتباعي وأنصاري، قال في القاموس: «الحِزْب بالكسر: الطائفة، وجماعة الناس. والأحْزَاب جمعه. وجند الرجل، وأصحابه الذين على رأيه وحازبوا وتحزّبوا صاروا أحزاباً». وقوله (الأنبياء): عليهم السلام، وهم جمع نبيّ. يعني: إنهم كلّهم أحزاب نبيّنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم من حين كان في المهد؛ لأنّه عليه السلام نبيّ الأنبياء، ورسول المرسلين عليهم السلام. وهو نبيّ وآدم بين الماء والطين. وقال عليه السلام: «نحن الآخرون السابقون»[2] وإنّما تأخر ظهور نبوّته في عالم الدنيا إلى بلوغ سِنِّه أربعين سنة. فنبوّته صلّى الله عليه وسلّم ثابته له من قبله، وإنّما تأخر ظهورها في الدنيا لحكم ما يعلمه الله تعالى. وقوله (وفي عناصري): جمع عُنصُر، بضمّ وبفتح للصاد المهملة :الأصل والحسب، كذا في القاموس. يعني: في

---

(١) انظر الصحاح للجوهري، مادّة ربا.

(٢) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب الوضوء، باب: البول في الماء الدائم، ٢٣٨، وله أطراف كثيرة وطرقه كثيرة.

أصولي، وأحسابي، وأنسابي، وأجدادي الأقدمين. وقوله (لوحي): أي نشأتي وخلقتي؛ فإنّها مرقومة فيها جميع أحوالي الظاهرة والباطنة؛ فهي لوحي المحفوظ من كلّ تغيير وتبديل، وكلّ عيب وتبيين، لأنّ تلك المادّة طاهرة مطهّرة، كما قال حسان رضي الله عنه في مدحه صلّى الله عليه وسلّم:

خلقتَ مبرأً من كلّ عيب كأنّك قد خلقت كما تشاء

وقوله (والفتح): أي البيان، والكشف الواضح. وقوله (سورتي): وهي سورة الفتح من سور القرآن العظيم، النازلة في فتح مكّة، والاستيلاء على بيت الله الحرام. وذلك مقام التجلّي الذاتيّ من الجناب الأقدس، قال في همزيّة المديح النبويّ:

لك ذات العلوم من عالم الغيب ومنها لآدم الأسماء

ولنا أبيات إلهيّة تعرب عن هذه القضيّة:

هم تجلّيه وانكشاف سناه عنده يدخلون منه جنانه/ [٢٦٤/ أ]

أسلموا يوم فتح مكّة إذ كسروا من نفوسهم صلبانه

وعلى حضرة النبيّ نزلنا منه حتّى بنا تلا قرآنه

حضرة النوروهي من حضرة النو ر ونحن النور الذي قد أبانه

إنني ظاهر به وخفيّ وفؤادي محقّق هيمانه

كنتُ قرآنه بإجمال جمعٍ وبتفصيل فرقه فرقانه

ولهذا شهدت جميعاً وفرقاً ذاته والصفات منه ديانه

٦٣٥- وَقَبْلَ فِصَالِي دُوْنَ تَكْلِيفِ ظاهِرِي خَتَمْتُ بِشَرْعِي الْمُوْضِحِي كُلَّ شِرْعَةِ

(وقبل فصالي): أي فطامي، قال في القاموس: «الفَصْل: فَطْمُ المولود كالافتصال، والاسم: الفِصَال ككِتَاب». وهذا كلام على لسان الحقيقة المحمّديّة. يعني: في عالم إرضاعه، صلّى الله عليه وسلّم قبل فطامه. وقوله **(دون)**: للتقصير عن الغاية، كما

في الصحاح. يعني: قبل. وقوله (**تكليف ظاهري**): يعني تكليف الله تعالى لظاهري بالأوامر والنواهي، وهو وقت البلوغ. وقوله (**ختمت بشرعي**): أي كنت نبيّاً خاتماً بشريعتي. وقوله (**الموضحي**): مفعول ختمت، وأصله الموضحين، صفة للنبيين، فحذفت النون للإضافة إلى قوله (**كلّ شرعة**): يعني ختمت النبيّين المرسلين وغيرهم، أي: كنت ختماً للنبوّة والرسالة. ووصف النبيّين بالموضّحين لكلّ شرعة، أي: شريعة؛ فإنّ كلّ نبيّ منهم، ورسول إلى أمّته، موضّح شريعته لأمّته. ومحمّد صلى الله عليه وسلّم خاتم لهم، وشريعته ناسخة لشرائعهم، وخاتمة لها. فنبوّته مقررة ثابتة قبل ظهوره صلّى الله عليه وسلّم بها في عالم الدنيا. وكذلك ختمه للنبيّين وللمرسلين عليهم السلام محقّق، مقرر ثابت في ابتداء أمره عليه السلام قبل أنْ يتوجّه التكليف على ظاهره صلّى الله عليه وسلّم. وإلى هذه الإشارة بقوله عليه السلام: «كنت نبيّاً وآدم بين الروح والجسد»[1] ذكره الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث مسند الفردوس للديلمي.

٦٣٦- فَهُمْ وَالأُلَى قَالُوا بِقَولِهِمِ عَلَى صِراطِـيَ لَمْ يَعْدُوا مَوَاطِئَ مَشِيئَتِي

(**فَهُمْ**): أي الأنبياء المشار إليهم بالموضحي كلّ شرعة. وقوله (**والأُلى**): جمع الذي. بمعنى: أتباعهم الذين. وقوله (**قالوا بقولهم**): بكسر الميم للوزن، أي: بقول الأنبياء عليهم السلام بأنّ كانوا متّبعين لهم في شرائعهم. وقوله (**على صراطي**): أي طريقي المستقيم؛ لأنّ الأنبياء عليهم السلام كلّهم أُمروا بشريعة نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم، إنْ أدركوا زمانه يكونوا من أتباعه، وعلى ملّته، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [٣/آل عمران/ ٨١] فلو اتفقوا أنّ نبيّاً من الأنبياء

(١) انظر تخريجه ص٩٦٩.

أدرك زمانه صلى الله عليه وسلّم لوجب عليه اتّباعه، واتباع شريعته، قال صلّى الله عليه وسلّم: «لو كان أخي موسى حياً ما وسعه إلّا اتباعي»[1] وكذلك أممهم. فشريعته صلّى الله عليه وسلّم هي جميع الشرائع، ولكن اختلفت أحكام الشرائع الماضية لاختلاف الأمم. ولهذا نسخ بعضها بعضاً، ونسخت كلّها بشريعته عليه السلام. ولهذا لا تُنسخ شريعته بغيرها إلى يوم القيامة، كما قرر ذلك مفصّلاً في المواهب اللدنيّة. وقوله (لم يعدوا): أي يتجاوزوا، قال في الصحاح: «عَدَاه يَعْدُوه: أي جاوزه». يعني: الأنبياء، ومن قالوا بقولهم من أممهم. وقوله (مَواطِئ): جمع مَوطِئ، وهو موضع القدم، كما في القاموس. وقوله (مشيئتي): أي سيري في طريق الوحي والنبوّة. والمعنى: يقتدون بي، ويتّبعوني ظاهراً وباطناً.

٦٣٧ - فَيُمْنُ الدُّعَاةِ السَّابِقِينَ إِلَيَّ فِي يَمِينِي وَيُسْرُ اللَّاحِقِينَ بِيُسْرَتِي

(فَيُمْن)[2]: الفاء للتفريع على ما قبله. وقوله (يُمْن): أي بركة وزيادة، قوّة روحانيّة، ونمو في درجات/ [٢٦٤/ ب] الكمال. وقوله (الدعاة) بالإضافة، جمع داعٍ، وهو الذي يطلب الخلق إلى معرفة ربّهم وإلى عبادته وتوحيده. وقوله (السابقين): أي المتقدّمين في الزمان، وفي المراتب العالية على من دونهم، وهم الأنبياء والمرسلون، عليهم الصلاة والسلام، وهو معنى قوله (إليّ): بتشديد الياء التحتيّة، أي: إلى الحقيقة المحمّديّة؛ لأنّ الكلام بلسانها، والناظم قدّس الله سرّه موسوم بترجمانها. وقوله (في يميني): أي في يدي اليمين، وهي يد القوّة الإلهيّة، فإنْ نشأة الأنبياء عليهم السلام مُستمَدّة من حقيقته صلّى الله عليه وسلّم، فيده العليا

---

(١) قطعة من حديث، أخرجه البيهقيّ في شعب الإيمان، باب: أمتهوّكون أنتم كما تهوّكت اليهود والنصارى، ١٧٣، عن جابر، بلفظ «لتهوكنّ كما تهوّكت اليهود والنصارى، لقد جئتكم بها بيضاء نقيّة، لو كان موسى حيّاً ما وسعه إلّا اتباعي». كما أخرجه المتّقي الهنديّ في الكنز ١٠١٠. وتهوَّك: اضطرب وتحيّر وتهوّر.

(٢) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: بلغ مقابلة إلى هذا المحلّ على شيخنا المؤلِّف قُدّس سرّه.

على كلّ يد، وهو السابق في الخلق، واللاحق في الظهور، وهو النورعلى النور. وقوله (**ويسر**): أي سهولة الأمور وتيسيرها من غير شدّة ولا نفور. وقوله (**اللاحقين**): جمع لاحق، وهو من يلحق غيره، أي: يتبعه في طريقه، وهم الأولياء قدّس الله أسرارهم، أولياء هذه الأمّة، وغيرها من الأمم الماضين. وقوله (**بيُسرتي**): أي بيدي اليسرى، وهي يد اللطف والإحسان، والرأفة والحنان، وهو اللائق بحقائق الأولياء، قدّس الله سرّهم، لضعف قوابلهم بالنسبة إلى قوّة قابليّة الأنبياء عليهم السلام، فيكون إمداد الحقيقة المحمّديّة على قدر استعداد القوابل الإنسانيّة.

٦٣٨- وَلَا تَحْسَبَنَّ الأمْرَ عَنِّيَ خَارِجَاً فَمَا سَارَ[1] إلّا دَاخِلٌ فِي عُبُودَتِي

(**وَلَا تَحْسَبَنَّ**): يا أيهَا السَّالِكُ في طَرِيقِ معرفة الله تعالى. وقوله (**الأمر**): مفعول تحسبَنَّ، المفعول الأوّل، أي: أمر الله تعالى، الذي قام به كلّ شيء، فالألف واللام للعهد. وقوله (**عنّي**): أي عن حقيقتي المحمّديّة الممدّة لكلّ حقيقة كونيّة. وقوله (**خارجاً**): مفعول ثانٍ لتحسبنّ، أي: خارجاً عن حقيقتي، بحيث ينفصل عنها، وتنفصل عنه في زعمها، وإنّما هي قائمة به، من غير مغايرة له، بخلاف غيرها من جميع الحقائق القائمة به؛ فإنّها مغايرة له؛ لأنّها قائمة به بواسطة حقيقتي؛ فحقيقتي أقرب الحقائق كلّها إلى الأمر الإلهيّ؛ لأنّي أوّل مخلوق ظهرعن الأمر الإلهيّ. وقوله (**فما سار**): أي في طريق معرفة الله تعالى. وقوله (**إلّا داخل**): أي سائر، داخل من السائرين في جميع الأمم. وقوله (**في عبودتي**): متعلّق بداخل. والعبودة فوق العبادة والعبوديّة، وهي ثلاثة مقامات العبادة: وهي فعل ما يرضي الربّ؛ فالفعل من العبد، والرضا من الربّ، والعبوديّة: الرضا بفعل الربّ؛ فالفعل من العبد، والرضا من العبد، عكس الاوّل. والعبودة: الفعل من الربّ، والرضا من الربّ. والعبد شبح منحوت؛ لكنّه منحوت لتحقّقه بالفناء والبقاء معاً؛ فالداخل في هذا المقام داخل في الحقيقة المحمّديّة بحالة كليّة.

---

(١) في (ق): ساد.

٦٣٩- وَلَوْلَايَ لَمْ يُوْجَدْ وُجُوْدٌ وَلَمْ يَكُنْ شُهُوْدٌ وَلَمْ تُعْهَدْ عُهُوْدٌ بِذِمَّةِ

(ولولاي): أي لولا أنّني موجود بظهور وجود الحقّ تعالى، كلام على لسان الحقيقة المحمّديّة التي ورد أنّ نورها مخلوق من نور الله تعالى؛ فهي مادّة الأكوان، وهيولى جميع الأعيان. وقوله (لم يوجد وجود): أي: وجود حادث لشيء من الأشياء مطلقاً. والمراد بالوجود الحادث: ظهور تجلّي الوجود القديم على صورة كلّ تقدير عديم. وقوله (ولم يكن شهود): أي معاينة لذلك التجلّي الإلهيّ من أحد أصلاً، لأنّ ذلك لا يكون إلّا بالإمداد المحمّدي في المقام الأحمدي كما قيل:

وأنـت بـاب الله أي امـرئ أتـاه مـن غـيرك لا يـدخل

وقوله (ولم تُعْهَد): بالبناء للمفعول. وقوله (عُهودٌ): نائب الفاعل، جمع عهد، وهو الميثاق، وأصله العهد الذي أخذه الربّ تعالى على جميع ذرّيّة آدم عليه السلام لّما مسح على ظهره فأخرجهم كالذرّ، وأشهدهم على أنفسهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٧٢] ثمّ بعد ذلك عهود المشايخ والسلاطين بعد عهود الأنبياء والمرسلين لأممهم، تذكيراً منهم لذلك العهد الربّاني في المقام الصمدانيّ./ [٢٦٥/ أ] وقوله (بذمّة) متعلّق بتعهّد. والذمّة تفسر بالعهد وبالأمان، وبالضمان أيضاً، والجمع ذِمَم، مثل سِدرة وسِدَر، كذا في المصباح.

٦٤٠- فَلَا حَيَّ إِلَّا عَنْ حَيَاتِي حَيَاتُهُ وَطَوْعُ مُرَادِي كُلُّ نَفْسٍ مُرِيْدَةِ

٦٤١- وَلَا قَائِلٌ إِلَّا بِلَفْظِي مُحَدِّثٌ وَلا نَاظِرٌ إِلَّا بِنَاظِرِ مُقْلَتِي

٦٤٢- وَلَا مُنْصِتٌ إِلَّا بِسَمْعِيَ سَامِعٌ وَلَا بَاطِشٌ إِلَّا بِأَزْلِي وَشِدَّتِي

٦٤٣- وَلَا نَاطِقٌ غَيْرِي وَلَا نَاظِرٌ وَلَا سَمِيْعٌ سِوَايَ مِنْ جَمِيْعِ الخَلِيْقَةِ

(فلا حَيَّ): بتشديد الياء التحتيّة، أي: ذا حياة، والعالم كلّه ذو حياة عند العارفين بالله تعالى، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ [٢١/ الأنبياء/ ٣٠] وقال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾

[١٧/الإسراء/ ٤٤]. والتسبيح لا يكون إلّا من حيّ عالم بمن يسبّحه. وفي الحديث: «يشهد للمؤذّن مدّ صوته من رطب ويابس»[1] ولا يشهد إلّا الحيّ العالم بمن يشهد له. وقوله (**إلّا عن حياتي**): حياته، أي: حياة ذلك الحيّ متفرّعة عن حياتي، التي هي من حياة الله تعالى؛ وهو كلام على لسان الحقيقة المحمّديّة التي هي مادَّة لخلق حياة العوالم كلِّها. وقوله (**وطوع مرادي كلّ نفس مُريدة**): أي ذات إرادة لأمر من الأمور على حسب ما يجري به المقدور قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [٩/التوبة/ ١٢٨] فالنفوس البشريّة كلّها، وغيرها منبعثة من حقيقته الروحيّة العظمى، صلّى الله عليه وسلّم. وقال له تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [٩/التوبة/ ٧٣] أي: كن غليظاً عليهم في نفوسهم المستمدّة من حقيقتك. وقوله (**ولا قائل**): أي متكلِّم من الناس وغيرهم مطلقاً. وقوله (**إلّا بلفظي**): أي باللّفظ الذي أَمدّه به من حقيقتي. وقوله (**مُحَدِّث**): بتشديد الدال المهملة مكسورة من الحديث، وهو كلّ ما يُتحدَّث به ويُنقَل، كذا في المصباح. وقوله (**ولا ناظري**): أي من جميع الخلائق. وقوله (**إلّا بناظر مقلتي**): أي شحمة عيني المخلوقة من حقيقتي، ومستمدّة من مادّتي. وقوله (**ولا منصت**): اسم فاعل، من أَنْصَتَ إنْصَاتَاً: استمع. ويتعدّى بالحرف، فيقال: أَنْصَتَ الرجلُ للقارئ، وقد يحذف الحرف فينصب المفعول، فيقال: أنْصَتَ الرجلُ القارئَ ضُمِّنَ معنى سمعه. ونَصَتَ له يَنْصِتُ، من باب ضرب، لغة، أي: سَكَتَ مُسْتَمِعَاً، وهذا يتعدّى بالهمزة، فيُقال: أَنْصَتَهُ، أي: أَسْكَتَهُ، كما في المصباح. وقوله (**إلّا بسمعي سامع**): لصدور حقيقته عن الحقيقة المحمّديّة، فهي متّحدة بها كاتّحاد الأواني

---

(١) أخرجه أحمد في المسند، باب: مسند عبد الله بن عمر، ٦٣٤٥، بلفظ: «يغفر الله للمؤذّن مدّ صوته، ويشهد له كلّ رطب ويابس سمع صوته».

بالطين المجعولة منه. فمن عرف نفسه المغايرة للمادّة التي انفتحت حقيقته فيها وصل إلى الحقيقة المحمّديّة، فاتّحد بها على التحقيق عند أهل هذا الطريق. وربّما تجسد في هيكل بشري فيشهد صاحبه الكشف، ويتحدّث معه، كما رأينا من هذه حاله من الأولياء والعلماء الصادقين في مدينة الرسول صلّى الله عليه وسلّم وغيرها، فكان يخبرني عنه صلّى الله عليه وسلّم بأخبار عجيبة، وأنا مؤمن بذلك، مصدِّق به. وللإمام السيوطيّ رسالة سمّاها (إنارة الحَلَك في إمكان رؤية النبيّ والمَلَك) وفي المواهب اللدنيّة للقسطلّاني ما هو الصريح في رؤيته صلّى الله عليه وسلّم يقظة، والتحدّث معه. وقال الشيخ أبو العبّاس المرسي تلميذ الشيخ أبي الحسن الشاذليّ قدّس الله سرّهما: «لو حجب عني رسول الله صلّى الله عليه وسلّم طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين» فكان إسلامه قدّس سرّه وإيمانه به صلّى الله عليه وسلّم معاينة وشهوداً. وقوله (**ولا باطش**): من البَطْش، وهو الأخذ بعنف، وبَطَشَتْ اليد: إذا عَمِلَتْ؛ فهي باطشة، كذا في المصباح. وقوله (**إلّا بأزلي**): الأزل بفتح الهمزة وسكون الزاي: الشدّة، كذا في القاموس. وقوله (**وشِدَّتي**): بعده عطف تفسير عليه. وقوله (**ولا ناطق**): أي متكلّم بأيٍّ/ [٢٦٥/ ب] كلام كان، وأيِّ لغة كانت. وقوله (**غيري**): أي مغاير لي؛ إذ لا مغايرة في نفس الأمر إلّا بالتقادير العدميّة في المادّة الهيولانيّة كصور الأمواج والفواقع في الماء لها الاتّحاد الحقيقي بالماء، والمغايرة الوهميّة بالصور والأشكال العدميّة. وقوله (**ولا ناظر**): يعني من الناس وغيرهم. وقوله (**ولا سميع**): أي ذو سمع. وقوله (**سواي**): أي غيري. وقوله (**من جميع الخليقة**): أي النّاس والخلق، كذا في القاموس. وهو بيان للسوى.

٦٤٤- وَفِي عَالَمِ التَّرْكِيبِ فِي كُلِّ صُورَةٍ ... ظَهَرْتُ بِمِعْنَىً عَنْهُ بِالحُسْنِ زِيْنَتِ

(**وفي عالم التركيب**): وهو عالم الأجسام المركّبة من الطبائع والعناصر. وقوله (**في كلّ صورة ظهرتُ**): أي تبيَّنتُ، فيراني كلُّ راءٍ من الناس، يعرفني من يعرفني

ويجهلني من يجهلني، وينكرني من ينكرني. وقوله (بمعنىً): متعلّق بظهرتُ. وقوله (عنه): أي عن ذلك المعنى. وقوله (بالحسن): متعلِّق بـ زِيْنَتِ. وقوله (زِيْنَتِ): بكسر الزاي، فعل ماض مبني للمفعول، مثل قيلت وبيعت. وكسرت التاء للقافية. ونائب فاعل زينت: ضمير يعود إلى كلّ صورة. يعني: ظهرت في كلّ صورة بمعنىً. وتلك الصورة زِيْنَت بالحُسن صادر عن ذلك المعنى، وهو السرّ الربّانيّ والنور الرحمانيّ.

٦٤٥- وَفِي كُلِّ مَعْنَىً لَمْ تُبِنْهُ مَظَاهِرِي تَـــصَوَّرْتُ لَا فِي هَيْئَـــة هَيْكَلِيَّـــةِ

(وفي كلّ معنى): هو ما يُقصد باللفظ، قال في المصباح: «قال أبو حاتم: تقول العامّة: لأيِّ معنىً فعلتَ، والعرب لا تعرف المَعْنَى، ولا تكاد تتكلّم به، نعم قال بعض العرب: ما مَعْنِيُّ هذا؟ بكسر النون وتشديد الياء. وقال أبو زيد: هذا في معناة ذاك، وفي معناه سواء، أي: في مماثلة ومشابهة دلالة، ومضموناً، ومفهوماً. وقال الفارابي أيضاً: ومعنى الشيء، ومَعْنَاتُهُ واحدٌ، ومعناه، وفحواه، ومقتضاه، ومضمونه كلّه: هو ما يَدلُّ عليه اللفظ. وفي التهذيب عن ثعلب: المَعْنَى، والتفسير، والتأويل واحد. وقد استعمل الناس قولهم: هذا معنى كلامه وشبهه، ويريدون: هذا مضمونه ودلالته. وهو مطابق لقول أبي زيدوالفارابي. وأجمع النحاة وأهل اللّغة على عبارة تداولوها، وهي قولهم: هذا بمعنى هذا، وهذا وهذا في المعنى واحد، وفي المعنى سواء، وهذا في معنى هذا، أي: مماثل له، أو مشابهه». وقوله (لم تُبِنْه): أي تكشف عنه وتوضّحه، وصف لمعنىً. وقوله (مظاهري): فاعل تُبِنه، جمع مظهر: موضع الظهور، من ظهر الشيء يَظْهَرُ ظُهُوراً: بَرَزَ بعد الخفاء، وهي المحسوسات بالحواس الخمس، وكلّ معنى هو المعاني المعقولة المدركة بالعقل. وقوله (تَصَوَّرْتُ): أي في صور المعاني العقليّة لكلّ ذي عقل. وقوله (لا في هيئة): هي هيئة الحال الظاهرة، يقال: هاءَ يَهُوءُ ويَهِيءُ هَيْئَةَ حسنة: إذا صار إليها، كذا في المصباح. وقوله (هَيْكَلِيَّةِ): نعت لهيئة منسوبة إلى هَيْكَل. وأصله البناء المشرف، والفَرَسُ الطويل

الضخم، كذا في الصحاح. والمراد به هنا مطلق الجسم، أي: هيئة جسمانيّة.

٦٤٦- وَفِي مَا تَرَاهُ الرُّوحُ كَشْفَ فَرَاسَةٍ خَفِيتُ عَنِ المَعْنَى المُعَنَّى بِدِقَّةِ

(وفي ما): أي العالم الذي هو باطن كلّ شيء. وقوله (تراه الروح): فإنّ الروح ترى ملكوت كلّ شيء، كما أنّ الحواس الخمس ترى ملك كلّ شيء، قال تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [٦٧/ الملك/ ١] وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [٣٦/ يس/ ٨٣] والمعنى: في عالم الملكوت المكنّى عنه بما تراه الروح؛ لأنّ رؤيته مخصوصة بالأرواح. وقوله (كَشْفَ فِراسَةٍ): أي بحيث لا يحصل لها إلّا بطريق كشف الفراسة دون الفكر والتأمّل، قال في المصباح: «فَرَسْتُ بالعين أَفْرِسُ، من باب ضرب فِراسَةً، بالكسر والفتح، وَتَفَرَّسْتُ/ [٢٦٦/ أ] الخيرَ تعرّفته بالظنّ الصائب، ومنه: «اتّقوا فراسة المؤمن»[1]. وقوله (خفيت): أي لم أظهر للعقل، ولا للحسّ؛ فإنّ العقل مخصوص بكشف المعاني، والحسّ مخصوص بكشف المحسوسات. وقوله (عن المَعْنَى): متعلّق بخفيتُ. وقوله (المُعَنَّى): بتشديد النون بصيغة اسم المفعول، وصف للمَعْنَى. يقال: عَنَانِي كذا يَعْنِينِي عَرَضَ لي وَشَغَلَنِي؛ فأنا مَعْنِيٌّ به، والأصل مفعول كما في المصباح. وقوله (بدقّة): متعلّق بالمعنّى المشدّدة، يقال: دقّ الأمر دقّةً إذا غمض وخفي معناه، فلا يكاد يفهمه إلّا الأذكياء، كذا في المصباح.

٦٤٧- وَفِي رَحَمُوتِ البَسْطِ كُلِّيَ رَغْبَةٌ بِهَا انْبَسَطَتْ آمَالُ أَهْلِ بَسِيطَتِي

٦٤٨- وَفِي رَهَبُوتِ القَبْضِ كُلِّيَ هَيْبَةٌ فَفِيمَا أَجَلْتَ العَيْنَ مِنِّي أَجَلَّتِ

(وفي رحموت): هو مصدر بمعنى الرحمة للمبالغة. وقوله (البَسْط): بالإضافة، وهو السَّعَة، خلاف القبض. وقوله (كُلِّي): أي ظاهري وباطني. وقوله (رَغْبَةٌ)

---

(١) أخرجه الترمذيّ في سننه،كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة الحجر، ٣٤١٩، عن أبي سعيد الخدريّ.

بفتح الراء، والهاء لتأنيث المصدر، والجمع: رَغَبَات، مثل سَجْدَة وسَجَدَات، كما في المصباح، أي: مرغوب في قربي، والاتّصال بي. وقوله (بها): أي بتلك الرغبة. وقوله (انبسطتْ): أي توسعتْ وفرحت وانسرت. وقوله (آمال): جمع أمل، من أَمَلْتُهُ أَمَلاً، من باب طَلَبَ: تَرَقَّبْتُهُ، وأكثر ما يُستعمل الأمل فيما يستبعد حصوله، كذا في المصباح. وقوله (أهل بسيطتي): أي أرضي، وهم المُنتشون من أخلاقه الجميلة، وأوصافه الجليلة من كُمَّل الأولياء، وأفاضل الأصفياء. وقوله (وفي رهبوت): هو مصدر أيضاً بمعنى الرَّهْبَة، للمبالغة قال في المصباح: «رَهِبَ رَهَباً من باب تَعِبَ: خاف. والاسم: الرَهْبَة». وقوله (القَبْضُ): خلاف البَسْطِ. وقوله (كلِّي هَيْبَةٌ): مصدر هَابَه يَهَابَهُ، من باب تَعِبَ هَيْبَة: حَذِرَهُ، قال ابن فارس: الهَيْبَةُ الإجلال؛ فالفاعل هَائِب، والمفعول مَهيوب[1] ومَهيب أيضاً، كذا في المصباح. وقوله (ففيما): أي في الأمر الذي. وقوله (أَجَلْتَ): بفتح التاء للمخاطب، أو بضمِّها للمتكلّم، من جَالَ في البلاد: طَاف غير مستقرّ فيها؛ فهو جَوَّال، وأَجَلْتُهُ بالألف: جَعَلْته يَجُول، كما في المصباح. وقوله (العينَ): وهي الباصرة، مفعول أجلتَ. وقوله (منِّي): أي من ظاهري أو باطني. وقوله (أَجَلَّتِ): بتشديد اللام وكسر التاء للقافية، من الإجلال، وهوالإعظام، أَجَلَّتِ، أي: أَعْظَمَت العين ما رأته منِّي.

٦٤٩- وَفِي الجَمْعِ بِالوَصْفَيْنِ كُلِّيَ قُرْبَةٌ   فَحَيَّ عَلَى قُرْبَى خِلالِي الجَمِيلَةِ

(وفي الجمع): أي مقام الجمع. وقوله (بالوصفين): أي وصف البسط، ووصف القبض. وقوله(كُلِّي): أي ظاهري وباطني. وقوله (قربةٌ): أي منزلة عالية، قال في المصباح: «القُرْبُ في المكان، والقُرْبَةُ في المَنْزِلَة، والقُرْبَى والقَرَابَة في الرَحِم. وقيل لَمَا يُتَقَرَّب به إلى الله تعالى: قُرْبَة، بسكون الراء والضمّ للاتباع.

(١) أثبتنا مهيوب كما ذكر الشيخ عبد الغني النابلسيّ مع أنّه في نسختي المصباح ـ الرسالة والإلكترونيّة ـ هَيُوب.

والجَمْع قُرَب وقُرُبَات، مثل غُرَف وغُرُفَات في وُجُوهِهَا». وقوله (فحيّ): قال في المصباح: «حَيَّ على الصلاة ونحوها: [دعاءٌ] قال ابن قتيبة: معناه هَلُمَّ إليها. ويُقال: حَيَّ على الغدَاء، وحَيَّ إلى الغداء، أي: أقبل، قالوا: ولم يُشتَق منه فِعْل. وقوله (على قُرْبَى): مقصور، مصدر قَرُبَ الشيءُ مِنَّا قُرْبَاً وقَرَابَة وقُرْبَة وقُرْبى، كذا في المصباح. وقوله (خلالي): الخِلال جمع خَلّة، بالفتح، وهي الخَصْلَة، والجمع خِلال بالكسر، كما في المصباح. وقوله (الجميلة): وصف للخِلال، وفي ذلك البحث على التخلّق بالأخلاق المحمّديّة، والاتّصاف بالخِصَال الأحمديّة.

٦٥٠- وَفِي مُنْتَهَى فِي لَمْ أَزَلْ بِيَ وَاجِدَاً جَلَالَ شُهُودِي عَنْ كَمَالِ سَجِيَّتِي

٦٥١- وَفِي حَيْثُ لَا فِي لَمْ أَزَلْ فِيَّ شَاهِدَاً جَمَالَ وُجُودِي لَا بِنَاظِرِ مُقْلَتِي

(وفي منتهى): في أي نهاية ما تطلق عليه كلمة (في): من الظرفيّة المكانيّة والزمانيّة/ [٢٦٦/ ب] وقوله (لم أزل بي): أي بنفسي في جميع النفوس الفاضلة. وقوله (واجِداً): من الوجدان، وهو الإدراك الذوقيّ. وقوله (جلال): مفعول واجداً. وقوله (شهودي): أي معاينتي، وكشفي. وقوله (عن كمال سجيّتي): أي صادراً ذلك عن سجيّتي الكاملة. السجيّة بالسين المهملة والجيم: الغَرِيْزَة. والجمع سَجَايَا، مثل: عَطِيَّة وعَطَايَا، كذا في المصباح. وقوله (وفي حيث لا في): أي عدم ما يطلق عليه كلمة (في) وهوما تنتفي عنه الظرفيّة المكانيّة والزمانيّة، وهو عالم الروح المجرّد الكلّي الخارج عن المكان والزمان؛ لأنّ المكان هو الجسم الذي يستقرّ عليه الشيء. ومنه الحيز، وهو الفراغ الموهوم الذي يملؤه الجسم وتنفذ فيه أبعاده الثلاث: الطول والعرض والعمق. فإذا استقرّ على جمع آخر فهو مكانه. والزمان مدّة حركة الفلك، أو متجدّد يقترن به متجدّد آخر، وحيث الروح الأعظم المجرّد الكلّي لا جسم له، فلا حيّز له، ولا جسم آخر يستقر عليه، فلا مكان له، ولا فلك معه، فلا حركة تقارنه، ولا متجدّد آخر يقترن به، فلا زمان له. وقوله (لم أزل فيّ): بتشديد الياء التحتيّة، أي: في نفسي المجرّدة الكليّة، وهي

الحقيقة المحمّديّة المتعالية عن المكان والزمان. وقوله (**شاهداً**): أي معايناً. وقوله (**جمال وجودي**): أي الجمال المنسوب إلى حقيقة الوجود الذي أنا قائم به، ومنصبغ بشعشاع نوره. وقوله (**لا بناظر مقلتي**): أي عيني. يعني: ليس معاينة الوجود الحقّ بالعين الباصرة في الدنيا لغير العين المحمّديّة ليلة المعراج، وعين وارثها تلك الليلة، وإنّما ذلك بملاحظات البصيرة النافذة في عالم الملكوت لعامّة أهل الله ، كلّ ليلة على التنزيه التامّ، والتحقيق العام.

٦٥٢- فَإِنْ كُنْتَ مِنِّي فَانْحُ جَمْعِيَ وَامْحُ فَرْ قَ صَدْعِي وَلَا تَجْنَحْ لِـجُنْحِ الطبِيعَةِ

(**فإنْ كنت**): يا أيّها السالك. وقوله (**منّي**): أي من أهل طريقتي. وقوله (**فانحُ**): فعل أمر، من نحا ينحو، قال في الصحاح: «النحو القصد والطريق، يقال نَحَوتُ نَحْوَك، أي: قصدت قصدك». وقوله (**جمعي**): أي مقام جمعي على الله، وهو شهود الوجود الحقّ بفناء كلّ ما سواه فيه. وقوله (**وامح**): فعل أمر من مَحَا يَمْحو، قال في الصحاح: «مَحَا لَوْحَهُ يَمْحُوهُ مَحْوَاً ويَمْحِيْهِ مَحْيَاً ويَمْحَاهُ أيضاً». والمحو الإزالة. وقوله (**فَرْق**): هو خلاف الجمع، وهو شهود الخلق موجوداً مع الوجود الحقّ. وقوله (**صدعي**): أي انكساري؛ فإنَّ صَدْعَ الإناء انكساره، قال في المصباح: «صَدَعْتُهُ صَدْعَاً، من باب نفع، شَقَقْتُه فانصدع، وصَدَعَت القومَ صَدْعَاً فتصدَّعُوا: فرَّقْتُهُم فتفرَّقُوا. وقوله تعالى: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾ [١٥/ الحجر/ ٩٤] قيل: مأخوذ من هذا، أي شقّ جماعاتهم بالتوحيد. وقيل: افرُق بذلك بين الحقّ والباطل، وقيل أظْهِرْ ذلك، وصدعت بالحقّ: تكلّمت به جِهاراً». والمعنى: أزل عنك افتراق كثرتي وتعدّدي، وتباين أجزاء تركيبي. وقوله (**ولا تجنح**): أي لا تمل، من جَنَحَ إلى الشيء يَجْنَح بفتحتين، وجَنَحَ جُنُوحَاً من باب قَعَدَ لغة: مَالَ. وقوله (**لجُنْحِ**): جُنْح الليل بِضَمِّ الجيم وكسرها: ظلامه واختلاطه، كذا في المصباح. وقوله (**الطبيعة**): هي مزاج الإنسان المركب من الأخلاط، كما في

المصباح. فإنّ مزاج الإنسان المركب من أجزاء البدن ليل مظلم، لا يظهر فيه نورمن الأنوار الروحانيّة. وفيه تختفي الأسرار الربّانيّة، والآثار العرفانيّة.

٦٥٣- وَدُونكَهَـا آيَـاتِ إِلْهَـامِ حِكْمَـةٍ   لأَوْهَـامِ حَـدْسِ الحِسِّ عَنْـكَ مُزِيْلَةِ

(ودونكها): دونك إغراء بالشيء، يعني: الزمه، ولا تفارقه، والضمير لدلائل الحكمة الإلهيّة المفسَّرة بقوله **(آيات)**: جمع آية، وهي العلامة على الحقّ. وقوله **(إلهامِ حكمة)**: الإلهام ما يُلقى في الروع، يقال: ألهمه الله ، واستلهمت الله الصبر، كذا في الصحاح. والحِكْمة بكسر الحاء المهملة. وسكون الكاف: العلم المتقن، قال في المصباح: «الحكمة وِزان قَصَبَة للدابّة/ [٢٦٧/ أ] سميّت بذلك لأنّها تُذلِّلُها لراكبها حتّى تمنعَها الجماح ونحوه. ومنه اشتقاق الحكمة لأنّها تمنع صاحبها من أخلاق الأرذال». وقال في الصحاح: «الحِكْمَةُ من العلم، والحكيم العالِم وصاحب الحكمة. والحكيم المتقِن للأمور» يشير إلى ما يذكره من العلم الربّاني، والمعارف الإلهيّة؛ فإنّها إلهام، وفيض على قلبه من الحكم والأسرار. وقوله **(لأوهام)**: جمع وَهْم قال في الصحاح: «وَهِمْتُ في الحساب أَوْهَمُ وَهْماً: إذا غَلِطْتُ فيه وسَهَوْتُ. ووَهَمْتُ في الشيء، بالفتح، أَهِمُ وَهْماً: إذا ذَهَبَ وَهْمُكَ إليه، وأنت تريد غيره. وتَوَهَّمْتُ: أي ظننت. وأَوْهَمْتُ غيري إيهاماً. وقال في المصباح: «وَهَمْتُ إلى الشيء وَهْماً، من باب وَعَدَ: سَبَقَ القلبُ إليه مع إرادة غيره. ووَهَمْتُ وَهْماً: وقع في خَلَدَي. والجمع أوْهَام، وشيءٌ مَوْهُوم، وتَوَهَّمْتُ أي: ظننت". والجار والمجرور متعلّق بمزيلة آخر البيت. وقوله **(حَدْسِ)**: يقال: حَدَسَ حَدَساً من باب ضرب: إذا ظَنَّ ظَناً مؤكداً. وَحَدَسَ في الأرض ذهب على غير هداية، كذا في المصباح. وقوله **(الحِسِّ)**: يقال أَحَسَّ الرجلُ الشيءَ إحْساساً: علم به، يتعدّى بنفسه مع الألف، قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ﴾ [٣/آل عمران/ ٥٢] وربّما زِيدَتْ الباء، فقيل: أَحَسَّ به، على معنى: شَعَرَ به. وحَسَسْتُ به من باب قَتَلَ، لغة فيه، والمصدر الحِسّ، بالكسر، يتعدّى بالباء على معنى: شَعَرْتُ

أيضاً. وقوله (عنكَ): متعلِّق بـ مُزِيْلَةٍ، والخطاب للسالك في طريق الله تعالى. وقوله (مُزِيْلَةٍ): وصف لحكمة. والمعنى: إلهام حكمة مزيلة عنك لأوهام حدس الحسّ، فإذا زالت تلك الأوهام انكشف لك وجه الوجود الحقّ بزوال الأستار العدميّة المقدّرة المفروضة، قال تعالى: ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا﴾ [١٠٠/ العاديات/ ٤] أي: أثارت عاديات الأسماء والصفات بالكلام القديم من حضرة الاسم العليم غبار الآثار الكونيّة على الوجه الحقّ. ومن ذلك قولنا في مطلع أبيات لنا:

لو تجلّى عن ناظريك الغبار لرأيت الكؤوس كيف تدار

ولبانت نار لديك كما با نت لموسى من جانب الآثار

لكن القلب منك في غفلات وعلى وجهك الكثيف خمار

ويقيناً أنّ التكاثر ألها وعزّت بوهمك الأغيار

٦٥٤- وَمِنْ قَائِلٍ بِالنَسْخِ وَالمَسْخُ وَاقِعٌ بِهِ ابْرَأ وَكُنْ عَمَّا يَرَاهُ بِعُزْلَةِ

٦٥٥- وَدَعْهُ وَدَعْوَى الفَسْخِ وَالرَّسْخُ لَا ئِقٌ بِهِ أَبَدَاً لو صَحَّ فِيْ كُلِّ دَوْرَةِ

أشار إلى بطلان مذهب التناسخ في الأرواح. وهو مذهب باطل لا دليل عليه؛ وإنّما هو مستند إلى توهّمات خياليّة، وإخبارات من الجنّ والشياطين المستولين على بعض النفوس الحيوانيّة والإنسانيّة. والتناسخ أربعة مذاهب: **الأوّل**: القائلون بالنسخ، وهم المشار إليهم بقوله (**ومن قائل بالنسخ**): وهو القول بأنّ الروح الإنسانيّ لا يزال متعلّقاً بالبدن الإنسانيّ. فإذا انقطع تعلّقه من بدن تعلّق في الحال ببدون أُخر في الرَّحِم. ولا يخلو عن التعلّق بالبدن. وأصل اشتقاقه من **نَسَخَهُ**، كمنعه: أَزاله، وغَيَّرَهُ، وأَبْطَلَهُ. وأَقام شيئاً مقامه. و- الشيء: مسخه، والكتاب كتبه عن معارضة كانت، كانتسخه واستنسخه، والمنقول منه **النُّسْخَة** بالضمّ، كذا في القاموس. وقائل **هذا القول ما شمّ رائحة رياض القدس، ولا عرف مقام الروح المطلق الأمري**، حيث حبس عليه الافتقار إلى جسم كثيف ترابي، ونفي عنه

الاستقلال، وهو من أضلّ الضلال. والثاني: القول بالمسخ. وهو: أنْ ينتقل الروح الإنسانيّ إلى بدن حيوان من سائر الحيوانات بحسب ما يرسخ فيه من صفاتها. وأشار إليه بقوله (والمسخ واقع به): أي بالقائل هذه المقالة،/ [٢٦٧/ ب] فإنّ الله تعالى مسخ إنسانيّته إلى حيوانيّته لإخلاده إلى الأرض، كما وقع لبلعام بن باعوراء في بني إسرائيل. قال تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٧٦] الآية. وقوله (ابْرَأْ): فعل أمر، يقال بَرَأَ من الأمر يَبْرُأُ بَرْأً وبَرَاءَةً وأَبْرَأَكَ منه وبَرَّأَكَ. وأنت بَرِيء، كذا في القاموس. وقوله (وكن عمّا): أي عن القول والرأي الذي يراه هذا القائل بعزلة، قال في المصباح: «فلان عن الحقّ بمَعْزِل، أي: مجانب له». وقوله (ودعه)): أي اتركه. يعني: القائل بالمذهب الباطل، وهو قوله (ودعوى الفسخ): إشارة إلى القول الثالث، وهم القائلون بالفسخ، وهو: أنْ تنتقل الروح فتتعلّق بجسم نباتي لانحطاطه عن درجة الحيوانات. وقوله (والرسخُ): وهو القول الرابع، وهم: القائلون بأنّ الروح تنتقل من بدن إنسانيّ إلى جسم حيوانيّ، ومن جسم حيوانيّ إلى جسم نباتيّ، ومن نباتيّ إلى معدنيّ وجماديّ. وهذا غاية انحطاطه. وقوله (لائق به): أي بقائله ومعتقده من أهل الباطل. وقوله (أبداً): دائماً لعمى قلبه، وانطماس بصيرته. وقوله (لو صحّ): يعني هذا القول. وقوله (في كلّ دورة): يعني فإذا انحطّ إلى الدخول في الجسم الجماديّ يترقّى بعد ذلك بالتدريج، فينفصل من الجسم الجماديّ إلى النباتيّ، ثمّ إلى الحيوانيّ، ثمّ إلى الإنسانيّ. وكلّما تمّ دورة ابتدأ بدورة أخرى. وهذه المذاهب الأربعة كلّها باطلة، وهميّة لا حقيقة لها. والقائل بها لا يعرف مقام الروح الإنسانيّ، وإطلاقه عن بقيّة الأرواح الحيوانيّة والنباتيّة والمعدنيّة والجماديّة؛ فإنّ كلّ جنس من هذه الأجناس تحتها أنواع وجزئيات مفصّلة في حضرة الروح الكلّ

الأعظم، ولكلّ روح جزيء منها صورة بدن مخصوص مدبّرة له في الاتّصال ومشرفة عليه في الانفصال. والصور الخياليّة البرزخيّة تطابق الصور الحسيّة الجسمانيّة فتخلّفها في النوم، وبعد الموت. وحضرة الروح الأعظم من أمر الله تعالى، كما قال سبحانه: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨٤]. وأمر الله تعالى عظيم، لا يضل عن شيء، ولا ينسى شيئاً، ولا يفوته شيء. وهو أعظم من ذلك وأشرف وأكمل، خصوصاً وقد قال تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [١٥/ الحجر/ ٢٩] وقال: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾ [٧٨/ النبأ/ ٣٨] وهي الأرواح الجزئيّة، قائمة على أجسامها، صفوفاً صفوفاً: إنسان، وحيوان، ونبات، ومعدن، وجماد. لكلّ واحد روح مخصوص، قائم على جسم مخصوص، كما قال تعالى: ﴿يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [٤٠/ غافر/ ٥١] وفي الحديث: «يشهد للمؤذن مدّ صوته من رطب ويابس»[1] ولا يشهد إلّا من عاين بجسمه الذي عاين به، والله بكلّ شيء عليم. ويُحتج على أصحاب هذه المذاهب الأربعة بالطوفان الحاصل في زمان نوح عليه السلام إنْ اعترفوا به؛ فإنّ خبره متواتر عند أهل الأرض، لم تنكره طائفة من الطوائف أصلاً، مؤمنوهم، وكافروهم، وحكماؤهم. وخبره شائع عند العلماء، والجهّال، والمهتمّين، والضانّين. وقد عمّ فيه الماء وجه الأرض، وطمّ الجبال والتلال والقلال. وكانت أمواجه تضرب بالسحاب. وهلك فيه جميع الناس، والحيوانات، والطيور، والوحوش، والنمل. والنباتات كلّها فسدت فيه، واختلّت المعادن، والجمادات. ولم ينجُ منه إلّا أصحاب سفينة نوح عليه السلام مع كلّ ما حملته فيها. فيا ليت شعري، تلك الأرواح الإنسانيّة التي خرجت من أبدانها، والأرواح الحيوانيّة والنباتيّة والجماديّة إلى أين ذهبت؟. فإنْ قالوا وقفت، ولم تدخل في أبدان أُخر بطلت مذاهبهم. وإنْ قالوا:/ [٢٦٨/ أ] دخلت في غيرها،

---

(١) انظر تخريجه ص١١٦١.

فأين أبدان غيرها لتدخل فيها. وإنْ قالوا: تأخرّت، ثمّ بعد ذهاب الطوفان دخلت في أبدان أُخر فقد بطلت مذاهبهم أيضاً؛ فإنّه لم يوجد بعد الطوفان إلّا أفراد من ذلك، حتى مضت السنون والأعصار، وكثرت المخلوقات. وإنْ أنكروا الطوفان فقد عاندوا أهل الأرض وأكذبوهم. وذلك باطل بالإجماع ؛ فمذاهبهم باطلة، وأقوالهم عاطلة.

٦٥٦- وَضَرْبِي لَكَ الأمْثَالَ مِنِّيَ مِنَّةٌ عَلَيْـكَ بِـشَأنِي مَـرَّةً بَعْـدَ مَـرَّةِ

٦٥٧- تَأَمَّلْ مَقَامَاتِ السَّرُوجِي وَاعْتَبِرْ بِتَلْوِيْنِـهِ تَحْمَـدْ قَبُـولَ مَـشُورَتِي

٦٥٨- وَتدْرِ الْتِبَاسَ النَّفْسِ بِالحِسِّ بَاطِنَاً بِمَظْهَرِهَـا فِي كُـلِّ شَـكْلٍ وَصُـوْرَةِ

٦٥٩- وَفِي قَوْلِهِ إنْ مَانَ فَالحَقُّ ضَارِبٌ بِـهِ مَـثَلاً وَالـنَّفْسُ غَـيْرُ مُجِـدَّةِ

(**ضربي لك الأمثال**): أي وصفي ذلك لك وتبيينه، قال في المصباح: «ضرب الله مثلاً: وصَفَهُ وبَيَّنَهُ». وقوله (**لك**): أي للسالك في طريق الله تعالى. وقوله (**الأمثال**): جمع مَثَل بالتحريك، وهو الشبه، والجمع أمثال، والصفة، ومنه ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾، كذا في القاموس. وقوله (**منّي منّة عليك**): قال في المصباح: «مَنّ عليه بالعِتق وغيره وبه مَنّاً، من باب قتل، وامْتَنَّ عليه به أيضاً: أنعم عليه به. والاسم: المِنَّة. والجمع مِنَن، مثل سِدْرَة وسِدَر». وقوله (**بشأني**): متعلِّق بضربي. أي: إنّما ضربت لك الأمثال بحالي وأمري الذي أنا عليه، ومتحقِّق به، وقوله (**مرّة بعد مرّة**): أي بالتدرّج؛ فإنْ ذلك ما حصل لي دفعة واحدة، وإنّما حصل درجة بعد درجة. وقوله (**تأمّل**): فعل أمر من التأمل. قال في في الصحاح: «تَأمَّلْت الشيء نظرت إليه مستبيناً له». وقال في المصباح: «تأمَّلْت الشيءَ: إذا تدبَّرْته، وهو إعادتك النظرَ فيه مرّة بعد أخرى حتّى تعرفه».

وقوله (**مَقامات**): جمع مَقامة، وهي بالفتح المجلس، والجماعة من الناس، كذا في الصحاح. وقوله (**السَّرُوجِي**): هو أبو زيد السَّروجِي، منسوب إلى سَرُوج،

موضع قرب حَرَّان. وأشار بذلك إلى كتاب المقامات التي صنّفها الحريري، وجعلها محكيّة عن أبي زيد السروجي، وأنزله في كلّ منزل وألبسه حلة كلّ مقام. وقوله (**واعتبر بتلوينه**): أي ظهوره في الألوان المتنوّعة، وهو واحد لا تزيد عليه إلّا الملابس بالتي يخلعها ويلبسها. وكلّ مَلبس له حكم، فيظهر به ما دام لابساً لذلك الملبس. وقوله (**تَحْمَدْ**): فعل مضارع مجزوم في جواب الأمر، وهو قوله (**تأمّل واعتبر**). والمعنى: تصير حامداً. وقوله (**قبل مشورتي**): مفعول تحمد. وقال في المصباح: «شاورته في كذا، واستشرته: راجعته لأرى رأيه فيه، فأشار عليّ بكذا أراني ما عنده فيه من المصلحة، فكانت إشارته حسنة. والاسم: المشورة. وفيه لغتان: سكون الشين وفتح الواو. والثاني ضمّ الشين وسكون الواو، وِزان معونة. يقال: هي من شار الدابّة: إذا عرضه في المشوار. ويقال من شرت العسل. شبَّهَ حُسْن النصيحة بشرب العسل. وقوله (**وتدري**): أي تعلم. وقوله (**التباس النفس**): أي نفسك عليك من حيث لا تشعر بها، قال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ [٦/الأنعام/٩] وهو التباس نفوسهم عليهم، وهو الوجود الحقّ يلبس عليهم صورهم الباطنة والظاهرة؛ لأنّها شؤونه ومراتب ظهوره. وقوله (**بالحسّ**): متعلّق بالتباس. وقوله (**باطناً**): أي من حيث ما يحسُّون به من أحوال نفوسهم الباطنية كعلم ما يعلمون، وجهل ما يجهلون. والقدرة على ما يقدرون. والعجز عمّا لا يقدرون، والإرادة لما يريدون، والقهر فيما لا يريدون، وهكذا في كلّ حال هم به متلبّسون. وقوله (**بمطهرها**): أي النفس. متعلّق بالتباس. وذلك بظهورها، كما قال في (**كلّ شكل من الأشكال وصورة**): من الصور تتقلّب في ذلك أسرع من طرفة العين. وقوله (**وفي قوله**): يعني قول صاحب/[٢٦٨/ب] مقامات السَّروجي. وقوله (**إن مان**): أي كذب، حيث حكي عن رجل سمّاه أبا زيد السروجي حكايات مختلفة مخترعة الأساليب، وأظهره في صور غريبة، وأشكال عجيبة. وكلّ ذلك أمور لم

تكن. وقوله (**فالحقّ ضارب به**): يعني إنّما مراده بذلك ضرب مثل للحقّ في ظهوره بالصور والأشكال الغريبة العجيبة، من حيث حضرة أفعاله تعالى، فإنّه فعّال لما يريد على مقتضى أسمائه وصفاته، فيتجلّى بأسمائه الخالق البارئ المصوّر، فيخلق ويصوّر أنواع المخلوقات والصور المختلفة. ويظهر بها في مقتضيات أحكامها من حيث أنّه الفاعل. ومع ذلك هو على ما هو عليه من حيث حضرة ذاته العليّة، وصفاته وأسمائه السنيّة، لا يتغيّر ولا يتبدّل، ويغير مخلوقاته ويبدّلها، ويغير صورة ويبدّلها؛ لأنها أفعاله، فيقلّبها، ويتقلّب فيها. وهي مراتب له، واعتبارات، وتقارير، وتصاوير، من غير حلول فيها؛ لعدم وجودها في نفسها بالنسبة إليه؛ وإنّما وجودها إضافة إليه، كما قال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [٢٤/ النور/ ٣٥] وقال: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [٣٩/ الزمر/ ٦٩].

وقوله (**والنفس غير مُجِدَّة**): يعني لا جِدَّ لها، وإنّما لها الهَزْل في جميع أمورها، فلو جَدَّت صارت قلباً، وظهر الحقّ متجلّياً بها، كما قلنا في مطلع قصيدة لنا:

قلوب متى منه خلت فنفوس   لأحرف وسواس اللعين طروس
وإنْ ملئت منه ومن نور ذاته   فتلك بدور أشرقت وشموس

٦٦٠- فَكُنْ فَطِناً وَانْظُرْ بِحِسِّكَ مُنْصِفاً   لِنَفْسِكَ فِي أَفْعَالِكَ الأَثَرِيَّةِ

(**فكن**): يا أيُّها السالك فطناً، أي: ذا فطنة، يقال: رجل فَطِن بخصومته: عالم بوجودها، حاذق، كذا في المصباح. وقوله (**وانظر بحسّك**): أي بقوّة حواسّك كلّها، لا ببصرك وحده. يعني: في نفسك لتعرف من أنت، قال العارف القشّاشي المدني قدّس الله سرّه (مواليا):

إنْ لم تراني فحقِّق أنني رائيك   واعلم بأنّك لا شيء غير وجهي فيك
يا من تسمّى باسم النور في التحليك   حقّق وجودك لكي تدري المحرّك فيك

وقوله (**منصفاً**): أي معترفاً بالإنصاف. وقوله (**لنفسك**): أي عند نفسك.

وقوله (**في أفعالك**): جمع فعل، وهو ما يظهر عنك في باطنك وظاهرك من الحركات والسكنات في الخير والشرّ. وقوله (**الأثريّة**): أي المنسوبة إلى الأثر، أي: كونها أثراً عنك. يعني: نفسك تدّعي تأثيرها، وأنّها آثار صادرة عنها، فإذا أنصفت في تأمّلك وجدت نفسك صورة تجلِّي ربّك عليك، ومظهر انكشافه لك، وجميع الآثار الصارة من نفسك آثار قدرته وإرادته. والغيرة في نفسك مجرّد وهم منك، وجهل بنفسك. فإذا عرفت فالزم الأدب، واحترز من العطب.

٦٦١- وَشَاهِدْ إِذَا اسْتَجْلَيْتَ نَفْسَكَ مَا تَرَى بِغَيْرِ مِرَاءٍ فِي المَرَائِي الصَّقِيْلَةِ

٦٦٢- أَغَيْرُكَ فِيْهَا لَاحَ أَمْ أَنْتَ نَاظِرٌ إِلَيْكَ بِهَا عِنْدَ انْعِكَاسِ الأَشِعَّةِ

(**وشاهدْ**): أي تحقّقْ وتيقّنْ. وقوله (**إذا استجليتَ نفسك**): أي كشفت عنها، وتحقّقت بها أنّها تجلِّي ربّك عليك بالتصوير والتمثيل. وقوله (**ما ترى**): أي الذي تراه، مفعول شاهد. وقوله (**بغير مِراء**): بكسر الميم، أي: جدال، قال في المصباح: «مارَيته أُمَارِيه مُمَارَاةً، ومِراءً: جادلته». وقوله (**في المَرائِي**): جمع مِرآة، قال في الصحاح: والمِرآة بكسر الميم: التي تنظر فيها، وثلاث: مِراء، والكثير: مَرَايا. وقوله (**الصقيلة**): وصف للمَرائي. وقوله (**أغيرك**): الهمزة للاستفهام الإنكاري. وقوله (**فيها**): أي في تلك المَرائي المتعدِّدة التي كشفت عن نفسك فيها، وهي مختلفة بالتربيع، والتثليث، والتسديس، والطول، والعرض، والكبر، والصغر. فإن نفسك الواحدة تظهر في كلّ مرآة على صورة غير الصورة التي تظهر/[٢٦٩/أ] بها المرآة الأخرى. ونفسك واحدة ما تعددت؛ وإنّما مَرايا الأسماء والصفات المختلفة الكثيرة المتعدّدة هي المقتضية لظهور نفسك الواحدة على خلاف ما هي عليه من التعدّد، واختلاف الصور والهيئات، فاعتبر بذلك في ظهور الحقّ تعالى في مرايا أسمائه وصفاته على مقتضياتها، وهي واحدة على ما هي عليه أزلاً وأبداً، لا تعدّدت ولا تغيَّرت، وهي هي. وقوله (**لاح**): أي ذلك الغير، وحاشا أنْ يكون ثمّة شيء أصلاً. وقوله (**أم أنت ناظر**): أي متوجّه بوجهك.

وقوله (**إليك**): متعلِّق بناظر، أي: نفسك متوجّهة بالنظر إلى نفسها. وقوله (بها): أي في تلك المرائي كلّها في وقت واحد. وقوله (**عند انعكاس الأشعة**): جمع شعاع، أي: رجوع شعاع بصرك إلى وجهك، لوقوع بصرك على صقالة تلك المرايا؛ فالذي تراه هو وجهك بلا شكّ ولا ريب، قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [٢٨/ القصص/ ٨٨]. ثم قال تعالى: ﴿لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ ـ في كلّ الوجوه الظاهرة ـ ثمّ قال: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [٣٨/ القصص/ ٨٨] أي: إلى حقيقته كلُّكم راجعون. وقال تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [٢/ البقرة/ ١١٥] الآية.

٦٦٣- وَأَصْغِ لِرَجْعِ الصَوْتِ عَنْدَ انْقِطَاعِهِ إِلَيْـكَ بِأَكْنَـافِ القُـصُوْرِ المَـشِيْدَةِ

٦٦٤- أَهَلْ كَانَ مَنْ نَاجَاكَ ثَمَّ سَوَّاكَ أَمْ سَمِعْتَ خِطَاباً عَنْ صَدَاكَ المُصَوِّتِ[1]

(**وأصغِ**): بقطع الهمزة، فعل أمر من صَغَيْت إلى كذا أَصْغَى، بفتحتين: مِلْتُ، كما في المصباح. وقوله (**لرجع**): اللام بمعنى إلى. وقوله (**الصوت عند انقطاعه إليك**): وهو الصدّ، الصوّت راجع إلى المصوّت عند انقطاعه بالانصدام على جبل أو بناء مرتفع. وهو قوله (**بأكناف**): جمع كَنَف. قال في المصباح: الكَنَفُ بفتحتين: الجانب، والجمع: أَكْناف، مثل: سَبَب وأَسْبَاب». وقوله (**القصور**): جمع قصر، وهو البناء الرفيع، قال في المصباح: «قصر المَلِك معروف، والجمع: قصور، مثل: فَلْس وفُلُوس. وقال في القاموس: «القصر المنزل، أو كلّ بيت من حَجَر". وقوله (**المَشِيدة**): من الشِّيْد بالكسر: الجصّ. وشِدْتُ البيتَ أَشِيْدُهُ، من باب باع: بَنَيْتُهُ بالشِيْد فهو مَشِيْد. وشَيَّدْتُهُ تَشْييداً: طَوَّلْتُه، ورَفَعْتُه، كذا في المصباح. وقوله (**أَهَلْ**) الهمزة وهل للاستفهام التقريري. وقوله (**كان**): أي في حال رفع صوتك في ذلك. وقوله (**مَنْ ناجاك**): أي خاطبك. وقوله (**ثَمَّ**): بفتح الثاء المثلّثة، أي: هناك.

---

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: «بلغ سماعاً ومقابلة على مؤلِّفه رضي الله عنه وعنّا به. وكتبه الفقير إبراهيم الدكدكجي لطف الله به».

وقوله (سواك): أي غيرك. وقوله (أم سمعت خطاباً): وهو عين صوتك رجع إليك. وقوله (عن صداك المُصوِّتِ): بتشديد الواو مكسورة، اسم فاعل. وصف لصداك، وكذالك نفسك وما تّصفت به من صفاتك، وأحوالك الظاهرة والباطنة صادرة ذلك كلّه عن أمر ربّك بتكوينه لك بقوله سبحانه: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [٢/ البقرة /١١٧] والعوالم كلّها كذالك، وهو قوله سبحانه: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ [٢١/ الأنبياء/ ٢٣] وهو مقام الجمع، ليس فيه إلّا فاعل حقيقي، وأفعال إذ ما ثَم من يسأله. وأمّا قوله (بعده): ﴿وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [٢١/ الأنبياء/ ٢٣] فهو مقام الفرق؛ فإنّ الأفعال الإلهيّة منقسمة من جملة انقسامها إلى فاعل ومفعول، وإنسان وحيوان، إلى غير ذلك مما لا يحصى من الأقسام.

٦٦٥- وَقُلْ لِيَ مَنْ أَلْقَى إِلَيْكَ عُلُوْمَهُ وَقَدْ رَكَدَتْ مِنْكَ الحَوَاسُ بِغَفْوَةِ

٦٦٦- وَمَا كُنْتَ تَدْرِي قَبْلَ نَوْمِكَ مَا جَرَى بِأَمْسِكَ أَوْ مَا سَوْفَ يَجْرِي بِغُدْوَةِ

٦٦٧- فَأَصْبَحْتَ ذَا عِلْمٍ بِأَخْبَارِ مَنْ مَضَى وَأَسْرَارِ مَنْ يَأْتِي مُدِلّاً بِخِبْرَةِ

(قل لي): يا أيّها السالك. وقوله (من ألقى إليك علومه): في خيالك، هل هو غير الحقّ تعالى المستولي على ظاهرك وباطنك، في يقظتك ونومك؛ بل هو الله الذي له التصرّف فيك على كلّ حال من أحوالك، شعرت أم لم تشعر. وقوله (وقد): الواو للحال، والجملة حال من الكاف في إليك. وقوله (ركدت) يقال: رَكَدَ الماءُ رُكُوداً، من باب قَعَدَ: سَكَنَ. وأَرْكَدْتُهُ: أسْكَنْتُهُ، ورَكَدَتْ/[٢٦٩/ ب] السفينةُ: وَقَفَتْ فلا تجري، كذا في المصباح. وقوله (منك): يا أيّها السالك. وقوله (الحواس): حواس الإنسان مشاعره الخمس: السمع، والبصر، والشمّ، والذوق، واللمس. الواحدة: حاسّة، مثل: دابّة ودواب، كما في المصباح. وقوله (بغفوة): أي بنومة، يقال: أَغْفَيْتُ إغْفَاءً فأنا مُغْفٍ إذا: نِمْتُ نَوْمَةً خفيفة، قال ابن السكِّيت وغيره: ولا يُقال: غَفَوْتُ. وقال الأزهري: كلام العرب: أَغْفَيْتُ، وقلَّما يقال: غَفَوتُ، كذا في المصباح. وقوله:

(وما كنت تدري): أي تعلم. وقوله (قبل نومك): يعني الذي نمته. وقوله (ما جرى): يعني في اليقظة. وقوله (بأمسك): وهو اليوم الذي قبل يومك الذي أنت فيه، ولو بأيام قليلة، أو كثيرة، قال في المصباح: «أَمْسِ: اسم عَلَمٍ على اليوم الذي قبل اليوم يومك. ويُستعمل فيما قبله مجازاً».

وقوله (أو ما سوف يجري بغُدوة): بضمّ الغين المعجمة، وهي: ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس. ثمّ كثر حتّى استُعمل في الذهاب والانطلاق، أي: وقت كان. والمعنى: إنّ الذي تعْلَمُه في نومك من المنامات الصادقة المُنبِّئَة عن الأخبار الماضية، والأخبار المستقبلة ما كنت تدري بشيء منها. وهل غير الحقّ تعالى ألقى إليك علمه بها؛ بل هو الله وحده. وقوله (فأصبحت): يعني عند قيامك من النوم في وقت الصباح. وقوله (ذا علم): يعني عالماً. وقوله (بأخبار من مضى): مما لا علم لك به في يقظتك. وقوله (وأسرار من يأتي): بما لا تعلمه مما سيقع في الدنيا من أحوالك، أو أحوال غيرك من الناس. وقوله (مدلًّا): بصيغة اسم الفاعل، من أَدَلَّ بكذا بالدال المهملة، قال في القاموس: «أدلَّ عليه: انبسط، كتدلّل، وأوثق بمحبّته فأفرط عليه وعلى أقرانه: أخذهم من فوق». وقوله (بخُبْرَةٍ): بضمّ الخاء المعجمة وسكون الباء الموحّدة، يعني: مفتخراً على أقرانك بعلم ذلك، ومعرفته دونهم.

٦٦٨- أَتَحْسَبُ مَنْ جَارَاكَ فِي سِنَةِ الكَرى سِوَاكَ بِأَنْوَاعِ العُلُوْمِ الجَلِيْلَةِ

٦٦٩- وَمَا هِيَ إلَّا النَفْسُ عِنْدَ اشْتِغَالِهَا بِعَالَمِهَا عَنْ مَظْهَرِ البَشَرِيَّةِ

٦٧٠- تَجَلَّتْ لَها بِالغَيْبِ فِي شَكْلِ عَالِمٍ هَدَاهَا إلَى فَهْمِ المَعَانِي الغَرِيْبَةِ

٦٧١- وَقَدْ طُبِعَتْ فِيْهَا العُلُوْمُ وَأُعْلِمَتْ بأَسْمَائِهَا قِدْماً بِوَحْيِ الأُبُوَّةِ

٦٧٢- وَبِالْعِلْمِ مِنْ فَرْقِ السِوَى مَا تَنَعَّمَتْ وَلَكِنْ بِمَا أَمْلَتْ عَلَيْهَا تَمَلَّتِ

(أتحسب): الهمزة للاستفهام. و(تحسب): أي تظن يا أيها السالك. وقوله (من جاراك): جاراه مُجَاراة: جَرَى معه، كذا في المصباح. وقال في الصحاح: «جاراه في

الحديث، وتجاوروا فيه». وقوله (**في سِنَة**): بكسر السين المهملة، أي: غفلة. وقوله (**الكرى**): أي النعاس. يقال منه: كَرِيَ الرجلُ ،بالكسر، يَكْرَى كَرَىً، فَهوَ كَرٍ، وامرأة كَرِيَة، على فَعِلَة، كذا في الصحاح. وقال في المصباح: «الكرى، أي: مثال العصا: النعاس» انتهى. والمراد هنا النوم، وإنْ قال الأزهري كما في المصباح: «حقيقة النعاس الوَسَن من غير نوم». وقال في المصباح: «الوَسَن: النعاس» انتهى. فإنّ كثيراً ما يطلقون الكرى والوَسَن على النوم نفسه، فلعله مجاز لغوي لأنّها سببه. وقوله (**سواك**): أي غيرك فاعل جارك. وقوله (**بأنواع العلوم الجليلة**): وصف للعلوم؛ فإنّ المنام وحي المؤمن. وهو من أجزاء الوحي، كما ورد في الأحادث الصحيحة؛ فإنّ الذي يجاريك فيما يلقي إليك من العلوم المناميّة، والأسرار الخياليّة إنّما هو نفسك التي هي صورة تجلّي ربّك الحقّ عليك في منامك. وكذلك الحال في يقظتك كما أشار إليه بقوله (وما هي): أي الحقيقة التي يجاريك شخصها المتصوِّر بصورة نفسك في عالم إنسانيّتك تصوّراً فعلياً لا ذاتيًا، ولا وصفياً، فإنّ تلك الحقيقة المطلقة تفعل كلّ قيد طبيعي، أوخيالي، أوحسي. إلى غير ذلك. وتظهر بأي صورة شاءت، ولا تخرج عن/ [٢٧٠/ أ] إطلاقها الحقيقي، كما هو معروف عند المحقِّقين من أهل الله تعالى. وقوله (**إلّا النفس**): أي نفسك التي تعبِّرعنها بقولك: أنا. وقوله (**عند اشتغالها**): أي النفس. وقوله (**بعالَمِها**): بفتح اللام، أي: بعالم كونها في ذاتها. وقوله (**عن مظهر**): أي موضع ظهور متعلِّق باشتغالها. وقوله (**البشريّة**): من البَشَرَة، ظاهر الجلد، والجمع: البَشَر، مثل قَصَبَة وقَصَب. ثمّ أُطلق على الإنسان، واحده وجمعه. كذا في المصباح؛ فالبشريّة هنا: مقتضى ظاهر الإنسان، من أحوال بدنه وطبعه؛ فإنّ النفس إذا اشتغلت بذاتها، وقطعت نظرها عن أحوال بدنها تجرّدت عن علائق الطبع، وأحوال البشريّة. وغلب عليها حال أصلها، وهو الروح الأمري النفخي الربّانيّ، فعند ذلك يأتي قوله (**تجلّت**): أي انكشفت. والفاعل ضمير النفس باعتبار حقيقتها الروحيّة

الأمريّة. وقوله (**لها**): أي لنفسها باعتبار صورتها الطبيعيّة الإنسانيّة. وقوله (**في شكل عالم**): أي ذي علم كامل في تحقيق كلّ معلوم. وقوله (**هداها**): أي هدى ذلك العالم تلك النفس، بمعنى: أَرشدها ودلَّها. والجملة صفة عالِم. وقوله (**إلى فهم المعاني الغريبة**): من معاني الكتاب، والسنّة النبويّة، وأسرار الآيات، ورموز الإشارات بطريق الذوق والحِسِّ، مما لا يهتدي إليه العقل بالفكر والخيال. وقوله (**وقد**): الواو للحال، والجملة في محل نصب على الحال من فاعل تجلّت. وقوله (**طُبِعَتْ**): بالبناء للمفعول، أي: طَبَعَ الله تعالى. وقوله (**فيها**): أي في النفس. وقوله (**العلومُ**): نائب الفاعل، أي: جعلها مطبوعة على إدراك العلوم، وجعل فيها استعداد وقابليّة لقبول العلّم والتفهّم. وقوله (**وأُعلمت**): بالبناء للمفعول، معطوف على طُبعت. والمراد: نفس آدم عليه السلام أبي البشر؛ فإنّ نفسه مطبوعة على قبول العلوم كنفوس ذرِّيته، ولكنّه خُصّ من دونهم بتعليمه تعالى، كما قال (**بأسمائها**): أي أسماء المعلومات المدلول عليها بذكر العلوم كما قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [٢/ البقرة/ ٣١] الآية. وقوله (**قدماً**): أي في ابتداء هذا النشوء الإنسانيّ. وقوله (**بوحي الأبوّة**): متعلّق بأعلمته، أي: الوحي الذي أوحي إلى أبيها آدم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [٢/ البقرة/ ٣١] الآية. كما ذكرنا فإنّ ما كان في الأب يسري في ذرِّيته، بحكم الكمال الإنسانيّ. وقوله (**وبالعلم**): أي وبسبب العلم الأسمائي المذكور. والجار والمجرور متعلّق بتنعّمت. وقوله (**من فرق السوى**): أي من جهة الفرق الذي هو وجود السوى، أي: الغير. وقوله (**ما تنعمّت**): أي تنعّمها. يعني: النفس؛ فإنّ العلم بأسماء الموجودات من جهة مقام الفرق، الذي هو مقام الأغيار يحصل بذلك تنعّم النفس، وتتأتى لذائذها وشهواتها. وقوله (**ولكن بها أملت**): من الإملاء، قال في المصباح: «أَمْلَلْت الكتابَ على الكاتب امْلالاً: أَلْقَيْتُهُ عليه. وأَمْلَيْتُهُ عليه إملاء. والأولى: لغة الحجاز وبني أسد. والثانيّة: بني تميم وقيس. وجاء الكتاب العزيز

بها: ﴿وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٨٢] ﴿فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [٢٥/ الفرقان/ ٥]» وفاعل أملت ضمير عائد إلى الحقيقة الإلهيّة الغيبيّة المفهومة من المقام. وقوله (عليها): أي على النفس. وقوله (تَملَّتِ): بكسر التاء للقافية، والضمير للنفس، قال في الصحاح: «مَلَّاكَ الله حبيبك، أي: متَّعَك به، وأَعاشَك معه طويلاً. وتَمَلَّيْتُ عمري: استمتعت منه. ويقال لمن لبس الجديد: أَبْلَيتَ جديداً، وتَمَلَّيتَ حَبِيْباً، أي: عشتَ معه ملَاوَةً من دهرك، وتَمَتَّعْتَ به. وأقمتُ عنده مَلَاوَةً من الدهر، أي: حيناً وبرهة». يعني: إنّ النفس بها تعطيها حقيقتها الغيبيّة المتجلِّية بها من العلوم والإدراكات تمتعت واشتغلت بلذائذها، وشهواتها العاجلة./ [٢٧٠/ ب].

٦٧٣- وَلَوْ أَنَّهَا قَبْلَ المَنَامِ تَجَرَّدَتْ لَشَاهَدْتَهَا مِثْلِي بِعَيْنٍ صَحِيْحَةِ

٦٧٤- وَتَجْرِيدُهَا العَادِيُّ أَثْبَتَ أَوَّلاً تَجَرُّدَهَا الثَّانِي المَعَادِي فَأَثْبِتِ

(ولو أنّها): أي النفس. وقوله (قبل المنام): أي في حال يقظتها. وقوله (تَجَرَّدَتْ): أي تخلّت وتركت أشغالها الحسيّة، كما تتخلّى وتترك ذلك بمنامها فلا تشتغل حواسّها بشيء من المدركات المحسوسة والمعقولة. وفرغت محلّها للوجه الروحانيّ منها. وقوله (لشاهَدْتَها): أي الحقيقة الغيبيّة المتجلِّيّة بالنفس، والخطاب بفتح التاء للسالك. وقوله (مثلي): أي في أنّ نفسي متجرّدة في حال اليقظة، فأنا أشاهد حقيقة نفسي المتجرِّدة، حيث تلك الحقيقة الغيبيّة متجلِّية عليّ بنفسي. وقوله (بعين): متعلّق بشاهدتها. وقوله (صحيحة): وصف لعين، وهي العين البصريّة النافذة في عالم الغيب، وتتبعها العين الباصرة؛ فإنّها إذا صحّت عين القلب صحت عين الجسد. وإذا ضعفت ومرضت عين القلب مرضتْ عين الجسد، قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [٢٢/ الحج/ ٤٦] وقال تعالى: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ [٢/ البقرة/ ١٠] حتّى صار ذلك المرض في أبصارهم. وقوله (وتجريدها): أي النفس. وقوله

(العادي): وصف للتجريد، وهو تخلّيها وتركها لشهواتها ولذائذها الدنيويّة. وكان ذلك عادياً، منسوباً إلى العادة؛ لأنّه ترك العادات التي اعتادت عليها، وألفت الاشتغال بها، والانهماك فيها. وقوله (أثبت): أي ذلك التجريد. وقوله (أوّلاً): أي في ابتداء الدخول في مقام التجريد الكامل. وقوله (تَجَرُّدَهَا): مفعول أثبت، أي: تجرّد النفس ثانياً. وقوله (الثاني): وصف لتجرّدها. وقوله (المَعَادِي): وصف للتجرّد أيضاً. والمعادي: المنسوب إلى المَعَاد، وهو الآخرة. وذلك هو التجرّد عن الجنّة ونعيمها، والنجاة من النار وجحيمها، وجميع اللذائذ والشهوات الأُخرويّة الموعود بها في الأخبار الصادقة. وبتجرّد النفس عن هذين التجريدين: التجرّد الدنيويّ، والتجرّد الأُخروي، تكمل قوى النفس في إدراك الحقائق الإلهيّة، والتجلّيات الربّانيّة. وقوله (فَأَثْبِتِ): بكسر التاء للقافية، فعل أمر من الثبوت، أي: فاثبتْ يا أيّها السالك على هذين التجرّدين، ولا تخرجْ عن شيء منهما، وكلّ من ثبت نبت، فإنّ الثبوت هو الاستقامة في الدين، قال تعالى لنبيّه صلّى الله عليه وسلّم: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ﴾ [١١/ هود/ ١١٢] الآية. وقالوا: الاستقامة خير من ألف كرامة، فإنّ استقامة الوليّ على مقام التجريد، وثبوته على ذلك من أعلى المقامات، وأفضل الكرامات.

٦٧٥- وَلَا تَكُ مِمَّنْ طَيَّشَتْهُ دُرُوسُهُ ... بِحَيْثُ اسْتَقَلَّتْ عَقْلَهُ فاسْتَفَزَّتِ

٦٧٦- فَثَمَّ وَرَاءَ العَقْلِ عِلْمٌ يَدِقُّ عَنْ ... مَدَارِكِ غِايَاتِ العُقُوْلِ السَلِيْمَةِ

٦٧٧- تَلَقَّيْتُهُ مِنِّي وِعِنِّي أَخَذْتُهُ ... وَنَفْسِيَ كَانَتْ مِنْ عَطَائِي مُمِدَّتِي

(ولا تك): أصلها تكن، فحذفت النون تخفيفاً، والخطاب للسالك في طريق الله تعالى. وقوله (ممن): أي من جنس الإنسان الذي، أو من جنس شخص. وقوله (طَيَّشَتْهُ): بتشديد الياء التحتيّة، جملة وقعت صلة للموصول، أو صفة للنكرة. وطَيَّشْتُه من الطيش، وهو: الخفّة، مصدر طاش، من باب باع، كذا في المصباح. وقوله (دُرُوسُهُ): فاعل طيشته، جمع دَرْس، من دَرَسْتُ العلمَ دَرْساً من باب قتل،

ودِراسَة: قرأته. كما في المصباح. وقوله (**بحيث استقلّت**): أي دروسه وقراءته، قال في القاموس: «استقلّ الشيء: عدّه قليلاً». وقوله (**عقله**): مفعول استقلّت، بمعنى: عدت عقله قليلاً، أي: جعلته عقلاً قليلاً، بحيث لا يدرك المعارف الإلهيّة والحقائق الربّانيّة. ولا يعرف التجلّيات الرحمانيّة لاشتغاله/ [٢٧١/أ] بتعلّم قواعد دروسه، وتفهّم فوائد أوراقه وطروسه. وقوله (**فاستفزّتِ**): بكسر التاء للقافية، قال في القاموس: «استفزّه: استخفّه، وأخرجه من داره، وأزعجه، وأفززته: أفزعته». والمعنى: استخفّت دروسه في العلوم الرسميّة بعقله، وأخرجته عن مقام إنسانيّته الكاملة، المضاهية للحضرة الغيبيّة المقابلة. وقال القاشاني قدّس الله سرّه في ابتداء خطبته اصطلاحات الصوفيّة: الحمد لله الذي نجانا من مباحث العلوم الرسميّة بالمنّ والإفضال، فجعل ترك ذلك نجاة، ولأنّ العلوم الرسميّة علوم ترسم صور مسائلها في الخيال فتضبطها العقول، وتحفظها القوّة الحافظة، وتجول على إدراكها الأفكار بخلاف العلوم الذوقيّة الوجدانيّة التي تجدها القلوب بقوّة روحانيّتها كتجلّيات الباري تعالى في صور الأكوان من قبيل الأفعال الإلهيّة؛ فإنّه تعالى له أنْ يفعل ما شاء، كما قال تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [١١/ هود/ ١٠٧] والمتجلّي في الصور، المنكشف بها، يصوّرها باسمه المصوِّر، كما قال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [٣/ آل/ عمران/ ٦]. فإذا صوّرنا كذلك ظهر عندنا بصور ما يصوِّر، فتقبل ظهوره بذلك القلوب والأرواح، إذ لا سواه في الوجود تبارك وتعالى؛ فالصور كلّها له لتجلّيه وانكشافه بها عند القلوب والأرواح. وأمّا العقول والأفكار من حيث قوتها فلا تدرك إلّا الصورالرسميّة، فتعتقد مغايرتها له، ولا تعتبر المصوّر لها مع اعتقاد العقول أنّ الصور لا تكون بلا مصوِّر لها أصلاً قطعاً؛ ولهذا كانت العقول تنزّه الباري تعالى وحظّها من المعرفة الإلهيّة، التنزّه فقط، والتشبيه إنّما جاء من قبل الشرائع على ألسنة الرسل، ومعاني الكتب المنزلة عليهم، فتدخل العقول في ذلك، وتُرجع الكلّ في التنزيه فقط، وهو

نصف المعرفة الإلهيّة، والمعرفة الكاملة بالتنزّه والتشبيه معاً؛ فإنّ المُنَزَّهَ عن الصور كلِّها تجلّى بالصور كلِّها أيضاً، كما قال: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾ [٦/الأنعام/٣] الآية. مع قوله: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [١٠/يونس/١٠١] أي: لا يصدّقون بالنصف الآخر من المعرفة الإلهيّة، وهي والتشبيه بالتجلّي، والانكشاف في الصور كلّها. وحكى تعالى عن لقمان عليه السلام أنّه قال لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾ [٣١/لقمان/١٦] أي: يظهر بها، ويتجلّى، ينكشف من حيث اسمه الجامع لجميع أسمائه، وهو الاسم الله، وذلك لأنّها كلّها أفعاله، فهو الذي يأتي بأفعاله ومنفعلاته؛ فيظهر متجلّياً بها من غير أنْ يتغيّر في ذاته وصفاته، وهي شؤونه التي قال تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [٥٥/الرحمن/٢٩] وإلى علم التجليّات هذا الذي يُعرف بالذوق والوجدان أشار بقوله (**فثَمّ**): بفتح الثاء المثلّثة. يعني: هناك إشارة البعيد لبعده عن الصقل من حيث انفراده عن الشرع؛ ولذا قال (**وراء العقل**): أي من فوق طور العقل. قال الشيخ أرسلان الدمشقي قدّس الله سرّه في رسالته: «الناس تائهون عن الحقّ بالعقل». وقوله (**علم**): أي إدراك وتحقيق. وقوله (**يدقّ**): أي ذلك العلم. والجملة صفة لعلم. ونكّره للتعظيم، لأنّه علم الحضور لا علم الغيبة. وصاحبه متحقِّق لا صاحب ظنّ عقليّ، وتصديق خيالي، قال في المصباح: «دَقَّ الأمرَ دِقَّةً: إذا غَمُضَ وخَفِيَ معناه، فلا يكاد يفهمه إلّا الأذكياء». كذا في المصباح. وقوله (**عن مدارك**): جمع مُدْرَك، قال في المصباح : «المُدرَك بضمّ الميم: مصدر، أو اسم زمان ومكان، تقول: أَدْرَكْتُهُ مُدْرَكاً، أي: إدراكاً، وهذا مُدْرَكُه، أي: موضع إدْراكِه. ومَدَارِكُ الشرع: مواضِع طلب الأحكام، وهي حيث يُستدَلُّ بالنصوص والاجتهاد من مَدارِك الشرع، والفقهاء يقولون في الواحد مَدْرَك/[٢٧١/ب] بفتح الميم، وليس لتخريجه وجه، قد نَصَّ الأئمّة على طَرْدِ الباب، فيُقال: مُفْعَل،

بضمّ الميم، من أفْعَلَ، واستُثنِيَت كلمات مسموعة خرجت عن القياس. قالوا: المأوى من آويت. ولم يُسْمَع فيه الضمّ. وقالوا: المَصْبَح والمَمْسَى: لمَوْضِع الإصباح والإمساء، ولوقته، والمَخْدَع: من أَخْدَعْتُ الشيءَ، وأَجْزَأْت عنك مُجزَأً فلانٍ، بالضمّ في هذه على القياس، وبالفتح شذوذاً. ولم يذكروا المَدْرَك مما خرج عن القياس؛ فالوجه: الأخذ بالأصول القياسيّة حتّى يصحّ سماعه. وقد قالوا: الخارج عن القياس لا يقاس عليه، لأنّه غير مُؤصَّل في بابه». وقوله **(غايات)**: جمع غاية، وهي المدى. وقوله **(العقول)**: جمع عقل. وقوله **(السليمة)**: وصف للعقول، أي: الصحيحة الإدراك؛ فإنّه غاية إدراك العقل تنزيه الحقّ تعالى لاغير، كما ذكرنا. وذلك نصف المعرفة، كما أنّ النصف الآخر تكمّل به المعرفة، وهو التشبيه وإنْ لم يخل تنزيه عن تشبيه، ولا تشبيه عن تنزيه، وهما متلازمان، ولا بدّ منهما في كمال المعرفة الإلهيّة على وجه العموم في كلّ شيء، كما قال تعالى بوجه الحصر: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [٥٧/ الحديد/ ٣] فلا أوّل إلّا هو، ولا آخر إلّا هو، ولا ظاهر إلّا هو، ولا باطن إلّا هو. وقوله **(تلقّيته)**: أي أخذت ذلك العلم المذكور. وقوله **(منّي)**: أي من حيث أنّي تجلٍ من تجلّيات ربّي عليّ. قوله **(وعنّي)**: أي من الحيثيّة المذكورة. وقوله **(أخذنه)**: أي أدركته، وعرفته، وتحقّقت به. وقوله **(ونفسيَ)**: أي من الحيثيّة المذكورة. وقوله **(كانت من عطائي)**: أي وجودي وكرمي من الحيثيّة المذكورة. وقوله **(مُمِدَّتي)** قال تعالى: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٢٠] وهو الإمداد الذي يصل إليهم منهم فهو متجلٍ بهم عليهم، فإمداده لهم لاينقطع عنهم في الدنيا والآخرة إلى الأبد.

٦٧٨- وَلَا تَكُ بِاللَّاهِي عَنِ اللَّهْوِ جُمْلَةً ... فَهَزْلُ المَلَاهِي جِدُّ نَفْسٍ مُجِدَّةِ

(ولا تكُ): أي تكن، بحذف النون تخفيفاً. وقوله **(باللّاهي)**: من اللّهو، وهو معروف، يقول أهل نجد: لَهَوْتُ عنه أَلْهُو لُهِيّاً، والأصل فُعُول من باب قَعَدَ. وأهل العالية يقول: لَهِيْتُ عنه أَلْهَى، من باب تعِب، ومعناه: السلوان والتَّرْك، كذا في

المصباح. وقوله (**عن اللَّهو**): أصل اللَّهو الترويح عن النفس بما لا تقتضيه الحكمة. وأَلْهاني الشيءُ بالألف: شغلني. ذكره في المصباح. وقال في الصحاح: «لَهَوْتُ بالشيء أَلْهُو لَهْوَاً: إذا لعبت به، وتَلَهَّيْتُ به مثلُه». والمعنى: ولا تكن يا أيّها السالك معرضاً عن الأمور التي فيها ترويح النفس بما لا تقتضيه الحكمة، وهو ما لا فائدة فيه ظاهرة من الملاعب. وقوله (**جُمْلَةً**): أي إعراضاً بالكليّة، قال صلّى الله عليه وسلّم: «الهوا والعبوا فإنّي أكره أن أرى في دينكم غلظة»[1] أي: جموداً على حال واحد لقصور النظر عن جميع التجلّيات الربّانيّة بالأحوال الإنسانيّة. وقوله (**فهزل**): هو ضدّ الجدّ. وقوله (**الملاهي**): جمع ملهاة، وهي آلة اللهو واللعب، كالدّف والمزمار ونحو ذلك. والمراد سماع نغمات هذه الآلات المطربة. وقوله (جِدٌّ): بكسر الجيم، وهو ضدّ الهزْل، كذا في القاموس. وقوله (نفس مجدّة): متّصف بالجدّ ضدّ الهزل في أمورها كلّها، وهي نفس السالك في طريق الله تعالى؛ فإنّه لا يلعب في حال من أحواله وإنْ كان ذلك الحال لعباً عند الغافل المعرض عن السلوك. ولهذا يختلف الحكم الشرعيّ بالنسبة إلى السالك والغافل، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [٣٩/ الزمر/ ٩] وقال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «إنّما الأعمال بالنيّات، وإنّما لكلّ أمرئ ما نوى»[2] ففي نيّة السالك شهود العبر والأمثال، وفي نيّة الغافل طرب النفس ووسواس الخيال، وما من طريق من طرق الصوفيّة/ [٢٧٢/ أ] إلّا وفيه سماع مخصوص، ورد عن مشايخهم أرباب الكمال،

(١) ذكره السيوطيّ في جمع الجوامع، باب: حرف الهمزة، ٤٥٧. وأخرجه البيهقيّ في شعب الإيمان، ٦٥٤٢. وقال هذا منقطع، وإنْ صحَّ فإنّه يرجع إلى اللّهو المباح. كما أخرجه الديلميّ في الفردوس، ٣٥٧.

(٢) انظر تخريجه ص٥٠٠.

وكان الشيخ محمّد البكري[1] قدّس الله سرّه يقول:

هـاتوا لنـا الآلات | تنـتج لنـا حـالات

ومن كلامه قدّس سرّه:

حـدِّثْ عـن الـوترِ أيهـا الـوترُ | مَـنْ فاتـه الخُـبْرُ سَرَّه الخَـبَرُ

ولكن غلب الجهل بالله على النفوس، وشهدوا صور التجلّيات الإلهيّة أغياراً، وانطمست البصائر عن العبر والأمثال، قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴾ [٢٩/العنكبوت/٤٣] ومع هذا فلا تخلو الأوقات من أهل المعرفة من عامّة الناس وخاصّتهم، بل من العامّة أكثر لقلّة غرورهم بأنفسهم، ولهذا قلنا من أبيات:

ومـشتْ عـوام في طريقـك فاهتـدت | بـه وانثنـت فغـوت عليـك خـواص

٦٧٩- وَإِيّاكَ وَالإِعْرَاضَ عَنْ كُلِّ صُورَةٍ | مُمَوَّهَـةٍ أَوْ حَالَـةٍ مُـسْتَحِيلَةِ

٦٨٠- فَطَيْفُ خَيَالِ الظِلِّ يُهْدِي إِلَيْكَ فِي | كَرَى اللَّهْوِ مِا عَنْهُ السَّتَائِرُ شُقَّتِ

٦٨١- تَرَى صُورَ الأَشْيَاءِ تُجْلَى عَلَيْكَ مِنْ | وَرَاءِ حِجَابِ اللَّبْسِ فِي كُلِّ خِلْعَةِ

(وإيّاك) يا أيّها السالك. وقوله (والإعراضَ): بالنصب، أي: احذر الإعراض. وقوله (عن كلّ صورة): متعلّق بالإعراض. وقوله (مموّهة): أي مزخرفة من

(١) هو محمّد البكريّ، يرجع نسبه إلى أبي بكر الصدّق رضي الله عنه، لقّب بأبيض الوجه، صاحب المعارف الإلهيّة والحقائق الربّانيّة، له ديوان مشهور. قال المناويّ في الطبقة العاشرة فيمن مات في التسعمئة: محمّد الصديق البكريّ، شيخ الإسلام، علم الحرمين ومصر والشام. أخذ علوم الشرع والتصوّف عن أبيه شيخ الإسلام أبي الحسن. وتفقّه على الشهاب عميرة البرلسي. كان فصيح اللسان، له دروس في التفسير وصحيح البخاريّ والتصوّف، يعلو مجلسه الوقار والسكينة؛ فلا لغو، ولا لغط، ولا غيبة؛ وإنّما الفوائد العلميّة فقط. أعقب أربعة أبناء، وهم: أبو المواهب وأبو السرور وتاج العارفين وزين العابدين جدّ صديق النابلسي ومضيفه في رحلته. انظر الحقيقة والمجاز في رحلة الشام والحجاز ص١٩٤ و١٩٥. وقد سبقت ترجمته في ص٥٠٠.

قولك مَوَّهْتُ الشيء: طَلَيْتُهُ بماء الذهب والفضة. وقول مُمَوَّه: أي مزخرف، أو ممزوج من الحقّ والباطل، كذا في المصباح. وقوله (أو حالة مستحيلة): أي باطلة، لا حقيقة لها، كصور الشعبذة، والدكّ، وما تفعله أهل السيميا من الخيالات والأحوال الباطلة، فإنّ ذلك كلّه عِبَر وأمثال مضروبة لك، بخلق الله تعالى على أيدي الناس؛ لتعلم أن الأكوان أجمعها نظير ذلك فلا يغرّك شيء منها، كان لك أو لغيرك. وتعلم أنّ الحقّ حقٌّ واحد يغير الجميع ولا يتغير، هو في نفسه عمّا هو عليه أزلاً وأبداً. وقوله (فطيف): الفاء للتفريع على ما قبله. والطَّيْفُ: من طاف الخيال طَيفاً، من باب باع: أَلَمَّ وأتى. والطَائِف ما أَطَافَ بالإنسان من الجِنّ والإنس والخيال، كذا في المصباح. وقوله (خيال الظلِّ): أي الخيال الذي هو الظلّ. وأصله ظلّ الشجرة الذي يكون بالغداة، وغير الشجرة أيضاً، والفَيء بالعَشِي، ذكره في المصباح عن ثعلب. والمُراد بطيف خيال الظلّ هما خيالات الصور التي تتخذها بعض الناس بوضع ستر من القماش الرقيق في داخله ضوء شمعة أو سراج، ثمّ تعرض تلك الصور بين الضوء والستر بإنسان يجلس خلف الستر يحرِّكها مما يسميه الناس خيال الإزار. وفيه يقول القائل:

رأيت خيال الستر أكبر عبرة ... لمن هو في علم الحقيقة راقي

شخوص وأشباح تمر وتنقضي ... وتفنى جميعاً والمحرِّك باقي

وقوله (يهدي إليك): أي يوصل لديك. وقوله (في كرى): أي نوم مضاف إلى قوله (اللّهو): أي الغفلة؛ فإنّها كالنوم من حيث أنّ صاحبها لا يحسُّ بما لديه من المعاني والعِبَر والأمثال المضروبة لاشتغاله بهوى نفسه، وحظوظها العاجلة. وقوله (ما): أي الذي، مفعول يهدي. وقوله (عنه الستائر): جمع ستارة، وهي ما يُستَر به، أي: يُحْجَب. وقوله (شَفَتِ) بكسر التاء للقافية، يقال: شَفَّ عنه، أي: أبصر ما وراءه، قال في المصباح: «ثوبٌ شَفِيْفٌ، أي: رقيق. وشَفَّ يَشِفُّ، من باب ضرب، شُفُوفَاً، فهو شِفٌّ بالكسر، والفتح لغة. وهو الذي يستشف ما وراءه،

أي: يُبصر». والذي شفّت عنه الستائر هو الصور الخياليّة التي من خلف ذلك الستر والضوء، كاشف لك عن ذلك من وراء الستر. وقوله (**ترى**): يا أيّها السالك. (**صور**): أي الأشياء المحسوسة والمعقولة من جميع العوالم نظير صور/ [٢٧٢/ ب] الستر المذكورة. وقوله (**تُجْلَى**): بالبناء للمفعول. وقوله (**عليك**): أي تُكشف لك فتدركها بحواسك الخمس: السمع، والبصر، والذوق، واللمس إذا كانت تلك الصور محسوسات، وتدركها بقوّة عقلك إذا كانت معقولات. وقوله (**من وراء حجاب اللّبس**): أي الالتباس. قال في المصباح: «لَبَسْتُ الأمرَ لَبْساً، من باب ضرب: خَلَطْتُهُ، والْتَبَسَ الأمرُ: أَشْكَل». وحِجاب اللَّبْس: هو توهّمك الغيريّة في كلّ ما ترى من تلك الصور؛ فإنّ الوهم غالب فيك على الفهم لعدم ملاحظتك وحدة الفاعل الحقيقيّ الذي هو حاضر من وراء ذلك الحجاب الوهمي. وقوله (**في كلّ خِلْعَةِ**): متعلّق بتُجلَى. و(**الخِلْعَة**): ما يعطيه الإنسان غيره من الثياب مِنْحَةً. والجمع خِلَع، مثل: سِدْرَة وسِدَر، كذا في المصباح. والذي يجلو ذلك عليك هو الحقّ تعالى وحده لا شريك له، وأنت غافل عنه، مشغول باختلاف تلك الخِلَع، كما قلنا في مطلع قصيدة لنا:

هذه الأثواب والخلع ... تُكتسى طوراً وتختلع

٦٨٢- تَجَمَّعَتِ الأَضْدَادُ فِيْهَا لِحِكْمَةٍ ... فَأَشْكَالُهَا تَبْدُو عَلَى كُلِّ هَيْئَةِ

٦٨٣- صَوَامِتُ تُبْدِي النُّطْقَ وَهْيَ سَوَاكِنٌ ... تُحَرِّكُ تُهْدِي النُّوْرَ غَيْرَ ضَوِيَّةِ

٤٨٤- وَتَضْحَكُ إعْجَابَاً كَأَجْذَلِ فَارِحٍ ... وَتَبْكِي انْتِحَابَاً مِثْلَ ثَكْلَى حَزِيْنَةِ

٥٨٦- وَتَنْدُبُ إنْ أَنَّتْ عَلَى سَلْبِ نِعْمَةٍ ... وَتَطْرَبُ إنْ غَنَّتْ عَلَى طِيْبِ نَغْمَةِ

(**تجمّعت**): بتشديد الميم، أي: اجتمعت. وقوله (**الأضداد**): جمع ضِدّ، قال في المصباح: «الضِدُّ: النَظِيْرُ والكُفْءُ، والجمع: أَضْداد. وقال أبو عمر: والضِدُّ مِثْلُ الشيء، والضِدّ خِلافُه. وضَادَّه مُضَادَاة: إذا بَايَنَه مُخالفة. والمُتَضَادَّان: اللذان لا

يجتمعان، كالليل والنهار». يعني: وقد اجتمع الضدّان اللذان لا يجتمعان. وقوله (فيها): أي هذه الحقيقة الإلهيّة الواحدة من جهة ظهورها بكلّ واحد من الضِدَّيْنِ، وتجلّيها بذلك، ولم تتغيّر هي في نفسها عن تنزّهها عنهما. وقوله (الحكمة): أي سرّ خفيّ، وهي بيان تنزّه تلك الحقيقة عن خصوص كلّ واحد من الضِدَّيْنِ، فإنّه إنْ تجلّى بظلمة الليل، وقبل الظهور والانكشاف بها، علم أنّه تجلّى بتلك الظلمة، من حيث إبداؤها وإظهارها، لا من حيث خصوص كونها ظلمة باعتبار أنّه أيضاً في ذلك الحين في قطر آخر من الأرض، تجلّى بضوء النهار، وقبل الظهور والانكشاف به، فعلم أنّه تجلّى بذلك الضوء، من حيث إبداؤه أيضاً وإظهاره، لا من حيث خصوص كونه ضوءاً، وهكذا في جميع الأضداد الظاهرة في الأكوان؛ ولهذا لما قيل لأبي سعيد الخرّاز[1] قدّس الله سرّه: بماذا عرفتَ الله؟. فقال: عرفته بجمعه بين الأضداد. وقوله (فأشكالها): أي الأضداد، جمع شَكْل، وهو المِثْلُ، يقال: هذا شَكْلُ هذا، والجمع: شُكُول، مثل فَلْس وفُلُوس، وقد يُجْمَع على أَشْكَال، ويقال: إنّ الشَكْلَ: الذي يُشَاكِل غيرَه في طبعه، أو وصفه من انحائه، وهو يُشاكِلُهُ، أي: يُشابهه، كذا في المصباح. وقوله (تبدو): أي تظهر في عالم الكون. وقوله (على كلّ هيئة): أي هيئات مختلفة. قال في المصباح: «الهَيْئَةُ: الحالةُ الظاهرة». ثمّ إنّه فصل تلك الهيئات بقوله (صوامت): جمع صامت، من صَمَت صَمْتاً، من باب قتل: سَكَتَ. وصُمُوتاً وصُمَاتاً فهو صامِت، كما في المصباح. يعني: إنّ تلك الأشكال المختلفة صوامت في نفسها. ثمّ قال (تبدي النطق): أي تظهر التكلّم. يعني: يظهر الكلام منها بإنطاق غيرها لها، وهو الحقّ تعالى، من قوله سبحانه: ﴿أَنطَقَنَا ٱللَّهُ

---

(١) أحمد بن عيسى، أبو سعيد الخرّاز، البغداديّ، العارف، شيخ الصوفيّة. أخذ عن ذي النون. قيل هو أوّل من تكلّم في علم الفناء والبقاء، له عجائب وكرامات ظاهرة. وهو من أحسن الناس كلاماً عدا الجنيد. توفي ٢٨٦هـ. انظر الوافي بالوفيّات للصفديّ ٢ / ٤٧٢.

﴿ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [٤١/ فصلت/ ٢١]. وقوله (**وهي**): أي تلك الأشكال المذكورة. وقوله/ [٢٧٣/ أ] (**سواكن**): جمع ساكن، من سَكَنَ المتحرك سُكُوناً: ذهبت حركته، ويتعدّى بالتضعيف، فيقال سَكَّنْته، كذا في المصباح. بعني: هي من نفسها سواكن، لا حركة لها. وقوله (**تحرّك**): أي تتحرّك، فحذفت إحدى التائين تخفيفاً، كما قال تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾ [٩٧/ القدر/ ٤] أي: تتنزّل. والمعنى: إنّها تتحرك بتحريك المحرّك لها. وهو الحقّ تعالى المستولي عليها بقدرته وإرادته على طبق علمه القديم. وقوله (**تهدي**): أي توصل إلى أبصار الخلق. وقوله (**النورَ**): بالنصب، مفعول تُهدي. وقوله (**غير**): حال من ضمير تُهدي. وقوله (**ضَوِيَّةٍ**): أي ليست بذات ضوء في نفسها، وإنّما الحقّ تعالى يخلق لها الضوء شيئاً فشيئاً. وقوله (**وتضحك**): أي يظهر منها الضحك. وقوله (**إعجاباً**): أي على وجه التعجّب، وهي في نفسها لا ضحك لها، ولا إعجاب منها؛ وإنّما يخلق الله تعالى لها فتظهر به. وقوله (**كَأَجْذَل**): أفعل تفضيل، من الجَذَل بالتحريك: الفَرَح. وقد جَذِل بالكسر، يَجْذَل فهو جَذْلَان وأَجْذَلَهُ غيرُهُ، أي: أَفْرَحَهُ، كذا في الصحاح. وقوله (**فارح**): قال في القاموس: «الفَرَحُ محرّكة: السُّرورُ والبَطَر. فَرِحَ فهو فَرِحٌ، وفَرُوْحٌ ومَفْرُوحٌ وفَارِحٌ». وقوله (**وتبكي**): أي تلك الأشكال المذكورة، ولا فعل لها من نفسها، وإنّما يظهر ذلك منها بخلق الله تعالى لها ذلك. وقوله (**انتحاباً**): أي على وجه الانتحاب، قال في المصباح: «انْتَحَبَ انْتِحَاباً ونَحَبَ نَحْباً، من باب ضَرَب: بكى، والاسم النحِيب». وقوله (**مثل ثُكلى**): بالعنصر، من ثَكِلَت المرأةُ ولدَها ثَكَلاً، من باب تعب: فَقَدَتْه، والاسم: الثُّكْل، وِزان قُفْل، فهي ثَاكِل. وقد يقال: ثاكِلَة وثَكْلَى، والجمع ثَوَاكِل وثَكَالَى، كذا في المصباح. وقوله (**حزينة**): وصف لثكلى من الحزن، وهو خلاف السرور. وقوله (**وتَنْدُبُ**): من نَدَبَتِ المرأةُ المَيتَ نَدْباً، من باب قتل، وهي نادبة، والجمع نَوَادِب، لأنّه كالدعاء، فإنّها تعدّد

محاسنه كأنّه يسمعها، كذا في المصباح. وقوله (إنْ أَنَتْ): بتشديد النون، من الأَنِين، يقال: أَنَّ الرجلُ يَئِنّ بالكسر أَنِيْناً وأُناناً بالضمّ: صَوّتَ، كما في المصباح. وقوله (على سلب): متعلّق بأَنَتْ، يقال: سَلَبْتُهُ ثَوبَهُ سَلْباً: من باب قتل: أَخذت الثوب منه، كذا في المصباح. وقوله(نِعْمَةٍ) بكسر النون، هي ما ينعم الله تعالى به على عبده، وبفتح النون: اسم من التنعّم والتمتع، وهو النعيم. وقوله (وتطرب): من الطَرَب، يقال: طَرِبَ طَرَباً فهو طَرِب، من باب تَعِب: وهو خِفَّة تصيبه لشدَّة حزن أو سرور. والعامّة تخصّه بالسرور ، كذا في المصباح. وقوله (إنْ غَنَّتْ): بتشديد النون من الغِناء، مثل كتاب: الصوت. وقياسه الضمّ، لأنّه صوت. وغنّى بالتشديد: ترنّم بالغناء، كما في المصباح. وقوله (على طِيب): متعلّق بتطرب. يقال طاب الشيء يَطيب: إذا كان لذيذاً. وقوله (نَغمة): بفتح النون حُسْن الصوت. ومعنى ذلك كلّه: إنّ تلك الأشكال المذكورة لا فعل لها من نفسها، وإنّما جميع ما هو ظاهر عليها بخلق الله تعالى لها ذلك، كما أن ذواتها بخلقه تعالى، قال سبحانه: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [٣٧/ الصافات/ ٩٦].

٦٨٦- تَرَى الطَّيْرَ فِي الأَغْصَانِ يُطْرِبُ سَجْعُهَا بِتَغْرِيْدِ أَلْحَانٍ لَدَيْكَ شَجِيَّةِ

٦٨٧- وَتَعْجَبُ مِنْ أَصْوَاتِهَا بِلُغَاتِهَا وَقَدْ أَعْرَبَتْ عَنْ أَلْسُنٍ عَجَمِيَّةِ

(ترى): يا أيّها السالك. وقوله (الطير): جمع طائر، قال في المصباح: «جمع الطائر طَيْر، مثل: صاحبٍ وصَحْب، وراكبٍ ورَكْب. وجَمْع الطَيْر: طُيُور وأَطْيار. وقال أبوعُبيدة وقُطْرُب: ويقع الطير على الواحد والجمع. وقال ابن الأنباري: الطير جماعته، وتأنيثها أكثر من التذكير، ولا يقال للواحد طَير، بل طائر. وقلّما يقال للأنثى / [٢٧٣/ ب] طائرة». وقوله (في الأغصان): متعلّق بواجب الحذف، حال من الطير. وقوله (يُطْرِبُ سَجْعُها): سَجَعَت الحمامةُ، من باب نَفَعَ: هَدَرَتْ وصَوَّتَت، كذا في المصباح. وقوله (بتغريد): وقال في المصباح: «غَرِدَ غَرَداً، من

باب تَعِب: إذا طَرَّبَ في صوته وغنائه كالطائر، وغَرَّد تَغْرِيداً مثله». وقوله (ألحان): جمع لَحْن، قال في الصحاح: «اللَّحْنُ: واحد الألْحان واللُّحُون، ومنه الحديث: «اقرؤوا القرآن بلحون العرب»[1] وقد لَحَنَ في قراءته إذا طَرَّب بها وغَرَّد. وهو أَلْحَنُ الناس: إذا كان أَحْسَنُهُم قراءة، أو غِناء». وقوله (لديك): أي بالقرب منك يا أيّها السالك. وقوله (شجيّة): بالشين المعجمة والجيم، أي: محزنة مشوقة إلى الأحبّة. قال في الصحاح: «الشَّجْو الهَمُّ والحزن، يقال: شَجَاهُ يَشْجُوهُ شَجْوَاً: إذا أَحْزَنَهُ. وقوله (وتعجب): يعني أنت يا أيّها السالك، يقال: عَجِبْت من الشيءِ عَجَبَاً، من باب تَعِب، وتَعَجَّبْتُ واسْتَعْجَبْتُ، وهو شيءٌ عجيب، أي: يُعْجَبُ منه. وقال بعض النحاة: التَعَجُّبُ: انفعال النفس لزيادة وصف في المُتعجَّب منه، نحو: ما أَشْجَعَهُ. وقوله (من أصواتها): متعلِّق بـ تعجب. وقوله (بلغاتها): متعلِّق بأصواتها، لأنّها جمع صوت، فالصوت مصدر، قال في الصحاح: «صَاتَ الشيء يَصُوتُ صَوْتَاً، وكذلك صَوَّتَ الإنسان تَصْوِيتاً» وإنّما جمع الصَوتَ، وهو مصدر لإرادة أنواعه. وقوله (وقد أعربت): الواو للحال، من ضمير جمع المؤنّث. وقال في الصحاح: «أَعرَب بحجته، أي: أَفصح بها». وقوله (عن أَلْسُنٍ): جمع لسان، وهو اللغة، مؤنّث، وقد يُذكّر باعتبار أنّه لفظ ، فيقال: لسانه فصيحة وفصيح، أي لُغَته فصيحة، أو نُطقه فصيح، كذا في المصباح. وقوله (عُجميّة): وصف لألسن بياء النسبة إلى العُجمة في اللسان، بضمّ العين: لُكْنَة وعدم فصاحة، كذا في المصباح.

٦٨٨- وَفِي البَرِّ تَسْرِي العِيْسُ تَخْتَرِقُ الفَلَا وَفِي البَحْرِ تَجْرِي الفُلْكُ فِي وَسْطِ لُـجَّةِ

---

(١) قطعة من حديث، أخرجه البيهقيّ في شعب الإيمان باب: اقرؤوا القرآن بلحون العرب وأصواتها، ٢٥٤١، وتتمّته: «وإيّاكم ولحون أهل الفسق، وأهل الكتابين؛ فإنّه سيجيء من بعدي قوم يُرَجِّعُونَ بالقرآن ترجيع الغِناء والرهبانيّة والنَّوح، لا يجاوز حناجرهم. مفتونة قلوبهم، وقلوب من يعجبهم شأنهم».

(وفي البَرِّ): بفتح الباء الموحّدة. وقوله (تَسْرِي): من سَرَيْتُ الليلَ وسَرَيْتُ به سَرْيَاً. والاسم السِّرَاية: إذا قطعته بالسير، وأَسْرَيْتُ بالألف لغة حجازيّة، كذا في المصباح. وقوله (العِيْسُ): وهي إبل بِيض، في بياضها ظُلمة خَفِيَّة. الواحدة: عَيْسَاء، كما في المصباح. وقوله (تخترق الفلا): جمع فلاة، وهي: الأرض لا ماء فيها، وزن حصاة وحصاً، وجمع الجمع: أفلاء، مثل: سَبَب وأَسْبَاب، كذا في المصباح. وقوله (في البحر تجري الفلك): [الفُلْكُ] وِزان قُفْل: السفينة، يكون واحداً فيذكر، وجمعاً فيؤنّث، كما في المصباح. وقوله (في وسْطِ): بسكون السين المهملة، بمعنى: بين، نحو: جلست وَسْط القوم، أي: بينهم، كذا في المصباح. وقوله (لُـجَّةِ): قال في المصباح: «لُجَّةُ الماء بالضمّ: معظمه، واللجُّ ـ بحذف الهاء ـ لغة فيه».

٦٨٩- وَتَنْظُرُ لِلْجَيْشَيْنِ فِي البَرِّ مَرَّةً وَفِي البَحْرِ أُخْرَى فِي جُمُوعٍ كَثِيْرَةِ

٦٩٠- لِبَاسُهُمُ نَسْجُ الحَدِيْدِ لِبَأْسِهِمْ وَهُمْ فِي حِمى حَدَّيْ ظُبَىً وَأَسِنَّةِ

٦٩١- فَأَجْنَادُ جَيْشِ البَرِّ مَا بَيْنَ فَارِسٍ عَلَى فَرَسٍ أَوْ رَاجِلٍ رَبِّ رُجْلَةِ

٦٩٢- وَأَكْنَادُ جَيْشِ البَحْرِ مَا بَيْنَ رَاكِبٍ مَطَا مَرْكَبٍ أَوْ صَاعِدٍ مِثْلَ صَعْدَةِ

٦٩٣- فَمِنْ ضَارِبٍ بِالبِيْضِ فَتْكَاً وَطَاعِنٍ بِسُمْرِ القَنَا العَسَّالَةِ السَمْهَرِيَّةِ

٦٩٤- وَمِنْ مُغْرِقٍ فِي النَارِ رَشْقَاً بَأَسْهُمٍ وَمِنْ مُحْرِقٍ فِي المَاءِ زَرْقَاً بِشُعْلَةِ

٦٩٥- تَرِى ذِا مُغِيْرَاً بَاذِلاً نَفْسَهُ وَذَا يُوَلِّي كَسِيرَاً تَحْتَ ذُلِّ الهَزِيْمَةِ

(وتنظر): يا أيّها السالك. وقوله (للجيشين): تثنية جيش، وهو الجند أو السائرون لحرب أو غيرها، كذا في القاموس. وقوله (في البرِّ مرّة وفي البحر أخرى): أي مرّة أخرى بأن/ [٢٧٣/ أ] كان في البرِّ جيش، وفي البحرجيش. وقوله (في جموع): أي جماعات من العساكر. وقوله (كثيرة): وصف لجموع. وقوله (لباسهم): أي لباس تلك الجموع الكثيرة. يعني: ملبوسهم. وقوله (نسج

الحديد): أي المنسوج من الحديد، وهي الدّروع الزرديّة. وقوله (**لبأسهم**): **لأجل** بأسهم، أي: شدّتهم في الحرب. قال في المصباح: «بَؤُسَ: مثلُ قَرُب، بأساً: شَجُعَ، فهو بَئِيس، على فَعيل، وهو ذو بأس، أي: شدّة». وقوله (**وهم**): أي تلك الجموع. وقوله (في حمى): قال في المصباح: «أَحْمَيْتُهُ: جَعَلْتُهُ حِمَىً، لا يُقْرَب، ولا يُجْتَرَأُ عليه». وقوله (**حدَّيْ**): تثنية حدّ. وقوله (**ظُبَا**): بضمّ الظاء المعجمة، جمع **ظُبَة** بالتخفيف، وهو حدّ السيف. وقال في الصحاح: «ظُبَة السهم والسيف: طرفه». وقوله (**وأسنّة**): جمع سنان، وهي أسنّة الرماح. ثمّ قال (**فأجناد**): بفاء التفريع لتفضيل ذلك. و(**الأجناد**): جمع جند. وقوله (**جيش البرّ**): يعني المذكورين. وقوله (**ما بين فارس**): هو الراكب على الحافر، فرساً كان أو بغلاً أو حماراً، قاله ابن السكّيت، يقال: "مَرّ بنا فارس على بغل، وفارس على حمار. قال في التهذيب: فارسٌ على الدابّة بَيِّنُ الفروسيّة. وقال أبو زيد: لا أقول لصاحب البغل والحمار: فارس، ولكن أقول: بَغَّال وحَمَّار". وقوله (**على فرس**): بيان لفارس، والفرس يقع على الذكر والأُنثى، فيقال: هو الفرس، وهي الفرس. الكلّ في المصباح. وقوله (**أو راجل**): الراجل خلاف الفارس، وجمع الراجل: رَجْل، مثل صاحب وصَحْب، ورَجَّالَة ورُجَّال أيضاً، كذا في المصباح. وقوله (**رَب**): أي صاحب. وقوله (**رُجْلَة**): بالضمّ، اسم من قولك رَجِلَ رَجَلاً، من باب تعب: قَوِيَ على المشي، وهو ذو رُجْلَة أي قوّة على المشي، كما في المصباح. وقوله (**وأكناد**): بالنون جمع كندة، وهو الشجاع بلغة الفرنج وذكره الشارح القيصري، قدّس سرّه. ولعلّه من الكُنُود بالضمّ: كفران النعمة، وبالفتح: الكَفُور كالكَنَّاد، والكافر واللوّام لربّه تعالى، كذا في القاموس. وقال في الصحاح: «كَنَدَهُ، أي: قَطَعَه». ولعلّ المراد بهم جيش الكفار؛ فإنّ الغالب أنّهم يكونون في البحر، فإنّ الفرنج يقاتلون المسلمين في مراكب البحر؛ ولهذا قال (**جيش البحر**). وقوله (**ما بين راكب مطا**): قال في الصحاح: «المَطَا مقصور: الظهر. وقوله (**مركب**): أي

سفينة، وجمعه: مراكب. وقوله (**أو صاعد**): من صَعِدَ في السُلَّم والدرجة يَصْعَدُ، من باب تَعِب، صُعَوداً: ارتقى. وقوله (**مثل صَعْدَةٍ**): قال في القاموس: «الصَعْدَة: القَناة المُسْتَوِيَة، تنبت كذلك». شبّه بها عمود المركب الذي يرتقى عليه الملّاح، تقديره: أو صاعد عموداً مثل صَعْدَة. ثمّ قال (**فمن ضارب**): بيان لأحوال الجيشين المذكورين. وقوله (**بالبِيض**): جمع أبيض، وهو السيف. وقوله (**فتكاً**): تمييز لنسبة الضرب بذلك، قال في المصباح: «فتكْتُ به فَتْكاً، من بابي ضرب وقتل. وبعضهم يقول: فَتْكاً، مثلث الفاء: بطشتُ به، أو قتلته على غفلة. وأفْتكْتُ، بالألف:لغة». وقوله (**وطاعن**): من طعنته بالرمح طعناً، من باب قتل. وقوله (**بسُمْرِ**): جمع أَسْمَر، وهو الرمح. وقوله (**القنا**): جمع قناة، وهي الرمح، ويُجمع على قنوات، كذا في الصحاح. وقوله (العَسَّالَة): قال في الصحاح: «عَسَلَ الرمح عَسَلَانَاً: اهتزّ، واضطرب. والرمح عَسَّال». وقوله (السَّمْهَرِيَّةِ): جمع سَمْهَرِيّ، وهو الرمح الصُلْب، والمنسوب إلى سَمْهَر زوج رُدَينة، وكانا مُثَقِّفَيْنِ للرماح، كذا في القاموس. وقوله (**ومن مُغْرِق**): بصيغة/[٢٧٤/ب] اسم الفاعل، أو اسم المفعول. وقوله (زَرْقَاً): بفتح الزاي المعجمة وسكون الراء المهملة وبالقاف، قال في المصباح: «زَرَقَه بالرمح زَرْقَاً، من باب قتل: طعنه». وقال في القاموس: «المِزْرَاق: رمح قصير. وزَرَقَهُ به: رماه». وقوله (**بشعلة**): متعلِّق بـ زَرْقاً، والشُعْلَة: من النار واحدة الشُعَل. وقوله (**ترى**): يعني يا أيّها السالك. وقوله (ذا): أي هذا من كلّ من الجيشين، وقوله (**مُغِيْراً**): اسم فاعل من أغار، قال في المصباح: «أغَارَ القوم إغارة: أسرعوا في السير، وأغار على العدو: هجم عليهم، وأوقع بهم. وقوله (**باذلاً نفسه**): بَذَلَهُ بَذْلاً، من باب قتل: سَمَحَ به وأعطاه، وبَذَلَه: أَباحَه عن طيب نفس، كذا في المصباح. وقوله (**وذا**): أي هذا الآخر من كلّ من الجيشين. وقوله (**يُوَلِّي**): أي يعرض. قال في المصباح: «وَلَّيْتُ عنه أعرضتُ وتَرَكْتُهُ، وتَوَلَّى: أَعْرَض». وقوله (كَسِيراً): أي مكسوراً حال من

فاعل يُوَلِّي. وقوله (تحت ذلّ الهزيمة): أي حال كونه متّصفاً بذلِّ الهزيمة، قال في المصباح: «هَزَمْتُ الجيش هَزْمَاً، من باب ضرب: كَسَرْتُه، والاسم الهَزيمة.

٦٩٦- وَتَشْهَدُ نَصْبَ المَنْجَنِيْقِ وَرَمْيَهَا[1] لِـهَدْمِ الـصَيَاصِي وَالحُـصُونِ المَنِيْعَـةِ

(وتشهد): يا أيّها السالك. وقوله (نصب المنجنيق): بالنصب، مفعول تشهد، قال في القاموس: «المَنجنيق، ويُكْسَر: ألة تُرمَى بها الحجارة كالمنجنوق، مُعَرَّبة». وقوله (ورمْيَهَا): بالنصب، عطف على نصبَ، والتأنيث باعتبار الآلة، وفي نسخة: (ورميه) باعتبار اللفظ. وقوله (لهدم الصَيَاصي): أي القلاع، وهي جمع صِيصِيَة: بناء يُحصن به. وقوله (والحُصُون): جمع حِصْن، وهو المكان لا يُقدر عليه لارتفاعه، كذا في المصباح. وقوله (المنيعة): وصف للحصون، أو للصياصي، وللحصون معاً.

٦٩٧- وَتَلْحَظُ أَشْبَاحَاً تَرَاءَى بِأَنْفُسٍ مُجَـــرَّدَةٍ فِي أَرْضِـــهَا مُـــسْتَجِنَّةِ

٦٩٨- تُبَايِنُ أُنْسَ الإنْسِ صُوْرَةُ لَبْسِهَا لِوَحْـشَتِهَا وَالجِـنُّ غَـيْرُ أَنِيْـسَةِ

(وتلحظ): يا أيّها السالك، أي: ترى. وقوله (أشباحاً): جمع شَبَح، وهو الشخص، مثل: سَبَب وأسْبَاب، كما في المصباح. وقوله (تراءى): أي تتراءى بحذف إحدى التائين. يعني: تظهر بحيث يراها الرائي. وقوله (بأَنْفُسٍ): جمع نفس، متعلِّق بـ(تراءى)، وقوله (مجرّدة): وصف لأنفس. يعني: تجرّدت عن كثافة الأجسام، لغلبة اللطافة عليها؛ فإنّها خلقت من مارج من نار، والمارج: هواء ممزوج بنار، وهو المسمّى بنار السَمُوم. قال تعالى: ﴿ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ١٥] وقال تعالى: ﴿ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴾ [١٥/ الحجر / ٢٧] وقوله (في أرضها): أي أرض تلك النفوس. يعني: عالمها الذي هي فيه. وقوله

(١) في (ق) الشطرة الأولى: وتَشهد رميَ المنجنيق ونصبه

(**مُسْتَجِنَّةٍ**): وصف لأنفس، في الصحاح: «اسْتَجَنَّ بِجُنَّةٍ: أي اسْتَتَر بِسُتْرَة، والجُنَّة بالضمّ: ما استَتَرْتَ به». وقوله (**تُبَايِنُ**): أي تفارق، وتخالف، وتباعد. وقوله (**أُنَس**): بضمّ الهمزة، من أَنِسْتُ به إنْسَاً، من باب علم. وفي لغة: من باب ضرب. والأُنس بالضمّ: اسم منه، واسْتَأنَسْتُ به، وتآنست به: إذا سكن القلب إليه ولم ينفر منه. وقوله (**الإنس**): بكسر الهمزة خلاف الجنّ. وقوله (**صورة**): فاعل تباين. وقوله (**لَبْسِهَا**): أي ما تلتبس به من الصورة التي تريد الظهور بها، فإنّ الجنّ يتشكّلون في الصور المختلفة. وقوله (**لوحشتها**): متعلِّق بـ تُباين، والوحشة بين الناس هي الانقطاع، وبعد القلوب عن المودّات. ويقال: **إذا أقبل الليل استأنس كلّ وحشي، واستوحش كلّ أُنسي**. وأَوْحَشَ المكان وتَوَحَّشَ: خَلَا من الإنس، كذا في المصباح. وقوله (**والجنّ**): هم خلاف الإنس، الواحد: جِنِّي، يقال سميّت بذلك لأنّها تتقى، ولا ترى كما في الصحاح. وقوله (**غير أنيسَة**): أي غير مؤنسة لكمال/ [٢٧٥/ ب] وحشتها.

٦٩٩- وَتَطْرَحُ فِي النَّهْرِ الشِّبَاكَ فَتُخْرِجُ السِّـ ـسِمَاكَ يَدُ الصَّيَّادِ مِنْهَا بِسُرْعَةِ

٧٠٠- وَيَحْتَالُ بِالأَشْرَاكِ نَاصِبُهَا عَلَى وُقُوعِ خِمَاصِ الطَّيْرِ فِيهَا بِحَبَّةِ

(**وتطرح**): أي تلقي وترمي، قال في المصباح: «طَرَحْتُهُ طَرْحاً، من باب نَفَعَ: رَمَيْتُ به، وطَرَحْتُ الرداء على عاتقي: ألقيته عليه، كذا في المصباح. وقوله (**في النهر**): أي نهر الماء الجاري. وقوله (**الشِباك**): مفعول تطرح. (**والشِباك**): جمع شَبَكَة الصائد. ويجمع على **شَبَك وشَبَكات**، كذا في المصباح. وقوله (**فتخرج السماك**): جمع سَمَكَة، قال في الصحاح: «**السَّمَك** من خلق الماء. الواحدة سَمَكَة، وجمع السَمَك سِمَاك وسُمُوك». وقوله (**يد**) فاعل تطرح، وتخرج على التنازع. وقوله (**الصياد**): مضاف إليه. وقوله (**منها**): أي من الشباك. وقوله (**بسرعة**): متعلِّق بتخرج أو بتطرح. وقوله (**ويحتال**): الاحتيال، وهو الحِذْقُ وجُودة النظر،

والقدرة على التصرّف ، كذا في القاموس. وقوله (**بالأشراك**): بفتح الهمزة: جمع شَرَك، محركة: حبائل الصَيد وما يُنْصَب للطير، كذا في القاموس. وقال في المصباح: «الشَرَك للصائد معروف، والجمع أشراك، مثل سبب وأسباب. وقوله (**ناصبها**): فاعل يحتال، أي: ناصب الأشراك، وهو الصائد. وقوله (**على وقوع خماص**): بكسر الخاء المعجمة، أي: جياع. جمع خَمِيص، قال في المصباح: «خَمُصَ الشخصُ فهو خَمِيص: إذا جاع، مثل قَرُبَ قُرْباً فهو قريب». وقوله (**الطير**): هو جمع طائر، مثل صَحْب وصَاحِب، ورَكْب وراكب، ذكره في المصباح. وقوله (**فيها**): أي في الأَشْرَاكِ، وقوله (**بحبّة**): أي بسبب حبّة، متعلّق بوقوع، قال في المصباح: «الحَبُّ اسم الجنس للحِنْطَة، وغيرها مما يكون في السُّنبُل والأَكْمام، والجمع: حُبُوب، مثل: فَلْس وفُلُوس، الواحدة : حَبَّة، وتُجْمَع: حَبَّاتٍ على لفظها، وعلى حِباب، مثل : كَلْبَة وكِلَاب.

٧٠١- وَيَكْسِرُ سُفْنَ اليَمِّ ضَارِي دَوَابِهِ وَتَظْفَـرُ آسَـادُ الـشَرَى بِالفَرِيْـسَةِ

٧٠٢- وَيَصْطَادُ بَعْضُ الطَيْرِ بَعْضاً مِنْ الفَضَا وَيَقنِصُ بَعْـضُ الـوَحْشِ بَعْـضاً بقَفْـرَةِ

(**ويكسر سُفْنَ**): بسكون الفاء تخفيفاً. وأصله بضمّ الفاء، جمع سَفِيْن، قال في المصباح: «السَفِينَة معروفة، والجمع: سَفِين بحذف الهاء، وسَفَائِن. ويجمع السَفِين على سُفُن، بضمّتين، ومنهم من يقول: السَفِين لغة في الواحدة. وهي فَعِيلَة بمعنى فاعلة، لأنّها تَسْفِنُ الماءَ، أي: تقشره». وقوله (**اليَمِّ**): أي البحر. وقوله (**ضاري**): من ضَرِيَ بالشيء ضَرَىً، من باب تعب، وضَرَاوةً: اعتاده واجترأ عليه، وضَرِيَ به: لَزِمَهُ وأُولِعَ به، كما يَضْرَى السَّبُعُ بالصيد، كذا في المصباح. وقوله (**دوابه**): أي اليمُّ، جمع دابّة، قال في المصباح: «كلّ حيوان في الأرض دابّة، وتطلق الدابّة على الذكر والأنثى والجمع دواب». وقوله (**وتظفر**): يقال ظَفِرَ ظَفَراً، من باب تعِب، وأصله الفَوز والفَلاح، وظَفِرْتُ بالضَالَّة: إذا وجدتها، كذا في المصباح. وقوله (**آساد**): جمع أَسَد، قال في القاموس: «الأَسَدُ مُحرّكة معروف، وجمعه: آسَاد وأُسُود

وأُسْد وأُسُد وأُسْدان ومَأسَدَة». وقوله (الشرى): بالشين المعجمة والراء: اسم طريق في سَلْمَى، كثير الأسد، كذا في الصحاح[1]. وسَلْمَى: أحد جَبَلَيْ طي. وقوله (بالفريسة): متعلّق بـ(تظفر). وفريسة الأسد: التي يكسرها، فَعِيلَة بمعنى مفعولة، كذا في المصباح. وقوله (ويصطاد بعض الطير): بعضُ فاعل يصطاد، والطير مضاف إليه. وقوله (بعضاً) مفعول يصطاد. وقوله (من الفضا): وهو بالمدّ، وقصره لضرورة الوزن: المكان الواسع. وفَضَا المكان فُضُوّاً من باب قعد: إذا اتّسع، فهو فَضَاء، كذا في المصباح. وقوله (ويَقْنِصُ): قَنَصَهُ يَقْنِصُهُ: صَادَهُ، فهو قَانِص وقَنِيْص وقَنَّاص. واقْتَنَصَهُ: اصْطَاده، كذا في القاموس. (بعضُ الوحشِ) وهو حيوان البَرِّ كالوَحِيش، والجمع: وُحُوش وَوُحْشَان، الواحِد وَحْشِيّ، كذا في القاموس/ [٢٧٥/ ب] وقوله (بعضاً): مفعول يَقنص. وقوله (بِقَفْرَةٍ): قال في القاموس: «القَفْرُ والقَفْرَةُ: الخَلَاء من الأرض، وقال في المصباح: القَفْرُ: المفازة، لا ماء فيها ولا نبات».

٧٠٣- وَتَلْمَحُ مِنْهَا مَا تَخَطَّيْتُ ذِكْرَهُ ... وَلَمْ أَعْتَمِدْ إِلَّا عَلَى خِيْرِ مُلْحَةِ

٧٠٤- وَفِي الزَّمَنِ الفَرْدِ اعْتَبِرْ تَلْقَ كَلَّ مَا ... بَدَا لَكَ لَا فِي مُدَّةٍ مُسْتَطِيْلَةِ

(وتلمح): لَمحتُ إلى الشيء لَمْحاً، من باب نَفَع: نظرتُ إليه باختلاس البصر، ولَمَحْتُه بالبصر: صَوَّبْتُهُ إليه، ولَمَحَ البَصَرُ: امتَدَ إلى الشيء، كذا في المصباح. وقوله (منها): أي من هذه الأشياء المذكورة من حد قوله (ترى صور الأشياء)[2] إلى هنا. وقوله (ما تخطَّيتُ): أي تجاوزت. وقوله (ذكره): مفعول تخطّيتُ، أي: بقيّة أحوال الأشياء المذكورة، وأمثالها مما هو كائن في عالم الدنيا من المحسوسات. وقوله (ولم أعتمد): أي أقصد، يقال: عَمَدْتُ إليه: قَصدتُ، وتَعَمَّدْتُهُ قصدتُ

---

(١) لم أعثر عليها في الصحاح؛ وإنّما في لسان العرب مادّة شري.

(٢) أي كلّ ما ورد من الأشياء ابتداء من البيت ٢٨١ إلى هذا الموضع.

إليه، واعْتَمَدْتُ على الشيء: اتَّكَأْتُ، واعتَمَدْتُ على الكلام [illegible] وتَمسَّكْتُ، مستعارٌ من الأوّل، كذا في المصباح. وقوله (**إلّا على خير مُلْحة**): من ملُح الشيءُ بالضمّ مَلاحَةً بَهُجَ وحَسُنَ مَنْظَرُه، فهو مَلِيح، والأنثى مليحة، كما في المصباح. وقال في القاموس: «المُلْحَةُ بالضم: المَهَابَة والبركة، وواحدة المُلَح من الأحاديث». وقوله (**وفي الزمن الفرد**): يعني الذي لم ينقسم لانفراده عن تركبه مع زمان آخر، وهو اللمحة بالبصر. وقوله (**اعتبرْ**): الاعتبار يكون بمعنى الاختيار والامتحان، مثل: اعتبرت الدراهم، فوجدتها ألفاً، كذا في المصباح. وقوله (**تلقَ**): مجزوم بحذف الألف في جواب الأمر، وهو اعتبرْ. يعني: اختبرْ وامتحن جميع ما ذكر في الوقت الواحد، فإنّك تجد كلّ ما (**بدا**): أي ظهر لك من تلك الأسياء الكثيرة كائنة في ذلك الوقت الواحد، ولم يشتغل صانعها ببعضها عن البعض، لم يشغله شأن عن شأن. وقوله (**لا في مدّة مستطيلة**): يعني كلّ ذلك على الترتيب فيها والتعاقب، فإنّ الصانع القديم لا يعجزه شيء، ولا يشغله شيء عن شيء. ولولا أن الأشياء في علمه مرتبّة على هذا الترتيب الذي هي عليه لوُجدت كلّها دفعة واحدة، ولكن الحكمة السابقة اقتضت فيها هذا الترتيب الذي هي فيه، والله عليم حكيم.

٧٠٥- وَكُلُّ الذِي شَاهَدْتُهُ فِعْلُ وَاحِدٍ   بِمُفْـرَدِه لَكِـنْ بِحُجْـبِ الأَكِنَّـةِ

٧٠٦- إِذَا مَا أَزَالَ السِّتْرَ لَمْ تَرَ غَيْرَهُ   وَلَـمْ يَبْـقَ بِالأَشْـكَالِ إِشْـكَالُ رِيْبَـةِ

٧٠٧- وَحَقَّقَتَ عِنْدَ الكَشْفِ أَنَّ بِنُورِهِ اهْـ   ـتَدَيْتَ إِلَى أَفْعَالِـه فِي الدُّجَنَّـةِ

(**وكلّ الذي شاهدتُهُ**): من جميع الأشياء المذكورة، وأمثالها كائنة في الوقت الواحد. وقوله (**فِعْلُ واحدٍ بمفرده**): يعني لا شريك له، ولا معين له، ولا مساعد له بطبع، ولا سببيّة، ولا غير ذلك أصلاً، وهو الوجود الحقّ تعالى، المنزّه عن الشريك، والوزير، والمعين، والمُسَيِّر؛ لأنّه على كلّ شيء قدير. وفيه إشارة إلى أن

شهود مقام الأفعال الإلهيّة، هي اعتبار ما تراه يا أيّها المريد، وتجده من الأفعال الكونيّة، سواء كانت منسوبة عندك إلى فاعلها، أو غير منسوبة؛ فإنّ النسبة من جملتها، لأنّها أمر كائن بتكوين الصانع الحكيم. وقوله (لكن بحُجُبِ): جمع حجاب. وقوله (**الأكِنَّةِ**): قال في المصباح: «كَنَنْتُهُ أَكُنُّهُ، من باب قتل: سَتَرْتُه في كِنِّهِ، بالكسر: وهو السُّتْرَة. وأكْنَنْتُه، بالألف: أخفيتُه. والكِنَان: الغِطاء وزناً ومعنى. والجمع: أَكِنَّة، مثل: أغْطِيَة». وحُجُب الأكِنَّة هي الأغطية التي هي حجب كناية عن صور العوالم المحسوسة والمعقولة؛ فإنّها صادرة عن المصوِّر الحقّ تعالى وتقدّس، من حيث تجلِّيه بأسمائه الخالق البارئ المصوِّر له الأسماء/[٢٧٦/أ] الحسنى؛ فهي كلُّها على وجوده الحقّ المطلق عن كلّ قيد بالإطلاق الحقيقيّ بمنزلة الأغطية له، وهي منه، وبمنزلة الحجب لجلاله وجماله، وكلّها بالنسبة إليه تعالى مضمحلّة فانية بحكم قوله سبحانه: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [٢٨/ القصص/ ٨٨] وقوله: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ٢٦-٢٧]. وقوله صلّى الله عليه وسلّم: «كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان»[1]، فوجوده سبحانه منزّه عنها، وعن التغطية بها، والاحتجاب فيها، وإنّما هي أغطية له، وحجب لجلاله وجماله بالنسبة إليها؛ فإنّها كلّها باطل بحكم قوله سبحانه: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨١] وقوله: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَـٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [٢١/ الأنبياء/ ١٨] يعني: إذا أثبتم شيئاً من ذلك مع الحقّ تعالى، ووصفتموه به، حيث لا وجود له معه تعالى وتقدّس، وبحكم قوله صلّى الله عليه وسلّم: «أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد: ألا كلّ شيء ما خلا الله باطل»[2] أخرجه مسلم في صحيحه، والباطل لا وجود له، وإن ظهرموجوداً عند نفسه بوجود ليس هو له في

---

(١) انظر تخريجه ص٤٦١.

(٢) انظر تخريجه ص٦٧١.

حقيقة الأمر. ثمّ قال (**إذا ما أزال الستر**): فما زائدة؛ يعني: إذا زال الستر، أي: كشف الحجاب عن عين السالك وقلبه بأنْ أمدَّه بقوّة روحانيّة من فيضه الأقدس. والسِّتر: هو الغطاء والحجاب المذكور. وقوله (**لم ترَ**): أي لم تجد، يا أيّها السالك. وقوله (**غيره**): أي عن غير الحقّ تعالى، ويظهر لك فناء كلّ شيء، حتّى فناؤك أنت أيضاً. واضمحلالك مع كلّ شيء في نور وجوده الحقّ، (**ولم يبقَ بالأشكال**): بفتح الهمزة، أي: بسبب الأشكال جمع شَكْل، قال في المصباح: «الشَّكْل: المِثْل، يقال: هذا شَكْل هذا، والجمع: شُكُول، مثل: فَلْس وفُلُوس، وقد يجمع على أَشْكال، ويقال إنّ الشكل: الذي يُشاكِل غيرَه في طبعه، أو وصفه من أنحائه، وهو يُشاكله أي: يشابهه». وقوله (**إشْكَال**): بكسر الهمزة من أَشْكَلَ الأمرُ بالألف: التبس. وقوله (**ريبة**): قال في المصباح: «رَابَنِي الشيء يُرِيبُنِي إذا جعلك شاكّاً، والاسم الرِّيبَة، والجمع: رِيَب، مثل: سِدرَة وسِدَر». وقوله (**وحقَّقت**): يا أيّها السالك. وقوله (**عند الكشف**): أي كشف غطائك عن وجه الحقّ المبين، ورفع حجابك عنه بتقوية بصيرتك، وفتح بصرك بإمداده الروحانيّ في المقام الأحسانيّ. وقوله (**أنَّ**): بفتح الهمزة لأنّها مع مدخولها في موضع نصب على المفعوليّة لحقّقت. وقوله (**بنوره**): أي نور الوجود الحقّ سبحانه، الذي هو قيّوم لك، ولكلّ شيء، كما ورد في الحديث: «المؤمن ينظر بوجود الله وينطق بتوفيق الله»[1]. وقوله (**اهتديت**): أي وصلت وتيقّنت بالمعرفة التامّة. وقوله (**إلى أفعاله**): أي شهود أفعاله تعالى، لا أنّ ذلك كان بقوّة علمك، وشدّة فهمك لتحقّقك به سبحانه، وأنّ الموجود هو وحده

(١) قال العجلونيّ في الكشف: وقال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الديلميّ: وزاد بعضهم «وينطق بتوفيق الله»، قلت: ولم أقف على الزيادة. وقال في الأصل: ورواه الطبرانيّ وأبو نعيم والعسكريّ عن ثوبان رفعه بلفظ: «احذروا دعوة المسلم وفراسته فإنّه ينظر بنور الله وينظر بتوفيق الله»، رواه العسكريّ عن أبي الدرداء موقوفاً بلفظ: «اتّقوا فراسة العلماء؛ فإنهم ينظرون بنور الله، إنّه شيء يقذفه الله في قلوبهم على ألسنتهم». ورواه الديلميّ عن أبي الدرداء، انظر كشف الخفاء ١/ ٤٢.

وحده لا أنت، ولا غيرك. وقوله (في الدُّجُنَّةِ): قال في الصحاح: «الدُّجُنَّة من الغَيم: المُطَبِّق تطبيقاً، الريَّان المظلم الذي ليس فيه مطر، يقال: يوم دَجْنٍ ، ويَومُ دُجُنَّة بالتشديد، وكذلك الليلة على الوجهين بالوصف والإضافة. يعني: في حالة تراكم غيم الحوادث، وانطباق ظلماتها على قلوب الغافلين، وأبصارهم فتعلّم اعتناء الحقّ تعالى بك.

٧٠٨- كَـذَا كُنْـتُ مَـا بَيْنِي وَبَيْنِيَ مُـسْبِلاً حِجَابَ الْتِبَاسِ النفس فِي نُوْرِ ظُلْمَتِي

٧٠٩- لِأَظْهَـرَ بِالتَّـدْرِيجِ لِلْحِـسِّ مُؤْنِـسَاً لَهَـا فِي ابْتِـدَاعِي دُفْعَـةً بَعْـدَ دُفْعَـةِ[1]

(كذا): أي مِثلَ ذا الاحتجاب، والاكْتِنان المتقدّم ذكره بالمفهوم من قوله (لكن بحجب الأكنّة). وقوله (كنت): أي وجدت كذلك في الزمان الماضي، ثمّ بيّن ذلك الحال الذي/ [٢٧٦/ ب] كان عليه بقوله (ما بيني وبيني): أي بيني من حيث نفسي المدّعية الغيريّة، وبيني من حيث نفسي الحقيقيّة القائمة على نفسي الأولى الوهميّة بما كسبت، كما قال سبحانه: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ [٣/ آل عمران/ ٣٩] يعني: من خير أو شرّ. وقوله (مُسْبِلاً): بصيغة اسم الفاعل، حال من التاء في كنتُ إنْ كانت (كان) تامّة، وخبرها إنْ كانت ناقصة. وأَسبَلَ الستر: أرخاه. وقوله (حجاب التباس النفس): أي تلبّسها على بصيرتي بغَيْرِيَّتَها. وقوله (في نور ظلمتي): أي وجود عدمي؛ فإنّ النور الحقيقيّ هو الوجود الحقّ، والظلمة الحقيقيّة هي العدم الصرف، ونور ظلمته هو الذي التبست به، فلو انمحت ظلمته كما هي ممحوَّة في نفس الأمر ظهر له أنّه هو النور الحقيقيّ لا غير، وقوله (لأظهر): معنى من حالة الالتباس. وقوله (بالتدريج): أي شيئاً فشيئاً، قال في المصباح: «دَرَّجْتُهُ إلى الأمر تَدْرِيجًا فَتَدَرَّجَ، واسْتَدْرَجْتُهُ: أَخذته قليلاً قليلاً». وقوله (للحسّ): أي بحيث يصير محسوساً عندي. وقوله (مُؤْنِساً): بصيغة اسم الفاعل:

---

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: بلغ مقابلةً على مؤلِّفه رضي الله عنه.

حال من فاعل أظهر، وهو الضمير المستتر فيه، من آنسته: إذا أزلت عنه الوحشة. وقوله (**لها**): للنفس الأولى الوهميّة. وقوله (**ابتداعي**): يقال: ابْتَدَعْتُ الشيءَ إذا اسْتَخْرَجْتُهُ وأحْدَثْتُهُ. ومنه قيل للحالة المُحْدَثَة: بِدْعَة، ذكره في المصباح. أي: في مخالفة العادة، فإنّ ذلك عند النفس بمنزلة الابتداع. وقوله (**دُفعة بعد دُفعة**): بيان للتدريج المذكور.

٧١٠- قَرَنْتُ بِجِدِّي لَـهْوَ ذَاكَ مُقَرِّبـاً لِفَهْمِـكَ غَايَـاتِ المَرَامِـي البَعِيْـدَةِ

٧١١- وَيَجْمَعُنَـا فِي المَظْهَـرَيْنِ تَـشَابُهٌ وَلَيْـسَتْ بِحَـالِي حَالُـهُ بِـشَبِيْهَةِ

(**قَرنتُ**): أي جمعت. وقوله (**بجدِّي**): جَدَّ في كلامه جَدّاً، من باب ضرب: خلاف هَزَلَ، كذا في المصباح. أي: بالجِدِّ الذي أنا فيه وقوله (**لهو ذاك**): أي الغافل المحجوب، المشار إليه بقوله في البيتين قبله (**كذا كنت ما بيني وبيني... إلى آخره**)؛ فإنّه قائم في لهو وغرور، ومتقلّب في خداع وشرور. ولكن أخبر الناظم أنّه قرن الجِدَّ الذي هو فيه، وساوى بينه وبين اللهو الذي في ذلك الغافل المغرور، وحكم بتساويهما من جهة أنّهما حالتان صادرتان عن فاعل واحد بهما تجلّيه، وفيهما تدلّيه، وعنهما تعاليه، وإليهما تدانيه. وقوله (**مُقَرِّباً**) بصيغة اسم الفاعل حال من فاعل قرنتُ، وهو تاء المتكلّم. وقوله (**لفهمك**): متعلّق بمقرِّباً، والخطاب للسالك. وقوله (**غايات**): مفعول مقرِّباً. وهي جمع غاية، والغاية منتهى الشيء. وقوله (**المرامي**): جمع مرمى. وهو موضع الرمي، أي: الرمي بالتوجّه القلبيّ، وهو المقصد؛ يعني: المقاصد التي يقصدها الكاملون من الرجال في معرفة الله تعالى، ومعاني تجلّياته. وقوله (**البعيدة**): أي عن الأفهام، بحيث لا تخطر في العقول القاصرة والأوهام. وهذا التقريب حصل من الناظم قدّس الله سرّه بضرب الأمثال، والتصريح بمعاني تجلّيات ذي الجلال، و تجلّي الذات المقدّسة بالصفات والأسماء والأفعال. وقوله (**ويجمعنا**): أي أنا وذلك الغافل المغرور، المشار إليه بالمعنى المذكور. وقوله (**في المظهرين**): أي مظهري الذي هو أنا، ومظهره الذي

هو ذلك الغافل المذكور، والمظهر: ما به الظهور، أي: آلة الظهور؛ فإنّ الأثر بمنزلة الآلة لظهور المؤثر، فالآثار مظاهر المؤثّر، أي: بها ظهوره لدلالتها عليه، وإشارتها إليه. إنّ آثارنا تدلّ علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار، قال تعالى: ﴿فَانظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ [٠٣/ الروم/ ٥٠]. وقوله **(تشابه)**: أي مشابهة بيني وبينه في المظهريّة للوجود الحقّ تعالى. وقوله **(وليست بحاله)**: أي حال ذلك الغافل المذكور. وقوله (**بشبيهة**): خبرليس/ [٢٧٧/ أ] يعني: حاله لا تشابه حالي من جهة الحكم الإلهيّ والصنع الربّانيّ، والجعل الصمدانيّ، قال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [٦٨/ القلم/ ٣٥- ٣٦]، وقال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ [٣٨/ ص/ ٢٨] .والحكمة بالفرق بين الفريقين في هذا الكلام القديم هي: التصريح بالجعل في فريق السعداء بقوله ﴿أَفَنَجْعَلُ﴾ لأنّ جعله تعالى إيّاهم كذلك ظاهر عندهم، وعدم التصريح بالجعل في الفريق الآخر لعدم ظهور ذلك عندهم؛ فالجعل فيهم مطوي عنهم، فلا يشهدونه، وذلك سبب تأخّرهم عن الفريق الأول.

٧١٢- وَأَشْكَالُهُ كَانَتْ مَظَاهِرَ فِعْلِهِ   بِسِتْرٍ تَلاشَتْ إذْ تَجَلَّى وَوَلَّتِ

٧١٣- وَكَانَتْ لَه بِالفِعْلِ نَفْسِي شَبِيْهَةً   وَحِسِّيَ كَالإشْكَالِ[1] وِاللَبْسُ سُتْرَتِي

(**وأشكاله**): أي أشكال ذلك الواحد الحقّ، الذي هو فاعل بمفرده لكلّ الذي شاهدته كما سبق في البيت المتقدّم. والأشكال: بفتح الهمزة، جمع شكل، وهي آثاره الصادرة عنه تعالى، من حيث تجلّيه بأسمائه وصفاته. وقوله (**كانت مظاهر فعله**): جمع مظهر لظهور أفعاله تعالى بها. وقوله (**بِستْر**): أي بتغطية عن مَن يشاء تعالى. وذلك السْتْر هو عين الأشكال المذكورة. وقوله (**تلاشت**): أي اضمحلّت

(١) في (ق): أشكاله.

وفنيت تلك الأشكال المذكورة. وقوله (إذْ): أي حين. وقوله (تجلّى): أي انكشف عزّ وجلّ للعقل والحسِّ. وقوله (وولّتِ): بكسر التاء للقافيّة، أي: زالت بالكليّة تلك الأشكال المذكورة؛ فإنّ الحقّ إذا ظهر زهق الباطل، وهو كلّ ما سوى الحقّ، إنْ الباطل كان زهوقاً في نفسه، ظهر الحقّ أو لم يظهر. وقوله (وكانت له): أي للحقّ تعالى بالفعل، أي: بسبب نسبة الفعل، والاتّصاف بالصفات، والتسمِّي بالأسماء. ولم يذكر الفعل لأنّه هنا في بيان مقام الأفعال، ولانّه بالأفعال تظهر الصفات والأسماء، وتتفصّل معانيها، فكأنّ الفعل جامع لها. وقوله (نفسي): اسم كان. وقوله (شبيهة): خبر كان، فإنّه كما تنسب الأفعال كلّها إلى الحقّ تعالى حقيقة عقلاً وشرعاً تنسب أفعال الإنسان إلى الإنسان حقيقة أيضاً عقلاً وشرعاً، وإنْ كان الله تعالى خالق كلّ شيء، وهو الخالق للإنسان ولأفعاله أيضاً؛ فإنّه تعالى ما خلق أفعال الإنسان إلّا للإنسان؛ فهي منسوبة إلى ما هي له، لا إلى غيرما هي له، حتّى تكون نسبتها مجازيّة. وباعتبار هذه المشابهة ورد في الحديث: «إنّ الله خلق آدم على صورته»[1] وقد استخلف تعالى آدم في الأرض بنصّ القرآن. وكذلك غيرآدم من بَنِيه؛ بل كلّ بَنِي آدم، كما قال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ [٢٤/ النور /٥٥] والخليفة شبيه بالمُستخلِف له في الأمر والنهي، وتصاريف الأفعال. وقوله (وحِسِّي): أي قوّتي التي أحسّ بها في إدراك المحسوسات. وقوله (كالإشكال): بكسر الهمزة، مصدر أشكل الأمر: التبس. يعني: تلتبس عليّ أموري بسبب إحساسي بها فاشهد مغايرتي لخالقي واستقلالي في نفسي. وقوله (واللبس): أي الالتباس العقلي التابع للالتباس الحسيّ. وقوله (سترتي): أي هو حجابي الذي أنا محتجب به عند نفسي وعند غيري أيضاً، فلا تظهر حقيقتي لي إلا إذا زال حسِّي، وتعطّل إدراك عقلي للمحسوسات والمعقولات، من حيث هي محسوسات

(١) انظر تخريجه في ص٧٥٩.

ومعقولات وأغيار للمتجلِّي الحقّ بها عند الحسّ والعقل، قال القائل:

البَحر بحر على ما كان في قدم إنّ الحوادث أمواج وأنهار
لا تحجبنّك أشكال تشاكلها عمّن تشكّل فيها فهي أستار/ [٢٧٧/ ب]

٧١٤- فَلَمَّا رَفَعْتُ السِّتْرَ عَنِّي كَرَفْعِهِ بِحَيْثُ بَدَتْ لِي النَّفْسُ مِنْ غَيْرِ حُجْبَةِ
٧١٥- وَقَدْ طَلَعَتْ شَمْسُ الشُّهُوْدِ فَأَشْرَقَ الوُجُوْدُ وَحَلَّتْ بِي عُقُوْدُ أَخِيَّةِ
٧١٦- قَتَلْتُ غُلَامَ النَّفْسِ بَيْنَ إِقَامَةِ الـ ـجِدَارِ لِأَحْكَامِي وَخَرْقِ سَفِيْنَتِي

(**فلمّا**): الفاء للتفريع على ما قبله. وقوله (**رفع السِتر عنّي**): وهو ستر اللَبس في قوله (**واللَبس سُترتي**) في البيت السابق. وقوله (**كرفعة**): أي مثل رفع الحقّ تعالى السِتر عنه؛ بحيث يظهر سبحانه وتعالى لنفسه فلا، يعرفه سواه، ولا يظهر إلّا إيّاه. وقوله (**بحيث بدت**): أي ظهرت. وقوله (**لي**) متعلّق ببدت. وقوله (**النفس**): أي نفسي، فاعل بدت. وقوله (**من غير حجبة**): أي احتجاب عنّي، وهو معرفته بنفسه، المستلزم لمعرفته بربّه، كما ورد: من عرف نفسه فقد عرف ربّه. وقوله (**وقد**): الواو للحال، وجملة قوله (**قد طلعت شمس الشهود**): في محل نصب على أنّها حال من النفس، أي: حال كون نفسي طالعة شمس شهودها، أي: معاينتها للظاهر بها، المتجلِّي بها، وهو الحقّ تعالى. وقوله (**فأشرق الوجود**): أي وجود الكائنات كلّها بذلك النور الحقّ الواحد الأحد، فلا أرى شيئاً محسوساً، ولا يخطر في عقلي شيء معقول إلّا وأرى ذلك النور مشرقاً به. وقوله (**وحلّت**): بضمّ الحاء المهملة، وتشديد اللام من الحل ضدّ العقد. وقوله (**بي**): أي بقوّة نفسي التي ظهرت حقيقتها. وقوله (**عقود**): جمع عقد، وهو ما تعقد من الأمور والأحوال، واختلط بحيث لم يكن متميّزاً عندي. وقوله (**أخيّة**): بالخاء المعجمة وتشديد الياء التحتيّة، وأصلها المدّ على الألف، وإنّما خُففت للوزن، قال في المصباح: «الآخِيَّة بالمدّ والتثقيل: عُرْوَة تُربط إلى وَتِدٍ مدقوق وتشدّ فيها الدابة، وأصلها: فاعولة،

والجمع: الآواخِيِّ بالتشديد [للتشديد]، وبالتخفيف للتخفيف. وقال في الصحاح: «والأخيّة أيضاً: الحُرْمَة والذِّمَّة، تقول لفلان أواخٍ وأسباب ترعى».
وهذه العقود المذكورة إمّا لربط نفسه بمنزلة الدابّة، أو لحرمتها عنده. فإذا انحلت انطلقت نفسه من قيود أوهامها، وسرحت عن بيوت أفهامها. وقوله (**قتلت**): جواب لما. وقوله (**غلام النفس**): أي نفسي التي هي بمنزلة الغلام الصغير الذي لا تمييز عنده. وقوله (**بين إقامة الجدار**): جدار الأسباب الشرعيّة الموضوعة بالوضع الإلهيّ. أو جدار العبوديّة الفارق بين العبد والربّ؛ فالربّ لا عبوديّة له، والعبد لا ربوبيّة له. وقوله (**لأحكامي**): أي لأجل الأحكام اللازمة علي المتوجّهة إلي. وقوله (**وخرق وسفينتي**): أي سفينة دعواي الاسقلال بنفسي، والانفراد بأحوالي، وأعمالي، وأقوالي. مع أني سائر في بحر الأسماء الإلهيّة بالقدرة والإرادة الربّانيّة، ولنا في هذا القبيل مواليا:

غلام نفسك بنفسك فاقتلوا يا شمس　　واطمس وجودك بأنوار التجلّي طمس
وإنْ خرقت سفينة بحر أمر وهمس　　أقم جدار الشريعة والصلاة الخمس

٧١٧- وَعُدْتُ بِإمْدَادِي عَلَى كُلِّ عَالَمٍ　　عَلَى حَسَبِ الأفْعَالِ فِي كُلِّ مُدَّةِ

(**وعدت**): أي رجعت كما كنت. وقوله (**بامدادي**): أي بالإمداد الذي كنت عليه من حيث حقيقتي الوجوديّة التي أنا موجود بها في ظاهري وباطني. وأنا لا شيء بالنسبة إليها؛ فما ثَمَّ في الوجود غيرها، فهي تمدني، وتمدّ كلّ ما هو سواي من الأشياء، كما قالت بلسان النزول في الحروف والأصوات: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ﴾/ [٢٧٨/ أ] عَطَآءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [١٧/الإسراء/ ٢٠]
وقوله (**على كلّ عالَم**): بفتح اللام، أي: جنس من أجناس المخلوقات، قال في المصباح: «العالَم بفتح اللام: الخَلْق، وقيل: يختصّ بمن يعقل، وجمعه بالواو والنون». وقال في الصحاح: «العالَم: الخَلْق، والجمع: العَوَالِم. والعَالَمُون أصناف

الخلق». وقوله (**على حسب الأفعال**): أي أفعال الله تعالى الجارية في خلقه على ما هي عليه في نفسها. وقوله في كلّ مدّة من المدد الماضية، وفي الحال وفي الاستقبال.

٧١٨- وَلَولَا احْتِجَابِي بِالصفَاتِ لَأُحْرِقَتْ مَظَاهِرُ ذَاتِي مِنْ سَنَا سُبُحِيَّتِي

(**ولولا احتجابي**): أي استتار وجودي الحقيقيّ الذي ذكرناه في البيت قبله عن بصائر الخلق وعن أبصارهم. وقوله (**بالصفات**): جمع صفة، أي: صفات الوجود الحقّ المذكور التي هي صفات الذات، وهي الصفات السبعة المعنويّة: الحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام، وصفات الأفعال التي لايبلغها الإحصاء كالتخليق، والترزيق، والإحياء، والإماتة، والإعزاز، والإذلال، والإعطاء، والمنع، والضرّ، والنفع إلى غير ذلك؛ فإنّ هذه الصفات تقتضي آثاراً تكون لها، وما ثَمَّ غير الوجود الحقّ، فتعلّقت تلك الصفات لإظهار آثارها بما كشف عنه العلم القديم من الممكنات العدميّة، القابلة للاتّصاف بالوجود على حسب ما هي مرتّبة عليه في إمكانها المتّصفة به لذاتها، فقبلت ذلك الاتّصاف بالوجود، فيما لا يزال؛ فظهرت موجودة، فسترت الوجود الحقّ، فاحتجب بها عن البصائر والأبصار. ثمّ قال لأُحرقت بالبناء للمفعول. وقوله (**مظاهرُ**): جمع، وهو ما به الظهور، ضدّ الخفاء. وذلك هو أصناف العوالم المذكورة. وقوله (**ذاتي**): أي ذات الوجود الحقّ المذكور. وقوله (**من سنا**): أي ضياء، قال في المصباح: «السَّنَا بالقصر: الضوء. والسناء بالمدّ الرفعة». ويمكن أنْ يكون هنا ممدود، أقصر للوزن. ومعناه الرفعة. وقوله (**سُبُحِيَّتِي**): بتشديد الياء التحتيّة مأخوذ من سبحات الوجه، وأصله من التسبيح، وهو التنزيه والتقديس، وسبحان الله، تَنْزِيهَا لله عن الصاحبة والولد، مَعْرِفَة، ونصبه على المصدر أي: أُبَرِّئُ اللهَ عن السُوْءِ بَرَاءَةً. أو معناه: السرعة إليه، والخِفَّة في طاعته. وسبّح تسبيحاً قال: سبحان الله وسُبُّوحٌ قدّوس. ويفتحان: من صفاته تعالى، لأنّه يُسَبِّح ويُقَدَّس. والسُّبُحَات بضمّتين: موضع السجود. وسُبُحَاتُ وَجْهِ الله: أنواره، كذا في القاموس. وقال في الصحاح:

«وقولهم: سُبُحَاتُ وَجْهِ رَبِّنا بضمّ السين والباء، أي: جلالته». وأصل ما في النظم قوله صلّى الله عليه وسلَّم: «إنّ لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة، لو كشفها لأحرقت سُبُحُات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»[1]، وحجب النور هي الروحانيّة، وحجب الظلمة هي الجسمانيّة.

٧١٩- وَألْسِنَةُ الأكْوَانِ إنْ كُنْتَ وَاعِيَاً   شُهُوْدٌ بِتَوْحِيْدِي بِحَالٍ فَصِيْحَةِ

(وألسنة): جمع لسان، وأصله آلة النطق، وقد يطلق على اللغة. وقوله (الأكوان): جمع كون، بمعنى: المكوِّنات، والكلّ ناطق بحكم قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىۡءٍ﴾ [٤١/ فصلت/ ٢١] وكلّ ذلك تسبيح وتقديس قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَىۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٤٤] وقوله (إنْ كنت واعياً): جملة معترضة بين المبتدأ والخبر. قال تعالى:﴿ وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ [٦٩/ الحاقّة/ ١٢]. وقوله (شهود): خبر وقوله وألسنة، و(الشهود): جمع شاهد. يقال: شهدتُ الشيء: اطلعت عليه، وعاينته. وشهد بكذا شهادة، إنّما تعدى بالباء؛ لأنّه بمعنى أخبر به، ولهذا قال ابن فارس: الشهادة: الإخبار بما قد شوهد/ [٢٧٨/ ب] كما في المصباح. وقوله (بتوحيدي): أي بتوحيد حقيقتي الوجوديّة المذكورة، أي: التصريح بوحدانيَّتها، وأنّها واحدة لا شريك لها، ولا موجود غيرها إلّا بوجودها. وقوله (بحال فصيحة): أي مُصرِّحة بذلك، قال القائل:

وفي كلّ شيء له آية   تدلّ على أنّه واحد

وفي البيت إشارة إلى أنّ تلك الشهادة بلسان الحال من كلّ شيء من الأكوان، لا بطريق النطق والبيان، وهو عند قوم من أهل العرفان. وقد ورد: «يشهد للمؤذِّن مدّ صوته من رطب ويابس»[2]. وقوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾

---

(١) أخرجه المتّقيّ الهنديّ في كنز العمال، باب: الإكمال من العظمة، ٢٩٨٤٦، بلفظ: «إنّ دون الله عزّ وجل سبعين ألف حجاب من نور وظلمة. وما تسمع نفس شيئاً من حسن تلك الحجب إلّا زهقت».
(٢) انظر تخريجه ص١١٦١.

[٤٠/ غافر/ ٥١] وقال تعالى: ﴿شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٠ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ [٤١/ فصّلت/ ٢٠-٢١] فدلّ على أنّ هذه الشهادة بالنطق.

٧٢٠- وَجَاءَ حَدِيْثٌ بِاتِّحَادِيَ ثَابِتٌ رِوَايَتُهُ فِي النَّقْلِ غَيْرِ ضَعِيْفَةِ
٧٢١- يُشِيْرُ بِحُبِّ الحَقِّ بَعْدَ تَقَرُّبٍ إِلَيْهِ بِنَفْلٍ أَوْ أَدَاءِ فَرِيْضَةِ
٧٢٢- وَمَوْضِعُ تَنْبِيهِ الإِشَارَةِ ظَاهِرٌ بِكُنْتُ لَهُ سَمْعاً كَنُورِ الظَّهِيرَةِ

(وجاء): أي عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم. وقوله (حديث): أي خبر، وارد، صحيح. أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الرقاق عن محمّد بن عثمان، حدّثنا خالد بن مَخلد، حدثنا سليمان بن بلال، حدثني شريك بن عبد الله بن أبي نمير، عن عطاء عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: «إنّ الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرّب إليّ عبد بشيء أحبّ إليّ مما افترضت عليه. ولا يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتّى أحبّه. فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصربه، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها. ولئن سألني لأعطينّه. ولئن استعاذني لأُعيذنّه. وما ترددت في شيء أنا فاعل تردّدي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته»[1] هذا هو الحديث بطوله. وقوله (باتّحادي): أي مع حقيقتي الوجوديّة التي أنا موجود بها بعد فناء المغايرة الرسميّة الوهميّة العدميّة. وقوله (ثابت): وصف لحديث، أي: هو خبر صحيح الإسناد. وقوله (روايته): أي عن المشايخ الراوين له. وقوله (في النقل): أي في نقله عن بعضهم بعضاً إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم. وقوله (غير ضعيفة): خبر روايته. وقوله (يشير): أي ذلك الحديث. وقوله (بحبّ): أي محبّة. وقوله (الحقّ): أي الله تعالى للعبد. وقوله (بعد تقرّب): أي قصد القربة من ذلك

(١) انظر تخريجه ص١٤٦.

العبد. وقوله (**إليه**): أي إلى الحقّ تعالى، لا بقصد الجزاء منه تعالى بالجنّة، أو بعدم إدخال النار، والنجاة في الدنيا، أو في يوم القيامة. وقوله (**بنفل**): متعلّق بتقرّب. والنفل: هو الزيادة على الفرض من أنواع العبادات والطاعات. وقوله (**أو أداء**): أي تأدية فريضة، أي: مفروضة على العبد المكلّف. وقوله (**وموضع تنبيه الإشارة**): أي المحلّ الذي هو تنبيه الإشارة في قوله الحديث المذكور. وقوله (**ظاهر**): أي لا يخفى. وقوله (**بِكُنْتُ**): أي بلفظ كنت في الحديث المذكور. وقوله (**له**): أي لذلك العبد المتقرِّب. وقوله (**سمعاً**): أي يسمع بالحقّ تعالى، لا بما يسمِّيه سمعه. وقوله (كنور): أي مثل نور، متعلّق بظاهر. وقوله (**الظهيرة**): أي الهاجرة. وذلك حين تزول الشمس، كذا في المصباح. فإنّ الحقّ تعالى إذا كان سَمْعَ العبد، وبصره، ويده، ورجله، كما ورد في هذا الحديث الصحيح المذكور كان العبد يسمع به، ويبصربه، ويبطش به، ويمشي به، على معنى أنّ السمع والبصر والبطش والمشيَ صادر من الحقّ تعالى، لا من العبد؛ لأنّه فعله تعالى؛ وإنّما هو منسوب/ [٢٧٩/ أ] إلى العبد ظاهراً نسبة شرعيّة؛ فالاتّحاد بالفاعليّة لازم على كلّ حال، وإليه تعالى المرجع والمآل.

٧٢٣- تَسَبَّبْتُ فِي التَّوْحِيدِ حَتَّى وَجَدْتُهُ وَوَاسِطَةُ الأَسْبَابِ إِحْدَى أَدِلَّتِي

٧٢٤- وَوَحَّدْتُ فِي الأَسْبَابِ حَتَّى فَقَدْتُهَا وَرَابِطَةُ التَّوْحِيدِ أَجْدَى وَسِيلَةِ

٧٢٥- وَجَرَّدْتُ نَفْسِي عَنْهُمَا فَتَوَحَّدَتْ وَلَمْ تَكُ يَوْماً قَطُّ غَيْرَ وَحِيدَةِ

(**تسببت**): أي تعاطيت السبب، قال في المصباح: «السَبَب: الحَبْل، وهو ما يُتوصَّل به إلى الاستعلاء. ثمّ استعمل لكلّ شيء يُتوصَل به إلى أمر من الأمور، فقيل: هذا سبب هذا، وهذا مُسَبَّبٌ عن هذا». وقوله (**في التوحيد**): متعلّق بتسببت، أي: توحيد الحقّ تعالى، التوحيد الحقيقيّ الذي لا يبقى معه غيره تعالى. وقوله (**حتّى وجدته**): أي كشفت عنه ذوقاً ووجداناً، لا فهماً واستبياناً، ودليلاً

وبرهاناً؛ فإنّ الوجدان كناية عن التحقّق بفناء النفس وما يتبعها من الجسم، والروح، والعقل، فيجد كلّ ذلك. بل كلّ العوالم العلويّة والسفلية فانية، عدميّة، غير متّصفة بالوجود أصلاً، لا في ابتدائها، ولا في انتهائها. ويجد الوجود الحقّ الحقيقيّ الحقّ قائماً بنفسه على ما هوعليه أزلاً وأبداً. وقد فنيَ فيه الكمّ كلّه والكيف كلّه، والأماكن كلّها، والأزمنة كلّها، والأفعال كلّها، والانفعالات كلّها، والحركات كلّها، والسكنات كلّها، ولا يعلم ما هو إلّا هو. وقوله **(وواسطة الأسباب)**: جمع سبب، وهو ما ذكرنا. أي: توسّطها بيننا وبين وجدان التوحيد المذكور، حيث جعلناها وسيلة إلى حصوله حتّى حصل لنا. وقوله **(إحدى أدلّتي)**: أي واحدة من الأدلّة التي استدلينا بها على تحصيل ذلك التوحيد المذكور، ووجدان الحقّ تعالى عند الأسباب. لأنّه المؤثر بالأسباب في مسبَّباتها؛ فالمسبَّبات آثاره تعالى، لا آثار الأسباب كما أشرنا إلى ذلك بقولنا من أبيات:

لا النـــار تحـــرق إلّا عنـــد محتجـــب — أعمى ولا تقطع الجرم السكاكين

وإنّـــما هـــي أســـباب مرتَّبـــة — عنـدي لفاعلهـا المختـار تعيـين

وقوله **(ووحدت في الأسباب)**: أي وجدت ذلك الوجود الحقّ الواحد ظاهراً في الأسباب أيضاً. وقوله **(حتّى فقدتها)**: أي فقدت الأسباب، أي: فلم أجدها لفنائها في وجوده الحقيقيّ المذكور. وقوله **(رابطة التوحيد)**: أي ما ربط عليه القلب من معنى التوحيد الحقيقيّ. وقوله **(أجدى وسيلة)**: بالجيم، أي: أنفع وسيلة أتوسّل بها، قال في المصباح: «وَسَلْتُ إلى الله بالعمل أَسِلُ، من باب وعد: رَغِبْتُ وتقرّبت. ومنه اشتقاق الوَسيلة، وهي ما يُتَقَرَّب به إلى الشيء. والجمع: وَسائل. وتَوَسَّل إلى ربّه بوَسِيلَة: تقرّب إليه بعمل». والمعنى: إنّ ما ربط عليه القلب، وعقد من عقيدة التوحيد الحقيقيّ المذكور كان وسيلة نافعة لي، أبلغ نفع في الوصول إلى حقيقة الهويَّة الإلهيّة، والتحقّق بآثارها ومظاهرها الكونيّة. ثمّ قال **(وجرّدت نفسي)**: أي خلصتها وأفردتها وحدها. وقوله **(عنها)**: أي عن أسباب

التوحيد الحقيقيّ المذكور، وعن المسبّب الذي هو ذلك التوحيد المذكور، لأنّي وجدت الأسباب والمسبّبات كلّها آثار الوجود الحقّ الحقيقيّ. وكلّ ما سواه فانياً،عدماً، مُقدّراً بتقديره تعالى. فعند ذلك جرّدت نفسي عن ذلك كلّه. ثمّ قال (فتوحّدت): أي نفسي بنفسها، لا بتوحيد موحِّد منّي، ولا من غيري. وهذا هو المعنى الذي أشار إليه الشيخ العارف الكامل أبو عبد الله الأنصاريّ الهرويّ، قدّس الله سرّه في آخر كتابه «منازل السائرين» من الأبيات الثلاثة، وهي قوله:

ما وَحَّد الوَاحِدَ من واحِدِ إذ كُلُّ من وَحَّدَهُ جاحد/[٢٧٩/ ب]

توحيد من ينطق عن نعته عارية أبطلها الواحد

توحيده إيّاه توحيده ونعت من ينعتُهُ واحد

وقوله (ولم تك): أصله تكن، فحُذفت النون تخفيفاً، أي: نفسي التي أشار إليها هنا. وقوله (يوماً): أي في وقت من الأوقات. وقوله (قطُّ): يقال: ما فعلته قطُّ، أي: في الزمان الماضي، بضمّ الطاء المهملة مشدّدة، كذا في المصباح. وقال في القاموس: «ما رأيته قطُّ، ويُضمّ ويخفّفان. وقطٍّ مشدّدة مجرورة بمعنى الدهر، مخصوص بالماضي، أي: في ما مضى من الزمان، أو في ما انقطع من عمري». وهنا دخلت على الماضي في المعنى؛ لأنّها لم دخلت على المضارع فقلبت معناه ماضياً. فمعنى لم تكن ما كانت. وقوله (غير وحيدة): أي هي واحدة في الأزل وفي الأبد على ما هي عليه.

٧٢٦- وَغُصْتُ بِحَارَ الجَمْعِ بَلْ خُضْتُهَا عَلَى انْـ ـفِرَادِيَ فَاسْتَخْرَجْتُ كُلَّ يَتِيْمَةِ

٧٢٧- لَأَسْمَعَ أَفْعَالِي بِسَمْعِ بَصِيْرَةٍ وَأَشْهَدَ أَقْوَالِي بِعَيْنٍ سَمِيْعَةِ

(وغُصّت): يقال غاصَ على الشيء غَوْصاً من باب قال: هَجَم عليه، فهوغائِصٌ، وغَوّاص أيضاً مبالغة. وغاص في الماء لاستخراج مافيه. ومنه قيل: غاصَ على المَعاني، كأنّه بلغ أقصاها حتّى استخرج ما بَعُدَ منها، كذا في المصباح. وقوله (بحار): مفعول غصّت، وهي جمع بحر. وقوله (الجمع): أي الاجتماع على

الحقّ تعالى في قيامه على كلّ شيء، وقيّوميّته لكلّ شيء، ولا شيء إلّا هو عليه أزلاً وأبداً. وهذا الجمع خلاف الفرق، وهو رؤية الأشياء كلّها قائمة بالحقّ تعالى على الغيب من شهوده، والإعراض عن حقيقة وجوده. ولا بدّ من ملاحظتها معاً في مرتبة الكمال الجامع بين الجلال والجمال. وقوله (**بل خضتها**): أي بحارالجمع، يقال: خاض الرجل الماء يخوضه خوضاً مشى فيه، وخاض في الأمر: دخل فيه، وخاض في الباطل كذلك. وقوله (**على انفرادي**): أي بقيوميّة وجودي الحقيقيّ الواحد الأحد الذي لا وجود غيره. وقوله (**فاستخرجت كلّ يتيمة**): أي كلّ درّة يتيمة منفردة بالكبر والإضاءة واللمعان دون ما عداها من الدرر. قال في المصباح: «درّة يتيمة أي: لا نظير لها ، ومن هنا أطلق اليتيم على كلّ مفرد يَعِزّ نظيرُهُ». وكنّى بكلّ يتيمة عن كل حكمة يلهمه الله تعالى إيّاها من معارف العلوم الإلهيّة وحقائقها. وقوله (**لأسمع أفعالي**): أي جميع ما أفعله في الأكوان من حيث الحقيقة الوجوديّة المذكورة. وفيه إشارة إلى أنّ السمع الإلهيّ عام التعلّق بكلّ موجود بالوجود الحقيقيّ المذكور. وقوله (**بسمع بصيرة**): أي بالسمع المخصوص بالبصيرة، وهي عين القلب؛ فعين القلب تسمع، وتبصر، وتعقل، وتدرك جميع الإدراكات. وقوله (**وأشهد أقوالي**): جمع قول، وذلك جميع الاقوال الكونيّة، سواء كانت أقوال الألسنة، أوأقوال النفوس، أو أقوال الأحوال. وقوله (**بعين**): متعلّق بأشهد. وقوله (**سميعة**): وصف لعين، وهي القلب المذكور من الحيثيّة المذكورة:

٧٢٨- فَإِنْ نَاحَ في الأَيْكِ الهَزَارُ وَغَرَّدَتْ جَوَابَاً لَهُ الأُطْيَارُ فِي كُلِّ دَوْحَةِ

٧٢٩- وَأَطْرَبَ بِالمِزْمَارِ مُصْلِحُهُ عَلَى مَنَاسَبَةِ الأَوْتَارِ مِنْ يَدِ قَيْنَةِ

٧٣٠- وَغَنَّتْ مِنَ الأَشْعَارِ مَا رَقَّ فَارْتَقَتْ لِسِدْرَتِهَا الأَسْرَارُ فِي كُلِّ شِذْرَةِ

٧٣١- تَنَزَّهتْ فِي آثَارِ صُنْعِي مُنَزَّهَاً عَنِ الشِّرْكِ بِالأَغْيَارِ جَمْعِي وَأُلْفَتِي

(**فإنْ ناح**): أي سجع، قال في القاموس: «نَوْحُ الحمامة: سَجْعُهَا. وقوله (**في الأيك**): هو الشجر/[٢٨٠/ أ] الملتف الكثير، والغيضة تنبت السِّدْر والأراك، أو

الجماعة من كلّ الشجر، حتّى من النخل. الواحدة أَيْكَة، كذا في القاموس. وقوله **(الهَزار)**: وزن كلام، والجمع هَزارات، قال الجوهري في باب العين: «العَنْدَليب هو الهَزار». كما في المصباح. وقوله **(وغَرَّدَتْ)**: يقال غَرَّدَ بالتشديد تَغْريداً: إذا طَرَّبِ في صوته، وغنّى به، ذكره في المصباح. وقوله **(جواباً)**: تمييز. وقوله **(له)**: أي للهزار، أي: من جهة المجاوبة. وقوله **(الأطيار)**: جمع طير، فاعل غرّدت. وقوله **(في كلّ دوحة)**: وهي الشجرة العظيمة، أي شجرةٍ كانت، والجمع: دَوْح، مثل: تمْرة وتمْر، كما في المصباح. وقوله **(وأطرب)**: يقال: طَرِبَ طَرَباً فهو طَرِب، من باب: تَعِب، وذلك خِفَّة تصيبه لشدّة حزن أو سرور، والعامَّة تخصّه بالسرور. وطَرَّبَ في صوته بالتضعيف: رَجَّعَه ومدّه، كذا في المصباح. وأَطْرَبَ مثل: طرّب المشدد. وقوله **(بالمزمار)**: وهو ما يُزَمَّر به، يقال: وزَمَرَ يَزْمُرُ ويَزْمِرُ زَمْراً وزَمِيْرَاً، وزَمَّرَ تَزْمِيْرَاً غنّى في القصب ، كذا في القاموس .وقوله **(مصلحه)**: فاعل أطرب. والضمير للمزمار. أي: مصلح المزمار، هو الزَّمَّار، أي: يسويِّه ويعدله للزمر به. وقوله **(على مناسبة الأوتار)**: جمع وتر، وأصله للقوس، مثل سبب وأسباب. والمراد هنا أوتار الطنبور والعود ونحو ذلك من آلات الطرب. يعني: على حسب نغماتها. وقوله **(من يد قَينة)**: أي مغنيّة، قال في المصباح: «القَيْنَة الأمَة البيضاء، هكذا قيّده ابن السكِّيت مَغَنِّيَة كانت أو غير مَغَنِّيَة. وقيل تختصّ بالمغنية». وقوله **(وغنّت)**: أي القَينة. وقوله **(من الأشعار)**: جمع شِعْر بالكسر، قال: في المصباح: الشعر العربيّ، هو النظم الموزون وحده ما تركّب تركّباً متعاضداً، وكان مقفى، موزوناً، مقصوداً به ذلك. فما خلا من هذه القيود، أو من بعضها فلا يسمّى شعراً، ولا قائله شاعراً؛ ولهذا ما ورد في الكتاب أو السنَّة موزوناً، فليس بشعر، لعدم القصد أو التقفية. وكذلك ما يجري على ألسنة بعض الناس من غير قصد. وقوله **(ما)**: أي شعراً، أو الشعر الذي. وقوله **(رقّ)**: يقال رَقَّ الشيء يَرِقُّ، من باب ضرب: خلاف غَلُظَ، كذا في المصباح. وقوله **(فارتَقَتْ)**: أي صَعِدَتْ

وارتفعت. وقوله (لِسِدرتها الأسرارُ) بالرفع: فاعل ارتقت، وضمير سدرتها للأسرار المتأخر لفظاً، المتقدِّم رتبة. والسِّدرة شجرة النَّبْق». والمراد هنا نهاية العالم الكوني من سدرة المنتهى. قال تعالى: ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ [٥٣/ النجم/ ١٤-١٦] الآية. قال في تفسير المدارك للنسفيّ: الجمهور على أنّ السِّدْرَة شجرة نَبْق في السماء السابعة عن يمين العرش. والمنتهى موضع الانتهاء، أو الانتهاء كأنّها في منتهى الجنّة وآخرها. وقيل لم يجاوزها أحد، وإليها ينتهي علم الملائكة وغيرهم ولا يعلم أحد ما وراءها. وقيل: تنتهي إليها أرواح الشهداء. والأسرار: جمع سرّ، وهو ما خفي عن العقول من المعاني الإلهيّة التي تحصل بطريق الفيض. وقوله (في كلّ شِذْرَةٍ): متعلِّق بارتقت. وكنّى بالشذرة عن القطعة من الشعر الرقيق، وأصلها كما قال في القاموس: «الشَّذْرُ قِطَعٌ مِنَ الذَّهَبِ تُلْقَطُ من معدنه بلا إذابة. أو خَرَز يُفَصَّلُ به النَّظْمُ. أو هو اللُّؤْلُؤْ الصغار، الواحدة بَهَاءٍ». وقوله (تنزّهتُ): من النزهة، قال في المصباح: «قال ابن السكِّيت في: فصل ما تضعه العامّة في غير موضعه: خرجنا نتنزَّهُ إذا خرجوا إلى البساتين، وإنّما التَنزُّه: التباعد عن المياه والأرياف. ومنه: فلان يَتنزَّه عن الأقذار، أي: يباعد نفسه عنها. وقال ابن قتيبة: «ذهب بعض أهل العلم في قول الناس: خرجوا يتنزّهون إلى البساتين أنّه غلط. وهو عندي/ [٢٨٠/ ب] ليس بغلط لأن البساتين في كلّ بلد إنّما تكون خارج البلد، فإذا أراد أحد أنْ أن يأتيَها فقد أراد البعد عن المنازل والبيوت. ثمّ كَثُرَ هذا حتّى استُعملت النُّزْهة في الخُضَرِ والجِنان». هذا لفظه. وقال ابن القوطيّة، والأزهري وجماعة: نَزَّهَ المكان، من باب تعِب، ونَزُهَ بالضمّ نَزَاهَةً، فهو نَزِيه. قال بعضهم: معناه: أنّه ذو ألوانٍ حِسانٍ. وقال الزمخشري: أرض نَزِهَةٌ، وذات نُزْهَة، وخرجوا يَتَنَزَّهُون: يطلبون الأماكن النَّزِهَة، وهي النُّزْهة والنُّزَه، مثل: غُرْفة وغُرَف». وقوله (في آثار): جمع أثر. وقوله (صنعي): أي فعلي من حيث حقيقتي الوجوديّة التي أنا بها موجود، كما قدّمناه.

وقوله (مُنَزِّهَا): أي مُبَاعِداً، حال من التاء في تنزّهتُ. وقوله (عن الشرك): أي المشاركة. وقوله (بالأغيار)جمع غير. وقوله (جمعي): مفعول منزّهاً. والجمع: خلاف الفرق، وهو الأمر الجامع الذي لا سواه من كلّ شيء، إذْ كلّ شيء فانٍ مضمحلٌّ، معدوم بعدمه الأصليّ. وقوله (وأُلْفتي): بضمّ الهمزة وسكون اللام وبالفاء: من أَلِفْتُهُ إِلْفَاً، من باب علِم: أَنِسْت به وأحبَبْتُه. والاسم: الأُلْفَة، اسم من الائتلاف: وهو الالتئام والاجتماع. وتآلف القوم: بمعنى اجتمعوا وتحابّوا. وأَلَّفت بينهم تَأْلِيفاً، كما في المصباح. و(أُلْفَتي): ما أَلِفَه من معاني الجمع والتوحيد الحقيقيّ. والمعنى: إنّه إذا سمع شيئاً من المطربات وأصوات الآلات شهد آثار صنعة القديم، وأسرار صبغة العليم، وعاين الأفعال الإلهيّة في بدائع الشؤون، قال تعالى: ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ [١٥/ الحجر/ ١٩]؛ فالملاهي وآلات اللهو عند الغافل المغرور، وهي المشاهد وآلات الذكر عند صاحب المعرفة والحضور، كما قال العارف ابن غانم المقدسي، قدّس الله سرّه:

ما استماعي من ضاربات المثاني   بل سماعي من واردات المعاني

وللشيخ الكامل محمّد البكري قدّس سرّه:

حدّثْ عن الوَتْرِ أيها الوَتر   من فاته الخُبْر سره الخَبَرُ[1]

يا وتراً حرّكته غانية   لا وأبي ليس ذاك يا وتر

٧٣٢- فَبِي مَجْلِسُ الأَذْكَارِ سَمْعُ مَطَالِعٍ   وَلِي حَانَةُ الخَمَّارِ عَيْنُ طَلِيعَةِ

(فبي): الفاء للتفريع على ما قبله، وبي الجار والمجرور متعلّق بـ سَمْع، قُدّم للحصر والاهتمام، أي: بسببي. وقوله (الأذكار): أي المجلس الذي يذكر فيه الله تعالى بأنواع الذكر. وقوله (سَمْعُ مَطالِعٍ): بالإضافة، أي: سمع إنسان مطالع للمعاني الإلهيّة في كلّ ما يسمع من أنواع ذكر الله تعالى؛ يعني: إنّ بسبب تجلّي

(١) وينسب هذا الشعر للشيخ عبد الغني النابلسي.

وجودي الحقيقيّ الذي أنا به موجود كلّ مجلس ذكر محلّ سمع العارف المطالع لأسرار العرفان، وحقائق الإيقان، وكون المجلس نفس السامع مبالغة في حصول السمع فيه لكلّ عارف محقِّق، وهو السمع بالله تعالى، من الله تعالى، قال تعالى في أهل السماع: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [٣٩/ الزمر/ ١٨] وأحسن القول اعتبار جانب الحقّ تعالى فيه، أي: قول كان في أيّ لغة كانت، من أيّ قائل كان. وقال تعالى في غير أهل السماع من الغافلين عن الحقّ تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ [٢١/ الأنبياء/ ١٠٠] أي: لا يسمعون من الحقّ تعالى؛ وإنّما يسمعون من غيره تعالى، وهو الباطل لأن غير الحقّ تعالى باطل، كما قال سبحانه في أهل السماع: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨١]. وفي صحيح مسلم/[٢٨١/ أ] بالسند إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد: ألا كلّ شيء ما خلا الله باطل»[(١)]. وقوله (ولي): أي ولأجلي، متعلّق بمحذوف صفة لعين، أي: عين طليعة كائنة لأجل قيّوميتي عليها من جهة وجودي الحقيقيّ الذي أنا وهي، وكلّ شيء موجودون به. وقوله (**حانة الخمّار**): بالإضافة مبتدأ. والحانة: البيت الذي يباع فيه الخمر، والجمع حانات، كذا في المصباح. وقوله (**عين طليعة**): بالإضافة خبر المبتدأ. والعين الباصرة، والطليعة: القوم يُبعثون أمام الجيش، يتعرّفون طِلْع العدو، بالكسر، أي: خبره. والجمع: طلائع، كذا في المصباح. يعني: إنّ حانة الخمّار وكذلك كلّ مجلس فسق وضلال وفساد محل عين المراقبة والنظر بالغضب الإلهيّ؛ لاحتمال التوبة والغفران، واحتمال توجّه العقاب والخسران. وكون الحانة عين الطليعة مبالغة أيضاً في كمال توجّه النظر العرفانيّ والاعتبار الربّانيّ.

٧٣٣- وَمَا عَقَدَ الزُّنَّارَ حُكْماً سِوَى يَدِي   وَإِنْ حُلَّ بِالإِقْرَارِ بِي فَهْيَ حَلَّتِ

(**وما عَقَد**): أي ربط. وقوله (**الزُّنَّار**): بضمّ الزاي وتشديد النون، قال في

(١) انظر تخريجه ص٦٧١.

المصباح: «الزُّنّار للنصارى، وِزان تُفَّاح، والجمع: زنانير. وتَزَنَّر النصرانيّ: شدَّ الزُّنّار على وسطه، وزَنَّرته بالتثقيل ألبسته الزنّار». وهو كناية عن بقاء النصرانيّ، وكذلك اليهود، وبقيّة أهل الذمّة على دين الكفر. وقبولهم إعطاء الجزية على الرقاب والخراج على الأراضي بعقد الذمّة عليهم ومعاهدتهم على الامتياز عن المسلمين بعقد الزنّار، وهو خيط يُربط من فوق ثيابهم، كما فعله السلف بهم، ونحو ذلك مما يتميَّزون به عن المسلمين. وقوله (حُكْماً): أي من جهة الحكم الشرعيّ. وقوله (سوى يدي): يعيني: إنّ يدهم التي عقدوا بها الزنّار هي في الحقيقة يدي لأنّي خلقتها وصرفتها في ذلك الفعل حكماً مِنّي بالذلّ والإهانة عليهم في الدنيا، والعذاب في الآخرة، لأنّهم أفعالي ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [٢١/ الأنبياء/ ٢٢]. وقوله (وإنْ حُلّ): بضم الحاء المهملة وتشديد اللام، من الحَلّ، ضدّ العقد. أي: حَلّ الزنار. أو بفتح الحاء مبنيّاً للمعلوم، أي: حَلّه من عقده، وهو الذمّيّ. وقوله (بالإقرار): أي بسبب إقرار ذلك الكافر. وقوله (بي): يعني إقراره بوحدانيّة الله تعالى، وأنّه لا شريك له، ولا ولد له، ولا صاحبة له. كناية عن دخوله في دين الإسلام، والإنعام عليه بالسعادة في الدنيا والآخرة. وقوله (فهي): أي يدي المذكورة. وقوله (حَلَّتِ): بفتح الحاء المهملة وتشديد اللام وكسر التاء للقافية، يعني: ما حَلَّت زنّارَ الكفر عن الكافر غير يدي التي عقدته أوّلاً. والمعنى: إنّ جميع الكفار، وأفعالهم إنّما ذلك كلّه أفعالي في الحقيقة أخرجتها من عدمها الأصلي التي كانت فيه ممكنة، مفصّلة، مرتّبة على ما هي عليه، مكشوف عنها بالعلم القديم، مراده على طبق ما هي عليه بالإرادة القديمة، مقدور عليها بالقدرة القديمة، ظاهرة بالكلام القديم، الذي ليس بحروف ولا أصوات. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [١٦/ النحل/ ٤٠] فما تكلّم تعالى فأظهر كلماته الطيّبة وغير الطيّبة؛ وهي الآثار، إلّا بما أراد سبحانه، وما أراد

تعالى من ذلك إلّا ما علم، وما علم إلّا ما الأشياء عليه في أنفسها. وهي معدومة بالعدم الأصليّ؛ فالعلم تابع للمعلوم. والمعلومات هي الأعيان الثابتة في العدم، وعالم الإمكان الذاتيّ كما حقّقناه في كتابنا «التحرير الحاوي على تفسير البيضاوي». قال تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ [٦/ الأنعام/ ١٤٩] يعني: على جميع المخلوقات. وقوله (بعده): ﴿فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ علّق الحكم على أقرب الأسباب، وهو الإرادة؛ لأنّ قبلها سبب الكشف العلميّ، وقبله/ [٢٨١/ ب] سبب أنّهم مهتدون أجمعون. ولو حرف امتناع لامتناع. يعني: لو كنتم مهتدين أجمعين، لعلّكم مهتدين أجمعين، لأرادكم مهتدين أجمعين، لهداكم أجمعين. والمشيئة هي الإرادة.

٧٣٤- وَإِنْ نَارَ بِالتَّنْزِيلِ مِحْرَابُ مَسْجِدٍ   فَـمَا بَـارَ بِالإِنْجِيـلِ هَيْكَـلُ بِيْعَـتِـي

٧٣٥- وَأَسْفَارُ تَوْرَاةِ الكَلِيمِ لِقَوْمِهِ   يُنَـاجِي بِهَـا الأَحْبَـارُ فِي كُـلِّ لَيْلَـةِ

(**وإنْ نار**): أي أنار وأشرق، قال في المصباح: أَنَارَ الصُّبح إنارة: أضاء، ونَار الشيءُ يَنُور نِيَاراً بالكسر: أضاء أيضاً، فهو نَيِّر، وهذا يتعدّى بالهمزة والتضعيف». وقوله (**بالتنزيل**): أي بتلاوة آيات القرآن العظيم. وقوله (**محرابُ مسجدٍ**): فاعل نار. وقوله (**فما بار**): بالباء الموحّدة بعدها ألف وراء، قال في المصباح: «بَارَ الشيءُ يَبُورُ بالضمّ: هلك. وبَارَ الشيءُ بَوَاراً بالفتح: كَسَدَ، على الاستعارة؛ لأنّه إذا تُرِك صار غير مُنْتَفَع به، فأشبه الهالك من هذا الوجه». وقوله (**بالإنجيل**): أي بسبب تلاوة الإنجيل فيه، وهو كتاب عيسى ابن مريم عليه السلام، الذي جاء به من عند الله تعالى بتنزيل جبريل الأمين عليه السلام. وهو الآن منسوخ بالقرآن العظيم. وقد غيَّر القسّيسون والرهبان. وزادوا فيه ونقصوا؛ فلا يجوز الآن قراءته، كما نصّ عليه العلماء. وقوله (**هيكل**): هو بيت للنصارى، وهو بيت عبادتهم. وقوله (**بِيعة**): بكسر الباء الموحّدة، قال في المصباح: «البِيعَة بالكسر للنصارَى، والجمع: بِيَع، مثل: سِدْرَة وسِدَر». والمعنى: وإنْ أشرق محراب المساجد

بقراءة آيات القرآن العظيم لإشراق قلوب المسلمين بأنوار الإيمان فما كَسَدَ، ولا أظلم بيت عبادة النصارى بقراءة كلمات الإنجيل المحرّف المنسوخ في بِيَعِهم وكنائسهم لظلمات قلوبهم بالكفر والضلال؛ فإنّ ذلك كلّه حكم شرعيّ أنزله ذو الإكرام والجلال. وكلّ ذلك فعله من جملة الأفعال. والحكم حكمة بلا جحود ولا جدال، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦ﴾ [١٣/ الرعد/ ٤١] فكما أنارت المساجد بآيات التنزيل أظلمت الهياكل والبِيَع بظلمات الكفر والتضليل، ولا تأثير لكلّ ما سواه تعالى في شيء من ذلك؛ وإنّما الكلّ أفعاله، وأحكامه، وعقده، وإبرامه، وحلاله، وحرامه. فكما يجب الاعتناء والتعظيم لهؤلاء بسبب جعلهم على الحقّ من جهة الجاعل يجب الاعتناء بهؤلاء أيضاً من جهة الجاعل؛ لأنّه واحد، لا شريك له. وقوله **(وأسفار)**: بالفتح، جمع: سفر بالكسر، وهو الكتاب الكبير، أو جزء من أجزاء التوراة، كما في القاموس. وقوله **(توراة الكليم)**: أي موسى بن عمران عليه السلام. وتوراته: كتابه المنزل عليه بتنزيل جبريل الأمين عليه السلام. وهو الآن منسوخ بالقرآن العظيم، حَرَّفَتْه اليهود وبدلته، وزادوا فيه، ونقصوا منه؛ فلا يجوز قراءته، كما نصّ عليه العلماء؛ فإنّ قوله **(وأسفار)**: معطوف على قوله **(هيكل بِيعة)**: يعني ما بار أيضاً أسفار توراة موسى عليه السلام وإنْ كان منسوخاً، مغيّراً، مبدّلاً، محرّفاً عن مواضعه. وقوله **(لقومه)**: أي قوم موسى عليه السلام. والجار والمجرور صفة أسفار. وقوله **(يناجي)**: جملة في محل نصب حال من أسفار، يقال: نَاجَيْتُه: سارَرْتُه، والاسم: النَجْوى، وتناجى القوم: ناجَى بعضُهم بعضَاً، كذا في المصباح. وقوله **(بها)**: أي بتلك الأسفار؛ يعني: بقراءتها ومدارستها. وقوله **(الأحبار)**: فاعل يناجي، جمع حِبر، بكسر الحاء المهملة وسكون الباء الموحّدة، وهو العالِم، والجمع أحبار مثل حِمْل وأَحْمَال، والحَبْر بالفتح لغة فيه، وجمعه: حُبُور مثل: فَلْس وفُلُوس. واقتصر بعضهم [ثعلب] على الفتح، وبعضهم أنكر الكسر، كذا في المصباح. وقوله **(في كلّ ليلة)**: متعلّق بـ(يناجي).

يعني: إنّ ذلك كلّه أفعال الله تعالى، فهي غير مذمومة من حيث أنّها أفعاله، وذلك مشهد أهل العرفان، وإنْ كانت من حيث/ [٢٨١/ أ] أنّها أفعال الكافرين وأحوالهم مذمومة، وهي كفر وضلال بحكم الشرع المحمّديّ، والطريق الأحمديّ.

٧٣٦- وَإنْ خَرَّ لِلْأَحْجَارِ فِي البُدِّ عَاكِفٌ فَلَا وَجْهَ(١) لِلْإِنْكَارِ بِالعَصَبِيَّةِ

٧٣٧- فَقَدْ عَبَدَ الدِّيْنَارَ مَعْنَىً مُنَزَّهٌ عَنِ العَارِ بِالإِشْرَاكِ لِلْوَثَنِيَّةِ(٢)

(وإنْ خرّ): سقط ساجداً، قال في المصباح: «خَرَّ الشيءُ يَخِرُّ، من باب ضرب: سَقَطَ». وقوله (للأحجار): أي المنحوته أصناماً تُعبد من دون الله تعالى. وقوله (في البُدِّ) بضمّ الباء الموحدة وتشديد الدال المهملة: بيت الصنم، كذا في القاموس. وقوله (عاكف): فاعل خرّ، أي: مواظب على عبادة الصنم، يقال: عَكَفَ عليه عُكُوفاً: أَقْبَل عليه مُواظِباً، وعَكَفَ القومُ حوله: استداروا، كما في القاموس. وقوله (فلا وجه): أي لا جهة، ولا مأخذ، قال في المصباح: «لهذا القول وَجْهٌ، أي: مَأْخَذٌ وجِهَة أُخِذَ منها». وفي نسخة (فلا تعدُ): بضمّ الدال المهملة من عَدَا عليه يَعْدُو: ظَلَم وجَاوَزَ الحَدَّ وهو عَادٍ، والجمع عَادُون، كذا في المصباح. وقوله (للإنكار): أي جحود ذلك. وقوله (بالعصبيّة): أي بسبب التعصّب النفسانيّ، والتقبيح العقليّ الإنسانيّ؛ فإنّ تقبيح ذلك الكفر إنّما هو بمجرّد الشرع الإلهيّ، والحكم الربّانيّ، لا مدخل للعقول فيه؛ فإنكاره بالعصبيّة خروج عن حكم الشريعة المحمّديّة، وهو عدوان على الله تعالى فيما وضعه من الشرائع؛ فإنّ ذلك مجرد حكم إلهيّ. وقوله (فقد عَبَدَ الدينار معنىً): أي عبادة في المعنى دون الظاهر؛ لأنّ العبادة معناها التذلّل للمعبود بالانقياد إليه، والخضوع بين يديه، قال في المصباح: «عَبَدْتُ الله أَعْبُدُهُ عِبَادَةً، وهي: الانقياد والخضوع، ثمّ استُعمِل في مَنْ

---

(١) في (ق): تعد.

(٢) في (ق): بالوثنيّة.

اتّخذ إلهاً غير الله وتَقَرَّبَ إليه، فقيل: عابدُ الوَثَن، والشمس، وغير ذلك». وقوله (منزّه): أي إنسان مسلم منزّه، أي: مباعد مقدِّس لله تعالى. وقوله (عن العار): وهو كلّ شيء يَلزَم منه عيب أو سُبَّة. وعَيَّرْتُهُ كذا، وعَيَّرْتُهُ به: قَبَّحْتُهُ عليه، ونَسَبْتُهُ إليه، يتعدّى بنفسه وبالباء على المختار، وبالباء قليلاً فيقال: عَيَّرْتُهُ به، كذا في المصباح. وقوله (بالإشراك): أي الشركة مع الله تعالى في العبادة. وقوله (للوثنيّة): أي النسبة إلى الوثن بالتحريك، قال في المصباح: «هو الصنم، سواء كان من خشب، أو حجر، أو غيره». والمعنى: كيف تنكر عبادة الأصنام بالغرض النفسانيّ، والتعصّب بالتقبيح العقليّ وأنت ترى المسلم المنزّه لربّه عن الشرك في عبادته، يعبد الدرهم والدينار؛ فيذلّ نفسه لذلك غاية الذلّ. وينقاد لذلك ويخضع له. ويتقرّب إلى تحصيل الدرهم والدينار بأقصى ما في وسعه من التقرّبات، وقد سمّى النبيّ صلّى الله عليه وسلم ذلك المعنى عبادة فقال عليه السلام: «تعس عبد الدِّرهم، تعس عبد الدينار، تعس عبد الخميصة، تعس وانتكس، وإذا شيك لا انتقش»[1] وهذا أبلغ دعاء عليه من قبيح فعله.

٧٣٨- وَقَدْ بَلَغَ الإِنْذَارُ عَنِّيَ مَنْ يَعِي ... وَقَامَتْ بِيَ الأَعْذَارُ فِي كُلِّ فِرْقَةِ

٧٣٩- وَمَا زَاغَتِ الأَبْصَارُ مِنْ كُلِّ مِلَّةٍ ... وَمَا رَاغَتِ الأَفْكَارُ مِنْ[2] كُلِّ نِحْلَةِ

٧٤٠- وَمَا اخْتَارَ[3] مَنْ لِلشَّمْسِ عَنْ غِرَّةٍ صَبَا ... وَإِشْرَاقُهَا مِنْ نُورِ إِسْفَارِ غُرَّتِي[4]

(وقد بلغ): أي وصل. والواو للحال. وقوله (الإنذار): أبلغته إيّاه، يتعدّى إلى مفعولين، وأكثر ما يُستعمل في التخويف، كقوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ ﴾

---

(١) انظر تخريجه ص١٤٦.

(٢) في (ق): في.

(٣) في (ق): حار.

(٤) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: «بلغ مقابلة على مؤلّفه رضي الله عنه وأرضاه، وجعل الجنّة مثواه ومقرّه. آمين».

[٤٠/غافر/ ٣٩] أي: خوفهم عذابه. وقوله (عنّي)/ [٢٨٢/ ب] متعلّق ببلغ. يعني: من حيث حقيقتي الوجوديّة التي أنا بها أنا، كما مرّ. وقوله (من يعي): مفعول بلغ، يُقال: وَعَيْتَ الحديثَ وَعْياً، من باب وَعَدَ: حَفِظْتُه وتَدَبَّرْتُه، كذا في المصباح. وقوله (وقامت بي الأعذار): جمع عُذْر، يقال: عَذَرْتُه في ما صَنَعَ عَذْراً، من باب ضرب: رفعتُ عنه اللَّوم فهو معذور، أي: غير مَلُوم، والاسم: العُذْر، وتُضَمّ الذال للاتباع، وتُسَكَّن. والجمع: أعذار، كذا في المصباح. وقوله (في كلّ فرقة): بكسر الفاء. قال في المصباح: «الفِرْقَة بالكسر: الطائفة من الناس، وغيرهم. والجمع: فِرَق مثل سِدْرَة وسِدَر». ومعنى البيت: إنّ الإنذار والتخويف منّي للكفار بغضب الله تعالى وعقابه وصل إلى كلّ من يعي كلامي ويفهمه، متابعة لحكم الله تعالى قياماً بشريعته المحمّديّة وسيرته الأحمديّة، وأيضاً قامت بي أعذار كلّ فرقة من فرق الكفر والضلال، لأنّهم كما أخبر تعالى عنهم بقوله لا يملكون لأنفسهم ضرّاً ولا نفعاً، ولا يملكون موتاً، ولا حياة، ولا نشوراً. وقال تعالى: ﴿لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا﴾ [٢/ البقرة/ ٢٦٤]. أعذار الجميع قائمة في جميع أحوالهم وأفعالهم شرعاً، كما أخبر تعالى من جهة أنّهم مخلوقون أرواحاً، وعقولاً، ونفوساً، وأجساماً، باطناً، وظاهراً، أحوالاً، وإدراكاً، وأفعالاً، واعتقاداً. والمخلوق لا يقدرعلى شيء أصلاً. ومع ذلك كلّه فهم غير معذورين، وهم ملومون، معاقبون، معذبون، مغضوب عليهم شرعاً أيضاً من جهة حكم الله تعالى العدل، وأمره الفصل؛ لأنّ لهم قدرة غير مؤثّرة في شيء، وإرادة كذلك، وعلماً، وإدراكاً. فهم على أكمل صورة، وأحسن تقويم، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [٩٥/ التين/ ٤] فهم قائلون للتكليف بالأوامر والنواهي الشرعيّة، لأنّ صورتهم صورة الفاعل المؤثّرة بقدرته كيف ما يشاء ويريد؛ ولهذا قال لهم تعالى: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [٤١/ فصّلت/ ٤٠] وذلك لأنّهم لا يعملون إلّا ما يشاؤون، ولا يشاؤون إلّا ما يشاء الله، قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [٧٦/ الإنسان/ ٣٠] وما يشاء الله سبحانه إلّا ما علم منهم أزلاً

أنّهم فاعلون، لأنّ العلم تابع للمعلوم، كما قدّمناه. فقد علم منهم تعالى أنّهم فاعلون ما هم فاعلوه، فشاء لهم ذلك وأراده، وهو قادر عليه، فخلقه على طبق ذلك، وهو تعالى الملك العادل الذي لا يظلم الناس شيئاً، ولكنّ الناس أنفسهم يظلمون. وقوله (فما زاغت **الأبصار**): جمع بصر، قال في المصباح: «البَصَر النور الذي تدرك به الجارحة المُبْصَرات. والجمع: أبصار، مثل: سَبَب وأسْبَاب، ويقال: زاغت الشمس تَزيغ زَيغاً: مالت. وزاغ الشيء كذلك». وقال في القاموس: «الزَّيْغُ: الشَّكُّ، والجَوْرُ عن الحقّ. وقوم زَاغَة: زائغون». يعني: ومع ذلك ما زاغت، ولا مالت جميع الأبصار. وقوله (**من كلّ ملّة**): أي دين من الأديان؛ لأنّ مقصود الكلّ وجه الله تعالى. ووجهه أينما يولِّي كلّ أحد، كما قال سبحانه: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [٢/ البقرة/ ١١٥] وقال أيضاً: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [٨٢/ القصص/ ٨٨] وقال أيضاً: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ٢٦-٢٧] والهالك الفاني لا وجود له في الحقيقة، وإنْ ظهر بتجلِّي وجود الله تعالى عليه؛ فكلّ بصر وكلّ بصيرة لم تزغ ولم تمل عن وجه الله تعالى أصلاً، وإنْ زاغت ومالت إلى ما سواه سبحانه شرعاً فيما وضعه في علمها وكلفها به على حسب ما علمها به، كما ذكرنا. وقوله (**ولا راغت**): بالراء المهملة، يقال: راغ الرجلُ والثعلب رَوْغاً ورَوَغاناً: مالَ وحادَ عن الشيء، كذا في القاموس. وقوله (**الأفكار**): جمع/ [٢٨٣/ أ] فكر. فاعل. وقوله (**في كلّ نِحْلَة**): بكسر النون وسكون الحاء المهملة، وهي الدعوى، كذا في القاموس. والمراد: الطائفة من الناس الذين يدّعون اعتقاداً خاصّاً ينتحلونه. والمعنى: إنّ أفكارهم ما زاغت ولا مالت عن وجه الله تعالى أصلاً. وإنْ راغت ومالت شرعاً بحكم ما وضع تعالى في عقولهم ونفوسهم مما أضلّهم به عن الحقّ. وقوله (**وما اختارمن للشمس**): متعلّق بصَبَا. وقوله (عن غرّة): بالكسر، أي: غفلة وغرور. وقوله (**صبا**): أي مال إلى دين الصابئة، قال في المصباح: «صَبَأَ من دينٍ إلى دين، يَصْبَأُ، مهموز بفتحتين: خرج؛ فهو صابئ. ثمّ جُعِل هذا اللقب عَلَماً على طائفة من الكفّار، يقال: إنّها

تعبُد الكواكب في الباطن، وتنتسب إلى النصرانيّة في الظاهر، وهم الصابئة، والصابئون. ويَدَّعون أنّهم على دين صابئ بن شيث بن آدم. ويجوز التخفيف بحذف الهمزة فيقال: الصابون، وقرأ به نافع. وقوله (وإشراقها): أي الشمس، والواو للحال من فاعل صبا على معنى نقض النفي بإلّا في المعنى. وتقديره: وما اختار من صَبَا للشمس فعبدها عن حصول غرّة منه، وغفلة عن الحقّ، وغرور بها، إلّا والحال: إنّ إشراق الشمس مستفاد من نور انكشاف التجلّي الإلهيّ، وهو قوله (من نور إسفار): بكسر الهمزة، يقال: سَفَرَت الشمسُ سَفْراً، من باب ضرب: طَلَعَتْ. ويقال: أَسْفَرَ الصبحُ إسفاراً: أضاء، وأَسْفَرَ الوجه من ذلك إذْ علاه جمال، كذا في المصباح. وقوله (غُرّتي): بضمّ الغين المعجمة، قال في القاموس: الغُرّةُ من الرجل: وجهه، وكلّ ما بَدَا لك من ضَوْء، أو صُبْح فقد بدت غُرَّتُهُ. يعني: إنّ من عَبَد الشمسَ وكان من الصابئة بسبب غفلته وغروره إنّما فعل ذلك لأنّ إشراق الشمس إنّما هو من ظهور نور الحقّ تعالى، وتجلّي وجهه الكريم، قال سبحانه: ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ [٣٩/ الزمر/ ٦٩] فعُبّاد الشمس إنّما عبدوا في الحقيقة ربهم تعالى الذي خلقهم. ولكنهم خالفوا أمره فسجدوا في الظاهر لما نهوا أنْ يسجدوا له، قال تعالى: ﴿ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [٤١/ فصّلت/ ٣٧] وإنْ كانوا في نفس الأمر إنّما سجدوا له تعالى بحكم قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ [١٣/ الرعد/ ١٥] فالمؤمنون به يسجدون له طوعاً لامتثال أمره تعالى، والكافرون به يسجدون له كرهاً لمخالفة أمره سبحانه. واعلم بأنّ الناظم قدّس الله سرّه إنّما اعتذر عن عبادة الكافرين، وعن كفرهم وضلالهم، وبيّن حقائق أحوالهم، وكشف عن عبادتهم، وحكم بأنّها بحسب قصدهم لله تعالى، فإنّ عُبّاد الأصنام قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾. حتّى يكون حكمنا بكفر الكافرين، وضلال الضّالّين مجرّد إيمان منّا، ونصدّق بأحكام ربّنا عليهم بمقتضى الشرائع الإلهيّة، متابعة لله تعالى في ما حكم وألزم. واقتداء بالنبيّ

صلّى الله عليه وسلّم فيها بلغ عن الله تعالى وأنذر. ولا يكون حكمنا بشيء من ذلك بتقبيح عقولنا، وحكم طبيعتنا وأغراض أنفسنا، فنتخلّص من أحكام النفوس والعقول، ووساوس الظنون، وتساويل القياسات الوهميّة. فنحكم في كلّ ما حكمنا بقبحه بمجرّد حكم ربّنا، ومقتضى شريعة نبيِّنا صلّى الله عليه وسلّم، حاكين ذلك لا متحكِّمين؛ لأنّ التحسين والتقبيح عند أهل السنّة والجماعة شرعيّان لا عقليّان، كما تقرّر في كتب الأصول، وإلّا فإنّ الكلّ في حقيقة الأمر حسن، وجميع الأفعال والأحوال من جميع / [٢٨٣/ ب] المخلوقات أمور حسنة، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [٣٢/ السجدة/ ٧] وقال: ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ [٦٧/ الملك/ ٣] وفي الحديث: قال صلّى الله عله وسلّم: «إنّ الله كتب الإحسان على كلّ شيء»[1] ثم إنّه تعالى قبّح ما شأنه ذلك بحكم النهي بلا غرض ولا سبب ولا علّة، كما حسّن ما شأنه من ذلك بحكم الأمر والإباحة، ولا غرض له حامل على ذلك، ولا علّة، ولا سبب؛ فالكمال أن يكون الأمر عندنا كذلك نحكم بما حكم به ربّنا، ولا نعلل شيئاً بشيء أصلاً، كما قال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦ﴾ [١٣/ الرعد/ ٤١] فتنبيه الناظم قدّس الله سرّه على ذلك كلّه من جملة الإرشاد والهداية في سلوك طريق الله تعالى نصحاً للسالكين، وإيضاحاً لسبيل المتّقين.

٧٤١- وَإِنْ عَبَدَ النَارَ المَجُوسُ وَمَا انْطَفَتْ ... كَمَا جَاءَ فِي الأَخْبَارِ فِي أَلْفِ حِجَّةِ

٧٤٢- فَمَا قَصَدُوا غَيْرِي وَإِنْ كَانَ قَصْدُهُمْ ... سِوَايَ وَإِنْ لَمْ يُظْهِرُوا عَقْدَ نِيَّةِ

٧٤٣- رَأَوْا ضَوْءَ نُورِي مَرَّةً فَتَوَهَّمُو ... هُ نَاراً فَضَلُّوا فِي الهُدَى بِالأَشِعَّةِ

(وإنْ عبد النارَ المجوس): فاعل عبد، والنار مفعوله، والمجوس أمّة من الناس، وهي كلمة فارسيّة وتَمَجَّسَ صار من المجوس. وقوله (وما انْطَفَتْ): أي النار؛

---

(١) انظر تخريجه ص٥٥٦.

لأنّهم يوقدونها بالأحطاب ليلاً ونهاراً. وقوله (كما جاء في **الأخبار**): جمع خبر، يعني ذكر في كتب التواريخ. وقوله (في ألف حِجّة): بكسر الحاء المهملة، وهي السَّنة، والجمع: حِجَج، مثل: سِدْرَة وسِدَر، كذا في المصباح. يعني: مضى على النار ألف سنة وهي موقدة، ولم تنطفئ والمجوس يعبدونها، فما قصدوا بعبادتها غير عبادة الحقّ تعالى، وإنْ كان قصدهم عبادة النار، وذلك قوله (**فما قصدوا غيري**): أي عبادة غيري. وقوله (**وإنْ كان قصدهم**): أي المجوس. وقوله (**سواي**): أي عبادة سواي. وقوله (**سواي**): بمعنى غيري، وهي النار؛ فإنّها صورة ظاهرة من تجلّي اسمه تعالى المصوِّر، فقد عبدوا الحقّ تعالى المحتجب عنهم بصورة النار التي صورها تعالى. وقوله (**وإنْ لم يُظهروا**): أي المجوس، بضمّ الياء التحتيّة، من أظهر المتعدِّي. وقوله (**عقد نيّة**): معقودة على إرادة الحقّ تعالى، وهذا بيان حالهم في نفس الأمر، حتّى لا يكون منك يا أيّها السالك التقبيح العقليّ في أفعال الكفّار بمقتضى الطبيعة، فتحكم بقبح كفرهم وضلالهم بحكم الله تعالى الذي لا سبب له ولا علّة إيماناً منك وتصديقاً، لا تعصّباً نفسانيّاً، وتقبيحاً إدراكيّاً، فيكمل الإيمان، ويتمّ منك التحقيق والإيقان، وتكون عبداً ربّانيّاً، لا مولىً نفسانيّاً، قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ [٣/ آل عمران/ ٧٩] الآية، ثمّ أيد ما ذكره من الاعتذار عن هؤلاء الكفار ليقوى عند المؤمن نفي التقبيح العقليّ، ويثبت عنده الحكم الإلهيّ المنزّه عن التعليل، وعن السبب بقوله (**رأوا**): أي المجوس. وقوله (**ضوء نوري**): أي أضاء بنورك الحقيقيّ، ووجودي الحقّ. وقوله (**مرّة**): أي رؤيتهم الأولى التي رأوا بها النار. وقوله (**فتوهّموه**): أي توهّموا ذلك النور الحقيقيّ الذي رأوه. وقوله (**ناراً**): مفعول ثانٍ لتوهّموا، والمفعول الأوّل هو الضمير الراجع إلى النور، يعني: توهّموا ذلك النورناراً؛ لأنّ النار صورة صوّرها النور الحقّ الحقيقيّ من تجلّي اسمه المصوِّر، فاحتجب بها عنهم فعبدوها، وهي فانية في حقيقة نوره الحقّ، فوقعت عبادتهم لنوره الحقّ الحقيقيّ، وهم لا يشعرون. وقوله (**فضلّوا**): أي المجوس.

وقوله (في الهدى): أي في حال هدايتهم بالتوجّه إليه تعالى، وإصابتهم نوره الحقّ الحقيقيّ. وقوله (بالأشعة): جمع شعاع، أي: حصل ضلالهم بسبب الأشعة التي يرونها تظهر من الشمس، فتقع على الأرض، فتنمو بها الزروع، والثمار، والنباتات، والحيوانات. ويصلح عليها أمر الدنيا، ومعايش الناس؛ فظنّوا أنّها الإله الذي يخلق ما يشاء، ويفعل ما يريد فكفروا وضلّوا ضلالاً بعيداً من حيث هم. وفي نفس الأمر هم في هداية لا يشعرون بها، فحكم الله تعالى عليهم/ [٢٨٤/ أ] بما هم عليه حكماً مجرّداً عن العلّة والغرض، والله بما تعملون بصير.

٧٤٤- وَلَولَا حِجَابُ الكَوْنِ قُلْتُ وَإِنَّمَا   قِيَـامِي بِأَحْكَـامِ المَظَـاهِرِ مُـسْكَتِي

(ولولا): حرف امتناع لوجود، امتنع الثاني لوجود الأوّل. وقوله (حجاب الكون): أي الحجاب الذي هو جميع المكونات، فإنّ الجميع صور مختلفة؛ إما صور مرئيّة، أو صور مسموعة، أو صور مشمومة، أو صور مذوقة، أو صور ملموسة، أو صور معقولة، أو صور موهومة. وكلّها من تجلّي اسمه تعالى المصوِّر، وهي: الحجب التي بها احتجب الحقّ تعالى عن الحواس الخمس، وعن العقل، والوهم، والخيال، والفكر. وقوله (قلت): أي صرحت بقولي: هو الله الذي لا إله إلّا هو، ما ثَمّ سواه، ولا موجود غيره. ولكن حجاب المكوِّنات يمنعني من قولي ذلك حتى يحترق بظهور نور تجلِّيه، ويفنى ويزول بانكشاف أسرار تدلّيه. وقوله (وإنّما قيامي): أي خدمتي وتقييدي. وقوله (بأحكام): جمع حكم، وهي الأحكام الشرعيّة الإلهيّة المضافة إلى قوله (المظاهر): جمع مَظهر، وهو ما به الظهور الإلهيّ، وهي الصور الكونيّة التي ظهر الحقّ تعالى للحسّ وللعقل، وكلّ صورة منها لها حكم خاص في الشرع عند علماء المذاهب الاجتهادية الفقهيّة. وقوله (مُسكِتِي): بصيغة اسم الفاعل، من أسكته: إذا منعه من الكلام، قال في المصباح: «سَكَتَ سُكُوتَاً وَسَكْتَاً: صَمَتَ ، ويتعدّى بالهمزة والتضعيف، فيقال: أَسْكَتَهُ وسَكَّتَهُ». والمعنى: إنّ حجاب الكائنات على وجه الحقّ تعالى في نظر الغافل المحجوب، هو

الذي يمنع العارف المحقّق من التصريح بما يجده من شهود الحقّ تعالى في: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [٢٨/ القصص/ ٨٨]. وقوله صلّى الله عليه وسلّم: «كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان»[١]. وتلك الحجب هي المظاهر الإلهيّة، فهي حجب عند الغافل، وهي مظاهر عند العارف، وقد وردت لها أحكام مختلفة في الشريعة المحمّديّة على حسب اختلافها، والقيام بتلك الأحكام فرض لازم على كلّ مكلّف عاقل بالغ. فإذا قام المكلّف بتلك الأحكام منعه ذلك من التصريح بحقيقة الأمر ما لم يغلب على عقله أمر الحقيقة، ويعجز عن ضبط حاله في شهود الحقّ الحقيقيّ تعالى وتقدّس، فيفنى العالم كلّه في نظره حتّى تفنى نفسه؛ فلا يشعر بشيء إلّا بالحقّ تعالى فيصير حينئذ مغلوباً على عقله، فيسقط عنه التكليف الشرعيّ ما دام في هذه الحالة، فإذا صحا وزالت عنه هذه الحالة، وشعر بنفسه وبغيره من الأكوان عاد إلى حكم تكليفه الشرعيّ، وإنْ شهد العوالم مظاهر إلهيّة، فإنّه مكلّف أيضاً، ومخاطب بالأحكام الشرعيّة، ولهذا قال هنا الناظم قدّس الله سرّه (وإنّما قيامي بأحكام المظاهر مسكتي) وإنْ سُمِّيَت هذه الحالة برؤية الحقّ تعالى في المظاهر كما سيأتي في القصيدة الجيميّة في كلام الناظم قدّس سرّه إنْ شاء الله تعالى في قوله:

تــراه إنْ غــاب عنِّــي كــلّ جارحــة ... في كـلّ معنـى لطيـف رائـق بهـج[٢]

إلى آخر الأبيات.

٧٤٥- فَلَا عَبَثٌ وَالخَلْقُ لَمْ يُخْلَقُوا سُدَىً ... وَإِنْ لَمْ تَكُــنْ أَفْعَــالُهُمْ بِالــسَّدِيدَةِ

٧٤٦- عَلَى سِمَةِ الأَسْمَاءِ تَجْرِي أُمُوْرهُمْ ... وَحِكْمَةُ وَصْفِ الذَاتِ لِلْحُكْمِ أَجْرَتِ

٧٤٧- يُصَرِّفُهُمْ فِي القَبْضَتَيْنِ وَلَا وَلَا ... فَقَبْـضَةُ تَنْعِـيمٍ وَقَبْـضَةُ شِـقْوَةِ

(فلا): الفاء للتفريع على ما قبله من الكلام في هذا المقام. وقوله (عَبَثَ):

---

(١) انظر تخريجه ص٤٦١.

(٢) البيت (٢٩) من قصيدة ما بين معترك الأحداق والمهج.

بالتحريك، عَبَثَ عَبَثاً من باب تعب: لَعِب وعَمِلَ مالا فائدة فيه، فهو عابث، كذا في المصباح / [٢٨٤/ ب]. يعني: ليس في فعل الله تعالى عبث، والكلّ أفعاله تعالى في الحقيقة، وإنْ كانت في ظاهر الشريعة لغيره تعالى أفعالاً يدَّعيها المدّعي المخلوق في أحسن تقويم بسبب ردّه إلى أسفل سافلين، وهو حكم الطبيعة فإن كانت حسنة يثاب عليها بثواب مخلوق من جنسها، وهو نعيم الجنّة. وإنْ كانت سيئة يعاقب عليها بعقاب مخلوق من جنسها، وهوعذاب النار. وليس في شيء من ذلك عبث في نفس الأمر وإنْ كان عبثاً بالنسبة إلى فاعله المدّعي فعله، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا﴾ - ثمّ أشار تعالى إلى مقام الاتّحاد الحقيقيّ بقوله بعده - ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [٢٣/ الأنبياء/ ١١٥] يعني في ذواتكم وأفعالكم، فيغلب الحقّ على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق، وكلّ ما سوى الحقّ تعالى باطل بحكم تصديقه صلّى الله عله وسلّم لكلمة الشاعر: «ألا كلّ ما سوى الله باطل»[1] كما أخرجه في صحيح مسلم. وقوله (والخلق): أي المخلوقات كلّها. وقوله (لم يخلقوا سُدى): بضمّ السين المهملة، أي: مهملاً، قال في الصحاح: «السُّدَى بالضمّ المهمل، يقال: إبِلٍ سُدىً أي: مهملة. وبعضهم يقول: سَدَى، بالفتح. وأَسْدَيْتُهَا: أي أهملتها. يعني: لم يخلقوا مهملين؛ وإنّما خُلقوا معتنى بهم معتبرين بالاعتناء الإلهيّ، والاعتبار الربّانيّ. قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [٧٥/ القيامة/ ٣٦]. وقوله (وإنْ لم تكن أفعالهم): أي أفعال الخلق كلّهم، وقوله (بالسديدة): المهملة من قولهم: اسْتَدَّ الأمر، على افتعل: انْتَظَمَ واسْتَقَامَ، كذا في المصباح. يعني: وإن لم تكن أفعالهم كلّهم منتظمة على وفق الشريعة المحمّديّة مستقيمة على طبق الطريقة الأحمديّة؛ وإنّما افعال بعضهم كذلك، وأفعال بعضهم مخالفة لما هنالك. وهذا كلّه باعتبار نسبة الأفعال إليهم. ولهذا أضيفت إلى ضمير

---

(١) انظر تخريجه ص٤٧١.

الجمع في كلام الناظم قدّس الله سرّه. وأمّا إذا أضيفت إلى الخالق الباري المصوِّر الذي قال تبارك وتعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [٣٧/ الصافات/ ٩٦] فالكلّ حسن حينئذ، ولا قبيح في شيء من ذلك، قال القائل:

ويقبح من سواك الفعل عندي   فتفعله فيحسن منك ذاكا

وقوله (على سمة): قال في المصباح: «وَسَمْتُ الشيءَ وَسْماً، من باب وَعَدَ، والاسم: السِمَة، وهي العلامة. وجمعها: سِمَات، مثل: عِدَة وعِدَات». وقوله (الأسماء): جمع اسم، وهو ما دلّ على مسمّاه، وهي الأسماء الإلهيّة المؤثّرة في المخلوقات، فكلّ اسم منها له نوع من الخلق يظهر عنه مثل الاسم الهادي، والاسم المضلّ، والمعزّ، والمذلّ، والقابض، والباسط، والمعطي، والمانع، والمحيي، والمميت، إلى غيره من الأسماء الربّانيّة. وقوله (تجري أمورهم): أي أمور الخلق كلّهم؛ فإنّ جميع المخلوقات علامات على الأسماء الإلهيّة، ومظاهرها لها، لأنّها آثارها، فهي كاشفة لها، فإن الضلال إذا ظهرعلى أحد في أمر من الأمور كان أثراً عن اسمه تعالى المضلّ، وكذلك الهداية إذا ظهرت على أحد إلى أمر من الأمور كانت أثراً عن اسمه تعالى الهادي. وكذلك العزّ إذا ظهر في شيء مطلقاً كان أثراً عن اسمه تعالى المعزّ، وكذلك الذلّ، وبقية الأسماء كلّها على هذا؛ فالآثار الظاهر على كلّ أحد، وكلّ شيء مطلقاً علامات على ظهور الأسماء، وتجلِّي الحقّ تعالى بها؛ فأمور الخلق كلّهم تجري على علامات الأسماء الإلهيّة، وكلّ أسمائه تعالى حُسنى بحكم قوله سبحانه: ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٨] وكذلك علامات الأسماء من حيث كونها علامات الأسماء حسنى أيضاً، وإنّما يظهر القبح في بعضها من جهة نسبتها إلى النفوس بالحكم الشرعيّ والأمر الفرعيّ. وقوله (وحكمة): وصف الذات، أي: الذات الإلهيّة فإنّ الله تعالى حكيم، وجميع أفعاله جارية على مقتضى الحكمة/ [٢٨٥/ أ] وهي اتقان الفعل؛ فالحكمة التي اتّصفت بها ذاته تعالى هي التي أجرت الأحكام الشرعيّة على جميع مخلوقاته، وهو قوله

(للحكم) أي: الأمر والنهيّ، والتحسين والتقبيح، والقبول والردّ. وقوله (أجرت): بكسر التاء للقافية. وأصله من قولهم: جَرَى الفرس وغيره جَرْياً وجَرَيَانَاً فهو جارٍ، وأَجْرَيْتُهُ أنا بالألف. وجَرَى الماءُ: سالَ، خلاف وقف. وجَرَيْتُ إلى كذا جَرْيَاً وجِرَاءً: قَصَدتُ وأسرعت. وقولهم جرى الخلاف في كذا يجوز حمله على هذا المعنى؛ فإنّ الوصول والتعلّق بذلك المَحَلِّ قَصْدٌ على المجاز، كذا في المصباح. ومعنى قوله (أمورهم): أي أمور الخلق جمع أمر، وهو الحالة، يقال: أمره مستقيم، كذا في المصباح. وقوله (يُصَرِّفُهُم): بالتشديد، أي: الله تعالى يصرِّف الخلق كلّهم، يعني: يتصرّف في أحوالهم كلّها؛ في بواطنهم، وفي ظواهرهم بطريق الاستيلاء عليهم والإحاطة بهم، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ﴾ [٧/ الإسراء/ ١٠]. وقوله سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطُۢ﴾ [٤١/ فصّلت/ ٥٤]. وقوله (في القَبضتين): تثنية قَبضة، بالفتح أو الضمّ، يقال: قَبَضَ الله الرزق قَبْضَاً، من باب ضَرَبَ خلاف بَسَطَهُ. وقد طابق بينهما تعالى بقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٤٥] وقَبَضتُ الشيء قَبْضاً: أخذته، وهو في قَبضته، أي: في مِلْكه. وقَبَضْتُ قَبْضَةً من تَمْر، بفتح القاف. والضمّ لغة، وقَبَض عليه بيده: ضَمَّ عليه أصابعه، كذا في المصباح. وأشار بالقبضتين إلى الحديث الذي وصف فيه ذاته تعالى بذلك. وهو مذكور في نوادر الأصول للحكيم الترمذيّ بسنده عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، قال: «إنّ الله تبارك وتعالى خلق آدم فضرب بيمينه على اليمين، فأخرج ذريّة بيضاء كالفضّة، ومن اليسرى سوداء كالحممة. ثمّ قال: هؤلاء في الجنّة ولا أبالي، وهؤلاء في النار ولا أبالي»[1] ومعنى القبضتين المذكورتين الإشارة إلى استيلاء أسمائه تعالى الحسنى على

---

(١) انظر الحكيم الترمذيّ، ٤/ ٢٠٢، كما أخرجه أحمد في المسند، مسند عبد الرحمن بن قتادة، ٨١٢٧، بلفظ: «إنّ الله عزّ وجلّ، خلق آدم ثمّ أخذ من ظهره، وقال هؤلاء إلى الجنّة ولا أبالي، وهؤلاء إلى النار ولا بالي، فقال قائل: يا رسول الله، فعلى ماذا نعمل؟. قال: على مواقع القدر».

جميع الآثار استيلاء أزليّاً أبديّاً، وأسماؤه تعالى على قسمين: أسماء جمال الإلهيّ، وهي قبضة اليمنى. وأسماء جلال الإلهيّ، وهي قبضة اليسار، وهما اليدان. وبهما القبضتان: قبضة الجنة، وقبضة النار. قال تعالى: ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ [٤٢/ الشورى/ ٧] وهذا حكم الأسماء الإلهيّة، وهي مرتبطة بالآثار ارتباط مؤثّر بآثاره، والذات الإلهيّة غنيّة عن العالمين بحكم قوله سبحانه: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. والأسماء هي الصفات باعتبار عدم تميّزها عن الذات، فإذا تميّزت فهي الأسماء، ولا تتميّز إلّا بإظهار الآثار؛ فآثارها تميّزها عن الذات، وعن بعضها بعضاً، وهي التي تظهر أحكامها. وقوله (ولا ولا): إشارة إلى قوله صلّى الله عليه وسلّم في الحديث المذكور، ولا أبالي في القبضة الأولى، قبضة الجنّة. وقوله (ولا أبالي): في القبضة الثانية قبضة النار، وقد بيّن حال القبضتين بقوله (فقبضة تنعيم): وهي قبضة السعادة، وهم أهل اليمين، وأصحاب الميمنة. وقوله (وقبضة شقوة): وهم أهل اليسار، وقبضة الشمال، وأصحاب المشأمة، وتفصيل أحوال أهل القبضتين أحياء وأمواتاً في سورة الواقعة، وأحوالهم الآن مفصّلة، لكنّها مستورة بأحوال الدنيا، فإذا زال حكم الدنيا ظهرت على ما هي عليه، فإنّ سورة الواقعة هي صورة الواقعة، ولهذا قال تعالى في أوّلها: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ [٥٦/ الواقعة/ ١] . ثمّ شرحها تعالى. ثم قال: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [٥٦/ الواقعة/ ٧-١٢] وهم الأولياء العارفون بربّهم وبأنفسهم، المتحقّقون بالفناء وبالبقاء، ليسوا من أصحاب الميمنة، ولا من أصحاب المشأمة؛ لأنّ الأمر الإلهيّ لم يلتبس عليهم فهم به يعملون. لا بل هو العامل بهم فلا يُسأل عمّا/ [٢٨٥/ ب] يفعل بهم، وهم يسألون. فإذا رجع الضمير إليهم وقع السؤال عليهم.

٧٤٨- أَلَا هَكَذَا فَلْتُعْرَفِ النَّفْسُ أَوْ فَلَا وَيُتْلَى بِهَا الفُرْقَانُ[1] كُلَّ صَبِيحَةِ
٧٤٩- وَعِرْفَانُهَا مِنْ نَفْسِهَا وَهِيَ التِي عَلَى الحِسِّ مَا أَمْلَتْ مِنِّي أَمْلَتِ

(**ألا**): حرف استفتاح وتنبيه على أمر عظيم، وهو قوله (**هكذا**): أي على هذا الوصف الذي ذكرناه. وقوله (**فلتُعرَف**): بالبناء للمفعول. وقوله (**النفس**): أي النفس الإنسانيّة الناطقة. يعني: ينبغي للسالك الطالب لمعرفة الله تعالى أنْ يعرف نفسه الناطقة على حدّ ما ذكرنا ليعرف بها ربّه، كما ورد: من عرف نفسه فقد عرف ربّه؛ فإنّ العارف إذا عرف نفسه الإنسانيّة الناطقة أنّها جوهركلّي، مجرّد، قائم بذاته، موصوف بالصفات الإلهيّة، منعوت بالنعوت الربّانيّة، باعتبار استيلاء الحقّ تعالى عليه وإحاطته به ظاهر في صور جميع الموجودات، علويّها وسفليّها، بطريق النفخ منه في كلّ صورة على مقتضى طبيعة كلّ صورة، فمن عرفه من نفسه ظهر له ربّه الذي هو ذلك الاسم الإلهيّ الخاصّ، المتجلّي عليه من جملة أسماء الله تعالى. ومن هنا قالوا: إنّ كلّ اسم مسمّى بجميع الأسماء، ومنعوت بجميع النعوت، على معنى خاصّ من تحت حيطة ذلك الاسم. وقوله (**أو فلا**): أي فلا يعرف. وهو نهي عن معرفة النفس على طريقة الفلاسفة المتعلّقة بمعرفة العلّة والمعلول، ومعرفة العقول العشرة، والعقل الفعّال منها. ومعرفة الهيولى والصورة، أو على طريقة الطبائعيين، أو غيرهم من أهل الغفلة والجهالة. وقوله (**ويُتلَى**): بالبناء للمفعول، أي: يقرأ. وقوله (**بها**): أي فيها، أي: في تلك النفس الناطقة المذكورة بطريق التدبّر والتفكر في معانيه وأسراره. والتأمل والتفهّم لإشارات مباينة وأنواره. وقوله (**الفرقان**): أي: الذي فرّق به الحقّ تعالى بين المقبول والمردود من الخير والشر، والنفع والضرّ، وأظهر الشرائع والأحكام. وبيَّن الحلال والحرام؛ وهو القرآن المنزل على نبيّ الله المرسل، الذي فُصِّلت آياته، وتبينت حقائقه

---

(١) في (ق): العرفان.

وإشاراته. وقوله **(كلّ صبيحة)**: قال في المصباح: «صبيحة اليوم: أوّله». فإنّ وقت الصباح أصفى للذهن، وأقرب لإقبال قلوب المؤمنين على عبادة الله تعالى قبل انتشار النهار، واشتغال النفوس بمعايشها، ومكابدة أشغالها الدنيويّة. وقوله **(وعرفانها)**: أي النفس المذكورة بنفسها، إنّما يكون كما قال من نفسها، لا بطريق التعلّم والتعليم من الغير. وإنّما المشايخ الكاملون يشيرون إلى المريد بكيفيّة إقباله على نفسه، وتحصيل استعدادها لفيض التجلّي الربّانيّ بإخلاص العبادات، والمدوامة على الطاعات. ومهما امتثل المريد الصادق أوامر شيخه الكامل الناصح، وانقاد إليه في كلّ ما يشير به عليه أفلح، ونجح، وسعد، واصطلح. والاعتماد كلّه على الله تعالى، والاستمداد منه، والاهتداء به، والأخذ عنه؛ فإنّه الملهم، الفتاح، المالك للعقول والأرواح. وقوله **(وهي)**: أي النفوس المذكورة. وقوله **(التي على الحسّ)**: أي الإدراك للمحسوسات. والجار والمجرور متعلّق بـ**(أَمْلَتِ)** آخر البيت. وقوله **(ما أمَّلَت)**: بتشديد الميم، أي: الذي أَمَّلْتُهُ وترجَّيتُه أن يحصل لي وأفوز به من العلوم الإلهيّة والحقائق الربّانيّة. وقوله **(منّي)**: أي من نفسي أن تصل إليه وتظفر به، والتقدير: إنّ نفسي الإنسانيّة الناطقة هي التي أملت على حِسِّي ما كنت أؤمّله منها أن ينكشف لها/ [٢٨٦/ أ] وتدركه من معرفتها بذاتها، ومعرفتها بربِّها الحقّ تعالى. وقوله **(أَمْلَتِ)**: بكسر التاء للقافية، أي: ألقت عليّ، قال في المصباح: «أَمْلَلْتُ إمْلالاً: أَلْقَيْتُهُ عليه، وأَمْلَيْتُهُ عليه إملاء. والأولى: لغة الحجاز وبني أسد. والثانية: لغة بني تميم وقيس. وجاء الكتاب العزيز بهما. قال تعالى: **﴿فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ﴾** [٢/ البقرة/ ٢٨٢] وقال أيضاً: **﴿فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾** [٢٥/ الفرقان/ ٥] وفي كلام الناظم هنا إشارة إلى أنّ المريد السالك ينبغي أنْ يكون علمه من نفسه بطريق الفيض الإلهيّ؛ فإنّ جميع ما ذكر في هذا النظم كان فيضاً ربّانياً، وكشفاً إلهامياً. ولم يدرج فيه ذوق أحد غير إحسان الواحد الأحد.

٧٥٠- وَلَوْ أَنَّنِي وَحَّدْتُ أَلْحَدْتُ وَانْسَلَخْـ ـتُ مِنْ آيِ جَمْعِي مُشْرِكاً بِيَ صَنْعَتِي

(ولو أنني وحّدت): بتشديد الحاء المهملة، من التوحيد، وهو: الإيمان بالله تعالى وحده، كذا في القاموس. يعني: لو كان توحيدي لله تعالى بغير الله تعالى كتوحيد الغافل الجاهل بنفسه وبربّه. وقوله (ألحدت): من الإلحاد، وهو: العدول عن الحقّ إلى الباطل، قال في المصباح: «لَحَدَ الرجلُ في الدين لَحْداً، وأَلْحَدَ إلْحاداً: طَعَنَ. قال بعض الأئمّة: والملحدون في زماننا هم الباطنيّة الذين يدَّعون أنّ للقرآن ظاهراً وباطناً، وأنّه يخالف الظاهر، وأنّهم يعلمون الباطن، فأحالوا بذلك الشريعة؛ لأنّهم تأوّلوا بما يخالف العربيّة التي نزل بها القرآن. وقال أبوعبيدة: «أَلْحَدَ إلحاداً: جادل وماری». انتهى كلامه. ولعمري، إنّ هؤلاء قوم جاهلون يخالفون بين الشريعة والحقيقة. ويعتقدون أنّ الشريعة غير الحقيقة، ويدَّعون أنّهم متمسِّكون بالحقيقة لأنّهم عرفوا ربّهم. وهم بذلك من أكفر الكافرين، وأضلّ الضالّين. والحقيقة هي نفس الشريعة، والشريعة هي نفس الحقيقة. والإيمان بذلك واجب على كلّ مكلَّف؛ فإنّ فقهاء الشريعة لو عملوا بها على الإخلاص والصدق ظاهراً وباطناً، عملاً واعتقاداً كانوا في عين الحقيقة، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [٩٨/ البيّنة/ ٥] ولكنّ الفقهاء لمّا أتقنوا الظواهر وتساهلوا في إصلاح البواطن قنعوا بأنّ الشريعة في حقّ الغير لها الحكم على ظواهر الأحوال، فظنّوا أنّها كذلك في حقّ أنفسهم. وإنّما كان لها الظاهر في حقّ الغير فقط تحسيناً للظنّ بأهل الملّة لئلا يتجسسوا من بعضهم على البعض، لتبقى الألفة والمودّة بين المسلمين. ولهذا قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [٥/ المائدة/ ١٠٥].

والحاصل: إنّ الشريعة المحمّديّة التي كلّف الله تعالى بها عباده هيّ إصلاح القلوب والنفوس أوّلاً بالاعتقاد الخالي من الكفر، والشرك، والشكّ، والتردّد،

بكلّ ما وجب الإيمان به. وثانياً بتحرِّي حُسنَ الأخلاق والتبرِّي من الأخلاق السيئة، وإصلاح الظواهر عن المعاصي والمخالفات، مع القيام بالفروض والواجبات والسنن والمستحبّات، حتّى يصير العبد مقبولاً عند ربّه؛ فيدوم على هذا الدين المحمّديّ إلى أنّ يحبّه ربّه. فإذا أحبّه فتح عليه قلبه فتوح العرفان، وأمدّه بمدد الكرم والإحسان، فكشف له عن نفس الأمر، وأراه الحقّ حقاً، والباطل باطلاً، كما ورد في الحديث القدسي: «لا يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتّى أحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به»[1] الحديث. فيصل العبد إلى مقام لا يبقى فيه منه شيء، ويكون الحقّ تعالى هو الذي يتصرّف في ظاهر هذه الصورة الإنسانيّة/ [٢٨٦/ ب] وفي باطنها كما قال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآيِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ [١٣/ الرعد/ ٣٣] فعند ذلك يقوم تعالى عن هذ العبد الذاهب فيه تعالى بجميع ما كلّفه به ظاهراً وباطناً على أتمّ الوجوه، ويسمّى هذا مقام الاتّحاد الحقيقيّ، وليس هذا باتّحاد في نفس الأمر، وإنّما كان تعالى أولاً جاعلاً في عقل هذا العبد، وفي نفسه دعوى أنّه غيره، فلمّا هداه إليه زالت الدعوى، وانكشف الأمر على ما هو عليه، قال صلّى الله عليه وسلّم: «كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما هو عليه كان»[2] وقوله (وانسلخت): يقال سَلَختُ الشَّاةَ سَلْخاً، من بابَيْ قَتَل ونَفَع. قالوا: ولا يُقال في البعير سَلَختُ جِلْدَه؛ وإنّما يقال: كَشَطْتُهُ ونَجَوتُهُ وَأَنْجَيْتُه، كذا في المصباح. ومعنى انسلخت: انفصلت، وتباعدت. وقوله (من آي): بمدّ الألف، جمع آية، وهي العلامة. وقوله (جمعي): وهو ضدّ الفرق. ومعناه: الجمع على الحقّ تعالى بالفناء في وجوده سبحانه، بحيث يكون هو لا سواه معه؛ فإنّ هذا الجمع له آيات وعلامات يجدها العارف في نفسه من نفسه، فإذا وجد الله تعالى بتوحيد الدليل والبرهان العقليّ الذي هو توحيد العوام؛ فقد عدل

---

(١) انظر تخريجه ص١٤٦.

(٢) انظر تخريجه ص٤٦١.

عن الحقّ إلى الباطل في مذهب أهل التحقيق، أصحاب الذوق والوجدان؛ لأنّ توحيدهم وجدان الحقّ تعالى ذوقاً وكشفاً، ولا شيء معه أصلاً؛ فتوحيدهم توحيده تعالى في نفسه، على ما هو عليه أزلاً وأبداً. فمن أثبت نفسه معه تعالى، وأثبت لها توحيداً فقد انفصل عن آيات الجمع، وعلاماته الظاهرة له، ذوقاً ووجداناً في نفسه، وفي غيره من الأكوان، فأشبه إنساناً في دار وجد فيها إنساناً آخر، فقال له: ما في الدار غيرك أصلاً، وهو غافل عن نفسه معرض عن ملاحظتها. فإنّ ذلك الإنسان يقول له: كذبت في توحيدي، وفي قولك لي: ما في الدار غيرك أصلاً!. وكيف تقول لي ما في الدار غيرك وأنت معي في الدار؟!. ولا يصحّ توحيدي عندك إلّا إذا ظهر منك قولي لنفسي ذلك، بحيث أكون أنا الموجود وحدي في الدار. وقولك صادر منّي لي، لا منك لي. وهذا هو التوحيد الحقيقيّ الذي جاءت به الشريعة المحمّديّة على الحقيقة. وكلّ من صدرت منه العبارات في التوحيد محمول في حقيقة الشريعة على ذلك، وبذلك يعامل الله تعالى خلقه يوم القيامة، ويحكم عليهم بمقتضى ذلك. وأمّا في الدنيا، وفي ظهور أحكام الشريعة المحمّديّة فيها؛ فإنّه يقبل دعوى التوحيد من كلّ من أتى بذلك، ويحكم عليه به قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [١٢/يوسف/١٠٦] أي مشركون به نفوسهم في دعواهم الوجود معه، والاستقلال بالأفعال، فحكم الله تعالى اليوم في هذه الحياة الدنيا بظواهر أحكام الشريعة المحمّديّة، فكلّ من اتّصف بالأحكام الظاهرة من عبارات الاعتقاد الحقّ، وأعمال العبادات الصحيحة، فهو مسلم مؤمن في الدنيا، ولا يجوز لأحد الطعن في دينه، ولا في اعتقاده، ولا في عمله، وهو محمول على الصدق في ذلك كلّه على الوجوه التي كلّفه الله تعالى بها، مما يعلمه تعالى منه، ويحكم به عليه، فيجازيه به يوم القيامة، قال تعالى: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ [٢١/الأنبياء/ ١١٢] وهو تعالى يعلم الحقّ من كلّ أحد فيحكم به في يوم القيامة، وأما في هذه الحياة الدنيا فلا نعلم نحن إلّا الظواهر فنحكم بها نحن أنّها الحقّ الذي

يحكم به تعالى في يوم القيامة، ولهذا قال صلّى الله عليه وسلّم: «أُمِرت أنْ أحكم بالظاهر، والله يتولّى السرائر»[1] جمع سريرة وهي ما يُسرّ العبد، أي: يخفيه في نفسه مما لا يطّلع عليه أحد إلّا الله تعالى ولهذا/ [٢٨٧/ أ] قال تعالى عن أهل النار: ﴿وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ﴾ [٣٨/ ص/ ٦٢] الآية. وقد نبّه تعالى عباده بقوله: ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [٥٩/ الحشر/ ١٨] وقال تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٣٥]. وقال صلّى الله عليه وسلّم «ربّ كاسية في الدنيا عارية يوم القيامة»[2] والكتاب والسنّة طافحان بما ذكرناه. وأيضاً فإنّ الشريعة التي لا حقيقة لها باطلة، كما أنّ الحقيقة التي لا شريعة لها عاطلة. والباطل والعاطل محض الغرور. وصاحب ذلك كأنّه لابس ثوبي زور، فيا ويح المتفقّهة المتمسّكين بظواهر الشريعة المحمّديّة وتاركين حقيقتها. ويا خسارة المتصوِّفة المتمسكين بحقيقة الشريعة المحمّدية ، وتاركين ظواهرها. ألم يسمع الفريقان قوله تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [٦/ التوبة/ ٣٣]. وقوله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ﴾ [٩/ البقرة/ ٣٣] مكلّف بإصلاح الظاهر والباطن. وكذلك السُّنّة، وإجماع الأمّة؛ فإنّ التكليف كما هو على الأعضاء الظاهرة هو على العضو الباطن أيضاً، وهو القلب

---

(١) قال السخاوي في المقاصد الحسنة ١/ ٥١: «وجزم العراقيّ أنّه لا أصل له، كذا أنكره المزّي وغيره. نعم في صحيح البخاريّ عن عمر: «إنّا نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم»، وفي الصحيح من حديث أبي سعيد رفعه: «إنّي لم أومر أنْ أنقب عن قلوب الناس». وفي المتّفق عليه من حديث أم سلمة: «إنّكم تختصمون إليّ، فلعلّ بعضكم انْ يكون ألحنَ بحجته من بعض فأقضي على نحو ما أسمع فمن قضيت له بشيء من حقّ أخيه شيئاً فلا يأخذ منه شيئاً».

(٢) قطعة من حديث، رواه البخاريّ في صحيحه، كتاب: التهجّد، باب: تحريض النبّي على صلاة الليل، ١١٢٦. وللحديث أطراف أخرى، وطرق كثيرة.

بالإجماع؛ فالكفر بالقلب كفر. وكذلك الرياء به حرام إلّا ما عُفي عنه مما هو في القلوب من الخطرات والفترات. وقوله (**مشركاً**) حال من التاء في قوله (**انسلختُ**): أو من الياء في (جمعي). وقوله (بي): أي بحقيقة وجودي الذي هو الحقّ تعالى. وقوله (صنعتي): أي مصنوعاتي من حيث حقيقتي الوجوديّة القيّوميّة على صورتي العدميّة، وهو تصريح بما عليه الأمر في نفسه بين الغافلين عند المعرضين بجانبهم عن الشريعة المحمّديّة الحقيقيّة التي لا يشوبها شرك أصلاً، في الظاهر ولا في الباطن. فلا ينكر ذلك، ويستشكله من غير أن يفهمه على ما هو عليه إلّا المتمسّكون بظواهر الشريعة الذين لا حقيقة لشريعتهم، القانعون بقشور الأحكام الشرعيّة المحمّديّة، الرامون للبوبها، المضيّعون لأسرارها وحكمها، المغرورون بالرسوم دون الحقائق، المنهمكون بكثائف الأعمال الشرعيّة دون الرقائق. وللشيخ الأكبر قدّس الله سرّه قريب مما أشار إليه الناظم قوله:

ظهرت إلى ذاتي بذاتي فلم أجد ... سواي فقال الكلّ: أنت ولا تدري

فإنْ أشركت نفسي فلم تك غيرها ... وإنْ وحّدت كانت على مركب وعر

إذا قلت بالتوحيد فاعلم طريقه ... فما ثمّ توحيد سوى واحد الكثر

ولابد أن تمتاز فالوتر حاصل ... وحاصل هذا الأمر في القول بالفكر

لقد حارت الحيرات في كلّ حائر ... ولكنّ في الإيجاد لا بدّ من بزر

٧٥١- وَلَسْتُ مَلُوْمَاً أَنْ أَبُثَّ مَوَاهِبِي ... وَأَمْنَحَ أَتْبَاعِي جَزِيلَ عَطِيَّتِي

٧٥٢- وَلِي مِنْ مُفِيضِ الجَمْعِ عِنْدَ سَلَامِهِ ... عَلَيَّ بِأَوْ أَدْنَى إِشَارَةِ نِسْبَتِي

٧٥٣- وَمِنْ نُوْرِهِ مَشْكَاةُ ذَاتِيَ أَشْرَقَتْ ... عَلَيَّ فَنَارَتْ بِي عِشَائِي كَضَحْوَتِي[1]

(**ولست ملوماً**): يعني لا لوم عليَّ فيما ذكرته من بيان حقيقة الشريعة المحمّديّة،

---

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: «بلغ سماعاً ومقابلة على مؤلفّه قدّس الله سرّه. وكتبه الفقير ابراهيم الدكدكجي غفر الله له».

وأسرار الطريقة الأحمديّة، وأنوار التجلّيات المصطفويّة به. وذلك قوله (أنْ أبث): يقال: بَثَّ الرجلُ الحديث: أذاعَهُ ونَشَرَه. وقال ابن فارس: بثّ السرَّ وأَبَثَّهُ بالألف مثله، كذا في المصباح. وقوله (مواهبي): جمع موهبة، وهي العطيّة، كما قال في القاموس. يعني: أذكر ما أفاض الله تعالى عليّ من العطايا، وأتحدَّث بها عند أهل ملّتي، كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [٩٣/ الضحى/ ١١] فإنّها من أجلِّ النعم وأعظمها. وقوله (وأمنح): أي أعطي، يقال: منحه كمنعه وضربه:/ [٢٨٧/ ب] أعطاه. والاسم: المِنحة بالكسر، كذا في القاموس. وقوله (أتباعي): جمع تبع. قال في المصباح: «تَبِعَ زيدٌ عَمْراً تَبَعَاً من باب تعب: مَشَى خلفه، أو مَرَّ به، فمضي معه، والمُصلِّي تَبَعٌ لإمامه، والناس تبع له: يكون واحداً وجمعاً، ويجوز جمعه على أتباع مثل سبب وأسباب». وأراد بأتباعه تلامذته، ومن يقول بقوله، ويرى برأيه من أهل السلوك والإرادة في طريق الله تعالى إلى يوم القيامة. وقوله (جزيل): وهو الكثير من الشيء، كما قال في القاموس. وهو منصوب على أنّه مفعول ثانٍ لأمنح، والمفعول الأوّل أتباعي. وقوله (عطيّتي): أي ما أعطاني إيّاه الحقّ تعالى من العلوم النافعة، والحقائق الإلهيّة الرافعة. وقوله (ولي): الواو للحال، والجملة حال من التاء في لست. وقوله (من مُفيض الجَمْع): أي منزلة ومرسلة وهو محمّد صلّى الله عليه وسلّم الذي يستمدّ الأولياء كلّهم من مشكاة أنواره، ويغترفون من بحار أسراره، كما قال البوصيري قدّس الله سرّه في بردة المديح:

وكلّهم من رسول الله ملتمس ... غرفاً من البحر أو رشفاً من الديم

وواقفون لديه عند حدّهم ... من نقطة العلم أو شكلة القلم

وقوله (عند سلامه عليّ): وهو قوله صلّى الله عليه وسلّم ليلة المعراج: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فإنّ الناظم قدّس الله سرّه دخل في جملة عباد الله الصالحين. وقوله (بأو أدنى): أي في مقام القرب المحمّدي الذي حصل له صلّى الله عليه وسلّم ليلة المعراج بحكم قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ

﴿قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [٥٣/ النجم/ ٨] فإنّ مقام أو أدنى مقام هو مقام الجمع المحمّديّ، وقد حصل للناظم قدّس الله سرّه من فيضه عليه بطريق الميراث للمقام؛ فإنّ الأولياء العلماء العاملين ورثة الأنبياء والمرسلين. وقوله(**إشارة**): مبتدأ مؤخر. وقوله (**لي**): في أول البيت خبر مقدّم. وقوله (**نسبتي**): أي انتسابي إليه في المقام بالرحم الروحانيّ، لأنّه صلّى الله عليه وسلّم أبوالأرواح، كما أنّ آدم أبو الأجسام. وقوله (**ومن نوره**): أي نور مفيض الجمع صلّى الله عليه وسلّم. وقوله (**مشكاة ذاتي**): قال الفرّاء: المشكاة: الكَوَّة التي ليست بنافذة كما في المصباح. كناية عن باطنه المشتمل على قلبه النورانيّ وسرّه الروحانيّ. وقوله (**أشرقت**): أي أضاءت بذلك النور المحمّديّ. وقوله (**عليَّ**): أي مسؤوليّة عليّ، كلّي باطناً وظاهراً. وقوله (**فنارت**): يقال نَارَ الشيء يَنُور نِيَاراً بالكسر: أضاء، وأنار: أضاء، كذا في المصباح. وقوله (بي): في ذاتي. قوله (**عِشائي**): فاعل نارت. و(العِشاء): بكسر العين المهملة، قال في المصباح: «العِشاء بالكسر والمدّ: أول ظلام الليل، وهو من صلاة المغرب إلى العتمة. وقوله (**كضحوتي**): أي مثل ضحوتي في الإنارة والإشراق بالنور المحمّدي. قال في المصباح: (**الضَّحَاء**): بالفتح والمدّ: امتداد النهار، وهو مذكر، كأنّه اسم للوقت، والضَّحْوَة مثله، والجمع: ضُحَى، مثل قَرْيَة وقُرَى.

٧٥٤- فَأُشْهِدْتُنِي كَوْنِي هَنَاكَ فَكُنْتُهُ وَشَاهَدْتُهُ إِيَّايَ وَالنُّورُ بَهْجَتِي

(**فأُشهدتُني**): معناه أشهدت نفسي من حيث حقيقتي الوجوديّة الممدّة للأكوان أجمعها، ونفسي من جملة الأكوان المستمدّة من تلك الحقيقة. وأشهد ينصب مفعولين، الأوّل: ياء المتكلّم. والثاني: قوله (**كوني**): أي ظهور وجودي. وقوله (**هناك**): إشارة إلى المكان البعيد حسيّاً كان أو معنويّاً، إيماءً إلى مقام الجمع المحمّديّ/ [٢٨٨/ أ] وقوله (**فكنْتُه**): مفيض الجمع الذي هو صاحب ذلك المقام، لأنّ كلّ نشأة كونيّة مخلوقة من الحقيقة المحمّديّة بزيادة صورته. كاشتقاق الأفعال وبقية المشتقّات من المصدر بتغير صورته وبقاء معناه. وقوله (**وشاهدته**): أي

شاهدت مفيض الجمع المذكور. وقوله (إياي): مفعول ثانٍ لشاهدته، والمفعول الأوّل الضمير، وهو معنى قوله (فكنته) بيان له. وقوله (والنور): أي الذي هو نوره المخلوق منه كلّ شيء. وقوله (بهجتي): أي الذي ابتهج به قال في المصباح: «البَهْجَة الحُسْن، وبَهُجَ بالضمّ؛ فهو بَهيج، وابْتَهَج بالشيء: إذا فرح به». يعني: إنّ ما أنا ظاهر به من حُسن الحال، ومحاسن الجمال، ومعاني الكمال في الباطن والظاهر. هو ذلك النور الفيّاض من النور الأصليّ بمنزلة البارق والإيماض.

٧٥٥- فَبِي قُدِّسَ الوَادِي وَفِيهِ خَلَعْتُ خَلْـ ـعَ نَعْلِي عَلَى النَّادِي وَجُدْتُ بِخِلْعَتِي

٧٥٦- وَآنَسْتُ أَنْوَارِي فَكُنْتُ لَهَا هُدَى وَنَاهِيكَ مِنْ نَفْسٍ عَلَيْهَا مُضِيئَةِ

٧٥٧- وَأَسَّسْتُ أَطْوَارِي فَنَاجَيْتُنِي بِهَا وَقَضَّيْتُ أَوْطَارِي وَذَاتِي كَلِيمَتِي

٧٥٨ - فَبَدْرِيَ لَمْ يَأْفُلْ وَشَمْسِيَ لَمْ تَغِبْ وَبِي تَهْتَدِي كُلُّ الدَّرَارِي المُنِيرَةِ

٧٥٩- وَأَنْجُمُ أَفْلَاكِي جَرَتْ عَنْ تَصَرُّفِي بِمِلْكِي وَأَمْلَاكِي لِمُلْكِيَ خَرَّتِ

(فبي): الفاء للتفريع. وقوله (بي): أي بسببي من حيث نشأتي النوريّة. وقوله (قُدِّسَ): بالبناء للمفعول، أي: طَهُر من دنس الأغيار. وقوله (الوادي): واسمه طوى. كناية عن وادي الأسماء والصفات المنطوي في الحقيقة الذاتيّة إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ۝١٠ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ۝١٢ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ۝١٣ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ [٢٠/ طه/ ٩-١٤] الآية. وقوله (وفيه): أي في ذلك الوادي. وقوله (خلعت خلع نعلي): أي جعلت خَلْع نعلي خِلْعَةً. والخِلْعَة: ما يعطيه الإنسانُ غيرَه من الثياب مِنْحَةً. والجمع: خِلَع، مثل: سِدْرَة وسِدَر، كذا في المصباح. وخَلَعَ النعلَ نَزَعَه من الرجل. والنَّعْل معروف، وهو ما يُلْبَسُ في الرِّجْل، كناية عن الدنيا وما فيها من الشهوات، والآخرة وما

فيها من اللذات، أي: خلعت ذلك خِلْعَةً مِنِّي. وقوله (**على النادي**): أي على المجلس. كناية عن أهله، وهم أولياء الله المقرّبون. والنادي حضرة الحقّ تعالى، وهي الوراثة الموسويّة. وقوله (**وجُدْت**): أي سمحت لهم. وقوله (**بخِلْعَتِي**): أي بما ألبسني إيّاه الحقّ تعالى بحسب المشرب الخاص، لأنّي ترقيت عنه إلى المشرب العام المحمّدي الجامع لجميع مشارب النبيِّين، قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه من أبيات:

والبس نعالك إن من لم يلبس نعاليه في وهاد

ما خلع النعل غير موسى بشرطها عند بطن وادي

وقوله (**وآنست أنواري**): يقال آنست الشيء بالمدّ: علمته، وآنسته: أبصرته، كذا في المصباح. وكنّى بقوله (**أنواري**) عن أسمائه وصفاته الظاهرة منه له. وقوله (**فكنت لها**): أي إليها. وقوله (**هدىً**): أي هداية. يعني: اهتديت بها إليها على وجه المبالغة. وقوله (**وناهيك**): قال في المصباح: «ناهيك بزيد فارساً: كلمة تعجب واستعطاف. قال ابن فارس: هي كما يقال: حسبك. وتأويلها: أنّه غاية تنهاك عن طلب غيره/ [٢٨٨/ ب]. وقوله (**من نفس**): يعني نفسه، بمعنى ذاته. وقوله (**عليها**): أي على أنواري. وقوله(**مضيئة**): وصف لنفس، أي: مشرقة عليها فهي بمنزلة الأشعّة المنبعثة عنها. وقوله (**وأسَّسْت أطواري**): جمع طَوْر، بالفتح، وهو الحال والهيئة. والجمع: أطْوار، مثل: ثَوب وأثْواب. وتَعَدَّى طَوْرَه، أي: حاله التي تليق به، كذا في المصباح. يعني: أسست أحوالي، وهيئاتي، وأخلاقي، وعاداتي على التقوى الإلهيّة، والديانة الشرعيّة. وقوله (**فناجيتني**): أي ناجيت نفسي. وقوله (**بها**): أي بأطواري المذكورة؛ يعني بسببها. وقوله (**وقضّيت**): بتشديد الضاد المعجمة. وقوله (**أوطاري**): جمع وَطَر، قال في المصباح: الوَطَر الحاجة، والجمع: أوطار، مثل: سَبَب وأسْباب، ولا يُبنى منه فعل. وقضيت وَطَرِي: إذا نِلْت بُغْيَتك وحاجتك. وقوله (**وذاتي**): أي حقيقتي التي أنا بها موجود لا الذات الوهميّة، التي أشير إليها بقولي: أنا. وقوله (**كليمتي**): أي مُكَلِّمتي، بصيغة اسم الفاعل، بمعنى:

التي تكلّمني. وقوله (**فبدري**): كناية عن جملته التي ظاهر فيها نور الوجود الحقيقيّ كما يظهر نور الشمس في البدر الذي في السماء؛ فإنّ نور الشمس ما انتقل من الشمس ولا انفصل عنها؛ وإنّما ظهر في صفاء جرم البدر من غير حلول فيه، فكان البدر بمنزلة المرآة الصافية التي يظهر فيها ما يقابلها من الأنوار من غير حلول ولا انتقال. وجعله بدراً لا قمر ولا هلالاً لأنّه غير محتجب عن مقابلة الشمس بالنفس. وقوله (**لم يأفُل**): أي يغب بحيلولة النفس بينه وبين شمس الوجود الحقّ. وقوله (**وشمس**): أي التي أنا موجود بظهور نور وجودها على جملتي. وقوله (**لم تغب**): أي لم تحتجب عنّي إلى الأبد. وقوله (**وبي**): أي من حيث أنّي مظهر لنور شمس الوجود الحقّ الحقيقيّ. وقوله (**تهتدي**): أي من الحيرة والضلالة. وقوله (**كلّ الدراري**): أي الكواكب. يقال: كوكب دريّ: مضيء. ويثلّث، كذا في القاموس. وقوله (**المُنيرة**): وصف للدراري. وقوله (**أو نجم أفلاكي**): كناية عن السالكين في طرائقي ومقاماتي من المريدين الصادقين، والعارفين الواصلين فإنّ كلّ واحد منهم كأنّه نجم يسبح في فلك المقام لإرشاد أهل الإيمان والإسلام، قال تعالى: ﴿وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ [١٦/النحل/١٦]. وقوله (**جرت**): أي تنقلت في مقاماتها وأحوالها. وقوله (**عن تصرّفي**): أي أمري لها ونهيي وقبضي فيها وبسطي. وقوله (**بمِلْكي**): بكسر الميم، متعلّق بتصرّفي فيما أملكه منهم؛ فإنّ حقيقتي تملكهم الملك الحقيقيّ، فتتصرّف فيهم كيف شاءت بأمر حقّ على وجه حقّ. وقوله (**وأمْلَاكي**): جمع مَلَك، بفتح اللام، أي: ملائكتي من حيث حقيقتي الباقية الماحقة لنشأتي الفانيّة، كما تقدّم. وقوله (**لمُلْكِي**): بضمّ الميم، أي: لمملكتي وعِزّي وسلطاني. قال في الصحاح: «وهو المُلْك والعِزّ. والاسم المُلْك، والموضع مَمْلَكَة. وقوله (**خَرَّتِ**): بتشديد الراء المهملة وكسر التاء للقافية، أي: سقطت الأملاك سجّداً خاضعة ذليلة لمُلْكِي وسلطاني.

٧٦٠- وَفِي عَالَمِ التِّذْكَارِ لِلنَّفْسِ عِلْمُهَا الـ ـــمُقَدَّمُ تَسْتَهْدِيْهِ مِنِّيَ فِتْيَتِي

(**وفي عالَم**): بفتح اللام. وقوله (**التذكار**): أي التذكر، أي: خلاف النسيان.

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ [٣٥/ فاطر/ ٣٧] وقوله (للنفس): متعلّق بالتذكار، أي: تذكّر النفس عهد: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٧٢]. وقوله (علمها المقدّم): أي الذي علمته في ذلك العالم بخطاب الحقّ تعالى لها، كما قال تعالى: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [٧/ العلق/ ١٧٢] وقوله (تستهديه به): أي تطلب الهداية به، وترغب فيها. وقوله (منّي): أي لا من أنفسها / [٢٨٩/ أ] لعلمها بتصرّفي في نفوسها، وفيها، وهي لا تطلب ذلك الأمر، فتصدر بمطلوبها عنّي. وقوله (فِتْيَتي): فاعل تستهدي، جمع فتى، قال في المصباح: «الفتى العبد. وجمعه للقلّة فِتْيَة. وفي الكثرة فِتْيان، والأَمَة: فَتاة، وجمعها: فَتَيات. والأصل فيه أنْ يقال للشابِّ الحَدَث: فتى، ثمّ استُعير للعبد وإنْ كان شيخاً مجازاً باسم ما كان عليه. والمراد هنا المريدون والسالكون على يديه.

٧٦١- فَحَيَّ عَلَى جَمْعِي القَدِيمِ الذي بِهِ وَجِدْتُ كُهُولَ الحَيِّ أطْفَالَ صِبْيَةِ

(فحيّ): اسم فعل، قال في المصباح: «حَيَّ على الصلاة ونحوها، قال ابن قتيبة: معناه هلمَّ إليها. ويقال: حيَّ على الغداء، وحيَّ إلى الغداء، أي: أقبل، قالوا: ولم يشتق منه فعل». وقوله (على جمعي):أي مقام جمعي، أي: مقام جمعي على الحقّ الذي فيه أفنى، ويبقى الحقّ تعالى وحده، لا سواه بانكشاف وجوده الحقّ لي. وقوله (القديم): صفة لجمعي، فإنّ هذا الجمع قديم لا أوّل له، لأنّ فيه رجوع كلّ شيء إلى ما كان عليه في علم الله تعالى من أصله العدميّ. وقوله (الذي به): وصف لجمعي أيضاً؛ يعني: بسببه، وباعتبار أنّي ذائق له. والجار والمجرور متعلّق بوجدت، قدّم للحصر. وقوله (وَجَدتُ): من الوجدان، وهو مصادمة الشيء ومنازلته عن تحقّق به. وقوله (كهول): جمع كهل، وهو من جاوز الثلاثين، ووخطه الشيب. وقيل: من بلغ الأربعين. وعن ثعلب في قوله تعالى: ﴿وَكَهْلًا﴾ [٣/ آل عمران/ ٤٦] قال ينزل عيسى عليه السلام إلى الأرض كهلاً ابن ثلاثين سنة. والجمع: كهول. وقوله (الحيّ): وهو القبيلة من العرب، والجمع أحياء. وقوله

(**أطفال**): مفعول ثانٍ لوجدت، والمفعول الأوّل كهول. و(**الأطفال**): جمع طفل، وهو: الولد الصغير من الإنسان والدوابّ، قال ابن الأنباري: ويكون الطفل بلفظ واحد للمذكر والمؤنّث والجمع. قال تعالى: ﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾ [٢٤/النور/ ٣١]. ويجوز المطابقة في التثنية والجمع والتأنيث فيقال: طِفْلة وأطفال وطِفْلات، كذا في المصباح. وقوله (صِبية): جمع صَبي، وهو الصغير، وجمعه: صبية بالكسر وصِبيان، كما في المصباح. يعني: وجدت بسبب اتّصافي بمقام الجمع القديم الذي ذكرناه المشايخ الكبار من النّاس بمنزلة الأطفال الصغار، لاستيلاء الغفلة على قلوبهم وجهلهم بأنفسهم وبربّهم الذي هو معهم أينما كانوا بحكم قوله سبحانه: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [٥٧/ الحديد/ ٤].

٧٦٢- وَمِنْ فَضْلِ مَا أَسْأَرْتُ شِرْبُ مُعَاصِرِي   وَمَـنْ كَـانَ قَـبْلِي فَالفَـضَائِلُ فَـضْلَتِي

(**ومن فضل**): أي بقيّة. وقوله (**مأ أسأرتُ**): سَئِرَ الشيءُ سُؤْرَاً، من باب شرب: بقي، فهو سائر. قال الأزهري: واتفق أهل اللغة أنّ سائر الشيء: باقيه، قليلاً كان أو كثيراً، كما في المصباح. يعني: من بعض ما فضل من سؤري، أي: بقيّة شرابي الإلهيّ الذي شربته، وهو كلام مترجم عن مادته الأصليّة، وحقيقته المحمّديّة. وقوله (شِرب): بكسر الشين المعجمة، وهو النصيب من الماء، كذا في المصباح. (**مُعاصري**): بضمّ الميم: اسم فاعل، أي: من هو في عصري وزماني من الأولياء العارفين. وقوله (**ومن كان قبلي**): ما أهلّ الولاية الكاملة، والمرتبة الفاضلة؛ فالحقيقة المحمّديّة الجامعة للكمالات كلّها ممدّة للأوّلين والآخرين من الأولياء والأنبياء والمرسلين، ولا فضيلة إلّا وهي مستمدّة منها، وصادرة عنها؛ ولهذا قال (**فالفضائل**): جمع فضيلة، قال في المصباح: «الفضيلة والفضل: الخير، وهو خلاف النقيصة والنقص./ [٢٨٩/ ب] وقوله (فضيلتي): أي بقيّتي التي أبقيتها لغيري.

أَرَجُ النَّسِيمِ

[الكامل]

وقال أيضاً قدّس الله سرّه:

١ - أَرَجُ النَّسِيمِ سَرَى مِنَ الزَّوْرَاءِ   سَحَرَاً فَأَحْيَا مَيِّتَ الأَحْيَاءِ

(أَرَجُ): بالتحريك، قال في الصحاح: «الأَرَجُ والأَرِيج: تَوَهُّجُ ريح الطِيْب، تقول: أَرِجَ الطِيْبُ، بالكسر يَأْرَجُ أَرَجاً وأَرِيْجاً: إذا فاح. وقوله (النسيم): هو نفس الريح والنسْمة، بالسكون مثله، وهو كناية عن انتشار ما تحمله الروح الأمري، المنبعث عن توجّه أمر الله تعالى من علوم المعارف الإلهيّة، والحقائق الربّانيّة. وقوله (سَرَى): أي سار في ظلمة ليل الكون الجسماني، يقال: سَرَيْتُ الليلَ، وسَرَيتُ بِهِ سَرْيَاً. والاسم السِّرَايَة: إذا قطعته بالسَيْر. وأَسْرَيْتُ بالألف: لغة حجازية. قال أبو زيد: ويكون السُّرَى أوّل الليل وأوسطه وآخره، كما في المصباح. وقوله (من الزوراء): وهي بغداد لأنّ أبوابها الداخلة جعلت مزوَّرة عن الخارجة، وموضع بالمدينة قرب المسجد. والمراد هنا الأوّل؛ لأنّ بغداد كانت منزل القطب؛ فهي إشارات إليه، قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه في شرح ترجمان الأشواق عند قوله:

القصر ذو الشرفات من بغداد   لا القصر والشرفات من سنداد

يقول: «الحضرة المعلَّمة من حضرة القطب هو المطلوب لأصحاب الهمم في المقامات أنْ ينالوها، لأنّها حضرة التصرّف، والاستخلاف، والتحكّم، ظاهراً وباطناً...» إلى آخر كلامه. و(سنداد) كما قال في الصحاح: اسم نهر، ومنه قول أسود بن يعفر:

أهل الخورنق والسدير وبارق   والقصر ذو الشرفات من سنداد

أو المراد الثاني، كناية عن الحضرة المحمّديّة الجامعة للكمالات كلّها ظاهراً وباطناً. وقوله (سَحَراً): السَحَر بفتحتين: قبيل الصبح، وبضمّتين لغة. والجمع: أسحار، كما في المصباح. كناية عن أوائل الفتح الربّانيّ على السالكين، وتخليصهم من ظلمة النفس والغفلة بالغيريّة الوهميّة. وقوله (فأحيا): يعني بالحياة الأبديّة الإلهيّة. وقوله (ميِّت): بتشديد الياء التحتيّة، من قولهم: مات الإنسان يَمُوت مَوْتاً، ومَات يُمات، من باب خاف لغة، ومِتُّ بالكسر، أَمُوتُ لغة ثالثة، وهي من باب تداخل اللغتين، فهو مَيِّت بالتثقيل والتخفيف، وقد جمعها الشاعر فقال:

ليس من مات فاستراح بِمَيْتٍ إنّما المَيْتُ مَيِّت الأَحياءِ

وقال بعضهم: ويقال في الحيّ: مَيِّت، بالتثقيل لا غير، وعليه قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [٣٩/ الزمر/ ٣٠] أي سيموتون، كذا في المصباح. وقوله (الأحياء): جمع حيّ، من الحياة، فهو خلاف الميت. وجمعه: أحياء، أو حيّ، أي: قبيلة من قبائل العرب، والجمع: أحياء أيضاً. كناية عن منزل من منازل القرب. والمعنى: فأحيا ذلك الأرج المذكور من مات بظهور الحياة الحقيقيّة الربّانيّة بسبب ظهورها له، أو من مات بالوصول إلى مقام الجمع، وفارق الفرق؛ فإن مقام الجمع منزل من منازل القرب. ومن ذلك قول ابن غانم المقدسي قدّس الله سرّه(١):

اقتلوني يا سقاتي إنّ قتلي حياتي
فحياتي في مماتي ومماتي في حياتي
أنا عند محو ذاتي من أجلّ المكرمات
وبقائي بصفاتي من قبيح السيّئات

فإنّه يخاطب مشايخه الذين يسقونه سمّ المعرفة الربّانيّة، والتحقيق بالتجلّيات الإلهيّة ليموت عن الحياة الوهميّة، ويحيا بالحياة الحقيقيّة الرحمانيّة.

---

(١) لعلّ هذه الأبيات للحلاج.

٢-أَهْـدَى لَنَـا أَرْوَاحَ نَجْـدٍ عَرْفُـهُ فَالْـجَوُّ مِنْـهُ مُعَنْـبَرُ الأَرْجَـاءِ

(أهدى): من الهديّة، قال في المصباح: أَهْدَيتُ للرجل كذا، بالألف: بعثت به إليه إكراماً، / [٢٩٠/ أ] فهو هديَّة بالتثقيل لا غير، والجمع: الهدايا». وقوله (لنا): أي معاشر المحبِّين الإلهيّين. وقوله (أرواح): جمع ريح، قال في المصباح: «الريح: الهواء المسخّر بين السماء والأرض، وأصلها الواو بدليل تصغيرها على رُوَيْحَة؛ ولكن قلبت ياءً لانكسار ما قبلها. والجمع: أَرْواح ورِياح. وبعضهم يقول: أَرياح، بالياء على لفظ الواحد. والريح أربع: الشَمال، ويأتي من ناحية الشام، وهي حارّة في الصيف بارح[1]. والجنوب تقابلها، وهي الريح اليمانيّة. والثالثة الصَبَا، وتأتي من مَطلع الشمس، وهو القَبول أيضاً. والرابعة: الدَبور، وتأتي من ناحية المغرب. والريح مؤنّثة على الأكثر، فيُقال: هي الريح. وقد يُذكر على معنى الهواء، فيقال: هو الريح، وهبّ الريح. نقله أبو زيد، وقال ابن الأنباري: الريح مؤنّثة لا علامة فيها، وكذلك سائر أسمائها إلّا الإعصار؛ فإنّه مذكّر». والأرواح هنا كناية عن الأرواح: جمع روح، وهي المنفوخة في الجسد الإنسانيّ عن الروح الأعظم القائم بأمر الله تعالى، قال تعالى: «﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْـرِ رَبِّى ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨٥] وأضاف الأرواح إلى نجد، وهي بلاد معروفة من جزيرة العرب، وأوّلها من ناحية الحجاز ذات عِرق، وآخرها سواد العراق، فهي بين الحجاز والعراق؛ ولهذا قيل: ليست من الحجاز. وفي التهذيب: كلّ ما وراء الخندق الذي خندقه كسرى على سواد العراق، فهو نجد إلى أنْ تميل إلى الحَرَّة؛ فإذا مِلت إليها فأنت في الحجاز، كذا في المصباح. وأعلى نجد وهو المتّصل بالبحرين، يسمّى نجد الحجاز، وأسفلها يسمّى نجد العراق. وبعضهم يجعل المدينة من نجد، كذا وجدته بخط الشهاب الفيّومي، أحمد بن محمّد الهمداني المعروف بخطيب

(١) بارح: حاملة للتراب.

الدهشة[1]، مصنِّف كتاب: المصباح في اللغة. كنّى الناظم قدّس الله سرّه بنجد عن الحضرة الإلهيّة الأمريّة؛ فإنّ الأرواح منفوخة من أمر الله تعالى، قال سبحانه: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [١٥/الحجر/٢٩]. وقوله (عَرْفُهُ): أي عَرْف ذلك الأَرَج المذكور في البيت قبله. و(العَرْف): بالفتح، قال في الصحاح: «هو الريح، بمعنى الرائحة، طيبة كانت أو منتة. يقال: ما أطيب عَرْفَهُ. والمعنى: إنّ شدّة رائحة الطيب الروحانيّ المنبعث عن روح الله الأمري أهدى لنا أخبار التجلّيات الربّانيّة، وأسرار التدلّيات الإلهيّة الرحمانيّة، كما قال العفيف التلمسانيّ قدّس الله سرّه:

أسكرتِ بان الحمى يا نسمة السحر ... فهل أتيت عن الأحباب بالخبر

نعم مررت بذاك الحيّ فاكتسبت ... ذيول بردك ريّا نشره العطر

يا روح روحي بروحي للحمى وقفي ... به فديتك بين البان والسمر

ففي بيوت الحمى سمراء قد حجبت ... بالسمر عنّا وبالهنديّة البتر

وقوله (فالجوّ): الفاء للتفريع على ما قبله، والجو: ما بين السماء والأرض. والجو أيضاً: ما اتّسع من الأودية، والجمع الجِوَاء مثل: سَهْم وسِهَام، كذا في المصباح. وقوله (منه): أي من ذلك العرف. وقوله (مُعَنْبَرُ الأَرْجاء): المعنبر الذي يعطي رائحة العنبر، يقال: مكان معنبر، أي: توجد فيه رائحة العنبر، كأنّه بَخَرَ به. والعنبر: ضرب من الطيب. وقال في القاموس: «العنبر: من الطيب، رَوْث دابَّة بحريّة، أو نبع عين في البحر، ويؤنّث». وقوله (الأَرجاء): بفتح الهمزة، ممدود، جمع رجاء، قال في المصباح: «الرَّجَا مقصور: الناحية من البئر وغيرها، والجمع:

---

(١) هو شهاب الدين أبو العبّاس، أحمد بن محمّد بن علي الفيّومي، ويعرف بابن ظهير. نسبه السخاوي إلى همدان إحدى القبائل العربيّة، نشأ بالفيّوم وجمع في علوم العربيّة على أبي حيّان النحويّ الأندلسيّ ثمّ ارتحل إلى حماة، فعيَّنه الملك إسماعيل الأيوبيّ خطيباً لجامع الدهشه الذي بناه. من أهم كتبه المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. قال ابن حجر في الدرر الكامنة: كأنّه عاش إلى ما بعد سنة ٧٧٠هـ. انظر الدرر الكامنة ١ / ١٠٥

أَرْجاء مثل: سبب وأسباب». والمعنى: إنّ نواحي الدنيا، أو نواحي قلوب الأولياء العارفين مبتهجة متزيِّنة بما يلقى إليها من جهة العوالم الروحانيّة، والعجائب الملكوتيّة، والأسرار الغيبيّة من الحضرة الإلهيّة

٣- وَرَوَى أَحَادِيْثَ الأَحِبَّةِ مُسْنِدَاً عَنْ إِذْخِرٍ بِأَذَاخِرٍ وَسِحَاءِ

/[٢٩٠/ب] (**وروى**): أي نقل إلينا ذلك العَرف الطيِّب. وقوله (**أحاديث**): جمع حديث، وهي الأخبار، قال في المصباح: «الحَديث: ما يُتَحدَّث به ويُنقل». و(**الأحبّة**): الذين يحبّهم، كناية عن حضرات الأسماء الإلهيّة الظاهرة في صور الهياكل الإنسانيّة، أي: رَوَى ذلك عن حضرة الذات الربّانيّة. وقوله (**مُسنِداً**): بكسر النون على صيغة اسم الفاعل، حال من فاعل روى. وقال في المصباح: «أسْنَدتُ الحديثَ إلى قائله: رفعتُه إليه بذكر ناقله». وقوله (**عن إذخِرٍ**): وهو بكسر الهمزة والخاء المعجمة: نبات معروف ذكيّ الريح، وإذا جفَّ ابْيَضَّ، كما في المصباح. وقوله (**بأذاخرٍ**): بالفتح، موضع قرب مكّة، كذا في القاموس. وقوله (**وسِحَاء**): بكسر السين المهملة، ممدود، معطوف على إذخر، قال في الصحاح: «السِّحَاء نبتٌ تأكل منه النَحْل فيطيب عسلهاعليه. ويقال: ضَبٌّ سَاحٍ: يرعى السِّحاء. وكنّى باذخرٍ عن حضرة الصفات الجماليّة، وبالسِّحاء عن حضرة الصفات الجلاليّة، وكنّى بأذاخر عن حضرة الذات الإلهيّة الجامعة للجمال والجلال؛ فهي ظاهرة بينهما بحفرة الكمال.

٤- فَسَكِرْتُ مِنْ رَيَّا حَوَاشِي بُرْدِهِ وَسَرَتْ حُمَيَّا البُرْءِ فِي أَدْوَائِي

(**فسكرت**): الفاء للتفريع والتعقيب على ما قبله، يقال: سَكِرَ سَكَراً، من باب تعِب، وكسر السين في المصدر لغة، فهو سَكْرَان، وامرأة سَكْرَى، والجمع: سُكَارَى، بضمّ السين، وفتحها لغة، وفي لغة بني أسد يقال في المرأة: سَكْرانه، والسُّكر: اسم منه. وأَسْكَرَهُ الشرابُ: أزال عقله، كذا في المصباح. وقوله (**من ريّا**): بفتح الراء وبتشديد الياء التحتيّة، قال في المصباح: «رَوِيَ من الماء يَرْوَى رَيّاً،

فهو رَيّان، والمرأة رَيّا، وِزَان: غَضْبَان وغضبى». وقوله (حواشي): جمع حاشية. قال في المصباح: «حاشية الثوب: جانبه، والجمع: الحَوَاشِي». وكون الحواشي رَيّا، أي: ممتلئة من الطيب. وقوله (بُرْدِهِ): أي بُرد ذلك العَرف المذكور. والبُرْد بالضمّ، جمعه: بُرُود وأَبْراد، وهو ثوب فيه خطوط. وقوله (وسرت): يقال: سرى إذا سار ليلاً، قال في المصباح: «وقد استعملتِ العربُ سَرَى في المعاني تشبيهاً لها بالأجسام مَجازاً واتساعاً. وقال الفارابي: سَرَى فيه السمّ والخمر ونحوهما. ويقال: سَرَى عِرْقُ السُوء في الإنسان». وقوله (حُمَيّا): فاعل سرت، وهو من أسماء الخمر. وقوله (البُرْء): بضمّ الباء الموحّدة، بَرَأَ من المرض يَبْرَأُ من بابي نَفَع وتَعِب، وبَرُأَ بُرْأً، من باب: قَرُبَ، لغة، كذا في المصباح. وجعل البُرْء من السقام حُمَيّا للذّته. وقوله (في أدوائي): متعلِّق بسرت، قال في المصباح: «الداءُ: المرض، وهو مصدر من دَاءَ الرجلُ والعُضوُ يَدَاء، من باب تعِب، والجمع: الأدواء، مثل: باب وأبواب.

٥- يَا رَاكِبَ الوَجْنَاءِ بُلِّغْتَ المُنَى   عُجْ بِالحِمَى إنْ جُزْتَ بِالجَرْعَاءِ

٦- مُتَيَمِّمًا تَلَعَاتِ وَادِي ضَارِجٍ   مُتَيَامِنَاً عَنْ قَاعَةِ الوَعْسَاءِ

(يا راكب الوَجناء): قال في الصحاح: «الوَجِين: العارض من الأرض، ينقاد ويرتفع قليلاً، وهو غليظ، ومنه الوَجْنَاء، وهي الناقة الشديدة، شُبِّهَتْ به في صلابتها. وقال قوم: هيّ العظيمة الوَجْنَتَين». كنّى بها عن النفس المطمئنَّة؛ فإنّها شديدة القوَّة لاطمئنانها على أمر الله تعالى القائمة به، وهي نفس السالك الصادق في سلوكه؛ فإنّه راكبها، وهي مطمئنّة معه مطاوعة له. وقوله (بُلِّغْتَ): بضم الباء الموحّدة وتشديد اللام مكسورة، أي: بلغك الله تعالى. وقوله (المُنى): جمع مُنْيَة، وهي المقصود، قال في المصباح: «تمنيّت كذا، قيل: مأخوذ من المَنَا، وهو القَدَر؛ لأنّ صاحبه يُقَدِّر حصوله، والاسم: المُنْيَة والأُمْنِيَة. وجمع الأولى مُنَىً، مثل: غُرْفَة وغُرَف. وجمع الثانية الأماني». وهو جملة معترضة بالدعاء كقول بالمتنبِّي/ [٢٩١/ أ]:

إذا خَلَتْ منك حِمصٌ لا خلت أبداً   فلا سقاها من الوسمِيِّ باكِرُه

فإنّ قوله (**لا خلت أبداً**): جملة معترضة بالدعاء للممدوح. وقوله (**عُجْ**): فعل أمر، من عَاجَ عَوْجَاً ومَعَاجَاً: أقام. لازم، متعدّ. ووقف، ورجع. وعطف رأس البعير بالزمام، كذا في القاموس. وقوله (**بالحمى**): من أحميته بالألف: جعلته حِمَىً لا يُقرب ولا يُجترأ عليه كما في المصباح. والحِمَى: كناية عن الحضرة الإلهيّة. يعني: أقم في مراقبتها. وقوله (**إن جزت**): جاز المكان يَجُوزُه جَوْزَاً وجَوَازَاً: سار فيه، كذا في المصباح. وقوله (**بالجرعاء**): قال في القاموس: «الجَرْعَةُ، وتحرّك: الرَّمْلَة الطيِّبةُ المَنْبِت، لا وُعُوثَةَ فيها. أو الأرض ذات الحُزُونَة، تُشاكِلُ الرمْل، أو الدِّعْصُ لا يُنْبِتُ، أو الكَثيب جانب منه رَمْلٌ، وجانبٌ حجارة، كالأَجْرَع والجَرْعَاء في الكلّ. وكنّى بذلك عن مقام المجاهدات النفسانيّة والمكابدات الإنسانيّة في طريق الله تعالى. وقوله (**مُتَيَمِماً**): حال من فاعل عجّ، أي: قاصداً، قال في المصباح: «يَمَّمْتُهُ: قَصَدْتُهُ، وتَيَمَّمْتُهُ: تَقَصَّدْتُهُ». وقوله (**تَلَعَاتِ**): جمع تَلْعَة، وهي مجرى الماء من أعلى الوادي. والجمع تِلاع، مثل كلبة وكلاب. والتَّلْعَة أيضاً: ما انهبط من الأرض، فهي من الأضداد، كذا في المصباح، وقال في القاموس: «التلعة: ما ارتفع من الأرض وما انهبط منها، ضدّ. ومسيل الماء، وما اتسع من فوهة الوادي، والقِطعة المرتفعة من الأرض. والجمع: تَلَعَات وتِلَاع». وهي كناية عمّا يجده السالك من الأحوال التي ترتفع به مرّة، وتنخفض به أخرى. وقوله (**وادي ضارج**): وهو اسم موضع، قال امرئ القيس:

تيمَّمتُ العَينَ التي عند ضارِجٍ يفيءُ عليها الظِلُّ عِرْمضها طامي[1]

وهو كناية عن القلب الإنسانيّ الذي تعتريه الأحوال. وقوله (**متيامناً**): حال بعد حال من فاعل (**عج**): أي آخذاً جهة اليمين، والنفس هي في جهة اليمين، كما أنّ القلب في جهة اليسار. وقوله (**عن قاعة الوعساء**): قال في القاموس: «قاعة الدار ساحتها». و(**الوعساء**): رابية من رمل، ليِّنة، تنبت أنواع البقول، وموضع

(١) العرمض: من شجر العضاه، أو صغار السدر والأراك.

بين الثعلبيّة والخزيميّة. وقال في الصحاح: «قاعة الدار: ساحتها، [القيعة] مثل القاع. والقاع: المستوى من الأرض». و(الوَعْسَاء): الأرض الليّنة ذات الرمل، وكنّى بها عن النفس الحيوانيّة ذات الشهوات الكثيفة الجسمانيّة.

٧- وَإِذَا وَصَلْتَ أُثَيْلَ سَلْعٍ فَالنَّقَا فَالرَّقْمَتَيْنِ فَلَعْلَعٍ فَشَظَاءِ

٨- وَكَذَا عَنْ العَلَمَيْنِ مِنْ[1] شَرْقِيِّهِ مِلْ عَادِلاً لِلْحِلَّةِ الفَيْحَاءِ

(وإذا وصلتَ): الخطاب لراكب الوَجناء. وقوله (أُثيلَ): بالنصب، مفعول وصلتَ، قال في الصحاح: «وصلتَ الشيءَ وَصْلاً، وَوَصَل إليه وُصُولاً، أي: بلغ». والأُثيل تصغير الأَثل، وهو شجر، وهو نوع من الطرفاء، الواحدة: أَثْلَة، والجمع أَثَلات». وقوله (سَلْع): بالإضافة، وهو اسم جبل بالمدينة، وأُثيل سَلْع: كناية عن مقام من المقامات المحمّديّة الناشئة من الكشف عن الحقيقة النوريّة. وقوله (فالنقاء): الفاء للعطف مع الترتيب والتعقيب. و(النقا): الكثيب من الرمل. كناية عن مقام محمّدي تتبيّن الأحوال فيه لصاحبه، لأنّ الرمل غير ملتصق الأجزاء. وقوله (فالرَّقْمَتَيْنِ): تثنية رَقْمَة، قال في الصحاح: «جانب الوادي، وقد يقال: الروضة، قال زهير:

ودار لها بالرقمتين كأنّها مراجع وشم في نواشر معصم

وذلك كناية عن مقام محمّدي متداخل مع مقام آخر تتبيّن فيه الأحوال كالوشم المتبيّن، أو الوشي في الثوب. وقوله (فلَعْلَع): قال في القاموس: «اللَّعْلَعُ: السراب، واسم /[٢٩١/ ب] جبل، واسم موضع، واسم ماء بالبادية، وشجر حجازي». وذلك كناية عن مقام محمّديّ جامع. وقوله (فَشَظَاءِ): بالشين والظاء المعجمتين: اسم جبل مقام آخر محمّدي جامع. وقوله (فكذا): أي مثل ذا المذكور، وهو التنقّل في المقامات والمنازل المحمّديّة التي بعضها فوق بعض، وأكشف من بعض.

---

(١) في (ق): عن.

وقوله (**عن العَلَمَين**): تثنية عَلَم، بفتح اللام، وهو الجبل. وأشار بالعلمين إلى المأزمين، بالهمز وتركه، وهما الجبلان بين عرفة والمزدلفة. وقوله (**من شرقيه**): أي شرقي شظاء المذكور في البيت قبله. كناية عن مقام جمع الجمع المشتمل على الفرق والجمع، فإنّهما عَلَمان، بفتح اللام، عظيمان من شرقي شظاء، وشظاء القوم خلاف صميمهم، وهم الأتباع والدخلاء عليهم بالحلف، كذا في الصحاح. فإنّ هذين العلمين من جنس ما هم فيه الأتباع والدخلاء من المريدين في ابتداء سلوكهم من عدم الثبات على جمع أو فرق. وقوله (**مِلْ**): فعل أمر من المَيْل. وقوله (**عادلاً**): حال من فاعل مِلْ، يقال: عدل عنه: انصرف عنه. وعدل إليه: أقبل عليه. وقوله (**للحلّة**): أي إلى الحلّة، وهي بالكسر: القوم النازلون، وتطلق الحِلّة على البيوت مجازاً، تسمية للمَحَل باسم الحالّ، وهي مائة بيت فما فوقها، كذا في المصباح. وقوله (**الفيحاء**): أي المتسعة، قال في المصباح: «فاح الوادي: اتسع، فهو أَفْيَح، على غير قياس. وروضة فَيْحَاء: واسعة». كنّى بالحِلّة عن منازل العارفين الكاملين المحمّديين، ثمّ وصفها بالاتساع لكمال الكشف فيها عن الملك والملكوت والجبروت.

٩- وَاقْرِ السَّلامَ عُرَيْبَ ذَيَّاكَ اللِّوَى مِـنْ مُغْـرَمٍ دَنِـفٍ كَئِيـبٍ نَـاءِ

١٠- صَبٌّ مَتَى قَفَلَ الحَجِيجُ تَصَاعَدَتْ زَفَرَاتُـــهُ بِتَـــنَفُّسِ الـصُّعَدَاءِ

١١- كَلَمَ السُّهَادُ جُفُوْنَهُ فَتَبَادَرَتْ عَبَرَاتُـــهُ مَمْزُوْجَـــةً بِـــدِمَاءِ

(**واقْرِ**): بحذف الهمزة تخفيفاً، وأصله من قرأ يقرأ، قال في المصباح: «قرأت على زيد السلام أقرؤه عليه قراءة. وإذا أمرت منه قلت: اقْرَأْ عليه السلام. قال الأصمعي: وتَعْدِيَتُهُ بنفسه خطأ، فلا يقال اقْرَأْهُ السلامَ؛ لأنّه بمعنى أُتْلُ عليه. وحكى ابن القَطَّاع أنّه يتعدّى بنفسه رباعياً فيقال: فلان يُقْرِئُكَ السلام بمعنى». وحكاها أيضاً في الصحاح فقال: «فلان قَرَأَ عليك السلام، وأَقْرَأَكَ السلام بمعنى». وقوله (**عريب**): تصغير عرب. وقوله (**ذيّاك**): بتشديد الياء التحتيّة،

تصغير ذاك؛ إشارة إلى أهل المعارف والحقائق الّذين كنّى عنهم بالحِلّة الفيحاء في البيت قبله. وكونهم عُرَيباً مصغراً تصغير تعظيم، من أعرب الرجل: إذا كان فصيحاً، وأعربت الشيءَ وأعربتُ عنه بمعنى التبيين والإيضاح؛ لأنّهم كاملون في الكشف والبيان. وتصغير اسم الإشارة للتعظيم أيضاً. وقوله **(اللِّوى)** كإلى: ما التوى من الرمل، أو مستدقّة. وقال في الصحاح: «لِوَى الرمل، مقصور، منقطعه». وكنّى به عن المقام المحمّديّ الجامع. وقوله **(من مُغْرَمٍ)**: يعني نفسه، لكمال اشتياق الجنس إلى جنسه. والمُغْرَم بصيغة اسم المفعول صفة لموصوف محذوف من أُغْرِمَ بالشيء بالبناء للمفعول: أُولِع به فهو مُغْرَم، كذا في المصباح. وقوله **(دَنِف)**: صفة بعد صفة، من دَنِفَ دَنَفَاً، من باب تَعِب، فهو دَنِف: إذا لازمه المرض. وأدْنَفَه المرض، وأَدْنَفَ هو، يتعدّى ولا يتعدّى، كما في المصباح وقوله **(كَئِيب)**: من الكآبة، سوء الحال، والانكسار من الحزن. وقد كَئِبَ الرجلُ يَكْأَبُ كَأْبَةً وكَآبَة مثل: رَأْفَةً ورَآفَةً، وَنَشْأَةً ونَشَاءةً، فهو كئيب. وامرأة كَئِيبَة وكَأْباء أيضاً، كذا في الصحاح. وقوله **(ناء)**: اسم فاعل من نَأَى نَأْياً، من باب نفع، بعد كذا في المصباح. ومعناه: البعيد عن أوطان عاداته/ [٢٩٢/ أ] وأهالي مقاصده ومراداته. وقوله **(صبٍّ)**: بالجر، صفة بعد صفة، من الصبابة، وهي رِقّة الشوق وحرارته، يقال: رجل صَبٌّ: عاشق مشتاق، كذا في الصحاح. وقوله **(متى قفل)**: أي رَجَعَ، قال في المصباح: «قَفَلَ من سفره قُفُولاً، من باب قعد: رَجَعَ». وقوله **(الحجيج)**: جمع حاجّ، قال في المصباح: «حَجَّ حَجَّاً، من باب قتل: قَصَدَ، فهو حاجٌّ، هذا أصله، ثمّ قُصِرَ استعماله في الشرع على قَصْد الكعبة للحجّ، أو العُمْرَة. ومنه يقال: «ما حَجَّ ولكنْ دَجّ. فالحجّ: القصد للنُّسُك، والدَّجُّ: القَصْد للتجارة ، وجمع الحاجِّ: حُجَّاج وحَجِيْج. وكنّى بالحجّ عن قصد الحضرة الإلهيّة، والتوجّه القلبيّ إلى التحقّق بالوجود الحقيقيّ المتجلّي بالأعيان الكونيّة بعد الإحرام، والتجرّد بالفناء الأصليّ عن نسبة الوجود للتقادير العدميّة. والحَجِيج

هم العارفون بأنفسهم وبربّهم على الكمال، ورُجُوعُهم هو عَوْدُهم إلى ما كانوا فيه من العادات والعبادات في الفرق الثاني بعد الجمع. وقوله (**تصاعدت**): أي عَلَتْ. وقوله (**زفراته**): جمع زَفْرَة ، من الزَّفِير، وهو: إدخالُ النَّفَسِ، والشَّهِيقُ: إخراجه. وقد زَفَرَ يَزْفِرُ، والاسم: الزَّفْرَة، والجمع: زَفَرَات، بالتحريك،لأنّه اسم وليس بنعت، وربّما سكنّها الشاعر للضرورة كما قال: (فتستريح النَفْسُ من زَفْراتها) كذا في الصحاح. وقوله (**بتنفّس الصعداء**): قال في الصحاح: «الصَّعَداء: بالضمّ والمدّ تنفّس، ممدود؛ وهذا منه قدّس الله سرّه تأسّف وتحسّر على تحصيل تلك المقامات العليّة والتجلّي بهاتيك التجلّيات الربّانيّة، وذلك في ابتداء سلوكه في الطريق، وظهور بوارق التوفيق. وقوله (**كَلَمَ**): بالفتحات الثلاث، أي: جرح، قال في المصباح: «كَلَمْتُه كَلْماً، من باب قتل: جرحته، ومن ضرب لغة. ثمّ أُطلق المصدر على الجُرْح، وجُمع على كُلُوْم وكِلام، مثل بَحْر وبُحُوْر وبِحَار». وقوله (**السُّهاد**): فاعل كَلَمَ، بضمّ السين المهملة: الأَرَق. وقد سَهِدَ الرجل بالكسر يَسْهَدُ سُهْداً». وقوله (**جفونه**): مفعول كلم، والجُفُون: جمع جَفْن، وهو غِطاء العين من أعلاها وأسفلها. والضمير يعود على الصبّ. وقوله (**فتبادرت**): أي أسرعت، من بَدَرَ إلى الشيء بُدُوْرَاً، وبَادَرَ مُبَادَرَةً وبِداراً من بابيّ قعد وقاتل: أسرع، كذا في المصباح. وقوله (**عَبَرَاتِه**): أي الصبّ، جمع عَبْرَة بالفتح، قال في الصحاح: العَبْرَة بالفتح تحَلّب الدمعُ، تقول منه عَبِرَ الرَّجُلُ بالكسر يَعْبَرَ عَبْراً فهو عَابِرٌ. والمرأةُ عابِرٌ أيضاً. وقوله (**ممزوجة**) أي: مخلوطة، حال من عَبَرَاتُهُ. وقوله (**بدماء**): جمع دم، متعلّق بممزوجة، وهو بيان لحاله في ابتداء سلوكه، ومجاهدته في نفسه.

١٢- يَا سَاكِنِي البَطْحَاءِ هَلْ مِنْ عَوْدَةٍ أُحْيَا بِهَا يَا سَاكِنِي البَطْحَاءِ

(**يا ساكني**) أصله: يا ساكنين، فحُذفت النون للإضافة إلى قوله البطحاء. الأَبْطَح كلّ مكان متّسع، والأبطح بمكّة هو المُحَصَّب، كذا في المصباح. وقال في

الصحاح: «الأَبْطَح: مَسيل واسع فيه دِقاقُ الحَصَا، والجمع: الأَباطح والبِطَاح أيضاً، على غير القياس. والبَطِيْحَة والبَطْحَاء: مثل الأَبْطَح. ومنه بَطْحَاء مكّة» ، وهو المراد هنا. كنّى بالساكنين بالبطحاء عن الأولياء العارفين بربّهم، المراقبين للحضرة الإلهيّة، أهل شهود الذات من وراء الأسماء والصفات، وهم المشايخ الكاملون المحقِّقون. وقوله (هل من عودة): يعني إلى ذلك المقام السامي، والسرّ الناجي. وقوله (أُحْيَا): بضمّ الهمزة، فعل مضارع مبني للمفعول، أي: يُحيِيني الله تعالى. وقوله (بها): أي بتلك العودة، أو مبني للفاعل، أي: أَحْيا أنا في نفسي بها، أي: تظهر بها حياتي الحقيقيّة لي، وهي الحياة الإلهيّة؛ لأنّي أنا في نفسي ميت من جهة نفسي، كما قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [٣٩/ الزمر/ ٣٠]/ [٢٩٢/ ب] وقوله تعالى: ﴿أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [١٦/ النحل/ ٢١] وقال تعالى عن نفسه: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٥٥] أي لا سواه حيّ؛ فإنّ تعريف المسند والمسند إليه يفيد الحصر. وقوله (يا ساكني البطحاء): ردّ العجز على الصدر، وهو تكرار لطيف من أنواع البديع، والتشوّق إلى الكاملين من أهل المعرفة الإلهيّة تشوّقٌ إلى الظاهر بهم، المتجلِّي عليهم، المنكشف بهم لهم على الكمال والتحقيق التّام؛ فلا يظنَّ أحد أنّه ميل إلى الأغيار، ولا تشوّق إلى شيء من الأعيان والآثار، كما قلنا في قصيدة لنا:

ليس طيب الحياة غير وفاتك	والسوى فاتن النفوس وفاتك
يا محبّاً أحبّ ثوب حبيب	أعطِ نفس الحبيب بعض التفاتك
وتحقّق بمن تحبّ تجده	أنت والجهل للأحبّة هاتك
صور من مصوِّر كثياب	لبستها عليك نفس فتاتك

١٣- إِنْ يَنْقَضِي صَبْرِي فَلَيْسَ بِمُنْقَضٍ وَجْدِي القَدِيمُ بِكُمْ وَلَا بُرَحَائِي

(إنْ ينقضي): أي ينفد، ومقتضى إنْ الشرطيّة حذف الياء. وقد أُشبعت الكسرة لضرورة الوزن، فتولّدت الياء. قال في الصحاح: «انقضى الشيء وتَقَضّى بمعنى».

وقوله (صبري): فاعل انقضى. وقوله (فليس بمنقضٍ): أي بنافد، خبر ليس مقدّم. وقوله (وجدي): اسم ليس مؤخر، قال في الصحاح: «وَجَدَ في الحُزْنِ وَجْداً بالفتح، وتَوَجَّدْتُ لفلان، أي: حَزِنْتُ لَه». وقوله (القديم): وصف لوجدي. وقوله (بكم): أي بسببكم. والخطاب لساكني البطحاء، على المعنى الذي ذكرناه. وقوله (ولا بُرَحائي): بالضمّ، قال في الصحاح: «بُرَحاء الحُمَّى وغيرها: شِدَّة الأذى، تقول منه: بَرَّح به الأمرُ تَبْرِيحاً، أي: جَهَدَهُ، وضَرَبَه ضَرْباً مُبَرِّحاً، وتَبَاريح الشوق تَوَهُّجُهُ. وهذا الأمر أَبْرَحُ من هذا، أي: أشدّ». والمعنى: إنّ حزنه من شدّة محبّته الإلهيّة القديمة التي هي محبّة الحقّ تعالى لنفسه التي ظهرت أولاً في عالم الذر عند خطاب الحقّ تعالى بقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [٧/الأعراف/ ٧٢] فقبلتها قلوب الذرّ متعلّقة بالمظاهر الكونيّة على الكشف، أوعلى الغفلة، ثمّ ظهرت في عالم الدنيا كذلك، وعليه قولنا من قصيدة لنا:

ما درى الناس أنّ كلّ جمال فهو في الخلق لمحة من جماله
وكذا الحبّ كلّه قطرة من حبّه نفسه بدا في خياله
صور كلّنا محبّاً ومحبوباً وهذا مرادنا بوصاله

١٤- ولَئِنْ جَفَا الوَسْمِيُّ مِاحِلَ تُرْبِكُم فَمَدَامِعِي تُرْبِي عَلَى الأَنْوَاءِ

(ولئن): اللام موطّئة للقسم المحذوف، تقديره: والله لئن. وقوله (جفا): يقال جَفَوْت الرجل أَجْفُوهُ: أَعْرَضْتُ عنه، أو طَرَدْتُه، كذا في المصباح. وقوله (والوسميُّ): فاعل جَفَا، قال في الصحاح: «الوَسْمِيُّ مطر الربيع الأول؛ لأنّه يَسِمُ الأرضَ بالنبات، نُسِبَ إلى الوَسْمِ. والأرض مَوْسُومَة». وقوله (مَاحِلَ): من المَحْل، قال: في الصحاح: «المَحْلُ: الجَدْب: وهو انقطاع المطر، ويُبْسُ الأرض من الكلأ، يقال: بلدٌ ماحِلٌ، وزمان ماحل ، وأرض مَحْل، وأرض مُحُول». وقوله (تُرْبكم): التُّرب. وزان قُفْل، لغة في التراب، كما في المصباح. وقوله (فمدامعي):

جمع مَدمَع، بالفتح: موضع الدَمع، وبالكسر: آلة الدمع، قال في الصحاح: «المَدامِع: المَآقي، وهي أطراف العين، والدَمع: دَمْعُ العين، والدَمْعَةُ: القَطْرَةُ منه» والمراد هنا الدموع نفسها من إطلاق اسم المحل على الحال. وقوله (تُربي): بضمّ التاء المثنّاة الفوقيّة من أربى بمعنى زاد. قال في المصباح: «أَرْبَى الرجل على الخمسين: زاد عليها». وقوله على/ [٢٩٣/ أ] (الأنواء): جمع نَوْء. كناية عن المطر، قال في المصباح: «نَاءَ يَنُوءُ نَوْءاً، مهموز، من باب قال: نَهَضَ. ومنه النَّوْءُ للمطر، والجمع: أنواء». وهذا القَسَم المذكور على وجه المبالغة، بطريق الادّعاء، كقوله:

والله لو حلف العشّاق أنّهم   صرعى من الحبّ أو موتى لما حنثوا

فلا مؤاخذة فيه.

١٥- وَاحَسْرَتِي ضَاعَ الزَمَانُ وَلَمْ أَفُزْ   مِنْكُمْ أُهَيْلَ مَوَدَّتِي بِلِقَاء

(واحسرتي): وا حرف نداء مختصّ باب الندبة، نحو: وازيداه. وأجاز بعضهم استعماله في النداء الحقيقيّ، ذكره ابن هشام في المغني. ويقال: حَسِرْتُ على الشيء حَسَراً من باب تَعِب، والحَسْرَة: اسم منه، وهي التلَهُّف والتأسُّف، كذا في المصباح. وقوله (ضاع الزمان): ضَاع الشيءُ يَضِيعُ ضَيعَةً وضَياعاً بالفتح، فهو ضائع. في الصحاح: «ضَاع الشيءُ: هَلَكَ». يعني: انقضى الزمان، أي: مدَّة عمره. وقوله (ولم أفز): أي أظفر. فَاز يَفُوزُ فَوزاً: ظَفِرَ ونَجَا. ويقال لَمن أخذ حقّه من غريمه: فاز بها أَخَذَ، أي: سَلِمَ له، واختصّ به. كذا في المصباح. وقوله (منكم): خطاب لساكني البطحاء في البيت السابق. وقوله (أُهَيل): تصغير أهل، وهو منادى حذف منه حرف النداء، وتقديره: يا أُهيل. وقوله (مودّتي) يقال: وَدِدْتُهُ أَوَدُّهُ من باب تَعِبَ ودّاً بفتح الواو وضمِّها: أَحببته. والاسم: المودّة، كما ورد في المصباح. وقوله (بلقاء): متعلّق بأفز. والمعنى: أنّ مدّة عمره انقضت، ولم يتحقّق على وجه الكمال بالكشف التامّ عن وجه الوجود الحقّ الظاهر على كلّ شيء، فهو يَتَحَسَّر ويَتَلَهَّف ويتأسّف على ذلك في ابتداء سلوكه.

١٦- وَمَتَى يُؤَمِّلُ رَاحَةً مَنْ عُمْرُهُ   يَوْمَانِ يَوْمُ قِلًى وَيَوْمُ تَنَائِي

(ومتى): استفهام إنكاري. وقوله: (**يؤمِّلُ**): أَمَلْتُهُ أَمَلاً، من باب طَلَبَ: ترقَّبْته، وأكثر ما يُستعمل الأمل فيما يُستبعد حصوله، كذا في المصباح. وقوله (**راحة**): مفعول يؤمّل. والراحة: زوال المشقّة والتعب، كما في المصباح. وقوله (مَنْ): اسم موصول، أو نكرة موصوفة، فاعل يؤمِّل. وقوله (**عمره**): أي مدة بقائه في الدنيا. وقوله (**يومان**): تثنية يوم. وقوله (**يوم قِلى**): بكسر القاف، مقصور. قال في المصباح: «قَلَيْتُ الرجلَ أَقْلِيه، من باب رمى. قِلَى بالكسر والقصر، وقد يُمَدّ: إذا أَبْغَضْتَهُ. ومن باب تَعِب لغة». وقوله (**ويوم تناءٍ**): أي بُعْد، قال في المصباح: «نَأَى عن الشيء نَأْياً، من باب نفع: بَعُدَ». والمعنى: إنّ جميع عمره منقسم إلى قسمين: يوم يظهر له فيه بُغْضُ المحبوب الحقّ، بعلامة صدور التقصير منه في طاعته. ويوم يظهر له تباعده عنه بظهور الغفلة له عنه في قلبه، وهذه كلّها أتعاب يقاسيها، فكيف يؤمّل مع ذلك أن يجد راحة في مجموع عمره، فضلاً عن أنْ يجد ذلك.

١٧- وَحَيَاتِكُمْ يَا أَهْلَ مَكَّةَ وَهْيَ لِي   قَسَمٌ لَقَدْ كَلِفَتْ بِكُمْ أَحْشَائِي

١٨- حُبِّيْكُمُ فِي النَاسِ أَضْحَى مَذْهَبِي   وَهَوَاكُمُ دِيْنِي وَعَقْدُ وَلَائِي

(وحياتكم): الواو للقسم. وحياتكم: مُقْسَم به. وقوله (**يا أهل مكّة**): خطاب لأهل الله المراقبين لتجلّياته تعالى في كلّ شيء؛ فإنّ حياتهم المُقسَم بها، هي حياة ربّهم؛ لأنّهم موتى من طرف نفوسهم على كشف منهم، وشهود بصيرة. وقوله (وهي): أي حياتكم. وقوله (لي قَسَم): أي أحلف بها لعلمي بأنّها حياة ربّكم عندكم؛ فهي الحياة الحقيقيّة، ظهر عنها النطق منكم والحركة. وقوله (**لقد كَلِفَتْ**): جواب القسم، قال في المصباح: «كَلِفْتُ به كَلَفاً به، من باب تَعِبَ: أَحْبَبْتُهُ، وأُولِعت به». وقوله (بكم): خطاب لأهل مكّة بالمعنى الذي ذكرناه.

وقوله (**أحشائي**): فاعل كَلِفَتْ، وهي جمع حَشَا، مقصور: المِعَى. والجمع: أحشاء، مثل سَبَبَ وأسباب، كما في المصباح. كنّى بذلك عن نفسه وقلبه، فإنّ محبّته لهم كناية عن/[٢٩٣/ ب] محبّته لربّه الحقّ المتجلّي بهم؛ فإنّهم عنده مظاهر ربّه تعالى على الكشف والوجدان، قال العارف الكامل نجم الدين بن إسرائيل قدّس الله سرّه:

يَا من بهم تُستأنَس المَشاهد قلبي لكم مُذْ غِبتم مَشاهِد

وقد آمنت في هواكم عاذلي والكون لي على هواكم شاهد

شرَّفتموني في هواكم والهوى يصبو إليه في الرجال الماجد

وغبتم توهّماً وباطني لكم إذا صحّ الصحيح واحد

يراكم في كلّ شيء ناظري كأنّما العالم عندي واحد

وقال أيضاً قدّس الله سره:

يامن أخصّهم بصفو ودادي معناكم في ناظري وفؤادي

أنتم معي أبداً بغير قطيعتي حاشكم من جفوة وبعاد

يا غاية الآمال يا من حُبُّهم وِرْدِي ووصفُ جمالهم أوْرَادي

كَوْني كما شيئتم فإنّ هواكم ديني وأشواقي إليكم زادي

وإذا حُجِبْتُم فالوجود مظاهر لكم ونوركم إليكم هادي

أُكَنِّي بنجد عن دياركم وعن ذاك الجمال بزينب وسعاد

وقوله (**حُبِّيكم**): أي حبِّي لكم. وقوله (**في الناس**): أي هو معروف فيما بين الناس. وقوله (**أضحى**): أي صار، وأصله الدخول في وقت الضحى، وهو امتداد النهار وانبساطه، ثم أريد به هنا مطلق الوقت. ويجوز أنْ يراد به هنا الوقت المخصوص على التشبيه بظهور نور لشمس، وزيادة الإشراق لنور الوجود الحقّ الظاهر على الكائنات. وقوله (**مذهبي**): أي آرائي واعتقادي الذ ي أدين الله تعالى

به، قال في المصباح: «ذَهَبَ في الدين مَذهَباً: رأى فيه رأياً». وقوله (وهواكم): الهوى مقصور، مصدر هَوِيتُهُ، من باب تعب: إذا أحْبَبْتُهُ وعلقت به. ثمّ أُطلِق على ميل النفس وانحرافها نحو الشيء. ثمّ استُعمِل في ميل مذموم، فيقال: اتَّبع هواه، وهو من أهل الأَهواء» كذا في المصباح. وقوله (ديني): يقال دَان بالإسلام دِيناً، بالكسر: تَعَبَّد به، وتَديَّن به كذلك، كما في المصباح. وقوله (وعَقْدِ): أي ربط، يقال: اعتقدت كذا: عقدت عليه القلب والضمير، حتى قيل: العقيدة ما يدين الإنسان به، كذا في المصباح. وقوله (ولائي): أصل الولاء بالفتح والمدّ: القرابة، قال في الصحاح: يُقال بينهما وَلاء: أي قرابة بالفتح». وأريد هنا مطلق العهد والوصلة الربّانيّة. والمعنى: إنّ المحبّة صارت ديناً له، ومذهباً يدين بها ويتعبّد، كما قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه من أبيات:

أدين بدين الحبّ أنى توجّهت ركائبه فالحب ديني وإيماني

ولابن إسرائيل قدّس سرّه من أبيات:

أن حِلت عن عهدي وعن ميثاقي لأفكّ من أسر الغرام وثاقي
أو خنت إيمان الهوى فبرئت من دين الغرام وسنّة العشّاق

١٩- يَا لَائِمِي فِي حُبِّ مَنْ مِنْ أَجْلِهِ قَدْ جَدَّ بِي وَجْدِي وَعَزَّ عَزَائِي
٢٠- هَلَّا نَهَاكَ نُهَاكَ عَنْ لَوْمِ امْرِئٍ لَمْ يُلْفَ غَيْرَ مُنَعَّمٍ بِشَقَاءِ
٢١- لَوْ تَدْرِ فِيْمَ عَذَلْتَنِي لَعَذَرْتَنِي خَفِّضْ عَلَيْكَ وَخَلِّنِي وَبَلَائِي

(**يا لائمي**): يا حرف نداء، واللائم الذي يلوم، أي: يعاتب على المحبّة والهوى، ويعذل المحبِّين. وقوله: في حُبِّ بالضمّ، أي: محبّة. وقوله (مَن): بفتح الميم: اسم موصول بمعنى الذي/ [٢٩٤/ أ] أو نكرة موصوفة بالجملة بعدها على معنى محبوب، ثمّ وصفه بقوله (مِن): بكسر الميم، حرف جر، وقوله (**أجله**): مجرور بمِن، والضمير يعود إلى (مَنْ): وهو الموصول، أو النكرة الموصوفة. وقوله (قد

جَدَّ): من الجِدِّ في الأمر، وهو الاجتهاد، مصدر: جَدَّ يَجُدُّ يَجِدُّ، من بابي: ضرب وقتل. والاسم: الجِدُّ بالكسر. ومنه يقال: فلان مُحْسِنٌ جِدّاً، أي: نهايةٌ ومبالغة، وجَدَّ في كلامه جَدّاً، من باب ضرب، خلاف هَزَل، كذا في المصباح. وقوله (بي):أي ملابساً لنفسي ولقلبي. وقوله (وَجْدِي): أي حزني وشوقي: قال في الصحاح: «وَجَدَ في الحُزْنِ وَجْداً، بالفتح. وقوله (وعَزَّ): أي قَلَّ، قال في الصحاح: «عَزَّ الشيءُ يَعِزُّ عِزّاً وعَزَازَةً: إذا قلّ، لا يكاد يوجد، فهو عزيز. وقوله (عزائي): بمعنى صبري، يقال: عَزِيَ يَعْزَى، من باب تعب: صَبَرَ على ما نابه، والعَزَاء مثل سلام، اسم منه، كذا في المصباح. وقوله (هَلَّا): قال في الصحاح: «هل حرف استفهام، فإذا جعلته اسماً شدّدته، تقول: هل لك في ثريدة، هل لك في كذا وكذا، والتأويل: هل لك فيه حاجة، فحذفت الحاجة لمّا عرف المعنى». وقال الأشموني في شرح ألفيّة ابن مالك في أدوات التحضيض: «هلّا بتشديد اللام مركّبة من هل ولا، والفرق بين العرض والتحضيض، أنّ العرض طلب بلين، والتحضيض طلب بحثّ». وقال في المصباح: «حضَّه على الأمر حضّاً، من باب قتل: حمل عليه، والتحضيض منه، لكنّه شدّد مبالغةً، قال النُحَاة: ودخوله على المستقبل حثّ على الفعل، وطلب له، وعلى الماضي توبيخ على ترك الفعل نحو: هلّا تنزل عندنا، وهلّا نزلتُ، وحروف التحضيض: هَلّا وألّا بالتشديد ـ قال ابن بابشاد وبالتخفيض ـ ولولا، ولوما. وقوله (نَهاك): الخطاب للّائم، نَهَيْتُه عن الشيء أنْهَاهُ نَهْياً فانْتَهى عنه، ونَهَوْتُه نَهْوَاً، لغة. وقوله (نُهاك): بَضمّ النون، جمع نُهْيَة، قال في المصباح: «النُّهْيَة: العقل، لأنّها تنهى عن القبيح، والجمع نُهَى، مثل: مُدْيَة ومُدَى». وقوله (عن لوم امرئ): أي عن ملامة رجل. وقوله (لم يُلفَ): بضمّ الياء، مبني للمفعول، من ألفَيْتُه يُصَلِّي، بالألف: وجدته على تلك الحالة، كما في المصباح. ونائب الفاعل: ضمير يعود إلى امرئ، والجملة: صفة امرئ. وقوله (غيرَ): بالنصب مفعول ثانٍ لقوله يُلْفَ، والمفعول الأوّل الضمير المرفوع نائب

الفاعل، تقول: ألفيت زيداً مصلّياً. وقوله (مُنَعِّم): بتشديد العين المهملة وبالجرّ على الإضافة إليه. قال في المصباح: «نَعَّمَه الله تنعيماً: جعله ذا رفاهية». وقوله (بشقاء): متعلِّق بمنعِّم، فإنّ المحبّة تقتضي ذلك لجريانها على حكم رضاء المحبوب، فإذا حكم على المحبّ بالشقاء تنعّم به المحبّ، كما قال بعض الشعراء:

وما في الأرض أشقى من محبٍّ وإنْ وجد الهوى حلو المذاق

تراه باكياً في كلّ حال مخافة فرقة أو لاشتياق

فيبكي إنْ نأوا شوقاً إليهم ويبكي إنْ دنوا خوف الفراق

فتسخن عينه عند التنائي وتسخن عينيه عند التلاقي

وقوله (لو تدرِ): بحذف الياء من تدري في لغة مَنْ يجزم بلو. قال ابن هشام في المغني: «لغلبة دخول لو على الماضي لم تجزم، ولو أريد بها معنى إنْ الشرطيّة. وزعم بعضهم أنّ الجزم بها مطَّرِد على لغة، وأجازه جماعة في الشعر، منهم ابن الشجريّ، كقوله:

لو يشأْ طار به ذو مَيعَة لاحقُ الآطالِ نهدٌ ذو خُصَلِ

والمَيعة بفتح: النشاط، وأوّل جَرْي الفرس، وقال الآخر:

تامَتْ فؤادَكَ لَوْ يَحْزُنْكَ مَا صَنَعَتْ إحدى نساءُ بني ذُهْلِ بنِ شيبانا

/[٢٩٤/ب] وقوله (تدري): فعل مضارع، من دَرَيْتُ الشيءَ دَرْيَاً، من باب رَمَى، ودِرْيَة ودِرَايةً: عَلِمْتُه، كذا في المصباح. وقوله (فِيْمَ): أصله (في ما)، أي: في أي شيء، وهي ما الاستفهاميّة، دخل عليها حرف الجر فحذفت ألفها كقوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [٧٨/ النبأ/ ١] وقوله: ﴿بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [٢٧/ النمل/ ٣٥] قال ابن هشام في المغني: «ويجب حذف ألف ما الاستفهاميّة إذا جُرَّتْ، وإبقاء الفتحة دليلاً عليها نحو: فيمَ، وإلامَ، وعلامَ. وقال الشاعر:

وتلك ولات السوء قد طال مكثهم فحتّامَ حتّامَ العناء المطوّل

وربّما تبعت الفتحة الألف في الحذف، وهو مخصوص بالشعر كقوله:

يــا أبــا الأســود لِــمْ خلَّفتنــي لهمــوم طارقــات

وذكروا علّة حذف الألف: الفرق بين الاستفهام والخبر، فلهذا حذفت في نحو قوله تعالى: ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ﴾ [٧٩/ النازعات/ ٤٣] ﴿فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [٢٧/ النمل/ ٣٥] ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [٦١/ الصف/ ٢] وثبت في نحو قوله تعالى: ﴿لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ﴾ [٢٧/ النور/ ١٤] ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [٢/ البقرة/ ٤] وكما لا تحذف الألف في الخبر لا تثبّت في الاستفهام. وأمّا قراءة عِكرمة وعيسى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [٧٨/ النبأ/ ١] فنادر. وأمّا قول حسان:

عــلى مــا قــام يــشتمني لئــيم كخنزيــر تمــرّغ في دمــان

فضرورة. والدّمان كالرماد وِزاناً ومعنى. ويروى في رماء. وقوله (عذلتني): أي لمتني. قال في الصحاح: «العَذْلُ: المَلامَة. وقد عَذَلْتُهُ. والاسم العَذَل بالتحريك. وقوله (لَعَذَرْتَنِي): أي رفعت عنّي الملامة. قال في المصباح: «عَذَرْتُهُ فيما صَنَعَ عَذْراً، من باب ضرب: رفعت عنه اللوم، فهو معذور»، أي «غير مَلوم. والاسم: العُذْر، وتضمّ الذال المعجمة للاتّباع، وتسكّن. والجمع: أَعْذار».

والمعنى: لو أنّك تدري يا أيّها اللائم في أيّ شيء لمتني، وبسبب أيّ أمرٍ عظيم عذلتني، وقصدت منّي ترك ذلك الأمر لعذرتني في عدم إطاعتك، وبقائي على ما أنا فيه من المحبّة؛ فإنّ محبّة الحقّ تعالى الظاهر لي بتجلّيه في المظاهر أمر عظيم هو كمال في حقّي، ونجاة لي في الدارين، ودخول تحت قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [٥/ مائدة/ ٥٤] الآية. وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [٩/ التوبة/ ٢٤] وقوله

(خفِّض): بتشديد الفاء: فعل أمر، قال في الصحاح: «خَفَضَ الصوتَ: غَضَّهُ، يقال: خَفِّضْ عليك القول، وخَفِّضْ عليك الأمر، أي: هَوِّنْ». وقوله (عليك): الخطاب للائم. وقوله (وخلِّني): بتشديد اللام، أي: اتركني، قال في الصحاح: «أخلّ الرجل بمركزه، أي: تركه. وقال في المقصور: خاليت الرجل: تاركته. وتخلَّيت: تفرغت، وتخلّيت عنه وخلَّيت عنه وخلَّيت سبيله فهو مُخَلًّى عنه». وقوله (وبلائي): أي مع بلائي مصاحباً له، قال ابن هشام في المغني: «واو المفعول معه ينتصب ما بعدها، نحو: سرت والنيل، وليس النصب بها، خلافاً للجرجانيّ.

٢٢- فَلِنَـازِلِي سَرْحِ المُرَبَّـعِ فَالـشَّبِيْـ ـكَةِ فَالثُّنَيَّـةِ مِـنْ شِـعَابِ كَـدَاءِ
٢٣- وَلِحَاضِرِي البَيْتِ الحَـرَامِ وَعَـامِرِي تِلْـكَ الخِيَـامِ وِزَائِـرِي الحَـثْمَاءِ
٢٤- وَلِفِتْيَـةِ الحَـرَمِ المَرِيـعِ وَجِيرَةِ الـ ـحَيِّ المَنِيـعِ تَلَفُّتِـي وَعَنَـائِي

(فلنازلي): الفاء للتفريع على ما قبله. وقوله (لنازلي): جار ومجرور. خبر مقدّم لقوله (تلفتي وعنائي): وأصل نازلي: نازلين، فحذفت النون للإضافة إلى قوله (سَرْحِ): بالسين/ [٢٩٥/ أ] المهملة والراء والحاء المهملة: شجر عظام طوال، الواحدة سَرْحَة، يقال هي الآء على وزن العاع[1]، قال الشاعر:

إلى الله إلّا أنّ سرحـــــة مالـــــك عـــلى كـلّ أفنـان العـضاة تـروق

كذا في الصحاح. وقوله (المُرَبَّع): بتشديد الباء الموحّدة مفتوحة: اسم موضع في بلاد الحجاز. وقوله (فالشَبِيكَة): الفاء للعطف مع الترتيب والتعقيب، وشبيكة كجهينة، وادٍ قرب العَرْجَاء، وموضع بين مكّة والزهراء وبئر هناك، وماء لبني سلول، كذا في القاموس. وقوله (فالثّنيّة): بالتصغير طريق العقبة، ومنه قولهم فلان طلّاع الثنايا: إذا كان سامياً لمعالي الأمور، كما يقال أنجد، كذا في الصحاح.

---

(١) الآء: مثل العاع ضرب من الشجر، الواحدة: آءة، مثل عاعة. انظر «جمهرة اللغة» لابن دريد، مادة: الوأى.

وقوله من (**شعاب**): جمع شِعْب، بالكسر: وهو الطريق. وقيل الطريق في الجبل، والجمع: شِعَاب، كما في المصباح. وقوله (**كَدَاء**): بالفتح والمدّ: الثنية العُليا بأعلى مكّة عند المقبرة، ولا ينصرف للعلميّة والتأنيث. وتسمّى تلك الناحية المُعَلَّى، كما في المصباح. وهذه الأماكن كناية عن منازل إلاهيّة، يتجلّى بها الحقّ تعالى لأهل المعرفة والتحقيق، وذوي الكشف والوجدان من خير فريق. وقوله (**ولحاضري**): أصله حاضرين، فحذفت النون للإضافة إلى قوله: البيت الحرام، وهو الكعبة المشرفة، وكنّى بالحاضرين في بيت الله الحرام عن أصحاب الحضور مع الله تعالى، أقطاب المقامات، أهل الشهود والعرفان؛ فإنّهم مظاهر كاملة لتجلّي حضرة الرحمن. وقوله (**وعامري**): أصله عامرين أيضاً، فحذفت النون للإضافة إلى قوله (**تلك الخيام**): إشارة إلى المسافرين إلى حضرة الحقّ تعالى من المريدين السالكين في طريق الله تعالى الذين هم تحت خيام النفوس السعيدة، التي هي في كلّ وقت جديدة، وفي ظلّ الله الذي لا ظلّ إلّا ظلّه، ولا نوال إلّا وابله وطلّه. وقوله (**وزائري**): أصله أيضاً زائرين، والنون محذوف للإضافة إلى قوله (**الحَثْماء**): وهي بالحاء المهملة والثاء المثلّثة والميم ممدودة: اسم الأكمة الحمراء، ولعلّها يقال لها الحَثْمَة أيضاً، قال في الصحاح: «الحَثْمَةُ: الأكمة الحمراء». وقال في المصباح: «الأَكَمَة بالحركات: تَلّ، وقيل: شُرفَة كالرابية، ووهو ما اجتمع من الحجارة في مكان واحد، وربّما غلظ، وربّما لم يغلظ، والجمع أَكَمٌ وأَكَمات، مثل: قصبة وقصبات». ولعلّه يشير بذلك إلى الصخيرات التي في عرفات، ويكنّى بزائريها عن أهل الموقف بعرفة، كناية عن الواقفين على سر الوجود الحقّ الساري بلا سريان في جميع الأعيان الكونيّة: ملكها، وملكوتها، وجبرؤتها. وقوله (**ولِفِتْيَةٍ**): جمع فَتَى، وهو العبد. وجمعه في القِلّة: فِتية، وفي الكثرة فِتيان. والأصل فيه أنْ يقال للشابّ الحَدَث فتى، ثمّ استُعير للعبد وإنْ كان شيخاً، مجازاً باسم ما كان عليه، كذا في المصباح. يكنّي بذلك عن المريدين المبتدئين في سلوك طريق الله تعالى.

وقوله (الحَرَم): بالتحريك. قال في المصباح: «حَرَم مكّة والمدينة معروف. وقال في الصحاح: «ومكّة حرم الله. والحَرَمان: مكّة والمدينة». وقال الراغب: «في مفرداته: والحَرَم سُمي بذلك لتحريم الله تعالى فيه كثيراً مما ليس بمحرّم في غيره من المواضع». وكنّى بالحرم عن حضرة التكليف الشرعيّ الذي تلك الفتية فيه لصدق عبوديّتهم وخلوص سرائرهم، وكمال خدمتهم لأحكام ربّهم. وقوله (المَرِيع): وصف للحَرم، بفتح وكسر الراء: بمعنى المُخْصِب، قال في المصباح: «مَرُعَ الوادي، بالضمّ، مَرَاعَةً:/ [٢٩٥/ ب] أخصب بكثرة الكلأ، فهو مَرِيع» كنّى بذلك عن زيادة الإمداد الإلهيّ في ذلك الحرم، ونتائج الخير، والجزاء الوافي. وقوله (وجيرة): جمع جار، وهو المجاور، والحليف، والناصر. والجمع: جِيْرَان وجِيْرَة وأجْوَار، كذا في القاموس. وقوله (الحيّ): وهو القبيلة من العرب، والجمع أحياء، كذا في المصباح. وكنّى بجِيرة الحَيّ عن المحبِّين المعتقدين في أولياء الله الصالحين بأعيانهم من عامّة الناس؛ فإنّ «المرء مع من أحبّ»[1] كما قال صلّى الله عليه وسلّم. وقال تعالى:﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ﴾ [٤/ النساء/ ٦٩-٧٠] وأوّل الإطاعة لله والرسول: الإيمان والتصديق بالمطيعين لله والرسول، واعتقاد الخير فيهم، وهم أؤلياء الله تعالى الكاملون، ومحبّتهم واحترامهم. وقوله (المَنيع): وصف للحيّ، يقال: مَنُعَ الحِصْنَ مَنَاعَة ـ وِزَان ضَخُمَ ضَخَامَة ـ فهو منيع، كما في المصباح. وكون الحيّ منيعاً أي: محصوناً بحصن الله تعالى، كما ورد في الحديث القديث القدسي: «لا إله إلّا حصني، فمن دخل حصني أمِنَ مِنْ عذابي»[2]. هم أهل لا إله

(١) انظر تخريجه ص٥٦٣.

(٢) ذكره الهيثمي في الصواعق المحرقة، عن الحاكم في تاريخ نيسابور، باب: الثالث في الأحاديث الواردة في بعض أهل البيت، عن عليّ بن أبي طالب قال: حدّثني حبيبي وقرّة عيني رسول الله، =

إلاّ الله على الحقيقة، وطريقتهم التي أقامهم الله تعالى فيها أقوم طريقة. وقوله (تَلَفُّتِي): هو المبتدأ المؤخّر لقوله (فلنازلي سرح المربّع): كما قدّمنا. وتقديم الخبر مؤذن بالحصر؛ لأنّه الحبّ في الله وما عداه البغض في الله، وهو كمال الإيمان، ومحض العرفان (والتلّفت): صرف الوجه يمنة ويسرة، نحو الشيء، قال في الصحاح: «التفت التفاتاً، والتلفت أكثر منه». وقوله (وعنائي): أي تعبي في الاعتناء بمن ذكر، والاشتغال بهم، ومشاهدة الحقّ تعالى بتجلّياته بظواهرهم وبواطنهم، قال العارف الكامل الشيخ نجم الدين بن إسرائيل قدّس سرّه:

عندي قبول لنسيم القبول ... أظنّه من حيّ ليلى رسول
شتَّت شمل الهمّ لمّا سرى ... كأنّما طاف بكأس الشمول
معطّر الأذيال في طيّه ... نشر به نشر لميت الخمول
وبالغضا حيث تصول العدا ... بيت لليلى ما إليه وصول
ممنع الأكناف حفّت به ... جرد المذاكي والقنا والنصول
وجيرة جاروا ولم يعدلوا ... وما لقلبي عن هواهم عدول
سهدي ودمعي والأسى والجوى ... والوجد والشوق وفرط النحول

وقال أيضاً قدّس الله سرّه:

وافي النسيم مضمّخاً ريّاكم ... فأذابني شوقاً إلى رؤياكم
عبقاً يتيه على العبير وإنّما ... عبقت غلائله بنشر ثراكم
وأتى وفيه من بشائر وصلكم ... معنى ومعناه شذى ريّاكم
يا جيرة الجرعا دعوة مغرم ... يشتاق معناه إلى معناكم

=

قال «حدّثني جبريل قال: سمعت ربّ العزّة يقول: لا إله حصني، فمن قالها دخل حصني، ومن دخل حصني أمن عذابي».

علّمتم روحي الحنين إليكم ورميتموها عامداً بجفاكم

ومنعتم منّي طروق خيالكم فحرمت حتّى في المنام أراكم

أولستم العرب الممنّع جارها فإلامَ لا يرعى نزيل حماكم

إلى آخر الأبيات والإشارات العفائف الأبيّات.

٢٥- وَهُمُ هُمُ صَدُّوْا دَنَوْا وَدُّوا جَفَوْا غَدَرُوْا وَفَوْا هَجَرُوا رَثَوْا لِضَنَائِي

(وهُمُ): بضمّتين، ضمير راجع إلى المذكورين في الأبيات قبله. وقوله (هُمُ): بضمّتين أيضاً/ [٢٩٦/ أ] خبر عن (هم) الأوّل. والمعنى: إنّ الأحبّة الأولّين في الأزل هم الأحبّة الآخرون الباقون إلى الأبد، لم يتغيّر أمرهم، ولا تبدّل حالهم، كقول الشاعر (أنا أبو النجم وشعري شعري) أي: الذي كنت تعهده من شعري سابقاً هو الآن بعينه؛ فإنّ الشرط في الموضوع ومحموله أنْ يتّحدا، باعتبار ما صدقا عليه، وأنْ يختلفا باعتبار المفهوم، كقولك زيد قائم، وهاهنا الأمر كذلك. يعني: إنّ هؤلاء المذكورين الذين عهدتهم سابقاً هم الآن على ما هم عليه لم يتغيّروا، ولا تبدّلوا وإنْ صدر عنهم أحوال وأفعال تغيّرت وتبدّلت على محبّتهم، ولم تغيره ولم تبدّله. وقوله (صدّوا): أي أعرضوا، قال في المصباح: «صَدَدْت عنه صدّاً وصدوداً: أعرضت. على معنى أنّهم وإنْ أعرضوا عنّي فإنّي لا أتغيّر عن محبّتهم. وقوله (دنوا): أي قربوا، يقال: دنا منه، ودنا إليه، يَدنو دُنُوّاً: قرب، فهو دانٍ، كما في المصباح. أي: دنوا منّي وإليّ، وأبدلوا إعراضهم بالقرب؛ فإنّني محبّ لهم على كلّ حال. وقوله (ودّوا): من الودّ، بمعنى: محبّة الشيء، وتمنّي كونه، ذكره الراغب. وقال في الصحاح: «وددت الرجل أودّه ودّاً: إذا أحببته. على معنى أنّهم وإنْ أحبّوني وتمنّوا كوني عنده. وقوله (جفوا): يقال: جفوت الرجل أجفوه: أعرضت عنه، أو طردته، وهو مأخوذ من جُفَاء السيل، وهو ما نفاه السيل. وقد يكون مع بغض، كذا في المصباح. على أنّ معناه: وإنْ أعرضوا عنّي وطردوني من

قربهم. وقوله **(غدروا)**: بالغين المعجمة والدال المهملة: من الغدر، يقال: غَدَرَ به غَدْرَاً: من باب ضرب: نقض عهده، كما في المصباح. على أنّ معنى أنّهم وإنْ نقضوا العهد الذي بيني وبينهم في طريق محبّتهم. وقوله **(وَفوا)**: يقال: وفيت بالعهد والوعد: أفي به وَفاء، والفاعل وَفِيٌّ، كذا في المصباح. وقال في الصحاح: «الوفاء ضدّ الغدر، يقال: وفَى بعهده وأَوفى بمعنى». على معنى: إنّهم لم يغدروا، ووفوا له بعهد محبّته وميثاق قربه. وقوله **(هجروا)** يقال: هَجَرته هجراً، من باب قتل: تركته ورفضته، فهو مهجور. وهَجَرت الإنسان قطعته، والاسم: الهِجْران، كما في المصباح. على معنى: إنّهم تركوني وقاطعوني ورفضوا جانبي. وقوله **(رثوا)**: رثيت له: ترحّمت ورققت له، كذا في المصباح. وقوله **(لضنائي)**: يقال: ضَنِيَ ضَنَىً، من باب تعب: مَرِضَ مَرَضَاً ملازماً حتّى أشرف على الموت؛ فهو ضنٍ، بالنقص. والضَّنَاء بالفتح والمد: اسم منه، وأَضناه المرض بالألف فهو مُضْنَىً، كما في المصباح». بمعنى: وإنْ ترحّموا لسقامي وأمراضي الملازمة لي ورقّوا لها، وشفقوا على أحوالي، فإنّي لا أنفك عن محبّتهم على أي حال عاملوني به، ووجدته منهم، كما قال ابن إسرائيل قدّس سرّه:

أسُكَان قلبي إنْ تَنَاؤُوا وإنْ حلّوا	ومُلَّاك وُدّي واصلوني أو ملّوا
تساوى لديَّ القرب والبعد فيكم	كما تساوى عنديَ الهجر والوصل
فإنْ شئتم صُدُّوا وإنْ شئتم صِلوا	فإنّ سواكم في فؤادي لا يحلو
هواكم هوان عند غيري وعزّة	لديَّ ومحض الجور من حكمكم عدل
بحقّ جفوني في الهوى بك أسفكوا	دما هدرا ما أنْ يراد له عقل
أأخشى إذا استشهدت فيكم صبابة	ببدر ومثلي ليس يخفى له فضل
وأكره أنّ الحي أرخصني لكم	ولي قلب صبّ في ولائكم يغلو
دعوني منّي وافعلو ما بدا لكم	فإنّي لِمَا أَهّلتموني له أهل

سهادي بكم أحلى لديّ من الكرى وأصعب ما ألقاه في حبّكم سهل

وقال أيضاً من أبيات له قدّس سرّه:/ [٢٩٦/ ب]

سلوتُ بحبّ علوة عن وجودي فكان وجودها سبباً لفقدي
وحلّ عقال عقلي في هواها فصار بها ضلالي عين رشدي
فلست مفرقاً ما بين وصل وهجران وتقريب وبعد

وقال أيضاً من أبيات أخرى له قدّس الله سرّه:

منكم إليكم مهربي ومآلي وبكم عليكم في الهوى إدلالي
يا من لذذت بذلّتي في حبّهم وأخو الهوى من لذّ بالإذلال
لا تحسبوني خائفاً من هجركم أو راجياً منكم دوام وصال
هيهات لي وحياتكم بهواكم شغل عن الإعراض والإقبال

٢٦- وَهُمُ عِيَاذِي حَيْثُ لَمْ تُغْنِ الرُّقَى وَهُمُ مَلَاذِي إنْ عَدَتْ أَعْدَائِي

(وهُمُ)[1] بضمّتين، أي: الذين تقدّم ذكرهم. وقوله (عِياذي): بكسر العين المهملة، يقال: اسْتَعَذتُ بالله وعُذْتُ به مَعَاذاً وعِياذاً، أي: اعتصمت، و كذا في المصباح. وقال في الصحاح: «وعُذْتُ بفلان، واستَعَذْتُ به، أي: لجأت إليه، وهوعياذي، أي: ملجئي». وقوله (حيث): هي ظرف مكان، وتضاف إلى جملة، وهي مبنيّة على الضمّ، وبنو تميم ينصبون إذا كانت في موضع نصب، نحو: قمْ حيثَ يقوم زيد، كذا في المصباح. وقوله (لم تُغْنِ): بضمّ التاء المثنّاة الفوقيّة وسكون الغين المعجمة وكسر النون، والياء محذوفة للجازم، وهو (لم)، وأصله تُغْنِي، من

---

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: «بلغ مقابلة وسماعاً على نسخة المؤلّف حفظه الله تعالى وكتبه الفقير إبراهيم بن محمّد الدكدكجي». يلاحظ هنا أنّ الناسخ أول مرة يذكر اسمه مع اسم أبيه، كما هي المرّة الأولى التي يصرّح فيها بقوله: «نسخة المؤلّف».

أغنى، قال في المصباح: «أَغْنَيْتُ عنك، بالألف، مَغْنَىَ فلان ومَغْنَاتَه: إذا أَجْزَأْتَ عنه وقمت مقامه، وحكى الأزهريّ: ما أَغْنَى فلانٌ شيئاً، بالغين والعين، أي: لم ينفع في مُهمّ ولم يكفِ مؤونةً». وقوله (**الرُقى**): جمع رقية، قال في المصباح: «رَقَيْتُهُ أَرْقِيهِ رَقْيَاً، من باب رَمَى، رَقْياً: عَوَّذْته بالله، والاسم: الرُّقْيَا، على فُعْلى، والمَرَّة: رُقْيَة، والجمع: رُقَىً، في مثل: مُدْيَة ومُدَىً». يعني: إنّ حقائق هؤلاء المذكورين حيث بهم تجلّى على الحقّ تعالى. عياذي وحفظي واعتصامي من جميع المؤذيات في الدنيا والآخرة، حيث لا تنفع الرُّقَى والتعويذات، ولا تغني عنِّي شيئاً. وقوله (**وهُمُ**): بضمّتين أيضاً، يعني: هؤلاء المذكورين. وقوله (**ملاذي**): أي حِصني، من اللَّوْذ بالشيء: الاستتار والاحتضان به، كذا في القاموس. وقوله (**إنْ عَدَتْ**): من العَداء بالفتح والمدّ: تجاوز الحد والظُلم، يقال:عَدَا عليه عَدْواً وعُدُوّاً، كذا في الصحاح. وقوله (**أعدائي**): جمع عدو، ضدّ الصديق. يعني: إنّ هؤلاء المذكورين من حيث حقائقهم القائمة على نفوسهم بها كسبت حصني وملجئي عند الشدائد، وهجوم المصائب، وغلبة الأعداء. وفيه إشارة إلى أنّ الالتجاء بالصالحين والاستعاذة بهم في كلّ أمر لهم من حيث أنّهم مظاهر وتجلِّيات للحقّ تعالى، وهم من حيث هم في بصائر العارفين عدم لا وجود لهم، أحياء وأمواتاً؛ فلا يراد الالتجاء إليهم من هذه الحيثيّة العدميّة، وكلامنا مع مَن يفهم الكلام، ويعرف مقاصد أهل هذا المقام. وأمّا الغافلون من أهل الرسوم فإنّهم يشركونهم مع الله تعالى في الوجود مع جملة العالم، ولا يعرفون الفرق بين الخالق والمخلوق، والحقّ عندهم غائب، والخلق هو الحاضر، بعكس ما عليه أهل المعرفة من الأولياء المحقِّقين.

٢٧- وَهُـمُ بِقَلْبِـي إنْ تَنَـاءَتْ دَارُهُـمْ عَنِّـي وَسُـخْطِي فِي الهَـوَى وَرِضَـائِي

(**وهُمُ**): بضمّتين أيضاً، أي: هؤلاء المذكورين. وقوله (**بقلبي**): أي حاضرون فيه لا يغيبون عنه، من حيث حقائقهم الراجعة إلى حقيقة واحدة متجلِّية باسمائها الحسنى وصفاتها/ [٢٩٧/ أ] العليا. وقوله (**إن تناءت**): أي بعدت عن ملاحظتي

ومشاهدتي. وقوله (دَارُهُم): أي صورهم الروحانيّة والجسمانيّة التي هي مظاهر تلك الحقيقة الواحدة المذكورة. وقوله (عنِّي): متعلّق بتناءت، أي: عن إدراكي لها، وهذا شرط في المعرفة الإلهيّة عند أهل التحقيق في الحقّ تعالى، كما قلنا في أبيات لنا:

إنّ الفنـــاء طهـــارة الإنـــسان ... لـــصلاة معرفـــة البعيـــد الـــداني
فـصلاة معرفـة الإلـه بغـير مـا ... طهـــر الفنـــاء عديمـــة الأركـــان
والكفــر فيهــا ظــاهر بكلامــه ... وبفعلـــــه وإزالـــــة الإيـــــمان
إنّ الفنــاء طهــارة مفروضــة ... لــــصلاة معرفــــة الإنــــسان
وهـو الفنـاء المحـض بـالتطهير عـن ... خبـث الجـسوم كثـائف الحيـوان
وعـن النفـوس لطـائف الكـون التـي ... حـدثت فقـل حـدث مـن الحـدثان
وطهـارة الأخبـاث والأحـداث لا ... تجـــزي بغيرالمـــاء ذي الـــسيلان
والمـاء مـاء الغيـب ينـزل مـن سـما ... غيــب الإلــه عــلى فــؤاد عــاني
لا بــدّ ذاك يكــون مــاء مطلقــاً ... عــــمّا يخالطــــه مــــن الأكــــوان
حتّـى بـه حـدث يـزول وإن يكـن ... مـــاء تـــراه مقيّـــداً بمعـــاني
فهــو المقيّــد وهــو لــيس برافــع ... حــدثاً كــما قالتــه أهــل الــشأن
لكــنّهم في رفعــه خبثــاً لهــم ... قـــولان والرفـــع اقتـــضاء بيـــاني
المـــاء ذاك المطلـــق الـــصرف الـــذي ... هـــو بـــالوجود يـــراد في القـــرآن
تحقيــق كــلّ حقيقــة بــالحقّ إذ ... هـــو لا ســـواه وكـــلّ شيء فـــاني

وقوله (وسُخْطِي): بضمّ السين المهملة وسكون الخاء المعجمة، قال في المصباح: «سَخِطَ سَخَطَاً، من باب تَعِبَ، والسُخْط بالضمّ: اسم منه، وهو الغضب». وقوله (في الهوى): أي في المحبّة الإلهيّة. يعني: وهم أيضاً غضبي الذي أغضبه لفناء ما

منّي من جمع الأمور، وفناء الغضب في حقيقة الوجود الذي هو ظاهر به كبقيّة الأكوان وقوله (ورضائي): معطوف على سُخطي، أي: وهم رضائي أيضاً.

٢٨- وَعَلَى مَحَلِّي بَيْنَ ظَهْرَانِيهِم بِالأَخْشَبَيْنِ أَطُوفُ حَوْلَ حِمَائِي

(وعلى مَحَلِّي): متعلِّق بأطوف، ومحلّه: حاله ومقامه في درجات القرب الإلهيّ. وقوله (بين ظهرانيهم): بفتح الظاء المعجمة وفتح النون وسكون الياء التحتيّة وكسر الميم، قال في المصباح: «هو نازل بين ظهرانَيْهم بفتح النون، قال ابن فارس: ولا تكسر، وقال جماعة: الألف والنون زائدتان للتأكيد، وبين ظَهْرِيْهِم، وبين أَظْهُرِهم كلّها بمعنى بينهم. وفائدة إدخاله في الكلام أنّ إقامته بينهم على سبيل الاستظهار بهم، والاستناد إليهم. وكأنَّ المعنى: إنّ ظَهْراً منهم قدّامه بينهم، وظَهْراً وراءه، فكأنّه مَكنوف من جانبيه، هذا أصله. ثمّ كَثُر حتّى استُعمل في الإقامة بين القوم وإنْ كان غير مكنوف بهم». وضمير الجمع للمذكورين قبل ذلك. وقوله (بالأَخْشَبَيْنِ): تثنية الأخشب بالخاء والشين المعجمتين، والباء الموحّدة، قال في القاموس: «الأخشبان: جبلا مكّة، أبو قبيس والأحمر». يعني: المسمّى الآن جبل النور، يكنّى بذلك عن مقام الجمع والفرق. وقوله (أطوف حول حِمائي): والحمى مقصور، ومدّه لأجل الوزن والقافية، وهو لغة قليلة، قال في الصحاح: «حَمَيْتُهُ حِمَاية، أي: دفعت عنه وهذا شيء حِمَىً، على فِعَل، أي: محظور لا يُقرب. وأَحْمَيْت المكان جعلته/ [٢٩٧/ ب] حِمَى، وفي الحديث: «لا حِمَى إلّا حِمَى لله ورسوله»[١] يشير بالحمى إلى حمى الكعبة المشرّفة، وهو الحرم المحرّم الذي من دخله كان آمناً، كناية عن قلبه المعمور بمعرفة ربّه تعالى صاحب الحضور التامّ؛ فإنّ كلّ من وقع في خاطره من الناس أمن من كلّ سوء؛ لأنّه حرم آمن،

---

(١) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب المساقاة، باب: لا حمى إلّا لله ورسوله، ٢٣٧٠، عن ابن عبّاس رضي الله عنهما.

وقلبه بيت الله؛ ولهذا أضاف الحمى إلى ياء المتكلِّم. وطوافه فيه بالأخشبين كناية عن جمعه بين مقام الجمع والفرق. وذلك كلّه محلّه بين أصحابه من العارفين الكاملين، أهل التحقق بالحقّ.

٢٩- وَعَلَى اعْتِنَاقِي لِلرِّفَاقِ مُسَلِّمَاً عِنْدَ اسْتِلَامِ الرُكْنِ بِالإِيمَاءِ

(وعلى اعْتِنَاقِي): متعلِّق بأطوف في البيت قبله، قال في المصباح: «عَانَقْتُ عِنَاقَاً واعْتَنَقْتُ وتَعَانَقنا، وهو الضمّ والالتزام بوضع الأيدي على العنق». وقوله (للرِّفاق): جمع رفيق قال في المصباح: «الرفيق: الذي يرافقك، قال الخليل: ولا يذهب اسم الرفيق بالتفرّق. والرُّفْقَة: الجماعة ترافقهم في سفرك، فإذا تفرّقتم زال اسم الرُّفقة، وهو بضمّ الراء في لغة بني تميم، والجمع: رِفاق، مثل: بُرْمَة وبِرَام، وبكسرها في لغة قيس».

ومعنى اعتناقه لرفاقه وأصحابه القادمين من السفر الإلهيّ، أو عليه ممّن يفارق نفسه إلى ربّه في سفره الأوّل، ومن ربّه إلى ربّه على وجه التحقّق به في سفره الثاني، ومن ربّه إلى نفسه في سفره الثالث، ليعرف نفسه حقّ المعرفة، ومن نفسه إلى نفسه، متحقّقاً بنفسه وبربّه، وهو السفر الرابع؛ فتتداخل الروحانيّات بهذا الاعتناق المذكور، ويجتمع الكلّ في الروح الأمري في عالم الجبروت، بعد العبور عن عالم الملك والملكوت، وطوافه على هذا الاعتناق تردُّده فيه المرّة بعد المرّة. وقوله (مسلِّماً): بتشديد اللام مكسورة: حال من ياء المتكلِّم في اعتناقي، يقال: سَلَّمَ عليه إذا حيّاه بالتحيّة، يعني: جال كوني مسلِّماً على رفاقي بالاعتناق معهم وبمخالطتهم. وقوله (عند استلام): يقال استلم الحجر: لمسه، إمّا بالقبلة أو باليد، ولا يهمز؛ لأنّه مأخوذ من السلام، وهو الحجّ، كما تقول: استنوق الجمل، وبعضهم يهمزه، كذا في الصحاح. وقوله (الركن): ركْن الشيء: جانبه، والجمع: أركان، يشير إلى ركن الكعبة. أمّا ركن الحجر الأسود، أو الركن اليماني، وهو

كناية عن ركن العلم بالله الذي بنيت عليه كعبة القلب الإنسانيّ الكامل الإيمان والمعرفة. والأركان الثلاثة الباقية: ركن الحياة، وركن الإرادة القلبيّة، وركن القدرة. والحجر الأسود: وهو النفس الإنسانيّة في ركن الباب، وهوركن العلم. وقوله (**بالإيماء**): متعلّق باستلام، يقال: أَوْمَأْتُ إليه إيماءً: أَشرتُ إليه بحاجب، أو يد، أوغير ذلك، كذا في المصباح. والمعنى: عند توجّهي بالإشارة إلى العلم الإلهيّ الذي في قلبي بحصول الحضور، وغيبة المحسوس والمعقول.

٣٠- وَعَلَى مُقَامِي بِالمَقَامِ أَقَامَ فِي جِسْمِي السِّقَامَ وَلَاتَ حِيْنَ شِفَاءِ

(**وعلى مُقامِي**): متعلّق بأقام، أي: أقام السقام في جسمي تحسّراً على مقامي بالمقام. و(**مُقامِي**): بضمّ الميم: اسم الموضع الذي يقيم فيه. وقوله (**بالمقام**): بفتح الميم أي: مقام إبراهيم عليه السلام بالقرب من الكعبة المشرّفة، كناية عن وراثة المقام الإبراهيميّ الخليليّ في ولايته، فإنّ إقامته في ذلك المقام اقتضى له الاضمحلال بالكليّة عن دعوى وجوده، لهذا قال (**أقام**): أي سكن ولم يرتحل. وقوله (**في جسمي السقام**): فاعل أقام، وهو بفتح السين المهملة، قال في المصباح: «سَقِمَ سَقَماً، من باب تعب، وسَقُمَ سُقْماً من باب قَرُبَ، فهو سِقِيم. والسَقَام بالفتح: اسم منه، كنّى به عن النُّحُول الشديد، والفناء والاضمحلال بالكليّة، بحيث لم يبقَ منه في المحبّة بقيّة، فإنّ مقام الخَلّة الإبراهيميّة تَخَلَّلَ وجود المحبوب في أجزاء المحبّ العدميّة التي هي صورته التقديريّة من/[٢٩٨/ أ] غير حلول، ولا اتّحاد، ولا ثنويّة، ولا إيجاد؛ وإنّما هو ظهور وجودي، ومقام شهودي من قبيل: «كنت سمعه الذي يسمع به»[1] لا سمعه الذي لا يسمع به، وهو أُذنه الجارحة، وقوّتها العرضيّة، وكذلك بصره الذي يبصر به، كما ورد في الحديث. وقوله تعالى: ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾ [١١/هود/٨٦] حيث لم يبق منه غيرها؛ فإنّ ذلك خيرها. وقوله (**ولات حين**

---

(١) انظر تخريجه ص١٤٦.

شفاء): اختلف في (ولات) على أقوال، والجمهور على أنّها كلمتان، لا النافية، والتاء لتأنيث اللفظة، كما في ثمّة وربَّتَ؛ وإنّما وجب تحريكها لالتقاء الساكنين، وتعمل عمل ليس، وهو قول الجمهور. ولا يذكر بعدها إلّا أحد المعمولين. والغالب أنْ يكون المحذوف هو المرفوع. واختلف في معمولها، فنصّ الفرّاء أنّها لا تعمل إلّا في لفظ الحين، وهو ظاهر قول سيبويه. وذهب الفارسيّ وجماعة إلى أنّها تعمل في الحين وفيما رادفه. قال الزمخشريّ: زيدت التاء على لا، وخُصّت على الأحيان. وتمامه مفصّل في مغني ابن هشام. وقوله (شِفاء) يقال: شَفَى الله المريض يَشْفِيه، من باب رمى، شِفَاءً: عافاه، كذا في المصباح. يعني: ليس الحين الذي حصل فيه ذلك السقام حين شفاء منه، فهو الداء الذي لا دواء له، لأنّه كشف عن حقيقة الأمر؛ فإنّ الفناء والاضمحلال بالكليّة أمر ذاتي للممكن، وليس لممكن مشاركة مع الحقّ تعالى في صحة وجود أصلاً.

٣١- وَتَذَكُّرِي أَجْيَادَ وِرْدِي فِي الضُّحَى وَتَــــهَجُّدِي فِي اللَّيْلَــــةِ اللَّــــيْلَاءِ

(**وتَذَكُّرِي**): معطوف على قوله (**السقام**): أي أقام أيضاً تذكّري، ولم يبرح عنّي. والتذكُّر ضدّ النسيان: يقال: ذَكَّرْته ما كان بالتشديد فتذكّر. وقوله (**أجياد**): مفعول تذكّري. قال في الصحاح: «أجياد جبل بمكّة. سُمّي بذلك لموضع خيل تُبّع. وسمّي قُعَيقُعَان لموضع سلاحه». وقوله (**وِردي**): أي حيث كان ذلك الجبل وردي بكسر الواو وهو الوظيفة، من قراءة ونحو ذلك. والجمع: أوراد، مثل حمل وأحمال، كذا في الصحاح. ويجوز أنْ يكون وِردي بدلاً من أجياد، أي: تذكّري وردي. وقوله (**في الضحى**): جمع ضَحْوَة، وهي امتداد النهار، مثل: قَرْيَة وقُرَى، كما في المصباح. والمعنى في وقت الضحى كان له في ذلك الجبل أوراد صلوات وأذكار أيام سلوكه ومجاهدته في طريق الله تعالى، فتذكَرَ ذلك، وحنّ إليه. وقوله (**وتَهَجُّدِي**): أي صلاتي بالليل بعد إلقاء الهجود، وهو النوم، قال في الصحاح: «هَجَدَ وتَهَجَّدَ، أي: نام ليلاً، وهَجَدَ وتَهَجَّدَ، أي: سَهِر، وهو من الأضداد. ومنه

قيل لصلاة الليل: التَهَجُّد. وقوله (في اللَّيلَة اللَّيْلَاء): أي شديدة الظلمة، قال في المصباح: «لَيْلٌ أَلْيَل: شديد الظلمة، ولَيْلَةٌ لَيْلَاء، وليل لَائِل مثل قولك شعر شاعر في التأكيد. ومثل هذا التذكر وقع في كلام الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه حيث قال من أبيات:

يــذكّرني حــال الــشبيبة والــشرخ　　حـديث لنـا بـين الحَديثَة والكَرْخ

وهو من أبيات ترجمان الأشواق له. وقال في شرحه: يقول بعد الوصول إلى مقام إتيان الذكر المحدث بالتنزيل الإلهيّ: يذكّرني حالة السلوك في مقام احتراق الحجب المغيّبة على التي ترفعها الأعمال بما تعطيه من الحقائق والهمم من غير رؤية منّي؛ فيردّني إلى العمل على مقام الحجاب من الحالة التي أنا عليها اليوم من العمل على الكشف بإسقاط رؤية الرؤية فكيف غيرها.

٣٢- عَمْرِي وَلَو قُلِبَتْ بِطَاحُ مَسِيْلِهِ　　قُلُبَـاً لِقَلْبِـي الـرُّيُّ بِالحَـصْبَاءِ

(عَمْري): بفتح العين المهملة مبتدأ خبره محذوف، تقديره قَسَمي. وقال الراغب: العَمْر والعُمُر، يعني بالفتح والضمّ واحد، لكن خصَّ القَسَم بالعَمْر بالفتح دون العُمُر بالضمّ نحو: لعَمْرُك/ [٢٩٨/ ب] ﴿إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [١٥/الحجر/٧٢] وعَمْرَكَ الله، أي: سألت الله عَمْرَك. وخُصّ ههنا لفظ عَمْر لَمَّا قصد له قصد القسم. وقوله (ولو قُلِبَتْ): بالبناء للمفعول، يقال: قَلَبْتُهُ قَلْباً، من باب ضرب: حَوَّلته عن وجهه. وكلام مقلوب: مصروف عن وجهه. وقَلَبْتُ الرداء: حَوَّلتُه، وجعلت أعلاه أسفله، كذا في المصباح. وقوله (بِطَاح): جمع أَبْطَح، نائب الفاعل. قال في الصحاح: «الأَبْطَح مَسِيل واسع فيه دقاق الحصى. والجمع الأَبَاطِح والبِطَاح أيضاً على غير القياس. قال الأصمعي: «يقال: بِطَاح بُطَّح، كما يقال: أَعوام عُوَّم، حكاه أبو عُبيدة. والبَطِيحَة والبَطْحَاء مثل الأَبْطَح. ومنه بَطْحَاء مكّة. وتَبَطَّح السيل، أي: اتسع في البَطْحاء. وقوله (مَسِيْلِهِ): أي مَسيل أَجياد في البيت قبله. والمَسيل مَجْرى السيل. والسَّيل في الأصل من سَال الماء يَسِيل

سَيْلاً من باب باع. ومَسِيلاً وسَيَلاناً: إذا جرى، ثمّ غلب السيل في المُجْتَمِع من المطر الجاري في الأودية، كذا في المصباح. وقوله (قُلُباً): بضم القاف وضمّ اللام: جمع قَلِيب، قال في المصباح: «القَلِيب: البئر، وهو مُذكَّر». قال الأزهري: «القَلِيب عند العرب: البئر العاديّة القديمة، مطويّة كانت أو غير مطويّة. والجمع: قُلُب، مثل بَرِيد وبُرُد». قال في الصحاح: «القَلِيب هو البئر العاديّة القديمة. وجمع القلّة أَقْلِبَة، والكثرة قُلُب، قال الشاعر:

وما سال وادٍ من تهامة طيِّب بها قُلُبٌ عاديَّة وكرار

وقوله (لقلبي): متعلّق بقُلِبَتْ، أي: لأجل قلبي ما فقد قلبي الريّ. وقوله (ريّ): بكسر الراء وتشديد الياء: فعل ماض مبني للمفعول، ونائب الفاعل ضمير مستتر يعود على قلبي، قال في الصحاح: يقال رَوِيت من الماء بالكسر أرْوِي رِيّاً ورَيّاً ورِوَىً أيضاً، وارتويت كلّه بمعنى. وقوله (بالحصباء): متعلّق برِيّ، أي: حصل لي الريّ، وهو زوال العطش بالحصباء التي في ذلك المسيل، لأنّ عطشه ليس عطشاً طبيعيّاً يزول عنه، فيرتوي بشرب الماء، وإنّما عطشه عطش شوق وحبّ وعشق، فيزول برؤية الحصباء وأثر ذلك المسيل.

٣٣- أَسْعِدْ أُخَيَّ وَغَنِّنِي بِحَدِيثِ مَنْ حَلَّ الأَبَاطِحَ إِنْ رَعَيْتَ إِخَائِي

٣٤- وَأَعِدْهُ عِنْدَ مَسَامِعِي فَالرُّوحُ إِنْ بَعُدَ المَدَى تَرْتَاحُ لِلأَنْبَاءِ

(أسعدْ): فعل أمر من الإسعاد، وهو الإعانة. والمساعدة: المعاونة، كذا في الصحاح. أي: أسعدني. بمعنى: أعِنّي، وساعدْني. وقوله (أُخَيَّ): بضمّ الهمزة وفتح الخاء المعجمة وتشديد الياء، مصغّر أَخي، حُذف منه حرف النداء، وتقديره يا أخي. وفي الحديث: «المرء مرآة أخيه»[1]. يعني: يرى صورة ما هو فيه في أخيه؛

---

(١) ذكره العسكريّ في الأمثال بهذا اللفظ، ٢٤٢٢، عن أبي هريرة. كما أخرج البخاريّ في الأدب المفرد، باب: المسلم مرآة أخيه، ١٠٦، عن أبي هريرة بلفظ: «المؤمن مرآة أخيه، إذا رأى فيه عيباً أصلحه».

فالإنسان العارف يرى صورته في مرآة الوجود الحقّ، يرى نفسه في مرآة الإنسان الممكن، وصاحب توحيد الوجود لا يرى الشركة في الوجود أصلاً، وإنّما يرى الوجود المطلق في مقابلة العدم الصرف المطلق، ويرى الممكنات مقتضيات أسماء الوجود، وصفاته تظهر بالوجود، ويظهر الوجود بها؛ فهي مظهره، وهو مظهرها.

وقوله (**وغنّني**): معطوف على أَسْعِدْ، وهو فعل أمر، من الغِناء، مثل كتاب الصوت. (**وغنّى**): بالتشديد إذا ترنّم بالغناء، كذا في المصباح. وقوله (**بحديث**) متعلّق بغنّني. والحديث الخبر يأتي على القليل والكثير، ويجمع على أحاديث على غير قياس، قال الفرَّاء: «نُرَى أنَّ واحد الأحاديث أُحْدوثة، ثمّ جعلوه جمعاً للحديث، كذا في الصحاح. وقوله (مَن): بفتح الميم، أي: الذي، أو محبوب. وقوله (**حَلَّ**): أي سَكَنَ: صلة الموصول، والعائد/ [٢٩٩/ أ] الضمير المستتر، أو صفة للنكرة. وقوله (**الأباطح**): جمع الأبطح، وهو مسيل واسع فيه دقاق الحصى. كنّى بمن حلّ الأباطح عن الروح الذي هو من أمر الله المنفوخ منه في الأجسام الإنسانيّة الكاملة العرفان؛ فإنْ مَن مع سمع حديث ربّه سمع أمراً عن أمر موزوناً، كما قال تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ [١٥/ الحجر/ ١٩]؛ فإنّ كلّ شيء صادر عنه بأمر الله تعالى، فإذا غنّاه بحديثه استغنى بالله عمّا سواه، ولا يجد سواه فلا يستغني أصلاً؛ فهو الفقير الدائم الفقر إليه تعالى، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [٣٥/ فاطر/ ١٥]. وقوله (**إنْ رعيت**): خطاب لقوله: أُخيّ، قال الراغب: «الرَّعْيُ في الأصل حفظ الحيوان، إمّا بغذائه الحافظ لحياته، أو بذبّ العدوّ عنه، يقال: رَعَيْتُهُ، أي: حفظته. قال تعالى: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [٥٧/ الحديد/ ١٥] أي: ما حافظوا عليها حقّ المحافظة». وقوله (**إخائي**): الإخاء مصدر آخاه مؤاخاة وإخاء. والعامّة تقول: واخاه، كذا في الصحاح. وقوله (**وأعِدْهُ**): معطوف على غنّني، أي: أعِدْ الحديث المذكور؛ بمعنى كرره. وقوله (**عند مسامعي**): جمع مِسْمع، بكسر الميم،

قال في الصحاح: «السامعة الأُذن، وكذلك المِسْمع بالكسر». وقال في المصباح: «المِسمع بكسر الأوّل، والجمع: أسماع ومَسامع». يعني: كرر ذلك الحديث بحيث أسمعه، ويمكن أن يكون الحديث بمعنى الحادث، فَعِيل بمعنى فاعل، كرحيم بمعنى راحم، وعليم بمعنى عالم. والغَناء بالحادث من قبيل ما نزل في بعض صحف النبيِّين عليهم السلام: «لقد غنيت لكم فلم ترقصوا» أي: وازنت لكم الأمور فلم تجروا على موازنتي، ولم تتبعوها. ومن ذلك قال الشيخ عبد الهادي السودي اليمني قدّس سرّه من أبيات له:

لقد غنّى الحبيب لكلّ حِبٍّ فأين الراقصون على الغناء

أيشدو من تحبّ وأنت لاه وترضى بالقساوة والعناء

فيبقى قوله **(وأعِدْه)**: أي الحديث. **(عند مسامعي)**: أي أسمعني حركة الأمر الإلهيّ الذي هو كلمح بالبصر. ثمّ قال **(فالروح)**: أي المنفوخ في الجسد الإنسانيّ، قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨٥]. وقوله **(إنْ بعد المدى)**: أي الغاية. قال في المصباح: «المدى بفتحتين: الغاية، وبلغ مدى البصر، أي: منتهاه وغايته. وقوله **(ترتاح)**: أي تنشط قال في الصحاح: «الارتياح: النشاط». وقوله **(للأنباء)**: جمع نَبأ، وهو الخبر. يعني: إنّ الأرواح إذا سمعت أحاديث الأحبّة وأخبارهم انبسطت، ونشطت، وطلبت تكرار تلك الأخبار لانتعاشها بها، قال عفيف الدين التلمسانيّ قدّس الله سرّه:

أسكرت بان الحِمى يا نسمة السَحَر فهل أتيتِ عن الأحباب بالخبر

نعم مررت بذك الحيّ فاكتسبت ذيول بردك ريّا نشره العطر

يا روح روحي بروحي للحيّ وقفي به فديتك بين البان والسمر

وقال الآخر:

بالله حدّث يا نسيم الصبا من أين هذا النفس الطيِّب

وللشيخ نجم الدين ابن إسرائيل قدّس الله سرّه:

لا تلمه إذا صبا إنْ سرتْ منهم الصبا خطرت وهي نعمة بشذا تلكم الريّان
ذات نشر معنبرة عن جوى الشوق أعربا خبّأت لي بشائر الوصل من دمي الخيام

/ [٢٩٩/ ب] وما ألطف قوله أيضاً قدّس سرّه:

هبّت شمال فماس الآتل والبان حتّى أرتنا القدود الهيق أغصان
مسكيّة خطرت وهنا قد مزجت لها بماء دموع الطلّ أردان
يا صرّة الطيب ما عطرت أرحلنا إلّا وعندك أخبار الألى بانوا

٣٥- وإذا أَذىً أَلَـمٍ أَلَمَّ بِمُهْجَتِي فَشَذَا أُعَيْشَابِ الحِجَازِ دَوَائِي

(وإذا): ظرف لما يستقبل من الزمان، وفيها معنى الشرط، نحو: إذا جئتني أكرمتك، كذا في المصباح. وقوله (أذىً): بفتح الهمزة، مصدرأَذِيَ الرجلُ أَذىً، من باب تعب: وصل إليه المكروه. والأذيّة: اسم منه، كما في المصباح. وقوله (ألمٍ): بالجرّ، مضاف إليه. والألم: الوجع. وقد ألِمَ يَأْلَمُ أَلَمَاً. وقوله (أَلَمَّ): بتشديد الميم، قال في المصباح: «أَلَمَّ بالذنب: فَعَلَهُ، وأَلَمَّ الرجل بالقوم إلماماً: أتاهم فنزل بهم». وقوله (بمهجتي): متعلّق بألمّ، أي نزل بها. وقوله (فشذا): الشَذَا حدّة ذكاء الرائحة، كذا في الصحاح. وقوله (أُعيشاب): تصغير أعشاب، جمع عُشْب بالضمّ، وهو الكلأ الرطب، كذا في القاموس. وقوله (الحجاز): هي بلاد، سمّيت بذلك لأنّها حجزت بين نجد والغور، كذا في الصحاح. وقال في المصباح: «ويقال سمّي الحجاز حجازاً، لأنّه فصل بين نجد والسراة. وقيل بين الغَور والشام. وقيل: لأنّه احْتُجِز بالجبال. وقوله (دَوائي): الدواء ما يُتداوى به. ممدودٌ، وداله مفتوحة. والجمع أدوية، كما في المصباح. والمعنى: إذا أصابني الأذى، ونزل بي الألم الشديد فرائحة العشب من بلاد الحجاز دوائي، وفي استنشاق ذلك شفائي، يُكنِّي ببلاد الحجاز عن حضرة الأسماء الإلهيّة، وأعشابها ما ينبت فيها من الأشخاص الإنسانيّة

الكاملة. قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [٧١/ نوح/ ١٧] ورائحة ذلك العشب: ما يظهرعنه من المعارف الإلهيّة والعلوم الربّانيّة؛ فإنّ الاطّلاع على ذلك مُزيل لكلّ ألم وجيع، وهمّ فظيع، وداء منيع.

٣٦- أَأُذَادُ عَنْ عَذْبِ الوُرُودِ بِأَرْضِهِ وَأُحَادُ عَنْهُ وَفِي نَقَاهُ بَقَائِي

٣٧- وَرُبُوْعُهُ أَرَبِي أَجَلْ وَرَبِيعُهُ طَرَبِي وَصَارِفُ أَزْمَةِ اللَّأْوَاءِ

٣٨- وَجِبَالُهُ لِيَ مَرْبَعٌ وَرِمَالُهُ لِيَ مَرْتَعٌ وَظِلَالُهُ أَفْيَائِي

٣٩- وَتُرَابُهُ نَدِّي الذَّكِيُّ وَمَاؤُهُ وِرْدِي الرَّوِيُّ وَفِي ثَرَاهُ ثَرَائِي

٤٠- وَشِعَابُهُ لِيَ جَنَّةٌ وَقِبَابُهُ لِيَ جُنَّةٌ وَعَلَى الصَّفَاءَ صَفَائِي

(أأُذاد): الهمزة الأولى للإستفهام. وأُذاد بضمّ الهمزة الثانيّة، فعل مضارع مبني للمفعول، أي: أُطْرَّد، قال في الصحاح: «الذياد الطّرد، تقول: ذدته عن كذا، وذُدْتُ الإبلَ: سُقتها وطردتها». وقوله **(عن عَذْب)**: عَذُبَ الماءُ، بالضمّ، عُذوبةً: سَاغ مشْرَبُهُ؛ فهوعَذْب، كذا في المصباح. وقوله **(الورود)**: وَرَدَ البعير وغيره الماءَ ورُوداً: بَلَغَه ووافاه، وقد يحصل دخول فيه وقد لا يحصل، كما في المصباح. والتقدير عن ماء عذب الورود. وقوله **(بأرضه)**: أي بأرض الحجاز المذكور في البيت قبله، وكنّى بعذب الورود عن ماء زمزم الأسرار الإلهيّة، والعلوم الربّانيّة التي يفتح بها على بيت القلب الصادق، وحرم العقل الموافق. وقوله **(وأُحَادُ)**: بضمّ الهمزة، فعل مضارع مبني للمفعول، معطوف على أُذاد، يقال: حاد عن الشيء يَحِيد حَيْدَةً وحُيُوداً: تَنَحَّى وبَعُد. ويتعدّى بالحرف والهمزة، فيقال: حِدْتُ به وأَحَدْتُهُ، مثل ذهب وذهبت به وأذهبته، كذا في المصباح. والناظم استعمله متعدّياً بالهمزة؛ من أحاده، رباعيّاً، لا من حاد ثلاثياً؛ لأنّه لازم. وقوله **(عنه)**: أي عن/[٣٠٠/ أ] الحجاز. وقوله **(وفي نقاه)**: الواو للحال، ونقاه خبر مقدّم خبر لقوله **(بقائي)**. والضمير يعود إلى الحجاز. والجملة حال من نائب فاعل أُحاد، وهو ضمير

المتكلِّم. و(النقا): بالنون والقاف، الكثيب من الرمل.

وقوله (بقائي): بالباء الموحّدة والقاف [المعجمة]، بقي الشيء من باب تعب، بقاء وباقية: دام وثبت، كذا في المصباح. وكنّى بالنقاء المضاف إلى ضمير الحجازعن المقام المحمّدي الجامع؛ فإنّ العلوم والأسرار فيه متبيِّنة غير ملتبسة ولا متداخلة، فأشبهت الكثيب من الرمل، ولم يجعله تلاً من تراب لذلك، فإنّ قيامه بذلك المقام ودوامه وثباته عليه. ثمّ قال (وربوعه): أي الحجاز، جمع رَبْع، قال في المصباح: «الرَبْع محلّة القوم ومنزلهم، وقد أُطلق على القوم مجازاً، والجمع رِباع، مثل: سَهْم وسِهام، وأرباع وأرْبُع ورُبُوع مثل: فُلوس». قال في الصحاح: «الرَبْع الدار بعينها، حيث كانت». وقوله (أَرَبِي): الأَرَب بفتحتين: الحاجة، والجمع المآرب، كما في المصباح. كنّى بربوع الحجازعن أهل المراقبة والمشاهدة؛ لدوام معاينتهم بيت ربّهم في عباداتهم وعاداتهم. يعني: هم مقصوده ومراده لدوام ترقيه بصحبتهم ولقائهم.

وقوله (أجل): بالجيم وسكون اللام، قال في الصحاح: «قولهم أجل إنّما هو جواب، مثل: نعم، قال الأخفش: إلّا أنّه أحسن من نعم في التصديق، ونعم أحسن منه في الاستفهام، فإذا قال: أنت سوف تذهب. قلت:أجل. وكان أحسن من نعم. وإذا قال: أتذهب. قلت: نعم. وكان أحسن من أجل». وقوله (وربيعُهُ): أي ربيع الحجاز. قال في المصباح: «وأمّا ربيع الزمان فاثنان، الأوّل: الذي تأتي فيه الكمأة والنور. والثاني: الذي تدرك فيه الثمار، وقال في الصحاح: «وأمّا ربيع الأزمنة فربيعان، الربيع الأول: وهو الفصل الذي تأتي فيه الكمأة والنور، وهو ربيع الكلأ. والربيع الثاني: هو الفصل الذي تدرك فيه الثمار. وفي الناس من يسمّيه الربيع الأوّل». وسمعت أبا الغوث يقول: العرب تجعل السنة ستة أزمنة: شهران: منها الربيع الأوّل، وشهران: صيف، وشهران: قيظ، وشهران: ربيع الثاني، وشهران: خريف، وشهران: شتاء. وكنّى الناظم قدّس سرّه بربيع الحجاز هنا عن

التجلّيات الإلهيّة، والتدلّيات الربّانيّة من المشرب المحمّديّ، والمشهد الأحمدي.

وقوله (طَرَبي): طَرِبَ طَرَباً فهو طَرِب، من باب تعِب. وطَرُوب مبالغة، وهي خِفَّة تصيبه لشدّة حزن أو سرور. والعامَّة تخصّه بالسرور، كذا في المصباح. وقوله (وصارِف): معطوف على طربي. والصارف: اسم فاعل من الصرف، وهو الدفع والمنع، يقال: صرفت الرجل عنّي فانصرف. وقوله (أَزْمَة): بفتح الهمزة وسكون الزاي: الشدّة والقحط، كما في الصحاح. وقوله (اللّأواء): بتشديد اللام مفتوحة، وسكون الهمزة، وفتح الواو بعدها ألف وهمزة، هي الشدّة. وفي الحديث: «مَنْ كان له ثلاث بنات فصبر على لَأوائهنّ كنّ له حجاباً من النار»[1]، كذا في الصحاح. والمعنى: إنّ الربيع المذكور طَرَب وسرور له، ومزيل عنه شدّة كلّ شدّة من جوع، أو قحط، أو غير ذلك، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [٢٢/الحج/٣٨] وأتى بالاسم الجامع، وهو الله للإشارة إلى أنّ جميع أنواع التجلّيات الإلهيّة في جميع الحالات تقتضي الحفظ والعناية للعبد إذا شهدها في نفسه وفي غيره، وتدفع عنه كلّ سوء في الدنيا والآخرة. وقوله (وجباله): أي الحجاز، جمع جبل. وقوله (لي مَرْبَع): وِزان جعفر، منزل القوم في الربيع، كما في المصباح. وكنّى بجبال الحجاز عن مقامات القرب الإلهيّ التي يرسخ فيها العبد، فلا يزول عنها. وقوله (ورماله)/ [٣٠٠/ ب] أي: الحجاز، كناية عن العلوم الربّانيّة. وقوله (لي مرتع) وزان جعفر: موضع الرتوع، والجمع المراتع، يقال: رَتَعَتِ الماشية رَتْعاً، من باب نفع، ورُتُوعاً: رَعَتْ كيف شاءت، كذا في المصباح. وهو استفادة الأحوال الشريفة من تلك العلوم الربّانيّة. وقوله (وظلاله): أي الحجاز، جمع ظلّ، قال في

---

(١) أخرجه ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث والأثر، بهذا اللفظ ٤/ ٤١٧، كما أخرج الحاكم في المستدرك، باب: البرّ والصلة، ٧٣٤٦، عن أبي هريرة، بلفظ: «من كنّ له ثلاث بنات فصبر على لأوائهنّ وضرّائهنّ أدخله الله الجنّة برحمته إيّاهنّ، فقال رجل: وابنتان يا رسول الله؟. قال: وإنْ ابنتان. قال رجل: يا رسول الله، وواحدة. قال وواحدة». قال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. علّق الذهبي: صحيح.

المصباح: «قال ابن قتيبة: يذهب الناس إلى الظلّ والفيء بمعنى واحد، وليس كذلك؛ بل الظلّ يكون غُدْوَة وعَشِيَّةً، والفيء لا يكون إلا بعد الزوال، فلا يقال لما قبل الزوال فيء؛ وإنّما سُمِّي بعد الزوال فيئاً، لأنّه ظِلٌّ فاء عن جانب المغرب إلى جانب المشرق، والفيء: الرجوع، وقال ابن السكّيت: الظِلّ من الطلوع إلى الزوال، والفيء من الزوال إلى الغروب. قال ثعلب: الظلّ للشجرة وغيرها بالغداة. والفيء بالعشيّ. قال: وقال رؤبة بن العجاج: كلّ ما كانت عليه الشمس فزالت عنه فهو ظلّ وفيء، وما لم تكن عليه الشمس فهو ظلّ. ومن هنا قيل: الشمس تنسخ الظلّ، والفيء ينسخ الشمس. وجمع الظلّ ظِلال وظُلل، وزان رطب؛ ولهذا فرّق الناظم بين الظلال والأفياء؛ فأخبر عن الظلال أنّها أفياءه حيث قال (أفيائي): جمع فيء، يقال: فاء الرجل يَفيء فَيئاً، من باب باع: رجع. وفي التنزيل: ﴿حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [٤٩/ الحجرات/ ٩] أي: حتّى ترجع إلى الحقّ. وفاء الظلّ يَفيء فيئاً: رجع من جانب المغرب إلى جانب المشرق. والجمع فُيُوء وأفياء مثل بَيت وبُيُوت وأبيات، كذا في المصباح. يكّنى بالظلال عن الأحوال التي تغلب على القلب من شدّة ظهور الحقّ له في تجلّيه عليه، ويكنّى بالأفياء عن رجوع تلك الأحوال إليه المرّة بعد المرّة حتّى تصير مقامات له ثابتة فيه بحيث يملكها، وقد كانت تملكه.

وقوله (وترابه): أي تراب الحجاز، يعني العلوم الكونية المستفادة من الحضرة الأسمائيّة الإلهيّة. وجعلها تراباً لأنّها ملتبسة، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [٦/ الأنعام/ ٨٢] الآية؛ فإنّ الظلم نسبة الشيء إلى غير ما هو له على أنّه له كالنسب الكونيّة، فإنّها ظلم ألبس بها صاحبها إيمانه. وقوله (ندّي): بتشديد الدال المهملة، قال في المصباح: النَدّ بالفتح: عُوْدٌ يُتبَخَّر به، وقال في الصحاح: «والنَدُّ من الطيب ليس بعربي، وأضاف النَدّ إلى نفسه لأنّه هو الذي يشتم من تلك العلوم الكونيّة روائح الحقّ تعالى دون غيره. وقوله (الذكيّ): وصف لنَدّي، يقال: ندٌّ ذكيّ، أي: شديد الرائحة؛ فإنّ العلوم الكونيّة والمعلومات العينيّة عند

غيره أغيار، وعنده تجلّيات إلهيّة في صور التقادير العدميّة كما أشرنا إلى ذلك بقولنا من أبيات لنا:

هـــو البحـــر عنـــه لا يـــزول كلامنـــا ... فعـن موجـه طـوراً وطـوراً عـن المـاء

وقوله (وماؤه): أي ماء الحجاز، كناية عن صفة الحياة الإلهيّة السارية بلا سريان في كلّ شيء محسوس أو معقول، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [٢١/ الأنبياء/ ٣٠] أي: من جهة كونه موصوفاً بالحياة جُعل من الماء، وهذا السريان ليس بسريان، بل هو إحاطة من قوله سبحانه: ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾ [٤١/ فصّلت/ ٥٤]. ولأنّ السريان لا يكون إلّا بين شيئين، كلّ واحد منهما له وجود مستقل، وأمّا أنّ أحدهما وجود حقيقيّ، والآخر عدم صرف مقدّر فسريان الوجود في العدم عبارة عن إحاطته به، وتقديره له على مقتضى ما يريد، وللشيخ عبد الهادي السودي قدّس الله سرّه من أبيات له:

لـــو تجلّـــت عـــنهم ظلـــم ... وانمحـــوا عـــن عـــالم الـــصور

شـــاهدوا معنـــاك منبـــسطاً ... ســـارياً في ســـائر الفطـــر

ودروا أنّ الحجـــــاب هـــــم ... عن جمال المنظر النظر/ [٣٠١/ أ]

وقـــضى يعقـــوب حاجتـــه ... وانتهـــى زيـــد إلى الـــوطر

وقوله (وِرْدي): بكسر الواو، والورد: الاسم من وَرَدَ الماءَ يَرِده وُرُوداً: بلغه ووافاه. وقوله (الرَّوِيُّ): بتشديد الياء التحتيّة، وصف لِوِرْدي، أي: الذي يروي الصدا، ويزيل العطش على المدى، كما ورد في ماء الحوض النبويّ: «إنّ مَنْ شرب منه لا يظمأ بعدها أبداً»(١) وهو المشرب المحمّديّ، والوِرد الأحمديّ، والريّ السرمديّ. وقوله (وفي ثراه): أي الحجاز. والثرى: بالثاء المثلّثة، وِزان الحصى: نَدَى الأرض. وأثرت الأرض بالألف: كثر ثراؤها، كذا في المصباح. وقال في الصحاح: «الثرى التراب

---

(١) أخرجه الطبرانيّ في مسند الشاميّين، باب: ما انتهى إلينا من مسند صفوان بن عمرو، ٩٢٨.

النديّ، وأرض ثرياء: ذات ندى، ويقال: التقى الثَّريان، وذلك أنْ يجيء المطر فيرسخ في الأرض حتّى يلتقي هو وندى الأرض. وأمّا قول طفيل:

يُذَدْن ذِياد الخامسات وقد بدا ثَرى الماء من أعطافها المُتحلِّب

فإنّه يريد العَرَق، قال الأصمعي: «العرب تقول: شهرٌ ثَرَى، وشهرٌ ترى، وشهرٌ مرعى، أي: تمطر أوّلاً، ثمّ يطلع النبات فتراه، ثمّ يطول فترعاه النعم. وقوله (ثرائي): أي غَنائي، قال في المصباح: «الثَّرْوَة: كثرة المال، وأثرى إثراء: استغنى. والاسم منه الثَّرَاء، بالفتح والمدّ». والمعنى: في ثرى الحجاز استغناء عن كلّ شيء، أي: في نداه الذي ينزل على أرضه، كناية عن مدد الإلهام الذي ينزل من سماء الغيب على النفوس بالبشريّة، قال تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [٩١/ الشمس/ ٨] فالفجور والتقوى بالنسبة إلى النفوس، وهو بالنسبة إلى الحقّ تعالى كلّه إلهام، كالماء ينزل من السماء طاهراً طهوراً؛ فإذا وقع في الإناء النجس صار نجساً. وفي الإناء الطاهر صار طاهراً طهوراً. وفي الإناء الكدر يصير كدراً، ونحو ذلك. قال تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ [٨/ الأنفال/ ١١].

وقوله (وشِعابُهُ): أي: شعاب الحجاز، جمع شِعب بالكسر، وهو الطريق، وقيل: الطريق في الجبل، والجمع شعاب، كما في المصباح. وقوله (لي جنّة): بفتح الجيم، وهي الحديقة ذات الشجر، وقيل: ذات النخيل. والجمع جنّات على لفظها، وجِنان أيضاً، كما في المصباح. كنّى بشعاب الحجاز عن الطريق الموصلة إلى معرفة الحقّ تعالى من الصبر، والشكر، والزهد، والورع، والقناعة، والتوكّل، والتقوى، إلى غير ذلك. وأخبر بأنّها عنده جنّة يتنعّم بها.

وقوله (وقبابه): أي الحجاز، جمع قُبَّة، من البنيان معروف. وتطلق على البيت المدوَّر، وهو معروف عند التركمان والأكراد. والجمع: قِباب، مثل: بُرْمَة وبِرَام، كذا في المصباح. وقوله (لي جُنّة): بضمّ الجيم، وهي ما استترت به من سلاح

وغيره، كما في المصباح. فكنّى بالقباب عن صور التجلّيات الإلهيّة الإنسانيّة المعتكفة في حرم المشاهدة الربّانيّة. وكونه يستتر بها، أي: يتوقّى بحفظها له من مهالك الدنيا والآخرة بحكم قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ [٢٢/الحج/٣٨] أي: صدّقوا بمظاهر التجلّيات المذكورة. والاسم الجامع يقتضي مشارب مختلفة لتلك المظاهر، والإنكار لمظهر واحد إنكار لجميع المظاهر، فلا مدافعة منه تعالى، قال القائل:

مشاربنا شتّى وحسنك واحد ... وكلّ إلى ذاك الجمال يشير

والمنكر على واحد منهم التبس عليه حاله بمقتضى اسم إلهيّ يصدق عليه قوله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [٢/ البقرة/ ٣٨] الآية.

وقوله (وعلى صفاه): أي الحجاز. والصفا مقصور: الحجارة، ويقال الحجارة الملس، الواحدة صَفَاة، مثل حَصًا وحَصَاة، ومنه: الصفا لموضع بمكّة، كذا في المصباح، وهو المشار إليه هنا، كناية عن قلب القطب الجامع/[٣٠١/ ب][1] والسرّ النوراني اللامع. وقوله (صفائي): أي خلوصي من أكدار الأغيار، وغبار الآثار، يقال: صَفَا صُفُوّاً ، من باب قعد، وصَفَاء: إذا خَلَصَ من الكَدَرِ؛ فهو صافٍ، كما في المصباح، وقد أشرنا إلى ذلك بقولنا:

صفا ماء الحقيقة فهو صافي ... من الكدر الذي هو فيه خافي

وما الكدر الذي هو فيه إلّا ... تقادير له منه وافي

تسمّت بالحوادث وهي فيه ... قديمات وما هي بالمنافي

سراب ظَنَّهُ الظمآن ماء ... فلمّ جاءه للارتشاف

---

(١) النقل هنا من الصفحة [٣٠٢/ ب] وليس من الصفحة [٣٠١/ ب] فقد دوّن في [٣٠١/ ب] الأبيات الثلاثة ٣و٤ و٥مع شروحاتها من قصيدة «أوَمِيض برقٌ» التالية لهذه القصيدة، وذلك بدءاً من أوّل سطر في الصفحة المذكورة. وكان حقّه أن يبدأ بالبيت ٤١ من هذه القصيدة «أرج النسيم» وما يليه ليتمّم الأبيات العشرة المتبقية منها.

هنالــك لم يجــد شــيئاً ولكــن بــه وجــد الإلــه الحــقّ كــافي

إلى آخر الأبيات.

٤١- حَيَّا الحَيَا تِلْكَ المَنَازِلَ وَالرُّبَا وَسَقَى الوَلِيُّ مَوَاطِنَ اللَّألَاءِ

(حَيَّا): بتشديد الياء التحتيّة: من التحيَّة، يقال: حَيَّاهُ تَحِيَّةً. وأصله الدعاء بالحياة، ومنه: التحيّات لله، أي: البقاء الدائم. وقيل: المُلْك، ذكره في المصباح، وقال في الصحاح: «التحيّة المُلْك، ويقال: حَيَّاك الله، أي: مَلَّكَك. وقوله (الحَيَا): أي الخِصب. قال في الصحاح: أحْيَا القوم، أي: صاروا في الحَيَا، وهو الخِصب، وقد أتيت الأرض فأحْيَيْتُها، أي: وجدتها خِصْبة». وقوله **(تلك المنازل)**: إشارة إلى منازل الحجاز المذكورة في الابيات قبله، كناية عن المنازل التي ينزلها السالك في طريق الله تعالى.

وقوله : **(والرُّبَا)**: بضمّ الراء وفتح الباء الموحّدة، جمع رَبْوَة، قال في المصباح: «الربوة المكان المرتفع، بضم الراء في الأكثر، والفتح لغة، بني تيم، والكسر لغة. سُمِّيت رَبْوة لأنّها رَبَتْ: فَعَلَتْ، والجمع رُبا، مثل: مُدْيَة ومُدَى، والرابية مثله، والجمع: الروابي. كنّى بذلك عن الأحوال العالية التي تعتري السالك في الطريق فيعلو فيها، ثمّ تتحوّل، فينزل إلى نفسه. وقوله **(وسَقَى الوليُّ)**: بتشديد الياء التحتيّة، قال في الصحاح: «الوَلِيّ: المطر بعد الوَسْمِيّ، سُمِيَ ولِيّاً؛ لأنّه يَلِي الوَسميّ، كنّى به عن العلوم الوهبيّة الإلهيّة. وقوله **(مَوَاطِنَ)**: جمع مَوْطِن. وقوله **(اللَّألَاء)**: بتشديد اللام وسكون الهمزة الأولى، وفتح اللام الثانية بعدها ألف وهمزة، قال في القاموس: «اللَّألَاء الفرح التام، وتلألأ البرق: لمع». وكنّى بمواطن اللّألاء عن مقامات أهل القرب الإلهيّ وأحوال قلوبهم.

٤٢- وَسَقَى المَشَاعِرَ وَالمُحَصَّبَ مِنْ مِنَى سَحّاً وَجَادَ مَوَاقِفَ الأنْضَاءِ

(وسقى المشاعر): جمع مَشْعَر، قال في المصباح: «المَشاعِر: مواضع المناسك، والمَشْعَر الحَرَام جبل بآخر مُزْدَلِفَة، واسمه قُزَح، وميمه مفتوحة على المشهور،

وبعضهم يكسرها على التشبيه باسم الآلة. كنى بالمشاعرعن المواضع التي يشعر فيها العارف بربّه كالطاعات والعبادات. وقوله (**والمُحَصَّب**): بصيغة اسم المفعول، قال في المصباح: «الحَصْبَاء بالمدّ: صغار الحصى، وحَصَبْتُهُ حَصْباً من باب ضرب: رميتُه بالحَصْبَاء، وحَصَبْتُ المَسْجِد وغيره: بَسَطتُهُ بالحصباء، وحَصَّبْتُه بالتشديد، مبالغة، فهو مُحَصَّب: اسم مفعول. ومنه المُحَصَّب موضع بأعلى مكّة على طريق مِنًى، ويُسمّى البطحاء. والمحصّب أيضاً مرمى الجمار بمِنى» كنّى بالمُحَصَّب عن مقام الجمع الذي تُرمى فيه جمار الأغيار لظهور الواحد القهار. وقوله (مِنْ مِنَى): بيان للمحصّب. ومِنِيّ موضع عن مكّة فرسخ، كذا في المصباح. وقال في الصحاح: «مِنَى مقصور موضع بمكّة، وهو مذكّر، يصرف». كنّى بذلك عن مُناه، جمع مُنْيَة، أي: ما يتمنّاه من مقاصده وأغراضه. وقوله (**سَحّاً**): بالسين والحاء المهملتين، مصدر، صفة لمصدر محذوف، تقديره: وسقى تلك الأماكن المذكورة الوليُّ في البيت قبله وهو/ [٣٠٣/أ] المطرسقياً (**سحّاً**): قال في المصباح: «سَحَّ الماء سَحّاً، من باب قتل: سال من فوق إلى أسفل، ويقال: السَحُّ: هو الصَبُّ الكثير». وقوله (**وجاد**): أي الوليّ في البيت قبله، من جَاد يَجُودُ، من باب قال، جُوْداً بالضمّ: تَكَرَّم. أو من جادت السماء جَوْداً، بالفتح: أَمْطَرَت، كما في المصباح. وقوله (**مَواقِفَ**): مفعول جاد، وهي جمع موقف: اسم لموضع الوقوف. وقوله (**الأَنْضاء**): أي الجِمال المَهْزولة قال في المصباح: «جَمَل نِضْوٌ، أي: مَهْزول، والجمع: أَنْضَاء، مثل: حِمْل وأَحْمَال». يعني: إنّ هذه الأماكن المذكورة مواضع وقوف المكلِّفين من العارفين، أهل المجاهدة في السلوك في طريق الله تعالى؛ فإنّ الجَمَل مُكلّف بحِمْل الأثقال؛ ولمّا وقفوا على أنّ كلّ شيء بعلم الله تعالى الأزليّ، وتقديره الذي لا يتغيّر ولا يتبدّل توقّفوا، فبطلت حركاتهم عن السير، وصار الحكم فيهم للحقّ تعالى لا لهم، فكانت لهم إشارات المواضع المذكورة مواقف، كما قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه:

توقّف فإنّ العلم ذاك الذي يَجْري لتعلم أنّ الكم منّا ولا تدري
وما قلت إلّا ما تحقّقت به كذا قرر الله المهيمن في صدري

٤٣- وَرَعَى الإلَهُ بِهَا أُصَيْحَابِي الأُلَى سَامَرْتُهُمْ بِمَجَامِعِ الأَهْوَاءِ
٤٤- وَرَعَى لَيَالِي الخَيْفِ مَا كَانَتْ سِوَى حُلْمٍ مَضَى مَعَ يَقْظَةِ الإغْفَاءِ

(**ورعى الإله**): أي حفظ الله تعالى. وقوله (**بها**): أي بالمواقف المذكورة. وقوله (**أُصيحابي**): تصغير أصحابي للتعظيم، وهم جمع صاحب. يشيرإلى أهل زمانه من العارفين المحقِّقين. وقوله (**الأُلى**): أي الذين. وقوله (**سامرتهم**): من المسامرة، قال في الصحاح: السَمَر: المُسامَرَة، وهو: الحديث بالليل، وقد سَمَر فهو سامِر. يعني: كنت أتكلّم معهم في أحاديث الأكوان المشيرة إلى الظلمات الأعيان. وقوله (**بِمَجَامِعِ**): جمع مَجْمَع، قال في المصباح: «المَجْمَع بفتح الأوّل، وأمّا الثالث: فيُفتَح ويُكسَر، مثل: المَطلَع والمَطلِع، يُطلَق على الجَمْع، وعلى موضع الاجتماع. وجمعه: مَجَامِع». وقوله (**الأهواء**): جمع هوى. قال في المصباح: «الهَوَى مقصور، مصدر: هَوِيْتُه، من باب تعب: إذا أحببته، وعَلِقْت به، ثمّ أُطْلِق على ميل النفس وانحرافها نحو الشيء، ثمّ استُعمل في ميل مذموم، فيقال: اتَّبَع هَوَاه، وهو من أهل الأهْوَاء». والجار والمجرور متعلّق بسامرتهم. أي: كانت مسامرتي معهم بأهواء النفوس المجتمعة، وذلك في أيام السلوك والمجاهدات النفسانيّة. وقوله (**وَرَعَى**): أي حفظ الإله تعالى أيضاً.

وقوله (**ليالي**): جمع ليلة. وقوله (**الخَيْف**): هو ما انحدر عن غِلَظِ الجبل وارتفع عن مسيل الماء. ومنه سُمِّيَ مسجد الخَيْف بمِنىً، كذا في الصحاح. يشير إلى ليالي وادي منى في أيام الحجّ، كناية عن أوقات السلوك في طريق الله تعالى. وقوله (**ما كانت**): أي تلك الليالي. وقوله (**سوى حُلْم**): بضمّ الحاء المهملة وسكون اللام، قال في المصباح: «حَلَمَ يَحْلُمُ، من باب قتل: حُلُمَاً بضمّتين، وإسكان الثاني تخفيفٌ:

رأى في منامه رؤيا». وقوله (مضى): أي ذلك الحُلْم. يعني: كأنّها رؤيا منام مضت وانقضت. وقوله مع يقظة بسكون القاف لضرورة الوزن، أو هي لغة قليلة، قال في المصباح: «يَقِظَ يَقَظاً، من باب تعِب، ويَقَظَة بفتح القاف، ويَقَاظَة خلاف نام، وكذلك إذا انتبه للأمور». وقوله (الإغْفَاءِ): مصدر أَغْفَيْتُ إغْفَاءً، فأنا مُغْفٍ: إذا نِمْتُ نَوْمَةً خفيفة، كذا في المصباح. يعني: مع استصحاب يقظة الغافلين عن معرفة ربّهم؛ فإنّ يقظتهم إغفاء ونوم، كما ورد: «الناس نيام، فإذا ماتوا انتبهوا»[1]. وقال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ [٣٠/ الروم/ ٢٣] أي: مستوعباً للأوقات كلّها. والخطاب للغافلين عنه تعالى / [٣٠٣/ ب] فإنّهم نائمون في كلّ أوقاتهم حتّى يموتوا فيستيقظوا حينئذٍ.

٤٥- وَاهـاً عَـلَى ذَاكَ الزَمَـانِ وَمَـا حَـوَى طِيْـبُ المَكَـانِ بِغَفْلَـةِ[2] الرُّقَبَـاءِ

٤٦- أيَّـامَ أَرْتَـعُ فِي مَيَـادِينِ الْمُنَـى جَـذِلاً وأَرْفُـلُ فِي ذُيُـوْلِ حِبَـاء

(واهاً): بالنصب والتنوين، كلمة توجّع وتحسّر وتلهّف. وقوله (على ذاك الزمان): يشير إلى زمان السلوك والمجاهدات النفسانيّة. وقوله (وما): أي الذي، معطوف على الزمان. وقوله (حَوَى): أي حَوَاه. بمعنى: جمعه من أنواع المسرّات واللذات. وقوله (طِيْبُ): فاعل حوى. والطِيب: هو العطر، أو اللَّذَّة، وأضيف إلى قوله (المكان): وهو ما يتمكَّن فيه الشيء، إمّا من مَكُنَ فلان عند السلطان مَكَانَةً، وِزان ضَخُمَ ضَخَامَةً: عَظُمَ عنده، وارتفع فهو مَكِيْن. ومَكَّنْتُهُ من الشيء تَمْكِيناً: جعلتُ له عليه سلطاناً وقُدْرَة فتَمَكَّنَ منه، واسْتَمْكَن منه: قَدَرَعليه. وإمّا مِن أَمْكَنَنِي الأمرُ: سَهُلَ وتَيَسَّر، ذكره في المصباح. فالمكان كناية عن المكانة، وهي: الرفعة والمنزلة. بمعنى المقام الجمعي الإلهيّ. أو كناية عمّا سَهُلَ وتَيَسَّر، وهو الحال

---

(١) انظر تخريجه ص٩٩.

(٢) في (ق): لغفلة.

يعتري السالك في طريق معرفة الله تعالى. وطيبه بمعنى عطره الفائح، بحيث يستنشقه غير المزكوم فيجده. أو بمعنى لذّته التي يدركها صاحبه الذائق له. وقوله (**بغفلة الرقباء**): جمع رقيب، تقول: رَقَبْت الشيءَ أَرْقُبُهُ رُقُوباً ورِقْبَةً ورِقْبَاناً بالكسر فيهما: إذا رصدته، كذا في الصحاح. ومقام الفناء عن الأغيار في تجلّي الواحد القهار يعدم الرقباء والعواذل في حضرة الأسرار، فضلاً عن غفلتهم واحتجاجهم بسَدْلِ الأستار، قال العارف الكامل عفيف الدين التلمسانيّ من أبيات له:

ومل طرباً واشرب وطب ثمّ غب فما نعيمك إلّا سكرة في الهوى نُعِم

ومهما بقي للصحو فيك بقيّة يجد نحوك اللّاحي سبيلاً إلى الظلم

وقوله (**أيام**): منصوب على الظرفيّة. وقوله (**أرتع**) يقال: رَتَعَتِ الماشية رَتْعاً، من باب نفع، ورُتُوعاً: رَعَتْ كيف شاءت، كذا في المصباح. وقوله (**في ميادين**): جمع ميدان، قال في المصباح: «مَاد مَيْداً، من باب باع، ومَيَدَاناً بفتح الياء: تحرّك، والمَيْدَان من ذلك لتحرّك جوانبه عند السباق، والجمع مَيادِين ، مثل: شيطان وشياطين». وقوله (**المُنَى**): جمع مُنيَة، أي: المأمول والمقصود. يعني: يحصل لي كلّ ما أتمنّى من لذائذ الأمور. وقوله (**جَذِلاً**): بكسر الذال المعجمة بعد الجيم، صفة مشبّهة، من الجَذَل بالتحريك، وهو الفرح، وقد جَذِل بالكسر يَجْذَلُ فهو جَذْلَان، كذا في الصحاح. وهو حال من فاعل أَرْتَعُ. وقوله (**وأرْفُلُ**): معطوف على أرتع، يقال: رَفَلَ في ثيابه يَرْفُلُ: إذا أطالها وجرّها متبختراً؛ فهو رافل كما في الصحاح. وقوله (**في ذيول**): جمع ذيل. وقوله (**حِباءِ**): بكسر الحاء المهملة، قال في المصباح: «حَبَوْتُ الرجلَ حِبَاءً بالكسر والمدّ: أعطيته الشيء بغير عِوَض». والمعنى في تلك الأيام الماضية أيام السلوك في طريق المعرفة الإلهيّة، والمجاهدة النفسانيّة كنت مطلق العنان في فضاء الملك والملكوت، زائداً الفرح بلقاء الحيّ الذي لا يموت، والتبختر في حلل المواهب الربّانيّة، والعطايا الرحمانيّة.

٤٧- مَا أَعْجَبَ الأيامَ تُوجِبُ لِلفَتَى   مِنَحَاً وَتَمْحَنُهُ بِسَلْبِ عَطَاءِ

(ما أعجب): ما تعجبيّة. و**(الأيام)**: مفعول أعجب. وقوله **(توجب)**: أي تُلزم وتثبت، من وَجَبَ البيعُ والحقّ، يَجِبُ وُجُوباً: لَزِمَ وثَبَت، كما في المصباح. وقوله **(للفتى)**: أي الشاب الحَدَث. وقوله **(مِنَحَاً)**: مفعول توجب، جمع مِنحة بكسر الميم، قال في المصباح: «المِنْحَةُ بالكسر: الشاة، أو الناقة، يعطيها صاحبُها رجلاً يشرب لبنَها ثمّ يردّها إذا انقطع اللبن، هذا أصله/ [٣٠٤/ أ] ثمّ كثر استُعماله حتّى أُطلق على كلّ عطاء». وقوله **(وتَمْحَنُهُ)**: يقال مَحَنْتُهُ مَحْنَاً، من باب نفع: اختبرْتُهُ، وامتَحَنْتُهُ كذلك. والاسم: المِحْنَة»، كما في المصباح. وضمير تمحنه للفتى. وقوله **(بسَلْبِ)**: متعلّق بتمحنه. وقوله **(عطاء)**: مضاف إليه، والمعنى: إنّ الأيام تعطي، وتمنع، وتمنح، وتمحن. وهي كناية عن الدهر، والوارد في الحديث: «لا تسبّوا الدهر فإنّ الله هو الدهر»[1] وأتى بالاسم الجامع، وهو الله ؛ لأنّ الدهر فيه أنواع العجائب من الأشخاص والأحوال والأعمال، إلى غير ذلك مما لا يعدّ ولا يحصى، وكلّ ذلك مظاهر أسمائه تعالى الحُسنى، وآثار صفاته العليا.

٤٨- يَا هَلْ لِمَاضِي عَيْشِنَا مِنْ أَوْبَةٍ   يَوْمَاً وَأَسْمَحَ بَعْدَهُ بِبَقَائِي

٤٩- هَيْهَاتَ خَابَ السَّعْيُ وانْفَصَمَتْ عُرَى   حَبْلِ المُنَى وانْحَلَّ عَقْدُ رَجَائِي

٥٠- وَكَفَى غَرَامَاً أَنْ أَبِيْتَ مُتَيَّمَاً   شَوْقِي أَمَامِي وَالقَضَاءِ وَرَائِي

(ياهل): يا حرف نداء، والمنادى محذوف، تقديره: ياقوم هل. وهل حرف استفهام. وقوله (لماضي) عيشنا، أي: عيشنا الماضي، يقال: عاش عَيْشاً من باب سار: صار ذا حياة، كذا في المصباح. وقوله **(من أَوْبَة)**: آب: رجع يؤوب أَوْباً وأَوْبَةً وإياباً، كما في الصحاح. والأَوْبَةُ: الرجوع. وقوله **(يوماً)**: أي في يوم من

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الألفاظ من الأدب، باب: النهي عن سبّ الدهر، ٦٠٠٣، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

الأيام. (**وأَسْمَحَ**): من السَّمَاح، وهو الجُود، وسَمَحَ به، أي: جاد به، كما في الصحاح. وقوله (**بعده**): أي بعد ماضي عيشنا إذا آب ورجع إلينا رجعة واحدة. وقوله (**بِبَقَائِي**): أي بدوامي حيّاً موجوداً في الدنيا، وهذا حنين منه، وتشوّق إلى أيام السلوك في طريق معرفة الله تعالى وأوقات المكابدة والمجاهدة في حال كونه مريداً، طالباً للحقّ تعالى مع الصدق في الطلب، والتدرّج في مقامات القرب؛ فإنّ لذلك لذّة عظيمة من لذائذ الجنّة الأُخرويّة. فإذا وصل إلى الحقّ تعالى وتحقّق بوجوده تعالى القديم الذي هو قائم به، معدوم فيه، وتحقّق بعدمه فيه، وفنائه به ذهبت عنه دعاوى نفسه، وزالت اثنيْنيّتِه بالكلّيّة، ولم يبقَ منه بقيّة، وكان الوجود الحقّ تعالى واحداً أحداً على ما عليه كان، ولم يزل ولا يزال ليس معه غيره أصلاً؛ فإذا وصل تقديره العِدميّ بتوجّه اسمه تعالى الحقّ إلى هذا المقام، وتحقّق فيه بالحقّ يقع في قبضة الحقّ فلا يمكنه العود إلى حالته الأولى التي كان فيها في أوقات سلوكه ومجاهدته؛ لأنّه كان فيها قائماً بنفسه، له الدعاوى الخفيّة عنه بحوله وقوته. وتحقّق بأنّ ما كان في خياله من الحقّ تعالى عدم مقدّر بتقدير الحقّ تعالى، وصار الحقّ تعالى عنده غيباً محضاً، فرجع كما خرج من بطن أمّه، لا يعلم شيئاً من الأشياء، فضلاً عن الحقّ تعالى، فحَنَّ إلى حالته الأولى، ولا يمكنه الرجوع إليها بعد المعرف الذوقيّة، وكان أمر الله تعالى، وكمال إخلاصه في الطاعات لذيذا عنده مرغوباً له، وحال الفناء لا لذّة فيه، إذْ لانفس فيه تلتذّ أو تتألّم، كما قال العارف عفيف الدين التلمسانيّ قدّس الله سرّه:

أرى رسمها عندي يعوِّض عن رسمي	فما بالهم في الحيّ يدعونني باسمي
وهل بعد ضوء الشمس يبدو لك الوجاء	وهل عندها يبقى على الأفق من نجم
إذا ما دعا الداعي بعلوة فاستجب	ولكن إذا أفنتك عنك على علم
ولا تبق إن أبقتك إلّا بها لها	فأنت إذا حقّقت من عالم الوهم

ولنا من هذا القبيل، وهو في ديواننا/ [٣٠٤/ ب]:

نحـــن قـــوم متنـــا بـــه وفنينـــا بـــتجلّي وجـــوده الحـــقّ فينـــا

وحـــشرنا إليـــه عمّـــن ســـواه ودخلنـــا جنّاتـــه خالـــدينا

قمـــرٌ لا نـــضام فيـــه اجـــتلاء بيّنتـــه ذواتنـــا تبيينـــا

وإذا أظلـــم الكيـــان عليـــه أطلعتـــه الغيـــوب حينـــا فحينـــا

وقوله (**هيهاتَ**): كلمة تُستعمل لتبعيد الشيء، ذكره الراغب. وقال في الصحاح: «هيهات كلمة تبعيد، والتاء مفتوحة، مثل: كيفَ. وناس يكسرونها على كلّ حال بمنزلة نون التثنية. وقوله (**خاب السعي**) يقال: خَابَ يَخِيبُ خَيْبَةً: لم يَظْفَر بما طلب، كذا في المصباح. يعني: إنّه لم يظفر بما سعى في تحصيله من عَوْد ماضي عَيْشِهِ، وكمال لذّته بإخلاصه في سلوك طريق ربّه، وسروره بطاعته وعبادته، من حيث قيامه بنفسه؛ فإنّه لم يمكنه العَوْد إلى تلك الحالة بعد تحقّقه بالعرفان، وحصوله في قبضة الوجود الحقّ، وأنّ كلّ من عليها فان. وقوله (**وانفصمت**): فَصَمْتُهُ فَصْماً، من باب ضرب: كسرته من غير إبانة فانفصم. وفي التنزيل: ﴿لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ [٢/ البقرة/ ٢٥٦] كما في المصباح. وقوله (**عُرَى**): بضم العين المهملة وفتح الراء المهملة، جمع عُرْوَة، قال في المصباح: «عُرْوَة القميص معروفة، وعُرْوَة الكُوز: أُذُنُه، والجمع: عُرَىً، مثل: مُدْيَة ومُدَى. وقوله عليه الصلاة والسلام: «وذلك أوثق عرى الإيمان»[1] على التشبيه بالعروة التي يستمسك بها ويستوثق. وقوله (**حبل المنى**): الحبل العهد، والأمان، والتواصل، كما في المصباح. والمنى: جمع مُنْيَة، وهي ما يتمنّاه. يعني: إنّ عهد تواصله ومقصوده انقطع، وزال اتّصاله، فلم يمكنه تحصيل ما كان فيه سابقاً من

---

(١) أخرجه السيوطيّ في الجامع الصغير، باب: إنّ المشددة مع الهمزة، ٢٦٢٧، بلفظ: إنّ أوثق عرى الإسلام أن تحبّ في الله وتبغض في الله .

الأحوال. وقوله (**وانحل عَقْد رجائي**): بفتح العين المهملة، هو خلاف الحلّ، شبَّه الرجاء والأمل بالعقد الذي هو خلاف الحلّ، وأخبر أنّه انفصمت عراه، أي: انقطعت وثائقه، وانفصلت علائقه. وقوله (**وكفى غراماً**): منصوب على التميز لنسبة الكفاية إلى ما سيذكره من قوله (**أن أبيتَ مُتَيَّماً**): بتشديد الياء التحتيّة: حال من فاعل أبيت، وهو ضمير المتكلِّم. والغرام هو الشرّ الدائم والعذاب. وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [٢٥/ الفرقان/ ٦٥] قال أبو عبيدة: أي هلاكاً ولزاماً. قال: ومنه رجل مُغرَم بالحُبّ. والغرام: الوَلوع، وقد أُغرِم بالشيء، أي: أُولع به، كذا في الصحاح. و(**المُتَيَّم**): بصيغة اسم المفعول من قولهم تيَّمَهُ الحبّ، أي: عبّده وذلله فهو مُتيم ذكره في الصحاح. وقوله (**شوقي أمامي**): بفتح الهمزة، أي: قبالة وجهي، أيان توجّهت فإنّي لا أجد غير ذلك الشوق في قلبي إلى ما مضى لي مع الحقّ تعالى في حالة ثنويتي، حين كنت قائماً له بما أوجب عليّ، كما قررنا فيما سبق. وقوله (**والقضاء**): أي حكم الله تعالى الأزليّ الذي لا يتغيّر ولا يتبدّل، بحيث لو تغيّر المقضي به وتبدّل كان ذلك على طِبْق ما في القضاء، فلا تغيَّر في القضاء على كلّ حال. وقوله (**ورائي**): أي خلف ظهري، فلا أشعر به، أو قُدّامي، فأنا لا أفارقه. قال في الصحاح: «وراء بمعنى خلف. وقد يكون بمعنى قدّام. وهي من الأضداد». وقال في المصباح: «وراء: كلمة مؤنّثة، تكون خلفاً، وتكون قدّاماً، وفي التنزيل: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾ [١٨/ الكهف/ ٧٩] أي: أمامهم. والمعنى: إنّ قضاء الله تعالى وحكمه السابق الأزليّ ورائي، أي: خلفي؛ فهو غيب عنّي أو قدامي، فهو شهادة عندي، ولا يتمّ إلّا ما تضمّنه الأحوال، واقتضاه في سابق العلم من الحلّ والترحال.

أَوَمِيضَ بَرْقٍ

[الكامل]

وقال قدّس الله سرّه أيضاً[1]:

١- أَوَمِيضَ بَـرْقٍ بـالأُبَيْرِقِ لَاحَـا   أَمْ فِي رُبَا نَجْدٍ أَرَى مِصْبَاحَاً / [٣٠٥/ أ]

٢- أَمْ تِلْـكَ لَـيْلَى العَامِرِيَّـةُ أَسْـفَرَتْ   لَـيْلاً فَـصَيَّرَتِ المَـسَاءَ صَـبَاحَاً

(أوميض): الهمزة للاستفهام، والوَمِيْض: مصدر وَمَض البرقُ يَمِض وَمْضَاً وَوَمِيْضَاً .وَوَمَضَانَاً، أي: لَمَعَ لَمْعَاً خفيفاً، ولم يعترض في نواحي الغيم، كذا في الصحاح. وقوله (بَرْقٍ): هو واحد بُرُوق: السحاب. وقوله (بالأُبَيْرِق): تصغير الأَبْرَق، وهو غِلَظٌ فيه حجارة ورمل وطين مختلطة، كذا في الصحاح. وفي القاموس: «الغَلْظُ: الأرض الخشنة». وقوله (لاحاً): الألف للإطلاق، ولاح معناه ظهر. كنّى بالبرق عن ظهور الوجود الحقّ؛ لأنّه نور. وكنّى بالأُبيرق بتصغير التعظيم عن عالم الأجسام المؤلّفة من الطبائع والعناصر المختلفة. وكنّى بالوميض عن الروح الأمري المنفوخ في الأجسام الإنسانيّة الكاملة؛ فإنّها تشعر بحالها، وإنّ الروح من عالم الأمر كلمح بالبصر، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِٱلْبَصَرِ﴾ [٥٤/ القمر/ ٥٠] وقال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨٥] ويُكَنُّون بالبرق عن ظهور الوجود الحقّ على الكائنات العلويّة والسفليّة فيسمى ذلك الظهور إيجاداً، ويسمّى أمراً إلهيّا، ويعبّر عنه بـ(كن فيكون) وجميع الكائنات في أنفسها بالنظر إليها معدومات فانية، لا وجود لها أصلاً، قال تعالى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [٢٨/ القصص/ ٨٨] وقال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ٢٦]

---

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: «بلغ مقابلة على مؤلّفه رضي الله عنه وأرضاه».

وقال تعالى: ﴿يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [٢١/ الأنبياء/ ٨]. وقال تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [٢٤/ سبأ/ ٤٨] وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ [٦/ الأنعام/ ٧٣] والحقّ هو الله تعالى بلا شكّ، لأنّه من أسمائه الحسنى. والباطل: اسم لكلّ ما سواه، كما قال صلّى الله عليه وسلّم في حديث مسلم: «أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد: ألا كلّ شيء ما خلا الله باطل»[1] والباطل خلاف الحقّ؛ فالحقّ هو الوجود، والباطل هو العدم، ولا يصحّ أنّ يكون الباطل موجوداً؛ لأنّه يشترك حينئذ مع الحقّ الذي هو خلافه في الوجود، فيكون الوجود قدراً مشتركاً، والوجود يأبى الشركة، وهي مستحيلة عليه، ولهذا ترى الوجود الظاهرعلى الكائنات في الحسّ، والعقل، والمحسوس، والمعقول، وجوداً واحداً لا تفاوت فيه بالنظر إلى الأشياء كلّها، وليس شيء موجوداً زائداً على وجود شيء آخر، ولا شيء آخرموجود وجوداً أنقص من وجود غيره، وإنّما التفاوت في الأشياء المحسوسات والمعقولات بالنظر إلى ما بينها من الاختلافات التي لا تدخل تحت الحصر، فلو اتّصفت الأشياء بالوجود لتفاوت الوجود بالنظر إليها كما تفاوتت بقيّة أوصافها من المقادير، والهيئات، والصور، والكيفيّات، والكميّات، والأجناس، والأنواع، والأشخاص، والأماكن، والأزمان إلى غير ذلك؛ فيكون كلّ شيء وجوده لا يشابه وجود الشيء الآخر، وهكذا من حيث هو وجود لا من حيث ظهور الماهيّة به فإنّ الاختلاف بين الأشياء إنّما يأتي من حيث ظهور الماهيّات بالوجود الواحد، لا من حيث الوجود الواحد؛ فإنّه لا اختلاف فيه، ولا تفاوت له بين الأشياء، قال العارف الكامل عفيف الدين التلمسانيّ قُدّس سرّه:

وجـود وحسبي أن اقـول وجـود ... لـه كـرم منـه عليـه فيـه وجـود

---

(١) انظر تخريجه في ص٤٠٣ و ص٦٧١.

تنزّه عن نعت الكمال لأنّه لمعنى اعتبار النقص فيه يقود
ولكنّه فيه الكمال وضدّه له منه والمجموع فيه صمود

ولنا في هذا المعنى مما هو في ديواننا:

وجود وأشياء ما لهنّ وجود فتبدو به منه له وتعود/ [٣٠٥/ ب]
ملابس نور في هياكل ظلمة لهنّ اعتراف بالهدى وجحود
على طبق ما في العلم والعلم واحد قديم بأشيا ما لهنّ نفود

إلى آخر الأبيات، وعلى الإشارة بالبرق إلى تجلّي الوجود الحقّ قول الشيخ الأكبر قُدّس سرّه:

رأى البرق شرقيّا فحنّ إلى الشرق ولو لاح غربيّا لحنّ إلى الغرب
فإنّ غرامي بالبريق ولمعه وليس غرامي بالأماكن والترب

وقال الشيخ العارف عبد الهادي السودي اليمني قدّس سرّه:

أيا بارقاً بالغور ومضك متلفي على أنني راض فيا برق رفرف

إلى آخر الأبيات. ولنا من هذا القبيل قولنا من أبيات:

رويدك أيها البرق اللموع فإنّ غروب ضوئك لي طلوع
ترفرف لمحة وتغيب أخرى فتعشقك الأماكن والربوع
ألا هل أنت بهجة وجه سلمى بدت فتحير القلب الولوع
أم ابتسمت عشية ودّعتنا فجاد بكوننا الثغر المنوع

وقوله (أم): هي أم المنقطعة، لأنّ المتّصلة ما قبلها وما بعدها لا يستغني أحدهما عن الآخر. ومعنى أم المنقطعة أنّها لا يفارقها الإضراب، وهي بمعنى بل. وقوله (في ربا): بضمّ الراء المهملة وفتح الباء الموحّدة: جمع ربوة، وهي المكان المرتفع. وقوله (نَجْدٍ): هو اسم لما ارتفع من الأرض. والجمع نُجُود، مثل فَلْس وفُلُوس.

وبالواحد سُمي بلاد معروفة من جزيرة العرب، أوّلها من ناحية الحجاز ذات عرق، وآخرها سواد العراق، فهي بين الحجاز والعراق، ولهذا قيل ليست من بلاد الحجاز وفي التهذيب: «كلّ ما وراء الخندق الذي خندقه كسرى على سواد العراق فهو نجد، إلى أنْ تميل إلى الحرّة. فإذا ملت إليها فأنت في الحجاز، كذا في المصباح. وقوله (أرى مصباحا): قال في الصحاح: «المصباح: السراج، وقد استصبحت به: إذا سرّجته». وقال البيضاوي في قوله الله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [٢٤/النور/٣٥]: سراج ضخم ثاقب. وقيل: المشكاة الأنبوبة في وسط القنديل، والمصباح: الفتيلة المشتعلة. يكنّى بالرُّبا عن الأرواح المنفوخة عن أمر الله تعالى. وبنجد عن الجسم الطبيعي المطهّر عن الأخلاق الذميمة لعلو شأنه باتّصافه بمحاسن الأخلاق. وبالمصباح عن أمر الله تعالى المتوجّه على عالم الأرواح؛ فهي مشرقة به، وهي أوّل موجود بتجلّي وجوده عليه. ثمّ يتوجّه أمر الله تعالى على عالم الأجسام من عالم الأرواح، فتشرق الأرض الجسمانيّة بعد إشراق السماء الروحانيّة بنور مصباح الأمر الإلهيّ الذي هو كناية عن وجود الحقّ الذي ظهر به كلّ شيء من العدم إلى الوجود حتّى قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [٢٤/النور/٣٥] أي: وجودهما الذي به ظهرتا من عدمهما إلى وجودهما، ثمّ ضرب الله تعالى المثل لنوره بالمشكاة والمصباح والزجاجة. وقال تعالى حكاية عن ظهور ذلك يوم القيامة: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [٣٩/الزمر/٦٩]. وقوله (أم تلك): أي بل تلك الظاهرة، وكلّ ما سواها باطن. أشار إليها بإشارة البعد لكمال تنزيهها عن مشابهة شيء من العوالم، ثمّ كنّى عنها بقوله (ليلى العامريّة): اسم محبوبة من محبوبات العرب، تنسب إلى بني عامر، كما قال الشيخ الأكبر قدّس سرّه من أبيات له.

لنا أسوة في بشرى وهند وأختها وقيس وليلى ثمّ مي غيلان

ثمّ قال قُدِّس سرّه في شرحه: «ذكر المحبِّين في عالم الكون المهيمن بعشق/ [٣٠٦/أ] المُخَدَّرات في الصون من الأعراب المتيَّمين يقول: «يقول الحبّ من

حيث هو حبّ لنا ولهم حقيقة واحدة؛ غير أنّ المحبوب مختلف، فهم تعشّقوا بكون، وأنا تعشقت بعين، والشروط واللّوازم والأسباب واحده؛ فلنا أسوة بهم، فإنّ الله تعالى ما هيّم هؤلاء وابتلاهم بحبّ أمثالهم إلّا ليقيم بهم الحجج على من ادّعى محبّته ولم يَهِم في حبّه هيمان هؤلاء حين ذهب الحبّ بعقولهم، وأفناهم عنهم، لمشاهدات شواهد محبوبهم في خيالهم. فأحرى من يزعم أنّه يحبّ من هو سمعه وبصره، ومن يتقرّب إليه أكثر من تقرّبه ضعفاً». وقوله (أسفرت): أي كشفت وجهها، قال في المصباح: «سَفَرَتِ المرأةُ سُفُوراً: كشفت وجهها فهي سافر، بغير هاء». قال في الصحاح: «أي أضاء وأَسْفَرَ وَجْهُهُ حُسْناً، أي: أشْرَق، والانسفار: الانحسار، يقال: انسفر مقدّم رأسه من الشعر». وقوله (ليلاً): أي في عالم الليل. كناية عن ظلمة الأكوان. وقوله (فصيَّرت): بتشديد الياء التحتيّة. وقوله (المساء): قال في المصباح: «المساء خلاف الصباح. وقال ابن القوطيّة: المساء ما بين الظهر إلى المغرب». وقوله (صباحاً): بالألف مفعول ثانٍ ليصير، والمفعول الأوّل: المساء. وقال في المصباح: «الصُّبْح: الفجر، والصَّباح مثله، وهو أوّل النهار، والصباح أيضاً: خلاف المساء، قال ابن الجواليقي: «الصباح عند العرب من نصف الليل الآخر إلى الزوال، ثمّ المساء إلى آخر نصف الليل الأوَّل، هكذا رُوي عن ثعلب». والمعنى هنا: إنّ هذه المحبوبة لمّا كشفت عن وجهها، أي: توجّهت بأمرها القديم ـ على ما في علمها، وهو الذكر الحكيم ـ ظهرت ظلال المعلومات بنوره، فكان الظاهر هو العوالم باعتبار الصور والأشكال والحدود والمقادير. وكان ذلك الظاهر هو النور، وهو الوجود الحقّ، وجميع العوالم على ما عليه كان من عدمها الأصلي، كما ورد في الحديث: «كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان»[1] ؛ فالعوالم ظهرت وما ظهرت، والحقّ تعالى ظهر وما ظهر، وليس هذا الكلام متناقضاً؛ لأنّ الظهور باعتبار، ونفي الظهور باعتبار آخر، فإذا نظرت

(١) انظر تخريجه ص٤٦١.

إلى الوجود الذي ظهرت به العوالم ونزّهته عن العوالم، وسبّحته عنها، وهوعين تسبيح كلّ شيء ظهر لك، وانكشف الأمر على ما هو عليه أنّ الوجود الحقّ تعالى وحده ليس معه غيره أصلاً. وجميع العوالم مجرّدة عن الوجود؛ لأنّ الوجود هو الحقّ تعالى؛ فلا يمكن أنْ يكون صفة للمعدومات، وينكشف لك فناؤك، وفناء كلّ شيء. وإذا نظرت إلى الوجود متّصفاً بالصور، والأشكال، والحدود والمقادير ألبس عليك الأمر. وكيف يتّصف الوجود بالمعدومات، بل الوجود على ما هو عليه، والمعدومات على ما هي عليه أزلاً وأبداً، لا يكون غير ذلك. ولنا أبيات في معنى ما ذكرنا، وهي قولنا:

وجودي وجود الكائنات وإنّما ... وجود جميع الكائنات وجودي

ولكنّهم غيري وإنّي غيرهم ... فحقّق كلامي واعتبر بشهودي

وجود قديم واحد عنه فائض ... سواه من الأشياء فيضة جود

ولم ينقسم حاشاه بل هو مطلق ... أراد بأنْ يبدو لنا بقيود

فلاح بما في نفسه هو لم يزل ... يصوّر من بيض هناك وسود

وليس لأنواع التصاوير كلّها ... وجوده سواه في شقا وسعود

إلى آخر الأبيات. ومعنى قوله (**فصيرت المساء صباحاً**): أي أرجعت الظلمة العدميّة بظهور وجهها وانكشافه نوراً وجوديّاً؛ فالوجود لها، والصور العدميّة للأكوان / [٣٠٦/ ب][1].

---

(١) هناك إنقطاع في المعنى بين [٣٠٦/ أ] وبين [٣٠٦/ ب] وقد نقلتُ الأبيات ٣ و٤ و٥ وشرحها إلى هنا حيث مكانها الصحيح أدناه في قصيدة «أوميض برق» بعد أن كانت ضمن قصيدة «أرج النسيم» في الصفحة [٣٠١/ أ] خطأً وقد نقلت الأبيات ٤١ - ٥٠ من قصيدة «أرج النسيم» التي كانت هنا إلى موضعها الأصلي بعد البيت ٤٠ من القصيدة نفسها في الصفحة [٣٠١/ب وما تلاها]. لذلك هناك خلل في ترقيم صفحات المخطوط فبعد الوصول إلى [٣٠٦/ أ] عدنا إلى [٣٠١/ ب] ثم [٣٠٢/ أ] وهكذا التالي فالتالي. فيرجى الانتباه.

٣- يَا رَاكِبَ الوَجْنَاءِ وُقِّيْتَ الرَّدَى   إنْ جُبْتَ[1] حَزْنَاً أَوْ طَوَيْتَ بِطَاحَا

٤- وَسَلَكْتَ نَعْمَانَ الأَرَاكِ فَعُجْ إلى   وَادٍ هُنَاكَ عَهِدْتُهُ فَيَّاحَا

(يا راكب الوَجْناء): قال في الصحاح: «الوَجِين: العَارض في الأرض، ينقاد، ويرتفع قليلاً، وهو غليظ، ومنه: الوَجْنَاء، وهي: الناقة الشديدة، شُبِّهت به في صلابتها. وقال قوم: هي العظيمة الوَجْنَتَيْنِ». كنّى بالوَجْنَتِين عن النفس الشديدة في سلوك الطريق إلى معرفة الله تعالى، وراكبها هو المريد السالك، الغالب على نفسه، القاهر لها بالرياضة الشرعيّة، والمجاهدة المرضيّة. وقوله (وُقِّيْت): بضمّ الواو وتشديد القاف مكسورة الياء التحتيّة وفتح التاء، خطاباً لراكب الوجناء، وهو فعل ماض مبني للمفعول، أي: وقاك الله تعالى، ومن وقاه الله السوء حفظه. وقوله (الردى): مفعول ثانٍ لوقِّيت. والمفعول الأوّل نائب الفاعل، وهو ضمير المخاطب، وهي جملة معترضة بالدعاء. وقوله (إنْ جُبْتَ): بضمّ الجيم وسكون الباء الموحّدة وفتح التاء، خطاباً لراكب الوجناء، يقال: جَاب الأرض يَجُوبُها جَوْبَاً: قَطَعَها، كذا في المصباح. وقوله (حَزْنَاً): مفعول جُبتَ، والحَزْن ما غَلُظ من الأرض وهو خلاف السهل، كما في المصباح. وكنّى بالحَزْن عن مقام مخالفة النفس الذي هو أصعب ما يكون على السالك في بطريق معرفة الله تعالى. وقوله (أو طَوَيْتَ بِطَاحاً): بفتح تاء الخطاب، من الطيّ خلاف النشر، يقال: طويت الشيء، وهو في الأرض على التشبيه لقطع المسافة. و(البطاح): جمع الأبطح، وهو مسيل واسع، فيه دقاق الحصى، كذا في الصحاح. كنّى بطي البطاح عن قطع مقامات السلوك: كالصبر، والشكر، والتقوى، والورع، والزهد؛ فإنّ السالك ما دام قائماً بأحد هذه المقامات فهو في السلوك لم يصل إلى معرفة الله تعالى الذوقيّة الحقيقيّة. وقوله (وسلكتَ): بفتح تاء الخطاب، يقال: سَلَكْتُ الطريقَ سُلُوكَاً، من باب قعد: ذهبت فيه، كذا في المصباح. وقوله (نَعْمَانَ الأراك): قال في الصحاح: «نَعْمَان

(١) في (ق): جُزْتَ.

بالفتح واد في طريق الطائف يخرج إلى عرفات، قال الشاعر:

تضوع مسكاً بطن نَعْمان إن مشت   به زينب في نسوة عطرات

ويقال له نعمان الأراك، قال الشاعر:

أما والراقصاتِ بذات عرق   ومن صلّى بنعمان الأراك

كنّى بذلك عن الدخول في التجلّيات الإلهيّة، والخروج عن الأغيار الكونيّة، قال تعالى: ﴿رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨٠]. وفي ذلك يقول تعالى بطريق الإشارة: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [١٤/ إبراهيم/ ٤٨] أي: لا لأنفسهم لذهاب كثرتها بالواحد، وظهور قهرها لها. وقوله (فَعُجْ) بضمّ العين المهملة وسكون الجيم: فعل أمر من عُجْتُ البعير أعُوجُه عَوْجاً ومَعَاجاً: إذا عَطَفت رأسَه بالزمام، وانْعَاج عليه، أي: انعطف، كذا في الصحاح. وقوله (إلى وادي هناك): أي في تلك النواحي والجهات، وهو الوادي المذكور، المسمّى بنَعْمان الأَراك، كما ذكرنا. وقوله (عهدته): أي عهدت ذلك الوادي، أي: عرفته، يقالِ: عَهِدْتُهُ بمالٍ، عَرَفْتُهُ به، والأمر كما عَهِدت، أي: كما عرفت، كذافي المصباح. وقوله (فيّاحا): بالفاء وتشديد الياء التحتيّة مفتوحة، يقال: فَاح الوادي: اتسع، فهو أَفْيَح، على غير قياس. وروضة فَيْحَاء واسعة، كما في المصباح. وقال في الصحاح: «بحر أفْيَح: بيِّن الفَيْحِ، أي: واسع، وفَيَّاح أيضاً بالتشديد، قال الأصمعي: إنّه لجواد فَيَّاح وفَيَّاض بمعنى. يشير إلى أن وادي التجلّيات الأسمائيّة واسع جداً /[٣٠٢/ أ] بحيث لا نهاية لما فيه من المظاهر الإلهيّة والآثار الربانيّة، ويفيض بالعلوم الإلهاميّة.

٥- فَبِأَيْمَنِ العَلَمَيْنِ مِنْ(١) شَرْقِيِّهِ   عَرِّجْ وأُمَّ أَرِينَهُ الفَوَّاحَا

(فبأيمن العَلَمَين): تقديره فَعَرِّج بأيمن العَلَمَيْنِ، معطوف على قوله في البيت

---

(١) في (ق): عن.

قبله: فعُجْ، فعرِّجْ، للترتيب والتعقيب بلا مهلة. وقوله (أَيْمَنِ العلمين): أي العَلَم الأيمن. والعَلَم بفتح اللام: الجبل، وتثنيتة علمان. والجبل: المنجبل من العناصر والطبائع. والعَلَم من العِلْم، وهو الإدراك، ومن العَلامَة، وأيمن العلمين: النفس التي هي في الجانب اليمين من الإنسان، والعَلَم الآخر: القلب الذي هو جانب اليسار منه. وقوله (من شرقِيِّه): أي شرقي ذلك الوادي الذي هو نَعمان الأراك، كما مرّ في البيت قبله؛ فإنّ في شرقي ذلك الوادي ـ الذي هو كناية عن التجلّيات الأسمائيّة- هذين العَلَمَيْنِ من جملة صور تلك التجلّيات وإشراق نور الروح الأمري المنفوخ في القلب، ظاهر في النفس الإنسانيّة. وقوله (عرّج): بتشديد الراء، فعل أمر من التعريج، وهو الإقامة على الشيء، يقال: عَرَّج فلان على المنزل: إذا حبس مطيّته عليه وأقام. يعني بذلك: احبس مطيّتك ـ يا أيّها السالك ـ واجعل توجّهك إلى أيمن العلمين المذكورين. وقوله (وأُمَّ): بضمّ الهمزة وتشديد الميم، فعل أمر، بمعنى: اقصد. قال في المصباح: «أَمَّهُ أَمّاً، من باب قتل: قَصَدَهُ». وقوله (أَرِينَه): أي أرين ذلك الوادي. والأَرِين بفتح الهمزة، وكسر الراء وسكون الياء التحتيّة: مصدر أرِنَ، كفَرِحَ أَرَنَاً وأَرِيْنَاً وإِراناً بالكسر: نَشِط، أو كوِزان أمير، اسم موضع، كذا في القاموس. أي: اقصد في النشاط الذي يحصل في ذلك الوادي لكلّ من دخله، وهو الوادي المقدّس المشار إليه بقوله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى﴾ [٢٠/ طه/١٢] لأنّ مَن كان فيه ينطوي عنده الكائنات كلّها طيّاً، فيزول ولا يبقى إلّا الوجود الحقّ تعالى وحده، وأشار إليه الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه بقوله من أبياته:

عرّج ففي أيمن الوادي خيامُهُمُ ... لله درّك ما تحويه يا وادي

جمعت قواهم نفسي وهم نفسي ... وهم سواد سويد أخلب أكبادي

كذلك إذا كان الأَرِين اسم موضع في ذلك الوادي كما ينسب إليه القُبَّة، فيقال: قُبَّة أَرِين، وهي في وسط المعمور من الدنيا. إشارة إلى مقام الاعتدال الذي

هو الكمال الجامع للجلال والجمال. وقوله (**الفَوَّاحَا**): بالفاء وتشديد الواو، ومبالغة، وبالألف للإطلاق، قال في المصباح: «فَاح المسك يَفُوح فَوْحَاً ويَفِيح فَيْحَاً أيضاً: إذا انتشرت ريحه. قالوا: ولا يقال: فاح إلّا في الريح الطيِّبة خاصّة، ولا يقال في الخبيثة والمنتنة: فاح ؛ بل يقال: هبّت ريحها، وقال في القاموس: «ولا يقال في الكريهة أو عامٌّ. وفيّاح بَيِّنُ الفَيحِ واسع. والفَيْحُ والفُيُوح: خِصْب الربيع في سعة البلاد». وعلى هذا يكون معنى قوله **فوّاحاً** أي: واسعاً بيِّن خِصب الربيع فيناسب الأَرِين، بمعنى الموضع. والمكان المعروف.

٦- وَإذَا وَصَـلْتَ إلِى ثَنِيَّـاتِ اللِّـوَى ... فَانْـشُدْ فُـؤَاداً بِـالأُبَيْطِحِ طَـاحَ

٧- وَأقْـرِ الـسَلاَمَ أُهَيْلَـهُ عَنِّـي وَقُـلْ ... غَادَرْتُـــهُ لِـــجَنَابِكُمْ مُلْتَاحَـــا[1]

(**وإذا وَصَلْتَ**): خطابه لراكب الوَجناء. وقوله (**إلى ثَنِيَّاتِ**): جمع ثَنِيَّة، بتشديد الياء التحتيّة، وهي العقبة، أو طريقها، أو الجبل، أو الطريق فيه وإليه. وقوله (**اللِّوى**): وِزان إلى ما التوى من الرمل، أو مستدقّه، كذا في القاموس. كنّى بثنيَّات اللِّوى عن حضرات الأسماء/ [٣٠٢/ ب] الإلهيّة، والصفات الربّانيّة، ووصوله كناية عن محو تعينه في حضرة الوجود الظاهر، وتجلّي السرّ الباهر، والأمر القاهر. وقوله (**فانشد**): أي اطلب، يقال: نَشَدتُ الضَّالَّة نَشْدَاً من باب قتل: طَلَبْتُها، وكذا إذا عَرَّفْتَها، كما في المصباح. وقوله (**فؤاداً**): أي قلباً، مفعول انشد. وقوله (**بالأُبيطح**): تصغير الأبطح للتعظيم، والجار والمجرور متعلّق بطاحا، والأَبْطَح: كلّ مكان متّسع، كذا في المصباح. وقال في الصحاح: الأبطح مسيل واسع فيه دقاق الحصا. وهو هنا كناية عن المقام الذاتي الجامع لجميع الأسماء والصفات. وقوله (**طاحا**): بألف الإطلاق، قال في الصحاح: طَاح يَطُوح ويَطِيح: هَلَكَ وسقط، وكذلك إذا تاه في الأرض». ويناسب الثاني إنشاد الضالّة، كأنّما قلبه ضلّ

---

(١) ورد البيت في (ق): وأقري السلام عريبه عنّي وقل ... غادرتُه بجنابكم مُلتاحا

عنه هناك، فأمر بإنشاده. وقوله (وأقْرِ): فعل أمر من أَقْرَأَ، قال في المصباح: «قرأت على زيد السلام أَقرؤه، وإذا أَمَرْتَ منه قلت: اقْرَأْ عليه السلام، قال الأصمعي: وتعديتُه بنفسه خطأ، فلا يقال: اقْرِأْهُ السلام؛ لأنّه بمعنى: اتْل عليه. وحكى ابن القَطَّاع، أنّه يتعدّى بنفسه رباعيّاً فيقال: فلان يُقْرِئُكَ السلام. وحكاهما أيضاً في الصحاح. وقوله (السلام): مفعول أقْرِ. وقوله (أُهَيْلَهُ): مفعول ثانٍ لقوله (أقْرِ): وهو تصغير أهله للتعظيم، والضمير للأُبيطح، وهم كناية عن الأولياء الذاتيين المحقِّقين. وقوله (عنِّي): متعلِّق بأقر. وقوله (وقل) معطوف على أقرِ. وقوله (غادرته): أي تركته، قال في الصحاح: «المغادرة: الترك». والضمير يعود للفؤاد في البيت قبله. وقوله (لجنابكم): متعلِّق بقوله (ملتاحاً): وهذا الخطاب للمحبوب من حيث تعدِّد ظهوراته، وتنوّعها؛ فهو الكثير الواحد، كما قلنا في أبيات لنا من ديواننا:

هــذا الكثــير الواحــد	فــافرح بــه يــا واجــد
فجميعنـــاً منـــه لـــه	طـــول الزمـــان محامـــد
فاعجـــب لأمـــر زائـــد	منـــه ومـــا هـــو زائـــد
خلـــق تكثـــر عـــدّهم	فتناســـلوا وتوالـــدوا
وتفرّقـــوا فرقـــاً وهـــم	محـــسودهم والحاســـد
وجمـــيعهم صـــور لـــه	عـــادَتْ بهـــنّ عوائـــد
وهـــم الـــشؤن لذاتـــه	فطـــوارف وتوالـــد

و(الجَناب): بالفتح القناء، وما قرّب من محلّة القوم، يقال: أَخصب جناب القوم، وفلان خَصِيب الجَناب، وجَديب الجَناب، كذا في الصحاح. وقوله (مُلْتاحاً): من لاحه السفر: غيّره، ولاح لَوْحَاً ولُوَاحَاً: عطش، والتاح مثله، كذا في الصحاح. وقال في القاموس: لاحَهُ العطش أو السفر: غيّره، كلَوَّحَه، والمُلْتَاح:

المتغيِّر. والمعنى: إنّه مُتغيِّر بزيادة السقم، ومكابدة الغرام والوجد.

٨- يَا سَاكِنِي نَجْدٍ أَمَا مِنْ رَحْمَةٍ ... لِأَسِيرِ إِلْفٍ لَا يُرِيدُ سَرَاحَا

٩- هَلَّا بَعَثْتُمْ لِلْمَشُوقِ تَحِيَّةً ... فِي طَيِّ صَافِنَةِ(١) الرِيَاحِ رَوَاحَا

١٠- يَحْيَا بِهَا مَنْ كَانَ يَحْسَبُ هَجْرَكُمْ(٢) ... مَزْحَاً وَيَعْتَقِدُ المُزَاحَ مُزَاحَا

(يا ساكني): أصلها يا ساكنينَ، فحُذفت النون للإضافة إلى قوله (نجدٍ): وذلك كناية عن أصحاب المقام العالي في التحقّق بمعرفة الحقّ تعالى؛ فإنّهم مظاهر إلهيّة، ومجالٍ رحمانيّة، إذا وجدهم المريد؛ فهو الواصل إلى كلّ مايريد، وهيهات أنْ يجدهم وهم تحت قباب العادات، وخيام المثليّة في أنواع المباحات. وقوله (أمَا): بالفتح والتخفيف: حرف استفتاح بمنزلة ألا، كما في مغني ابن هشام. وقوله (من رحمة): أي رقّة وتعطّف. وقوله (لأسيرِ): أي مأسور. وقوله (إلفٍ): بكسر الهمزة وسكون اللام. قال في المصباح: «أَلِفْتُهُ إِلْفَاً، من باب علم: أَنِستُ به، وأحببته». وأسير الإلف أي: الألفة، هو المأسور: الذي أَلِفَ واستأنس بمن أسره. وقوله (لا يريد /[٣١١/أ] سَراحاً): بالفتح، اسم من سرّحت فلاناً إلى موضع كذا: إذا أرسلته. وتسريح المرأة: تطليقها. والاسم: السَّرَاح، مثل التبليغ والبلاغ، وفي المثل: السَراح من النجاح، أي: إذا لم تقدرعلى قضاء حاجة للرجل فآيسته، فإنّ ذلك عنده بمنزلة الإسعاف. وهذا على خلاف عادة الأسير؛ فإنّه يتمنّى الفكاك من الأسر. والسراح منه. وهذا الأسير لا يريد الفكاك ولا السراح؛ بل يريد أنْ يبقى في أسر المحبّة، وقيّد العشق والشوق. وقوله (هلّا): بتشديد اللام للتحضيض مركّبة من هل ولا، كذا في القاموس. وقال في الصحاح: «وأمّا هلّا بالتشديد فأصلها: لا، بُنيت مع هل؛ فصار فيها معنى التحضيض. وقوله (بعثتم): خطاب لساكني نجد. وقوله (لِلْمَشُوقِ): يعني نفسه. وقوله (تَحِيَّةً):

(١) في (ق):صافية.

(٢) في (ق): هجره.

مفعول بعثتم. والتحيّة: السلام، وقد يقال: إنّ التحيّة: المُلْك، قال في الصحاح: «التحيّة الملك، قال زهير بن حباب الكلبيّ:

ولكلّ ما نال الفتى قد نلته إلّا التحيّة

وقال عمر بن معدي كرب:

أسير به إلى النعمان حتّى أنيخ على تحيّته بجند

أي: على ملكه. يقال: حيّاك الله، أي: ملكك. والتحيات لله، قال يعقوب: أي: الملك لله؛ فالمعنى هنا على هذا يا ليتكم، يا أيّها الأحبّة لو أرسلتم لي ملكاً على رعايا المحبّة؛ فأتصرف بها في القلوب، وأجول بها في ميادين الغيوب. وقوله **(في طيّ)**: مصدر طَوَى يَطْوِي طَيّاً، وهو خلاف النشر. وقوله**(صافنة)**: بالصاد المهملة بعدها ألف وفاء ونون، من أوصاف الخيل، قال في المصباح: «الصافن من الخيل: القائم على ثلاث. وصَفَنَ يَصْفِنُ من باب ضرب، صُفُونَاً». وقال في القاموس: «صَفَنَ الفرسُ يَصْفِن صُفُوناً: قام على ثلاث قوائم وطَرَفِ حافر الرابعة». وقوله **(الرياح)**: جمع ريح. ويكون هذا من قبيل تشبيه الرياح بالخيل في سرعة سيرها. من عكس التشبيه. وللصفي الحلّي من المعنى قوله:

وعادية إلى الغارات ضبحاً تريك لقدح حافرها التهابا
إذا ما سابقتها الريح فرّت وألقت في يد الريح الترابا

ومعنى كون التحيّة في طيّ الصافنة من الرياح إنّها تحملها مستورة خفيّة عن الأعين. وفي نسخة في طيّ صافية الرياح، بالياء التحتيّة بدل النون، من الصفا، خلاف الكدر. يكنّي بصافنة الرياح، أو صافية الرياح عن الروح المنفوخة عن أمر الله تعالى، يقول: هلّا بعثتم معها حيث نفخت فيه عن أمركم تحيّة له وسلاماً وأماناً من المكر به. من قبيل الإرث اليحيويّ في قوله تعالى:﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ﴾ [١٩/ مريم/ ١٥] وقول الروح العيسويّ: ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ﴾ [١٩/ مريم/ ٣٣] من قبيل قوله صلّى الله عليه

وسلّم بعد سلامه من الصلاة جامعاً بين التشبيه والتنزيه: «اللهم أنت السلام ومنك السلام وإليك يرجع السلام، تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام»[1].

وقوله (رواحاً): أي في وقت الرواح. قال في المصباح: «رَاح يَرُوح رَوْحَاً: يكون بمعنى الغُدُوِّ، وبمعنى الرجوع». وقد طابق بينهما. وقوله تعالى: ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ [٣٤/ سبأ/ ١٢] أي: ذهابها ورجوعها. وقد يتوهّم بعض الناس أنّ الرواح لا يكون إلّا في آخر النهار. وليس كذلك، بل الرواح والغدوّ عند العرب يُستعملان في المسير أيَّ وقت كان، من ليلٍ أو نهار، قاله الأزهري وغيره: وعليه قوله صلّى الله عليه وسلَّم: «مَن راح إلى الجمعة في أوّل النهار/ [٣٠٦/ ب][2] فله كذا»[3]. أي: من ذهب. ثمّ قال الأزهري: وأمّا راحت الإبل فلا يكون إلّا بالعشيّ إذا أراحها راعيها على أهلها. يقال: سرحت بالغداة إلى الرعي، وراحت بالعشيّ على أهلها، أي: رجعت من المرعى إليهم. وقال ابن فارس: «الرواح رواح العشيّ، وهو من الزوال إلى الليل. وقوله (يحيا بها): رجوع عن طلب ذلك، أي: بتلك التحيّة التي تبعثونها إليه، أي: يصير حيّاً حياة حقيقيّة. وقوله (مَن): أي الذي، فاعل يحيا. وقوله (كان يَحْسَب): أي يظن. وقوله (هجركم): أي إعراضكم عنه وترككم له. وقوله (مُزاحاً): مصدر مَزَحَ يَمْزَح، قال في الصحاح: «المَزْحُ: الدعابة، وقد مَزَحَ يَمْزَحُ»والمعنى: إنّ تلك التحيّة إنّما يحيا بها، أي: يصير ملكاً أو ذا حياة، كما قدّمناه هو الإنسان الذي يظن هجركم له وإعراضكم عنه دعابة منكم وملاعبة معه. وقوله (ويعتقد) معطوف على يحسب، أي: يقطع ويجزم. وقوله (المُزاح): بضمّ الميم، وهو الاسم من المَزْح، بمعنى الدعابة. قال في

---

(١) انظر تخريجه ص٣٧٧.

(٢) عاد الناسخ إبراهيم الدكدكجي إلى البيت العاشر ولكن في الصفحة [٣٠٦/ ب] بعد أن كان قسم منها في الصفحة [٣١١/ ب].

(٣) أخرجه مالك في الموطّأ برواية محمّد بن الحسن، باب: الاغتسال يوم الجمعة،٦٤، بلفظ: «من راح إلى الجمعة فليغتسل».

الصحاح: «والاسم: المُزاح بالضمّ. وقوله (مُزاحاً): بضمّ الميم أيضاً: اسم مفعول من أَزَحتُ الشيء: أبعدته وأذهبته، قال في الصحاح: زاح الشيء يَزيح زَيحاً: أي بعد وذهب، وأزاحه غيره. يعني: يظن أن هجركم مداعبة له، ويقطع ويجزم بأنّ المداعبة بعيدة منكم، ذاهبة زائلة، وهذا شأن الغافل المحجوب إذا جاءته تحيّة منكم، أي: وصل إليه الكشف المكريّ، والإمداد الاستدراجيّ، يظنّ أن هجركم له مداعبة، لأنّكم تحبّونه فتداعبونه، ويعتقد مع ذلك أن المداعبة والممازحة بعيدة عنكم لا تليق بجنابكم، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ [٢١/ الأنبياء/ ١٦] وقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا﴾ [٢٢/ المؤمنون/ ١١٥]

وتقدير معنى البيت: وأمّا نحن فإنّا لا نحيا بتلك التحيّة، وإنّما نموت بها؛ فيظهر الحيّ بها، أنتم لا سواكم؛ من يحيا بها يعتقد الثنويّة والشركة معكم في الوجود وفي الحياة، وهو الغافل المغرور.

١١- يَا عَاذِلَ المُشْتَاقِ جَهْلاً بِالذِي يَلْقَى مَلِيّاً[١] لَا بَلَغْتَ نَجَاحَاً

١٢- أَتْعَبْتَ نَفْسَكَ فِي نَصِيحَةِ مَنْ يَرَى أَنْ لَا يَرَى الإِقْبَالَ والإِفْلَاحَاً

(**يا عاذل**): أي لائم. وقوله (**المُشتاق**): يعني نفسه لاشتياقه إلى أحبَّته. وقوله (**جهلاً**): تمييز لصدور العذل، أي: اللَّوم من العاذل، أي: يا من عَذْلُه ولومه من جهة الجهل بأحوال هذا المشتاق فكأنها انبهمت نسبة العذل للمشتاق ففسرت بأنّ ذلك من الجهل بحاله، وذلك قوله بالذي متعلِّق بـ(**جهلاً**) وقوله (**يلقى**): أي يجد ويصادف، قال في المصباح: «كلّ شيء استقبل شيئاً أو صادفه فقد لقيه». والمعنى بالذي يجده هذا المشتاق من الأشجان والمتاعب، ودواعي المحبّة والجواذب، وهو الجاهل بالله، وبما له في قلوب العارفين به تعالى من الجلال، وكمال التوحيد، وتوحيد الكمال؛ فيظن نقصاً في الأحوال، ويحسب نقضاً في عهود الأعمال والأقوال، فيلوم ويلحى، ويكثر صياحاً ونبحاً. وقوله (**مَلِيّا**): بفتح الميم وكسر

(١) في (ق): بليلى.

اللام وتشديد الياء التحتيّة مفتوحة، قال في المصباح: «أملَيتُ له الأمر: أخّرت. وفي التنزيل: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْـمًا﴾ [٣/آل عمران/ ١٧٨] وأملَيتُ للبعير في القيد: أرخيت له ووسَّعتُ وفي التنزيل: ﴿وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ [١٩/ مريم/ ٤٦] قيل مدّة، وقيل زماناً طويلاً، وقال في الصحاح: «المَلَى: الهوى من الدهر، قال عزّ وجلّ: ﴿وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ أي: طويلاً. ومضى مَلِيٌّ من النهار: ساعة طويلة». وهو خطاب للعاذل أنْ يهجره مَلِيّاً يتركه فلا يلومه زماناً طويلاً. وقوله (**لا بَلَغْتَ**): خطاب للعاذل، أي: لا وَصَلْتَ ولا حَصَّلْتَ/ [٣٠٧/ أ] وقوله (**نجاحاً**): مفعول بلغت، أي: لا وصلت إلى نجاح، ولا حصّلته، جملة دعائيّة، قال في المصباح: «أَنْجَحْتُ الحاجة إنْجَاحَاً، وأَنْجَحَ الرجلُ أيضاً: إذا قُضيتْ حاجته. والاسم: النَّجَاح بالفتح. وقوله (**أتعبت نفسك**): خطاب للعاذل، أي: ألقيت نفسك في التعب والمشقّة. وقوله (**في نصيحة**): تسمية اللوم نصيحة تهكم بالعاذل، ومخاطبة له على رأيه؛ لأنّه يعتقد أنه ناصح في لومه له على العشق والمحبّة. وقوله (**من يرى**): أي يعتقد. وقوله (**أن لا يرى**): أي لا يبصر؛ فالرؤية الأولى قلبيّة، والثانية بصريّة. وقوله (**الإقْبَال**): مفعول لا يرى، أي: لا يبصر الإقبال، أي: إقبال الدنيا وأهلها عليه، واهتمامهم به، ورفعة شأنه عندهم. وقوله (**والإفلاحا**): معطوف على الإقبال مصدر أفلح، أفعل من الفلاح، وهو الفوز. أفلح الرجل: فاز وظفر، كما في المصباح. وعدم رؤيته الإقبال والإفلاح لاشتغاله بما هو أعلى من ذلك من شهود تجلّيات ربّه في باطنه، وفي ظاهره بحيث لم يبق عنده ما يغاير ربّه من كلّ شيء.

١٣- أَقْصِرْ عَدِمْتُكَ وَاطَّرِحْ مَنْ أَثْخَنَتْ   أَحْشَاءَهُ النُّجْلُ العُيُوْنُ جِرَاحَاً

١٤- كُنْتَ الصَّدِيْقَ قُبَيْلَ نُصْحِكَ مُغْرَمَاً   أَرَأَيْتَ صَبَّاً يَأْلَفُ النُّصَّاحَا

١٥- إنْ رُمْتَ إِصْلَاحِي فَإِنِّي لَمْ أُرِدْ   لِفَسَادِ قَلْبِي فِي الهَوَى إِصِلَاحَاً

(**أَقْصِرْ**): فعل أمر، يخاطب به العاذل، من أَقصَرْتُ عن الشيء بالألف: أَمْسَكْتُ مع القدرة عليه، كذا في المصباح. والمعنى: أمسك عن لومك لي، واترك

تعنيفك لي على المحبّة. وقوله (عَدِمْتُكَ): جملة دعائيّة معترضة بين الجملتين المتعاطفتين بالدعاء على العاذل أنَّ الله تعالى يعدمه إيّاه. وقوله (واطّرِحْ): بتشديد الطاء المهملة، وزنه افتعل، وأصله اطترح، فأدغمت الطاء في التاء، قال في الصحاح: «طَرَحْتُ الشيء وبالشيء طَرْحاً: إذا رميته، واطَّرَحَه، أي: أبعده، وهو افتعله. والطَرْح بالتحريك: المكان البعيد». وقوله (مَن): أي الذي، أو عاشقاً مفعول اطّرح. وقوله (أَثْخَنَتْ): بالثاء المثلَّثة والخاء المعجمة، قال في المصباح: «أَثْخَنَ في الأرض اثخاناً: سار إلى العدوّ وأوسعهم قتلاً، وأَثْخَنْتُهُ: أَوهَنْتُهُ بالجراحة، وأضعفته». وقوله (أحشاءه): مفعول أثخنت، جمع حَشَا، والحَشَا مقصور: المعى، والجمع: أحشاء، مثل سبب وأسباب». والضمير يعود إلى مَنْ. وقوله (النُّجُلُ) بضمّ النون، فاعل أثخنت، جمع نجلاء: صفة للعيون. قال في المصباح: «النَجَل بفتحتين: سَعَة العين وحُسْنُها، وهو مصدر، من باب تعب، وعين نجلاء مثل حمراء». وقوله (العيون): بدل من النُّجُلُ، أو عطف بيان عليه، جمع عين، وهي الباصرة. وقوله (جراحاً): تمييز مبين نسبة الإثخان إلى العيون النجل. يكنِّي بذلك عن عيون الوجود الحقّ الظاهر في كلّ شيء، ولا شيء سواها، قال تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [٥٤/ القمر/ ١٤] فكلّ عين له، وما زاد على الوجود الحقّ هالك فانٍ. وقوله (كنتَ): خطاب للعاذل. وقوله (الصديق): خبر كان، والتاء اسمها، أي: المصادق لي، وهو بَيِّنُ الصداقة، واشتقاقها من الصِّدْق في الودّ والنصح، كذا في المصباح. وقوله (قُبَيْل): تصغير قَبْل، للتقليل. وقوله (نُصْحِكَ مُغْرَمَاً): مفعول المصدر. والمُغْرَم: من أُغْرِم بالشيء، بالبناء للمفعول، أُولع به، فهو مُغرَم، كذا في المصباح. يعني: يا أيّها العاذل، كنت صديقاً لي قبل أنْ تلومني على المحبّة. وتزعم أنّ ذلك اللّوم نصح منك لي، والآن صداقة بيني وبينك. وقوله (أرأيت): الهمزة للاستفهام الإنكاري. وقوله (صَبّاً): من الصَّبابة، هي رقّة الشوق وحرارته، يقال: رجل صَبٌّ عاشق مشتاق، كذا في الصحاح.

وقوله (يَأْلَفُ): من أَلِفْتُهُ إِلْفَاً، من باب عَلِمَ: أَنِسْتُ به وأحببته، / [٣٠٧/ب] والاسم الأُلْفَة، بالضمّ. والأُلفة أيضاً اسم من الائتلاف، وهو الالتئام والاجتماع، كما في المصباح. وقوله (النُّصّاحا): جمع ناصح، يقال: نَصَحتُ لزيدٍ أَنْصَحُ له نُصْحَاً ونَصِيْحَةً، وهو الإخلاص والصدق في المَشورة والعمل». يعني: إنّ العاشق المشتاق لا يألف من ينصحه في المحبّة، ولا يتأنّس به، فضلاً عن أنْ يصادق. قال العارف الكامل نجم الدين بن إسرائيل قدّس الله سرّه:

ملام العاشقين من الضلال فما للآئمين إذاً وما لي
وأين من الملامة عقل صبٍّ غداً بهوى الأحبّة في عقال
وهل تجدي الملامة في مليح يميل بعطفه سكر الدلال
حشا أذنيه من يهوى حديثاً فليس يصيخ بعدُ إلى مقال

وقوله (إنْ رُمْتَ): أي قصدت، خطاب للعاذل. وقوله (إصلاحي): أي جعل أموري موافقة لما هو الصلاح في حقّي. وقوله (فإنّي لم أُرِدْ): أي تحقيقاً أنّي لا أريد، وقوله (لفساد قلبي): هو خلاف الصلاح. وقوله (في الهوى): أي في المحبّة والعشق. وقوله (إصلاحاً): مفعول أريد. يعني: إنّ ترك المحبّة والعشق الذي تراه إصلاحاً في حقّي، أنا لا أرى ذلك إصلاحاً. ولوكان ذلك إصلاحاً فإنّي لا أريد أن ينصلح فساد قلبي بالنسبة إليك، لأنّ الصلاح في رأي الغافلين قيامهم بأنفسهم في طاعة ربّهم بحولهم وقوّتهم، ودعوى وجودهم، مشاركين لربّهم في الوجود وإنّ كان عندهم أنّ وجودهم حادث، ووجود ربّهم قديم؛ فالاشتراك في دعوى الوجود شرك خفي، وهذا الصلاح الذي عند الغافلين عين الفساد عند العارفين، والصلاح عند العارفين الذي هو قيامهم بربّهم في طاعة ربّهم وعبادته، لا حول ولا قوّة إلّا بربّهم؛ بل لا وجود لهم إلّا بوجود ربّهم ذوقاً وكشفاً، لا فهماً فقط وتخيلاً، وهذا الصلاح الذي عند العارفين عين الفساد عند الغافلين المحجوبين من علماء الرسوم وغيرهم الذين اعتادوا على أخذ العلم بالفهم

والتعقّل لا بالكشف والتحقّق، ولهذا يلوموهم وينكرون عليهم حسن أحوالهم وأعمالهم، قال العارف نجم الدين بن إسرائيل قدّس سرّه:

حيَّرت في حبّكم أفكار عذّالي فلا اطّلاع لهم يوماً على حالي
فقائلٌ هو صبٌّ مغرم دنف وقائل هو عندي فارغ سالِ
أعرضت عنكم وكلّي مقبل كلف فقد تناسب إعراضي وإقبالي
وغبت عنكم وأنتم حاضرون معي فليس قلبي منكم طرفه خالي

١٦- مَاذَا يُرِيدُ العَاذِلُوْنَ بِعَذْلِ مَنْ لَبِسَ الخَلَاعَةَ وَاسْتَرَاحَ وَرَاحَا

(ما): اسم استفهام في محل رفع بالإبتداء، وذا اسم موصول بمعنى الذي، خبر المبتدأ. وقوله (**يريد العاذلون**): جمع عاذل، وهو اللائم على المحبّة والعشق. والجملة صلة الموصول، والعائد محذوف تقديره يريده. وقوله (**بعذل**): متعلّق بـ يريد، قال في المصباح: «عَذَلْتُهُ عَذْلاً من بابي ضرب وقتل: لُمتُهُ». وقوله (**من لَبِسِ الخلاعة**): أي لازمها ملازمة اللباس، وهي عدم المبالاة بها يصدر منه قال في الصحاح: «غلام خَلِيع: بَيِّنُ الخَلَاعة بالفتح، وهو الذي قد خَلَعَهُ أهله؛ فإنْ جَنَى لم يُطْلَبُوا بجنايته». وقوله (**واستراح**): من الراحة، وهي زوال المشقّة والتعب، وأرحت الأجير إراحة أذهبت عنه ما يجد من تعبه فاستراح، كذا في المصباح. وقال/ [٣٠٨/ أ] قال في الصحاح: «أراحه الله واستراح، وأراح الرجل: رجعت إليه نفسه بعد الإعياء، وأراح: تنفّس». وقوله (**وَرَاحا**): بألف الإطلاق، أي: ذهب في أيِّ وقت كان. وقال في الصحاح: الرواح نقيض الصباح، وهو اسم للوقت من زوال الشمس إلى الليل. وقد يكون مصدر قولك: راح يَروح رَواحاً، وهو نقيض قولك: غَدا يَغدو غُدُوّاً: تقول سَرَحَت الماشية بالغداة، وراحت بالعشيّ، أي: رجعت». وقدّمنا أنْ لا فرق بين غدا وراح، وما ألطف أبيات العارف ابن إسرائيل قدّس سرّه:

يا عاذلي لست بالمصغي إلى عذل ... سمعي وطرفي وقلبي عنك في شغل

أين الملامة من صبّ تطارحه ... وعد الحبيب إشارات من المقل

سكران من نشوات الأنس ما مزجت ... له كؤوس الهوى بالصدّ والملل

ولا يشوق وميض البرق لوعته ... ولا يطيل وقوف الركب في الطلل

ولا يحنّ للمع النار يضرمها ... لحيّ ليلى ذوات الأعين النجل

يمسي وشمس الضحى وهناً تنا دمه ... والبدر من وجهها الوضّاح في خجل

حوراء زوَّر غصن البان قامتها ... وموَّه الريم ما فيها من الكحل

يا جملة الحسن يا روح الحياة ويا ... معنى الوجود ويا حتف الفتى البطل

إذا المحبّون ذمّوا جور معتدل ... فلست أشكر إلّا عدل ذي ميل

١٧- يَا أَهْلَ وِدِّي هَلْ لِرَاجِي وَصْلِكُمْ ... طَمَعٌ فَيَنْعَمَ بَالُهُ اسْتِرْوَاحَا

١٨- مُذْ غِبْتُمُ عَنْ نَاظِرِي لِيَ أَنَّةٌ ... مَلأَتْ نَوَاحِي أَرْضِ مِصْرَ نُوَاحَا

١٩- وَإِذَا ذَكَرْتُكُمُ أَمِيلُ كَأَنَّنِي ... مِنْ طِيبِ ذِكْرِكُمُ شَرِبْتُ الرَّاحَا

٢٠- وَإِذَا دُعِيتُ إِلَى تَنَاسِي عَهْدِكُمْ ... أَلْفَيْتُ أَحْشَائِي بِذَاكَ شِحَاحَا[1]

(يا أهل ودِّي): قال في المصباح: «وَدِدْتُهُ أَوَدُّهُ، من باب تعب، وَدّاً بفتح الواو وضمّها: أحببته». يخاطب المظاهر الإلهيّة التي يتجلّى بها الحقّ تعالى من إنسان وغيره. وقوله **(هل)**: حرف استفهام. وقوله **(لراجي وَصْلَكُمْ)**: أي لمن يَتَرَجَّى الوصول إلى التحقّق بمن أنتم مظاهره، فيتّصل به. وقوله **(طَمَعٌ)**: مصدر قولك طَمِعَ في الشيء طَمَعاً وطَمَاعاً وطَمَاعِيَةً مُخَفَف، وأكثر ما يُستعمَل فيما يَقْرُب حصوله، وقد يُستعمَل بمعنى الأمل، ومن كلامهم: طَمِعَ في غير مَطْمَع: إذا أَمَّلَ

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: «بلغ مقابلة على مؤلّفه رضي الله عنه وأرضاه وأطال لنا بقاءه».

ما يبعد حصوله، لأنّه قد يقع كلّ واحد موقع الآخر لتقارب المعنى، كذا في المصباح. وقوله (فَيَنْعَمَ): بفتح الياء التحتيّة وسكون النون وفتح العين المهملة، قال في المصباح: «النَّعْمَة، بالفتح اسم من التَّنَعُّم والتَّمَتُّع وهو النَّعِيم، ونَعِمَ عَيْشُهُ يَنْعَمُ، من باب تعب اتَّسَعَ وَلَان». وقوله (بَالُهُ): البَال: القلب، وخَطَرَ ببالي، أي: بقلبي، وهو رَخِيُّ البَال، أي: واسع الحال كما في المصباح. وقوله (اسْتِرْوَاحاً): تمييز لنسبة التنعيم إلى باله، أي: خاطره، كأنّه قال: فيتنعَّم بالي بمجرَّد وجود الراحة من ألم المحبّة، والشوق. والاسْتِرْوَاح: مصدر اسْتَرْوَح: وجدَ الراحة، كاسْتَرَاح، كذا في القاموس. وقوله (مُذ): ظرف زمان مبني على السكون، مضاف إلى الجملة التي بعده. وقوله (غِبْتُمُ): بضمّ الميم لاستقامة الوزن، والخطاب لأهل ودِّه. وقوله (عن ناظري): متعلِّق بغبتم، قال في المصباح: «الناظر: السَّوَاد الأَصْغَر من العين الذي يُبصِر به الإنسان» وغيبتهم عن ناظره كناية عن غلبة الغفلة عليه، بحيث يرى المظاهر أغياراً لهم وأجانب عنهم، وإلّا فلا تتصوّرغيبة الحقّ أصلاً، لا عن الظاهر، ولا عن الباطن، قال العارف نجم/ [٣٠٨/ ب] الدين بن إسرائيل قدّس الله سرّه:

يا من برؤياه يتمّ السرور ... ومن له في كلّ شيء ظهور

أنت الذي تشتاق أرواحنا ... إليه في حالة النوى والحضور

دام تجلّيك فلا غيرة ... وغيرة والعاشق عين الغرور

تُجنَى وتُجلى لعيون الورى ... فوجهك الوضّاح نار ونور

وقوله (لي أَنَّةٌ): بفتح الهمزة وتشديد النون، من: أَنَّ الرجلُ يَئِنُّ، بالكسر، أَنِيناً وأُناناً بالضمّ: صوّت، كذا في المصباح، والأَنَّةُ فعل مرّة من الأَنين، وتنكيرها للتعظيم. وقوله (مَلَأَتْ): أي تلك الأَنّة. وقوله (نَوَاحِي): جمع ناحية، وهي الجانب والجهة، قال في المصباح: «الناحية الجانب. فاعلة بمعنى مفعولة، لأنّك نَحَوْتَهَا، أي: قصدتها. وقوله (أرض مصر): هي المدينة المعروفة، ممنوعة من الصرف للعلميّة، والتأنيث المعنويّ، وهي بلاد الناظم قدّس الله سرّه. وقوله

(**نُوَاحَاً**): تمييز لنسبة الامتلاء إلى مصر، والمعنى: إنّ تلك الأنّة العظيمة أوجبت كمال الحزن لجميع أهل الجهات المصريّة، فأكثروا النُّواح عليه، قال في المصباح: «ناحَتِ المرأةُ على المَيْتِ نَوْحَاً، من باب قال، والاسم: النُّواح، وِزان غُراب. وربّما قيل: نِيَاح، بالكسر، والنياحة بالكسر: اسم منه». وقال في القاموس: ناح الرجلُ: بَكَى واسْتَبْكَى غيرَه. وقوله (**وإذا ذَكَرْتُكُمُ**): بضمّ الميم لاستقامة الوزن، والخطاب لأهل ودِّه، أي: تذكرتكم بقلبي، أو ذكرتكم بلساني. وقوله (**أميل**): أي اضطرب سُكْراً وطَرَباً بلذيذ الذكر، قال في المصباح: «مال الحائط: زال عن استوائه». وقوله (**كأنني من طيب ذكركمُ**): بضمّ الميم أيضاً للوزن. وقوله (**شربت الراحا**): بألف الإطلاق، وهو الخمر. ولابن إسرائيل قدّس الله سرّه من أبيات:

لي من غرامي دائماً سكر وبي ... من لاعج الشوق الشديد خمار[1]

أُمسي وذكركم كؤوس مدامتي ... وأخو الغرام كؤوسه التذكار

وإذا نظرت فليس أنظر غيركم ... وإليكم تنقاد بي الأفكار

وقلنا في هذا المحلّ بديهة:

بخمر ذكر الحبيب سكري ... وفرط حمدي له وشكري

وكلّ وقت أميل وجداً ... وفيَّ سرٌّ الغرام يسري

مَن يشتري العبد فيه عيب ... سليب عقل بخمر ذكر

لا يقبل العبد غير مولى ... ربّاه باللطف فهو يدري

مولاه يدري به فردّوا ... عليه فالغير ليس يشري

وقوله (**وإذا دُعِيْتُ**): بضمّ الدال المهملة: فعل مبني للمفعول، مضموم التاء للمتكلِّم، أي: دعاني العاذل اللائم. وقوله (**إلى تناسي**): من نسيت الشيء أنساه نسياناً: مشترك بين معنيين، أحدهما ترك الشيء على ذهول وغفلة، وذلك خلاف الذكر له. والثاني الترك على تعمّد، وعليه: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [٢/البقرة

---

(١) الشطر الأول تنقصه كلمة فأضفنا (دائماً) ليستقيم الوزن.

/٢٧٣] أي: لا تقصدوا الترك والإهمال، كذا في المصباح. وقوله (عَهْدِكُمْ): الخطاب لأهل ودّه. وقوله (أَلْفَيْتُ): أي وجدت، قال في المصباح: «أَلْفَيْتُهُ يصلى، بالألف/ [٣٠٩/ أ] وجدته على تلك الحالة. وقوله (أحشائي): جمع حشا، وهو ما انضمّت عليه الضلوع، كذا في الصحاح. وقوله (بذاك): أي بتناسي عهدكم. وقوله (شِحَاحَاً) جمع شَحيح، قال في الصحاح: «الشُّحّ: البُخْل مع حِرْص، ورجل شَحيح، وقوم شِحاح وأَشِحَّة». يعني: لم يسمح قلبي بتناسي العهد، وهو عهد الربوبيّة المأخوذ على كلّ نسمة آدميّة؛ فإنّ تذكّره سريان سرّ العرفان، ونسيانه سلوك في سبيل الخيبة والحرمان.

٢١- سَقْيَاً لِأيامٍ مَضَتْ مَعَ جِيرَةٍ   كَانَتْ لَيَالِينَا بِهِمْ أَفْرَاحَا

٢٢- حَيْثُ الحِمَى وَطَنِي وَسُكَّانُهُ   سَكَنِي وَوِرْدِي المَاءَ فِيْهِ مُبَاحَا

٢٣- وَأُهَيْلُهُ أَرَبِي وَظِلُّ نَخِيلِهِ   طَرَبِي وَرمْلَةُ وَادِيَيْهِ مَرَاحَاً

٢٤- وَاهَاً عَلَى ذَاكَ الزَمَانِ وَطِيْبِهِ   أيامَ كُنْتُ مِنَ اللّغُوْبِ مُرَاحا

(سَقْيَاً): مصدر منصوب بفعل محذوف، تقديره سَقَى الله سَقْياً. وعادة العرب أنّهم يدعون بالسُّقْيَا دائماً لمن يحبّونه من الناس وغيرهم، حتّى للأزمان والأوقات؛ لأنّ أعزّ أموالهم الإبل والمواشي، وهي تحتاج إلى الماء والكلأ النابت به، خصوصاً وبلادهم حارّة قليلة الماء غالباً، فيطلقون الدعاء بالسقيا في كلّ ما يريدون من الأشياء. وقوله (لأَيَّامٍ): جمع يوم، يريد أيامه في مكّة المشرّفة زمان سياحته. ويُكَنِّي أيام الله تعالى لموسى عليه السلام، «وذكِّرهم بأيام الله» [١٤/ إبراهيم/ ٥] المشار بها إلى أيام الأمر الإلهيّ الذي قال تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحِۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ [٥٤/ القمر/ ٥٠] فكلّ قبض ليلٌ، وكلّ بسطٍ نهارٌ. والله يقبض ويبسط. وقوله (مَضَتْ): مضيُّها بالنسبة إليه حيث تعينت نفسه عنده بإدراكه للحياة الدنيا. وقوله (مع جيرة): جمع جار. قال في المصباح: «الجار والمجاور في السكن. وحكى

ثعلب عن ابن الأعرابي، الجار: الذي يجاورك بيتَ بيتَ، والجارُ: الخَفير، والجار الذي يجير غيره، أي: يؤمّنه مما يخاف، والجار: الناصر، كذا في المصباح. يكنّي بمعيّته للجيرة عن ثبوته بالقول الثابت في حضرة الكلام الثابت في حضرة الكلام والعلم، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [٥٧/ الحديد/ ٤] وهي إمّا كينونة علم، أو كينونة كلام، ولا ثالث لهما. وكلّ منهما جامعة للأسماء والصفات، والوجود واحد ثابت بهما للممكن؛ فالممكن لا ينفك عن الوجود أصلاً فيُنقل من الوجود العلميّ إلى الوجود القوليّ، ومن الموجود القوليّ إلى الوجود العلميّ أزلاً وأبداً، ولا انتقال في نفس الأمر؛ بل تعدّد وجود باعتبار غيب واعتبار شهادة، واعتبار بطون، واعتبار ظهور. وقوله (**كانت ليالينا**): جمع ليلة، كناية عن النشأة الإنسانيّة الممكنة باعتبارها في نفسها؛ فإنّها مظلمة بالظلمة العدميّة. فإذا طلع عليها نهار الوجود الحقّ، وأبصره السالك زالت الليلة، وذكر الليالي ولم يذكر الأيام لثبوته في الظلمة العدميّة، لا في النور الوجوديّ. وقوله (**بهم**): أي بتلك الجيرة. وقوله (**أفراحاً**): جمع فرح، على جهة المبالغة بأنّ الليالي نفس الأفراح. وقوله (**حيثُ الحِمَى**): من حَمَيْتُ المكان من الناس حَمْيَاً، من باب رمى، وحِمْيَة بالكسر: مَنَعْتُه عنهم، والحِماية: اسم منه، وأحْمَيْتُه بالألف: جعلته حِمِىً، لا يُقرَب، ولا يُجْتَرَأُ عليه». يكنّي بالحِمَى عن الحضرة الجامعة للأسماء والصفات، كما قال **العفيف التلمساني** قدّس الله سرّه:

منعتهــــا الـــصفات والأســـماء أنْ تـــرى دون برقــــع أســـماء

وقوله (**وَطَنِي**): أي معلوم فيه مقول به أزلاً وأبداً، وأمّا المنزل الدنيويّ فإنّه منزل سَفَر لا وَطَن، كذلك منزل البرزخ، ومنازل القيامة حتّى يتحقّق حكم قوله /[٣٠٩/ ب] تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [٥٣/ النجم/ ٤٢] ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾ [٥٣/ النجم/ ٤٢-٤٣] الآية. وقوله (**وسُكّانُه**): جمع ساكن. وقوله (**الغَضَى**): بالغين المعجمة، والضاد المعجمة: شجر، وخشبه من أصلب الخشب، ولهذا يكون

في فحمه صلابة، كذا في المصباح. كنّى بسكّان الغضى عن المعلومات الإلهيّة النازلة إلى حضرة الكلام والقول. وقوله (سَكَني): بالتحريك، أي: أسكنُ إليهم، وأعتمد عليهم في أموري كلّها من حيث أنّهم تجلّيات الحضرة الذاتيّة، قال في القاموس: «السَّكَن بالتحريك ما يُسْكَنُ إليه». وقوله (وَوِرْدِيَ الماءَ): بكسر الواو، والوِرْد خلاف الصَّدْر، ووَرَدَ زيد الماء فهو وارد، كذا في المصباح، ووِردي مبتدأ، والماءَ مفعول وردي. وقوله (فيه): خبر المبتدأ، والضمير يعود إلى الحمى. يعني: لا أرد على الماء إلّا في الحمى، كناية عن العلم؛ فلا أستند فيه إلّا إليه. وقوله (مُباحاً): حال من الماء، أي: غير محظور، ولا ممنوع عنّي. وقوله (وأُهَيْلُهُ): أي أُهَيْل الحِمَى تصغير أهل، كناية عن التجلّيات الإلهيّة، والمظاهر الربّانيّة. وقوله (أَرَبِي): بالتحريك، أي: مقصودي ومرادي. وقوله (وظلّ نخيله): أي نخيل الحمى، كنّى بالظلّ عن الآثار الكونيّة، وبالنخيل عن الحقائق العلميّة، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [٢٥/ الفرقان/ ٤٥] أي: ظلّ تلك الحقائق. وقوله (طَرَبي): يقال طَرِبَ طَرَباً، من باب تعب، وهو خفّة تصيبه لشدّة حزن، أو سرور، والعامّة تخصّه بالسرور، كذا في المصباح. يعني: إنّ آلأثارالكونيّة ألحان مطربة، لأنّها متحرّكة بالحركة الأمريّة على الوزن، قال تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ [١٥/ الحجر/ ١٩]. ومن قصيدة لنا قولنا:

هــو ظــاهر في كــلّ شيء دائــماً أبــداً إليــه كــلّ شيء ســاجد[1]
عــود العــلا ضربــت بــه يــده عــلى طبــل المــلا فالعــالمون قــصائد

ولنا أيضاً من قصيدة أخرى:

حــقّ تجــلّي في غــما ئــم باطــل غيــب العــماء
فــاختصّ قومــاً بالــضلال وعمّنــــا بالاهتــــداء
والكــشف جــاء بعــسكر والكــون خفّــاق اللــواء

(١) أضفنا كلمة (دائماً) ليستقيم الوزن.

والطبـــل أجـــسام المـــلا والزمـــر أرواح القـــضاء
وبموكـــب الأمـــلاك حـــفّ الغيـــب سـلطان الوفـــاء
هـــذا فكيـــف عقولنـــا لا تـضمحلّ مـن الهنـاء

وقوله **(ورَمْلَةُ وَادِيَيْهِ)**: أفرد الرملة، وثنّى الواديين، نحو قطعت رأس الكبشين قال الدماميني في شرح التسهيل: رأس الكبشين بإفراد الرأس، يُختار على رأسي الكبشين بصيغة المثنّى، ولفظ الجمع، نحو: رؤوس الكبشين، يُختار على لفظ الإفراد؛ فعلم أنّها على هذا النمط عند المصنّف- يعني: ابن مالك- الجمع، ثمّ الإفراد، ثمّ التثنية. إلى آخر كلامه مع ذكر الخلاف للبصريّين وللكوفيّين، وتوجيه ذلك. **(والرَّمْلَةُ)**: واحدة الرمال، قال في القاموس: «الرَّمْل معروف، واحده رَمْلَة». وقال في الصحاح: «الرمل: واحد الرمال، والرملة أخصّ منه، ورَمْلَةُ: مدينة بالشام». كنّى بالرملة عن علوم الوهب الإلهيّ، وكنّى بالواديِنِ عن الشريعة والحقيقة؛ فإنّ كلّ واحدة منهما وادي سلوك، وفيه علوم وهبيّة إلهيّة تخصّه. وقوله **(مراحاً)**: أصله مراحان، بصيغة التثنية، خبر المبتدأ الذي هو رملة لأنّها على معنى الثنية كما تقول: رأس الكبشين مقطوعان، حتّى قال الدماميني عن قول صاحب التسهيل:« ومطابقة ما لهذا الجمع لمعناه أو لفظه جائز. قال: وفي الحقيقة ليس هذا الحكم خاصّاً بهذه المسألة؛ بل كلّ شيء له لفظ ومعنى مختلفان، يجوز رعاية لفظه ورعاية معناه. ثمّ حذفت النون من قوله **(مراحان)** على وجه الترخيم لغير المنادى؛ فإنّه يجوز للضرورة». قال ابن المصنِّف في شرح الألفيّة: «قد يضطرب الشاعر فيرخّم ما ليس منادى، لكن بشرط كونه صالحاً لأنْ ينادى، فمن ذلك قول امرئ القيس:/ [٣١٠/ أ]

لــنعم الفتــى يعــشو إلى ضــوء نــاره طريـف بـن مـال ليلـة الجـوع والخـصرِ

أراد ابن مالك، فحذف الكاف، وترك ما بقي، كأنّه اسم برأسه، وهذا الوجه

مجمع على جوازه للضرورة. وقوله (مراحان): تثنية مراح، صالح لأنْ ينادى فتقول: يا مراحان، مثل ما تقول: يا رجلان، والضرورة الشعرية ظاهرة هنا، وقال ابن المصنِّف في شرح الألفيّة: ولا يرخَّم للضرورة المعرّف بالألف واللام لعدم صلاحيّته للنداء، ومنه ههنا خُطِّئ مَنْ جعل مِن ترخيم الضرورة قول الراجز (قواطناً مكّة من ورق الحما)على أنّ أصله الحمام. وقوله (مُراحان): تثنية مُراح، بضمّ الميم، من أراحت الإبل بالألف، أو بفتح الميم من أراحت، قال في المصباح: «المُراح بضمّ الميم، حيث تأوي الماشية بالليل، والمُناخ، والمَأوى مثله، وفتح الميم بهذا المعنى خطأ، لأنّه اسم مكان، واسم المكان والزمان والمصدر من أَفْعَلَ بالألف مُفْعَلُ، بضمّ الميم على صيغة المفعول. وأمّا المَراح بالفتح: فاسم الموضع من راحت، بغير ألف، واسم المكان من الثلاثي بالفتح. والمَراح بالفتح أيضاً: الموضع الذي يروح القوم منه أو يرجعون إليه». فإنْ اعتبر تحمّل أثقال التكاليف في أهل الواديين جعل ذلك مُراحينِ، من أراحت الإبل أو راحت، بالضمّ، أو الفتح. وإن جعلهما أهل تشريف بالأحكام لا تكليف من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [١٧/الإسراء/ ٧٠] أي: في الشريعة والحقيقة. وبنو آدم من غلبت عليهم الإنسانيّة على الحيوانيّة، فُتحت الميم، وكان الموضع الذي يروح القوم منه أو يرجعون إليه. وقوله (واهاً): بالفتح والتنوين، قال في القاموس: «واهاً، ويترك تنوينه: كلمة تعجب من طِيب شيء، وكلمة تلهّف». وقال في الصحاح: «إذا تعجّبت من طيب الشيء قلت: واهاً له ما أطيبه. قال أبو النجم: «واهاً لريّا ثمّ واهاً». وقوله (على ذلك الزمان): أي الأيّام التي مضت، كما ذكرنا فيما سبق. وقوله (وطيبه): أي طيب ذلك الزمان. وقوله (أيّامَ): بالنصب، وتقدير أمدح، أو على الظرفيّة: الطِيْبَة. وقوله (كنتُ من اللّغوب): بالغينُ المعجمة، وهو التعب والإعياء، تقول منه: لَغَبَ يَلْغُبُ لُغُوباً، ولَغِبَ بالكسر يَلْغَبُ لغوباً، لغة ضعيفة فيه. كذا في الصحاح. وقوله (مُراحاً): بضمّ الميم، اسم مفعول من أراحه: جعله في الراحة من

التعب، قال في الصحاح: «أراحه الله فاستراح، وراح الرجل: رجعت إليه نفسه بعد الإعياء». والمعنى: أيّام الله التي أنا فيها بلا وجود، ومقامي تشريف الحقّ لي بجريان أحكامه فكنت فيها من أتعاب التكاليف مستريحاً؛ فإنّ الفاعل إذا كان هو الحقّ تعالى كان ذلك تعريفاً لا تكليفاً، وإذا زاد انكشاف الأمر الإلهيّ صار ذلك تشريفاً لا تكليفاً، ولا تعريفاً، كما أشرنا إلى ذلك بقولنا بأبيات في ديواننا:

عبادة الغافلين تكليف ... وعلمهم بالإله تكييف

كما عبوديّة الذين على ... صراطه سالكون تعريف

وعارفو ربّهم عبودتهم ... بربّهم رفعة وتشريف

٢٥- قَسَماً بِمَكَّةَ[1] وَالمَقَامِ وَمَنْ أَتَى الـ ... ـبَيْتَ الحَرَامَ مُلَبِّياً سَيَّاحاً

٢٦- ما رَنَّحَتْ رِيْحُ الصَّبَا شِيْحَ الرُّبَا ... إِلَّا وَأَهْدَتْ مِنْكُمُ أَرْوَاحاً

(قسماً): أي أقْسِم قَسَماً، قال في القاموس: القَسَم محرّكة: اليمين بالله»، ولعلّ التخصيص بالله اعتباراً للأصل فيه. وقال في المصباح: «القَسَم، بفتحتين: اسم من أَقْسَمَ بالله إقْساماً: إذا حلف. وفي الصحاح: «القَسَم بالتحريك: اليمين، وكذلك المُقْسَم، وهو المصدر/[٣١١/ب][2] مثل: المُخرج». وقال الراغب: أقسم: حلف، وأصله من القَسَامَة، وهي تقسم على أولياء المقتول، ثمّ صار اسماً لكلّ حلف. وقوله (بمكّة): قال في المصباح: مكّة شرّفها الله تعالى، قيل فيها: بكّة على البدل، وقيل: بالباء: البيتُ، وبالميم: ما حوله. وقيل: بالباء: بطن مكّة». وقال في القاموس: «أَهْلَكَهُ ونَقَصَهُ، ومنه مكّة للبلد الحرام؛ لأنّها تُنقصُ الذنوب أو تفنيها، أو تهلك من ظلم فيها». وكنّى بمكّة عن الحضرة الإلهيّة التي تفنى فيها جميع

---

(١) في (ق): بزمزم.

(٢) نلاحظ أننا انتقلنا إلى [٣١١/ب]، وكان حقّنا أنْ ننتقل إلى [٣١٠/ ب] ولكن هكذا وردت تتمّة الصفحة في المخطوط.

الأعيان الكونيّة. وقوله (والمقام): أي مقام إبراهيم عليه السلام، كناية عن مقام الإسلام الذي قال تعالى في شأنِ إبراهيم: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ﴾ [٢/ البقرة/ ١٣١] إلى آخر الآية. وهو الإسلام الحقيقيّ الذي لا حركة فيه لكونه باطناً وظاهراً، قال تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [٦/ الأنعام/ ١٣] في الظاهر والباطن؛ فإنّ المتحرك بنفسه لنفسه، لا له تعالى. وقوله (ومن أتى) أي: جاء.

وقوله (البيت الحرام) وهو الكعبة المشرّفة. كناية عمّن يتوجّه إلى حضرة الذات الغيبيّة الظاهرة بآثار الأركان الأربعة الأسمائيّة: ركن الاسم الحيّ، وركن الاسم العليم، وركن الاسم المريد، وركن الاسم القادر. وقوله (ملبياً): حال من فاعل أتى، وهو الضمير المستتر العائد إلى مَنْ، قال في المصباح: لبّى الرجلُ تَلْبِيَةً: إذا قال لبيك، ولبّى بالحج كذلك، قال ابن السكّيت: وقالت العرب لَبَّأْتُ بالحج، بالهمز، وليس أصلُهُ الهمزَ؛ بل الياء، وقال الفرّاء: وربّما خرجت بهم فصاحتهم حتّى همزوا ما ليس بمهموز، فقالوا: لَبَّأْتُ بالحجّ ورثَأْتُ الميْتَ، ونحو ذلك. كما يتركون الهمز إلى غيره فصاحة وبلاغة». وكنّى بالتلبية هنا عن سرعة الانجذاب إلى الحضرة الربّانيّة كانجذاب الحديد الصافي إلى المغناطيس الخالص؛ فإنّ الأرواح إذا تخلّصت من أكدار الطبيعة، وصفت وجدت هذا الانجذاب، فكان تلبية بالحال لا بالقال.

وقوله (سيّاحاً): بتشديد الياء التحتيّة، مبالغة في السياحة، وهو حال أيضاً من فاعل أتى، قال في المصباح: «سَاح في الأرض يَسِيحُ سَيْحَاً». وفي الصحاح: «سَاحَ في الأرض يَسيحُ سِيَاحَةً وسُيُوْحَاً وسَيْحَا وسَيَحَانَاً، أي: ذهب، وفي الحديث: «لا سياحة في الإسلام»[١]. وكنّى بذلك عن الذي يَسيح في الأراضي الإمكانيّة بهمّته النورانيّة، فيستجلي قوابل ظهور الحضرة الذاتيّة. وقوله (ما رَنَّحَتْ): بتشديد النون، أي: أمالت. قال في الصحاح: «وترنّح: تمايل من السُكْر وغيره». وقوله

---

(١) ذكره الأزهري في تهذيب اللغة، مادّة ساح. والحديث في كنز العمال للتقي الهندي، روي عن طاووس مرسلاً.

(**ريحُ الصَّبَا**): فاعل رنّحت، وريح الصَبَا تأتي من مطلع الشمس، وهي القَبُول أيضاً، كذا في المصباح. وقال في القاموس: «الصَّبَا: ريح مَهَبها من مطلع الثُّريا إلى بنات نَعْش». وقال في الصحاح: «الصَبَا: ريح مَهَبُّها المستوي أنْ تهبّ من موضع مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار». وقوله (**شِيْحَ**): مفعول رنحت، وهو بالكسر، نَبْتٌ، وقد أَشاحت الأرض، كذا في القاموس. وقوله (**الرُبا**): بضمّ الراء المهملة، جمع رُبْوَة ، قال في المصباح: «الرُّبْوة: المكان المرتفع، بضمّ الراء في الأكثر، والفتح لغة بني تميم، والكسر لغة. سُميت رُبْوَة لأنّها رَبَتْ، فَعَتْ، والجمع رُبًا، مثل: مدية ومدى، والرابية مثله، والجمع: الروابِي». كنّى بريح الصبا عن الروح الأعظم الذي هو من أمر الله من مطلع شمس الأحديّة. وكنّى بشيح الربا عن الأجسام النابتة في المراتب العالية كأجسام أهل الكمال الجامعين بين تجلّي الجلال والجمال. وقوله (**إلّا وأَهْدَتْ**): أي ريح الصبا. وقوله (**منكمُ**): بضمّ الميم للوزن. والخطاب لأهل ودّه باعتبار ما كنّى بذلك عنهم. وقوله (**أرواحاً**): مفعول أهدت. والأرواح: جمع رُوح، قال في المصباح: «الرُّوح للحيوان مذكر، وجمعه أرْواح. وقال ابن الأنباري وابن الأعرابي/[٣١٢/ أ]: الرُّوح والنَّفس واحد، غير أنّ العرب تذكِّر الروح وتؤنِّث النفس». والأرواح أيضاً جمع ريح، قال في المصباح: «والريح: الهواء المسخّر بين السماء والأرض، وأصلها الواو بدليل تصغيره على رويحة، لكن قُلبت ياء لانكسار ما قبلها، والجمع: أرواح ورياح». والمعنى: إنّها تهدي أرواحاً أمريّة قدسيّة لأهل الأرواح الحيوانيّة المعتنية بالسلوك في الطرق الربّانيّة، فتتبدّل أرواحهم وأشباحهم يوم تبدّل الأرض غير الأرض، والسموات وبرزوا لله الواحد القهار، أي ظهروا له لا لأنفسهم.

هَلْ نَارُ لَيْلَى بَدَتْ لَيْلاً بِذِي سَلَمِ

[البسيط]

وقال قدّس الله سرّه:

١- هَلْ نَارُ لَيْلَى بَدَتْ لَيْلاً بِذِي سَلَمِ أَمْ بَارِقٌ لَاحَ فِي الزَّوْرَاءِ فَالعَلَمِ

(هل): حرف استفهام. وقوله (نارُ لَيلَى): أي نار حيٍّ ليلى، وكان عادة العرب أن يوقدوا النار على الجبال ليهتدي إليها ليلاً كلُّ من يطرقهم من الضيفان فيفتخرون بكثرتهم. (وليلى): اسم محبوبة من محبوبات العرب التي يتغزّلون فيها. كنّى بذلك عن ظهور الوجود الحقّ على صور التقادير العلميّة[1] إذا توجّهت بتلك التقادير الإرادة الأزليّة. قال تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ۝١٠ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَـٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ۝١٢ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ۝١٣ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾ [٢٠/ طه/ ٩-١٤] والوجود الحقيقيّ: نار؛ لأنّه يحرق الأكوان ويفنيها، قل جاء الحقّ وزهق الباطل. ونور؛ لأنّه يكشف عنها ما هي عليه في عدمها الأصليّ. وحقّ؛ لأنّ كلّ ما سواه باطل. وقوله (بدت ليلاً): أي في ظلمة الليل، وهو عتم الأكوان، فانكشفت به ظلمة الإمكان. وقوله (بذي سَلَم): أي بموضع ذي، أي: صاحب سَلَم، بالتحريك: شجر بالبادية، الواحدة بهاء. وقال في الصحاح: «السَّلَم بالتحريك: شجر العِضَاة، الواحدة: سَلَمَة» كنّى بذلك عن القلب السالم السليم الذي ينفع صاحبه إذا أتى الله به، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [٢٦/ الشعراء/ ٧٩]. وقوله (أم بارق): أي بل بارق، قال في الصحاح:

[1]): هكذا وردت، ولعلّها العدميّة.

«البارق: سحاب ذو برق، وبارق قبيلة من اليمن، وبارق موضع قريب من الكوفة». والمعنى هنا على الأوّل، كناية عن القطب؛ فإنّه سحاب على شمس الأحديّة وبُرُق روحاني. وقوله (لاح): أي ظهر. وقوله (بالزوراء): قال في الصحاح: «دجلة بغداد تُسمّى الزوراء. وهنا الإشارة بالزوراء إلى بغداد، من الزَّوَر بالتحريك، وهو المَيل. وبغداد مسكن القطب، كما قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه في شرح ترجمان الأشواق عند قوله:

يـا بنـي الـزوراء هـذا قمـر عنـدكم لاح وعنـدي غربـا

يقول مخاطباً أصحاب الميل الكائنين في حضرة القطب الداخلين تحت دائرته: هذا قمر يشير إلى تجلٍّ ذاتيٍّ في هذا المقام، يقول: عندكم لاح وجود الإمام القطب. وعندي غربَ، أي: ذلك المعنى الذي ظهر لكم في الإمام، هو باطني وسرّي. فجعل نفسه من الإفراد، وكنّى بالزوراء، وهي بغداد، لكونها مسكن الإمام الظاهر صاحب الزمان في عالم الشهادة ليعرف السامع معنى ما أراد هذا القائل. وقوله (فالعَلَم): بالتحريك اسم الطويل، أوعام، ورسم الثوب، ورقمه، والراية، وما يعقد على الرمح، وسيِّد القوم، كذا في القاموس. يكنّي بالعَلَم عن الفرد الجامع الخارج عن حكم القطب، وعن دائرته فلا يكاد يعلم به، ولهذا يقال: المفرد العَلَم، وهو إذا نُودي مبني على الضمّ إلى أصله، وهو الرفع؛ فإنّ أصله مرفوع عن مشابهة المحسوس/ [٣١٢/ ب] والمعقول.

٢- أَرْوَاحَ نَعْـمَانَ هَـلَّا نَـسْمَةٌ سَـحَراً وَمَـاءَ وَجْـرَةَ هَـلَّا نَهْلَـةٌ بِفَـمِ

(أرواح): جمع روح، أو جمع ريح، وهو منادى مضاف، حذف منه حرف النداء، تقديره: يا أرواحَ، بالنصب، مضاف إلى قوله (نَعْمانَ): بفتح النون، وهو اسم جبل بين مكّة والطّائف. ونَعمان الأراك، بفتح النون، أيضاً واد بين مكّة والطائف، كما في المصباح. ولعل الجبل هو جبل ذلك الوادي. كنّى بأرواح نَعمان

عن أقطاب المنازل والمقامات، كقطب مقام التوكّل، وقطب مقام الصبر، وقطب مقام الزهد، إلى غير ذلك؛ فهو منزل ما دام مسافراً فيه، فإذا أقام فهو مقام. فإذا رسخ فهو قطب، فيه تدور عليه دوائر كلّ متعلّق به من أهل الإسلام، وإمدادهم منه. وقوله (**هلّا**): بتشديد اللام للتحضيض، والحثّ على فعل الشيء، قال في القاموس: «هلّا بالتشديد للتحضيض مركّبة من هل ولا». وقوله (**نَسْمَة**): بالنصب مفعول لفعل محذوف، تقديره هلّا بعثتم لي نَسْمَة. أو بالرفع، فاعل بفعل محذوف، تقديره: هلّا جاءتني منكم نَسْمَة، والنَّسَمَة محرَّكة نَفَس الريح إذا كان ضعيفاً كالنَّسيم والنَّيْسَم، كذا في القاموس. ولعلّ تسكينها هنا لضرورة الوزن، وقال في الصحاح: «النَّسيم: الريح الطيِّبة، يقال منه: نَسَمَتِ الرِيحُ نَسِيماً ونَسَماناً، ونَسَمُ الريح: أوّلها حين تُقبّل بلين قبل أن تشتدّ»، وكنّى بالنسمة عن الروح الأمري الذي يكون إذا تجرّد الروح الحيوانيّ عن العلائق الطبيعيّة. وقوله (**سَحَراً**): منصوب على الظرفيّة، قال في المصباح: «السَّحَر بفتحتين: قُبَيل الصُّبْح، وبضمّتين: لغةٌ، والجمع: أَسْحَار». كنّى بذلك عن ابتداء أحوال السالكين؛ فإنّهم يكونون في أواخر ليل نشأتهم الطبيعيّة الليليّة قبيل صبح نشأتهم الروحانيّة. وقوله (**وماءَ**): بالنصب، تقديره: يا ماء، منادى مضاف كذلك، إلى قوله (**وَجْرَةَ**): بفتح الواو وسكون الجيم وبالراء المهملة، والهاء موضع، قال امرؤ القيس:

تَصُدّ وتُبدي عن أَسيل وتتقي ... بِناظِرَةٍ من وَحشِ وَجْرَةِ مُطْفِلِ

قال الأصمعي: «وَجْرَة: بين مكّة والبصرة، وهي أربعون ميلاً ليس فيها منزل، فهي مَرَبٌّ للوحش، أي: مجمع، ومَرَبُّ الإبل: حيث لزمته، كذا في الصحاح، كنّى بماء وَجْرَة عن حضرة الأفراد أصحاب ماء العلم الإلهيّ النازل عليهم من سحائب نفوسهم في سماوات الغيبة عنها. وقوله (**هلّا**): بالتشديد. وقوله (**نَهْلَة**): بالنصب على تقدير هلّا نلت منكم نهلةً، أو بالرفع على تقدير هلّا حصلت لي

منكم نهلةٌ، واحدة النَّهَلَات، وهي فعل مرّة، قال في الصحاح: «النَّهَل الشُّرب الأوّل، وقد نَهِل بالكسر، وأنْهَلْتُه أنا؛ لأنّ الإبل تسقي في أوّل الوِرْد، فترد إلى العَطَن، ثمّ تسقي الثاني، وهي العَلَل، فَتُرَدُّ إلى المرعى». وقوله (بفم): أي كائنة بفم، أي: كائنة بفم تقليل للنَّهلة. كناية عن العلوم التي تتلقّى بالمشافهة الروحانيّة، وتوجّه المشايخ بالإذن الربّانيّ على قلوب المريدين الصادقين، بحيث لا تسعها العبارة، ولا تستوفيها الإشارة، كما قلنا في أبيات لنا من ديواننا:

كلامنا غير ما تعطي العبارات ... من المعاني لنا فيه اعتبارات
بنفسه قائم فهو المجرّد عن ... لفظ ومعنى معاً وهو الإشارات
هما كثيفان والسرّ اللطيف له ... علاقة بهما فيها التفاتات
كالروح يظهر من نفس ومن جسد ... وليس تكشفه إلّا العنايات / [٣١٣/أ]
فلا تظنّ بأنّي إنْ وصفت حِلَى ... شيء مرادي به تلك الإحالات
أو إن ذكرت نسيماً هبّ من جهة ... أو نفحة هي قصدي والمرادات
كذلك البرق والأطلال أذكرها ... في النظم ليست مرادي والحمامات
لا والذي جلّ عمّا للعقول بدا ... وللحواس به الأحياء أموات
كلام أهل طريق الله سرّ هدى ... لا دخل فيه لهم تبديه أبيات
عن المواد له التجريد مخطئة ... منك التآويل فيه والقياسات
لم يدره ذو انتقاد في تعنّته ... لنفسه زعم علم واجتهادات
فيعرب اللفظ للمعنى فيفهمه ... ولا يبيّن له إلّا الضلالات
ومقصد القوم نور في القلوب سرى ... من القلوب وما فيه التباسات
رموز أسرار قوم تستعدّ له ... أرواح قوم لهم في الله راحات
روايح الحقّ شمّتها بصائرهم ... لهم إلى الحقّ همّات ورغبات

هم نظمنا المعاني يلمحون بها غيب الغيوب وتخفيها العبارات

وقلنا أيضاً:

كلام أهل الله في دين الهدى نفع العباد

حقائق لها إلى شريعة الحقّ استناد

علم إشارة فلا لفظ ولا معنى يراد

سرّ خفيّ خارج من الفؤاد للفؤاد

وظاهر لذي اعتقا د باطن عن ذي انتقاد

فآمنوا به وسلـ ـلموه يا أهل العناد

فهو المجرّد اللطيف عن كثائف المواد

٣- يَا سَائِقَ الظُّعْنِ يَطْوِي البِيدَ مُعْتَسِفاً طَيَّ السِّجِلِّ بِذَاتِ الشِّيحِ مِنْ إِضَمِ

٤- عُجْ بِالْحِمى يَا رَعَاكَ الله مُعْتَمِداً خَمِيلَةَ الضَّالِ ذَاتَ الرَّنْدِ وَالخَزَمِ

٥- وَقِفْ بِسَلْعٍ وَسَلْ بِالجِزْعِ هَلْ مُطِرَتْ بِالرَّقْمَتَيْنِ أُثَيْلَاتٌ بِمُنْسَجِمِ

(**يا سائق الظُّعْن**): بضمّ الظاء المعجمة، وبسكون العين المهملة: جمع ظَعِيْنَة، أو الظَعْن بفتح الظاء بمعنى الجماعة الظاعنين كالرَّكْب للجماعة الراكبين، والشَّرْب، والصَّحْب. قال في القاموس «الظَّعينة: الهودج فيه امرأة أم لا، والجمع ظِعْنٌ وظُعُنٌ وظَعَائِن وأظْعان، المرأة ما دامت في الهودج. وقال في الصحاح: «ظَعَنَ، أي: سار ظَعْناً وظَعَنا بالتحريك. وقُرئ بهما قوله عزّ وجلّ: ﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ [١٦/ النحل/ ٨٠] والظَّعينة: الهودج، كانت فيه امرأة أو لم تكن، والجمع: ظُعْن وظُعُن وظَعَائِن وأَظْعَان». قال أبو زيد: «لا يقال حُمُول ولا ظُعُن إلّا للإبل التي عليها الهوادج؛ كان فيها نساء أو لم يكن. والظعينة: المرأة ما دامت في الهودج، فإذا لم تكن فيه فليست بظعينة». كنّى بسائق الظعن عن الروح الأعظم

الأمري الذي هو أوّل مخلوق ظهر عن أمر الله الحيّ القيوم على كلّ نفس بما كسبت، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ﴾ [٨٥/ البروج/ ٢٠]. وكنّى بالظعائن عن الأجسام المشتملة على نساء النفوس البشريّة، أو عن نساء النفوس البشريّة ما دامت تحت حكم أجسامها. وقوله (**يطوي**): من قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [٥٧/ الحديد/ ٤] يعني: بروحه الأمري الذي هو أوّل مخلوق من أمره تعالى. وقال (**البِيدَ**): بكسر الباء الموحّدة وسكون الياء التحتيّة وبالدّال المهملة: جمع بيداء قال/ [٣١٣/ ب] في المصباح: «البَيْداء: المَفَازَة، والجمع: بِيد، بالكسر». كناية عن تجلّيه تعالى بالروح الأعظم المرسوم بالمظاهر الكونيّة، ثمّ استتاره بها عنها. وقوله (**مُعْتَسِفاً**): حال من فاعل يطوي، والاعتساف: السلوك على غير الطريق، قال في القاموس: «عَسَفَ عن الطريق يَعْسِفُ: مَالَ، وعَدَلَ، كاعْتَسَفَ وتَعَسَّفَ، أو خَبَطَهُ على غير هِداية، و ـ السلطانُ: ظَلَمَ، و ـ فلاناً: اسْتَخْدَمَه، كاعْتَسَفَهُ، وضَيْعَتَهُمْ: رعاها، وكفاهُمْ أَمْرَهَا، و ـ عليه، و ـ له: عَمِل له». يكنّي بذلك عن قيام الحقّ تعالى بالروح المذكور على كلّ نفس بما هو مقدّر عليها من الأعمال والأحوال والأقوال. وقوله (**طي السِّجِلِ**): بكسر السين المهملة والجيم، قال في المصباح: «السجِلُّ: كتابُ القاضي، والجمع: سجلَّات. وسَجَّلَ القاضي، بالتشديد: قَضَى وحَكَم وأثبت حُكْمَه في السجلّ». كَنَّى بطيّ السجلِّ عن إذهاب النفوس البشريّة وانمحاء آثارها شيئاً فشيئاً، والتحاقها بالسجلّ الأعظم، الروح الكلّي الأمري من قوله تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [١٧/ الإسراء/ ١٤] فكتابُه نفسُه التي انتقشت فيها صور أعماله، كما أشار إلى ذلك الشيخ أبو الخير عبد الله بن عمر البيضاوي في تفسيره. وقوله (**بذات الشّيح**): متعلّق بيطوي، أو بسائق. و(**ذات**): بمعنى صاحبة، أي: بالأرض ذات، أي: صاحبة (**الشِّيح**). وهو بالكسر: نَبْت، كناية عن الخلق، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ

فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [٧١/ نوح/١٨]. وقوله (من إضَمِ): بكسر الهمزة وفتح الضاد المعجمة، قال في القاموس: «إضَم كعِنَب: جبل، والوادي الذي فيه المدينة النبويّة، وعند المدينة يُسمَّى: القَناة، ومن أعلى منها عند السُّدِّ: الشظاة، ثمّ ما كان أسفل ذلك يُسمَّى إضَماً. وذو إضم ماء بين مكّة واليمامة». والجار والمجرور بيان لذات الشِّيح، كناية عن النور المحمّديّ الذي هو أوّل مخلوق، وهو المسمّى أوّلاً بالروح الأعظم، كما قدّمناه باعتبار آخر. وقد خلق الله تعالى منه كلّ شيء، كما ورد في الأحاديث النبويّة. وقوله (عُجْ): فعل أمر، خطاب لسائق الظعن، قال في الصحاح: «عُجْتُ بالمكان أَعُوج، أي: أَقَمتُ به، وعُجْتُ البعيرَ أَعُوجه عَوْجاً ومَعَاجاً: إذا أعطفت رأسه بالزمام. وقوله (بالحِمَى): من حَمَيْتُهُ حِمَاية، أي: دفعت عنه، وهذا شيء حِمىً، على فِعَل، أي محظور: لا يُقْرَب، وأَحْمَيْتُ المكانَ : جعلتُه حِمىً، وفي الحديث: «لا حمى إلّا لله ورسوله»[1]، كذا في الصحاح. يكنّي بذلك عن التجلِّي الروحانيّ في الصور، يقول له: تجلّ فيما تصوّره من تجلِّي الاسم المصوِّر؛ فإنّ ذلك حماك من قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [١١/ هود/٥٧]. وقوله (يا رعاك الله): المنادى محذوف، تقديره: يا سائق الظعن رعاك، أي: راقبك أو احترمك الله، أي: الاسم الجامع لجميع الأسماء، قال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [١٧/ الإسراء/ ١١٠]؛ فالروح سائق بالحقّ من تجلِّي اسمه القهار، ويعوج بالحمى من تجلِّي اسمه القويّ، وذي القوّة، وأنّ القوّة لله جميعاً، ثمّ قال: (له رعاك الله): أي ظهر تجلِّيك لاسم الله الجامع لجميع الأسماء؛ فإنّ صاحب هذا التجلِّي هو صاحب مقام الجمع، خلاف الفرق. وقوله (معتمداً): حال من الضمير في (عُج): أي قاصداً، مِنْ عَمَدْت الشيءَ أَعْمِدُهُ عَمْدَاً: قصدتُ له، أي: تعمّدت، كذا في الصحاح. وقوله (خميلة): قال في

---

(١) أخرجه أحمد في المسند، باب: بقية حديث الصعب بن جثامة، ١٧١١٩. عن ابن عبّاس،عن الصعب بن جثامة.

المصباح: «الخَمِيْلَة بالهاء الطَنْفِسَة، والجمع: خَمِيل بحذف الهاء». وقوله (**الضالِ**): هو السِّدر البرِّي، الواحدة: ضَالَة، كما في الصحاح، وقال في القاموس: الضال من السِدْر ما كان عَذْيَاً. يعني: بعلاً ينبت بماء المطر، أو السدْر البرِّي، وشجر آخر». كنّى بخميلة الضال عن الدنيا والنابت فيها/ [٣١٤/ أ] كلّ شيء من: إنسان، وحيوان، وجماد، ونبات، ونفوس، وأعمال، وأحوال إلى غير ذلك. وفيها: الخير، والشر، والنفع، والضر. والمعنى: انظر، يا أيها الروح الأمري، بأمر ربّك إلى أحوال أهلها، وعاملهم باللطف والإحسان. وقوله (ذات): أي صاحبة وصف للخميلة المكنّى بها عن الأرض المنبتة للضال. وقوله (**الرَّنْدِ**): هو شجر طيّب الرائحة، من شجر البادية. قال الأصمعي: «وربّما سمّوا العود رنداً، وأنكروا أنْ يكون الرند الآس، كذا في الصحاح. وقال في المصباح: «الرَّنْد وِزان فَلْس: شجر طيّب الرائحة، من شجر البادية. قال الخليل: والرند أيضاً الآس لطيبه». وكنّى بالرند عن الأعمال الصالحة التي تنبت في تراب الأجسام البشريّة. وقوله (**والخَزَم**): بالتحريك، اسم شجر كالدَوْم، كما في القاموس. وقال في المصباح: «الخَزَم شجر يُعمل من قشره حبال، الواحدة: خَزَمَة، مثل: قَصَب وقَصَبَة». وكنّى بالخزم عن الأعمال الغير صالحة التي تقيّد أهلها عن الإطلاق في عوالم الملكوت. وقوله (**وقِفْ بِسَلْعٍ**): أمر السائق أن يقف، وهو معاملته بالرفق والإحسان عن أمر ربِّه للمحمّديينَ من الأولياء المشار إليهم بقوله (**بسلع**): وهو جبل بالمدينة كما في القاموس. وقوله (**وسَلْ**) : فعل أمر من السؤال. وقوله (**بالجِزْع**): بالكسر. وقال أبو عبيدة: اللائِق به أن يكون مفتوحاً: منعطف الوادي، ووسطه، أو هو مُنْقَطَعُه، أو مُنحناه، أو لا يُسمَّى جِزْعاً حتّى تكون له سَعَة تُنْبِتُ الشجر، أو هو مكان بالوادي لا شجر فيه، ورَبَّما كان رَمْلاً، ومَحَلَّة القوم، والْمُشْرِف من الأرض إلى جَنْبِه طُمَأْنِينَة، كذا في القاموس. وهو كناية هنا عن اللوح المحفوظ الذي فيه أحوال العوالم كلِّها. وقوله (**هل مُطِرَتْ**): بالبناء للمفعول. وقوله (**بالرَّقْمَتَيْنِ**):

وهما روضتان بناحية الصَّمّان، كذا في القاموس. وقال في الصحاح: «الرَّقْمَةُ جانب الوادي». وقد يقال: الروضة، قال زهير:

ودار لهـــا بـــالرقمتين كأنّهـــا   مراجـــع وشـــم في نـــواشر معـــصم

وكنّى بالرَّقمتين عن حضرة العلم الإلهيّ، وحضرة الإرادة الربّانيّة، كما قال تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [٦/الأنعام/ ٥٤] فإنّ المرقوم فيها لا يتبدّل؛ لأنّه قديم، والقديم لا يتغيّر. و قوله (أُثَيْلاتٌ): تصغير أَثْلات للتعظيم، جمع أَثْلَة قال في القاموس: «الأَثْلُ: شجر، واحده: أَثْلَة، والجمع: أَثَلات وأُثُول». وقال في المصباح: «الأَثْلُ شجر عظيم لا ثمر له، الواحدة أَثْلَة، وقد استُعيرت الأَثلة للعِرْض، فقيل: نحَتَ أَثْلَةُ فلان: إذا عابه وتنقّصه، وهو لا تُنْحَت أَثْلته، أي: ليس به عيب ولا نقص». وهو مرفوع على أنّه نائب فاعل. (مُطِرَتْ): كنّى بإمطار الأَثلات العظام في الرقمتين عن أعراض المحمّديين من الأولياء، وهي ما يُمدح من: أوصافهم، وأحوالهم، وأعمالهم، وأقوالهم، وما يُذم منها. فإنّ ذلك معنى عِرْض الإنسان، وكون أَعْراضهم مُطِرَت، أي: هي طاهرة بتتابع الفيض الإلهيّ في حضرة العلم والإرادة أزلاً، فإنّ ذلك غير معلوم لسوى الحقّ تعالى إلّا بطريق الفيض سبحانه من علمه وإرادته على روحه الأمري الذي هو أوّل مخلوق كما ذكرنا. والمقصود: حصول ذلك الاطّلاع الكشفي عندهم في الحياة الدنيا، كما قال تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾ [١٠/يونس/ ٦٤]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾ [٤١/فصّلت/ ٣٠]/ [٣١٤/ ب] وقوله(بمُنْسَجِمِ): متعلِّق بمَطِرَت، أي: بمطرٍ مُنْسَجِم. يُقال: سَجَمَ الدمعُ سُجُوماً وسِجَامَا: سال وانْسَجَمَ، وسَجَمَتِ العينُ دمعَها، وعينٌ سَجُومٌ، وأرضٌ مَسْجُومَةٌ، أي: مَمْطُورَةٌ. وانْسَجَمَتِ السماءُ: صَبَّت، مثل: أَثْجَمَت، كما في الصحاح. وأشار بقوله منسجم

إلى كون المطر كالدمع من العين، لامن عالم ا لأسماء والصفات؛ لأنّهم ذاتيّون، لكونهم محمّديّين، قدّس الله أسرارهم وضاعف أنوارهم.

٦- نَشَدْتُكَ اللهَ إنْ جُزْتَ العَقِيقَ ضُحَىً فَاقْرِ السَّلَامَ عَلَيْهِمْ غَيْرَ مُحْتَشِمِ

٧- وَقُلْ تَرَكْتُ صَرِيعَاً فِي دِيَارِكُمُ حَيَّاً كَمَيْتٍ يُعِيرُ السُّقْمَ لِلسَّقَمِ(١)

(نَشَدْتُكَ الله): وبالله أُنْشُدُكَ: ذَكَّرْتُكَ به، واستعطفتُكَ، أو سألتك به، مُقْسِماً عليك، كذا في المصباح. فالله منصوب على المفعوليّة لنشدتك، والخطاب لحضرة الروح الأعظم المذكور القائم باسم بعد اسم، من الأسماء الإلهيّة، يقول له: ذكَّرْتُكَ الله ، أي: ذكرت لك الاسم الجامع لجميع الأسماء، وأقسمت عليك به؛ فإنّك وإنْ كنت قائماً باسم بعد اسم؛ فإنّ كلّ اسم جامع لجميع الأسماء، كما قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَـٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [١٧/الإسراء/ ١١٠] لأنّ كلّ اسم حجاب على الذات، والذات جامعة للأسماء؛ فإذا ظهرت باسم من الأسماء ظهرت بجميع الأسماء على مقتضى ذلك الاسم، قال عفيف الدّين التلمسانيّ في مطلع قصيدة له:

منعتها الصفات والأسماء أن ترى دون برقع أسماء

والأسماء لا تعطيل لها عن الآثار الإمكانيّة فهي دائمة التأثير بالآثار لا بقاء لها، فهي حادثة متغيِّرة مع الأنفاس، قال ابن إسرائيل:

كلّ شيء فيه معنى كلّ شيء فتفطن واصرف الذهن إليّ

إنّما الواحد فرد جامع صيغ الآحاد فافهم يا بنيّ

كثرة لا تتناهى عدداً قد طوتها وحدة الواحد طيّ

كنواة مثلاً قد ضمنت نخلة إنْ صادفت أرضاً وريّ

---

(١) الشطرة الثانية في (ق): "مَيْتاً كَحَيٍّ يعير السُّقم للسَّقَمِ".

أرضها الكون ولكن ماؤها بعض ما نزّله العلم عليّ
الوجود الحقّ موجود له كلّ موجود من الأكوان فيّ

وقوله (**إنْ جزت العقيق**): جَازَ المكان يَجُوزُهُ جَوْزاً وجَوَازاً: سار فيه، كذا في المصباح. و(**العقيق**): الوادي الذي شَقَّه السيل قديماً، وهو في بلاد العرب عدَّةُ مواضع، منها العَقِيق الأعلى عند مدينة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم مما يلي الحَرَّة إلى منتهى البقيع: وهو مقابر المسلمين، ومنها العَقِيق الأسفل، وهو أسفل من ذلك، ومنها العَقيق الذي يجري ماؤه من غَوْرَيْ تِهامَة وأوسطِه بحذاء ذات عرق، قال بعضهم: ويتّصل بعقيقي المدينة، كذا في المصباح. كنّى بالعقيق عن المحمّديّين من الأولياء، وجوازه بهم كناية عن قيامه بالحقّ تعالى في تجلّيه بمظاهرهم. وقوله (**ضُحى**): أي في وقت الضُّحى، والضَّحَاء بالمدّ والفتح: امتداد النهار، والضَّحْوَةُ مثلُه، والجمع: ضُحَىً، مثل: قَرْيَة وقُرَى. وارتَفَعَت الضُّحَى، أي: ارتفعت الشمس، ثمّ استُعمِلَتْ الضُّحَى استعمال المُفرد، وسُمِّي بها الوقت، كذا في المصباح. وكنّى بالضحى عن كمال إشراق شمس الأحديّة على المظاهر الإمكانيّة. وقوله (**فاقرِ السلام**): أي أبلغ السلام، أي: الأمان من السلب والنقص . وقوله (**عليهم**): أي على أهل العقيق من الأولياء المحمّديّين المذكورين. وقوله (**غير مُحْتَشِمِ**): حال من فاعل اقرِ. قال في المصباح: «حَشِمَ حَشَماً/ [٣١٥/ أ] من باب تَعِبَ: إذا غضب، ويتعدّى بالألف فيقال: أَحْشَمته، وحَشِمَ يَحْشَم مثل: خَجِل يَخْجَل، وزناً ومعنىً، ويتعدّى بالألف فيقال: أَحْشَمْتُهُ. واحْتَشَمَ: إذا غضب، وإذا استحيا أيضاً. والحِشْمَة » بالكسر- اسم منه، وقال الأصمعي: الحِشْمَةُ الغضب فقط. وقال الفارابي: حَشَمْتُهُ وأَحْشَمْتُهُ بمعنى، وهو أنْ يجلس إليك فتؤذيه وتغضبه». والمعنى هنا غير مُحْتَشِم، أي: غير مُؤْذٍ، ولا خجل ولا غضب. كناية عن كمال التلطّف بهم في إيصال الأمان إليهم من كلّ سوء. وقوله (**وقل**): خطاب للسائق المذكور أيضاً. وقوله (**تَرَكْتُ**): يقال تركت المنزل تَرْكاً: رحلت عنه،

وتركت الرجل: فارقته، كذا في المصباح. وقوله (صريعاً): أي مصروعاً، فعيلاً بمعنى مفعول، قال في المصباح: «الصَّرِيع من الأغصان: ما تَهَدَّلَ وسقط إلى الأرض، ومنه قيل للقتيل: صريع، والجمع: صرعى». وهذا كناية عن نفسه المقتولة بسيوف المجاهدة في طريق العرفان. وقوله (في دياركم): بضمّ الميم، خطاب للمشار إليهم بذكر العقيق، وهم الأولياء االمحمّديّون، وديارهم دائرتهم التي تدور عليها أحوالهم، قال في تعالى: ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ [٣١/الأنبياء/ ١٠٤] أي: الآن وإنْ خفي ذلك عن العيان فإنّه ظاهر عند الكاملين من الأعيان. وقوله (حيّاً): وصف لصريعاً، أي: ذا حياة. وقوله (كَمَيْتٍ): بسكون الياء التحتيّة، أي: لا حركة له من نفسه عند نفسه؛ فهو ميت، أو كميت؛ لشهوده الحركة الأمريّة، ولنا في مطلع أبيات:

ألا ليت لوجاد لي الحبّ ليت فحبّي هو الحيّ والكلّ ميت

وقوله (يُعِيرُ): من الإعارة، يقال: أَعَرتُهُ الشيءَ إعَارة وعارَة، مثل: أَطَعْتُهُ إطاعَةً وطَاعَةً، قال الليث: سُمِّيت عارية لأنّها عار على طالبها. وقال الجوهري مثله، كذافي المصباح. والجملة: صفة حيّاً. وقوله (السُّقْمَ): مفعول يُعِيرُ، وهو بضمّ السين المهملة: مصدر سَقِمَ سَقَماً، من باب قرب: طال مرضه، كما في المصباح. وقوله (لِلْسَقَمِ): بفتحتين، وهو طول المرض أيضاً، مبالغة. يعني: صار بحال يعير سُقْمَهُ للسُقْم. أو بفتح السين وكسر القاف: صفة مشبّهة، أي يعير سَقِمَهُ لكلّ سَقِيم.

٨- فَمِنْ فُؤَادِي لَهِيبٌ نَابَ عَنْ قَبَسٍ وَمِن جُفُوْنِيَ دَمْعٌ فَاضَ كَالدِّيَمِ

(فمن فؤادي): أي قلبي. وقوله (لهيبٌ): هو اتّقاد النار واشتعالها، قال في القاموس: «اللَهَبُ واللَهِيب واللُهَاب محرّكة: اشتعال النار إذا خلص من الدخان، أو لَهَبُهَا: لسانُها. ولَهِيْبُهَا: حَرُّهَا». لـمّا كان التجلّي الإلهيّ لموسى عليه السلام بالنار المشتعلة في شجرة الزيتون أثبت لها لهيباً في قلبه، من كون ذلك

المجلّي ناراً، وأعقبه بقوله (ناب): أي ذلك اللهيب، قال في القاموس: «نَابَ عنه نَوْباً ومَنَاباً: قام مقامه». وقوله (عن قبس): قال في المصباح: «قَبَسَ ناراً يَقْبِسُهَا، من باب أخذها من معظمها. والقَبَس، بفتحتين: شُعْلة من نار يقتبسها الشخص، وذلك قول موسى عليه السلام لأهله: ﴿ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ ﴾ [٢٠/ طه/ ١٠] إلى آخر الآية. وقوله (ومن جُفُوني): جمع جفن، قال في المصباح: «جَفْنُ العَيْن غطاؤها من أعلاها وأسفلها». والعبد جفون على العين الإلهيّة، وكسر الجفون من صفات الحسن؛ ولهذا ورد في الحديث القدسي: «أنا عند المنكسرة قلوبهم»[1]. ولنا من قصيدة في هذا المعنى:

يا واحداً ما في العيا ... ن له ولا في الغيب ثاني

أنا جفنك المكسور يا ... عيني ومنك الجبر داني/ [٣١٥/ ب]

ولذا يكون الحسن في ... هذا وفي حور الجنان

وقوله (دمعٌ): كناية عمّا ينزل على القلب من معاني الحقائق ولطائف الرقائق. وقوله (فاض): كثر. قال في المصباح: فاضَ السيلُ يَفيض فَيْضاً: كَثُر وسال من شفة الوادي». وقوله (كالدِّيَمِ): جمع دِيمة بالكسر، وهي المطر يدوم أياماً، كما في المصباح. كنّى بذلك عن كثرة الفيض الربّاني والإمداد الرحمانيّ، وما ألطف قول العفيف التلمسانيّ فيما يقرب هذه المعاني قدّس سرّه:

وقد كنت من أسما على حين فترة ... من الوجد لا أُدعى إليها ولا أسما

فلمّا غدا سقمي ثيابي ومدمعي ... شرابي فلا أضحى هناك ولا أظمى

تعرّضت للنادي فنوديت باسمها ... وساهمت بالوادي ففزت بها سهما

توهّمت قدماً أنّ ليلى تبرقعت ... وأنّ لثاماً دونها يمنع اللثما

---

(١) انظر تخريجه ص٢٩٩.

فلاحت فلا والله ما كان حجبها سوى أنّ طرفي كان عن حسنها أعمى
فلـمّا محا إنسان عينيَ دمعها رأت ما رأت منها وتمّ الذي تمّا

٩- وَهَـذِهِ سُـنَّةُ العُشَّاقِ مَا عَلِقُـوْا بِـشِادِنٍ فَخَـلَا عُـضْوٌ مِـنَ الأَلَمِ

(**وهذه**): أي لهيب القلوب، وفيض دموع العيون. كناية عن كشف التجلّيات الإلهيّة بالقلوب، وفيض العلوم الربّانيّة من حضرات الغيوب. وقوله (**سُنَّةُ**): أي طريقة مسلوكة في دين المحبّة الإلهيّة. وقوله (**العشّاق**): جمع عاشق، قال في المصباح: «عَشِقَ عِشَقَاً، من باب تعب، والاسم: العِشْقُ، بالكسر، والعِشْق: الإفراط في المحبّة، ورجل عاشق، وامرأة عاشق أيضاً». وهم العشّاق الإلهيّون أصحاب النظر الحقيقيّ كما ورد أنّ الله جميل يحبّ الجمال؛ فهو المحبّ والمحبوب، والطالب والمطلوب، قال العارف ابن إسرائيل قدّس الله سرّه من أبيات له:

وكلّ مليح في الهوى ومليحة صفات بدت منكم فهام بها العقل
وكلّ محبّ مات وجداً فأنتم ظهرتم له في مظهر عنده يحلو
وغازلتموه من وراء وجودكم فظنّ سواكم حيث خماره النقل
وحقّكم ما ثمّ غير وجودكم وكلّ وجود قد بدا فله ظلّ

وقوله (**ما عَلِقُوا**): أي العشّاق المذكورون، قال في الصحاح: «العَلَق: الهوى، يقال نظرة من ذي عَلَق. قال الشاعر:

فإذا أردت الصبر عنكِ فعاقبي عَلَقٍ بقلبي من هواك قديم

(**وقد عَلِقَهَا**): بالكسر، وعَلِق حبّها بقلبه، أي: هَوِيَهَا، وعَلِق بها عُلُوقَاً. وقوله (**بشادِن**): بالشين المعجمة والدال المهملة والنون: ولد الظبية، وقد شَدَنَ الغزال يَشْدُن شُدُوناً: قَوِيَ وطلع قرناه، واستغنى عن أمّه، كذا في الصحاح. كنّى **بالشادن** عن مجلّى الحضرة الربّانيّة في القلب الإنسانيّ على قدر استعداده؛ فإنّه سريع النفرة عنه، والوحشة منه. قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه من أبيات له في

ترجمان الأشواق:

بـــأبي ثـــمّ بي غـــزال ربيـــب   يرتعـــي بـــين أضـــلعي في أمـــان

وقال في شرحه قدّس الله سرّه يقول:

أفـــدي هـــذا المحبـــوب المتجـــ   ــــلّي إليّ مـــا بي وبنفـــسي

يشير مما يطرأ عليه لو اتفق من حال الفناء. وكنّى عن هذا المحبوب بالغزال لوجهين، الواحد لاشتقاقه من الغزَل، وهو التشبيب والمحبّة والنسيب. والوجه الآخر: الوحش الذي يألف القفر فكأنّه يقول هذا المعنى المطلوب/ [٣١٦/ أ] لي مولده ومقامه إنّما هو القفز الذي هو مقام التجريد، وحل التنزيه والتقديس. وقوله (**فخلا عُضو**): أي من أعضائهم، والعضو كلّ عظم وافر من الجسد قاله في مختصّر العين، وضمّ العين أشهر من كسرها. والجمع: أعضاء، كذا في المصباح. وقوله (من الألم): أَلِمَ الرجلُ أَلَمَاً، من باب تعِب، وجع. والجار والمجرور متعلّق بخلا، وهذا هو ألم المجاهدة، وتوجّع المكابدة التي يراها السالك في طريق الله تعالى لتحصيل مقام المشاهدة.

١٠- يَـا لَائِـمَاً لَامَنِـي فِي حُـبِّهِم سَـفَهَاً   كُـفَّ المَـلَامَ فَلَـوْ أنـصفت(١) لَـمْ تَلُـمِ

(**يا لائماً**): من اللَوم، قال في المصباح: «لَامَهُ لَوْمَاً، من باب قال: عَذَلَهُ؛ فهو مَلُوْمٌ على النَقص، والفاعل لائم، والجمع: لُوَّم، مثل: راكع وركَّع». كنّى باللائم عن الغافل المحجوب. وقوله (**لامني في حبِّهم**): أي حبِّ المظاهر الإلهيّة، والمجالي الربّانيّة المكشوفة للعاشق في الصور الإنسانيّة. وقوله (**سفهاً**): أي لأجل السَّفَه الذي له مفعول من أجله. والسَّفَهُ مصدر سَفِهَ سَفَهَاً، من باب تَعِبَ، وسَفُهَ بالضم سَفَاهَةً، فهو سَفِيه. والسَفَهُ: نقصٌ في العقل، وأصله: الخفَّة. وسَفِهَ الحقَّ جَهِلَه، كذا في المصباح. فإنّ لوم المحبِّين الإلهيّين من كمال الجهل بالحقّ، وهو زيادة

(١) في (ق): أحببتَ.

نقص في العقل. وإنّ جهل اللائم أحوال المحبّين، لأنّه منهيّ شرعاً عن التعرض لما لا يعلم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [١٧/الإسراء/ ٣٦] وإذا انتفى العلم لم يكن إلّا الظنّ أو الجهل، وهو منهي عن متابعتهما قال تعالى:﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [٥٣/ النجم/ ٢٨]. وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾ [٤٩/ الحجرات/ ١٢] إلى غير ذلك من الآيات. وقوله (كُفَّ): فعل أمر بفتح الفاء، أي: اترك. وقوله (المَلام): مفعول كُفَّ. وقوله (فلو أنصفت): وفي نسخة (فلو أنصفت): أي عشقت مثلي، قال في القاموس: «أَنْصَفَ: سار نصف النهار، وأَنْصَف النهار: بَلَغَ النِّصْفَ، وأنصف الشيء: أخذ نصفه. وأنصف فلان: أسرع. وانتصف منه: استوفى حقّه منه كاملاً حتّى صار كلّ على النَّصَف، سواء كاسْتَنْصَف منه. وتناصفوا: أَنْصَفَ بعضُهم بعضَاً. وقوله (لم تلم): أي لم تلمني، قال الشاعر:

ولم تـزل قلّـة الإنـصاف قاطعـة بـين الرجـال ولـو كـانوا ذوي رحـم

١١- وَحُرْمَةُ الوَصْلِ وَالوِدِّ العَتِيْقِ وَبِالـ ـعَهِدِ الوَثِيْـقِ وِمَـا قَـدْ كَـانَ فِي القِـدَمِ

١٢- مَاحُلْتُ عَنْهُم بِسُلْوَانٍ(١) وَلَا بَدَلٍ لَـيْسَ التَبَـدُّلُ وَالسُّلْوَانُ مِـنْ شِـيَمِي

(**وحُرمَةُ الوَصْلِ**): الواو للقسم، والحُرْمَة بالضمّ وبضمّتين، وكَهُمَزَة: ما لا يَحِلُّ انتهاكُه، والذِّمَّة، والمهابة. ومن يعظّم حرمات الله، أي: ما وَجَبَ القيام به، وحَرُمَ التفريط فيه، كذا في القاموس. والوصل: الوصول إلى لقاء المحبوب، يقال: وصل إليه وصولاً ووصالاً: بلغه، وانتهى إليه، وهو رجوع السالك بالفناء إلى حضرة العلم القديم، والإرادة والكلام الأزليّين. وقوله (**والوِدّ**): أي الحبّ بمعنى المحبّة، قال في القاموس: الوُدّ والوِداد مثلثان: الحُبُّ». وقوله (**العتيق**):

(١) في (ق): لسلوان.

أي القديم، وهو المحبّة الأصليّة الإلهيّة، محبّة الكائنات المشار إليها بقوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [٥/ المائدة/ ٥٤] وقوله صلّى الله عليه وسلّم في الحديث القدسي: «كنت كنزاً مخفيّاً لا أُعرف فأحببت أنْ أُعرف فخلقت خلقاً تعرّفت إليهم فبي عرفوني»[1]. وقوله (**وبالعهد**): أي الموثّق. وقوله (**الوثيق**): أي المحكم، وهو عهد الربّ تعالى الذي أخذه على لأرواح في عالم الذرّ المشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ / [٣١٦/ ب] ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٧٢] وقوله (**وما قد كان**): أي وجد وثبت من علمه تعالى بنفسه الذي هو علمه بكلّ ما سواه. وقوله (**في القدم**): أي الأزل حيث لا زمان ولا مكان ولا أكوان. وقوله (**ما حُلْتُ**): جواب القسم، أي: ما تغيّرت عن محبّتي. وقوله (عنهم): أي الأحبّة السابق ذكرهم. وقوله (**بسُلوان**): يقال سَلَاه وسَلَا عنه، كدعاه ورَضِيَه، سَلْوَاً وَسُلُوّاً وسُلْوَاناً وسُلِيّاً: نَسِيَه. وقوله (**ولا بدلٍ**): معطوف على سلوان، قال في القاموس: «بَدَل الشيءِ محرّكَة، وبالكسر: الخَلَف منه، والجمع أبْدَال». وقوله (**ليس التَبَدُّل**): مصدر تَبَدَّلَهُ: اتّخَذَه منه بدلاً. وقوله في القاموس: تَبَدَّلَهُ و ـ به واستبدله و ـ به وأبدله منه وبدّله: اتخذه منه بدلاً ». وقوله (**ولا السلوان**): معطوف على التبدّل. وقوله (**من شيمي**): جمع شيمة، قال في المصباح: «هي الغَريزة والطبيعة والجِبِلَّة. وهي التي خُلق الإنسان عليها، والجمع: شِيَم، مثل: سِدْرَة وسِدَر». يعني: ليس ذلك من طبيعتي؛ لأنّها مستقيمة على الفطرة التي فطر الله الناس عليها بالمجاهدة الشرعيّة، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟

---

(١) ذكره العجلوني في الكشف، ٢٠١٦، بلفظ: «كنت كنزاً لا أعرف فخلقت خلقاً فعرّفتهم بي؛ فبي عرفوني»، وفي لفظ: «فتعرفت إليهم، فبي عرفوني». قال ابن تيميّة: ليس من كلام النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، ولا يعرف له سند صحيح ولا ضعيف، وتبعه الزركشي، والحافظ ابن حجر في اللآلئ والسيوطيّ وغيرهم. وقال القاري: لكنّ معناه صحيح مستفاد من قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [٥١/ الطور/ ٥٦]. أي: ليعرفوني، كما فسّره ابن عبّاس. انظر الكشف ٢/ ١٢٢.

﴿فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [٢٩/ العنكبوت/ ٦٩] أي: الطرق الموصلة إلينا. وإنّما عددها لتعداد طبائع الناس ومشاربهم. وأصلها: طريق واحد، وهو الاستقامة على الأمر والنهي مع الإخلاص.

١٣- رُدُّوا الرُّقَادَ لِجَفْنِي عَلّ طَيْفَكُمُ   بِمَضْجَعِي زَائِرٌ فِي غَفْلَةِ الحُلُمِ

(ردّوا): فعل أمر، خطاباً للأحبّة السابق ذكرهم. وقوله (الرُّقَاد): رَقَدَ رَقْدَاً وَرُقُوْدَاً وَرُقَادَاً: نام ليلاً كان أو نهاراً. وبعضهم يَخُصُّه بنوم اليل. والأوّل هو الحقّ، ويشهد له المطابقة في قوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ [١٨/ الكهف/ ١٨] قال المفسّرون: «إذا رأيتهم حسبتهم أيقاظاً؛ لأنّ أعينهم مفتوحة، وهم نيام، كذا في المصباح. وهذه حالة المحبِّين الإلهيّين من أصحاب كهف الإيواء والانتساب الإلهيّ، تحسبهم أيقاظاً وهم رقود؛ لأنّه تعالى ردّ عليهم رقودهم الذي كانوا فيه زمان جاهليّتهم؛ فرأوه تعالى في كلّ شيء، فأحبّوا كلّ شيء من حيث تجلِّي الحقّ تعالى به عليهم بعد أن أيقظهم له، فرأوه به من حيث هو، قال ابن غانم المقدسيّ:

ومخطوبة الحسن محجوبة   فلا يألفنّ السوى إلفها
إذا رام عاشقها نظرة   ولم يستطع إذ علا وصفها
أعارته طرفاً رآها به   فكان البصير بها طرفها

وقوله (لجفني): أي لغطاء عيني؛ فإنّ النفس البشريّة غطاء العين الحقيقيّة. وقوله (علّ): أي لعلّ، وهي كلمة طمع وإشفاق، كذا في القاموس. وقوله (طيفكم): الطيف الخيال الذي يأتي في النوم بصورة المحبوب، قال الشاعر:

خاطبت طيف خيال زارني ومضى   كيف اهتديت وجنح الليل مسدول
فقال أنست ناراً من جوانحكم   يضيء منها لدى السارين قنديل
فقلت نار الهوى معنى وليس لها   نور يضيء فهذا القول مقبول
فقال نسبتنا في الأمر واحدة   أنا الخيال ونار الشوق تخييل

وهذا الطيف هو ما يقع في الخيال حالة الجهل بالله من المعاني، وهو آلة المعتقدات الذي وسعه قلب عبده المؤمن، وهو المناظر العلا التي يشير إليها الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه بقوله:

ليـــت شـــعري هـــل دروا أيَّ قلـــب ملكـــوا / [٣١٧/أ]

وفـــؤادي لـــوردي أيَّ شـــعب ســـلكوا

أتـــراهم ســـلموا أم تـــراهم هلكـــوا

حـــار أربـــاب الهـــوى في الهـــوى وارتبكـــوا

وذكر في شرحه أنّهم المناظر العلا، إلى آخر كلامه قدّس الله سرّه. وارتباك أهل الهوى أنّهم متى نزهوا فاتتهم تلك المناظر العُلا؛ فهم حائرون بين التنزيه والتشبيه، وهو قوله قدّس الله سرّه:

فنزّهـــه وشـــبّهه وقـــم في مقعـــد الـــصدق

كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [٥٤/ القمر/ ٥٤] وهم الذين اتقّوا ربّهم بنفوسهم، فنسبوا إليها كلّ ما وجدوه فيهم، ونزّهوا ربّهم عمّا يظهر لهم فيهم، ثمّ يعودون إلى إثباته، فيشبّهونه بكلّ ما يظهر لهم فيهم، فيتّقون نفوسهم من النسبة إليها، فتزول عنهم نفوسهم تارة، وتثبت لهم نفوسهم تارة أخرى، فهم في الحيرة والارتباك، بسبب دعوى المحبّة حتّى يصلوا إلى مقام المحبوبيّة، وهي الميراث المحمّدي، والسرّ الأحمديّ، قال تعالى: ﴿فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ﴾ [٥٤/ القمر/ ٥٤] وهي العلوم الإلهيّة الجارية في قلوبهم. وقال تعالى: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ [٥٤/ القمر/ ٥٥] وهي انكشاف نفس الأمر لهم من غير التباس عليهم. وقال تعالى: ﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [٥٤/ القمر/ ٥٥] وهو الذي يخلق بالأسباب، والقادر الذي يخلق بلا أسباب. وقوله (بمَضْجَعي): قال في المصباح: «المَضْجَع بفتح الميم والجيم: موضع الضُّجُوع، الإلقاء على الجنب». كناية عن النوم؛ فالمضجع: المكان الذي ينام فيه الإنسان. وقال في القاموس:

«المَضْجَع، كمقعد: موضع الضُّجُوع، يُقال: ضَجَع جنبه بالأرض». كناية عن محلّ طبعه وعادته. وقوله (زائر): بالرفع، خبر عَلَّ، واسمها طيفكم، بالنصب، وضمّ الميم في طيفكم لاستقامة الوزن، وإنّما جعله زائداً، ولم يجعله ساكناً لتحوّله في كلّ وقت، لأنّه معنى عرضي على علم منه بذلك. وقوله (في غفلة الحُلُم): بالضمّ وبضمّتين: الرؤيا، والجمع: أحلام، كذا في القاموس كما ورد: «لناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا»[1]. والموت الاختياري كالموت الاضطراري يوجب الانتباه من نوم الغفلة، وهي الدعاوى النفسانيّة:

١٤-آهَـاً لِأيامِنَـا بِـالخِيفِ لَـوْ بَقِيَـت عَـشْرَاً وَوَاهَـاً عَلَيْهَـا كَيْـفَ لَمْ تَـدُمِ

١٥- هَيْهَـاتِ وا أَسَـفِي لَـوْ كَـانَ يَنْفَعُنِـي أَوْ كَانَ يُجْدِي لَهَا مَا فَـاتَ وا نَـدَمِي

(**آهاً**): بالمدّ منصوباً منوناً: كلمة توجّع وشكاية، قال في القاموس: «آهٍ، يعني بالتشديد: أهَّاً وأهَّةً: توجّع الكئيب، وفي نسخة واهاً، وهي كلمة تعجّب من طيب شيء، أو كلمة تلهّف». وقوله (**لأيامنا**): جمع يوم، وأضافها إليه ولمن معه؛ لأنّه دائم القصد والتوجّه إلى حضرة الحقّ تعالى، وإلى بيته القلب العامر بذكره سبحانه، وهو الحج المعنوي الذي هو المقصد الأعلى للعارفين المحقِّقين. والحج الظاهر عندهم إشارة إليه. وقوله (**بالخيف**): أي خِيف منى، قال في القاموس: «الخِيف: الناحية، وما انحدر عن غِلَظ الجَبَل، وارتفع عن مسيل الماء، وكلّ هبوطٍ وارتقاءٍ في سفح جبل، وغُرَّة بيضاء في الجبل الأسود الذي خلف أبي قبيس، وبها سُمِّي مسجد الخيف. أو لأنّها ناحية من منى، أو لأنّها في سفح جبل. كناية هنا عن سفح جبل الجسم المُنجَبِل من الطبائع والعناصر. وقوله (**لو بقيت عشراً**): أي: عشر ليال؛ إذ لو أراد بقاء الأيام لقال عشرة، وهي ثلاثة أيام بثلاث ليال تكون في وادي منى للحاجّ، إشارة إلى ثلاث ليالي النشأة الإنسانيّة: ليلة الجسم، وليلة

---

(١) انظر تخريجه ص٢٨٦.

النفس، وليلة العقل. وفي آياتها الثلاث: رمي جمار الصفات السبع: الحياة والعلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام. جمرة العقبة العقليّة، والجمرة الوسطى النفسانيّة، وجمرة مسجد الخَيف/[٣١٧/ ب] الجسمانيّة حتّى تزول. ودعوى الصفا ت بالكلِّيّة، وتمنّي بقائها عشر ليال؛ ليتكرر له ذلك الرمي، فيرسخ فيه. وقوله (وواهاً): بالتنوين هنا قال في القاموس: «واهاً له، ويترك تنوينه، كلمة تعجّب من طيب شيء، وكلمة تلّهف عليه». وقوله (**عليها**): أي على تلك الأيام، إشارة إلى أنّها هنا كلمة تلهّف، لا تعجّب؛ لأنّه لا يقال: تلهّف عليه. وقوله (كيف لم تدم): قال في القاموس: «الغالب في كيف أنْ تكون استفهاماً، إمّا حقيقياً ككيف زيد، أوغيره: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٨] فإنّه أُخرج مخرج التعجّب. وقال الشاعر:

كيف ترجون سقاطي بعدما ... جَلَّل الرأس مشيب وصلع

فإنّه أُخْرِج مَخْرَج النفي». وهي هنا للتعجّب من عدم دوامها، مع أنّ دوامها بتكرار أمثالها هو المعهود له من صنع الباري تعالى، كما قال تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [٥٠/ ق/ ١٥] وقال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [٢١/ الأنبياء/ ١٠٤] أي: نحن فاعلون الآن، ولكنّهم غافلون عن فعلنا. وقوله (**هيهات**): معناها البعد. وقوله (**وا أسفي**): كلمة ندبة، والأَسَف بالتحريك أشدّ الحزن، أَسِفَ كفَرِح، كذا في القاموس. وقوله (**لوكان**): أي الأسف. وقوله (**ينفعني**): جملة في محلّ نصب خبر كان. وقوله (**أو كان**): معطوف على كان الأولى. وقوله (**يُجدي**): بالضمّ من أجدى يقال: ما أجدى فعله شيئاً، أي: ما أغنى، كذا في المصباح. وقوله (**على ما فات**): أي من تلك الأيام والليالي المذكورة، حيث كانت لذاتها مشهودة مشهورة. وقوله (**وا ندمي**): بحرف الندبة الممدود، فاعل يجدي، ويصح أنْ يكون فاعل ينفعني وفاعل يجدي على التنازع.

١٦- عَنِّي إِلَيْكُم ظِبَاءَ الْمُنْحَنَى كَرَمَاً   عَهِدْتُ طَرْفِيَ لَمْ يَنْظُرْ لِغَيْرِهِمِ

(عنّي): إليكم بمعنى تنحّوا وتباعدوا عنّي. وقوله (ظباء المنحنى): منادى مضاف حُذف منه حرف النداء تخفيفاً، وتقديره: يا ظباء المنحنى. والظباء: جمع ظبي، يعمُّ الذكور والإناث، مثل: سَهْم وسِهَام، والمنحنى: اسم موضع. كناية عن حضرات الأسماء والصفات من حيث أعيان الأغيار؛ فإنّها تنزُّلات الذات الأقدس وتدلّياته. وكونها ظباء لنفورها عن البقاء؛ لأنّها آثار عرضيّة لا بقاء لها إلّا بتكرار الأمثال. وقوله (كرماً): مفعول لأجله، أي: تنحّوا عنّي وتباعدوا إكراماً منكم لي. والمعنى: إذهاب المغايرة منهم للحضرة الظاهرة بهم. ولهذا قال: (عهدت طرفي): أي عيني الباصرة. وقوله (لم ينظر لغيرهم): أي لغير هؤلاء الظباء المذكورين. يعني: من حيث أنّهم تجلّيات إلهيّة، ومظاهر ربّانيّة؛ فإنّهم الأحبّة السابق ذكرهم؛ فإنّ كلّ عين إذا وقعت عليها نقطة الوهم صارت غيناً، والغين عين الحجاب.

١٧- طَوْعَاً لِقَاضٍ أَتَى فِي حُكْمِهِ عَجَبَاً   أَفْتَى بِسَفْكِ دَمِي فِي الحِلِّ وَالحَرَمِ

١٨- أَصَمَّ لَمْ يُصْغِ لِلشَّكْوَى وَأَبْكَمَ لَمْ   يَحِرْ جَوَابَاً وَعَن حَالِ المَشُوْقِ عَمِي

(طوعاً): مفعول لأجله لقوله في البيت قبله (عهدت طرفي) لم ينظر لغيرهم لأجل طاعته وقوله: (لقاض): تنكيره لتعظيمه، وهو القاضي الذي هو الهوى. بمعنى المحبّة والشوق الملازم. وقوله (أتى): أي ذلك القاضي. (في حكمه): أي على العاشقين. وقوله (عجباً): أتى، أي: أمراً عجباً، يعجب من كلّ من سمعه أو رأه. وقوله (أفتى): أي قبل حكمه عليَّ بما أفتى به، إشارة إلى أنّ ما حكم به كان/ [٣١٨/ أ] من علم منه، وأفتاء به للغير. وقوله (بسفك دمي): أي بإباحة ذلك. وقوله (في الحلّ): وهو ما خرج عن حرم مكّة المشرّفة. وقوله (والحرم): أي حرم مكّة، وهو حرم الله، وحرم رسوله، وله حدود معروفة، ومن دخله كان آمناً

حتّى لا يقتل صيده، ولا يرعى حشيشه، كما بسطه الفقهاء في عملهم. ولعمري فإنّ الهوى قاض جائر، كلّ عقل في حكم حائر، لا يعبأ بكبير، ولا يشفق على صغير، يبيح دماء الأحرار، ويهتك أستار الأخيار، قال الشاعر:

حامل الهوى تعب ... يستفزّه الطرب

إنْ بكى يحقّ له ... ليس ما به لعب

تضحكين لاهية ... والمحبّ ينتحب

تعجبين من سقمي ... صحّتي هي العجب

وقوله (أصمَّ): أي هو أصمّ. وقوله (لم يُصْغِ): بالفتح، من صَغَى إلى كذا يَصْغَى، بفتحتين: مال. قال في المصباح: صَغَيْتُ إلى كذا: أَصْغَى بفتحتين: مِلْتُ، أو بالضمّ، من أَصْغَيْتُ الإناءَ بالألف: أَمَلْتُهُ. وأَصْغَيْتُ رأسي وسمعي كذلك». وقوله (للشكوى): أي شكوى أحد له، لأنّه أَصَمّ لا سمع له؛ فلا يلتفت إلى شكاية، ولا تعمل به نكاية. وقوله (وأَبْكَمَ): بيِّنُ البَكَمِ، محرّكة: الخَرَس كالبَكَامَة، أو مع عَيٍّ وبَلَهٍ، أو أن يولد لا ينطق، ولا يسمع، ولا يبصر، بَكِمٌ، كفرح؛ فهو أَبْكَم وبَكِيْم، كما في القاموس. وقوله (لم يُحِرْ جَواباً): يُحِر: بضمّ الياء التحتيّة وكسر الحاء المهملة، مضارع مجزوم بلم، أي: لم يرد، قال في القاموس: وما أَحَارَ جواباً: ما رَدَّ». فإنّ الأَبْكَمَ لا يقدر على ردّ الجواب، لأنّه ليس من أهل الخطاب». وقوله (وعن حال المَشُوقِ): أي صاحب الشوق إلى الأحباب، وما هو فيه من الأوصاف والاكتئاب. وقوله (عَمِي): صفة مشبّهة من العمى، عَمِيَ كرَضِيَ عمًى: ذهب بصره كلّه. والعَمَى أيضاً ذهاب بصر القلب». كذا في القاموس. أي: لا يبصر أحوال العشّاق، وما يكابدونه من الأشواق.

خَفِّفِ السَّيْرَ وَاتَّئِدْ يَا حَادِي

[الخفيف]

وقال الناظم قدّس الله سرّه:

١- خَفِّفِ السَّيْرَ وَاتَّئِدْ يَا حَادِي   إِنَّمَا أَنْتَ سَائِقٌ بِفُؤَادِي[1]

(خفف): فعل أمر، خَفَّ الشيء خَفَاً من باب ضرب، وخِفَّة ضدّ ثقُل؛ فهو خفيف، وخَفَفْتُهُ بالتثقيل: جعلته كذلك، كما في المصباح. وقوله (السير): كناية عن السلوك بالروحانيّة في طريق والأذواق الوجدانيّة، وهي الجذبة الإلهيّة، لأنّه لا بدّ منها في تحقيق معرفة الحضرة الربّانيّة؛ إذ لا يمكن الوصول إليه تعالى إلّا به سبحانه وتعالى لا بالنفس. وقد أمر بتخفيف السير ليكمّل التحقيق في المقامات، وتتمكّن الروحانيّة، من أنواع المنازلات؛ فإنّ الجذب الشديد يدهش البصائر، ويذهل العقول عن كمال إدراك الأسرار بالسرائر. وقوله (واتَّئِد): فعل أمر بمعنى ارفق، قال في القاموس: «التَّيد: الرِفْق، يقال: تَيْدَكَ يا هذا، أي: اتَّئِد. وتَيدَكَ زيداً، أي: أمهله، إمّا مصدر والكاف مجرورة، أو اسم فعل والكاف للخطاب. وقول ابن مالك: لا يكون إلّا اسم فعل». وقوله (يا حادي): يقال حَدَوْتُ بالإبل أَحْدُو حَدْوَاً: حَثَثْتُهَا على السَّير بالحُدَاء، مثل: غُراب، وهو الغناء لها، كذا في المصباح. كناية عن المتكلِّم الحقّ، الروح الأعظم، والنور المحمّدي المفحم،المخلوق من نوره كلّ شيء، الذي أنزل الله تعالى منه عليه الكتبَ، وأرسل الرسل يدعون إليه بإذنه، قال تعالى:﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ﴾ [٣/آل عمران/١٩٣] الآية. والمنادي هو النبيّ صلّى الله عليه وسلّم. وقد ورد في بعض الكتب الإلهيّة المنزلة: «لقد غنيت لكم فلم ترقصوا»، حتّى قال الشيخ عبد الهادي

---

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: «بلغ مقابلة على مؤلّفه رضي الله عنه».

السودي قدّس الله سرّه من أبيات له:

لقد غنّى الحبيب لكلّ صبّ فأين الراقصون على الغناء
أيشدو من تحبّ وأنت لاه وترضى بالقساوة والغباء/ [٣١٨/ ب]

وقوله (إنّما أنت): خطاب للحادي. وقوله (سائق): من سُقْتُ الدّابةَ أَسُوقُها سَوْقاً. والمفعول: مَسُوق على مَقُول، كذا في المصباح. وقال في القاموس: سَاق الماشِيةَ سَوْقاً وسِيَاقَةً ومَسَاقاً واسْتاقَها فهو سَائق وسَوَّاق، والسائق يكون من ورائها، كما أنّ القائد يكون من أمامها ، وجعله سائقاً، من قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ﴾ [٨٥/ البروج/ ٢٠] وليس الوراء هنا بمعنى الجهة؛ لأنّ المحيط بالشيء يكون من جميع جهاته؛ بل محيط بجهاته. وقوله (بفؤادي): متعلّق بسائق، أي: بقلبي، وهو أمره النازل بالأرواح على القلوب والأشباح.

٢- ما تَرَى العِيسَ بَيْنَ سَوْقٍ وَشَوْقٍ لِرَبِيعِ الرُّبُوعِ غَرْثَى صَوَادِي
٣- لَمْ تُبَقِّ لَهَا المَهَامَهُ جِسْمَاً غَيْرَ جِلْدٍ عَلَى عِظَامٍ بَوَادِ
٤- وَتَحَفَّتْ أَخْفَافُهَا فَهْيَ تَمْشي مِنْ وَجَاهَا فِي مِثْلِ جَمْرِ الرَّمَادِ
٥- وَبَرَاهَا الوَنَى فَحَلَّ بُرَاهَا خَلِّهَا تَرْتَوِي ثِمَادَ[1] الوِهَادِ
٦- شَفَّهَا الوَجْدُ إنْ عَدِمْتَ رِوَاهَا فَاسْقِهَا الوَخْدَ مِنْ جِفَارِ المِهَادِ[2]
٧- وَاسْتَبِقْهَا وَاسْتَبْقِهَا فِهْيَ مِمَّا تَتَرَامَى بِهِ إِلى خَيْرِ وَادِ

(ما ترى): أصله أما ترى، فحذفت الهمزة تخفيفاً. وإمّا معناها العرض، بمنزلة ألا. والخطاب للحادي. وقوله (العيس): هي إبل بيض، في بياضها ظلمة خفيَّة. الواحدة: عَيْساء، كذا في المصباح. كناية عن نفوس السالكين التي ابْيَضَّ طرف منها بلمحات الروحانيّة. وقوله (بين سوق): مصدر ساق الدابّة يَسُوقُها سَوْقاً.

---

(١) الشطرة الثانية في (ق): خلِّها ترتعي ثُمامَ الوهاد.
(٢) في (ق): الوخد مكان الوجد، والوجد مكان الوخد.

وقوله (**وشَوْقٍ**): هو شِدَّة نِزاع النفس إلى الشيء، قال في المصباح: «الشوق إلى الشيء نزاع النفس إليه، وهو مصدر شَاقَنِي الشيءُ شَوْقاً، من باب قال». وقوله (**لِرَبيعٍ**): الربيع فصل من فصول السنة. وقوله (**الرُّبوع**): جمع رَبْع، وهو مَحَلَّةِ القوم ومنزلهم. كناية عن مقامات العارفين ومنازلهم، ومنازلاتهم، وما يجدون فيها من الحقائق والعلوم. وقوله (**غَرْثَى**): بالغين المعجمة والثاء المثلثة، غَرِثَ، كفرح: جاع فهو غَرْثَان، مِنْ غَرْثَى، كذا في القاموس. وقوله (**صوادي**): جمع صادٍ بالصاد المهملة، من صَدِيَ صَدَىً، من باب تعب: عَطِشَ، فهو صَدٍ وصَادٍ وصَدْيَان، كما في المصباح. وقوله (**لم تُبَقِّ**): بتشديد القاف مكسورة، قال في المصباح: «بَقِيَ من الدَّيْنِ كذا: فَضَلَ، وتَأَخَّرَ، وتَبقّى مثله. والاسم البقيّة». وقال في القاموس: «بَقِيَ يَبْقَى بَقَاءً وبَقْيا: ضد فَنِيَ. وأَبْقَاهُ وبَقَّاهُ وتَبَقَّاه واسْتَبْقَاه». وقوله (**لها**): أي للعيس المذكورة. وقوله (**المَهَامِهُ**): فاعل تبقّى: جمع مهمهة، قال في القاموس: «المَهْمَهُ والمَهْمَهَةُ: المفازة البعيدة، والبَلَدُ المُقْفِر، والجمع: مَهَامِه». كناية عن منازل السائرين إلى الله تعالى، فإنّهم يجِدون في طريق سيرهم أحوالاً، وتنكشف لهم أمور لا يشاركهم فيها أحد من الغافلين، فهي مقفرة من الواجدين، ولهذا ينكرها عليهم أهل الغرور بالدنيا، كما ورد في حديث علي رضي الله عنه. قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «إنّ من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلّا العلماء بالله، فإذا قالوه لا ينكره إلّا أهل الغرّة بالله»[1].

وقوله (**كهيئة المكنون**): أي ليس هو بمكنون؛ بل هو ظاهر، ولكن البصائر والأبصار مصروفة عنه، كما قال تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ [٧/الأعراف/ ١٤٦] يعني: يتكبّرون بالباطل، أي: بسبب الباطل من الأموال، والجاه، والمناصب الفانية، والأحوال المضمحلّة. وقوله (**جسماً**): مفعول تُبَقِّي لأنّها تسقمه وتمرضه بتراكم البلاد، وتزاحم المؤذيات. وقوله (**غير**):

(١) أخرجه الديلميّ في الفردوس، ٨٠٢، عن أبي هريرة. وقال الحافظ العراقيّ في تخريج أحاديث الإحياء: «رواه أبو عبد الله السلميّ في الأربعين له بإسناد ضعيف. انظر الجامع الصغير للسيوطيّ.

بدل من (جسماً). وقوله (**جلد على عظام**): جمع عظم، وهو قصبة الحيوان الذي عليه/ [٣١٩/ أ] اللحم، كذا في القاموس. كناية عن القوى النفسانيّة. وقوله (**بوادي**): جمع بادي، من بَادَ يَبِيْدُ بَيْداً وبُيُوداً: هَلَكَ، ويتعدّى بالهمزة، فيقال: أَبَادَه الله، كذا في المصباح. وقوله (**وتَحَفَّتْ**): بتشديد الفاء وبالحاء المهملة، من حَفِيَ الرجلُ من باب تعب، حَفاء، مثل سلام: مشى بغير نعل ولا خُفّ، فهو حَافٍ. والجمع: حُفُاة، مثل: قاضٍ وقضاة. والحِفاء بالكسر والمدّ: اسم منه. وحَفِيَ من كثرة المَشْي حَتّى رقَّت قدمه حَفَىً، فهو حَفٍ، من باب تعب أيضاً، كما في المصباح.

وقوله (**أخفافها**): جمع خُفّ، قال في المصباح: «خُفُّ البعير جمعه: أخفاف، مثل: قفل وأقفال». وقال في القاموس: «الخُفُّ بالضمّ: مجمع فرسن البعير، وقد يكون للنعام، والخفّ لا يكون إلّا لهما. والجمع: أخفاف». وذلك كناية عن ترك النفوس التعلق بالأسباب الدنيويّة. وقوله (**فهي**): أي العيس المذكورة. وقوله (**تمشي من وجاها**): بالجيم، والضمير للعيس. والوَجَى: الحَفَا، أو أشدّ منه. وَجِيَ كرضيَ، وَجَىً،فهو وَجٍ، وهي وَجْيَاء، كذا في القاموس. يعني: سيرها في الأمور الدنيويّة والمصالح المعاشيّة ممهِّدة تركها للأسباب، وتباعدها عنها. وقوله (**في مثل جمر الرماد**): أي رماد النار، والجمر جمع جمرة، وهي القطعة الملتهبة من النار، وذلك لصعوبة الأمور عليها، وتعذّر حصولها من غير معاطاة أسبابها. وقوله (**وَبَرَاها**): أي العِيس المذكورة، من بَرَيْتُ القلمَ بَرْيَاً من باب رَمَى، فهو مَبْرِيٌّ، وبَرَوْتُه، لغة، كذا في المصباح. وقوله (**الوَنَى**): بالواو والنون محرّكة: الضعف والفتور، قال في المصباح: «وَنَى في الأمر وَنَىً ووَنْيَاً، من بابَيْ تعب ووعد: ضَعُفَ وفَتَرَ، فهو وانٍ. وقوله (**فحلّ**): من حَلَلْتُ العُقدة حَلًّا، من باب قتل، كذا في المصباح. وقوله (**بُراها**): بضمَ الباء الموحّدة، جمع بُرَة، هي حَلْقَة تُجْعَل في أنف البعير، تكون من صُفْرٍ، ونحوه. والخِشَاش من خشب. والخِزامَة من شَعْر، والجمع: بُرُون على غير قياس. وأَبْرَيْتُ البعيرَ بالألف: جعلت له بُرَّة، كذا في المصباح. وحلّ البُرا كناية عن رفع القيود الطبيعيّة والشهوات النفسانيّة.

وقوله (**خلّها**): بتشديد اللام، فعل أمر بمعنى اتركها. والخطاب للحادي السابق ذكره. والضمير للعيس المذكورة. وقوله (**ترتوي**): مضارع رَوَّيْتُه فارْتَوَى من الماء وتَرَوَّى من رَوِيَ من الماء يَرْوَى رَيّاً، والاسم: الرِّيّ بالكسر فهو رَيَّان، والمرأة: رَيّا، وِزَان: غَضْبَان وغَضْبَى. وقوله (**ثِماد**): بالثاء المثلّثة، قال في القاموس: «الثَّمْد ويُحَرَّك، وكَكِتاب: الماء القليل، لا مادّة له، أو ما يبقى في الجليد، أوما يظهر في الشتاء ويذهب في الصيف». وقوله (**الوهاد**): جمع وَهْدَة، هي الأرض المنخفضة كالوَهْدَة، والجمع: أَوْهُد، وَوِهَاد، وَوُهْدَان، والهُوَّةُ في الأرض، كذا في القاموس. يعني: يا أيّها الحادي اترك عين النفوس تشرب وتزيل عطشها من ماء المطر الذي هو ماء الإلهام الربّانيّ الذي يقع على الأعراض الجسمانيّة المنخفضة، والهوّة الترابيّة الطبيعيّة. وفي النسخة الأخرى خلِّها ترتعي ثمام الوهاد. من رَعَت الماشية تَرْعَى رَعياً؛ فهي راعية: إذا سَرَحَتْ بنفسها، كما في المصباح. وقال في القاموس: «رَعَتِ الماشيةُ تَرْعَى رَعْيَاً ورِعَايَة، وارْتَعَتْ وتَرَعَّتْ ورَعَاهَا وأَرْعَاهَا». وقوله (**ثُمام**): بضمّ الثاء المثلّثة. قال في القاموس: «الثُّمام واليَثْمُوم كغُراب، ويَنْبُوت: نَبْتٌ معروف، وقد يُستعمل لإزالة البياض من العين، واحدته بهاء. وبيت مَثْموم: مغطّى به، ويقال لما لا يَعْسُر تناوله: (على طرف الثمام) لأنّه لا يطول». والمعنى: اتركها يا أيّها الحادي/ [٣١٩/ ب] تستعمل ما تجده من كثائف المعاني وزخارف العَرَض الفاني؛ لأنّ المزعج من دواعي الجذبة الإلهيّة شديد، والخاطف من الاستيلاء الربّاني ما عليه من مزيد لنفوذ الأقدار السابقة، والسعادة الأزليّة اللاحقة، بحيث لا يمنع منها مانع، ومن ذا يخلص الصنعة الواقعة في يد الصانع. وقوله (**شفّها**): بتشديد الفاء، والضمير للعيس المذكورة، قال في القاموس: «شَفَّ جسمه شُفُوفاً: نَحُلَ. وشَفَّه الهَمُّ: هَزَلَه». وقوله (**الوجد**): زيادة الحبّ والحزن الشديد، قال في القاموس: «وَجَدَ بِهِ وَجْداً في الحُبّ فقط، وكذا في الحزن، لكن بكسر ماضيه». وقوله (**إنْ عَدِمْتَ رِوَاها**): إنْ بكسر الهمزة: شرطيّة، والخطاب للحادي المذكور. (**ورِواها**): بكسر الراء وفتحها، قال في القاموس:

«ماء رِواء [ورَوِيّ ورَوَاء] كَغَنِي وسماء: كثيرٌ مُرْوٍ». والمعنى: إنْ عدمت ما ترويها به من الماء، بمعنى العلم الإلهيّ لعدم استعدادها لقبوله. وقوله (**فاسقها**): فعل أمر، والضمير للعيش المذكورة. وقوله (**الوَخْد**): بالخاء المعجمة: الإسراع للبعير، أو أنْ يرمي بقوائمه كمَشْيِ النعام. أو سَعَة الخَطْوِ كالوَخْدَان والوَخِيد، وقد وَخَدَ كوَعَدَ فهو وَاخِد، ووَخّاد ووَخُود»، كذا في القاموس. وذلك كناية عن المجاهدة في الحقّ، والمكابدة في العبادة مع الإخلاص والتقوى. وقوله (**من جِفَار**): بالجيم والفاء، جمع: جَفْر، وهو البئر لم تُطْوَ، وهو مذكّر. والجمع: منه جِفَار، مثل: سَهْم وسِهَام، كما في المصباح. وقوله (**المِهاد**): بكسر الميم: الأرض الموطّأة الممهّدة، شبيهة بالبساط ، قال في القاموس: «المِهاد ككتاب: الفراش. وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَـٰدًا﴾ [٧٨/ النبأ/ ٦] أي بساطاً ممكناً للسلوك. وقال في المصباح: «المَهْد معروف، وجمعه: مِهَاد، مثل: سهم وسهام. والمَهْد والمِهَاد: الفِراش». كنّى بذلك عن الطبيعة ومقتضياتها من الأخلاق البشريّة. وقوله (**واسْتَبِقْها**): بكسر الباء الموحّدة وسكون القاف: فعل أمر، خطاب للحادي المذكور. والضمير للعِيس المذكورة، قال في المصباح: «سَابَقَه مُسَابَقَةً وسِبَاقاً، وتَسَابقوا إلى كذا، واستبقوا إليه». وقال في القاموس: «اسْتَبَقَا تَسَابُقَاً، واسْتَبَق الصِراط: جاوزه وتركه». يعني: اسبق بها إلى مواطن الخير، ومواسم العبادات والطاعات. وقوله (**واسْتَبْقِهَا**): بفتح التاء المثناة الفوقيّة وسكون الباء الموحّدة وكسر القاف: فعل أمر من البقاء، ضدّ الفناء، قال في القاموس: «أَبْقَاهُ وبَقَّاهُ وتَبَقَّاهُ واسْتَبْقَاه». والمعنى: أنْ تَرَفَّقْ بها، وأُلْطِفْ في مسابقتك بها إلى الخيرات، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [٢/ البقرة/ ١٨٥] وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [٢٢/ الحج/ ٧٨] وقال صلّى الله عليه وسلّم: «يسّروا ولا تعسّروا وبشّروا ولا تنفّروا»(١). وقوله

---

(١) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب: العلم، باب: كان النبيّ يتخوّلهم بالموعظة، ٦٩، كما أخرجه أحمد في مسنده، مسند أنس بن مالك، ١٢٦٦٧، بلفظ: «يسّروا ولا تعسّروا، وسكّنوا ولا تنفروا».

(فهي): أي العيس المذكورة. وقوله (ممَّا): أي من العيس التي. وقوله (تترامى به): أي ترمي بنفسها في السير المفهوم من الكلام، أو الضمير للاستباق في قوله (اسْتَبِقْهَا): يقال ترامت الإبل بفلان إذا كانت تتسابق في رميه، وترامت في السير إذا تسابقت فيه. وقوله (إلى خير وادي): وهو مكّة المشرّفة حضرة الأسماء الإلهيّة، والصفات الربّانيّة المشتملة على كعبة الذات الصمدانيّة؛ لأنّها المقصود بالحجّ الروحانيّ في السير الإنسانيّ.

٨- عَمْــرَكَ الله إنْ مَــرَرْتَ بِــوَادِي   يَنْبُــعٍ فَالــدَّهْنَا فَبَــدْرٍ غَــادَي

(عَمْرَكَ الله): يقال: عَمَرَهُ الله يَعْمُرُهُ، من باب قتل، وعَمَّرَهُ تَعْمِيراً، أي: أطال عُمْرَهُ. وتدخل لام القَسَم على المصدر المفتوح، فيقال: لَعَمْرُك لأفعلنّ. والمعنى: وحياتِك وبقائِك/[٣٢٠/ أ] كذا في المصباح. وقال في الصحاح: «أَطالَ اللهُ عُمْرَكَ وعَمْرَكَ ـ يعني بضمّ العين المهملة، وفتحها، والميم ساكنة فيهما ـ وهما وإنْ كانا مصدرين بمعنىً، إلّا أنّه استُعْمِل في القسم أحدهما، وهو المفتوح. فإذا أدخلت عليه اللام رفعته بالابتداء فقلت: لَعَمْرُ الله. واللام لتوكيد الابتداء. والخبر محذوف، والتقدير: لَعَمْرُ الله قَسَمي، ولَعَمْرُ الله ما أقسم به. فإنْ لم تأتِ باللام نصبته نصب المصادر فقلت: عمْرَكَ الله ما فعلت كذا، وعَمَرَكَ الله ما فعلت كذا. ومعنى لَعَمْرُ الله وعَمْرُ الله: أحلف ببقاء الله ودوامه عزّ وجلّ؛ فإذا قلت عَمْرَكَ اللهَ فكأنّك قلت بتعميرك اللهَ، أي: بإقرارك له بالبقاء، وقال عمر بن أبي ربيعة:

يــا أيّهــا المــنكح الثريّــا ســهيلاً   عمــــرك الله كيــــف يلتقيــــان

يريد: سألتُ الله أنْ يطيل عُمْرَكَ، لأنّه لم يرد القسم بذلك». وهنا يحتمل في كلام الناظم إرادة القسم، فينصب لفظ الجلالة، أو إرادة الدعاء له فيرفع. والخطاب للحادي بالمعنى السابق المكنّى به عن النور المحمّديّ، والسرّ الأحمدي، والمادّة الشاملة، وهيولى الكلّ الكاملة، والروح الربّانيّ، والنفس الرحمانيّ الظاهر

ذلك في الصور الكونيّة، والأشكال الإنسانيّة؛ فإنّها الحقيقة المحمّديّة في الحضرة الفرديّة. والمنادى الإلهيّ الداعي به إليه في شأني الآمر الناهيّ. وقوله (**إنْ مررت**): بالتنزُّل فيما هو متنزّل به، وسمّاه مروراً لعدم بقائه فيه، لأنّه كلمح بالبصر كما يعرفه العارفون، ويتحقّق به المتحقِّقون، بطريق الذوق، والوجدان، والكشف، والعيان في جملة الأكوان. وقوله (**بوادي يَنْبُعَ**): على وزن يَنْصُرَ، حصن به عيون ماء ونخيل وزرع بطريق الحاجّ المصريّ، وهما ينبعان: ينبع البحر، وينبع النخل. والمشار به هنا ينبع النخل. وأمّا ينبع البحر فإنّه على ساحل البحر المالح، وليس هو على طريق الحاجّ المصريّ، وليس فيه ماء حلو، وإنّما يُجلب إليه من مسافة. وفيه حصن، وناس ساكنون بأهلهم. وله قاضٍ، وحاكم على الاستقلال من أعمال المدينة المنورّة؛ وإنّما ينبع النخل المذكورعامر بالبيوت والناس المقيمين فيه. ويطل عليه جبل يقال له: رَضْوَى بفتح الراء، وهو كناية عن حضرة الأمر الإلهيّ الذي قال به كلّ شيء، وهو المستولي على هذا الحادي المُشار إليه في كلامنا، وهو الغالب عليه، وهو وادٍ من حيث نزوله بالاستيلاء والاحتواء، والمرور به فيه كلمح بالبصر. وقوله (فالدَّهنا): بالقصر، والدال المهملة: اسم موضع لتميم بنجد. واسم دار الإمارة بالبصرة. وموضع أمام ينبع جهة الحجاز، وقال في الصحاح: «الدَّهْناءُ: موضع ببلاد تميم، يمدّ ويقصر ، وينسب إليه دهناوي». وهو كناية عن النفس الكليّة المسمّاة في لسان الشرع باللّوح المحفوظ. ومرور الحادي بها استيلاؤه عليها؛ لأنّها نفسه المنتقش فيها كلّ ما ينزل به الأمر عليها من حضرة العلم بالكلام القديم، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ۝٢٠ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ۝٢١ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ﴾ [٨٥/ البروج/ ٢٠-٢٢].

وقوله (فبدرٍ): اسم موضع بين مكّة والمدينة على منتصف الطريق تقريباً، وعن الشعبي أنّه اسم بئر هناك، قال: وسُمِّيت بدراً لأنّ الماء كان لرجل من جهينة اسمه بدر. وقال الواقدي: «كان شيوخ غفار يقولون: بدر ماؤنا ومنزلنا، وما ملكه

أحد قبلنا، وهو من ديار غِفار، كذا في المصباح. كنّى بذلك عن الطبيعة الكلّيّة قبل أنْ تصير أربعاً: حرارة وبرودة ورطوبة ويبوسة؛ فإنّ ابتداء الإيهام في الجمود منها، وهي نظير البدر القابل لظهور نور الشمس فيه؛ فكلّ ما هو منتقش في النفس الكليّة ظاهر في هذه الطبيعة بوجه الإجمال/ [٣٢٠/ ب] وقوله (غادي): بالغين المعجمة: اسم فاعل من الغُدُو، نقيض الرَوَاح، وقد غَدَا يَغْدُو غُدُوّاً. وقوله تعالى: ﴿بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ [٢٤/ النور/ ٣٦] أي بالغَدَوَات، فعبّر بالفعل عن الوقت كما يقال: أتيتك طلوع الشمس، أي: وقت طلوعها. والغُدْوَةُ مابين صلاة الغداة وطلوع الشمس، كذا في الصحاح. وأصله غَادياً بالنصب، حال من فاعل مررت. والوقف على المنصوب بالسكون، وهو هنا بسكون الياء، لغة ربيعة، كما يقولون: رأيت زيدْ، بسكون الدال.

٩- وَسَلَكْتَ النَّقَا فَأَوْدَانَ وَدَّا ـــنَ إلِى رَابِغِ الرَوِيّ الثِّمَادِ

١٠- وَقَطَعْتَ الجِرَارَ عَمْدَاً لِخَيْمَا تِ قُدَيْدٍ مَوَاطِنِ الأَمْجَادِ

١١- وَتَدَانَيْتَ مِنْ خُلَيْصٍ فَعُسْفَا نَ فَمَرِّ الظَّهْرَانِ مَلْقَى البَوَادِي

١٢- وَوَرَدْتَ الجَمُومَ فَالْقَصْرَ فَالدَكْـ ـنَاءَ طُرّاً مَنَاهِلَ الوُرَّادِ

١٣- وَأَتَيْتَ التَنْعِيمَ فَالزَّاهِرَ الزَّا هِرَ نُوْرَاً إلِى ذُرَى الأَطْوَادِ

١٤- وَعَبَرْتَ الحَجُوْنَ وَاجْتَزْتَ فَاخْتَرْ تَ ازْدِيَاراً مَشَاهِدَ الأَوْتَادِ

١٥- وَبَلَغْتَ الخِيَامَ فَابْلِغْ سَلَامِي عَنْ حِفَاظٍ عُرَيْبَ ذَاكَ النَادِي

١٦- وَتَلَطَّفْ وَاذْكُرْ لَهُم بَعْضَ مَا بِي مِنْ غَرَامٍ مَا أَنْ لَهُ مِنْ نَفَادِ

(وسلكتَ): بالخطاب للحادي المذكور، يقال: سَلَكْتُ الطريقَ سُلُوكاً، من باب قَعَدَ: ذهبت فيه، ويتعدّى بنفسه، وبالباء أيضاً، فقال: سَلَكْتُ زيداً الطريق، وسَلَكْتُ به الطريق، وَأَسْلَكْتُ ـ بالألف في اللزوم ـ لغة نادرة، فيتعدّى بها أيضاً، كذا في المصباح. وقوله (النَّقَا): مقصور هو في الأصل، بمعنى الكثيب من الرمل،

كما في المصباح. وهنا اسم مكان مخصوص نقا من الرمل، معروف في طريق مكّة شرّفها الله تعالى. يكنّي عن العرش المحيط في لسان الشرع والمستوى الرحماني من قوله تعالى:﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [٢٠/ طه/ ٥]. فإذا وصل إليه الحادي المذكور بالمعنى المراد لم يزد عليه في التجلّي الرحمانيّ بجميع الأسماء الحسنى، كما قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [١٧/ الإسراء/ ١١٠] وسمّاه نَقَا من حيث بياضه ونورانيّته، وعدم لصوق أجزائه التي في ضمنه بعضها ببعض كالرمل المتباين الأجزاء، ولنقاوته، أي: نظافته من الأغيار.

وقوله (فأودان): الفاء للعطف مع الترتيب والتعقيب من غير مهلة فيما سبق وما سيأتي من المعطوفات. وأودان: جمع وَدْن، بفتح الواو وسكون الدال المهملة وبالنون. قال في الصحاح: «وَدَنْتُ الشيءَ وَدْناً وَوِدَاناً: بَلَلْتُهُ؛ فهو مَوْدُوْنٌ وَوَدِيْن، أي: منقوع». وجاء قومٌ إلى بنت الخُسِّ بحجر، فقالوا: احدي لنا من هذا نعلاً. فقالت: دِنُوهُ. والوَدْنُ أيضاً: حُسْنُ القيام على العروس، يقال: أخذوا في ودانه، وَوَدِنَتِ المرأةَ وَأَوْدَنَتْ: إذا ولدت ولداً ضاوياً» أي: نحيفاً قليل الجسم والمعنى: منقوعات الأراضي بالبلل بماء الأمطار، أو أنواع القيام في حسن الزخرفة والتهيئة للقبول. وقد أضاف ذلك إلى قوله (وَدَّانَ): بفتح الواو وتشديد الدال المهملة بعدها ألف ونون، قال في القاموس: «ودَّان: قرية قرب الأَبْواء، سكنها الصَّعْب ابن جُثَامة الوَدَّانِيِّ، وبلاد بأفريقيّة، منها عليّ بن إسحاق، الأديب الشاعر. وجبل طويل قرب فَيْدَ، ورستاق بنواحي سمرقند». وفَيْدُ قلعة بطريق مكّة سمِّي بفَيْدِ ابن فلان. والمعنى: بأودان ودَّان ممطرات الأراضي بقرب الأبواء، على وزن أَفعال بفتح الهمزة، منزل بين مكّة والمدينة، هوعن بدر بنحو سبعة أميال، كذا في المصباح. وكنّى بأودان ودّان عن حضرة الكرسيّ الذي وسع السموات والأرض، وتدلّت منه القدمان بالخير والشر. وقوله (إلى رابغ): بالراء فالألف/ [٣٢١/ أ] فالباء الموحّدة فالغين المعجمة: واد بين الحرمين قرب البحر،

قال في القاموس: «رَبَغَ القوم في النعيم: أقاموا، وعَيْشٌ رَابِغ: ناعم، وربيع رابغ: مُخْصِب. وبلا لام: وادٍ بين الحَرَمَيْنِ قرب البحر» انتهى. وهو ممنوع من الصرف للعلميّة والتأنيث المعنوي إنْ اعتبرته علماً على البقعة المعروفة، والمنزلة المألوفة. وإنْ لم يكن علماً فهو مصروف، حُذف تنوينه لضرورة الوزن. وقوله (الرَّويّ) بتشديد الياء التحتيّة: صفة له مضاف إلى قوله (الثِّماد): بكسر الثاء المثلّثة، قال في القاموس: «الثَّمْد ويحرّك، وككِتاب: الماء القليل لا مادّة له، أو ما يظهر في الشتاء ويذهب في الصيف». فمعنى الرَّويّ الثِماد الذي ماؤه القليل يروي العطاش. يكنّي بذلك عن فلك زحل الكوكب المشهور بكيوان، قال في الصحاح: «زُحَل نجم من الخُنَّس لا ينصرف، مثل عمر؛ وهو إشارة إلى أعلى مقامات الفناء عن الوجود في مقامات السالك عند طلوع شمس الأحديّة الوجوديّة، وهو فناء النفس الإنسانيّة عن حولها وقوّتها. وقوله (وقَطَعْتَ): بتاء الخطاب للحادي المذكور، يقال: قطعت الوادي: جزته، وسلكته، ومضيت فيه. وقوله (الحِرار): بكسر الحاء المهملة وبالرائين بينهما ألف، جمع حَرَّة، قال في المصباح: «الحَرَّة بالفتح: أرض ذات حجارة سود، والجمع حِرار، مثل: كلبة وكلاب». وقال في الصحاح: «الحَرّة: أرض ذات حجارة سود نخرة، كأنّها أُحرقت بالنار. والجمع: حِرار. والحرّات: وهي هنا اسم مكان قرب المدينة المنوّرة». كنّى بها عن فلك المشتري، وهو نجم من الخُنَّس. إشارة إلى مقام من مقامات الفناء في حقّ السالك، وهو فناء الأفعال والأقوال.

وقوله (عَمْداً): أي حال كونك معتمداً عَمداً، أي: قاصداً قصداً، قال في الصحاح: عَمَدْتُ الشيءَ أَعْمِدُهُ عَمْدَا: قصدت له، أي تَعَمَّدت، وهو نقيض الخطأ». وقوله (لخَيمَاتِ): متعلّق بعمداً، جمع خيمة، وهي بيت تبنيه العرب من عيدان الشجر. قال ابن الأعرابي: لا تكون الخيمة عند العرب من ثياب بل من أربعة أعواد، ثمّ يسقف بالثُمام، والجمع: خَيْمات وخِيَم، وِزان: بَيْضات وقِصَع،

كذا في المصباح. وقوله (قُدَيدٍ): مضاف إليه، وهو على صيغة التصغير، منزل من منازل الحاجّ، يكنّى به عن فلك المريخ، وهو الأحمر، قال في الصحاح: «المريخ نجم من الخُنَّس في السماء الخامسة، إشارة إلى مقام من مقامات الفناء في شمس الأحديّة الوجوديّة، وهو فناء الأسماء والصفات.

وقوله (مَوَاطِنِ): جمع موطن، قال في المصباح: «الوَطَن: مكان الإنسان ومَقَرّه. والمَوطِن: مثل الوَطن، والجمع: مواطن، مثل: مسجد ومساجد». وقوله (الأمجاد): جمع ماجد، من المجد، وهو نيل الشرف، والكرم، أو لا يكون إلّا بالآباء، أو كرم الآباء خاصّة. مَجَد: كنَصَر وكَرُم، ومَجَادة، فهو ماجد ومجيد، كذا في القاموس. وهم الأولياء المقرّبون، الفانون عن أسمائهم وصفاتهم، وعن أفعالهم وأقوالهم، وعن حولهم وقوتهم. وقوله (وتَدانَيتَ): بالخطاب للحادي المذكور، أي: تقاربت، قال في الصحاح: «تَدانَوا، أي: دنا بعضهم من بعض». وقوله (من خُليص): بالتصغير منزل معروف بين الحرمين، من خَلَصَ الشيء بالفتح يَخْلُصُ خُلُوصاً، أي: صار خالصاً. كناية عن فلك الشمس، وهو الفلك الرابع، في السماء الرابعة، قلب الأفلاك، والسموات منبع النور والإمداد في أهل القبول بالاستعداد. وقوله (فعُسفان): بفاء العطف للترتيب والتعقيب، وهو بضمّ العين المهملة: منزل من منازل الحاجّ بين الحرمين، من العَسْف، وهو الأخذ على غير الطريق، وكذلك التَعَسُّف والاعتِساف، قال في القاموس: «عُسْفان، كعُثْمان: موضع على مرحلتين من مكّة». يشير بذلك إلى فلك عطارد، وهو نجم، من الخُنَّس في السماء الخامسة، يُصرف ويُمنع، كما في القاموس، وفيه الحجاب على نور الشمس الأحديّة الوجوديّة بالعكس من الخنس الثلاث العلويات: زحل والمشتري والمريخ. وفيه بقاء الحول لله/[٣٢١/ب] والقوّة. وقوله (فَمَرِّ الظَّهران): بفاء العطف، قال في المصباح: «مَرّ: وِزان فِلْس: موضع بقرب مكّة من جهة الشام، نحو مرحلة، وهو منصرف لأنّه اسم واد، ويقال له: بَطْنُ مَرّ، ومُرّ

الظهران أيضاً. ومَرَّان بصيغة المثنّى من نواحي مكّة أيضاً على طريق البصرة، نحو يومين». والظَهْر: الطريق في البرّ، والظَّهْران بلفظ التثنية: اسم واد بقرب مكّة، ونُسِب إليه قرية هناك فقيل: مَرُّ الظَهْران ذكره في المصباح أيضاً. والإشارة بذلك إلى فلك الزُّهَرَة، بضمّ الزاي وفتح الهاء والراء وبالهاء في آخره، قال في القاموس: «زهرة كتؤدة نجم معروف في السماء السادسة. وقال في المصباح: الزُهَرَة مثال رُطَبة: نجم. وزَهَرَالشيءُ يَزْهَر بفتحتين: صَفَا لونُه وأضاء. وقد يُستعمل في اللون الأبيض خاصّة». وفيه حجاب النفس عن شمس الأحديّة الوجوديّة. وقوله (ملقى): بصيغة اسم المكان، من لَقِيَ يَلْقَى لُقِيّاً، من باب تعب. وهو صفة لمرّ الظهران، مضاف إلى قوله (البوادي): جمع بادٍ، من بَدَا إلى البادية بَدَاوَةً بالفتح والكسر: خرج إليها، فهو بَادٍ، والبَدْو مثال: فَلْس، خلاف الحَضَر، والنسبة إلى البادية: بَدَوِيٌّ، على غير قياس. والبوادي أيضاً: جمع البادية، كذا في المصباح. وفي هذا الوصف إشارة إلى أنّ النفس يلتقي فيها كلّ بادٍ من أصل العدم من الأشياء، فتجتمع فيها المعاني المختلفة. وقوله (وَوَرَدْتَ): بتا الخطاب للحادي المذكور أيضاً، من وَرَدَ زيدٌ الماء فهو وارِد، وَوَرَدَ علينا وُرُوْداً: حضر، كذا في المصباح. وقوله (الجَمُوْمَ): بفتح الجيم كصَبور: البئر الكثيرة الماء، كذا في القاموس. كنّى بذلك عن فلك القمر، قال في المصباح: قَمَرُ السماء: سُمِّي بذلك لبياضه، وقال الأزهري يسمّى القمر لليلتين، من أوّل الشهر هلالاً، وفي ليلة ست وعشرين وسبع وعشرين أيضاً هلالاً، وما بين ذلك يسمّى قمراً. وقال الفارابي وتبعه في الصحاح: «الهلال لثلاث ليال من أوّل الشهر، ثم قمر بعد ذلك، والبدر: القمر ليلة كماله، وهو مصدر في الأصل. يقال: بَدَرَ القمرُ بَدْرَاً، من باب قتل، وبَدْر: موضع بين مكّة والمدينة على منتصف الطريق تقريباً. وعن الشعبي أنّه اسم بئر هناك، قال: وسُمِّيَت بدراً لأنّ الماء كان لرجل من جهينة اسمه بدر. وقال الواقدي: كان شيوخ غفار يقولون: بدر ماؤنا ومنزلنا، وما ملكه أحد قبلنا، وهو

من ديار غفار». والإشارة بالجَموم إلى النفس الحيوانيّة المنفردة بدعوى الاستقلال في الأعمال والأقوال والأحوال. وقوله (فالقصر): بفاء العطف، والقصر: اسم موضع، يشير به إلى عالم العناصر الكلّيّة قبل أنْ تتميّز إلى أربعة، وهو: ابتداء انتشاء الأجسام وتركيبها، وابتداء ظهور أنواع الأعراض.

وقوله (فالدَّكْنَاء): اسم موضع أيضاً، من دَكِنَ الفرسُ دَكَناً، من باب تعب: إذا كان لونه إلى الغُبْرَة، وهو بين الحُمْرَة والسواد؛ فالذَّكَر: أَدْكُن، والأنثى دَكْنَاء، مثل: أحمر وحمراء، كذافي المصباح. وذلك كناية عن أوّل تمييز العناصر، وتعينها في عنصر النار الكلِّيّة السارية في جملة العالم السفلي. وقوله (طُرّاً): أي جميعاً، تأكيد للمواضع الثلاثة المذكورة قبله، أو حال منها، من طررته طُرَاً، من باب قتل: شققته، كذا في المصباح. فكان السائر يقطع الأرض قطعاً، ويشقّها شقّا. وقوله (مناهل): صفة للمواضع الثلاثة: جمع منهل، بفتح الميم والهاء: المَوْرد. وهوعين ماء ترده الإبل، كذا في المصباح. وقال في القاموس: «المَنهل: المَشْرَب، والموضع الذي فيه المَشْرب، والمَنْزِل يكون بالمفازة». وقوله (الوُرَّاد): بالإضافة، جمع وارد، من وَرَدَ زيد الماء فهو وارد، إشارة إلى منازل الأولياء العارفين الكاملين. وقوله (وأَتَيْتَ): بتاء الخطاب للحادي المذكور، من أتى الرجل يأتي أَتْياً: جاء، والإتيان: اسم منه، وأَتَيْتُهُ يُستعمل لازماً ومتعدّياً، كذا في/[٣٢٢/أ] المصباح. وقوله (التنعيم): من نَعَّمَهُ الله تَنْعيماً: جعله ذا رفاهية، وبلفظ المصدر، وهو التنعيم، سُمِّي موضع قريب من مكّة، وهو أقرب أطراف الحِلّ إلى مكّة، ويقال: بينه وبين مكّة أربعة أميال، وقيل ثلاثة أميال، ويُعْرَف بمساجد عائشة، كذا في المصباح. وقال في القاموس: «التنعيم: موضع على ثلاثة أميال أو أربعة، من مكّة أقرب أطراف الحِلّ إلى البيت، سُمّي به لأنّ على يمينه جبل نُعَيم، وعلى يساره جبل ناعم، والوادي اسمه نَعْمان». وهو كناية هنا عن عنصر الهواء، لأنّ فيه حياة الحيوان، وتنعيم القلوب بالأنفاس، وفيه تتشكّل الحروف الحاملة لآيات معاني

القرآن. وقوله (فالزَّاهرَ): بفاء العطف، وبالزاي المعجمة، وهو مُسْتَقَى بين مكّة والتنعيم، كذا ف القاموس. وقوله (الزاهرَ): بالنصب، وصف له، من زَهَر السراج، والقمر والوجه، كمنع زُهُوراً: تلألأ، كازدهر، كما في القاماوس. يكنّي بالزاهر عن عنصر الماء، وهو ماء الحياة للأجسام إلى أجل معلوم، وبه الأجسام تقبل التشكّل بالأشكال المختلفة، وتنحلّ بسرعة، وتتولّد المواليد الجسمانيّة. وقوله (نَوراً): تمييز، أي: إزهاره وتلألؤه من جهة نوره المشتمل عليه من أمر الله. وقوله (إلى ذرا): بالذال المعجمة المضمومة، جمع ذُروة بالكسر والضمّ: من كلّ شيء أعلاه. وقوله (الأطواد): جمع طَوْد، وهو الجَبَل، أو عظيمه، والجمع أطْواد، كما في القاموس. والجار والمجرور متعلّق بمحذوف حال من فاعل أتيت. يعني مرتقياً إلى ذرا الأطواد، أي: أطواد المعاني العالية، والإشارات السامية من الحضرات المائيّة، والأسرار الآدميّة. وقوله (عَبَرْتَ): بتاء الخطاب للحادي المذكور، عَبَرت السبيلَ: بمعنى مررت. فعابرالسبيل: مارّ الطريق، كذا في المصباح. وقوله (الحَجُون): بفتح الحاء المهملة، وضمّ الجيم بعدها واو ونون، قال في المصباح: «الحَجُون وِزان رَسُول: جبل مُشْرِف بمكّة». وقال في القاموس: «الحَجُون: الكسلان، وجبل بمَعْلَاة مكّة، وموضع آخر، وكلّ غَزْوَة يظهرغيرها ثمّ يخالف إلى ذلك الموضع، أو هي البعيدة الطويلة». كنّى بها عن عنصر التراب، وهو الأرض، منها خلق الإنسان، وفيها يعود، وكذلك الجماد والنبات والحيوان. قال تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [٢٠/ طه/ ٥٥] وهي أسفل سافلين، قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [٩٥/ التين/ ٤-٦]. يعني: على مقاساتهم البلاء في أسفل سافلين التي ردّوا إليها؛ فبلاؤهم حسن، كما قال سبحانه: ﴿وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا﴾ [٨/ الأنفال/ ١٧] وأمّا غيرهم فبلاؤهم غير حسن، وهو شرّ كالكفر ونحوه.

وقوله (واجْتَزْتَ): بالجيم بعدها تاء مثنّاة فوقيّة وزاي معجمة، من: جَاز المكان يَجُوزه جَوْزاً وجَوَازاً: سار فيه كذا في المصباح. وهو معطوف على عبرت. وقوله (فَاخْتَرْتَ): من خَيَّرْتُهُ بين الشيئين: فَوَّضت إليه الاختيار فاختار أحدهما وتَخَيَّرَهُ، كذا في المصباح. وقوله (ازدياراً): تمييز، من زَارَه يَزُوره زِيارَة وزَوْراً: قصده شوقاً إليه، فهو زائر، كما في المصباح. والازديار مصدر أبلغ، من الزيارة لزيادة المبنى الدالّة على زيادة المعنى في متَّحد الصيغة. وقوله (مَشَاهِد): مفعول اخترت، أو مفعول ازدياراً، جمع مَشْهد، وهو محضر الناس، قال في القاموس: المَشْهَد والمَشْهَدَة: محضر الناس». ثمّ إنّه أضاف المشاهد إلى قوله (الأوتاد): وهم الأولياء المحقّقون، جمع وَتَد بالتحريك، أصله: ما رُزّ في الأرض والحائط من خشب، وأوتاد الأرض جبالها، ومن البلاد رؤساؤها /[٣٢٢/ب] كذا في القاموس. يعني: إنّ ذلك موضع شهودهم وحضورهم في الحضرات الإلهيّة. وقوله (وبلغت): بتاء الخطاب للحادي المذكوركالذي قبله، يقال: بَلَغ المكان بُلُوغاً: وصل إليه، كذا في القاموس. وقوله: الخِيام: جمع خَيْمَة، يُكنِّي بذلك عن عالم العقل الساري في صور الأشياء والخيال الإنسانيّ وغيره؛ فإنّه بمنزلة الخيام على ما ستر من الحقائق والأسرار. قال تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ [٥٥/الرحمن/ ٥٦] أي: لم يدركهنّ، للسّعة الربّانيّة. ثمّ قال: ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [٥٥/الرحمن /٥٧] والآلاء: النعم. وهذه التنوّعات في التجليّات المختلفة من أعظم النعم، والتكذيب لازم؛ لظهور الوحدة في الكثرة، والكثرة في الوحدة؛ وذلك غاية التوحيد في مقام التفريد.

وقوله (فابلغ): فعل أمر من أَبْلَغَهُ السلام، وبَلَّغَهُ، بالألف والتشديد: أوصله، كذا في المصباح. ووصل الهمزة في أبلغ لضرورة الوزن، والقياس قطعها، نحو: أَكرمْ. وقوله (سلامي): أي تحيّتي وأماني لهم، من ترك ما وجب لهم عليّ، وهو

إيماني بهم، أي: تصديقي لهم في كلّ ما بلغني عنهم، وتسليمهم من تكذيبي. وقوله (**عن حِفاظٍ**): أي ناشئ ـ ذلك السلام ـ عن مواظبة منّي عليه، ومحافظة على حقوقه، أو محافظة ومواظبة منك عليه، قال في المصباح: «حَفِظْتُ المالَ وغيره حِفْظاً: إذا منعته من الضياع والتلف». وقوله: (**عُرَيْبَ**): بالنصب، مفعول ثانٍ لأبلغْ، وهو تصغير عَرَب، قال في المصباح: العَرَبُ اسم مؤنّث، ولهذا يوصف بالمؤنّث فيقال: العرب العاربة، والعرب العرباء؛ وهم خلاف العجم، وتصغيره للتحبيب هنا، أو للتعظيم. وقوله (**ذاك النادي**): أي المَجْمَع. بمعنى الاجتماع، من نَدَا القومُ نُدُوّاً، من باب قتل: اجتمعوا. ومنه النادي؛ مجلس القوم ومُتَحَدَّثُهُم. والمعنى هنا: أهل الجمع والتوحيد من التجلّيات الإلهيّة الكاملة، والهياكل الربّانيّة الفاضلة. وقوله (**وتَلَطَّفْ**): فعل أمر، من اللَطافة، خطاب للحادي المذكور.

وقوله (**واذكر**): من الذكر، يقال: ذَكَرتُه بلساني وبقلبي، ذكرى بالتأنيث وكسر الذال، كما في المصباح. وقوله (**لهم**): أي لعريب ذاك النادي في البيت قبله. وقوله (**بعضَ**): بالنصب مفعول واذكر. وقوله (**ما بي**): أي الذي بي مما أنا مشتمل عليه. وقوله (**من غرام**): بيان لما. والغرام: الولوع، والشرّ الدائم، والهلاك والعذاب، كذا في القاموس. وقوله (**ما أنْ له من نفاد**): ما نافية، وأنْ بفتح الهمزة وسكون النون، زائدة لتأكيد النفي. (**ومنْ**) بكسر الميم: زائدة أيضاً للتنصيص على العموم الواقع في الكثرة وهو نفاد بالدال المهملة، أي: فناء وانقطاع، يقال: نَفِدَ يَنْفَدُ من باب تعب، نَفَاداً: فَنِيَ وانقطع، كما في المصباح؛ فإنّ الحُبّ الإلهيّ لا يَنْفَدُ ولا يَنْقَطع؛ لأنّ متعلّقه قديم لا يتغيّر؛ فهولا يتغيّر لأنّه ظهور الحبّ الإلهيّ القديم. قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [٥/ المائدة/ ٥٤] فإنّ يحبّونه هو عين ظهور يحبّهم.

١٧ - يَـا أَخِـلَّايَ هَـلْ يَعُـودُ التَّـدَانِي ... مِـنْكُمُ بِـالحِمَى بِعَـوْدِ رُقَـادِي

(**يا**): حرف نداء، موضوع لنداء البعيد حقيقة أو حكماً. وقد ينادى بها القريب توكيداً. وقيل: هي مشتركة بين البعيد والقريب. وقيل بينهما وبين المتوسّط. وهي

أكثر أحرف النداء استعمالاً. ولهذا لا يُقَدَر عند الحذف سواها، نحو: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَا﴾ [١٢/يوسف/٢٩] كذا في مغني ابن هشام. و(الأَخِلَّاء): جمع خليل، قال في المصباح: «الخليل: الصديق، والجمع: أَخِلَّاء. والخَلِيْل: الفقير المحتاج». وقد نَسَبَ الأَخلاء إليه، فأضافهم إلى ياء المتكَلِّم؛ لأنّهم أصدقاؤه في سلوك طريق الله تعالى، أوفي ظهور تجلّياته تعالى بهم عليهم. أولأنّهم شاركوه في التحقُّق بالفقر الحقيقيّ إلى ربِّهم من قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ/ [٣٢٣/ أ] إِلَى ٱللَّهِ﴾ [٣٥/ فاطر/ ١٥]. وقوله (هل): هي حرف لطلب التصديق الإيجابي دون التصور، ودون التصديق السلبيّ، فيمتنع: هل زيداً ضربت، وهل لم يقم زيد كما في مغني ابن هشام.

وقوله (يعود التداني): أي يرجع قرب بعضهم عن بعض، قال في الصحاح: «تَدَانَوْا، أي: دنا بعضهم من بعض». وقوله (منكُمُ): بضمّ الميم للوزن، والخطاب للأخلّاء. والتداني منهم كناية عن رجوع الكثرة إلي الوحدة بفناء ما به المغايرة. وقوله (بالحمى): أي في الحمى. كناية عن الحضرة الإلهيّة، وأشار إلى أنّ ذلك عود ورجوع إلى ما كان عليه الأمر من قبل الظهور الكونيّ في ذلك البطون العينيّ. وقوله (بِعَوْدِ): أي رجوع. وقوله (رقادي): أي نومي، يقال: رَقَدَ رَقْداً ورُقُوداً ورُقَاداً: نام، ليلاً كان أو نهاراً. وذلك كناية عن رجوعه إلى بدايته بعد نهايته، كما قالوا: «النهاية رجوع إلى البداية، وهو الكمال الحقيقيّ، أنْ يعود إلى رقاده بعد يقظته الحقيقيّة وطول سُهاده». قال العارف المحقِّق عفيف الدين التلمسانيّ:

إلى ذلك المعنى مآلي ومرجعي	وشركي الذي أدّى إلى وحدتي معي
تصرّفت في ملكي بملكي فلم أدع	مكانة إمكان ولا وضع موضع
وأسرعت إسراع المشوق إلى الحمى	بسائر أنواع الوجود المنوّع
وقامت بذاني معنويّاتي التي	بقائي بها في حال مرئي ومسمعي

١٨- مَا أَمَرَّ الفِرَاقَ يَا جِيرَةَ الحَيـ ـيِ وَأَحْلَى التَّلَاقِ بَعْدَ انْفِرَادِ

(ما): تعجبيّة نحو: ما أحسن زيداً. والمعنى: شيء حسّن زيداً، جزم بذلك جميع البصريين إلّا الأخفش فجوّزه، وجوّز أنْ تكون معرفة موصولة. والجملة بعدها صلة لا محلّ لها، وأنْ تكون نكرة موصوفة. والجملة بعدها في موضع رفع نعتاً لها. وعليهما خبر المبتدأ، محذوف وجوباً، تقديره شيء عظيم ونحوه ، كذا في مغني ابن هشام و(أَمَرَّ): فعل ماض، وفاعله مستتر يعود على ما قاله في المصباح: «أَمَرَّ الشيءُ ـ بالألف ـ فهو مُمِرٌّ. ومَرَّ يَمَرُّ من بابي تعب وضرب، لغة، فهو مُرٌّ». و(الفراق): بالنصب مفعول أَمَرّ. وقوله (يا جيرة الحيّ): الجِيرة جمع جار، وهو المجاور في الحيّ، أي: المنزل، وهم أمثاله النازلون في منزله من أولياء الله العارفين المحقِّقين في مقام الجمع. وقوله (وأَحْلَى): معطوف على أَمَرَّ، أي: وما أحلى. يقال: أَحْلَيتُ الشيء: جعلته حُلْواً، يقال: ما أمرّ وما أحلى إذا لم يقل شيئاً، وأَحْلَيْتُه أيضاً: وجدته حُلْواً، كما في الصحاح. وقوله (التلاقِ): أصله التلاقي، بالياء وبالفتحة عليها، لأنّه مفعول أحلى، ثمّ حذفت الياء للوزن، وبقيت الكسرة على القاف دليلاً عليها. وقوله (بعد انفراد): أي التفرّد وحده. وكنّى بالتلاقي عن الدخول في الجمع بعد الفرق، فإنّ الفرق انفراد بنفسه[1].

١٩- كَيْفَ يَلْتَذُّ بِالحَيَاةِ مُعَنًّى بَيْنَ أَحْشَائِهِ كَوَرْيِ الزِّنَادِ

٢٠- عُمْرُهُ وَاصْطِبَارُهُ فِي انْتِقَاصٍ وَجَوَاهُ وَوَجْدُهُ فِي ازْدِيَادِ

٢١- فِي قُرَى مِصْرَ جِسْمُهُ وَالْأُصَيْحَا بُ شآماً وَالْقَلْبُ فِي أَجْيَادِ

(كيف): كلمة يُستفهَم بها عن حال الشيء وصفته، يقال: كَيفَ زَيْدٌ، ويريد السؤال عن صحّته وسقمه، وعسره ويسره، وغير ذلك. وتأتي للتعجّب والتوبيخ والإنكار. وقد تَتَضَمَّنُ معنى النفي، كذا في المصباح. وهي هنا للاستفهام

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: «بلغ مقابلة وسماعاً على مؤلّفه حفظه الله».

الإنكاري. بمعنى: لا. وقوله (يَلْتَذُّ): من اللذَّة، نقيض الألم، لَذَّةً ولَذَاذَةً. وقال في المصباح: «والْتَذَذْتُ به وتَلَذَّذْتُ، بمعنى». وقوله (بالحياة): نقيض الموت. ووجدان الحياة لمن سوى الله تعالى مجرّد توهّم؛ فإن الحيّ على الحقيقة/ [٣٢٣/ ب] ما كانت حياته بذاته. وأمّا حياة من عداه تعالى ـ فإنّ حياة الأجسام بالأرواح، وحياة الأرواح بأمر الله تعالى، ومن كان حيّاً بغيره كالقلم بيد الكاتب ـ فإنّ الحياة في ظاهرالقلم وباطنه، وهي الحركة،وظهور رسوم الحروف عنه، والكلمات الحاملة للمعاني إنّما هي استيلاء يد الكاتب عليه ما عدا الإدراك فيه، والقصد: الاختيار، فإنّ يد الكاتب لم يقدرها الله تعالى أنْ تظهر فيه شيئاً من ذلك، فحياته بالأيدي المستولية عليه. وكذلك كلّ ما مسك باليد، ونحو ذلك. وكذلك حياة كلّ ما سوى الله تعالى إنّما هي بحياة الله تعالى؛ فالعوالم كلّهم موتى من أنفسهم، وهم أحياء بحياة ربّهم عزّ وجلّ، فكيف يتصوّر أنْ يلتذّ بالحياة الوهميّة التي هي مجرّد دعوى نفسانيّة.

وقوله (مُعَنّى): بتشديد النون، على صيغة اسم فاعل يلتذّ، قال في المصباح: «عَنَانِي كذا يَعْنِيْنِي: عَرَض لِي وشغلني؛ فأنا مَعْنِيٌّ به». والمُعَنَّى هنا هو العاشق. ولا تكون المحبّة والعشق إلّا بالدعوى النفسانيّة، والاستقلال بالشأن. والمحبّ: صاحب الوهم والغفلة المستولية عليه حتّى يفنى عن نفسه في محبوبه، فيشهد نفس الأمر بشهود محبوبه، لا بشهود نفسه، وهو علم الله الذي يعلّمه لمن شاء من عباده. وكونه يعلّمه وهو من عباده عند غيره من المخاطبين لا عنده، قال تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [١٨/ الكهف/ ٦٥] وعلى كلّ حال فالمحبّ العاشق معذّب بدعوى نفسه، كما ذكرنا؛ فلا يُتَصوّر أن يلتذّ بشيء أصلاً إلّا بلقاء محبوبه، وعند لقائه يفنى. قال عفيف الدين التلمساني قدّس الله سرّه من جملة أبيات له:

يا بديع الجمال فاز محبّ ... بلذيذ الوصال فيك تهنّا

كيف يرجو الحياة وهْوَ مع الهجـ ... ـر قتيل وعند رؤياك يفنى

وقوله (**بين أحشائه**): جمع حشا، وهو ما دون الحجاب مما في البطن من كبد، وطحال، وكَرْش، وما يَتبعه. أو ما بين ضِلَعِ الخَلْفِ التي في آخر الجَنْبِ إلى الوَرْكِ. أو ظاهر البَطْنِ والحِضْنِ، كذا في القاموس. وقوله (**كَوَرْيِ**): بكاف التشبيه وفتح الواو وسكون الراء والياء التحتيّة المتحرّكة، قال في القاموس: «وَرَى الزَّنْد كوَعَى ووَلِيَ وَرْياً: خرجت ناره».

وقوله (**الزِناد**): جمع زَنْد، قال في المصباح: «الزَّنْد: الذي يُقْدَح به النار، وهو الأعلى، وهو مُذكّر، والسفلي: زَنْدَهُ بالهاء، والجمع: زِنَاد، مثل سَهْم وسِهام. وورِي الزِناد كناية عن النار، نار المحبّة والشوق. وقوله (**عُمْرُهُ**): أي عُمْرُ ذلك المُعَنّى، أي: المحبّ. يعني: مدّة حياته في الدنيا. وقوله (**واصطباره**): من صَبَرْتُ صَبْراً، من باب ضرب: حَبَسْتُ النَفْسَ عن الجَزَع. واصطبرت مثله، كذا في المصباح. والاصطبار: مصدر اصطبرت، وهو أشدّ من صبرت. وقوله (**في انتقاص**): يقال انتَقَص: ذهب منه شيء بعد تمامه، ونَقَصْتُهُ وانتقصته يتعدّى ولا يتعدّى، كما في المصباح. أمّا كون عمره في انتقاص فهو معلوم، لأنّ كلّ ما يدخل في الزمان، فهو على الانقضاء شيئاً فشيئاً؛ وإنّما ذكره ليقرن به أصطباره عن لقاء محبوبه؛ فإنّه في انتقاص أيضاً؛ فكلّ وقت ينقص من صبره شيء. وقوله (**وَجَوَاه**): الجَوَى هَوَىً باطن والحزن، كذا في القاموس. والضمير للمعنّى. وقوله (**ووَجْدُهُ**): أي حزنه وحبّه وعشقه، قال في القاموس: «وَجَدَ بِهِ وَجْداً في الحبّ فقط، وكذا في الحُزن؛ لكن يُكسر ماضيه». والضمير للمُعَنَّى. وقوله (**في ازدياد**): مصدر ازداد، أبلغ من زاد، لأنّ زيادة المبنى في متّحد الصيغة، تدلّ على زيادة المعنى كقطع بالتخفيف وقطّع بالتشديد فإنّهما فعلان ماضيان/ [٣٢٤/ أ] بخلاف اتَّخَمَ وتَخِمَ لاختلاف الصيغة بالإفراد والجمع. وقوله (**في قرى**): جمع قرية، قال في القاموس: «القَرْيَة، وتكسر: المِصْر الجامع. والجمع قُرَى». وقوله (**مِصْرَ**): ممنوع من الصرف للعلميّة والعجمة، قال في المصباح: «مِصْرَ: مدينة معروفة، والمِصْرُ كلّ

كُورَةٍ يُقْسَمُ فيها الفيء والصدقات، قاله ابن فارس. والجمع أمصار». وإضافة القرى هنا إلى مصر كقولك: بلاد الشام، وبلاد العراق. ومصر بلد الناظم قدّس الله سرّه. ومنشؤه. وقوله (**جسمه**): الجسم الجسد. وفي التهذيب ما يوافقه، قال: الجسم يجمع البدن وأعضاءه، من الناس والإبل والدواب، كذا في المصباح.

وقوله (**والأُصَيحاب**): مصغّر الأصحاب، جمع صاحب، وهم أمثاله من الأولياء الكاملين من شيوخه وغيرهم. وقوله (**شآماً**): بالهمزة ممدوداً، منصوب على الظرفيّة، أي: في الشآم. والشآم: بلاد عن مشأمة القبلة. وسمِّيت كذلك لأنّ قوماً من بني كنعان تشاءموا إليها، أي: تياسروا. أو سُمِّي بشام بن نوح؛ فإنّه بالشين بالسريانيّة. أو لأنّ أرضها شامات بيض وحمر وسود. على هذا لا يهمز. وهو شاميّ وشآم وشآميّ وشآمٍ، وأشأم: أتاها وتشاءم: انتسب إليها». وقوله (**والقلب**): أي قلبه. (**في أجياد**): وهو أرض بمكّة. أو جبل بها؛ لكونه موضع تبّع، كذا في القاموس. والمعنى: إنّه متفرِّق الحال، غير منتظم الأمور، وهي حال سلوكه في طريق الله تعالى في ابتداء أمره.

٢٢- إنْ تَعُـدْ وَقْفَـةٌ فُوَيْـقَ الـصُّخَيْرَا   تِ رَوَاحَـاً سَـعِدْتُ بَعْـدَ بِعَـادِي

(**إنْ تَعُدْ**): أي ترجع. وقوله (**وَقفةٌ**): هي فعل مرّة، من وَقَفَ يَقِفُ وُقُوْفَاً: دام قائماً. وهي وقوف عرفات. بمعنى: الوصول إلى تمام المعرفة الإلهيّة في حجّ التوجّه إلى بيت الربّ تعالى، حضرة صفاته وأسمائه الرحمانيّة. وكونها تعود إشارة إلى أنّها كانت في حضرة العلم الإلهيّ والكلام الربّانيّ القديم؛ فالمراد: رجوع الأمر إلى ما كان عليه، كما قال الشيخ عبد الكريم الجيليّ قدّس الله سرّه من أبيات له مطلعها:

تعـالوا بنـا حتّـى نعـود كـما كنّـا   ولا عهدنا ختنم ولا عهدكم خنّا

وقوله (**فُويق**): مصغّر فوق للتعظيم. وقوله (**الصُخَيرات**): تصغير الصَخَرَات، جمع صَخْرَة، قال في المصباح: «الصَّخْر معروف، وقد تفتح الخاء، وجمعه صُخُور. والصَّخْرَة: أخصُّ منه، ويُجمع أيضاً بالألف والتاء فيقال: صَخَرَات، مثل: سَجْدَة

وسَجَدَات». والمراد الصَخَرَات التي كان النبيّ صلّى الله عليه وسلّم يقف عندها في عرفات. إشارة إلى خواطر القلب المتصلِّب في معرفة الله تعالى على اليقين القاطع، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [٢/ البقرة/ ٧٤] وهي قلوب أرباب اليقين من أهل التمكين: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ﴾ [٢/ البقرة/ ٧٤] وهي قلوب أرباب التوسّط في طريق الوصول إلى حضرات أهل الفناء الإلهيّ، وذلك لأهل التلوين: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [٢/ البقرة/ ٧٤] وهي قلوب أهل الفناء في الله، والانمحاق من السالكين. وقوله (رواحاً): منصوب على الظرفيّة، أي: وقت الرواح، وهو رواح العشيّ، وهو من الزوال إلى الليل، وقت الوقوف بعرفات، وهو وقت تحوّل الظلّ من المغرب إلى المشرق بإقباله على مطلع الشمس، وامتداده في جهة المشرق، فإذا مالت شمس الوجود الأحديّ إلى جهة المغرب الروحانيّ امتدّ الظلّ الجسمانيّ إلى جهة المطلع الربّانيّ من البرج الروحانيّ.

وقوله (سَعِدْتُ): يقال: سَعِد فلان يَسْعَد، من باب تعب في دينٍ أو دنيا سَعْداً، كما في المصباح، من السعادة، نقيض الشقاوة. وقوله (بعد بِعادي): بكسر الباء الموحّدة /[٣٢٤/ ب] قال في القاموس: «بَاعَدَهُ مُبَاعَدَةَ وبِعَاداً. وبَعَّدَه: أَبْعَدَهُ. والبُعْدُ والبِعَاد: اللَعْنُ». فقابل: السَّعْدَ بالبِعَاد، بمعنى الشقاء؛ فإنّ الفرق شرك خفيّ، وهو بعاد ولعن عن القرب. والسعادة الكاملة هي الجمع على الحقّ تعالى وحده.

٢٣- يَـا رَعَـى الله يَوْمَنَـا بِالْمُـصَلَّى حَيْـثُ نُـدْعَى إلى سَـبِيلِ الرَّشَـادِ

٢٤- وَقِبَـابُ الرِّكَـابِ بَـيْنَ العَلَمَيْـنِ سِرَاعَـاً لِلْمَـأْزِمَيْنِ غَـوَادِي(١)

(يا رعى الله): يا حرف نداء، والمنادى محذوف تقديره: يا قوم رعى الله. أو يا للتنبيه، قال في القاموس: «وإذا وَلِيَ 'يا' ما ليس بمنادى، كالفعل في ألا يا اسجدوا،

(١) في (ق): عوادي.

وقول الشاعر: (ألا يا اسقياني قبل غارة سنجال) والحرف، نحو: يا ليتني كنت معهم، يا ربّ كاسية في الدنيا عارية في يوم القيامة. والجملة [الاسميّة] نحو:

يـا لعنـة الله والأقـوام كلّهـم   والـصالحين عـلى سـمعان مـن جـار

فهي للنداء، والمنادى محذوف. أو لمجرّد التنبيه لئلّا يلزم الإجحاف بحذف الجملة كلّها، أو إنْ وَلِيَهَا دعاء، أو أمر فللنداء، وإلّا فللتنبيه». وقوله (**يومنا**): مفعول رعى. وقوله (**بالمُصلَّى**): بصيغة اسم المفعول: موضع الصلاة، أو الدعاء، كذا في المصباح. وهو هنا مكان بمكّة كناية عن مقام عبادة الله تعالى الذي فيه العبد قائم بنفسه. ونفسه قائمة بربّه عنده، فنفسه حجابه عن ربّه تعالى. وقوله (**حيث ندعى**): بضمّ النون «على صيغة البناء للمفعول من: دَعَوْت زيداً: ناديتُه، وطلبت اقباله، ودعا المؤذن الناس إلى الصلاة، فهو داعي الله، والنبيّ داعي الخلق إلى التوحيد» وفاعل نُدْعَى المحذوف كناية عن نبيِّنا صلّى الله عليه وسلم. وقوله (**إلى سبيل**) : أي طريق. وقوله (**الرشاد**): وهو الصلاح، خلاف الغيّ والضلال، وهو إصابة الصواب، رَشِدَ رَشْداً من باب تَعِبَ. ورَشَدَ يَرْشُدُ من باب قَتَل، فهو راشِد، والاسم: الرَّشَاد، كما في المصباح. وقوله (**وقباب**): جمع قبّة، أصلها من البنيان، قال في المصباح: «القُبَّة من البُنيان معروفة، وتطلق على البيت المُدَوَّر، وهو معروف عند التركمان والأكراد، يُسَمَّى الخِرْقاهة. والجمع: قِباب، مثل: بُرْمَة وبِرَام». وأشار بذلك إلى هوادج الحجيج المرتفعة فوق الجمال مستديرة في الغالب، وكنّى به عن صور الأولياء الكاملين المحمولين. بمعنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٧٠] وبنو آدم هنا كلّ إنسان كامل، لا حيوان غافل، وإنْ كان في صورة الإنسان فإنّه يحمل نفسه على دعواه. وقوله (**الرِّكاب**): بالكسر، المَطِيُّ. الواحدة: راحلة، من غير لفظها، كذا في المصباح. وذلك كناية عن الأرواح الأمريّة الحاملة للصور الجسمانيّة. وقوله (**بين العَلَمَيْنِ**): تثنية عَلَم بالتحريك، والعَلَم: الجَبَل الطَوِيل، أوعَامٌّ، والجمع: أَعْلَام، ورَسْمِ

الثَّوْب، ورَقْمُهُ، والرَّايَة، وما يُعْقَد على الرمح، كذا في القاموس. كنّى بذلك عن عِلميْ الشريعة والحقيقة. وقوله (سِراعاً): حال من ضمير غوادي، وهي جمع سريع. وقوله (لِلْمَأْزِمَيْنِ): تثنية مَأْزِم، كمَنْزِل. ويقال: المَأْزِمَانِ مَضِيق بين جَمْعٍ وعَرَفَة، وآخر بين مكّة ومِنَىً، كذا في القاموس. وقال في المصباح: «المَأزِم وزان مَسْجِد: الطريق الضيّق بين الجبلين. ومنه قيل لموضع الحرب: مَأْزِم، لضيق المجال، وعسر الخلاص منه، ومنه يقال للموضع الذي بين عَرَفَة والمَشْعَر: مَأْزِمَانِ». كنّى بذلك عن الأمر والنهي الواردين في الشريعة والحقيقة. وقوله (غوادي): خبر قباب المبتدأ. جمع: غادي. من غَدَا غُدُوّاً، من باب قَعَدَ: ذَهَبَ غُدْوَةً، وهي ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس، كما مرّ في المصباح وذلك كناية عن السير بين النور الوجودي الربّاني، والظلمة العدميّة/ [٣٢٥/ أ] النفسانيّة.

٢٥- وَسَقَى جَمْعَنَا بِجَمْعٍ مُلِثًّا وَلُوَيْلَاتِ[١] الخَيْفِ صَوْبُ عِهَادِ

٢٦- مَنْ تَمَنَّى مَالاً وِحَسُنَ مَآلٍ فَمُنَائِي مِنَىً وَأَقْصَى مُرَادِي

(وسقى جمعنا): معاشر أهل الله تعالى من الأولياء المقرّبين، قال في المصباح: «الجَمْع: مصدر جَمَعْت الشيءَ جَمْعاً. الجَمْع أيضاً: الجماعة، تسمية بالمصدر، وجَمْعُهُ: جُمُوع وأَجْمُع ، مثل فَلْس وفُلُوس وأَفْلُس. والجماعة من كلّ شي يطلق على القليل والكثير. وقوله (بِجَمْع): هو اسم للمزدلفة قال في المصباح: «ويقال لمزدلفة جَمْع؛ إمّا لأنّ الناس يجتمعون بها، أو لأنّ آدم اجتمع هناك بحواء». كنّى بذلك عن مقام الجمع، خلاف الفرق. وقوله (مُلِثًّا): بتشديد الثاء المثلّثة وكسر اللام: اسم فاعل من ألثّ بالمكان: أقام به، كما في المصباح. وهو حال من (صَوْبُ عِهاد) وأصله نعت له، والتقدير: صَوبُ عِهَاد مُلِثٌّ. ونعت النكرة إذا أقدم عليها أعرب حالاً منها، وأعربت النكرة على حسب العوامل كقول الشاعر:

---

(١) في (ق): لُيلات.

لـــــميّة موحـــــشاً طلــــل يلـــــوح كأنّــــــه خلـــــل

وقوله (**ولُوَيْلَات**): تصغير لَيلَات للتعظيم، جمع ليلة. وقوله (**الخَيف**): هو الناحية، وما انْحَدَرَ عن غِلَظِ الجَبَل، وارتفع عن مسيل الماء، وكلّ هبوط وارتقاء في سفح جبل، وغُرَّةٍ بيضاء في الجبل الأسود الذي خلف أبي قبيس، وبها سُمِّي مسجد الخَيْف. أو لأنّها ناحية من منى، أو لأنّها في سفح جبل، كذا في القاموس. كنّى بـ لُوَيْلَات الخَيْفِ عن القيام أحكام الشريعة: ظاهراً وباطناً، أمراً ونهياً عن إخلاص وتقوى. وقوله (صَوْب): فاعل سقى، قال في المصباح: «صَابَه المطرُ صَوْباً، من باب قال. والمطر صَوْبٌ، تسمية بالمصدر، وسحاب صَيِّب: ذو صوب». وقوله (عِهاد): بكسر العين المهملة. قال في القاموس: «العَهْد: أوّل مَطَر الوَسْمِي، كالعِهْدَة والعِهَاد بكسرهما». كنّى بذلك عن العلوم الوهبيّة الربّانيّة التي تنزل من سماوات الغيوب على المحقّقين من أهل الله تعالى أصحاب القلوب. وقوله (من تمنَّى مالا): المال معروف، ويذكر ويؤنّث، فيقال: هو المال، وهي المال، كما في المصباح. وقال في القاموس: «ما مَلَكْته من كلّ شيء، والجمع: أموال». وقوله (وحسن مآل): أي مرجع. والمعنى: من تمنّي الدنيا والآخرة، أو إحداهما من الناس. وقوله (فمنائي): أي الذي أتمنّاه. والتمنِّي: حديث النفس بما يكون وما لا يكون. والتمنِّي: يكون سؤالاً لله تعالى.

وقوله (مِنىً): هو موضع عن مكّة فرسخ. سُمّي مِنىً لما يُمْنَى فيه من الدماء، أي: يراق، كذا في المصباح. كناية عن الوصول إلى حضرة الحقّ تعالى بفناء كلّ ما عداه، قيل: إنّ الشيخ أبا بكر الشبلي قدّس الله سرّه سمع قارئاً يقرأ: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾ [٣/ آل عمران/ ١٥٢] فصرخ صرخة، وخرّمغشيّاً عليه، فلمّا أفاق قيل له في ذلك، فقال: لم يقل تعالى: ومنكم من يريد الله. فعلمت أنّهم لا يريدون الله تعالى. ومن كلام رابعة العدويّة قدّس الله سرّها: «ما عبدتك رغبة في جنّتك ولا خوفاً من نارك؛ وإنّما عبدتك لوجهك

الكريم». وقال تعالى في حقّ الأنصار من أهل الصفّة رضي الله عنهم: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [٦/الأنعام/ ٥٢]. وقوله (وأقصى مرادي): أي أبعد مقصودي، قال في المصباح: «قَصَا المكان قُصُوّاً، من باب قعد: بَعُدَ، فهو قاصٍ، وبلاد قاصية. والمكان والمسجد الأقصى: الأبعد.

٢٧- يَا أُهَيْلَ الحِجَازِ إنْ حَكَمَ الدَّهْـ ـرُ بِبَيْنٍ قَضَاءَ حَتْمِ إرَادِي

٢٨- فَغَرَامِي الْقَدِيْمُ فِيْكُمْ غَرَامِي وَوِدَادِي كَمَا عَهِدْتُمْ وِدَادِي

٢٩- قَدْ سَكَنْتُمْ مِنَ الفُؤَادِ سُوَيْدا ءَ وَمِنْ مُقْلَتِي سَوَاءَ السَّوَادِ

/[٣٢٥/ ب] (يا أُهَيْلَ): تصغير أهل للتعظيم. وقوله (الحجاز): من حَجَزْت بين الشيئين حَجْزَاً، من باب قتل: فَصَلْت، ويقال: سُمِّي الحِجَاز [حِجَازاً] لأنّه فصل بين نجد والسَّرَاة، وقيل: بين الغور والشام. وقيل: لأنّه احْتُجِزَ بالجبال، كذا في المصباح. كنّى بهم عن الورثة المحمّديّة من الأولياء المقرّبين. وقوله (إنْ حَكَمَ الدَّهْرُ): هو من أسماء الله تعالى؛ لقوله عليه السلام: « لا تسبّوا الدهرَ؛ فإنّ الله هو الدهر»(١). وقوله (بِبَيْنٍ): متعلّق بحكم. والبين: من بانَ الحيُّ بَيْناً وبَيْنُونَة: ظَعَنُوا وبَعُدُوا. وتَبَايَنوا تَبايُناً: إذا كانوا جميعاً فافترقوا. والبَين، بالفتح: من الأضداد، يطلق على الوصل وعلى الفرقة، ومنه ذات البَين؛ للعداوة والبغضاء، كذا في المصباح. وكنّى به عن احتجاب القلب عن مشاهدة الربّ في تجلّياته في صور أهل الكمال من ذي الجلال والجمال. وقوله (قَضَاءَ): بالنصب، مفعول من أجله. وقوله (حَتْمِ): بالإضافة، أي: قضاءً إلهيّاً مقطوعاً به. قال المصباح: «حَتَمَ عليه الأمرُ حَتْماً، من باب ضرب: أوْجَبَه جَزْماً، وانْحَتَم الأمرُ، وتَحَتَّم: وَجَبَ وُجُوباً لا يمكن إسقاطه». وقوله (إرادي): أي جار على مقتضى إرادة الله تعالى في خلقه. وقوله (فَغَرَامِي): الغَرَام الوُلُوع، والشَّرُّ الدائم، والهلاك، والعذاب. والمُغْرَم كمُكْرَم: أسير

---

(١) انظر تخريجه ص١٣٠١.

الحُبّ والمُولَع بالشيء، كذا في القاموس. وقوله (القَدِيمُ): أي الذي هو معلوم لي بالعلم القديم الإلهيّ. وقوله (فيكم): خطاب لأهل الحجاز على المعنى الذي ذكرناه. يعني: في محبّتكم. وقوله (غرامي): أي هو غرامي بكم الآن لم يتغيَّر، ولم يتبدّل إلا بالقدوم، والحُدوث، والبطون، والظهور.

وقوله (وَوِدَادِي): يقال وَادَدْتُهُ مُوَادَّةً وَوِدَاداً، من باب قاتل. وتَوَدَّدَ إليه: تَحَبَّبَ. وهو وَدُود، أي: مُحِبّ، يستوي فيه الذَكَر والأنثى، كذا في المصباح. وقوله (كما عَهِدْتُمْ): يقال عَهِدْتُه بمال: عَرَّفْتُه به، والأمر كما عَهِدْتَ، أي: كما عرفت، كذا في المصباح. وقوله (وِدادِي): هو الآن عين ما عرفتموه من ودادي الأوّل، لا تغيّر فيه، ولا تبدّل. غير أنّه كان قديماً في حضرة العلم الإلهيّ القديم، وحضرة الكلام الإلهيّ القديم. فظهر بعد بطونه، وحدث بعد قدمه، والفناء من دونه. وقوله (قد سكنتم): خطابه لأُهيل الحجاز كما ذكرنا، يقال: سَكَنت الدارَ، وفي الدار سَكَناً، من باب طلب. والاسم السُكْنَى، كذا في المصباح. وقوله (من الفؤاد): أي القلب. وقوله (سويداه): بعود الضمير إلى الفؤاد. والسويداء: تصغير السوداء، وهي النقطة السوداء التي في القلب. وسُكناهم فيها تجلّيهم بها عليها. فإذا حُجبوا بها عنها فهي سوداء، وإذا ظهروا بها لها فهي نور، وهي بيضاء، وهي الدّرة البيضاء، كما قال الشيخ إبراهيم الدسوقيّ قدّس الله سرّه من أبيات له:

على الدرّة البيضاء كان اجتماعنا ومن قبل خلق الخلق والعرش قد كنّا

وقوله (ومن مقلتي): المُقْلَة وزان غُرفة: شحمة العين التي تجمع سوادها وبياضها، كذا في المصباح. وقوله (سواء السواد): بالنصب، مفعول سكنتم، من ساواه مُساواة: ماثَلَه وعادَلَه قدراً أوقيمة. كذا في المصباح. والسواد: سواد العين، وهو نورها الذي تبصر به، إشارة إلى قوله صلّى الله عليه وسلّم «يسمع به ويبصر به» إشارة إلى أنّه ما هو سمعه الذي لا يسمع به. بمعنى القوّة السامعة والجارحة، وما هو بصره الذي لا يبصر به، بمعنى القوّة الباصرة والجارحة، بل هو وراء ذلك، والله من ورائهم محيط.

٣٠- يَا سَمِيرِي رَوِّحْ بِمَكَّةَ رَوحِي شَادِيَاً إنْ رَغِبْتَ فِي إسْعَادِي

/ [٣٢٦/ أ] (يا سَمِيرِي): يا حرف نداء، وسميري، أي: مسامري، من السَّمَر بالتحريك، قال في الصحاح: «السَّمَر: المُسَامَرَة، وهو الحديث بالليل، وقد سَمَرَ يَسْمُرُ فهو سامِر». كنّى بذلك عن أصحابه من أهل الغفلة والحجاب، الذين يسمُر معهم ويتحادث، وهم غافلون في ليل الأكوان قبل طلوع فجرالعيان، وذهاب ظلمة الإمكان عن حوادث الأعيان. وقوله (روِّحْ): بتشديد الواو، مكسورة: فعل أمر، خطاباً للسمير، من أراح الله العبد: أدخله في الراحة، وأراح: تنفّس، ورجعت إليه نفسه بعد الإعياء، وصار ذا راحة، كذا في القاموس.

وقوله (بمكّة): أي بذكر بيت الله الحرام، وجيرانه السادة الكرام. كناية عن أهل الله العارفين به، أصحاب القلوب الهائمة في مظاهر تجلِّياته، كما ورد أنّه عند ذكر الصالحين تنزّل الرحمة. وذكر كرامات الأولياء ومحاسن أوصافهم تقوية لأحوال المريدين، وتنشيط لهممهم. وقوله (رُوحي): مفعول روّح. وقوله (شادياً): حال من فاعل روِّح، من شَدَا الإبلَ: ساقها، و ـ الشِّعْر: غنّى به، أو تَرَنَّم، وأنشد بيتاً أوبيتين بالغِناء كما في القاموس. والمعنى: مطرباً لي بذكر ذلك، ومحرِّكاً به لواعجَ أشجاني. وقوله (إنْ رغبتَ): من رَغَبَ فيه، كسَمِعَ رَغْبَاً، ويُضَمُّ، ورَغْبَةً: أرادَه ، كذا في القاموس. وقوله (في إسعادي): من أسعده، أعانه وأرشده إلى طريق الحق والسعادة الأبديّة.

٣١- فَذَرَاهَا سِرْبِي وَطِيْبِي ثَرَاهَا وَسَبِيلُ المَسِيلِ وِرْدِي وَزَادِي

٣٢- كَانَ فِيْهَا أُنْسِي وَمِعْرَاجُ قُدْسِي وَمقَامِي المَقَامُ والفَتْحُ بَادِ

(فَذَراهَا): الفاء للتفريع بذكر أحواله. والضمير لمكّة المشرّفة، وذراها بالذال المعجمة وإبدال الهمزة ألفاً، بتحريك الساكن قبلها بالفتح لأجل الألف، وأصله ذرْؤُهَا، من ذَرَأَ الله الخَلْقَ يَذْرَؤُهُمْ ذَرْأً: خَلَقَهُم. قال في الصحاح: ومنه الذرِّيَّة، وهي نَسْلُ الثَقَلَيْنِ، إلّا أنّ العرب تركت همزها. والجمع: الذَّرَارِي. وفي الحديث:

«ذَرْءَ النارِ»[1] أي: إنّهم خُلِقُوا لها. ومن قال: ذَرْوَ النار بغير همز أراد أنّهم يُذْرَوْنَ في النار». فالمعنى في ذراها خلقها، وأهلها الناشئون فيها، المتولِّدون بها، وهم أهل الجذب الإلهيّ من أصل خلقتهم، السالكون بِهِمَمِهِم العليّة في طريق العرفان حتّى وصلوا إلى مقام التحقيق والإيقان. وقوله (سِرْبِي): بكسر المهملة، أي: قومي وعشيرتي. قال في الصحاح: يقال: مَرَّ بِي سِرْبٌ مِنْ قَطاً وظِبَاءٍ وَوَحْشٍ ونِسَاءٍ، أي: قطيع. وتقول: مَرَّ بِي سُرْبَةٌ، بالضمّ، أي: قطعة من قطاً وخَيْلٍ وحُمُرٍ وظِبَاءٍ». وقوله (وطِيْبِي): هو ما يُتَطَيَّب به من بخور ونحوه. وقوله (ثراها): أي ترابها. والضمير لمكّة المشرّفة. يكنِّي بترابها عن أجسام أهل الله من الصِدِّقين المقرّبين الذين قلوبهم بيت الربّ سبحانه، فهم على قلب رجل واحد لسريان الوحدانيّة الإلهيّة في آثار تجلِّياتها ومظاهرها الكاملة في هياكلها الفاضلة، على وجه الظهور لا الحلول. وإلى ذلك أشرت بقولي في مطلع قصيدة لي:

يا شمعة هي في كلّ الفوانيس	يخالف العقل هذا في التقايس
وهو المحقّق عند العارفين به	كشفاً بكشف وتلبيساً بتلبيس

وقوله (وسبيل): أي طريق. قال في القاموس: «السَبِيل والسبِيْلَة: الطَرِيْق، وما وَضحَ منه. والجمع: سُبُل، كَكُتُب». وقوله (المَسِيل): بالإضافة، قال في القاموس: «مَسِيل الماء: موضع سَيْلِه». وهو أسفل الوادي، مكان الكعبة الشريفة، بيت الله المعمور بذكره. (وسبيل مسيله): بئر زمزم عِرفانه، في جوانب قلوب أهل إيمانه من أئمّة الصفا أهل الحِفاظ والوفاء. وقوله (وِرْدِي): بكسر الواو، وهو النصيب من الماء، كذا في القاموس. يعني: به أحيا من موت جهلي، وأُرْوى من عطش شوقي وعشقي. وقوله/ [٣٢٦/ ب] (وزادي): هو طعام يُتَّخَذ للسفر. تقول: زَوَّدْتُ

(١) ذكره ابن الجوزي في غريب الحديث، باب: الراء، ١/ ٢٥٨بلفظ: «قال عمر: لا أظنكم آل المغيرة ذَرْءَ النار».

الرجل فَتَزَوَّد، كما في الصحاح. وسُمِّي زاداً تفاؤلاً بالزيادة فيه، وإنْ كان هو على النقصان منه في كلّ مرحلة من السفر. كما سمّوا الفلاة مفازة تفاؤلاً بالفوز. وفيه إشارة إلى أنّه مسافر من نفسه إلى ربّه. قال عليه الصلاة والسلام: «سافروا تغنموا»[1] وفي الآية قال تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [١٥/ الذريات/ ٥٠] أي من نفوسكم. وقوله (**كان فيها**): أي في مكّة المشرّفة، وهي حكاية حاله لـمَّا فتح الله عليه، وهو في مصر في الجامع الأزهر على يد شيخه البقّال، قُدّس سرّه، وخطا خطوات به إلى مكّة المشرّفة كما سبق. ذكر ذلك في الديباجة. وقوله (**أُنْسِي**): بالضمّ، وهو ضدّ الوحشة. قال في الصحاح: «استَأْنَست بفلان وتَأَنَّسْتُ به بمعنى. والإيناس: خلاف الإيحاش، وكذلك التأنيس». والمعنى: كان استئناسي بأحوال الصادقين في مكّة القرب والوصول إلى وجدان أهل العرفان واليقين.

وقوله (**ومعراج**): أي مرقاة. قال في الصحاح: المِعْراج السُّلَّم، ومنه ليلة المِعْرَاج. والجمْع: مَعَارِج ومَعَارِيْجَ، مثل: مَفَاتِح ومفَاتِيْح، قال الأخفش: إنْ شئت جعلت الواحد مِعْرَج ومَعْرَج، مثل مِرْقاة ومَرقاة. والمعارج: المَصَاعِد». وقوله (**قُدْسِي**): بضمّ القاف وسكون الدال المهملة، أي: طُهري وتَنَزُّهي عن رذائل الأخلاق، قال في الصحاح: «القُدْس الطُّهْر، اسم ومصدر، ومنه قيل لِلْجَنّة حَظِيْرَة القُدْس. ورُوح القُدُس: جبريل عليه السلام. والقُدْس بالتسكين: جَبَل عظيم بأرض نجد. والتقْدِيس: التطْهير. وتَقَدَّسَ، أي: تطَهّر. والأرض المُقدّسَة أي: المُطَهَّرَة. ويقال: إنّ القادسيّة دعا لها إبراهيم عليه السلام بالقُدْس، وأنْ تكون مَحَلَّة الحاجّ. وقُدُّوس: اسم من أسماء الله تعالى، وهو فُعُّول من القُدْسِ، وهو الطهارة. وكان سيبويه يقول: سَبُّوحٌ قَدُّوس، بفتح أوائلهما». والمعنى في ذلك هنا: إنّ صعوده في مراقي مقامات القرب إلى حضرته تعالى، وأُنْسِه به سبحانه، وحصول طهارته ونزاهته عن رذائل أخلاقه الذميمة واتّصافه بمكارم

---

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخه، ٢٦/ ٤٥٨.

الأخلاق، كان في مكّة المشرّفة ظاهراً، وفي حضرة المشاهدة الربّانيّة، والفناء عمّا سواها من الحضرات الكونيّة باطناً، كما قال الشيخ أبو مدين الغوث قدّس الله سرّه من أبيات له:

عرفنا بها كلّ الوجود ولم نزل ... إلى أنْ بها كلّ المعارف أنكرنا

وفي مطلع هذه القصيدة قوله:

أدرها لنا صرفاً ودع مزجها عنّا ... فإنّا أُناس لا نرى المزج مذ كنّا
حضرنا فغبنا عن بدور كؤوسها ... وعدنا كأنّا لا حضرنا ولا غبنا

وقوله (مُقامي): بضمّ الميم، أي: موضع إقامتي، وهو المنزلة والرتبة التي حصلت له في مكّة المشرّفة زمن سياحته في جبالها وآكامها، كما تقدّم في شرح الديباجة.

وقوله (المَقَام): قال في القاموس: «المَقَام موضع القدمين، والمَقَامَة: المَجْلِس والقُوم، وتضمّ: الإقامة، كالمَقام والمُقام، ويكونان للموضع». وهو هنا إشارة إلى مقام إبراهيم عليه السلام عند بناء الكعبة المشرّفة، قال تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [٢/ البقرة/ ١٢٥] كناية عن مقام الإسلام الحقيقيّ ظاهراً وباطناً، بالقلب وبالقالب، كما قال تعالى له: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [٢/ البقرة/ ١٣١-١٣٣] وقوله (والفتح)/ [٣٢٧/ أ] أي: تنبّه البصيرة لما لا يتنبّه إليه العقل من التجلّيات الربانيّة، وتوجّهات الأسماء الإلهيّة، قال في القاموس: «الفَتْح: الماء الجاري والنصر، وافتتاح دار الحرب، وأوّل مَطَر الوَسْمِيّ، وكلّها جارية هنا على معنى الكناية عمّا ذكرنا». وقوله (بادي): أي ظاهر، والألف واللام في المقام، وفي الفتح للعهد الذهني.

٣٣- نَقَلَتْنِي عَنْهَا الحُظُوظُ فَجُذَّتْ وَارِدَاتِي وَلَمْ تَدُمْ أَوْرَادِي

(نَقَلَتْنِي): أي حوّلتني إلى حال آخر غير الحال الذي كنت فيه. وقوله (عنها): أي عن مكّة المشرّفة، بيت الله الحرام، وحرمه الآمن. كناية عن دوام الشهود واستمرار الحضور، فَقَلَّ شهودي، وضعفت ملاحظة وجودي. وقوله (الحظوظ): بالرفع، فاعل نقلتني. وهي جمع حَظّ، قال في الصحاح: «الحَظّ النَصيب والجَدّ. وجمع القلّة: أَحُظّ، والكثير حُظُوظ وأَحَاظ على غير قياس». والمراد بالجَدّ هنا البَخْت، قال في القاموس: الجَدّ البَخْتُ والحَظّ. والمعنى: في ذلك أنّه لمّا انتقل من مكّة إلى مصر، ورجع إلى وطنه الأصلي بعد أنْ فُتح عليه في مكّة، نقلته حظوظه النفسانيّة، وطباعه وعاداته البشريّة إلى أحوال أدنى من أحواله، وهو في مكّة المشرّفة، وغلبت عليه الفئة الأوّليّة في البلاد المصريّة. وقوله (فَجُذَّتْ): بتشديد الذال المعجمة والبناء للمفعول، من الجَذّ، وهو القَطع المستأصل، وانْجَذَّ: انقطع كذا في القاموس. وقوله (وارداتي): نائب فاعل جُذَّت، والواردات جمع واردة، وهي المعاني الواردة على خاطره وقلبه من الأسرار الإلهيّة والمعارف الغيبيّة، ويقال له: الوارد أيضاً، قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه من أبيات له:

ألا عم صباحاً أيّها الوارد الذي أتانا فحيّانا من الحضرة الزلفا

وقوله (ولم تدم): أي لم تبقِ. وقوله (أورادي): جمع وِرْد بكسر الواو، وهو الجزء من القرآن، والنصيب من الماء، كذا في القاموس. والمعنى في ذلك أنّه لم تبق له ما كان يواظب عليه من الأوراد من تلاوة قرآن، أو ذكر، أو تهجّد بالليل، أو صلاة، أو صوم، أو مراقبة، أو نحو ذلك من أنواع العبادات؛ ولهذا قالوا: لا وِرْدَ لمن لا وِرْدَ له؛ فاستنزال المعاني الإلهيّة بالأوراد الربّانيّة.

٣٤- آهِ لَوْ يَسْمَحُ الزَّمَانُ بِعَوْدٍ فَعَسَى أَنْ تَعُودَ لِي أَعْيَادِي

(آه): بمدّ الهمزة وكسر الهاء، كلمة شكاية وتوجّع. وقوله (لويسمح الزمان بِعَوْدٍ): أي برجوع تلك الأيام الماضية، وهاتيك الأحوال السامية التي كانت له في

مكّة المشرّفة، ونسبة السماح إلى الزمان إسناد مجازي بقرينة المحلّيّة. وقوله (فعسى): بفاء التفريع، وعسى فعل مطلقاً، أو حرف مطلقاً، للترجّي في المحبوب، والإشفاق في المكروه، وللشك واليقين، كذا في القاموس. وقوله: (أعيادي): فاعل ترجع، جمع عيد بالكسر، وهو كلّ يوم فيه جَمْع، كذا في القاموس. وقال في الصحاح: «العِيد واحد الأعياد؛ وإنّما جُمِع بالياء، وأصله الواو، وللزومها في الواحد، ويقال للفرق بينه وبين أعواد الخشب. وقد عَيَّدُوا، أي: شهدوا العيد». كنّى عن حصول تلك الأحوال الشريفة الربّانيّة له وهو في مكّة المشرّفة بالأعياد الداخلة عليه لسرور قلبه بذلك، وقوّة عينيه بها هنالك.

٣٥- قَسَماً بِالْحَطِيمِ وَالرُّكْنِ وَالأَسْـ ـتَارِ وَالْمُـرْوَتَيْنِ مَسْعَى العِبَادِ

٣٦- وَظِلَالِ الجَنَابِ وَالْحِجْرِ وَالمِيْزَا بِ وَالْمُسْتَجَارِ لِلْقُصَّادِ

٣٧- مَا شَمِمْتُ الْبَشَامَ إِلَّا وَأَهْدَى لِفُؤَادِي تَحِيَّةً مِنْ سُعَادِ

(قسماً): مفعول لفعل محذوف، تقديره: أُقْسِم، أي: أحلف. وقوله (بالحَطيم): هو حجر الكعبة، أو/ [٣٢٧/ ب] جداره، أو ما بين الركن وزمزم والمقام. وزاد بعضهم الحِجْر، أو من المقام إلى الباب، أو ما بين الركن الأسود إلى الباب إلى المقام، حيث يَتَحَطَّم الناس للدعاء. وكانت الجاهليّة تتحالف هناك، كذا في القاموس. وهو كناية هنا عن نفس العارف؛ لأنّها مُحْتَطَمَة مِنَ الحَطْم، وهو الكسر من قلبه؛ فالقلب بيت الربّ، والنفس منه كالحَطِيم من البيت الشريف، احتطمه الجهل، من جاهليّة السالك في مقام عرفانه، وقد أشرت إلى ذلك بقولي من أبيات لي في مطلعها:

قلوب متى منه خلت فنفوس لأحرف وسواس اللعين طروس

وإنْ ملئت منه ومن نور ذاته فتلك بدور أشرقت وشموس

وقوله (والرُّكْنِ): هو بالضمّ، الجانب الأقوى، والأمر العظيم، وما تقوّى به من ملك وجُنْد وغيره، والعِز والمَنَعَة، كما في القاموس إشارة إلى الرُّكْن اليماني،

قال الشيخ الأكبر:

يمين المؤمن الركن اليماني أقبلها لاحظي بالأمان
يمين ما لها حجب تعالت عن الحجبات والحجب المثاني
آمنت بلثمها من كلّ ذنب يقرّبني إلى دار الهوان

وهو كناية عن الركن الشديد في قول لوط عليه السلام فيما حكاه الله تعالى عنه، قال تعالى: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيَ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [١١/ هود/ ٨٠] وقال صلى الله عليه وسلّم: «رحم الله أخي لوطاً؛ إنّه كان يأوي إلى ركن شديد»(١) وهو الالتجاء إلى الله تعالى والاعتماد عليه في جميع الأمور. وقوله (والأستار): جمع ستر، وهي: الحجب النورانيّة قال عليه السلام : «إنّ لله سبعين ألف حجاب من نورو ظلمة» الحديث. فالحجب النورانيّة: عالم الأرواح، والظلمانيّة: عالم الأشباح. أو النورانيَة: عالم الأسماء والصفا ت القديمة، والظلمانيّة: عالم الأفعال والآثار الحادثة.

وقوله (والمَرْوَتَيْنِ): يعني الصفا والمروة بطريق التغليب، قال في القاموس: «الصفا من مشاعر مكّة بلحف أبي قبيس، وابتنيت على متنه دار فيحاء». والمروة بها جبل بمكّة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ [٢/ البقرة/ ١٥٨] الآية. يكنّى بذلك عن الروحانيّة والجسمانيّة؛ فإنّ ذلك مما يشعر بالله سبحانه؛ لأنّه أثره المخلوق بتوجّه أسمائه وصفاته. وقوله (مسعى): أي موضع سعي. وقوله (العباد): جمع عبد، أو عابد؛ فإنّ السعي بين الصفا والمروة واجب في الحجّ الظاهر، وسعي البصيرة بين صفا الروحانيّة ومروة الجسمانيّة واجب أيضاً في القصد إليه تعالى، وهو الحج الباطن. وقوله (وظلال): معطوف على الحَطيم المُقْسَم به، والظلال: جمع ظلّ، قال في القاموس: «الظلّ بالكسر: نقيض الضَّحّ،

---

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخه، باب: لوط بن هاران، ١٠٦٩٢، عن ابن عبّاس. انظر تاريخ دمشق٥٠/ ٢٠٤.

أوهو الفيء، أو هو بالغداة، والفَيء بالعشيّ. والجمع ظِلال وظُلُول وأظْلَال».
قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [٢٥/ الفرقان/ ٤٥] أي: الظلّ الذي هو الكائنات بجميع أنواعها؛ فإنّها ظلال عن شواخص الإرادة الإلهيّة، فكلّ شيء يريده الله تعالى يمتدّ على طبق شاخص الإرادة الإلهيّة، فهو ظلّها الممدود، كما قال تعالى في أصحاب الميمنة: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [٥٦/ الواقعة/ ٣٠] في أصحاب المشأمة: ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾ [٥٦/ الواقعة/ ٤٣]. واليحموم: الدخان، كذا في القاموس. وقوله (الجناب): أي الحضرة الإراديّة الإلهيّة، فإنّ الأشياء كلّها ظلالها الظاهرة في نور الوجود الحقّ الذاتيّ القديم الأزليّ.

وقوله (والحِجْر): بالحاء المهملة والجيم والراء، هو حِجْر الكعبة، وهو ما حواه الحَطيم المدار بالبيت جانب الشمال. والحِجْر أيضاً: العقل، قال تعالى: ﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾ [٨٩/ الفجر/ ٥] وهو كناية هنا بالمعنى الأوّل ظاهراً عن المعنى الثاني باطناً. وقوله (والميزاب): قال في / [٣٢٨/ أ] الصحاح: «المِيْزاب: المِرْزَاب، وربّما لم يُهمز، الجمع المآزيب» كذا في الصحاح. وقال القاموس: «أَزَبَ الماءُ كضرب: جرَى، ومنه المئزاب، أو هو فارسي معرّب» هو ميزاب الكعبة المشرّفة، كناية عن لسان العارف المحقِّق، ولغته التي يعبِّر بها عمّا يجده من الأسرار الإلهيّة. وقوله (والمستجار): أي به، يقال استجار: طلب أن يُجار، وأجاره: أنقذه وأعاذه، كذا في القاموس. أشار بذلك إلى حرم مكّة المشرفة، والبيت الحرام قال تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [٣/ آل عمران/ ٦٧]. كناية عن مجلس العارف المحمّدي الجامع وجواره ومحلّته، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [٨/ الأنفال/ ٣٢] أي من نفوسهم، ودعوى وجودهم لأنّه كما قيل:

فإنْ قلت: ما ذنبي إليك أجبتني   وجودك ذنب لا يُقاس به ذنب

حتّى قيل: «إنّ الجنيد قدّس الله سرّه عبد الله ثلاثين سنّة فلم يفتح عليه، وأنّه سمع جارية تغنّي بهذا البيت، وهو مار ببعض الطرقات، فعمل عليه، فوصل إلى الله تعالى في تلك الليلة. وقوله (لِلْقُصَّاد): جمع قاصد، قال في القاموس: القَصْد استقامة الطريق، والاعتماد، [والأَمُّ] قَصَدهُ، وله وإليه يَقْصِدَه. وقال في الصحاح: «القَصْدُ إتيان الشيء، تقول: قصَدْتُه، وقَصَدت له، وقَصَدت إليه بمعنى. وقَصَدْتُ: نحوت نحوه». وقوله (ما شَمِمْتُ): جواب القسم. (وما): نافية، (وشَمِمْت): فعل وفاعل من الشمّ، وهو حِسُّ الأنف، شَمِمْتُه بالكسر، أَشَمُّه، بالفتح. وشَمَمْتُه أَشُمُّهُ، بالضمّ، شَمّاً وشَمِيماً، كذا في القاموس. والمراد إدراك الرائحة.

وقوله (البَشَام): بالباء الموحّدة والشين المعجمة والألف والميم، قال في القاموس: «البَشَام كسحاب، شجر عطر الرائحة ورقه يُسَوِّد الشعر، ويُستاك بقضبه». كنّى به هنا عن الروح الكلِّي، والنور المحمّدي الممتد منه في كلّ حقيقة كونيّة بالصبغة الإلهيّة، وشمّه كناية عن إدراك رائحته، أي: الإحساس بسريانه في الحقائق الكونيّة، والآثار الحسيّة والمعنويّة.

وقوله (إلّا): نقض للنفي على معنى الحصر. وقوله (وأَهْدَى): أي أوصل. وقوله (لفؤادي): أي لقلبي. وقوله (تحيّة): مفعول أهدى، والتحيّة السلام، وحيّاه تحيّة، والبقاء، والملك. وحيّاك الله أبقاك، أو ملكك. وقوله (من سُعادِ): اسم محبوبة من محبوبات العرب. كنّى بها عن الحضرة الإلهيّة، كما ورد: «اللهم أنت السلام ومنك السلام وإليك يرجع السلام»[1]. وأراد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بذلك العموم، فكان يقول ذلك عليه السلام بعد سلامه من الصلاة، ونيّته بالخطاب: القوم المقتدِين به، والحفظة من الملائكة، كما هو سنّة لكلّ مصلٍّ

(١) انظر تخريجه في ص٣٧٧.

إماماً أو منفرداً أو مقتدياً، فالمنفرد ينوي خطاب الحفظة فقط، والمقتدي ينوي خطاب من عن يمينه وعن شماله من المقتدين، مع الإمام، ثمّ يقول الدعاء المذكور تقريراً لمعاني التجلّيات الإلهيّة بالآثار الكونيّة، ومن ذلك قول العفيف التلمسانيّ قدّس الله سرّه في مطلع أبيات:

أسكرت بانَ الحيِّ يا نسمة السحر	فهل أتيت عن الأحباب بالخبر
نعم مررت بذاك الحيّ فاكتسبت	ذيول بردك ريّا نشره العطر
يا روح روحي بروح الحيّ واقفة	به فديتك بين البان والسمر
ففي بيوت الحمى سمراء قد حجبت	بالسمر عنّاق بالهنديّة البتر[1]

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: «بلغ مقابلة».

هُوَ الحُبُّ[1]

[الطويل]

وقال قدّس الله سرّه، وجعل في أعالي الفردوس مقرّه:

١ - هُوَ الحُبُّ فَاسْلَمْ بِالحشا مَا الهَوَى سَهْلُ   وَمَا اخْتَارَه مُضْنَى بِهِ ولَهُ عَقْلُ

(هو): ضمير الشأن، كقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [١١٢/ الإخلاص/ ١] وخبره ما بعده من جملة أو مفرد/ [٣٢٧/ ب] ولبعض الشعراء قوله:

هو الهجر حتّى ما يلمّ خيال   وبعض صدود الزائرين وصال

وقد يكون مؤنّثاً، فيكون ضمير القصّة، كقول الشعراء:

هي الصبابة من باد ومكتمن   طوى لها الشوق أحشائي على شجن

ومرجعه إلى شيء مُتخيّل في الذهن، إمّا الشأن، وإمّا القصّة، وما بعده تفسير. وقوله (**الحُبّ**): خبره بضمّ الحاء المهملة، بمعنى المحبّة. قال في القاموس: «الحُبّ الوداد، كالحِباب، والحِبّ بكسرهما، والمَحَبَّة والحُبَاب بالضمّ». يعني: المحبّة الإلهيّة منه تعالى له تعالى، قال تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [٥/ المائدة/ ٥٤] فإتيانه تعالى بهم: تجلّيه بصورهم، وظهور وجوده بهياكلهم المعهودة للحسّ والعقل؛ فإذا أتى بهم يحبّهم، فيشهدونه متجلّياً بهم، فيحبّونه بالمحبّة التي أحبّهم بها؛ فالمحبّة واحدة، والإتيان واحد، فهو قران في الجمع وفرقان في الفرق، والقِران فرقان. ويفترقان بالظهور والبطون، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [٥٧/ الحديد/ ٣]. وقوله (**فاسلم**): خطاب للسالك في طريق الله تعالى، وأمره بتحصيل السلامة له من مهالك الطريق، وهو قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

---

(١) بدأ ترتيب ورود القصائدفي (ق) يختلف عن مخطوطنا؛ فالقصيدة التالية لـ "خفّف السير" عند (ق) هي "شربنا على ذكر الحبيب"، تليها قصيدة "ما بين معترك الأحداق والمهج"، ثمّ "احفظ فؤادك" ثمّ "ته دلالاً"، ثمّ "أدر ذكر من أهوى"، ثمّ "قلبي يحدثني"، ثمّ "هو الحبّ".

ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [٢/ البقرة/ ١٠٨] والسِّلْم بالكسر، خلاف الحرب، وهو الموافقة لأمر الله تعالى من غير مخالفة، وهو السلامة. وخطوات الشيطان: ما يخطو بالإنسان بالتدريج من وقفة عن التسليم إلى وقفة حتّى يوصله إلى محاربة الله تعالى بمخالفة أمره فيهلكهه. وقوله (بالحشا): أي بالقلب، لأنّه موضع نظر الربّ من عبده، كما قال عليه السلام: «إنّ الله لا ينظر إلى صوركم وأعمالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم»[1] فإذا أسلم العبد بقلبه من المهالك سلم في الدنيا والآخرة من كلّ ما يؤذيه مما هنالك. وفيه تنبيه للعبد أنّه يديم المراقبة لقلبه موضع نفخ الروح الأمري، فيشهد حركة النفس التي هي كلمح بالبصر، ويعرف التجلّي الربّاني في التجديد الإنسانيّ، فلعلّه يلمح سرّا من أسرار قوله تعالى:﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [٧/ الأعراف/ ١٤٣] وقوله (ما الهوى): أي الميل النفسانيّ، بالاشتهاء الحيوانيّ إلى هذا العَرَض الفاني. وقوله (سهل): أي هيِّن لا خطر فيه؛ بل فيه الخطر العظيم، والهول الجسيم، والهوان اللازم، والذلّ الملازم، كما قال القائل:

نـون الهـوان مـن الهـوى مـسروقة فـصريع كـلّ هـوى صريـع هـوان

وفي الحديث: وإنّما كان كذلك لأنّ كلّ شيء هالك، ومحبّ الشيء الهالك شيء هالك، قال «حبّك الشيء يعمي ويصمّ»[2]؛ تعالى:﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [٢٨/ القصص/ ٨٨] أي: وجه الحقّ تعالى، أو وجه ذلك الشيء، وهو وجه الحقّ تعالى، قال تعالى:﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [٢/ البقرة/ ١١٥] فأين اسم المكان، وتولوا فعل الإنسان، وثَمَّ بالفتح: اسم إشارة إلى المكان، وهي كلّها الأشياء الهالكة إلّا الوجه الإلهيّ، وهو الذات الحقّ، لا غيره في الوجود، والباقي في تقديره وتصويره، والوجود ظاهر به، باطن عنه، وهو الحبّ الشريف، ولا تمثيل ولا تكييف. وقوله

(١) انظر تخريجه ص٣٩٦.

(٢) انظر تخريجه ص٧٠٩.

(وما اختاره): أي الهوى، بمعنى قَصَدَه وأراده. وقوله (مُضْنىً): من ضَنِيَ كرَضِيَ، ضَنَىً وضَنِيّ كحَرِيّ وَحَرٍ: مَرِض مَرَضاً مُخَامِراً، كلّما ظَنَّ بُرْؤُه نُكِسَ، وأضْناه المر ض، كذا في القاموس. فهو مُضْنَى بصيغة اسم المفعول. وقوله (به): أي بالهوى، يعني فيه. وقوله (وله): أي لذلك المضنى، والواو للحال، والجملة حال من مضنى بعد وصفه بالظرف أي: مضنى استقرّ به الهوى. وقوله (عَقْل): لأنّ العقل يحفظ صاحبه من لحوق الأذى والضرر باختياره/ [٣٢٩/ أ] فإذا أضرّ نفسه وأذاها بالهوى فلا عقل له، لغلبة الهوى عليه. واستيلائه بالتوجّه إليه.

٢- وَعِشْ خَالِياً فَالحُبُّ رَاحَتُهُ عَنَاً فَأَوَّلُهُ سُقْمٌ وَآخِرُهُ قَتْلُ

(وعِشْ): فعل أمر من العيش، وهو الحياة، وقد عاش الرجل مَعَاشاً ومَعِيشاً، وكلّ واحد منهما يصلح أنْ يكون مصدراً، وأنْ يكون اسماً، كذا في الصحاح. وقوله (خالياً): حال من فاعل عِشْ. والخالي: الفارغ من الهوى كالخَلِيِّ من خَلَا المكانُ خلْواً وخَلَاءٍ وأخْلَى واسْتَخْلى: فَرَغ، وكان خَلَاء، ما فيه أحد، كذا في القاموس. (فالحبّ): أي المحبّة والعشق. وقوله (راحته): أي الراحة التي يجدها المحبّ العاشق إنْ وجد راحته، وهيهات هيهات. وقوله (عَناً): بفتح العين المهملة وتخفيف النون، هو التعب، قال في القاموس: «عَنَى عَنَاءً وتَعَنَّى: نَصِبَ. والعَنْيَةُ بالفتح: العَنَاء، قال الشاعر:

حامل الهوى تعب يستفزّه الطرب
إنْ بكى يحقّ له ليس ما به لعب
تضحكين لاهية والمحبّ ينتحب
تعجبين من سقمي صحّتي هي العجب

وقوله (فأوّله): أي أوّل ما يبدو في قلب الإنسان. وقوله (سُقم): بضمّ السين المهملة وسكون القاف، أي: مرض، أي: يبدو السقم في جسمه، قال في القاموس: «السَقَام كسَحَاب وجَبَل وقُفْل: المرض. سَقِمَ كفَرِحَ وكَرُمَ، فهو

سَقِيم». وقوله (وآخره): أي آخر أمره ومنتهاه. وقوله (قَتْلُ) مصدر قَتَلَهُ قَتْلاً وتَقْتَالاً: أماتَه، كما في القاموس. قال الشاعر:

الحبّ أوّل ما يكون لجاجة ... تأتي به وتسوقه الأقدار

حتّى إذا اقتحم الفتى لجج الهوى ... جاءت أمور لا تطاق كبار

٣- ولكِنْ لَدَيّ المَوْتُ فِيْهِ صَبَابَةً ... حَيَاةٌ لِمَنْ أَهْوَى عَلَيَّ بِهِ الفَضْلُ

(ولكن): حرف استدراك لمّا سبق قبله من المعنى، وكأنّه جواب عن سؤال مقدّر، تقديره: أنت قلت بأنّ الحبّ والعشق أمر عظيم هائل، وحذّرت منه غيرك، وأمرته أن يعيش خالياً منه، وأخبرت أنّه لا يختاره لنفسه إلّا المجنون الذي لا عقل له. وقلت: إنّ أوّله سقم، وإنّ آخره قتل. فما بالك أنت اخترته، واتّصفت به؟!. فأجاب بما ذكره. وكأنه قال: إنّ الحبّ والعشق الذي عندي، وأنا اخترته ليس كحبّ غيري وعشقه وإنْ كان الحبّ والعشق واحداً لا يختلف في نفسه؛ وإنّما اختلافه مدحاً وذمّاً من حيث مُتَعَلِّقُهُ. وقوله **(لديّ)**: بتشديد الياء التحتيّة، أي: عندي وفي نظري لنفسي، واختياري ذلك لها. وقوله **(الموت فيه)**: أي في الحبّ والعشق بالقتل منه. وقوله **(صبابة)**: تمييز، أي: من جهة الصبابة، وهي الشوق، أو رقّته، أو رقّة الهوى: صَبِبْتُ، كقَنِعْت، تَصَبُّ، فأنت صَبٌّ، وهي صَبَّة، كذا في القاموس. وقوله **(حياة)**: خبر الموت، وذلك لأنّ الميت خارج عن دعواه حولُه وقوّته؛ فإذا خرج عن دعواه ذلك ظهر له أنّ حولَه وقوته لربّه، لا له؛ فمات الموت الاختياري قبل الموت الاضطراري، قال تعالى: ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [٢/ البقرة/ ١٦٥] وهي القوّة المطلقة الحقيقيّة غير القوّة المقيّدة العرضيّة السارية في البدن الإنسانيّ في ظاهره وباطنه، وفي كلّ شيء، وإلى تلك القوّة الحقيقيّة أشار العارف عفيف الدين التلمسانيّ قدّس سرّه بقوله من أبيات:

ولولا انخرام الكلّ بالقوّة التي	لإطلاقها في جمعهنّ قيود
لما عدم الموجود يوماً ولا انقضت	رسوم بأنواع البِلى وحدود
ولكنّها يأبى النهاية وصفها	فليس لها في الدور قسط جمود
ولو وقفت يوماً بحدٍ لنا لها	به عدم هيهات وهي وجود

/ [٣٢٩/ ب] فيظهر للميت حينئذ أنّ موته حياة له؛ لانكشاف الحياة الحقيقيّة له، القديمة الأزليّة، قال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [٣٣/ الأحزاب/ ٢٢] وهو تحقّقهم في نفوسهم بعهد الربوبيّة: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٧٢] ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ [٣٣/ الأحزاب/ ٢٢] أي: مات الموت الاختياري. ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ - الموت الاضطراري - ﴿وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [٣٣/ الأحزاب/ ٢٢] أي: ما اتّصفت أنفسهم بدعاوى الحول والقوّة لمن أهوى عليّ، بتشديد الياء التحتيّة. وقوله (به الفضل): أي للذي أهواه وأحبّه الفضل عليَّ بالموت المذكور؛ لأنّه حقّقني به في نفسي فعرفتها؛ فعرفت ربِّي، وقد ورد: «من عَرَف نفسه فقد عرف ربّه»؛ فغاية محبّة غيره وعشقه الوصول إلى صورة محبوبه، والتمتّع بتلك الصورة الفانية، الزائلة، المضمحلّة، أو إدراكه الموت الاضطراري من غير معرفة بنفسه، ولا بربّه؛ فيموت أعمى كما عاش أعمى. قال تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِى هَـٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ ويحشر أعمى لأنّه أتته آيات الله فنسيها، كما قال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [٢٠/ طه/ ١٢٤-١٢٦] وآيات الله تعالى هي اختلاف الصور والألوان كما قال سبحانه: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾ [٣٠/ الروم/ ٢٢] بل جميع ما في الدنيا آيات الله تعالى. وأمّا حبّ الناظم وعشقه فقد أوصله إلى الموت الاختياري، ومعرفة نفسه وربّه، وحقّقه بمقامات قربه.

٤- نَصَحْتُكَ عِلْمَاً بِالْـهوَى وَالذِي أَرَى   مُـخَالفَتِي فَـاخْتَرْ لِنَفْسِكَ مَا يـَحْلُو

(نصحتك): أي بذلت لك النصيحة فيما ذكرته لك، قال في القاموس: «نَصَحَه و ـ له: كمَنَعَه نُصْحَاً ونصَاحَةً ونَصَاحِيَةً، والاسم النصيحة، ونَصَحَ: خَلَصَ». والخطاب للسالك. وقوله (علماً): أي عالماً علماً، حال من التاء في نصحتك. وقوله (بالهوى): متعلِّق بـ(علماً). والمعنى: إنّه على علم كامل بالهوى، ما هو جاهل به، لأنّه كان جاهلاً فصار عالماً، وغيره لم يكن عالماً فصار جاهلاً؛ فإنّ العلم الذوقي ليس كالعلم الخيالي. وقوله (والذي أرى): أي أعتقد، قال في القاموس: «الرأي الاعتقاد». قوله (مخالفتي): أي مخالفة قولي لك (فاسلم بالحشا... إلى آخره). وقولي (عش خالياً) يعني: الرأي عندي والاعتقاد أنْ تخالفني فيما نصحتك به من ترك الهوى؛ فإنّ الهوى سمّ ودرياق فمن أحبّ وعشق طالباً للوصول إلى الصور الفانية، فهو عليه سمّ. ومن أحب وعشق طالباً للوصول إلى المصوّر الباقي، فهو له درياق من سمّ الأغيار. والصور كلّها أعراض قائمة بالقيوم الحقّ الذي هو المصور لها سواء كانت تلك من صور بني آدم ذكوراً أو إناثاً. أو صور غير بني آدم من الحيوانات، أو النباتات، أو الجمادات، أو صور الأموال، أو العقارات، أو العلوم، أو الإدراكات، أو المعاصي، أو الطاعات؛ فإنّها كلّها محبوبات للنفوس البشريّة، فإمّا أنْ يقصد محبّها وعاشقها صوّرها، التمتّع بها، وهو الحبّ الحيوان، أو يريد مصوّرها القديم الظاهر بها، وهو الحبّ الشريف الربّانيّ كما قلنا من أبيات لنا مطلعها:

لـيس طيـب الحيـاة غـيره فاتـك   والهـوى فـاتن النفـوس وفاتـك

يـا محبّـاً أحـبّ ثـوب حبيـب   أعـط ذات الحبيـب بعـض التفاتـك

ولـمّا كان الهوى يطيب ويخبث على حسب المهوي به، وهو قنطرة يمر عليها السعداء والأشقياء، نصح فيه ورجع عن نصحه يستكمله ويستوفيه، ثمّ قال (فاختر لنفسك ما يحلو): أي الأمر الذي يحلو لك، فاختره لنفسك، فإن اخترت

الهوى فاحترز/ [٣٣٠/ أ] من قبائحه، وتجنّب عن فضائحه، وإنْ أعرضت عنه فارض أنْ تكون مع الخوالف، لا تخض التالف.

٥- فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَحْيَا سَعِيداً فَمُتْ بِهِ شَهِيداً وَإِلّا فالْغرامُ لَهُ أَهْلُ

٦- وَمَنْ لَمْ يَمُتْ فِي حُبِّهِ لَمْ يعِشْ بِهِ وَدُون اجْتِنَاءِ النحلِ مَا جَنَتِ النَّحْلُ

(**فإن شئت**): أي اخترت. وقوله (**أنْ تحيا سعيداً**): أي تكون حيّاً بالحياة الأبديّة الأزليّة حال كونك سعيداً، أي: صاحب سعادة كاملة، وفضيلة شاملة. وقوله (**فمت**): فعل أمر من الموت، خلاف الحياة. وقوله (**به**): أي فيه، بدليل ما يأتي في البيت بعده من قوله (**ومَنْ لم يمت في حبّه**). وقوله (**شهيداً**): أي مشاهداً، من الشهادة، وهي المعاينة للأمر على ما هو عليه، حال من فاعل مُتْ، والحال قيد في الكلام، أي: لا تمت إلّا وأنت شهيد مشاهد لأمر الحقّ تعالى، وهو مقام الإسلام التّامّ، وصاحبه صاحب ذوق وإحساس، لا تخيّل ووسواس، كما قال تعالى في حكاية وصيّة إبراهيم لبنيه عليهم السلام: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [٢/ البقرة/ ١٣٢] وقوله (**وإلّا فالغرام**): أي الحبّ والعشق. وقوله (**له**): أي للغرام (**أهل**): يخلصون فيه، ويتّقون ربّهم في معاناته ظاهراً وباطناً حتّى يتوصّلوا به إلى مطلوبهم، ويقعوا على معرفة محبوبهم، بخلاف غيرهم ممن ليس بأهل الغرام والثبات؛ فإنّهم يتوصّلون إلى إفساد ذلك الحبّ بالتمتع بالفانيات من فساد النيّات، وخبث الطويات. وقوله (**ومن لم يمت في حبّه**): أي الموت الاختياري بوجدان حوله وقوته لربّه، لا لنفسه ووجدان وجدانه، كذلك ذوقاً وإحساساً. قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [٣٤/ سبأ/ ٢٣]. وقوله (**لم يعش به**): أي بسبب حبّه ذلك العيشة الحقيقيّة الباقية كما قدّمناه؛ وإنّما يعيش بغيره من قوى روحانيّته العرضيّة الفانية. وهي الحياة الدنيا التي قال تعالى فيها: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ﴾ [٥٧/ الحديد/ ٢٠] الآية.

وقوله (ودون): يقال دون النهر جماعة، أي: قبل أن تصل إليه، كذا في القاموس. وقوله (**اجتناء**): أي أخذ العسل من النحل، قال في القاموس: الجَنى: العسل. واجتنينا ماء مطر: وردناه فشربناه. وقوله (**النحل**): وهو ذباب العسل للذكر والأنثى، واحدته بهاء، كما في القاموس. وفيه تلميح بقوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾ [١٦/ النحل/ ٦٨] إلى نفوس أهل المعرفة من الأولياء المحقِّقين أولي الذوق والوجدان واليقين الطائرين في فضاء الملكوت الأعلى: ﴿أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ من الرسوخ الجسماني والثبات العرفاني ﴿وَمِنَ ٱلشَّجَرِ﴾ من العالم الروحانيّ النابت بالتجدد في مقام الأمر الربّانيّ: ﴿ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ [١٦/ النحل/ ٦٨] من الأعمال الصالحة، والحركات الظاهرة والباطنة: ﴿ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ سائر المخلوقات. ﴿ فَٱسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ﴾ أي: طرقه الموصلة إليه: ﴿ ذُلُلًا ﴾ [١٦/ النحل/ ٩٦] أي: سهلة، مذلّلة، مهيّأة للسالكين إلى آخر الآية؛ فإنّ الأولياء المذكورين هم المشار إليهم بالبخل في كلام الله تعالى، وكلام الناظم يعني: من دون اجتناء واقتطاف عسل علومهم ومعارفهم الإلهيّة، والوصول إلى مقاماتهم. وقوله (**ما جنت**): من جنى الذنب عليه يجنيه جناية جرّه إليه، أي: الذي جنته وجرّته إليه من الجنايات والبلايا والمحن. وقوله (**النحل**): بلام العهد الذِّكْري، أي: النحل الأولى؛ فإنّ المعرفة إذا أعيدت معرفة كانت عين الأولى، ووضع المظهر موضع المضمر تعظيماً لشأنهم وتفخيماً لهم. وكون النحل تجني على من أراد اجتناء عسلها، أي: تكون سبباً لوقوع السالكين في المحن الإلهيّة، والفتن الربّانيّة التي يُبتلى بها المريد في طريق الله تعالى، فإنّهم الأئمّة المرشدون، والورثة المحمّديون، كما ورد من قول ورقة بن نوفل للنبي/[٣٣٠/ ب] صلّى الله عليه وسلّم لمّا قال له: «ليتني أكون جذعاً لمّا يخرجك قومك. فقال عليه السلام: أَوَ مُخرجيّ هم. فقال له: ما جاء أحد بمثل ما جئت به إلّا أُخرج وطُرِد وعُودي». وإنّما كان الأمر كذلك لأنّ المعرفة الإلهيّة الذوقيّة الوجدانيّة أعلى من المعرفة الخياليّة العقليّة؛ فإنّ العقل يكشف عن

صورة الشيء في الخيال والأذهان. ونور البصيرة يكشف عن حقيقة الشيء في العيان فتختلف الأصول فيختلف الوصول، والعسل أحد أنهار الجنّة الأربعة. وهي علوم الفتح الربّاني، والإلهام الصمدانيّ. وهي علوم الصالحين من الأولياء والمقرّبين. كما أنّ علوم الرسوم والأفكار توجب السكر بالحياة الدنيا، وهي نهر الخمر أحد أنهار الجنّة قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾ [٢/ البقرة/ ٢١٩] إلى أن قال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٢٠] أي: في الخمر، وهو الدنيا والآخرة وهي الميسر، أي: القمار؛ لأنّه لهوٌ يقمر فيه الناس حسنات بعضهم بعضاً، والسكارى بخمر الدنيا يوافقون الصحاة فيما هم فيه. وكيف الصحاة الشاربون من عسل العرفان يوافقون السكارى بخمر الأكوان، وبالله المستعان. وفي هذا المصراع الأخير المثل المشهور الذي ليس له نظير.

٧- تَمَسّكْ بِأَذْيَالِ الهَوَى وَاخْلَعِ الحَيَا   وَخَلِّ سَبِيْلَ النَاسِكِيْنَ وَإِنْ جَلُّوْا

٨- وَقُلْ لِقَتِيلِ الحُبِّ وَفَّيْتَ حَقَّهُ   وَلِلْمُدَّعِي هَيْهَاتِ ما الكَحَلُ الكُحْلُ

(**تمسّك**): بتشديد السين المهملة: فعل أمر. وقوله (**بأذيال الهوى**): جمع ذيل، قال في القاموس: الذيل آخر كلّ شيء، ومن الإزار، والثوب: ما جُرّ. وجمعه أَذْيال وذُيُول وأَذْيُل». وقوله (**الهوى**): أي: الحبّ والعشق. يعني: إذا لم يبقَ في قدرتك إلا تحصيل آخر أطرافه فاقبض عليه، وتعلّق به، ولا يفوتك؛ فإنّ فيه نجاتك بالإخلاص فيه والتقوى، أو هلاكك بعدم ذلك. وقوله (**واخلع الحيا**): أي الاستحياء. واخلع: فعل أمر من قولك: خَلَعَ ثوبه ونعله خَلْعاً: إذا نَزَعَهما. وفيه تشبيه الحياء بالثوب، قال في القاموس: «الحياء الحشمة، حيِيَ منه حَيَاءً واسْتَحْيَا منه واسْتَحَى منه واسْتَحَاه». وإنّما أمره بخلع ثوب الاستحياء لكمال قيامه بالإخلاص والتقوى في ظاهره وباطنه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ

مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾ [٢/ البقرة/ ٢٦] إلى آخر الآية. وكذلك العارف المحقّق لا يستحيي من الحقّ؛ لأنّه على الحقّ في ظاهره وباطنه، قال صلّى الله عليه وسلّم: «إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت»[1] وهو من جوامع الكلِم التي أوتيها صلّى الله عليه وسلّم؛ فإنّ الحياء من الحقّ نفاق في الدين، وعدول عن سبيل المتّقين، قال تعالى في آية الحجاب: ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ﴾ [٣٣/ الأحزاب / ٥٣] وقوله (وخلِّ): بتشديد اللام مكسورة، فعل أمر، أي: اترك ودع عنك. وقوله (سبيل): أي طريق وعادة. وقوله (الناسكين): جمع ناسك، من النُّسْك، مثلّثة، وبضمّتين: العبادة، وكلُّ حقّ لله تعالى. وقد نَسَكَ، كنَصَر وكَرُم. كذا في القاموس. يعني: العابدين الزاهدين من أهل الغفلة والحجاب، المتوجِّهين بعُلُوُّ هممهم إلى عبادة الله تعالى وطاعته، المشتغلين بذلك عنه تعالى، وعن التوجّه إلى معرفته، ومعاني تجلّياته. فتراهم منهمكين في خدمة أمره ونهيه، سبحانه، على الغيبة والحجاب عن شهوده، ولا همّة لهم في معرفة ظهوره وتجلّيه، وقربه منهم وتدلّيه، ولا يطلبون ذلك، ولا يرغبون فيه؛ وإنّما رغبتهم في طاعته وعبادته فقط، وقوله (وإنْ جَلُّوا)/ [٣٣١/ أ] بتشديد اللام، أي: عظموا في عيون عوام المسلمين، ولهم الهيبة في نفوسهم، وكمال الاحترام لرؤيتهم منهم أنواع الطاعات والعبادات في الليالي والأيام، من الصلاة، والصيام، والتهجّد، والقيام مع التجنّب عن جميع الآثام؛ ولهذا ورد عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنّه لمّا أكثر من التجهد والقيام حتّى تورّمت منه الأقدام أنزل الله تعالى عليه: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٣ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۝٤ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [٢٠/ طه/ ١-٥].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند، باب: بقيّة حديث أبي مسعود البدريّ الأنصاري رضي الله عنه، ١٧١٣٩. كما أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب: الأدب، باب: إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت، ٥٧٦٩.

يعني: إنّ حكمة نزول القرآن عليك لتذكّر بآياته، وتوصل المؤمنين إلى المعرفة الإلهية بإشاراته فيتوصّلون إلى الخشية، وهي الإجلال والإحترام، قال تعالى:﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [/ فاطر/ ٢٨] أي العلماء به تعالى، وبمعرفته، فيعرفون من خلق الأرض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى فيطّلعون على ذلك كشفاً وشهوداً، لا أنزلْنا عليك لتجهد في عبادتنا وتتفرغ إلى طاعتنا، وتشقى بكثرة الكدّ والجدّ في ذلك.

وقوله (**قل**): يا أيّها السالك. وقوله (**لقتيل**): أي مقتول. وقوله (**الحُبّ**): أي المحبّة والعشق، أي: الذي قتله عشقه الربّانيّ، وكلّ عشق كذلك إنْ كشف صاحبه عنه، وتحقّق به، ولم يحتجب بالفاني عن الباقي، وقتل المحبّة الإلهيّة الكشف عن نفسه ومعرفته بها واطّلاعه على حولها وقوّتها بحيث لم يبقَ فيه لنفسه حركة أصلاً في باطنه وظاهره، وهو الموت الإختياري، كما قدّمناه وإنْ بقي بأحواله كلّها في ظاهره على ما هو عليه في حياته الدنيويّة فإنّه يتبدّل عند نفس باختياره، فيظهر فيه له أمر ربّه، فيصير المستولي عليه في ظاهره وباطنه ربّه تعالى لا غيره؛ وهي أحوال الموتى، قال تعالى للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [٣٢/ الزمر/ ٣٠] وقال سبحانه وتعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ «أي مات» ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [٣٣/ الأحزاب/ ٢٣] أي: خلقتهم التي هم عليها؛ فإنّهم ميّتون وإن تحرّكوا في ظواهرهم وبواطنهم بتحريك ربّهم، لا بتحريك أنفسهم عندهم. وإنْ اختاروا الحركة فإنّ اختيارهم باختيار ربّهم لهم أنْ يختاروا فيختاروا، فربّهم ظاهر لهم بهم فيهم على ما ذكرنا، حتّى إنّ الحقّ تعالى هو سمعهم الذي يسمعون به وبصرهم الذي يبصرون به إلى غير ذلك من حواسّهم، كما ورد في حديث المتقرّب بالنوافل.

وقوله (**وفّيْتَ**): بتشديد الفاء، يقال: وفّى فلاناً حقَّه: أعطاه، وافياً كوَفّاه، ووافاه فاستوفاه، كذا في القاموس. وقوله (**حَقَّهُ**): أي حقّ الحبّ والعشق، أي: ما

يستحقّه من الحقوق، ووصل إلى منتهياه، والذي يقتضيه من نتيجته وفائدته النافعة في الدنيا والآخرة؛ وهي ظهور أمر الله تعالى في ظاهر العبد وباطنه، وانكشاف التصرّف الربّانيّ بالعبد الفاني. وقوله (**وللمُدَّعِي**): معطوف على قتيل الحبّ، والمدّعي هو العبد الذي يدّعي أنّه عرف نفسه، وعرف أنّه متحقِّق باستيلاء ربّه عليه في ظاهره وباطنه بمجرّد تخيّل نفسه بذلك، ومجرّد تعقّله لما هنالك، وتصديقه به؛ فهو من غير إحساس بذاك، ولا إدراك؛ وإنّما إحساسه بنفسه أنّها المتحرِّكة ظاهراً أو باطناً فهو مؤمن مصدّق لا صاحب معرفة ذوقيّة وجدانيّة؛ فهو يعبد ربّه تعالى، وهو غائب عنه، ولم يحضر عنده إلّا نفسه على الوهم والتخيل. ومع ذلك هو يدّعي لنفسه بنفسه مقامات العارفين، وأحوال الواصلين. وتقدير الكلام: وقل للمدّعي. وقوله (**هيهات**): اسم فعل، بمعنى بَعُد، أي: الذي أنت فيه من الأحوال النفسانيّة بعيدة جدّاً عن الأحوال الوجدانيّة، والأمور الذوقيّة التي تدّعيها بالكذب والبهتان/ [٣٣١/ ب] وإنّما أنت مؤمن بالغيب، بعيد عن مقام الإحسان الذي قال فيه النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «أنْ تعبد الله كأنّك تراه، فإنْ لم تكن تراه فإنّه يراك»(١).

وقوله (**ما الكَحَلُ**): بفتح الكاف، وفتح الحاء لمهمة، وهو كما قال في القاموس: «الكَحَل، محرّكة: أنْ يعلوَ منَابِت الأشفار سواد خِلْقَة، أو تَسوَدُّ مَواضِعُ الكَحْل. كَحِلَ، كفرح؛ فهو أكْحَل. والكَحْلاء: الشديدة سواد العين، أو التي كأنّها مَكْحُولة وإنْ لم تَكْحَل». وقوله (**الكُحْل**): بضمّ الكاف وسكون الحاء المهملة، هو الإثْمِد، كالكِحَال، ككتاب، وكلّ ما وُضِع في العين لتشفى به، وهذا مثل أصله: «ليس التكحّل في العينين كالحكل»، قال المتنبّي:

لأنّ حلمك حلم لا تكلّفه ... ليس التكحّل في العينين كالكحل

(١) انظر تخريجه ص١٠٧٧.

والمعنى: ليس الكُحْل الأسود الموضوع في العين مثل الكَحَل، بالتحريك السواد الخلقي الذي جعله الله تعالى في العين. وكذلك ليس ذوق المعرفة الإلهيّة، ووجدان المعارف الربّانيّة، والإحساس بالأمر الحقّ الذي قام به كلّ شيء الكشف والشهود مثل فهم ذلك بالعقل، وتخيله بالقوّة الخياليّة، وهو غائب عنه، فيدّعيه زوراً وبهتاناً وظناً وحسباناً.

٩ - تَعَرَّضَ قَوْمٌ لِلْغَرَامِ فَأَعْرَضُوا بِجَانِبِهِمْ عَنْ صِحَّتِي فِيهِ وَاعْتَلُّوا

١٠ - رَضُوا بِالأَمَانِي وَابْتُلُوا بِحُظُوظِهِمْ وَخَاضُوا بِحَارَ الْحُبِّ دَعْوَى فَمَا ابْتُلُّوا

١١ - فَهُمْ فِي السُّرى لَمْ يَبْرَحُوا مِنْ مَكَانِهِمْ وَمَا ظَعَنُوا فِي السَّيْرِ عَنْهُ وَقَدْ كَلُّوا

١٢ - وَعَنْ مَذْهَبِي لَمَّا اسْتَحَبُّوا العَمَى عَلَى الْـ هُدَى حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ ضَلُّوا

(**تعَرَّضَ**): بتشديد الراء، فعل ماض من قولك: تعرّضت لفلان، أي: تصدّيت له، ويقال: تعرّضت أسألهم، كذا في الصحاح. وقوله (**قوم**): فاعل تعرّض، والقوم: الجماعة من الرجال والنساء معاً. أو الرجال خاصّة، أو يدخله النساء على تَبَعِيَّة، ويؤنَّث، وجمعه: أقوام، وجمع جمعه: أقاوم وأقاويم وأقائم، كما في لقاموس. ونكَّرَهم لتنكير أحوالهم عليهم، وتحقيراً لهم لكذبهم وافترائهم. وقوله (**للغرام**): أي للمحبّة والعشق الإلهيّ. واللام للعهد، أو للجنس. وقوله (**فأَعرَضوا**): الفاء للترتيب والتعقيب والفور. وأعرضوا من الإعراض عن الشيء، وهو الصدّ عنه ويقال: أَعْرَضَ فلان، أي: ذهب عرضاً وطولاً، كذا في الصحاح. وقوله (**بجانبهم**): متعلق بأعرضوا، والجانب: شقّ الإنسان، قال في القاموس: «الجَنْب والجَانِب والجَنَبَة، مُحَرَّكة: شِقُّ الإنسان وغيره، والجمع: جُنُوب وجَوَانِب وجَنَائِب». أفرد الجانب لقصد الجنس، أو لأنّ إعراضهم كلّهم سواء فكأنّهم أعرضوا بجنب واحد. وقوله (**عن صحّتي**): أي موافقتي للحقّ والصواب. وقوله (**فيه**): أي الغرام. والصُّحّ بالضمّ، والصِّحَة بالكسر، والصَّحاح بالفتح: ذهاب المرض، والبَراءة من كلّ عيب. صَحَّ يصِحُّ، وهو صَحِيح وصَحاح، كذا

في القاموس. يعني: إنّ هؤلاء القوم المذكورين تصدّوا لدعوى المحبّة والعشق الربّانيّ، معرضين عن منهج الصواب وطريق الاستقامة، متصدّين لمجرّد الدعاوى الكاذبة، لبست عليهم أنفسهم أنّهم عرفوا الله تعالى، المعرفة الذوقيّة فأحبّوه سبحانه، ولا يحبّه تعالى إلّا عارفه المعرفة الذوقيّة. وسبب ذلك ما سبق في الأبيات قبله أنَّ سبب المعرفة الذوقيّة الفناء والاضمحلال بالكلّيّة في الوجود الحقّ، وجود الحضرة الإلهيّة. وسبب الفناء المذكور الموت الاختياري؛ فمن لم يمت، ومن لم يفنَ لم يعرف الوجود الحقّ، سبحانه وتعالى، المعرفة الذوقيّة. ومن لم يعرفه تعالى المعرفة الذوقيّة لم يحبّه تعالى؛ فمحبّته بالفناء في وجوده الحقّ سبحانه. وهؤلاء لم يموتوا الموت الاختياري، فلم يفنوا عن دعاوى وجودهم في وجود ربّهم الحقّ؛ فلم يعرفوه تعالى المعرفة الذوقيّة؛ فلم يحبّوه، وقد ادّعوا محبّته كذباً وبهتاناً /[٣٣٢/أ] وذلك أنّهم قنعوا بتخيّلات عقولهم، وتصويرات أفكارهم، فتخيّلوا الموت بأفهامهم، وظنّوا أنّهم ماتوا، وفهموا معنى الفناء والاضمحلال؛ فظنوا أنّهم فنوا، واضمحلّوا. وتخيّلوا بعقولهم الوجود الحقّ، فظنّوا أنّهم وجدوا الوجود الحقّ، وهم إنّما وجدوا معنى عقليّاً خياليّاً تصوّروه في نفوسهم، والوجود الحقّ تعالى بعيد عن تصورات الأفهام وتخيّلات الأوهام. ثمّ أحبّوا ما وجدوا من المعنى العقلي، والتخيّل الفكريّ فظنّوا أنّهم أحبّوا ربّهم، وأنّ ربّهم أحبّهم، قال القائل:

هيهات أن تصطاد عنقاء البقا ... بلعابهن عناكب الأفكار

وقال الآخر:

إنّ الإله الذي يبدو بكم ولكم ... والله والله ما هذا هو الله

وقوله (واعتلوا): من العلّة بالكسر، وهي الغرض والحظّ النفسانيّ، أي: دخلوا في العلل النفسانيّة والأعراض الشهوانيّة. قال في القاموس: «تَعَلَّلَ بالأمر: تَشَاغَل، كاعْتَلَّ، وتَعَلَّلَ بالمرأة: تَلَهَّى، وعَلَّلَه بطعام وغيره تعليلاً: شَغَلَه به». وقوله (رَضُوا):

أي قنعوا، أو اطمأنت نفوسهم. وقوله (بالأماني): جمع أمنية، وهي ما يتمنّاه الإنسان، أي: يريد حصوله، قال في القاموس: «تمنّاه: أرادَه، ومَنَّاه تَمْنِيَة و- به، وهي المُنْيَة بالضمّ والكسر، والأُمْنِيَّة بالضمّ: وتَمَنَّى: كذب». ومن ذلك قول الشاعر:

نـأى والأمـاني الكاذبـات بـه دَنَـتْ بـديع جمـال مـن محاسـنه الحُـسن

والمعنى: إنّهم قنعوا من المعرفة الإلهيّة الذوقيّة بتمنّي نفوسهم لها، واطمأنّت قلوبهم على ما يجدونه عندهم من المُحالات، قال تعالى: ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [١٦/ النحل/ ١١٦]. وقال عليه الصلاة والسلام: «المُتشبّع بما ليس عنده كلابس ثوبي زور»[1]. وقال صلّى الله عليه وسلّم: «الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت. والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنّى على الله الأماني»[2].

وقوله (وابْتُلُوا): أي ابتلاهم الله تعالى. وقوله (بحظوظهم): جمع حَظّ، وهو النصيب والجَدّ، وجمع القلّة: أَحُظ، والكثرة حُظُوظ، وأَحَاظ على خير قياس، كأنّه جمع أُحُظ، قال الشاعر:

وليس الغنى والفقر من شيمة الفتى ولكـن أُحـاظ قُـسِّمت وجـدود

وقوله (فخاضوا): من خُضتُ الماءَ أَخُوضُه خَوْضاً وخِيَاضاً، والموضع مَخَاضَةً، وهو ما جاز للناس فيه مُشاة وركباناً. وخَاضَ القومُ في الحديث وتَخَاضُوا، أي: تفاوضوا فيه، كذا في الصحاح. وقوله (بحار): جمع بَحْر، مفعول خاضوا. وقوله (الحبّ): أي المحبّة والعشق الربّانيّ. وقوله (دعوى): أي خوضهم ذلك مجرّد دعوى نفسانيّة وزعم منهم أنَّ حالهم كذلك أخذاً من كتب أهل المعارف، وحفظاً من كلمات أولي التحقيق، وفهماً عقليّاً من إشارات أصحاب الكمال ممن تقدّمهم

---

(١) ذكره ابن فارس في مقاييس اللغة، وكذلك غيره من اللّغويّين، مادّة شبع بهذا اللفظ. وقد أخرج البخاريّ في صحيحه كتاب النكاح، باب: المتشبّع بما لم ينل وما ينهى من افتخار، ٥٢١٩، بلفظ: «المتشبّع بما لم يُعْطَ كلابس ثوبي زور».

(٢) أخرجه أحمد في مسنده باب: حديث شدّاد بن أوس ١٧٥٨٨، بلفظ العاجز بدل الأحمق.

أو عاصرهم، يتلقّفون الكلمة والكلمتين من كلام أهل الله تعالى، ثمّ يدّعون وجدانها، ويظنون أنّ فهمها وجدانها كمن ينظر إلى غيره وهو يأكل الحامض فيتلمّظ هو من الحموضة، متوهّماً أنّه ذائق لذلك، وليس في فمه شيء، وكذلك هم ليس عندهم شيء من ذلك؛ وإنّما يتخيّلونه بأفهام عقولهم وتخيّلات أفكارهم.

وقوله (فما ابْتُلُّوا): بتشديد اللام، أي: لم يصبهم البلل أصلاً من خوضهم تلك البحار التي خاضوها بمجرّد دعواهم خوضها بالدعوى القاليّة أو الحاليّة. وقوله (فهم): أي أولئك القوم. وقوله (في السُّرى): بضمّ السين المهملة، كالهُدَى سير عامة الليل، كما في القاموس. وهو السير في ليل عالم الأكوان إلى أنْ تقطعه/ [٣٣٢/ ب] فيظهر له أنّه نهار عالم الوجود الحقّ من مطلع الكشف والعيان. وقوله (لم يَبْرَحُوا): من البَراح، كسحاب، مصدر بَرِحَ مكانه كسمِع: زال عنه، كذا في القاموس. وقوله (من مكانهم): أي موضعهم الذي هم فيه. يعني: هم في سيرهم الذي ساروه، لم يذهبوا، ولم يزولوا عن حالهم الأوّل، وعادتهم، وطبعهم، وغفلتهم، وحجابهم عن ربّهم. وقوله: (وما ظَعَنُوا): بالظاء المعجمة، أي: ساروا. وظَعَنَ، كمَنَعَ، ظَعْناً، ويحرّك: سار. وأظْعَنَه: سَيَّرَهُ، كذا في القاموس. وقوله (في السير): أي سيّرهم من نفوسهم إلى ربِّهم الذي هو سيّر السالكين الصادقين في طريق معرفة الله تعالى، المعرفة الذوقيّة. وقوله (عنه): أي عن مكانهم الذي كانوا فيه واقفين، ومكانهم في سيرهم هذا هو نفوسهم الأمّارة بالسوء، أي: المدّعية للأمر الذي تجده فيها، وهو أمر الله تعالى المتلبس بها عليها، كما قال سبحانه: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْـرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ ـ يعني بذلك ـ ﴿إِلَّا قَلِيـلًا ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨٥]. وفي قوله (أُوتيتم): بالبناء للمفعول: إشارة إلى أنّ هذا العلم لا يؤتيه للعبد السالك إلّا الله تعالى، ولا يمكن أنْ يؤتيه له شيء غير الله تعالى. من تعلّم أو تفهّم، أو اجتهاد في طاعة، أو عبادة؛ وإنّما يلقيه تعالى في قلب العبد المستعدّ بالتقوى، والإخلاص، والعمل الصالح، كما قال

تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٨٢]

وقوله (**وقد كَلُّوا**): بفتح الكاف وتشديد اللام، أي: تعبوا ونصبوا، وهم في زعم السير، وليسوا بسائرين؛ وإنّما هم واقفون عند نفوسهم لم يفارقوها، والتعب كلّه والنصب حاصل لأجسامهم يكدُّونها بالرياضات الظاهرة والحركات المزعجة، وترك الأكل والشرب، والنوم، وشغلهم كلّه في أعمالهم الظاهرة، ونفوسهم على ما هي عليه من أحوالها القاهرة واستيلائها الشديد، وغلبتها الباهرة، قال الشاعر:

يا ساعياً في عمار الجسم مجتهداً ... أتطلب الربح فيما فيه خسران
أقبل على النفس فاستكمل فضائلها ... فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

وقال الآخر:

هذّب النفس بالعلوم لترقى ... وترى الكلّ فهي لكلّ بيت
إنّما النفس كالزجاجة والعلم ... سراج وحكمة الله زيت
فإذا أشرقت فإنّك حيّ ... وإذا أظلمت فإنّك ميت

وقوله (**وعن مذهبي**): متعلّق باستحبّوا. والمذهب: المُعتقَد الذي يذهب إليه، والطريقة، كذا في القاموس. يعني: عن مشربي ومقامي الذي أنا فيه، وهو الاشتغال بالتقوى في القلب موضع نظر الربّ تعالى، والانهماك في أعمال الباطن فقط. وأمّا الظاهر فإنّ التقوى فيه، والأعمال الصالحة المرضية تحصل بالتبعيّة، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [٢٢/ الحج/ ٣٢]. وقال صلّى الله عليه وسلّم: «التقوى ههنا، وأشار إلى قلبه»[1].

---

(١) قطعة من حديث، أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: البرّ والصلة، باب: تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره عند الكبر، ٦٧٠٦، بلفظ: «لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقِّره. التقوى ههنا، ويشير على صدره ثلاث مرات بحسب امرء من الشرّ أن يحقّر أخاه المسلم، كلّ المسلم على المسلم حرام دمه ماله وعرضه».

وقال البوصيري في همزيّة المديح النبويّ:

وإذا حلّت الهداية قلباً ... نشطت بالعبادة الأعضاء

فإنّ التقوى إذا كانت في النفس والقلب ظهرت في الجسد والأعضاء والجوارح. وأمّا إذا كانت التقوى في الأعضاء والجوارح فلا تتبعها النفس والقلب. وقوله (لمّا استحبّوا): أي أحبّوا، يقال: أحببته واستحببته. وقال في الصحاح: «والاستحباب كالاستحسان». وقوله (العمى): مصدر عَمِيَ كرَضِيَ عَمَىً: ذَهَبَ بصرُه كلّه. والعَمَى أيضاً: ذهاب بصر القلب، كما في القاموس. والمعنى هنا بالعمى زيادة الغفلة في النفس والقلب، وعدم التيقُّظ لأمر الله تعالى، والانهماك في عمل الجوارح بالقوى/ [٣٣٣/ أ] النفسانيّة مع الإعراض عن الله تعالى، وعدم الالتفات إلى تجلّياته وظهوراته في آثار قدرته بالكلّيّة. وقوله (على الهُدَى): بضمّ الهاء وفتح الدال المهملة: الرشاد، والدلالة، هَدَاه هُدًىَ وهَدْياً وهِدايةِ وهِدْيَةً، بكسرها: أرشده فَهَدَى واهْتَدَى، وهَدَاه الله الطريق، وله، وإليه، كذا في القاموس. وفيه اقتباس من قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [٤١/ فصّلت/ ١٧] وقوله (حسداً): تمييز، أو مفعول من أجله. والحسد أنْ تتمنّى زوال نعمة المحسود إليك، كذا في الصحاح. وقوله (من عند أنفسهم): يعني ما تبعوا فيه غيرهم، والحاسد يخالف المحسود، ويذم فعله، ويستقبح صنيعه لعلمه بعجزه عن تحصيله لصعوبته عليه قال القائل:

حسدوا لفتى إذْ لم ينالوا سعيه ... فالقوم أعداء له وخصوم

كضرائر الحسناء قلن لوجهها ... حسداً وبغياً إنّه لذميم

(وقد ضلّوا): من الضلال نقيض الهدى، لا شكّ أنّ من استحسن العمى عن الحقّ وأحبّه وترك الهدى والرشاد إليه، وارتكب الحسد، وتمنّى انتقال نعمة أنعمها الله تعالى على غيره إليه، بأنّه ضلّ عن سواء الطريق، واتّبع غير سبيل المؤمنين.

١٣- أَحِبَّةَ قَلْبِي وَالمَحَبَّةُ شَافِعِي[1] لَدَيْكُمْ إذا شِئْتُمْ بِها اتَّصلَ الحَبْلُ
١٤- عَسَى عَطْفَةٌ مِنْكُمْ عليَّ بِنَظْرَةٍ فَقَدْ تَعِبَتْ بَيْنِي وبَيْنكُمُ الرُّسْلُ

(أحبّة قلبي): منادى مضاف، والتقدير: يا أحبّة قلبي. والأحبّة جمع حبيب، وأضافهم إلى قلبه لصدقه في محبّتهم. وخطابه بالنداء للحضرات الإلهيّة؛ حضرات الأسماء والصفات بآثارها في عوالم الإمكان. وقوله (والمحبّة شافعي لديكم): أي عندكم. يعني: لا وسيلة لي إلى قربكم والوصول إلى لقائكم إلّا محبّتي لكم؛ فإنّ عملي لكم واعتقادي فيكم خدمة لأمركم، وعبوديّة لحكمكم. وعلى العبد خدمة مولاه، والتحقّق بالعبودية له. ولا يكون ذلك وسيلة له؛ لأنّه ليس بقدر زائد على حقيقة حاله، ومقتضى شأنّه، فما بقي عنده إلّا المحبّة؛ فهي الشافعة له في تحصيل القرب، ومعاملة المولى له بالزيادة على ما يعامل به العبيد من اختصاصه، بالتقريب إلى جنابه، ورفع شأنه بإتحافه بلذيذ خطابه، وكشف الستر بينه وبينه، وإزالة حجابه. وذلك لأنّ قدر العبيد القائمين بخدمة مولاهم أنْ يسكنهم دار الجنان، ويوليهم بسوابغ الإحسان، ويمتّعهم في جوار مولاهم بأنواع الحور والولدان. وهذا من المولى تعالى جزاء لهم على ما كان منهم في الدنيا من بذلهم الطاقة في خدمة أوامره ونواهيه، وصدق عبوديّتهم له، شكراً على كمال نعمه، وإتمام مساعيه. وهذا العبد المخصوص طالب بكمال الخلوص ما هو فوق الجزاء من القرب إلى مولاه، والتمتّع برؤياه ولقياه. ولا وسيلة له غير محبّته، وكمال تقرّبه إليه، ومودّته. وأيضاً فإنّ المحبّة القديمة من أوصافه تعالى لخلقه، كما ورد في الخبر الإلهيّ، قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [٥/ المائدة/ ٥٤] وفي الحديث لقدسيّ: «كنت كنزاً مخفيّاً لم أعرف؛ فأحببت أنْ أعرف فخلقت خلقاً تعرّفت إليهم، فبي عرفوني»[2]؛

---

(١) في (ق): شافعٌ.

(٢) انظر تخريجه ص٧٨٠.

فالمحبّة منه له، فهي أقرب شافع، وأكمل نافع. وقوله (إذا شئتم): أي أنّ ذلك موقوف على مشيئتكم؛ لأنَّ المحبّة في العبد كون حادث لا أثر له في اتّصال ولا انفصال؛ وإنّما التأثير لأصلها الثابت بحقيقة فرعها النابت. وقوله (بها): أي بتلك المحبّة، أي: بسببه. وقوله (اتّصل الحبل): والحبل الرباط. وجمعه: أَحْبُل [وأَحْبَال] وحِبَال وحُبُول. والعهد والذمّة، والأمان، والوصال، والتواصل، كذا في القاموس. قال/ [٣٣٣/ ب] تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [٣/آل عمران/١٠٣] وحبل الله هو القرآن. طرفه الأعلى بيد الله. وهو جهة كونه كلامه القديم الذي ليس بحرف ولا صوت. وطرفه الآخر النازل بأيدينا؛ وهو كوننا نقرؤه، ونفهم معناه ونؤمن به، ونعمل بمقتضاه؛ فمن تمسّك به، وسار على طريقة ما فيه وصل إلى الله تعالى. ومن تركه وعدل عن العمل بمقتضاه انقطع به، ولم يتّصل به الحبل. وقوله (عسى): فعل مُطْلقاً، أو حرف مُطْلقاً للترجِّي في المحبوب والإشفاق في المكروه، كذا في القاموس. وقوله (عَطْفَةٌ): بالرفع اسم عسى، لأنّها ترفع الاسم وتنصب الخبر. وقوله (منكم): متعلّق بفعل محذوف، تقديره: نكون منكم. والخطاب للحضرات الإلهيّة الظاهرة بالآثار الكونيّة. وقوله (عليّ) بتشديد الياء التحتيّة، صفة لعطفة، أي: كائنة عليّ. وقوله (بنظرة): صفة لعطفة، من باب ضرب: يقال عطف عليه بكذا. وفي المصباح: «عَطَفَتْ الناقة على ولدها عَطْفَاً، من باب ضرب: حنَتْ عليه ودَرّ لبنُها». والمعنى: أنّه يترجّى من أحبّته أنْ يحنوا عليه، ويعطفوا بنظرة منهم إليه من تجلّي الاسم الحَنّان المنّان. وهذه النظرة التي ترجّاها هي نظرة الاعتناء بشأنّه، والإصلاح لظاهره وباطنه؛ وهي نظرة الحقّ بالحقّ للحقّ، وتنكيرها للتعظيم. فإذا حصلت هذه النظرة للعبد السالك في الدنيا كفته إصلاحاً للظاهر والباطن، وتوفيقاً وعناية منه تعالى بالعبد؛ فهي خير له من عمله بنفسه. وعلامة حصول هذه النظرة للعبد انعزال نفس العبد عن تدبيره بالكلِّيّة؛ فتتبدل نفسه من استقلالها وانفرادها بالقلب المتقلّب من

أمر الله تعالى؛ فتصير نفسه قلباً ينقلب من باطن علم الحقّ تعالى إلى ظاهر عالم الأكوان كلمح البصر في كلّ آن.

وقوله (فقد تعبت بيني وبيكم الرسْل): جمع رسول، وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، المرسلون من الله تعالى إلى الخلق لإصلاح ظواهرهم وبواطنهم على طبق شريعة الله تعالى التي حكم بها على كلّ أمّة من الأمم، بحسب ما يناسبهم في الإصلاح، وانقلاب نفوسهم قلوباً متقلِّبة بأمر الله تعالى الذي هو كلمح بالبصر. والمعنى: إنّ النفوس الأمّارة بالسوء من الأمم أتعبت الرسل عليهم السلام في إصلاحها، وإيصال التوحيد إليها، حتّى أمرهم الله تعالى أنْ يقنعوا منهم بإصلاح ظواهرهم، والله سبحانه يتولّى بواطنهم فيمن أراده بتلك النظرة المذكورة؛ فتلك النظرة هي مقصود الكاملين؛ فتفنى نفوسهم عن عمل العاملين. ولقد سألتُ بعض من كنت أجتمع بهم من أهل الله تعالى أرباب الأذواق فقلت له: ما هذا الأمر؟ فحلّق بمسبحته وإبهامه، ونظر منها، وقال لي: الحقّ تعالى ينظر من قلبي هكذا، وأشار إلى هذه النظرة التي أوجبت له تبدّل نفسه قلباً بعد فنائه كلّه بالكليّة. فعلمت حسن حاله باستغراقه في مرتبة كماله.

١٥- أَحِبَّايَ أَنْتُمْ أَحْسَنَ الدَهْرُ أَمْ أَسَا فَكُونُوا كَمَا شِئْتُمْ أَنا ذَلِكَ الخِلُّ

١٦- إذا كَانَ حَظِّي الهَجْرُ مِنْكُمْ وَلَمْ يكُنْ بِعادٌ فَذَاكَ الهَجْرُ عِنْدِي هُوَ الوَصْلُ

(أَحِبَّايَ): منادى مضاف إلى ياء المتكلّم حذف منه حرف النداء تخفيفاً، وتقديره: يا أحبائي. وهم أحبّته المذكورين في البيت السابق. وقوله (أنتم): مبتدأ، خبره محذوف، تقديره: موجودون بتحقيق الوجود لكم من حيث ذاتكم الواحدة، المتعدّدة، المتكثرة، المختلفة بالصور والأشكال الكونيّة التي هي آثار صفاتكم وأسمائكم التي لا يبلغها إلّا الإحصاء، من قبيل قول القائل:

تكثّـــرتُ بالأســماء مَـــعْ أحــديتي لــتعلم أنِّي واحــد وكثـــير

ويجوز أنْ يكون أحبّاي مبتدأ، وأنتم خبره. يعني: أنتم أحبائي على كلّ حال، لا أتحوّل/ [٣٣٤/ أ] ولا أتبدّل، ولا أتغيّر عن محبّتكم أبداً في جميع مظاهركم التي تظهرون بها من حيث آثار أسمائكم الحسنى. وقوله **(أحسن الدهر أم أسا)**: أي سواء كان الدهر محسناً لي، أو مسيئاً. والدهر من جملة الأسماء الحسنى، كما قال صلّى الله عليه وسلّم: «لا تسبّوا الدهر فإنّ الله هو الدهر»[1] أخرجه الإمام أحمد عن أبي قتادة الحارث بن ربعي. وورد أيضاً أنَّ من أسمائه تعالى الأبد، كما ذكر الخوارزمي في كتابه «مقبول المنقول» في جملة أسماء الله تعالى الحسنى اسم الأبد. ثمّ شرح معناه في جملة شرح الأسماء فقال: «الأبد هو الدائم الذي لا آخر له، ولا منتهى؛ وإنّما أُطلق الأبد على الله تعالى لأنّه هو خالق الأبد، كما قال صلّى الله عليه وسلّم: «لا تسبّوا الدهر؛ فإنّ الله هو الدهر» لأنّه هو خالقه والفاعل فيه؛ وإنّما عدل الناظم عن صريح اسم الله تعالى أدباً مع الله تعالى أنْ تنسب الإساءة إليه سبحانه جرياً على عادة العرب في نسبة الأمور إلى أسبابها الظاهرة. وقوله **(فكونوا)**: أي ابقوا ودوموا. وقوله **(كما شئتم)**: أي على الوصف الذي أنتم فيه بمقتضى مشيئتكم القديمة الأزليّة، على وفق علمكم السابق القديم الكاشف عنّا وعن كلّ شيء أزلاً من غير ابتداء، ونحن وكلّ شيء إلى الأبد معدومون؛ لأنّه تعالى علام الغيوب، والغيوب جمع غيب، وهو ما غاب في عدمه مما كان، أو يكون، أو هو كائن. وقوله **(أنا ذلك الخِلّ)**: بكسر الخاء المعجمة؛ أي: الخليل، من الخَلّة بالفتح، وهي الصداقة. والضمّ لغة، ذكره في المصباح. وقال في الصحاح: الخِلّ: «الودود الصديق». واللام للحصر، أي: أنا ذلك المحبّ المعهود الذي لا محبّة كمحبّتي؛ لأنّ محبّته محبّة محمّديّة موروثة، موجبة للشكر في السراء، والصبر في الضرّاء وهي المحبّة الذاتيّة الظاهرة بالتجلّيات الباهرة.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند، باب: حديث أبي قتادة الأنصاري، ٢٣٢١٧.

ثمّ قال (**إذا كان حظِّي**): أي نصيبي وقسمتي. وقوله (**الهجرُ**) بالرفع: اسم كان مؤخر. وحظِّي خبرها مقدّم. أو بالنصب خبر كان، وحظِّي اسمها. والهَجْر: مصدر هَجَرْتُهُ هَجْراً، من باب قتل: تركته ورفضته؛ فهو مَهجور. وهجرت الإنسان: قطعته، والاسم: الهِجران، كذا في المصباح. والمعنى: بالهَجْر هنا ترك المناجاة الإلهيّة في السرّ، وعدم الاعتناء من الربّ تعالى بالعبد بعدم الحفظ له من طوارق الأمور المزعجة، وتأخير الإجابة له في الدعاء. وقوله (**منكم**): متعلّق بالهجر؛ لأنّه مصدر، أو بواجب الحذف، حال من الهجر. والخطاب للأحبّة المذكورين. وقوله (**ولم يكن**): أي يوجد مع ذلك الهجر. وقوله (**عندي**): يعني باعتبار أنني مستسلم إليكم، ومنقاد لكم، وقد تساوى في ظاهري وباطني الإحسان منكم والإساءة. وقوله (**هو**): أي الهجر المذكور. وقوله (**الوصل**): أي المواصلة، خلاف المقاطعة، وحيث كان الهجر للتأديب، وتعليم الصلاح، وحثّاً على التوبة والأوبة، وإيثاراً للجانب الإلهيّ على الجانب الكونيّ؛ فما هو هجر في المعنى، ولا هو إعراض؛ بل هو إقبال، وطلب، ومزيد اعتناء بالعبد ما لم يكن ذلك الهجر إبعاداً، أو طرداً؛ فإنّ الهجر المذكور على قسمين: قسم يكون للإبعاد والطرد عن الجناب الإلهيّ. وقسم يكون للتأديب والإصلاح؛ وهذا القسم الثاني هو هجر في الظاهر وهو وصل في الباطن، وأي وصل خصوصاً إذا كان الهجر في الظاهر بتسليط البلاء على العبد المؤمن، وأذيّة الخلق له، وتتابع الأمراض والأوجاع عليه؛ فإنّ ذلك في ظاهر العادة بحسب ما يتبادر للذهن أنّه هجر وإعراض من الربّ تعالى عن عبده المؤمن به؛ وهو نفع له في باطن الأمر، ورفعة مقام عند ربّه، كما وردت به الأخبار النبويّة والأحاديث الصحيحة المرضية. ذكر في كتاب «مقبول المنقول» للخوارزميّ قال: عن أبي/ [٣٣٤/ ب] سعيد الخدريّ رضي الله عنه قال: «دخلت على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو يوعك، فوضعت يدي عليه، فوجدت حَرّه بين يديّ فوق اللحاف، فقلت: يا رسول الله،

ما أشدّها عليك. قال: إنّا كذلك يضاعف لنا البلاء، ويضاعف لنا الأجر. قلت: يا رسول الله، أيُّ الناس أشدّ بلاء؟ قال: الأنبياء. قلت: يا رسول الله، ثمّ مَن؟ قال: ثمّ الصالحون، إنْ كان أحدهم ليبتلى بالفقر حتّى ما يجد أحدهم إلّا العبادة يحويها. وإنْ كان أحدهم لَيفرح بالبلاء كما يفرح أحدكم بالرخاء»[1].أخرجه ابن ماجه. وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: «إنَّ الصداع والمليلة لا يزال بالمؤمن، وإنّ ذنبه مثل أُحد، فما يتركه وعليه من ذلك مثقال حبّة من خردل»[2] أخرجه الإمام أحمد.

وعن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما، أنّهما سمعا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: «ما يصيب المؤمن من وَصَب، ولا نَصَب، ولا سقم، ولا حزن. حتى الهمّ يهمه إلّا كفّر الله به سيئاته»[3] أخرجه البخاريّ ومسلم والترمذيّ. وفي مسند أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت: «إنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم طرقه وجع فجعل يشتكي ويتقلّب على فراشه فقالت عائشة: لو صنع هذا بعضنا لوجدت عليه!. فقال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: إن الصالحين يُشدد عليهم، وإنه لا يُصيب مؤمناً نكبة من شوكة فما فوق ذلك إلّا حُطّت عنه خطيئة، ورُفع بها درجة»[4]. وله في رواية أخرى قالت: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «إذا كثرت ذنوب العبد، ولم يكن له ما يكفّرها ابتلاه بالحزن

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الفتن، باب: الصبر على البلاء، ٤١٦٠.

(٢) أخرجه أحمد في المسند، باب: باقي حديث أبي الدرداء، ٢٢٣٦٠.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، مسنده أبي هريرة، ٨٢٤٣. ومسند أبي سعيد الخدريّ، ١٢٠٨٩. وأخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب المرض، باب: وضع اليد على المريض، ٥٦٦٠، بلفظ قريب، عن عبد الله بن مسعود. كما أخرجه مسلم في صحيحه كتاب: البرّ والصلة، باب: ثواب المؤمن يصيبه من مرض أو حزن، ٦٧٣٣. كما أخرجه الترمذيّ في سننه، كتاب: الجنائز، باب: ما جاء في ثواب المريض، عن أبي سعيد الخدريّ، ٩٨١.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده، باب: حديث عائشة، رضي الله عنها، ٢٦٠٠٦.

ليكفّرها»[1]. وعن محمّد بن خالد السلميّ عن أبيه عن جدّه، وكانت له صحبة، أنّه خرج زائراً لرجل من إخوانه بلغه شكايته، فدخل عليه فقال: أتيتك زائراً، وعائداً ومبشِّراً. قال: كيف جمعت هذا كلّه!. قال: خرجت أريد زيارتك، فبلغني شكايتك، فكانت عيادة، وأبشِّرك بشيء سمعته من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: «إنّ العبد إذا سبقت له من الله منزلة لم يبلغها بعمله ابتلاه الله في جسده، أو في ماله، أو في ولده»[2].

وفي رواية: «ثمّ صبّره على ذلك حتّى يبلِّغه المنزلة التي سبقت له من الله عزّ وجلّ»[3]. أخرجه أحمد. وأخرج أبو داوود المسند منه فقط.

١٧- وَمَا الصَّدُّ إِلَّا الوُدُّ مَا لَمْ يَكُنْ قِلَىً   وَأَصْعَبُ شَيْءٍ غَيْرَ إِعْرَاضِكُمْ سَهْلُ

١٨- وَتَعْذِيْبُكُمْ عَذْبٌ لَدَيَّ وَجَوْرُكُمْ   عَلَيَّ بِمَا يَقْضِي الهَوَى لَكُمُ عَدْلُ

١٩- وَصَبْرِيَ صَبْرٌ عَنْكُمُ وَعَلَيْكُمُ   أَرَى أَبَداً عِنْدِي مَرَارَتَهُ تَحْلُو

(وما الصدّ): صَدَّ عنه صُدُوداً: أَعرَض. وصَدَّ فلاناً عن كذا صَدَّاً: مَنَعَهُ وصَرَفَهُ، كما في القاموس. أي: الإعراض عنّي منكم بحسب ظاهرالحال كما مر في الهجر. قوله (إلّا الوُدّ): والوُدُّ والوِداد: الحُبّ، ويثلّثان، كالوِدَادَة، كذا في القاموس. أي: إلا الإقبال والمحنة منكم تعليماً للأدب، وتوصيلاً للأديب؛ فإنَّ سوء معاملة الرب للعبد المؤمن في الدنيا قد تكون إصلاحاً في حقّه، يعامله بما لا يلائمه، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ [٤٣/ الشورى/ ٣٠]. وفي كتاب «مقبول المنقول» للخوارزميّ قال: عن شيخ بني مرّة قال: قدمت الكوفة، فأخبرت عن بلال بن أبي بردة، فقلت: إنّ فيه معتبراً فأتيته،

(١) أخرجه أحمد في المسند، باب: حديث السيدة عائشة، ٢٥٩٧٨.

(٢) أخرجه أحمد في المسند، باب: حديث رجل، ٢٢٩٩٨.

(٣) أخرجه أحمد في المسند، باب: حديث رجل، ٢٢٩٩٨، كما أخرجه أبو داوود في سننه، كتاب الجنائز، باب: الأمراض المكفّرة للذنوب، ٣٠٩٠.

وهو محبوس في داره التي كان بنى. وإذا كلّ شيء منه قد تغيّر من العذاب والضرب، وإذا هو في قشاش. فقلت: الحمد لله يا بلال، لقد رأيتك تمر بنا، وأنت تمسك أنفك غيرغبار، وأنت في حالك هذه. فقال لي: ممن أنت/ [٣٣٥/ أ] قلت من بني مرّة من عُبَادٍ، فقال: ألا أحدّثك حديثاً عسى الله أنْ ينفعك به. قلت هات. قال: حدّثني أبي، أبو بردة عن أبي موسى رضي الله عنه أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: «لا يصيب عبداً نكبة فما فوقها أو دونها إلّا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر»[١] أخرجه الترمذي. وقال فيه حديث غريب. وأخرج الترمذيّ وابن ماجه عن أنس رضي الله عنه أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. قال: «إذا أراد الله بعبده خيراً عجّل له العقوبة في الدنيا. وإذا أراد بعبده الشرّ أمسك عنه حتى يوافي به يوم القيامة»[٢].
وقوله (ما لم يكن): أي ذلك الصدّ عن العبد المؤمن.

وقوله (قِلًى): بالكسر مصدر قَلَا زيداً قلًى وقَلَاء: أبغضه، كرماه ورضيه قِلًى وقِلَاءً ومَقْلِيَةً: أبغضه وكرهه غاية الكراهة، وتركه أو قَلاه في الهجر، وقَلِيَهُ في البُغض، كذا في القاموس. وقد ورد أنّ المشركين قالوا لمّا فتر الوحي عن عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: إنّ ربّه قَلَاه وأبغضه، فأنزل تعالى عليه: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [٩٢/ الضحى/ ١-٣] فإنّ الصدّ والإعراض إذا كانا عن بغض وكراهة للعبد كانا وبالاً على العبد وعقابا له. وقوله (**وأصعب شيء**): أي من أمور الدنيا وبلاياها، ومصائبها، ونكباتها. وقوله (**غير إعراضكم**): أي إعراض الأحبّة عن ذلك العبد إعراض بغض وكراهة. وقوله (**سهل**): أي ذلك الأمر الصعب، لأنّه يكون لحكمة يعلمها الحقّ تعالى فيكون من قبيل إعراض الدلال من المحبوب الموصوف بالجمال، لا إعراض الملال، كما أشار إليه الشاعر حيث قال:

---

(١) أخرجه الترمذيّ في سننه، كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة حم عسق، ٣٥٦١.
(٢) أخرجه الترمذيّ في سننه، كتاب: الجنائز، باب: الصبر على البلاء، ١٢٣٨.

وخلّصني من غمرة الموت أنّه صدود دلال لا صدود ملال

وقوله (**وتعذيبكم**): أي يا أيّها الأحبّة لي بأنواع العذاب في الدنيّا. وقوله (**عذب**): قال في القاموس: «العذب من الطعام والشراب كلّ مستساغ» وقوله (**لديّ**): بتشديد الياء التحتيّة، أي: عندي. وهذا مقتضى المحبّة أنَّ تعذيب المحبوب لمحبّه يجده المحبّ عذباً لذيذاً، ولا يجد له ألماً ولا وجعاً. قال الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربيّ قدّس الله سرّه.

يسمى عذاباً من عذوبة طعمه وذاك له كالقشر والقشر صائن

وقوله (**وجوركم**): الجَوْر المَيْل عن القصد، يقال: جار عليه في الحكم، كذا في الصحاح. وخطاب الأحبّة بنسبة الجور إليهم على مقتضى حال المحبّ العاشق؛ فإنّه يجد عدم جريان المحبوب على مقتضى حاله وما يطلبه هواه، وعشقه من دوام الوصل واللقاء جوراً وظلماً له من محبوبه، ومحبوبه حكيم يفعل بالحكمة ما هو الأكمل من الأمور، وكلام العشاق يُطوى ولا يُنشر؛ لأنّه جارٍ على مقتضى المحبّة؛ لا على مقتضى العقل، كما قلت:

لقد جئت بالضدّين في مقتضى الهوى ومن جاء بالضدّين حاد عن النقل
أريد وصالاً والحبيب يريد لي مقاطعة والحبّ ينبت كالبقل
وإنّي مريد ما أراد فكيف لي ولا خير في حبّ يدبّر بالعقل

وقوله (**عليّ**): بتشديد الياء التحتيّة. وقوله (**بما يقضي**): أي يحكم. وقوله (**الهوى**): أي الحبّ والعشق؛ فإنّ مقتضاه الحكم بما ذكرنا من عدم مخالفة المحبوب في جميع مراداته. ومن جملة مراداته: هجران المحبّ والصدّ عنه فالمحبّ العاشق متحيّر في ذلك، يريد وصال المحبوب ولقاءه، ويريد مراده أيضاً، وهو الهجران والصدّ، فيجمع بين الضدين في الإرادة؛ ولهذا قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه من أبيات له في ترجمان الأشواق:

حـــــار أربـــــاب الهـــــوى في الهـــــوى وارتبكـــــوا

وقوله (لكُمُ): بضمّ الميم للوزن. وقوله (عدل): ضدّ الظلم والجور، وإنّما كان جور المحبوب على محبّه وظلمه له عدلاً منه في حقّه/ [٣٣٥/ ب] لأنّ الظلم منع الحقّ عن صاحبه، ولا حقّ هنا للمحبّ على محبوبه، لأنّ المحبّ هو الذي تحرّش بالمحبوب؛ فأحبّه، وعشقه لمّا رأى حسنه وجماله. والظلم أيضاً وضع الشيء في غير موضعه، والمحبوب حكيم، يضع كلّ شيء في موضعه؛ فكلّ حكم منه عدل، وكلّ نعمة منه فضل، وفي جعل الجَوْرِ بما يقضي الهوى لطافة، حيث لم يكن ذلك جوراً بحسب ما يقضي المحبوب؛ فهي حكاية مقتضى الهوى لا غير. وقوله (وصبري): أي الذي عندي في الهوى والمحبّة.

وقوله (صَبْرٌ عنكمُ وعليكمُ): أي هو منقسم إلى قسمين، الأوّل: صبره عنكم، أي: عن ملاحظتكم، ودوام مشاهتكم في آثار جمالكم وجلالكم. والثاني: صبره عليكم، أي: تحمّل مشقّات بلائكم، ومصائب امتحاناتكم له، وأذيّة المُسلَّطين عليه من جهتكم؛ فالأوّل يقتضي احتجاب الجمال عنه. والثاني يقتضي انكشاف الجلال له. وقد تساوى عنده شهود جمالكم، وشهود جلالكم؛ فهو محبّ لكم على كلّ حالة تكون منكم له؛ ولهذا قال (أرى): أي أجد في نفسي بمقتضى غلبة الهوى والعشق على قلبي. وقوله (أبداً): أي في كلّ وقت من الأوقات، وكلّ حال من الأحوال. وقوله (عندي): أي في مذهبي ومشربي المخصوص بي، سواء وافقني غيري، أو لم يوافقني. وقوله (مرارته): المرارة ضدّ الحلاوة، والضمير للصبر. والمعنى مرارة ذلك الصبر المذكور.

وقوله (تحلو): فعل مضارع، يدلّ على التجدّد والحدوث دائما. قال في القاموس: «الحُلْوُ، بالضمّ: ضدّ المر، حَلِيَ كرَضِيَ ودَعَا وشَرُفَ حَلاوَةً وحَلْواً وحُلْواناً بالضمّ.

٢٠- أَخَذْتُمْ فُؤَادِي وَهُوَ بَعْضِي فَمَا الذِي   يَضُرُّكُمُ لَوْ كَانَ عِنْدَكُمُ الكُلُّ

(أخذتم): الخطاب للأحبّة الظاهرين له بطريق التجَلّي بالأسماء والصفات في آثارها الكونيّة. وإنّما هو واحد بالذات، كثير بأنواع الظهور والتجلّيات في الصور كلّها؛ فلا يمكن المحبّ أنْ يغفل عنه أصلاً، فلهذا قال **(أخذتم)**: وقوله **(فؤادي)**: أي قلبي؛ فهو ملاحظ لآثار أسمائكم وصفاتكم، لا تغيبون عنه في كلّ أمر من الأمور، وشأن من الشؤون، لتحقّيق علمه بكم، ومعرفته بظهوركم، وتجلّيكم بآثار أسمائكم وصفاتكم التي لا تحصى. وقوله **(وهو بعضي)**: أي هو جزء من أجزاء بدني. وقوله **(فما الذي)**: الفاء للتفريع، وما استفهاميّة بمعنى: أيّ شيء الذي. وقوله **(يَضُرُّكُمُ)**: بضمّ الكاف وضمّ الميم لأجل الوزن. وقوله **(لو كان عندكمُ)**: بضمّ الميم. وقوله **(الكلّ)**: أي كلّ بدني بجميع أجزائه أيضاً، مع أنّ الكلّ عند الأحبّة أيضاً، قال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ [١٣/ الرعد/ ٨] أي: مجرّد مقادير عدميّة، لا أعيان لها عنده تعالى، أي: في حضرة علمه القديم. وقال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [١٥/ الحجر/ ٢١] وتنزيله تجلّيه به، وظهور نور وجوده الحقّ بقدره المعلوم في حضرة علمه سبحانه، وقال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [٥٤/ القمر/ ٤٩] أي: بتقدير له عندنا في حضرة العلم الأزليّ. وقد أراد الناظم قدّس الله سرّه بقوله **(لو كان عندكُمُ الكلُّ)**: أي لو رجعت إلى أصل التقدير العلمي[1]، وزال عنّي لبس الوجود بالتجلّي فكنت كما كنت، وكان كما كان، قال العارف الشيخ عبد الكريم الجيليّ قدّس الله سرّه:

تعالوا بنا حتّى نعود كما كنّا   ولا عهدنا ختنم ولا عهدكم خنّا[2]

---

(١) هكذا وردت، ولعلّها التقدير العدمي.

(٢) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: «بلغ مقابلة على مؤلّفه رضي الله عنه وأرضاه، وجعل الجنّة مأواه».

٢١- نَـأَيْتُمْ فَغَـيْرَ الـدَّمْعِ لَـمْ أَرَ وَافِيَـاً   سِوَى زَفْرَةٍ مِنْ حَرِّ نَارِ الجَوَى تَعلُو

٢٢- فَـسُهْدِيَ حَـيٌّ فِي جُفُـونِي مُخَلَّـدٌ   وَنَوْمِي بِهَا مَيْتٌ وَدَمْعِي لَهُ غَسْلُ

٢٣- هَوَىً طَلَّ مَا بَيْنَ الطُّلُوْلِ دَمِي فَمِنْ   جُفُوْنِي جَرَى بِالسَّفْحِ مِنْ سَفْحِهِ وَبْلُ

(نأيتم): أي أعرضتم عنّي أيّها الأحبّة المذكورون. يعني: أعرضتم عنّي فلم تتجلّوا بي عليّ، وحجبتموني بي عنكم، فجعلتم نفسي حجابي عن مشاهدتكم ظاهرين لي بنفسي/ [٣٣٦/ أ] لأنّ نفسي أثر من آثار أسمائكم وصفاتكم، وهذا مقتضى المحبّة؛ لأنّها تقتضي أنْ يكون محبّ ومحبوب، ويوسف ويعقوب. ثمّ أخذ يشكو حاله، وما يقاسيه في طريق المحبّة، فقال **(فغير الدمع)**: أي دمع عيني من شدة البكاء والانتحاب، وتوجّعات الشوق والاكتئاب. وقوله **(لم أرَ وافياً)**: اسم فاعل من وفَى بالعهد، كوعى، وَفَاء: ضدّ غدر، كأوْفَى، ووفَى الشيء وُفِيًّا، كَصُلِيّ: تمّ وكَثُر، فهو وَفِيّ ووافٍ، كذا في القاموس. والمعنى: لم أرَ مَنْ يفِي بالعهد غير الدمع؛ فإنّه وفيّ لي بعهد محبّتي ففرج عنّي بعض ما أجد على حسب قدرته، كما قالوا: البكاء فرَج. أو معنى وافياً: كثيراً. وقوله **(سوى زَفْرَة)**: وهي اسم من الزفير، وهو اغتراف النفس للشدّة، وقد زَفَرَ يَزْفِرُ، والاسم: الزَّفْرَة، والجمع: زَفَرَات، بالتحريك؛ لأنّه اسم، وليس بنعت، وربّما سكّنها الشاعر للضرورة، كذا في الصحاح. وقال في القاموس: «زفَر يَزْفِرُ زَفْراً وزَفِيراً: أخرج نفَسَه بعد مدّه إيّاه. وزفَرتِ النارُ : سُمِعَ لتوقُّدِها صوتٌ. والزَّفْرة وتضمّ: التنفّس كذلك. يعني: ولم أرَ وافياً أيضاً غير التنفس الشديد، والتحرّق المديد. وتنكير الزفْرَة للتعظيم والتهويل. وقوله **(من حَرِّ نار الجَوَى)**: وهو هوى باطن، والحزن، وتطاول المرض، كذا في القاموس. وقوله **(تعلو)**: بالعين المهملة، أي: ترتفع، من عَلَتْ الزفْرَة تَعْلُو عُلُوّاً: ارتفعت. قال في القاموس: «عَلَا عُلُوّاً. وعلَا النهارُ: ارتفع. يعني: أنّ تلك الزفرة، أي: التنفس الشديد ترتفع وتعلو؛ فتفي له، وتخفف عنه بعض ما يجده من حرارة نار المحبّة والعشق. وأمّا **(تغلو)**: بالغين المعجمة، من

الغليان، فهو يائي؛ فإنّه يقال: غَلَا يَغْلِي، قال في القاموس: «غَلَتِ القِدْر تَغْلِي غَلْياً وغَلَيَاناً، وأغْلَاها وغَلَّاها». وظاهره أنّه لا يقال: غَلَا يَغْلُو، بخلاف عَلَا يَعْلُو بالعين المهملة، بمعنى يصعد ويرتفع؛ فإنّه صحيح.

وقوله (فَسُهدِي): الفاء للتفريع على ما قبله؛ لأنَّ ما قبله أصل له، وسبب لحصوله. والسُّهد بضمّ السين المهملة، وهو الأرق، بمعنى السهر بالليل، كذا في القاموس. وقوله (حيّ): أي موصوف بالحياة، على الاستعارة المكنيّة. أي: إنسان حيّ. كناية عن قُوَّتِه، وزيادة إزعاجه له. وقوله (في جفوني مُخَلَّد): بتشديد اللام، أي: لا موت يعتريه، ولا زوال. ترشيح للاستعارة، وذكر الحياة تخييل. وقوله (ونومي بها): أي في جفوني. والباء بمعنى في. وقوله (ميت): بسكون الياء التحتيّة، على الاستعارة بالكناية، أي: إنسان ميت. وقوله (ودمعي): أي ماء بكائي. وقوله (له): أي لذلك الميت. وقوله (غَسل): بفتح الغين المهملة وضمّها. قال في القاموس: «غَسَلَه غَسْلاً، ويُضَمّ، أو بالفتح: مصدر، وبالضمّ اسم». وذكر الموت تخييل الاستعارة. والتغسيل: ترشيح.

وقوله (هوىً): بدل من الجوى في قوله (من حرّ نار الجوى): أو خبر مبتدأ محذوف، تقديره: هو هَوِيَ، بضمير راجع إلى الجوى، أو التقدير عندي هوى، خبر مقدّم، ومبتدأ مؤخّر، وتنكيره للتعظيم. وقوله (طلّ): بالطاء المهملة، أي: هَدَرَ ولم يعتبر. وقوله (ما بين الطلول): جمع طَلَل، وهو الشاخص من آثار الدار. وجمعه أطْلَال وطُلول، كذا في القاموس. وقوله (دمي): فاعل طلّ. يعني: ذلك الهوى جعل دمي هدراً بين الطلول، بلام العهد، أي: ما بقي شاخصاً من آثار دار الأحبّة المعهودة لي سابقاً، وهي عامرة بهم. كناية عن جسده البالي بتراكم الأشواق، وترادف لواعج المحبّة، وغلبة التلهُّف والاحتراق؛ فإنّ نفسه لمّا كانت مدبِّرة له عن أمر الله تعالى كان عامراً بالأرواح المنفوخة، وهو غافل عن الأمر الربّانيّ، والشأن الرحمانيّ. وهو يمرح في جاهليّته بأنواع الأماني، وجمع الطلول

باعتبار تجدّد جَسده البالي مع الأنفاس القائم بأمر الله تعالى أيضاً الذي هو كلمح بالبصر./ [٣٣٦/ ب] ثمّ إنّه لـمّا انكشف له أمر ربّه، وأحسَّ بلطائف إقباله عليه وقربه، انعزلت نفسه عن تدبيره، وظهر له التدبير الإلهيّ في تقديمه وتأخيره، فماتت نفسه الأمارة بالسوء، وحييت المطمئنّة. وانتقلت من [المظنَّة إلى...](١) ولم يبقَ من دار جسمانيّته إلّا الأثر، وانتظام طبيعته، ومزاجه الحيوانيّ قد انتثر. ثمّ أخبر أنّ الحبّ والعشق قد حكم بأنّ دمه هدر، وأنّ عقله ذهب بسبب غلبة الهوى عليه شذر مذر، قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه:

قف بالطلول الدارسات بلعلع   وانــدب أجنتنـا بـذاك البلقـع

وقوله (فمن جفوني): الفاء للسببيّة على ما قبله، ومن جفوني، أي: من أغطية عيوني، عين قلبي، وعيون حواسّي الخمس، . وقوله (جرى بالسفح): أي بسفح جبل مزاجي وطبيعتي. وقوله (من سفحه): أي من سفح دمي، قال في القاموس: «السفْح عُرْض الجبل المُضْجِع، أو أصله، أو أسفله، أو الحضيض. والجمع سُفُوح، وسفَحَ الدم كمنع: أراقه، و ـ الدمع: أرسله، سفْحاً وسُفُوحاً». وقوله (وَبْل): أي مطر شديد، قال في المصباح: «وبلتِ السماءُ وَبْلا، من باب وعد، ووُبُولاً: اشتدّ مطرها، وكان الأصل: وبَلَ مطر السماء، فحُذف للعلم به؛ ولهذا يقال للمطر: وابل. والمعنى: إنّ ذلك الهوى والعشق جعل دمي هدراً من تذكّري أحبابي الذين هم تلك الحضرات الإلهيّة، المتصرِّفون سابقاً في بدني ظاهراً وباطناً، فلمّا ماتت نفسي وهُدر دمي، وكان خراب بنيان جسدي، بحيث صار كالأطلال البالية الدارسة، ترتّب على ذلك جريان مياه المعارف والعلوم الإلهيّة من أغطية عيوني، أي: حجب حواسّي وعقلي على سفح مزاجي المنجبل من الطبائع، والعناصر، والأخلاط الأربعة.

---

(١) كلمة غير واضحة في المخطوط، ولم أجدها في غيره. لعلّها الميتة.

٢٤- تبَالَـــهَ قَــوْمِي إذْ رَأَوْنِي مُتَــيَّماً وَقَالُوا بِمَنْ هَذَا الفتَى مَسَّهُ الخَبْلُ
٢٥- وَقَالَ نِسَاءُ الحَيِّ عَنَّا بِذِكْرِ مَنْ جَفَانَا وَبَعْدَ العِزِّ لَذَّ لَهُ الذُّلُّ

(**تَبَالَهَ**): أي أظهر البَلهَ من نفسه، وليس بِأَبْلَه قال في المصباح: «بَلِهَ بَلَهاً، من باب تعب: ضَعُفَ عَقْلُهُ، فهو أبْله، والأُنثى: بَلْهاء، والجمع: بُلْهٌ، مثل: أَحْمَر وحَمْرَاء وحُمْر. ومن كلام العرب: «خير أولادنا الأبله الغفول». المعنى: إنّه لشدّة حيائه كالأبله؛ فيتغافل ويتجاوز، فشبّه ذلك بالبله. وقوله (**قومي**): أي عشيرتي وأهلي. وقوله (**إذْ رأوني**): أي وجدوني. وقوله (**مُتَيَّماً**): من تيّمه الحبّ، أي: عبَّدَه وذَلَّلَهَ؛ فهو مُتيَّم، كذا في الصحاح. وقوله (**وقالوا**): أي قومي. (**بمن هذا الفتى**): أي بسبب أي إنسان. والفتى: الشابّ والفتاة الشابّة. وقد فَتِيَ بالكسر يفْتى فتىً. والفَتَى: السَّخِيّ الكريم، يقال: هو فَتَىً بيِّنُ الفتوّة، كما في الصحاح. وقوله (**مَسَّهُ الخَبْلُ**): بالخاء المعجمة والباء الموحّدة ساكنة، قال في الصحاح: «الخَبْل بالتسكين: الفساد». وقال في المصباح: «الخَبْلُ ـ مثال فَلْس: الجنون، وشِبْهُهُ كالهَوَجُ والبَلَه، وخَبَلَه الحُزْن من باب ضرب: إذا أذهب فؤاده، فهو مَخْبُول ومُخَبَّل، والخَبل بفتحتين: الجنون أيضاً». يعني: إنّ قومي أظهروا من أنفسهم الجهل بحالي، وهم يعلمون أنّي محبّ وعاشق، غير أنّهم لا يعهدون أحوال العشاق. إنّها كأحوالي من ملازمة التلهّف والتأسّف والنحيب والبكاء والاحتراق من غير تعلّق بشخص مخصوص ظاهراً أو باطناً ولا التفات إلى شيء من الأكوان أصلاً. فتحيّروا في شأني، وتوقفوا في أمري. وقالوا فيما بينهم هذا الموصوف بالفتوّة وكرم الأخلاق بسبب ـ أي: محبوب من الناس جميل البهاء والإشراق ـ مسّه الجنون فهو المتيّم/ [٣٣٧/ أ] المفتون.

وقوله: (**وقال نِساء**): بكسر النون، قال في المصباح: «النِّسْوَة بكسر النون أفصح من ضمِّها، والنساء بالكسر، والنسوان: اسمان لجماعة إناث الأَنَاسِيِّ، الواحدة: امرأة، من غير لفظ الجمع». وقوله (**الحيّ**): هو واحد أحياء العرب.

وقال في المصباح: «الحيّ: القبيلة من العرب، والجمع أحياء. وقوله (**عَنّا**): بفتح العين المهملة وتشديد النون هنا: اسم فعل بمعنى: كُفُّوا عَنّا، وتنحّوا، وتباعدوا، قال في المصباح: «عن حرف جرّ، ومعناها المُجاوَزَة؛ إمّا حِسًّاً، نحو: جلست عن يمينه، أي: مُتَجاوِزاً مكان يمينه في الجُلُوس إلى مكان آخر. وإمّا حكماً، نحو: أخذْتُ العلم عنه، أي: فَهِمْته عنه، كأن الفهم تجاوز عنه. ومعناه هنا: تجاوزاً». وقوله (بذكر): متعلّق باسم الفعل. وقوله (**مَنْ جَفانا**): أي لا تذكروا لنا مَنْ أعرض عنّا، ولم يردنا، قال في المصباح: «**جَفَا السَّرْجُ عن ظَهْر الفرس يَجْفُو جَفَاءً**: ارتفع، ومنه: جَفَيْتُهُ فَتَجَافَى: إذا بَعُدتْ عن مودّته، وجَفَوْتُ الرجلَ أَجْفُوهُ: أعرضت عنه، أو طَرَدْتُهُ، وهو مأخوذ من جَفَاء السَيل: وهو ما نفاه السيل. وقد يكون مع بُغْضٍ». وقوله (**وبعد العزّ**): أي عزّه بالدنيا، والمال، والجاه الذي كان له على غيره. وقوله (**لذّ**): بتشديد الذال المعجمة، أي: صار لذيذاً. وقوله (**له الذلّ**): أي الهوان والمذلّة. والمعنى في ذلك أنّ من عرف الله تعالى، وتحقّق به عرف فناء كل ما سواه سبحانه، فلا يكون عنده عزّ إلّا عزّ الحقّ تعالى، وعزّ الإيمان به، والإسلام له، والانقياد إليه، وما عدا ذلك من الأكوان كلّه ذلّ وهوان، قل تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [٦٣/ المنافقون/ ٨].

٢٦- وَمَاذَا عَسَى عَنِّي يُقَالُ سِوَى غَدَا بِـنُعْمِ لَـهُ شُـغْلٌ نَعَـمْ لِي بِهَـا شُـغْلُ

(وما): استفهاميّة مبتدأ، و(ذا): اسم موصول، خبره. والمعنى: أي شيء الذي. وقوله (عسى عنّي يقال): عسى فعل ماضي يرفع الاسم، وهو ضمير عائد إلى الموصول، وجملة (**يقال**) في محل نصب خبر عسى. وجملة (عسى): صلة الموصول. و(**عنّي**): متعلّق بـ (**يُقال**) ويُقال مبني للمجهول. وقوله (سوى): بكسر السين المهملة، اسم استثناء بمعنى غير. وقوله (غدا): بالغين المعجمة والدال المهملة، يقال: غَدَا عليه غُدُوّاً وغُدْوَةً بالضمّ، واغْتَدَى: بكسر، من الغُدْوَة بالضمّ: البُكْرَة، أو مابين صلاة الفجر وطلوع الشمس كالغَدَاة والغَدِيَّة، كذا في القاموس.

وقوله (**بنعم**): بالضمّ، اسم امرأة، كما في القاموس. وهي مشهورة من محبوبات العرب، يُكنّى بها عن الحضرات الإلهيّة الأسمائيّة. وقوله (**له شغل**): أي هو مشغول بحبّها وتجلّيها عليه بالآثار الكونيّة من الروحانيّة والجسمانيّة. وقوله (**نَعَم**): بفتحتين، مثل: بلى، كلمة جواب. وقوله (**لي بها شغل**): عن كلّ شيء؛ بل عن نفسه وأحوالها. والقائل ذلك غائب عن شغله الذي هو مشغول به، لا يعرفه، فيظن أنّه مشغول بغير تلك الحضرة المذكورة، ولا يعلم أنه لا شغل إلّا بها. ولنا من أبيات قولنا:

وبها عنها البرايا اشتغلت   وعجيب فارغ مشتغل

٢٧- إِذَا أَنْعَمَتْ نُعْمٌ عَلَيَّ بِنَظْرَةٍ   فَلَا أَسْعَدَتْ سُعْدَى وَلَا أَجْمَلَتْ جُمْلُ

٢٨- وَقَدْ صَدِئَتْ عَيْنِي بِرُؤْيَةِ غَيْرِهَا   وَلَثْمُ جُفُوْنِي تُرْبَهَا لِلصَّدَا يَجْلُو

(**إذا أَنْعَمَتْ**): من النُعمى بالضمّ: الخَفْض والدَعَة والمال، كالنِعْمَة بالكسر، والاسم: النَعْمَة، بالفتح، نَعِمَ كسَمِعَ ونَصَر وضَرَب. والنِّعْمَة، بالكسر: المَسَرَّة، واليد البيضاء الصالحة، وأنعم الله عليه، وأنعم بها، كذا في القاموس. وقوله (**نُعْمٌ**): بالضمّ وسكون العين المهملة: اسم امرأة، كناية عن الحضرة الإلهيّة. وقوله (**عليّ**): بتشديد الياء التحتيّة متعلّق بأنْعَمَتْ. وقوله (**بنظرة**) مُتعلّق بأنعمت أيضاً. والتنكير للتعظيم، أي: بنظرة منها إلى اعتنائي، وبأحوالي، أو بنظرة منِّي إليها، بأنْ أراها في آثار أفعالها، متجلّية بستائر الأكوان، وملابس/ [٣٣٧/ ب] الصور والأعيان. وقوله (**فلا أَسْعَدَتْ**): من أَسْعَدَهُ: أَعَانَهُ، كذا في القاموس. وقوله (**سُعْدَى**): بضمّ السين المهملة وسكون العين المهملة: اسم امرأة من محبوبات العرب. وقوله (**ولا أَجْمَلتْ**): يقال أجْمَل الشيءَ جَمَعَه عن تَفْرِقَة، وأَجْمَلَ الصَنيعَة: حَسَّنَهَا وكَثَّرَها، كذا في القاموس. وقوله (**جُمْلُ**): بضمَ الجيم وسكون الميم: اسم محبوبة من محبوبات العرب. والمعنى في ذلك: كلّ محبوبة من محبوبات النساء

بحيث إذا وقع ذلك من إحداهنّ وصدر فإنّ الحضرة الإلهيّة هي التي أنعمت بالإسعاد والإجمال، لا خصوص تلك الصور من النساء؛ لأنّهنّ آثار تلك الحضرة الأسمائيّة، وهي المتجلّية بتلك الصور على غيرها.

وقوله **(وقد صدئت)**: من صَدَأ، بالهمز، يقال: صَدِئَ الحديد: علاه الطَّبَع والوَسَخ، كذا في القاموس. وقال في الصحاح: «صَدَأُ الحديد: وَسَخُه، وقد صَدِئَ يَصْدَأُ صَدَأً». وقوله **(عيني)**: أي الباصرة، أو بصيرة قلبي». وقوله **(برؤية غيرها)**: أي غَيْر نُعْم المكنّى بها عن محبوبة الحضرة الإلهيّة في كلّ ما تراه عينه من الأشياء الحسّيّة أو المعنويّة. وقوله **(ولَثْمُ)**: أي تَقْبيلُ، من لَثِمَ فاها، كسمع وضرب: قَبَّلَها، كما في القاموس. وقوله **(جُفُونِي)**: أي أغطية عيوني، كناية عن حُجُبِهِ الوَهْمِيَّة، وهي حواسه الظاهرة والباطنة، حيث هو ناظر بها لا بربّه، وإضافة **(اللَّثْم)** المصدر إلى جفونه من إضافة المصدر إلى فاعله. وقوله **(تربها)**: مفعول لثم، والضمير عائد إلى نُعْم المُكنَّى بها عمّا ذكر، وكنَّى بتربها ـ وهو لغة في ترابها ـ عن الصور الجسمانية التي هي آثار أسمائها وصفاتها. ولَثْمُ ذلك كناية عن النظر في انحلال تراكيبها وإرجاعها إلى التراب الذي هو معظم أجزائها، والتأمّل في ذلك، وفي إمساك ذلك التركيب العرضي بالقدرة الإلهيّة. وقوله **(للصَّدَا)** بالقصر، وحذف الهمز لضرورة الوزن، أي: لذلك الصدأ المعهود بالذِّكر قبله. وهو قوله (قد صَدِئَتْ عيني). وقوله **(يَجْلُو)**: من جَلَا المرآة جَلْواً وجِلاءً: صَقَلَها. وجَلَا الهمَّ عنه: أذهبه، كذا في القاموس. فإذا انجلى وانكشف عن عين قلبه وَسَخَ الأغيار، وانمسح ذلك الغبار ظهرت الأسرار، وتجلّت له حضرة الواحد القهّار، بفناء أستار الآثار، وانمحاق حجب الليل والنهار.

٢٩- وَقَـدْ عَلِمُـوا أَنِّي قَتِيـلُ لِحاظِهَـا فَـإِنَّ لَهَـا فِي كُـلِّ جَارِحَـةٍ نَـصْلُ

(وقد علموا): يعني قومي المذكورين في قوله قبل ذلك **(تَبالَهَ قومي إذْ رأوني... إلى آخره)**. وقوله **(أَنّي قَتِيلُ لِحاظها)**: أي المحبوبة الحقيقيّة السابق

ذكرها. واللِّحاظ كسحاب، مؤخر العين، وككتاب سمة تحت العين كالتلحيظ، كما في القاموس. كناية بذلك عن تجلِّياتها بالصور الإنسانيّة الكاملة، وكونه قتيل تلك اللِّحاظ، أي: متوصّلاً بها إلى الفناء والاضمحلال في الوجود الحقّ بطريق الإرشاد، والتعريف بالهمم الربّانيّة من قلوب المشايخ الكاملين. وقوله (فإنّ لها): أي لتلك اللِّحاظ المذكورة. وقوله (في كُلِّ جَارِحَةٍ): أي عضو من أعضائي. وقوله (نَصْلُ): النصل حديدة السهم، والرمح، والسيف، ما لم يكن له مقبض، كما في القاموس. وهو القوّة التي يظهر للعارف أنّها من أمر الله تعالى فإنها سارية في كلّ عضو، وإنّما يظهرها له، ويعرفه بها شيخه الكامل المحقّق بهمّته الربّانيّة، فكأنّما هي صادرة منه لكمال توجّهه عليه بالأمر الإلهيّ. وقوله (فإنّ لها): بكسر الهمزة، مشدّدة النون، حذف اسمها، وهو ضمير الشأن، والتقدير: فإنّه، أي: إن الشأن. وقوله (نَصْلُ): خبرها، قال ابن هشام في المغني: وقد يُرفع المبتدأ بعد أن يكون اسمها ضمير شأن محذوف، كقوله عليه السلام: «إنَّ من أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصوِّرون»[1]. والأصل إنّه، أي: الشأن... إلى آخر ما ذكره.

٣٠- حَدِيثِي قَدِيْمٌ فِي هَوَاهَا وَمَا لَهُ كَمَا عَلِمَتْ بَعْدٌ وَلَيْسَ لَهَا قَبْلُ

(حديثي): أي خبري، قال في القاموس: «الحديث الخبر، والجديد، فهو من حدث حدوثاً وحداثة نقيض قدّم، وتضمّ داله إذا ذُكر مع قَدُم، فعلى هذا: حديث فعيل بمعنى فاعل /[٣٣٨/ أ] أي حادث. والمعنى بحديثي، أي: مِنِّي، وهو كلِّي روحاً ونفساً وجسماً، أو خبري، وهو ما يعرفه مِنِّي العالم بي، أو هو المعلوم من أحوالي. وقوله (قديم): أي لا بداية له في الحضرة العلميّة القديمة الأزليّة، قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه في كتابه (إنشاء الجداول والدوائر): «الإنسان قديم حادث موجود معدوم. أمّا قولنا قديم فلأنّه موجود في العلم القديم، متصوّر فيه

---

(١) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب: اللباس، باب: عذاب المصورين يوم القيامة، ٥٩٥٠.

أزلاً وهي مرتبة من مراتب الوجود. وأمّا قولنا محدث، فإنّ شكله وعينه لم تكن ثمّ كانت». وقوله (فِي هَوَاهَا): متعلّق بـ قديم، الضمير لنعم في الأبيات. وقوله (كما عَلِمَتْ): أي نُعْمُ، المحبوبة المكنّى بها عن الحضرة الإلهيّة الأسمائيّة؛ فإنّ العلم الإلهيّ قديم أزليّ محيط بالواجبات والممكنات والمستحيلات، وإحاطته بالممكنات والمستحيلات هو عين إحاطته بالواجبات، كما قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه بأنّه تعالى عَلِمَ ذَاتَهُ فعَلِمَ العَالَمَ، فعِلْمُهُ بذاته وعِلْمُهُ بالعَالَمِ واحد؛ لأنّ أعيان العالَم صور تجلّياته بحسب أسمائه وصفاته لذاته؛ فهو متجلٍّ بذاته لذاته في مظاهر أسمائه وصفاته، متنزّهاً عن مشابهة مخلوقاته، مقدّساً عن مماثلة مصنوعاته؛ فتنزيهه عين تشبيهه، وتشبيهه عين تنزيهه، وهو المعروف بالتنزيه والتشبيه، وبذلك جاء الشرع المحمّديّ، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [٤٢/ الشورى١١] فنزّه: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [٤٢/ الشورى/ ١١]. فشبّه وقال تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [٦/ الأنعام/ ١٠٣] فنزّه: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [٦/ الأنعام/ ١٠٣] فشبّه وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ [٤٢/ الشورى/ ٢٥] فنزّه: ﴿وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [٩/ التوبة/ ١٠٤] فشبّه وقال تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾ [٧/ الأنفال/ ١٧]، فنزّه: ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾ [٨/ الأنفال/ ١٧] فشبّه: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [٨/ الأنفال/ ١٧] فشبّه ثانياً.

وأخرج الترمذيّ بإسناده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: دعا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عليّاً يوم الطائف فانتجاه، فقا ل الناس: لقد طال نجواه مع ابن عمّه. فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «ما انتجيته ـ فنزّه ـ ولكن الله انتجاه»(١)، فشبّه. وفي حديث ابن ماجه «إنّي والله ما حَمَلْتُكُمْ ـ فنزّه ـ فإنّ الله حَمَلَكُمْ»(٢) فشبّه.

---

(١) أخرجه الترمذيّ في سننه، كتاب المناقب، باب: قول النبيّ لعليّ: أنت منّي وأنا....

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب: الكفّارات، باب: من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً، ٢١٨٥، بلفظ: «والله ما أنا حملتكم؛ فإنّ الله حملكم...».

وفي حديث مسلم: «أما إنّي لم أقلها ـ فنزّه ـ ولكنّ الله قالها الله»[1] فشبّه، كما فصلناه في كتاب (الوجود الحقّ) لنا. وقوله (**بعدٌ**): منوَّن، مرفوع بالابتداء، وخبره متقدّم عليه، وهو (**له**): الجار مع المجرور. وقوله (**وليس له قبلُ**): حذف تنوينه لأنّه قافية. وأصل (**قبلٌ**) بالتنوين، اسم ليس مؤخّر، وخبرها له، وهما ظرفان مقطوعان عن الإضافة لفظاً ومعنى، كما قال الشاعر:

هواها هوى لم يعرف القلب غيره　　　فلا قبله قبل ولا بعده بعد

والمراد: إنّ ذلك الحديث القديم خارج عن الزمان، ماضيه وآتيه؛ فإنّ المعلومات الإلهيّة قبل خروجها إلى عالم الإمكان معدومات الأعيان في أنفسها؛ وليست مغايرة لحضرة العلم القديم الأزليّ، ولهذا كانت تلك المعلومات جميعها قديمة أيضاً، فيستحيل عليها التغير والتبدّل، وتغيرها وتبدّلها في عالم الإمكان من جملة أحوالها المعلومة لها في حضرة العلم القديم أيضاً كحدودها، ومقاديرها، وأماكنها، وأزمنتها، وتركيبها، وانحلالها، وترتبها بالتقدّم والتأخّر. كلّ ذلك في العلم الإلهيّ قديم أزليّ.

٣١- وَمَـا لِيَ مِثْـلٌ فِي غَرَامِـي بِهَـا كَمَا　　　غَـدَتْ فِتْنَـةً فِي حُـسْنِهَا مَـا لَهَـا مِثْـلُ

(**ومالي مِثْل**): بكسر الميم وسكون الثاء المثلّثة: الشبه. وقوله (**في غرامي**): أي حبّي وعشقي وقوله (**بها**): متعلّق بغرامي، والضمير لنُعْم، المحبوبة المكنّى بها عمّا ذكر، والمشهور أنّ التجلّيات الإلهيّة لا تتكرر، وما تجلّي الحقّ تعالى على شيئين فمن زمان واحد، ولا على شيء واحد في زمانين بتجلّي واحد أصلاً، وذلك من سعة الحضرة الإلهيّة؛ فإنّه من أسمائه تعالى الواسع، وهو الذي وسع كلّ شيء رحمة وعلماً، ولهذا قال الشيخ الأكبر قدّس الله / [٣٣٨/ ب] سرّه في قول القائل:

كلّ يوم تتلوّن　　　غير هذا بك أحسن

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب: دعاء النبيّ لغفار وأسلم، ٦٥٩٣.

لو قال: (إنّ هذا بك أحسن) لكان أحسن؛ فإنّ التمكين في التلوين من أكمل أحوال أهل اليقين، لموافقة ذلك نفس الأمر، ولابن إسرائيل قدّس الله سرّه:

تلوينك من دلائل العرفان والراحة في تقلّب الأعيان
لا تطمع أنْ تكون لوناً أبداً والخالق كلّ ساعة في شان

وقوله (كما غدت): قال في القاموس: «غَدَا عليه غُدُوّاً وغَدْوَةً بالضمّ، واغْتَدَى: بَكَّر». وأشار بأوّل النهار إلى ابتداء تجديد الأكوان بتجلّي محاسن الأعيان. وضمير غدت إلى نُعْم المحبوبة، المُكّنى بها عمّا ذكر. وقوله (فِتْنَةً): بالنصب، خبر غدت. والفِتْنَة، بكسر الفاء: الخِبْرَة، وإعجابك بالشيء. فَتَنَهُ يَفْتِنُهُ فَتْناً وفُتُوناً وأَفْتَنَه، كذا في القاموس. وقوله (في حُسْنها): أي المحبوبة المذكورة، والحُسْن: ما ظهر من الجمال، فهو أثر الجمال الظاهر على صفحات الأكوان. قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ ﴾ [٣٢/ السجدة/ ٧] وقال صلّى الله عليه وسلّم: «إنّ الله كتب الحُسْن على كلّ شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة»[1] ومعنى كونها فتنة: التعلّق القلبيّ بجمالها الحقيقيّ، أو بأثره الذي هو حُسْن كلّ شيء، وهو الحبّ الإلهيّ الملتبس بحبّ الأغيار، وعشق الآثار، قال تعالى: ﴿وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ ﴾ [٦/ الأنعام/ ٩] وقوله (ما لها): أي للمحبوبة المذكورة. وقوله (مِثل): أي شبيه يماثلها في ذاتها، أو صفة من صفاتها، أو اسم من أسمائها، أو اثر من آثارها؛ بل لا غير لها يغايرها؛ لأنّها وحدها لا يوجد لها شريك أصلا؛ فلا موجود غيرها أزلاً وأبداً؛ وإنّما هي الكلّ، هي ظاهرة بآثار أسمائها وصفاتها تتجلّى لمن شاءت وتستتر عمّن شاء.

٣٢- حَرَامٌ شِفَا سُقْمِي لَدَيْهَا رَضِيتُ مَا بِهِ قَسَمَتْ لِي فِي الهَوَى وَدَمِي حِلُّ

(حرام): خبر مقدّم. وقوله (شِفا): مبتدأ مؤخّر. وقوله (سُقْمي): بضمّ السين المهملة وسكون القاف. لغة. قال في القاموس: «السَّقَام كسَحَاب، وجَبَل وقُفْل:

(١) انظر تخريجه ص٥٥٦.

المرض، سَقِمَ كفَرِحَ، وكَرُمَ، فهو سَقِيم». وقوله (لديها): متعلِّق بحرام، أي: هو ممتنع بحكمها ومقتضى شرعها. والضمير للمحبوبة المذكورة فيما سبق، وهذا السقام الذي شفاؤه والبرء منه حرام، ممتنع، لا يكون أصلاً. هو الضعف الكونيّ، والمرض الحبّي، والداء الافتقاري؛ فلا قوّة إلّا بالله، وما بالله فهو لله. والضعف ملازم في عين القوّة الإلهيّة، قال تعالى: ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [٢/ البقرة/ ١٦٥] ولا شفاء إلّا به تعالى؛ فهو الشفا لا سواه، ولا استغناء إلّا به، فهو الغَناء للعبد في عين افتقار العبد.

وقوله (رضيتُ ما به قَسَمَتْ لي من الهوى) والمعنى: إنني راضٍ بقسمتي التي قسمتها لي حضرة علمها أزلاً. وضمير به إلى سُقْمي، أي: بسبب سُقْمي قسمت لي ذلك القسم. و(في الهوى): متعلّق بقَسَمَتْ. و(الهوى): هو الحبّ، إشارة إلى الحديث القدسيّ: «كنت كنزاً مخفيّاً لم أُعرف، فأحببت أن أُعرف، فخلقت خلقاً تعرّفت إليهم؛ فبي عرفوني»(1) وتعرّفه إليهم بما قدّره لهم وعليهم من المقادير؛ فالأحوال الحسنة من تعرّف الجمال، والأحوال السيئة من تعرّف الجلال، وذلك هو القسمة الأزليّة بسبب السُّقم اللازم، والمرض الملازم. وقوله (ودمي حلّ): أي حلال لها، ليس بحرام عليها؛ لأنّي ملكها، والمالك يفعل بمملوكه ما يشاء ويحكم عليه بما يريد، وهو تأكيد في المعنى لرضائه بما قسمته له في الأزل، سواء نزل به أو ما نزل.

٣٣- فَحَالِي وَإِنْ سَاءَتْ فَقَدْ حَسُنَتْ بِهَا وَمَا حَطَّ قَدْرِي فِي هَوَاهَا بِهِ أَعْلُو

(فحالي): الفاء للتفريع على ما قبله، وحاله هي ما قَسَمَتْ له في علمها الأزليّ من التقادير. وقوله/[٣٣٩/ أ] وإن ساءت، أي: كانت حالاً سيئة، والحال مؤنّث، لأنّه بمعنى الحالة التي يكون عليها الشيء، وسوؤها عدم ملائمتها لي،

(١) انظر تخريجه ص٧٨٠.

قال في القاموس: «ساءَهُ سَوْءً وسَوَاءً وسَوَاءَةً ومَسَاءَةً ومَسَائِيَةً: فَعَل به ما يَكْرَهُ، والسُّوء بالضمّ: الاسم منه، وكلّ آفة». وقوله (فَقَد حَسُنَتْ بها): أي صارت حسنة بسببها، أي: المحبوبة المذكورة، وذلك لأنّ السيئات تصير حسنات بالتوبة منها، أي: الرجوع إلى الحقّ، قال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [٢٤/ النور/ ٣١] أي: ارجعوا إلى الله تعالى بفناء نفوسكم، وظهور التجلّي بكم عليكم. وقال تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ [٢٥/ الفرقان/ ٧٠] وهذا التبدّل بسبب تبدّل نفوسهم بتجلّي ربّهم بعد فنائها واضمحلالها بالكلّيّة، وليس هو بإباحة المحرمات على النفوس المكلّفة.

وقوله (وما): أي والفعل الذي. وقوله (حَطَّ): أي نقص وأحبط. وقوله (قَدْرِي): أي مقداري ومبلغي، قال في الصحاح: «قَدْرُ الشيء مَبْلَغُهُ، وهو في الأصل مصدر، قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [٦/ الأنعام/ ٩١] أي: ما عظّموه حقّ تعظيمه».

وقوله (في هَوَاهَا): أي محبّة هذه المحبوبة المذكورة. وقوله (به): أي بذلك الفعل الذي نقصني. وقوله (أَعْلُو): أي ارتفع وافتخر؛ لأنّه محض تجلّيه تعالى، وأثر ظهوره، لا هو فعل نفسي؛ إذْ لا نفس لفنائها واضمحلالها في ظهوره تعالى. وهذا مقام لا يُعرف إلّا ذوقاً ووجداناً، والغلط فيه كثير، والتخلّص منه عسير، وهو قول الخضر عليه السلام: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ [١٨/ الكهف/ ٨٢] وهو صادق في نفس الأمر وإنْ لم يعذره موسى، عليه السلام، وحكم عليه بظاهر شرعه الذي جاء به إلى بني إسرائيل بقوله: ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا﴾ [١٨/ الكهف/ ٧٤] وقد فهمه طائفة من الناس، فحسبوا أنّ فهمه ذوقه، فادعوه، ونفوسهم باقية أمّارة بالسوء، وهيهات هيهات أنْ يتبدّل سوؤها حُسْناً، وتصير سيّئاتهم حسنات بمجرّد الدعوى الباطلة، وقد أباحوا المحرّمات، وهم عندي أكفر من اليهود والنصارى، والله رؤوف بالعباد.

٣٤- وَعُنْوَانُ مَا فِيهَا لَقِيتُ وَمَا بِهِ شَقِيتُ وَفِي قَوْلِي اخْتَصَرْتُ وَلَمْ أَغْلُ

٣٥- خَفِيتُ ضَنىً حَتَّى لَقَدْ ضَلَّ عَائِدِي وَكَيْفَ تَرَى العُوَّادُ مَنْ لَا لَهُ ظِلُّ

(**وعُنْوَانُ**): بالضم، يقال: عُنْوان الكتاب وعُنْيَانه، ويكسران، سُمِّيَ لأنَّه يَعِنُّ له، أي: يظهر من ناحيته، وأصله عُنَّان كرمّان، وكلّما استدللت بشيء تُظْهِرَه على غيره، فعُنْوان له، وعَنَّ الكتاب، وعَنَّنَه وعَنْوَنَه وعَنَّاه: كتب عُنْوانَه، كذا في القاموس. وقوله (**ما**): أي الحال والأمر الذي. وقوله (**فيها**): أي في هواها، أي: المحبوبة المذكورة، وقوله (**لَقِيْتُ**): أي وجدت من أحوالها المحبّة والعشق؛ فإنّ ذلك بمنزلة الكتاب المكتوب بالتقدير الإلهيّ؛ ولهذا أثبت له العنوان. وقوله (**وما**): أي والذي، معطوف على (ما) الأولى. وقوله (به): أي بسببه. وقوله (**شَقِيْتُ**): أي أصابني الشقاء، وهو الشِدَّة والعُسْر، وقد شَقِيَ كرَضِيَ شَقَاوَة، ويكسر وشَقاً وشَقَاءً، كذا في القاموس. يعني: من محن المحبّة، وبلايا العشق. وقوله (**اختصرت**): أي اكتفيت بقولي شقيت عن التطويل بذكر ما قاسيت من العظائم. وقوله (**ولم أَغْلُ**): بحذف الواو للجازم من غَلَا يَغْلُو غُلُوّا، قال في القاموس: «غَلَا في الأمر غُلُوّاً جاوز حَدَّه». يعني: لم أجاوز في ذكر ما أجده عن حدّ الأمر في نفسه.

وقوله (**خفيت**): أي استترت عن الأبصار والبصائر، يقال: خَفِيَ خَفَاءً فهو خافٍ/ [٣٣٩/ ب] وخَفِيَ: لم يَظْهَر، وخَفَاه هو وأَخْفَاه: سَتَرَه وكَتَمَه، كذا في القاموس. وقوله (ضَنَىً): بالتنوين مفعول من أجله، وهو علّة للفعل قبله، يقال: ضَنِيَ ضَنَىً: مَرِضَ مَرَضاً مُخَامِراً، كلّما ظُنَّ بُرْؤُه نُكِس، وأَضْنَاه المرض، كذا في القاموس، قال الشاعر:

كفى بجسمي نحولاً أنني رجل لولا مخاطبتي إيّاك لم ترني

وقوله (**حتّى لقد ضَلَّ**): أي تحيّر ولم يهتدِ إلى الصواب. وقوله (**عائدي**): من العيادة، وهي زيارة المريض، فاعل ضلّ. يعني: لم يجدني لاختفائي عليه. وقوله

(وكيف): اسم استفهام إنكاري، معناه النفي. وقوله (ترى العُوّادُ): جمع عائد. يعني: الزائرين لي في مرض محبّتي وعشقي المبرح بي. وقوله (من لا به ظلّ): أي أثر، وشخص يظهر، وشبح يلوح، قال في القاموس: «الظلّ من كلّ شيء شخصه». والمعنى في ذلك: إنّه فَنِيَ وجوده عنه في وجود محبوبته المكنّى عنها بنُعم فيما تقدّم، بحيث لو ورد عليه خاطرمنه يعوده في مرضه ذلك، وشدّة ضناه لم يجد له أثر في الوجود أصلاً، فضلاً عن عائد يأتيه من غيره، وهي حالة المولّهين في الله تعالى وتقدّس.

٣٦- وَمَا عَثَرَتْ عَيْنٌ عَلَى أَثَرِي وَلَـمْ   تَدَعْ لِيَ رَسْماً فِي الهَوَى الأَعْيُنُ النُّجْـلُ

(وما عَثَرَتْ): أي وجدت واطّلعت، قال في الصحاح: «عَثَرَ عليه يَعْثُر، أي: اطّلَع عليه، وأعْثَرَه عليه غيرُه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ [١٨/ الكهف/ ٢١] وقوله (عين): أي باصرة، أو عين قلب، وهي البصيرة، وهي نكرة في سياق النفي، فتعمّ كلّ عين من إنسان كامل، أو غيره. وقوله (على أَثَرِي): أي وجودي الذي هو أثر في الوجود الحقّ تعالى، لرجوعه بعد فنائه، ومحو حقيقته إلى المعلومات الإلهيّة المشهودة له تعالى أزلاً وأبداً، على ما هي عليه متقلّبة في جميع أحوالها. وقوله (ولم تَدَعْ): أي تترك. وقوله (لي): أي لحقيقتي الظاهرة والباطنة. وقوله (رسماً): مفعول تدع، والرسم: الأثر، أو بقيّة، أو ما لا شخص له من الآثار، كذا في القاموس. وقوله (في الهوى): أي المحبّة والعشق. وقوله (الأعين): جمع عين، وهي الباصرة، أو عين القلب. وقوله (النُّجْل): جمع نجلاء، يقال: عين نَجلاء، قال في القاموس: «الأَنْجَل: الوَاسِع العَرِيض الطويل. والنَجَل بالتحريك: سِعَةُ العَين. نَجِلَ كفَرِحَ، فهو أَنْجَل». وهي أعين المشايخ العارفين المحقِّقين من أهل الله تعالى؛ فإنّ أعين أبصارهم متّسعة جدّاً، فلا يخفى عليهم شيء في عالم الملك. وأعين بصائرهم أوسع فلا يخفى عليهم في عالم الملكوت. وكونهم لم يتركوا له رسماً وإنّما أفنوا رسمه بالكلّيّة بإرشادهم له، ودلالتهم له إلى

الحقّ بأقوالهم، وأحوالهم وعلوّ هممهم لصدقه معهم في صحبتهم، وكمال توجّهه إلى طلب الحقّ عناية من الله وهداية له.

٣٧- وَلِي هِمَّـةٌ تَعْلُـو إذا مَـا ذَكَرْتُهَـا وَرُوحٌ بِـذِكْرَاهَا إذَا رَخُـصَتْ تَغْلُـو

(**ولي همّة**): أي باعث قلبي، وقال في القاموس: «الهِمّة بالكسر، وتُفتح: ما هُمَّ به من أمر ليُفعل، والهوى». وقوله (**تعلو**): أي ترتفع إلى معالي الأمور. وقوله (**إذا ما ذكرتها**): أي إذا ذكرت المحبوبة المكنّى عنها بما مرّ. والمعنى في ذلك: إنّ باعث قلبه، وكمال توجّهه طالب لما وراء الأكوان من حضرة الغيب المطلق، كما قال العارف الكامل:

تركنـا البحـار الزاخـرات وراءنـا فمن أين يدري الناس أين توجّهنا

وقوله (ورو‌ح): أي منبعث من الأمر الإلهيّ، كما قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْـرِ رَبِّى ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨٥] ولم يقل نفس لأنّها غافلة عن أمر ربّها كما قلنا في مطلع قصيدة لنا:

قلـوب متـى منـه خلـت فنفـوس لأحرف وسواس اللعين طروس/[٣٤٠/أ]

وإنْ ملئـت منـه ومـن نـور ذاتـه فتلـك بـدور أشرقـت وشـموس

وقوله (**بِذِكْرَاهَا**): أي المحبوبة المذكورة. والذِكْرى بالكسر، اسم من التذكّر، قال في القاموس: «اذَّكَرَهُ وادَّكَرَهُ واسْتَذْكَرَهُ: تَذَكَّرَهُ وأَذْكَرَهُإيّاه، وذَكَّرَهُ، والاسم: الذِكْرَى، تقول: ذَكَّرْتُهُ ذكرى، غَيْر مُجْرَاةٍ. وقوله تعالى: ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [٧/ الأعراف/ ٢]: اسم لِلتَذْكِير. و: ﴿وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [٣٨/ ص/ ٤٣]: عبرة لهم. و﴿وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ [٨٩/ الفجر/ ٢٣]: من أين له التوبة. و: ﴿ذِكْرَى ٱلدَّارِ﴾ [٣٨/ ص/ ٤٦] أي: يُذَكَّرون بالدار الآخرة، ويُزَهَّدُون في الدنيا. ﴿فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ﴾ [٤٧/ محمّد/ ١٨] أي: فكيف لهم إذا جاءتهم الساعة بذكراهم»، كذا في القاموس. ويصحّ رجوع الضمير إلى الروح، أي: بتذكّرها نفسَها من قبيل: من

عرف نفسه فقد عرف ربّه. وقوله (إذا رَخُصَتْ): أي صارت رخيصة بغفلتها وجهلها. وقوله (تَغْلُو): أي تصير غالية، لا يُدرك ثمنها، ولا يُعرف سعرها، قال في القاموس: «غَلَا غَلَاءً، فهو غَالٍ، وغَلِيّ: ضدّ رَخُصَ. وأَغْلَاه اللهُ، وبِعْتُه بالغَالِي. والغَلِيّ كغَنِيّ، أي: الغَلَاء».

٣٨- جَرَى حُبُّهَا مَجْرَى دَمِي فِي مَفَاصِلِي فَأَصْبَحَ لِي عَنْ كُلِّ شُغْلٍ بِهَا شُغْلُ

(جرى حبّها): أي المحبوبة الحقيقيّة المذكورة. وقوله (مجرى دمي): أي في المجرى الذي يجري فيه دمي، وهو قوله (في مفاصلي): جمع مَفْصَل، وِزان مَسْجِد، أحد مَفاصل الأعضاء، كذا في المصباح، وقال في القاموس: «المَفْصِل: كلّ مُلتقى عَظْمَينِ من الجَسَد». قال بعض القائلين:

قد تخللت مسلَكَ الرّوحَ منّي وبذا سمي الخليل خليلاً

وقوله (فأصبح): الفاء تفريعيّة. وقوله (لي عن كلّ شُغْلٍ): يعني من أشغال نفسي وأشغال غيري، حيث لم تبقَ عنده نفسه، لأنّها ذهبت مع الذاهبين إلى الله تعالى، ولا بقي عنده غيره، وما بقي إلّا الحقّ تعالى قائم بنفسه، وقائم به كلّ أفعاله سبحانه، والجميع أفعاله. وقوله (بها): أي لا بغيرها، أي: المحبوبة الحقيقيّة المذكورة. وقوله (شُغْل): أي اشتغال، وذلك بالضرورة الوجدانيّة حيث وجد الحق بالحقّ، فاشتغل بالحقّ بشغل من الحقّ، فعل من أفعال الحقّ، وقد زهق الباطل من النفس وغيرها، قال تعالى للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨١].

٣٩- فَنَافِسْ بِبَذْلِ النَّفْسِ فِيْهَا أَخَا الهَوَى فَإِنْ قَبِلَتْهَا مِنْكَ يَا حَبَّذَا البَذْلُ

٤٠- فَمَنْ لَمْ يَجُدْ فِي حُبِّ نُعْمٍ بِنَفْسِهِ وَلَوْ جَادَ بِالدُّنْيا إِلَيْهِ انْتَهَى البُخْلُ

(فنافس): الفاء للتفريع على ما قبله، نافسْ: فعل أمر من المنافسة، قال في الصحاح: «نَافَسْتُ في الشيء مُنَافَسَة ونِفَاساً: إذا رغبت فيه على وجه المباراة في

الكرم، تنافسوا فيه، أي: رغبوا». والخطاب لأخي الهوى. وقوله (ببذلِ): متعلّق بنافسْ، بَذَلَهُ يَبْذُلُهُ: أعطاه وجاد به، كذا في القاموس. وقوله (النفس): هي الروح، والنَّفْسُ أيضاً الجسد، ونَفْسُ الشيءِ: عَيْنُه، يؤكِّد به، يقال: رأيت فلاناً نَفْسَه، وجاءني بِنَفْسِه، كما في الصحاح. والمعنى هنا: ببذل النفس الإحساس والذوق والوجدان؛ ليتجلّى الحيّ القيّوم بما يقول منك أنا فانٍ. ذلك أثر من آثار القدرة الربّانيّة قال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآبِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ [١٣/ الرعد/ ٣٣] وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [٣٧/ الصافات/ ٩٦] فإذا وجد العبد السالك ذلك المعنى فقد بذل نفسه لربّه، فكانت نفسه حقيقة تجلّي ربّه بما كسب في خير، وما اكتسب من شرّ. وقوله (فيها): أي في نُعْم، كناية عن الحضرة الأسمائيّة. يعني: في محبّتها. وقوله (أخا الهوى): أي يا أخا الهوى. يعني: يا من هو أخي في المحبّة الإلهيّة، قال في القاموس: الأخ: من النسب، والصديق، والصاحب». وقوله (فإنْ قَبِلَتْهَا): أي قبلتْ نفسُك نُعْمَ المحبوبة المذكورة/ [٣٤٠/ ب] وقوله منك بأن تبدّلت نفسك بتجلّي ربك عليك بجميع أفعالك، فتصير من الأبدال الذين تبدّلت نفوسهم بتجلّيات ربّهم، وهذا معنى القبول من الحضرة الإلهيّة الأسمائيّة، المكّنى عنها بنُعْم، المحبوبة المشهورة. وقوله (يا حبّذا): أي يا أخا الهوى حبّذا، قال في الصحاح حبّذا زيد: حبَّ فعل ماض لا يتصّرف. وأصله حبب على ما قال الفرَّاء، وذا فاعله، وهو اسم مبهم من أسماء الإشارة، جُعِلا شيئاً واحداً، فصارا بمنزلة اسم برفع ما بعده، وموضعه رفع بالابتداء وزيد خبره. ولا يجوز أن يكون بدلاً من ذا، لأنّك تقول: حبّذا امرأة، ولو كان بدلاً لقلت: حبّذت المرأة، قال جرير:

يا حبّذا جبل الريّان من جبل ... وحبّذا ساكن الريّان من كانا

وحبّذا نفحات من يمانيّة ... تأتيك من قبل الريّان أحياناً

وقال في القاموس: «حبّذا الأمر»، أي: هو حَبيب، جُعِل «حَبَّ» و« ذا » كشيء واحد وهو اسم، وما بعده مرفوع به، ولزم «ذا» «حبّ»، وجرى كالمَثَل، بدليل

قولهم في المؤنّث حبّذا، لا حبّذِه». وقوله (**البَذْل**): خبره، واللام للعهد، أي: البذل المذكور، وهو بذل النفس في هوى المحبوبة المذكورة. وقوله (**ومن لم يَجُد**): من جاد يجود، قال في الصحاح: «جَادَ الرجلُ بماله يَجُود جُوْداً، بالضمّ فهو جواد. وقوله (**في حُبِّ**): أي محبّة. وقوله (**نُعْم**): هي المحبوبة المذكورة. وقوله (**بنفسه**): متعلِّق بيجُد. وقوله (**وإنْ جاد بالدنيا**): أي بجميع ما فيها من كلّ ما له ثمن واعتبار. وقوله (**إليه**): متعلِّق بانتهى، قُدِّم عليه للحصر. وقوله (**انتهى**): أي وصل إلى النهاية، بحيث لا مزيد عليه. وقوله (**البُخْلِ**): فاعل انتهى، بضمّ الباء الموحّدة وسكون الخاء المعجمة، وفيه لغات أخرى: ضدّ الكرم، قال في القاموس: «البُخْل والبُخُول، بضمّها ضِدّ الكَرَم، بَخِلَ كفَرِحَ وكَرُمَ، بُخْلاً بالضمّ والتحريك فهو بَاخِل». فإنّ المحبّة الإلهيّة تقتضي الخروج عن كلّ ما سواه تعالى من الدنيا والآخرة، والزهد في جميع ذلك، بحيث لا يبقى قلبه متعلّقاً بشيء من ذلك أصلاً، وهذا مقام السالكين المحجوبين عنه تعالى بأنفسهم؛ فلا يعتبر ذلك منهم في طريق المحقِّقين حتّى يخرجوا عن أنفسهم أيضاً، ويزهدوا فيها؛ فينكشف حجابها عنه تعالى، قال العارف الكامل سيدي على وفا المصري قدّس الله سرّه:

تجرّد عن مقام الزهد قلبي ... فأنت الحقّ وحدك في سرودي
أأزهد في سواك وليس شيء ... أراه سواك يا سرّ الوجود

٤١ - وَلَوْلَا مُرَاعَاةُ الصِّيَانَةِ غَيْرَةً ... وَلَو كَثُرُوا أَهْلُ الصَّبَابَةِ أَوْ قَلُّوا
٤٢ - لَقُلْتُ لِعُشَّاقِ المَلَاحَةِ أَقْبِلُوا ... إلَيْهَا عَلَى رَأْيِي وِعَنْ غَيْرِهَا وَلُّوا
٤٣ - وَإنْ ذُكِرَتْ يَوْمَاً فَخُرُّوا لِذِكْرِهَا ... سُجُوداً وَإنْ لَاحَتْ إلَى وَجْهِهَا صَلُّوا

(**ولولا**): حرف امتناع لوجود، أي: امتناع شيء لوجود شيء آخر. وقوله (**مراعاة**): مصدر رَاعَيته، لاحظته مُحْسِناً إليه، وراعَيت الأمرَ: نظرت إلامَ يصير، كذا في القاموس. وقوله (**الصِيَانَة**): بالصاد المهملة والياء التحتيّة: مصدر صَانَه

صَوْناً وصِيَانَة: حَفَظَه، كما في القاموس. والمراد هنا حفظه للأشياء الخمس التي فرض عليه الشرع المحمّديّ حفظها على نفسه، فاللام للعهد؛ وهي الكلّيّات الخمس الواجب على كلّ مسلم حفظها ومراعاتها: الدين، والعقل، والدم، والمال، والعرض. ولكلّ واحدة حدّ في الشرع، واجب على من انتهكها وضيّعها ولم يحفظها؛ فالدين: قتل من ضيعه بالردّة، والعقل: الحد على من ضيعه بشرب الخمر. والدم: القتل بالقصاص على من أراقه، والمال: القطع بالسرقة فيه. والعِرْض: بكسر العين المهملة: الحدّ على من ضيّعه بالزنا والقذف، كما هو مفصل في محلّه من الفقه. وقوله (غَيْرَة) : بفتح العين المعجمة مصدر/ [٣٤١/ أ] قولك غَار الرجل على أهله يَغَار غَيْراً وغَيْرَةً وغَاراً. ورجل غَيُور وغَيْران، كذا في الصحاح. يعني: غَيْرَة منه على أحكام الله تعالى أنْ ينتهكها الجاهلون، ويتشبَّه بأهل المعرفة الغافلون.

وقوله (وإنْ كَثُرُوا): الواو ضمير جمع الذكور، فاعل كثر. وقوله (أهل): مرفوع على البدليّة من واو الضمير. والواو حرف، هي علامة جمع الذكور. وأهل فاعل كثر، وهي لغة أكلوني البراغيث. ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ [٢١/ الأنبياء/ ٣] وقوله صلّى الله عليه وسلّم: «يتعاقبون عليكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار»[1]. وقوله (الصَّبَابَة): بالبائين الموحّدتين، قال في القاموس: «الصَبابة الشوق، أو رِقّتُهُ، أو رِقَّة الهوى، صَبِبْتَ كَقَنِعْتَ، تَصُبُّ، فأنت صَبٌّ، وهي صَبَّةٌ». وقوله (أو قَلُّوا): يعني أهل الصَبابة. والمعنى: سواء كان العشّاق كثيرين، أو قليلين؛ فإنّ العشق قد يصفو عن الشهوة الطبيعيّة في أصحاب النفوس الأبيّة فيكونون قليلاً، وقد يمتزج العشق بالشهوة الطبيعيّة في الحيوانات، وفيمن كثف طبعه من الآدميين فيكونون كثيراً. والعشق كلّه حبّ إلهيّ سواء كان صافياً أو ممتزجاً من إنسان، أوغيره. وسواء تعلّق بالجنس،

(١) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب: مواقيت الصلاة، باب: فضل صلاة العصر، ٥٥٥.

كالإنسان يعشق الإنسان، والحيوان يعشق الحيوان. أو تعلّق بغير الجنس، ولا يصفو من كدر الطبيعة في العاشق والمعشوق إلّا في العارفين المحقّقين، فيظهر لهم الحبّ الإلهيّ بحيث يكون الحقّ تعالى هو المحبّ والمحبوب، والطالب والمطلوب، وقليل ما هم. وذلك مرادنا بقولنا من أبيات لنا:

كلّ حسن من حسنه مستعار   فلذا كلّ واله فيه واله
ما درى الناس أنْ كلّ جمال   فهو في الخلق لمحة من جماله
وكذا الحبّ كلّه قطرة من   حبّه نفسه بدا في خياله
صور كلّنا محبّاً ومحبو   باً وهذا مرادنا بوصاله

وقوله (**لَقُلْتُ**): جواب لولا، واللام موطئة للقسم المحذوف. وقوله (**لعشّاق**): جمع عاشق متعلّق بقُلْتُ. وقوله (**المَلاحَة**): بفتح الميم مصدر مَلُحَ الشيءُ بالضمّ، مَلَاحَة: بَهُجَ، وحَسُنَ منظرُه، فهو مليح، والأُنثى مَلِيْحَة، والجمع مِلَاح، كذا في المصباح. وهي ظهور الجمال الحقيقيّ كالحُسن الظاهر على الأشياء من إنسان وغيره، وعشّاق الملاحة، وهم المفتتنون بملاح الأكوان من النساء والولدان، وأنواع الأموال، والمآكل، والمشارب، والمناكح، والمراكب، والصنائع، والجاه، والمناصب، وما أشبه ذلك مما يراه الإنسان حسناً ذا ملاحة. وقوله (**أقبلوا**): أي توجّهه في عين إقبالكم على ما تعشقون من ذلك. وقوله (**إليها**): أي إلى هذه المحبوبة الواحدة المكنّى عنها بنُعْم فيما سبق من الأبيات؛ فإنّ جميع هذه الملاحة الظاهرة في الأكوان ملاحتها على جميع الآثار وألوان الأطوار. وقوله (**على رأيي**): الرائي العقل والتدبير، ورجل ذو رأي أي: ذو بصيرة وحِذْق في الأمور وجمع الرأي: آراء، كذا في المصباح. والمعنى: أقبلوا متوجّهين إلى هذه الحقيقة المحبوبة والحضرة الإلهيّة المطلوبة في كلّ ما توجّهتم إليه على حسب ما أراه، وأعتقده من ظهور جمال الحقّ تعالى على كلّ شيء. وقوله (**وعن غيرها**): أي غير المحبوبة المذكورة. وقوله (**ولّوا**): بتشديد اللام، أي: أعرضوا؛ لأنّ غيرها صور

وأشكال فانية في نفسها، مضمحلّة لا وجود لها، والوجود كلّه الظاهر عليها في حال فنائها وعدمها بالكلّيّة، وهو وجود هذه المحبوبة المذكورة، والحضرة الإلهيّة المتجلّية بكلّ صورة وقوله (وإنْ ذُكِرَتْ): بالبناء للمفعول، أي: هذه المحبوبة المذكورة أي ذكر كان، بذكر اللسان، أو بذكر القلب، أو بذكر العقل أو/ [٣٤١/ ب] الفكر باسم من أسمائها، أو بصفة من صفاتها، أو بفعل من أفعالها.

وقوله (يوماً): أي في وقت من الأوقات. وقوله (فَخَرُّوا): من الخَرّ، وهو السُقُوط كالخُرُور، أو من عُلُو إلى سُفْل، يَخِرُّ ويَخُرُّ، كذا في القاموس. والخطاب لعشّاق المَلاحة المذكورين. وقوله (لِذِكْرِهَا): أي لذكر هذه المحبوبة الوارد عليهم، أو المسموع لديهم. وقوله (سجوداً): جمع ساجد، من السجود، وهو الخضوع والإنحناء. وقوله (وإنْ لاحت): أي ظهرت لكم لانكشاف الحجاب بينكم وبينها. وقوله (إلى وجهها): أي ما يواجهكم منها، وهو الاسم من أسمائها الجامع لجميع أسمائها. قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [١٧/ الإسراء/ ١١٠]. وتقديم الجار والمجرور للحصر؛ فإنّه متعلّق بِصَلُّوا. وقوله (صَلُّوا): فعل أمر من الصلاة، وهي العبادة المخصوصة المعروفة. قال في القاموس: «الصلاة: الدعاء، والرحمة، والاستغفار، وعبادة فيها ركوع وسجود[1]. اسم يوضع موضع المصدر». وأمرهم بالسجود وحده لذكرها؛ فإنّه دون ظهورها، وبالصلاة ذات الركوع والسجود لظهورها، فإنّه المطلوب الكامل عند كلّ عالم عامل كما ورد: «إنّ الله في قبلة أحدكم...»[2] الحديث.

---

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: «بلغ مقابلة».

(٢) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب: العمل في الصلاة، باب: ما يجوز من البصاق والنفخ في الصلاة، ١٢١٣، عن ابن عمر رضي الله عنه، أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم رأى نخامة في قبلة المسجد، فتغيّظ على أهل المسجد، وقال: «إنّ الله قِبَل أحدكم، فإذا كان في صلاته فلا يبزقنّ» أو قال: «لا يتنخّمن». ثمّ نزل فحتّه.

٤٤- وَفِي حُبِّهَا بِعْتُ السعَادَةَ بِالشَّقَا ضَلَالاً وعَقْلِي عنْ هُدايَ بِهِ عَقْلُ

(وفي حبّها): أي المحبوبة المذكورة. والجار والمجرورمتعلّق ببعتُ، قُدّم للحصر. وقوله (بعت السعادة): الدنيويّة التي يرغب فيها الغافلون، وينهمكون في تحصيلها من مال، وجاه، ووجاهة، ومنصب، ونحو ذلك. وبيعها كناية عن الإعراض عنها، والزهد فيها، بالظاهر والباطن. وقوله (بالشقاء): أي التعب والمشقة، وما يناله السالك في الدنيا من الأذى، وإنكار أهل الغفلة عليه، وجحودهم ما لديه. والباء هي الدّاخلة على الثمن في قولك: بعت هذا بهذا. وقوله (ضَلالاً): تمييز لنسبة بيع السعادة المذكورة. يعني: حيرة منِّي، واندهاشاً في جمال المحبوبة المذكورة. وقوله (وعقلي): أي قوّة إدراكي في الأمور الدنيويّة. وقوله (عن هُدَايَ): أي اهتدائي، واطّلاعي على مصالح معاشي، وتدبير أحوالي. وقوله (به عقل): أي ربط بها أنا ساعٍ في تحصيله، ومهتم بتأصيله من المعرفة الإلهيّة، والفتوحات الربّانيّة.

٤٥- وَقُلْتُ لِرُشْدِي والتَنَسُّكِ وَالتُّقَى تَخَلَّوْا ومَا بيْنِي وَبَيْنَ الهَوَى خَلُّوا

(وقلت لِرُشْدِي): مصدر رَشَدَ، كنصر وفَرِح، رُشْداً ورَشَداً ورَشَاداً: اهتدى، كاسترشد، كما في القاموس. وقوله (والتَنَسُّكِ): أي التعبّد، قال في الصحاح: النَسْك: العبادة. والناسك: العابد. وقد نَسَكَ وتَنَسَّكَ: أي تَعَبَّدَ».

وقوله (والتقى): مصدر اتَّقيت الشيءَ وتَقَيْتُهُ وأَتَقِيْهِ تُقَىً وتقِيَّةً وتِقَاءً ككِساء: حَذَّرْتُهُ، والاسم التقْوَى، كذا في القاموس. وقوله (تَخَلَّوْا): بتشديد اللام. قال في القاموس: خَلَّى الأمر وتَخَلّى منه، وعنه: تركه. ويقال: خَلَّى مكانه: مضى عن الأمر، ومنه: تَبَرّأ». والمعنى في ذلك: إنّه قال لهذه الثلاثة هدايته في دين الله، وعبادته لله تعالى، على الوجه الأكمل المطلوب، وتقواه في الشريعة المحمّديّة، بطريق الكناية: اتركوني، ولا تشغلوا قلبي بالالتفات إليكم، ورؤية محاسنكم وكمالكم عن

الاشتغال بالتوجّه التام القلبي إلى التحقّق بتجلِّيات ربّي. وأضاف الرشد إلى ياء المتكلِّم لثبوته عنده، ودوام إقامته فيه. وأتى بالتنسّك والتّقى معرفاً بلام العهد؛ لأنّ ذلك معهود منه، ومعروف لديه، وثابت في ظاهره وباطنه. وأشار بخطابه لهذه الثلاثة إلى أنّها عنده لا تفارقه مع إعراضه عن الاشتغال بها وتوجّه قلبه وقالبه بالكلِّيّة إلى جناب ربّه وخالقه لا يغيب عنه، وأنّه في دوام مراقبته، وهذه حالة الكاملين، وطريق أهل الله/ [٣٤٢/ أ] الصادقين. ولمّا كانت هذه الحالة خفيّة عن العلماء من أهل الشريعة، لا يعرفونها في المحقِّقين من الأولياء العارفين، فضلاً عن خفائها على عامّة المؤمنين والمسلمين ظنوا أنّ طريقهم ترك الشريعة. والتهاون بأحكامها العقوبة المنيعة، وحسبوا أنّ الأولياء منتهكون لأحكامها، ولا يحترمون حلالها وحرامها، فصغرت عندهم مشارب الحقيقة، وفتحت في أعينهم محاسن أهل الطريقة، فأكثروا عليهم الملام، وأنكروا أحوالهم المخلصة الشريفة بين الأنام، وفضّلوا عليهم أحوال أهل التقوى والعبادة المشتغلين بالعمل الصالح، والعلم النافع عن التفرّغ للتحقيق بحقائق الإرادة، ومعارف أهل السلوك في طريق السادة المنهمكين في نجاة نفوسهم من النار، المعرضين عن تجلِّيات الكريم الغفار، المقبلين بكلِّيتهم على نيل الشهوات الأُخرويّة في دار القرار، لا يعرفون مقامات الرجال، ولا يعرفون بين نساء النفوس وذكور القلوب من الأبطال، وشتّان بين علوم الأغيار، وعلوم الحقّ في تجلِّياته ببدائع الأسرار؛ فإنّ العلوم الشرعيّة طريق عامّة المسلمين. والعمل الصالح بمقتضاها طريق الخاصّة من أهل اليقين. وكلاهما ناجٍ في الآخرة، وحائز في الجنّة أنواع الحالة الفاخرة. وأمّا العلوم الإلهيّة فهي نتائج تلك العلوم الشرعيّة، والأعمال المرضيّة، وأهلها خواص الخواص المعرضون عنها مع وجودها فيهم، ودوامها لديهم، بحيث صارت لهم طبيعة، لا يتكلّفون فيها بالنفوس المطيعة؛ فتصدر منهم

على أكمل الوجوه العليّة، وأشراف الأحوال السنيّة. ومع ذلك لم يشتغلوا بها عن مطلوبهم الأعلى، ومشهودهم الأجلى ومشروبهم الأحلى. ولعمري فهم الرجال، كلّ الرجال، وهم الأئمّة الأبطال، لا يشعرون بخالص أعمالهم، ولا بصدق أحوالهم لعدم التفاتهم إلى ذلك من شدّة توجّههم إلى التحقّق بتجلّيات القدير المالك. وقد استولى الحقّ تعالى على قلوبهم، وأعلمهم بما ينفعهم في طريق مطلوبهم، وعمل بهم جميع ما هم به مكلّفون، وهم لا يشعرون، فتراهم متردّدين بين رجائه وخوفه. ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ ﴾ [٣٣/ الأحزاب/ ٤].

وقد أشرنا إلى ذلك بأبيات لنا من قصيدة، وهي قولنا:

ويلي من العاذل المغرور في عذلي ... يظنّ باعي عن العلياء في قصر

حتّى غدا زاعماً من فرط طاعته ... وزهده أنّه من أفضل البشر

وليس يعلم ما تجني عبادته ... من الحجاب له عن لذّة النظر

ومَن إلى الزهد والطاعات ينظر عن ... مولاه أعمى ومن بالعكس ذو بصر

ونحن قوم عن الأغيار همّتنا ... ترفّعت لعزيز الأمر مقتدر

لا الزهد عمّن سواه عنه يحجبنا ... ولا بطاعته عنّا بمستتر

هو الفنا لا بنا حيث الوجود له ... والظلّ ليس بموجود مع الشجر

وقوله (وما بيني وبين الهوى): ما زائدة، والهوى: المحبّة. واللام للعهد، أي: المحبّة المعهودة لمحبوبته المشهودة. وقوله (خَلُّوا): بفتح الخاء المعجمة، وتشديد اللام مرفوعة: فعل أمر من خلّى عنه: تركه. يعني: اتركوني مشتغلاً بمحبّة هذه المحبوبة، والانهماك في شهودها، والتحقّق بتجلّياتها، ولا تشغلوني بكم عنها كما شغلتم غيري، وخطاب هذه الثلاثة بخطاب العقلاء على الاستعارة من قبيل قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴾ [١٢/ يوسف/ ٤] وقوله سبحانه: ﴿أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ [٤١/ فصلت/ ١١].

٤٦ - وَفَرَّغتُ قَلْبِي عَنْ وُجُودِيَ مُخَلِّصاً لَعَلِّيَ في شُغْلِي بِهَا مَعَهَا أَخْلُو

/ [٣٤٢/ ب] (وفرغت): بتشديد الراء. وقوله (قلبي): مفعول فرَّغت. وقوله (عن وجودي): أي الذي أنا به موجود بأن تركت نسبة وجودي إليّ، ونسبتي إليه، وجرّدته في نفسي عنّي، وأفردته وجوداً مطلقاً عن جميع قيودي الكونيّة، فكنت أنا العدم المقدّر بالتقادير الصادرة منه. وقوله (مُخَلِّصاً): بكسر اللام مشدّدة: اسم فاعل من التخليص قال في الصحاح: «خَلَّصْتُهُ من كذا تَخْلِيصَاً، أي: نجَّيْتُهُ فتَخَلَّص». وهو حال من فاعل فرّغت. ومعناه: جعلت قلبي متنحّياً من دعوى وجودي، كما روي عن أبي القاسم الجنيد قدّس الله سرّه أنّه قال: «عبدت الله ثلاثين سنة فما فتح عليّ بشيء، فمررت يوماً ببغداد فسمعت جارية تغنّي بهذه الأبيات:

إذا قلت أهدي الهجر لي حلل البلا تقولين لولا الهجر لم يطب الحبّ

وإنْ قلت هذا القلب أحرقه الجوى تقولي بنيران الجوى شرف القلب

وإنْ قلت ما ذنبي إليكِ أجبتني وجودك ذنب لا يقاس به ذنب

فعملت على تجريد وجودي وانفراده عنّي، فوصلت إلى الله في تلك الليلة»، ويصحّ أن يكون مُخْلِصاً بسكون الخاء المعجمة وكسر اللام، مخفّفة، من الإخلاص، حال من فاعل فرَّغتُ، أي: كان تفريغي ذلك عل وجه الإخلاص منّي في إرادة التعريف إلى الله تعالى.

وقوله (لَعَلِّيَ): بفتح الياء التحتيّة لاستقامة الوزن. و(لعلّ): كلمة طمع في الأمر المحبوب، وإشفاق وخوف في الأمر المكروه. وقوله (في شغلي بها): أي بالمحبوبة المذكورة. وقوله (معها): أي مع المحبوبة المذكورة. وقوله (أخلوا): من خلا، وقع في موضع خالٍ لا يُزاحم فيه، كأَخْلَى واسْتَخْلَى به، وخَلا به وإليه ومعه خَلْواً وخَلَاءً وخَلْوَةً: سأله أن يجتمع به خلوة ففعل، كذا في القاموس. والمعنى: إنّ تفريغ قلبي عن وجودي بحيث يبقى وجودي كلّه له، وأبقى أنا فرضه وتقديره من غير

وجود لي، لعلّي بسبب ذلك أصير في خلوة مع المحبوبة المذكورة. وخصّ قلبه بالتفريغ عن وجوده؛ لأنّه الأصل في نسبة الوجود إليه؛ وهو الوجود الحقّ. ولهذا قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡ ﴾ [٦/ المائدة/ ١٠٥٢] أي: ابدؤوا بها فاعرفوها حتّى يزول استقلالها، ولا بالدعوى، فإذا زالت دعواها الاستقلال ـ ودخلت تحت جملة تصرف الحقّ تعالى في جميع الأكوان صارت قلباً متقلّباً بالأمر الإلهيّ الذي هو كلمح بالبصر؛ فإذا وصل إلى إدراكه التجدّد في الخلق الجديد كما قال تعالى: ﴿بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ ﴾ [٥٠/ ق/ ١٥] زال عنه اللبس فزالت نفسه الجامدة بالأوهام؛ فيظهر له حينئذ تجريد الوجود الحقّ عنه وعن جميع الأكوان، ويرجع هو وجميع الأكوان إلى عدمه الأصلّي، قال صلّى الله عليه وسلّم: «كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان»(١) وفي الحديث: «ابدأ بنفسك ثمّ بمن تعول»(٢) أي: من بقيّة الأكوان فنفسك أصل كما ذكرنا.

٤٧- وَمِنْ أَجْلِهَا أَسْعَى لِمَنْ بَيْنَنَا سَعَى	وَأَعْـدُو وَلَا أَغْـدُو(٣) لِمَـنْ دَأْبُـهُ العَـذْلُ
٤٨- فَأَرْتَـاحُ لِلْوَاشِيْنَ بَيْنِي وَبَيْنَهَـا	لِـتَعْلَمَ مَـا أَلْقَـى وَمَـا عِنْـدَهَا جَهْـلُ
٤٩- وَأَصْبُوا إِلِى العُذَّالِ حُبَّاً لِذِكْرِهَا	كَـأَنَّهُمْ مَـا بَيْنَنَـا فِي الْهَـوَى رُسْـلُ
٥٠- فَإِنْ حَدَّثُوا عَنْهَا فَكُلِّي مَسَامِعٌ	وَكُـلِّي إِنْ حَـدَّثْتُهُمْ أَلْـسُنٌ تَتْلُـو

(ومن أجلها): أي من أجل المحبوبة المذكورة. وقوله (أسعى): أي أقصد عمل الخير والنفع والطاعة. قال في القاموس: «سَعَى يَسْعَى سَعْيَاً، كرَعَى: قَصَدَ، وعَمِلَ، ومَشَى». وقوله (من بيننا): أي بيني وبين المحبوبة المذكورة. وقوله (سَعَى):

---

(١) انظر تخريجه ص٤٦١.

(٢) ذكره العسقلانيّ في فتح الباريّ في شرح صحيح البخاريّ، كتاب: العلم، باب: العلم والعظة بالليل، ١١٢. كما ذكره النوويّ في شرح صحيح مسلم، كتاب: الإمارة، باب: الناس تبع لقريش، والخلافة في قريش، ٣٣٩٨.

(٣) في (ق): وأغدو ولا أعدو.

أي مشى بالصلح، وقصد/[٣٤٣/أ] الخير والنفع كالأنبياء عليهم السلام؛ فإنّهم ساعون لتأليف القلوب النافرة عن الله تعالى لتجتمع عليه، وكذلك ورثتهم من الأولياء المحقِّقين، كما قال تعالى لموسى عليه السلام وأخيه في حقّ فرعون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ [٢٠/طه/٤٤]. وإذا حصل الإيمان من الأمّة المحمّديّة أمر داعيها بالتلطّف بها قال تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [١٥/الحجر/٨٨]. وإذا لم يحصل الإيمان فأمر بضدّ ذلك؛ وهي سعاية خير أيضاً، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ [١٦/التحريم/٩] وقوله (**وأَعْدُو**): بالعين المهملة معطوف على أسعى، من العَدْو بسرعة، وهو سرعة السير. وقال في تفسير المغني: «المشي هو السير السهل، وهو جنس الحركة المخصوصة، فإذا اشتدّ فهو سعي، وإذا ازداد فهو عَدْوٌ»، أي: امتثل أوامرهم، واجتنب نواهيهم بشدّة عزم، وهمة صادقة. وقوله (ولا أغدو): بالغين المعجمة، من غَدَا عليه غُدُواً وغَدْوَة، بالضمّ، واغْتَدَى: بَكَّر، كذا في القاموس. وقال في الصحاح: «الغُدُوُّ نقيض الرَواح، وقد غَدَا يَغْدُو غُدُوّاً». وقوله (**لمن دَأْبُهُ**): دَأَبَ في عَمَلِهِ كمَنَعَ، دَأْباً، ويحرّك، ودُؤُوباً بالضمّ، جَدَّ وتَعِبَ، والدَأْبُ أيضاً، ويحرَّك: الشأن والعادة، كما في القاموس.

وقوله (**العَذْلُ**): أي اللوم والتعنيف، كما هو عادة المتفقِّهة في المذاهب، يفتِّشون على عيوب الناس وذنوبهم، ولا يلتفتون إلى عيوب نفوسهم وذنوبهم، لتحسين ظنونهم بأنفسهم، وتأويلهم كلّ ما يفعلونه من المخالفات، ولا يؤَوِّلُون ما يرونه من ذنوب غيرهم. وقد قال الإمام النووي ـ من كبار فقهاء الشافعيّة ـ: «يجب على الإنسان أنّ يحمل أخاه على المحامل الحسنة إلى سبعين وجهاً؛ فإنْ عجز يقول: لعلّ له عذر لا أعلمه». وقد وجدت كتاباً مستقلّاً سمّاه مصنّفه «تحفة الأكياس في تحسين الظنّ بالناس»[1] وأمّا فيما يوهم الكفر فقد قال في «تنوير الأبصار» ولا يُفتى بتكفير

---

(١) ورد في المخطوط لديّ باسم «تحفة الأكياس في حسن الظن بالنّاس» تأليف الشيخ أحمد المصري الشهير بالفولي، وهو شيخ الأزهر، سيصدر بتحقيق خالد الزرعي إن شاء الله تعالى.

مسلم أمكن حمل كلامه على محمل حسن، أو كان في كفره خلاف، ولو رواية ضعيفة» فمَنْ شأنه وعادته اللوم والتعنيف، لا يغدو إليه الناظم، ولا يسرع إلى قبول قوله، والعمل بمقتضى ظنونه في بعض ما يذهب إليه، ويمكن أنْ يكون قوله (لمن بيننا سعي): يعني بالإفساد والفتنة، وهو الشيطان المقارن له، الذي شأنه دائماً الوسوسة، وإيقاع العدواة بين الإنسان وربّه، بتهوين المعاصي عليه، والمخالفات ليقع فيها، فيغضب عليه ربّه. وكونه يسعى إليه ويعدو لعلمه بالحفظ له، والصيانة منه، من جهة الحقّ تعالى. كما نقل عن أبي مدين، الغوث، قدّس الله سرّه، أنّه قيل له: «كيف أنت مع الشيطان؟. فقال أرأيتم لو بال أحدكم في البحر فهل ينجس ببوله؟. قالوا: لا. فقال: هكذا حالي معه». وعدم غدوه، وعدم ميله إلى اللائمين والمعنِّفين له؛ لأنّهم يؤذون بجهلهم أحواله الصادقة؛ ولهذا قال بعد ذلك على طريقة اللف والنشر المرتّب (فارتاح): أي أنشط، وأقبل متوجّهاً بكمال الهمّة. قال في القاموس: «الارتياح: النشاط والرحمة، وارتاح الله به برحمته أنقذه من البليّة». وقوله (للواشين): جمع واشي، قال في القاموس: «وَشَى كلامَه كَذَبَ فيه، ووَشَى به إلى السلطان وَشْياً ووِشَايَةً: نَمَّ، وسَعَى». وأراد بالواشين الساعين بالفساد. إشارة إلى قوله في البيت قبله (لمن بيننا سعى). وقوله (بيني وبينها): أي المحبوبة المذكورة، بأنْ كان قصده إغضابها عليّ لتعاقبني. وقوله (لتعلم): أي المحبوبة المذكورة، وهو علّة لارتياحه، ونشاطه للواشين بينه وبينها، أي: ليحصل لها العلم الوقوعي التنجيزي. وقوله (ما): أي الذي أو أمراً، مفعول تعلم.

وقوله (ألقى): أي ألقاه بمعنى/ [٣٤٣/ ب] أقاسيه وأعانيه في محبّتها من الألم، والتأذّي بصنيع الواشين، وسعايتهم بالإفساد؛ فإنّها إذا علمت بذلك شفقت عليه ورحمته. وقوله (وما عندها): أي عند المحبوبة المذكورة. وقوله (جهل): بما أقاسيه من ذلك؛ لأنّ الجهل على حضرة تلك المحبوبة المذكورة مستحيل؛ فهي عالمة بعلمها القديم الكاشف عن المعدومات على ما هي عليه كشفاً تامّاً لا يحتمل

النقيض. وأمّا علمها الوقوعي التنجيزي فهو لا يزيد على ذلك العلم القديم شيئاً، لانّ العلم القديم علم حضوري في الأزل والأبد على السواء، لاستحالة الزمان، ومروره على الحضرة الإلهيّة؛ فالمعدومات الأزليّة التي تعلّق بالكشف عنها العلم القديم فهي معلومات هي على ما هي عليه من عدمها الأصلي أزلاً وأبداً، وإنّما استفادت الوجود بمجرّد نسبته إليها، أو نسبتها إليه عند الحوادث من الأكوان. وبالنسبة إلى علمهم الحادث بها، قال تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ﴾ [١٦/ النحل/ ٩٦] أي: هو نافد، منقبض وإن وجدتموه وجد، ثمّ انعدم، وما عند الله باق على أصله العدمي، يتقلّب في أطواره في العدم على ما هو عليه، بحسب ترتيبه، وتقديم أحواله بعضها على بعض. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾ [٤٧/ محمد/ ٣١] يعني: حتّى نعلم عندكم، فتعلمون أنّا نعلم ذلك؛ وهو معنى العلم الوقوعي التنجيزي، كما ذكرنا. وقوله (**وأصبوا**): أي أميل، وأَحنُّ، قال في القاموس: «صَبَا إليها: حَنَّ صَبْوَةً وصُبُوّاً». وقوله (**إلى العذّال**): جمع عاذل، وهو اللائم المعنّف، قال في القاموس: العَذْل الملامة كالتَعْذِيل، والاسم العَذَل، محرّكة». وأشار بقوله (**وأصبوا إلى العُذَّال**) إلى قوله في البيت قبله (**ولا أغدو لمن دأبه العذل**) فكأنّه بذلك يرى حكمة الحقّ تعالى في كلّ ما يقع من خير أو شرّ، وأنّه كلّه منافع للعباد، ليترتّب عليه مصالحهم في الدنيا والآخرة. وقوله (**حُبّاً**): أي لأجل حبّي، أي: محبّتي. وقوله (**لذكرها**): أي المحبوبة المذكورة؛ وهو علّة لقوله (**وأصبوإلى العذّال**): يعني لأسمع من العذّال ذكر المحبوبة فألتذّ بذكرها، من قبيل قول الشاعر:

أحبّ العذول لتكراره ... حديث الحبيب على مسمعي
وأهوى الرقيب لأنّ الرقيب ... يكون إذا كان حبّي معي

وقوله (**كأنّهمُ**): بضمّ الميم لاستقامة الوزن. يعني العُذّال. وقوله (**ما بيننا**): ما زائدة، أي: بيني وبين المحبوبة المذكورة. وقوله (**رُسْل**): بسكون السين المهملة،

جمع رسول، قال في الصحاح: «أرْسَلْتُ فلاناً فهو مُرْسَل ورَسُول، والجمع: رُسْل ورُسُل. يعني بالسكون وبالضمّ. والمعنى: إنّ اللائمين والمعنّفين له على المحبّة اشتبهت حالتهم في لومهم له، وتعنيفهم على المحبّة بحالة الرسل الذين ينقلون أخبار المحبوبة إلى محبّها، وأخبار المحبّ إلى محبوبته؛ لأنّهم يقولون له: اترك حبّها فإنّه مضرة لك؛ وهي تريد ذلك القول منهم لفرط جمالها، ودلالها، وعزّتها. ويقولون أيضاً لها فلان يحبّك لتنفر منه وتعرض عنه. والمحبّ يريد ذلك لتدوم محبّته مع الهجر والجفاء من المحبوبة له، ولهذا كان مقام المحبّة حجاباً عن المحبوب، لأنّ فيه بقيّة مغايرة للمحبوب، وبها كان محبّاً، وكان بذلك الفرق بين المحبّ والمحبوب، والطالب والمطلوب، والراغب والمرغوب، ولو كان هنا المصراع للبيت الذي قبله، ومصراع البيت الذي قبله له لكان أنسب بفعل الواشين، أي: المُفْتِنِين بينهما؛ فإنّ نقلهم الأحاديث أحدهما للآخر يشبه الرسالة. وقوله/ [٣٤٤/ أ] لتعلم أن ما ألقى مناسب لقوله (**وأصبو إلى العذال حبّاً لذكرها**): أي ما ألقى من ألِـم المَلامَة والتعنيف على المحبّة. وقوله (**فإنْ حدّثوا**): أي العذّال بأنْ ذكروا الأحاديث والأخبار. وقوله (**عنها**): أي عن المحبوبة المذكورة. وقوله (**فكلّي**): أي ظاهري وباطني. وقوله (**مَسامِع**): جمع مِسْمَع، وهو آلة السمع. وقال في الصحاح: «السَامِعَة: الأُذُنُ، وكذلك المِسْمَع بالكسر، يقال: فلان عظيم المِسْمَعَيْنِ». وإنّما كان كلّه مَسَامِعَاً لإصغائه بكلّيته إلى ذكر محبوبته شوقاً إليها، وإقبالاً عليها. وقوله (**وكُلّي**): بفتح الياء التحتيّة لأجل الوزن، أي: ظاهري وباطني. وقوله (**إنْ حَدَّثْتُهُم**): أي العُذّال بتقدير عنها: أي عن المحبوبة المذكورة بأنْ ذكرت محاسنها لهم، وجميل صنعها معي. وقوله (**أَلْسُنٌ**): جمع لسان، وهو آلة النطق المعروفة. وقوله (**تَتْلُو**): أي تقرأ، يقال: تلوت القرآن تلاوة: قرأته. على معنى أنّي إذا نطقت بذكر صفاتها، ونشر محاسنها ونعمها الكاملة نطقت بظاهري وباطني؛ فكانت جميع أعضائي ألسنة ناطقة بذلك، ومن هذا القبيل قولنا من قصيدة في المديح النبويّ:

قد صار كلي قلوباً في محبّته وإنْ مدحت فكلّي فيه أفواه

٥١- تَخَالَفَتِ الأَقْوَالُ فِيْنَا تَبَايُناً بِرَجْمِ ظُنُونٍ بَيْنَنَا مَا لَهَا أَصْلُ

٥٢- فَشَنَّعَ قَوْمٌ بِالْوِصَالِ وَلَمْ تَصِلْ وَأَرْجَفَ بِالسُّلْوَانِ قَوْمٌ وَلَمْ أَسْلُ

٥٣- وَمَا صَدَّقَ التَّشْنِيعُ عَنْهَا لِشِقْوَتِي وَقَدْ كَذَبَتْ عَنِّي الأَرَاجِيفُ وَالنَّقْلُ

(**تخالفتِ الأقوال**): جمع قول. يعني: كلّ قوم من الناس قولهم يخالف قول القوم الآخرين. وقوله (**فينا**): أي في حقّي، وفي حقّ المحبوبة المذكورة. وقوله (**تبايناً**): أي من جهة التباين، أي: التفارق والتقاطع؛ فكلّ قول منها يباين القول الآخر ويفارقه، وينقطع عنه. وقوله (**برجم ظنون**): متعلّق بتخالفت، والرجم: القذف. والظنون: جمع ظن، وهو التردّد الراجح بين طرفي الاعتقاد غير الجازم. والجمع: ظنون وأظانين، كذا في القاموس. وقوله (**بيننا**): أي بيني وبين المحبوبة المذكورة. وقوله (**ما لها**): أي لتلك الظنون أصل ترجع إليه، وإنّما هي كلّها أكاذيب وتخيلات باطلة من نفوس عاطلة، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾ [٤٩/ الحجرات/ ١٢] الآية، ثمّ بيَّن ذلك بقوله (**فشنّع**): بتشديد النون، من الشَنَاعة، وهي الفَظاعة، فهو شَنيع، أي: شديد فظيع، وشَنَّع عليه تَشْنِيعاً: شدّد في أمره. وقوله (**قوم**): أي طائفة من الناس غافلون عن معرفة ربّهم، يظنّون أنّ المخلوق يصل إلى إدراك الخالق، كما يصل إلى إدراك أمثاله من المخلوقين، ولا يعلم أنّ الطريق كلّه سلوك من الأزل إلى الأبد، كما قال تعالى لأعرف العارفين به نبيّه محمّد صلّى الله عليه وسلّم: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [٢٠/ طه/ ١١٤] أي علماً بك. والعلم الحادث الذي يقبل الزيادة والنقصان لا يصل إلى إدراك القديم أصلاً، وإنّما السلوك كلّه من حادث إلى حادث، من حيث أنّه صادرعن القديم، لا من حيث هو حادث فقط، مع قطع النظرعن صدوره عن القديم، فإنّ ذلك علم أهل الغفلة والحجاب. وقوله (**بالوصال**): أي الوصول إلى إدراك من لا يدرك، ولقاء

المحبوبة الحقيقيّة، والحضرة الإلهيّة الربّانيّة، كلقاء المخلوق للمخلوق، وهيهات هيهات أنْ يدرك المعدوم الذاتيّ للموجود بالذات. وقوله (ولم تَصِل): أي لم تجعلني واصلاً إليها ومدرك حقيقة ما لديها فإنّ ذلك محال، وليس لمخلوق إليه مجال؛ وإنّما كلّ حادث /[٣٤٤/ب] مقامه العجز عن نيل هذا الكنز، كما قال الصدّيق الأكبر، أبو بكر بن أبي قحافة، خطيب هذا المنبر: «العجز عن درك الإدراك إدراك» ولقد صدق في مقاله؛ فإن البحث عن كنه ذات الله إشراك. وقوله (وأَرْجَفَ): من الإرجاف، واحد أراجيف: الأخبار، وقد أَرْجَفُوا في الشيء، أي: خاضوا فيه، كذا في الصحاح. وقوله (بالسُّلْوَان): أي نسيان المحبوبة المذكورة، قال في القاموس: «سَلَاه، و ـ عنه كدَعَاه ورَضِيَه، سَلْواً وسُلُوّاً وسُلْواناً وسُلِيّاً: نَسِيَهُ». وقوله (قوم): أي طائفة من الناس، وذلك لمّا رأوه رسخ على مقام العجز، وسلك في أطوار الأحوال المستفادة، وتقلبات الأفعال المعتادة، ورجع إلى بدايته في نهايته، ظنّوه تسلّياً بالأغيار عن التطلّع إلى وجوه الأسرار، وهيهات هيهات أنْ يحيا بالحياة الوهميّة منه في تحقيق مقام المحبّة مات، ورجع إلى العدم الأصليّ بالذات. وقوله (ولم أسلُ): أي والحال أنّه لم يكن منّي سلوٌ للمحبوبة، ولا إعراض عن تلك الحضرة المطلوبة.

وقوله (وما صدق التشنيع): بلام العهد الذكري. وقوله (عنها): أي تشنيع القوم عن المحبوبة المذكورة بأنّها واصلته؛ فأدركها بحسب كمال عجزه عنها، وقد سبق في ديباجة هذا الديوان أنّ الشيخ إبراهيم الجعبري قدّس الله سرّه قال: «كنت سألت جماعة من الأولياء عن مسألة فلم يجبني أحد منهم عنها، فسألته عنها، أي: سأل الشيخ عمر بن الفارض صاحب هذا الديوان قدّس الله سرّه عنها فقلت له يا سيّدي: هل أحاط أحد بالله علماً، فنظر إليّ نظر معظِّم لي، وقال: نعم، إذا حيّطهم يحيطون يا إبراهيم، وأنت منهم»، ولهذا قال في تجويز حصول هذا المقام له لشقوتي، أي: لشدّة أتعابي وشدائدي التي قاسيتها في طريق المحبّة؛ فإنّ معاناة ألم

ذلك مانع من استجلاء المقام المذكور، ولا يمنع من قول الناظم قدّس الله سرّه إذا حيّطهم يحيطون. قوله تعالى: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ [٢/ طه/ ١١٠]. وقوله سبحانه: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٢٥]. يعني: ما لم يحيِّطهم فيحيِّطون، كما قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٢٥] وأيضاً فإنّ المفهوم من قوله (**إذا حيَّطهم**): بتشديد الياء التحتيّة، أي: خلق لهم الإحاطة به، اللائقة بهم، المخلوقة لهم، اتّصفوا بها، فأحاطوا به، لا كإحاطته بنفسه، لأنّ إحاطته بنفسه قديمة، وإحاطتهم حادثة، والقديم منزّه عن مشابهة الحوادث، ولعلّ قوله هذا في بدايته. وقوله ذاك في نهايته، والله أعلم وأحكم. وقوله (**وقد كذبت عنّي الأراجيف**): وكذبها عدم مطابقتها للواقع؛ فإنّي ما سلوت المحبوبة المذكورة، ولا أسلوها أبداً على طول المدى.

٥٤- وَكَيْفَ أُرَجِّي وَصْلَ مَنْ لَوْ تَصَوَّرَتْ حِمَاهَا المُنَى وَهْمَاً(١) لَضَاقَتْ بِهَا السُّبْلُ

(**وكيف**): اسم استفهام، أي: على أي كيفيّة. وقوله (**أُرجِّي**): بتشديد الجيم، من الرجا، وهو ضدّ اليأس. ووقوله (**وَصْل**): أي وصول إلى حقيقة. وقوله (**مَنْ**): أي حضرة محبوبة حقيقيّة. وقوله (**لو تَصَوَّرَتْ حماها**): بكسر الحاء المهملة، مفعول تصوّرت، و(**الحِمَى**): المَحْمِيّ الممنوع الذي لا يُقرب، قال في القاموس: «**أَحْمَى** المكان: جعله حِمَىً لا يُقْرَب» وقوله (**المنى**): فاعل تصوّرتْ، والمُنَى مقصور: الأُمنية، وهي التمنِّي، وأصله التقدير، قال في القاموس: «مَنَاه الله تَمْنِيَة: قَدَّرَه». يعني: لو أنّ التمنِّي تصوِّر حمى هذه المحبوبة، أي: جعل لحماها صورة في نفسه على طريقة الاستعارة المكنيّة. وحماها كناية عن حضرات أسمائها وصفاتها. وهذا فضلاً عن تصوّر ذاتها العليّة. وقوله (**وهماً**): تمييز، أي بطريق التوهّم دون التحقّق. وقوله (**لضاقت**): من الضيق، وهو ضدّ الاتساع. وقوله (**بها**): أي

(١) في (ق): وَهْناً.

بتلك/ [٣٤٥/ أ] المنى. وقوله (السُّبْل): بسكون الباء الموحّدة، جمع سبيل، أي طريق. يعني: لمّا اتسع له طريق يسلك فيه إلى تصوّر حماها، وانسدّت عليه جميع الطرق من كمال عزّتها وقوّة امتناعها عن العقول، وشدّة تنزّهها عن مشابهة الحوادث حتّى قالوا: كلّ ما خطر في بالك فالله بخلاف ذلك.

٥٥- وَإنْ وَعَدَتْ لَمْ يَلْحَقِ الفِعْلُ قَوْلَهَا وَإنْ أَوْعَدَتْ فَالقَوْلُ يَسْبِقُهُ الفِعْلُ

(وإنْ وعدتْ): هذه الجملة الشرطيّة معطوفة على الجملة الأولى الشرطيّة في البيت قبله، وهي قوله (**لو تصوّرت حماها المنى....إلى آخره**). يعني: وكيف أُرَجِّي وصل محبوبة إنْ وعدتْ أحداً وعداً في الخير أخّرت ذلك الوعد إلى يوم القيامة، ولا تفي له في الدنيا؛ لأنّ الدنيا فانية، وما وعدت به أمور باقية لا فناء لها، ولهذا قال لبيد: (ألا كلّ شيء ما خلا الله باطل). قال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «صدقت» . ولمّا قال: (كلّ نعيم لا محالة زائل). قال له: «كذبت، نعيم الآخرة لا يزول»[1]. وقال تعالى:﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ﴾ [١٦/ النحل/ ٩٦] ـ وهي الدنيا وما فيها؛ فإنّ الله تعالى لم ينظر إليها منذ خلقها ـ ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [١٦/ النحل/ ٩٦] هو الآخرة وما فيها، كما قال تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [٤/ النساء/ ٥٧] وقال تعالى: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [١٣/ الرعد/ ٣٥] وقوله (**لم يلحق الفعل قولها**) الفِعلُ: فاعل يلحق. وقولَهَا مفعوله. والمعنى: إنّ فعلها ما وعدت به من الخير لا يلحق وعدها بالقول، وذلك لما قلنا من ضرورة فناء الدنيا وما فيها، وإنّ ذلك كلّه على التقضّي والزوال، فلا بدّ من المطال.

وقوله (وإنْ أوعدت): يعني وعيداً في الشرّ. قال في المصباح: وَعَدَهُ وَعْداً: يُستعمل في الخير والشرّ، ويُعَدَّى بنفسه وبالباء فيقال: وَعَدَهُ الخَيْرَ وبالخَيرِ، وشَرّاً

---

(١) ذكره عبد القادر البغدادي في خزانة الأدب، الشاهد: الثالث والعشرون بعد المئة، وقال: أخرجه السلفي في المشيخة البغداديّة ٤٢٨٢. كما ذكره أبو هلال العسكري في ديوان المعاني، باب: أصدق بيت قالته العرب، ١/ ٢٤٤. ولفظا التصديق والتكذيب وردا على لسان أبي بكر رضي الله عنه كما في كنز العمال، ٨٩٣٢، وعلى لسان عثمان بن مظعون رضي الله عنه كما في فتح الباري لابن حجر.

بالشَّرِّ. وقد أسقَطُوا لفظَ الخيرِ والشرِّ، وقالوا في الخير: وَعَدَهُ وَعْداً وَعِدَةً. وفي الشرّ: وَعَدَهُ وَعِيْدَاً؛ فالمصدر فارق، وأَوْعَدَهُ إيعَاداً، أو قالوا: أوعده خيراً وشرّاً، بالألف أيضاً. وقد أدخلوا الباء مع الألف في الشرّ خاصّة» انتهى. والمشهور: إنّ وعد في الخير وأوعد في الشر، وعليه قول الشاعر:

وإنِّي إنْ أوعدتــه أو وعدتـــه لمخلف إيعادي ومنجز موعدي

وسمعت بعض مشايخي يقول في ذلك: «إن أوعد بزيادة الألف على وعد إشارة إلى أنّه ينبغي أنْ يزيد في مدّة الوعيد فيؤخّره، ولا يزيد في الوعد فيعجّل به، ومعنى ذلك: حيث اقتضاه الحال، وحال الدنيا كما ذكرنا يقتضي سرعة الفناء، والزوال؛ فلا يليق أنْ تكون فيها إلّا البشرى الحسنة بوعد الله تعالى بالنعيم الأبديّ في دار الخلود، والبشرى بعض الوعد الإلهيّ، قال تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [١٠/ يونس/ ٦٤]. وقوله **(فالقول بسبقه الفعل)**: أي يكون فعل وعيدها في الشرّ سابقاً على القول بالوعيد، فقد يكون العذاب في الدنيا، كما قال تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ [٦/ التوبة/ ١٠١] وقال تعالى: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَشَقُّ﴾ [١٣/ الرعد/ ٢٤] وذلك لأنّ العذاب ينقطع في الآخرة عن عصاة المؤمنين؛ فليس الوعيد به مؤبّداً كالوعد بالنعيم؛ ولهذا يكون في الدنيا، فيسبق فعله على قوله في حقّ الكافرين الذين لم يؤمنوا بقوله، فكأنّ قوله (لم يسبق) لإنكارهم له، فيعذّبون في الدنيا، كما وقع للأمم الماضية، كقوم نوح وغيرهم من الأمم، ويتحقّقون بقول الوعيد في الآخرة، فيكون فعل الوعيد سبق قوله.

٥٦- عِـدِيْنِي بِوَصْـلٍ وَامْطُـلِي بِنَجَـازِهِ فَعِنْـدِي إذا صَحَّ الهَوَى حَسُنَ المَطْلُ

(عديني): فعل أمر، يخاطب به المحبوبة المذكورة والحضرة المشهورة. وقوله (بوصل): أي لقاء ورؤية، وهو قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [٧٥/ القيامة/ ٢٤] وفي الحديث: «قال صلّى الله عليه وسلّم إنّكم سترون ربّكم كما

ترون الشمس في الظهيرة»[1] وفي رواية «كما ترون القمر ليلة البدر». الحديث في الصحيحين، ولنا في مطلع أبيات قولنا:/ [٣٤٥/ ب].

يا طلعة الشمس بل يا طلعة القمر   تختال في حلل الأشباح والصور
في القلب أنت وما في القلب أنت كما   إنْ أنت في بصري ما أنت في بصري

وهذا الوارد في الكتاب والسنّة وعد بالوصل واللقاء والرؤية للعباد الصالحين. وصيغة الأمر في البيت صيغة دعاء، والإجابة محقّقة بالنصوص الواردة في ذلك، ولسان المحبّة يقتضي طلب ذلك وإنْ كان محقّقاً. ثمّ قال: (وامطُلي): من المَطْل، وهو التسويف بالعِدَة والدَيْن كالامْتِطَال والمُمَاطَلَة والمِطَال، كذا في القاموس. وقوله (بنَجَازِهِ): أي الوعد المفهوم من الكلام، والجار والمجرور متعلّق بامطلي، يقال: نَجِزَ كفَرِحَ ونَصَر: انقضى وفَنِيَ، و ـ الوعد: حضر، و ـ الكلام: انقطع، ونَجَزَ حاجتَه: قضاها، كأنْجَزَهَا، كما في القاموس. وهذا المطل هو تأخير الوفاء بالوعد إلى الآخرة بعد مقاساة: عقبة الموت، والقبر، والبعث، والحشر، والصراط، والميزان، والحساب. وهذه عادة العشّاق يحبّون الوعد والمطال، وتختلف بهم المطالب والأحوال، قال شاعرهم:

أَطِلْ فمهما استطعت هجري   وزد كما شئت من عذابي
عسى يطيل الوقوف بيني   وبينك الله في الحساب

وقال الآخر:

أعلل قلبي منك بالوعد وحده   وإنْ لم يكن للوعد منك وفاء

وقوله (فعندي): الفاء للتفريع على ما قبله. (إذا صحّ الهوى): أي خلصت المحبّة من شوائب الميل إلى الأغيار، ومن التردّد والغفلة عن ملاحظة وجوه الأسرار. وقوله (حَسُنَ المَطْلُ): أي كان التسويف بالوفاء للوعْد أمراً حسناً

---

(١) انظر تخريجه ص٢٧١.

مقبولاً عند العشّاق إبقاءً للتلهّف والتلّهب والاشتياق. وأمّا إذا لم يصحّ الهوى بأنْ غلبت عليه شهوة العاجل ودقّت على قلبه دفوف الخواطر بالجلاجل؛ فإنّه يستعجل الوصال، وتسأم نفسه من الإطالة فيكره المَطال، ولم يكن هواه إلّا مجرّد القيل والقال.

٥٧- وَحُرْمَةِ عَهْدٍ بَيْنَنَا عَنْهُ لَمْ أَحُلْ وَعَقْدٍ بِأَيْدٍ بَيْنَنَا مَا لَهُ حَلُّ

٥٨- لَأَنْتِ عَلَى غَيْظِ النَّوَى وَرِضَى الهَوَى لَدَيَّ وَقَلْبِي سَاعَةً مِنْكِ مَا يَخْلُو

(**وحُرْمَةٍ**) الواو للقسم، والحُرمة بالضمّ وبضمتين، وكهمزة: ما لا يحلّ انتهاكه، والذمّة والمهابة، ومن يعظّم حرمات الله ، أي: ما وجب القيام به، وحَرُمَ التفريط فيه، كذا في القاموس. وقوله (**عَهْدٍ**): تنكير للتعظيم، والعهد: الموثق واليمين. وقوله (**بيننا**): أي بيني وبين المحبوبة المذكورة، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٧٢] وقوله (**عنه**): أي عن ذلك العهد والميثاق. وقوله (**لم أَحُلْ**): بضمّ الحاء المهملة، من حال عن الشيء: أعرض عنه. وقوله (**وعَقْدٍ**): معطوف على حرمة، أو على عهد بتقدير حرمة، أي: وحرمة عقد، والعقد: الضمان والعهد، وتنكيره للتعظيم أيضاً.

وقوله (**بأيدٍ**): جمع يد، وهي الكفّ، أو من أطراف الأصابع إلى الكفّ، أصلها يدي، وجمعها أيْدٍ، وجمع الجمع أياد، واليد: الجاه، والوقار، والقوّة، والقدرة، كذا في القاموس. ومعنى ذلك: وضع اليد الإنسانيّة والقوّة والقدرة الروحانيّة والجسمانيّة في اليد الإلهيّة الربّانيّة، وهو تسليم الأمر كلّه إليه، والانطراح بالكلّيّة لديه، وهو معنى: لا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم. وقوله (**بيننا**): أي بين حضرة جمعي، وحضرة جمعيّة الأسماء الربّانيّة، ويرجع ذلك إلى حقيقة التعلّق الربّانيّ بكلّيّة النشأة الإنسانيّة. وقوله (**ما له حَلٌّ**): بفتح الحاء المهملة، مصدر حللت/[٣٤٦/ أ] العقدة حَلّا، من باب قتل، كذا في المصباح، وقوله (**لأنتِ**):

بكسر التاء خطاب للمحبوبة المذكورة. واللام في جواب القسم. وقوله (**على غِيظ النَوَى**): أي البعد؛ لأنّ مقتضاه: سلو المحبوب لطول البعد، فإذا لم يوجب ذلك كان الأمر على خلاف مقتضاه، فيوجب غيظ البعد على طريق الاستعارة، حيث لم يوجد مقتضاه. وقوله (**ورضا الهوى**): أي المحبّة؛ فإنّ مقتضاها الدوام والبقاء عليها، ورضا الهوى: الجريان على مقتضاه في كلّ حال، وهو استعارة بالكناية أيضاً. وقوله (**لديّ**): بتشديد الياء التحتيّة، وهي ياء (لدى) أدغمت في ياء المتكلِّم. قال في القاموس: «لدى ظرف زماني ومكاني كعنده». وهذا الظرف متعلِّق بواجب الحذف، خبرقوله لأنت. والمعنى: لأنتِ عندي، أي: كائنة عندي على معنى كمال الحضور، وعدم الغفلة عنها. وقوله (**وقلبي ساعة منك ما يخلو**): الواو للحال، والجملة في محل نصب حال من ياء المتكلِّم في لديّ. يعنى: أنّه دائم الحضور لذهاب أوهام الأغيار عن قلبه وانكشاف الأمور. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾ [٣٣/الأحزاب/ ٤١]. والذكر الكثير: دوام تذكر القلب آثار تجلِّيات الربّ من دون غفلة عنه. قال الجنيد قدّس الله سرّه:

ذكرتــك لا أنّي نــسيتك ســاعة   وأيـسر مـا في الـذكر ذكـرُ لـساني

٥٩- تُرَى مُقْلَتِي يَوْمَاً تَرَى مَنْ أُحِبُّهُمْ   وَيَعْتِبُنِـي دَهْـرِي وَيَجْتَمِـعُ الـشَّمْلُ

(**تُرَى**): بضمّ التاء الفوقيّة، مبنيّاً للمفعول، حُذفت منه همزة الاستفهام، وأصله: أتُرى. قال في المصباح: «رَأَى في الأمر رَأْياً، والذي أُرَاه بالبناء للمفعول: بمعنى: الذي أظن، وبالبناء للفاعل: بمعنى الذي أذهب إليه». وقوله (**مقلتي**): نائب فاعل تُرى. يعني: أتظن عيني فضلاً عن أنْ تعلم. وقوله (**يوماً**): ظرف لترى الثاني، وتَرى التاء الثاني بفتح التاء الفوقيّة من الرؤية وهي المعاينة، قال في المصباح: «رأيت الشيء رؤية: أبصرته بحاسّة البصر». وفاعل ترى ضمير يعود على مقلتي. وقوله (**من أحبّهم**): أي الذين أحبّهم، وهم المحبوبة الواحدة المتجلِّية بآثار أسمائها وصفاتها في كلّ شيء من الأكوان، كما قال تعالى مرّة: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠﴾

[٢٠/ طه/ ١٢] وقال مرّة أخرى: ﴿إِنَّا نَحْنُ﴾ [١٥/ الحجر/ ٩] وقال تعالى: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ [٧٣/ المزمّل/ ٢٠] يعني: لا تحصون تجلّياته وظهوراته بكلّ شيء من آثاره. وقال القائل:

تأمّل بعين القلب ما أنت واجد ... لتعلم أنّي واحد وكثير

ولنا في مطلع قصيدة:

هذا الكثير الواحد ... فافرح به يا واجد

وقول الصدّيق الأكبر رضي الله عنه: «ما رأيت شيئا إلّا الله فيه» من هذا القبيل. والجاهل يظنّ أنّ العارف يتكلّم في الله بغير علم، وحسبنا الله ونعم الوكيل. وقوله (ويُعتبني): بضمّ الياء التحتيّة: من قولك أعتبت زيداً، إذا أزلْتُ سبب عتابه. قال في المصباح: «أعتبني: الهمزة للسَّلْب، أي: أزال الشكوى والعِتاب». وقوله (دهري): أي زماني الذي اقتضى وقوع الفراق بيني وبين أحبّتي. وقوله (ويجتمع الشمْل): أي شملي بالأحبّة. يقال: جَمَعَ اللهُ شَمْلَهُم، أي: ما تفرّق من أمرهم، وفَرّق شَمْلَهُم، أي: ما اجتمع من أمرهم، كذا في المصباح.

٦٠- وَمَا بَرِحُوا مَعْنًى أَرَاهُمْ مَعِي فَإِنْ ... نَأَوْا صُورَةً فِي الذِّهْنِ قَامَ لَهُمْ شَكْلُ

٦١- فَهُم نُصْبُ عَيْنِي ظَاهِراً حَيْثُمَا سَرَوْا ... وَهُمْ فِيْ فُؤَادِي بَاطِناً أَيْنَمَا حَلُّوا

(**وَمَا بَرِحُوا**): أي ما زالوا، يقال: بَرِحَ الشيء يَبْرَحُ من باب: تعِب بَرَاحاً: زال من مكانه، كما في المصباح. وقوله (**مَعْنًى**): تمييز، أي: من جهة المعنى الذي أعلمه منهم إذا استحضرتهم وشاهدت تجلّياتهم في كلّ أثر من آثارهم. وقوله (**أراهم**): جملة فعليّة في محل نصب خبر ما برحوا، وضمير الجمع اسمها، وهو عائد على الأحبّة، أي: الحبيب الظاهر بالتجلّي في كلّ شيء. وقوله (**معي**)/ [٣٤٦/ ب] من قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [٥٧/ الحديد/ ٤] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [٩/ التوبة/ ٤٠] وقوله سبحانه: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [٢٠/ طه/ ٤٦]

وهذه المعيّة أزليّة أبديّة؛ فإنّ الممدّ لشيء مع ذلك الشيء الذي يمدّه لا يفارقه كما لا يفارق الشاخص ظلّه والوابل طَلَّه؛ فإنّ عدم كان معلوماً، وإنّ وجد كان مشهوداً خصوصاً وعموماً. وقوله (فإنْ نأوا): الفاء تفريعيّة، والنأي: الإعراض. وقوله (صورة): تمييز، أي: نأياً هو صورة ناءٍ لا حقيقة ناءٍ، والنأي الصوريّ هو إلقاء الحقّ تعالى في قلب العبد معنى كون من الأكوان يوجب غفلة قلبه عن الشهود والعيان، قال صلّى الله عليه وسلّم: «إنّه ليغان على قلبي وإنّي لأستغفر الله في اليوم والليلة أكثر من سبعين مرّة»[1]. وهو كما قال بعضهم في حقّه عليه السلام: «إنّه غين أنوار، لاغين أغيار، وإلّا فإنّه تعالى لا يعرض عن شيء أزلاً، ولا أبداً؛ لأنّه لا يكون الشيء معلوماً، أو موجوداً إلّا بعلمه تعالى وإيجاده». وقوله (في الذهن): أي ذهني، والذهن: الذكاء والفطنة والجمع: أذهان، كذا في المصباح والجار والمجرور متعلّق بـ(قام)، قدِّم عليه لإفادة انحصار الشكلّ بالذهن؛ إذ لا يصحّ شرعاً أنْ يكون في الخارج، كما أشار إليه الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه بقوله في الفتوحات المكّيّة: «إنّ الحقّ تعالى ما حجر علينا أنْ نتخذ له صورة في الذهن؛ وإنّما حجر علينا أنْ نتخذ له صورة في الخارج. يعني: إنّ الصورة في الخارج هي الصنم المعبود من دون الله تعالى. وقد نهانا سبحانه عن عبادة الأصنام، وقال تعالى: ﴿لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُواْ لِلَّهِ الَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [٤١/ فصّلت/ ٣٧]» وقوله (قام): أي ثبت. وقوله (لهم): أي للأحبّة المذكورين. وقوله (شَكْل): فاعل قام، والشَّكْل: المِثْل، يقال: هذا شَكْلُ هذا. والجمع: شُكُول مثل: فَلْس وفُلُوس، وقد يجمع على أَشكال، ويقال: إنّ الشَكْل الذي يُشَاكِل غيرَه في طبعه، أو وصفه من أنحائه، وهو يُشَاكِلُهُ، أي: يشابهه، كما في المصباح. وهذا الشكل القائم لهم في ذهنه أمر ضروري لا يمكن زواله مخافة

(١) انظر تخريجه ص٣٧٥.

التعطيل، ولهذا قال: (قام لهم شكل). ولم يقل: أقيم. وهو نوع من أنواع التجلّي، كما تجلّى تعالى لموسى عليه السلام في صورة شجرة الزيتون، حتّى قال لأهله: ﴿ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾ [٢٠/ طه/ ١٠] إلى آخر الآية. وهو تجلّي في الخارج من غير اتّخاذ من الإنسان. وبالاتّخاذ يكون صنماً، وهو المنهيّ عنه كما ذكرنا.

وقوله (**فهم**): الفاء للتفريع، وهم: أي الأحبّة المذكورون. وقوله (**نُصْبَ عيني**): قال في القاموس: «هذا نُصْبُ عَيني، بالضمّ والفتح، أو الفتح لحن». وقال في الصحاح: «النَصْبُ مصدر نَصَبْتُ الشيءَ إذا أقمته، وأصل النَصْب ما نُصِبَ فَعُبِدَ من دون الله تعالى، وكذلك النُصْبُ بالضمّ، وقد يحرّك». وقوله (**ظاهراً**): أي منصوبون في الظاهر (**لعيني**): أي في الخارج من غير اتّخاذ منّي، وهو التجلّي في الصور، ومنه قول الحلّاج: «لو شاء ربُّنا ظَهَرَ بخرم إبرة، ولو شاء احتجب بالسموات والأرض». وقوله (**حيثما سَرَوْا**): أي ساروا ليلاً. والسُّرَى كالهُدى: سَيْرُ عامّة الليل، سَرَى يَسْرِي، وأَسْرَى واسْتَرَى، كذا في القاموس. وإنّما خَصّ سيرَهم بالليل لأنّ ظهورهم بالتجلّي في ليل الأكوان. قال ابن عطاء الله في الحِكَم: «الكون ظلمة، إنّما أناره ظهور الحقّ فيه». وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [٢٤/ النور/ ٣٥] وقال القائل:

ليلـــي بوجهـــك مـــشرق ... وظلامـــه في النـــاس ســـاري

النـــاس في غـــسق الظـــلام ... ونحـــن في ضـــوء النهـــار

وقولهم (**وهم**): أي الأحبّة المذكورون. وقوله (**في فؤادي**): أي قلبي، كناية عن كمال الحضور، وتمام شهود النور بالنور. وقوله (**باطناً**): أي في باطني، وهو خلاف الظاهر. وقوله (**أينما حلّوا**): أي سكنوا. وحلّ بالمكان: نزل. قال في المصباح: «حَلَلْتُ بالبلد حُلُولاً، من باب قَعَدَ: إذا نزلت به، ويتعدّى بنفسه أيضاً فيقال/ [٣٤٧/ أ] حَلَلت البلدَ» والمعنى في أي مكان تجلّوا وظهروا. قال تعالى:

﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [٢/ البقرة/ ١١٥].

٦٢-هَـمْ أَبَـدَاً مِنِّـي حُنُـوٌّ وَإِنْ جَفَـوْا وَلِـي أَبَـدَاً مَيْـلٌ إلـيْهِمْ وإنْ مَلَّـوا

(لهم): أي للأحبّة المذكورين. وقوله (أبداً): أي دائماً لا ينقطع. وقوله (منّي) على التجريد البياني حيث لم يقل حنوي. وقوله (حُنُوٌّ): بتشديد الواو، وتنكيره للتعظيم. يقال: حَنَتِ المرأةُ على ولدها حُنُوٌّ كالعُلُوِّ: عَطَفَتْ، كما في القاموس. وقوله (وإنْ جَفَوا) يقال: جَفَوْت الرجلَ أَجْفُوهُ: أَعرضتُ عنه، أو طردته. وقد يكون مع بغض. والمعنى بذلك: إنّي أشتاق دائماً إلى شهود التجلّيات الإلهيّة في كلّ شيء، وإنْ استترتْ عنّي وحجبتني عن مشاهدتها فإنّه تعالى له التجلّي والاستتار على حسب ما يشاء ويختار. وقوله (ولي أبداً): أي دائماً لا ينقضي. وقوله (مَيْل): مصدر مال إليه مَيْلاً ومَالاً ومَميلاً وتَمْيالاً ومَيَلاناً ومَيْلُولَةً: عدل، فهو مائل، كذا في القاموس. يعني: إقبالاً بالمحبّة والشوق. وقوله (إليهم): أي إلى الأحبّة المذكورين. وقوله (وإنْ ملّوا): من مَلِلْتُهُ ومَلِلْتُ منه، بالكسر، مَلَلاً ومَلالَةً ومَلالاً: سئمته، كذا في القاموس. وجاء في الحديث: «إنّ الله لا يَمَلُّ حتّى تَمَلُّوا»[1]: أي تفعلوا أفعال من يملّ الطاعة فتصدر منكم الهفوات، فتقضي الحجاب عنه سبحانه، والميل القلبي بالمحبّة، والشوق باقٍ عند المحبّ لا يزول، وليس لنجمه أفول[2].

* * *

(١) قطعة من حديث، أخرجه مالك في الموطأ، كتاب: صلاة الجماعة، باب: ما جاء في صلاة الليل، ٢٥٨.

(٢) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: بلغ مقابلة وسماعاً على شيخنا المؤلّف قدّس الله سرّه. وكتبه إبراهيم بن محمّد الدكدكجي.

شَرِبْنَا عَلَى ذِكْرِ الحَبِيبِ مُدَامَةً

[الطويل]

١ ــ شَرِبْنَـا عَـلَى ذِكْـرِ الحَبِيْـبِ مُدَامَـةً   سَكِرْنَا بِهَا مِنْ قَبْلِ أنْ يُخْلَقَ الكَرْمُ

(شربنا): أي معاشر السالكين في طريق الله تعالى بالهمم العالية والأنفاس الغالية. وقوله (على ذكر الحبيب): أي المحبوب، وهو الحقّ تعالى، المتجلّي على عباده ظاهراً وباطناً، بصورة كلّ شيء. من حيث أنّ الأشياء كلّها آثار أسمائه الحسنى في مقامه الأنزه الأسنى، وذكره: تذكّره بعد نسيان الغفلة عنه، وحجاب التباعد منه. وقد يراد بالذكر الذكر باللسان، أو بالقلب والجنان، وهو تكرار اسمه تعالى، كما قال سبحانه: ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [٦/ الأنعام/ ٩١]؛ فإنّ الاشتغال بما سواه لعب ولهو يغترّ به الجاهلون. ومن عادة الشربة الفاسقين أنّهم يشربون على السماع والطرب بأنواع التلاحين، فجرى على سننهم من قلب أعيان الوجود، والكشف عن حقائق الكرم الإلهيّ والجود. وأشار إلى أنّ ذكر الحبيب عنده من أقوى أسباب الطرب، وما سُمِع ذكره إلّا اهتز نشاطاً بذكره واضطرباً.

وقوله (مدامة): أي خمرة، قال في القاموس: «المُدام: الخمر، كالمُدامَة، لأنّه ليس شراب يُستطاع إدامة شربه إلّا هي» وقال في الصحاح: «قال الأصمعي: دَوَّمَتْ الخمر شاربها: إذا سكِر فدار». وعلى هذا فيكون اشتقاق المُدامة من السُّكر والدوران، وعلى أنّها مشتقّة من دَامَ الشيءُ يَدُومُ ويَدَام دَوْمًا ودَواماً ودَيْمُومَة: بقي واستمرّ تفاؤلاً ببقاء السرور والطرب، كما سمّوا المفازة تفاؤلاً بالفوز، واللديغ بالسلام تفاؤلاً بسلامتهً. والمعنى: بالمُدامة هنا شراب المحبّة الإلهيّة الناشئة من شهود آثار الأسماء الجماليّة للحضرة العليّة؛ فإنّها توجب السكر والغيبة

بالكلّيّة عن جميع الأعيانّ الكونيّة، والأغيار الإمكانيّة، حتّى عن السالك نفسه بحيث يفنى ويذوب في معاينة الوجود الحقّ؛ فيصير طاهراً من حدث المعقول، وخبث المحسوس، في مقام الصدق وإليه الإشارة بقولنا:

إنّ الفناء طهارة الإنسان بالوصل معرفة البعيد الداني

فصلاة معرفة الإله بغير ما طهر الفناء عديمة الأركان

إلى آخر الأبيات الموجبة للنفي والإثبات. وقوله (سكرنا): أي غبنا لذّةً وطرباً عن كلّ ما سوى/[٣٤٧/ب] الحقيقة، واتّصلنا بغيب غيبنا من ممتدّ هاتيك الرقيقة. وقوله (بها): أي بتلك الخمرة الإلهيّة المذكورة، والنشأة المطلقة المحصورة المتجلِّية في صورة بعد صورة، والنازلة بسورة بعد سورة. ولنا في هذا المعنى ما يتغنّى به المغنى قولنا:

إنّ كاس التوحيد من يحتسيه قاء منه معارفاً وعلوما

كن بصيراً ولا تلم أهل سكر بشراب التقى تصير الملوما

شرب الغرب شمس فقام الليـ ـل سكران ثمّ قاء النجوما

وقوله (من قبل أنّ يُخلق الكرم): يُخلق بضمّ أوّله مبني للمفعول، والكَرْمُ نائب الفاعل. يعني: إنّ سكره المذكور سابق في الحضرة العلميّة قبل ظهور كلّ مقدوره؛ فإنّه لولا التعين الأوّل في الوجود القديم لمّا كان التعين الثاني بالأثر الحادث الوجودي العديم. قال أبو نواس ابن هاني، وإنْ لم يكن قوله من هذه المعاني:

أَمُرُّ بالكرم خلف حائطها تأخذني نشوة من الطرب

أسكر بالأمس إنْ عزمت على الشـ ـرب غدا إن ذا من العجب

فإنّ كلّ كلام مقيد بالحدود له وجه يعتبره السالك من جملة نطق الوجود، ولنا قصيدة على عروض هذه القصيدة الخمريّة الفارضيّة لابأس بإيرادها كلّها لتكون شرحاً لبعض هذه المعاني المرضيّة، وهي ديواننا المشهور كاللواء المنشور:

تجلّت لنا ذات وفعل بدا واسم ... فكانت وما كنّا وليس لنا وسم
هنالك قامت بالوجود قيامة ... بها حشرت أرواحنا واختفى الجسم
مدام بها الأفراح دامت لأهلها ... ومن لم يذقها كل أوقاته غمّ
وقام بها الساقي وحيَّى فساقنا ... إلى مورد منها لذيذ به الطعم
إذا ما تراءت في الكؤوس بدا لها ... شعاع له في كلّ ناحية نجم
هي السرّ للأشياء والجهر دائماً ... على عدد الأنفاس والبدء والختم
بها يهتدي الأعمى إليها ويسمع الأ ... صمّ وتأتي ناطقين بها البكم
ويأمن ذو خوف ويفرح ذو أسى ... ويعتزّ ذو ذلّ ويبرا بها السقم
ولو أنّهم صبّوا على البحر قطرة ... لعاد بها عذباً ولو أنّه سمّ
ولو ذكروا حول الحطيم صفاتها ... لزال عن البيت العتيق بها الحطم
ولو لم تكن أسماءها قد تبيّنت ... لما بان في الأكوان كيف ولا كم
ولولا سنا كاساتها من ورا الورى ... لما كان ذوق في الندامى ولا فهم
ولو أنّ ميتاً لقنّوه بلفظها ... لقام سريعاً نحوها شوقه ينمو
ولولا بدت لم يشعر الأشعري بها ... ولولا تخفّت ما تجهّمها جهم
ولو بيتيم الوالدين قد اعتنت ... لعزّ وعنه زال من ذلّه اليتم
ولولا معاني حسنها ظهرت على ... ملاح الورى ما كان عشق ولا همّ
جمال تجلّى في جلال وعكسه ... فقوم لهم مدح وقوم لهم ذمّ
وكلّ قلوب الناس لو لم تهم بها ... لما طاب نثر في الكلام ولا نظم
ولكنّهم هاموا ورقت طباعهم ... ولم يعلموا في أي وادٍ بها همّوا
لثام من الأشياء يحجب وجهها ... حلا لعيون العاشقين به اللثم

ألا حيّ ياصاحي على سكرة بها ودع عنك من هم دونها عندهم
وشقّق بها الأثواب عنك وكن بها مجرّد عزم لا يقاس به عزم/ [٣٤٨/ أ]
وبتّ في ثرى حاناتها متلففا بأثواب ذلٍّ في هواها بها تسمو
وكن عاجزاً عنها تكن قادراً بها فعدلك عنها منك نحو السوى ظلم
هي البيت بيت الله حجّت قلوبنا إليها فلا ذنب علينا ولا جرم
إذا نحن أحرمنا نلبّي بذكرها وفي علميها عندنا يكثر العلم
وإنْ زمزم الحادي بها فهي زمزم وعن مَصّنا من ثديها ما لنا فطم
نعمنا بها في لذّة العيش والصبا وما ذاك إلّا أنّها أنعمت نعم
هي الدهر في تقليب أيامه على بنيه له حرب بهم وله سلم
إذا ما شربناها خفيناً بنورها وعند طلوع الشمس ما للدجى رسم
بها للحواس الخمس منّا تمتّع فسمع ولمس ذوقنا بصر شمّ
وللعقل أيضاً لذّة في جمالها وسرّ بدا منها له وجب الكتم
وقد سكرت حاناتها وكؤوسها بها في تجلّيها وقد سكر الكرم
ولو أنّ إنساناً صحا لرأي هنا من السكرقد هامت بها العرب
ومن سكرهم منها يقولون غيرها وهذا أب قالوا كما هذه أمّ
وقالوا عيون في وجوه وأرجل وأيد وقالوا أرؤس ودم ولحم
معان تبدّت في صفاء وجودها فقوم لهم أجر وقوم لهم إثم
وتلك نعوت قائمات بها لها على الفرض والتقدير لا أنّه حتم
إشاراتها اللاتي بوصف مشيئة تسمّى بأشيا وهي هالكة عقم
وما ثمّ توليد وليس مبايناً لها ذاك بل وصف إليها له ضمّ

تحقّق بما قلناه فيها مجانباً سواه فما قلناه فيها هو الغنم
وإياك والتوليد في جعلها السوى فذلك قذف منك في حقّها شتم
وإنْ جهل الأقوام ذلك واختفى عليهم فللتوحيد توليدهم
نصحتك فامسح عن بصيرتك بقولي وإلّا فالنصوص لك الخصم
وهذا هو الحقّ الذي هو ظاهر وبالغيب فيها ما عداه هو الرجم
خذ الكأس منّي يا ابن ودّي فإنّه روّى بهذا فليكن عندك الحزم
ومل طرباً في النشأتين بشربه فإنّ شرابي للضلال به هضم
شراب طهور في كؤوس نظيفة كريم به الساقي ومنه العطا الجمّ
على رنة الأسماء دام مدامنا وإنْ نمّق الزور الوشاةُ وإنْ نموا
وفي مقعد الصدق العزيز منا له تجلّت لنا ذات وفعل بدا واسم

وهذا ردّ العجز على الصدر للإشارة إلى أنّ الأوّل هو الآخر والظاهر، هو الباطن، ونور الشمس ظاهر في البدر.

٢- لَهَا البَدْرُ كَأْسٌ وَهِيَ شَمْسٌ يُدِيرُهَا هِلَالٌ وَكَمْ يَبْدُو إِذَا مُزِجَتْ نَجْمُ

(لها): أي لتلك المدامة المذكورة من حيث أنّها محبّة إلهيّة، كما ذكر، وهي عين المحبّة الأزليّة ظاهرة في مظاهر الآثار الكونيّة، **(فشمسٌ)**: يحبّهم ظهر نورها في بدر يحبُّونه، من قوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [٥/ المائدة/ ٥٤] وذلك الظاهر عين الباطن، وهو المشرق على جميع المواطن، وهو خمر الوجود الحقّ، والخطاب الصدق، شربه كلّ شيء من الأشياء، فظهرت به الظلالات والأفياء؛ فهو محبّه، ينبت كلّ حبّه. وهو خمره، يسكر عقل زيد وعمرو. وهو وجود يفيض أنواع الكرم والجود. وهو خطاب كن فيكون، تتفصل به كلّ حركة وسكون. وهو ذات لقيام الأدوات، وهو صفات وأسماء لملابس/ [٣٤٨/ ب] سليمي وأسماء، ومَنْ

فَهِمَ الإشارة أغنته عن كلّ عبارة، وأهل الأذواق يفهمون ما معاني ما كتب في الأوراق. والأسرار في قلوب الأحرار. وقول (البدر): هو الإنسان الكامل، العالم المحقّق، قال في القاموس: «البدر: القمر الممتلئ، كالبادر». وقال في الصحاح: «يسمّى بدراً لمبادرته الشمس بالطلوع، كأنّه يُعَجِّلها المغيب. ويقال: سمِّيَ بدراً لتمامه». والإنسان الكامل ممتلئ من الحقّ تعالى تجلِّياً وظهوراً وإشراقاً ونوراً. وهو يبادر شمس الأحديّة بطلوعه في ظلمة الكونيّة، كأنّه يعجّلها لمغيب، فيحجبها عن عيوب المريب، وهو مجلى الحقّ على التمام؛ وهو باب الخطايا والإنعام. وقوله (كأس): أي مظهر ومجلى للجناب الأعلى، وقد أشرنا إلى ذلك من قصيدة بقولنا:

كخـــروق الجـــدار يظهـــر منهـــا قمـــر الأفـــق وهـــو عنهـــا مـــصون

قال في القاموس: «الكأس: الإناء يُشرَب فيه، أو ما دام الشراب فيه، مؤنّثة مهموزة، وجمعه: أكؤس وكؤؤس وكاسات، ولله درّ القائل:

عطـس الـصبح في الـدجا فاسـقنيها خمـــرة تـــترك الحلـــيم ســـفيها

لـــست أدري مـــن رقّـــة وصـــفاء هـــي في كأســـها أم الكـــأس فيهـــا

وهذا القائل تردّد فيها وتحيّر في معاني صفات تجلّيها؛ وأمّا نحن فقطعنا بما هو الحقّ والصواب، موافقة بين الكشف ومعاني النصوص من السنة والكتاب حيث قلنا في مطلع لنا:

هـــي قامـــت بتفـــسها لـــذويها لـــيس في كأســـها ولا الكـــأس فيهـــا

خمـــرة تـــذهب العقـــول وتفنـــي كـــلّ شيء لكـــلّ مـــن يجتليهـــا

وإنّما الإنسان الكامل كأساً لها من حيث هي خمرة مُدامة تُسكِرُ كلّ من شربها فيغيب عقله عن ملاحظة الأكوان؛ فإنّ الإنسان الكامل يتكلّم بما في من علوم تحقّقها عند المريد الصادق؛ فيشربها منه المريد الصادق؛ فتفنى كمّيته وكيفيّته فلا يبقى منه غيرها، قال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ

جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [١٣/ الرعد/ ١٧] وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [٦/ الأنعام/ ٣] فتذهب التقادير المفروضة، هوي في أعيانها معروضة، ويبقى الوجود الحقّ على ما كان عليه قبل خلق الأكوان، ولا يبقى للسالك عين، ولا أثر، وبقيّة الله خير عبرة لمن اعتبره. وقوله (وهي): تلك المدامة من حيث إنّها ذات وجوديّة، وحقيقة نورانيّة، أزليّة، أبديّة. وقوله (شمس): أي طالعة مشرقة على كلّ تقدير وتصوير، وهو مقتضى علمها، وإرادتها، ومشيئتها، على حسب ما توجه به أمرها القديم، وحكمها المستقيم قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [٢٤/ النور/ ٣٥] أي منوِّرهما بنوره، وظاهر فيهما دونهما بحكم ظهوره على مقتضى غيبة الغلب وحضوره؛ فإنّ نو ر الشمس الطالعة في الآفاق هي التي تقابل البدر؛ فيظهر نورها فيه، من غير انتقال إليه، ولا اتّصال به؛ فيشرق في الظلمة غاية الإشراق. وقوله (يُديرُها): أي تلك المدامة المذكورة. وإدارتها: نشر صفاتها الحسنى وأسمائها الظاهرة بآثارها في المقام الأسنى. وقوله (هِلالٌ): هو ذلك البدر المذكور، إلّا أنّه محتجب بحظوظ نفسه عن إظهار بقيّة النور. كما أنّ الأرض إذا حالت بين القمر والشمس بعض حيلولة سترت بقيّة ذلك النور؛ فهو إذا كان بدراً امتلئ نوراً فلا/ [٣٤٩/ أ] غيريّة فيه؛ فلا يقدر على البيان. فإذا كان هلالاً حجبته نفسه كما تحجب البدر كرة الأرض، فيظهر هلالاً، فيمكنه الإدارة المذكورة. وقوله (وكم): خبريّة، معناها كثير، وهي اسم مبني على السكون، مبهم مفتقر إلى التمييز، ويلزم لها التصدير. وقوله (يبدو): أي يظهر. وقوله (إذا مُزجتْ): بالبناء للمفعول، أي: خلطت بغيرها. وقوله (نجم): فاعل يبدو، وتنكيره للتعظيم، وهو ذلك الهلال إذا نظر إلى غيره، وسار على خلاف سيره، فيرجع نجمها للهدى، ويحصل به لمن تابعه الإقتداء، قال تعالى: ﴿وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ [١٦/ النحل/ ١٦]. يعني: يهتدي به السالكون في برّ ظلمات الأجسام، وبحر ظلمات النفوس، على الوجه التّام. وقال صلّى الله عليه وسلّم: «أصحابي

كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم»[1]. والصحبة: اللقيا؛ ولو بالروحانيّة عند أهل الطريق. قال أبو العبّاس المرسي قدّس الله سرّه: «لي منذ ثلاثين سنة لوحجب عنّي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين». والإشارة بـ (كم) التكثيريّة إلى أنَّ المزج بالغيبة، والحضور،والكشف، والاستتار مقام الداعي إلى الله ، قال صلّى الله عليه وسلّم: «إنّه ليغان على قلبي، وإنّي لأستغفر الله في اليوم والليلة أكثر من سبعين مرّة»[2] هو مقام النجم الهادي في ظلمات البرّ والبحر. فهي أطوار ثلاثة، تجتمع وتفترق: الكامل المحقِّق؛ فالعارف المرشد؛ فالسالك الصادق. وهي أشخاص ثلاثة، أو شخص واحد له أطوار ثلاثة: شمس وبدر ونجم. تدهمهم الحقائق الغيبيّة، وتهجم عليهم الرقائق العينيّة؛ فلا ظن، ولا بالغيب رجم.

٣- وَلَـوْلَا شَـذَاهَا مَـا اهْتَـدَيْتُ لِحَانِهَـا وَلَـوْلَا سَـنَاهَا مَـا تَـصَوَّرَهَا الـوَهْمُ

(ولولا): تدخل على جملة اسميّة ففعليّة لربط امتناع الثانية بوجود الأولى، نحو: لولا زيد لأكرمتك، أي: لولا زيد موجود، كذا في مغني ابن هشام. وقوله (شذاها): مبتدأ، والخبر محذوف، تقديره موجود. والشَذَا بالشين والذال المعجمتين: قُوَّة ذَكَاء الرائحة، كذا في القاموس. والضمير للمدامة المذكورة. ويعني بـ (شذاها) أي: قوّة رائحة هذه المُدامة المذكورة، عالم الروح الأعظم الذي هو من أمر الله تعالى، كما قال سبحانه: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْـرِ رَبِّى ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨٥] وهو بمنزلة الرائحة الزكيّة الفائحة عن أمر الله تعالى في جميع خلقه. وقد كنّى عنها العارف الكامل عفيف الدين التلمسانيّ قدّس الله سرّه بنسمة السحر. وكنّى عمّا نفخت فيه الأجسام بـ(بان الحمى) حيث قال في مطلع قصيدة له:

---

(١) انظر تخريجه ص١١٤٢.

(٢) انظر تخريجه ص٣٧٥.

أسكرت بان الحمى يا نسمة السحر   فهل أتيت عن الأحباب بالخبر
نعم مررت بذاك الحمى فاكتسبت   ذيول بردك ريّا نشره العطر
يا روح وروحي بروحي للحمى   به فديتك بين البان والسمر

والتكنية عنها بالشذا ألطف وأكشف؛ لأنّها تنقل بذاتها روائح الحقّ إلى أنوف بصائر المستعدّين لقبول الفيض الإلهيّ. وقوله (**ما اهتديت لحانها**): أي حان تلك المدامة المذكورة، والحَان: جمع حَانَة، وهي موضع بيع الخمرة، والحَانِيَّة: الخَمْرة نفسها، ذكره في القاموس[1]. يُكَنِّي بـ الحان عن حضرات الذات العليّة، وهي أنواع أسمائها وصفاتها السنيّة. يقول: لولا تلك الحضرات روائح تلك الحضرات لما اهتديت إلى الأسماء الحسنى والصفات العليا؛ فإنّ تلك الآثار الحاملة لذلك السرّ المصان فاحت روائحها فعطّرت الأكوان، وما حُرم من شمّها إلّا المزكوم عن الإدراك والتحقّق ببدائع العلوم وفنون الفهوم. وقوله (**لولا سناها**): أي تلك المدامة المذكورة، والسنا بالقصر، قال في القاموس: «هو ضوء البرق». كنّى به عن نور العقل الإنسانيّ؛ فإنّه ضوء/[٣٤٩/ب] البرق الروحانيّ. والبرق الروحانيّ كناية عن الروح الأمريّ الذي هو كلمح بالبصر، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ﴾ [٥٤/ القمر/ ٥٠] والعقل بالنسبة إلى الروح كاللسان للإنسان. وقوله (**ما تصوّرها**): أي المُدامة المذكورة. يعني: جعل لها فيه صورة، وأثبتها فيه. قال في القاموس: «الصُوْرَة، بالضمّ: الشَكْل. وجمعها: صُوَر وصِوَر وصُور». وقوله (**الوهْم**): بسكون الهاء: فاعل تصوّرها. يقال: وهَمْتُ إلى الشيء، وَهْمًا من باب وَعَدَ: سَبَق القلبُ إليه مع إرادة غيره، ووَهَمْتُ وَهْماً: وَقَعَ في خَلَدي، والجمع: أوهام، وشيء مَوْهُوم، وتَوَهَّمْتُ، أي: ظَنَنْتُ، ووَهِمَ في الحساب يَوْهَمُ وَهَماً، مثل: غَلِطَ يَغْلَطُ، وزناً ومعنى، كذا في المصباح؛ فالوَهْم بالسكون سبق، خلاف المعنى

(١) انظر تاج العروس مادّة حنو، ومختار الصحاح، مادّة حني.

المراد إلى القلب، وهو المراد هنا، والوَهَم بالتحريك: الغلط في الحساب، وهو غير مراد هنا، وهو المعنى: لولا عقلها النورانيّ الذي هو ضوء برق الروح الإنسانيّ لما أثبت الوَهْم لهذه المُدامة المكنّى بها عن الحقيقة الجامعة، الوجوديّة، الإلهيّة، صورة ذهنيّة؛ فإنّها لا صورة لها في نفسها، والعقل المثبّت لها من ضرورته إثبات الصورة لها؛ لأنّه لا يحكم على شيء إلّا بعد تصوّره؛ ولهذا قالوا: الحكم فرع التصّور، والتصوّر لا يضر أهل العرفان المتحقّقين بحقائق الإيمان؛ فكلّ ذي عقل يصوّر به ضرورة الحكم عليه بالربوبيّة، وببقية الصفات والأسماء والأفعال، إلى غير ذلك من الأحكام في كلّ حال، قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه في الفتوحات المكّيّة: «الحقّ تعالى لا صورة له، وله كلّ الصور؛ وإنّما كان كذلك لأنّه تعالى هو الخالق البارئ المصوّر. وقد قال سبحانه: ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٥٥]. وقال تعالى: ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ﴾ [٢٧/ النمل/ ٩١]».

٤- وَلَمْ يُبْقِ مِنْهَا الدَّهْرُ غَيْرَ حُشَاشَةٍ كَأَنَّ خَفَاهَا فِي صُدُوْرِ النُّهَى كَتْمُ

(ولم يبق): بضمّ الياء التحتيّة، مضارع أبقى، قال في المصباح: بَقِيَ الشيءُ يَبْقَى، من باب تعب، بَقَاء وبَاقِيَة، دَامَ وثَبَتَ، ويتعدّى بالألف فيقال: أبقيته». ومعنى لم يُبق هنا: لم يترك. وقوله: (منها): أي هذه المدامة المذكورة. يعني: في بصائر المكلّفين بأحكامها، وذلك لاستيلاء الغفلات على قلوب أكثرهم. وقوله (الدهر): فاعل يبقي. والدهر يُطلق على الأبد. وقيل هو الزمان، قلّ أو كثر. قال الأزهري: والدهر عند العرب يطلق على الزمان، وعلى الفصل من فصول السنة، وأقل من ذلك، ويقع على مدّة الدنيا كلّها. قال وسمعت غير واحد من العرب يقول: أقمنا على ماء كذا دهراً، وهذا المرعى يكفينا دهراً، ويحملنا دهراً. قال لكن لا يقال الدهر أربعة أزمنة، ولا أربعة فصول؛ لأنّ إطلاقه على الزمن القليل مجاز واتساع؛ فلا يخالف به المسموع، وينسب الرجل الذي يقول بقدم الدهر، ولا يؤمن بالبعث دَهريّ بالفتح على القياس. وأمّا الرجل المسنّ إذا نُسب إلى الدهر

فيقال: دُهريّ بالضمّ على غير قياس، كذا في المصباح. وقال في الصحاح في الحديث: «لا تسبّوا الدهر فإنَّ الدهرَ هو الله سبحانه»[1]. لأنّهم كانوا يضيفون النوازل إليه، فقيل لهم لا تسبّوا فاعل ذلك بكم؛ فإنّ ذلك هو الله سبحانه. وقال في القاموس: «الدهر: قد يُعدّ في الأسماء الحسنى، والزمان الطويل، والأمد الممدود وألف سنة. وتفتح الهاء. وجمعه أَدْهُر ودُهُور». والمعنى هنا بالدهر: زخارف الدنيا وزينتها الشاغلة للقلوب الغافلة، والمعيقة عن النهوض إلى شهود تجلّيات الحقّ تعالى فيها. وقوله (**غيرَ حُشَاشَةٍ**): بنصب غير، على أنّه مفعول يبقى. والحُشاشة بالضمّ، قال في المصباح: «الحُشَاشَة بَقِيَّة الروح في المريض، وقد تحذف الهاء فيقال: حُشَاش». وقال في القاموس: «الحُشاش والحُشاشةُ بضمّهما بقيّة الروح في المريض/ [٣٥٠/ أ] والجريح». والمعنى في ذلك أنّ الدهر المكنّى به عن الزخارف الباطلة والزينة العاطلة لم يترك في قلوب أكثر العباد حشاشة روحانيّة، وبقيّة روح آمرية به لاستيلاء الوساوس النفسانيّة والهواجس الطبيعيّة على بصائر الغالب من البرية. ثمّ قال (**كأنّ**): بتشديد النون حرف تشبيه، قال الرضي: «وكأنّ بمعنى شبه، قال الزجاج هي للتشبيه إذا كان خبرها جامداً، نحو: كأن زيداً أسدٌ، للشك إذا كان مشتقاً نحو: كأنّك قائم؛ لأنّ الخبر هاهنا في المعنى هو الاسم، والشيء لا يشبَّه بنفسه، والأولى أنْ يقال هي للتشبيه أيضاً. والمعنى: كأنّك شخص قائم حتّى يتغاير الاسم، والخبر حقيقة، فيصحّ تشبيه أحدهما بالآخر. وقوله (**خفاها**) بالقصر لضرورة الوزن، والأصل خفاءَها. والضمير للمُدامة المذكورة، وذلك من تجلّي اسمه تعالى الباطن، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [٥٧/ الحديد/ ٣] فإنّه سبحانه يتجلّى على حسب ما يريد ويستتر كذلك. وقوله (**في صدور**): جمع صدر، وهو ما على مقدّم كلّ شيء وأوّله، وكلّ ما واجهك، كذا في القاموس. وقوله (**النّهى**): بالضمّ جمع نُهْيَة، قال في المصباح: «النُّهْيَة: العَقْل؛ لأنّها تَنْهَى عن

---

(١) انظر تخريجه ص١٣٠١.

القبيح، والجمع: نُهَى، مثل: مُدْيَة ومُدَى». وهذا على الاستعارة المكنيّة المبنيّة على تشبيه العقل بالإنسان، وإثبات الصدر له تخييل. وقوله (كَتْمُ): مصدر كتمت زيداً الحديث كتماً: من باب قتل، وكِتْماناً، بالكسر، يتعدّى إلى مفعولين، ويجوز زيادة مِنْ في المفعول الأوّل فيقال: كتمت من زيد الحديث، مثل بعته الدار، وبعت منه الدار. والكَتْمُ هنا ترشيح للاستعارة. يعني: إنّ خفاء تلك الحقيقيّة عند العقول البشريّة يشبه خفاء الأسرار وكتمها في صدور الذين أوتوا العلم الإلهيّ، قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [٢٩/ العنكبوت/ ٤٩] العلم المعتبر، أو المعهود، وهو علم الله تعالى المشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [٣/ آل عمران/ ٦٦].

٥- فَـإِنْ ذُكِـرَتْ فِي الحَـيِّ أَصَـبَحَ أَهْلُـهُ نَـشَاوَى وَلَا عَـارٌ عَلَـيْهِمْ وَلَا إِثْـمُ

(فَإِنْ ذُكِرَتْ): بالبناء للمفعول. ونائب الفاعل ضمير راجع إلى المُدامة المذكورة، والحضرة المنشورة، والحقيقة المشهورة. وقوله (ذُكِرَتْ): من الذكر، يقال ذَكَرْتُه بلساني وبقلبي، ذِكْرَى بالتأنيث وكسرالذال، والاسم ذُكْر بالضمّ، وبالكسر نصّ عليه جماعة منهم: أبو عبيدة وابن قتيبة، وأنكر الفرّاء الكسر في القلب، وقال: اجعلني على ذُكر منك بالضمّ، لا غير؛ ولهذا اقتصر جماعة عليه، كذا في المصباح. وقوله (في الحيّ): أي المنزل من منازل الناس. وأصله البطن من بطون العرب، وجمعها أحياء. وقوله (أصبح): أي دخل في الصبح. قال في المصباح: «الصُّبْح: الفجر، والصَّباح مثله، وهو أوّل النهار، وأصبحنا دخلنا في الصباح». والمعنى في ذلك هنا: ذهاب ظلمة ليل الغفلة، وإشراق أنوار التجلّيات الإلهيّة على القلب الذاكر. وقوله (أهله): أي أهل ذلك الحيّ. يعني: المتأهلين بالاستعداد لقبول أنوار الفيض الربّانيّ، والمدد الرحمانيّ. وقوله (نَشاوى): جمع نَشْوان، من النَّشْوَة، وهي السُّكْر. والمعنى: حصول السُّكْر لهم بما يتجلّى عليهم، وينكسف لديهم، فيغيبون به عن أوهام الأغيار في التحقيق بمعاني الأسرار.

وقوله (**ولا عار عليهم**): العار كلّ شيء لَزِمَ به عيبٌ، وعَيَّرَه الأمرَ، ولا تَقُلْ: بالأمر، وتَعَايَروا وعَيَّرَ بعضُهم بعضاً، كما في القاموس. وقوله (**ولا إثم**): أي ذَنْب، وهو بكسر الهمزة: أنّ يَعْمَل مَا لا يَحِلُّ، إثِمَ كعَلِمَ، إثْماً ومَأْثَماً، فهو آثِمْ وأَثِيْم، كذا في القاموس. ويناسب معنى البيت قول أبي مدين قدّس الله سرّه من أبيات له:

فلا تلم السكران في حال سكره | فقد رفع التكليف في سكرنا عنّا

وقال العرودكي[1] قُدّس سرّه في مطلع أبيات له:/ [٣٥٠/ ب].

قم فاختطفها فإنّ العمر يختطف | صهباء يقدح منها العزّ والشرف

مدامة أخبرت عنها مشايخنا | سلسلاً وروى عن قدسها السلف

٦- وَمِنْ بَيْنِ أَحْشَاءِ الدِّنَانِ تَصَاعَدَتْ | وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا فِي الحَقِيْقَةِ إِلّا اسْمُ

(**ومن بين أحشاء**): جمع حَشَا، وهو مقصور: المعَى، والجمع أَحشاء، مثل سَبَب وأسباب، كذا في المصباح. وقوله (**الدِّنَانِ**): جمع دَنّ، وهو كهيئةِ الحُبِّ[2]، أي: الخابية، إلّا أنّه أطول منه، وأوسع رأساً، وجمعه: دِنَان، مثل: سَهْم وسِهَام، كما في المصباح. وهذا على الاستعارة المكنيّة، بتشبيه الدنان بأجسام البشر، وإثبات الأحشاء لها تخييل. وقوله (**تَصاعَدَتْ**): الفاعل مستتر، يعود على المُدامة المذكورة، أي: ترقّت، وارتفعت شيئاً فشيئاً، وهو كناية عن خفاء العلوم الإلهيّة من صدور الرجال، وتقاصر الهمم الروحانيّة عن نيلها، وطلبها لانحراف القلوب عن هذا المجال. وموجب ذلك كمال الرغبة في محبّة الدنيا وشهواتها، وزيادة الانهماك فيها والإقبال. وقوله (**ولم يبق منها**): أي من المدامة المذكورة. وقوله (**في الحقيقة**): أي

---

(١) أبو بكر بن منيان العرودكي الصوفي. توفي ١١٢٠هـ ودفن بالصالحية في دمشق انظر معجم المؤلفين ٣/ ٧٦.

(٢) الحُبُّ: الجَرَّةُ، أو الضخمة منها.

حقيقة الأمر على وجه كمال الصدق. وقوله (اسم): بوصل همزة اسم، وهو فاعل يبقى، وأعلى من هذا أنْ يقال: ارتفعت الحقيقة المُدامية بعد تجلّيها بنزولها في الصور الحسيَّة، بحيث أفنت الصور في تحقيق ذاتها، ومحت الرسوم الحسيّة والمعنويّة، ولم يبق منها عند المريد الصادق إلّا الاسم الذي يتولّاه؛ لأنّه مجلاه، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [٧/ الأعراف/ ١٨٠] فإنّه لا يُدعَى ويُطْلَب إلاّ بأسمائه؛ لأنّها المتصرّفة في العوالم دون الذات المقدّسة؛ لغناها عن العالمين بحكم قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [٣/ آل عمران/ ٩٧].

٧- وَإِنْ خَطَرَتْ يَوْمَاً عَلَى خَاطِرِ امْرِئٍ ... أَقَامَتْ بِهِ الأَفْرَاحُ وَارْتَحَلَ الهَمُّ

(وإنْ خطرت): من الخاطر، وهو ما يخطر بالقلب من تدبير أمر، يقال: خَطَرَ ببالي وعلى بالي خَطَرَ وخُطُوراً، من بابي ضرب وقعد، كذا في المصباح. والضمير للمدامة المذكورة، وخطورها مرور صورة ناشئة من قدر استعداد العبد لانكشاف التجلّي الربّانيّ له، ويختلف الاستعداد قوّة وضعفاً، فتختلف الصور إلى أن تعمّ الأمثال والأضداد والخيالية والحسيّة، قال القائل:

عقد الخلائق في الإله عقائد ... وأنا اعتقدت جميع ما اعتقدوه

وهو قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [٢/ البقرة/ ١١٥]. وقوله (يوماً): أي وقتاً من الأوقات، قال في المصباح: «والعربُ قد تطلق اليومَ وتريد الوقتَ والحِين، نهاراً كان أو ليلاً، فتقول: ذَخَرْتُكَ لهذا اليوم، أي: لهذا الوقت الذي افْتَقَرْتُ فيه إليكَ». وقوله (على خاطر امرئ): أي إنسان، بأنْ انكشفت له متجلّية بصورة من الصورمطلقاً؛ فإنّ تجلّيها واستتارها على حسب إرادتها ومشيئتها، فلو شاءت تجلّت على إنسان بصور كلّ شيء، وإن شاءت تصوّرت دون صورة، وإن شاءت استترت على الإنسان في كلّ صورة وأشهدته الصور كلّها أغياراً لها، وهكذا على حسب ما تشاء. وقوله (أقامت به):

أي بذلك الأمر، أي: الإنسان. وقوله (**الأفراح**): فاعل أقامت، جمع فرح بالتحريك، وهو السرور. وقوله (**وارْتَحَلَ الهَمُّ**): أي الحزن، وجعل الأفراح مقيمة والهمّ مرتحلاً للإشارة إلى أنّ ذلك دائم دنيا وآخرة، بمجرّد الخطور في البال، فكيف إذا كثر الحضور والإقبال، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ [٤٣/ الزخرف/ ٣٦] ومعلوم أنّ الشيطان للإنسان عدو مبين، والعدو دائماً يدخل الهم والحزن على عدوه، ويطرد عنه الفرح والسرور. /[٣٥١/ أ] وسبب الاقتران بالشيطان الغفلة عن شهود الرحمن في تجلّيه بصور الأكوان، وبالله المستعان.

٧- وَلَـوْ نَظَـرَ النُّـدْمَانُ خَـتْمَ إِنَائِهَـا لَأَسْـكَرَهُمْ مِـنْ دَنِّهَـا[1] ذَلِـكَ الخَـتْمُ

(**ولو نظر الندمان**): جمع نَدِيْم، وهو المُنادِم على الشُّرْب، وجمعه: نِدَام بالكسر، ونُدْمَاء، مثل: كَرِيم وكِرَام وكُرَمَاء، ويقال فيه أيضاً: نَدْمَان». ويكني بهم عن السالكين في طريق الله تعالى. وقوله (**ختم إنائها**): أي المدامة المذكورة. الختم: مصدر خَتَمَه يَخْتِمَه خَتْماً وخِتَاماً: طَبَعَه، كذا في القاموس. وهو كناية عن أثر التجلّي الربّاني في قلب العبد، والنظر إليه كناية عن التحقّق به السالب للغيريّة بالكليّة. وكنّى بإنائها عن النفس الإنسانيّة؛ فإنّ الختم واقع عليها بالتجلِّي الخاص بها في جميع شؤونها وأحوالها في كلّ وقت من الأوقات، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [١٣/ الرعد/ ٣٣] وهو عام في كلّ نفس مؤمنة أو كافرة. وقوله (**لأسكرهم**): أي غيّبهم عنهم وعن كلّ شيء. وقوله (من دَنّها): بفتح الدال المهملة، الدَنّ: الراقود العظيم، أي: الخابية الكبيرة، أو أطول من الخابية، أو أصغر، يُطلى داخله بالقار، ذكره في القاموس. كنّى به عن الجسم الإنساني. وقوله (**ذلك الختم**): أشار إلى الختم المذكور.

---

(١) في (ق): دونها.

٩- وَلَوْ نَضَحُوا مِنْهَا ثَرَى قَبْرِ مَيِّتٍ لَعَادَتْ إِلَيْهِ الرُّوحُ وَانْتَعَشَ الجِسْمُ

(ولو نَضَحُوا): أي رَشُّوا، وضمير الجمع للنُّدْمَان في البيت قبله. وقوله **(منها)**: أي من المدامة المذكورة، قال صلّى الله عليه وسلّم: «إنّ الله خلق الخلق في ظلمة»[1]. يعني: قدّرهم في العدم، ثمّ رشّ عليهم من نوره، أي: نور وجوده الحقّ بالتجلّي الربّانيّ، فمن أصابه من ذلك النوراهتدي، أي: من تحقّق بعدمه الأصليّ، وانكشف له نور الوجود الحقّ، ومن أخطأه، أي: لم يتحقّق بذلك، ضلّ وغوى. وقوله **(ثَرَى)**: أي تراب. وقوله **(قبر ميِّت)**: بتشديد الياء التحتيّة من الموت، وهو عبارة عن زوال القوّة الحيوانيّة، وإبانة الروح عن الجسد، ذكره الراغب. وقال في القاموس: «مَاتَ يَمُوت فهو مَيْتٌ ومَيِّتٌ. يعني: بالتشديد والسكون: ضدّ حيّ» ونضحهم كناية عن توجّههم بالجمعيّة الكبرى إلى حضرة المتجلّي الحقّ بإذنه سبحانه، كما قال تعالى عن عيسى بن مريم عليه السلام: ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى﴾ [٥/ المائدة/ ١١٠]. وقوله **(لعادت)**: إليه الروح، أي: روحه التي كانت له من قبل. وقوله **(وانتعش)**: قال في المصباح: «انْتَعَشَ العَاثِر: نَهَضَ من عَثْرَتِه، ونَعَشَهُ الله وأنْعَشَهُ: أقامه». وقوله **(الجسم)**: أي قام جسم ذلك الميت، وعاد حيّاً كما كان، لو أراد الله تعالى وأذن في ذلك لمن شاء من عباده السالكين في طريق التحقيق، كما وقع إحياء الموتى بطريق الكرامة لجماعة من أولياء الله تعالى، ميراثاً عيسويّاً روحانيّاً.

١٠- وَلَوْ طَرَحُوا فِي فَيْءِ حَائِطِ كَرْمِهَا عَلِيلاً وَقَدْ أَشْفَى لَفَارَقَهُ السُّقْمُ

(ولو طرحوا): أي الندمان المذكورون. **(فِي فَيء)**: الفَيء مهموز، من فَاءَ الرجلُ يَفِيْء، من باب باع: رَجع، وفَاء الظِّلُّ يَفِيء فَيْئاً: رَجَعَ من جانب المشرق،

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في كتاب السنّة، باب: إنّ القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن، ٢٤١، بلفظ: «إنّ الله تعالى خلق خلقه في ظلمة، فألقى عليهم نوراً من نوره، فمن أصابه من ذلك النور اهتدى، ومن أخطأه ضلّ»، فلذلك أقول: جفّ القلم على علم الله عزّ وجلّ. في طريق التحقيق، كما وقع إحياء الموتى بطريق الكرامة لجماعة من أولياء الله تعالى، ميراثاً عيسويّاً روحانيّاً.

كذا في المصباح. كنّى بالفيء عن عالم الخيال، خيال الإنسان الكامل؛ فإنّه راجع عن جانب مغرب الأكوان إلى جانب مشرق شمس الأحديّة من مطلع الروح الآمري الربّانيّ. وقوله (**حائط**): أي جدار. وقوله (**كَرْمِهَا**): أي كَرْم هذه المدامة المذكورة، والكَرْم وزان فَلْس: العِنَب، كذا في المصباح. وفي الحديث: «لا تسمّوا العنب الكَرْمَ؛ فإنّما الكَرْمُ الرجلُ المسلمُ»[1]. وليس الغرض حقيقة النهي عن تسميته كَرْماً، ولكنه رمز إلى أنّ هذا النوع من غير الأناسي المسمّى بالاسم المشتق من الكرم أنتم أحقّاء بأنْ لا تؤهّلوه لهذه التسمية غيرة للمسلم التقي أنْ يشارك فيما سماه الله ، وخصّه بأن جعله صفته فضلاً بأن تسمّوا بالكرم من ليس بمسلم، فكأنّه قال إنّ تأتّى لكم أنْ لا تسمُّوه مثلاً باسم الكرم، ولكن بالجفنة والحبلة فأوفوا وكما في القاموس./ [١٣٥١/ ب] وتسمية الله هي قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [٤٩/الحجرات/١٣] وضمير كرمها عائد إلى المدامة المذكورة. وكنّى به عن عوالم الإمكان الظاهرة للحسّ والعقل؛ فإنّها جدار بين الدنيا والآخرة؛ فإنّ الجسد الإنسانيّ وما تضمّن من الجوارح، والأعضاء، والقوى الروحانيّة بمنزلة الجدار، وهو جدار هذا الكرم المذكور؛ فإذا انهدم بالموت صار الإنسان في عالم الآخرة، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا﴾ [١٧/الكهف/١٨] أي: وراءه من قوله سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾ [٨٥/البروج/٢٠] والكنز من قوله صلّى الله عليه وسلم في الحديث القدسي: «كنت كنزاً مخفيّاً»[2] والمعنى بالطرح فِي فَيْءِ الحائط المذكور توجّه خاطر الإنسان الكامل، واشتمال خياله على صورة ذلك العليل. وقوله (**عليلاً**): مفعول طرحوا، من العلة بالكسر: المرض، عَلَّ يَعِلُّ واعْتَلَّ وأعَلَّه الله فهو عليل، ولا تقل مَعْلُول. والمتكلِّمون يستعملونها، كذا في القاموس. ومرضه جسمانيّاً أو روحانيّاً كما في قوله

(١) أخرجه أحمد في المسند، باب: مسند أبي هريرة، ١٠٢٣٧.

(٢) انظر تخريجه في ص٧٨٠ + ص١٣٥١..

تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ [٢/ البقرة/ ١٠] فإنّ القلوب تمرض روحانيّاتها كما تمرض الأجسام. ودواء الأجسام حسِّيّ، ودواء القلوب معنويّ. ومن جملة الدواء أنْ يكون المريض مطروحاً بالاعتقاد والتذلل في خاطر الإنسان الكامل، العالم بربّه العامل. وقوله (وقد أشفى): بالشين المعجمة، والفاء، قال في المصباح: «أشْفَيْت على الشيء، بالألف: أشرفت. وأشْفَى المريض على الموت، أي: أشرف. وقوله (لفارقه السُّقم): بضمّ السين المهملة، وسكون القاف لغة فيه. قال في المصباح: «سَقِمَ سَقَماً، من باب تَعِبَ: طَالَ مرضُه، والسُّقْم من باب قَرُبَ فهو سَقِيم».

١١- وَلَوْ قَرَّبُوا مِنْ حَانِهَا مُقْعَداً مَشَى وَتَنْطِقُ مِنْ ذِكْرَى مَذَاقَتِهَا الـبُكْمُ

(ولو قربوا): أي الندمان. وقوله (من حانها): أي المدامة المذكورة، جمع حانة، والحانيّة: الخَمْرَة، والحَانَة: موضع بيعها، كذا في القاموس. والمَعْنِي بالحانة هنا: التي جمعها حان مجالس أهل العلوم الإلهيّة، أصحاب التحقيق والعرفان. وقوله (مقعداً): بصيغة اسم المفعول، مَنْ به داء القعاد، قال في القاموس: «به قُعُاد وأقْعَاد: داء يقعده فهو مُقْعَد».وكنّى به هنا عمَّن لا نهوض له إلى معرفة ربّه، المعرفة الحقيقيّة. قال السوديّ اليمني، قدّس الله سرّه، في مطلع أبيات له:

يا مقعد العَزَمات يا عبد الهوى يا بايناً والبين يهدم ما بنى
زرني أعلمك الهوى وفنونه واشتمّ أنفاسي يَزِلْ عنك العنا

وقوله (مشى): أي انطلق من قيود أوهامه وشهواته، وسلك حيث أراد من مسالك التحقيق بعناية التوفيق. وقوله (وتنطق): أي تتكلّم بالعلوم الإلهيّة، والحقائق العرفانيّة. وقوله (من ذِكري): الذِّكرى بالكسر مقصور: الاسم من الذِّكر، بالكسر، وهو الحفظ للشيء، والشيء يجري على اللسان، تقول: ذكّرته بالتشديد ذكرى غير مُجراة. وقوله تعالى: ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٧/ الأعراف/ ٢] اسم للتذكير. ﴿وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [٣٨/ ص/ ٤٣] عبرة لهم. كذا في القاموس.

والمعني بالذكرى هنا : التذكّر والحفظ بدوام استحضار التجلّيات الإلهيّة في عوالم الإمكان بحيث تزول غيريّتها عند بصيرته بالكلّيّة. وقوله (مذاقتها): أي المدامة المذكورة. والمَذاقة: فعل مرّة من إدراك الطعم الواصل إلى حاسّة الذوق. قال في المصباح: «الذوق إدراك الطعام بواسطة الرطوبة المنبثّة بالعصب المفروش على عَضَل اللسان، يقال: ذُقْتُ الطعامَ أَذُوقُهُ ذَوْقَاً وذَوَاقاً وذَوَاقَاناً: إذا عرفته بتلك الواسطة». والمعنى: في ذلك تذكّر معاني التجلّيات الإلهيّة الجارية على ألسنة العارفين المحقّقين؛ فإنّ الكلام إذا خرج من القلوب دخل إلى القلوب، والذي في الألسنة لا/ [٣٥٢/ أ] يجاوز الألسنة. وقوله (البكم): فاعل تنطق، وهم جمع أَبكم، من بَكِمَ يَبْكَمُ، من باب تعب، فهو أَبْكَم، أي: أخرس، وقيل الأخرس الذي خُلِق ولا نطق له، والأبْكَم الذي له نُطْق ولا يَعْقِل الجواب، والجمع: بُكْم، كذا في المصباح. والمكنّى بذلك عن الغافل المحجوب عن تجلّيات علام الغيوب؛ فإنّه أبكم اللسان والقلب، فلا ينطق إلّا عن الأغيار بالأغيار.

١٢- وَلَوْ عَبِقَتْ فِي الشَّرْقِ أَنْفَاسُ طِيْبِهَا وَفِي الغَـرْبِ مَزْكُـوْمٌ لَعَـادَ لَـهُ الـشَّمُّ

(**ولو عَبِقَتْ**): عَبِقَ به الطِيْب عَبَقَاً، من باب تعب: ظَهَرَت ريحُه بثوبة أو بدنه، فهو عَبِق قالوا ولا يكون العَبَق إلّا الرائحة الطيِّبة الزكيّة، كما في القاموس[1]. وقوله (**في الشرق**): أي في جهة بلاد المشرق، وهي التي خرج منها أولياء العراق، وفيها القطب، وتوجَّه إليها أهل الدنيا من جميع الآفاق. وقد يراد بالشوق قلب الإنسان الكامل، لأنّه مشرق شمس الوجود الحقّ. وقوله (**أنفاس**): جمع نَفَس، بالتحريك، قال في المصباح: «النَفَس، بفتحتين: نَسِيم الهواء، والجمع: أَنْفَاس» وهو فاعل عبقت. وقوله (**طِيْبِها**): أي طِيب المُدامة المذكورة. والمعنى في ذلك: لو تقررت معاني التجلّيات الإلهيّة عن ذوق ووجدان من الإنسان الكامل العرفان،

---

(١) أخذ المؤلّف مادّة عبق هنا من المصباح، وليس من القاموس.

وانتشرت روائحها منه في جوانب الأكوان. وظهرت عليه أمارات الصدق في الوجدان. وقوله (وفي الغرب): أي في جهة بلاد المغرب، وهي التي خرج منها الأولياء الكبار، وهاجر أكثرهم إلى بلاد المشرق، كالشيخ الأكبر وغيره. وفي ذلك يقول قدّس الله سرّه:

رأى البرق شرقيّاً فحنّ إلى الشرق ... ولو لاح غربياً لحنّ إلى الغرب

فإنّ غرامي بالبريق ولمعه ... وليس غرامي بالأماكن والترب

وقال أيضاً:

هنيئاً لأهل الشرق في حضرة القدس ... بشمسٍ جَلَتْ أنوارُها ظلمةَ الرمس

وقال أيضاً من قصيدة له:

علوم لنا في عالم الكون قد سرت ... من المغرب الأقصى إلى مطلع الشمس

تجلّى بها من كان عقلاً مجرّداً ... عن الفكر والتخمين والظن والحدس

ولنا في تضمّن المصراع الأوّل من البيت الأول قولنا:

أيا ساكنين الشرق قد شرقت بكم ... عيوني بدمع حين تسامت سنا البرق

فقوموا بعذري عندكم إن مبتدا ... غرامي بكم قد كان من أقرب الطرق

وما ذاك إلّا أنني كنت غافلاً ... أظن جداري ليس يؤذن بالخرق

فمدّت يد شرقيّة قادريّة ... بها نشأتي خضراء طيّبة العرق

فقلت لأهل الغرب لا تعتبونني ... بكم إنني في الجمع من غير ما فرق

صعدت بكم أوج العلا وتمرغت ... بألحانكم في القلب ساجعة الورق

ألا فاعذروا طرف المحبّ فإنّه ... رأى البرق شرقيّاً فحن إلى الشرق

وقوله (مَزكوم): من الزُّكْمَة، قال في المصباح: «الزُّكْمَة، بالضمّ، والزكام معروف، وأَزْكَمَه الله، بالألف، فَزُكِمَ، بالبناء للمفعول على غير قياس، فهو

مَزْكُوم». والمعنى بذلك: من لا يشم رائحة التجلِّيات الإلهيّة لاشتغال نفسه بتوهّمات الأغيار الكونيّة. وقد عُرضت عليّ أبيات باللغة التركيّة في مدح الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه لبعض فضلاّء الأروام، فقلت في تعريبها والأحقّ أن تكون عربيّة في مدح ابن عربيّ.

طيب محيي الدين مسك الورى — فاح لكن كلّ أنف لا يشم

وعلوم خرجت من فمه — كلّ فهم بهداها لا يلمّ/ [٣٥٢/ ب]

قوسه من ذا الذي يرمي به — غرض التحقيق يا قوم هلّموا

وقوله **(لعاد)**: أي رَجَعَ. وقوله **(له)** : أي لذلك المزكوم. وقوله **(الشَّمّ)**: أي حاسّة إدراك الروائح بحيث يصير يَشمّ روائح التحقيق والعرفان من كلام أهل الكشف والعيان.

١٣ - وَلَوْ خُضِّبَتْ مِنْ كَأْسِهَا كَفُّ لَامِسٍ — لَمَا ضَلَّ فِي لَيْلٍ وَفِي يَدِهِ النَّجْمُ

(ولو خُضّبَتْ): بالبناء للمفعول، مخففاً أو مشدّداً، يقال: خَضَبَهُ يَخْضِبُهُ: لوّنه كخضّبه، كذا في القاموس. وقال في المصباح: خَضَبْتُ اليدَ وغيرها خَضْباً، من باب: ضرب بالخِضَاب، وهو الحنّاء، ونحوه، قال ابن القطّاع: فإذا لم يذكروا الشيب والشعر قالوا: خَضَبَ خِضاباً واخْتَضَبَ بالخِضاب». وقوله **(من كأسها)**: أي المُدامة المذكورة. والكأس بهمزة ساكنة، ويجوز تخفيفها: القدح مملوءاً من الشراب، ولا تسمّى كأساً إلّا وفيها الشراب، وهي مؤنّثة، كذا في المصباح. وقوله **(كفّ)** نائب فاعل خُضّبَتْ، والكفّ مؤنّثة، قال في المصباح: «الكفّ من الإنسان وغيره أنثى. قال ابن الأنباري وزعم من لا يُوثَقُ به أنَّ الكف مذكّر، ولا يعرف تذكيرها من يُوثَق بعلمه. وأمّا قولهم كفّ مخضّب فعلى معنًى ساعد مخضّب وقال الأزهري: الكفّ الراحة مع الأصابع، سمّيت بذلك لأنّها تكفّ الأذى عن البدن». وقوله **(لامِسٍ)**: اسم فاعل، قال ابن دريد: أصل اللَّمْس باليد لِيُعْرَفَ

مَسُّ الشيء، ثمّ كثر ذلك حتّى صار لكلّ طالب، قال : ولَمَسْتُ مَسِسْتُ، وكلّ ماسٍّ لامس، وقال الفارابي: اللَّمْسُ المَسُّ. وفي التهذيب عن ابن الأعرابي: اللَّمْس يكون مَسَّ الشيء بالشيء وقال في باب الميم: المسّ مَسك الشيء بيدك، وقال الجوهري: اللَّمْسُ باليد، ذكره في المصباح. والإشارة بكفّ اللامس عن يد المريد الصادق في إرادة الله تعالى إذا وضعها في يد الإنسان الكامل المرشد المحمَّدي الجامع وقت المبايعة والمعاهدة، كما ورد في الحديث، قال: صلّى الله عليه وسلّم في بيع الملامس أنّ يقول: «إذا لمست ثوبك أو لمست ثوبي فقد وجب البيع بيننا بكذا»[1] وهو بيع النفس لله تعالى اللابس بالتجلّي والتأثير، ثوب الصورة الإنسانيّة الكاملة وهي صورة الشيخ المرشد؛ فإذا وضع المريد الصادق في الإرادة يده في يد الشيخ الكامل المرشد إلى الله تعالى عن الذوق والوجدان، فقد لمس المريد ثوب المراد، وقد وجب البيع، ولزم، وتمّ. وقد اشترى الحقّ تعالى نفس المريد فلا رجوع له عن بيعه شرعاً، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ﴾ [٩/ التوبة/ ١١١] أي من المصّدقين بالشيخ المرشد، وإنّه كما ذكرنا إذ يلزم من ذلك التصديق بالوجود الحقّ المتعيّن له بطريق التقدير تعييناً فانياً معدوماً بالذات والصفات من غير حلول؛ إذ لا يحلّ الوجود في العدم، ولا اتّحاد؛ إذ لا يكون الوجود الحقّ هو العدم الباطل، ولا انحلال؛ إذ لا ينحلّ العدم من الوجود من العدم. ثمّ قال تعالى: ﴿فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦ﴾ [٩/ التوبة/ ١١١] وهي إشارة إلى بيع المشايخ الكاملين كما ذكرنا، ووجدان الشيخ الكامل لازم من صدق المريد، فمتى صدق المريد في إرادة الله تعالى وجد الشيخ الكامل المرشد إلى الله تعالى؛ لأنّه حجّة الله تعالى على خلقه في الأرض إلى يوم القيامة.

---

(١) لم نعثر عليه بهذا اللفظ، وإنّما أخرج مالك في الموطأ، كتاب البيوع ، باب: الملابسة والمنابذة، ١٣٣٦، عن أبي هريرة، بلفظ: «أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم نهى عن الملابسة والمنابذة».

ومتى كذب المريد لم يجد له مرشداً أصلاً قال تعالى: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [١٨/ الكهف/ ١٧] وقد أشار الناظم قدّس الله سرّه إلى المرشد الكامل بقوله (من كأسها) لما أشار على الحقيقة الوجوديّة الحقّة بالمدامة المذكورة. والتخضيب كناية عن اتّصال المدد الربّاني بالمريد الصادق الفاني. وقوله (لَمَا ضَلَّ): أي تاه وتحيّر، يقال: ضلّ الرجل عن الطريق، وضلّ عنه يَضِلّ: من باب ضرب ضلالاً وضلالة زلّ عنه فلم يهتدِ إليه؛ فهو ضالّ، هذه لغة أهل نجد، وهي/ [٣٥٣/ أ] الفصحى، وبها جاء القرآن في قوله تعالى: ﴿إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى﴾ [٢٤/ سبأ/ ٥٠]. وفي لغة لأهل العالية من باب تعب، ذكره في المصباح. وقوله (في ليل): أي كون من الأكوان. وقوله (وفي يده النجم): أي الكوكب المضيء. كناية عن المدد الذي حصل له من لمس يد الشيخ الكامل، واتصاله به بالربط المعنوي، القلبي، الحاصل له بالمبايعة والمعاهدة، قال تعالى: ﴿وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [١٦/ النحل/ ١٦] وفي الحديث: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»[1] والصحبة المعنويّة القلبيّة باقية في الورثة المحمّديّين إلى يوم القيامة.

١٤- وَلَوْ جُلِيَتْ سِرّاً عَلَى أَكْمَهٍ غَدَا بَصِيراً وَمِنْ رَاوُوقِهَا تَسْمَعُ الصُّمُّ

(ولو جُلِيَتْ): بالبناء للمفعول، جَلَتِ الماشطةُ العروسَ على زوجها جِلْوَة بالكسر، والفتح لغة، وجِلَاء مثل: كِتاب، واجْتَلاها: نظر إليها تجلّى، ذكره بالمصباح. وضمير الغائبة إلى المُدامة المذكورة. وقوله (سرّاً): أي خفيّة، والسرّ: ما يُكْتَم، وهو خلاف الإعلان، والجمع: أسرار، كذا في المصباح. والمعنى في ذلك: انكشاف الحقيقة الوجوديّة الجامعة. وقوله (على أكمه): متعلّق بـ (جليت)، والأَكْمَه من كَمِهَ كَمَهاً، من باب تعب؛ فهو أَكْمَه، والمرأة كَمْهَاء، مثل: أحمر وحمراء، وهو العمى يولد عليه الإنسان، وربّما كان من عرض، كما في المصباح.

---

(١) انظر تخريجه ص١١٤٢.

وهو العبد الغافل المحجوب بنفسه عن معرفة تجلّيات ربّه. وقوله (غَدا): من غَدَا غُدُواً، من باب قعد: ذهب غُدْوَةً، وهي ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس، هذا أصله، ثمّ كَثُر حتّى استُعمل في الذهاب والانطلاق، أي وقتٍ كان، والغَدَاة: الضَّحْوة، ذكره في المصباح، وأشار بقوله (غدا) إلى انشقاق فجر السالك بعد ظلمة ليلته بالفتح الربّانيّ، والمدد الرحمانيّ، كما ورد عن الإمام علي كرّم الله وجهه أنّه قال لخادمه كميل: أطفِ المصباح؛ فقد طلع الصباح». يشير إلى أنّه قد انكشف لك نور الوجود الحقّ، فلا تستعمل نور العقل بعد الآن في تخييل المعاني الإلهيّة، واطلبها في الحسّ والعيان. وانظر بنور الله لا بنور العقل؛ فإنّ نورالعقل يحتاج إليه الإنسان ما دام محبوساً في ظلمات الأكوان، قال صلّى الله عليه وسلّم: «المؤمن ينظر بنور الله وينطق بتوفيق الله»[1].

وقوله (بصيراً): أي ذا بصر يرى به ما لم يكن يرى، ويكشف ببصيرته عن أسرار الورى. وقوله (ومن راووقها): أي المدامة المذكورة، والراووق: المِصْفَاة، وربّما سمّوا البَاطِيَة راوُوقاً، وهو مشتق من رَاقَ الشرابُ يَرُوق رَوْقاً، أي: صفا، وروّقته أنا ترويقاً ، ذكره في المصباح[2]. ويشير بالراووق إلى العقل الذي للإنسان الكامل؛ فإنّه لا يهجم على الإدراك، وصاحبه لا يدرك به، وإنّما يدرك بنور ربّه، ثمّ يعرض ما أدركه بنور ربّه على عقله، وعقله يصفي ذلك من كدر الأغيار، ودنس الآثار؛ فهو الراووق، وهو الفاروق، كعقل عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ فإنّه تبع لما جاء به النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، ولا استقلال له في الإدراك؛ فإنّه يفرّق بين الحقّ والباطل لغلبة المتابعة عليه، ولهذا قيل له الفاروق.

---

(١) ذكره السيوطيّ في الدرّ المنثور، وقال أخرجه بن جرير عن ثوبان، باب: ٥١، بلفظ: «احذروا فراسة المؤمن فإنّه ينظر بنور الله وينطق بتوفيق الله». انظر «الدرّ المنثور» ٦/ ١٠٦

(٢) ذكره في القاموس، وليس في المصباح.

وقوله (تسمع الصمّ): بضمّ الصاد المهملة، جمع أصمّ من قولهم: صَمَّتِ الأُذن صَمَماً، من باب تعب: بَطَل سمعُها؛ فالذَكَر: أَصَمُّ، والأُنثى صَمَّاء، والجمع: صُمٌّ، مثل أَحْمَر وحَمْرَاء وحُمُر، كذا في المصباح. يكنّي بالصمّ عن الغافلين الذين لا يسمعون الحقّ لاشتغالهم بالباطل الذي هو غير الحقّ تعالى، كما قال تعالى: ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ [٢١/ الأنبياء/ ١٠٠] وكونهم يسمعون من راووقها أي: من مصفاتها التي هي العقل النورانيّ المقبل، دون العقل الظلمانيّ المدبّر، ولا يقدر أحد أنْ يسمع كلام أهل الله تعالى العارفين بربّهم إلّا إذا سمعه من عارف بربّه، فإذا سمعه من غير العارف، أو تلقّاه من الكتب، وفهمه بعقله الظلمانيّ المدبّر، فليس ذلك هو كلام أهل الله تعالى العارفين به، وإنّما هو كلام نفسه، وهو يتفهّمه بعقله، وقد أشرنا إلى ذلك بقولنا/ [٣٥٣/ ب]:

كلامنا نعرفه ... نحن ومن يعرفنا
وإنّما يفهمه ... في الناس من يفهمنا
ولم يكن يجهله ... إلّا الذي يجهلنا
ومن يرده فليكن ... ملازماً مجلسنا
أو مجلساً لكلّ من ... تلمذه الصدق لنا
وقلبه معتقد ... ويحسن الظنّ بنا
ويسمع التقرير ... عن كلامنا من فمنا
ولا يقلّد جاهلا ... بالحقّ فيما طعنا
فالناس فيهم حسد ... وسوء ظنٍّ كمنا
والجهل بالله لهم ... قد صار شيئاً حسنا
وكلّ شخص يدعي ... ما ليس فيه علنا

١٥- وَلَوْ أَنَّ رَكْباً يَمَّمُوْا تُرْبَ أَرْضِهَا   وَفِي الرَّكْبِ مَلْسُوْعٌ لَمَا ضَرَّهُ السُّمُّ

(ولو أنّ رَكْباً): هو جمع راكب، قال في المصباح: «رَاكِبُ الدّابةِ، جمعه: رَكْب، مثل: صَاحِب وصَحْب، ورُكْبَان». يشر بذلك إلى المحمولين من أهل السلوك والعرفان، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [١٧/الإسراء/ ٧٠]، فالحامل لهم هو الحقّ تعالى، وهم المحمولون في البرّ على الدوابّ، وفي البحر على السفن، وعلى الأرض والأبنية والأشجار والعارفون بذلك ركب؛ لأنّهم جماعة الراكبين، ومن لم يعرف حيوان في صورة إنسان لغفلته عن الأمر، واشتغاله في زيد وعمر. وقوله (يمَّمُوا): أي قصدوا. وقوله (تُرْب): وزان: قفل: لغة في التراب، كذا في المصباح. وقوله (أرضها): أي المدامة المذكورة. كنّى بذلك عن الصور الجسمانيّة التي تنبت فيها الصورة الروحانيّة الأمريّة، من بزر أمر الله تعالى، فأثرت عَنَاء قيد المعاني في قشور المبانيّ، ثمّ استخرجت منها هذه المدامة بعصر الفتح الربّانيّ، والفيض الرحمانيّ؛ وهو إشارة إلى الإنسان الكامل المرشد. وقوله (وفي الركب): بلام العهد الذكري، أي: الركب المذكور. وقوله (ملسوع): أي واحد منهم ملسوع، لسعته الحيّة والعقرب تلسعه لسعاً، وهو كناية عن المحبّ العاشق المتوجّه بكلّيته نحو حبيبه ولأخباره ناشق، الذي قال فيه القائل، وهو من الأوائل، والمحبّة حجاب هائل:

قد لسعت حيّة الهوى كبدي   فلا طبيب لها ولا راقي

إلّا الحبيب الذي علقت به   فإنّه رقيَّتي وترياقي

وقوله (لما ضرّه السُّمّ): بضمّ السين، أو فتحها، أو كسرها. قال في المصباح: «السُمّ ما يَقْتُل، بالفتح في الأكثر، وجمعه: سُمُوم، مثل: فَلْس وفُلُوس، وسِمَام أيضاً، مثل: سَهْم وسِهَام. والضمّ لغة لأهل العالية، والكسر لغة بني تميم». وكنّى بالسمّ عن الغيريّة الظاهرة من الأكوان الفانية؛ فإنّه إذا قصد المرشد الكامل يعرِّفه

بحقائق الكائنات، ويوقفه على معاني التجلِّيات؛ فلا يضرّه شيء من الأشياء، ولا تحجبه الظلالات والأفياء.

١٦- وَلَوْ رَسَمَ الرَّاقِي حُرُوْفَ اسْمِهَا عَلى جَبِيْنِ مُصَابٍ جُنَّ أَبْرَأَهُ الرَّسْمُ

(ولو رَسَمَ): أي كتب. وقوله (الرَاقي): من رَقَيْتُهُ أَرْقِيه، من باب رمى، رَقْياً: عَوَّذْتُه بالله ، والاسم الرُّقْيَا على فُعْلى، والمَرّة رُقْيَة، والجمع: رُقَىً، مثل مُدْيَة ومُدَى، ذكره في المصباح. والإشارة بالراقي إلى الإنسان الكامل، وهو الشيخ المرشد. وقوله (حروف): جمع حرف، أحد حروف الهجاء. وقوله (اسمها): أي المدامة المذكورة، وحروف اسمها كناية عن انحرافات ما يتخيّله السالك من معاني تجلِّيات الحضرة الإلهيّة وقت حضوره معها بها لا بنفسه، ورسم ذلك إنّما يكون من المرشد الكامل بطريق التوجّه الربّانيّ، والإمداد الرحمانيّ، فتارة يتأتى بالإلقاء الإلهاميّ من القلب إلى القلب مع صدق الحال، وتارة يتأتّى بتقرير العبارات، وتبيين الإشارات، وتارة بإلباس خرقة الصوفيّة المشهورة، وشرطها كمال الصدق من الطرفين، فيسري الحال الصادق بأمرالله في المريد الصادق، وتارة بنظر الشيخ الصادر من قوله صلّى الله عليه وسلّم : «كنت بصره الذي يبصر به» في الحديث المشروط بالتقرّب بالنوافل، وتارة بنظر المريد الصادق إلى الشيخ من قوله عليه السلام، وفي الحديث: «إذا رُؤُوا ذكر الله»[1]. وهذا/ [٣٥٤/ أ] الأمر يختلف باختلاف الاستعداد في السرعة والبطء، والإخلاص في الخدمة، والأدب مع المشايخ، وحفظ حرمتهم غيبة وحضوراً. وقوله (على جبين مصاب): الجبين ناحيةُ الجَبْهَة من مُحاذاة النَّزْعَة إلى الصُّدْغ، وهما جَبِيْنَان: عن يمين الجبهة وشمالها، قاله الأزهري وابن فارس وغيرهما، فتكون الجبهة بين جَبِيْنَيْن. وجمعه جُبُن بضمتين، مثل: بَرِيْد وبُرُد، وأَجْبِنَة مثل: أسلحة، كذا في المصباح. و(المصاب) قال في الصحاح: «رجلٌ مُصاب، وفي عقله صَابَة، أي: فيه طَرَفٌ من الجُنُون». وقوله

(١) قطعة من حديث أخرجه أحمد في المسند، باب: من حديث أسماء بنت يزيد، ٢٨٣٦٨.

(جُنَّ): بضمّ الجيم وتشديد النون، من الجَنَّة، وهي الجُنُون، وأَجَنَّه الله، بالألف، فجُنَّ هو، بالبناء للمفعول؛ فهو مجنون، كذا في المصباح. والإشارة به إلى الغافل المحجوب الذي هو منقاد لتخيلات عقله وهواه ووسواسه في جميع مدركاته ينتقل بفكره وذهنه من كون إلى كون، ولا يرى إلّا الأكوان، وهو معرض عن تجلِّيات الحقّ تعالى بها، فينظرها قائمة بنفسها، متحرِّكة ساكنة بنفسها، تعطي وتمنع، وتخفض وترفع، وليس لله تعالى ذكر معها، ولا بها، ولا فيها. وما ذلك إلّا من فساد خياله، وغلبة الأوهام على عقله، ولولا أنّه صاحٍ لهذه الحالة التي هو فيها لحكمنا عليه بالجنون المطبق شرعاً، وأسقطنا عنه جميع التكاليف الشرعيّة، ولكنّه لمّا صحا لهذه الحالة الفاسدة ورسخ فيها، وصارت له عالماً مستقلاً، غيرعالم الأكوان المفتقرة إلى تأثير الرحيم الرحمن، فرض الله تعالى عليه فيها جميع التكاليف الشرعيّة، وألزمه بها على الغيب عن حضرته تعالى، الظاهرة المنكشفة في كلّ شيء مقتاً منه تعالى له، وإبعاداًعن جَنابه، كما قال تعالى: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ [٥/المائدة/٤١] يعني من أدناس الأغيار بمياه التجلّي والاستتار، فهذا هو المراد بالمصاب الذي جُنّ. وقوله (أبرأه): أي شفاه من دائه الذي هو فيه، قال في المصباح: «بَرَأَ من المرض يَبْرَأُ، من بابي نفع وتعب». وقال في القاموس: «بَرَأَ المريضُ يَبْرَأُ يَبْرُؤُ بُرْءاً بالضمّ وبُرُوءاً وبَرْءاً، ككَرُمَ وفَرِح بَرْءاَ وبُرْءاً: نَقِه، وأَبْرَأَهُ الله». وقوله (الرَّسم): بلام العهد الذكري، أي: الرسم المذكور الذي رسمه ذلك الراقي على جبين المصاب المذكور، فظهر نور يتلألأ في وجهه، قال تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [٤٨/الفتح/٢٩] أي: الفناء في الله بمشاهدة نور وجوده تعالى على كلّ شيء، كما قال الشيخ عبد الكريم الجيليّ في قصيدته العينيّة المشهورة:

واسجد أي افْنَ وافْنَ عن الفنا   واسجد لأخرى والمتيّم والع[1]

وإنّما كان الرسم على الجبين ليدوم استحضار ذلك عنده في أعلى مكان منه.

---

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: «بلغ مقابلة ولله الحمد».

١٧ - وَفَوْقَ لِوَاءِ الجَيْشِ لَوْ رُقِمَ اسْمُهَا لَأَسْكَرَ مَنْ تَحْتَ اللِوَا ذَلِكَ الرَّقْمُ

(وفوق لواء): الجيش بالمدّ، قال في المصباح: «لِوَاءُ الجيش: عَلَمُهُ، وهو دون الراية، والجمع: أَلْوِيَة». وقال في القاموس: «واللِواء، بالمدّ: العَلَم، وجمعه: أَلْوِيَة، وأَلْوَاه: رَفَعَه. و(الجَيْشُ): الجُنْد، أو السائرون لِحَرْب أو غيرها». أشار بلواء الجيش إلى الطريقة المنشورة لكلّ شيخ من مشايخ الصوفيّة، الكاملين المحقِّقين التي يمشي تحتها المريدون السالكون في حرب نفوسهم لقطع مسافاتها إلى معرفة ربّهم، كما أنّ لواء جيش القادريّة الذي رفعه شيخنا العارف بالله تعالى عبد القادر الكيلانيّ قدّس الله سرّه للمريدين السالكين على طريقته هو الذلّ والانكسار، ولواء جيش المحيويّة الذي رفعه شيخنا العارف بالله تعالى، الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي، قدّس الله ، سرّه للمريدين السالكين على طريقته هو العلم النافع، والعمل الرافع. ولواء جيش الشاذليّة/ [٣٥٤/ ب] الذي رفعه العارف الكامل أبو الحسن الشاذليّ، قدّس الله ، سرّه للمريدين السالكين، على طريقته هو: ترك التدبير حتّى صنّف في طريقه ذلك تلميذ تلميذه الشيخ تاج الدين بن عطاء الله السكندريّ، قدّس الله سرّه، كتابه الذي سمّاه «التنوير في إسقاط التدبير». وهكذا كلّ شيخ له طريقة خاصّة هي لواؤه المنشور، وعلمه المشهور. وقد أشار إلى نحو ذلك الشيخ الإمام شهاب الدين أحمد التونسي المعروف برزّوق، قدّس الله سرّه. وهو شاذلي الطريقة في كتابه «قواعد الطريقة في الجمع بين الشريعة والحقيقة»، قال: «قاعدة تعدّد وجوه الحسن يقضي بتعدّد وجوه الاستحسان، وحصول الحسن لكلّ مستحسن، فمن ثمّة كان لكلّ فريق طريق، فللعامّي تصوّف حوته كتب المحاسبيّ ومن نحا نحوه. وللفقيه تصوّف رامه ابن الحاجّ في مدخله. وللمحدّث تصوّف حام حوله أبو بكر بن العربي في سراجه. وللعابد تصوّف دار عليه الغزاليّ في منهاجه. وللمترِّض تصوّف نبّه عليه القشيري في رسالته. وللناسك تصوّف حواه القوت والإحياء. وللحكيم تصوّف أدخله الحاتمي؛ وهو

الشيخ الأكبر في كتبه. وللمنطقيّ تصوّف نحا إليه ابن سبعين في تآليفه. وللطبائعي تصوّف جاء به البونيّ في أسراره. وللأصوليّ تصوّف قام به الشاذليّ في تحقيقيه؛ فليعتبر كلّ بأصله من محلِّه. وبالله التوفيق. ثمّ قال «قاعدة في اختلاف المسالك راحة للسالك، وإعانة له على ما أراد من بلوغ الأرب، والتوصّل للمراد؛ فلذلك اختلفت طرق القوم، ووجوه سلوكهم؛ فمن ناسك يؤثر الفضائل بكلّ حال، ومن عابد يتمسّك بصحيح الأعمال. ومن زاهد يفرّ من الخلائق. ومن عارف يتعلّق بالحقائق. ومن ورع يتحقّق المقام بالاحتياط. ومن متمسِّك يتعلّق بالقوم في كلّ مناط، ومن مريد يقوم بمعاملة البساط. والكلّ في دائرة الحقّ بإقامة الشريعة، والفرار من كلّ ذميمة وشنيعة». ثمّ قال قاعدة: «لا يلزم من اختلاف المسالك اختلاف المقصد؛ بل قد يكون متّحداً مع اختلاف مسالك كالعبادة، والزهادة، والمعرفة، مسالك لقرب الحقّ على سبيل الكرامة، وكلّها متداخلة؛ فلا بدّ للعارف من عبادة، وإلّا فلا عبرة بمعرفته إذا لم يعبد معروفه، ولا بدّ له من زهادة، وإلّا فلا حقيقة عنده إذا لم يعرض عمّا سواه، ولا بدّ للعابد منهما؛ إذْ لا عبادة إلّا بمعرفة، ولا فراغ للعبادة إلّا بزهد كذلك، إذْ لا زهد إلّا بمعرفة، ولا زهد إلّا بعبادة. والادّعاء بطالة. نعم، من غلب عليه العمل فعابد، أو الترك فزاهد، أو النظر لتصريف الحقّ فعارف. والكلّ صوفيّة، والله أعلم». ثمّ قال قاعدة: «لا بدّ من معرفة عبادة وزهادة لكلّ عابد وعارف وزاهد؛ ولكن من غلب عليه طلب العمل كان عابداً، ومعرفته وزهده تبع لعبادته. ومن غلب عليه ترك الفضول كان زاهداً. وعبادته ومعرفته تبع لزهده. ومن غلب عليه النظر للحقّ بإسقاط الخلق كان عارفاً. وعبادته وزهده تبع لأصله. فالنسب تابعة للأصول، وإلّا فالطرق متداخلة. ومن فهم غير ذلك فقد أخطأ. نعم يخفف الأمر، ويقوى بحسب البساط. والله أعلم. قاعدة ضبط النفس بأصل يرجع إليه في العلم، والعمل لازم لمنع التشعّب والتشغّب، فلزم الاقتداء بشيخ قد تحقّق اتّباعه للسنّة، وتمكّنه من المعرفة ليرجع إليه فيما يرد أو يراد، مع التقاط الفوائد

الراجعة لأصله من خارج، إذ الحكمة ضالّة المؤمن، وهو كالنحلة ترعى كلّ طيّب ثمّ لا تنبت غير جَبْحِها، والجَبْحُ بالجيم والباء الموحّدة والحاء المهملة، ويثلّث: خلية العسل. وجمعه أَجْبُح وأَجْبَاح، كذا في القاموس. وإلّا لم يُنتفع بعسلها، وقد تشاجر فقراء الأندلس من المتأخّرين في الاكتفاء بالكتب من المشايخ، ثمّ كتبوا للبلاد فكلّ أجاب على حسب فتحه. وجملة الأجوبة دائرة على ثلاثة،/ [٣٥٥/أ] وهي النظر للمشايخ، فشيخ التعليم تكفي عنه الكتب للَبيب حاذق، يعرف موارد العلوم. وشيخ التربية تكفي عن الصحبة لديِّنٍ عاقل ناصح. وشيخ الترقية يكفي عنه اللقاء والتبرّك. وأخذ كلٍّ من وجه واحد. ثمّ الثاني النظر لحال الطالب؛ فالبليد لا بدّ له من شيخ يربِّيه. واللبيب تكفيه الكتب في الترقية لكنّه لا يَسْلَم من رعونة نفسه. وإنْ وصل لابتلاء العبد برؤية سببه، الثالث النظر للمجاهدات؛ فالتقوى لا تحتاج إلى شيخ لبيانها وعمومها. والاستقامة تحتاج إلى شيخ في تمييز الأصلح منها، وقد يكتفي دونه اللبيب بالكتب ومجاهدة الكشف. والترقية لا بدّ فيها من شيخ يُرجع إليه في فتوحها كرجوعه عليه الصلاة والسلام للعرض على ورقة لعلمه بأخبار النبوّة، ومبادئ ظهورها حين فاجأه الحقّ، وهذه الطريقة قريبة من الأولى، والسنّة معها، والله أعلم. قاعدة تشعب الأصل قاض بالتشعب في الفرع، وكلّ طريق للقوم لم يرجعوا بها لأصل واحد؛ بل لأصول غير الشاذليّة؛ فإنّهم بنوها، على أصل واحد، وهو إسقاط التدبير مع الحقّ تعالى فيما دبّره من القهريات والأمريات، ففروعهم راجعة إلى اتّباع الكتاب والسنّة، وشهود المنّة، والتسليم للحكم بملاحظة الحكمة، وهذه نكتة مذاهب القوم وحولها يحومون، لكنّهم لم يصرِّحوا بوجوهها كهذه الطائفة. قاعدة مطالبة الشخص على قدر حاله، ومخاطبته بما يقتضيه وجود أصله، فلا يطالب عامّي بزائد على التقوى، وفقيه بزائد على الاستقامة، ويطالب المريد بالصدق بعد تحصيل الأوَّلَيْنِ. والعارف بالورع؛ فعامّي لاتقوى له: فاجر. وفقيه لا استقامة له: مقصِّر. ومريد لا صدق له: متلاعب. وعارف لا ورع له: ناقص. وأصل التصوّف دائر

على الأحسن، هذا إنْ تحررت طريقته فواجبه في الأحكام الورع، ولازمه في السنن التحفّظ. وحاله في الآداب دائر مع قلبه؛ ولذلك اختلفت أحواله فيه. فَلْيَعتَبِرْ كلٌّ في محلّه، ولا يطالب بشيء في غير وجهه». إلى هنا كلام سيدي أحمد رزّوق الشاذلي قدّ س الله سرّه؛ فإشارة الناظم هنا قدّس الله سرّه بلواء الجيش إلى طريقة من الطرق المذكورة. وفوقيّة اللواء كناية عن ابتداء أمر المريد في أوّل سلوكه في ذلك الطريق المخصوص، وأهم ما يكون فيه، وأعلى، وأتمّ، وأكمل، وألزم، وأوجب ما يتعيّن عليه تقديمه. وقوله (لو رُقِمَ): بالبناء للمفعول. والرَّقْم الكتابة. والراقم هو الله تعالى حُذف للعلم به، قال تعالى: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ [٣٥/ فاطر/ ٢] وذلك من مبادئ التوفيق، قال تعالى: ﴿وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [١١/ هود/ ٨٨] أي: ارجع بالتوبة من كلّ ذنب، وهنا شرطان في حصول التوفيق الإلهيّ؛ فالأوّل التوكّل عليه تعالى في جميع الأمور، ظاهراً و باطناً. قال تعالى:﴿ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴾ [٧٣/ المزّمل/ ٩]. والثاني: التوبة بالرجوع إليه تعالى من ملاحظة كلّ شيء، قال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [٢٤/ النور٣١]. وقوله (اسمها): أي المدامة المذكورة، واسمها ذاتها المسمّاة باسم من أسمائها، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٨٠] وبيان ذلك بأن ينظر المريد ذوقاً وإحساساً في الاسم الإلهيّ المتوجّه عليه، فيلاحظ ربّه تعالى مسمّىً به في حال دخوله تحت لوائه المذكور؛ فإنّ كان اسمه تعالى الباسط فيلاحظه في حاله ذلك، أو اسمه تعالى القابض فيلاحظه كذلك. والاسم المحيي كذلك، والمميت كذلك، والمعطي، والمانع، والخافض، والرافع، والمقدّم، والمؤخِّر، ونحو ذلك. وهي أسماء الأفعال، ومثلها الأسماء الذاتيّة كالقدير، والعليم، والمريد، ونحو ذلك.

وقوله (لَأَسْكَرَ): من سَكِرَ سَكَراً، من باب تعب، وكسر السين في المصدر لغة، فيبقى/ [٣٥٥/ ب] مثل عِنَب فهو سَكْران، وامرأة سَكْرَى. والسُّكْر اسم منه، وأَسْكَرَه الشراب: أزال عقلَه، كذا في المصباح. والمعنى: ليغيب إدراك العقل عن

الأكوان جميعها. وقوله (مَنْ): مفعول أسكر. وقوله (تحت اللِوا): بالقصر لضرورة الوزن. واللام فيه للعهد الذِكْريّ، أي: اللِواء المذكور. والذي تحت اللِواء هم المريدون الصادقون في تسليم نفوسهم لحكم طريقة شيخهم الذي التزموا طريقته، ودخلوا تحت تصرّف أمره ظاهراً وباطناً. وقوله (ذلك الرَّقْم): بلام العهد الذِّكْرِيّ، أي: الرقم المذكور. قال في المصباح: «رَقَمت الشيءَ: أَعْلَمته بعلامة تميِّزه عن غيره كالكِتابة ونحوها.

١٨ - تُهَـذِّبُ أَخْـلَاقَ النَّـدَامَى فَيَهْتَـدِي بِهَـا لِطَرِيـقِ العَـزْمِ مَـنْ لَا لَـهُ عَـزْمُ

(**تُهذّب**): أي تُنقّي، وتُخلّص، وتطهّر من الأدناس، يقال: هَذَبَهُ يَهْذِبُهُ هَذْباً: نَقَّاه، وأَخلَصه، وأَصلَحه، كهَذَّبَهُ ـ بالتشديد ـ ورجل مُهذّب، أي: مُطَهَّر الأخلاق، كذا في القاموس. وقوله (**أَخلاقَ**): جمع خُلُق، بضمّتين، وهو السجيّة والعادة التيّ انطبع عليها الإنسان بأنّ تصرّف كلّ خلق في محلّه؛ فالكرم في الخير، والبخل بالدين، والخوف من الله ، والأمن من كلّ من سواه. والرجا والطمع فيما عند الله تعالى، واليأس ممن سواه، والغضب في دين الله، والحلم على أهل الدين من عباد الله ، والصبرعلى مراد الله، والشكر لعطاء الله، وهكذا كلّ خلق ينصرف في مصرفه الذي هو له على وجه، وإنّما تكون الأخلاق ذميمة إذا صرفت في غير مصارفها، فما قال تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [٥٩/الحشر/٩] ولم يقل تعالى: ومن يزل شحّ نفسه؛ لأن الأخلاق التي خلق عليها الإنسان لا تزول عنه أصلاً، وهي كلّها حسنة إذا صرفت في مصارفها التي وضعت لها شرعاً؛ فالشحّ بالدين والمروءة حسن، وبالدنيا قبيح. كما أنّ التكبّر على المتكبِّرين بالباطل حسن، وعلى المتواضعين قبيح. والحسد على الخير بأنْ يكون له مثله من غير أنْ يزول الخيرعن محلّه حسن. والحسد بتمنّي زوال النعمة عن الغير قبيح سواء عاد إليه مثلها أو لم يعد. وهكذا في جميع الأخلاق الإنسانيّة. وقوله (**الندامى**): جمع نديم. قال في المصباح: «النَّدِيم المُنَادِم على الشرب، وجمعه: نِدَام، بالكسر، ونُدَمَاء، مثل: كَرِيم وكِرام وكُرَمَاء، ويقال فيه أيضاً: نَدْمَان، والمرأة نَدْمَانَة،

وجمعها نَدَامَى». وأشار بالندامى إلى المريدين السالكين بالتقوى في دين الله تعالى.

وقوله (فيهتدي بها): أي بالمدامة المذكورة. والفاء للتفريع والتفصيل. وقوله (لطريق العَزْم):أي لمصرفه المخلوق له، وهو العزم على الخير دون الشرّ، يقال: عَزَم على الشيء، وعَزَمَهُ عَزْمَاً، من باب ضرب: عَقَدَ ضميره على فعله، وعَزَمَ عَزيمة وعَزْمَة: اجتهد وجَدَّ في أمره، كذا في المصباح. والعزم على الأمور خُلُق من الأخلاق للإنسان، وطريقة مصرفه المعين له شرعاً، وهو الخير وترك الشرّ. وقوله (من لا له عزم): من فاعل يهتدي، وجملة له عزم من المبتدأ المؤخّر، والخبر المقدّم صلة الموصول، والعائد ضمير له. والمعنى في ذلك: إنّه يصل إلى طريق العزم بشرب هذه المدامة المذكورة. الإنسان الذي لا عزم له معتبر شرعاً في الخير؛ ولهذا نكّره لتعظيمه. وإلّا فلا يخلو الإنسان عن عزم على شيء، وكأنّ عزمه على الباطل عدم لا اعتبار له.

١٩- وَيَكْرُمُ مَنْ لَمْ يَعْرِفِ الجُودَ كَفُّهُ ... وَيَحْلُمُ عِنْدَ الغَيْظِ مَنْ لَا لَهُ حِلْمُ

(ويَكْرُمُ): كَرُمَ الشيءُ كَرَمَاً: نَفُسَ وعَزَّ، فهو كريم. وقوم كِرَام وكُرَمَاء، وامرأة كَريمة، ونساء كَرائِم وكَرِيمات، كذا في المصباح. وقوله (من لم يعرفِ الجُودَ): بالنصب مفعول مقدّم ليعرف. وقوله (كَفُّهُ): بالرفع، فاعل يعرف. ومعنى ذلك: أنَّ الرجل الذي كفّه لا يعرف/ [٣٥٦/ أ] الجود أصلاً بأنّ كان مسرفاً، أو بخيلاً يصير كريماً جواداً بسبب شربه لهذه المدامة المذكورة. والجود مصدر جاد الرجل يَجُود، من باب قال، جُوْداً بالضمّ: تكرَّم، فهو جَوَاد، والجمع: أَجْواد، ونساء جُوْد. وجاد بالمال: بَذَلَه، وجاد بنفسه: سَمَحَ بها عند الموت، كما في المصباح. وقوله (ويَحْلُم): بضمّ اللام، من حَلُم بالضمّ حِلْمَاً بالكسر: صَفَحَ وسَتَرَ، فهو حليم، كذا في المصباح. وقوله (عند الغيظ): هو الغَضَب المحيط بالكَبِد، وهو أشدُّ الحَنَق. وفي التنزيل: ﴿قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ﴾ [٣/آل عمران/ ١١٩] وهو مصدر من غاظه الأمر، من باب سار، ولا يكون الغيظ إلّا بوصول مكروه إلى المغيظ. وقد يُقام الغيظ مقام الغضب في حقّ الإنسان، فيقال: اغتاظ من لا شيء كما يقال: غَضِب من لا شيء، وكذا عكسه، كما في المصباح. والمعنى في ذلك: إنّ الحِلْم المعتبر شرعاً عند

الغيظ، كما قال تعالى: ﴿وَٱلۡكَـٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ [٣/آل عمران/ ١٣٤] وقوله (مَنْ): فاعل يحلم. وقوله (لا له حلم): يعني من ليس له حِلْم معتبر، فيصير له حِلم معتبر شرعاً بسبب شربه من المدامة المذكورة.

٢٠- وَلَوْ نَالَ فَدْمُ القَوْمِ لَثْمَ فِدَامِهَا لَأَكْسَبَهُ مَعْنَى شَمَائِلِهَا اللَّثْمُ

(**ولو نال**): يقال نِلْتُهُ أَنِيْلُهُ وأَنَالُهُ نَيْلاً ونَالاً ونَالَةً: أَصَبْتُهُ، وأَنَلْتُهُ إيّاه، وأَنَلْتُ له ونِلْتُهُ، والنَّيْلُ والنائِل: ما نِلْتَهُ، كذا في القاموس. وقوله (**فَدْمُ القومِ**): بفتح الفاء وسكون الدال المهملة، رجلٌ فَدْمٌ: بَيِّن الفَدَامَة والفُدُومَة، أي: بعيد الفهم غير فطن، كذا في المصباح. وقال في القاموس: «الفَدْمُ العَيِيَّ عن الكلام في ثِقَلٍ ورَخَاوَة، وقِلَّة فَهْم، والغَلِيظ الأحْمَق الجافي. والمعنى في (**فَدْمُ القوم**): الجاهل الغافل المحبّ للقوم الصالحين، المتولّع باعتقاد أهل المعرفة الكاملين كيفما كان، قال صلّى الله عليه وسلّم: «المرء مع من أحبّ»[1] وقال تعالى في أصحاب الكهف: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَـٰثَةٌ رَّابِعُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ وَيَقُولُونَ خَمۡسَةٌ سَادِسُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِۖ وَيَقُولُونَ سَبۡعَةٌ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ﴾ [١٨/ الكهف/ ٢٢] فقد ذكر معهم الكلب ثلاث مرّات، وهو باق على صفته الكلبيّة، لأنّه كما قال تعالى: ﴿وَكَلۡبُهُم بَـٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِ﴾ وهو فناء الكهف. وقيل الوصيد: الباب، وقيل: العتبة، وهو كلب مرّوا به فتبعهم، فطردوه، وأنطقه الله تعالى، فقال: أنا أحبّ أحبّاء الله تعالى، فناموا وأنا أحرسكم. ذكره البيضاوي في تفسيره. وكذلك فَدْم القوم ملحق بهم، مذكور معهم في حضرة الحقّ تعالى وإنْ كان كلباً متكالباً على الدنيا، متنجساً بنجاسات المحرّمات، قبيحاً بقبائح الذنوب والمعاصي، لكنّه مؤمن بوعد الله تعالى ووعيده، مصدّق بالدين الحقّ، محبّ لأولياء الله تعالى، معتقد فيهم الولاية الكاملة على القطع واليقين، من غير شبهة عنده في ذلك، ولا شكّ له، ولا تردد عنده، يحرسهم

---

(١) انظر تخريجه ص٥٦٣.

بالردّ عنهم، وحماية أعراضهم وأديانهم من طعن الطاعنين، وتنقيص المنكرين؛ فهو رفيقهم في الدنيا والآخرة كما ورد أنّ كلب أصحاب الكهف يدخل الجنّة. وقوله (**لَثْمَ**): بالنصب مفعول نال، واللَّثْمُ مصدر لَثِم فاها، كسمع وضرب: قبَّلَهَا، كذا في القاموس. وقال في المصباح: «لَثَمتُ الفمَ لَثْماً من باب ضرب: قَبَّلْتُه، ومن باب تعب لغة». وقوله (**فِدامها**): أي المدامة المذكورة. والفِدام بالفاء والدال المهملة، ككتاب وسحاب وشَدَّاد وتَنُّور: شيء يشده العجم والمجوس على أفواهها ـ أي أفواه كؤوس الخمرة ـ عند السقي والمصفاة، كذا في القاموس. يكنِّي بالفِدام عن غطاء المدامة المذكورة، وهو حجابها الذي تحتجب به عن العقول البشريّة، وهو العقل الإنسانيّ؛ فإنّه فدامها في حالة الجهل بها. وهو مصفاتها في حالة العلم بها. ويكنِّي بلثم ذلك الفدام عن العلم بالتجلّي والاستتار، ومعرفة ذلك في كلّ شيء. وقوله (**لأَكْسَبَهُ**): أي لأَكْسَبَ ذلك الفَدْم المذكور، يقال : كَسَبْتُ/ [٣٥٦/ ب] زيداً مالاً وعِلماً: أي أَنَلْتُه، قال ثعلب: وكلّهم يقول: كَسَبَكَ فلانٌ خيراً إلّا ابنَ الأعرابي؛ فإنّه يقول: أَكْسَبَك، كذا في المصباح. وقال في القاموس: «كَسَبَ: أصاب، وكَسَبَهُ: جَمَعَهُ، و ـ فلاناً مالاً: كأَكْسَبَهُ إيّاه، فَكَسَبَه هو». وقوله (**معنى شمائلها**): أي أخلاقها وصفاتها. والضمير للمدامة المذكورة، قال في الصحاح: «الشمائل الخلق». وكنّى بمعنى شمائلها عمّا يظهر في العبد من معاني الأخلاق الإلهيّة، والصفات والأسماء الربّانيّة الذاتيّة والفعليّة؛ فإنّ للعبد مثل ذلك، ولهذا ورد في الحديث «إنّ الله خلق آدم على صورته»[1] لكن الذي ظهر في العبد من ذلك معنى تلك الأخلاق والصفات والأسماء، وذلك صورها دون حقائقها القديمة؛ ولهذا قال: معنى شمائلها. ولم يقل: شمائلها. حتّى يفنى العبد، وتفنى معانيه كلّها؛ فتظهر شمائلها على الحقيقة. وتشرق بأنوارها صفات تلك الرقيقة. وقوله (**اللثم**): فاعل أكسبه، واللام للعهد الذكري، أي: ذلك اللثم المذكور.

---

(١) انظر تخريجه ص٧٥٩.

٢١- يَقُوْلُوْنَ لِي صِفْهَا فَأَنْتَ بِوَصْفِهَا   خَبِيْرٌ أَجَلْ عِنْدِي بِأَوْصَافِهَا عِلْمُ
٢٢- صَفَاءٌ وَلَا مَاءٌ وَلُطْفٌ وَلَا هَوا   وَنُورٌ وَلَا نَارُ وَرُوحٌ وَلَا جِسْمُ

(**يقولون**): أي المحجوبون عنها، الطالبون لها، الراغبون في معرفتها، ظناً منهم بأنّها تحصل لهم بمجرّد وصفها، وانطباع ذلك الوصف في خيالهم كما تحصل لهم معرفة ما يريدون من الأكوان بانطباع صورته في الخيال، والأمر الإلهيّ أعلى من ذلك وأنزه، فتستحيل عليه الصورة من حيث هو، وله صورة كلّ شيء بعد معرفة تنزّهه عن صورة كلّ شيء. وقوله (**لي صفها**): أي اذكر لنا صفاتها التي تعلّق كشفك ووجدانك بها لنعلمها فنعرفها كما عرفتها أنت، ونجدها على الوصف الذي وجدتها أنت؛ فإنّ المعرفة الوجدانيّة هي المطلوبة والمرغوب فيها، لا المعرفة الخياليّة التصوريّة التي تتصورها العقول بأفكارها؛ فإنّها معرفة عاميّة، تحصّلها أهلها بالدليل والبرهان، أو التقليد والإذعان، وإنْ اكتفى بها شرعاً في مقام الإيمان دون مقام الإحسان. وقوله (**فأنت بوصفها خبير**): أي ذو علم مستفاد الاختبار، يقال: خَبَرْتُ الشيءَ أَخْبُرُهُ، من باب قتل خُبْراً: عَلِمْتُه، فأنا خَبير به كذا في المصباح. والخِبْر والخِبْرَة، بكسرهما، ويُضمّان، والمَخْبَرَة والمَخْبُرَة: العِلْم بالشيء كالاخْتِبَار والتَخَبُّر، وقد خَبُرَ ككَرُم، كما في القاموس.

وقوله (**أَجَلْ**): بفتح الهمزة، وفتح الجيم وسكون اللام، أي: نعم، قال في الصحاح: «وقولهم أجلْ إنّما هو جواب مثل نَعَمْ. قال الأخفش: إلّا أنّه أحسن من نَعَمْ في التصديق، ونَعَمْ أَحْسَنَ منه في الاستفهام، فإذا قال: أنت سوف تذهب. قلتَ: أَجَلْ. وكان أحسن من نعم. وإذا قال: أتذهب؟. قلت: نعم. وكان أحسن من أجل، فهي هنا في كلام الناظم قدّس سرّه أحسن من نعم؛ لأنّ الكلام تصديق، وليس باستفهام. وقوله (**عِندي بأوصافها عِلْمُ**): أي بأوصاف المدامة المذكورة من حيث ظهورها لي، ومعرفتي بها، ووجداني إيّاها ذوقاً وكشفاً بحسب استعدادي لقبول فيضها، وتلقي مددها، لا من حيث هي في ذاتها على ما هي

عليه؛ فإنّها من هذه الحيثيّة لا يعلم بها غيرها، ولا يدركها سواها. ثمّ قال في أوصافها (صَفَاءٌ): أي هي صفاء مجرد عن الكثافة، يقال: صَفَا صُفُوّاً، من باب قَعَدَ، وصَفَاءً: إذا خَلَصَ من الكَدَر فهو صافٍ. وصَفَّيْتُه من القَذَى تَصْفِيَةً: أَزَلْتُه عنه، كذا في المصباح. ثمّ قال (ولا ماء): أي لا كثافة ماء فيها. ثمّ قال (ولُطْفٌ): من لَطُفَ الشيءُ، فهو لَطِيف، باب قَرُبَ: صَغُرَ جسمه، وهو ضد الضخامة، والاسم اللَّطَافَة، كما في المصباح. وقال الراغب: «اللطيف إذا وصف به الجسم فضدّ الجَثْل، شجرة جَثْلَة: إذا كانت كثيرة الورق، ضخمة. ويعبّر باللطافة عن الحركة الخفيفة، وعن تعاطي الأمور الدقيقة. وقد يعبّر باللطيف عمّا لا تدركه الحاسّة، ويصحّ أن يكون وصف الله تعالى به على هذا الوجه. وأنْ يكون لعلمه بدقائق الأمور وأن يكون لرفقه بالعباد في هدايتهم، قال تعالى:﴿ ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ ﴾ [٤٢/ الشورى/ ١٩]» وقال بعد/ [٣٥٧/ أ] ذلك: ولا هو، أي: هواء بالمدّ، وقصر لضرورة الوزن، أي: ليس لها كثافة الهواء أيضاً، ولا كدورته. ثمّ قال (ونور ولا نار) النور: الضوء، وهو خلاف الظلمة، والجمع: أنوار، وأنار الصُّبح إناره: أضاء، كما في المصباح. ونفى عن ذلك النور كثافة النار وكدوراتها. ثمّ قال (وروح ولا جسم): أي هي روح مجرّد عن علاقة الجسميّة، قال في المصباح: «ومذهب أهل السنّة أنّ الروح هو النفس الناطقة المستعدّة للبيان وفهم الخطاب، ولا تفنى بفناء الجسد. وأنّه جوهر لا عَرَض، ويشهد لهذا قوله تعالى: ﴿بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ﴾ [٣/آل عمران/ ١٦٩] والمراد هذه الأرواح». وقال في القاموس: «الرُّوح بالضمّ ما به حياة الأنفس، ويُؤنّث. والقرآن، والوحي، وجبريل، وعيسى، عليهما السلام، والنفخ، وأمر النبوّة، وحكم الله تعالى، وأمره، ومَلَكٌ وَجْهَهُ كَوَجْهِ الإنسان وجسده كالملائكة». والحاصل: إنّ أوصاف هذه المدامة باعتبار تجلِّي حقيقتها الغيبيّة عليه ظاهرة له بأربعة أوصاف: الصفاء، واللطف، والضياء، والروح؛ فهي روح مجرّدة عن الماء، والهواء، والنار، والتراب، بعيدة عن كثافات العناصر الأربعة وإنْ ظهرت متلبّسة بها، حاملة للجسم العنصري المركّب

منها، وهي أمر الله تعالى الظاهر بصورة الروح، قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨٥]. وأمر الله قيّوميّته على جميع العوالم، وليس بيد العبد المخلوق من المعرفة بربّه غير التحقّق بروحه المنفوخة فيه عن الأمر الربّانيّ، فمن تحقّق بروحه تحقّق بأمر ربّه، ومن تحقّق بأمر ربّه تحقّق بربّه، وهو قدر استعداده، لا هذا هو الأمر في نفسه، قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [٦/ الأنعام/ ٩١] وللشيخ الأكبر قدّس الله سرّه من أبيات له:

ونـدرك منهـا في كـمال شـهودنا   كما يدرك الخفّاش من باهر الشمس

وله أيضاً من أبيات أخرى له:

مـــا قلتــــه قلـــت عنّـــي   فـــلا أرى القـــول يغنـــي

هيهـــــات أدرك ذاتـــــاً   إلـــيَّ أقـــرب منّـــي

وللشيخ العارف الكامل أحمد الرفاعي قدّس سرّه:

يــسائلني عـــن سرّ لـــيلى رددتـــه   بعميـاء مـــن لـــيلى بغـير يقـين

يقولـــون خبرنـــا فأنـــت أمينهـــا   ومـــا أنـــا إنْ خـــبّرتهم بـــأمين

وإنّما كان كذلك، لأنّه إنّما يخبرهم بقدر استعداده في المعرفة الربّانيّة، والحقّ تعالى عنده أعلى وأنزه.

٢٣- تَقَدَّمَ كُلَّ الكَائِنَاتِ حَدِيْثُهَا[١]   قَدِيماً وَلَا شَكْلٌ هُنَاكَ وَلَا رَسْمُ

(تَقَدَّمَ): أي سبق سبقاً ذاتيّاً لا زمانيًا إذْ الزمان من جملة الكائنات. وقوله **(كلَّ الكائنات)**: مفعول تقدّم. والكائنات: جمع كائنة، وهي المخلوقات. وقوله **(حديثُها)**: أي حديث هذه المدامة المذكورة، فاعل تقدّم. والحديث ما يُتحدَّث به ويُنقل، ومنه حديث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، كذا في المصباح. وقال في

---

(١) في (ق): وجودها.

القاموس: «الحَدِيث الخَبَر، وجمعه أحَادِيث. والمُحادَثَة: التحادث». والمَعْنيّ هنا بالحديث: الكلام النفسيّ الإلهيّ الذي ليس من جنس الحروف والأصوات المخلوقة. ولا شكّ أنّه صفة من صفات الله تعالى؛ ليس عين ذاته، ولا غيرها يتعلّق بطريق الإظهار والإبداء بكلّ ما تعلّق به العلم الإلهيّ، فصفة العلم الإلهيّ كاشفة العالم نفسه أزلاً وأبداً عن كلّ معلوم واجب، وهو ذاته تعالى، وصفاته، وأسماؤه، وأفعاله، وأحكامه، وكلّ معلوم ممكن، وهو جميع منفعلاته تعالى، ومخلوقاته ما كان وما يكون، وما هو كائن إلى الأبد على هذا الترتيب الذي عليه كلّ ممكن منها، وصفة الكلام الإلهيّ كاشفة للمعلومات الإلهيّة عمّا في العلم الإلهيّ على حسب ما يشاء تعالى ويريد/ [٣٥٧/ ب] وقوله (**قديماً**): حال من حديثها؛ فإنّ رتبة العلم متقدّمة على رتبة المعلومات تقدّماً ذاتيّاً، لا زمانيّا أيضاً. وإنْ كان الكلّ قديماً فإنّ الممكنات إمكانها ذاتيّ من نفسها. وهي كلّها معدومة في الأزل، مرتّبة على هذا الترتيب الذي هي عليه، وقد كشف عنها العلم الإلهيّ أزلاً، وتعلّقت بها صفة الكلام الإلهيّ في الأزل، فظهرت بالوجود الحقّ على حسب حدودها ومقاديرها وترتيبها الذي هي عليه؛ ولهذا كان العلم الإلهيّ تابعاً للمعلومات الممكنة المعدومة أزلاً في حضرة العلم الإلهيّ، والمعلومات على ما هي عليه تابعة للكلام الإلهيّ أزلاً في حضرة الإيجاد المحدث لها، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [١٦/ النحل/ ٤٠]؛ فالحقّ تعالى له القول، وهو الكلام، قال سبحانه: ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾ [٦/ الأنعام/ ٧٣] وقال تعالى في عيسى عليه السلام: ﴿قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ [١٤/ مريم/ ٣٤] وخصّ عيسى عليه السلام لغلبة شهود ذلك عليه، وفناء ما عداه عنده. وقوله (**ولا شكل هناك**): أي في تلك الحضرة الأزليّة، حضرة العلم الإلهيّ، والكلام الإلهيّ؛ وإنّما الشكل في عالم الكون. وكذلك قوله (**ولا رسم**): قال في المصباح: «الشَّكْل المِثْل، يقال: هذا شكل هذا، والجمع: شُكُول، مثل: فَلْس وفُلُوس، وقد يُجمع على

أَشكال. ويقال: إنّ الشَّكْل الذي يُشَاكِل غيره في طبعه، أو وصفه من أنحائه، وهو يُشاكِلُه، أي: يشابهه». و(الرسم): الأثر، والجمع: رُسُوم وأَرْسُم، مثل: فَلْس وفُلُوس وأَفْلُس. والمعنى في ذلك: إنّ الأشكال جميعها، والرسوم هي أعيان الممكنات، وهي المخلوقات كلّها حادثة، ليس شيء منها له وجود حضرة العلم الإلهيّ والكلام الإلهيّ؛ بل هي كلّها معدومة في هاتين الحضرتين، وإنّما هي موجودة بالإيجاد الإلهيّ الكلاميّ بطريق إشراق الوجود الحقّ عليها، وهي الآثار الكونيّة بمنزلة الظلّ عن الشاخص، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [٢٥/ الفرقان/ ٤٥] أي: الظلّ الذي هو الكائنات، ﴿وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ﴾ أي: شمس الوجود الحقّ. ﴿عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ [٢٥/ الفرقان/ ٤٥-٤٦] أي: أرجعناه إلى حضرة كلامنا وعلمنا كما هو كذلك ﴿قَبْضًا يَسِيرًا﴾ [٢٥/ الفرقان/ ٤٦] فيزول عنه إشراق الوجود الكلاميّ، ويعود معدوماً كما هو كذلك في نفسه. وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ إلى أنْ قال سبحانه: ﴿وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ [١٣/ الرعد/ ١٥] والسجود: الفناء والاضمحلال. وقال صلّى الله عليه وسلّم: «السلطان العادل ظلّ الله في الأرض»[1] أي: مكشوف له أنّه أثرعن الكلام الإلهيّ، والعلم الإلهيّ، كما ذكرنا. وقال صلّى الله عليه وسلّم: « سبعة يظلّهم الله في ظلّه يوم لا ظلّ إلّا ظلّه»[2] وفي رواية: «في ظلّ عرشه» أي: يكشف لهم ببركة أعمالهم الصالحة عن كونهم آثاراً عنه تعالى، أو آثاراً عن الأثر الذي هو عرشه. فيتحقّقون بمعرفته تعالى المعرفة الذوقيّة الكشفيّة بعد ما كانوا في المعرفة الخياليّة العقليّة التي عند علماء الرسوم. وأهل العموم، أخذوها من البراهين

(١) ذكره السيوطيّ في جامع الأحاديث، باب: المحلّى من السين، ١٣٣٤٩، بلفظ: السلطان العادل المتواضع ظلّ الله ورمحه في الأرض، ويرفع للوالي العادل المتواضع في كلّ يوم وليلة عمل ستين صدّيقاً، كلّهم عابد مجتهد. وقال أخرجه الديلمي عن أنس.

(٢) انظر تخريجه ص٨٢١.

والأدلّة العقليّة، أو التقليد لبعضهم بعضاً. ولنا شرح مستقلّ على هذه الأبيات السبعة المتوالية التي هذا البيت أوّلها، وهو قوله (تقدّم كلّ الكائنات .. إلى آخره). سمّيناه لمعة النور المضيئة شرح الأبيات السبعة من الخمريّة»... وكان ذلك بإشارة بعض العلماء المحقّقين من شيوخنا رحمهم الله تعالى.

٢٤- وَقَامَتْ بِهَا الأَشْيَاءُ ثَمَّ لِحِكْمَةٍ بِهَا احْتَجَبَتْ عَنْ كُلِّ مَنْ لَا لَهُ فَهْمُ

(وقامت): أي ثبتت وتعيّنت من غيروجود لها في نفسها، وإنّما ثبوتها وتعينها بالوجود العلميّ الإلهيّ، والوجود الكلاميّ الإلهيّ، كوجود النخلة في النواة، ومنه سمّي تعالى الحيّ القيّوم أزلاً وأبداً، كما سمّي خالقاً ورازقاً، ونحو ذلك من الصفات الذاتيّة والفعليّة القديمة الأزليّة. وقوله (بها): أي بالمدامة المذكورة. وقوله (الأشياء): فاعل قامت، جمع شيء، وهو كلّ معقول ومحسوس وموهوم. وقوله (ثَمَّ): بفتح الثاء المثلثة وتشديد الميم، أي: هناك إشارة إلى حضرة قيّوميّتها على الممكنات، كما ذكرنا. وقوله (لِحِكْمَةٍ): أي لأجل حكمة يقتضيها العلم الإلهيّ، والكلام الإلهيّ. قال في القاموس: «الحِكْمَة بالكسر: العَدْل، والعِلم والحِلْم والنُبوّة/ [٣٥٨/ أ] والقرآن، والإنجيل. وأَحْكَمَه أَتْقَنَه فَاسْتَحْكَم، ومَنَعَه عن الفساد». والمعنى هنا العدل؛ لاستحالة الظلم عليه تعالى، قال في القاموس: «العَدْل ضِدّ الجَوْر، وما قام في النفوس أنّه مستقيم». وهذا إشارة إلى علمه تعالى بالأشياء الممكنة العدميّة على ما هي عليه كاشف لها، فهو تابع لها، لا يظهر منها بكلامه القديم إلّا ما هي عليه في كشف علمه القديم فلله الحجّة البالغة، كما قال سبحانه، وقوله تعالى بعده: ﴿لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [٦/ الأنعام/ ١٤٩] أي: لو كنتم في إمكانكم العدمي مهتدين لعلمكم كذلك مهتدين لكنتم في حضرة كلامه تعالى القديم، مهتدين لهداكم أجمعين في عالم إيجادكم، وتأثيره فيكم، ولكنكم لستم كذلك في عالم إمكانكم العدميّ، فلستم كذلك في حضرة علمه الأزليّ، فلستم كذلك في حضرة كلامه القديم؛ ولهذا ظهرتم في عالم إيجادكم، وتأثيره فيكم منكم

المؤمن، ومنكم الكافر، ومنكم العاصي، ومنكم المطيع إلى غير ذلك، وكذلك كلّ شيء. وقال تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [٥١/ الذاريات/ ٣٥- ٣٦]. والإشارة إلى الحضرة العلميّة، أو الكلاميّة، أو الإمكانيّة العدميّة. وقال تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ [٩٣/ الضحى/ ٧] أي: ضالًّا، ثمّ مهتدياً، فهداك. ولعلّه الضلال المحمود؛ وهو الحيرة في عظمة الله تعالى وجلاله، وهكذا في كلّ تغيير وتبديل أوجد تعالى الشيء هكذا في الأزل متغيّراً متبدّلاً في عالم إمكانه كذلك، فتكلّم به كذلك، فأوجده كذلك؛ فالفاعل للأفعال الحسنة أو القبيحة شرعاً فاعل حقيقي في عالم إمكانه العدمي، ثمّ حضرة العلم الإلهيّ؛ فحضرة الكلام الإلهيّ، فعالم الإيجاد والتأثير، فهو الظالم لنفسه قال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ [١١/ هود/ ١٠١]. ومن هنا أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب، وجاءت الشرائع والأديان ليتميّز الخير من الشرّ، والحقّ من الباطل، ولا جبر في نفس الأمر؛ لأنّ العبد مختار مريد للخير أو للشرّ في عالم إمكانه، ثمّ في حضرة علم الحقّ تعالى، وحضرة كلامه، ثمّ في عالم إيجاده تعالى له، وتأثيره فيه، كما أنّ العبد لا قدرة له مؤثرة في أفعاله أصلاً؛ فلا يقدر أنْ يوجد شيئاً لم يوجده الحقّ تعالى. ولا يقدر أنْ يعدم شيئاً لم يعدمه الله تعالى؛ لأنّ الوجودليس له، وإنّما هو وجود الله تعالى الحقّ، ولا وجود لكلّ ما سواه إلا بطريق إيجاده تعالى، وتأثيره وحده، لا وجود لشيء معه سواه. والإيجاد للأشياء إشراق نور الوجود الحقّ عليها بإرادته تعالى، ومشيئته على مقتضى علمه، وتقديره، وقضائه أزلاً، وتوجّه كلامه القديم. فاغتنم أيّها السالك المنصف هذا المبحث هنا من لباب المعرفة بالله العليّ الكبير. وقوله (بها): أي بتلك الحكمة المذكورة، أو بالمدامة المذكورة نفسها، أو بالأشياء نفسها. وقوله (احتجبت): أي استترت، قال في المصباح: «حَجَبَه حَجْباً، من باب قتل: منعه، ومنه قيل للستر حجاب، لأنّه يمنع المشاهدة. وقيل للبوّاب حاجِب؛ لأنّه يمنع من الدخول،

والأصل في الحِجَاب: جسم حائل بين جسدين، وقد استُعمل في المعاني، فقيل: «العَجْز حِجَاب بين الإنسان ومراده، والمعصية حِجَاب بين العبد وربّه» والضمير في احتجّبت للمدامة المذكورة، أو للحكمة لخفائها، أو للأشياء نفسها. وقوله (عن كلّ من): أي إنسان موصوف بأنّه كما قال (لا له فهم): أي لافهم له، بفتح الفاء وسكون الهاء، قال في القاموس: «فَهِمَهُ كفَرِح فَهْمَاً، ويُحرَّك، وهي أفصح، وفَهَامَة وفَهَامِيَة: عَلِمَه، وعَرَفَه بالقلب، وهو فَهِم ككَتِف: سريع الفهم». وقال في المصباح: «فَهِمْتُه فَهْمَاً، من باب تَعِبَ، وتسكين المصدر لغة. وقيل: الساكن اسم للمصدر: إذا عَلِمتَه». والإشارة بمن لا فهم له إلى المحجوبين بأنفسهم عن شهود ربّهم، فإذا احتجبوا أنكروا مالم يفهموه من كلام/ [٣٥٨/ ب] العارفين بربّهم، فأنكروا على العارفين بسبب ذلك، ورموهم بالعظائم والقبائح، وكفَّروهم، والله بكلّ شيء بصير: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَـٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ [١٤/ إبراهيم/ ٤٢] الآية. وقال الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي قدّس الله سرّه:

إذا علـم الله الكـريم سريـرتي ... فلسـت أبـالي مـن سـواه إذا سـخط

وقد صحّ عندي منزلي من مهيمني ... فلست أبالي مـن دنـا اليوم أو شـحط

فيـا عجبـاً مـن عـارف قـال إنّـه ... تولّـع حبّـاً بالإلـه ولم يمـط

سـوى ربّـه عنـه وسـاءت ظنونـه ... بنـا فمتـى يـدرك فيستدرك الغلـط

إذا كـان مـن أبـدى التحنِّي بجانبي ... يغـيّره قـول الوشـاة فقـد سـقط

ولكــنَّ ربِّي قــد أتــى فأتيتــه ... وقلت لسرِّي حسبك المنتهى فقط

ولا تلتفـت مـن ظـن سـوءٍ بنـا ولا ... تعـرّج عليـه واعـف عـن شيء فـرط

وقال أيضاً قدسّ الله سرّه:

خُصـصت بعلـم لم يخـصّ بمثلـه ... سـواي مـن الرحمن ذي العرش والكـرسي

وأُشـهدت مـن علـم الغيـوب عجائبـاً ... تـصان عـن التـذكار في عـالم الحـسّ

فيــا عجبــاً إنّي أروح وأغتــدي غريباً وحيداً في الوجود بـلا جنس

لقـد أنكـر الأقـوام قـولي وشـنّعوا عـليّ بعلـم لا ألـوم بـه نفسي

فلاهـم مـع الأحيـاء في نـور مـا أرى ولا هم مع الأموات في ظلمة الرمس

فـسبحان مـن أحيـا الفـؤاد بنـوره وأفقـدهم نـور الهداية بـالطمس

علـوم لنـا في عـالم الكـون قـد سرت من المغرب الأقصى إلى مطلع الشمس

تحـلّى بهـا مـن كـان عقـلاً مجـرّداً عن الفكر والتخمين والظن والحدس

وأصــبحت في بيــضاء مــثلي نقيّــة إماماً وإنّ الناس منها لفي لبس

ولقد أنصف قدّس الله سرّه، ونصح في قوله أيضاً:

إذا مـا لقيـت النـاس فلتلـقَ عـاقلاً فـذلك إن نازعتـه لا يعاقـب

ولا تلـقَ إنّي قـد نـصحتك عارفـاً فمـن يَلْقَـه صُبّت عليـه المصائب

فهـذا الـذي يجـري بحكمـة وقتـه ولا شكّ أنّ للوقـت بـالحكم طالب

فللــه مكــر في العبــاد محقّــق لـذلك لم تـؤمن لديـه العواقب

لـه الحكـم والتحكـيم في كـلّ مـأمن فـلا يغلـب المكـر الإلهـيّ غالـب

٢٥- وَهَامَتْ بِهَا رُوْحِي بِحَيْثُ تَمَازَجَا اتْـ ـتِحِاداً وَلَا جِـرْمٌ تَخَلَّلَـهُ جِـرْمُ[١]

٢٦- فَخَمْرٌ وَلَا كَـرْمٌ وَآدَمُ لِي أَبٌ وَكَــرْمٌ وَلَا خَمْــرٌ ولِي أُمُّهَــا أُمُّ[٢]

(وهَامَتْ): يقال هَام يَهِيم هَيَماً وَهَيَمَاناً: أحبّ امرأة. والهُيَّام: العُشَّاق المُوَسْوِسُون، والهُيَام بالضمّ، كالجُنون من العِشق، كذا في القاموس. وقوله (بها): أي بالمدامة

(١) في (ق): بها اتّصلت روحي.

(٢) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: بلغ ولله الحمد مقابلة وسماعاً على شيخنا المؤلّف حفظه الله تعالى.وقد ورد البيت في (ق):

فنفسٌ ولا خمرٌ وآدمُ لي أبٌ وخمرٌ ولا نفسٌ ولي كرمها أمُّ

المذكورة. وقوله (روحي): هي غاية ما يدرك السالك من أمر الله تعالى في تجلّيه عزّ وجلّ كما قدمناه. وقوله (بحيث تمازجا): أي اختلط أحدهما بالآخر، وضمير التثنية للمدامة وروحه؛ وذلك لأنّ المعدوم إذا اختلط بالموجود كاختلاط النخلة بالنواة قبل أن تظهر منها وهي معدومة فيها، ليس هو باختلاط في نفس الأمر، لأنّ شرط الاختلاط أنْ يكون كلّ من الشيئين موجوداً، وهذا ممتنع؛ إذ لا وجود لشيء مع الحقّ تعالى؛ وإنّما وجود الموجودات بوجود الحقّ تعالى، على معنى أنّه ظهور وجود الحقّ تعالى، لا وجود مستفاد من وجوده؛ لأنّه تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [١١٢/الإخلاص/ ٤]. وقوله (اتّحاداً): أي صارا شيئاً واحداً كاتّحاد النخلة بالنواة قبل أنْ/ [٣٥٩/ أ] تظهر منها وهي معدومة فيها، وهو اتّحاد العالم بالمعلوم من حيث هو معلوم، لا من حيث ظهوره عنه في الخارج عن علمه. وقوله (ولا جِرْم): هو بكسر الجيم: الجسد، والجمع: أَجرام، مثل حِمْل وأحمال، كذا في المصباح. وقوله (تخلَّله جِرم): من خلَّلَ الرَّجل لِحيته: أوصل الماء إلى خِلالها، وهو البَشَرَة التي بين الشعر، وكأنّه مأخوذ من تَخَلَّلْتُ القومَ إذا دخلت بين خَلَلِهِم وخِلالِهِم كما في المصباح. يعني: ليس هذا الاتّحاد مثل تخلّل الجسم في الجسم كتخلُّل الماء في الصوفة، أو ماء الورد في الورد، بحيث لو عصر لخرج منه؛ وإنّما هو كتخلل الشجر المعدوم العين في بزره الموجود؛ فإنّ كلّ بزرة تنبت شجرة خاصّة لا تكون في بزرة أخرى غيرها من غير جنسها، وليس هذا باتّحاد ولا حلول كما شنّع به المحجوبون على أهل طريق الله تعالى العارفين به؛ فإنّ ذلك من عدم فهمهم لمعاني كلامهم، وعدم معرفتهم باصطلاحاتهم في إيراد علومهم الإلهيّة بينهم؛ فإنّ شرط معنى الاتّحاد والحلول أن يكون موجوداً يتَّحِد، أو يحل في موجود آخر كما قدمناه. وهنا ليس الأمر كذلك.

وقوله (بعده فخمر): بفاء التفريع، أي: فخمر موجود وهو المدامة المذكورة. وقوله (ولا كَرْم): بفتح الكاف وسكون الراء، وهو العنب، كذا في المصباح، أي:

لا كَرْم موجود. وكنّى بالكَرْم عن عوالم الإمكان، وهي المخلوقات كلّها؛ فإنّها فانية معدومة بعدمها الأصلي، والوجود الظاهرعليها هو وجود الحقّ تعالى، لاغير كما مرّ غير مرّة. وقوله (وآدم): الواو للحال، وآدم مبتدأ، وهو أبو البشر، أوّل مخلوق من هذا النوع الإنساني. وقوله (لي): جار ومجرورمتعلّق بواجب الحذف، خبر مقدّم. وقوله (أب): مبتدأ مؤخّر، والجملة خبر المبتدأ الذي هو آدم، وجملة (آدم لي أب) في محل نصب حال من الضمير في موجود، المقدّر أوّلا أو ثانيا. وتقديره خمر موجود هو في حال كون آدم أباً لي. يعني: أبوّة آدم عليه السلام لي، وبنوّتي له كائنة في عالم الإمكان على ما هي عليه في عالم الإيجاد والتأثير، وما بين ذلك في حضرة العلم الإلهيّ والكلام الإلهيّ، لم يتغير شيء من ذلك، ولم يتبدل عن النظام الظاهر، والترتيب الباهر. وقوله (وكَرْمٌ): بفتح الكاف أيضاً وسكون الراء: مبتدأ، وهو عالم الإمكان كما ذكرنا، أي: موجود. وقوله (ولا خمر): أي موجود حينئذ؛ لأنّ الوجود واحد، فإذا نُسب إلى الخمرالإلهيّ، وهو التجلّي الأمريّ الوجوديّ، لا يبقى للكرم ـ الذي هو كناية عن عالم الإمكان ـ وجود أصلاً، وإذا نُسب إلى الكرم المذكور لا يبقى للخمر المذكور وجود أصلاً. ونظير ذلك أنّه عطس رجل في مجلس الجنيد قدس الله سرّه فقال الحمد لله ، ولم يقل ربّ العالمين، فقال له الجنيد: أكملها. فقال: وما العالم حتّى يذكر مع الله؟! فقال الجنيد: «الحادث إذا قرن بالقديم لا يبقى له وجود». فاحتمل ضمير له أنْ يعود إلى الحادث، أي: لا يبقى للحادث وجود. ويكون الوجود كلّه للقديم. ويحتمل أيضاً أن يكون عائداً إلى القديم، أي: لا يبقى للقديم وجود؛ لأنّه حينئذ أضيف إلى الحادث، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [٢٤/ النور/ ٣٥] بالإضافة، وهذا في الدنيا. وقوله تعالى في الآخرة: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [٣٩/ الزمر/ ٦٩] والنور الحقيقيّ هو الوجود الحق. وقوله (ولي): الواو للحال، ولي جار ومجرور، صفة لأم في آخر البيت. وقوله (أمّها): مبتدأ والضمير للخمر، أي: أم المدامة

المذكورة، والأم بتشديد الميم، قال الراغب: «الأمّ بإزاء الأب، وهي الوالدة القريبة التي ولدته، والبعيدة التي ولدت من ولدته؛ ولهذا قيل لحوّاء هي أمّنا، وإنْ كان بيننا وبينها وسائط. ويقال لكلّ ما كان أصلاً لوجود شيء، أو تربيته، أو إصلاحه، أو مبدئه: أمّ، قال الخليل: لكلِّ شيء ضمّ إليه سائر ما يليه يسمّى أماً، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [٤٣/ الزخرف/ ٤]/ [٣٥٩/ ب] أي: اللوح وذلك لكون العلوم كلّها منسوبة إليه، ومتولّدة منه، وقيل لمكّة أمّ القرى، وذلك لما روي أنّ الدنيا دحيت من تحتها». وقوله (أمّ): خبر أمّها، وتقدير الكلام: وكرم موجود، ولا خمر موجود في حال كون أمّ الخمر. بمعنى المدامة المذكورة. أُمّاً موصوفة بأنّها كائنة لي، قال تعالى ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ « فيمحو باستتاره ويثبت بتجلّيه كلّ شيء يشاؤه: ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [١٣/ الرعد/ ٣٩] أصل الكتاب الذي مرجع الكتاب إليه، والكتاب: اللوح المحفوظ. وأمّه حضرة العلم الإلهيّ، أو الكلام الإلهيّ، أو الكتاب حضرة العلم الإلهيّ من قوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [٦/ الأنعام/ ٥٤] فأمّ الكتاب هي الذات الوجوديّ الإلهيّة، قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه:

كنّـا حروفـاً عاليـات لم نُقَـلْ متعلِّقـات في ذرى أعـلى القلـل
أنا أنت فيـه ونحـن أنـت وأنـت هُـو والكلّ في هُـو هُـو فسلْ عمّـن وصـل

٢٧- وَلُطْـفُ الأَوَانِي فِي الحَقِيقَـةِ تَـابِعٌ لِلُطْـفِ المَعَـانِي والمَعَـانِي بِهَـا تَنْمُـو[١]

(**ولطف الأواني**): جمع إناء وآنية، قال المصباح: الإناء والآنية: الوعاء والأوعِيَة، وزنا ومعنى». وقال في القاموس : «الإناء بالكسر معروف، وجمعه: آنية وأوانٍ». وقال الراغب: «الإناء ما يوضع فيه الشيء، وجمعه آنية، نحو كساء وأكسية،

(١) في (ق): تسمو.

والأواني جمع الجمع». وكنّى بالأواني عن عالم الإمكان، وهو جميع المخلوقات. وقوله (**في الحقيقة**): أي حقيقة الأمر الإلهيّ، وذلك في نظر العارف المتحقّق بربّه، دون الغافل المحجوب. وقوله (**تابع للطف المعاني**) جمع معنى. قال في القاموس: «مَعَنى الكلام، ومَعْنِيَّه ومَعْنَاتُهُ ومَعْنِيَّتُهُ واحد، من عَنَى بالقول، كذا أراده». وقال في المصباح: «وقال أبو حاتم: وتقول العامّة: لأيّ مَعْنَىً فعلتَ، والعرب لا تعرف المَعْنَى، ولا تكاد تَكَلَّم به، نَعَم قال بعض العرب: ما مَعْنِيٌّ هذا، بكسر النون وتشديد الياء. وقال أبو زيد: هذا في مَعْنَاةِ ذاك، وفي مَعناه سواء، أي: مماثلته ومشابهته دلالة ومضموناً ومفهوماً. وقال الفارابي أيضاً: ومعنى الشيء ومَعْنَاتُه واحدٌ، ومَعْنَاه وفَحْواه ومَقْتَضَاه ومضمونه كلّه: هوما يدلُّ عليه اللفظ، وفي التهذيب عن ثعلب: المَعْنَى والتفسير والتأويل واحد. وقد استعمل الناس قولهم هذا مَعْنَى كلامه وشبهه، ويريدون: هذا مضمونه ودلالته، وهو مطابق لقول أبي زيد والفارابي. وأجمع النحاة وأهل اللغة على عبارة تداولوها، وهي قولهم: هذا بمَعْنَى هذا وهذا وهذا في المعنى واحد، وفي المعنى سواء. وهذا في معنى هذا، أي: مماثل له و مشابه». والإشارة بلطف المعاني هنا إلى لطف ما تدلّ عليه صور الممكنات من الحضرات الإلهيّة واالتجلّيات الربّانيّة، وهو ما لا يدرك للعقول والحواس، قال تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [٦/الأنعام/١٠٧] قال بعضهم في هذه الأية لف ونشر مرتّب، فإنّ قوله هو اللطيف راجع إلى قوله لا تدركه لأبصار. وقوله (الخبير): راجع إلى قوله (**وهو يدرك الأبصار**): وأنّه تعالى من كمال لطفه لا تدركه الأبصار، وألطف شيء في العوالم الأرواح والنور المحمّديّ، وذلك بالنسبة إليه تعالى كثيف جدّاً مثل كثافة الأجسام بالنسب إلى لطافة الأرواح. وهذا معنى أنّه تعالى لايدرك للأرواح فضلاً عن الأشباح. وذكر الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه في الفتوحات المكّيّة في تقسيم المعلومات، قال: «الوجود الحقّ والعدم الصرف، لو وضعا في ميزان قام بهما على

السواء، وبينهما الممكن له وجه إلى الوجود، ووجه إلى العدم فهو يقبل كلاً / [٣٦٠/ أ] منهما على السواء بترجيح المرجّح». والمعنى هنا في البيت: إنّ المعاني الإلهيّة إذا غلبت على الكائنات كشفاً وشهوداً، كما قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ ﴾ [١٢/ يوسف/ ٢١] كان الكلّ لطيفاً، والكلّ لطيف في نفس الأمر، ولكن اقتران أحدهما بالآخر يوجب الكثافة في العقول والأبصار، قال عفيف الدين التلمسانيّ قدّس الله سرّه:

معنى به لطف الكثيف فأصبحت	صمّ الجبال هي الغصون الميّس
وحقيقة طوت البعيد فرامه	نجد وليث الغاب ظبي أخنس
ووراء ذاك ولا أشير لأنّه	سرّ لسان النطق عنه أخرس
أمر له وبه ومنه تعينت	أعياننا ووجوده المتلبِّس

وقوله (والمعاني): أي العلوم والمعارف الإلهيّة في قلب العارف صاحب الذوق والوجدان، والكشف والعيان. وقوله (بها): أي بتلك اللطافة، قدّم الجار المجرور للحصر. وقوله (تنمو): قال في المصباح: «نَمَى الشيء يَنْمَى، من باب رمى، نَماء، بالفتح والمدّ: كَثُرَ، قال الأصمعي: وزعم بعض الناس إنْ نما يَنْمُو نُمواً من باب قعد لغة، ويتعدّى بالهمزة». وقال في القاموس: «نَمَا يَنْمُو نُمُوّاً: زاد، كنَمَى يَنْمِي نَمْياً ونُمِيّاً ونَماءً ونَمِيَّة وأَنْمَى ونَمَّى». والمعنى في ذلك: إنَّ المعاني الإلهيّة تزداد باللطافة الروحانيّة، فتنزل على القلوب الطاهرة من العيوب نزول الأمطار الغزيرة من سماوات الغيوب.

٢٨- وَقَدْ وَقَعَ التَّفْرِيقُ وَالكُلُّ وَاحِدٌ فَأَرْوَاحُنَا خَمْرٌ وَأَشْبَاحُنَا كَرْمُ

(وقد وقع التفريق): الواو للحال، والجملة حال من المعاني التي تنمو. يعني: إنّ التفريق بينها واقع في حال نمّوها وزيادتها، قال في المصباح: «فَرَقْتُ بين الشيئين فَرْقَاً: من باب قتل، فَصَلْتُ أبعاضه، وفَرَقْتُ بين الحقّ والباطل: فصلتُ أيضاً، هذه اللغة العالية، وبها قرأ السبعة في قوله تعالى: ﴿فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ

﴿ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ [٥/ المائدة/ ٢٥] وفي لغة: من باب ضرب، وقرأ بها بعض التابعين، وقال ابن الأعرابي: فَرَقْتُ بين الكلامَينِ فافترقا، مُخَفَّف، وفَرَقْتُ بين العَبدينِ فتَفَرَّقا، مُثَقَّل، فجعل المُخفَّف في المعاني، والمثقّل في الأعيان، والذي حكاه غيره: إنّهما بمعنى، والتثقيل مبالغة والتفريق هنا من فرق المشدّد للمبالغة" وهو التفصيل بحيث لا إجمال، وقد بلغنا عن بعض المعاصرين من أهل المعرفة الإلهيّة أنّه كان يقول: «أُعْطِيَ الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه التفصيل، ونحن أعطينا التفصيل والإجمال»، وكان يظن بعض من نقل إلينا أنّ هذه زيادة على الشيخ الأكبر قدّس الله سرهما. وكنت أقول له: ليس الأمر كذلك؛ لأنّه تعالى يقول: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَـٰهُ تَفْصِيلًا﴾ [١٧/ الإسراء/ ١٢] فعلم الله تعالى كلّه مفصل، ويستحيل عليه الإجمال في شيء من علمه تعالى لأنّه خفاء عليه، وهو الذي لا يخفى عليه شيء، وكان الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه كلّما وجّه الحقّ تعالى بصيرته وألهمه شيئاً فصّله له تفصيلاً، ولا يجمله عليه. وأمّا هذا العارف فكان علمه الذي يلقيه الحقّ تعالى عليه مفصّلاً ومُجملاً، وهو إنصاف منه رحمه الله تعالى، ونحن الغالب علينا التفصيل فيما يلقى إلينا، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم.

وقوله (**والكلّ واحد**): أي هووجود واحد حيّ لذاته كشف أزلاً بعلمه عن معلومات ممكنة معدومة الأعيان، وتكلّم بها بكلامه النفسانيّ القديم الأزليّ، فظهر ذلك الوجود الواحد، وتجلّى وانكشف، فشهد ذاته بذاته، وتلك المعلومات الممكنة معدومة الأعيان على ما هي عليه لم توجد. وهذا مشهد العارفين، وصلت إليهم معرفة الوجود الواحد الحقّ إلى عالم إمكانهم العدميّ، فآمنوا وصدّقوا بإيمان/ [٣٦٠/ ب] وتصديق ممكن عدمي مثلهم، وكان هذا مراد الخالق تعالى بما خلق، كما ورد في الحديث القسي: «كنت كنزاً مخفياً، فأحببت أنْ أُعرف فخلقت خلقاً تعرفت إليهم فبي عرفوني»[1]. لهم جميع صفاته تعالى وأسمائه، بإظهار الأنبياء

---

(١) انظر تخريجه ص٧٨٠ و ص ١٣٥١.

والرسل. عليهم السلام، لهم رحمة به. وكلّ ذلك من جنس عالم إمكانهم الذي هم فيه على الترتيب والنظام الذي عليه العوالم في أنفسها مما هو مقتضى المشيئة الإلهيّة. وقوله (فأرواحنا): الفاء للتفريع والتفصيل. يعني: أرواحنا الأمريّة المنفوخة فينا من أمر الله تعالى بواسطة الروح الأعظم المحمّدي الجامع المشار إليه بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [٧/التوبة/١٢٨] الآية. وقوله (خمر): أي هي المدامة المذكورة؛ لأنّ الأرواح تفصيل لإجمال الروح المحمّديّ، وهو النور الثاني في قوله تعالى: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ [٣٤/النور/٣٥] وهو النور الممكن المعدوم العين في النور الوجوديّ الحقّ، وهو الحضرة التي من دخلها كان عينها. وقوله (وأشباحنا): جمع شَبَح، والشَبَح: الشخص، والجمع: أشباح، مثل: سبب وأسباب، كذا في المصباح، وهي الصور التي عليها الكائنات في عالم إمكانها، وعالم إيجادها. وقوله (كَرْم): أي بمنزلة الكَرْم، وهو العِنَب المتضمّن للعصير الروحانيّ الذي يكون خمراً فيسكرالعقول بما يلقي إليها من العلوم والحقائق العرفانيّة وقلنا من قصيدة لنا:

عليك نديمي بارتشاف كؤوسها	ففي كأسها منها بقيّة صهباء
وما الكأس إلّا أنت والروح خمرها	تحقّق تجد في السكر أنواع سرّاء
وفي عالم الكرم الذي قد تعرّشت	عناقيده قف واغتنم فضل نعماء
وخذ منه عنقوداً هو الجسم ثمّ دع	كثائفه واحفظ لطائف لألاء

٢٩- وَلَا قَبْلَهَا قَبْلٌ وَلَا بَعْدَ بَعْدَهَا ... وَقَبْلِيَّةُ الأَبْعَادِ فَهْيَ لَهَا حَتْمُ[1]

(فلا قبلها): أي المدامة المذكورة. وقوله (قبل): أي زمن يقال فيه قبل كذا، قال في المصباح: «قبل: خلاف بعد، ظرف مبهم، لا يُفهم معناه إلّا بالإضافة لفظاً أو تقديراً». وقوله (ولا بعد بعدها): والتقدير بعد، بفتح الباء الموحّدة، أي: ليس

(١) في (ق): ختم.

بَعد البَعد الذي لتلك المدامة المذكورة بَعد، أي: زمان، يقال فيه: هذا بعد هذا. قال في المصباح: «بعد ظرف مبهم لا يفهم معناه إلّا بإضافته لغيره، وهو زمان متراخٍ عن الزمان السابق؛ فإنْ قَرُب منه قيل: بُعَيْدَه، بالتصغير، كما يقال: قَبْل العصر، فإذا قرب قيل قُبَيل العصر بالتصغير، ويسمّى تصغير التقريب، وجاء زيد بعد عمرو، أي: متراخياً زمانُه عن زمان مجيء عمرو، ويأتي بمعنى مع، كقوله تعالى: ﴿عُتُلِّۭ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ [٦٨/ القلم/ ١٣] أي مع ذلك». وقوله (وقَبْلِيَّةُ الأَبْعَادِ): جمع بَعْد، بفتح الباء الوحْدة، يعني الزمن الذي يقال فيه قبل بالنسبة إلى كلّ زمن يقال فيه بعد بالإضافة إلى كلّ شيء. وقوله (فهي): أي القبليّة المنسوبة إلى كلّ بعديّة من الأبعاد. وقوله (لها): أي للمدامة المذكورة. وقوله (حَتْم): بالحاء المهملة والتاء المثناة الفوقيّة، مصدر حَتَمَ عليه الأمر حَتْماً، من باب ضرب: أوجبه جَزْمَاً. وانْحَتَم الأمرُ وتَحَتَّم: وَجَبَ وُجُوبَاً لا يمكن إسقاطه. وكانت العرب تسمِّي الغراب حَاتِماً؛ لأنّه يَحْتِمُ بالفِراق على زعمهم أي: يوجبه بنعاقه، وهو من الطِّيَرَة، ونُهي عنه، كذا في المصباح. والمعنى: إنْ قبليّة كلّ بعد لهذه المدامة المذكورة على وجه القطع والجزم، من غير شكّ، ولا تردّد أصلاً. والمشار إليه في مجموع هذا البيت: إنّ الحضرة الإلهيّة منزّهة عن الدخول في قيود الزمان، كما هيّ منزَّهةعن قيود المكان؛ فلها القبليّة المطلقة عن كلّ شيء، والبعديّة المطلقة عن كلّ شيء في الأزل الذي هو الحضرة الدائمة، المحيط بالأزمنة كلّها إحاطة واحدة، فلا ماضي للأزليّة، ولا حال، ولا استقبال. [٣٦١/ أ].

٣٠- وَعَصْرُ[١] المَدَى مِنْ قَبْلِه كَانَ عَصْرَهَا   وَعَهْــدُ أَبِيْنَــا بَعْــدَهَا وَلَهَــا اليُــتْمُ

(وعصر المدى): العَصْر مُثَلَّثَة وبضمّتين: الدهر، وجمعه: أَعْصَار وعُصُور وَأَعْصُر وعُصُر، والعَصْر: اليوم، والليلة، والعشي إلى احمرار الشمس، ويُحَرَّك،

(١) في (ق): وحصر.

والغَدَاة، كذا في القاموس. وقال في المصباح: «والعَصْران: الغَدَاة والعَشيّ، والليل والنهار أيضاً». و(المَدَى): بفتحتين الغاية، وبَلَغ مَدَى البصر، أي: مُنْتَهاه وغايتُه. وقال ابن قتيبة: ولا يقال: مَدُّ البصر التثقيل. وفي البارع مثله، وقد يقال: مَدّ البصر بالتثقيل، حكاه الزمخشريّ، والجوهريّ، وتَبِعه الصغَانيّ». أشار بعصرالمدى إلى العصر الذي هو الدهر، وهو الزمان الطويل الذي هو من مبدأ خلق العالم إلى حيث لا منتهى، قال في القاموس: «الدَّهْر قد يُعَدُّ في الأسماء الحسنى، والزمان الطويل، والأبد المدود، وألف سنة». وقال في المصباح: «الدَّهْر يُطلق على الأبد، وقيل هو الزمان، قلّ أو كثر. وقال الأزهري: والدهر عند العرب يُطلق على الزمان، وعلى الفصل من فصول السنة، وأقلّ من ذلك، ويقع على مُدَّة الدنيا كلّها». وهو المعنى هنا بقوله: عصر المدى، كناية عن الدهر كلّه من ابتداء خلق العالم إلى ما لا نهاية له؛ فإنّه ورد في الحديث: «لا تسبّوا الدهر؛ فإنّ الله هو الدهر»[1] بناء على نسبة الجاهليّة جميع ما يقع من الأمور إلى الدهر، ويسبّونه بذلك، والأمور كلّها واقعة بقدرة الله تعالى وحده، المؤثّرة في كلّ شيء، وهم لا يسبّون الدهر إلّا من جهة صدور الوقائع عنه، والوقائع إنّما هي صادرة عنه تعالى؛ فإنّه تعالى هو الدهر الذي يعنونه، لا الزمان الممتدّ الذي هو في خيالهم أنّه الدهر، وأنّ الوقائع منسوبة إليه؛ فإنّه أمر اعتباري، لا وجود له في نفسه، فضلاً عن أنْ ينسب إليه وجود أمر ما.

وقوله (**من قبله**): أي من قبل عصر المدى الذي هو الدهر بمعنى الزمان الممتدّ عندهم، لا بمعنى الدهر الذي هو من أسماء الله تعالى الحسنى؛ ولهذا كنّى عنه بعصر المدى، ولم يقل: والدهر، لأنّ الدهر بالمعنى الإلهيّ لاقبل له. وقوله (**كان عصرها**): أي وجد زمانها، أي: زمان تلك المدامة المذكورة. والعصر الثاني: مصدر عَصَرتُ العِنَب عَصْراً، من باب ضرب: استخرجت ماءه، واعْتَصَرْتُه كذلك، واسم ذلك الماء: العَصِير، فعيل بمعنى مفعول، كذا في المصباح. وعصرها

(١) انظر تخريجه ص١٣٠١.

كناية عن تميز عصيرها عن عنبها، وهو تمييز الوجود الحقّ عن الصور المتلبّس بها هنا، كما قال عفيف الدين التلمساني قدّس الله سرّه في آخر قصيدة له:

ووراء ذاك ولا أشير لأنّه — سرّ لسان النطق عنه أخرس
معنى به وله ومنه تعينت — أعيانه ووجوهها المتلبّس[1]

أي: المتلبّس بكلّ شيء، وهذا التلبّس أمر وهميّ بالنظر إلى إدراك العقول، لا في نفس الأمر؛ لأنّ هذا الوجود المتلبّس وجود حقّ حقيقيّ مطلق عن كلّ قيد، حتّى عن قيد الإطلاق والأشياء التي تلبَّس بها كلّها تقادير فانية، وتصاوير معدومة؛ فلا تغير الوجود الحقّ المتلبّس بها عمّا هو عليه، ولا تتغير هي أيضاً بظهوره بها عمّا هي فيه من العدم الأصليّ، ولكن الاقتران بالتجلّي يحدث لها أمراً لم تكن فيه من قبل، وهو إيهام الوجود المحقّق لها عند العقول والحواس، فيتحقّق العقل بها أنّها وجدت بعد عدم، وحدثت بعد أنْ لم تكن، ولهذا أمرنا الله تعالى بقوله سبحانه: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [١٠/ يونس/ ١٠١]. وفي الآية الأخرى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾ [٦/ الأنعام/ ٣] وهذه الظرفيّة وهميّة؛ لأنّها خطاب للعقول والحواس باعتبارها المجهول فيها من تلك القوّة الوهميّة؛ ابتلاء لها، وامتحاناً في عالم التكليف.

وقوله (**وعهد أبينا**): أي آدم أبي البشر عليه السلام، والعهد: الالتقاء والمعرفة، ومنه عهدي به والزمان، كذا في القاموس. وقال في المصباح: «العهد الوصيّة، يقال: عَهِد إليه يَعْهَد، من باب تعب: إذا أوصاه/ [٣٦١/ ب] وعَهِدتُ إليه بالأمر: قدَّمتُه، وفي التنزيل: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [٣٦/ يس/ ٦٠] والعهد الموثّق، وعَهِدتُه بمال: عَرَّفتُه به. والأمر كما عهدت، أي: كما عرفت. وهو قريب العهد بكذا، أي: قريب المعرفة والحال. وعَهِدتُه بمكان كذا: لقيته. وعهدي به قريب، أي: لقائي». وهذه المعاني: تصلح هنا. و(**وصيّة آدم**): عليه السلام عهد

(١) - ورد البيت بلفظ: أمر به وله.

نبوّته، أو أخذ الميثاق عليه كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ﴾ وهو محمّد صلى الله عليه وسلم ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ [٣/ آل عمران/ ٨١] الآية. أو عهد بنيه، وهو يوم الميثاق، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٧٢] الآية.

وقوله (**بعدها**): أي بعد ظهورهذه المدامة في ملابس أعتابها وعناقيدها، وهو تلبّسها بالأشياء. وقوله (**ولها اليُتْمُ**): هو مصدر يَتمَ يَيْتَم، من بابي تَعِب وقَرُب، يُتْماً، بضمّ الياء وفتحها، لكن اليُتْم في الناس من قِبَل الأب، فيقال: صغير يَتِيم، والجمع: أيْتام ويَتَامَى، وصغيرة يَتِيمَة، وجمعها: يتامى، وفي غير الناس من قِبَل الأُم، فإنْ مات الأبوان فالصغير: لَطِيم. وإنْ ماتت أمّه فقط فهو عَجِيّ. ودرّة يتيمة، أي: لا نظير لها. ومن هنا أُطلق اليتيم على كلّ مفرد يَعِزّ نَظِيره، كذا في المصباح. وضمير (**لها**): للمدامة المذكورة. ونسبة اليتيم إليها، كناية عن فناء الروح الذي هي متلبّسة به في أوّل ظهورها قبل تلبّسها بالطبيعة التي هي متلبّسة بها، فكأنّ الروح أبوها، والطبيعة أمّها. فإذا ظهرت في عالم التركيب من الروح والطبيعة، وهو عالم الحيوان والإنسان. ودخل الإنسان في مجاهدة السلوك إليها، ومات أبوها الذي هو الروح الأمريّ بالتحقّق بالفناء والاضمحلال، كانت يتيمة في عالم طبيعتها، وهو حجر أمها، وذلك لضرورة قيامها بالتكاليف الشرعيّة أمراً ونهياً؛ وهو معنى: «كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به»[1] في حديث المتقرّب بالنوافل. وهذه حال السالك الصادق في سلوكه إلى معرفة ربّه، وتحقيقه بمعاني قربه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [٦/ الأنعام/ ١٥٢] ومال اليتيم القوى الطبيعيّة، والأعضاء الحسيَّة، أي: لا تفنوها بالكليّة بعد فناء عالم النفوس والأرواح. والنهي عن قربان مال اليتيم لأجل بقاء التكاليف الشرعيّة على العبد.

---

(١) انظر تخريجه ص١٤٦.

٣١- مَحَاسِـنُ تَهْـدِي المَـادِحِينَ لِوَصْـفِهَا فَيَحْـسُنُ فِيهَـا مِـنْهُمُ النَّثْـرُ وَالـنَظْمُ

(**محاسن**): أي هذه محاسن. يعني صفات المدامة التي تقدّم ذكرها، والمحاسن جمع حُسْن بالضمّ، قال في القاموس: «الحُسْن، بالضمّ: الجَمال، وجمعه: مَحَاسِن على غير قياس، وحَسُنَ ككَرُم ونَصَرَ، فهو: حَاسِن وحَسَن وحَسِيْن كأمير، وغُراب ورمّان. والمَحَاسِن أيضاً: المواضع الحَسَنَة من البدن الواحد، كمِقْعَد أوْ لا واحد له، ووَجْهٌ مُحَسَّن: حَسَن». وقوله (**تهدي**): أي تدلّ. وقوله (**المادحين**): جميع مادح، وهو الذي يمدحها، ويثني عليها ببدائع صفاتها الحسنة. وقوله (**لوصفها**): متعلّق بتهدي، والضمير للمدامة المذكورة، والوصف مصدر وصفته وصفاً، من باب وعد: أخبرت بما فيه من الأحوال والهيئات. ويقال: أصله من قولهم وَصَفَ الثوبُ الجِسْمَ: إذا أظهر حاله وبيّن هيئاته، كذا في المصباح. وقوله (**تهدي المادحين**): إشارة إلى أنّهم ما مدحوها إلّا بما هدتهم محاسنها إليه من كشفهم عن معاني تجلّياتها بأسمائها الحسنى الواردة في قوله صلّى الله عليه وسلّم: «إن لله تسعة وتسعين اسماً، من أحصاها دخل الجنّة»[1] أي: من كشف الله تعالى له عن تجلّيه تعالى بها، وظهورها له بآثارها التي هي جميع العوالم دخل جنّة العرفان، وتمتّع بنعيم المعرفة والإيقان. وقوله (**فيحسن فيها**): أي في المدامة المذكورة، أو في تلك المحاسن. وقوله (**منهمُ**): بضمّ الميم لضرورة/ [٦٦٢/ أ] الوزن، أي من المادحين المذكورين. وقوله (**النثر**): فاعل يحسن، ونثر الكلام: تفريقه، والمرادعدم دخوله في الوزن المعروف. قال في المصباح: «نَثَرْتُه نَثْراً، من بابي قتل وضرب: رَمَيْت به مُتَفَرِّقاً، فانْتَثَر». وقوله (**والنظم**): معطوف على النثر، وهو الكلام الموزون، وأصله من نَظَمَ الخَرَز، قال في المصباح: «نَظَمْتُ الخَرَز نَظْماً، من باب ضرب: جعلتُه في سِلْك وهو النظام بالكسر. ونَظَمْت الشعر نَظْماً». والمعنى: نثر الكلام

---

(١) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب: الشروط، باب: ما يجوز من الاشتراط، ٢٧٣٦، بلفظ: «إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلّا واحداً من أحصاها خل الجنّة».

ونظمه قصائد وأشعارإلهيّة، ولا يسمّى ذلك شعراً، لأنّ الشعر حديث النفس فيما تشعر به من المعاني، قال تعالى في شأن نبيّنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم: ﴿وَمَا عَلَّمْنَـٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ [٣٦/يس/ ٦٩] والذكر والقرآن حقّ، والشعر باطل. ومن هنا إيراد المعاني الإلهيّة التي يُفتح بها على قلوب الأولياء العارفين بربّهم فينظمونها أو ينثرونها، كما قال الجنيد، قدس الله سرّه: «عِلْمُنا هذا مقيَّد بالكتاب والسنّة». وقال الشيخ الأكبر، قدّس الله سرّه: «لا نقبل شيئاً من عِلْمنا هذا إلّا بشاهدي عدل من الكتاب والسنّة؛ فلهذا لم يكن كلامهم شعراً».
قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه:

كلامنا ليس بشعر ولا ... من شاعر بل وارث مصطفى
أنطقه الله به مثل ما ... أنطق أهل الدين والاصطفا

ومراده الأنبياء عليهم السلام، كما قال تعالى لنبيّنا صلّى الله عليه وسلّم: ﴿قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [١٢/يوسف/ ٣٢] أي: ومن اتبعني أيضاً، وهم الأولياء الورثة لعلوم النبيّين بسبب كمال متابعتهم لهم ظاهراً وباطناً.

٣٢- وَيَطْرَبُ مَنْ لَمْ يَدْرِهَا عِنْدَ ذِكْرِهَا ... كَمُشْتَاقِ نُعْمٍ كُلَّمَا ذُكِرَتْ نُعْمُ

(**ويطرب**): من طَرِبَ طَرَباً فهو طَرِب، من باب تَعِبَ، وطَرُوب مبالغة، وهو خِفَّة تصيبه لشدّة حزن أو سرور، والعامّة تخصّه بالسرور، كذا في المصباح. وقوله (**ومن لم يدرها**): أي هذه المدامة المذكورة، أي: الذي لا يعرفها ذوقاً وكشفاً ووجداناً. وقوله (**عند ذكرها**): يتعلّق الظرف بقوله ويطرب. يعني: الغافل المحجوب يحصل له الطرب والخفّة الروحانيّة، والنشاط الجسمانيّ، في وقت ذكره لها، أي: لهذه المدامة المذكورة بأن يذكرها بلسان، أو يسمع ذكره أمن غيره، أو عند تذكره لها بقلبه؛ فإن لم يدرها إذا فتح عليه بمعرفتها يطرب طرباً زائداً، والذكر في

حقّه هو التذكر، قال تعالى: ﴿أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ [٣٥/ فاطر/٣٧] وإذا تذكّرها فَنِيَ عن كلّ ما سواها، وشهدها وحدها بشهودها، لا بشهوده لفناء وجوده، وهو قوله تعالى بطريق الإشارة: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [١٥/الحجر/٩] وطربه الحاصل له لانتفاء جميع أحزانه، وهمومه، وتفريده لحقيقة معلومة، قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [١٠/يونس/ ٦٢] وقوله (كمشتاق نُعْم): بضمّ النون وسكون العين المهملة، قال في القاموس: «نُعْم بالضم امرأة». والمعنى هنا اسم امرأة محبوبة من محبوبات العرب. وقوله (كلّما ذكرت): بالبناء للمفعول. وقوله (نُعْم): بالضمّ اسم هذه المحبوبة؛ فإنّ عاشقها إذا ذكرها يطرب بذكرها، وكذلك إذا ذكرها غيره عنده، أو تذكرها هو بقلبه.

٣٣- وَقَالُوا شَرِبْتَ الإِثْمَ كَلَّا وَإِنَّمَا شَرِبْتُ الَّتِي فِي تَرْكِهَا عِنْدِيَ الإِثْمُ

(وقالوا): أي أهل الغفلة والحجاب. وقوله (شربت الإثم): بالثاء المثلّثة، أي: الخمرة المُعتصَرة من العنب المحرّمة شرعاً، وذلك لأنّهم يرونه غائباً لا يدرك ما يدركونه من أمور الدنيا وأحوالها؛ لاستغراق بصيرته في مشاهدة حضرة ربّه، وتمتّعه بلذائذ تجلّيات الوجود الحقّ، وزيادة قربه، وليس عندهم ما يقتضي ذلك الاستغراق غير الأمور المحرّمة، كالخمر والحشيشة ونحو ذلك، أو عَتَهِهِ وجُنُونِهِ. ولا يجدونه معتوهاً ولا مجنوناً في بعض أوقاته؛ فيقطعون بما يقولون في حقّه مما ذكر. وقوله (كلّا): هي مركّبة/ [٣٦٢/ ب] عند ثعلب من كاف التشبيه ولا النافية. قال: «وإنّما شُدِّدَت [لامها] لتقوية المعنى، ولدفع توهّم بقاء معنى الكلمتين. وعند غيره هي بسيطة، وهي عند سيبويه والخليل والمبرّد والزجّاج وأكثر البصريين: حرف معناه الردع والزجر، لا معنى لها عندهم إلّا ذلك، حتّى إنّهم يجيزون أبداً الوقف عليها، والابتداء بما بعدها، كذا في مغني ان هشام. وقوله

(وإنّما): هي أداة حصر مركّبة من: إنّ المشدّدة وما الكافّة لئنّ عن العمل. وقوله (شربت التي): أي المدامة التي. وقوله (في تركها): أي عدم شربها. وقوله (عندي): يعني لمعرفتي بحكم ذلك، لا عند غيري لعدم معرفة الغير بها. وقوله (الإثم): أي الذنب العظيم، قال في القاموس: «الإثم بالكسر: الذَّنْب، والخمر». وقد استعمل الناظم هنا، قدّس الله سرّه، لإثم بمعنييه على طريقة الجناس التامّ؛ فإنّ من لم يشرب هذه المدامة المذكورة فهو معتكف على الشرك الخفي وبالأغيار مكتفٍ، قال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [١٢/يوسف/١٠٦] إشارة إلى الشرك الخفي، وهو شرك الأسباب، والاعتماد عليها دون ربّ الأرباب، وقال صلّى الله عليه وسلّم: «الشرك في أمّتي أخفى من دبيب النمل على الصفا»(١). وقال العارف بالله الشيخ أرسلان الدمشقي، قدّس الله سرّه، في ابتداء رسالته: «كلّك شرك خفيّ، ولا يبيّن لك توحيدك إلّا إذا خرجت عنك، وهذا الشرك الخفيّ لا إثم فيه عند علماء الظاهر، وإنّما هو إثم عند العارفين بالله من الأولياء المقرّبين، ولهذا قال في تركها عندي لإثم.

٣٤- هَنِيئاً لِأَهْلِ الدَّيْرِ كَمْ سَكِرُوا بِهَا وَمَا شَرِبُوا مِنْهَا وَلَكِنَّهُمْ هَمُّوا

(هنيئاً): من هَنَأَنِي الطعام يَهْنَؤُنِي: ساغ ولذّ، وأَكَلْتُهُ هَنِيْئاً مَرِيْئاً: بلا مشقّة، كذا في المصباح. وقوله (لأهل الدير): هو دير النصارى، قال في المصباح: «الدَّيْر للنصارى، معروف، والجمع: دُيُورة، مثل: بَعْل وبُعُولَة. وينسب إليه: دَيْرَانِي على غير قياس، كما قيل: حَرَّاني». وأهل الدير هنا كناية عن الأولياء الوارثين للمقام العيسوي الروحانيّ من ولاية عيسى عليه السلام في الدين المحمّدي الجامع لجميع مقامات لأنبياء والمرسلين قبله، عليهم الصلاة السلام؛ فإنّ الأولياء ورثة الأنبياء، وهم العلماء بالله الذين قال تعالى فيهم: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾

(١) انظر تخريجه ص٦٨٧.

[٣٥/ فاطر/ ٢٨] أي العلماء به تعالى. وقال صلّى الله عليه وسلّم: «إنّا معاشر الأنبياء لانورّث درهماً ولا ديناراً إنّما نورِّث العلم»[1].

ومعناه: العلم بالله وعنه، قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [٥٨/ المجادلة/ ١١]. وقوله (كم سكروا بها): أي بهذه المدامة المذكورة من حيث أنّهم تذكّروها بنفوسهم، وأشرفوا بها على عالم الأرواح المجرّدة عن الظلمات فزجّ بهم في عالم النور المحمّدي ولم يصلوا إلى المنتهى قال تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [٥٣/ النجم/ ٤٢] وذلك في حال سلوكهم إلى الوجود الحقّ تعالى؛ فإنّهم يغيبون في ذلك النور، ولا ينكشف لهم سرّه المستور، لبقاء البقيّة النفسانيّة في تجلِّي الحقيقة الربّانيّة. وقوله (وما شربوا منها): أي من تلك المدامة المذكورة لعدم وصولهم إليها فهم مترامون في الطريق عليها. والشرب كناية عن وصولها في سريانها إلى نفوسهم فتنقلب أنانيّتهم أنانيّتها، ويرتفع البين من البين، وتقرّ العين بالعين، وتنمحي يقظة الغين، وترجع إلى الواحد حقيقة الاثنين، وهذا السريان بلا سريان، لأنّ الوجود الحقّ يكشف عن المعدومات الكونيّة، فلا يبقى وجود إلّا وهو عين وجوده، منسوب عند المعدومات إليها من فيض كرمه وجوده، فيتراءى ذلك السريان لعيون الأكوان، وكيف يسري الوجود في العدم، أو يمتزج الحدوث بحضرة القدم. وقوله (ولكنّهم): أي أهل الدير المذكورين/ [٣٦٣/ أ] وقوله (همّوا): أي صرفوا هممهم إلى حقيقة عينها بمحو نقطة غينها، فكانت نقطة نفوسهم تنمحي عنهم تارة، وتثبت تارة أخرى، كما قال تعالى: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [١٣/ الرعد/ ٣٩] والأم هي الأصل، فجميع ما هو مكتوب من صور الحروف الكونيّة، مفردة كانت أو مركّبة، راجعة إلى النسخة الأصليّة، والحقيقة الذاتيّة، وإليه ترجعون وإليه تقلبون.

---

(١) انظر تخريجه ص٨٢٩.

٣٥- وَعِنْـدِيَ مِنْهَـا نَـشْوَةٌ قَبْـلَ نَـشْأَتِي مَعِـي أَبَـداً تَبْقَـى وَإنْ بَـلِيَ العَظْـمُ

(وعندي): أي في حضرة ذاتي المعلومة للوجود الحقّ أزلاً وأبداً بالعلم القديم الأزليّ الأبديّ. وقوله **(منها)**: أي من تلك المدامة المذكورة. وقوله **(نَشْوَةٌ)**: أي سكر، قال في المصباح: «النَّشْوة: السُكر، ورجل نَشوان، أي: سَكْران». وامرأة نشوى، والجمع نشاوى بالفتح. وقوله **(قبل نَشْأَتِي)**: يقال نَشَأَ الشيء نَشْأً، مهموز من باب نفع: حَدَثَ وتَجَدَّدَ، وأَنْشَأْتُه: أَحْدَثْتُه، والاسم: النَشْأَة، والنَشَاءَة وِزَان تَمْرَة ومَلَامَة، ونَشَأْتُ في بني فلان نَشْأً: رُبِّيْتُ فيهم، كما في المصباح. والمعنى: إنّ عندي في مقام فنائي عنّي واضمحلالي منّي سكرة بمدامة الحضرة الوجوديّة قبل ظهوري بوجودها وقيامي عندي، وعندكم بنعمتها وجودها. وقوله **(معي أبداً تبقى)**: أي تلك النشوة القبليّة، والسكرة القلبيّة الأزليّة في حضرتها العلميّة؛ فهي باقية معي لا تزول، لأنّ بها يكون لها على قلبي النزول. وقوله **(وإنْ بلي العظم)**: يقال بَلِيَ، من باب تعب: بِلىً، بالكسر والقصر، وبَلَاءً بالفتح والمدّ: خَلُقَ، فهو بالٍ، وبَلِيَ المَيتُ: أَفْنَته الأرض، كذا في المصباح. والمعنى: وإنْ ذهب جسمي بالفناء والاضمحلال حتّى فنيت عظامي، وما بقي منّي شبح، ولا خيال؛ فإنّ هذه المدامة المذكورة باقية معي، لا أفارقها ولا تفارقني أزلاً وأبداً، قال الشيخ عبد الكريم الجيليّ قدّس الله سرّه، في مطلع قصيدة له[1]:

تعـالوا بنـا حتّـى نعـود كـما كنّـا ولا عهدنا خنتم ولا عهدكم خنّا

٣٦-عَلَيْكَ بِهَا صِرْفاً وَإنْ شِئْتَ مَزْجَهَا فَعَدْلُكَ عَنْ ظَلْمِ الحَبِيبِ هُوَ الظُّلْـمُ

(عليك): خطاب للمريد الصادق، وهي اسم فعل بمعنى خذ، قال الرضي: «يقال عليك زيداً، أي: خذه كأن الأصل عليك أخذه. وقال في القاموس: «عليك زيداً الزمه». وقال في الصحاح: «تقول عليّ زيداً، وعليّ بزيد، معناه: أعطني

(١) العبارة من الصحاح، وليس من القاموس. انظر الصحاح مادّة: علا.

زيداً». وقوله (بها): أي بالمدامة المذكورة. وقوله (صرفاً): الصِرْف بالكسر: الشراب الذي لم يُمْزَج، ويقال: لكلّ خالصٍ من شوائب الكَدَر صِرْف؛ لأنّه صُرِف عنه الخَلْطُ ، كذا في المصباح. والصرافة في هذا الشراب كناية عن فناء كلّ ما عدا الوجود الحقّ، ومشاهدة الوجود الحقّ الصرف به لا بالنفس المغايرة له؛ فيكون يبصر الحقّ بالحقّ، كما يسمع الحقّ بالحقّ، ويعلم الحقّ بالحقّ: «كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به» الحديث. ونظير ذلك قول الشيخ أبي مدين، قدّس الله سرّه، في مطلع قصيدة له:

أدرها لنا صرفاً ودع مزجها عنّا ... فنحن أناس لا نرى المزج مذ كنّا

حضرنا فغبنا عند دور كؤوسها ... وعدنا كأنّا لا حضرنا ولا غبنا

وقوله (وإنْ شئت): أي أردت يا أيها السالك. وقوله (مَزَجَهَا): أي خَلَطَهَا بغيرها، مَزَجتُ الشيءَ بالشيء مَزْجاً، من باب قتل: خلطّته، كذا في المصباح. والضمير للمدامة المذكورة. يعني: إنْ أردت النزول من حضرة الجمع، وهو توحيدك الصرف، وهو شهود الحقّ بالحقّ إذا وصلت إليه، وتحقّقت به، ولم يبقَ عندك غير الوجود الحقّ، وكلّ ما عداه فانٍ، فمزجت ذلك الوجود الحقّ بصور الكائنات التي هي تقاريره العدميّة وتصاويره/ [٣٦٣/ ب] الوهميّة إذ ليس في الحقيقة غيره، ولا في نفس الأمر سواه، لا إله إلّا الله ، وإنّما صور الكائنات الحسيّة والعقليّة كلّها ملابسه، ومظاهره، وتجلّياته عند تلك الملابس والمظاهره والتجلّيات، لا عنده تعالى، ولنا في مطلع قصيدة قولنا:

ظهرت يا نور والسوى عدم ... فأشرقت من ظهورك الظلم

وبان سرّ الحدوث في صور ... بها عليها تلبس القدم

وقوله (فَعَدْلُكَ): يقال عَدَل عن الطريق عُدُولاً: مالَ عنه وانصرف، كذا في المصباح. وقوله (عن ظَلْم): بفتح الظاء المعجمة وسكون اللام، قال في القاموس:

«الظَلْم ماء الأسنان وبريقها، وهو كالسواد داخل عظم السن، من شدّة البياض كفِرَنْد السيف». وقوله (الحبيب): أي المحبوب، وهو النورالمحمّدي الذي هو أوّل مخلوق من نوره تعالى على معنى أنّه أوّل تقدير عدمي، وتصوير اقتداري، فكأنّه ماء ثغر الحبيب القديم، ورشحات ثنايا مراشف النديم، لأنّها آثار أسمائه الحسنى، وتجلّيات حضرات وصفه الأسنى، قال الشيخ الأكبر، الخطيب علي هذا المنبر، قدّس الله سرّه:

سلامي على سلمى ومن حلّ بالحمى	وحُقّ لمثلي رقّة أن يسلّما
وماذا عليها لو تردّ تحيّة	عليها ولكن لا احتكام على الدمى
سروا وظلام الليل أرخى سدوله	فقلت لها صبّا غريباً متيّما
أحاطت به الأشواق سوراً وأرصدت	له راشقات النبل أيان يمما
فأبدت ثناياها وأومض بارق	فلم أدر من شق الحنادس منهما
وقالت أما يكفيه أنّي بقلبه	يشاهدني في كلّ وقت أما أما

وقوله (هو الظلم) قال في القاموس: «الظُلْم بالضمّ وضع الشيء في غير موضعه، والمصدر الحقيقيّ الظَلْم، بالفتح، ظَلَمَ يَظْلِمُ ظَلْماً، بالفتح، فهو ظَالِمٍ وظَلُوم. وقال في المصباح: «الظُّلْم: اسم من ظَلَمَهُ ظَلْماً، من باب ضرب، وأصل الظُلْم: وضع الشيء في غير موضعه». والمناسب هنا لحصول الجناس التامّ ظَلْم الحبيب، بالفتح، والظَّلْم بالفتح أيضاً بالمعنيين المختلفين. والمعنى: إنّه إنْ كان ولا بدّ من مزج الوجود الحقّ بالصور التقديريّة المعدومة في نفسها، بحيث تظهر موجودة بذلك الوجود الحقّ، الواحد الأحد، فليكن مزجها بما هو منها، والكلّ منها، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [١٣/ الرعد/ ١٦] وقال أيضاً: ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖ﴾ [٢٧/ النمل/ ٦١] وهذا هو حضرة الفرق، والأسفل منه أسفل سافلين، وهو رؤية تلك الصور التقديريّة موجودات بأنفسها تغاير وجودها الذي هي قائمة به

وجود الحقّ تعالى، وهو حبس أهل الغفلة والحجاب في مطامير التباعد والاجتناب إلى يوم العرض والحساب، قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [٩٥/ التين/ ٤-٦]. يعني: جميع أفراد الإنسان مخلوقون في أحسن تقويم، ومردودون إلى أسفل سافلين، وليس لهم جزاء وأجر على ما يجدونه في أسفل سافلين من المصائب والمتاعب، والبلايا والأحزان، إلّا الذين آمنوا وعملوا الأعمال الصالحات؛ فإنّ لهم على ذلك أجراً عظيماً عند ربّهم غير مكدّر عليهم بمنّة أحد؛ بل مشكورون عليه، وممدوحون به، ويسمّى الأوّل: القرآن، والثاني: الفرقان، والثالث: ما تتلو الشياطين على ملك سليمان.

٣٧- وَدُوْنَكَهَا فِي الحَانِ وَاسْتَجْلِهَا بِهِ عَلَى نَغَمِ الأَلْحَانِ فَهْيَ بِهَا غُنْمُ

(ودونكها): أي خُذْ هذه المدامة، قال الراغب: «وقد يُغرَى بلفظ دون، فيقال: دونك/ [٣٦٤/ أ] كذا أي: تناوله». وقال في الصحاح: «ويقال في الإغراء بالشيء دونكه». قالت تميم للحجّاج: أَقْبِرْنا صالحاً، وكان قد صَلَبَهُ. فقال: دُونَكُمُوه». ومعنى **دُوْنَكَهَا** هنا: إغراء بالمدامة المذكورة، أي: تناولها، وخذها. بتقدير تحقّق في فنائك واضمحلالك في الوجود الحقّ الذي أنت به موجود عندك على الوهم، وهو معنى شربها؛ فإنّ الشرب إبطال ما هو ظاهر من المائعات؛ فإذا تحقّقت بتمييزك عن وجودك الذي أنت به موجود وجدت كلّ ما سواه معدوماً، وأنت من جملة ما سواه، وظهر لك قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾ [٨٥/ البروج/ ٢٠]. ومن هنا أُطلق عليه اسم المدامة بطريق الكناية دون التسمية. ولأنّ التحقّق به يوجب السُّكر عن كلّ ما سواه. وقوله **(في الحان)**: أي الحانة، وهي: البيت الذي يباع فيه الخمر، وهو الحانوت أيضاً، والجمع: حانات، كذا في المصباح. وقال في الصحاح: «الحانات: المواضع التي يُباع فيها الخمر، والحَانِيَّة: الخمر، منسوبة إلى

الحانة، وهو الخمّار». والإشارة بذلك هنا إلى كلّ شيء، لأنّ هذه المدامة المكنّى بها عن الوجود الحقّ الواحد الأحد له ظهور، وتجلّي، وانكشاف، بتقدير إلى شيء، وتصويره، فكان كلّ شيء حانة على الاستقلال، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [٨٥/ القصص/ ٨٨] كما أنّه: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ٢٧] فلا حلول، ولا اتّحاد، وعلى معنى الحانة حسُن قولي: الحان، وذلك في مطلع قصيدة لي:

هــذه الكائنــات أم هــي حانَــهْ أســكرتنا كُؤُوسَــهَا الملآنَــهْ

وقوله (واستجلها به): أي في الحان المذكور، بمعنى اطلب جلوتها، يقال: جَلَت الماشطة العروس على زوجها، جِلْوَة بالكسر، والفتح لغة، وجِلاء مثل: كتاب، واجتلاها: نظر إليها، تجلّى، كذا في المصباح. وقال في الصحاح: «جَلَوْتُ العروسَ جلوة، واجْتَلَيْتَهَا بمعنى إذا نظرت إليها مجْلُوَّة».

وقوله (على نغم): بالتحريك، قال في القاموس: «النَغَم، محُرَّكَة، وتسكَّن: الكلام الخَفِيّ، الواحدة: بِهَاء، ونَغَم في الغِنَاء، كضرب، ونصر، وسمع، وتنغَّم». وقال في المصباح: «نَغَمَ نَغْماً، من بابي ضرب ونفع: تكلّم بكلام خَفِيٍّ، وسَكَتَ فما نَغَمَ بِحَرْفٍ، وتَنَغَّم: مثله، والنغمة: جَرْس الكلام وحُسْن الصوت في القراءة. والجَرْس، مثال فَلْس: الكلام». وقال في الصحاح: «فلان حَسَنْ النَّغْمَة: إذا كان حسنَ الصوت في القراءة» .

وقوله (الألحان): جمع لحن، قال في الصحاح: «اللَّحْن واحد الأَلْحَان واللُّحُون، ومنه الحديث: «اقرؤوا القرآن بلحون العرب»[1] وقد لَحَنَ في قراءته إذا طَرَّبَ بها وغَرَّدَ. وهو ألحَنُ الناس: إذا كان أَحْسَنَهم قراءة أو غِناء، وقال في القاموس: «اللَّحْن من الأَصْوات: المَصُوغَة الموضوعة، والجمع: أَلْحَان ولُحُون،

(١) انظر تخريجه ص٩٣٩.

ولَحَنَ في قراءته: طَرَّب فيها». وقوله (فهي): أي تلك المدامة التي تجلّى، فينظر إليها المحبّ كما ذكرنا. وقوله (بها): أي بنغم الألحان. يعني: نغمات الآلات المطربة. وقوله (غُنْمُ): مصدر غَنِمْتُ الشيءَ أَغْنَمُهُ غُنْمَا: أَصَبْتُه، غَنِيْمَة ومَغْنَمَاً، والجمع: الغَنَائِم والمَغَانِم، كذا في المصباح. ولهذا اتّخذ كلّ طائفة من الصوفيّة سماعاً مخصوصاً بالألحان والآلات المطربة؛ فإنّ أحسن ما يكون ذلك في حالة الكشف، والشهود لتجلّيات حقيقة الوجود، وملاحظته ما له على عباده من الكرم والجود. وحرّم ذلك على أهل اللهو والغفلة والجحود؛ لأنّه يزيدهم غفلة وانهماكاً فيما هم فيه من الإعراض عن الربّ المعبود، في حالة شهود أغياره بالمعنى المردود.

٣٨- فَمَا سَكَنَتْ وَالْـهَمَّ يَوْمَاً بِمَوْضِعٍ ... كَـذَلِكَ لَـمْ يَسْكُنْ مَـعَ النَغَمِ الغَـمُّ

(فما سكنت): أي تلك المدامة المذكورة، أي: ثبتت واستقرّت، من حيث دوام تجلّيها. وقوله (والهمَّ): بالنصب، الواو للمعيّة، والهمّ مفعول معه، والهَمّ: الحُزْن، وأَهَمَّنِي الأمر، بالألف: أقلقني. وهَمَّنِي هَمَّاً، من باب قتل: مثله، كما في المصباح. وقوله (يوماً)/ [٣٦٤/ ب] منصوب على الظرفيّة. وقوله (بموضع): أي بمظهر من مظاهرها، وصورة من صور تجلّياتها، ولكن كما قال تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [٣٩/ الزمر/ ٢٢] وقال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [١٨/ الكهف/ ٢٨]. وقوله (كذلك): أي مثل ذلك. وقوله (لم يسكن مع النغم الغمّ): فإنّ الأنغام تطرب القلوب فتجلوها عن الأكدار، وتعين العارفين، والسالكين على إعراض قلوبهم عن ملاحظة الأغيار.

٣٩- وَفِي سَـكْرَةٍ مِنْهَـا وَلَـوْ عُمْـرَ سَـاعَةٍ ... تَرَى الدَّهْرَ عَبْداً طَائِعَاً وَلَـكَ الحُكْمُ

(وفي سكرة): هي فعل مرّة من السُكْر بالضمّ: اسم من سَكِرَ سَكَراً، من باب تَعِبَ، وكسر السين في المصدر لغة، فيبقى مثل عِنَب، فهو سَكْران، وامرأة

سَكَرَى. وأَسْكَرَهُ الشراب: أزال عقله، كذا في المصباح. وقوله (**منها**): أي من المدامة المذكورة.

وقوله (**ولو عُمْرَ ساعة**): أي ولو كان عُمْرُهُ عُمْرَ ساعة، أي: مدّة بقائه في الدنيا مقدار ساعة زمانيّة، قال في المصباح: عَمَرَه الله يَعْمُرُهُ، من باب قتل. وعَمَّرَه تَعْميراً، أي: أطال عُمْرَه». و(**الساعة**): الوقت، من ليل أو نهار، والعرب تُطلِقها وتريد بها الحين والوقت وإنْ قلّ، وعليه قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً﴾ [٧/ الأعراف/ ٣٤]، كذا في المصباح.

وقوله (**ترى**): خطاب للمريد السالك في طريق الله تعالى على الصدق في أحواله. وقوله (**الدهر**): مفعول أوّل لترى. والدهر: الزمان قلّ أو كثر. والمعنى فيه زمانه، أي: مدّة عمره في الدنيا. وقد يراد بالدهر هنا مدّة الدنيا كلّها. وقوله (**عبداً**): مفعول ثان لترى، أي: خادماً يخدمك في كلّ ما تريد. وقوله طائعاً، أي: لا يعصي عليك، ولا يمتنع عنك في كلّ أمر، وذلك بسبب فناءك عنك، وخروجك عن أنانيّتك، وشهودك ربّك بربّك بعدما كنت تشهد نفسك بنفسك، أو ربّك بنفسك.

وقوله (**ولك الحكم**): أي التحكّم على كلّ شيء، ومن كان كذلك، فلا يحكم إلّا بما يحكم الله تعالى؛ بل حكمه حكم الله تعالى به؛ لأنّه فانٍ عن نفسه، فلا حكم له من نفسه، وهكذا كان شيخنا أبو صالح عبد القادر الكيلانيّ، قدّس الله سرّه. وأمثاله من أهل الله تعالى متحقّقين بمعنى قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [٨/ الأنفال/ ١٧] وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [٦/ الأنعام/ ١٨] وعباده الذين هو فوقهم أولياؤه العارفون به، استولى عليهم، فغلب على ذواتهم الفانية بذاته الباقية، وعلى صفاتهم وأحوالهم الفانية بصفاته وأسمائه الباقية، وهذا معنى فوقيّته عليهم بصفة القهر لمن يقهره من خلقه. وقوله صلّى الله عليه وسلّم: «أهل الشام سوط الله في الأرض

ينتقم بهم ممن يشاء من عباده»[1]. وقال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه:

إذا ما لقيت الناس فلتلقَ عاقلاً ... فذلك إن نازعته لا يعاقب
ولا تلق إنّي قد نصحتك عارفاً ... فمن يلقه صُبّت عليه المصائب
فهذا الذي يجري بحكمة وقته ... ولا شكّ أنّ الوقت بالحكم طالب
ولله مكر في العباد محقّق ... لذلك لم تؤمن لديه العواقب
له الحكم والتحكيم في كلّ مأمن ... فلا يغلب المكر الإلهيّ غالب

٤١ - فَلَا عَيْشَ في الدُنْيَا لِمَنْ عَاشَ صَاحِيَاً ... وَمَنْ لَمْ يَمُتْ سُكْراً بِهَا فاتَهُ الحَزْمُ

(فلا عيش) يقال: عاش عَيْشَاً من باب سار: صار ذا حياة، فهو عائش، والأنثى عَائِشَة، كذا في المصباح. يعني: أنّ حياته لمّا كانت حيوانيّة لا إنسانيّة كان لا حياة له. وقوله (في الدنيا): أي في هذه الحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ / [٣٦٥/ أ] وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ﴾ [٥٧/ الحديد/ ٢٠] وهذه الحاة الدنيا هي الحياة الحيوانيّة، لا حياة الإنسانيّة المشار إليها بقوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ﴾ [٦/ الأنعام/ ١٢٢]. وقوله: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَـٰكُمْ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٨] وقوله (صاحياً): حال من فاعل عاش، أي: صاحياً للَّعب، واللهو، والزينة، والتفاخر، والتكاثر، ولم يسكر بالمدامة المذكورة، فيغيب عن هذه الأشياء الخمسة فهو ميت عن الحياة الإنسانيّة. وقوله (**ومن لم يمت سكراً**): أي من كثرة سُكْره بأنْ استوعب أوقاته كلّها في مشاهدة الوجود الحقّ، وصار لم يشعر بشيء سواه فقد مات سكراً حينئذ. وقوله (بها): أي بالمدامة

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني، باب: أهل الشام سوط الله تعالى في أرضه، ٩٥٣، كما ذكره السيوطيّ في جمع الجوامع، باب: حرف الهمزة، ٧٨٨، وقال: أخرجه أحمد، وأبو يعلى، والبغويّ، والباروديّ، والطبرانيّ، وابن عساكر، والضياء، عن خريم بن فاتك.

المذكورة. وقوله (**فاته الحَزْم**): والحَزْم مصدر، حَزَمَ فلانٌ رأيَه حَزْماً: أتقنه، كما في المصباح. وقال في القاموس: «الحَزْمُ ضبط الأمور، والأخذ فيه بالثِقَة». والمعنى: إنّ من لم يسكر بهذه المدامة المذكورة، وصحا للأمور الخمسة، واشتغل بها عن مشاهدة ربِّه في الأمور الخمسة وغيرها؛ فإنّه أضاع أوقاته، وأفسد أحواله، ولم يضبط أمره، وبنى ما هو فيه على الغرور بالأماني الكاذبات، قال صلّى الله عليه وسلّم: «الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت»[1].

٤٠- عَلَى نَفْسِهِ فَلْيَبْكِ مَنْ ضَاعَ عُمْرُهُ ... وَلَيْسَ لَهُ فِيهَا نَصِيبٌ وَلَا سَهْمُ

(**على نفسه**): أي ذاته، وأحواله، وأفعاله، وأقواله. (**فليبك من ضاع عمره**): أي ذهب عمره ضائعاً باشتغاله بالأغيار عن الأسرار، وجهله بمعرفة نفسه التي تحصل له المعرفة بربّه في جميع الأطوار، فإنّ اللائق به أنْ يبكي طول الليل والنهار على فوات حظّه من الله الذي هو بُدُّه اللازم الذي لا بدّ له منه في الدنيا وفي دار القرار.

وقوله (**وليس له**): الواو للحال. يعني: والحال أنّه ليس له. وقوله (**منها**): أي من المدامة المذكورة. وقوله (**نصيب ولا سهم**): النصيب الحصّة، والجمع: أنصبة وأنصباء ونُصُب بضمّتين. والسهم: النَصِيب، والجمع: أَسْهُم وسِهَام وسُهْمَان بالضمّ، كذا في المصباح؛ فإنّ النصيب من ذلك ولو كان محبّة أهله، واعتقاد الخير فيهم ملحقٌ له بهم، كما ورد في الحديث: «المرء مع من أحبّ»[2]. والأحاديث في ذلك كثيرة، كما ذكر في كتاب «مقبول المنقول» قال: أخرج البخاريّ ومسلم عن أنس رضي الله عنه، أنّ رجلاً سأل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن الساعة فقال: متى الساعة؟. قال: ما أعددت لها. قال: لا شيء إلّا أنّي أحبّ الله ورسوله. قال: أنت مع من أحببت. قال أنس فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبيّ صلّى الله

---

(١) انظر تخريجه ص١٤١٠.

(٢) انظر تخريجه ص٥٦٣.

عليه وسلّم أنت مع من أحببت. قال أنس فأنا أحبّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وأبا بكر وعمر. وأرجو أن أكون معهم بحبّي إيّاهم وإنْ لم أعمل أعمالهم»[1].
ولأبي داوود قال: «ما رأيت أصحاب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم فرحوا بشيء لم أرهم فرحوا بشيء أشدّ منه. قال رجل: يا رسول، الرجل يحب الرجل على العمل من الخير يعمل به، ولا يعمل بمثله. فقال رسول الله صلّى عليه وسلّم: المرء مع من أحبّ»[2] وأخرج البخاريّ ومسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «جاء رجل إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال: يا رسول الله، كيف ترى في رجل أحبّ قوماً ولمّا يلحق بهم؟. فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: المرء مع من أحبّ»[3].
وأخرج أحمد وأبو داوود عن أبي ذرّ رضي الله عنه، قال: قلت يا رسول الله، الرجل يحبّ القوم، ولا يستطيع أنّ يعمل بأعمالهم. قال: أنت يا أبا ذرّ مع من أحببت. قال: قلت فإنّي أحبّ الله ورسوله. قال: «فإنّك مع من أحببت، يعيدها مرّة أو مرّتين»[4].
وروى أحمد عن جابر رضي الله عنه، قال سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: «العبد مع من أحبّ»[5].[6]

---

(١) أخرجه البخاريّ، كتاب: فضائل الصحابة، باب: مناقب عمر بن الخطاب، ٣٦٨٨. كما أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: البرِّ والصلة، باب: المرء مع من أحبّ.
(٢) أخرجه أبو داوود في سننه، كتاب: الأدب، باب: إخبار الرجلِ الرجلَ بمحبّته، ٥١٢٩.
(٣) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب: الأدب، باب: علامةَ حبّ الله عزّ وجلّ، ١١٦٨. كما أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: البرّ والصلة، باب: المرء مع من أحبّ، ٦٨٨٨.
(٤) هذه الرواية أخرجها أبو داوود في سننه، كتاب: الأدب، باب: إخبار الرجل الرجل بمحبّته إيّاه، ٥١٢٨. كما أخرج أحمد في مسنده، مسند أنس بن مالك، ١٣٠٤٠، بلفظ قريب من هذا اللفظ عن أنس.
(٥) أخرجه أحمد في مسنده، مسند جابر بن عبد الله، ١٤٩٧٨.
(٦) ورد على حاشية المخطوط قول الناسخ: «بلغ، ولله الحمد، قراءةً ومقابلة على شيخنا العارف المؤلّف قدّس سرّه». وكان قبل سطرين قد كتب على الحاشية نفسها وبصورة معاكسة للحاشية السابقة كلمة: بلغ.

كشف السر الغامض
شرح ديوان ابن الفارض

تأليف الشيخ

عبد الغني النابلسي

الكتاب الرابع

قدم له

الدكتور بكري علاء الدين

دراسة وتحقيق خالد الزرعي

كَشْفُ ٱلسِّرِّ ٱلغَامِضِ
شَرْحُ دِيوَانِ ٱبْنِ ٱلفَارِضِ

عنوان الكتـاب: كشف السر الغامض شرح ديوان ابن الفارض (٤-٤)

اسـم المؤلـف: الشيخ عبد الغني النابلسي

تحقيـــق: خالد الزرعي

الموضـــوع: شعر صوفي

عدد الصفحات: 2190 ص

القيـــاس: 17.5 × 25 سم

الطبعـة الأولى: 1000 / 2017 م - 1438 هـ

ISBN: 978-9933-580-60-5

دار نينوى

للدراسات والنشر والتوزيع

سورية - دمشق - ص ب 4650

تلفاكس: 2314511 11 963+

هاتف: 2326985 11 963+

E-mail: info@ninawa.org

ninawa@scs-net.org

www.ninawa.org

 دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع


Ayman ghazaly

العمليات الفنية:

التنضيد والتدقيق والإخراج والطباعة - القسم الفني: دار نينوى

عُمَرُ بنُ الفَارِض

هو أبو حفص، أو أبو القاسم، شرف الدين عمر بن علي بن المرشد الحمويّ الأصل، المصريّ المولد، والدار، والوفاة. المعروف بابن الفارض.

ولقد برع ابن الفارض في فنون الشعر، وأوتي حسّاً شعريّاً مرهفاً عالياً، وتمكّناً من نواصي اللّغة، وبراعة في اختيار الألفاظ، وروائع التركيب، وحُسن الصورة وإبداعها. وكان يمتلك حسّاً نقديّاً متميّزاً تمكن فيه من الحكم بين الشعراء لمّا احتكموا إليه.

يقول خير الدين الزركلي في ترجمة ابن الفارض في كتابه الأعلام معرّفاً به: «أشعر المتصوّفين، يُلقّب بسلطان العاشقين، في شعره فلسفة تتصل بما يسمّى وحدة الوجود».

اعتنى ابن الفارض في ديوانه بعلوم البلاغة؛ بيانها وبديعها، لكنّه ساقها ببراعة الفنّان ومقدرة الشعراء الكبار، حتّى إنّه يبدو للوهلة الأولى كأنّما كان يسوقها عفو الخاطر.

إنّ ابن الفارض في حبه الإلهيّ، يصور أطوار المحبّة الإلهيّة، ويكتشف عجائب الحبّ، وحقائق المعرفة، ويتذوّق عطاءات التجلّيات.

الشيخ عبد الغني النابلسي

الشيخ عبد الغنيّ النابلسيّ، واحد من أولئك الذين لهم تأثيرهم الكبير في الأمّة في عصره وفي العصور اللاحقة؛ ذلك أنّه عالم غزير العلم متنوّعه، فهو مجموعة موسوعات علميّة متعدّدة الجوانب، فإضافة لكونه صوفيّاً هو أكبر شارح للتصوّف، وباعه في الحديث كبير. كذلك هو فقيه حنفيّ يُعتمد رأيه، ويُقرّ اجتهاده. وهو شاعر مكثر، له أربعة دواوين، أكبرها وأهمّها ديوان الحقائق. وهو ناظم كبير لا يعلم عدد أبيات نظمه إلّا الله. وهو مؤرّخ فذّ لرحلاته التي قام بها إلى بغداد وطرابلس الشام، وبلاد الشام ومصر والحجاز. ويكتسب النابلسيّ رتبة مؤرّخ لوصفه الدقيق كلّ أشكال الحياة الموجودة في عصره بدقّة متناهية، فهو يصف البلدة التي ينزل بها، وأولياءها، وعلماءها، ورجالها، ومساجدها، والدروس، والمجالس، وحياتها العلميّة، والاجتماعيّة؛ فيعطينا صورة واضحة يندر وجودها في المصادر الأخرى لتلك الفترة التاريخيّة التي شحّت أخبار الحياة العلميّة بمثلها.

مَا بَيْنَ مُعْتَرَكِ الأَحْدَاقِ وَالمُهَجِ

[البسيط]

وقال قدّس الله سرّه:

١ - مَا بَيْنَ مُعْتَرَكِ الْأَحْدَاقِ وَالْمُهَجِ   أَنَا القَتِيلُ بِلَا إِثْمٍ وَلَا حَرَجِ/ [٣٦٥/ ب]

(ما بين): قال في المصباح: «بين ظرف مبهم لا يبيّن معناه إلّا بإضافته إلى اثنين فصاعداً، أو ما يقوم مقام ذلك كقوله تعالى: ﴿عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [٢/ البقرة/ ٦٨] والمشهور في العطف بعدها أنْ يكون بالواو». ولأنّها للجمع المطلق، نحو: المال بين زيد وعمر. وأجاز بعضهم بالفاء مستبدلاً بقول امرئ القيس:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل   بسقط اللوى بين الدخول فحومل

و(ما): زائدة قبل بينَ. وقوله (مُعْتَرَكِ): بضمّ الميم وسكون العين المهملة وفتح المثناة الفوقيّة. قال في الصحاح: «عَرَكْتُ القومَ في الحرب عَرْكاً، والمُعَارَكَة: القتال، والمُعْتَرَك: موضع الحرب، وكذلك المَعْرَك والمَعْرَكَة والمَعْرُكَة بضمّ الراء. وقوله (الأحداق): جمع حَدَقَة، قال الراغب: «وجمع الحَدَقَة: حَدَاق وأَحْدَاق. وقال في الصحاح: «حَدَقَة العين سوادها الأعظم. والجمع: حَدَق وحِدَاق». وقال في المصباح: «وحدقة العين سوادها، والجمع: حَدَق وحَدَقَات، مثل: قَصَبَة وقَصَب وقَصَبَات. وربّما قيل: حِداق، مثل: رقبة ورقاب». وقوله (والمُهَجِ): جمع مُهْجَة، وهي الدمّ، أو دم القلب والروح، كذا في القاموس. وقال في الصحاح: «المُهْجَةُ الدَمّ. وحُكِيَ عن أعرابي أنّه قال: دَفَنْتُ مُهْجَتَهُ، أي: دَمَهُ. ويقال: المُهْجَة دَمُ القلب خاصّة، يقال: خرجت مهجته إذا خرجت روحه» والمراد: النفوس. يعني: حرب بين سواد العيون من المحبوب ونفوس العشّاق. كنّى بالعيون عن مظاهر تجلّيات الوجود الحقّ، وسوادها كونها آثاراً عدميّة؛ فإنّ الكون كلّه ظلمة،

فهو أحداق الوجود الحقّ من قوله تعالى: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [٢/ البقرة/ ١١٥] ومهج العشّاق نفوسها التي هي قائمة بها، فإنّ العشّاق لهم نفوس يعشقون بها؛ فالمحبّة حجاب عن المحبوب وإنّ كان فيها إقبال عليه وسقوط بين يديه. وقوله (أنا القتيل): أي المقتول بسيوف عيون المحبوب الحقيقيّ، وتعريف المبتدأ أو الخبر للحصر، أي: لا غيري، أو للكمال في صفة المقتوليّة نحو زيد الرجل، أي: الرجل الكامل في صفة الرجوليّة. وقوله (بلا إثمٍ): أي ذنب يرتكبه قاتلي في قتلي. وقوله (ولا حَرَجٍ): مصدر حَرَج الرجل: أَثِمَ، ورجل حَرِجٌ: أَثِمٌ، كذا في المصباح. وقال في القاموس: «الحَرَج، محرّكة: الإثْم». وقال الراغب: «أصل الحَرَج والحراج مجتمع الشيئين، ويصور من ضيق ما بينهما، فقيل للضيق: حَرَج، وللإثم حَرَج، قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا ﴾ [٤/ النساء/ ٦٥] وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [٢٢/ الحج/ ٧٨]. والمعنى: في ذلك أنّه مقتول بلا إثم من قاتله، ولا حرج عليه في قتله، إمّا لأنّ قتله إبطالاً لحياته الوهميّة لتحقّق له الحياة الأبديّة. أو لأنّ قاتله متبصّر في ملكه، عادل في حكمه؛ فلا يسأل عمّا يفعل.

٢- وَدَّعْتُ قَبْلَ الهَوَى رُوْحِي لِمَا نَظَرَتْ عَيْنَاي مِنْ حُسْنِ ذَاكَ المَنْظَرِ البَهِجِ

(ودّعتُ): بتشديد الدال المهملة، يقال: وَدَّعْتُهُ تَودِيعاً، والاسم: الوَدَاع، بالفتح، مثل: سَلَّم سَلاَمَاً، وهو: أن تَشَيِّعَهُ عند سَفَرِه، كذا في المصباح. وقوله (قبل الهَوَى): أي المحبّة. والهَوَى مقصور، مصدر هَوَيته، من باب تعب: إذا أحببته وعَلِقت به، ثمّ أُطْلِق على مَيْل النفس، وانحرافها نحو الشيء، ثمَّ استُعمل في مَيْل مذموم، فيقال: اتَّبَع هواه، كما في المصباح. وقوله (رُوحِي): فصلاً عن جسمي وبقية الأعضاء. يعني: لعلمي بأنّ روحي ذاهبة منّي، منسوبة إلى أمر الله تعالى من قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨٥] فهي

ملتحقة بأمر الله تعالى. وقد زالت نسبتها إلي. وقوله (لِما نَظَرَتْ): اللام للتعليل. وما مصدريّة. وقوله (عَيْنَايَ): فاعل نظرت. والتقدير لأجل نظر عينيَ الثِنْتَيْنِ: عين البصر في عالم الملك الظاهر، وعين البصيرة في عالم الملكوت الباطن. أو ما نكرة موصوفة، أي: لأجل أمر عظيم موصوف بأنّه نظرتْ/ [٣٦٦/ أ] عيناي إليه أو موصولة، وجملة نظرت صلته، والعائد: محذوف، أي: نظرته. وقوله (من حُسْن): بيان لما إنْ كانت نكرة موصوفة، والحُسْن بالضم: الجمال، وقيل هو أثر الجمال الحقيقيّ الظاهر في كلّ شيء، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [٣٢/ السجدة/ ٧] وقوله (ذاك): ذا اسم إشارة. والكاف للبعد. وقوله (المَنْظَرِ): صفة لاسم الإشارة. والمَنْظَر بفتح الميم وسكون النون وفتح الظاء المعجمة مكان النظر، وهو الوجه وغيره. وقال في الصحاح: «النَظَرَ تأمُّل الشي بالعين». وكنّى بالمنظر هنا عن وجه الحقّ في كلّ شيء. وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [٢٨/ القصص/ ٨٨]. وقال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ٢٦] وقال تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [٢/ البقرة/ ١١٥]. وقوله (البَهِجِ): وصف للمنظر، من البَهْجَة، وهو الحُسْن والفرح، شيء بَهِيج وبَهِج. قال الراغب: «البَهْجَة حُسْن اللون، وظهور السرور فيه. وقد ابْتَهَج بكذا، أي: سُرّ به سروراً بان أثره على وجهه.

٣- لله أَجْفَانُ عَيْنٍ فِيكَ سَاهِرَةٍ شَوْقَاً إِلَيْكَ وَقَلْبٌ بَالْغَرَامِ شَجِ

٤- وَأَضْلُعٌ نَحِلَتْ كَادَتْ تُقَوِّمُهَا مِنَ الجَوَى كَبِدِي الحَرَّى مِنَ العَوَجِ

٥- وَأَدْمُعٌ هَمَلَتْ لَوْلَا التَّنَفُّسُ مِنْ نَارِ الهَوَى لَمْ أَكَدْ أَنْجُو مِنَ اللُّجَجِ

(لله): اللام للتعجُّب، وتُستعمل للنداء، كقولهم: يا لَلْماء ولَلْعشب، إذا تعجّبوا لكثرتها. وقوله الشاعر:

فيا لَك من ليل كأنّ نجومه بكلّ مغار الفتلِ شدّت بيذبل

وقولهم: يا لَكَ رجلاً عالماً، وفي غير النداء كقولهم: لله درّه فارساً، ولله أنت. وقول الشاعر:

شبابٌ وشيبٌ وافتقارٌ وثروةٌ فلله هذا الدهر كيف تردّدا

ذكره ابن هشام في المغني. والجار والمجرور خبر مقدّم. مبتدأ مؤخّر، وهي: جمع جَفْن، غِطاء العين من أعلا وأسفل. والجمع: أَجْفُن وأَجْفَان وجُفُون، كذا في القاموس. وقوله (عَيْنٍ): هي الباصرة، مؤنّثة، والجمع: أعْيَان وأَعْيُن وعُيُون، كما في القاموس. والمراد: أجفان عينه. ويكنِّي بالعين عن ذات الوجود الحقّ، وبالأجفان عن صور الكائنات؛ فالأرواح الأجفان العليا، والأجسام الأجفان السفلى؛ فإذا انكسرت الأجفان العليا الروحانيّة النفسانيّة، والسفلى الجسمانيّة كان ذلك من دواعي القبول، ومقتضيات الحُسْن كما ورد: «أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي»[1]

ولنا من هذا القبيل في مطلع قصيدة لنا:

نحن الجفون نحفظ العيونا ونحن أهل الذكر فاسألونا

ولنا من قصيدة أخرى:

يا واحداً ما في العيا نِ له ولا في الغيب ثاني

أنا جفنك المكسور يا عيني ومنك الجبر داني

ولذا يكون الحسن في هذا وفي حور الجنان

وقوله (فيك): خبر مقدّم. وقوله (ساهرة): مبتدأ مؤخّر، والجملة صفة لأجفان، والخطاب للمنظر البهج على طريقة الالتفات من الغيبة إلى الحضور. والسهرعدم النوم في الليل كلّه، أو في بعضه. يقال: سَهِر الليل كلّه أو بعضه: إذا لم ينم فيه، فهو ساهر وسَهْران، كذا في المصباح. وهو كناية عن عدم الغفلة في ظلمة الأكوان بمشاهدة نور الوجود الحقّ، المتجلِّي باسم الرحمن على عرش الأعيان،

---

(١) ذكره السخاوي في المقاصد الحسنة، ١٨٨، وقال: ذكره في البداية للغزالي. وانظر ص٢٩٩.

والتنبّه لـ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ٢٩] وقوله (شوقاً إليك): أي: من جهة الشوق، أو من أجل الشوق إليك، وهو المحبّة الإلهيّة للوجه الإلهيّ من قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [٦/ الأنعام/ ٥٢]. وقوله (وقَلْبٌ): معطوف على أجفان، من التقلّب. والمراد قلبه، إشارة إلى لبّ الروح، وهو العقل الكامل المقبل على الوجود الحقّ تعالى، كما ورد: «أوّل ما خلق الله العقل فقال له: أقبل. فأقبل، ثمّ قال له أدبر / [٣٦٦/ ب] فأدبر»[1] الحديث. فالمقبل قلب، والمدبر نفس. وقوله (بالغَرَام): أي بسببه، وهو: الولوع، والشرّ الدائم، والهلاك، والعذاب، كذا في القاموس. والمراد: شدّة المحبّة. وقوله (شَجٍ): من شَجَاهُ وأَشْجَاهُ: حَزَنَه وطَرَّبَه، [فيهما] ضدّ. وبينهم شجو [: شَجَر]، وأَشْجَاه: قَهَرَه، وغَلَبَه، وأوقعه في حُزن. والشجيّ: المَشْغُول، وشُدِّدَ ياؤه في الشعر، كما في القاموس. ومعناه: مشغول بالغرام. وتقديم الجار والمجرور لإفادة الحصر، أي: لا بغيره. وقوله (وَأَضْلُعٌ): كناية عن الأخلاق كريمة اتّصف بها في طريق الله تعالى، بنى أمره عليها كبناء الجسد على الأضلاع. وقوله (نَحِلَتْ): من نَحَل الجسم يَنْحَل نُحُولاً: سِقُمَ. ومن باب تعب لغة، وأَنْحَلَه الهَمُّ، بالألف، كذا في المصباح. وهو كناية عن ظهور ضعف تلك الأخلاق بتجلّي الحقّ تعالى بحقائقها كما ورد: «تخلّقوا بأخلاق الله»[2]. وقوله (كادت): أي قاربت. وقوله (تُقَوِّمُهَا): أي: تجعلها قويمة، من قَوَّمْتُه: عَدَّلْتُه، فهو قَوِيم ومستقيم، كذا في القاموس. والضمير للأضلع، المكنّى بها عن الأخلاق. وقوله (من الجَوَى): هو هَوَىً باطن، والحُزْن، كما في القاموس. وقوله (كَبِدِي): فاعل تقوّمها. والكَبِد: من الأمعاء معروفة، وهي مؤنّثة، وقال الفرّاء: تُذكّر وتُؤنّث،

---

(١) انظر تخريجه ص١٠٣٨.

(٢) ذكره الألبانيّ في السلسلة الضعيفة والموضوعة، ٢٨٢٢، وقال: «لا أصل له». ولكن يؤيّد هذا المعنى قول السيدة عائشة فيما أخرجه أحمد في مسنده، باب: حديث السيدة عائشة ٢٥٣٣٨، عن عائشة قالت: «كان خلقه القرآن، أما تقرأ، وإنّك لعلى خلق عظيم...» وفي شعب الإيمان للبيهقيّ، ١٤١٠، زيادة: كان.

كذا في المصباح. وقوله (الحرّى): وصف للكبد من الحَرِّ، خلاف البرد، يقال: حَرَّ اليوم، والطعام يَحَرُّ، من باب تعب، وحَرَّ حَرّاً، وحَرُوراً من باب ضرب، وقعد: لغة، والاسم: الحَرَارَة، فهو حَارٌّ، كما في المصباح. وهذه الحرارة في كبده من الحبّ الإلهيّ المستولي عليه. وقوله (من العوج): متعلّق بتقوِّمها، والعَوَج، بفتحتين: في الأجساد، خلاف الاعتدال، وهو مصدر عَوِج، من باب تعب. يقال: عَوِج العُود ونحوه. والعِوَج، بكسر العين في المَعاني، يقال: في الدين عِوَج، وفي الأمر عِوَج، وفي التنزيل: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾ [١٨/الكهف/١] أي: لم يَجعَل فيه، قال أبو زيد في الفرق: وكلّ ما رأيته بعينك فهو مفتوح، وما لم تَرَه فهو مكسور، كذا في المصباح. وتقويم اعوجاج في الأضلع: زوال انحرافها حتّى إلى استقامتها، وتعود إلى أصولها الإلهيّة كما ذكرنا. وقوله (وأدمع): معطوف على أضلع، كناية عمّا يخرج من عين الوجود الحقّ من العلوم بالتجلّيات الإلهيّة، والمراد معه من عين حقيقته. وقوله (هَمَلَتْ): هَمَلَ الدمع والمطر هُمُولاً، من باب قعد، وهَمَلَاناً: جَرَى، كذا في المصباح. وقوله (لولا التنفس): وهو اجتذاب النفس، يقال: اجتذب النفس بخياشمه إلى باطنه وأخرجه. والنَفَس، بفتحتين: نسيم الهواء، والجمع: أنفاس، كذا في المصباح. وكنّى بالتنفُّس عن ظهور نفسه وانفراده بها، لرجوعه إلى الفرق بعد الجمع. وقوله (من نار الهوى): أي المحبّة؛ فإنّها تقتضي نفساً يحبّ بها، فيكون محبّاً، ولهذا قالوا: إنّ المحبّة حجاب عن المحبوب. وقوله (ولم أكد أنجو) أي: أسلم. وقوله (من اللججِ): جمع لجّة. ولجّة الماء بالضمّ معظمه، كذا في الصحاح. والمعنى: لم أكد أنجو من بحار تلك العلوم الإلهيّة الفائضة على من عين وجودي الذي أنا قائم به، فتارة أغرق فيها، وتارة أطفو عليها.

٦- وَحَبَّـذَا فِيـكَ أَسْـقَامٌ خَفِيـتُ بِهَـا ... عَنِّي تَقُوْمُ بِهَا عِنْدَ الهَوَى حُجَجِي

(وحبّذا): قال في القاموس: «حَبَّذا» الأمرُ، أي: هو حَبِيب، جُعِلَ «حَبَّ» و«ذا» كشيءٍ واحِدٍ، وهو اسم، وما بعده مرفوع به، ولَزِم «ذا» «حبّ» وجَرَى

كالمَثَل، بدليل قولهم في المؤنّث حَبَّذا، لا حَبَّذِهِ». وقوله (فيك): الخطاب للمنظر البهج، وهو وجه الوجود الحقّ في كلّ شيء على التنزيه التّام. وقوله (أسقام): جمع سَقْم كعَقْل، وسَقَام، كسحاب. وسَقَم كجَبَل: المرض، سَقِم كفَرِح وكَرُمَ، فهو سَقِيم. ذكره في القاموس. وهو ضعف العرفان، ومرض التحقّق بحقيقة الوجدان/ [٦٦٧/ أ] لظهور القوّة الإلهيّة الحافظة للأكوان، كما قال تعالى: ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [٢/ البقرة/ ١٦٥] فالحوادث بها توجد، وبها تعدم، وبها تظهر جميع الأحوال، والأعمال، والأقوال. قال العفيف التلمساني:

ولولا انخرام الكلّ بالقوّة التي ... لإطلاقها في جمعهنّ قيود

لما عدم الموجود يوماً ولا انقضت ... رسوم بأنواع البلاد وحدود

ولكنّها يأبى النهاية وصفها ... فليس لها في الدور قط جمود

ولو وقفت يوماً بحدٍّ لنا ... به عدم هيهات وهي وجود

ولنا من قصيدة:

داء كوني من علّتي ليس يبرا ... والدواء الدواء محض الجود

وقوله (خفيت بها): أي بسبب تلك الأسقام. وقوله (عنّي): أي عن نفسي بحيث فنيت، فلم أدرِك من ظاهري ولا باطني شيئاً فضلاً عن إدراك غيري. وذلك لتحقّقي بأنّ قوّة إدراكي فانية في تلك القوّة الإلهيّة الحقيقيّة، مثل بقيّة القوى السارية في جميعي؛ وإنّما جمع الأسقام، ولم يقل سقم؛ لأنّ ذلك في كلّ قوّة منه ظاهرة أو باطنة، والضعف الحقيقيّ شامل لجميع قواه. وقوله (تقوم بها): أي بتلك الأسقام المذكورة. وقوله (عند الهوى): أي المحبّة الإلهيّة. وقوله (حُجَجِي): فاعل تقوم، أي: تثبت بها أدلّتي وبراهيني على صدق محبّتي. قال العارف بالله البوصيري قدّس الله سرّه في ميميّة المديح النبويّ:

فكيف تنكر حبّاً بعدما شهدت ... به عليك عدول الدمع والسقم

وأثبـت الوجـد خَطَّـيْ عـبرة وضـنىً مثل البهـار على خديك والعنم

٧- أَصْبَحْتُ فِيكَ كَمَا أَمْسَيْتُ مُكْتَئِبَاً وَلَـمْ أَقُلْ جَزَعَـاً يَا أَزْمَةُ انْفَرِجِي

(أصبحت): أي دخلت في صباح نور الأحديّة، فانمحت ظلمة كوني ظاهراً وباطنا. وقوله (فيك): أي في محبّتك، وشوقي إليك. وقوله (كما أمسيت): أي كالحالة التي دخلت بها في ظلمة كوني، وإنّما جعل مساءه مشبهاً به، وصباحه مشبّهاً، لأنّ مساءه أصل عنده لثبوت عينه فيه، وثبوت عينه أصل. وأمّا انتفاؤه في صباح نور الأحديّة الإلهيّة فهو أمر طارئ عليه. فأخبر أنّ أمره وشأنه في الحالين سواء، ومحبّته الإلهيّة لم تنقص منه باستيلاء الفناء والاضمحلال عليه، كما أنّها كذلك في حالة غفلته، ورجوعه إلى ذاته الكونيّة، وأحواله النفسانيّة. وقوله (مكتئباً): خبر لأصبح وأمسى، على طريقة التنازع. وهو من الكآبة، وهي: الغَمُّ، وسوء الحال، والانكسار من حزن. كَئِبَ، كسَمِع، واكْتَأَب فهو كَئِب وكَئِيْب ومكتئب، كذا في القاموس. فإنّ شهود سطوة الحقّ تعالى غالبة عليه، تمحقه، وتفنيه، وتثبته، وتبقيه. وهي حقيقته التي إليها تؤويه. وقوله (ولم أقل جَزَعاً): أي من جهة الجَزَع، والجَزَع، محرّكة: نقيض الصبر، وقد جَزِع، كفرح، جَزَعاً وجُزُوعاً، فهو جَازِع وجَزِع، ككَتِف، ورَجُل وصَبُور وغُراب، وأَجْزَعَه غَيرُه، كما في القاموس. وقوله (يا أزمة): منادى مبني على الضمّ؛ لأنّه نكرة مقصودة. والأزْمة، بسكون الزاي المعجمة وتحرك الشدّة، وقد ورد في الحديث: «اشتدي أزمة تنفرجي»[1]. وقد نظم صاحب المنفرجة فزيّل بقوله:

اشـتدي أزمـة تنفرجـي قـد آذن ليلـك بـالبلج

وقوله (انفرجي): أي انكشفي، قال في القاموس: «فَرَّج الله الغمّ يَفْرِجُهُ: كَشَفَه

---

(١) انظر تخريجه ص٢٠٥.

كفَرَّجَه. وقال في المصباح: «الفُرْجَة، بالضمّ: في الحائط ونحوه: الخَلَل، وكلُّ موضع مَخَافَة: فُرْجَة، والفَرْجَة، بالفتح: مصدر يكون في المعاني، وهي: الخُلُوص من شِدَّة، قال الشاعر:

ربّـما تكـره النفـوس مـن الأمـ ـر لـه فَرْجَة كحلّ العقال/ [٣٦٧/ ب]

والضمّ فيها اسم. قال ابن السكّيت: هو لك فُرْجة وفَرْجَة، أي: فَرَج. وزاد الأزهري وفِرْجه وفَرَّجَ الله الغمّ، بالتشديد: كَشَفه، والاسم: الفَرَج، بفتحتين. وفَرَجَهُ فَرْجاً، من باب ضرب، لغة. وعدم قوله ذلك نقصان من بشريّته بالنسبة إلى بشريّة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم الذي قال: «اشتدي أزمة تنفرجي»[١]؛ لأنّه صلّى الله عليه وسلَّم كامل البشريّة مع كمال الملكيّة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [١٨/ الكهف/ ١١٠] وكامل البشريّة من غير الأنبياء عليهم السلام لا يقدر أن يثبت لظهور التجلّيات الملكيّة فيه إلّا وتنقص بشريّته لنقصان إدراكه في نفسه، ولهذا لمّا مات ابن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم إبراهيم بكى عليه النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وقال: «إنّ العين لتدمع، وإنّ القلب ليحزن، وإنّا لمحزونون عليك يا إبراهيم»[١]. ولمّا مات بعض الأولياء ضحك، فقيل له في ذلك، فقال: «ألا أفرح بأمر إرادة الله تعالى». فجرى على خلاف مقتضى البشريّة، والنبيّ صلّى الله عليه وسلّم جرى على مقتضى البشريّة مع جريانه على مقتضى الولاية والنبوّة والرسالة، ولم ينقص منه شيء من ذلك في جميع أطواره، صلّى الله عليه وسلّم. كما ورد أنه صلّى الله عليه وسلّم كان يقول في يوم بدر: «اللهم إنْ تهلك هذه العصابة فلن تُعبد في الأرض بعد هذا اليوم»[٢] إظهاراً للجزع البشريّ، وكان الصدِّيق رضي الله عنه يقول له: «لا تجزع إنّ الله لا يخلف لك الميعاد». ونحو ذلك. وقد

---

(١) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب الجنائز، باب: قول النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «إنّا بك لمحزنون».

(٢) أخرجه الهيثميّ في مجمع الزوائد، المجلّد السادس، ١٠٣١١، كما أخرجه أحمد في المسند، باب: مسند عمر بن الخطاب، ٢١ بلفظ مشابه.

وقع لي في ابتداء السلوك أنّه مات لي ابن، لم يكن لي غيره، فكان يغلب الضحك عليّ في وقت مشاهدة تغسيله وتكفينه ودفنه فرحاً بمراد الله تعالى، حتّى أتى صديق لي يريد تعزيتي وتسليتي، فرآني على تلك الحالة من الفرح، فعجب من ذلك، وهو لا يعلم بحالي، ثمّ زال عنّي ذلك الحال، فعلمت نقصانه، ولكن السلوك له أطوار يقتضيها، فمنها ذلك. والله أعلم بما هنالك.

٨- أَهْفُو إِلَى كُلِّ قَلْبٍ بِالْغَرَامِ لَهُ شُغْلٌ وَكُلِّ لِسَانٍ بِالْهَوَى لَهِجِ

٩- وَكُلِّ سَمْعٍ عَنِ اللَّاحِي بِهِ صَمَمٌ وَكُلِّ جَفْنٍ إِلَى الإِغْفَاءِ لَمْ يَعُجِ

(أهفو): من هَفَا هَفْواً وهَفْوَةً وهَفَوَانَاً: أسرع، وهَفَا الفُؤاد: ذَهَبَ في أثِرِ الشيء، وطَرِبَ، كذا في القاموس. يعني: أسرع مَيْلاً، وأذهب طرباً. وقوله (إلى كلّ قلب): يعني من قلوب الناس. وقوله (بالغرام): أي بسبب المحبّة الإلهيّة. وقوله (له): أي لذلك القلب. وقوله (شُغْلٌ): أي اشتغال. وقدم المجرور، وهو بالغرام عليّ متعلقة، وهو شغل الإفادة الحصر، أي: لا شُغْل له إلّا بالغرام، وهو قلب السالك في طريق الله تعالى الذي لا اشتغال لقلبه إلّا بمحبّة الله تعالى. ويلزم من ذلك أنّ الله تعالى يحبّه، من قوله سبحانه: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ﴾ [٥/ المائدة/ ٥٤] ولا يحبّهم حتّى يتقرّبوا إليه بالنوافل، كما في الحديث القدسي: «لا يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتّى أحبّه»[1] ولا يحبّونه حتّى يحبّهم؛ ولهذا قدّم يحبّهم على يحبّونه في الآية. وقوله (وكُلِّ) بالجرّ: عطف على كلّ قلب. وقوله (لسانٍ بالهَوَى): أي المحبّة الإلهيّة. وقوله (لَهِجِ): صفة لسان، يقال: لَهِجَ بالشيء لَهَجاً، من باب تعب: أُولِع به، كذا في المصباح. كناية عن كثرة الهوى والمحبّة؛ فإنّ من أحبّ شيئاً أكثر من ذكره. وقوله (وكُلِّ سَمْعٍ): معطوف أيضاً على كلّ قلب. والسَّمْع حسُّ الأُذُنِ والأُذُنُ، ويكون للواحِد والجمع، وجمعه: أَسْماع وأَسْمُع، وجمع الجمع: أَسَامِع،

(١) انظر تخريجه ص١٤٦.

كذا في القاموس. وقوله (عن اللَّاحِي): أي اللائم الذي يلوم على المحبّة، قال في القاموس: «لَحَيْتُه كسَعَيْتُه: ألْحَاه لُمْتُه». وقوله (به صمم): أي بذلك السمع. والصَمَم، محرَّكة: انْسِدَاد الأُذُن: وثِقَل السمع، كما في القاموس. وقوله: (وكُلِّ جَفْن): معطوف على كلّ قلب، والجَفْن هو غطاء العين من أعلى وأسفل، وجمعه: أجْفن وأَجْفَان وجُفُون، كما في القاموس/ [٣٦٨/ أ] وقوله (إلى الإغْفَاء): أي النوم، يقال: غَفَا غَفْوَ وغُفُوّاً: نام، والجار والمجرور متعلّق بقوله بعده. (لم يَعُج): أي لم يمل، ولم ينزوِ. والمعنى: إنّه يسرع بطرب ونشاط، ويميل دائماً إلى أمثاله من عشاق الملاحة، أولي القلوب المشغولة بالمحبّة الإلهيّة. والألسنة اللَهِجةَ بالأشواق الربّانيّة، والأسماع المعرضة عن العواذل واللوائم، والأجفان المواظبة على سهر الليالي من غلبة حرارة القلب الهائم، قال القائل:

لا تَلُمْ صبوتي فمن حبّ يصبو ... إنّما يرحم المحبّ المحبّ
كيف لا يوقد النسيم غرامي ... وله في خيام ليلى مهبّ

١٠- لَا كَانَ وَجْدٌ بِهِ الآمَاقُ جَامِدَةٌ ... وَلَا غَرَامٌ بِهِ الأَشْوَاقُ لَمْ تَهِجِ

(لا كان): أي وجد، فعل من كان التامّة، والجملة دعائيّة. وقوله (وَجْدٌ): فاعل كان، يقال: وَجَدَ به في الحبّ، وكذا الحُزْن لكن يكسر ماضيه، كذا في القاموس. والمعنى: هنا زيادة الميل والمحبّة إلى الحضرة الإلهيّة، وتنكيره للتعظيم بحسب متعلّقه، والمطلوب من ذلك أنْ يكون شديد الحرقة، بحيث يُذري الدموع، وينحلّ الجسم، ويسقمه من كثرة الوُلوع، كما قال البوصيري قدّس الله سرّه:

فكيف تنكر حبّاً بعدما شهدت ... به عليك عدول الدمع والسقم
وأثبت الوجد خطّيْ عبرة وضنى ... مثل البهار على خديك والعنم

وقوله (به): أي بسببه، أو بملابسته ومصاحبته. وقوله (الآماق): جمع مُؤْق، قال في المصباح: «مُؤْق العَيْن، بهمزة ساكنة، ويجوز التخفيف: مقدّمها، والماق لغة فيه. وقيل المُؤْق: المؤخّر، والماق، بالألف: المقدّم». قال الأزهري: أجمع أهل اللغة

أنّ المؤق والمآق: حرف العين الذي يلي الأنف، وأنّ الذي يلي الصدع، يقال له اللحاظ. والمآقي لغة فيه. وجمع المؤق: أمْآق بسكون الميم مثل قُفْل وأقْفَال، ويجوز القلب فيقال: أمآق، مثل أبآر وآبَار. وقوله (جامدة): يقال جَمَدتْ عينُه: قلّ دمعها، كناية عن قسوة القلب، كذا في المصباح. والجملة صفة وجد، قال الشاعر:

إنّـــما حـــلي المحبِّـــين البكـــا أي فـــضل لـــسحاب لا يـــسحّ

يقال: حَلِيَتِ المرأةُ حَلْيًا، ساكن اللام: لَبِسَت الحَلْيَ، وجمعه حُلِيّ بالتشديد، كذا في المصباح. وقال: الآخر مضمّنا للمثل المشهور:

كـــأنّ دمعـــي عـــلى هـــواك لجـــين فأحالتـــه نـــار قلبـــي نـــضاراً

حليـــة لا أعيرهـــا لمحـــبّ شـــغلاً لِحـــليٍّ أهلـــه أنْ يُعـــادا

وقوله (ولا غرام): أي ولا كان غرام، أي: وجد أيضاً. والغرام: من أُغْرِم بالشيء، بالبناء للمفعول: أُولع به، فهو مُغْرَم، كما في المصباح. وقال في القاموس: «الغَرَام الوُلوع، والشَرّ الدائم». والمراد الأوّل. وتنكيره للتعظيم أيضاً. وقوله (به الأشواق): جمع شوق، والباء للسببيّة أو الملابسة والمصاحبة. وقوله (لم تَهِجِ) يقال: هَاج الشيءُ هَيَجَانَاً وهِيَاجَاً بالكسر: ثار. وهِجْتُهُ يتعدّى ولا يتعدّى، وهَيَّجْتُهُ، بالتثقيل: مبالغة، كذا في المصباح.

١١ - عَذِّبْ بِمَا شِئْتَ غَيْرَ البُعْدِ عَنْكَ تَجِدْ أَوْفَى مُحِبٍّ بِمَا يُرْضِيكَ مُبْتَهِجِ

(عَذِّبْ): فعل أمر من عَذَّبْتُهُ تَعْذِيباً: عاقبته. والاسم: العَذَاب، وأصله في كلام العرب: الضَرب، ثمّ استُعمل في كلّ عقوبة مُؤلِمة، واستُعير للأمور الشاقّة، فقيل: «السفر قطعة من العذاب»[1] كذا في المصباح. والخطاب للمحبوب الحقيقيّ الذي خاطبه فيما سبق.

وقوله (بما شئت): أي أردته من أنواع العذاب، فألمه مستعذب لديه/

(١) أخرجه مالك في الموطأ، كتاب: الاستئذان، باب: ما يؤمر به من العمل في السفر، ١٨٠٥.

[٣٦٨/ ب]، فآية الاستعذاب، وسببه معرفة الفاعل؛ فإن العاشق إذا وقع به ضرب شديد في ظلمة يتألّم تألّماً شديداً بمقتضى الطبع، فإذا انكشفت عنه تلك الظلمة فوجد محبوبه، هو الذي يضربه ذلك الضرب الشديد ينقلب ذلك العذاب عذوبة، ويشغله شهود جمال الوجه عن إدراك ألم العذاب، على خلاف مقتضى الطبع، قال الشاعر الغائب عن إدراك المشاعر:

ولقد ذكرتك والسيوف تنوشني ... عند الإمام بساعد مغلول

فوددت تقبيل السيوف لأنّها ... لمعت كبارق ثغرك المعسول

وقال الآخر:

ويا ليت ليلى في المنام ضجيعتي ... لدى الجنّة الخضراء أو في جهنّم

وقوله (غيرَ البعد): بدل من ما؛ فإنّ البعد حجاب، وهو على قسمين: حسّي، كطول المسافة بينه وبين محبوبه. وبعد معنويّ، وهو الاشتغال عن المحبوب بسواه. والبعد بقسميه يقتضي إدراك ألم العذاب، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [٨٣/ المطففين/ ١٥]. وقوله (عنك): متعلّق بالبعد؛ لأنّه مصدر بَعُدَ الشيءُ، بالضمّ، بُعْداً فهو بَعِيد، كذا في المصباح، قال الشاعر ابن عنين[1]:

لو عاقبوا في الهوى بسوى النوى ... لرجوتهم وطمعت أنْ أتصبّرا

عبء الصدود أخفّ من عبء النوى ... لو كان لي في الحبّ أن أتخيّرا

---

(١) محمد بن نصر الله بن مكارم بن الحسن بن عُنَيْن، أبو المحاسن، شرف الدين، الزرعي الدمشقيّ الأنصاري: أعظم شعراء عصره، مؤرّخ، أخذ الحديث عن ابن عساكر. مولده ووفاته في دمشق (٥٤٩-٦٣٠)هـ. كان يقول إن أصله من الكوفة، من الأنصار. وكان هَجَّاءً، قلّ من سلم من شره في دمشق، حتى السلطان صلاح الدين والملك العادل. ونفاه صلاح الدين، فذهب إلى العراق والجزيرة وأذربيجان وخراسان والهند واليمن ومصر. وعاد إلى دمشق بعد وفاة صلاح الدين فمدح الملك العادل وتقرب منه. وكان وافر الحرمة عند الملوك. وقد حقّق ديوان ابن عُنَيْن الشاعرخليل مردم بك، ١٩٤٦م انظرسير أعلام النبلاء للذهبي٢٢/ ٣٦٣، والوافي بالوفيات ٥/ ٨٣ والأعلام للزركلي٧/ ١٢٥.

وقوله (تجدْ): فعل مضارع مجزوم في جواب الأمر، وهو قوله: (عَذِّبْ). والخطاب للمحبوب كما ذكرنا، وهو من الوجدان، قال في القاموس: «وَجَدَ المَطْلوب، كوَعَد ووَرِم: يَجِدُه، ويَجُدُه، بضمّ الجيم: أدركه». وقوله (أوفى محبّ): مفعول تجد، أي محبّاً أكثر وفاء بالعهد من غيره، وهو عهد الربوبيّة المأخوذ على التزام العبوديّة في قوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [٧/الأعراف/١٧٢]. وقوله (بها): أي بكلّ أمر متعلّق بأوفى. وقوله (يُرْضِيكَ): أي ترضى به، وقوله (مُبْتَهِجِ): وصف لمحبّ، من ابتهج بالشيء: إذا فرح به.

١٢- وَخُـذْ بَقِيَّـةَ مَـا أَبْقَيْـتَ مِـنْ رَمَـقٍ   لَا خَيْرَ فِي الحُبِّ إنْ أَبْقَى عَلَى المُهَجِ

(وخُذْ): خطاب للمحبوب، كما ذكرنا. وقوله (بَقِيَّةَ) مفعول خذ. وقوله (ما أَبْقَيْتَ) أي: بقيّة شيء أبقيته. وقوله (مِن رَمَق): من بيان لما، والرَمَق بالتحريك، قال في المصباح: «الرَمَق بفتحتين: بقيّة الروح. وقد يُطلق على القوّة». ويُكَنَّى بذلك الرَمَق عمّا بقي من نفسه وروحه الذي يجذبها الحقّ تعالى إليه، بحكم أنّها نفخ من روحه، كما قال سبحانه: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [١٥/الحجر/٢٩] ويجذبها المحبّ إليه من حكم قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ [١٦/النحل/١١١]. ومقام المحبّة الإلهيّة يقتضي هذا التجاذب والنزاع الشديد من الطرفين، حتّى قلنا في مطلع مرثيّة لنا:

بنـي قومنـا إنّ الحيـاة خـداع   وكـلّ اجـتماع في الأنـام وداع

وفي هذا الوقت وردت علينا هذه الأبيات الكاشفة عن مقام الحبّ والمحبوب المشار إليه بقوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [٥/المائدة/٥٤] فيحبّهم فهم محبوبون، ويحبّونه فهم مُحِبُّون؛ فالمحبوب في جمال، والمحبّ في جدال. والأبيات هي قولنا:

لقـد أوقعـت دعـوى المحبّـة في الـبلا   علـى حكـم مـا يـرضي الهـوى ويـروم
يجـاذب روحـي أمـره فهـي ر وحـه   ويجـذبها نفـسي لهـا فتقـوم
فيـا نفـسي الأمّـارة اتئـدي هنـا   إلى كـم نـزاع في الحيـاة تـدوم

وآخره موت المحبّ فإنْ يمت فذلك محبوب لديه علوم
تلوح نجوم الأفق في مائنا وإن ففي الماء تخفي والنجوم
وليس هما شيئين يا نفسي افهمي كلامي فكم حارت بذاك فهوم
وضلّت بدعواها التي هي ماؤها كما نحن قلنا والغبيّ ملوم

وقوله (لا خَيْرَ في الحُبِّ): بالضمّ، اسم من حَبَبْتُهُ أَحِبُّهُ، من باب ضرب، وحَبِبْتُهُ أَحِبُّهُ، من باب تَعِبَ، لغة، كذا في المصباح. والمراد المَحَبَّة. وقوله (إنْ أبقى على المُهَجِ): أي إنَّ أفضل فضلة من المهج. قال في المصباح: «بَقِيَ من الدَّيْنِ كذا: فَضَلَ وتَأَخَّر. وتَبَقَّى، بالتشديد: مثله، والاسم: البَقِيَّة، وجمعها: بَقَايا وبَقِيَّات، مثل: عَطِيَّة وعَطَايا وعَطِيَّات. والمُهَج: جمع: مُهْجَة، قال في القاموس: المُهْجَة: دم القلب والروح.

١٣- مَنْ لي بِإتْلَافِ رُوْحِي فِي هَوَى رَشَإٍ حُلْـوِ الـشَّمَائِلِ بِـالأَرْوَاحِ مُمْتَـزِجِ

(من لي): من اسم استفهام، مبتدأ. ولي: جار ومجرور خبره. يعني: أي إنسان يعنيني ويساعدني. وقوله (بإتلاف): أي بسبب إهلاك وإفناء وإعدام. وقوله (روحي): أي نفسي الناطقة. قال في المصباح: «مذهب أهل السنّة أنّ الروح هو النفس الناطقة المستعدّة للبيان، وفهم الخطاب، ولا يفنى بفناء الجسد. وأنّه جوهر لا عرض، ويشهد له قوله تعالى: ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [٢/ البقرة/ ١٥٤] والمراد هذه الأرواح». والمعنى: بإتلاف الروح هنا شهود الأمر الإلهيّ القيوم عليها بلا واسطة؛ فإنّه حقّ لأنّه محقّق بنفسه، في نفسه، وهي محقّقة بالأمر الإلهيّ لا بنفسها؛ فهي فانية مضمحلّة في نفسها، وهي عند نفسها عدم صرف؛ وإنّما تحقّقها بظهور الأمر فيها كظهور النور في الظلمة. وقوله (في هوى): أي محبّة، متعلّق بإتلاف. وقوله (رَشَإٍ): الرَشَأُ مهموز: ولد الظبية إذا تحرّك ومشى، والجمع: أَرْشَاء، مثل: سبب وأسباب. وقال في القاموس: «الرَّشَأ محرّكة: الظبي إذا قَوِيَ ومَشَى مع أمّه» وهو كناية هنا عن مقدار ما يظهر للمحبّ الإلهيّ في تجلّي

محبوبه الحقّ المطلق عليه من معاني الجلال والجمال والكمال؛ فإنّ المخلوق لا يقدر أنْ يدرك من الحقّ تعالى إلّا مقدار استعداده، وذلك المقدار صورة معنى كوني غير ذلك لا يكون، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [٢٠/ طه/ ٥٠] وقال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾ [٦/ الأنعام/ ٩١] ومن هنا قول الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه:

وندرك منه في أتمّ صفاتنا كما يدرك الخفاش من باهر الشمس

والخفاش لا يدرك من باهر الشمس شيئاً؛ وإنّما يدرك ظلمة منسوبة عنده بأنّها نور الشمس. وهي ليست بنور الشمس؛ وإنّما ذلك أثر أظهره نور الشمس في بصر الخفاش، بسبب قوّة نورانيّة الشمس، وشدّة ضعف بصر الخفاش يُمحى تارة، ويثبت أخرى، فأشبه الرشأ عند الناظم قدّس سرّه لنفوره واستئناسه عند ناسه وغير ناسه، قال تعالى: ﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [١٣/ الرعد/ ٣٩] والكتاب كلّ شيء، وأمّه الوجود الحقّ المتجلّي على الدوام في لوح المحو والإثبات، وهو حضرة الإمكان. وفيها جميع الأكوان حروف تحمل معاني مركّبة وبسيطة في مراتب المباني. وكما أنّ الرشإ وأمّه مسكنهما الفلوات والصحارى البعيدة عن العمران، والقرى والبلدان مساكن الإنسان. كذلك هذه الحضرة المكنّى عنها بالرشأ لا تظهر إلّا بعد الخروج عن عوالم الصور الجسمانيّة والمعنويّة، وعمران قيود الشهوات واللذائذ الجسمانيّة والروحانيّة، ولهذا قال بإتلاف روحي. يعني: فضلاً عن جسمي. وقد تعرّض الشيخ الأكبر، قدّس الله سرّه، لمن أثبت عند نفسه وجود ربّه تعالى بالدليل والبرهان، فقال من جملة أبيات له:

أقول لمن يدل على وجود تحقّقه ببرهان الأفول / [٣٦٩/ ب]
أصبت وتلك حجّتكم على من يحيد عن الإصابة بالنكول
وقد قام الدليل بأنّ شمس الـ ـنهار سنا النجوم بكلّ قيلِ
دليل الكشف في كون مقيم وعند الفكر في رسم محيل

فهـــذا عابـــد ربّـــاً بكـــشف وهـــذا عابـــد ولـــد العقـــول
ولم يولـــد فكيـــف الأمـــر قـــل لي ولـــيس لهـــم ســـواه مـــن دليـــل

فعابد ربّه بالكشف، والعيان عابد للمثل المضروب له، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [١٦/ النحل/ ١٠] في السموات والأرض، وهو على بصيرة من أمره، وعابد ربّه بالدليل والبرهان، جامد على ما ولّده من عقله. يعبده بحجته المفهومة له من نصوص نقله؛ لأنّ عمدته الفكر في كلّ رسم محيل من رسوم الكائنات. وعمدة صاحب الكشف على التحقّق بالوجود الذي قامت به الأرض والسموات؛ فالكلّ عند نفسه مفقود. وهو بالوجود الحقّ موجود. فربّ صاحب الدليل عقلي مفهوم، وربّ صاحب الكشف محسوس معلوم. وقوله (حلو الشمائل): جمع شِمَال: وهو الطَّبْع والخُلُق، قال في القاموس: الشِمال الطَّبْع، وجمعه شَمَائِل». وقال في المصباح: «والشَمال الخُلُق». والمعنى: أنّ شمائله، أي: أخلاقه بمعنى صفاته وأسمائه، كما ورد عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: «إنّ لله تعالى مائة وسبعة وعشرين خلقاً من أتاه بخلق منها دخل الجنّة»[1] رواه الحكيم عن أبي يعلى في مسنده، والبيهقي في شعب الإيمان عن عثمان بن عفان رضي الله عنه. ذكره السيوطي في الجامع الصغير. قوله (حلو الشمائل): أي أخلاقه لذيذة الآثار، لطيفة الأسرار، واهية الأنوار؛ وهو معنى قوله (الحسنى) قال تعالى: ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [٢٠/ طه/ ٨] قال في القاموس: «الحُسْنى ضدَّ السوأى». وقوله (بالأرواح): جمع روح، معلّق بممتزج. وقوله (ممتزج) بالجرّ: صفة لرشإ. وامتزاجه بالأرواح بكلّ شيء، كناية عن كون كلّ شيء مصوّراً بتجلّي اسمه المصوّر. قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ [٥٦/ الحشر/ ٢٤]. ومنه قوله

---

(١) ذكره الهيثميّ في مجمع الزوائد، المجلّد الأول، ٩٩، وقال: فيه عبد الواحد بن زيد، وهو ضعيف جدًا، كما ذكره المناوي في شرح الجامع الصغير، ٢٣٦٤.

تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾ [٦/ الأنعام/ ٢]. وللشيخ الأكبر قدّس الله سرّه من جملة أوراده قوله: «هوية سارية، مظاهر بادية، وجود وعدم، صمت وصمم». إلى آخر قوله. فقوله: (وجود وعدم) يبيّن قوله: (هوية سارية). يعني: وجوداً حقّاً، سارياً فيما قدّر، وصوراً من العدم الصرف؛ فلا حلول ولا اتّحاد. وقال الشيخ عبد الهادي السودي اليمنيّ، قدّس الله سرّه، من أبيات له:

لو تجلّت عنهم ظلم ... وانمحوا عن عالم الصور
شاهدوا معناك منبسطاً ... سارياً في سائر الفطر

ولنا في هذا المعنى قولنا:

إنّ الوجود بموجوداته امتزاجاً ... وهماً بغير امتزاج فاعرف الدرجا
رفيعها درجات كلّهن له ... ذو العرش عرش محيط بالعوائم جا
وهي المراتب فيها نازل أبداً ... مراتب عنه عنها كلّها خرجاً
وهي اعتباراته في نفسه ظهرت ... به له منه بالترتيب لا عوجاً
وكلّها عدم وهو الوجود لها ... يضاف عند أولي عقل وأهل حجا
وإنّما هي تحقيقاً تضاف له ... عندي كما جاء في القرآن منبلجا
لله ما في سموات كذلك ما ... في الأرض بل كلّ شيء هكذا لهجا
ولم يزل هو فيما فيه من أزل ... من التنزّه عنها فانشق إلّا رجا
فإنْ عرفت فقل ما شئت فيه وإنْ ... جهلته فالزم التقييد والحرجا
جلّ الوجود الذي لا غير طلعته ... في كلّ شيء كنور والجميع دجا
كالبحر والكلّ كالأمواج منه له ... منزّه هو عنها فاحذر
وافهم كلامي كفهمي أو فدعه ولا ... تتبع أُلي الجهل فينا واترك الهمجا
إنّا علمنا وكنّا جاهلين به ... فنعرف الجهل إذ منه الفؤاد نجا

والجاهلون به من قبل ما علموا به فلا يعرفون العلم والنهجا
الله أكبر هذا وجه خالقنا فينا بدا فرأينا الضيق والفرجا
ونحن منه تقادير نلوح به فأهل يأس وإقناط وأهل رجا
مقدر نفسه أشياء ظاهرة به له من أباه أو إليه لجا

١٤- مَنْ مَاتَ فِيهِ غَرَامَاً عَاشَ مُرْتَقِيَاً مَا بَيْنَ أَهْلِ الهَوَى فِي أَرْفَعِ الدَّرَجِ

(من مات فيه): أي في محبّة ذلك الرشإ المذكور في البيت قبله. وقوله (غراماً) تمييز. والغرام: الولوع. وقال الراغب: «الغرام: ما ينوب الإنسان من شدّة ومصيبة». والمعنى بذلك هنا: المحبّة الإلهيّة. وقوله (عاش مُرْتَقِياً): حال من فاعل عاش، يقال: رَقِيَ إليه كرَضِي، رَقْيَاً: صَعِدَ، كارْتَقَى وتَرَقَّى، كذا في القاموس. وقال في المصباح: «رَقِيْتُ السطحَ والجَبَلَ: عَلَوْتُهُ: يتعدّى بنفسه». وقوله (ما بين أهل الهوى): أي المحبِّين الإلهيِّين. وقوله (في أرفع الدَّرَج): جمع درجة، قال في المصباح: «الدَّرَجُ: المَرَاقِي، في الواحدة دَرَجَة، مثل: قَصَب وقَصَبَة». والمعنى: بالموت هنا في محبّة المحبوب المكنّى عنه بالرشأ: الموت الاختياري بفناء الأنانيّة النفسانيّة، والتحقّق بوفاء المعهود الربّانيّة، قال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [٣٣/ الأحزاب/ ٢٣] وقضى نحبه: أي مات، كما أشار إليه الراغب. وللشيخ الأكبر قدّس الله سرّه: حدّث الشيخ أبونا عن أبيه عن قتادة عن عطاء بن يسار عن سعد بن عبادة أنّ «من مات محبّاً فله أجر الشهادة»[1] ثمّ قد جاء بأخرى مثل هذا وزيادة، عن فضيل ابن عياض، وهو من أهل الزهادة: «إن من مات خليّاً كانت النار مهاده»[2] والموت

---

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق، باب: الحسن بن هارون بن عيس، ١٣/ ٤٣٦.
(٢) انظر دووابن الشعر العربي على مرّ العصور من أشعار ابن عربي، ٥/ ٢٩.

الاختياري المذكور هو الموت الاضطراري المشهور، قال تعالى: ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [٤٤/ الدخان/ ٥٦] ولهذا كان شهداء المحبّة الذين قتلوا بسيوف المجاهدة الشرعيّة التي قال تعالى فيها: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ [٢٩/ العنكبوت/ ٦٩] أي: الطرق الموصلة إلى التحقّق بنا، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [٣/ آل عمران/ ١٦٩] وفي الحديث «موتوا قبل أنْ تموتوا»[١] يعني: موتوا اختياراً قبل أنْ تموتوا اضطراراً. وفي الحديث أيضاً: «فإنّكم لن تروا ربّكم حتى تموتوا»[٢] أرفع الدرج كمن قوله تعالى: ﴿ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [٣/ آل عمران/ ١٦٣]. فإنّ الخلق كلّهم درجات عنده تعالى، له تعالى بعضها فوق بعض، فمن كان منها متوجّهاً إلى أسفل يسمّى دركات. والأسفل له تعالى أيضاً كما في الحديث: «لو دلّيتم بحبل لوقع على الله»[٣] وهم الكافرون والمنافقون. قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [٤/ النساء/ ١٤٥] ومن كان متوجّهاً إلى أعلى يسمّى درجات. والكلّ درجات. ولكن التوجّه إليه تعالى يختلف باختلاف الناس، قال تعالى: ﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ ﴾ [٤٠/ غافر/ ١٥] ثمّ بيّن الرفع في الدرجات للمتوجّه إليه تعالى إلى الأعلى بقوله: ﴿ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ ﴾ [٤٠/ غافر/ ١٥] فإنّ روح المتوجّه إلى الأسفل روحه من خلقه تعالى، لا من أمره، وهي النفس على من يشاء من عباده، وهو الفتح الإلهيّ من قوله تعالى: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ [٣٥/ فاطر/ ٢] والرحمة هي الوجود الحقّ الظاهر على كلّ موجود من قوله تعالى: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ﴾ ـ أي ذاته ـ ﴿ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ [٦/ الأنعام/ ٥٤] والمكتوب/ [٣٧٠/ ب] هو أعيان الممكنات

---

(١) انظر تخريجه ص٢٨٢.

(٢) انظر تخريجه ص٥٨٨.

(٣) ذكره الهيتمي في الزواجر عن اقتراف الكبائر ١/ ٧٦، بلفظ: «لو أدليتم...». انظر ص٦٧٣ + ٩٧٧.

الثابتة غير المنفيّة، وهي المعدومات في أنفسها قبل أن تظهر بالوجود الحقّ لا بنفسها، ولا مثالها من الممكنات، وقال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا﴾ ـ أي: أحقق بكتابتها ـ ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٥٦] بأنّ أكشف لهم أنّهم تلك الكتابة فيها، وإلقاء الروح من الأمر الإلهيّ، كما قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨٥] وذلك هو العلم بنفوسهم لا بأرواحهم، إنّما يكون ذلك الإلقاء وحياً نبويّاً في حقّ الأنبياء المعصومين، عليهم السلام، إذا كان بشرائع الأحكام، وإلهاماً اصطفائيّاً في حقّ الأولياء المحفوظين، وورثتهم من أتباعهم المقرّبين بالتوفيق، والعناية في مقام الإحسان والأيمان والاسلام.

١٥- مُحَجَّبٌ لَوْ سَرَى فِي مِثْلِ طُرَّتِهِ أَغْنَتْهُ غُرَّتُهُ الغَرَّا عَنِ السُّرُجِ

(مُحَجَّبٌ): بتشديد الجيم: اسم مفعول، من حَجَّبَهُ بالتشديد: إذا ستره، وأصله من حَجَبَه، من باب قتل: منعه، قيل للسِتر: حِجَاب؛ لأنّه يمنع المشاهدة. وقيل للبوّاب حاجب؛ لأنّه يمنع من الدخول، والأصل في الحِجَاب: جسم حائل بين جسدين، وقد استُعمل في المعاني فقيل: العَجْز حِجَاب بين الإنسان ومراده، والمعصية حجاب بين العبد وربّه، كذا في المصباح. وهو مجرور صفة لرشأ في البيت السابق. والمعنى في ذلك أنّ النفوس تستره وتحجبه عليها بأنفسها، لا هو محجوب في نفسه؛ لأنّ المحجوب اسم مفعول باستيلاء شيء عليه أعظم منه ولا أعظم من الحقّ تعالى؛ بل لا عظيم معه تعالى، فضلاً عن الأعظم، ولولا أنّ النفوس في أصلها أعرضت عنه تعالى ونسيته، فليست حقارتها في عظمته، كما قال تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ [٧/ التوبة/ ٦٧] ما حجبته عنها، وسترت ظهوره بظهورها به، ولنا من هذا القبيل قولنا:

شرَّف ناسوتي بلاهوته من جلّ عن نعتي ومنعوته

بحجب خلف ستور الورى صدّ الفتى ينبيك عن صوته

عنه به الأفكار مشغولة تحصيلها دلّ على فوته

وكلّ من قد مات في حبّه أدرك ما يرجوه في موته

ولنا من جملة قصيدة:

وفاض نحن علينا البحر فامتلأت به بواطننا من غير أعواز

وزال لبس العمى عنّا بطلعته بنا وهم أسر البأس والغاز

والحقّ حاجبهم عنه بأنفسهم مقيّدين بألقاب وأنباز

وأمرهم عنه ممتاز بما زعموا وأمرنا نحن عنه غير ممتاز

ولنا من أخرى:

وجهه يوجب الفنا إنكشافاً والفنا فيه يغسل الأوساخا

لا تقل وجهه تحجب عنّي هو بالعزّ لم يزل شمّاخاً

إنّما أنت خلف حجاب عاجزاً عن شهوده وخواخا

ولنا من أخرى:

لا تدع يا برق منّي أثراً أثر العين يزيد الوجعا

لي حبيب هو بي محتجب وهو لا يبدو ولا أبدو معاً

بين تنزيه وتشبيه له حضرة حيَّرت المطّلعا / [٣٧١/ أ]

وقوله (لو سرى): أي سار ليلاً، قال في القاموس: «السُرَى كالهُدَى: سَيْر عامّة الليل». وقال في المصباح: «سَرَيْنا سُرْية من الليل، وسَرْيَة، والجمع: السُّرَى، مثل: مُدْيَة. قال أبو زيد: ويكون السُّرَى أوّل الليل وأوسطه وآخره. وقد استعملت العرب سَرَى في المعاني تشبيهاً لها بالأجسام مجازاً واتساعاً، قال تعالى: ﴿إِذَا يَسْرِ﴾ [٨٩/ الفجر/ ٤]. والمعنى: إذا يمضي. وقال البغويّ: إذا سار وذهب. وقال الفارابيّ:

سَرَى فيه السمّ والخمر ونحوهما. وقال السَرَقُسْطِي: سَرَى عِرْق السوء في الإنسان. وزاد ابن القطاع على ذلك: وسَرَى عليه الهَمّ: أتاه ليلاً. وسَرَى همُّه: ذهب». والليل هنا المفهوم من قوله (لو سَرِى): إشارة إلى ليل الأكوان: إشارة إلى ليل الأكوان المشار إليه بقوله (في مثلِ طُرَّتِهِ) أي: في ليل أسود مثل طرّته. والطُّرَّةُ بضمّ الطاء المهملة وتشديد الراء المهملة: الناصية. والمراد: خصلة من شعر الرأس تبقى ذؤابة بعد حلق الرأس، ويقال لها القزع إنْ كانت في أماكن متعدّدة في الرأس، قال في المصباح: القَزَع القِطَع من السحاب المتفرِّقة، الواحدة: قَزَعَة، مثل: قَصَب وقَصَبَة، قال الأزهري: وكلّ شيء يكون قِطَعَاً متفرِّقة فهو قَزَع. ونُهِيَ عن القَزَع، وهو: حَلْق بعض الرأس دون بعض. وقَزَّعَ رأسَه تَقْزيعاً: حَلَقَهُ كذلك».انتهى. والمنهيّ عنه يكون قزَعاً، أي: في مواضع متعدِّدة، موضعان أو ثلاث، لا في موضع واحد؛ لأنّه يسمى قَزَعَة، لا قَزَع. والمَنْهِيُّ عنه في الحديث القَزَع كما ذكرناه في كتابنا «الحديقة النديّة شرح الطريقة المحمّدية» . وهو مقتضى كلام أئمتنا الحنفيّة. و(الطُّرَّةُ) من الشعر إشارة إلى الشعور بمعنى الإدراك، قال في المصباح: «شَعَرْتُ بالشيء شُعُوراً، من باب قعد، وشِعْراً وشِعرة بكسرهما: علمت». والمعنى: لو سرى وجوده الحقّ في عالم الكون الذي هو في الأصل شعوره وعلمه بالمعلومات التي هي الأعيان الثابتة في الوجود الحقّ، الغير المنفيّة، التي هي عدم صرف. وقوله (أغنته غُرَّتُه): الضميران للمحجّب المذكور، وأغنته: جعلته غنيّاً، وهو غنىً من حيث هو أزلاً وأبداً، فيظهر غنيّاً في تجلّيه بالصور الإنسانيّة، وغُرَّته فاعل أغنته، وأصل الغُرَّة بالضمّ، قال في المصباح: «هي بياض في جبهة الفرس، فوق الدرهم، وفرس أغرّ ومهرة غرّاء، مثل: أحمر وحمراء، ورجل أَغَرّ: صبيح». وقال في القاموس: «الأغرّ الأبيض من كلّ شيء» والإشارة بغرّته إلى نور وجهه الكريم، كما ورد في دعائه صلّى الله عليه وسلّم: «أعوذ بنور وجهك الكريم الذي أضاءت له السموات والأرض، وأشرقت له

الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة[1] ...إلى آخره». وقوله (عن السُّرُج): متعلِّق بـ(أغنته)، والسُّرُج: جمع سِراج، قال في المصباح: «السِّراج المِصباح، وجمعه: سُرُج، مثل كِتاب وكُتب». وقال في القاموس: «والسراج الشمس». أي: أغنته عن الشموس المضيئة التي يطْرِد نورها: ظلمة الليل. ومعنى البيت: أنّ هذا المحجّب بحجاب النفوس الساترة له، ولوجوده الحقّ؛ لو كشف عن وجهه في كلّ شيء لأغنى تلك النفس عن الأنوار كلّها، قال بالقائل:

كلّ بيت أنت ساكنه غير محتاج إلى السرج
وعليل أنت زائره قد أتاه الله بالفرج
وجهك الميمون حجتنا يوم تأتي الناس بالحجج

وذكر القشيري في رسالته قول الآخر:

ليلي بوجهك مشرق وظلامه في الناس ساري
الناس في غسق الظلا م ونحن في ضوء النهار

١٦- وَإِنْ ضَلِلْتُ بِلَيْلٍ مِنْ ذَوَائِبِهِ أَهْدَى لِعَيْنِي الهُدَى صُبْحٌ مِنَ البَلَجِ

/ [٣٧١/ ب] (وإنْ ضَلِلْتُ): أي تحيّرت في محبّته. يقال: ضَلَّ الرجلُ الطريقَ، وضَلَّ عنه يَضِلُّ من باب ضرب، ضَلالاً وضَلالة: زَلَّ عنه فلم يهتدِ إليه فهو ضال، هذه لغة نجد، وهي الفصحى، وبها جاء القرآن في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى﴾ [٣٤/ سبأ/ ٥٠] وفي لغة لأهل العَالِية من باب تعِب. والأصل الضَّلال: الغَيْبَة، ومنه قيل للحيوان الضائع: ضَالَّة، بالهاء للذكر والأنثى، كذا في المصباح. والضَّلَّة بالفتح: الحَيْرَة، والغَيْبَة بخيرأو شرّ، والضلال

---

(١) ذكره السيوطيّ في الجامع الصغير، باب: مسند عبد الله بن جعفر، ٣٨٤٠٩. كما أخرجه الديلميّ في الفردوس، والهنديّ في كنز العمال، ٥١١٨.

ضدّ الهدى، كما في القاموس. وقوله (بِلَيْلٍ): أي بسبب ليل، أوفي ليل. والليل إشارة إلى الكون الحادث، وتنكيره للتقليل أو للتعظيم، بانتسابه إليه. وقوله (من ذوائبه): بإرجاع الضمير إلى الرشأ المحجّب في الأبيات قبله. والذوائب: جمع ذُؤابة، والذُؤابة بالضمّ، مهموز: الضَّفيرة من الشَعر إذا كانت مرسلة. فإنّ كانت ملويّة فهي عَقيصة، كذا في المصباح والإشارة بالذوائب إلى الأكوان الصادرة عن أمره تعالى. وكونها ذوائب لأنّها شعور، من شَعَر بالشيء: علمه؛ فإنّها من علمه تعالى، قال تعالى: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ [٤/ النساء/ ١٦٦] وقال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ﴾ [٦٧/ الملك/ ١٤] وقوله (أهدى): أي بعث إليّ على سبيل الهديّة تكرمة لي، قال في المصباح: «أهديت للرجل كذا، بالألف: بعثت به إليه إكراماً، فهو هديّة بالتثقيل لا غير». والجمع: هدأيا، قال بعض أهل: المعاني الهديّة، هي العطيّة المبعوث بها إكراماً على سبيل الملاطفة. وجعل ذلك إهداء هديّة منه عل سبيل التكريم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٧٠] أي: كشفنا لهم عن قيّوميّتنا عليهم في البر، أي: المحسوسات، والبحر: أي المعقولات. وهذا التكريم فضل منه تعالى، وإحسان وإنعام من غير وجوب ولا إيجاب. وقوله (لِعَيْنِي): أي الباصرة، أو عين البصيرة، وهي القلب. وقوله (الهُدَى): مفعول أهدى، والهُدَى بضمّ الهاء وفتح الدال المهملة: الرَشَاد. والنهار. هَدَاه هُدىً وهَدْياً وهِدَاية وهِدْيَة، بكسرهما: أرشده، كذا في القاموس. والمعنى بالهدى هنا: الوصول إليه تعالى، والتحقّق بمعرفته. وقوله (صبح): فاعل أهدى، والصُّبح: الفجر، والصباح مثله، وهو أوّل النهار. والصَباح أيضاً خلاف المساء، قال ابن الجواليقي: «الصباح عند العرب من نصف الليل الآخر إلى الزوال، ثمّ المساء إلى آخر نصف الليل الأوّل، هكذا روي عن ثعلب، كذا في المصباح. وكنّى بالصبح هنا عن ابتداء ظهور نور الوجود الحقّ في ليل ظلمة النفس البشريّة. وقوله (من البَلَج) بالتحريك، قال في المصباح: «بَلَج الصبح بُلُوجاً، من باب قعد: أسفَر وأَنَار، ومنه

قيل: بَلَج الحقّ: إذا وَضَح وظَهَر، ويَلِج بَلَجاً، من باب تعب، لغة. فقوله: من البَلَج، بفتح اللام، أي: الانبلاج، بمعنى الإسفار والإنارة والإشراق.

١٧ - وَإنْ تَـنَفَّسَ قَـالَ المِـسْكُ مُعْتَرِفَـاً لِعَـارِفِي طِيبِـهِ مِـنْ نَـشْرِهِ أَرَجِـي

(وإنْ تنفّس): أي ظهر عنه النَّفَس، بفتح الفاء، قال في المصباح: «النَّفَس بفتحتين: نَسيم الهواء، والجمع: أنفاس، وتَنَفَّس: اجتذب النفس بخياشيمه إلى باطنه، وأخرجه، ونَفَّس اللهُ كُربته تنفيساً: كشفها». وفاعله: ضمير يعود إلى المكنّى عنه بالرشأ المحجّب في الأبيات السابقة، وقد ورد في الحديث، قال صلّى الله عليه وسلّم: «إنّي لأجد نَفَس الرحمن يأتيني من قبل اليمن»[1] فكان الأنصار أهل اليمن فسمّاهم عليه السلام نَفَس الرحمن، كما قال تعالى في حقّهم: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [٦/ الأنعام/ ٥٢] فهم نَفَسُ الرحمن المتجلّي على العرش الذي نَفَّس الله تعالى به الكرب عن قلوب المؤمنين ببصرهم لهذا الدين المتين، والحقّ المبين، وللشيخ الأكبر قدّس الله سرّه من أبيات الفتوحات المكيّة قوله:

نفـس الـرحمن عـن نَفْسِه مثل وحي الحقّ في جرسه/ [٣٧٢/ أ]

ولنا من أبيات في هذا المعنى قولُنا:

إن رحمانـنـا نَـفَـس قـد تأرجحـا
كنـت أشـتاقه وقـد كـان أوسـاً وخزرجـا
نـصرة الـدين لي بـه وعـن الكـرب فرّجـا

فإنّ الأوس والخزرج قبيلتان من أهل اليمن، وهم الأنصار رضي الله عنهم. وقوله (قال المسك): هو الطيب المعروف. وقوله (مُعْتَرِفاً): حال من المسك. وقوله (لعَارِفِي): أصله العارفين، وحذفت النون لإضافته إلى قوله (طِيْبِهِ): أي طيب نَفَس ذلك المُتَنَفِّس، وطيبه كناية عن رائحة إيمانه بالحقّ لمّا جاءه. وهو ظاهر في صورة بشريّته، متجلّياً بها عليها، إشارة إلى قوله صلّى الله عليه وسلّم عن أهل

---

(١) جاء في كشف الخفاء للعجلوني، ٦٥٩: قال العراقي: لم أجد له أصلاً.

اليمن المذكورين: «أهل اليمن أرقّ قلوباً وألين أفئدة، وأسمع طاعة»[1] أخرجه الطبراني عن عقبة بن عامر رضي الله عنه. وقوله صلّى الله عليه وسلّم: «الإيمان يمان»[2] أخرجه البخاريّ ومسلم عن أبي مسعود رضي الله عنه، وذكره السيوطيّ في الجامع الصغير. و(طِيبِهِ): المذكور باعتبار ظهوره في صور الأنصار لدين الله تعالى حالاً وقالاً، وهم العارفون المحقِّقون في كلّ زمان من الأزمان تنفخ روائح أنفاسهم الزاهرة، وخواطرهم الطاهرة؛ فتعطر أنوف المريدين وخياشم المستنشقين، بحيث يقول المسك بلسان الحال لمن يجد ذلك الطيب الفائح والنشر السائح، كما قال الناظم قدّس الله سرّه (من نَشْرِهِ): أي ذلك الطيب و(النَشْرُ): الريح الطيّبة أو أعمّ، كذا في القاموس. وقوله (أَرَجِي): بفتح الهمزة والراء، قال في القاموس: «الأَرَج مُحرّكة، والأَرِيج والأرِيجَة: تَوَهُّج ريح الطيب. أَرِج كفَرِح». فقوله (من نشره): خبر الأرج مقدّم. وقوله (أَرَجِي): بياء المتكلّم مبتدأ مؤخّر، وتقديم الخبر لإفادة الحصر، والجملة مقول القول[3].

١٨- أَعْـوَامُ إِقْبَالِـهِ كَـالْيَوْمِ مِـنْ قِـصَرٍ   وَيَـوْمُ إِعْرَاضِـهِ فِي الطُّـوْلِ كَـالْحِجَجِ

(أعوام): جمع عام، والعام: الحَول، وجمعه أعوام، مثل: سبب وأسباب. قال الجواليقي: «ولا يُفَرِّق عوام الناس بين العَام والسَّنَة. ويجعلونهما بمعنى، فيقولون لمن سافر في وقت من السنة، أي وقت كان إلى مثله: عام. وهو غلط، والصواب ما أُخبِرتُ به عن أحمد بن يحيى أنّه قال: «السَّنَة من أي يوم عَدَدتَه إلى مثله، والعام لا يكون إلا شتاء وصيفاً. وفي التهذيب والبارع أيضاً: العام حولٌ يأتي شَتْوَة

(١) أخرجه السيوطيّ في جمع الجوامع، باب: حرف الهمزة، ٧٨٩٣، عن عقبة بن عامر .

(٢) قطعة من حديث، أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب: بدء الخلق، باب: خير مال المسلم غنم... ، ٣٣٠٢، عن ابن مسعود. كما أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: تفاضل أهل اليمن فيه، ١٩٧، عن أبي هريرة.

(٣) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: «بلغ».

وصَيفَةَ. وعلى هذا فكلّ عام سنة، وليس كلّ سنة عاماً. وإذا عددت من يوم إلى مثله فهو سنَة. وقد يكون فيه نصف الصيف، ونصف الشتاء. والعام لا يكون إلّا صيفاً وشتاء متواليين، كذا في المصباح. وقوله (إقباله): أي ذلك الرشأ المحجّب، قال في المصباح: «يقال في المعاني قَبَلَ وأَقبل معاً، وفي الأشخاص: أقبَلَ، بالألف لا غير». والإقبال هنا مصدر أَقبل إقبالاً ضدّ أَدبر إدباراً. وإقباله كشف النفوس عن بصيرته. وقوله (كاليوم من قِصَرٍ): يقال قَصُرَ الشيءُ ـ بالضمّ ـ قِصَراً، وِزان عِنَب: خلافُ طال ، فهو قَصير، كذا في المصباح. وسبب ذلك أنّ أيام السرور قِصار، ويجدها الإنسان منقضية بسرعة، بخلاف أيام الشرور؛ فإنّها طوال، ويجدها الإنسان طويلة، كما قلنا في مطلع قصيدة لنا:

ترفّــق فأيـــام المحـــبّ قـــصار وفي القلــب مــن فــرط الــصبابة نــار

ولبعضهم:

فالشمس في القوس أضحت وهي نازلة إنْ لم يـــزرني وبـــالجوزاء إنْ زارا

وقال الآخر:

أرى الطريــق قريبــاً حــين أســلكه إلى الحبيــب بعيــداً حــين انــصرف

/ [٣٧٢/ ب] وقوله (ويوم إعراضه): يعود الضمير إلى الرشإ المحجّب كما مرّ. والإعراض مصدر قولك أَعْرَضتُ عنه: أضربتُ ووَلّيْتُ عنه. وحقيقتُه جَعْلُ الهمزة للصَيرورة، أي: أخذت عُرْضاً، أي: جانباً غير الجانب الذي هو فيه، كما في المصباح. والمعنى: بإعراضه سدل حجاب النفس على عين بصيرته. وقوله (في الطول): مقابلة القِصَر المذكور. وقوله (كالحِجَجِ): بكسر الحاء المهملة، جمع حِجَّة بالكسر، وهي السنة. قال في المصباح: «الحِجَّة: السنة، والجمع: حِجَج، مثل: سدرة وسدر». وفي المعنى قول المولى أبي السعود المفسر من قصيدته الميميّة التي مطلعها:

أبعــد ســليمى مطلــب ومــرام وغــير هواهــا لوعــة وغــرام

أرى عمــر نــوح كلّــه أنْ يمــرّ بي وما حـام حـام حـول ذاك وسـام
دهــور تقــضّت بالمــسرّة ســاعة ويــوم تقــضي بالمــساءة عــام

١٩- فَإنْ نَأى سَائِراً يَا مُهْجَتِي ارتَحِلِي وَإنْ دَنَا زَائِراً يَا مُقْلَتِي ابْتَهِجِي

(فإنْ نأى): أي بعُد، قال في المصباح: «نَأَى نَأياً، من باب نَفَع: بَعُد، وأنأيتُه عنه: [أبعدته عنه]، في التعديّة» وفاعله ضمير يعود إلى الرشإ المحجّب المذكور سابقاً. وقوله (سائراً): حال من فاعل نأى، وسيره استتار تجلّيه بحيث يرجع العبد إلى غلبة حكم نفسه عليه. وقوله: (يا مُهجتي): المُهجة دم القلب والروح، كذا في القاموس. وقوله (ارتحلي): فعل أمر يخاطب مهجته، من ارتحل البعير: سار ومضى، وارتحل القوم عن المكان: انتقلوا، كترحلّوا، وارتحال مهجته: ذهابها وهلاكها تحسّراً وتلهّفاً على فقد مطلوبه ومفارقته مشاهدة محبوبه. وقوله (وإنْ دنا): أي قرُب، يعني: ذلك الرشأ المحجّب المذكور. وقوله (زائراً): حال من فاعل دنا. وقوله (يا مُقلتي): المُقْلة وِزان غُرفة: شحمة العين التي تَجمَع سوادَها وبياضها، ومَقَلتُه: نظرت إليه، كذا في المصباح. وقوله (ابتهجي): فعل أمر لمقلة عينيه، من ابْتَهَجَ بالشيء: إذا فرح به، كما في المصباح. وفرح العين كناية عن فرح صاحبها. والدنو بالزيارة كناية عن رفع حجاب النفس وذهاب المغايرة الوهميّة التي كانت تدركها النفس، وقد قرّت العين بالعين، وانمحت من بينها نقطة الغين، وارتفع البين من البين.

٢٠- قُلْ لِلَّذِي لَامَنِي فِيْهِ وَعَنَّفَنِي دَعْنِي وَشَأْنِي وَعُدْ عَنْ نُصْحِكَ السَّمِجِ
٢١- فَاللَّوْمُ لُؤْمٌ وَلَمْ يُمْدَحْ بِهِ أَحَدٌ وَهَلْ رَأيتَ مُحِبّاً بِالْغَرَامِ هُجِي

(قل): أي يا أيّها الإنسان الذي يصلح للمخاطبة بهذا الشأن، وهو من سيذكره بقوله (يا ساكن القلب)، وقوله (يا صاحبي). وقوله (للذي لامني فيه): أي في الرشإ المُحَجَّب المذكور سابقاً. يعني: في محبّتي له. واللائم: هو الغافل الجاهل المغرور بصوَرِ الأعمال الظاهرة، العاري من الأحوال الظاهرة، والأخلاق

الباهرة، والتجلّيات الإلهيّة القاهرة، يلتبس عليه الهدى بالضلال من عدم ذوقه ومعرفته بمقامات الرجال، فينكر على العارفين بقياس عقله مستنداً في ذلك إلى ظواهر نَقله. وقوله (وعَنَّفَني): بالتشديد، معطوف على لامني، قال في المصباح: «عَنَّفَهُ تعنيفاً: لامَه، وعَتَبَ عليه». وهذه أدنى أحوال المنكِر على أهل الله الصادقين، وإلّا فهو ينسب إليهم أنواع العيوب، وقبائح الذنوب، ولا يرجع عن ذلك، ولا يتوب. ولحوم العلماء بالله لحوم مسمومة، وعادة الله تعالى لم تزل جارية فيمن انتهك حرماتهم معلومة. ولنا في هذا المعنى أبيات وهي قولنا:/ [٣٧٣/ أ]

يا من تكلّم فينا بالذي فيه ... وقعت في كف ضرغام وفي فيه
ودّع حياتك إنْ السُمّ فيك سرى ... من لحمنا عنك لا تستطيع تنفيه
واختر لنفسك ديناً متْ عليه سوى ... دين النبيّ الذي أنكرتنا فيه
فقد جحدت الغيور الحقّ ملّته ... هيهات إنّك تنجو من أياديه
وإنْ جهلت فما بالكفر يعذر ذو ... جهل لدى الشرع والشيطان يطغيه
دُمْ في ظنونك مفتوناً فسوى ترى ... من الذي منه قبح الفعل يرديه
ولا تقل أي جاه للضعيف يرى ... فإنّ للبيت ربّاً سوف يحميه

وقوله (دَعْني): أي اتركني. وقوله (هكذا): بتنزيل نفسك منزلتي؛ لأنّك رسولي إليه، ولا تقل دعه، فأكون غائباً عنك، قال القائل:

إذا لم تكن حاجاتنا في نفوسكم ... فليس بمغنٍ عنك عقد الرتائم

وكذلك إذا لم ينقل الرسول لفظ المرسِل فما أدّى الرسالة على الكمال لتصرفه فيها كما أدى صلّى الله عليه وسلّم كلام الله ولم يتصرّف في شيء منه، فقال: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [١١٢/الإخلاص/١] ولم يقل: «هو الله أحد» فقط، كما أمر ونقل صيغة الأمر أيضاً بقوله: قل. ونحو ذلك كثير في القرآن. وقوله (وشأني): الواو للمعيّة. أي: مع أمري وحالي الذي أنا فيه، ولا تعرفه أنت، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾

[١٧/الإسراء/ ٣٦]. وقوله (**وعُدْ**): بضمّ العين المهملة، فعل أمر من العَود، بمعنى الرجوع. وقوله (**عن نصحك**): لي بمقتضى ما تزعمه في نفسك من الحقّ، وتزعم أنّي على خلاف ذلك. وقوله (**السَّمْجِ**): وصف لنصحك، يقال: سَمُجَ ككَرُم سَماجَة: قَبُحَ، فهو سَمْج وسَمِج سَمِيج، كذا في القاموس.

وقوله (**فاللوم**): الفاء للتفريع بالبيان. واللوم: مصدر لَامَه لَوْماً، من باب قال: عَذَلَه، فهو مَلُوم على النقص، كذا في المصباح. وقوله (**لُؤْم**): بضمّ اللام وسكون الهمزة مصدر لَؤُمَ بضمّ الهمزة، لُؤُمَاً بضمّ الهمزة، لُؤْمَاً فهو لئيم، يقال ذلك للشحيح والدنيء النفس والمَهين ونحوهم؛ لأنَّ اللُؤْم ضدّ: الكرم. يعني: إنّ لوم أهل الإيمان الكامل على كمال محبّتهم الإلهيّة من الغافلين الجاهلين بأحوال العارفين الكاملين لؤم صريح، ولا يصدر ذلك إلّا من خبيث شحيح، لا يعرف الموازين الشرعيّة، ولا يشعر بالأحوال القلبيّة، والمقامات الحقيقيّة، فهو بمنزلة البهيمة تنفح برجلها في وجه الناقص والكامل، وتلقي روثها قبالة المُقصِّر والعامل، ولا تشعر بشيء من ذلك، ولا سلكت عمرها مسلكاً من هذه المسالك. وقوله (**ولم يُمْدَح**): بالبناء للمفعول به، أي: باللوم المذكورعلى الطريقة المذكورة. وقوله (**أحد**): نائب فاعل يمدح، وكيف يمدح بين أهل الكمال الذوقي، والجمال العشقي مَن أسرع بملامهم، وشرع في تنكيس أعلامهم. وقوله (**وهل رأيت**): خطاب للمخاطب أوّلاً المقول له: قُلْ. وقوله (**مُحبّاً**): أي صاحب محبّة إلهيّة، وكلّ محبّة إلهيّة وإنْ كانت مصروفة في الظاهر إلى صورة كونيّة بشرط التحقّق بمعانيها الحقيقيّة. وقوله (**بالغرام**): متعلّق بـ هُجي، وهو الولوع بالمحبّة. وقوله (**هُجي**): بالبناء للمفعول، هَجَاه يَهْجُوه هَجْواً: وَقَعَ فيه بالشعر، وسَبَّه وعابه، والاسم: الهِجاء، مثل: كتاب، كذا في المصباح. يعني: إنَّ المحبِّين لم يَهجهم أحد بسبب أنّهم محبّون، ولا تكون المحبّة سَبّاً وشَتماً لأحد أصلاً، قال القائل:

لا تلم صبوتي فمن حبّ يصبو   إنّما يرحم المحبَّ المحبُّ

كيـف لا يوقـد االنـسيم غرامـي ولــه في خيــام لــيلى مهــبّ
زعمــوا حــين أزمعــوا أنّ ذنبــي فرط حبّي لهم وما ذاك ذنب/ [٣٧٣/ ب]
لا وحــقّ الخــضوع عنــد التلاقــي مــا جــزا مــن يحــبّ ألّا يحــبّ

ولنا من قصيدة قولنا:

يقولــون عنّــي ذاك صــبّ فجافِــهِ نعــم أنــا صــبّ مــا الــصبابة عــار

٢٢- يَا سَاكِنَ القَلْبِ لَا تَنْظُرْ إِلَى سَكَنَي وَارْبَحْ فُؤَادَكَ وَاحْذَرْ فِتْنَةَ الدَّعَجِ(١)

(**يا ساكن القلب**): أي يا من قلبه ساكن غير مضطرب بلواعج المحبّة والأشواق، ولا متحرّك بزواعج أحوال العشّاق. وقوله (**لا تنظر إلى سَكَني**): بفتح الكاف، أي: حبيبي الذي أسكن إليه، وألقي أموري كلّها ظاهرة وباطنة بين يديه، قال في المصباح: «السَكَن مَا يُسْكَن إليه من أهل ومال وغير ذلك، وهو مصدر سَكَنتُ إلى الشيء، من باب طلب». والمعنى: لا تتعرّض أنت بنفسك إلى النظر والمشاهدة لوجه حبيبي؛ فإنّك لا تقْدِر قَدْر محبّته وعشقه، واصبر حتّى هو يتعرّض لك فيكشف لك عن وجهه الكريم، ويرفع عنك حجاب الصور المحسوسة والمعقولة، فاثبت على صراطه المستقيم، وتأدّب له بآداب الخدمة، وكفّ بصرك عن الطمع في رؤية جماله، مراعاة للحرمة. وقوله (**واربح فؤادك**): يقال رَبِحَ في تجارته رَبَحاً، من باب تعِب، ورِبحاً ورَبَاحاً، مثل سَلَام: إذا أفضل فيها، كذا في المصباح. و(**الفؤاد**): القلب، وهو مذكّر، والجمع أفئدة، كما في المصباح. يعني: أبْقِ قلبك لك ربحاً في تجارة عمرك، ولا تخسر، فيذهب من بين يديك. وقوله (**واحذر**): فعل أمر، يقال: حَذِرَ حَذَراً، من باب تعب: استعدّ وتأهّب فهو حاذِر وحَذِر، يقال: حَذِرَ الشيءَ إذا خافه، والشيء مَحْذور، أي: مَخُوف، كذا في المصباح. وقوله (**فتنةَ الدَّعْجِ**): يقال: دَعِجَت العينُ دَعَجاً، من

---

(١) ترتيب هذا البيت في (ق) هو ٢٣، والبيت التالي ٢٢.

باب تعب: وهو سِعَة مع سواد، وقيل: شدَّة سوادها في شدّة بياضها، كما في المصباح. والمعنى: بفتنة الدعج ظهورعين الوجود الحقّ في الحسّ وفي العقل، بحيث أنّ نورها زائد الظهور، وسواد أكوانها وممكناتها العدميّة زائدة الظهور أيضاً فيتحيّر الحسّ والعقل في ذلك، ولا يقدر يسلك فيه أعدل المسالك فيغلب التكذيب على التصديق، وهيهات هيهات أنْ تدركه عناية التوفيق، قال تعالى: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: تتخلّصوا من سواد هذه العين، فتصلوا إلى بياضها الذي هو النور المحيط قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ﴾ [٨٥/ البروج/ ٢٢] ـ ﴿فَٱنفُذُواْ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ٣٣] أي: افعلوا ذلك بقّوة نفوسكم وهمم أرواحكم ﴿لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٍ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ٣٣] أي: بسلطة وغلبة من قهر إلهيّ من قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦ﴾ [٦/ الأنعام/ ١٨] ثمّ قال تعالى مخاطباً للحسّ والعقل إشارة، وللجنّ والإنس عبارة: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ٣٤] وتكذيبهما أمر محقّق لافتتانهما بذلك، وبما لديهم من صورة ما هنالك. وقال تعالى: ﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ﴿٢٦﴾ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ٢٥-٢٨] فإنّ العقل والحسّ من الإنسان الغافل يكذّبان بالضرورة، ولا يصدِّقان بفناء كلّ شيء إلّا وجه الحقّ تعالى، مع بقاء حكم كلّ شيء، فإنَّ هذا أمر يصعب إدراكه على العقول والحواسّ ما لم يأتِ سلطان من قبل أمر الله تعالى فيغلب على الإدراك، وينفي الاشتراك.

٢٣- يَا صَاحِبِي وَأَنَا البَرُّ الرَؤُوْفُ وَقَدْ بَذَلْتُ نُصْحِي بِذَاكَ الحَيِّ لا تَعُجِ

٢٤- فِيْهِ خَلَعْتُ عِذَارِي وَاطَّرَحْتُ بِهِ قَبُولَ نُسْكِي وَالمَقْبُولَ مِن حِجَجِي

٢٥- وابْيَضَّ وَجْهُ غَرَامِي فِي مَحَبَّتِهِ وَاسْوَدَّ وَجْهُ مَلَامِي فِيهِ بِالحُجَجِ

(يا صاحبي): يخاطب به ساكن القلب أيضاً في البيت قبله منادياً بيا الموضوعة لنداء البعيد، لبعد حالته من حالته. وقوله (وأنا البَرّ): بالفتح، من بَرَّ الرجلُ يَبَرُّ بَرّاً /[٣٧٤/ أ] وِزان عَلِم يَعْلَم عِلْماً فهو بَرٌّ أيضاً، أي: صادق أو تقي. وهو

خلاف الفاجر، وجمع البَرّ: أَبرار، وجمع البار بَرَرَة، مثل كافر وكَفَرَة، كذا في المصباح. وقوله (**الرؤوف**): أي الرجل الرحيم، أو الرأفة أشدّ الرحمة، أو أرقّها كما في القاموس. يعني: أنا متّصف في صحَبتك بالصدق والتقوى، وشدّة الرحمة بك. وقوله (**وقد**): الواو للحال. وقوله (**بذلتُ نُصْحي**): بَذَلَهُ يَبْذُلُهُ ويَبْذِلُهُ: أعطاه، وجاد به، كذا في القاموس. يعني: جدت لك بنصحي فيما قلت لك من قبل لاتنظر إلى سكني. وأقول لك الآن زيادة على عدم النظر إلى سكني (**بذاك الحيّ**): وهو البطن من بطون العرب، والجمع: أحياء، كما في القاموس. وقال في الصحاح: «والحيّ واحد أحياء العرب. وقوله (**لا تعج**): يقال عَاج عَوْجَاً ومَعَاجاً : أقام، لازم متعد، ووقف، ورجع، وعطف رأس البعير بالزمام، كما في القاموس. ومعنى ذلك: لا تقم، ولا تقف، أو لا تعطف رأس بعيرك بالزمام مخافة عليك أن تفتتن بالمحبّة، وتقع في شرك البلاء والمحنة، ثم شرح في ذلك، شرح حاله تأكيداً لنصحه المصرّح به في مقاله، فقال (**فيه**): أي في ذلك الحيّ. يعني: في محبّة الرشأ المحجّب منهم. وقوله (**خلعت عِذاري**): يقال خلعت النعل وغيره خَلْعاً: نَزَعْتُهُ. وعِذار الدّابة: السَير الذي على خدّها من اللجام، ويُطلَق العِذار على الرَسَن، والجمع: عُذُر، مثل: كتاب وكُتُب، كذا في المصباح. وخَلْع العِذار كناية عن عدم المبالاة بما يفعل. ومنه: الخليع والخَوْلَع للغلام الكثير الجنايات، ذكره في القاموس. واشتُقت الخَلاعَة من ذلك. وقال في الصحاح: «غلام خَلِيع: بَيّن الخَلَاعَة، بالفتح: وهو الذي قد خَلَعَهُ أهلُه، فإنْ جَنَى لم يُطْلَبُوا بِجِنأيته. وقال في العِذار، يقال للمُنْهَمِك في الغَيّ: خَلَعَ عِذَارَه. وقوله (**واطَّرحتُ**): بتشديد الطاء المهملة، قال في القاموس: «طَرَحَهُ، وبه، كمَنَعَ: رَمَاه، وأَبْعَدَه، كاطَّرَحَه وطَرَّحَه». وقوله (**به**): أي: بسببه، والضمير لذاك الحيّ. وقوله (**نُسْكي**): بضمّ النون وسكون السين المهملة، مصدر نَسَكَ لله يَنْسُك، من باب قتل: تَطَوَّع بقربه، والنُسُك، بضمّتين: اسم منه، وفي التَنزيل: ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾

[٦/الأنعام/ ١٦٢] ونَسَكَ: تزهَّد وتَعَبَّدَ، فهو ناسِك، والجمع: نُسَّاك، مثل: عابد وعُبَّاد». يعني: ألقيت عن قلبي الإقبال على غير الحقّ تعالى، وأفردت توجّهي إليه سبحانه، ولم أشتغل عنه بقبول طاعة ولا عبادة، وتوجّهت همّتي إليه تعالى، فتوجّه تعالى إلى خلق الأعمال الصالحة لي، وإظهارها منّي، واستعملني في طاعته ظاهراً وباطناً به لا بنفسي، قال القائل:

عمّر فؤادك بالتقى واحذر بأنّك تلتهي

واعمل لوجه واحد يكفيك كلّ الأوجه

وقوله (والمقبول): بالنصب معطوف على قبول، مفعول اطّرحت. وقوله (من حِجَجِي): بكسر الحاء المهملة، جمع حِجَّة، بالكسر، وهي قصد زيارة بيت الله الحرام بأفعال مخصوصة في أوقات مخصوصة، قال في المصباح: «حَجَّ حَجّاً، من باب قتل: قَصَدَ، فهو حَاجّ، هذا أصله، ثمّ قُصِر استعماله في الشرع على قَصْدِ الكعبة للحجّ والعمرة. والحِجَّة المَرَّة، بالكسر، على غير قياس. والجمع: حِجَج، مثل: سدرة وسدر. قال ثعلب: قياسه بالفتح، ولم يُسمع من العرب». وقوله (فابيضّ): الفاء للتفريع على ما قبله، وابيضّ بتشديد الضاد المعجمة، فعل ماض، يقال: ابيَضَّ الشيءُ ابيِضَاضاً: إذا صار ذا بَيَاض، كذا في المصباح. وقوله (وَجْهُ غَرامي): أي ولوعي في المحبّة الإلهيّة على طريق الاستعارة بالكناية؛ فإنّه شبّه غرامه بإنسان، وأثبت له الوجه تخييلاً للمشبّه به المحذوف، والابيضاض ترشيح للاستعارة المكنيّة. والمعنى صار غرامي/ [٣٧٤/ ب] مقبولاً عندي وعند الحقّ تعالى. وقوله (واسْوَدَّ): بتشديد الدال المهملة فعل ماض، يقال: اسْوَدَّ الشيء إذا صار ذا سَوَاد، وسوَّدتُه بالسَّوَاد تَسْوِيداً، كما في المصباح. وقوله (وجه ملامي): استعارة بالكناية أيضاً، وإثبات الوجه تخييل لها. والاسوِداد: ترشيح. (والمَلام): مصدر ميمي، قال في القاموس: «اللَّوْم: العَذْل، لام لَوْمَاً ومَلَاماً ومَلَامَةً». واسوِداد وجه الملام كونه غير مقبول عنده وعند الحقّ تعالى؛ لأنّه صدّ عن سبيل الله تعالى

بالغفلة والجهل. وقوله (بالحُجَج): جمع حُجَّة بالضمّ، وهي الدليل والبرهان. قال في المصباح: «الحُجَّة: الدليل والبرهان، والجمع: حُجَج، مثل: غُرْفَة وغُرف». يعني: صار الملام عندي غير مقبول بسبب قيام الأدلّة والبراهين النقليّة والعقليّة على كمال مقام المحبّة الإلهيّة وشرفها وفضيلة أحوالها كما قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [٥/ المائدة/ ٥٤] وروى مسلم ومالك في الموطّأ وأحمد بن حنبل عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «يقول الله تعالى يوم القيامة: أين المتحابّون بجلالي»[1] أي: بسبب جلالي، وهو ظهوره تعالى بالصور الجميلة التي يتجلّى بها فتحبّه القلوب، وتتعشّق به فيفتتن الجاهل، ويتحقّق العارف المحقّق، فينقلب الجمال جلالاً، ولهذا قال «بجلالي»، فسمّى الجمال جلالاً؛ فإنّه لا فرق بينهما إلّا بحسب المتجلّى له، كما ورد: «كلتا يديه يمين»[2]، والتعدّد في جميع حضراته تعالى في أسمائه وصفاته باعتبار المتجلّى عليه، لا باعتباره هو تعالى؛ لأنّه واحد في ذاته، وواحد في أسمائه وصفاته، وواحد في جميع حضراته. وبقيّة الحديث: «اليوم أظلهم في ظلّي يوم لا ظلّ إلّا ظلّي»[1]. والظلّ أثر يظهره نور الشمس، كما أنّ أعيان الكائنات كلّها آثار عن شواخص الأسماء والصفات في شمس الوجود الحقّ على طريق التشبيه البليغ. وأخرج الإمام أحمد عن عرباض ابن سارية رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «قال الله عزّ وجلّ: المتحابّون بجلالي في ظلّ عرشي» يعني في الدنيا؛ وهو اعتبار الأسباب العُلويّة «يوم لا ظلّ إلّا ظلّي»[3] لارتفاع النسبة عن الأسباب يوم القيامة. وروى

---

(١) أخرجه مالك في الموطّأ، كتاب: الشعر، باب: ما جاء في المتحابّين في الله، ١٧٤٥، بلفظ: «الجلالي». كما أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: البرّ والصلة والأدب، باب: فضل الحبّ في الله، ٦٧١٣. كما أخرجه أحمد في المسند، مسند أبي هريرة، ٧٤٣٢.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإمارة، باب: فضيلة الإمام العادل في حكمه، ٤٨٢٥.

(٣) لم نعثر في مصادرنا على رواية العرباض بن سارية.

الترمذيّ عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلّى لله عليه وسلّم يقول: «قال الله تبارك وتعالى: المتحابّون بجلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيّون والشهداء»[1] قال الترمذيّ: حديث حسن صحيح. وروى مالك في الموطّأ[2] وأحمد[3]، عن أبي إدريس الخولاني رضي الله عنه، قال: دخلت مسجد دمشق، فإذا فتى براق الثنايا، والناس حوله، فإذا اختلفوا في شيء أسندوه إليه، وصدروا عن رأيه. فسألت عنه فقالوا: هذا معاذ بن جبل. فلمّا كان الغد هجَّرت إليه، فوجدته قد سبقني بالتهجير، ووجدته يصلِّي، فانتظرته حتّى قضى صلاته. ثمّ جئته من قِبَل وجهه فسلّمت عليه، ثمّ قلت: والله إنّي لأحبّك في الله . قال: آلله . فقلت: الله . فقال: آلله. فقلت: الله . فأخذ بحبوة ردائي، فجذبني إليه، وقال: أبشر؛ فإنّي سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: «قال الله تبارك وتعالى: وجبت محبّتي للمتحابّين فيّ، وللمتجالسين فيّ، والمتزاورين فيّ، والمتباذلين فيّ». وللإمام أحمد في رواية أخرى عن أبي إدريس قال: جلست مجلساً فيه عشرون من أصحاب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وإذا فيهم شابّ حديث السنّ، حسن الوجه، أدعج العنين، أغرّ الثنايا. فإذا اختلفوا في شيء فقال قولاً انتهوا إلى قوله، فإذا هو معاذ بن جبل. فلمّا كان من الغد جئت، فإذا هو يصلّي إلى سارية، قال: فجَدَّ من صلاته ثمّ احتبى، فسكت. فقلت: والله إنّي لأحبّك في جلال الله. قال: آلله. قلت: الله. قال: فإنّ المتحابِّين في الله ـ فيما أحسب أنّه قال ـ في ظلِّ الله يوم لا ظلّ إلّا ظلّه، يوضع لهم كرأس من نور يغبطهم ـ بمجلسهم من الربّ عزّ وجلّ ـ النبيّون والصدِّقون والشهداء./ [٣٧٥/ أ] قال: فحدّثه عبادة بن الصامت[4] رضي

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الزهد، باب: ما جاء في حب الله، ٢٣٩٠.

(٢) أخرجه مالك في الموطّأ، كتاب: الشعر، باب: ما جاء في المتحابّين في الله، ١٧٤٨، عن أبي إدريس الخولانيّ.

(٣) أخرجه أحمد في المسند، باب: حديث معاذ بن جبل، ٢٢٦٨٠، عن أبي إدريس الخولانيّ.

(٤) أخرجه الحاكم: في المستدرك، باب: وأمّا حديث عبد الله بن عمرو ٧٤٢٤.

الله عنه فقال: لا أحدِّثك إلّا ما سمعت على لسان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «حقّت محبّتي للمتحابّين فيّ، وحقّت محبّتي للمتزاورين فيّ، وحقت محبّتي للمتباذلين فيّ، وحقّت محبّتي للمتصادقين فيّ، والمتواصلين ـ شكّ شعبة المتواصلين أو المتزاورين». ومثل هذا كثير في الأخبار النبويّة.

٢٦- تَبَــارَكَ الله مَــا أَحْــلَى شَــمَائِلَهُ   فَكَمْ أَمَاتَتْ وَأَحْيَتْ فِيْهِ مِنْ مُهَجِ

(تبارك الله): أي تقدّس وتنزّه، صفة خاصّة بالله ، كذا في القاموس. وأمّا قولنا من قصيدة لنا:

تبــارك قلــب وَحْيُهــا فيــه نــازل   بآيــات حــقّ ناســخ لزبورهــا

فهو بمعنى تزايد علماً بالحقّ، من البَرَكة، وهي: النَّماء، والزِيادة، والسعادة. والتَبْرِّيك: الدعاء بها. وتبارك بالشيء: تفاءل به، كذا في القاموس. وقوله (ما أحلى شمائله): ما تعجبيّة، وشمائله مفعول أحلى، أي: صفاته وأسمائه وأفعاله وأحكامه. والضمير إلى المكنّى عنه فيما مضى بالرشأ المحجّب. وحلاوتها: التذاذ المحبّ بآثارها، سواء كانت بلاء أوعافية. وقوله (فكم): الفاء للتفريع على ما قبله. وكم: اسم ناقص مبني على السكون، وتعمل في الخبر عمل ربّ، كذا في القاموس. فهي خبريّة، معناها التكثير هنا. وقوله (أماتت): أي تلك الشمائل، بأنْ كشفت لمن يشهدها أنّه ميت من كمال تصرّفها فيه، ظاهراً وباطناً في الحياة الدنيا، ولم يكن يشعر قبل ذلك، كما قال تعالى: ﴿ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [١٦/ النحل/ ٢١] وهو الموت الاختياري. وذلك قول الصديق رضي الله عنه لمّا مات النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «والله لم يجمع الله لك موتتين، إنّك قد عجّلتها»[1]. وقوله عليه السلام: «من أحبّ أن ينظر إلى ميت يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى أبي

---

(١) لم نعثر عليه في مصادرنا.

بكر»[1]؛ فكلّ منهما يعرف حال صاحبه. وقوله (وأحْيَتْ): أي تلك الشمائل أيضاً بالحياة الحقيقيَة الإلهيّة بأنْ كشفت للميت عن ذلك، فتحقّق به، فعرف أنّه حَيّ بالله لا بنفسه. وقوله (فيه): أي في محبّته. وقوله (من مُهَجِ): متعلّق بأماتت وأحيت على طريقة التنازع. و(المُهَج): جمع مُهْجَة، وهي دمّ القلب والروح. كناية عن الإنسان كلّه، ظاهره وباطنه. ولنا في مطلع قصيدة قولنا:

إنني إنْ أمت فما أنا مَيْتٌ   أنا حيّ بمن إليه اهتديت

ولنا أيضاً في مطلع أبيات أُخر:

ألا ليت لو يجود لي الحبّ   فحبِّي هو الحيّ والكلّ مَيْت

٢٧- يَهْوَى لِذِكْرِ اسْمِهِ مَنْ لَجّ فِي عَذَلِي   سَمْعِي وَإِنْ[2] كَانَ عَذْلِي فِيْهِ لَمْ يَلِجِ

(يهوى): أي يحبّ ويعشق. وقوله (لذكر اسمه): أي اسم ذلك الرشأ المحجّب. وقوله (مَنْ لَجَّ في عَذَلِي): مَنْ بفتح الميم، مفعول يهوى. و(لَجَّ): بتشديد الجيم، يقال: لَجَّ في الأمر لَجَجاً، من باب تعب، ولَجَاجاً ولَجَاجةً: إذا لازم الشيء، وواظبه، كذا في المصباح. و(في عَذَلِي) متعلّق بلجّ. والعَذْل بفتح الذال المعجمة: اسم مصدر، وهو المَلامَة، كما في القاموس. عَذَلْتَه عَذْلاً، من بابي ضرب وقتل: لُمْتُهُ، كذا في المصباح. والذي لَجَّ عَذَّبَهُ في العَذْلِ واللَوم هو العذول اللائم على المحبّة. وقوله (سَمْعي): فاعل يَهوى. وقدّم سبب هواه للعذول اللائم بقوله بذكر اسمه، أي: اسم المحبوب، كما قال الشاعر:

أحبّ العذول لتكراره   حديث الحبيب على مسمعي

---

(١) ذكره الشعرانيّ في العهود المحمّديّة، قسم المناهي، ١ / ٤٣١. وقد ورد بغير هذا اللفظ عند كثير من الرواة، فقد أخرج الحاكم في المستدرك، باب: أبي بكر بن أبي قحافة رضي الله عنهما، ٤٣٧٨، بلفظ: «من سرّه أن ينظر إلى عتيق من النار فلينظر إلى أبي بكر...».

(٢) في (ق): على أنْ.

وأهـــوى الرقيـــب لانّ الرقيـــب يكـــون إذا كـــان حبّـــي معـــي

وقوله (وإنْ كان عَذْلِي): مصدر ساكن الذال المعجمة مضاف إلى مفعوله، وهو ياء المتكلّم، أي: عذله لي. وقوله (فيه): أي في سمعي. وقوله (لم يلج): أي لم يدخل، قال في المصباح: «وَلَجَ الشيءُ في غيره يَلِجُ، من باب وعد وُلُوجاً: دخل». يعني: وإنْ كنت لم أسمع مَلامته لي، وهذا / [٣٧٥/ ب] من قبيل نوع الاحتراس، كقولهم: قمْ غير مطرود، قال الشاعر في الخمرة:

كانـــت إذا أبـــصرت في القـــوم محتـــشماً قـــال الـــسرور لـــه قـــمْ غـــير مطـــرود

وللمتنبّي من قصيدة:

إذا خلــت منــك حمــص لا خلــت أبــداً فـــلا ســقاها مـــن الوســـميّ بـــاكره

٢٨- وَأَرْحَــمُ الــبَرْقَ فِي مَــسْراهُ مُنْتَــسِباً لِثَغْــرِهِ وهْــوَ مُــسْتَحْيِ مَــنَ الفَلَــجِ

(وأرحم البرق): أي أشفق عليه، قال في المصباح: «رَحِمْتُ زيداً رُحْماً ـ بضمّ الراء ـ وَرَحْمَةً ومَرْحَمَةً: إذا رَقَقتُ له، وحَنَنتُ». وقوله (في مسراه): المسرى: مصدر ميمي، قال في القاموس: «سَرَى يَسْرِي سُرَى ومَسْرَى، كالهُدَى سيْر عامّة الليل». وقوله (مُنْتَسِباً): حال من الهاء في مَسراه. وقوله (لثغره): أي ثغر ذلك الرشأ المحجّب، والثَغْر: المبسم، ثمّ أُطلق على الثنأيا، كما في المصباح. وانتساب البرق إلى ثنايا المحبوب وأسنانه البراقة اللمّاعة أنّه إذا لمع وأبرق يحكي ثناياه وأسنانه بذلك اللمع والبريق، قال الشيخ الأكبر، قدّس الله سرّه، من أبيات له:

فأبـــدت ثناياهـــا وأومـــض بـــارق فلـــم أدر مـــن شـــقّ الحنـــادس مـــنهما

وقالـــت أمـــا يكفيـــه أنّي بقلبـــه يـــشاهدني في كـــلّ وقـــت أمـــا أمـــا

وقوله (وهو): أي البرق، والواو للحال. وقوله (مُسْتَحِي): اسم فاعل من استحيا منه، وحَيِيَ منه حياءً، بالفتح والمدّ؛ فهو حَيِيٌّ، على فعيل، وهو الانقباض

والانزواء، قال الأخفش: «يتعدّى بنفسه وبالحرف، فيقال: استحييت منه واستحييته، وفيه لغتان: إحداهما لغة أهل الحجاز، وبها قرأ السبعة بيائين. والثانيّة لتميم بياء واحدة، كما في المصباح. وقوله (من الفَلَجِ): بالتحريك: تباعد ما بين الأسنان، وهو أفلج الأسنان، لا بدّ من ذِكْرِ الأسنان، كذا في القاموس. وقال في الصحاح: «والفَلَج بالتحريك في الأسنان، تباعد ما بين الثَنأيا والرَباعيّات. رجل أفلج الأسنان وامرأة فَلجَاء الأسنان، قال ابن دريد: لا بدّ من ذكر الأسنان، ورجل مُفَلَّج الثَنايا، أي: مُنْفَرِجُها، وهو خلاف المُتراصّ الأسنان». واستحياء البرق من فلج أسنان المحبوب: انقباضهُ وانزواؤه؛ لأنّه يشبهه في البريق واللمعان، فيخاف أن يُفتضَح بنقصانه عنه، إشارة إلى ظهورأمر الله تعالى الذي هو كلمح بالبصر، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ [٥٤/ القمر/ ٥٠]. والبرق إشارة إلى عالم الأرواح الصادر عن أمره تعالى؛ فإنّه كالبرق اللموع، وهو من عالم الأمر الإلهيّ لعدم الواسطة بينه وبين الأمر، قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨٥] وعالم الخلق من الأمر أيضاً؛ لكنّه بواسطة الروح الآمري، قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [٧/ الأعراف٥٤] وقال تعالى أيضاً: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [٣٠/ الروم/ ٢٥] وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ﴾ [٦٥/ الطلاق/ ٥] وإلى ذلك نشير بقولنا من قصيدة لنا:

رويـدك أيّهـا الـبرق اللمـوع	فـإنّ غـروب ضـوئك لي طلـوع
ترفـرف لمحـة وتغيـب أخـرى	فتعـشقك الأمـاكن والربـوع
ألا هـل أنـت بهجـة وجـه سـلمى	بـدت فتحـيّر القلـب الولـوعْ
أم ابتـسمت عـشيّة ودّعتنـا	فجـاد بكوننـا الثغـر المنـوع
هـي الأسـماء مـن أسـمى أصـول	ونحـن جميعنـا عنهـا فـروع

٢٩- تَرَاهُ إنْ غَابَ عَنِّي كُلُّ جَارِحَةٍ فِي كُلِّ مَعْنىً لَطِيفٍ رَائِقٍ بَهِجِ(١)

٣٠ - فِي نَغْمَةِ العُودِ وَالنَّايِ الرَخِيمِ إذا تَأَلَّفَا بَيْنَ أَلحَانٍ مِنَ الهَزَجِ

٣١- وَفِي مَسَارِحِ غِزْلَانِ الخَمَائِلِ فِي بَرْدِ الأَصَائِلِ وَالإصْبَاحِ فِي البَلَجِ / [٣٧٦/أ]

٣٢- وَفِي مَسَاقِطِ أَنْدَاءِ الغَمَامِ عَلَى بِسَاطِ نَوْرٍ مِنَ الأَزْهَارِ مُنْتَسِجِ

٣٣- وَفِي مَسَاحِبِ أَذْيَالِ النَسِيمِ إذا أَهْدَى إِلَيَّ سُحَيْراً أَطْيَبَ الأَرَجِ

(تراه): أي ذلك المكنّى عنه بالرشأ المحجب، أي: تنظر إليه بالحواس الخمس فهو محسوس ومشابه سواه، معقول عند أهل المعرفة به. وقوله (إنْ غاب عَنِّي): أي غابت ذاته العليّة لإطلاقها عن جميع القيود والحدود الإمكانيّة. وأمّا إذا لم يغب عنه فإنّه هو يغيب في حضوره. وتختفي ظلمة كونه في ظهور نوره، فلا يبقى شيء في بصر العارف، ولا في بصيرته. ويرجع الكلّ إلى العدم الأصليّ في جريرته، كما قلنا في مطلع قصيدة لنا:

أنت قيد الوجود إنْ غبت غابا وإذا ما ظهرت كنت حجاباً

وكذا الكائنات علّواً وسفلاً وهو منهن لابس أثواباً

كلّ ذا باعتبار نفسك أمّا هو في ذاته فجلّ مهاباً

واحد مطلق عن القيد بل عن قيد إطلاقه يلوح اقتراباً

وهو في بيت عزّة وجلال لست تلقى إليه غيرك بابا

وقوله (كُلُّ): فاعل ترى. وإنّما قدم المفعول لإفادة الحصر، أي: لا ترى غيره، وللاهتمام به أيضاً. وقوله (جارحة): مضاف إليه، وهو العضو من أعضاء الإنسان التي يكتب بها نوع من الأمر، كالعين للرؤية، والأُذن للسمع. وأراد بها

---

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: «بلغ مقابلة ـ ولله الحمد ـ وسماعاً على شيخنا مؤلّفه قدّس الله سرّه، وكتبه أبراهيم بن محمّد الدكدكجيّ».

هنا كلّ حاسَّة من الحواسّ الخمس: العين، والأذن، والأنف، واللسان. وبقية أعضاء البدن. وقوله (في كلّ معنى): أي مضمون ودلالة على أمر من الأمور، وكلّ مشار إليه بكلّ إشارة إلى شيء من الأشياء؛ فإنّ مدركات الحواسّ الخمس، وإنْ كانت محسوسات فإنّها كلّها معان لا كثافة فيها، والكثافة في بصيرة الغافل وبصره، قال عفيف الدين التلمسانيّ من قصيدة له:

معنى به لطف الكثيف فأصبحت   صمّ الجبال هي الغصون الميّس
وحقيقة طوت البعيد فرامه   نجد وليث الغاب ظبي أخنس
ووراء ذاك ولا أشير لأنّه   سرّ لسان النطق عنه أخرس
أمر له وبه ومنه تعينت   أعيانه ووجوده الملتبس

ولنا في مطلع قصيدة:

نحن معاني الوجود فيه   ونحن عنه كنطق فيه
وما له عزّ من مثيل   وما له جلّ من شبيه
إذا تجلّى لنا محانا   بنوره الساطع النزيه
وإنْ رأيناه لا نراه   إذْ نحن في رتبة تليه

ولنا أيضاً في مطلع قصيدة أخرى:

انظر الكلّ لطيفاً   لا ترى شيئاً كثيفاً
إنّما الكلّ معانٍ   فخبيثاً وشريفاً
صبغة الله الذي قد   شرّع الدين حنيفاً

ولنا من قصيدة أخرى:

وجه تعدّد في المرأى   وبه تحيّر كلّ رائي
والكائنات بأمره   موج على صفحات ماء

والأمـــــر أمـــــر واحـــــد فيه التقارب والتنائي/ [٣٧٦/ ب]
إنّ العـــــوالم كلّهـــــا بظهورهـــــا والإختفـــاء
في سرعـــــة وتقلّـــــب مثـــل الكتابـــة في الهـــواء
قـــد خطّهـــا القلـــم الـــذي هـــو بـــاب ديـــوان العطـــاء
بمـــداد أنـــوار الوجـــود الحـــقّ مـــن يـــد ذي العـــلاء
قلـــم لـــه عـــدد الـــورى أســـنان رقـــم وانتـــشاء
صـــبغ الإرادة طبـــق مـــا في الأرض يظهـــر والـــسماء

ولنا أيضاً من قصيدة أخرى:

لمائـــــه كلّنـــــا أواني ونحـــــن في نفـــسه معـــــاني
والكـــلّ عـــن أمـــره ظـــلال وذاتـــه الـــشمس في البيـــان
مراتـــب بـــالوجود صـــارت حقـــائق الغيـــب والعيـــان
عـــن كـــلّ أوصـــافه أبانـــت عنـــد الـــورى مثـــل ترجمـــان
وجـــوده لا يـــزال منهـــا يطـــلى بنيـــل وزعفـــران
وبظـــــلام وبـــــضياء وبـــــضراب وبطعـــــان
وبجـــــماد وبنبـــــات وبأنـــــاس وحيـــــوان
وبرجـــــال وبنـــــساء وأهـــــل شـــيب وعنفـــوان
وكـــلّ عقـــل وكـــلّ حـــسّ والمتمنّـــين والأمـــاني
وكـــلّ فهـــم وكـــلّ وهـــم وكـــلّ وقـــت وكـــلّ آن
وملكـــوت وجـــبروت وكـــلّ أُنـــس وكـــلّ جـــان
وكـــلّ ســـاق وكـــلّ كـــأس وكـــلّ خمـــر وكـــلّ حـــان

وبحسان وقباح | وبهموم وبتهاني
وكل شيء صدفت عنه | ولم يصرّح به لساني
توهّمات للجميع فيه | من فرط عزّ ورفع شان
يجلّ عنها وعن مقالي | يجلّ فيما منه سباني
وقد تجلّى بكلّ شيء | والشيء من عالم الكيان
فضاء منه فضاء كلّ | كالنور في صبغة القناني
وفيه كانت فصار فيها | والقلب ينبيك عن بيان
وليس غير الوجود فيها | بظاهر والجميع فاني
وهو على ما عليه قدما | بلا انتقال ولا اختزان
ولا اتّصال ولا انفصال | ولا افتراق ولا اقتران
ولا التفات ولا جهات | ولا مكان ولا زمان
ولا حلول ولا اتّحاد | ولا تناء ولا تداني

وقوله (لَطِيْفٍ): بالجرّ وصف لمعنى، قال في القاموس: «لَطَفَ كنَصَرَ لُطْفاً، بالضمّ: رَفَقَ ودَنا وككَرُمَ لُطْفاً ولَطَافَة: صَغُرَ ودَقَّ، فهو لطيف». وقال في المصباح: «لَطُفَ الشيءُ فهو لَطِيف، من باب قَرُبَ: صَغُرَ جسمُه، وهو ضدّ الضخامة، والاسم: اللَّطَافَة، بالفتح». وقوله (رائق): بالجرّ، وصف بعد وصف لمعنى من راق الماء يَروق: صَفَا، وروَّقته في التعدية، كذا في المصباح. والرَواق الصافي من الماء وغيره، كما في القاموس. وقوله (بَهِجٍ): بالجرّ أيضاً، وصف بعد وصف لمعنى، وهو صفة مشبهة من البَهْجَة، وهي الحُسْن، وبَهُجَ ككَرُمَ، بَهَاجَة، فهو بَهِيج، كذا في القاموس. ثم فصل ذلك التجلِّي الإلهيّ، والظهور الربّانيّ في أنواع المعاني فقال (في نَغْمَةِ العُود): النغمة واحدة النَغَم محرّكاً، ويُسكَّن، أصله:

الكلام الخفي، والمراد به التطرّب بالشعر وغيره. والعود: آلة من المعازف، كذا في القاموس. وقوله (والنأي): أي: ونغمة النأي، والنأي بتشديد النون بعدها ألف وياء تحتيّة: اسم للقصبة التي ينفخ فيها للطرب، وأصله فارسي: نَيّ، بفتح النون، وتشديد الياء التحتيّة، اسم للقصبة، فعُرّب بزيادة الألف والنون. وقوله (الرخيم): بالخاء المعجمة: رَخُمَ الكلام ككُرم، فهو رخيم: لَانَ وسَهُلَ، كرَخَمَ، كنَصَر. ورَخُمَت الجارية: صارت سَهْلَة المنطق، فهي رَخِيْمَة ورَخِيم، ومنه التَرْخِيم في الأسماء؛ لأنّه تسهيل للنطق بها، كما في القاموس. وقوله (إذا تأَلّفَا): أي العُوْد والناي. يعني: توافقا في النغمة الواحدة، والضرب الواحد. وقوله (بَيْنَ أَلْحانٍ): جمع لَحْن، وهو واحد الأصوات المصوغة، والجمع: ألحان ولُحُون، ولَحَّنَ في قراءته: طَرَّب فيها، كذا في القاموس. وقوله (من الهَزَجِ) محرّكة: نوع من الأغاني، وفيه ترنّم وصوت مطرب، وكلّ كلام متدارك، متقارب / [٣٧٧/ أ] وجنس من العروض وقد أهْزَجَ الشاعر، وهَزِجَ المغني، كفرح، وتَهَزَّجَ وهَزَّجَ، كما في القاموس. والمعنى: إنّ الوجود الحقّ يتجلّى له، وينكشف لآذانه في وقت السماع بطيب الألحان، وصورة الصوت المطرب، لأنّه تعين من جملة التعينات التي عيّنها الوجود الحقّ فظهرت به، وظهر بها من حيث أسماؤه الحسنى وصفاته العليا، وذاته غائبة لكمال تنزّهها عن الأكوان ومحوها وفنائها لكلٍّ ما هو كائن أو كان. وقوله (وفي مَسَارِح): جمع مَسْرَح، بالفتح، وهو المرعى، كذا في القاموس.

وقوله (غِزْلَان): جمع غَزال، كسحاب: الشادِن حتّى يتحرّك ويَمْشِي، أو من حين يولد إلى أنْ يبلغ أشُدَّ الإحضار، والجمع غِزْلَة وغِزْلان بكسرهما، كذا في القاموس. وقوله (الخمائل): جمع خميلة، بالخاء المعجمة، قال أبو صاعد: الخميلة الشجر المجتمع الكثيف. وقال الأصمعي: الخَمِيلَة رملةٌ تُنبت الشجر، كذا في الصحاح. والمعنى: إنّ الحق تعالى يتجلّى له، ويظهر لعيونه في صور مراعي

الغزلان بين الأشجار المجتمعة الملتفة، فكان تجلّيه وظهوره في ذلك كلّه؛ لأنّها تعيناته التي عيّنها بتأثير أسمائه فيها، فهو ظاهر بها، وهي ظاهرة به. وقوله (**في بَرْدٍ**): بفتح الباء الموحّدة وسكون الراء: خلاف الحَرّ. وقوله (**الأصائل**): جمع أصيل، وهو العشي، وجمعه: أُصُل وآصال وأصَائِل، كذا في القاموس. وقوله (**والإصباح**): بفتح الهمزة جمع صُبْح، وهو: الفجر، أو أوّل النهار. كذا في القاموس. وقوله (**في البَلَجِ**): بالتحريك، أي: الإضاءة والإنارة، قال في المصباح: «بَلَجَ الصُبْحُ بُلُوجاً، من باب قعد: أسْفَر وأنار، ومنه قيل: بَلَجَ الحقّ: إذا وَضَحَ وظَهَرَ، وبَلَجَ بَلَجاً: من باب تعب، لغة. يعني: إنّه يتجلّى له الحقّ تعالى، ويظهر لحسّ لمسه في صورة برد الهواء وقت العشيّ، ووقت الصباح، فإنّ ذلك لذيذ في مذاق الأرواح. وقوله (**وفي مَسَاقِط**): جمع مَسْقَط: موضع السُقُوط، من سَقَطَ سُقُوطاً ومَسْقَطاً: وَقَعَ، والمَسْقَط كمَقْعَد: الموضع، وكمَنْزِل. وقوله (**أَنْدَاء**): جمع ندى، وهو ما أصاب من بلل، وبعضهم يقول: ما سقط آخر الليل: أنداء، وأمّا الذي يسقط أوّله فهو السَّدَى، والجمع: أنداء مثل: سبب وأسباب، كما في المصباح. وقوله (**الغَمام**) أي السحاب، والغمامة الواحدة منه. وقوله (**على بِساط**): أي مايبسط، فِعال، بمعنى مفعول، متعلّق بمساقط. وقوله (**نَوْرٍ**) بالفتح، قال في المصباح: «نَوْر الشجرة، مثل: فَلْس: زهرها، والنَوْر: زَهْر النَبْت أيضاً، الواحدة: نَوْرَة، مثل: تَمْر وتَمْرَة».

وقوله (**من الأزهار**): صفة بيان لنور، إشارة إلى كثرة أنواع ذلك النور. وقوله (**منتسج**): صفة بساط، وبساط نكرة، وإضافته إلى النكرة لا تفيده تعريفاً، و(منتسج): بمعنى منسوج، من نسجته فانتسج، مطاوع نسج، يقال: نَسْجْتُ الثوب نَسْجَاً من باب ضرب. والمعنى: إنّه يتجلّى الحقِّ تعالى له أيضاً في المواضع التي تسقط عليها أنداء الأمطار، وفيها ألوان للأزهار، منتشرة كالبساط المنسوج

بأنواع النقوش، ويظهر لعيونه كذلك منكشفاً بصور ما هنالك. وقوله (وفي مَسَاحِب): جمع مَسْحَب: اسم موضع السحب، يقال: سَحَبْتُه على الأرض سَحْباً، من باب نفع: جَرَرْته، كذا في المصباح. وقوله (أذيال): جمع ذيل، وأصله من ذال الثوب يَذيل ذَيلاً، من باب باع: طال حتّى يمسّ الأرض، ثمّ أُطلق الذيل على طَرَفِه الذي يلي الأرض وإنْ لم يِمَسَّها تسميةً بالمصدر، والجمع: ذُيُول، كما في المصباح. وقوله (النسيم): هو نفس الريح. شبّه مرور النسيم على تلك الأرض بإنسان له أذيال طوال تنسحب خلفه، استعارة بالكناية. وأثبت له الأذيال تخييلاً، والمساحب ترشيح. وقوله (إذا أهدى): أي أوصل. وقوله (إليّ): بتشديد الياء التحتيّة. وقوله (سُحَيْراً): تصغير سَحَر، بفتحتين: قبيل الصبح، وبضمّتين: لغة. والجمع: أسحار، كذا في المصباح. وقوله/ [٣٧٧/ ب] (أَطْيَب): مفعول أهدى: (الأَرَج): بالتحريك، مصدر أَرِجَ المكانُ أرَجاً فهو أَرِج، مثل: تعب تعباً فهو تعب: إذا فاحت منه رائحة طيبة ذكيّة، كما في المصباح. وقال في القاموس: «الأَرَجُ محرّكة، والأَرِيج والأَرِيجَة: تَوَهُّج رِيح الطِّيب. أَرِجَ كفَرِحَ. والمعنى: إنّه تعالى يتجلّى له، ويظهر بصورة المواضع التي يمر النسيم عليها ويتردد، فتفوح منه روائح الطيب ونفحات الأزهار من كلّ غصن رطيب، وينكشف سبحانه بذلك لأنفه فيشتمّه، ويلتذّ بلطفه.

٣٤- وَفِي الْتِثَامِي ثَغْرَ الكَأْسِ مُرْتَشِفَاً   رِيقَ المُدَامَةِ فِي مُسْتَنْزَهٍ فَرِجِ

وقوله (وفي الْتِثَامِي): الالتثام مصدر الْتَثَمَ. يقال: لَثَمْتُ الفمَ لَثْماً، من باب ضرب: قَبَّلْتُهُ، ومن باب تعِب، لغة. وقوله (ثَغْرَ): الثَغْر: المَبْسِم، ثمّ أُطلق على الثَنايا، كذا في المصباح. وقوله (الكأس): بإضافة الثغر إليه على طريق الاستعارة. وقوله (مُرْتَشِفاً): حال من ياء المتكلّم في التثامي. والارتشاف مصدر ارتشف. قال في القاموس: «رَشَفَهُ يَرْشُفُهُ كنَصَرَهُ وضَرَبَه وسَمِعَه، رَشْفاً: مَصَّهُ، كارْتَشَفَه

وتَرَشَفُّه». وقوله (ريق المدامة): أي الخمرة، على طريق الاستعارة المكنيّة. كناية عن مطالعة المعاني الإلهيّة، والحقائق الوجدانيّة.

وقوله (فِي مُسْتَنْزَهٍ): بصيغة اسم المفعول، يقال استنزه: إذا طلب النزهة، قال في القاموس: «التَنَزُّه: التباعُد، والاسم: النُّزْهَة، بالضمّ». واستعمال التنزّه في الخروج إلى البساتين والخضر والرياض غلط قبيح. وقال في المصباح: «قال ابن السكِّيت في «فصل ما تضعه العامّة في غير موضعه»: خَرَجْنَا نتنزُّه إذا خرجوا إلى البَسَاتِين، وإنّما التَنزُّه: التباعد عن المياه والأرياف، ومنه: فلان يَتَنَزَّه عن الأقذار، أي: يُباعد نفسَه عنها، ويقال: تَنَزَّهُوا بِحُرَمِكُم، أي: تباعدوا». وقال ابن قتيبة: ذهب بعضُ أهل العلم في قول الناس «خرجوا يتنزَّهون إلى البساتين»: إنّه غلط ، وهو عندي ليس بغلط؛ لأنّ البساتين في كلّ بلد إنّما تكون خارج البلد، فإذا أراد أحد أن يأتيها فقد أراد البعد عن المنازل والبيوت، ثمّ كثُر هذا حتّى استُعملت النزهةُ في الخُضَر والجِنان.هذا لفظه. وقال ابن القوطيّة والأزهري وجماعة: نَزِهَ المكان فهو نَزِه، من باب تعِب، ونَزُه بالضمّ نَزَاهَة فهو نَزِيه، قال بعضهم: معناه: إنّه ذو ألوان حِسان. وقال الزمخشري: أرضٌ نَزِهَة، وذات نُزْهَة، وخرجوا يَتَنَزَّهون: يطلبون الأماكن النَزِهَة، وهي النُّزْهَة والنُّزَهُ، مثل: غُرفة وغُرَف». وقوله (فَرِجٍ): بفتح الفاء وكسر الراء، صفة مستنزه مشتق من الفُرْجَة مثلّثة: التَفَصِّي[1] من الهم، كذا في القاموس. وقال في المصباح: «الفَرْجَة، بالفتح: مصدر يكون في المعاني، وهي الخُلُوص من شدّة، والضمّ فيها اسم».

والإشارة بذلك إنّ المستنزه الفَرِج، وما حصل ممّا ذكر كلّ ذلك تجلّيات إلهيّة لحاسّة الذوق، وللعيون في كلّ صورة تكون، لأنّها مخلوقاته معدومة الظاهر فيها بحضرة وجوه المعلومة.

---

(١) التفصّي: الخلاص.

٣٥- لَمْ أَدْرِ مَا غُرْبَةُ الأَوطَانِ وَهْوَ مَعِي وَخَاطِرِي أينَ كُنَّا غَيْرَ مُنْزَعِجِ
٣٦- فَالدَّارُ دَارِي وَحِبِّي حَاضِرٌ وَمَتَى بَدَا فَمُنْعَرَجُ الجَرعَاءِ مُنْعَرَجِي

(لم أدري ما غربة الأوطان): جمع وطن. يعني: لا أعرف ما هي الغربة عن الأوطان لإعراضه عن كلّ ما سوى المتجلّي الحقّ في جميع الأكوان؛ وإنّما يدرك ذلّ الغربة ومشقّتها الغائب عنه تعالى، الحاضر مع الأشياء في الأماكن والأزمان، قال الشاعر:

حَسَّنوا القول وقالوا غربة إنّما الغربة للأحرار ذبح

وفي الحديث: «حبّ الوطن من الإيمان»[1] وأوّل الأوطان حضرة العلم الإلهيّ القديم، ثمّ حضرة الإرادة الربّانيّة، ثمّ حضرة الكلام النفسانيّ القديم، ثمّ حضرة القلم/ [٣٧٨/ أ] الأعلى واللوح المحفوظ إلى أن يظهر الكائن في عالم الدنيا، فيكون غريباً عن أوطانه، فإذا شهد الحقّ تعالى الغائب عنه بالذات وهو حاضر بالأسماء والصفات في أنواع التجلّيات لم يدر ما غربة أوطانه في جميع أزمانه. وقوله (وهو معي): أي ذلك المكنّى عنه بالرشأ فيما سبق من الكلام، معي لا يفارقني على كلّ حال؛ لأنّه وجودي الحقّ الذي أنا به موجود مع أنّي باطل معدوم محال، قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ [٥٧/ الحديد/ ٤] فالأينيّة والكونيّة لنا لا له تعالى، وإنّما المعيّة فقط، وهي الظهور بالوجود في مراتب الحدود. وجملة (وهو معي): في موضع نصب حال من فاعل أدري، والواو للحال. وقوله (وخَاطِرِي): وهو ما يخطر بالقلب من تدبير أمر، يقال: خَطَر ببالي، وعلى بالي، خَطْراً وخُطُوْراً، من بابي ضرب وقعد، كذا في المصباح. وقوله (أينَ كُنَّا): أي في أي مكان وجدنا من أماكن الدنيا، أو البرزخ والآخرة. وقوله (غَيْرَ مُنْزَعِجِ): أي متألّم بفراق: من أحبّه، أو بعد بيني وبينه؛ لأنّي أشهده ظاهراً متجلّياً في جميع الأكوان بالوجود الحقّ

---

(١) انظر تخريجه ص٣١٥.

في باطن الأعيان. و(المنزعج) من انزعج، قال في المصباح: «أزعَجته عن موضعه إزعاجاً: أزلته عنه، قالوا: ولا يأتِي المطاوع من لفظ الواقع، فلا يقال: فانزعج، وقال الخليل: لوقيل كان صواباً، واعتمده الفارابي وقال: أزعجتُه فانْزَعَج. والمشهور في مطاوعة أزعجته فشخص».

وقوله (فالدار): الفاء للتفريع على ما قبله. يعني: إذا كنت لا أدري الغربة عن الأوطان حيثّ هو معي ظاهراً متجلّياً في كلّ مكان فـ(الدار): اللام لاستغراق الجنس، حيث لا عهد، فكلّ دار، أي: مكان أكون فيه في الدنيا أو البرزخ أو الآخرة. وقوله (داري): يعني هو وطني، أنا فيه لست في دار غربة بسبب أنّه معي حيث كنت، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [٥٧/ الحديد/ ٤]. وقوله (وحِبّي): بكسر الحاء المهملة، أي: محبوبي. وقوله (حاضرٌ): أي لا غيبة له عنّي؛ لأنّه وجودي الذي أنا موجود به في ظاهر الحال، ولا يغيب أحد عن وجوده، وإنْ غاب عن خصوص كونه وتعيينه، لأنّ ذلك أمر عدميّ في الحقيقة. وقوله (ومتى بدا) أي: في أي وقت من الأوقات بدا، أي: خرج إلى البادية من الحضر، أي: من حضوره عندي، قال في المصباح: «بدا إلى البادية بَداوة، بالفتح والكسر: خرج إليها، فهو بادٍ. والبَدْو: مثال فَلْس: خلاف الحضر والنسبة إلى البادية بدوي، على غير قياس. والبوادي: جمع البادية». والمعنى: إنّه معي، استتر عنّي بإظهار صورتي العدميّة لي؛ فأراني أياها موجودة بوجوده، من غير أنْ أعرف أنّها موجودة بوجوده، وهي الغفلة التي قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ [١٨/ الكهف/ ٢٨] وذلك لأنّه تعالى يملك القلوب والأبصار، ويقلبها على حسب ما يريد ويختار. وقوله (فمُنْعَرَج): بضمّ الميم وسكون النون وفتح العين المهملة وفتح الراء وآخره جيم، قال في المصباح: «مُنْعَرَج الوادي بصيغة اسم المفعول: حيث يميل يمنة ويسرة». وقوله (الجَرعَاء) قال في الصحاح: «الجَرَعَة بالتحريك، واحدة الجَرَع، وهي رملة مستوية لا تنبت شيئاً، وكذلك الجَرعاء، والأَجْرَع».

وقال في القاموس: «الجَرَعَة، وتحرّك: الرملة الطيِّبة المَنبَت، لا وُعُوثَةَ فيها، أو الأرض ذات الحُزونة تشاكل الرمل، أو الدِّعْص لا يُنْبِتُ، أو الكَثيب جانبٌ منه رمل، وجانبٌ حجارة كالأَجْرَع والجَرْعَاء». وقوله (مُنْعَرَجِي): بصيغة اسم المفعول أيضاً. والمعنى: بمنعرج الجرعاء مكابدة السلوك بالذلّ والتقوى في طريق الله تعالى، وجمع الهمّة بالتوجّه إليه سبحانه، والإعراض عمّا سواه تعالى بالكلّيّة، وهي المجاهدة الشرعيّة؛ فإنّ هذه الحالة يستقيم فيها أمره، فيجد فيها قلبه فكأنّ/ [٣٧٨/ ب] محبوبه نازل فيها، حيث يجده هناك لقوله (بدا): أي خرج إلى البادية، ومنعرج الجرعاء من جملة البادية، فمنعرج الجرعاء كناية عن حالات السلوك في الطريق المستقيم الذي يدخل في إمكان المريد السالك تحت اختياره لاشتماله على تجرّع الشدائد ومكابدة الآلام والمشقّات بترك العوائد؛ فيصير ذلك المنعرج الذي هو موطن محبوبه موطناً له أيضاً، ولهذا قال (منعرجي) فيجتمعان معاً في موطن واحد، ويعود إلى شهوده، والكشف عن تجلّي وجوده.

٣٧- لِيَهْنَ رَكْبٌ سَرَوْا لَيْلاً وَأَنْتَ بَهِمْ   بِسَيْرِهِمْ فِي صَبَاحٍ مِنْكَ مُنْبَلِجِ

٣٨- وَلْيَصْنَعِ الرَّكْبُ مَا شَاؤُوا بِأَنْفُسِهِم(١)   هُمْ أَهْلُ بَدْرٍ فَلَا يَخْشَوْنَ(٢) مِنْ حَرَجِ

[لِيهْنَ] بكسر اللام، لام الأمر. ويَهْنَ: فعل مضارع مجزوم بلام الأمر، وعلامة جزمه حذف الألف من آخره، قال في المصباح: «هَنُؤَ الشيءُ، بالضمّ مع الهمزة، هَنَاءَة بالفتح والمدّ: تَيَسَّر من غير مشقّة ولا عناء، فهو هَنِيءٌ، ويجوز الإدغام. وهَنَأَنِي الولدُ يَهْنَؤُنِي، مهموز، من بابي نفع وضرب، أي: سرَّنِي. وتقول العرب في الدعاء: لِيَهْنِئْكَ الولدُ، بهمزة ساكنة، وبإبدالها ياء، وحذفُها عاميٌّ. والمعنى لِيَنْسَرَّ، من السرور، وهو الفرح. وقوله (رَكْبٌ): فاعل يهنئ، وهو جمع راكب، قال في

(١) في (ق): لأنفسهم.
(٢) في (ق): يخشوا.

المصباح: راكب الدابَّة، جمعه رَكْبٌ، مثل: صاحبٍ وصَحْب، ورُكْبَان». كنّى بالركب عن طائفة أهل الله العارفين به، المحقِّقين لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٧٠] برّ الجسمانيّات، وبحر الروحانيّات؛ فهم المحمولون على كلّ حال لشهودهم الحاصل الحقّ، وقيامهم به ظاهراً وباطناً، فهم ركب دائم الإشارة، سائرون به إليه تعالى في طريقه المستقيم، وتنكير الركب للتعظيم. وقوله (سَرَوْا): أي ساروا. وقوله (ليلاً): تأكيد لمعنى سروا، برفع احتمال المجاز باستعمال السُّرَى في سير النهار. قال في القاموس: «السُّرَى كالهُدَى: سَيْرُ عامَّة الليل، سَرَى يَسْرِي سُرَىً ومَسْرَىً، و﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [١٧/ الإسراء/ ١] تأكيداً»، ومعناه: سيّره. وقال في المصباح: «سَرَيْتُ الليلَ، وسريتُ به سَرْيَاً: إذا قطعته بالسير، وأَسرَيْتُ، بالألف: لغة حجازيّة». وكنّى بالليل عن ظلمة الأكوان؛ فهم محمولون به، سائرون إليه به في ظلمات النفوس والطبائع لتحقّقهم بها أنّها تجلِّياته الربّانيّة في حضراته الإنسانيّة. وقوله (وأنت): خطاب للمحبوب المكنّى عنه بما تقدّم. وقوله (بهم): أي ظاهر بوجودك الحقّ في تقادير أعيانهم العدميّة. وقوله (بسيرهم): متعلِّق بيهنئ، أي: ليهنؤوا بسيرهم، يقال: هَنَأْتُهُ بالخبر الطيِّب، أي: سرّه به، والسير مصدر سار يسير سيراً، وهو الذهاب. والضمير للركب. وقوله (في صباح منك): أي ظاهر لهم من ظهوروجودك الحقّ، وهو النور الحقيقيّ، وهذا من التجريد البياني كقولهم: رأيت من زيد أسداً. وقوله (مُنْبَلِج): صفة لصباح بصيغة اسم الفاعل من قولهم: بَلَجَ الصبحُ بُلُوجاً، من باب قعد: أسفَر وأنار، وابْتَلَجَ الصبحُ بمعنى: بَلَجَ وأَبْلَج كذلك، كما في المصباح. وقال في القاموس: «بَلَجَ الصُبْحُ: أضاءَ وأَشْرَق، كانْبَلَج وتَبَلَّجَ وأَبْلَجَ، قال القائل:

لـــــيلي بوجهـــــك مـــــشرق	وظلامـــه في النـــاس ســـاري
النـــــاس في غـــــسق الظـــــلا	م ونحـــن في ضـــوء النهـــار

وقوله (وَلْيَصْنَع): بلام الأمر الساكنة، وهي المكسورة في الأصل قال الرضي:

[illegible] فيه لام الدعاء، نحو: لِيغفر لنا [illegible] بعد الواو والفاء، ثمّ نحو: ﴿وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ﴾ [٤/ النساء/ ١٠٢] و﴿ثُمَّ لْيَقْضُواْ﴾ [illegible] أكثر». وقوله/ [١٧٩/ أ] (الركب): اللام للعهد الذكري، أي: ذلك الركب المذكورون قبله. وقوله (ما شاؤوا): مفعول يصنع. وقوله (لأنفسهم): أي لأجل أغراض أنفسهم، فإنّهم قائمون بأنفسهم بربّهم، فأنفسهم بيد ربِّهم، يتصرّف بها كيف يشاء، وهو تصرّفهم بها كيف يشاؤون، قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [٧٦/ الإنسان/ ٣٠] والغافل قائم بنفسه ذوقاً، وبربّه علماً لا ذوقاً؛ فعلمه حجاب على ذوقه. وهؤلاء الركب قائمون بأنفسهم بربّهم ذوقاً وكشفاً على حدّ قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [١٣/ الرعد/ ٢٠]. وقوله ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾ [٨٥/ البروج/ ٢٠] وقوله عليه السلام: «والذي نفسي بيده»[1] وللشيخ الأكبر قدّس سرّه:

قلمي ولوحي في الوجود يمدّه ... قلم الإله ولوحه المحفوظ

ويدي يمين الله في ملكوته ... ما شئت أصنع والشؤون حظوظ

يشير بالقلم إلى عقله، وباللوح إلى نفسه. وقوله (هم): أي الركب المذكورون، وقوله (أهل بدر): قال الراغب: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ [٣/ آل عمران/ ١٢٣] هو موضع مخصوص بين مكّة والمدينة. وقال في المصباح: «بدر موضع بين مكّة والمدينة، على منتصف الطريق تقريباً وعن الشعبي: هو اسم بئر هناك. قال: وسُمِّيَت بدراً لأنّ الماء كان لرجل من جُهينة اسمه بدر. وقال الواقدي: كان شيوخ غِفار يقولون: بدر ماؤنا ومنزلنا، وما ملكه أحدٌ قبلنا، هو من ديارغفار». وفي التورية بالمعنيين؛ فإنّ البدر اسم للقمر أيضاً ليلة التمام، قال الراغب: قيل

---

(١) انظر تخريجه ص١٥١.

سُمّي بذلك لمبادرته الشمس بالطلوع. وقيل لامتلائه، تشبيها بالبدرة، فعلى ما قيل يكون مصدراً في معنى الفاعل. والأقرب عندي أنْ يجعل البدر أصلاً في الباب، ثمّ تعتبر معانيه التي تظهر منه؛ فيقال تارة بدر كذا، أي: طلع طلوع البدر. ويعتبر امتلاؤه تارة فتشبه البدرة به، وهي كيس فيه ألف أوعشرة آلاف درهم أو سبعة آلاف دينار». والإشارة بقوله: أهل بدر إلى معنيين: الأوّل أنّهم أهل الغزوة المشهورة التي غزاها النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قبل فتح مكّة بعد الهجرة. والنصر ببدر هو المشهور الذي قتل فيه صناديد قريش. وعلى ذلك اليوم بُني الإسلام. وكان تاريخ بدر يوم سبعة عشر من رمضان، يوم الجمعة لثمانية عشر شهراً من الهجرة. وكانت الصحابة رضي الله عنهم قليلين لقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ [٣/ آل عمران/ ١٢٣] معناه: قليلون؛ فإنّهم كانوا ثلاث مئة وثلاثة عشر أو أربعة عشر رجلاً. وكان عدوّهم مابين التسعمائة إلى الألف، ذكره ابن عطيّة[1] في تفسيره. وقال بعضهم: إنّ عدد رجال أهل بدر الثلاثمئة وأربعة عشر في عدد اسم محمّد؛ فإنّه ثلاث ميمات، كلّ ميم ميمان وياء؛ فكلّ ميم بعدد تسعين ودال بثلاثين تتمّة الثلاثمئة وخمسة مع حاء بتسعة فهي أربعة عشر وثلاثمئة، وهو سرّ عظيم تضمنّه الاسم الكريم. والمعنى الثاني: إنّهم أهل بدر، هو القمر على معنى التشبيه بتجلّي الحقّ تعالى بهم عليهم، وانكشافه لهم بهم، كما أنّ الشمس متجلّية ليلاً بالقمر، ظاهرة به لأهل الليل؛ فإنّ نور البدر المشرق هو نور الشمس، قام كالمرآة المجلوّة، فاظهر نورها بصفائه من غير انتقال ولا حلول أصلاً؛ فكذلك الوجود الحقّ تعالى ظاهر في مرايا الأكوان، فإذا صفا الكون وارتفع عنه حجاب الوهم بالغيريّة

---

(١) عبد الحقّ بن غالب بن تمّام ابن عطيّة، الإمام الكبير، قدوة المفسّرين، أبو محمّد بن الحافظ أبي بكر المحاربيّ الغرناطيّ القاضي. حدّث عن أبيه وغيره، كان فقيهاً عارفاً بالأحكام والحديث والتفسير، بارعاً في الأدب، ذا ضبط وتقييد وتجويد وذهن سيّال. ولو لم يكن له إلّا التفسير لكفاه (٤٨٠ – ٥٤٢). انظر الوافي بالوفيّات ٦/ ٤٧.

ظهر فيه نور الوجود الحقّ، فشهده المريد السالك العارف المحقِّق، فكان هوالبدر لظهور شمس الأحديّة من الحضرة الإلهيّة، قال عليه السلام: «إنّكم سترون ربّكم كما ترون البدر ليس دونه سحاب». وفي رواية: «كما ترون الشمس»[1] الحديث في صحيح مسلم وغيره. وقلنا في معنى ذلك مطلع/ [٣٧٩/ ب] قصيدة:

يا طلعة الشمس أو يا طلعة القمر   تختال في حلل الأشباح والصور

وقوله (فلا يخشون): أي لا يخافون. وقوله (من حرج): أي إثم، وهو الذنب، مصدر حرج الرجل: أَثِم. ورجل حَرِج: أَثِم، كذا في المصباح. فإنّ قول الناظم هذا يشير إلى معنى ما ورد في حديث البخاريّ ومسلم وأبي داوود بإسنادهم عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ـ واللفظ للبخاريّ ـ قال: «بعثني رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأبا مرثد والزبير بن العوّام وكلّنا فارس، قال: انطلقوا حتّى تأتوا روضة خاخ؛ فإنّ بها امرأة من المشركين معها كتاب من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين، فأدركناها تسير على بعير لها حيث قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فقلنا: الكتاب. فقالت: ما معنا كتاب. فأنخناها، فالتمسنا فلم نرَ كتاباً، فقلنا: ما كذب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، لتخرجنّ الكتاب أو لنجرِّدنّك. فلما رأت الجدّ أهوت إلى حجزتها، وهي محتجزة بكساء، فأخرجته فانطلقنا بها. وفي رواية له فانطلقنا به إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال: عمر يا رسول الله، قد خان الله ورسوله والمؤمنين فدعني فلأضرب عنقه. فقال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: ما حملك على ما صنعت. قال حاطب: والله ما بي إلّا أنْ أكون مؤمناً بالله ورسوله: أردت أنْ يكون لي عند القوم يد يدفع الله بها عن أهلي ومالي، وليس أحد من أصحابك إلّا له هناك من عشيرته من يدفع الله به عن أهله وماله. فقال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم صدق، ولا تقولوا له إلّا خيراً. فقال عمر:

(١) انظر تخريجه ص٢٧١.

إنّه خان الله ورسوله والمؤمنين، فدعني فلأضرب عنقه. فقال: أليس من أهل بدر، فقال لعلَّ الله اطلع إلى أهل بدر فقال اعملوا ماشئتم فقد وجبت لكم الجنّة، أو قد غفرت لكم. فدمعت عينا عمر، وقال: الله ورسوله أعلم»[1]. وفي رواية له أيضاً قال: «فقال يا عمر، وما يدريك لعلّ الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم؛ فقد وجبت لكم الجنّة. فدمعت عينا عمر، وقال: الله ورسوله أعلم»[1]. وفي رواية صحيح مسلم فقال عمر: دعني يا رسول أضرب عنق هذا المنافق، فقال: إنّه قد شهد بدراً، وما يدريك لعلّ الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم؛ فقد غفرت لكم». فقوله (اطّلع إليهم): أي انتهى اطّلاعه إلى التجلّي بحقائقهم، وهو المقام الذاتيّ المقتضي للفناء في وجود الله تعالى وقوله. وفي رواية مسلم: «اطّلع عليهم» أي: مستولياً على حقائقهم بالتجلّي عليهم بهم مع ثبوت أعيانهم، وهو المقام الصفاتيّ الأسمائيّ، وهو قول الناظم فيما مرّ (تراه إنْ غاب عنّي كلّ جارحة) إلى آخره، قال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ وهم الأوّلون - ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ - وهم الآخرون - ﴿وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [٣٣/ الأحزاب/ ٢٣] بل متّعهم الله تعالى بحقيقة الأمر على ما هو عليه؛ فالقول باللام للقسم الأوّل. والقول بالباء للقسم الثاني، والإشارة باللام إلى قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [٤/ النساء/ ١٢٦] وقوله: ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ﴾ [٢٧/ النمل/ ٩١] وقوله: ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [٦/ الأنعام/ ١٣] ليل الأجسام ونهار الأرواح وعبّر بـ (ما) التي لما لا يعقل دون من التي لمن يعقل، إشارة إلى تعطيل العقل عن إدراك هذه الحقائق، وامتداد هذه الرقائق. والإشارة بالباء إلى نحو قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [١٦/ النحل/ ١٢٧]

---

(١) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب: المغازي، باب: فضل من شهد بدراً، ٣٩٨٣. كما أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب: من فضائل أهل بدر، ٦٥٥٨. وأخرجه أبو داوود، كتاب: الجهاد، باب: في حكم الجاسوس إذا كان مسلماً، ٢٦٥٢.

وقوله: ﴿ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآ﴾ [١١/ هود/ ٤١] وقوله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله، وهم المضطربون قبل طمأنينة القلوب إلى وحدة علام الغيوب، قال إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِن﴾/ [٣٨٠/ أ] ﴿قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِي﴾ [٢/ البقرة/ ٢٦٠] أي: يسكن إليك، ويفنى بالكليّة بين يديك. وللشيخ الأكبر في هذا قوله:

أقـــول بـــاللام لا بالبـــاء إنّ لنـــا   شخـصاً ينـازعني في القـول بالباء

وقوله: «اعملوا ما شئتم» يعني: إنّ أعمالكم وأنتم في هذه الحالة بنوعيها ليست أعمالكم؛ بل هي أعمالنا قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [٣٧/ الصافات/ ٩٦] أي: وأعمالكم، وإنّ مشيئتكم ليست هي مشيئتكم؛ بل هي مشيئتنا، قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [٧٦/ الإنسان/ ٢٠] وقوله «فقد وجبت لكم الجنّة»، أي لزمت من فيض الفضل، والجنّة هي الستر، ولهذا سميّت جنّة، فلهم الاستتار عن معانيه الأغيار في هذه الدار وفي دار القرار بشهود تجلّي الواحد القهار. وقوله في الرواية الأخرى: «قد غفرت لكم» أي: جعلت لكم ستراً عن تلك الملاحظة بظهور الحقيقة الوجوديّة الحافظة، قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [١٨/ الكهف/ ٢٤] أي: نسيت نفسك.

٣٩- بِحَقِّ عِصْيَانِيَ اللَّاحِي عَلَيْكَ وَمَا   بِأَضْلُعِي طَاعَةً لِلْوَجْدِ مِنْ وَهَجِ

٤٠- أُنْظُرْ إِلى كَبِدٍ ذَابَتْ عَلَيْكَ جَوَىً   وَمُقْلَةٍ مِنْ نَجِيعِ الدَّمْعِ فِي لُجَجِ

٤١- وَارْحَمْ تَعَثُّرَ آمَالِي وَمُرْتَجَعِي   إلى خِدَاعِ تَمَنِّي الوَعْدِ بِالْفَرَجِ

٤٢- وَاعْطِفْ عَلَى ذُلِّ أَطْمَاعِي بِهَلْ وَعَسَى   وَامْنُنْ عَلَيَّ بِشَرْحِ الصَّدْرِ مِنْ حَرَجِ

(بحقّ): الباء الموحّدة باء القسم، أي: أقسم عليك بالحقّ الذي أنا قائم به، وهو ضدّ الباطل، أو هو اسم من أسماء الله تعالى يحقّق به كلّ حقيقة كونيّة، فيجعلها محقّقة وجوديّة، قال تعالى: ﴿وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَ﴾ [١٧/ الإسراء/ ١٠٥]

وقال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ [٦/ الأنعام/ ٧٦] وقال تعالى: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ ـ والباطل كلّ شيء غيره تعالى ـ ﴿إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [١٧/ الإسراء/ ٧٣] من قبل أنْ يظهر زهوقه. وقد أضاف الحقّ إلى قوله (**عِصْياني**): أي عدم مطاوعتي، هو الامتناع عن وساوس الأغيار بعد ظهور الأسرار. وقوله (**اللّاحي**): مفعول اسم المصدر، قال في المصباح: «عَصَى العبدُ مولاه عَصْياً من باب رَمَى، ومَعصِيَة، والاسم العِصْيان». وقال الرضي: ويعمل اسم المصدر عمل المصدر، كقوله:

أكفــــراً بعــــد ردّ المــــوت عنّــــي   وبعــــد عطائــــك المئــــةَ الرِّتَاعــــا

أي: إعطاؤك. وقوله (**عليك**): متعلّق باللاحي، وهو اسم فاعل من لَحَيْتُ فلاناً ألْحَاه: لمته، كذا في القاموس؛ فاللّاحي هو اللّائم على المحبّة، والخطاب للمكنّى عنه بالرشأ في البيت السابق. وقوله (**وما**): أي وأمر عظيم معطوف على عصياني، أي: وحقّ أمرعظيم. وقوله (**بأَضْلُعِي**): صفة للنكرة، وهي جمع ضِلْع، قال في المصباح: الضِلَع من الحيوان، بكسر الضادّ المعجمة، وأمّا اللام فتفتح في لغة الحجاز وتسكَّن في لغة تميم، وهي أنثى، وجمعها أَضلُع وأَضلاع وضُلُوع، وهي عظام الجنبين». والمعنى بالأضلع ما اجتمعت عليه من القلب والأحشاء. وقوله (**طاعة**): أي من أجل الطاعة. وقوله (**للوجد**): متعلِّق بطاعة، وهي الانقياد والامتثال، قال في المصباح: «ولا تكون الطاعة إلّا عن أمر، كما أنّ الجواب لا يكون إلّا عن قول، يقال له: [أَمَرَهُ فأطاعه]. وقال ابن فارس: إذا مضى لأمره فقد أطاعه إطاعة. وإذا وافقه فقد طاوعه». وقوله (**مِنْ وَهَج**): بيان لما، والوَهَج: محرّكة، الاسم، من وَهَجَتِ النار تَهِجُ وَهْجاً ووَهَجَاناً: اتَّقَدَت، كذا في القاموس. والمعنى: وحقّ أمر عظيم، من وَهَجِ نار المحبّة الإلهيّة واتّقادها في قلبي طاعة منِّي للوجد، أي: من العشق الربّانيّ، والشوق الروحانيّ؛ فإنّ ذلك أمرجليل، وحال جميل. وقوله (**انظر**): فعل دعاء، وهو جواب القسم. والخطاب

للمحبوب الحقيقيّ المكنّى عنه بما سبق، والمراد نظر رحمة خاصّة استعدّ لها وإلّا فإنّ/ [٣٨٠/ ب] الرحمة العامّة شاملة للكلّ، قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٥٦] وهي التي استوى بها على العرش، بقوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [٢٠/ طه/ ٢٩] وهي التي أعطت الاستعداد لكلّ شيء فيقبل بها المؤمن إيمانه، ولا يقبل الكفر، ويقبل بها الكافر كفره، ولا يقبل الإيمان، وهكذا في كلّ قابل لشيء. وقوله تعالى: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا﴾، أي: أظهرها بالاستعداد للإيمان ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ أي: يتّقون الكفر، وهو قوله سبحانه: ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [٥٨/ المجادلة/ ٢٢] ومن ذلك ما يحكى عن إبليس أنّه اجتمع بسهل بن عبد الله التستريّ قدّس الله سرّه، فقال له: يا سهل، ألست شيئاً وقد قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ فسكت سهل ثمّ قال: ظننت أنّي ظفرت عليه بالحجّة فقلت له أكمل الآية؛ فإنّ الله تعالى قال بعدها: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ فقال إبليس: الآن ظهر لي جهلك بربّك يا سهل، القيد صفتك لا صفته. يعني: إنّ الاستعداد لقبول الإيمان دون الكفر قيد لك لا له، قيدك به برحمته المطلقة، وبقيت رحمته مطلقة عامّة، لا يدري أحد قيدها في الأزل؛ فقد يكون ذلك القيد في وقت دون وقت، وليس كتابتها خاصّة بالمتّقين، قال تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [٦/ الأنعام/ ٥٤] فإنّه تعالى كما قال: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ﴾ [٢٠/ طه/ ٥٠] فأطلق الكتابة، وهي إعطاء كلّ شيء خلقه، وكلّ شيء مرحوم بما أعطاه من خلقه إياه على حسب ما استعدّ له، وكلّ شيء له استعداد لشيء فإعطاؤه واستعداده رحمة له؛ فالرحمة العامّة تعطى الاستعداد، والرحمة الخاصّة إعطاء كلّ شيء خلقه على حسب استعداده، وهي قوله: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا﴾ [٧/ الأعراف/ ١٥٦] بسين الاستقبال لتقسيط الأوقات في الإعطاء المذكور، واختصاص المتّقين بكتابتها في الآية اعتناء بهم، وتعظيماً لمقامهم، وتفخيماً له. وقد عمّم الكتابة في الآية الأخرى حيث أطلق الكتابة فيها، والقرآن يفسّر

بعضه بعضاً. وقوله (إلى كبد): ككتف، وبالفتح، وبالكسر، وجمعه: أكْباد وكُبود، كذا في القاموس. والمتعيّن هنا اللغة الأولى لاستقامة الوزن. وهي بفتح الكاف وكسر الباء الموحّدة. والمعنى: بذلك القلب الروحانيّ المنفوخ فيه من الأمر الربّانيّ. وقوله (ذابت): بتاء التأنيث لأنّ الكَبِد مؤنّث، قال في المصباح: «الكَبِد: من الأمعاء معروفة، وهي أُنثى. وقال الفرّاء: تذكّر وتؤنّث». وذوبانها كناية عن فنائها في شهود الأمرالإلهيّ؛ فإنّ الروح المنفوخ من أمر الله ، قال تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [١٥/الحجر/٢٩] وقال: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْـرِ رَبِّي ﴾ [١٧/الإسراء/٨٥] وهي مخلوقة من الأمر الربّانيّ من غير وساطة، فإذا فنيت بعد فناء الجسد المسوّى لم يبق إلّا الأمر، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ﴾ [٦٥/الطلاق/٥]. وقوله (عليك): متعلّق بذابت، والخطاب للمحبوب الحقيقيّ كما مرّ. وقوله (جوى): منصوب على التمييز، والجَوَى: الحُزْن، وهَوَى باطني، وتَطَاوُل المرض، وداءٌ في الصدر، كذا في القاموس. يعني: إنّ هذا الجوى هو الذي اقتضى فناءها في الأمر الإلهيّ. وقوله (ومقلة): بالجرّ معطوف على كبد، والمقلة: شحمة العين التي تجمع السواد والبياض، أو هي للسواد وللبياض أو الحدقة. وجمعها: مقل كصرد، كما في القاموس. والمُقلة: عبارة عن العين الباصرة. دعاه أنْ ينظر إليها من قوله عليه السلام في حديث المتقرِّب بالنوافل: «كنت بصره الذي يبصر به» حتّى ينظر به إليه، ولا يحجبه عنه حاجب. وقوله (من نَجِيع): النجيع من الدم: ماكان إلى السواد، أو دم الجوف، كذا في القاموس. وقوله (الدمع): وهو ماء العين من حزن أو سرور، وجمعه دموع، والدمعة: القطرة منه، كذا في القاموس. وقوله (في لُجج): لُجَّة: هي معظم الماء، كما في القاموس. يكنِّي باللجج: أي المقاديرالكثيرة من دم الدمع التي غرقت فيها العين عن الصور الكونيّة المدّعية للوجود بنجاسة الشرك الخفي، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾/[٣٨١/أ] ﴿نَجَسٌ ﴾ [٩/التوبة/٢٨] وقد أضيف إلى الدمع، فنجسه، فإذا كان الحقّ بصره الذي

يصر به، رأى به فناء الأكوان، وشهد المتجلِّي الحقّ في جميع الأعيان. وقوله **(وارحم)**: معطوف على انظر، وهو فعل دعاء من الرحمة، وهي الرِّقَّة والمغفرة والتعطّف، كذا في القاموس. وقوله **(تَعَثُّر)**: مصدر تَعَثَّرَ، من عَثَر الرجلُ في ثوبه يَعثُرُ، والدابّة أيضاً، من باب قتل، وفي لغةٍ من باب ضرب، عِثَاراً، بالكسر، والعَثْرَة: المَرَّة، ويقال لِلزّلة عَثَرَة، لأنّها سقوط في الإثم، كذا في المصباح. قال في القاموس: «عَثَر كضَرَب ونَصَرَ وعَلِمَ وكَرُم: تَعَثَّر، كَبَا». وقوله **(أمالي)**: جمع أَمَل، محرّكة، يقال: أَمَلْتُهُ أَمَلاً، من باب طَلَبَ: ترقّبته، وأكثرما يُستعمل الأَمَلُ فيما يُسْتَبعَد حصوله، وقد يكون الأمل بمعنى الطمع، كذا في المصباح. ومعناه: إن آمَالَه ومطامعه تتعثّر تارة فتسقط، وتارة تستقيم، فيتمنّى الوصل، وييأس منه. وقوله **(ومرتجعي)**: معطوف على تعثّر، وهو مصدر ميمي بمعنى الرجوع والانصراف إلى الشيء، نقيض الذهاب. وقوله **(إلى خداع)**: مصدر خَادَعَه مُخَادَعَة وخِدَاعَاً: أراد به المكروه من حيث لا يعلم، كذا في الصحاح. وقوله **(تمنِّي النفس)**: أي نفسي. وقوله **(بالفرج)**: متعلّق بخداع. يعني: إنّ تمنّي نفسه يخدعه بالفرج من الشدّة التي هو فيها، فيوصله تمنِّي نفسه إلى ارتقاب الفَرَج والطمع في حصوله، ولا فرج في وصوله إلى المحبوب الحقيقيّ لعدم المناسبة بينهما بوجه من الوجوه، كما أشرنا إلى ذلك بقولنا من أبيات لنا:

ويا ويح عشّاق الملاحة في الهوى ... يحيرون بين الشرق للشمس والغرب

ومحبوبهم لا زال فيهم مخالفاً ... إذا جنحوا للسلم يجنح للحرب

وقوله **(وأعطف)**: معطوف على انظر أيضاً، من عَطَفَت الناقةُ على ولدها عَطْفَاً، من باب ضرب: حَنَّتْ عليه، ودرّ لبنها، كذا في المصباح. وقوله **(على ذلّ أطماعي)**: جمع طَمَع، يقال: طَمِعَ في الشيء طَمَعَاً وطَمَاعَاً وطَمَاعِيَة، مخفّف، وأكثر ما يُستعمَل فيما يَقرُب حصوله، وقد يُستعمَل بمعنى الأمل، ومن كلامهم: طَمِعَ في غير مَطمَع: إذا أَمَل ما يَبعُد حصولُه، لأنّه قد يقع كلُّ واحد موقعَ الآخر

لتقارب المعنى، كما في المصباح. وإنّما جمع المصدر لقصده كثرة أنواعه، وكون أطماعه ذلًّا، من قولهم: «من طَمِعَ ذلّ». وقوله (بهل): متعلّق بأعطف. وهل: حرف استفهام. يعني: اسأل عنّي ولو مستفهماً بقولك: هل هنا أحد، ولا تعرض عنّي بالكلّيّة بحيث لا تلتفت إليّ، واجبر بذلك كسري، وتعطف على ذلّ طمعي فيك. وقوله (وعسى) معطوف على هل، وعسى: فعل ماض جامد، غير متصرِّف، وهو من أفعال المقاربة، وفيه ترجٍّ وطمع، كذا في المصباح. والمعنى: في ذلك أنْ يقول له محبوبه: عسى أنْ أصلك، أو ألتفت إليك؛ فإنّ هذا أطماع للمحبّ من المحبوب، قاله المحبوب، يحمل بذلك محبّه على الرجاء منه. وقوله (وامنن): معطوف على انظر أيضاً. وقوله (عليّ): بتشديد الياء التحتيّة متعلّق بامنن. وقوله (بشرح الصدر) قال في المصباح: «شَرَحَ الله صدرَهُ للإسلام شَرْحَاً: وَسَّعَهُ لقبول الحقّ». وقوله (من حَرَجٍ): متعلّق بشرح. والحَرَج: مصدر حَرِجَ صدرُه حَرَجَاً، من باب تعب: ضاق. وصدرٌ حَرِج: ضَيِّق، كذا في المصباح.

٤٣- أَهْــلاً بِـمَا لَمْ أَكُــنْ أَهْــلاً لِمَوْقِعِــهِ قَـوْلِ المُبَشِّرِ بَعْـدَ اليَـأْسِ بِـالفَرَجِ

٤٤- لَكَ البِشَارَةُ فَـاخْلَعْ مَا عَلَيْكَ فَقَـدْ ذُكِـرْتَ ثَـمَّ عَلَى مَا فِيـكَ مِـنْ عِـوَجِ

(أهلاً): أي أتيت قوماً أهلاً، قال في المصباح: «قولهم أهلاً وسهلاً ومرحباً، معناه: أتيتَ قوماً أهلاً، وموضعاً سهلاً واسعاً، فابسط نفسك واستأنس، ولا تستوحش. ورَحُبَ المكانُ، من باب قرُب، ويتعدّى بالحرف، فيقال رَحُبَ بك المكان، ثمّ كثر حتّى قيل رَحُبَتْكَ/ [٣٨١/ ب] الدارُ، وهذا شاذّ في القياس؛ فإنّه لا يوجد فَعُل بالضمّ إلّا لازماً، مثل: شَرُفَ وكَرُمَ، ومن هنا قيل: مَرحَبَاً بك ، والأصل: نزلتَ مكاناً واسعاً. ورَحَّبَ به بالتشديد، قال له مرحباً». وقوله (بما): أي بقول المبشّر الآتي ذكره، ثمّ وصف (ما) بقوله (لم أكن أهلاً): الأهل الأصل فيه القرابة، وقد يطلق على الأتباع وأَهْل البلدِ: مَنْ استوطنه، وأَهْل العلم: من

اتّصف به، كذا في المصباح. وقال في القاموس: «أَهْل الأمر: وُلاتُه، وللبيت: سكّانه، وللمذهب: مَن يَدين به، وللرجل زوجته». وقوله (لموقعه): الضمير لما، والموقع موضع الوقوع، قال في المصباح: «مَوقِع الغيث: موضعه الذي يقع فيه». والمعنى: لم أكن أهلاً أنْ أكون موضع وقوعه ومحلّ نزوله لأنّي مقصّر في الأعمال، ومتأخّر في الأحوال. وقوله (قولِ): بالجرّ: بدل من ما. وقوله (المبشِّر): أي الذي يبشّرني من جهة عالم الغيب، وهو الوارد الربّانيّ، أو غيره من هواتف الغيب، ومنه قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه من أبيات له:

ألا عــم صــباحاً أيّهــا الــوارد الــذي   أتانا فحيّانا من الحضرّة الزلفا

وقوله (بعد اليأس): بوزن فَلْس، مصدر يَئِسَ من الشيء يَيْأس، من باب تعب، كذا في المصباح وهو القنوط ، ضدّ الرجاء، أو قطع الأمل، كذا في القاموس. يعني: اليأس من الوصول إلى حضرات القبول. وقوله (بالفرج): متعلّق بالمبشِّر، يقال بشّرته بكذا: إذا أخبرته بخبر مسرّ. وقال في المصباح: «بَشِرَ بكذا يبشَر مثل: فرِح يفرَح وزناً ومعنى، والتعديّة بالتثقيل، لغة عامّة العرب. ويكون التبشير في الخير أكثر من الشرّ. وإذا أطلقت اختصّت بالخير». و(الفَرَج): بفتحتين، من فَرَّجَ الله الغمَّ بالتشديد: كشفه. وقوله (لك ...إلى آخره): في محلّ نصب على أنّه مقول القول في قوله (قول المبشِّر) والجار والمجرور في موضع رفع خبرمقدّم لإفادة الحصر والاهتمام، والخطاب للناظم، قدّس الله سرّه، من المبشِر له. وقوله (البشارة): مبتدأ مؤخّر، وهي بكسر الباء الموحّدة، والضمّ لغة، ذكره في المصباح. سميت بذلك لأنّها تغبر بشرة الوجه، أي: ظاهر جلده. وقوله (فاخلع): أي انزع واترك. وقوله (ما عليك): أي ثوباً، أو الذي عليك من الثياب، وهو الصورة المستولية على روحه الأمري من عالم الطبائع والعناصر. وقوله (فقد ذُكِرتَ): بالبناء للمفعول، أي: ذكرك ذاكر. وقوله (ثَمّ): بفتح الثاء المثلثة وتشديد الميم: اسم إشارة إلى مكان غيرمكانك، كذا في المصباح. والإشارة إلى حضرة الحقّ

تعالى، حيث أرواح الكاملين المجرّدين حاضرة مجتمعة القيام بالأمر الإلهيّ الذي هو ظاهر بالخلق كلمح البصر، قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [٧/ الأعراف/ ٥٤] وحذف فاعل الذكر للعلم به، إذ لا ذاكر سواه بالذكر القديم، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ [١٥/ الحجر/ ٩]. وقال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [٢/ البقرة/ ١٥٢] أي: إنْ ذكرتموني ذكرتكم، أي: وجدتموني ذاكراً لكم بعلمي وكلامي في الأزل. وقوله (على ما فيك): أي على حسب أمر حاصل فيك. وقوله (من عِوَج): بيان لما، وتصريح بذلك الأمر الحاصل فيه، والعِوَج بكسر العين المهملة وفتح الواو:عدم الاستقامة في أعماله وأحواله، قال في المصباح: «العَوَج، بفتحتين، في الأجساد: خلاف الاعتدال، وهو مصدر من باب تعِب، يقال: عَوِجَ العود ونحوه، والعِوَج، بكسر العين في المَعاني، يقال: في الدين عِوَج، وفي الأمر عِوَج، وفي التنزيل: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾ [١٨/ الكهف/ ١] أي: لم يجعل فيه. قال أبو زيد في الفرق: «كلّ ما رأيته بعينيك فهو مفتوح. وما لم تره فهو مكسور».

* * *

اِحْفَظْ فُؤَادَكَ إِنْ مَرَرْتَ بِحَاجِرِ

[الكامل]

وقال الناظم قدّس الله سرّه:

١ - اِحْفَـظْ فُـؤَادَكَ إِنْ مَـرَرْتَ بِحَـاجِرٍ   فَظِبَـاؤُهُ مِنْهَـا الظُّبَـى بِمَحَـاجِرِ

٢ - وَالْقَلْـبُ فِيـهِ وَاجِـبٌ مِـنْ جَـائِزٍ   إِنْ يَـنْجُ كَـانَ مُخَـاطِراً بِالخَـاطِرِ

(احفظ): يا أيّها السالك في طريق الله تعالى. وقوله (فؤادك): أي قلبك، وقوله (إنْ مررت بحاجرٍ): وهو اسم للأرض المرتفعة، ووسَطها منخفِض، وما يمسك الماء من شَفَة الوادي، ومَنبِت الرِّمْثِ، ومُجْتَمَعُه، ومُسْتَدارُه، ومنزل للحاج بالبادية، كذا في القاموس. والأنسب إرادة الأخير هنا إشارة إلى مقام الإدراك العقلي في مقام الشهود بكلّ صورة، وهو منزل من منازل الحجّ الإلهيّ؛ فإنّ الحِجر بالكسر: العقل والتجلّي بالصور إنّما هو للعقل بمناسبة الربط الذي يؤدِّيه معناه، وهم عقلاء الله الكاملون المحقّقون المشار إليهم بقول العارف المحقِّق الشيخ عبد القادر الكيلانيّ قدّس الله سرّه، وقد قال في مجلسه رجل: ما أحسن المولّهين في الله. فقال الشيخ: عقلاء الله أحسن منهم؛ لأنّ المولّه سلب عقله بنظرة أو بحضرة، والعاقل منهم تهبّ عليه نفحات الله باقة؛ فلا تحرّك شعرات لحيته طاقة يحمل بها على محامل النبوّة. فاحتفاظ القلب مع هؤلاء المحقِّقين في مجالستهم بالأدب والاحترام أمر لازم على جميع الأنام. كما ورد أنّ من جالسهم وخالفهم نزع الله تعالى من قلبه حلاوة الإيمان، وهم أهل المقام العقليّ المكنّى عنه بحاجر. وقوله (فظباؤه): الفاء تفريعيّة للبيان، والضمير لحاجر، والظباء: جمع يعمّ الذكور والإناث، مثل: سهم وسهام، وكلبة وكلاب، كذا في المصباح. وهي غزلانه، كناية عن الصور الكاملة في مقام التحقيق والعرفان؛ فإنّهم نوافر يسرحون في

ذلك الميدان. وقد تشابهت صورهم بصور بقيّة الأكوان لولا لمعات أنوار الأيمان، ولمحات أسرار الإذعان. وقوله (منها الظُبى): جمع ظُبَة بالضمّ والتخفيف، بمعنى: حَدِّ السيف، والجمع: ظُبَات وظُبُون، كذا في المصباح. وقال في القاموس: الظُبَة، كثُبَة: حَدُّ سيف، أو سنان ونحوه، والجمع: أَظْبٍ وظُبات وظِبُون، بالكسر والضمّ، وظُبًا كهُدى. وقال في الصحاح: «وظُبَة السَهم والسيف طَرَفُهُ. وقوله (بمحاجر): جمع مَحْجِر، مثال مَجْلِس: ما ظهر من النِقاب من الرجل والمرأة من الجَفْن الأسفل، وقد يكون من الأعلى. وقال بعض العرب هو ما دار بالعين من جميع الجوانب، وبَدَا من البُرْقُع، والجمع: المحاجر، كذا في المصباح. يعني: تلك الظُبى لها محاجر عيون كحدّ السيوف ونصول السهام، مَنْ نظرت إليه قصمته وأصبته، فلا ينجو منها. وقوله (والقلب) : أي كلّ قلب غارف من بحار المحبّة الإلهيّة غارق فيه، أي: في حاجر المقام المذكور. وقوله (واجب): أي خافق من شدّة الخوف والخشية، يقال: وَجَبَ القلبُ وَجْباً ووَجِيباً: رَجَف، كما في المصباح. وقال في القاموس: «وَجَب القلبُ وَجْباً ووَجِيباً ووجَباناً: خَفَق، وأَوجَبَ الله قلبه». وقوله (من جائز): بيان للقلب. يعني: من كلّ إنسان جائز، أي: مارٍّ سارٍ، قال في المصباح: «جَاز المكانَ يَجُوزه جَوْزاً وجَوَازاً: سار فيه، وأجازَه بالألف: قَطَعه». وقوله (إنْ ينجُ): أي يسلم ذلك الإنسان الجائز، فلم يهلك في الدنيا، أو في الدين. وقوله (كان مخاطراً): اسم فاعل، من خاطر بنفسه، فعل ما يكون الخوف عليه أغلب من الخطر، وهو بالتحريك بين السلامة والتلف. وقوله (بالخاطر): وهو ما يخطر بالقلب من تدبير أمر يقال: خَطَر ببالي، وعلى بالي، خَطْراً وخُطُوراً، من بابي ضرب وقعد، كذا في المصباح. فإنّ أهل المعرفة الإلهيّة من الأولياء والصدِّيقين يحسّون بخواطر الناس في الاعتقاد والانتقاد، ويؤاخذون المريد بالخواطر، والناس تؤذيهم بالخواطر السيِّئة منهم، فيقعون تارة، ويؤاخذون أخرى. ويتَّسعون تارة، ويضيقون أخرى، حتّى ذكر الشيخ عبد الرؤوف المناوي

رحمه الله تعالى في طبقات الأولياء، في ترجمة محمد السروري[1] المشهور بابن/ [٣٨٢/ ب] أبي الحمايل قدّس الله سرّه أنّه قال: «لا ينبغي لفقير الاجتماع بشيخ وعنده الالتفات لغيره»، وقال: «لا يكمل فقير حتّى يقتل الله بسببه وسبب أصحابه بعدد أعضائه من الظَّلَمة الذين يؤذونهم». وقال أيضاً في ترجمة الشيخ عبد القادر ابن عنان، قدّس الله سرّه، أنّه كان يقول: «كلّ فقير لا يقتل الله على يديه عدد شعر رأسه من الظَّلَمَة ما هو بفقير، فقيل له: الصفح من أخلاق الرجال. فقال: الصفح عمّن يرجى خيره، وهؤلاء سداهم ولحمتهم أذى الناس»، انتهى. والحاصل إنّ المتعيِّن اللازم في حقّ كلّ إنسان أنْ يحترز بقلبه من الإنكارِ كمال الاحتراز على أحد من عقلاء الله الذين لا تتميّز أحوالهم من أحوال الغافلين إلّا بعد جهد جهيد من علماء الشريعة المنصفين؛ فإنّهم ورثة النبيّين وإن لم يعلم بهم إلّا ربّ العالمين؛ فإنّهم عقلاء في الظاهر، ليسوا من قسم المجذوبين المولّهين، وهم على كمال المعرفة بربّهم، والتحقّق بمقام قربه في مرتبة حقّ اليقين، وسواهم عاقلون فقط لا عارفون. وليس لهم هذا الخطر العظيم بسبب ما هم به مفتونون؛ ولهذا ورد في معنى قول بعضهم: «والمخلصون على خطر عظيم»، أي: لهم خطر عظيم عند غيرهم من الناس، وللشيخ الأكبر قدّس الله سرّه قوله:

إذا ما لقيت الناس فلتلقَ عاقلاً ... فذلك إنْ نازعته لا يعاقب
ولا تلقَّ أنّي قد نصحتك عارفاً ... فمن يلقه صبّت عليه المصائب
فهذا الذي يجري بحكمة وقته ... ولا شك أنّ الوقت بالحكم طالب
فلله مكر في العباد محقّق ... لذلك لم تؤمن لديه العواقب
له الحكم والتحكيم في كلّ مأمن ... فلا يغلب المكر الإلهيّ غالب

---

(١) من شيوخ الشعرانيّ توفي ٩٢٢هـ. انظر الطبقات الكبرى للشعرانيّ ١١٥.

٣- وَعَلَى الكَثِيبِ الفَرْدِ حَيٌّ دُوْنَهُ الـ ... آسَادُ صَرْعَى مِنْ عُيُونِ جَآذِرِ

(وعلى الكثيب): أي مستعلياً عليه، والكثيب هو المجتمع من الرمل، قال في المصباح: «كَثَبَ القوم، من باب ضرب: اجتمعوا، وكَثَبْتُهُ: جَمَعتهم، يتعدّى ولا يتعدّى، ومنه: كَثِيب الرَّمل لاجتماعه، وجمعه: كُثبان، وانكَثَب الشيء: اجتمع». وهو كناية عن المقام المحمّدي، والجمع الأحمديّ، المشتمل على الفرق التعدّدي. وقوله (الفرد): أي الذي هو من حضرة الفرديّة الإلهيّة، فهو فرد من فرد، ولا يكون فيه إلّا الأفراد الورثة المحمّديّون من أهل الله تعالى، أولو الكمال من أوليائه المشار إليهم فيما سبق بظباء حاجر. وقوله (حيّ): هو الواحد من أحياء العرب، وهو البطن من بطونهم، كناية عن جماعة متناسبين في المقام الواحد، والمرتبة الواحدة العليّة وإنْ كانوا على مشارب شتّى، كما قال قائل:

مشاربنا شتّى وحسنك واحد ... وكلّ إلى ذاك الجمال يشير

وقوله (دونه) أي: دون ذلك الحيّ المذكور أي: بالقرب منه، قال في المصباح: «هو دون ذلك على الظرف، أي: أقرب منه. ورجل من دُونٍ، هذا أكثر كلام العرب، وقد يُحذف مِن، ويُجعل دونٌ نعتاً». ودون: نقيض فوق. وقال في القاموس: «ودون النهر جماعة، أي: قبل أنْ تصل إليه». وقوله (الآساد): جمع أسد، وهو السبع المفترس. كناية عن العارفين بربّهم. أهل السلوك في طريق الله تعالى بالتقوى والإخلاص. وقوله (صرعى): جمع صريع، قال في القاموس: «الصَّرْع، ويُكسَر الطَّرْح على الأرض، وقد صَرَعَه، كمَنَعَه، وكأمير: المَصروع، وجمعه صَرْعَى». وقوله (من عيون): أي من نظر عيون، جمع عين، وهي عين القلب، أو العين الباصرة، أو من نظرهم إلى عيون. وقوله (جآذر): جمع جؤذر، قال في القاموس: «الجُؤْذُر، بضمّ الذال المعجمة وبفتحها، والجِيذَر والجُوْذَر بالواو كفُوفَل وكَوكَب/ [٣٨٣/ أ] والجَوْذِر بفتح الجيم وكسر الذال: ولد البَقَرَة الوحشيّة». كناية عن أصحاب القلوب المتولّدة من النفوس البشريّة؛ فإنّ النفس يُكنّي عنها بالبقرة.

وكونها وحشيّة لعدم تآلفها بعالم الأكوان؛ فإذا فنيت في الله ظهرت القلوب الروحانيّة التي هي من أمر الله؛ فكانت متولّدة عنها في الورثة المحمّديّين، وقد أشار تعالى إلى بني إسرائيل بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾ [٢/ البقرة/ ٦٧] ونكرها عليهم فتحيّروا وتكرر سؤالهم عنها لعدم فهمهم الإشارات الإلهيّة حتّى قال لهم تعالى: ﴿فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ [٢/ البقرة/ ٥٤]. يعني: بسيوف المجاهدة الشرعيّة، حتّى تظهر لكم القلوب التي هي من أمر الله تعالى، وقد ورد عن بعض العارفين أنّه كان يقول: «إنّي أرى الله تعالى في كلّ يوم كذا وكذا مرّة. فقال له بعض المحقّقين من الكاملين: لئن ترى أبا يزيد البسطامي قدّس الله سرّه مرّة واحدة خير لك من أنْ ترى الله ألف مرّة. فسافر حتّى رأى أبا يزيد، فنظر إليه، فمات لوقته. فقيل لأبي يزيد في ذلك، فقال: كان يرى الله تعالى على مقدار استعداده فلمّا نظر إليّ رأى الله على قدر استعدادي، فلم يحتمل حالي، فمات».

٤- أَحْبِبْ بِأَسْمَرَ صِيْنَ فِيْهِ بِأَبْيَضٍ أَجْفَانُهُ مِنِّي مَكَانَ سَرَائِرِي

(أحبب): فعل تعجّب، مُستعمل بالباء الموحّدة؛ فإنّ للتعجّب صيغتين، الأولى: قولك: ما أكرم زيداً، بالنصب. والثانية: أكرم بزيد. والمعنى: هنا ما أحبّ الأسمر إليّ. وقوله (بأسمر): وهو اسم ممنوع من الصرف للوصفيّة ووزن الفعل، إمّا مشتق من سُمرة اللون فيكون التقدير بشخص أسمر، أو اسم للرمح. كنّى به عن اعتدال القوام، قال في المصباح: «السُّمْرَةُ لون معروف. وسَمُرَ ـ بالضمّ ـ فهو أسمر، والأنثى سَمْراء، ومنه قيل للحنطة: سمراء، للونها». وقال في القاموس: السُّمْرَة، بالضمّ: منزلة بين البياض والسواد فيما يَقبِل ذلك، سَمُرَ ككَرُم وفرِح، سُمْرَة فيهما، وأسْمار، فهو أسْمَر، والأَسْمَر: الرُّمْح». وهو كناية هنا عن المحقّق الكامل في المعرفة؛ فإنّه تغلب عليه السُّمرة من كثرة مجاهدته في طريق العرفان، وسبيل التحقيق والإيقان؛ ولهذا ورد في الحديث: «ربّ أشعث أغبر مدفوع

بالأبواب لو أقسم على الله بشيء لأبرّه»[1]. وقوله (صِين): فعل ماضي مبني للمفعول، أي: صانه الله تعالى، بمعنى حفظه من كلّ سوء في الدنيا والآخرة. وقوله (فيه): أي في المقام المكنّى عنه بالكثيب الفرد، أو بحاجر على معنى أنّ صيانته وحفظه باعتبار أنّه في ذلك المقام. وقوله (بأبيضٍ): متعلّق بصِين، والأبيض: السيف، وهو ضدّ الأسود أيضاً، وفيه إشارة إلى أنّ ذلك المقام المذكور كالسيف في التصرّف به بالقطع في الأمور وفي إشراقه ونورانيّته، والكشف به عن الغيب. وقوله (أجفانه): أي أجفان ذلك الأبيض على معنى أنّه سيف. (فإنّ الأجفان): جمع جَفن، بالفتح، ويكسر، وهو غِمد السيف، كذا في القاموس؛ وإنّما جمع الجفن لكثرة أصحاب ذلك المقام الواحد، ولسريان حقيقته في أعضاء الكامل الواحد بطريق التجلّي والانكشاف، من قبيل ما ورد في حديث المتقرّب بالنوافل: «كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به»... إلى آخره. وقوله (منّي): أي من نشأتي الإنسانيّة. وقوله (مكانَ): بالنصب على الظرفيّة بتقدير في. وقوله (سرائري): جمع سِرّ، أو سَرِيرة، وهو ما يكتم. قال في القاموس: السِّرّ ما يُكتم، كالسريرة، وجمعه: أسرار وسرائر». يعني: إنّ قلبه لذلك المقام المذكور من حيث أنّه سيف قاطع أجفان يغمد فيها، ويستلّ منها. وجمع القلوب المذكورة في المعنى لسرعة تقلّبها مع الأمر الإلهيّ الذي هو كلمح بالبصر، أو باعتبار أعضائه المتعدّدة المشتمل كلّ منها على/ [٣٨٣/ ب] سرّ إلهيّ هو التجلّي الخاص بقوله: «كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به».

٥- وَمُمَنَّعٍ مَا إنْ لَنَا مِن وَصْلِهِ ... إلّا تَوَهُّمُ زَوْرِ طَيْفٍ زَائِرِ

(وممنّع): مخفوض بواو ربّ، فإنّ تقديره: ربّ مُمَنّع، والمُمَنَّعُ بصيغة اسم

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، باب: «ربّ أشعث أغبر ذي طمرين تنبو عنه أعين الناس»، ٨٠٥٠، عن أبي هريرة، بلفظ: «ربّ أشعث أغبر ذي طمرين تنبو عنه أعين الناس لو أقسم على الله لأبرّه». وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، أظنّ مسلماً أخرجه من حديث حفص بن عبد الله بن أنس.

المفعول من المنع، وهو ضدّ العطاء. كناية عن الحقّ تعالى من حيث ذاته العليّة التي لا تدرك ولا تترك؛ وإنّما يمنع من إدراكها قصور الأكوان جميعها عنها؛ فلا وجود لشيء معها، وإنّما وجود كلّ شيء بها، لا معها؛ لأنّ الأشياء كلّها فانيّة في أنفسها؛ والفاني المعدوم لا يدرك الباقي الموجود؛ فالمنع من قبل الأكوان لا من قبل الوجود الحقّ؛ ولهذا قال ممنّع بصيغة اسم المفعول. ثمّ قال (ما إنْ): بكسر الهمزة: حرف زائد لتأكيد معنى النفي بها. وقوله (لنا): أي معشر العارفين، أصحاب المقام المذكور. وقوله (من وصله): أي وصل ذلك الممنّع. والوصل إشارة إلى التحقق به، بحيث لا سواه، ولا موجود إلّا إياه، كما قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه:

كنّا حروفاً عاليات لم تقل متعلّقات في ذرى أعلى القلل

أنا أنت فيه ونحن أنت وأنت هو والكلّ في هُو هُو فسَلْ عَمّن وصل

وقوله (إلّا): توهم بالنصب على الاستثناء المنقطع من وصله، أو بالرفع على الإبتداء. وخبره الجار والمجرور في قوله لنا. و(التَوَهُّم): من تَوَهَّمت، أي: ظننت، ووَهِمَ في الحساب يَوْهَمُ وَهَماً، مثلُ: غَلِطَ يَغْلَطُ غَلَطاً، وزناً ومعنى، ويتعدّى بالهمزة والتضعيف، كذا في المصباح. وقوله (زُور): بالضمّ، أي: كَذِب، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ [٢٥/ الفرقان/ ٧٢] كذا في المصباح. وقوله (طيف): أي خيال في منام، قال في المصباح: «الطَّيْف والطائف: ما أطاف بالإنسان من الجنّ والإنس والخيال». وقوله (زائر): صفة للطيف، من زارَه يَزُوره زِيَارَة وزَوْراً: قصده شوقاً إليه، فهو زائر، كذا في المصباح. يكنّي بالطيف عن كلّ صورة من صور الأكوان الحسيّة والعقليّة؛ «فإنّ الناس نيام؛ فإذا ماتوا انتبهوا»[1] كما ورد في الخبر. وقال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [٣٠/ الروم/ ٢٣] لأنّ الغافلين استوعبوا أوقاتهم كلّها في النوم، وما يرونه من الصور كلّها طيف الخيال

(١) انظر تخريجه ص٢٨٦.

الذي يراه النائم، فلا بدّ من تعبير المنام حتّى يظهر لهم الحقّ، فيعبرون من صور الخيال إلى الحقّ القائل: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [٢/ البقرة/ ١١٥] والقائل: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [٢٨/ القصص/ ٨٨] وقد أضاف إلى الطيف قوله زور، أي: كذب طيف، والظاهر أمر الله القديم في صور الخلق العديم، قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [٧/ الأعراف/ ٥٤] وقال تعالى: ﴿انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [١٠/ يونس/ ١٠١] وقال تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ [٦/ الأنعام/ ٣] والصور كلّها من تجلّي اسمه المصوّر، وكلّها طيف الخيال الباطل، قال عليه السلام: «أصدق كلمة قول لبيد: ألا كلّ شيء ما خلا الله باطل»[1].

٦- لِلَمَاهُ عُدْتُ ظَمَاً كَأَصْدَى وَارِدٍ   مُنِعَ الفُرَاتُ وَكُنْتُ أَرْوَى صَادِرِ

(لِلَمَاهُ): متعلّق بأصدى، قُدِّم عليه للحصر، والضمير للمُمَنَّع في البيت قبله. و(اللَّمَى): مثلّثة اللام: سُمْرَة الشَفَة، و لَمِيَ كرضي، لَمىً، وكَرَمَى، لَمْياً: اسْوَدَّت شَفَتَه، وهو أَلْمَى، وهي لَمْيَاء، كذا في القاموس. وقال في الصحاح: «واللَّمَى سُمْرَة في الشَفَة تُستحسن». إشارة باللمى إلى ما في الشفة من عذوبة الماء. كناية عن العلم الإلهيّ الذي يظهر من حضرة الأمر الربّاني للقلب الروحانيّ. وقوله (عدت): أي صرت. والتاء اسمها؛ لأنّها من أخوات كان ترفع الاسم وتنصب الخبر. وقوله (ظَماً): تميز منصوب بأصدى، قال في المصباح: «ظَمِئَ ظَمَأً، مهموز، مثل: عَطِشَ عَطَشاً، وزناً ومعنىً. وهنا خفّف بحذف الهمز للوزن. وقوله (كأصدى): خبر عدت، وأصدى: أفعل تفضيل من الصدا، وهو العطش، قال في القاموس: «الصَّدَى العَطَش،/ [٣٨٤/ أ] صَدِيَ كرَضِيَ صَداء»[2]، فهو صَدٍ وصَادٍ وصَدْيان، وهي صَدْيَا وصَادِيَة. وقوله (واردٍ): أي مقبل على الماء، خلاف

---

(١) انظر تخريجه ص٤٠٣ و ١٤٥٩.

(٢) في القاموس صدىً بدل صداء. وإنّما جمع صدى أصداء في اللسان وفي التاج.

صادر، قال في المصباح: «ورد زيدٌ الماء فهو وارد، وجماعة واردة ووُرَّاء». وقوله (مُنع): مبني للمفعول. وقوله (الفرات): مفعول ثانٍ لمنع، والجملة صفة للنكرة. و(الفرات): الماء العذب، يقال: فَرُتَ الماءُ فُرُوتَةُ، وِزان سَهَلَ سُهُولَةَ: إذا عَذُبَ، ولا يُجمَع إلّا نادراً على فِرْتانٍ، مثل: غِرْبان. والفُرات: نهرعظيم مشهور، يخرج من آخر حدود الروم، ثمّ يَمُرُّ بأطراف الشام، ثمّ بالكوفة، ثمّ بالحِلّة، ثمّ يلتقي مع دجلة في البطايح ويصيران نهراً واحداً، ثمّ يَصُبُّ عند عبدان في بحر فارس، كذا في المصباح. وقوله (وكنت أروى): أفعل تفضيل من رَوِيَ من الماء يَرْوَى ريّاً. وقوله (صادر): من صَدَر القوم وأصدرناهم: إذا صرفناهم، وصَدَرَت عن الموضع صَدْراً من باب قتل: رَجَعَت، كما في المصباح. والمعنى: إنّه كان في حالة سلوكه بالتقوى والمجاهدة الشرعيّة ريّان القلب من ربّه، ومن علوم المعرفة العقليّة الخيالية، صدر عنها، لا يطلب الزيادة لتحصيله علوم السعادة، فلمّا تحقّق بالمعرفة الذوقيّة، والحقيقة الوجوديّة الوجدانيّة كشف عن نفس الأمر، وعلم أنّه كان في رسوم الخيالات يهيم، وعلوم الظلالات غير مستقيم، وشرب من بحر الحقائق المالح فازداد عطشاً بعد عطش إلى أهم المصالح، وإلى العلوم الذوقيّة لعلمه بضرورتها في المقامات الكشفية، كما نُقِل عن سهل بن عبد الله التستري أنَّه أرسل إلى أبي يزيد البسطامي قدّس الله سرّهما يقول له: «ههنا رجل شرب شربة فلا يظمأ بعدها أبداً. فقال أبو يزيد: قولوا له ههنا رجل شرب الأكوان، وهو فاغر فاه يطلب الزيادة». ومعنى فَغَرَ الفم فَغْراً من باب نفع: انفتح، كذا في المصباح.

٧- خَيْرُ الأُصَيْحَابِ الذي هُوَ آمِرِي ... بِالْغَيِّ فِيهِ وَعَنْ رَشَادِي زَاجِرِي

٨- لَوْ قِيْلَ لِي مَاذَا تُحِبُّ وَمَا الذِي ... تَهْوَاهِ مِنْهُ لَقُلْتُ مَا هُوَ آمِرِي

(خير): أفعل تفضيل. وقوله (الأُصَيحاب): تصغير الأصحاب للتعظيم، أو للتحبيب. والأَصحاب: جمع صاحب. وقوله (الذي): وصف لخير. وقوله (هو

آمري): بصيغة اسم الفاعل من الأمر ضدّ النهي. قوله (بالْغَيِّ): متعلّق بآمري، والغيّ مصدر غَوَى غَيّاً، من باب ضرب: انهمك في الجهل، وهو خلاف الرشد، كذا في المصباح. وقوله (فيه): أي في حبّ ذلك المَمَنَّع، ومعنى الغَيّ في الحبّ: أنْ لا يقوم بنفسه، ولا يدّبر أمره بعقله؛ بل يُسلم أحواله كلّها مع ذاته وصفاته لمحبوبه الحقيقيّ، يفعل به ما يشاء، ويحكم ما يريد؛ فهو لا يبالي بما يفعل به محبوبه ظاهراً وباطناً، قال تعالى عن إبراهيم: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [٢/ البقرة/ ١٣١-١٣٢] إلى آخره. وهذه الحالة ـ وهي الإسلام بالكلّيّة ـ قد تسمِّيها العقلاء غيّاً وانهماكاً في الجهل لحصرهم صلاح الأمور في تدبير النفس والعقل، فيقولون عمّن هذه حاله لا يبالي بما يفعل، ويتّهمونه بأنواع الفواحش؛ لأنّهم ربّما رأوه في حانة الخمّار لأمر يريده الله تعالى به. وربّما رأوه يتكلم مع الفسّاق، أو مع النساء، أو الصبيان لأمر إرادة الله تعالى به من غير قصد منه؛ لأنّه أسلم نفسه بالكلِّيّة إلى ربّ البريّة، ورضي بجميع ما يفعله به ربّه، وهو يشاهد ربّه بربّه فاعلاً به ما يشاء، كما ألبس الحقّ تعالى أبا يزيد البسطامي قدّس الله سرّه زيّ الرهبان، وأدخله في الدير يوم عيد الكفرة، وما خرج به من بينهم حتّى تفضّل عليهم بالإسلام في القصّة المشهور. ولا غيّ أبلغ من/ [٣٨٤/ ب] رؤية [أبي] يزيد متزيّياً بزيّ الرهبان. ونحو هذا كثير في أهل الله، والله بصير بالعباد، وحاشا الله تعالى أنْ يفعل بمن أسلم له ما لا يرضى به؛ إنّما حقيقة الغيّ من قبل النفوس والعقول الظلمانيّة. وقوله (وعن رشادي): وهو ضدّ الغيّ المذكور. وقوله (زَاجِرِي): أي مانعي، من زَجَرْتُه زَجْراً، من باب قتل: منعته، فانْزَجَر وازْدَجَر ازدِجاراً، والأصل: ازْتجَر، على افتعل، كذا في المصباح.

وقوله (لو قيل لي): أي قال لي قائل من الناس. وقوله (ماذا): فما اسم استفهام، مبتدأ. وذا اسم موصول خبره. وقوله (تحبّ): صلة ذا، والعائد محذوف تقديره

تحبّه. وقوله (وما الذي) معطوف على ماذا. وقوله (تهواه): صلة الذي، والضميرهو العائد. وقوله (منه): أي من خير الأُصَيحاب، أو من المُمَنّع السابق ذكره، وجملتا الموصولين الاستفهاميّتان في محلّ رفع على أنّهما مقول القول لقيل، نائب فاعله. وقوله (لقلت): جواب لو. وقوله (ما): أي الذي، خبر مبتدأ محذوف، تقديره أنّه الذي. وقوله (هو آمري): صلة الموصول، والعائد محذوف تقديره به. يعني: الغيّ المذكور، والزجر عن الرشاد على حسب ما ذكرنا؛ فإنّ ذلك يحبّه ويهواه من خير أصحابه؛ لأنّه حثّ على تحقيق مقام الإسلام والتباعد عن القيام بالنفس في قضايا الأحكام، أو ما هو آمري به ذلك المحبوب المُمَنّع حيث يأمرني بكلّ ما يريد لأنّي عبد له من جملة العبيد.

٩- وَلَقَدْ أَقُولُ لِلَائِمِي فِي حُبِّهِ ... لَمَّا رَآهُ بُعَيْدَ وَصْلِي هَاجِرِي

١٠- عَنِّي إِلَيْكَ فَلِي حَشًى لَمْ يَثْنِهَا ... هُجْرُ الحَدِيثِ وَلَا حَدِيثُ الهَاجِرِ

١١- لَكِنْ وَجَدْتُكَ مِنْ طَرِيقٍ نَافِعِي ... وَبِلَذْعِ عَذْلِي لَوْ أَطَعْتُكَ ضَائِرِي

١٢- أَحْسَنْتَ لِي[1] مِنْ حَيْثُ لَا تَدْرِي وَإِنْ ... كُنْتَ المُسِيءَ فَأَنْتَ أَعْدَلُ جَائِرِ

١٣- يُدْنِي الحَبِيبَ وَإِنْ تَنَاءَتْ دَارُهُ ... طَيْفُ المَلَامِ لِطَرْفِ سَمْعِي السَاهِرِ

١٤- فَكَأَنَّ عَذْلَكَ عِيسُ مَنْ أَحْبَبْتُهُ ... قَدِمَتْ عَلَيَّ وَكَانَ سَمْعِي نَاظِرِي

١٥- أَتْعَبْتَ نَفْسَكَ وَاسْتَرَحْتُ بِذِكْرِهِ ... حَتَّى حَسِبْتُكَ فِي الصَّبَابَةِ عَاذِرِي

١٦- فَاعْجَبْ لِهَاجٍ مَادِحٍ عُذَّالَهِ ... فِي حُبِّهِ بِلِسَانِ شَاكٍ شَاكِرِ

(ولقد): الواو للاستئناف، واللام موطِئة لقسم محذوف، تقديره والله لقد. وقوله (أقول): فعل مضارع بمعنى الحال المستمر في الاستقبال. وقوله (للائمي): أي لمن يلومني من الناس. وقوله (في حبّه): أي محبّة المُمَنَّع المذكور. وقوله (لمّا

---

(١) في (ق): لي.

رأه): أي اللائم ذلك الممنّع؛ فالضمير الأوّل المستتر للائم، وضمير النصب للممنّع. وقوله (بُعَيد): بصيغة التصغير للتقريب. وقوله (وَصْلِي): أي وصل ذلك الممنّع لي بأنّ كان مقبلاً عليّ بأنواع الإقبال، بحيث أنا وإيّاه حقيقة واحدة، تتقلّب في صفات الكمال. وقوله (هاجري): مفعول ثانٍ لرآه، أي: تاركاً إيّاي، ومعرضاً عنّي، ومميّزاً حقيقته من حقيقي. يعني: أقول له كلّما رآني كذلك، وذلك باعتبار تقلّب قلبه من الحضور إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى الحضور، وعدم وقوفه عند أمر من الأمور؛ فهو منتقل من الجمع إلى الفرق، ومن الفرق إلى الجمع، فتارة قرآن، وتارة فرقان، ميراثاً نبويّاً محمّديّاً، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [٢٠/ طه/ ١١٣] وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ [٣٥/ الفرقان/ ١] وقال صلّى الله عليه وسلّم: «إنّه ليغان على قلبي، وإنّي لأستغفر الله في اليوم والليلة أكثر من سبعين مرّة»[1]. وقال الشيخ أبو الحسن الشاذليّ قدّس الله سرّه: «هذا غين أنوار، لا غين أغيار؛ لأنّه صلّى الله عليه وسلّم كان دائم الترقي، فإذا رقى إلى مقام أعلى ممّا كان فيه يجد مقامه الأوّل غيناً فيستغفر منه» ولنا في نحو ذلك قولنا من قصيدة:

هو البحر عنه لا يزول كلامنا   فعن موجه طوراً وطوراً عن الماء

/[٣٨٥/ أ] والجاهل: الغبي يظنّ أنّ ذلك نقص، وهو الكمال من صفات الرجال، وقال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه في قول القائل:

كلّ يوم تتلوّن   غير هذا بك أحسن

فقال: بل الأحقّ أنْ يقال:

كلّ يوم تتلوّن   إنْ هذا بك أحسن

وذلك أنّ الأكمل هو مقام التمكين في التلوين. وقوله (عنّي إليك): كلّ منهما في الأصل كان جاراً ومجروراً، ثمّ صار اسم فعل بمعنى تباعد عنّي واتركني، فهو

(١) انظر تخريجه ص٣٧٥.

منقول عن أصله إلى معنى الفعل نقل الأعلام كعبد الله وتأبّط شرّاً علمين، كما حقّقه الرضي، والخطاب بالكاف للّائم. وقوله (فلي): الفاء تفريعيّة، والجار والمجرور خبر مقدّم. وقوله (حشىً): مبتدأ مؤخّر، والحشى مقصوراً: المعى، والجمع أحشاء، مثل سبب وأسباب، كذا في المصباح. كنّى به عن القلب الروحانيّ المتوجّه بالأمر إلى الأمر الربّانيّ. وقوله (لم يثنها): بتأنيث الضمير لرجوعه إلى الحشى، وهي مؤنّثة، ويقال: ثنيته عن مراده إذا صرفته عنه، كذا في المصباح. يعني: لم يصرفها عن المحبّة والعشق. وقوله (هُجْر): فاعل يثنها، والهُجْرُ بضمّ الهاء وسكون الجيم، قال في المصباح: «هَجَرَ المريضُ في كلامه هَجْراً: خَلَطَ، وهَذَى. والهُجْر بالضمّ، وهو اسم من هَجَرَ يَهْجُر، من باب قتل. وقوله (الحديث): مضاف إليه، أي: الحديث الذي هو هُجْر من القول، وهو كلام اللائم. وقوله (ولا حديث): بالرفع معطوف على هجر. وقوله (الهاجر): من هَجَرتُه هَجْراً، من باب قتل: تركته ورفضته فهو مَهجور، وهجرت الإنسان: قطعته. والاسم الهِجران، كما في المصباح. و(الهاجر): هو المحبوب وحديثه هو الحديث عنه بما لم يصدر منه ممّا يزخرفه اللائم لإزالة المحبّة والعشق من قلب المحبّ العاشق. وقوله (لكنْ): بسكون النون، بمعنى استدركت. ومعنى الاستدراك: رفع توهّم يتولّد من الكلام المتقدّم رفعاً، تشبيهاً بالاستثناء. ومن ثمّ قدر الاستثناء المنقطع بلكن؛ فإذا قلت: جاءني زيد فكأنّك توهم أنّ عَمْراً أيضاً جاءك، لما بينهما من الألفة، رفعت ذلك الوهم بقولك: لكنّ عَمْرو لَـمْ يَجِئ. ذكره الرضي. وههنا لما قال للائم (عنّي إليك): علم من كلامه أنّه متضرر من اللائم من كلّ وجه، فرفع ذلك التوهّم بقوله (لكن): وجدتك بكاف الخطاب للائم، وهو المفعول الأوّل. وقوله (من طريق): أي من وجه من الوجوه. وقوله (نافعي): مفعول ثانٍ لوجدت. وقوله (وبلذع): متعلّق بضائري، قدّم للحصر. و(لذع): بالذال المعجمة والعين المهملة: التألم بالنار، وبالمحبّة، ونحو ذلك، قال

في القاموس: «لَذَعَ الحُبّ قلبَه، كمنع: آلَمَهُ، ولَذَعَت النار الشيء: لَفَحَتْه». وقوله (عَذْلِي): أي عذلك لي، أي: لومك، قال في المصباح: «عَذَلتُه عَذْلاً، من بابي ضرب وقتل: لُمْتُه. وقوله (لو أطعتك): أي امتثلت قولك في ترك المحبّة. وقوله (ضائري): اسم فاعل مضاف إلى مفعوله، وهو ياء المتكلّم، والضائر من ضارَّه ضَيراً، من باب أضرّ به، كذا في المصباح. فيكون اللائم الذي يلومه على المحبّة سالكاً معه في طريقين، الطريق الأوّل: نافعه بلومه. والطريق الثاني ضائره بلومه، ثمّ بيّن حكم الطريقين بقوله (أَحْسَنْتَ): بفتح التاء، خطاب للّائم. يقال أَحْسَنتَ: فعلت الحسن، كما قيل: أجاد إذا فعل الجيِّد، كذا في المصباح. والإحسان: ضدّ الإساءة، كذا في القاموس. وقوله (لي): أي فعلت معي فعلاً حسناً. وقوله (من حيث لا تدري): أي لا تعلم أنّ الذي فعلته معي إحساناً إليّ. وقوله (وإنْ كنت): خطاباً للائم أيضاً. وقوله (المُسِيءَ): بالنصب خبر كان، وتاء الخطاب المفتوحة اسمها، والألف واللام في المسيء للكمال، أي: الكامل في الإساءة، مثل قولك: زيد الرجل، أي: الكامل في صفات الرجوليّة. وقد تكون الألف واللام في المسيء للعهد الذِّكري. حيث أخبر عن اللائم أوّلاً بأنّه هنا يرِد بلذع عذله، كما ورد في قول أبي فراس الحمداني:

فإن تكونوا براَء من جنايته   فإنّ مَن نصر الجاني هو الجاني

أي: هو هو. يعني: إنّ الناصر للجاني والجاني سِيَّان على معنى/ [٣٨٥/ ب] إنّ هذا ذاك، وذاك هذا، لا فرق بينهما في جواز إضافة الجناية إلى كلّ منهما، حسب إضافتها إلى الآخر، ذكره السعد في المطول. فمعنى قوله (كنت المسيء): أي الذي أسأت لي أوّلاً، وإنْ كان التعريف بلام الجنس أفاد الحصر، أي: لا مسيء لي غيرك، قال في المطوّل: واعتبار تعريف الجنس قد يفيد قصر الجنس على شيء تحقيقاً، أي: قصراً محقّقاً، مطابقاً للواقع، نحو: زيد الأمير، إذا لم يكن أمير سواه. أو مبالغة، أي: قصراً غير محقّق بل مبالغة فيه لكماله فيه، أي: لكمال ذلك الجنس

في ذلك الشيء نحو: عمرو الشجاع. أي: الكامل في الشجاعة، وهو الوجه الأوّل الذي ذكرناه. وقوله (فأنت): الفاء في جواب الشرط، وأنت خطاب للآئم، مبتدأ. وقوله (أعدل): خبر المبتدأ. وهو أفعل تفضيل، من العدل، بالدال المهملة، خلاف الجور. وقوله (جائر): اسم فاعل من الجور بالجيم، وهو: الظلم. يعني: إنّ اللائم موصوف بالعدل في ظلمه لي، أبلغ عدل. ثمّ شرع في بيان ما ذكره من انتفاعه بلوم اللائم وإحسانه إليه باللوم. وأمّا تضرره به، وإساءته فذلك أمر ظاهر لا يحتاج إلى البيان. فقال (يدني): من أدناه: قرّبه. وقوله (الحبيب): أي المحبوب، مفعول يدني. وقوله (وإنْ تناءت): أي بعدت. وقوله (دارُه): أي دار الحبيب. وقوله (طيف): فاعل يدني، والطيف: هو الخيال الذي يراه النائم في منامه على صورة محبوبه. وقوله (المَلام): أي اللوم من اللائم له، على محبّته لذلك المحبوب. شبّه لوم اللائم له بحالة النوم، فكأنّه في تلك الحالة نائم لا يقظة له إلى كلام اللائم من عدم اعتنائه بلومه، وعدم التفاته إليه، وشبّه ذكر محبوبه في كلام لائمه على محبّته له بطيف الخيال. وقوله (لِطَرْف): متعلّق بيدي، والطرف بكسر الراء، طَرْف العين الباصرة، قال في المصباح: «طَرْف العين نَظَرُها، ويُطلَق على الواحد وغيره؛ لأنّ مصدر طَرف، من باب ضرب: تحرّك». وقوله (سمعي): هو حسّ الأُذُن، والأُذُن، كذا في القاموس. وهو في الأصل مصدر سمع سمعاً، وقد أضاف إليه طرف البصر فشبّه استماعه لذكر المحبوب في كلام اللائم برؤيته له، كما شبّه قوة سمعه بقوّة بصره، كما شبّه حالته مع حالة اللائم بالمنام، وجعل تلك الرؤية، رؤية طيف خيال المحبوب. وقوله (الساهر): وصف للطرف إشارة إلى أنّ طرفه ليس بنائم بالنظر إلى يقظة المحبّة والعشق؛ وإنّما نومه بالنظر إلى لوم اللائم فقط، فلوم اللائم بمنزلة النوم للمحبّ العاشق، واللائم بلومه ذلك محسن للمحبّ العاشق من جهة أنّ طيف خيال المحبوب ينكشف للمحبّ، فيتمتّع به المحبّ. واللائم لا يدري بذلك، اللائم مسيء للمحبّ من جهة أنّه لوم له، وتوبيخ على اتّصافه بالمحبّة. وقوله (فكأنّ عذلك): أي لومك لي، والخطاب

للَّائم. وقوله (عيسُ): هي إبل بيض، في بياضها ظلمة خفيه. الواحدة عيساء، كذا في المصباح. وقوله (من أحبيته): يعني كان لومك لي على محبّة إبل المحبوب، الحاملة له، ولما ينسب إليه من الأسباب والأمتعة، لتضمن ذلك ذكر المحبوب في أثناء اللوم على محبّته. وقوله (قَدِمَتْ): أي تلك العيس الحاملة للمحبوب. وقوله (عليّ): بتشديد الياء التحتيّة؛ فإنّ المحبّ يفرح بذلك فرحاً شديداً. وقوله (وكان): الواو للحال، وقد مقدّره حتَّى تقرب الماضي من الحال، قال الرضي: «والتزموا لفظة قد، إماً ظاهرة أو مقدّرة في الماضي إذا كان حالاً، وقد تقرّب الماضي من حال التكلّم؛ لأنّه يستبشع في الظاهر لفظ الماضي والحاليّة». وقوله (سمعي): اسم كان. وقوله (ناظري): خبرها، والناظر: السَواد الأصغر من العين الذي يُبصر به الإنسان، كما في المصباح. يعني: والحال إنّ سمعي الذي به هو ناظري الذي أبصر به ذلك العيس الحاملة للمحبوب.

وقوله (أتعبت نفسك): خطاب للّائم أيضاً. يعني: بلومك لي حيث، ألحيت به عليّ، وأكثرت منه قاصداً به نصيحتي. وقوله (واسترحت): بضمّ/ [٣٨٦/ أ] التاء للمتكلِّم، أي: صار لي الراحة الكلِّيّة في مقابلة تعبك أنت، فالذي أتعبك أراحني. وقوله (بذكره): أي بذكر المحبوب في أثناء لومك لي. وقوله (حتّى حسبتك): يا أيّها اللائم من كثرة استراحتي حتّى بذكر المحبوب في أثناء كلامك. وقوله (في الصبابة) متعلِّق بعاذري. والصَبابَة: الشَوق، أو رِقَّة الهوى. صَبِبْتُ، كقَنِعْت، تَصَبُّ، فأنت صَبٌّ، وهي صَبَّة، كذا في القاموس. وقوله (عاذري): اسم فاعل مضاف إلى ياء المتكلِّم، من العذر، يقال: عَذَرْتُهُ فيما صَنع عَذْراً، من باب ضرب: رفعتُ عنه اللَّوم فهو معذور، أي: غيرُ مَلُوم، والاسم العُذْر، وتُضَمّ الذال للاتباع، وتُسَكَّن، والجمع: أعذار، كذا في المصباح. وقوله (فَاعْجَب): الفاء للتفريع عمّا قبله، واعْجَب: فعل أمر من العَجَب، بالتحريك، وهو التعجّب من الشيء، وقال بعض النحاة: التعجّب انفعال النفس لزيادة وصف في المتعجَّب منه نحو: ما أشجعه، كذا في المصباح. وقوله (لهاج): أي لإنسان هاج. يعني: نفسه،

يقال: هَجَاه يَهْجُوهُ هَجْواً: وَقَع فيه بالشعر وسبّه وعَابَه، والاسم: الهِجَاء، مثل: كِتاب، كذا في المصباح. وقوله (مادح): من المَدح، وهو الثَّناء، يقال: مَدَحتُهُ مَدْحاً، من باب نفع، أَثْنَيتُ عليه بما فيه من الصفات الجميلة؛ خَلْقيّة كانت، أو اختياريّة، كما في المصباح. وقوله (عذاله): بالنصب على طريقة تنازع اسمي الفعلين على نصبه بالمفعوليّة، أي: عُذَّال ذلك الهاجي المادح، وهم جمع عاذِل، من العَذْل، وهو المَلامَة، وهم العَذَلَة، والعُذَّال والعُذّل، كذا في القاموس. وقوله (في حبّه): أي محبّته للمحبوب متعلّق بعذّاله. وقوله (بلسان): متعلّق بهاجٍ مادح على طريقة التنازع. وقوله (شاكٍ): راجع إلى قوله هاج، من الشكاية. قال في القاموس: «شكا أمره إلى الله شَكْوَى، ويُنَوَّن وشَكَاة وشَكَاوَة وشَكِيَّة وشِكَاية بالكسر، كذا في القاموس. وقوله (شاكر): راجع إلى قوله مادح، من الشكر، يقال شَكَرتُ لله: اعترفتُ بنعمته، وفعلتُ ما يجب من فعل الطاعة، وترك المعصية، ولهذا يكون الشُكْر بالقول والعمل، ويتعدّى في الأكثر باللام، فيقال: شَكَرتُ له شُكْراً وشُكْراناً. وربّما تعدَّى بنفسه، فيقال: شَكَرْتُه. وأنكره الأصمعي في السَّعَة، وقال: بابه الشعر. وقوله الناس في القُنوت: نَشكُرك ولا نكفُرك لم يثبت في الرواية المنقولة عن عمر رضي الله عنه، على أنّ له وجهاً وهو الا زدواج، كذا في المصباح.

١٧ - يَا سَائِراً بِالْقَلْبِ غَدْراً كَيْفَ لَمْ   تُتْبِعْهُ مَا غَادَرْتَهُ مِنْ سَائِرِي

(**يا سائراً**): من سَار يَسِير سَيْراً ومَسِيراً: يكون بالليل والنهار، ويُستعمل لازماً ومتعدِّياً، فيقال: سار البعيرُ وسِرتُه، كذا في المصباح. وقوله (**بالقلب**): أي قلبي، يريد بالسائر بقلبه المحبوب الحقيقيّ على حدّ قوله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٧٠] وقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ [١٧/الإسراء/ ١] فالحمل على الدواب والمراكب منسوب إليه تعالى بهما متجلّياً بصورهما، وكذلك كان الإسرار منسوباً إليه تعالى، متجلّياً بصورة عبده. وقوله (**غدرا**): بالغين المعجمة والدال المهملة، منصوب على التمييز، والأصل في الغَدْر

ضِدّ الوفاء، غَدَرَه، و ـ به، كنَصَر وضرب وسمِع: غَدْراً وغَدَراناً، محرّكة، كذا في القاموس. وقال في المصباح: «غَدَرَ بِهِ غَدْراً من باب ضرب: نقضَ عهده».

والمعنى بالغدر هنا: القهر، من قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [٦/الأنعام/١٨] وقوله (كيف): هي كلمة يُستفهم بها عن حال الشيء وصفته، يقال: كيف زيد؟ ويراد السؤال عن صحته، وسقمه، وعسره، ويسره، وغير ذلك. وتأتي للتعجّب. وقد تتضمّن معنى النفي، كذا في المصباح. وهي هنا للتعجّب. وقوله (لم تُتْبِعْهُ): أي تتبع القلب/ [٣٦٨/ ب] وقوله (ما): أي الذي تتبعه. وقوله (غادرته): أي تركته وأبقيته، يقال أغْدَرَه: تَرَكَه كغادَرَه مُغَادَرَة وغِدَاراً، والغُدْرَة، بالضمّ والكسر: مَا أُغْدِرَ من شيء كالغُدَارَة بالضمّ، والغَدَرَة والغَدَرمحرّكتين، كما في القاموس. وقوله (من سائري): قال في المصباح: «اتفق أهل اللغة أنّ سائر الشيء باقيه، قليلاً كان أو كثيراً». وقال الصاغاني: سائر الناس باقيهم، وليس معناه جميعهم كما زَعَم من قَصُر في اللغة باعه. وجَعْلُه بمعنى الجميع من لحن العوام. والمعنى هنا: إنّي أتعجّب كيف لم تأخذ أيضاً مع قلبي الذي أخذته ما أبقيته من بقيّتي الظاهرة والباطنة.

١٨- بَعْضِي يَغَارُعَلَيْكَ مِنْ بَعْضِي وَيَحْـ ـسُدُ بَاطِنِي إِذْ أَنْتَ فِيْهِ ظَاهِرِي

(بعضي): أي بعض أعضائي من الحواسّ الخمس، كالأذن والعين واللسان، وكذلك القوى التي فيها على الإدراك المختلف. وقوله (يغار عليك): من الغَيْرَة بالفتح، مصدر قولك غَارَ الرجلُ على أهله يَغَارُ غَيْراً وغَيْرَة وغَاراً، ورجل غَيُور وغيران، كذا في الصحاح. وقوله (من بعضي): قال صلّى الله عليه وسلّم: «إنّ الله غيور يحبّ الغيور، وإنّ عمر غيور»[1] ذكره السيوطي في الجامع الصغير عن

(١) ذكره السيوطيّ في الجامع الصغير، باب: حرف الألف، ٤٤٨٢٦، عن عبد الرحن بن رافع مرسلاً.

عبد الله بن رافع مرسلاً. وقال صلّى الله عليه وسلّم: «الغيرة من الإيمان، والمراء من النفاق»[1] أخرجه البزار عن أبي سعيد، وهو في الجامع الصغير أيضاً، وهذه الغَيْرة من العين أو الأُذُن أو اللسان، أوغير ذلك من البعض للبعض من قوله صلّى الله عليه وسلّم في حديث المتقرِّب بالنوافل: «كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به»[2] الحديث بلفظه، وهي غَيرة الله تعالى من رؤية الأغيار، وصاحبها غيور، والله يحبّ الغيور. وقوله (عليك الخطاب): للسائر بالقلب في البيت قبله، ولو لم تكن الغيرة منه ما صحّت الغيرة عليه، كما ورد في حديث آخر: «إنّ من غيرته تعالى حرَّم الفواحش»[3] وهي الأغيار التي فَحُش رأيها، قال في المصباح: «فَحُشَ الشيءُ فُحْشًا، مثل: قَبُحَ قُبْحَاً، وزناً ومعنى، وكلّ شيء جَاوَزَ الحدَّ فهو فاحش». وقوله (ويحسد باطني): مفعول يحسد. والباطن هو القلب الذي وسع الحقّ تعالى كما ورد في الحديث. وقوله (إذْ): أي لأن. وقوله (أنت): خطاب للسائر بالقلب. وقوله (فيه): أي في باطني، ولو لم يكن الباطن بمعنى القلب المتقلِّب مع الأنفاس بالنفخ الروحي عن الأمر الإلهيّ الواحد الذي كلمح بالبصر عن شهود منه، وحضور به لما وسع الحقّ تعالى، وهو معنى كونه فيه، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾ [٦/ الأنعام/ ٣] على حسب ما هي عليه السموات والأرض من الخلق الجديد، لا على حسب اللبس، كما قال تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [٥٠/ ق/ ١٥] فباعتبار اللبس المذكور ما وسعته تعالى سماواته، ولا أرضه، ووسعه قلب عبده المؤمن. وقال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [١٩/ مريم/ ٩٣] حتّى السموات والأرض، وقلب العبد مصدر قَلَبَ يَقْلِب قَلْباً. وقوله (ظاهري): فاعل يحسد،

(١) أخرجه الشهاب القضاعي في مسنده، باب: الغيرة من الإيمان، ١٤٧.

(٢) انظر تخريجه ص١٤٦.

(٣) قطعة من حديث أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب النكاح، باب: الغيرة، رقم ٥٢٢٠.

وذلك الجمود الظاهر، وعدم ظهور تجدّده بالأمر الإلهيّ أيضاً، كما قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ [٢٧/ النمل/٨٨] وهي جمع منجبل، وهي الأجسام الظاهرة، منجبلة بالتركيب من أحجار وغيرها.

١٩ - وَيَوَدُّ طَرْفِي إنْ ذُكِرْتَ بِمَجْلِسٍ   لَوْ عَادَ سَمْعَاً مُصْغِياً لِمُسَامِرِي

(ويودّ): أي يتمنّى، من وَدِدتُ لو كان كذا، أَوَدُّ، من باب تعب: وَدّاً ووَدَادَة بالفتح، تمنّيته، وفي لغة وَدَدْتُ أَوَدُّ، بفتحتين، حكاها الكسائي. وهي غلط عند البصريين / [٣٨٧/ أ] وقال الزجاج: لم يَقل الكسائي إلّا ما سَمِع، ولكنّه سمعه ممن لا يُوثَق بفصاحته، كذا في المصباح. وقوله (طَرْفي): فاعل يودّ وهو نظر العين، كما مرّ. وقوله (إنْ ذُكِرْت): بالبناء للمفعول، والخطاب للسائر بالقلب، كما مرّ. أي: ذكركم ذاكر. وقوله (بمجلس): أي في مجلس. وقوله (لو عاد): أي طرفي بمعنى صار، واسمها ضميرها. وقوله (سَمْعَاً): خبرها. ومعناه من معنى البيت الذي قبله في غيرة، بعضه على بعض، وحسد ظاهره لباطنه. وقوله (مصغياً): بالغين المعجمة: وصف لسمعنا، من صَغَيتُ إلى كذا، أصَغَى بفتحتين: مِلْتُ، كذا في المصباح. وقوله (لـمُسامِري): من المَسَامَرَة، مفاعلة من الجانبين، وهي: السَّمَر، هو المَسَامَرَة، وهو الحديث بالليل، وقد سَمُرَ يَسْمُر، فهوسَامِر، كما في الصحاح. والذي يسامره في ليل الأكوان إمّا محبوبه الحقيقيّ، لابساً عليه صور الأعيان، أو عذوله ولائمه يذكر له المحبوب فتتمنّى عينه أنّها أذنه؛ لسماع تلك الأذكار الحسان.

٢٠ - مُتَعَوِّداً إنْجَازَهُ مُتَوَعِّداً   أَبَداً وَيَمْطُلُنِي بِوَعْدٍ نَادِرِ

(مُتَعَوِّداً): حال من ياء المتكلم في قوله لمسامري. وهو وإنْ كان حالاً من المضاف إليه لكنّه معمول المضاف، قال الرضي في منع مجيء الحال من المضاف إليه إذا لم يكن المضاف عاملاً في الحال، وإنّ كان ذلك قليلاً كقوله تعالى: ﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا﴾ [٢/ البقرة/ ١٣٥] وقوله تعالى: ﴿دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ [١٥/ الحجر/٦٦]. وقولك

أعجبني ضرب زيد قائماً، هو ضارب زيد، مجرّداً؛ فالمنصوب: حال من الفاعل، أو المفعول؛ فإنّك لو قلت: بل نتبع إبراهيم مقام بل نتبع ملّة إبراهيم جاز، فكأنّه حال من المفعول، وإذا كان المضاف جزء المضاف إليه فكأنّ الحال من المضاف إليه هو الحال من المضاف؛ فإنّ مصبحين حال من هؤلاء. والمضاف ـ وهو دابر ـ جزء من المضاف إليه، وهو بمعنى الأصل. وكذلك هنا مسامر اسم فاعل مضاف إلى مفعوله، وهو ياء المتكلِّم، كقولك: ضارب زيد مجرّداً. و معنى مُتَعَوِّداً: اسم فاعل من العادة سُميتْ بذلك لأنّ صاحبها يُعاوِدُها. أي: يَرجِع إليها مرّة بعد أخرى. وعَوَّدتُه كذا فاعتاده وتَعَوَّدَه، أي: صيَّرته له عادة، كذا في المصباح. وقوله (إنجازه): مفعول متعوِّداً. والضمير للسائر بالقلب، أي: حال كوني متعوِّداً إنجاز ذلك المحبوب المذكور. وقوله (متوعِّداً): حال أيضاً من المضاف إليه، وهو ضمير إنجازه، من إضافة المصدر إلى فاعله، فالضمير فاعل في المعنى، والمتوعِّد: اسم فاعل، من توعّده بالشرّ، من الوعيد، خلاف الوعد. وقوله (أبداً): أي دائماً إذا أوعد في الشرّ أنجز، وهودوام دنيوي منقطع بانقطاع الدنيا، وهومراده هنا، لأنّ ذلك من مقتضيات المحبّة والعشق، وظهور ذلك في الدنيا تطهير للعبد من سوء كسبه، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ ﴾ [٤٢/ الشورى/ ٣٠] كما قال تعالى: ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾ [٤/ النساء/ ١٢٣] فهو وعيد منه تعالى، يعجِّل به في الدنيا لعباده الصالحين. وقوله (ويَمْطُلُني): من مَطَلْتُ الحَدِيدة مَطْلاً، من باب قتل: مَدَدْتُها وطَوَّلْتُهَا، وكلّ ممدود ممطول. ومنه: مَطَلَه بدَيْنِه مَطْلاً أيضاً إذا سوَّفه بِوَعْد الوفاءِ مرّة بعد أخرى. وماطَلَهُ مِطَالاً، من باب قاتل، كذا في المصباح. وقوله (بِوَعْدٍ): مصدر وَعَدَه وَعْداً وَعِدَة في الخير. وقوله (نادر): وصف لوعد، أي: قليل منه، قال في المصباح: «نَدَرَ الشيءُ نُدُوراً، من باب قَعَد: سَقَطَ، أو خَرَجَ من غيره. والاسم: النَّدْرَة بالفتح، والضمّ لغة، ولا يكون ذلك إلّا نادراً». والمعنى في ذلك: إنّ هذا المحبوب الحقيقيّ تعودنا على معاملته في الدنيا

رحمة بنا أنّه إذا توعّدنا بالشرّ/ [٣٨٧/ ب] ينجز وعيده تطهيراً لنا. وإذا وعدنا بالخير يمطل ذلك فيؤخّره إلى الآخرة ليكمل الجزاء. وأمّا أمر وعيده بالشرّ، ووعده بالخير في حكم الآخرة فعلى الخلاف من حكم الدنيا المذكور، قال في المصباح: والخُلْفُ في الوَعْدِ عند العرب كَذِبٌ، وفي الوعيد كَرَم، قال الشاعر:

وإنّي وإنْ أوعدتُـــه أو وعدتـــه لَـمُخلِفُ إيعـادي ومُنجِـزُ مَوعِـدِي

ولخفاء الفَرْق في مواضعَ من كلام العرب انتَحَل أهلُ البدع مذاهبَ لجهلهم باللغة العربيّة. وقد نُقل أنّ أبا عمرو بن العلاء، قال لعمرو بن عُبيد ـ وهو طاغية المعتزلة ـ لـمّا انتحل القول بوجوب الوَعيد قياساً على العَجَمِيَّة من العُجْمَة: أُتِيتَ أبا عثمان، إنّ الوعد غيرُ الوعيد، ويمكن الفرق بأنّ الوعد حاصل عن كرم، وهو لا يتغيَّرما حصل عنه، والوعيد حاصل عن غضب في الشاهد، والغضبُ قد يسْكُن ويزول، فناسب أن يكون كذلك ما حصل عنه. وفَرّق بعضهم أيضاً فقال: الوعد حق العباد على الله تعالى، ومن أولى بالوفاء من الله تعالى، والوعيد حقّ الله؛ فإنْ عفا فقد أولى الكرمَ، وإنْ واخَذَ فبالذنب.

٣١- وَلِبُعْدِهِ اسْوَدَّ الضُّحَى عِنْدِي كَمَا ابْـ ـيَضَّتْ لِقُـرْبٍ مِنْـهُ كَـانَ دَيَـاجِرِي

(ولبعده): اللام للتعليل، والضمير للسائر بالقلب، والبعد بضمّ الباء الموحّدة: ضدّ القرب. وقوله (اسودّ): بتشديد الدال المهملة، أي: صار أسود، ضدّ الأبيض. وقوله (الضحى): فاعل اسوَدَّ، والضحى بالقصر، قال في المصباح: «الضَحاء، بالفتح والمدّ: امتداد النهار، وهو مذكَّر، كأنّه اسم للوقت. وقوله (عندي): أي بالنسبة إليّ من هول بعاده عنّي، وقوله (كما ابيضّتْ): أي صارت بيضاء. وقوله (لقرب): أي لأجل قرب منه، أي: من ذلك السائر بالقلب. والقرب ضدّ البعد، وتنكيره للتعظيم. وقوله (كان): اسمها ضميرها المستتر الراجع إلى القرب، وخبرها الجار والمجرور المقدّم لإفادة الحصر. وقوله (دياجري): فاعل

ابيضّت، والدياجر جمع ديجور، وهو الظلام، وليلة ديجور: مظلمة، كذا في الصحاح. واعلم أنّ القرب والبعد يقالان على ثلاثة أمور: القرب والبعد بالمكان، كداري أقرب من دارك إلى المسجد، ودارك أبعد من داري إليه، والقرب والبعد بالزمان، كما يقال: أبو حنيفة أقرب إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم منّا الآن، ونحن الآن أبعد منه إليه، والقرب والبعد لا بالمكان ولا بالزمان، وهو القرب الحقيقيّ الذي ليس بواسطة شيء، والبعد كذلك، وهو حكم المعلومات في العلم القديم الأزليّ؛ فإنّها معدومات فيه أزلاً وأبداً غير أنّها مقدّرات يظهر بها الوجود الحقّ ويستتر، وهي هي على ما هي عليه، وكلّها سواء في هذا القرب، وهذا البعد والهداية إليه. والضلالة عنه مختلفتان على العبيد، حكم إلهيّ أزلي قديم.

* * *

قَلْبِي يُحَدِّثُنِي بِأَنَّكَ مُتْلِفِي

[الكامل]

وقال الناظم قدّس الله سرّه[1]:

١ - قَلْبِـي يُحَـدِّثُنِي بِأَنَّـكَ مُتْلِفِـي رُوْحِـي فِـدَاكَ عَرَفْـتَ أَمْ لَمْ تَعْـرِفِ

(قلبي): يعني لا نفسي؛ لأنّ أهل الحقيقة أجمعوا على أنّ القلب لا يكذب، والنفس لا تصدق. وقوله (يحدثني): يعني يأتي الحديث من قلبي لنفسي، والقلب من أمر الله؛ لأنّه روحانيّ، وهو محل العبرة، أي: العبور من ظواهر الأكوان إلى بواطنها، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ [٥٠/ق/٣٧] وحديث القلب حديث ربّانيّ، وحديث النفس حديث شيطانيّ، وهو الوسواس، قال تعالى: ﴿وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ [٥٠/ق/١٦] وقد أشرنا إلى الفرق بين القلوب والنفوس بقولنا في مطلع قصيدة:

قلـوب متـى منـه خلـت فنفـوس لأحرف وسواس اللعين طروس/ [٣٨٨/أ]

وإن ملئـت منـه ومـن نـورذكره فتلـك بـدور أشرقـت وشـموس

وقوله (بأنّك): الخطاب للمحبوب الحقيقيّ، وهو الحقّ تعالى المتجلّي بالوجود على كلّ شيء أراده من معلوماته. وقوله (مُتْلِفي): اسم فاعل من: تَلِفَ الشيءُ تَلَفاً: هَلَكَ، فهو تالِف، وأَتْلَفْتُهُ، ورجل مُتلِف لماله. ومتلاف للمبالغة، كذا في المصباح. قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [٢٨/القصص/٨٨] إلّا وجوده الحقّ المواجه بالتقدير والتصوير لكلّ شيء؛ فكلّ شيء مقدر مصور من غير وجود له، وإنّما الوجود الظاهر على كلّ شيء هو وجود الله تعالى المسمّى وجهاً. وقال

---

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: «بلغ مقابلة على مؤلّفه رضي الله وأرضاه».

صلّى الله عليه وسلّم: «كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان»[1] وكان في حقّه تعالى الدوام والاستمرار لا للانقطاع والزوال. وقوله (روحي فداك): يعني كونك متلفي ومعدمي بظهور وجودك الحقّ لي أمر يسرّني، وهو مطلوبي ومرغوبي فإنّ ظهور وجودك لي أتلفني جميعي ظاهراً وباطناً، وقد أتلف روحي ونفسي وجسمي، ولا أعزّ عندي من روحي؛ لأنّي كناية عنها في حقيقة أمري وبها ينتظم أمر نفسي وعقلي وحواسي وجسمي فهي فداك، كما قال الشاعر:

أنـــت تبقـــى والفنـــاء لنـــا   فـــإذا أفنيتنـــا فكـــن

أي: فأوجدت أنت وحدك ليس معك سواك. ثمّ قال (عرفتَ): بفتح التاء، خطاب من المعدوم الفاني للوجود الحقّ الظاهر له في صورته العدميّة الفانيّة. يعني: اتّصفت بالمعرفة العدميّة الفانيّة من حيث ظهورك بي بعد فنائي عن وجودك الحقّ الذي كنت أدّعي بأنّه وجودي. ثمّ خرجت عنه، وعلمت أنّه وجودك الحقّ، أظهرتني به وأنا عدم فاني. وقوله (أم لم تعرف): من هذه الحيثيّة المذكورة؛ فإنك ظاهر فيها بصورة من يعرف وصورة من لم يعرف؛ بل صورة قادر، وصورة عاجز إلى غير ذلك من النقص والكمال؛ فإنّ الحقّ تعالى له مرتبتان: مرتبة الغيب، ومرتبة الشهادة، ومرتبة الباطن، ومرتبة الظاهر، ومرتبة الأوّل، ومرتبة الآخر، ومرتبة التنزّه، ومرتبة التنزّل، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [٥٧/ الحديد/ ٣] ففي مرتبة الغيب والباطن والأوّل. والتنزّه لا يعرف ولا يوصف إلّا بما وصف به نفسه في كتابه أو على لسان نبيّه صلّى الله عليه وسلّم. وأمّا في مرتبة الشهادة والظاهر والآخر والتنزّل فهو موصوف بجميع ما اتّصف به هو في شهادته وظهوره وآخريّته وتنزّله على الإطلاق، لكن شرط ظهور هذه المرتبة الثانية له تعالى عند العبد المؤمن فناء الأكوان كلّها من حيث أنّها أغيار،

---

(١) انظر تخريجه ص٤٦١.

وأكوان، ومخلوقات، وأعيان، وحيوان، وإنسان، ونبات، وجماد، وأجداد، وآباء، وأولاد، وسماوات، وأرض، وطول، وعرض، إلى غير ذلك من الأعراض، والأجسام، والأرواح، والنفوس، والعقول، والأفكار، والأوهام؛ فإنّ جميع ذلك له وجهان من وجه أغيار للواحد القهار. ومن وجه تجلِّيات للواحد الأحد الحقّ من حيث أسماؤه والصفات. والعارف الكامل العالم لما تحقّق بذلك، فخرج عن الوجه الأوّل، انحصر عنده الأمر في الوجه الثاني، فكان في عقله وحسِّه عليه المعوّل، وفني عن الوجه الأوَّل بالكليّة، وانكشفت له حقيقة الأمر في هذه القضيّة؛ فظهر له أنَّه هو، وجميع ما سواه عدم ظاهر بقدرة حقّ قاهر. وإنّ ذلك الحقّ القاهر له المرتبتان المذكورتان: مرتبة الغيب الذاتي الذي لا يدرك، ومرتبة الأسمائيّة الصفاتيّة التي لا تترك، وتأيد عنده الأمر، وتأكّد غاية التأييد والتأكيد/ [٣٨٨/ ب] بمقتضى ما في كتاب الله تعالى، وسنّة نبيّه عليه السلام على وجه التأييد؛ فهو ينظر إلى نفسه وغيره مما سوى الله تعالى، فيفرق بالفرقان، ويؤمن ويصدّق بالغيب المطلق، فيكون جامعاً بالقرآن على وجه التسليم والإذعان، ويعزل عقله عن التحكم والتغيير والتبديل فيما سيكون وما كان. ثمّ يتلخّص له إن الأمر ثلاثة اعتبارات وجود حقّ في الغيب المطلق الذاتيّ، ووجود حقّ في الشهادة، هو ذلك الوجود الحقّ المطلق، لكنّه مقيّد بآثار أسمائه وصفاته من كلّ ماض وآتٍ. وعدم ظاهرهو المسمّى بالأكوان، وهوعوالم الدنيا وعوالم الآخرة صبغة الله الملك الديّان، ولا شكّ أنّ ذلك الوجود الواحد المطلق بالذات، المقيّد بآثار الأسماء والصفات، هو الله تعالى، لا يسمى ولا يوصف من حيث ذاته العليّة إلّا بمقتضى ما وصف به ذاته، وسمّاها به من الأسماء الحسنى السنيّة، ويوصف ويسمّى من حيث صفاته وأسماؤه بكلّ ما أظهر من الصفات والأسماء، قال تعالى لنبيّه عليه السلام: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [٤٨/ الفتح/ ١٠] فأطلق على نبيّه وعلى يد نبيّه يد الله ، لتحقّقه عليه السلام بنفسه في

نفسه بأنّه تجلٍّ ربّانيّ، من حيث الأسماء والصفات بالمظهر الرحمانيّ، وعدم تحقّق من يبايعه بذلك، بحكم قوله: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [٤٨/ الفتح/ ١٠]؛ وإلّا فإنّ أيدي الكلّ يد الله ، وكذلك قال تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [٢/ البقرة/ ٩] أي: يخادعون الرسول، والفارقين بتوهّم الغيريّة من المؤمنين. وقال تعالى في شجرة موسى عليه السلام: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ [٢٠/ طه/ ١٢] إلى آخر الآية. وقال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [٥٤/ القمر/ ٤٩] على قراءة رفع كلّ بالخبريّة عن إنّا، إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث النبويّة. والعارف المحقّق يفرّق بين الوجود الحقّ المتجلّي بصور الأكوان، والأكوان؛ فيعرف الحقّ من الباطل، والمخلوق من الخالق، ويتحقّق بأنّ الوجود المالك غير المعدوم الهالك، وإنْ كان كلّ منهما ظاهراً، وحكمه عنده حكم باهر. فإذا قال الناظم قدّس الله سرّه. (**قلبي يحدّثني**): بأنّك يا ظاهراً بصورتي، وبصورة كلّ شيء. (**متلفي**): أي كاشف لي بأنّ صورتي وصورة كلّ شيء عدم صرف، ما كنت أظنّ ذلك حتّى انكشف لي، فتحققت به. وكان ذلك بحديث قلبي لي، وهو حديث صدق، ومقال حقّ لا محالة. قال لذلك الظاهر له بصورته لـمّا وصل عدمه وفناؤه إلى روحه أيضاً، فتحقّق أنّ روحه أيضاً ليست روحه، وإنّما هي من جملة الظهور الربّانيّ، والتجلِي الرحمانيّ. (**روحي فداك**). ثمّ خاطبه أيضاً في هذه الحضرة فقال له على حسب ما هو عليه فيها (**عرفت أم لم تعرف**): يعني إنّك متلفي بظهورك في صورتي بعد الزوال الإنسان الموهوم الذي هو أنا. (**أم لم تعرف**): لأنّه في هذه المرتبة، مرتبة الشهادة والظهور، والأخرويّة، والتنزيل، وربما لا يعرف، وربما لا يعرف. وقد يقدر وقد لا يقدر، كما أنّه يكون فيها في صورة إنسان، أو حيوان، أو شجرة، أو غير ذلك في جميع الصور الكونيّة، الحسيَّة والمعنويّة، حتّى قال العارف المحقّق من الموشح:

حُبَيِّبِـــــي مـــــلأ الوجـــــود وقـــد ظهــر في بـــيض وســـود

وفي نـــصارى مـــع يهـــود وفي جميـــــع العــــــالمين

ولا يذهب عليك أنّ هذا الظاهر بجميع ذلك هو المخلوقات بعينها، فتظنّ أننا نقول بمقالات أهل الكفر، والإلحاد، والزندقة، وأهل الحلول، والانحلال، والاتّحاد. معاذ الله الذي لا إله إلّا هو. وإنّما نحن نفرّق في الجمع، ونتحقّق بأنّ الباطل غير الحقّ، ونميّز بين العبد والربّ؛ فنقول: إنّ المخلوقات كلّها معدومات في الوجود الحقّ، ظاهرات به، ولم تشم رائحة الوجود/ [٣٨٩/ أ] أصلاً؛ وإنّما الوجود وحده هو للحقّ تعالى لا غير، وهو تعالى الظاهر المتجلّي بكلّ شيء، وكلّ شيء معدوم هالك، وهو في غيب ذاته لا يعرف، ولا يدرك، ولا يوصف إلّا بما وصف به نفسه، ويعرف ويدرك، ويوصف بكل ما اتّصف به في مرتبة ظهوره على حسب إشراق نوره، ولنا كتاب «الوجود الحقّ والخطاب الصدق» شرحنا ذلك فيه وقررناه، والله الأعلم. واعلم أنّ من يقدر أن يفرِّق بين الحقّ والباطل، وبين الربّ والعبد، انقسموا إلى قسمين: قسم أدركوا هذه الموجودات كلّها؛ فحكموا بأنّها الحقّ تعالى وتقدّس، وهم الكافرون الملحدون، وهم على أنواع: نوع عمّموا، ونوع خصّصوا؛ فمنهم من ادّعى الألوهيّة في نفسه، كفرعون وأمثاله. ونوع ادّعوا الألوهيّة في غيرهم كالنصارى، ادّعوا الألوهيّة في عيسى بن مريم. ومنهم غلاة الرافضة، ادّعو الألوهيّة في علي بن أبي طالب، ومنهم من ادّعاها في الحاكم بأمر الله الفاطمي، ومنهم من قال بالحلول في شخص أو في الأشخاص كلّها، ومنهم من ادّعى الاتّحاد بالكلّ، أو بالبعض المعين إلى أنواع شتّى. وكلّهم كافرون بالله تعالى لم يهتدوا إليه تعالى. وزاغوا عن سبيله، ولم يقدروا أنْ يميِّزوا بين المخلوق والخالق. وقسم ثان أدركوا هذه الموجودات كلّها، فحكموا بأنّها المخلوقات لا غير، وأنّ الخالق له وجود آخر غير هذا الوجود الذي قامت به هذه الموجودات التي أدركوها، وأثبتوه معنى في نفوسِهم؛ فهم يعبدون ما تصوّروا، لا ما قامت به

السموات والأرض وما بينهما، وكلّ شيء المتجلّي بالسموات والأرض وما بينهما، وكلّ شيء، ولم يقدروا أنْ يفرّقوا بين السموات والأرض المعدومة الفانيّة في حدّ ذاتها، الظاهرة بالوجود الحقّ، والوجود الحقّ الظاهر، المتجلّي بالسموات والأرض. وكلّ شيء وهم عوام المسلمين المؤمنين القاصرين عن درجة العارفين المحقّقين، ولم يقتنعوا بقصورهم حتّى أطلقوا ألسنتهم بالتجهيل والتكفير للمحقّقين من أهل الله العارفين به، الفارقين في مقام جمعهم بين العبد والربّ، المميِّز بين الحقّ والباطل، والله بكلّ شيء بصير، وهو حسبنا ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير. وسبب ذلك جهلهم بعلم الأذواق التي لا تؤدِّيها الخطوط في الطروس والأوراق. وسبب ذلك أيضاً تمسكهم بالأفهام العقليّة، والتأويلات للنصوص النقليّة، قصوراً منهم عن معرفة الحضرات الإلهيّة، والمراتب الربّانيّة، والتجلِّيات الرحمانيّة. والله الأعلم بأحوال البريّة. وهذا البيت لنا في معناه رسالة على الاستقلال سمّيناها «النظر المشرف في معنى عرفت أمْ لم تعرف».

٢- لَـمْ أَقْضِ حَقَّ هَوَاكَ إنْ كُنْتَ الّذِي لَـمْ أَقْضِ فِيهِ أَسىً وَمِثْلِي مَنْ يَفِي

(لم أقضِ): أي لم أودّ؛ فالقضاء هنا بمعنى الأداء، قال في المصباح: «قَضَيتُ الحجَّ والدَين: أدّيته، ﴿فَقَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٠٠] أي: أدّيتموها؛ فالقضاء هنا بمعنى الأداء، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [٤/ النساء/ ١٠٣] أي أدّيتموها». وقوله (حقّ هواك): أي ما ثبت، ولزم عليّ من هواك، أي: محبّتك. والخطاب للمحبوب الحقيقيّ، وهو الحقّ تعالى. وقوله (إنْ كُنْتَ): بفتح التاء، ضمير المخاطب، أو بضمّ التاء، ضمير المتكلِّم، وهو اسم كان. وقوله (الذي): في محل نصب خبر لن، أي: المحبوب الّذي، أو المُحِبّ الّذي. وقوله (لم أقضِ): أي لم أمت، من قضى نحبه: إذا مات. قال الراغب: «ويعبّر عن الموت بالقضاء»، فيقال: فلان قضى نحبه، كأنّه فصل أمره المختصّ به من دنياه،

قال تعالى: ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ [٣٣/ الأحزاب/ ٣٤] يعني مات». وقوله (فيه): عائد الموصول، وهو راجع إلى المحبوب الموصوف بذلك، أو إلى قوله هواك. وقوله (أَسَىً): أي حزناً، وهو منصوب على التمييز. والمعنى: إنْ كنت أنت المحبوب الذي لم أمت في محبّته حزناً، لم أؤدِ حقّ محبّتك؛ لأنّ محبّتك حينئذ لا حقّ لها، أو إنْ كنت أنا المحبّ/ [٣٨٩/ ب] الذي لم أمت في هواك حزناً لم أُؤدِ حقّ ذلك الهوى، والمحبوب الذي لم يمت في محبّته حزناً هو الإنسان الموهوم، الذي هو نفسه، قبل أن يظهر له أنّه المحبوب الحقيقي متجلّياً في صورة ذلك الموهوم الذي هو نفسه فلمّا ظهر له أنّه المحبوب الحقيقيّ متجلِّياً في صورة ذلك الموهوم كان مؤدِّياً حقّ هواه، وحقّ هواه هو الفناء والاضمحلال بالكلِّيّة عن كلّ ما سواه، حتّى يبقى هو وحده، لا قبله ولا بعده، قال عفيف الدين التلمساني:

أرى رسمها في الحبّ عوّض عن رسمي　　فما بالهم في الحيّ يدعونني باسمي
وهل بعد ضوء الشمس يبدو لك الدجى　　وهل عندها يبقى على الأفق من نجم
إذا ما دعا الداعي بعلوة فاستجب　　ولكن إذا أفنتك عنك على علم
ولم تبق إنْ أبقتك إلّا بها لها　　فإنّك إنْ حقّقت من عالم الوهم

وقوله (ومثلي): أي والمحبّ الذي يماثلني في مقامي. وقوله (من يَفِي): أي هو المحبّ الذي يَفِي بأداء حقوق محبوبه. قال الراغب: «وفى بعهده وأوفى: إذا تمم العهد، ولم ينقص حفظه». وقال في المصباح: «أوفيتُه حَقَّهُ ووَفَّيْتُهُ أيضاً بالتثقيل» يعني: من يكون مثلي لا يترك حقوق محبوبه الحقيقيّ؛ وإنّما يوفّيها بالتمام، ويفنى وينعدم في وجوده والسلام.

٣- مَالِي سِوَى رُوحِي وَبَاذِلُ نَفْسِهِ　　فِي حُبِّ مَنْ يَهْوَاهُ لَيْسَ بِمُسْرِفِ
٤- فَلَئِنْ رَضِيتَ بِهَا فَقَدْ أَسْعَفْتَنِي　　يَا خَيْبَةَ المَسْعَى إِذَا لَمْ تُسْعِفِ

(ما لي): أي ليس؛ لأنّي متّ عن الجسد بمقتضى البيت السابق بأنّه قضاه حقّ

هواه. وقوله (سوى روحي): وهي التي بقيت له؛ وإنَّما الباقي نسبتها إليه فقط؛ لأنّه تعالى يقول: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [١٥/ الحجر/ ٢٩] فالروح له تعالى. والمعنى بنسبتها إضافتها إليه بقوله: روحي. كما قلت في مطلع قصيدة:

إنْ قلــت يــا روحــي لــسبّوحي   يقــول لي بــل أنــت يــا روحــي

وقوله (وباذل): بالذال المعجمة. وقوله (نفسه): أي معطيها. قال في المصباح: «بَذَلَه بَذْلاً من باب قتل: سمح به وأعطاه، وبَذَلَه: أَبَاحَهُ عن طِيب نفس». والنفس للروح ، قال تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٣٥] قاله الراغب. ولم يقل: روحه. تفنّناً أو تحاشياً عن التكرار. وقوله (في حبٍّ): أي محبّة. وقوله (من يَهْوَاهُ): أي المحبوب الذي يهواه، أي: يحبّه. وقوله (ليس بمسرف): أي مضيع لحقّه، قال في المصباح: «أَسْرَف إِسْرَافاً: جاوز القصد، وسَرِفَ سَرَفاً، من باب تعب: جَهِل، أوغَفَلَ. وقوله (فلئن رضيتَ): بفتح التاء، خطاب للمحبوب الحقيقيّ. وقوله (بها): أي بنفسي التي هي روحي. ورضاؤه بها: قبوله لها، وقبوله لها التحاقها بالروح الأعظم المنفوخة منه، التي هي روح الله الصادرة عن أمره تعالى بدون واسطة، بحكم قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨٥] وقوله (فقد أسعفتني): أَسْعَفتُه بحاجته اسعافاً قضيتُها له، وأسعَفتُه: أعنتُه على أمر، كذا في المصباح. وقوله (يا خَيْبَةَ): يا حرف نُدبة، وخيبة مندوب، وهو منادى مضاف إلى قوله المسعى: قال في المصباح: «خَاب يَخِيب خَيْبَة: لم يَظْفَر بما طلب. وفي المثل الهَيْبَة خَيْبَة، وخَيَّبَهُ الله بالتشديد: جعله خائباً». و(المسعى): مصدر ميمي بمعنى السعي، قال الراغب: «السعي: المشي السريع، وهو دون العَدْوِ/[٣٩٠/ أ] ويُستعمل للجد في الأمر، خيراً كان أو شرّ». والمناسب هنا المعنى الثاني، وهو الجد في الخير. وقوله (إذا لم تُسْعِفِ): بكسر الفاء للقافية. يعني: إذا لم ترضَ منّي برفع نسبة الروح إليّ وتسليمها لك؛ فأنا أندب جدِّي وسعيي في هذا الخير، وذلك خيبة في حقِّي.

٥- يَا مَانِعِي طِيبَ المَنَامِ وَمَانِحِي ثَوْبَ السَّقَامِ بِهِ وَوَجْدِي المُتْلِفِ
٦- عَطْفاً عَلَى رَمَقِي وَمَا أَبْقَيْتَ لِي مِنْ جِسْمِيَ المُضْنَى وَقَلْبِي المُدْنَفِ

(يا مانعي): أي يا من يمنعني في الحال وفي الاستقبال؛ فإنّ اسم الفاعل شرط عمله أنْ يكون بمعنى الحال والاستقبال، ذكره الرضي وغيره. وقوله (طيب): بالنصب مفعول مانعي. وقوله (المنام): أي المنام الطيِّب، طَابَ الشيء يَطِيب طِيْباً: إذا كان لذيذاً، كما في المصباح. وقوله (ومانحي): بتقدير يا مانحي، وهو اسم فاعل أيضاً، مَنَحْتُه مَنْحاً، من بابي نَفَع وضَرَب: أعطيته، والاسم المَنِيحَة، كذا في المصباح. وقوله (ثَوب السَّقام): مفعول مانحي، والسَّقام بالفتح: الاسم، من سَقِمَ سَقَماً، من باب تعب: طال مرضه، كما في المصباح. وقال في القاموس: «السقام كسَحَاب: المرض». وقوله (به): أي بسببه، والضمير للمانع والمانح؛ وذلك إشارة المحبوب الحقيقيّ. وقوله (ووجدي): معطوف على السقام بتقدير ثوب وجدي. يعني: يا مانحي ثوب وجدي أيضاً، والوجد مصدر وَجَدَ به وَجْداً في الحب، وكذا في الحزن، ويكسر ماضيه، كذا في القاموس. وقوله (المُتْلِفِ): بالجرّ، صفة. والمُتْلِف: اسم فاعل من تَلِفَ، كفَرِح: هَلَكَ، وأَتْلَفَهُ: أفناه، كما في القاموس. وقوله: (عَطْفاً): منصوب بفعل محذوف، تقديره اعطف عليّ عطفاً، يقال عَطَفَ عليه: أَشْفَقَ، كتَعَطَّفَ، كما في القاموس. وقوله (على رَمَقِي): الرَمَق بفتحتين: الروح، كذا في المصباح. وقال في القاموس: «الرَمَق، محرّكة: بقيّة الحياة». وقوله (وما): أي الذي، معطوف على رمقي. وقوله (أبقيت): أي أبقيته. وقوله (لي): متعلّق بأبقيته. وقوله (من جسمي): بيان لما. وقوله (المُضْنَى): صفة لجسمي، ضَنِيَ كرَضِيَ ضَنَىً: مَرِضَ مَرَضاً مخامراً، كلّما ظنّ برؤه: نُكِس، وأضناه المرض، كذا في القاموس. وقوله (وقلبي): معطوف على جسمي. وقوله (المُدْنَفِ): بفتح النون وكسرها. وقال في القاموس: «الدَّنَف، محرّكة: المَرَض

الملازم، دَنِفَ المريض كفرح: ثَقُلَ، كأَدْنَفَ. وأَدْنَفْتُهُ وأَدْنَفَهُ المرض فهو مُدْنِف ومُدْنَف». وقال في الصحاح: «أَدْنَفَ بالألف، أَدْنَفَهُ المرض، يتعدّى ولا يتعدّى، فهو مُدْنِف ومُدْنَف».

٧- فَالْوَجْـدُ بَـاقٍ وَالوِصَـالُ مُمَـاطِلِي وَالـصَّبْرُ فَـانٍ وَاللِّقَـاءُ مُـسَوِّفِي

(فالوجد): الفاء للتفريع، والوجد: ما يجده المحبّ من شدائد المحبّة. وقوله (باقٍ): أي ملازم لا ينفك ولا يزول. وقوله (والوِصال): أي الاتّصال بالمحبوب، اتّصال معدوم ومقدّر مصَوَّر بالمُقَدَّر المُصَوِّر؛ لا اتّصال موجود بموجود؛ فإنّه مستحيل عقلاً وشرعاً. وقوله (مماطلي): اسم فاعل من ماطله، قال في المصباح: «مَطَلَهُ بدَيْنِه: إذا سَوَّفَهُ بوَعْدِ الوفاءِ مرّة بعد أخرى. ومَاطَلَه مِطَالاً من باب قاتل، والفاعل من الثلاثي: ماطِل، ومَطُول مبالغة ومَطَّال، ومن الخماسي مماطل. والمعنى في ذلك: إنّ خاطر الاتّصال المذكور تارة يغلب عليه فيلقيه في الأمل المطمع، وتارة يستتعصي عليه بالكلّيّة، كما قلنا في مطلع قصيدة لنا:

قد هدينا بالخطر المستقيم لحديث عن الحبيب قديم

ووجدنا معارفاً وعلوماً كان فيها المزاج من تسنيم/ [٣٩٠/ب]

فشممنا بها روائح غيب وسكرنا بطيب ذاك الشميم

كرياض زهورها فائحات لذوي الشمّ مع هبوب النسيم

ذات حق أرواحنا أخبرتنا عن معاني أسمائه في الرقيم

محسنات بأمره يقذف الخلـ ـقَ كقذف المداد صورة ميم

وهو أمر محقّق وهو خلق باطل متقن بصنع الحكيم

ووجود صرف إذا ما تجلّى صبغ الكلّ بالوجود العظيم

ومراداته هي الكلّ جاءت في تراتيبها كعقد نظيم

صبغة لم تكن وبالوَهْمِ كانت ما وجود يكون وصف العديم
حاش لله والبصائر زاغت قبل زيغ الأبصار في التقديم

وقوله (والصبر فانٍ): لا وجود له أصلاً. وقوله (واللقاء): أي الاجتماع برحمته وعلمه، قال تعالى: ﴿وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [٤٠/ غافر/٧]؛ فالرحمة توجد، والعلم يثبت، كما قال تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾ [١٤/ إبراهيم/٢٧] وهو قوله الحقّ، وبه تنزل الرحمة الوجوديّة، والإيجاد به، والوسع هو اللقاء، وبه الإحاطة بالشيء الهالك الفاني، قال سبحانه: ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطُۢ﴾ [٤١/ فصّلت/ ٥٤] وقوله (مُسَوِّفي): بتشديد الواو مكسورة، اسم فاعل من سَوَّفتُ به تسويفاً: إذا مَطَلْتُهُ بوعد الوفاء، وأصله أنْ يقول له مرّة بعد أخرى سوف أفعل، كذا في المصباح. يعني: يطمعه تارة ويؤسّيه تارة، على حسب ثبوته ونفيه، في غارة بعد غارة، قال تعالى: ﴿ قُلْ [ما كنت بدعاً من الرسل] وَمَآ أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ [٤٦/ الأحقاف/ ٩] والأمر كلّه إليه تعالى كما قال: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ ﴾ [١١/ هود/ ١٢٣] وقال: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [٣/ آل عمرن/ ١٢٨] ونفسه شيء، فليس له أمرها.

٨- لَمْ أَخْلُ مِنْ حَسَدٍ عَلَيْكَ فَلَا تُضِعْ سَهَرِي بِتَشْنِيعِ الخَيَالِ المُرْجِفِ
٩- وَاسْأَلْ نُجُومَ اللَّيْلُ هلْ زَارَ الكَرَى جَفْنِي وَكَيْفَ يَزُوْرُ مَنْ لَمْ يَعْرِفِ

(لم أَخْلُ): أي لم أفرغ، من خَلا المكانُ خُلُوّاً: فَرَغ. ومكانٌ خلَاء: ما فيه أحد، كذا في القاموس. وقوله (من حَسَدٍ): قال في المصباح: «حَسَدتُهُ على النِّعْمَة، وحَسَدْتُهُ النعمة، حَسَداً، بفتح السين أكثر من سكونها، يتعدّى إلى الثاني بنفسه، وبالحرف: إذا كَرِهْتَها عنده، وتمنَّيتَ زوالها عنه. وأمّا الحَسَدُ على الشجاعة ونحو ذلك فهو الغبطة، وفيه معنى التعجّب، وليس فيه تمنّي زوالِ ذلك عن المحسود، فإنْ تمنّاه فهو القسم الأوّل، وهو حرام». وقوله (عليك): متعلّق بحسد، والخطاب

للمحبوب الحقيقيّ. وقوله (فلا تضع): الفاء للتفريع، ولا دعائيّة، وتضع مجزوم بها، من ضَاعَ الشيءُ يَضِيع ضَيعَةً وضِيَاعاً، بالفتح، فهو ضائع، كذا في المصباح. وقال في القاموس: «ضَاع الشيء: هَلَك وتَلِفَ، وصار مهملاً». وقوله (سَهَرِي): مفعول تُضِع، أي: تجعله ضائعاً، مهملاً، لا اعتبار له عندك. وقوله (بتشنيع): شَنُع الشيءُ، بالضمّ: قَبُحَ، فهو شَنِيع، وشَنَّعتُ عليه الأمر: نسبتُه إلى الشناعة. [كذا في المصباح]. وقال في القاموس: والتَشْنِيع: تكثير الشَنَاعة». وقوله (الخيال): من خيَّل الرجلُ على غيره تخييلاً، مثل: لَبَّسَ تلبيساً، وزناً ومعنى: إذا وَجَّه الوهمَ إليه. والخَيَال: كلّ شيء تراه كالظلّ. وخيال الإنسان في الماء والمرآة: صورة تمثاله، وربّما مرّ بك شيء يشبه الظلّ فهو خيال، وكلّه بالفتح. وتَخَيَّل لي خيالُه، كذا في المصباح. وقوله (المُرْجِفِ): بصيغة اسم الفاعل، يقال: أَرْجَفَ القومُ في الشيء وبه، إرجافاً: أكثروا من الأخبار السيئة، واختلاق الأقوال/ [١٣٩١/ أ] الكاذبة حتّى يضطرب الناس منها، وعليه قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ [٣٣/ الأحزاب/ ٦٠] كما في المصباح. والمعنى: في ذلك بأنّ الناس يحسدونني كثيراً على حصول محبّتي لك، من فضلك واشتياقي إلى رؤيتك، واهتمامي بأمرك ليلاً ونهاراً فلا تجعل سهري في مقاساة أوجاع المحبّة، وآلام الاشتياق إليك ضائعاً متلفاً لا نتيجة له؛ فإنّني ربّما تغفل عيني فأنام بحكم الطبيعة الغالبة، وتضعف قوّتي عن تجرّع الأوجاع، وكثرة السهر عليك؛ فإذا نمت وجدت خيالك مُقْبِلاً عليّ ما أنا فيه من أحوالي، يختلف عليك ما لم تردّه بي من سوء القول والفعال؛ فيذهب سهري، ومقاساة شدائدي عبثاً لا نتيجة له، فيفرح بي حسّادي ومن يبغضني، بسبب انتسابي إلى محبّتك، ويشتمون بي وإنْ كان العاشق لا ينام فيكون من قبيل قول المهيار الديلميّ:

حمّلــوا ريــح الــصبا نــشركم   قبـل أن أحمـل شـيحاً وخزامـى

وابعثـــوا طـــيفكم لي في الكـــرى إنْ أذنـــتم لعيـــوني أنْ تنامـــا

وللحسن البوريني رحمه الله تعالى من المواليا قوله:

قـال المليح الـذي اخترتـو عـلى قـومي عاشق تنام لقـد أرخصت سـومي

فقلـت يـا منيتـي يـا عـزّ مـن يـومي مـا نمـت إلاّ عـسى أنطـرك في نـومي

أو يكون معنى ذلك أنّي سهران لا أنام من شدّة المقاساة لأوجاع محبّتي لك، فأتخيّل في يقظتي خيالات فاسدة، فلا تضع سهري عليك بما أتخيّله من صور الأكوان والأشكال المختلفة، التي تقع في قوّة مخيِّلتي، فإنّ ذلك كلّه تشنيع عليك وإرجاف؛ لأنّي متحقَق بأنّك لا صورة لك فيما أنت عليه في نفسك، وأحسن الصور الكونيّة أقبح ما يكون بالنسبة إلى عظمة جلالك وكمال جمالك، فتكون أنت بذلك أشمتّ حسّادي، وقطعت من إطلاق صفاتك وأسمائك الحسنى رقائق إمدادي، ويكون هذا من قبيل قول الناظم قدّس الله سرّه في بيت الكافية التي يأتي شرحها إنْ شاء الله تعالى:

عَلَّـمَ الـشوق مقلتـي سـهر الليـــ ـــل فـصارت في غـير نـوم تراكـا

حبّــذا ليلــة بهـــا صِـــدْتُ إسرا ك وكـــان الـــسهاد لي أشراكـــا

إلى آخر ما سيأتي إنْ شاء الله تعالى، ويكون معنى تشنيع الخيال، وتقبيحه نسبة ذلك إليك من حيث ذاتك العلية، وصفاتك وأسمائك الحسنى السنيّة. ومعنى ذلك بالنسبة إلى الأبيات الكافية صارت مقلتي تراك في اليقظة الجليّة بأن ترى تجليك من حيث تأثير أسمائك الحسنى في كلّ صورة حسنة، أو قبيحة قائمة بأمرك الأسنى، كما قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه:

لقـد صـار قلبـي قـابلاً كـلّ صـورة فـدير لرهبـان وبيـت لأوثـان

ومرعـــي لغـــزلان وكعبـــة طـــائف وألـواح تـوراة ومـصحف قـرآن

وقال أيضاً قدّس الله سرّه:

لقـد كنـت قبـل اليـوم أنكـر صـاحبي إذا لم يكـــن دينـــي إلى دينــه داني
فلــمّا صـــفا كـــوني تلطّـــف بي فلــم أجـد غـير ذاتي تـنجلي بـين أكـوان

ويساعد هذا المعنى الأخير قوله بعده قدّس الله سرّه (**واسأل نجوم الليل**): خطاب للمحبوب الحقيقيّ مع علمه أنّه يعلم؛ فإن كلام العاشق ممّا يطوى ويكتم. وقوله (**هل زار الكرى**): وهو مثال العصا، النعاس، كذا في المصباح. وقال في الصحاح: «الكَرَى النعاس، يقال منه: كَرِيَ الرجلُ يَكْرَى كَرَىً فهو كَرٍ، وامرأة كَرِيَة على فَعِلَة». وإذا كان / [٣٩١/ ب] الكرى، وهو النعاس لم يزر، وهو أوائل النوم، فكيف يزور النوم. وقوله (**جفني**): مفعول زار. وقوله (**وكيف يزور**): أي الكرى. وقوله (**من لم يعرفِ**): بكسر الفاء للقافية، وهو على الاستعارة بتشبيه الكرى بإنسان يزور آخر، بطريق الكناية، وإثبات الزيارة تخييل، والإتيان بـ(مَنْ) التي لمن يعقل موضع ترشيح.

١٠- لَا غَرْوَ إِنْ شَحَّتْ بِغُمْضٍ جُفُونِها عَيْنِي وَسَحَّتْ بِالدُّمُوعِ الذُّرَّفِ
١١- وَبِمَا جَرَى فِي مَوْقِفِ التَّوْدِيعِ مِنْ أَلَمِ النَّوَى شَاهَدْتُ هَوْلَ المَوْقِفِ

(**لا غرو**): بالغين المعجمة، أي: لا عجب، قال في المصباح: «غَرَوْتُ غَرْواً، من باب قال: عَجِبتُ، ولا غرو: ولا عجب. وقوله (**إنْ شَحَّتْ**): بالشين المعجمة والحاء المهملة المشدّدة، أي: بخلت. وقوله (**بِغُمْض**): متعلّق بشَحَّتْ، والغُمض بضم الغيم المعجمة. قال في القاموس: «ما اكتحلت غَمَاضاً، ويكسر. وغُمضاً بالضم، وتَغْماضاً، وتَغْميضاً بفتحها: ما نَمَتْ». وقوله (**جُفُونها**): الضمير لعيني، وهو متأخر لفظاً متقدّم معنى. وقوله (**عيني**): فاعل شحّت. وقوله (**وسحّت**): بالسين المهملة والحاء المهملة المشدّدة، أي: عيني. وسحّت أي: سالت، قال في المصباح: «سَحَّ الماء سَحّاً، من باب قتل: سالَ من فوق إلى أسفل، ويقال: السَّحُّ هو الصَّبُّ الكثير. وقوله (**بالدموع**): متعلّق بسحَّت. وقوله (**الذُّرَّف**): بضمّ

الذال المعجمة وتشديد الراء، وصف للدموع، أي: السائلات. قال في المصباح: «ذَرَفَتِ العين ذَرْفاً، من باب ضرب: دَمَعَت، وذَرَفَ الدمعُ: سال. وذَرَفَتِ العينُ الدمعَ». وقوله (وبها): الواو للحال، والباء للسببيّة، وما موصولة، أو نكرة موصوفة. والجار والمجرور متعلّق بشاهدت. وقوله (جَرَى): أي وقع وصدر، قال في المصباح: «جَرَيتُ إلى كذا جَرْياً وجِراءً: قصدتُ وأسرعتُ. وقولهم جَرَى الخلاف في كذا: يجوز حمله على هذا المعنى، فإنّ الوصول والتعلُّق بذلك المَحَلِّ قُصِد على المَجاز. وقوله (في موقف): متعلّق بجرى، والموقف: موضع الوقوف. وقوله (التَّوْدِيع): يقال: وَدَّعْتُهُ تَوْدِيعاً، والاسم: الوَداع بالفتح، مثل: سَلَّم سلاماً: وهو أنْ تُشيِّعَه عند سفره، كذا في المصباح. وكنّى بموقف التوديع عن عالم الذَّرّ الوارد في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٧٢] فإنّ هذا الاجتماع توديع بين الحقّ تعالى والحقائق الإنسانيّة، وابتداء سفرها منه تعالى إليه، ودخولها في منازل الأطوار الكونيّة. وقال البيضاوي في تفسيره: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ أي: أخرج من أصلابهم نسلهم على ما يتوالدون، قرناً بعد قرن. ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٧٢]. أي: ونصب لهم دلائل ربوبيّته، وركَّب في عقولهم ما يدعوهم إلى الإقرار بها حتّى صاروا بمنزلة من قيل لهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾. فنزل تمكينهم من العلم بها، وتمكّنهم منه منزلة الإشهاد، والاعتراف على طريقة التمثيل. ويدلّ عليه قوله: ﴿بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾. أي: كراهة أنْ تقولوا يوم القيامة: ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ لم نُنبَّه عليه. بدليل ﴿أَوْ تَقُولُوٓاْ﴾ عطف على أنْ يقولوا: ﴿إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ﴾ فاقتدينا بهم، لأنّ التقليد عند قيام الدليل والتمكن من العلم به لا يصلح عذراً: ﴿أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٧٣] يعني: آباءهم المبطلين بتأسيس الشرك. وقيل: لمّا خلق الله آدم أخرج من ظهره

ذرّيته كالذرّ، وأحياهم، وجعل لهم العقل والنطق والهمم؛ ذلك لحديث رواه عمر رضي الله عنه. فعلى الأوّل يكون موقف التوديع في عالم الملك، وهو ساعة الحضور مع الحقّ تعالى، ثمّ الغيبة عنه في مقام التجلّي والاستتار. وعلى الثاني/ [٣٩٢/ أ] يكون موقف التوديع في عالم الملكوت في مقام الشهود الروحانيّ في التجلي الرحمانيّ وقوله (من ألم النوى): بيان لما. والنوى: البعد والتحوُّل من مكان إلى آخر، كذا في القاموس. ولا شكّ أن الغيبة عن الحضور والرجوع إلى أحكام النفس بعد الحقّ تعالى، وفراق له. وقوله (شاهدتُ): أي عاينت. وقوله (هَوْلَ): مفعول شاهدت، هَالَه هَوْلاً: أَفْزَعَه. والهَوْل: المَخافة من الأمر، لا يَدْرِي ما هَجَمَ عليه منه، وجمعه: أهْوال وهُؤُول، كذا في القاموس. وقوله (الموقف): بالألف، واللام للعهد الذهني، وهو المعهود شرعاً أنّه موقف يوم القيامة، وهو آخر أحوال الإنسان في منازل أطواره، كما أن عالم الذرّ المذكور أوّل أحواله في منازل أطواره. يعني: شهدت الآخر في الأوّل، والأوّل في الآخر على حسب المقام الآخر.

١٢- إنْ لَمْ يَكُـنْ وَصْـلٌ لَـدَيْكَ فَعِـدْ بِـهِ   أَمَـلِي وَمَاطِـلْ إنْ وَعَـدْتَ وَلَا تَفِـي

١٣- فَالمَطْـلُ مِنْـكَ لَـدَيَّ إنْ عَـزَّ الوَفَـا   يَحْلُـو كَوَصْـلٍ مِـنْ حَبِيْـبٍ مُـسْعِفِ

(إنْ لم يكن): أي يوجد. وقوله (وصْلٌ): فاعل يكن، أي: ملاقاة لك بالرجوع بعد الفناء فيك إلى حضرة علمك. وقوله (لديك): أي عندك صفة لوصل، أو خبر يكن إنْ كانت ناقصة، ووصل اسمها، من قوله تعالى: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾ [١٦/ النحل/ ٩٦]؛ فالذي عندنا منّا ينفد، ويفنى، ويزول بالكلّيّة. والذي عند الله تعالى منّا، وهو علمه بنا باقٍ لا يتغيَّر أزلاً وأبداً. وقوله (فَعِدْ): بكسر العين المهملة، فعل أمر من وَعَدَ يَعِد. والفاء في جواب الشرط. وقوله (به): أي بالوصل متعلِق بفعل الأمر، يقال: وَعَدَه الخيرَ وبالخيرِ». وقوله (أملي) مفعول أوّل لقوله عِد، فإنّ وعد ينصب مفعولين، يتعدّى إلى أحدهما بنفسه، وإلى الثاني بالباء، أو بنفسه. يقال: وعدتُ زيداً الخيرَ، أو بالخير، قال في المصباح: «يقال:

وَعَدَه الخيرَ وبالخيرِ». وبالأمل، بالتحريك: مصدر أَمَلْتُهُ أَمَلاً، من باب طَلَب: ترقَّبتُهُ. وأكثر ما يُستعمل الأمل فيما يُستبعَد حصوله، كذا في المصباح. وقوله (وماطل): فعل أمرمعطوف على عِد. وقوله (إنْ وعدت): يعني بالوصل. وقوله (ولا تفي): من وفى يَفِي، يقال: وَفَيت بالعهد والوعد، أَفي به وفاءً، [كذا في المصباح]. وقوله (فالمَطْل): الفاء تفريعيّة، والمَطْل: مصدر مَطَلَه بدَيْنِه مَطْلاً، من باب قتل: إذا سَوَّفَه بوعد الوفاء، مرّة بعد أخرى. وماطَلَه مِطَالاً من باب قَاتل، كما في المصباح. وقوله (منك): خطاب للمحبوب الحقيقيّ. وقوله (لديّ): بتشديد الياء التحتيّة، أي: عندي. وقوله (إنْ عزّ): أي قَلَّ، فلا يكاد يُوجَد، كما في القاموس. وقال في المصباح: «عَزَّ الشيءُ يَعِزُّ، من باب ضرب: لم يُقْدَر عليه». وقوله (الوفا): بالقصر لضرورة الشعر: فاعل عزّ، قال في القاموس: وَفَى بالعهد، كوَعَى، وفاءً ضدّ: غَدَرَ». وقوله (يحلو): أي يصير حلواً ذلك المَطل. وقوله (كوَصْلٍ): أي كما يحلو الوصل عند العاشق. وقوله (من حبيب): متعلّق بوصل. وقوله (مُسْعِف): صفة لحبيب، وهو اسم فاعل من أَسْعَفتُهُ بحاجته إسْعَافاً: قضيتها له، وأسعَفتُهُ: أَعنتُهُ على أمره، كما في المصباح.

١٤- أَهْفُو لِأَنْفَاسِ النَّسِيْمِ تَعِلَّةً ... وَلِوَجْهِ مَنْ نَقَلَتْ شَذَاهُ تَشَوُّفِي

١٥ - فَلَعَلَّ نَارَ جَوَانِحِي بِهُبُوبِهَا ... أَنْ تَنْطَفِي وَأَوَدُّ أَنْ لَا تَنْطَفِي

(أهفو): يقال هَفَا الفؤادُ: ذَهَبَ في أَثَرِ الشيءِ، وطَرِبَ، كذا في القاموس. يعني: يميل قلبي وأطرب. وقوله (لأنفاس): جمع نَفَس، بفتح الفاء. قال في المصباح: «النَفَس، بفتحتين: نسيم الهواء، والجمع أنفاس». والمراد هنا هبوب النسيم، بدليل البيت الثاني، أو على الاستعارة المكنيّة بتشبيه النسيم بإنسان له أنفاس. وذكر الأنفاس تخييل، والإشارة هنا بأنفاس النسيم إلى قوى الروح المنفوخ في جسده؛ لأنّه منبعث عن أمر ربّه تعالى/ [٣٩٢/ ب] وقد أشرنا نحن إلى القوى المنبثّة في اليد الإنسانيّة، وعروقها الممتدّة من القلب المنفوخ فيه من أمر الله

بقولنا من قصيدة لنا في معشراتنا:

طنبورنا قد أصلحت أوتاره فأجاد في النغمات حدّاً مفرطا

وقوله (تَعلَّة): بفتح التاء المثنّاة الفوقيّة وكسر العين المهملة وتشديد اللام مفتوحة، حال من أنفاس النسيم، أي: حال كونها تعلّة لي، قال في القاموس: التَعِلَّة والعُلالَة بالضمّ: ما يُتَعَلَّلُ به، وتَعَلَل بالأمر: تشاغل». قال في الصحاح: «عَلَّلَهُ بالشيءِ، أي: أَلْهَاهُ بِهِ، كما يُعَلَّل الصبي بشيء من الطعام يَتَجَزَّأُ به عن اللبن. يقال: فلان يُعَلِّل نفسَهُ بتَعَلَّة، وتعلَّلَ به، أي: تلهَّى به وتجزّأ. والعُلالة بالضمّ: ما تَعَلَّلتَ به». وقوله (ولِوَجْهِ): أي ذات، وهو خبر مقدّم لإفادة الحصر. وقوله (من نَقَلَت): أي تلك الأنفاس. وقوله (شذاه): بالذال المعجمة، أي: رائحته الطيِّبة. قال في القاموس: «الشَّذَا مقصور: قوّة ذكاء الرائحة». والمعنى: بالشذا هنا: ما تأتي به الروح الأمريّة من أخبار الحقّ تعالى، فتبُثُّهُ في القلب، ويسمّى الوارد. قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه:

ألا عم صباحاً أيها الوارد الذي أتانا فحيَّانا من الحضرة الزلفى

ولتلميذ العفيف التلمسانيّ في جملة أبيات له قدّس سرّه:

أسكرت بان الحمى يا نسمة السَحَر فهل أتيت عن الأحباب بالخبر

نعم مررت بذاك الحيّ فاكتسبت ذيول ردك ريّا نشره العطر

يكنّي ببان الحمى عن العارفين بربّهم، وبنسمة السَّحَر عن الروح المنفوخ في الأجسام الكونيّة؛ فإنَّ الكون ظلمة، وبالخبر عن والواردات الإلهيّة. وقوله (تشوّقي): مبتدأ مؤخر. والتشوّف بالشين المعجمة، يقال: تَشَوَّفَت الأوعال: إذا عَلَت رؤوسَ الجبال تنظر السهلَ وخلوَّه ممن تخافه لِتَرِدَ الماء والمرعى. ومنه قيل تَشَوَّفَ فلان لكذا: إذا طَمَحَ بصرُه إليه، ثمّ استُعمِل في تعلُّق الآمال والتطلّب، كما قيل: يَستَشْرِف معاليَ الامور إذا تَطَلَّبَها، كذا في المصباح. وقوله (فلعلّ): الفاء

للتفريع. ولعلّ حرف ترجّي، من أخوات إنَّ، تنصب الاسم وترفع الخبر. وقوله (نار): بالنصب: اسمها. وقوله (جوانحي): جمع جانحة، قال في القاموس: «الجوانح الضلوع تحت الترائب ممّا يلي الصدر، واحدته جانحة. وقوله (بهبوبها): أي هبوب أنفاس النسيم. والباء الموحّدة للسببيّة. والهَبُّ والهُبُوب: ثَوَران الريح، كالهَبيب، كذا في القاموس. والمعنى في ذلك: إنّه يترجّى انطفاء حرارة شوقه إلى الحقّ تعالى ببث العلوم الإلهيّة التي تثيرها الروح الأمريّة المنفوخة في جسده المُسوَّى، حيث تأتيه بالأخبار الربّانيّة من الحضرة الرحمانيّة. وقوله (أنْ تنطفي): أي نار تلك الحرارة العشقيّة. وقوله (وأودّ): فعل مضارع، والواو للحال. والجملة حال من ياء المتكلّم، وإنْ كان مضافاً إليه؛ لأنّ المضاف جزء منه. وأَوَدُّ: من وَدِدْتُهُ أَودُّهُ، من باب تعب: وَدّاً بفتح الواو وضمِّها: أَحببتُهُ، والاسم المَوَدَّة، وَوَدِدْتُ لو كان كذا، أَوَدُّ أيضاً وَدّاً ووَدَادَةً، بالفتح: تمنَّيته. وفي لغة: وَدَدْتُ أَوَدُّ، بفتحتين، حكاه الكِسائي، وهي غلط عند البصريين. وقال الزَجّاج: لم يَقُل الكِسائي إلّا ما سِمِع، ولكّنه سمعه ممن لا يوثق بفصاحته، كذا في المصباح. وقوله (أنْ لا تنطقي): أي تلك النار، لعلمه بعدم إمكان اجتماع الحقّ والباطل؛ فإنّ المخلوق باطل، والحقّ حقّ: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [١٧/الإسراء/٨١]. وفي حديث مسلم: «أصدق كلمة قول لبيد: ألا كلّ شيء ما خلا الله باطلاً»[1]. ولنا في مطلع قصيدة:

أنــت قيــد الوجــود إنْ غبــت غابــا وإذا ما ظهرت كنت حجاباً/ [٣٩٣/أ]

فلا أقلّ من بقاء الاشتياق، والتملّي بالتجلِّي الإلهيّ في صور الأكوان، وظهور الإشراق.

---

(١) انظر تخريجه ص٤٠٣ و ٦٧١ و ١٤٥٩.

١٦- يَا أَهْلَ وَدِّي أَنْتُمُ أَمَلِي وَمَنْ   نَادَاكُمُ يَا أَهْلَ وَدِّي قَدْ كُفِي

١٧- عُوْدُوا لِمَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الوَفَا   كَرَماً فَإِنِّي ذَلِكَ الخِلُّ الوَفِي

(يا أهل وَدّي): أي يا أصحاب، والأصل فيه القرابة، وقد يطلق على الإتباع. وأهل البلد من استوطنه، وأهل العلم: من اتّصف به، كذا في المصباح. وقوله (وَدِّي): بفتح الواو وضمّها، أي: محبّتي، كما في المصباح. يكنِّي بذلك عن الحضرات الإلهيّة، والتجلِّيات الربّانيّة الظاهرة بصور الأعيان الكونيّة. وقوله (أَنْتُمُ): بضمّ الميم لأجل الوزن. وقوله (أملي): أي ما أؤمّله في الدنيا والآخرة. وأكثر استعمال الأمل فيما يستبعد حصوله، كما قدّمناه قريباً. وقوله (ومن ناداكمُ): بضمّ الميم للوزن أيضاً. وقوله (يا أهل ودّي): أي بهذا النداء المخصوص. وقوله (قد كفي): بضمّ الكاف، أي: كفيتموه كلّ أموره في ظاهره وباطنه، وهو من تجلّي الاسم الكافي الذي لا يحتاج معه أحد إلى سواه؛ لأنّه خالق كلّ شيء، ولا خالق إلّا هو، ووجّه خصوص هذا النداء أن من كان له محبّة إلى شيء يقوم بمرادات ذلك الشيء على وجه الإطلاق. وسبب إظهار العوالم كلّها إنّما هو المحبّة الإلهيّة، يحبّ نفسه بنفسه؛ فحضرة ذاته تحبّ حضرة أسمائه وصفاته، فتشهدها في حضرة آثار تجلّياته؛ فهو الشاهد والمشهود: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ ـ وهو الشهود الذاتي ـ ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [٣/آل عمران/ ١٨] هو الشهود الأسمائيّ الصفاتيّ. والمحبّة من الطرفين: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [٥/ المائدة/ ٥٤] وقوله (عودوا): أي ارجعوا بنا. وقوله تعالى: ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ [٢١/ الأنبياء/ ١٠٤] وإذا عاد الشيء إلى ما كان عليه فقد عاد إلى معاملته كما كان. وقوله (لما كنتم): أي وجدتم أزلاً. وقوله (عليه): أي على ما كنتم. وقوله (من الوفا): بيان لما هو ضدّ الغدر، بإظهار التنويه في بصيرة العبد؛ فإنّها غدر به صادر من العبد، حيث كان ذلك في حقيقته وهو في حضرة العلم لمنافاتها التوحيد الحقيقيّ؛ فإنّ أعيان الممكنات في الأزل لا وجود لها

في حضرة العلم القديم؛ وإنّما هي ثابتة فيه غير منفيّة. وقوله (كرماً): أي فضلاً منكم، ومنّة علينا، قال الشيخ عبد الكريم الجيليّ قدّس سرّه:

تعـالوا بنـا حتّـى نعـود كـما كنّـا ... ولا عهد نا خنتم ولا عهدكم خنّا

وهذا مشاكلة في الكلام، مثل قوله تعالى: ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَ﴾ [٥/ المائدة/ ١١٦] وقوله (فإنّي): أي تحقيقاً إنّي وإنْ ظهرت في الكون. وقوله (ذلك): إشارة إلى ما في علمه تعالى، الكاف للبعد؛ فإنّ الكون بعيد عن الحضرة العلميّة بعداً حقيقيّاً لحدوثه وقدمها. وقوله (الخِلّ): بالخاء المعجمة مكسورة أو مضمومة، قال في القاموس: «الخِلّ بالكسر والضمّ: الصديق المختصّ، أو لا يُضَمّ إلّا مع وُدّ، يقال: كان لي وُدّاً، أو خُلًّا. وقوله (الوفي): وصف للخلّ من الوفاء، ضدّ الغدر، فإنّ أعيان الحوادث في الحضرة العليّة الإلهيّة لا وجود لها؛ فلا وصف لها بغدر، ولا غيره؛ فهي على طبق ما أراد منها فلها الوفاء بالمراد الإلهيّ كيفما كانت، قال العفيف التلمسانيّ قدّس الله سرّه في مطلع قصيدة له:

إلى ذلـك المغنـى مـآلي ومرجعـي ... وشركي الذي أدّى إلى وحدتي معي

١٨- وَحَيَاتِكُمْ وَحَيَاتُكُمْ قَسَمٌ وَفِي ... عُمْرِي بِغَيْرِ حَيَاتِكُمْ لَمْ أَحْلِفِ

١٩- لَوْ أَنَّ رُوحِي فِي يَدِي وَوَهَبْتُهَا ... لِمُبَشِّرِي بِقُدُومِكُمْ لَمْ أُنْصِفِ

/ [٣٩٣/ ب] (وحياتكم): الواو للقسم، والخطاب للمُكَنّى عنهم بأهل وِدِّه؛ فإنّ الكلّ أحياء بالحياة الإلهيّة، والصفة القيّوميّة، قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٤٤] ولا يسبّح إلّا الحيّ العالم بالتسبيح، ولمن يسبّح. والتسبيح بالنطق، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٍ﴾ [٤١/ فصّلت/ ٢١] ولا يلزم سماع نطقه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسۡمِعُ مَن يَشَآءُ﴾ [٣٥/ فاطر/ ٢٢]. وقوله (وحياتكم): مرفوع بالابتداء. وقوله (قَسَمٌ): خبره. وقوله (وفي): حرف جرّ، جار لقوله (عمري): أي مدّة حياتي في الدنيا، أو (وفي): أصله بتشديد الياء، ثمّ خفف: اسم فاعل،

صفة لـ(قَسَمٌ)، فيكون (عمري): ظرفاً متعلّق بلم أحلف، قال في المصباح: «وَفَيت بالعهدِ والوَعْد أَفِي به وَفَاء، والفاعل: وَفِيّ، والجمع: أَوْفِيَاء، مثل: صَدِيق وأصدقاء. وقوله (بغير) متعلّق بأحلف. وقوله (وحياتكم): مضاف إليه. وقوله (لم أحلفِ): بكسر الفاء للقافية. وقوله (لو أنّ روحي في يدي): أي كنت مالك أمرها، أتصرّف فيها. وقوله (ووهبتها): جملة معطوفة على جملة أنّ واسمها وخبرها. وقوله (لـمُبشّري): متعلّق بوهبتها، والمُبشّر بصيغة اسم الفاعل: من البِشارة، بكسر الباء، والضمّ: لغة. وإذا أُطلقت اختصت بالخير، كذا في المصباح. وقوله (بقدومكم): متعلّق بمُبشِري.، والقُدُوم مصدر قَدِم الرجلُ البلدَ يَقدَم، من باب تعب، قُدُوماً ومَقْدَماً، بفتح الميم والدال، كذا في المصباح. والمعنى بقدومكم، أي: عليَّ من الغيب المطلق بحيث يتجلّى بكلّ شيء على التنزيه التام. والمبشّر كناية عن الوارد الربّانيّ في المقدام الصمدانيّ. وقوله (لم أنصف): بكسر الفاء للقافية، أي: ما كنت منصفاً فيما فعلت؛ بل كنت مقصّراً في ذلك. وجملة البيت الثاني جواب للقسم.

٢٠- لَا تَحْسَبُونِي فِي الهَوَى مُتَصَنِّعاً كَلَفِي بِكُمْ خُلُقٌ بِغَيْرِ تَكَلُّفِ

(لا): ناهية. وقوله (تحسبوني): مجزوم بحذف نون الرفع. والخطاب للمكنّى عنهم بأهل ودّي. وياء المتكلّم هي المفعول لحسب، يقال: حَسِبتُ زيداً قائماً، أحْسَبُهُ، من باب تعِب في لغة جميع العرب إلّا بني كنانة؛ فإنّهم يكسرون المضارع مع كسر الماضي أيضاً، على غير قياس. حسباناً: بالكسر، بمعنى ظننت، كذا في المصباح. وقوله (في الهوى): متعلّق بمتصنِّعاً. وقوله (متصنّعاً): مفعول ثانٍ لحَسِب، والمتصنّع بتشديد النون، مكسورة: اسم فاعل من التصنّع، تكلُّف حُسن السمت والتزين، كذا في القاموس. وهو الذي يدّعي المحبّة، ويتكلّف بإظهار التشوّق والتاوّه كلابس ثوبَيْ زور، في ظاهره ثوب المحبّة، وفي باطنه ثوب السلوان. والثوبان زور وبهتان.

وقوله (كلفِي): مبتدأ، والكَلَف بفتح اللام مصدر كَلِفْتُ به كَلَفاً؛ فأنا كَلِف

به، من باب تعب: أحببته، وأولعت به، كما في المصباح. وقوله (بكم): أي بمحبّتكم، والخطاب للمُكَنَّى عنهم بأهل ودّه. وقوله (خُلُق): خبر المبتدأ، والخُلُق بضمّتين السجيّة، كذا في المصباح. يعني: طبيعة خلقتُ عليها. وقوله (بغير تكلّف): يقال كَلِفْتُ الأمرَ، من باب تعب: حَمَلْتُه على مشقّة، ويتعدّى إلى مفعول ثانٍ، بالتضعيف، فيقال: كَلَّفْتُه الأمرَ فتَكَلَّفَه، مثل: حَمَّلْتُهُ فتَحَمَّلَه وزناً ومعنى، على مشقّة أيضاً، كما في المصباح.

٢١- أَخْفَيْتُ حُبَّكُمُ فَأَخْفَانِي أَسَىً   حَتَّى لَعَمْرِي كِدْتُ عَنِّي أَخْتَفِي

٢٢- وَكَتَمْتُهُ عَنِّي فَلَوْ أَبْدَيْتُهُ   لَوَجَدْتُهُ أَخْفَى مِنَ اللُّطْفِ الخَفِي

(أخفيت حبّكم): بضمّ الميم للوزن الشعري. بمعنى محبّتكم. وقوله (فأخفاني): أي أنْحَلَ جسمي بالسقام، وغيَّرَ وجهي وأحوال نفسي من مكابدة الأوجاع والآلام حتّى خفيت، فلم يعرفني غالب الأنام. ومن ذلك المبالغة في الكلام كقول الشاعر المتنبّي وإنْ كان دونه في النظام:

أبلى الهوى أسفاً يوم النوى بدني   وفرّق الحبّ بين الجفن والوسن

جسم تردّد في مثل الخيال إذا   أطارت الريح عنه الثوب لم يبن/ [٣٩٤/أ]

كفى بجسمي نحولاً إنني رجل   لولا مخاطبتي إيّاك لم ترني

وقوله (أسىً): منصوب على أنّه مفعول لأجله، والأَسَى مصدر أَسِيَ أَسَىً، من باب تعب: حزن، كذا في المصباح. وقوله (حتّى لَعمري): بفتح العين المهملة، قَسَم محذوف الخبر، تقديره قسمي. وقوله (كدت): بضمّ التاء من أفعال المقاربة. وقوله (عنّي): متعلّق باختفى إشارة إلى الفناء في الله؛ فإنّه تعالى إذا ظهر للعارف المحقّق أخفاه عن نفسه، فلا يجد غيره تعالى، كما قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه في كتاب «المشاهد» له؛ «أشهدني إيّاه. وقال لي: مَن أنت. قلت: العدم الظاهر... إلى آخر كلامه. وقوله (وكتمته): أي حبّكم. وقوله (عنّي): أي عن نفسي فلم أشعر به.

وقوله (فلو): الفاء للتفريع، ولو: حرف امتناع لامتناع. وقوله (أبديته): أي أظهرته لنفسي أو لغيري. وقوله (لوجدته): أي ذلك الحبّ المذكور. وقوله (أخْفَى): أي أشدّ خفاء. وقوله (من اللطف): بالضمّ، أي: لَطَفَ اللهُ تعالى بعباده، وهو اسم من لَطَفَ الله بنا لَطَفاً، من باب طلب: رَفَقَ بنا، فهو لطيف، والاسم اللُطف، كذا في المصباح. وقوله (الخفي): صفة اللطف، وهو معاملة الله تعالى لعباده بما لا يلائم نفوسهم من حيث لا يشعرون. وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ [٤٢/ الشورى/ ١٩] وإذا كان هذا الحبّ الإلهيّ بحيث لو أظهره لنفسه لكان أخفى من اللطف الخفيّ، فكيف لو كتمه ولم يظهره. والحاصل: إنّ معاملة الحقّ تعالى لعباده ظاهرة وإنْ كانت خفيّة، بحيث لا يشعرون بها، لكن معاملة العباد لربّهم خفيّة وإنْ كانت ظاهرة، وهي ما هم عليه من الأحوال في عدمهم الأصلي، حيث هو تعالى كاشف عنهم بعلمه القديم أزلاً؛ فإنّ ذلك وإنْ ظهر به تعالى فإنّه خفيّ، لأنّه لم يخرج من العدم الأصليّ، والظهور له تعالى دونهم.

٢٣- وَلَقَدْ أَقُولُ لِمَنْ تَحَرَّشَ بِالْهَوَى ... عَرَّضْتَ نَفْسَكَ لِلْبَلَا فَاسْتَهْدِفِ[1]

٢٤- أَنْتَ القَتِيلُ بِأَيِّ مَنْ أَحْبَبْتَهُ ... فَاخْتَرْ[2] لِنَفْسِكَ فِي الهَوَى مَنْ تَصْطَفِي

(ولقد أقول): اللام موطئة للقسم المقدّر، والتقدير: والله قد أقول. (قد): لتوقّع حصول القول منه. وقوله (لمن تحرّش): بالشين المعجمة من التحرّش، وهو الإغراء بين القوم أو الكلاب، كذا في القاموس، وهذا أصله. ومعناه هنا التعرض للشيء وبذل النفس في تحصيله، والإغراء بها في طريقه، والهجوم عليه بلا معرفة به. وقوله (بالهوى): أي بالمحبّة مطلقاً للمحبوب الحقّ، من حيث ظهوره بالصور العلميّة؛ فإنّ المحبّة له تعالى لا تكون إلّا من هذه الحيثيَّة، غايته أن المحبّ إمّا أن

---

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: «بلغ مقابلة».

(٢) في (ق): فانظر.

يكون عارفاً به تعالى، وبتجلّياته في الصور العلميّة، الظاهرة في عالم الإمكان، أو غير عارف بذلك، وعلى كلّ حال فحكمها كذلك. قال العفيف التلمسانيّ قدّس الله سرّه من أبيات له:

نظرت إليها والمليح يظنني نظرت إليه ومبسمها الألمى
ولكن أعارته التي الحسن وصفها صفات جمال فادّعى ملكها ظلما

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [٣/ آل عمران/ ١٠٩] وقال تعالى: ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَيْءٍ﴾ [٢٧/ النمل/ ٩١] يعني: له ذلك من حيث تجلّيه وظهوره من الحضرة العلميّة، بأنواع آثار أسمائه وصفاته المنزّهة العليّة، والخالق يظهر المخلوقات فيستتر بهم على أعين البريّة، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾ [٨٥/ البروج/ ٢٠] أي بهم من جميع جهاتهم ظاهراً أو باطناً، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾ [٤١/ فصّلت/ ٢٠] وهذه الإحاطة اقتضت التجلّي والظهور بكلّ صورة من صور الأكوان حسّيّة كانت أو معنويّة، وكلّ ما عداه فانٍ من المحسوسات والمعاني؛ فلا موجود سواه؛ فهو الظاهر والباطن والأوّل والآخر، ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [٤٧/ محمّد/ ١٩]؛ ولهذا قلنا من أبيات لنا/ [٣٩٤/ ب]:

كنت أحسبه الذي صوّرته فإذا المُصَوِّرُ والمُصَوَّر خالقي

فهو المصوِّر: اسم فاعل لأنّه من أسماء ذاته، وهو المصوَّر اسم مفعول من حيث ظهوره بآثار أسمائه وصفاته. ولم أقل هو الصورة؛ لأنّ الصور كلّها هي الأكوان، وهي آثار أسمائه وصفاته المنزّهة الحسان، ولا يلزم من ظهوره بالصورة أنْ يكون هو عين الصورة، كما أنّه لا يلزم أنْ يكون الظاهر بالثياب هو عين الثياب؛ بل هو اللابس لها، والحامل لأعيانها؛ فهي المظهر والحجاب، قال تعالى: ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ [٦/ الأنعام/ ٩] وقال تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [٥٠/ ق/ ١٥] وسمّي اللباس لباساً لأنّه يلبس اللابس على الناظرين، فيوقعهم في

الالتباس إنْ لم يكونوا من العارفين. والحاصل: إنّ الصور كلّها هي المخلوقات، والمصوَّر لها، والمصوِّر بها هو الخالق، ولم يخلق الله تعالى إلّا الصور؛ ولكنّها محسوسة، ومعقولة، وموهومة، على أنواع شتّى، وأجناس، وأشخاص لا تحصى في الدنيا، والبرزخ، والآخرة، إلى الأبد؛ فهو الخالق، البارئ، المصوِّر، له الأسماء الحسنى، والصفات العليا. وهو تعالى لا صورة له، وله الصور كلّها: خلقاً، وإيجاداً، وتصويراً، وإمداداً، بحكم وله كلّ شيء، وهو المنزّه عن كلّ شيء، وإنّ ظهر بصورة كلّ شيء فهو الظاهر بالصور، والمنزّه عن الصور أن يكون عينها. وقد كفر الزنديق في دعواه ذلك لعدم فرقه بين الحقّ والباطل؛ فكلّ كلامه فاسد، باطل. ولمعاصرنا العارف بالله الشيخ قاسم بن الخانيّ[1] الحلبيّ رحمه الله تعالى رسالة في بيان ما ذكرنا، نافعة جدّاً سمّاها: «رسالة التحقيق في الردّ على الزنديق».

وقوله (عَرَّضْتَ): بتشديد الراء وبالضاد المعجمة، من تعرض للمعروف، وتَعَرَّضَهُ يتعدّى بنفسه وبالحرف: إذا تَصَدَّى له وطلبه. ومنه قولهم: تَعَرَّضَ في شهادته لكذا: إذا تصدّى لذكره، كذا في المصباح. وقال في القاموس: «تَعَرَّض له: تَصَدَّى، ومنه: تعرّضوا لنفحات الله. وقوله (نفسكَ): مفعول عرَّضت، والخطاب لمن تحرّش بالهوى. وقوله (للبَلَا): أي الامتحان من الله تعالى لإظهار صدقك في المحبّة، أو كذبك فيها، قال في القاموس: «ابْتَلَيْتُه: اختبرته، وابتليت الرجل فأبلاني: استخبرته فأخبرني، وامتحنته واختبرته كبَلَوْتُه بَلْواً وبَلَاء. والاسم البَلْوى والبَلِيَّة والبِلْوَة، بالكسر. والبَلاء: الغمّ، كأنّه يُبْلِي الجسم. والتكليف بلاء، لأنّه شاق على البدن، أو لأنّه اختبار. والبلاء يكون مِنْحَة، ويكون مِحْنَة». فالبلاء هنا مقصور لضرورة الوزن. فإنْ أخرجت المحبّة من العبد صبراً، وشكراً، وزهداً،

---

(١) قاسم بن صلاح الدين الخانيّ الحلبيّ، الشيخ الفاضل، الصوفي، العارف بالله ، المتكلّم، المحدّث الأصولي، ١٠٢٨ ـ ١١٠٩هـ. من مؤلفاته: التحقيق في الردّ على الزنديق، والسير والسلوك إلى ملك الملوك، وشرح على الجزريّة. انظر سلك الدرر في أعيان القرن الحادي عشر للمرادي ١ / ٢٤٩، ومعجم المؤلّفين ٨ / ١٠٤.

وورعاً، وتقوى، وطاعة؛ فهي مِنْحَة، وخير كثير. وإنْ أخرجت منه ضجراً، وكفراناً للنعم، ورغبة في الدنيا، واقتحاماً على معاصي الله تعالى، وغفلة عنه تعالى، وإعراضاً عن طاعته؛ فهي مِحْنَة، وشرّ شديد. وربَّما أوصلت إلى الكفر والطغيان، سواء كانت تلك المحبّة التي ابتلي بها العبد محبّة إنسان مثله من بني آدم ذكراً كان أو أنثى، أو محبّة مال، أوجاه، أو زوجة، أو أولاد، أو خدام، أو مأكل، أو مشرب، أو علم، أو دين، أو شيء مما سوى الله تعالى؛ فإنّ محبّة العلم أو الدين قد توصل إلى التكبُّر، والسمعة، والرياء، والنفاق، ونحو ذلك. وقد توصل إلى التواضع والإخلاص وأمثال ذلك؛ فإنّ كلّ ما سوى الله تعالى من صور العوالم المحسوسة، والمعقولة، والموهومة، تجلِّيات وظهورات لله تعالى. ومحبّة شيء منها إمّا أنْ يكون لعينها وصورتها، فتكون محبّة لغيره تعالى؛ لأنّ الصور غير المصوّر والمتصوّر فتوجب المحن والشرور، وأنواع الغرور. وإمّا أنْ يكون للـ...[1] والظاهر بصورتها، فتوجب الخير، والكمالات، والأعمال بالنيّات ولكلّ امرئ ما نوى. والمحبّ لا يعلم ما في استعداده من الخير أو الشرّ، والمحبّة/ [٣٩٥/ أ] تظهر منه ما فيه، ولا يمكنه الامتناع، ولا التصنّع في شيء من ذلك؛ فلهذا كان المحبّ معرِّضاً نفسه للبلاء كالدّرهم الملقى في النار إمّا أنْ تُذهب زيفه، وتطهِّره من أدناسه؛ فيخرج جيداً خالصاً نظيفاً. وإمّا أنّ النار تُظهر زيفه وغشّه؛ فيرجع نحاساً أو رصاصاً، ويذهب ما كان مطلياً به في ظاهره من تلبّسه بما ليس فيه.

وقوله (فاسْتَهْدِفِ): بكسر الفاء للقافية: فعل أمر، قال في القاموس: «اسْتَهْدَف: انْتَصَب وارْتَفع. وقال في المصباح: «الهَدَف، بفتحتين: كل شيء عظيم مرتفع، قاله ابن فارس، مثل: الجَبَل وكَثيب الرمل، والبناء. والجمع: أهداف، مثل: سبب وأسباب. والهَدَف أيضاً الغرض، وأَهْدَف لك الشيء بالألف: انتَصَبَ، واسْتَهْدَف كذلك. ومَن صنَّفَ فقد استَهْدَف، أي: انتَصَبَ، كالغَرَض يُرْمَى بالأقاويل».

---

(١) سواد غير واضح للكلمتين في المخطوط. ولعلّ المعنى يقتضي أن تكونا: للمُصَوِّر لها، والله أعلم.

فالأمر هنا بقوله (اسْتَهْدِفِ): أي اجعل نفسك هدفاً تُرْمَى بسهام البلايا والمصائب. أو معناه ارتفع عن ذلك، وتباعد عنه.

وقوله (أنت القتيل): أي المقتول على الحالة التي أنت فيها من خير أو أشر. والقتل هنا بمعنى: الموت المحتّم اللازم الذي لا بدّ منه لكلّ حيّ بالحياة الدنيا. وتعريف المبتدأ والخبر لإفادة الحصر؛ إذ لا محيد لك عن ذلك. وقوله (بأي): مشدّد الياء التحتيّة: اسم استفهام، بتقدير: بمقول لكلّ فيه أي، ويؤيّده عطف فاختر لنفسك على جملة الاستفهام؛ كقوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٨٥]. ويصحّ أن تكون أيّ شرطيّة نحو قوله تعالى: ﴿أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [١٧/ الأسراء/ ١١٠] والتقدير: أي حبيب أحببته فاختر لنفسك في هواه من تصطفيه، أي: تصطفي مختارك، أو غيره. وقوله (مَنْ) نكرة موصوفة، بمعنى حبيب، والباء للملابسة. وقوله (أحببته): أي بملابسة محبّة أي شيء أحببته؛ فإنّ المرء يموت على ما عاش عليه، ويُحشرعلى ما مات عليه. أو الباء للسببيّة، أي: بسبب مقول لكل فيه، أي: حبيب أحببته، وفيه تغليب من يعقل على ما لا يعقل باستعمال مَنْ، بفتح الميم. وقوله (فاختر): فعل أمر من الاختيار. وفي نسخة فانظر. وقوله (لنفسك): متعلّق بـ(تصطفي). وقوله (في الهوى): أي المحبّة. وقوله (من تصطفي): مفعول فاختر. واصطفى الشيء: اختاره، يقال اصطفى الرئيس لنفسه من المغنم: اختار. يعني: اختر حالة تكون عليها في الدنيا، وتموت عليها، وتحشر عليها؛ لأنّه لا بدّ أنْ تكون المحبّة عند كلّ أحد من الناس؛ لكنّ المحبوب يختلف باختلاف صور العوالم المحسوسات، والمعقولات، والموهومات. وكلّ هذه الصور من حيث هي صور غير الله تعالى، وهي مخلوقاته. ومن حيث الظاهر بها، والمتجلّي بصورها من حضرته العلميّة، كما قدّمناه فهو الحقّ تعالى، لا ربّ سواه، ولا إله إلّا إيّاه، وهذه حضرة أسمائه وصفاته. وأمّا حضرة ذاته العليّة فهي منزّهة عن مشابهة كلّ شيء يستحيل إدراكها، والعلم بها كما قال تعالى: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [٦/

الأنعام/١٠٣]. وقد عرضنا عليك محبّة الله تعالى، ومحبّة الأغيار من العوالم، وشرحنا لك ذلك، فانظر في نفسك، ولا تغشّها، واصدق في حالك ومقالك، قال تعالى: ﴿لِيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾ [٣٣/ الأحزاب/ ٨] فكيف الكاذبون.

٢٥- قُلْ لِلْعَذُولِ أَطَلْتَ لَوْمِي طَامِعاً   أَنَّ المَلَامَ عَنِ الهَوَى مُسْتَوْقِفِي

٢٦- دَعْ عَنْكَ تَعْنِيْفِي وَذُقْ طَعْمَ الهَوَى   فَإِذَا عَشِقْتَ فَبَعْدَ ذَلِكَ عَنِّفِ

(قل): فعل أمر، خطاب لمن تحرّش بالهوى في البيت السابق، أو لكلّ من يصدر منه القول. وقوله (للعذول): وهو الذي يلومه بالقياس على نفسه، فيظنّه يحبّ الأغيار، وهي الصور الكونيّة من حيث هي صور، وهو إنّما يحبّ الظاهر المتجلّي بتلك الصور، وهو الحق تعالى مما لا يعرفه ذلك العذول أصلاً في نفسه ولا في غيره. وقوله (أَطَلْتَ)/ [٣٩٥/ ب] بفتح التاء المثنّاة الفوقيّة. وقوله (لومي): أي تعنيفي على محبّتي لغير الحقّ تعالى، كما هو عند العذول لجهله بتجلّيات ربّه وظهوراته، بصورة كلّ شيء؛ لأنّ عنده لا فرق بين الصورة والظاهر بها، المتجلّي فيها جهلاً منه، وغفلة عن معرفة ربّه، خالق كلّ شيء، وقوله (طامعاً): حال من العذول المطيل عذله لأجل تَركي للمحبّة الإلهيّة التي هي ديني واعتقادي من قوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [٥/ المائدة/ ٥٤] قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه من أبيات له:

أدين بدين الحبّ أنّى توجّهت   ركائبه فالدين ديني وإيماني

لنا أسوة في بشر هند وأختها   وقيس ولبنى ثمّ مي وغيلان

فإنّه قدّس الله سرّه، وهؤلاء العشّاق مع محبوباتهم سواء من حيث الظاهر، وفي نفس الأمر بينهم فرق محقّق؛ فإنّهم يحبّون الصور، وهو يحب الظاهر المتجلّي بالصور، قال تعالى في حقّ إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَـٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٔافِلِينَ﴾ [٦/ الأنعام/ ٧٦] وذلك لأنّ الذي

أفل هو صورة الكوكب، لا الظاهر المتجلِّي بصورة الكوكب؛ ولهذا قال بعد ذلك: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا﴾ أي للذي هو ظاهر متجلٍّ بالسموات والأرض ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [٦/ الأنعام/ ٧٩] الذين يعبدون الصور الفانية الآفلة؛ فإنّ قوله (هذا ربِّي) إشارة منه إلى المتجلِّي الظاهرة بصورة الكوكب، لا إلى الكوكب نفسه؛ ولهذا قال: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ﴾ ولا يأفل إلّا المخلوق الحادث دون المتجلِّي به. وقوله (أنَّ): بفتح الهمزة أي: طامعاً في (أنّ الملام): أي كون الملامة لي. وقوله (عن الهوى): متعلِّق بمستوقفي. وقوله (مستوقفي): أي يقتضي منِّي الوقوف عن المحبّة، وعدم المضي فيها، قال في القاموس: «استوقفته: سألته الوقوف». وقوله (دع): أي اترك، خطاب للعذول. وقوله (عنك): أي عن نفسك، متعلِّق بدع. وقوله (تعنيفي): أي لومي. والعتب عليّ فيما فعلت من المحبّة؛ لأنّك لم تذق ما ذقت من مواجيد المحبّة الإلهيّة، ولا تعرف الذوق والوجدان من الحضرات الربّانيّة، ولنا من أبيات:

ويلي من العاذل المغرور في عذلي   يظنّ باعي عن العلياء في قصر

وقوله (وذق طعم الهوى): أي المحبّة الإلهيّة، كما أنّي ذائق ذلك؛ فإنّك لا تعرف إلّا المحبّة الكونيّة المتعلِّقة بصور البريّة، قال صلّى الله عليه وسلّم: «حبّك الشيء يعمي ويصمّ»[1] أخرجه الإمام أحمد في مسنده، والبخاريّ في تاريخه، وأبو داوود عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. ذكره السيوطيّ في جامعه الصغير. وذكر عن الديلميّ في مسند الفردوس، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «حبّ الثناء من الناس يعمي

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، باب: حديث أبي الدرداء، ٢٢٣٢٢. كما أخرجه البخاريّ في تاريخه الكبير، ١٨٥٣، وأخرجه أبو داوود في سننه، كتاب: الأدب، باب في الهوى، ٥١٣٠، والسيوطيّ في الجامع الصغير، باب: حرف الحاء، ١١٥١٨.

ويصم»[1]. يعني: يعمي عن شهود الله تعالى، ويصمّ عن سماع كلامه. وقوله (فإذا عشقت): أي أحببت الظاهر المتجلِّي بالصور، وتركت محبّة الصور؛ فصارت محبّتك إلهيّة لا كونيّة، عن ذوق منك ووجدان، لا عن تخيل في نفسك وحسبان. وقوله (فبعد ذلك): أي بعد حصول المحبّة الإلهيّة لك على الوصف المذكور. وقوله (عَنِّفِ): بتشديد النون وكسر الفاء للقافية، فعل أمر من التعنيف، وهو اللوم والعتاب؛ فإنّك حينئذ لا تقدير على ذلك، ويمنعك إيمانك بالله ، وإذعانك للحقّ عن سلوك هذه المسالك.

٢٧- بَرِحَ الخَفَاءُ بِحُبِّ مَنْ لَوْ فِي الدُّجَى سَفَرَ اللِّثَامَ لَقُلْتُ يَا بَدْرُ اخْتَفِ

(برح الخفاء): قال في المصباح: «بَرِحَ الشيءُ يَبْرَحُ، من باب تعب بَرَاحاً: زال من مكانه، وبَرِحَ/[٣٩٦/ أ] الخفاء إذا وضح الأمر». يعني: ظهر أمر المحبّة الإلهيّة، واتّضح شأنها وزال خفاؤها. وقوله (بحبّ): أي بمحبّه، والباء للسببيّة. وقوله (مَنْ لو في الدجى): جمع دُجْيَة، بالضمّ، وهي الظلمة، وجمعها دُجَى، كذا في القاموس. يعني: وضح أمري، واشتهر بسبب محبّتي لمحبوب لو أنّه في الظلمات التي هي عوالم الإمكان، وهي الصور الحوادث كلّها: المحسوسة، والمعقولة، والموهومة. وقوله (سَفَرَ): يقال سَفَرتُ الشيءَ سَفْراً، من باب ضرب: إذا كَشَفتَه وأوضَحْتَه، وسَفَرَت المرأةُ سُفُوراً: كشفت وجهها، كما في المصباح. وقوله (اللِّثام): بالكسر، هو ما تُغَطَّى به الشَّفَة، ولَثِمَت المرأةُ، من باب تعب، لَثْماً، مثل: فَلْس، وتَلَثَّمَتْ والتَثَمَت: شَدَّت اللثام. وقال ابن السكِّيت: «وتقول بنو تميم: تَلَثَّمْتُ ـ بالثاء ـ على الفم وغيرِه. وغيرهم يقول: تَلَفَّمْتُ، بالفاء»، كذا في المصباح. وقال في القاموس: «اللِّثَام ككِتاب، ما على الفَمِ من النِّقَاب، ولَثَمَتْ والْتَثَمَتْ

---

(١) أخرجه الديلميّ في الفردوس، من حديث ابن عبّاس، والزُّبَيْديّ في إتحاف السادة المتّقين ١/ ٢٠٣٩، والعراقيّ في المغني عن حمل الأسفار ٣/ ٢٧٤.

وتَلَثَّمَتْ: شَدَّتْهُ». والإشارة باللثام لصور الكائنات كلّها وبسفرها لظهور فنائها واضمحلالها في تجلّي وجود الحقّ تعالى. وقوله (لقلت): جواب لو. وقوله (يا بدر): هو كناية عن بدر الروح الأمريّ المنفوخ منه عن أمر الله تعالى في كلّ جسد مسوّى فهو بدر مشرق في ظلمة كلّ جسد. وقوله (اختفِ): فعل أمر من الخفاء، وهو عدم الظهور، وهذا مقول القول لقوله: قلت. واختفاء نور البدر إذا طلع ضوء الشمس، وهي شمس الحقيقة الوجوديّة الأحديّة؛ فإنّ نور البدر مستفاد من ضوء الشمس؛ فإذا ظهر المتجلّي الحقّ في ظلمة صورة كون من الأكوان اختفى بدر روح تلك الصورة، وذهبت ظلمة تلك الصور بالكلّيّة. وبقي الوجود الحقّ على ما هو عليه أزلاً وأبداً فذهب ما لم يكن وظهر من لم يزل.

٢٨- وَإِنْ اكْتَفَى غَيْرِي بِطَيْفِ خَيَالِهِ   فَأَنَا الَّذِي بِوِصَالِهِ لَا أَكْتَفِي

(وإنْ اكتفى غيري): أي من الجاهلين المحجوبين، المكتفين بشهود صور أنفسهم عن شهود ظهوراته تعالى، وتجلّياته بكلّ صورة. وقوله (بطيف): متعلّق بـ(اكتفى). و(الطيف): مصدر طاف الخيال طَيْفاً، من باب باع: أَلَـمَّ وأتى، كذا في المصباح. وقوله (خياله): أي خيال المحبوب المذكور في البيت قبله، وطيف خياله هو ما في علم ذلك الجاهل بالله تعالى، المحجوب عنه في وقت استحضاره له إذا قال الله أو قال ربّي؛ فإنّه يشير في نفسه إلى معنى يتخيّله على حسب طبيعته وعادته؛ لأنّه نائم في حال يقظته بحكم قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [٢٠/ الروم/ ٢٢]. وقال صلّى الله عليه وسلّم: «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا»[1] والنائم يرى طيف خيال محبوبه في صورة تلائم مزاجه، فيكتفي بذلك وبفرح به، قال الشاعر:

خاطبت طيف خيال مرّ بي ومضى   كيف اهتديت وجنح الليل مسدول

(١) انظر تخريجه ص٢٨٦ وهو من كلام علي رضي الله عنه.

فقال آنست ناراً من جوانحكم يضيء منها لدى السارين قنديل

فقلت نار الهوى معنى وليس لها نور يضيء فماذا القول مقبول

فقال نسبتنا في الأمر واحدة أنا الخيال ونار الشوق تخييل

وقوله (فأنا الذي بوصاله): أي المحبوب المذكور في اليقظة الحقيقيّة التي لا نوم فيها، بأن يذهب عنّي الخيال بالكلّيّة، وأتحقّق بفناء جميع صور البريّة. وتتصل حقيقتي بحقيقة علمه الأزليّة، فأعوذ معدوماً في حضرة وجود حقيقيّة. وقوله (لا أكتفي): وإنّما أطلب فوق ذلك، حتّى أرجع إلى حضرة الذات الأقدس عارية عن الأسماء والصفات بحسب ما هنالك، وهناك ينقطع الكلام، وتسكن حركة/ [٣٩٦/ ب] الكلام والسلام.

٢٩- وَقْفاً عَلَيْهِ مَحَبَّتِي وَلِمِحْنَتِي بِأَقَلَّ مِنْ تَلَفِي بِهِ لَا أَشْتَفِي

(وقفاً): مفعول مطلق منصوب بفعل محذوف، تقديره وقَفْتُ وَقْفاً، والوَقْفُ: هو حَبْس العين على ملك الله تعالى، كما قال الفقهاء، والكلّ ملك الله تعالى حقيقة؛ ولكن الحكم الشرعيّ الربّانيّ جعل لبني آدم ملكاً يتلقّونه بأحكام مخصوصة، ويتوارثونه بينهم بفرائض معلومة، حتّى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين. ثم جعل لهم أنْ يخرجوا عمّا شاؤوا من أملاكهم، فيرجعونها إليه تعالى، ويتصدّقون بغلّتها على من شاؤوا؛ كلّ هذا اعتناء منه تعالى بهم وتكريم لهم. وقوله (عليه): متعلّق بوَقفاً. والضمير للمحبوب الحقيقيّ. وقوله (محبتي): مفعول وقفت المقدّر، أي: جعلت محبّتي له التي ثبت ملكي لها أوّلاً بنسبة الله تعالى إياها لي بقوله: ﴿وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [٦/ المائدة/ ٥٤] وقفاً عليه فهي محبوسة على التصرّف فيها تقرّب إليه وما تنتجه من العلوم والمعارف الإلهيّة التي هي بمنزلة الغلّة أتصدّق بها على المريدين من أهل الإيمان ينتفعون بذلك، وأنا الناظر على ذلك الوقف أتصرّف بالغلّة على المستحقّين لها، وأجمع ما فضل منها؛ فأجعله في

ضمن القراطيس نظماً، أو نثراً، يتصرّف فيه الناظر بعدي على هذا الوقف بتولية سلطان السلاطين عزّ وجلّ. وقوله (ولمحنتي): أي ولأجل محنتي في محبّته، والمحنة: الاسم. وجمعها: مِحَن، مثل: سِدْرَة وسِدَر، من مَحَنْتُه مَحْناً، من باب نفع: اختبرته، وامتَحَنْتُه كذلك، كما في المصباح. وقوله (بأقلَّ): أي بأدنى شيء، متعلّق بأشتفي. وقوله (من تلفي): التَلَفَ مصدر تَلِفَ الشيء تَلَفاً: هَلَكَ، كذا في المصباح. أي: هلاكي بالفناء الكلِّي. وقوله (به): أي بسبب محبّته، أو بملابستها، أو الباء بمعنى في. أي: في محبّته. وقوله (لا أشتفي): اشتفَيتُ بالعدوّ، وتَشَفَّيْتُ به: من شفى الله المريض يَشْفِيه، من باب رمى، شِفَاء: عافاه، لأنّ الغضب الكامن كالداء، فإذا زال بما يطلبه الإنسان من عدوّه، فكأنّه بريء من دائه، كذا في المصباح. والمعنى: إنني مُعادٍ لنفسي في محبّته، كما ورد: «عادِ نفسك؛ فإنّها انتصبت لمعاداتي». ولأجل الأمر الذي هو محنة لي، واختبار نفسي؛ وابتلاء من الحقّ تعالى أنا معادٍ لنفسي؛ فلا أشتفي من نفسي بأدنى شيء من إهلاكها وإفنائها في محبّة ربّي عزّ وجل.

٣٠- وَهَوَاهُ وَهْوَ أَلِيَّتِي وَكَفَى بِهِ قَسَماً أَكَادُ أُجِلُّهُ كَالْمُصْحَفِ

٣١- لَوْ قَالَ تِيهاً قِفْ عَلَى جَمْرِ الغَضَا لَوَقَفْتُ مُمْتَثِلاً وَلَمْ أَتَوَقَّفِ

٣٢- أَوْ كَانَ مَنْ يَرْضَى بِخَدِّي مَوْطِئاً لَوَضَعْتُهُ أَرْضاً وَلَمْ أَسْتَنْكِفِ

(وهَواه): الواو للقسم، وهَواه مُقسم به، والهَوَى مقصور: مصدرهَوِيتُه، من باب تعب: إذا أَحْبَبْته وعَلِقْت به، ثمّ أُطلِق على مَيْل النفس، وانحرافها نحو الشيء. ثمّ استُعمِل في مَيْلٍ مذموم، فيقال: اتَّبَع هَوَاه، وهو من أهل الأهواء، كذا في المصباح. والمراد هنا: الأوّل، وهو المحبّة الإلهيّة المشار إليها بقوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [٥/ المائدة/ ٥٤] وهو وصف جليل، وصف الله تعالى به عباده المقرّبين. يعني: وحقّ هواه، والضمير للمحبوب الحقيقيّ. وقوله (وهو أَلِيَّتي): بتشديد الياء التحتيّة، أي: حَلِفي، قال في المصباح: «الأَلِيَّة الحَلِفُ، والجمع: أَلَأيا، مثل:

عَطِيَّة وعَطَايا، قال الشاعر:

قليــــل الألايـــا حـــافظ ليمينـــه فـــإنْ ســبقت منــه الأَلِيَّــةُ بــرّت

وقوله (وكفى به): أي بهواه، يقال: كَفَى الشيءُ يكفي كفايةً فهو كافٍ: إذا حَصَلَ به الاستغناء عن غيره، كما في المصباح. وقوله (قسماً): تمييز منصوب، والقسم بفتحتين: اسم من أقسم/ [٣٩٧/ أ] بالله إقساماً إذا حلف، كذا في المصباح. وقوله (أكاد): يقال كاد يفعل كذا يَكاد، من باب تعب: قارب الفعلَ. قال اللغويون: معناه عند العرب كدت أفعل: قاربت الفعل ولم أفعل، كذا في المصباح. وقوله (أُجِلُّهُ): أي هواه، بمعنى: أعظّمه. من جَلَّ الشيء يَجِلُّ، بالكسر: عَظُمَ، فهو جليل، كذا في المصباح. وقوله (كالمصحف): مثلّث الميم، من أُصْحِفَ، بالضمّ، أي: جُعِلَتْ فيه الصُّحُف، جمع صَحِيْفَة، وهي الكتاب، وجمعها صَحَائِف وصُحْف بالسكون، وكُتُب نادرة؛ لأنّ فعيلة لا يجمع على فُعُل بضمّتين، ذكره في القاموس. وإنّما يكاد يعظِّمُه كالمصحف؛ لأنّ المحبّة الإلهيّة في العبد نزول المحبّة الإلهيّة التي في الربّ، كما قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ﴾ [٥/ المائدة/ ٥٤] فلولا يحبّهم ما ظهر يحبّونه، والمحبّة الإلهيّة التي في العبد لربّه إنّما تظهر إذا فني العبد عن نفسه. ولا يفنى العبد عن نفسه حتّى ينكشف له أنّ صورته ظاهراً وباطناً هي صورة ربّه التي صوَّرها تعالى في الأزل، في حضرة علمه القديم، وظهر العبد على ذلك بها وتجلّى، كما تقدّم من قول الناظم قدّس الله سرّه:

فلـم تَهْـوَنِي مـا لم تكـن فيّ فانيـاً ولم تفـن مـالم تُجْـتَلى فيـك صـورتي

وتقدّم شرحنا لهذا البيت في التائيّة الكبرى(1)؛ فإذا ظهرت المحبّة الإلهيّة في العبد ظهرت فيه أسرار معاني القرآن العظيم، وانكشفت له العلوم الإلهيّة، والمعارف والحقائق الربّانيّة؛ فكانت تلك المحبّة الإلهيّة متضمِّنة للقرآن العظيم

---

(١) انظر البيت في الصحيفة ٥٧٩.

بمنزلة المصحف المتضمّن لذلك، فلهذا يكاد يجِلُّها ويعظِّمها كالمصحف الشريف.

وقوله (**لو قال**): أي ذلك المحبوب الحقيقيّ لي. وقوله (**تيهاً**): منصوب على التمييز، والتِّيْه بالكسر: الصَّلَف، والتكبّر، تاه: فهو تائِه وتَيْهَان، كذا في القاموس. والمعنى في ذلك: أنّه لا لغرض يرجع إليه أو لغيره، ولا لسبب ظاهر، ولا لحكمة عقليّة، ولا لعبث؛ بل لحكمة أرادها، واستأثر بعلمها؛ فإنّ الأحكام الشرعيّة كذلك؛ إذ لا تأثير لشيء دون الله تعالى. وقوله (**قِف**): فعل أمر من الوقوف، يقال: وَقَف يَقِفُ وُقُوفاً: دامَ قائِماً، كذا في القاموس. وقوله (**على جمر الغضا**): جمع غَضاة، بالغين المعجمة، هو شجر خشبه من أصلب الخشب؛ ولهذا يكون في فحمه صلابة، كما في المصباح. وقال في القاموس: «الغضاة: شجرة معروفة، وجمعه: الغضى، والغَاضِيَة: العظيمة من النيران». وقوله (**لوقفت**): جواب لو، وقوله (**ممتثلاً**): أي مطيعاً لأمره، مخلصاً في ذلك لا خائفاً من عقابه، ولا راجياً لثوابه. وقوله (**ولم أتوقفِ**): بكسر الفاء للقافية، توقف عن الأمر: أمسك عنه، كذا في المصباح، والمعنى: لو كلفني هذا المحبوب الحقيقيّ بأنْ أدوم قائماً على النار الموقدة بأشد الأحطاب؛ فإنّي أمتثل أمره، لا خوفاً منه، ولا رجاء فيه؛ بل حبّاً له، وشغفاً في وجهه الكريم، كيف ولم يأمرني بشيء من ذلك محبّة لي أيضاً، ورحمة بي، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [٢/ البقرة/ ٢٨٦]. وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [٢٢/ الحج/ ٧٨] وفيه إشارة إلى أنّه بعد كمال معرفته بالله تعالى، والتحقّق به قائم بخدمة أوامره ونواهيه على أكمل الوجوه، وأتمّ الأحوال، وكذلك قوله (**أو كان**): أي ذلك المحبوب الحقيقيّ. وقوله (**مَن**): موصولة، أو نكرة موصوفة خبر كان، وقوله (**يَرْضَى بخدِّي**): متعلِّق بـ (يرضى). وقوله (**مَوْطِئاً**): حال من خدِّي. والموطأ بفتح الطاء المهملة، وكسرها، من وطِئَهُ بالكسر يَطَؤُه: دَاسَهُ، والوَطْأَة: موضع القدم، كالمَوْطَأ والمَوْطِئ، كذا في القاموس. أي: موضعاً يُوطَأُ بأقدام الناس، والدواب والبهائم،

بأنّ كنت أعلم أنّه يرضى بذلك وإنْ كان ذلك يضرّني ويؤذيني، ويلقيني في كمال الإهانة والمذلّة. وقوله (لوضعته): أي خدِّي ممتثلاً لما فيه رضاه، ومقبلاً على ذلك بكلِّيّتي. وقوله (أرضاً): حال من خدِّي بتأويل المشتق، أي: ممشىً للناس وغيرهم، يمشون عليه دائماً كالأرض. وقوله (ولم أستنكفِ): بكسر الفاء للقافية، قال في المصباح:/ [٣٩٧/ أ] نَكِفْتُ من الشيء نَكفاً، من باب تعب، ونَكَفتُ أَنكُفُ، من باب قتل لغة، واستَنْكَفتُ: إذ ا امتَنَعتُ أَنَفَة واستكباراً، [كذا في المصباح]. ولكن أنا أعلم أنّه لا يرضى منِّي بذلك، قال تعالى حكاية عن قول لقمان لابنه: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾ [٣١/ لقمان/ ١٨] أي: لا تُمِله لهم، يقال: صَعَّرَ خدّه ـ بالتثقيل ـ وصاعَرَه: أمَاله، أي: لا تجعل نفسك مهانة، ذليلة للناس، كمال الإهانة والمَذلّة؛ فإنّ الأصل في اللام أنْ تكون للتعليل. وقال المفسِّرون: إنّ معناه لا تمله عنهم، ولا تولِّهم صفحة وجهك، كما يفعله المتكبِّرون؛ فإنّ ذلك أحد معاني الآية بأنْ تكون اللام بمعنى عن، كقول الشاعر:

كضرائر الحسناء قلن لوجهها ... حسداً وبغياً إنّه لدميم

أي: قلن عن وجهها ذلك. وفي الأثر: «المؤمن لا يذلّ نفسه»[1] والتواضع مطلوب من المؤمنين؛ لكن في غير مذلّة وإهانة؛ ولهذا روي: «من تواضع لله رفعه الله»[2].

٣٣- لَا تُنْكِرُوا شَغَفِي بِمَا يَرْضَى وَإِنْ ... هُوَ بِالوِصَالِ عَلَيَّ لَمْ يَتَعَطَّفِ

(لا): ناهية، وقوله (تنكروا): خطاب عام لجملة الناس. وقوله (شغفي): مفعول تنكروا. و(الشَّغَف): بفتحتين، الاسم من شَغَفَ الهوى قلبَه شَغْفاً، من باب نَفَع: بلغ شَغَافَه، بالفتح: وهوغشاؤه. وشَغَفَهُ المالُ: زُيِّن له فأَحَبَّه، فهو

(١) ذكره في «مواهب الجليل في شرح مختصر الشيخ خليل»، تأليف محمد بن عبد الرحمن المالكي المعروف بالحطاب.
(٢) انظر تخريجه ص٥٨٨.

مشغوف به، كذا في المصباح. وقوله (بما): أي بالذي، أو بكلّ أمر يُرضي، أي: يَرضَى به ذلك المحبوب الحقيقيّ. أي سواء كان ذلك مشقّاً عليّ، أو غير مشقّ. وقوله (وإنْ هو): أي ذلك المحبوب الحقيقيّ. وقول (بالوصال): أي القرب منه، والملاقاة له من دون حجاب عنه. وقوله (عليّ): بتشديد الياء التحتيّة متعلّق بيتعطّف. وقوله (لم يتعطّف): بكسر الفاء للقافية، عَطَفَ يَعْطِف: مال، و ـ عليه: أشفق، كتَعَطَّفَ، كذا في القاموس. وفيه إشارة إلى أنّه راض به على كلّ حال. ومن هذا القبيل قول رابعة العدويّة قدّس الله سرّها: «ما عبدتك رغبة في جنّتك، ولا خوفاً من نارك، ولكن عبدتك محبّة في وجهك الكريم». وقال تعالى في حقّ الأنصار من أهل اليمن رضي الله عنهم: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ [٦/ الأنعام/ ٥٢].

٣٤- غَلَبَ الهَوَى فَأَطَعْتُ أَمْرَ صَبَابَتِي   مِنْ حَيْثُ فِيْهِ عَصَيْتُ نَهْيَ مُعَنِّفِي

(غلب الهوى): أي استولى على باطني وظاهري، بحيث لم أستطع مخالفة مقتضياته، والهوى هو المحبّة الإلهيّة. وقوله (فأطعت أمر صبابتي): أي ما تأمرني به، وما تقتضيه من مقاساة الاشتياق، والتهتك، والافتضاح. والصبابة: الشوق. أورقّته، أو رقّة الهوى، كذا في القاموس. وقوله (من حيث فيه): أي في الهوى المذكور. وقوله (عصيتُ نهي): مفعول عصيت. وقوله (مُعنِّفِي): بصيغة اسم الفاعل، من عَنَّفَهُ بالتشديد، تعنيفاً: لامه، وعَتَبَ عليه، وأصله: عَنُفَ به وعليه عُنْفاً، من باب قَرُب: إذا لم يَرْفُق به، وكلّمه بعنف؛ فإنّ الصبابة تأمر بالإقبال على المحبوب، وعصيان نهي اللائم المحجوب.

٣٥- مِنِّي لَهُ ذُلُّ الخَضُوعِ وَمِنْهُ لِي   عِزُّ المَنُوْعِ وَقُوَّةُ المُسْتَضْعِفِ

(منّي): أي جهتي. وقوله (له): أي للمحبوب الحقيقيّ. وقوله (ذلّ الخَضُوع): بفتح الخاء المعجمة، صيغة مبالغة اسم فاعل. الخاضع، من خَضَع له يَخْضَع خُضُوعاً: ذلَّ واستكَان، فهو خاضع. والخُضُوع: قريب من الخُشُوع، إلّا أنّ

الخشوع أكثرُ ما يُستعمَل في الصوت والبصر، والخضوع في الأعناق، كذا في المصباح. والمعنى: ذلّ الرجل. و الخَضُوع بالفتح، أي: المبالغ في إظهار صفة المذلّة والاستكانة له تعالى. وقوله: (ومنه): أي من جهة المحبوب المذكور، وقوله (لي عزّ المَنُوعِ): فعول المبالغ في صفة المنع، بحيث لا تقدر العقول الكاملة أنْ تحوم حول شيء من عزَّته، وجلاله، وهيبته، وكماله، قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم/ [٣٩٨/ أ]: «تفكّروا في كلّ شيء ولا تفكّروا في ذات الله؛ فإنّه بين السماء السابعة إلى كرسيّه سبعة آلاف نور، وهو فوق ذلك»(١). رواه أبو الشيخ في العظمة عن ابن عباس رضي الله عنهما. وروى أبو الشيخ أيضاً عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم: «تفكّروا في خلق الله ولا تفكّروا في الله فتهلكوا»(٢). وروى أبو الشيخ أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما قال، قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «تفكّروا في الخلق ولا تتفكّروا في الخالق؛ فإنّكم لا تقدِّرون قدره»(٣). وروى أبو الشيخ أيضاً، والطبرانيّ، وابن عديّ في الكامل، والبيهقيّ في شُعب الإيمان عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله عليه وسلّم: «تفكّروا في آلاء الله ولا تتفكروا في الله»(٤). وروى أبو نعيم في الحلية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول صلّى الله عبه وسلّم: «تفكّروا في خلق الله ولا تتفكروا في الله»(٥). ذكره السيوطي في جامعه الصغير. وقوله (وقوّة): أي وله أيضاً يعني: للمحبوب الحقيقيّ قوّة، قال تعالى: ﴿ذُو ٱلْقُوَّةِ

---

(١) أخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في العظمة، باب: الأمر بالتفكّر في آيات الله عزّ وجلّ،٢٢.

(٢) ذكره المناوي في «فيض القدير بشرح الجامع الصغير» ٧/ ٤٦٦.

(٣) أخرج أبو الشيخ في العظمة، باب: التفكّر في آيات الله عزّ وجلّ.

(٤) أخرج أبو الشيخ في العظمة، باب: التفكّر في آيات الله عزّ وجلّ، ١. كما أخرجه الطبراني في الأوسط، باب: الميم: من اسمه محمّد، ٦٥٠١. كما أخرجه ابن عدي في الكامل،٧/ ٧٥.

(٥) ذكره المناوي في شرح الجامع الصغير ١/ ٩٢٢.

﴿ٱلْمَتِينُ﴾ [٥١/ الذاريات / ٥٨] وقال تعالى: ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [٢/ البقرة/ ١٦٥] وقوله (المُستضعِفِ): بكسر العين المهملة صيغة اسم فاعل من استضعفته: رأيته ضعيفاً، أو جعلته كذلك، كما في المصباح. وقال في القاموس: «ضَعَّفَه تَضْعيفاً، كاسْتَضْعَفَه وتَضَعَّفَه». فإنّه تعالى يجر كلّ شيء ضعيفاً بالنسبة إلى قوّته؛ إذ لا قوّة إلّا قوّته، والكلّ عاجزون.

٣٦- أَلِفَ الصُّدُودَ وَلِي فُؤَادٌ لَمْ يَزَلْ   مُذْ كُنْتُ غَيْرَ وِدَادِهِ لَمْ يَأْلَفِ

(أَلِفَ): فعل ماض، وفاعله ضمير يعود إلى المحبوب الحقيقيّ، يقال: أَلِفْتُهُ إلْفاً، من باب علم: آنست به وأحببته، والاسم: الأُلفة بالضمّ». وقوله (الصدود): مفعول ألف، يقال: صَدَدتُ عنه صَداً وصُدُوداً: أعرضت، كذا في المصباح. والمعنى في ذلك: إنّه لا يشغله شأن عن شأن. وإنْ كان قيّوماً مدبِّراً لجميع الأكوان، فهو تعالى لا يؤده حفظ شيء، ولا يخرج عن تصرّفه شيء. فمعنى إعراضه عن كلّ شيء: إنّه لا يشغله شيء؛ إذْ لا وجود معه لشيء، كان الله ولا شيء من الأكوان، ولا مكان ولا زمان، وهو الآن على ما عليه كان. وقوله (ولي): خبر مقدّم لإفادة الحصر، أي: لا لغيري تحديثاً بالنعمة، وشكراً على خصوص الرحمة. وقوله (فؤادٌ): أي قلب مبتدأ مؤخّر، وتنكيره للتعظيم نشراً لمنّة التكريم. وقوله (لم يزل): أي ذلك الفؤاد المذكور. وقوله (مُذْ): بضمّ الميم وسكون الذال المعجمة، وتليها الجملة الفعليّة، فتكون ظرفاً مضافاً إلى الجملة، أو إلى زمان مضاف إليها، وتمامه في القاموس. يعني: من حين. وقوله (كُنتُ): بضمٍّ التاء، أي: وجدت الدنيا. وقوله (غيرَ): مفعول يألف، مقدّم عليه، وقوله (وِداده): مضاف إليه. وقوله (لم يألف): بكسر الفاء للقافية. وفاعله ضمير يعود إلى فؤاد، وجملة لم يألف في موضع نصب خبر لم يزل؛ فإنّ معناه: ما زال؛ لأنّ لم تقلب المضارع ماضياً؛ فالمعنى: لي قلب ما زال من حين وجدت غير آلفٍ سوى وداد هذا المحبوب، أي: التَوَدُّد إليه. وقال في المصباح: «تَوَدَّد إليه، وهو وَدُود، أي:

مُحبّ، يستوي فيه الذكر والأنثى». وفي قوله (مذ كنت): إشارة إلى عالم الذرّ؛ فإنّه كان فيه محبّاً له تعالى عند أخذ الميثاق عليه، وسماع خطابه عزّ وجلّ بقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٧٢] والأذن تعشق قبل العين أحياناً.

٣٧- يَـا مَـا أُمَـيْلَحَ كُـلَّ مَـا يَـرْضَى بِـهِ وَرُضَــابُهُ يَــا مَــا أُحَــيْلَاهُ بِفِــي

(يا ما أميلح): بفتح الحاء المهملة: بفتح الحاء المهملة، ياء حرف نداء، والمنادى محذوف، تقديره: يا قوم ما أميلح. و(ما): للتعجّب، مبتدأ، كالتي في قولك: ما أحسن زيداً. وهي اسم نكرة تامّة معناها شيء عظيم حسّن زيداً. و(أَمَيلَحَ): مصغّر أملح، خبر المبتدأ: فعل ماض، أو فعل تفضيل من الملاحة. مَلُحَ الشيءُ بالضمّ مَلَاحَة، حَسُن وبَهُجَ، وحَسُن منظرُه فهو مَلِيح. والأنثى: مَلِيحَة. والجمع: مِلاح، كذا في/ [٣٩٨/ ب] المصباح. وتصغيره مع كونه شاذاً مقصور على السماع إلّا عند ابن كيسان؛ فإنّه يدعي اطّراده. وقد ورد عن العرب (يا ما أميلح غزلان سدنّ لنا) ذكره الرضي. وقوله (كلَّ): منصوب على المفعوليّة. وقوله (ما): أي الذي. وقوله (يَرضى به): أي ذلك المحبوب الحقيقيّ من الإيمان والتقوى، قال تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [٣٩/ الزمر/ ٧]. وقوله (وَرُضَابُهُ): قال في القاموس: «رَضَبَ رِيقَها رَشَفَه كتَرَضَّبَه وكغراب: الريق المَرْشُوف، أو قِطَع الرِّيق في الفَم، وفُتَات المِسك، وقِطَع الثَلج والسُكَّر والبَرَد، ولُعَاب العَسَل ورَغْوَتُهُ وما تَقَطَّع منه الندى على الشَّجَر». يكنِّي بالرضاب هنا عن الروح الأمري الذي هو أول صادر من: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [٢/ البقرة/ ١١٧] قبل الحركة والسكون في ظهور مراتب التجلّيات الإلهيّة والشؤون، فإنّه أوّل منبعث عن المحبوب الحقيقيّ في المقام التحقيقيّ، والمرام التصديقي. والضمير للمحبوب. وقوله (يا ما أحيلاه): أي أحيلا الرضاب المذكور، ويا حرف نداء، والمنادى محذوف أيضاً، تقديره: يا قوم، ما أُحيلاه، وما تعجبيّة، وأحيلا تصغير أحلى، فعل تعجّب، والهاء في محل نصب على أنّه مفعوله. وقوله (بفي): متعلّق بأحيلى.

وأصله مشدّد الياء بإدغام ياء الجرّ في المتكلِّم، وخفّف لمناسبة القافية، أي: بفمي. يعني: حين أتكلّم بما يلقي ذلك المكنّى عنه بالرضاب في قلبي من العلوم الإلهيّة والمعارف الربّانيّة والحقائق الرحمانيّة.

٣٨- لَـوْ أَسْـمَعُوا يَعْقُـوبَ ذِكْـرَ مَلَاحَـةٍ فِي وَجْهِـهِ نَـسِيَ الجَـمَالَ اليُوسُـفِي

٣٩- أَوْ لَـوْ رَآهُ عَائِـداً أَيُّـوبُ فِي سِنَةِ الكَرَى قِدْماً مِنَ البَلْوَى شُفِي

(لو أسمعوا): يعني الناس المطّلعين في ذلك الزمان الأوّل على تجلِّي الوجه الربّاني في الشخص المحمّديّ الإنسانيّ، المنكشف من الحضرة العلميّة بالصفات الإلهيّة، والأسماء الأقدسيّة، على فرض وجودهم في ذلك الزمان من أسرار الحقيقة المحمّديّة التي هي مادّة العوالم كلها، الجزئيّة والكلِّيّة. وقوله (يعقوب): هو ابن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهم السلام الذي كان يحبّ الحقّ تعالى، المتجلِّي عليه بصورة ابنه يوسف النبيّ عليه السلام، حتّى لمّا قالوا له: ﴿تَاللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَـٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [١٢/ يوسف/ ٨٥] وكان يجلس على الطريق، ويشكو حاله للمارّة. فقالوا له ذلك ثمّ قال: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [١٢/ يوسف/ ٨٦] وقوله (ذِكر): مفعول اسمعوا. وقوله (ملاحة في وجهه): أي وجه هذا المحبوب الحقيقيّ الظاهرة من مشكاة الحقيقة المحمّديّة في الصورة الآدميّة كما ذكرنا. وقوله (نسي الجمال اليوسفي): أي المنسوب إلى ابنه يوسف عليه السلام، كما ورد عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال: «أعطي يوسف شطرالحسن»[1]. أخرجه ابن أبي شيبة، وأحمد في مسنده عن أنس رضي الله عنه. وأمّا نبيّنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم؛ فإنّه أُعطي الحسن كلّه، كما ورد عنه أيضاً

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنّفه، ٢/ ٤٥٢. كما أخرجه أحمد في مسنده، مسند أنس بن مالك، ١٢٨٤١.

صلّى الله عليه وسلّم؛ فلو ذكر المحمّديّون أوصاف حسنه صلّى الله عليه وسلّم المتجلّي به الحقّ تعالى على قلوب الورثة المحمّديِّين ليعقوب عليه السلام لنسي الجمال اليوسفي الإلهيّ المتجلّي به عليه.

وقوله (أو لو رآه): أي رأى هذا المحبوب الحقيقيّ من مشكاة الحقيقة المحمَّديّة. وقوله (عائداً): حال من الهاء في رآه، والعيادة: زيارة المريض. وأيوب عليه السلام كان مريضاً، ابتلاه الله تعالى في بدنه. قال في المصباح: «عُدْتُ المريض عِيادة: زرتُه؛ فالفاعل عائد، وجمعه: عُوَّاد. والمرأة عائدة، وجمعها: عُوَّد، بغير ألف، قال الأزهريّ: هكذا كلام العرب». وقوله (أيوب): فاعل رآه، وهو أيوب بن أموص من أسباط عيص بن اسحاق. وقال/ [٣٩٩/ أ] وقال البيضاوي عن أيوب عليه السلام: «وكان روميّاً، من ولد عيص بن إسحاق. استنبأه الله تعالى، وكثر أهله وماله؛ فابتلاه الله تعالى بهلاك أولاده بهدم بيت عليهم، وذهاب أمواله، والمرض في بدنه ثماني عشرة سنة، أو سبعاً وسبعة أشهر وسبع ساعات. روي أنّ امرأته ماخير بنت ميشان بن يوسف، أو رحمة بنت أفراييم بن يوسف عليه السلام، قالت له يوماً: لو دعوت الله فقال: كم كانت مدّة الرخاء. فقالت: ثمانين. فقال أستحي من الله تعالى أنْ أدعوه وما بلغتْ مدّة بلائي مدّة رخائي». وقوله (في سِنَة): بكسر السين المهملة، أي: غفلة وفتور. متعلِّق برآه. وقوله (الكرى): مثال العصا: النعاس. وقال البيضاويّ: السِّنَة فتورالنوم، يتقدّم النور، قال ابن الرقاع:

وَسنانُ أَقْصَدَهُ النعاسُ فَرَنَّقَتْ   في عينه سِنةٌ وليس بنائم

(والنوم): حال يعرض للحيوان، من استرخاء أعصاب الدماغ من رطوبات الأبخرة المتصاعدة، بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الإحساس رأساً. والمعنى: إنّ أيوب النبيّ عليه السلام لو رأى هذا المحبوب الحقيقيّ المتجلّي بالصورة المحمّديّة في عالم غفلته وفتوره عن إدراك الدنيا وما فيها من أحوال أهلها، وهو نوم الأنبياء عليهم السلام؛ تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم. وقوله (قِدْماً): بكسر

القاف وسكون الدال المهملة، قال في الصحاح: «القِدم خلاف الحدوث. ويقال: قِدْمَاً كان كذا وكذا، وهو اسم من القِدَم جعل اسماً من أسماء الزمان». وهو هنا منصوب على الظرفيّة. وقوله (من البلوى): متعلّق بشُفي. والبَلْوَى: اسم من بَلاه الله بخير أو شرّ، يَبْلُوهُ بَلْواً، وأُبْلَاه بالألف، وابْتَلَاه ابْتِلَاء بمعنى: امتحنه، والاسم بَلَاء، مثل: سلام، والبَلْوَى والبَلِيَّة مِثْلُه، كذا في المصباح. وقوله (شُفِي): بضمّ الشين المعجمة مبنيّاً للمفعول، شَفَى الله المريضَ يَشفِيه. من باب رَمَى، شِفَاءً: عافاه، كما في المصباح. والمعنى: إنّه كان الله تعالى يَشفيه من بلواه بمجرد رؤيته له في غفلة الكرى، فكيف لو كان رآه في يقظته، ومقام الأنبياء عليهم السلام مقام عالٍ، وليس في مثل هذا الكلام هضم لمقامهم؛ لأنّ هذا إشارة إلى الحقيقة المحمّديّة التي هي المادّة الكليّة، والحضرة الجامعة الفارقة، الذاتيّة، الصفاتيّة، الأسمائيّة التي هي المظهر التامّ، والمُجلي المخصوص العام الذي تنظر أولياء ملته بنظره المخصوص إلى حضرات ربّهم في مقامات قربهم، وحال التابع ملحق بحال المتبوع، وعلى حسب أصولها تنبت الفروع، قال صلّى الله عليه وسلّم: «رحم الله أخي موسى لوكان حيّاً ما وسعه إلّا اتّباعي»[1] ويحكم عيسى ابن مريم إذا نزل بشريعة نبيّنا عليهما الصلاة والسلام. وفي عصر الأنبياء الماضين عليهم الصلاة والسلام لم تكن التجلّيات الإلهيّة والظهورات الأقدسيّة مكشوفة على مثال هذا الانكشاف والظهور الذي حصل لمحمّد نبيِّنا صلّى الله عليه وسلّم ولورثته من أتباعه المحمّديين، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ [١٢/يوسف/١٠٨] فقد جعل الله تعالى البصيرة التي يدعو إلى الله تعالى عليها مشتركة بينه وبين أتباعه من خواص أشياعه. وقال الشيخ أبو بكر العرودكي من قصيدة له قدّس الله سرّه:

---

(١) أخرجه البيهقيّ في شعب الإيمان، كتاب ذكر حديث جمع القرآن، باب: أمتهوّكون أنتم كما تهوّكت اليهود والنصارى، ١٧٣.

لـو أنّ موسـى رأى مـن نورهـا قبسـاً ما لام قوماً على عجل لهم عكفوا

يعني: كان يقبل الجزية منهم كما قبلها نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم وتركهم وما يدينون بأمر الله تعالى له بذلك؛ لسعة الحقائق والمعارف الإلهيّة في قلب نبيِّنا صلّى الله عليه وسلّم، وصدور أتباعه الورثة المحمّديّين دون موسى وبقيّة الأنبياء /[٣٩٩/ ب] قبله عليهم الصلاة والسلام. وقال البوصيريّ قدّس الله سرّه في مطلع همزيّة الحديث النبويّ:

كيـف ترقـى رقيّـك الأنبيـاء يـا سـماء مـا طاولتهـا سـماء

لم يـساووك في عـلا ك وقـد حـا ل سـنا منـك دونهـم وسـناء

لكـلّ ذات العلـوم مـن عـالم الغيـ ـب ومنهـا لآدم الأسـماء

٤٠- كُـلُّ البُـدُورِ إِذَا تَجَـلَّى مُقْـبِلاً تَـصْبُو إِلَيْـهِ وَكُـلُّ قَـدٍّ أَهْيَـفِ

(كلّ البدور): جمع بدر، وهو القمر ليلة كماله، وهو مصدر في الأصل، يقال: بَدَرَ القمرُ بَدْراً، من باب قتل، كذا في المصباح. والمشهور أنّ البدر مستفاد من ضوء الشمس، وضوء الشمس لم ينتقل إلى البدر بنفسه؛ وإنّما صفاء مرآة البدر قبلت ظهور ضياء الشمس، فمرآة البدر تحكي ضياء الشمس في غيبة الشمس ليلاً؛ فالبدر خليفة الشمس في عالم الليل، كما أنّ النفس الإنسانيّة الكاملة مجلى ومظهر لشمس الوجود الحقّ في ظلمة عالم الإمكان، ولم ينتقل إليها وجود الحقّ تعالى وتقدس؛ وإنّما وصفها صفاء تلك النفس، وحاكى ضياء وجودها على حسب قابليته لذلك، كما قلنا في مطلع أبيات لنا:

امـسك الحـقّ باليـد كـلّ شيء محـدّد

ولقـد كـان مطلقـاً فبـدا كالمقيّـد

وقوله (إذا تجلّى): قال في المصباح: «تَجَلَّى الشيءُ: انكشف». وفاعل تجلّى ضمير

عائد إلى المحبوب الحقيقيّ، والحقّ تعالى متجمِّل على الدوام، ولكن القلوب والأبصار كلّها في تصريف قدرته وإرادته، إذا شاء كشف عن تجلّيه في شيء، أو في كلّ شيء لمن شاء، وإذا شاء لم يكشف، قال تعالى: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ [٣٥/ فاطر/ ٢] وقوله (مقبلاً): بصيغة اسم الفاعل: حال تجلّي، قال في المصباح: قَبَلَ العامُ والشهرُ قُبُولاً، من باب قعد، فهو قابل: خلافُ دَبَرَ، أقبلَ بالألف أيضاً فهو مقبل. قالوا: يقال في المعاني: قَبَلَ وأَقبَلَ معاً، وفي الأشخاص: أَقْبَلَ بالألف لا غير». والإقبال هنا بمعنى التوجّه، ومنه يقال الوجه، قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [٢٨/ القصص/ ٨٨] أي: توجّهه، أي: إقباله على كلّ شيء، وهو ظهور وجوده الحقّ مستولياً على الشيء في ظاهره وباطنه، والشيء في نفسه معدوم هالك فانٍ. والحقّ تعالى متجلٍّ بالشيء ومكشوف به لمن شاء سبحانه، كما أنّه مستتر به عمّن شاء أيضاً. وقوله (تصبو): أي تميل، من صَبَتِ النَخْلَةُ: مَالتْ إلى الفُحَّال البعيد منها، وصَبَتْ الراعِيَة صُبُوّاً: أمالت رأسها فوضعها في المرعى، كذا في القاموس. وفاعل تصبو مستتر يعود إلى كلّ البدور. وقوله (إليه): متعلِّق بتصبو، والضمير إلى المحبوب الحقيقيّ؛ فإنّ الوجود الحقّ إذا انكشف كما ينكشف لأهل المعرفة والتحقّيق من السالكين في أقوم طريق، وهو مقبل عليهم، متوجّه بوجود أمره الحقّ، محيطاً بهم، مالت قلوبهم إليه؛ لأنّه وجودها القيّوم عليها، المالك لها، فيتبعها جميع العبد: ظاهره وباطنه. قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ [١٠/ يونس/ ٣١] وقال تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴾ [٢٥/ الفرقان/ ٣] وقال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [١٣/ الرعد/ ٣٣]. وقوله (وكلّ): معطوف بالرفع على كلّ البدور. وقوله (قَدٌّ): وزان فَلْس، أصله: جِلْد السَّخْلَة، والجمع: أَقُدٌّ وقِداد، مثل: أَفْلُس وسِهام، وهو حسن القَدّ، وهذا على قَدّ ذاك، يُراد المساواة، والمُماثلة، كذا في المصباح. وقال

في القاموس: «والقَدُّ: القَدْرِ، وقامة الرجل، وتقطيعه، واعتداله». والمعنى بالقدّ هنا: المقدار المحدَّد المصوّر من مقاديرعالم الأمكان. وقوله (أَهْيَف): وصف لقدٍّ، أي: متّصف بالهَيَف، وهو محرك، ضمور البطن، ورقّة الخاصرة. يعني: كلّ مقدار حَسَن الاعتدال من صور أهل الكمال والجلال والجمال فإنّه يصبو إلى هذا المحبوب الحقيقيّ، ويميل إليه؛ لأنّه مظهر ومجلى لأسمائه/ [٤٠٠/أ] وصفاته في مقام تقديره له وتوجّهه به، وحسن التفاته في نشأة حروفه الأمريّة القائمة بألفاته.

٤١- إنْ قُلْتُ عِنْدِي فِيكَ كُلُّ صَبَابَةٍ قَالَ المَلَاحَةُ لِي وَكُلُّ الحُسْنِ فِي

(إنْ قلت): بضمّ التاء للمتكلِّم. وقوله (عندي فيك): أي في محبّتك، والخطاب للمحبوب الحقيقيّ. وقوله (كلّ صبابة): هي الشوق، أو رقّته، أو رقّة الهوى، كذا في القاموس. وقوله (قال): أي المحبوب الحقيقيّ. وقوله (الملاحة): أي البهجة، وحسن المنظر. وقوله (لي): أي ذلك كلّه ملكي، وأثر أسمائي وصفاتي ظاهر في كلّ شيء. وقوله (وكلّ الحسن): بالرفع، معطوف على الملاحة، والحُسْن، بالضمّ: هو الجمال الظاهر في الصور الكونيّة. وقوله (في): أصله بتشديد الياء، فهي ياء الحرف مدغمة في ياء المتكلِّم، أي: جميع ذلك مجموع فيّ، وظاهر منِّي؛ لأنّي المتجلِّي على كلّ شيء، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [٢٢/ السجدة/ ٧] وقال صلّى الله عليه وسلّم: «إنّ الله كتب الإحسان على كلّ شيء؛ فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة»[1]. الحديث رواه أحمد في مسنده، ومسلم في صحيحه، وأبو داوود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه: عن شدّاد بن أوس رضي الله عنه؛ فالإحسان

(١) أخرجه أحمد في مسنده، باب: مسند شداد بن أوس، ١٧٥٧٨. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الذبائح، باب: الأمر بإحسان الذبح والقتل، ٥١٦٧. كما أخرجه أبو اوود في سننه، كتاب الضحايا، باب: في النهي أن تصبر البهائم والرفق، ٢٨١٧. كما أخرجه الترمذيّ في سننه، كتاب:الديات، باب: ما جاء في النهي عن المثلة، ١٤٧٠. كما أخرجه النسائيّ في سننه، كتاب: الضحايا، باب: الأمر بإحداد الشفرة، ٤٤٢٢. وأخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الذبائح، باب: إذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، ٤٢٩٠.

المكتوب على كلّ شيء هو قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [٢٢/ السجدة/ ٧].

٤٢ - كَمُلَتْ مَحَاسِنُهُ فَلَوْ أَهْدَى السَّنَا لِلْبَدْرِ عِنْدَ تَمَامِهِ لَمْ يُخْسَفِ

(كملت): أي ظهرت كاملة من جميع الوجوه. وقوله (محاسنه): جمع حسن بالضمّ، وهو الجمال، وجمعه محاسن على غير قياس، كذا في القاموس. والضمير للمحبوب الحقيقيّ. وقوله (فلو أهدى): أي أوصل. وقوله (السَنا): أي النور والضياء، وأصله كما في القاموس: «ضوء البرق، أسْنَى البرق: دخل البيت، أو وقع على الأرض، أو طار في السحاب». وقوله (للبدر): متعلِّق بأهدى. وقوله (عند تمامه): أي البدر في ليلة أربعة عشر من الشهر. وقوله (لم يخسف): بكسر الفاء للقافية مبني للمفعول، خَسَفَ القمر: كَسَفَ، أو كسفت للشمس، وخَسَفَ للقمر، أو الخُسُوف: إذا ذهب بعضُهما، والكسوف كلّهما، كذا في القاموس. والخسوف والكسوف ذهاب الضوء. وقال في المصباح: «خَسَفَ القَمَر خسوفاً: ذهب ضَوءُه، أو نَقَصَ، وهو الكسوف أيضاً. وقال ثعلب: أجود الكلام: خَسَفَ القمرُ وكَسَفَت الشمسُ. وقال أبو حاتم في الفَرْق: إذا ذهب بعض نور الشمس فهو الكسوف، وإذا ذهب جميعه فهو الخسوف». وزاد الراغب في المفردات فقال: «يقال خسف الله القمر». والمعنى في البيت: إنّ شمس الوجود الحقّ يتجلّى ويظهر في قمر التعينات الكونيّة؛ فتظهر موجودة عند العقول والأبصار. وتارة يستتر عنها فتفنى وتزول؛ فلو أهدى لها نور وجوده الحقّ على الدوام ما فنيت، ولا زالت، ولا انخسف نورها.

٤٣ - وَعَلَى تَفَنُّنِ وَاصِفِيهِ بِحُسْنِهِ[1] يَفْنَى الزَّمَانُ وَفِيهِ مَا لَمْ يُوْصَفِ

(وعلى تَفَنُّنِ): أي على حسب ذلك. والتفنن، أي: إظهار الفنون، قال في الصحاح: «الفَنُّ: واحد الفنون؛ وهي الأنواع، والأفانين: الأساليب، وهي أجناس الكلام وطرقه، ورجل متفنِّن، أي: ذو فنون، وافْتَنَّ الرجلُ في حديثه وفي خُطبته:

---

(١) في (ق): لحسنه.

إذا جاء بالأفانين». وقوله (واصفيه): أي الواصفين له، وحذفت النون للإضافة إلى الضمير الراجع إلى المحبوب الحقيقيّ، وهم جمع واصف، اسم فاعل: وهو الذي يذكر أوصافه الجميلة الجليلة بوجه المدح والثناء، أو الذي تظهرعليه أسماؤه الحسنى وصفاته العليا، فيتصف بها؛ فهو الواصف له بالفعل، والأوّل هو الواصف له بالقول. وقد يكون الواصف بالعلم والإدراك، وهو المطّلع بعقله، وذوق بصيرته على معاني كماله الظاهر والباطن. وقوله (بحسنه): أي بسبب حسنه، وفي نسخة باللام، أي: لأجل حسنه. والضمير للمحبوب الحقيقيّ. وقوله (يفنى الزمان): أي ينقضي حكم الدنيا. وقوله (وفيه): الواو للحال، والجار والمجرور خبر مقدّم. وقوله/ [٤٠٠/ ب] (ما): مبتدأ مؤخّر، أي: الكمال الذي، أو كمال موصوف بقوله (لم يوصف): بكسر الفاء للقافية. والمعنى: إنّ هذا المحبوب الحقيقيّ لو أتى الواصفون له بأنواع الفنون في وصف حسنه وجماله تذهب الدنيا، وتنقضي، وقد بقي من ذلك الحسن والجمال أمور لم توصف ولم تذكر، ولا شك في ذلك؛ فإنّ أوّل مخلوق قبل كلّ شيء هو الحقيقة المحمّديّة، وهو النور المادّي الذي خلق الله تعالى منه كلّ شيء وجماله وحسنه، هو كلّ الجمال وكلّ الحسن؛ فإذا وصف الواصفون ما عسى أنْ يصفوا لا يبلغون ذلك، وقد تناظرنا مع صديق لنا رحمه الله تعالى، أي بيت أبلغ؟ هذا البيت أم بيت البوصيري في قصيدة المديح النبويّ؟.

فــإنّ مــن جــودك الــدنيا وضرّتهــا ومـن علومـك علـم اللـوح والقلـم

فكان يقول إنّ بيت البوصيري أبلغ؛ لأنّ تفنن الواصفين، وما تركوا من الأوصاف من جملة علوم اللوح والقلم، وعلوم اللوح والقلم من جملة علوم هذا الممدوح، وكنت أقول: إنّ بيت البوصيري فن من فنون واصفيه وإنْ اشتمل على ما ذكر، وهناك فنون أُخر لم تذكر ولم يوصف بها، والواصفون كثيرون، والبوصيري واحد منهم.

٤٤- وَلَقَـدْ صَرَفْـتُ لِحُبِّـهِ كُـلِّي عَـلَى   يَـدِ حُـسْنِهِ فَحَمِـدْتُ حُـسْنَ تَـصَرُّفِي

(ولقد): الواو للاستئناف، واللام موطِّئة لقسم مقدر، تقديره: والله لقد. وقوله (صَرَفْتُ): بضمّ التاء للمتكلِّم، أي: أنفقت، يقال: صرفت المال: أنفقته. وقوله (لحبّه): أي لأجل محبّتي له، والضمير للمحبوب الحقيقيّ. وقوله (كلِّي): مفعول صرفت، أي: باطني وظاهري. وقوله (على يد حسنه): أي على تصرّف حسنه في جميع جهاته وأحواله، يقال: الأمر بيد فلان، أي: في تصرّفه، كذا في المصباح. والضمير للمحبوب الحقيقيّ. وقوله (فَحَمْدتُ حُسْنَ): مفعول حمدت. وقوله (تَصَرُّفِي): أي إنفاقي المذكور. والمعنى: إنِّي وجدت حسن تصرّفي المذكور حميداً. يعني: وجدت عاقبته حميدة لي؛ فإنّي لما فقدت عنده نفسي وجدتُ محبوبي عندي، فلو وجدت عنده نفسي لفقد هو عندي، قال أحمد الغزالي، قدّس الله سرّه في «تجريد التوحيد»: «إمّا نحن وإمّا أنت نفسك حجابك، ووجودك حجابك ما لم يرتفع الحجاب، فلا نحن ولا أنت، ولست لنا ولسنا لك إلى آخره».

٤٥- فَالعَيْنُ تَهْوَى صُورَةَ الحُسْنِ التِي   رُوحِـي بِهَـا تَـصْبُو إِلى مَعْنَـىً خَفِـي

(فالعين): الفاء للتفريع على ما قبله من بيان صرف كلّه، والعين هي الباصرة. وقوله (تهوى): أي تحبّ. وقوله (صورة الحسن): أي الصورة التي هي الحسن، مبالغة، كناية عن الحقيقة المحمّديّة التي هي مجلى المحبوب الحقيقيّ، ومظهر جماله الذاتي. وقوله (التي): وصف للصورة. وقوله (روحي بها): أي بسببها، أو بملابستها ومصاحبتها. وقوله (تصبوا): أي تميل. وقوله (إلى معنى): أي سرّ عظيم ذاتي إلاهيّ، والتنكير للتعظيم. وقوله (خَفِي): وصف للمعنى، وهذا إشارة إلى مقام الوراثة المحمّديّة الجامعة بانكشاف صورته عن صورة الحقيقة المحمّديّة المتصوَّر في مادتها، وهي المائلة إلى ذلك المعنى الخفي، الذاتيّ، الإلهيّ الذي لا يدركه عقل، ولا تحيط به بصيرة، قال صلّى الله عليه وسلّم: «لي وقت مع

ربّي لا يسعني فيه ملك مقرّب ولا نبي مرسل»[1]؛ فالملك المقرّب روحه. والنبيّ المرسل هو صلّى الله عليه وسلّم. وأشار بالوقت المنكر للتعظيم إلى وقت فنائه صلّى الله عليه وسلّم عن روحه وجسده، ورجوعه إلى الحقيقة الربّانيّة الأصليّة الوجوديّة التي قال تعالى فيها نور على نور، أي: نور إلهيّ ربّانيّ على نور محمّديّ جامع كلّيّ، وقد ورد أنّ أوّل ما خلق الله نور محمّد صلّى الله عليه وسلّم من نوره، ثمّ خلق منه الأشياء في حديث طويل.

٤٦- أَسْعِدْ أُخَيَّ وَغَنِّنِي بِحَدِيثِهِ ... وَانْثُرْ عَلَى سَمْعِي حِلَاهُ وَشَنِّفِ[١/٤٠١أ]

٤٧- لِأَرَى بِعَيْنِ السَمْعِ شَاهِدَ حُسْنِهِ ... مَعْنًى فَأَتْحِفْنِي بِذَاكَ وَشَرِّفِ

(أَسْعِدْ): فعل أمر من أسعده: أعانه؛ فالأمر منه بكسر العين المهملة. وقوله (أُخَيَّ): بضمّ الهمزة وفتح الخاء المعجمة وتشديد الياء التحتيّة، تصغير أخي، مضاف إلى ياء المتكلّم أدغمت في الياء المنقلبة عن الواو في ياء المتكلّم وحذف حرف النداء، فتقديره: يا أخي. وقوله (وغنّني): بتشديد النون الأولى مكسورة، مثل كتاب، وهو الصوت، وقياسه الضمّ؛ لأنّه صوت. وغنّى: إذا ترنّم بالغناء، كذا في المصباح. وقوله (بحديثه): أي ذلك المحبوب الحقيقيّ الظاهر بالصورة المحمّديّة التي هي مادّتي، وأنا المخلوق منها مع كلّ شيء. والمراد بحديثه: الحديث عنه، قال في المصباح: «الحديث ما يُتحدَّثُ به ويُنْقَل، ومنه حديث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. والمعنى: بغنائه بالحديث تطربه وترنّمه به بمجرّد ذكر اسمه، وذكر أخباره وكلامه الذي يتكلّم به: قرآناً، أو غيره؛ فالكلّ حديثه، والكون جديده وحديثه، قال الشاعر:

وحديثها السحر الحلال لو أنّه ... لم يجن قتل المسلم المتحرّز

إنْ طال لم يملل وإنْ هي أوجزت ... ودّ المحدّث أنّها لم توجز

---

(١) ذكره المناويّ في فيض القدير، ٤٣٧٧. كما ذكره العجلونيّ في الكشف ٢١٥٩، بلفظ مشابه.

ولهذا قال بعده (وانثر): فعل أمر، من نَثَر الكلام، وأصله نَثَرَ الشيءَ يَنْثُرُهُ نَثْراً ونِثَاراً: رماه مُتَفَرِّقاً، ذكره في القاموس. وقوله (على سمعي): متعلّق بانثر، يقال: نثر عليه الدراهم والدنانير واللآلئ. ففيه استعارة مكنيّة، بتشبيه الحِلي بالنقدَيْن، أو بالآلى والجواهر المنثورة، وإثبات النثر تخييل، وعلى سمعي ترشيح. وقوله (حِلاه): بضمّ الحاء المهملة وكسرها، جمع حِلية، بالكسر، قال في المصباح: «الحِلية بالكسر: الصِفَة، والجمع: حُلَىً، مقصور، وتضمّ الحاء وتكسر. والمعنى: اذكر لي صفاته منثورة مثل نثار اللآلي والجواهر على مسامعي لأفرح بذلك، وانطرب به. وقوله (وشنِّفِ): بكسر الفاء للقافية. وشنِّف: فعل أمر، أي: اجعل حديثه ولطائف صفاته شَنْفَاً معلّقاً في أُذني، والشَّنْفُ بالفتح: القُرْط الأعلى، والجمع: شُنُوْف، مثل: فَلْس وفُلُوس، وشَنَّفْتُ المرأةَ تَشْنِيْفاً فَتَشَنَّفَتْ، هي مثل: قَرَّطْتُهَا فَتَقَرَّطَتْ هي، كذا في الصحاح. وقال في القاموس: «الشَّنْف، وبالضمّ لَحْن: القُرْط الأعلى، أو مِعْلاق فُوْق الأُذن، أو ما عُلِّق في أعلاها، وأمّا ما عُلِّق في أسفلها فَقُرْط، والجمع: شُنُوف». وقوله (لأرى): أي لأنظر تعليل ما ذكر قبله. وقوله (بعين السمع): متعلّق بأرى. وقوله (شاهد حسنه): أي حسن الشاهد، أي: الحاضر الذي يشهد بكمال جماله وجلاله، والضمير للمحبوب الحقيقيّ الظاهر بالصورة المحمّديّة كما ذكرنا. وقوله (معنى): تمييز منصوب، أي: رؤية معنويّة، لا حسّيّة بصريّة، قال الشاعر:

سمعت أوصافك الحسنى فهمت بها والأذن تعشق قبل العين أحيانا

وقوله (فاتحفني): الفاء للتفريع، واتحفني فعل أمر ومفعول، وفاعله ضمير راجع إلى قوله (أُخَيّ) في البيت قبله، والاتحاف إهداء التحفة، قال في الصحاح: «التُحْفَة ما اتْحَفْتَ به الرجلَ من البِرّ واللَّطَف، وكذلك التُّحَفَة، بفتح الحاء، والجمع: تُحَف»، قال في القاموس: «التُّحْفَة بالضَمّ، وكهُمَزَة: البِرّ واللَّطَف والطُّرْفَة، وقد أَتْحَفْتُه تُحْفَة». وقوله (بذاك): أي بذكر حِلاه، ونشر أوصافه الحسنى

على سمعي. وقوله (وشرِّفِ): بكسر الفاءللقافية، فعل أمر من التشريف، وهو جعل الشرف له، والشرف هو العلو في القدر والمنزلة، قال في الصحاح: «الشَّرَف العُلُو، وشَرُفَ فهو شَرِيف، وقوم شُرَفاء وأَشْراف.

٤٨- يَا أُخْتَ سَعْدٍ مِنْ حَبِيْبِي جِئْتِنِي بِرِسَالَةٍ أَدَّيْتِهَا بِتَلَطُّفِ

٤٩- فَسَمِعْتُ مَا لَمْ تَسْمَعِي وَنَظَرْتُ مَا لَمْ تَنْظُرِي وَعَرَفْتُ مَا لَمْ تَعْرِفِي

(يا): حرف نداء. (وأخت سعد): كناية عن روحه المنفوخة فيه من روح الله، عن أمر الله، فكأنّ روح الله الذي هو أوّل مخلوق هو السعد المحض الذي لا شقاء معه، وهو روح أرباب العصمة من الأنبياء عليهم السلام، والمحفوظين من الأولياء، قال تعالى في آدم عليه السلام: ﴿وَنَفَخْتُ /[٤٠١/ ب] فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [١٥/الحجر/ ٢٩] أي: نفخاً أوليّاً، بغير وساطة، وفي عيسى عليه السلام كذلك، وهو روح الله، وقال تعالى: ﴿يُلْقِي ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [٤٠/ غافر/ ١٥] وتنكير سعدٍ للتعظيم، والروح المنفوخة في غيرهم أخته، لأنّهما صادران عن أمر الله تعالى الذي هو كلمح بالبصر، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ [٥٤/ القمر/ ٥٠]، وقال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [١٧/الإسراء/ ٨٥] وقال تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [١٥/الحجر/ ٢٩] ولم يزل هذا النفخ في آدم سارياً بالنكاح في ذرّيته مع النطفة، حاملاً للصورة الآدميّة الإنسانيّة إلى يوم القيامة، وإنّما كان الروح ذكراً، والمنفوخة أنثى، فهي أخته؛ لغلبة ما فيها من الانفعال بالنفخ الأصلي. وحملها ما تقدر في الأزل من المقادير المختلفة بالمدح والذمّ؛ فإنّ الجسد المسوَّى خطبها من أخيها، فزوّجه إيّاها، فنقلها إلى دارغربتها محلّ وطن الجسد إلى وقت الطلاق، وانحلال القيد بالانطلاق؛ فترجع إلى أخيها، وتدخل في كنفه. وقوله (من حبيب): أي محبوب حقيقيّ آمري محمّديّ

ذاتيّ إلاهيّ. والجار والمجرور متعلّق بقوله: جئتني وتنكّر للتعظيم. وقوله (جِئْتِنِي): بكسر المثناة الفوقيّة خطاب للمؤنّث، وهو الروح المنفوخة التي صارت نفساً بغلبة الطبع عليها، وإخراجها عن حقيقتها الأصليّة. ثمّ عوّدها بالرياضة الشرعيّة إلى مقام تجريدها في وقت إرسالها من أصلها الذي هو كلمح بالبصر؛ فهي روح طوراً، و نفس طوراً، قال تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [٧١/ نوح/ ١٤] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا﴾ وهي إشارة إلى الروح ﴿وَٱلْمَرْوَةَ﴾ وهي إشارة إلى النفس ﴿مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ﴾ أي: قصد المقام الذاتيّ، وتوجّه إليه ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [٢/ البقرة/ ١٥٨] وليس هذا معنى الآية فقط، بل نحن نذكر الإشارة. والمفسّرون يفسّرون العبارة، والكلّ حقّ مراد، والله بصير بالعباد. قوله (برسالة): متعلّق بجئتني، وهي من الإرسال، وهو التوجيه، والاسم: الرسالة بالكسر والفتح، وتراسلوا: أرسل بعضهم إلى بعض، كذا في القاموس. وقال في المصباح: «تراسل القوم: أرسل بعضُهم إلى بعض رسولاً أو رسالة، وجمعها: رسائل». وتنكير رسالة للتعظيم. وقوله: (أَدَّيْتِها): بكسر التاء المثنّاة الفوقيّة، خطاب للمؤنّث، وهي أخت سعد، والضمير للرسالة. قال في المصباح: «أدّى الأمانة إلى أهلها تأدية: إذا أوصلها، والاسم: الأداء». وقوله (بتلطّف): متعلّق بأدّيتِها، أي: بترفّق، من لَطُفَ الله بنا لَطَفاً، من باب طَلَبَ: رَفَقَ بنا، فهو لَطِيف بنا، والاسم: اللُّطْف، وتَلَطَّفتُ بالشيء: تَرَفَّقْت به، وتَلَطَّفتُ: تَخَشَّعتُ، والمعنيان متقاربان، كذا في المصباح، والجملة: صفة رسالة. وقوله (فسمعت): الفاء للتفريع، أي: سمعت أنا منك حيث حملت إليّ تلك الرسالة التي أرسلها لي حبيبي معك، وهي العلوم الإلهيّة، والمعارف الربّانيّة، والحقائق الرحمانيّة. وقوله (ما): أي أمراً عظيماً، مفعول سمعت، أو الأمر الذي. وقوله (لم تسمعي): أصله تسمعين، فحذفت النون للجازم، أي: لم تسمعيه؛ فإنّ الرسول ما عليه غير بلاغ

رسالته، وليس عليه سماعها؛ وإنّما سماعها للمرسل إليه؛ لأنّه المخاطب بها، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ﴾ [٣٥/ فاطر/ ٢٢]؛ فإنّ الأرواح تنقل الأخبار الإلهيّة كما هي عليه، ولا تعرفها، ولا تعرفها إلّا النفوس؛ فإذا جاءت الروح بالأمر الإلهيّ صارت نفساً، فوعت ما جاءت به، وهي نفس لا تقدر أن تجيء بخبر إلهيّ؛ فإنّ النفس أخبارها كلُّها كونيّة. وقوله (ونظرت): أي نظرت أنا من تلك الرسالة التي أدّيتِها إليّ. وقوله (ما): أي أمراً عظيماً، مفعول نظرت، أو الأمر الذي. وقوله (لم تنظري): أي لم تنظريه ممّا اقتضته رسالتك من رؤية الأشياء على ما هيّ عليه من فنائها الأصلي، وظهور الوجود الحقّ تعالى على ما هو عليه من إطلاقه الأصلي؛ فإنّ الملائكة المدبرة للأجسام الإنسانيّة، وهي أرواحها كالملائكة المسخّرين، والملائكة المجرّدين، لا ينظرون غير أنفسهم وأمثالهم من الأكوان. وقوله (وعرفت): أي عرفت أنا مما سمعته منك، ونظرت إليه بسبب/ [٤٠٢/ أ] ما سمعته. وقوله (ما): أي أمراً عظيماً، أو الأمر العظيم الذي. وقوله (لم تعرفي): أي لم تعرفيه من تجلّيات الحقّ المبين، وانكشاف مظاهر الوجود المسمّى بالأسماء الحسنى، الموصوف بصفات العزّ والتمكين على اليقين. وهذه رموز إلهيّة نزلَتْ في قوالب معنويّة، لا يعرفها إلّا صاحب البيت الذي وضع الله في سراج بصيرته من الهديّة زيت محجوبه عمّن أضاع في الأكوان عقله ولبّه؛ فإنّ من عرف نفسه فقد عرف ربّه.

٥٠- إِنْ زَارَ يَوْمَاً يَا حَشَايَ تَقَطَّعِي كَلَفَاً بِهِ أَوْ سَارَ يَا عَيْنُ اذْرِفِي

(إنْ زار): أي ذلك المحبوب الحقيقيّ. يعني: زارني بأنْ انكشف لي متجلّياً بي، بعد فناء وجودي وتحقيق شهودي. وقوله (يوماً): أي من أيّام الله التي قال تعالى لموسى عليه السلام: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ [١٤/ إبراهيم/ ٥] وذلك كلّ جزء لا يتجزئ من الزمان، وهو مقدار ظهور الأمر الإلهيّ الذي كلمح بالبصر؛ فإنّ طلوع شمس الوجود الأحد يوم، وغروبها ليل؛ فبالطلوع تشرق الأكوان،

وبالغروب ترجع إلى فنائها عوالم الإمكان. وقوله (يا حشايَ): يا حرف نداء، وحشى منادى مضاف إلى ياء المتكلّم، قال في المصباح: «الحشى، مقصور: المعى، والجمع: أحشاء، مثل سبب وأسباب. وقوله: (تقطعي): فعل أمر، أي: صيري قطعاً ليكون ذلك مؤدِّياً إلى الموت والفناء والاضمحلال، فيذهب ما لم يكن، ويظهر ما لم يزل. وقوله (كَلَفاً): مصدر كَلِفتُ به كَلَفاً، فأنا كَلِف، من باب تعبْ: أحبَبْتُه، وأولعت به، كذا في المصباح. وقوله (به): أي بذلك المحبوب الحقيقيّ المذكور. وقوله (أوْ سار): معطوف على زار، أي: سار عنّي واستتر بإظهار نفسي عندي. وقوله (يا عيني اذرفي): بالذال المعجمة والراء المهملة، يقال: ذَرَفَتِ العَيْنُ ذَرْفَاً، من باب ضرب: دَمَعَت وذَرَفَ الدمعُ: سال. وذَرَفَتْ العينُ الدمعَ، كما في المصباح. والمعنى: أكثري من البكاء على ذهاب حظّك وحرمانك من رؤيته، والتمتّع بشهوده.

٥١- مَا لِلنَّوَى ذَنْبٌ وَمَنْ أَهْوَى مَعِي   إنْ غَـابَ عَـنْ إنْـسَانِ عَيْنِـي فَهْـوَ فِي

(ما للنوى): أي البعد عن الحبيب. وقوله (ذنب): ليستحقّ به الذمّ والتقبيح عليه. وقوله (ومَنْ): أي المحبوب الذي. وقوله (أهوى): أي أهواه وأحبّه. قوله (معي): أي لا يفارقني أبداً أينما كنت، قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [٥٧/ الحديد/ ٤] وذلك لأنّ الجميع قائمون بتجلّي وجوده الحقّ على الدوام، وإن كنّا نحن كلّنا لسنا معه؛ لأنّ الفاني المعدوم، الباطل ليس مع الباقي الموجود الحقّ جلّ وعلا؛ فالبعد عنه التفات من العبد إلى سواه، واشتغاله بمقصده وهواه فلا ذنب للبعد حينئذ؛ وإنّما الذنب لسببه المقتضى له، وهو الالتفات المذكور، والاشتغال بالمحال والغرور. وجملة (ومن أهوى معي): في محل نصب حال من المتكلِّم. وقوله (إنْ غاب): أي من أهوى. وقوله (عن إنسان عيني): قال في المصباح: «إنسان العين حَدَقَتها، وجمعه أناسيّ». وقال في القاموس: «الإنسان المثال يُرى في

سواد العين، وجمعه أناسيّ». وقال في الصحاح: «والعامّة تقول: إنسان العين المثال الذي يرى في السواد». وقوله (**فهو في**): أي في قلبي، وهو ربط لآخر القصيدة بأوّلها؛ لأنّ أوّل هذه القصيدة (**قلبي يحدِّثني بأنّك متلفي**). وضمير غاب المستتر، وضمير هو راجعاً إلى المحبوب الحقيقيّ وغيبته عن العين استتاره في الحسّ بسبب شهود صور الأكوان الساترة له باعتبار النظر إليها، ونسبة الأعمال إليها. وكونه في القلب بسبب انكشافه للبصيرة القلبيّة، وشهود فناء الأكوان في وجوده الحقّ، وهو مقام الكمال: الجمع بين الجلال والجمال. وبين الفرق والجمع، والرؤية والسمع، والغيبة والحضور، والظلمة والنور، وهو مقام الميراث من النبيّين. والتخلّق بأخلاق المرسلين عليهم الصلاة والسلام إلى يوم الدين[1].

* * *

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: «بلغ».

تِـهْ دَلَالَاً فَأَنْتَ أَهْلٌ لِذَاكَا

[الخفيف]

وقال الناظم قدّس الله سرّه:

١- تِــهْ دَلَالَاً فَأَنْــتَ أَهْــلٌ لِــذَاكَا وَتَحَكَّــمْ فَالحُــسْنُ قَــد أَعْطَاكَــا

/ [٤٠٢/ب]. (تِهْ): بكسر التاء المثنّاة الفوقيّة وسكون الهاء: فعل أمر من التِيْه، بالكسر، وهو الصَلَف والكبْر. تَاه، فهو تائِه وتَيَّهان مشدّدة الياء، كما في القاموس. والخطاب للمحبوب الحقيقيّ الظاهر بصور معلوماته من حضرة أسمائه وصفاته التي شؤونه. قال تعالى: ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ٢٩] وعند ظهوره تختفي جميع الأكوان، لا من حيث ذاته العليّة المنزّهة عن جميع الشؤون الكونيّة؛ فإنّه لا يدرك هذه الحيثيّة؛ فلا يخاطِب ولا يخاطَب، ولا يتعلّق به العرفان. والأمر بالتيه رضاء من المحبوب، وهي الكبرياء والعظمة؛ فإنْ ذلك له تعالى لا يشاركه في ذلك غيره، روي في الحديث عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «قال الله تعالى: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري؛ فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار»[1] أخرجه أحمد في مسنده، وأبو داوود وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه. وابن ماجه عن ابن عبّاس رضي الله عنهما. وفي رواية: «قال الله تعالى: الكبرياء ردائي فمن نازعني ردائي قصمته»[2]. أخرجه الحاكم في مستدركه عن أبي هريرة رضي الله عنه. وفي رواية: «قال الله تعالى: الكبرياء ردائي،

---

(١) أخرجه عن أبي هريرة كلّ من: أحمد في المسند، مسند أبي هريرة، ٩١٢٩، بلفظ أدخلته جهنّم. وأبو داوود في سننه، كتاب: اللباس، باب: ما جاء في الكِبْر، ٤٠٩٢. كما أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب: البراءة من الكبر والتواضع. وعن ابن عباس أخرجه ابن ماجه ،٤٣١٥.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، ٢٠٣، عن أبي هريرة. قال الذهبي: أخرجه مسلم.

والعزّ إزاري، فمن نازعني في شيء منهما عذّبته»[1]. وقوله (دلالاً): أي لأجل الدلال الذي هو وصفك في حضرة تجلّيك وظهورك بصور الأكوان المعلومة لك من حضرة أسمائك وصفاتك، كما ذكرنا. وقوله (فأنت): خطاب للمحبوب المذكور. وقوله (أهل): أي مستحقّ. وقوله (لذاكا): أي للتيه والتكبّر والعظمة؛ فإنّ ذلك حقّك، وأنت مستحقّ له، ولا يليق إلّا بك، قال في المصباح: «هو أهل للإكرام»، أي: مستحق له حتّى لو ظهر شيء من ذلك على أحد من الناس فظنّه وصفه، فاتّصف به عند نفسه، ووجده له؛ فقد نازع الحقّ تعالى، فيقذفه في النار، أي: نار البعد عنه والقطيعة. وقوله (وتحكّمْ): فعل أمر من حَكَّمتُ الرجلَ بالتشديد: فَوَّضتُ الحكمَ إليه، وتَحَكَّمَ في كذا: فَعَلَ ما رآه، كما في المصباح. والخطاب للمحبوب المذكور. يعني: افعل ماشئت بنا فإننا منقادون لحكمك على كلّ حال. وقوله (فالحُسْن): الفاء للتفريع، والحُسْن هو الجمال الحقيقيّ الإلهيّ، قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: « إنّ الله جميل يحبّ الجمال»[2] رواه مسلم، والنسائيّ عن ابن مسعود رضي الله عنه. ورواه الطبرانيّ عن أبي أمامة رضي الله عنه. والحاكم في المستدرك عن ابن عمر رضي الله عنهما. وقوله (قد أعطاكا): أي اقتضى أنْ تكون في هذه المثابة من كمال الذات، وجمال الأسماء والصفات، وجلال الأحكام والأفعال:

---

(١) ذكره السيوطي في جمع الجوامع،٧٦، عن أبي هريرة بهذا اللفظ.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: تحريم الكبر وبيانه، ٢٧٥.ولم نعثر عليه في مصادرنا عند النسائي، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، باب: صدى بن عجلان أبو أمامة الباهلي ، ٧٨٢٢. كما أخرجه الطبراني في الأوسط ، باب: من اسمه عبد الرحمن ٤٨٢٤، عن ابن عمر، كذلك أخرجه في الأوسط عن جابر، ٧٠٩٨. وأخرجه الحاكم في المستدرك، باب: حديث معمر، ٦٩، عن عبد الله بن عمرو. كما أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق، باب: عثمان بن سعيد بن محمّد بن بشير، ٤٥٩٦، عن جابر.

٢- وَلَكَ الأَمْرُ فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ   فَعَلَيَّ الجَمَالُ قَدْ وَلَّاكَا

(ولك): جار ومجرور، خبر مقدّم، قدّم للحصر، والخطاب للمحبوب الحقيقيّ. وقوله (الأمر): مبتدأ مؤخر، والتعريف للعهد الذهنيّ، قال تعالى: ﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ [٨٢/ الإنفطار/ ١٩]. وقال تعالى: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ [٣٠/ الروم / ٤]. وقال لنبيّه صلّى الله عليه وسلّم: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [٣/ آل عمران/ ١٢٨] وقوله (فاقضِ): الفاء للتفريع، واقضِ فعل أمر مبني على حذف ياء العلّة، يقال: قَضَيْتُ بين الخصمين وعليهما: حَكَمتُ، كذا في المصباح. وقوله (ما): أي القضاء الذي، أوقضاء. وقوله (أنت قاض): أي قاضيه، والخطاب للمحبوب الحقيقيّ. والقضاء تنفيذ الأمر على الغير شاء أو أبى. قال تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [٣٣/ الأحزاب/ ٣٨]؛ فالقضاء لله، والقدر لله، وذلك حكمه الأزليّ، وتنفيذه الأبديّ، وفيه اقتباس من قوله تعالى حكاية عن سحرة فرعون لمّا آمنوا: ﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ﴾ [٢٠/ طه/ ٧٢] الآية. وقوله (فعليَّ): بتشديد الياء، متعلّق بـ(ولّاكا). وقوله (الجمال): أي جمالك الحقيقيّ الذي يشعر به العارفون، ويحتجب عنه الغافلون، وهو مبتدأ، وجملة (قد ولّاكا) خبره. وقوله (قد ولّاكا): الألف للإطلاق، والخطاب للمحبوب الحقيقيّ، يقال: ولَيْتُ البلدَ، وعليه. والفاعل: والٍ/ [٤٠٣/ أ] والجمع: وُلَاة. واستولى عليه: غَلَب عليه، وتمكّن منه، كما في المصباح. وقال في القاموس: «الوِلاية: الإمارة والسُلطان. وأَوْلَيْتُهُ الأمرَ: ولّيتُه إيّاه». والجملة جارية مجرى التعليل لقوله: ﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾ [٢٠/ طه/ ٧٢].

٣- وَتَلَافِي إِنْ كَانَ فِيْهِ ائْتِلَافِي   بِكَ عَجِّلْ بِهِ جُعِلْتُ فِدَاكَا

(وتلافي): مصدر مضاف إلى ياء المتكلّم، والتَلَف: الهلاك. وقد تَلِفَ الشيءُ، وأَتْلَفَهُ غيره، كما في الصحاح. وهو مبتدأ. وقوله (إنْ كان فيه): أي في تلافي المذكور باعتبار أنّه في المحبّة الإلهيّة، شوقاً إلى شهود الحضرة الربّانيّة. والهلاك هنا بمعنى الفناء والاضمحلال بالكلّيّة، لانكشاف الوجود الحقّ، وظهور العدم لكلّ

ما سواه. وقوله (ائتلافي): مصدر مضاف إلى ياء المتكلّم أيضاً، من أَلَّفْتُ بين الشيئين تَأْلِيفاً فتألّفا وأْتَلَفا، وتَأَلَّفْتُه على الاسلام، ومنه المؤلّفة قلوبهم، كذا في الصحاح. وقال في المصباح: «أَلِفْتُه إلْفاً، من باب عَلِم: أَنِسْتُ به وأحببته، والاسم الأُلفَة، بالضمّ، والأُلفة أيضاً: اسم من الائتلاف: وهو الالْتِئَام والاجتماع. وقوله (بك): متعلّق بائتلافي، والخطاب للمحبوب الحقيقيّ. ومعنى الائتلاف به: الاستئناس بتجلّيه، وشهود مظاهره في كلّ شيء؛ فإنّ شهود الإنسان نفسه، واستئناسه بها، وائتلافه بحضورها، حجاب له عن شهود ربّه، والتمتّع بلذيذ قرْبه؛ فإذا فنيت نفسه تفرغ للوجود، وتمتّع بلذيذ الشهود. وقوله (عجّل): بتشديد الجيم، فعل أمر، والفاعل ضمير المخاطب، والجملة خبر المبتدأ. وقوله (به): أي بالتلاف، ولا تؤخّره، الجار والمجرور متعلّق بـ(عَجِّلْ). وقوله (جُعِلْتُ): بالبناء للمفعول. وقوله (فداكا): بالألف للاطلاق، يقال: فَدَاه يَفْدِيه فِدَاءً، ويُفْتَح. وافْتَدَى به، وفَادَاه: أَعْطَى شيئاً فَأَنْقَذَه، والفِداءَ كَكِساء، ذلك المُعْطَى، كذا في القاموس. والمعنى: إذا تلفت وفنيت بالكلّية عساي أكون فداء لك من نسبة الحدوث إليك، ومن التباسك بأحوال الممكنات، وهو تنزيهك عمّا لا يليق بك من مشابهة الأكوان، وتسبيحك الذي اتصف به جميع الأعيان.

٤- وَبِـمَا شِـئْتَ فِي هَـوَاكَ اخْتَـبِرْنِي فَاخْتِيَـارِي مَـا كَـانَ فِيـهِ رِضَـاكَا

(وبما شئت): أي بأيِّ شيء من الابتلاء والامتحان شئته وأردته. وقوله (في هواك): أي محبّتك، والخطاب للمحبوب الحقيقيّ. وقوله (اخْتَبِرْنِي): فعل أمر من الاختبار، يقال: اخْتَبَرْتُهُ : بمعنى امْتَحَنْتُهُ، والخِبْرَةُ بالكسر، اسم منه، كذا في المصباح. قال الشيخ الأكبر في الباب الخامس والعشرين ومئة، من الفتوحات المكّيّة: «فإنّ أكابر الرجال لا يحبسون نفوسهم عن الشكوى إلى الله تعالى؛ فإذا مدح الله الصابرين فهم الذين حبسوا نفوسهم عن الشكوى لغير الله تعالى، وهذا مذهب الأكابر، ألا ترى سمنون قدّس الله سرّه لمّا أساء الأدب مع الله تعالى،

وأراد أن يُقاوم القدر الإلهيّ لِمَا وجد في نفسه من حكم الرضا والصبر، قال:

ولـــيس لي في ســـواك حـــظّ فكيـف مـا شـئت فـاختبرني

فابتلاه الله تعالى بعسر البول، والنفس مجبولة على طلب حظّها من العافية. ولمّا سأل هذا كان في حال العافية؛ فلمّا سُلبها بهذا البلاء طلبتْها النفس بما جبلت عليه، انتهى». ويقال: إنّه وقع للناظم قدّس الله سرّه نظير ما وقع لسمنون في وقت نظمه هذا البيت، وابتلاه الله تعالى بمثل ما ابتلى سمنون قدّس الله سرّهما. ولعلّ ذلك مذكور في بعض نسخ الديوان. وقوله (فاختياري): أي الذي أختاره من الأحوال. وقوله (ما) أي: الفعل الذي، أو فعل. وقوله (كان فيه): أي في ذلك الفعل. وقوله (رضاكا): بألف الإطلاق. و(الرضا): مصدر رَضِيتُ الشيءَ، ورَضِيتُ به رضاً: اخترته، وارتضيته مثله، كذا في المصباح. وقال البُرَعي رحمه الله تعالى من قصيدة له:

أنـــا راض بالـــذي ترضـــونه لكـــم المنّـــة عفـــواً وانتقامـــاً

فقوله عفواً/ [٤٠٣/ ب] وانتقاماً بيان للذي ترضونه.

٥ - وَعَلَى كُـلِّ حَالَـةٍ أَنْـتَ مِنِّـي بِيَ أَوْلَى إِذْ لَـمْ أَكُـنْ لَوْلَاكَـا

(وعلى كلّ حالة): أي على حسب ما أكون فيه من الأحوال. وقوله (أنت منّي): الجار والمجرور متعلّق بأولى، وأنت مبتدأ، يخاطب به المحبوب الحقيقيّ. وقوله (بي) متعلّق بأولي أيضاً. وقوله (أَوْلَى): خبرالمبتدأ، والأصل: أنت أولى بي منّي، أي: أحقّ؛ لأنّك خلقتني من عدم، وأنشأتني بالتقدير من حضرة القدم. وقوله (إذ): هي للتعليل، قال ابن هشام في المغني: «من وجوه إذْ: أن تكون للتعليل، نحو قوله تعالى: ﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ ﴾ [٤٣/ الزخرف/ ٣٩] أي: ولن ينفعكم اليوم اشتراككم في العذاب لأجل ظلمكم في الدنيا، وهل هذه حرف بمنزلة لام العلّة، أو ظرف. والتعليل مستفاد من قوّة الكلام، لا من قوّة

اللفظ؛ فإنّه إذا قيل ضربته إذْ أساء وأريد الوقت اقتضى في الحال أنّ الإساءة سبب الضرب قولان». وقوله (لم أكن): أي أوجد لولاكا بألف الإطلاق، ومعلوم أنّه لولا الوجود الحقّ كما ظهر شيء بالوجود، ولا تحقّق مشهود بالشاهد والشهود.

٦- فَكَفَانِي عِزّاً بِحُبِّكَ ذُلِّي   وَخُضُوعِي وَلَسْتُ مِنْ أَكْفَاكَا

(فكفاني): الفاء للتفريع، وكفاني فعل ماض، والنون لوقاية الفعل عن الكسر، وياء المتكلّم مفعول به، كَفَى الشيءُ يكفي كِفاية، فهو كافٍ: إذا حَصَل به الاستغناء عن غيره. واكْتَفَيْتُ بالشيء: استغنيتُ به، أو قَنِعتُ به، كذا في المصباح. وجملة كفاني خبر مقدم. وقوله (عزّاً): منصوب على التمييز، والعزّ ضدّ الذل. وأصله: القوّة، قال في المصباح: «عَزَّ الرجلُ عِزّاً بالكسر، وعَزَازَاً بالفتح: قويَ، وعَزَّ يَعَزُّ من باب تعب، لغةٌ، فهوعزيز، والاسم: العزّة». وقوله (بِحُبِّكَ): متعلّق بذلّي، أي: ذَلِّي بسبب محبّتي لك، إنْ قرأته بفتح الذال المعجمة مصدر ذَلَّ يَذِلّ ذَلّا، وإنْ قرأته بالضمّ، اسم مصدر؛ فالجار والمجرور: حال منه كحال كون ذُلِّي حاصلاً بسبب المحبّة لك، والخطاب للمحبوب الحقيقيّ. وقوله (ذُلّي): مبتدأ مؤخّر، قال في المصباح: «ذَلّ ذَلّا من باب ضرب، والاسم الذُلّ بالضمّ، والذِلّة بالكسر، والمَذَلَّة: إذا ضَعُفَ وهَان، فهو ذليل». وقوله (وخضوعي): عطف على ذلّي، خَضَعَ له يَخْضَع خُضُوعاً: ذَلّ واستكان، فهو خاضع. والخُضُوع قريب من الخشوع، إلّا أنّ الخشوع أكثر ما يُستعمل في الصوت والبصر، والخضوع في الأعناق، كذا في المصباح. وقوله (ولست من أكفاكا): بألف الإطلاق، جمع كفو، وأصله بالهمز، قال في المصباح: «كُلّ شيء ساوى شيئاً حتّى صار مثلَه، فهو مُكَافِئ له. والكَفِيء، بالهمزة على فُعُول، والكُفْء: مثل قُفْل، كُلُّها بمعنى المُمَاثِل في الحسب ونحوه». وقال في القاموس: «كَافَأَه مَكَافَأَة وكِفَاء: ماثلة، وهذا كُفُؤُه، مثلث: مثله، وجمعه: أَكْفَاء وكِفَاء». والمعنى: إنني لست مماثلاً لك، ولا من أمثالك المفروضة المقدّرة عقلاً على فرض تصوّرها في العقل، فضلاً عن أنْ أكون

ماثلاً لك في الوجود، أولست قادراً على مكافأتك في مقابلة إحسانك إليّ، وإنعامك عليّ؛ فشكري لا يفي بأدنى فضل من ذلك، كيف وهو من جملة إنعامك عليّ خصوصاً، وذلّي وخضوعي بسبب محبّتي لك معزّة لي، وجاهٌ في الدنيا والآخرة، وحسبي بذلك فخراً، ووجاهة، وذخراً.

٧- وإِذَا مَـا إِلَيْـكَ بِالوَصْـلِ عَـزَّتْ نِـسْبَتِي عِـزَّةً وَصَـحَّ وَلَاكَـا

٨- فَاتِّهَـامِي بِالحُـبِّ حَـسْبِي وَأَنِّي بَـيْنَ قَـوْمِي أُعَـدُّ مِـنْ قَتْلَاكَـا

(وإذا ما): إذا اسم شرط. وما زائدة. وقوله (إليك): متعلّق بنسبتي، قُدِّم عليه للحصر، أي: لا إلى غيرك، والخطاب للمحبوب الحقيقيّ. وقوله (بالوصل): أي بوصلك، متعلّق بنسبتي أيضاً. يعني: بأنّك واصلتني، أو تواصلني. وقوله (عزّتِ): أي امتنعت. قال في المصباح: «عَزَّ الشيء يَعِزُّ، من باب ضرب: لم يقدر عليه». وقوله (نسبتي): فاعل عزّتِ، يقال نَسَبَه يَنْسِبُه/ [٤٠٤/ أ] نِسَباً ونِسْبَة: ذَكَرَ نَسَبَه، كما في القاموس. ونَسَبْتُهُ إلى أَبِيْه نَسَباً، من باب قتل: عَزَوْتُهُ إليه، وانْتَسَب هو إليه: اعْتَزَى، والاسم: النِسْبَة، بالكسر. فَتُجْمَع على نِسَب، مثل: سِدْرَة وسِدَر، وقد تُضَمّ فتُجمع، مثل: غُرْفَة وغُرَف، قال ابن السكّيت: وتكون من قِبَل الأب ومن قِبَل الأمّ. ويُقال: نَسَبَه في تميم، أي: هو منهم. وينسب إلى ما يُوضِّح ويُمَيِّز من: أبٍ، وأم، وحيّ، وقبيلة، وبلد، وصناعة، وغير ذلك، ذكره في المصباح. وقوله (عِزّة): مفعول من أجله، من عَزَّ الشيءُ: امتنع فلم يقدر أحد عليه، والاسم : العِزَّة، والعِزّ بالكسر فيهما فهو عَزٌّ، بالفتح، ذكره في المصباح، قال: ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [٣٧/ الصافات١٨٠] قال البيضاويّ: «إضافة الربّ إلى العزّة لاختصاصها به تعالى؛ إذ لا عزّة إلّا له، أو لمن أعزّه. وقد أدرج فيه جملة صفاته السلبيّة والثبوتيّة مع الإشعار بالتوحيد». وقوله (وصحّ): أي ثبت وتقرّر. وقوله (ولاكا): بألف الإطلاق: الوَلاء بفتح الواو. وقال في المصباح: «وَلِيتُ على الصَبِيِّ والمرأة؛ فالصبيّ والمرأة: مُولى عليه، والأصل على

مفعول، والفاعل: والٍ. والجمع: وُلاة. ويقال أيضاً: وَلِيَ فعيل بمعنى فاعل، ومنه: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [٢/ البقرة/ ٢٥٧] أي: مدبِّرهم وقائم بهم، وكلّ من قام بشيء، أو وَلِيَ أمرَ أحد فهو وَلِيُّهُ، والجمع أولياء. كذا هنا أي: صحّ لي وثبت أنّك متولٍّ جميع أموري على كشف منّي، وشهود، ومعانيه، بحيث لم يبق لنفسي ولأية أمر من أموري مطلقاً. وقوله (فاتّهامي): الفاء في جواب الشرط، والاتّهام مصدر اتَّهَمَه بكذا اتّهاماً، واتَّهَمَه كافْتَعَله وأَوْهَمَه: أَدْخَل عليه التُّهْمَة كهُمَزَة، أي: ما يُتَّهَم عليه؛ فاتُّهم هو، فهو مُتَّهم وتَهِم، كذا في القاموس. وقال في المصباح: «اتَّهَمْتُهُ بكذا: ظَنَنتُه به، فهو تَهِيم، واتَّهَمْتُه في قوله: شَكَكْتُ في صدقه، والاسم: التُّهْمَة، وِزان رُطَبَة، والسكون لغة، حكاها الفارابي. وأصل التاء واو». وقوله (بالحبّ): أي المحبّة للمحبوب الحقيقيّ، وقوله (حسبي): أي يكفيني، قال في المصباح: «يقال حَسْبُك دِرهمٌ، أي: كافيك، وأحسَبَني الشيء بالألف: كَفَاني قال بعضهم:

مُنىً إنْ تكن حقّاً تكن أحسن المنى وإلّا فقد عشنا بها زمناً رغداً

وقوله (وإنّي): معطوف على اتّهامي: أي وحسبي أيضاً أنّي. وقوله (بين قومي): أي عشيرتي وأصحابي، قال في المصباح: «القوم: جماعةُ الرجال، ليس فيهم امرأة، الواحد: رجل، وامرؤ من غير لفظه، والجمع: أقوام، سُمُّوا بذلك لقيامهم بالعظائم والمُهِمّات، قال الصاغانيّ: وربّما دخل النساء تَبَعاً؛ لأنَّ قوم كلّ نبيٍّ رجال ونساء. ويُذَكَّر القوم ويؤنّث، فيقال: قام القوم، وقامتِ القوم، وكذلك كلّ اسم جَمْع لا واحد له من لفظه نحو: رَهْط ونَفَر. وقوم الرجل: أقرباؤه الذين يجتمعون معه في جَدٍّ واحد، وقد يُقيم الإنسان بين الأجانب فيسمِّيهم قومه مجازاً للمجاورة. وفي التنزيل: ﴿يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [٣٦/ يس/ ٢٠] قيل: كان مقيماً بينهم، ولم يكن منهم. وقيل: كانوا قومه. وقوله (أُعَدُّ): بالبناء للمفعول، يقال: عَدَدتُه عَدّاً، من باب قتل، وعددت الشيء، أي: أدخلته في العَدِّ والحِساب.

وقوله (من قتلاكا): بألف الإطلاق، والقتلى: جمع قتيل من قَتَلَه قَتْلاً: أزْهَقَتُ روحه، فهو قَتِيل، والمرأة قتيل أيضاً إذا كانت وصفاً، فإذا حُذِفَ الموصوف، جُعل اسماً، ودخلت الهاء، نحو: رأيتُ قَتيلَة بني فلان، والجمع فيهما: قَتْلَى، كذا في المصباح. والمعنى: يعذُّني العاذُّون من جملة مَنْ قتلته بمحبّتك وعشقك، أي: سلبت منه وصف الحياة بظهور وصف حياتك له، متصرّفة فيه ببقية أسمائك الحسنى، وصفاتك العليا، فكنت الحيّ وحدك، وكلّ من سواك ميت.

٩- لَـكَ فِي الحَـيِّ هَالِـكٌ بِـكَ حَـيٌّ فِي سَـبِيلِ الهَـوَى اسْـتَلَذَّ الهَلَاكَـا

١٠- عَبْـدُ رِقٍّ مَـا رَقَّ يَوْمَـاً لِعَتْـقٍ لَـوْ تَخَلَّيْـتَ عَنْـهُ مَـا خَلَّاكَـا/ [٤٠٤/ب]

(لك): خطاب للمحبوب الحقيقيّ. وقوله (في الحَيِّ): هو القبيلة من العرب، والجمع: أحياء، كذا في المصباح. والجار والمجرور في محل نصب على أنّه حال من قوله هالك؛ فإنّ نعت النكرة إذا تقدّم عليها أعرب حالاً منها. والنكرة هنا مبتدأ مؤخر، وخبره المقدّم لك. وهالك أي: ميت، نعت لمحذوف، تقديره: إنسان هالك في محبَّتك. وتنكيره للتعظيم بانتسابه إلى محبَّتك، يعني به نفسه على طريق التجريد البيانيّ نحو قولك: رأيت من زيد أسداً. وقوله (بك): أي بسبب محبّته لك. والخطاب للمحبوب الحقيقيّ، والجار والمجرور خبر مقدّم للحصر، أي: ليس حيّاً بسبب غيرك. وقوله (حَيٌّ): مبتدأ مؤخّر، أي: ذوحياة إلاهيّة ربّانية مع أنّه هالك ميت من جهة نفسه. وقوله (في سبيل): أي طريق. وقوله (الهوى): أي المحبّة الإلهيّة، والجار والمجرور متعلّق بالهلاك؛ لأنّه مصدر، أو بـ استلذّ، وقدّم على متعلّقه لإفادة الحصر. وقوله (استلذّ): أي: أعدّه لذيذاً، قال في المصباح: لَذَّ الشيءُ يَلَذُّ، من باب تعب، لَذاذاً ولَذاذة، بالفتح صار شهيّاً، والْتَذَذْتُ به وتَلَذَّذْتُ بمعنى. واسْتَلْذَذْتُهُ: عَدَدْتُهَ لَذِيذاً». وقوله (الهلاكا): بألف الإطلاق، أي: الهلاك الذي وجده ذلك الهالك في المحبّة الإلهيّة. وقوله (عبدُ رقٍ): خبر مبتدأ محذوف،

تقديره هوعبد رِقٍّ، والرِق بالكسر العبوديّة، وهو مصدر رَقّ الشخص يَرِقُّ، من باب ضرب، فهو رقيق، كذا في المصباح. والمعنى: إنّ ذلك الهالك الذي استلذّ الهلاك عبد رقيق لك، ما فيه شائبة حرية، ولا ملك لغيرك. وقوله (ما رَقَّ): ما نافية، ورقّ فعل ماض، أي: مال قلبه، يقال ترقّق: رقّ له قلبه، والرِّقّة بالكسر: الرحمة، رَقَقْتُ له أَرِقُّ، ذكره في القاموس. وقوله (يوماً): منصوب على الظرفية، واليوم: من طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس. والعرب قد تطلق اليوم وتريد الوقت والحين، نهاراً كان أو ليلاً، فتقول: ذَخَرْتُك لهذا اليوم، أي: لهذا الوقت الذي افتَقَرتُ فيه إليك، كذا في المصباح. وقوله (لِعَتْقٍ): متعلِّق برَقَّ. يعني: ما مال قلبه أصلاً في وقت من الأوقات إلى الخروج عن ملكك، وعن تصرُّفك فيه بما تشاء فيه وتريد. وقوله (لو تخلّيت عنه): بفتح تاء الخطاب مخاطبة للمحبوب الحقيقيّ، يقال: خَالَيتُ الرجلَ: تَاركْتُه، وتَخَلَّيْتُ: تَفَرَّغْتُ، وخَلِّيتُ عنه وخَلَّيْتُ سبيله فهو مُخَلّى عنه، كذا في الصحاح. وقوله (ما خلاكا): بألف الإطلاق وتشديد اللام، أي: ما تركك وأعرض عنكَ وإنْ تركته أنت، وأعرضت عنه.

١١- بِجَــــمَالٍ حَجَبْتَــــهُ بِجَــــلَالٍ هَــامَ وَاسْــتَعْذَبَ العَــذَابَ هُنَاكَــا

(بجمال): متعلّق بهام قُدِّم لإفادة الحصر، والجمال هنا هو جمال الأسماء والصفات الإلهيّة كما يقال: أسماء الله الحسنى، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [٧/ الأعراف/ ١٨٠]. وقوله (حَجَبْتَهُ): أي حجبت ذلك الجمال عن مشاعر العباد، فقصرت مداركهم عن مشاهدة شيء من ذلك غير لمحات برقية على صفحات كونيّة فتنتْ الخلائق، وأوجبت العلائق، وحقّقت بها الحقائق، وقال العفيف التلمسانيّ قدّس الله سرّه:

يــا بــديع الجــمال فــاز محبّ بلذيــذ الوصــال فيــك تهنّــا
كيـف يرجـو البقـاء وهـو مـع الهجـ ـــر قتيــل وعنــد رؤيــاك يحيــا

وقوله (**بجلال**): متعلّق بحَجَبَتْهُ، والجلال: الهيبة والعظمة؛ فإنّه هو الحاجب للجمال رحمة بالعباد أنْ يدركهم الاضمحلال، قال القائل:

ولـــو أنّي ظهـــرت بـــلا حجـــاب   لتيّمـــت الخلائـــق أجمعينـــا
ولكـــن في الحجـــاب لطيـــف معنـــى   بـــه تحيـــا قلـــوب العاشـــقينا

وقوله (**هام**): أي ذلك المشار إليه بعبد رِقٍّ في البيت قبله. هَامَ يَهِيْمُ هَيْماً وَهَيَمَاناً: أَحَبَّ امرأة، والهُيَّام: العشّاق المُوَسْوَسُون. والهُيَام بالضمّ كالجُنُون من العِشقِ، كذا في القاموس. (**استعذب العذاب**): أي وجده عذباً، قال في القاموس: استعذب: استقى عَذْباً / [٤٠٥/ أ] والعَذْبُ من الطعام والشراب كلّ مستساغ. (والعَذَاب): النكال، وقد عَذَّبَهُ تَعْذِيباً، وقال في المصباح: «عَذُبَ الماءُ، بالضمّ، عُذُوبَة: سَاغ مَشْرَبُه، فهو عَذْب. واسْتَعْذَبْتُهُ: رأيته عَذْباً، وعَذَّبْتُهُ تَعْذِيْباً: عاقبته، والاسم: العَذَاب، وأصله في كلام العرب: الضرب، ثمّ استُعمِل في كلّ عقوبة مؤلمة، واستُعير للأمور الشاقّة، فقيل: «السفر قطعة من العذاب»[1]»، وللشيخ الأكبر قدّس الله سرّه من أبيات الفصوص:

يـــسمّى عـــذاباً مـــن عذوبـــة طعمـــه   وذاك لـــه كالقـــشر والقـــشر صـــائن

واشتقاق العذاب من العُذُوبَة، بمعنى اللذَّة في الإدراك؛ إنّما هو مخصوص بأهل المحبّة الإلهيّة، ولا تحصل المحبّة الإلهيّة إلّا بعد فناء المحبّ بمحبوبه بالكلِّيّة، فعند ذلك يدرك المحبّ تلك اللذّة في تعذيب محبوبه له، إدراكاً ذوقيّاً لا يعرفه إلّا المحبّ العاشق. وإلى ذلك يشير بقوله (**هناكا**) بألف الإطلاق، أي: حيث ملاحظة الجمال الإلهيّ المحتجب بالجلال، والهيبة الإلهيّة، وأمّا ملاحظة الجمال الظاهر في صور الأكوان، كجمال الدنيا وما فيها من مأكل، ومشرب، ومنكح، ومركب، وجاه، ومنصب، وأملاك، وأموال، وأولاد، وغير ذلك. فإنّ ذلك كلّه

---

(١) حديث رواه البخاري في كتاب الحج، باب السفر قطعة: ١٧٠٠، ومسلم في كتاب الإمارة باب السفر قطعة: ١٩٢٧، وابن ماجه في المناسك، باب الخروج إلى الحج: ٢٨٨٢.

هو الجمال الإلهيّ أيضاً؛ إذ لا جمال سوى جماله تعالى؛ لأنّ كلّ شيء فعله تعالى، وجماله ظاهر بفعله، ولكنّه مستور عن المحبِّين بالحجب الظلمانيّة الكونيّة، الفانية المضمحلّة، وهي الأشياء الهالكة، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [٢٨/ القصص/ ٨٨] فإنّ وجهه تعالى الجميل هو الباقي، وهو الجامع للجمال كلّه. والمحبّون افتتنوا بآثار ذلك الجمال، وخرجوا بسببه عن دينهم الحقّ، وغيّروا فطرتهم التي فطروا عليها، قال تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [٣٠/ الروم/ ٣٠] وقال صلّى الله عليه وسلّم: «كلّ مولود يولد على فطرة الإسلام»[(١)] الحديث. وسبب دخول النار في يوم القيامة؛ إنّما هو افتتانهم بالجمال الإلهيّ، كما ذكرنا. فإذا انكشف الحجاب، وتحقّقوا بما فيه من المحبّة الإلهيّة الملتبسة عليهم من عمى بصائرهم وأبصارهم عن الحقّ تعالى عرفوا ما يعرفه العارفون اليوم، قال تعالى في حقّ الكافر: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ۝١٩ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ۝٢٠ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ۝٢١ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [٥٠/ ق/ ١٨-٢٢]. وأمّا قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [٨٣/ المطففين/ ١٥]؛ فإنّ ذلك في أوّل أحوالهم، فإذا استوفى يوم القيامة، وظهر يوم الخلود، واستقرّ كلّ يوم فريق في مقرّه حصل الذوق والوجدان، وانكشفت أغطية الأكوان؛ فتلذّذ كلّ قلب بتجلّي وجه الرحمن، وسبقت الرحمة الغضب، ولا يتغيَّرشيء في الظاهر، ويبقى العذاب كالخضاب في المعصم الذي اختضب. ولأبي يزيد البسطامي قدّس الله سرّه في هذا المقام العشقيّ قوله:

أحبّك لا أحبّك للثواب ... ولكنّي أحبّك للعقاب
وكلّ مآربي قد نلت منها ... سوى ملذوذ وجدي بالعذاب

ولنا من هذا القبيل قولنا:

---

(١) انظر تخريجه ص٨٢٠.

لـــذّة العـــشق تجعـــل المـــرّ حلـــواً	حيث فيـه انقـلاب عـين الحقائق
فـــترى العاشـــق الـــذي هـــو فـــانٍ	في هـوى مـن يحبّ نـافي العلائـق
نفـــسه عـــين نفـــس مـــن يهـــوى	ويـرى مـا يـراه مـن كـلّ لائـق
فـــإذا مـــا رأى الحبيـــب عـــذاباً	كـان حلـواً عنـد المحبِّـين رائـق
يـــستلذّون بالعـــذاب وهـــذا	لـيس يدريـه غـير أهـل الرقـائق

١٢ - وَإِذَا مَـا أَمْـنُ الرَّجَـا مِنْـهُ أَدْنَـا   كَ فَعَنْـهُ خَـوْفُ الحَجَـا أَقْـصَاكَا

(وإذا ما): إذا شرطيّة لما يستقبل وما زائدة، وقوله (أَمْنُ) : مبتدأ، وهو ضدّ بالقصر لأجل الوزن، قال في المصباح: «رَجَوْتُه أَرْجُوهَ رُجُوّاً، على فُعُول: أَمَّلْتُه. والاسم: الرَّجَاء، بالمدّ، ورَجَيْتُه أَرْجِيْه من باب: رمى، لغة». وقوله (منه): أي من عبد رقٍّ تقدّم ذكره، متعلّق بأدناك، والخطاب للمحبوب الحقيقيّ، وقوله (أدناك): خبراً المبتدأ، أي قرّبك، وكُشف الرجاء له، إنّك قريب منه قال تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [٥٠/ الواقعة/ ١٦] وقال تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ [٥٦/ الواقعة/ ٨٥] وقوله (فعنه): الفاء في جواب الشرط، والضمير إلى عبد رقّ، تقدّم ذكره. والجار والمجرور متعلّق بأقصاك. وقوله (خوف الحجا): مبتدأ، والحجا بالكسر والقصر: العقل، وقيل: الحجا وزان العصا يعني بالفتح: الحجاب والستر، كذا في المصباح. والمعنى: خوفه من العقل؛ لأنّه لا يعلم الشيء إلا مصوَّراً مكفيّاً بصورة وكيفيّة، والحقّ تعالى لا يقبل التصوير والتكييف، فيخطئ العاقل ففي استحضاره، قال الشيخ أرسلان الدمشقيّ قدّس الله سرّه في رسالته: «الناس تائهون عن الحقّ بالعقل». ومعنى خوفه من ذلك أنّه لا يفي بالمعرفة الإلهيّة؛ وإنّما الذي يفي بذلك الإيمان بالغيب. والإسلام له علو ما هو عليه تعالى، قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [٢/ البقرة/ ٣] قال القرطبيّ في تفسيره: «الغيب هو الله تعالى، أو معنى الحجا بالفتح: الحجاب والستر؛ فهو يخاف من حصول

الحجاب والستر عنه تعالى». وقوله (أقصاكا): أي أبعدك عنه، قال في المصباح: «قَصَا المكان قُصُوّاً، من باب قعد: بَعُدَ، فهو قاصٍ، وقَصَوْتُ عن القوم: بَعُدتُ، وأَقْصَيْتُهُ: أَبْعَدْتُهُ». فهو إذا حصل له أمن الرجاء أدناك منه؛ فشهدك في كلّ شيء، منزّهاً لك عن كلّ شيء؛ لأنّ كلّ شيء هالك إلّا وجهك الكريم. وإذا حصل عنده الخوف من عقله أنّ يشبّهك، أو يصوّرك، أو يكفيك، أو خاف من حصول الحجاب والستر لعين بصره أو بصيرته أبعدك عنه، ونزّهك، وقدّسك؛ فهو متقلّب بين هذين الحالين، منتقل من الرجاء إلى الخوف، ومن الخوف إلى الرجا حتّى تقرّ العين منه بالعين، وتنمحي نقطة الغين، ويرتفع البين من البين[1].

١٣- فَبِإقْـدَامِ رَغْبَـةٍ حَـيْنَ يَغْـشَا ... كَ بِإحْجَـامِ رَهْبَـةٍ يَخْـشَاكَا

١٤- ذَابَ قَلْبِـي فَـأْذَنْ لَـهُ يَتَمَنَّـا ... كَ وَفِيـهِ بَقِيَّـةٌ لِرَجَاكَـا

١٥- أَوْ مُرِ الغُمْضَ أَنْ يَمُرَّ بِجَفْنِي ... فَكَـأَنِّي بِـهِ مُطِيعَـاً عَـصَاكَا

١٦- فَعَسَى فِي المَنَامِ يَعْرِضُ لِي الوَهْـ ... ـمُ فَيُـوحِي سِرَّاً إِلَيَّ سُرَاكَـا

(فبإقدام): الفاء للتفريع على ما قبله، والباء للقسم. والإقدام بكسر الهمزة مصدر أقدم بالألف، يقال: أَقدم على العيب إقداما: كناية عن الرضا به، وأقدمّ على قِرْنه بالألف: اجْتَرأ عليه، كذا في المصباح. وقال في الصحاح: «أقدم: على الأمر إقداماً، والإقدام: الشجاعة». وقوله (رغبة): مصدر رَغِب فيه كسَمِع رغباً، ويُضَمُّ، رَغَبَةً: أراده، كذا في القاموس. يعني: يقسم عليك عبد رقٍ، تقدّم ذكره، بحقّ إقدامه عليك رغبة منه فيك، محبّة لك. وقوله: عين (يغشاك): أي يأتيك للزيارة، قال في المصباح: «غَشِيتُهُ أَغْشاه: أَتَيْتُهُ، والاسم: الغِشْيان بالكسر. والمعنى: في ذلك حين يغشاك، أي: يزورك بمفارقة نفسه، وفنائها في وجودك الحقّ، والخطاب للمحبوب الحقيقيّ. وقوله (بإحجام): الباء للقسم، والإحجام

---

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: «بلغ مقابلة وقراءة على خط شيخنا المؤلّف قدّس الله سرّه».

مصدر أحجمت عن الأمر، بالألف: تأخّرت عنه، قال أبو زيد: أحجمت عن القوم: إذا أردتهم، ثمّ هبتهم؛ فرجعت وتركتهم، كذا في المصباح. وقوله (رهبة): رَهِبَ رَهَباً، من باب تَعِب: خاف، والاسم: الرَّهْبَة، كما في المصباح. والمعنى: يقسم عليك أيضا بامتناعه عن شهودك، خوفاً منك، واحتراماً لجنابك، وتنزيهاً لك، عن قيود المظاهر، وحدود المجالي. وقوله (يخشاكا): بألف الإطلاق، خَشِيَ خَشْيَة: خاف، فهو خَشْيان، كذا في المصباح، وقال الراغب: «الخشية خوف يشوبه تعظيم وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه ، ولذلك خصّ العلماء بها في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [٣٥/ فاطر/ ٢٨]/ [٤٠٦/ أ] وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ﴾ [٨٠/ عبس/ ٩] وقال تعالى: ﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ [٥٠/ ق/ ٣٩] وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [٣٣/ الأحزاب/ ٣٩] وقوله (ذاب قلبي): ذَابَ الشيءُ يَذُوب ذَوْباً وذَوَبَاناً: سال فهو ذائِب، وهو خلاف الجامد، كذا في المصباح. والقلب كناية عمّا يُنفخ فيه من الروح. والروح من أمر الله ، وأمر الله كلمح بالبصر، فالقلب كلمح بالبصر، وهو معنى السيلان والذَّوَبان هنا. والمراد: أنه كشف له عن ذلك فاطّلع عليه، لا إنّه شيء مبتدأ. وقوله (فَأْذَنْ): له جواب القسم المقدّر، ائذن: فعل أمر من أذنت له في كذا أطلقت له فعله. والاسم: الإذن، ويكون الأمر إذناً. وكذا الإرادة، نحو بإذن الله ، واستأذنته في كذا: طلبتُ إذْنَهُ فأَذِنَ لي فيه: أطلق لي فعله، كذا في المصباح. والضمير لقلبي، أي: ائذن لقلبي الذائب السائل بأمرك الحقّ. وقوله (يتمنّاك): يتمنّى فعل مضارع، من مَنَى الله الشيء، من باب رَمَى، والاسم: المَنَا، مثل: العصا، وتَمَنَّيْتُ كذا، قيل: مأخوذ من المَنَا، وهو القَدر؛ لأنّ صاحبه يُقَدِّر حصولَه، كما في المصباح. وقوله (وفيه): أي قلبي، والواو للحال، والجملة حال من قلبي. وقوله (بقية): أي شيء قليل. وقوله (لمن جاكا): بألف الإطلاق، أي: منسوبة تلك البقيّة لرجائي فيك، والخطاب للمحبوب الحقيقيّ. يعني:إنّ رجاءه لملاقاته ومشاهدته قلّ من كمال

معرفته به، فطلب منه الإذن بتمنّي ذلك ليسكن بعض ما به من لواعج أنغام وزواعج الأُوَام[1]؛ فلو ذهبت تلك البَقِيَّة منه لحَصَل اليأس وانهدّ ركن الرجاء من الأساس، وذهب العبد الموهوم، وبطل الكلام المفهوم، بظهور تجلّي القيّوم. وقوله (أَوْ مُرِ): بضمّ الميم: فعل أمر. وقوله (الغُمْضَ): مفعول مُرْ، قال الراغب: «الغُمْض: النوم العارض، تقول: ما ذُقتُ غَمْضاً ولا غِماضاً». وقوله (أنْ يمرّ بِجَفْنِي): قال في القاموس: «مَرَّ مَرّاً ومُرُوراً: جاز وذهب» وجعل مطلوبه مطلق المرور، تنزّلاً لأدنى ما يكون من النوم. وقوله (فكأنّي به): أي بالغُمض الذي هو النوم حيث أمرته بالمرور بجفني، والفاء للتفريع، وكأنّ بفتح الهمزة وتشديد النون وياء المتكلِّم كافّة لكأنّ عن العمل، قال ابن هشام في المغني: «وقال ابن عصفور: الكاف والياء في كأنّك وكأنّي كافّتان [زائدتان] لكأنّ عن العمل كما تكفّها ما، والباء زائدة في المبتدأ، وقال ابن عمرون: المتّصل بكأنّ اسمها، والظرف خبرها، والجملة بعده حال، بدليل قولهم: كأنّك بالشمس وقد طلعت بالواو، ورواية بعضهم: كأنّك بالدنيا ولم تكن بالآخرة، ولم تزل بالواو، وهذا الحال متمم لمعنى الكلام كالحال في قوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ [٧٤/ المدّثر/ ٤٩] وقوله (مطيعاً): بالنصب، حال من ضمير به، وعلى زعم بعضهم: إنّ كأنّ تنصب الجزأين فيقول: كأنّ زيداً أسداً بالنصب، وأنشدوا:

كأنّ أذنيه إذا تشوفا قادمة أو قَلَماً مُحَرَّفاً

نقله ابن هشام في المغني، فيكون مطيعاً منصوباً على أنّه خبر كأنّ. والمعنى: إنّ الغُمض مطيع لك إذا أمرته بأي أمر كان. وقوله (عصاكا): بألف الإطلاق، وعصيانه من جهة الجفن الذي لا يقبل النوم لما فيه من قوّة حرارة المحبّة، بحيث أنّ حرارة العشق استولت على قلبه، واتّصلت بجفون عينيه، فلم يبقَ في عيونه رطوبة يمكن أن يمرّ النوم عليه بسببها، فإذا أمرته ـ وهو مطيع لك لا يخالف

(١) الأُوام: شدة العطش وحرارته.

أمرك أصلاً، ولكنّه لا يمكن مروره لامتناع ذلك عليه، ولا يقدر على امتثال أمرك، فيظهر عليه أنّه عصاك، كما قال تعالى للملائكة: ﴿أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٣١ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآ﴾ [٢/ البقرة/ ٣٢] الآية فظهرت عليهم صورة العصيان لعدم علمهم بالأسماء التي علّمها لآدم عليه السلام ـ فيكون أمر تعجيز، لا أمر/ [٤٠٦/ ب] تكليف، حيث لا يمكن امتثاله. وقوله (فعسى): الفاء للتفريع، وعسى فعل ماض جامد غير متصرّف، وهو من أفعال المقاربة، وفيه ترجٍ وطمع. وقوله (في المنام): متعلّق بيعرض. وقوله (يعرض لي الوهم): فاعل يعرض، قال في المصباح: «عَرَض له أمرٌ: إذا ظهر. ووَهَمتُ إلى الأشياء وَهْماً، من باب وعد: سَبَق القلبُ إليه مع إرادة غيره، ووَهَمْتُ وَهْماً: وقع في خَلَدي، والجمع: أوهام، وشيء موهوم». وقوله (فيوحي): الفاء لعطف يوحي عليّ: يعرض لإفادة التعقيب والفور. يوحي فعل مضارع من الوحيّ، وهو الإشارة، والرسالة، والكتابة، وكلّ ما ألقيته إلى غيرك ليعلمه وحي، كيف كان. وهو مصدر وَحَى إليه يَحِي، من باب وَعَدَ، وأوحَيْت إليه بالألف مثله، ذكره في المصباح. وقوله (سرّاً): منصوب على الظرفيّة، والسرّ خلاف الإعلان. (إليّ): بتشديد الياء، جار ومجرور متعلّق بيوحي. وقوله (سراكا): بألف الإطلاق، مفعول يوحي. والسُّرى بضمّ السين المهملة، جمع سُرْية قال في المصباح: «سَرَيْتُ الليل وسَرَيتُ به سَرْياً: إذا قطعته بالسير، وأَسْرَيْتُ بالألف: لغة حجازيّة. والسُّرْيَة، بضمّ السين، وفتحها أخص، يقال: سَرَيْنَا سُرْيَة من الليل، وسَرْيَة، والجمع: السُرَى، مثل: مُدْيَة ومُدَى. قال أبوزيد: ويكون السُرَى أوّل الليل، وأوسطه، وآخره». والمعنى: لعلّ يعرض لي الوهم في المنام الذي هو الحياة الدنيا، كما قال صلّى الله عليه وسلّم: «الناس نيام، فإذا ماتوا انتبهوا»[1] وقال تعالى بطريق الإشارة: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [٢٢/ الروم/ ٢٣]. وقال تعالى:

(١) انظر تخريجه ص٢٨٦ وهو من كلام علي رضي الله عنه.

﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ ﴾ [٥٧/ الحديد/ ٢٠] الآية. فيوحي ذلك الوهم خفية سيرك إليّ في ليل الأكوان فانظر إلى طيفك الذي هو صور الأشياء من جميع الأعيان.

١٧- وَإِذَا لَمْ تُـنْعِشْ بِـرَوْحِ التَمَنِّـي رَمَقِـي وَاقْتَـضَى فَنَـائي بَقَاكَـا

١٨- وَحَمَـتْ سُنَّةُ الهَـوَى سِنَةَ الغُمْـ ـضِ جُفُـونِي وَحَرَّمَـتْ لُقْيَاكَـا

١٩- أَبْـقِ لِي مُقْلَـةً لَعَـلِّيَ يَوْمَـاً قَبْـلَ مَـوْتِي أَرَى بِهَـا مَـنْ رَآكَـا

(وإذا لم تُنْعِشْ): من انْتَعَشَ العَاثِر: نَهَضَ من عَثْرَتِه، ونَعَشَه الله وأَنْعَشَه: أقامه، كذا في المصباح. وقال في القاموس: «نَعَشَه الله كمَنَعَه: رفعه، كأَنْعَشَهُ، ونَعَش فلاناً: جَبَرَهُ بعد فقر». وقوله (بروح التمنّي): أي تمنّي لقائك الذي طلبته منك، وعندي بقيّة رجاء في حصوله، إشارة بلام العهد الذكري إلى ما سبق من قوله (ذاب قلبي): البيت. وقوله (رَمَقِي): مفعول تنعش، والرَّمَق بفتحتين: بقيّة الروح، كذا في المصباح. وقوله (واقتضى فنائي): أي ذهابي بالكلّيّة، واضمحلال ذاتي وصفاتي في ظهور الوجود الحقّ، قال تعالى: ﴿ وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨١] والباطل كلّ ما سوى الحقّ تعالى، كما قال صلّى الله عليه وسلّم: «أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد: ألا كلّ شيء ما خلا الله باطل»[١] أخرجه مسلم في صحيحه. وقوله (بقاكا): بألف الإطلاق، والخطاب للمحبوب الحقيقيّ، يقال: بَقِيَ الشيءُ يَبْقَى، من باب تعب، بَقَاء وباقِية: دامَ وثَبَت، كما في المصباح؛ فالفناء في الحقّ تعالى يقتضي ظهور بقائه، وانكشاف دوامه، وثبوته لعبده الفاني فيه دواماً وثبوتاً محقّقاً، ولا يلزم من الفناء الحاصل للعبد السالك أن يكون عدماً صرفاً؛ وإنّما يكون معدوماً مقدّراً بتقدير الله تعالى في الأزل، معلوماً بعلمه القديم مخصوصاً بتخصيص إرادته تعالى،

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب: الشعر، ٦٠٢٥.

ومشيئته القديمة. ولم يذهب عنه إلّا دعوى الوجود مع الحقّ تعالى؛ فإنّ الوجود الظاهر عليه وعلى جميع المخلوقات؛ إنّما هو الوجود الواحد الحقّ القديم الذي هو غير مركّب، ولا متبعّض، ولا متجزّئ، وليس بجسم، ولا عرض، ولا معنى، ولا مقدار له، ولا له كيف، ولا كم متّصل، ولا منفصل. لا يشبه شيئاً، ولا يشبهه شيء، ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير. ولا وجود غيره، ولا خير إلّا خيره. لا حلّ في شيء، ولا اتّحد بشيء. ولا شريك له، تنزّه عن الصاحبة والولد. ولم يكن له كفواً أحد. وقوله (وَحَمَتْ): يقال حَمَيْتُ المكانَ من الناس حَمْياً من باب رمى، وحِمْيَة بالكسر: منعته عنهم، والحِماية: اسم منه، كذا في المصباح. وقوله (سُنَّة): بتشديد النون فاعل حَمَتْ، والسُّنَّة: الطريقة/ [٤٠٧/ أ] والسيرة، حميدة كانت أو ذميمة، والجمع سُنَن، مثل: غرفة وغرف، كما في المصباح. وقوله (الهوى): أي المحبّة الإلهيّة، وطريقتها، وسيرتها كثرة الاشتياق، وعدم الالتفات إلى غير المحبوب، وتحمّل الأذى والصبر على البلاء، والصمم عن ملام العواذل، والإعراض عن النفس وشهواتها، وترك أغراضها وحظوظها. وقوله (سِنَة): بكسر السين المهملة وفتح النون مخفّفة، مفعول حَمَت، والسِنَة والوَسن: الغفلة، قال تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٥٥] ذكره الراغب، وقال في القاموس: «الوَسَن، محرّكة وبهاءٍ، والوَسَنَة والسِنَة: ثَقَلَة النوم، أو أوّله، أو النعاس. وقال في المصباح: «السِنة بالكسر: النعاس، وفاؤه محذوفة. وقوله (الغُمْض): أي النوم، قال في القاموس: ما اكتحلت غَماضاً، ويُكسر. وغُمْضاً وتَغْماضاً وتَغْميضاً بفتحهما: ما نِمتُ، وما اغتمضت عيناي، أي: «ما نامتا». وقوله (جفوني): مفعول ثانٍ لحمى، يُقال: حَمَى المريضَ ما يَضُرُّهُ: منعه إياه. كذا في القاموس. وقوله (وحرَّمتْ): سُنَّةُ الهوى عليه. وقوله (لقياكا): بألف الإطلاق: مفعول حرّمت، والخطاب للمحبوب الحقيقيّ، واللِقيا بكسر اللام وضمّها مصدر لَقِيَهُ كَرَضِيَهُ، وتلاقينا والتقينا، كذا في القاموس. وقال في

المصباح: «لَقِيتُهُ أَلْقَاه، من باب تعب، وكلّ شيء استقبل شيئاً أو صادَفَه فقد لَقِيَه». والمعنى: إنّ مقتضيات المحبّة والهوى توجب اشتغال القلب عن المحبوب؛ ولهذا عدّوا المحبّة حجاباً عن المحبوب كما ذكره الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه في كتاب «الحجب» له. وورد عن مجنون ليلى أنّها جاءته فقالت له: أنا ليلى. فقال لها: عنّي إليك؛ فإنّ حبّك شغلني عنك. وقوله (أبقِ): فعل أمر ودعاء، يخاطب به المحبوب الحقيقيّ، من البقاء، وهو الدوام والثبوت، قال في القاموس: «بَقِي يَبْقى بَقَاءً وبَقَى بَقْيَاً: ضدّ فَنِيَ، وأَبْقَاه وبَقَّاه». وقوله (لِي): متعلّق بأبقِ. وقوله (مُقْلَةً): مفعول أبقِ، والمُقْلَة وزان غرفة: شحمة العين التي تجمع سوادها وبياضها. ومَقَلْتُه: نَظرت إليه، كذا في المصباح. وقوله (لعلّي): كلمة ترجٍّ وطَمَعٍ وإشفاق. وقوله (يوماً): أي وقتاً من الأوقات. وقوله (قبل موتي): أي حياتي الدنيويّة، واضمحلالها بالكلّيّة، بحيث لا يبقى لي مقلة أرى بها، ولا دعوى حياة أدرك بسببها. وقوله (أرى بها): أي بتلك المقلة التي تبقيها ولا تفنيها. وقوله (من رآكا): بألف الإطلاق. وكاف الخطاب للمحبوب الحقيقيّ، والذي رآه تعالى هو نور محمّد صلّى الله عليه وسلّم الذي هو من نور الله ، وهو النور الذي هو أوّل مخلوق خلقه تعالى من نوره، وقد رأى ربّه تعالى في ليلة الإسراء حتّى قال تعالى: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴾ [٥٣/ النجم/ ٨-١٢] وقد خلق الله تعالى من نور محمّد صلّى الله عليه وسلّم جميع الأشياء. فمن رأى نور محمّد صلّى الله عليه وسلّم الذي هو مادّة الأكوان كلّها فقد رأى الحقّ تعالى؛ وإنّما يكون ذلك بمحو المغايرة بين المادة والمصنوع منها.

٢٠- أيـنَ مِنِّـي مَـا رُمْـتُ هَيْهَـاتِ بَـلْ أيـ ـنَ لِعَيْنِـي بِـالجُفْنِ[1] لَـثْمُ ثَرَاكَـا

(أين): خبر مقدّم، وهي ظرف مكان، يكون استفهاما؛ فإذا قيل: أين زيدٌ؟.

---

(١) في (ق): باللّحظ.

لزم الجواب بتعيين مكانه، ذكره في المصباح. وقال الراغب: «أين لفظٌ يبحث به عن المكان، كما أنّ متى يُبحث به عن الزمان». وقوله (منّي): متعلق بواجب الحذف، في محل نصب على أنّه حال من قوله (ما): وهي مبتدأ مؤخّر، أي: أمر عظيم موصوف بجملة قوله (رُمْتُ): والتقدير: أين أمر عظيم كائناً منّي هو مقصودي الذي ذكرته في البيت قبله أريد تعيين مكانه لعلّي أظفر به. وقوله (هيهات): معناها البعد. قوله (بل): حرف عطف، ولها معنيان: أحدهما إبطال الأوّل، وإثبات الثاني. وتسمّى حرف إضراب، نحو: أضربْ زيداً؛ بل عمراً وخُذْ ديناراً؛ بل درهماً. والثاني: الخروج من قصة إلى قصّة من غير إبطال وترادف الواو، كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ۝٢٠ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾ [٨٥/ البروج/ ٢٠-٢١] والتقدير هو قرآن مجيد، كذا/ [٤٠٧/ ب] في المصباح. وقوله (أين): خبر مقدّم أيضاً، وهي اسم استفهام للمكان الحاصل فيه ما يذكر من قوله (لعيني): أي الباصرة. وقوله (بالجفن): أي جفنها. وقوله (لَثْمُ): مبتدأ مؤخّر، لَثَمْتُ الفمَ لَثْماً، من باب ضرب: قَبَّلْتُهُ، ومن باب تعِب لغة، كما في المصباح. وقوله (ثَرَاكا): بألف الإطلاق. والثَّرَى بالثاء المثلّثة، وِزان الحصا نَدَى الأرض، وأَثْرَتِ الأرض، بالألف: كثر ثَراها، والثَرى أيضاً: الترابُ النَدِي، فإن لم يكن نَدِيّاً فهو تراب، ولا يقال حينئذ: ثرى، كذا في المصباح. وهو الحياة الأمريّة السارية في الأجسام العنصريّة، فهو من كثرة شوقه إلى لقاء المحبوب الحقيقيّ يتمنّى تقبيل سرّ الحياة الساري في الأجساد الإنسانيّة على وجه الكمال، ولو تقبيلاً حاصلاً بأجفان عينيه من غير مسّ بالفم.

٢١- فَبَشِيرِي لَوْ جَاءَ مِنْكَ بِعَطْفٍ   وَوُجُودِي فِي قَبْضَتِي قُلْتُ هَاكَا

(فبشيري): الفاء للتفريع على ما قبله، والبشير من البشارة، وهي الخبر المسرّ الذي يغيّر بشرة الوجه. كناية هنا عن روحه المنفوخ فيه عن أمر الله تعالى. وقوله

(لو جاء منك): أي من جهة أمرك النازل به، والخطاب للمحبوب الحقيقيّ. وقوله (بعطف): متعلّق بجاء، والعطف: مصدر عَطَفَت الناقةُ على ولدها عَطْفاً، من باب ضرب: حَنَّتْ عليه، ودَرَّ لَبَنُها، كذا في المصباح. فهو هنا بمعنى الحنان والرأفة من تجلّي الاسم الحنّان. وقوله (ووجودي): الواو للحال، أي: المنسوب إليّ باعتبار ظهوره بي. وقوله (في قبضتي): أي في تصرّفي على تقدير أنّه كذلك، والجملة في محلّ نصب أنّها حال من ياء المتكلّم في قوله (بشيري): وقوله (قلت): جواب لو. وقوله (هاكا): بألف الإطلاق، و(ها): اسم فعل بمعنى خذ، والكاف للخطاب، يخاطب بشيره المذكور بأن يأخذ وجوده المنسوب إليه، ويرجعه إلى من هو له، وهو الحقّ تعالى مفيض الوجود على الأشياء بتجلّيه عليها.

٢٢- قَدْ كَفَى مَا جَرَى دَماً مِنْ جُفُوْنٍ   بِكَ قَرْحَى فَهَلْ جَرَى مَا كَفَاكَا[1]

(قد كفى): قد للتحقيق، وكَفَى الشيءُ يَكْفِي كفاية فهو كاف: إذا حَصَل به الاستغناء عن غيره، كما في المصباح. وقوله (ما): أي الذي جرى، أو دمع جرى. وقوله (دماً): حال، فما الموصولة أو الموصوفة بجملة جرى، قال الرضي: «والأغلب في الحال، والوصف الاشتياق، وقد يكون اسماً جامداً كقول المتنبّي:

بدت قمراً ومالت خُوط بان   وفاحت عنبراً ورنت غزالا

وفي تأويل مثله وجهان: أحدهما: أنْ يقدّر مضاف قبله، أي: مثل قمر. الثاني: أنْ يؤول المنصوب بما يصحّ أنْ يكون هيئة، أي: بدت منيرة، ونحو ذلك؛ وذلك لأنّهم يجعلون الشيء المستتر في معنى من المعاني كالصفة المقيّدة لذلك المعنى، نحو قولهم: لكلّ فرعونٍ موسىً، يصرفهما، أي: لكلّ جبّارٍ قهارٌ. وفي الكافية كلّ ما دلّ على هيئة صحّ أنْ يقع حالاً نحو: هذا بسراً أطيب منه رطباً، قال الرضي: هذا ردّ على النحاة؛ فإنّ جمهورهم شرطوا اشتقاق الحال، وإنْ كان جامداً تكلّفوا ردّه

---

(١) ورد البيت في (ق): قد جرى ما كفى دماً من جفون   لي قرحي فهل جرى ما كفاكا

بالتأويل إلى المشتق، قالوا: لأنّها في المعنى صفة، والصفة مشتقّة، أو في معنى المشتق. فقالوا في نحو: هذا بُسراً أطيب منه رطباً، هذا مبسراً أطيب منه مرطباً، وهذه ناقة الله لكم آية دالّة. وقال مصنّف الكافية، وهو الحقّ لا حاجة إلى هذا التكلّف؛ لأنّ الحال هو المبين للهيئة، كما ذكره في حدّه، وكلّ ما قام بهذه الفائدة فقد حصل فيه المطلوب من الحال، فلا يتكلّف تأويله بالمشتق، انتهى. وتأويله هنا بأنْ يقال: جرى مثل دم، أو جرى أحمر، ونحو ذلك. وقوله من جفون متعلّق بجرى، وتنكيرها للتكثير من قبيل قول المتنبّي:

أتراهـــا لكثـــرة العـــشّاق   تحسب الدمع خلقة في المآقي

وقوله (بك): أي بسببك، يعني: بسبب محبّتك، والخطاب للمحبوب الحقيقيّ، والجار والمجرور/ [٤٠٨/ أ] متعلّق بقَرْحى، قدّم عليه للحصر. وقوله (قرحى): صفة لجفون، وهو جمع قريح، من قَرِحَ الرجل قَرَحاً فهو قَرِح، من باب تعب: خرجت به قُروح، وهو قَريح ومَقْروح، كذا في المصباح. وقال في القاموس: «القَريح الجريح. والمَقْروح: من به قُروح». وقوله (فهل جرى ما كفاكا): بألف الإطلاق، والفاء للتفريع. وهل حرف استفهام. والخطاب للمحبوب الحقيقيّ باعتبار تجلّيه في الصور الكونيّة، وظهوره بآثار الأسماء الربّانيّة ذات المحاسن البديعيّة الجماليّة، مع غيبة الحضرة الحقيقية الذاتيّة. والمعنى: اكتفيت به من أحوال المحبّ، فأوجب شفقتك عليه، ورأفتك ورحمتك المتوجّهة إليه.

٢٣- فَأَجِرْ مِنْ قِلَاكَ فِيْكَ مُعَنًّى   قَبْلَ أَنْ يَعْرِفَ الهَوَى يَهْوَاكَا

(فأجرِ): الفاء للتعقيب على قوله في البيت قبله (فهل جري ما كفاك). وأجِرْ فعل أمر ودعاء من الجِوار بالكسر، وهو أنْ تعطي الرجل ذمّة، فيكون بها جَارك، فتجيره، والجَار الذي أَجَرْتَه من أنْ يُظْلم، والمُجير والمُسْتَجِير، كذا في القاموس. والخطاب للمحبوب الحقيقيّ. وقوله (من قِلاك): بكسر القاف من: قَلَيْتُ الرجلَ

أقليه، من باب رمى، قِلى بالكسر والقصر، وقد يُمَدُّ: إذا أبغضته، ومن باب تعب لغة. كذا في المصباح. وقوله (فيك): متعلّق بمعنى، قدّم عليه للحصر. وقوله (مُعَنًّى): بتشديد النون: اسم مفعول، يقال: عَنَانِي كذا يَعْنِيني: عرض لي وشَغَلَني، فأنا مَعْنِي به، والأصل مفعول [كذا في المصباح]. وقوله (قبل أنْ يعرف الهوى يهواكا): بألف الإطلاق، أي: يحبّك من حين خرج من بطن أمّه، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا﴾ [١٦/ النحل/ ٧٨] ومن حينئذ هو يهواكا، أي: يحبّك ظاهراً له بصورة ما يحبّه من لبن أمّه، ومن كلّ ما يوافقه من نغمة مربيه المسكّنة لصياحه واضطّرابه وإنْ لم يعرف حقيقة ذلك؛ فإنّ التجلّي العام بآثار الأسماء والصفات لا يتوقّف على المعرفة، وذلك هو الولادة على الفطرة قال تعالى: ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ﴾ [٣٠/ الروم/ ٣٠]. وقال صلّى الله عليه وسلّم: «كلّ مولود يولد على فطرة الإسلام، ولكنّ أبواه يهوّدانه، أو ينصّرانه، أو يمجّسانه»[1]؛ فالكفر طارئ على كلّ مولود من بني آدم لأنّهم أولاد نبي، فعصمتهم في الصغر ذاتيّة ما لم يبدّلوها بوسواس الشيطان الذي قال كما حكى الله تعالى عنه بقوله: ﴿فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِ﴾ [٤/ النساء/ ١١٩]، وخلق الله هي الفطرة التي فطر الناس عليها. وقوله: ﴿لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِ﴾ [١٠/ يونس/ ٦٤]. يعني ذلك التبديل في الحقيقة لا تبديل، لأنّه جارٍ على المقادير، قال تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [٩/ التوبة/ ٥١] فهو تبديل باعتبار الأصل الفطري، وهو لا تبديل؛ لأنه هكذا في حضرة العلم الإلهيّ. والتقدير الربّانيّ الذي لا يخرج عنه كأين البتة، وهكذا جميع التغيرات الكونيّة كلّها باعتبار العلم والتقدير لا تغيير؛ بل هكذا الأشياء كلّها على ما هي عليه في علم الله تعالى وتقديره، والتغيير والتبديل باعتبار ما تدركه الأشياء في أنفسها.

---

(١) انظر تخريجه ص٨٢٠.

٢٤- هَبْكَ أَنَّ اللَّاحِي نَهَاهُ بِجَهْلٍ عَنْكَ قُلْ لِي عَنْ وَصْلِهِ مَنْ نَهَاكَا

٢٥- وَإِلَى عِشْقِكَ الجَمَالُ دَعَاهُ فَإِلَى هَجْرِهِ تُرَى مَنْ دَعَاكَا

٢٦- أَتُرَى مَنْ أَفْتَاكَ بِالصَّدِّ عَنِّي وَلِغَيْرِي بِالْوُدِّ مَنْ أَفْتَاكَا

كلام العشّاق يُطوى ولا ينشر؛ لأنّه ناشئ عن سُكْر المحبّة والعشق، قال الشاعر:

لا يعرف الشوق إلّا من يكابده ولا الصبابة إلّا من يعانيها

واختصره بعضهم فقال (لا يعرف الشوق إلّا ، ولا الصبابة إلّا). وقوله (هَبْكَ): الكاف مفعول أوّل لـ (هَبْ) وهو خطاب للمحبوب الحقيقيّ، قال في القاموس: «هبني فعلت: أي احسبني وأعددني: كلمة للأمر فقط». وقال في الصحاح: «تقول هبْ زيداً منطلقاً بمعنى احسب يتعدّى إلى مفعولين، ولا يستعمل فيه ماض، ولا مستقبل في هذا المعنى». وقال في المصباح: «قال بعضهم: لا يقال هبْ أنّي فعلت، كما تقوله العامّة. وكلام النحاة ينازعه؛ فإنّهم قالوا في باب ظننت: ويسدّ مسدّ المفعولين أنّ وأنْ. وعليه ما ورد: «هبْ أنّ أبانا كان حماراً»[1] وقال الرضي في/ [٤٠٨/ ب] قسم أفعال القلوب التي للظنّ، هبّ أمر من الهبة. وقوله (أَنَّ): أي تحقيقاً وقوله (اللّاحي): اسم أنّ، واللَّاحي: اسم فاعل من لَحَيْتُ الرجلَ أَلْحَاهُ لَحْياً: إذا لُمته؛ فهو مَلْحِيّ، ولَاحَيْتُهُ مُلَاحاة، ولِحَاه: إذا نازعته. وفي المثل: من لاحاكَ فقد عاداك. وتلاحَوا: إذا تنازعوا، كذا في الصحاح. وجملة أنّ اللّاحي في محل المفعول الثاني لهب، قال الرضي: «أفعال القلوب إذا دخلت على أنَّ المفتوحة ناصبة لمفعول واحد هو مفعولها الحقيقيّ، يكثر ذلك وإنْ كان ذلك الفعل ممّا يقلّ نصبه لمفعول واحد نصباً صريحاً، وذلك في حسبت وظننت وخلت، لأنّها لا تنصب في ظاهر الاستعمال إلّا مسنداً ومسنداً إليه، سواء نصبتها، كما في حسبت زيداً قائماً، أو لم تنصبها نحو: حسبت أنَّ زيد قائم. هذا

(١) قطعة من مسألة في المواريث، استفتي فيه سيدنا عمر.

مذهب سيبويه. أعني: إنَّ أنَّ مع اسمها وخبرها مفعول ظنّ، ولا تقدّر له مفعولاً ثانياً، خلافاً للأخفش؛ فإنّه يقدِّر مفعولاً ثانياً نحو: علمت أنّ زيداً قائم حاصلاً، أي: قيام زيد حاصلاً، ولا حاجة إليه، ولو كان مقدراً لجاز إظهاره إذا لم يسدّ مسدّه شيء حتّى يكون واجب الإضمار. وقوله (نهاه): أي نهى المحبّ، وأكثر عليه اللوم. وقوله (**بجهل**): أي بسبب جهل، قام به من عدم معرفته بالمحبوب الحقيقيّ، وزيادة غفلته عنه. والتنكير للتهويل. وقوله (**عنك**): أي عن محبّتك. وقوله (قل لي): أي أخبرني بطريق الإلهام والإلقاء في القلب. وقوله (**عن وصله**): أي وصل المحبّ. والجار والمجرور متعلّق بنهاك، أي: رفع الحجاب بينك وبينه، ثمّ رفع البينيه للتحقيق بالعينيّة بفناء ما لم يكن، وظهور من من لم يزل، وهو الوصل المطلوب، والأمر المرغوب. وقوله (**وإلى عشقك**): متعلّق بدعاه، قدّم عليه للحصر. يعني: إلى زيادة المحبّة فيك، والخطاب للمحبوب الحقيقيّ. وقوله (الجمال): أي جمالك الظاهر على آثار أسمائك الحسنى، وهو المبتدأ. وقوله (**دعاه**): أي دعا المحبّ العاشق إلى عشقك، قال في المصباح: «دعوت زيداً: ناديته، وطلبت إقباله. ودعا المؤذّن الناس إلى الصلاة؛ فهو داعي الله ، والنبيّ داعي الخلق إلى التوحيد. وجملة دعاه: خبر مبتدأ. وقوله (**فإلى**): الفاء للتفريع. وقوله (**هجره**): أي هجر المحبّ. والجار والمجرورمتعلّق بدعاك. والهجر: مصدر هجره هجراً، من باب قتل: تركه ورفضه؛ فهو مهجور. وهجرت الإنسان: قطعته، كذا في المصباح. وقوله (**تُرى**): بضمّ التاء المثنّاة الفوقيّة: الخطاب للمحبوب الحقيقيّ. قال في المصباح: «والذي أُراه بالبناء للمفعول. بمعنى: الذي أظن، وبالبناء للفاعل، بمعنى: الذي أذهبُ إليه». والمعنى هنا على البناء للمفعول، والكلام على الاستفهام: هل أحد حملك على هذا الرأي؟. وعلى البناء للفاعل: هل هذا في رأيك؟. وقوله (مَنْ دعاكا): بألف الإطلاق، ومنه بفتح الميم: اسم استفهام مبتدأ، وجملة دعاك خبره، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [١٠/ يونس/ ٢٥]؛

فإذا كان سبحانه هو الداعي بمظاهر الأنبياء عليهم السلام، والأولياء والعلماء به عليهم الرضوان، فلا داعي سواه، فلا يدعوه إلّا هو، والهجر مقتضى الغيريّة، والغيريّة مقتضى الجنّة ونعيمها، وهي دار السلام، ومقصود الكاملين، وهو لا غيره، قال تعالى في حقّ الأنصار اليمانيين، وهم أهل الصفّة رضي الله عنهم: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ [٦/ الأنعام/ ٥٢] حتّى قالت رابعة العدويّة قدّس الله سرّها: «ما عبدتك خوفاً من نارك، ولا رغبة في جنتك؛ وإنّما عبدتك محبّة في وجهك الكريم». وقال الشيخ: أرسلان الدمشقيّ قدّس الله سرّه: «طريقتنا محبّة، لا عمل وفناء، ولا بقاء». ومعنى ذلك: إنّ أعمال الأولياء كلّها محبّة في ربّهم الحقّ تعالى لا أعمال نفسانيّة، وأغراض شهوانيّة. وقوله (أترى): بهمزة الاستفهام: إشارة إلى تقدير الاستفهام أيضاً في قوله ترى التي قبلها، وهي هنا. بضمّ التاء المثناة الفوقيّة، فعل مضارع أيضاً مبني للمفعول، أو بفتحها/ [٤٠٩/ أ] مبني للفاعل، كمعنى الأوّل. وقوله (مَن): بفتح الميم، اسم استفهام، مبتدأ، وجملة أفتاك خبره. وقوله (أفتاك): فعل ماض، والكاف مفعوله، ضمير المخاطب المحبوب الحقيقيّ. وأفتى: من الفَتْوَى بالواو، فتفتح الفاء، وبالياء فتُضمّ. وهي اسم من أفتى العالِـم: إذا بيَّن الحكم. واستَفتَيتُه: سألته أنْ يُفْتِي. ويقال: أصله من الفَتِيِّ، وهو الشاب القويّ، كذا في المصباح. والمعنى في ذلك: من أبان لك الحكم في حقّي. واعلم بأنّ العلم الإلهيّ ـ كما قالوا ـ صفة كاشفة عن المعلوم على ما هو عليه كشفاً تامّاً لا يحتمل النقيض، وهذا الكشف قديم أزليّ لا ابتداء له. ومقتضاه أنْ يكون العلم الإلهيّ تابعاً للمعلومات؛ لأنّه كاشف عنها، والكاشف يتأخّر عن المكشوف بالرتبة، ولا يلزم أنْ يكون تأخره بالذات على وجه الحقيقة في التأخر، والمعلومات المكشوف عنها بالعلم القديم مختلفة، منها: القديم بالذات كذات الله تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه. ومنها: القديم بالإمكان الذاتيّ كجميع آثار الأسماء الإلهيّة، والصفات العليّة ممّا

يظهر عن الأفعال الرحمانيّة، والأحكام الربّانيّة من حين فتق تعالى رتق الوجود إلى ما لا نهاية له من كلّ أثر موجود؛ فإنّ العوالم كلّها حادثة، أصولها وفروعها، ومحسوساتها، ومعقولاتها. والحوادث أصلها العدم الموصوف بالإمكان، لا العدم الموصوف بالاستحالة والامتناع؛ فهي التي أعطت العلم القديم معلوميّتها بإمكانها الذاتيّ القابل لظهورها بصفة الوجود كما هو المشهود. وقد استوفينا هذا المبحث في شرحنا على «فصوص الحكم» للشيخ الأكبر قدّس الله سرّه. وهذا الإعطاء هو الإفتاء المشار إليه هنا لأنّه بيان لكيفيّة الحكم الإلهيّ على جميع الممكنات. وقوله (بالصدّ): متعلّق بأفتاك، والصدّ: مصدر صَدَدْتُ عنه صَدّاً وصُدُوداً: أَعرضْتُ، كذا في المصباح. وقوله (عنّي): متعلّق بالصَدّ. وقوله (ولغيري): متعلّق بأفتاك آخر البيت، أي: غيري من الأولياء والمقرّبين. وقوله (بالودّ): متعلّق بأفتاك أيضاً، والوَدّ، بفتح الواو وضمّها: مصدر وَدِدْتُهُ أَوَدُّه، من باب تعب، وَدّاً بفتح الواو وضمّها: أحببته، والاسم: المَوَدَّة، كما في المصباح. وقوله (مَن): اسم استفهام مبتدأ. وقوله (أفتاكا): بألف الإطلاق، أي: أعطاك العلم بذلك كما ذكرنا. وكلام أهل الله له حقائق، وأصول تعجز عن إدراكها العقول، وهو مقتضى أسرار البواطن من النقول، لا يفهمها إلّا الجهابذة الفحول.

٢٧- بِانْكِسَارِي بِذِلَّتِي بِخُضُوْعِي بِافْتِقَارِي بِفَاقَتِي بِغِنَاكَا

٢٨- لَا تَكِلْنِي إِلَى قُوَى جَلَدٍ خَا نَ فَإِنِّي أَصْبَحْتُ مِنْ ضُعَفَاكَا[1]

(بانكساري): الباء للقسم، والانكسار: مصدر كسرته فانكسر: إذا ذلّ واستكان، وهو ضدّ الانجبار كما ورد: «أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي»[2] أي: لا من أجل فوات حظّ من حظوظ الدنيا أو الآخرة. وقوله (بِذلّتي): الباء للقسم

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: بلغ مقابلة وسماعاً على شيخنا المؤلّف قدّس سرّه. وكتبه إبراهيم بن محمّد الدكدكجيّ.

(٢) انظر تخريجه ص٢٩٩.

أيضاً، قال في المصباح: «ذَلَّ ذَلاًّ، من باب ضرب، والاسم: الذُل، بالضمّ، والذِلَّة بالكسر، والمَذَلَّة: إذا ضَعُفَ وهَان؛ فهو ذليل». وقوله (بخضوعي): الباء للقسم أيضاً، والخُضُوع مصدر خَضَع له يَخْضَع خُضُوعاً ذَلَّ واستكانَ فهو خاضع. وأَخْضَعَه الفقر: أَذَلَّه، كما في المصباح. وقوله (بافتقاري): الباء للقسم أيضاً، والافتقار: مصدر أفقرته فافتقر، أي: احتاج، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [٣٥/ فاطر/ ١٥] أي: المحمود في غناه. والله هو الاسم الجامع لجميع الأسماء، والعوالم كلّها مظاهر أسمائه وآثار صفاته. وقد ظهرت العوالم مفتقرة بعضها إلى بعض، فكلّ مُفتَقَر إليه خالق، وكلّ مُفْتَقِر مخلوق، والكلّ مفتقر إلى الكلّ؛ فالكلّ خالق من وجه الافتقار إليه، والكلّ مخلوق من وجه افتقاره إلى غيره. كما أنّ كلّ شيء من العالم منزّه عن غيره، ومشبه بغيره، منزّه من حيث الجزئيّة، ومشبه/ [٤٠٩/ ب] من حيث الكلّيّة. وكلّ منزّه قديم، وكلّ مشبّه حادث. وقوله (بفاقتي): الباء للقسم أيضاً، والفاقة: الحاجة، وافْتَاق افْتِيَاقاً: احتاج، وهو ذو فاقة، كما في المصباح. وقوله (بغناك): الباء للقسم أيضاً، والألف للإطلاق. يقال: غَنِيَ من المال يَغْنَى غِنَىً مثل: رضي يرضى رضىً فهو غني، والجمع: أغنياء، كذا في المصباح. وهذه الأشياء الخمسة المذكورة بباء القسم، من أوصاف العبد، لا اتّصاف للربّ بشيء منها، من حيث هو تعالى، ومعانيها متقاربة، ويجمعها الاحتياج إليه تعالى، والسادس وهو الغنى وصفه تعالى لا يشاركه فيه سواه؛ فإنْ ظهر الغنى على سواه من المخلوقات فاستغنى عن شيء، وافتقر إلى شيء آخر كان ذلك المستغني تجلّياً إلهيّاً من وجه ما هو مستغنٍ، وشيئاً مخلوقاً من وجه ما هو مفتقر؛ فوجه الاستغناء هو المتجلّي به الحقّ، ووجه الافتقار هو ما به ذلك التجلّي للحقّ، فلا ينفك أثر عن مؤثّر، ولا مؤثّر عن أثر، وكلّ شيء مؤثّر من وجه، وكلّ شيء أثر من وجه، وبالعرفان يكون الكشف والبيان. وقوله (لا تكلْني): لا ناهية دعائيّة، وتكلني فعل مضارع، فاعله مستتر، تقديره أنت، خطاب للمحبوب الحقيقيّ، يقال: وَكَلْتُ الأمرَ إليه وَكْلاً، من باب وَعَدَ

ووُكُولاً: فَوَّضته إليه، واكْتَفَيتُ به، كذا في المصباح. وقوله (إلى قوى): متعلّق بتكلني. و(القُوَى):جمع قوّة، قال في المصباح: «قَوِيَ يَقْوَى فهو قَوِيّ، والاسم: القُوَّة، والجمع: القُوَى، مثل غرفة وغرف». وقوله (جَلَدٍ): بالتحريك هو الشدّة والقوّة، كذا في القاموس. وقوله (خان): هذه الجملة صفة جَلَد، يقال: خَان الرجلُ الأمانةَ يَخُونُها خَوْناً وخِيَانَة ومَخانة، كما في المصباح. يعني: إنّ قوى ذلك الجَلَد كنت أعتمد عليه في تحمّل مشقات المحبّة، وشدائد الأشواق، باعتبار ما كنت أعرفه من قوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [٢/ البقرة/ ١٦٥] فخانني ذلك الجَلَد، لا قواه المضافة إليه؛ لأنّها قوّة إلهيّة لا تضعف أصلاً، ولكن الضعف والخيانة للجَلَد الذي هو وصف العبد، قال العارف بالله عفيف الدين التلمسانيّ قدّس الله سرّه من قصيدة له:

ولولا انخرام الكلّ بالقوّة التي	لإطلاقها في جمعهن قيود
لما عدم الموجود يوماً ولا انقضت	رسوم بأنواع البلى وحدود
ولكنّها يأبى النهاية وصفها	فليس لها في الدور قسط جمود
ولو وقفت يوماً بحدّ لنا لها	به عدم هيهات وهي وجود

وقوله (فإنّي): الفاء للتفريع على ما قبله. وقوله (أصبحت): أي دخلت في صباح نور الوجود الحقّ، وخرجت من ظلمة ليل الأكوان. وقوله (من ضُعَفَاكا): بألف الإطلاق، والضُعَفاء ممدود في الأصل، قصر للوزن، جمع ضَعيف، من الضَعْف، بفتح الضاد في لغة تميم، وبضمّها في لغة قريش: خلاف القُوّة والصِّحَة، والمضموم مصدر ضَعُف، مثال: قَرُب قُرْباً، والمفتوح مَصدر ضَعْف، من باب قتل. ومنهم من يجعل المفتوح في الرأي، والمضموم في الجسد، وهو ضعيف. والجمع ضُعَفَاء، وضِعَاف أيضاً، كذا في المصباح. والخطاب للمحبوب الحقيقيّ. وضعفاؤه: جميع المخلوقين، حيث إنّ القوّة لله جميعاً، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [٢/ البقرة/ ٢٨٢] وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى

خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٨٢] فالضعف أوّل الإنسان وآخره.

٢٩- كُنْتَ تَجْفُو وَكَانَ لِي بَعْضُ صَبْرٍ   أَحْسَنَ اللهُ فِي اصْطِبَارِي عَزَاكَا

(كنت تجفو): من جَفَا يَجْفُو جَفَاءً إذا بَعُدَ عن المَودّة. وجَفَوتُ الرجلَ أَجْفُوه: أَعرضت عنه، أو طَرَدتُه، وهو مأخوذ من جُفَاء السيل: وهو ما نفاه السيل، وقد يكون مع بغض/[٤١٠/ أ] كذا في المصباح. والخطاب للمحبوب الحقيقيّ، يشير بذلك إلى أيام غفلته وجهله بربّه، قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [١٨/ الكهف/ ٢٨]. وقوله **(وكان لي بعضُ صبرٍ)**: أي عن لقائك وشهود تجلّيك في كلّ شيء. والإشارة بالبعض إلى أيام سلوكه في الطريق بالأعمال الصالحة؛ فإنّه يستاق إلى الحقّ مع الغفلة عنه فله بعض صبر عن مشاهدته. وقوله **(أحسن الله في اصطباري عزاكا)**: بألف الإطلاق، كناية عن ذهاب صبره الآن بالكلّيّة لكمال عرفانه به، والتآلف بشهود تجلّيّاته في كلّ شيء، لبلوغه مرتبة العرفان، وتحقّقه بحقائق الوجدان، وجعله ثانياً اصطباراً على طريق المبالغة في ذهاب الصبر، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [٣/ آل عمران/ ٢٠٠]. قال البيضاوي: «(اصبروا) على مشاقّ الطاعات، وما يصيبكم من الشدائد، (وصابروا): وغالبوا أعداء الله في الصبر على شدائد الحرب، وأعدى عدوّكم في الصبر على مخالفة الهوى، وتخصيصه بعد الأمر بالصبر مطلقاً لشدّته. (ورابطوا): أبدانكم وخيولكم في الثغور مترصّدين للغزو وأنفسكم على الطاعة». (واتقّوا الله لعلكم تفلحون): بنيل المقامات الثلاثة المترتّبة التي هي الصبر على مضض الطاعات، ومصابرة النفس في رفض العادات. ومرابطة السرّ على جناب الحقّ لترصد الواردات المعبّر عنها بالشريعة، والطريقة، والحقيقة. وقوله **(أحسن الله)**: أي جعل حسناً، قال في

المصباح: «حَسُنَ الشيءُ حُسْناً فهو حَسَن». والمعنى: فيه أنّه خلاف قبح. وقوله (في اصباري): متعلّق بعزاكا. وقوله (بعزاكا): بألف الإطلاق، قال في المصباح: عَزِيَ يَعْزَى، من باب تعب: صَبَرَ على ما نابه. وعَزَّيتُهُ تعزية: قلتُ له: أحسنَ الله عزاكا، أي: رزقك الصبرَ الحَسَن، والعَزَاء، مثل سَلَام: اسم من ذلك، مثل: سَلَّم سَلَاماً وكَلَّمَ كَلَاماً وتَعَزَّى هو: تصبَّر، وشِعاره أنْ يقول: إنّا لله وإنّا إليه راجعون.

٣٠- كَمْ صُدُودٍ عَسَاكَ تَرْحَمُ شَكْوَا يَ وَلَوْ بِاسْتِمَاعِ قَوْلِي عَسَاكَا

(كم): اسم ناقص مبني على السكون، ويعمل في الخبر عمل ربّ، كذا في القاموس. وقال في مغني ابن هشام: كم خبريّة بمعنى كثير، ومميّزها مفرد ومجموع، تقول: كم عَبدٍ ملكت، وكم عُبيد ملكت. وهو مجرور بها. وقوله (صدود): بالجرّ مصدر صَدَدْتُ صَدّاً وصُدوداً: أعرضت، كما في المصباح. والمعنى: صادر منك صُدود كثير، وإعراض عنّي. وخطابه للمحبوب الحقيقيّ. وقوله (عساكا): بالخطاب للمحبوب الحقيقيّ. وعسى فعل ماض جامد غير متصرّف، وهو من أفعال المقاربة، وفيه تَرَجٍّ وطَمَع، كذا في المصباح. وقوله (ترحم شكواي): بفتح الياء المثنّاة التحتيّة، من شَكُوتُ فلاناً أَشْكُوهُ شَكْواً وشِكَايَةً وشَكِيَّةً وشَكَاةً: إذا أخبرتَ عنه بِسُوء فعله بك، والاسم الشكوى، كما في الصحاح. يعني: شكواي من صدودك عنّي، وهو عروض الحجاب له بسبب وقع منه اقتضى ذلك. وقوله (ولو باستماع قولي عساكا): بألف الإطلاق، والجار والمجرور متعلّق بترحم. يعني: أنا قانع منك في رحمتك لشكواي من صدودك أن تسمع لقولي عساك ترحم شكواي فتكون رحمتي بذلك. والمراد بالاستماع الالتفات إليه، والإقبال عليه، واستماع قوله، وإمداد قوّته وحَوْلِه.

٣١- شَنَّعَ المُرْجِفُونَ عَنْكَ بَهَجْرِي وَأَشَاعُوا أَنِّي سَلَوْتُ هَوَاكَا

٣٢- مَا بِأَحْشَائِهِمْ عَشِقْتُ فَأَسْلُو عَنْكَ يَوْمَاً دَعْ يَهْجُرُوا حَاشَاكَا

٣٣- كَيْفَ أَسْلُو وَمُقْلَتِي كُلَّمَا لَا حَ بُرَيْقٌ تَلَفَّتَتْ لِلِقَاكَـا

(شَنَّعَ): بتشديد النون، من شَنُعَ الشيءُ بالضمّ، شَناعَة: قَبُحَ، فهو شَنِيع، وشَنَّعْتُ عليه الأمر: نسبته إلى الشَنَاعة، كما في المصباح. وقال في القاموس: «والتَشْنِيع: تكثير الشَناعَة والتَشمِير والانكماش/ [٤١٠/ ب] والشَناعَة: الفَظَاعَة، وشَنَعَ فلاناً كمنع: اسْتَقْبَحَه وشَتَمَه وفَضَحَه. والشُنُوع بالضمِّ: القُبْح». وقوله (المرجفون): جمع مُرجِف، بصيغة اسم الفاعل، من أَرْجَفَ القوم: خَاضُوا في أخبار الفتن ونحوها، ومنه: ﴿وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ [٣٣/الأحزاب/٦٠]، وأَرْجَفَ في الشيءِ وبالشيءِ: خاض فيه، كذا في القاموس. وقوله (عنك): متعلّق بشنّع. والخطاب للمحبوب الحقيقيّ. وقوله (بهجري): متعلّق بشنّع أيضاً. والهَجْر مصدر هَجَرْتُه هَجْراً، من باب قتل: تركته ورفضته، كذا في المصباح. وقوله (وأَشَاعُوا): من شَاعَ الشيءَ يَشِيْعُ شُيُوعاً: ظَهَر، ويَتعدَّى بالحرف وبالألف، فيقال: شِعْتُ به وأَشعتُهُ، كما في المصباح. وقوله (إنِّي سلوت هواكا): بألف الإطلاق، أي: أشاعوا بين الناس سُلُوِي عن هواك. والخطاب للمحبوب الحقيقيّ، قال في المصباح: «سَلَوْتُ عنه سُلُوّاً، من باب قعد: صبرتُ، والسَّلْوَة: اسم منه، وسَلِيْتُ أَسْلَى، من باب تعب، سَلْيَاً: لغة. قال أبوزيد: السُلُوُّ طِيب نَفْس الإلْف عن إلفِه». وقوله (ما بأحشائهم): جمع حَشَى، وهو المِعَى، والجمع: أحشاء، مثل: سبب وأسباب، كذا في المصباح. كنّى بأحشائهم عن قلوبهم. وقوله (عَشِقْتُ فَأَسْلُو): يعني إنّما عشقتُ بأحشائي المشتملة على قلبي لا بأحشائهم المشتملة على قلوبهم؛ فماذا يضرّهم إذا لم أَسْلُ عن محبّة المحبوب الحقيقيّ. وضمير الجمع للمرجفين في البيت قبله. وقوله (عنك): متعلّق بأسلو. والخطاب للمحبوب الحقيقيّ. وقوله (يوماً): أي من الأوقات. وقوله (دع): فعل أمر، ودعا المحبوب الحقيقيّ. وقوله (يهجروا): مجزوم في جواب الأمر، وعلامة جزمه حذف النون، والضمير للمرجفين، وهو من هَجَرَ المريض في كلامه هَجْراً، من باب قتل: خَلَطَ

وهَذِيَ، والهُجْرُ بالضمّ: الفحش، وهو اسم من هَجَرَ يَهْجُرُ، من باب قتل أيضاً، وفيه لغة أخرى: أَهْجَرَ بالألف في مَنْطِقِهِ: إذا أكثر منه حتّى جاوز ما كان يتكلّم به قبل ذلك. وأَهْجَرْتُ بالرجل: استَهْزَأتُ به، وقلتُ فيه قولاً قبيحاً، كذا في المصباح. وقال في القاموس: «هَجَرَ في نومه ومرضه هُجْراً بالضمّ: هَذَى. وقوله (حاشاكا): بألف الإطلاق، قال في الصحاح: «حاشاك وحاشا لك». والمعنى واحد، يقال: حاشا لله ، أي: معاذا الله . والمعنى: دعهم يهذوا في كلامهم حاشاك أنْ يسلوك محبّ لك أو يترك هواك بهذيان المرجفين. وقوله (كيف أسلو): أي على أي كيفيّة أسلو هواك. وقوله (ومقلتي): الواو للحال، ومقلتي مبتدأ. والمقلة: شحمة العين التي تجمع السواد والبياض، أو هي السواد والبياض، أو هي الحَدَقَة، وجمعها مُقَل، كصُرَد، كذا في القاموس. والمراد بها العين. وقوله: كلّما لاح، أي: ظهر. وقوله (بريق): تصغير برق، فاعل لاح. شبّه نور التجلّي الإلهيّ الظاهر على صفحات الأكوان بالبرق؛ لأنّه يكشف عنها، وهي ظلمة العدم، ولا بقاء لظهوره كما لا بقاء لظهور البرق، قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه:

رأى البرق شرقيّا فحنّ إلى الشرق ... ولو لاح غربيّاً لحنّ إلى الغرب

فإنّ غرامي بالبريق ولمعه ... وليس غرامي بالأماكن والترب

وللشيخ عبد الهادي السودي اليمنيّ قدّس الله سرّه:

أيا بارقاً بالغور ومضك متلفي ... على أنّني راض فيا برق رفرف

وقوله (تلفّتتْ): أي مقلتي يميناً وشمالاً. وأفرد المقلة لاتّحادهما في المقصد، والغرض بالالتفات واتّحاد النظر والناظر. وقوله (للقاكا): بألف الإطلاق، والخطاب للمحبوب الحقيقيّ، أي: لتلاقيك فتنظر إليك في صور الأكوان الفانية، فتشهد أنوار تجلّياتك الباقية.

٣٤- إنْ تبَسَّمْتَ تَحْتَ ضَوْءِ لِثَامٍ ... أَوْ تَنَسَّمَتَ الرِّيحَ مِنْ أَنْبَاكَا

(إنْ تَبَسَّمْتَ): بفتح تاء الخطاب للمحبوب الحقيقيّ. والتبسّم مصدر تَبَسَّم،

بمعنى بَسَمَ، قال في المصباح: «بَسَمَ بَسْماً، من باب ضرب: ضَحِك قليلاً من غير صوت. وابْتَسَمَ وتَبَسَّم كذلك، ويقال هو دون الضحك». وقال في القاموس: «هو أقلّ الضَّحِك وأَحْسَنُهُ». وهو هنا كناية عن انكشاف/ [٤١١/ ب] أسمائه تعالى الحسنى، وصفاته العليا للعبد السالك في طريق الله تعالى بالمعرفة الإلهيّة، والتحقّيق انكشافاً محقّقاً عنده على وجه الرضا منه، والقبول له، قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه من أبيات له:

سلامي على سلمى ومن حلّ بالحمى	وحق لمثلي رقّة أنْ يسلّما
وماذا عليها لو تردّ تحيّة	علينا ولكن لا احتكام على الدُمى
سروا وظلام الليل أرخى سدوله	فقلت لها صَبّاً غريباً متيّماً
أحاطت به الأشواق سوراً وأرصدت	له راشقات النبل أيان يمّما
فأبدت ثناياها وأومض بارق	فلم أدرِ من شقّ الحنادس منهما
وقالت أما يكفيه أنّي بقلبه	يشاهدني في كلّ وقت أما أما

والمشاهدة في كلّ وقت هي شهود التجلّي في الصور الكونيّة باعتبار انكشافه تعالى له في الحضرات الأسمائيّة، والصفات العليّة دون انكشاف برق الذات الإلهيّة الذي هو مطلب أهل التحقّق والعرفان من ذوي الوراثة المحمّديّة. وقوله (تحت ضوء لثام): اللثام بالكسر ما يغطّي به الشفة، ولَثِمَتِ المرأةُ من باب تعب، لَثْماً، مثل: فَلْس، وتَلَثَّمَتْ والْتَثَمَت: شَدَّتِ اللِثَام، كما في المصباح. واللثام هنا كناية عن الصور الكونيّة الحسّة والمعنويّة، ونكّره لشموله كلّ شيء، وأفرده لمساواته فيما هو لأجله من الكشف والاستتار، وهي المظاهر والتجلّيات في نظر العارفين المحقّقين، وهي الحجب والأستار في نظر الغافلين الجاهلين. وضوء اللثام: ظهور نور الوجود من حيث حضرة أسمائه الحسنى وصفاته العليّة على صفحات الصور الكونيّة، قال عفيف الدين التلمسانيّ قدّس الله سرّه:

منعتها الصفات والأسماءُ أن ترى دون برقع أسماء

وهذا البرقع هو الصورة الكونيّة، الظاهرة عن الأسماء الإلهيّة، على وجه الحقيقة الوجوديّة، وهو الشيء الهالك، كما قال تعالى: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ [٢٨/ القصص/ ٨٨]، وكون ذلك التبسم تحت الضوء من قول النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «لو دليتم بحبل لهبط على الله»[1] فكماله تعالى جهة الفوق، له جهة التحت. والجهات الأربع الباقيّة للشيطان لقوله: ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٧]. وقوله (أو تَنَسَّمْتَ): بفتح التاء، خطاب للمحبوب الحقيقيّ. وتنسمتَ، أي: أظهرت النسيم، قال في المصباح: «نَفَسُ الريح، والنَّسَمَةُ مِثْلُهُ، ثمّ سُمِّيَتْ بها النَّفْسُ بالسكون». يعني: يقال نسمة الإنسان أي: نفسه. ومعنى تنسّمتَ: ظهر عن أمرك نَفَسُك، بالتحريك. كما ورد: «إنّي لأجد نفس الرحمن يأتيني من جهة اليمن»[2]. فكان الأنصار، وهم الأرواح الأمريّة في الأجسام الإنسانيّة. وقوله (الروح من أنباكا): بألف الإطلاق، جواب الشرط. وحذفت الفاء للضرورة، كقول الشاعر (من يفعل الحسناتِ الله يشكرها). والأنباء جمع نبأ، بمعنى الخبر، وإنّما قُصر لضرورة الوزن؛ فإنّ الروح حاملة لأخبار الحضرة الإلهيّة ،لأنّها من أمر الله ، وأمر الله شأنّه في كلّيّة خلقه، قال عفيف الدين التلمسانيّ، قدّس الله سرّه، في مطلع قصيدته:

أسكرت بان الحمى يا نسمة السحر فهل أتيت عن الأحباب بالخبر
نعم مررت بذاك الحيّ فاكتسبت ذيول بردك ريّا نشره العطر

وبالتبسّم من قوله أوّلاً (إنْ تَبَسَّمْتَ): ظهر العارفون الكاملون. وبالتنسّم من قوله ثانياً (أو تَنَسَّمْتُ): ظهر المريدون السالكون. والروح هي التي تنقل الأخبار، وتبث الأسرار، وتشرق بها الأنوار في جميع الأطوار:/ [٢١١/ ب]

---

(١) ذكره الهيتمي في الزواجر عن اقتراف الكبائر، ١/ ٧٦، بلفظ: لو أدليتم....
(٢) حديث سبق تخريجه ص/ ١٥٦٤.

٣٥- طِبْـتُ نَفْـسَاً إذْ لَاحَ صُـبْحُ ثَنَايـا　　كَ لِعَيْنِـي وَفَـاحَ طِيـبُ شَـذَاكَا

(طِبتُ): التاء ضمير المتكلّم. وقوله (نَفْسَاً): منصوب على التمييز، يقال: طَابَتْ نفسُه تَطِيْبُ: إذا انْبَسَطَتْ وانْشَرَحَتْ، كذا في المصباح. وقوله (إذْ): ظرف، وهو الغالب فيها، وتكون للتعليل أيضاً. وقوله (لَاحَ): أي ظهر وانكشف. وقوله (صُبْحُ): فاعل لاح. وقوله (ثناياك): الخطاب للمحبوب الحقيقيّ. والثَّنَايا: جمع ثَنِيَّة، من الأسنان، وجمعها: ثَنَايا وثَنِيَّات، وفي الفم أربع. ذكره وفي المصباح. وقال في القاموس: «الثَّنِيَّة، من الأضراس الأربعة التي في مَقَدَّم الفَم، ثِنْتَانِ من فوق، وثِنْتِانِ من أسفل. يكنّي بذلك عن الأسماء الإلهيّة والصفات العليّة، وهي الأسماء الأربعة أصول الأسماء كلّها، وهي أركان الإيجاد للأكوان: الحيّ العليم المريد القادر، وهي الصفات الأربع: الحياة والعلم والإرادة والقدرة. وظهور صبحها بانتشار نور الإيجاد عنها على جميع الكائنات حتّى وجدت. وقوله (لعيني): متعلّق بلاح، يعني: فشهدت نور ذلك الصباح من مشكاة الأشباح، وزجاجات الأرواح، كما ورد عن الإمام علي كرّم الله وجهه أنّه قال لكميل الخادم: «أطف المصباح؛ فقد طلع الصباح». يعني بالمصباح العقل؛ فإنّ صاحبه يبصر به ظلمة الأكوان؛ فإذا طلع صباح الكشف والعيان أغنى عن المصباح. وقوله (وفاح طيب شذاكا): بألف الإطلاق والشذا بالشين المعجمة والذال المعجمة: قوَّة ذكاء الرائحة كما في القاموس. وهي جملة معطوفة على الجملة الأولى المضافة إليها (إذْ): يعني طابت نفسي وانبسطت، وانشرحت في حالة ظهور نور ثناياك، وفوح شذاكا. وهو متعلّق المَعني بالابتسام والانتسام على الترتيب في البيت الذي قبله، المقتضي للرضوان، وتنسّم نفحات الروح والريحان.

٣٦- كُـلٌّ مَـنْ فِي حِمَـاكَ يَهْـوَاكَ لَكِـنْ　　أَنَـا وَحْـدِي بِكُـلِّ مَـنْ فِي حِمَاكَـا

(كلّ من في حماك): بكاف الخطاب للمحبوب الحقيقيّ، والحِمَى بالكسر، المكان الذي يحمي، قال في المصباح: «يقال حَمَيْتُ المكانَ من الناس حَمْياً، من باب

رمى، وحِمْيَة بالكسر: منعته عنهم، والحماية: اسم منه. وأحميته بالألف: جعلته حِمَى لا يُقْرَب، ولا يُجْتَرأ عليه، وأحميته بالألف أيضاً: وجدته حِمَى، كذا في المصباح. وكنّى بالحمى عمّا ورد في الحديث، قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «ألا وإنّ لكلّ ملك حمى، وإنّ حمى الله محارمه في أرضه»[1] الحديث أخرجه البخاريّ ومسلم وأبو داوود والترمذيّ والنسائيّ وابن ماجه، عن النعمان بن بشير رضي عنه. فالحمى عبارة عن تقوى الله تعالى، وعن مقام الورع في الأعمال كلّها ظاهرة وباطنة، يقول الناظم قدّس الله سرّه: كلّ من هو في مقام التقوى الحقيقية، والورع الكامل من أولياء الله تعالى الكاملين. وقوله (يهواك): أي يحبّك، والخطاب للمحبوب الحقيقيّ. وقوله (لكنْ): بسكون النون مخفّفة بأصل الوضع حرف ابتداء لمجرّد إفادة الاستدراك، وليست عاطفة، ذكره ابن هشام في المغني. وقوله (أنا وحدي): تأكيد للضمير المنفصل، ضمير المتكلّم. وقوله (بكلّ من في حماكا): بألف الإطلاق، أي: محسوب بكلّ الأولياء الكاملين المنسوبين إليك على طريقة شكر النعمة بذكرها، كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [٩٣/ الضحى/ ١١]. وقال النبيّ صلّى الله عبيه وسلّم: «أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب»[2] وقال: «أنا أعرب العرب ولدتني قريش ونشأت في بني سعد بن بكر»[3] أخرجه الطبرانيّ عن أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه. وقال صلّى الله عليه وسلّم: «أنا النبيّ الأميّ الصادق الزكيّ، الويل لمن كذّبني، وتولّى عنّي، وقاتلني. والخير لمن آواني،

---

(١) أخرجه البخاريّ في صحيحه كتاب: الإيمان، باب: فضل من استبرأ لدينه، ٥٢. وأخرجه مسلم في صحيح، باب: المساقاة، باب: أخذ الحلال، وترك الشبهات، ٤١٧٨. كما أخرجه الترمذيّ في سننه، كتاب البيوع، باب: ما جاء في ترك الشبهات، ١٢٤٦. وأخرجه ابن ماجه في سننه كتاب الفتن، باب: الوقوف عند الشبهات، ٤١١١٩. بينما لم نعثر عليه عند النسائي.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد، باب: من قاد راية غيره في الحرب، ٢٨٦٤، عن البراء بن عازب.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، ٥٢٩٩، عن أبي سعيد الخدري.

ونصرني، وآمن بي، وصدّق قولي، وجاهد معي»[1]: أخرجه ابن سعد عن عبد عمرو بن جبلة الكلبيّ. وقال صلّى الله عليه وسلّم: «أنا سيّد ولد آدم يوم/ [٤١٢/أ] القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من بني ـ يومئذ ـ آدم فمن سواه إلّا تحت لوائي. وأنا أوّل من تنشق الأرض عنه الأرض ولا فخر، وأنا أوّل شافع، وأوّل مشفّع ولا فخر»[2]. أخرجه أحمد والترمذيّ وابن ماجه عن أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه . وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنّه قال على المنبر: «الحمد لله الذي لم يجعل فيكم أفضل منّي، فقيل له في ذلك فقال: رأيت نعمة الله فأحببت شكرها». وقال الشيخ عبد القادر الكيلانيّ قدّس الله سرّه: «قدمي على رقبة كلّ وليّ لله». فطاعت له أولياء زمانه، رقابهم. وقال الشيخ أبو الحسن الشاذليّ قدّس الله سرّه: «أخذت عن ستمائة شيخ، ثمّ وُزنت بهم فرجحتهم». وقال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه:

أنا المختار لا المختار غيري ... على علم بأتباع الرسول
ورثت الهاشميّ أخا قريش ... بأوضح ما يكون من الدليل
أبايعه على الإسلام كشفاً ... وإيماناً لا لحقاً بالرعيل
أقوم به وعنه إليه حتّى ... أبيِّنه لأبناء السبيل

وقال أيضاً:

خصصت بعلم لم يخصّ بمثله ... سواي من الرحمن ذي العرش والكرسي
وأشهدت من علم الغيوب عجائباً ... تصان عن التذكار في عالم الحسّ
فيا عجباً أنّي أروح وأغتدي ... غريباً وحيداً في الوجود بلاجنس

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى، باب: وفد كلب، ١/ ٢٢٤. كما ذكره السيوطي في جامع الأحاديث، ٥٦٤٧.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، مسند أبي سعيد الخدري، ١١٢٧٨، بلفظ مشابه. كما أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: المناقب، باب: من فضل النبيّ، ٣٩٧٥. كما أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب: ذكر الشفاعة، ٤٤٥٠.

لقد أنكر الأقوام قولي وشنّعوا   عليّ بعلم لا ألوم به نفسي
فلا هم مع الأحياء في نور ما أرى   ولا هم مع الأموات في ظلمة الرمس
فسبحان من أحيا الفؤاد بنوره   وأفقدهم نور الهداية بالطمس
علوم لنا في عالم الكون قد سرت   من المغرب الأقصى إلى مطلع الشمس
تحلّى بها من كان عقلاً مجرّداً   عن الفكر والتخمين والظنّ والحَدْس
وأصبحت في بيضاء مثلي نقيّة   إماماً وإنّ الناس منها لفي لبس

٣٧- فِيْكَ مَعْنَىً حَلَّاكَ فِي عَيْنِ عَقْلِي   وَبِهِ نَاظِرِي مُعَنًّى حِلَاكَا

[فيك]: خبر مقدّم لإفادة الحصر، أي: في محبّتك، خطاب للمحبوب الحقيقيّ. يعني بذلك من حيث التجلّي بالأكوان المختلفة الأعيان. وقوله (مَعْنًى): مبتدأ مؤخر. ومَعْنَى الشيء ومَعْنَاتُه: واحد، ومعناه، وفَحْواه، ومُقتضاه، ومضمونه كلّه، هو: ما يدل على اللفظ. وفي التهذيب عن ثعلب: المَعْنى والتفسير والتأويل واحد، كذا في المصباح. والمعنى الذي في المحبوب الحقيقيّ هو: ما يظهر من مفهوم تجلّياته على العقول بحسب استعدادها وقبولها، ويسمّي المناظر العُلا، كما أشار إليها الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه في أبياته من ترجمان الأشواق بقوله:

ليت شعري هل دروا   أي قلب ملكوا
وفؤادي لو درى   أي شِعب سلكوا
أتراهم سلموا   أم تراهم هلكوا
حار أرباب الهوى   في الهوى وارتبكوا

وفي هذا المقام يقول أبو يزيد البسطامي قدّس الله سرّه: «سبحاني ما أعظم شاني». وذلك لأنّه رأى كمال استعداده وقبوله للتجلّي الإلهيّ، فوجد عليه معنىً نزيهاً لم يجد له شبيهاً؛ فعرف أنّه راجع إليه، ورأى تسبيح المسبِّحين، وتقديس

المقدَّسين واقعاً عليه فقال ذلك. وأمّا الحضرة العليّة فهي بعيدة عنه وعن علم جميع الأكوان بالكليّة. وفي نظير ذلك يقول بعض العارفين:

إنّ الإلـه الـذي يبـدو بكـم ولكـم   والله والله مـا هـذا هـو الله

وقال الآخر:

هيهــات أنْ تــصطاد عنقــاءَ البقــا   بلعــابهن عناكــبُ الأفكــار

/[٤١٢/ ب] وتنكير معنى للتعظيم؛ لأنّه المثل الأعلى في السموات والأرض كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [١٦/ النحل/ ٦٠] في السموات والأرض. يعني: عند كلّ شيء من أهل السموات والأرض، وهو قدر استعدادهم؛ لأنّهم مخلوقون كلّهم. والمخلوق لا يعرف من الخالق إلّا مقدار استعداده من المعرفة، فتقع معرفته على المعنى المفهوم له، وهو ذلك المثل الأعلى. وقوله (حَلَّاكَ): بتشديد اللام، أي: جعلك حلواً، أي: مليحاً جميلاً، قال صلّى الله عليه وسلّم: «إنّ الله جميل يحبّ الجمال»[1] أخرجه مسلم والنسائيّ عن ابن مسعود رضي الله عنه. وأخرجه الطبرانيّ عن أبي أُمامة رضي الله عنه. وأخرجه الحاكم في المستدرك عن ابن عمر رضي الله عنهما. وأخرجه ابن عساكر عن جابر رضي الله عنه. وكاف الخطاب للمحبوب الحقيقيّ، وهو ذلك المعنى المذكور في كلّ موضع أريد به الحقّ تعالى عند العارفين به كما قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه:

مــا قلتــه قلــت عنّــي   فــلا أرى القــول يغنــي

هيهــات أدرك ذاتــاً   إليَّ أقــرب منّــي

وقال أيضاً من أبيات له:

ونــدرك منــه في أتــمّ صــفاتنا   كما يدرك الخفاش من باهر الشمس

قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ

---

(١) انظر تخريجه ص٣٢٧ + ١٦٨٥.

﴿ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [٣٩/ الزمر/ ٦٧] فطيّ السموات بيمينه ظهور استيلائه على أهل السموات بقوّة قهره وغلبة أمره عليهم. وأمّا أهل الأرض فهم في قبضته على الكشف منهم في يوم القيامة. وأمّا في الدنيا فهم بوساطة نفوسهم، وأسباب أغراضهم يتصرّفون في أحوالهم ظاهراً وباطناً وإنْ كانوا لم يخرجوا عن قبضته أزلاً وأبداً. وقوله (في عين عقلي) متعلّق بحلّاك. وعين العقل هي بصيرة القلب النورانيّ. وقوله (وبه): متعلّق بمعنى الثاني المشدّد النون، قدّم لإفادة الحصر. والباء للسببيّة. والضمير لمعنى الأوّل المخفّف النون، أي: وبذلك المعنى المذكور. وقوله (ناظري): مبتدأ أي ناظر بصري، قال في المصباح: «نظرته أنظره نظراً لغة في نظرت إليه: إذا تأمّلته برؤية العين. والفاعل ناظر، والناظر: السواد الأصغر من العين الذي يبصر به الإنسان. وقوله (مُعَنًّى): بتشديد النون، اسم مفعول من عَنَانِي كذا يَعنِيني: عَرَضَ لِي وشَغَلَنِي؛ فأنا مَعْنِيٌّ به. والأصل مفعول، كذا في المصباح. وقال في الصحاح: «عَنِيَ بالكسر عَنَاءً، أي: تَعِب ونصب، وعَنَّيْتُه أنا تَعْنِيَة، والمُعَانَاة: المُقَاسَاة، يقال: عَانَاهُ وتَعَنَّاهُ، وتَعَنَّى»، وقال الشاعر:

فقلت لها الحاجات يطرحن الفتى وهَمٌّ تَعَنَّانِي مُعَنًّى ركائبه

و(مُعَنًّى): المشدّد النون خبر المبتدأ، مضاف إلى قوله (حِلَاكَا): بألف الإطلاق، والحِلا بكسر الحاء: جمع حِلية بالكسر، وهي صفة الرجل. والخطاب للمحبوب الحقيقيّ، كناية عن صفاته وأسمائه، أي: هو معنى تلك الأسماء الإلهيّة، والصفات العليّة، أي: يقاسي ويعاني آثارها الكونيّة، وتجلّياتها الجلاليّة.

٣٨- فُقْتَ أَهْلَ الجَمَالِ حُسنىً وحُسْناً فَبِهِمْ فَاقَةٌ إلى مَعْنَاكَا

(فقت): بتاء الخطاب مفتوحة للمحبوب الحقيقيّ. يقال: فَاقَت الجاريةُ بالجَمال فهي فائقة، وفاق الرجل أصحابه: فَضَلَهُم ورَجَحَهُم أو غَلَبَهُم [كذا في المصباح].

وقوله (أهل): أي أصحاب. وقوله (الجمال): هو الحسن الظاهر في صور المظاهر، ومن المعلوم أنّ حُسْن الآثار دالّ على حُسْن المؤثّر. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [٣٢/ السجدة/ ٧] وقال صلّى الله عليه وسلّم: «إنّ الله كتب الحسن على كلّ شيء»[1] فحسن الخالق على كلّ حسن فائق. وقوله (حُسْنَى): أصله مقصور، ثمّ نوّن لمجانسة ما بعده، وهو منصوب على التمييز. وقوله (وحسناً): بالتنوين أيضاً معطوف على حُسْنَى. والفرق بينهما، كما قال الراغب في مفرداته: «والفرق بين الحسن والحسنة والحسنى، أنّ الحسن يقال في الأعيان والأحداث، وكذلك الحسنة إذا كانت وصفاً إذا كانت اسماً فتتعارف في الأحداث. والحسنى لا تقال إلّا في الأحداث دون الأعيان. والحسن أكثر ما يقال في تعارف العامّة في المستحسن بالبصر، وقال/ [٤١٣/ أ] في القاموس الحُسنى، بالضمّ: ضدّ السُّوأى، والعاقبة الحَسَنَة، والنظر إلى الله عزّ وجلّ، والظَفَر والشهادة ومنه: ﴿إِلَّآ إِحۡدَى ٱلۡحُسۡنَيَيۡنِ﴾ [٥/ التوبة/ ٥٢]. وقوله (فبهم): للتفريع، وضمير بهم بميم جماعة الذكور لأهل الجمال، وهم الرجال أصحاب القلوب المعمورة، والبصائر التي هي بأسرار الحقّ مغمورة. والجار والمجرور خبر مقدّم للحصر. وقوله (فاقة): مبتدأ مؤخّر، والفاقة: الحاجة، وافْتَاق افْتِيَاقاً: احتاج، وهو ذو فاقة، كذا في المصباح. وذلك كمال الافتقار إلى التعلّق بالأمر الإلهيّ على وجه الاستبصار. وقوله (إلى معناكا): بألف الإطلاق، والخطاب للمحبوب الحقيقيّ. ومعناه ما يتحصّل في العقول من معاني تجلّياته المختلفة على القلوب التي هي مؤتلفة، وهو آلة المعتقدات، التي وسعت قلب عبده المؤمن، كما ورد في الحديث، يتبدّل بالصور، وفيه يقول الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه:

عقد الخلائق في الإله عقائداً ... وأنا اعتقدت جميع ما اعتقدوه

---

(١) انظر تخريجه ص٥٦ و١٦٧٣.

وإنّما اعتقد جميع ما اعتقدوه لعلمه بأنّ ذلك كلّه من تجلّيات الحقّ تعالى عليهم، وهو مقدار ما علموه منه تعالى وهم معرضون عن بقية تجلّياته في الحسّ والعقل، وكلّ واحد منهم يعتقد تجلّياً واحداً وينكر بقية التجلّيات، ويكفّر بعضُهم بعضاً؛ لإنكار كلّ واحد منهم عين تجلّي ما اعتقده الآخر، فكان مثالهم: كطائفة من الناس، آمن كلّ واحد منهم بآية من القرآن، وكفر بغيرها من بقية الآيات؛ فإذا آمن العارف الكامل بجميع الآيات التي آمنوا بها كلّهم فقد كمل إيمانه، وحُمِد إيقانه، وحَسُن إحسانه. وكان على بصيرة من أمره في سرّه وجهره. ومعلوم أنّ التجلّيات هي ظهوره تعالى بآثار أسمائه الحُسنى وصفاته العليا، لا أنّ معنى ذلك ظهوره بذاته في عوالم إمكاناته؛ فإنّ الظهور الذاتيّ يستحيل في عالم الإمكان؛ إذْ حيث هو تعالى بذاته، لا مكان، ولا زمان، ولا شيء معه من الأكوان، كما ورد في الأثر: «كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان»[1] وهذا التجلّي في الاعتقاد عند كلّ عاقل من الناس لا يخلو منه أحد أصلاً، وهو المعبود والمقصود، تعرّف به الحقّ تعالى إلى عبده فضبطه العبد بخياله، والتزمه في باله، واحتجب عنه تعالى في كلّ ما سواه واستتر، فترى العبد لا يعترف إلّا به بين البشر، وهو يختلف باختلاف العقول، فمنه المردود عند غيره، ومنه المقبول، وعلى الله القبول.

٣٩- يُحْشَرُ العَاشِقُونَ تَحْتَ لِوَائِي ... وَجَمِيعُ المِلَاحِ تَحْتَ لِوَاكَا

(يحشر): بالبناء للمفعول، حَشَرْتُهم حَشْراً، من باب قتل: جمعتهم، ومن باب ضرب لغة، والحَشْر: الجمع مع سَوْق، كذا في المصباح. وقوله (العاشقون): نائب الفاعل، وهم جمع عاشق، من العِشْق، وهو الإفراط في المحبّة. ورجل عَاشِق، وامرأة عَاشِق أيضاً، كذا في المصباح. وقوله (تحت لوائي): أي اللواء العلم

---

(١) ذكره المناويّ في فيض القدير، ٥٩٦٢، كما ذكره السيوطيّ في جامع الأحاديث، باب: حرف الفاء ١٤٨٣٢.

بالتحريك، قال في المصباح: «لِوَاء الجيش عَلَمُهُ، وهو دون الراية، والجمع: أَلْوِيَة». فالمراد بالعاشقين: أهل المحبّة الإلهيّة، الفانون في وجود محبوبهم بالكلّيّة، الباقون به في حضرته العليّة، فإنّه يأتي يوم القيامة مقدماً عليهم؛ لأنّه يحشر المرء على ما مات عليه. والمراد أنّ روحه التي كنّى عنها بلوائه الذي يحمله تحشر عاشقي أزمانه كلّهم تحته، ولواؤه محمول بأمر الله تعالى؛ لأنّه منفوخ فيه منه، ومراده بالعاشقين أهل زمانه ذلك لا من تقدمه، أو تأخر عنه؛ فإنّه في كلّ زمان سابقون يتقدّم بعضهم في الكمال على البعض، كما روي عن النبيّ صلّى الله عليه وسلم أنّه قال: «في كلّ قرن من أمتي سابقون»[1] أخرجه الحكيم الترمذيّ عن أنس رضي الله عنه؛ فإنّ كلّ من صرح بنعمة الله تعالى عليه بالتقدّم على أقرانه، مراده التقدم على أهل ذلك القرن الذي هو فيه، لا من تقدّم عليه أو تأخّر عنه، كقول الشيخ عبد القادر الكيلانيّ قدّس الله سرّه: «قدمي هذا على رقبة كلّ وليّ». يعني: من أهل زمانه، وله قدسّ الله سرّه/ [٤١٣/ ب] قوله:

كلامي عقار عنقت ثمّ روقت ... وبعض كلام العارفين عصير

إذا ظهرت يوماً بُزاة خواطري ... فما لعصافير الطريق صفير

وله أيضاً قدّس الله سرّه:

لما أنفت نفسي عن الأشياء ... ألقيت بمهجتي إلى العلياء

من يصحب مثلكم فقد حقّ له ... أنْ يسحب ذيله على الجوزاء

وقول الناظم قدّس الله سرّه (يحشر العاشقون... إلى آخره): اقتداء بمؤرِّثه صلّى الله عليه وسلّم، حيث قال: «أنا سيِّد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، بيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من بني ـ يومئذ ـ آدم فمن سواه إلّا تحت لوائي»[2]

---

(١) ذكره في الجامع الصحيح للسنن والمسانيد فقال: أخرجه الحكيم الترمذيّ ١ / ٣٦٩، أبو نعيم في الحلية ١ / ٥/ الديلميّ في الفردوس ٣٤٧٥.

(٢) انظر تخريجه ص١٧٢٢.

أخرجه أحمدَ في مسنده عن أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه. والناظم له الوراثة المحمّديّة على أهل زمانه في وقت قوله ذلك وفي أوانه، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَٰمِهِمْ ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٧١]. وقوله (وجميع الملاح): أي المتّصفين بالملاحة، يقال: مَلُحَ الشيءُ، بالضمّ، مَلَاحَةً: بَهُجَ وحَسُنَ مَنْظَرُهُ، فهو مَلِيح، والأنثى: مَلِيحَة، والجمع: مِلَاح، كما في المصباح. وذلك كناية عن المظاهر الأسمائيّة، والتجلّيات الربّانيّة التي هي آثار الأسماء والصفات الإلهيّة، مِلَاح الأكوان من كلّ نوع من أنواع الإنسان وغير الإنسان. وقوله (تحت لواكا): بألف الإطلاق، أي: يحشر جميع ذلك، بمعنى: يجمع ويساق في يوم القيامة تحت لوائك. يكنّى باللواء عن روح الله الأعظم الذي هو أوّل مخلوق خلقه الله تعالى، وأقام تحته جميع الأعيان الكونيّة، والمحاسن الإمكانيّة الظاهرة على صفحات وجوه البريّة؛ فإنّهم جميعاً يحشرون يوم القيامة تحت لوائه تعالى، قال سبحانه: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [٧٨/ النبأ/ ٣٨] وهذا اللواء الإلهيّ محمول بأمره تعالى، كما قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨٥].

٤٠- مَا ثَنَانِي عَنْكَ الضَّنَى فَبِمَاذَا   يَا مَلِيحُ الدَّلَالُ عَنِّي ثَنَاكَا

(ما ثناني): من ثَنَيْتُ الشيءَ أَثْنِيه ثَنْياً، من باب رمى: إذا عَطَفْتُهُ ورَدَدْتُه، وثَنَيْتُه عن مُرَادِهِ: إذا صرفتُه عنه، كذا في المصباح. وقوله (عنك): متعلّق بثناني، والخطاب للمحبوب الحقيقيّ. وقوله (الضنى): فاعل ثناني، يقال: ضَنِيَ من ضَنَىً، من باب تعب: مَرِضَ مَرَضاً ملازماً حتّى أشرف على الموت، فهو ضَنٍ بالنقص، وامرأة ضَنِيَة، كذا في المصباح. والمعنى: لم يتحوّل قلبي عن محبّتك بسبب زيادة الأمراض التي اعترت جسدي وأسقمتني. وقوله (فبماذا): الفاء للتفريع، والباء للسببيّة، وما استفهاميّة، وذا اسم إشارة. والمعنى: بأي سبب من الأسباب. وقوله (يا مَليح): الدَّلال من دَلَّتِ المرأة دَلَلاً ودَلاً، من بابي تعب وضرب.

وتَدَلَّلَتْ تَدَلُّلاً، والاسم: الدَّلَال بالفتح، وهو جُرأَتها في تكسُّر وتغنُّج كأنّها مخالفة وليس بها خلاف، كذا في المصباح. وهذا كناية عن امتناع بعض المظاهر الإلهيّة عنه، وإقبال البعض عليه، وابتذال البعض، واعتزاز البعض لديه. وقوله (عنيّ): متعلّق بثناكا. وقوله (ثناكا): بألف الإطلاق وفاعله ضمير الضنى. يعني: بأي اقتضاء في الضنى حتّى صرفك عنّي فلم تقبل عليّ، وكان ذلك منك بسبب زيادة سقامي في محبّتك وشدّة مرضي في مقاساة مودّتك، كما قال القائل:

وهو من أرق الرسائل رحلتم وقلتم أقم فأقام

فخيَّرتموني وحيّرتموني نأيتم وقلتم براك السقام

فغيَّرتموني وعيّرتموني [نأيتم وقلتم براك السقام]

٤١- لَكَ قُرْبٌ مِنِّي بِبُعْدِكَ عَنِّي وَحُنُوٌّ وَجَدْتُهُ فِي جَفَاكَا

(لك): خبر مقدّم لإفادة الحصر، أي: لا لغيرك. والخطاب للمحبوب الحقيقيّ. وقوله (قرب): مبتدأ/ [٤١٤/ أ] مؤخّر. وقوله (منّي): متعلّق بقرب. وقوله (وببعدك): أي في بعدك. والبعد خلاف القرب. وقوله (عنّي): متعلّق ببعدك. والمعنى: فمن ذلك أنَّ قرب الكائنات منه تعالى قرب أثر من مؤثّر في حال مباشرة التأثير، وقرب معلوم من عالم به، لا يعزب عن علمه شيء؛ لأنّه علم حضوري، لا يغيب فيه عنه شيء أصلاً، وهو تعالى على كلّ شيء حفيظ، وعلى كلّ شيء رقيب، وبكلّ شيء محيط، وعلى كلّ شيء وكيل. وبُعْد الكائنات منه تعالى عدم مناسبتها له، وعدم مشابهتها له ولا بوجه من الوجوه، ولا باعتبار من الاعتبارات؛ لأنّها جميعها معدومات لا وجود لها أصلاً، ولا شمت رائحة الوجود، وإنّما الوجود كلّه له تعالى وحده؛ فهو تعالى الوجود الحقّ. والكائنات كلّها هي العدم الصرف المقدَّر المصوَّر، وهو تعالى الحقّ المبين، والكائنات كلّها هي الباطل الخفي، وهو تعالى النور الحقيقيّ، والكائنات كلّها هي الظلمة

المحقّقة. ومع هذا كلّه وجدت الكائنات بوجوده تعالى وتحقّقت بحقّه، وأنارت بنوره سبحانه، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [٢٤/ النور/ ٣٥] فأضاف نفسه سبحانه، وهو النور إلى السموات والأرض المظلّمة بظلمة العدم الأصليّة، وقال سبحانه: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾ [١٧/ الإسراء/ ١٠٥] فتحقّق بالحقّ كلّ شيء؛ فهذا قرب في بُعْد، وبُعْد في قرب؛ فالكلّ هو بالوجود، وما هو بالحدود.

وقوله (وحُنُوٌّ): بتشديد الواو، مرفوعة عطف على قرب، قال في المصباح: «حَنَتِ المرأةُ على ولدها تَحْنَى وتَحْنُو حُنُوّاً: عَطَفَتْ وأشفقت، فلم تتزوّج بعد أبيهم». وهذا الحُنُوّ من تجلّي اسمه تعالى الحَنَّان المَنَّان، قال في القاموس: «الحَنَان، كسحاب: الرَّحْمَة، والرزْق، والبَرَكَة، والهَيْبَة، والوَقَار، ورِقَّة القلب، وحَنَانَ الله، أي: مَعَاذ اللهَ. وكشَدَّاد من يَحِنُّ إلى الشيء واسمُ الله تعالى، ومَعْناه الرَحِيم، أَو الذي يُقبل على من أَعْرَضَ عنه». وقوله (وجدته): أَي وجدت ذلك الحنوّ، من الوجدان وَجَدَ المطلوبَ كوَعَدَ ووَرِمَ يَجِدُهُ ويَجُدُه، بضمّ الجيم وَجْداً وجِدَة ووَجْداً ووُجُوْداً ووِجْداناً وإِجْداناً بكسرهما: أدركه». وقوله (في جفاكا): بألف الإطلاق، يقال: جَفَا السَرْجُ عن ظهر الفرس يَجْفُو جَفَاء: ارتفع. ومنه: جَافَيْتُه فتجافى: إذا بعدت عن مودّته، وجَفَوتُ الرجل أَجْفُوه: أَعْرَضتُ عنه، أو طردته، وهو مأخوذ من جُفَاء السيل، وهو ما نفاه السيل، وقد يكون مع بغض، كذا في المصباح. وهذا الوجدان المذكور وهو معنى الذوق والعرفان؛ فإنّه إدراك ببصيرة وإيقان، لا مجرّد خيال يعرض في الأذهان.

٤٢- عَلَّمَ الشَّوْقُ مُقْلَتِي سَهَرَ اللَيْـ ـلِ فَصَارَتْ مِنْ غَيْرِ نَوْمٍ تَرَاكَا

(عَلَّمَ): بتشديد اللام، من التعليم. وقوله (الشوقُ): فاعل عَلَّمَ، أي: شوقي إليك. وقوله (مُقْلَتِي): مفعول عَلَّم. يعني: عيني الباصرة، وهو المفعول. وقوله (سَهَرَ): بالنصب مفعول ثانٍ لعلّم. وقوله (الليلِ): مضاف إليه. والمعنى: إنّه من شدّة الاشتياق يسهر الليل كلّه. وقوله (فصارت): أي مقلتي. والفاء للتفريع.

وقوله (في غير نوم تراكا): بألف الإطلاق، أي: تبصرك، وذلك لأنّ النوم يوجب انجماع الحواسّ الخمس كلّها، وإرجاع الإدراك كلّه إلى القلب، ولهذا النائم لا يدرك شيئاً في عالم الحسّ وعقله منحرف إلى جانب قلبه؛ فيدرك منه بحواسّه وبعقله، لا قلبه فقط لانجماع روح الإدراك في قلبه. وكذلك صاحب المحبّة الإلهيّة، والمعرفة الربّانيّة إذا فَنِيَ في وجود محبوبه الحقيقيّ بالكلّيّة انجمعت حواسُّه في قلبه، وانجذب عقله إليه عن ملاحظة كلّ شيء، فرأى في يقظته ما يراه النائم في منامه، وزاد عليه بمعرفة حاله الذي هو فيه، فلا يرى سوى محبوبه، ولا يشهد غير مطلوبه، فتارة يراه في صورة جميلة كونيّة، وتارة يراه في حقيقة مجرّدة روحانيّة، وتارة يراه في غير ذلك من الصور الوهميّة الخياليّة، وهو عارف متحقّق أنّه هو لا سواه إذما سواه من جميع البريّة/ [٤١٤/ ب].

٤٣- حَبَّــذَا لَيْلَــةٌ بِهَــا صِــدْتُ إِسْرَا ... كَ وَكَــانَ الــسُّهَادُ لِي أَشْرَاكَــا

(حبّذا): يقال حبّذا الأمر، أي: هو حبيب، جُعِلَ «حَبَّ» وَ«ذَا» كَشيء واحد، وهو اسم، وما بعده مرفوع به، ولزم «ذا» «حبّ»، وجرى كالمثل، بدليل قولهم [في المؤنّث]: حبّذا، لا حبّذِه. كذا في القاموس؛ فحبّذا خبر مقدّم. وقوله (ليلة): مرفوع على أنّه مبتدأ مؤخّر. وقوله (بها): أي فيها. والليلة هي النشأة الكونيّة الظاهرة في الصورة المثاليّة، ويجوز أنْ تكون الباء للسببيّة، أي: بسببها. وقوله (صِدْتُ): بضمّ تاء المتكلّم، من صَاد الرجلُ الطيرَ وغيرَه، يَصيده صيداً، كما في المصباح. وقوله (إسراكا): بكاف الخطاب للمحبوب الحقيقيّ، والإسرا بكسر الهمزة بالقصر، وأصله المدّ، وهو مصدر أسرى: إذا سار ليلاً ، قال في الصحاح: «سَرَيْتُ سُرَىً ومَسْرَىً وأَسْرَيْتُ بمعنى: إذا سِرْتُ ليلاً، وبالألف لغة أهل الحجاز. والمعنى هنا بصَيْد الإسراء: تحصيل معنى التجلّي الإلهيّ في الصورة الكونيّة، بشريّة كانت أو غير بشريّة. ويصحّ أنْ يكون أسراكا بفتح الهمزة، جمع أسير، قال في المصباح: «أَسَرْتُه أَسْراً، فهو أَسِير. وجمعه: أَسْرَى وأُسَارَى بالضمّ،

مثل: سَكْرَى وسُكَارَى». والمعنى هنا بالأسرى: الأعيان الكونيّة التي هي مظاهر الأسماء الإلهيّة من قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [٦/ الأنعام/ ١٨] ومرجعه إلى المعنى الأوّل. وقوله (وكان السُّهاد): الواو للحال، والجملة: حال من ضمير المتكلِّم، وهو التاء المضمومة. والواو الداخلة على الماضي المثبت كافية عن قد المقرّبة له، حيث معها ضمير المتكلّم في قوله (لي): قال الرضي؛ فإنّ كان مع الماضي المثبت ضمير، فثبوت قد معه أكثر من تركها، واجتماع الواو وقد حينئذ أكثر من انفراد أحدهما، وانفراد قد أكثر من انفراد الواو، وهنا انفراد الواو، وبدون قد مع الضمير من غير الأكثر، وهو جائز، وقال في مغني ابن هشام: في وجوب دخول قد عند البصريين لا الأخفش على الماضي الواقع حالاً إمّا ظاهرة نحو: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا﴾ [٢/ البقرة/ ٢٤٦] أو مقدّرة، نحو: ﴿هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾ [١٢/ يوسف/ ٦٥] ونحو: ﴿أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ [٤/ النساء/ ٩٠] وخالفهم الكوفيّون إلّا الأخفش، فقالوا لا يحتاج إلى ذلك لكثرة وقوعها حالاً بدون قد. والأصل عدم التقدير، لا سيّما فيما كثر استعماله. وهنا يجوز تقدير قد على قول البصريين فيكون إجماعاً، وتقديره: وقد كان السهاد. و(السُّهادُ):بالضمّ، السهر. قال في الصحاح: «السُّهَادُ: الأَرَق. وقد سَهِدَ الرجلُ، بالكسر، يَسْهَدُ سَهَداً». وقوله (لي): الجار والمجرور متعلّق بواجب الحذف في محلّ نصب على أنه حال من أشراكا؛ فإنّه لو تأخّر كان نعتاً للنكرة، ونعت النكرة إذا تقدّم عليها أُعرب حالاً منها، وأعربت هي بحسب العوامل. وقوله (أَشْرَاكَا): بألف الإطلاق: جمع شَرَك بالتحريك، وهو حِبَالَة الصائِد، الواحدة شَرَكَة، كذا في الصحاح. وقال في المصباح: «الشَرَك، بالتحريك، وهو الشَرَك للصائد معروف، والجمع: أشراك مثل سَبَب وأَسْبَاب. وقيل: الشرَك: جمع شَرَكة، مثل: قَصَب وقَصَبَة». وإنّما كان السَهَر أشراكاً يصيد به الكشف عن التجلّيات الإلهيّة، والظهورات الربّانيّة؛ لأنّه صار في غير نوم يرى ذلك التجلّي

والظهور، كما صرّح به قبله في البيت المذكور.

٤٤- نَـابَ بَـدْرُ الـتَّمَامِ طَيْـفَ مُحَيَّـا ... كَ لِطَـرْفِي بِيَقْظَتِـي مُـذْ حَكَاكَـا

٤٥- فَتَرَاءَيْـتَ فِي سِـوَاكَ لِعَـيْنٍ ... بِـكَ قَـرَّتْ وَمَـا رَأيـتُ سِـوَاكَا

٤٦- وَكَـذَاكَ الخَلِيـلُ قَلَّـبَ قَـبْلِي ... طَرْفَـهُ حِـينَ رَاقَـبَ الأَفْلَاكَـا

(ناب): فعل ماض، يقال: نَابَ الوكيلُ عنه في كذا يَنُوب نِيَابة، فهو نائب، كذا في المصباح. وقال في القاموس: «ناب عنه نوباً ومناباً قام مقامه». وقوله بدر التمام: فاعل ناب، وبدر التمام القمر الممتلئ بالنور، وهو كناية عن الإنسان الكامل، الظاهر عليه نور الوجود الحقّ. وقوله (طيف): مفعول ناب، على تقدير: ناب عن طيف، يقال: طَاف الخيالُ طَيْفاً من/[٤١٥/ أ] باب باع: أَلَـمَّ وأَتَى. والطَّيْف: ما أَطَاف بالإنسان من الخيال، كذا في المصباح. وقوله (محيّاك): بكاف الخطاب للمحبوب الحقيقيّ، والمُحَيَّا بتشديد الياء التحتيّة، قال في القاموس: «المُحَيَّا كالحُمَيَّا: جماعة الوجه». وطيف المُحيّا كناية عن ظهور وجه الحقّ تعالى بصورة الشيء الفاني الهالك كما قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [٢٨/ القصص/ ٨٨] وقال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ٢٦] وقوله (لِطَرْفِي): متعلّق بحكاكا، قدّم عليه للحصر. و(الطَّرْفُ): العين، وهو نظرها، ويطلق على الواحد، وغيره؛ لأنّه مصدر. وقوله (بيقظتي): أي في يقظتي، متعلّق بحكاكا أيضاً. وكان ذلك لأنّ يقظته عنده هي الكاشفة له من رؤية خيال وجه المحبوب ما لا يكشفه المنام من نفوذ بصيرته في أسرار الغيوب، وأنوار وجه المحبوب. وقوله (مُذ): هي ظرف مضاف إلى الجملة بعدها. وقيل إلى زمن مضاف إلى الجملة. وقيل مبتدأ، فيجب تقدير زمان مضاف للجملة يكون هو الخبر، ذكره ابن هشام في المغني. وقوله (حكاكا): بألف الإطلاق وكاف الخطاب للمحبوب الحقيقيّ. وكون بدر التمام يحكي طيف وجهه من جهة أنّ نور شمس الوجود ظاهر في قمر صور الأعيان الكونيّة لا من جهة الكيف والكيفيّة.

وقوله (فتراءيتَ): الفاء للتفريع، وفتح التاء خطاب للمحبوب الحقيقيّ، قال في القاموس: «تَرَاءَوْا: رأى بعضُهم بعضاً، وتَرَاءَى لي، وتَرَأَّى: تَبَدَّى لأراه». والمعنى: في ذلك ظهرتَ لأراك. وقوله (في سواك): أي في أي صورة كونيّة هي سواك، أي: غيرك، لأنك مطلق، وهي مقيّدة، وأنت قديم، وهي حادثة؛ لكنّها فعلك، وأثر أسمائك وصفاتك؛ فمن رآها فقد رآك على التنزّيه عنها. وقوله (لعينٍ): متعلّق بتراءيت، وتنكيرها للتعظيم. وقوله (بك): متعلّق بقرَّت، قدّم للحصر، والخطاب للمحبوب الحقيقيّ. وقوله (قرّت): بتشديد الراء، يقال: قَرَّتِ العينُ قُرَّةً، بالضمّ، وقُرُوراً: بَرَدَت سُروراً، كما في المصباح. وقوله (وما رأيت سواكا): بألف الإطلاق، أي: ذلك السوى الذي تراءيت فيه؛ لأنّه غاب في ظهور نور وجودك، واضمحل في تجلّي سرّ شهودك، وهو المظهر المنفعل عن تأثير أسمائك، والمجلى الواقع عليه إشراق شمس ضيائك. وقوله (وكذاك): أي مثل ما ذكرت. وقوله (الخليل): هو إبراهيم، رسول الله صلّى الله عليه وعلى نبينا وسلّم، أي: وقع لي في المظاهر الكونيّة نظير ما وقع له في الكواكب الفلكيّة. وقوله (قلّب): بتشديد اللام: فعل ماض من التقليب، وفاعله ضمير راجع إلى إبراهيم الخليل عليه السلام بطريق الوارثة عنه من مقام ولايته كما قال صلّى الله عليه وسلّم: «العلماء مصابيح الأرض وخلفاء الأنبياء، وورثتي وورثة الأنبياء»[1] رواه ابن عدي في الكامل، عن عليّ رضي الله عنه، وقال صلّى الله عليه وسلّم: «العلماء ورثة الأنبياء، يحبّهم أهل السماء ويستغفر لهم الحيتان في البحر إذا ماتوا إلى يوم القيامة»[2] رواه ابن النجار عن أنس رضي الله عنه. وقوله (قبلي): أي في زمان احتجاجه عليه السلام، على قومه لمّا أراه الله تعالى ملكوت السموات والأرض

(١) ذكره السيوطيّ في جامع الأحاديث، باب: جامع الحلّى من العين، ١٤٥٠٨.

(٢) ذكره السيوطيّ في جمع الجوامع، باب: العين، ٩١، وأخرجه أبو نعيم والديلميّ وابن النجار عن البراء.

بكشفه عن مظاهر تجلّياته، قال تعالى: ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ۝٧٥ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٔافِلِينَ ۝٧٦ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ۝٧٧ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝٧٨ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [٦/ الأنعام/ ٧٥/ ٧٩]. وقوله (طَرْفَه): مفعول قَلَبَ. والضمير للخليل إبرهيم عليه السلام. وقوله (حين راقب) الرقيب المنتظر: تقول رَقَبْتُ الشيءَ أَرْقُبُهُ رُقُوباً ورِقْبَةً ورِقْبَاناً بالكسر فيهما: إذا رَصَدتُه، كذا في الصحاح. وقوله (الأفلاكا) بألف الإطلاق، جمع فَلَك، قال في المصباح: الفَلَك جمعه: أفلاك مثل سبب وأسباب». وقال في/ [٤١٥/ ب] الصحاح: «والفَلَك واحد أَفْلَاك النجوم». فإنّ الخليل عليه السلام نظر في أفلاك السموات، فرأى الكوكب، وهو الزهرة والمشتري، كما قال البيضاويّ. وهي أصول المواليد الأرضيّة من جهة الروحانيّة؛ فالاطلاع عليها، والكشف عن تصرّفها في العناصر الأربعة: النار، والهواء، والماء، والتراب. وظهور المواليد الأربعة عنها: الجماد، والنبات، والحيوان، والإنسان. وتدبيرها بها، ثمّ إفسادها؛ وهو ملكوت السموات والأرض الذي أراه تعالى لإبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿فَلَمَّا جَنَّ﴾ أي: ستر عليه الليل كلّ شيء بظلامه ﴿رَءَا كَوْكَبًا﴾ متصرِّفاً في الأرض بأمر الله تعالى: ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّى﴾ ناظراً إلى الفاعل الحقيقيّ، لا إلى السبب ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ﴾ الكوكب، واستتر المتجلِّي الحقّ ﴿قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٔافِلِينَ﴾ وهو الكوكب وأمثاله؛ لأنّ محبّته وخلّته كانت للحقّ تعالى المتجلِّي بالكوكب، لا الكوكب. فصرّح بذلك إرشاداً للسالكين في طريق اليقين. ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا﴾ ناظراً إلى الفاعل الحقيقيّ أيضاً، لا إلى السبب الظاهر. ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّى﴾ لأنّه أكبر من الكوكب، وتصرّفه أكثر ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ﴾ بأن استتر المُتجلِّي به الحقّ ﴿قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى﴾ أي: هداية قوم لا ينظرون إلى الأسباب

أصلاً، ولا يرونها لفنائها في الوجود الحقّ، واضمحلالها بالكلّيّة، وهي الانتقال من عين اليقين إلى حقّ اليقين؛ لأكونن من القوم الضالّين عن كشف حقيقة الأمر المتحيرين في اعتبار الوسائط السببيّة، الحيرة المرضية. ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً ﴾ ولها كمال الإشراق والتصرّف في عوالم الأرض بإذن الله تعالى: ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّي ﴾ ناظراً إلى تجلّي الحقّ سبحانه. ثمّ قال: ﴿هَٰذَآ أَكْبَرُ﴾ أي: أكمل إشراقاً وتصرّفاً. ﴿فَلَمَّآ أَفَلَتْ﴾ واستتر المتجلّي الحقّ بها علم أنّ موقع الإشارة فانٍ مضمحلٌّ يظهر بنور وجود الحقّ تعالى، ويختفي على حسب مراده تعالى في التجلّي والاستتار. ثمّ قال: ﴿يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ معه تعالى في الوجود الواحد الحقّ. ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾ أي: كلّي ظاهراً و باطناً ﴿لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ أي: خلقهنّ على غير مثال سابق، فخلق الأسباب السماويّة، والمسببات الأرضيّة. وقد رُهنت بوجود الواحد الحقّ، من حيث تجلّيه بأسمائه الحسنى، وصفاته العليا ﴿حَنِيفًا﴾ أي: مائلاً عن الباطل الذي هو كلّ ما سواه تعالى إلى الحقّ الذي هو الوجود الواحد الأحد القديم الذي لا يتغير ولا يتبدّل عمّا هو عليه أزلاً وأبداً وإنْ تجلّى كما شاء وأراد، واستتر كما شاء وأراد، وغيّر وبدّل كل ما سواه، لا إله إلّا الله ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ المشاركين بينه وبين مخلوقاته في الوجود والتصرّف، وهذا هو المعرفة الربّانيّة والتعرّف.

٤٧- فَالـدَّيَاجِي لَنَـا بِـكَ الآنَ غُـرٌّ　　حَيْثُ أَهْدَيْتَ لِي هُدَىً مِنْ سَنَاكَا

(فالدياجي): الفاء للتفريع على ما قبله، والدياجي مبتدأ، جمع ديجاة تقديراً، قال في القاموس: دَيَاجِي الليلِ حَنَادِسُه، كأنّه جمع دَيْجَاة». وقال في الصحاح: «الدُجَى الظلمة، يقال: دَجَا الليل يَدْجُو دُجُوًّا، وليلةٌ دَاجِيَة، وكذلك أَدْجَى الليل وتَدَجَّى. وقال الأصمعي: دَجَا ا لليل إنّما هو أَلْبَسَ كلّ شيء، وليس هو من الظلمة». ويكنّي هنا بالدياجي عن الأعيان الكونيّة باعتبار نظر أهل الغفلة والحجاب إليها، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ [١٨/ الكهف/ ٢٨]

أي: شهودنا في كلّ شيء. وقوله (لنا): معشر العارفين بك، وبتجليك في كلّ شيء. وقوله (بك): أي بوجودك الظاهر، وبحولك وقوّتك، أو بأمرك الذي هو ظاهر عندنا، ونحن قائمون به. والخطاب للمحبوب الحقيقيّ. وقوله (الآن): ظرف لمعنى الجملة. يعني: لا في حال جاهليّتنا الأولى، وغفلتنا عنك بك في الحالة السابقة لنا. وقوله (غرّ): جمع غراء: خبر المبتدأ، الغرّة في الأصل بياض في جبهة الفرس، قال في المصباح: الغُرَّة في جبهة الفرس: بياض/ [٤١٦/ أ] فوق الدرهم، وفرس أَغَرُّ، ومُهْرَةٌ غَرَّاءُ، مثل: أحمر وحمراء. ورجلٌ أَغَرُّ: صَبِيحٌ، أو سَيِّد في قومه». وقال في القاموس: «الأَغَرُّ: الأبيضُ من كلّ شيء». يعني: إنّ جميع الأشياء مشرقات بنور وجودك الحقّ عندنا الآن، وكلّ شيء من حيث هو في ظلمة عدمه الأصليّة، قال القشيري قدّس الله سرّه:

لـــيلي بوجهـــك مـــشرق وظلامــه في النــاس ســاري
النـــاس في غـــسق الظـــلا م ونحـــن في ضـــوء النهـــار

وقوله (من حيث أهديت لي هدى): أي كشفاً واطّلاعاً على أسرار وجودك، وأنوار شهودك، ولا حول ولا قوّة لي إلّا بإمداد فضلك وجودك. وقوله (من سناكا): بألف الإطلاق، وتنكير هدى للتعظيم. والجار والمجرور صفة هدى. و(السنا): بالقصر الضوء، كذا في المصباح. وقال في القاموس: «السنا ضوء البرق، وأَسْنَى البَرْقُ: دخل سَنَاهُ البيت، أو وقع على الأرض، أو طار في السحاب». وكنّى عن وجوده تعالى الحقّ الظاهر على كلِّ شيء بسرعة، ثمّ يختفي، ثمّ يظهر لتغير كلّ شيء به بالبرق اللامع، كما قلت في مطلع قصيدة لنا:

رويــدك أيهـــا الـــبرق اللمـــوع فــإنّ غــروب ضــوئك لي طلــوع
ترفــرف تــارة وتغيــب أخــرى فتعــشقك الأمــاكن والربــوع
ألا هــل أنــت بهجــة وجــه ســلمى بــدت فتحــيّر القلــب الولــوع

أم ابتسمت عشيّة ودعتنا فجاد بكوننا الثغر المَنوع

٤٨- ومَتَى غِبْتَ ظَاهِراً عَنْ عِيَانِي أُلْقِهِ[1] نَحْوَ بَاطِنِي ألقاكا

(ومتى غبت): بفتح التاء، خطاب للمحبوب الحقيقيّ. وقوله (ظاهراً): أي من حيث أنت ظاهر لي، وإلّا فالغيبة من حيث هو عليه محال؛ لأنّه يستحيل تغيره. وقوله (عن عِياني): متعلّق بـ (غبت). والعِيان مصدر عَاينْتُه مُعَاينَة وعياناً، كما في المصباح. وقال في الصحاح: «عاينتُ الشيءَ عِياناً: إذا رأيته بعينك». وقوله (أُلْقِهِ): بضمّ الهمزة بالجزم، جواب الشرط، وهو متى، تجزم فعلين. (غِبْتَ): فعل الشرط في محل جزم، وأصله ألقيه، مضارع ألقاه بمعنى طرحه، قال في الصحاح: ألقيته، أي: طرحته». وتقول: ألقه من يدك، وألق به من يدك، وألقِ به من يدك، وألقيت إليه المودّة وبالمودّة. والضمير للعيان، أي: وذكر الحسن البورينيّ في شرحه لهذا المحلّ عن جدنا المرحوم العلامة الشيخ إسماعيل النابلسيّ قال: «اعلم أنّ هذا البيت وقع فيه خلاف من جهة هذه اللفظة، وهي ألقه في زمن شيخنا الشيخ إسماعيل النابلسيّ وقد سئل عنها فقال: هي (أُلفَة): بضمّ الهمزة، والفاء والتاء آخرها على أنّها اسم بمعنى التآلف، أي: ألقاكا نحو باطني لأجل الألفة». وقوله (نحو باطني): أي قلبي وخفي سرِّي. وذلك بأن أنظر ببصيرتي إلى باطن سريرتي. وقوله (ألقاكا): بألف الإطلاق، أي: أجدك، يقال: لَقِيْتُه أَلْقَاهُ، من باب تعب لُقْيَاً، والأصل على فُعُول. ولُقَىً بالضمّ مع القصر، ولِقَاء بالكسر، مع المدّ والقصر، كذا في المصباح. أي: أجدك في باطني، ولا تغيب عنِّي.

٤٩- أَهْلُ بَدْرٍ رَكْبٌ سَرَيْتَ بِلَيْلٍ فِيْهِ بَلْ سَارَ فِي نَهَارِ ضِيَاكَا

(أهل بدر): هم أصحاب الغزوة المشهورة، وبدر موضع بين مكّة والمدينة على منتصف الطريق تقريباً. وعن الشعبي أنّه اسم بئر هناك، قال: وسُمِّيَتْ بدراً لأنّ

---

(١) في (ق): أُلفه.

الماء كان لرجل من جهينة اسمه بدر. وقال الواقدي: كان شيوخ غفار يقولون: بدر ماؤنا ومنزلنا، وما ملكه أحد قبلنا. وهو من ديار غفار، كذا في المصباح. والكناية بهم عن العارفين المحقِّقين من أهل الله تعالى الذين ظهر لهم نور شمس الوجود الحقّ في قمر تقدير أعيانهم الكونية، فتحقّقوا بربّهم الوجود الحقّ ظاهراً لهم في صورهم العدميّة الفانية المضمحلّة بالكلّيّة. وقوله (رَكْب): قال في المصباح: «راكِب الدَابَّة جمعه: رَكْب/ [٤١٦/ ب] مثل صَاحِب وصَحْب ورُكْبَان» وكونهم ركباً من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [١٧/الإسراء/ ٧٠] وبنو آدم على الحقيقة هم العارفون بربّهم، الكاملون وغيرهم، حاملون لأنفسهم بأنفسهم؛ فهم بنو آدم في الصورة، لا في المعنى. وقوله (سَرَيْتَ): بفتح التاء، خطاب للمحبوب الحقيقيّ. وقوله (بليل): أي من ظلمة الأكوان. وقوله (فيه): أي في ذلك الركب. ومعنى سيره فيهم: ظهوره بهم في أعيان العدميّة، وهو معنى المعيّة الإلهيّة من قوله تعالى:﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [٥٧/الحديد/ ٤]. وقوله (بل): حرف إضراب عن الكلام الأوّل. وقوله (سَار): أي ذلك الركب. وقوله (في نهار ضِيَاكَا): بألف الإطلاق، أي: نورك الحقيقيّ الذي هو وجودك الحقّ، فظهر عليه وجودك، وهو في نفسه عدم محض، فرآه الراؤون موجوداً، وهو عند نفسه معدوم، قال القائل:

رقّ الزجاج وراقت الخمر ... وتشابها فتشاكل الأمر
فكأنّما خمر ولا قدح ... وكأنّما قدح ولا خمر

وقال الآخر:

عطس الصبح في الدجى فاسقنيها ... خمرة تترك الحليم سفيها
لست أدري من رقّة وصفاء ... هي في كأسها أم الكأس فيها

٥٠- وَاقْتِبَاسُ الأَنْوَارِ مِنْ ظَاهِرِي غَيْـ ... ـرُ عَجِيبٍ وَبَاطِنِي مَأْوَاكَا

(واقتباس): مصدر اقْتَبَس يقال: قَبَسَ ناراً يَقْبِسُهَا، من باب ضرب: أخذها

من مُعْظَمِها، وقَبَسَ عِلْماً: تعلَّمه. وأَقبَسْتُه ناراً وعلماً، بالألف، فاقتبس. والقَبَس بفتحتين: شُعْلة من نار يقتبسها الشخص، كذا في المصباح. وقوله (الأنوار): جمع نور، بمعنى الضوء. كنّى عن العلم النافع بالنور؛ لأنّه يكشف عن غيوب الإسرار الإلهيّة. وقوله (من ظاهري): أي ظاهر أحوالي وإشارات أقوالي. وقوله (غير عجيب): أي ليس ذلك بأمر غريب وإنْ اشتمل على ما يدقّ عن العقول، ولا تكاد تسمح به خفايا النقول من معاني التجلّيات، ولطائف التدلّيات. وقوله (وباطني): الواو للحال، والجملة حال من ياء المتكلّم في قوله ظاهري. وقوله (مأواكا): بألف الإطلاق، وخطاب المحبوب الحقيقيّ. و(المأوى): بفتح الواو، ولكلّ حيوان سكنه. ومأْوى الغَنَم: مَرَاحُهَا الذي تأوي إليه ليلاً، كذا في المصباح. وهذا من قوله صلّى الله عليه وسلّم في الحديث القدسيّ: «ما وسعني سماواتي ولا أرضي ووسعني قلب عبدي المؤمن»[1] وهو وسع المعرفة بالله؛ فإنّ من عرف شيئاً فقد وسعه، وهو معنى قوله (مأواكا).

٥١- يَعْبَقُ المِسْكُ حَيْثُمَا ذُكِرَ اسْمِي مُنْذُ نَادَيْتَنِي أُقَبِّلُ فَاكَ

٥٢- وَيَضُوعُ العَبِيرُ فِي كُلِّ نَادٍ وَهُوَ ذِكْرٌ مُخَبِّرٌ عَنْ شَذَاكَا

(يَعْبَقُ المِسْكُ): يقال عَبِقَ به الطِيْبُ عَبَقاً، من باب تعب: ظَهَرَتْ ريحُه بثوبه أو بدنه، فهو عَبِق، قالوا: ولا يكون العَبَقُ إلّا الرائحة الطَيِّبَة الذكِيَّة، كذا في المصباح. وقوله (المسك): فاعل يعبق؛ وإنّما خَصَّ المسك لقوله صلّى الله عليه وسلّم «أطيب الطيب المسك»[2] رواه أحمد في مسنده، ومسلم في صحيحه، وأبو داوود عن أبي سعيد الخدريّ رضي الله . وقال تعالى: ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٌ﴾ [٨٢/ المطفّفين/ ٢٦] وذلك لأنّه أطيب الطيب. وقوله (حيثما): حيث ظرف مكان، وتضاف إلى جملة، وهي

(١) انظر تخريجه ص٣٢٤ و ١٦٧٧.

(٢) أخرجه أخرجه أحمد في مسنده، مسند أبي سعيد الخدريّ، ١١٦١٩، كما أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الألفاظ من الآداب، باب: استعمال المسك، وأنّه أطيب الطيب، ٦٠١٨. بلفظ مشابه.

مبنيّة على الضمّ، وتجمع معنى ظرفين، لأنّك تقول: أقوم حيث يقوم زيد، وحيث زيدٌ قائمٌ فيكون المعنى: أقوم في الموضع الذي فيه زيد، وعبارة بعضهم: حيث من حروف المواضع، لا من حروف المعاني، كما في المصباح. وما كافّة حيث عن الإضافة. قال ابن هشام في المغني: «إذا اتّصلت بحيث (ما) الكافّة ضمنت معنى الشرط، وجزمت الفعلين». وقال الرضي في أدوات الشرط: [illegible] وزعم أنّه لو تقدّم على الشرط ما هو جواب في المعنى: فالشرط لا يكون إذن إلّا ماضياً لفظاً أو معنى، نحو: أضربك إنْ ضربتني، وأضربك إنْ لم تعطني، حتى لا يعمل في الشرط كما لا يعمل في الجزاء. وقوله (ذكر): مبني للمفعول. وقوله (اسمي): نائب الفاعل. وقوله (منذ): اسم بسيط مبني على الضمّ، قال في مغني ابن هشام: «ويليها الجمل الفعليّة [أو الإسمية]، والمشهور أنّها ظرف مضاف، فقيل إلى الجملة، وقيل إلى زمن مضاف إلى الجملة. وقيل مبتدأ، فيجب تقدير زمان مضاف للجملة يكون هو الخبر. وقوله (ناديتني أُقَبِّلُ): بتشديد الباء الموحّدة أي: أَلْثُم، من القبلة، اسم من قبّلت الشيءَ تقبيلاً، والجمع: قبل، مثل غرفة وغرف، كما في المصباح. وقوله (فاكا): بألف الإطلاق، والخطاب للمحبوب الحقيقيّ. وذلك كناية عن مصدر الكلام الإلهيّ الذي هو صفة المتكلّم، وهو الذات، والتقبيل كناية عن الكشف عن غيب الذات بالتحقق بحقيقة الوجود الحقّ بعد فناء كلّ ما سواه، والرجوع إليه به. والمعنى: إنّ كلّ مجلس فيه ذكر اسمه يعبق فيه مسك الحقائق والمعارف فضلاً عن حضوره بذاته في ذلك المجلس، وذلك إنّما كان من حيث ناديته بالكلام الربّانيّ من دون حرف ولا صوت فيقع في القلب أثره، قال تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا﴾ [٣/ آل عمران/ ١٩٣] وهذا المنادي هو داعي الرشاد بالاستسلام، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَـٰمِ﴾ [١٠/ يونس/ ٢٥] وللسهروردي قدّس الله سرّه من قصيدة له:

والله مـــا طلبـــوا الوقـــوف ببابـــه　　حتّـــى دعـــوا وأتـــاهم المفتـــاح

وقوله (ويضوع): ضَاعَ الشيء يَضُوعُ ضَوْعاً، من باب قال: فَاحَتْ رائحتُه، وتَضَوَّعَ كذلك، كما في المصباح. وقوله (العبير): مثل كريم هو أخلاط تجمع من الطيب، كذا في المصباح. وقوله (في كلّ ناد): النادي هو مجلس القوم ومتحدَّثهم، ولا يقال فيه ذلك إلاّ والقوم مجتمعون فيه؛ فإذا تفرّقوا زال عنه هذا الاسم، كما في المصباح. وقوله (وهو): أي ذلك العبير. ذكر فعبر عن اسمه الذي يعبق المسك حيثما ذكر بالعبير. والعبير أخلاط الطيب، كناية عن مجموع الأسماء والصفات الإلهية، الظاهرة بظهور الناظم قدّس سرّه؛ فهو الأوّل ذكر كوني، ثمّ ذكر إلهيّ لتبدّل الحالة الأولى بالحالة الثانية، والانتقال من الكناية الكونيّة عن الحقيقة الربّانية إلى التصريح الأسمائيّ، والتجرّد الرحمانيّ في صورة العبد الفاني. وقوله (مُخَبِّرٌ): بتشديد الباء الموحّدة على صورة اسم الفاعل. وقوله (عن شذاكا): بألف الإطلاق، والخطاب للمحبوب الحقيقيّ. و(الشذى): بالشين والذّال المعجمتين قوّة ذكاء الرائحة، كذا في القاموس، أي عند كمال المعرفة بك، والكشف عن أسرار تجلّيّاتك بجلالك وجمالك وبديع كمالك.

٥٣- قَالَ لِي حُسْنُ كُلِّ شَيْءٍ تَجَلَّى ... بِي تَمَلَّي فَقُلْتُ قَصْدِي وَرَاكَا

٥٤- لِي حَبِيبٌ أَرَاكَ فِيهِ مُعَنَّى ... غُرَّ غَيْرِي وَفِيهِ مَعْنَى أَرَاكَا

٥٥- إِنْ تَوَلَّى عَلَى النُّفُوسِ تَوَلَّى ... أَوْ تَجَلَّى يَسْتَعْبِدُ النُّسَّاكَا

٥٦- فِيهِ عُوِّضْتُ عَنْ هُدَاي ضَلَالاً ... وَرَشَادِي غَيّاً وَسِتْرِي انْهِتَاكَا

٥٧- وَحَّدَ القَلْبُ حُبَّهُ فَالْتِفَاتِي ... لَكَ شِرْكٌ وَلَا أَرَى الإِشْرَاكَا

(قال لي حُسْنُ): فاعل قال، وهذا القول صادر من صريح شيئية الشيء، بمعنى المشيوء، وهو الذي شاءه الحقّ تعالى، أي: أراده بإرادته القديمة التي لا تعلّل بعلّة، ولا بباعث، ولا غرض؛ بل هي على كمال الحكمة والإتقان؛ فإنّه كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [٣٢/ السجدة/ ٧] وقال تعالى: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ

﴿فِىٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾ [٩٥/ التين/ ٤]. وقوله (كلّ شيء تجلّى): أي انكشف لي. وفاعل تجلّى ضمير راجع إلى حسن؛ لأنّه صفته؛ فإنّ حُسْن الشيء قد يتجلّى وينكشف، وقد يختفي ويستتر. وقوله (بي تَـمَلّي): مقول القول الصادر من حُسْن الشيء المتجلّي له، إمّا بلسان الحال إنْ ضعف حاله/ [٤١٧/ ب] أو بصريح النطق إنْ قوي كماله، كما قال تعالى: ﴿أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىۡءٖ﴾ [٤١/ فصّلت/ ٢١] فكلّ شيء ناطق، ويختلف الأمر على السامع بحسب قوّة حاله، وضعف مجاله. وقدّم الجار والمجرور في قوله (بي): عليّ متعلّقة، وهو تملَّ لإفادة الحصر، والتملّي بالشيء: التمتّع به. قال في القاموس: مَلّاكَ اللهُ حَبيبَك تَمْلِيَة: مَتَّعَكَ به، وأَعَاشَكَ معه طَوِيْلاً، وتَمَلَّى عُمْرَه: اسْتَمْتَع منه، وأَمْلَاه الله إيّاه، ومَلاوة [من الدهر]». وقوله (فقلتُ): بضمّ تاء المتكلّم قولاً روحانيًا بتوجّه أمري، وحروف وأصوات غيبيّة لا تسمعه إلا آذان الأرواح في غيابات الأشباح. وقوله (قصدي): أي مقصودي الذي أنا طالب له، وراغب فيه، ومقبل عليه. وقوله (وراكا): بألف الإطلاق، والخطاب لحُسْن كلّ شيء. وأصل الورى أنّه ممدود ومهموز، ولكنّه قُصر لضرورة الوزن، قال في المصباح: ووراء كلمة مؤنّثة تكون خَلْفاً، وتكون قُدّاماً، يقال: وراءَك بردٌ شديد، وقدّامك برد شديد، لأنّه شيء يأتي، فهو من وَرَاء الإنسان على تقدير لُحُوقِه بالإنسان، وهو بين يديه على تقدير لحوق الإنسان به، فلذلك جاز الوجهان. وفي التنزيل: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ﴾ [١٨/ الكهف/ ٧٩] أي: أمامهم، وهو هنا من قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ﴾ [٨٥/ البروج/ ٢٠] أي: قصدي ما هو متوارٍ بك، أي: مستتر بك، محجوب بنشأتك عنّي، وهو الحقّ تعالى، وهذه المقالة وما بعدها مقول قوله فقلت. وقوله (لي حبيب): خبر مقدّم للحصر، ومبتدأ مؤخر، وتنكيره للتعظيم. وقوله (أراك): أي أبصرك ببصر قلبي، وهو عين البصيرة، والخطاب لحسن كلّ شيء. وقوله (فيه): أي في محبّته، والضمير لحبيب. وقوله (مُعَنًّى): بتشديد النون على صيغة اسم المفعول، أصله

من عَنَانِي كذا يَعْنِينِي: عَرَضَ لي وشَغَلَنِي، فأنا مَعْنِيّ به، بتشديد الياء على وزن مفعول. والمَعَنَّى، بتشديد النون، من عَنِيَ يَعْنَى، من باب تعب: إذا أصابه مشقّة. ويُعَدَّى بالتضعيف فيقال عَنَّاه يُعَنِّيه: إذا كلّفه ما يشقّ عليه، والاسم: العَنَاء. ذكره في المصباح، فهو مُعَنَّى بتشديد النون، من الثاني المضاعف. وذلك لأنّ كلّ شيء من المعاني والمحسوسات فيه المحبّة الإلهيّة متوجّهة إلى مثله من المعاني والمحسوسات، محجوب به عن محبوبه إلّا العارفين به، وإلى ذلك أشرنا بقولنا من أبيات لنا:

كـلّ حـسن مـن حـسنه مـستعار ... فلـذا كـلّ والـه فيـه والـه

مـا درى النـاس أنّ كـلّ جمـال ... فهـو في الخلـق لمحـة مـن جمالـه

وكـذا الحـبّ كلّـه قطـرة مـن ... حبّـه نفـسه بـدا في خيالـه

وقوله (غُرَّ): بضمّ الغين المعجمة وتشديد الراء، فعل أمر من الغرور، يقال: غَرَّتْه الدنيا غُروراً، من باب قعد: خَدَعَتْه بزينتها، كذا في المصباح. وقوله (غيري): مفعول غرّ، أي: اخدعْ بزينتك إنساناً غيري. وأمّا أنا فلا تقدر يا حُسْن أنْ تخدعني بزينتك؛ لأنّي عارف بالجمال الحقيقيّ الذي أنت أثر من آثاره، ونور منكشف بصورتك الفانيّة من حقائق أنواره. وقوله (معنى): أي مجرد مضمون ودلالة، قال في المصباح: «مَعْنَى الشيءِ ومَعْناتُه واحد، ومَعْنَاه، وفَحْواه، ومُقْتَضاه، ومضمونه كلّه: هو ما يدلّ عليه اللفظ، وقد استعمل الناس قولهم: هذا معنى كلامه وشبهه، ويريدون هذا مضمونه ودلالته». وقوله (أراكا): بألف الإطلاق، والخطاب لحسن كلّ شيء. وقوله (إنْ تولّى): أي استولى وغلب، قال في المصباح: وَلِيْتُ البلدَ وعليه». والفاعل والٍ، والجمع: وُلاة. واسْتَولَى عليه: غَلَبَ وتمكّن منه، كذا في المصباح، والضمير لحبيب، وهذا من مقولة القول. وقوله (على النفوس): متعلّق بتولّى، جمع نفْس بسكون الفاء، وهي الروح، والشخص واسم لجملة الحيوان، والجمع: أنْفُس ونُفُوس، مثل: فلس وأفلس

وفلوس، كما في المصباح/ [٤١٨/ أ] وقوله (تولّى): أي أعرض، قال في الصحاح: «تولّى عنه، أي: أعرض، وذلك لأنّه إذا استولى وغلب على النفوس أوهمها أنّها غيره، وألبس عليها أمره بصورتها التي يقدّرها، وهو قائم عليها بما كسبت من خير أو شرّ، قال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ [١٣/ الرعد/ ٣٣] وهذا معنى إعراضه عنها، وحذف قوله عنها، من تولّى الثاني على وجه الاكتفاء. وقوله (أو تجلّى): أي ظهر وانكشف، والضمير لـ(حبيب). والمعنى: تجلّى للنسّاك، فحذف من الأوّل لدلالة الثاني، وهو الاحتباك. وقوله (يستعبد): قال في المصباح: «اسْتَعَبَدَه وعَبَّدَه، بالتثقيل: اتخذه عبداً، وتعبّد الرجل: تنسَّك، وتَعَبَّدْتُهُ: دعوته إلى الطاعة». وفاعله ضمير عائد إلى حبيب. وقوله (النسَّاكا): بألف الإطلاق: مفعول يستعبد، والنسّاك جمع ناسك، قال في المصباح: «نَسَكَ: تَزَهَّد وتعبّد، فهو ناسك، والجمع: نُسَّاك، مثل: عابد وعُبَّاد». وذلك لأنّه إذا ظهر لهم، وانكشف عليهم عرفوه، فأقبلوا على طاعته، به لا بأنفسهم، فيكملون في مرتبة العلم، والعمل له، وهو الميراث النبويّ، والمقام المصطفوي. وقوله (فيه): أي في طريق محبّته. وقوله (عُوِّضَتُ): بالبناء للمفعول، وضمّ تاء المتكلِّم، أي: عوّضني هو. وقوله (عن هُداي): أي اهتدائي بنفسي، ودعواي الوجود والاستقلال دونه، وهو هدى العامّة الغافلين عنه، المحجوبين بأنفسهم عن القيام به. وقوله (ضلالاً): مفعول ثانٍ لعوّض، وأصله عوضني عن اهتدائي بنفسي إلى معرفته العقليّة الخياليّة التي هي بتصوِّر معنى في النفس ضلالاً، أي: حيرة فيه، وعدم تخصيصه بمَظهَر دون مُظهِر، وتجَلَى دون مُجلٍ، وهو الضلال المحمود، المقتضي للتنزيه عن جميع الحدود. وقوله (ورشادي): أي وعن رشادي أيضاً الذي كنت فيه بنفسي، قال في المصباح: «الرُّشد الصلاح، وهو خلاف الغيّ والضلال، وهو إصابة الصواب، ورَشِدَ رَشَداً، من باب تعب، والاسم: الرشاد». وهو الصلاح المعقول من نصوص المنقول، المدبِّر بتدبير العقول. وقوله (غيّاً): أي عوّضت عن

رشادي غيّاً، يقال: غَوَى غَيّاً من باب ضرب: انهمك في الجهل، وهو خلاف الرُشد، كما في المصباح. والغَيّ هنا هو الانهماك في الحيرة في الله ، بكمال التسليم القلبيّ للمقادير الإلهيّة، تفعل به ما تقتضيه من غير تدبير نفسانيّ في خير أو شرّ. وقوله (وستري): أي ما يستر حقيقتي، أو استتار أحوالي عن الناس، والسِّتْر: ما يُسْتَر به. والسُّتْرَة، بالضمّ، مثله. وسَتَرْتُ الشيءَ سَتْراً، من باب قتل، كذا في المصباح. فعلى الأوّل الستر: ما يُسْتَتَر به، وهو صورته الكونيّة الساترة لحقيقته الربّانيّة، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ﴾ [٨٥/ البروج/ ٢٠] أي: من خلفهم بحيث لا يشعرون. أو من قدّامهم إنْ كانوا يعلمون؛ فإنّ الوراء للخلف وللقدّام كما قدّمناه، قال تعالى: ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [٢/ البقرة/ ١٠١]. يعني كتاب الله الذي هو صور تجلّياته للحسّ والعقل. وفي الحديث: «إنّ الله في قبلة أحدكم»[1]، يعني المصلّي الكامل في الإقبال، وعلى الثاني الستر مصدر ستر، أي: كتمان أمري، وإخفاء سرّي. وقوله (انهتاكا): يعني عوّضني الحقّ تعالى عن ستري الذي أنا مستتر به عنّي، وعن غيري، انهتاكاً، أي: انكشافاً وخرقاً للحجاب بيني وبين حقيقتي عندي، وعند غيري من المريدين الصادقين، قال في المصباح: «هَتَكَ زيد السَتْرَ هَتْكاً، من باب ضرب: خَرَقَهُ فانهَتَك». وقال الأزهري، وتبعه الزمخشري: جَذَبَه حتّى نَزَعَه من مكانه، أو شَقَّه حتّى ظهر ما وراءه، وتَهَتَّك السَتر وانهتك: انشقّ». والمعنى: في ذلك انكشف عنّي حجاب نفسي، فظهرت لي حقيقتي التي أنا قائم بها، وإليه أشار الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه بقوله:

حقيقتي همت بها وما رآها بصري
ولو رآها لغدا قتيل ذاك الحور [٤١٨/ ب]

(١) انظر تخريجه ص٢٧٣.

أو عوضني عن استتاري بتوهّم قيامي بنفسي وغفلتي عن الحقّ تعالى بانكشاف الأمر لي على ما هو عليه، فعرفت نفسي وعرفني غيري من أمثالي، والحقّ هو المتعالي. وقوله (وَحَّدَ): بتشديد الحاء المهملة، من التوحيد، قال في القاموس: «وَحَّدَهُ تَوْحِيْداً جَعَلَهُ واحِداً». والمعنى: حكم بأنّه واحد. وقوله (القلب): فاعل وَحَّد، أي: قلبي. وقوله (حبّه): مفعول وحّد. والضمير لحبيب المذكور في الأبيات قبله، أي: محبّته واحدة بأنْ جعل القلب محبَّته واحدة وإنْ تكثّرت متعلّقاتها بكثرة صور التجلّيات لكثرة الأسماء والصفات. وهذا كلّه من مقول لقوله (لحسن كلّ شيء قصدي وراكا). ثمّ ذكر حبيبه ومحبّته له، ثمّ قال (فالتفاتي): بفاء التفريع، لَفَتَه يَلْفِتَهُ: لَوَاهُ، وصرفه عن رأيه، ومنه الالتِفَات والتَلَفُّت، كذا في القاموس. وقوله (لك): متعلّق بالتفاتي. والخطاب (لحُسْن كلّ شيء). والمعنى: مجرّد صرف وجهي نحوك. وقوله (شِرْكٌ): خبر التفاتي، أي: إشراك منّي بالله تعالى، حيث ألتفت إلى ذلك الشيء، ولم أجد الله تعالى قيّوماً على ذلك الشيء، وذلك الشيء هالك؛ فإنّي بحكم قوله تعالى: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [٢٨/ القصص/ ٨٨] فمن التفت إلى شيء وهو عارف بوجه الحقّ تعالى ذلك الشيء الهالك الفاني، وكان التفاته عنده لغير وجهه الحقّ تعالى؛ بل لذلك الشيء بعد معرفته الكشفيّة الوجدانيّة، وتحقّقه بمعنى قوله تعالى: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [٢/ البقرة/ ١١٥] كان التفاته ذلك شِرْكاً منه بالله تعالى لا محالة، ولهذا قال (فالتفاتي لك شرك)، وخصّ الالتفات بإضافته إلى ياء المتكلّم، ولم يقل الالتفات لك شِرك؛ لأنّ التفات الغافل الجاهل بالله تعالى إلى حُسْن شيء ليس بشرك مع الله تعالى؛ لأنّه خطأ منه، والخطأ مرفوع بحكم قوله صلّى الله عليه وسلّم: «رفع عن أمّتي الخطأ والنسيان وما استكرهو عليه»[1] رواه الطبراني عن ثوبان رضي الله عنه. وقوله (ولا

(١) أخرجه السيوطيّ في جامع الأحاديث، باب: حرف الراء، ١٢٧٠٦٣.

أرى): أي أعتقد، قال في المصباح: «والذي أُرَاه بالبناء للمفعول. بمعنى: الذي أظنّ، وبالبناء للفاعل، بمعنى: الذي أذهب إليه. والرأي: العقل والتدبير». وقوله (الإشراكا): بألف الإطلاق، أي: الإشراك بالله تعالى، أي: ليس مذهبي وديني الإشراك بالله تعالى إشراكاً جليّاً، أو خفيّاً.

٥٨- يَا أَخَا العَذْلِ فِي مَنِ الحُسْنُ مِثْلِي هَامَ وَجْداً بِهِ عَدِمْتَ أَخَاكَا

٥٩- لَوْ رَأيتَ الذِي سَبَانِيَ فِيهِ مِنْ جَمَالٍ وَلَنْ تَرَاهُ سَبَاكَا

٦٠- وَمَتَى لَاحَ لِي اغْتَفَرْت سُهَادِي وَلِعَيْنَيَّ قُلْتَ هَذَا بِذَاكَا

(يا أخا العذل): أي الملازم له، قال في المصباح: «تقول: هو أخو تميمٍ، أي: واحد منهم، ولقي أخا الموت، أي: مثله. وتركته بأخي الخير، أي: بشرٍّ، وهو أخو الصدق، أي: ملازم له. وأخو الغِنى، أي: ذو غنى». و(العذل): اللوم. وقوله (في مَنْ): أي في محبّة المحبوب الذي. وقوله (الحُسْنُ): مبتدأ. وقوله (مثلي): بدل من الحُسْن. وقوله (هام): فعل ماض، وفاعله ضمير راجع إلى الحُسْن. وقوله (وجداً به): الضمير إلى مَن في قوله (في من): أي في محبّة الحبيب المذكور سابقاً في قوله (حبيب). والوجد: الاشتياق الشديد، قال في القاموس: وَجَدَ به في الحُبّ وَجْداً، وكذا في الحُزن لكن بكسر ماضيه». والمعنى: يا أيّها الإنسان الملازم للملامة والعذل لي في محبّة المحبوب الذي هام في محبّته الحُسْن والجمال مثل هيامي فيه، واشتاق إليه مثلي، غاية الاشتياق. وقوله (عَدِمْتَ أخاكا): بألف الإطلاق وفتح تاء الخطاب للعاذل المذكور، أي: أعدمني الله تعالى مؤاخاتك للعذل. أو بضمّ تاء المتكلّم، أي: أعدمني الله تعالى مؤاخاتك لعذلي وملامتي، حتّى تصير مثلي، ومثل حسنه هائماً في محبّته. ويقال: آخاه مُؤاخاة/ [٤١٩/ أ] وإخاء وإخَاوَة ووخاء: من الأخ في النسب وغيره، إشارة إليه في القاموس. وقوله (لو رأيت

الذي سباني): يقال سبى العدوَّ سَبْيَاً وسِبَاء: أسره، كاسْتباه. وقوله **(منه)**: أي من ذلك المحبوب المذكور. وقوله **(من جمال)**: بيان للذي سَبَاني، وذلك لأنّ العاذل أعمى لا يرى؛ فإنّه لو رأى لما عَذَلَ، أي: لام، وورد علينا وارد هذا الوقت بهذين البيتين، فقلنا ارتجالاً:

قالــت النــاس عنــدما قــد رأوني ورأوا عــاذلي مقــالاً يعــمُّ
حُــسْن هــذا المليــح بــادٍ ولكــن بـئس هـذا الأعمـى ونعـم الأصـمُّ

وقوله **(ولن تراه)**: جملة معترضة خطاب للعاذل، أي: لا ترى هذا الحبيب أبداً، ولا ترى جماله لذي سباني؛ لأنّك منكر لفضيلة عشقه المقتضي لرؤية حُسنه وجماله، قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من بلغه عن الله فضيلة فلم يصدّق بها لم ينلها»[1] أخرجه الطبرانيّ في الأوسط عن أنس رضي الله عنه. و(لن): حرف نصب ونفي واستقبال، وليس أصله لا، فأبدلت الألف نوناً؛ خلافاً للفرَّاء، ولا لا إنْ حذفت الهمزة تخفيفاً، والألف للساكنين خلافاً للخليل والكسائيّ، ولا تفيد تأكيداً للنفي، ولا تأبيده خلافاً للزمخشري. وهما دعوى بلا دليل. ولو كانت للتأبيد لم يقيد نفيُها باليوم في قوله: ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ [١٩/ مريم/ ٢٦]، ولكان ذكر الأبد في قوله: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ [٢/ البقرة/ ٩٥] تكراراً، والأصل عدمه، ذكره في القاموس. وقوله **(سباكا)**: بألف الإطلاق، خطاب للعاذل، أي: كان حينئذٍ يسبيك، أي: يأسرك في حبّه مثلي، وقوله **(ومتى لاح لي)**: أي انكشف لي وظهر. يعني: جمال ذلك المحبوب المذكور سابقاً.

وقوله **(اغتفرت)**: أي سترت بالعفو والصفح، قال في المصباح: «اغْتَفَرْتُ للجاني ما صنع. وأصلُ الغَفْر الستر». وقوله **(سهادي)**: أي سهري في المحبّة.

---

(١) انظر تخريجه ص٤٧٧.

يعني: سترت جنايته عليّ، ومعاقبته لي، والسُّهَاد الأَرَق، وقد سَهِدَ الرجلُ بالكسر، يَسْهَدُ سُهْداً، كما في الصحاح. وقوله (ولعينَيَّ): بتشديد ياء المتكلِّم، تثنية عين متعلِّق بقلت. وقوله (قلت): أي بلسان حالي المفصح عن معنى مقالي. وقوله (هذا): أي لذّة رؤية المحبوب الذي لاح لي. وقوله (بذاكا): بألف الإطلاق، أي: بالألم الذي جناه عليّ سهري في محبّته؛ فإنّ الغُنْم بالغُرْم، كما في المثل المشهور، المقتضي لمقابلة السرور بالسرور، هذا بذاك، ولا عتب على الزمن. والله الأعلم والأحكم[1].



(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: «بلغ سماعنا إلى هنا على مؤلِّفه قدّس الله سرّه العزيز».

أَدِرْ ذِكْرَ مَنْ أَهْوَى وَلَوْ بِمَلَامِي

[الطويل]

وقال الناظم قدّس الله سرّه:

١ - أَدِرْ ذِكْـرَ مَـنْ أَهْـوَى وَلَـوْ بِمَلَامِـي فَـإِنَّ أَحَادِيْـثَ الحَبِيـبِ مُـدَامِي

٢ - لِيَشْهَدَ سَمْعِي[1] مَنْ أُحِبُّ وَإِنْ نَأَى بِطَيْـفِ مَـلَامٍ لَا بِطَيْـفِ مَنَـامِ

(أدر): فعل أمر، من أدرته ودوّرته، جعلته دائراً، أي: متواتر الحركات بعضها إثر بعض، وهو خطاب للعذول. وقوله (ذكر من أهوى): بفتح الميم، أي: الذي أهواه بمعنى أحبّه. يعني: كررْ ذكره بتكرار أسمائه وإعادتها حتّى أسمعها فيلتذّ سمعي بذلك. وقوله (ولو بملامي): أي ولو كان ذكره في ضمن لومك لي، وعتابك على محبّتي له. وفي قوله (أدِرْ): استعارة بالكناية؛ فإنّه شبّه ذكر من يهواه بكأس الخمر الدائر على الندامى لاقتضائه السكر عند سماع الذكر، وحذف المشبّه به، وذكر شيئاً من لوازمه، وهو على طريقة التخييل للاستعارة. وقوله (فإنّ أحاديث): جمع حديث، وهو ما يُتحدَّث به ويُنقل، ومنه حديث رسول الله صلّى عليه وسلّم، كذا في المصباح. وقوله (الحبيب): أي المحبوب، والألف واللام عوض عن المضاف إليه، أي: حبيبي. وقوله (مدامي): المُدام الخَمْر، كالمُدَامَة؛ لأنّه ليس شَراب يُسْتَطَاع إدَامَة شُرْبِهِ إلا هي، كذا في القاموس. كناية عن معاني التجلّيات الإلهيّة؛ فإنّها تسكر العارفين فيغيبون عن ملاحظة كلّ شيء. وقوله (لِيَشْهَدَ): اللام للتعليل، ويشهد منصوب بأنْ مضمرة بعد اللام. يقال: شَهِدتُ/ [٤١٩/ ب] الشيءَ: اطَّلَعْتُ عليه وعاينتُه؛ فأنا شاهِد، كذا في المصباح. وقوله (سمعي): فاعل يشهد، وليس الشهود مخصوصاً بالبصر. ولمّا كان المشهود

(١) في (ق): قلبي.

حديثاً كان الشاهد سمعاً. وفيه إشارة على أنّ هذا الحبيب ليس ممن يدرك بالحواس، ولا بالعقل والقياس؛ وإنما شهوده بشهود آثاره، والحواس والعقل كلّها مشتركة في استقبال أنواره والاقتباس من جذوات ناره. وقوله (مَن): بفتح الميم، أي: المحبوب الذي. وقوله (أحبّ): أي أحبّه. وقوله (وإنْ نأى): أي بعد عنّي؛ لأنّه مطلق، وأنا مقيّد، وهو قديم، وأنا حادث، والوجود له، والعدم لي؛ فالبعد بيني وبينه ظاهر، وأمره غالب وقاهر، وشأنّه باهي وباهر. وقوله (بطيف): متعلّق بيشهد، والطيف: ما يطوف بالإنسان من الجنّ والإنس والخيال، يقال: طَاف الخيال طَيْفاً من باب باع: ألمّ وأتى، كما في المصباح. وقوله (مَلام): هو اللوم، مصدر لامه، من باب قال: عذله؛ فهو مَلُوم على النقص، والفاعِل لائِم، كذا في المصباح. يعني: ليكون شُهودي للمحبوب الحقيقيّ بوساطة الخيال الذي يلمّ بي في وقت لوم العذول لي على محبّته؛ فإنّ ذلك الخيال يحصل في نفسي بمقتضى استماعي للأحاديث عن ذلك الحبيب؛ لأنّه يذكر بها، ويقع العتاب بها عليّ بسبب محبّتي له من العذول. وقوله لا بطيف منام، لأنّ طيف المنام يحصل للعاشق في حال منامه؛ فيرى خيال محبوبه، فإذا استيقظ حدث عنه، وهذا العاشق لا ينام؛ لأنّه ملازم للسهر، فلا يكون طيفه ذلك طيف منام:

٣- فَلِي ذِكْرُهَا يَحْلُو عَلَى كُلِّ صِيغَةٍ وَإِنْ مَزَجُوهُ عُذَّلِي بِخِصَامِ

٤- كَأَنَّ عَذُولِي بِالْوِصَالِ مُبَشِّرِي وَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَطْمَعْ بِرَدِّ سَلَامِ

(فلي): الفاء للتفريع على ما قبله. ولي: جار ومجرور، خبر مقدّم لإفادة الحصر. وقوله (ذكرها): مبتدأ مؤخّر، أي: ذكر المحبوبة الحقيقيّة، وهي الحضرة العليّة وذكرها، أي: تذكّرها بالقلب، أو إيراد اسمها باللسان. أي: اسم كان من الأسماء الحسنى، قال في المصباح: «ذَكَرْتُه بلساني وبقلبي ذكرى بالتأنيث وكسر الذال، والاسم ذُكْر بالضمّ والكسر، نصّ عليه جماعة، منهم: أبو عبيدة وابن قتيبة، وأنكر الفرّاء الكسر في القلب، وقال: اجعلني على ذُكْرٍ منك بالضمّ لا غير، ولهذا اقتصر

جماعة عليه» وقوله (يحلو): حَلَا الشيءُ يَحْلُو حَلَاوة فهو حُلْو، والأنثى حُلْوَة. وحَلَا لِيَ الشيءُ: إذا لَذَّ لَكَ. واسْتَحْلَيْتُه: رأيته حُلْواً، كما في المصباح. وقوله (على كلّ صيغة) أي: خلقة، أو مثال وهيئة، قال في المصباح: «الصيغة أصلها الواو، مثل: القيمة. صاغَ الرجلُ الذهبَ يَصُوغُه صَوْغاً: جعله حَلْياً؛ فهو صائغ. وصَوَّاغ وهي الصياغة، وصاغَ الكذبَ صَوْغاً: اختَلَقَهُ، وصِيْغَةُ الله :خِلْقَتُهُ. والصِيغة: العمل والتقدير، وهذا صَوْغ هذا: إذا كان على قَدْره. وصِيْغَةُ القول كذا، أي: مثالُه وصورته، على التشبيه بالعمل والتقدير» والمعنى في ذلك: على حسب كلّ صورة كلام، سواء كان الكلام المشتمل على ذكر هذه المحبوبة الحقيقيّة في مجرّد ذكرها بإيراد اسم من أسمائها الحسنى، أو في ضمن دعاء وتوسّل إليها، أو في ضمن ملام وعتاب على محبّتها، أو تقصير في القيام بحقوقها، أو في ضمن ورود نهي، أو أمر منها، أو في ضمن ردع وزجر صادر عنها، أو غير ذلك. وقوله (وإنْ مزجوه): أي مزجوا ذكرها. والواو اعتراضيّة، قال الرضي: «إذا دخل الواو على إن المدلول على جوابها بما تقدّم، ولا تدخل إلّا إذا كان ضدّ ذلك الشرط المذكور أولى بذلك المقدّم الذي هو كالعوض عن الجزاء من ذلك الشرط، نحو قولك: أكرمه وإنْ شتمني. فالشتم بعيد عن إكرام الشاتم وضدّه، وهو المدح أولى بالإكرام وأنسب. وكذا تقول في نحو: اطلبوا العلم ولو بالصين، فالظاهر أنّ الواو اعتراضيّة. ونعني بالجملة الاعتراضيّة ما توسّط بين أجزاء الكلام متعلّقاً به معنى مستأنفاً/ [٤٢٠/ أ] لفظاً على طريق الالتفات نحو قوله: وأنتِ طالق، والطلاق إليه. وقوله ترى كلّ من فيها، وحاشاكا فانياً. وقد يجيء بعد تمام الكلام، نحو قوله عليه السلام: «أنا سيِّد ولد آدم ولا فخر»[1] فتقول في الأوّل:

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، مسند: أبي سعيد الخدريّ، ١١٢٧٨، عن أبي سعيد الخدريّ، بلفظ: «قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: أنا سيّد ولد آدم يوم القيامة، ولا فخر، وأنا أوّل من تنشقّ عنه الأرض يوم القيامة، ولا فخر، وأنا أوّل شافع يوم القيامة، ولا فخر».

زيد وإنْ كان غنيّاً بخيل. وفي الثاني زيد بخيل وإنْ كان غنيّاً. فجواب الشرط مدلول الكلام، أي: إنْ كان غنيّاً فهو بخيل فكيف إذا افتقر. والجملة كالعوض عن الجواب المقدّر، ولو أظهرته لم تذكر هذه الجملة الظاهرة، ولم تذكر الواو الاعتراضي أيضاً، لأنّه لا يؤتى به إلّا في صدر جملة متوسِّطة، أو متأخِّرة. واعلم أنّه إذا تقدّم على الشرط ما هو جواب في المعنى؛ فالشرط لا يكون إذن إلّا ماضياً لفظاً أو معنى نحو: أضربك إنْ ضربتني، وأضربك إنْ لم تعطني حقِّي، لا يعمل في الشرط كما لا يعمل في الجزاء»، وههنا مزج فعل ماض، قال في المصباح: «مَزَجتُ الشيء بالماء مَزْجاً من باب قتل: خلطتُه». والواو علامة جمع الذكور، قال في مغني ابن هشام: «من معاني الواو أنّها علامة المذكَّرين في لغة طيء»، أو أزد شنوءة، أو بلحارث، ومنه الحديث: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل والنهار»[1] وقول الشاعر:

يلومونني في اشتراء النخيل قومي فكلّهمُ يعذل[2]

وهي عند سيبويه حرف دال على الجماعة، كما أنّ التاء في قامت حرف دالّ على التأنيث. وقيل: هي اسم مرفوع على الفاعليّة، ثمّ قيل: ما بعدها بدل منها، وقيل مبتدأ، والجملة خبر مقدّم. وقد حمل بعضهم على هذه اللغة قوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾ [٥/ المائدة/ ٧١] وقوله تعالى: ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [٢١/ الأنبياء/ ٣] وحملها على غير هذه اللغة أولى لضعفها. وقد جوّز في «الذين ظلموا» أنْ يكون بدلاً من الواو في «أسرّوا» أو مبتدأ، وخبره إمّا وأسرّوا، أو قول محذوف عامل في جملة الاستفهام، أي: يقولون هل هذا، وأنْ يكون خبر المحذوف، أي: هم الذين، أو فاعلاً بأسرّوا، أو الواو، أوعلامة كما قدّمنا. وقوله (عُذَّلِي) بتشديد الذال المعجمة، جمع عاذل، قال في القاموس: «العَذْلُ الملامة،

(١) أخرجه مالك في الموطّأ، كتاب: قصر الصلاة، باب: جامع الصلاة، ٤١٦.
(٢) البيت مدوّر ويروى بـ(ألومْ).

كالتَعْذيل، والاسم: العَذَل محرّكة، وهم العَذَلَة، والعُذَّال، والعُذَّل». وهو فاعل مزج، أو بدل من الواو، أو مبتدأ مؤخّر. و(مزجوه): خبر مقدّم، كما ذكرنا في نظائره. وقوله (بخصام): متعلّق بمزجوه، والخصام مصدر خاصَمتُهُ مُخاصَمَةً وخِصَاماً فَخَصَمْتُهُ أخْصُمُهُ، من باب قتل: إذا غَلَبْتُهُ في الخُصومة، كذا في المصباح. يعني: وإنْ خلط ذكر المحبوبة بمخاصمتي في عذلهم ولومهم لي على محبَّتي لها، فإنّ ذكرها يحلو لي، وأجده حلواً لذيذاً. وقوله (كأنّ عذولي): أي لائمي في هواها ومحبّتها، وهو اسم كأنّ. وقوله (بالوصال): متعلّق بمبشّري، قدّم عليه لإفادة الحصر، أي: بوصال المحبوبة المذكورة. وقوله (مبشِّري): خبر كأن، من بشّرته، بالتثقيل: لغة عامّة العرب، وأصله: بَشِرَ بكذا يَبْشَرُ، مثل: فَرِح يفرَح وزناً ومعنى، وهو الاستبشار أيضاً، كذا في المصباح. وذلك حيث كان بحلول وذكر محبوبته في أثناء لوم اللائم له على محبّتها، واستحلاؤه ذلك، واستلذاذه به بشارة من العاذل بوصالها، وقرب منالها. وقوله (وإنْ): هي شرطيّة، محذوفة الجواب، يعلم جوابها ممّا قبلها كما قدّمناه، وتقديره: فإنّ عذولي مبشِّري بوصالها. وقوله (كنت): بضمّ تاء المتكلّم. وقوله (لم أطمع): يقال طَمِعَ في الشيء طَمَعَاً وطَماعاً وطَماعِيَة مُخَفَّف، وأكثر ما يُستعمل فيما يَقْرُب حصوله، وقد يُستعمل بمعنى الأمل، ومن كلامهم: طَمِعَ في غير مَطْمَع: إذا أَمَّلَ ما يَبْعُد حصولُه؛ لأنّه قد يقع كلّ واحد موقع الآخر لتقارب المعنى، كذا في المصباح. وقوله (بردّ سلام): متعلّق بأطمع، أي: بجواب تحيّة من المحبوبة المذكورة، وتنكير سلام لقصد التعميم، ويشمل سلام مشافهة. وسلام رسول، أو كتاب باللسان، أو بالقلب، وفي نسخة سلامي بياء المتكلّم، أي: تحيَّتي، فضلاً عن لقائها، وفضلاً عن وضالها لعلو مقامها وعظم شأنها، قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه:

وماذا عليها لو ترد تحيّة … علينا ولكن لا احتكام على الدمى

/[٤٢٠/ ب] جمع دمية، وهي الصور المنحوتة من حجر ونحوه، كناية عمّا في خيال العارف من المعنى الإلهيّ، كما قال القائل:

نحـــت بـــالفكر معبـــوداً وقلـــت بـــه وصـنت عقـداً بكـفّ الحـقّ محلـولاً

٥- بِرُوحِـيَ مَـنْ أَتْلَفْـتُ رُوحِـي بِحُبِّهَـا فَحَـانَ حِمَـامِي قَبْـلَ يَـوْمِ حِمَـامِي

(بروحي): أي أفدي بروحي، يعني: أجعل روحي فداء. وقوله (مَنْ): بفتح الميم، أي: محبوبه. وقوله (أتلفتُ): بضمّ تاء المتكلِّم، أي: أهلكت وأفنيت. وقوله (روحي): أي نفسي القائمة بها، المنفوخة في جسدي المسوّى من أمرها، وهي الحضرة الإلهيّة، والحقيقة الربّانيّة. وقوله (بحبّها): أي في محبّتي لها، أو بسبب محبّتي لها، وهو تحقّقه بمعرفة نفسه؛ فإنّ ذلك يوجب فناء وجوده الموهوم، وظهور الوجود الحقّ المعلوم. وقوله (فحان): الفاء للتفريع، وحَان فعل ماض، وحَان كذا يَحِينُ: قَرُب. وحَانَتِ الصلاة حَيناً بالفتح والكسر، وحَيْنُونَة: دخل وقتُها، كما في المصباح. وقوله (حِمَامي): بكسر الحاء المهملة، أي: قضاء موتي، قال في القاموس: «الحِمام ككتاب: قضاء الموت وقَدَرُه». وقوله (قبل يوم حمامي): أي قضاء موتي. والمعنى في ذلك: فدخل وقت موتي الاختياري قبل دخول وقت موتي الاضطراري؛ فإنّ الموت على قسمين: موت يحصل للإنسان باختياره وإرادته، وهو تحقّقه بمعرفة نفسه، وإن الحقّ تعالى قائم عليها بما كسبت وتكسّب من خير أو شرّ في الظاهر والباطن. وبهذا الموت يعرف ربّه كما ورد: «من عرف نفسه فقد عرف ربّه». وورد: «موتوا قبل أنْ تموتوا»[1] . وورد: «إنّكم لن تروا ربّكم حتّى تموتوا»[2]. وقال الشيخ الأكبر قدّس الله سره في الباب السادس ومائة: «لأهل الله تعالى في طريقهم أربع موتات: الموت الأبيض، وهو الجوع. وأعني

(١) انظر تخريجه ص٢٨٢.

(٢) انظر تخريجه ص٥٨٨.

بذلك جوع العادة. والثاني: الموت الأخضر، وهو لباس المرقّعات زهداً لا المشهّرات، كان لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ثوب فيه ثلاث عشرة رقعة، إحداهن قطعة جلد، وهو أمير المؤمنين. والثالث: موت أسود، وهو تحمّل أذى الخلق. والرابع موت أحمر، وهو مخالفة النفس في مشيئة أغراضها، وهو لأهل الملاميّة خاصّة». والموت الثاني الموت الاضطراري، وهو معروف، وهو المراد بقوله (قبل يوم حِمامي): أي موتي بالموت الاضطراري. وحِمامي الأوّل مراده به الموت الاختياري، كما ذكرنا. وهو شامل للموتات الأربع. وقال الشيخ الأكبر أيضاً قدّس الله سرّه في الفتوحات المكيّة، في الباب الثامن والخمسين وخمس مئة في حضرة الأحياء: «وليس الموت بإزالة الحياة في يبقى نفس الأمر عند أهل الكشف، ولكن الموت عن والٍ وتولية؛ والٍ لأنّه لا يمكن أنْ يبقى العالم بلا والٍ يحفظ عليه مصالحه، لئلا يفسد، فاستناد الموت إذا كان عبارة عن الانتقال والعزل يستند إلى حقيقة إلهيّة، وليس لإفراغ الحقّ من شيء إلى شيء آخر، فماله فيما فرغ منه من حكم ذلك الوجه المفروغ منه، وليس إلّا إيجاد عينه خاصّة، وما بقي الشغل، وعدم الفراغ إلّا في إيجاد ما به بقاؤه في الوجود، فإلى هذه الحقيقة الإلهيّة يستند الموت في العالم. ألا ترى إلى الميت يُسأل ويُجيب، إيماناً وكشفاً، وأنت يا محجوب تحكم عليه في هذه الحال عيناً أنّه ميت، ولذا جاء أنّ الميت يُسأل في قبره، وما أزال عنه اسم الموت السؤال؛ فإنّ الانتقال موجود، فلولا أنّه حيّ في حال موته ما سئل، فليس الموت بضدّ للحياة إنْ عقلت». ثمّ قال بعد ذلك في حضرة الموت: «والموت عبارة عن الانتقال من منزل بالدنيا إلى منزل الآخرة ما هو عبارة عن إزالة الحياة منه في نفس الأمر؛ وإنّما الله أخذ بأبصارنا، فلا ندرك حياته وقد ورد في النصّ في الشهداء في سبيل الله أنهم أحياء يرزقون. ونهينا أن نقول فيهم أموات؛ فالميت عندنا ينتقل، وحياته باقية عليه لا تزول؛ وإنّما يزول الوالي، وهو الروح عن هذا الملك الذي وكله الله / [٤٢١/ أ] تعالى بتدبيره أيام ولايته عليه، والميت عندنا

يعلم من نفسه أنّه حيّ؛ وإنّما تحكم عليه بأنّه ليس بحيّ جهلاً منك، ووقوفك مع بصرك، ومع حكمك في حاله قبل اتّصافه بالموت من حركة ونطق وتصرّف. وقد أصبح متصرِّفاً، وهو تنبيه من الله تعالى لنا: إنَّ الأمر كذا هو التصرّف فيه للحقّ؛ لأنّك في حال دعواك التصرّف، ثمّ إنّه على الحقيقة متصرِّف هذا الميت بالحال لا بالقول، ولولا تصرّفه فيك ما غسلته ولا كفّنته وإنْ كان الشارع هو الذي أمرك، وشرع لك، فهذا أعظم من تصرّفه فيك،وهو تصرّفه فيمن شرع لك هذا، فهذا تصرف في الأحياء وهم لا يشعرون، وتصرف فيك وأنت لا تشعر، وتخيّلت أنّه ما بقي له فيك حكم، وحكمه بموته أعظم من حكمه فيك بحياة، أعني بعد موته؛ فالموت انتقال خاص على وجه مخصوص، فمن كونه انتقالاً يستند إلى حقيقة إلهيّة خاصّة وتمامه هناك»، ولنا في هذا المعنى من جملة قصيدة مطلعها:

إنني إن أمت فما أنا ميتُ ... أنا حيّ بمن إليه اهتديتُ[1]

وأنارت مشكاة ذاتي بمصبا ... ح علومي وفي الزجاجة زيت

ولروحي الحضور في كلّ حيّ ... فيلذّ التصبيح والتبييت

إنّ لله في ابن آدم ملكاً ... لا زوال له ولا تفويت

سرّ ذات به الخلافة قامت ... وعليه الإحياء والتمويت

٦- وَمِن أَجْلِهَا طَابَ افْتِضَاحِي وَلَذَّ لِي اطِّ ... رَاحِي وَذُلِّي بَعْدَ عِزٍّ مَقَامِي

٧- وَفِيهَا حَلَا لِي بَعْدَ نُسْكِي تَهَتُّكِي ... وَخَلْعُ عِذَارِي وَارْتِكَابُ أَثَامِي

(ومن أجلها): أي المحبوبة المذكورة. وقوله (طاب): يقال طَاب الشيءُ يَطِيبُ طِيباً: إذا كان لذيذاً، كما في المصباح. وقوله (افْتِضَاحِي): من الفَضيحة، هي: العيب، والجمع: فضائح. وفَضَحتُه فَضْحاً من باب نَفَعَ: كشفته، كذا في المصباح. والمعنى: ظهور عيبي بين الغافلين بما لا يعلمونه من محاسن أحوالي عندك. وقوله

(١) وجدنا أن هذا البيت ينسب إلى الشيخ عبد الغني النابلسي.

(ولذّ): بتشديد الذال المعجمة، لَذَّ الشيءُ يَلَذُّ من باب تعب، لَذاذاً ولَذاذةً، بالفتح: صار شهيّاً، كما في المصباح. وقوله (لي): متعلّق بلذّ. وقوله (اطّراحي): بتشديد الطاء المهملة فاعل لَذَّ، وهو مصدر اطَّرَحه بالتشديد، قال في القاموس: «طَرَحَه، و ـ به، كمنع: رماه وأبعده، كاطّرحه وطَرَّحَه». والمعنى بذلك كمال التواضع، وعدم المبالاة بالعيب والنقص. وقوله (وذلّي): معطوف على اطّراحي. وقوله (بعد عن مقامي): أي: بعد ما كان مقامي عزيزاً، من عَزَّ الشيءُ يَعِزُّ من باب ضرب: لم يقدر عليه، كذا في المصباح. والمعنى: في ذلك أنّه كان يراعي التفات الناس إليه. وظهوره بينهم بصفات الكمال وحسن الهيئة، وشريف الحال. فلمّا دخل إلى حضرة القرب، وذاق لذيذ الحبّ الإلهيّ ترك ما كان ملتفتاً، وصدق في توجّهه إلى جناب محبوبه الحقّ؛ فصار لا يبالي بما يقوله الجاهلون، ويتوهّمه الغافلون ممّا هو عندهم عيب وفضيحة، وذلّ ونقصان مرتّبة. وقوله (وفيها): أي في محبّة المحبوبة الحقيقيّة والحضرة الإلهيّة. وقوله (حَلَا): فعل ماض، أي: لذّ، يقال: حَلَا لي الشيءُ: إذا لَذّ لَكَ، واسْتَحْلَيْتُه: رأيته حُلْواً، كما في المصباح. وقوله (لي): متعلّق بحلا. وقوله (بعد نُسْكِي): أي عبادتي، قال في المصباح: «نَسَكَ لله يَنْسَك، من باب قتل: تَطَوَّع بقربة». وقوله (تهتُّكِي): فاعل حلا، والتَّهَتُّك تفعّل، من تَهَتَّكَ السترُ وانْهَتَك: انشق، وهَتكتُ الثوبَ: شَقَقَتُه طُولاً، وهَتَك الله سِتْرَ الفاجر: فضحه،كذا في المصباح. وقابل النُّسْكَ بالتَهَتُّكِ؛ وإنّما يقابل بالمعصيّة، وهو محفوظ من المعاصي بحفظ الله تعالى لا بالحفظ النفسانيّ، ولكن لها لم يكن يبالي بكلّ ما سوى الله تعالى، وقد وضع نفسه في يد الله تعالى، يفعل بها ما يشاء، رآه الجاهل الغافل غير مكترث بالسوى ولا ملتفت إلى الغير، فنسب إليه التهتّك بفعل ما لا يكون لائقاً به من المخالفات بعد تقييده بالموافقات، وتحرّيه للعمل الصالح، والأولياء الملاميّة من أكمل الرجال لا يظهرون/[٤٢١/ب] خيراً ولا يضمرون شرّاً، قلوبهم منكسرة خوفاً من نقصان حظّهم من الله تعالى، قال قائلهم:

عمّـــــر فـــــؤادك بـــــالتقى واحـــــذر بأنّـــــك تلتهـــــي
واعمـــــل لوجـــــه واحـــــد يكفيـــــك كـــــلّ الأوجـــــه

وقوله (وخَلْعُ): بالرفع، معطوف على تهتكي. وقوله (عِذَارِي): أصله عِذار الدابَّة، وهو السَّير الذي على خدّه من اللِّجام، ويُطلَق العِذار على الرَّسَن. والجمع: عُذُر، مثل: كِتاب وكُتُب، وعَذَرتُ الفرس عَذْراً من بابَيْ ضرب وقتل: جعلتُ له عِذراً، وأعذرته « بالألف ـ لغة، كذا في المصباح. (والخَلْع): النَّزْع، خَلَعتُ النعل وغيره خُلْعاً: نزعته. والمعنى بخلع العِذار إزالة القيد في جميع الأمور حتّى يبقى منطلقاً بالكلّيّة، لا يبالي بما يَفعل، ولا بما يُفعل به، ولا بما يقول، ولا بما يُقال له، أو يُقال فيه. وقوله (وارْتِكَابُ): بالرفع أيضاً معطوف على ما قبله. وقوله (أثَامِي): بقصر الهمزة، قال في المصباح: «والأثَام مثل سَلَام: هو الإثم». والمعنى: بذلك ارتكاب الذنب، وذلك بالنظر إلى ما يراه الجاهلون بالله ، الغافلون عنه تعالى، المدَّعون القيام بنفوسهم بالنسبة إلى الزاهدين في كلّ ما هو غير الحقّ تعالى من العلماء به، الحاضرين في حضرته تعالى؛ فإنّه تعالى يسترهم عن كلّ من استتر تعالى عنه، ويظهر عليهم لمن لم يعرفهم ما لا يليق بهم، كما أظهر تعالى لمن لم يعرفه ما لا يليق به، فيصفهم الجاهل بهم في نفسه بما هم بريئون منه، كما يصفه تعالى، الجاهلون في أنفسهم بما هو تعالى بريء منه، والله بصير بالعباد.

٨- أُصَلِّي فَأَشْدُوا حِيْنَ أَتْلُو بِذِكْرِهَا وَأَطْرَبُ فِي المِحْرَابِ وَهْيَ إمَامِي
٩- وَبِالحَجِّ إنْ أَحْرَمْتُ لَبَّيْتُ بِاسْمِهَا وَعَنْهَا أَرَى الإمْسَاكَ فِطْرَ صِيَامِي

(أُصَلِّ): أي أعبد ربّي بالصلاة المعهودة شرعاً. وقوله (فأشْدُوا): بالشين المعجمة والدال المهملة، يقال شدا الإبل: ساقها، وـ الشعر: غنّى به، أو ترنّم وأنشد بيتاً أو بيتين بالغناء، كذا في القاموس. والمعنى بذلك الترنّم بتحسين الصوت. وقوله (حين أتلو): أي أقرأ القرآن في الصلاة، يقال: تَلَوتُ القرآنَ، أو

كُلّ كلامٍ تِلاوَةً، ككِتابَة: قرأته، كما في القاموس. وقوله: (بذكرها): متعلّق بأشدّ. والضمير للمحبوبة الحقيقيّة، والحضر الإلهيّة. وذلك من قوله صلّى الله عليه وسلّم: «ليس منّا من لم يتغنّ بالقرآن»[1] رواه البخاريّ عن أبي هريرة. والإمام أحمد، وأبو داوود، وابن حبّان، والحاكم في المستدرك عن سعيد بن أبي وقّاص، وأبو داوود عن أبي لبابة بن عبد المنذر، والحاكم عن ابن عباس وعن عائشة رضي الله عنهم، قال في المصباح: قال الأزهري: قال سفيان بن عيينة: معناه: ليس مِنَّا مَن لم يَسْتَغْنِ؛ ولم يذهب به إلى معنى الصوت، قال أبو عُبيد: وهو فاشٍ في كلام العرب، يقولون: تَغَنَّيْتُ تَغَنِّياً وتَغَانَيْتُ تَغَانِيَاً بمعنى استغنيت. وقوله عليه السلام: «ما أذن الله لشيء كإذنه لنبي يتغنّى بالقرآن»[2]. قال الأزهريّ: أخبرني عبد الملك البغويّ عن عبد الملك عن الربيع عن الشافعيّ ـ رحمه الله تعالى ـ أنَّ معناه: تحزين القراءة وترقيقُها، وتحقيق ذلك في الحديث الآخر: «زيّنوا القرآن بأصواتكم»[3] أي: زيّنوا سماع القرآن بأصواتكم، وهكذا فسّره أبو عبيد؛ فالحديث الأوّل من الغنى مقصوراً، والثاني من الغناء ممدوداً، فافهمه، هذا لفظه. والمراد هنا: الترنّم وتحسين الصوت من غير تغيير ولا زيادة ممدود في غير محلّها،

---

(١) أخرجه البخاريّ في صحيحه كتاب التوحيد باب: قول الله «وأسرّوا قولكم أو اجهروا به» [٦٧/ الملك/ ١٣]، ٧٥٢٧. كما أخرجه أحمد في المسند، مسند سعد بن أبي وقّاص، ١٤٩٣. وأبو داوود في سننه، كتاب الوتر، باب: استحباب الترتيل في القراءة، ١٤٧١، عن سعد، و ١٤٧٣ عن أبي لبابة. كما أخرجه ابن حبّان في صحيحه، كتاب: العلم، باب: ذكر الزجر عن أن لا يستغني المرء بما أوتي، ١٢٠. كما أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب العلم، باب: فضائل سور، ٢٠٤٧، عن سعد بن أبي وَقّاص. كذلك أخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب فضائل القرآن، باب: أمّا حديث عبد الله ابن الأخنس، ٢٢٠٥٢، عن ابن عبّاس.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: صلاة المسافرين، باب: استحباب تحسين الصوت بالقرآن، ١٨٨٥.

(٣) كما أخرجه أحمد في مسنده، باب: حديث البراء بن عازب، ١٨٩٩٤.

ونقصانها في محلّها لأجل مجرّد الترنّم، وقصد النغم الطيّب، وهي لحون العجم المنهي عنها، ولحون أهل الكتابين: اليهود والنصارى، بخلاف لحون العرب؛ فإنّها لا تغيِّر شيئاً من أحكام التجويد، قال صلّى الله عليه وسلّم: «اقرؤوا القرآن بلحون العرب وأصواتها وإياكم ولحون أهل الكتابين، وأهل الفسق». وقوله/ [٤٢٢/ أ] (وأَطْرَبُ): معطوف على أشدو. وقوله (في المِحَرابِ): متعلّق بأشدو، و(المحراب): صدر المجلس، ويقال: هو أشرف المجالس، وهو حيث تجلس الملوك والسادات والعظماء، ومنه: مِحراب المصلِّي مأخوذ من المُحارَبة؛ لأنّ المصلِّي يحارب الشيطان، ويحارب نفسَه بإحضار قلبه، كذا في المصباح. وقوله (وهي): أي المحبوبة المذكورة. وقوله (إمامي): بكسر الهمزة، والإمام: من يُؤمّ به في الصلاة، ويطلق على الذكر والأنثى، كما في المصباح. والواو لحال، والجملة في محلّ نصب حال من ضمير بذكرها، أي: والحال إنّها إمام لي، وأنا مقتدٍ بها في جميع حركاتي وسكناتي ظاهراً وباطناً، وهي الإشارة بقوله صلّى الله عليه وسلّم: «إنّ الله في قبلة احدكم»[1]، أي: هو إمامكم في كلّ وجهة توجّهتم إليها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [٢/ البقرة/ ١١٥]. وقوله (وبالحَجِّ): متعلّق بـ (أَحْرَمْتُ). يعني: إذا أحرمتُ بالحجِّ. وقوله (إنْ أَحَرَمْتُ): يقال أَحْرَمَ الشخصُ: دخل في حَجٍّ أو عُمْرَةٍ. ومعناه: أدخل نفسه في شيء حَرُمَ عليه به ما كان حلالاً له، وهذا كما يقال: أَنْجَدَ إذا أتى نَجْداً، أو أَتْهَم: إذا أتى تِهامَة، كما في المصباح. وقوله (لبَيْتُ): من القلبيّة، يقال: أَلَبَّ بالمكان إلْباباً: أقام، ولَبَّ لَبّاً، من باب قتل، لغة فيه، وثُنِّي هذا المصدر مضافاً إلى كاف المخاطب. وقيل: لَبَّيْكَ وسَعْدَيكَ، أي: أنا ملازم طاعتَك لزوماً بعد لزوم. وعن الخليل أنّهم ثَنَّوه على جهة التأكيد، وأصل لَبَّيْكَ لَبَّينِ لكَ، فحذف النون للإضافة. وعن

---

(١) انظر تخريجه ص٢٧٣.

يونس: إنّه غير مُثَنًّى؛ بل اسم مُفرد يتّصل به الضمير بمنزلة عليّ ولديّ إذا اتَّصل به الضمير، وأنكره سيبويه. وقال: لو كان مثلَ: عليّ ولديّ ثَبَتَت الياء مع المضمر، وبقيت الألف مع الظاهر، وحكى من كلامهم: لَبَّيّ زيدٍ، بالياء مع الإضافة إلى الظاهر، فثبوتُ الياء مع الإضافة إلى الظاهر يدلّ على أنّه ليس مثل: عليّ ولديّ. ولَبَّى الرجل تَلْبِيَة: إذا قال: لَبَّيك، ولَبَّى بالحَجِّ: كذلك، قال ابن السكِّيت: وقالت العرب: لَبَّأتُ بالحجّ بالهمز، وليس أصله الهمز؛ بل الياء. وقال الفَرَّاء: وربّما خرجت بهم فصاحتهم حتّى هَمَزُوا ما ليس بمهموز فقالوا: لَبَّأتُ بالحجِّ ورَثَأْتُ الميتَ، ونحو ذلك. كما يتركون الهمز إلى غيره فصاحة وبلاغة، كذا في المصباح. وقوله (باسْمِهَا): متعلّق بلبَّيتُ، والضمير للمحبوبة الحقيقيّة، والحضرة الإلهيّة والقلبيّة بالحجّ أو العمرة، متلفِّظاً بها، مسمعاً بها نفسه، شرط صحّة الإحرام؛ فإنَّ الإحرام عند الحنفيّة عبارة عن نيّة الحجّ أو العمرة بقلبه، والتلبية بلسانه كتحريمه الصلاة؛ فإنّها عبارة عن النيّة بالقلب، والتكبير باللسان. قال والدنا المرحوم في شرحه على شرح الدرر: «والمذهب عندنا أنّ الإحرام عبارة عن نيّة الحجّ مع لفظ التلبية. وقال: خصوص التلبية، وهي قوله: لبيك اللهمّ لبيك، لبيك لا شريك لك، لبيك، إنَّ الحمد لك، والنعمة والملك، لا شريك لك، سنّة يُكره تركها كراهة تنزيه، والتلبية مرّة شرط، والزيادة سنّة. والشرط إنّما هو ذكر الله تعالى فارسيّاً كان أو عربيّاً وهو المشهور عن أصحابنا الحنفيّة. وفي فتح القدير أنّه كان يصير مُحْرِماً بكلّ ثناء وتسبيح في ظاهر المذهب، ولو كان يحسن العربيّة وهو ظاهر الرواية»، وإليه الإشارة بقول الناظم قدّس الله سرّه (لبيت باسمها)، أي: بمطلق ذكر اسمها. وقوله (وعنها): أي عن المحبوبة المذكورة، والجارّ والمجرور متعلّق بالإمساك. وقوله (أرى الإمساك): أي أعتقده، وهو المفعول الأوّل، لأرى، والإمساك مصدر أمسكت عن الأمر: كففت عنه، كما في المصباح. والإمساك عن المحبوبة المذكورة كناية عن الإعراض عنّها بالتفات إلى كون من الأكوان.

والاشتغال به من حيث هو كون لا من حيث هو مجلىً إلهيّ، ومظهر ربّانيّ ممّا يعرفه العارفون، ويجهله الجاهلون الغافلون. وقوله (فِطْرَ): بالنصب مفعول ثان لأرى. وقوله (صِيامي): أي صومي الشرعيّ، يقال صامَ يَصُومُ/[٤٢٢/ب] صَوْماً وصِيَاماً، قيل: هو مُطْلَق الإمساك في اللغة، ومنه: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ [١٩/ مريم/ ٢٦]، أي: إمساكاً عن الكلام. ثمّ استُعمل في الشرع في إمساك مخصوص. وقال أبو عُبيدة: كلّ ممسك عن طعام، أو كلام، أو سَيْر؛ فهو صائم، كذا في المصباح. ويقال: أَفْطَرَ الصَائِم، وفَطَّرْتُ الصائمَ بالتثقيل: أعطيتُه فَطُوراً، أو أفسدتُ عليه صومَه فأَفطَرَ هو، ويفطر. والفَطُور وِزان رَسُول: ما يُفطَر عليه. والفُطُور، بالضمّ: المصدر، ذكره في المصباح. جعل الإمساك عن المحبوبة، أي: الكفّ عنها والالتهاء بغيرها، كما ذكرنا، فطر صيامه؛ فيكون صيامه كناية عن الاكتفاء بمشاهدتها أينما توجّه من ظاهر وباطن. والإعراض عن كلّ ما سواها من الأكوان، فصيامه هو الإمساك عن مشاهدة ما سواها من جميع الأشياء. وفطره هو الإقبال على شيء من الأشياء مطلقاً، وهو حال العارفين بربّهم إذا كُشف عنهم الحجاب، وانفتح لهم الباب صاموا عن مشاهدة السوى ما دام نهار الجمال الإلهيّ ظاهراً لهم: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [٢٠/ طه/ ٥] فإذا غابت شمس الأحديّة عن القلوب أظلمت عليهم تصاوير الأكوان؛ فانفتحت لهم خزائن الغيوب؛ فأفطروا على رؤية سواد عين المحبوب، ونقط الخيلان في وجهه على أكمل أسلوب. والله الأعلم بالمقصود والمطلوب.

١٠- وَشَأْنِي بِشَأْنِي مُغْرِبٌ وَبِمَا جَرَى   جَرَى وَانْتِحَابِي مُغْرِبٌ بِهُيَامِي

(وشأني): أي أمري وحالي، قال في القاموس: «الشَّأْن الأمر، وجمعه شُؤون. وقوله (بشأني) متعلِّق بمغربٍ. والشَّأْنُ مَجْرى الدمع إلى العَين، وجمعه: أَشْؤُن وشُؤُون، كذا في القاموس. أي: بسبب جريان دمع عيني. وقوله (مُغرِب):

بصيغة اسم الفاعل، من أَغرَب: إذا جاء بشيء غريب، وكلام غَرِيب بعيد عن الفهم، كذا في المصباح. والمعنى: إنّ أمري جاء بجريان دمع غريب، فأغرب وخرج عن العادة إمّا لكثرة الدمع أو لحمرته، بحيث أنّه نفد فجرى موضعه دم المهجة، قال المتنبّي:

حشاشة نفس ودّعت يوم ودّعوا   فلم أدرِ أي الظاعنين أشيع

أشاروا بتسليم فجُدنا بأنفس   تسيل من الآماق والسمّ أدمع

أخذه بعض المتأخِّرين فقال:

روح أقطرها تسمًّى أدمعاً   ودّعتها أدمعاً مذ قيل خلّك ودّعا

وقوله (وبما جرى): أي وبالخبر الذي جرى، أي: وقع بيني وبين أحبّتي من أسرار المحبّة، وأحوال الأشواق، متعلّق بـ(جرى) لثاني. وقوله (جرى): أي سال، يعني (شأني) الثاني؛ بمعنى دمعي قال البوصيري رحمه الله تعالى:

أيحسب الصَّبُّ أنّ الحبّ منكتم   ما بين مضطرم منه ومنسجم

وكيف تنكر حبّاً بعدما شهدت   به عليك عدول الدمع والسقم

وقوله (وانْتِحَابِي): مصدر انتحب انتحاباً، ونَحَبَ نَحْباً من باب ضرب: بكى، والاسم: النَحيب، كذا في المصباح. يعني: بكائي من ألم الأشواق. والواو للحال. والجملة حال من ياء المتكلِّم في قوله وشأني الأوّل. وقوله (معرب): بصيغة اسم الفاعل، من أعرب، يقال: أَعرَبتُ الشيءَ، وأعربتُ عنه بمعنى التبيين والإيضاح، كما في المصباح. وقوله (بهُيَامِي): متعلّق بمعرب. والهُيَام: مصدر هَام يَهِيمُ هَيْماً وهُياماً: خرج على وجهه لا يدري أين يتوجّه، فهو هائم: إنْ سَلَك طريقاً مسلوكاً؛ فإنّ سَلَك طريقاً غيرَ مسلوكٍ فهو: راكب التعاسيف. والهِيام بالكسر، داء يأخذ الإبلَ عن بعض المياه بتِهامة فيصيبها كالحمّى، وضمّ الهاء: لغة. وقال الأزهريّ: هو داء يصيبها من ماء مستنقع تشربه/ [٤٢٣/ أ] وقيل هو داء يصيبها

فتعطش فلا تروى، كذا في المصباح. والهُيام، بالضمّ كالجنون من العشق، ويقال: هَامَ يَهِيمُ هَيْماً وهَيَمَاناً: أحبّ امرأةً، كما في القاموس؛ فالباء في قوله بهيامي. بمعنى عن أي كاشف عنه ومؤذن به، قال العراقيّ في شرح سنن الترمذيّ في حديث الإبراد بالظهر، وتأتي الباء بمعنى عن، كما قال الشاعر:

فـــإنْ تســـألوني بالنـــساء فـــإنني بـــصير بـــأدواء النـــساء طبيـــب
إذا شـــاب رأس المـــرء أوقـــلّ مالـــه فلـــيس لـــه مـــن ودِّهـــن نـــصيب

أي: عن النساء، وكما قيل في قوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [٢٥/ الفرقان/ ٥٩] أي: عنه.

١١- أَرُوحُ بِقَلْــبٍ بِالــصَّبَابَةِ هَــائِمٍ وَأَغْــدُو بِطَــرْفٍ بِالْكَآبَــةِ هَــامِ
١٢- فَقَلْبِـي وَطَـرْفِي ذَا بِمَعْنَـى جَمَالِـهَا مُعَنًّـى وَذَا مُغْـرَىً بِلِـيْنِ(١) قَـوَام

(أروح)(٢): من الرواح، وهو رواح العشيّ، وهو من الزوال إلى الليل، كذا في المصباح. والزوال كناية عن ميل شمس الأحديّة عن شواخص القلوب المحمّديّة بحيث تبقى ظلالها الكونيّة ممتدّة جهة المشرق لاستتارها بالصور الإنسانيّة. وقوله (بقلب): متعلّق بـ(أروح)، وتنكيره للتعظيم بما تضمّه من الحبّ الشريف. وقوله (بالصبابة): متعلّق بهائم قدّم عليه للحصر. وقوله (هائم): وصف لقلب، من هام يَهيم: خرج على وجهه لا يدري أين يتوجّه، كذا في المصباح. وهو تحيّر القلب في معرفة الربّ، ينتقل من صورة خياليّة إلى صورة أخرى، وهو يعلم أنّ الصور كلّها آثار اسمه تعالى المصوِّر: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ﴾ [٨٥/ البروج/ ٢٠] قال الشاعر في وصف الخيل ـ ونحن نفهمها في وصف الحقيقة الغيبيّة في جريها مع رياح الأرواح الأمريّة العاجزة عن إدراكها والظفر بها بالكليّة ـ:

---

(١) في (ق): بحسن.

(٢) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: «بلغ مقابلة على مؤلّفه رضي الله عنه وأرضاه».

وعاديـــــة إلى الغـــارات صـــبحاً تريـك لقـــدح حافرهـا التهابـا
إذا مـــا ســابقتها الـريح فـرّت وألقــت في يـد الـريح الترابـا

وقوله (وأغدو): من قولك غَدا غُدُواً، من باب قعد: ذهب غُدْوَةً، وهي ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس، كذا في المصباح. وهو إقباله بعد أداء عبادته النفسانيّة على نور فجر الأحديّة تقديماً بغرض الشريعة على أسرار الحقيقة؛ فإنّ من وصايا الشيخ العارف الكامل عبد الحقّ بن سبعين قدّس الله سرّه إلى تلامذته على الحقيقة وأتباعه: «عليكم بالاستقامة على الطريق، وقدِّموا الشريعة على الحقيقة، ولا تفرّقوا بينهما، فإنّهما من الأسماء المترادفة، واكفروا بالحقيقة التي في زمانكم هذا، وقولوا عليها، وعلى أهلها اللعنة». وقال الشيخ إبراهيم الدسوقي قدّس الله سرّه: عليك بالوحدة؛ فإنّك في القرن السابع الذين أكثرهم يجعل الحقيقة مخالفة للشريعة»، ذكر ذلك الشيخ المناويّ في «طبقات الأولياء»[1]. وقوله (بِطَرْفٍ): متعلّق بأغدو، والطرْف مصدر طَرَفَ البصر طَرَفاً، من باب ضرب: تحرَّك، وطَرْف العين: نَظَرُها، ويُطلَق على الواحد وغيره لأنّه مصدر، [كذا في المصباح]. وخص الغُدُوَّ بالطَّرْف لمكان المشاهدة والكشف في رؤية التجلّيات الإلهيّة بالصور الكونيّة. وقوله (بالكآبة): كَئِبَ يَكْأَب، من باب تعب كَآبَةً، بمدّ الهمزة: حَزِن أشدّ الحُزْن فهو كَئِب، كما في المصباح، أي: بسبب ذلك. وقوله (هامي): اسم فاعل، نعت لطرف من هَمَى الدمعُ والماءُ هَمْياً، من باب رمى: سال، كذا في المصباح. وإنّما قدّم الرواح على الغدو؛ لأنّ مقابلة الأكوان هي الأصل في معرفة الإنسان، ثمّ الانتقال منها إلى تجلِّيات الرحمان بما يكون وما كان. وقوله (فقلبي وطَرْفي): الفاء للتفريع على ما قلبه. وقوله (ذا): إشارة إلى قلبه. وقوله (بمعنى): متعلّق بمعنى، قدّم عليه للحصر. وقوله (جمالها): أي المحبوبة/ [٤٢٣/ ب] الحقيقة، وهو الجمال الظاهر على

---

(١) مما يُعرف أن «طبقات الأولياء» لابن الملقّن النصري (٨٠٤هـ)، مطبوع بتحقيق نور الدين شريبة.

صورة كلّ شيء؛ لأنّه تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ ﴾ [٣٢/ السجدة/ ٧] وقوله (مُعَنًّى): بتشديد النون، على صيغة اسم المفعول، من عَنَانِي كذا يَعْنيني: عَرَضَ لي وشَغَلَني؛ فأنا مَعْنِيٌّ به، والأصل مفعول، كما في المصباح. وقوله (ذا): أي طَرْفه على طريقة اللفّ والنشر المرتب. وقوله (مُغْرَىً): بصيغة اسم المفعول، غَرِيَ بالشيء، من باب تعب: أُولِع به، من حيث لا يَحمِله عليه حامل، وأَغْرَيْتُه [به] إغراء فأُغرِيَ به، بالبناء للمفعول، والاسم: الغَرَاء، بالفتح والمدّ، كذا في المصباح. وقوله (بلين قوام): متعلّق بمغرىً. و(القوام): بالفتح العدل والاعتدال، وهو حُسْن القوام، أي: الاعتدال، كذا في المصباح. وهو كمال إتقان كلّ شيء؛ لأنّه صنعة حكيم، وبهجة تجلٍّ جميل وسيم، قال الشيخ نجم الدين بن إسرائيل الشيباني الدمشقي الحريري قدّس الله سرّه:

خطـرات ذكـرك راحـة لفـؤادي	وصـحيح ودّك عـدّة لمعـادي
شـملت محبّتـك الوجـود بـأسره	لمـا مننـت عليـه بالإيجـاد
وظهـرت في حلـل الجـمال لنـاظري	فلـذاك همـت بزينـب وسـعاد
وذكـرت في غـزلي الغـزال وطرفـه	وقـوام غـصن البانـة الميّـاد
كـلّ أشـير بـه إليـك مموِّهـاً	حـالي عـلى الزّهـاد والعبـاد
يـا واحـداً وحّدتـه فتوحّـدت	في الكـون عنـدي كثـرة الأعـداد
نازلـت أسراري بـسرٍّ حقيقـة	أبـدت لـديّ تناسـب الأضـداد
وشـغلتني عنّـي فلـست مفرّقـاً	مـا عـشت بـين الوعـد والإيعـاد
فـتلاف روحـي في هـواك حياتهـا	وضلال قصدي في هداك رشادي

١٣- وَنَـوْمِيَ مَفْقُـوْدٌ وَصُـبْحِي لَـكَ البَقَـا   وَسُـهْدِيَ مُوْجُـوْدٌ وَشَـوْقِيَ نَـامِ

١٤- وَعَقْـدِي وَعَهْـدِي لَمْ يُحَـلَّ وَلَمْ يَحُـلْ   وَوَجْـدِيَ وَجْـدِيَ وَالغَـرَامُ غَرَامِـي

(ونومي مفقود): أي لا وجود له لحصول اليقظة الحقيقيّة له، قال صلّى الله

عليه وسلّم: «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا»[1] لأنّهم يطّلعون على كمال الإحاطة الإلهيّة بهم، والاستيلاء الربّانيّ على ظواهرهم وبواطنهم. وقوله (وصبحي): وهو رؤية نور الصباح الكونيّ لاندراج ذلك كلّه عنده في حقيقة النور الأصليّ، والوجود الحقيقيّ؛ فلا صبح عنده، وكلّ العالم عنده ظلمة، قال ابن عطاء الله السكندري قدّس الله سرّه: «الكون كلّه ظلمة؛ إنّما أناره ظهور الحقّ فيه». وقوله (لك البقَا): جملة دعائيّة، يخاطب بها الحقَّ تعالى من حيث هو في الغيب؛ ولهذا ذكَّر الخطاب، ولم يؤنّثه. وقدّم الخبر على المبتدأ للحصر، أي: البقَاء لك لا لغيرك. كناية عن ذهاب صبحه بالكلّيّة. وأمّا خطاب التأنيث في هذه القصيدة وغيرها فهو باعتبار الحضرة العليّة الظاهرة بصور الأعيان الكونيّة. وقوله (وسُهدي): بالضمّ، أي: سهري. وقوله (موجود): أي لم يزل باقياً. وقوله (وشوقي نامي): نَمَى يَنْمِي، من باب رمى: نَماء بالفتح والمدّ: كَثُرَ ونَما يَنْمُو نُمُوّاً، من باب قعد، لغة. ويتعدّى بالهمز، كذا في المصباح.

وقوله (وعقدي): مصدر عَقَدتُ الحبلَ عَقْداً، من باب ضرب، فانعقد، والعُقْدَة: ما يُمسِكه ويُوثِقه، كما في المصباح. يريد عقد قلبه، أي: ربطه على حبل المحبّة الإلهيّة. وقوله (وعهدي): أي ميثاقي المأخوذ عليّ في عالم الذرّ، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٧٢] الآية، وهو عهد الربوبيّة لله تعالى. وقوله (لم يُحَلَّ): بضمّ الياء التحتيّة وفتح الحاء المهملة، فعل مضارع مبني للمفعول، يقال: حَلَلْتُ العقدة حلاً من باب/ [٤٢٤/ أ] قتل، واسم الفاعل حلّال، وهو راجع إلى العقد. وقوله (ولم يَحُلْ): بفتح الياء التحتيّة وضمّ الحاء المهملة، من تَحَوَّل من مكانه: انتقل عنه، وحَوَّلتُه تَحْويلاً: نقلته من موضع إلى موضع، كذا في المصباح. وهو

---

(١) انظر تخريجه ص٢٨٦ وهو من كلام علي رضي الله عنه.

راجع إلى العهد على طريقة اللفّ والنشر المرتّب. وقوله (ووجدي): يقال وجدته وجداً في الحبّ، وكذا في الحزن، كما في القاموس، وهو كمال الشوق. والمعنى: وجدي المعروف أوّلاً هو وجدي الآن لم يتغيّر، قال الرضي: «إنّ الذي لا يغاير المبتدأ لفظاً يذكر للدلالة على الشهرة وعدم التغيّر»، كقول الشاعر: (أنا أبو النجم وشعري شعري)، أي: المشهور المعروف بنفسه، لا بشيء آخر، كما يقال: مثلاً شعري مليح، وتقول أنا أنا، أي: ما تغيَّرت عمّا كنت، وقال الشاعر:

رمــوني وقــالوا يــا خويلــد لا تــرع فقلت وأنكرت الوجوه هـم هـم

وقوله: (والغرام غرامي): أي الغرام المنسوب إليّ، المعروف بي، غرامي على ما هو عليه، لم يتغيَّر، وهو الشوق الملازم.

١٥- يَـشِفُّ عَــنِ الأَسْرَارِ جِـسْمِي مِــنَ فَيَغْـدُو بِهَـا مَعْنَـىً نَحُـولُ عِظَـامِي

(يشف): من شَفَّ يَشِفُّ، من باب ضرب، شُفُوفاً فهو: شِفّ، أيضاً بالكسر، والفتح: لغة، وهو الذي يُسْتَشَفُّ ما وراءه، أي: يُبْصَر، ذكره في المصباح. وقوله (عن الأسرار): جمع سرّ، وهو ما يُكْتَم، وهو خلاف الإعلان. وقوله (جسمي): فاعل يشفّ. والمعنى: إنّ جسمه صار كالزجاجة الصافية والبلّورة اللطيفة، بحيث لا يختفي ما فيه من الأسرار؛ وإنّما تنكشف تلك الأنوار للبصائر والأبصار. وقوله (من الضَّنَى): أي من شدّة السقام. وقوله (فيغدو): مضارع غَدا غُدُواً، من باب قعد: ذهب غُدْوَة، وهي ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس. يعني: فيصير في وقت الغدوة لظهور أوائل النور. وقوله (بها): أي معها. يعني الأسرار. وقوله (مَعْنَى): بالتنوين والنصب، خبر يغدو. وقوله (نَحُولُ): بالرفع: اسم يغدو. وقوله (عظامي): مضاف إليه. والنُّحول مصدر نَحَل الجسم نُحُولاً: سقم. وفيه وصف بالمصدر، أي: عظامه الناحلة على وجه المبالغة، كرجل عدل بمعنى عادل. والمعنى: إنّ جسمي من شدّة سقمه في المحبّة

صار لطيفاً شفّافاً، بحيث أنّ الأسرار الإلهيّة تظهر منه، ولا تختفي فيه، وإنّ قصد كتمها. ونحول عظامه أي: عظامه الناحلة، صار معنى من المعاني، بحيث يشفّ عنه أيضاً جسمه كأسراره، فكما أنّ أسراره معانٍ كذلك عظامه الناحلة معانٍ أيضاً، وجسمه من شدّة السقام يشفّ عنهما، ولا يسترهما لشدّة رقّته.

١٦- طَرِيحُ جَوًى حُبٍّ جَرِيحُ جَوَانِحٍ[1] قَرِيحُ جُفُونٍ بِالدَّوَامِ دَوَامِي

(طريح): أي مطروح، من طَرَحْتُه طَرْحاً، من باب نفع: رميتُ به، كذا في المصباح، وتقديره: أنا طَرِيح. وقوله (جوى): بالجيم، هو الهوى الباطنيّ، والحزن، وتطاوُل المرض. وقوله (حُبٍّ): بالضمّ، أي: محبّة، قال في المصباح: «الحُبّ اسم من حَبَبْتُ الشيءَ أُحِبُّهُ، من باب ضرب. والقياس أُحُبُّهُ بالضمّ، لكنّه غير مستعمل». والحبّ هو ميل القلب إلى الشيء، ويجوز هنا أنْ يقال: حِبّ بكسر الحاء المهملة، بمعنى محبوب. قال في المصباح: «هو مَحبوب وحَبيب، وحِبّ بالكسر». وقوله (جريح): أي مجروح. وقوله (جوانح): أي هي الضلوع تحت الترائب مما يلي الصدر، واحدته: جانحة، كذا في القاموس. وقوله (قريح): أي مقروح، قال في المصباح: «قَرِحَ الرجلُ قَرَحاً فهو قَرِح، من باب تعب: خرجت به قُرُوح، وقَرَحتُهُ قَرْحاً، من باب نفع: جرحتُه، وهو قَرِيح ومَقْرُوح». وقوله (جُفُون): جمع جَفْن، وهو جَفْن العين، وهو غطاؤها من أعلاها وأسفلها، كما في المصباح. وتنكير حُبّ وجَوَانِح وجُفُوْن للتعظيم بسبب الحُبِّ الشريف الإلهيّ. وقوله (بالدوام): متعلّق بدوامي، والباء للمصاحبة، نحو قوله تعالى:/ [٤٢٤/ب] ﴿يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ﴾ [١١/هود/ ٤٨]، أي: معه. وقوله تعالى: ﴿وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلۡكُفۡرِ﴾ [٥/المائدة/ ١١] كذا في مغني ابن هشام، والدوام مصدر دام الشيء يَدوم دَوماً ودَوَاماً ودَيمُوْمَة: ثبتَ، كما في المصباح. وقوله (دَوامي): جمع دامي بصيغة اسم

---

(١) في (ق): جوارحِ.

الفاعل، يقال دَمِيَ الجرحُ من باب تعب دَمْياً: خرج منه الدَّم». وهو نعت لجفون على معنى أنّها يقطر منها الدم مكان الدمع.

١٧- صَرِيحُ هَوَىً جَارَيْتُ مِنْ لُطْفِي الهَوَا سُحَيْراً فَأَنْفَاسُ النَّسِيْمِ لِمَامِي

١٨- صَحِيحٌ عَلِيْلٌ فَاطْلُبُونِي مِنَ الصَّبَا فَفِيهَا كَمَا شَاءَ النُّحُوْلُ مَقَامِي

١٩- خَفِيتُ ضَنَىً حَتَّى خَفِيتُ عَنِ الضَّنَى وَعَنْ بُرْءِ أَسْقَامِي وَبَرْدِ أُوَامِي

[صريح]: صَرُحَ الشيءَ بالضمّ صَرَاحَةً وصُرُوْحَةً: خَلَصَ من تعلُّقات غيره، فهو صَرِيح، كذا في المصباح. وقوله (هوى): مقصور مصدر هويته، من باب تعب: إذا أحببته وعلقت به، ثمّ أُطلق على ميل النفس، وانحرافها نحو الشيء، كما في المصباح، وهو المحبّة الإلهيّة، منه تعالى مبدأها وإليه مرجعها، وهي ما بين ذلك ملتبسة بمحبّ ومحبوب حادثين كونيين؛ فإذا فني السالك فأفني جميع الأغيار ظهرت محبّته تعالى لنفسه، قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [٥/ المائدة/ ٥٤] فيحبُّهم، أي: يحبّ تعالى نفسه في مظاهر أسمائه وصفاته، ويحبّونه كذلك. وقوله (جاريت): قال في المصباح: «جاراه مجاراة: جَرَى معه». وقوله (من لطفي): أي من كمال لطافته، ضدّ كثافته، وهي رجوعه من دعوى الوجود إلى الاعتراف بأنّه تقدير عدمي بالمقدّر الحقّ. وقوله (الهوى): مفعول جاريت بلام العهد الذكري، وهو الهوى المذكور قبله، أي: تابعته، وسلكت على حكمه، ولم أخالفه حتّى وجدت الأمر على ما هو عليه الحقّ بحبّ الحقّ. وقوله (سُحَيراً): منصوب على الظرفيّة، وهو تصغير سحراً، قال في المصباح: «السَحَر، بفتحتين: قبيل الصبح، وبضمّتين لغة، والجمع: أسحار». يكنّي بذلك عن حالته في علم سلوكه عند ابتداء فتحه؛ فإنّ الكون كلّه ظلمة، وإنّما أناره ظهور الحقّ فيه، كما قال ابن عطاء الله السكندري، قدّس الله سرّه، في حِكَمِه. وقوله (فأنفاس): الفاء للتفريع، والأنفاس: جمع نَفَس بفتحتين، وهو نسيم الهواء، والجمع: أنفاس. وتنفّس: اجتذب النفس بخياشيمه إلى باطنه،

وأخرجه، كذا في المصباح. وقوله (النسيم): هو نَفَس الريح: والنسمة مثله، كما في المصباح. يكنّي بذلك عن تنفّسات الروح الأعظم، روح الله الذي هو أوّل مخلوق. وقوله (لِمَامِي): بكسر اللام، أي مقاربتي في بعض الأحايين، قال في الصحاح: «يقال فلان يزورنا لِمَامَاً، أي: في الأحايين». وقوله (صحيح): أي أنا صحيح، أي: في صحّة من بدني وروحي وعقلي، وهي أحسن تقويم، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [٩٥/التين/٤] وهو كمال البنيّة والعلم والعمل، قال صلّى الله عليه وسلّم: «كلّ مولود يولد على فطرة الإسلام»[1]. وقال تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [٣٠/الروم/٣٠] وقوله (عليل): من العلة، وهي المرض، قال في المصباح: «عُلَّ الإنسانُ بالبناء للمفعول: مَرِضَ، ومنهم من يَبْنِيه للفاعل، من باب ضَرَب فهو عَلِيْل. والعِلَّة: المَرَض الشاغل، والجمع: عِلَل، مثل سدرة وسدر». وكونه عليلاً أي: قابلاً لفساد البنية متغيِّراً دائماً مائلاً بحكم الطبيعة إلى الغفلة عن خالقه، كما قلت من أبيات:

داء كوني من علّتي سوف يبرا والشفاء الشفاء محض الوجود[2]

أي: جود الحقّ تعالى عليّ، وإنعامه بالصحّة والكمال على نهج الاستقامة. وقوله (فاطلبوني) يعني: يا أيّها المريدون لي الراغبون في شأني. وقوله (من الصَّبَا): وِزان العصا، وهي الريح تهبّ من مطلع الشمس، كذا في المصباح. يكنِّي بذلك عن الروح الأعظم الذي هو أوّل مخلوق ظهر من مطلع شمس الأحديّة وإليها، يشير عفيف الدين التلمسانيّ قدّس الله سرّه بقوله:

أسكرت بان الحمى يا نسمة السحر فهل أتيت عن الأحباب بالخبر/ [٤٢٥/أ]

نعم مررت بذاك الحيّ فاكتسبت ذيول بردك ريّها نشره العطر

---

(١) انظر تخريجه ص٨٢٠.

(٢) أضفنا كلمة (سوف) ليستقيم الوزن.

يعني: إذا أردتموني فاطلبوني من عالم الروح الأمريّ. وقوله (ففيها): أي في الصَبَا المكنّى به عن الروح الأمريّ. وقوله (كما شاء النحول): أي السقام، وهو كمالُ الرقّة والضعف. والمعنى على حسب مقتضى الفناء في الوجود الحقّ تعالى وتقدّس. وقوله (مقامي): أي منزلي ومرتبتي، مبتدأ مؤخّر، وخبره فيها قدِّم للحصر. وقوله (خفيت): أي لم أظهر؛ لأنّ الظهور بالوجود للحقّ تعالى لا لي. وقوله (ضنى): أي سقماً، وهو منصوب على التمييز. يعني: أوصلتني كثرة الأشواق في مقام المحبّة الإلهيّة إلى أنْ خفيت من كثرة السقم بحيث لا يراني أحد، قال المتنبّي الشاعر:

كفى جسمي نحولاً أنني رجل لولا مخاطبتي إيّاك لم ترني

وقوله (حتّى خفيت عن الضَنَى): أي عن زيادة السقم بحيث لو أُريد زيادة سقمي لما أمكن. يعني: تناهى بي السقم، فلم يقبل الزيادة، وهو وصوله إلى مقام الفناء في وجود الحقّ تعالى. وقوله (وعن بُرْء): أي خفيت أيضاً عن بُرء، بضمّ الباء الموحّدة وسكون الراء: مصدر بَرَأَ من المرض، يَبْرَأُ، من بابي نفع وتعب، وبَرُؤَ بُرْءاً من باب قرب لغة، كذا في المصباح. وقوله (أسقامي): بكسر الهمزة مصدر أسقمه، أي: أمرضه، قال في المصباح: «سَقِمَ سَقَماً، من باب تعب: طال مرضه، وسَقُمَ سُقْماً، من باب قَرُب، ويتعدّى بالهمزة والتضعيف». يعني: خفيت عن شفاء مرضي أيضاً بحيث لو أريد شفائي من المرض لما أمكن؛ وذلك لأنّ حالة الفناء في الوجود الحقّ رجوع إلى الحالة الأصليّة بسلب توهّم الوجود الحقّ أنّه وجوده، فحيث هو مريض في حالة فنائه فلا يقبل التغيير عن حالته؛ لأنّه في حضرة القضاء والقدر الأزليّ الذي لا يقبل التغيير ولا التبديل؛ وإنّما ذلك في عالم الوجود الوهميّ، وقد زال عنه بالكشف والتحقيق. وقوله (وبَرْدِ أُوَامِي): أي وخفيت أيضاً عن برد أوامي، بضمّ الهمزة، قال في القاموس: «الأُوَام كغراب:

العَطَش، أو حَرَّه». وهو عطش المحبّة والأشواق الربّانيّة فلا يقبل أُوَامه وعطشه الزَّوَال؛ لأنّها حالته التي هو عليها في أزل الأزل.

٢٠- وَلَمْ أَدْرِ مَنْ يَدْرِي مَكَانِي سِوَى الهَوَى   وَكِــتْمَانَ أَسْرَارِي وَرَعْــيَ ذِمَــامِي

(ولم أَدْرِ): أي لم أعلم، قال في المصباح: «دَرَيتُ الشيءَ دَرْياً من باب رمى، [ودِرْيَةً] ودِرْايَةً: عَلِمتُه». وقوله (مَنْ يَدرِي): أي من يعلم شيئاً من الأوصاف أو أحداً من الناس يعلم. وقوله (مكاني): أي من المقام الذي أنا قائم فيه. وقوله (سوى الهوى): أي غير الهوى مكاني. وأمّا الهوى وهو المحبّة الإلهيّة فإنّ ذلك يدري مكاني فيأتيني إليه ولو كنت في عالم الفناء الكلِّي بخلاف غيره من جميع الأوصاف والأحوال؛ فالمعنى في ذلك أنّ وصف الهوى والمحبّة الإلهيّة أمر ذاتي له لا يفارقه باعتبار أنّه مقتضي حكمة خلقه وتقديره، فتصويره ـ وهي محبّة الحقّ تعالى ـ لنفسه، فإنّه لأجلها ولحكمتها خلق تعالى المخلوقات، وقدّر المقدورات. وقوله (وكِتْمان) بالنصب: عطف على مكاني. وقوله (أسراري): جمع سرّ، وهي العلوم الإلهيّة الخفيّة عن مدارك العقول، وهذا الكتمان أمر خلقي لا صنع فيه للمحبّ العارف الكامل؛ لأنّ الأسرار المذكورة خارجة عن معاني الأكوان وإشارات الأعيان فلا تؤديها عبارة، ولا تومي إليها إشارة، ولهذا كان غير الهوى المذكور لا يدريها، ولا يفهم معنى من معانيها، ولا يمكنه الإشارة إليها، ولا الإيماء إلى بعض ما لديها. وقوله (ورَعْيَ): بالنصب أيضاً معطوف على مكاني، والرَّعْي مصدر رَعَى عهده/ [٤٢٥/ ب]: حفظه قال في القاموس: «رَعَى أمرَه: حَفِظَه، كرعاه». وقوله (ذِمامي): بكسر الذال المعجمة، أي: عهدي وحرمتي؛ وإنّما كانت هذه الأشياء الثلاثة مكانه، وكتمان أسراره، ورعيَ ذمامه لا يدريها غير الهوى، كناية عن المحبّة الإلهية التي هي محبّة الحقّ تعالى لنفسه أزلاً وأبداً؛ لأنّها راجعة إلى الأمر الذاتيّ المقتضي لكثرة الأسماء الإلهيّة والصفات الربّانيّة التي هي

من وجه عين الذات الرحماني، وهي بمنزلة البَزْر لنيّات العوالم الكونيّة، وظهور ثمرات التقادير والأقضية الإمكانيّة في جميع البريّة، ومما يناسب ذلك قول من قال:

تسترت عن دهري بظلّ جناحه بحيث أرى دهري وليس يراني
فلو تسأل الأيام عنّي لما درت وأين مكاني ما عرفت مكاني

ولنا فيما يقارب ذلك:

تمنّيت المات لما أعاني من الوجد المبرّح ما أعاني
فزاد السقم في جسمي إلى أن خفيت عن المات فما رآني

٢١- وَلَمْ يُبْقِ مِنِّي الحُبُّ غَيْرَ كَآبَةٍ وَحُزْنٍ وَتَبْرِيحٍ وَفَرْطِ سَقَامِ
٢٢- وَأَمَّا غَرَامِي وَاصْطِبَارِي وَسَلْوَتِي فَلَمْ يَبْقَ لِي مِنْهُنَّ غَيْرُ أَسَامِي

(ولم يبق): بضمّ الياء التحتيّة، من أبْقَاه يُبقيه، قال في المصباح: «بَقِيَ الشيءُ يَبْقَى، من باب تعب، بَقَاء وبَاقِيَة: دام وثَبَت، ويتعدّى بالألف فيقال: أَبْقَيْتُهُ». وقوله (منّي): أي من خلقتي الكونيّة، ونشأتي الإمكانيّة. وقوله (الحبّ): بالضمّ، أي: المحبّة الإلهيّة، أو بالكسر بمعنى المحبوب، وهو الحضرة العليّة. وقوله (غيرَ): بالنصب مفعول يبقي. وقوله (كآبة): مصدر كَئِبَ يَكْأَب، من باب تعب، كَآبَة، بمدّ الهمزة، وكَأْباً وكَأْبَة، مثل: سبب وتمرة: حَزِن أشدَّ الحُزْن فهو كَئِب وكَئِيب، كذا في المصباح. وقوله (وحُزْن) بالجرّ: عطف على كآبة، من عطف العام على الخاص. نحو قوله تعالى: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [٧١/نوح/٢٨]. وقوله (وتبريح): أي شدّة آلام وأوجاع، يقال: بَرَّحَ به الضربُ تبريحاً: اشتدّ وعظُم، وهذا أَبْرَحُ من ذاك: أي أشدّ، كذا في المصباح. وقوله (وفَرْط): بسكون الراء، يقال: أَفْرَطَ في الأمرِ، أي: جاوز فيه الحدّ، والاسم

منه: الفَرْط، بالتسكين، يقال: إيّاك والفَرْطَ في الأمر، كما في الصحاح. وقوله (سَقَام): بفتح السين المهملة: اسم من سَقِمَ سَقَماً، من باب تعب: طَال مرضُه كما في المصباح. مصدر: كسحاب، قال في القاموس: «السَّقَام كَسَحاب: المرض، سَقِمَ كفَرِح وكرم، فهو سَقِيْم، وجمعه سِقام ككتاب». وقوله (وأمّا غرامي): من أُغرِمَ بالشيء بالبناء للمفعول، أُولِع به، فهو مُغْرَم، كذا في المصباح. وقوله (واصْطِبارِي): مصدر اصْطَبَرَ، قال في المصباح: صَبَرتُ صَبْراً، من باب ضرب: حَبَسْتُ النَفْس عن الجَزَع، واصْطَبَرتُ مثله. وقوله (وسَلْوَتِي): اسم من سَلَوْتُ عنه سَلْواً من باب قعد: صَبَرتُ وسَلِيتُ أَسْلِي من باب تعب سَلْياً لغة، قال أبو زيد: السُّلُوُّ طِيبُ نَفْس الإلْف عن إلْفِه، [كذا في المصباح]. وقوله (فلم): الفاء في جواب أمّا. وقوله (يَبْقَ): بحذف الياء لدخول الجازم، وهو لم. وقوله (لي منهن): أي من هذه الأوصاف الثلاثة: الغرام والاصطبار والسُلُّو. وقوله (غيرُ أسامي): جمع اسم. والأسامي: هنا غير المسمّيات. يعني: إنّ مسمّيات هذه الأسماء الثلاثة فنيت بفناء نفسه، وبقي منها مجرّد أسمائها وألقابها. كما أنّه نفسه فني فلم يبقَ منه غير مجرّد اسمه. وقريب من ذلك قولنا من أبيات لنا:

لا غـــــيركم أربي وإنْ حوَّلْتُـــــه ... عـنكم بلفظـي في الـورى وكلامـي

أنـــتم هـــم المعنـــى المـــراد بكـــلّ مـــا ... قـد قلـت عـنكم والجميـع أسـامي

٢٣- لِيَـنْجُ خَـلِيٌّ مِـنْ هَـوَايَ بِنَفْـسِهِ ... سَـلِيماً وَيَـا نَفْـسُ اذْهَبِـي بِـسِلَامِ

/[٤٢٦/أ] (لِيَنجُ): بكسر لام الأمر، وينجُ فعل مضارع مجزوم بلام الأمر، فحذفت الواو وبقيت الضمّة. وقوله (خَلِيٌّ): بتشديد الياء التحتيّة فاعل يَنجُ. وقوله (من هواي): صفة لخليّ، والخَلِيّ هو الفارغ البال من خواطر العشق والبلبال، قال في المصباح: «خلا من العيب خلوّاً: بَرِئَ منه، فهو خَلِيٌّ». وقوله (بنفسه): متعلّق بِيَنْجُ. وقوله (سليماً): حال من خليّ وإنْ كان نكرة؛ لكنّه وصف بقوله (من هواي):

والمعنى في ذلك: إنّ هواه أمر عظيم ليس كهوى غيره من أهل الغفلة والحجاب؛ فالذي ينصح فيه الخليّ الفارغ من المحبّة أنْ ينجو بنفسه سالماً من عقبات الطريق، ومشقّات الدخول في تقليب أحوال خير فريق، ولا ينتقد على أحد منهم حركات شأنه، أو كلمات لسانه، ولا يزن شيئاً ممّا هم عليه بميزانه، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [٣٩/ الزمر/ ٩]. والألباب جمع لبّ بالضمّ، وهو خالص العقل وزبدته، فنسبته إلى العقل كنسبة عين الشمس في السماء الرابعة إلى شعاع الشمس المنبسط على وجه الأرض. وقوله (ويا نفس): يحتمل حذف ياء المتكلّم وإبقاء الكسرة دليل عليها، ويحتمل الضمّ على أنّه نكرة مقصودة، يخاطب نفسه التي هي ظلّ روحه الأمريّ، وهي الشأن المستقل في باطن الإنسان، حقيقته وَهْم، وصورته فَهْم، ولنا في معنى ذلك قولنا:

أنـــت في بالـــك خـــاطر فـــانمحي عنـــك وخـــاطر
وصـــل الجـــزء بكـــلّ ثـــمّ كـــن للكـــلّ فـــاطر
وإذا بـــان همـــام لـــك مـــن نفـــسك شـــاطر
عـــد عـــن سلـــسلة النفـــس وأغـــلال الخـــواطر

وقوله (اذهبي بسلام) أي: بأمان من جميع الآفات، وطوارق المشقّات، حيث طهرت من الإناء، وانغسلت بمياه الفناء، ولم يبق أنت، ولا هو، ولا أنا.

٢٤- وَقَالَ أُسْلُ عَنْهَا لَائِمِي وَهْوَ مُغْرَمٌ بِلَوْمِيَ فِيهَا قُلْتُ فَاسْلُ مَلَامِي
٢٥- بِمَنْ أَهْتَدِي لَوْ رُمْتُ فِي الْحُبِّ وَبِي يَقْتَدِي فِي الْحُبِّ كُلُّ إِمَامِ
٢٦- وَفِي كُلِّ عُضْوٍ فِيَّ كُلُّ صَبَابَةٍ إِلَيْهَا وَشَوْقٍ جَاذِبٍ بِزِمَامِي

(وقال): أي لي. وقوله (أُسْلُ): فعل أمر مجزوم بحذف الواو، والضمّة على

---

(١) الشطرة الأولى في (ق): "بمن أهتدي هيهات لو رمت سلوة))

اللام دليل عليها، من سَلَوْتُ عنه سُلُّواً، من باب قعد: صبرتُ، كذا في المصباح. وقوله (عنها): أي عن المحبوبة الحقيقيّة. وقوله (لائمي): فاعل قال، وهو الذي يلومه على المحبّة. وقوله (وهو مغرم): الواو للحال، والجملة حال من لائمي. و(المغرم): بصيغة اسم المفعول، قال في المصباح: «أُغْرِمَ بالشيء بالبناء للمفعول: أُولِع به، فهو مُغْرَم». وقوله (بلومي): متعلّق بمغرم. وقوله (فيها): أي في محبّة تلك المحبوبة المذكورة. وقوله (قُلْتُ): أي للائم المذكور. وقوله (فاسل): فعل أمر كما ذكرنا. وقوله (ملامي): مفعول أسْلُ، أي: لومك لي. وقوله (بمن): أي بأي إنسان إمام في المحبّة الإلهيّة. وقوله (أهتدي): أي أصير مهتدياً إلى الحقّ والصواب. وقوله (لو رمت): أي طلبت، يقال: رُمْتُ الشيءَ أَرُومُهُ رَوْماً ومَرَاماً: طلبته، فهو مَرُوم، كذا في المصباح. وقوله (سَلْوَة): مفعول رُمت. والسَلْوَة: اسم من سَلَوتُ عنه سُلُوّاً، من باب قعد: صبرت. وقال أبو زيد: السُّلُوُّ: طِيبُ نَفْسِ الإلْف عن إلْفِه، كما في المصباح. وتنكير سَلْوَةً للتقليل والتحقير. والمعنى: ولو طلبت أدنى سَلْوة عن محبّة هذه المحبوبة، فبأي إمام أقتدي فأهتدي إلى سبيل الحقّ. وقوله (وبي): الواو للحال، وبِي جار ومجرور متعلّق بيقتدي، قدّم عليه للحصر، والجملة حال من التاء ضمير المتكلّم /[٤٢٦/ ب] وقوله (يقتدي): في الحبّ، أي: في المحبّة الإلهيّة. وقوله (كلّ إمام): فاعل يقتدي. وقوله (وفي كلّ عضوٍ): خبر مقدّم، والواو للحال أيضاً. والجملة حال من ضمير المتكلّم كذلك. وقوله (فِيّ): بتشديد الياء التحتيّة، أي: في جملة أعضائي. وقوله (كلّ صبابة): مبتدأ مؤخّر. والصبابة: الشوق، أو رقّته، أو رقّة الهوى، كذا في القاموس. وقوله (إليها): أي إلى تلك المحبوبة المذكورة. وقوله (وشوق): بالجرّ، عطف على صبابة بتقدير: وكلّ شوق، فيكون من عطف العام الخاص. وقوله (جاذب): صفة شوق. وقوله (بزمامي): متعلّق بجاذب، والزمام للبعير، جمعه: أَزِمَّة، وقال بعضهم: الزِّمَام في الأصل: الخيط الذي يُشَدُّ في البُرَة، أو في الخشاش، ثمّ يُشَدُّ إليه

المِقْوَد، ثمّ سُمِّيَ به المقود نفسه. والبُرَة: حلقة تجعل في أنف البعير تكون من صُفْر[1] ونحوه. والخشاش من خشب، والخزامة من شعر، كذا في المصباح.

٢٧- تَثَنَّتْ فَخِلْنَا كُلَّ عِطْفٍ تَهُزُّه قَضِيبَ نَقَاً يَعْلُوهُ بَدْرُ تَمَامِ

(تَثَنَّتْ): أي المحبوبة المذكورة، من ثَنَى الشيءَ كسعى، رَدَّ بعضَه على بعض فَتَثَنَّى، وانْثَنَى واثْنَوْنَى: انعطف. وثَنَّاه: جعله اثنين، كذا في القاموس. ومعنى التثنّي هنا: أن تكون تلك المحبوبة الحقيقيّة المذكورة مع كلّ شيء اثنين، هي وما تقدره في نفسها من معلوماتها التي هي كاشفة عنها في الأزل، وبالإرادة تتجلّى، فيظهر وجودها على ذلك المعلوم الذي قدّرته في نفسها، وهذا معنى تثنّي الأغصان بالنسيم؛ فإنّ الإرادة كالنسيم، ووجود الغصن واحد، فإذا كان في حيز فمال إلى حيّز آخر فكأنّه صار اثنين، ولهذا يقال: تثنّى الغصن، مع أنّه واحد. وقوله (فخلنا): أي ظننا وحسبنا، قال في المصباح: «خَال الرجلُ الشيءَ يَخَالَه خَيْلاً، من باب نال: إذا ظَنّه، وخَاله يَخِيْلُه من باب باع، لغةً». وقوله (كلّ عِطْفٍ): بالكسر، وهو مفعول أوّل لخلنا، قال في المصباح: «عِطْف الشيء: جانبه، والجمع: أعطاف، مثل: حِمْل وأَحْمَال». يكنّي بذلك عن الأسماء الحسنى، والصفات العليا؛ فإذا كلّ اسم منها كأنّه جانب من الجوانب، وهو عِطْف من الأعطاف. وقوله (تَهُزُّهُ): الضمير للمحبوبة المذكورة، (هَزَزْتُهُ): هَزّاً، من باب قتل: حَرَّكْتُه فاهْتَزَّ، كذا في المصباح. والهزّ هنا كناية عن توجّه الحقّ تعالى باسم من أسمائه على الأثر فيوجده. وقوله (قضيب): بالنصب مفعول ثانٍ لخلنا، وهو الغصن المقطوع، قال في المصباح: «قَضَبْتُ الشيءَ قَضْباً، من باب ضرب فانْقَضَب: قَطَعْتُه فانقطع، ومنه قيل للغُصْن المقطوع: قَضِيب، فعيل بمعنى مفعول». كنّى بذلك عن النشأة الإنسانيّة، كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ۝١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ

---

(١) الصفر: النحاس.

إِخْرَاجًا﴾ [٧١/ نوح/ ١٧-١٨] وقوله (نَقَاً): النَّقَا الكثيب من الرمل، كما في المصباح. يكنِّي بالنقا عن المقام الذي يقام فيه العبد السالك في طريق الله تعالى. وقوله (يعلوه): أي يعلو ذلك القضيب. وقوله (بدر تمام): فاعل يعلو. وهو كناية عن وجه العارف الكامل الذي يواجه به شمس الحضرة الإلهيّة في غيب الأسماء، أو الصفات الربّانيّة؛ فإنّ وجوده مستفاد من وجوده، كما أنّ نور القمر مستفاد من نور الشمس في ظلمة الأكوان، وهو سرّ التجلّي الإلهيّ، المكنّى عنه هنا بالتثنّي. وقد اتّفق لنا نظير ذلك في قولنا من أبيات لنا:

تميل فتثبت الأكوان عنها ... وليس لهم إذا اعتدلت وقوع

وذا حكم الإرادة وهو شيء ... تكون به المهابة والخشوع

ولنا من قصيدة عينيّة أخرى قولنا:/ [٤٢٧/ أ]

تثنّت فقالوا لاح ثانٍ وثالثٌ ... على الزور والبهتان منهم ورابع

ولو وجدوها طبق ما زعموا لما ... رأوا غيرها في كلّ ما هو واقع

٢٨- وَلِي كُلُّ عُضْوٍ فِيهِ كُلُّ حَشَىً بِهَا ... إِذَا مَا رَنَتْ وَقْعٌ لِكُلِّ سِهَامِ

٢٩- وَلَوْ بَسَطَتْ جِسْمِي رَأَتْ كُلَّ جَوْهَرٍ ... بِهِ كُلُّ قَلْبٍ فِيْهِ كُلُّ غَرَامِ

٣٠- وَفِي وَصْلِهَا عَامٌ لَدَيَّ كَلَحْظَةٍ ... وَسَاعَةُ هِجْرَانٍ عَلَيَّ كَعَامِ

(ولي) خبر مقدّم، قدّم لإفادة الحصر. وقوله (كلّ عضو): مبتدأ مؤخّر. والمراد من أعضائي. وقوله (فيه): أي في كلّ عضو. وقوله (كلّ حشى) قال في القاموس: «الحشى ما في البطن، والجمع: أحشاء». وهو هنا كناية عن القلب. يعني: كلّ عضو من أعضائي فيه كلّ قلب من القلوب، وتنكير العضو والحشى لإفادة التكثير والتعظيم. وقوله (بها): أي بالحشى. يعني: فيها، خبر مقدّم. وقوله (إذا ما رنت): أي المحبوبة المذكورة، بمعنى: إدامة النظر إليّ، قال في القاموس: «الرُّنُو كدُنُو: إدَامَة النَّظَر بسكون الطَّرْفِ». وفي نسخة (رمت): بالميم. وقوله

(وقع): مبتدأ مؤخّر. وقوله (لكلٍّ سهام): جمع سهم. يعني: إنّ عيون هذه المحبوبة ترمي سهام المحن والابتلاء في قلوب العاشقين، كلّما نظرت إليهم بأنْ رفعت جفونها، وهي صور الكائنات؛ فإنّ طبقت جفونها على عيونها أعرضت عنهم. وقد أشرنا إلى هذا المعنى من أبيات لنا بقولنا:

يــــا واحــــداً مـــــا في العيـــــا نِ لـــــه ولا في الغيـــب ثـــــاني

أنـــا جفنـــك المكـــسور يـــا عينـــي ومنـــك الجـــبر داني

ولـــــذا يكـــــون الحـــسن في هـــــذا وفي حـــور الجنـــان

وقد ورد في الحديث : «أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي»[1] . وقوله (ولو بَسَطَتْ): بَسَطَ الرجل الثوب بَسْطاً، من باب قتل، وبَسَطَ يدَه: مَدَّها منشورة. كذا في المصباح. وقال في القاموس: «بَسَطَهُ: نَشَرَه» والتاء الساكنة علامة تأنيث ضمير الفاعل، وهي المحبوبة الحقيقيّة والحضرة العليّة. وقوله (جسمي): قال ابن دريد: «الجسم هو كلّ شخص مدرك». وقال أبو زيد: الجسم الجسد، وفي التهذيب ما يوافقه، قال: الجِسم يجمع البدن، وأعضاءه من الناس والإبل والدواب، ونحو ذلك ممّا عَظُم من الخَلْق الجَسيم، وعلى قول ابن دريد يكون الجسم حيواناً وجماداً ونباتاً، ولا يصحّ ذلك على قول أبي زيد، كذا في المصباح. والمعنى: ببسط جسمه تفصيل أجزائه وأبعاضه، ونشرها وتفريقها. وقوله (رأت): أي المحبوبة المذكورة. وقوله (كلّ): مفعول رأت. وقوله (جَوهَر): أصله ما قال في المصباح: «جوهر كلّ شيء ما خُلِقَت عليه جِبِلَّتُه». وقال في القاموس: «الجوهر من الشيء ما وُضعَتْ عليه جِبِلَّتُه». والمراد هنا أجزاء بدنه، وهي التي تركّب منها بدنه، وهو الجزء الذي لا يتجزّأ؛ فلا يقبل القسمة لا بالقول ولا بالفعل ولا بالقوّة. والجسم عبارة عن جوهرين مركّبين فصاعداً، كما ذكره في

(١) انظر تخريجه ص٢٩٩.

كتاب: «المبين في شرح ألفاظ الحكماء والمتكلِّمين». وقوله (به): أي في ذلك الجوهر. وقوله (كلّ قلب): قال في المصباح: «القلب مضغة من الفؤاد معلّقة بالنياط، نقله الأزهري، ويطلق على العَقل، والجمع: قُلوب، مثل فَلس وفلوس. وقال في القاموس: «القلب الفؤاد، أو أخص منه، والعقل، ومَحْضُ كلّ شيء». وقوله (فيه كلّ غرام): أي في ذلك القلب، كلّ شوق ملازم، وولوع جازم، وهذا البيت بيان للبيت الذي قبله تأكيد لمعناه على وجه المبالغة في انتشار المحبّة الإلهيّة في كلّ جزء من أجزائه، وفي ضمن كلّ عضو من أعضائه. وقوله (وفي وصلها): أي المحبوبة المذكورة. وقوله (عام): أي سنة، قال في المصباح: «العام الحول»، قال ابن الجواليقي: «ولا /[٤٢٧/ب] يُفرّق عوام الناس بين العام والسَّنَة، ويجعلونها بمعنى، فيقولون لمن سافر في وقت من السنة أي وقت كان إلى مثله: عام. وهو غلط، والصواب: ما أُخْبِرتُ به عن أحمد بن يحيى أنّه قال: السَنَة من أي يوم عَدَدتَه إلى مثلِه. والعام لا يكون إلّا شتاء وصيفاً. وفي التهذيب والبارع: العام حَول يأتي على شَتْوَة وصَيْفَة. وعلى هذا فكلّ عام سنة، وليس كلّ سنة عاماً. وإذا عددت من يوم إلى مثله فهو سنة. وقد يكون فيه نصف الصيف ونصف الشتاء، والعام لا يكون إلّا صيفاً وشتاء متواليين».

وقوله (لديّ): بتشديد الياء التحتيّة صفة عام، أي: عندي. قوله (كلحظة): فعل مرة من لَحَظَهُ كمنعه، ولحظ إليه لَحْظاً ولَحَظَاناً محرّكة: نظر بمؤخّر عينيه، وهو أشدُّ التفاتاً من الشزر، كذا في القاموس. وإنّما كان عام وصالها كلحظة من كمال سرور المحبّ بلقاء محبوبته، فلا يشعر بطول العام؛ فإذا مضى ظنّه لحظة قليلة، وإليه الإشارة بحديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «لا تقوم الساعة ـ أي ساعة العرفان برفع حجاب الوهم عن بصيرة الإنسان ـ حتّى يتقارب الزمان؛ فتكون السنة كالشهر والشهر كالجمعة، وتكون

الجمعة كاليوم، ويكون اليوم كالساعة، وتكون الساعة كالضرمة بالنار»[1] أخرجه الترمذي في سننه. فإذا ارتفع حجاب الأوهام، ولقي المحبّ حبيبه في ذلك المقام، فتقارب زمانه، واستغرق في اللقاء عيانه، وهو طريق السلوك في التحقّق بمعرفة ملك الملوك. وقوله (وساعة هجران): يقال هجرته هجراً، من باب قتل: تركته ورفضته، وهجرت الإنسان: قطعته، والاسم: الهجران، كما في المصباح. وتنكيره للتقليل. والمعنى: هجران المحبوبة لي. وقوله (عليّ): بتشديد الياء التحتيّة، أي: مستولية عليّ، وقاهرة لي. وقوله (كعام): أي طويلة بمنزلة العام، من كمال الوحشة التي يجدها المحبّ عند احتجابه عن شهود محبوبته، ومقاساة بعاده عنها[2].

٣١- وَلَمَّا تَوَافَيْنَا عِشَاءً وَضَمَّنَا   سَوَاءُ سَبِيلَيْ دَارِهَا وَخِيَامِي

٣٢- وَمِلْنَا كَذَا شَيْئاً عَنِ الحَيِّ حَيْثُ لَا   رَقِيبٌ وَلَا وَاشٍ بِزُورِ كَلَامِ

٣٣- فَرَشْتُ لَهَا خَدِّي وِطَاءً عَلَى الثَّرَى   فَقَالَتْ لَكَ البُشْرَى بِلَثْمِ لِثَامِي

٣٤- فَمَا سَمَحَتْ نَفْسِي بِذَلِكَ غَيْرَةً   عَلَى صَوْنِهَا مِنِّي لِعِزِّ مَرَامِي

٣٥- وَبِتْنَا كَمَا شَاءَ اقْتِرَاحِي عَلَى المُنَى   أَرَى المُلْكَ مُلْكِي والزَّمَانَ غُلَامِي

(ولمّا توافينا): من التوافي، تفاعل من الجانبين. وافَيْتُها ووافَتْنِي، قال في المصباح: «وَافَيْتُه مُوَافَاة: أتيتُه». وقوله (عشاء): قال في المصباح: «العِشاء

(١) أخرجه الترمذيّ في سننه، كتاب الزهد، باب: ما جاء في تقارب الزمان وقصر الأمل٢٥٠٢، عن أنس بن مالك، وأخرجه أحمد في مسنده، باب: مسند أبي هريرة، بلفظ: «وتكون الساعة كاحتراق السعفة الخوصة».

(٢) في (ق): هناك بيت غير موجود في هذه القصيدة عند الشيخ النابلسيّ، ولا في طبعة أمين خوري لدار الشريف الرضي، ولا طبعة دار صادر؛ ولعلّ اسكاتولين قد ثبّته من مخطوطة تشستر ـ دبلن كما أشار في الحاشية ذات الرقم٣٢ صفحة ١٧٦ من ديوان ابن الفارض. والبيت ذو الرقم ٣١ عنده وهو:

وإن عَرَضَتْ فَالعَامُ يَمْضِي كَسَاعَةٍ   وسَاعَةُ إعْرَاضٍ لَدَيَّ كَعَامِ

بالكسر، والمدّ: أوّل ظلام الليل». كناية عن الملاقاة الكونيّة بينه وبين تجلّي الحضرة الإلهيّة، قال الشيخ الأكبر ـ قدّس الله سرّه ـ من أبيات له:

في ظلمة الكون كان الملتقى بهم   فأي عين ترى الأنوار في الظلم

نعم ولولا حجاب الجسم لم ترَ ما   وراءه بين مجموع ومنقسم

وقوله (وَضَمَّنَا): أي جمعنا مع المحبوبة المذكورة. وقوله (سَوَاءُ): بالرفع فاعل ضمّنا، قال الراغب: مكان سُوى، وسَواء: وَسَط ، وقيل: سَوَاء وسَوى وسُوَى، أي: يستوى طرفاه، ويُستعمل ذلك وصفاً، وأصل ذلك مصدر، قال تعالى: ﴿فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [٣٧/ الصافّات/ ٥٥] وقال: ﴿سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [٢/ البقرة/ ١٠٨] وقوله (سَبِيْلَيْ): بصيغة التثنية، أصله سبيلين، فحذفت النون للإضافة إلى ما بعده، والسبيل: الطريق. وقوله (دارها): أي المحبوبة المذكورة. وذلك كناية عن الروح الأعظم الذي هو أوّل مخلوق صدر عن الأمر الإلهيّ، وهو العقل الكلّي، والقلم الأعلى،/ [٤٢٨/ أ] والنور المحمّدي الجامع، والسرّ الأحمدي اللامع؛ فهو دارها لدورانه حول معرفتها، كما ورد: «حولها ندندن»[1] وقوله (وخيامي): جمع خيمة، وهي بيت تبنيه العرب من عيدان الشجر، قال ابن الأعرابي: «لا تكون الخيمة عند العرب من تباب؛ بل من أربعة أعواد، ثمّ يسقف بالثمام. والخيم، بحذف الهاء: لغة، والجمع: خيام، مثل سهم وسهام، كذا في المصباح. وكنّى بخيامه عن جسده المركّب من الطبائع الأربع، والعناصر الأربعة؛ فإنّ نفسه، وكذا كلّ نفس متآلفة من التوجّه الروحانيّ، والتركيب الجسمانيّ. وكلّ منهما سبيل لتنزّل الأمر الرحمانيّ على التنزّه التام السبحانيّ. وقوله (وملنا): أي ملت بها، ومالت متجلّيَة بي. وقوله (كذا شيئاً عن الحي): الكاف للتشبيه، وذا اسم إشارة، يكنّي بذلك عن جهة غير جهة الحيّ. وشيئاً منصوب على التمييز، أي: ملنا عن الحيّ

---

(١) أخرجه أحمد في المسند، باب: حديث بعض أصحاب النبي، ١٦٣١٨.

جهة قليلة. يُفهم ذلك من تنكير شيء. والحيّ في الأصل اسم القبيلة من قبائل العرب، ثمّ أُطلق على المنزل. يشير بهذا الميل القليل عن جهة الحيّ إلى العالم الكوني بالوجود المستعار لاستيفاء معاني الحكم والأسرار. وقوله (**حيث لا رقيب**): فحيث ظرف مكان، وتضاف إلى جملة، وهي مبنيّة على الضمّ. وقال: بعضهم حيث من حروف المواضع، لا من حروف المعاني. وقوله (**لا رقيب**): أي هناك يرقبنا، يقال: رَقَبتُه رقُوباً، من باب قعد: حفظته، فأنا رقيب. وهو العالم الروحانيّ الذي لا يداخله الوسواس النفسانيّ، والتسوّل الشيطانيّ. وقوله (**ولا واشٍ**): يقال وَشَى به عند السلطان وَشْياً: سَعَى به، ووَشَى في كلامه وَشْياً: كَذَب، كما في المصباح. وقوله (**بزور كلام**): متعلّق بواش، أي: بكلام زور، والزُّور: الكَذِب، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ [٢٥/ الفرقان/ ٧٢]، وزوَّر كلامه، أي: زخرفه، كذا في المصباح. فالرقيب إشارة إلى النفس الأمارة بالسوء؛ لأنّها تلازم الإنسان؛ فلا تنفك عنه إلّا بالموت الاختياري، أو الاضطراري، فتراقبه في الخير والشرّ، والنفع والضرّ. والواشي هو القرين الشيطانيّ الذي يوقع العداوة بينه وبين ربّه، بحمله على السوء وخطواته من الذنوب الكبار والصغار، وزور الكلام في كلّ مقام. وقوله (**فرشت**): جواب لما يقال: فَرَشتُ البِساط وغيره فَرْشاً، من باب قتل، وفي لغة من باب ضرب: بسطته، كذا في المصباح. وقوله (**لها**): أي للمحبوبة الحقيقيّة المذكورة. وقوله (**خدِّي**): جمعه خُدُود وهو من المَحْجَر إلى اللَّحْي من الجانبين، كما في المصباح. والمَحْجِر وِزان مَجْلِس: ما دار من العين من جميع الجوانب، وهو أعزّ ما في وجه الإنسان لجمعه للعين الباصرة، وجهه أشرف ما فيه. والمعنى: إنّه بعد فنائه عن نفسه، وتنحّي شيطانه عنه بالتحقّق بالوجود الحقّ: رجع من نهايته إلى بدايته، فوجد صورته لربّه لا له؛ فأسلم كلّه له تعالى؛ فكان من قبيل قوله صلّى الله عليه وسلّم، وفي الحديث القدسيّ: «لا يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل» أي: الزوائد

منه، وهي حواسه الظاهرة والباطنة، فيجدها بحول الله تعالى وقوَّته، لا بحول نفسه وقوتها ـ حتّى أحبّه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به»[1] الحديث، ثمّ يستغرق الأمر الإلهيّ جميع قوى العبد من قوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [٢/ البقرة/ ١٦٥] حتّى يكون العبد كلّه مظهراً إلهيّاً كما قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [٧/ الأعراف/ ٥٤] ويفشو ذلك عنده في كلّ شيء من قوله سبحانه: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٥٥] وقوله تعالى: ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ﴾ [٢٧/ النمل/ ٩١] ويتحقّق حينئذ بحقيقة قوله صلّى الله عليه وسلم: «كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه»[2]؛ فإنّه كان في حقّه تعالى للدوام والاستمرار كما قالوا في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [١٨/ الكهف/ ٤٥]، ونحو ذلك. وقوله (وِطَاء): وِزان/ [٤٢٨/ ب] كتاب هو المهاد الوطيء. وقد وَطُؤَ الفراشَ بالضمّ فهو وَطِئ مثل قرب فهو قريب، كذا في المصباح. وقوله (على الثرى): أي فوق التراب الندي بالماء، قال في المصباح: «الثرى: التراب النديّ؛ فإنْ لم يكن نديّاً فهو تراب، فلا يقال حينئذ: ثرى إلّا إذا وصل المطر إليه». وهو كناية عن جسده المركّب من التراب والماء؛ لأنّهما أدنى من الهواء والنار لغلبتهما في خلقة الجانّ والشيطان، وهو المارج. كما أنّ التراب والماء هو الطين الغالب في خلقة الإنسان، وإلّا فإنّ تركيب الأجسام كلّها من العناصر الأربعة. وقوله (فقالت): أي المحبوبة المذكورة. وقوله (لك): خبر مقدّم للحصر، أي: لا لغيرك. وقوله (البشرى): مبتدأ مؤخّر. و(البشرى): بضمّ الباء الموحّدة مقصور، قال في المصباح: «البُشرى فُعلى، من بَشِر بكذا يَبْشِر، مثل فرح يفرح، وزناً ومعنى. ويكون البشير في الخير أكثر من الشرّ، وإذا أُطلقت البشارة اختصّت بالخير». وقوله (بلَثْمِ): مصدر لَثَمتُ الفَمَ لثماً، من باب ضرب: قبّلته». وقوله (لثامي):

---

(١) انظر تخريجه ص١٤٦.

(٢) انظر تخريجه ص٤٦١.

اللِّثَام، بالكسر: ما يُغطَّى به الشفة، كذا في المصباح. وكنّى باللثام عن صورته، وصورة كلّ شيء؛ لأنّ ذلك حجاب على الوجه الإلهيّ كما قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [٢٨/ القصص/ ٨٨] وقوله سبحانه: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ٢٦-٢٧] وقوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [٢/البقرة/ ١١٥]. والمعنى: إنّها أطلقت له القول بالأنانيّة الحقيقيّة بعد فناء أنانيّته الباطلة، الفانيّة المختصّة به، وبكلّ من يشبهه من الأكوان؛ فإنّ فرعون وأمثاله كان هلاكهم بها في الدنيا والآخرة. وقوله (فما سمحت نفسي بذلك): أي أبت نفسه المطمئنّة، وامتنعت عن لثم ذلك اللثام، وعن القول بالأنانيّة لحقيقته بعد فناء أنانيّته المذكورة. وقوله (غَيْرَة): بالفتح، من غَار الرجلُ على امرأته، والمرأةُ على زوجها، يَغَار، من باب تعب، غَيْراً وغَيْرة بالفتح. قال ابن السكّيت: ولا يقال غِيْراً وغِيْرَة بالكسر، كما في المصباح. ومعنى الغَيرة: الغضب ممّا فعل، وفي الحديث: «إنّ الله غيور»[1] ومعناه لا يرضى بالفواحش، ويزجر عنها. كما أنّ الرجل الغَيُور لا يرضى بما كره، ويزجر عنه. وقوله (على صونها): متعلّق بغيرة، والصَّون مصدر صَانَه صَوْناً وصِيَانَة: حفظه، كذا في القاموس. يعني: منعني من القرب إليها، والصدق في الانتساب لديها بدعوى الأنانيّة الحقيقيّة، بعد كمال فنائي بالكلّيّة، غيرتي على صِيانتها المشهورة وتنزهاتها المنشورة بين العقلاء والكاملين والفضلاء، والأئمّة النبلاء. وقوله (منِّي): متعلّق بصونها. ومعنى صونها منه أنّه إذا كان في مقام دعوى الوجود معها كحال الجاهلين بها فهي منزّهة عن مشابهته ولو بوجه من الوجوه، واعتبار من الاعتبارات، وإن كان في مقام الفناء في وجودها الحقّ كحال العارفين بها المتحقّقين بأمرها؛ فهي منزّهة عن مشابهته أيضاً، كما في الحالة الأولى، فكيف يمكنه لثم لثامها فضلاً عن لثمّ فمها. غاية الأمر: الأنانيّة الحقيقيّة ربّما ظهرت

(١) ذكره السيوطيّ في جامع الأحاديث،٤٤٨٢٦.

بالأنانيّة الباطلة الفانيّة بطريق الكناية عنها، كما قال تعالى عمّن أوتي جوامع الكلّم الإلهيّة، صلّى الله عليه وسلّم: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [١٧/ الإسراء/ ١] ولم يقل أسرى عبده به. وقال تعالى له صلّى الله عليه وسلّم: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ﴾ [٣٩/ الزمر/ ٥٣] ولم يقل: قل يا عباد الله . وفي الأحاديث القدسيّة كثير من هذا، وهو الكلام بلسان المظهر التام. وقوله (لِعِزِّ مَرَامِي): أي عزّة مقصودي، وهو الحظوة بالحقيقة الذاتيّة، من غير كون، ولا إمكان، ولا مكان، ولا زمان. ورجوع الأمر إلى ما عليه كان. وقوله (وبِتْنَا): أي أنا وإياها يعني المحبوبة المذكورة، يقال: بَاتَ يفعلُ كذا، يَبِيْتُ ويَبَاتُ بَيْتاً وبَيَاتاً ومَبِيْتاً وبَيْتُوتَه، أي: يَفْعَلُه ليلاً، ومن أدركه الليل فقد بات، كذا في القاموس. وهو الدخول في عالم الكون؛ لأنّه ظلمة لازمة. وقوله (كما شاء): أي أراد. وقوله (اقتراحي)/ [٤٢٩/ أ] أي: ابتداعي وهو طلب أمر لم يطلبه أحد غيري، قال في المصباح: «اقترحته: ابتدعته من غير سبق مثال، وقوله (على المُنى): جمع مُنْيَة، قال في المصباح: تمنّيت كذا، قيل مأخوذ من المَنَا، وهو القَدَر؛ لأنّ صاحبه يُقَدِّر حصولَه، والاسم: المُنْيَة والأُمْنِيَة، وجمع الأولى: مُنَى، مثل: غرفة وغرف. وجمع الثانية: الأَمَاني». والذي شاءه اقتراحه على المُنَى أمر ذوقيّ، معرفته من وراء دائرة العقل؛ فلو قرر للعقل لما قبله إلّا إيماناً إنْ كان من أهل العناية والتوفيق. وصاحب الخذلان الإلهيّ والخسران ينكره، ويجعله في حيز الهذيان. ومضمون ذلك ما أشار إليه بقوله (أرى): أي أجد. وقوله (المُلْك): بضمّ الميم، اسم من مَلَكَ على الناس أَمْرَهم: إذا تَوَلَّى السَّلْطَنَة فهو مَلِك، بكسر اللام، ويخفّف بالسكون، والجمع: ملوك، مثل: فلس وفلوس. والاسم: المُلْك بضمّ الميم، كذا في المصباح. وقوله (مُلْكِي): أي منسوب إليّ، لأنّي ظهرت بالمظهر الربّاني في التجلّي الرحمانيّ بعد فناء شأني الجسمانيّ، وأمري الإنسانيّ؛ حيث ظهر الواحد الأحد الذي ليس معه ثانٍ، كما قال بعض العارفين قدّس الله سرّه:

وحباني المَلِك المهيمن خلعة ... فالأرض أرضي والسماء سمائي

وقوله (**والزمان**): هو مدّة قابلة للقِسمة، ويُطلق على الوقت القليل والكثير، والجمع: أزمنة. والزمن مقصور منه، والجمع: أزمان، مثل: سبب وأسباب. وقد يُجمع على أزمُن. والسَّنَةَ أربعة أزمنة، وهي الفصول أيضاً؛ فالأوّل: الربيع، وهو عند الناس الخريف، سَمَّته العرب ربيعاً؛ لأنّ أوّل المطر يكون فيه، وبه يَنبُت الربيع، وسَمّاه الناس خريفاً؛ لأنّ الثمار تُختَرَف فيه، أي: تُقطع، ودخوله عند حلول الشمس رأس الميزان. والثاني: الشتاء، ودخوله عند حلول الشمس رأس الجدي. والثالث: الصيف، ودخوله عند حلول الشمس رأس الحَمَل. وهو عند الناس الربيع. والرابع: القيظ، وهو عند الناس: الصيف، ودخوله عند حلول الشمس رأس السَّرَطَان، كما في المصباح. وقوله (**غلامي**): وهو في الأصل الابن الصغير، ويُطلق على الرجل مَجازاً باسم ما كان عليه، كما يقال للصغير: شيخ، مجازاً باسم ما يؤول إليه، كذا في المصباح. وقد يراد به الخادم كما هنا، أي: يخدم ما يريد من الأمور والأحوال في الخصوص والعموم.

* * *

أبرقٌ بدا من جانبِ الغورِ لامعُ[1]

وقال الشيخ الكامل، والعالم العامل، عليّ؛ سِبط الناظم قدّس الله سرّهما: (وهذه القصيدة) الآتية العينيّة. (التي تقدم ذكر ترجمتها في عُنوان) بضمّ العين، وقد تكسر، يقال: عَنْونتُ الكتاب: جعلت له عُنْوَاناً. وعُنْوَان كلّ شيء: ما يُسْتَدَلّ به عليه ويظهره، كذا في المصباح. (هذا الديوان): الذي هو ديوان جدّه لأمّه، الشيخ عمر بن الفارض قدّس الله سرّه. وتقدّم ذكر (أنَّ المطلع، وهو البيت الأوّل): من هذه القصيدة التي يذكرها (لشيخنا) أي: من نظم جدّه المذكور قدّس الله سرّه. (وما يأتي بعده): أي: بعد البيت الأوّل، وهو المطلع إلى آخر القصيدة الآتية (ذيّلتُهُ): بتشديد الياء التحتيّة، من الذيل، وهو طرف الثوب الذي يلي الأرض وإنْ لم يمسّها، كما في المصباح. يعني: نظمتُ بعد مطلعها أبياتاً على وزنها وقافيتها بمنزلة الذيل لذلك المطلع المذكور(عليه) أي: على المطلع المذكور، وكان ذلك التذييل (في شهر ربيع الأوّل): من شهور. (سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة، وقد وجدت القصيدة المذكورة): التي هذا مطلعها من نظم جدّ صاحب التذييل بعد صدور هذا التذييل. (وأثبتّها): مع بيت مطلعها (بعد ذكر السبب): في وجودها في آخر هذا الديوان المبارك[2] إنْ شاء الله تعالى، وسنشرحها إذا وصلنا إليها إنْ شاء الله تعالى، والمطلع هو هنا/ [٤٢٩/ ب]:

---

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: «بلغ». أي: بلغ مقابلة على نسخة المؤلف.

(٢) كذلك في نسخة (ق) أورد اسكتولين القصيدة من نظم السبط ذات الستّين بيتاً في هذا الموضع، وأخّر قصيدة ابن الفارض ذات الخمسة والعشرين بيتاً إلى قُبيل نهاية الديوان. في حين اعتمدت نُسختا دار صادر ودار الشريف الرضي في هذا الموضع قصيدة الشيخ ذات الخمسة والعشرين بيتاً وأخّرت قصيدة السبط إلى آخر الديوان.

[الطويل]

١- أَبَـرْقٌ بَـدَا مِـنْ جَانِـبِ الغَـوْرِ لَامِـعُ　　　أَمْ ارْتَفَعَتْ عَنْ وَجِهِ لَيْلَى البَرَاقِعُ

(أَبَرْقٌ): الهمزة للاستفهام. وبرق مبتدأ. وقوله (بدا): أي: ظهر. صفة برق. وقوله (من جانب): أي من جهة. وقوله (الغَوْر): بالفتح من كلّ شيء: قعره، ومنه يقال: فلان بعيد الغَوْر، أي: حقود، ويقال: عارف الأمور. والغَوْر: المطمئن من الأرض. والغَوْر قيل: يُطلق على تِهامة، وما يلي اليمن. وقال الأصمعي وغيره: ما بين ذات عِرْق والبحر غَوْر، وتِهامة، فتهامة أوّلها مدارج ذات عِرق من قبل نجد إلى مرحلتين وراء مكّة، وما وراء ذلك إلى البحر فهو الغور، كذا في المصباح. وهو هنا كناية عن قلبه الصنوبري الشكل الذي هو في الجانب الأيسر من تجويف جسمه العنصري؛ فإنّه غَوْر ونفخ الروح فيه من قبل الأمر الإلهيّ. وقوله (لامع): خبر المبتدأ، يقال: لَمَعَ الشيء يَلْمَع لَمَعَاناً: أضاء، كذا في المصباح؛ فإنّ السالك إذا تحقّق بمعرفة نفسه ظهر له أنّها وهم محض في قوى النفس الفلكيّة، وهو الموت الاختياري، وإلى ذلك الإشارة بقولنا من أبيات لنا:

كواكـبٌ خـرّت مـن السـماء　　　فاختطفتهـا شـبكات المـاء

وعاقهـا طبـع الـتراب والهـوا　　　والنـار عـن مـسارح الفـضاء

ولـو يـشاء ربّهـا أطلقهـا　　　عـن قيـدها الـوهمي بالأشـياء

ثمّ تحقّق بالنفس الفلكية فظهر له أنّها وهم محض في الحقيقة الروحانيّة الأمريّة، وهو الموت الاضطراري في حقّ السعداء. وأمّا الأشقياء فنفوسهم كناية عن غلبة أوهامهم على أفهامهم، فلا تُفتح لهم أبواب السماء، ولا يصعدون إلى أعلى علّيين؛ بل يسفلون إلى أسفل سافلين. ثمّ تحقّق بالحقيقة الروحانيّة الأمريّة، وهي الروح الأعظم، والقلم الأعلى، والنور المحمّدي، وهو أوّل مخلوق، كما وردت به روايات الحديث النبوي، فظهر له ظهوره عن أمر الله، كما قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْـرِ رَبِّي ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨٥] فعند ذلك يفنى عنده في تحقّق

بصيرته نفسه الإنسانيّة، والنفس الفلكيّة والروح الأمريّة، ويظهر له أنّه تعالى منه بدا الأمر وإليه يعود. ويتحقّق بعلوم كثيرة إلهيّة نبويّة كعلم الاستواء على العرش، وعلم نزوله تعالى إلى سماء الدنيا، كما ورد في الحديث النبويّ، وعلم نزول القرآن، وأنّه بلا حروف ولا أصوات، وعلم (وسعني قلب عبدي المؤمن)، وما المراد بالإيمان الذي يقتضي ذلك. إلى غير ذلك من العلوم الربّانيّة. ويظهر له معنى قول الناظم قدّس الله سرّه (**أَبَرْقٌ بدا من جانب الغور لامع**): إذا تحقّق بما ذكرناه، ذوقاً ووجداناً، لا تسليماً وإذعاناً. وإذا سلّم وأذعن فلا يُحرم من شمّ الروائح، وحصول المزيّة له على كلّ غادٍ ورائح، والمُنكِر محروم، ومِنْ شَمِّ الروائح مزكوم. وقد ورد في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «مَن بلغه عن الله فضيلة فلم يصدق بها لم ينلها»[1] أخرجه الطبرانيّ في معجمه الأوسط.

وقوله (**أم ارتفعت عن وجه ليلى**): وهي محبوبة من محبوبات العرب، قال شاعرهم:

ولـــو أنّ لـــيلى الأخيليّـــة ســلّمت عـــليّ ودوني جنـــدل وصـــفائح
لـــسلّمت تـــسليم البـــشاشة أو زقـــا إليها صدى من جانب القبر صالح[2]

ويكنّي بليلى هنا عن المحبوبة الحقيقيّة، والحضرة الإلهيّة العليّة، من حيث أنّها تظهر في ليل النشأة الكونيّة بعد ارتفاع أستار تلك النشأة الإمكانيّة. وقوله (**البراقع**): جمع برقع، قال في المصباح: بُرْقُع المرأة: ما تَسْتُر به وجهَهَا، وفتحُ الثالث تخفيف ومنهم/[٤٣٠/أ] من يُنكره. وبَرْقَعتُ المرأةَ: أَلْبَسْتُها البُرْقُع، وتبرقعتْ هي: لَبِسَتْ البرقع، والجمع: البراقع. وهي كناية هنا عن كلّ شيء، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [٢٨/ القصص/٨٨] وقال تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [٢/ البقرة/ ١١٥]. يعني: والأشياء حجب

(١) انظر تخريجه ص٤٧٧.

(٢) ورد على حاشية المخطوط في هذا الموضع قول الناسخ: وزقا بالزاي المعجمة بمعنى صاح، قال في القاموس زقا الصدى يَزْقُو زَقْواً: إذا صاح.

ذلك الوجه، وأستاره وبراقعه، وهي كلّها فانية هالكة في نور وجه الحقّ تعالى، فلا نور إلا نور وجهه تعالى، قال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [٢٤/ النور/ ٣٥] وبالنور يظهر كلّ مستور، وتنكشف البراقع والستور. ولمّا كان الوجه الإلهيّ واحداً، وشؤونه التي لا يشغله شأن منها عن شأن كثيرة جداً، جمع البراقع، وأفرد الوجه. ولابن إسرائيل قدّس الله سرّه:

إذا كنت في كلّ العوالم ظاهراً فليس يضرّ الصبّ فرط التحجّب

هي الشمس إنْ غابت بلطخ سحابة فليس سناها عندنا بمغيب

وله أيضاً من جملة قصيدة:

أشتاقها وهْيَ في سِرّي مُخيِّمة ونورها ظاهر ما بين أجفاني

وكيف يصبح عنها الطرف محتجباً وحسنها في جميع الخلق يلقاني

إنْ غيّبَتْ ذاتها عنّي فلي بصر يرى محاسنها في كلّ إنسان

ما في محبّتها ضدّ أضيق به هي المدام وكلّ الخلق ندماني

والأبيات التي ذيّلها سبط الناظم الشيخ العارف بالله تعالى عليّ بن بنت الشيخ عمر بن الفارض قدّس الله سرّهما هي هذه إلى آخر القصيدة، ونَفَسُهُمَا واحد وإنْ تكررت صورتهما؛ لأنّ الكلام للحقيقة الواحدة، لا للصورة، قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه:

كنا حروفاً عاليات لم تقل متعلِّقات في ذرى أعلى القلل

أنا أنت فيه ونحن أنت وأنت هو والكلّ في هو هو فسَلْ عمّن وصل

٢- نَعَمْ أَسْفَرَتْ لَيْلاً فَصَارَ بِوَجْهِهَا نَهَاراً بِهِ نُورُ المَحَاسِنِ سَاطِعُ

وقوله (نعم): في ابتداء التذييل إشارة منه على قبول كلام جدّه، والإذعان له في ابتداء التبرك بإيراد كلامه عقيب كلامه، والاقتداء منه بشيخه وإمامه. وقوله (أسفرت): يعني ليلى المحبوبة المذكورة في بيت المطلع يقال: أَسْفَرَ الصُّبحُ إسفاراً:

أضاء، وأَسفَرَ الوجهُ من ذلك: إذا علاه جمال، كما في المصباح. وقوله (ليلاً): منصوب على الظرفيّة، أي: في ليل، وهو عالم الكون لظلمة عدمه الأصليّة، وتنكيره للتعظيم بإسفارها فيه. وقوله (فصار): أي ذلك الليل الذي أسفرت فيه. وقوله (بوجهها): أي بسبب ظهور وجهها فيه، وقوله (نهاراً): خبر صار، واسمها ضمير ليلى، قال القائل:

لـــــيلي بوجهـــــك مـــــشرق وظلامـــــه في النـــــاس ســـــاري
النـــــاس في غـــــسق الظـــــلا م ونحـــــن في ضـــــوء النهـــــار

وقوله (به): أي فيه، والضمير للنهار. وقوله (نور المحاسن): جمع حُسْن، بالضمّ، قال في القاموس: «الحُسْن بالضمّ: الجمال، وجمعه: مَحاسِن، على غير قياس». أي: محاسن ذلك الوجه. وقوله (ساطع): أي مرتفع، قال في المصباح: «سَطَع الغبارُ، والرائحةُ، والصبحُ، يَسطَع، بفتحتين: ارتفع».

٣- وَلَـــمَّا تَجَلَّـــتْ لِلْقُلُـــوْبِ تَزَاحَمَـــتْ عَـــلَى حُـــسْنِهَا لِلْعَاشِـــقِيْنَ مَطَـــامِعُ

(ولمّا تجلّت): أي المحبوبة المكنّى عنها بليلى في مطلع هذه القصيدة، (وتجلّت): أي ظهرت وانكشفت. وقوله (للقلوب): جمع قلب، ويُراد به الروح والنفس، ويطلق على العقل. وقوله (تزاحمت): تزاحم، تفاعل من الجانبين، قال في المصباح: «زَحَمْتُهُ زَحْماً، من باب نَفَعَ: دفعته، وزَاحَمْتُهُ مُزَاحَمَةً وزِحَاماً، وأكثر ما يكون ذلك في مضيق. والزَّحْمَةُ: مصدر أيضاً، والهاء لتأنيثه، وزَحَمَ القومُ بعضُهم بعضاً: تضايقوا في المجلس، وازْدَحَمُوا: تضايقوا، أي موضع كان»./ [٤٣٠/ ب] وقوله (على حسنها): أي المحبوبة المذكورة، وهو ظهور آثار الجمال الإلهيّ على الأشياء، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [٣٢/ السجدة/ ٧] وقال صلّى الله عليه وسلّم: «إنّ الله كتب الإحسان على كلّ شيء»[1] الحديث.

(١) سبق تخريجه وهو في صحيح مسلم، ٣٦١٥.

وقوله (للعاشقين): جمع عاشق، وهم العالمون، من إنسان وغيره؛ فإنّ المحبّة سارية في كلّ شيء. وقوله (مطامع): فاعل تزاحمت، جمع مَطْمَع، قال في المصباح: «طَمِعَ في الشيء طَمَعاً وطَماعاً[1] وطَماعةً مخفّف، فهو طَمِعٌ وَطَامِع. وأكثر ما يُستعمل فيما يَقرُب حصوله. وقد يُستعمل بمعنى الأمل. ومن كلامهم: طَمَع في غير مَطْمَع: إذا أَمَّلَ ما يَبعُد حصولُه؛ لأنّه قد يقع كلُّ واحد موقع الآخر لتقارب المعنى» وإنّما كان التجلّي للقلوب؛ لأنّها هي الأصل في إدراك جميع المشاعر؛ فإذا حصل الإدراك في القلب أدرك السمع والبصر وبقيّة الحواس السليمة، بشرط توجيه القلب. حتّى إذا لم يتوجّه على تلك الحاسّة فلا تدرك شيئاً، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [٥٠/ ق/ ٣٧].

٤- لِطَلْعَتِهَا تَعْنُو البُدُوْرُ ووَجْهُهَا   لَهُ تَسْجُدُ الأَقْمَارُ وَهْيَ طَوَالِعُ

٥- تَجَمَّعَتِ الأَهْوَاءُ فِيْهَا وَحُسْنُهَا   بَدِيْعٌ لِأَنْوَاعِ المَحَاسِنِ جَامِعُ

(لطلعتها): أي المحبوبة المذكورة، من طَلَعَتِ الشمسُ طُلُوعاً، من باب قعد، ومَطلعاً، بفتح اللام وكسرها، وكلُّ ما بَدَا لك من عُلُوّ فقد طَلَع عليك، كذا في المصباح. وقوله (تَعْنُو): من عَنَا يَعْنُو عُنُوّاً، من باب قعد: فقد خَضَع وذَلَّ، كما في المصباح. وقوله (البُدُور): فاعل تعنو، جمع بدر، وهو القمر التمام، كناية عن الإنسان الكامل؛ لأنّ وجوده عنده مستفاد من وجود الحقّ تعالى، كما أنّ نور القمر مستفاد من نور الشمس من غير أنْ يحلّ أحدهما في الآخر، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ [٤١/ فصّلت/ ٣٧] وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [١٦/ النحل/ ٦٠]. وقوله (ووجهها): أي المحبوبة المذكورة. وقوله (له تسجد): أي تفنى وتضمحلّ بالكلّيّة. (الأقمار): جمع قمر، سُمِّي بذلك لبياضه، كما في المصباح. وقال في القاموس: «القَمَر يكون في الليلة

---

(١) لم أجد طماعاً في المصباح، وإنّما وجدتها في القاموس، ذكر الشارح أنّ الصواب طماعة، كما في الصحاح والعباب.

الثالثة». كناية عن السالك في طريق الله تعالى، وسجود الأقمار كناية عن فنائها واضمحلالها بالكليّة في نور الشمس المقابلة لها، كما ورد: «إنّ الله في قبلة أحدكم»[1] أي: في مقابلته. وقوله (وهي): الواو للحال، والجملة: حال من الأقمار. وقوله (طوالع): جمع طالع. يعني: في تلك الحالة تسجد لها فتفنى عند مقابلتها، وكلّ منهما طالع مشرق، كما أنّك إذا أوقدت شمعة في الليل؛ فإنّ لها إشراقاً زائداً في شدّة الظلمة، ولكن متى طلعت الشمس عليها، وأشرقت أنوارها، فإنّ نور تلك الشمعة يفنى ويضمحلّ مع بقائه على حاله كما في الليل، ويصير لهب تلك الشمعة أسود مع أنّه في ظلمة الليل أبيض مشرق، وكذلك وجود الحقّ تعالى مع وجود الخلق، ولله المثل الأعلى في السموات والأرض، وإنما قال في البدور.(**تَعْنُو**): أي تخضع وتذلّ، وفي الأقمار تسجد؛ لأنّ الإنسان الكلّ المكنّى عنه بالبدر فانٍ مضمحلٌّ في نفسه؛ وإنّما هو خاضع ذليل. وأمّا السالك فهو في طهارة الفناء والاضمحلال كما قلنا في أبيات لنا:

إنّ الفناء طهارة الإنسان	لصلاة معرفة البعيد الداني
فصلاة معرفة الإله بغير ما	طهر الفناء عديمة الأركان
والكفر فيها ظاهر بكلامه	وبفعله وإزالة الإيمان
إنّ الفناء طهارة مفروضة	لصلاة معرفة على الإنسان
وهي الفناء المحض بالتطهير عن	خبث الجسوم كنائف الحيوان
وعن النفوس لطائف الكون التي	حدثت فقل حدث من الحدثان
وطهارة الأخباث والأحداث لا	تجزي بغير الماء ذي السيلان/ [٤٣١/أ]
والماء ماء الغيب ينزل من سما	غيب الإله على فؤاد عاني
لا بدّ ذاك يكون ماء مطلقاً	عمّا يخالطه من الأكوان

(١) انظر تخريجه ص٢٧٣.

حتّى بـه حـدث يـزول وإنْ يكـن مـــاء تـــراه مقيّـــد بمعـــاني

فهـو المقيّـد وهـو لـيس برافـع حـــدثاً كـــما قالتـــه أهـــل الـــشان

لكـــنّهم في رفعـــه خبثـــاً لهـــم قـــولان والرفـــع اقتـــضاء بيـــان

والمـاء ذاك المطلـق الـصرف الـذي هـــو بـــالوجود بـــراد في القـــرآن

تحقيـــق كـــلّ حقيقـــة بـــالحقّ إذ هـــو لا ســـواه وكـــلّ شيء فـــاني

وقوله (تَجَمَّعَتْ الأَهْوَاءُ): جمع هَوَى، مقصور، مصدر هويته، من باب تعب: إذا أحبَبْتُه وعَلِقت به، كذا في المصباح. يعني: هوى كلّ واحد متوجّه إلى هذه الحقيقة الواحدة، وهو قوله (فيها): أي في المحبوبة المذكورة سواء علم أصحاب الأهواء المذكورة، أو لم يعلموا، ولكن قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [٣٩/ الزمر/ ٩] ولنا في مطلع أبيات قولنا:

شخـصت لطلعـة وجهـك الأشـخاص وتراقـــصت بطيورهـــا الأقفـــاص

ومـشت عـوام في طريقـك فاهتـدت بـك وانثنـت فغـوت عليـك خـواص

ولنا أيضاً من أبيات في المعنى:

كـــلّ حـــسن مـــن مـــستعار فلـــذا كـــلّ والـــه فيـــه والـــه

مـــا درى النـــاس أنّ كـــلّ جمـــال فهـــو في الخلـــق لمحـــة مـــن جمالـــه

وكـــذا الحـــبّ كلّـــه قطـــرة مـــن حبّـــه نفـــسه بـــدا في خيالـــه

صـــور كلّنـــا محـــبّ ومحبـــو ب وهـــذا مرادنـــا بوصـــاله

وقوله (وحُسْنِهَا): أي المحبوبة المذكورة، والواو للحال، والجملة حال من ضمير فيها. وقوله (بَدِيْعٌ): فعيل بمعنى مفعول، من أَبدَع الله الخلقَ إبداعاً: خَلَقَهم لا عن مثال. يعني إنّ حُسْنها لا مثيل له أصلاً. وقوله (لأنواع): جمع نوع. وقوله (المحاسن): جمع حُسن. وقوله (جامع): باعتبار أنّ كلّ حُسْن في

المحسوسات أو المعقولات أثر من آثار الحسن الحقيقيّ، والحسن الحقيقيّ مؤثّر في حسن كلّ شيء.

٦- سَكِرْتُ بِخَمْرِ الحُبِّ فِي حَانِ حَيِّهَا وَفِي خَمْرِهِ لِلْعَاشِقِيْنَ مَنَافِعُ

(سكِرْتُ): بضمّ التاء للمتكلّم. وقوله (بخَمْرِ الحُبِّ): أي المحبّة. وقوله (في حَانِ): وهو حانوت الخمّار، قال في الصحاح: «الحانات المواضع التي يباع فيها الخمر، والحانة: حانوت الخمّار». وقوله (حَيِّها): بالحاء المهملة والياء المثنّاة التحتيّة مشدّدة، والضمير للمحبوبة المذكورة، والحيّ واحد أحياء العرب، قال في المصباح: «الحيّ القبيلة من العرب، والجمع: أحياء». والمعنى في حانة مجمع أهلها وعشيرتها، وهم العارفون بها؛ فإنّ كلامهم الذي يؤثر عنهم إذا فهمه السالك كما يفهمونه غاب في أسرار معانيه، وسَكِر بسماعه إشارات مبانيه. وقوله (في خَمرِهِ): أي الحبّ، بمعنى المحبّة. وقوله (للعاشقين): جمع عاشق. وقوله (منافع): جمع منفعة، والمَنفعة: اسم من النَّفْع، وهو الخير، وهو ما يَتَوَصَّل به الإنسان إلى مطلوبه، يقال: نَفَعَنِي الشيء نَفْعاً؛ فهو نافع، كذا في المصباح.

٧- تَوَاضَعْتُ ذُلّاً وَانْخِفَاضاً لِعِزِّهَا فَشَرَّفَ قَدْرِي فِي هَوَاهَا التَّوَاضُعُ

٨- فَإِنْ صِرْتُ مَخْفُوضَ الجَنَابِ فَحُبُّهَا لِقَدْرِ مَقَامِي فِي المَحَبَّةِ رَافِعُ

(تواضعت): بضمّ تاء المتكلّم يقال: تواضع لله: خشع وذلّ، كما في المصباح. وقوله (ذُلّاً): منصوب على التمييز. وقوله (وانخفاضاً): معطوف على (ذلاً). وقوله (لِعِزِّهَا): متعلّق بـ (تواضعت)/ [٤٣١/أ] والضمير للمحبوبة المذكورة. وقوله (فَشَرَّفَ): بالتشديد، أي: جعله شريفاً. وقوله (قَدري): مفعول شرَّف. وقوله (في هواها): أي محبّتها، والضمير للمحبوبة المذكورة. وقوله (التواضع): فاعل شرَّف، وهو الخشوع والذلّ لها. وقوله (فإن صِرْتُ مخفوض الجَنَاب): أي منكسر القلب ذليلاً. وقوله (فَحُبُّهَا): أي محبّتي لها. وقوله (لِقِدْرِ مَقَامِي): أي

لمقدار منزلتي ومرتبتي. وقوله (في المحبّة): أي فيما بين أهل المحبّة. وقوله (رافع): خبر المبتدأ الذي هو حبّها، قال صلّى الله عليه وسلّم: «من تواضع لله رفعه»[1]، أخرجه أبو نعيم في الحلية، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

٩- وَإنْ قَسَمَتْ لِي أَنْ أَعِيشَ مُتَيَّماً فَشَوقِي لَهَا بَيْنَ المُحِبِّينَ شَائِعُ

(وإنْ قَسَمَتْ): أي المحبوبة المذكورة. وقوله (لي): متعلّق بـ (قسمت): أي جعلت حصّتي ونصيبي، قال في المصباح: «القِسْم يُطْلَق على الحِصَّة والنصيب، فيقال: هذا قِسْمِي». وقوله (أنْ أعيش مُتَيَّماً): حال من فاعل أعيش، والمُتَيَّم بصيغة اسم المفعول، من تَيَّمَتْهُ المرأةُ أو العِشْق تَتْييماً: عَبَّدَتْهُ وذَلَّلَتْهُ، كذا في القاموس. وقوله (فشوقي لها): أي للمحبوبة المذكورة. وقوله (بين المحبّين): أي أهل محبّتها. وقوله (شَائِعُ): من شَاعَ الشيءُ يَشِيعُ شُيُوعاً: ظهر، كما في المصباح. وكون شوقه ظاهراً بين المحبّين لأنّ غيرهم لا يعرفون شوق المحبّ إلى هذه المحبوبة المذكورة، قال الشاعر:

لا يعرف الشوق إلّا من يكابده ولا الصبابة إلّا من يعانيها

وقال الآخر:

لا تلم صبوتي فمن يصبو إنّما يعرف المحبّ المحبّ

كيف لا يوقد النسيم غرامي وله في خيام ليلى مهبّ

١٠- يَقُولُ نِسَاءُ الحَيِّ أينَ دِيَارُهُ فَقُلْتُ دِيَارُ العَاشِقِينَ بَلَاقِعُ

١١- فَإنْ لَمْ يَكُنْ لِي فِي حِمَاهُنَّ مَوْضِعٌ فَلِي فِي حِمَى لَيْلَى بِلَيْلَى مَوَاضِعُ

(يقول نساء الحيّ): القبيلة من قبائل العرب. والمعنى هنا بنساء الحيّ: أصحاب النفوس من الغافلين المحجوبين؛ فإنّ النساء كما قال في المصباح:

---

(١) في صحيح مسلم، ٨١٤٠.

«النِسْوَة بكسر النون، أفصح من ضمّها، والنساء بالكسر، والنسوان: اسمان لجماعة إناث الأناسيّ، الواحدة: امرأة، من غير لفظ الجمع». إنّما غلب عليهم حكم الانفعال، فينفعلون للرجال، وهم أصحاب القلوب، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ [٥٠/ ق/ ٣٧] أي: فمن له قلب له اعتبار، ومن ليس له قلب وإنّما له نفس فلا اعتبار له، أي: عبور ظاهر إلى باطن، ولنا في مطلع قصيدة قولنا:

قلـــوب متـــى منـــه خلـــت فنفـــوس　　لأحـرف وسـواس اللعين طـروس

وإنْ ملئـــت منـــه ومـــن نـــور ذاتـــه　　فتلـك بـدور أشرقـت وشـموس

وامتلاؤها منه كناية عن دوام مِراقبته ومشاهدته، والحضور معه بالغيبة عمّا سواه. وقوله (أينَ): اسم استفهام. وقوله (دياره): أي ديار هذا المحبّ، والديار: جمع دار، قال في القاموس: الدار المحلّ، يجمع البناء والعرصة، وجمعه: ديار، وقوله (فقلت ديار العاشقين): أي قلت في جوابهم: ديار العاشقين الإلهيّين، جمع عاشق، وهو الزائد المحبّة. وقوله (بلاقع): جمع بلقع، قال في القاموس: «البلقع الأرض القَفْر، وجمعه: بلاقع، وبَلْقَعَ البلد: أَقْفَر». يعني: بدياره صوره التي يتقلّب فيها من حركات إلى سكون، ومن سكون إلى حركات؛ فإنّ كلّ صورة منها مسكن لقلبه ونفسه، فهي داره التي يدور عليها. وكونها (بلاقع): أي خراب، فانية، مضمحلّة. وقوله (فإن لم يكن لي في جاههن): أي نساء الحيّ، والحِمَى بكسر الحاء المهملة من حَمَيتُ المكانَ من الناس حَمْياً، من باب رمى، وحِمْيَة بالكسر: مَنعتُه عنهم. والحِماية: اسم منه. وأَحمَيتُه، بالألف: جعلتُه حِمَى لا يُقرب ولا يُجترَأ عليه. وقوله (موضع): بكسر الضاد/ [٤٣٢/ أ] المعجمة وفتحها، قال في المصباح: «المَوضِع بالكسر، والفتح لغة». والمعنى: إنْ لم يكن لي بين جماعة الغافلين الجاهلين بربّهم مقام ومنزلة، بحيث أكون معتبراً بينهم. وقوله (فلي في حمى ليلى): أي المحبوبة المذكورة، والحضرة العالية المشهورة، وحِماها عالم الملكوت الأعلى وعالم الملك

الأجلى. وقوله (بليلى): أي بها لا بنفسي، ولا بعملي، ولا باستحقاقي؛ وإنّما ذلك بمحض فضلها وإنعامها عليّ. وقوله (مواضع): أي مقامات عالية ومراتب سامية.

١٢- هَوَى أُمِّ عَمْرٍو وَجَدَّدَ العُمْرَ فِي الهَوَى   فَهَا أَنَا فِيهِ بَعْدَ أَنْ شِبْتُ يَافِعُ

١٣- وَلَمَّا تَرَاضَعْنَا بِمَهْدِ وَلاَئِهَا   سَقَتْنَا حُمَيَّا الحُبِّ فِيْهِ مَرَاضِعُ

١٤- وَأَلْقَى عَلَيْنَا القُرْبُ مِنْهَا مَحَبَّةً   فَهَلْ أَنْتَ يَا عَصْرَ التَّرَاضُعِ رَاجِعُ

(هوى): أي حبّ زائد وميل قائد. وقوله (أم عمرٍو): كناية عن أصل عُمّار الكون، وهي الحقيقة الوجوديّة، والمحبوبة الحقيقيّة. وقوله (جَدَّدَ العُمْرَ): أي جعله جديداً، والعمر مدّة بقائه في الدنيا. وقوله (في الهوى): أي في المحبّة والعشق. وقوله (فها أنا): الفاء للتفريع، وها: حرف تنبيه، وأنا ضمير منفصل، مبتدأ. وقوله (فيه): أي في الهوى. وقوله (بعد أنْ شِبْتُ): شَابَ يَشِيْبُ شَيْباً وشَيْبَةً، والشَيْبُ ابْيِضَاضُ الشعر المُسَوَّد، كذا في المصباح. وقوله (يافع): خبر المبتدأ، يقال: أيفَعَ الغلام شَبَّ ويَفَعَ يَيْفَعُ بفتحتين، يُفُوعاً فهو يافع، ولم يُستعمل اسمُ الفاعل من الرباعي، وغلام يَفَعَة، وِزان قَصَبَه، مثل: يافع، ويُطلَق على الجَمْع، وربّما جُمِع على أيفَاع، كما في المصباح. ومن هذا المعنى قول العارف بالله الشيخ ابراهيم ابن زقاعه[1] قدّس الله سرّه:

صرت شيخاً وما تغير حالي   عن هواهم وهمّتي كالشباب

وقوله (ولمّا تراضعنا): يقال رَاضَعْتُه مُرَاضَعَة ورِضَاعاً ورِضَاعَة بالكسر، وهو رَضِيعي، كذا في المصباح، والرَّضْعُ: مَصُّ اللبن من الثدي، والتراضع: تفاعل كلّ منهما يرضع الآخر. يعني: هو والمحبوبة المذكورة، فهو يستفيد منها الوجود، وهي مستفيدة منه ما علمت من صوره وأحواله في الحضرة الأزليّة؛ فإنّ العلم تابع

(١) مقرئ زاهد، أديب، له حظوة عند السلطان برقوق، جاور بمكة، حسن النظم، انظر غاية النهاية في طبقات القرّاء لابن الجزري، ١ / ٦. ومعجم المؤلّفين لعمر كحّالة ١ / ٨٩.

للمعلوم، كما قررناه في محلِّه. وقال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه:

فلـــــــــولاه ولولانـــــــــا لمـــا كـــان الـــذي كانـــا

وقوله (بمهد): قال في المصباح: «المَهْد معروف، وجمعه: مِهَاد، مثل: سهم وسهام. والمَهْد والمِهَاد: الفراش». وقوله (ولائها): أي ولاء المحبوبة المذكورة. قال في المصباح: الولاء النصرة، لكنّه إذا أُطلق خُصَّ في الشَّرْع بولاء العِتْق. ومهد الولاء: كناية عن حضرة الأسماء الإلهيّة. وقوله (سقتنا حميّا): أي خمرة. وقوله (الحبّ): أي المحبّة الإلهيّة. وقوله (فيه): أي في مهد ولائها. وقوله (مراضع): جمع مرضع قال في المصباح: «أَرْضَعَتْهُ أمُّه فارتَضَعَ فهي مُرْضِع ومُرْضِعَة أيضاً». وقال الفَرَّاء وجماعة: إنْ قُصِد حقيقةُ الوصف بالإرضاع، فمُرْضِع بغير هاء، وإنْ قُصِدَ مَجاز الوصف بمعنى أنّها مَحَلُّ الإرضاع فيما كان أو سيكون؛ فبالهاء، وعليه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾ [٢٢/الحج/٢] ونساء مراضع ومراضيع، والمراضع هنا كناية عن صور التجلّيات الإلهيّة، والمظاهر الكونيّة الربّانيّة؛ فإنّها الوسائط والأسباب التي هي للمدد الرحمانيّ بمنزلة الأبواب. وقوله (وألقي علينا): أي عَلَيَّ، وعلى المحبوبة المذكورة. وقوله (القربُ منها): أي من المحبوبة المذكورة، وهو فاعل ألقى. والمعنى: بالقرب منها الانكشاف العلميّ الأزليّ؛ فإنّ المعلوم، وإنّ كان معدوم العين فإنّه قريب من/ [٤٣٢/ ب] العالم به قرباً؛ غير قرب مسافة. وإلّا لكان المعدوم موجوداً في الأزل، وهو محال. ولا قرب زمان، وإلّا لكان الأزل زماناً، وليس كذلك. وقوله (محبّة): مفعول ألقى. وذلك قوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [٥/ المائدة/ ٥٤]؛ فإنّها محبّة من الجانبين، وهما جانب واحد كما ورد: «كلتا يدي ربّي يمين»[1] فحضرة الذات هي الوجود الحقّ، وحضرة الأسماء والصفات هي التي تقدّر الكائنات، وتصوّر

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب: فضيلة الإمام العادل، ٤٨٢٥.

الممكنات، والآثار بينهما موجودة، معدومة، مجهولة، معلومة، قديمة، حادثة، موروثة، وارثة. وقوله (**فهل**): الفاء للتفريع، وهل حرف استفهام. وقوله (**أنت**) ضمير منفصل، مرتفع المحلّ على أنّه مبتدأ. وقوله (**يا عصر**): أي يازمان، وفي المصباح: «العَصْر الدهر». وقوله (**التراضع**): وهو التفاعل المتقدّم ذكره في صدر البيت السابق. وقوله (**راجع**): خبر المبتدأ، وإنّما طلب رجوع زمان استفادة الوجود المطلق، وإفادة القيود للوجود المطلق، وهو الرجوع إلى البداية في حال النهاية ليقع التمييز عنده بين الحقّ والباطل، والحالي والعاطل، ويتحقّق بقوله تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾ أي: منكم. ﴿أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ٣١] وقال الشيخ عبد الكريم الجيليّ قدّس الله سرّه في معنى ذلك:

تعالوا بنا حتّى نعود كما كنا ... ولا عهدنا خنتم ولا عهدكم خنّا

وهو شهود الأزل، وانطواء الذي لم يكن، وانتشار الذي لم يزل، فيصعد الذي صعد، وينزل الذي نزل.

١٥- وَمَا زَلْتُ مُذْ نِيطَتْ عَلَيَّ تَمَائِمِي ... أُبَايِعُ سُلْطَانَ الهَوَى وَأُتَابِعُ

١٦- لَقَدْ عَرَفَتْنِي بِالْوَلَا وعَرَفْتُهَا ... وَلِي وَلَهَا فِي النَشْأَتَيْنِ مَطَالِعُ

(**وما زلت**): ما نافية مصدرية زمانيّة، وزلتُ بضمّ تاء المتكلّم، زال فعل ماض، والكلمتان من أخوات كان، والتاء اسمها. قال في مغني ابن هشام: «ما مصدريّة زمانيّة، نحو قوله تعالى: ﴿مَادُمْتُ حَيًّا﴾ [١٩/ مريم/ ١٥] أصله مدّة دوامي حيّاً، حذف الظرف وخلفته ما وصلتها». ومعنى ذلك هنا عدم زوالي، وعدم الزوال دوام. وقوله (**مُذْ**): بضمّ الميم وسكون الذال المعجمة: اسم مضاف للجملة الفعليّة بعده. وقوله (**نيطت**): فعل ماض مبني للمفعول، أي: علقت، يقال: نَاطَه نَوْطاً، من باب قال: عَلَّقَه، واسم موضع التعليق: مَنَاط، بفتح الميم، كذا في المصباح. وقوله (**عليّ**): بتشديد الياء التحتيّة. وقوله (**تمائمي**): جمع تَمِيمَة، وهي

خَرَزَة رَقْطَاء تُنْظَم في السَيْر، ثمّ تُعْقَد في العُنُق، وتَمَّمَ المَولُود تَتْمِيماً: علقّها عليه، كذا في القاموس. والمعنى: من حين علقت على تلك الخزرة. يعني: من حين ولادتي. وقوله (أبايع): جملة فعليّة فعلها مضارع، في محل نصب على أنّها خبر ما زلت. وأبايع من المبايعة، وهي المعاهدة والمعاقدة على الطاعة. وقوله (سلطان الهوى): أي المحبّة الإلهيّة. وقوله (وأُتابِعُ): أي وأتابعه بمعنى أطيعه، وأنقاد إليه.

وقوله (لقد عرفتني): أي المحبوبة الحقيقيّة السابق ذكرها. وقوله (با لولا): بفتح الواو، أي: الملك، والعبوديّة، والنعمة، والمحبّة، قال القاموس: «الوَلَاء المِلْك، والمَوْلَى: المالك، والعبد، والمُنْعَم عليه، والمُحِبّ، إلى غير ذلك ممّا ذكره». وقوله (وعرفتها): أي: المحبوبة المذكورة بنظير ذلك، وهذه المعرفة خلقيّة فطريّة، قال صلّى الله عليه وسلّم: «كلّ مولود يولد على الفطرة حتّى يعرب عنه لسانه، فأبواه يهوّدانه، أو ينصّرانه، أو يمجّسانه»[1] رواه أبو يعلى في مسنده، والبيهقي في السنن عن الأسود بن سريع رضي الله عنه. وقوله (ولي ولها) : أي للمحبوبة المذكورة، والجار والمجرور خبر مقدّم. وقوله (في النشأتين): أي نشأة الدنيا ونشأة الآخرة، قال في المصباح: «نَشَأَ الشيءُ نَشْأً مهموز، من باب نفع: حَدَثَ وتَجَدَّد، وأَنْشَأْتُه: أَحْدَثْتُهُ، والاسم/ [٤٣٣/ أ] النَّشْأَة والنَّشَاءَة، وِزان التمرة والضلالة». وقوله(مطالع): مبتدأ مؤخّر، جمع مطلَع، بفتح اللام وكسرها، مصدر ميمي، قال في المصباح: «طَلَعتِ الشمس طُلُوعاً، من باب قعد، ومطلِعاً بفتح اللام وكسرها». والمعنى: إنّ الدنيا والآخرة بالنسبة إليّ وإليها سواءٌ فانٍ لي ولها، طلوعا وظهوراً وانكشافاً في الدنيا والآخرة، كما ورد عن الإمام عليّ كرّم الله وجهه أنّه كان يقول: «لو كُشف الغطاء ما ازددت يقيناً» حتّى قال البوصيري قدّس الله سرّه في مدحه من همزيّته المرفوعة:

---

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده، باب: كلّ مولود يولد على الفطرة، ٩٠٥. كما أخرجه البيهقيّ في سننه، كتاب: اللقطة، باب: الولد يتبع أبويه في ...، ١٢٥٠٤.

لم يـــزده كـــشف الغطـــاء يقينـــاً إذ هـــو الـــشمس مـــا عليـــه غطـــاء

١٧- وَإِنِّيَ مُـــذْ شَـــاهَدْتُ فِيَّ جَمَالَهَـــا بِلَوْعَـــةِ أَشْـــوَاقِ الْمَحَبَّـــةِ وَالِـــعُ

١٨- وَفِي حَضْرَةِ الْمَحْبُوْبِ سِرِّي وَسِرُّهَا مَعـــاً وَمَعَانِيهَـــا عَلَيْنَـــا لَوَامِـــعُ

١٩- وَكُـــلُّ مَقَـــامٍ فِي هَوَاهَـــا سَـــلَكْتُهُ وَمـــا قَطَعَتْنِـــي فِيـــهِ عَنْهَـــا القَوَاطِـــعُ[1]

(وإنّي): بتحريك الياء بالفتحة للوزن. (مذ): أي من حين قوله (شاهدت): يقال شاهدتُهُ مُشَاهَدة، مثل: عَاينتُه مُعَاينَة، وزناً ومعنى، كذا في المصباح. وقوله (فِيَّ): بتشديد الياء التحتيّة، أي: في ذاتي؛ باطناً وظاهراً. وقوله (جمالها): بالنصب مفعول شاهدت، أي: جمال المحبوبة المذكورة، وفيه إشارة إلى أنّه عرف نفسه فعرف ربّه. وقوله (بِلَوْعَةِ): متعلّق بـ والِعِ آخر البيت، قدِّم للحصر، واللوعة: حُرقة المحبّة من كثرة الشوق، قال في الصحاح: «لُوْعَةُ الحُبّ: حُرْقَتُهُ، وقد لَاعَهُ يَلُوْعُهُ والْتَاعَ فؤاده، أي: احترق من الشوق». وقوله (أشواق): جمع شوق، وقوله (المحبّة): هي محبّته لربّه المتجلّي عليه بتصوير كلّ صورة من تجلّي اسمه تعالى الخالق البارئ المصوِّر. وقوله (وَالِعِ): خبر مبتدأ محذوف، تقديره أنا والع. والجملة في محل رفع خبر إنّ. و(الوالع): اسم فاعل من الولوع، بالضمّ، مصدر وَلِعْتُ به أُولَعُ وَلَعاً وَوُلُوعاً به؛ فهو مُوْلَعٌ به،بفتح اللام، أي: مُغْرَى به، كذا في الصحاح. والمعنى: أنا وَالِع بِلَوعَةِ أشواق المحبّة من حين شاهدت جمالها ظاهراً في ظاهري الجسمانيّ، وباطني الروحانيّ. وقوله (وفي حضرة المحبوب): وهو النور المحمّدي الذي هو أوّل مخلوق، كما ورد في حديث عبد الرزاق بسنده عن جابر ابن عبد الله رضي الله عنه أنّه قال: «يا رسول الله، أخبرني عن أوّل شيء خلقه الله قبل الأشياء. قال: يا جابر، إنّ الله خلق قبل الأشياء نور نبيّك من نوره، فجعل

---

(١) في (ق):قواطع.

ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله ، ولم يكن في ذلك الوقت لوح، ولا قلم، ولا جنّة، ولا نار، ولا ملك، ولا سماء، ولا أرض، ولا شمس، ولا قمر، ولا جنّ، ولا إنس. فلّما أراد الله أن يخلق الخلق قسّم ذلك النور أربعة: أجزاء. فخلق من الجزء الأوّل القلم، ومن الثاني اللوح، ومن الثالث العرش. ثمّ قسّم الجزء الرابع أربعة أجزاء. فخلق من الأول السموات، ومن الثاني الأرضين، ومن الثالث الجنّة والنار. ثمّ قسّم الرابع أربعة أجزاء، فخلق من الأوّل نور إبصار المؤمنين. ومن الثاني نور قلوبهم؛ وهي المعرفة بالله. ومن الثالث نور تشهدهم؛ وهو التوحيد، لا إله إلّا الله محمّد رسول الله»[1].

وقوله (سِرِّي وسِرُّها): مبتدأ مؤخّر، ومعطوف عليه، وخبره في حضرة المحبوب، قدّم للحصر. وضمير المؤنّث إلى المحبوبة المذكورة. والسِرّ: الذي يُكْتَم، والجمع الأَسْرَار، والسَرِيرة: مثله. والجمع سَرائر، كذا في المصباح. وقوله (معاً): حال من سِرّي وسِرَّها؛ فإنّ النور المحمّدي جامع لسرّ الحقيقة الإلهيّة التي خُلق منها، ولجميع أسرار الكائنات، واختصاص الناظم قدّس الله سرّه باعتبار شهود ذلك ووجدانه ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [٣٩/ الزمر/ ٩]. وقوله (ومعانيها): جمع معنى، وهو ما يقصد باللفظ، ولّما كان المقصود/ [٤٣٣/ ب] بإظهار الأكوان ظهور الحقيقة الإلهيّة، وكان إظهار الأكوان بطريق الكلام الإلهيّ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [١٦/ النحل/ ٤٠] وروى جدنا أبو إسحاق برهان الدين بن سعد الله بن جماعة في كتابه ـ الأحاديث الإلهيّات ـ بسنده إلى أبي ذرٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في حديث طويل يقول فيه: «ولو أن أوَّلكم، وآخركم، وحيَّكم، وميِّتكم،

---

(١) ذكره العجلوني في الكشف، وقال: رواه عبد الرزّاق في المصنّف، ١، ٨٢٧/ ٢٦٥، بسنده، عن جابر.

ورطبكم، ويابسكم اجتمعوا في صعيد واحد فسأل كلّ إنسان منكم ما بلغت أمنيّته، فأعطيت كلَّ سائل منكم ما نقص ذلك من ملكي إلّا كما لو أنّ أحدكم مرّ بالبحر، فغمس إبرة، ثمّ رفعها إليه، ذلك بأنّي جواد واجد ماجد، أفعل ما أريد، عطائي كلام، وعذابي كلام، إنّما أمري لشيء إذا أردت أنْ أقول له كن فيكون»[1] كانت الحقيقة الأسمائيّة الكاشفة عن الحقيقة الذاتيّة بمنزلة المعاني، وكانت الأكوان لتلك المعاني بمنزلة الألفاظ الدالَّة على تلك المعاني، ولنا في معنى ذلك من المواليا قولنا:

ليـل الهياكـل دجـا يـا سـعد أيقـاظو　　　والـبرق يلمـع لمـن ينظـر بألحـاظو

والحـبّ معنـاه ظـاهر عنـد حفّـاظو　　　مـن يفهمـو فـاز والأكـوان ألفـاظو

وقوله (علينا لوامع): جمع، من لَمَعَ الشيءُ يَلْمَع لَمَعَاناً: أضاءَ، كذا في المصباح. يشير إلى أنّ أسرار هذه المحبوبة، والحقيقة المطلوبة غالبة عليه، ظاهرة منه، مشرقة لديه. وقوله (وكلُّ مَقَامٍ): بالفتح والضمّ: اسم موضع القيام، وهو تمكّن فيه السالك من أحوال الطريق: كالصبر، والشكر، والزهد، والورع، إلى غير ذلك ممّا هو مفصّل في محلِّه. وقوله (في هواها): أي في محبّة المحبوبة المذكورة. وقوله (سلكته): أي سلكتُ فيه، يقال: سَلَكتُ الطريقَ سُلوكاً، من باب قعد: ذهبتُ فيه، كما في المصباح.

وقوله (وما قَطَعَتْني فيه): أي في كلّ مقام. وقوله (عنها): أي عن المحبوبة المذكورة. والمعنى: عن مشاهدتها، والحضور معها. (القواطع): جمع قاطع، من قَطَعتُه عن حقّه: منعتُه، ومنه: قَطَعَ الرجلُ الطريق: إذا أخافه، وهو قاطعُ الطريق، كذا في المصباح. والقواطع: هي الأشغال الدنيويّة والشهوات النفسانيّة.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند، باب: حديث المشايخ عن أبي كعب رضي الله عنه ٢١٤٥٨، بلفظ مشابه كما أخرجه الترمذيّ في سننه، كتاب: الزهد، ٢٤٩٥، بلفظ مشابه، عن أبي ذرّ.

٢٠- بِوَادِي بَوَادِي الحُبِّ أَرْعَى جِمَالَهَا أَلَا فِي سَبِيْلِ الحُبِّ مَا أَنَا صَانِعُ

٢١- صَبَرْتُ عَلَى أَهْوَالِهِ صَبْرَ شَاكِرٍ وَمَا أَنَا فِي شَيْءٍ سِوَى البُعْدِ جَازِعُ

(بوادي): الباء الموحّدة: حرف جرّ للظرفية، بمعنى في. والوادي: مشتق من وَدِيَ الشيءُ: إذا سال، والوَادِي: كلّ مَنْفَرَج بين جبال أو آكام يكون مَنْفَذاً للسيل. والجمع: أودية، كما في المصباح. يكنّي بالوادي عن مكان نفسه البشريّة المُنبثّة في الجانب الأيمن عن قلبه الجسماني، الشكل الصنوبري في الجانب الأيسر من تجويف الجسد الإنساني؛ وهي القوّة الوهميّة التي يشير إليها كلّ إنسان بقوله: «أنا»، قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه من أبيات له:

عرج ففي أيمن الوادي خيامهم لله درّك ما تحويه يا وادي

جمعت قوماً همُ نفسِي وهم نَفَسِي وهم سواد سويداء خلب أكبادي

وقوله (بَوَادِي): جمع بَادِيَة، من بَدَا يَبْدُو: ظهر، يقال: بَدَا إلى البَادية بِداوة، بالفتح والكسر: خرج إليها، والبَدْو مثال: فلس: خلاف الحضر. والبوادي جمع بادية، كذا في المصباح. وهي البراري والصحاري، كناية عن حضرات الإطلاق عن قيود الإمكان وصور الأكوان. وقوله (أَرْعَى): يقال رَعَيتُ الماشية أَرْعَاهَا، يُستعمل لازماً ومتعدّياً، كذا في المصباح، أي تركتها تأكل الكلأ. وقوله (جمالها): أي المحبوبة المذكورة، جمع جَمَل/[٤٣٤/أ] قال في المصباح: «الجَمَل من الإبل بمنزلة الرجل، يختصّ بالذكر، ولا يسمّى بذلك إلّا إذا أربع». وفي التهذيب: «إذا بزل: استحقّ هذا الاسم». قال في كفاية المتحفّظ: «فأمّا قبل ذلك فيقال: قَعُود وبَكْر وبَكْرَة وقَلُوْص، كنّى بذلك عن الفتيان السالكين بتربيته في طريق الله تعالى من رجال التقوى؛ لأنّهم أصحاب نفوس لا قلوب، فهم حاملون، لا محمولون، والمحمولون أصحاب قلوب؛ لأنّهم بنوا آدم لا حيوانات، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [١٧/الإسراء/ ٧٠] أي في الظاهر الجسماني،

والباطن الروحانيّ، وأمّا كون الأوّلين أصحاب النفوس جمالاً في كلام الناظم قدّس الله سرّه فذلك لحملهم أمانة الله تعالى، قال سبحانه: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [٣٣/ الأحزاب/ ٧٢] ولهذا احتاج إلى التربية على يد مشايخ الطريق. وقوله (ألا): بفتح الهمزة، والتخفيف للتنبيه، فتدلّ على تحقّق ما بعدها، ويقول المعربون فيها، حرف استفتاح فيثبتون مكانها، ويهملون معناها، ذكره ابن هشام في المغني. وقوله (سبيل): أي: طريق. وقوله (الحبّ): أي المحبّة الإلهيّة. وقوله (ما): أي الذي، أو أمر عظيم. وقوله (أنا صانع): يعني: من خدمة طريق الله تعالى بإرشاد القابلين، وتربية المريدين، وممّا اتفق لنا أن رجلاً كان يقرأ علينا كتاب «المشجون وفنون المفتون» للشيخ الأكبر قدّس الله سرّه، وكنّا نقرر له بحسب الفيض الإلهيّ في معاني الكتاب، إلى أنْ وصل إلى محلّ في الكتاب المذكور، فرأى في الواقعة الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه فقال له: اكتب في هذا المحلّ زجرة: اعرف نفسك قبل أنْ يُقضى عليك، واحفظها قبل أنْ تخرج من بين يديك. ثمّ قال له: قد مضى زمان ذلك. وقوله ـ يعني كتابتها ـ فلم نلحقها بالكتاب لقول الشيخ ذلك، وهي زجرة نافعة، وحكمة رافعة. (صبرت على أهواله): أي الحبّ. والأهوال جمع هول، من هَالَنِي الشيءُ هَوْلاً من باب قال: أَفْزَعَنِي، فهو هائل، ولا يقال: مَهُول إلّا في المفعول، كذا في المصباح. وقوله (صبر شاكر) باعتبار أنّه يعدُّ ذلك عليه، فيشكر ربّه به؛ لأنّه من أفضل طاعاته. وقوله (وما أنا في شيء): أي: من تلك الأهوال. وقوله (سوى): أي غير البعد عن جناب الحقّ تعالى، والإعراض عن الإقبال عليه بإشغال النفس بالأمور الباطلة، والزخارف العاجلة. وقوله (جازع): من جَزِعَ الرجلُ جَزَعاً، من باب تعب؛ فهو جَزِع، وجَزُوعٌ مبالغة: إذا ضَعُفَتْ بنيته عن حمل ما نزل به، ولم يجد صبراً، وأَجْزَعَه غيره، كذا في المصباح.

٢٢- عَزَيْـزَةُ مِـصْرَ الحُـسْنِ أَنَّـا تِجَـارُهُ وَلَـيْسَ لَنَـا إِلَّا النُّفُـوسَ بَـضَائِعُ
٢٣- لِأَرْضِـكِ فَوَّزْنَـا بِهَـا فَتَـصَدَّقِي عَلَيْنَـا فَقَـدْ نَمَّـتْ عَلَيْنَـا المَـدَامِعُ
٢٤- عَسَى تَجْعَلِي التَعْوِيضَ عَنْهَا قَبُولَهَا لِيَرْبَحَـهُ مِنَّـا مَبِيْـعٌ وَبَـائِعُ[1]

(عَزِيْزَةُ): أي هي عزيزة. يعني: المحبوبة المذكورة مؤنّث عزيز، قال في القاموس: «العَزِيز المَلِك، لِغَلَبَتِهِ على أَهْلِ مَمْلَكَتِه، وَلَقَبُ مَنْ مَلَكَ مِصْرَ مع الإسكندرية». وقوله (مِصْرَ الحُسْنِ)، يقال: مَصَّرُوا المكانَ تَمْصيراً: جعلوه مِصْراً فتَمَصَّر، ومِصْرُ اسم للمدينة المعروفة، سُمِّيَتْ لِتَمَصُّرِهَا، أو لأنّه بناها المِصْرُ بن نوح، كذا في القاموس. وإضافة مصر إلى الحُسْن باعتبار أنّ الحُسْن مملكتها التي حكمها نافذ فيها على كلّ من تعلّق بها، ودخل مملكتها بقلبه وبصره. وقوله (أنا تِجَارُهُ): أي الحُسْن، والتِّجَار بكسر التاء المثنّاة الفوقيّة، وتخفيف الجيم: جمع تاجر، قال في المصباح: «تَجَرَ تَجْراً، من باب قتل، واتَّجَرَ، وهو تاجِر، والجمع: تَجْرٌ، مثل: صاحب وصحب، وتُجّار بضمّ التاء مع التثقيل وبكسرها/ [٤٣٤/ب] مع التخفيف». يعني: تُجّار ذلك الحُسْن نرغب في معاملة شهوده ومداولة نقوده. وقوله (وليس لنا): أي معشر العارفين. وقوله (إلّا النفوس): أي نفوسنا جمع نفس. وقوله (بَضَائِع): جمع بِضَاعَة بالكسر: قِطْعة من المال تُعَدُّ للتجارة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ ﴾ وقال: ﴿فَٱسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ﴾ [٩/ التوبة/ ١١١] فإنّ النفوس تباع وتشترى؛ لأنّها يسترقّها كلّ من غلب عليها من الشهوات وغيرها. وأمّا القلوب فإنّها لا تملك لأحد غير الله تعالى.

وقوله (لِأَرْضِكِ): بكسر الكاف، خطاب لعزيزة مصر المذكورة في البيت قبله. وقوله (فَوَّزْنَا): بفتح الفاء وتشديد الواو وبالزاي: فعل ماض، أي: مضينا

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: «بلغ سماعاً إلى هنا على المؤلّف قدّس سرّه».

وذهبنا، قال في القاموس: «فَوَّزَ الرجلُ بإبِلِه: رَكِبَ بها المَفَازَة، والمَفَازَة: المَنْجَاة والمَهْلَكَة، والفَلَاة لا ماء بها». وقال في الصحاح: «الفَوْزُ: النجاة، والظفر بالخير. والفوز أيضاً: الهلاك، تقول منهما: فَازَ يَفُوْزُ وأَفَازَهُ اللهُ بكذا فَفَازَ به، أي: ذهب به. وقوله تعالى: ﴿بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلۡعَذَابِ﴾ [٣/ آل عمران/ ١٨٨] أي: بمنجاة منه، والمَفَازَة أيضاً واحدة المَفَاوِز، قال ابن الأعرابي: سُمِّيت بذلك لأنّها مَهْلَكَة من فَوَّزَ، أي: هَلَكَ. وقال الأصمعي سُمِّيَت بذلك تفاؤلاً بالسلامة والفَوْز، يقال: فَوَّزَ الرجل بإبله إذا ركب بها المَفَازَة». والمعنى: إننا ركبنا المَفَازَة لأرضك وقُدِّم للحصر، أي: لا لأرض غيرِكِ. يعني: مشتقّات السلوك والمجاهدة النفسانيّة في طريق محبّتك، وارتكبنا الشدائد، وقاسينا الأمور المهلكة. وقوله (بها): أي بالنفوس. يعني: بنفوسنا التي هي كالإبل، أي: الجمال بمنزلة ذلك الرجل الذي فَوَّز بإبله إذا ركب بها المفازة. وقوله (فَتَصَدَّقِي): الفاء للعطف والتفريع والتعقيب، وتصدّقي فعل أمر. وقوله (علينا): أي معشر السالكين بأتّهم العالية، طلباً للوصول، وتحصيل القبول. ولمّا جعلها عزيزة مصر الحُسْن قال لها كما قال تعالى حكاية عن أخوّة يوسف عليهم: ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ﴾ [١٢/ يوسف/ ٨٨]. وقوله (فقد نَمَّتْ): بتشديد الميم، قال في المصباح: «نَمَّ الرجلُ الحديثَ نَمّاً من بابَيْ: قتل وضرب: سَعَى به لِيُوقِع فِتنة أو وَحْشَة؛ فالرجلُ نَمٌّ، تسميةٌ بالمصدر، ونَمَّام مبالغة، والاسم: النَّمِيمَة، والنَّمِيم أيضاً». وقوله (علينا المدامع): فاعل نَمَّت. والمدامع: المآقي، وهي أطراف العين، كذا في الصحاح، من الدمع، وهو ماء العين من حزن أو سرور، والجمع دموع، والدمعة القطرة منه، كما في القاموس. والمعنى: إنّ دموع العين أظهرت خفايا أسرارهم، وخبايا أذكارهم في تقلبات أطوارهم.

وقوله (عسى): هو فعل ماضٍ جامد غير متصرِّف، وهو من أفعال المقاربة،

وفيه تَرَجٍّ وطَمَع، كذا في المصباح. وقوله (تجعلي): خطاب للمحبوبة المذكورة. وقوله (التعويض عنها): أي عن النفوس التي هي بضائعنا التي جئنا بها إليك فتشتريها منّا وتعوضينا عنها بطريق الثمن. وقوله (قَبولها): بالنصب مفعول ثانٍ لتجعلي، والمفعول الأوّل التعويض. وقوله (لِيَربَحُه): أي القبول. وقوله (منّا): معاشر التجّار بالنفوس كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [٩/ التوبة/ ١١١] الآية. وقوله (مَبِيعُ): فاعل يربحه، والمبيع هو المتاع. قال في المصباح: «المَتَاع مَبِيع على النَّقْصِ ومَبْيُوعٌ على التَمام، مثلُ: مَخِيْطٍ ومَخْيُوطٍ». والمبيع هنا النفوس فتربح القبول بتحقيق الوصول. وقوله (وبايع): وهو الذي باع نفسه في سبيل الله ، فوصل إلى مقام شهود الله ، فيربح الحضرة والتحقيق بالنظرة/ [٤٣٥/ أ].

٢٥- خَلِيْلَيَّ إنِّي قَدْ[1] عَصَيْتُ عَوَاذِلِي ... مُطِيْعٌ لَأَمْرِ العَامِرِيَّةِ سَامِعُ

٢٦- فَقُوْلَا لَهَا إِنِّي مُقِيمٌ عَلَى الهَوَى ... وَإِنِّي لِسُلْطَانُ المَحَبَّةِ طَائِعُ

٢٧- وَقُوْلَا لَهَا يَا قُرَّةَ العَيْنِ هَلْ إِلَى ... لِقَاكِ سَبِيلُ لَيْسَ فِيْهِ مَوَانِعُ

(خليليّ): أي يا خليليّ، بحذف حرف النداء وتشديد ياء المتكلّم المدغمة في ياء التثنية، تثنية خليل، وهو الصديق، والجمع: أخلاء، كذا في المصباح. وقوله (إنِّي قد عصيت عواذلي): جمع عاذل، فاعل من عَذَلْتُه عَذْلاً، من بابي ضرب وقتل، كذا في المصباح. فالعواذل هم اللائمون له على المحبّة. وقوله (مطيع): أي وأنا مطيع، جملة في محلّ نصب على أنّها حال من فاعل عصيت، وهو تاء المتكلّم. وقوله (لأمر العامريّة): منسوبة إلى عامر قال في الصحاح:"عامر أبو قبيلة، وهو عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن". يُكنِّي بها عن المحبوبة المذكورة. وقوله (سامع): أي وأنا سامع لأمرها، أي: ممتثل له قابل له، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ

---

(١) في (ق): مُذْ.

﴿كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [٨/ الأنفال/ ٢١]. وقال في المصباح: «سَمِعَ اللهُ لمن حمده: قَبِلَ حَمْدَ الحامد. ومنه قولهم: سَمِعَ القاضي البَيِّنَة، أي: قَبِلَها». وقوله (فقولا): أي يا خليليّ. وقوله (لها): أي للمحبوبة المذكورة، وهي المُكنّى عنها بالعامريّة. وقوله (إنّي مقيم على الهوى): مقول القول. والمقيم على الشيء الملازم له، الذي لا ينفك عنه، قال في المصباح: «أقام الصلاة أدام فعلها». والهوى المحبّة. وقوله (وإنِّي لسلطان المحبّة): أي لولايتها وسلطنتها عليّ، قال في المصباح: «السلطان الوِلَاية والسَلْطَنَة». وقوله (طائع): من طَاعَه يطيعه طَوْعاً، من باب قال، متعه لغة، مثل: أطاعه إطاعة، أي: انقاد له، وبعضهم يعدِّيه بالحرف فيقال: طاع له، كذا في المصباح. وقوله (قولا): أي يا خليليّ. وقوله (لها): أي للمحبوبة المذكورة. وقوله (يا قرّة العين): يقال قُرَّة، بالضمّ، وقُرُوراً: بَرَدَت سُرِوراً، كما في المصباح. والمعنى: «برد دمعها؛ لأنّ دمع الحزن حار، ودمع السرور بارد. وقوله (هل): حرف استفهام. وقوله (إلى لقاك): بكسر الكاف، خطاب للمحبوبة المذكورة، وأصله لقائك بالهمزة والمدّ، فخفّف بالحذف للوزن. وقوله (سبيل): أي طريق موصل إليه. وقوله (ليس فيه): أي في ذلك السبيل. وقوله (موانع): جمع مانع من منعته الأمر، ومن الأمر منعاً فهو ممنوع منه، والفاعل مانع، كما في المصباح، والموانع: القواطع التي تمنع من الوصول، وتقطع عن الحصول كالنفس، والدنيا، والشيطان، والعلم غير المعمول به.

٢٨- وَلِي عِنْدَهَا ذَنْبٌ بِرُؤْيَةِ غَيْرِهَا　　فَهَلْ لِي إلى لَيْلَى المَلِيحَةِ شَافِعُ

٢٩- سَلَا هَلْ سَلَا قَلْبِي هَوَاهَا وَهَلْ لَهُ　　سِوَاهَا إِذَا اشْتَدَّتْ عَلَيْهِ الوَقَائِعِ

(ولي): خبر مقدّم. وقوله (عندها): أي المحبوبة المذكورة. وقوله (ذنب): مبتدأ مؤخّر. وقوله (برؤية غيرها): أي بسبب رؤية غيرها، أي: غير المحبوبة المذكورة، أي: أدرك بالبصر غيرها، أو أعتقد بالبصيرة، وجود غيرها، ولا وجود لغيرها، وقد أشرنا إلى ذلك بقولنا من أبيات لنا:

وبـــذات المليـــح ذات مليـــح كلّـــما شـــئت كلّمتنـــي شـــفاها
خيَّلـــت غيرهـــا لقـــوم ضـــعاف مـــا اتقوهـــا بهـــا فظنّـــوا ســـواها

وقوله (فهل لي إلى ليلى): اسم مقصور لامرأة مشهورة من محبوبات العرب، كناية هنا عن المحبوبة المذكورة. وقوله (المليحة): صفة ليلى من الملاحة، قال في المصباح: «ومَلُحَ الشيءُ، بالضمّ، مَلَاحَةً: بَهُجَ وحَسُنَ، فهو مليح، والأُنثى مَلِيحَة، والجمع مِلَاح». وقوله (شافع): اسم فاعل من شَفَعتُ في الأمر شَفْعَاً وشَفَاعَة: طالَبت بوسيلة أو ذِمام/ [٤٣٥/ ب] واسم الفاعل شفيع، والجمع شفعاء، مثل كريم وكرماء، وشافع أيضاً. والمعنى: شافع يشفع لي مغفرة ذنبي عندها بأنّ تريني إيّاها في كلّ شيء حتّى لا أرى سواها، قال ابن غانم المقدسي قدّس سرّه:

ومخطوبـــة الحـــسن محجوبـــة فـــلا يـــألفنّ الـــسوى إلفهـــا
إذا رام عاشـــقها نظـــرة ولم يـــستطع إذْ عـــلا وصـــفها
أعارتـــه طرفـــاً رآهـــا بـــه فكـــان البـــصير لهـــا طرفهـــا

وقوله (سلا): سلْ فعل أمر من السؤال، وألف التثنية لخطاب خليليه. وقوله (هل سلا): فعل ماضٍ، يقال: سَلَوتُ عنه سُلُواً، من باب قعد: صبرت، والسَلْوَة: اسم منه، وسَلِيتُ أَسْلِي، من باب تعب، سَلْياً: لغة. قال أبو زيد: السُّلُوُّ طِيب نَفْس الإلف عن إلفه [كذا في المصباح]. وقوله (قلبي): فاعلاً سلا. وقوله (هواها): مفعول سلا، أي: محبّتها؛ فهو يحبّ محبّتها، فلا يسلو محبّتها فكيف يسلوها. وقوله (وهل له): أي لقلبي. وقوله (سواها): أي غيرها. يعني: غير المحبوبة المذكورة. وقوله (إذا اشتدّت): أي صارت شديدة. وقوله (عليه): أي على قلبي. وقوله (الوقائع): جمع وَقِيعَة، وهي القتال، وقال في الصحاح: الوَقِيْعَة في الناس الغيبة، والوَقِيْعَة: القتال، والجمع: الوَقَائِع، ووَقَعْتُ بالقوم في القتال،

وأَوْقَعْتُ بهم بمعنىً. ويقال أيضاً: أَوْقَعَ فلان بفلان ما يسوؤه، كذا في الصحاح. واشتدّاد الوقائع: هجوم المصائب والبلايا، فلا يفرجّها إلّا الجناب الإلهيّ، والحضرة الربّانيّة الرحمانيّة.

٣٠- فَيَا آلَ لَيْلَى ضَيْفُكُمْ وَنَزِيلُكُم   بِحَيِّكُمُ يَا أَكْرَمَ العُرْبِ ضَارِعُ[1]

٣١- قِرَاهُ جَمَالٌ لَا جِمَالٌ وَإِنَّهُ   بِرُؤْيَةِ لَيْلَى مُنْيَةِ القَلْبِ قَانِعُ

٣٢- إِذَا مَا بَدَتْ لَيْلَى فَكُلِّيَ أَعْيُنٌ   وَإِنْ هِيَ نَاجَتْنِي فَكُلِّي مَسَامِعُ

٣٣- وَمِسْكُ حَدِيثِي فِي هَوَاهَا لِأَهْلِهِ   يَضُوعُ وَفِي سَمْعِ الخَلِيِّينَ ضَائِعُ

(فيا آل ليلى): الفاء للتفريع على ما سبق، وآلُ الرجل: أَهْلُه وعِيَالُه، وآلُهُ أيضاً: أتباعُه، كذا في الصحاح. والمعنى: على الثاني هنا، وليلى: اسم محبوبة من العرب. كناية عن المحبوبة المذكورة، وآلها: أتباعها وعبيدها من العارفين المحقّقين. وقوله (ضيفكم): أي أنا ضيفكم لخروجه من حضرة الغافلين. ودخوله إلى حضرة الأولياء المقرّبين، قال في المصباح: «الضيف معروف، ويطلق بلفظ واحد على الواحد وغيره؛ لأنّه مصدر في الأصل، من ضَافَه ضَيْفاً، من باب باعَ: إذا نزل عِنده، ويجوز المطابقة، فيقال: ضَيْف وضَيْفَة وأَضْيَاف وضِيْفان، وأَضَفْتُه وضيّفته: إذا أنزلتُه وقَرَّبْتُه. والاسم: الضِيافَة، قال ثعلب: ضِفْتُه: إذا نزلتَ به، وأنت ضيف عنده، وأَضَفْتُه بالألف: إذا أنزلته عليك ضيفاً [كذا في المصباح]. وقوله (ونزيلكم): يقال: أَنْزَلتُ الضيفَ ـ بالألف ـ فهو نَزِيل، فَعِيل بمعنى مفعول. والنُّزُل بضمّتين: طعامُ النَّزيل الذي يُهَيَّأُ له، وفي التنزيل: ﴿هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [٥٦/ الواقعة/ ٦٥]، كذا في المصباح. وقوله (بحيّكم): بضمّ الميم للوزن، أي: في حيّكم. والحيّ: القبيلة من العرب، والجمع: أحياء، كما في المصباح. وقوله

---

(١) في (ق): ضائع.

(يا أكرم العرب): يقال كَرُمَ الشيءُ كَرَماً: نَفُسَ وعَزَّ فهو كَرِيم. وقوم كِرَام، كما في المصباح. والعُرْب بضمّ العين المهملة وسكون الراء، وِزان قُفْل لغة في العَرَب بفتح الراء، وهو اسم مؤنّث، ولهذا يوصف بالمؤنّث، فيقال: العَرَب العَارِبَة، والعَرَب العَرْبَاء، وهم خلاف العجم، ورجل عَرَبِيّ: ثابت النسب في العرب وإنْ كان غير فصيح، وأُعْرَب بالألف: إذا كان فصيحاً وإنْ لم يكن من العرب، كذا في المصباح. وقوله (ضارع): يقال: ضَرَعَ له يَضْرَعُ ـ بفتحتين ـ ضَرَاعَةً: ذَلَّ وخَضَعَ فهو ضَارِع، كذا في المصباح.

وقوله (قِراهُ): بكسر القاف، مبتدأ، والضمير إلى ضيفكم، يقال: قَرَيْتُ الضيفَ أَقْرِيْهِ، من باب رمى، قِرَىً بالكسر والقصر/ [٤٣٦/ أ] والاسم القَرَاء مثل كلام، كذا في المصباح. يعني: ضيافته التي تضيّفونه بها. وقوله (جَمال): بفتح الجيم، خبر المبتدأ، من جَمُلَ الرجلُ، بالضمّ والكسر، جمالاً فهو جَمِيل، وامرأة جَميلَة، قال سيبويه: الجَمال رِقَّة الحُسْن، والأصل جَمَالَة بالهاء، مثل: صَبُحَ وصَبَاحَة، لكنّهم حذفوا الهاء تخفيفاً لكثرة الاستعمال، كذا في المصباح. وقوله (لا جِمَال): بكسر الجيم، جمع جَمَل. ولا حرف عطف، وجِمَال معطوف على جَمَال، قال في المصباح: «الجَمَل من الإبل بمنزلة الرجل، يختصُّ بالذَّكَر». وقوله (وإنّه): أي ضيفكم. وقوله (برؤية ليلى): أي المكنّى بها عن المحبوبة المذكورة. وقوله (مُنْيَة القلب): بالجرّ بدل من ليلى. يعني: ما يتمنّاه القلب. وقوله (قانع): خبر إنْ. يعني: إنّه قانع برؤيتها عن الضيافة، فرؤية الوجه الكريم قوت قلوب المحبِّين، وهو لهم كمال النعيم. وقوله (إذا ما بدت): أي ظهرت. وقوله (ليلى): فاعل بدت. وقوله (فكلّي): أي جميع أجزائي وأبعاضي. وقوله (أعين): جمع عين. يعني: أراها بكلّ جزء من أجزائي، وكلّ بعض من أبعاضي. وقوله؛ ولهذا إذا رآها يفنى كلّه فيشعر بأنّه لا وجود إلّا وجودها، ولا جود إلّا جودها، قال عفيف الدين

التلمسانيّ قدّس الله سرّه من أبيات له:

يا بديع الجمال فاز محبّ بلذيذ الوصال منك تهنى

كيف يرجو النجاة وهو مع الهجر قتيل وعند رؤياك يفنى

وقوله (وإنْ هي ناجتني): نَاجَيْتُه: سَارَرْتُه، والاسم: النَجْوَى، وتَنَاجَى القومُ: نَاجَى بعضُهُم بعضاً، كذا في المصباح. وقوله (فكلّي): أي جميع أجزائي، وسائر قواي. وقوله (مسامع): جمع مِسْمَع، بكسر الميم الأولى، وفتح الميم الثانية، قال في المصباح: «المِسْمَع بكسر الأوّل، والجمع: أَسْمَاع ومَسَامِع». وقوله (ومسك حديثي): أي حديثي الذي هو كالمسك، والحديث: ما يُتحدَّث به، وينقل. والمعنى بذلك: كلامي الذي أتحدّث به من نظم ونثر. وقوله (في هواها): أي في محبّة المحبوبة المذكورة. وقوله (لأهله): أي لأهل حديثي، وهم الذين يفهمونه ويعرفون المقاصد والمعاني، ويتحقّقون بحقائق العلم الربّاني. وقوله (يضوع) ضاعَ الشيءُ يَضُوعُ ضَوْعاً، من باب قال: فاحَت رائحتُه، وتضوَّع كذلك، كما في المصباح. وقوله (وفي سَمْع الخَلِيِّينَ): جمع خَلِيّ، بالتشديد، قال في المصباح: «خَلَا من العَيْب خُلُوّاً: بَرِئَ منه، فهو خَلِيٌّ، وهذا يؤنّث ويذكّر، ويُثنّى ويُجمَع». والخليّون هنا بمعنى البريئين من المحبّة والعشق، لخلوّ بالهم، وفراغ قلوبهم من الهوى، وهم الغافلون المحجوبون عن شهود الجمال الإلهيّ لاشتغالهم بشهوات بطونهم وفروجهم، وإنْ أحبُّوا أمثالهم من الخلق، وعشقوا العشق النفسانيّ، ولم يصلوا إلى الحبّ الروحانيّ؛ فإنّ حديث أهل هذه المحبّة ضائع عندهم، أي: غير معتبر، قال في الصحاح: «ضَاع الشيءُ يَضِيع ضَيْعَة وضَياعاً بالفتح، أي: هلك». قال يعقوب: قولهم في المثل: «الصيف ضيّعتِ اللّبَن». مكسورة التاء إذا خوطب به المذكّر، أو المؤنّث، أو الإنسان، أو الجمع؛ لأنّ المَثَل في الأصل خوطبت به امرأة كانت تحت رجل موسر فكرهته للكره، فطلّقها، فتزوّجها رجل مملق، فبعثت إلى

زوجها الأوّل تستميحه. فقال لها هذا. والصيف منصوب على الظرف.

٣٤- تَجَافَتْ جُنُوبِي فِي الهَوَى عَنْ ... إِلَى[1] أَنْ جَفَتْنِي فِي هَوَاهَا المَضَاجِعُ

٣٥- وَسِرْتُ بِرَكْبِ الحُسْنِ بَيْنَ مَحَامِلٍ ... وَهَوْدَجُ لَيْلَى نُورُهَا مِنْهُ سَاطِعُ

٣٦- وَنَادَيْتُ لَمَّا أَنْ تَبَدَّى جَمَالُهَا ... لَعَمْرُكَ[2] يَا جَمَّالُ قَلْبِيَ قَاطِعُ

٣٧- فَسِيرُوا عَلَى سَيْرِي فَإِنِّي ضَعِيفُكُمْ ... وَرَاحِلَتِي بَيْنَ الرَّوَاحِلِ ضَالِعُ

/ [٤٣٦/ ب] تجافت: تباعدت، قال في المصباح: جَفَا السَّرْجُ عن ظهر الفرس يَجْفُو جَفَاء: ارتفع، ومنه جَافَيْتُه فَتَجَافَى: إذا بعُدت عن مودّتِه، وجَفَوْتُ الرجل أَجفُوه: أَعرضتُ عنه، أو طردته، وهو مأخوذ من جُفَاء السَيل، وهو ما نفاه السَّيل، وقد يكون مع بُغض. وقوله (جُنُوْبِي): جمع جَنْب، وجَنْب الإنسان: ما تحتَ إبْطِه إلى كَشْحَهَ، والجمع: جُنُوب، مثل: فَلس وفلوس، كذا في المصباح. وقوله (في الهوى): أي في المحبّة الإلهيّة. وقوله (عن مَضَاجِعِي): جمع مَضْجَع، بفتح الميم والجيم: موضع الضُجُوع، والجمع: مَضَاجِع، كما في المصباح. وهو إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝١٥ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ [٢٢/ السجدة/ ١٤-١٦] إلى آخر الآية. وقوله (إلى إنْ جفتني): أي باعدتني. وقوله (في هواها): أي في محبّة المحبوبة المذكورة. وقوله (المضاجع): فاعل جفتني. وقد تباعدت جُنُوبه عن مضاجعها في ابتداء أمره عن قصد منه وإرادة، إلى أن وصل إلى حالة تباعدت المضاجع عنه من غير قصد منه. ولا إرادة، وكان مختاراً في ذلك فصار مضطراً فيه. وقوله (وسرت): بضمّ تاء المتكلّم. وقوله (بركب الحُسْن): الركب جمع راكب، قال في المصباح: «راكِب الدابّة جمعه رَكْب، مثل: صاحب

---

(١) في (ق): ألا.

(٢) في (ق): لِعَيْنِيَ.

وصَحْب، وركبان». وهم جماعة العارفين بربّهم، المحمولين به سبحانه، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٧٠] في البرّ بوساطة الدواب وغير وساطة. وفي البحر بوساطة السفن وغيرها، وكون ذلك الركب ركب الحُسْن لأنّ لهم ظاهراً وباطناً. وقوله (بين محامل): جمع مَحْمِل، وزان مَجْلِس: الهودج، ويجوز مَحْمَل وزان مِقْوَد، كذا في المصباح. وذلك كناية عن صورهم الإنسانيّة المشتملة عل حقائقهم الروحانيّة. وقوله (وهودج): هو مركب النساء، كذا في القاموس. وقال في الصحاح: «الهودج: مركب من مراكب النساء، مقبب، وغير مقبب». وهو كناية عن الصورة الإنسانيّة الكاملة. وقوله (ليلى): أي المحبوبة، كما سبق ذكرها. وقوله (نورها): أي نور ليلى المكنّى بها عن الحقّ تعالى، وهو الوجود الحقّ، الذي قامت به السموات والأرض حتّى قال تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [٣٩/ الزمر/ ٦٩] وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [٢٤/ النور/ ٣٥] وقوله (منه): أي من ذلك الهودج. وقوله (ساطع): أي مرتفع، قال في المصباح: «سَطَعَ الغبارُ، والرائحة، والصبح، يَسْطَعُ بفتحتين: ارتفع». وقوله (وناديتُ): بضمّ تاء المتكلّم. وقوله (لما أنْ تبدى): أي ظهر. وقوله (جَمالها): فاعل تبدَّى. والضمير للمحبوبة المذكورة سابقاً. يعني: على ذلك الركب ومحاملهم، وأنا سائر خلفهم. وقوله (لعمرك): أي وحياتك، قال في المصباح: «عَمِرَ يَعْمَر، من باب تعب، عَمَراً بفتح العين وضَمِّها: طالَ عُمُرُه، فهو عَامِر، ويتعدّى بالحركة والتضعيف فيقال: عَمَرَه اللهُ يَعْمَرَهُ، من باب قتل. وعَمَّرَه تعميراً، أي: أطال عُمرَه. وتدخل لام القسم على المصدر المفتوح، فيقال: لَعَمْرُكَ لأفْعَلَنّ. والمعنى: وحياتِك وبقائِك. وفي نسخة مكان لعمرك رويدك. قال في القاموس: «امش على رُوْد بالضمّ، أي: مَهْل، وتصغيره: رُوَيْد. وقد أَرْوَدَ: أَرْفق، ورُوَيْداً مَهْلاً، ورُوَيْدَك عَمْراً: أَمْهِلْهُ؛ وإنّما تَدْخُله الكاف إذا كان بمعنى أفعِل». وقوله (يا جَمّال): بتشديد الميم، وهو منادى مبني على الضمّ؛ لأنّه نكرة مقصودة،

وأصله صاحب الجمل، قال في الصحاح: «والجَمَّالَةُ أصحاب الجِمال، مثل: الخيّالة والحَمارة. وهو كناية هنا عن شيخ المريدين، ومرشدهم، ومنقذهم من عقبات الطريق، ومنجدهم. وقوله(قلبي قاطع): بمعنى مقطوع، كنازع بمعنى منزوع، قال تعالى: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا﴾ [٧٩/ النازعات/ ١] وفي تفسير البيضاوي: «أو صفات النفوس الفاضلة حال المفارقة ؛ فإنّها تنزع عن الأبدان غرقاً، أي: نزعاً شديداً...» إلى آخره. وقال شيخي زاده في حاشيته؛ فإنّها تنزع على صيغة/ [٤٣٧/ أ] المجهول؛ لأنّ تلك النفوس منزوعة عن الأبدان، فإطلاق النازعات عليها كإطلاق نحو: التامر واللابن. بمعنى: ذات تمر وذات لبن، أو ذي تمر؛ فإنّ تلك النفوس إذا كانت ذوات نزع يصحّ أنْ يقال: إنّها نازعة على قياس اللابن والتامر، وكذلك هنا لما كان قبله مقطوعاً عن الاتّصال بعروض الغفلات كان ذا قطع فصح أن يقال فيه: قاطع، مثل نازع. وقوله (فسيروا): يخاطب الحضرات الإلهيّة الرافلة في ملابس الصور الإنسانيّة الكاملة المكمّلة في المراتب العلميّة والعمليّة؛ فإنّهم السائرون على نجائب الأسماء الربّانيّة من حكم قوله تعالى: ﴿وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٧٠] سيراً حثيثاً بتقلّب الأمثال مع الأنفاس من الأزل إلى الأبد. وقوله (على سيري): أي على مقدار سَيْرِي، والسَّيْر كلّه واحد بحكم قوله تعالى : ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖ﴾ [٦٧/ الملك/ ٣] فإنّ الرحمن المستوي على العرش، كما قال سبحانه: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [٢٠/ طه/ ٥] مسمّى بجميع الأسماء بمقتضى حكمه، وهو الرحمة العامّة لكلّ شيء، كما قال تعالى: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٥٦] وإنّما يتفاوت السير بتفاوت الهمم الروحانيّة، وتفاوت الهمم بتفاوت الجواذب، وتفاوت الجواذب بتفاوت الأسماء؛ فإنّ أسماء الرحمن غير أسماء الله من حيث الملائمات الوجهيّة من قوله تعالى: ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِ﴾ [٢/ البقرة/ ١١٥]. وقوله سبحانه: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ﴾ [٢٨/ القصص/ ٨٨] واعتبار مغايرة الأسماء مع أنّها واحدة من قوله سبحانه: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾

[١٧/ الإسراء/ ١١٠]. وقوله (فإنّي ضعيفكم): أي أضعف مَن فيكم من الرجال أولي الهمم والإقبال؛ فإنّ عباد الرحمن الذين قال تعالى في حقّهم: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ [٢٥/ الفرقان/ ٦٣] مشيهم على أرض طبائعهم وعاداتهم مشياً هوناً، والهون: السكينة والوقار، كذا في القاموس. فهم يمشون، وعباد الله أعلى همماً منهم؛ فهم يطيرون، وأين السائر من الطائر، كما أين الواقف من الماشي. وقوله (وراحلتي): قال في القاموس: «الراحلة الصالحة لِأَنْ تُرحَل، وأَرْحَلَها: راضَهَا فصارت راحِلَة». يكنّي بها عن نفسه التي يشير إليها بقوله: أنا. وقوله (بين الرواحل): جمع راحلة التي بين نفوس القوم السائرين عليها. وقوله (ضالع): بالتذكير، من غير مطابقة لراحلتي نظراً إلى المعنى؛ فإنّ الراحلة بعير، قال في القاموس: «الضَّلَع محرَّكة: الاعوجاج خِلْقَة، ويُسَكَّن. وهو في البعير بمنزلة الغَمْز في الدواب، ضَلِعَ كفَرِحَ فهو ضَلِع؛ فإنّ لم يكن خِلْقَة فهو ضَالِع. وقد ضَلَعَ كمَنَعَ»، والضَلَع: [القوّة][1] احتمال الثقل، يقول: إنّ راحلتي بين رواحل القوم معوجّة في سلوكها، ومثقلة في أحمالها، تشرد عن الطريق المستقيم بشهواتها، وقد أثقلت بهفواتها وغفلاتها.

٣٨- وَمِلْ بِي إِلَيْهَا يَا دَلِيلُ فَإِنَّني ذَلَيْلٌ لَهَا فِي تِيهِ عِشْقِيَ وَاقِعُ

٣٩- لَعَلِّيَ مِنْ لَيْلَى أَفُوزُ بِنَظْرَةٍ لَهَا فِي فُؤَادِ الْمُسْتَهَامِ مَوَاقِعُ

٤٠- وأَلْتَذُّ فِيهَا بِالحَدِيثِ وَيَشْتَفِي غَلِيلُ عَلِيلٍ فِي هَوَاهَا يُنَازِعُ

(وَمِلْ): فعل أمر. (بي): أي بجملتي. (إليها): أي ليلى المحبوبة المذكورة. وقوله (يا دَلِيْلُ): بالضمّ من غير تنوين، نكرة مقصودة، والدليل: الهادي، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [٤٢/ الشورى/ ٥٢] وهو نور محمّد صلّى الله

---

(١) في المخطوط: أينما بدل القوّة.

عليه وسلّم؛ لأنّه من نور الله تعالى، مخلوق من غير وساطة؛ بل هو الوساطة في كلّ نور خلق بعده؛ فالهادي هو الله تعالى به صلّى الله عليه وسلّم، كما أنّه صلى الله عليه وسلّم الهادي به تعالى، لا بنفسه؛ ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [٢٨/ القصص/ ٥٦] وتقديره؛ بل تهدي من أحبّه تعالى. وقوله (فإنّني): أي تحقيقاً إنني. وقوله (ذليل): من ذَلَّ يَذِلّ ذَلّاً وذُلَالَة بضمّها، وذِلَّة بالكسر، ومَذَلَّة وذَلَالَة: هانَ فهو ذَلِيْل، كذا في القاموس. وقوله (لها): أي لليلى المذكورة. يعني: لا لغيرها، إذ لا غير لها لعموم/ [٤٣٧/ ب] ظهورها في كلّ شيء. وقوله (في تِيه): بكسر التاء المثنّاة الفوقيّة هي المفازة، وجمعها: أَتْيَاه وأتاويه. والتيه: الضَلال، تَاه تَيْهاً، ويُكْسَر وتَيَهَاناً محرّكة فهو تَيَّاه وتَيْهَان. وأرض تِيه بالكسر، وتَيْهَاء ومَتِيْهَة كسفينة، وبضمّ الميم، وكمرحلة ومقعد: مِضَلَّة، كذا في القاموس. والمعاني الثلاثة مناسبة هنا. وقوله (عِشْقِي): أي محبّتي الزائدة لليلي المذكورة. وقوله (واقع): من وَقَعَ يَقَعُ وُقُوعاً: سَقَطَ، كما في القاموس. بحيث لا خلاص لي من ذلك.

وقوله (لعلّ): أي المحبوبة المذكورة. وقوله (أفوز بنظرة): أفوز من الفَوْز، وهو النَجَاة، والظَفَر بالخير، والهَلَاك أيضاً ضِدّ فاز: مات، كذا في القاموس. والمعنى: لعلي أنجو من مشقّات الأغيار، وأتعاب الليل والنهار، وتقلّبات التجلّي والاستتار بنظرة واحدة أنظرها في وجه هذه المحبوبة المذكورة، ولا ينظر وجهها إلّا اذا فَنِيَ واضمحلّ، وشهد لها وجوده، فأفرد مشهوده، ونجاته هذه هي موته، حيث تحقّق شهوده، وأفرد معبوده ،ونال مقصوده، وكان معنى أفوز، أي: أنجو وأظفر بالخير، أو أهلك؛ لأنّه: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [٢٨/ القصص/ ٨٨] أو أموت لقوله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [٣٩/ الزمر/ ٣٠]. وقوله: ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [١٦/ النحل/ ٢١] والنظرة التي يفوز بها إنّما تكون له بها لا بنفسه، كما قال القائل:

أعارتـــه طرفـــاً يراهـــا بـــه   فكـــان البـــصير لهـــا طرفهـــا

وقوله (لها): أي لتلك النظرة. وقوله (في فؤاد): أي قلب. وقوله (المستهام): من هَامَ يَهِيْمُ هَيَماً وهَيَماناً: أَحَبَّ امرأة، والهُيَّام: العشّاق المُوَسْوَسُون، ورجل هَائِم وهَيُوم: مُتَحَيِّر. وهَيُمان: عطشان. والهُيَام، بالضمّ: كالجنون من العشق. وقلب مُسْتَهَام: هائم، كذا في القاموس. وقوله (مَواقِع): جمع موقع، موضع الوقوع، قال في الصحاح: «مواقع الغيث: مساقطه». وقوله (وألتذُّ): أي أجد لَذَّة، وهي خلاف الشهوة، لأنّ الشهوة جسمانيّة حيوانيّة تنقضي باستعمال المشتهي، واللّذة روحانيّة إنسانيّة لا تقتضي خطأ زائداً على النظرة والاطّلاع بإحدى الحواس الخمس أو بالعقل. وقوله (منها): أي من ليلى المذكورة. وقوله (بالحديث): أي بالمحادثة والمكالمة، وهي المناجاة القلبيّة الإلهيّة عند العارفين، أهل الذوق والوجدان، وهي الواردات الربّانيّة من الحضرة الرحمانيّة العليّة، بأنواع العلوم والمعارف اللّدُنيّة، قال الشيخ الأكبر، قدّس الله سرّه في مطلع أبيات له:

ألا عِـمْ صـباحاً أيّهـا الـوارد الـذي   أتانـا فحيّانـا مـن الحـضرة الزلفـا

وقوله (ويشتفي): يقال اشْتَفَى بكذا تَشَفَّى من غَيظه، كذا في القاموس. وقوله (غَلِيل) بالغين المعجمة، قال في القاموس: «غَلِيل كأمير: العطش، أو شدّته، أو حرارة الجوف، وقد غُلَّ بالضمّ، فهو غَلِيل ومَغْلُول ومُغْتَل».

وقوله (عَلِيل): بالعين المهملة، أي: سَقِيم. وقوله (في هواها): أي ليلى المذكورة. يعني في محبّتها. وقوله (ينازع): من نَزَعْتُ الشيءَ من مكانه: أَنْزِعُهُ نَزْعَاً: قلعته. وقولهم فلان في النَّزْع، أي: في قلع الحياة، كما في الصحاح. والمُنَازَعَة: مفاعلة من الجانبين، تعطية الحياة، وتنزعها منه كما قيل:

أمـــوت إذا ذكرتـــك ثـــمّ أحيـــا   فكـم أحيـا عليـك وكـم أمـوت

٤١ - فَيَا أَيُّهَا النَفْسُ[1] التِي قَدْ تَحَجَّبَتْ ... بِذَاتِي وَفِيهَا بَدْرُها لِي طَالِعُ

٤٢ - لَئِنْ كُنْتِ لَيْلَى إنَّ قَلْبِي عَامِرٌ ... بِحُبِّكِ مَجْنُونٌ بِوَصْلِكِ طَامِعُ

٤٣ - رَأَى نُسْخَةَ الحُسْنِ البَدِيعِ بِذَاتِهِ ... تَلُوحُ فَلَا شَيْءٌ سِوَاهَا يُطَالِعُ

(فيا أيّها): الفاء للتفريع عمّا قبله، ولم يؤنّث، أي: لتأنيث النفس، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ [٨٩/ الفجر/ ٢٧] لضرورة النظم، ولهذا لمّا لم تكن ضرورة أنّث. قوله/ [٤٣٨/ أ] التي تحجّبت، أو لعدم اتّصافها بالتأنيث والتذكير بحسب المراد منها، أو لأنّه ليس بمؤنّث حقيقي؛ فيجوز تذكيره تارة باعتبار إنساناً، وتأنيثه أخرى كما هنا، قال في الصحاح: «وإذا ناديت اسماً فيه الألف واللام أدخلت بينه وبين حرف النداء أيّها، فتقول: يا أيّها الرجل، ويا أيّتها المرأة. فأي: اسم مبهم مفرد معرفة بالنداء مبني على الضمّ، وها حرف تنبيه، وهي عوض ممّا كانت، أي تضاف إليه، وترفع الرجل لأنّه صفة أي. وقوله **(النفْس)**: بسكون الفاء، قال في الصحاح: «النَّفْس: الروح، يقال: خرجت نفسُه. والنفس: الدم، يقال: سالت نفسُه، وفي الحديث: «ما ليس له نَفْسٌ سائلة فإنّه لا ينجّس الماء إذا مات فيه»[2]، والنفس أيضاً الجسد. وأما قولهم: ثلاثة أنفس فيُذَكِّرونه لأنّهم يريدون به الإنسان. وقوله **(التي قد تحجّبت)**: أي استترت. وقوله **(بذاتي)**: أي بحقيقتي الوجوديّة التي أنا بها أنا، واستتارها بذاته انمحاء أثرها بظهور حقيقته لها، وفنائه عنها بالكلّيّة؛ فإنّ حقيقته حقّ، ونفسه المستترة بحقيقته عند الوصول باطل. قال تعالى: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨١] وقوله **(وفيها)**: أي في ذاتي. يعني: في حقيقتي الوجوديّة المذكورة على معنى في علمها وإرادتها، وتوجّه قدرتها وكلامها. والواو للحال، والجملة حال من ذاتي. وقوله (بدرها): أي بدر ذاتي، والبدر هو القمر التمام. على معنى أنّ ذاتي

---

(١) في (ق): فأيتها النفس.

(٢) ذكره القرطبيّ في تفسيره من كلام إبراهيم النخعي، انظر تفسير القرطبي ١/ ٢٦٩ .

شمس حقيقة وجوديّة، ونفسي تقديرها العدمي وتخليقها الوهمي. وقد ظهرت أنوار تلك الشمس فكانت في بدر نفسي من غير أن تنتقل تلك الأنوار إلى بدر نفسي وتفارق الشمس، فكانت كالصورة المنطبقة في المرآة، ما انتقلت بنفسها إلى المرآة ولكنها ظهرت في المرآة بتمامها، قال تعالى: ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ [٣٩/الزمر/ ٦٩] وقوله (ليَ طالع): أي ذلك البدر الذي هو مشرق بنور شمس الأحديّة في فناء تلك المرآة النفسانيّة، ولا اتّحاد ولا حلول؛ وإنّما هي نفس معدومة مقدّرة في حقيقة وجود حقّ لا يتغيّر ولا يزول. وقوله (لئن كنتِ): بكسر التاء خطاب للنفس المشار إليها بقوله: فيا أيها النفس. وقوله (ليلى): خبر كان، أي: ليلى المحبوبة المذكورة. وقوله (إنّ قلبي عامر): هو اسم حيّ من أحياء العرب، وإليه تنسب ليلى العامريّة، وفيها يقول مجنونها المشهور[1]:

ولــو أنّ لــيلى العامريّــة ســلمت عــليّ ودوني جنــدل وصــفائح

لــسلّمت تــسليم البــشاشة أو زقــا إليّهـا صـدىً مـن جانـب القبر صائح

حتّى يقال: إنّها مرّت يوماً راكبة على ناقة مع بعض حيِّها بقبر توبة الحِميريّ، وهو مجنونها المذكور، فذكروا لها البيتين، وقالوا لها: سلِّمي عليه. فوقفت، وسلّمت عليه، فخرج لها طائر أفزع ناقتها، فألقتها على الأرض، واندقّ رأسها، فماتت ودفنت قريباً منه. والمعنى الآخر لقوله عامر من قولهم: عَمَرَ اللهُ منزِلَكَ عِمَارَةً ، وأَعْمَرَهُ: جعله آهلاً، كذا في القاموس. وقوله (بحبّك): بكسر الكاف: خطاب لليلي المذكورة، أي بمحبّتك. وقوله (مجنون): خبر بعد خبر؛ لأنّ قوله (بوصلكِ): بكسر الكاف أيضاً، والجار والمجرور خبر مقدّم لقوله (طامع): قال في القاموس: «طَمِعَ فيه، وبه، كفرح، طَمَعاً وطَمَاعاً وطَمَاعِيَة: حَرِصِ عليه فهو طامع». وقوله (رأي): أي قلبي. وقوله (نسخة الحسن): أي الجمال الحقيقيّ، ونسخته: ما انتسخ منه. قال في القاموس: «نَسَخَهُ كمنعه: أقام شيئاً مُقامَه، ونَسَخَ

(١) البيتان لتوبة الحميري لا لمجنون ليلى، فالمقصود ليلى الأخيلية كما في تعليق الشارح.

الكتابَ: كَتَبَه عن مُعَارَضَةً كانْتَسَخَهُ واسْتَنْسَخَه، والمَنْقُول: النُّسْخَة بالضمّ».
والنُّسْخَة هنا كناية عن نفس الإنسان الكامل العالم العامل. وقوله (البديع): وصف للحسن/ [٤٣٨/ ب] وهو بمعنى المُبْتَدِع والمُبْتَدَع، كذا في القاموس. أي: بصيغة اسم الفاعل واسم المفعول، وهما له على الحقيقة؛ إذْ هو الخالق، ولا خليقه. وقوله (بذاته): أي في ذاته على معنى التجلّي بصورته في ظاهره وباطنه في جميع مواطنه. وقوله (تلوح): أي تبدو وتظهر تلك النسخة لقلبه في ذاته. وقوله (فلا شيء سواها): أي سوى تلك النسخة المذكورة. وقوله (يطالع): قال في القاموس: «طَالَعَهُ طِلَاعاً ومُطَالَعَةً: اطَّلَعَ عليه». يعني: لا يطَّلِع على شيء سوى النسخة المذكورة، والنشأة المعمورة التي هي بالأنوار القدسيّة مغمورة.

٤٤- فَيَا قَلْبُ شَاهِدْ حُسْنَهَا وَجَمَالَهَا فَفِيهَا لِأَسْرَارِ الجَمَالِ وَدَائِعُ

٤٥- تَنَقَّلْ إلى حَقِّ اليَقِينِ تَنَزُّهَاً عَنِ النَّقْلِ وَالعَقْلِ الذِي هُوَ قَاطِعُ

(فيا قلبُ): الفاء فاء التفريع، دخلت على المنادى الذي هو القلب العامر بالمحبّة، الطامع بالوصال، الرائي لنُسخة الحُسْن الحقيقيّ في المقام التحقيقيّ. وقوله (شاهد): فعل أمر من المشاهدة، وهي المعاينة. وقوله (حُسْنَهَا): أي حُسْنَ ليلى المذكورة. وهو ما يظهر على آثارها. وقوله (وجمالها): وهو مالها من حيث أسماؤها وصفاتها. وقوله (ففيها): أي في ليلى المذكورة. وقوله (لأسرار): جمع سِرّ، وهو ما خفي واستتر. وقوله (الجمال): أي المذكور. وقوله (وَدَائِعُ): جمع وَدِيعَة، يقال: أَوْدَعْتُه مالاً: دفعتُ إليه ما لاً يكون وَدِيْعَةً، [كذا في المصباح] وتلك الأسرار المودوعة فيها، هي العلوم الإلهيّة التي لا نفاد لها، قال تعالى: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾ [٦/الأنعام/ ٥٩] وقوله (تَنَقَّلَ): فعل أمر، يخاطب به القلب. يعني: من علم اليقين ـ مرتبة العوام ـ إلى عين اليقين مرتبة الخواص. وقوله (إلى حقّ اليقين): مرتبة خواص الخواص؛ فإنّ اليقين هو ما نزلت به الكتب، وجاءت به الرسل من الشرائع والأديان، والأخبار الصادقة؛ فالعوام

يعلمونه فقط، والخواص يعاينونه بالكشف عنه فقط، وخواص الخواص يتحقّقون به في ذواتهم، بحيث يكون هو ولا هم؛ لأنّه حقّ مضاف إلى اليقين، وما سواه باطل؛ إذ لا شيء سواه. وقوله (تنزّها): أي تباعداً عن كلّ ما سوى الحقّ تعالى. وقوله (عن النقل): أي نقل اليقين المذكور عن سوى الحقّ تعالى، كما قال بعضهم: أخذتم علمكم ميتاً عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحيّ الذي لا يموت؛ فالنقل هو أخذ العلم ميتاً عن ميّت. وقوله (والعقل) فإنّهم أخذوا علومهم الشرعيّة من نظر عقولهم في شرائعهم. وإنْ كان ذلك مقبولاً منهم؛ فإنّه تعالى لا يكلّف نفساً إلّا وُسعها، وهذا وُسعهم وإنْ كانوا مقصّرين بالنظر لمن أخذ علمه عن الحيّ الذي لا يموت؛ فإنّ ذلك مجرّد ارتفاع همّته، كما قال صلّى الله عليه وسلّم: «همّوا بمعالي الأمور ودعوا سفاسفها»[1] والكلّ على وتيرة واحدة، ولكن لا يستوون، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [٣٩/ الزمر/ ٩]. وقوله (الذي هو قاطع): صفته للعقل؛ فإنّ الناظر بعقله قائم بنفسه، والقائم بنفسه قاطع حبل اتّصاله بقدرة ربّه وإرادته، لاستيلاء الغفلة على قلبه، واستيلاء الغفلة على قلبه لاشتغاله بزخارف الدنيا وزينتها، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

٤٦- فَإِحْيَاءُ أَهْلِ الحُبِّ مَوْتُ نُفُوسِهِمْ وَقُوْتُ قُلُوبِ العَاشِقِينَ مَصَارِعُ

(فإحياء): الفاء للتفريع على ما قبله، والإحياء بكسر الهمزة مصدر أحيا الله الميت. وقوله (أهل الحبّ): أي المحبّة. وقوله (موت نفوسهم): يعني كشفهم واطّلاعهم على موتهم؛ لأنّهم موتى وهم لا يشعرون، كما قال تعالى: ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [١٦/ النحل/ ٢١] فهم يدعون الحياة، لا بل تظهر فيهم دعوى الحياة بخلق الله تعالى ذلك فيهم وهم لا يشعرون/ [٤٣٩/ أ]. وقوله (وقوت

---

(١) انظر تخريجه ص٩١٠.

قلوب العاشقين): أي ما يقتاتون به لتستر أبدانهم وأرواحهم في عشق الجمال المطلق والوجود المحقق. وقوله (مَصَارِع): جمع مَصْرَع، موضع مصدر من صَارَعْتُه فَصَرَعْتُه، صَرْعاً وصِرَاعَاً، الفتح لتميم، والكسر لقيس، كذا في الصحاح. والمَصارع: هي البلايا، والمصائب، والشدائد، تصبر عليها قلوب العاشقين الإلهيين لعلمهم أنّها أفعال محبوبهم، فيتقوّتون بها، وتتربّى بها أحوالهم، ويترقّون بها في المقامات العرفانيّة، والمراتب الذوقيّة الوجدانيّة.

٤٧- وَكَـمْ بَـيْنَ حُـذَّاقِ الجِـدَالِ تَنَـازُعٌ   وَمَـا بَـيْنَ عُـشَّاقِ الجَـمَالِ تَنَـازُعُ

(وكم): اسميّة خبريّة. ومعناها: التكثير. تقول: كم درهمٍ ملكت؟!. فكم هنا خبر مقدّم. (وتنازعٌ): مبتدأ مؤخّر. وقوله (بين حذّاق): جمع حاذق، يُقال: حَذَقَ الصبيُّ القرآنَ والعملَ يَحْذِقُ حِذْقَاً وحَذْقَاً وحَذَاقَةً وحِذاقاً: إذا مَهَرَ، كما في الصحاح. وقوله (الجِدَال): مصدر جَادَلَه، أي: خَاصَمه مُجَادَلَةً وجِدَالاً، والاسم: الجَدَل، وهو: شدّة الخصومة. والمعنى في ذلك: إنّ المَهَرَة من الناس في الجِدَال، والخُصُومَة في العلم، أو في الأموال، أو التجارات، أو المناصب، ونحو ذلك من أمور الدنيا بينهم. وقوله (تنازعٌ): أي منازعة ومخاصمة كثيرة لا ينفكّون عنها بظواهرهم، أو بواطنهم، أو كالحسد، والبغض، والعداوة، والكبر، إلى غير ذلك. وهذه الأمور كلّها إنّما نشأت فيهم من دعاوى نفوسهم، وتراكم الغفلات عن الله تعالى في قلوبهم، وصرف عقولهم إلى ملاحظات الدنيا وما فيها، فلا يذكرون الله إلّا قليلاً. وقوله (وما بين عشّاق الجمال): الإلهيّ الظاهر على كلّ شيء، لأنّ كلّ شيء أثر من آثار أسماء الله تعالى. وقوله (تنازع): أي تخاصم، قال في الصحاح: «نَازَعْتُه مُنَازَعَة إذا جَاذَبْتُه في الخُصُومَة، وبينهم نِزَاعَة، أي: خُصُومَة في حقّ. والتَنَازُع: التخاصم». يعني: إنّ العشّاق الإلهيين لا منازعة بينهم في أمر من الأمور أصلاً: في علم، ولا دنيا، ولا حال، ولا قال؛ بل كلّهم على قلب واحد في

ذلك، يجد كلّ منهم ما يجده الآخر من ذلك، وأمّا في أذواقهم، ووجدانهم، ومداركهم، وعلومهم الإلهيّة العرفانيّة؛ فهم متفاوتون في ذلك، فبعضهم فوق بعض، كما قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [٥٨/ المجادلة/ ١١] وقال تعالى في شأن الرسل: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٥٣]؛ فإذا اختلفوا كان اختلافهم في تنازع الأسماء الإلهيّة من حيث أنّهم آثارها للتقابل الذي فيها كمظاهر الاسم، والمعطي تقابل الاسم المانع، ومظاهر الاسم القابض لمظاهر الاسم الباسط، وهكذا بالعكس من ذلك. وجميع مظاهر الأسماء الإلهيّة على نظير ذلك، فليست المنازعة والمجادلة بينهم كالمنازعة، والمجادلة بين أهل النفوس وأرباب الغفلات؛ لأنّ ذلك في الآثار لا في المؤثّرات، والفارق: العلم الوجداني والذوق الربّاني، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [٢٩/ الزمر/ ٩] فإنّما يتذكّر الفرق العظيم بينهما أصحاب لبوب العقول المتّصفون بحقائق الوصول.

٤٨- وَصَاحِبْ بِمُوسَى العَزْمِ خِضْرَ وَلَائِهَا فَفِيـــهِ إِلى مَـــاءِ الحَيَـــاةِ مَنَـــافِعُ(١)

٤٩- فَأَنْـــتَ بِهَـــا قَبْـــلَ الفِـــرَاقِ مُنَبَّـــأٌ بِتَأْوِيـــلِ عِلْـــمٍ فِيـــكَ مِنْـــهُ بَـــدَائِعُ

(وصاحب): فعل أمر من المصاحبة قال في القاموس: «صَحِبَه كسَمِعَه صَحابَة، ويُكْسَرُ، وصُحْبَة: عاشره». والمعنى هنا بالمُصاحَبَة: الملازمة من الجانبين. وقوله (بموسى): النبي عليه السلام. وقوله (العزم)مضاف إليه أي: بالعزم الذي هو كعزم موسى عليه السلام، وهو العزم/ [٤٣٩/ ب] الإلهيّ في المقام الإلهيّ، قال تعالى حكاية عنه أنّه قال: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [٢٠/ طه/ ٨٤] وهو العزم المقتضي لرضوان الله تعالى، وقال في القاموس: «عَزَم على الأمر يَعْزِمُ عَزْماً، ويُضَمّ: أراد فعله، وقَطَعَ عليه، أو جَدَّ في الأمر». وموسى عليه السلام من أولي

(١) في (ق): منابع.

العزم. وأولوا العزم من الرسل: الذين عزموا على أمر الله فيما عهد إليهم، هم: نوح وإبراهيم وموسى ومحمّد عليه السلام. وقال الزمخشري: «أولو الجِدّ والثّبات والصَبر، أو هُم: نوح وإبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف وأيوب وموسى وداوود وعيسى عليهم السلام». وقوله (خِضْرَ وَلائها): الوَلاء بفتح الواو: المِلْك، والصُحْبَة، والربوبيّة، والضمير لليلى المذكورة. وخِضْر، بكسر الخاء المعجمة وسكون الضادّ المعجمة. ويقال بفتح الخاء وكسر الضاد المعجمتين، قال في القاموس: «خَضِر ككَبِد، وكِبْد: أبو العبّاس [عمّ] النبي عليه السلام. والمعنى: داوم بعزمك مشاهدة ملك الحقّ تعالى لك، وصحبته، وربوبيّته، ولازم ذلك المشهود، ولا تغفل عنه. وقوله (ففيه): أي في ذلك الوَلاء المذكور، وملازمته بالعزم الشديد. وقوله (إلى ماء الحياة): الأبديّة التي لا موت معها؛ وإنّما معها الشهادة بالانتقال من عالم الدنيا إلى عالم البرزخ، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [٣/ آل عمران / ١٦٩] وسبيل الله : طريق معرفته؛ لأنّ فيها غزاة النفوس الأمّارة بالسوء، وهي العدوّ الباطن، أشدّ عناداً لقبول الحقّ من العدو الظاهر. ولهذا قال بعضهم: رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر. يعني: من جهاد الكافرين إلى جهاد النفوس الأمّارة بالسوء، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾. وقوله (منافع): جمع مَنْفَعَة، وهي الاسم من النفع كالمنع، وقد انْتَفَعَ يَنْتَفِعُ نَفْعاً. وقال في الصحاح: النَفْعُ ضدّ الضُرُّ، يقال: نَفَعْتُهُ بِكَذا فانْتَفَعَ به، والاسم: المَنْفَعَة. وقوله (فأنت): أي يا أيّها السالك في طريق الله تعالى. وقوله (بها): أي بالحياة التي تشرب ماءها بالعزم الموسوي من الولاء الخِضْري أو بليلى المحبوبة المذكورة. وقوله (قبل الفراق): أي الموت، فَارَقْتُه مُفَارَقَة وفِرَاقاً، والفُرْقَة اسم منه، كذا في الصحاح. وهو مُفَارَقَة الدنيا إلى عالم البرزخ. وقوله (مُنَبّاً): بتشديد الباء الموحّدة مفتوحة، اسم مفعول من البناء، وهو الخبر. وقوله (بتأويل): من أَوَّل الكلامَ تَأْوِيلاً، وتَأَوَّلَه: دَبَّره وقَدَّره وفَسَّرَهُ ،كذا

في القاموس. وقوله (عِلْمٍ): تنكيره للتعظيم، وهو العِلْم الربّانيّ، والتحقيق العرفانيّ. وقوله (فيكَ): أي كأين ذلك العلم، من نشأتك الظاهرة، وخلقتك الباطنة الباهرة، كما قيل ممّا ينسب إلى الإمام عليّ كرّم الله وجهه:

دواؤك فيك أما تبصر ... وداؤك منك أما تشعر

وأنت الكتاب المبين الذي ... بأسطره يظهر المضمر

أتزعم أنّك جرم صغير ... وفيك انطوى العالم الأكبر

وقوله (منه): أي من ذلك العلم. وقوله (بدائع): من أَبْدَعْتُ الشيءَ: اخترعته لا على مثال، وأبدع الشاعر: جاء بالبديع. والمعنى في ذلك: العلوم الإلهيّة التي لم تظهر بعد من أحد، والمعارف الربانيّة الغريبة العجيبة، والحكم والأسرار.

٥٠- لَقَدْ بَسَطَتْ فِي بَحْرِ جِسْمِكَ بَسْطَةً ... أَشَارَتْ إِلَيْهَا بِالْوَفَاءِ أَصَابِعُ

٥١- فَيَا مُشْتَهَاهَا أَنْتَ مِقْيَاسُ قُدْسِهَا ... وَأَنْتَ بِهَا فِي رَوْضَةِ الحُسْنِ يَانِعُ

٥٢- فَقَرِّي بِهِ يَا نَفْسُ عَيْناً فَإِنَّهُ ... يُحَدِّثُنِي وَالْمُؤْنِسُونَ هَوَاجِعُ

(لقد بَسَطَتْ): أي الحياة المذكورة في البيت قبله، أو ليلى المحبوبة السابق ذكرها، وبَسَطَ الشيءَ: نَشَرَهُ، وبالصاد أيضاً. والبَسْطَة: السَّعَة، وانْبَسَطَ الشيءُ على الأرض وفلان/ [٤٤٠/ أ] بَسَطَ الجسم والباع، كذا في الصحاح. وقوله (في جسمك): أي جسمك، أي: في البحر الذي هو جسمك، والخطاب للسالك في طريق الله تعالى. وقوله (بَسْطَةً): أي زيادة سَعَة، قال تعالى: ﴿وَزَادَهُۥ بَسۡطَةً فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٤٧] بأنّ أوسع عليه طريق العرفان وسبيل الوجدان، ورِزق الأبدان. وقوله (أشارت إليها): أي تلك البسطة. وقوله (بالوفاء): أي بالتمام والزيادة، قال في الصحاح: «وَفَى الشيءَ وَفِياً على فعول، أي: تَمَّ وكَثُر. والوَفِيّ: الوَافِي، وأَوْفَاهُ حقّه ووَفّاه بمعنى، أي: أعطاه وافِياً». وقوله (أصابع): فاعل أشارت، وتنكيرها للتكثير، يقال: شيء عظيم يشار إليه

بالأصابع، يعني: لعظمه وزيادة شرفه. وفي ذكر الوفا والأصابع إشارة إلى ما يعرف من زيادة النيل ووفائه، وهو في مصر مشهور. وقوله (فيا مُشتهاها): أي مشتهى تلك الحياة المذكورة، أو ليلى المحبوبة المذكورة. والمُشتهى منها هو قُربها ووصالها. والمُشتهى: اسم فاعل من شَهِيَهُ كرَضِيَهُ ودعاه، واشْتَهَاهُ وتَشَهَّاهُ: أَحَبَّه ورَغِبَ فيه كذا في القاموس. وقال في الصحاح: «الشَهْوَة معروفة وطعام شهيّ، أي مُشْتَهَى». والكناية بمُشتهاها إلى مرادها الذي تحبّه من السالكين العارفين بها، أو هي نفسها، وهو أقرب، والإشارة هنا بالمُشتهى إلى مكان في مصر معروف يدخل إليه النيل وهو منتزه. وقوله (أنت): خطاب للمشتهى المذكور. وقوله (مقياس): من قِسْتُ الشيءَ بغيره وعلى غيره، أَقِيْسُ قَيْسَاً وقِيَاساً فَانْقَاسَ: إذا قَدَّرْتُه على مثاله، وفيه لغة أخرى: وقُسْتُهُ أَقُوْسُهُ قَوْسَاً ومِقْيَاساً. والمِقْدَار مِقْيَاس، كما في الصحاح. والإشارة بالمقياس إلى مكان في مصر العتيقة فيه عمود منصوب، يُعرَف به مقدار زيادة النيل ونقصانه. وقوله (قُدْسُهَا): أي قُدْس الحياة المذكورة، أو قُدْس ليلى المذكورة. والقُدْس بالسكون وبالضمّ: الطُّهر، اسم ومصدر، ومنه قيل للجَنَّة حَظِيرة القُدْس. وروح القُدُس: جبريل عليه السلام، والتَّقْدِيسُ: التَطْهِير، وتَقَدَّسَ: أي تَطَهَّر. والأرض المُقَدَّسَة: المُطَهَّرَة، كذا في الصحاح. والطَهَارَة: التنزيه عمّا لا يليق. وقوله (وأنت): خطاب للمشتهى أيضاً. وقوله (بها): أي بالحياة المذكورة، أي: بليلى المذكورة. وقوله (في روضة الحسن يانع): يَنَعَتْ الثِمار يَنْعَاً، من بابَيْ نفع وضرب: أَدركَتْ، والاسم: اليُنْع، بضمّ الياء التحتيّة وفتحها. وأينَعَتْ ـ بالألف ـ مثلُه، وهو أكثرُ استعمالاً من الثلاثي، كذا في المصباح. وكون المُشتهى يانعاً في روضة الحسن والجمال بسبب الحياة الإلهيّة المذكورة، أو بليلى المحبوبة المذكورة. كناية عن حصول جميع المطالب، والتمتّع بالنعيم في جنّة الرغائب والغرائب، قال تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [٤٣/ الزخرف/ ٧١]. وقوله (فقَرِّي): الفاء للتفريع عمّا

قبله. وقَرِّي بفتح القاف: فعل أمر لخطاب المؤنّث، قال في المصباح: «قَرَّت العينُ قُرَّةً ـ بالضمّ» وقُرُوراً: بَرَدَتْ سُروراً، وأَقَرَّ الله العينَ بالولد وغيره إقراراً في التعديّة. وقوله (به): أي بالمُشتهى. وقوله (يا نفس): ينادي نفسه العارفة بربّها معرفة ذوقيّة وجوديّة وجدانيّة. وقوله (عَيْناً): تمييز منصوب. وذلك هو التحقّق بالنفس المطمئنّة، ذوقاً، ووجداناً، لا علماً وتخيلاً عقليّاً؛ فتحسّ النفس بالقائم عليها بما كسبت في الخير والشرّ من تجلّي اسمه الهادي واسمه المضل، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [١٣/ الرعد/ ٣٣] وقال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [٩١/ الشمس/ ٨]. وقوله (فإنّه): أي المُشتهى المذكور بالمعنى المسطور. وقوله (يحدّثني من): من الحديث، وهو الكلام، قال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «ذروا العارفين المحدَّثين من أمّتي، لا تنزلوهم الجنّة ولا النار حتّى يكون الله هو الذي يقضي فيهم يوم/ [٤٤٠/ أ] القيامة»[1] رواه الخطيب في التاريخ عن علي كرّم الله وجهه، قال المناويّ في شرحه: «المُحَدَّثِين بفتح الدال المهملة: اسم مفعول جمع مُحَدَّث، أي: ملهم، وهو مَنْ أُلقِيَ في نفسه شيء على وجه الإلهام والمكاشفة من الملأ الأعلى. قال: والذي يظهر أنّ المراد بهم المجاذيب ونحوهم الذين يبدو منهم ما ظاهره يخالف الشرع، فلا يتعرّض لهم بشيء، ويُسلَّم أمرُهم إلى الله تعالى». وقوله (والمؤنسون): جمع مُؤْنِس، بصيغة اسم الفاعل، من: أَنِستُ به إنْساً، من باب علم. وفي لغة من باب ضرب، والأُنس: اسم منه، واستَأنَستُ به وتَأَنَّستُ: إذا سكن القلب، ولم ينفر كذا في المصباح. والمعنى بالمؤنسين: من يستأنس بهم من الناس. وقوله (هواجع): جمع هاجع، من الهجوع، قال في المصباح: «هَجَعَ يَهْجَعُ ـ بفتحتين ـ هُجُوعاً: نامَ بالليل، قال ابن

---

(١) ذكره السيوطيّ في جمع الجوامع،١٢٦٧٢، عن عليّ رضي الله عنه. ورواه الخطيب البغداديّ في تاريخ بغداد٨/ ٢٩٢. كما أخرجه ابن عدي في الكامل في الضعفاء ٩٦٦، ترجمة طاهر بن خالد ابن نزار بن مغيرة.

السكِّيت: ولا يُطلَق الهجوع إلّا على نوم الليل»، قال تعالى: ﴿كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ﴾ [/ الذاريات/ ١٧] وجاء بعد هَجْعَة، أي: بعد نومة من الليل. يعني: إنّ المؤنسين له في ظلمة ليل الأكوان، من أهله، وأصحابه، وأحبابه على زعمهم أنّهم مؤنسون له يتحدّثون معه، وعنده أنّ المؤنس له هو الحقّ الظاهر له بمظاهرهم وهم لا يشعرون؛ لأنّهم نائمون بنوم الغفلة، والدعاوى النفسانيّة.

٥٣- فَهَا أَنْتِ نَفْسٌ بَالعُلَا مُطْمَئِنَّةٌ وَسِرُّكِ فِي أَهْلِ الشَّهَادَةِ ذَائِعُ

(فها): الفاء للتفريع على ما قبله. وها كلمة تنبيه، وتدخل في ذَا وذِي، تقول: هذا وهذه، كذا في القاموس. وقوله (أنتِ نَفْسٌ بالعُلا): بالضمّ، جمع عُليا بالضمّ والقصر: علا الشيء. يعني: بالمراتب العالية والمقامات السامية. وقوله (مُطْمَئِنّةٌ): صفة لنفس، يقال: اطْمَأَنَّ القلبُ: سَكَنَ ولم يقلق. والاسم: الطُّمَأْنِينَة، واطْمَأَنَّ بالموضع: أقام به واتخذه وطناً، كما في المصباح. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي﴾ [٨٩/ الفجر/ ٢٧-٣٠]. ورجوعها إلى ربّها كناية عن تجلّيه بها لها، وظهوره وانكشافه بها له، ودخولها في عبادة اتّحادها بهم وبنفوسهم من حيث النفس الكليّة، والروح الكلّيّ الأمريّ، ودخولها جنّته، وقيامها به على الكشف والعيان في حضرات أسمائه وصفاته بملابس الآثار والأكوان. وقوله (وسِرُّكِ): بكسر الكاف خطاب لنفسه المذكورة، والسِّرّ ما يُكتَم، وهو خلاف الإعلان، والجمع أسرار، وهو الأمر الوجدانيّ الذي يجده قلب العارف بربّه، المتحقّق ما لا يمكنه التعبير عنه، عجزاً عن بيانه، كالوجدانيّات من إدراك الحرّ والبرد والجوع والعطش، ونحو ذلك. وقوله (في أهل الشَّهادة): أي بينهم، والشَّهادَة من شَهِدتُ الشيءَ: اطَّلَعتُ عليه وعاينته؛ فأنا شاهد، وشَاهَدتُه مُشَاهَدَة، مثل: عاينتُه مُعَايَنَةٌ وزناً ومعنى، وشَهِدتُ المجلسَ: حضرتُه فأنا شاهدٌ وشهيدٌ أيضاً، كذا في المصباح. وأهل الشَهادَةِ هنا كناية عن

العارفين بربّهم، المشاهدين لتجلّياته في أنفسهم وفي غيرهم. وقوله (ذائع): بالذال المعجمة، من ذَاعَ الحديثُ ذَيْعاً وذُيُوعاً: انتشر وظهر، وأذعته: أظهرته، كما في المصباح. وإذا كان سرّ النفس ذائعاً بين أمثاله من العارفين المحقّقين كان ذلك زيادة شرف في حقّه، وكمال طمأنينة في مقامه بلا منازعة بينهم في مشاهدتها أينما كانوا، قال القائل منهم:

مـا في محبّتهـا ضـدّ أضـيق بـه هـي المدام وكـلّ النـاس نـدماني

نعم ولم يخصّص أهل شهادة من أهل غيبة.

٥٤- لَقَدْ قُلْتَ فِي مَبْدا أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ بَلَى قَدْ شَهِدْنَا وَالوَلَا مُتَتَابِعُ/ [١٤٤/أ]

٥٥- فَيَا حَبَّذَا تِلْكَ الشَّهَادَةُ إِنَّهَا تُجَادِلُ عَنِّي سَائِلِي وَتُدَافِعُ

٥٦ - وَأَنْجُو بِهَا يَوْمَ الوُرُودِ فِإِنَّهَا لِقَائِلِهَا حِرْزٌ مِنَ النَّارِ مَانِعُ

٥٧- هِيَ العُرْوَةُ الوُثْقَى بِهَا فَتَمَسّكِي وَحَسْبِي بِهَا أني إِلَى اللهِ رَاجِع

(لقد قلت في مبدا): بالقصر، وأصله بالهمز، قال في الصحاح: «بَدأتُ بالشيءِ بَدْءاً: ابْتَدَأتُ به، وبدأتُ الشيءَ: فعلته ابْتِدَاءً». قوله (ألست بربّكم): وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف/ ١٧٢] الآية. وقوله (بلى): مقول قول (لقد قلت). وقوله (قد شهدنا): أي عرفنا وتحقّقنا بمشاهدة ومعاينة أنّك ربّنا، أي: مالكنا المصاحب لنا الذي لا ينفك عن تأثيرات أسمائه وصفاته من حضرة ربوبيّته المقتضية لتربيتنا على طبق ما في علمه القديم. وقوله (والوَلاء): بالفتح الملك والنصر والاستيلاء. وقوله (متتابع): أي لا ينقطع، وهو المدد الإلهيّ والسرّ الربّانيّ الدائم الإمداد. وقوله (فيا حبّذا): الفاء للتفريع، وحبّذا يقال: حبّذا الأمر، أي: هو حبيب، جعل حبّ وذا كشيء واحد، وهو اسم، وما بعده مرفوع به، ولزم ذا حبّ، وجرى

كالمثل، بدليل قولهم في المؤنّث: حبذا المرأة، لاحبّذه، كذا في القاموس. وقوله (تلك الشهادة): أي التي أشهدني إيّاها ربّي يوم أخذ الميثاق، وبقيت معي إلى الآن، وهي شهادة الحقّ من قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [٣/ ال عمران/ ١٨]. وقوله (إنّها): تلك الشهادة. وقوله (تجادل عنّي): يقال جادل مجادلة، وجدلاً إذا خاصم بما يشغل عن ظهور الحقِ، ووضوح الصواب. هذا أصله، ثمّ استُعمل على لسان جملة الشرع في مقابلة الأدلّة لظهور أرجحها، وهو محمود إنْ كان للوقوف على الحقّ، وإلّا فمذموم، كذا في المصباح. وقوله (سائلي): مفعول تجادل، أي: تخاصم عنّي من يسائلني في الدنيا، فتلهمني الجواب بطريق الفيض، أو ترد السائل عنّي مخذولاً مدحوراً، أو تكفيني فتنة سائل القبر في عالم البرزخ الأُخروي. وقوله (وندافع): من دَافَعْتُ عنه، مثل: حاجَجت، وتَدَافَع القومُ: دفع بعضُهم بعضاً، ودَفَعْتُه دَفْعاً: نَحَّيْتُه، فاندفع. ودَفَعْتُ عنه الأذى، كما في المصباح. وقوله (وأنجو): من النَّجاة، وهي السلامة. وقوله (بها): أي بتلك الشهادة المذكورة. وقوله (يوم الورود): يقال وَرَدَ البعيرُ وغيرُهُ الماءَ يَرِدُهُ وُرُوْداً بَلَغَه ووافاه، وقد يحصل دخول فيه، وقد لا يحصل، كذا في المصباح. والمعنى: في ذلك يوم الورود على الحقّ تعالى بانكشاف الحجاب المطلق، وفتح الباب المغلق، وانطواء الدنيا بأوهامها، وظهور عالم الآخرة، وانتشار أعلامها. وقوله (فإنّها): أي الشهادة المذكورة. وقوله (لقائلها): أي المتكلِّم بها من حيث أنّها كلمة ذات حروف وأصوات. وقوله (حِرز): بكسر الحاء المهملة والراء المهملة بعدها زاي، قال في المصباح: «الحِرْز المكان الذي يُحْفَظ فيه، والجمع: أَحْراز، مثل: حِمْل وأَحْمَال، وَأَحْرَزْتُ المتاع: جعلته في الحِرْز». ويقال: حِرْز حَرِيْز للتأكيد، كما يقال: حِصْن حَصِين. وقوله (من النار): أي نار الدنيا، وهي الكفر والمعاصي، ونار الآخرة، وهي الجزاء على ذلك. وقوله (مانعٌ): وصف لِحِرْز، كما ورد: «لا إله إلّا الله حصني، فمن قالها دخل حصني، ومن دخل

حصني أَمِن عذابي»[1] . وقوله (هي): أي الشهادة المذكورة. وقوله (العُرْوَة): هي من الدَّلْو والكُوْز: المَقْبِض، ومن الثَّوْب أُخْتُ زِرِّه، كذا في القاموس. وجمعها: عُرَى، مثل: مدية ومدى. وقوله صلّى الله عليه وسلّم: «وذلك اوثق عُرى الإيمان»[2] على التشبيه بالعُرْوَة التي يُستَمسَك بها ويُستوثق بها، كذا في المصباح. وقوله (الوثقى): تأنيث الوثيق، من وَثُقَ الشيءُ بالضمِّ وَثَاقَة: قَوِيَ وثَبَتَ؛ فهو وَثِيق، ثَابِت، مُحْكَم، وأَوْثَقْتُه:/ [٤٤١/ أ/ ب] جعلتُه وَثِيقاً، كما في المصباح، قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [٣/ البقرة/ ٢٥٦]. وقوله (بها): أي بالشهادة المذكورة، وتقديم الجار والمجرور للحصر. وقوله (فتَمَسَّكِي): مخاطبة لنفسه المتقدّم ذكرها. وقوله (وحَسبي): أي يكفيني بها، أي بالشهادة المذكورة، وقوله (أني إلى الله راجع): تقديم الخبر مؤذن بالحصر، أي: لا إلى غيره تعالى راجع، قال تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٤٥] وقال تعالى: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [٣/ آل عمران/ ١٠٩] وقال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [٢/ البقرة٢٨١] والرجوع إلى الله سبحانه بالشهادة أشرف شيء في مقام السعادة.

٥٨- فَيَا رَبِّ بِالخِلِّ الحَبِيبِ مُحَمَّدٍ ... نَبِيِّكَ وَهْوَ السَّيِّدُ المُتَوَاضِعُ

٥٩- أَنِلْنَا مَعَ الأَحْبَابِ رُؤْيَتَكَ التِي ... إِلَيْهَا قُلُوبُ الأَوْلِيَاءِ تُسَارِعُ

٦٠- فَبَابُكَ مَقْصُودٌ وَفَضْلَكَ زَائِدُ ... وَجُودُكَ مَوْجُودٌ وَعَفْوُكَ وَاسِعُ

(فيا ربّ): الفاء فصيحة في الكلام. وقوله (بالخِلّ): متعلّق بأنلنا في البيت بعده، قُدِّم عليه للحصر والاهتمام، والتقدير: بحرمته عندك، وخِلَّته ومحبّته أنلنا.. إلى آخره. وجمعه كالخليل، أخلاء وخُلّان، كذا في القاموس. وقوله (الحبيب):

---

(١) ذكره السيوطيّ في جامع الأحاديث ، باب: حرف القاف، ١٤٩٨٩، عن ابن النجار عن علي.

(٢) أخرجه الطيالسيّ في مسنده، مسند البراء بي عازب، باب: أي عرى الإيمان أوثق؟ ٧٧٦.

الألف واللام فيهما للعهد. وقوله (بمُحمَّد): بدل من الخِلّ، أو عطف بيان، وهو اسم نبيّنا محمّد صلّى الله عليه، وقوله (نبيّك): أي الذي جعلته نبيّاً، فعيلاً بمعنى مفعول من النبأ، وهو الخبر، أي: أخبرته بوساطة الملائكة، أو بغير وساطة، أو فعيل، بمعنى فاعل، أي: مخبر عنك، أو من النبوّة، بمعنى الرفعة، أي: الذي رفعت مقامه لديك على كلّ مقام. وقوله (وهو السيِّد): بكسر الياء المثنّاة التحتيّة، وتشديدها، من سَادَ يَسُودُ سِيادَة، والاسم السُّؤْدُد، وهو المجد والشرف، فهو سيِّد، والأُنثى سَيِّدَة بالهاء، كذا في المصباح. وتعريف الخبر يفيد الحصر، مثل قولك: زيد الرجل، أي لا رجل غيره. يعني: انحصرت فيه جميع صفات الرجوليّة، وقوله (المتواضع): يقال تواضع لله : خشع وذَلَّ، كما في المصباح. وقال في القاموس: «تَواضَع تَذَلَّلَ وتَخَاشَع». يعني: إنّه متذلل لله تعالى، متخاشع له، قال صلّى الله عليه وسلّم: «من تواضع لله رفعه الله»[1] رواه أبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة رضي الله عنه. وقوله (أنلنا): يقال: نَال من عَدوِّه يَنَال، من باب تعب، نَيْلاً: بَلَغ منه مَقصوده. ومنه قيل: نال من امرأته ما أراد، ونال من مطلوبه، ويتعدّى بالهمزة إلى اثنين فيقال: أَنَلتُه مَطلوبه فَنَالَه، كذا في المصباح. وقوله (مع الأحباب): أي أحبابك، جمع حبيب، وهم الأولياء العارفون بربّهم، وورثة الأنبياء والمرسلين في مقام القرب ومراتب اليقين. وقوله (رؤيتك): أي رؤية الحقّ تعالى التي وعد بها عباده المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [٧٥/ القيامة/ ٢٢-٢٣] وقال صلّى الله عليه وسلّم: «سترون ربّكم كما ترون القمر ليلة البدر»[2]، وفي رواية: «كما ترون الشمس في الظهيرة» وهذه الرؤية الأُخرويّة حقّ في مذهب أهل الحقّ، لا ندري الآن على أي وجه تكون، قال الشيخ الأكبر قدّس

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنّفه، ٧، ٤٧٩/٩.كما أخرجه أبو نعيم في الحلية، كتاب معرفة الصحابة، باب: من اسمه أوس، ٩١٤.

(٢) انظر تخريجه ص٢٧١.

الله سرّه في «كتاب إنشاء الجداول والدوائر»: «لكلّ شيء في الوجود أربع مراتب إلّا الله تعالى؛ فإنّ له في الوجود المضاف إلينا ثلاث مراتب، المرتبة الأولى: وجود الشيء في عينه، وهي المرتبة الثانية بالنظر إلى علم الحقّ تعالى بالمحدث. المرتبة الثانية وجوده في العلم، وهي المرتبة الأولى بالنظر إلى علم الله تعالى بنا. والمرتبة الثالثة وجوده في الألفاظ. والمرتبة الرابعة وجوده في الرقم، ووجود الله سبحانه وتعالى بالنظر إلى علمنا على هذه المراتب ما عدا مرتبة العين، هذا هو الإدراك الذي حصل بأيدينا اليوم، ولا أدري إذا وقعت المعاينة البصريّة/[٤٤٢/أ] المقررة في الشرع هل يحصل في نفوسنا إثبات، أو مزيد وضوح في جنس العلم الذي بأيدينا اليوم منه في علمنا به سبحانه وتعالى؛ فإن كان كذلك فليس له إلّا ثلاث مراتب، وإنْ كان يوجب النظر إثباتاً في الدار الآخرة حيث وقعت المعاينة لمن وقعت، فصفّه بالمرتبّة الرابعة فتحقّق هذه الإشارات في علمنا بالله تعالى؛ فإنّها نافعة في الباب». ثمّ قال قدّس الله سرّه في كتابه المذكور بعد حصّة منه: «وعلى التحقيق ما تعلّق علم العالمين به سبحانه وتعالى إلّا من حيث الوجود إنْ حقّقت النظر حتّى تقع الرؤية إنْ شاء الله تعالى حيث قدّرها بمزيد الكشف والوضوح، فمن جهة أنّه لا إله إلّا الله قلنا عرفنا الله تعالى. ومن جهة الحقيقة كعلمنا بأنّ الجوهر الذي لا ينقسم المتحيِّز القابل للأعراض لم يعرف، ولهذا لا تجوز الفكرة في الله سبحانه وتعالى؛ إذ لا تعقل له حقيقة، فيخاف على المفكر في ذاته من التمثل والتشبيه؛ فإنّه لا ينضبط ، ولا ينحصر، ولا يدخل، تحت الحدّ والوصف؛ وإنّما يفكّر في أفعاله ومخلوقاته»، وله قدّس الله سرّه من أبيات قوله:

ونــدرك منــه في أتــمّ صــفاتنا — كما يدرك الخفاش من باهر الشمس

وقوله (التي): صفة للرؤية. وقوله (إليها): أي إلى هذه الرؤية المذكورة، والجار والمجرور متعلّق بتسارع، قدّم للحصر والاهتمام. وقوله (قلوب): جمع قلب، ولم يقل عيون؛ لأنّها في الدنيا رؤية بالقلب، وهي العلم به تعالى السابق ذكره، وأمّا

رؤية البصر فهي الموعود بها في الآخرة. وقوله (الأولياء): جمع وَلِيّ، فعيل بمعنى فاعل. ومنه: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [٢/ البقرة/ ٢٥٧] أي: مدبّرهم، وقائم بهم، وكلّ من قام بشيء أو ولي أمر أحد، فهو وليه، والجمع أولياء. وقد يطلق الوليّ على الناصر، وحافظ البيت، والصديق؛ ذكراً كان أو أنثى، وقد يؤنّث بالهاء، فيقال: هي وليّة. قال أبو زيد: سمعتُ بعض بني عقيل يقول: هُنَّ وَلِيَّات الله وعَدُوَّات الله، وأَولياؤه وأعداؤه. ويكون الوليّ بمعنى مفعول في حَقِّ المطيع فتقول: المُؤمن وليّ الله ، كذا في المصباح. وقوله (تسارع): أي تبادر، قال في المصباح: «سارع إلى الشيء بادر إليه»؛ فإنّ من شأن الأولياء أنّهم يحبّون ربّهم فيسارعون إلى رؤيته كما يسارعون إلى طاعته. وقوله (فبابك): الفاء فصيحة في الكلام. والخطاب للحقّ تعالى، والباب الذي يدخل منه تعالى، وليس إلّا متابعة نبيّه محمّد صلّى الله عليه وسلّم، فيما جاء به عن ربّه، والمتابعة سبب المحبّة تعالى للعبد. وهي الباب الثاني قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [٢/ آل عمران/ ٣١] الآية. ومحبّة الله تعالى للعبد سبب لتجلّيه عليه به، وانكشافه له، قال صلّى الله عليه وسلم في الحديث القدسيّ: «لا يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتّى أحبّه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به»[1] الحديث، وهو الباب الثالث. وقوله (مقصود): أي تقصده جميع القلوب، وتتمنّى الدخول منه إليه تعالى، فلا تعيقه إلّا الشهوات، ومقارفة الذنوب. وقوله (وفضلك): أي كرمك وعطاؤك. وقوله (زائد): أي لا يمكن حصره. وقوله (وجودك): يقال جَادَ الرجلُ يَجُود من باب قال، جُوْداً بالضمّ: تكرَّم، فهو جَوَاد، والجمع: أجواد، وجاد بالمال: بذله كما في المصباح. وقوله (موجود): أي ثابت محقّق ظاهر على كلّ شيء من العوالم. وقوله (وعفوك): يقال عفا الله عنك: أي محا ذنوبك، وأصله: عَفَا المنزل يَعْفُو

---

(١) انظر تخريجه ص١٤٦.

عَفْواً وعُفُوّاً وعَفَاءً، بالفتح والمدّ: دَرَسَ، وعَفَتْهُ: الريح يستعمل لازماً ومتعدّياً، كذا في المصباح. وقوله (واسع): أي عام، كثير، شامل لكلّ شيء، وهو الرحمة الواسعة، قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٥٦] حتّى نُقل عن سهل بن عبد الله التستريّ قدّس الله سرّه أنّه قال:/ [٤٤٢/ ب]: «اجتمعتُ بإبليس فقال لي: يا سهل، ألم تعلم بأنّي شيء، قال: فقلت بلى، قال: والله تعالى يقول: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [٧/ /الأعراف/ ١٥٦] وأنا من جملة ما وسعته الرحمة. فسكت ثمّ ظننت أنّي ظفرت عليه بالحجّة فقلت له: أكملها؛ فإنّ تعالى يقول: بعدها ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٥٦] وأنت لست منهم فقال لي: القيد صفتك لا صفته؛ فأسكتني». وفي شرح رسالة العضد الشيرازيّ للجلال الدواني وحواشيه ما يقتضي جواز العفو حتّى عن الشرك والكفر عقلاً، وإنّ الله تعالى لا يجب عليه شيء، والوعيد في ذلك للزجر، ومعناه الإنشاء، لا الإخبار، فلا يلزم من تخلّفه، وعدم وقوعه الكذب في الأخبار الواردة في ذلك، ولنا رسالة مستقلّة في تحقيق ذلك، والله الأعلم والأحكم[1].

---

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: «بلغ».أي: بلغ مقابلة وسماعاً على المؤلّف رضي الله عنه عنّا ووالدينا.

السُّلوانُ والغرامُ

ومِمّا يُنسب إليه، أي: الشيخ عمر بن الفارض صاحب هذا الديون قدّس الله سرّه ـ هذه القصيدة، وهي، أي: هذه القصيدة الرائيّة الآتي ذكرها للبهاء، أي: بهاء الدين زهير[1]، بصيغة التصغير، تصغير زهر، قال في المصباح: «زَهْرُ النباتِ: نَوْره، بالفتح، الواحدة: زَهْرَة مثل: تَمْر وتَمْرَة. وقد تفتح الهاء. قالوا: ولا يُسمَّى زَهْراً حتّى يتفتح. وقال ابن قتيبة: حتّى يصفرَّ». وهذا الشاعر مشهور، له ديوان معروف، وكان كاتب الإنشاء للسلطان صلاح الدين عليه الرحمة. وحيث احتمل أنّ هذه القصيدة للشيخ عمر بن الفارض قدّس الله سرّه، نشرحها من جملة الديوان، لنحظى ببركة الناظم على كلّ حال، خصوصاً وإمامهم الحقّ واحد. وإنْ كانت الصور متعددة؛ فإنّ المتجلّي بها هو الحقّ سبحانه من تجلّي اسمه الخالق البارئ المصوِّر، له الأسماء الحسنى، لا إله إلّا هو، إليه المصير. والله تعالى أعلم بحقائق الأمور، والمتكلّم في الحقيقة واحد؛ ولكنّه من خلف الستور. قال الناظم:

[مجزوء الكامل]

١ - غَيْرِي عَلَى السُّلْوان قَادِرْ   وَسِوَايَ فِي العشّاق غَادِرْ

(غيري): يعني من أهل الغفلة والحجاب الذين تعلّقهم القلبي بالمعاني النفسانيّة، أو بالمركّبات من عناصر التراب. وقوله (على السلوان): مصدر سَلَاه،

---

(١) هو زهير بن محمّد بن علي بن يحيى بن الحسن بن جعفر، العلّامة، الأديب ، البارع، الكاتب، الصاحب، بهاء الدين زهير. ولد بمكّة ونشأ بالقاهرة. إمام عصره في الأدب ، وديوان شعره مشهور بالسلاسة والعذوبة. كان فاضلاً، كاتباً، كريماً، نبيلاً جميل الأوصاف، حسن الأخلاق طويل الروح، حلو النادرة. صحب الملك الصالح أيوب، وأخلص له، انظر المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي لابن تغري بردي. ١/ ٤٥٢.

و ـ عنه، كدَعَاه ورَضِيَه سَلْواً وسُلُوّاً وسُلْوَاناً وسُلِيّاً: نَسِيَهُ، وأَسْلَاه عنه فَتَسَلى. والاسْم: السَلْوَة، ويُضَمُّ كذا في القاموس. وقال في المصباح: «سَلَوتُ عنه سُلُواً من باب قعد: صبرتُ والسَّلْوَة: اسم منه، وسَلِيتُ أَسلى، من باب تعب: سَلْياً، لغة. قال أبو زيد: السُّلُوّ طِيب نفس الإلف عن إلفه». وقوله (قادر): سكون الراء؛ لأنّ القافية ساكنة. يعني: إنّ غيري من الناس يقدر على السلو عن محبوبه، لأنّ محبوبه مخلوق مثله، والمخلوق يتغيّر ويتبدّل في كلّ وقت، فمحاسنه تتبدّل بالمقابح، ويموت، ويزول فتزول محبّته من قلب محبّه. ويمكن أنّ يتسلّى عنه المحبّ بغيره؛ لأنّه يجد له أغياراً كثيرة. وأمّا أنا فلا أقدر على السلوّ من محبّة الحقّ تعالى؛ لأنّ جماله سبحانه لا يتغيّر ولا يتبدّل؛ وإنّما هو دائماً في زيادة ظهور لمحبّه، ولا أجد محبوباً غيره أتسلّى به عنه؛ وإنّما أجده ظاهراً لي في كلّ شيء، قال تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [٢/ البقرة/ ١١٥] فلا أقدر على سلوانه، لأنّ جماله يلقاني أينما كنت، وإحسانه وإنعامه غامراني في جميع أحوالي، وليس في الوجود محبوب سواه، وكلّ محبوب في العوالم كلّها ليس إلّا إياه، قال الشيخ نجم الدين بن إسرائيل من جملة أبيات له:

أشتاقها وهي في سرّي مخيّمة	ونورها ظاهر ما بين أجفاني
وكيف يصبح عنها الطرف محتجباً	وحسنها في جميع الخلق يلقاني/ [٤٤٣/ أ]
إن غيّبت ذاتها عنّي فلي بصر	يرى محاسنها في كلّ إنسان
ما في محبّتها ضد أضيق به	هي المدام وكلّ الخلق ندماني

وقوله (وسواي): أي كلّ من هو غيري من المحبّين لغير محبوبي. وقوله (في العشّاق): أي في جماعة أهل العشق وإن أفرط في محبّته. وقوله (غادر): من غَدَرَ به غَدْراً من باب ضرب: نقض عهده، كذا في المصباح. يعني: إنّ كلّ عاشق لشيء من الأكوان غادر له، وناقض لعهده بنسيانه إذا تبدّلت محاسنه، أو أفني من

وجوده، وليست محبّته له دائمة، قال صلّى الله عليه وسلّم: «أحبب حبيك هوناً ما عسى أنْ يكون بغيضك يوماً ما، وأبغض بغيضك هوناً عسى أن يكون حبيبك يوماً ما»[1] رواه الترمذيّ، والبيهقيّ في شعب الإيمان عن أبي هريرة رضي الله عنه. والطبرانيّ في الكبير عن عمر وابن عمر رضي الله عنهم. والدارقطنيّ في الأفراد. وابن عديّ في الكامل. والبيهقيّ عن عليّ كرّم الله وجهه.

٢- لِــــيْ فِيْ الغَـــرَامِ سَرِيــــرَةٌ   واللهُ أَعْلَـــــمُ بِالـــــسَرَائِرْ

(لي): جار ومجرور خبر مقدّم لإفادة الحصر. وقوله (في الغرام): هو الولوع، والشَرّ الدائم، والهلاك، والعَذاب. والمُغْرَم كمُكْرَم: أسيرُ الحُبّ والدين، والمُوْلَع بالشيء، و كذا في القاموس. وقال في المصباح: «أُغْرِمُ بالشيء، بالبناء للمفعول: أُوْلِعَ به، فهو مُغْرَم». وقوله (سريرة): مبتدأ مؤخّر. السَّرِيرَة: السِرّ، وهو ما يُكتَم، والجمع: أَسْرَار وسَرَائِر، كذا في القاموس. والسريرة هنا ما يسرّه المُحبّ، أي: يكتمه ممّا لا يطّلع عليه غير المحبوب الحقيقيّ. قال تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٣٥] وقوله: «والله أعلم بالسرائر» كالتكميل الجاري مجرى المثل، قال تعالى: ﴿يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ [٨٦/ الطارق/ ٩] تعرف وتميّز بين ما طاب من الضمائر، وما خفي من الأعمال، وما خبث منها، ذكره البيضاويّ. وقال النسفيّ في «المدارك»: «﴿يَوۡمَ تُبۡلَى﴾ أي: تكشف، السرائر: ما أسرّ في القلوب من العقائد والنيّات، وما أُخْفِيَ من الأعمال».

٣- وَمُـــــشَبَّهٍ بِالغُـــــصْنِ قَلْـــــ   ـبِـــي لَا يَـــزَالُ عَلَيْـــهِ طَـــائِرْ

---

(١) أخرجه الترمذيّ في سننه كتاب البرّ والصلة، باب: ما جاء في الاقتصاد في الحبّ والبغض، ٢١٢٨، عن أبي هريرة. كما أخرجه البيهقيّ في شعب الإيمان، باب: الثاني والأربعون،٦٥٩٣، عن عليّ. والطبرانيّ في الكبير ٨٠٢، عن ابن عمر، وقد ذكره الألبانيّ في صحيح الأدب المفرد، ٥٦٤، عن عليّ.

٤- حُلْـــوُ الحَـــدِيثِ وَإِنَّهَـــا لَحَـــلَاوَةٌ شَـــقَّتْ مَرَائِـــرْ

٥- أَشْـــكُو وَأَشْـــكُرُ فِعْلَـــهُ فَاعْجَـــبَ لِـــشِاكٍ مِنْـــهُ شَـــاكِرْ

(ومشبّه): مخفوض بواو ربّ، أي: وربّ مشبَّه بالتشديد بصيغة اسم المفعول، أي: محبوب مشبّه، أي: يشبِّهه الناظر إليه، كناية عن الصورة التي في تقع القلب في القلب عند تصور الحقّ تعالى ضرورة الحكم عليه؛ فإنّ ذلك التصوّر، وتلك الصورة الحاصلة مجرّد تشبيه كيفما كانت، يعلم ذلك المؤمن بالله ، ويتحقّق به ولا يقدر أنْ يمتنع منه، فيعترف بالعجزعنه تعالى، والعجز عن الإدراك، قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه في كتابه «مواقع النجوم»: «قال الصادق في هذا المقام صلى الله عليه وسلّم: «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»[1] . وقال الصدّيق رضي الله عنه: العجزعن درك الإدراك إدراك». قال: ولنا في هذا المقام أبيات منها:

قـــل لامـــرئ رام إدراكـــاً لخالقـــه العجـــز عـــن درك الإدراك إدراك

مـــن دان بـــالحيرة الغـــراء فهـــو فتـــى لغايـــة العلـــم بـــالرحمن درّاك

وأي شـــخص أبـــى إلّا تحقّقـــه فـــإنّ غايتـــه جُحـــد وإشراك

فالعجز عن درك التحقّق شمس ضحى جرت به فوق بحر النسك أفلاك[2]

وقوله (بالغُصْن): هو بالضمّ ما تشعب عن ساق الشجر، دِقَائقُها وغِلَاظُها. والجمع غُصُون وأَغْصَان، كذا في القاموس. وهي كناية هنا عن الصورة الخياليّة النابتة في شجرة النفس الإنسانيّة على حسب استعداد النفس، وقوّة معرفتها بربّها. وقوله/ [٤٤٣/ ب] قلبي لا يزال عليه طائر، أي: مرفرف بجناحيه، يخاف عليه من ذهابه فيقع في التعطيل، ونفي الإله. وقوله (حلو الحديث): أي المحادثة

(١) قطعة من حديث، أخرجه مالك في الموطّأ، كتاب القرآن، باب: ما جاء في الدعاء، ٥٠٣.

(٢) انظر كتاب: «مواقع النجوم ومطالع أهلّة الأسرار والعلوم». للشيخ محيي الدين بن عربيّ، بتحقيق: خالد الزرعي وعبد الناصر سرّي، ص٥٤-٥٥.

والمكالمة، لأنّه تجلّي من تجلّيات الحقّ تعالى، وظهور من ظهوراته، ولا فرق بينه وبين جملة الإنسان، وبقيّة عوالم الإمكان؛ فإنّ الكلّ خلق الله تعالى، والحقّ تعالى لا ظهور له إلّا بالصور المختلفة، وهي صور الأكوان، قال عفيف الدين التلمسانيّ قدّس الله سرّه:

منعتهـــا الـــصفات والأســـماء   أن تـــرى دون برقـــع أســـماء

فالصانع الحقّ لا تتعطّل صفاته ولا أسماؤه عند التأثير؛ فتأثيراتها حجب وبراقع لها؛ فلا يظهر تعالى إلّا محجوباً بالأكوان، وهي الصور، وتحصل المكالمة والمناجاة في تلك الصورة للمقتصر عليها في نفسه لعلمه بها، فيحلو عنده ذلك، ويعذب تكراره، والعلم بالتنزيه يصحبه على كلّ حال. وقوله (وإنّها): أي الحلاوة والعذوبة التي يجدها المحبّ. وقوله (لحلاوةٌ): اللام للقسم المقدّر، موطّئة له. وقوله (شقّت مرائر): جمع مرارة، يقال: مَرَّ يَمرُّ، من باب تعب وضرب، فهو مَرّ، والأُنثى مُرَّة، وجمعها: مَرَائِر على غير قياس، ويتعدى بالحركة فيقال: مَرَرْته، من باب قتل، الاسم: المَرَارَة، والمَرَارَة: من الأمعاء لكلّ حيوان إلّا الجمل، فلا مرارة له، والجمع: المَرائر، كذا في المصباح. ويقال: شققته شَقاً، من باب قتل، وانشقّ الشيء: إذا انفرج فيه فرجة، كذا في الصحاح. وانشقاق المَرائر: ذهاب مرارة الشيء المرّ في الحسّ، أو في العقل، فحلاوة حديثه تشقّ مرائر الأشياء، أي: تُذهبها، أو تشقّ مرائر مَن يحاولها، أي: أمعاءه فيهلك، أي: يفنى ويزول لصعوبة أمرها: ﴿وَمَا يُلَقَّـٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّـٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [٤١/ فصّلت/ ٣٥]. وقوله (أشكو): من الشكاية، يقال: شَكَوْتُه شَكْواً، من باب قتل، والاسم: الشكوى، وشَكَا فهو مَشْكُوٌّ ومَشْكِيٌّ، واشْتَكَيْتُ منه، كذا في المصباح. وقال في القاموس: «شَكَا أمره إلى الله شَكْوَى، ويُنَوَّن، وشَكَاةً وشَكَاوَةً وشَكِيَّةً وشِكَايةً بالكسر». وقوله (وأشكر): من الشُّكْر، يقال: شَكَرْتُ الله : اعترفت بنعمته،

وفعلتُ ما يجب من فعل الطاعة، وترك المعصية، ولهذا يكون الشُكْر بالقول والفعل، ويتعدّى في في الأكثر باللام فيقال: شَكَرتُ له شُكْراً وشُكْرَاناً، وربّما تعدَّى بنفسه، فيقال: شَكَرتُهُ، وأنكره الأصمعي في السَّعَة، وقال: بابه الشعر. وقول الناس في القنوت: نَشْكُرك ولا نَكْفُرُك، لم يثبت في الرواية المنقولة عن عمر رضي الله عنه على أنّ له وجهاً وهو الازدواج، كذا في المصباح. وقوله (فِعلَهُ): بالنصب، مفعول أشكو وأشكر على التنازع، أي: أشكو فعله، وأشكر فعله. يعني: يفعل بي تارة، فعلاً يلائم نفسي من الخير فأشكره على ذلك، ويفعل بي تارة ما لا يلائمني من الشرّ، فأشكو إليه ذلك، ولا أتجلّد له، قال تعالى: حكاية عن يعقوب عليه السلام: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [١٢/ يوسف/ ٨٦] وورد عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنّه بكى يوم مات ابنه إبراهيم. وقال: «إنّ القلب ليجزع وإنّ العين لتدمع»[1] وعن بعض الأولياء أنّه جاع فبكى، فقال له تلميذه: أتبكي من الجوع!. فقال: إنّما جوّعني لأبكي. وقوله (فاعْجَبْ): أي يا أيّها السالك. وقوله (لشاكٍ): اسم فاعل من الشكاية، كما ذكرنا. وقوله (منه): متعلّق بهما على التنازع أيضاً. وقوله (شاكراً): اسم فاعل من الشكر؛ فإنّه أمر عجيب، حيث فيه الجمع بين أمرين متناقضين؛ فإنّ الشكاية تقتضي عدم الرضا بالمشكو منه، والشكر يقتضي الرضا بالمشكور عليه، وقد يكون الفعل واحداً؛ فهو باعتبار صدوره عن غير الحقّ تعالى مشكور منه، وباعتبار صدوره عن الحقّ تعالى مشكور عليه. ومنه قولهم: الحمد لله على السراء والضرّاء/ [٤٤٤/ أ] وكلّ فعل يفعله المكلّف له طرفان وجهتان، جهة النسبة إلى خالق ذلك الفعل، ولهذا الاعتبار كلّه خير، قال تعالى: ﴿بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُ﴾ [٣/ آل عمران/ ٢٦] وجهة النسبة إلى المكلّف. وبهذا

---

(١) انظر تخريجه ص١٥٤٧.

الاعتبار يكون شرّاً، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [٧٤/ المدثر/ ٣٨] أي: مرهونة لا تنطلق حتّى تخرج من عهدة دعوى التأثير فيما كسبت. وقال تعالى: ﴿وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٨٦] ونسبة الشرّ إلى النفس نسبة أدبيّة لا نسبة حقيقيّة في قوله تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [٣/ النساء/ ٧٩] والنسبة تُحسِّن الفعل وتقبِّحُهُ، قال القائل:

ويقبح من سواك الفعل عندي   فتفعله فيحسن منك ذاكا

٦- لَا تُنْكِرُوْا خَفَقَانَ قَلْـ   ـبِي والحَبِيبُ لَدَيَّ حَاضِرْ

٧- مَا القَلْبُ إِلَّا دَارُهُ   ضُرِبَتْ لَهُ فِيهَا البَشَائِرْ

(لا تنكروا): أيّها الغافلون المحجوبون عن شهود أمر الله تعالى الذي هو كلمح بالبصر، كما قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِٱلْبَصَرِ﴾ [٥٤/ القمر/ ٥٠] والخلق قائم بالأمر، كما قال سبحانه: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [٣٠/ الروم/ ٢٥] فالخلق كلمح بالبصر أيضاً، والغافلون لا يشعرون بذلك، كما قال تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [٥٠/ ق/ ١٥] وقال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [٧/ الأعراف/ ٥٤] والخلق صورة الأمر، والأمر ظاهر بصورة الخلق، والكل كلمح بالبصر. وقوله **(خفقان قلبي)**: الخفقان مصدر خَفَقَتِ الراية خَفْقاً وخَفَقَاناً، وكذلك القلب والسراب: إذا اضطربا، كذا في الصحاح؛ فالخفقان كلّ الاضطراب، وهو هنا الإعدام؛ فالإيجاد على التكرار كلمح البصر في جميع العوالم، وهو ظاهر في القلب والشريانات لمن قصد إدراكه. والغافل المحجوب ينكره لجموده على الظواهر، والعارف متحقّق به؛ وإنّما ذكرهنا خفقان القلب فقط لظهوره عند الكلّ بأدنى تأمّل. وقوله **(والحبيب)**: الواو للحال، والجملة حال من ياء المتكلِّم، والحبيب كناية عن الحقّ تعالى. وقوله **(لديّ)**: أي بتشديد الياء، أي:

عندي؛ لأنّه أقرب إليّ من حبل الوريد الذي تجري فيه قوّة أمره سبحانه، وأقرب إليّ منّي، كما قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾ [٥٦/ الواقعة/ ٨٥]. وقوله (حاضر): اسم فاعل، يقال: حَضَرتُ مجلسَ القاضي حُضوراً، من باب قعد: شَهِدتُه، وحَضَر الغائب حُضوراً قَدِم من غيبته، كذا في المصباح؛ فإنّ حضوره تعالى بانكشاف الحجاب عن القلب، والتيقظ من نوم الغفلة. وقوله (ما القلب إلّا داره): أي محلّ نزول أمره تعالى؛ لأنّ القلب خلق قائم بالأمر، وهو صورة الأمر كما قال تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [٥١/ الذاريات/ ٢١] وقال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْءَافَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [٤١/ فصّلت/ ٥٣]. وفي الأثر «ما وسعني سماواتي ولا أرضي ووسعني قلب عبدي المؤمن»[1] . وروى الإمام أحمد عن وهب بن منبّه، قال الله عزّ وجل: «إنّ السموات والأرض ضقن عن أن تسعني ووسعني قلب عبدي المؤمن» ذكره المناويّ في كتابه الاتحافات بالأحاديث القدسية». وقوله (ضُرِبَت): بالبناء للمفعول. وقوله (له) : أي لذلك المحبوب المذكور، أي: لأجل حضوره. وقوله (فيها): أي في داره التي هي قلب المحبّ. وقوله (البشائر): جمع بشارة، وهي الخبر المسرّ. والمعنى: طبل البشائر. يعني: إنّ الخَفَقَان المذكور إنّما هو ضرب طبول البشائر بحضور المحبوب، وظهور شمس تجلّيه على أفلاك القلوب من حضرات الغيوب.

٨- يَـا تَـارِكِي فِي حُبِّـهِ   مَـثَلاً مِـنَ الأَمْثَـالِ سَـائِرْ

٩- أَبَـداً حَـدِيثِي لَـيْسَ بِالـ   ـمَنْسُوْخِ إِلَّا فِي الـدَّفَاتِرِ/ [٤٤٤/ ب]

(يا تاركي): أي يا مَنْ تركني وأعرض عنّي، يخاطب به المحبوب الحقيقيّ. وقوله (في حبّه): أي محبّته وقوله (مَثَلاً): حال من ياء المتكلّم. وقوله (من

(١) انظر تخريجه ص٣٢٤.

الأمثال): صفة لمثلاً. وقوله (سائر): صفة بعد صفة. و(المَثَل): بفتحتين بمعنى الوصف، و: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾ [١٤/إبراهيم/ ٢٤] أي وصفاً، كذا في المصباح. وقال المبرِّد: المثل مأخوذ من المثال، وهو قول سائر يشبّه به حال الثاني بالأول، والأصل فيه التشبيه. فقولهم: مثل بين يديه إذا انتصب معناه: أشبه الصورة المنتصبة؛ فحقيقة المثل ما جعل كالعلم للتشّبيه بحال الأوّل. وقال ابن السكِّيت: المثل لفظ يخالف لفظ المضروب له، ويوافق معناه معنى ذلك اللفظ بشهوده بالمثال الذي يعمل عليه غيره، ذكره الميداني في جامع الأمثال. والمعنى: أنّه صار يُضرَب بي المثل في المحبّة والعشق. وقوله (أبداً): أي دائماً في جميع الأزمان. وقوله (حديثي): أي ذكر أحوالي. والكلام عنّي بشرح أفعالي. وقوله (ليس بالمنسوخ): من النسخ، وهو إزالة ما كان ثابتاً بنصّ شرعيّ، ويكون في اللفظ والحكم، وفي أحدهما، كذا في المصباح. وقوله (إلا في الدفاتر): أي الأوراق والكتب، فإنّ النسخ يكون بمعنى آخر، قال في المصباح: «نَسَخْتُ الكتاب نَسْخاً من باب نفع: نَقَلْتُه، وانْتَسَخْتُه كذلك. والنُّسْخَة: الكتاب المنقول، والجمع: نُسَخٌ، مثل: غرفة وغرف». وهذا نوع من أنواع البديع يُسمَّى الاستخدام بلا ضمير، وقريب منه قول القائل:

لقــــد أصــــبحت يـــا ربّ فقـــيراً ... فعجـــل فـــتح بابـــك لي ودارك

وزد مـــــولاي في رزقـــــي فـــــإنّي ... عـــلى الأعتـــاب منطـــرح وبـــارك

ومثله لبعضهم:

إلـــه العـــرش قـــد عظمـــت ذنـــوبي ... فـــسامح مـــا لعفـــوك مـــن مـــشارك

أغـــث يـــا سـيّدي عبـــداً ضـــعيفاً ... أنـــاخ ببابـــك العـــالي ودارك

١٠- يَـــا لَيْـــلُ مَـــا لَـــكَ آخِـــرٌ ... يُرْجَـــى وَلَا لِلـــشَّوْقِ آخِـــرْ

١١- يَـا لَيْـلُ طُـلْ يَـا شَـوْقُ دُمْ إِنِّي عَـلَى الحَـالَيْنِ صَـابِرْ
١٢ - لِي فِيـكَ أَجْـرُ مُجَاهِـدٍ إِنْ صَـحَّ أَنَّ اللَّيْـلَ كَـافِرْ

(يا ليل): يا حرف نداء، وليل نكرة مقصودة، مبنيّة على الضم. يخاطب ليلاً مخصوصاً من بين جميع الليالي، وهو ليل الأكوان، كما قال ابن عطاء الله الإسكندري، قدّس الله سرّه، في حِكَمِه المشهورة: «الكون كلّه ظلمة، إنّما أناره ظهور الحقّ فيه»، فنور الوجود الظاهر على الأكوان جميعها هو نور وجود الحقّ تعالى، والعوالم الإمكانيّة جميعها على ما هي عليه من ظلمتها الأصليّة العدميّة، وهو ليلة القدر التي هي خير من عبادة ألف شهر لمن شهدها، وفيها نزل القرآن، وتتنزّل الملائكة والروح فيها بإذن ربّهم من كلّ أمر، فيتنزّلون من حضرات إمكانهم إلى حقائق أعيانهم بوجود الأمر الإلهيّ الواحد، الذي هو كلمح بالبصر، وسمّاه ليلاً، ولم يُسَمِّه ليلة متابعة لقوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [١٧/ الإسراء/ ١] أي: في عالم الكون أسرى به فيه بأمره الحقّ الذي هو كلمح بالبصر، فكان صلّى الله عليه وسلّم أمراً إلهيّا ظاهراً في صورة خلقيّة، قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [٧/ الأعراف/ ٥٤]. وقوله (ما لك آخر يُرجَى): بالبناء للمفعول، لأنّ الكون حادث له ابتداء وليس له انتهاء؛ فهو أبدي بتأييد الله تعالى، قال تعالى في أهل الجنّة: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [٤/ النساء/ ٥٧] وأهل النار كذلك.

وقوله (ولا للشوق آخر): لا له متعلّق بما لا آخر له، وهو الحقّ تعالى إذْ يستحيل إدراكه وإنْ حصلت رؤيته، لأنّ رؤيته بحجاب العظمة في الآخرة، وقد ورد عن سهل بن سعد رضي الله عنه عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: «دون الله سبعون ألف حجاب من نور وظلمة لا يسمع أحد حسّ شيء من تلك الحجب إلّا زهقت نفسه»[1] رواه إسحاق بن راهويه، وأبو يعلى ذكره في «إتحاف

(١) أخرجه الطبرانيّ في المعجم الكبير، باب: سهل بن سعد، ذكر سن سهل بن سعد، ووفاته، =

البررة بزوائد/[٤٤٥/ أ] المسانيد العشرة»؛ وإنّما الحجاب نفس الرأي ونشأته الإنسانيّة، فلو زالت زال الرأي فزالت الرؤية، والله على كلّ شيء قدير. ولنا في مطلع قصيدة قولنا:

أنـــت قيـــد الوجـــود إنْ غبـــت غابـــا   وإذا مـا حـضرت كنـت حجاباً

ثمّ قوله (ياليل): إعادة لنداء الليل الكوني كما ذكرنا. وقوله (طُل): من الطول، فإنّه لا نهاية له، لأنّه تعالى لم يزل خلاقاً إلى الأبد. وقوله (يا شوقُ دُمْ): فعل أمر من الدوام؛ فإنّ شوق المُحبّ الإلهيّ دائم في الدنيا والآخرة. وقوله (إنّي على الحالين): أي حال طول الليل، وحال دوام الشوق، إلى المحبوب الحقيقيّ. وقوله (صابر): أي لا أجزع ولا أضجر حتّى يطلع فجر الأحديّة، وتشرق أنوار شمس الحضرة الإلهيّة، فتخنس الكواكب، وتبطل المواكب، وتغرق في بحر الحقيقة الوجوديّة، جميع السفن والمراكب، فهناك تقرّ العين بالعين، وتنمحي نقطة الغين، ويرجع إلى الواحد ظهور الاثنين. وقوله (لي فيكَ): أي يا ليل الأكوان المنسكب بصور الأعيان في قوالب المكان والزمان. وقوله (أجر مجاهد): أي في سبيل الله بنفسه، وبكلّ ما يدرك، قال تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [٩/ التوبة/ ٤١] وهذه هي المجاهدة النفسانيّة مع أعدائه من الأوهام الإنسانيّة، والوساوس الشيطانيّة. وقوله (إنْ صحّ): يعني فيما هو المشهور بين الجمهور. وقوله (أنَّ الليل كافر): أي ساتر قال في الصحاح: «الكُفْرُ، بالفتح: التغطية. وقد كَفَرْتُ الشيءَ أَكْفِرُهُ بالكسر كَفْراً، أي: سَتَرْتُه، والكَفْرُ: ظُلْمَةُ الليل وسوادُه، وقد يُكْسَر، والكافِر: اللَّيلُ الحالِك؛ لأَنَّهُ ستر بظلمتِهِ كلّ شيء، والكَافِر الذي كَفَرَ

=

٥٨٠٢. كما أخرجه أبو يعلى الموصليّ في مسنده، باب: حديث سهل بن سعد الساعديّ عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، ٧٣٥٩. وأخرجه أحمد البوصيريّ في إتحاف الخيرة بزوائد المسانيد العشرة، كتاب العلم، باب: فيما بثّه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ١/ ٢٣٥.

دِرْعَهُ بثوب، أي: غَطَّاه، ولَبِسَه فوقه، وكلّ شيء غَطَّى شيئاً فقد كَفَرَه، قال ابن السكّيت: ومنه سُمِّي الكافِر لأنّه يستر نِعَمَ الله ، والكافر: الزارع، لأنّه يغطّي البذر بالتراب، والكُفَّار: الزُرّاع».

١٣- طَـرْفِي وَطَـرْفُ الـنَّجمِ فِي ـلكَ كِلَاهُمَـا سَـاهٍ وَسَـاهِرْ

١٤- يَهْنِيـكَ بَـدْرُكَ حَـاضِرٌ يَـا لَيْـتَ بَـدْرِي كَـانَ حَـاضِرْ

١٥- حَتَّـى يَبِيـنَ لِنَـاظِرِي مَـنْ مِـنْهُمَا زَاهٍ وَزَاهِـرْ

١٦- بَـدْرِي أَرَقُّ مَحَاسِـناً وَالفَـرْقُ مِثْـلُ الـصُبْحِ ظَـاهِرْ

(طرفي): الطَرْف، بالفتح: العين، ولا يجمع؛ لأنّه في الأصل مصدر، فيكون واحداً، ويكون جماعة. قال تعالى: ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ [١٤/ ابراهيم/ ٤٣] كذا في الصحاح. وقوله (وطَرْف): أي: عين. وقوله (النجم): هو الكوكب، وجمعه: أَنْجُم وأَنْجَام ونُجُوم [ونُجُم]، والثُرَيَّا: وهي تصغير ثَرْوَى، وهي امرأة مُتَمَوِّلِة، سُمِّي النجم بذلك لكثرة كواكبه مع ضيق المَحَلّ، كما في القاموس. وقوله (منك): أي من الليل؛ لأنّ النجم لا يظهر إلّا في الليل غالباً، كناية عن قلب العارف بربّه، قال تعالى: ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [١٦/ النحل/ ١٦]. يعني: في ظلمات الجهالة؛ فإنّ في ليل الأكوان إذا ظهر نجم العارف اهتدى به من اهتدى. وقوله (كلاهما): أي طَرْفِي وطَرْف كلّ عارف بالله تعالى. وقوله (ساهٍ): بكسر الهاء وتنوينها: اسم فاعل من السهو، قال في القاموس: «سَها في الأمر، كدَعَا، سَهْواً وسُهُوّاً: نَسِيَه، وغَفَلَ عنه، وذَهَب عنه إلى غيره، فهو سَاهٍ وسَهْوان، والسَّهْوُ: السُّكون». وذلك راجع إلى طَرْف المتكلّم لنسيان نفسه وغفلته عنها وذهابه بها إلى شهود ربّه، ومعاينته فيها وفي غيرها. وقوله (وساهر): راجع إلى طَرْف النجم على طريقة اللفّ والنشر المرتّب. والساهر: اسم فاعل من السهر، وهو الأرق، وقد سَهِر، بالكسر يَسْهَر فهو ساهر وسَهْران كما في الصحاح. فإنّ السَّهَر من لوازم العارفين ليتحقّقوا

بمعرفة ربّ العالمين فتكون لهم المرتبة في القرب الربّانيّ، ويخلصون من الجهاد النفساني، قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه في كتابه «حلية الأبدال»: «إنّه لا بدّ لتحصيل مقام البدليّة من أربعة أشياء: الجوع والسهر/ [٤٤٥/ ب] والصمت والعزلة. وفصّل ذلك كمال التفصيل». وقوله (يهنيك): خطاب لليل الكوني المذكور، من الهناء، قال في القاموس: «الهَنِيء والمَهْنَأ: ما أتاك بلا مشقّة. وقد هَنِئَ وهَنُؤَ هَنَاءَةً، وهَنَأني وهَنَأَ لي الطعام يَهْنَأُ ويَهْنِئ ويَهْنُؤُ هِنْئاً وهَنْأً، وهنّأته العافية، وهو هَنِيْء سَائِغ، وما كان هَنِيئاً، وهَنَّأه بالأمرِ، وهَنَأَه: قال لِيَهْنِئْك». وقال في الصحاح: «كلّ أمر يأتيك من غير تعب فهو هَنِيء، ولك المَهْنَأ». وقوله (بَدرك): هو القمر التمام، وأضيف إلى الليل لإشراف نور فيه، كناية عن قلب العارف المشرق بأنوار المعرفة الإلهيّة بالأشعة الروحانيّة الأمريّة. وقوله (حاضر): من الحضور، ضدّ الغيبة. وقوله (يا ليت بدري): وهو نور شمس الوجود الحقّ الظاهر على الأكوان من قوله تعالى: ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ [٣٩/ الزمر/ ٦٩] وهو جميع الصور الكونيّة المكتوبة على نفسه تعالى، بنفسه تعالى، كما قال سبحانه: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ [٦/ الأنعام/ ١٢] وهي الرحمة التي وسعت كلّ شيء، وهي حضرة العلم القديم. وقوله (كان حاضراً): أي مشهود عندي في جميع الأحوال والأطوار والأوقات والأزمان. وقوله (حتّى يَبِينَ): أي يظهر وينكشف. وقوله (لناظري): من النظر، وهو تأمّل الشيء بالعين، وكذلك النَظَرَان بالتحريك، كذا في الصحاح. والناظر أو النقطة السوداء في العين، أو البصر نفسه، كما في القاموس. وقوله (مَنْ مِنْهُما): أي قمرك البدر التمام الذي يطرد الظلمة في الحسّ، لا في العقل. أو قمري البدر التمام الذي يظهر في ظلمة الغفلة، فينفي وجود كلّ شيء عن كلّ شيء. وتبقى الأشياء كلّها ثابتات بتثبيت الله تعالى لها، وعلمه وتقديره، من غير وجود لها كثبوت النخلة في النواة، والنواة في النخلة بتقدير الله تعالى وحكمه وقضائه الأزلي. وقوله (زاهٍ): من الزَهْو

بالزي المعجمة، وهو المنظر الحسن، والنبات الناضر، ونَوْر النبت، وزَهْرُه، وإشراقه، كذا في القاموس. وهو راجع إلى: بدر ليل الظلمة الكونيّة، عالم الروح الأعظم؛ فإنّ زهوه بالحسن المخلوق. وقوله (وزاهر): راجع إلى بدر نفسه الذي يعدم ويفنى بأنوار ظهوره جميع الأكوان، وتهلك بتجلّيه سائر الأعيان. وقوله (بدري): يعني الذي هو ظاهر لي في حقيقة نفسي، وهو الوجود الحقّ المطلق الذي جميع الأكوان معلوماته المعدومة في أنفسها، وهي موجودة بظهور وجوده فيها، قال صلّى الله عليه وسلّم: «إنّكم سترون ربّكم كما ترون القمر ليلة البدر»[1] الحديث في صحيح مسلم. وقوله (أرق محاسناً): تمييز من أرق، أي: ألطف حسناً وجمالاً من بدر ليل الأكوان المشرق في ظلمات الأعيان. وقوله (والفرق): أي بين البدرين المذكورين. وقوله (مثل الصبح ظاهر): يعني لا خفاء فيه؛ فإنّ الأوهام تغلب على الأفهام فيلتبس عليها: النور الحقيقيّ بنور الظلام، ونور الظلام الكونيّ من أمر الله ، وأمر الله قيّومته في جميع خلقه، والله بكلّ شيء عليم.

* *

(١) انظر تخريجه في ص٢٧١.

جِلَّقٌ جَنَّةُ مَنْ تَاهَا وَبَاهَا

[الرمل]

وقال الشيخ عمر بن الفارض قدّس الله سرّه:

١ - جِلَّــقٌ جَنَّـــةُ مَـــنْ تَاهَـــا وَبَاهَـــا وَرُبَاهَـــا مُنْيَتِـــي لَـــوْلَا وَبَاهَـــا[1]

(جلّق): بكسر الجيم، وتشديد اللام مكسورة، قال في الصحاح: «الجيم والقاف لا يجتمعان في كلمة واحدة من كلام العرب، إلّا أن يكون معرَّباً، أو حكاية صوت. وقال في القاموس: «جِلِّق كحِمْص، بكسرتين، مشدّدة اللام، وكَقِنَّب: دِمَشْق، أو غوطتها». وقوله (جنّة من تاه): أي تكبَّر قال في القاموس: «التِيه بالكسر: الصَّلَف والكِبْر، تَاهَ فهو تَائِه وتَيْهَان وتَيِّهان مشدَّدَة الياء، ويكسر». وقال في الصحاح: «الجنّة البستان، ومنه الجنّات، والعرب تسمّي النخيل جنّة»، قال الشاعر زهير/ [٤٤٦/ أ]:

كـــأنّ عينـــيّ في غـــربَيْ مقتلـــة مـــن النواضـــح سـقي جنّـة سـحقا

وقال في القاموس: «الجَنَّة الحديقة ذاتُ النَخْل والشجر، وجمعه جِنَان، ككتاب». وإنّما أطلق على جلّق الشام بأنّها جنّة لاشتمالها على المياه الجارية في بيوتها وأسواقها وأزقّتها وبساتينها. وغالب بيوتها مشتملة على أشجار الفواكه، وأنواع الأزهار والرياحين. ولحسن هوائها تبقى الفواكه فيها من السنة إلى السنة، لا تفسد. وفيها القصور العاليات، والأماكن والمنتزهات. وقد صنّف العلماء والأدباء محاسن الشام، ككتاب ابن الساعاتي والجلال السيوطيّ. ولهم فيها الأشعار الرائقة والأبيات الفائقة. وقوله (جنّة من تاه): يعني يلبَق لأهلها أن يفتخروا بها، ويتكبّروا؛ لأنّها جنّة في معمور الدنيا. وقوله (وباها): من المُباهاة، وهي المُفاخرة. وتَباهَوا، أي: تفاخروا، كما في الصحاح. وقال في القاموس:

---

(١) الشطرة الثانية في (ق): «بربها غيرها لولا وباها».

«البَهاء الحُسْن، وبَاهَيْتُه فَبَهَوْتُه: غَلَبْتُهُ، بالحسن». يعني: إنّ ساكن هذه المدينة التي هي جِلّق يباهي الساكن في غيرها من البلاد فيغلبه بالحسن. يعني: بذلك أهلها من الأربعين الأبدال أصحاب المقامات الإلهيّة، والمراتب العرفانيّة، قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «الأبدال بالشام، وهم أربعون رجلاً، كلّما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً، يُسقى بهم الغيث، ويُنتصر بهم على الأعداء، ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب»[1] . رواه الإمام أحمد في مسنده عن عليّ كرّم الله وجهه. وفي رواية: «الأبدال في أهل الشام، وبهم ينصرون، وبهم يرزقون»[2] رواه الطبرانيّ عن عوف بن مالك رضي الله عنه. وفي رواية: «الأبدال أربعون رجلاً، وأربعون امرأة كلّما مات رجل أبدل الله تعالى مكانه رجلاً، وكلّما ماتت امرأة أبدل الله تعالى مكانها امرأة»[3] رواه الديلميّ في مسنده الفردوس عن أنس رضي الله عنه، وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «أهل الشام سوط الله في الأرض ينتقم الله بهم ممن يشاء من عباده، وحرام على منافقيهم أنْ يظهروا على مؤمنيهم، وأن يموتوا إلّا همّاً وغمّاً وغيظاً وحزناً»[4] رواه الإمام أحمد في مسنده، والطبرانيّ عن خريم بن فاتك رضي الله عنه. وقوله (رُباها): جمع ربوة، وهي ما ارتفع من الأرض، وأراضيها في الغالب مرتفعة، وبها الربوة المشهورة بين جبلين، ذات بساتين وأشجار، وفيها سبعة أنهار جارية: نهر يزيد، ونهر تورا، في طرف الجبل الصالحيّ. ونهر الداراني، ونهر المِزّة في طرف الجبل المِزيّ. ونهر بانياس ونهر القنوات في أوسط الوادي وجانبيه. وهناك المهد المشهور بمهد عيسى عليه السلام لقوله تعالى: ﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ [٢٣/المؤمنون/ ٥٠] وقوله (منيتي):

---

(١) أخرجه أحمد في المسند، مسند عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، ٩٠٨.

(٢) ذكره السيوطيّ في جامع الأحاديث، باب: الهمزة مع الياء، ١٠٠٠٩٤، عن عوف بن مالك.

(٣) أخرجه الديلميّ في الفردوس عن أنس رضي الله عنه،٤٠٥، كما ذكره السيوطيّ في جامع الأحاديث عن أنس، ١٠٠٩١.

(٤) أخرجه أحمد في المسند، باب: بقيّة حديث خريم بن فاتك، ١٤٩٠.

أي: الذي أتمناه وأترجى حصوله. وفي نسخة (أربي): والأرب هو المقصد. وقوله هنا (**لولا وباها**): قال في القاموس: «الوَبَاء محركّة: الطاعون، أو كلّ مرض عام». وقال في الصحاح: «الوَبَأُ: يُمدّ ويُقصر: مَرَضٌ عام، وجمع المقصور: أَوْبَاء، وجمع الممدود: أَوْبِئَة. وقد وَبِئَت الأرضُ تَوْبَأُ وَبَاءً فهي مَوْبُوءَة: إذا كثر مرضها، وكذلك وَبِئَت تَوْبَأُ وَبَاءةً فهي وَبِيئَة على فعيلة. وفيه لغة ثالثة: أَوْبَأَت فهي مُوبِئَة». وجلّق الشام مشهورة بكثرة الوباء، وهو المرض العام، فإنّه إذا أصاب البعض يصيب الكلّ، كالزكام في الشتاء، والحميّات في الصيف والربيع، والسعال في الخريف، ونحو ذلك. ولنا في معنى بعض ذلك قولنا:

يــا ويــح فــصل الخريــف لمــا بــالمرض النــاس فيــه تحــصر

أصــــفر بالــــسقم كــــلّ شيء حتّــى بــدا الــورد فيــه أصــفر

وهذا الوباء في بلادنا حكمة بديعة، وهي أنّ أهلها يحملون المرض عن بعضهم بعضاً، ولهذا تراهم دائماً يراقبون أحوال بعضهم بعضاً، ويتفحّصون ويسألون، ويغلب فيه الحرص على النفوس من كثرة/[٤٤٦/ب] مراقبة نفوس بعضهم لبعض، وليس كذلك غيرها من البلاد.

٢- قِيــلَ(١) غَــالٍ بَــرَدَى كَوْثَرُهَــا قُلْــتُ غَــالٍ بَرَدَاهَــا بِرَدَاهَــا

(**قيل**): أي قال لي قائل من أهلها، أو غيرهم. وقوله (**غالٍ**): بالكسرتين اسم فاعل، أي: سعرها غالٍ، من غَلا السعر غَلَاءً وأَغْلَى الله السعرَ، غَالَى باللحم، أي: اشتراه بثمن غال، كذا في الصحاح. وحرف الاستفهام مقدّر، والتقدير: أغال أو هل غال. وقوله: بَرَدَى كجَمَزَى، نهر: دمشق الأعظم، مخرجه الزبداني، كذا في القاموس. وذكر الخفاجيّ في حاشية البيضاويّ «إنّ بَردى بفتح الباء الموحّدة والراء والدال المهملتين: نهر بدمشق. وقيل وادٍ بها» انتهى. وهو اسم مؤنث.

---

(١) في (ق): قيل.

والتقدير: يا بردي؛ لأنّ ألف بردى للتأنيث. قال حسان بن ثابت شاعر النبي صلّى الله عليه وسلّم في قصيدته الشهيرة التي يمدح بها آل جفنة من ملوك الشام، وكانوا ينزلون داريّا من قرى دمشق أوّلها قوله:

أسـألت رسـم الـدار أم لم تـسألِ ... بـين الجـوابي فالبـضيع فحومـل

ومنها قوله:

لله درّ عـصابة نـادمتهم ... يومـاً بجلّـق في الزمـان الأوّل

أولاد جفنـة حـول قـبر أبـيهم ... قـبر ابـن ماريـة الكـريم المفـضّل

يغـشون حتّـى مـا تهـر كلابهـم ... لا يـسألون عـن الـسواد المقبـل

بـيض الوجـوه رفيعـة أحـسابهم ... شـمّ الأنـوف مـن الطـراز الأوّل

يـسقون مـن مـاء الـبريص علـيهم ... بـردى يـصفّق بـالرحيق السلـسل

وقوله (كوثرها) : أي كوثر تلك الجنّة التي هي جلّق؛ فإنّه لمّا جعلها جنّة جعل نهرها كوثرها، قال في القاموس: «الكوثر الكثير من كلّ شيء، والإسلام، والنبوّة، والنهر، ونهر في الجنّة تتفجّر منه جميع أنهارها» وهو المراد هنا مع الإشارة إلى ماقبله. وقوله: (قلت غالٍ بها): أي بالكسرتين والتنوين أيضاً. وقوله (بَرداها): أي نهرها المذكور. وقوله (بِرّداها): أي بالردّ الذي فيها، وهو الوباء المذكور. يعني: لا تفي فرحتها بترحتها؛ فالكمال الإلهيّ فيها متيسِّر للمخلصين أكثر من غيرها، ورجالها الكاملون فيها بالتحقّيق العرفانيّ أكمل من غيرهم، في غيرها من البلاد. لكن الإنكار عليهم فيها أكثر من إنكار غيرهم على أهل الله في غيرها، ولهذا ورد في الحديث الصحيح قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «لا تزال طائفة من أمّتي ظاهرين حتّى يأتيهم أمر الله ، وهم ظاهرون»[1] رواه البخاري ومسلم عن المغيرة بن شعبة. وفي

---

(١) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب الاعصام، باب: قول النبيّ لا تزال طائفة من أمّتي ظاهرين، ٧٣١١. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب: قوله «لا تزال طائفة من أمّتي»، ٥٠٦٠، بلفظ: لن يزال قوم...

رواية: «لا تزال طائفة من أمّتي قوّامة على أمر الله لا يضرها من خالفها»[1] رواه ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه. وفي صحيح البخاري، قال مالك ـ يعني: ابن يخامر ـ سمعت معاذاً رضي الله عنه يقول: «وهم بالشام»[2].

٣- وَطَنِي مِصْرٌ وَفِيهَا وَطَرِي ... وَلِعَيْنِي مُشْتَهَاهَا مُشْتَهَاهَا

٤- وَلِنَفْسِي غَيْرَهَا إِنْ سَكَنَتْ ... يَا خَلِيْلَيَّ سَلَاهَا مَا سَلَاهَا

(وطني): الوطن محرّكة ويُسَكَّن: منزل الإقامة، كذا في القاموس. وقوله (مِصْرٌ): اسم غير مصروف، بلا تنوين، قال في القاموس: «مَصَّروا المكان تَمْصِيراً: جَعَلوه مِصْراً فتَمَصَّر، ومِصْرُ: المدينة المعروفة، سُمِّيَت لِتَمَصُّرِها، أو لأنّه بناها المِصْرُ بن نوح. وقد تُصرَف، وقد تُذَكَّر». وقوله (وفيها): أي في مصر المذكور. وقوله (وَطَرِي): الوَطَر، محرّكة: الحاجة، أو حاجة لك فيها هَمٌّ وعِنَاية، فإذا بَلَغْتَها فقد قَضَيْتَ وَطَرَك. وجمعه: أوطار، كما في القاموس. يعني: فيها كلّ ما أتمنّى وأطلب من مطالب الدنيا، أو الآخرة، أو حضرات القرب الإلهيّة. وقوله (ولعيني): خبر مقدّم. وقوله (مشتهاها) الأوّل: مبتدأ، والضمير للعين، أي: مشتهى عيني، نظير قولهم: عليّ التمرة مثلها زبداً، والخبر واجب التقديم هنا لعود الضمير إليه، فلو تأخّر لعاد الضمير إلى متأخّر لفظاً ورتبة، وهو غير جائز. وهذا المشتهى الأوّل: اسم مفعول مشتق من الشهوة، وهي اشتياق النفس إلى الشيء، والجمع: شهوات. واشتهيته فهو مشتهى، كذا في المصباح. وقال في الصحاح: «طعام شَهِيّ، أي: مُشتهى، وشَهيت الشيءَ بالكسر: شَهْوَة إذا اشْتَهَيْته». وقال في القاموس: «شَهِيَهُ كَرَضِيَهُ ودَعَاه واشْتَهَاه وتَشَهَّاه: أَحَبَّه، ورَغِبَ فيه». فالمُشتهى على هذا اسم مفعول مضاف إلى ضمير الفاعل، وهو ضمير العين. وقوله

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه، باب اتّباع سنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٢) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى: «إنّما قولنا لشيء» [١٦/ النحل/ ٤٠]، ٧٤٦٠.

(مشتهاها)/ [٤٤٧/ أ]: الثاني مرفوع بضمّة مقدّرة على الألف نائب فاعل مشتهى الأوّل. وأصله منصوب على المفعوليّة، وهذا المشتهى الثاني: اسم مكان في مصر يسمّى المشتهى، تدخل إليه فرقةٌ من ماء النيل، وهو منتزه مشهور، وله ذكر في الأشعار المصرية في «حسن المحاضرة» للسيوطيّ وغيره من كتب الأدب والتاريخ. وضمير مشتهاها الثاني راجع إلى مصر في المصراع الثاني. وهذا الإعراب هو الذي ينبغي أنْ يكون عليه المعول. والمعنى على هذا: ولعيني يُشتهى، بضمّ الياء التحتيّة مشتهى مصر. وقوله (ولنفسي): أي سلا لنفسي، خطاب لخليليهِ على أنّ اللام زائدة للتقوية، والفعل المحذوف يفسّره قوله بعده (يا خليليّ سلاها): أي سلا نفسي. قال في مغني ابن هشام: «في اللام المسمّاة لام التقوية، هي المزيدة لتقوية عامل ضعف، إمّا بتأخّره نحو: ﴿هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٥٤] ونحو: ﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [١٢/ يوسف/ ٤٣] أو بكونه فرعاً في العمل نحو: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ [٢/ البقرة/ ٩١] ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [١١/ هود/ ١٠٧] ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾ [٧٠/ المعارج/ ١٦]. وقال في لام المستغاث في نحو: «يا لَزيد» عند المبرّد إنّها لام التقوية، بدليل صحّة إسقاطها، واختاره ابن خروف. وأجاب ابن عصفور وجماعة بأنّه ضعف العامل بالتزام الحذف، فقوي تعديته باللام، واقتصر أبو حيّان على إيراد هذا الجواب، وفيه نظر، فإنّ اللام لا تدخل في نحو زيداً ضربته، مع أن الناصب مستلزم الحذف؛ لأنّه لمّا ذكر في اللفظ ما هو عوض منه كان بمنزلة ما لم يحذف. وقال في الشرح في قوله زيداً ضربته لا نسلم أنّ الفعل المذكور عوض من المحذوف، غاية الأمر أنّه دالّ عليه. ومفسّر له، ولا يلزم من ذلك كونه عوضاً منه» انتهى. قلت: والحاصل إنّ دخول اللام للتقوية بضعف العامل بلزوم الحذف جائز كقول القائل:

هـــذا سراقـــة للقـــرآن يدرســـه   والمرء عند الرشا إن يلقها ذِيبُ

وكون الضمير مفعولاً مطلقاً كما قال ابن هشام: تكلّف بعيد، وكونه يتعدّى العامل على الضمير وظاهره معاً غير لازم؛ لأنّ الظاهر محذوف عامله لوجود

مفسّره، كما لا يخفى. والتقوية بضعف العامل على كلّ حال إنْ لم يكن للحذف فهو لتأخير العِوض عنه إنْ سلم العوض. وقوله (غيرها): منصوب على أنّه مفعول مقدّم لسكنت. والضمير راجع إلى مصر، وفاعل سكنت ضمير يعود إلى نفسي. وقوله (يا خليليّ): بتشديد ياء المُثنّى: تثنية خليل، وهو الصديق، والجمع أخلاء ، كذا في المصباح. وقوله (سلاها): سَلْ فعل أمر من السؤال، والألف ضمير الخليلين فاعل سَلْ، والهاء مفعول ضمير راجع إلى قوله (ولنفسي): في أوّل البيت. وقوله (ما): اسم استفهام، معناها: أي شيء. وقوله (سلاها): فعل ماض. والهاء ضمير راجع إلى النفس أيضاً، قال في المصباح: «سَلَوتُ عنه سُلُوّاً، من باب قعد: صَبَرْتُ. والسَّلْوَة: اسم منه، وسَلِيْتُ أَسْلَى » من باب تعب ـ سَلْياً، لغة. قال أبو زيد: السُّلُوّ: «طِيب نَفْس الإلف عن إلفه». وقال في الصحاح: «سَلَّانِي من هَمِّي تَسْلِيَة، وأَسْلَانِي، أي: كَشَفَهُ عَنِّي، وانْسَلَى الهم وتَسَلَّى بمعنى: إذا انكشف، والسُّلْوَانَة، بالضمّ خَرَزَة كانوا يقولون: إذا صُبَّ عليها ماءُ المطر فشربَه العاشق سَلَا قال الشاعر:

شربت على سُلْوَانَة مَاء مُزْنَةٍ ... فلا وجديدِ العيش يا أمُّ مَا أَسْلُو

واسْم ذلك الماء السُّلوَان، وقال الآخر:

لو أَشْربُ السُّلْوَانَ ما سَلَيْتُ ... مَا بِي غِنَىً عنك وإنْ غَنِيتُ

وقال بعضهم: السُّلْوان: دَوَاءٌ يُسقاه الحَزين فَيسلُوا، الأطباء يُسمونَه المُفَرِّح. وقال في القاموس: «سَلَاه، و ـ عنه كدَعاه وَرَضِيَه، سَلْوَاً وسُلُوّا وسُلْوَاناً وسُلِيّاً: نسيه». والمعنى: /[٤٤٧/ ب] يا خليليّ سَلَا نفسي: أي شيءٍ أوجب لها السُّلُو والنسيان، والصبر عن بلادها مصر إنْ توطّنت غيرها من البلاد، وسكنت في مدينة سواها من مدن العباد؛ فإنّ حبّ الوطن من الإيمان، وإليه حنين الركبان.

إِنْ جُزْتَ بِحَيٍّ لِي عَلَى الأَبْرَقِ حَيْ

من الدوبيت[1]:

وقال قدّس الله سرّه:

إنْ جُزْتَ بِحَيٍّ لِي عَلَى الأَبْرَقِ حَيْ وَأَبْلِغْ خَبَرِي فَإِنَّنِي أُحْسَبُ حَيْ
قُلْ مَاتَ مَعْنَاكُمْ غَرَامَاً وَجَوَىً فِي الحُبِّ وَمَا اعْتَاضَ عَنِ الرُّوحِ بِشَيْ

(إنْ جُزْتَ): بفتح تاء الخطاب، مخاطبة للروح المنفوخ فيه من أمر الله، والجَوَاز: مصدر جَاز المكانَ يَجُوزُه جَوْزاً وجَوَازاً: سار فيه، وأجازه بالألف: قطعه، كذا في المصباح. وقال في الصحاح: «جُزْتُ الموضعَ أَجُوزَه جَوَازاً: سلكته، وسرت فيه». وقال في القاموس: «جَاز الموضعَ، وجَاز به، وجَاوَزَه جِوَازاً: سار فيه وخلّفه». وقوله (بحي): متعلّق بجزت، والحَيْ: البَطْن من بُطُون العرب، وجمعه: أحياء، كذا في القاموس، وقال في المصباح: «الحَيّ القبيلة من العرب، والجمع: أَحياء». يكنّي بالحَيّ عن حضرة الأسماء الإلهيّة. وتوجّهات الصفات الرحمانيّة الربّانيّة؛ فإنّها قبيلته التي نشأ منها، وتربّى في حجرها. وقوله (لي): من حيث أنّه مظهر آثارها، وموضع تجلّي ليلها ونهارها. وقوله (على الأبرق): صفة لحيّ، والأَبْرَق: الجبل الذي فيه لونان، أو كلّ شيء اجتمع فيه سَواد وبياض فهو أبرق، يقال: تَيْسٌ أَبْرَق، وعَنْزٌ بَرْقَاء، حتّى إنّهم يسمّون العين برقاء، قال الشاعر:

---

(١) الدوبيت: كلمة مركّبة من كلميتين، الأولى «دو» بمعنى اثنين، و«بَيْت». والدوبيت فن من فنون الشعر المعرّبة الخارجة عن وزن الشعر وتركيب البحور الستة عشر، ومن أوزانه (فعلن متفاعلن فعولن فعلن). ومنه الرباعي الخاص والممنطق والمرفّل والمردوف، انظر ميزان الذهب في صناعة شعر العرب للسيد أحمد الهاشمي ص١٤٤، والعروض الواضح للدكتور ممدوح حقّي ص١٣٩.

ومنحـــدَر مـــن رأس برقــاء حطّــة مخافــة بَــيْنٍ مـــن حبيــب مزايــل

يعني: دمعاً انحدر من العين، كذا في الصحاح. يكنّي بالأبرق عن الوجود الحقّ الظاهر نوره على كلّ شيء، ومروره به ظفره بتجلّيه وكشفه عنه، وكون الأبرق به لونان؛ لأنّه جامع للأسماء والصفات الجماليّة و الجلاليّة. وكونه جبلاً لارتفاعه وعلوّه عن مشابهة كلّ شيء. وقوله (حَيْ): أصله فحي، بالفاء؛ لأنّ حيّ فعل أمر من التحيّة، والفاء لازمة له في جواب الشرط. وهو إنْ قال الرضي: جزاء الشرط إن كان جملة طلبيّة كالأمر، والنهي، والاستفهام، والتمنّي، والتخصيص، والدعاء، والنداء يجب مقارنتها لعلامة الجزاء، وهي الفاء. وقد تحذف علامة الجزاء ضرورةً في موضع اللزوم كقول الشاعر: (من يفعل الحسنات الله يشكرها). وروي (من يفعل الخير فالرحمن يشكره): فلا ضرورة إذن، وأجاز الكوفيون حذف العلامة. يعني: الفاء، اختياراً مستدلّين بقوله تعالى: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِكُكُّمُ ٱلْمَوْتُ ﴾ [٤/ النساء/ ٧٨] على قراءة الرفع، هي شاذّة. وقوله (وابْلِغ): بوصل الهمزة: فعل أمر معطوف على حَيْ، أي: أوْصِلْ. وقال في القاموس: «الإبلاغ والتبليغ هما الإيصال». وهو خطاب للمخاطب الأوّل. وقوله (خبري): مفعول ابْلِغْ إلى ذلك الحيْ المذكور بأن تظهر منّي باستيلائك على ما هو مقتضى طبيعتي وتركيبتي؛ فإنّ الروح تحكم على الجسد بحسب ما تقتضيه طبيعته. وقوله (فإنّني أُحْسَب): بضمّ الهمزة على البناء للمفعول. أي: يظنّني من يراني من الناس. وقوله (حَيْ): من الحياة نقيض الموت، مفعول ثان لأُحسب. وقوله (قل): فعل أمر خطاب للمخاطب الأوّل، وهو بيان لإبلاغ الخبر المذكور. وقوله (مات): هو الموت الإختياري باليقظة من الحياة الوهميّة، وزوال الدعوى النفسانيّة. وقوله (مُعَنَّاكم): بتشديد النون. والمعنى: بصيغة اسم المفعول. قال في القاموس: «عَنَا عَنَاءً وتَعَنَّى: نَصَب، وأعناه وعَنَّاه، والعَنْيَة بالفتح: العَنَاء. وعَانَاه شَاجَرَه وقاسَاه كتَعَنَّاه». والخطاب للحيّ المذكور. وقوله (غراماً): منصوب على

أنّه مفعول من أجله، قال في الصحاح: الغَرَام الشرّ الدائم، والعذاب. ورجل مُغْرَم بالحبّ حبّ النساء، والغَرَام: الوَلُوع، وقد أُغْرِم/ [٤٤٨/ أ] بالشيء، أي: أولع به، (وجوى): بالتصغير ليناسب التصريع. وقوله حيْ وشي. والجوى مقصور: الحرقة وشدّة الوجد من عشق أو حزن، تقول منه: جَوِيَ الرجل بالكسر فهو جَوٍ مثل ذَوٍ، كذا في الصحاح. وقوله (في الحبّ): أي المحبّة. وقوله (وما): نافية. وقوله (اعتاض): أي أخذ عَوْضاً، والعِوَض، كعنب: الخُلْف، يقال: عَوَضَنِي الله منه عِوَضاً. وقوله (عن الروح): أي عن آثار ظهوره في الجسد لبطلان الدعوى النفسانيّة، وانكشاف التدبير الإلهيّ بالروح الأمريّ. وقوله (بشي): أي بأمر من الأمور الموجبة للاستقلال، والتمتّع بذي الجلال.

* * *

عرّج بطويلع

وقال قدّس الله سرّه:

١ - عَــرِّجْ بِطُوَيْلِــعِ فَــلِي ثَــمَّ هُــوَيّ   وَاذْكُــرْ خَــبَرَ الغَــرَامِ وَأَسْــنِدْهُ إِلَيّ

٢ - وَاقْصُصْ قَصَصِي عَلَيْهِمِ وَابْكِ عَلَيّ   قل مات ولم يَحْظَ من الوصل بشي

(عرّج): بتشديد الراء فعل أمر من عرّج تَعْرِيجاً: مَيِّل، وأقام، وحَبَسَ المَطِيَّة على المَنْزِل، كتَعَرَّج، كما في القاموس. والمخاطب أوّلاً في البيتين قبله. وقوله (بطويلع): كفنيفد، ماء لبني تميم بناحية الصَّمَّان، أورَكِيَّة عادية بناحية الشَّوَاجِن، عَذْبَة الماء، قَرِيْبَة الرِشَاء، كذا في القاموس. كنّى عن الوجود الحقّ أوّلاً بالأبْرَق، وهو الجَبَل العالي المرتفع؛ لتنزّهه وتقديسه، وكنّى عنه هنا بطويلع بصيغة التصغير، وهو البئر العذبة الماء، القريبة الرِّشاء لقرب المدد منه بأدنى عمل صالح، وكما ورد في الحديث: «لو دليتم بحبل لهبط على الله»[1] فله تعالى جهة العُلوُ وجهة السُّفْل، ولهذا لا يأتي الإمداد منه تعالى إلا من هذين الجهتين: ينزل المطر من السماء، ويخرج النبات من الأرض. وبقية الجهات تأتي منها الشيطان، قال تعالى حكاية عنه أنّه قال: ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٧] وقوله (فلي): الفاء تفريعيّة، ولي: خبر مقدّم لإفادة الحصر. وقوله (ثَمّ): بفتح الثاء المثلثة، قال في القاموس: «ثَمَّ بالفتح: اسم يُشار به إلى المكان العالي بمعنى هنالك للبعيد: ظَرْف لا يَتَصَرَّف». فقول من أعربه مفعولاً لرأيت في: (وإذا رأيت ثَمَّ) وَهَمٌ». وقوله (هُوَيُ): بضمّ الهاء وفتح الواو بالتصغير للتعظيم، كقول الشاعر:

---

(١) ذكره الهيتميّ في الزواجر عن اقتراف الكبائر ١ / ٧٦، بلفظ: لو أدّيتم...

وكـــلّ أنـــاس ســـوف تـــدخل بيـــنهم دُوَيْهِيّـــة تـــصفرّ منهـــا الأنامـــل

و(الهوى): مصدر هَوِيَ كرَضِيَه، هَوَىً فهو هَوٍ: أَحَبَّه، كذا في القاموس. والمعنى: لي هناك محبّة وشوق شديد لذلك الجناب الفريد. وقوله (واذكر): فعل أمر معطوف على عرّج. وقوله (خَبَرَ الغرام): أي حديث المحبّة الإلهيّة. وقوله (وأَسْنِدْهُ إلَيّ): بتشديد الياء التحتيّة ساكنة، والإسناد في الحديث: رَفْعُهُ إلى قائله، كذا في الصحاح. وقوله (واقصص): فعل أمر أيضاً، من قَصَّ الخبر: أعلمه. وقوله (قِصَصِي): بكسر القاف، جمع قِصَّة، قال في القاموس: «القصّة، بالكسر: الأمر، والتي تُكتَب، والجمع: كعِنَب». يعني: وقائعي وأحوالي في طريق المحبّة، وما أقاسيه من المشقّات والأتعاب. وقوله (عليهم): بكسر الميم لاستقامة الوزن وضمير الجمع المذكّر لحضرات الأسماء الإلهيّة المؤثّرة في العوالم الكونيّة. وذكر هذه القصص لهم على طريقة الدعاء، وعرض الحال طمعاً في القرب والوصال. وقوله (وابك): بكسر الكاف، فعل أمر أيضاً. أي: أظهِر الحزن والتأسّف. وقوله (عَلَيّ) : بتشديد الياء التحتيّة ساكنة. وقوله (قل مات): الموت الاختياري كما قدّمناه. وقوله (ولم يحظَ): أي لم يفز، والواو للحال، والجملة حال من فاعل مات، وهو ضمير معناكم في البيت قبله، وحَظِيَ كرَضِيَ من الحُظْوَة بالضمّ والكسر. والحِظَة كعِدَة: المكانة والحظّ من الرزق، وحظّي كلّ واحد من الزوجين عند صاحبه كرضي، كذا في القاموس. وقوله (من الوصل): أي وصل محبوبه الحقيقيّ لبعد المناسبة بينهما. وقوله (بشَي): بحذف الهمزة، أي: بشيء من ذلك.

* * *

حَكَّمَهُ الغَرَامُ عَلَيّ

[دوبيت]

وقال قدّس الله سرّه:/ [٤٤٨/ ب]

١- أَهْوَى رَشَأً رُشَيِّقَ القَدِّ حُلَيّ   قَدْ حَكَّمَهُ الغَرَامُ وَالوَجْدُ عَلَيّ

٢- إنْ قُلْتُ خُذِ الرُّوحَ يَقُلْ لِي عَجَباً   الرُّوْحُ لَنَا فَهَاتِ مِنْ عِنْدِكَ شَيْ[1]

(أَهْوَى): أُحِبُّ. وقوله (رَشَأً): هو ولد الغزال، ومن طبعه النفور، ولهذا كنّى به عن حضرة الغيب المطلق الذي لا يزال نافراً عن إدراك العقول. وقوله (رُشَيِّق): بتشديد الياء التحتيّة، تصغير رشيق. قال في الصحاح: رجل رَشِيق، فعيل، أي: حَسَن القَدِّ لطيفه، وقد رَشُقَ بالضم رشاقة. كناية عن كلّ شيء إذا اعتبر فيه أنّ الحقّ تعالى خلقه. وقال القائل:

ويقبح من سواك الفعل عندي   فتفعله فيحسن منه ذاكا

وقوله (القَدّ): قال في القاموس: القَدُّ قامةُ الرجل، وتقطيعه، واعتِداله. كناية عن صورة كلّ شيء يتجلّى به الحقّ تعالى على قلب العارف. وقوله (حُلَيّ): بالتصغير يقال: قول حَلِيّ: كغَنِيٍّ يَحْلُو لِي، في الفم. وحَلِيَ بعيني وقَلبي، كرَضِيَ ودعا، حَلاوَة، أو حَلَا في الفم، وحَلِيَ في العين، كذا في القاموس. وقوله (وقد حكّمه): بتشديد الكاف، أي جعله حاكماً عليّ، قاهراً لي بحسب مراده. والضمير للرشأ المذكور. وقوله (الغَرَام): فاعل حكَّمَه، وهو الشوق الملازم. وقوله (والوجد): وهو زائد المحبّة. وقوله (عليّ): أي على باطني وظاهري بحيث لا

---

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: «بلغ مقابلة على مؤلّفه رضي الله عنه وأرضاه، وجعل الجنّة مأوانا ومأواه». آمين.

محيد لي عنه، ولا انفلات لي منه. وقوله (إنْ قلت): بضمّ تاء المتكلّم، أي: له. وقوله (خذ الروح): أي روحي. وقوله (يقل) مجزوم في جواب الشرط. وفاعله ضمير الرشأ المذكور. وقوله (لي): متعلّق بيقل. وقوله (عجباً): أي أعجب من قولك هذا عجباً. وقوله (الروح لنا): أي هي روحنا. وقال تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [١٥/ الحجر/ ٢٩] وقال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨٥]. وقوله (فهاتِ): بكسر التاء المثنّاة: اسم فعل. وقوله (من عندك): أي من عند نفسك. وقوله (شي): مفعول هاتِ بالوقف على المنصوب بالسكون في لغة ربيعة. ولنا في مطلع قصيدة قريب من ذلك:

إنْ قلت يا روحي لسبوحي   يقول لي بل أنت يا روحي

* * *

إِنْ جُزْتَ بِحَيٍّ سَاكِنِينَ العَلَمَا

[دوبيت]

١ - إِنْ جُزْتَ بِحَيٍّ سَاكِنِينَ[1] العَلَمَا   مِنْ أَجْلِهِمِ حَالِي كَمَا قَدْ عُلِمَا

٢ - قُلْ عَبْدُكُمُ ذَابَ اشْتِيَاقاً لَكُمُ   حَتَّى لَوْ مَاتَ مِنْ ضَنَىً مَا عَلِمَا

(إِنْ جُزْتُ): بفتح تاء المخاطب، أي: مررت وسرت، والمخاطب هو من تقدّم ذكره. وتنكير حيّ لتعظيمه. وقوله (بحيٍّ): أي قبيلة من العرب، كناية عن حضرات الأسماء والصفات كما قدّمناه. وكانوا عرباً، من العروبة للكشف والبيان. وقوله (ساكنينَ): صفة للحيّ. وقوله (العَلَما): بالتحريك، مفعول ساكنينَ، قال في القاموس: «العَلَم محرّكة: الجَبَل الطويل، أو كلّ جبل، والجمع: أعلام». كناية عن حضرة الوجود الحقّ لقيام الأسماء والصفات به، فهي تسكنه. وقوله (من أجلهمِ): بكسر الميم للوزن. وقوله (حالي كما قد عُلِما): بضم العين المهملة، مبني للمفعول، أي: علمّه الناسَ واشتُهر، فلم يخفِ حاله على أحد من البشر. وقوله (قُلْ عَبْدُكمُ): بضمّ الميم للوزن. وقوله (ذاب): أي لم يبقَ على جموده. قال في القاموس: «ذَابَ ذَوْباً وذَوَبَاناً مُحَرَّكة: ضِدّ جَمَدَ». وذلك كناية عن ظهور تجدّده له مع الأنفاس؛ فإنّه خلق الله قائم بأمر الله ، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِٱلْبَصَرِ﴾ [٥٤/ القمر/ ٥٠] وكذلك كلّ شيء؛ فذَوَبَانُه انكشاف أمره له. وقوله (اشتياقاً): مفعول من أجله. وقوله (لكم): بضمّ الميم للوزن، والخطاب للحضرات المذكورة. وقوله (حتّى لو مات): أي هلك بحكم قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [٢٨/ القصص/ ٨٨] وقوله (من ضنى): أي سقام

---

(١) في (ق): نازلين ولم يحذف النوم في المضاف لضرورة الشعر.

زائد في مقاساة المحبّة الإلهيّة. وقوله» (ما عَلِمَا): بفتح العين المهملة وكسر اللام، أي: ما درى هو بنفسه أنّه مات؛ فإنّ الميت بالموت الاختياري لا يشعر/ [٤٤٩/ أ] بنفسه أنّه ميت لعدم بقاء المشاعر منه، وهو بنفسه؛ ولهذا قال البيضاوي رحمه الله تعالى: «إنّ الموت لا ألم فيه؛ إذْ الحياة شرط في إدراك الألم؛ فإذا مات المدرك لا يبقى من يشعر بموته». ذكر معنى ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ [٢٦/ الشعراء/ ٨١] مع قوله: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [٢٦/ الشعراء/ ٨٠] ولم يقل: وإذا أمرضني.

* * *

أَهْوَى قَمَراً لَهُ المَعَانِي رِقُّ

[وقال أيضاً:] [دوبيت]

١- أَهْــوَى قَمَــراً لَــهُ المَعَــانِي رِقٌّ ... مِــنْ صُـبْحِ جَبِينِـهِ أَضَـاءَ الـشَّرْقُ

٢- تَــدْرِي بِــاللهِ مَــا يَقُــوْلُ الـبَرْقُ ... مَــا بَــيْنَ ثَنَايَــاه وَبَيْنِــي فَــرْقُ

(أهوى): أي أحبّ وأعشق. وقوله (قمراً): القمر يكون في الليلة الثالثة، كذا في القاموس. وتنكيره للتعظيم، وفي الحديث:« إنّكم سترون ربّكم كما ترون القمر ليلة البدر»[1] وهو ظهوره تعالى متجلّيا عليهم بنفوسهم متنزّهاً عنها، وعن مشابهة كلّ شيء. وقوله (له): أي لذلك القمر. وقوله (المعاني): جمع معنى، وهو ما تتخيله النفوس بقوّة خيالها. والعلوم الحادثة كلّها معاني، وربّما يراد بالمعاني ما ليس له قيام بنفسه، وهو كلّ شيء؛ فإنّ الكلّ قائمون بالحيّ القيّوم، وليس في العوالم ماله قيام بنفسه، سواء كان عرضاً أو جسماً. وفي اصطلاح الحكماء القائم بنفسه ما كان تحيّزه ليس تابعاً لتحيّز شيء آخر، والقائم بغيره ما كان تحيّزه تابعاً لتحيّز شيء آخر. والتحيّز أخذ المقدار من الفراغ الموهوم. وتابعهم على ذلك المتكلّمون فقسموا العالم، أي: جسم وعرض. والجسم عند المتكلّمين ما تركب من الجزء الذي لا يتجزّأ. وعند الحكماء ما تركّب من الهيولى والصورة النوعيّة. وقد فصّلناه في محلّه من علم الكلام. وقوله (رقّ): قال في القاموس: «الرقّ بالكسر: الملك». يعني: إنّ المعاني كلّها في ملك ذلك القمر المذكور بحيث يتصرّف فيها كيف يشاء، ولا يمكن معرفته بشيء منها مطلقاً؛ لأنّه قديم، وهي كلّها حادثة؛ ولهذا قالوا: كلّ ما خطر ببالك فالله خلاف ذلك، ولكنّه تعالى يتجلّى بها كلّها لمن شاء من عباده، أو ببعضها، أو بشيء واحد منها على مقتضى ما يريد

---

(١) انظر تخريجه ص٢٧١.

تعالى في نفس الإنسان، أو في خارجه، ويستتر كذلك عمّن يشابها، أو بشيء منها في النفس أو في الخارج. وقوله (من صبح جبينه): قال في القاموس: «الجَبينان: حَرْفان مُكْتَنِفا الجَبْهَة من جانِبَيْها فيما بين الحاجِبينِ مُصْعِداً إلى قُصاص الشَعَر، حُرُوف الجَبْهَة ما بين الصُدغَينِ متّصلاً بحذاءِ الناصية، كلّه جبين». والكناية هنا بالجبين إلى طرف من الوجه، وهو انحرافه إلى المعلومات الكونيّة؛ فإنّه نور حقّ يظهر به كلّ مستور في ظلمة العدم من الممكنات. وجعله صبحاً لانكشافه في ظلمة الكون العدميّة. وقوله (أضاء): من الضَّوْء وهو النُّور، ويُضمّ كالضِّوَاء والضِّيَاء بكسرهما: ضَاءَ ضَوْءاً وضُوءاً، وأَضَاء، وأضَاءْتُه وضَوَّأْتُه واسْتَضَأْتُ به، كذا في القاموس. وقوله (الشَرق): بالفتح. قال في القاموس: «الشرق الشمس، ويُحَرَّك، وإسفارها، وحيث تَشْرُقُ الشمس». والمعنى في ذلك: عالم الكون؛ فإنّه كلّ مشرق بالوجود الحقّ، ولا وجود إلا هو، إشراق وجوده من فائض كرمه وجوده. وقوله (تدري): يعني أتدري، بحذف همزة الاستفهام. والخطاب لكلّ سالك في طريق الله تعالى وقوله (بالله): أي أقسم عليك بالله . وقوله (ما): يعني: أي شيء، مفعول تدري. وقوله (يقول البرق): أي الذي يقوله البرق. وهذا القول نطق يسمعه العارف بالله تعالى كما قال سبحانه: ﴿أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىۡءٍ﴾ [٤١/ فصّلت/ ٢١] ولهذا أقسم عليه بالله أن يصدقه فيما يخبر عن نفسه؛ فإنّ النطق عنده ليس من شرطه اللسان. والبرق: واحد بروق: السحاب. كناية عن الأمر الإلهيّ الظاهر بصور الخلق، قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُ﴾ [٧/ الأعراف/ ٥٤] وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ﴾ [٦٥/ الطلاق/ ١٢] أي: بهن فيظهر بينهنّ. وقوله (ما بين ثناياه): أي ثنايا ذلك القمر المذكور/ [٤٤٩/ ب] والثنايا جمع ثَنِيَّة، وهي من الأضراس الأربعة التي في مقدّمة الفم: ثِنتان من فوق، وثِنْتان من أسفل، كذا في القاموس. يكنّي بذلك عن الصفات الأربع الإلهيّة: الحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة: أركان الإيجاد الكوني؛

فالحياة فوقيّة تطبق على القدرة سفليّة، والعلم فوقي يطبق على الإرادة سفليّة. والأسماء الأربعة: الحيّ، العالم، القادر، المريد. والكلام الإلهيّ هو الذي يكشف عن ذلك بظهور الكلمات الطيّبة وغيرها، كما ورد في الحديث القدسيّ: «عطائي كلام، وعذابي كلام؛ إنما أمري لشيء إذا أردت أن أقول له كن فيكون»[1]. وقوله (وبيني): أي بين البرق المكنّى به عن الأمر الإلهيّ. وقوله (فرق): أي مغايرة ومباينة، قال في القاموس: فَرَقَ بينهما فَرْقاً وفُرْقَاناً: فصل.

يعني: إنّ هذا قول البرق؛ لأنّه من آيات الله تعالى المشيرة إلى ظهور نور وجوده من حيث أسماؤه الحسنى على صفحات الآثار الكونيّة بمقتضى الأمر الإلهيّ الذي هو كلمح بالبصر. وقد أشار الشيخ الأكبر قدّس الله سِرّه إلى قريب من معنى ذلك بقوله من أبيات له:

سرت وظلام الليل أرخى سدوله ... فقلت لها طبعاً غريباً متيّما

أحاطت به الأشواق سوراً وأرصدت ... له راشقات النبل أيان يمما

فأبدت ثناياها وأومض بارق ... فلم أدر من رشق الحنادس منهما

وقالت أما يكفيه أنّي بقلبه ... يشاهدني في كلّ وقت أما أما

* * *

(١) انظر تخريجه ص١٨٠٩.

[بُلْبُلَ الصُّدْغ بَلْبَلَ عَقْلِي]

[دوبيت]

وقال قدّس الله سرّه:

١- مَـا أَحْـسَنَ مَـا بُلْبِـلَ مِنْـهُ الـصُّدْغُ　　قَـدْ بَلْبَـلَ عَقْـلِي وَعَـذَولِي يَلْغُـو

٢- مَـا بِـتُّ لَـدِيْغاً مِـنْ هَـوَاه وَحْـدِي　　مَـن عَقْرَبِـه في كُـلِّ قَلْـبٍ لَـدْغُ

(ما أحسن): ما تعجّبيّة. وأحسن فعل تعجّب. وقوله (ما بُلْبِل): ما مصدرية، وبُلْبِلَ فعل ماض بتأويل مصدر منصوب على أنّه مفعول أحسن، قال في القاموس: «بَلْبَلَهُم بَلْبَلَةً وبِلْبَالاً: هَيَّجَهم وحركّهم. والاسم البَلْبال: بالفتح، والبَلْبَالَة». وقوله (منه): أي من المحبوب المكنّى عنه بالقمر قبله. وقوله (الصُّدْغُ): بالضمّ، ما بين العين والأُذن، والشَعَر المُتَدَلِّي على هذا الموضع. وجمعه: أَصْداغ، كذا في القاموس. والمعنى هنا على الثاني؛ بدليل البيت الثاني. ويسمى باسم العقرب لسواده في بياض موضعه، ولنا في مطلع قصيدة قولنا:

صـل الـشعور وعقـرب الأصـداغ　　قـد أفحـشا في القـرص والإلـدغ

ويسمّى السالف أيضاً، ومنه قولنا في مطلع قصيدة:

طلعـن بـدوراً في ديـاجي الـسوالف　　فـذكّرنني طيـب الليـالي الـسوالف

والإشارة به هنا إلى عالم الكون لتدلّيه من الوجود الحقيقيّ مشعراً به من حيث هو شعر. وقوله (قد بلبل عقلي): أي أوقع به الاختلاط، وتفرّق الرأي من البَلْبَلَة، قال في القاموس: «البَلْبَة: اختلاط الألسنة، وتفريق الأراء، وقوله (وعذولي يلغو): الواو للحال. والجملة حال من فاعل بَلْبَل، وهو ضمير راجع إلى الصدع. ويقال: لغا يلغو: إذا سقط في كلامه، وأتى بما لا يعتدّ به من الكلام.

قال في القاموس: «اللَّغْو واللَّغَا كالفتى: السَقَطُ، وما لا يُعْتَدُّ به من كلام وغيره، كاللَّغْوَى كسَكْرَى». وقوله (ما بتُّ): يقال بَاتَ يفعل كذا يَبِيْتُ ويَبَاتُ بَيْتَاً وبَيَاتاً ومَبِيْتاً وبَيْتُوْتَة، أي: يَفْعَلُه لَيْلاً، وليس من النوم، ومن أَدْرَكَه الليلُ فقد بات. وقد بَتَّ القومُ، وبِهِم، وعِنْدَهُم، كذا في القاموس. واسمها ضمير المتكلِّم. وقوله (لديغاً): خبرها، وهو فعيل بمعنى مفعول، بالدّال المهملة والغين المعجمة: من لَدَغَتهُ العَقْرَب والحَيَّة لَدْغَا وتَلْداغاً فهو مَلْدُوغ ولَدِيغ، كما في القاموس. وقوله (من هواه)/ [٤٥٠/ أ] أي: الصدغ المذكور. يعني: من محبّته. وقوله: (وحدي): بمعنى منفرداً، حال من اسم بات، وهو ضمير المتكلّم. وقوله (من عقربه): أي الصدغ المذكور، المكنّى به عنه عالم الكون، قال تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [٣/ آل عمران/ ١٨٥]. وقال تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [٨/ الأنفال/ ٢٨]. وقوله (في كلّ قلب لدغ): وهي فتنة الدنيا عند الغافلين المحجوبين عن الحقّ تعالى، وفتنة المحبّة الإلهيّة، والعشق الربّانيّ عند العارفين بالله تعالى، أهل الكشف والشهود، كما قلنا في قصيدة لنا:

قــرؤوا الوجــود وساوســاً وزخارفــاً   وقبــيح أوهــام وخبــث فهــوم

ولقــد قرأنــــاه صــــحائف نــــشّرت   بــالحقّ بــين معــارف وعلــوم

والأمر الواحد ينزل بالأضداد على قلوب العباد.

* * *

مَا جِئْتُ مِنَى أَبْغِي قِرَى كَالضَّيْفِ

[دوبيت]

[وقال أيضاً]:

مَـا جِئْتُ مِنَـى أَبْغِـي قِـرَى كَالـضَيْف   عِنْدِي بِكَ شُغُلٌ عَنْ نُزُولِ الخَيْفِ
وَالوَصْــلُ يَقِيْنــاً مِنْــكَ مَــا يُقْنِعَنِــي   هَيْهَاتِ فَدَعْنِي مِنْ مُحَالِ الطَّيْفِ[1]

(ماجئت مِنَىً): ما نافية، ومِنَىً بالقصر، قال في القاموس: «مِنَىً كإلى، قرية بمكّة، وتُصْرَف، سُمِّيَت لِمَا يُمْنَى بها من الدماء»، وعن ابن عبّاس رضي الله عنهما؛ لأنّ جبريل، عليه السلام، لَمَّا أراد أنْ يُفارق آدمَ، عليه السلام، قال له: تَمَنَّ. قال: «أَتَمَنَّى الجَنَّة فسُمِيَتْ مِنَىً لأُمْنِيَّةِ آدم، عليه السلام». ومنى كناية هنا عن مقام الأفعال الإلهيّة، وهي آثار الأسماء الربّانيّة، يظهر فيها الحقّ الوجود تعالى في صورة كلّ شيء، وذلك باب الحضرة يُطرد منه من يُطرد بسوء الأدب، ويُؤذن بالدخول فيه لمن يؤذن له بالأدب الشرعيّ، ويُسَنّ البيات فيه ليلة عرفة؛ لأنّ صبحها الوقوف بالعرفات على الحقيقة الإلهيّة في الحجّ الرحمانيّ. وقوله (أبغي): من البغية، وهي الحاجة، والجملة حال من تاء المتكلّم. وقوله (قِرَى): بكسر القاف، أي: ضِيافة، قال في الصحاح: «قَرَيْتُ الماءَ في الحوض»، أي: جمعت، واسم ذلك الماء قِرَى، بكسر القاف، مقصور، وكذلك ما قُرِيَ به الضيف». وقوله (كالضَّيْف): أي بمنزلة الرجل الذي ينزل بقوم ضيفاً عندهم، وهو أجنبي منهم. قال في القاموس: «الضَّيف: اسم للواحد والجمع، وقد يُجمع على أضياف وضُيوفٍ وضِيفان». وقوله (عندي بك): أي بالقيام بأمرك، كما قال تعالى: ﴿وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ [٢١/الأنبياء/٢٧]. وقوله (شغل): أي اشتغال. وقوله (عن نزول

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: «بلغ».

الخيف): أي الهبوط من شهود وحدتك إلى كثرة آثار أسمائك وصفاتك؛ فإنّ الخيف: اسم لما انحدر من غليظ الجبل، وارتفع عن مسيل الماء، وكلّ هبوط وارتقاء في سفح جبل، وغرّة بيضاء في الجبل الأسود الذي خلف أبي قبيس، وبها سمي مسجد الخِيف. أو لأنّها ناحية من منى، أو لأنّها في سفح جبل، كذا في القاموس. يكنّي بالخيف عن الصور الكونيّة في الحس والعقل.

وقوله: (والوصل): أي الاتّصال بين المحبّ والمحبوب، ولقائه، والاجتماع به، مع المغايرة بينه وبينه. وقوله (يقيناً): حال من الوصل، أي حال كونه متيقّناً به، من يَقِنَ الأمرُ، كفَرِح يَقْناً، ويُحَرّك، وأيقَنَه، و- به، وتيَقَّنَه، واسْتَيْقَنَه و- به: عَلِمَه وتحَقَّقَه، كذا في القاموس. وقوله (منك): متعلّق بيقيناً. والخطاب للمحبوب المذكور. وقوله (ما يقنعني): ما نافية. يقنعني، من القناعة، وهي الرضى بالقِسْم، كالقَنَع محرّكة. والقُنْعان بالضمّ، والفعل كفرح، كما في القاموس. يعني: لا أقنع بالوصال، لأنّه يقتضي انفصالي عن حضرة المحبوب الحقيقيّ لضرورة حظّ النفس من التمتع باللقاء، والفرح بالاجتماع. وقوله (هيهات): أي بَعُد الأمر، وهي اسم فعل معناها البعد. وقوله (فدعني): أي اتركني. وقوله (من محال الطيف): أي من الطيف الذي هو مُحال بالضمّ، قال في القاموس: «المُحال من الكلام بالضمّ/ [٤٥٠ب] ما عُدِل عن وجهه كالمُسْتَحِيل». يعني: إنّ ذلك الطيف معدول به عن ظاهره، أو مِحال الطيف ككتاب، وهو الكيد، وروم الأمر بالحيل، والتدبير، والمكر، والجدال، كذا في القاموس. يعني: ما يترتب على ذلك الطيف من الأمور العظام المبنيّة على الأوهام. والطيف هو الخيال الطائف في المنام ومجيؤه في النوم. وطاف الخيالُ يَطِيف طَيْفاً ومَطَافاً ويَطُوف طيفاً، وإنّما قيل لطائف الخيال: طيف، لأنّ أصله طَيِّف كمَيِّت وميْت، من مات يموت، كذا في القاموس. والطيف هنا كناية عن صورة المحبوب التي يراها النائم، و«الناس نيام؛ فإذا ماتوا انتبهوا»[1] كما في الأثر، فيرون الصور.

---

(١) انظر تخريجه ص٢٨٦.

لَمْ أَخْشَ وَأَنْتَ سَاكِنُ أَحْشَائِي

[دوبيت]

قال قدّس الله سرّه:

لَمْ أَخْشَ وَأَنْتَ سَاكِنٌ أَحْشَائِي	**إِنْ أَصْبَحَ عَنِّي كُلُّ خِلٍ نَائِي**
فَالنَّاسُ اثْنَانِ وَاحِدٌ أَعْشَقُهُ	**وَالآخَرُ لَمْ أَحْسَبُهُ فِي الأَحْيَاءِ**

(**لم أخشَ**): أي لم أخف من شيء. وقوله (**وأنت**): الواو للحال، والجملة حال من فاعل أخشى. وهو ضمير المتكلّم، والخطاب للمحبوب الحقيقيّ. وقوله (**ساكن أحشائي**): جمع حشا، وهو ما انضمّت عليه الضلوع، والجمع: أحشاء، كذا في الصحاح. وكونه ساكن أحشائه، لأنّه محيط به من جميع جهاته، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾ [٨٥/ البروج/ ٢٠] وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾ [٤١/ فصّلت/ ٥٤] والعالم محيط بالمعلوم إنْ كان المعلوم موجوداً أو معدوماً، ولم تتغير إحاطته به إذا صار معدوماً؛ بل الإحاطة القديمة بالمعلومات في حال عدمها هو الإحاطة بها بعد وجودها، ولا حلول ولا اتّحاد، والله بصير بالعباد. وقوله: (**أصبح عنّي**): متعلّق بـ (**نائي**) آخر البيت، قدّم للحصر، وهو إنّك في النأي. وقوله (**كلّ خِلّ**): بالكسر وبالضمّ، وهو الصديق المختصّ، أو لا يضمّ إلّا مع وُدّ، يقال: كأن لي وُدّاً وخُلّا كما في القاموس. وقوله (**نائى**): أي بعيد من نأى إذا بعُد؛ وإنّما تبعد عن الإخلاء والأصدقاء، إنكاراً منهم لحالته التي هو متحقّق بها، وهي إحاطة الحقّ تعالى به ظاهراً أو باطناً عن كشف منه وشهوده غافلون عن حالته، محجوبون عنها بنفوسهم القائمين بها يظنون أنّهم مستقلّون دون الحقّ تعالى، وأنّهم على الحقّ وهو على الباطل، فيفرون من كلامه في ذلك، ويتباعدون عنه حتّى يرجع إلى حالهم الذي هم فيه، كما قلنا من قصيدة لنا:

يــا نفوســاً بالجهــل منتكــسات   يعتريهـا إنْ شــمت الحــقّ وخــز
اخــــسئي لا تجــــاوزي قـــدرهم   وهــو طــرز والفهــم في الله طــرز

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [٣٩/ الزمر/ ٤٥] وقوله (فالناس): الفاء للتفريع على ما قبله. وقوله (اثنان): أي قسمان، أو شخصان. وقوله (واحد): أي قسم واحد، أو شخص واحد. وقوله (أعشقه): أي أحبّه حبّاً مفرطاً، وهو صاحب الجمال الإلهيّ المشرف على باطنه بالعلوم الإلهيّة، والمعارف الربّانيّة. وعلى ظاهره بالعبادات الشرعيّة، والأخلاق المحمّديّة. وهم أصحاب المقامات العالية، والمراتب الساميّة. يعشقهم لتشرق عليه أنوارهم، وتضيء له بمتابعة أسرارهِمْ. هُمُ القوم لا يشقى جليسهم ولا يستوحش من مقفرات الدنيا أنيسهم. وقوله (والآخر): أي القسم الآخر، أو الشخص الآخر. وقوله (لم أحسبه): من الحساب، أي: لم أعدّه، قال في القاموس: «حَسَبَه حَسْباً وحُسْبَاناً، بالضمّ، وحِسْبَاناً وحِسَاباً وحِسْبَة وحِسَابَة، بكسرهِنّ: عَدَّه. والمَعْدُودُ: مَحْسُوب». وقوله (في الأحياء): أي في جملة الأحياء، ضدّ الأموات، جمع حيّ، وهو بدون الحياة لموت قلبه عن معرفة ربّه، وبُعْده عن قربه، وهو المحجوب بالقيام بنفسه، المحروم عن مناجاة ربّه، وعن/ [٤٥١/ أ] لطائف أنسه المشغول بمشاهدة أحوال الخلائق المطموس البصيرة بتراكم الموانع على قلبه والعلائق؛ فهو ميت في صورة حيّ، ورشاده لمن تحقّق به غي، وكلا عالَمَيْه تعب وعي.

* * *

رُوحِي لِلِقَاكَ آشْتَاقَتْ

[دوبيت]

قال قدّس الله سرّه:

رُوحِـي لِلِقَـاكَ يَـا مُنَاهَـا اشْـتَاقَت وَالأَرْضُ عَـلَيَّ كَاحْتِيَـالِي ضَـاقَتْ
وَالـنَّفْسُ فَقَـدْ ذَابَـتْ غَرَامَـاً وأَسَـى فِي جَنْبِ رِضَاكَ فِي الهَوَى مَا لَاقَتْ

(روحي): أي المنفوخة فيه عن أمر الله تعالى. وقوله **(للقاك)**: أصله للقائك بالهمزة الممدودة فقصر للوزن. والخطاب للمحبوب الحقيقيّ. وقوله **(يا مُناها)**: يا حرف نداء، ومناها بضمّ الميم، منادى مضاف إلى روحي. والمُنَى بالضمّ جمع مُنية بالضمّ والكسر، والأُمنية بالضمّ. وتمنّاه: أراده ومَنّاه تَمْنِيَة، كذا في القاموس. أي: يا من هو مراداتها ومقاصدها على اختلاف أنواعها؛ فإنّ الكلّ حقيقة واحدة من حيث ذاتها ظاهرة في صور كثيرة بخواص مختلفة من حيث أفعالها المظهرة لأسمائها وصفاتها. والروح الأمريّ المنفوخ في الجسد الإنسانيّ المسوّى كاشف عن جميع ذلك إذا تجرّد عن العلائق البشريّة، والطبائع الجسمانيّة. وقوله **(اشتاقت)**: أي روحي المذكورة، كما قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [٥/ المائدة/ ٥٤]. وقوله **(والأرض عليّ)**: بتشديد الياء التحتيّة. وقوله **(كاحتيالي)**: الاحتيال مصدر احتال، أي: عمل الحيلة، وهي الحِذْق وجودة النظر، كذا في القاموس. يعني: مثل احتيالي. وقوله **(ضاقت)**: أي الأرض من حيث الحسّ، كما ضاق احتيالي من حيث العقل؛ فالضيق شامل لظاهري وباطني، وهو الحصر، وعدم الاتّساع، وذلك بسبب الاشتياق الملازم لروحه الأمريّة إلى الحضرة المحبوبيّة. وقوله **(والنفس)**: أي ظهور الروح في عالم الطبيعة، بقواها النافذة في الجسد المسوّى المدبرة له ظاهراً وباطناً، وهذا هو الفرق بين الروح والنفس. وقد يطلق القلب

على الروح، كما قلنا في مطلع قصيدة لنا:

قلـــوب متـــى منـــه خلـــت فنفـــوس لأحرف وسواس اللعين طروس

وإنْ ملئـــت منـــه ومـــن نـــور ذاتـــه فتلـك بـدور أشرقـت وشـموس

وقوله (فقد): الفاء حرف جواب، أمّا المقدّرة، وتقديره: وأمّا النفس فقد. وقوله (ذابت): أي اضمحلّت شئاً فشيئاً بأنْ تجرّدت عن علائقها البشريّة، وموانعها الطبيعيّة؛ فصارت روحاً كما كانت في أوّل أمرها. وقوله (غراماً): مفعول من أجله، علّة لقوله ذابت. و(الغرام): هو العشق الملازم. وقوله (وأسىً): معطوف على (غراماً). والأسى: الحزن. وقوله (في جنب رضاك): أي في طرف، وجانب من رضاك والخطاب للمحبوب الحقيقيّ. وقوله (في الهوى): أي في المحبّة والعشق. وقوله (ما لاقته): أي الذي لاقته، يقال: لاقاه ملاقاة ولِقاء بمعنى: وجده، وهو ما يجده المحبّ من مقاساة الشدائد. وفاعل لاقت ضمير عائد إلى النفس. يعني: حيث أنت راضٍ فكلّ صعب سهل، ولكلّ مقام أهل.

* * *

رَشَأٌ بَعَثَ الأَسَى

[دوبيت]

[وقال أيضاً:]

أَهْـوَى رَشَـأً كُـلَّ الأَسَـى لِي بَعَثَـا مُـذْ عَايَنَـهُ تَـصَبُّرِي مَـا لَبَثَـا

نَادَيْـتُ وَقَـدْ فَكَّـرْتُ فِي خِلْقَتِـهِ سُـبْحَانَكَ مَـا خَلَقْـتَ هَـذَا عَبَثَـا

(أهوى): أي أحبّ. وقوله (رشأ): وهو ولد الغزال إذا قَوِيَ، ومَشَى مع أمّه، وجمعه: أرشاء، كذا في القاموس. يكنّي بالرشأ هنا عن الصورة الكاملة التي يتجلّى بها الحقّ تعالى؛ فإنّها عرض لا يبقى، يظهر بها الوجود الحقّ لمحة، ويختفي لمحة، عن كشف منها لها، وهو شهود، الإنسان الكامل، المتّصف بالجمال الذاتي من حيث أنّه العالِم العامل، وهذا الجمال لا يدركه إلّا العارف بربّه، المتحقّق بمراتب قربه، وهو الداعي إلى العشق الربّانيّ/ [٤٥١/ ب] والحبّ الرحمانيّ. وقوله (كلّ الأسى): أي الحزن. وقوله (لي): متعلّق بـ (بَعَثَا)، قدّم عليه للحصر. وقوله (بَعَثَا): الألف للإطلاق. يقال: بعثه كمنعه، أرسله، كما في القاموس. وقوله (مُذ): بضمّ الميم وكسرها وسكون الذال المعجمة: اسم مبني على السكون، معناها أوّل المدّة في الماضي. وقوله (عاينه): يقال عَاينتُ الشيءَ عِياناً: إذا رأيته بعينك، كذا في الصحاح. والضمير للرشأ المذكور. وقوله (تَصَبُّري): هو تكلّف الصبر. وقوله (ما لبثا): ما نافية، أي: ما مكث، ولا توقف، قال في القاموس: «اللّبْث: المُكْث، والفعل: كسَمِع، نادر؛ لأنّ المصدر من فَعِل بالكسر، قياسُه بالتحريك إذا لم يَتَعَدَّ». وقوله (ناديتُ): بضمّ تاء المتكلّم. وقوله (فكرتُ): بتخفيف الكاف وتشديدها، من الفِكْر بالكسر، ويُفتح: إعمال النظر في الشيء،

كالفِكْرة والفِكْرَى، والجمع: أَفْكَار، فَكَر فيه وأَفْكَر وتَفَكَّر، كذا في القاموس. وقوله (في خِلْقَتِه): أي خلقة ذلك الرشأ المكنّى به عمّن ذكرنا، وإنّما جعله رشأ لأنّ النفار من شأن الرشأ. والمكنّى به عنه ينفر من الناس بباطنه، وقد ينفر بظاهره أيضاً، ولشهود العارف نفسه ظاهرها وباطنها قائمة بأمر الله الذي هو كلمح بالبصر. وقوله (**سبحانك ما خلقت هذا عبثاً**): يشير إلى معنى قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [٣/ آل عمران/ ١٩١]. سبحانك من التسبيح، قال في القاموس: «سبحان الله تنزيهاً لله من الصاحبة والولد، معرفة، ونصب على المصدر، أي: أُبَرِّئ الله من السُّوء براءة، أو معناه السُرعَة إليه، والخِفَّة في طاعته، وسبحانه من كذا: تعجّب منه». وهذا تسبيح وتقديس وتنزيه عن الصورة المتجلّي بها تعالى، المكنّى عنها بالرشأ، كما ذكرنا. والعَبَث بالتحريك، من عَبِثَ كفَرِح: لَعِب، كما في القاموس. وهو الباطل المذكور في الآية، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ۝٣٨ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [٤٤/ الدخان/ ٣٨].

* * *

يا ليلة الوصل

[دوبيت]

وقال قدّس الله سرّه:

١- يَا لَيْلَةَ وَصْلٍ صُبْحُهَا لَمْ يَلُحِ ... مِنْ أَوَّلِهَا شَرِبْتُهُ فِي قَدَحِي

٢- لَمَّا قَصُرَتْ طَالَتْ وَطَابَتْ بِلِقَا ... بَدْرٍ مِحَنِي فِي حُبِّهِ مِنْ مِنَحِي

(يا ليلة وصل): كناية عن ليلة نشأة الأكوان جميعها: عوالم السموات، وعوالم الأرض، وما غاب عنّا، وماحضر لدينا من الروحانيات، والجسمانيّات، وغير ذلك؛ فإنّ الجميع نشأة واحدة. وهي كلّها ظلمة لفنائها في نور وجود الحقّ تعالى، والنفوس لا تشهد سواها، ولا تجد إلّا إيّاها، لأنّ النفوس من جملتها، والمخلوق لا يجد مخلوقاً مثله. وكونها ليلة وصل، لأنّ المحبوب الحقيقيّ معانق، وممتزج بكلّ شيء، منها معانقة وجود حقّ لعدم صرف، وامتزاج موجود حقيقيّ لمعدوم حقيقيّ، فلا معانقة، ولا امتزاج؛ لأنّ ذلك كلّه محال، وهو أمر محقّق عند العارف به، حاصل من الأزل إلى الأبد. غير أنّه تعالى يقلب القلوب والأبصار؛ لأنّه مالكها، وهو المتصرّف فيها، قال تعالى: ﴿أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [١٠/ يونس/ ٢٧] الآية. فإذا شاء تجلّى وانكشف لمن شاء، وإنْ شاء استتر، وانحجب عمّن شاء كما قال سبحانه: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٧] وكان الناظم قدّس الله سرّه ممن شاء تعالى التجلّي والانكشاف له كأمثاله من العارفين؛ فلهذا قال ياليلة وصل، وهي ليلة القدر التي نزل فيها القرآن على نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم بالوحي الجبرائيليّ الذي كان ينزل على الأنبياء قبله عليهم السلام، ولم يزل ينزل فيها على قلوب

الورثة المحمّديّين من الأولياء المحقّقين إلى يوم القيامة بالوحي الإلهاميّ، لا الوحي النبويّ بملك الإلهام، كما أشار إليه الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه في فتوحاته المكيّة، وله في المعنى قوله:

تنزّلت الأملاك ليلاً على قلبي ودارت عليه مثل دائرة القُلْب

(والقُلْب): بضمّ القاف: السوار، وتنكير ليلة وتنكير الوصل للتعظيم، وقصد التعميم. وقوله/ [٤٥٣/ أ] (صبحها): أي صباح تلك الليلة، وهو نورها الذي يظهر فيها، فيمحوها ويفني ظلمتها؛ وهو نور وجود الحقّ تعالى. وقوله سبحانه: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [٢٤/ النور/ ٣٥] وقوله في يوم الكشف والظهور: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [٣٩/ الزمر/ ٦٩] وقوله (لم يَلُحِ): أي لم يظهر، ولم ينكشف للكلّ فيشهدونه، لأنّه لا يظهر إلّا يوم القيامة لجميع الخلق، كما قال عن ذلك اليوم: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ [٣٩/ الزمر/ ٦٩] وهو صور العوالم وأحوالهم وأعمالهم؛ فإنّ ذلك كلّه باعتبار آخر غير اعتبار أنّها ليلة حروف مرسومة بالسواد على صفحات نور الوجود الحقّ، قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه في مطلع أبيات له:

يا بدر بادر إلى المنادي كفيت فاشكر ضرّ الأعادي

قد جاءك النور فاقتبسه ولا تعرّج على السواد

ومن أتاه النضار ماء يزهد في الخطّ بالمداد

إلى آخر الأبيات. وروي عن الإمام علي كرّم الله وجهه أنّه قال لعبده كميل: «يا كميل، قد طلع الصباح، فأطفئ المصباح». ومراده بالمصباح: العقل؛ لأنّه مصباح يستضيء به الإنسان في ظلمات الأكوان؛ فإذا طلع صباح نور الوجود الحقّ أغنى عن أنوار العقول، كما قال صلّى الله عليه وسلّم: «اتقوا فراسة المؤمن فإنّه

ينظر بنور الله وينطق بتوفيق الله»[1]. وقوله (من أوّلها): أي من ابتداء خلق هذه الليلة المذكورة، وأوّل تقديرها الأزلي في حضرة علم الله تعالى، وتوجّه إرادته ومشيئته الأزليّة، وحضرة كلامه القديم. وقوله (شربته): أي ذلك الصبح الذي هو نور الوجود الحقّ، الذي من أسمائه هو كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [٥٩/الحشر/ ٢٢] الآية وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ۝٢٠ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ [٨٥/ البروج/ ٢٠-٢٢]. وأيضاً الصبح من أسماء الخمرة. وفي الكلام الاستخدام من أنواع البديع باستعمال الصبح في أحد معنييه، ثمّ إرجاع الضمير إليه بالمعنى الآخر. وكون الحقّ تعالى غيباً محيطاً بكلّ شيء، كما قلنا في مطلع أبيات لنا:

إنّـــما نحـــــن للإلــــه شـــؤون ... فهـــو فينـــا في كـــلّ يـــوم يكـــون

نزلـــت شمــــسه المنــــازل منّــــا ... فظهـــور لـــــه بنــــا وبطـــــون[2]

كخـــروق الجـــدار يظهــــر منّــــا ... قمـر الأفـق وهـو عنهـا مـصون[3]

وقوله (في قدحي): أي في صورتي المحيط به تعالى من حيث ظاهرها وباطنها، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾ [٤١/ فصّلت/ ٥٤] لا على معنى الحلول والاتحاد؛ فإنّ ذلك محال عليه تعالى لفناء كلّ شيء بالنسبة إلى وجوده الحقّ، وانعدام كلّ شيء بالنظر إليه تعالى، كما قال سبحانه: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [٢٨/ القصص/ ٨٨] وقوله: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ٢٦-٢٧] وقوله صلّى الله عليه وسلّم: «كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان»[4].

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة الحجر،٣٤١٩، دون لفظ وينطق بتوفيق الله.

(٢) الشطرة الثانية في الديوان هي: «فظهور لها بنا وكمون».

(٣) البيت غير موجود في القصيدة نفسها.

(٤) انظر تخريجه ص٤٦١.

وفي ذكر القَدَح مناسبة لقوله: شربته. يعني: الخمر، المسمّى بالصبح. ففي الكلام مناسبة الظاهر والباطن. وقوله (لمّا قَصُرَتْ): أي تلك الليلة التي هي ليلة الوصل كما ذكرنا، وقصرها بالنسبة إلى وجدان المحبّ العاشق؛ فإنّه يجد الليلة الطويلة قصيرة بكثرة لذّته بلقاء محبوبه، ولأنّها مجموع همّته، وغاية مطلوبه؛ فهي قصيرة جداً؛ لأنّ نهايتها أنْ ترجع النفس واحدة، والروح واحدة قال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ [٣/ آل عمران/ ٣٠] ، ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [٣/ آل عمران/ ٢٨] فنفسه نفسهم، وهو رؤوف بهم، وإليه مصيرهم يوم الكشف العام المطلق كما نبّههم على ذلك بقوله: ﴿أَفَمَنۡ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ﴾ [١٣/ الرعد/ ٣٣] وما قلناه إنّما يكون بعد فناء نفوسهم في نفسه، وموتها في حياته على الكشف والشهود. وقال تعالى عن أبينا آدم عليه السلام وذلك بأقل/ [٤٥٢/ ب] في الكاملين من ذريّته، ﴿فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [٣٨/ ص/ ٧٢] الآية؛ فالروح واحدة كما أنّ النفس واحدة، فإذا وصل المحبّ العاشق إلى التحقّق بذلك لم يبقَ له نفس، ولا روح، ولا محبّة، ولا عشق، وهذا معنى قصر ليلة الوصل، كما قلنا في مطلع أبيات لنا غزليّة:

ترفّق فأيام المحبّ قصار وفي القلب من فرط الصبابة نار

وقوله (طالت): أي تلك الليلة. يعني: بعد قصرها بوجود نفس المحبّ العاشق، ووجود روحه انكشف له أنّها طويلة، طولها من الأزل إلى الأبد، فلا انقضاء لها ولا انصرام، كما أنّه لا بداية لها ولا افتتاح؛ لرجوع الأمر كلّه إليه تعالى أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، ثمّ بيّن معنى قصرها. ومعنى طولها بقوله وطابت (بلقا): بحذف الهمزة لضرورة الوزن بقصر ممدود، وأصله بلقاء، بالهمزة، وطيبها باللقاء في حال طوله أكثر من طيبها في حال قصرها، لأنّ في حال قصرها في نفس المحبّ العاشق بقيّة بما هو محبّ وعاشق، ولذّته مع المغايرة لذّة كونيّة قليلة. وفي

حال طولها البقيّة لله لا لسواه، كما قال تعالى: ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [١١/ هود/ ٨٦]؛ فاللذّة أعظم، والمقام أفخم، وهو الطيّب الدائم، والنعيم الملازم، فيه تطيح العبارات، وتذهب الإشارات، ولا ينفع العبد إلّا ركيعات كان يتركّعها في جوف الليل، أي: ليل الأكوان، كما نقل ذلك عن رئيس هذه الطائفة أبي القاسم الجنيد قدّس الله سرّه. والركيعات بالتصغير للتعظيم انحناءات في الطاعة، وميلات إليها بالكلّيّة بمقتضى المشيئة، والإرادة الإلهيّة؛ فإنّها أوصلته إلى الشائي المريد الحقّ من تجلّي اسمه الفعّال لما يريد، فتحقّق بها ذكرناه.

والحاصل: إنّ قصرها باعتبار وجود المحبّ العاشق سبب لطولها باعتبار فنائه وانمحاقه؛ فهو تارة فانٍ، وتارة باقٍ. وليلة الوصل تارة قصيرة منتجة للطول لكثرة أعماله الصالحة فيها، وتارة طويلة، وهكذا حال الكاملين. وقوله (بدر): من قوله صلّى الله عليه وسلّم: «إنّكم سترون ربّكم كما ترون القمر ليلة البدر»[1] الحديث في صحيح مسلم. وقوله (مِحَنِي): جمع مِحْنَة، قال في القاموس: «مَحَنَهُ كمَنَعَه: ضَرَبَه واخْتَبَرَه، كامْتَحَنَه، والاسم المِحْنَة بالكسر». وقوله (في حبّه): أي في محبّة ذلك البدر المذكور. وقوله (من مِنَحِي): جمع مِنْحَة. قال في القاموس: «مَنَحَه كمنعه وضربه: أعطاه، والاسم: المِنْحَة بالكسر» . والمعنى: إنّ بلايا المحبّة وشدائدها باعتبار هذا المحبوب الحقيقيّ منتجة للنتائج الفاخرة والعطايا الوافرة.

* * *

(١) انظر تخريجه ص٢٧١.

مَا أَطْيَبَ مَا بِتْنَا مَعًا فِي بُرْدِ

[دوبيت]

وقال قدّس الله سرّه:

مَــا أَطْيَــبَ مَــا بِتْنَــا مَعــاً فِي بُــرْدِ إِذْ لاصَــقَ خَــدَّهُ اعتِنَاقــاً خَــدِّي
حَتّــى رَشَــحَتْ مِــنْ عَــرَقٍ وَجْنَتُــهُ لَا زَالَ نَــصِيبِي مِنْــهُ مَــاءَ الــوَرْدِ

(ما): تعجبيّة. و(أطيب): فعل تعجّب. وقوله (ما بتنا): ما مصدريّة. وبتنا فعل ماض بتأويل مصدر، أي: ما أطيب بياتنا، أي: دخولنا في بيت الظلمة الكونيّة من حيث تجلّيه بها. وقوله (معاً): بالتنوين، أي أنا وإياه. يعني المحبوب الحقيقيّ. وقوله (في بُرْد): قال في القاموس: «البُرْد بالضمّ: ثوب مخطط، جمعه أبْرَاد وأَبْرُد وبُرُود، وأَكْسِيَة يُلتَحَف بها، الواحدة بهاء». وهو كناية هنا عن النشأة الإنسانيّة، والصورة الآدميّة ظاهراً وباطناً. ويعني بذلك نفسَه. وكونهما معاً لأنّه مخلوق مقدّر، قائم بخالق قدّره من العدم، وظهر به ومن ورائه محيط، وكلّ منهما عالم بالآخر بعلم واحد، ولا حلول ولا اتّحاد؛ وإنّما هو وجود نسب إليه وإيجاد. وقوله (إذْ): هي ظرف للزمن الماضي، وهو الغالب عليها نحو قوله تعالى: ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [٩/ التوبة/ ٤٠] كما في مغني ابن هشام/ [٤٥٣/ أ]. وقوله (لاصَقَ): من المُلاصقة، مفاعلة من الجانبين، ويقال: لَزِقَ به ولَسِقَ به ولَصِقَ به، بحروف الصفير الثلاثة. قال في الصحاح: «لِزِقَ لُزُوْقاً والتَزَقَ به، أي: لَصِقَ به. ويقال: لَسِقَ به، ولَصِقَ به، والتَسَقَ والتَصَقَ به». ومعنى المُلاصَقَة هنا: كمال الاتّصال بقيام الأثر بالمؤثر من غير توسط أثر، لعدم تأثير الآثار في الاضطرار والاختيار. وقوله (خَدُّهُ): أي المحبوب الحقيقيّ المذكور؛

والخَدُّ بمعنى الطريق، بمعنى الجماعة، وبمعنى الحُفْرَة المُستَطيلة في الأرض كالخُدَّة بالضمّ، والأُخْدود، والجَدوَل وصَفيحَة الهَودَج. والخَدّان، بالفتح والخُدَّتان بالضمّ: ما جاوز مؤخر العَينينِ إلى مُنْتَهَى الشِّدق، أو اللذانِ يَكتنفان الأنف عن يمين وشمال. أو من لَدُن المَحْجَر إلى اللَحْيِ، مذكّر، ذكره في القاموس. والإشارة هنا بالخدّ إلى الحضرة الأسمائيّة، لأنّها طريق الذات، وجماعتها، وجدولها المنصب إليها، وصفيحة هودجها. وقوله (**اعتناقاً**): مفعول من أجله، أي: ملاصقة لأجل الاعتناق من زيادة المحبّة، أو مفعول مطلق، أي: ملاصقة اعتناق، أو تمييز من جهة الاعتناق. وقوله (**خدّي**): هو الخدّ المعروف. وقوله (**حتّى رشحت**): يقال رَشَح الجسد يَرشَح رَشْحاً: إذا عَرِقَ، فهو راشح، كذا في المصباح. وقوله (**مِن عَرَقٍ**): بالتحريك متعلّق برشحت. وقوله (**وَجْنَتُهُ**): فاعل رشحت. والضمير للمحبوب الحقيقيّ، والوَجْنَة، مثلثة وككلمة ومحرّكة: ما ارتفع من الخَدَّينِ، كذا في القاموس. كناية هنا عمّا توجّه عليه من حضرات الأسماء الربّانيّة، فظهر أثرها فيه؛ فإنّ كلّ اسم جامع لكلّ اسم من تحت حيطة ذلك الاسم المكنّى عنه بذلك. والعَرَق كناية عن العلم الخاص الذي يفيده ذلك الاسم الجامع. وقوله (**لا زال نصيبي**): أي حَظّي وقِسْمِي. وقوله (**منه**): أي من ذلك العَرَق. وقوله (**ماء الورد**): يعني من جهة طيب رائحة ذلك الفائحة في الناس، ومنه الورد، نوع يسمّى الورد النصيبي، وفيه تلميح به[1].

* * *

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: «بلغ».

لِلرُّوحِ غِـذَا

وقال قدّس الله سرّه:

١ - أَهْـوَى رَشَـأً هَـوَاهُ لِلـرُّوحِ غِـذَا مَـا أَحْـسَنَ فِعْلَـهُ وَلَـوْ كَـانَ أَذَى

٢ - لَمْ أَنْسَ وَقَدْ قُلْتُ لَـهُ الوَصْـلُ مَتَـى مَـوْلَايَ إذا مُـتُّ أَسَـىً قَـال إذا

(**أهوى**): أي أحبّ. وقوله (**رَشَأً**): مهموز ولد الظبية إذا تحرّك ومشى، والجمع: أَرشاء مثل سبب وأسباب، كذا في المصباح. كنّى بذلك عن الحضرة النافرة عن إدراك العقول كنفور الظباء في فلوات الإطلاق. وقوله (**هواه**): أي محبّته والتعلّق به. وقوله (**للروح غذا**): بالقصر، وأصله غذاء مثل كتاب، وهو ما يُتغذّى به من الطعام والشراب، فيقال: غذا الطعامُ الصبيَّ يَغذُوه من باب عَلَا: إذا نَجَعَ فيه وكَفَاه. وغَذَوْتُه باللبن أَغْذُوه أيضاً فاغْتَذَى به وغَذَّيته بالتثقيل مبالغة، كما في المصباح. وكون هواه ومحبّته غذاء للروح؛ لأنّ به تقويتها وتنميتها وزيادة نشاطها. وقوله (**ما أحسن**): ما تعجبيّة. وأحسن: فعل تعجّب. وقوله (**فِعْلَه**): مفعول أحسن. أي: ما يفعله بمن يهواه ويحبّه. وقوله (**ولو كان**): أي فعله ذلك. وقوله (**أَذَى**): أي أمراً مكروهاً وضراراً محضاً. وقال في المصباح: «أَذِيَ الرجل أذَىً، وصل إليه المكروه فهو أَذٍ، مثل: عَمٍ، ويُعَدَّى بالهمزة، فيقال آذَيْتُهُ إيذاء، والأذِيَّة: اسم منه، فتأذّى هو». والمعنى: إنّ جميع أفعال هذا المحبوب الحقيقيّ حسنة جميلة عند محبه، سواء كانت أفعالاً ملائمة لمزاجه، أو منافرة له، نافعة له أو مضرّة، قال القائل:

ويقـبح مـن سـواك الفعـل عنـدي فتفعلـه فيحـسن منـك ذاكـا

على أنها كلّها نافعة له في نفس الأمر، علم المحبّ بذلك أولم يعلم، قال تعالى:

﴿وَعَسَىٰٓ أَن / [٣/٤٥٣ ب] تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [٢/ البقرة/ ٢١٦]. وقوله (لم أنسَ): أي ما نسيت هذه الحالة التي هي قوله (وقد): الواو للحال، والجملة في محل نصب على أنّها حال من فاعل أَنْسَ. وقوله (قلتُ): بضمّ التاء، ضمير المتكلّم. (له): أي لذلك المحبوب المذكور، وذلك القول بلسان السرّ والمناجاة القلبية. وقوله (الوصل مَتَى): أي الاتّصال بك، والانقطاع عن كلّ ما سواك بدوام مراقبتك ومشاهدتك في كلّ شيء. يعني: في أي وقت يكون ذلك. وقوله (مولاي): أي يا مولاي. يعني: يامن هو المولى، وأنا عبده. وقوله (إذا متُّ): بضمّ التاء: صرت ميتاً بلا حياة، موتاً اختياريّا، أو اضطراريّاً؛ فإنّ الموت واحد، كما قال تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلۡمَوۡتَ إِلَّا ٱلۡمَوۡتَةَ ٱلۡأُولَىٰ﴾ [٤٤/ الدخان/ ٥٦] وهو أمر ذوقيّ وجداني بالكشف والمعاينة، لا بالعلم والتخيّل. وقال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ﴾ ـ أي مات ـ ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا﴾ [٣٣/ الأحزاب/ ٢٣]؛ وإنّما كشفوا عن الأمر الإلهيّ على ما هو عليه، ولم يتصرّفوا فيه بعقولهم وأفهامهم. وقوله (أسى): منصوب على التمييز لنسبة الموت إليه، أو مفعول من أجله، أي: من أجل الأسى، أي: الحزن على فوات حظه من المحبوب الحقيقيّ. وقوله (قال): أي: المحبوب المذكور بلسان المناجاة السرية. وقوله (إذا): يعني إذا متَّ أسى، وهو اكتفاء بحذف جملة. قوله (متَّ) بفتح تاء الخطاب، إشارة إلى معنى قوله صلّى الله عليه وسلّم: «إنّكم لن تروا ربّكم عزّ وجلّ حتّى تموتوا» أخرجه الطبرانيّ في السُنّة عن أبي أمامة[1] رضي الله عنه.

* * *

(١) كذلك أخرجه الطبرانيّ في مسند الشاميّين، باب: ما انتهى إلينا في مسند بحير بن سعد، ١١٢٧.

عَيْنِي جَرَحَتْ وَجْنَتَهُ

وقال قدّس الله سرّه:

١- عَيْنِــي جَرَحَــتْ وَجْنَتَــهُ بِــالنَظَرِ ‏ ‏ ‏ ‏ مِــنْ رِقَّتِهَــا فَــانْظُرْ لِحُسْنِ الأَثَـرِ

٢- لَمْ أَجْــنِ وَقَــدْ جَنَيْــتُ وَرْدَ الخَفَــرِ ‏ ‏ ‏ ‏ إِلَّا لِــتَرَى كَيْــفَ انْـشِقَاقُ القَمَـرِ

(عَينِي جَرَحتْ): يقال جَرَحَه جَرْحاً من باب نَفَع، والجُرْح الاسم، وهو جَرِيْح ومَجْرُوح، وجَرَحَه بلسانه جَرْحاً:عَابَه وتَنَقَّصَه، ومنه: جَرَحْتُ الشاهدَ: إذا أظْهَرْتَ فيه ما تُرَدّ به شهادتُه. كذا في المصباح. والمعنى الأوّل هنا ملحوظ في المعنى الغزلي. والمعنى الثاني ملحوظ في المعنى الإلهيّ المراد هنا. وقوله (وَجْنَتَهُ): أي وَجْنَةَ المحبوب الحقيقيّ. قال في المصباح: الوَجْنَةَ من الإنسان: ما ارتفع من لحم خَدِّه. والأشهر فتح الواو، وحُكِيَ التثليث، والجمع: وَجَنَات، مثل: سَجْدَة وسَجَدَات. وكنّى بالوجنة هنا عمّا استولى عليه من التجلّي الإلهيّ بغلبة ظهور اسم من الأسماء، جامع لكلّ اسم من أسمائه تعالى، على حسب خصوص ذلك الاسم. ومعنى الجرح في ذلك تقييد المطلق الحقّ تعالى، المنزّه في ذاته، وصفاته، وأسمائه عن مشابهة الأكوان بقيود الأكوان لضرورة الشهود والعيان في مقام العرفان. وقوله (بالنظر): متعلّق بـ (جرحت)، يقال: نَظَرته أنظره نَظَراً، لغة في نظَرتَ إليه برؤية العين، قيل لبعض الملوك: أي الأشياء أحبّ إليك، قال حبيب أنظر إليه، ومُحتاج أَنْظُر له، وكتاب أَنْظُر فيه. وقال في القاموس: «النَّظَر، محرّكة: الفِكْر في الشيء تُقَدِّرُه وتَقِيْسُه». وهو المعنى هنا في جناب المتجلّي الحقّ. وقريب منه قول الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه من أبيات:

غـــادة تاهـــت الحـــسان بهـــا ‏ ‏ ‏ ‏ وزهـــا نورهـــا عـــلى القمـــر

هـــي أســنى مــن المهــاة ســنا | صـــورة لا تقـــاس بالـــصور
فلـــك النـــور دون أخمـــصها | تاجهـــا خـــارج عـــن الأكـــر
إنْ سرت في الـــضمير يجرحهـــا | ذلك الوهم كيف بالصبر/ [٤٥٤/أ]
لعبـــة ذكرنـــا يُـــذَوِّبُها | لطفـــت عـــن مـــسارح النظـــر
طلـــب النعـــت أنْ يبينهـــا | فتعالـــت فعـــاد ذا حـــصر
وإذا رام أنْ يُكَيِّفَهـــا | لم يـــزل ناكـــصاً عـــلى الأثـــر
إنْ أراح المطـــيّ طالبهـــا | لم يريحـــوا مطيّـــة الفكـــر
رَوْحَنَـــتْ كـــلّ مـــن أشـــبّ بهـــا | نقلـــة عـــن مراتـــب البـــشر
غـــيرة إنْ يـــشاب رائقهـــا | بالـــذي في الحيـــاض مـــن كـــدر

وقوله (من رقّتها): أي الوَجْنَة. يعني من كمال لطافتها، وشدّة نزاهتها، وبعدها عنْ كثافة الأكوان، قال تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [٦/ الأنعام/ ١٠٣] أي: لا تدركه الأبصار لأنّه اللطيف. وهو يدرك الأبصار لأنّه الخبير، حتّى قالوا بأنّ الوجود الحقّ بالنسبة إلى الأرواح أبلغ لطافة من الأرواح بالنسبة إلى الأجسام، ومن شدّة لطافته، وكثافة الأرواح بالنسبة إليه لا تدركه الأرواح. وما ثمَّ حادث مخلوق لطيف إلّا وهو أكثف ما يكون بالنسبة إلى لطافته. وقال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه في فتوحاته المكيّة: «إنّ الوجود الحقّ لو كان في كفّة والعدم الصرف كان في كفّة، وقام بهما الميزان لاستويا»، ومراده بالعدم الصرف الذي لا يشوبه شيء معدوم به، كما أنّ مراده بالوجود الحقّ الذي لا يشوبه شيء موجود به، وذلك من كمال لطافته تعالى، ولهذا لا يشبه شيئاً، ولا يشبهه شيء: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [٤٢/ الشورى/ ١١] وقوله (فانظر): يعني يا أيّها المريد السالك. وقوله (لِحُسْنِ الأَثَر): أي الذي هو ظاهر من تقييد الإطلاق المذكور، حيث اقتضاه جرح النظر الكونيّ له. وقوله (لم أجنِ): من

الجناية، يقال: جَنَى الذَنبُ عليه جِنَاية: جرّه إليه، كذا في القاموس. أي: لم أفعل بسبب ذلك ذنباً أستحقّ العقوبة لقوله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٨٦] وليس في قوّة النفوس المخلوقة، والعقول المصنوعة إلّا ذلك المقدار من رؤية الآثار بمنزلة الذي يحدّق النظر في عين الشمس وقت الظهيرة؛ فإنّه يرى سواداً يجول في قرص الشمس من ضعف بصره عن إدراك نورها قال القائل:

كالشمس يمنعك اجتلاءك نورها ... فإذا اكتسبت بريق غيم أمكنا

وقوله (وقد جَنَيْتُ): الواو للحال، والجملة في محلّ نصب حال من فاعل لم أجنِ، وجَنَيت من قولهم: جَنَيْتُ الثمرةَ واجْتَنَيْتُها: قطفتها. وقوله (وَرْدَ الخَفَرِ): أي الحياء، قال في القاموس: « الخَفَر، محرَّكة، شِدَّة الحياء». أي: اقتطفت برؤية عيني ذلك الأثر الذي هو كالورد في حسن الهيئة وطيب الرائحة. بمعنى أدركته وتحقّقت به. وقوله (إلّا لِتَرى): أنت خطاب لمن قيل له أولاً فانظر لحُسن الأثر، وهو المريد السالك. وقوله (كيف): أي على أي كيفيّة. وقوله (انشقاق القمر): قال تعالى: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾ [٥٤/ القمر/ ١] أي: انكشاف ستور الغفلات عن عيون جهالات المحجوبين عن أحوال الساعة التي هم فيها، كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا ﴾ [٢٢/ الحج/ ٢] وذلك لانكشاف الأمر الإلهيّ في الإرضاع الحقيقيّ، والحمل الحقيقيّ في صورة كلّ مرضعة، وكلّ حامل من أرض، وجدار، ودابّة، ومركب، وإنسان، وغير ذلك. وانشقاق القمر ظهور التأثّر فيه بظهور الآثار عنه في صور التجلّيات من قوله صلّى الله عليه وسلّم: «إنّكم سترون ربّكم كما ترون القمر ليلة البدر»[1] الحديث. في صحيح مسلم؛ فإذا رأى المريد السالك كيف انشقاق القمر فقد عرف الأمر على ما هو عليه/ [٤٥٤/ ب] ذوقاً وكشفاً، فلم يحتج تعليماً ولا وصفاً.

---

(١) انظر تخريجه ص٢٧١.

يَا مَنْ لِكَئِيبٍ ذَابَ وَجْداً بِرَشَا

[وقال أيضاً:]

١- يَا مَنْ لِكَئِيبٍ ذَابَ وَجْداً بِرَشَا   لَوْ فَازَ بِنَظْرَةٍ إِلَيْهِ انْتَعَشَا

٢- هَيْهَاتَ يَنَالُ رَاحَةً مِنْهُ شَجٍ   مَا زَالَ مُعَنًّىً بِهِ مُنْذُ نَشَا

(يا من): يا حرف نداء، والمنادى محذوف، تقديره يا قومي. وقوله (مَنْ): اسم استفهام، مبتدأ، وخبره محذوف، تقديره معين، أو مساعد، أو منقذ. وقوله (لِكَئِيبٍ): بالخفض، والتنوين، وكسر اللام للمستغاث له، وهي لام الجرّ، متعلّق بمعنى المحذوف المقدّر. قال في القاموس: «قول الشاعر:

يَا لَلْرجال لِيوم الأربعاء أَمَا   ينفكّ يحدث لي بَعْد النُّهى طربا

فاللامان جميعاً للجرّ، لكنّهم فتحوا الأوّل فرقاً بين المستغاث به والمستغاث له». و(كئيب): فعيل بمعنى مفعول، من الكَآبَة بالهمز، وهي الغَمُّ، وسوء الحال، والانكسار من حُزْن. كَئِبَ كسَمِع واكْتَأَب فهو كَئِب ومكتئب، كذا في القاموس. يعني: به نفسه». وقوله (ذاب): أي لم يبقَ منه أثر أصلاً. وقوله (وجداً): تمييز ومفعول من أجله، والوجد شدّة الحُزن، من المحبّة والعِشق، قال في القاموس: «وَجَدَ به وَجْداً في الحبّ فقط، وكذا في الحزن، ولكن يكسر ماضيه، كما في القاموس». وقوله (بِرَشَأ): الباء للسببيّة، أي: بسبب محبّة رَشَأ؛ وهو ولد الظَّبية. كناية عن الحضرة الإلهيّة النافرة عن إدراك العقول أعظم نفور؛ لعدم المناسبة بينها وبين كلّ شيء. وقوله (لو فاز بنظرة إليه): أي ذلك الرشأ، والجملة صفة لكئيب. وقوله (انْتَعَشَا): من نَعَشَ فلانا جَبَرَهُ بَعْدَ فَقْرٍ، ونَعَشَ المَيِّتَ ذَكَرَهُ ذِكْراً حَسَناً، وانْتَعَشَ العاثر: انْتَهَضَ من عَثْرَتِه، كذا في القاموس. وكونه لا يفوز منه بنظرة؛ لأنّه إذا توجّه ببصره أو بصيرته إليه كان ذلك التوجّه وذلك البصر، أو البصيرة

فعلاً من أفعاله تعالى، فيصير ذلك التوجّه حجاباً بينه وبينه. ولا يكون الأمر إلّا كذلك. ومع الحجاب لا تكون الرؤية، ولا يمكن النظر. وهذه حالة العبد المخلوق لا انفكاك له عنها حتّى يفنى توجهه والمتوجّه منه؛ فإذا فَنِيَ فلا ناظر ولا منظور. قال عفيف الدين التلمساني، قدّس الله سرّه، من جملة أبيات له:

يا بديع الجمال فاز محبّ بلذيذ الوصال فيك تهنّى

كيف يرجو الحياة وهو مع الهجر قتيل وعند رؤياك يفنى

وقوله (هيهات): هي اسم فعل بمعنى بَعُدَ. وقوله (ينالُ راحةً منه): أي من ذلك الرشأ المذكور. وقوله (شَجٍ): من شَجَاه: أحزنه، وأوقعه في حزن. والشجيّ: المَشْغُول. وشَدَّدَ ياؤه في الشعر، كذا في القاموس. وكونه لا ينال منه راحة أبداً بسبب الابتلاء من المحبّة؛ فإنّ المحبوب يَبتِلي محبّه، ويمتحنه بأنواع البلايا والمحن. قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [٢١/ الأنبياء/ ٣٥] وقال تعالى: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٦٨]. وقال صلّى الله عليه وسلم: «أشدّ الناس بلاء الأنبياء، ثمّ الأمثل فالأمثل»[1] الحديث. وحكمة الابتلاء بالخير لإظهار الشكر من العبد، والابتلاء بالشرّ لإظهار الصبر منه، والشكر، والصبر من أشرف عبادات الأنبياء عليهم السلام. وقوله (ما زال مُعَثَّراً): صفة لِشَجٍ بتشديد المثلّثة على صيغة اسم المفعول، من عَثَّره بالتشديد فتَعَثَّر: كَبَا وسقط، قال في الصحاح: «العَثْرَة: الزَلّة، وقد عَثَرَ في ثوبه يَعْثُرُ عِثَاراً، يقال: عَثَرَ به فرسُه فسقط» . وقوله (به): أي بسبب ذلك الرشأ. وقوله (منذ): بالبناء على الضمّ ظرف مضاف إلى الجملة الفعليّة بعده، أو إلى زمان مضاف إليها. وقوله (نشا): أصله نشأ بالهمز، قال في القاموس: «نَشَأَ كمنع وكَرُم، نَشَأَ نُشُوءاً ونَشْأَةً حَيِيَ ورَبَا وشَبَّ». يعني من ابتداء عمره.

---

(١) انظر تخريجه ص٤٢٠.

كَلَّفتُ فُؤَادِي مَا لَمْ يَسَع

وقال قدّس الله سرّه:

١- كَلَّفْـتُ فُـؤَادِي فِيْـهِ مَـا لَـمْ يَـسَعِ   حَتَّى يَئِسَتْ رَأْفَتُهُ مِنْ جَزَعِي/ [٤٥٥/أ]

٢- مَـا زِلْـتُ أُقِـيمُ فِي هَـوَاهُ عُـذْرِي   حَتَّـى رَجَـعَ العَـاذِلُ يَهْـوَاهُ مَعِـي

(كَلَّفْتُ): بتشديد اللام، أي: أوقعت في الكُلْفَة والمَشَقَّة الشديدة. وقوله (فؤادي): أي قلبي. وقوله (فيه): أي في محبّته وعشقه، والضمير للمحبوب الحقيقيّ. وقوله (ما): أي أمراً عظيماً، مفعول ثانٍ لكلّفت، والمفعول الأوّل فؤادي. وقوله (لم يَسَعِ): أصله بالسكون للجازم، وهو لم، وإنّما حرّك بالكسر لضرورة الشعر، يعني: ما لم يكن في وسعه وطاقته من المجاهدات الشرعيّة، والرياضات المرضية ظاهراً وباطناً، تمسكاً بالعزائم دون الرخص؛ وإنّما قال كلّفتُ بالتشديد والإسناد إلى ضمير المتكلّم؛ لأنّ الحقّ تعالى لا يكلّف نفساً إلّا وُسعها. وقد قال للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ [٢٠/ طه/ ١] أي: تُحمِّل نفسك ما لاطاقة لها من أعمال الطاعات والعبادات. ولمّا قام النبيّ صلّى الله عليه وسلّم من الليل حتّى تورمت قدماه قيل له في ذلك، فقال: «أفلا أكون عبداً شكوراً»[1]. وقوله (حتّى يئست رأفته): على الاستعارة المكنيّة، وذكر اليائس تخييل لها، والضمير للمحبوب الحقيقيّ، أي: لم يبقَ لرأفته رجاء، والرأفة شدّة الرحمة. وقوله (من جَزَعِي): متعلّق بيئست، يقال: يَئِسَ منه.

---

(١) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب: التهجّد، باب: قيام النبيّ حتّى ترم قدماه، ١١٣٠، عن المغيرة.

والجَزَع، محرّكة نقيض الصبر، وقد جَزِعَ، كفرح، جَزَعاً وجُزُوْعاً، فهو جَازِع وجَزِع ككتف، ورجلٌ صبور، وغراب، وأَجْزَعُه غيرُه كذا في القاموس. والمعنى: إنّ رأفة هذا المحبوب بهذا المُحبّ من شدّة ما كلّف المحبّ نفسه به من الأتعاب والمشقّات في سبيل مرضاته، حتّى إنّ تلك الرأفة يئست من جَزَع المحبّ، وعدم صبره، لكمال رضاه بما هو فيه من الأتعاب والمشقّات؛ فصبره دائم منه، ملازم له، والجَزَع لا يمكن أنْ يكون منه لموته الموت الاختياري بحيث لم يبقَ له قصد أصلاً لغير مرضاة محبوبه، وقوله (مازلت أقيم في هواه): أي في محبّته. وقوله (عذري): مفعول أقيم، أي: أعتذر عن محبّتي له، بأنّه الجميل الحقيقيّ، والمُحسن على كلّ حال، ولا جميل غيره، ولا محسن سواه. والخلق كلّهم آلات ظهور جماله وإحسانه، وأسباب وصول كرمه وامتنانه، قال تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل/٥٣/١٦] وكلّ جميل آلة ظهور جماله، وكلّ محبّ أيضاً آلة ظهور محبّته لأفعاله، كما قلت من قصيدة لي:

كلّنـــا واحـــد محبّـــاً ومحبـــو بـــاً وهـــذا مرادنـــا بوصـــاله

وقوله (حتّى رجع العاذل): أي اللائم لي على محبّتي له من العذل، وهو الملامة فرجع عن ملامتي، وتاب منها. وقوله (يهواه): أي صار يحبّ هذا المحبوب الحقيقيّ. وقوله (معي): أي موافقاً لي على محبّته، لانكشاف أمره له، واطّلاعه على عموم جماله وإحسانه، واتساع كرمه ورحمته، وامتنانه.

* * *

شَأْنِي مُعْــرِبٌ عَنْ شَأْنِي

[وقال أيضاً:]

١- أَصْبَحْتُ وَشَانِي مُعْرِبٌ عَنْ شَانِي   حَــيَّ الأَشْــوَاقِ مَيِّــتَ الــسُّلْوَانِ

٢- يَا مَــنْ نَــسَخَ الوَعْــدَ بِهَجْرٍ وَنَــأَى   فَــرِّحْ أَمَــلِي بِوَعْــدِ زُوْرٍ[1] ثَــانِ

(أَصبَحتُ): بضمّ تاء المتكلّم، على أنّه اسمها. وقوله (وشاني): الواو للحال، والجملة في محلّ نصب حال من ضمير المتكلّم، والشأن أصله بالهمز، فخُفِّف بالإبدال في المحلّين، قال في القاموس: «الشأن مجرى الدمع إلى العَين» وجمعه: أَشْؤُن وشُؤُون. وقال في الصحاح: «الشَأْن واحد الشُؤُون، وهو مَواصل قبائل الرأس وملتقاها، ومنها تجيء الدموع». وقال ابن السكيت: «الشَأْنَانِ: عِرْقان ينحدران من الرأس إلى الحاجبين، ثمّ إلى العينين». والمراد هنا بالشان: دموع العين. وقوله (معرب): أي كاشف ومبين. وقوله (عن شأني): أي أمري وحالي، قال في الصحاح: «الشَأْنُ الأمرُ والحال». يعني: إنّ دموعي كاشفة عن وجدان المحبّة الإلهيّة في قلبي. وقوله (حيّ) بتشديد الياء التحتيّة منصوب على أنّه/ [٤٥٥/ ب] خبر أصبحت. وقوله (الأشواق): مضاف إليه، أي: أشواقي لها الحياة، أو هو حَيّ من جهة أشواقه. وقوله (مَيِّتَ): بتشديد الياء التحتيّة، لغة في مَيْت بالسكون: ضدّ حيّ وهي بالنصب خبر. وقوله (السلوان): مضاف إليه، أي: سلوانه عن محبوبه ميت، أو هو ميت من جهة سلوانه عن محبوبه. وقوله (يا مَنْ): أي يا أيّها المحبوب الحقيقيّ الذي. وقوله (نَسَخَ): أي أبطل وأزال، قال في

---

(١) في (ق): "بزور وعد ثانِ".

الصحاح: «نَسْخُ الآية بالآية: إزالة مِثل حُكْمها. فالثانية ناسخة، والأولى منسوخة». وقوله (الوَعْدِ بِهَجْرِ): فالوعد بالوصل واللقاء منسوخ، والهَجْر: ضدّ الوَصْلِ ناسخ، وتعريف الوعد لأنّه معهود عند المحبّ من المحبوب. قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾ [٢٤/ النور/ ٥٥]. وقال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [٤٨/ الفتح/ ٢٩]. وقوله (وَنَأَى): أي بَعُدَ. قال في الصحاح: «نَأَيتُهُ ونَأَيتُ عنه، نَأياً بمعنى، أي: بَعُدتُ. وأَنْأَيتُه فانتأى، أي: أبعدته فبعد، وتَنَاءَوْا: تباعدوا». وقوله (فَرِّحْ) بسكون الحاء المهملة، وتشديد الراء: فعل دعاء. وقوله (أَمَلِي): بالتحريك، أي: رجائي، قال في القاموس: «الأَمَل محرّكة كجَبَل ونَجْم وشِبْر: الرجاء، وجمعه آمال». يعني: اجعل أملي فرحاً على طريق الاستعارة المكنيّة. والتفريح: تخييل. وقوله (بوعد): متعلّق بفرِّحْ. وقوله (زُوْر): بالضمّ، أي: كَذِب، وهو الوعد الذي يكون بلا وفاء به؛ فإنّ المحبّ يقنع من محبوبه بذك، ويتمنّاه منه. وقوله (ثانٍ): أي بعد الوعد الأوّل الزور الذي أُبْدَل بالهجر. وهذا على طريقة المحبّين مع المحبوبين، والمحبّة تقتضي ذلك. وإلّا فإنّ الوعد من الحقّ تعالى كائن لا محالة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [٩/ التوبة/ ١١١].

* * *

العَاذِلُ كَالعَاذِرِ

[وقال أيضاً:]

١- العَاذِلُ كَالعَاذِرِ عِنْدِي يَا قَوْمِ   أَهْدَى لِي مَنْ أَهْوَاهُ فِي طَيْفِ اللَّوْمِ

٢- لَا أَعْشَقُهُ إِنْ لَمْ يَزُرْ فِي حُلُمِ   فَالسَّمعُ يُرَى مَا لَا يُرَى طَيْفُ النَّوْمِ[1]

(العاذل): أي: اللائم لي على المحبّة. وقوله (كالعاذر): أي بمنزلة الذي يقيم العذر عنّي في المحبّة. وقوله (عندي): أي في رأيي واعتقادي، باعتبار ما يصدر من ذلك العاذل في حقّي وإنْ لم يكن هو قاصداً لما أجده منه. وقوله (يا قومِ): أي يا قومي الذين أنا منهم، فتأمّلوا في أمري هذا العجيب. ثمّ بيّن وجه كون العاذل عاذراً له بقوله (أهدى): من الهَدِيَّة كغَنِيَّة، وهي ما أُتْحِفَ به، والجمع: هَدَايا، وأَهْدَى الهَدِيّة وهَداها، كذا في القاموس. وقوله (لي من أهواه): أي المحبوب الحقيقيّ الذي أهواه وأحبّه. وقوله (في طيف اللوم): أي في طيف الخيال الذي يظهر لي فأراه ببصر السمع في حالة ذكره لي لما يلومني على محبّته، ويعنّفني على عشقي له، وأصل الطيف: الخيال الطائف في المنام، ومجيؤه في النوم، كما في القاموس. وأريد به هنا ما يحصل في خيال المحبّ من صورة حضور المحبوب عند ذكر العاذل له، فكأنّما العاذل الذي يلوم المحبّ ويعنّفه على المحبّة يلومه بلسانه، ويعذره بقلبه وجنانه؛ فيسمعه ذكر محبوبه، ويهدي له صورته، فتحضر في خيال المحبّ، فيراه المحبّ ببصر سمعه، ويتمتّع بحضوره، ثمّ إنّه فرق بيّن الطيفين والمزيّة بين الحالتين: طيف اللوم، وطيف النوم. وحالة السمع، وحالة البصر بقوله (لا أعشقه): أي لا أعشق ذلك المحبوب الحقيقيّ. وقوله (إنْ لم يزر): / [٤٥٦/ أ]

---

(١) ورد البيت الثاني في (ق): لا أعتبه إنْ لم يزر في حلمي   والسمع يرى ما لا يرى طرف النوم

أي يزرني ويأتي إليّ فأشهده ببصري الروحانيّ، وإنْ كان في عالم المنام الإنسانيّ، كما قال في حلم، أي: رؤيا منام، قال في القاموس: الحُلُم بضمّ وبضمّتين: الرُّؤْيا، وجمعه: أَحلام، حَلَمَ به: رآه في النوم، كما ورد: «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا»[1] فكلّ ما يراه الناس في حياتهم الدنيويّة طيف خيال المحبوب الحقيقيّ، وهم لا يشعرون لغفلتهم عنه، وعدم معرفتهم به؛ فإذا ماتوا انتبهوا من نوم الغفلة الدنيويّة، فشهدوا محبوبهم الحقيقيّ، وهم في نوم الحالة البرزخيّة برؤية طيف الخيال من كلّ شيء، قال تعالى: ﴿يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾ [٣٦/ يس/ ٥٢] وهو موضع الرقود، وهو النوم؛ فأهل البرزخ نائمون حتّى ينفخ في الصور فينتبهون من نوم البرزخ، فيتحقّقون بذلك الطيف، أتمّ من الأوّل، وهم في نوم القيامة، ولهذا يختلف الحال على أهل الموقف؛ فمنهم من يجده خمسين ألف سنة، قال تعالى: ﴿فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ۝٤ فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا ۝٥ إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا﴾ [٧٠/ المعارج/ ٤-٧]، ومنهم من يراه مقدار أداء فريضة، كما ورد في الحديث[2]. حتّى يفصل بين الخلائق؛ إمّا إلى جنّة، أو إلى نار. فإذا استقرّوا في الجنّة أو في النار انتبهوا من نوم القيامة، فتحقّقوا بالطيف كمال التحقّق، وهم في نوم الدارين حتّى يجدوا ربّهم ويروه عياناً في رتبة شمسيّة أو قمريّة. ويتحوّل الطيف بالكلّيّة؛ لأنّهم صاروا في اليقظة الحقيقيّة، وزال عنهم حكم النوم، وأحكام الخيالات العقليّة. وهذه الأطوار كلّها حاصلة لجميع الناس: أنبيائهم، وأوليائهم، وخواصّهم، وعوامّهم. في الدنيا والآخرة، أو البرزخ على حسب ما عندهم من الاستعداد، قال تعالى:

---

(١) انظر تخريجه ص٢٨٦.

(٢) إشارة إلى الحديث الذي أخرجه أحمد في مسنده، باب: مسند أبي سعيد الخدريّ، ١٢٠٣٦، بلفظ: عن أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه قال: قيل لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فما أطول هذا اليوم؟!. فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: والذي نفسي بيده إنّه ليخفف على المؤمن حتّى يكون أخفّ عليه من صلاة مكتوبة يصلّيها في الدنيا».

﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ [٥٣/ النجم/ ٤٢-٤٤] الآية. فقوله (لا أعشقه إنْ لم يزر في حُلُمِ): إشارة إلى أنّ مقام المحبّة يقتضي المغايرة بين المحبّ والمحبوب، ولهذا ذكر الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه حجاب المحبّة في كتابه «الحجب»؛ فإذا زال هذا الحجاب زالت المحبّة. فتكون المحبوبيّة، وهو المقام المحمّدي؛ فأهل المحبّة الإلهيّة محجوبون عن محبوبهم الحقيقيّ، فلا يرون إلّا طيف خياله في عوالمهم كلّها كما ذكرنا. وقوله (فالسمع يُرى): بضمّ الياء التحتيّة، من أراه، أي: جعله يرى؛ لأنّ السمع يتلقّى ذكر اسم المحبوب، فيصير استحضاره له كأنّه يسمع كلامه؛ فالقوّة السامعة كاشفة بوجه ذكر الاسم، أو سماع صوت المذكور، كمقام موسى الكليم عليه الصلاة والسلام؛ فإنّه كان يسمع كلام الله تعالى ولا يراه مع أنّه تعالى تجلّى له بصورة النار، فكان أوّل ما رأى طيف النار من المقام المحمّدي، قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه:

كنار موسى رآها عين حاجته وهي الإله ولكن ليس يدريه

وهذا في النص القرآني، قال تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾ [٢٠/ طه/ ٩-١٠] فذكر تعالى النار ثلاث مرّات إشارة إلى عدم تنبّه موسى عليه السلام إلى المقام المحمّديّ، مقام طيف الخيال الناريّ، ثمّ قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ [٢٠/ طه/ ١١] إلى آخر الآية. ومقام موسى عليه السلام مقام السماع، ورؤيته رؤية طيف السماع، وأعلى منه المقام المحمّديّ، كما ذكرنا، وهو مقام الرؤية بالبصر لطيف الخيال المنامي، كما قال صلّى الله عليه وسلّم: «رأيت ربّي في صورة شاب أمرد»[١] الحديث. وهي الرؤية المناميّة بطيف الخيال كما قالوا. وقوله (ما):

---

(١) ذكره العجلوني في الكشف، ١٤٠٩، وقال: «قال السبكي: حديث «رأيت ربّي في صورة شاب أمرد» هو دائر على ألسنة بعض المتصوّفة، وهو موضوع، مفترى على رسول الله صلّى الله عليه =

مفعول يرى، أي: أمراً عظيماً. وقوله (لا يُرَى): بضم الياء التحتيّة أيضاً، من رآه، كما قال تعالى: ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ [٤/ النساء/ ١٠٥]. وقوله (طيف النوم): فاعل يرى الثاني. يعني: إنّ طيف خيال المحبوب الحقيقيّ يرى في نوم الحياة الدنيا أمراً هو أتمّ من رؤية السمع لذكر اسم المحبوب أو سماع كلامه/ [٤٥٦/ ب] وكلاهما يحصل به العشق، كما قال القائل:

سمعت أوصافك الحسنى فهمت بها | والأذن تعشق قبل العين أحياناً

ولكن الأمر المطّرد الجاري على حكم العادة أنّ العين هي التي توجب العشق والمحبّة، والنادر لا حكم له، ولهذا قال (لا أعشقه إنْ لم يزر في حلم): إشارة إلى أن مقامه محمّديّ بصريّ، قال الشاعر:

يا بن الكرام ألا تدنو فتبصر ما | قد حدّثوك فما رأى كمن سمعا

وقال الآخر:

كانت محادثة الركبان تخبرني | عن أحمد بن سعيد أطيب الخبر
لمّا التقينا فلا والله ما سمعت | أذني بأطيب ممّا قد رأى بصري

* * *

=

وسلّم، ولكن في اللآلئ عن ابن عبّاس رفع: «رأيته في صورة شابّ له وفرة»، وروي «في صورة شابّ أمرد»، قال ابن زرعة: حديث ابن عبّاس لا ينكره إلّا معتزلي». انظر كشف الخفاء للعجلوني ١/ ٤٢٦.

خَيَالُ زَائِرٍ

وقال قدّس الله سرّه:

١- عَيْنِــي لِخَيَــالٍ زَائِــرٍ مُــشْبِهَهُ[1]   قَــرَّتْ فَرَحَــاً فَــدَيْتُ مِــنْ وَجَّهَــهُ

٢- قَــدْ وَحَّــدَهُ قَلْبِــي وَمَــا مــشَبَّهَهُ   طَــرْفِي فَلِــذَا فِي حُــسْنِهِ نَزَّهَــهُ

(عيني):مبتدأ. وقوله (لخيال): بالخفض والتنوين، أي: لأجل خيال، وهو طيف الخيال الذي يرى في النوم، أي: خيال المحبوب. وتنكيره للتعظيم. وقوله (زائر): بالخفض والتنوين، صفة خيال. وقوله (مُشْبِهَهُ): مفعول زائر، أي: مُشْبِه الخيال، وهو المحبّ العاشق الذي أنحله السقم فصار يشبه الخيال من شدّة نحوله. وقوله (قرّت): خبر المبتدأ، يقال: قَرَّت عينُهُ تقِرّ وتَقَرّ: نقيض سخنت، من القُرّ بالضمّ، وهو البَرْد، وأَقَرَّ الله عينيه، أي: أعطاه حتّى تَقَرَّ فلا تطمح إلى من هو فوقه، ويقال: حتّى بَرَدَ ولا تَسْخَن، فللسرور دمعة باردة، وللحزن دمعة حارّة. وقوله (فرحاً): تمييز. وقوله (فديت): أي جعلت فداء، جملة دعائيّة. وقوله (مَنْ): مفعول فديت. وقوله (وَجَّهَهُ): بتشديد الجيم، أي: أرسله إليّ، وهو المحبوب الحقّ الحقيقيّ، وهذا الخيال الزائر كان في نوم الحياة الدنيويّة، كما قدّمنا أنه من مقام الحضرة المحمّديّة. وقوله (قد وحّده): بتشديد الحاء المهملة، أي: وجده واحداً لا شيء معه كشفاً وشهوداً وإنْ لقي طيف خياله في نوم حياته الدنيويّة. وقوله (قلبي): لمعرفته به، فليست الكثرة الصادرة عن تأثير أسمائه وصفاته بمانعة من رؤية الوحدة بالقلب، والتحقيق بها. وقوله (وما شَبَّهَهُ طَرْفِي): يعني ما أوقع الشبه بينه وبين مخلوقاته وقال عنه إنّه شيء منها وإن كان يرى كثرة

---

(١) في (ق): أَشْبَهَهُ.

تجلِّياته بأسمائه وصفاته؛ فإنّ الذات واحدة. وقوله (فلذا): الفاء للتفريع، ولذا، أي: ولأجل هذا الأمر. وقوله (في حسنه): أي حسن ذلك المحبوب الحقيقيّ الظاهر على كلّ شيء. وقوله (نَزِّهَه): أي أعتقد أنّه منزّه عن مشابهة كلّ شيء من النزاهة، وهي البعد عن السوء كذا في الصحاح.

* * *

يَا مُحْيِيَ مُهْجَتِي

وقال قدّس الله سرّه:

١- يَـا مُحْيِـيَ مُهْجَتِـي وَيَـا مُتَلِفَهَـا   شَـكْوَى كَلَفِـي عَـسَاكَ أَنْ تَكْـشِفَهَا

٢- عَـيْنٌ نَظَـرَتْ إِلَيْـكَ مَـا أَشْرَفَهَـا   رُوْحٌ عَرَفَـتْ هَـوَاكَ مَـا أَلْطَفَهَـا

(يا مُحْيِيَ مهجتي): منادى مضاف منصوب، والمُهْجَة دم القلب خاصّة، يقال: خرجت مُهجَتُهُ: إذا خرجت روحه، كذا في الصحاح، والخطاب للمحبوب الحقّ الحقيقيّ. وقوله (ويا مُتْلِفَهَا): أي المهجة بالنصب أيضاً؛ لأنّه منادى مضاف، يقال: تَلِف كفرح: هَلَك، وأَتْلَفَه: أفناه، كذا في القاموس. والمعنى: إنّه تعالى أحياه بإمداده، وتجلّى باسمه تعالى المحيي؛ فإذا ظهر له، وانكشف وجوده الحقّ أفناه وأهلكه، قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [٢٨/ القصص/٨٨] وقال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ٢٦-٢٧] وقوله (شكوى): مبتدأ، أي: أذيّة مضاف إلى قوله كَلَفي بالتحريك، أي: ولوعي في المحبّة، كَلَفَ كفرح: أولع، والكَلْف، بالكسر: الرجل العاشق، كما في القاموس. وقوله في الصحاح: «عسى من أفعال المقاربة، وفيه طمع وإشفاق ولا يتصرّف/ [٤٥٧/ أ] لأنّه وقع بلفظ الماضي لمّا جاء في الحال، تقول عسى زيد أنْ يخرج، وعست فلانه أنْ تخرج». فزيد فاعل عسى، و(أنْ تخرج) مفعولها، وعلى هذا فالكاف فاعل عسى. وقوله (أن تكشفها): مفعول عسى، أي: تكشف شكواه، أي: تزيلها. وجملة عساك إلى آخره: خبر المبتدأ. وقوله (عين): مبتدأ موصوف بجملة. وقوله (نظرت إليك): يعني لا إلى سواك، وإنْ كان لا سواه؛ فإنّه لا إله

إلّا الله. والخطاب للمحبوب الحقيقيّ. ونظرها إليه وهي في عالم الحياة الدنيا كناية عن رؤيته ظاهراً بصورة كلّ شيء محسوس أو معقول، على معنى صورة كلّ شيء أثر من آثار أسمائه الحسنى وصفاته العليا؛ لأنّه تعالى هو الخالق البارئ المصوِّر. وهو تعالى من حيث هو في أزله وأبده، لا صورة لذاته، ولا لصفاته، ولا كيف له، ولا كيفيّة، ولا زمان له، ولا مكان وإنْ ظهر بالزمان وبالمكان. وقوله (**ما أشرفها**): ما تعجبيّة، وأشرف فعل تعجّب، والهاء مفعول فعل التعجّب، وهو ضمير راجع إلى عين. والجملة خبر المبتدأ، وشرف هذه العين لأنّها ناظرة إلى المحبوب الحقّ الحقيقيّ ظاهراً بآثار أسمائه وصفاته في صورة كلّ شيء من المحسوسات والمعقولات على حسب ما يريد تعالى، ولا موجود غيره، ولا خير ولا شرّ إلّا شرّه وخيره، مع كمال تنزّهه عن كلّ ما ظهر به من الصور، وهو هو سبحانه، ولا سواه؛ لأنّه القائم على كلّ نفس بما كسبت، كما قال: ولا إله إلا الله ، أي: لا موجود إلّا الله . وقوله (**روح**): مبتدأ موصوف بجملة قوله (**عرفت هواك**): أي محبّتك الظاهرة منك لك في صورة كلّ محبّ وكل محبوب. وقوله (**ما ألطفها**): ما تعجبيّة أيضاً، وألطف فعل تعجّب، وضمير الروح مفعوله. والجملة خبر المبتدأ. ولطفها ظاهر؛ لأنّ الروح أوّل مخلوق، وهو من أمر الله ، كما قال سبحانه: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨٥] ولا ألطف من أمر الله تعالى، ولا من الروح الذي هو أول مخلوق منه بلا وساطة، وإن ورد؛ أن أوّل مخلوق نور النبي صلّى الله عليه وسلّم، أو القلم. أو غير ذلك؛ فإنّ ذلك كناية عن الروح المذكور باعتبارات أُخر.

* * *

أهواه مهفهفا

وقال قدّس الله سرّه:

١- أَهْـــوَاهُ مُهَفْهِفَـــاً ثَقِيْـــلَ الــرِّدْفِ ... كَالْبَـدْرِ يَجَـلُّ حُسْنُهُ عَـنْ وَصْـفِ

٢- مَـا أَحْـسَنَ وَاوَ صُـدْغِهِ حِيْنَ بَـدَتْ ... يَـا رَبِّ عَـسَى تَكُـوْنُ وَاوَ العَطْـفِ

(أهواه): أي أحبّه. والضميرَ للمحبوب الحقيقيّ. وقوله (مهفهفاً): حال من الضمير المنصوب في أهواه. والمهفهف، من هَفْهَفَ: مُشِقَ بَدَنُه فصار كأنّه غُصْن. وجارية مُهَفْهَفَة: ضامرة البطن، دقيقة الخَصْر، كذا في القاموس. أي: مليحاً مهفهفاً، يكنّي به عن صورة التجلّي الإلهيّ من حيث الأسماء الجماليّة في حقيقة الروح الأعظم الذي هو أوّل مخلوق، كما ورد في الحديث، وهو نور محمّد صلّى الله عليه وسلّم، وهو القلم الأعلى، واللوح المحفوظ نفسه، والعوالم كلها فيه ومنه، والكلّ نور، والكلّ حقّ. قال تعالى: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾ [١٧/ الإسراء/ ١٠٥] وقوله (ثَقِيْلَ الرِّدْفِ): بكسر الراء، هو الكَفَل والعَجُز، الرِدْفُ: المُرْتَدَف، وهو الذي يركب خلف الراكب، وأَرْدَفْتُهُ أنا: إذا أَرْكَبْتُه معك، كذا في الصحاح. والإشارة بثقيل الرَدْف إلى جميع العوالم المكتوبة بالقلم في اللوح الذي هو نفس القلم بالنور المحمّدي المخلوق فيه ومنه كلّ شيء. وقد ورد في الأحاديث: «أوّل ما خلق الله الروح»[١] وفي رواية: «أوّل ما خلق الله العقل»[١] وفي رواية: «أوّل مخلوق نور نبيك يا جابر» وفي رواية: «أوّل مخلوق القلم»[١]. وكلّها بمعنى النور المحمّديّ باعتبار آخر، ويسمّى القلم باعتبار آخر، وهو المكّنى عنه هنا بثقيل

---

(١) انظر تخريج الروايات الثلاثة في ص١٤٥ و١٠٣٨.

الردف باعتبار، وبالمهفهف باعتبار، كما هو المحبوب الحقّ الحقيقيّ في نفس الأمر مع/ [٤٥٧/ أ] قطع النظر عمّا ظهر منه، لأنّ كلّ ما سواه فانٍ هالك فيه، وهو الوجود الحقّ القائم بنفسه. وقوله (كالبدر): وهو القمر ليلة التمام لظهوره في ظلمة الأكوان كما يشهده العارفون بالعيان من قوله صلّى الله عليه وسلّم : «إنكم سترون ربّكم كما ترون القمر ليلة البدر»[1]. وفي رواية « ليس دونه سحاب» ومن ذلك قولنا في مطلع قصيدة لنا:

يـا طلعـة الـشمس أو يـا طلعـة القمـر	تختـال في حلـل الأشـباح والـصور
في القلـب أنـت ومـا في القلـب أنـت كـما	إنْ أنت في بصري ما أنت في بصري

وقوله (يَجِلُّ): أي يعظم، جَلَّ يَجِلُّ جَلالَة وَجَلالاً: عَظُمَ. وقوله (حُسْنُهُ): أي الحُسْن الذي يظهر عليه من قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [٣٢/ السجدة/ ٧] وقوله (عن وصفي): متعلّق بيجلّ. يعني: إذا أردت أنْ أصف حُسْنَه، لا أقدر على وصفه؛ لأنّ جليل. وقوله (ما أحسن): ما تعجبيّة، وأحسن فعل تعجب. وقوله (واو): مفعول أحسن، وهي حرف معروف من حروف الهجاء، لا قلب له؛ لأنّ قلبه نفسه كالميم والنون، وللشيخ الأكبر قدّس الله سره، كتاب هذه الحروف الثلاث وأسرارها. وقوله (صدغه): أي صدغ المحبوب المذكور. والصُّدْغ، بالضمّ: ما بين العَين والأذن، والشعر المُتدلّي على هذا المَوْضِع، وجمعه: أصداغ، كما في القاموس. والإشارة بالواو إلى عالم النور الروحانيّ، وبالصدغ إلى عالم الظلمة الطبيعيّ الجسمانيّ، وهو ما بين عين الرؤية، وأُذن السماع في مقام المشاهدة والاستماع. وقوله (حين بدت): ظهرت للعارف المحقّق والمحبّ المصدق. وقوله (يا ربّ): أي يا من أنا قائم به، وهو يربيني بالتدريج على

---

(١) انظر تخريجه ص/ ٢٧١.

مقتضى الحكمة، خطاب للمحبوب الحقيقيّ من حيث أنّه ربّ كلّ شيء. **وقوله (عسى)**: فعل ماض جامد، وفاعله مستتر فيه، راجع إلى الواو. **وقوله (تكون)**: أي تلك الواو. **وقوله (واو العطف)**: أي يحصل بها العطف علي، يقال: **عَطَفتُ**، أي: مِلْتُ، وعَطَفْتُ عليه، أي: أشفقت، كذا في الصحاح. والمعنى: أنا مترجٍ متأمّل أنْ تكون الحكمة في ظهورهذا الشعور النفسانيّ المرسل بين الرؤية والسماع المعوجّ، كصورة حرف الواو للميل إلى من حضرة المحبوب، والعطف عليّ من جانب غيب الغيوب.

* * *

يَـا قَوْمُ!

وقال قدّس الله سرّه:

١ - يَـا قَـوْمُ إِلَى كَـمْ ذَا التَّجَنِّـي يَـا قَـوْمْ   لَا نَـــوْمَ لِمُقْلَــةِ الْمُعَنَّـــى لَا نَـــوْمْ

٢ - قَـدْ بَـرَّحَ بِيَ الوَجْـدُ فَمَـنْ يُـسْعِدَنِي   ذَا وَقْتُـكَ يَـا دَمْعِـي فَـالْيَوْمَ الْيَـوْمْ

(**يا قومُ**): يعني يا قومي، ويا أهلي، ويا عشيرتي. وقوله (**إلى كم**): هي استفهامية، اسم ناقص مبني على السكون، مبتدأ، والجملة بعدها خبره. وإلى حرف جرّ دخلت على جملة الاستفهام، متعلّقة باصبر المقدّر. والمعنى: اصبر إلى أي وقت فيه هذا التجنّي. وقوله (**ذا التجنّي**): هو مصدر تَجَنَّى عليه، أي: ادّعى ذَنْباً لم يفعله، كذا في القاموس. وقوله (**يا قوم**): أي يا قومي، تأكيد لفظي. وقوله (**لا نوم**): لا نافية للجنس، ونوم: اسمها. والخبر محذوف تقديره كائن، أو حاصل. وقوله (**لمقلة**): متعلّق بالخبر المحذوف. والمقلة: شحمة العين التي تجمع السواد والبياض، أو هي للسواد وللبياض، أو الحدقة. وجمعها: مقل كصرد، كذا في القاموس. وقوله (**المُعَنَّى**): بتشديد النون، صيغة اسم المفعول، من عَنَاه وأَعْنَاه: أتعبه. وقوله (**لا نوم**): تأكيد لفظي. وقوله (**قد برّح**): بتشديد الراء المهملة. يقال: بَرَحَ به الأمر تَبْرِيحاً، وتَبَارِيح الشوق: توهُّجُه، كما في القاموس. وقوله (**بي الوجد**): يقال وَجَدَ به وَجْداً في الحبّ، وكذا في الحُزن، ولكن يكسر ماضيه، كما في القاموس. وقوله (**فَمَنْ**): الفاء للتفريع، ومَنْ اسم استفهام، مبتدأ. وقوله (**يسعدني**): أي يعينني، يقال: أسعده أعانه/[٤٥٨/أ] وقوله (**ذا**): أي هذا. وقوله (**وقتك**): أي وقت إعانتك لي في هذه الحالة التي أنا فيها الآن. وقوله

(يا دمعي): وهو ماء العين الذي ينزل منها بالبكاء، وفي البكاء فرج؛ لأنّه يشفي قلب المحبّ، قال الشاعر:

إنّ البُكــــا هــــو الــــشفا ... مــن الجــوى بــين الجــوانح

وقال الآخر:

لا وعينيــــك لا أصــــا ... فــح بالــدمع مــدمعا

مــن بكــى وجــداً اســترا ... ح وإنْ كــان موجعــا

وقال الآخر:

لعــلّ غزيــر الــدمع يعقــب راحــة ... من الوجد أو يشفى خفي البلابل

وقوله (فاليوم اليوم): الفاء للتفريع على ما قبله، واليومَ اليومْ: توكيد لفظي، وهو منصوب على الإغراء، أي: الزمْ اليومَ اليوم. والمعنى في هذا البيت: إنّ المحبوب الحقيقيّ حكم بالذنوب على المحبّ لا لغرض، ولا عبثاً، ومحبّه في يقظة، لا نوم له، ولا غفلة عنده عن ملاحظته والشوق إليه قد اشتدّ، والوقت امتدّ. وما حيلته إلّا البكا، وإليه منه المشتكى[1].

* * *

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: «بلغ».

إِنْ مُتُّ وَزَارَ تُرْبَتِي مَنْ أَهْوَى

وقال قدّس الله سرّه:

١- إِنْ مُـتُّ وَزَارَ تُرْبَتِـي مَـنْ أَهْـوَى   لَبَّيْـتُ مُنَاجِيـاً بِغَـيْرِ النَّجْـوَى

٢- فِي الـسِّرِّ أَقُـوْلُ يَـا[1] تُـرَى مَـا صَـنَعَتْ   أَلْحَاظُـكَ بِي وَلَـيْسَ هَـذَا شَـكْوَى

(**إِنْ مت**): أي الموت الاختياري بالكشف عن حقيقة الحول والقوّة، والتحقّق ذوقاً بأمر الله تعالى القيّوم على جملة العوالم. وقوله (**وزار تربتي**): أي ظهر في أجزاء بدني باطناً وظاهراً أمر الحقّ تعالى سارياً بلا سريان، وهو قوله (**من أهوى**): أي أحبّ، وهو المحبوب الحقّ الحقيقيّ. وقوله (**لَبَّيْتُ**): بتشديد الباء الموحّدة، أي: أقمت على طاعتك، وأجبتك في كلّ ما دعوتني. وقوله (**مناجياً**): حال من فاعل لبّيتُ. من المناجاة، وهي المسارّة. ناجاه مُناجاة ونجاء: سارّه. وقوله (**بغير النجوى**): متعلّق بمناجياً، والنجوى السرّ، يقال: نجاه نجوى: سارّه. يعني: ليست تلك النجوى صادرة منّي لأنّي ميت؛ وإنّما هي من المحبوب الحقيقيّ للمحبوب الحقيقيّ على حسب ما يريد. وقوله (**أقول في السرّ**): في باطن الأمر، وهو ما يُكتم منه، أقول بقول منسوب إليّ، وما هو منّي، غير أنّه صادر عنّي لأنّي ميت، والمستولي عليه حيّ لا يموت. وقوله (**يا ترى**): بالبناء للمفعول، أي: يا قومي ترى. وقوله (**ما صَنَعَتْ**): ما استفهاميّة مبتدأ، وصنعتْ: أي فعلت الذي فعلته من المحن والبلايا. وقوله (**أَلْحَاظُك**): فاعل صنعت، جمع لحاظ، قال في القاموس: «اللَّحَاظ كسحاب: مُؤَخَّر العَين، من لَحَظَهُ كمَنَعَهُ وإليه، لَحْظَاً ولَحَظَاناً،

---

(١) في (ق): ما ترى.

محرّكة نظر بمؤخّر العين، وهو أشدّ التفاتاً من الشَّزْر، والملاحظة مفاعلة منه». وهي هنا كناية عن كثرة تجلّيات الأسماء الإلهيّة من المحبوب الحقيقيّ المخاطب بهذا الخطاب. وقوله (بي): متعلّق بصنعتْ، وهذا هو مقول القول. وقوله **(وليس هذا شكوى)**: من نوع الاحتراس. يعني: إنّ قولي ذلك ليس بشكوى منّي لأنّي صابر على جميع أحكامك راضٍ بتنعيمك وانتقامك.

* * *

وَقَارِي طَيْشْ

وقال قدّس الله سرّه:

١ - مَا بَالُ وَقَارِي فِيكِ قَدْ أَصْبَحَ طَيْشْ   بِاللهِ لَقَدْ هَزَمْتِ مِنْ صَبْرِيَ جَيْشْ

٢ - بِاللهِ مَتَى يَكُونُ ذَا الوَصْلُ مَتَى   يَا عَيْشَ مُحِبٍّ تَصِلِيهِ يَا عَيْشْ

(ما بال): ما استفهاميّة. والبال: الحال، يقال: ما بالُك، كذا في الصحاح. وقوله **(وَقَارِي)**: الوَقار كسَحَاب: الرزانة، وَقَرَ ككرم، وقارة ووقاراً، كذا في القاموس. وقال في الصحاح: «الحلم والرَزانة، وقد وَقَرَ الرجلُ يَقِرُ وَقاراً وقِرَة فهو وَقُور. والتوقير: التعظيم والترزين». وقوله تعالى: ﴿مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا﴾ [٧١/ نوح/ ١٣] أي: لا تخافون لله عظمة. وقوله/ [٤٥٨/ ب] **(فيكِ)**: بكسر الكاف، أي: في محبّتك، خطاب للمحبوبة الحقيقيّة، والحضرة الإلهيّة. وقوله **(قد أصبح)**: أي دخل في صباح العِرفان بعد انكشاف ليل الأكوان. وقوله **(طَيْشْ)**: بسكون الشين المعجمة، وأصله النصب؛ لأنّه خبر أصبح، من أخوات كان. واسمها المرفوع ضمير يعود إلى وقاري. والوقف على المنصوب بالسكون لغة ربيعة. والطَّيْش: النَزَق والخِفَّة، والرجل طيّاش، كذا في الصحاح. وقال في القاموس: «الطَّيْش: ذَهاب العقْل، وجَواز السهمِ الهدفَ، طَاشَ يَطِيش فهو طَائِش وطَيَّاش. والطَيَّاش: مَن لا يَقْصِد وَجْهاً واحداً». وقوله **(والله)**: قَسَم بالاسم الجامع للأسماء كلّها على ما هي عليه جمعية ذاتيّة. وقوله **(لقد هَزَمْتِ)**: بكسر التاء، خطاب للمحبوبة الحقيقيّة. وقوله **(من صبري جَيْشْ)**: بسكون الشين المعجمة على لغة ربيعة، والجيش: الجُند أو السائرون لحرب أو غيرها، كما في القاموس. وقوله **(بالله متى)**: هي اسم استفهام، مبتدأ، قال في القاموس: «متى: ظرف غير

متمكّن، سؤال عن زمان». وقوله (**يكون**): أي يوجد، فهي تامّة. وقوله (**ذا**): أي هذا، فاعل يكون، وقوله: (**الوصل**): صفة ذا، أي: الاتّصال واللقاء. وقوله (**متى**): توكيد لفظي. وقوله (**يا عيش محبّ**): منادى مضاف؛ فهو منصوب، والعيش: الحياة، عاش يَعِيش عَيشاً ومَعَاشاً. وقوله (**تَصِلِيه**): خطاب للمحبوبة الحقيقيّة، أي: تواصليه، من الوصال، وأصل تَصِليه تصلينه؛ لأنّه فعل مضارع مرفوع، لعدم الناصب والجازم، يخاطب به المفردة المؤنّثة، من الأفعال الخمسة. والياء ضمير الفاعلة، وحذف النون في مثله مع عدم الناصب والجازم أمر نادر، قال الرضيّ: «وندر حذفها»؛ أي: النون، لا للأشياء المذكورة، أي: الناصب والجازم، نظماً ونثراً قال الشاعر:

أبيت أسري وتبيتي تدلكي ... وجهك بالعنبر والمسك الذكي

فإنّ أصله تبيتين تدلكين، بنون الرفع لعدم الناصب والجازم، وحذف النون بدون الناصب والجازم نادر كما هنا، وجملة تَصِليه وصف لمحبّ. وقوله (**يا عيش**): تكرار من قبيل التأكيد اللفظي، وهو نوع من البديع ردّ العجز على الصدر.

* * *

أَبْطَأَ عَلَيَّ الخَبَرُ

[دوبيت]

وقال قدّس الله سرّه:

١ - مَا أَصْنَعُ قَدْ أَبْطَأَ عَلَيَّ الخَبَرُ   وَيْلَاهُ إِلَى مَتَى وَكَمْ أَنْتَظِرُ

٢ - كَمْ أَحْمِلُ كَمْ أَكْتُمُ كَمْ أَصْطَبِرُ   يُقْضَى أَجَلِي وَلَيْسَ يُقْضَى وَطَرُ

(ما أصنع): ما اسم استفهام مبتدأ. يعني: أي شيء أصنع. وجملة أصنع خبره، والأصل أصنعه، يقال: صَنَع الشيءَ صَنْعاً بالفتح والضمّ: عَمِلَه، وما أَحْسَن صُنْع الله بالضمّ، وصَنِيع الله عندك، كما في القاموس. وقوله (قد أَبْطَأَ): بحذف الهمزة، ضدّ أسرع، بَطُؤَ ككرم بُطاء، بالضمّ، وبِطَاء ككِتاب. وقوله (عليّ): بتشديد الياء. وقوله (الخبر): فاعل أبطأ، وهو خبر الوصول بتحقّق القبول من حضرة المحبوب الحقيقيّ. وذلك لا يعرف على التحقيق بسعادة المرء، أو شقاوته السعادة الأبديّة، وإنْ مات وانتقل إلى عالم البرزخ إلّا بعد حصول الاثني عشر شيئاً في قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ [٨١/ التكوير/ ١-١٤] وقد ذكر تعالى بعدها أربعة أشياء فقط فقال: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ [٨٢/ الانفطار/ ١-٥]. وإيراد (إذا) في هذه كلّها لتحقيق الوقوع بخلاف إنْ، لأنّها للشك، وهذا الذي ذكرناه في الآيات ذكره المفسِّرون كالبيضاوي وغيره. وقوله

(ويلاه): هي كلمة ندبة/ [٤٥٩/ أ] قال في الصحاح: «وَيْل: كلمة مثل وَيح، إلّا أنّها كلمة عذاب، يقال: وَيْلَه وَيْلَكَ وَيْلِي، وفي النُّدبة: وَيْلَاه». وقوله (إلى متى): هي ظرف غير متمكّن، سؤال عن زمان، كذا في القاموس. وقوله (وكم): اسم ناقص مبني على السكون. وسؤال عن العدد، كما في القاموس. وقوله (أنتظرُ): أي أتأنى في أمري وأتمهل فيه. وقوله (كم أحمِل): أي مؤنة المحبّة، ومشقّة العشق والهوى. وقوله (كم أكتُم): لا أظهر شيئاً ممّا أقاسيه من ألم البعد والهجران، ومعالجة حجب الأكوان. (كم أصطبر): يقال اصطبر وتصبّر بالتشديد: إذا كلّف نفسه الصبرَ بمشقّة. وقوله (يُقضى): بالبناء للمفعول، بمعنى يفرغ، قال في الصحاح: «وقد يكون بمعنى الفراغ، تقول: قَضيتُ حاجتي، وضربه فقَضَى عليه: أي قتله، كأنّه فرغ منه». وقوله (أجلي): الأجل محرّكة غاية الوقت في الموت، كذا في القاموس. وقوله (وليس يقضى): بالبناء للمفعول. وقوله (وطر): محرّكة الحاجة، أو حاجةٌ لك فيها هَمٌّ وعِناية؛ فإذا بَلَغْتَها فقد قَضَيتَ وَطَرَك، وجمعه: أوطار، ويقال: قَضى وَطَرَه: أَتَمَّه وبَلَغَه، كذا في القاموس. وقضاء وَطَرَه: بلوغه إلى حقيقته التي كان فيها أزلاً فيرجع إليها أبداً، قال تعالى: ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٤٥] وللشيخ عبد الكريم الجيليّ قدّس الله سرّه قوله، في مطلع قصيدة له:

تعالوا بنا حتّى نعود كما كنّا ولا عهدنا خنتم ولا عهدكم خنّا

* * *

كَمَا رَاحَ أَتَى

[دوبيت]

وقال قدّس الله سرّه:

١ - قَدْ رَاحَ رَسُولِي وَكَمَا رَاحَ أَتَى   بِاللهِ مَتَى نَقَضْتُمُ العَهْدَ مَتَى

٢ - مَا ذَا ظَنِّي بِكُمُ وَلَا ذَا أَمَلِي   قَدْ أَدْرَكَ فِيَّ سُؤْلَه مَنْ شَمِتَا

(قد راح): أي ذهب إلى جهة الأحبّة في وقت العشي، وهي مخالطة الأكوان، والقرب من ظلمات النفوس والأبدان. قال في القاموس: «الرَّوَاح: العَشِيّ، أو من الزَوال إلى الليل، ورُحنا رَواحاً وتَرَوَّحْنا: سِرْنا فيه». وقوله (رسولي): هو عقله النورانيّ الممتدّ من نور الحقيقة المحمّديّة. قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [٩/ التوبة/ ١٢٣]. وأمّا بالكافرين فهو غليظ شديد، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [٩/ التوبة/ ٧٣] الآية. وقوله (وكما راح): أي كرواحه. وقوله (أتى): أي عاد إليّ. وذلك لقيامه بأمر الله تعالى، وهو الروح الأمريّ الذي هو أوّل مخلوق، وهو كلمح بالبصر؛ لأنّ أمر الله تعالى كلمح بالبصر. وهذا معنى رواحه وإتيانه، وكاف التشبيه باعتبار السرعة في الرواح والإتيان. وقوله (بالله): قسم بالاسم الجامع الذي علا بقيّة الأسماء الإلهيّة المختلفة المتضادّة بالآثار. وقوله (متى نقضتم العهد): خطاب للأسماء المتقابلة المختلفة الآثار كالضار النافع، المعطي المانع، المعزّ المذلّ، المقدّم المؤخّر، المضلّ الهادي، إلى غير ذلك؛ فإنّ آثارها تقتضي نقض العهد والوفاء به والعهد هو

الموثق، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٧٢] الآية. وقال تعالى في ذلك: ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ [٢/ البقرة/ ٤٠] فلمّا أشهدهم على أنفسهم شهدوا أنفسهم، فافترقت الأسماء الإلهيّة، فظهر منهم نقض العهد بشهود أنفسهم عندهم. وقوله (متّى): من ردّ العجز على الصدر، وهو تأكيد لفظي عند النحاة. وقوله (ماذا ظنّي بكم): خطاب للأسماء الإلهيّة المذكورة. وما نافية. وذا: أي هذا. يعني: نقض العهد ظنّي، أي: الذي كنت أظنّه منكم وبكم. وقوله (ولا ذا أملي): معطوف على ما ذا ظنّي. يعني: ولا هذا كنت أؤمّله منكم. وقوله/ [٤٥٩/ ب] (قد أدرك فِيَّ): بتشديد الياء. وقوله (سؤله): مفعول أدرك، أي: مطلوبه ومأموله. وقوله (مَنْ): فاعل أدرك. وقوله (شَمِتا): بألف الإطلاق، شَمِتَ كفرح، شماتاً وشَماتَة: فرح ببَلِيَّة العدو، وأَشْمَتَهُ الله به، كذا في القاموس. والإشارة بذلك إلى النفس الأمّارة بالسوء والشيطان القرين.

* * *

رُوحِي لَكَ فِدَى

[دوبيت]

وقال قدّس الله سرّه:

١ - رُوْحِي لَكَ يَا زَائِرُ فِي اللَّيْلِ فِدَى   يَا مُؤْنِسَ وَحْشَتِي إذَا اللَّيْلُ هَدَا

٢ - إنْ كَانَ فِرَاقُنَا مَعَ الصُّبْحِ بَدَا   لَا أَسْفَرَ بَعْدَ ذَاكَ صُبْحٌ أَبَداً

(روحي لك): خطاب للمحبوب الحقيقيّ من قوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [١٥/ الحجر/ ٢٩] وقوله (يا زائر في الليل): أي في ظلمة عالم الكون، بنزول أمره من قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ [٦٥/ الطلاق/ ١٢] الآية. وقوله (فِدَى): يَفْدِيه فِدَاءً وفِدَى، ويُفْتَح، وافْتَدَى به، وفَادَاه: أعطى شيئاً فأنقذه. والفِدَاء ككِسَاء، وكعلى وإلى: ذلك المُعْطَى، كذا في القاموس. وقوله (يا مؤنس وحشتي): أي ملقي الأُنس على وحشتي في ظلمات الأكوان وموحشات الأعيان. وقوله (إذا الليل): أي ظلمة الكون. وقوله (هدا): أصله بالهمز، قال في القاموس: «هَدَأَ كمَنَع، هَدْءً وهُدُوْءً: سكن، وأتانا بَعْد هَدْءٍ من الليل، وهَدْأَة وهَدِيءٍ ومَهْدَأ وهُدُوْء، أي: حين هَدَأَ الليلُ والرجل، أو الهَدْأُ: أوّل الليل إلى ثُلثِه». وهو ليل الأكوان الذي ينزل فيه ربّنا إلى سماء الدنيا، كما ورد في الحديث. وقوله (إنْ كان فراقنا): أي دخولنا إلى مقام الفرق بعد الجمع عليه تعالى. وقوله (مع الصبح): أي ظهور نور الوجود الحقّ على تقادير الأكوان. وقوله (بدا): أي ظهر ملتبساً بها، من قوله تعالى: ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ [٦/ الأنعام/ ٩]. وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ ـ وهو القرآن إلى قوله ـ ﴿سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ [٩٧/ القدر/ ١-٥]. وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم

مُّحِيطُۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ [٨٥/ البروج/ ٢٠-٢٢]. وقوله (لا أَسْفَرَ): قال في القاموس: «سَفَرَ الصُبْحُ يَسْفِرُ: أضاء وأشْرَق، كأَسْفَر». وقوله (بعد ذاك): أي بعد فراقنا المذكور. وقوله (صُبْحٌ): أي ضوء ذلك النور المذكور من قبيل قولنا في مطلع أبيات لنا:

الـــشمس عـــليّ جنـــاح طـــائر والحـــبّ لـــه بنـــا بـــشائر

وقوله (أبداً): أي دهراً منصوب على الظرفيّة.

* * *

يَا حَادِي قِفْ

[دوبيت]

وقال قدّس الله سرّه:

١ - يَـا حَـادِي قِـفْ بِي سَـاعَةً فِي الرَّبْـعِ   كَـيْ أَسْـمَعَ أَوْ أَرَى ظِبَـاءَ الجَـزْعِ

٢ - إِنْ لَمْ أَرَهُـمْ أَوْ أَسْـتَمِعْ ذَكْـرَهُمْ   لَا حَاجَـةَ لِي بِنَـاظِرِي والسَّمْعِ

(يا حادي): بفتح الياء، وهو الذي يحدو الإبل، أي: يسوقها بالغناء لها، قال في القاموس: «حَدَا الإبلَ حَدْواً وحُدَاء وحِداء: زَجَرَهَا وساقها». وقال في الصحاح: «الحَدْوُ سَوْقُ الإبل والغِنَاء لها». والكناية بالحادي هنا عن الحقيقة المحمّديّة التي أرسلها الله تعالى تحدو بكلامها المنتظم إبل النفس المكلّفة بالسير من دار الفناء إلى دار البقاء الحامل بضائع الأعمال. وقوله (قِفْ بي ساعةً في الرَّبْع): أي في الدار بعينها، حيث كانت، وجمعه: رِبَاع ورُبُوع وأَرْبُع وأَرْبَاع. والمَحَلَّة والمَنْزِل، والمَوضِع، يَرْتَبِعُونَ فيه في الرَّبِيع، كالمَرْبَع، كمَقْعَد، كذا في القاموس. يكنّي بذلك عن مقام الجمع على الحقّ تعالى، طلب من الحادي المذكور أنْ يقف به على هذا المقام ساعة؛ فإنّه لا يقف بمن يسوقه إلى مراتب إرثه، فلا يزال الوارث المحمّديّ يترقّى في المقامات من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ فَٱرۡجِعُواْ﴾ [٣٣/الأحزاب/١٣] فلا وقوف لهم أبداً، كما كان صلّى الله عليه وسلّم يقول: «إنّه ليغان على قلبي، وإنّي لأستغفر الله في اليوم والليلة أكثر من سبعين مرّة»[1] وإنّ ذلك غين أنوار، لا غين أغيار، لأنّه/ [٤٦٠/ أ] كلّما رقا إلى مقام رأى ما قبله

---

(١) انظر تخريجه ص٣٧٥.

غيناً، فيستغفر منه، وهكذا: ﴿لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [٣٣/الأحزاب/ ٢١].

وقوله (كي أسمع): أي المناجاة الإلهيّة. وقوله (أو أرى): أي التجلّيات الربّانيّة. وقوله (ظباء): جمع ظبي، وهو الغزال. كناية عن الأسماء المتوجّهة على إظهار الآثار لنفورها عن إدراك المدركين. وقوله (الجَزْع): بالفتح، ويكسر: مُنْعَطَف الوادي، ووَسَطَه، أو مُنْقَطَعَه، أو مُنْحَنَاه، أو لا يُسمّى جَزْعاً حتّى تكون له سِعَة تُنْبِتُ الشجر، أو هو مكان بالوادي لا شجر فيه، أو ربّما كان رمْلاً، كذا في القاموس. كناية عن الذات الجامعة للأسماء والصفات. وقوله (إنْ لم أرهم): أي أشهد التجلِّيات المذكورة الفاعلة، فعل الذكور في إناث آثارها؛ ولهذا أشار إلى ذلك بميم جمع الذكور. وقوله (أو أستمع): مجزوم بالعطف على (إنْ لم أرهم). وقوله (ذِكْرَهُمُ). وقوله ذكرُهُمُ بضمّ الميم، أي: الذكر الذي يظهر لي منهم بمناجاتهم لي. وقوله (لا حاجة لي بناظري): إذْ لا فائدة لي حينئذٍ به؛ لأنّه يرى الأكوان الفانية، والأعيان الزائلة المضمحلّة. وقوله (والسمع): أي لا حاجة لي أيضاً بسمعي فلا انتفاع لي به؛ لأنّه يسمع الأصوات الكونيّة، ويشتغل بالإدراكات الظلمانيّة.

* * *

[فِي صَقَرٍ]

وقال قدّس الله سرّه ملغزاً:

[ملغِّزاً]: حال من فاعل قال. والمُلَغِّز، بصيغة اسم الفاعل. واللُّغْز من الكلام: ما يُشَبَّه معناه، والجمع: أَلْغَاز، مثل: رُطَب وأَرْطَاب. وأَلْغَزْتُ في الكلام إلغازاً: أتيتُ به مُشَبَّهاً، قال ابن فارس: اللُّغْز: مَيْلُك بالشيء عن وجهه، كذا في المصباح. وقال في الصحاح: «أَلْغَزَ في كلامه إذا عَمَّى مراده. والاسم اللُّغْز، مثل رطب وأرطاب. وأصل اللُّغْز جُحْر لليربوع بين النافقاء والقاصعاء، يَحْفِر مستقيماً إلى أسفل، ثمّ يعدّل عن يمينه وشماله عروضاً يعترضها فيُخْفِي مكانَه بتلك الألغاز». وقال في القاموس: «اللُّغْزُ ميلك بالشيء عن وجهه، بالضمّ، وبضمّتين، وبالتحريك، وكصُرد، وكالحميراء، وكالسُّمَّيْهَى[1] والأُلْغُوْزَة: ما يُعَمَّى به». وهذا الإلغاز مشروع، كما ورد في حديث البخاريّ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، عن النبيّ صلّى الله عليه وسلم. قال: «إنّ من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنّها مثل المسلم، حدّثوني ما هي. قال فوقع الناس في شجر البوادي. قال عبد الله فوقع في نفسي أنّها النخلة فاستحييت. ثمّ قالوا: حدّثنا يا رسول الله، ماهي. قال: هي النخلة»[2]. وفي رواية قال عبد الله : فحدّثت أبي بما وقع في نفسي. فقال: لئن تكون قلتها أحبّ إليّ من أنْ يكون لي كذا وكذا[3]. وفي حديث مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم يوماً لأصحابه: «أخبروني عن

---

(١) الصُّرَد: طائر أبقع، أبيض البطن. والسُّمَّهى: الأباطيل والكذب وأصله ما يتراءى للناظر في عين الشمس وقت الظهيرة، وذهب في السُّمَّهى: ذهب في التيه، وقد يمدّ فيقال: السُّمّيهى.

(٢) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب: العلم، باب: طرح الإمام المسألة على أصحابه، ٦٢.

(٣) أخرج البخاريّ في صحيحه، كتاب: العلم، باب: الحياء في العلم، وقال مجاهد: لا يتعلّم،١٣١.

شجرة مَثَلُها مَثُل المؤمن». فجعل القوم يذكرون شجراً من شجر البادية. قال ابن عمر رضي الله عنهما: وألقي في نفسي، أو روعي أنّها النخلة؛ فجعلت أريد أنْ أقولها؛ فإذا أعيان القوم، فأهاب أنْ أتكلّم، فلما سكتوا، قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «هي النخلة»[1]. وذكر الحافظ ابن حجر العسقلانيّ في شرح البخاريّ قال: «وفي هذا الحديث من الفوائد امتحان العالم أذهان الطلبة بما لا يخفى مع بيانه لهم أنْ يفهموه. وأمّا ما رواه أبو داوود من حديث معاوية رضي الله عنه عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنّه نهى عن الأُغلوطات. قال الأوزاعي، وهي صعاب المسالك فإنّ ذلك محمول على مالا نفع فيه، أو ما خرج على سبيل تعنّت المسؤول، أو تعجيزه، وفيه التحريض على الفهم في العلم»[2]. قال وفيه إشارة إلى أنّ المُلَغِّز له ينبغي أنْ يتفطّن لقرائن الأحوال الواقعة عند السؤال، وإنّ المُلَغِّز ينبغي له أن لا يبالغ في التعمية، بحيث لا يجعل للُّغْزِ باباً يُدخَل منه بل كلّما قرّبه كان أوقع في سامعه. انتهى. قلت: فقوله صلّى الله عليه وسلّم عن النخلة: إنّ من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، إنّها مثل المسلم. وفي رواية مثلها مثل المؤمن، فالنخلة إشارة إلى النفس الكلّيّة أخت العقل الكلّي لأنّهما متوالدان عن/ [٤٦٠/ ب] الروح الأمريّ، والنفس الكليّة كالشجرة، وهي اللوح المحفوظ، وأوراقها ـ النفوس الجزئيّة ـ لا تسقط بل تنتقل من الدنيا إلى البرزخ إلى الآخرة. والعقل الكلّيّ أبو العقول الجزئيّة. وهو القلم الأعلى، وبدأ بتمثيلها بالمسلم، ثمّ بالمؤمن؛ لأنّها عمّتهما أخت أبيهما، كما ورد في حديث عمّتكم النخلة؛ فإنّها خُلقت من فضلة طينة آدم. والطينة إشارة إلى ما ذكرنا من القلم واللوح؛ ولهذا إذا قُطع رأسها ماتت بخلاف غيرها من الشجر، والله الأعلم والأحكم.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: صفة القيامة، باب: مثل المؤمن مثل النخلة، ٧٢٧٧، بلفظ أستان بدل أعيان.

(٢) ذكره العسقلانيّ في فتح الباري، باب: قول المحدّث: حدّثنا وأخبرنا، وأنبأنا.

(في صقر): هو الطائر المعروف. وقال في المصباح: «صَقْر الرُّطَب دِبْسُهُ قبل أنْ يُطْبَخ، وهو ما يَسِيل منه كالعسل؛ فإذا طُبِخ فهو الرُّبُّ. قال الأزهري: الصُّقْر ما يَتَحَلَّب من الرُّطَب والعنب من غير طبخ. وقال ابن الأنباري: الصُّقْر السائل من الرُّطَب، وهو مذكّر. والصَّقْر: من الجوارح يُسمَّى القُطَامِي، بضمّ القاف وفتحها، وبه سُمِّي الشاعر. والأنثى صَقْرَه بالهاء. وجمع الصَّقْر: أَصْقُر وصُقُور وصُقُورة، بالهاء. وقال بعضهم: الصقر ما يصيد من الجوارح كالشاهين وغيره، وقال الزجّاج أيضاً: ويقع الصقر على كلّ صائد من البُزَاة والشاهين.

١ - مَـا اسْـمُ طَـيْرٍ إذا نَطَقْـتَ بِحَـرْفٍ مِنْـهُ مَبْـدَاهُ كَـانَ مَـاضِيَ فِعْلِـهِ

٢ - وَإذا مَـا قَلَبْتَـهُ فَهْـوَ فِعْـلِي طَرَبـاً إنْ أَخَـذْتَ لُغْـزِي بِحَلِّـهِ

(ما): اسم استفهام، مبتدأ. وقوله (اسم طير): خبر المبتدأ وهو الصقر المذكور. كناية عن الروح الأمري المنفوخ منه في جسمه؛ فكأنّه طير يبعد عن عالم الطبيعة، ويغيب في فضاء الملكوت، وهو قائم بأمر الله تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحِۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ [٥٤/القمر/ ٥٠]. وكذا ما قام به، وهو الروح كلمح بالبصر. وقوله (إذا نطقتَ): بفتح تاء المخاطب، وهو السالك في طريق معرفة الله تعالى. وقوله (منه): أي من اسم ذلك الطير، وهو النطق النفساني. وقوله (مبداه): بإبدال الهمزة ألفاً، فإنّ أصله مبدأه. والضمير للاسم. وقوله (كان): أي ذلك الحرف الذي هو مبدأه وهو حرف الصاد المهملة. وقوله (ماضي): بفتح الياء خبر كان. وقوله (فعله): أي فعل ذلك الطير بأن تقول: صاد من الصيد، والصيد فعل الصقر، فكان الروح الأمريّ لمّا توجّه من أمر الله تعالى على تدبير الجسم، صاده بالاستيلاء عليه حين نفخ فيه الروح. وقوله (وإذا ما قَلَبْتَهُ): ما زائدة بعد إذا. يعني: إذا قلبته، أي: قلبت اسم صقر بأن بدأت بحرفه الأخير، وهو الراء ثمّ القاف ثمّ الصاد، صار رقص. وقلبه كناية عن ظهور ذلك الروح في الجسم المنفوخ فيه بالانتكاس،

فيصير نفساً مدّبرة لطبيعة الجسم. وقوله (**فهو فعلي**): أي ذلك المقلوب، وهو الرقص فعلي، أي: الذي أفعله. وقوله (**طرباً**): مفعول من أجله، أي: لأجل الطرب، وهو الخفّة المنبعثة عن السرور. وقوله (**إنْ أخذتَ لُغْزي**): بضمّ اللام وسكون الغين المعجمة وبالزاي لغة فيه، كما قدّمناه. أي: الذي ألغزته لك، وعمّيته عليك، وهو صقر الروح المنقلب نفساً بالانتكاس؛ فإنّ ذلك يقتضي منّي فرحاً ونشاطاً. وقوله (**بِحَلِّهِ**): متعلّق بأخذت. وحَلُّه كناية عن قطع العلائق النفسانيّة، والشهوات الطبيعيّة حتّى ترجع النفس روحاً أمريّة، وتنحلّ من عقال العقل. وقيود الطبيعة الحيوانيّة.

*　　*　　*

[في صفر أيضاً]

[الخفيف]

وقال قدّس الله سرّه ملغزاً أيضاً في:

١ - يـا خَبِـيراً بِـاللُّغْزِ بَـيِّن لنـا مَـا   حَيَـوَانٌ تَـصْحِيفُهُ بَعْـضُ عَـامِ

٢ - رُبْعُـهُ إنْ أَضَفْتَهُ لَـكَ مِنْـهُ   نِـصْفُهُ إنْ حَسَبْتَهُ عَـنْ تَمَـامِ

(يا خبيراً): منادى شبيه بالمضاف، من الخبرة، قال في القاموس: «رجل خَابِر وخَبِير وخَبِر ككَتِف، وجُحْر: عالم به. أي: بالخَبَر، محرّكة النبأ. وأخبره خُبُورة: أنبأه ما عنده، والخِبْر/ [٤٦١/ أ] والخِبْرَة بكسرهما، ويضمّان. والمَخْبَرَة والمَخْبُرَة: العِلم بالشيء كالاختبار والتَخَبُّر. وقد خَبُر ككَرُم. وقوله (باللُّغْز): بضمّ اللام، وسكون الغين المعجمة، خطاب للسالك في الطريق». وقوله (بَيِّن): بتشديد الياء التحتيّة، فعل أمر من البيان. وقوله (لنا): متعلّق ببيّن. وقوله (ما): استفهاميّة. وقوله (حيوان): إشارة إلى أنّ الطير من جنس الحيوان أيضاً؛ لأنّ الحيوان هو الحياة، نقيض الموت، قال في القاموس: «الحِيّ، بكسر الحاء، والحَيَوان، محرّكة، والحَياة والحَيَوَة، بسكون الواو: نقيض الموت». والروح الأمريّ المنفوخ منه في الجسم حياة للجسم. وقوله (تصحيفه): أي بتغيير نقط لفظه، لأنّه صقر بالقاف، فإذا مُحِيت نقطة واحدة من القاف صارت فاء، فيصير صفر، وهو اسم للشهر الذي بعد المحرّم. وقوله (بعض عام): أي هو شهر من شهور السنة. وكذلك الروح المنفوخ في الجسم إذا نقض ظهوراً في بعض مظاهره كالبصر مثلاً، أو السمع. كان بعضاً من العام، وهو الظهور التامّ الإلهيّ الوارد في حديث المتقرّب بالنوافل: «كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به». وشهر صفر كان

فيه نقصان عالم الروح الأمريّ من ظهوره في عالم الدنيا بموت النبيّ صلّى الله عليه وسلّم فيه، كما ورد في الخبر. وقوله (رُبْعُهُ): أي ربع اسم صقر، وهو ثلاثة أحرف لكن يصير أربعة باعتبار قوله (إنْ أضفته لك): أي أضفت الاسم كلّه بأنْ قلت (صقري): فرُبْعُهُ وهو الراء في حساب الجُمَّل بمائتين، والباقي وهو الثلاثة أرباع الصاد والقاف وياء المتكلّم، وهذه الحروف الثلاثة تصير نصفه بالحساب. وذلك قوله (منه): أي من ذلك الاسم، وهو صقري. وقوله (نصفه): أي نصف الاسم في الحساب؛ فإنّ الصاد بتسعين، والياء بعشرة؛ فهي مائة، والقاف بمائة فذلك مائتان. كما أنّ الراء وحدها، وهي ربع الاسم مائتان. وقوله (إنْ حَسَبْتَهُ): أي لفظ صقري. وقوله (عن تمام): أي بتمام هذا اللفظ بحساب الجمّل المذكور إشارة إلى أنّ ربع مظهر الروح المكنّى عنه بالصقر، هو الماء العنصريّ؛ لأنّه شرط إضافة الروح إليك؛ فإنّها باعتبار عالمها متجرّدة عن العناصر الأربعة، وهو النصف من بقيّة العناصر الثلاثة: النار، والهواء، والتراب؛ لأنّ الماء سرّ الحياة، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [٢١/ الأنبياء/ ٣٠] والحياة نصف كما أنّ بقية النشأة الإنسانيّة النصف الآخر. وقال تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [١١/ هود/ ٧] وهو نصف ما صار بعده. والله أعلم.

* * *

[حِنْطَة]

[السريع]

- وقال ملغِّزاً في حنطة:

١- مَا اسْمُ قُوْتٍ يُعْزَى لِأَوَّلِ حَرْفٍ مِنْهُ بِئْرٌ بِطَيْبَةٍ مَشْهُورَه[1]

٢- ثُمَّ تَصْحِيفُهَا لِثَانِيهِ مَأْوَى وَلَنَا مَرْكَبٌ وَبَاقِيهِ سُوْرَه

(ما): استفهاميّة. وقوله (اسم قوت): هو ما يقتات به، وهو حِنْطَة. كناية عن الطبيعة الكلّيّة المنقسمة إلى: حرارة، وبرودة، ورطوبة، ويبوسة؛ فإنّه نشأ عنها في جوف فلك القمر العناصر الأربعة: النار، والهواء، والماء، والتراب. وتركب من هذه العناصر المواليد الأربعة: الجماد، والنبات، والحيوان، والإنسان. فإذا انحلت هذه التراكيب رجعت إلى العناصر، والعناصر إلى الطبائع. والطبائع إلى الطبيعة الكلّيّة، وهي السارية في جميع هذه المواد والمركّبات، وبها تقتات الكلّ؛ فهي المُكنّى عنها هنا بالحنطة. وظهورها في أربع، مثل: حروف حنطة؛ فإنّها أربع، وبعد الموت ترجع المولدات المذكورة إلى مثل صورها من الطبيعة بعد تفرق عناصرها. وقوله (يُعزى): بالبناء للمفعول، أي: ينسب. وقوله (لأوّل حرف منه): أي ذلك الاسم: القوت المذكور. وقوله (بئر بطيبة): أي في طيبة، وهي مدينة النبيّ صلّى الله عليه وسلم. وقوله (مشهور): أي/ [٤٦١/ ب] تلك البئر، وهي مؤنّثة. يعني: على حسب ما اشتهر من ذلك، قال في القاموس: «بَيْرَحَي كَفَيْعَلَى: أرض بالمدينة، ويُصَحِّفُهَا المُحَدِّثُون بِئْرَحَاء. وقال في الحاء: حرف هجاء، ويمدّ. واسم رجل

---

(١) في (ق): مذكورة.

نسب إليه بِئْرَحاء بالمدينة. وقد يُقْصَرَ والصَّواب بَيْرَحَى كفَيْعَلَى». وعلى المشهور إشارة الكلام في هذا المقام؛ فالحرف الأوّل الذي يعزى إليه البئر بطيبة هو الحاء أوّل عالم الطبيعة لاقتضائه الهبوط من العالم الروحانيّ كالبئر، قال تعالى: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ [٢٢/الحج/ ٤٥] إشارة إلى قلب الغافل المحجوب. وقلب العارف المحقّق، وكونه بئر بطيبة لأنّ ذلك مخلوق من نوره صلّى الله عليه وسلّم؛ ولكنّه غلب عليه الإخلاد إلى الأرض فصار قلبه بئراً. وقوله (**ثمّ تصحيفها**): أي تصحيف لفظه، ثمّ بحذف نقطها العالية. ووضع نقطتين من الأسفل فتصير يَمّ، وهو اسم للبحر. وقوله (**لثانيه**): أي لثاني اسم ذلك القوت، وهو حرف النون، قال في القاموس: «النون من حروف الزيادة، والدواة، والحوت. وجمعه: نِيْنَان وأَنْوان، فالنون: الحوت». وقوله (**مأوى**): أي مسكن. يعني: إنّ اليم مسكن الحوت. وذلك إشارة إلى أنّ حوت الحيوانية الغالبة على النشأة الإنسانيّة ساكن في بحر الطبيعة، لا يخرج منه إلى برّ الروحانيّة إلّا بعناية الإلهيّة. وقوله (**ولنا مَرْكَب**): أي اليمّ المذكور مركب لنا نركبه بوساطة المركب، فنسير فيه كما نركب بحر الطبيعة بوساطة مركب العنصر، وقوله (**وباقيه**): أي باقي اسم ذلك القوت، والباقي الطاء والهاء. وقوله (**سُورَة**): أي من سور القرآن. وهي سورة طه، وهو من أسمائه صلّى الله عليه وسلّم؛ فإنّ آخر عالم الطبيعة نور محمّد صلّى الله عليه وسلّم؛ فإذا قطعه إلى آخره وصل إلى الحقيقيّة المحمّديّة والسورة القرآنيّة، قال تعالى: ﴿طه ۝ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ [٢٠/ طه/ ١-٢] الآية.

* * *

[نَصِيرٌ]

[السريع]

وقال قدّس الله سرّه ملغزاً في نصير:

١ - إِسْمُ الَّذي أَهْوَاهُ تَصْحِيفُهُ وَكُلُّ شَطْرٍ مِنْهُ مَقْلُوبُ

٢ - يُوجَدُ فِي تِلْكَ إِذَنْ قِسْمَةٌ ضِيزَى عِيَاناً وَهْوَ مَكْتُوبُ

(اسم الذي اهواه): أي أحبّه، وهو لفظة نَصير، بفتح النون وكسر الصاد المهملة، من النصر، قال تعالى: ﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [٨/ الأنفال/ ٤٠] وقوله **(تصحيفه)**: أي تصحيف جميع الاسم. وقوله **(وكلّ شطر منه)**: أي من ذلك الاسم. الواو للحال، والجملة حال من ضمير تصحيفه. والحال قيد لتصحيفه، أي تصحيفه، وهو في هذه الحال. والشطر النصف، فشطر نصير نص. والشطر الثاني ير. وقوله **(مقلوب)**: فقلب الشطر الأوّل صن، وتصحيفه ضي. وقلب الشطر الثاني ري، وتصحيفه زي. وقوله **(يوجد)**: أي تصحيف ذلك. وقوله في **(تلك إذن قسمة ضيزى)**: أي في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾ [٥٣/ النجم/ ٢٢]. وقوله **(عياناً)**: أي معاينة بالبصر. وقوله **(وهو مكتوب)**: جملة حالية من قوله تعالى ضيزى؛ فإنّه يكتب بالياء، ويقرأ بالألف. والمعنى: في ذلك إنّ الذي يحبّه هو اسم نصير، وهو تصفان، نصف في الغيب، وهو الذات الغيبية، ونصف في الشهادة بظهور الآثار الكونيّة، وهو أسماء الذات وصفاتها. وقلب النصف الأوّل هو ظهور الذات في حضرات الأسماء والصفات، وقلب النصف الثاني هو ظهور الأسماء والصفات في حوادث الكائنات، والتصحيف في ذلك هو الدخول في عالم

الالتباس، قال تعالى: ﴿ وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾ [٦/الأنعام/ ٩] فيصير الاسم بقلب النصفين والتصحيف ضيزى، وذلك موجود في قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴾ [٥٣/النجم/ ٢٢] قال في القاموس: «ضَأَز كمنع، ضَأْزاً، وضَأَزاً: جاز، و ـ فلاناً حقَّه: بَخَسَه، ونَقَصَه. وقِسْمَة ضَأْزَى، ويثلَّث: لغة في ضِيزَى، أي: ناقصة».

* * *

[لِيْفٌ]

[مجزوء خفيف]

وقال قدّس الله/ [٤٦٢/ أ] سرّه ملغزاً في ليف:

١ - مَا اسْمُ شَيْءٍ مِنَ النَّبَاتِ إِذَا مَا قَلَبُوهُ وَجَدْتَهُ حَيَوَانَا

٢ - وَإِذَا مَا صَحَّفْتَ ثُلْثَيْهِ حَاشَا بَدْأَهُ كُنْتَ وَاصِفاً إِنْسَانَا

(وما): اسم استفهام، مبتدأ. وقوله (اسم شيء): خبره. وقوله (من النبات): أي ما ينبت في الأرض بالهواء والماء والنار، وهو لليف، اسم لليف النخل، الواحدة: ليفة. وقال في القاموس: «لِيْفُ النخل بالكسر، معروف. والقطعة، بِهاء: ليفة». وهو كناية هنا عن الجسم الذي هو وعاء الروح الأمريّ، ومحل ظهوره من شجرة طوبى الروح الأعظم الكلّي في السعداء، ومن شجرة الزقوم التي أصلها في الجحيم، وطلعها كأنّه رؤوس الشياطين التي هي طعام الأثيم، كما ورد ذلك في الآيات القرآنيّة. أي: استمداده منها في جميع أحواله الظاهرة والباطنة في الأشقياء. وكون ذلك من النبات بإشارة قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا﴾ [٧١/ نوح/ ١٧]. وقوله (إذا ما قلبوه): أي جعلوا خاصيّة ذلك الجسم باعتبار طبعه منقلباً إلى الباطن، والجاعلون ذلك القوى الملكيّة السارية في الأجسام العنصريّة، وهم الحفظة الموكّلون ببني آدم، كما ورد في الحديث: «يتعاقبون عليكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار»[1] وهم متحيّزون إلى عالم الملكوت، ولا يظهر منهم في عالم الملك إلّا قواهم المنبثّة في تلك الأجسام. وقوله (وجدته): أي

(١) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب مواقيت الصلاة، باب: فعل صلاة العصر، ٥٥٥.

وجدت يا أيّها السالك في طريق الله تعالى ذلك الجسم المكنًّى عنه بالليف. وقوله (حيواناً): أي حيّاً، قال في القاموس: «الحِيّ بكسر الحاء، والحَيَوان محرّكة: نقيض الموت». والمعنى هنا: إنّه يجده فيلاً حَيّاً متحرّكاً بالإرادة، والفيل حيوان معروف. وقد كنّى تعالى عن الكافرين بأصحاب الفيل والسورة في قبيح أفعالهم. وقوله (وإذا ما صحفت): أي غيرّت حالته الطبيعية، بزيادة النقط الإراديّة يا أيّها السالك. وقوله (ثلثيه): أي ثلثي ليف، وهما الياء والفاء. وقوله (حاشا بدأه): بالنصب مفعول حاشا، يقال: جاء القوم حاشا زيداً، استثناء منهم. وبدأه، أي: الحرف الذي في ابتداء ليف، وهو اللام؛ لأنّه ليس بقابل للتصحيف، ولا للتغيير عمّا هو عليه؛ وإنّما يقبل زيادة ألف الأحديّة، فيصير لا، ويكون في ابتداء كلمة التوحيد، لا إله إلّا الله فينفي الشرك، ويثبت التوحيد. وقد تكرر في لفظ الجلالة، فتقول: الله ، تقويةً وتأكيداً لفظيّاً للعظمة الظاهرة. وقوله (كنتَ): يا أيّها السالك. وقوله (واصفاً إنساناً): أي واحداً من بني آدم كاملاً، وهو قولك فلان لبق؛ فإنّ الياء تصحيف بالباء الموحّدة. والفاء بالقاف، قال في القاموس: «لَبِقَ ككَتِف، وأمير: حاذق بما عمل، لبق كفرح، وكرم، لَبَقاً ولَبَاقَة: حَذَقَ»، وقال في الصحاح: «اللَبِق واللَبِيق: الرجل الحاذق، الرفيق بما يعمله. وقد لَبِقَ بالكسر لَبَاقَة».

* * *

[قُمْرِيّ]

[السريع]

- وقال قدّس الله سرّه ملغزاً في قُمْرِيّ:

١- مَــا اسْــمٌ لِطَــيْرٍ شَــطْرُهُ بَلْــدَةٌ فِي الـشَّرْقِ مِـنْ تَـصْحِيفِهَا مَـشْرَبِي

٢- وَمَــا بَقِــي تَــصْحِيفُ مَقْلُوبِــهِ مُــضَعَّفاً قَــوْمٌ مِــنَ المَغْــرِبِ

(**ما**): اسم استفهام، مبتدأ. وقوله (**اسم**): خبره. وقوله (**لطير**): وهو قمري. نوع من الحمام. قال في القاموس: «القُمْرِيَّة، بالضمّ: ضَرْبٌ من الحَمام، وجمعه: قُماريُّ وقُمْرٌ، أو الأنثى قُمْرِيَّة، والذَكَر: سَاقُ حُرٍّ». وذلك كناية عن الروح الإنسانيّ، وإلى ذلك أشرنا بقولنا من معشراتنا:

حمـائم شـوق في الغـصون تنـوح تـسرّ هواهـا تـارة وتبـوح

حجازيـة شـاميّة تـألف الغنـا ومـا هـي إلّا للمتـيّم روح

وقوله (**شطره**): أي نصفه، وهو قُم، القاف والميم. وقوله (**بلدة في الشرق**): وهي قسم/[٤٦٢/ب] قاشان: ولاية العجم، وذلك إشارة إلى حكم استيلاء الروح على ظاهر الجسم الإنسانيّ. وقوله (**من تصحيفها**): أي تصحيف تلك البلدة بأنْ تحذف إحدى نقطتي فيصير فم، وتصحيف هذا الاستيلاء الروحانيّ على الظاهر بعد زوال نقطة النفس منه. وقوله (**مَشرَبي**): أي موضع شربي الماء وغيره. والمشرب أيضاً موضع شرب شراب المعرفة الإلهيّة، والحقائق الربّانيّة. وقوله (**وما بقي**): وهو ريّ الراء والياء. والرّي بكسر الراء ضدّ العطش، وهو الارتواء من الشراب الإلهيّ. وقوله (**تصحيف مقلوبه**): أي مقلوب ري، وهو(ير) وتصحيفه (بر)؛ فإنّ ذلك الارتواء إذا تغيّر وانقلب على ظاهر الإنسان

صار بَرّاً، بالفتح، قال في القاموس: «البَرّ الصادق، والكثير البِرّ كالبارّ، وجمعه: أَبْرار وبَرَرَة». وقوله (مُضَعَّفاً): بتشديد العين المهملة، أي: مكرراً مرتين. وقوله (قوم من المغرب): قال في القاموس: «بَرْبَر: جِيل، وجمعه: البَرابِرَة، وهم بالمغرب، وأُمَّة أُخرى بين الحُبوش والزنج يقطعون مذاكير الرجال. ويجعلونها مهور نسائهم، وكلّهم من ولد قيس عَيلان، أو هُم بَطْنان من حِمْيَر صِنْهاجَة وكُتامَة صاروا إلى البربر أيام فتح أَفْرِيقَش المَلِك إفريقِيَّة». وذلك إشارة إلى الزهادة، وقطع مادّة الشهوات النفسانيّ.

* * *

[نَـوْمٌ]

[السريع]

- وقال قدّس الله سرّه ملغِّزاً في نوم:

١- مَا اسْمٌ بِلَا جِسْمٍ يُرَى صُورَةً	وَهْوَ إِلَى الإِنْسَانِ مَحْبُوبُهُ
٢- وَقَلْبُهُ تَصْحِيفُهُ صِنْوُهُ[1]	فَاعْنَ بِهِ يُعْجِبْكَ تَرْتِيبُهُ
٣- حَاشِيَتَا الاسْمِ إِذَا أُفْرِدَا	أَمْرٌ بِهِ وَالأَمْنُ مَصْحُوبُهُ
٤- حُرُوفُهُ أَنَّى تَهَجَّيْتَهَا	فَكُلُّ حَرْفٍ مِنْهُ مَقْلُوبُهُ

(ما): أداة استفهام، مبتدأ. وقوله (اسم): خبره. وقوله (بلا جسم): أي هيئة محسوسة. وقوله (يُرى): بالبناء للمفعول. وقوله (صورة): تمييز منصوب، أي: رويته صورة رؤية، لا رؤية حقيقيّة؛ وهو نوم، قال في القاموس: «النوم النعاس، الرقاد». وأشار به إلى غفلة القلب عن شهود تجلّيات الربّ، قال صلّى الله عليه وسلّم: «الناس نيام، فإذا ماتوا انتبهو»[2]. وقوله (وهو): أي ذلك الاسم المذكور. قوله (إلى الإنسان محبوبه): أي يحبّه الإنسان؛ لأنّ فيه راحته. وفي نوم الغفلة شهوته. وقوله (وقلبه): أي قلب الاسم. وهو نوم: مون. وقوله (تصحيفه): أي تصحيف مون. وقوله (صِنْوُهُ): أي موت، ولا شك أنّ الموت صنو النوم، أي: أخوه. فإذا قلب نوم باليقظة الحقيقيّة صار موتاً اختياريّاً. وقوله (فاعنَ به): أي بذلك الاسم المذكور، الفاء للتفريع. واعْنَ: فعل أمر من عَنَا بالأمر: اهتمّ به، واعتنى به: اهتمّ. وقوله (يعجبْك): مجزوم في جواب الأمر، والخطاب للسالك.

(١) في (ق): ضدّه

(٢) انظر تخريجه ص٢٨٦.

والخطاب للسالك. وقوله (ترتيبه): أي ترتيب ذلك الاسم في قلبه،وتصحيفه كما ذكرنا. وقوله (حاشيتا الاسم): أي اسم نوم، والحاشيتان منه، أوّله وآخره؛ فأوّله النون، وآخره الميم. وقوله (إذا أُفْرِدا): أي جُرِّدا من الاسم مفردين. والإشارة بهما إلى ابتداء حالته وانتهائها فيها قبل الموت الاختياري. وقوله (أَمْرٌ بِهِ): أي بذلك الاسم، وذلك الأمر، ثمّ فعل أمر من النوم، وهو شهود أمر التكوين في تلك الحالة. وقوله (الأمن) مصحوب النوم، قال تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾

[٨/ الأنفال/ ١١]. وقوله (حروفه): أي حروف الاسم المذكور. وهي ثلاثة حروف: النون والواو والميم. وقوله (أَنّي): بفتح الهمزة وتشديد النون مفتوحة، أي: كيف. يعني: على أي كيفيّة. وقوله (تهجيتها): أي قطعت حروفها بقلبها أو تسويتها، قال في القاموس: «الهجاء ككساء، تقطيع اللفظ بحروفه، وهَجَّيْتُ الحروف وتَهَجَّيْتُها». وقوله (فكل حرف منه): أي من ذلك الاسم. وقوله (مقلوبه): أي مقلوب نفسه؛ فالنون قلب حروفها نون، والواو قلب/ [٤٦٣/ أ] حروفه واو، والميم قلب حروفه ميم، وللشيخ الأكبر قدّس الله سرّه في هذه الحروف الثلاثة بخصوصها كتاب مستقل من الأسرار سمّاه ستّة وتسعون في الميم والواو والنون[1].

* * *

(١) ورد على حاشية المخطوط قول الناسخ: «بلغ مقابلة».

[اسم بزغش]

[السريع]

وقال قدّس الله سرّه[1] ملغزاً في اسم بزغش بالباء الموحّدة والزاي المعجمة، والغين المعجمة والشين المعجمة، فحروفه الأربعة معجمات، وهو من أسماء الأتراك، ليس بعربي. إشارة إلى عالم الوهم المستولي على كلّ حيوان:

١ - مَا اسْمٌ إِذَا فَتَّشْتَ شِعْرِي تَجِدْ ... تَصْحِيفَه فِي الخَطِّ مَقْلُوبَهْ

٢ - وَهُوَ إِذَا صَحَّفْتَ ثَانِيهِ مِنْ ... أَنْوَاعِ طَيْرٍ غَيْرِ مَحْبُوبَهْ

٣ - وَنَقْطُ حَرْفٍ فِيهِ إِنْ زَالَ مَعْ ... أَلْفٍ بِهِ بِيعَ بِخَرُّوبَهْ

٤ - وَنِصْفُهُ الثُّلْثَانِ مِنْ آلَةٍ ... لِجِنْسِهِ فِي الضَّرْبِ مَنْسُوبَهْ

٥ - وَنِصْفُهُ الآخَرَ نِصْفُ اسِمِ مَنْ ... جَانَسَهُ يَتْبَعُ أُسْلُوبَهْ

٦ - وَقَلْبُهُ قَلْبٌ لِمَنْ فَهْمُهُ[2] ... مِنْ بَعْدِ لَامٍ كُلِّ أُعْجُوبَهْ

٧ - حَاشِيَتَاهُ عُوذَةٌ بَعْدَ مَا ... صُحِّفَتَا فِي الذِّكْرِ مَطْلُوبَهْ

٨ - وَالجِيمُ فِيهِ إِنْ تَعُدْ دَالَهُ ... وَالدَّالُ جِيماً فِيهِ مَحْسُوبَهْ

٩ - مِنْ بَعْدِ حَرْفَيْنِ بِهِ صُحِّفَا ... وَالزَّايِ وَاوٌ فِيهِ مَكْتُوبَهْ

١٠ - صَارَ اسْمَ مَنْ شَرَّفَهُ اللهُ بِالْوَ ... حْيِ كَمَا شَرَّفَ مَصْحُوبَهْ

(ما): أداة استفهام، مبتدأ. وقوله (اسم): خبره. وقوله (إذا فتّشتَ): بفتح التاء خطاب للسالك الذي يفتش على أحوال نفسه ليعرف ما كنّى عنه الناظم باسم بزغش، كما ذكرنا بأنّه الوهم الحيوانيّ. وقوله (شعري): فإنّ الشعر حديث النفس، قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ [٣٦/ يس/ ٦٩]

---

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ "بلغ".

(٢) في (ق): فيهم.

وذلك لأنّ حديث نفسه صلّى الله عليه وسلّم ليس بشعر، أي: شعور وإدراك نفسانيّ كغيره من أهل الغفلة من الناس؛ وإنّما ذلك ذكر وقرآن ووحي من الله تعالى إليه كما قال سبحانه: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ـ هوى أي نفسه ـ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴾ [٥٣/ النجم/ ٣-٥]، وأهل الغفلة من الناس حديث نفوسهم شعر ووسواس، وهو الوهم إلّا من حفظه الله تعالى بمتابعة النبيّين عليهم السلام، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ [٥٠/ ق/ ١٦] ومن هنا قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه من أبيات له في ديوانه الكبير:

كلامنا ليس بشعر ولا — من شاعر بل وارث مصطفى

أنطقه الله به مثل ما — أنطق أهل الدين والاصطفا

ولنا من أبيات قولنا:

وما أنا شاعر وجميع نظمي — بعيد عن مدى شعر المُغنّى

وقوله (تجد): مجزوم في جواب إذا؛ فإنّها محمولة على متى، ولا تجزم إلّا في الشعر، قال الرضي في إذا لم تجزم إلّا في الشعر مع إرادة معنى الشرط. وكونه بمعنى متى، قال الشاعر:

ترفع لي خندف والله يرفع لي — ناراً إذا خمدت نيرانهم تقد

وقال الآخر:

إذا قصرت أسيافنا كان وصلها — خطانا إليها أعدائنا فنضارب

وقوله (تصحيفه): أي تصحيف شعري. وقوله (في الخط مقلوبه): مفعول تجد، أي: مقلوب شعري، ومقلوبه «يرعش»، وتصحيف يرعش ـ بزغش ـ، وهو الاسم المذكور؛ فإنّ تصحيف هذا الاسم الوهمي بعد قلبه راجع إلى قوى الملك القابض من ملائكة اللوح المحفوظ، وهو الحقيقة العزرائيليّة، والحقائق الثلاثة الملكيّة هي الحقيقة:/[٤٦٣/ب] الإسرافيليّة النافخة في الصور الجسمانيّة.

والحقيقة الميكائليّة المقيتة للأجسام العنصريّة. والحقيقة الجبرائيليّة مقيتة للنفوس البشريّة بالعلم والإدراك، ولغيرها من جميع النفوس. وكلّ واحدة من هذه الأربعة عام في جميع العالم؛ فالكلّ نفخ وقوت. والنفخ قسمان: من خارج في داخل، وهو الحياة، ومن داخل في خارج، وهو الموت. والقوت قسمان: روحانيّ، وهو العلم والإدراك، وجسمانيّ، وهو العنصر وما تولّد منه. وقوله (**وهو**): أي اسم بزغش. وقوله (**إذا صحّفت ثانية**): أي الحرف الثاني منه، وهو الزاي، بأنْ حذفت منها النقطة؛ فإنّها تصير راء. وقوله (**من أنواع طير غير محبوبه**): أي لا تحبّها النفوس لأذيّتها، وهو برغش قال في القاموس: «**البَرْغَش، كجعفر: البَعُوض**». والكناية بذلك عن النفوس النباتيّة الزائلة منها نقطة الأنانيّة، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا﴾ [٧١/ نوح/ ١٧] والبرغش ينبت في جرابات خضر، ثم إذا نضج فوق شجرة تنشقّ عنه فيطير بأجنحة صغار تناسبه يمتصّ دم الإنسان والحيوان، وهو قوته لتكذيبه بمعاني التجلّيات الإلهيّة في الصور الإنسانيّة والحيوانيّة، قال تعالى: ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ﴾ [٥٦/ الواقعة/ ٨٢]. وقوله (**ونقط حرف فيه**): أي في اسم برغش. وقوله (**إنْ زال**): بأنْ حذفت نقطة الزاي منه. وقوله (**مع الألف به**): أي بذلك الاسم، والألف في عدد الحساب بالجمّل، هي حرف الغين المعجمة؛ فإنّه يبقى «برش» ، والبرش بالسكون نوع معروف من المعاجين المركّبة الذي تستعمله أهل الجهالة والبطالة. وقوله (**بِيعَ بِخَرُّوبَه**): وهي مشدّدة الراء، واحدة الخَرّوب، بالتشديد: بزر صغار، يوجد في ثمر شجرة كالخيار شنبر، قال في القاموس: الخُرّوب كتنّور والخرّنوب، وقد يفتح، هذه شجرة برِّيّة لها شوك، ذو حمل كالتّفاح؛ لكنّه بشع، وشاميُّه ذو حمل كالخيار شنبر إلّا أنّه عريض، وله رُبّ وسُويق. والمراد هنا بكونه يباع بخرّوبه أي: بوزن الخرّوبه كما يوزن بها الذهب لعزّته عند أهله، أو لهوانه وذلّته يساوي خرّوبة. كناية عن الشيء الحقير. والكناية بالبرش عن زخارف الدّنيا وزينتها التي توجب الغيبة والسكر؛

فإنّ بزغش الوهم إذا زال ما في وسطه من القوى الملكيّة صار مسكراً، فيخرج به العقل الإنسانيّ عن مقتضى إدراكه فلا يساوي صاحبه خرّوبة عند أهل الكمال والعرفان. ويباع بالقراريط ، معزّةً عند أهل الجهل والطغيان. وقوله (**ونصفه**): أي نصف بزغش، وهوالباء والزاي فقط. وقوله (**الثُّلُثَانِ من آلة**): أي آلة طرب معروفة، وهي قُبُز بضمّ القاف وضمّ الباء الموحّدة وبالزاي في اللغة الفارسيّة: العود الذي يضرب به في الغناء. ويقال بالعربيّة بَرْبَط، قال في القاموس: «البَرْبَط كجَعفر: العُوْد، مُعَرَّب بربت، أي: صدر الإوزّ، لأنّه يشبهه». وقوله (**لجنسه في الضرب**): أي إيقاع النغمات. وقوله (**منسوبة**): صفة لآلة، أي: منسوبة تلك الآلة لجنس القُبُز في الضرب المذكور. كنّى بذلك عن حركات العروق والشريانات في البنيّة الإنسانيّة؛ فإنّ حركتها منتظمة للاعتدال في الأمزجة؛ فإذا اختلّت فسد المزاج، كما قلنا من قصيدة إشارة إلى ذلك:

طنبورنا قد أصلحت أوتاره فأجاد في النغمات حدّاً مفرطا

وقوله (**نصف اسم من جانسه**): أي جانس بزغش بأنْ وازنه. وقوله (**يتبع أُسلوبه**): وهو الاتباع في الوزن، وهو قولك: بُرْغش بالراء المهملة: اسم للذباب والبعوض الذي تقدّم ذكره؛ فإنّ غش نصف برغش، والنفوس النباتيّة تجانس الوهم في عدم التحقّق به. وقوله (**وقَلْبُهُ**): أي قلب بزغش، وهو الزاي المعجمة والغين/ [٤٦٤/ أ] المعجمة. وقوله (**قلب**): أي انقلاب، بتقديم الغين على الزاي فيصير غزو. وقوله (**لمن فهمه**): أي لإنسان فهمه مدرك. وقوله (**من بعد لام**): أي: يجعل غز بعد لام؛ فيصير لغز. وقوله (**كلّ أُعجوبة**): مفعول فهمه؛ فإنّ اللّغز إنّما يقصد به صاحب الفهم الجيد الذي يفهم العجائب. وهذا اللّغز يقصد به العارف الكامل الذي يفهم عجائب الملك والملكوت. وقوله (**حاشيتاه**): أي حاشيتا برغش، وهما الباء والشين. يعني: الحرف الأوّل منه، والحرف الأخير. وقوله (**عُوْذَةٌ**): بفتح العين المهملة، وبالذال المعجمة، أي: رقية، قال في القاموس:

«العَوْذَه، بالهاء: الرُّقْيَة». وقوله (بعدما صُحِّفَتا): بأن جعلت الباء الموحّدة ياء مثنّاة تحتيّة. والشين المعجمة جعلت سيناً مهملة؛ فيصير ذلك يسن؛ وهي سورة من القرآن، رقية لمن يرقى، وكذلك الوهم أوّله وآخره إذا صُحِّف بإزالة الخطأ منه كان أمراً إلهيّاً يلتجئ به الملتجئون، ويتحقّق به المتحقّقون. وقوله (في الذكر): أي في القرآن؛ لأنّها سورة منه. وقوله (مطلوبه): وصف لعُوذة، أي: تطلبها العارفون بالله تعالى، يستعيذون بها في شدائدهم. وقوله (والجيم فيه): أي الحرف الثالث من اسم برغش؛ وهو الغين المعجمة؛ فإنّ الجيم يطلقونها في كتب التنجيم كالدرجة المصنوعة في حساب الساعات وتسيير الكواكب. ويريدون بها ثلاثة؛ لأنّها في حساب أبجد بثلاثة. وقوله (إنْ تَعُد): أي الجيم المذكورة. وقوله (داله): أي دال الاسم بزغش، أي: رابعة حرف منه؛ فإنّ الدال بأربعة في الحساب المذكور. وقوله (والدال): أي الحرف الرابع منه، وهو الشين. وقوله (جيماً): أي الحرف الثالث منه، وهو الغين المعجمة. وقوله (فيه): أي بزغش. وقوله (محسوبه): وصف لجيماً. والمعنى: في ذلك أنّه كنّى بالجيم عن الغين من بزغش، وبالدال عن الشين منه بأنْ وضع الغين في موضع الشين، والشين في موضع الغين؛ فيصير بزشغ. وقوله (من بعد حرفين به): أي بقوله بزشغ. وقوله (صُحِّفَا): أي غُيّرا بالنقط، والحرفان هما الباء الموحّدة والغين المعجمة؛ فالباء تصحّف بالياء المثنّاة التحتيّة، والغين المعجمة تصحف بالعين المهملة. وقوله (والزاي واو): أي تجعل واواً. وقوله (فيه): أي في الاسم المذكور. وقوله (مكتوبة): أي واو. وقوله (صار اسم من شرفه الله بالوحي): فإنّه يصير يوشع؛ وهو اسم نبيّ من أنبياء الله تعالى عليهم السلام. وقوله (كما شَرّف مصحوبه): وهو موسى عليه السلام؛ فإنّه كان مصحوباً له؛ لأنّه فتى موسى عليهما السلام الذي قال تعالى في حقّه: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَـٰهُ لَآ أَبْرَحُ ﴾ [١٨/ الكهف/ ٦٠] الآية. وفتاه هو يوشع بن نون عليه السلام. والإشارة بذلك: إن الوهم يخرج منه بتقديم ما تأخّر منه، وتأخير ما تقدّم، وتغيير قوّة نُقَطِه بالتصحيف اسم الروحانيّة الكاملة من ميراث يوشع النبي عليه السلام.

[في السِّين]

٩- وقال قدّس الله سرّه ملغّزاً:

[ملغِّزاً] في السين المهملة على وضعين: إسميّتها، وحرفيّتها. كناية عن الحقيقة الكونيّة؛ فإنّها اسم لكمالها في الظهور، وحرف لأنّها أثر الفعل الإلهيّ كما قيل: العالم حرف جاء لمعنى. وكذلك في العين المهملة باعتبار اسميّتها وحرفيّتها؛ فاعتبار اسميّتها في عالم الغيب وإهمالها من قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ﴾ [٨٥/ البروج / ٢٠] باعتبار حرفيّتها قوله عليه السلام: «وسعني قلب عبدي المؤمن»[1]:

١- مَا اسْمٌ إذَا اسْتَقْرَيْتَهُ لَمْ تَجِدْ ... حَرْفاً بِهِ فِي الوَضْعِ ذَا نُقْطَهْ

٢- فَاحْذِفْ وَصَحِّفْ مِنْهُ حَرْفَيْنِ وَاقْـ ... ـلِبْهُ فَمَا تَلْقَى بِهِ ضَبْطَهْ

٣- لَمْ يَخْلُ مِنْهُ نَقْطٌ وَضَبْطٌ وَمَا ... فِي صِفَتَيْ أَلْغَازِهِ غَلْطَهْ

٤- وَهُوَ هِجَا حَرْفٍ بِهِ زِيْدَ مِنْ ... حَرْفٍ بِهِ أخِرَهُ نُقْطَهْ[2]

/ [٤٦٤/ ب] (ما): استفهاميّة مبتدأ. وقوله (اسْمٌ): خبره، وهو قولك سين وعين بالإهمال. وقوله (إذا اسْتَقْرَيْتَهُ): أي تتبعّته في مواضع وقوعه في الكلام حرفاً، كوقوع السين المهملة في عسل، وفي سحاب، إلى غير ذلك. ووقوع العين في علم وفي فعيل، ونحو ذلك. وقوله (لم تَجِدْ حرفاً به): أي بذلك الاسم الذي

---

(١) انظر تخريجه ص٣٢٤ و١٦٧٧.

(٢) لم أجد هذه الأبيات في مطبوع الديوان لدار صادر، وكذلك لأمين خوري لدار الشريف الرضيّ، ولا في «الصوفية في شعر ابن الفارض لحامد الحاج عبّود»، ولا في شرح رشيد بن غالب؛ وإنّما اختصّ بذكرها النابلسيّ في شرحه. وقد ذكرها اسكاتولين عن نسخة قونية ودبلن وغيرها، انظر ديوان ابن الفارض لسكاتولين ص٢١١، الحاشية ذات الرقم١٠.

تتبعته، وهو السين المهملة. وقوله (في الوضع): أي في وضع ذلك الاسم وضعا حرفيًا كسين عسل وسحاب، كما ذكرنا. وقوله (ذا): أي صاحب وصف حرفا. وقوله (نقطه): بالسكون، فإنّك ترسمه خالياً من النقط ؛ لأنّه حرف حينئذ لا اسم، حيث رسمته برسم وضعه. وقوله (فاحذف): أي ذلك الحرف، وهو السين من قولك سين والعين، من قولك عين المُلغّز بهما. وقوله (وصَحِّف): من التصحيف، وهو تغيير النقط. وقوله (منه): أي من ذلك الاسم. وقوله (حرفين): هما الياء والنون؛ فتصحيف الياء التحتيّة بالباء الموحّدة والنون بالتاء المثنّاة؛ فيصير: بت، أي: قطع. وقوله (واقلبه): أي اقلب بت؛ فيصير: تَب، أي هلك. وقوله (فما تلقَى): أي لا تجد. وقوله (به): أي بما صحّفته وما قلبته. وقوله (ضَبْطُهُ): أي حركة إعراب؛ فإنّ بَتَّ وتَبَّ: فعلان ماضيان مبنيان على الفتح لا تدخلهما حركة إعراب تضبطهما كما تدخل الأسماء المعربة فتضبطها بالرفع على الفاعليّة، أو الابتداء، وبالنصب على المفعوليّة، ونحوها وبالجرّ على الإضافة إلى اسم أو بحرف ما لم تجعلهما مصدرين، فتعرفهما بقولك البَتُّ والتَبُّ فيدخلهما الضبط بحركات الإعراب، والحقيقة الكونيّة إذا لم ينظر إليها بأنّ حذف اعتبارها من ذهن السالك، وصُحِّف الحرفان الزائدان عليها المكمّلان لها ظهر منهما فعلان ظاهران وباطنان بالجوارح والخواطر، وهما بتّ بمعنى قطع، وتبّ بمعنى هلك، ولا ضبطة لهما بحركة من عامل، فيلزمان حالة واحدة، وهي الجمود والغفلة، وكذلك العين إذا حذفت بترك اعتبارها، وصحِّف الحرفان كما في السين زال الضبط المذكور . وقوله (لم يخل): أي: الاسم سين وعين. وقوله (من نقط): وهي النفس. وقوله (وضبط): وهو حركة العامل لاسمِيَّتِهما؛ فإنّ سين وعين فيهما الياء منقوطة نقطتين من تحتها، والنون منقوطة نقطة من فوقها، والضبط يلحقها بحركة الإعراب للاسميّة، فتقول: هذه سين. وكتبتُ سيناً أحسن من سينكَ، وكذا العين. وقوله (وما في صِفَتَيْ ألغازه): تثنية صفة، وحذفت نون التثنية

للإضافة إلى ألغازه. أي: ألغاز الاسم المذكور؛ فإنّه أَلْغَزَهُ بصفتين: بصفة الاسميّة، وصفة الحرفيّة، وهما صفة كمال الكون، وظهور استقلاله، وصفة فعليته للحقّ تعالى، وتبعيته له سبحانه؛ لأنّه أثر قدرته، أو صفتَيْ ألغازه بالسين والعين باعتبار ظاهريّة الكون الحادث، وباطنيّة الحقّ القديم. وقوله (غلطه): أي ليس في شيء مما ذكرنا غلط؛ بل كلّه صواب، وذلك أنّ الأمر الإلهيّ واحد ظاهره خلق، وباطنه حقّ؛ فإنّ من نظر إلى ظاهر الأمر الإلهيّ غفل عن باطنه، ومن نظر إلى باطنه غفل عن ظاهره. وقوله (وهو): أي الاسم المُلَغَّز به السين والعين. وقوله (هجا حرف): أي تهجيته؛ فهو تصريح بأنّه هجا حرف مثله، وهو الشين والغين المعجمتان. وقوله (به): أي فيه، يعني: في ذلك الاسم. وقوله (زِيد): بكسر الزاي، أي: جعلت فيه زيادة إعجام على إهماله بثلاث نقط في الشين، ونقطة في الغين. وقوله (في حرف): هو الشين المعجمة، والغين المعجمة. وقوله (به): أي في ذلك الحرف المعجم. وقوله (آخره نَقْطَهْ): بفتح النون: المرّة، قال في القاموس: «نَقَطَ الحرفَ، ونَقَّطَه: أَعْجَمَهُ، والاسم: النُّقْطَة بالضمّ». وقال في المصباح: «والنُّقْطَة، بالفتح: المَرَّة». فلفظ النقطة/ [٤٦٥/ أ] في البيت الأوّل بضمّ النون: الاسم، وهنا في هذا البيت الرابع بفتح النون: اسم مرّة من التنقيط؛ فلا إيطاء في الأبيات، والحرف الذي آخره نقطه فعل مرّة، هو الشين والغين المعجمتان؛ لأنّ آخره النون منقوطة بنقطة واحدة، وهو الكون المشتمل على النفوس الثلاث: النباتيّة، والحيوانيّة، والإنسانيّة الروحانيّة. ونقطة النون نقطة النور الروحاني الأمريّ، قال تعالى: ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ [٦٨/ ن/ ١] فالنون: الروح الذي من أمر الله، كما قال تعالى: ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨٥] والقلم لسان الروح، وهو العقل وما يسطرون من علوم الإلهام في ألواح النفوس الفاضلة.

في بقلة

وقال قدّس الله سرّه ملغزاً في بقلة:

[بقلة]: ويقال لها البقلة الحمقاء، وهي كناية عن النفس البشريّة النابتة في تراب الجسم بماء الروح الأمريّ، وهواء العقل المدبّر، ونار الطبيعة:

[مجزوء خفيف]

مَـــا اسْـــمُ قُـــوْتٍ لِأَهْلِـــهِ	مِثْـــلُ طِيْـــبٍ تُحِبُّـــهُ
قَلْبُـــــهُ إنْ جَعَلْتَـــــهُ	آخِـــراً فَهْـــوَ قَلْبُـــهُ

(ما): استفهاميّة، مبتدأ. وقوله **(اسم)**: خبره. وقوله **(قُوْتٍ لِأَهْلِهِ)**: وهم الغافلون عن تجلّيات ربّهم، قيامهم في الحياة الدنيا بنفوسهم الحمقاء. وقوله **(مِثْلُ طِيْبٍ)**: وهو ما يتطيّب به من الرياحين لمحبّتهم لنفوسهم. وقوله **(تحبّه)**: أي تحبّ ذلك الطيب لذكاء رائحته عندهم. وقوله **(قلبه)**: أي قلب ذلك الاسم الملغّز به، وهو وسط بقله؛ فإنّ وسط ذلك الاسم، قل بين الباء الموحّدة والهاء. وقوله **(إنْ جعلته)**: أي جعلت ذلك الاسم المُلَغَّز به بعد إخراج القاف واللام منه. وقوله **(آخراً)**: بأنْ أخرّته عن قلبه الذي هو لفظ ـ قل ـ ولا يفضل منه إذا نزع قلبه إلّا الباء الموحّدة والهاء، فتجعلهما آخراً، وتقدّم عليها قلبه الذي هو «قل» وفيه عود الضمير إلى المضاف إليه، وهو مرجع ضمير قلبه، وذلك جائز كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [٧٢/ نوح/ ١٩] أي: يدعو الله . وقوله **(فهو قلبه)**: أي ذلك المجعول يصير حينئذ لفظ "قلبه". والمعنى المكنّى عنه: إنّ النفس إذا زال قلبها، أي: ما فيها من الأمر بالسوء، وتبدّلت وساوسها بالإلهام بأنْ جعلت متأخّرة عن دعاويها الباطلة، وتبعت أمر ربّها ظاهراً وباطناً فنفسه حينئذ قلبه، والقلب من أمر الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ [٥٠/ ق/ ٣٧] الآية.

في قطرة

وقال قدّس الله سرّه ملغزاً في قَطْرَة:

[قطرة]: وهي واحدة من قَطَرات المطر، كناية عن نفخة من نفخات الروح على أرض الجسد الترابي:

[مجزوء خفيف]

مَـــا اسْـــمُ شَيْءٍ مِـــنَ الحَيَـــا نِـــصْفُهُ قَلْـــبُ نِـــصْفِهِ

وَإِذَا رُخِّـــــمَ اقْتَـــــضَى طِيْبُـــهُ حُـــسْنَ وَصْـــفِهِ

(ما): اسم استفهام، مبتدأ. وقوله (اسم شيء): خبره. وقوله (من الحيا): صفة شيء، والحَيَا: المطر والروح، من شأنها الاستحياء من الحقّ تعالى لقربها منه بكونها من أمره. وقوله (نصفه): أي نصف ذلك الاسم، وهو قِط، والقِط بالكسر هو الهر، كناية عن النفس المتولِّدة من الروح. وطبيعة الجسد. وقوله (قلب نصفه): أي انقلاب حروف نصفه الآخر، وهو "ره" ـ؛ فإنّ قلب ره: هر، والهرّ هو القِط. يعني: إنّ النفس كيفما تقلّبت فهي نفس، قال الشاعر في نظير ذلك:

كـــن مـــن النـــاس جانبـــاً وارض بـــالله صـــاحبا

قلِّـــب النـــاس كيـــف شئـــــت تجـــدهم عقاربـــا

وقوله (وإذا رُخِّم): بالبناء للمفعول، رَخَّمْتُه تَرْخِيماً: سَهَّلْتُه، ومنه: ترخيم الاسم، وهو حذف في آخره تخفيفاً. وعن الأصمعي قال: سألني/[٤٦٥/ ب] سيبويه فقال: ما يقال للشيء السهل، فقلت له: المُرَخَّم. فوضع باب الترخيم، كذا في المصباح. ومعنى ترخيم قطره: حذف الهاء من آخره. وقوله (اقتضى طيبه): أي لزم من ذلك. وقوله (حسن وصفه): أي بأن يوصف بالوصف الحسن؛ فإنّ القطر من السكّر شيء لذيذ.

في قَنْدٍ

وقال قدّس الله سرّه ملغزاً في قَنْد:

[القند]: وهو ما يُعْمَل منه السُّكَّر؛ فالسُّكَّر من القَنْد كالسَّمن من الزُّبْد، ويقال: هو معرَّب، كذا في المصباح. كناية عن شهود النفس.

قال ملغِّزاً في قند[1]:

[الخفيف]

أيُّ شَيْءٍ حُلْـــــوٍ إذَا قَلَبُــــوْهُ ... بَعْـدَ تَـصْحِيفِ بَعْـضِه كَـانَ خِلْـوَا[2]

كَـادَ إنْ زِيْـدَ فِيـهِ مِـنْ لَيْـلِ صَـبٍّ ... ثُلُثَـاهُ يُـرَى مِـن الـصُّبْحِ أَضْـوَى[3]

وَلَـــهُ اسْـــمٌ حُرُوفُـــهُ مُبْتَـــدَاهَا ... مُبْتَـدَا أَصْـلِهِ الـذي كَـانَ مَـأْوَى

(أيٌّ): استفهاميّة، مبتدأ. وقوله (شيء): مضاف إليه. وقوله (حُلْوٍ): نعت لشيء. وقوله (إذا قلبوه): في محل رفع خبر المبتدأ. وضمير الجمع للسالكين في طريق الله تعالى. والضمير المفرد للشيء الملغَّز به، وهو قند. وإذا قلبت حروفه صار دنق. وقوله (بعد تصحيف بعضه): فتصحّف النون بالباء الموحّدة فيصير دبق بالكسر، وهو غراء حُلو تصاد به الطيور، وأصله من شجر يُسمَّى السبستان، قال في كتاب «ما لا يسع الطبيب جهله»: «سبستان: فارسي. ويقال بالفاء، وهو ثمر شجرة تعلو قدر القامة، لون قشرها إلى البياض، وقشر الأغصان إلى الخضرة، وورقها مدوّر كبار، ولها حمل في عناقيد. ويحلو إذا بلغ، ويكون أصفر؛ فإذا جفّ

(١) القَنْدُ: عصارة قصب السكّر إذا جمد.

(٢) في (ق): كان حلوى.

(٣) هذا البيت ترتيبه الثالث في (ق).

اسودّ انتهى». قلت: وقد كنت أسير مع صديق لي في بعض سواحل بحر الشام من صيدا إلى طرابلس، فقطف لي صديقي واحدة من حمل هذه الشجرة. وقال لي: انظروا هذا، يقال له السبستان، وهو حلو، ومن يعملون القضبان المسمّاة بالدبق، يصيدون بها الطيور، فيطلونها به، فتلتزق عليها أرجل الطيور، فأكلت ذلك، فوجدته حلواً دبقاً. وقوله (كان حلوى): أي شيئاً حلواً، كما وجدنا ذلك كذلك. وقوله (كاد): أي قارب. وقوله (إنْ زِيد): بكسر الزاي فعل ماضي مبني للمفعول. وقوله (فيه): أي في اللغز المذكور؛ وهو قند. والإشارة بذلك إلى إنّ ذلك شهوة النفس دبق إذا قبلت وصحفت بأنْ قويت، وعقل صاحبها، صارت شبكة لصيد طيور الزخارف الدنيويّة، والأغراض النفسانيّة. وقوله (من ليل صب): أي عاشق. يعني: من لفظ ليل. وقوله (ثلثاه): وهما الياء التحتيّة واللام فإنّه يصير قنديل. وقوله (يُرى): بالبناء للمفعول. وقوله (من الصبح): أي الفجر. وقوله (أضوى): أي أنور وأشرق على المبالغة في وصفه، وإذا كان صاحب تلك الشهوة عارفاً بربّه، فزيد على ذلك العرفان والكشف صارت شهوته لذّة، واللذائذ كلّها روحانيّة، والشهوات كلّها جسمانيّة، ورد في حديث ابن السنّي وأبي نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما: «كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يعجبه النظر إلى الخضرة والماء الجاري»[1]. قال المناويّ في شرح هذا الحديث الظاهر: المراد الشجر والزرع الأخضر بقرينة. وقوله (والماء الجاري): أي كان يحبّ مجرّد النظر إليهما، ويلتذّ به؛ فليس إعجابه بهما ليأكل الخضرة ويشرب الماء، أو لينال فيها حظاً سوى نفس الرؤية، قال الغزاليّ: ففيه أنّ المحبّة قد تكون لذات الشيء، لا لأجل قضاء الشهوة منه، وقضاء الشهوة لذّة أخرى، والطباع

---

(١) ذكره الحافظ العراقيّ في تخريج أحاديث الإحياء، باب: الصبر والشكر، ٤١٢٦، وقال: إسناده ضعيف.

السليمة قاضيّة باستلذاذ النظر إلى الأنوار، والأزهار، والأطيار المليحة، والألوان الحسنة، حتّى إنّ الإنسان لينفرج عنه الهمّ والغمّ بالنظر إليها، لا لطلب حظّ وراء النظر؛ فإذا صارت الشهوة لذّة كان ذلك أوائل ظهور الروحانيّة النورانيّة في ليل النشأة الجسمانيّة. فإذا تكامل ظهورها كان من قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ/ [٤٦٦/ أ] وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ﴾ إشارة إلى الجسم ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ كناية عن الروح الأمريّة ﴿ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ﴾ إشارة إلى القلب ﴿ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ﴾ [النور/ ٣٥] وهو الإشارة إلى ما ذكر بأنّه قنديل أضوأُ من الصبح إنارة وإشراقاً.

وقوله (وله): أي للاسم المُلغَّز به. وقوله (اسم): هو لفظ قند. وقوله (حروفه مبتداها): أي الحرف الأوّل منها، وهو القاف. وقوله (مبتدا أصله): أي أصل قند. يعني: ما يعتصر القند منه، وأصله هو قصب السكر. وقوله (الذي كان مأوى): أي مسكن القند؛ لأنّه تربّى فيه فهو مأواه، وكذلك مأوى الشهوة النفسانيّة. وأصلها الناشئة منه قصبة الجسم الطبيعي المجوّف النابتة في أرض الطبيعة.

* * *

في طَيّ(1)

وقال ـ قدّس الله سرّه ـ ملغزاً في طَيّ:

[طَيّ]: بفتح الطاء المهملة وتشديد الياء التحتيّة، وهو اسم قبيلة من قبائل العرب، وأصله طيّئ بالطاء المهملة، وتشديد الياء التحتيّة والهمز، قال في الصحاح: «الطَّاءة مثل الطاعة: الإبعاد في المرعى، يقال: فرس بعيد الطَّاءَة». قالوا: ومنه أُخذ طيّئ ـ مثال سيّد ـ أبو قبيلة من اليمن. وهو طيّئ بن أدد بن زيد بن كهلان بن سبأ بن حِمْيَر، والنسبة إليهم طائيّ على غير قياس، وأصله طييئيّ، مثل طبيعي، فقلبوا الياء الأولى ألفاً، وحذفوا الثانية. وقال في القاموس: «الطاءة كالطاعة، ومنه طيّئ أبو القبيلة، أو من طَاءَ يَطُوءُ: إذا ذهب وجاء». كناية عن الكون الذي ينطوي وينتشر بأمر الله الذي هو كلمح بالبصر، كما قلنا من أبيات لنا مطلعها قولنا:

نشر الثوب الذي كان طوى   ليرينا زخرفات قد حوى

فاترك الكونين يا مغرورا   والخمر والميسر فالكلّ سوا

قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ [٢/ البقرة/ ٢١٩] إشارة إلى الدنيا، لأنّها خمر مسكر، قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ﴾ [٢٢/ الحج/ ٢] وإلى الآخرة؛ لأنّ أهلها يقمر بعضهم حسنات بعض، ويلقي بعضهم سيّئاته على بعض ﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾، وهو شهود الأغيار بالغفلة عن تجلّيات الواحد القهار ﴿وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ في أهل العناية والسعادة بحصول الحسنى وزيادة ﴿وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ لقلّة السلامة وكثرة الهلكى ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ أي:

---

(1) لا يذكر الشيخ النابلسي الأبيات فوراً؛ وإنّما يشرح عن قبيلة شيخه ابن عربيّ، ثمّ يعود لذكر الأبيات بقوله "وقال في طيّ أيضا"

من الأعمال والأحوال، حينئذٍ ﴿قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ أي: المحو والفناء عن كلّ ما يغاير الحقّ تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ﴾ أي: مثل ذلك أنزل آياته القرآنيّة ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾ [٢/ البقرة/ ٢١٩] كما ذكرنا. ولا تقتصرون على مجرّد الظواهر من المعاني؛ لأنّ الظاهر والباطن مطلوب من المكلّفين أنْ يعتنوا بهما ويعتبرونهما، ويعملون بمقتضاهما في جميع آيات القرآن، ولا يقتصروا على واحد منهما، والله الأعلم والأحكم.

* * *

[في طَيّ أيضاً]

[السريع]

وقال ملغّزاً في طَيّ:

١- اسْــمُ الــذِي تَيَّمَنِــي حُبُّــهُ تَــصْحِيفُ طَــيْرٍ وَهْــوَ مَقْلُــوبُ

٢- لَــيْسَ مِــنَ العُجْــمِ وَلكِنَّــهُ إلَى اسْــمِهِ فِي العُــرْبِ مَنْــسُوْبُ

٣- حُرُوفُــهُ إنْ حُــسِبَتْ مِثْلُهَــا لِحَاسِــبِ الجُمَّــلِ أيــوبُ

(اسم الذي تيّمني): يقال تَيَّمَتْهُ المرأةُ والعشقُ والحب تَيْماً، وتَيَّمَتْهُ تَتْيِيماً: عَبَّدَتْهُ وذَلَّلَتْهُ، كذا في القاموس.(وقوله حبّه): أي حبّي له. وأشار بذلك إلى شيخه وأستاذه الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي الحاتمي الطائي؛ فإنّه من قبيلة طيّء، كما سبقت الإشارة إليه في أوّل الديوان في قوله:

ســائقِ الأظعــان يطــوي البيــد طــيّ مــنعماً عــرّج عــلى كثبــان طــيّ

وقوله (تصحيف طير): من الطيور، وهو بطّ بالباء الموحّدة. وقوله (وهو مقلوب): فإنّ طيّ قلبه: يط. وتصحيف يط: بط ولا شك أنّ الكون الذي ينطوي وينتشر بأمر الله / [٤٦٦/ ب] تعالى لقيامه به إذا قلب وصحّف بالرجوع إلى الأمر الإلهيّ كان مثل الطير في طيرانه من الأزل إلى الأبد، قال تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ﴾ [١٧/ الإسراء/ ١٣] وهو ما قدّره الحقّ تعالى عليه من تقلّبات الأمور بمنزلة الطير الذي يطير من حضرة التقدير الإلهيّ ويلزم صاحبه، ولا يحيد عنه. وقوله (ليس): أي ذلك الاسم المُلغَّز به، وهو طيّ. وقوله (من العُجْم): بضمّ العين المهملة وسكون الجيم لغة في العَجَم، بالتحريك، قال في القاموس:

«العُجْم، بالضمّ وبالتحريك: خلاف العَرَب». يعني: ليس طيّ من العجم. وقوله (ولكنّه): أي طيّ. وقوله (إلى اسمه في العُرْب): بضمّ العين المهملة وسكون الراء، قال في القاموس أيضاً: «العُرْب بالضمّ، وبالتحريك خِلاف العَجَم: مؤنّث، وهم سُكّان الأمصار، أو عامٌّ. والأَعْراب منهم: سُكّان البادية، لا واحدَ له». فهو منسوب إلى العرب لعروبته؛ فإنّ الكون واضح ظاهر لا خفاء فيه. وقوله (حروفه): أي الاسم المذكور، وهو طيّ، ثلاثة حروف: الطاء المهملة والياء المشدّدة بيائين أُدغمت أحداهما في الأخرى. وقوله (إنْ حُسِبَتْ): بالبناء للمفعول، أي: حَسَبَ منها ما هو الظاهر في الرقم بالكتابة، وهو حرفان فقط: الطاء المهملة بتسعة، والياء التحتيّة بعشرة، فالجملة تسعة عشر. وقوله (مثلها): أي يماثلها في العدد بحسب الظاهر في الرقم كما ذكرنا. وقوله (لحاسب الجُمَّل): بضمّ الجيم وتشديد الميم مفتوحة، وهو الحساب المعروف. وقوله (أيوب): فإنّ الألف بواحد، والياء بعشرة، والواو بستّة، والباء باثنين؛ فالجملة تسعة عشر مقدار، عدد حروف طيّ؛ فإنّ الكون كلّه مبتلى كابتلاء أيوب النبيّ عليه السلام؛ لأنّه يماثله بعدد حضراته؛ فإنّه الإنسان الكبير المجمع، وأيوب عليه السلام هو الإنسان الجامع المجموع، وهو الإنسان الكامل، وابتلاؤه لاشتماله على ما يلائمه وما لا يلائمه.

* * *

في بطّيخ

وقال ـ قدّس الله سرّه ـ ملغّزاً في بطّيخ:

[البطّيخ] هو الفاكهة المعروفة، إشارة إلى شهوة الجماع الحلال؛ فإنّه يقرب إلى العبادة بالنيّة الخالصة، له نتائج جميلة:

[الخفيف]

١- خَبِّرُونِي عَنْ اسْمِ شَيْءٍ شَهِيٍّ ... اِسْمُهُ ظَلَّ فِي الفَوَاكِهِ سَائِرْ

٢- نِصْفُهُ طَائِرٌ وَإِنْ صَحَّفُوا مَا ... غَادَرُوا مِنْ حُرُوفِهِ فَهْوَ طَائِرْ

(خبّروني): بتشديد الباء الموحّدة، فعل أمر يخاطب به السالكين في طريق الله تعالى. وقوله (عن اسم شيء شهيّ): أي تشتهيه النفوس لحرارتها، وبرودة طبعه. وقوله (اسمه): أي اسم ذلك الشيء. وقوله (ظلّ في الفواكه): جمع فاكهة، وهي الثَمَر كُلُّهُ. وقول مُخرِجِ التَّمْر والعِنَب والرُّمَّان منها، مُسْتَدِلّاً بقوله تعالى: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾» [٥٥/ الرحمن/ ٦٨]: باطل مردود. وقد بيَّنتُ ذلك مَبْسوطاً في «اللامِع المُعْلَم العُجاب»، كذا في القاموس. قلت مُخْرِج التَّمْر والعِنَب والرمان من الفاكهة هو مذهب إمامنا أبي حنيفة النعمان رحمه الله تعالى. قال في «تنوير الأبصار من كتاب اليمين»: «الفاكهة: التفّاح والبطّيخ والمشمش لا العنب والرمان والرطب. ومراده في العرف؛ لأنّ اليمين مبنيّة على العرف؛ فإذا حلف لا يأكل فاكهة فأكل من العنب، أو الرمان، أو الرطب لا يحنث، والفاكهة ما لا يقيت، وهذه الثلاثة تقيت؛ فما هي فاكهة. والآية تقتضي ذلك؛ لأنّ الأصل في العطف المغايرة بين المعطوفات، وإذا كان الكلّ في اللغة العربيّة فاكهة فلا يلزم أنّ يكون الأمر في حكم الشريعة كذلك، خصوصاً في شأن اليمين المبنيّة على العرف،

وحيث كان لهذا الحكم الشرعيّ احتمال في الآية عند المجتهد فقال به فلا يكون باطلاً، ولا مردوداً. والمجتهد وإن أخطأ فلا يكون قوله في الأحكام باطلاً، ولا مردوداً عليه؛ بل هو مقبول منه وله الثواب عليه، قال صلّى الله عليه وسلّم: «من اجتهد فأخطأ فله أجر، ومن اجتهد فأصاب فله أجران»[1]. وخطأ المجتهد/ [٤٦٧/ أ] مقبول شرعاً، وليس بمردود على كلّ حال. وقوله (سائر): بالسكون على لغة ربيعة بإسكان المنصوب، لأنّه خبر ظلّ. واختلفوا في شهوة الجِماع، هل هي من قبيل التفكُّه والاقتيات؛ فإنّه يقيت بعض الأجسام، وينفع فيها بإفراغ المادّة الزائدة، وفي البعض مجرّد تفكّه. وقوله (نصفه): أي نصف الاسم الملغّز به، وهو بطّيخ، وهو الباء الموحّدة والطاء المهملة. وقوله (طائر): هو بط. وقوله (وإنْ صحفوا): أي غيروا نقط حروفه. وقوله (ما غادروا): أي أبقوا وتركوا. وقوله (من حروفه): وهو الياء التحتيّة، والخاء المعجمة. وقوله (فهو طائر) بالسكون؛ فإنْ «يخ» يصير «بُجّ» بضمّ الموحّدة وتشديد الجيم، قال في القاموس: «البُجُّ بالضمّ: فَرْخ الطائر». وكون كلا النصفين طائرين من هذا الاسم الملغّز به؛ لأنّ شهوة الجماع الحلال طائر روحانيّ متوجِّه بصورة جسمانيّة ينتج طائراً آخر روحانيّاً لكن بتغيير النقط النفسانيّة.

* * *

---

(١) انظر تخريجه ص١١٤٣.

اسم شعبان

وقال قدّس الله سرّه ملغزاً في اسم شعبان:

[شعبان]: وهو شهر النبيّ صلّى الله عليه وسلّم كما ورد في الحديث: «رجب شهر الله وشعبان شهري ورمضان شهر أمّتي»[1] وسمّي الشهر لاشتهاره بظهور هلاله، وهو الواسطة بين شهر الله وشهر الأمّة؛ فالأهلّة ثلاثة: هلال رجب الفرد، وهو حضرة الأسماء الإلهيّة؛ لأنّ شمس الذات ظاهرة في هلال الأسماء الحسنى، وهو الوجود الفرد الواحد الأحد. وهلال شعبان: التشعّب، والتفرّق، والتكثّر، وهو الحضرة المحمّديّة، المخلوق منها كلّ شيء، وهلال الإمساك عن الشهوتين: شهوة البطن والفرج، موضع الإمدادين المتّصل والمنفصل، ليلحق الفرع بالأصل، والسهم بالنصل، فاسم شعبان نقطة الدائريتين وفلك الهلالين، وهو الملغز به في الحضرتين:

[مجزوء الرمل]

مَـــا اسْـــمُ فَتَـــىً حُرُوفُـــهُ تَـــصْحِيفُهَا إنْ غُـــيِّرَتْ

فِي الخَـــطِّ عَـــنْ تَرْتِيبِهَـــا مُقْلَتُـــــهُ إنْ نَظَـــــرَتْ

أَدْعُـــو لَـــهُ مِـــنْ قَلْبِـــهِ بِعَـــــوْدَةٍ مِنْـــــهُ سَرَتْ

(ما): استفهاميّة مبتدأ. وقوله (اسم فتى): خبره، والفتى من الفتوّة، وهي الكرم، قال في القاموس: «الفتى: كسما، والفتى الشابّ الكريم، والسخيّ

---

(١) قال السيوطيّ في الدرّ المنثور٥/ ٦٥: «وأخرج البيهقيّ وقال: عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً: «خيرة الله من الشهور شهر رجب، وهو شهر الله، من عظّم شهر رجب فقد عظّم أمر الله ، ومن عظّم أمر الله أدخله جنّات النعيم، وأوجب له رضوانه الأكبر. وشعبان شهري، فمن عظّم شهر شعبان فقد عظّم أمري. ومن عظّم أمري كنت له فرطاً وذخراً يوم القيامة. وشهر رمضان شهر أمّتي، فمن عظّم شهر رمضان وعظّم حرمته، ولم ينتهكه، وصام نهاره، وقام ليله، وحفظ جوارحه خرج من رمضان وليس عليه ذنب يطلبه الله به».

الكريم». وقوله (حروفه): أي حروف شعبان. وقوله (تصحيفها): بتغيير النقط. وقوله (إنْ غُيِّرَتْ): بتشديد الياء التحتيّة، فعل ماض مبني للمفعول. وقوله (في الخَطّ): أي الكتابة. وقوله (عن ترتيبها): متعلّق بغُيِّرَت. وقوله (مقلته): أي عينيه ذات الأجفان. وقوله (إنْ نظرت): أي أبصرت؛ فإنّ لفظ شعبان إذا صُحِّفتْ فيه الشين المعجمة بالسين المهملة، والباء الموحّدة بالنون، ثمّ تقدمّت النون على السين المهملة، وتأخّرت السين المهملة عن العين المهملة فيصير نعسان، وهو وصف. وقوله (مقلته): أي مقلة ذلك الفتى، والمقلة شحمة العين تجمع السواد والبياض، أو هي للسواد وللبياض، أو الحدقة، كذا في القاموس. وقوله (إنْ نظرت): أي في حال نظرها، والنُعاس بالضمّ: الوَسَن، نَعَسَ كمنع، فهو ناعِس، ونَعْسَان، كما في القاموس؛ فإنّ عينه بها نعاس، أي: استرخاء في جفونها، وهو من صفات المَلاحَة في العيون، إشارة إلى رقّة الحجاب في عين شعبان بتصحيف حروف وأطرافه، وتغيير ترتيبها بتحوله وتطوافه، فنزل شعر جفونه على عين حقيقته، لشعوره بأحكام التبليغ في أسرار شريعته. وقوله (أَدعو له): للاسم الملغَّز به، وهو شعبان. وقوله (من قلبه): وهو الباء من شعبان، قبلها حرفان وبعدها حرفان. وقوله (بعودة): أي رجوع؛ فإنّه يقال باء، أي: رجع. يعني: برجوع إلى عين حقيقته التي ظهر منها، كما ورد في الحديث أنّ الله تعالى خلق نور النبيّ صلّى الله عليه وسلّم من نوره. وقوله/ [٤٦٧/ب] (منه): أي من اسم شعبان. وقوله (سرت): أي في جميع ما خلق من الأمّة المحمّديّة، وقد ورد في حديث يوم الشفاعة العظمى في فصل القضاء أنّ جميع الأنبياء عليهم السلام تُطلب منهم تلك الشفاعة فيقول كلّ واحد منهم نفسي نفسي؛ فإذا طلبوها من محمّد نبيّنا صلّى الله عليه وسلم يقول مكان ذلك: أمّتي أمّتي؛ فكأنّ أمّته نفسه؛ لأنّهم خلقوا منها، فيشفع فيها، وهي شفاعة في الأوّلين والآخرين، وهذا معنى سريان العودة منه.

[في لوزينج]

وقال قدّس الله سرّه ملغِّزاً في لوزينج:

[لوزينج]: وهو طعام معروف، وأصله معرّب. يكنّى به عن زخرف الدنيا، وهو متاعها العاجل:

[مجتثّ]

١- يَا سَيِّداً لَمْ يَزَلْ فِي ... كُلِّ العُلُومِ يَجُولُ

٢- مَا اسْمٌ لِشَيْءٍ لَذِيذٍ ... لَهُ النُّفُوسُ تَمِيلُ

٣- تَصْحِيفُ مَقْلُوبِهِ فِي ... بُيُوتِ حَيٍّ نُزُولُ

(يا سيّداً): بتشديد الياء التحتيّة مكسورة، خطاب للعالم الغافل عن معرفة ربّه؛ فإنّه سيّد في قومه لمناسبته لهم بغفلة نومه. وقوله (لم يزل في كلّ العلوم): أي الرسمية دون العلوم الحقيقيّة؛ فإنّها أذواق لا تسطر في الأوراق. وقوله (يجول): أي يطوف بعقله وفكره. وقوله (ما): استفهاميّة مبتدأ. وقوله (اسم): خبره. وقوله (لشيء): الجار والمجرور صفة للاسم. وقوله (لذيذ): صفة لشيء. وقوله (له النفوس): أي نفوس الخلق. وقوله (تميل): أي تقبل عليه وتطلبه بحيث تؤثره على غيره. وقوله (تصحيفه): مقلوبه، يعني: إذا قُلبت حروفه، ثمّ صُحفت بتغيير نقطها. وقوله (في بيوت): أي تحت خيام الاستتار. وقوله (حي نزول): فإنّه مقلوب لوزنيج بعد تصحيفه؛ فإنّ هذا الزخرف الدنيويّ والمتاع العاجل إذا قلب وصحّف يرجع إلى زينة الله التي أخرج لعباده ، قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ [٧الأعراف/ ٣٢] الآية؛ فإنّ المتحقّقين بذلك في بيوت حيّ نزول، وهم كمال القرب والوصول.

في حلب

١٧ - وقال ملغّزاً في مدينة حلب بالتحريك:

[حلب]: وهو مدينة مشهورة من مدن الشام. إشارة إلى العلم الإلهيّ، وهو خالص الفطرة، قال تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [٣٠/الروم/ ٣٠] قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه من أبيات:

إنّ هــذا هــو الــسحر الحــلال ... أيـن أنـتم أيـن أنـتم يـا رجـال

فـاشربوه لبنـاً مـن ضرعنـا ... شربَ صـادٍ وجـد المـاء الـزلال

[السريع]

١ - مَـا بَلْـدَةٌ بِالـشَّأْمِ قَلْـبُ اسْـمِهَا ... تَـصْحِيفُهُ أُخْـرَى بِـأَرْضِ العَجَـمْ

٢ - وثُلْثُـهُ إنْ زَالَ مِـنْ قَلْبِـهِ ... وَجَدْتَـهُ طَـيْراً شَـجِيَّ الـنَّغَمْ

٣ - وَثُلْثُـهُ نِـصْفٌ وَرُبْـعٌ لَـهُ ... وَرُبْعُـهُ ثُلْثَـاهُ حِـينَ انْقَـسَمْ

(ما): اسم استفهام مبتدأ. وقوله (بلدة): خبره. وقوله (بالشأم): أي في قطر الشام، قال في القاموس: «الشام بلاد عن مشأمة القبلة، وسمّيت بذلك لأنّ قوماً من بني كنعان تشاءموا إليها، أي: تياسروا. وسمّيت بسام بن نوح؛ فإنّه بالشين بالسريانيّة، أو لأنّ أرضها شامات بيض وحمر وسود. وعلى هذا لا تهمز. وقد تُذكَّر»، وكونها بالشام أي: عن شمال بيت الله ، وهو القلب، بيت الروح التي هي من أمر الله تعالى، وهو في الجانب الشمالي من الجسم الإنسانيّ منبع العلوم الإلهيّة. وقوله (قلب اسمها): أي اسم تلك البلدة؛ فإنّ حلب قلب حروفها بلح. وقوله (تصحيفه): أي تصحيف ذلك القلب. وقوله (أخرى): أي بلدة أخرى. وقوله (بأرض العجم): خلاف العرب، وهو بلخ بالخاء المعجمة؛ فإنّ الحاء المهملة

تصحّف/[٤٦٨/ أ] المعجمة، وهي بلدة من حساب أرض العجم؛ فإنّ الاسم الملغَّز به وهو حلب، إذا قُلِب وصُحِّف بأن قُلِب من جانب الشمال إلى جانب اليمين صار القلب نفساً، وصارت العلوم الإلهيّة بالتصحيف علوماً كونيّة، ومدارك نفسانيّة، معجمة المعاني بعدما كانت معرّبة المباني. وقوله (وثلثه): أي ثلث الاسم الملغّز به، وهو حلب. وقوله (إنْ زال من قلبه): فإنّ قلبه بلح اسم للتمر قبل استوائه، وثلثه الزائل من قلبه، أي: وسطه، وهو اللام. والمعنى الآخر مقلوبه. وقد استعمل المعنيينِ معاً بطريق التورية وإرادة أحدهما، والتورية به عن الآخر. وقوله (وجدته طيراً): فإنّ اللام إذا زالت من بلح يصير (بح): بالباء الموحّدة والحاء المهملة: اسم طائر من طيور الماء. وقوله (شجيّ): بالتشديد: فعيل بمعنى فاعل، أي: مُحزن، من شَجَاه يَشْجُوه من باب قتل: إذا أَحْزَنَه، كذا في المصباح. وقوله (النغم): أي الصوت. قال في حياة الحيوان: «البح طائر الماء»[1]، وقال أبو عاصم العبّادي[2]: «وهي أكثر من مائة نوع، ولا يُدرى لأكثرها اسم عند العرب؛ فإنّها لم تكن ببلادهم». انتهى. يعني: إنّ طيور الماء لم تكن في بلاد العرب مكّة والمدينة واليمن لقلّة الماء فيها. وقوله (وثلثه): أي ثلث الاسم الملغّز به، وهو حلب، وهو اللام. وقوله (نصفٌ وربعٌ له): أي لجملة الاسم الملغّز به في حساب الجُمَّل؛ فإنّ اللام بثلاثين، وهي ثلاثة أرباع الاسم، والباقي الحاء المهملة بثمانية، والباء الموحّدة باثنين، فهي عشرة، والعشرة ربع عدد الاسم. وقوله

---

(١) في حياة الحيوان: البج بالجيم المعجمة: طائر من طيور الماء، وليس بالحاء المهملة كما قال الشيخ النابلسيّ، ولعلّه تصحيف الناسخ والله أعلم.

(٢) أبو عاصم العبّادي، الفقيه الشافعي، محمّد بن أحمد بن محمّد بن عبد الله ـ كان إماماً، دقيق النظر، صنّف كتاب المبسوط، وكتاب الهادي، وأدب القاضي، وطبقات الفقهاء، توفي ٤٥٨هـ.

(وربعه): أي ربع الاسم؛ فإنّ جملة الاسم في العدد أربعون، وربعُهُ عشرة، وهما حرفان: ثلثا الاسم الحاء المهملة والباء الموحّدة. وهو قوله (وربعه ثلثاه حين انقسم): أي باعتبار الحساب والعدد. وكذلك العلم الإلهيّ منه ما هو متعلّق بروحانيّة القلب فيطير في عالم الملكوت الأعلى، ويترنّم بالمعاني الربّانيّة. ومنه ما يحوص في ملك الأرض وملكوتها، وله انقسامات وتداخل في عوالم الغيب من نصف وربع وثلث وثلثين على حسب اتّصال العوالم بعضها ببعض، وانفصال بعضها عن بعض. وفي شرح المناويّ على الجامع الصغير الحديثيّ، قال: «وقد ورد أنّ لله ملكاً يملأ ثلث الكون، وملكاً يملأ ثلثيه، وملكاً يملأ الكون كلّه»[1]. ذكره العارف ابن عطاء الله عن شيخه المرسي، وهو رمز يعرفه العارف؛ بل صريح يتحَقّق من جنس المعارف.

* * *

(١) لم يرد الحديث إلا عند المناوي ولم يوثقه، فيض القدير: ١/ ١٠٥.

[في حَسَن]

وقال قدّس الله سرّه ملغزاً في حَسَن، صفة مشبّهة من الحُسْن والجمال: إشارة إلى كلّ شيء باعتبار وجه الحقّ تعالى إليه، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ ﴾ [٣٢/ السجدة/ ٧] وقال تعالى: ﴿ كُلُّ شَىۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ ﴾ [٢٨/ القصص/ ٨٨] وقال تعالى: ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِ ﴾ [٢/ البقرة/ ١١٥] فكلّ شيء حسن بهذا الاعتبار.

[مجتثّ]

١- مَا اسْمٌ لِمَا تَرْتَضِيْهِ مِنْ كُلِّ مَعْنًى وَصُوْرَهْ

٢- تَصْحِيفُ مَقْلُوبِهِ اسْمَا حَرْفٍ وَأَوَّلُ سُورَهْ

(ما): استفهاميّة، مبتدأ. وقوله (اسم): خبره. وقوله (لما ترتضيه): أي تقبله يا أيّها السالك وتحبّه. وقوله (من كلّ معنى): أي أمر معنوي. وقوله (وصوره): بسكون الهاء، أي: محسوس، وهو كلّ حسن من معقول ومحسوس. وقوله (تصحيف): أي تغيير النقط منه. وقوله (مقلوبه): أي ذلك الاسم، وهو «نسح»، وتصحيفه (يسح): بجعل النون ياء مثنّاة تحتيّة. وقوله (اسما حرف): أي اسمان، وحذفت النون لإضافته إلى حرف، وهو حرف الحاء المهملة. وقوله (وأوّل سُوَرِهِ): أي يس؛ فإنّها أوّل سورة من سور القرآن.

* * *

[في هُذَيْلٍ]

وقال قدّس الله سرّه ملغّزاً في هذيل بالذال المعجمة، والتصغير: ابن مُدْرِكَة بنِ الياس بنِ مُضَر: أبو حَيٍّ من مضر، كذا في القاموس. وذلك إشارة إلى النور المحمّديّ الذي خلق الله منه كلّ شيء كما ورد في الأخبار./ [٤٦٨/ ب].

[الخفيف]

١- سَـيِّدِي مَـا قَبِيلَـةٌ فِي زَمَـانٍ ... مَـرَّ مِنْهَـا فِي العُـرْبِ كَـمْ حَـيٍّ شَـاعِرْ

٢- أَلْـقِ مِنْهَـا حَرْفـاً وَدَعْ مُبْتَـدَاهَا ... ثَانِيـاً تَلْـقَ مِثْلَهَـا فِي العَـشَائِرْ

٣- وِإِذَا مَـا صَـحَّفْتَ حَـرْفَيْنِ مِنْهَـا ... كُـلُّ شَـطْرٍ مُـضَعَّفاً اسْـمُ طَـائِرْ

(سيّدي): أي يا سيِّدي، بتشديد الياء مكسورة، خطاب لحقيقة النور المحمّديّ الظاهر له في كلّ شيء. وقوله (ما): اسم استفهام مبتدأ. وقوله (قبيلة): خبره، والقَبيلة: الجماعة، ثلاثة فصاعداً من قومٍ شتّى، وهي قبائل العرب الواحدة قبيلة، وهم بنو أبٍ واحد، كذا في المصباح. وقوله (في زمان مرّ): أي هي من العرب العرباء في الزمان الماضي قبل عصر النبوّة المحمّديّة. وقوله (منها): أي من تلك القبيلة، وهي قبيلة هذيل من مضر. وقوله (في العُرْب): بضمّ العين المهملة وسكون الراء: لغة في العَرَب بالتحريك. وقوله (كم): للتكثير. وقوله (حيّ شاعرْ): بالسكون للقافية، أي: إنسان مشهور بجودة الشعر. وهذيل قبيلة مشهورة في القبائل، وقد طلع منها شعراء مجيدون، وفصحاء محسنون، حتّى إنّ بعضهم جمع كتاباً في الشعراء الهُذَليين، ومنهم أبو صخر الهُذَلي. والنور المحمّديّ المخلوق من نور الله تعالى كم ظهرت منه نشأة إنسان كامل، وصورة رجل عالم عامل، وماحية زاهد عابد. وحقيقة حيوان راكع ساجد، وشخصيّة شيء نافع،

وصورة أمر معنوي رافع. وقوله (ألقِ): أي اطرح. وقوله (منها): أي من تلك القبيلة، يعني: من اسمها، وهو هذيل. وقوله (حرفاً): هو الياء المثنّاة التحتيّة، فيصير هذل. وقوله (وَدَع): أي اترك. وقوله (مبتداها): أي الحرف الذي في ابتدائها، وهو الهاء. وقوله (ثانياً): أي اجعله حرفاً ثانياً، والحرف الثاني أوّلاً، فيصير ذُهل بضمّ الذال المعجمة وفتح الهاء بلا ياء ذُهَل بن شيبان، قبيلة منها يحيى الحافظ، والإمام أحمد، على الصحيح، كذا في القاموس. وهو قوله (تلقَ): أي تجد. وقوله (مثلها): أي قبيلة أخرى مثلها، وهي ذهل بن شيبان، كما ذكرنا. وقوله (في العشائر) بالسكون للقافية، والعشائر جمع عشيرة، وهي القبيلة، ولا واحد لها من لفظها، والجمع عشيرات وعشائر، كما في المصباح. وقوله (وإذا ما صحّفت): يعني بتغيير النقط. وقوله (حرفين منها): هما الذال المعجمة بالمهملة، والياء المثنّاة التحتيّة بالباء الموحّدة. وقوله (كلّ شطر): أي نصف من ذلك الاسم. وقوله (مُضَعَّفاً): بتشديد العين المهملة، أي: مكرراً مرّتين. وقوله (اسم طائر): فالشطر الأوّل هد، فإذا كرر صار هدهد، وهو طائر معروف، والشطر الثاني بل، فإذا كرر صار بلبل. وهو طير مشهور بطيب النغم، وهذان الطائران بإذهاب نقطة الأوّل، وإذهاب إحدى نقطتي الثاني، يدّل الأول على ملك سليمان عليه السلام، وهو ملك الدنيا، والثاني يدلّ على ملك الآخرة، لأنّه طير الطرب، وهو العقل المستقيم من النور المحمّديّ، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [٩/التوبة/١٢٨] والأوّل حسّ الحواسّ الخمس المحفوظة من النور المحمّديّ، قال تعالى: ﴿أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ﴾ [١٠/يونس/٣١]. وفي الحديث: «كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به»[1].

---

(١) انظر تخريجه ص١٤٦.

في سلامة

وقال قدّس الله سرّه ملغزاً في سلامة:

[سلامة] وهو اسم مشتق من السلامة، بمعنى النجاة، قال في القاموس: السلام من أسماء الله تعالى، والسلامة: البراءة من العيوب، كناية هنا عن الحضرة الأسمائيّة الإلهيّة، وهي حضرة الواحديّة إشارة إلى الاسم، هو في عالم الضمائر، وهو باطن الحقّ المخلوق به كلّ شيء لا باطن الذات، قال تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [٣/آل عمران/٩٧]، وهو الذي يتخطّف الناس من حوله تتخطّفهم أسماء الجلال من أسماء الجمال، وأسماء الجمال من أسماء الجلال، هو السعيد الذي يشقى، والشقي الذي/ [٤٦٩/أ] يسعد في لسان الشرع المحمّديّ. وختم الناظم ألغازه بذلك تفاؤلاً بالسلامة من أهوال يوم القيامة.

[السريع]

١- مَا اسْمٌ إذِا مَا سَأَلَ المَرْءُ عَنْ ... تَصْحِيفِهِ خِلًّا لَهُ أَفْحَمَهْ

٢- فَنِصْفُ يَسٍ لَهُ أَوَّلٌ ... مِنْ غَيْرِ مَا شَكٍّ وَلَا جَمْجَمَهْ

٣- وَإِنْ تُرِدْ ثَانِيَهُ فَهْوَ لا ... يُذْكَرُ لِلْسَائِلِ كَيْ يَفْهَمَهْ

٤- وَإِنْ تَقُلْ بَيِّنْ لَنَا مَا الذِي ... مِنْهُ تَبَقَّى بَعْدَ ذَا قُلْتُ مَهْ

٥- بَيِّنْهُ لِي إنْ كُنْتَ ذَا فِطْنَةٍ ... فَإِنَّنِي قَدْ جِئْتُ بِالتَّرْجَمَهْ

(ما): استفهاميّة مبتدأ. وقوله (اسم): خبره. وقوله (إذا ما سأل المرء): ما زائدة بعد إذا، و(المرء): الإنسان. وقوله (عن تصحيفه): أي تغيير نقطه. وقوله (خِلّاً): مفعول سأل، والخِلّ بكسر الخاء المعجمة وضمّها: الصديق المُخْتَصّ، أو يُضَمّ إلّا مع وُدّ، يقال: كان لي وُدّاً وخُلّا، كما في القاموس. وقوله (له): أي

لذلك المرء. وقوله (**أفحمه**): يقال أَفْحَمتُ الخَصمَ إفحاماً: إذا أسكتَّه بالحجّة، كذا في المصباح. ومعناه: إنّه لا يجد له تصحيفاً يفيد معنى صحيحاً؛ فإنّ السين المهملة إذا تصحّفت بالمعجمة، أو أسنانها الثلاث إذا صُحِّف كلّ منها بحرف منقوط لا يظهر للاسم معنى مقبول. وأمّا اللام ألف والميم والهاء فلا تصحيف لها أصلاً، فمن سأل عن تصحيف هذا الاسم أُفحِم، فلا يجد له جواباً إلّا بالنفي؛ فإنّه لا يقبل التغيير والتبديل؛ لأنّها حضرة قديمة، كما أشرنا إليه، والقديم لا يتغيّر. وقوله (**فنصف يس**): أي لفظ يس، وهو السين المهملة. وقوله (**له**): أي للاسم المذكور. وقوله (**أوّل**): فإنّ السين المهملة أوّل سلامة. وقوله (**من غير ما شكّ**): أي من غير شك، وما زائدة. وقوله (**ولا جَمْجَمَه**): بالجيمَينِ المفتوحتَينِ والميمَينِ. قال في القاموس: «الجَمْجَمَة: أن لا يُبيِّنَ كلامه، كالتَّجَمْجُم وإخفاء الشيء في الصدر». فإنّ ابتداء الحضرة المذكورة سورة يس التي هي قلب القرآن كما ورد في الخبر، وذلك هنا بطريق النداء من جهة الغيب، وهذا الأمر يقين لا شك فيه، وهو متبيّن لا خفاء فيه على صاحبه. وقوله (**وإنْ تُرِد**): أي تقصد. وقوله (**ثانيَه**): بالنصب مفعول تَرِد، والضمير للاسم المُلغَّز به، أي: الحرف الثاني منه. وقوله (**فهو لا**): أي حرف لام ألف، وذلك هو قول لا إله إلا الله ؛ لأنّه إظهار ما في القلب من التوحيد. وقوله (**يذكر**): بالبناء للمفعول. وقوله (**للسائل**): أي لمن يسأل عنه. وقوله (**كي يفهمه**): أي يفهم المطلوب المحتجب بأستار الغيوب. وقوله (**وإنْ تقل**): يعني يا أيّها السالك. وقوله (**بيِّن لنا ما الذي منه**): أي من الاسم الملغز به. وقوله (**تبقّى**): بتشديد القاف. وقوله (**بعد ذا**): بعد هذا البيان المذكور. وقوله (**قلت مه**) وهو تمام اسم سلامة، قال في القاموس: «قال له مه، أي: اكْفُفْ». قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «**تفكّروا في كلّ شيء، ولا تفكّروا في ذات الله ؛ فإنّ بين السماء السابعة إلى كرسيّه سبعة آلاف نور،**

وهو فوق ذلك»[1] رواه أبو الشيخ في العظمة عن ابن عباس رضي الله عنهما وفي رواية: «تفكّروا في خلق الله ولا تتفكّروا في الله فتهلكوا»[1] رواه أبو الشيخ عن أبي ذرّ رضي الله عنه. وفي رواية: «تفكّروا في الخلق ولا تتفكّروا في الخالق؛ فإنكم لا تقدرون قدره»[1] رواه أبو الشيخ عن ابن عبّاس رضي الله عنهما. وقوله (بيِّنه) فعل أمر من البيان، وهو الإظهار. وقوله (لي): أي صرّح لي بالاسم المُلغَّز به، والخطاب للسالك في طريق الله تعالى. وقوله (إنْ كنتَ ذا): أي صاحب. وقوله (فِطْنَة): مصدر فَطِن للأمر يَفْطَن، من بابي تعب وقتل، فِطْناً وفِطْنَة وفِطَانَة بالكسر في الكلّ، ورجل فَطِنٌ بخصومته: عالم بوجوهها، حاذق، كما في المصباح. وقوله (فإنّني قد جئت بالترجمة): تَرْجَم فلانٌ كلامَه/ [٤٦٩/ أ] إذا بَيَّنَه، وأوضحه، وتَرْجَمَ كلامَ غيره: إذا عَبَّر عنه بلغةٍ غيرِ لغة المتكلّم، كذا في المصباح.

* * *

(١) انظر تخريج الروايات الثلاثة ص١٦٦٥.

وَحَيَاةِ أَشْوَاقِي إِلَيْكَ

قال قدّس الله سرّه (وهو مما رواه): أي حدَّث به (عنه): أي عن الشيخ الناظم قدّس الله سرّه. (الشيخ): فاعل رواه. (الإمام): أي المقتدى به في العلم: (زكيّ الدين): لقبه (عبد العظيم). اسمه (المنذريّ): نسبة إلى جدّه المنذر (المحدّث): صاحب كتاب الترغيب والترهيب (بالقاهرة): أي مصر (المحروسة). رحمه الله تعالى. إنّ من كلام الناظم قدّس الله سرّه قوله:

[مجزوء الكامل]

١- وَحَيَــاةِ أَشْــوَاقِي إِلَيْــك وَحُرْمَــةِ الــصَّبْرِ الجَمِيْــلِ

٢- مَــا اسْتَحْــسَنَتْ عَيْنِــي ســواكَ ولا آنــستُ إلى خليــل

وقيل (إنّه): أي الناظم قدّس الله سرّه (عملهما): أي هذين البيتين المذكورين (في النوم) فاستيقظ وهو يحفظهما فأنشدهما. وقوله (وحياة): الواو للقسم، والحياة ضدّ الموت. وقوله (أشواقي): جمع شوق، وقوله (إليك): الخطاب للحقّ الظاهر له في صور الخلق القائم بالأمر، قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُ﴾ [٧/ الأعراف/ ٥٤] أي: هما له يظهر بهما كيف شاء، لمن شاء ويستتر بهما كيف شاء، عمّن شاء. وقوله (وحرمة): وفي نسخة وتربة، أي: مقبرة بطريق الاستعارة المكنيّة بذكر موت صبره في مقابلة حياة أشواقه. وقوله (الصبر الجميل): وهو الذي لا شكوى معه. وقوله (ما استحسنت): أي ما رأت حسناً في كلّ ما رأت. وقوله (عيني): فاعل استحسنت. وقوله (سواك): أي غيرك من جميع الأشياء، والخطاب للحقّ المذكور. وقوله (ولا أنست): أي وجدت الأنس من وحشة الدنيا والآخرة، قال في المصباح: «أَنِسْتُ به إِنْسَاً من باب عَلِم، وفي لغة من باب ضرب، والأُنس

ـ بالضمّ ـ اسم منه، واستأنستُ به وتَأَنّستُ به: إذا سكن القلب، ولم ينفر».
فيكون معنى آنست هنا سكنت، ولم ينفر قلبي؛ ولهذا عدّاه بـ(إلى) في قوله إليّ
خليل، يعني: ولا سكن قلبي إلى خليل غيرك. يعني: والخليل الصديق، قال صلّى
الله عليه وسلّم: «لو كنت متّخذاً من أمّتي خليلاً دون ربّي لاتخذت أبا بكر خليلاً
، ولكن أخي وصاحبي»[1] أخرجه البخاريّ عن ابن عبّاس رضي الله عنهما.

* * *

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: فضائل الصحابة، باب: قول النبيّ لو كنت متّخذاً خليلاً، ٣٦٥٦.

يَا رَاحِـلاً

[البسيط]

وقال قدّس الله سرّه:

١- يَـا رَاحِـلاً وَجَمِيـلُ الـصَّبْرِ يَتْبَعُـهُ   هَـلْ مِـنْ سَـبِيْلٍ إِلى لُقْيَـاكَ يَتَّفِـقُ

٢- مَـا أَنْـصَفَتْكَ جُفُـوْنِي وَهْـيَ دَامِيَـةٌ   وَلَا وَفَى لَـكَ قَلْبِـي وَهْـوَ يَحْـتَرِقُ

(يا راحلاً): كناية عن المتجلّي بالوجود الحقّ تجلّياً برقيا، فيظهر أمره بصور خلقه كلمح بالبصر. وقوله (وجميل الصبر): أي الصبر الجميل، وهو الذي لا شكوى معه، والواو للحال، والجملة حال من ضمير راحلاً. وقوله (يتبعه): أي هو راحل معه أيضاً. وقوله (هل من سبيل): أي طريق. وقوله (إلى لقياك): أي لقاءك، والخطاب للمتجلّي الحقّ، كما ذكرنا. وقوله (يتفق): أي يمكن حصوله. وقوله (ما أَنْصَفَتْكَ): أي أعطتك الإنصاف، وهو العدل، وترك الجور في إعطاء الشيء حقّه. وقوله (جفوني): جمع جفن. يعني: التي ناظرة إليك في وقت تجلّيك قبل رحيلك باستتارك، وإظهار ظلمة الكون مستعلية على أنوارك. وقوله (وهي): أي جفوني. وقوله (دامية): أي ذات دم. يعني: بكاؤها على فراقك دماً موضع الدمع، وهي جملة حاليّة، واوها للحال من جفوني. وقوله (ولا وفى): أي بوعد القيام لك بالطاعة في جميع أوامرك ونواهيك، ظاهراً وباطناً. وقوله (لك): متعلّق بوفى. وقوله (قلبي): فاعل وفى. وقوله (وهو يحترق): جملة حاليّة من قلبي. والواو للحال. وهذا الاحتراق بنيران الفراق.

[حَدِيْثُهُ يُطْرِبُنِي]

وقال قدّس الله سرّه، وهو كما (رواه لي). أي: نقله عنه الشيخ عَلَم بالتحريك. (الدين): لقبه. وهو عَلَم عليه ابن الصاحب، رحمه الله تعالى وذلك هذان البيتان:

[البسيط]

١ - حَدِيْثُهُ أَوْ حَدِيْثٌ عَنْهُ يُطْرِبُنِي   هَذَا إِذَا غَابَ أَوْ هَذَا إِذَا حَضَرَا/ [٤٧٠/أ]

٢ - كِلَاهُمَا حَسَنٌ عِنْدِي أُسَرُّ بِهِ   لَكِنَّ أَحْلَاهُمَا مَا وَافَقَ النَّظَرَا

(**حديثه**): أي حديث هذا المحبوب الحقيقيّ، وهو كلامه الذي يتكلّم به، وهو القرآن العظيم والذكر الحكيم، حيث لم يتكلّم عندي غيره به. وقوله (**أو حديثٌ عنه**): أي منقول عنه أنّه حديثه، أي: كلامه، وهو كلام غيره من الناس؛ فإنّه كلامه أيضاً؛ لكنّ ناقله غيره. وقوله (**يطربني**): أي بجعل عندي طرباً؛ لأنّي أسمع كلامه على حال، إمّا منه بلا وساطة أحد، أو بوساطة غيره من صورة إنسانيّة منسوب ذلك الكلام عندها إليها، وهي عندي غيرها. وذلك معنى قوله (**هذا**): أي الحديث عنه. وقوله (**إذا غاب**): أي عنّي بأنْ استتر بصورة القارئ. (**أو هذا**): أي حديثه. وقوله (**إذا حضرا**): بألف الإطلاق بأنْ ظهر له متجلّياً بصورة القارئ، أو غيره من المتكلّمين. وقوله (**كلاهما**): أي حديثه بلا وساطة غيره من الناس المتكلّمين به. وقوله (**حسن عندي**): أي له حسن ظاهر ورونق باهر. وقوله (**أُسَرُّ**): بالبناء للمفعول. وقوله (**به**): أي بكلّ واحد منهما. وقوله (**لكنَّ**): بالتشديد. وقوله (**أحلاهما**): أي أحلى الحديثين المذكورين، أي: أكثر حلاوة من الآخر. وقوله (**ما**): أي حديث. وقوله (**وافق النظر**): بألف الإطلاق، أي: كان حديثاً ونظراً، وهو حديثه بلا وساطة أحد، بأنّ كان متجلّياً بصورة المتكلّم، قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه من أبيات له في معنى ذلك:

يـا مـن تخاطبـه حقيقـة ذاتـه في غـيره لكنّـه لا يعلـم

وهـو المخاطـب ذاتـه في ذاتـه وهـو المُكلَّـم عنـه والمـتكلِّم

مرآتـك الأكـوان فيهـا نـاظر مـا أنـت فيـه فنـيّر أو مظلـم

* *

قُلْتُ لِجَزَّار

وقال قدّس الله سرّه (وهو مما رواه): أي حدّث به (عنه الشيخ شمس الدين، المعروف بابن خلّكان): لقب له مرّكب من كلمتين ـ خِلّ ـ، خاء المعجمة وتشديد اللام: فعل أمر بمعنى اترك. وكان: فعل ماض، لقِّب بذلك لكثرة قوله ذلك في كلامه لمن قال كان أبي، أو كان فلان فيقول: هو خِلٌّ كان، فاشتهر بذلك (في كتابه): المسمّى وفيات الأعيان في أنباء أبناء الأزمان ، وهو قوله من المواليا الذي صار به جيد الأدب حالياً:

[مواليا]

١ - قُلْتُو لِجَزَّارْ عَشِقْتُو كَمْ تُشَرِّحُني ذَبَحْتَنِي قَالَ ذَا شُغْلِي تُوَبِّخْني

٢ - وَمَالَ إِلَيَّ وَبَاسَ رِجلِي يُرَبِّخْنِي يُرِيدُ ذَبْحِي فَيَنْفُخْنِي لِيَسْلَخْني

(قلتو): بإشباع الضمّة على التاء، تاء المتكلّم. وقوله (لجزّار): هو الذي يجزر: أي يقطع أوداج الغنم ونحوها، وهو الذبّاح، من الجَزْرُ، وهو القَطْع. قال في القاموس: «الجَزْرُ: القَطْعُ». وقال في الصحاح: «الجَزيرة: واحدة جَزَائِر البحر، سُمِّيت بذلك لانقطاعها عن معظم الأرض». يشير بذلك إلى الحقّ تعالى الذي يقطع الجاهلين به عن الاتّصال بجنابه، ويغفل قلوبهم عن معرفة حضرته والوقوف ببابه، قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [١٨/الكهف/٢٨] والجزّار: الظاهر تجلّي من تجلّياته، وهو مظهر الاسم المميت. وقوله (عشقتو): بالواو، أي: عشقته. والموال موزون، وعروضه: مستفعلن فاعلن مستفعلن فعال. ولكنّه ملحون، ليس على مقتضى اللغة العربيّة. وقد نُقل عن الناظم قدّس الله سرّه أنّه كان يحبّ غلاماً جزّاراً أشهده الحقّ تعالى تجلّيه بصورته، كما أشهده تجلّيه بصورة بَرْنِيَّة[1] في دكان عطّار فأحبّها، وكان

---

(١) البرنية: إناء من الخزف.

يشاهدها في غالب أوقاته كما قدّمناه في شرح ديباجة هذا الكتاب. والله العليّ الكبير. وقوله (كم): لمعنى التكثير. وقوله (تُشَرِّحُني): بتشديد الراء، أي: تجعلني شرائح، جمع شريحة، قال في القاموس: «الشَّرْحَة: القِطْعَة مِن اللَّحْم كالشَّرِيحَة والشَّرِيح». والمعنى/ [٤٧٠/ ب] أن تجعل كلّ قطعة منّي على حدة متبيّنة لي بالكشف عن أجزاء بدني مفصّلة جزأً جزأً. وقوله (ذَبَحْتَني): أي أمتّني بسيف قهرك في سطوتك، الموت الاختياري. وقوله (قال): أي ذلك الجزّار المذكور بطريق الإلقاء في القلب. وقوله (ذا شُغلي): أي أنا مُشتغِل بذلك الآن؛ لأنّه جزارتي وصنعتي. قال تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ٣١] لأنّي مشتغل بكم الآن، وإنْ لم يكن يشغله شأنٌ عن شأن؛ فهو مشتغل بذلك، وبغيره على العموم. وقوله (تُوَبِّخْني): من التوبيخ، وهو اللوم والعذل. وقال في القاموس: «وَبَّخَهُ تَوْبِيْخاً: لامَه وعَذَله». وقوله (ومال): بحذف الألف في النطق لاستقامة الوزن. وقوله (إليّ): بتشديد الياء التحتية، وميله: عطفه وملاطفته به من تجلّي اسمه اللطيف. وقوله (وباس): بحذف الألف للوزن أيضاً، قال في الصحاح: «البَوْس: التقبيل، فارسي معرّب، وقد باسه يبوسه». وقوله (رجلي): من تجلّي قوله صلّى الله عليه وسلّم في حديث المتقرّب «وكنت رجله التي يمشي بها» وهو الظهور بصورة رجله؛ لانّها خلقه وفعله وقواها. قال تعالى: ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [٢/ البقرة/ ١٦٥] وقوله: (يُرَبِّخْني): بتشديد الباء الموحّدة، من رَبَّخَهُ: اسْتَرْخاه، أي جعله مسترخياً، أي: ضعيفاً ليس بالقوي، قال في الصحاح: «تَرَبَّخَ: استرخى». قال تعالى: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [٤/ النساء/ ٢٨] وقوله (يريد ذَبْحِي): أي بظهوره بي وتجلّيه بظاهري وباطني. وقوله (فَيَنْفُخْني): بالكشف لي عن الروح الأمريّ المنفوخ فيّ منه، قال تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [١٥/ الحجر/ ٢٩] وقوله (لِيَسْلَخَني): أي عن عالم الطبيعة فانسلخ عنها، قال في القاموس: «سَلَخَ كنصر ومنع: كَشَطَ ونَزَعَ، وسَلَخَ الشهرُ: مضى، كانْسَلَخَ».

[مَا بَيْنَ صَوَابٍ وَخَطَا]

(**ورَوَى**): أي نقل (**لي عنه**): أي عن الناظم قدّس الله سرّه (**السيّد**): فاعل روى (**الشريف**) وصف للسيّد (**الشيخ الإمام ضياء الدين**): لقبه. (**جعفر**): اسمه، العلم عليه. (**ابن الشيخ الإمام محمّد**): اسمه العلم. (**ابن الشيخ عبد الرحيم القناوي**): نسبة إلى قنا قريّة، من قرى مصر المحروسة (**رحمهم الله تعالى قال**): أي السيّد الشريف. (**زرت الشيخ شرف الدين**): هو عمر بن الفارض ناظم هذا الديوان، قدّس الله سرّه. (**فسمعته يقول**) هذين البيتين:

[دوبيت]

١- لَـمَّا نَـزَلَ الـشَّيْبُ بِـرَأْسِي وَخَطَـا وَالعُمْـرُ مَـعَ الـشَبَابِ وَلَّى وَخَطَـا

٢- أَصْـبَحْتُ بِـسُمْرِ سَـمَرْقَنْدٍ وَخَطَـا لَا أَفْـرِقُ مَـا بَـيْنَ صَـوَابٍ وَخَطَـا

(**لمّا نزل الشيب**): وهو بياض الشعر، كناية عن ظهور نور الوجود الحقّ على ظلمة كونه، بحيث اختفى عنه سوادها ببياض إشراق ذلك النور. وقوله (**برأسي**): أي بصورة كلّي؛ فإنّ الرأس مما يعبّر به عنه عن الكلّ، يقال: عندي مائة رأس، أي: مائة إنسان. والرأس: موضع الحواس الخمس والعقل؛ فإذا ابيضّ سواد ذلك بنور تجلّي الوجود الحقّ ذهبت ظلمة الكون عنده: ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ [٣٩/ الزمر/ ٦٩]. وقوله (**وخطا**): بألف الإطلاق، يقال: وَخَطَه الشَّيبُ، كوعده: خالَطَه، أو فَشَا شَيْبُه، أو اسْتَوى سُواده وبياضه [كذا في القاموس]. وقوله (**والعمر**): أي مدّة الحياة في الدنيا. وقوله (**مع الشباب**): أوّل العمر كالشبيبة. وقوله (**ولّى**) بتشديد اللام، أي: مضى وأدبر، كتولّى. وقوله (**وخَطا**): بألف الإطلاق أيضاً، يقال: خَطَا خَطْواً مشى. وقوله (**أصبحتُ**): أي دخلتُ في صباح شمس الأحديّة. وقوله (**بسمر**): أي بسبب رؤيتي أو محبّتي. والسُّمْر: جمع

أسْمَر، من السُمْرَة، قال في القاموس: «السُّمْرَة، بالضمّ: منزلة بين البياض والسواد، فيما يَقْبَل ذلك، سَمُرَ ككرم وفرح فيهما». وهم الذين يترددون بين بياض نور التجلّي، وسواد ظلمة الاستتار من المشايخ الأخيار، والأساتذة الأبرار.

وقوله (سمرقند): مدنية مشهورة، قال في القاموس: «شَمِر بن أفريقس ككتف/ [٤٧١/أ] غزا مدينة السُغْد فقلعها فقيل شَمِرْ كَنْد، أو بناها، فقيل شَمِرْكَنْت وهي بالتركيّة: القريَة، فعرّبت سَمَرْ قَنْد. واسكان الميم ، وفتح الراء: لحن». وأمّا النظم هنا فاستقامته بإسكان الميم لضرورة الوزن، وهم أولياء العجم، أهل الكمال والعرفان. وقوله (وخطا): معطوف على سمر قند، وهي بلاد أخرى في ولاية الترك. وقوله (لا أفرق ما بين صواب وخطا): أصله خطأ بالهمز فخفف بحذفها، وهو ضدّ الصواب. وذلك من كمال استغراقه في مشاهدة المحبوب بسبب اطلاعه على هؤلاء العارفين من أولياء العجم، وشربه من مشربهم الرحيقيّ في المقام التصديقي، والمنزل الصديقي.

* * *

خَلِيلَيَّ

(قال): أي السيّد الشريف ضياء الدين جعفر المذكور، رحمه الله تعالى. (وزرته) أي: زرت الناظم الشيخ شرف الدين عمر بن الفارض قدّس الله سرّه مرّة (أخرى): غير المرّة الأوّلى. وكان ذلك (قريب وفاته): رحم الله روحه، ونوّر ضريحه فسمعته (يقول): منشداً هذين البيتين:

[المتقارب]

١- خَلِيلَيَّ إنْ زُرْتُمَا مَنْزِلِي وَلَمْ تَجِدَاهُ فَسِيحاً فَسِيْحا

٢- وَإِنْ رُمْتُمَا مَنْطِقَاً مِنْ فَمِي وَلَمْ تَرَيَاهُ فَصِيحاً فَصِيْحاً

(خليليّ): بتشديد الياء التحتيّة، تثنية خليل، وهو الصديق، أو من أصفى المودّة وأصحِّها، كذا في القاموس. وقوله (إنْ زرتما): من الزيارة. وقوله (منزلي): أي بيتي الذي أنا ساكن فيه. يخاطب عقله وإيمانه، لأنّهما ملازمان له لا ينفكان عنه، ومنزله مقامه الذي هو فيه مقيم من قدر اطّلاعه على آثار تجلّيات ربّه عليه. وقوله (ولم تجداه): أي ذلك المنزل المذكور. وقوله (فسيحاً): أي عظيماً، وهو سعة الصدر لقبول ما يرد عليه من الحقائق الإلهيّة والمعارف الربّانيّة الخارجة عن مدارك القبول مما هي ثابتة عنده بأدلّة النقول. وقوله (فسيحا): ألفاً للتعقيب، وسَيْحا فعل أمر، خطاب للمثنّى، من السياحة، سَاح في الأرض يَسِيْح سَياحَة وسُيُوحاً وسَيْحاً وسَيْحَاناً، أي: ذهب، وفي الحديث: «لا سياحة في الإسلام»[1] كما في الصحاح؛ فإنّ العقل والإيمان إذا لم يذهبا في حقائق الغيب ومعارف الملكوت يذهبان في عوالم المحسوسات والمعقولات كما قلنا من أبيات لنا:

---

(١) ذكره الأزهري في تهذيب اللغة، مادّة ساح وهو في كنز العمال عن طاووس مرسلاً.

قـرأوا الوجـود زخارفـاً ووساوسـاً وقبـيح أوهـام وخبـث فهـوم

ولقـد قرأنـاه صـحائف نـشرت بـالحقّ بـين معـارف وعلـوم

وهو أمر واحد ظاهر بصور خلق كثير، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ [٥٤/ القمر/ ٥٠]. وقال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [٣٠/ الروم/ ٢٥] وقال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [٧/ الأعراف/ ٥٤]؛ فمن شهد خلقاً فقط فهو محجوب غافل جاهل بربّه، ومن شهده أمراً واحداً فقط كان ناقص المعرفة، ومن شهده خلقاً وأمراً فهو الإنسان الكامل العالم العامل، ولا شكّ أنّ عوالم المحسوسات والمعقولات عوالم ضيق وحرج؛ ولهذا وقع فيها التكليف على العاقل البالغ بأحكام الله تعالى؛ فإذا انتقل إلى عوالم الغيب والملكوت بالموت انفتح في حضرات واسعة وتجلّيات شاسعة. وقوله (وإنْ رُمْتُما): أي أردتما: خطاب لخليليه المذكورين. وقوله(منطقاً): مصدر نَطَق يَنْطِقُ نُطْقاً ومَنْطِقاً ونُطُوقاً: تَكَلَّم بصوتٍ وحروفٍ تُعْرَفُ بها المَعاني، كذا في القاموس. وقوله (من فمي): وهو النطق اللسانيّ الذي يكشف عن أسرار المعاني. وقوله (ولم ترياه فصيحاً): أي مفصحاً لكما عن أسرار الغيوب، وحقائق القلوب. والفصح والفصاحة: البيان، فَصُحَ ككَرُمَ؛ فهو فصيح، كذا في القاموس. وقوله (فصيحا): الفاء للتعقيب أيضاً. و(صيحا): فعل أمر للمتني، خطاباً لخليليه، من الصياح، مصدر قال في القاموس: الصَّيْحُ والصَّيْحَة والصِّيَاح، بالكسر والضمّ، والصَّيْحَان محركة: الصوت بأقصى/ [٤٧١/ ب] الطاقة.

والحاصل: إن العقل والإيمان خليلان ملازمان للكل من نوع الإنسان، وهما متّفقان على نصرة الحقّ في القلب والجنان، وهما قوّتان إلاهيّتان روحانيّتان ينبعثان عن أمر الله تعالى. والإنسان الكامل مفقود من دعوى الدخول في الوجود، فهو منفرد مكتّف بقيامه بالحقّ المعبود، وتارة يزوره عقله وإيمانه، فيعبد الله تعالى على

الكشف، وهو إحسانه؛ فإنْ وجدا حضرته واسعة تسع كلّ شيء كان ذلك سرّ كماله في إنسانيّته. وإنْ وجداها لا تسع كلّ شيء وتضيق عن أشياء فإنّه ناقص الإيمان، وإذا نقص إيمانه فقد نقص عقله؛ فأمرهما بالسياحة في أرض الأكوان؛ ليتحقّق عندهما الإذعان والاعتبار بما يكون وما كان قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ﴾ [٣٠/ الروم/ ٤٢] وإذا قصد النطق بالحقّ ولم يكن اللسان فصيحاً بذلك فقد أمرهما بالصياح، طلباً للنجاح، واستغاثة بالملك الفتاح حيّ على الفلاح حيّ الفلاح.

* *

[عَوَّذتُ حُبَيِّبِي]

٣- وقال قدّس الله سرّه:

١- عَــوَّذْتُ حُبَيِّبِــي بِــرَبِّ الطُّــوْرِ   مِــنْ آفَــةِ مَــا يَجْــرِي مِــنَ المَقْــدُوْرِ

٢- مَــا قُلْــتُ حُبَيِّبِــي مِــنَ التَحْقِــيْرِ   بَــلْ يَعْــذُبُ اِسْــمُ الشَّــخْصِ بِالتَّصْغِيْرِ

(عَوَّذْتُ): بتشديد الواو، عُذت بفلانٍ، واسْتَعَذْتُ به، أي: لجأت إليه، وهو عِيَاذِي، أي: ملجئي. وأَعَذْتُ غيري به وعَوَّذْتُه بمعنى. كذا في الصحاح. وقوله (حُبَيِّبِي): بالتصغير. وقوله (بربِّ الطُّوْر): متعلّق بعَوَّذت. والطُّوْر: الجبل، والجبل قرب أيلَة، يضاف إلى سِيناء وسِينِين. وجبل الشام. وقيل: هو المُضاف إلى سيناء وسينين، أو جبل بالقُدس عن يمين المسجد، وآخر عن قبلته، به قبر هارون، النبيّ عليه السلام. وجبل برأس العَين. وآخر مُطلّ على طَبَرِيَّة. وكُورَة بمصر من القِبْلِيَّة. وبلاد بنواحي نَصِيبِين، كذا في القاموس. والمعنى: بذلك هنا طور سيناء وسينين؛ وهو الذي كلّم الله تعالى عليه، موسى عليه السلام لفضيلة، وحرمته المعلومة. والإشارة بحُبيبي بالتصغير المومأ في قلبه من الصورة التي تجلّى بها ربّه عليه، وهو آلة المعتقدات الذي وسعه قلب عبده المؤمن، كما ورد في الحديث القدسي: «ما وسعني سماواتي ولا أرضي ووسعني قلب عبدي المؤمن»[١] وقوله (من آفة): هي العَاهَة، أو عَرَض مُفْسِد لما أَصابَه. وأيفَ الزَرْعُ، كقيل: أصابته الآفة، والجمع: آفات، كما القاموس[٢] وقوله (ما يجري من المقدور): وهو ما يقدّره الله تعالى على العبد، وقد يكون مصدراً ميمياً، بمعنى: تقديراً لله تعالى،

---

(١) انظر تخريجه ص٣٢٤ + ١٦٧٧.

(٢) تجدها في مادّة الأنف، وليس في أفف.

ومنه قول الشاعر:

بالبلبل والهزار والشحرور يكسى طرباً قلب الشجيّ المهجور
فانهض عجلاً وخذ من اللذة ما جادت كرماً به يد المقدور

والمعنى في كلام الناظم: إنّه عوَّذ مظهر التجلّي الربّاني في خاطره النفساني بربّ موسى عليه السلام، الذي ناجاه على طور سيناء، وهو الذي ظهر له في صورة النار، حتّى قال تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ۝١٠ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ [٢٠/ طه/ ١٠-١١] الآية. ومعلوم أنّه وقع أوّلاً في خاطر موسى عليه السلام: صورة النار في الشجرة التي تجلّي عليه بها ربّه تعالى وتقدّس عن الصور كلها، من حيث ما هو عليه سبحانه في ذاته. وموسى عليه السلام يعلم التنزيه التام الربّاني. وقد علم بالتشبيه الرحمانيّ، وبهما يحصل الكمال الإنسانيّ بالتحقّق العرفانيّ، فعوّذ الناظم صورة التجلّي عليه العقليّة وتنزيهاته الإيمانيّة؛ فإنّ التنزيه إيمانيّ، والتشبيه عقليّ؛ وذلك هو المراد الشرعي في جميع الأديان؛ فإنّ/ [٤٧٢/ أ] الحقّ تعالى لا يحصره تنزيه ولا تشبيه، لأنّه تنزّه عنهما، فخاف الناظم على ما عنده من ذلك من المكر الإلهيّ به. وكان تعويذه له بسرّ ما وقع لموسى عليه السلام على الطور ليلتحقّ ما عنده بوراثته في مقام الإيمان بالله من شرّ ما يقدّره تعالى على العبد من مَكْرِهِ به بغلبة التشبيه على التنزيه، أو غلبة التنزيه على التشبيه، وهما له تعالى بحكم قوله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ تنزيه ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [٤٢/ الشورى/ ١١] تشبيه. وقوله عليه السلام: «اعبد الله كأنّك تراه» تنزيه؛ «فإنّ لم تكن تراه فإنّه يراك»[1] تشبيه، أي: يراك بك؛ فأنت مظهر تجلّيه. والكتاب والسنّة فائضان بذلك لمن تأمّل

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان باب: سؤال جبريل النبيّ عن الإيمان، ٥٠. وكذلك في كتاب التفسير باب: إنّ الله عنده علم الساعة ٤٧٧٧. وغير البخاري كثير.

بالفهم الربّانيّ والذوق العرفانيّ. ثمّ استدركَ ما أوهم منه التحقير بالتصغير فقال (ما قلت حُبَيِّبِي): بالتصغير، كناية عمّا هو عندي من المظهر المذكور. وقوله (من التحقير): فإنّ التصغير يظهر منه في ابتداء الأمر عند الفهم أنّه للتحقير في الاسم المصغّر، إمّا في الجرم أو في القدر، قال في القاموس: «الصِغَرُ كعِنَب، والصَغَارَ بالفتح خلاف العِظَم، أو الأوّل في الجِرْم، والثاني في القَدْر صَغُرَ، كَكَرُم وفرِح صَغَارا، وصِغَراً كعنب، وصَغَراً محرّكة، وصُغْراناً بالضمّ، وصَغَّرَه وأَصْغَرَه: جعله صغيراً». وقوله (بل): للإضراب عن معنى التحقير في معنى هذا التصغير. وقوله (يَعْذُبُ): اسم الشخص، أي: يصير عَذْباً، أي: حلواً، قال في الصحاح: «العَذْب: الماء الطَيب، وقد عَذُبَ عُذُوْبَة، ويقال للريق والخمر عذبان. واسْتَعْذَب القومُ ماءَهم إذا اسْتَقَوه عَذْباً». وأصله في الماء، ثمّ استُعمل في كلّ شيء لذيذ في المطعم والمسمع والمرئي وغيره ذلك. وقوله (بالتصغير): فإنّ التصغير يكون للتحقير في الأصل، وفي كتاب سيبويه ترجم أبوابه بقوله: تحقير كذا، وباب تحقير كذا، إلى آخره حتّى قال: باب ما يُحَقّر لدنوّه من الشيء، وليس منه، وذلك قولك هو أصغر منك، إنّما أردت أنْ تقلل الذي بينهما. ومن ذلك قولك: هو دُوَين ذلك وفُوَيق ذلك. وأمّا قول العرب، وهو مثيل هذا وأُميثال هذا؛ فإنّهم إنّما يريدون أنْ يخبروا أنّ المشبّه حقير كما أنّ المشبّه به حقير. وقال الجلال السيوطيّ في شرح تائيّة الشيخ الناظم قدّس الله سرّه: تصغير الألفاظ دأب أهل الحبّ والعشق عند ذكر محبوبهم، وهذا يسمّى عند أهل الأدب: تصغير التحبيب، ويسمّى عند أهل النحو: تصغير التقريب، قال ابن بابشاذ في شرح الجمل: وأمّا قولهم: أُخَيّ وبُنَيّ فهو من باب تقريب المنزلة، وأنشد الحرير في شرح الملحة قول الشاعر:

بذيّاك الوادي أهيم ولم أقل بذيّالكَ الوادي وذياك من زهد
ولكن إذا ما حبّ شيء تولّعت به أحرف التصغير من شدّة الجد

قال جامع هذا الديوان الشيخ الإمام الكامل في المقام، علي سبط الناظم[1]، الشيخ عمر بن الفارض قدّس الله سرّهما: ورأيت في القصيدة الخمريّة التي تقدّم ذكرها، وهي الميميّة التي شرحناها ومطلعها: (**شربنا على ذكر الحبيب مدامة**) إلى آخرها، بعد قول الشيخ فيها، قدّس الله سرّه: (**صفاء ولا ماء**) إلى آخره (**أبياتاً**): جمع بيت، وأصله من الشعر أو المدوّر، وبيت الشعر المنظوم، قال أبو العلاء المعرّيّ:

والحسن يظهر في شيئين رونقه ... بيت من الشعر أو بيت من الشعر

(**ولم أجد فيها**): أي في الأبيات (**رائحة نفسه**): أي الناظم، والنَّفَس بفتح الفاء، أي: كلامه المعروف. وإذا لم يجد هو رائحة ذلك، فلا يلزم منه عدم وجدان غيره لما هنالك، وقد شرحنا نحن هذه الأبيات في جملة القصيدة الخمريّة الميميّة، وشرحناها قبل ذلك أيضاً بطلب بعض الإخوان شرحاً مستقلًّا في جزء لطيف سمّيناه «لمعة النور المضيئة المشبعة من الخمريّة الفارضيّة». (**ويلزم من إضافتها**): أي الأبيات المذكورة (**إليها**)/ [٤٧٢/ ب] أي: القصيدة المذكورة. (**تكرار**) بعض (**قوافيها**)، وليس في قوافيها مكرر إلّا لفظُ رُسم بالتنكير. وقبله في القصيدة لفظ الرسم بالتعريف. وهما مختلفان. وفي القصيدة من أصلها نظير ذلك إذا مزجت نجم، وفي يده النجم، وفي الأبيات كرم. وفي مطلع القصيدة: الكرم. وهما كذلك مختلفان بالتنكير والتعريف، وليس ذلك من (**عادة الشيخ**): صاحب الديوان قدّس الله سرّه في قصائده المختصرة. يعني: إنّه يكرر لفظ العافية، وقد علمت ما

---

(١) مقدّمة للشيخ عليّ سبط الشيخ عمر بن الفارض قبل أن يشرع فيها بشرح قصيدة (أبرق بدا) للشيخ عمر ابن الفارض وقد بحث عنها سبطه أربعين سنة حتّى وجدها. وكان خاله ـ الشيخ كمال الدين محمّد بن عمر بن الفارض ـ قد بحث عنها قبله ستين سنة. فثبّتها الشيخ عليّ في هذا الموضع، وكذلك الشيخ النابلسيّ في شرحه ثبّتها هنا. و قد ألّف تذييلاً على أوّل بيت من القصيدة المذكورة، وهو البيت الوحيد الذي لم يفقد منها، ثبته قبل هذا الموضع، وقد أشرنا إلى هذا في الصفحة ١٧٩٢.

فيه (ورأيت حاشية مكتوبة): في هامش النسخة من الديوان المذكورة، أي: التي وجد فيها الأبيات الزائدة. (بالأحمر): أي بالحبر الأحمر لتتميّز الحاشية من الديوان الأصلي (ما صورته): أي صورة ذلك المكتوب بالأحمر (هذه الأبيات): أي المنسوبة إلى الشيخ عمر قدّس الله سرّه (التي أوائلها) مكتوب بالأحمر (أصلها): من نسخة من الديوان وجدت (في بلاد الروم): مكتوب فيها ذلك من جملة القصيدة المذكورة. (والله تعالى أعلم) بحقيقة الحال. والأصل أنّها من كلام الناظم قدّس الله سرّه، حيث وجدت في جملة قصيدته، ولو في نسخة واحدة. وكونها ليست من كلامه أمر مظنون، والتمسّك بالأصل هو القول الفصل لاحتمال أنّه نظمها وألحقها بعد ذلك، والله الأعلم بها هنالك.

قال سبط الشيخ الناظم قدّس الله سرّهما (وكتبت كلّ كلمة) وقعت. (في أوّل كل بيت منها): أي من الأبيات الزائدة. (بالأحمر): أي بالحبر الأحمر، حيث ألحقها بالقصيدة المذكورة، كما مرّ ذكرها في محلّها (لتتميّز): الأبيات الزائدة من الأصليّة. (بذلك): أي بكتابة أوائلها بالحبر الأحمر، (وهي): أي الأبيات الزائدة المذكورة (خمسة أبيات). والمشهور أنّها سبعة في ضمن القصيدة هنا كما تقدّم وشرحناها كذلك استقلالاً كما أشرنا إليه (لا غير): أي لا زائد على الخمسة؛ فكأنّه اعترف بالبيتين أنّهما من كلام الناظم قدّس الله سرّهما. ورجح عنده ذلك فلا أحد ينافيه. وصاحب البيت أدرى بالذي فيه، و(هي) أي: الأبيات الخمسة الزائدة المشتملة على عظيم الفائدة (هذه الأبيات):

١- تَقَدَّمَ كُلَّ الكَائِنَاتِ حَدِيثُهَا قَدِيماً وَلَا شَكْلٌ هُنَاكَ وَلَا رَسْمُ

٢- وَقَامَتْ بِهَا الأَشْيَاءُ ثُمَّ لِحِكْمَةٍ بِهَا احْتَجَبَتْ عَنْ كُلِّ مَنْ لَا لَهُ فَهْمُ

٣- وَهَامَتْ بِهَا رُوحِي بِحَيْثُ تَمَازَجَا اتِّـ ـتِحَاداً وَلَا جِرْمٌ تَخَلَّلَهُ جِرْمُ

٤- فَخَمْرٌ وَلَا كَرْمٌ وَآدَمُ لِي أَبٌ وَكَرْمٌ وَلَا خَمْرٌ ولي أُمُّهَا أُمُّ

٥- وَقدْ وَقَعَ التَفْرِيْقُ وَالْكُلُّ وَاحِدٌ   فَأَرْوَاحُنَـا خَمْـرٌ وَأَشْـبَاحُنَا كَـرْمُ

وقد تقدّم شرح هذه الأبيات في محلّها أوّلاً وثانياً بالضمن وبالاستقلال، فلا لكون للعنان نحوه أيضاً ثانياً.

(قال الفقير): أي المفتقر إلى ربّه تعالى الشيخ الإمام العارف الكامل، والعالم العامل (عليّ): سبط الناظم قدّس الله سرّهما، وجعل أعلى عليّين مقرّهما، ترجمة للقصيدة العينيّة التي هي من كلام الناظم قدّس الله سرّه على التحقيق. وقد تقدّم منها بيت المطلع، وقد ذيل عليه سبطه المذكور، وكان له بالله التوفيق. ونَفَسَهُما متقارب لاشتراكهما في البيت الفارضي مقضي المآرب. (اللهم): أي يا الله (إنكَّ قدر رددت ضالّتنا إلينا): وهي القصيدة بتمامها، لم توجد عند جمع هذا الديوان ثمّ وجدت بعد ذلك بمدّة من الزمان. (وجعلت رجوعها): أي عودها إلى ما كانت عليه في زمان الناظم قدّس الله سرّه بأن تألف بها مطلعها وانضمّ إليها. (منه): أي فضلاً وجوداً. (منك علينا): إذا رجعت بضاعتنا إلينا (اللهم): أي يا الله (فلا): الفاء تفريعيّة. ولا دعائيّة (تزغ قلوبنا): من الزيغ، وهو الشك والميل عن الحقّ (عن محبّتك): إلي محبّة/ [٤٧٣/ أ] غيرك من الأكوان (وعرّفنا بنفوسنا): التي جعلها (سبب معرفتك) في قوله عليه السلام: «من عرف نفسه فقد عرف ربّه»[١] وذلك لأنّ النفس مظهر قيّوميّة الحقّ تعالى عليه وعلى جملة العوالم؛ فمن عرف نفسه ذوقاً وحسّاً من نفسه فقد عرف الحيّ القيوم عليه وعلى كلّ شيء، وهو الحقّ تعالى (واهدنا): أي أوصلنا (إلى سبيلك): أي طريقك المستقيم، وإلى (اتّباع رسولك): محمّد صلّى الله عليه وسلّم بالمواظبة على سُنَّتِهِ والمحافظة على القيام بشريعته. (فأنت الحبيب) لنا (المجيب) لدعائنا، كما قال سبحانه: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ [٢/ البقرة/ ٦٠] (والقريب الذي هو أحبّ إلينا): أي أكثر حبّاً من (كلّ

---

(١) ذكر الإمام النووي أنه ليس بثابت وذكر غيره أنه موضوع.

قريب إذْ) قربه ليس بنسب ولا سبب (قدْ تقدّم الكلام في العنوان): أي عنوان هذا الكتاب، وهو مقدّمته السابقة، قال في القاموس: «عُنْوَانُ الكتاب وعُنْيَانُه، ويُكْسَران، سُمِّيَ لأنّه يَعِنُّ له من ناحِيَتِه، وأصله عُنَّان، كَرُمَّان، وكُلَّما اسْتَدْلَلْتَ بشيء تُظْهِرَهُ على غيره فعُنوانٌ له. وعَنَّ الكتابَ وعَنَّنَهُ وعَنْوَنَهُ: كتب عُنْوانَه». (في أمر القصيدة): من كلام الناظم قدّس سرّه، وهي القصيدة العينيّة التي ما وجد منها غير مطلعها (المفقودة من هذا من الديوان): في أوّل جمعه. وإنّ ولد الشيخ عمر بن الفارض قدّس الله سرّهما الذي سبقت الإشارة إليه أوائل ديباجة هذا الكتاب، واسمه الشيخ كمال الدين محمّد، وهو الذي قرأ الديوان على والده الشيخ عمر بن الفارض قدّس الله سرّهما. وأخبر سبط الشيخ عمر المذكور الشيخ عليّ أنّه صحّح الديوان، قرأه على ولد الشيخ المذكور، ولم يفته سوى قصيدة واحدة كان نظمها في حال التجريد بالحجاز، والديوان أُمْلِيَ بالقاهرة عند مقامه بها بعد التجريد. وكان أهل مكّة يُعَلِّمُونَهَا أولاَدهم في المكاتب، وينشدونها في الأسحار على المآذن ولم ترد في نسخة من ديوانه لأنّه نظمها بأودية مكّة وجبالها، ولم يذكر منها غير هذا البيت:

أَبَـرْقٌ بَـدَا مِـنْ جَانِـبِ الغَـوْرِ لَامِـعُ   أَمِ ارْتَفَعَـتْ عَـنْ وَجْـهِ لَـيْلَى البَرَاقِـعُ

وقد ذيّل عليّ هذا البيت سبط الشيخ المذكور، وقدمنا تذييله بقصيدته العينيّة، وشرحناها فيما تقدّم قريباً. (وإنّ ولد الشيخ): وهو الشيخ كمال الدين محمّد المذكور. (تطلَّبها): بتشديد اللام، أي: تكلف طلبها من كلّ ظنّه قادراً على تحصيلها (مدّة ستّين سنة): بعد وفاة أبيه الشيخ عمر بن الفارض قدّس الله سرّهما. (وتطلَّبها): بتشديد اللام أيضاً، أي: تطلّبها سبطه الشيخ علي المذكور قدّس الله سرّه (بعد وفاته): أي وفاة ولده كمال الدين محمّد قدّس الله سرّه (كما عهد إليّ): بتشديد الياء التحتيّة، أي: أوصاني بذلك قبيل وفاته مدّة (أربعين سنة): وكان هذا دأبي (ولم أرها): أي لم أجدها عند أحد من الناس (في يقظة ولا

سِنَة): بكسر السين المهملة، أي: نوم، مبالغة في فقدها (**فلها**): أي للقصيدة المذكورة. (**غائبة عن أهلها**): من بقيّة قصائد الشيخ الناظم قدّس الله سرّه (**وعن وطنها**): أي محلّها من هذا الديوان. (**مائة عام**): أي سنة، ستّون سنة في حياة ولد الشيخ الناظم قدّس الله سرّهما، وأربعون سنة بعد وفاته في حياة سبطه الشيخ عليّ المذكور قدّس الله سرّه. (**والآن قدّ ردّها**): أي أرجعها. (**الله تعالى علينا**) ردّاً جميلاً (**على يد رجل صالح**) جزاه الله تعالى على ذلك جزاء جزيلاً (**في يوم مبارك من هذه الأيام وهو يوم الخميس خامس عشر شهر رجب الفرد**): أي المنفرد عن بقية الأشهر الحرم الثلاثة: ذي القعدة، وذي الحجة، والمحرّم؛ فإنّها ثلاثة سرد، ورابعها رجب الفرد. وذلك من شهور (**سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة**) من الهجرة النبويّة (**وسبب ذلك**): أي ردّ القصيدة علينا، ورجوعها إلينا. (**إنّ السيّد**): بكسر الياء التحتيّة مشدّدة: اسم فاعل/ [٤٧٣/ ب] من سَاد يَسُود إذا ارتفع على قومه (**الجليل**): من الجلال وهو العظمة والهيبة. و(**المولى**): أي الناصر، والمولى: المعتق، وهو مولى النعمة، كذا في المصباح. (**الأصيل**): صاحب الأصل، وهو النسب الكريم (**الذي هو لأولياء الله تعالى**): جمع ولي، وهو العارف بربّه من طريق الحسّ، المتأدّب بالآداب الشرعيّة، علماً أو توفيقاً. (**نِعْمَ**): فعل مدح (**الخليل**) فاعله؛ وهو بمعنى الصديق، كما في المصباح. (**الأمير**): من الإمارة، والإمرة الولاية، بكسر الهمزة، يقال: أَمَر على القوم يَأْمُر من باب قتل، فهو أَمِير، والجمع: أُمَراء، كما في المصباح. (**الكبير**): أي العظيم القدر (**نجم الدين**): لقبه (**قاسم**) اسمه (**ابن أميرداد**): لقب فارسيّ لوالده. (**جعله الله سبحانه من أفضل العباد**): أي الخلق، جملة دعائيّة له. (**وأشرف**): معطوف على أفضل (**العباد**): بتشديد الباء الموحّدة، جمع عابد (**وبلّغه**): بتشديد اللام، أي: أناله، وأوصله الله تعالى. (**في سلوك سبيل**): أي طريق (**المحبّة**): الإلهيّة، وهي محبّة أولياء الله تعالى؛ لأنّهم مظاهر تجلّياته، وملابس حضرات أسمائه وصفاته (**غاية المرام**): أي المقصود له

(والمراد): وهذا دعاء له أيضاً. (أشار لي): أي أعلمني (أنّ الشيخ الإمام): أي المقتدي به. (العالم): بالعلم النافع (العامل): بعلمه (العارف): بالله تعالى. (المحقّق): في العلم والمعرفة. (تاج الدين): لقبه. (حسين): اسمه. (ابن أحمد) اسم أبيه. (التبريزيّ): نسبة إلى تَبريز، بفتح التاء المثنّاة الفوقيّة، وقد تكسر: قاعدة أذربيجان، كما في القاموس. (شرح): أي وسّع. (الله تعالى صدره للإسلام): أي دين الإسلام، قال في المصباح: «شرح الله صدره للإسلام شرحاً، أي: وسّعه لقبول الحقّ»، وهذا من قوله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [٣٩/ الزمر/ ٢٣] (وبلّغه): بتشديد اللام. (إلى أقصى): أي أبعد ما عنده من (المرام) أي: المقصود. (والجماعة الذين معه): أي يحضرون مجلسه ويصاحبونه. (من السادة): جمع سيّد، قال في المصباح: «سَادَ يَسُودُ سِيَادةً، والاسم: السُّؤْدَدُ، وهو المَجْد والشَّرَف، فهو سَيِّد، والأنثى: سَيِّدَة بالهاء، ثمّ أُطلق ذلك على الموالي لشرفهم على الخَدَم ولو لم يكن لهم في قومهم شرف، فقيل: سَيِّدُ العبد وسَيِّدتُه، والجمع: سادَة وسَادَات. وسيّد القوم: رئيسهم وأكرمهم». (المشايخ): جمع شيخ. (العلماء): جمع عالم. (العارفين): بالله تعالى؛ فالمراد بالعالم هنا: من كان علمه باستعمال عقله، وبالعارف: من كانت معرفته باستعمال ذوقه ووجدانه وكشفه. وأصل معناها واحد، وبعضهم خصّ العلم بالكلّيّات والمعرفة بالجزئيّات ومرجعه إلى الأوّل. (المحبّين) لأولياء الله تعالى. (جعلهم الله) تعالى. (ممن يحبّهم ويحبّونه): وهذه جملة دعائية، كما قال سبحانه: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [٥/ المائدة/ ٥٤]. (ونوَّر): بتشديد الواو. (سرائرهم): جمع سريرة، وهي ضمير الإنسان وباطنه. (بأسراره تعالى): جمع سِرّ، وهو الأمر الخفي عن مدارك العقول. (المصونة): نعت للأسرار من الصيانة، وهي الحفظ، أي: المحفوظة عن أنْ يطّلع عليها غير أهلها. (قد اتّصلت أنسابهم): أي الجماعة المذكورين. (في المحبّة): الإلهيّة. (بشيخنا): أي

الشيخ شرف الدين عمر بن الفارض، صاحب هذا الديوان قدّس الله سرّه؛ فإنّ المحبّة نسب متّصل، وتعلّق لا ينفصل. **(وصار دافئ هذه النسبة الشريفة)**: التي هي نسبة المحبّة التي لا يداخلها إنْ شاء الله تعالى عقوقه للقيام فيها من الطرفين بأداء الحقوق. **(من أهل بيتنا)**: كما قال صلّى الله عليه وسلّم: «سلمان منّا أهل البيت»[1] مع أنّه فارسي والنبيّ صلّى الله عليه وسلّم عربي، وما جعله منهم إلّا نسب المحبّة. **(وأنّهم)**: أي الجماعة المذكورين **(رغبوا في سماع ديوان الشيخ)**: عمر ابن الفارض هذا، قدّس الله سرّه. **(منّي)**/ [٤٧٤/ أ] في ذلك الحين. **(وأنْ يرويه)** عنّي لمن أرادوا بسنده المتّصل لي إلي ناظمه قدّس الله سرّه. **(كما رويته أنا عن)** ولد الناظم **(شيخ كمال الدين)**: محمّد قدّس الله سرّه. **(كما رواه)** هو لي. **(عن والده)**: الناظم. **(شيخ شرف الدين)** لقبه. **(عمر)**: اسمه. **(ابن الفارض قدّس الله أسراره وضاعف أنواره، الذي)**: وصف للديوان. **(تلقّاه)**: الناظم قدّس الله سرّه وهو **(في الحضرة)** الإلهيّة **(المحبوبيّة)**: بظهوره فيها محبوباً لها ظهور قوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ﴾ وهو باطنه، فلولا ﴿يُحِبُّهُمْ﴾ ما كان ﴿وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [٥/ المائدة/ ٥٤]، وهذا الديوان الشريف فيه الكلام أوّلاً من مقام المحبوبية، وهي الوراثة المحمّديّة، والحضرة الفرديّة العلية. **(ونظمه)** نظم الجواهر واللآلئ. **(عقداً)**: من الدرر. **(يُتشرَّف)**: بالبناء للمفعول، أي: يتشرّف المتقلّد به من السالكين، أو الناظم نفسه يَتشرَّف به، بالبناء للفاعل. **(في مقام العبوديّة)**: لله تعالى؛ فإنّ مقام العبوديّة من أشرف المقامات كما قال القائل:

لا تدعُني إلّا بيا عبدي ... فإنّه أشرف أسمائي

---

(١) أخرجه ابن أبي شية في مسنده، ج٧،ص٥٣٦. قال السيوطي في جامع الأحاديث، حرف السين، ج١٢ص٣٨٤ : أخرجه ابن سعد ج٤ص٨٢، وابن أبي شيبة،٣٢٣٢٩،ج٤ص٨٢، وابن عساكر ج١٢ص٤٠٤.

(فامتثلت الإشارة): التي أشار بها (إلى النجميّة) المنسوبة إلى الأمير الكريم نجم الدين قاسم بن أميرداد السابق ذكره. (وأجبتهم): أي الجماعة المذكورين. (إلى ذلك): أي سماع الديوان. (بالعمل): أي بالفعل والمبادرة إلى ذلك. (والنيّة): أي القصد الحسن بذلك (وسألت عن رجل): أي تطلّبت إنساناً يكون أكمل منشد. (حسن الصوت): أي النغمة بتلاوة الديوان. (تكون فيه): أي في ذلك الرجل. (أهليّة): أي قابليّة، واستعداد بعلوم العربيّة. (لقراءة): أي تلاوة كلمات هذا. (الديوان): الشريف؛ فلا يلحن فيه. (في حضرتهم): أي الجماعة المذكورين. (لتُطْرَب): بالبناء للمفعول. (بها): أي بقراءة الديوان. (الأسماع): جمع سمع. يعني: أصحاب الأسماع، قال في المصباح: «طَرَقَ الكلامُ السَمْعَ والمِسْمَع، بكسر الميم الأولى، والجمع: أَسْماع ومَسامِع». في مجلس السماع، أي: سماعهم ذلك، يقال: سَمِعتُهُ وسَمِعتُ له، وتَسَمَّعتُ واستمعت، كلّها يتعدّى بنفسه وبالحرف بمعنى، واسْتَمَع: لِما كان يقصد؛ لأنّه لا يكون إلّا بالأصغاء، وسَمِع: يكون بقصد وبدونه. والسَماع: اسم منه، كذا في المصباح. قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه في كتابه «شجون المسجون وفنون المفتون»: إذا كان الذِكر بنغمة لذيذة فله في النفس أثر كما للصورة الحسنة في النظر. ذكر القسطلانيّ في «المواهب اللدنّيّة» قال: «وقد شوهد تأثير السماع حتّى في الحيوانات غير الناطقة من الطيور والبهائم فقد شوهد تدلي الطيور من الأغصان على أولي النغمات الفائقة، والألحان الرائقة. وهذا الجمل مع بلادة طبعه يتأثّر بالحُداء تأثيراً يستخف معه الأحمال الثقيلة، ويستقصر لقوّة نشاطه في سماعه المسافة الطويلة، وينبعث فيه من النشاط ما يسكره ويولهه؛ فتراه إذا طالت عليه البوادي، وأعياه الإعياء تحت الحمل إذا سمع منادي الحُداء يمدّ عنقه، ويصغي إلى الحادي، ويسرع في سيره. وربّما أتلف نفسه في شدّة السير، وثقل الحمل، وهو لا يشعر بذلك لنشاطه. وقد حكى ما ذكره في الإحياء عن أبي بكر الدينوريّ أنّ عبداً أسود قتل جمالاً كثيرة بطيب نغمته إذْ حَداها. وكانت

محمّلة أحمالاً ثقيلة فقطعت مسيرة ثلاثة أيام في ليلة واحدة. وأنّه حَدا على جمل غيرها بحضرته، فهام الجمل وقطع حباله، وحصل له ما غيّبه عن حسّه حتّى خرج لوجهه. فتأثير السماع محسوس؛ ومن لم يحركه فهو فاسد المزاج، بعيد العلاج، زائد في غلظ الطبع، وكثافته على الجمال. وإذا كانت هذه البهائم تتأثّر بالنغمات فتأثير النفوس الإنسانيّة أولى:

نعم لولاك ما ذكر العقيق ... ولا جابت له الفلوات نوق

نعم أسعى إليك على جفوني ... تدانى الحيُّ أو بَعُدَ الطريق/ [٤٧٤/ب]

إذا كانت تحنّ لك المطايا ... فماذا يفعل الصبّ المشوق

فزبدة السماع تلطيف السرّ، ومن ثَمّ وضع العارف الكبير سيِّدي عليّ الوفائي حزْبه المشهور على الألحان والأوزان اللطيفة تنشيطاً لقلوب المريدين، وترويحاً لأسرار السالكين؛ فإنّ النفوس لها حظّ من الألحان؛ فإذا قيلت هذه الواردات السَنيَّة[1] الفائضة من الموارد النبويّة المحمّديّة، بهذه النغمات الفائقة، والأوزان الرائقة، تسرّبتها العروق، وأخذ كلّ عضو نصيبه من ذلك الوارد الوفي المحمّديّ؛ فأثمرت شجرة خطاب الأزل بما سقته من موارد هذه اللطائف عوارف المعارف. (**ويحصل لنا وله**): أي لجملتنا وبذلك الرجل المذكور. (**من بركة هذا النَفَس**): بفتح الفاء، أي: كلام الشيخ الناظم، قدّس الله سرّه. (**الانتفاع**): بمعاني الكلام الإلهيّ المنظوم على لسان الحقيقيّة الفارضيّة المعلوم. (**فدلّني الأمير ناصر الدين**): لقبه (**محمّد**): اسمه (**ابن الأمير عزّ الدين أيبك البغدادي**): نسبة إلى بلدة بغداد، قاعدة بلاد العراق (**أدام الله تعالى شرفه**): الشَّرَف بالتحريك: العلو (**ورحم**): أي الله تعالى. (**سَلَفَهُ**): بالتحريك، سَلَفَ سُلُوفاً، من باب قعد: مضى وانقضى؛

---

(١) سواد بمقدار: ال التعريف وحرف السين في صورة أصل المخطوط، فأتممتها، أسأل الله التوفيق للصواب فإليه الأمر كلّه.

فهو سالف. والجمع: سَلَف وسُلَّاف، مثل: خَدَم وخُدَّام، ثم جُمِع السُلَفُ على أَسَلاف، مثل: سَبَب وأَسباب، كذا في المصباح. وهم آباؤه وأجداده. **(إلى رجل صالح حسن الصوت)**: أي النغمة **(وحسن الصِيت)** بالكسر: هو الذكر الجميل الذي ينتشر في الناس دون القبيح، يقال: ذهب صِيته في الناس، وأصله من الواو؛ وإنّما انقلبت ياء لانكسار ما قبلها، كما قالوا: ريح من الروح، كأنّهم بنوه على فِعْل بكسر الفاء للفرق بين الصوت المسموع، وبين الذكر المعلوم. وربّما قالوا انتشر صوته في الناس بمعنى الصيت[1] كذا في المصباح. قد **(قنع في هذا الطريق)**: وهو طريق الفقر والمحبّة الإلهيّة، طريق الأولياء، **(بالقوّة)**:الربّانيّة التي هو قائم بها كما قال تعالى: ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [٢/ البقرة/ ١٦٥] **(والقوت)**: وهو ما يُؤْكَل لِيُمسك الرمق، قاله ابن فارس والأزهري. والجمع أقوات، كما في المصباح. والمعنى: إنّه معرض عن شهوات نفسه، مشتغل بما يعنيه في يومه وأمسه. **(وهو الشيخ برهان الدين)**: لقبه. **(إبراهيم)**: اسمه. **(وذهب)**: أي الأمير ناصر الدين المذكور. **(سعى وتوجّه حرسه)**: أي حفظه **(الله تعالى إليه)**: أي إلى الشيخ المذكور. **(بنفسه)**: أي لا بخادمه، أو أحد أتباعه وإنْ كان غيره يكفي؛ لكنّه اعتنى بذلك، واهتمّ، وعمل من تواضعه أعمال الخدم. **(وسأله)**: أي طلب منه. **(أنْ يشرّف)**: بتشديد الراء، أي: يجعل مجلسنا شريفاً بحضوره. **(ويشنّف)**: بتشديد النون. **(الأسماع)**: بأنسه. أصل التشنيف تعليق الشَنَف؛ وهو القرط في الأذن، قال في الصحاح: «شَنَّفْتُ المرأةَ تَشْنِيْفاً فَتَشَنَّفَتْ هي، مثل: قَرَّطْتُها فَتقَرَّطَتْ هي». والمعنى تعلّق أشناف الجواهر واللآلىء من تلك الكلمات الإلهيّة على آذان الحاضرين فتطرب نفوسهم بفهم معانيها، وتلتذّ أسماعهم بجواهر ألفاظها ولآليها. **(فحضر)**: أي ذلك الشيخ المذكور. **(إلى مجلّس الأمير المشار إليه أوّلاً)**: وهو الأمير نجم الدين قاسم

---

(١) كرر الناسخ القول من قوله: بين الصوت المسموع إلى قوله بمعنى الصيت.

ابن أميرداد (**وبصحبته**): أي صحبة ذلك الشيخ المذكور. (**رجل صالح يَسِمُهُ**): أي علامة الخير. وهو حُسْن السيرة، وطهارة السريرة. (**ظاهر عليه**): بحيث يراه كلّ واحد كذلك. (**وهو**): أي ذلك الرجل الصالح. (**الشيخ جمال الدين**): لقبه. (**عبد الله**): اسمه. (**ابن الشيخ مجد الدين**): لقب أبيه. و(**إسماعيل**): اسم أبيه. (**الدمشقي**): نسبة إلى دمشق الشام. (**نفعنا الله ببركاته**): أي بنتائج أحواله وأعماله، وفوائد إشاراته وأقواله/ [٤٧٥/ أ] (**ووفر**): يقال وَفَرَ الشيءُ يَفِرُ من باب وعد، وُفُوراً: تَمَّ وكَمَلَ، ووَفَرْتُهُ وَفْراً، من باب وَعَد أيضاً: أتْمَمْتُهُ وأَكْمَلْتُهُ، يتعدّى ولا يتعدّى، والمصدر فارق. ووَفَّرْتُهُ، بالتثقيل مبالغة، كذا في المصباح. (**لنا**): معاشر الجماعة المتحابّين في جلال الله تعالى. (**نصيباً**): وافراً (**من صالح دعواته**): تلحقنا في الدين والدنيا والآخرة (**ولم أرهما**): أي الرجلين الصالحين. (**قبل ذلك**) الحين. (**في مكان**) من الأمكنة (**ولا سمعت من يذكرهما**): أي الرجلين المذكورين. (**في هذا الزمان**): عند أحد من الناس. (**فلما نظر**): أي تأمل الرجل الأوّل، وهو الشيخ برهان الدين إبراهيم المذكور. (**في عنوان**): أي ترجمة (**هذا الديوان وطالعه**): أي العنوان المذكور. (**مطالعة**): بحيث (**شهدت له**) عندنا (**بالعرفان**): أي التحقيق بالمعاني الإلهيّة والمدارك الإحسانيّة الربّانيّة. (**وقرأ**): أي تلا بأفصح لسان، وأبلغ بيان. (**ما ذكرته**): أي الذي أوردته في تلك الترجمة. (**من أمر القصيدة**): العينية. (**المفقودة**): التي هي من كلام الناظم قدّس الله سرّه، الغائبة عنّا مائة سنة، كما ذكر (**فقال**): أي ذلك الرجل الذي اسمه برهان الدين إبراهيم. (**هذه**): القصيدة المذكورة. (**عندي في كتاب**): من كتبي. (**موجودة**): منذ زمان. (**وما كنت أعرف من نظمها**): من الناس (**ولا**) أعرف (**من على حُلّة**): بضمّ الحاء المهملة، قال في المصباح: «الحُلَّة بالضمّ، لا تكون إلّا ثوبين من جنس واحد، والجمع: حُلَل، مثل: غُرْفَة وغُرَف». (**المحبّة**): الإلهيّة (**رَقَم**): رَقَمْتُ الثوبَ رَقْماً، من باب قتل: وَشَيْته، فهو مرقوم، وقال ابن فارس: الرَقْمُ: كلّ ثوب

رُقِم، أي: وُشِيَ بِرَقْم معلوم، كذا في المصباح. (**عَلَمَهَا**): بالتحريك، أي: عَلَم تلك القصيدة، وجمع العَلَم: أعلام، مثل سبب وأسباب، والعَلَم: الراية. (**فأرسلت معه**): أي مع الشيخ برهان الدين إبراهيم المذكور (**ولدي إبراهيم فنقلها**): أي القصيدة المذكورة بخطّه. (**وإلى عندي حملها**): مكتوبة في القرطاس. (**فوجدت بذلك**): أي بوجدان هذه القصيدة. (**فرحاً وحبوراً**): والحبور هو السرور؛ فهو تأكيد بإعادة الرديف.(**وانقلبت بها**): أي بسبب القصيدة المذكورة. (**إلى أهلي**): أي جماعتي وأحبابي. (**مسروراً**): حال من تاء المتكلّم، أي: ذا سرور وفرح. (**ورأيتها**): أي القصيدة المذكورة. (**كلمة**): أي جملة منظومة الكلمات. (**فارضيّة**): أي منسوبة إلى الشيخ عمر بن الفارض، ناظم هذا الديوان قدّس الله سرّه؛ لأنّها من نَفسِه الطاهر بمقتضى الوجه الظاهر. (**ورجعتْ**): أي تلك القصيدة. (**إلى أهلها**): أي: بقيّة قصائد الديوان. (**راضيّة**): عنها من أهلها. (**مرضيّة**): عنها من أهلها. (**وعلمت أنّه عهد**): أي وصيّة. (**ولد الشيخ**): عمر بن الفارض؛ وهو الشيخ كمال الدين محمّد قدّس الله سرّهما. (**إليّ**): بتشديد الياء التحتيّة (**بطلبها**): أي القصيدة المذكورة. (**بعد وفاته**): أي موته رحمه الله تعالى. (**كان**): أي عهده ووصيّته إليّ بأنْ أدوم على تطلب القصيدة مدّة حياتي بعده. (**منة**): أي من ولد الشيخ المذكور. (**مكاشفة**): أي كشفاً منه أنّي أظفر بها، وأضعها في ديوان والده على طبق ما وقع لي. (**وبشارة**): منه لي. (**برجوعها**): أي القصيدة (**إليّ**): بتشديد الياء التحتيّة. (**من**): بركة. (**سلفي**): أي آبائي وأجدادي (**الصالح**): وصف للسلف، على اعتبار لفظه، وإلّا فإنّه جميع سالف، بمعنى الماضي والذاهب، كخدم: جمع خادم، كما قدّمناه؛ فمقتضى وصفه أنْ يقال الصالحين. ولعلّ إفراد وصفه باعتبار أنّ السلف جُمِع على أسلاف، كما مرّ فاعتُبر مفرداً. (**سالفة**): أي سابقة إلى ماضيه، متقدّمة لدى وصف لبشارة. (**فالحمد**): أي الشكر (**لله الذي جمع شملها**): أي القصيدة. (**بأخواتها**): من قصائد الديوان.

(في مدّة حياتي وجلا): أي كشف وأظهر سبحانه. (على قلبي صور معانيها) الإلهيّة. (قبل وفاتي): أي موتي. (واسأل الله تعالى): أي أطلب منه. (أنْ يمدّنا): أي ينزّل علينا المدد والفيض الذي لا يحصى له عدد. (بأسرار): جمع سرّ؛ وهو ما يُكتَم/ [٤٧٥/ ب] من معاني التجلّيات الإلهيّة، والحضرات الربّانيّة. (شيخنا): الشيخ عمر بن الفارض، ناظم هذا الديوان قدّس الله سرّه. (وأنفاسه) معطوف على أسرار، جمع نَفَس، بالتحريك. (وأنْ يسقينا تعالى من حُميّا): أي خمرة (الحبّ): أي المحبّة الإلهيّة. (بكأسه): أي إنائه الذي شرب به ذلك، وهو استعداده المعلوم عنده تعالى في علمه القديم، أي: بأن يجعل استعدادنا بمنزلة استعداده، ويلحقنا به في مقام رشاده، وهي هذه القصيدة[1]:

١ - أَبَـرْقٌ بَـدَا مِـنْ جَانِـبِ الغَـوْرِ لَامِـعُ   أَمِ ارْتَفَعَـتْ عَـنْ وَجْـهِ سَـلْمَى البَرَاقِـعُ

البيت الذي كان محفوظاً أوّلاً من هذه القصيدة فيه عن وجه ليلى لا وجه سلمى، وتقدّم الذيل عليه من الشيخ عليّ، جامع هذا الديوان، سبط الناظم قدّس الله سرّهما بلفظ ليلى، وبعده (نعم أسفرت ليلى). وفي قصيدة الناظم هذه في البيت الثاني. (أنار الغضا ضاءت وسلمى بذي الغضا) فتوافق صاحب التذييل مع الناظم قدّس الله سرّهما بذكر المحبوبة في البيت الأوّل والثاني بلفظ واحد، غير أنّ المذيّل قال ليلى، والناظم قال سلمى. وهما كنايتان عن حضرة واحدة إلهيّة. وقوله (أبرق): الهمزة للاستفهام، والبرق كناية عن تجلّي الوجود الحقّ بأمره الذي هو كلمح بالبصر. وقوله (بدا): أي ظهر. وقوله (من جانب الغَور) قال في القاموس: «الغَور ما بين ذاتِ عِرْق إلى البحر، وكلّ ما انْحَدَر معها عن تهامة، وموضع منخفض بين القدس وحوران، مسيرة ثلاثة أيام في عَرْض فَرْسَخَينِ». يُكَنِّي بالغَور هنا عن باطن الإنسان المشتمل على قلبه المنفوخ فيه الروح من أمر الله

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: «بلغ».

الذي كلمح بالبصر. وقوله: (لامِع): اسم فاعل من لَمَع البرقُ كمنع، لَمعاً ولَمَعاناً، محرّكة: أضاء، كذا في القاموس. وهذا تشبيه لظهور أمر الله تعالى في مجموع خلقه، قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [٧/ الأعراف/ ٥٤] وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ﴾ [٦٥/ الطلاق/ ١٢] الآية. وقوله (أم ارتفعت عن وجه سلمى) كناية عن توجّه أمر المحبوبة الحقيقيّة، والحضرة الإلهيّة على إشراق كلّ شيء بنور الوجود الحقّ تعالى وتقدّس، قال تعالى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [٢٨/ القصص/ ٨٨] وقال تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [٢/ البقرة/ ١١٥] وقال صلّى الله عليه وسلّم: «أعوذ بنور وجهك الكريم الذي أضاءت له السموات والأرض وأشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة»[1]. وكنّى بسلمى لسلامتها عن مشابهة كلّ شيء. وقوله (البراقع): جمع بُرقُع، بضمّ الباء الموحّدة، وضم القاف، وقد تفتح القاف كالبُرقَع، ويكون للنساء والدواب. وبَرْقَعَه: ألبسه فتَبَرْقَع، كذا في القاموس. يُكَنِّي بالبراقع عن الأشياء الهالكة في تجلّيات الوجه الإلهيّ.

٢- أَنَارُ الغَضَى ضَاءَتْ وَسَلْمَى بِذِي الغَضَى   أَمْ ابْتَسَمَتْ عَمَّا حَكَتْهُ المَدَامِعُ

(أنار): الهمزة للاستفهام. و(نار الغضى): لها إضاءة ما زائدة، قال في الصحاح: «الغَضَى: شجر، ومنه قوله ذِئْبُ غَضَى، وأرضُ غَضَى: كثيرة الغَضَى، وبعيرٌ غَاضٍ: إذا كان يأكل الغضى، ونار غَاضِيَة، أي: مضيئة». وقوله (ضَاءَتْ): أي أشرقت، تقول: ضَاءَتْ النار ضَوْءاً وضُوْءاً، وأَضَاءَتْ مثله، وأَضَاءَتْه، يتعدّى ولا يتعدّى، قال الجعديّ الشاعر:

أضاءت لنا النار وجهاً أغـ   ـر ملتبساً بالفؤاد التباسا

---

(١) ذكره السيوطيّ في جامع الأحاديث، باب: مسند عبد الله بن جعفر، ٣٨٤٠٩. كما أخرجه الديلميّ في الفردوس، والهندي في كنز العمال، ٥١١٨.

كما في الصحاح. وقوله (وسلمى): أي المحبوبة المذكورة. وقوله (بذي الغضى): وهي أرض نبت فيها الغضى: الشجر المذكور، كناية عن عالم الإمكان، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا﴾ [٧١/ نوح/ ١٧] أي فنبتّم نباتاً. وقوله (أم ابتسمت): أي سلمى المذكورة، يقال: بَسَمَ يَبْسِمُ بَسْماً وابْتَسَم وتَبَسَّمَ، وهو أقلّ الضحِكَ وأَحْسَنَه، كذا في القاموس. وقوله (عمّا): أي عن شفاه حمر تنكشف أطرافها/ [٤٧٦/ أ] عند الابتسام. وقوله (حكته المدامع): جمع مدمع، قال في الصحاح: «المَدامِعُ المآقي، وهي أطراف العين». فإنّها تكون حمراء من كثرة البكاء والنحيب، مخافة فوات الحظّ من الحبيب. كنّى بالابتسام عمّا ذكر عن ظهور حضرتي الأسماء والصفات إذا تجلّت بهما الذات، وانكشف أمرها لإظهار الكلمات؛ فإنّ لون الحمرة كناية عن قهر القدرة كما قلنا في مطلع قصيدة لنا:

تـــذكّرني خديـــه والحـــسن أحمـــر لظى مهجتي والشيء بالشيء يذكر

فإنّ قولي «والحسن أحمر» مَثَلٌ من الأمثال، معناه من طلب الأمور العظام أحتمل المشقّات الجسام، قال في القاموس: «وقوله الحسن أحمر: أي يلقى العاشق منه ما يلقى من الحرب والموت الأحمر، أي: الشديد».

٣- أَنَـشْرُ خُزَامَـى فَـاحَ أَمْ عَـرْفُ حـاجِرٍ بِـأُمِّ القُـرَى أَمْ عِطْـرُ عَـزَّةَ ضَـائِعُ

(أنشر): الهمزة للاستفهام. والنشر: الرائحة الطيّبة، أو أَعَم، أو ريحُ فَم المرأةِ وأَعْطَافِها بعد النوم، كما في القاموس. وقوله (خزامى): هو كحبارى، نَبْتٌ أو خِيْرِيُّ البَرِّ، [زَهْرُه] أطيب الأزهار [نفحة]، والتبخير به يُذهِب كلَّ رائحةٍ مُنْتِنَة، كذا في القاموس. وقوله (فاح): أي انتشرت رائحته. يكنّي بنشر الخزامى الفائح عن تجلّي الوجود الحقّ على صفحات الكائنات الحسيّة والمعنويّة. وقوله (أم عَرْفُ): بفتح العين المهملة، قال في القاموس: «العَرْفُ الريح، طَيِّبَة أو مُنْتِة، وأكثر استعماله في الطيّبة». وقوله (حاجر): الحاجر الأرض المرتفعة ووسطها منخفض،

وما يُمسِك الماءَ من شفة الوادي، ومنزل للحاج بالباديّة، كذا في القاموس. وهو مشتق من الحَجْر، بمعنى المنع. كناية عن حضرة الغيب المطلق، وعرفه رائحته، وهي الأكوان الظاهرة عن حضرات أسمائه الحسنى. وقوله (بأمّ القرى): وهي مكّة شرّفها الله تعالى؛ لأنّها توسّطت الأرض فيما زعموا، أو لأنّها قبلة الناس، يؤمّونها. أو لأنّها أعظم القرى شأنا، كذا في القاموس. والباء بمعنى في، يعني: في أمّ القرى. أو للسببيّة، أي: بسبب التوجّه إلى أم القرى. كناية عن قلب العارف الكامل المستغرق في شهود ربّه تعالى؛ فإنّ روحانيّة ذلك القلب بيت الربّ، كما ورد: «ما وسعني سماواتي ولا أرضي، ووسعني قلب عبدي المؤمن»[1] وقوله (أم عِطْر): بالكسر، وهو الطيّب. وقوله (عَزَّة): بالعين المهملة والزاي، قال في القاموس: «العَزَّة بنت الظَّبْيَة، وبها سُمِّيَتْ عَزَّة». كناية عن المحبوبة الحقيقيّة لعزّتها عن مدارك العقول. وقوله (ضائع): بالضاد المعجمة، يقال: ضَاعَ المِسْكُ وتَضَوَّع وتَضَيَّعَ أي: تحرّك فانتشرت رائحته قال النميري:

تَـضَوَّع مِـسْكاً بَطْـنُ نَعـمانَ إنْ مَـشَت ... بِــه زَينــبُ في نــسوةٍ عَطِــراتِ

ويروى خفرات، وهذا كناية عن ظهور الحقّ المبين لبصائر العارفين المحقّقين من أهل العلوم الإلهيّة واليقين.

٣- أَلَا لَيْـتَ شِـعْرِي هَـلْ سُـلَيْمَى مُقِيْمَـةٌ ... بِوَادِي الحِمَى حَيْـثُ المُتَيَّمُ وَالِـعُ

(ألا): حرف استفتاح، وتأتي للتنبيه، وتفيد التحقيق لتركيبها من الهمزة ولا، وهمزة الاستفهام إذا دخلت على النفي أفادت التحقيق، كذا في القاموس. وقوله (ليت شِعْري): يقال لَيْتَ شِعْرِي فلاناً، ولفلانٍ وعن فلانٍ ما صنع: أي لَيْتَنِي

(١) ذكره في جامع الأحاديث القدسيّة، ١١٢٨. و قال السخاوي في المقاصد الحسنة: «ذكره الغزاليّ في الإحياء بلفظ: قال الله لم يسعني، وذكره بلفظ: ووسعني قلب عبدي المؤمن الليّن الوادع. وقال مخرجه العراقيّ: لمْ أرَ له أصلاً. وقال ابن تيميّة: هو مذكور في الإسرائيليّات، وليس له إسناد معروف عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم. ومعناه: وسع قلبه الإيمان بي، ومحبّتي، ومعرفتي».

شَعَرتُ، وشَعَر: بمعنى عَلِم، ذكره في القاموس. وقوله (**هل**): حرف استفهام. وقوله (**سُلَيْمَى**): بالتصغير، كناية عن المحبوبة. وقوله (**مقيمة**): أي دائمة التجلّي والظهور بتكرار أفعال المظاهر الروحانيّة. وقوله (**بوادي الحمى**): كناية عن الروح الأعظم الذي هو أوّل مخلوق، وهو العقل الكلّ، وجميع الممكنات تصاوير خياله الخاطرة بباله. وقوله (**حيث**): هي كلمة دالّة على المكان كحين في الزمان ويثلث آخره، كذا في القاموس. وقوله (**المُتَيَّم**): مبتدأ، وهو اسم مفعول من تَيَمَتْهُ المرأةُ أو العِشْق والحُبّ/ [٤٧٦/ أ] تَيْماً وتَيَّمَتْهُ تَتْيِماً عَبَّدَتْه وذَلَّلَتْه، كما في القاموس. وقوله (**والع**): خبر المبتدأ، والجملة مضاف إليها حيث؛ لأنّها لا تضاف إلّا إلى الجمل. والوَالِع: اسم فاعل من وَلِعْتُ به أَوْلَعُ وَلَعاً ووَلُوْعاً للمصدر والاسم جميعاً بالفتح، وأَوْلَعْتُه بالشيء وأُولِعَ به فهو مُولَع به بفتح اللام، أي مُغرىً به، كما في الصحاح. والوَالِع أيضاً: الكذّاب، وجمعه وَلَعَة ووَلْعٌ وَالِعٌ مبالغة، أي كذب عظيم، كذا في القاموس. فمعناه على الأوّل، حيث المُتَيّم مغرى في محبّة تلك المحبوبة المذكورة، وعلى الثاني حيث هو كاذب في دعوى محبّتها؛ لعدم إيفائه حقّ محبّتها من فناء نفسه في هواها، واضمحلاله بالكليّة في تحقّق وجودها بحيث تكون هي الموجودة وحدها، ولا شيء سواها.

٥- **وَهَلْ لَعْلَعَ الرَعْدُ الهَتُونُ بِلَعْلَعٍ ... وَهَلْ جَادَهَا صَوْبٌ مِنَ الْمُزْنِ هَامِعُ**

(**وهل**): حرف استفهام. وقوله (**لَعْلَعَ**): أي صوت، قال في القاموس: «اللَّعَّاعَة مشدّدة: مَنْ يتكلّف بالألحان من غير صواب، ولَعَّ ولَعْلَعَ بمعنى لَعاً، وتَلَعْلَتُ به: قلت له ذلك. وقوله (**الرعد**): وهو صوت السحاب، أو اسم ملك يسوقه كما يسوق الحادي الإبل بحُدائه، كذا في القاموس. وقوله (**الهتون**): المنصبُّ بالأمطار، قال في القاموس: «هَتَنَتِ السماءُ تَهْتِنُ هَتْناً وهُتُوْناً وهَتْناناً وتَهْتَاناً. وتَهاتَنَت: انْصَبَّتْ، وهو فوق الهَطْل، أو الضعيف الدائم من المطر، أو مطر ساعة ثمّ يَفْتُر، ثمّ يعود. وسحاب هاتن وهَتُون». وقوله (**بِلَعْلَعٍ**): وهو اسم

جبل، وموضع، وماء بالباديّة، كذا في القاموس. وذلك كناية عن تتابع التجلّيات الإلهيّة بتوجّه الأمر الربّانيّ، والشأن الروحانيّ، على تقليب الأكوان، وتجديد الأعيان، وسرعة ظهور القول الحقّ بكن فكان. وقوله (وهل جادها): أي لَعْلَع. يعني: أمطرها، قال في القاموس: «الجَوْدُ المَطَر الغَزير، أو ما لا مطر فوقه، جمع جَائِد». وقال في الصحاح: جَادَ المطرُ جَوْداً فهو جَائِد. وقوله (صَوْبٌ): أي مطر، قال في الصحاح: الصَوْب نزول المطر، والصَيِّب: السحاب ذو الصوب، وصاب أي: نزل». وقوله (من المزن): بضمّ الميم، وهو السَّحاب، أو أَبْيَضُه، أو ذو الماءِ، كذا في القاموس. وقوله (هامع): اسم فاعل من هَمَعَتْ عينُهُ، كجعل ونصر هَمْعاً وهُمُوعاً وهَمَعَاناً وتَهْماعاً: أسالت الدمع، وكذا الطَّلُّ على الشجر: إذا سال. وسَحَاب هَمِعٌ ككَتِف هاطل، ودموع هَوامِع [كذا في القاموس]. فالمطر كناية عن نزول الإمداد من سماء القيّوميّة على أراضي التقادير الإمكانيّة في فلوات الحضرة العليّة.

٦- وَهَـلْ أَرِدَنْ مَـاءَ العُـذَيْبِ وَحَـاجِرٍ جِهَـاراً وَسِرُّ اللَيْـلِ بِالـصُبْحِ شَـائِعُ

(وهل أَرِدَنْ): بسكون النون، وهو نون التوكيد الخفيفة، من الورود؛ وهو الإشراف على الماء وغيره، دخله أو لم يدخله، كذا في القاموس. وقال في الصحاح: «وَرَدَ فلان وُرُوداً: حَضَرَ، وأَورَدَهُ غيرُهُ واسْتَوْرَدَهُ، أي: أحضره». وقوله (ماء العُذيب): بالتصغير هو ماء لتميم، ذكره في الصحاح. كنّى بالعذيب عن الروح الأمريّ، وبالماء عن الإمداد الربّانيّ، والفيض الرحمانيّ. وقوله (وحاجر): هو اسم مكان كما تقدّم، كناية عن حضرة الغيب المطلق المحجورة عنه جميع العقول فلا تعرفه بأفكارها، وإنّما غايتها أن تجنح إلى إنكارها، وتعدل إلى الإيمان والتحقيق بالإذعان. وقوله (جهاراً): أي عياناً غير مستتر، قال في القاموس: «الجَهْرَة ما ظَهَرَ». وقوله تعالى: ﴿نَرَى ٱللَّهَ جَهۡـرَةً ﴾ [٢/ البقرة/ ٥٥] أي: عِيَاناً غيرَ مُستتِرٍ. وجَهَرَ كمنع. وجَهَرَ الكلامَ وـ به: أعلن به، كَأَجْهَر [كذا في

القاموس]. وقوله (وسِرُّ الليل): الواو للحال، والجملة: حال من فاعل أَرِدَنْ، والتقدير: وسرّ الليل لي، وهو ما خفي عنّي من ظلمة الأكوان، وتداخل عوالم الإمكان. وقوله (بالصبح): أي بضياء نور الوجود الحقّ من مطلع شمس الأمر الإلهيّ. وقوله (شائع): من شاع يَشِيع: ذَاعَ وفَشا؛ ولهذا قالوا:ليس لله سرّ إلّا وهو عند خلقه. وإنّما يعرفه مَن عرفه ويجهله/ [٤٧٧/ أ] من جهله.

٧- وَهَلْ قَاعَةُ الوَعْسَاءِ مُخْضَرَّةُ الرُّبَا وَهَلْ مَا مَضَى فِيْهَا مِنَ العَيْشِ رَاجِعُ

(وهل قاعة الوعساء): قاعة الدار ساحتها، والوعساء: رابية من رمل، لينة، تنبت أنواع البقول، كذا في القاموس، وقال في الصحاح: «الوَعْسَاء الأرض اللينة ذات الرمل». وبلغني أنّ قاعة الوعساء هنا اسم لمكان معلوم في مكّة. وقوله(مخضرّة الربا): جمع ربوة، مثلثة: ما ارتفع من الأرض. يكنّي بقاعة الوعساء عن الحقيقة المحمّديّة التي هي نور الله أوّل مخلوق، وهو النور الثاني من قوله تعالى: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ [٢٤/ النور/ ٣٥] وكلّ شيء مخلوق من ذلك النور. وربا تلك القاعة: ما ارتفع من أهلها الكاملين في العرفان من حقائق الإنسان. والاخضرار حلل معارفهم في حضرات أسرارهم ولطائفهم. وقوله (وهل ما مضى فيها): أي في قاعة الوعساء. وقوله (من العيش): قال في القاموس: «العَيْش: الحَيَاة، والطعام، وما يُعاش به، والخُبْزُ، والمَعِيشة التي تَعِيْشُ بها من المَطْعَم والمَشْرَب، وما تكون به الحياة، وما يُعاشُ به أو فيه. وقوله (راجع): أي ما يدلي كما كان، وهي أيام تجريده وسياحته في قفار مكّة، وبين شعابها وجبالها.

٨- وَهَلْ بِرُبَا نَجْدٍ فَتُوْضِحَ مُسْنِدٌ أُهَيْلَ النَّقَا عَمَّا حَوَتْهُ الأَضَالِعُ

(وهل بِرُبا): أي في ربا، خبر مقدّم. والرُبا جمع ربوة، وهي: ما ارتفع من الأرض وقوله (نجد): هو ما ارتفع من الأرض، ونجد من بلاد العرب، وهو خلاف الغور، والغور: هو تهامة، وكلّ ما ارتفع من تهامة إلى أرض العراق فهو

نجد، كذا في الصحاح. وقوله (فَتُوضِح): بضمّ التاء المثنّاة الفوقيّة وكسر الضاد المعجمة وفتح الحاء المهملة، معطوف على نجد، وهو ممنوع من الصرف للعلميّة ووزن الفعل، قال في القاموس: «تُوضِح بالضمّ وكسر الضاد: موضع بين إمَّرَة إلى أسوَدِ العين». وإِمَّرَة بكسر الهمزة وتشديد الميم مفتوحة وبالراء المهملة والهاء: بلد، وجبل، ووادي. وأسوَد العين: موضع، أو جبل. وفي شعر امرئ القيس:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل   بسقط اللِّوَى بين الدَخول فحول

فتوضح فالمقراة لم يعفُ رسمها   لما نسجته من جنوب وشمأل

وقوله (مُسْنِد): بصيغة اسم الفاعل، مبتدأ مؤخّر. أي: يُسنِد، أي: يروي وينقل، قال في المصباح: «أَسْنَدْتُ الحديثَ إلى قائله: رفعتُه إليه بذكر ناقله». وقوله (أُهَيل): أي يا أهيل، وهو تصغير أهل. منادى حُذف منه حرف النداء تخفيفاً، كقوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾ [١٢/يوسف/٢٩] أي: يا يوسف. وأُهَيْلَ مبني على الفتح لإضافته إلى قوله (النَّقَا) بالفتح: موضع بين أُحُد والمدينة، كذا في القاموس[1]. خطاب للأولياء الورثة المحمّديين الكاملين، والكناية برُبا نجد عن حضرة الأسماء الذاتيّة. وتوضح كناية عن الأسماء الفعليّة. وهذا شكوى الشوق إلى اللقاء في مقام المحبّة الإلهيّة. وقوله (عمّا): متعلّق بمسند. و(ما): كناية عن الحبّ الأكيد، والوجد الشديد، والشوق الذي ما عليه من مزيد. وقوله (حوته الأضالع): جمع ضِلْع، وهو من الحيوان بكسر الضاد المعجمة، وأمّا اللام فتُفتح في لغة الحجاز، وتُسكَّن في لغة تميم. وجمعها: أَضْلُع وأَضْلَاع وضُلُوع، وهي عظام الجَنْبَيْن، كذا في المصباح.

٩- وَهَلْ بِلِوَى سَلْعٍ يُسَلْ عَنْ مُتَيَّمٍ   بِكَاظِمَةٍ مَاذَا بِهِ الشَّوْقُ صَانِعُ

---

(١) النقا: الكثيب من الرمل، والمنقّى موضع بين أحد والمدينة، انظر القاموس مادّة نقي.

(وهل بِلِوَى): أي في لِوَى، بكسر اللام، لِوَى الرمل مقصور، وهو: مُنْقَطَعُهُ، وهو الجَدَد بعد الرملة، كذا في الصحاح. وقال في القاموس: «اللِوَى كإلَى: ما التَوَى من الرَمْل، أو مُسْتَدَقُّه[1]، والجمع: أَلْوَاء وَأَلْوِيَة». وقوله (سَلْعٍ): هو جبل في مدينة الرسول صلّى الله عليه وسلّم. كناية عن الحقيقة المحمّديّة. وقوله (يُسَلْ): بضم الياء التحتيّة، وفتح السين المهملة وسكون اللام: فعل مضارع مبني للمفعول. ونائب الفاعل تقديره: أحد من جانب الأحبّة. وأصله/ [٤٧٧/ب] يُسْال بالألف، من سَالَ يَسْالُ: لغة في سأل يسأل بالهمز. قال في المصباح: «وفي لغة سَالَ يَسَال من باب خاف، والأمر من هذه: سَلْ، وفي المثنّى سَلَا وفي المجموع سَلُوا على غير قياس. وسِلْتُهُ أنا، وهما يَتَسَاوَلَان». وقال في القاموس: «السُّولة بالضمّ: المَسألة، لغة في المهموز. وسَلْتُ أَسْأل، بفتحها سُؤالا بالضم، والكسر لغة في سَأَلْتُ. وقولهم: هما يَتَسَاوَلَان: يدلّ على أنّها واو في الأصل»[2]. وحيث كان هنا أصله يُسال، بالبناء للمفعول بلا همز، وسُكِّنَت اللام لضرورة الوزن؛ فالتقى ساكنان: اللام والألف قبلها، فحذفت الألف قبلها، لالتقاء الساكنين صار يَسَلْ. وقوله (عن متيّم): متعلّق بيسلْ، والمُتيَّم بصيغة اسم المفعول، من تيّمتْهُ المرأةُ، أو العشق والحب تَتْيِيماً: عبّدته وذَلَّلَتْه، كذا في القاموس. وقوله (بكاظمة): وهو اسم موضع بقرب المدينة المنورة، والجار والمجرور صفته لمُتَيَّم. وقوله (ماذا): يعني أي شيء. وقوله (الشوق صانع): أي من أنواع التباريح بأحشائه المقاريح.

١٠- وَهَلْ عَذَبَاتُ الرَّنْدِ يُقْطَفُ نَوْرُهَا   وَهَلْ سَلَمَاتٌ بِالْحِجَازِ أيانِعُ

(وهل عَذَبَاُت): جمع عَذَبِة، كقَصَبَات وَقَصَبِة، وعَذَبَة الشجرة غصنها. وقوله (الرَّنْد): وِزان فَلْس: شجر طيِّب الريح من شجر البادية، قال الخليل: والرند

---

(١) في القاموس مسترقّه، انظر مادّة لوي في القاموس.

(٢) انظر القاموس مادّة سول.

أيضاً الأس لطيبه، كما في المصباح، يشير بذلك إلى أرواح الكاملين من أولياء الله تعالى المتفرّعة عن الروح الأعظم الصادر عن أمر الله تعالى، ومن ذلك قولي في مطلع موشّح:

يـــا عـــذبات الرنـــد سرّ الوجـــود عنـــدي

والعاشـــقون جنـــدي في زينـــب وهنـــد

وقوله (يُقْطَف): بالبناء للمفعول. (نَوْرُهَا): النور بفتح النون، قال في المصباح: «نَوْرُ الشجرة مثل فلس: زهرها». يشير بذلك إلى ما يصدر عنهم من المعارف الإلهيّة، والحقائق الربّانيّة. وقوله (وهل سَلَمات): جمع سَلَمَة، بالتحريك، قال في المصباح: «السَّلَم شَجَر العِضَاة، الواحدة: سَلَمَة، مثل: قَصَب وقَصَبَة». وقوله (بالحجاز): أي في الحجاز، وهو: مكّة والمدينة والطائف ومخاليفها. كأنها حَجَزَتْ بين نَجْد وتِهامة، أو بين نَجْد والسَراة. أو لأنّها احْتُجِزَتْ بالحِرار الخمس: حَرَّة بني سُلَيْم، وواقِم، ولَيْلَى، وشَوْرانِ والنار [كذا في القاموس]. يكنّي بذلك عن جماعة من أهل التحقيق في العرفان، يعهدهم ناشئين في ذلك المكان. وقوله (أيانعُ): جمع يانِعَة، قال في المصباح: «يَنعَتِ الثمارُ يَنْعاً، من بابَيْ نفع وضرب: أَدْرَكَتْ فهي يانِعة، وأينَعَتْ بالألف مثله، وهو أكثر استعمالاً من الثلاثي». أي: بلغوا مبالغ الكمال، وأدركوا من الحقيقة المحمّديّة مواريث الرجال.

١١- وَهَـلْ أَثْـلَاتُ الجِـزْعِ مُثْمِـرَةٌ وَهَـلْ عُيُوْنُ عَوَادِي الدَهْرِ عَنْهَا هَوَاجِعُ

(وهل أَثْلاتُ): جمع أَثْلَة، قال في القاموس: «الأثل: شَجَر، واحدته أَثْلَة، والجمع: أَثْلَات وأُثُول». وقال في المصباح: «الأَثْلُ شجر عظيم، لا ثمر لهو، الواحدة: أَثْلَة». وقوله (الجِزْع): بالكسر، وهو: منعطف الوادي. وقيل: جانبه. وقيل: لا يُسمَّى جِزْعاً حتّى يكون له سِعَة تُنْبِت الشجرَ وغيره، كذا في القاموس. كناية عن المريدين الصادقين والمولّهين في الله من الأولياء المجذوبين؛ فإنّهم في

منعطف الوادي المقدّس، وعلى جادّة الطرق المؤسس. وقوله (مثمرة): أي ذات ثَمَر؛ فإنّ ذلك نادر في حقّ الأَثَلات، وهو ظهور العلوم الإلهيّة عنهم، وتحقّقها منهم. وقوله (وهل عيون): جمع عين. وقوله (عوادي الدهر): أي مصائبه وشدائده، من عَدَا عليه يَعْدُو عَدْواً وعُدُوّاً، مثل: فَلْس وفُلُوس، وعُدْواناً وعَدَاءً بالفتح والمدّ: ظَلَم، وجاوز الحدّ، وهو عادٍ، وسَبُع عَادٍ، وسباع عادِيَة، كما في المصباح. وقوله (عنها):أي عن تلك الأثلات. وقوله (هواجع): أي نائمات غافلات قال في المصباح: «هَجَعَ يَهْجَعُ، بفتحتين، هُجُوْعاً: نام بالليل، قال ابن السكّيت ولا يطلق/[٤٧٨/ أ] الهجوع إلّا على نوم الليل، والمعنى: هل تلك الأثلات النابتة في جانب من الوادي المقدّس، والمقام الأقدس حصلت على نتائج سلوكها في طرائق ملوكها، وهل حُفظت من أفات رجوعها، وفتنة جموعها، ومكابدة صمتها، وعزلتها وسهرها وجوعها».

١٢- وَهَلْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِيْنٌ بِعَالِجٍ عَلَى عَهْدِيَ المَعْهُوْدِ أَمْ هُوَ ضَائِعُ

(وهل قاصرات الطرف): يقال قَصَرْتُه قَصْراً: حَبَسْتُهُ، ومنه: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ٧٢] وبعضهم يقول: هي مُحَوَّلة عن اسم الفاعل، والأصل قاصِرة؛ لأنّها حابسة، كما قيل: حجاباً مستوراً، أي: ساتر كما في المصباح، وقال في القاموس: «امرأة قاصرة الطرف: لا تمدّه إلى غير بعلها». وقال في المصباح: «طَرْف العَيْن: نَظَرُهَا، ويُطلق على الواجد وغيره؛ لأنّه مصدر طَرَفَ البصرُ طَرْفاً، من باب ضرب تحرّك». كناية عن نفوس العارفين المحقِّقين من الأولياء الكاملين لا يمتدّ طَرْفُهم إلى غير ربّهم؛ لأنّهم لا غير ربّهم عندهم؛ فنفوسهم قاصرات الطرْف على شهود ربّهم في كلّ شيء معقول أو محسوس. وقوله (عِيْن): بالكسر مرفوع على أنّه صفة قاصرات جمع عيناء، قال في المصباح: «امرأة عَيْنَاءُ: حَسَنَةُ العَيْنَيْنِ واسعتُهما، والجمع: عين بالكسر». كناية عن كمال تحقّقهم في المعرفة الإلهيّة، وزيادة تبصّرهم في الأعيان الكونية. وقوله (بعالج): الباء الموحّدة

للظرفيّة، بمعنى في، أي: عالج صفة للقاصرات أيضاً، وعالج موضع بالباديّة به رمل، كذا في الصحاح. كناية عن مقام المجاهدة في طريق الله تعالى المشتمل على مكابدة النفس والهوى. وقوله (على عهدي): وهو المَوْثِق، والذِمّة، والحِفاظ، والوصيّة. وقد عهدت إليه، أي: أوصيته، ومنه اشْتُق العهد الذي يُكتب للولاة، كذا في الصحاح. أي: هم مقيمون على عهدتهم فيه أيام صحبتي معهم. وقولهم (المعهود): أي المعروف، قال في المصباح: «عَهِدتُه بمال، أي: عرفته به، والأمر عهدته، أي: كما عرفتَ». وقوله (أم هو): أي عهدي المعهود. وقوله (ضائع): أي متروك عندهم غير متمسكين به قال في المصباح: «ضَاعَ الشيءُ يَضِيع ضَيْعَة وضَيَاعاً، بالفتح فهو ضائع».

١٣- وَهَــلْ ظَبَيَــاتُ الــرَّقْمَتَيْنِ بُعَيْــدَنَا أَقَمْـــنَ بِهَــا أَمْ دُوْنَ ذِلِــكَ مَــانِعُ

(وهل ظبيات): جمع ظبية، بالهاء. وقال في المصباح: «الأنثى ظَبْيَة بالهاء بلا خلاف بين أئمّة اللغة، أنَّ الأنثى بالهاء، والذكر بغير هاء. وقال أبو حاتم: الظَبْيَة الأنثى، وهي عَنْز ومَاعِزِة، والذكر ظَبي، ويقال له: تيس، وذلك اسمه إذا أَثْنَى، ولا يزال ثَنْياً حتّى يموت. ولَفْظُ الفارابي وجماعة: الظَّبْيَةُ أُنثى الظباء، وتجمع الظبية على ظَبَيَات، مثل: سَجْدة وسَجَدات». كنّى بذلك عن حضرات التجلّي الأسماء من جناب الذات الغيبيّة النافرة عن الأكوان بالكلّيّة؛ فلا تشبه شيئاً محسوساً ولا معقولاً، ولا يشبهها شيء محسوس ولا معقول، مع ظهورها كمال الظهور في العوالم الإمكانيّة. وقوله (الرقمتين): قال في القاموس: «الرقمتان: رَوْضَتان بناحية الصَمَّان». والصَمَّان: موضع بعالج، وهو كلّ أرض صلبة ذات حجارة إلى جنب رمل كالصَمَّانَة. يكنّى بذلك عن حضرة العلم الإلهيّ، وحضرة الكلام الإلهيّ، وهما الرقمتان. والظَبَيات المضافة إليهما كناية عن نفوس الأولياء العارفين المحقّقين. وقوله (بُعَيْدَنا): بصيغة التصغير لبعد، أي: بعد اجتماعنا وملاقاتنا هنا. وقوله (أقمْنَ): أي تلك الظبيات. وقوله (بها): أي في منزلة

الرقمتين المذكورتين بعد فنائهم عن وجودهم الموهوم في حضرة العلم، والكلام المرقوم، قال القائل، وهو كلام تحته طائل:

رأت قمـــر الـــسماء فـــأذكرتني لـيـــالي وصـــلنا بـــالرقمتين
كلانـــا نـــاظر قمـــراً ولكـــن رأيت بعينها ورأت بعيني/ [٤٧٨/ب]

ومعناه: إنّ هذا العارف المحقّق نظر إلى قمر السماء فقال: (رأت)، أي: الحقيقة الوجوديّة التي هي متجلّية به عليه. (قمر السماء): الذي هو تجلٍّ آخر بها عليها ثمّ قال (فأذكرتني): أي فتذكّرت ذوقاً وكشفاً ليالي. (وصلنا): أي اتّصالي بها، عبَّر عنّه بالليالي؛ لأنّه غيب في غيب. ثمّ قال (بالرقمتين): وهو كونه مرقوماً في علمها، وفي كلامها القديمين؛ لأنّه فني عن وجوده الموهوم في وجودها المحقّق المعلوم. وكونه في علمها وفي كلامها بلا وجود له غير وجودها هو وصالها، وهو أمر غيبي لا يعرفه غيرها. ثمّ قال (كلانا): أي أنا وإياها وجود واحد؛ لأنّه عالم ومعلوم، ومُتكلِّم ومتكلَّم به، ولا وجودَين أصلاً، ولهذا قال (ناظر قمراً): أي ناظر واحد، وهو الاتّحاد الحقيقيّ، ثمّ قال (ولكن رأيت بعينها): من قوله صلّى الله عليه وسلّم في الحديث القدسيّ في المتقرّب بالنوافل: «كنت بصره الذي يبصر به» وعينها: ذاتها الوجود الحقّ؛ لأنّه تعالى بكلّ شيء بصير. ثمّ قال (ورأت بعيني): أي كانت عيني الحسيّة المبصرة صورة تجلّي بصرها القديم، ولنا على هذين البيتين كلام أكثر من هذا في غير هذا الكتاب. وقوله (أم دون ذلك):): أي دون الإقامة بالرقمتين كما ذكرنا. وقوله (مانع): أي يمنع من إقامتهم في الرقمتين كما ذكر، والمانع هو رجوعهم إلى مقام العبوديّة لتكليفهم بالعبادة من قوله صلّى الله عليه وسلّم في الحديث القدسيّ: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي شطرين، ولعبدي ما سأل»[1] فلا بدّ من

---

(١) قطعة من حديث، أخرجه مالك في الموطّأ، كتاب الصلاة، باب: القراءة خلف الإمام، ١٨٨.

الرجوع إلى العقل بعد الخروج عنه إلى المعرفة، وهو السعي بين صفا الروحانيّة، ومروة الجسمانيّة.

١٤- وَهَلْ فَتَيَاتٌ بِالْغُوَيْرِ يُرِيْنَنِي مَرَاتِعُ نُعْمٍ نِعْمَ تِلْكَ المَرَاتِعُ[1]

(وهل فَتَيَاتٌ): جمع فتاة، قال في المصباح: «الفَتَى: العَبْدُ، وجمعه في القلّة: فِتية، وفي الكثرة فِتْيَان، والأَمَة فَتَاة، وجمعها: فَتَيَات، والأصل فيه أنّ يقال للشاب الحدث: فَتَى، ثمّ استُعير للعبد وإنْ كان شيخاً، مجازاً باسم ما كان عليه». يكنّي بذلك عن السالكين المبتدئين في طريق الله تعالى؛ فإنّهم مع بقاء نفوسهم المتعلّقة بأبدانهم يدبرونها[2] على الطاعة والعبادة؛ فهم في المجاهدة، ولهذا قال (بالغوير): تصغير الغور، بالفتح، وهو المطمئنّ من الأرض. والغور قيل: يُطلق على تِهامة وما يلي اليمن. وقال الأصمعي وغيره: ما بين ذات عرق والبحر غور وتهامة؛ فتهامة أوّلها مدارج ذات عِرْق من قِبَل نجد إلى مرحلتين وراء مكّة، وما وراء ذلك إلى البحر فهو الغُور، كذا في المصباح. والكناية بالغور هنا: عن البنيّة الإنسانيّة، لأنّ فيها سريان النفوس البشريّة. وقوله (يُرينَني): أي تلك الفتيات بحالهن أو بقائهن؛ فإنّ نفوس السالكين تحسّ بالأمور الإلهيّة؛ فتظهر عليهم آثارها، وتشرف على ظواهرهم وبواطنهم أنوارها، وتشرح بأقوالهم وإشاراتهم أسرارها. وقوله (مراتع): مفعول يريني، والمراتع: جمع مَرْتَع، مثل جعفر: موضع الرُتوع، والجمع: المَرَاتِع، من رَتَعَتِ الماشية رَتْعاً، من باب نفع، ورُتُوعاً: رَعَتْ كيف شاءت، كما في المصباح. يكنّي بذلك عن مظاهر التجلّي الإلهيّ ومراتب الانكشاف الرحمانيّ؛ فإنّ ذلك يظهر للسالك دون المتجلّي الحقّ، فيرى المنازل ولا يرى النازل. وقوله (نُعْم): بالضمّ، اسم امرأة، كذا في القاموس. كناية عن

---

(١) الشطرة الثانية في (ق): «مرابع نُعْمٍ نِعْمَ تلك المرابع».

(٢) هكذا وردت، لعلّها يجبرونها.

المحبوبة الحقيقيّة، والحضرة العليّة الغيبيّة الوجوديّة. وقوله (نِعْم): بكسر النون وسكون العين المهملة، قال في المصباح: «نِعْم الرجل زيد بكسر النون: مبالغة في المدح». والمعنى: لو فُضِّل الناس واحداً واحداً فَضَلَهم زيد. وقوله (تلك المراتع): بلام العهد، أي: المذكور، إشارة إلى المنازل والمراتب التي سبق ذكرها، والإشراف عليه/ [٤٧٩/ أ]

١٥- وَهَلْ ظِلُّ ذَاكَ الضَّالِ شَرْقِيَّ ضَارِجٍ ظَلِيلٌ فَقَدْ رَوَّتْهُ مِنِّي المَدَامِعُ

(وهل ظِلُّ): بكسر الظاء المعجمة، قال في المصباح: «الظِلّ، قال ابن قتيبة: يذهب الناس إلى أنّ الظِلّ والفَيء بمعنى واحد، وليس كذلك؛ بل الظلّ يكون غُدْوة وعشيّة، والفَيء لا يكون إلّا بعد الزوال؛ فلا يقال لما قبل الزوال: فيء، وإنّما سُمِّي بعد الزوال فيئاً؛ لأنّه ظِلٌّ فاءَ عن جانب المغرب إلى جانب المشرق، والفيء: الرجوع». وقال ابن السكّيت الظلّ من الطلوع إلى الزوال، والفيء: الزوال إلى الغروب. وقال ثعلب: الظلّ للشجرة وغيرها بالغَدَاة، والفَيء بالعَشِيّ، قال: وقال رؤبة بن العجاج: «كلّ ما كانت عليه الشمس فزالت فهو ظلّ وفيء، وما لم يكن عليه الشمس فهو ظلّ. ومن هنا قيل: الشمس تَنسَخ الظلّ، والفيء يَنسخ الشمسَ». يكنّي بالظل هنا عن جملة الكون ملكاً وملكوتاً؛ فإنّه ظلّ الأعيان المتوجّه بها الأمر الإلهيّ من حضرة الكلام الربّانيّ، والعلم الرحمانيّ، بواسطة الجامع الكلّي، وهو اللوح والقلم، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [١٣/ الرعد/ ١٥]. وقوله (ذاك الضالِ): هو من السدر ما كان عذباً، واحدته بهاء، كذا في القاموس. وقال في الصحاح: «الضالِ: السِدر البرّي، الواحدة: ضالَة». يكنّي بذلك عن الأعيان الثابتة بلا وجود أزلاً وأبداً في الحضرة العلميّة والحضرة الكلاميّة، وأشار إليها بكاف البعد لكونها غيباً عنّا. وقوله (شرقيّ): بتشديد الياء التحتيّة منصوب على الظرفيّة. وقوله

(ضارج): بالضادّ المعجمة، آخره جيم: اسم موضع قال امرئ القيس:

تيمَّمَتِ العينَ التي عند ضارج يُفيءُ عليها الظلُّ عَرْمَضها طامي

و(العَرْمَض): بالعين المهملة والضاد المعجمة على وزن جعفر: صغار شجر السدر والأراك، ومن كلّ شجر لا يطعم أبداً، والطحلب. [وقوله طامي] يقال: طَمَى الماء يَطْمِي طُمِيَّاً: عَلَا، و- النبت: طال، ذكره في القاموس والصحاح. يشير بضارج إلى حضرة الأسماء الإلهيّة والصفات الربّانيّة، وشرقي ذلك كناية عن الظهور بالآثار ولوامع الأسرار. وقوله (ظليل): أي ذلك الظلّ، يقال: ظلّ ظليل، أي: ممتدّ طويل، كما يقال ليل الليل، قال في الصحاح: «ظلّ ظليل أي دائم». وقال في القاموس: «أنّه مبالغة منه». يكنّي بذلك عن دوامه في الدنيا والآخرة إلى الأبد بغير نهاية ولا أمد. وقوله (فقد روته): أي ذاك الضال، وروَّته بتشديد الواو، أي: سقته حتّى ارتوى، قال في الصحاح: «رَوَيْتُ من الماء بالكسر أَرْوِي رَيًّا وروي أيضاً، مثل رَضِيَ، وارتويت وترويت كلّه بمعنى. ورَوَيت القوم أَرْوِيهم إذا استقيت لهم الماء، والريان ضدّ العطشان». وقوله (منّي): أي من المتجلّي عليّ بي، وهو الوجود الحقّ. وقوله (المدامع): أي الدموع السائلة، مجازاً من إطلاق المحلّ وإرادة الحال، كقولهم: نَزَح البئر، وسال الميزاب، وجرى النهر. والمراد بذلك الماء الذي في هذه الأشياء. وقدَّمنا أنّ المدامع: جمع مدمع: اسم لمكان الدمع هناك. والكناية هنا بالدموع عن الإمداد من عيون الأسماء والصفات، قال تعالى: ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٢٠]. أي: ممنوعاً عن شيء مطلقاً.

١٦- وَهَلْ عَامِرٌ مِنْ بَعْدِنَا شِعْبُ عَامِرٍ وَهَلْ هُوَ يَوْماً لِلْمُحِبِّيْنَ جَامِعُ

(وهل عامر): أي ليس بخراب، قال في الصحاح: «عَمَرْتُ الخَراب أَعْمُرُهُ عِمَارَة فهو عامِر، أي: مَعْمُور مثل ماء دافق، أي: مدّ فوق، وعيشة راضية، أي: مرضية».

وقال في القاموس: «أَعْمَرَهُ: جعله آهلاً، أي: ذا أهل يسكنونه. وأَعْمَرَهُ المكان واسْتَعْمَرَه فيه: جعله عامراً يَعْمُرُهُ». وقوله (من بعدِنا): أي بعد مفارقتنا وذهابنا بالفناء والاضمحلال. وقوله (شِعْب عامر): بإضافة شِعْب إلى عامر، الشِّعْبُ: بالكسر الطريق في الجبل، والجمع الشعاب. وعامر أبو قبيلة/ [٤٧٩/ب] وهو عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن، كذا في الصحاح. ويُكنّي بشعب عامر عن حضرة الروح الأعظم الكلِّيّ الصادر عن أمر الله تعالى بلا وساطة، المنفوخ منه في الأرواح الجزئيّة. وقوله (وهل هو): أي شعب عامر. وقوله (يوماً): أي من الأيام. وقوله (للمحبّين): أي المتّفقين على المحبّة الإلهيّة. وقوله (جامع): أي محتوٍ عليهم ، كما عهدنه، كذلك وهو حظيرة القدس الجامعة لأهل الله تعالى، العارفين به، المحقِّقين، والورثة المحمّديين.

١٧ - وَهَــلْ أَمَّ بَيْــتَ اللهِ يَــا أُمَّ مَالِــكٍ عُرَيْــبٌ لَهُــمْ عِنْـدِي جَمِيْعـاً صَنَائِعُ

(وهل أَمَّ): بالتشديد، أي قصد. وقوله (بيت الله): وهو الكعبة المشرّفة. كناية عن قلب العارف الكامل العالم المحقّق العامل، كما ورد: «ما وسعني سماواتي ولا أرضي ووسعني قلب عبدي المؤمن»[1] وقوله (يا أُمَّ مالك): كناية عن المحبوبة الحقيقيّة؛ فإنّ الأمّ بمعنى الأصل، قال في القاموس: «أُمُّ الكتاب أصله، أو اللوح المحفوظ، أو الفاتحة، أو القرآن، جميعه». و(المالك): معلوم، وهو الذي بيده كلّ محسوس وكلّ مفهوم. وقوله (عُرَيب): تصغير عرب، فاعل أَمَّ، وهم: أهل المعرفة الإلهيّة يطلبون ربّهم من كعبة قلوبهم، فيجتلون أنوار نفوسهم الراضيّة المرضيّة، ويطوفون بها بكرة وعَشِيّة، ويسعون بين صفاها ومروتها بإخلاص ونيّة. وقوله (لهم): أي للعريب المذكورين. وتصغيرهم للتعظيم، والإجلال والتكريم. وقوله (عندي): أي في نظري؛ لأنّهم مشايخ سلوكي، وأئمّة مقامي وملوكي.

---

(١) انظر تخريجه ص٢٠٠٧.

وقوله (جميعاً): أي كلّهم؛ فإن من اعتقد جميع الأولياء، وأنكرا على واحد منهم؛ فقد أنكر الجميع. كما أنّ من آمن بجميع الأنبياء عليهم السلام، وكفر بواحد منهم فقد كفر بالجميع؛ لأنّهم كلّهم على حقّ واحد يشهدونه بقلوبهم في حضرات غيوبهم، وأحوالهم مختلفة، ومقاماتهم متنوِّعة، غير مؤتلفة، قال القائل:

عباراتنا شيء وحسنك واحد　　　وكلّ إلى ذاك الجمال يشير

وقوله (صنائع): جمع صنيعة، قال في القاموس: «الصنيع: الإحسان، كالصنيعة، والجمع: صنائع، والصنائع بث المعارف والحكم، وتوجّه القلوب والهمم، وتربية الإرشاد، وتنمية الإمداد بقدرة ربّ العباد.

١٨- وَهَلْ نَـزَلَ الرَكْـبُ العِرَاقِي مُعَرِّفاً　　　وَهَـلْ شُرِعَـتْ نَحْـوَ الخِيَـامِ شَرَائِـعُ

(وهل نزل الركب): وهم ركبان الإبل، اسم جمع، أو جمع، وهم العشرة فصاعداً، وقد يكون للخيل، كذا في القاموس. كناية عن الأولياء العارفين بربّهم، المحمولين به على نجائب أرواحهم الأمريّة، وتراكيب أجسامهم الطبيعيّة. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٧٠] برّ الأجسام، وبحر الأرواح، ولا حول لهم ولا قوّة إلّا به، ذوقاً وكشفاً، فهم الشخوص والأشباح. وقول (العراقي): أي المنسوبون إلى بلاد العراق، وهي محلّ القطب، إمام الأوتاد المستعدّون لظهور الحقائق بهم كمال الاستعداد، ونزول هذا الركب المذكور من أوج مقاماتهم إلى مدارك الجمهور للدعوة إلى الله على بصيرة مع خلوص السريرة. وقوله (مُعَرِّفاً): بتشديد الراء مكسورة، حال من الركب. مشتق من التعريف، وهو الوقوف بعرفات. وعرفات مَوْقِف الحاجّ ذلك اليوم، وهو التاسع من ذي الحجّة ،على اثني عشر ميلاً من مكّة. سمّيت بذلك لأنّ آدم وحواء تعارفا بها، أو لقول جبريل لإبراهيم عليهما السلام لمّا علّمه المناسك: أعرفت؟. قال: عرفت. أو لأنّها مقدَّمة معظَّمة، كأنّها عُرِّفت، أي: طُيِّبَتْ، اسم في لفظ الجمع فلا تجمع،

معرفة، وإنْ كانت جمعاً؛ لأنّ الأماكن لا تزول؛ فصارت كالشيء الواحد، معروفة؛ لأنّ التاء بمنزلة الياء والواو في مسلمين ومسلمون، كذا في القاموس. يشير بتعريفهم هذا إلى أنّهم نزلوا إلى الخلق بعد معرفة الخالق، قال صلّى الله عليه وسلّم: «الحجّ عرفة»[1] يعني: هي معظم أركان الحج/ [٤٨٠/ أ]؛ بل هي المقصود منه العرفان في حجِّ الأرواح إلى مقام الإحسان. وقوله (وهل شرعت): بالبناء للمفعول، شَرَع لهم كمنع: سَنَّ، كما في القاموس. وقال في الصحاح: شَرَعَ لهم يَشْرَع شَرْعاً، أي: سَنَّ. وقوله: (نحو الخيام): جمع خيمة. كناية عن الأجسام الإنسانيّة المشتملة على الأرواح الأمريّة، قال تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ٧٢-٧٤]؛ لأنّ تلك الأرواح أبكار الحضرة، ومبدعات القدرة، وقوله (شرائع): نائب فاعل شرعت، جمع شريعة، وهي في الأصل مَشْرَعَة الماء وهي مورد الشارب، والشريعة: ما شَرَعَ الله لعباده من الدين، كذا في الصحاح. فإنّ الركب المذكور إذا نزل إلى أرض الإناث والذكور من سماء المعرفة متّصفاً بأكمل صفة وجبت عليهم شرائع الأحكام فقاموا بأحوال العقول والأجسام.

١٩ - وَهَلْ رَقَصَتْ بِالمَأْزِمَيْنِ قَلَائِصٌ ... وَهَلْ لِلْقِبَابِ البِيْضِ فِيْهَا تَدَافُعُ

(وهل رقصت): رَقَصَ رَقْصاً: لعب، والرَّقْص والرَّقَصَان الخَبَب، وأَرْقَصَ البعير: حَمَلَه على الخَبَب، وتَرَقَّصَ: ارتفع وانخفض، كذا في القاموس. وقوله (بالمَأْزِمَيْنِ): تثنية مَأْزِم، بفتح الميم وسكون الهمزة وكسر الزاي، وهو: المضيق مثل المَأْزِل، والمَأْزِم: كلّ طريق ضيّق بين جبلين، وموضع الحرب أيضاً مَأْزِم. ومنه سُمِّي الموضع الذي بين المشعر وبين عرفة. قال الأصمعي المأزم في سند مضيق

(١) قطعة من حديث، أخرجه أحمد في المسند، حديث عبد الرحمن بن يعمر، ١٩٢٨٧. كما أخرجه الحاكم في مستدركه، باب أوّل كتب المناسك، ١٧٠٣.

بين جَمْع وعرفة، وفي الحديث بين المأزمين، كذا في الصحاح. يكنّي بالمَأْزِمَين هنا عن العقل والحسّ؛ فإنّهما مضيقان تنحصر فيهما النفس الإنسانيّة، وذلك بين مقام الجمع ومقام الفرق. «وقوله (قلائص): جمع قَلُوص، وهي من النوق الشابّة، وهي بمنزلة الجارية من النساء». وقال العدوي: القَلوص أوّل ما يركب من إناث الإبل إلى أنْ يثني؛ فإذا أثنى فهو جمل، وربّما سمّوا الناقة الطويلة القوائم قلوصاً، كما في الصحاح. يكنِّي بذلك عن النفوس الإنسانيّة في حال سلوكها في طريق الله تعالى وهي حاملة أثقال التكاليف الشرعيّة وعهود المشايخ في سفر الحج الروحانيّ إلى الحضرة الإلهيّة. وقوله (وهل للقباب): جمع قبّة، قال في الصحاح: «القُبَّة بالضمّ من البناء، والجمع: قِباب، وبيت مُقَبَّب: جُعِل فوقه قُبَّة، والهوادج تُقَبَّب». يكنّي بالقباب عن العقول البشريّة التي هي فوق مطايا النفوس الإنسانيّة، وهي حاجبة لها عن استيفاء المداركة العرفانيّة. وقوله (البِيض): وصف للقباب، وبياضها، ونورانيّتها؛ لأنّها من عالم الأنوار العلويّة. وقوله (فيها): أي في الموضع المسمّى بالمَأْزِمَين. وقوله (تَدافُع) وهو تفاعل؛ فإنّها هناك تتدافع، أي: يصكّ بعضها بعضاً، وكذلك العقول تتدافع، ويُنكر بعضها على بعض في مداركها، وما من مفهوم عقليّ إلّا وله مفهوم آخر يدافعه ويناقضه، وكذلك الحسّ يدخله الوهم والشك والخطأ، ويناقض بعضه بعضاً، ولا ثقة إلّا بما ورد عن الله تعالى، وعن رسله عليهم السلام.

٢٠- وَهَلْ لِي بِجَمْعِ الشَّمْلِ فِي جَمْعَ مُسْعِدٌ وَهَـلْ لِلَيَـالِي الخَيْـفِ بِـالعُمْرِ بَـائِعُ

(وهل لي): الجار والمجرور خبر مقدّم. وقوله (بجمع الشَمْل): متعلّق بمسعد يقال: جمع الله شملهم، أي: ما تَشَتَّت من أمرهم، وفرَّق الله شَمْلَه، أي: ما اجتمع من أمره، كذا في الصحاح. وقوله (في جَمْعَ): بالفتح من غير تنوين؛ لأنّه اسم لا

ينصرف، ويجوز صرفه؛ فيخفض بالكسرة من غير تنوين لضرورة الوزن؛ فإنّه ثلاثي ساكن الوسط كهند، وفيه العلميّة والتأنيث، فإنّه اسم علم على المزدلفة، قال في القاموس: «جَمَعَ بلا لام: المزدلفة، ويوم جَمْع يوم عرفة، وأيامه أيام مِنَىً، إشارة إلى شهود الأمر الإلهيّ الذي هو كلمح بالبصر»، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [٣٠/ الروم/ ٢٥] وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن/ [٤٨٠/ ب] نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [١٦/ النحل/ ٤٠] وهو أمر التكوين، وهو جَمَع بين عرفة، والاجتماع بعد المعرفة. وقوله (مُسْعِد): مبتدأ مؤخّر بصيغة اسم الفاعل، أسعده: أعانه؛ فالمُسْعِد المُعِين. وقوله (وهل لليالي الخيف): وهو خيف وادي منى، قال في القاموس: «الخيف ما انحدر عن غِلَظِ الجَبَل وارتفع عن مَسْيل الماء، وكلّ هبوط وارتقاءٍ في سفح جبل، وغرّة بيضاء في الأسْوَد الذي خلف أبي قُبَيْس، وبها سُمِّي مسجد الخَيْف، أو لأنّها ناحيّة من مِنَىً. أو لأنّها في سفح جبل». وليالي الخيف هي ليالي مِنَىً الثلاث إشارة إلى الجسد والنفس والروح؛ فإنّها ظلمات ثلاث بالنسبة إلى نور الوجود الحقّ الذي هو المُنى والقصد، وهي لياليه الثلاث في الحجّ الروحانيّ بالسفر الرحمانيّ، والإحرام الإيماني. وقوله (بالعمر بائع): الباء الموحّدة داخلة على ثمن المبيع، متعلّقة ببائع. وبائع مبتدأ مؤخّر، وخبره المقدّم لليالي. والأصل هي بائع بعمري لليالي الخيف؛ فإنّي اشتريها منه بجميع ليالي عمري، وأيامه التابعة لها باعتبار شرفها عندي حيث لم يذكر الأيام، واقتصر على ذكر الليالي، وقد ورد في الشرع تبعيّة هذه الليالي الثلاث في الحجّ للأيام الماضية، لا المستقبليّة، تشريفاً لها بتبعيّتها لأيام دخلت في الوجود، فلمّا شرف بذلك لا لأيام مستقبله لم تدخل في الوجود، قال في مختصر محيط السرخسي للخبازي: «الليالي كلّها تابعة للأيام المستقبلة لا للأيام الماضية إلّا في الحجّ؛ فإنّها في حكم أيام ماضية كليلة عرفة تابعة ليوم التروية، وليلة النحر تابعة ليوم عرفة،

وكذا ليالي الرمي تابعة لما قبلها».

٢١- وَهَلْ سَلَّمَتْ سُلْمَى عَلَى الحَجِرِ الذي بِـهِ العَهْـدُ وَالْتَفَّـتْ عَلَيْـهِ الأَصَـابعُ

(وهل سَلَّمَتْ): بتشديد اللام، من السلام، وهو التحيّة. وقوله (سُلمى): كناية عن المحبوبة الحقيقيّة من حيث تجلّيها عليه باسم السلام. وقوله (على الحَجَر): أي القلب المتحجّر على المعرفة الإلهيّة، أي: المُصمِم عليها؛ فإنّ القلوب إذا قستْ أشبهت الحجارة، قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [٢/ البقرة/ ٧٤] وهي القلوب المتفجّرة، والقلوب المتشقّقة، والقلوب الهابطة. والإشارة هنا إلى أحد هذه الحجارة، وهو الحجر الأسود الذي هو عند الكعبة، وهي كعبة الشكل الصنوبري في الجانب الأيسر من تجويف باطن الجسم الإنسانيّ من العارف المحقّق الربّانيّ. وقوله (الذي): وصف للحجر. وقوله (به): أي فيه. وقوله (العهد): وهو عهد الربوبيّة الذي أخذه تعالى على بني آدم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٧٢] الآية. وقوله (والتفّت عليه الأصابع): من قوله صلّى الله عليه وسلّم: «إنّ قلوب بني آدم كلّها بين أصبعين من أصابع الرحمن يصرفها حيث يشاء»[1] رواه الإمام أحمد في مسنده، ومسلم في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما.

٢٢- وَهَلْ رَضَعَتْ مِنْ ثَدْيِ زَمْزَمَ رَضْعَةً فَـلَا حُرِّمَـتْ يَوْمـاً عَلَيْهَـا المَرَاضِـعُ

(وهل رضعت): يعني سُلمى المحبوبة الحقيقيّة المتقدّم ذكرها في البيت قبله؛ من حيث تجلّيها عليه بنفسه، من قوله صلّى الله عليه وسلّم في الحديث القدسي:

(١) أخرجه أحمد في مسنده، مسند عبد الله بن عمرو، ٦٩٢٧. كما أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: القدر، باب: تصريف الله القلوب، ٦٩٢١.

«إنّ الله يقول: يا ابن آدم مرضت فلم تعدني. قال: يا ربّ، كيف أعودك وأنت ربّ العالمين!. قال: أما علمت أنّ عبدي فلاناً مرض فلم تعده، أما علمت أنّك لو عدته لوجدتني عنده. يا ابن آدم، استطعمتك فلم تطعمني. قال يا ربّ: كيف أطعمك وأنت ربّ العالمين!. قال: أما علمت أنّه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه، أما علمت أنّك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي. يا ابن آدم، استسقيتك فلم تسقني. قال: يا ربّ، كيف أسقيك وأنت ربّ العالمين!. قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه، أمّا علمت أنّك لو سقيته لوجدت ذلك عندي»[1].

ويقال: رضع الصبي أمّه، كسمع، رضاعاً، ورضعاً، ورضاعة: امتصّ ثديها لإخراج/ [٤٨١/ أ] اللبن. وقوله (زمزم): على الاستعارة المكنيّة بتشبيه زمزم بالأمّ ذات الثدي، وإثبات الثدي تخييل، والثدي ويكسر: خاص بالمرأة، أو عام، كذا في القاموس. وزَمْزَم كجعفر، بئر عند الكعبة المشرّفة. وقوله (رَضْعَة): فعل مرّة، مفعول رضعت. والكناية بثدي زمزم عن القوّة العلميّة الفائضة عن الحضرة الإلهيّة. وقوله (فلا حُرِّمَتْ): بتشديد الراء مبنياً للمفعول. وقوله (يوماً): منصوب على الظرفيّة. وقوله (عليها): أي على نفسه التي هي صورة التجلّي الإلهيّ عليه، كما ذكرنا. وقوله (المراضع): نائب الفاعل، جمع مرضعة، قال في القاموس: «أَرْضَعَت المرأة فهي مُرْضِع، أي: لها ولد ترضعه؛ فإنّ وَصَفْتَها

---

(١) قطعة من حديث، أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البرّ والصلة، باب: فضل عيادة المريض، ٢٧٢١، بلفظ: «إنّ الله عزّ وجلّ يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضت فلم تعدني. قال يا ربّ، كيف أعودك وأنت ربّ العالمين؟. قال: أما علمت أنّ عبدي فلان مرض ولم تعده، أما أنّك لو عدته لوجدتني عنده. يا ابن آدم، استطعمتك فلم تطعمني. قال: يا رب، كيف أطعمك وأنت ربّ العالمين؟. قال أما علمت أنّه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه، أما علمت أنّك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي. يا ابن آدم، استسقيتك فلم تسقُني. قال يا رب، كيف أسقيك وأنت ربّ العالمين. قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه، أما إنّك لوسقيته وجدت ذلك عندي». كما أخرجه البخاري في الأدب المفرد، وذكره الألباني في صحيح الأدب المفرد، باب: عيادة المريض، ٥١٧/ ٤٠٢.

بإرضاع الولد قلت: مُرْضِعَة». وهو إشارة إلى المشرب المحمّديّ؛ فإنّ صاحب ما حُرِّمَتْ عليه المراضع؛ بل هو يستمدّ من كلّ شيء فيجد الإمداد الإلهيّ، والفيض الربّانيّ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ﴾ [٣٣/ الأحزاب/ ١٣] إشارة إلى الورثة المحمّديّين. لا يقفون عند مقام دون مقام، فيرجعون إلى الذات، ويصدرون عن أسمائها، الإشارة إلى ذلك بقوله تعالى: ﴿وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ﴾ أي: النفوس الإنسانيّة الكاملة العرفان ﴿أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ﴾ أي: الكاملين من الرجال ﴿بُيُوتٗا﴾ بدوام الإجلال لهم والاحترام لتحصل رفعة المقام ﴿وَمِنَ ٱلشَّجَرِ﴾ أي: الشجر النابتين بالتدريج في سلوك طريق المعرفة ﴿وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ﴾ من عامّة الناس ﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ أي: جميع الأشياء الظاهرة على شجرة الوجود بأنواع الحدود ﴿فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ﴾ أي: طرق ربّك في كلّ ذلك واتركي باعتبار الأغيار في كلّ شيء ﴿رَبِّكِ﴾ أي: مسهّلة لا صعوبة فيها ﴿يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا﴾ أي: بواطنها ﴿شَرَابٞ﴾ علم إلهيّ ﴿مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ﴾ بالجلال والجمال والقبض والبسط والهيبة والأنس ﴿فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِ﴾ [١٦/ النحل/ ٦٨-٦٩] من داء الجهل والغفلة.

٢٣- لَعَـلّ أُصَـيْحَابِي بِمَكَّـةَ يُـبْرِدُوا بِـذِكْرِ سُـلَيْمَى مَـا تُجِـنُّ الأَضَـالِعُ

(لعلّ أصيحابي): تصغير أصحابي للتعظيم. وقوله (بمكّة): البلد الحرام، وهم الأولياء المقرّبون، ذوو الجلال والإكرام. وقوله (يُبْرِدُوا): بتقدير لعلّهم يذكرون سُليمى فيُبْرِدوا، منصوب بإضمار أنْ، كقوله تعالى: ﴿أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ۝٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ﴾ [٤٠/ فاطر/ ٣٧] أي: فأن أطّلع. وقوله (بذكر سُلَيمَى): متعلّق بيبردوا، وهو مفسر للفعل المحذوف. وسُلَيْمَى بصيغة التصغير كناية عن المحبوبة الحقيقيّة؛ فإنّ من أحبّ شيئاً أحبّ ذكره، ووجد بذكره تبريداً لحرارة الشوق إليه. وقوله (ما تُجِنُّ): أي الذي تجنّه، أي: تخفيه وتكتمه وتستره. وقوله (الأضالع): فاعل تُجِنُّ، وهي الضُلُوع والأَضْلاع، جمع ضِلَع، بكسر الضادّ المعجمة وفتح

اللام، وتسكينها جائز، كذا في الصحاح، والذي تُجِنُّه الأَضَالِع، أي: تستره هو نيران الأشواق وتلهّفات الاحتراق.

٢٤- وَعَلَّ اللُّيَيْلَاتِ التِي قَدْ تَصَرَّمَتْ تَعُودُ لَنَا يَوْماً فَيَظْفَرَ طَامِعُ

٢٥- وَيَفْرَحَ مَحْزُوْنٌ وَيَحْيَا مُتَيَّمٌ وَيَأْنَسَ مُشْتَاقٌ وَيَلْتَذَّ سَامِعُ

(وعَلَّ): لغة في لعلّ. وقوله (اللُّيَيْلَات) بالتصغير للتعظيم والتحبيب، جمع ليلة، وهي ليالي منى الثلاث الجسمانيّة والنفسانيّة والروحانيّة ذات الانبعاث التي من دونها المنى، وعليها أمر الكائنات ابتني. وقوله (التي قد تصرّمت): أي انقضى شهودها في حالة السلوك قبل طلوع نهار الوجود، وزوال الشكوك. (تعود لنا يوماً): أي في يوم من الأيام، أيام الأمر الإلهيّ الذي هو كلمح بالبصر، وتعقبها ليالي الأكوان كلمح بالبصر كن فيكون، وهي تعاقب لمحات الأزمان، وهذا حنين المنتهى إلى أوقات بدايته واشتياقه إلى اجتهاده ومجاهدته، لاستجلائه لذّة الوصول، وشهوة الحصول. وهو قوله (فيظفرَ): منصوب بأنْ مضمرة بعد فاء السببيّة في جواب علّ، وَظَفِرَ ظَفَراً، من باب تعب، وأصلُه بالفوز والفلاح. وظَفِرْتُ بالضالّة: إذا وجدتها، وظَفِرَ بعدوِّه، كذا في المصباح. وقوله (طامع): يظفر، طَمِعَ في الشيء طَمَعاً/ [٤٨١/ ب] وطَمَاعاً وطَمَاعِيَة، مُخَفَّف فهو طَمِع وطَامِع، وأكثر ما يُستعمَل فيما يَقْرُبُ حصولُهُ، وقد يُستعمل بمعنى الأمل، ومنه كلامهم طَمِعَ في غير مَطْمَع: إذا أَمِل ما يَبْعُد حصوله؛ لأنّه قد يقع كلّ واحد موقع الآخر لتقارب المعنى، كما في المصباح. ولم يذكر ما يظفر به، ولا ما هو طامع فيه لتعينه في الوجود عنده؛ إذْ لا موجود سواه، ولا مطلوب إلّا إياه، كما في قوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [٤١/فصّلت/٥٣] أي: إنّ الموجود هو الحقّ وحده، ولا موجود غيره. وقوله (ويَفْرَحَ): بالنصب، عطف على يَظْفَرَ بتقدير أن يفرح. وقوله (مَحْزُونٌ): أي من به

حزن على فقد محبوبه. يعني به نفسه، كقوله طامع في البيت قبله. وقوله (متيّم ومشتاق وسامع): بعده لعدم دعوى نفسه، وتنكيره لتحقيره، وكمال ذلّه عند عظمة معروفة، ووافر عِزّه. وقوله (ويحيا متيّم): بصيغة اسم المفعول، يقال: تَيَّمَتْهُ المرأةُ، أو العِشق والحبّ، تَيْماً وتَيَّمَتْهُ تَتْييماً: عَبَّدَتْه وذَلَّلَتْهُ، كذا في القاموس. وكان هذا المتيّم المكنّى به عن نفسه مات من العشق والحبّ؛ فإذا عادت له تلك الليالي الماضية، ليالي الاجتماع واللقاء يحيا بعد موته، ويظفر بعد فوته. وقوله (ويَأْنَس): أَنِسْتُ به إِنْساً من باب علم، وفي لغة من باب ضرب: إذا سَكَنَ القلب به ولم ينفر، كذا في المصباح. وقوله (مشتاق): فاعل يأنس؛ لأنّ المشتاق إلى محبوبه يستوحش من كلّ من يكون سواه، ولا يأنس إلّا بلقياه. وقوله (ويَلْتَذُّ): أي ينال اللَّذَة، يقال: لَذَّ الشيء يَلَذُّ من باب تعب، لَذَاذاً ولَذَاذَةٍ، بالفتح صار شهيّاً؛ فهو لَذِيذ، كما في المصباح. وقوله (سامع): أي لكلام محبوبه، أو لذكره وتكرار اسمه على لسانه؛ حيث لا لذّة لعاشق إلّا بما يكون من جهة محبوبه؛ لأنّه غاية مطلوبه[1].

(اللهمّ): أي يا الله . (إنّك قد ورّثتنا): أي جعلت ميراثنا منه. يقال: وَرِثَ مالَ أبيه، ثمّ قيل: وَرِث أباه مالاً يَرِثَه وِرَاثَةً؛ فإنّ وَرِثَ البعضَ قيل: وَرِثُ منه، وأَوْرَثُه أبوه مالاً: تركه له مِيراثاً ووِرَاثَة تَوْرِيْثاً: أشركْتُه في المال، قال الفارابي: وَرَّثَهُ: أَدْخَلَه في ماله على وَرَثَتَه. وقال أبو زيد: وَرَّثَ الرجلُ فلاناً مالاً تَوْرِيثاً: إذا أَدْخَل على وَرَثَتِه مَنْ ليس منهم؛ فجعل له نصيباً، كذا في المصباح. والمعنى: جعلتنا وَرَثَةً ولسنا بِوَرَثَة، فجعلت لنا نصيباً. (وكلامه): أي كلام الشيخ عمر بن الفارض قدّس الله سرّه، وهو جدّ جامع هذا الديوان لأمّه، الشيخ العارف بالله تعالى عليّ قدّس الله سرّه، سبط الناظم المذكور قدّس الله سرّه، وجعل جنّة الرضوان مقرّه. (المنظوم): صفة لكلامه، أي: الذي هو مسبوك في سلك الوزن

---

(١) ورد على هامش المخطوطة قول الناسخ: «بلغ».

المخصوص كاللآلئ والدرر في السلك المرصوص. (**فورثنا في المحبّة**): الإلهيّة (**مقامه**): أي مقام الشيخ عمر قدّس الله سرّه. (**المعلوم**): عند أهله العارفين بفروعه من أصله. (**واسقنا من كأس**): أي إناء (**رحيقها**): أي المحبّة الإلهيّة. (**المختوم**): صفة للكأس، من خَتَمَهُ خَتْماً وخِتَاماً: طَبَعَهُ، كذا في القاموس. (**واهدنا**): أي أوصلنا إلى (**صراطها**): أي طريق المحبّة الإلهيّة. (**المستقيم**): صفة لصراطها. (**فيما بقي**): أي في المدّة الباقية. (**من أجلنا**): الأَجَل، محرّكة غاية الوقت في الموت، ومُدَّة الشيء، كذا في القاموس. (**المحتوم**): بالحاء المهملة، من الحَتْم، وهو القَضاء وإيجابُه، وإحْكام الأمر، كذا في القاموس. (**فأنت قسمت**): يا ربّنا. (**رزق محبّتك**): أي بحسب ما تريد وتختار، وكيفما شئت. (**على أوليائك**): أي عبادك الصالحين. (**فهب**) الفاء للتعقيب، وهب فهل أمر من الهبة، وهي العطيّة. (**لنا أحسن نصيب من هذا الرزق**): وهو محبّتك الربّانية (**المقسوم**): وصف للرزق. أي: بالقسمة الأزليّة في الحضرة التقديريّة، قال تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ [٤٣/ الزخرف/ ٣٣] (**وهذا**): أي جملة ما ذكر/ [٤٨٢/ أ] من قصائد هذا الديوان المباركة، وجملة مقاطيعه، وألغازه. (**ما**): أي الذي (**انتهى**): أي وصل (**إلينا من دُرر**): جمع دُرَّة، وهي اللؤلؤة الكبيرة. (**قصائده**): أي قصائد الشيخ عمر بن الفارض قدّس الله سرّه، قال في القاموس: «القَصِيد ما تمّ شَطْر أبياته، وليس إلّا ثلاثة أبيات فصاعداً، أو ستَّة عشر فصاعداً كالقصيدة». (**أشاهده**): وصف لقصائد (**بحسن سلوكه**): أي سيره في طريق الله تعالى على منهج الاستقامة الشرعيّة في الظاهر والباطن. (**إلى مقامه**): الذي أقامه الله تعالى فيه من مقامات القرب لديه. (**وسيره**): أي توجّهه بالتجريد والخلوص. (**إلى مقاصده**): الإلهيّة ومطالبه الربّانيّة. (**اللهمّ**): أي يا الله ؛ فإنّ الميم المشدّدة عوض عن يا، حرفان عوض حرفين. (**يا اللهُ**): بالبناء على الضمّ. (**يا الله**): بالتكرار للتأكيد اللفظي. (**يا الله**):

بزيادة التأكيد. (متّعه): أي الناظم، قدّس الله سرّه، فعل دعاء له. (بالنظر): ببصره وبصيرته. (إلى جمال وجهك): في كلّ شيء يدركه ببصره أو ببصيرته، كما قال تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [٢/ البقرة/ ١١٥]؛ فإنّ ثَمَّ بفتح الثاء المثلثة إشارة إلى الشيء الهالك من مكان أو متمكّن، أو غيرهما، وهي الأشياء المحسوسة والمعقولة، قال تعالى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [٢٨/ القصص/ ٨٨] فمن رأى شيئاً ولم ير الوجه فما رأى جمال الوجه الإلهيّ، ومن رأى جمال الوجه الإلهيّ فما رأى شيئاً مثل الليل والنهار؛ فالليل هو الشيء والنهار هو الوجه، ولا يجتمعان. (الذي): وصف لجمال الوجه. (ما أحبّ): أي الناظم قدّس الله سرّه (سواه): أي غيره؛ إذ لا غير إلّا هو؛ فإنّ الوجه الإلهيّ واحد، والأشياء الهالكة كثيرة، قال العفيف التلمساني قُدِّس سرّه من قصيدة له:

يا بديع الجمال فاز محبّ ... بلذيذ الوصال فيك تهنّا

كيف يرجو البقا وهو مع الهجر ... قتيل وعند رؤياك يفنى

(ولا أفنى): أي أُذاب وأعدم. (جسده): أي بدنه بالسقام ظاهراً، وباطناً وبالرياضة الشرعيّة، وتحقيق المقام. (وعمره): أي مدّة حياته في الدنيا. (إلّا في) في سبيل. (هواه): أي محبّته تعالى. (واجعله): اللهمّ. (من): أخصّ. (أتباع نبيّك): ورسولك (وحبيبك): وخليلك. (محمّد): بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم. (رسول الله): وضع الظاهر موضع المضمر لمراعاة السجع واستلذاذاً بحلاوة ذكر المحبوب، وليشترك الظاهر والضمير الباطن في الإشارة إليه تعظيماً لجلاله، وتفخيماً لكماله. (الذي): وصف لمحمّد صلّى الله عليه وسلّم. (أنزلت عليه في كتابك): أي كلامك القديم، وهو القرآن العظيم. (الداعي): وصف للكتاب. (به): أي بذلك الكتاب، وفاعل اسم الفاعل ضمير يرجع إلى محمّد صلّى الله عليه وسلّم، على طريقة النعت السببي نحو قولك جاء زيد القائم أبوه. (إلى النجاة):

أي السلامة من مهالك الدنيا والآخرة والفوز والسعادة. (قبل): هذه الجملة وما بعدها من الآية في محلّ نصب مفعول أنزلت، والخطاب فيها للنبيّ محمّد صلّى الله عليه وسلّم. (إنْ كنتم): أيّها الناس المكلّفون. (تحبّون الله): على حسب ما تزعمون، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾ [٥/ المائدة/ ١٨] الآية: ﴿فَٱتَّبِعُونِى﴾ أي: كونوا على طريقتي وشريعتي ظاهراً وباطناً ﴿يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [٣/ آل عمران] تعالى الذي أرسل رسوله إليكم بالهدى ودين الحقّ. (وهذا): أي الذي سيذكره من القصائد الباقيّة الثمانيّة الآتي ذكرها. (ممّا): أي جملة. (الذي وجدته): من القصائد التي سبق ذكرها بعد تمام الديوان كالقصيدة العينيّة التي غابت مائة سنة ثمّ وجدت كما مرّ بيانه. (في بعض النسخ): من نسخ هذا الديوان، قال في القاموس: نسخ الكتاب: «كَتَبَه عن مُعارَضَة كانْتَسَخَه واسْتَنْسَخَهُ. والمنقول منه النُّسْخَة بالضمّ». وهذا البعض من النسخ التي وجد فيها ذلك غير هذه النسخة/ [٤٨٢/ ب] التي (هي أصحّ النسخ واضبطها): فإنّ هذا الديوان جُمِعَ غير هذا الجمع، قبله وبعده؛ ولهذا (ترى): فيه تقديماً وتأخيراً لا يكاد ينضبط ، وفيه زيادات ونقصان عن جمعنا هذا (الذي شرحناه). ولكن يسّر الله تعالى لنا هذا الجمع الذي جمعه سبط الناظم قدّس الله سرّهما على هذا الترتيب المذكور بالتراجم المذكورة، وخدمناه بهذا الشرح المبارك إنْ شاء الله تعالى. والحمد لله على إنعامه والتيسير إنْ شاء الله تعالى من محض فضله علينا لحصول اختتامه ألهمني وصف النسخ. (حضرت): أي أرسلت (إليّ): بتشديد الياء التحتيّة. (من الأصحاب): الذين كانوا يصحبون سبط الناظم قدّس سرّهما، وذلك في وقت جمعه هذا، وترتيبه له، وإيراد التراجم والأسجاع، وتحرّيه في ذلك كمال التحرّي. (حتّى) وقع عليه. (وقد أثبته): أي ما وجدته من ذلك. (في هذه النسخة المباركة): إنْ شاء الله تعالى.(لأجمع على هذا النَّفَس): بفتح الفاء. (المبارك): الذي حصل الفتح. (على القلب المحمّدي): من الجسد الفارضي

من جناب الحقّ تعالى وتبارك. (فيها): أي في هذه النسخة؛ فإنّ الإجماع وقع من الأصحاب الصالحين والأحباب من الأولياء المتّقين أنَّ النَفَسَ واحد في شمّ الروائح. وأهل الشمّ ممن يستدلّون على المسك بالنوافج النوافح. (وتكون): أي هذه النسخة (مشوِّقة): بتشديد الواو، مكسورة، أي: ملقية للأشواق في قلوب العشّاق إلى حضرة النور والإشراق. (لمستمعيها): جمع مستمع، وهو الذي يسمع نظامها، ويفهم معانيها وإشاراتها، ويدرك انتظامها. (وقارئها): وهو الذي يقرأها على الصحة والضبط، فلا يخلّ بأوزانها، ولا يخسر لميزانها، ولهذا نحن بذلنا الجهد في ضبط الألفاظ والكلمات، وأوضحنا بعض الإشارات، وكشفنا عن طرف ممّا سيقت له من المعاني، ولوّحنا بجانب ممّا تعطيه إفادات تلك المباني لعلمنا بأنّ الوقت لا يحتمل أكثر من ذلك، والله الهادي إلى أقوم المسالك. (وهو): أي الذي وجدته (هذا): النظم البديع لفائح أسرار معانيه كأزهار الربيع.

* * *

مَا بَيْنَ ضَالِ المُنْحَنَى

[وقال قدّس الله سرّه]: الكامل

١ - مَـا بَـيْنَ ضَـالِ المُنْحَنَـى وَظِلَالِـهِ ضَـلَّ المُتَـيَّمُ وَاهْتَـدَى بِـضَلَالِهِ

(ما بين): ما زائدة ظرف متمكّن. وقوله (ضال): بالضاد المعجمة، اسم شجر، وهو نوع من السدر: ما كان عذباً، واحدته: بهاء، كذا في القاموس. وقال في الصحاح: «الضَال السِدر البرِّي، الواحدة ضَالَة»، يشير بذلك إلى حضرة العلم الإلهيّ الذي على طبقه توجّه الكلام الربّانيّ بالإرادة والمشيئة والقدرة الإلهيّات؛ فإنّ كلّ شيء ثابت محقّق في هذه الحضرات الإلهيّة القديمة من غير وجود لها. وقوله (المُنْحَنى): بضمّ الميم وسكون النون وفتح الحاء المهملة، وآخره ألف مقصور، اسم مكان بالحجاز إشارة إلى الوجود الحقّ المطلق؛ فإنّه باعتبار ما يظهر عن أمره من حضرة علمه كأنّه ينحني بالنظر إلى من يشهده، فمن يشهده يحنيه فيتجلّى بها هي عليه الكائنات من أحوالها وصفاتها، وهو معنى النزول الوارد في حديث: «ينزل ربّنا كلّ ليلة إلى سماء الدنيا»[1] ونحو ذلك. وقوله (وظلاله): أي ظلال ذلك الضال، والظلال: جمع ظلّ، كناية عن هذه العوالم العلويّة والسفليّة، الحسيّة والعقليّة من جميع الأشياء؛ فإنّها بمنزلة الظلال عن المعلومات الربّانيّة والمرادات الإلهيّة، كما أشار تعالى إلى ذلك بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ أي: ظلّ الكائنات ﴿وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾ لم يتحرّك إلى آخر الآية [٢٥/ الفرقان/ ٤٥]. وقال تعالى في أصحاب الميمنة: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [٥٦/ الواقعة/ ٣٠] وفي أصحاب

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب: الدعاء نصف الليل، ٦٣٢١، بلفظ: يتنزّل ربّنا تبارك وتعالى كلّ ليلة .....

المشأمة: ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾ [٥٦/ الواقعة/ ٤٣] وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [١٣/ الرعد/ ١٥] يعني: في الحضرة العلميّة والإراديّة، ﴿وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ [١٣/ الرعد/ ١٥] أي: ظلال تلك المعلومات والمرادات. وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ﴾ [١٦/ النحل/ ٤٨]. الآية وقوله (ضلّ المتيّم)/ [٤٨٣/ أ] أي: المحبّ المشتاق من الضلال يقال: ضَلَّ الشيءُ يَضِلُّ ضَلَالاً، أي: ضَاعَ وهَلَكَ، وَضَلَّ: خَفِيَ وغاب قال تعالى: ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [٣٢/ السجدة/ ١٠]: خفينا وغبنا، كما في الصحاح. وهو الفناء والاضمحلال في الوجود الحقّ؛ فإنّ العارف إذا تحقّق بمعرفة نفسه عرف بأنّه بمنزلة الظلّ المرسوم بالحقّ المعلوم، فتضمحلّ دعاويه، ويجزم بأنّ العدم يساويه، وهذا معنى ضلاله الذي هو فيه. وقوله (واهتدى بضلاله): أي صار ضلاله المذكور عين هدايته وخروجه من الظلمات الكونيّة إلى النور، وهذا هو الضلال المحمود الذي ينتج الالتحاق بحقيقة الوجود، وهي الهداية الكاملة، والعناية الشاملة، كما قال تعالى لنبيه صلّى الله عليه وسلّم: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ [٩٣/ الضحى/ ٧] أي: وجدناك ذاهباً مضمحلاً في حقيقة وجودنا الحقّ فهديناك إلينا، ورددناك علينا، وأرجعناك إلينا، قال تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٤٥] ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ [١١/ هود/ ١٢٣] ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٨٠]، ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [٥٣/ النجم/ ٤٢] فإذا رجع الكلّ إليه يرجع المؤمن بإيمانه، ويرجع الكافر بكفره ويرجع العاصي بعصيانه، والفاسق بفسقه، والفاجر بفجوره، والصالح بصلاحه، كما كان كلّ واحد منهم كذلك في علمه القديم، وفي كلامه المستقيم، ونعيمه المقيم، وعذابه الأليم، والله بكلّ شيء عليم.

٢- وبِــذَلِكَ الــشِّعْبِ الــيَمَانِي مُنْيَــةٌ   لِلــصَّبِّ قَــدْ بَعُــدَتْ عَــلَى آمَالِــهِ

(وبذلك): أي في ذلك، والإشارة بصيغة البعد إلى ضال المنحنى على حسب ما ذكرنا. وقوله (الشِّعْب): وصف لاسم الإشارة. والشِّعْب بالكسر: الطريق في الجبل، ومسيل الماء في بطن أرض، أو ما انفرج بين الجبلين. والشَّعْب بالفتح كالمنع: القبيلة العظيمة، كذا في القاموس. ويحتمل هنا الكسر والفتح؛ فإن كان الأوّل فهو عام، وإنْ كان الثاني فهو خاص. وقوله (اليماني): وصف للشعب بالمعنيين منسوب إلى بلاد اليمن، قال في القاموس: «اليمن محرّكة: ما عن يمين القبيلة من بلاد الغور، وهو يَمَنِي ويَمَانِي». وقد روى البخاريّ ومسلم والترمذيّ عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «أتاكم أهل اليمن هم أضعف قلوباً، وأرق أفئدة، الفقه يمان والحكمة يمانيّة»[1]. وإنّما كنّى عنه بالشعب لتشعبّه وكثرة فروعه، وهو أصل واحد، فهو واحد، وكثير، وباليمانيّ لأنّه عن يمين الكعبة بيت الله، ويمين الكعبة شِمال المستقبل لها، والقلب شمال الإنسان، وهو بيت الله كما ورد: «ما وسعني سمواتي ولا أرضي ووسعني قلب عبدي المؤمن»[2]: وقوله (مُنْيَةٌ): بضمّ وسكون النون، أي: مطلوب ومرغوب فيه، قال في القاموس: «تَمَنَّاه: أراده، ومَنَّاه إياه، وبه تمنية، وهي المُنْيَة بالضمّ وتكسر». والكناية بذلك عن المحبوبة الحقيقيّة، والحضرة العليّة. وقوله (للصبّ): أي للمحبّ المشتاق. وقوله (قد بعُدتْ): أي تلك المُنْيَة المذكورة، وبُعْدُها كمال تنزيهها عن مشابهة الأكوان ولو بوجه من الوجوه؛ فإنّ وجودها وجود حقّ من غير مادّة، وكلّ ما سواها موجود بها، لا بنفسه، ووجوده بالمادّة؛

(١) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب: المغازي، باب: قدوم الأشعريين، ٤٣٩٠. كما رواه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: تفاضل أهل الإيمان فيه، ١٩٣. كما أخرجه الترمذيّ في سننه، كتاب: المناقب، باب: في فضل أهل اليمن، ٤٣١٤.

(٢) انظر تخريجه ص٣٢٤ و ١٦٧٧.

بل هو كناية عن المادّة، والمواد كلّها عدم محض؛ لأنّها تقاتل الوجود المحض. وقوله (على آماله): أي آمال ذلك الصبّ. والآمال: جمع أَمَل، كجبل، ونجم، وهو: الرجاء، وجمعه آمال، كذا في القاموس. يعني: إذا أراد أن يترجّى حصوله وتحقيق إدراكه يجده بعيداً عنه؛ وذلك لما قلنا بأنّه ماديّ وذاك مجرد عن المادّة، والمجرّد عن المادّة لا يدرك بالمادة.

٣- يَـا صَـاحِبِي هَـذَا العَقِيْـقُ فَقِـفْ بِـهِ مُتَوَلِّهًا إنْ كُنْتَ لَـسْتَ بِوَالِه [٤٨٣/ ب]

(**يا صاحبي**): ينادي عقله الملازم له من سِنِّ التمييز. وقوله (**هذا العقيق**): اسم وادٍ، وكلّ مسيل شقّه ماء السيل، وموضع بالمدينة، وباليمامة، وبالطائف، وبتهامة، وبنجد، وستّة مواضع أُخر، كذا في القاموس. والإشارة بهذا إلى القريب؛ لأنّ وادي العقيق الذي بقرب المدينة المنوّرة نصب عينه، لأنّه بقرب ديار الأحبّة، وإليه تصل نفحات طيبه فيطيب بهبة منها بعد هبَّه؛ فإنّ النور الذي خُلق منه هو وصاحبه؛ بل جميع الأكوان، هو النور المحمّديّ الظاهر على صفحات جميع الأعيان، وهو من النور الحقيقيّ بلا انفصال منه ولا اتّصال، وهو مظهر الكمال الإلهيّ بالجلال والجمال. وقوله (**فقف به**): أي بالعقيق المذكور، ولا تتجاوزه. والفاء للتعقيب. وقف فعل أمر من الوقوف، هو عدم السير؛ لأنّه كما في المثل: «من غير مرية ما بعد عبادان قرية». فلا وصول إلّا إليه. وفيه تضمحلّ أعيان الكائنات، فلا تجاوز ما لديه، وهو سدرة منتهى العقول، والدخول في حقيقتة هو الكناية عن الوصول. وقوله (**متولهًا**): أي مظهراً التولّه به، ومكلّفاً نفسك إظهاره، قال في القاموس: «الوَلَه محرّكة: الحُزْن، أو ذهاب العقل حُزْناً، والحَيْرَة، والخَوْف، وَلِهَ كوَرِثَ، ووَجِلَ، ووَعَدَ؛ فهو ولْهَان ووَالِه». وقوله (**إنْ كنتَ**): بفتح التاء المثنّاة الفوقيّة. وقوله (**بواله**): أي بصاحب وَلَهٍ؛ فإنّه لا وسيلة للعبد إلّا المحبّة الصادقة، والأشواق المتلاحقة.

٤- وَانْظُــرْهُ عَنِّــي إنَّ طَــرْفِيَ عَــاقَنِي   إرْسَــالُ دَمْعِــي فِيْــهِ عَــنْ إرْسَــالِهِ

(وانْظُرْهُ): أي العقيق المذكور في البيت قبله، والخطاب لصاحبه. وقوله (عنّي): أي نيابة عنّي؛ فإنّ نظر العقل غير نظر الحسّ والذوق. وقوله (إنْ طرفي): أي بصري الذي أنظر به في المحسوسات. وقوله (عاقني): يقال: عَاقَه عن كذا يَعُوقُهُ عَوْقاً واعْتَاقَه، أي: حَبَسَهُ وصرفه. وعَوائِق الدهر: الشواغل من أحداثه، كذا في الصحاح. وقوله (إرسال): فاعل عاقني، أي: إرساله. وقوله (دمعي): أي الدمع النازل من (طَرْفي): أي عيني التي أنظر بها. وقوله (فيه): أي في العقيق. يعني: في محبّته والشوق إليه. وقوله (عن إرساله): أي طَرْفي إلى العقيق لينظره، يقال: أرسل طرفه إلى كذا: إذا نظر إليه. ويكنّى بإرسال دمعه عن فناء نفسه واضمحلالها في الوجود الحقّ من قبيل قول المتنبّي:

حشاشة نفس ودّعت يوم ودّعوا   فلم أدر أيّ الظاعنين أشيّع

أشاروا بتسليم فجدنا بأنفس   تسيل من الآماق والاسم أدمع

وقد أخذه الحسن البوريني رحمه الله تعالى فقال في مطلع قصيدة رثى بها شيخه جد والدنا الشيخ إسماعيل بن علي النابلسيّ رحمه الله تعالى:

روح أقطِّرها تسمّى أدمعاً   ودّعتها مذ قيل خلّك ودّعا

٥- وَاسْـأَلْ غَـزَالَ كِنَاسِـهِ هَـلْ عِنْـدَهُ   عِلْـمٌ بِقَلْبِـي[1] فِي هَـوَاهُ وَحَالِـهِ

(واسأل): فعل أمر، خطاب لصاحبه في البيت السابق. وقوله (غزال كِناسِهِ): أي كِناس العقيق المشار إليه في البيت السابق، يقال: كَنَسَ الظَّبْيُ يَكْنِسُ: دخل في كِناسِه، كَتَكَنَّسَ، وهو مُسْتَتَرَهُ في الشجر، لأنّه يَكْنُسُ الرمل حتّي يَصل إليها، كذا في القاموس. وقال في الصحاح: «الكَانِس: الظَّبْي يدخل في كِناسِه، وهو موضعه

(١) في (ق): بقتلي.

فِي الشجر يَكْتَنُّ فيه ويَسْتَتِرُ، وقد كَنَسَ الظَّبْيُ يَكْنِسُ بالكسر». والكناية بغزال كِناسِ العقيق عن الحقيقة المحمّديّة، وكِناسُها الوجود الحقّ الغائبة في حضرة علمه وحضرة كلامه. وقوله (هل عنده): أي عند ذلك الغزال. وكنّى عنه بالغزال لنفرته عن الأغيار وتألفه بالأنوار. وقوله (عِلْمٌ بقلبي في هواه): أي في محبّته، وزيادة الشوق إليه. وقوله (وحاله): معطوف/[٤٨٤/ أ] على قلبي، أي: بحاله الذي هو فيه من كثرة الاشتياق وتراكم الاحتراق.

٦- وَأَظُنُّــهُ لَمْ يَــدْرِ ذُلَّ صَــبَابَتِي   إِذْ ظَــلَّ مُلْتَهِيــاً بِعِــزِّ جَمَالِــهِ

(وأظنّه): أي أظن ذلك الغزال المذكور في البيت قبله. وقوله (لم يدرِ ذُلَّ صَبَابَتِي): أي محبّتي له الزائدة الكثيرة. وقوله (إذْ): أي لأنّه. وقوله (ظلّ): أي نهاراً، يقال: ظَلِلْتُ أعمل كذا، بالكسر، ظُلُولاً: إذا عملته بالنهار دون الليل، ومنه قوله تعالى: ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ [الواقعة/ ٥٦/ ٦٥] وهو من شواذ التخفيف، كذا في الصحاح. وقوله (مُلتهيًا): أي عنّي وعن غيري. وقوله (بعزّ جماله): أي جمال ذلك الغزال نفسه، وهو جماله الحقيقيّ الظاهر عليه من تجلِّي الاسم الجميل؛ فإنّ الحقيقة المحمّديّة جميلة بالجمال الإلهيّ، وهي مستغرقة في ذلك الجمال، ولها به كمال الاشتغال، والعزّة لذلك الجمال، لا لسواه؛ وإنّما الوهم يذهب بالعقول مذاهب الغوى.

٧- تَفْدِيْــهِ مُهْجَتِــيَ التِــي تَلِفَــتْ وَلَا   مَــنٌّ عَلَيْــهِ لأَنَّهــا[1] مِــنْ مَالِــه

(تفديه): أي تفدي ذلك الغزال في البيت قبله. يعني: من جميع الأسواء. وقوله (مُهْجَتِي): المُهْجَة الدَم، أو دمّ القلب، والروح، كذا في القاموس. وقوله (التي): صفة لمهجتي. وقوله (تَلِفَتْ): أي اضمحلّت وفنيت في محبّته. وقوله (ولا مَنٌّ): بتشديد النون، يقال: مَنَّ عليه مَنّاً: أَنْعَمَ عليه، واصْطَنَع عنده صَنِيعَة، كذا في

(١) في (ق): فإنّها.

القاموس. وقوله (عليه): أي على ذلك الغزال المذكور. وقوله (لأنّها): أي مهجتي؛ بل أنا بجملتي. وقوله (من ماله): أي من مال ذلك الغزال، لأنّي مخلوق من نوره، وكذلك جميع الأكوان، كما ورد في الحديث، ويناسبه قول القائل:

كـــالبحر يمطـــر بالـــسحاب ومـــا لـــه مَـــنٌّ عليـــه لأنّـــه مـــن مائـــه

٨- أَتُــرَى دَرَى أَنّي أَحِــنُّ لِــهَجْرِهِ إذْ كُنْــتُ مُــشْتَاقاً لَــهُ كَوِصَــالِهِ

(أترى): الهمزة للاستفهام، وتُرى بضمّ التاء المثنّاة الفوقيّة. وقوله (درى): أي علم، يعني: ذلك الغزال المذكور في البيت السابق. وقوله (إنّي أَحِنُّ): من الحنين، وهو الشوق. وقوله (لِهَجْرِهِ): أي هَجْرِ ذلك الغزال المذكور. يعني: أحبّ هجره لي، يقال: هَجَرَهُ هَجْراً، بالفتح، وهِجْرَاناً بالكسر: صَرَمَه، و- الشيء: تركه، كذا في القاموس. وقوله (إذْ): أي لأنّي. وقوله (كنت مشتاقاً): أي لهجره. وقوله (كوصاله): أي وصال ذلك الغزال المذكور. والمعنى: إنّي مشتاق لهجره مثل أنّي مشتاق لوصاله، فلا أفرّق في محبّته بين أوصافه وأحواله وأفعاله، سواء كانت ملائمة أو غير ملائمة، ولا حظّ لي، ولا لنفسي معه؛ فكلّ ما يفعله فهو عندي مقبول مَرضي؛ فأشتاق إلى كلّ ما يفعله بي من الأفعال، وأعشق جميع صفاته والأحوال.

٩- وَأَبِيْــتُ سَــهْرَاناً أُمَثِّــلُ طَيْفَــهُ لِلطَّــرْفِ كَــيْ أَلْقَــى خَيَــالَ خَيَالِــهِ

(وأبيت سهراناً): أي من غير نوم ولا غفلة عنه؛ لأنّه المظهر التامّ، والمجلى العام للحقيقة النوريّة الحقيقيّة، والذات الوجوديّة الكماليّة، فمحبّتي له هي عين المحبّة الإلهيّة. وقوله (أُمَثِّل): بتشديد الثاء المثلثة مكسورة. وقوله (طَيْفَهُ): أي طيف ذلك الغزال المكنّى به عن الحقيقة المحمّديّة التي هي المجلى التامّ للحقيقة الإلهيّة. والطيف هو: الخيال الطائف في المنام، أو مجيؤه في النوم. وطَاف الخيال يَطِيْفُ طَيْفاً ومَطَافاً ويَطُوف طَوْفاً. وإنّما قيل لطائف الخيال طَيْف؛ لأنّ أصله:

طَيْف كمَيْت ومَيِّت لمن مات ويموت، كذا في القاموس. وتمثيل طيفه كناية عن تخيّله في اليقظة، واليقظة منام، كما ورد في الحديث: «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا»[1] فإذا مثّله في اليقظة فكأنّه نام في نومه. وقوله (للطرف): أي لبصره حتّى يراه. وقوله (ألقى خيال خيله): فإنّ خياله/ [٤٨٤/ ب] يلقاه في نومه؛ فإذا كان في اليقظة التي هي منام ومثّل فيها طيفه؛ فكأنّه نام ورأى في منامه أنّه نام ورأى في منامه طيف خيال محبوبه؛ فإنّه يكون رأى خيال خياله.

١٠- لا ذُقْتُ يَوْمَاً رَاحَةً مِنْ عَاذِلٍ إنْ كُنْتُ مِلْتُ لِقِيْلِهِ وَلِقَالِهِ

(لا ذُقْتُ): بضمّ التاء المثناة الفوقيّة، جملة دعائيّة على نفسه. وقوله (يوماً): أي في يوم من الأيام. وقوله (راحة): مفعول ذقت. وقوله (من عاذل): أي لائم يلومني على هوى ذلك المحبوب الحقيقيّ المذكور. والراحة من العاذل إنّما تكون بإطاعته، وامتثال أمره بترك المحبّة والعشق. وقوله (إنْ كُنْتُ مِلْتُ): بضمّ التائين المثناتين الفوقيّتين، أي: رجعت عمّا أنا فيه من المحبّة والعشق. وقوله (لقيله ولقاله): أي لقيل العاذل وقاله. واللام للتعليل، قال في القاموس: «القول: الكلام، أو كُلّ لفظٍ مَدلَ به اللِسان تامّاً أو ناقصاً، وجمعه أقوال، وجمع الجمع: أقاويل. أو القول في الخير، والقالُ والقالة في الشرّ أو القَول مصدر، والقيلُ والقالُ: اسمان له، أو قال قولاً وقيلاً. وقَوْلَة ومَقالة ومَقالاً فيهما فهو قائل، وقالٌ وقَؤُول، بالهمز وبالواو». وقال في الصحاح، يقال: كثر القيل والقال. وفي الحديث: «نهي عن قيل وقال»[2] وهما اسمان.

---

(١) قال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة: «أورده الغزالي مرفوعاً إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فقال الحافظ العراقي وتبعه السبكي: لم أجده مرفوعاً، وإنّما يعزى إلى عليّ بن أبي طالب انظرسلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني،١٠٢ ،ج١ ص١٧٩.

(٢) قطعة من حديث أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب: الرقاق، باب:ما يكره من قال وقيل، ٦٤٧٣٢.

١١ - فَوَحَقِّ طِيبِ رِضَا الحَبِيبِ وَوَصْلِهِ مَـا مـلَّ قَلْبِـي حُبَّـه لِمَلَالِـهِ

(فَوَحَقِّ): الفاء للتعقيب، وفي نسخة بالواو للعطف على ما قبله. والواو الثانية للقسم، والحقّ: الأمر المقضي، وواحد الحقوق، كذا في القاموس. وقوله (طيب): مقسم به مضاف إلى قوله (رضا الحبيب): أي المحبوب الحقيقيّ المكنّى عنه بما سبق. وقوله (ووصله): معطوف على طيب أو على رضا، أي: وصل الحبيب المذكور، أو طيب وصله. وهو كناية عن وجدانه به، لا بالنفس، وفقد النفس. وقوله (ما ملَّ): أي ما سئم، يقال: مَلِلْتُ الشيءَ بالكسر، ومَلِلْتُ منه أيضاً مَلَلاً ومَلَّةً ومَلَالَة: إذا سَئِمْته، كذا في الصحاح. وقوله (قلبي): فاعل. وقوله (حبّه): مفعول ملَّ، أي: محبّته. وقوله (لملاله): أي المحبوب المذكور، واللام للتعليل، أي: لأجل ملله لي وسامته، فإذا ملّني وسئم منّي فأنا لا أملّ محبّته، ولا أسأم منها طول الزمان.

١٢ - وَاهَـاً إِلَى مَـاءِ العُـذَيْبِ وَكَيْـفَ لِي بِحَشَـايَ لَـوْ يُطْفَـى بِـبَرْدِ زُلَالِـهِ

١٣ - وَلَقَـدْ يَجِلُّ عَـنِ اشْتِيَاقِي مَـاؤُهُ شَرَفـاً فـوا ظَمِئِـي لِلَامِـعِ آلِـهِ

(واهاً): بالنصب والتنوين، قال في الصحاح: «إذا تَعَجَّبْتَ من طِيبِ الشيءِ قلت: وَاهاً له، ما أطيبه». وقال في القاموس: «وَاهَاً لَهُ وبترك تنوينه: كلمة تعجّب من طِيب شيءٍ وكلمة تلهّف». وقوله إلى ماء العُذيب بالتصغير، والعُذَيب كزبير: ماء، كذا في القاموس. وهو اسم ماء معروف عند العرب. كناية عن الوجود الحقيقيّ الذي قام به كلّ شيء من محسوس ومعقول. وقوله (وكيف لي): استفهام معناه على أي كيفيّة. وقوله (بحشاي): الحشى بالحاء المهملة والشين المعجمة: ما دون الحجاز، أي: الزنّار ممّا في البطن من كبد وطحال وكرشه وما تبعه، أو ما بين ضلع الخلف الشيء في آخر الجنب إلى الورك، أو ظاهر البطن، كذا في القاموس. والمراد به هنا القلب. وقوله (لو يُطفَى): بالبناء للمفعول، أي: حشائي من نيران

المحبّة الموقدة فيه. وقوله **(ببرد زلاله)**: أي زلال ماء العُذَيب المذكور، قال في القاموس: «ماء زُلال كغُراب وأَمير وصَبُور وعُلَابِط سريع المَرّ في الحَلْق بارد عَذْب صَافٍ سِلسَال سَهْل». وقوله **(ولقد يَجِلّ)**: أي يعظُم. وقوله **(عن اشتياقي ماؤه)**: أي ماء ذلك العُذيب، فلا يليق بذُلِّي وحقارتي أنْ اشتاق إلى مائه لعظم مائه، وكمال جلاله. وقوله **(شَرَفاً)**: بالتحريك منصوب على أنّه مفعول من أجله، أي: من أجل ماله من الشرف والرفعة، وعزّ الجناب. ثمّ قال **(فوا ظمئي)**: بفاء التفريع على ما قبله، قال في القاموس: «وا: تكون حرفاً/ [٤٨٥/ أ] ولا تختصّ في الندبة، ويُنادى بها وتكون اسماً لأعجب، نحو قول الشاعر:

وا بـــأبي أنـــت وفوكـــا الأشـــنب كـــأنّما ذر عليـــه الزرنـــب

(والظمأ): العطش، يندب عطشه الزائد. وقوله **(لِلَامع آله)**: أي الآل المشابه لذلك الماء المذكور؛ فهو مضاف إليه باعتبار مشابهته له في اللمعان والبريق، يقال لَمَع البَرْق، كمنع، لُمعاً ولَمَعَاناً محرّكة: أضاء، كالْتَمَع، والفلاة يلمع فيها السراب، كما في القاموس. والآل بالمدّ: الذي تراه في أوّل النهار وآخره، كأنّه يرفع الشخوص، وليس هو السراب، كذا في الصحاح.

* * *

زِدْنِي بِفَرْطِ الحُبِّ

وقال قدّس الله سرّه : الكامل

١ - زِدْنِي بِفَــرْطِ الحُــبِّ فِيــكَ تَحَــيُّراً وَارْحَـمْ حَشَىً بِلَظَى هَـوَاكَ تَـسَعَّرا

(زدني): فعل دعاء يخاطب به حضرة المحبوب الحقيقيّ. وقوله (بفرط): أي بسبب زيادة من أفرط في الأسر، أي: جاوز فيه الحدّ. والاسم منه الفرْط بالتسكين، يقال: إياك والفَرْط في الأمر، كذا في الصحاح. وقوله (الحبّ): أي المحبّة. وقوله (فيكَ): خطاب للمحبوب الحقيقيّ، متعلّق بتحيّراً، قدم للحصر. وقوله (تحيراً): مفعول زدني، أي: تَحَيُّراً، حَارَ يَحَارُ حَيْرَةً وحَيْراً [وحَيَراً] وحَيَرَاناً وتَحَيُّراً واسْتَحَار: نَظَرَ إلى الشيءِ فَغُشِيَ عليه، ولم يَهْتَدِ لسبيله، فهو حَيْرَان وحَائِر، كذا في القاموس. وهذه الحَيْرَة في الله عين الهداية إليه، ولهذا طلب الزيادة منها، كما قال تعالى للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [٢٠/ طه/ ١١٤] أي: بك، والعلم بالله هو الحيرة فيه، قال الشيخ الأكبر قدّس سرّه في كتابه «التجلّيات الإلهيّة» في تجلّي الحيرة: «جلَّ جناب الحقّ العزيز إلّا حِمَى أنْ تدركه الأبصار، فكيف البصائر؟. فأقامهم في الحَيْرة فقالوا: زدنا فيك تَحَيُّرا، إذْ لا يحيّرهم إلّا بما يتجلّى لهم، فيطمعون في ضبط ما لا ينضبط، فيحارون، فسؤالهم في زيادة التحيّر بسؤالهم في إدامة التجلّي»، ومن هذا القبيل وقول من قال: «العجز عن دراك إدراك». وقوله (وارْحَم): خطاب للمحبوب الحقيقيّ، دعاء له. وقوله (حشىً): أي قلباً. وقوله (بلظى): أي نار، قال في القاموس: «اللَّظَى كفتى: النار، أو لَهَبُهَا، ولَظَى مَعْرِفَة: جَهَنَّم، ولَظِيَ كرضي لَظىً، وألظّت والتَظَّتْ: تَلَهَّبَتْ». وقوله (هواك): أي محبّتك، والخطاب للمحبوب الحقيقيّ. وقوله (تسعّرا): بألف الإطلاق، يقال: سعّر النار والحرب كمنع: أوقدها، كما في القاموس.

٢- وإذَا سَـــأَلْتُكَ أَنْ أَرَاكَ حَقِيْقَــةً فَاسْمَحْ وَلَا تَجْعَلْ جَوَابِي لَنْ تَرَى

(وإذا سألتك): أي طلبت منك، والخطاب للمحبوب الحقيقيّ. وقوله (أنْ أراك حقيقة): أي بغير صورة المظهر الذي تتجلّى به؛ لأنّ الرؤية بالمظهر رؤية مجازيّة، لا حقيقيّة. وفي قوله (وإذا سألتك): إشارة إلى أنّه ما سأله، لعلمه بأنّه لا يظهر للمخلوق بغير مظهر؛ لأنّ الوجود الحقّ المطلق عن جميع القيود بالإطلاق الحقيقيّ لا يُرى لتنزهه عن المادّة وكلّ ما سواه من خلقه ذو مادّة حسيّة، أو خياليّة، أو معنويّة، أو روحانيّة؛ فإنّ المواد كلّها إذا ارتفعت بجميع أنواعها كان هو الوجود الحقّ الحقيقيّ المجرّد عنها جميعها، ولنا في مطلع قصيدة قولنا:

أنــت قيــد الوجــود إنْ غبــت غابــا وإذا مــا ظهــرت كنــت حجابــاً

وأشار بقوله (وإذا سألتك) ولم يقل وإنْ سألتك إلى أنْ سؤاله يتحقّق منه لا مكانه، وعدم امتناعه لما تقدّم في ديباجة هذا الديوان، أنّه لمّا سئل هل أحاط أحد بالله علماً. فقال: نعم، إذا حَيّطهم يحيطون. وقوله (فاسمح): الفاء في جواب الشرط، واسمح فعل دعاء، أي: عاملنا بكرمك الفيّاض، وفضلك الواسع الفضفاض. وأجب دعاءنا، وأجزل عطاءنا، وأرنا وجهك الكريم، ووجودك العظيم. وقوله (ولا تجعل جوابي)/ [٤٨٥/ ب] أي: عن سؤالي بطلب رؤيتك رؤية حقيقيّة. وقوله (لن ترى): أي لن تراني. يعني: كما قلت لموسى عليه السلام لمّا قال لك: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٤٣] الآية. علّق رؤيته على استقرار الجبل مكانه من عدمه الأصليّ بلا وجود، والجبل إشارة إلى نشأته التي هو مركّب منها، ومنجبل من أجزائه التي خلق منها. فإذا انعدم من الوجود رأى الوجود نفسه لتجرّده عن المواد كلّها كما هو مجرّد في نفس الأمر، ولعلم موسى عليه السلام للرؤية كان مع بقائه على مادّته وفي جبيلته، ولهذا كان جوابه لن تراني. يعني: وأنت على ما أنت فيه من المادّة الطبيعيّة والنشأة الروحانيّة الإنسانيّة؛ فإنّ الرؤية

بالتجرّد المذكور كانت مدّخرة للحقيقة المحمّديّة، والنشأة الأحمديّة، من غير سؤال ولا طلب، ولورثته الأولياء المحمّديين نصيب من ذلك، ولهذا ودّ موسى عليه السلام أنْ يكون من أمّته. وقال نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم: «لو كان أخي موسى حيّاً ما وسعه إلّا اتّباعي»[1]. وقال تعالى في رؤية نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم: ﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴾ [٥٣/ النجم/ ١٢] فإنْ قلت كيف يقول الناظم (ولا تجعل جوابي لن ترى) وقد جعل الله تعالى جواب موسى عليه السلام ذلك قلت: قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه في الباب الثالث عشر وثلاثمئة من الفتوحات المكيّة: «اعلم وفقنا الله وإيّاك أنّ أصل أرواحنا روح محمّد صلّى الله عليه وسلّم فهو أوّل الآباء روحاً، وآدم أوّل الآباء جسماً، ونوح أوّل الآباء رسولاً. والأب الرابع هو إبراهيم عليه السلام هو أبونا في الإسلام، وهو الذي سمّانا المسلمين. وأقام البيت على أربعة أركان فقام الدليل على أربع مفردات متناسبة، وكانت النتيجة تناسب المقدّمات، فانظر من كانت هذه مقدّماته وهو محمّد وآدم ونوح وإبراهيم عليهم السلام ما أشرف ما تكون النتيجة، والولد عن هؤلاء روح طاهر، ورسالة، وشرع، واسم شريف. ومنه كان أبوه هؤلاء المذكورين فلا أسعد منه، وهو أشرف الأولياء منصباً ومكانة»... إلى آخر كلامه. ولمّا كان الناظم من الأولياء المحمّديّين، ومن ورثة محمّد صلّى الله عليه وسلّم في مقام ولايته الكاملة. وقال (لا تجعل جوابي لن ترى): كما أنّك لم تجعل جواب مؤرثي ذلك؛ فإنْ قلت: قال الناظم في القصيدة التائيّة الكبرى:

ومَنّي على سمعي بلن إنْ منعت أنْ ... أراك فمن قبلي لغيريَ لَذّتِ

وقال هنا (ولا تجعل جوابي لن ترى) فقد طلب أوّلاً قول لن تراني، وجعلها مِنّةً عليه، ولَذّة عنده، ودعا هنا بعدم قول ذلك، قلت: للأولياء الكاملين مقامات ينتقلون فيها من حال إلى حال، فحاله الأوّل اقتضى له أنْ يقول ذلك، وحاله

(١) أخرجه البيهقيّ في شعب الإيمان، باب: ذكر حديث جمع القرآن، ١٧٦.

الثاني اقتضى له أنّ يقول بخلاف ذلك، وهكذا أحوال الأولياء الكاملين: لا يقف بهم الأمر الإلهيّ على حال مخصوص كما أشار إلى ذلك تعاله بقوله: ﴿يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ فَٱرۡجِعُواْ﴾ [٣٣/ الأحزاب/ ١٣] يعني: إلى نشأتكم الإنسانيّة، ثمّ عودوا إلى أعلى ما كنتم فيه من التجلّيات الإلهيّة، قال صلّى الله عليه وسلّم: «إنّه ليغان على قلبي وإنّي لأستغفر الله في اليوم والليلة أكثر من سبعين مرّة»[1]. وقال أبو الحسن الشاذلي قدّس الله سرّه: «إنّ هذا عين أنوار لا أغيار. فإنّه صلّى الله عليه وسلّم كان دائم الترقّي، وكان كلّما رقي إلى مقام يجد المقام الأوّل الذي كان فيه غيناً وحجاباً بالنسبة إلى مقامه الثاني، فيستغفر منه، وهكذا دنيا وآخرة». ولورثته من ذلك نصيب ببركة المتابعة له، والاقتداء به ظاهراً وباطناً، كما قال تعالى: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ [١٢/ يوسف/ ١٠٨] فالبصيرة تجمع بينه وبين من اتّبعه إلى يوم القيامة، ولهذا قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه/ [٤٨٦/ أ] في قول القائل من الأوائل:

كلّ يوم تتلون غير هذا بك أحسن

بل لو قال:

كلّ يوم تتكوّن لكان هذا أحسن

٣- يَا قَلْبُ أَنْتَ وَعَدْتَنِي فِي حُبِّهِمْ صَبْراً فَحَاذِرِ أَنْ تَضِيْقَ وَتَضْجَرا

(يا قلبُ): بالضمّ، أي: قلبي. وقوله (أنت وعدتني في حبّهم): أي في مقاساة شدائد محبّتهم، أي: الأحبّة الظاهرين لي في مظاهر كثيرة متنوّعة. وقوله (صبراً): مفعول وعدتني، قال في المصباح: «وَعَدَه يتعدى بنفسه وبالباء، فيقال: وَعَدَهُ الخيرَ وبالخير، وشراً وبالشرّ». ويقال: «صَبَرْتُ صَبْراً، من باب ضرب: حبستُ

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة، باب: استحباب الاستغفار والاستكثار منه، ٧٠٣٣.

النَّفْس عن الجَزَع». وقوله (فحاذرْ): خطاب للقلب، أي: احترز وتوقَّ. وقوله (أن تضيق): أي من شدّة آلام المحبّة. وقوله (وتضجرا): بألف الإطلاق، يقال: ضَجِر، من ضَجِرَ الشيء ضَجَراً فهو ضَجِر، من باب تعب: اغْتَمَّ منه، وقَلِقَ مع كلام منه، وتَضَجَّرَ منه كذلك، كذا في المصباح. ووَعْدُ القلب كناية عن حديث النفس، فهو يخاف أنْ تحدّثه نفسه، ويجزم بذلك قلبه، ولا يصدّقه حاله، فيضيق صدره ولا يصبر.

٤- إِنَّ الغَـرَامَ هُـوَ الحَيَـاةُ فَمُـتْ بِـهِ صَـبّاً فَحَقُّـكَ أَنْ تَمُـوْتَ وَتُعْـذَرا

(إنّ الغرام): أي العشق الملازم، والحبّ اللازم. قال في المصباح: «أُغْرِمَ بالشيء بالبناء للمفعول: أُوْلِعَ به فهو مُغْرَم». وقوله (هو الحياة): أي التي لا موت بعدها، وهي الحياة الحقيقيّة بالصفة الأحديّة؛ فإنّ الغرام القلبي، والحبّ الإلهيّ هو الوسيلة بين الحادث والقديم، والوصلة السببيّة بين الحقير والعظيم، ولولا ذلك لما تصوّر عرفان، ولا تحقّق كشف، ولا عيان قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [٥/ المائدة/ ٥٤] فلولا محبّته سبقت ما كانت محبّتهم لحقت، فمن أراده ألبسه حلّة محبّته، واقتاده فحلّ قياده، ومتّعه بالحسنى وزيادة. وقوله (فمُتْ): الفاء للتعقيب، ومُتْ: فعل أمر، وهو ضدّ الحياة. وقوله (به): أي بسبب حبّهم، المذكور في البيت السابق، أي: محبّتهم. وقوله (صباً): حال من فاعل مُتْ الذي تقديره أنت، خطاب للقلب، أي: قلبه في البيت السابق، وموت قلبه في محبّتهم حياة حقيقيّة؛ لأنّها قيام بأمر الله تعالى، لا بحكم الطبيعة، وهو الموت الاختياري، موت النفس الذي في طريق العارفين. وهو قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [٣٣/ الأحزاب/ ٢٣] يعني: في يوم الميثاق في قوله سبحانه تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٧٢] يعني: أنت ربّنا، أي: المتصرّف في أمورنا كلّها، وأحوالنا باطناً وظاهراً، ولا تصرّف لنا إلّا مجرّد دعوى ذلك، فإذا زالت الدعوى ظهر حكم الربوبيّة ذوقاً وكشفاً، لا علماً وتخيّلاً، ثمّ قال تعالى: ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ

نَحْبَهُۥ﴾ أي: مات الموت الاختياري بصدق شهود الربوبيّة. ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ ذلك لأنّه بعد في مجاهدة نفسه. ﴿وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا﴾ [٣٣/الأحزاب/٢٣] بتغير شهود الأمر على ما هو عليه. وقوله **(فحقُّك)**: أي الحقّ الذي يلزمك، قال في المصباح: «الحقّ خلاف الباطل، وهو مصدر حقّ الشيء، من بابي ضرب وقتل: إذا وجب وثبت؛ ولهذا قيل لمرافق الدار: حقوقها». وقوله **(أنْ تموت وتُعذرا)**: بألف الإطلاق والبناء للمفعول، أي: فإنّك معذور في موتك ذلك؛ لأنّ موتك حينئذ يكون أمراً ضروريّاً.

٥- قُـلْ لِلَّـذِيْنَ تَقَـدَّمُوا قَـبْلِي وَمَـنْ بَعْدِي وَمَنْ أَضْحَى لِأَشْجَانِي يَرَى

٦- عَنِّـي خُـذُوا وَبِيَ اقْتَـدُوا وَلِيَ اسْـمَعُوا وَتَحَـدَّثُوا بِـصَبَابَتِي بَـيْنَ الـوَرَى

(قل): فعل أمر، من القول، وهو: الكلام، والخطاب للقلب في البيت السابق؛ فإنّ القلب المذكور هو الحيّ بالحياة الحقيقيّة، القديمة، الأزليّة، الأبديّة؛ لا بالحياة الطبيعيّة، الحادثة، الفانيّة؛ فإنّه مات منها بقوله « **فمت له به صباً** » كما قدّمناه. وهو مُطَّلِع بالاطّلاع الإلهيّ/ [٤٨٦/ ب] على مَنْ تقدّمه، وعلى مَنْ تأخرعنه، وعلى مَن في زمانه، اطلاعاً واحداً؛ من حيث دخول الكلّ في حقيقته لرجوعه ورجوعهم كلّهم إلى أمر الله تعالى الذي هو منشأ الروح المنفوخ منه أرواحاً في الأجسام الطبيعة المتجرّدة عن الأجسام العنصريّة، وهو قوله **(للذين تقدّموا قبلي)**: يعني من الأولياء الكاملين المتقدّمين، وفي الأجسام المقدّرة بالقوّة الإلهيّة في عالم العناصر والطبائع، وهو قوله **(وَمَنْ بَعْدِي)**: أي من الأولياء الكاملين الذين لم ترتسم بعدُ أجسامهم الطبيعية والعنصريّة، وفي الأجسام الطبيعة العنصريّة في ذلك الآن، وهو قوله **(ومَنْ لِأشْجاني)**: أي لأشواقي يرى ممّن هو معاصر لي. وقوله **(عنّي)**: متعلّق بخذوا، أي: لا عن غيري؛ فإنّ تقديم المجرور على متعلّقه يفيد الحصر. وقوله **(خُذُوا)**: أي تعلّموا علوم الله تعالى الفائضة عليّ، كما ورد عن الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه في كتابه «**التجلّيات الإلهيّة**» فإنّه قال في تجلّي الإشارة

من عين الجمع والوجود: «هذا التجلّي تحضر لك فيه حقيقة محمّد صلّى الله عليه وسلّم ونشاهده في حضرة المكالمة والمحادثة مع الله تعالى؛ فتأدّب واستمع ما يلقى إليه في تلك المحادثة، فإنّك تفوز بأسنى ما يكون من المعرفة؛ فإنّ خطابه لمحمّد صلّى الله عليه وسلّم ليس كخطابه إياك». وقال في تجلّي الآنية: «تحضر معك فيه حقيقة محمّد صلّى الله عليه وسلّم...» إلى آخر ما ذكر. وقال في تجلّي المناظرة: «اجتمعت بالجنيد في هذا المقام...» إلى أن قال: «وكنت في وقت اجتماعي به في هذا المقام قريب عهد بسقيط الرفرف بن ساقط العرش في بيت من بيوت الله». وذكر ما جرى له مع الجنيد. وقال في تجلّي ثقل التوحيد: «قلت للشبلي في هذا التجلّي: يا شبلي، التوحيد يجمع، والخلافة تفرّق؛ فالموحّد لا يكون خليفة مع حضوره في توحيده. فقال لي: هو المذهب، فأي المقامين أتمّ؟. فقلت: الخليفة مضطر في خلافته، والتوحيد الأصل...» إلى آخر كلامه. وقال في تجلّي العلّة: «رأيت الحلاج في هذا التجلّي، فقلت: يا حلّاج، هل تصحّ عندك علّة له، وأشرت، فتبسّم وقال لي: تريد بقول القائل: «يا علّة العلل ويا قديماً لم يزل. قلت له: نعم. قال لي: هذه مقالة جاهل». وقال في تجلّي سريان التوحيد: «رأيت ذا النون المصريّ في هذا التجلّي. وكان من أظرف الناس: فقلت له: يا ذا النون، عجبت من قولك وقول من قال بقولك: إنّ الحقّ تعالى بخلاف ما يُتصوَّر ويُتمثَّل ويُتخيَّل. ثمّ غُشِيَ عليّ. ثمّ أفقت وأنا أرعد. ثمّ زفرت، وقلت: كيف يخلّي الكون عنه والكون لا يقوم إلّا به، وكيف يكون عين الكون وقد كان ولا كون، وكيف با حبيبي يا ذا النون. وقبلته، أنا الشفيق عليك، لا تجعل معبودك عين ما تصوّرته عنه، ولا تحجبنَّك الحَيرة عن الحَيرة. وقال ما قال، فنفى وأثبت: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [٤٢/ الشورى/ ١١] ليس هو عين ما تصوّر، ولا يخلو ما تصوّر منه، فقال ذو النون: هذا علم فاتني وأنا حبيس، والآن قد سرح عيني فمن لي به، وقد قبضت علي ما قبضت. فقلت: يا ذا النون ما أريدك هكذا ومولانا وسيّدنا يقول: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾ [٣٩/ الزمر/ ٤٧] والعلم لا

يتقيّد بوقت، ولا زمان، ولا بنشأة، ولا بحالة، ولا بمقام. فقال لي: جزاك الله عنّي خيراً قد بُيّن لي ما لم يكن عندي، وتحلّت به ذاتي، وفُتِح لي باب الترقّي بعد الموت، وما كان لي خبر منه. جزاك الله خيراً». وقوله (ومن بعدي): رأيت في شرح المقامات الحريريّة للمطرزيّ(1) في ابن شمعون الواعظ المشهور، وهو محمّد بن أحمد اسماعيل المعروف بان شمعون، كان واحد عصره، وفريد دهره، وحدَّث عن عبد الله بن أبي داوود السجستاني، وكانت ولادته في سنة ثلاثمئة. وعن أبي بكر الأصبهاني /[487/أ] خادم الشبلي قّدس الله سرّه، قال: «كنت بين يدي الشبلي في الجامع يوم الجمعة فدخل ابن شمعون، وهو صبيّ، وعلى رأسه قلنسوة، فمرّ بنا وما سلّم. فنظر إليه الشبلي قدّس الله سرّه، وقال: يا أبا بكر، تدري أيّ شيء لله في هذا الفتى من الذخائر». توفي سنة سبع وثمانين وثلاثمئة. ورأيت في شرح على قصيدة تائيّة منسوبة للشيخ الأكبر، قدّس الله سرّه، والشارح عبد الله أفندي البسنوي رحمه الله تعالى، ذكر فيه أنّ الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه أشار في شرح ترجمان الأشواق إلى أنّه يشرح هذه التائيّة، وأنّها ابنة الفصوص بقوله: لبنت مكين الدين بن الأسمر التي نظم ترجمان الأشواق فيها: ما اسمك. قالت: قرّة العين. فحسبها بالجُمَّل، فبلغت مع الراء المشدّدة التي برائين، سنة ألف وواحد وستين وهي سنة شرحه للتائيّة المذكورة، فقد أمدّ قدّس الله سرّه لمن بعده في هذه الواقعة المذكورة. ورأيت أنا الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه في وقائع، وأمدّني بما يعلمه الله تعالى حتّى رأيته يقول في قصيدة له في أسماء الله الحسنى:

ألا إنّني عبد الغنيّ لذاته ... وليس سواه والغنيّ هو الله

ومدحت يوماً من الأيام، وهو يوم الجمعة الخامس عشر من المحرّم في سنة

---

(1) أبو المظفّر وأبو الفتح، ناصر بن أبي المكارم عبد السيّد بن عليّ بن المطرّز، من خوارزم، ولد 538هـ ،وتوفي سنة 600هـ من كتبه رسالة في إعجاز القرآن الكريم، ورسالة في النحو ، قام بتحقيقها لنيل الماجستير محمّد عصام قره بلا، وهي الضوء المنير على المصباح في النحو ، وشرح مقامات الحريري.

إحدى وتسعين وألف بقصيدة مطلعها قولي:

خذا حيث هبّت نسمة البان والرند وعوجا على تلك المعالم من نجد

إلى أنْ قلت:

وبلّغه عنّي إلهي تحيّة مباركة تأتيه خالصة الودِّ

وكان موضع ذلك بيت هو قولي:

له الله عن عبد الغنيّ مبلّغ تحيّة صبٍّ طامع منه بالردّ

وهو ينشد هذين البيتين له وهما قوله:

ويا ربّة الألحان ديري كؤوسنا على من له في الحبّ أوفر منصب

وحيي أناساً قد شغفنا بحبّهم لهم منحة منّا وودّ مقرّب

وقوله (من لِأَشْجاني يَرَى): أي أهل زمانه، ولا شبهة في أخذهم عنه من السالكين في طريق الله تعالى.

والحاصل: إنّ القلب الحيّ بالحياة الأمريّة الحقيقيّة روحانيّ صرف، لا يخالطه من عالم الطبيعة وكدر العناصر شيء؛ فهو قلب نورانيّ، وسرّ ربّانيّ يمدّ قبله ومن بعده، ومن في زمانه بالإمداد الرحمانيّ، وعلى ذلك شواهد كثيرة عند أهل المعاني، فهو مدد الله المتّصل، وسرّه الأعظم الذي لا ينفصل. وقوله (وبي): جار ومجرور متعلِّق باقتدوا، قدّم عليه للحصر أيضاً، أي: لا تقتدوا بغيري. والاقتداء: المتابعة في الأقوال والأعمال والأحوال. وقوله (ولي): جار ومجرور متعلّق باسمعوا قدِّم للحصر أيضاً. (واسمعوا): أي أصغوا لما أقول لكم مَن الحكم والنصائح، ولطائف الإشارات الإلهيّة واللوائح. وقوله (وتحدّثوا): أي تكلّموا. وقوله (بصبابتي): أي زيادة محبّتي الإلهيّة. وقوله (بين الورى): أي الخلق، وهو قوله في البيت قبله (فمت به صبّاً): أي ذا صبابة. يخاطب قلبه. وقال له هنا: قل لهم تحدّثوا عن صبابتي بين خلق الله تعالى ليكون حديثي تنشيطاً لهم في طريق المعرفة.

٧- وَلَقَـدْ خَلَـوْتُ مَـعَ الحَبِيـبِ وَبَيْنَنَـا سِرٌّ أَرَقُّ مِـــنَ النَّـــسِيمِ إِذَا سَرَى

٨- وَأَبَــاحَ طَــرْفِي نَظْــرَةً أَمَّلْتُهَـــا فَغَـدَوْتُ مَعْرُوْفـاً وَكُنْـتُ مُنْكَـراً

٩- وَدُهِـــشْتُ بَـــيْنَ جَمَالِـــهِ وَجَلَالِـــهِ وَغَـدَا لِـسَانُ الحَـالِ عَنِّـيَ مُخْـبِرا

/ [٤٨٧/ ب] (ولقد خلوت): يقال خَلَا الرجلُ بنفسه، وأَخْلَى بالألف، لغة. وخَلَا بزيد خَلْوَة: انفرد به، كذا في المصباح. وقال في القاموس: «خَلَا به، وإليه، ومعه، خَلْواً وَخَلَاء وخَلْوَة: سأله أنْ يجتمع به في خَلْوَة ففعل. وأَخلَاه معه». وقوله (مع الحبيب): أي المحبوب الحقيقيّ. وذلك بعد فناء الأكوان في عين بصيرته. وقوله (وبيننا): أي بيني وبين ذلك المحبوب المذكور. وقوله (سِرٌّ): أي أمر خفي عن العقول والألباب، وهو التحقّق بحقيقة الوجود الحقّ؛ ذوقاً، وكشفاً، ومعاينة. وقوله (أرقّ من النسيم): أي أكثر رقّة ولطفاً من هبوب النسمة اللطيفة. وقوله (إذا سرى): أي ذلك النسيم. وهو كناية عن الروح المنبعثة عن أمر الله تعالى، وهو أوّل مخلوق؛ فإنّه ألطف الكائنات كلّها، وللطافته لا يكون له مقدار ولا حدّ؛ لأنّ الحدود والمقادير خلقت فيه، وكذلك الصور والهيئات، وهذا السرّ هو أرقّ منه وألطف، وهو سرّ الوجود الحقّ الذي من أسماء اللطيف. ومن شدّة لطافته لا يُدرَك، قال تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [٦/الأنعام/١٠٣] فلهذا لا تدركه الأبصار، فضلاً عن البصائر الخبير. ولهذا يدرك الأبصار والبصائر. ففي الآية لف ونشر مرتّب. وقوله (وأباح طرفي): أي ناظر عيني، وبصر بصيرتي. وقوله (نظرة): في صور تجلّياته وهو الأكوان؛ فإنّ القلوب والأبصار بيده تعالى يتصرّف فيها كيف يشاء ويختار؛ فإنّ شاء جعل القلوب والأبصار ناظرة إليه، لا إلى ما سواه من الأكوان، لأنّ الأكوان حينئذ تكون هالكة فانية، وهو الظاهر لا سواه، وإنْ شاء جعل لهم القلوب والأبصار ناظرة إلى ما سواه من الأكوان، لا إليه، قال تعالى: ﴿أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [١٠/يونس/٣١] الآية. وقال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ

﴿يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [٦/ الأنعام/ ٣١] الآية. وقال تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [٣٥/ فاطر/ ٢] وقال صلّى الله عليه وسلّم: «إنّ قلوبنا وأبصارنا بيدك لم تملكنا منها شيئاً، فإنْ فعلت ذلك بهما فكن أنت وليّهما»[١] . قوله (أَمَّلْتُهَا): بتشديد الميم. قال في المصباح: «أَمَلْتُه أَمَلاً، من باب طلب: تَرَقَّبتُه، وأكثر ما يستعمل الأمل فيما يُسْتَبْعَد حصوله». وأَمَّلْتُه تَأْمِيلاً مبالغة وتكثير، وهو أكثر استعمالاً من المخفّف. يعني: كنت مؤمّلاً لتلك النظرة قبل أنْ تحصل لي. وقوله (فغدوت): الفاء للتعقيب. ويقال غدوت يقال: غَدَا غُدُوّاً، من باب قعد: ذهب غُدْوَة، وهي ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس، هذا أصله، ثمّ كَثُرَ حتّى استُعمل في الذهاب والانطلاق، أي وقت كان، كذا في المصباح. وقوله (معروفاً): أي يعرفني أهل السماء والأرض، ولو على وجه العموم بمعرفة رتبته، قال صلّى الله عليه وسلّم: «طلب العلم فريضة على كلّ مسلم» ـ أي: العلم بالله ؛ لأنّه عند الإطلاق ينصرف إلى فرده الكامل، ولا أكمل من العلم بالله ؛ فإنّ شرف العلم بشرف موضوعه ـ «وإنَّ طالب العلم يستغفر له كلّ شيء، حتّى الحيتان في البحر»[٢] رواه السيوطيّ في جامعه الصغير بسنده، ولا استغفار إلّا بعد المعرفة. وقوله (وكنت): أي قبل ذلك منكّراً بتشديد الكاف، من التنكير ضدّ التعريف، أي: كنت غير معروف. ومعنى التنكير في الأصل التغيير، قال في المصباح: «نَكَّرتُهُ تَنْكِيْراً فَتَنَكَّرَ، مثل: غَيَّرتُه تَغييراً فَتَغيَّرَ، وزناً ومعنى». وقوله (ودهشت): يقال دَهِشَ دَهَشاً فهو دَهِش من باب تعب: ذهب عقلُه حياءً أو خوفاً، ويتعدَّى بالهمزة، فيقال: أَدْهَشَه غيرُه وهذه هي اللغة الفصحى، وفي لغة يتعدَّى بالحركة فيقال: دَهَشَهَ خَطْبٌ دَهْشاً من باب نفع، فهو مدهوش، ومنهم

---

(١) ذكره السيوطيّ في الجامع الصغير، ٧٣٦١. انظر صحيح وضعيف الجامع الصغير ١/ ٧٣٦.

(٢) ذكره الألبانيّ في صحيح وضعيف الجامع، ٧٢٦١، وقال: صحيح. كما أخرجه ابن عبد البرّ في جامع العلم وفضله، باب: طلب العلم فريضة على كلّ مسلم وطالب العلم، ١٠.

من منع الثلاثي، كذا في المصباح. وقوله (بين جماله): أي جمال الحبيب المذكور في البيت السابق، يقال: جمُل الرجل بالضمّ والكسر جَمَالاً فهو جَمِيل، وامرأة جميلة/ [٤٨٨/ أ] قال سيبويه: الجَمَال رِقَّة الحُسْن، والأَصل جَمَالَة بالهاء، مثل: صَبُح صَبَاحَة؛ لكنّهم حذفوا لها تخفيفاً لكثرة الاستعمال، [كذا في المصباح]. وقال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه في كتابه «شرح ألفاظ الصوفيّة في الجمال الإلهيّ»: «إنّه نعوت الرحمة والألطاف من الحضرة الإلهيّة». وقوله (وجلاله): أي جلال ذلك الحبيب المذكور، والجلال هو نعوت القهر من الحضرة الإلهيّة، ذكره الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه في كتابه المذكور. وقوله (وغدا لسان الحال) اللسان: العضو، يذكّر ويؤنّث. واللسان: اللغة، مؤنّث، وقد يذكّر باعتبار أنّه لفظ؛ فيقال: لسانه فصيحة وفصيح، أي: لُغَتُه فصيحة، أو نُطْقه فصيح». والحال: صفة الشيء، يذكّر ويؤنّث، فيقال: حال حَسَن وحَسَنَة، وقد يؤنّث بالهاء، فيقال: حالة. كذا في المصباح. ولسان الحال على الاستعارة المكنيّة بتشبيه الحال بالإنسان الناطق لسانه بما هو فيه، وإثبات اللسان له تخييل. وقوله (عنّي): متعلّق بـ (مخبراً): قُدِّم للحصر، أي: يخبر الغير بأحوالي الباطنة لمن تبصّر وتذكّر، وأعمى البصيرة تعرَّض وأنكر والله أكبر قادر.

١٠- فَـأَدِرْ لِحَاظَـكَ فِي مَحَاسِـنِ وَجْهِـهِ   تَلْقَـى جَمِيـعَ الحُـسْنِ فِيْـهِ مُـصَوَّراً

(فأدر): الفاء للتعقيب. وأدرْ فعل أمر من الإدارة، وهي التحويل، يقال: دار حول البيت يَدور دَوْراً ودَوَراناً: طاف به، كذا في المصباح. وقوله (لحاظك): أي ملاحظتك ومراقبتك. والمعنى: كرر ذلك، قال في القاموس: «اللَّحاظ بالفتح مؤخّر العَين كالتَلْحِيظ، وبالكسر: سِمة تحت العين». وقوله (في محاسن): جمع حُسْن، قال في القاموس: «الحُسْن بالضمّ: الجمال، وجمعه: محاسن على غير قياس». وقوله (وجهه): أي وجه ذلك المحبوب. والمعنى في ذلك: صور تجلّيات الوجه؛ فإنّها كلّها حسنة، قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [٢٨/ القصص/ ٨٨] وقال تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [٢/ البقرة/ ١١٥]. وقوله (تلقى): لم يقصد به

الجزاء، فلم يجزم في جواب الأمر؛ لأنّه ليس كلّ من أدار لحاظه في وجه الحقّ الظاهر على كلّ شيء يرى وجه الحقّ ما لم يره الحقّ تعالى وجهه بمحض فضّله وإحسانه، قال تعالى: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ [٣٥/ فاطر/ ٢]. كما ذكر الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه في أوّل كتابه فصوص الحكم: إنّه رأى في مبشرة بمحروسة دمشق رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم وقال له: خذ هذا فصوص الحكم، واخرج به إلى الناس ينتفعون به بإثبات النون للرفع، ولم يقصد الجزاء بالجزم بحذف النون في جواب الأمر؛ لأنّه لا ينتفع به كلّ الناس الذين خرج به إليهم ما لم يشأ الله تعالى انتفاعهم به؛ فإنّ البعض انتفعوا به بمحض فضل الله تعالى، والبعض تضرروا به عدلاً منه سبحانه. وقوله (جميع الحسن): المتفرّق في جميع العوالم المحسوسة والمعقولة. وقوله (فيه): أي في ذلك الوجه المذكور. وقوله (مُصوَّراً): بصيغة اسم المفعول، أي: صور الله تعالى الخالق البارئ المصوّر.

١١- لَوْ أَنَّ كُلَّ الحُسْنِ يَكْمُلُ صُوْرَةً   وَرَآهُ كَانَ مُهَلِّلاً وَمُكَبِّرَاً

(ولو أنّ كلّ الحُسْنِ): أي الذي تلقّاه في ذلك الوجه المذكور في البيت قبله. وقوله (يَكمل صورة): أي يتمّ كلّه صورة واحدة. قوله (ورآه): أي رأى ذلك الوجه المذكور. وقوله (كان): أي ذلك الحُسْن الذي كمل صورة. وقوله (مُهَللاً): أي قائلاً: لا إله إلّا الله تعجباً من جمال ذلك الوجه، قال صلّى الله عليه وسلّم: «إنّ الله جميل يحبّ الجمال»[1] وقوله (ومكبّراً): أي قائلاً الله أكبر. تعظيماً لما رأى من الجمال الحقيقيّ[2].

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، باب: وأمّا حديث معمر، ٦٩. وللحديث أطراف أخرى.
(٢) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: «بلغ».

أرى البعد

وقال قدّس الله سرّه: الطويل

١ - أَرَى البُعْدَ لَمْ يُخْطِرِ سِوَاكُمْ عَلَى بَالِي وَإِنْ قَرَّبَ الأَخْطَارَ مِنْ جَسَدِي البالي

(أرى): أي أعتقد وهي الرؤية القلبية، قال في القاموس: «الرؤية النظر بالعين وبالقلب». وقوله (البعد): أي بعدي عنكم يا أحبّتي. وقوله (لم يُخْطِر): بباله أرى البعد وعليه، يَخْطُر خُطُوراً، ذكره بعد نسيان. وقوله (سواكم): حال من فاعل يخطر، وهو ضمير البعد/ [٤٨٨/ ب] يعني: لم يخطر البعد حال كونه سواكم، أي: مغايراً لكم بتأويل مفرد منكر كقوله: أشهد أنْ لا إله إلّا الله وحده، أي: منفرداً عمّا سواه. وقوله (على بالي): متعلّق بـ(يُخطِر). والمعنى: إنّ الذي يخطر إنّما هو رؤية البعد ليس سواكم عندي وإنّه تجلٍّ من بعض تجلّياتكم، ولا شكّ أنّ الحقّ تعالى له في كلّ شيء تجلٍّ خاص، والشيء عام؛ لأنّه أنكر النكرات والأعراض والنسب، كالبعد، والقرب، والزمان، والمكان، والجهات، والاعتبارات، والكيفيّات، والكمّيات؛ كلّها معانٍ مفهومة في العقل، وكلّها تجلّيات إلهيّة يظهر بها الحقّ تعالى عند العارف به، ولا شيء منها يغايره في الظهور؛ إذ لا خالق سواه، ولا إله إلا إياه، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ﴾ [١٣/ الرعد/ ١٦]. وقوله (وإنْ): وصلية في الكلام. وقوله (قَرَّبَ): بتشديد الراء، والفاعل ضمير يرجع إلى البعد. وقوله (الأخطار): مفعول قرّب جمع خَطَر، بالتحريك، وهو الإشراف على الهلاك، كذا في القاموس، أي: الشدائد والمصائب التي يجدها المحبّ في طريق المحبّة. وقوله (من جسدي البالي): أي الرثّ من زيادة السقام، يقال: بَلِيَ الثوب يَبْلَى بِلَىً، بكسر الموحّدة، فإنّ فتحتَها مَدَدْتَ، كذا في الصحاح. والمعنى: في ذلك إنّ التجلّيات الإلهيّة واردة عليه بكلّ حال من

الأحوال، سواء كان ذلك الحال ممّا يلائمه، أو ممّا لا يلائمه من الإدبار والإقبال.

٢- فَيَا حَبَّذَا الأَسْقَامُ فِي جَنْبِ طَاعَتِي أَوَامِرَ أَشْوَاقِي وَعِصْيَانَ عُذَّالِي

(فيا حبّذا): الفاء للتفريع على ما قبله، ويا للتنبيه، أو للنداء. والمنادى محذوف، تقديره: يا قوم، وحَبَّذا الأمرُ، أي: هو حَبيب، جُعِل حبّ وذا كشيء واحد، وهو اسم، وما بعده مرفوع به، ولزم ذا حبّ، وجرى كالمثل، بدليل قولهم في المؤنّث: حَبَّذا، لا حَبَّذِه، كذا في القاموس. وقوله (الأسقام): جمع سَقَم، مبتدأ مؤخّر، وجملة حبّذا: خبر مقدّم. وقوله (في جَنْب): بسكون النون، أي: ناحية، وجهة. وقوله (طاعتي): مصدر مضاف إلى ياء المتكلّم. وقوله (أوامر): منصوب على أنّه مفعول المصدر، جمع أمر، وهو: طلب الفعل أو الترك، على طريق الاستعلاء؛ فيشمل النهي. وقوله (أشواقي): جمع شوق، وهو: نزاع النفس، وحركة الهوى، وجمعه أشواق، كذا في القاموس. وقوله (وعَصْيانَ): بالنصب عطف على أوامر. وقوله (عذّالي): جمع عاذل من العذل، وهو الملامة. والمعنى: إنّه مطيع عصيان من يلومه على المحبّة، كما أنّه مطيع أوامر أشواقه، وذلك يوجب السقم والنحول في المحبّة الإلهيّة طلباً للوصول وحصول القبول.

٣- وَيَا مَا أَلَذَّ الذُّلَّ فِي عِزِّ وَصْلِكُمْ وَإِنْ عَزَّ مَا أَحْلَى تَقَطُّعَ أَوْصَالِي

(ويا ما ألذّ): يا حرف تنبيه، أو حرف نداء. والمنادى محذوف تقديره يا قوم. وما: تعجبيّة. و(ألذّ): فعل تعجّب، وفاعله ضمير يعود إلى ما. والذلّ مفعوله، أي: شيء عظيم جعل ألذَّ لذيذاً عندي. وقوله (في عزّ وصلكم): الخطاب للحضرات الإلهيّة والتجلّيات الربّانيّة؛ فإنّ وصلها عزيز، وحرزها حريز. وقوله (وإنْ عزّ): أي قلّ فلا يكاد يوجد، كما في القاموس. وفاعله ضمير عائد إلى الذلّ. وإنّ شرطيّة، أي: وإنْ كان لي في عزّ وصالكم قليلاً منّي. وقوله (ما أحلى): حُذفت فاء الجواب تخفيفاً. وما تعجّبيّة. وأحلى: فعل تعجّب من الحلاوة. وقوله

(تَقَطُّعَ): بالنصب مفعول فعل التعجّب. وقوله (أوصال): أي مفاصلي، قال في القاموس: «الأوصال: المفاصل، أو مجتمع العظام، وجمع وصل بالكسر، والضمّ لكلّ عظم لا يكسر، ولا يخلط بغيره». والمعنى بذلك: تفرّق أجزائه العنصريّة والروحانيّة على أصولها بحيث لا يبقى منه شيء، قال القائل:/ [٤٨٩/ أ]

ومتى أردت تمتّعاً بوصاله   فرّقت ما عندي على الغدماء

٤- نَأَيتُمْ فَحَالِي بَعْدَكُمْ ظَلَّ عَاطِلاً   وَمَا هُوَ مِمَّا سَاءَ بَلْ سَرَّكُمْ حَالِي

(نأيتم): أي بعدتم، وأعرضتم عنّي، والخطاب للأحبّة من الحضرات الإلهيّة، كما ذكرنا. وقوله (فحالي): الفاء للتفريع. والحال وصف الشيء، وشأنه، وأمره. وقوله (بعدكم): خطاب للأحبة كما ذكرنا. وقوله (ظلّ عاطلاً): عَطِلَت المرأةُ كفَرِح، عَطَلاً بالتحريك، وعُطُولاً وتَعَطَّلَتْ: إذا لم يكن عليها حَلْيٌ فهي عاطِل، كذا في القاموس. يعني: إنّ حاله بعد فراق الأحبّة صار عاطلاً، فلا زينة له يتزيّن بها؛ من إدراك، وفهم، وشيء من أحوال أهل الدنيا. وقوله (وما هو): أي حالي المذكور. ما: نافية. وهو مبتدأ. وقوله (ممّا ساء): أي ساءني وأحزنني، قال في القاموس: «ساءَهُ سَوْءاً: فَعَلَ به ما يَكْرَه». وقوله (بل): حرف إضراب. وقوله (سرّكم): أي بل ممّا سرّكم، أي: أدخل السرور عليكم يا أحبّتي. وقوله (حالي): خبر المبتدأ، من الحَلْي، بالفتح، وهو ما يُتَزَيَّن به من مَصُوغ المَعدنيّات، أو الأحجار. والجمع حُلِيّ كَدُلِيّ. أو الحَلْي بالفتح، جمع، والواحد حَلْيَة كظبية، وحَلِيَتِ المرأةُ كرضيت حَلْياً فهي حَالٍ وحَالِيَة، كذا في القاموس. والمعنى: إنّ حالي صار عاطلاً، وما هو متزيّن بزينة ما يسوؤني من الشدائد، والمصائب من حيث أنّها تسوؤني، بل من حيث أنّها تسرّكم وتفرحكم فأنا متزيّن بها من هذه الجهة.

٥- بُلِيتُ بِهِ لَمَّا بَلِيتُ صَبَابَةً   أَبَلَّتْ فَلِي مِنْهَا صُبَابَةُ إِبْلَالِي

(بُلِيْتُ): بضمّ الباء الموحّدة مبنياً للمفعول، من البلاء، وهو الامتحان

والاختبار. وقوله (به) متعلّق ببُليت، والضمير إلى المحبوب الحقيقيّ المعروف عنده. وقوله (لمّا بَلِيْتُ): بفتح الباء الموحّدة، أي فنيت واضمحلّت. وقوله (صَبَابة): مفعول من أجله، والصَبَابَة: رقّة الشوق، والميل إلى الجهل والفتوّة، من صَبَا يَصْبُو صَبْوَة، من المحبّة الإلهيّة. وقوله (أَبَلَّتِ): بتشديد اللام، أي: تلك الصَّبَابَة. يعني: صحت من ضعفها، قال في الصحاح: «بَلَّ من مرضه يَبِلُّ، بالكسر بَلّاً: إذا صَحَّ، وكذلك أَبَلَّ واسْتَبَلّ: أي برء من مرضه». وقوله (فلي): الفاء للتعقيب. وقوله (منها): أي من تلك الصبابة. وقوله (صُبابة): بضمّ الصاد المهملة. قال في الصحاح: «الصُّبَابَة بالضمّ: البقيّة من الماء في الإناء». وقوله (إبلال): مصدر أَبَلَّ من مرضه: صحّ وبَرَأَ. يعني: حين أبلّت صَبابتي فصَحَت من ضعفها كان لي منها بقيّة إبلالٌ وصحّة وبرء بالتبعيّة لها ممّا فضل عنها من الإبلال، وهو الصُبابة المذكورة.

٦- نَصَبْتُ عَلَى عَيْنِي بِتَغْمِيْضِ جَفْنِهَا لِزَوْرَةِ زُوْرِ الطَّيْفِ حِيْلَةَ مُحْتَالِ

٧- فَمَا أَسْعَفَتْ بِالْغَمْضِ لكِنْ تَعَسَّفَتْ عَلَيَّ بِدَمْعٍ دَائِمِ الصَوْبِ هَطَّالِ

(نَصَبتُ على عيني): متعلّق بنصبت. وقوله (بتغميض جفنها): أي جفن عيني. وقوله (لزَوْرَة): أي لأجل زَوْرة، بفتح الزاي المعجمة، قال في الصحاح: «زُرْتُهُ أَزُوْرُهُ زَوْراً وزِيَارَة، والزَّوْرَة: المرّة الواحدة». وقوله (زُور): بضمّ الزاي المعجمة، بمعنى الكذب المضاف إلى قوله (الطَيْف): أي الذي الطيف الذي هو زور وكذب، والطيف: الخيال الطائف في المنام، كذا في القاموس. والمعنى: في ذلك طيف خيال المحبوب الحقيقيّ، وهو ما يتجلّى به الحقّ تعالى من الصورة الخيالية؛ فإنّه لمّا استيقظ من نوم الغفلة بالموت الاختياري من قوله صلّى الله عليه وسلّم: «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا»[1] لم يثبت عنده ذلك في خياله، وتحقّق

(١) سبق تخريجه ص/ ٢٨١.

بالغيب المطلق عن الحسّ وعن العقل، وزادت عليه الأشواق، فتمنّى حصول طيف الخيال له، وعلم أنّ ذلك لا يحصل له إلّا في نوم الغفلة، فتعرض لنوم الغفلة، وهو في اليقظة الحقيقيّة فتغافل بتغميض/ [٤٨٩/ ب] عين بصيرته طمعاً في حصول ذلك الطيف له، مع علمه بأنّ محبوبه، لا صورة له من حيث هو، وهو يعلم أنّ الصور كلّها له من حيث ما هو نائم بنوم الغفلة عنه. وقوله (**حيلة**): مفعول نصبت، مضاف إلى قوله (**محتال**): اسم فاعل، قال في الصحاح: الحِيْلَة بالكسر: الاسم من الاحتيال، وهو من الواو. وقوله (**فما أسعفتْ**): الفاء للتعقيب، وما نافية، وسَعَفَ بحاجته كمنع، وأسعف: قضاها له، كذا في القاموس. وفاعل أسعفت: عيني في البيت قبله. وقوله (**بالغمض**): أي النوم المكنى به عن الغفلة، كما ذكرنا. وقوله (**لكن تَعَسَّفَتْ**): أي عيني، عَسَفَ عن الطريق يَعْسِفَ: مال وعَدَل كاعْتَسَفَ وتَعَسَّفَ، أو خَبَطَه على غير هِداية. و- السلطان: ظَلَم، كذا في القاموس. وقال في الصحاح: «العَسْفُ الأخذُ على غير الطريق، وكذلك التَعَسُّفُ والاعْتِسَاف». وقوله (**عليّ**): بتشديد الياء التحتيّة. وقوله (**بدمعٍ**): متعلّق بتعسّفت. وقوله (**دائم**): أي صفة لدمع. وقوله (**الصَوب**): أي الانصباب والانسكاب. وقوله (**هَطّال**): صفة بعد صفة الدمع.

٨- فَيَا مُهْجَتِي ذُوْبِي عَلَى فَقْدِ بَهْجَتِي لِتَرْحَـالِ آمَـالِي وَمَقْـدَمِ أَوْجَـالِي

٩- وَضَنِّي بِدَمْعٍ قَدْ غَنِيْتُ بِفَيْضِ مَا جَرَى مِنْ دَمِي أَوْ طُلَّ مَا بَيْنَ أَطْلَالِ

(فيا مهجتي): الفاء تفريعيّة. والمهجة: دم القلب أو الروح، كذا في القاموس. وقوله (ذوبي): أي اتركي الجمود المانع عن شهود أمر الله تعالى الذي هو كلمح بالبصر. وقوله (على فقد بهجتي): أي غيبة حُسْني وجمالي الذي هو حقيقة ذاتي عن إدراكي بتوجّه أسمائي وصفاتي. قال في القاموس: «البَهْجَة الحُسْن، بَهُجَ ككَرُمَ بَهَاجَة، فهو بَهِيج ، وهي مِبْهَاج». وقوله (لترحال): أي زوال. وقوله (آمالي): جمع أمل بالتحريك: الرجاء. يعني: من عِظَم الأمر لم يبقَ لي أمل ولا

رجاء للإدراك. وقوله (مَقْدَم): بفتح الميم وفتح الدال المهملة، معطوف على ترحال، قال في الصحاح: «قَدِمَ من سفره قُدُوماً ومَقْدَماً بفتح الدال، يقال: وَرَدْتُ مَقْدَمَ الحَاجّ، تجعله ظرفاً، وهو مصدر، أي: وقت مَقْدَم الحاج». وقوله (أوجالي): جمع وَجَل بالتحريك: الخوف، وَجِلَ كفَرِح وَجَلاً ومَوْجَلاً، كمَقْعَد، كذا في القاموس. يعني: ولقدوم مخاوفي ومهالكي في طريق المحبّة الإلهيّة. وقوله (وَضِنِّي): معطوف على ذوبي في البيت قبله، وهو فعل أمر، خطاب لمهجته، أي روحه ونفسه، من ضَنِنْتُ بالشيء أَضِنُّ به ضِنّاً وضَنَانَة: إذا بَخِلْت، وهو ضَنِيْن به، قال الفرّاء: وضَنَنْتُ بالفتح، أَضِنُّ لغة، كذا في الصحاح. وقوله (بدمع): أي بدمع عين يسيل من البكاء على فقد الأحبّة. وقوله (قد غنيت): أي صرت غنياً عن ذلك. وقوله (بفيض): أي بسبب فيض، يقال: فاض الماء يفيض فيضاً وفيضوضة، أي كثر حتّى سال على ضفّة الوادي كما في الصحاح. وقوله (ما جرى من دمي): أي الذي جرى منه موضع الدمع؛ فإنّي صرت به غنيّاً عن الدمع. وقوله (أو طلّ): معطوف على جرى، قال في الصحاح: «يقال أَطَلّ دَمَه وطَلَّه الله وأَطَلَّه: أَهْدَرَه، ولا يقال طَلَّ دمُهُ بالفتح، وأبو عبيدة والكسائي يقولانه. وقال أبو عبيدة: فيه ثلاث لغات: طَلَّ دمه بالفتح، وطُلّ دمُه بالضمّ، وأُطِلَ دمُهُ بالضمّ». وفاعل طَلّ أو نائبه ضمير راجع إلى دمي. وقوله (بين أطلال): جمع طلل، وهو ما شخص من أثار الدار، والجمع أطلال وطلول، كذا في الصحاح. والمراد ما شخص من ديار الأحبّة.

١٠- وَمَنْ لِي بِأَنْ يَرْضَى الحَبِيْبُ وَإِنْ عَلَا النْـ ـنَحِـيْبُ فَـإِبْلَالِي بَلَائِـي وَبَلْبَـالِي

(ومن): استفهاميّة. وقوله (لي): أي معين ومساعد. وقوله (بأنْ يرضى): الباء بمعنى على؛ لأنّ حروف الجرّ ينوب بعضها عن بعض، قال في مغني ابن هشام في معاني الباء: «الاستعلاء/ [٤٩٠/ أ] ﴿مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ﴾ [٣/آل عمران/ ٧٥] الآية، بدليل: ﴿هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ﴾

[١٢/ يوسف/ ٦٤]، ونحو: ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ [٨٣/ المطففين/ ٣٠]، بدليل: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ﴾ [٣٧/ الصافات/ ١٣٧]». وأنْ مصدرية تُسبك مع مدخولها بالمصدر. والمعنى: مَن يُعينني ويساعدني على حصول رضا الحبيب. وقوله (الحبيب): فاعل يرضى، وهو المحبوب الحقيقيّ. وقوله (وإنْ علا): أي ارتفع منّي. وقوله (النحيب): قال في القاموس: «النَّحْب: أشدُّ البُكاء كالنَّحِيب، وقد نَحَبَ، كمنع وانْتَحَب». وقوله (فإبلالي): الفاء للتفريع والإبلال، مصدر أبلّ واستبلّ: صحّ وشفي، قال في الصحاح: «بَلَّ من مرضه يَبِلُّ بالكسر بَلّاً: إذا صَحّ، وكذلك أَبَلَّ واسْتَبَلّ، أي: بَرِئ من مرضه». وقوله (بَلَائِي): أي صحتي من المرض العشقي، والداء الحبي، هو ابتلائي ومحنتي. وقوله (وبَلْبَالِي): معطوف على إبْلَالِي، والبَلْبَال: الهَمُّ ووَسْوَاس الصدر، كذا في الصحاح. يعني: وكذلك بلبالي بلائي ومحنتي، أو معطوف على بلائي، أي: إبلالي من مرضي هو بلائي ومحنتي، وهو همّي ووَسْواس صدري؛ لأ نّ في ذلك عدم شفقة الحبيب عليّ حيث يراني صحيحاً في عافية؛ فلا ينتج رضاه عنّي.

١١- فَـمَا كَلَفِـي فِي حُبِّـهِ كُلْفَـةٌ لَـهُ وَإِنْ جَـلَّ مَـا أَلْقَـى مِـنَ القِيـلِ وِالقِـالِ

(فما): الفاء تفريعيّة. وما نافية. وقوله (كَلَفِي): بالتحريك، مصدر كَلِفَ به، كفرح: أُوْلِع، كما في القاموس. يعني: ما عشقي وولعي. وقوله (في حبّه): أي في محبّة المحبوب الحقيقيّ. وقوله (كلفة): بالضمّ، أي: مشقّة. وقوله (له): أي لأجله. يعني: لأجل المحبوب المذكور، قال في الصحاح: «الكُلْفَةُ ما تَتَكَلَّفه من نائبةٍ أو حَقٍّ، وكَلَّفَهُ تَكْلِيْفاً، أي: أمره بما يشق عليه، وتَكَلَّفْتُ الأمرَ: تجشَّمْتُه». وقوله (وإنْ) وصليّة في الكلام. وقوله (جلّ): أي عظم. وقوله (ما ألقى): أي الذي ألقاه وأقاسيه في طريق المحبّة. وقوله (من القيل والقال): وهما اسمان من القول، كذا في القاموس. وقال في الصحاح، يقال: «كثر القيل والقال، وفي

الحديث: «نهى عن قيل وقال»[1]، وهما اسمان. والمعنى: في ذلك ما يكثر في طريق المحبّة من القال والقيل من العذول والرقيب والواشي، وغيرهم من الناس.

١٢- بَقِيتُ بِهِ لَمَّا فَنِيتُ بِحُبِّهِ   بِثَرْوَةِ إِيثَارِي وَكَثْرَةِ إِقْلَالِي

(بقيت به): أي بالمحبوب الحقيقيّ قائماً بقدرته. وقوله (لمّا فنيت): أي زال عنّي وجودي الذي كنت أتوهّمه. وظهر لي أنّه وجود الحقّ تعالى منزّها عن صورتي الظاهرة والباطنة؛ لأنّها عدم في وجوده تعالى. وقوله (بحبّه): أي بسبب محبّتي له؛ فإنّه لا وسيلة بين القديم والعديم إلّا المحبّة. وقوله (بِثَرْوَة): هي كثرة العدد من الناس والمال، كذا في القاموس. وقال في الصحاح: «الثَّرْوَة كثرة العدد، قال ابن السكّيت: يقال إنّه لَذُو ثَرْوَةٍ وذُو ثَرَاءٍ، يراد به لَذُو عددٍ». وقوله (إيثاري): الإيثار تقديم الغير على نفسه، قال في القاموس: «رجل يستأثر على أصحابه، أي: يختار لنفسه أشياء حسنة»، والاسم: الأَثَرَة محرّكة، والأُثْرَة بالضمّ وبالكسر، وكالحُسْنَى، وأَثِرَ على أصحابه، كفرِح: فعل ذلك، [كذا في القاموس]. وقال في الصحاح: «آثَرْتُ فلاناً على نفسي، من الإيثار، واسْتَأْثَر بالشيء: استبدّ به». والمعنى في ذلك: إنّه وصل إلى مقام البقاء بالله بعد الفناء فيه، بسبب كثرة تقديم الغير على نفسه في كلّ نفع وكلّ خير دنيويّ، قال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [٥٩/الحشر/٩] أي: فقر واحتياج. وأمّا في أمور الآخرة فيؤثرون أنفسهم على غيرهم؛ لأنّ الإيثار بالقول مكروه شرعاً، كما صرّح به الفقهاء. وقوله (وكثرة إقلالي): الإقلال مصدر أقلّ، أي: افتقر. يعني: بسبب زيادة فقري إلى الله تعالى سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [٥٩/الحشر/٩] أي: لا غيركم فقير

---

(١) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنّة، باب: ما يُكره من كثرة السؤال، وتكلّف ما لا يعنيه،٦٨٦٢، بلفظ: وكتب إليه ـ يعني: المغيرة بن شعبة كتب إلى معاوية ـ إنّه كان ينهى عن قيل وقال... وللحديث أطراف أخرى كثيرة عند البخاريّ وغيره.

مثل فقركم. يعني عندكم، وإلّا فالفقر/ [٤٩٠/ أ] إلى الله تعالى في كلّ شيء سواه تعالى إليه تعالى على السواء. والخطاب في الآية للكاملين العارفين.

١٣- رَعَــى اللهُ مَغْنَــىً لَمْ أَزَلْ فِي رُبُوعِــهِ   مُعُنًّى وَقُلْ إنْ شِئْتَ يَا نَاعِمَ البَالِ

(رعى الله): أي حفظ الله ، وهو من رعى الأمير رعيته رعاية حفظهم وحماها. وقوله (مَغْنَىً): بالغين المعجين واحد المغاني، وهي المواضع التي كان بها أهلوها كما في الصحاح. كناية عن عالم الأكوان كلّه، أو عالمه الإنسانيّ؛ فإنّ أهله وهو الحقّ تعالى كان ظاهراً متجلّياً به على قلبه، ثمّ احتجب عنه لسبب ما من أسباب الحجاب. وقوله (لم أزل في ربُوعه): أي ربوع ذلك المغنى، جمع: رَبْع، وهو: الدار بعينها، وجمعه: رِبَاع ورُبُوع وأَرْبُع وأَرْباع. والمَحَلَّة، كذا في القاموس. أي: لم أزل ساكناً في تلك الربوع. يعني: ذائقاً أسرار تلك التجلّيات بها، والظهورات الإلهيّة عليه، وكاشفاً عن ذلك بالحسّ لا بالفكر والعقل، مع الغيبة عنها. وقوله (مُعَنًّى): بتشديد النون، خبر لم أزل، يقال عاناه: قاساه، كتعنّاه، من العنا، وهو: الهم والتعب، قال في الصحاح المعاناة: «المقاساة، يقال: عَانَاه وتَعَنَّاه، وتَعَنَّى قال الشاعر:

فقلـت لهـا الحاجـات يطـرحن بـالفتى   وهَـــمٌّ تعنّنـــي مُعَنًّـــى ركائبـــه

وكونه معنى في ربوع ذلك المغنى المذكور بسبب زيادة الأشواق الإلهيّة على قلبه، وغلبتها على عقله ولبّه. وقوله (وقل): فعل أمر من القول، خطاب لكلّ من يراه من الناس، ويحسّ بحاله الذي هو فيه، ولو بعض إحساس. وقوله (إنْ شئت): أي أردت. وقوله (يا ناعم البال): من النُعْم بالضمّ، خلاف البُؤْس، ونَعُمَ نعومة، أي: صار ناعماً لَيِّناً، والنَّعْمَة بالفتح: التَنْعُم، يقال: نَعَمَهُ الله ونَاعَمَهُ فَتَنَعَّمَ، كذا في الصحاح. والبال: الحال، والخاطر، ورخاء العيش، كذا في القاموس. والمعنى في ذلك: قل إنْ شئت إنّي ناعم البال، أي: منعم الخاطر في ربوع ذلك المغنى المذكور، ونادني بذلك، مع أنّي لم أزل معذّب القلب في ربوعه

بكثرة الأشواق الإلهيّة والأشجان الربّانيّة، ولله درّ القائل:

مـا زلـت في مَغْنى الحبيب منعّماً والحـال إنّي تاعب ولهـان

فـإذا أردت فصف فـؤادي بالهنا أو شئت قـل في قلبه نيران

ولنا في هذا المعنى على البديهة عند كتابتنا هذا المحلّ.

وجـه الحبيب بـدا في الكائنات لنا ونحن بالشوق في هم وأكدار

وقـد تحيّر مـن يـدري بحالتنا فـالعين في جنّة والقلب في نار

١٤- وَحَيَّـا مُحَيَّـا عَـاذِلٍ لِيَ لَمْ يَـزَلْ يُكَرِّرُ مِنْ ذِكْرَى أَحَادِيثِ ذِي الخَالِ

١٥- رَوَى سُنَّةً عِنْدِي فَأَرْوَى مِنَ الصَّدَى وَأَهْدَى الهُدَى فَاعْجَبْ وَقَدْ رَامَ إِضْلَالِي

١٦- فَأَحْبَبْتُ لَوْمَ اللُّوْمِ فِيْهِ لَو أَنَّنِي مُنِحْتُ المُنَى كَانَتْ عَلَامَةَ عُذَّالِي

(وَحَيَّا): بالتشديد فعل ماضي، من التحتيّة، وهي السلام. وقوله (مُحَيَّا): بتشديد الياء التحتيّة، أي: وجه، قال في القاموس: «المُحَيَّا كالحُمَيَّا: جماعة الوَجْه، أو حُرُّهُ». وقوله (عاذِلٍ): أي لائم يلومني على المحبّة. وقوله (لي): صفة لعاذل. وقوله (لم يزل): يكرر، أي يذكر لي مرّة بعد مرّة. وقوله (ذكرى): أي اسم مصدر من ذكرته ذكرى غير مجراة. وقوله تعالى: ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [٧/ الأعراف/ ٢] اسم للتذكير. ﴿وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [٣٨/ ص/ ٤٣] عبرة. ﴿وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ [٨٩/ الفجر/ ٢٧] أي ومن أين له التوبة. ﴿وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [٣٨/ ص/ ٤٣] أي: يُذَكِّرون بالدار الآخرة، ويُزَهِّدون في الدنيا، كذا في القاموس. وقوله (أحاديث): جمع حديث. وقوله (ذي الخال): أي صاحب الخال، وهو شامة في البدن، كما في القاموس. والخال كناية هنا عن النقطة السوداء في الوجه الإلهيّ، وهي الكون، قال تعالى: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ [٢/ البقرة/ ١١٥] أي: هناك ظهور الوجود الحقّ/ [٤٩١/ أ] وتجلّيه من حيث أسماؤه الحسنى، والأكوان أجمعها آثار أسمائه

الحسنى والأكوان ظلمة، كما قال ابن عطاء الله الإسكندري في حِكَمِهِ: «الكون كلّه ظلمة إنّما أناره ظهور الحقّ فيه». وذلك من قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [٢٤/ نور/ ٣٥] وقوله سبحانه: ﴿وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [٣٩/ الزمر/ ٦٩]. وأمّا أنْ يراد بالخال النفس الإنسانيّة الغفلة عن ربّها فإنّها ظلمة سوداء. قال السودي اليمني قدّس الله سرّه:

بذات الخال قلبي صار هائم	وفي أبوابها ما زلت قائم
نسيت بها الوجود وما حواه	وغبت عن العالم والعوالم
فكرر يا أُخَيَّ حديثَها لي	ولا تخش العواذل واللوائم

ولنا من جملة أبيات لنا قولنا:

عطفت سلمى على حلّتها	وهي منها سدلت فوق النهود
ليتها ترفع عنّا طرفاً	لنرى الخال الذي فوق الخدود
وهو خال أسود وهوانا	في سنا طلعتها يشجي الأسود
كم به أصمت وكم أردت فتى	بوجوه عنده بيض وسود
وهو وجه واحد صبغته	حكمتها النافد من غير نفود

وقوله (روى): أي العاذل المذكور في البيت قبله. وقوله (سنّة): بتشديد النون، أي: طريقة مسلوكة في المحبّة الإلهيّة من طرائق محمّد حبيب الله خير البريّة، عليه أفضل صلاة وأشرف تحيّة. وقوله (عندي): أي بالنسبة إليَّ لا بالنسبة إليه؛ لأنّه جاهل غافل، لا يعرف الأعالي من الأسافل. وقوله (فأروى): يقال رَوِيَ من الماء، كرضي رَيّاً، وارْتَوَى بمعنى. والاسم: الرِّيّ، بالكسر، وأَرْوَانِي، وهو رَيَّان، وهي رَيَّا، كما في القاموس. وقوله (من الصدى): متعلّق بأروى، كرضي؛ فهو صَادٍ وصَدْيان، وهي صَدْيا وصَادِيَة، كذا في القاموس. يعني: من عطش المحبّة،

وحرقة الأشواق، بسبب أنّه يكرر ذكر المحبوب، وذكره يحيي البصائر والقلوب. وإنْ كان المذكور مخفياً بأستار الغيوب. وقوله (وأهدى): أي أوصل من الهَدِيَّة، كغَنِيَّة: اسم لما أُتْحِفَ به، والجمع هَدَايا. وهَدَّى وأَهْدَى الهَدِيَّة، كذا في القاموس. وقوله (الهُدَى): بضمّ الهاء وفتح الدال المهملة: الرشاد والدلالة والنهار. كما في القاموس. وقوله (فاعجبْ): أمر من العجب، خطاب لكلّ من يعلم بالحال من جهابذة الرجال. وقوله (وقد رام): أي قصد. والواو للحال. والجملة حال من فاعل أهدى. وقوله (إضلالي): مفعول رام. يعني: مقصوده أنّي أترك محبّة هذا المحبوب وإنْ كان لا يدري من هو محبوبي لعدم اطّلاعه على سرائر القلوب، وأسرار الغيوب، وفي ترك المحبّة المذكورة ضلالي عن الحقّ المبين في شريعة كلّ نبيّ، وسنّة سيّد المرسلين. وقوله (فأحببت): أي صار محبوباً عندي. وقوله (لوم): مفعول أحببت، وهو العتاب والعذل. وقوله (اللؤم): بالهمز ضدّ الكرم، قال في الصحاح: «اللَئِيم هو الدنيء، في الأصل الشحيح النفس. وقد لَؤُمَ الرجل بالضمّ لُؤْماً على فُعْل، ومَلْأَمَة على مَفْعَلَة، ولآمَة، على فَعَال، يقال منه للرجل: يا مَلْأَمَان، خلاف قولك: يا مكرمان». والمعنى: إنّي صرت أحبّ المَلامَة والمُعَاتبة، من العذول الصادرة منه عن محض اللُؤْم والحماقة وسوء الغباوة. وقوله (فيه): أي في المحبوب المذكور سابقاً. وقوله (لو أنني): لو شرطيّة. وقوله (مُنِحَتُ): بالبناء للمفعول، أي: منحني الله بمعنى أعطاني. وقوله (المُنَى): أي القصد. والمطلوب، وهو لقاء المحبوب، وكشف أستار الغيوب. وقوله (كانت): أي هذه الحالة التي ذكرناها، وهو محبّته للؤم الصادر عن لؤم العذول وحماقته. وقوله (علامة عُذَّالِي): أي سيمتهم التي يعرفون بها بين المحبّين مثلي؛ فيحبّونهم لذلك، ويرغبون في لومهم لهم، قال في القاموس: «العلامة منصوب في الطريق، يُهتدَى به». على معنى: إنّهم يصيرون سبباً للهداية إلى المحبّة والعشق، وإنّما شرط في ذلك حصول

مناه ومقصوده؛ ليتمّ له. إنّ محبّة اللوم والعتاب على المحبّة أمر موصل إلى لقاء الأحبّة؛ بحيث لا يبقى أمر مغاير، ولا قدر حبّه.

١٧- جَهِلْتُ بِأَنْ قُلْتُ اقْتَرِحْ يَا مُعَذِّبِي
عَلَيَّ فَأَجْلَى لِي وَقَالَ أُسْلُ سَلْسَالِي/ [٤٩١/ ب]

١٨- وَهَيْهَاتِ أَنْ أَسْلُو وَفِي كُلِّ شَعْرَةٍ
لِحَتْفِي غَرَامٌ مُقْبِلٌ أي إِقْبَالِ

(جهلت): أي اتّصفتُ بصفات الجاهلين ممّا أنا فيه، من سُكْر المحبّة الخارجة بي عن صحو العاقلين، وتدبير الغافلين. وقوله (بأنْ قلت): هذا بيان لجهلة المذكور. يعني: قال لذي الخال المشار إليه سابقاً، وهو محبوبه الحقيقيّ بمناجاة سرّه المسرور، ومناغاة قلبه المحرور، ودمعه المجرور. وقوله (اقترحْ): فعل أمر من الاقتراح، وهو ارتجال الكلام، واستِنْبَاط الشيء من غير سَمَاع والاختبار، وابتداع الشيء، والتحكّم، كذا في القاموس. وقوله (يا معذّبي): أي يا حبيبي الذي يعذّبني بصدّه، ويعاقبني بهجره وبُعْده.

وقوله (عليَّ): بتشديد الياء التحتيّة، جار ومجرور متعلّق بـ (اقترح). يعني: مرني بما تريد؛ فأنا عبد لك من أقلّ العبيد. وقوله (فأجلى لي): أي كشف لي، وحقّقني بمظاهر تجلّياته في حضرات أسمائه وصفاته. وقوله (وقال): أي محبوبه له قولاً يجده في قلبه، ويسمعه بسمع عقله ولبّه. وقوله (أُسلُ): فعل أمر من سَلَاهُ وسَلَا عنه، كدَعَاه ورَضِيَهُ سَلْواً وسُلُوّاً وسُلْوَاناً وسُلِيّاً: نَسِيَه، وأَسْلَاهُ عنه فتَسَلَّى، والاسم: السَلْوَة، وتضمّ.

وقوله (سَلْسَالِي) بفتح السين المهملة الأولى. قال في القاموس: «السَلْسَل، كجعفر وخَلْخال الماء العذب أو البارد». والمراد به ماء الفم الذي يجري من بين الثنايا، وهو أشهى ما يكون عند المحبّ العاشق من محبوبه المليح الشائق. كناية

عمّا يظهر من الأكوان عن قوله تعالى للشيء كن فكان، من حيث أنّ ذلك صادر عنه، وظاهر منه عند العارف المحقّق الولهان الذي هو في أسر الأشواق والأشجان. وقوله (أسْلُ سلسالي): أي أعرض عنه ولا قدرة له عن الإعراض عنه لتحقّقه به، ومعرفته التامّة بأنّه غاية نصيبه منه؛ لأنّ زهد المحقّقين في الكائنات انقطاع منهم عن ربّ الأرض والسموات بالعكس من حالات السالكين في طريق المعرفة واليقين؛ فإنّ زهد السالك في جميع المهالك منقذ له من المهالك، ومتى زهد العارف كان هو الهالك؛ ولهذا قال سيّدي علي الوفائي قدّس الله سرّه:

تجرّد عن مقام الزهد قلبي فأنت الحقّ وحدك الله في شهودي

أأزهد في سواك وليس شيء أراه سواك يا سرّ الوجود

وقال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه:

وليس الزهد في الأكوان شيئاً لأنّ الكون من سرّ العيان

وقوله (وهيهات): معناها البعد، أي: بعيد. وقوله (أنْ أسلو): أي سُلْوانِي ونسياني لذّة سلسال المحبوب الذي في ارتشافه شفاء القلوب. وقوله (وفي): الواو للحال. وقوله (كلّ شعرة): أي مقدار كلّ موضع شعرة من جسدي. وقوله (لحتفي): أي لأجل حتفي، أي: موتي، صفة لكلّ شعرة. وقوله (غرام): مبتدأ مؤخّر، خبره مقدّم في (كلّ شعرة) والجملة: حال من فاعل أسلو. والغرام: لشوق الملازم، والعشق اللازم. وقوله (مقبل): صفة غرام: وقوله (أي): إقبال بتشديد الياء التحتيّة، أي: إقبالاً كثيراً، قال في القاموس: أي بمعنى كم الخبريّة. والمعنى: إنّ الغرام مقبل به على المحبوب الحقيقيّ إقبالاً كثيراً، وكان الله على كلّ شيء قديراً.

١٩- وَقَالَ لِيَ اللَّاحِي مَرَارَةُ قَصْدِهِ   تَحَلَّ بِهَا دَعْ حُبَّهُ قُلْتُ أَحْلَى لِي

(وقال ليَ اللّاحي): أي اللائم الذي يلومني على محبّة المحبوب المذكور وليس عنده بها أشعر به شعور. وقوله (مرارة): مبتدأ. وقوله (قصده): من إضافة المصدر إلى مفعوله، أي: مرارة قصدك له، وإقبالك عليه، وهو ممتنع عنك، ومحتجب بها لديه. قوله (تحلَّ): خبر/ [٤٩٢/ب] المبتدأ، وهو فعل أمر مبني على حذف الياء، من الحلاوة، ضدّ المرارة. وقوله (بها): أي بتلك المرارة. يعني: إنك تجد المرّ حلواً من عدم شعورك بالوجدانيّات، فضلاً عن النظريات لزيادة حمقك، وعدم اعتبارك لمراعاة حقّك. وقال هذا على سبيل التهكّم به، عساه من سُكْر عشقه ينتبه. وقوله (دع): أي اتركْ، بدل من تحلَّ. وقوله (حبّه): أي محبّتك له. وقوله (قلت): أي لذلك اللّاحي. وقوله (أحلى لي): أي تلك المرارة المذكورة. أو حبّه المرّ أكثر حلاوة عندي من كلّ شيء، حلو وأشهى لذّة من كلّ لذيذ، فكيف أترك ما أجده حلواً، وأصير من محبّته خلواً.

٢٠- بَذَلْتُ لَهُ رُوحِي لِرَاحَةِ قُرْبِهِ   وَغَيْرُ عَجِيبٍ بَذْلِيَ الغَالِ فِي الغَالِي

٢١- فَجَادَ وَلكِنْ بِالْبِعَادِ لِشَقْوَتِي   فَيَا خَيْبَةَ المَسْعَى وَضَيْعَةَ آمَالِي

(بذلْتُ): أي أعطيت. بَذَلَه يَبْذُلُهُ: أَعطاه، وجاد به، كذا في القاموس. وقوله (له): أي للمحبوب المذكور، وهو ذو الخال. وقوله (روحي): أي المضافة إليّ بنسبة الدعوى؛ وإنّما هي روحه التي هي أوّل مخلوق له، كما قال: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [١٥/ الحجر/ ٢٩] ومن ذلك ما أشرت إليه في مطلع أبيات لنا:

إنْ قلت يا روحي لسبّوحي   يقول لي بل أنت يا روحي

وقوله (لراحة): أي لأجل راحة، هي ضدّ التعب، قال في الصحاح: «الرَّوْحُ والراحة من الاستراحة». وقوله (قُرْبه): أي قرب المحبوب المذكور برفع الحجب عنه، وإزالة الستور. وقوله (وغيرُ عجيبٍ): مبتدأ ومضاف إليه. وقوله (بَذْلِيَ):

خبره، مضاف إلى ياء المتكلّم مفتوحة، أي: إعطائي. وقوله (الغالِ): بكسر اللام، والياء التحتيّة محذوفة للوزن، كقول الشاعر:

ولـــو أنّ واش باليمامـــة داره وداري بأعلى حضرموت اهتدى ليا

وأصله: الغالي بالياء التحتيّة، غَلَا غُلُوّاً فهو غالٍ، وغَلَا ضدّ رَخَصَ، وأَغَلَاه اللهُ، وبِعْتُه بالغالي، كذا في القاموس. والغالي هنا كناية عن روحه التي بذلها. وقوله (في الغالي): أي في محبّة المحبوب الغالي على قلوب العاشقين، وهو ذو الخال الذي تقدّم ذكره، فاح في فلوات المعاني نشره. وقوله (فجاد): الفاء للتعقيب، وجاد، أي: أنعم وتفضّل. وقوله (ولكن): استدراك من قبيل القول بالموجب لحكمة يعلمها الذي أوجب، كقول القائل:

وإخـــوان حـــسبتهم دروعـــاً فكانوهـــا ولكـــن للأعـــادي

وخِلـــتهم ســـهاماً صـــائبات فكانوهـــا ولكـــن في فـــؤادي

وقوله (بالبعاد): متعلّق بجاد، أي: بإبعادي عن حضرات قربه في تجلّيات جذبه. وقوله (لشَقْوَتِي): أي لأجل شَقَائِي في مقاساة حبّه. والشِّقوة بالكسر، وفتحه لغة. يقال: أَشْقَاه اللهُ تعالى فهو شَقِيّ، والشَّقَاوَة، بالفتح: نقيض السَعادة، ذكره في الصحاح. وليس المراد هنا بالشَّقوة شَقْوَة الدين؛ وإنّما هي شقوة المحبّة والعشق، كما قال الشاعر:

ومـــا في الأرض أشـــقى مـــن محـــبّ ولـــو وجـــد الهـــوى حلـــو المـــذاق

تـــراه باكيـــاً في كـــلّ حـــال مخافـــة فرقـــة أو لاشـــتياق

فتـــسخن عينـــه عنـــد التنـــائي وتـــسخن عينـــه عنـــد التلاقـــي

وقوله (فيا خيبة): الفاء للتفريع. وياء نداء مالا يجيب تنبيهاً لمن يعقل، نحو: ﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ﴾ [٣٦/ يس/ ٣٠] و: ﴿يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ﴾ [١١/ هود/ ٧٢] ذكره في القاموس. (وخيبة): منادى مضاف إلى ما بعده. وخَاب يَخِيبُ خَيْبَة:

حُرِمَ، وخَيَّبَه اللهُ، وخاب، وخسر، ولم ينل ما طلب، كذا في القاموس. وقوله (المسعى): مصدر ميمي، أي: السعي الذي أنا ساعيه في طريق المحبّة. وقوله (وضَيْعَةَ): أي يا ضَيْعة، يقال: ضَاعَ يَضِيع ضِيْعاً وضِيعة بكسرهما. وأَضَاع/ [٤٩٢/ب] الشيءَ: أَهْمَلَهُ، وأَهْلَكَه، وضَيَّعَه، كذا في القاموس. وقوله (آمالي): جمع أمل، كجبل، وهو الرجاء. يعني: إنّ كلّ ما كنت أؤمّلُه من الحبيب ضاع ولم أنلْ شيئاً منه.

٢٢- وَحَانَ لَهُ حَيْنِي عَلَى حِينِ غِرَّةٍ وَلَمْ أَدْرِ أَنَّ الآلَ يَذْهَبُ بِالآلِ

(وحان): يَحِينُ قَرُب ودنا. وقوله (له): أي لأجله، والضمير للمحبوب ذي الخال المذكور سابقاً. وقوله (حَيني): بالفتح، قال في القاموس: «الحَيْن الهَلاكُ والمِحْنَة»، قال في الصحاح: «الحَين بالفتح الهلاك». وقوله (على حِيْنٍ): الحِين الوقت، والحِين المدّة، كذا في الصحاح. وقوله (غِرَّة): بكسر الغين المعجمة، مصدر غَرَّه غَرّاً وغُرُوْراً وغِرَّة بالكسر؛ فهو مَغْرُور وغَرِير: خَدَعَه، وأَطْعَمَه بالباطل، واغْتَرّ هو، كذا في القاموس. وقوله (ولم أدرِ): أي لم أعلم. وقوله (أنّ الآل): بالمدّ، وهو السراب الذي يحسبه الظمآن ماء حتّى إذا جاءه لم يجده شيئاً. كناية عن عوالم الأكوان المكنّى بها عمّا سبق من السلسال، كما قدّمناه؛ فإنّ المحبّ الإلهيّ إذا تحقّق بمعرفة الحقّ تعالى يتعلّق بذلك من حيث صدوره عن الحقّ تعالى، وهو ليس بشيء؛ لأنّ كلّ شيء هالك إلّا وجهه تعالى، أي: إلّا ذاته العليّة، وليس بيد الكائن إلّا الأكوان؛ فإذا تعلّق قلبه بها من الحيثيّة المذكورة، كان تعلّقه بالسراب، فيغترّ به اغترار الظمآن بالشراب. وقوله (يذهب بالآل): ممدود أيضاً، وهو الشخص. كناية عن نفسه ظاهراً وباطناً؛ وإنّما ذهب بنفسه؛ لأنّ نفسه من جملته، وهي محمولة بجملته.

٢٣- تَحَكَّمَ فِي جِسْمِي النُّحولُ فَلَوْ أَتَى لِقَبْضِي رَسُوْلٌ ضلّ فِي مَوْضِعٍ خَالِ

٢٤- وَلَوْ هَمَّ بَاقِي السُّقْمِ بِي لَاسْتَعَانَ فِي تَلَافِي بِمَا حَالَتْ لَهُ مِنْ ضَنًى حَالِي

٢٥- وَلَمْ يَبْقَ مِنِّي مَا يُنَاجِي تَوَهُّمِي سِوَى عِزِّ ذُلٍ فِي مَهَانَةِ إجْلَال

(تحكَّمَ): بتشديد الكاف، فعل ماض. وقوله (في جسمي): متعلّق بتحكّم. وقوله (النُحُول): فاعل تحكم، أي السقم الزائد. وقوله (فلو): الفاء للتفريع، ولو شرطيّة. وقوله (أتى لقبضي): أي قبض روحي. وقوله (رسول): فاعل أتى؛ إنّما نكّره للتعظيم، والرسول ملك الموت. وقوله (ضلّ): أي تحيّر وتاه، ولم يجد أحداً يقبض روحه من شدّة السقم. وقوله (في موضع): أي مكان. وقوله (خالي): أي فارغ من متمكّن فيه، وهو مبالغة في الاتّصاف بالسقم، أبلغ من قول المتنبّي:

أبلى الهوى أسفاً يوم النوى بدني وفرّق الشوق بين الجفن والوسن

روح تردّد في مثل الخيال إذا أطارت الريح عنه الثوب لم يبن

كفى بجسمي نحولاً أنّني رجل لولا مخاطبتي إيّاك لم ترني

قوله (ولو هَمَّ): بتشديد الميم، أي: عزم بكمال التوجّه. وقوله (باقي السقم): أي ما بقي ممّا يمكن حصوله من السقم والنحول، وهو فاعل همّ. وقوله (بي): متعلّق بت (هَمّ): أي بإذابة جسمي زيادة على ما عندي من السقام. وقوله (لاستعان): أي طلب الإعانة على ذلك. وقوله (في تلافي): أي إهلاكي وإعدامي. وقوله (بما حالت): أي استحالت وتحوّلت. وما موصولة، أو نكرة موصوفة. وقوله (له): أي لأجله. وقوله (من ضنىً): أي سقيم زائد، ونحول زائد، وهو بيان لـ(ما). وقوله (حالي): فاعل حالت. والحال هيئة الإنسان، وما هو عليه كالحالة، كما في القاموس. ثمّ بين حاله بقوله (ولم يبق منّي): أي من ظاهري وباطني، جسماً ونفساً، وروحاً وعقلاً. وقوله (ما): فاعل يبقى، وهي نكرة موصوفة بقوله (يناجي توهّمي). يعني: لم يبق من جملتي مقدار ما يخاطب بعضي بعضاً في سرّي على طريقة التوهّم في

المغايرة بين المتكلّم والمخاطب. وقوله (سوى): أي غير. وقوله (عزّ ذلّي) يعني:/ [٤٩٣/ أ] عزّي الذي هو ذلّ؛ فإن الذلّ في المحبّة هو عزّ المحبّ الذي يتعزز به على كلّ محبّ، ولنا في مطلع قصيدة قولنا:

إنّ ذلّي في حبّ علوة عزّ فألطفوا بالملام أو فاستفزوا

وقوله (في مَهانة): بالفتح، أي: ابتذالي، قال في الصحاح: «امْتَهَنْتُ الشيءَ: ابتذلتُه، ورجل مَهِين، أي: حقير». وقوله (إجلالي): أي تعظيمي. أجلّه يعني: إنّ المهانة والابتذال والحقارة في طريق المحبّة هي إجلالي وتعظيمي. ومعنى البيت بتمامه: إنّه فني في ظهور وجود محبوبه الحقيقيّ، واضمحلت رسومه الظاهرة والباطنة، فلم يبق منه، ومنه نفسه ما يناجي بها نفسه؛ لأنّه صار أمراً اعتباريّاً: اعتبره موجده الحقّ بالوجود الوهميّ المحكوم به عند نفسه الموهومة، وبنيته المهدومة، لا في نفس الأمر؛ وهذه حقيقة الأكوان، وحقائق صور الأعيان عند أولي التحقيق والعرفان. وإنّما بقي منه ذله وانكساره الذي هو عزّه وافتخاره. ومهانته وابتذاله الذي هو تعظيمه وإجلاله[1].

* * *

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: «بلغت إلى هنا المقابلة والقراءة على شيخنا المؤلّف قدّس الله سرّه».

نَسَخْتُ بِحُبِّي آيَةَ العِشْقِ مِنْ قَبْلِي

وقال قدّس الله سرّه: الطويل

١ - نَسَخْتُ بِحُبِّي آيَةَ العِشْقِ مِنْ قَبْلِي فَأَهْلُ الهَوَى جُنْدِي وَحُكْمِي عَلَى الكُلِّ

(نسخت): من النَسْخ، قال في القاموس: «نَسَخَه كمنعه: أزاله، وغيَّرَه، وأَبْطَلَهُ، وأقام شيئاً مقامه». وقوله (بِحُبِّي): أي بمحبّتي وعشقي للجمال الإلهيّ». والكلام هنا من الناظم قدّس الله سرّه عن الحقيقة المحمّديّة، والنور الإلهيّ المتجلّي بالحضرة الأحمديّة؛ لأنّه لمحة من لمحات ذلك النور، وقطرة من بحر ذلك العلم المقدور، وخفقة من خفقات ذلك العلم المنشور، واللواء المنصور، كما ورد في الحديث المأثور أنّ الله تعالى خلق الكائنات جميعها من نور محمّد صلّى الله عليه وسلّم بعد أنْ خلق نوره من نوره، وجعله مظهراً لظهوره؛ فليس بعجيب أنْ يرجع الشيء إلى أصله، ويتّصل السهم بنصله؛ فإنّ شعاع الشمس المنتشر في الآفاق، الداخل في الأرض من كلّ باب وطاقة، يرجع في كلّ لمحة من اللمحات إلى قرص الشمس؛ فيتّصل منها بالذّات، ينتشر عنها في طاقه وبابه، بروحه ونفسه وإهابه. ولذلك قلت من قصيدة لي:

وما أنا إلّا هيولى الورى ولمحة نور من المصطفى

والاقتصار في النسخ على ذكر المحبّة؛ لأنّ المحبّة مقامه صلّى الله عليه وسلّم؛ لأنّه حبيب الله ، أي: محبوب الله ، ففعيل بمعنى مفعول، ويأتي أيضاً فعيل بمعنى فاعل، كرحيم بمعنى راحم، والإشارة إلى ذلك بقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [٥/ المائدة/ ٥٤] فإذا أتى الله بذلك ظهر عنه تعالى بصورهم البشريّة، والله من ورائهم محيط؛ لأنّه تعالى هو الخالق البارئ المصوّر. وافتتاحهم بالصورة

النبويّة الآدميّة، واختتامهم بالصورة النبويّة المحمّديّة، وهم فيما بين ذلك في صور برزخيّة، تامّة أو ناقصة. فالتامّة نبويّة، والناقصة جاهليّة. والمحبّة أصل منشأ الوجود، وسبب إدرار أمطار الكرم الإلهيّ والجودة، ومن ذلك ينشأ العيان والشهود في أهل الركوع والسجود إلى أنْ ترتفع القيود، وتنمحق الحدود، ويرجع العابد إلى المعبود، قال تعالى في الإشارة إلى هذا المقام المحمود: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ [٨٦/ الفجر/ ٣٠] وهذا الدخول على خلاف المعهود، لأنّه دخول مفقود في موجود، وما هو دخول محدود في محدود، ولا معدود في معدوده/ [٤٩٤/ ب] يعرف ذلك أهل المواثيق والعهود. ومن المتحقّقين بالحقّ الودود، ويدخل في ضمن المحبّة جميع الشرائع والأحكام؛ لأنّها نشأت من الملك العلام، محبّة منه للمكلّفين من الأنام، وهي مقبولة منهم بوجه المحبّة التامّ، ويتبعها الإخلاص له، والشكر، والتقوى، وكلّ مقام. وقوله (آية): مفعول نسخت. والآية: العلامة من القرآن، كلام متّصل إلى انقطاعه، كذا في القاموس. وقوله (العشق): هو إفراط الحبّ، ويكون في عفاف وغيره، أو عَمَى الحِسّ عن إدراك عيوب المحبوب، أو مَرَض وسْواسِيّ يَجلبه لنفسه بتسليط فكره على استحسان بعض الصور. عَشِقَه: كعلمه، عِشقاً بالكسر وبالتحريك، فهو عاشِق، وهي عاشِقَ وعاشقه، ذكره في القاموس. فإنّ مقام محمّد صلّى الله عليه وسلّم مقام المحبّة، لا مقام العِشق؛ ردّ على المشركين لَمّا قالوا: «إنّ محمّداً عاشق ربّه». والوارد عنه صلّى الله عليه وسلّم أنّه محبّ لربّه، ومحبوب له؛ لا عاشق. فقد نسخ عليه السلام آية العشق؛ فهو باق على بشريّته، وأعراض البشريّة، التي لا تؤدّي إلى نقص في مرتبته العليّة، فنزل عليه القرآن الجامع بالجمع، فكان خُلقه القرآن، وكان له وقت مع ربّه، لا يسعه فيه ملك مقرب، وهو جبريل عليه السلام، وهو روحه صلّى الله عليه وسلّم، قال تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [٥٣/ النجم/ ١٠]. يعني: من غير وساطة أحد، ولا نبي مرسل،

وهو بشريّته صلّى الله عليه وسلّم، ونزل عليه الفرقان؛ فكان للعالمين نذيراً، وهو الفرقان الجامع للكثرة، وهو مقام الفرق: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [١٨/الكهف/ ١١٠] فلا فرق إلّا بالوحي بجبريل وبالعصمة، والله يعصمك من الناس بحفظك من رذائل أخلاقهم، وما يصدر منهم؛ فهو صلّى الله عليه وسلّم جَمَع وفرق، وفرق وجمع، وعين وغين، وغين وعين، كما قال صلّى الله عليه وسلّم: «إنه ليغان على قلبي وإنّي لأستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرّة»[1] وهو غين أنوار؛ لا غَين أغيار: ﴿يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ﴾ [٣٣/الأحزاب/ ١٣] إشارة لطيفة لحضرة جامعة شريفة، وهي الكلّ في الكلّ. وقوله (من قبلي): فإنّهم تفصيله، وهو مجملهم؛ لأنّه فذلكة الحساب، وهو باب من الأبواب، وهو الآخر الأوّل الذي عليه المعوّل، وهو لبنة الجدار الذي تحته الكنز، وهو اليتيم الذي غلب يتيمين من الأبوين بالمجد والعزّ، وهو خاتم النبوّة، وحاتم الفتوّة. على جهره من سرّه صلوات تليق بوافره برّه، من مبدأه إلى مقرّه، وسلام دائم من أمر قائم. وقوله (فأهل): الفاء للتفريع على ما قبله. وقوله (الهوى): هو المحبّة الإلهيّة في الورثة المحمّديّة. وقوله (جندي): بالضمّ، وهو العسكر والأعوان، كذا في القاموس. لأنّهم يقررون شرائعه، ويوضّحون ذرائعه؛ فينصرونه بالأقوال والأفعال والأحوال. وقوله (وحُكْمِي على الكُلّ): أي كلّ من خلق الله من أهل الهوى وغيرهم، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [٢١/الأنبياء/ ١٠٧]؛ لأنّ الرسالة عامّة، والبلوى طامّة.

٢- وَكُــلُّ فَتَــىً يَهْــوَى فَــإِنِّي إِمَامُــهُ   وَإِنِّي بَرِيْءٌ مِنْ فَتَىً سَامِعِ العَذْلِ

(وكلّ فتى): وهو السخيّ الكريم، كذا في القاموس. وقوله (يَهوى): أي يحبّ

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الذكر، والدعاء، والتوبة، باب: استحباب استغفار والاستكثار منه،٧٠٣٣.

بالمحبّة الإلهيّة، كما ذكرنا في الحقيقة المحمّديّة. وقوله (فإنّي إمامه): أي هو مقتدٍ بي في جميع أحواله، وأعماله، وأقواله، قال تعالى له: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [٣/ آل/ عمران]. وقوله (وإنّي بريء): أي متبرّئ. وقوله (من فتى): أي ممن هو موصوف بالفتوّة. وقوله (سامع العذل): أي اللوم على محبّته الإلهيّة من الغافلين عن الحضرة الربّانيّة، قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [١٨/ الكهف/ ٢٨]

٣- وَلِي فِي الهَـوَى عِلْـمٌ تَجِـلُّ صِـفَاتُهُ وَمَـنْ لَمْ يُفَقِّهْـهُ الهَـوَى فَهْـوَ فِي جَهْـلِ

/ [٣٩٤/ أ] (ولي): أي لا لغيري ممّن هو ليس على طريقتي. وقوله (عِلْمٌ): تنكيره للتعظيم، أي: علم شريف إلهيّ ذوقيّ كشفيّ، لا خياليّ نفسانيّ عقليّ. وقوله (تَجِلُّ صِفَاتِه): أي تعظم عن مدارك القاصرين، وأفهام الجاهلين، قال تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا﴾ [٢٥/ الفرقان/ ٦٣] والعلم يشرف بشرف موضوعه ومسائله، ولا أشرف من الحقّ تعالى، ومن مسائل تجلّياته وحقائق معارفه وحضراته. وقوله (ومن لم يفقّههُ): أي يفهمه، قال في القاموس: «الفِقْه بالكسر، العِلْم بالشيءِ، والفَهْمُ له. وفَقُهَ ككرم وفرح؛ فهو فَقِيه وفَقُهَ كَنَدُسَ، وفَقِهَهُ كعَلِمَه: فَهِمُه، كتَفَقَّهَه. وفَقَّهَه تَفْقِيهاً: عَلَّمَه». قال صلّى الله عليه وسلّم: «من يرد الله به خيراً يفقّهه في الدين ويلهمهه رشده»[1] فقد نسب التفقيه إليه تعالى من دون واسطة، وعطف الإلهام عليه؛ فهو العلم الإلهيّ والسرّ الربّانيّ، لا علوم الرسوم الاجتهادية؛ فإنّها مأخوذة بالفهوم العقليّة في النصوص الشرعيّة. وهي شريفة في بابها، ومخطوبة لطلابها. وقوله (الهوى): أي الميل الربّانيّ، والحبّ الرحمانيّ، بأنْ كان ذلك سبباً لتفقيه الله تعالى للعبد، وإلهامه له بما يخرج عن العدّ

---

(١) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب العلم قبل القول والعمل، ١٠، دون لفظ ويلهمه رشده، وله طرق كثيرة.

والحدّ. وقوله (فهو في جهل): أي جاهل بربّه، فمحروم لذّة قربه، لا يعرف الفرق بين الحقّ القديم، والباطل العديم، استولت على قلبه الغفلات، وأسرته حين سرّته الشهوات.

٤- وَمَنْ لَمْ يَكُنْ فِي عِزَّةِ الْحُبِّ تائِها ... بِحُبِّ الذِي يَهْوَى فَبَشِّرْهُ بِالذُّلِّ

(ومن لم يكن في عزّة الحبّ): أي المحبّة الإلهيّة. وقوله (تائهاً): أي مفتخراً بها، من التِيهِ، بالكسر: الصَلَف والكِبْرُ. تَاهَ فهو تَائِه وتَيَّاه وتَيْهَان وتَيِّهَان، مُشدّدَة الياء وتُكْسر، كذا في القاموس. وقوله (بحبّ): أي بمحبّة، متعلّق بتائها. وقوله (الذي يهوى): أي المحبوب الذي يحبّه، وهو المحبوب الحقيقيّ، الظاهر وجهه في كلّ محبوب، كما قال سبحانه: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ [٢٨/ القصص/ ٨٨] فشرط ظهور الوجه الإلهيّ هلاك الشيء وفناؤه؛ فإنّ هلك الشيء وفني ظهر الوجه الإلهيّ، فكان الحبّ إلاهياً، وإنْ بقي الشيء ولم يهلك، ولم يفن؛ فالحبّ كونيّ مجازيّ، وهو لأرباب الغفلات المحجوبين بالأشياء عن وجه الذات، والمحبّة الإلهيّة تعطي العزّة للمحبّ من عزّة المحبوب الحقّ؛ فلا ذلّ له أصلاً. كما أنّ المحبّة الكونيّة تعطي الذلّة بالخاصيّة للمحبّ من ذلة محبوبه، ولهذا قال في حقّه: فبشره بالذلّ على طريقة التهكّم، كقوله تعالى ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [٣/ آل عمران/ ٢١].

٥- إذَا جَاد أَقْوَامٌ بِمَالٍ رَأَيتَهُمْ ... يَجُودُونَ بِالْأَرْوَاحِ مِنْهُمْ بِلَا بُخْلِ

٦- وَإنْ أُودِعُوا سِرّاً رَأَيتَ صُدُوْرَهُمْ ... قُبُوْراً لِأَسْرَارٍ تُنَزَّهُ عَنْ نَقْلِ

٧- وَإنْ هُدِّدُوا بِالهَجْرِ مَاتُوا مَخَافَةً ... وَإنْ أُوْعِدُوا بِالقَتْلِ حَنُّوا إلَى القَتْل

٨- لَعَمْرِي هُمُ العشّاق عِنْدِي حَقِيْقَةً ... عَلَى الجِدِّ وَالبَاقُونَ عِنْدِي عَلَى الهَزْلِ

(إذا جاد): أي سمح. وقوله (أقوام): جمع قوم، وهم المحبّون للأشياء الهالكة الفانية. وقوله (بمال): أي من متاع الدنيا الفانية طمعاً في لقاء محبوبهم، والتمتّع بالوصول إلى مطلوبهم. وقوله (رأيتهم): بإرجاع الضمير إلى أهل الهوى الذين

هم جنده، كما سبق في البيت الأوّل، وهم المحبّون الإلهيّون، كما قدّمناه. والخطاب لكّل من في الباب من أوّلي الألباب؛ لأنّهم الذين يرون الصواب، ويفهمون السؤال والجواب. وقوله (يجودون): أي يسمحون حبّاً في الله تعالى، ورغبة في سبيله. وقوله (بالأرواح): جمع روح. وقوله (منهم): الجار والمجرور متعلّق بواجب الحذف حال من الأرواح، أي: كائنة منهم. وقوله (بلا بخل): متعلّق بيجودون، وهذا في مقابلة الذين يجودون/ [٤٩٤/ب] بالمال الفاني؛ فإنّهم يجودون بالروح الباقي، ولا يبخلون به في بقيّة المحبوب، ولا أعزّ من الروح، ولا أذلّ من المال، والذي يجود بالعزيز عزيز، والذي يجود بالذليل ذليل. قال صلّى الله عليه وسلّم: «لو أنّ الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافراً شربة ماء»[1] والداعي للجود في أهل الغفلة وأهل اليقظة هو الحبّ، وهو على إطلاقه لا يكون إلّا إلاهيّاً، ولكن الغافلون محجوبون بالأشياء الهالكة من حيث لا يشعرون. والعارفون للوجه الإلهيّ متنبهون، ولا أعزّ من المال عند الغافلين؛ ولهذا جادوا به، و[لو] لم يجودوا به لمال عنهم إلى غيرهم، بإنفاق، أو هبة، أو مظلمة، أو سرقة، أو إرث عنهم؛ فإنّ الله تعالى جعل المال للميل، والذي جُعِل له لا ينفك عنه؛ ولهذا سُمِّي مالاً، قال تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [١٨/ الكهف/ ٤٦] الآية. ولا أعزّ من الروح عند العارفين؛ لأنّها من أمر الله تعالى، وهي أوّل مخلوق ظهر عن الأمر الإلهيّ. ولو لم يجودوا بها لرجعت إليه تعالى طوعاً أو كرهاً بموت أو قتل. وقوله (وإنْ أودعوا): بالبناء للمفعول. أي: أودعهم الله تعالى بأنْ حقّق أرواحهم وأوضح لهم مجيئهم ورواحهم. وقوله (سرّاً): يعني من أسراره تعالى المختفية عن أهل الحجاب والغفلة. وقوله (رأيتَ): بفتح تاء الخطاب للمخاطب الذي ذكرناه. وقوله (صدورهم): جمع صدر. وقوله

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنّفه، ٢٣، ج٨/ ١٢٨، بلفظ: ولو كانت الدنيا تزن عند الله...

(قبوراً): جمع قبر على التشبيه بالميت المدفون في القبر. وقوله (لأسرار): جمع سرّ، وهو ما يُكتم من الأمور الخفيّة. وقوله (تُنَزَّهُ): بالبناء للمفعول، والجملة صفة لأسرار، وتنكيرها للتعظيم. وقوله (عن نَقْل): متعلّق بتُنَزَّهُ. والنقل: الإذاعة والإفشاء، وإنّما تنزّهت عن ذلك لأنّ العبارات لا تؤدّي معناها، فلو قيلت بالعبارة لكانت إليها إشارة؛ ولهذا ورد المتشابه الذي لا تفيده العبارات في كتاب الله تعالى، وسنّة رسوله صلّى الله عليه وسلّم. وعلى السنة المحقّقين من أولياء الله تعالى، وخاض في ذلك العقلاء بأفهامهم، وقواعد علومهم، واختلفوا اختلافاً كثيراً، وما سلم إلّا المسلمون الذين سلكوا صنيع السلف الصالحين. وقوله (وإنْ هُدِّدُوا): بالبناء للمفعول، أي: خوِّفوا بأنْ خَوَّفَهُم مُخَوِّف من جهة الحقّ تعالى، وهي الذلّة، يسقطون بها. وقوله (بالهَجْرِ): متعلّق بهُدِّدُوا. هَجَرَه هَجْراً بالفتح وهِجْراناً بالكسر: صَرَمَهُ، و- الشيء: تركه، كذا في القاموس. والهَجْر كناية هنا عن سدل الحجاب على عين القلب. وقوله (ماتوا مخافة): تمييز. وموتهم هو رجوعهم إلى المجاهدة، وتصحيح العزم بالتوبة على المكابدة إلى أنْ يتنصّل من سوء أدبه، ويحصل على مطلوبه وأربه. (وإنْ أُوعِدوا): بالبناء للمفعول، من أَوْعَدَ في الشرّ، كما أنّ وَعَدَ يكون في الخير. أي: جاءهم وارد الإلهام من جهة الحقّ تعالى ذي الجلال والإكرام. وقوله (بالقتل): يعني بقتل نفوسهم الباطلة بسيف الحقّ السريع بلا مماطلة، قال تعالى: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾. وقوله (حنّوا): من الحَنِينِ، وهو الشَّوْق، وشِدَّة البكاء، والطَّرَب، أو صَوْتُ الطَّرَب عن حُزن أو فَرح. والحَنَان كسحاب: رقّة القلب، كذا في القاموس. وقوله (إلى القتل): متعلّق بحنّوا، أي: الذي أُوعِدوا به شوقاً إلى محبوبهم، والحصول على مطلوبهم. وقوله (لَعَمْرِي): العَمْر بالفتح وبالضمّ: الحياة، كذا في القاموس. وقال في الصحاح: «ومنه قولهم: أطال الله عُمْرِك وعَمْرَك، وهما وإنْ كانا مصدرين بمعنى إلّا أنّه استعمل في القسم أحدهما، وهو

المفتوح». فإذا دخلت عليه اللام رفعته بالابتداء، واللام لتوكيد الابتداء، والخبر المحذوف، تقديره قسمي؛ وإنّما أضافه هنا إلى ياء المتكلّم ليكون/ [٤٩٥/ أ] معنى لعمري: لا قراري لله بالبقاء والدوام. وقوله (هُمُ): بضمّ الميم. وقوله (العشّاق): جمع عاشق. يعني: لا غيرهم عاشقون. وقوله (عندي): أي في مذهبي واعتقادي، وهو قول أهل الحقّ وإخوان الصدق. وقوله (حقيقة): يعني لا مجازاً كغيرهم من العاشقين المحجوبين بصور المخلوقين عن المصوّر القديم الذي هو بكلّ شيء عليم. وقوله (على الجِدِّ): بالكسر، وهوا لاجتهاد في الأمر، وضدّ الهزل، كذا في القاموس. وقوله (والباقون): أي غير هؤلاء من العشّاق الذين يعشقون المعصم والساق. وقوله (عندي): أي في رأيي واعتقادي الذي هو رأي العارفين واعتقادهم. وقوله (على الهزل): ضدّ الجِدّ؛ فإنّ عشقهم هوى نفساني، ووسواس شيطاني، وشهوة خفية، وحالة غير مرضية؛ فهي لعب، ولهو، وهزل، ولغو، وغفلة، وسهوة، والله بصير بالعباد، وإليه المرجع والمعاد.

* * *

أنتم فروضي ونفلي

وقال قدّس الله سرّه: مجزوء المجتثّ

١- أَنْـــتُمْ فُـــرُوضِي وَنَفْـــلِي   أَنْـــتُمْ حَـــدِيْثِي وَشُـــغْلِي

(أنتم): خطاب للحضرات الإلهيّة، والتجلّيات الأسمائيّة في كلّ شيء من الأشياء الحسيّة والمعنويّة. وقوله (فروضي): جمع فرض، وهو ما أوجبه الله تعالى، سمّي بذلك لأنّ له معالم وحدود، كذا في الصحاح. يعني: ظهور جميع ما أفعله من الفرائض بكم لا بنفسي؛ فأنتم أوجبتم على ذلك، وأنتم تفعلونه كما فعلتموني، قال تعالى: ﴿فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا﴾ [٧٣/ المزمّل/ ٩]. وقال تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾ [٦/ الأنعام/ ١٠٢] بالوكالة المطلقة جميع ما يفعله من الأفعال العادية إنّما يفعله للموكّل، لا بنفسه؛ فهو يتصرّف عنه في جميع حركاته وسكناته في ظاهره وباطنه. والموكّل لم يفعل شيئاً؛ وإنّما فعل الوكيل عنه، ولم يفعل الوكيل شيئاً لنفسه؛ فالوكيل فاعل، وليس بفاعل. والمُوكِّل فاعل وليس بفاعل. وهذا حكم الله تعالى على خلقه من إنسان وغيره من جميع الأشياء الحسيّة والمعنويّة، والله يحكم لا معقّب لحكمه. وقوله (ونفلي): النفل ما تفرضه على نفسك بنذر، أو شروع من العبادات، قال في القاموس: «النافِلَة: ما تَفْعَلُهُ ممّا لم يَجِب عليك كالنَفْل». يعني: وأنتم نوافلي أيضاً فأفعلها بكم، وتفعلونها لي؛ فإنا فاعلها، ولست بفاعلها، وأنتم فاعلوها بالوكالة، ولستم بفاعليها، لا بأنفسكم. وفي الحديث «كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به» وهذا في المتقرّب بالنوافل كما في صدر الحديث. وقوله (أنتم حديثي): الحديث الخبر، يأتي على القليل والكثير. ويُجمَع على أحاديث، على غير قياس. قال الفرّاء: نرى أنّ واحد الأحاديث أُحْدُوثَة، ثمّ

جعلوه جمعاً للحديث، كذا في الصحاح. يعني: وأنتم كلامي وحديثي، قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه من أبيات له:

يا من تخاطبه حقيقة ذاته ... في غيره لكنّه لا يعلم
وهو المخاطب ذاته في ذاته ... وهو المكلّم عنه والمتكلّم
مرآتك الأكوان فيها ناظر ... ما أنتم فيه فنيّر أو مظلم

وقوله (وشغلي): أي جميع ما أنا مشتغل به في الظاهر أو الباطن، وهي الشؤون التي للعبد، قال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [١٠/ يونس/ ٦١]. وقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ﴾ [١٣/ الرعد/ ٣٣]. وقال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه:

إلهي إذا ناديت فالسمع أنتم ... ولبّاك من لبّاك أنت المترجم
توحّدت الأشياء أو كنت عينها ... وما ثمّ إلّا سامع ومكلّم/ [٤٩٥/ ب]
بكن وهو قول الله والأمر أمره ... وقد جاء في القرآن معناه عنكم

٢- يَا قِبْلَتِي فِي صَلَاتِي ... إِذَا وَقَفْتُ أُصَلِّي
٣- جَمَالُكُمْ نُصْبَ عَيْنِي ... إِلَيْهِ وَجَّهْتُ كُلِّي
٤- وَسِرُّكُمْ فِي ضَمِيرِي ... وَالقَلْبُ طُورُ التَّجَلِّي

(يا قِبلتي): ينادي الحضرات الإلهيّة، وهي الوجه الظاهر بالتجلّيات الربّانيّة من قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [٢/ البقرة/ ١١٥] والقِبلة بالكسر التي يصلّى نحوها، والجهة، والكعبة، وكلّ ما يُستقبَل، كذا في القاموس. وقد ورد: «إنّ الله في قِبلة أحكم»[1] الحديث. وقوله (في صلاتي): أي أنا مستقبل وجه الحقّ

---

(١) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب: العمل في الصلاة، باب: ما يجوز من البصاق والنفخ في الصلاة، ١٢١٣، عن ابن عمر رضي الله عنه، أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم رأى نخامة في قبلة المسجد، فتغيّظ على =

إذا استقبلت القبلة في حال الصلاة، لا مستقبل جدار المسجد؛ لأنّي لا أرى المسجد، ولا الجدار؛ وإنّما أرى وجه الحقّ؛ فأنا مستقبل له، و ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [٢٥/ القصص/ /٨٨] و ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [٥٥/ الرحمن٢٥-٢٦] وقد بلغني عن رجل من أهل الجذب أنّه كان إذا ذكر عنده عبد الحيّ الإمام يقول: هذا عبد الحيط لا عبد الحيّ. وللشيخ الأكبر قدّس الله سرّه من أبيات:

وكم من مصلّ ماله من صلاته سوى رؤية المحراب والكد والعنا
وآخر يحظى بالمناجاة دائماً وإنْ كان قد صلّى الفريضة وابتدا

وقوله (إذا وقفت أصلّي): فإنّ وقوفي به له، والصلاة لي منه لا مِنّي له، وهي رحمته؛ فإنّ الصلاة منه الرحمة، وهي منّي عبادة له، وشكر لإنعامه عليّ؛ وهو الشكور بها له. وقوله (جمالكم): أي الظاهر منكم على كلّ شيء بأنواع شتّى للحواس الخمس وللعقل. وقوله (نُصْبَ عَيني): أي أشاهده ولا أشاهد غيره؛ لأنّ الأغيار أوهام من سوء الأفهام. قال في القاموس: «هذا نُصْبَ عيني بالضمّ والفتح، أو الفتح لحن». وقوله (إليه): أي إلى جمالك. وقوله (وجّهت كلّي): أي ظاهري وباطني. وقوله (وسرّكم): أي ما أعلمه منكم ممّا لا تسعه العبارة. والخطاب للحضرات الإلهيّة كما سبق. وقوله (في ضميري): أي في قلبي، قال في القاموس: «الضمير السرّ وداخل الخاطر، والجمع: ضمائر، وأضمره: أخفاه». وقوله (والقلب): أي قَلبي. وقوله (طُورُ): الطُور الجبل، وجبل قرب أيلَة، يضاف إلى سِيناء وسِينِين وجبل بالشام. وقيل: هو المضاف إلى سيناء، أو جبل بالقدس، عن يمين المسجد وآخر عن قِبْلَتِه، به قبر هارون عليه السلام، كذا في القاموس. وقوله: (التَجَلّي): أي الانكشاف الإلهيّ، كما ورد: «ما وسعني سمواتي

=
أهل المسجد، وقال: «إنّ الله قِبَل أحدكم، فإذا كان في صلاته فلا يبزقنّ» أو قال: «لا يتنخّمن». ثمّ نزل فحتّه.

ولا أرضي ووسعني قلب عبدي المؤمن»: ومعنى طُورُ التَجَلِّي أنه تعالى يناجيني من قلبي لاستيلائه عليه، وتدانيه إليه بتجلّيه لديه:

٥- آنَسْتُ فِي الحَيِّ نَاراً لَيْلاً فَبَشَّرْتُ أَهْلِي

٦- قُلْتُ امْكُثُوا فَلَعَلِّي أَجِدْ هُدَايَ لَعَلِّي

٧- دَنَوْتُ مِنْهَا فَكَانَتْ نَارَ المُكَلِّمِ قَبْلِي

٨- نُودِيتُ مِنْهَا كِفَاحاً رُدُّوا لَيَالِيَ وَصْلِي

٩- حَتَّى إِذَا مَا تَدَانَى الْـ ـمِيقَاتُ فِي جَمْعِ شَمْلِي

١٠- صَارَتْ جِبَالِي دَكّاً مِنْ هَيْبَةِ المُتَجَلِّي

١١- وَلَاحَ سِرٌّ خَفِيٌّ يَدْرِيهِ مَنْ كَانَ مِثْلِي

١٢- وَصِرْتُ مُوسَى زَمَانِي مُذْ صَارَ بَعْضِي كُلِّي

(آنَسْتُ): أبصرت، قال في القاموس: «أَنَسَ الشيءَ: أَبْصَرَه، وعَلِمَهُ وأَحَسَّ به، و- الصوت: سَمِعَه». وقوله (في الحيّ): وهو البطن من بطون العرب، والجمع: أحياء، كذا في القاموس. ويكنّى به عن المنزل ، إشارة إلى مجموعه ظاهراً وباطناً. وقوله (ناراً): أي حرارة عشقه ومحبّته الإلهيّة/ [٤٩٦/ أ] الناشئة من قلبه. وقوله (ليلاً): منصوب على الظرفيّة. إشارة إلى ظلمة طبعه، ومزاجه العنصري. وقوله (فبشرت أهلي): أي نفسي وقواها الظاهرة والباطنة.

وقوله (قلت أمكثوا): أي لا تذهبوا من مكانكم وأنتم على ما أنتم عليه لا تفنوا؛ لأنّكم فانون. وقوله (فلعلّي أَجِدْ): بالسكون في جواب الأمر، وهو امكثوا، واسم لعلّ الياء، وخبرها محذوف، تقديره أَجِدُ ـ مرفوعاً ـ دلّ عليه المذكور. واعترض بجملة الترجّي استدراكاً لما وقع منه من القطع بالوجدان، ولم يقع إلا قطع بالوجدان من موسى عليه السلام؛ فأقتدي به في ذلك. ويمكن أنْ يكون سكون أَجِدْ لضرورة الوزن، أو لنيّة الوقف، وتكون أجدْ خبر لعلّ. والوَجْد

مأخوذ من الوجدان، وهو الكشف، والذوق، والحسّ، لا مجرّد الخيال، والتفكّر. وقوله (هُدَاي): بفتح ياء المتكلِّم، أي: اهتدائي إلى حقيقة أهلي المشار إليهم بقوله لهم امكثوا، كما أشرنا إليهم. والاهتداء إنّما يكون إلى الحقّ تعالى من قوله صلّى الله عليه وسلّم: «كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به» الحديث.

وقوله (دنوت): أي قربت (منها): أي من تلك النار المذكورة. وقوله (فكانت): أي فظهر لي وانكشف عندي أنّها لم تزل. وقوله (نار المُكَلَّمِ): بفتح اللام، اسم مفعول، وهو موسى بن عمران عليه السلام الذي كلّمه ربّه. وقوله (قبلي): أي في زمان بني اسرائيل لمّا أرسل إليهم. وناره كانت تجلّياً إلهيّاً بصورة النار في شجرة الزيتون. قال تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ۝١٠ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ﴾ في الظاهر جذبته إليها في الباطن فنودي﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ أي: الذي هو قائم على نفسك بما كسبت، الذي هو سمعك وبصرك وبقية حواسّك وأعضائك ﴿فَٱخْلَعْ﴾ أي: اترك نعليك، وروحك وجسمك، أخرّتك ودنياك ﴿إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ﴾ الحضرة المنزّهة عن الكيف والكم وجميع الحدود والقيود الحسيّة والمعنويّة ﴿طُوًى﴾ التي طوت كلّ شيء؛ لأنّها حضرة الأعيان الثابتة في العلم الأزليّ والوجود الحقّ، من غير وجود لها ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ﴾ أنْ تكون مظهر أسمائي أو صفاتي ﴿فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ إليك منّي، أي: يلقى في باطنك من الكلام الخفيّ، الذي ليس بحرف ولا صوت ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾أي: الذات الجامع لجميع الأسماء والصفات ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ [٢٠/ طه/٩-١٤] لا موجود غيري على الإطلاق؛ وكلّ ما سواي معدوم في وجودي عند أهل شهودي؛ و فإذا تمّ لك هذا المقام الجمعي فارجع إلى المقام الفرقي، واعبدني بإقامة الصلاة وغيرها من العبادات لذكري، أي: لملاحظة الجمع. فكن فارقاً في ظاهرك، جامعاً في باطنك.

وقوله (نُوديتُ): بالبناء للمفعول. وقوله (منها): أي من تلك النار التي هي

نار الله الموقدة، المطلعة على الأفئدة، جمع فؤاد، وهو القلب. وقوله (كِفَاحاً): مصدر كَفَحَ فلاناً: واجهه، مكافحة وكِفاحاً، كما في القاموس. وقوله (رُدُّوا): أُرجعوا. وقوله (ليالِيَ وَصْلِي): أي الليلات التي واصلتموني فيها، وهي أحوالي العدميّة الثابتة في حضرة العلم القديم، ولا يحصل ذلك إلّا بعد الفناء والاضمحلال بالكليّة، ذوقاً وكشفاً، حتّى يرجع المعلوم إلى حضرة علم العالم كما كان، قال العارف الجيليّ قدّس الله سرّه في مطلع أبيات له:

تعالوا بنا حتّى نعود كما كنّا ولا عهدنا خنتم ولا عهدكم خنّا

وقوله (حتّى إذا ما تدانى): ما زائدة. والتداني: التقارب، يقال: تدانى بمعنى دنا قليلاً. وقوله (الميقات): هو الوقت، وجمعه مَواقِيت، وقد اسْتُعِير الوقت للمكان، ومنه /[٤٩٦/ب] مواقيت الحجّ: لمواضع الإحرام، كذا في المصباح، وهو هنا كناية عن الكشف، وارتفاع حجاب الأغيار المسدول على القلوب والأفكار. وقوله (في جميع شملي): يقال جمع الله شملهم، أي: ما تفرّق من أمرهم، كذا في المصباح، كناية عن ملاقاة المحبوب الحقيقيّ بكشف حجاب اللبس. وقوله (صارت جِبَالي): أي ما انجبل منّي في الظاهر والباطن. وقوله (دكّاً): أي مدكوكة دكّاً، من الدكّ، وهو الدقّ والهدم، وقد اندكّ المكان: انهدم. وقوله (من هيبة): أي عظمة. وقوله (المتجلّي): أي المنكشف، وهو الحقّ تعالى، الذي هو المحبوب الحقيقيّ فإنّه إذا جاء الحقّ وزهق الباطل إنّ الباطل كان زهوقاً. وقوله (ولاح): أي ظهر وانكشف. وقوله (سرٌّ خفيٌّ): وهو ما يكتم من الأمر الإلهيّ، والشأن الربّانيّ. وقوله (يدريه): أي يعرفه ذوقاً وكشفاً. وقوله (من كان مثلي): أي عارفاً محقّقاً بنفسه وبربّه عن كشف، وشهود، وعيان؛ لا عن ظنٍّ، وتخمين، وإذعان؛ فإنّ الأسرار لا تنكشف إلّا للأحرار عن رقّ الأغيار. وقوله (وصرت موسى زماني): أي وارثاً علم موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام في الزمان الذي أنا فيه، كما ورد في الحديث: «إنّا معاشر الأنبياء لا نورّث درهماً

ولا ديناراً ولكن نورّث العلم»[1]. وقوله (مُذ): بضمّ الميم وسكون الذال المعجمة، أي: حين. وقوله (صار بعضي): أي كلّ بعض منّي. وقوله (كلّي): أي جميعي. يشير إلى قوله صلّى الله عليه وسلّم في حديث المتقرّب بالنوافل: «كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به» ... إلى آخره.

١٣- فَالْـمَوْتُ فِيْـهِ حَيَـاتِي وَفِي حَيَـاتِيَ قَـتْلِي

١٤- أَنَـا الفَقِـيْرُ المُعَنَّـى رِقُّـوا لِحَـالِي وَذُلِّـي[2]

(فالموت): الفاء للتفريع على ما قبله، والموت مفارقة الحياة؛ فإنّ العارف المحقّق إذا عرف نفسه وجدها في يد الحقّ تعالى كالقلم في يد الكاتب، لكنّ القلم لا قدرة ولا إرادة له، ولا سمع ولا بصر، ونحو ذلك من صفات الإنسان. وأمّا الإنسان فإنّ له كلّ ذلك على وجه الكمال، والحقّ تعالى هو المتصرّف في ظاهره وباطنه، كما قال سبحانه: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [١٣/ الرعد/ ٣٣] وقال تعالى: ﴿أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ﴾ [١٠/ يونس/ ٣١] فإذا هو المالك تعالى للسمع والبصر، والقائم على كلّ نفس بما كسبت، فالإنسان كلّه ظاهره وباطنه كالقلم في يد الكاتب يصرفه بالإرادة المخلوقة فيه والقدرة المخلوقة فيه كيفما شاء سبحانه، وليس الإنسان مع ذلك بمحجوب؛ لأنّه مريد، قادر، ولا هو خالق لما يريد؛ لأنّه مخلوق، ولله الحجّة البالغة؛ فالإنسان ميت في صورة حيّ، ومتى تحقّق بمعرفة نفسه مات، قال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ أي: مات ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ وهو الذي في حال السلوك ﴿وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [٣٣/الأحزاب/ ٢٣] بدعاوي نفوسهم، وتوهّمهم أنّهم أحياء. وقوله (فيه): أي في محبّة هذا المحبوب الحقيقيّ. وقوله (حياتي): يعني موتي الذي

---

(١) انظر تخريجه ص٨٢٩.

(٢) هذان البيتان غير موجودين في الديوان طبعة دار صادر.

ينكشف لي، كما ذكرنا، هو حياتي الأزليّة الأبديّة؛ لأنّها حياته تعالى. وقوله (وفي حياتي): يعني حياتي الأولى التي هي مجرّد توهّم منّي أنّي حيّ بنفسي إذا انكشف لي الأمر على ما هو عليه. وقوله (قتلي): أي وجوب قتلي شرعاً؛ لأنّ ذلك دعوى خالق آخر مع الحقّ تعالى حيّ بنفسه، وهو كفر موجب للقتل. وقوله (أنا الفقير): أي المفتقر إلى الحقّ تعالى في ذاتي وصفاتي وأحوالي، ظاهراً وباطناً كما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ / [٤٩٧/ أ] إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [٣٥/ فاطر/ ٣٥].وقوله (المُعَنَّى): بتشديد النون، يقال: عَنَّانِي كذا يَعْنِينِي: عَرَضَ لي وشغلني؛ فأنا مَعْنِيٌّ به، والأصل مفعول، كذا في المصباح. والإشارة بذلك: إنّه مشغول بالمحبّة الإلهيّة، لا ينفك عنها. وهي محبّة الحقّ تعالى له كما قال سبحانه: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ﴾ أي: يُظهر محبّته لهم ﴿وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [٥/ المائدة/ ٥٤] أي: تظهر تلك المحبّة بهم منهم له. وقوله (رِقُّوا): فعل أمر من رقّ الشيء، من باب ضرب: خلاف غَلُظَ، فهو رَقِيق، ورَقَّتْ الوالدة على ولدها، من باب تعب: حَنَّت وعَطَفَتْ، كذا في المصباح. يعني: حنّوا واعطفوا عليّ. وقوله. وقوله (لحالي): الحال صفة الشيء، يُذكّر ويُؤنّث، فيقال: حال حَسَن وحَسَنَة، وقد يُؤَنَّث بالهاء، فيقال: حالَة، كذا في المصباح. يعني: حنّوا واعطفوا على صفاتي التي تعلمونها منّي في محبّتكم. وقوله (وذلّي): من ذَلَّ ذُلًّا من باب ضرب، والاسم: الذُّلّ والذِّلّة بالكسر، والمَذَلَّة: إذا ضَعُفَ وهَان، فهو ذليل، كما في المصباح. وهو ذلّ الميت بين يدي والحيّ، والفاني بين يدي الباقي، والمعدوم بين يدي الموجود، والباطل بين يدي الحقّ، وذلك ذلّ حقيقيّ لا ينفك عن العبد أزلاً وأبداً، وهو في مقابلة عزّ الحقّ تعالى الأزليّ الأبديّ.

قِفْ بالدِّيارِ

وقال قدّس الله سرّه : البسيط

١ - قِفْ بِالدِّيَارِ وَحَيِّ الأَرْبُعَ الدُّرُسَا وَنَادِهَا فَعَسَاهَا أَنْ تُجِيْبَ عَسَى

(قِفْ): فعل أمر، يخاطب به كلّ سالك في طريق الله تعالى، من الوقوف، يقال: وَقَفَتِ الدابّةُ تَقِفُ وُقُوْفَاً: سَكَنَتْ، كذا في المصباح. وقوله (بالديار): جمع دار، قال في المصباح: «الدار معروفة، وهي مؤنّثة، والجمع: أَدْوُر، مثل أفلس، وتُهمز الواو ولا تهمز، وتقلب، فيقال: آدُر، وتجمع أيضاً على دِيَار ودُور، والأصل في إطلاق الدُور على المواضع، وقد تُطْلَق على القبائل مجَازاً. والدار: الصنم، وبه سُمِي فقيل: عبد الدار». وقال في القاموس: «الدار المَحَلّ، يَجمع البناءَ والعَرَصَة، كالدارَة، ويُجمع على أُدْؤُر، وأَدْور، وديار، والبلد، ومدينة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم». ويكنّي بها عن مجموع الصور الإنسانيّة، وغيرها من أشخاص العالمين في الملك والملكوت، والوقوف بها كناية عن عدم تخطّيها؛ لأنّ الظهور الإلهيّ، والتجلّي الربّانيّ، ليس إلّا بها وعليها؛ فإنّها آثار التجلّيات، ونتائج الأسماء والصفات، والعدول عنها إلى خيالات الأفكار جحود للحقّ، وإنكاره، والشعراء الذين أشار إليهم تعالى بقوله: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟﴾ [٢٦/ الشعراء/ ٢٢٤-٢٢٧]؛ فإنّ الشعر حديث النفس، وهم الذين تحدّثهم أنفسهم في الله فيهيمون في كلّ واد، أي: شيء سافل من الأكوان، فيتصوّرون به، ويدعون أفعاله، فيقولون ما لا يفعلون، إلّا المؤمنين منهم بالغيب المطلق. وقوله (وحَيِّ): بتشديد الياء التحتيّة: فعل أمر من التحيّة، قال في المصباح: «حَيَّاه تَحِيَّة، وأصله: الدعاء بالحياة. ومنه التحيّات لله،

أي: البقاء. وقيل: المُلْك، ثمّ كَثُر حتّى استُعمل في مُطْلَق الدعاء، ثمّ استعملها الشرع في دعاء مخصوص، وهو: سلام عليك». وقوله (الأَرْبُع): جمع رَبْع، قال في المصباح: «الرَّبْع مَحَلَّة القوم ومنزلهم، وقد أُطلِق على القوم مجازاً. والجمع: رِبَاع، مثل سَهْم وسِهام وأَرْباع، وأَرْبُع، ورُبُوع، مثل فلوس». يكنّي بذلك عن نفوس تلك الأشخاص المذكورة. وقوله (الدُّرُسا): صفة للأَرْبُع، أي: المندرسة. قال في المصباح: «دَرَسَ المنزلُ دُروساً، من باب قعد: عَفَا، وخَفِيَت آثاره». والصفة قيد في المعنى، إشارة إلى أنّه أمر بإيصال التحيّة منه إلى العارفين بربّهم، المتحقّقين /[٤٩٧/ ب] بتجلّيه بهم وعليهم، على الكشف والشهود. وقوله (ونادِها): نادِ بكسر الدال المهملة، فعل أمر من النداء، قال في المصباح: «النداء الدعاء، وكسرُ النون أكثرُ من ضمّها. والمدُّ فيهما آكدُ من القَصر. ونادَيْتُه مُناداة ونِدَاء، من باب قاتل: إذا دَعَوتُه». والضمير للمحبوبة الحقيقيّة، والحضرة العليّة. وقوله (فعساها): الفاء للتعقيب. وعسى من أفعال المقاربة، قال في المصباح: «عسى فعل ماض، جامد، غير متصرّف. وهو من أفعال المقاربة، وفيه ترجِّي وطمع». والضمير للمحبوبة المذكورة. وقوله (أنْ تجيب): من الجواب، قال في المصباح: «الجَوَاب خبراً وما يقوم مقامه يرد لأجل كلام سابق يتضمّن بيانه أوردّ من أجابه إجابة، وأجاب قوله واستجاب له: إذا دعاه إلى شيء فأطاع، وأجاب الله دعاه: قبله واستجابه، واستجاب له كذلك». والإشارة بإجابة هذه المحبوبة المذكورة إلى معنى انكشافها له بكلّ شيء، كما قال الصديق الأكبر رضي الله عنه: «ما رأيت شيئاً إلّا رأيت الله فيه». وقوله (عسى): إعادة للفظ الأوّل تأكيداً لفظياً لكثرة الترجي والطمع.

٢- فَـإنْ أَجَنَّـكَ لَيْـلٌ مِـنْ تَوَحُّـشِها   فَاشْعِلْ مِنْ الشَّوْقِ فِي ظَلْمَائِهَا قَبَسَا

(فإنّ): الفاء للتفريع. وإنْ شرطيّة. وقوله (أَجَنَّكَ): بتشديد النون، يقال: أَجَنَّهُ اللَّيلُ بالألف، وجَنَّ عليه جنوناً، من باب قعد: ستره، كذا في المصباح. والخطاب

للسالك في الطريق الإلهيّ. وقوله (لَيلٌ): تنكيره للتحقير عند العارف، وللتعظيم عند الغافل. وهو كناية هنا عن ظلمة الكون. وقوله (من توحشّها): أي الديار المذكورة، من الوَحْشَة بين الناس، وهي الانقطاع، وبعد القلوب عن المودّات. ويقال: إذا أقبل الليل استأنس كلُّ وَحْشِيٍّ، واسْتَوحَشَ كلُّ إنسيٍّ. وأَوْحَشَ المكانُ وتَوَحَّشَ: خَلا من الإنس، كذا في المصباح. واستئناس كلّ وحشي بإقبال الليل استئناس الحيوان الجاهل بربّه، الغافل عن مشاهدة قربه، واستيحاش كلّ إنسيّ استيحاش العارفين المحقّقين من ظلمة الأكوان؛ لاحتجابهم عن الشهود والعيان. وقوله (فاشْعِل): الفاء في جواب الشرط. واشْعِلْ فعل أمر. وقوله (من الشوق): أي إلى المحبوبة الحقيقيّة المذكورة. وقوله (في ظلمائها): أي ظلماء تلك الديار المذكورة. وقوله (قَبَسًا): مفعول اشعِل. والقَبَس: بفتحتين شُعْلَة من نار، يَقْتبسها الشخص، والمِقباس ـ بكسر الميم ـ مثلُه، كذا في المصباح. يكنّي بذلك عن اشتعال نار المحبّة الإلهيّة في قلوب السالكين؛ فإنّه لا سبب للوصول إلى المعرفة الربّانيّة إلّا بوسيلة المحبّة الخالصة القلبيّة. وسببها مشاهدة دوام الإنعام والإحسان من الحقّ تعالى لعبده. وسبب دوام الإنعام دوام الطاعة من العبد ظاهراً وباطناً، مع الإخلاص والتقوى؛ فإذا عبد العبد ربّه، ودام على عبوديّته وعبادته مخلصاً له الدين كثر عليه الإنعام والإحسان فنشأت في قلب العبد محبّة ربّه تعالى؛ لأنّ القلوب مجبولة على محبّة من أحسن إليها.

٣- يَا هَلْ دَرَى النَّفَرُ الغَادُونَ عَنْ كَلِفٍ ... يَبِيتُ جُنْحَ الدَيَاجِي يَرْقُبُ الغَلَسَا

٤- فَإنْ بَكَى فِي قِفَارٍ خِلْتَهَا لُجَجَاً ... وَإنْ تَنَفَّسَ عَادَتْ كُلُّهَا يَبَسَاً

(يا هل): يا حرف نداء. والمنادى محذوف، تقدير يا قوم. وهل حرف استفهام. وقوله (دَرَى): أي عَلِمَ في المصباح: «دَرِيْتُ الشيءَ دَرْياً، من باب رمى. ودِرْيَة ودِرَاية: عَلِمْتُه». وفي القاموس: «دَرَيْتُه، وـ به: عَلِمْتُه». وقوله (النَّفَر): بفتحتين

جماعة الرجال، من ثلاثة إلى عَشَرة. وقيل إلى سبعة. ولا يقال: نَفَرَ فيما زاد على العشرة، كذا في المصباح. والكناية بهم عن العارفين المحقّقين من أولياء الله تعالى المعاصرين له. وقوله/ [٤٩٨/ أ] (الغادون): جمع الغادي، من غَدَا غُدُوّاً، من باب قعد: ذهبَ غَدْوَةً، وهي ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس، هذا أصله، ثمّ كثُر حتّى استعمل في الذهاب والانطلاق أي وقت كان، كذا في المصباح. وهم المسافرون عن منزل نفوسهم إلى منزل تجلّيات ربّهم عليهم وبهم. وقوله (عن كَلِفٍ): عن مرادفة الباء، نحو قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾ [٥٣/ النجم/ ٣] أي: بالهوى، ذكره في القاموس. ويعارضه ما ذكره ابن هشام في المغني، قال عن مرادفة الباء نحو: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾ [٥٣/ النجم/ ٣]. والظاهر أنّها على حقيقتها، وأنّ المعنى وما يصدر قوله عن هوى . وقال الرضي: قال أبو عبيدة: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾ أي: بالهوى. والأَوْلى أنّها بمعناها، والجار والمجرور صفة المصدر، أي: نطقا صادراً عن الهوى، فمن في مثله تفيد السببيّة تقول: قلت هذا عن علم أو جهل، أي: قولاً صادراً عن علم. وعليه قول البيضاوي: «﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾ وما يصدر نطقه بالقرآن عن الهوى؛ فإن اعتبرنا «عن» هنا بمعنى الباء علقناها بدرى يقال: درى به ودرى عنه بمعنى به ودرى عنه، بمعنى» هل حصل للنفر المذكورين العلم بأحوال هذا المحبّ. وإنْ أبقيناها على معنى المجاوزة علقناها بالغادين، أي: الذاهبين عنه، المجاوزين عن الاطّلاع على أحواله. وقوله (كَلِفٍ): صفة مشبَّهة، أي: محبّ، من كَلِفتُ به كَلَفاً، فأنا كَلِف به، من باب تعب: أَحببَته وأُولِعتُ به، كذا في المصباح. وقوله (يَبيتُ): من بَاتَ يَبيتُ بَيْتُوتَة ومَبِيْتاً ومَبَاتَاً، فهو بَائِت، يأتي نادراً بمعنى: نامَ ليلاً. وفي الأَعَمّ الغالب بمعنى: فَعَلَ، فيختصّ ذلك الفعل بالليل، كما اختصّ الفعلُ في (ظَلَّ) بالنهار؛ فإذا قلتَ: بات يفعلُ كذا، فمعناه: فَعَلَهُ بالليل، ولا يكون إلّا مع سَهَر الليل، وعليه وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴾ [٢٥/ الفرقان/ ٦٤]. وقال الأزهري: «قال

الفرّاء: باتَ الرجلُ إذا سَهِرَ الليلَ كلَّه في طاعة أو معصية. وقال الليثُ: من قال باتَ بمعنى نام، فقد أخطأ، ألّا ترى أنّك تقول: باتَ يَرْعَى النجوم، ومعناه يَنظر إليها، فكيف ينام من يُراقب النجومَ». وقال ابن القُوطِيَّة أيضاً، والسَرْقُسْطِي، وابنُ القَطَّاع: باتَ يفعلُ كذا: إذا فَعَله ليلاً، ولا يقال بمعنى نام، وقد يأتي بمعنى صار، يقال: باتَ بموضع كذا: إذا صار به سواء كان في ليل أو نهار، كذا في المصباح. وجملة يبيت: صفة لكَلِف. وقوله (جُنْحَ الدياجي): جُنح الليل بضمّ الجيم وكسرها، ظلامه واختلاطه، كذا في المصباح. والدياجي: ظلمات الليل، قال في الصحاح: «الدُّجَى: الظُّلمة، يقال: دَجَى الليلُ يَدْجُو دُجُوّاً، وليلة دَاجِيَة، وكذا أَدْجَى الليل وتَدَجّى. ودَيَاجِي الليل حَنَادِسُه، كأنّه جمع دَيْجَاة». وقوله (يَرْقُب): من رَقَبْتُ الشيءَ أَرْقُبُهُ رُقُوْبَاً ورِقْبَةً ورِقْبَانَاً، بالكسر فيهما: إذا رصدته، كذا في الصحاح. وقوله (الغَلَسَا): بألف الإطلاق. والغَلَس، بفتحتين: ظلامُ آخرِ الليلِ. وغَلَّسَ القومُ تغليساً: خَرَجُوا بِغَلَس، كما في المصباح. والمعنى: في ذلك: إنّه يبيت في ظلمات الليالي التي هي أعيان الأكوان، يرقب قبس الأنوار من طور تجلّي الأسرار، عساه يحظى بقبس، أو يجد الهدى بظهور حقيقة تلك النار. وقوله (فإنْ بكى): يعني ذلك الكلِف المذكور. وقوله (في قفار): جمع قَفْر، والقَفْر: المَفَازَة، لا ماءَ بها ولا نبات. وأَرض قَفْر، ومَفَازَة قَفْرة، ويجمعونها على قِفَار فيقولون: أرض قِفَار على توهُّم جمع المواضع لسِعَتها، ودار قَفْرٌ وقِفَارٌ كذلك. والمعنى: خالية من أهلها، كذا في المصباح. يكنّي بالقفار عن الأشخاص الخالية من معاني التجلّيات الإلهيّة، وبكاؤه فيها؛ لأنّه من جملتها على مفارق أحبّتها، قال الشاعر:

مــررت بربــع في فــلاة فراعنــي ... به زجل الأحجار تحت المعول/ [٤٩٨/أ]

تناولهـــا عبـــل الـــذراع كـــأنّما ... جنـى الـدهر فـيما بينهـا حـرب وائـل

فقلــت لــه شــلّت يمينــك خلّهــا ... لمعتـــبر أو واقـــف أو مـــسائل

منــازل قــوم حــدّثتنا حــديثهم   فلــم أرَ أحــلى مــن حــديث المنــازِل

وقوله (خِلْتَهَا): بالخطاب للسالك في طريق الله تعالى، يقال: خَالَ الرجلُ الشيءَ يَخَالَه خَيْلاً، من باب نال: إذا ظنَّه. وخَالَهُ يَخِيلُهُ، من باب باع لغة، كذا في المصباح. وقوله (لُجَجا): جمع لُجَّة، قال في المصباح: «لجة الماء بالضمّ: معظمه، واللُّجُّ ـ بحذف الهاء ـ لغة فيه». أي: ظننتها ذات مياه متدفّقة، وأمواج مترقرة. وقوله (وإنْ تنفس): بتشديد الفاء من النَّفَس، بفتحتين: نَسيم الهواء، والجمع: أَنفاس، وتَنَفَّسَ: اجتذب النَّفَس بخياشمه إلى باطنه، وأخرج كما في المصباح. والتَّنَفُّس: كناية عن إظهار ما عنده من الذوق والوجدان في حقائق الأعيان. وقوله (عادت): أي صارت، يقال: عاد إلى كذا، وعاد له أيضاً يَعُود عَوْدَة وعَوْداً: صار إليه. وفي التنزيل: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [٦/ الأنعام/ ٢٨] كذا في المصباح. وقوله (كلّها): تأكيداً للقفار المذكورة. وقوله (يَبَسَاً): يقال يَبِسَ الشيء يَيْبَسُ، من باب تعب، وفي لغة بكسرتين: إذا جَفَّ. وقال الأزهري: طريقٌ يَبَسَ لا نُدُوَّة فيه ولا بَلَلَ، كذا في المصباح. يعني: لا أرواح فيها، فهي أشباح منحوتة مبخوتة، وغير مبخوتة، كما قال بعضهم: «الكامل المحقّق شبح منحوت لكنّه مبخوت». والجاهل الغافل شبح منحوت، لكنّه ممقوت».

٥- فَــذُو المُحَاسِــنِ لَا تُحْــصَى مَحَاسِــنُهُ   وَبَــارِعُ الأُنْــسِ لَا أَعْــدِمْ بِــهِ أَنَــسَا

(فذوا المحاسن): الفاء للتفريع. وذو، أي: صاحب. والمحاسن: جمع حُسْن، قال في القاموس: «الحُسْن بالضمّ: الجمال، وجمعه: محاسن، على غير قياس». يكنّي بذلك عن الحقّ المتجلّي بكلّ صورة. وقوله (لا تُحْصَى): بالبناء للمفعول، أي: لا تعدّ ولا تضبط. وقوله (محاسنه): وذلك لأنّها أنواع شتّى، أي: لا يقدر العقل ولا الحس أن يعدَّها ويضبطها بجنس، أو نوع. ولا تدخل تحت الحدّ قال الشاعر:

يزيــــدك وجهــــه حــــسناً   إذا مــــا زدتــــه نظــــراً

وقوله (بارع): من بَرَعَ الرجلُ يَبْرَع، بفتحتين، وبَرُعَ بَراعَةً وِزان ضَخُمَ ضَخَامَة: إذا فَضَلَ في عِلم أو شجاعة، أو غير ذلك؛ فهو بارع، كذا في المصباح. وقوله (الأُنس): بالضمّ، من أَنِسْتُ به إنْسَاً من باب علم. وفي لغة: من باب ضرب. والأُنس بالضمّ، اسم منه، كما في المصباح. وهو كناية عن المتجلّي الحقّ الذي يأنس بذكره العارف، ويكرع من بحر كرمه الغارف. وقوله (لا أعدم به): لا ناهية للمتكلّم جازمة للفعل المضارعة، قال الرضي: «لا في النهي تجيء للمخاطب والغائب على السواء، ولا تختصّ بالغائب كاللام، وقد جاء في المتكلّم قليلاً كلام الأمر. وذلك قولهم: لا أرينك ها هنا؛ لأنّ المنهي في الحقيقة ها هنا هو المخاطب، أي: لا تكن ههنا حتّى أراك». و(أَعْدَم): فعل مضارع مجزوم بلا الناهيّة، قال في المصباح: «عَدِمتُه عَدَماً من باب تعب: فقدتُه، ويتعدّى إلى ثانٍ بالهمزة، فيقال: لا أَعْدَمَنِي اللهُ فضلَه، قال أبو حاتم: عَدِمَنِي الشيءُ وأَعْدَمَني: فَقَدَنِي». ومعنى لا أعدِم: لا أفقد، نَهْيٌ لنفسه أنْ تفقد. وقوله (به): متعلّق بقوله (أَنَسَاً): قدّم عليه لإفادة الحصر، أي: أنسا به، وأَنَساً مفعول أعدِم. والأَنَسُ هنا بفتحتين لغة في الأُنس بالضمّ، قال في القاموس: «الأُنس، بالضمّ وبالتحريك. والآنِسَة، محرّكة: ضِدّ الوَحْشَة». والمعنى: إنّه نهى نفسه على وجه الخطاب لها أنّها لا تفقد التأنس/[٤٩٩/أ] بالمحبوب الحقيقيّ وأنّها تلازم ذلك معرضة عن التأنّس بغيره؛ إذْ لا غيره في الحقيقة عند أهل الوفاء بالعهود الوثيقة.

٦- كَـمْ زَارَنِي والـدُّجَى يَرْبَـدُّ مِـنْ حَنَـقٍ وَالدَّهْرُ يَبْسِمُ عَنْ وَجْـهِ الـذي عَبَسَا[1]

(كم): خبريّة معناها التكثير، قال في المغني: «إنّ المتكلِّم بالخبريّة لا يستدعي من مخاطبه جواباً؛ لأنّه مخبر». وقوله (زارني): أي المحبوب الحقيقيّ. بمعنى: انكشف لي أنّه متجلٍّ بي عليّ. وقوله (والدجى): بالضمّ، قال في الصحاح:

---

(١) ترتيب هذا البيت في (ق) الخامس والذي قبله السادس.

«الدُّجَى الظُّلمَة، يقال: دَجَا الليلُ يَدْجُو دُجُوّاً، وكذلك أُدْجَى الليل ويَدْجَى». وهو هنا بمعنى الليل. كناية عن ظلمة الأكوان. وقوله (يربدُّ): بتشديد، الدال المهملة وبالراء المهملة، قال في الصحاح: «تَرَبَّدَ وجهُ فلان، أي: تَغَيَّر من الغضب، وتَرَبَدَّ الرجل تَعَبَّسَ». وفي بعض النسخ بالزاي المعجمة، من ازبَدَّ ازبِدَاداً: قذفه بِزَبَدَهُ. والزَّبَدُ بفتحتين من البحر وغيره كالرغوة، كما في المصباح. وقول في الصحاح: «زَبَّدَ شِدْقُ فلان، وتَزَبَّد، بمعنى. ويقال أَزْبَدَ الشرابُ، وبحر مُزْبِد، أي: مَائِج، يقذف بالزَّبَد». والمعنى هنا: يشتدّ. وقوله (من حَنَق): بالتحريك، أي: غيظ، قال في المصباح: «حَنِقَ حَنَقاً، من باب تعب: اغتاظ فهو حَنِقٌ». يشير إلى أنّ عالم الكون يقتضي الإعراض عن الحقّ تعالى بما فيه من الزخارف الملهيّة والأسباب المطغية، وإنّ الاشتغال بتجلّيات الحقّ تعالى على خلاف مقتضاه. وإنّ أهله منافر كلّ التنافر لأهل الله . وقوله (والدَّهْرُ): قال في المصباح: «الدَّهْر يُطَلَق على الأبد، وقيل: هو الزمان، قلّ أو كثر، قال الأزهريّ: «الدهر عند العرب يطلق على الزمان وعلى الفصل من فُصول السنة. وأقلّ من ذلك، ويقع على مدّة الدنيا كلّها». وهو هنا إشارة إلى المتجلّي الحقّ بكلّ شيء. وفي الحديث: «لا تسبّوا الدهر فإنّ الدهر هو الله»[1] على معنى أنّه تعالى المتصرّف في العوالم كلّها؛ فهو تجلّياته الفانية بالنظر إلى وجوده الحقّ. وقوله (يَبْسِمُ): من بَسَمَ بَسْماً، من باب ضرب: ضَحِكَ قليلاً من غير صوت، وابْتَسَمَ وتَبَسَّمَ كذلك، كما في المصباح. كناية عن الإقبال، وإظهار الفرح، كما ورد عنه تعالى أنّه يفرح بتوبة عبده، كما روى البخاريّ ومسلم بإسنادهما عن أنس رضي الله عنه قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «الله أشدّ فرحاً بتوبة عبده من أحدكم: إذا سقط عليه بعيره قد أضلّه بأرض فلاة»[2].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الألفاظ من الأدب، باب: النهي عن سبّ الدهر، ٦٠٠٣، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب: التوبة، ٦٣٠٩، بلفظ «الله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضلّه في أرض فلاة». كما أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب: في =

وقوله (عن وجه): عن للمجاوزة. يعني: بعد الشيء عن المجرور بسبب أحداث مصدر المعدي بها، نحو: رميت عن القوس، أي: بعد السهم عن القوس بسبب الرمي، وكذا أطعمه عن الجوع، أي: بعده عن الجوع بسبب الإطعام. وكذا أدّيت الدين عن زيد، ذكره الرضي. والمعنى هنا بأنّ الابتسام، أي: الفرح من الحقّ تعالى بملاقاة عبده، أي: انكشاف الأمر عند عبده، وإلّا فإنّ العبد لا يغيب عنه تعالى أصلاً يوجب ذلك تبعيد العبد ومجاوزته عن وجه، أي: ذات. قال في المصباح: «الوَجْهُ مُسْتَقْبَل كلِّ شيءٍ وربّما عُبِّرَ بالوجه عن الذات، كذا في المصباح». وقوله (الذي عَبَساً): بألف الإطلاق، أي: عن ذات الدجى الذي عَبَسَ بوجهه المتوجّه به على قطعنا عن مواصلة المحبوب الحقيقيّ، وظهور تجلِّياته لنا، وعَبَسَ، من باب ضرب عُبُوساً: قَطَبَ وجهَه فهو عابِس، كذا في المصباح قال ابن خلّوف الأندلسي:

نـأى الفجـر تعبـيس الـدجى فتبسّما وصـافح أزهـار الربـا فتنـسّما

٧- وَابْتَـزَّ قَلْبِـيَ قَـسْراً قُلْـتُ مَظْلَمَـةً يَـا حَـاكِمَ الحُـبِّ هَـذَا القَلْـبُ لِمْ حُبِسَا

(وابتز): بتشديد الزاي المعجمة من البَزَ، بالتحريك: القَهْر، والغَلَبَة، والنَّزع وأَخْذُ الشيءِ بجَفَاءٍ وقَهْرٍ كالابتزاز، كذا في القاموس. وفاعله ضمير المحبوب الحقيقيّ. وقوله/[٤٩٩/ ب] (قلبي): مفعول ابتزّ، أي: قبض، واستولى بطريق الغَلَبَة على قلبي، بحيث لم يبقَ منّي انفلات من يده. وقوله (قسراً): تمييزاً منصوب. قَسَرَهُ على الأمر واقْتَسَرَهُ: قَهَرَه، كذا في القاموس. قال تعالى: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ [٣٥/ فاطر/ ٢]. وقوله (قلت): أي تكلّمت في نفسي وحدّثتها بذلك. وقوله (مَظْلَمَة): بكسر اللام: ما يَظْلِمُهُ الرجل

=

الحض على التوبة والفرح بها، ٧١٢٨، بلفظ: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حيث يذكّرني والله لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالّته بالفلاة ومن تقرّب إليّ شبراً تقرّبت إليه ذراعاً ومن تقرّب إلي ذراعاً تقرّبت إليه باعاً وإذا أقبل إليّ يمشي أقبلت إليه يمشي أقبلت إليه أهرول.

من الظُّلْم، بالضمّ، وهو وَضْعُ الشيءِ في غير مَوْضِعِهِ، والمصدر الحقيقيّ: الظَّلْمُ بالفتح، ظَلَمَ يَظْلِمُ ظَلْماً، بالفتح، كذا في القاموس. وقال في المصباح: «الظُّلْم: اسم من ظَلَمَه ظَلْماً، من باب ضرب، ومَظْلِمَة، بفتح الميم وكسر اللام، وتُجْعل المَظْلِمَة اسماً لِمَا يَطْلِبُه عند الظالم، كالظُّلَامَة، بالضمّ». وتقدير الكلام: هنا لي مَظْلُمَة، بالرفع. أو أنا مَظْلوم مَظْلَمَةْ بالنصب على مفعول مطلق. ولم يقل أنت ظلمتني؛ لأنّ الظلم مستحيل على الحقّ تعالى، والأدب اقتضى ذلك من قبيل قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [٧/ الأعراف/ ٢٣]. وقوله (يا حاكم الحبّ): أي المحبّة والعشق، وهو المحبوب الحقيقيّ. وقوله (هذا القلب): أي الذي أخذته قهراً، وسلبته جهراً. وقوله (لِمْ): بكسر اللام وسكون الميم، وهي لام التعليل، وما الاستفهاميّة، قال في المغني: ويجب حذف ألف ما الاستفهاميّة إذا جُرَّت، وإبقاء الفتحة دليلاً عليها، نحو: فيمَ وإلامَ وعلامَ. وربّما تبعت الفتحة الألف في الحذف، وهو مخصوص بالشعر كقوله:

يا أبا الأسود لِمْ خلفتني لهموم طارقات [وذكر]

وقوله (حُبْساً): بالبناء للمفعول. والألف للإطلاق. والحَبْس: المَنْعُ، وهو مصدر حَبَسْتَهُ، من باب ضرب، كذا في المصباح. والمعنى: إنّ القلب سُلِب وحُبِس؛ فمُنِع من ذهابه إلى جهات الأغيار، بسبب المحبّة الداعية إلى كشف الأنوار، وظهور الأسرار، والتباعد عن هذه الدار. وسمّي ذلك ظُلماً لأنّه حصل على سبيل القهر والغلبة. وهو فضل عظيم، وخصلة شريفة إلى النفوس الكاملة محبّبة.

٨- زَرَعْتُ بِاللَّحْظِ وَرْداً فَوْقَ وَجْنَتِهُ حَقّاً(١) لِطَرْفِيَ أَنْ يَجْنِي الذِي غَرَسَا

٩- فَإِنْ أَبَى فَالأَقَاحِي مِنْهُ لِي عِوَضٌ مَنْ عُوِّضَ الثَّغْرَ عنْ دُرٍّ فَمَا بُخِسَا

(زرعت): أصله كما قال في المصباح: «زَرَعَ الحَرَّاثُ الأرضَ زَرْعاً: حَرَثَها

(١) في (ق): حقٌّ.

للزراعة، وزَرَعَ اللهُ الحَرْثَ: أَنبتَهُ وأنماه. والزَرْع: ما اسْتُنْبِتَ بالبَذْرِ تسمية بالمصدر. ومنه يقال: حصدتُ الزرعَ، أي: النباتَ، قال بعضهم: ولا يُسَمَّى زَرْعاً إلّا وهو غَضّ طريّ. والجمع: زُرُوع». وأمّا هنا فأريد به مطلق الإنبات. وقوله (باللَّحْظِ): لَحَظْتُه بالعين ولحظت إليه لحظاً، من باب نفع: راقبته، ويقال: نظرت إليه بمؤخّر العين عن يمين وشمال، وهو أشدّ التفاتاً من الشَزْرِ، كذا في المصباح. والإشارة بذلك إلى المراقبة الإلهيّة، وانفتاح البصيرة القلبيّة في صفحات ظاهر الكائنات. وقوله (ورداً): يكنّي به عن حُمرة الروحانيّة السارية في مجموع الكائنات، وهو ملكوت كلّ شيء، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ [٦/ الأنعام/ ٧٥]. وقوله (فوق وجنته): أي المحبوب الحقيقيّ. الوَجْنَة من الإنسان: ما ارتفع من لَحْم خَدِّه، والأَشْهَر فتح الواو، وحُكِيَ التثليث، والجمع: وَجَنَات، مثل سَجْدة وسَجَدات، كما في المصباح. يكنّي بالوجنة عن العارفين الكاملين من جملة روحانيّات مجموع العالمين لارتفاعهم على صفحات ظواهر الكائنات، واختصاصهم برطوبة الاعتدال، وطيب النفحات. وقوله (حقّاً): بالنصب مصدر لفعل مقدّر، تقديره: حقّ حقاً. والحقّ خلاف الباطل وهو مصدر حقّ الشيء من بابي ضرب وقتل: إذا وجب وثبت، ولهذا قيل لمرافق الدار حقوقها، كذا في المصباح. وقوله (لطرفي): طرف العين نظرها. ويطلق/ [٥٠٠/ أ] على الواحد وغيره؛ لأنّه مصدر، كما في المصباح. وهو كناية هنا عن عين البصيرة كما ذكرنا. وقوله (أنْ يَجْني): يقال جَنَيتُ الثمرة أَجْنِيها، وأَجْتَنِيها بمعناه. أي: أقتطفها. وقوله (الذي): مفعول يَجْني. وقوله (غرسا): بألف الإطلاق. والمعنى في ذلك أنّ مَن نظر إلى وجنة محبوبه فاحمرّت تلك الوجنة من الاستحياء لكمال الصيانة فقد ظهر ما يشبه الورد الأحمر على تلك الوجنة من الاستحياء لكمال الصيانة، فقد ظهر ما يشبه الورد الأحمر على تلك الوجنة مع ماء العرق، وانتشرت رائحة ذلك الورد؛ فكان نظير التفات البصيرة

والبصر إلى الوجود الحقّ الظاهر بالصور الكونيّة، الساري فيها سرّ الحياة الروحانيّة، الذي لولا ذلك الالتفات والنظر ما ظهر، ولا فاحت منه روائح العرفان على حسب استعداد الأكوان. وفاحت عواطر العلوم الإلهيّة من حضرة الإمكان، وحقيقة كن فكان. وذلك لأنّ معارف العارفين، وحقائق المحقّقين كلّها مثلهم مخلوقة لربّ العالمين. وذلك مقدار استعدادهم فيما هو غيب عنهم، لا على ما يعلمه الله تعالى من ذلك؛ فإنّ القديم لا يشاركه في علمه أحد من خلقه، لكمال تنزيهه، وعظيم تقديسه، قال تعالى: ﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [٢٢/الحج/ ٧٤] وقوله (فإنْ): الفاء للتعقيب. وقوله (أبى): أي امتنع. يعني: ذلك المحبوب أنْ يمكنني من اجتناء ما غرسته، والتفريع على ما أسسته من الاشتغال بالعلوم المذكورة، والمعارف المنشور، من قبيل قول الناظم قدّس الله سرّه في قصيدته الكافية:

قـــال لي حُـــسنُ كـــلّ شيء تجـــلّى بي تَمَـلّى فقلـت قـصدي وراكـا

وقوله (فالأقاحي): الفاء في جواب الشرط. والأقاحي جمع أُقْحُوَان، بالضمّ، وهو البابونَج كالأُقْحُوان، بالضمّ، وجمعه: أَقَاح أيضاً، كما أشار إليه في القاموس. قال في الصحاح: «الأُقْحُوان البابونَج، على أُفْعُلان، وهو نَبْتٌ طيِّب الريح، حواليه ورق أبيض، ووسطه أصفر. ويُصغَّر على أُقَيْحِيّ، لأنّه يجمع على أقاحيّ، بحذف الألف والنون. وإنْ شئت قلت أقاحي بلا تشديد». يكنّي بالأقاحي هنا عن الفم، بذلك يشير إلى الأمر الإلهيّ؛ لأنّه مظهر الكلام القديم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [١٦/ النحل/ ٤٠] وقوله (منه): أي من الورد المذكور. وقوله (لي عِوَضٌ): أي عوض عن ورد الوجنة الحمراء، وهو شهود الأمر الإلهيّ في جملة العالم، وذلك بغلبة الروح على طبيعة الجسد؛ فإنّ الروح من أمر الله تعالى لصدورها عنه بالوساطة، قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨٥]... الآية. ثمّ قال (مَنْ عُوِّضَ) بالبناء للمفعول. وقوله (الثغر): وهو المَبْسِم، ثمّ أطلق على الثَّنايا، كذا في المصباح. وهو

فم المحبوب المشتمل على ثناياه. كناية عن أمر الحقّ تعالى الذي هو مظهر أسمائه وصفاته. قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه:

سروا وظلام الليل أرخى سدوله ... فقلت لها: صبّاً غريباً متيّماً

أحاطت به الأشواق سوراً وأرصدت ... له راشقات النَّبْلِ أيان يمّما

فأبدت ثناياها وأمض بارق ... فلم أدرِ من شقّ الحنادس منهما

وقالت أما يكفيه أنّي بقلبه ... يشاهدني في كلّ وقت أما أما

وقوله (عن دُرّ): أي الدُّرّ النفيس، جمع دُرَّة بالضمّ، وهي اللؤلؤة الكبيرة، والجمع: دُرّ، بحذف الهاء، ودُرَر: مثل غرفة وغرف، كما في المصباح. والكناية هنا بالدُّرّ عن العلوم الإلهيّة والمعارف الربّانيّة؛ فإنّها وإنْ جلت وعظمت باعتبار موضوعها؛ فإنّها بالنسبة إلى تجلّيات الأمر الإلهيّ كشفاً وشهوداً بخضرات الأسماء والصفات أدنى مقاماً، لكونها علوماً كونيّة بحسب الاستعداد في شهود الحضرة الوجوديّة، قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه:

يا درّة بيضاء لاهوتيّة ... قد ركبت صدفاً من الناسوت/ [٥٠٠/ ب]

جهل البريّة قدرها لشقائهم ... وتعلّقوا بالدرّ والياقوت

وقوله (فما): الفاء في جواب الشرط، وما نافية. وقوله (بُخِسَا): بألف الإطلاق، وبُخِسَ فعل ماض مبني للمفعول. يقال: بَخَسَه بَخْساً، من باب نفع: نقصه، أو عابه، ويتعدّى إلى مفعولين. وفي التنزيل: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾ [٧/ الأعراف/ ٨٥] وبَخَستُ الكيل بَخساً: نقصته.

١٠ - إنْ صَالَ صِلٌّ عِذَارَيهِ فَلَا عَجَبٌ[1] ... إِنْ يَجْنِ لَسْعاً وَأَنِّي أَجْتَنِي لَعَسَا

(إنْ صَالَ): يقال صَال عليه: إذا استطال، وصَال عليه: وَثَبَ صَوْلاً وصَوْلَة.

---

(١) في (ق): حرجٌ.

وقوله (صِلٌّ): بالكسر، هو الحيّة التي لا تنفع فيها الرقيّة، يقال: إنّها لَصِلّ صَفَا: إذا كانت مُنْكَرة، مثل الأفعى، كذا في الصحاح. وقوله (عِذَارَيْه): تثنية عِذار، وأصله عِذار الدابّة، وهو: السير الذي على خدّها من اللجام، ويطلق العِذار على الرَّسَن. وعِذار اللَّحْيَة: الشَّعْر النازل على اللَّحْيَين، كذا في المصباح. والضمير للمحبوب الحقيقيّ. والعِذار هنا: كناية عن ظهور آثار الجمال بالمحاسن الكونيّة من شرائف الخصال. وثَنَّى ذلك لظهوره في أهل اليمين، وفي أهل الشمال. وقوله (فلا): الفاء في وجوب الشرط. وقوله (عَجَبٌ) بالتحريك، قال بعض النحاة: التعجب انفعال النفس لزيادة وصف في المُتعجَّب منه، نحو: ما أشجعه، كذا في المصباح. وقوله (إنْ يجنِ): بحذف الياء للجازم، أي: ذلك الصِّلّ المذكور مَنْ جَنَى على قومه؛ أذنب ذنباً يُتبع به. والاسم: الجِناية واستعمالها في الجُرْح والقطع والقتل أكثر من الإفساد في غيرها، وجمعها جنايات، كما في المصباح. وقوله (لَسْعَا): يقال لَسَعَت العَقْرَب والحيّة، كمنعت: لَدَغَت، وهو مَلْسُوع ولسيع، أو اللسع لذَوات الإبر، واللَّدْغُ بالفم، كذا في القاموس. (وإنّي أَجْتَني): أي آخذ وأتناول من جَنَى الثمرة، اجْتَنَاهَا بالفم، كذا في القاموس. وقوله (لَعَسَا) بألف الإطلاق. واللَعَس بالتحريك، سواد مُسْتحسَن في الشَّفَة. لَعَسَ كفرح. والنعت: أَلْعَس، كما في القاموس. يكنّي بذلك عن حلاوة التوحيد التي تظهر له من شهود الأمر الإلهيّ. والقيام بالكشف والتحقيق.

١١- كَمْ بَاتَ طَوْعَ يَدِي وَالوَصْلُ يَجْمَعُنَا   فِي بُرْدَتَيْهِ التُّقَى لَا نَعْرِفُ الدَّنَسَا

(كم): للتكثير. وقوله (بات): أي المحبوب الحقيقيّ، يقال: بَاتَ يَبِيْتُ بَيْتُوتَة ومَبِيْتاً ومَبَاتاً، فعل يختصّ بالليل كما اختصّ الفعل في (ظَلّ) بالنهار، كذا في المصباح. وإنّما قال (بات): لدخول ذلك الأمر الإلهيّ في ظلمة الكون، أي: تجلّيه عليه. وقوله (طوع يدي): أي بحيث متى شئت شهدته، وهو مقام التمكّن في

العرفان، بخلاف أحوال السالكين التي تدهمهم في بعض الأحيان. وقوله (والوَصْل): مبتدأ. والواو للحال. والجملة: حال من فاعل بات. والمعنى بالوصل شهوده خالقه قيّوماً عليه. وقوله (يجمعنا): أي أنا وإياه. والجملة خبر المبتدأ. وقوله (في بردتيه): أي بردتي الوصل؛ فإنّه لا يكون إلّا بين اثنين: بردة الأسماء والصفات المنسوبة إليه تعالى كما قال العارف الكامل عفيف الدين التلمساني، قدّس الله سرّه:

مَنَعَتْهـــا الـــصفات والأســـماء أنْ تـــرى دون برقـــع أســـماء

وبردة الآثار الكونيّة، وهي منسوبة إليه تعالى أيضاً، كما قال تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٨٤] وقال تعالى: ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَيْءٍ﴾ [٢٧/ النمل/ ٩١]. وقوله (التُقَى): فاعل يجمعنا، وهو جمع تقاة. قال في المصباح: «رجل تَقِي، أي: زكيّ، وقوم أَتْقِياء، وتَقِيَ يَتْقَى، من باب تعب، تُقَاة. والتُقَى: جمعها، في تقدير: رُطَبَة، ورُطَب». وأصل الكلام والحال: إنّ الوصل يجمعنا، التقى في البردتين اللتين يقتضيهما؛ لأنّه أمر حاصل بين اثنين فيقتضي البردتين/ [٥٠١/ أ] كلّ واحد منهما بردة، بحسب الظاهر. وقوله (لا نَعْرِفُ الدَّنَسَا): بألف الإطلاق، والدَنَس محرّكة: الوسخ، دَنِسَ الثوبُ والعِرْضُ والخُلُق، كفرح، دَنَساً ودَنَاسَة، فهو دَنِس: اتّسخ، كذا في القاموس. وهو كناية هنا عن مخالطة الأغيار وملاحظتها في طور من الأطوار. قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾ [٦/ الأنعام/ ٣] الآية، أي: متجلٍّ بذلك، وظاهر بخلق ذلك وتقديره.

١٢- تِلْكَ اللَيَالِي التِي أَعْتَدُّ مِنْ عُمُرِي مَـعَ الأَحِبَّـةِ كَانَـتْ كُلُّهَـا عُرُسَـا

(تلك): اسم إشارة للبعيد، مبتدأ. وقوله (الليالي): صفة لاسم الإشارة، جمع ليلة؛ وإنّما كان الاجتماع في الليالي؛ لأنّه في عالم الأكوان، والأكوان ليالٍ؛ لأنّها ظلمات. وقوله (أَعْتَدُّ): من العَدَد، قال في الصحاح: «عَدَّهُ فَاعْتَدّ، أي: صار

معدوداً» وقال في المصباح: «اعتدّ ذلك بالشيء على افتعلت، أي: أدخلتُه في العَدِّ والحِساب؛ فهو مُعْتَدّ به، محسوب غير ساقط». وفي بعض النسخ (**أعددت**). ومعناها هيأت، وهو غير مناسب هنا. وقوله (**من عُمُري**): أي أحسبها، وأعدّها من عمري، والعمر: مدّة الحياة في الدنيا. يعني: وما عدا تلك الليالي فلا أحسبها ولا أعدّها من عمري؛ لأنّها ذهبت غفلة وإعراضاً عن الحقّ تعالى. وقوله (**مع الأحبّة**): جمع حبيب، إنّما عدده باعتبار كثرة أسمائه وصفاته، واختلاف آثاره، وأنواع مخلوقاته. وقوله (**كانت**): أي تلك الليالي المذكورة. وقوله (**كلّها**): توكيد لاسم كان، وهو ضمير الليالي. وقوله (**عرساً**): قال في المصباح: «العُرْسُ بالضمّ: الزَفاف، والعَرُوس: وصفٌ يستوي فيه الذكر والأنثى ما داما في أعراسهما، وجمعُ الرجل: عُرُس بضمّتين، مثل: رَسُول ورُسُل. وجمْعُ المرأة: عرائس، كذا في المصباح. والمعنى في ذلك: إنّ الأعيان الكونيّة المُكنّى عنها بالليالي الماضية له لصحبته لها في ما مضى من أيام سلوكه في طريق الله تعالى، وأشار إليها بالأحبة أيضاً، وذكر أنّ أوقات صحبته لها كان يعدّها من عمره، كانت كلّها عُرُساً بضمّتين، جمع عَرُوس، ومن لازم العروس أنْ يكون له عروس؛ فعَرَائِس هؤلاء العُرُس حقائق نفوسهم الربّانيّة، وذواتهم الإنسانيّة الروحانيّة. وجملة كان واسمها وخبرها خبر المبتدأ.

١٣- لَمْ يَحْلُ لِلْعَيْنِ شَيْءٌ بَعْدَ بُعْدِهِمِ وَالقَلْبُ مُذْ آنَسَ التَّذْكَارَ مَا أَنِسَا

(**لَمْ يَحْلُ**): أصله يحلو بالواو، فحذفت للجازم، يقال: حَلَا الشيءُ يَحْلُو حَلَاوةً فهو حُلْو، والأنثى حُلْوَة. وحَلَا لِي الشيءُ: إذا لَذَّ لك. واستحليته: رأيته حُلْواً، كذا في المصباح. وقوله (للعين): أي عين بصري، وعين بصيرتي. وقوله (**شيء**): فاعل يحلو، أي: شيء حِسي، أو شيء معنوي، من جميع الكائنات. وقوله (**بَعْدَ بُعْدِهِمُ**): بضمّ الباء الموحّدة وكسر الميم للوزن، أي: بعد تباعد الأحبّة عنّي، فالضمير للأحبّة في البيت قبله. وقوله (والقلب): أي قلبي. وقوله (مذ): بضمّ

الميم وسكون الذال المعجمة، أي: من حين. وقوله (آنس): أي علم وأحسّ، يقال آنس الشيء: أبصره كأنّسه. يعني: بمدّ الهمزة تأنيساً فيهما، وعَلِمَهُ وأُحَسَّ به، وآنَسَ الصوت: سَمِعَه، كذا في القاموس. وفي التنزيل: ﴿إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارًا﴾ [٢٠/ طه/ ١٠] قال البيضاوي: «أبصرتها إبصاراً لا شبهة، فيه. وقيل الإيناس إبصار ما يؤنس به». وقوله (التذكار): بالنصب، مفعول آنس، وهو التذكر وزوال الغفلة عن القلب. وفيه تشبيه بنار موسى عليه السلام. وقوله (ما أَنِسَاً): بألف الإطلاق، وما نافية، وأَنِسَ فعل ماض، يقال: أَنِسَ به مثلّثة النون، والأُنس بالضمّ: ضدّ الوحشة، كذا في القاموس. والمعنى: إنّ قلبي من حين أنس نارَ التذكار والاستحضار لم يقرّ له قرار، ولا تأنس بشيء من الأغيار.

١٤- يَـا جَنَّـةً فَارَقَتْهَـا الـنَّفْسُ مُكْرَهَـةً لَـوْلَا التَـأَسِّي بِـدَارِ الخُلْـدِ مُـتُّ أَسَـى

(**يا جنّة**): منادى منصوب شبيه بالمضاف؛ لأنّ الجملة بعده صفة له. يكنّي بذلك عن/ [٥٠١/ ب] حضرة المتجلّي الحقّ سبحانه: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرۡضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي﴾ [٨٩/ الفجر/ ٢٩]؛ لأنّه على التحقيق لا نعيم إلّا به تعالى كما أنّه لا عذاب إلّا به تعالى. والجنّة وما فيها، والنار وما فيها أسباب منصوبة لذلك بلا تأثير لشيء منها أصلاً. وقوله (**فَارَقَتْهَا النفس**): أي نفسي؛ لأنّها فنيت في شهودها، واضمحلت في التحقّق بوجودها. وقوله (**مُكْرَهَةً**): بصيغة اسم المفعول، حال من النفس؛ لأنّ ذلك الفناء والاضمحلال بطريق الغلبة والقهر لسلطان الحقيقة المستولي على همم الرجال؛ إذْ لا بقاء للباطل إذا ظهر الحقّ، كما لا بقاء لظلمة الليل إذا طلع الصباح واستطال؛ حيث لا يجتمع الحقّ والباطل، قال تعالى: ﴿وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨١]. وقوله (**لولا التأسّي**):أي التسلّي من الأشواق، [والإسوة] بالكسر والضمّ: ما يأتسي به الحزين، كذا في القاموس. وقوله (**بدار**

الخلد): أي جنّة النعيم التي من يدخلها فهو مُخلَّد فيها، لا يخرج منها أبداً، وهي الجنّة التي وعد الله عباده المتّقين. والتأسّي بها لأنّ أهلها موعودون برؤية ربّهم، وهم فيها، قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [٧٥/ القيامة/ ٢٣]. وقوله (مُتُّ): أي أدركني الموت، وهو الهلاك جاهليّة. وقوله (أَسَى): أي حزناً وهمّا وغمّاً لفوات المطلوب، واحتجاب وجه المحبوب، ولنا من جملة موشّح مطلعه قولنا:

دع جمال الوجه يظهر	لا تغطّي يا حبيبي
طول ليلي فيك أسهر	زاد شوقي ونحيبي
هكذا المحبوب يقهر	بالجفا قلب الكئيب
كلّ شيء عقد جوهر	حلية الحسن المهيب[1]

* * *

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: «بلغ» يعني مقابلته على المؤلّف سماعاً ومقابلة.

أُشَاهِدُ مَعْنَى حُسْنِكُمْ

وقال قدّس الله سرّه: الطويل

١ - أُشَاهِدُ مَعْنَى حُسْنِكُمْ فَيَلَذُّ لي خُضُوْعِي لَدَيْكُمْ فِي الهَوَى وَتَذَلُّلِي

(أشاهد): فعل مضارع، بمعنى الحال والاستقبال، يقال: شَاهَدتُه مُشَاهَدَة، مثل: عَايَنْتُهُ مُعَايَنَة وزناً ومعنى، كذا في المصباح. وقوله: (مَعْنَى حُسْنِكُمْ): أي أثر حُسْنكم، والخطاب للأحبّة، من حيث الظهور الإلهيّ بالمظاهر المتعدّدة. والحُسْن هو الجمال الحقيقيّ، وهو حضرة الأسماء الحسنى، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [٧/ الأعراف/ ١٨٠] أي: اطلبوه بأسمائه، لا بأنفسكم، كما قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه: «قمْ به عليه، لا بك عليه» وقوله (فيلذّ لي): الفاء للتعقيب، ويلذّ أي: يصير لذيذاً. وقوله (لي): أي لجميعي، ظاهري وباطني. وقوله (خضوعي): فاعل يلذّ، يقال: خَضَعَ له يَخْضَع خُضُوعاً: ذَلَّ واستكانَ؛ فهو خاضع. والخُضُوع: قريب من الخُشوع، إلّا أنّ الخُشوع: أكثر ما يُستعمَل في الصوت والبصر. والخضوع في الأعناق، كذا في المصباح. وقوله (لديكم): أي في حضرتكم، وحضرتهم، هي الأكوان كلّها، والخطاب للأحبّة المذكورين. وقوله (في الهوى): أي المحبّة الإلهيّة وهي التي أوجبت الخضوع بين يدي المحبوب الحقيقيّ، ولذّة ذلك الخضوع لا تقاس بلذّة. وقوله (وتذلّلي): بالعطف على خضوعي، والتذلل: زيادة الضعف والهوان بين يدي أولي الوجوه الحسان، وهي العبادة الخالصة لوجه الله تعالى مع الإيمان قال الشاعر:

علّمتني الذلّ حتّى صرت آلفه وما التذلّل خلق الباز والأسد

٢- وَأَشْتَاقُ لِلمَغْنَى الَّذِي أَنْتُمُ بِهِ   وَلَوْلَاكُمُ مَا شَاقَنِي ذِكْرُ مَنْزِلِ

(وأشتاق): أي يحرّكني الشوق، وهو نزاع النفس، وحركة الهوى. وجمعه أشواق، كذا في القاموس. وقوله (للمَغْنَى): بالغين المعجمة، أي: المنزل والمقام، يقال: غَنِيَ بالمكان: أقام به، كما في المصباح، كنّى عن النشأة الكونيّة؛ لأنّها أثر من آثار الأسماء الإلهيّة، فهي منزل من منازل تجلّياتها الربّانيّة. وقوله (الذي): وصف للمغنى. وقوله (أنتمُ): بضمّ الميم للوزن، والخطاب/[٥٠٢/أ] للأحبة المذكورين. وقوله (به): خبر أنتم. والجملة صلة الموصول، وجملة الموصول صفة لمغنى الذي أنتم ظاهرون به؛ لأنّه أثر أسمائكم الحسنى، قال العفيف التلمسانيّ قدّس الله سرّه في مطلع أبيات له:

منعتها الصفات والأسماء   أنْ ترى دون برقع أسماء

فقد اعتبر ذلك الأثر برقعاً ولم يعتبره منزلاً، وهما سواء. وقال الآخر:

هذا الوجود وإنْ تعدّد ظاهراً   وحياتكم ما فيه إلّا أنتم

وقوله (ولولاكم): بضمّ الميم للوزن، والخطاب للأحبّة المذكورين. وقوله (ما شاقني): ما نافية. وشاقني: هاجني، قال في القاموس: «شاقني: هاجني كشوّقني. وقوله (ذكرُ منزلي): أي وطني الأصليّ، وهو علم الحقّ تعالى به في الأزل». وفي الأثر عن سيّد البشر صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال: «حبّ الوطن من الإيمان»[1]. والأوطان ثلاثة: وطن العلم. ووطن الإرادة والمشيئة، ووطن الكلام القديم، وهو الذكر الحكيم. قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [١٥/الحجر/٩] وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ﴾ [٢٥/ فاطر/٣٧] وهو الرسول العربي، بالذكر العربي ظاهراً، أو رسول العقل بالإلهام الموافق للنقل

(١) قال السخاويّ في المقاصد الحسنة، ٢٨٦ : «لم أقف عليه»، ومعناه صحيح ١ /٢٩٧.

باطناً، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [٩/ التوبة/ ١٢٨].

٣- فَلِلَّهِ كَمْ مِنْ لَيْلَةٍ قَدْ قَطَعْتُهَا   بِلَذَّةِ عَيْشٍ وَالرَّقِيبُ بِمَعْزِلِ

٤- وَنُقْلِي مُدَامِي وَالحَبِيبُ مُنَادِمِي   وَأَقْدَاحُ أَفْرَاحِ المَحَبَّةِ تَنْجَلِي

٥- وَنِلْتُ مُرَادِي فَوْقَ مَا كُنْتُ رَاجِياً[1]   فَوَا طَرَبا لَوْ تَمَّ هَذَا وَدَامَ لِي

(فللّه): الفاء للتفريع على ما قبله. واللام للتعجّب، نحو لله درّه، ذكره في القاموس. وقوله (كم): هي خبريّة معناها التكثير. وقوله (من ليلة): من زائدة، والإشارة بالليلة إلى النشأة الكونيّة التي يظهر بها الوجود الحقّ تعالى، وظهور البدر الروحانيّ، أثر من آثار نور الشمس الحقّانيّ، في مراتب المعاني المفصّلة، على الترتيب بالعلم الربّانيّ. وقوله (قد قطعتها): أي تحقّقت بها حتّى ذهبت فيها أدراج رياح الاقتدار، وانمحقت في ظهور نور الأنوار. وقوله (بلذّة عيشٍ): أي حياة ربّانيّة في حضرة قيّوميّة.

وقوله (والرقيب): وهو خاطر الأغيار لسرّ الأسرار، بدعوى النفس المتقلّبة في الأطوار. وقوله (بمَعْزِل): أي مفارق لنا، متباعد عنّا، قال في المصباح: «فلان عن الحقّ بمَعْزِل: أي مجانب له». وقوله (ونُقْلِي): بضمّ النون وفتحها. قال في المصباح: «النُّقل ما ينتقل به بالضمّ والفتح». وقال في القاموس: «النَّقل ما به يُتَنَقَّل به على الشراب. وقد يُضمّ، أو ضمّه خطأ». وقوله (مدامي): المدام الخَمْر كالمُدَامَة؛ لأنّه ليس شراب يُستطاع إدامَة شُرْبه إلّا هي، كذا في القاموس. كناية عمّا يوجب الغيبة عن الكائنات من حيث أنّها أغيار للمتجلّي الحقّ، الواحد القهار، والاستغراق فيها بالكلّيّة، من حيث أنّها آيات بيّنات لأولي الأبصار. وقوله (والحبيب): هو المحبوب الحقيقيّ. وقوله (منادمي): المنادم هو النديم، قال في

---

(١) في (ق): آملاً.

المصباح: «المُنادِم النَدِيم على الشراب، وجمعه: نِدَام، بالكسر، ونُدَمَاء ونَدْمَان». يعني: يناجيني في سرّي على شراب محبّته، وأناجيه وأنا طامع في كرمه وراجيه. وقوله «(وأقداح): جمع قَدَح بالتحريك، هو: آنية معروفة». يكنّي به عن النشأة الكونيّة الكاملة في العارفين المحقّقين الممتلئين من شراب العلوم الإلهيّة، والحقائق الربّانيّة المسكرة للعقول الإنسانيّة، قال تعالى: ﴿وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابٗا طَهُورًا﴾ [٧٦/ الإنسان/ ٢١]. ولنا من جملة أبيات قولنا:

هيكلي سامٍ سليم الشبح	طاهر الذيل نظيف
وإنائي بالتجلّي طافح	يتكفّى بفنون الملح
ومن المنبع روحي شربت	وبصدر صدرت منشرح
لا درى الغير ولا كان له	لمحة من نور تلك اللمح
أنا في المذكور والجاهل في الـ	ـذكر والفكر وعقد السبح
هو في بيت هوى منغلق	وأنا في رفرف منفسح
كلّنا من نخلة واحدة	لكن العجوة غير البلح
وجهنا الحقّ غسلنا وسخ الغـ	ـير عنه بمياه الوضح
وتركنا الكلّ للكلّ فلا	بالمذمّات ولا بالمدح

وقوله (أفراح): جمع فَرِحَ بالتحريك، هو: لَذَّة القلب بنيل ما يشتهي، كذا في المصباح. وقوله (المحبّة): هي المحبّة الإلهيّة، وأفراحها لذائذ القلب بالمحبوب الحقيقيّ. وقوله (تنجلي): أي تعرض على الشاربين مجلوّة. وقوله (ونلت مرادي): أي مقصودي ومأمولي من وصال المحبوب الحقيقيّ. وقوله (فوق ما كنت راجياً): يقال رَجَوتُه رُجُوّاً على فُعُول: أَمَّلْتُه، و رَجَيْتُه أَرْجِيه لغة من باب رمى، كذا في المصباح. فإنّه كان يرجو القرب إليه تعالى، والمشاهدة لجمال وجهه الحقّ الذي كلّ شيء هالك إلّا وجهه وكلّ من عليها فان ويبقى وجه ربك، ثم

ترقّى به الحال حتّى انكشف له حجاب النفس، وانمحت نقطة الغين، وقرّت العين بالعين. وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون. وقوله (فوا طربا): الفاء للتفريع على ما قبله، و(وا): حرف ندبة، تقول: وا زيداه، ولا تختصّ في النداء بالندبة، وتكون اسماً لأعجب[1] نحو:

وا بأبي أنت وفوكا الأشنب كأنّما ذرّ عليه الزرنب

كذا في القاموس. وهي هنا للتعجّب من كثرة طربه. والطرب بالتحريك خفة تصيبه لشدّة حزن أو سرور، والعامّة تخصّه بالسرور. وقوله (لو تمّ): أي كمل. وقوله (هذا): أي ما أنا فيه الآن من الاتّحاد الحقيقيّ بعد الفناء الكلّيّ في وجوده الحقّ، قال ابن العريف قدّس الله سرّه: «حتّى يذهب ما لم يكن ويظهر من لم يزل» وقوله (ودام لي): أي استمرّ في مشاهدتي، ولم يذهب عنّي.

٦- لَحَانِي عَذُوْلِي لَيْسَ يَعْرِفُ مَا الْهَوَى وَأَيـنَ الشَّجِيُّ الْمُسْتَهَامُ مِـنَ الخَلِّي

(لحاني): أي لامني. قال في الصحاح: لَحَيْتُ الرجلَ أَلْحَاهُ لَحْياً: إذا لُمْتُهُ". وقوله (عذول) بالرفع فاعل لحاني، والعذول اللائم بالمبالغة في اللوم وتنكيره لتحقير شأنه حيث لام وعنَّف على ما هو من أشرف الخصال من محبّة الملك المتعال، وهو جاهل بذلك؛ لأنّه غير سالك في هذه المسالك ولنا من جملة أبيات:

ويلي من العاذل المغرور في عذلي يظنّ باعي عن العلياء في قصر

ونحن قوم عن الأغيار همتنا ترفّعت لعزيز الأمر مقتدر

وقوله (ليس يعرف ما الهوى): ما استفهاميّة، أي: لا يعرف أي شيء الهوى والمحبّة الإلهيّة، ولا يعرف إلى أين توصل تلك المحبّة الإلهيّة. ثمّ قال (وأين الشجيّ): بتشديد الياء التحتيّة. وأين اسم استفهام، مبتدأ والشجيّ خبره. وقوله (المُسْتَهَام): هو الذي سَهَمَهُ الحبّ، أي أذاب جسمه. قال في القاموس: «جل

(١) انظر تاج العروس: (وا).

سهم الجسم: ذاهبه في الحبّ» . وقال في الصحاح: «السَّهام، بالفتح، حَرُّ السَمُوم، وقد سَهِمَ الرجلُ على ما لم يُسمَّ فاعله: إذا أصابه السَّمُوم، والسُّهام بالضمّ: الضمير والتغيير. وقد سَهَمَ وجهه، بالفتح، وسَهُمَ أيضاً بالضمّ يَسْهُمَ سُهُوماً فيهما»./[٥٠٣/ أ] وقوله (من الخليّ): أي الخالي من الفكر من هموم المحبّة والعشق. وهذا مثل يقال فيه: ويل للشَجِي من الخَليِّ، قال في الصحاح: «الشَّجْوُ الهَمّ والحُزْن، يقال: شَجاه يَشْجوه شَجواً: إذا أحزنه، وأشجاه يُشْجِيهِ إشْجاء: إذا أَغصّه. تقول منهما جميعاً شَجِيَ بالكسر يَشْجَى شَجَىً، ورجل شَجٍ، أي: حزين. ويقال: ويل للشَجِي من الخَلِيّ، قال المبرّد: ياء الخَلِيّ مشدّدة، وياء الشجي مخفّفة. وقد شُدّد في الشعر وأنشد:

نــام الخليّــون عــن ليــل الــشجيّينا   شـأن الـسُّلاة سـوى شـأن المحبّينا

فإنْ جعلت الشجي فعيلاً من شَجَاه الحزن فهو مَشْجُوٌّ ومَشْجِيٌّ بالتشديد لا غير.

٧- فَدَعْنِي وَمَنْ أَهْوَى فَقَدْ مَاتَ حَاسِدِي   وَغَـابَ رَقِيبِـي عِنْـدَ قُـرْبِ مُوَاصِـلِي

(فدعني): الفاء للتعقيب، ودعني: فعل أمر بمعنى اتركني. وقوله (وَمَنْ أهوى): أي مع الذي أحبّه، والخطاب للعذول في البيت قبله، وهو الجاهل المنكر على أهل طريق الله تعالى؛ لعدم معرفته بعلوم الأذواق. واغتراره بعلوم العقول المودعة في الأوراق. وقوله (فقد مات حاسدي): الفاء للتعقيب. ومات هالكاً من غيظه، والحاسد: الشيطان الذي يعرف قدر علوم الذوق، ويعلم الجزاء العظيم على المحبّة الإلهيّة والشوق؛ فالمنكِر جاهل بقدر العرفان. والذي يعرف قدر ذلك فيحسد عليه هو الشيطان. والمؤمن العارف واقع بينهما، وهو عندهما في ذلّة وهوان. وبالله المستعان، وعليه التكلان. وقوله (وغاب رقيبي): أي ذهب عنّي خاطر الأغيار، واتّضح عندي سرّ الأسرار ونور الأنوار. وقوله (عند قرب مواصلي): أي اقترابه منّي على معنى انكشاف أمره الحقّ لديّ على ما هو عليه حين فنائي في وجوده، وتمتّعي به في شهوده.

نَشَرتُ في مَوكِبِ العُشَّاقِ أَعلامي

قد تقدّم في صدر هذا الكتاب (في عُنوان): بضمّ العين المهملة، وقد تكسر. وعُنوان كلّ شيء ما يُستدلّ به عليه ويظهره، كذا في المصباح. (الديوان): هو في الأصل جريدة الحاسب، أي: دفتره المجرّد لحسابه، ثمّ أُطلِق على الكتاب الجامع لكلام الواحد من الناس، وخُصّ بالمنظوم منه عرفاً. (ذكر): فاعل تقدّم (هذين البيتين): الآتي ذكرهما (اللذين): بصيغة التثنية، وصف للبيتين. (رواهما): أي نقلهما (الشيخ): الإمام العارف بالله تعالى. (إبراهيم الجعبري): نسبة إلى قلعة جعبر. (عن الشيخ): العارف المحقّق شرف الدين عمر بن الفارض، ناظم هذا الديوان (قدّس الله سرّهما لمّا حضر): الشيخ الجعبري. (وفاته): أي وفاة الشيخ عمر بن الفارض، أي: موته بمصر في التاريخ الذي ذكرناه في أوائل هذا الشرح. (وشاهد): أي الجعبري. (حاله): أي حال الشيخ عمر المذكور. (وما فاته): شيء من ذلك لحضوره لديه، وكمال إقباله عليه. (ورأى): أي الجعبري (موته): أي موت الشيخ عمر المذكور (في المحبّة): الإلهيّة (حياته): أي حياة له أبديّة من حضرة ربّه بصفة القيّوميّة. (وهما): أي البيتان. (هذان البيتان): تثنية بيت، المتقدّم ذكرهما في ديباجة هذا الديوان، وهما قول الشيخ عمر قدّس الله سرّه عند موته وقد كشف له مقامه في الجنّة. وهو منتظر رؤية ربّه التي هي أعظم منه:

إنْ كان منزلتي في الحبّ عندكُمُ ... ما قد رأيت فقد ضيّعت أيامي

أمنيّة ظفرت روحي بها زمناً ... واليوم أحسبها أضغاث أحلام

وسنشرح هذه الأبيات بعد هذا في ضمن التذييل الحاصل عليها من كلام سبط الناظم الشيخ العارف (عليّ): صاحب الكمال والتكميل، قدّس سرّهما. وهو الذي جمع هذا الديوان الفارضي ورتّبه على هذا الترتيب البديع متحرّياً فيه الضبط

والصحّة، وكمال التوقيع. (قال وقد طالعت بعد ذلك): أي بعد تمام هذا الجمع واطراب البصرّ والسمع/[٥٠٣/ب] (في مجموع رقائق): جمع رقيقة، من رَقّ الشيءُ يَرِقّ، من باب ضرب: خلاف غَلُظ؛ فهو رقيق، وهي رقيقة ذكره في المصباح. وهي الفوائد اللطيفة، والأبيات الشعريّة الظريفة. (عند خال الأولاد): أي أولاده (وهو الأمير): من أمراء مصر. (شهاب الدين): لقبه. (أحمد): اسمه. (ابن الأمير) الكبير.(المرحوم علاء الدين آز دور): بالزاي المعجمة: لقبه باللغة الفارسية، ومعناه بالعربية: من بعْد؛ فإنّ (آزْ): بمعنى من. ودور: هو البعد. (رحم الله تعالى سَلَفَه): أي آباءه وأجداده. (وأسعده): في الدنيا والآخرة. (بإحسانه): تعالى، أي: إنعامه وإكرامه. (وأسعفه): أي الله تعالى، يقال: أسعفته بحاجته إسعافاً: قضيتها له، وأسعفته: أعنته على أمره، كذا في المصباح. (وكان ذلك): أي المطالعة المذكورة. (في العشر الأُوَل من ذي القعدة): بفتح القاف وكسرها، قال في المصباح: «ذو القَعْدة، بفتح القاف، والكسر لغة. (سنة ثلاث وثلاثين وسبعمئة): من الهجرة النبوية. (قرأت فيه): أي في ذلك المجموع المذكور (بعد): قراءة (البيتين المذكورين): هنا. (أربعة أبيات): أخر. (لتتمّة ستّة): من الأبيات (فسُررتُ): بالبناء للمفعول، أي: سرّني الله تعالى بمعنى: أدخل السرور على قلبي (بها): أي بالأبيات الستّة المذكورة. (فإنّها): أي هذه الأبيات الستّة (من نَفَس): بفتح الفاء. (الشيخ): عمر بن الفارض (قدّس الله سرّه): أي من جنس كلامه مناسبة أن تكون من جملة نظامه. (وقد أضفت إليها): أي إلى هذه الأبيات الستّة. (قبلها وبعدها أبياتاً): جمع بيت من الشعر، قال أبو العلاء المعرّي:

والحُسن يظهر في شيئين رونقه ... بيت من الشعر أو بيت من الشعر

(مذيّلة): بصيغة اسم المفعول، أي تلك الأبيات المضافة إليها، أي مجعولة ذيلاً. (عليها): أي على الأبيات الستّة. (فتح الله تعالى عليّ): بتشديد الياء التحتيّة. (بنظمها): متعلّق بفتح؛ لأنّها تناسب كلام الناظم قدّس الله سرّه، قال تعالى: ﴿ مَّا

يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ [٢٥/ فاطر/٢]
(**ببركة نَفَسِه**): بفتح الفاء، أي: نَفَس الشيخ عمر المذكور. (**قدّس الله سرّه، وهي**): أي الأبيات المفتوح عليه بها. (**هذه**): الأبيات الاثنا عشر بيتاً قبل الستّة الأبيات، والسبعة الأبيات بعدها، فجاءت قصيدة تامّة خمسة وعشرين بيتاً، ستّه منها نظم الشيخ عمر بن الفارض، وتسعة عشر نظم سِبطه الشيخ عليّ المذكور، قدّس الله تعالى سرّهما، وجعل في أعلى منازل الفردوس مقرّهما (**جميعها**): أي أبياته، وأبيات صاحب الديوان، كما ذكرنا. (**وأبيات الشيخ**): صاحب الديوان قدّس الله سرّه (**وسطها**): أي وسط الأبيات المذيّلة عليها، قال في المصباح: «الوسط بالتحريك: ما تساوت أطرافه، وقد يراد به ما يكتنف من جوانبه، ولو من غير تساوٍ فيقال: ضربت وسط رأسه، وجلست في وسط الدار. قالوا: والسكون فيه لغة، وأمّا وَسْط بالسكون فهو بمعنى بين، نحو: جلست وسط القوم، أي: بينهم، والمناسب هنا الأوّل، فيكون بالتحريك. (**وقد كتبت أوّلها**): أي أبيات الشيخ عمر قدّس الله سرّه. (**بالأحمر**): من المداد. (**لتكون أبين**): من بقيّة الأبيات. (**وأظهر**): للمطالع لها. (**وهي**): أي جملة الأبيات جميعها. (**هذه الأبيات**): ومطلعها قوله قدّس الله سرّه: البسيط

١- نَشَرْتُ فِي مَوْكِبِ العشّاق أَعْلَامِي وكَانَ قَبْلِي بُلِي فِي الحُبِّ أَعْلَامِي

(**نَشَرْتُ**): يقال نَشَرْتُ الثوبَ نَشْراً، خلاف طويته فانْتَشَر، كذا في المصباح. وقوله (**في موكب**) يقال: وَكَب يَكِبُ وُكُوباً وَوَكَبانا مشى في درجان، ومنه المَوْكِب للجماعة رُكباناً/ [٥٠٤/ أ] أو مشاة، أو رُكّاب الإبل للزينة، وأوكب: لزمهم، كذا في القاموس. وقوله (**العشّاق**): أي أهل المحبّة الإلهيّة، وهم العارفون بربّهم المحقّقون. وقوله (**أعلامي**): جمع عَلَم، بالتحريك وهو الراية، وما يعقد على الرمح، وجمعه أعلام كسَبَبَ وأسباب، كناية عن التقدّم على الكاملين من أهل زمانه يشير به إلى مقام الشيخ عمر بطريق الكلام على لسانه، لكونه بمنزلة

ترجمانه. وقوله (وكان قبلي): أي زماني، وهو زمان السلف الصالحين من الأولياء المقربين، أهل المعرفة واليقين. وقوله (بُلي): بضمّ الباء الموحّدة: فعل ماضي مبني للمفعول. وقوله (في الحبّ): بالضمّ، أي: المحبّة الإلهيّة. وقوله (أعلامي): جمع عَلَم بالتحريك، وهو سيّد القوم، قال في القاموس: «العَلَم محرّكة: الجَبَل الطويل، وجمعه أعلام. والراية وما يُعقَد على الرمح، وسيّد القوم. وجمعه أَعْلام»؛ فالأعلام الأوّل: الرايات، والأعلام الثاني: السادات. والمعنى: إنّ الابتلاء بالمحبّة الإلهيّة كان في مشايخي وساداتي من قبلي، وأنا اقتفيت أثرهم، واقتديت بهم، والابتلاء من الله تعالى لعباده يكون بالخير والشرّ، للنفع والضرّ، قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [٢١/الأنبياء/ ٣٥] يعني: عمّن سوانا. وقال تعالى: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٦٨] وقال سليمان عليه السلام: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [٢٧/ النمل/ ٤٠] وفي الحديث: «أشدّ الناس بلاء الأنبياء ثمّ الأمثل فالأمثل»[١].

ولنا في ذلك قولنا من أبيات:

بلاء الأنبياء هو البلاء	وقد عانت عناه الأولياء
وذلك كان في الدنيا وممّا	به للناس ذمّ أو ثناء
ومن يكثر عليه الصبر يعظم	به عند الإله له الجزاء
وأمّا الدين فاحذر من بلاء	يصيبك فيه ذاك هو الشفاء
ومنه الأنبيا عصموا وعنه	شعار الصالحين الأتقياء
ومن يصبر عليه أصرّ عمداً	على العصيان وازداد العناء

(١) أخرجه النسائيّ في السنن الكبرى، عن فاطمة بنت اليمان، أخت حذيفة، ٧٤٨٢. كما أخرجه البزّار بهذا اللفظ في مسند سعد بن أبي وقّاص، باب: ومما روى سماك بن حرب، عن مصعب عن أبيه، ١١٥٠.

٢- وَسِرْتُ فِيْـــهِ وَلَمْ أَبْـــرَحْ بِدَوْلَتِـــهِ   حَتَّى وَجَـدْتُ مُلُوكَ العِشْقِ خُدَّامِي

(وسرت فيه): أي في الحبّ بمعنى المحبّة الإلهيّة، والسير قطع مسافات الدنيا، وتنقل أحوالها إلى منتهى الأجل، مصاحباً للحبّ المذكور، اقتداء بمن قبلي من الأعلام، ومتابعة لمشايخي في هذا المقام. وقوله (ولم أبرح بدولته): أي الحبّ. يعني: مصاحباً لها. والدَّوْلَة: انقلاب الزمان، والعُقْبَة في المال، ويُضَمُّ، أو الضمّ فيه، والفتح: في الحَرْب، أو هما سواء، أو الضمّ في الدنيا، والفتح في الآخرة. والجمع دُوَل مثلّثة، كذا في القاموس. وقوله (حتّى وجدت ملوك): جمع ملك بكسر اللام، هو: السلطان. وقوله (العشق): أي المحبّة الإلهيّة، وهم أولياء عصره من المحبين الإلهيّين. وقوله (خدّامي): جمع خادم. بمعنى: رعاياه الذين يخدمونه بمعونتهم له لأحوالهم وأقوالهم في نصرة الحقّ على الباطل.

٣- وَلَمْ أَزَلْ مُنْـذُ أَخْـذِ العَهْـدِ فِي قِـدَمِي   لِكَعْبَـةِ الحُـسْنِ تَجْرِيـدِي وَإِحْرَامِـي

(ولم أزل): أي مستمراً على حالي المذكور. وقوله (منذ): اسم مبني على الضمّ أو حرف، قال في المغني لابن هشام: «إنْ وليها اسم مجرور فقيل إنّها اسم مضاف»، والصحيح: إنّها حرف جر، بمعنى من إن كان الزمان ماضياً، وبمعنى في إنْ كان حاضراً. وإن وليها اسم مرفوع نحو: منذ يوم الخميس، ومنذ يومنا، فقال المبرّد، والزجاج، وابن السراج،/ [٥٠٤/ ب] والفارسي: مبتدأ وما بعدها خبر، ومعناها الأمد، وأوّل المدّة إنْ كان ماضياً. وقال الأخفش والزجاج: ظرف مخبر به عمّا بعده. ومعناه بين وبين، فمضى ما لقيته منذ يومان بيني وبين لقائه يومان. انتهى، ملخصاً. وقوله (أَخْذِ): بالجرّ، أو بالرفع. وقوله (العهد): أي عهد الربوبيّة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٧٢] فالألف واللام في العهد للعهد. وقوله (فِي قِدَمِي): بكسر القاف وفتح الدال المهملة. قَدُمَ الشيءُ بالضمّ، قِدَماً

وزن عِنَب، خلاف حَدَث؛ فهو قَدِيم، وعَيْب قَدِيم أي: سَابق زمانه، متقدّم الوقوع على وقته، كذا في المصباح. وقوله (لكعبة الحسن): أي الجمال الإلهيّ، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [٣٢/ السجدة/ ٧] وقال صلى الله عليه وسلّم: «إنّ الله كتب الحُسن على كلّ شيء»[1]. والحُسن هو أثر الجمال الإلهيّ الظاهر على كلّ شيء، وجعله كعبة باعتبار طواف قلوب العارفين حوله ودوران أبصارهم عليه. وقوله (تجريدي): ويقال جَرَّدْتُه من ثيابه بالتشديد نزعتُها عنه، وتَجَرَّد هو منها، كما في المصباح. وهو التجرّد عن الطبيعة الجسمانيّة، والأخلاق النفسانيّة، والفناء عن الأغيار بالكلّيّة. وقوله (وإحرامي): يقال أَحْرَمَ الشخصُ: دخل في حَجّ أو عُمرة، ومعناه: أدخل نفسه في شيء حَرُمَ عليه به ما كان حلالاً له، كذا في المصباح. وكانت أحوال النفس، ومقتضيات الطبيعة حلالاً له، مباحة الإتيان بها؛ فلمّا دخل في طريق معرفة ربّه لنيل كمال قربه، وانكشف له جليّة الحال وتحقّق بفنائه في ظهور ربّه، وكمال الاضمحلال حرم عليه ما كان له حلال، وكلّف بما لم يكلّف به غيره من الجهال، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾ [٢/ البقرة/ ٢٣٣]. وقال تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةً وَمِنۡهَاجًا ﴾ [٥/ المائدة/ ٤٨]. وقال صلّى الله عليه وسلّم: «اتقِ الله فيما تعلم»[2].

٤- وَقَـدْ رَمَـانِي هَـوَاكُمْ فِي الغَـرَامِ إلى … مَقَـامِ حُـبٍّ شَرِيـفٍ شَامِخٍ سَامِ

٥- جَهِلْتُ[3] أَهْلِيَ فِيْهِ أَهْلَ نِسْبَتِهِ … وَهُـمْ أَعَـزُّ أَخِلَّائِـي وَأَلْزَامِـي

٦- قَضَيْتُ فِيهِ إلَى حِيْنِ انْقَضَى أَجَلِي … شَـهْرِي وَدَهْـرِي وَسَـاعَاتِي وَأَعْـوَامِي

(وقد رماني): أي ألقاني. وقوله (هواكم): أي محبّتكم. والخطاب للأحبّة، وهم

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، باب: حديث شدّاد بن أوس، ١٧٦٠٣، بلفظ: «إن الله كتب الإحسان...».

(٢) أخرجه الترمذيّ في سننه، كتاب العلم، باب: ما جاء في فضل الفقه على العبادة، ٢٨٩٩.

(٣) في (ق): جعلت.

تجلّيات الوجود الحقّ في الصور الجميلة حسّاً ومعنى. وقوله (في الغرام): وهو العشق الملازم، والشوق الملازم، قال في المصباح: «أُغْرِمَ بالشيء، بالبناء للمفعول: أُولِع به فهو مُغْرَم». وقوله (إلى مقام حبّ شريف): أي له الشرف في الدارين. وقوله (شامخ): يقال شَمَخَ الجبلُ يَشْمَخُ، بفتحتين: ارْتَفَع فهو شامِخ، جبال شامخة وشامخات وشوامِخ، ومنه قيل: شَمَخَ بأنفه: إذا تكبّر وتعظم، كذا في المصباح. وقوله (سامي): من سما يَسمُو سموّاً: علا، وهي أوصاف مترادفة للحبّ الشريف، وهو المحبّة الإلهيّة التي لا تحصل للعبد السالك في طريق الله تعالى إلّا بعد فنائه بالكلّيّة. وقوله (جهلت أهلي): أي قومي، ومنه أنا أعرفهم من رفقتي وعشيرتي. وقوله (فيه): أي في ذلك الحبّ المذكور، من كمال اشتغالي به، واستغراقي في معاناة أحواله، ثمّ قال (أهل نسبته): بدل من أهلي، بدل كلّ من كلّ، وهم المتسبون إليه، أي: إلى الحبّ المذكور. وقوله (وهم): الواو للحال، والجملة حال من أهلي، والعامل فيه جهلت. وقوله (أعزّ أخلائي): جمع خليل، وهو الصديق. يعني: لهم العزّة عندي من جميع أهل خلّتي، أي: صداقتي. وقوله (وألزامي) معطوف على أخلائي، كأنّه جمع/ [٥٠٥/ أ] ألزام، أي: ملازم، قال في الصحاح: «لَزِمْتُ الشيءَ أَلْزَمُهُ لُزُوماً، ولَزِمْتُ بِه ولَازَمْتُهُ، واللِزَام: المُلَازِم، أي: أصحابي الملازمين لي. ومنه قوله[تعالى] ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ [٣٥/ الفرقان/ ٧٧]، أي: ملازماً، لا يفارق». وقوله (قضيت): أي أذهبت وأمضيت، قال في الصحاح: «قَضَى بمعنى فَرَغَ، تقول: قَضَيت حاجتي، وبمعنى الإنهاء، ومنه: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾ [١٥/ الحجر/ ٦٦] أي: أنهيناه إليه». وقوله (فيه): أي في ذلك الحبّ المذكور. وقوله (إلى حين انقضا): بالقصر لضرورة الوزن. وقوله (أجلي): أي موتي. وقوله (شهري): مفعول قضيت. وقوله (ودهري): أي زماني الذي أنا فيه. وقوله (وساعاتي): جمع ساعة، وهي: الوقت من ليل ونهار. والعرب تُطلقها وتريد بها الحينَ والوقت وإنْ قَلَّ. والجمع: ساعات وسَوَاع، كذا

في المصباح. وقوله (وأعوامي): جمع عام، وهو الحول والسنة، على معنى أنّه قطع لأوقاته كلّها في هذا الحبّ المذكور، إلى أنّ انقضى أجله. وهذا ممّا يؤيّد أن صاحب هذا الكلام. قاله على لسان الشيخ عمر قدّس الله سرّهما؛ فإنّ قوله (إلى حين انقضا أجلي) لا يناسب أنْ يكون من كلامه نفسه، ولا من كلام الناظم؛ لأنّه حين القول كان حيّاً.

٧- ظَنَّ العَذُولُ بِأَنَّ العَذْلَ يُوْقِفُنِي   نَامَ العَذُولُ وَشَوْقِي زَائِدٌ نَامِي[1]

(ظن العذول): أي اللائم الذي يلومني على المحبّة. وقوله (بأنّ العَذل): أي اللوم الصادر منه لي. وقوله (يوقفني): أي عن السير في طريق المحبّة الإلهيّة؛ فلا أسلك فيه إلى منتهاه، وأنقطع عن طلب المحبوب بسبب لومه لي، وتعنيفه على المحبّة. وقوله (نام العذول): أي غفل، ولم ينتبه لأحوالي. وقوله (وشوقي): أي نزوع قلبي في كلّ وقت إلى الحبيب. وقوله (زائد): أي كثير. وقوله (نامي): من نَمَى الشيء يَنْمِي، من باب رَمَى، نَمَاء بالفتح والمدّ: كثر، قال الأصمعي: وزعم بعض الناس أنّ نَمَا يَنْمُو نُمُوّاً من باب قعد، لغة، كذا في المصباح. يعني: إنّ شوقه إلى الأحبّة المذكورين لا يزال في زيادة وبدؤه في إعادة.

٨- إنْ عَامَ إنْسَانُ عَيْنِي فِي مَدَامِعِهِ   فَقَدْ أُمِدَّ بِإحْسَانٍ وَإنْعَامِ

(إنْ شرطيّة): وقوله (عام): يقال عَامَ في الماء عَوْماً، من باب قال، فهو عائم، كذا في المصباح. والعوم: السباحة. وقوله (إنسان عيني): إنسان العين حِدقتها، والجمع: أَنَاسِيّ. كذا في المصباح. قال في القاموس: «الإنسان المثال، يُرى في سواد العين». وقوله (في مدامعه): متعلّق بعام. وقوله (فقد): الفاء في جواب الشرط. وقوله (أُمِدَّ): فعل ماض مبني للمفعول، من الإمداد، وهو الإعانة، أو في الشرّ مَدَدْتُه، وفي الخير أَمْدَدْتُه، كما في القاموس. وقوله (بإحسان): متعلّق بأُمِدَّ. وقوله

---

(١) في (ق): نامِ.

(وإنعام): بكسر الهمزة، مصدر أنعم عليه إنعاماً، من النعمة. والإنعام معطوف على الإحسان؛ فإنّ البكاء من خشية الله تعالى كالبكاء من محبّته مقام جليل وإحسان جزيل، وإنعام جميل.

٩- يَا سَائِقاً عِيسَ أَحْبَابِي عَسَى مَهَلاً وَسِرْ رُوَيْداً فَقَلْبِي بَيْنَ أَنْعَامِ

١٠- سَلَكْتُ كُلَّ مَقَامٍ فِي مَحَبَّتِكُم وَمَا تَرَكْتُ مَقَاماً قَطُّ قُدَّامِي

١١- وَكُنْتُ أَحْسَبُ أَنِّي قَدْ وَصَلْتُ إِلَى أَعْلَى وَأَغْلَى مَقَامٍ بَيْنَ أَقْوَامِي

١٢- حَتَّى بَدَا لِي مَقَامٌ لَمْ يَكُنْ أَرَبِي وَلَمْ يَمُرَّ بِأَفْكَارِي وَأَوْهَامِي

(يا سائقاً): منادى شبيه بالمضاف منصوب منون، من سَاقَ الماشيةَ سَوْقاً/ [٥٠٥/ ب] وسِيَاقَةً واسْتَاقَها؛ فهو سائق وسوّاق، كذا في القاموس. وهو الذي يحثّ الماشية على المشي من ورائها، والقائد من قدّامها، وهو كناية هنا عن الحقّ تعالى، كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ﴾ [٨٥/ البروج/ ٢٠] وقوله (عِيْسَ): مفعول السائق، والعِيس بالكسر: الإبل البِيض، يخالط بياضها شُقرة. كناية عن النشأة الإنسانيّة الحاملة لأمانة التكليف من قوله تعالى: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ [٣٣/ الأحزاب/ ٧٢]. وقوله (أحبابي): جمع حبيب، وهو المتجلّي الحقّ؛ وإنّما جمع لكثرة تجلّياته واختلافاتها. ولهذا ذكر الاسم الجامع لجميع الأسماء في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ﴾ [٨٥/ البروج/ ٢٠] فهو ظاهر بهم بطريق الاستعلاء عليهم، وهم عِيْسُه الحاملون لظهوره وتجلّياته كما أنّهم حاملون لتكاليفه وأحكامه؛ فهو سائق لهم باعتبار قيّوميّته عليهم ووحدته الغيبيّة عنهم، وهو أحبابهم باعتبار تجلّياته لهم، واختلاف ظهوراته وكثرة شؤونه بهم. وقوله (عسى): هي فعل ماض جامد، غير متصرّف، وهو من أفعال المقاربة، وفيه تَرَجٍّ وطمع، كذا في المصباح. وقوله (مهلاً): أي تمهّل مهلاً، كما تقول: عسى زيداً أنْ يخرج، فزيد فاعل عسى. وأنْ يخرج مفعوله، وهو بمعنى الخروج، إلّا أنَّ خبره لا يكون اسماً، لا يقال:

عسى زيداً منطلقاً. وأمّا قولهم (عسى **الغُوَيْرُ أَبْؤُسَاً**): فشاذّ نادر، وضع أبؤساً موضع الخبر. وقد يأتي في الأمثال ما لا يأتي في غيرها، كذا في الصحاح. و(**مَهَلاً**) بالتحريك هو التؤدة. وقال في القاموس: المَهَل، ويُحَرَّك. والمُهْلَة، بالضمّ: السكينة والرِفق. والمعنى في ذلك: طلب الرفق والتأنّي في السير. وقوله (**وسِرْ**): فعل أمر من السير رويداً، قال في القاموس: «امشِ على رُوَد، بالضمّ، أي: مَهْلٍ، وتصغيره: رُوَيْد. ورُوَيْداً: مَهَلاً، ورُوَيْدَك عَمْراً: أَمْهِلْه، وإنّما تدخله الكاف إذا كان بمعنى أفعِل، وهي أربعة: اسم فعل: رويداً عمراً: أمهله. وصِفَةً: سَارُوا سَيْراً رُوَيداً، وحال، سار القومُ رُوَيْداً اتَّصل بالمعرفة، وصار حالاً لها. ومصدراً: رُوَيْدَ عَمْرٍو بالإضافة». وهنا صفة لمصدر محذوف، تقديره وسِرْ سَيْراً رُوَيْداً. وقوله (**فقلبي**): الفاء للتعقيب. وقوله (**بين أنعام**): بفتح الهمزة، جمع نَعَم بالتحريك، جمع لا واحد له من لفظه. وأكثر ما يقع على الإبل، قال أبو عبيد: النَّعَم الجِمال فقط، ويؤنّث ويذكّر، وجمعه نُعْمَان، مثل: حَمَل وحُمْلان، وأنعام أيضاً. وقيل النَّعَم: الإبل خاصّة، والأنعام: ذوات الخفّ والظلف، وهي الإبل والبقر والغنم، كذا في المصباح. والمعنى: إنّ قلبي سائر بين الإبل المكنّى بها عن النشآت الإنسانيّة الحاملة للتجلّيات الإلهيّة، وهذا غاية إدراكه، ولا يقدر أنّ يتجاوزها إلى حضرة المتجلّي الحقّ لفناء حقيقته في ذلك الوجود الحقّ. وقوله (**سلكت كلّ مقام**): أي موضع مقام إقامة موضع إقامة روحانيّة في حضرة ربّانيّة. وقوله (**في محبّتكم**): الخطاب للأحبّة المذكورين. وقوله (**وما تركت**): أي أهملت. وقوله (**مقاماً**): من مقامات القرب إليه تعالى. وقوله (**قطّ**): بفتح القاف، وضمّ الطاء المهملة مشدّدة يقال: ما فعلت ذلك قط، أي: في الزمان الماضي، كذا في المصباح. وقوله (**قدّامي**): بضمّ القاف وتشديد الدال المهملة مفتوحة، قال في المصباح: «قُدَّام: خلاف وراء، وهي مؤنّثة، يقال: هي قُدَّام». وقوله (**وكنت أحسب**): أي أظن. وقوله (**إنّي قد وصلت إلى أعلى**): بالعين المهملة من العلوّ، وهو الرفعة. وقوله (**وأغلا**): بالغين

المعجمة من غَلَا في الدِينِ غُلُوّاً من باب قعد: جاوز الحَدّ، وغالى في أمره: بالغ. وغَلَا السعر يَغلُو: ارتفع، وكلّ شيء زاد وارتفع فقد غَلَا، كما في المصباح. وقوله (مقام): أي منزلة ومرتبة عالية. وقوله (بين أقوامي): أي عشيرتي وأصحابي من أهل طريق الله تعالى. وقوله (حتّى بدا): كأي ظهر وانكشف. وقوله (لي): متعلّق ببدأ. وقوله (مقام لم يكن أربي): أي مقصودي. وقوله (لم يمرّ): أي ذلك المقام. وقوله (بأفكاري) / [٥٠٦/ أ] جمع فكر. قوله (وأوهامي): جمع وهم. يعني: لم أكن أظن أنّ ذلك يعرض عليّ، لأنّه مقام كوني من مقامات العامّة، وهو مقام الجزاء الأخروي بأنْ تراءت له الجنّة، وما أعدّه الله تعالى له فيها من النعيم المقيم، وكان ذلك في وقت احتضاره قبيل موته قدّس الله سرّه، كما ورد ما معناه: «لا يموت أحدكم حتّى يعرض عليه مقامه في الآخرة»[1] وقد سبقت قصّة ذلك له مع الشيخ ابراهيم الجعبري في ديباجة الديوان، وشرحناها هناك، ولم نشرح البيتين من قول الشيخ عمر ابن الفارض قدّس الله سرّه، وذلك قوله مع زيادة الأبيات الأربعة على البيتين السابقين؛ فالجملة ستّة، والذي أنشده منها في واقعته، هما هذان البيتان الأولان[2].

١٣- إنْ كَانَ مَنْزِلَتِي فِي الحُبِّ عِنْدَكُمُ ... مَا قَدْ رَأَيتُ فَقَدْ ضَيَّعْتُ أيامِي

١٤- أُمْنِيَّةٌ ظَفِرَتْ رُوْحِي بِهَا زَمَناً ... وَاليَوْمَ أَحْسَبُهَا أَضْغَاثَ أَحْلَامِ

(إنْ كان منزلتي): أي رتبتي، ومقداري. قال في المصباح: «المنزلة موضع النزول، وجمعها منازل، وهي أيضاً المكانة. وقوله (في الحبّ): أي المحبّة الإلهيّة. وقوله (عندكُمُ): بضمّ الميم للوزن، أي: في حضرتكم؛ فإنّ لسان المحبّة يقتضي أكثر من ذلك؛ لأنّ غرض المحبّ رؤية المحبوب لا غير؛ فلو كان له غرض في

(١) يشهد له ما روى عبد الرزاق في مصنفه، باب فتنة عذاب القبر، ٦٧٤٨ بقوله: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه. قلنا: يا رسول الله كلنا نكره الموت، قال: إن الله إذا أراد أن يقبض المؤمن كشف له عمّا يسره فعند ذلك أحبّ لقاء الله وأحبّ الله لقاءه».

(٢) انظر ذلك في ص٢٤١ ـ ٢٤٢.

شيء غير الرؤية لم يكن محبّاً؛ لأنّ القلب لا يسع شيئين، فإذا تعمّر بالحبّ الإلهيّ لم يبقَ فيه وسعة لغيره أصلاً، قال الشاعر:

تقمّـــص أو تـــسربس أو تقبـــا   فلـن تـزداد عنـدي قـط حبّـاً

تملـك بعـض حبّـك كـلّ قلبـي   فـإنْ رمـت الزيـادة هـاتِ قلبـاً

وقال تعالى: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ﴾ [٣٣/ الأحزاب/ ٤]. وقوله (ما قد رأيت): يعني من المقام الكونيّ، وهو زخارف الكائنات الأخروية، كما ورد في الحديث، قال صلّى الله عليه وسلّم: «إنّ من أمّتي من يدخل الجنّة بالسلاسل»[1]. يعني: إذا كانت القيامة والمحبّون الإلهيّون ينتظرون رؤية محبوبهم؛ لأنّ ذلك غرضهم في الدنيا، فإذا ماتوا على ذلك يحشر المرء على ما مات عليه، فلا يطلبون ولا يرغبون ولا يقصدون إلّا رؤية الحقّ تعالى، فإذا قيل لهم ادخلوا الجنّة، امتنعوا من ذلك حتّى تأتي الملائكة لهم بالسلاسل؛ فتدخلهم بها قهراً عنهم، قال أبو يزيد البسطامي قدّس الله سرّه: «ما الجنّة إلّا كالخشخاشة، تلهو بها الأطفال. وأمّا الرجال فلا يلهيهم ذلك دون محبوبهم». وقالت رابعة العدوية قدّس الله سرّها، وهي امرأة: «ما عبدتك رغبة في جنّتك ولا خوفاً من نارك، ولكن محبّة في وجهك الكريم». وقوله (فقد ضيعت أيامي): أي جعلت أيّامي الماضية في المجاهدات والبعادات ضائعة لا فائدة فيها، حيث لم يحصل بسببها غرضي، ولا تمّ مقصودي. وقوله (أمنيَّة): تقديره هي أمنيّة. يعني: أيّامي التي مضت لي في الدنيا من حين دخولي في طريق السلوك إلى الله تعالى بالمجاهدات الشرعيّة، والأحوال المرضية، هي أمنيّة لي. واحدة الأماني، يقال: تمنّيت كذا، مأخوذ من المنى، وهو القدر، لأنّ صاحبه يقدر حصوله. وقوله (ظفرت): يقال ظَفِرَ ظَفَراً من باب تعب. وأصله: الفوز والفلاح. وظفرت بالضالّة: إذا وجدتها، كذا في

---

(١) أخرجه الهنديّ في كنز العمال، ١٠٦٦٧، عن أبي هريرة.

المصباح. وقوله (روحي): فاعل ظفرت. وذلك بعد موت النفس؛ لأنّ هذه الكمالات والعلوم الربّانيّة، والأخلاق المحمّديّة لا تحصل إلّا للأرواح الأمريّة، لا للنفس البشريّة، ولا للعقول والأوهام الفكريّة. وقوله (بها): أي بتلك الأمنيّة. وقوله (زمناً): أي مدّة من الزمان. وقوله (واليوم): أي في هذا الوقت الذي ظهر لي فيه ما ظهر من الزخارف الكونيّة والشهوات النفسانيّة، كما قال تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ [٤٣/ الزخرف/ ٧١] وذلك مطلوب أصحاب النفوس/ [٥٠٦/ ب] البشريّة من عامة المؤمنين. وقوله (أحسبها): أي أظنها. يعني: تلك الأمنيّة المذكورة. وقوله (أضغاث أحلام): ضَغَثَ الشيء ضَغْثاً، من باب نفع: جمعته، ومنه الضِّغْثُ، وهو قبضةُ حَشيش مختلِط رَطْبُها بيابسها. ويقال ملء الكف من قضبان، أو حَشيش، أو شَماريخ، وفي التنزيل: ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ﴾ [٣٨/ ص/ ٤٤] قيل: كان حُزْمة من أَسَلٍ فيها مائة عود، وهو قضبان دِقاقٌ لا ورق لها يُعمَل منه الحُصُر، يقال: إنّه حلف إنْ عافاه الله لَيَجلِدنَّها مائة جلدة، فَرَخَّصَ اللهُ له في ذلك تَحِلَّةَ ليمينه ورِفْقاً بها؛ لأنّها لم تَقْصِد معصيته، والأصل في الضِّغْث: أنّ يكون له قضبان يجمعها أصلٌ واحد، ثمّ كَثُرَ حتّى استُعمِل فيما يُجمَع، وأَضْغاث أَحلامٍ أخلاطُ مناماتٍ، واحدها: ضِغْثُ حُلْمٍ من ذلك؛ لأنّه يُشبِه الرؤيا الصادقة، وليس بها، كذا في المصباح. والمعنى في ذلك: إنني الآن لما ظهر لي خلاف مقصودي، وما كنت أؤمله، ظننت أنّ جميع ما تقدّم لي في أيامي الماضية رؤيا منام وخيالات فاسدة، لأنّه ورد في الأثر: إنّ الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا . وقد ورد عن الشيخ عمر قدّس الله سرّه أنّه بعد ذلك تبسّم سروراً بنيل مراده وبلوغه مقام إسعاده. وأنّ الحقّ تعالى سمح له بالرؤية الذائقة بمقامه على حسب مقصوده ومرامه، وما مات إلا على حصول الأماني، ونيل الأفراح والتهاني؛ ولكن الدلال شأنّ المحبوب، والاختبار منه لمحبّه كان هو المطلوب. فلمّا تحقّق ضدّ الطلب غلب عليه رفع الحجاب بما غلب، وبقيّة الأبيات الأربعة هي قوله:

١٥- وَإِنْ يَكُنْ فَرْطُ وَجْدِي فِي مَحَبَّتِكُمْ إِثْماً فَقَدْ كَثُرَتْ فِي الحُبِّ آثَامِي

(وإنْ يكن فرط): بسكون الراء، أي: كثرة، قال في القاموس: الفَرْطُ بسكون الراء: الاسم من الإفراط. وقوله (وَجْدي): أي شوقي وهيامي وولوعي. وقوله (في مَحَبَّتِكُم): الخطاب للأحبّة، وهم أنواع التجلّيات الإلهيّة، وبالصفات والأسماء الربّانيّة بجميع الآثار الكونيّة. وقوله (إثماً): أي ذنباً من الذنوب. وقوله (فقد كثرت في الحبّ): أي في المحبّة. وقوله (آثامي): فاعل كثرت أي: ذنوبي. يعني: يلزم من كون كثرة الأشواق في المحبّة ذنباً كثرت ذنوب المشتاق، والذنوب مقتضيات التقصير والعصيان، فيلزم من ذلك كثرة ذنوب المحبّ، وأنْ تكون ذنوبه على مقدار محبّته وأشواقه، ومحبّته وأشواقه كثيرة فذنوبه كثيرة.

١٦- وَلَوْ عَلِمْتُ بِأَنَّ الحُبَّ آخِرُهُ هَذَا الحِمَامُ لَمَا خَالَفْتُ لُوَّامِي

(ولو علمت بأنّ الحبّ): أي المحبّة الإلهيّة، والعشق الربّاني. وقوله (آخره): أي منتهى أمره بالمحبّ العاشق. وقوله (هذا الحِمام): بكسر الحاء المهملة: الموت، قال في القاموس:" الحِمام ككتاب قَضاءُ الموت وقدره، وأشار إليه لأنّه قال ذلك في وقت احتضاره. والمعنى: لو كنت أعلم بأنّ المحبّة ذنب، وأنّ آخرها هذا الموت، وأنا مصرّ على الذنب. وقوله (لما خالفت لوّامي): جمع لائم، وهو العَذول الذي يعنّف المحبّ على محبّته، وهذا الجواب لو، يعني: لما كنت أخالف عواذلي ولوّامي، وكنت أطيعهم في كلّ ما قالوا، وأترك المحبّة، ولكن ما علمت ذلك حتّى ظهر لي ما ظهر ممّا لم يكن في حسابي.

١٧- أَوْدَعْتُ قَلْبِي إِلَى مَنْ لَيْسَ يَحْفَظُهُ أَبْصَرْتُ خَلْفِي وَما طَالَعْتُ قُدَّامِي

١٨- لَقَدْ رَمَانِي بِسَهْمٍ مِنْ لَوَاحِظِهِ أَصْمَى فُؤَادِي فَوَا شَوْقِي إِلَى الرَّامِي

(أَوْدَعْتُ): من الوَديعة، قال في المصباح: «الوَدِيعَة، فَعِيلَة بمعنى مفعولة وأَوْدَعتُ /[٥٠٧/ أ] زيداً مالاً: دفعته إليه ليكون عنده وَدِيعة، واشتقاقها من

الدَعَة: وهي الراحة. واسْتَوْدَعْتُه مالاً: دفعته له وَدِيْعَةً يَحفظُه أيضاً». وقوله (قلبي): أي مجموع عقلي وروحي ونفسي. وقوله (إلى من ليس يحفظه): أي حفظ عناية وهداية، وهو محبوبه الحقيقيّ، وهو الذي كنّى عنه بصيغة الجمع في البيت السابق. يعني: حينئذ حيث ظهر لي ما ظهر، وإلّا فإنّ من أسمائه تعالى الحفيظ؛ فهو يحفظ القلب. وغيره من جميع الأكوان، وذلك لأنّ الكلام كلّه مُرتّب على أوّله، وأوّله قوله (إنْ كان منزلتي)... إلى آخره، وهو أمر مشكوك عنده، ولهذا استعمل فيه (إنْ) دوّن (إذا). وقال (أحسب): وقوله (أبصرت خلفي): أي حينئذ أكون أيضاً نظرت إلى الأمور الماضية التي خلف ظهري، والكامل من الناس لا ينظر إلى خلف ظهره؛ وإنّما ينظر إلى بين يديه، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ [٨٤/ الانشقاق/ ١٠-١٢] وقال تعالى: ﴿قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا﴾ [٥٧/ الحديد/ /١٣]. وذلك في حقّ أهل الضلال. وقال الشاعر:

ما فات مضى ما يأتيك فأين   قم واغتنم الفرصة بين العدمين

وقالوا: الصوفيّ ابن وقته. يعني: لا ينظر إلى ما مضى، ولا إلى ما سيأتي؛ وإنّما نظره دائماً إلى الحال الذي هو فيه؛ لأنّه الكاشف عن الوجود الحقّ. وقوله (وما طلعت): أي ما نظرت نظراً دائماً. وقوله (قدّامي): أي أمامي، وهو وقته الحاضر فيه، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [١٠/ يونس/ ١٠١] وقال تعالى: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [٥١/ الذاريات/ ٢١] ونفسه بين يديه. وكان رجل من أقربائنا يقرأ علينا « كتاب شجون المسجون وفنون المفتون» للشيخ الأكبر علم الكامل محيي الدين بن عربي قدّس الله سرّه، فوصل إلى محلّ فرأى تلك الليلة حضرة الشيخ قدّس الله سرّه، فقال له: اكتب في هذا المحلّ زجرة، انظر إلى نفسك التي بين جنبيك قبل أنْ تفرّ بين يديك. ثمّ قال له: مضى وقت الكتابة فاستيقظ

الرجل وجاء فأخبرني بذلك فكتبته على هامش نسختي من غير أنْ ألحقه بالكتاب المذكور لإعراض الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه عن ذلك، وهو ممّا نحن فيه هنا. وقوله (**لقد رماني**): أي ذلك المحبوب المذكور. وقوله (**بسهم من لواحظه**): أي عيونه، أفرد السهم، وجمع العيون لأن عيونه كثيرة، حيث له ظهور بكلّ شيء على حسب كثرة أسمائه وصفاته، واختلافها في الآثار. وأمّا السهم الواحد فهو حقيقته الوجوديّة الواحدية الأحديّة، وقد ظهر له سهم منها، أي: ظهور واحد في نشأته الإنسانيّة، وهو نصيبه، كما قال قدّس الله سرّه في خمريّته:

على نفسه فليبكِ من ضاع عمره   وليس له منها نصيب ولا سهم

وقوله (**أصمى**): أي قتل، قال في المصباح: «صَمَى الصيدُ يَصْمِي صَمْياً، من باب رمى: مات وأنت تراه، ويتعدّى بالألف، فيقال أَصْمَيْتُه: إذا قتلته بين يديكَ وأنت تراه». وقوله (**فؤادي**): أي قلبي. وفيه تشبيه قلبه بالصيد الذي يرميه الصائد بالسهم فيقتله. وقوله (**فَوَا شوقي**): الفاء للتفريع، و «وا» للتعجّب من كثرة شوقه. وقوله (**إلى الرامي**): أي الذي رماه بسهم من لواحظه، كما ذكرنا. والرامي هنا بالألف واللام للعهد الذِكري، وهو المذكور بقوله في أوّل البيت (**لقد رماني**) فيكون غير الرامي الذي في البيت بعده لأنّ الألف واللام للجنس، أو للاستغراق، أي: كلّ رام وإنْ كان ذلك الرامي المعهود هو كلّ رامٍ أيضاً، لكن اختلاف اللفظين، ولو بالاعتبار المجرّد كافٍ في عدم الإيطاء في القوافي. ثمّ قال الذي يلي على هذه الأبيات الستّة بما يناسبها/ [٥٠٧/ ب].

١٩- آهاً عَلَى نَظْرَةٍ مِنْهُ أُسَرُّ بِهَا   فَإنَّ أَقْصَى مَرَامِي رُؤْيَةُ الرَّامِي

(**آهاً**): بالنصب والتنوين، كلمة تحزّن وتوجّع. وقوله (**على نظرة منه**): أي من ذلك المحبوب الحقيقيّ. وقوله (**أُسَرُّ**): بالبناء للمفعول، أي: يحصل لي السرور. وقوله (**بها**): أي بتلك النظرة بالقلب، أو بالبصر، وهو أمر ممكن في الدنيا، مُحقّق

في الآخرة، لو زوّد بالنصوص الشرعيّة. وقوله (فإنّ أقصى): أي أبعد. وقوله (مرامي): أي مقصودي ومطلوبي. وقوله (رؤية الرامي): يعني الذي رمى في قوله تعالى لنبيِّه عليه السلام: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [٨/ الأنفال/ ١٧] فإذا كان أفضل المخلوقات على الإطلاق ما رمى إذْ رمى، ولكن الله رمى، فما بالك بغيره من بقيّة مخلوقات الله ؛ ولهذا قلنا: إنّ المعنى بهذا الرامي كلّ رامٍ؛ فهو غير الرامي الأوّل في البيت قبله، فلا إيطاء في القافية للاختلاف الاعتباري بالخصوص والعموم.

٢٠- إنْ أَسْعَدَ اللهُ رُوحِي فِي مَحَبَّتِهِ وَجِسْمَهَا بَيْنَ أَرْوَاحٍ وَأَجْسَامِ

٢١- وَشَاهَدَتْ وَاجْتَلَتْ وَجْهَ الحَبِيبِ فَمَا أَسْنَى وَأَسْعَدَ أَرْزَاقِي وَأَقْسَامِي

(إن أسعد الله روحي): أي جعلها سعيدة، لا ترى شقاء أبداً. وقوله (في محبّته): أي محبّة الله تعالى. وقوله (وجسمها): بالنصب معطوف على روحي، أي: جسم تلك الروح. وقوله (بين): أي من بين. وقوله (أرواح وأجسام): لم يسعدها؛ وإنّما اشتقاقها بحكم تقديره الأزليّ، وعلمه السابق الكاشف عن جميع المعلومات الممكنة المعدومة في إمكانها.

وقوله (وشاهدت): أي روحي المذكورة. وقوله (واجتليت): أي كشفت لنفسها بحول ربّها وقوته. وقوله (وجه الحبيب): أي المحبوب الحقيقيّ الظاهر في كلّ شيء كما قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [٢٨/ القصص/ ٨٨].وقال تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [٢/ البقرة/ ١١٥] قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ٢٦-٢٧] وقوله (فما): الفاء في جواب الشرط. وما تعجبيّة نحو: ما أحسن زيداً. والمعنى: شيء حَسَّنَ زيداً. وقوله (أسنى): أي أرفع من السناء، بالمدّ، وهو الرفعة، وأضوء وأنور من السنا بالقصر، وهو الضوء والنور. وقوله (وأسعد): من السعادة ضدّ الشقاوة. وقوله (أرزاقي): مفعول أسنى. وقوله

(وأقسامي): مفعول أسعد، يعني: إذا حصل لي الكشف عن وجه الحبيب الظاهر على كلّ شيء فانٍ فما أرفع وأضوء أرزاقي المعنويّة، وهي العلوم والمعارف والحقائق الإلهيّة. وما أسعد (أقسامي): جمع قسم، وهي الحظوظ النفسانيّة، والمطالب الروحانيّة.

٢٢- هَا قَدْ أَظَلَّ زَمَانُ الوَصْلِ يَا أَمَلِي فَـامْنُنْ وَثَبِّـتْ بِـهِ قَلْبِـي وَأَقْـدَامِي

٢٣- وَقَـدْ قَـدِمْتُ وَمَا قَـدَّمْتُ لِي عَمَـلاً إِلَّا غَرَامِـي وَأَشْـوَاقِي وَإِقْـدَامِي

(ها) حرف تنبيه. وقوله (قد أظلّ): بالظاء المعجمة، يقال: أَظَلَّ الشيءُ إظلالاً: إذا أقبل، أو قرب، كذا في المصباح. وقوله (زمان الوصل): أي اللقاء والاجتماع، وهو وقت الموت والارتحال إلى دار البقاء. وقوله (يا أملي): أي يا مقصودي ومطلوبي، خطاب للمحبوب الحقيقيّ. وقوله (فامنن): من المِنَّة، وهي النعمة التامّة. وقوله (وثبِّتْ): بتشديد الباء الموحّدة، فعل دعاء من التثبيت، وهو الإدامة والاستقرار والتمكين. وقوله (به): أي بالوصل المذكور. وقوله (قلبي): مفعول ثبّتْ. وقوله (وأقدامي): جمع قدم، قال تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [١٤/ إبراهيم/ ٢٧] الآية. وقوله (وقد قدّمت): الواو للحال، والجملة: حال من ضمير المتكلّم [٥٠٨/ أ]، يقال: قَدِمَ الرجلُ البلدَ يَقدَمُه، من باب تعب قُدوماً ومَقْدَماً بفتح الميم والدال، كذا في المصباح. وقوله (وما): نافية. وقوله (قَدَّمْتُ): بتشديد الدال المهملة، يقال: قَدَّمتُ الشيءَ: خلاف أخَّرتُه. وقوله (لي): أي لأجلي. وقوله (عملاً): مفعول قدّمت، أي: عملاً صالحاً يكون سبباً لنجاتي، ونعيم حياتي. وقوله (إلّا غرامي): أي حبّي اللازم، وعشقي الملازم للجناب الإلهيّ. وقوله (وأشواقي): جمع شوق. وقوله (وإقدامي): بكسر الهمزة، مصدر أقدم على الشيء إقداماً: إذا أقبل عليه منهمكاً به، يعني: ليس لي

عمل صالح غير محبّتي الإلهيّة، وأشواقي إلى لقاء الحضرة الربّانيّة، وإقدامي وإقبالي على ذلك بالكلّيّة.

٢٤- دَارُ السَّلَامِ إِلَيْهَا قَدْ وَصَلْتُ إِذَنْ مِنْ سُبْلِ أَبْوَابِ إِيمَانِي وَإِسْلَامِي

٢٥- يَا رَبَّنَا أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ بِهَا عِنْدَ القُدُوْمِ وَعَامِلْنِي بِإِكْرَامِ

(دار السلام): أي السلامة من جميع الآفات، وهي الجنّة. وقوله (إليها): أي إلى دار السلام، والجار والمجرور متعلّق بوصلتُ قُدِّم عليه للحصر، أي: لا إلى غيرها، وهي النار، وهذا إشارة إلى ما وقع للشيخ عمر الفارضي قدّس الله سرّه، يقوله المذيِّل على أبياته على لسانه. وقوله (قد وصلت): أي تحقيقاً: حصل الوصول. وقوله (إذن): بالتنوين، أي في ذلك الحين. وقوله (من سُبْل): بسكون الباء الموحّدة، لغة في سُبُل، بضمّها، وهما جمع سبيل، قال في المصباح: السبيل الطريق، وجمعه سُبُل وسُبْل». وقوله (أبواب): جمع باب. وقوله (إيماني): أي بالله تعالى، وبجميع ما يجبّ الإيمان به. وقوله (وإسلامي): أي تسليمي وانقيادي ظاهراً وباطناً لكلّ ذلك. وقوله (يا ربّنا): أي يا مالكنا، ومالك جميع أمورنا. وقوله (أرني أنظر إليك): كما قال موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٤٣] ولكن قال ذلك موسى عليه السلام في حياته الدنيا، والشيخ قدّس الله سرّه قيل على لسانه في حياته الأخرويّة، كما أشير إليه بقوله (بها): أي بدار السلام، وهي جنّة الآخرة، قال تعالى: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾ [٧٥/ القيامة/ ٢٣]. وقوله (عند القدوم): أي الإقبال عليك بعد الموت. وقوله (وعاملني بإكرام): جملة دعائيّة، ختم بها قصيدته الميميّة تبرّكاً بذكر الرؤية الربّانيّة عسى صاحب هذا التذييل يلتحق بمقام صاحب الأصل في حالته المرضيّة. ونسأل الله تعالى أنْ يلحقنا بأوليائه في مقامات قربه، ويتحفنا في دنيانا وآخرتنا بالكمالات المحمّديّة، ويجعلنا من حزبه، وأنْ ييسر لنا كلّ عسير، كما يسّر علينا إتمام هذا الشرح

المنير. وقد اتفق الفراغ منه عشيّة يوم الاثنين التاسع والعشرين من شهر ربيع الأوّل سنة ١١٢٣ من الهجرة النبويّة، على صاحبها أفضل صلاة، وأكمل تحيّة.

وقلت مؤرّخاً إتمام هذا الشرح بمعونة الله تعالى:

ولابن الفارض الديوان لما ... حكى عقداً نظيماً جوهريا

عنيت بشرحه هذا إلى أنْ ... تكامل أرَّخوه الفارضيّا

والحمد لله أوّلاً وآخراً، وظاهراً وباطناً وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وقد وافق الفراغ من نسخ الشرح المبارك على يد العبد الفقير علي العجلوني(١) مولداً، الدمشقي موطناً، الشافعي مذهباً، غفر الله له ولوالديه، ولمشايخه ولإخوانه من المسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات. وذلك يوم الجمعة المباركة سلخ شهر ذي الحجّة الحرام ختام سنة ثلاثين ومائة وألف.

وقد أنهى نسخه العبد الفقير إلى الله تعالى خالد محمّد عدنان الزرعي تنضيداً على الحاسب في ٧ / ١٠ / ١٤٣٤ الموافق١٣/ ٨ / ٢٠١٣/ وتدقيقاً ليلة الجمعة ٢٠/ ٢/ ١٤٣٦ الموافق١١/ ١٢/ ٢٠١٤ نسأل الله تعالى أن يحشرنا في زمرة الناظم وسبطه والشارح والناسخ. والله وليّ التوفيق، وأنْ يفتح علينا فتوحهم وينيلنا عطاءهم إنه الكريم السميع القريب المجيب.

* * *

(١) ذكر الناسخ علي العجلوني تاريخ الانتهاء من نسخته ١١٣٠هـ في نهاية المخطوط، ونسخته ذات الرقم ٥٢٣٧ في مكتبة الأسد الوطنية وهي ٤١٥ ورقة مما يوهم القرّاء بأنه الناسخ لهذا المخطوط وهذا غير صحيح، فالدكدكجي قد صرّح بأكثر من ستين موضعاً أنه قابل هذه النسخة على نسخة المؤلف. انظر المقدمة ص٦ - ٨ و٩٠.

١ – من المسرد النقدي:

أسماء مؤلّفات النابلسيّ كما أوردها الدكتور بكري علاء الدين في المسرد النقدي، وقد أتبعه بملحقين، الأوّل بالعناوين الفرعيّة، والثاني: بأسماء الكتب التي نُسبت خطأً للنابلسيّ[1]

حرف الألف

١ – إبانة النصّ في مسألة القصّ، أي: «قصّ اللحية» بالزائد على القبضة.

٢ – الابتهاج بمناسك الحاجّ.

٣ – الأبحاث الملخّصة في حكم كيّ الحمصة.

٤ – الأبيات النورانيّة في ملوك الدولة العثمانيّة.

٥ – إتحاف الساري في زيارة الشيخ مدرك الفزاري.

٦ – إتحاف من بادر إلى حكم النوشادر.

٧ – الأجوبة الأنسيّة عن الأسئلة القدسيّة.

٨ – الأجوبة البَتَّة عن الأسئلة الستّة.

٩ – الأجوبة المنظومة عن الأسئلة المعلومة، من جهة بيت المقدس.

١٠ – إرشاد المتملّي في تبليغ غير المصلّي.

١١ – إزالة الخفا عن حِلية المصطفى.

١٢ – إسباغ المنّة في أنهار الجنّة.

١٣ – إشارات القبول إلى حضرات الوصول.

١٤ – إشتباك الأسنّة في الدفاع عن الفرض والسنّة.

١٥ – إشراق المعالم في أحكام المظالم، ونيّتها وزكاتها.

١٦ – إطلاق القيود شرح «مرآة الوجود» للشيخ أوحد الدين النوري الرومي المسمّى:

١٧ – أنس النافر في معنى من قال: "أنا مؤمن" فهو كافر.

١٨ – الأنوار الإلهيّة، شرح «المقدّمة السنوسيّة». في جزء لطيف.

١٩ – أنوار السلوك في أسرار الملوك، بيان أحوال الأولياء.

---

(١) انظر المسرد النقدي بأسماء مؤلّفات الشيخ عبد الغني النابلسي تأليف الدكتور بكري علاء الدين، من صفحة ٢٤٤ إلى الصفحة ٣٦٠، مطبوعات مجمع اللغة العربيّة بدمشق، ١٩٨٤.

٢٠- أنوار الشموس في خطب الدروس، مجموع خطب التفسير. وصلنا فيه إلى ستمائة خطبة واثنين وثلاثين، وهو في الزيادة.
٢١- الأوراد الشريفة المجموعة من الكتاب والسنّة.
٢٢- إيضاح الدلالات في حكم سماع الآلات.
٢٣- إيضاح المقصود من معنى"وحدة الوجود"
حرف الباء
٢٤- بداية المريد ونهاية السعيد.
٢٥- بذل الإحسان في تحقيق معنى الإنسان.
٢٦- بذل الصلات في بيان الصلاة، على مذهب الحنفيّة.
٢٧- برهان الثبوت في تبرئة هاروت وماروت، الملكين.
٢٨- بسط الذراعين بالوصيد في بيان الحقيقة والمجاز من التوحيد.
٢٩- بُغية المكتفيّ في جواز المسح على الخفّ الحنفيّ.
٣٠- بقيّة الله خير بعد الفناء في السير، شرح خمسة أبيات لنا أيضاً.
٣١- بواطن القرآن ومواطن العرفان، كلّه منظوم على قافية التاء المثنّاة الفوقيّة. وصلنا فيه إلى سورة "براءة" فبلغ نحو الخمسة آلاف بيت.
حرف التاء
٣٢- تثبيت القدمين في سؤال الملكين.
٣٣- تحرير الأبحاث في مسألة"روحي طالق بالثلاث".
٣٤- التحرير الحاوي، شرح "تفسير البيضاوي". وصلنا فيه من سورة البقرة إلى قوله تعالى: من كان عدوّاً لله... الآية، في ثلاث مجلّدات، وشرعنا في المجلّد الرابع، وأيضاً مجلّد.
٣٥- تحرير يمين الأثبات في تقرير يمين الإثبات.
٣٦- تحريك «الإقليد في فتح باب التوحيد= شرح رسالة الشيخ أحمد بن علي الشنّاوي، قدّس الله سرّه، سمّاها: «الإقليد» والشرح اسمه:
٣٧: تحريك سلسلة الوداد في مسألة خلق أفعال العباد. أرسلنا بها إلى المدينة المنوّرة. إلى الشيخ إبراهيم الكورانيّ رحمه الله تعالى.
٣٨- تحصيل الأجر في حكم أذان الفجر.
٣٩- تحفة الراكع الساجد في جواز الاعتكاف في فناء المساجد.

٤٠- التحفة النابلسيّة في الرحلة الطرابلسيّة.

٤١- تحفة الناسك في بيان المناسك، للحجّ.

٤٢- تحقيق الانتصار في اتّفاق الأشعري والماتريدي على خلق الاختيار.

٤٣- تحقيق الذوق والرَّشف، في معنى المخالفة الواقعة بين أهل الكشف.

٤٤- تحقيق القضيّة في الفرق بين الرشوة والهديّة.

٤٥- تحقيق معنى: «المعبود في صورة كلّ معبود».

٤٦- تحقيق النَظَر في تحقيق«النَظَر» في وقف معلوم.

٤٧- تخيير العباد في سكنى البلاد.

٤٨- تشحيذ الأذهان في تطهير الأذهان.

٤٩- تشريق التغريب في تنزيه القرآن عن التعريب.

٥٠- تطييب النفوس في حكم المقادم والروس.

٥١- تعطير الأنام في تفسير المنام= كتاب تفسير المنامات، اسمه:

٥٢- تقريب الكلام على الأفهام في معنى "وحدة الوجود".

٥٣- تكميل النعوت في لزوم البيوت.

٥٤- تنبيه الأفهام على «عمدة الحكام»، شرح منظومة القاضي محبّ الدين الحموي في فقه الحنفيّة.

٥٥- التنبيه من النوم في حكم مواجيد القوم.

٥٦- تنبيه من يلهو على صحة الذكر بالاسم"هو)".

٥٧- التوفيق الجلي بين الأشعري والحنبلي.

٥٨- توفيق الرتبة في تحقيق الخطبة، طلب شرحها من بعض علماء القدس.

حرف الثاء

٥٩- ثلاث رسائل في مسائل تتعلّق في الوقف.

٦٠- ثواب المدرك لزيارة الست زينب والشيخ مدرك، رضي الله عنهما.

حرف الجيم

٦١- جمع الأسرار في منع الأشرار عن الطعن في الصوفيّة الأخيار.

٦٢- جمع الأشكال، عن عبارة في «تفسير البغوي».

٦٣- الجواب التامّ عن حقيقة الكلام، جواب سؤال ملغز.

٦٤- جواب سؤال في شرط واقف، من المدينة المنوّرة.
٦٥- جواب سؤال ورد من طرف بترك النصارى في التوحيد.
٦٦- جواب سؤال ورد من مكّة المشرّفة عن الاقتداء في جوف الكعبة.
٦٧- الجواب الشريف للحضرة الشريفة، في أنّ مذهب أبي يوسف ومحمّد هو مذهب أبي حنيفة.
٦٨- الجواب العلي عن حال الولي.
٦٩- الجواب عن الأسئلة المائة وواحد وستّين سؤالاً.
٧٠- الجواب عن عبارة وقعت في «الأربعين النوويّة» في قوله " رويناه ".
٧١- الجواب المعتمد عن سؤلات أهل صفد.
٧٢- الجواب المنثور المنظوم عن سؤال المفهوم.
٧٣- جواهر النصوص في حلّ كلمات الفصوص، في مجلّد = شرح فصوص الحكم» للشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي، قدّس الله سرّه، المسمّى:
٧٤- الجوهر الكلّيّ شرح «شرح عمدة المصلّي» وهي «المقدّمة الكيدانيّة».

حرف الحاء

٧٥- الحامل في الفَلك والمحمول في الفُلْك، في إطلاق النبوّة والرسالة والخلافة والملك، في الجواب عن مصري أفندي الروميّ.
٧٦- الحديقة النديّة شرح «الطريقة المحمّديّة» تصنيف الإمام العلّامة محمّد أفندي البركلي، رحمه الله تعالى، في ثلاث مجلّدات.
٧٧- الحضرة الأنسيّة في الرحلة القدسيّة. في مجلّد كبير.
٧٨- حقّ اليقين وهداية المتّقين، في التوحيد.
٧٩- الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز.
٨٠- حلاوة الآلا في التعبير إجمالاً ، نظماً قليلاً.
٨١- حلّة الذهب الإبريز في رحلة بعلبك والبقاع العزيز، مجلّد لطيف.
٨٢- حلّة العاري في صفات الباري، تعالى.
٨٣- الحوض المورود في زيارة الشيخ يوسف والشيخ محمود: وهو يوسف القمّي وخادمه الشيخ محمود، قدّس الله سرّهما العزيز.

حرف الخاء

٨٤- خلاصة التحقيق في حكم التقليد والتلفيق.

٨٥- خمرة بابل وغناء البلابل= ديوان الغزليّات المسمّى:

٨٦- خمرة الحان ورنّة الألحان ، شرح رسالة الشيخ أرسلان= شرح رسالة الشيخ أرسلان، قدّس الله سرّه، المسمّى:

حرف الدال والذال

٨٧- دفع الإيهام ورفع الإبهام ، جواب سؤال.

٨٨- دفع الضرورة عن حجّ الصَّرورة.

٨٩- ديوان الحقائق وميدان الرقائق= ديوان الإلهيّات الذي سمّيناه:

٩٠- ذخائر المواريث في الدلالة على مواضع الأحاديث، في مجلّد = الأطراف للكتب السبعة: كتب الحديث الستّة، والموطّأ، المسمّى:

حرف الراء والزاي

٩١- رائحة الجنّة، شرح: "إضاءة الدجنّة" = شرح "إضاءة الدجنّة في عقائد أهل السنّة" منظومة الشيخ أحمد المقّري المغربي ، المسمّى:

٩٢- ربع الإفادات في ربع العبادات، في فقه الحنفيّة.

٩٣- ردّ التعنيف على المعنّف، وإثبات جهل المصنّف.

٩٤- ردّ الجاهل إلى الصواب في جواز إضافة التأثير إلى الأسباب.

٩٥- ردّ الحجج الداحضة........

٩٦- الردّ المتين على منقص العارف محيي الدين ، في مجلّد لطيف.

٩٧- ردّ المفتري عن الطعن في الششتري، قدّس الله سرّه.

٩٨- الردّ الوفي على جواب الحسكفي في مسألة "الخفّ الحنفي".

٩٩- رسالة في احترام الخبز.

١٠٠- رسالة في تعبير رؤيا سُئلت عنها.

١٠١- رسالة في جواب سؤال من بيت المقدس.

١٠٢- رسالة في جواب سؤال وردّ من بعض الملحدين من النصارى وغيرهم، وردّ ذلك.

١٠٣- رسالة في الحثّ على الجهاد.

١٠٤- رسالة في حكم التسعير من الحكّام.

١٠٥- رسالة في حل نكاح المعتقة الشريفة، جواب سؤال من المدينة المنوّرة.

١٠٦- رسالة في سؤال عن حديث نبويّ.

١٠٧- رسالة في العقائد.

١٠٨- رسالة في قوله عليه السلام: { من صلّى عليّ واحدة صلّى الله عليه بها عشرا}.

١٠٩- رسالة في معنى البيتين: "رأت قمر السماء فأذكرتني".

١١٠- الرسوخ في مقام الشيوخ.

١١١- رشحات الأقلام، شرح "كفاية الغلام".

١١٢- رفع الاختلاف عن كلام القاضي والكشّاف.

١١٣- رفع الاشتباه عن علميّة الاسم "الله".

١١٤- رفع الريب عن حضرة الغيب، في دفع الوسواس عن القلب.

١١٥- رفع الستور عن متعلّق الجار والمجرور في عبارة خسرو، من حاشيته في تفسر البيضاوي.

١١٦- رفع العناد عن حكم التفويض والإسناد في "نظر الوقف".

١١٧- رفع الكسا عن عبارة البيضاوي في سورة "النسا".

١١٨- ركوب التقييد بالإذعان في وجوب التقليد في الإيمان.

١١٩- رنّة النسيم وغنّة الرخيم.

١٢٠- روض الأنام في بيان "الإجازة في المنام".

١٢١- الروض المعطار بروائق الأشعار.

١٢٢- رياض المدائح وحياض المنائح = الديوان الثالث، في المداح والتهاني والمراثي والمراسلات والألغاز والأحاجي والمعمّايات والتواريخ وغير ذلك ويسمّى:

١٢٣- زبدة الفائدة في الجواب عن الأبيات الواردة، وهي أربعة أبيات للشيخ الأكبر، قدّس الله سرّه، سئل عنها.

١٢٤- زهر الحديقة في ترجمة رجال "الطريقة المحمّديّة" للبركلي.

١٢٥- زيادة البسطة في بيان: "العلم نقطة".

حرف السين والشين

١٢٦- السانحات النابلسيّة والسارحات الأنسيّة.

١٢٧- السرّ المختبي في ضريح ابن عربي، وهو الشيخ محيي الدين، قدّس الله سرّه.

١٢٨- سرعة الانتباه لمسألة "الأشباه"، في الفقه الحنفيّ.

١٢٩- سلوى النديم وتذكرة العديم.

١٣٠- سؤال ورد من بيت المقدس، ومعه جواب منّا.

١٣١- شرح منظومته لإيساغوجي.

١٣٢- الشمس على جناح طائر في مقام الواقف السائر، قصيدة رائيّة للشيخ الأكبر، قدّس الله سرّه.

حرف الصاد والطاء والظاء

١٣٣- صدح الحمامة في شروط الإمامة للمصلّين.

١٣٤- الصراط السويّ، شرح ديباجة المثنوي، في جلد لطيف.

١٣٥- صرف الأعنّة إلى عقائد أهل السنّة

١٣٦- صرف العنان إلى قراءة حفص بن سليمان، في جلد لطيف. وهو شرح لـ «القول العاصم»المنظوم.

١٣٧- صفوة الأصفياء في بيان الفضيلة بين الأنبياء، عليهم السلام.

١٣٨- صفوة الضمير في نصرة الوزير.

١٣٩- الصلح بين الإخوان في حكم إباحة الدخان.

١٤٠- الطلعة البدريّة شرح «القصيدة المضريّة».

١٤١- طلوع الصباح على خطبة «ضوء المصباح، وهو شرح لخطبته في جزء لطيف.

١٤٢- الظلّ الممدود في معنى«وحدة الوجود» = شرح «وحدة الوجود للملّا جامي، قدّس سرّه، المسمّى بـ:

حرف العين والغين

١٤٣- العبير في التعبير، نظماً من بحر الرجز.

١٤٤- عذر الأئمّة في نصح الأمّة، في بيان الشريعة والحقيقة.

١٤٥- العقد النظيم في القدر العظيم ، شرح بيت من «بردة المديح».

١٤٦- العقود اللؤلؤيّة في بيان الطريقة المولويّة، في جزء لطيف.

١٤٧- عَلَم الملاحة في عِلم الفِلاحة = كتاب في عِلم الفلاحة اسمه:

١٤٨- عيون الأمثال العديمة الأمثال.

١٤٩- غاية المطلوب في محبّة المحبوب.

١٥٠- غاية الوجازة في تكرار الصلاة على الجنازة.

١٥١ – غيث القبول همى في معنى: "جعلا له شريكاً فيما آتاهما)".
١٥٢ – الغيث المنبجس في حك المصبوغ بالنَجِس.
حرف الفاء والقاف
١٥٣ – فتح الانغلاق في مسألة "عليَّ الطلاق)".
١٥٤ – الفتح الربّاني والفيض الرحماني، في جلد لطيف.
١٥٥ – فتح العين وكشف الغين عن الفرق بين البسملتين، وإيضاح معنى التسميتين؛ يعني: تسمية المسلمين وتسمية النصارى.
١٥٦ – فتح القدير المالك في الجمع بين الكتب الستّة وموطّأ مالك، سمّيناه أيضاً: تمهيد السَّنَن وتجريد السُّنَن.
١٥٧ – فتح الكريم الوهّاب في العلوم المستفادة من الناي والشباب.
١٥٨ – الفتح المدني والنَفَس اليمنيّ.
١٥٩ – فتح المعيد المبدي، شرح"منظومة)". المولى محمّد سعدي– شرح "منظومة سعدي أفندي" ابن أبي الفتح، المسمّى:
١٦٠ – الفتح المكّيّ واللمح الملكي.
١٦١ – فيح التبكير لفتح راء التكبير.
١٦٢ – قطرة سماء الوجود، نظرة علماء الشهود.
١٦٣ – قلائد الفرائد وموائد الفوائد، في فقه الحنفيّة، على ترتيب أبواب الفقه.
١٦٤ – قلائد المرجان في عقائد الإيمان.
١٦٥ – القول الأبين في شرح "عقيدة" أبي مدين، وهو المسمّى بـ"ابن عراق"
١٦٦ – القول السديد في جواز خُلف الوعيد والردّ على الرومي الجاهل العنيد.
١٦٧ – القول العاصم في رواية حفص عن شيخه عاصم، نظماً، في جز لطيف.
١٦٨ – القول المختار في الردّ على الجاهل المحتار، في قول الخلوتيّة: "ونحن على ذلك من الذاكرين الأبرار". في جزء لطيف.
١٦٩ – القول المعتبر في بيان النظر.
حرف الكاف
١٧٠ – الكتابة العليّة على الرسالة الجنبلاطيّة المصريّة.
١٧١ – كشف الستر عن فرضيّة الوتر.

١٧٢- كشف السرّ الغامض في شرح ديوان ابن الفارض، في مجلّدين كبيرين.
١٧٣- الكشف عن الأغلاط التسعة في بيت السلعة من القاموس.
١٧٤- كشف النور عن أصحاب القبور، وفيه كرامات الأولياء بعد الموت.
١٧٥- الكشف والبيان عمّا يتعلّق بالنسيان.
١٧٦- الكشف والبيان عن أسرار الأديان.
١٧٧- كفاية الغلام في أركان الإسلام، منظومة مائة وخمسون بيتاً.
١٧٨- كفاية المستفيد في علم التجويد، للقرآن المجيد.
١٧٩- كنز الحقّ المبين في أحاديث سيّد المرسلين ، صلّى الله عليه وسلّم وعليهم أجمعين، يشتمل على ثلاثة آلاف حديث فصار وثمانمائة وثمانين حديثاً
١٨٠- الكواكب المشرقة في حكم استعمال المنطقة،من الفضّة.
١٨١- الكوكب الساري في حقيقة الجزء الاختياري.
١٨٢- كوكب الصبح في إزالة ليل القبح.
١٨٣- كوكب المباني وموكب المعاني، شرح صلوات الشيخ عبد القادر الكيلاني، في مجلّد.
١٨٤- الكوكب المتلالي، شرح "قصيدة" الغزالي ، في جزء لطيف.
١٨٥- الكوكب الوقّاد في حسن الاعتقاد.

حرف اللّام

١٨٦- اللطائف الأُنسيّة على نظم "العقيدة السنوسيّة"= شرح نظم "السنوسيّة"المسمّى بـ:
١٨٧- لَمَعَات الأنوار في المقطوع لهم بالجنّة والمقطوع لهم بالنّار، في جزء لطيف.
١٨٨- لَمَعَات البرق النجديّ، شرح"تجليّات" محمود أفندي= شرح تجلّيات محمود أفندي الأسكداري الرومي، الذي سمّيناه:
١٨٩- لمعة النور المضيئة، شرح الأبيات السبعة الزائدة من الخمريّة" الفارضيّة.
١٩٠- اللؤلؤ المكنون في حكم الإخبار عمّا سيكون.
١٩١- المجالس الشاميّة في مواعظ أهل البلاد الروميّة، في جلد حافل.
١٩٢- مخرج المتّقي ومنهج المرتقي.
١٩٣- المطالب الوفيّة ، شرح "الفرائد السنيّة منظومة المرحوم أخينا في الله ، الشيخ الصفدي.

حرف الميم

١٩٤- المعارف الغيبيّة، شرح"العينيّة" الجيليّة = شرح القصيدة"العينيّة للشيخ عبد الكريم

الجيليّ، قدّس الله سرّه، المسمّى بـ:
١٩٥- مفتاح الفتوح في مشكاة الجسم وزجاجة النفس ومصباح الروح، في جلد لطيف، وهو شرح لرسالة ابن كمال باشا المتعلّقة بالروح.
١٩٦- مفتاح المعيّة ، شرح "رسالة النقشبنديّة» في مجلّد لطيف.
١٩٧- المقاصد الممحّصة في أحكام "كيّ الحمصة".
١٩٨- المقام الأسمى في امتزاج الأسما.
١٩٩- مليح البديع في مديح الشفيع: "بديعيّة أخرى فيها اسم النوع.
٢٠٠- مناغاة القديم ومناجاة الحكيم.

حرف النون

٢٠١- نتيجة العلوم ونصيحة علماء الرسوم، في شرح "مقالات"السرهندي المعلوم.
٢٠٢- نخبة المسألة شرح "التحفة المرسلة"، في التوحيد.
٢٠٣- نزهة الواجد في حكم الصلاة على الجنائز في المساجد.
٢٠٤- نسمات الأسحار في مدح النبيّ المختار، وهي "البديعيّة"
٢٠٥ النسيم الربيعي في التجاذب البديعيّ.
٢٠٦- نظم كافية ابن الحاجب.
٢٠٨- النعم السوابغ في إحرام المدنيّ من رابغ.
٢٠٩- نفحات الأزهار على نسمات الأسحار= وشرحها:
٢١٠- النفحات المنتشرة في الجواب عن الأسئلة العشرة، عن أقسام البدعة وغير ذلك.
٢١١- نفحة القبول في مدحة الرسول، وهو مرتّب على حرف المعجم، كلّ قصيدة خمسون بيتاً؛ مرفوعة القوافي= ديوان المداح النبويّة المسمّى بـ:
٢١٢- نفخة الصور ونفحة الزهور، في الكلام على أبيات "قبضة النور" = شرح "قبضة النور" المسمّى:
٢١٣- نقود الضرر، شرح"عقود الدرر" فيما يفتى به على قول زفر، "منظومة" السيّد أحمد الحموي، رحمه الله.
٢١٤- نهاية السول في "حلية الرسول".
٢١٥- نهاية المراد شرح "هديّة" ابن العماد في فقه الحنفيّة.
٢١٦- النوافج الفائحة بروائح الرؤيا الصالحة.

٢١٧- نور الأفئدة في شرح "المرشدة" لأبي الليث.

حرف الهاء والواو والياء

٢١٨- هديّة الفقير وتحيّة الوزير.

٢١٩- الواردات الرحمانيّة والنفحات القرآنيّة.

٢٢٠- الوجود الحقّ وخطاب الصدق، في مجلّد لطيف.

٢٢١- وسائل التحقيق ورسائل التوفيق، مكاتبات علميّة.

٢٢٢- يوانع الرطب في بدائع الخُطَب= ديوان الخطب المسمّى بـ:

٢- جدول العناوين الفرعيّة:

١- الأبحاث المخلّصة في حكم كيّ الحمّصة= الأبحاث الملخّصة...

٢- أجوبة الأسئلة الصفديّة = الجواب المعتمد.....

٣- احترام الخبز = رسالة في احترام.....

٤- أسرار القرآن وأنوار الفرقان= بواطن القرآن.....

٥- إشارات القرآن العظيم= بواطن القرآن العظيم

٦- إيضاح ما لدينا في قول المحدّثين: روينا= الجواب عن عبارة وقعت....

٧- إيقاظ الوسنان في شرح رسالة الشيخ أرسلان = خمرة الحان......

٨- التائيّة الكبرى= بواطن القرآن...

٩- تمهيد السنن وتجريد السنن= فتح القدير المالك.....

١٠- توريث المواريث= ذخائر المواريث....

١١- ثبوت القدمين في سؤال الملكين= تثبيت القدمين...

١٢- الحقائق ومجموع الرقائق= ديوان الحقائق.

١٣- ديوان الخطب = يوانع الرطب في بدائع الخطب

١٤- ديوان الدواوين وريحان الرياحين في تجلّيات الحقّ المبين، على جميع أنواع الصيغ والتلاوين. أو الديوان الكبير، وهو يشتمل على أربعة دواوين.

أ- ديوان الحقائق. ب- نفحة القبول في مدحة الرسول. ج- رياض المدائح وحياض المنائح. د- خمرة بابل وغناء البلابل.

١٥- رسالة أخرى في كيّ الحمصة = الأبحاث الملخّصة

١٦- رسالة في حكم الصلاة في جوف الكعبة = جواب سؤال ورد من.... وثمّة صيغة ثالثة هي: الجعبة في الاقتداء من جوف الكعبة.

٢٠- رسالة في قول المحدّث روينا= الجواب عن عبارة....

٢١- رسالة في كيّ الحمصة= الأبحاث الملخّصة....

٢٢- رفع الضرورة عن حجّ الصرورة= دفع الضرورة....

٢٣- سحر بابل وغناء البلابل= خمرة بابل وغناء البلابل.

٢٤- شرح أوراد الشيخ عبد القادر الكيلاني = كوكب المباني.....

٢٥- الشرح الحاوي على تفسير القاضي البيضاوي= التحرير الحاوي.....

٢٦- شرح صلوات الشيخ عبد القادر الكيلاني= كوكب المباني...

٢٧- شرح قصيدة قبضة النور= نفخة الصور...

٢٨- شرح منظومة قريبنا القاضي محبّ الدين الحموي = تنبيه الأفهام....

٢٩- شرح نظم السنوسيّة= اللطائف الأُنسيّة...

٣٠- صلوات الشيخ عبد الغني النابلسي = الأوراد الشريفة....

٣١= الطراز المذهّب في منهاج المذهب = ربع الإفادات.....

٣٢- الفتوحات المدنيّة في الحضرات المحمّديّة = الفتح المدنيّ.....

٣٣- قطر السماء ونظر العلماء بالله = قطرة سماء الوجود....

٣٤- القول الوفي في الردّ على الحسكفي= الردّ الوفي....

٣٥- منهى السول، شرح حلية الرسول= نهاية السول......

٣٦- منظومة في ملوك بني عثمان= الأبيات النورانيّة.....

٣- العناوين المنسوبة خطأً للنابلسيّ

١- الإشارات إلى أماكن الزيارات:

مؤلّفه الحقيقي: أبو الحسن علي بن أبي بكر الهروي.

٢- ترتيب زيبا:

مؤلّفه الحقيقي هو: الحافظ محمود الورداري. وزيبا: كلمة تركيّة معناها بالعربيّ المنمّق.

٣- مفاتيح القلوب في علم الحضور والغيوب.

فهرس الأحاديث

الألف

الباء

التاء

الثاء

الجيم

الحاء

الخاء

الدال

الذال

الراء

الزاي

السين

الشين

الصاد

الطاء

العين

الغين

الفاء

القاف

الكاف

اللام

الميم

النون

الهاء

الواو

الياء

* * *

فهرس المصادر والمراجع[1]

حرف الألف

١- أنباء الغمر بأبناء العمر ـ تأليف أبو الفضل محمّد بن علي بن محمّد بن أحمد بن حجر العسقلاني توفي ٨٥٢هـ- تحقيق: د. حسن حبشي- المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة ـ مصر- ١٩٦٩.

٢-إمام السالكين وشيخ المجاهدين الشيخ أرسلان الدمشقي، حياته وآثاره، وفيه لمحة عن العارف بالله أحمد الحارون- عرض وتحقيق: عزّة حصريّة- ١٩٦٥.

٣- أمراء الشعر العربي في العصر العبّاسي- تأليف أنيس المقدسي- جامعة بيروت العربيّة- ١٩٦٣.

٤- الإمام البقاعي ومنهاجه في تأويل بلاغة القرآن- تأليف: محمّد توفيق محمّد سعد- ط١- ١٤٢٤هـ.

٥- الأعلام- خير الدين بن محمّد بن محمود بن علي فارس الزركلي الدمشقي- توفي١٣٩٦هـ- دار العلم للملايين- ط٥-٢٠٠٢.

٦- أنوار التنزيل وأسرار التأويل- ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمّد الشيرازي البيضاوي- توفي ٦٨٥هـ - تحقيق محمّد عبد الرحمن المرعشلي- دار إحياء التراث العربي بيروت- ط١- ١٤١٨هـ.

٧- الأدب المفرد- تأليف: محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله توفي ٢٥٦هـ- تحقيق محمّد فؤاد عبد الباقي ـ دار البشائر- بيروت- ط٣- ١٩٨٩.

٨- الأدب المفرد- تأليف: محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري أبو عبد الله ـ توفي ٢٥٦هـ- تحقيق سمير بن أمين الزهيري ـ مكتبة المعارف- الرياض- ط١- ١٩٩٨.

٩- الأمثال- تأليف أبي عبيد القاسم بن سلّام بن عبد الله الهروي البغدادي- توفي ٢٢٤هـ - تحقيق: د. عبد المجيد قطامش ـ دار المأمون للتراث- دمشق- ط١- ١٩٨٠.

---

(١) تنـويــه:

معظم المراجع من الشاملة ومن الشابكة لذلك قد نجد اختلافاً في بعض أرقام الصفحات تبعاً لتحديثاتها؛ يرجى الانتباه لذلك.

١٠- الاستيعاب في معرفة الأصحاب- تأليف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمّد بن عبد البرّ بن عاصم النمري القرطبي- توفّي ٤٦٣- تحقيق علي محمّد البجاوي- دار الجيل- بيروت ط٢- ١٩٩٢.

١١- الأصل المعروف بالمبسوط- تأليف: أبو عبد الله محمّد بن الحسن بن فرقد الشيباني توفي ١٨٩هـ - تحقيق أبو الوفا- إدارة القرآن والعلوم الإسلاميّة ـ كراتشي.

١٢- اعتلال القلوب للخرائطي- تأليف: أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد بن سهل بن شاكر الخرائطي السامري- توفّي ٣٢٧هـ- تحقيق حمدي الدمرداش- مكة المكرمة- الرياض، ط٢- ٢٠٠٠.

١٣- الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب- تأليف سعد الملك أبو نصر علي بن هبة الله بن جعفر بن ماكولا- توفّي ٤٧٥هـ - دار الكتب العلميّة بيروت- ط١- ١٩٩١.

١٤- أشرف الوسائل إلى فهم الشمائل، ومعه جواهر الدرر في مناقب ابن حجر- تأليف محمّد ابن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري شهاب الدين شيخ الإسلام أبو العبّاس- توفي ٩٧٤ هـ- تحقيق أحمد بن فريد المزيدي- دار الكتب العلميّة بيروت- ط١- ١٩٩٨.

١٥- إحياء علوم الدين- تأليف أبو حامد محمّد بن محمّد بن محمّد بن أحمد الطوسي الشافعي الغزّالي- توفي ٥٠٥هـ - دار صادر- بيروت- ط١- ٢٠٠٠.

١٦- الآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة- تأليف محمّد عبد الحيّ بن محمّد عبد الحليم الأنصاري اللكنوي الهندي، أبو الحسنات- توفي ١٣٠٤هـ- تحقيق: محمّد السعيد بسيوني زغلول- مكتبة الشرق الجديد- بغداد.

١٧- الإبريز كلام سيدي عبد العزيز الدبّاغ- تأليف: سيدي أحمد بن المبارك السجلماسي المالكي- توفي ١١٥٦هـ- دار الكتب العلميّة بيروت- ط٢- ٢٠٠٢.

١٨- الأزهر ودوره في النهضة الأدبيّة الحديثة- تأليف محمّد كامل الفقّي- المطبعة المنيريّة.

١٩- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم تأليف: أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي البشاري- ليدن - دار صادر- بيروت - مكتبة مدبولي القاهرة- ط٣-١٩٩١.

٢٠- الاستيعاب في معرفة الأصحاب تأليف أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي- توفّي ٤٦٣هـ- تحقيق علي محمد البجاوي- دار الجيل- بيروت - ط١- ١٩٩٢.

٢١- أسنى المطالب في شرح روض الطالب- تأليف زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي- توفّي ٩٢٦هـ- دار الكتاب الإسلامي.
٢٢- اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة- تاليف عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي- توفّي٩١١هـ- تحقيق أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة- دار الكتب العلمية- بيروت- ط١- ١٩٩٦.
٢٣- الأولياء. د. يوسف زيدان حلقة تلفزيونيّة ١٧-٢٩.

حرف الباء

١- البداية والنهاية لابن كثير- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثمّ الدمشقي- توفي٧٧٤هـ- دار الفكر.
٢- البلدان- تأليف أبو عبد الله أحمد بن محمّد بن إسحاق الهمداني المعروف بابن الفقيه- توفي ٢٦٥هـ - تحقيق: يوسف الهادي- عالم الكتب- ط١- ١٩٩٦.
٣- البديع في شعر ابن الفارض- بحث مقدّم لنيل الماجستير في اللغة العربيّة من جامعة أم درمان إعداد الطالب مصطفى عبد القادر مصطفى من الله - إشراف د. فاروق الطيّب البشير- ٢٠٠٦
٤- ابن عساكر في ذكرى مرور تسعمئة سنة على ولادته ٤٩٩هـ- وزارة التعليم العالي- دمشق- ١٩٧٩.
٥- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز- تأليف: مجد الدين أبو طاهر محمّد بن يعقوب الفيروز آبادي- توفي ٨١٧هـ- تحقيق: محمّد علي النجّار- لجنة إحياء التراث الإسلامي والمجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة- القاهرة.
٦- البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة- تأليف مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى- توفّي ٨١٧هـ - دار سعد الدين- ط١- ٢٠٠٠.
٦- بين التصوّف والحياة- عبد الباري الندوي- مكتبة دار الفتح- ط١- ١٩٦٣.
٧-البحر المديد تفسير الفاتحة الكبير- تأليف أبي العبّاس أحمد بن عجيبة الحسني التطواني- توفّي ١٢٢٤هـ- تحقيق بسّام بارود- دار طوق النجاة-ط١- ١٩٩٩.
٨- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد- تأليف أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي- توفّي ١٢٢٤هـ. تحقيق أحمد عبد الله القرشي رسلان والدكتور حسن عباس زكي ـ القاهرة- ط١- ١٤١٩هـ.

٩- بشرى الكئيب بلقاء الحبيب- تأليف عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي- توفي ٩١١هـ- دار يعرب دمشق- ط١- ٢٠٠٤.

حرف التاء

١- التكملة لوفيات النقلة ـ تأليف زكيّ الدين أبو محمّد عبد العظيم المنذري- توفي ٦٥٦هـ حقّقه وعلّق عليه د. بشار عوّاد معروف- مؤسسة الرسالة- ط٣- ١٩٨٤.

٢- تاريخ أربل- تأليف المبارك أحمد بن موهوب الأربلي المعروف بابن المستوفي- توفي ٦٣٧هـ- تحقيق سامي السقّار- دار الرشيد العراق.

٣- تاريخ الإسلام ووفيّات المشاهير والأعلام- تأليف شمس الدين أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي- توفي ٧٤٨هـ - تحقيق د. بشار عوّاد معروف- دار الغرب الإسلامي- ط٤- ٢٠٠٣.

٤- تاريخ الأدب العربي- تأليف كارل بروكلمان- نقله إلى العربيّة د. رمضان عبد التوّاب- راجعه يعقوب بكر- دار المعارف مصر- ط٢- ٩٧٧.

٥- التعريفات- تأليف علي بن محمّد بن علي الزين الشريف الجرجاني- توفي ٨١٦هـ- دار الكتب العلميّة- بيروت١٩٨٣.

٦- تكملة إكمال الكمال في الأنساب والأسماء والكنى والألقاب- تأليف ابن الصابوني محمّد ابن علي بن محمود أبو حامد جمال الدين المحمودي- توفي٦٨٠هـ- دار الكتب العلميّة بيروت.

٧- تاريخ بغداد- تأليف أبوبكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد مهدي الخطيب البغدادي- توفي٤٦٣- تحقيق بشّار عوّاد معروف- دار الغرب الإسلامي- بيروت- ط١- ٢٠٠٢.

٨- تفسير القرآن وإعرابه وبيانه- تأليف: الشيخ محمّد علي طه الدّرّة- دار الحكمة- دمشق- بيروت- ط١-١٩٩٠.

٩- ترتيب المدارك وتقريب المسالك- تأليف أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي- توفي٥٤٤هـ- تحقيق ابن تاويت الطنجي وآخرون- مطبعة فضالة- المحمّديّة- المغرب.

١٠- التفسير والمفسّرون- تأليف: د. محمّد حسين الذهبي- توفي ١٣٩٨هـ - مكتبة وهبة- القاهرة.

١١- توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم- تأليف محمّد بن عبد الله أبي بكر بن محمّد بن أحمد بن مجاهد القيسي الدمشقي الشافعي شمس الدين الشهير بابن ناصر الدين ـ تحقيق محمّد نعيم العرقسوسي- مؤسّسة الرسالة- بيروت- ط١ ١٩٩٣.
١١- تخريج أحاديث الإحياء= المغني عن حمل الأسفار في الأسفار.
١٢- تهذيب اللغة- تأليف: محمّد بن محمّد بن الأزهري الهروي أبو منصور- توفي ٣٧٠هـ- تحقيق محمّد عوض مرعب- دار إحياء التراث العربي- بيروت- ط١- ١٢٠٠.
١٣- تطوّر الغزل بين الجاهليّة والإسلام من امرئ القيس إلى ابن أبي ربيعة- تأليف د. شكري فيصل- دار العلم للملايين- بيروت-ط٤.
١٤- التصوّف: المنشأ والمصادر- تأليف إحسان ظهير الدين.
١٥- مفاتيح الغيب التفسير الكبير- تأليف أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري- توفّي ٦٠٦هـ- دار إحياء التراث العربي- بيروت- ط٣- ١٤٢٠ هـ.
١٦- تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشِّلْبِيِّ- تأليف عثمان بن علي بن محجن البارعي، فخر الدين الزيلعي الحنفي- توفّي ٧٤٣ هـ. الحاشية: شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن يونس بن إسماعيل بن يونس الشِّلْبِيُّ توفّي١٠٢١هـ- المطبعة الكبرى الأميرية- القاهرة- ط١- ١٣١٣هـ.
١٧- تاريخ دمشق- تأليف أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر توفّي٥٧١هـ- تحقيق عمرو بن غرامة العمروي- دار الفكر- ط١- ١٩٩٥.
١٨- تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة - تأليف نور الدين علي بن محمد ابن علي بن عبد الرحمن ابن عراق الكناني المتوفى٩٦٣هـ- تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف عبد الله محمد الصديق الغماري- دار الكتب العلمية- بيروت- ط١- ١٣٩٩هـ.
١٩- التحفة العراقية في الأعمال القلبية- تأليف تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية الحرّاني الحنبلي الدمشقي- توفّي: ٧٢٨هـ- المطبعة السلفية ـ القاهرة- ط٢- ١٣٩٩هـ.
٢٠- تاج العروس من جواهر القاموس- تأليف محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، توفّي ١٢٠٥هـ- تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت.

٢١- تاج العروس من جواهر القاموس- تأليف محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، توفّي ١٢٠٥هـ- تحقيق مجموعة من المحققين- دار الهداية.

حرف الجيم

١- الجامع الصغير مع شرحه النافع الكبير- تأليف: أبو عبد الله محمّد بن الحسن الشيباني- توفي ١٨٩هـ- مؤلّف النافع الكبير محمّد عبد الحي بن محمّد عبد الحليم الأنصاري اللكنوي الهندي توفي ١٣٠٤هـ- الكويت١٤٠٦هـ.

٢-جامع الأحاديث- تأليف عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي- توفي٩١١هـ- ضبطه فريق من الباحثين- القاهرة-ط ١ ٢٠٠٢.

٣ - جمهرة الأمثال- تأليف أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري-توفي ٣٩٥هـ- دار الفكر بيروت.

٤- الجامع لأحكام القرآن- تأليف أبو عبد الله محمّد بن أحمد الأنصاري القرطبي- تحقيق: د. محمّد إبراهيم الحفناوي- دار الحديث- القاهر ة- ط١٢٠٠٥.

٥- جمهرة اللغة- تأليف أبو بكر محمّد بن الحسن بن دريد الأسدي-توفي ٣٢١هـ- تحقيق: رمزي منير بعلبكي- دار العلم للملايين- بيروت- ط١ ١٩٨٧.

٦- الجامع الصحيح للسنن والمسانيد- تأليف: صهيب عبد الجبّار غير مطبوع (الشاملة).

٧- الجامع الكبير انظر سنن الترمذي.

٨- جامع كرامات الأولياء- تأليف يوسف بن إسماعيل النبهاني- توفي ١٣٥٠هـ- اعتنى به سمير مصطفى رباب- المكتبة العصريّة- صيدا- ط١ ٢٠٠٢.

حرف الحاء

١- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء- تأليف أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني- توفّي ٤٣٠هـ - السعادة- مصر- ١٩٧٤.

٢- الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام والحجاز للشيخ عبد الغني النابلسي- تقديم وإعداد أحمد عبد المجيد هريدي- الهيئة المصريّة للكتاب- ط١ ١٩٨٦.

٣- الحاوي للفتاوي- تأليف عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي- توفّي٩١١هـ- دار الفكر-٢٠٠٤.

٤- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة- تأليف عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين

السيوطي- توفي٩١١هـ- تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم- دار الكتب العربيّة- عيسى البابي الحلبي وشركاه-مصر- ط١ ١٩٦٧.

٥- الحاوي الكبير في فقه الشافعي شرح مختصر المزني- تأليف: أبو الحسن علي بن محمّد بن محمّد بن حبيب البصري البغدادي الشهير بالماوردي- توفي ٤٥٠هـ- تحقيق علي معوّض- عادل أحمد عبد الموجود- دار الكتب العلميّة- بيروت- ١٩٩٩هـ.

٦- حقائق عن التصوّف- تأليف عبد القادر عيسى- دار العرفان-حلب- ط٥- ١٩٩٣.

حرف الخاء

١- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر- تأليف محمّد بن أمين بن فضل الله بن محبّ الدين بن محمّد المحبّي الحموي الأصل الدمشقي- توفي ١١١١هـ- دار صادر- بيروت- ١٢٨٤هـ.

٢- خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب- تأليف عبد القادر بن عمر البغدادي- توفي ١٠٩٣- تحقيق وشرح عبد السلام محمّد هارون- مكتبة الخانجي- القاهرة- ط٤- ١٩٩٧.

٣- خريدة القصر وجريدة العصر- تأليف: عماد الدين الكاتب الأصبهاني محمّد بن محمد صفي الدين بن نفيس الدين حامد بن أله، أبو عبد الله توفي ٥٩٧هـ- حققه وضبطه وشرحه وكتب مقدمته محمد بهجة الأثري- مطبعة المجمع العلمي العراقي- ط١- ١٩٥٥.

حرف الدال

١- الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة- تأليف أبو الفضل أحمد بن علي بن محمّد بن أحمد بن حجر العسقلاني- توفّي٩٥٢ ـ تحقيق محمّد عبد المعيد ضان- مجلس دائرة المعارف العثمانيّة- الهند- ١٠٩٢هـ.

٢- درّة الغوّاص في أوهام الخواص القاسم بن علي بن محمد بن عثمان أبو محمد الحريري البصري توفّي ٥١٦هـ. تحيقق عرفات مطرجي- مؤسسة الكتب الثقافية- بيروت، ط١- ١٩٩٨هـ.

٣- الدرّ المنثور- تأليف عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي- ت٩١١هـ- دار الفكر- بيروت.

٤- ديوان الإسلام- تأليف شمس الدين أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن بن الغزي توفّي ١١٦٧هـ- تحقيق سيد كسروي حسن- دار الكتب العلمية- بيروت- ط١- ١٩٩٠.

٥- ديوان الحقائق- تأليف الشيخ عبد الغني النابلسي- دار الجيل.
٦- ديوان ابن الفارض تحقيق جوزيبي اكاتولين- المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقيّة بالقاهرة.
٧- الدر المختار شرح تنوير الأبصار وجامع البحار- تأليف محمد بن علي بن محمد الحِصْني المعروف بعلاء الدين الحصكفي الحنفي توفّي ١٠٨٨هـ- تحقيق عبد المنعم خليل إبراهيم- دار الكتب العلمية- ط١ ٢٠٠٢.
٨- دراسات في التصوف- تأليف إحسان إلهي ظهير الباكستاني توفّي ١٤٠٧هـ- دار الإمام المجدد- ط١- ٢٠٠٥.
٩- ديوان المعاني- تأليف أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري- توفّي٣٩٥هـ. دار الجيل- بيروت.
١٠- ذخائر الأعلاق- شرح ترجمان الأشواق- تأليف محيي الدين بن العربي- توفي ٦٣٨هـ تحقيق عبد الرحمن الكردي- مطبعة السعادة- القاهرة- ط١ ١٩٦٨.

حرف الراء والزين

١- الروض الآنف في شرح السيرة النبويّة لابن هشام- تأليف أبو القاسم عبد الرحمن بن أحمد السهلي- توفي٥٨١هـ- تحقيق عمر عبد السلام السلامي- دار إحياء التراث العربي- بيروت- ط١- ٢٠٠٠.
٢- روضة المحبّين ونزهة المشتاقين تأليف محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي الحنبلي شمس الدين ابن قيم الجوزية- توفّي٧٥١هـ- دار الوعي- حلب ـ ط١٩٨٣.
٣- الزهد والرقائق لابن المبارك- تأليف أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي التركي المروزي- توفي١٨١هـ- تحقيق حبيب الله الأعظمي- دار الكتب العلميّة- بيروت.
٤- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء - تأليف محمد بن حبّان بن أحمد بن حبّان بن معاذ بن مَعْبدَ التميمي، أبو حاتم الدارمي البُستي- توفّي ٣٥٤هـ- تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد- دار الكتب العلمية- بيروت.
٥- الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة- تأليف محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين الزرعي الدمشقي المشهور بابن قيم الجوزية- توفّي ٧٥١هـ- الكتب العلمية ـ بيروت.

٦- رحلة الشتاء والصيف- تأليف محمد بن عبد الله بن محمد، من أحفاد شرف الدين بن يحيى الحمزي الحسيني المولوي المعروف بـ كِبْرِيت- توفي ١٠٧٠هـ- تحقيق الأستاذ محمَّد سَعيد الطنطاوي- المكتب الإسلامي للطباعة والنشر- بيروت- ط٢- ١٣٨٥هـ.
٧- روح البيان- تأليف إسماعيل حقّي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء- توفي ١١٢٧هـ- دار القلم دمشق- ط١- ١٩٩١.

حرف السين

١- سنن الترمذي- تأليف محمّد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحّاك الترمذي، أبو عيسى- توفي ٢٧٩هـ- تحقيق بشار عوّاد معروف- دار الغرب الإسلامي- بيروت.
٢- سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر- تأليف محمّد خليل بن علي بن محمّد بن محمّد مراد الحسيني، أبو الفضل- توفي ١٢٠٦هـ - دار البشائر الإسلاميّة ـ دار ابن حزم- ط٣- ١٩٨٨.
٣- سنن ابن ماجه- تأليف أبو عبد الله محمّد بن يزيد القزويني- توفي ٢٧٣هـ- تحقيق محمّد فؤاد عبد الباقي- دار إحياء الكتب العربيّة.
٤- السنن الكبرى- تأليف أبو عبد الرحمن أحمد بن علي الخراساني النسائي- توفي٣٠٣هـ- تحقيق حسن عبد المنعم شلبي- بيروت-ط١- ١٢٠٠.
٥- سلسلة الأحاديث الضعيفة وأثرها السيّئ في الأمّة- تأليف محمّد ناصر الدين الألباني- دار المعارف- الرياض- ط١-١٩٩٢.
٦- سلسلة الأحاديث الضعيفة وأثرها السيّئ في الأمّة- تأليف محمّد ناصر الدين الألباني- دار المعارف- الرياض- ط١- ١٩٩٥.
٧- السُنّة- تأليف أبو بكر بن عاصم أحمد بن عمرو الضحّاك بن مخلد الشيباني- توفي ٢٨٧هـ- تحقيق محمّد ناصر الدين الألباني- المكتب الإسلامي- بيروت- ط١- ١٤٠٠هـ.

حرف الشين

١- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي- تحقيق محمود أرناؤوط- دار ابن كثير- بيروت- ط١- ١٩٨٦.
٢- شعب الإيمان- تأليف أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسرو جردي الخراساني أبو بكر البيهقي- توفي ٤٥٨هـ- تحقيق د. عبد العلي عبد الحميد حامد- مكتبة الرشد- الرياض- ط١- ٢٠٠٣.

٣- شرح تنقيح الفصول- تأليف أبو العبّاس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي- توفي ٦٨٤هـ- تحقيق طه عبد الرؤوف سعد- شركة الطباعة الفنيّة المتحدة- ط١- ١٩٧٣.
٤- شرح ديوان أبي نوّاس- إيليا الحاوي- دار الكتاب اللبناني ط١- ١٩٨٧.
٥- شرح مسند أبي حنيفة- تأليف علي بن سلطان محمّد أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري- توفي ١٠١٤هـ- تحقيق خليل محيي الدين الميس- دار الكتب العلميّة بيروت- ط١- ١٩٨٥.
٦- شرح شافية ابن الحاجب مع شواهد خزانة الأدب لعبد القادر البغدادي- تأليف محمّد بن الحسن الرضي الاستراباذي نجم الدين- توفّي ٦٨٦هـ- حقّقهما محمّد نور الحسن ومحمّد الزفزاف ومحمّد محيي الدين عبد الحميد- دار الكتب العلميّة- بيروت- ط ١- ١٩٧٥.
٧- الشعر والشعراء- تأليف أبو محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري- توفّي٢٧٦هـ- دار الحديث- القاهرة- ط١- ١٤٢٣.
٨- شرح الشفا- تأليف علي بن سلطان محمّد أبو الحسن نور الدين الملّا الهروي القاري- توفي١٠١٤هـ- دار الكتب العلميّة- بيروت- ط١- ١٤٢١هـ.
٩- شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور تأليف عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي توفّي٩١١هـ- تحقيق عبد المجيد طعمة حلبي- دار المعرفة ـ لبنان- ط١- ١٩٩٦.
١٠- بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب- تأليف محمود بن عبد الرحمن أبي القاسم ابن أحمد بن محمد أبو الثناء شمس الدين الأصفهاني توفّي ٧٤٩هـ تحقيق محمد مظهر بقا- دار المدني- ط١- ١٩٨٦.
١١- شرح ما يقع في التصحيف والتحريف- تأليف أبي أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري- توفّي٣٨٢هـ- تحقيق د. السيّد محمّد يوسف- راجعه أحمد راتب النفّاخ- مطبوعات مجمّع اللغة العربيّة بدمشق- ط١- ١٩٨١.
١٢- شرح السنّة- تأليف أبو محمّد الحسن بن مسعود بن محمّد الفرّاء البغوي- تحقيق شعيب أرناؤوط- وهير الشاويش- المكتب الإسلامي- ط٢- ١٩٨٣.

حرف الصاد والضاد

١- صحيح البخاري مع شرح وتعليق مصطفى البغا- تأليف محمّد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي تحقيق محمّد بن زهير بن ناصر الناصر- دار طوق النجاة- ط١ - ١٤٢٢هـ.

٢- صحيح الجامع الصغير- تأليف أبو عبد الرحمن محمّد بن ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم الالباني- توفّي١٤٢٠هـ- المكتب الإسلامي.

٣- ضعيف الجامع الصغير- المكتب الإسلامي.

٤- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء- تأليف أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي- توفّي٨٢١هـ- دار الكتب العلميّة بيروت.

٥- صحيح مسلم- تأليف مسلم بن الحجّاج أبو الحسن القشيري النيسابوري،توفي ٢٦١هـ- تحقيق محمّد فؤاد عبد الباقي- دار إحياء التراث العربي- بيروت.

٦- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربيّة- تأليف أبو نصر إسماعيل بن حمّاد الجوهري الفارابي- توفي ٢٥٦هـ- تحقيق أحمد عبد الغفور عطّار- دار العلم للملايين- بيروت ـ ط٤- ١٩٨٩.

٧- صحيح الأدب المفرد- تأليف محمّد بن اسماعيل أبو عبد الله البخاري توفي ٢٥٦هـ- تحقيق محمّد ناصر الدين الألباني- دار الصديق- ط٤- ١٩٩٧.

٨- صرف العَنان إلى قراءة حفص بن سليمان- تأليف عبد الغني النابلسي- ومعه روح البيانات في معاني القراءات تأليف هيثم عطايا- قدّم له الشيخ محمّد كريّم راجح- راجعه محمّد حسّان السيد حسن- دار الفرفور- دمشق- ط١- ٢٠٠٦.

٩- ضعيف الأدب المفرد للإمام البخاري تأليف محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة أبو عبد الله البخاري- تحقيق محمّد بن ناصر الدين الألباني توفّي١٤٢٠هـ- دار الصدّيق ط٤- ١٩٨٨.

١٠- الصفات- تأليف أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني- توفّي ٣٨٥هـ ـ تحقيق: عبد الله الغنيمان- مكتبة الدار - المدينة المنورة- ط١- ١٤٠٢هـ.

١١- الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة- تأليف أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام أبو العباس- توفّي: ٩٧٤هـ. تحقيق عبد الرحمن بن عبد الله التركي- كامل محمد الخراط- الرسالة ـ لبنان- ط١- ١٩٩٧.

حرف الطاء

١- طبقات الصوفيّة- تأليف محمّد بن الحسين بن محمّد بن موسى بن خالد بن سالم النيسابوري، أبو عبد الله السلمي- توفي ٤١٢هـ- تحقيق مصطفى عبد القادر عطا- دار الكتب العلميّة- بيروت- ط١- ١٩٩٨.

٢- طبقات الشافعيّة الكبرى- تأليف تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي- توفي٧٧١هـ- تحقيق محمود محمّد الطناجي ود. عبد الفتّاح محمّد الحلو- دار هجر- ط٢- ١٤١٣.

٣- طبقات الصوفيّة- تأليف سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد المصري- توفي ٨٠٤هـ- تحقيق نور الدين شريبة- دار المرفة- بيروت- ط٢ ١٩٨٦.

٤- طبقات الأولياء الكبرى(الكواكب الدريّة في مدح السادة الصوفيّة) تأليف محمّد عبد الرؤوف المناوي- مخطوط.

٥- الطبقات الكبرى- تأليف: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري البغدادي المعروف بابن سعد- توفّي ٢٣٠هـ- تحقيق: زياد محمد منصور- مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة- ط٢- ١٤٠٨هـ.

حرف العين والغين

١- العبر في خبر من غبر- تأليف شمس الدين أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي- توفي ٧٤٨هـ- تحقيق أبو هاجر محمّد السعيد بسيوني زغلول- دار الكتب العلميّة- بيروت.

٢- عجائب الآثار في التراجم والأخبار- تأليف عبد الرحمن بن حسن الجبرتي- دار الجيل.

٣- عمر بن الفارض وحياته الصوفيّة من خلال قصيدته التائيّة- تأليف جوزيف اسكاتوليني- محاضرة ألقاها في المجمع العلمي المصري-١٩٩٢.

٤- الغزل عند العرب- تأليف ج. ك. فاديه_ ترجمة د. إبراهيم كيلاني- منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي- دمشق ط١- ١٩٧٩.

٤- عمدة القاري في شرح صحيح البخاري- تأليف أبو محمّد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني- توفي ٨٥٥هـ- دار إحياء التراث العربي بيروت.

٥- العلل المتناهية في الأحاديث الواهية- تأليف جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي- توفّي٥٩٧هـ- تحقيق إرشاد الحق الأثري- إدارة العلوم الأثرية، فيصل آباد، باكستان- ط٢- ١٩٨١.

حرف الفاء والقاف

١- فوات الوفيّات- تأليف محمّد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقّب بصلاح الدين- توفي ٩٦٤هـ- تحقيق إحسان عبّاس- دار صادر- ط١- ٣ ١٩٧ و١٩٧٤

٢- فنون الأدب في الحديث النبوي- تأليف محمّد زكريّا الزعيم- دمشق- ط١- ٢٠١١.

٣- الفتاوى الفقهيّة الكبرى ـ تأليف أحمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام أبو العبّاس- توفي ٩٧٤- جمعها تلميذه الشيخ عبد القادر بن أحمد بن علي الفاكهي المكّي- توفّي٩٨٢هـ- المكتبة الإسلاميّة.

٤- الفتوحات المكّيّة في معرفة الأسرار المالكيّة والملكيّة- تأليف الشيخ محيي الدين محمّد بن علي بن محمّد بن أحمد بن عبد الله الطائي الحاتمي المعروف بابن عربي- توفّي ٦٣٨هـ - دار إحياء التراث العربي بيروت- ط١- ١٩٩٧.

٥- القاموس المحيط- تأليف مجد الدين محمّد بن يعقوب الفيروزآبادي- توفّي٨١٧- تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة- إشراف محمّد نعيم العرقسوسي- ط٧- ٢٠٠٣.

٦- فقه اللغة وسرّ العربيّة ـ تأليف عبد الملك بن محمّد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي- توفي٤٢٩هـ- تحقيق عبد الرزّاق المهدي- دار إحياء التراث العربي- ط ٢-٢٠٠١.

٧- الفتاوى الكبرى لابن تيمية- تأليف تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي- توفّي ٧٢٨هـ- دار الكتب العلمية ـ ط١- ١٩٨٧.

٨- الفوائد المعللة- تأليف عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله بن صفوان النصري المشهور بأبي زرعة الدمشقي الملقب بشيخ الشباب - توّفّي ٢٨١هـ- تحقيق رجب بن عبد المقصود - توزيع: مكتبة الإمام الذهبي- الكويت- ط١-٢٠٠٣.

٩- فتح الباري شرح صحيح البخاري- تأليف أحمد بن علي بن حجر، أبو الفضل العسقلاني الشافعي- رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي- دار المعرفة ـ بيروت- ط١- ١٣٧٩هـ.

١٠- فيض القدير شرح الجامع الصغير- تأليف زين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري- توفّي- ١٠٣١هـ- المكتبة التجارية الكبرى- مصر- ط١- ١٣٥٦هـ.

١١- فتح القدير- تأليف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني،توفّي١٢٥٠هـ. دار ابن كثير، دار الكلم الطيب- دمشق، بيروت- ط١- ١٤١٤ هـ.

١٢- الفردوس بمأثور الخطاب- المؤلف شيرويه بن شهردار بن شيرويه بن فناخسرو، أبو شجاع الديلميّ الهمذاني- توفّي ٥٠٩هـ. تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول- دار الكتب العلمية- بيروت ـ ط١- ١٩٨٦.

حرف الكاف واللام

١- الكواكب الدرّيّة في مدح السادة الصوفيّة- تأليف عبد الرؤوف المناوي- توفي١٠٣١هـ- مخطوط.

٢- كشف الخفاء ومزيل الالتباس فيما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس- تأليف إسماعيل بن محمّد بن عيد الهادي الجراحي العجلوني الدمشقي أبو الفداء- توفّي ١١٦٢- تحقيق عبد الحميد بن أحمد يوسف هنداوي- ط١- ٢٠٠٠ .

٣ ـ الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة- تأليف نجم الدين محمّد بن محمّد الغزّي- ت١٠٦١هـ- تحقيق خليل المنصور- دار الكتب العلميّة- ط -١ ١٩٩٧ .

٤- لسان الميزان- تأليف أبو الفضل أحمد بن محمّد بن أحمد بن حجر العسقلاني، ت ٨٥٢هـ- تحقيق عبد الفتّاح أبو غدّة- ط١- ٢٠٠٢.

٥- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال- تأليف علاء الدين علي بن حسام الدين بن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالمكي الشهير بالمتقي الهندي- توفّي ٩٧٥هـ- تحقيق بكري حيّاني - صفوة السقا- مؤسسة الرسالة ـ ط٥- ١٩٨١.

٦- لسان العرب- تأليف محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل، جمال الدين بن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى- توفّي ٧١١هـ- دار صادر ـ بيروت- ط٣- ١٤١٤هـ.

حرف الميم

١- مسند أبي يعلى الموصلي أحمد بن المثنّى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، ت ٣٠٧هـ- تحقيق حسين أسد ـ دار المأمون للتراث- دمشق ط١- ١٩٨٤.

٢- معجم المؤلّفين- عمر بن رضا كحّالة- توفي ١٤٠٨ هـ - مكتبة المثنى- بيروت- دار إحياء التراث العربي.

٣- المواعظ والاعتبار- تأليف تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمّد المعروف بالمقريزي- ت ٨٤٥ هـ- القاهرة ط١ ١٢٧٠هـ.

٣- مسند الإمام أحمد بن حنبل- تأليف أبو عبد الله أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني- توفي ٢٤١هـ تحقيق شعيب أرناؤوط وعادل مرشد وآخرون- مؤسسة الرسالة- ط١ - ٢٠٠١.

٤- المستدرك على الصحيحين- تأليف أبو عبد الله الحاكم محمّد بن عبد الله بن محمّد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبّي الطهماني النيسابوري- توفي ٤٠٥هـ- تحقيق عبد القادر عطا- دار الكتب العلميّة- ط١- ١١٩٠.

٥- مفردات ألفاظ القرآن- تأليف الراغب الأصفهاني- تحقيق صفوان عدنان الداوودي- دار القلم- ط٥- ٢٠١١.

٦- مجلّة الرسالة لصاحبها أحمد حسن الزّيّات- العدد ٥٣٣.

٧- مجموع فتاوى ابن تيميّة- المجلّد الحادي عشر في كتاب التصوّف.

٨- مكتبة المصطفى الإلكترونيّة.

٩- مواقع النجوم ومطالع أهلّة الأسرار والعلوم - تأليف الشيخ محيي الدين ابن العربي وبحاشيته مختصر لشرح مواقع النجوم للكاشاني- تحقيق خالد الزرعي وعبد الناصر سرّي- دار ابن القيّم- دمشق- ط١- ٢٠٥٥.

١٠- مسند الإمام أحمد بن حنبل- تأليف أبو عبد الله أحمد بن محمّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني- توفي٢٤١هـ- تحقيق أحمد محمّد شاكر- دار الحديث- القاهرة- ط١- ١٩٩٥.

١١- مسند الإمام أحمد بن حنبل- تأليف أبو عبد الله أحمد بن محمّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني- توفي٢٤١هـ- تحقيق شعيب أرناؤوط وعادل مرشد وآخرون- مؤسسة الرسالة- ط١-١٢٠٠.

١٢- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي- تأليف يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي أبو المحاسن جمال الدين- توفي٨٧٤هـ- تحقيق د. محمّد محمّد أمين - قدّمه د. سعيد عبد الفتّاح عاشور- الهيئة العامّة المصريّة للكتاب.

١٣- المذاهب الكبرى في التاريخ من كونفوشيوس إلى تونبي- تأليف البان ج. ويدجري ترجمة ذوقان قرقوط- دار القلم ـ بيروت-ط١- ١٩٧٢.

١٤- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير- تأليف أبي العبّاس أحمد بن محمّد بن علي المقرئ الفيّومي- توفي٧٧٠هـ- اعتنى به عادل مرشد- دار الرسالة- دمشق- ط١ - ٢٠١٠.
١٥- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير- تأليف أبي العبّاس أحمد بن محمّد بن علي الفيّومي ثمّ الحموي- توفي٧٧٠هـ- المكتبة العلميّة- بيروت.
١٦- مسند البزّار- البحر الزاخر- تأليف أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلّاد بن عبيد الله العتكي، المعروف بالبزّار- توفي ٢٩٢هـ - تحقيق محفوظ الرحمن زين الله وصبري عبد الخالق الشافعي- مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنوّرة- ط١ - ١٩٨٨.
١٧- الموضوعات- تأليف جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمّد الجوزي- توفي٥٩٧هـ- ضبط وتقديم وتحقيق عبد الرحمن محمّد عثمان- المكتبة السلفيّة- المدينة المنوّرة- ط١- ١٩٦٦-١٩٨٦.
١٨- المزهر في علوم اللغة وأنواعها- تأليف عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي- توفّي٩١١هـ- تحقيق فؤاد منصور- دار الكتب العلميّة- بيروت- ط١ - ١٩٩٨.
١٩- الموطّأ- تأليف أبو محمّد عبد الله بن وهب بن مسلم المصري القرشي- توفّي١٩٧هـ- تحقيق هشام إسماعيل الصيني- دار ابن الجوزي- الدمّام- ط٢- ١٩٩٩.
٢٠- معجز أحمد (شرح ديوان المتنبّي)- تأليف أحمد بن عبد الله بن سليمان أبو العلاء المعرّي التنوخي- توفّي٤٤٩.
٢١- معجم مصطلحات الصوفيّة- تأليف د. عبد المنعم الجفني- دار المسيرة، ط٢- ١٩٨٧.
٢٢- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان- تأليف أبو محمّد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي- توفّي٧٦٨هـ- وضع حواشيه خليل المنصور- دار الكتب العلميّة بيروت- ط١ - ١٩٩٧.
٢٣- معجم البلدان- تأليف شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي- توفّي ٦٢٦هـ- دار صادر- بيروت- ط٢- ١٩٩٥.
٢٤- المصنوع في معرفة الحديث الموضوع (الموضوعات الصغرى)- تأليف علي بن محمّد أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري- توفّي ١٠١٤هـ- تحقيق عبد الفتّح أبو غدّة- مؤسسة الرسالة - بيروت- ط٢- ١٣٩٨هـ.
٢٥- مقاييس اللغة - تأليف أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي أبو الحسين- توفّي٣٩٥هـ- تحقيق عبد السلام هارون- دار الفكر- ط١ - ١٩٧٩.

٢٦- المفضّليّات- تأليف المفضّل بن محمّد بن يعلى الضبّي- تحقيق وشرح أحمد محمّد شاكر- عبد السلام هارون- دار المعارف- مصر- ط٦- ١٩٤٢.
٢٧- المبسوط- الأصل المعروف بالمبسوط- تأليف أبو عبد الله محمّد بن الحسن بن فرقد الشيباني توفّي ١٨٩هـ- تحقيق أبو الوفا-إدارة القرآن والعلوم الإسلاميّة ـ كراتشي.
٢٨- مختار الصحاح- تأليف زين الدين أبو عبد الله محمّد بن أبي بكر عبد القادر الحنفي الرازي- توفّي ٦٦٦هـ- تحقيق يوسف الشيخ محمّد- المكتبة العصريّة- صيداء- ط٥- ١٩٩٩.
٢٩- مشيخة أبي المواهب الحنبلي- تأليف محمّد بن عبد الباقي الحنبلي البعلي الدمشقي- توفّي١١٢٦هـ.
٣٠- المواهب اللدنيّة بالمنح المحمّديّة- تأليف أحمد بن محمّد أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري أبو العبّاس شهاب الدين- توفي ٩٢٣- المكتبة التوفيقيّة- القاهرة.
٣١- منتهى السؤل على وسائل الوصول إلى شمائل الرسول صلّى الله عليه وسلّم ـ تأليف عبد الله بن سعيد بن محمّد عبّادي اللحجي الحضرمي الشحاري ثمّ المراوعي ثمّ المكّيّ- توفّي ١٤١٠هـ- دار المنهاج- جدّة- ط٣ ٢٠٠٥.
٣٢- المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من أخبار- مطبوع بهامش إحياء علوم الدين- تأليف أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر ابن إبراهيم العراقي- توفي٨٠٦- دار ابن حزم- بيروت- ط١- ٢٠٠٥.
٣٣- مواهب الجليل في مختصر الشيخ خليل- تأليف محمّد بن محمّد بن عبد الرحمن المالكي الطرابلسي المعروف بالحطّاب الرعيني- تحقيق محمّد بن محمّد الأمين بن أبوه الموسوي اليعقوبي الشنقيطي- دار الرضوان- موريتانيا- ط١ ٢٠١٠.
٣٤- مواهب الجليل في شرح مختصر خليل- تأليف شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، المعروف بالحطاب الرُّعيني المالكي- توفّي ٩٥٤هـ- دار الفكر- ط٣- ١٩٩٢.
٣٥- المصنّف في الأحاديث- تأليف أبو بكر بن أبي شيبة عبد الله بن محمّد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي- توفّي ٢٣٥هـ- تحقيق كمال يوسف الحوت- مكتبة الرشد- الرياض- ط١- ١٤٠٩.
٣٦- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار- تأليف أحمد بن علي بن عبد القادر أبو العبّاس الحسيني العبيدي تقي الدين المقريزي- توفّي٨٤٥هـ- دار الكتب العلميّة- بيروت- ط١- ١٤١٨هـ.

٣٧- المقاصد الحسنة في بيان ذكر كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة- تأليف شمس الدين أبو الخير محمّد بن عبد الحمن بن محمّد السخاوي- توفي٩٢٧هـ- تحقيق محمّد عثمان الخشت- دار الكتب العلميّة- بيروت- ط١- ١٩٨٥.
٣٨- مسند أبي داوود الطيالسي- تأليف أبو داوود سليمان بن داوود بن الجلود الطيالسي البصري- توفّي ٢٠٤هـ- تحقيق د. محمّد عبد المحسن التركي- دار هجر- مصر- ط١- ١٩٩٤.
٣٩- المعجم الكبير للطبراني- تأليف سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني- توفّي ٣٦٠هـ- تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي- مكتبة ابن تيميّة- القاهرة- ط١- ١٩٩٤.
٤٠- المعجم الأوسط للطبراني- تأليف سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني- توفي ٣٦٠هـ- تحقيق طارق عوض الله بن محمّد عبد المحسن الحسيني- دار الحرمين- القاهرة.
٤١- المعجم الصغير (الروض الداني)- تأليف سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني- توفّي ٣٦٠هـ- تحقيق محمّد شكّور محمود الحاج أمرير- المكتب الإسلامي- دار عمّار- بيروت- عمّان- ط١- ١٩٨٥.
٤٢- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد- تأليف أبي الحين نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي- توفي ٨٠٧هـ تحقيق حسام الدين القدسي- مكتبة القدسي- القاهرة- ط١- ١٩٩٤.
٤٣- مدارج السالكين بين منازل إيّاك نعبد وإيّاك نستعين- تأليف شمس الدين أبو عبد الله محمّد بن أبي بكر بن أيّوب بن سعد ين حريز الزرعي الدمشقي المعروف بابن قيّم الجوزيّة- تحقيق محمّد بالله البغدادي- دار الكتاب العربي- بيروت- ط٤ ١٩٩٧.
٤٤- المحيط البرهاني في الفقه النعماني فقه الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه- تأليف أبو المعالي برهان الدين محمود بن أحمد بن عبد العزيز بن عمر بن مَازَةَ البخاري الحنفي، ت ٦١٦هـ، تحقيق عبد الكريم سامي الجندي- دار الكتب العلمية، بيروت- ط١ ٢٠٠٤
٤٥- مسند الشاميين- تأليف سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني توفّي ٣٦٠هـ- تحقيق حمدي بن عبدالمجيد السلفي- مؤسسة الرسالة- بيروت ط١- ١٩٨٤.

٤٦- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز- تأليف أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي- توفي ٥٤٢هـ- تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد- دار الكتب العلمية- بيروت- ط١- ١٤٢٢هـ.
٤٧- مسند الشهاب- تأليف أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون القضاعي المصري- توفي ٤٥٤هـ- تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي- مؤسسة الرسالة - بيروت- ط٢- ١٩٨٦
٤٨- كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ في اللغة العربية- تأليف إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد بن عبد الله اللواتي الأَجْدَابي، أبو إسحاق الطرابلسي توفي ٤٧٠هـ- تحقيق السائح علي حسين- دار اقرأ - طرابلس- الجماهيرية الليبية.
٤٩- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة- تاليف شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي- توفي ٩٠٢هـ- تحقيق محمد عثمان الخشت- دار الكتاب العربي- بيروت- ط١- ١٩٨٥.
٥٠- المعجم الصوفي- تأليف د. سعاد الحكيم- دار دندرة- بيروت- ط١- ١٩٨١.
٥١- موسوعة الدفاع عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم- جمع وتحقيق علي نايف الشحّود- الشاملة.
٥٢- المسرد النقدي بأسماء مؤلّفات الشيخ عبد الغني النابلسي_ تأليف الدكتور بكري علاء الدين- من مطبوعات مجمع اللّغة العربيّة بدمشق- ١٩٨٤.

حرفا النون والهاء

١- النجوم الزاهرة في ملك مصر والقاهرة- تأليف يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن جمال الدين- توفي٨٧٤هـ- دار الثقافة والإرشاد القومي- مصر- ط١- ١٩٦٣.
٢- نظم المتناثر من الحديث المتواتر- تأليف أبو عبد الله محمّد بن أبي الفيض جعفر بن إدريس الحسني الإدريسي- الشهير بالكتّاني- توفي ١٣٤٥هـ- تحقيق شرف حجازي- دار الكتب السلفيّة- مصر- ط٢.
٣- النور السافر على أخبار القرن العاشر- تأليف محيي الدين عبد القادر بن شيخ عبد الله العيدروس- توفي ١٠٣٨هـ - دار الكتب العلميّة- بيروت- ط١- ١٤٠٥هـ.

٤- النور المسافر في أخبار القرن العاشر- تأليف محيي الدين عبد القادر بن شيخ عبد الله العيدروس- توفّي ١٠٣٨هـ- دار الكتب العلميّة- بيروت- ط٥- ١١٤٠هـ.
٥- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب- تأليف أحمد بن محمّد المقّري- تحقيق إحسان عبّاس- دار صادر- ط١- ١٩٦٨.
٦- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور- تأليف إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي- توفّي٨٨٥هـ - دار الكتاب الإسلامي القاهرة- ط١- ١٤٠٥هـ.
٧- نهاية المراد من كلام خير العباد تأليف: عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي الجماعيلي الدمشقي الحنبلي، أبو محمد، تقي الدين المتوفى: ٦٠٠هـ- مخطوط نُشر في برنامج جوامع الكلم المجاني التابع لموقع الشبكة الإسلامية.
٨- هكذا ظهر صلاح الدين- تأليف ماجد عرسان الكيلاني-الشابكة.
٩- النهاية في الفتن والملاحم- تأليف أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي- توفّي ٧٧٤هـ- تحقيق محمد أحمد عبد العزيز- دار الجيل- بيروت- ط١- ١٩٨٨.

حرف الواو

١- وفيّات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمّد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي (بن خلّكان)- توفّي ٦٨١هـ- تحقيق إحسان عبّاس- دار صادر- بيروت- ط١/ ٧- ١٩٦٨.
٢- الوجود الحقّ والخطاب الصدق- تأليف الشيخ عبد الغني النابلسي- تحقيق د. بكري علاء الدين- منشورات المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربيّة- دمشق- ط١- ١٩٩٥.
٣- وحدة الوجود وإرهاصات النهضة العربيّة- محاضرة للدكتور بكري علاء الدين ضمن احتفاليّة دمشق عاصمة الثقافة العربيّة ٢٠٠٨.

* * *

فهرس الموضوعات

المقدمات والتعريف بالمؤلف

تحقيق المخطوط